

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

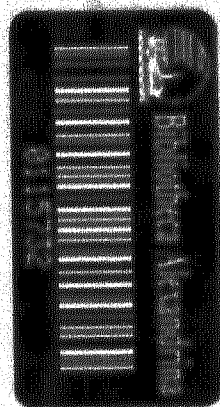
الجزء الأول

الدكتور هبارة عاي

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور جواد علي

الجزء الأول



الفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الأول

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مقدمة

هذا كتاب في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وهو في الواقع كتاب جديد ، يختلف عن كتابي السابق الذي ظهرت منه ثمانية أجزاء . يختلف عنه في إنشائه ، وفي تبويبه وترتيبه ، وفي كثير من مادته أيضاً ، فقد ضممته مادة جديدة ، خلا منها الكتاب السابق ، تهيأت لي من قراءاتي لكتابات جاهلية عُثر عليها بعد نشر ما نشرت منه ، ومن صور كتابات أو ترجاها أو نصوصها لم تكن قد نشرت من قبل ، ومن مراجعاتي لموارد نادرة لم يسبق للحظ أن سعد بالظفر بها أو الوقوف عليها ، ومن كتب ظهرت حديثاً بعد نشر هذه الأجزاء ، فرأيت إضاقتها كلها الى معارفي السابقة التي جسدتها في ذلك الكتاب .

وقد رأى أستاذي العالم الفاضل السيد محمد بهجت الأثري تسميته : «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ، لما فيه من تفصيل لم يرد في الكتاب السابق ، فوجدت في اقتراحه رأياً صائباً ينطبق كل الانطباق على ما جاء فيه ، فسميته بما سماه به ، مقدماً إليه شكري الجزيل على هذا التوجيه الجميل .

وكتابي هذان ، هما عمل فرد عليه جمع المادة بنفسه ، والسهر في تحريرها وتحريرها ، وعليه الإنفاق من ماله الخاص على شراء موارد غير متيسرة في بلاده ، أو ليس في استطاعته مراجعتها بسبب القيود المفروضة على إعارة الكتب ، أو لاعتبارات أخرى ، ثم عليه البحث عن ناشر يوافق على نشر الكتاب ، ثم عليه تصحيح المسودات بنفسه بعد نجاحه في الحصول على ناشر ، الى غير ذلك من أمور تسلبه راحته وتستبد به وتضنيه . ولولا الولع الذي يتحكم في المؤلفين في هذه البلاد ، لما أقدم انسان على تأليف كتاب .

وإن عملاً يتم بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة ، لا يمكن أن يرضي المؤلف أو يسعده ، لأنه عمل يعتقد أنه مهما انفق فيه من جهد و طاقة واجتهاد ، فلن يكون على الشكل الذي يتوخاه أو يريده ، والصورة التي رسمها في فكره وتصورها له . ولولا طمع المؤلف في كرم القراء بتبرعهم في تقويم عوجه وإصلاح أغلاطه وارشاده الى خير السبل المؤدية الى التقويم والإصلاح ، ولولا اعتقاده أن في التردد أو الاحجام سلبية لا تنفع ، بل إن فيها ضرراً ، وان كتاباً يؤلف وينشر على ما يجمع من عيوب ونقائص خير من لا شيء ، أقول: لولا هذه الاعتبارات لما تجرأت ، فأخرجت كتاباً وعددتني مؤلفاً من المؤلفين .

وأنا إذ أقول هذا القول وأثبتته ، لا أريد أن أكون مرائياً لا بساً ثوب التواضع لأنظاها به على شاكلة كثير من المرائين . وإنما أقول ذلك حقاً وصدقاً ، فأنا رجل أعتقد أن الانسان مهما حاول أن يتعلم ، فانه يبقى الى خاتمة حياته جاهلاً ، كل ما يصل اليه من العلم هو نقطة من بحر لا ساحل له . ثم اني ما زلت أشعر أنني طالب علم ، كلما ظننت أنني انتهيت من موضوع ، وفرحت بانتهائي منه ، أدرك بعد قليل أن هناك علماً كثيراً فأنني ، وموارد جمة لم أتمكن من الظفر بها ، فأتذكر الحكمة القديمة « العجلة من الشيطان » .

وقد رأيت في هذا الكتاب شأني في الكتاب السابق، ألا انصّب نفسي حاكماً تكون وظيفته اصدار أحكام قاطعة ، وابداء آراء في حوادث تاريخية مضى زمن طويل عليها ، بل أكتفي بوصف الحادث وتحليله كما يبدو لي . وقد لا تعجب طريقتي هذه كثيراً من القراء ، وعذري أنني لا أكتب لإرضاء الناس ، ولا أدون لشراء العواطف ، وإنما أكتب ما أعتقد وأراه بحسب علمي وتحقيقي ، والرأي عندي أن التأريخ تحليل ووصف لما وقع ويقع ، وعلى المؤرخ أن يجهد نفسه كل الإجهاد للإحاطة به ، بالتفتيش عن كل ما ورد عنه ، ومناقشة ذلك مناقشة تمحيص ونقد عميقين ، ثم تدوين ما يتوصل اليه بجده واجتهاده تدويناً صادقاً على نحو ما ظهر له وما شعر به ، متجنباً إبداء الأحكام والآراء الشخصية القاطعة على قدر الاستطاعة .

لقد قلت في مقدمة الجزء الأول من كتابي السابق : « والكتاب بحث ، أردت جهد طاقتي أن يكون تفصيلياً ، وقد يعاب عليّ ذلك ، وعذري في هذا

التفصيل أنني أريد تمهيد الجادة لمن يأتي بعدي فيرغب في التأليف في هذا الموضوع ، وأنني أكتب للمتبعين والمتخصصين ، ومن حق هؤلاء المطالبة بالزيد . وقد فعلت في هذا الكتاب ما فعلته في الأجزاء الثمانية من الكتاب السابق من تفصي كل ما يرد عن موضوع من الموضوعات في الكتابات وفي الموارد الأخرى ، وتسجيله وتدوينه ، ليقدم للقارئ أشمل بحث وأجمع مادة في موضوع يطلبه ، لأن غايتي من هذا الكتاب أن يكون « موسوعة » في الجاهلية والجاهليين ، لا أدع شيئاً عنها أو عنهم إلا ذكرته في محله ، ليكون تحت متناول يد القارئ . فكتابي هذا وذاك هما للمتخصصين وللباحثين الذين يطعمون في الوقوف على حياة الجاهلية بصورة تفصيلية ، ولم يكتبها للذين يريدون الإمام بأشياء مجملة عن تلك الحياة .

والكتاب لذلك سيخرج في أجزاء ، لا أستطيع تحديد عددها الآن ، ولكني أقول بكل تأكيد أنها ستزيد على العشرة ، وأنها ستتناول كل نواحي الحياة عند الجاهليين : من سياسية ، واجتماعية ، ودينية ، وعلمية ، وأدبية ، وفنية ، وتشريعية .

لقد أشار عليّ بعض الأصدقاء أن أدخل في العرب كل الساميين ، وأن أتحدث عنهم في كتابي هذا كما أتحدث عن العرب ، لأن وطن الساميين الأول هو جزيرة العرب ، ومنه هاجروا الى الأماكن المعروفة التي استقروا فيها ، فهم في ذلك مثل القبائل العربية التي تركت بلاد العرب ، واستقرت في العراق وفي بادية الشام وبلاد الشام ، لا يختلفون عنهم في شيء . ثم قالوا : فإذا كنت قد تحدثت عن تلك القبائل المهاجرة على أنها قبائل عربية ، فلم تسكت عن أولئك الساميين ، ولم تجعلهم من العرب ؟

وجوابي أن القبائل العربية المهاجرة هي قبائل معروفة الأصل وقد نصت الكتابات والموارد الأخرى على عروبتهما ، ونسبت نفسها الى جزيرة العرب ، ولهجاتها لهجات عربية ، لا ريب في ذلك ولا نزاع ، وثقافتها عربية . أما الشعوب السامية ، فليس بين العلماء كما سئري ، اتفاق على وطنها الأول ، وليس بينها شعب واحد نسب نفسه الى العرب ، وليس في الموارد التاريخية الواصلة إلينا مورد واحد يشير الى أنها عربية ، ولهجاتها وان اشتركت كلها في أمور ،

فإنها تختلف أيضاً في أمور كثيرة ، هي أكثر من مواطن الاشتراك والالتقاء .
ففرق كبير اذن بين هذه الشعوب وبين القبائل العربية من حيث العروبة . ثم ان
العروبة في نظري ليس بها حاجة الى ضم هذه الشعوب اليها ، لاثبات أنها ذات
أصل تؤول اليه ، فقد أعطى الله تلك الشعوب تأريخاً ثم محاه عنهم ، وأعطى
العرب تأريخاً أينع في القديم واستمر حتى اليوم ، ثم إن لهم من الحضارة الاسلامية
ما يغنيهم عن التفتيش عن مجد غيرهم وعن تركائهم ، لإضافتها اليهم . فليس
في العرب مركب نقص حتى نضيف اليهم من لم يثبت أنهم منهم ، لمجرد أنهم
كانوا أصحاب حضارة وثقافة ، وأن جماعة من العلماء ترى أنهم كانوا من جزيرة
العرب . والرأي عندي أن العرب لو نبشوا تربة اليمن وبقية التراب لما احتاجوا
الى دعوة من يدعو الى هذا الترقيع . فأنا من أجل هذا لا أستطيع ان أضمر أحداً
من هؤلاء الى الأسرة العربية بالمعنى الاصطلاحي المعروف المفهوم ، من لفظة العرب
عندنا ، إلا اذا توافرت الأدلة ، وثبت بالنص أنهم من العرب حقاً ، وأنهم
كانوا في جزيرة العرب حقاً .

نعم ، لقد قلت إن مصطلح الشعوب العربية هو أصدق اصطلاح يمكن اطلاقه
على تلك الشعوب ، وإن الزمان قد حان لاستبدال مصطلح «عربي» و «عربية»
بـ «سامي» و «سامية» ، وقلت أشياء أخرى شرحتها في الجزء الثاني من
الكتاب السابق في تعليل ترجيح هذه التسمية^١ . ولكني لم أقصد ولن أقصد أن
تلك الشعوب هي قبائل عربية مثل الشعوب والقبائل العربية المعروفة . فالسامية
وحدة ثقافية ، اصطلاح عليها اصطلاحاً ، والعروبة وحدة ثقافية وجنسية وروابط
دموية وتاريخية ، وبين المفهومين فرق كبير .

إن مما يثير الأسف والله في النفوس ان نرى الغربيين يعنون بتاريخ الجاهلية
ويجدون في البحث عنه والكشف عن مخلفاته وتركاته في باطن الأرض ، ونشره
بلغاتهم ، ولا نرى حكوماتنا العربية ولا سبياً حكومات جزيرة العرب ، إلا منصرفه
عنه ، لا تعنى بالآثار العناية اللازمة لها ، ولا تسأل الخبراء رسمياً وباسمها البحث
عن العاديات والتنقيب في الخرائب الجاهلية لاستخراج ما فيها من كنوز ، وجمعها
في دار للمحافظة عليها ولإطلاع الناس عليها . وقد يكون عذر هذه الحكومات

أن الناس هناك ينظرون الى التماثيل نظرهم الى الأصنام والأوثان ، والى استخراج الآثار والتنقيب عن العاديات نظرهم الى بعث الوثنية واحياء معالم الشرك ، وهي من أجل هذا تخشى الرأي العام ، ولاني على كل حال أرجو أن تزول هذه الأحوال في المستقبل القريب ، وأن يدرك عرب الجزيرة أهمية الآثار في الكشف عن تاريخ هذه الأمة العربية القديم .

كذلك أرجو أن تتبہ حكومات جزيرة العرب لأهمية موضوع التخصص بتاريخ العرب القديم ، وأن تكلف شبانها دراسة علم الآثار ودراسة لهجات العرب قبل الإسلام والأقلام العربية الجاهلية ، ليقوموا هم أنفسهم بالبحث والتنقيب في مواطن العاديات المنبثة في مواطن كثيرة من الجزيرة .

ورجاء آخر آتمنى على جامعة الدول العربية والدول العربية أن يحققوه ، وهو ارسال بعثات من المتخصصين بالآثار وباللهجات والأقلام العربية القديمة الى مواطن الآثار في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية والمواقع الأخرى من جزيرة العرب للتنقيب عن الآثار ، والكشف عن تاريخ الجزيرة المطمور تحت الأتربة والرمال ، ونشره نشرأ علمياً ، بدلاً من أن يكون اعتمادنا في ذلك على الغربيين . أفلا يكون من العار علينا أن نكون عالة عليهم في كل أمر ، حتى في الكشف عن تاريخنا القديم !

وأضيف الى هذا الرجاء رجاء آخر هو أن تقوم أيضاً بتدوين معجم في اللهجات العربية الجاهلية ، تستخرجه من الكتابات التي عُثر عليها، وبتأليف كتب في نحوها وصرفها ، وترجمة الكتب الأمهات التي وضعها المؤلفون الأجانب في تاريخ الجاهلية ، ترجمة دقيقة تنأى عن المسخ الذي وقع في ترجمة بعض تلك المؤلفات فأشاع الغلط ونشر التخريف .

لقد راجعت بعض المستشرقين الباحثين في تاريخ العرب القديم ، وسألت بعض من ساح في جزيرة العرب في هذه الأيام ، وبعض الشركات العاملة فيها ، في آخر ما توصلوا اليه من بحوث ، وعثروا عليه من عاديات ، فوجدت منهم كل معونة ، وأرسلوا وما برحوا يرسلون أجوبتهم إليّ بكل ترحاب ولطف ، وكتبت الى بعض حكومات جزيرة العرب والى بعض المسؤولين من أصحاب المكاثة فيها والنفوذ مراراً ، أسأله وأسأله عن العاديات وعن الآثار التي عُثر عليها

حديثاً في بلادهم ، فلم أسمع من الاثنين جواباً ، وإني اذ أكتب هذه الملاحظة المرأة المؤسفة ، إنما أرمي بها إلى التنبيه ولفت أنظار أولي الأمر أصحاب الحكم والسلطان . فمن واجب المسؤول اجابة السائل ، ولا سيما أن القضية قضية تخص البلاد المذكورة بالذات والعرب عموماً ، وقبيح أن ينبري الغريب ، فيساعد طالب بحث عن تأريخ أمته واخوته ، ويستنكف المسؤولون من أبناء هذه الأمة عن تنفيذ طلب لا يكلفهم شيئاً ، وهو خطير يتعلق بتأريخ هذه الأمة قبل الإسلام واذاعته أولاً ، وهو واجب من واجباتهم التي نصبوا من أجلها ثانياً .

لقد تمكن الباحثون في التأريخ الجاهلي ، من سباح وعلماء ، من الارتقاء بتأريخ الجاهلية بمئات من السنين قبل الميلاد ، وذلك على وجه صحيح لا مجال للشك فيه ، مع أن بحوثهم هذه لم تنزل سوى أمتار في باطن الآثار وفي أماكن محدودة معينة . وسوف يرتفع مدى هذا التأريخ الى مئات أخرى ، وربما يتجاوز الألفي سنة أو أكثر قبل الميلاد اذا أتيحت الفرص للعلماء في الحفر في مواضع الآثار حضراً علمياً بالمعنى الحديث المفهوم من (الحفر) . وأنا لا أستبعد بلوغ هذا التأريخ الجاهلي في يوم من الأيام التأريخ الذي وصل اليه العلماء في مصر وفي العراق ، أو في أماكن أخرى عرفت بقدّم تأريخها ، بل لا أستبعد أيضاً أن يتقدم هذا التأريخ تأريخ بعض الأماكن المذكورة .

وبعد هذا ، لا بد لي هنا من الاعتراف بفضل رجل ، له على هذا الكتاب وعلى الكتاب الأول يد ومئة ، وله كذلك على مؤلفها فضل سابق ، يسبق زمن تأليف كتابيه بأمد طويل ، هو فضل الارشاد والتوجيه والتعليم . وأريد به الاستاذ العلامة الفاضل السيد محمد بهجت الأثري ، العضو العامل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . فقد كان لي ولأمثالي من الدارسين والباحثين ولا يزال مرشداً وموجهاً ومشوقاً لدراسة التراث العربي والتراث الإسلامي والتأليف في ذلك ، مذ كنت تلميذه في الإعدادية المركزية ببغداد ألتقى عنه في جملة من كانوا يتلقون عنه الأدب العربي ، فكان يشوقنا بأسلوبه الجذاب ، وبتأثيره القوي المعروف ، الى التوسع في دراسة الأدب العربي وتأريخ الأمة العربية ، وهو ما برح يحثني على الاسراع في اتمام هذا الكتاب واخراجه للناس ، قارئاً مسوداته ، ومبدياً آراءه وارشاداته وملاحظاته القيمة ، التي أفادني ، والحق

أقول ، كثيراً . وهما فضلان لن ينساهما تلميذ يقدر الفضل لأستاذ كريم يفني نفسه في تربية الأجيال ونشر الأدب والعلم .

وبعد ، فهذا الكتاب هو جمعي وترتبي ، فأنا المسؤول عنه وحدي ، وليس لأحد محاسبة غيري عليه ، اجتهدت ألا أضمنه إلا الحق والصواب من العلم على قدر طاقتي واجتهادي ، فإن أكن قد وفقت فسيما قصدت إليه وأردته ، فذلك حسبي وكفى ، لا أريد عليه حمداً ولا شكراً ، لأنني قتت بواجب ، وعملت عن شوق ورغبة وولع قديم بهذا الموضوع يرجع الى أيام دراسي الأولى ، فليس لي فضل ولا منة ، وإن كان فيه حسناً فهو للعلماء الذين اعتمدت عليهم وأخذت منهم ، وليس لي فيه غير الجمع والتأليف . وإن أخفقت فيه فذلك مبلغ علمي واجتهادي ، أدبته بعد تعب ، لا أملك أكبر منه ، وبغيتي حسن التوجيه والإرشاد وتقويم الأود ، وتصحيح الأغلاط ، فالنقد العلمي الحق لإنشاء وبناء ، والمدح والإطراء في نظري ابعاد لطالبي العلم من أمثالي عن العمل والتقدم ، وسبب يؤدي الى الخيلاء والضلال ، وفوق كل ذي علم عليم .

جواد علي

الفضل الأول

تحديد لفظة العرب

نطلق لفظة « العرب » اليوم على سكان بلاد واسعة ، يكتبون ويؤلفون وينشرون ويخاطبون بالإذاعة و « التلفزيون » بلغة واحدة ، نقول لها لغة العرب أو لغة الضاد أو لغة القرآن الكريم . وإن تكلموا وتفاهموا وتعاملوا فيما بينهم وفي حياتهم اليومية أدوا ذلك بلهجات محلية متباينة ، ذلك لأن تلك اللهجات إذا أرجعت رجعت الى أصل واحد هو اللسان العربي المذكور ، وإلى ألسنة قبائل عربية قديمة ، وإلى ألفاظ أعجمية دخلت تلك اللهجات بعوامل عديدة لا يدخل البحث في بيان أسبابها في نطاق هذا البحث .

ونحن إذ نطلق لفظة (عرب) و (العرب) على سكان البلاد العربية ، فإنما نطلقها إطلاقاً عاماً على البدو وعلى الحضر ، لا نفرق بين طائفة من الطائفتين ، ولا بين بلد وبلد . نطلقها بمعنى جنسية وقومية وعلم على رس له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر .

واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل ، مصطلح يرجع الى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تاريخياً الى ما قبل الميلاد ، بل لا يرتقي عن الإسلام الى عهد جد بعيد . فأنت إذا رجعت الى القرآن الكريم ، وإلى حديث رسول الله ، وجدت لللفظة مدلولاً يختلف عن مدلولها في النصوص الجاهلية التي عُثر عليها حتى الآن، أو في التوراة والإنجيل والتلمود وبقية كتب اليهود والنصارى وما بقي من مؤلفات

يونانية ولا تينية تعود الى ما قبل الإسلام . فهي في هذه أعراب أهل وبر ، أي طائفة خاصة من العرب . أما في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي الشعر المعاصر للرسول ، فإنها علّمت على الطائفتين واسم للسان الذي نزل به القرآن الكريم ، لسان أهل الحضرة ولسان أهل الوبر على حد سواء . « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر^١ . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين^٢ » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أعجمي وعربي . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد^٣ » .

وإذا ما سألتني عن معنى لفظة (عرب) عند علماء العربية ، فإني أقول لك : إن لعلماء العربية آراء في المعنى ، تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات . ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة ، وُضعت على الخلدس والتخمين ، وبعد حيرة شديدة في إيجاد تعليل مقبول فقالوا ما قالوه مما هو مذكور في الموارد اللغوية المعروفة ، وفي طليعتها المعجمات وكتب الأدب . وكل آرائهم في تفسير اللفظة وفي محاولة إيجاد أصلها ومعانيها ، هو إسلامي ، دون في الإسلام .

وترى علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما يذهبون الى أن (يعرب) كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي ، ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي أنهم يرجعون عهده الى مبدأ الخليقة ، وقد كانت الخليقة قبل خلقت (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونسب لسان أبيه اسماعيل . ألهم اسماعيل هذا اللسان العربي لإلهاماً . وكان أول من فتن لسانه بالعربية المبينة ، وهو ابن أربع عشرة سنة^٤ . واسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم .

والقائلون إن (يعرب) هو أول من أعرب في لسانه ، وانه أول من نطق

-
- ١ سورة النحل . رقم ١٦ الآية ١٠٣ .
 - ٢ سورة فصلت . رقم ٤١ الآية ٤٤ .
 - ٣ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » « عرب » ، اللسان (٢ / ٧٥) المزهر (١ / ٣٠) فما بعدها ، ابن خلدون (٢ / ٨٦) .

بالعربية ، وان العربية إنما سميت به ، فأخذت من اسمه ، إنما هم القحطانيون .
وهم يأتون بمختلف الروايات والأقوال لإثبات أن القحطانيين هم أصل العرب ،
وأن لسانهم هو لسان العرب الأول ، ومنهم تعلم العدنانيون العربية ، ويأتون
بشاهد من شعر (حسان بن ثابت) على إثبات ذلك ، يقولون : إنه قاله ،
وان قوله هذا هو برهان على ان منشأ اللغة العربية هو من اليمن . يقولون انه
قال :

تعلمت من منطق الشيخ يعرب أينا ، فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما بكم غير عجمة كلام ، وكنتم كالبهايم في القفر

ولم يكن يخطر ببال هؤلاء أن سكان اليمن قبل الإسلام كانوا ينطقون بلهجات
تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، وأن من سيأتي بعدهم سيكتشف سر «المستند» ،
ويتمكن بذلك من قراءة نصوصه والتعرف على لغته ، وأن عرييته هي عربية
تختلف عن هذه العربية التي ندون بها ، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية في
الاسلام بالطبع الى اخراج الحميرية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى من العربية ،
وقصر العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، وعلى ما تفرع منها من
لهجات كما سأحدث عن ذلك فيما بعد . وهو رأي يمثل رأي العدنانيين خصوم
القحطانيين .

والقائلون إن يعرب هو جدّ العربية وموجدّها ، عاجزون عن التوفيق بين
رأيهم هذا ورأيهم في أن العربية قديمة قدم العالم ، وأنها لغة آدم في الجنة ، ثم
هم عاجزون أيضاً عن بيان كيف كان لسان أجداد (يعرب) ، وكيف اهتدى
(يعرب) الى استنباطه لهذه اللغة العربية ، وكيف تمكن من إيجاد وحده لها
من غير مؤازر ولا معين ؟ الى غير ذلك من أسئلة لم يكن يفطن لها أهل الأخبار
في ذلك الزمن . وللأخباريين بعد كلام في هذا الموضوع طويل ، الأشهر منه
القولان المذكوران ، ووفق البعض بينها بأن قالوا : إن (يعرب) أول من نطق

١ كتاب الاكليل ، (١١٦/١) تحقيق (محمد بن علي الاكوع الحوالي) ، القاهرة
سنة ١٩٦٣ (مطبعة السنة المحمدية) ، المكتبة اليمنية (٢) ، الاصمعي .

بمنطق العربية ، واسماعيل هو أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن^١ .

أما المستشرقون وعلماء التوراة المحدثون ، فقد تتبعوا تأريخ الكلمة ، وتبعوا معناها في اللغات السامية ، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين والبابليين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم ، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة (عرب) هو نص آشوري من أيام الملك (شلمنصر الثالث) (الثاني؟) ملك آشور^٢ . وقد تبين لهم أن لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى ، بل كانوا يقصدون بها بدواة وإمارة « مشيخة » كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية ، كان حكمها يتوسع ويتقلص في البادية تبعاً للظروف السياسية ولقوة شخصية الأمير ، وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بـ « ملك » يقال له (جنديبو) أي (جندب) وكانت صلاته سيئة بالآشوريين . ولا كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع ، صعب على العلماء ضبط الكلمة ، فاختلّفوا في كيفية النطق بها ، فقررت : (Aribi) و (Arubu) و (Aribu) و (Arub) و (Arabi) و (Urbi) و (Arbi) الى غير ذلك من قراءات^٣ . والظاهر أن صيغة (Urbi) كانت من الصيغ القليلة الاستعمال ، ويغلب على الظن أنها استعملت في زمن متأخر ، وأنها كانت بمعنى (أعراب) على نحو ما يقصد من كلمي (عربي) و (أعربي) في لهجة أهل العراق لهذا العهد . وهي تقابل كلمة (عرب) التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأي بعض المستشرقين . وعلى كل حال فإن الآشوريين كانوا يقصدون بكلمة (عربي) على اختلاف أشكالها بدواة ومشيخة كانت تحكم في أيامهم البادية تمييزاً لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في تخوم البادية^٤ .

١ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » .

٢ Margollouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the rise of Islam, P. 3, The Jewish Encyclopedia, New York, 1902, P. 41, Reallexikon der Assyriologie, erster Band, Zweite Lieferung, S., 125, James A. Montgomery, Arabia and the Bible, PP. 27.

٣ Erich Ebling und Bruno Meissner, Reallexikon der Assyriologie, Erster Band, Berlin and Leipzig 1922, P. 125.

٤ Ency, Bibli. Vol., I, P. 273, E. Schrader Kellinschriften und Geschichtsforschung, PP. 100, Fr. Delitzych, wo lag das Paradise?, P. 295, 304, F. Caussin de Perceval, Histoire des Arabes I, P., 4ff.

ENCYCLOPEDIA BIBLICA, by cheyne, vol., I, p. 273.

ووردت في الكتابات البابلية جملة « ماتواريبي » (Matu A-Ra-bi) ،
 (Matu Arabaai) ومعنى (ماتو) (متو) أرض ، فيكون المعنى (أرض
 عربي) ، أي (أرض العرب) ، أو (بلاد العرب) ، أو (العربية) ،
 أو (بلاد الأعراب) بتعبير أصدق وأصح . إذ قصد بها البادية ، وكانت
 تحفل بالأعراب^١ . وجاءت في كتابة (بهستون) (بيستون)^٢ (Behistun)
 لدارا الكبير (داريوس)^٣ لفظة (ارباية) (عرباية) (Arabaya)^٤ وذلك
 في النص الفارسي المكتوب باللغة (الأخمينية) ، ولفظة (Arpayah) (M Ar Payah)
 في النص المكتوب بلهجة أهل السوس (Susian) (Susiana) وهي اللهجة

W. Muss Arnolt, assyrisch — english — Deutsches handwort-erbuch, Berlin, ١
 1903, s., 616, Winckler, A.O.F., Band, 2, S., 465, Margollouth, The relations
 between Arabs and israelites prior to the rise of islam, London, 1924, p., 3.

٢ (بهستون) و (بيستون) . « بهستون (بالفتح ثم الكسر) : قرية بين
 همدان و حلوان ، اسمها ساسبأتان ، بينها وبين همدان أربع مراحل ،
 وبينها وبين قرميسين ثمانية فراسخ . وجبل بهستون ، عال مرتفع ممتنع ،
 لا يرتقى الى ذروته ، وطريق الحاج تحته سواء ، ووجهه من أعلاه الى أسفل
 أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت ووجهه وملس .
 فزعم بعض الناس أن الأكاسرة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق
 ليدل به على عزته وسلطانه . وعلى ظهر الجبل يقرب الطريق مكان يشبه الفار
 وفيه عين ماء جارية ، وهناك صورة دابة كأحسن ما يكون من الصور ، زعموا
 انها صورة دابة كسرى المسماة شبيذ ، وعليها كسرى ، وقد ذكرته مبسوطة
 في باب الشين » ، البلدان (٢ / ٣١٥) ، (طبعة وستفلد) (١ / ٧٦٩)
 (شبيداز : بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وآخره زاي .
 ويقال : شبيذ بالياء المثناة من تحت منزل بين حلوان وقرميسين في
 لحف جبل بيستون ، سمى باسم فرس كان لكسرى ، وقد وصف ياقوت
 الحموي الموضع ، وذكر آراء الناس فيه والقصص التي كانت تروى عن
 الصور ، البلدان (٥ / ٢٢٨) .

٢ يعرف في الكتب العربية بـ (دارا) ، كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء
 ص (٢٠) ، مروج الذهب (١ / ١٩٦ ، ٢٤٥) ، (دارا الكبير)
 (دارا الأكبر) تاريخ الطبري (١ / ٦٨٧ ، ٧٠٦ ، ٧١٩) طبعة اوروية .

٤ The Sculptures and Inscription of Darius the great on the Rock of Behistun in
 persia, London, 1907, p., XIVIII, 161 Ency. Bibl., 273, Hastings, Dictionary of
 the Bible, p., 46 Hastings : وسيكون رمزه :

العلامية لغة عيلام^١ .

ومراد البابليين أو الآشوريين أو الفرس من (العربية) أو (بلاد العرب) ،
البادية التي في غرب نهر الفرات الممتدة الى تخوم بلاد الشام .

وقد ذكرت (العربية) بعد آشور وبابل وقبل مصر في نص (دارا) المذكور^٢ ،
فحمل ذلك بعض العلماء على ادخال طور سيناء في جملة هذه الأرضين^٣ . وقد
عاشت قبائل عربية عديدة في منطقة سيناء قبل الميلاد .

وهذا المعنى أي معنى البداوة والأعرابية والجفاف والقفر ، وردت اللفظة
في العبرانية وفي لغات سامية أخرى . ويدل ذلك على أن لفظة (عرب) في تلك
اللغات المتقاربة هو البداوة وحياة البادية ، أي بمعنى (أعراب) . وإذا راجعنا
المواضع التي وردت فيها كلمة (عربي) و (عرب) في التوراة ، نجد أنها بهذا
المعنى تماماً . ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر (أشعياء) (Isaiah)
مثلاً نرى أنها استعملت بمعنى بداوة وأعرابية ، كالذي جاء فيه : (ولا يخيم
هناك أعرابي^٤) و (وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب تبين
يا قوافل الددانين^٥) . فقصده بلفظة (عرب) في هذه الآية الأخيرة البادية
موطن العزلة والوحشة والخطر ، ولم يقصد بها قومية وعلمية لمجلس معين بالمعنى
المعروف المفهوم .

ولم يقصد بجملة (بلاد العرب) في الآية المذكورة والتي هي ترجمة (مسّا

١ (السوس بضم اوله وسكون ثانيه وسين مهملة اخرى . بلفظ السوس الذي
يقع في الصوف : بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال عليه السلام . قال حمزة :
السوس تعريب الشوش بنقط الشين ، ومعناه الحسن والنزه والطيب ...
قال ابن المقفع : اول سور وضع في الارض بعد الطوفان سور السوس وتستتر
ولا يدرى من بنى السوس وتستتر والابلة . وقال ابن الكلبي : السوس بن سام
بن نوح) ، البلدان (٥ / ١٧١ وما بعدها)

٢ Sculp. P., 4, 95, 161.

٣ Ency., Bibl., P., 273, Hastings, P. 46. ' Encyclopaedia Biblica, by Cheyne, I,
PP., 287, J. Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 131, J. Hastings, A
Dictionary of the Bible dealing with its Language Literature and Contents, p., 84.

٤ الاصحاح الثالث عشر ، آية ٢٠ (ولا يضرب أعرابي فيها خباء) ، الترجمة
الكاثوليكية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠

٥ الاصحاح الحادي والعشرين ، الآية ١٣ ،
J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament,
Leiden, 1959, P., 4.

هـ - عراب (Massa ha-Arab) ، المعنى المفهوم من (بلاد العرب) في الزمن الحاضر أو في صدر الإسلام ، وإنما المراد بها البادية ، التي بين بلاد الشام والعراق وهي موطن الأعراب^١ .

وبهذا المعنى أيضاً وردت في (أرميا) ، ففي الآية (وكل ملوك العرب) الواردة في الاصحاح الخامس والعشرين^٢ ، تعني لفظة « العرب » « الأعرابي » ، أي « عرب البادية » . والمراد من « وكل ملوك العرب » و « كل رؤساء العرب » و « مشايخهم » ، رؤساء قبائل ومشايخ ، لا ملوك مدن وحكومات . وأما الآية : « في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية »^٣ ، فإنها واضحة ، وهي من الآيات الواردة في (أرميا) . والمراد بها أعرابي من البادية ، لا حضري من أهل الحاضرة . فالمفهوم اذن من لفظة (عرب) في اصحاحات (أرميا) إنما هو البداوة والبادية والأعرابية ليس غير .

ومما يؤيد هذا الرأي ورود (ها عرابية ha 'Arabah) في العبرانية ، ويراد بها ما يقال له : (وادي العربة) ، أي الوادي الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل الى خليج العقبة^٤ . وتعني لفظة (عرابية) في العبرانية الجفاف وحافة الصحراء وأرض محروقة ، أي معاني ذات صلة بالبداوة والبادية . وقد أقامت في هذا الوادي قبائل بدوية شملت لفظة (عرب) . وفي تقارب لفظة (عرب) و (عرابية) ، وتقارب معناهما ، دلالة على الأصل المشترك للفظتين . وبعد وادي (العربة) وكذلك (طورسيناء) في بلاد العرب . وقصد بـ (العريية) برية سورية في (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية)^٥ .

١ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٨٨ فما بعدها) ،
A Religios Encyclopaedia or Dictionary of Biblical, Historical Doctorinal, and
Practical Theology, by, Philip Schaff, 1894, Vol., I, P., 122.

٢ الآية ٢٤ ، The Bible Dictionary, I, P., 98

٣ الاصحاح الثالث ، الآية الثانية .

٤ Ency. Bibl., I, P., 271.

٥ « مكتوب انه كان لابراهيم ابنان : احدهما من الامة ، والآخر من الحرة . غير أن الذي من الامة ولد بقوة الجسد ، أما الذي من الحرة فبقوة الموعد . وذلك انما هو رمز ، لان هاتين هما الوصيتان احدهما من طورسيناء تلد للعبودية ، فهي هاجر ، فان سيناء هو جبل في ديار العرب ، ويناسب اورشليم الحالية ، لان هذه حاصلة في العبودية مع بنيتها) ، رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية (، الرسالة الرابعة ، ٢٢ فما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٨٩) .

وقد عرف علماء العربية هذه الصلة بين كلمة (عرب) و (عرابة) أو (عربة) ، فقالوا : (لأنهم سمّوا عرباً باسم بلدهم العربات . وقال إسحاق بن الفرج : عربة باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام)¹ . وقالوا : (وأقامت قريش بعربة فتنخت بها ، وانتشر سائر العرب في جزيرتها ، فنسبوا كلهم الى عربة ، لأن أباهم إسماعيل ، صلى الله عليه وسلم ، نشأ وربى أولاده فيها فكثروا . فلما لم تحتلهم البلاد، انتشروا ، وأقامت قريش بها² . وقد ذهب بعضهم الى أن عربة من تهامة³ ، وهذا لا ينفي على كل حال وجود الصلة بين الكلمتين .

ورواية هؤلاء العلماء ، مأخوذة من التوراة ، أخذوها من أهل الكتاب ، ولا سيما من اليهود، وذلك باتصال المسلمين بهم ، واستفسارهم منهم عن أمور عديدة وردت في التوراة ، ولا سيما في الأمور السّريّة وردت مجملًا في القرآن الكريم والأمور التي تخص تاريخ العرب وصلاتهم بأهل الكتاب .

ويرى بعض علماء التوراة أن كلمة (عرب) إما شاعت وانتشرت عند العبرانيين بعد ضعف (الاشماعيليين) (الاسماعيليين) وتدهورهم وتغلب الأعراب عليهم حتى صارت اللفظة مرادفة عندهم لكلمة (اشماعيليين) . ثم تغلبت عليهم ، فصارت تشملهم ، مع أن (الاشماعيليين) كانوا أعراباً كذلك ، أي قبائل بدوية تتنقل من مكان الى مكان ، طلباً للمرعى وللباء . وكانت تسكن أيضاً في المناطق التي سكنها الأعراب ، أي أهل البادية. ويرى أولئك العلماء ان كلمة (عرب) لفظة متأخرة ، اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين ، بدليل ورودها في النصوص الآشورية والبابلية ، وهي نصوص يعود عهدها الى ما قبل التوراة . ولشيوخها بعد لفظة (اشماعيليين) ، ولأدائها المعنى ذاته المراد من اللفظة ، ربط بينها وبين لفظة (اشماعيليين) ، وصارت نسباً ، فصير جد هؤلاء العرب (اشماعيل) ، وعدّوا من أبناء إسماعيل⁴ .

-
- ١ اللسان (٢ / ٧٢) ، القاموس المحيط (١ / ١٠٢) .
 - ٢ اللسان (٢ / ٧٢) ، تاج العروس (٣ / ٣٤٤) ، « طبعة الكويت » .
 - ٣ اللسان (٢ / ٧٦) ، تاج العروس (٣ / ٣٤٤) ، « الكويت » .
 - ٤ راجع الالفاظ : (عرب) و (يشماعيل) في معجمات التوراة .

هذا ما يخص التوراة ، أما (التلمود) ، فقد قصدت بلفظة (عرب) و (عريم) ('Arhim) (عربيم) ('Arbi'im) الأعراب كذلك ، أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة ، وجعلت لفظة (عربي) مرادفة لكلمة (اسماعيلي) في بعض المواضع^١ .

وقبل أن أنتقل من البحث في مدلول لفظة (عرب) عند العبرانيين الى البحث في مدلولها عند اليونان ، أود أن أشير الى أن العبرانيين كانوا اذا تحدثوا عن أهل المدر ، أي الحضرة ذكروهم بأسمائهم . وفي سلاسل النسب الواردة في التوراة ، أمثلة كثيرة لهذا النوع ، سوف أتحدث عنها .

وأول من ذكر العرب من اليونان هو (أسكيلوس ، أسخيلوس) « أشيلس » « أخيلوس » (Aeschylus) ، (٥٢٥ - ٤٥٦ قبل الميلاد) من أهل الأخبار منهم ، ذكرهم في كلامه على جيش (أخشويرش) (Xerxes) ، وقال : انه كان في جيشه ضابط عربي من الرؤساء مشهور^٢ . ثم تلاه (هيرودوتس) شيخ المؤرخين (نحو ٤٨٤ - ٤٢٥ قبل الميلاد) ، فتحدث في مواضع من تأريخه عن العرب حديثاً يظهر منه انه كان على شيء من العلم بهم . وقد أطلق لفظة (Arabae) على بلاد العرب ، البادية وجزيرة العرب والأرضين الواقعة الى الشرق من نهر النيل^٣ . فأدخل (طورسيناء) وما بعدها الى ضفاف النيل في بلاد العرب .

فلفظة (العربية) (Arabae) عند اليونان والرومان ، هي في معنى (بلاد العرب) . وقد شملت جزيرة العرب وبادية الشام . وسكانها هم عرب على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ، على سبيل التغليب ، لاعتقادهم ان البداوة كانت هي الغالبة على هذه الأرضين ، فأطلقوها من ثم على الأرضين المذكورة .

وتدل المعلومات الواردة في كتب اليونان واللاتين المؤلفة بعد (هيرودوتس) على تحسن وتقديم في معارفهم عن بلاد العرب ، وعلى أن حدودها قد توسعت في مداركهم فشملت البادية وجزيرة العرب وطور سيناء في أغلب الأحيان ، فصارت لفظة (Arabae) عندهم علماً على الأرضين المأهولة بالعرب والتي تغلب عليها

١ موعيد قطان ١٢٤

٢ Ency. Bibl., I, P., 273.

٣ Ency. Bibl., I, P., 271.

الطبيعة الصحراوية ، وصارت كلمة (عربي) عندهم علماً للشخص المقيم في تلك الأرضين ، من بدو ومن حضر ، إلا أن فكرتهم عن حضر بلاد العرب لم تكن ترتفع عن فكرتهم عن البدوي ، بمعنى أنهم كانوا يتصورون أن العرب هم أعراب .

ووردت في جغرافية (سترابون) كلمة (أرمبي) (Erembi) ، ومعناها اللغوي الدخول في الأرض أو السكنى في حفر الأرض وكهوفها ، وقد أشار الى غموض هذه الكلمة وما يقصد بها ، أيقصد بها أهل (طرغلوديته) (Troglo-dytea) أي (سكان الكهوف) أم العرب ؟ ولكنه ذكر أن هناك من كان يريد بها العرب ، وإنها كانت تعني هذا المعنى عند بعضهم في الأيام المتقدمة ، ومن الجائز أن تكون تحريفاً لكلمة (Arabi) فأصبحت بهذا الشكل^١. أما الإرميون ، فلم يختلفوا عن الآشوريين والبابليين في مفهوم (بلاد العرب) ، أي ما يسمى بـ (بادية الشام) وبادية السبابة . وهي البادية الواسعة الممتدة من نهر الفرات الى تخوم الشام . وقد أطلقوا على القسم الشرقي من هذه البادية ، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس ، اسم (بيت عربية) (Beth 'Arb'aya) و (باعربية) (Ba 'Arabaya) ، ومعناها (أرض العرب) . وقد استعملت هذه التسمية في المؤلفات اليونانية المتأخرة^٢ . وفي هذا الاستعمال أيضاً معنى الأعرابية والسكنى في البادية .

ووردت لفظة «عرب» في عدد من كتابات «الحضر» . وردت مثلاً في النص الذي وسم به «٧٩» حيث جاء في السطرين التاسع والعاشر «وبجندا دعر» ، أي «وبجنود العرب» . وفي السطر الرابع عشر : «وبحطر وعرب» ، أي «وبالحضر وبالعرب»^٣ . ووردت في النص : «١٩٣» : «ملكادي عرب» ، أي «ملك العرب» وفي النص «١٩٤» وفي نصوص أخرى^٤ . وقد وردت اللفظة في كل هذه النصوص بمعنى «أعراب» ، ولم ترد علماً على قوم وجنس ، أي بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر^٥ .

١ Strabo, Vol., 3, P., 215.

٢ Ency. Bibl., Vol., I, P., 273, Hastings, P., 46, Schrader, Kellinschr. und Gesch. S., 100, Deiltzsch, Wo lag das Paradies? S., 295.

وسيكون رمزه Delitmych

٣ مجلة سومر ، السنة ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 243. ff.

٤ سومر ، ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 261.

٥ Die Araber, IV, S., 269.

هذا ، وليست لدينا كتابات جاهلية من النوع السذي يقول له المستشرقون (كتابات عربية شمالية) ، فيها اسم (العرب) ، غير نص واحد، هو النص الذي يعود الى (امرىء القيس بن عمرو) . وقد ورد فيه : « مر القيس بر عمرو ، ملك العرب كله ، ذو اسراتج وملك الأسدين ونزروا وملوكهم وهرب ملحقجو ... »^١ . ولورد لفظة (العرب) في هذا النص الذي يعود عهده الى سنة (٣٢٨م) شأن كبير « غير اننا لا نستطيع ان نقول : ان لفظة (العرب) هنا ، يراد بها العرب بدواً وحضراً ، أي يراد بها العلم على قومية ، بل يظهر من النص بوضوح وجلاء انه قصد (الأعراب) ، أي القبائل التي كانت تقطن البادية في تلك الأيام .

أما النصوص العربية الجنوبية ، فقد وردت فيها لفظة (اعراب) بمعنى (أعراب) ، ولم يقصد بها قومية ، أي علم لهذا الجنس المعروف،الذي يشمل كل سكان بلاد العرب من بدو ومن حضر ، فورد : (واعرب ملك حضرموت) ، أي (وأعراب ملك حضرموت)^٢ ، وورد : (واعرب ملك سبا) ، أي (وأعراب ملك سبا)^٣ . وكالذي ورد في نص (أبرهة) ، نائب ملك الحبشة على اليمن^٤ . ففي كل هذه المواضع ومواضع أخرى ، وردت بمعنى أعراب^٥ . أما أهل المدن والمتحضرين ، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم، وكانت مستقرة في الغالب . ولهذا قيل (سبا) و (همدان) و (حِمْيَر) و قبائل أخرى ، بمعنى انها قبائل مستقرة متحضرة ، تمتاز عن القبائل المتنقلة المسماة (اعراب) في النصوص العربية الجنوبية ، مما يدل على أن لفظة (عرب) و (العرب) لم

١ Ephemeris, 2-34, Nabla, P., 4, Plate, 2, Dussaud, in rev. Archeologique, II, (1902), 409, ff., Arabes en Syrie avant L'Islam, P., 34, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 28.

• Montgomery وسكون رمزه

٢ لما كان المسند لا يعرف الحركات ، صعب علينا قراءة الكلمات قراءة صحيحة فتجوز قراءة كلمة « اعراب » مثلاً : (اعراب) وتجوز قراءتها (أعراب) .

٣ نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، بقلم الدكتور خليل يحيى نامي (ص ٩٢) ، النقش ٧١ سطر ٢ ، وسأشير اليه ب : نشر ، (ص ٩٣) نص رقم ٧٢ ، و ٧٣ .

٤ Glaser, Zwei inschriften über den Dammbruch von Marib, S., 33, Ency, Bibl., I, P., 275, Gl., 541 Glasser, 618.

٥ Albert Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Biqis Baltimore, 1962, P., 445

تكن تؤدي معنى الجنس والقومية وذلك في الكتابات العربية الجنوبية المدونة والواصلة إلينا إلى قبيل الإسلام بقليل (٤٤٩ م) (٥٤٢ م)^١ . والرأي عندي أن العرب الجنوبيين لم يفهموا هذا المعنى من اللفظة إلا بعد دخولهم في الإسلام ، ووقوفهم على القرآن الكريم ، وتكلمهم باللغة التي نزل بها ، وذلك بفضل الإسلام بالطبع . وقد وردت لفظة (عرب) في النصوص علماً لأشخاص^٢ .

وقد عرف البدو ، أي سكان البادية ، بالأعراب في عربية القرآن الكريم . وقد ذكروا في مواضع من كتاب الله ، وقد نعتوا فيه بنعوت سيئة^٣ ، تدل على أثر خلق البادية فيهم . وقد ذكر بعض العلماء أن الأعراب بادية العرب ، وأنهم سكان البادية^٤ .

والنص الوحيد الوحيد الذي وردت فيه لفظة (العرب) علماً على العرب جميعاً من حضر وأعراب ، ونعت فيه لسانهم باللسان العربي ، هو القرآن الكريم . وقد ذهب (د . هـ . مار) إلى أن القرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها علماً لقومية تشمل كل العرب . وهو يشك في صحة ورود كلمة (عرب) علماً لقومية في الشعر الجاهلي ، كالذي ورد في شعر لامرئ القيس ، وفي الأخبار المدونة في كتب الأدب على ألسنة بعض الجاهليين^٥ . ورأي (مار) هذا ، رأي ضعيف لا يستند إلى دليل ، إذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوماً بهذا المعنى لو لم يكن لهم علم سابق به ؟ وفي الآيات دلالة واضحة على أن القوم كان لهم إدراك لهذا المعنى قبل الإسلام ، وأنهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربي ، وأنهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية : (أعجمي وعربي ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء)^٦ . وكذلك أنزلناه حكماً

١ Margoliouth, The Relations, P., 2, Glaser, 554, 2, MVAG., VI, 7, CIH. 79. 9. CIH, 343, 397, 7. CIH, IV, Pars Himyaritica, Nos, 79, 343, 397 Montgomery. P. 27.

٢ نشر (ص ٨٩) نص ٦٩ ،

Ansaldo, Cesare il Yemen, Nella Storia e nella Legenda., Roma, 1933, Nr., 17, 69, Ryckmans, in Le Muséon, Vol., I, Part., 3, (1937), Nr. 180.

٣ التوبة ، الآية ٩٧ ، ١٠١ ، الفتح ، الآية ١١ ، الحجرات ، الآية ١٤ .

٤ بلوغ الأرب (١٣ / ١) ، تاج العروس (٣٣٣ / ٣) فما بعدها .

٥ D.H. Muller, in Neue Freie Presse, (1894), 20th April, Ency. Bibl., I, P., 274.

(قرى عربيات) ، الأغاني (١٩ / ٩) ، (١٠٩ / ١٠) .

٦ سورة فصلت رقم ٤١ ، الآية ٤٤ .

عربياً^١ . (وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا)^٢ . (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين)^٣ . ففي هذه الآيات وآيات أخرى غيرها دلالة على أن الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لساناً عربياً ، وفي ذلك دليل على وجود الحس بالقومية قبيل الإسلام^٤ .

ونحن لا نزال نميز الأعراب عن الحضر ، ونعتدّهم طبقة خاصة تختلف عن الحضر ، فنطلق عليهم لفظة : (عرب) في معنى بدو وأعراب ، أي بالمعنى الأصلي القديم ، ونرى أن عشيرة (الرولة) وعشائر أخرى تقسم سكان الجزيرة إلى قسمين : حضر و (عرب) . وتقصد بالعرب أصحاب الخيام أي المتنقلين . وتقسم العرب ، أي البدو إلى (عرب القبيلة) ، و (عرب الديرة) ، وهم العرب المقيمون على حافات البوادي والأرياف ، أي في معنى (عرب الضاحية) و (عرب الضواحي) في اصطلاح القدماء .

ثم تقسم الحضر وتسميهم أيضاً بـ (أهل الطين) إلى (قارين) ، والواحد (قروني) ، وهم المستقرون الذين لهم أماكن ثابتة يتزلونها أبداً ، وإلى (راعية) والمفرد راع ، وهم أصحاب أغنام وشبه حضر ، ويقال لهم (شواية) و (شيان) و (شواية) و (رحم الديرة) بحسب لغات القبائل^٥ .

وأشبه مصطلح من المصطلحات القديمة بمصطلح (شواية) و « شواية » ، هو (الأرحاء) ، وهي القبائل التي لا تتجمع ولا تبرح مكانها ، إلا أن يتجمع بعضها في البرحاء وعام الجذب^٦ .

وخلاصة ما تقدم أن لفظة (عرب) ، (عرب) ، هي بمعنى التبدلي والأعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم

-
- ١ سورة الرعد رقم ١٣ ، الآية ٣٧
 - ٢ سورة الاحقاف ، رقم ٤٦ الآية ١٢
 - ٣ النحل ، السورة رقم ١٦ ، الآية ١٠٣
 - ٤ سورة يوسف الآية ٢ ، سورة طه الآية ١١٣ ، سورة الزمر ، الآية ٢٨ ، سورة الشورى ، الآية ٧ ، سورة الزخرف ، الآية ٣ .
 - ٥ B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 398.
 - ٦ « شواية » .
العقد الفريد (٣ / ٣٣٥) .

النصوص التاريخية التي وصلت إلينا ، وهي النصوص الآشورية . وقد عنت بها البدو عامة ، مهما كان سيدهم أو رئيسهم . وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم . ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب ، توسعوا في استعمال اللفظة ، حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار أنهم أهل بادية وان حياتهم حياة أعراب . ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم ، فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها ، وأطلق لذلك كلمة اللاتين واليونان على بلاد العرب لفظاً (Arabae) (Arabia) أي (العربية) بمعنى بلاد العرب .

لقد أوقفنا هذا الاستعمال في جهل بأحوال كثير من الشعوب والقبائل ، ذكرت بأسمائها دون أن يشار إلى جنسها . فحزنا في أمرها ، ولم نتمكن من ادخالها في جملة العرب ، لأن الموارد التي نملكها اليوم لم تنص على أصلها . فلم تكن من عاداتها ، ولم يكن في مصطلح ذلك اليوم كما قلت إطلاق لفظ (عرب) إلا على الأعراب عامة ، وذلك عند جهل اسم القبيلة ، وكانت تلك القبيلة بادية غير مستقرة ، وقد رأينا ان العرب أنفسهم لم يكونوا يسمون أنفسهم قبل الميلاد ، إلا بأسمائهم ، ولولا وجودهم في جزيرة العرب ولولا عثورنا على كتابات أو موارد أشارت إليهم ، لكان حالهم حال من ذكرنا ، أي لما تمكنتنا من ادخالهم في العرب . ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً تجاه القبائل المذكورة ، وليس لنا إلا الانتظار ، فلعل الزمن يبعث نصاً يكشف عن حقيقة بعض تلك القبائل .

هذا ويلاحظ أن عدداً من القبائل العربية الضاربة في الشمال والسكنة في العراق وفي بلاد الشام ، تأثرت بلغة بني إرم ، فكتبت بها ، كما فعل غيرهم من الناس الساكنين في هذه الأرضين ، مع أنهم لم يكونوا من بني إرم . ولهذا حسبوا على بني إرم ، مع أن أصلهم من جنس آخر . وفي ضمن هؤلاء قبائل عربية عديدة ، ضاع أصلها ، لأنها تفتقت بثقافة بني إرم ، فظن لذلك أنها منهم .

الآن وقد انتهيت من تحديد معنى (عرب) وتطورها إلى قبيل الإسلام ، أرى لزماً عليّ أن أتحدث عن ألفاظ أخرى استعملت بمعنى (عرب) في عهد من العهود ، وعند بعض الشعوب . فقد استعمل اليونان كلمة (Saraceni)

و (Saracenes) ، واستعملها اللاتين على هذه الصورة (Saracenus) ، وذلك في معنى (العرب)^١ وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام^٢ وفي طور سيناء^٣ ، وفي الصحراء المتصلة بأدوم^٤ . وقد توسع مدلولها بعد الميلاد ، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس ، فأطلقت على العرب عامة ، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة (عرب) في كتبهم ، مستعاضين عنها بكلمة (Saraceni)^٥ . وأقدم من ذكرها هو (ديوسقوريدس (Dioscurides of Anazarbos) الذي عاش في القرن الأول للميلاد^٦ . وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب ، وأحياناً على جميع المسلمين^٧ . ونجد الناس يستعملونها في الانكليزية في موضع (عرب) ومسلمين حتى اليوم .

وقد أطلق بعض المؤرخين من أمثال « يوسبيوس » « أوسبيوس » (Eusebius) و (هيرونيوموس) (Hieronymus) هذه اللفظة على (الاشماعيليين) الذين كانوا يعيشون في البراري في (قادش) في بركة (فاران) ، أو مدين حيث جبل (حوريب)^٨ . وقد عرفت أيضاً بـ (الهاجرين) (Hagerene) ثم دعت بـ (Saracenes)^٩ .

ولم يتحدث أحد من الكتبة اليونان والرومان والسريان عن أصل لفظة (Saraceni) (Sarakenoi) . ولم يلتفت العلماء الى البحث في أصل التسمية إلا بعد النهضة العلمية الأخيرة ، ولذلك اختلف آراؤهم في التعليل ، فزعم بعضهم انه مركب من (سارة) زوج ابراهيم ، ولفظ آخر ربما هو (قين) ،

١ Forster, Vol., 2, P., 9, Webster's New International Dictionary of English Language, Vol., 2, P., 2216, Ency. Brita., Vol., 19, P. 987

٢ Ency. Brita., Vol., 19, P., 987

٣ Forster, Band, 2, S., 9, Ptolemy, 5, 16, Ency. of Islam, Vol., 4, P. 155.

٤ Forster, Vol., P. 20. f.

٥ Ency. of Islam, Vol., 4, P., 156.

وسيكون الرمز : Ency

٦ Ency., Vol., 4, P., 155, Bretzl, Botanische Forschungen des Alx Alexanderzuges, S., 232.

٧ Ency. Vol., 4 P., 155.

٨ قاموس الكتاب المقدس (١ / ٣٩٥) .

٩ Ency., Vol., 4, P., 156, Eusebius, (ed. Schoene), II, 13, Chron. Pasch., 94, 18.

فيكون المعنى (عبيد سارة)^١ . وقال آخرون : انه مشتق من (سرق) ،
 فيكون المواد من كلمة (Saraceni) (سراكين) (السراقين) أو (السارقين)
 اشارة الى غزوهم وكثرة سطوهم^٢ . أو من (Saraka) بمعنى (Sherka) أي
 (شرق)^٣ ، ويراد بذلك الأرض التي تقع الى شرق النبط . وقال (ونكلر)
 انه من لفظة (شرقو) ، وتعني (سكان الصحراء) أو (أولاد الصحراء) .
 استنتج رأيه هذا من ورود اللفظة في نص من ايام (سرجون)^٤ . ويرى آخرون
 انه تصحيف (شرقيين) ، أو (شارق)^٥ على نحو ما يفهم من كلمة (قدموني)
 (Qadmoni) في التوراة ، بمعنى شرقي ، أو أبناء الشرق (Bene Kedem)
 (Bene Qedhem)^٦ . وكانت تطلق خاصة على القبائل التي رجع النسابون
 العبرانيون نسبها الى (قطورة)^٧ .
 وقد مال الى هذا الرأي الأخير أكثر من بحث في هذه التسمية من المستشرقين ،
 فعندهم ان (سرسين) أو (سركين) أو (Sarakenoi) من (شرق) ،
 وان (Bene Kedem) و (Qadmoni) العبرانيّتين هما ترجمتان للفظـة
 (Saraceni)^٨ . ولهذا يرجحون هذا الرأي ويأخذون به .

- ١ الهلال السنة السادسة ، الجزء (١٥ دسمبر) ١٨٩٧ ، ص ٢٩٦ ، المشرق :
 السنة السابعة ، الجزء ٧ ، ص ٣٤٠ ، حيث رأى (الاب أنستاس ماري
 الكرملّي) ان Sarrasins من (سرحة) ، وهو مخالف باليمن .
 وعلى هذا فهم (السرحيون) . (وسمعتهم يقولون : سراكنو ، سراكنو ،
 ومعناه المسلمون) ، رحلة ابن بطوطة (٢ / ٤٤١) (طبعة أوربة) ، تحفة
 النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار : تهذيب رحلة ابن بطوطة ، بقلم
 أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ، (بولاق ١٩٣٤) ، (١ /
 ٢٨٨) ، (قل لهذا السركنو يعني المسلم) (ص ٢٩٣) ، (وكانت الروم
 تسمى العرب سارقيوس ، يعني ذوي سارة ، بسبب هاجر أم اسماعيل) ،
 ابن الاثير : الكامل (١ / ١١٧) .
- ٢ الهلال : السنة ٦ (ج ٨) (١٨٩٧) ص ٢٩٦ .
- ٣ Musil, Arabia Deserta, P., 311, Stephen of Byzantium, Ethnica, P., 556, (Meineke),
- ٤ Ency., Vol., 4, P., 156, Winckler, Altorient. Forschungen, II, Ser., I, 77f.
- ٥ الهلال : الجزء المذكور ، ص ٢٩٦ ، مجلة لغة العرب ، الجزء ٤ السنة ٧
 (١٩٢٩) ص ٢٩٣ ، Ency., Vol., 4, P., 156
- ٦ التكوين : الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١٩ .
- ٧ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٢٠٦) ، Hastings, P., 512,
- ٨ التكوين ٢٥ ، الآية ١ - ٦ ، Hastings, P., 512,
- ٩ Musil, Deserta, P., 494.

والقاتلون ان (سارقين) من أصل لفظتين (سارة) ، زوج ابراهيم ، ومن (قين) بمعنى (عبد) وان المعنى هو (عبيد سارة) ، متأثرون برواية التوراة عن سارة وبالشروح الواردة عنها^١ . وليست لأصحاب هذا الرأي أية أدلة أخرى غير هذا التشابه اللفظي الذي نلاحظه بين (سرمين) وبين (سارقين) ، وهو من قبيل المصادفة والتلاعب بالألفاظ ولا شك ، وغير هذه القصة الواردة في التوراة : قصة (سارة) التي لا علاقة لها بالسرسين .

هذا وما زال أهل العراق يطلقون لفظة (شروك) و (شروكية) على جماعة من العرب هم من سكان (لواء العمارة) والأهوار في الغالب ، وينظرون اليهم نظرة خاصة ، ولا شك عندي ان لهذه التسمية علاقة بتلك التسمية القديمة . ويستعمل أهل العراق في الوقت الحاضر لفظة أخرى ، هي (الشرجية) ، أي (الشرقية) ، ويقصدون بها جهة المشرق . وتقابل لفظة (بني قديم) في العبرانية، وهي من بقايا المصطلحات العراقية القديمة التي تعبر عن مصطلح (شركوني) و (بني قديم) .

هذا وقد عرف العرب ان الروم يسمونهم (ساراقينوس) ، فقد ذكر (المسعودي) ان الروم الى هذا الوقت (أي الى وقته) تسمي العرب (ساراقينوس). وذكر خبراً طريفاً عن ملك الروم (نقفور) المعاصر لـ (هارون الرشيد) . فقد زعم انه (أنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس . تفسر ذلك عبيد ساره ، طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل ، وانها كانت أمة لسارة ، وقال : تسميتهم عبيد سارة ، كذب^٢ .

وقد كانت منازل (القدمونين) ، (هقدميني) ، (هاقدموني) (Kadmonites) ، في المناطق الشرقية لفلسطين ، أي في بادية الشام . ولما كان (قيدما) (Kedemeh) هو أحد أبناء اسماعيل في اصطلاح (التوراة)، فيكون أبناء (قيدما) من العرب الاسماعيليين^٣ . وقد ذكر في موضع من التوراة انهم كانوا يقطنون المناطق الشرقية لفلسطين قرب (البحر الميت) المعروف في

١ لغة العرب ج ٤ ، من السنة ٧ ، ص ٢٩٤ .

٢ التنبيه (ص ١٤٣) (طبعة عبد الله اسماعيل الصاوي) .

٣ Hastings, P., 512, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 633.

العبرانية بـ (هائم هقدموني) ، أي (البحر القدموني) (البحر الشرقي)^١ .
وقد كان (القدمونيون) ، أي (بنو قديم) أعراباً يقطنون في بادية الشام .
وأشباه أعراب ، أي رعاة وأشباه حضريين ، واللفظة لا تعني قبيلة واحدة معينة ،
أي علمية ، ولا تعني قبائل معينة ، وإنما هي لفظة عامة أطلقت على الساكنين
في الأماكن الشرقية بالنسبة إلى العبرانيين^٢ .

ونجد في الكتب اليونانية لفظة لها علاقة بطائفة من العرب، هي (Skenitae)
(Scenitae) ، وقد أطلقت خاصة على أعراب بادية الشام . وقصد بها الأعراب
سكان الخيام ، أي (أهل الوبر) في اصطلاح العرب . وقد ذهب بعض العلماء
إلى أنها من (الخيمة) التي هي منزل الأعرابي ، لأن الخيمة هي (Skene)
(Skynai) في اليونانية . فالمعنى إذن (سكان الخيام)^٣ .

وقد ذكر (سترابون) أن الـ (Scenitae) كانوا نازلين على حدود
(سورية) الشرقية ، كما ذكر أن منهم من كان يتزل شمال (العربية السعيدة)
وهم سكان خيام^٤ . وقد فرق (سترابون) بينهم وبين البدو تفرقاً ظاهراً ،
وميزهم عن غيرهم من الأعراب بسكنائهم في الخيام . وقال عنهم في موضع
آخر : أنهم يمثلون بصورة عامة (بدو) العراق^٥ . وأنهم يعتنون بتربية الإبل .
وقد ذكرهم أيضاً في أثناء كلامه على ساحل (Maranitae) فقال : إنه مأهول
بالفلاحين وبالك (Scenitae) وأراد بهم الأعراب الذين لا يسكنون إلا الخيام
ويعيشون على تربية الإبل ، وقد ذكر أنهم كانوا قبائل ومشيعات^٦ .

وقد ذكرهم (بلينيوس) كذلك ، فدعاهم بـ (Scenitae)^٧ . وقد
كانوا يقيمون في البادية . وقد حاربهم (سبتيموس سيفيروس) ، وسأحدث

-
- | | | |
|---|--|--|
| ١ | حزقيال ، الإصحاح ١٨ ، الآية ١٨ | Hastings, A Dictionary, I, P., 8311, |
| ٢ | | J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament, P., 13. |
| ٣ | | Webster's New International Dictionary of the English Language, Vol. 2, P. 2233, |
| | | Strabo, XVI, 2 : 2, Vol., I, P., 63, 196, 441, Vol., 2, P. 219. 252. Vol. 3. P. 160. |
| | | 166, 185, 190, 204, (Hamilton). |
| ٤ | | Strabo, Vol., I, P., 196, 441. |
| ٥ | | Musil, Palmyrena, p., 209, Strabo, Vol., 3, P., 166, 190, 204. |
| ٦ | راجع المواضع المشار إليها من جغرافية (سترابون) ، | Dio., P., 254, A Cyclopaedia of Biblical Literature, by, John Kitto, I, P., 184. |
| ٧ | | Pliny, 6, 143, Der Araber, 1, 178. |

عن ذلك فيما بعد ، كما أشار غيره اليهم . والظاهر ان لفظة (Nomas) (Nomadas) التي تعني (البدو) لا تؤدي معنى (Scenitae) أي سكان الخيام . اذ فرق الكتبة اليونان في مؤلفاتهم بين اللفظتين . وأغلب ظني ان المراد بسكان الخيام الأعراب المستقرون بعض الاستقرار ، أي الذين عاشوا في مضارب عيشة شبه مستقرة ، لهم خيامهم وإبلهم وحيواناتهم على مقربة من الريف والحضارة . أما الـ (نومادس) (Nomades) (Nomadas) فقد كانوا قبائل رحلا يعيشون في البوادي لا يستقرون في مكان واحد ، متى وجدوا فرصة اغتناموها فأغاروا على من يجدونهم أمامهم ، للعيش على ما يقع في أيديهم . ولذلك كانت ظروف ضعف الحكومات أو انشغالها بالحروب من أحسن الفرص المناسبة لهم . ومن هنا فرق الكتبة اليونان وغيرهم بين الجماعتين^١ .

إننا لا نستطيع أن نحدد الزمان الذي ظهر فيه مصطلح (سكينيتيه) بين اليونان واللاتين . وقد يكون ترجمة للفظه أخذوها من الفرس أو الآشوريين أو غيرهم من الشعوب . ومصطلح (أهل الوبر) ، هو مصطلح يقابل جملة (سكان الخيام) في نظري . أما مصطلح (أهل بادية) أو (أعراب بادية) أو (سكان البوادي) ، فانه تعبير يقابل (Nomadas) عند اليونان .

وعرف العرب عند الفرس وعند بني إرم بتسمية أخرى ، هي : (Tayayo) و (Taiy) . أما علماء عهد التلمود من العبرانيين ، فأطلقوا عليهم لفظة (طي ي ع ا) (طيعا) و (طيايا) (طياية)^٢ وأصل الكلمتين واحد على ما يظهر ، أخذ من لفظة (طيء) اسم القبيلة العربية الشهيرة على رأي أكثر العلماء^٣ . وكانت تنزل في البادية في الأرضين المتاخمة لحدود امبراطورية الفرس ، وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام ، ولهذا صار اسمها مرادفاً للفظه (العرب) (عرب) . وقد ذكر (برديسان) اسم (Tayaye) (Tayoye) مع (Sarakoye)^٤ .

Der Araber, I, S., 178.

The Uni. Jew. Ency., Vol., 2, P., 43, Margollouth, P., 57, Ency, Vol. 4. p. 598.

Ency., Vol., 4, P., 598,

Ency., Vol., 4, P., 598, Cureton, Spicil. Syr., P., 16, Noldeke, in ZDMG. IXIX.

713, Margollouth, The Relations, P., 57, Kraus, in ZDMG, LXX, 321, foll.

وقد شاعت هذه التسمية قرب الميلاد ، وانتشرت في القرون الأولى للميلاد ،
كما يتبين ذلك من الموارد السريانية والموارد اليهودية ^١ .

واستعملت النصوص (الفهلوية) (Pahlawi) لفظة (تاجك)
(Tachik) (Tachik) (Tachik) في مقابل (عرب) ، كما استعملت
الفارسية لفظة (تازي) بهذا المعنى أيضاً . واستعمل الأرمن كلمة (تيجك)
(Tachik) في معنى عرب ومسلمين ، واستعمل الصينيون لفظة (تشي)
(Tashi) لهذه التسمية . وقد عرف سكان آسية الوسطى الذين دخلوا في الإسلام
بهذه التسمية ، كما أطلق الأتراك على الإيرانيين لفظة (تيجك) ، من تلك
التسمية ، حتى صارت لفظة (تيجك) تعني (الإيراني) في اللغة التركية ^٢ .

ويرى بعض العلماء ان (تاجك) و (تيجك) و (تازك) ، هي من الأصل
المتقدم . من أصل لفظة (طيء) ^٣ . ولكلمة (تازي) في الفارسية معنى
(صحراوي) ، من (تاز) (Taz) ، بمعنى الأرض المقفرة الحالية ، ولذلك
نسب بعض الباحثين كلمة (تازي) الى هذا المعنى ، فقالوا انها أطلقت على
العرب لما اشتهر عنهم أنهم صحراويون ^٤ .

وقد زعم (حمزة الأصفهاني) ان الفرس أطلقوا على العرب لفظة (تاجيان) ،
نسبة الى (تاج بن فروان بن سيامك بن مثنى بن كيومرث) ، وهو جد
العرب ^٥ .

وبعض هذه التسميات المذكورة ، لا يزال حياً مستعملاً ، ولكنه لم يبلغ
مبلغ لفظة (عرب) و (العرب) في الشهرة والانتشار . فقد صارت لفظة
(عرب) ، علماً على قومية وجنس معلوم ، له موطن معلوم ، وله لسان

١ O'Leary, Arabia, P., 18, J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S., 233. f.

٢ Ency., Vol., 4, P., 598.

٣ Ency., Vol., 4, P., 598.

٤ الرسالة : الجزء ٦٥٤ ، السنة ١٩٤٦ ، تعليق بقلم (ح . م . ع) من النجف
على كلمة « تاجك » ، وكنت قد كتبت فيها في مجلة الرسالة المصرية قبل هذا
الجزء .

• حمرة (٢٤) .

خاص به يميزه عن سائر الألسنة، من بعد الميلاد حتى اليوم . وقد وسع الاسلام رقعة بلاد العرب ، كما وسع مجال اللغة العربية ، حتى صارت بفضله لغة عالمية خالدة ذات رسالة كبيرة ، غمرت بفضل الاسلام بعض اللغات مثل الفارسية والتركية والأردية ولغات اخرى، فزودتها بمادة غزيرة من الألفاظ ، دخلت فيها حتى صارت جزءاً من تلك اللغات ، يظن الجاهل انها منها لاستعماله لها ، ولكنها في الواقع من أصل عربي .

وربّ سائل يقول: لقد كان للعرب قبل الإسلام لغات ، مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها ، اختلفت عن عربية القرآن الكريم اختلافاً كبيراً ، حتى إن أحدنا إذا قرأ نصاً مدوناً بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه ، وظن إذا لم يكن له علم بلغات العرب الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم ، فماذا سيكون موقفنا من أصحاب هذه اللغات ، وهل نعدهم عرباً ؟

والجواب أن هؤلاء ، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا ، فإنهم عرب لحمًا ودمًا، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب ، لم يردوا اليها من الخارج ، ولم يكونوا طارئین عليها من أمة غريبة . فهم إذن عرب مثل غيرهم ، وكل لغات العرب هي لغات عربية ، وإن اختلفت وتباينت ، وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلا لغة واحدة من تلك اللغات ، ميزت من غيرها ، واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الإسلام ، وبفضل نزول الكتاب بها ، فصارت (اللغة العربية الفصحى) ولغة العرب أجمعين .

وحكمنا هذا ينطبق على النبط أيضاً وعلى من كان على شاكلتهم ، وإن عدهم علماء النسب والتاريخ واللغة والأخبار من غير العرب ، وأبعدوهم عن العرب والعربية، فقد كان أولئك وهؤلاء عرباً أيضاً ، مثل عرب اليمن المذكورين ومثل ثمود والصفويين واللحيانيين ، لهم لهجاتهم الخاصة ؛ وإن تأثروا بالإرامية وكتبوا بها ، فقد تكلم اليهود بالإرامية ونسي كثير منهم العبرانية ، ولكن نسيان أولئك اليهود العبرانية ، لم يخرجهم مع ذلك عن العبرانيين .

وسترد في بحثنا عن تاريخ الجاهلية أسماء قبائل عربية كثيرة عديدة لا عهد للإسلاميين بها ، ولا علم لهم عنها ، ذكروا في التوراة وفي كتب اليهود الأخرى

وفي الموارد اللاتينية واليونانية والكتابات الجاهلية . وإذا جاز لأحد الشك في أصل بعض القبائل المذكورة في كتب اليهود أو في مؤلفات الكتبة (الكلاسيكيين) على اعتبار أنها أخطأت في ادخلها في جماعة العرب ، فإن هذا الجواز يسقط حتماً بالنسبة الى القبائل المذكورة في الكتابات الجاهلية ، وبالنسبة الى القبائل التي دونت تلك الكتابات . فهي كتابات عربية ، وإن اختلفت عن عربيتنا وبابت لغتها لغتنا ، لأنها لهجة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها ، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب .

فسيئنا في هذا الكتاب إذن ، هو البحث في كل العرب : العرب الذين تعارف العلماء الإسلاميون على اعتبارهم عرباً ، فنحوهم شهادة العروبة ، بحسب طريقتهم في تقسيمهم الى طبقات ، وفي وضعهم في أشجار نسب ومخططات ؛ والعرب المجهولين الذين لم يمنحوا هذه الشهادة بل حرموا منها ، ونص على إخراجهم من العرب كالنبت على ما ذكرت ، والعرب المجهولين كل الجاهل الذين لم يكن للمسلمين علم ما بهم ، ولم يكن لهم علم حتى بأسمائهم . سنتحدث عن هؤلاء جميعاً ، على اعتبار أنهم عرب ، جهلهم العرب ، لأنهم بادوا قبل الإسلام ، أو لأنهم عاشوا في بقاع معزولة نائية ، فلم يصل خبرهم الى الإسلاميين ، فلما شرع المسلمون في التدوين ، لم يعرفوا عنهم شيئاً ، فأهملوا ، ونسوا مع كثير غيرهم من المنسيين .

سئل أحد علماء العربية عن لسان حير ، فقال : ما لسان حير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا^١ . ولكن علماء العربية لم يتوصلوا من عروبة حير ، ولا من عروبة غيرهم ممن كان يتكلم بلسان آخر مخالف للساننا ، بل عدّوهم من صميم العرب ومن لبسها ، ونحن هنا لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربية المنسية عروبتها ، لمجرد اختلاف لسانها عن لساننا ، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها . فلغتها هي لغة عربية ، ما في ذلك شك ولا شبهة ، وإن اختلفت عن لسان يعرب أو أي جد آخر يزعم أهل الأخبار أنه كان أول من أعرب في لسانه ، فتكلم بهذه العربية التي أخذت تسميتها من

١ الجمحي : طبقات الشعراء (ص ٤ وما بعدها) .

ذلك الإعراب .

وبعد أن عرفنا معنى لفظة العرب والألفاظ المرادفة لها ، أقول إن بلاد العرب أو (العربية) ، هي البوادي والقلوات التي أطلق الآشوريون ومن جاء بعدهم على أهلها لفظة (الأعراب) ، وعلى باديتهم (Arabeae) و (Arabae) وما شاكل ذلك . وهي جزيرة العرب وامتدادها الذي يكون بادية الشام حتى نهايتها عند اقتراب الفرات من أرض بلاد الشام ، فالفرات هو حدها الشرقي . أما حدها الغربي ، فأرض الحضر في بلاد الشام . وتدخل في العربية بادية فلسطين و (طور سيناء) الى شواطئ النيل . وقد أطلق بعض الكتاب اليونان على الأرضين الواقعة شرق الـ (Araxe) ، أي الخابور اسم (Arabia)^١ كما أدخل (هيرودوتس) أرض طور سيناء الى شواطئ نهر النيل في (العربية) (Arabia) أي بلاد العرب^٢ .

أما الآن ، وقد عرفنا لفظة عرب ، وكيف تحددت ، وتطورت ، أرى لزماً علينا الدخول في صلب موضوعنا وهو تاريخ العرب ، مبتدئين بمقدمة عن الجاهلية وعن الموارد التي استقينها منها أخبارها ، ثم بمقدمات عن جزيرة العرب وعن طبيعتها وعن الساميين وعقليتهم وعن العقيلة العربية، تليها بحوث في أنساب العرب ، ثم ندخل بعد ذلك في التاريخ السياسي للعرب ، ثم بقية أقسام تاريخ العرب من حضارة ومدنية ودينية واجتماعية ولغوية .

ولما كان الاسلام أعظم حادث نجم على الاطلاق في تاريخ العرب، أخرجهم من بلادهم الى بلاد أخرى واسعة فسيحة ، ومميزهم أمة تؤثر تأثيراً خطيراً في حياة الناس .. صار ظهوره نهاية لدور ومبدأً لتاريخ دور ، ونهاية إيام عرفت بـ (الجاهلية) وبداية عهد عرف بـ (الاسلام) ما زال قائماً مستمراً ، وسيستمر الى ما شاء الله ، به أرخ تاريخ العرب ، فما وقع قبل الاسلام، عرف بتاريخ العرب قبل الاسلام ، وما وقع بعده قيل له : تاريخ العرب بعد الاسلام .

وسيكون بحثنا هنا ، أعني في هذه الأجزاء المتتالية في القسم الأول من

Xenophon, An., I, 5, I, Der Araber, In der Alten Welt, I, S., 165.

١

Herodot, 2, 15, Der Araber, I, S., 166.

٢

تاريخ العرب ، وهو قسم تاريخ العرب قبل الاسلام ، أما القسم الثاني ، وهو تاريخ العرب في الاسلام ، فستأتي أجزاؤه بالتتالي أيضاً بعد الانتهاء من هذا القسم .

وبعد هذه المقدمة ، فلنطوِ صفحات هذا الفصل ، ولننتقل الى فصل جديد، هو الفصل الثاني من هذه الفصول ، فصل : الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي .

الفصل الثاني

الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي

اعتاد الناس أن يسموا تاريخ العرب قبل الاسلام (التاريخ الجاهلي) ، أو (تاريخ الجاهلية) ، وان يذهبوا الى ان العرب كانت تغلب عليهم البداوة ، وانهم كانوا قد تخلفوا عن حولهم في الحضارة ، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل ، في جهل وغفلة ، لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي ، ولم يكن للعالم الخارجي اتصال بهم ، أميون ، عبدة أصنام ، ليس لهم تاريخ حافل ، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الاسلام عندهم بـ (الجاهلية) .

و (الجاهلية) اصطلاح مستحدث ، ظهر بظهور الاسلام ، وقد أطلق على حال قبل الاسلام تمييزاً وتفريقاً لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة ، على النحو الذي يحدث عندنا وعند غيرنا من الأمم من اطلاق تسميات جديدة للعهود القائمة ، والكيانات الموجودة بعد ظهور أحداث تزلزلها وتمكن منها ، وذلك لتمييزها وتفريقها عن العهود التي قد تسميها أيضاً بتسميات جديدة^١ . وفي التسميات التي تطلق على العهود السابقة ، ما يدل ضمناً على شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان .

وقد سبق للنصارى ان أطلقوا على العصور التي سبقت المسيح والنصرانية

١ (وفي كتاب ليس لابن خالويه ان لفظ الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمان الذي كان قبل البعثة) ، المزهري (١٧٦) ، بلوغ الارب (١ / ١٥) .

(الجاهلية) ، أي (ايام الجاهلية) ، أو (زمان الجاهلية) ، استهجاناً لأمر تلك الأيام ، وازدراءً بجهل أصحابها لحالة الوثنية التي كانوا عليها ، ولجهالة الناس اذ ذاك وارتكابهم الخطايا التي أبعدهم ، في نظر النصرانية ، عن العلم ، وعن ملكوت الله . (وقد أغضى الله عن أزمنة هذا الجهل فيبشر الآن جميع الناس في كل مكان الى ان يتوبوا)^١ .

وقد وردت لفظة (الجاهلية) ، في القرآن الكريم، وردت في السور المدنية^٢ ، دون السور المكية ، فدل ذلك على أن ظهورها كان بعد هجرة الرسول الى المدينة ، وان اطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة ، وان المسلمين استعملوها منذ هذا العهد فما بعده .

وقد فهم جمهور من الناس أن الجاهلية من الجهل الذي هو ضد العلم أو عدم اتباع العلم، ومن الجهل بالقراءة والكتابة ، ولهذا ترجمت اللفظة في الانكليزية بـ (The Time of Ignorance) ، وفي الألمانية بـ (Zeit der Unwissenheit)^٣ وفهمها آخرون أنها من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين واتباع الوثنية والتعبد لغير الله ، وذهب آخرون الى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتعجب وغير ذلك من الخلال التي كانت من أبرز صفات الجاهليين^٤ .

ويرى المستشرق (كولدزهيير) (Goldziher) أن المقصود الأول من الكلمة

١ اعمال الرسل ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ٣٠
٢ آل عمران ، الاية ١٥٤ ، المائدة ، الاية ٥٠ ، الاحزاب ، الاية ٢٣ ، الفتح ، الاية ٢٦ .

٣ Ency., Vol., I, P., 999, Zwemer, Arabia the Cradle of Islam, P., 158.

٤ لسان العرب (١٣ / ١٣٧) ، أساس البلاغة (١ / ١٤٥) ، صحاح الجوهري ، (٢ / ١٦٩) ، القاموس المحيط (٣ / ٢٥٣) (الطبعة الرابعة) ، ذيل اقرب المواريث (ص ١٤٧) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (١٧٦) ، شرح ديوان عنترة بن شداد ، (ص ١٢٦) ، الاغاني (٢١ / ٢٠٧) ، بلوغ الأرب (١ / ١٦) ، فجر الاسلام (١ / ٨٧) .

لامية العرب ، للشنفرى ، « ولا يزدهي الاجهال حلمي » ، ٥٣ فجر الاسلام ص ٨٦ ، (الطبعة الثالثة) ، الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٣ ، (وهذا يؤيد قول المستشرق كولدزهيير الذي اثبت ان الجهل ضد العلم ، لا ضد العلم) .

Ency., Vol., P., 999, Muh. Stu., I, S., 219. ff., Nicholson, A. Literary, 1941 P. 30.

(السفه) الذي هو ضد الحلم ، والأنفة والخفة والغضب وما إلى ذلك من معان ، وهي أمور كانت جد واضحة في حياة الجاهليين ، ويقابلها الاسلام ، الذي هو مصطلح مستحدث أيضاً ظهر بظهور الاسلام ، وعمادة الخضوع لله والانقياد له^١ ونبد التفاخر بالأحساب والأنساب والكبر وما إلى ذلك من صفات نهى عنها القرآن الكريم والحديث .

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في مواضع منه^٢، منها آية سورة الفرقان : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً)^٣ ، وآية سورة البقرة : (قالوا اتخذنا هزواً ؟ قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)^٤ ، وآية سورة الأعراف : (خذ العفر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)^٥ ، وآية هود : (اني أعظك أن تكون من الجاهلين)^٦ . وفي كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية . وقد ورد في الحديث : (اذا كان أحدكم صائماً ، فلا يرفث ولا يجهل)^٧ ، وورد أيضاً : (لإنك امرؤ فيك جاهلية)^٨ وبهذا المعنى تقريباً وردت الكلمة في قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^٩

أي : لا يسفه أحد علينا ، فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم جزاء يربسي عليه .

- ١ فجر الاسلام (ص ٨٧) ،
Ency., Vol., I, P., 999, Muh. Stud., Bd., I, S. 244 f.
- ٢ راجع فهارس القرآن الكريم
- ٣ سورة الفرقان ، آية ٦٣ ، تفسير الطبري (١٩ / ٢١) (انهم يمشون عليها بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم) ، بلوغ الارب (١ / ١٦) .
- ٤ سورة البقرة ، آية ٦٧ .
- ٥ سورة الاعراف ٧ آية ١٩٨ ، تفسير الطبري (١٠٤ / ٩) ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ، هامش تفسير الطبري (٩ / ١٠٥) .
- ٦ سورة هود ١١ آية ٤٦ .
- ٧ بلوغ الارب (١ / ١٦) .
- ٨ ذيل اقرب الموارد (٣ / ١١٥) ، فجر الاسلام (١ / ٨٧) ، بلوغ الارب (١ / ١٦) فما بعدها .
- ٩ بلوغ الارب (١ / ١٦) ، محيط المحيط ص ٣٠٩ ، اساس البلاغة (١ / ١٤٥) ، فجر الاسلام (١ / ٨٧) ، شرح المعلقات السبع للزوزني ١٥١ .

واستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير^١ .
وجاء في سورة المائدة : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً
لقوم يوقنون)^٢ أي أحكام الملة الجاهلية وما كانوا عليه من الضلال والجور في
الأحكام والتفريق بين الناس في المنزلة والمعاملة^٣ .

وأطلقوا على (الجاهلية الجاهلاء) ، والجاهلاء صفة للأولى يراد بها التوكيد،
وتعني (الجاهلية القديمة)^٤ . وكانوا اذا عابوا شيئاً واستبشعوه ، قالوا : (كان
ذلك في الجاهلية الجاهلاء)^٥ . و (الجاهلية الجاهلاء) هي الوثنية التي حاربها
الاسلام . وقد أنب القرآن المشركين على حمتهم الوثنية ، فقال : « اذ جعل الذين
كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية »^٦ .

والرأي عندي ان الجاهلية من السفه والحق والآنفة والخفة والغضب وعدم
الانقياد لحكم وشريعة وارادة إلهية وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام .
فهي في معنى (اذهب يا جاهل) نقولها في العراق لمن يتسفه ويتحرق وينطق
بكلام لا يليق صدره من رجل ، فلا يبالي أدباً ولا يراعي عرفاً ، و (رجل
جاهل) نطلقه على من لا يهتم بمجتمع ودين ، ولا يتورع من النطق بأفحش
الكلام . ولا يشترط بالطبع أن يكون ذلك الرجل جاهلاً أمياً ، أي ليس له
علم ، وليس بقارئ كاتب .

وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى : (وقرن
في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)^٧ ، فقيل : (الجاهلية الأولى التي

-
- ١ بلوغ الارب (١ / ١٦) .
 - ٢ سورة المائدة ٥ آية ٥ . تفسير الخازن (١ / ٥١٦) ، مدارك التنزيل وحقائق
التاويل للنسفي ، حاشية على الخازن (١ / ٥١٦) .
 - ٣ محيط المحيط (٣٠٩) ، تفسير الخازن (١ / ٥١٦) .
 - ٤ محيط المحيط ٣٠٩ ، اساس البلاغة (١ / ١٤٥) ، صحاح الجوهري
(٢ / ١٦٩) ، اقرب الموارد ص (١٤٧) (وقالوا الجاهلية الجاهلاء فبالغوا) ،
لسان العرب (١٣ / ١٣٧) شمس العلوم ، (ج ١ ي ٢ ، ص ٣٦٨)
اقرب الموارد ١٤٧ .
 - ٥ سورة الفتح ٤٨ آية ٢٦ . عن الجاهلية والجهل وما ورد بهذا المعنى في القرآن
الكريم ، راجع تفصيل ابات القرآن الحكيم ، تأليف جون لابوم ، نقله الى
العربية محمد فؤاد عبد الباقي ص ٦٢١ .
 - ٧ سورة الاحزاب رقم ٣٣ ، آية ٣٣

ولد فيها ابراهيم ، والجاهلية الأخرى التي ولد فيها محمد ^١ . وقيل (الجاهلية الأولى بين عيسى ومحمد) ^٢ ، وقد أدى اختلافهم في مفهوم هذه الآية الى تصور وجود جاهليتين جاهلية قديمة ، وجاهلية أخرى هي التي كانت عند ولادة الرسول ^٣ .

واختلف العلماء في تحديد مبدأ الجاهلية ، أو العصر الجاهلي ، فذهب بعضهم الى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وإدريس ^٤ . وذهب آخرون الى أنها كانت بين آدم ونوح ، أو أنها بين موسى وعيسى ، أو الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد ^٥ . وأما منتهاها ، فظهور الرسول ونزول الوحي عند الأكثرين ، أو فتح مكة عند جماعة ^٦ . وذهب ابن خالويه الى أن هذه اللفظة اطلقت في الإسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة ^٧ .

والذي يفهم خاصة من كتب الحديث أن أصحاب الرسول كانوا يعنون بـ (الجاهلية) الزمان الذي عاشوا فيه قبل الإسلام ، وقبل نزول الوحي ، فكانوا يسألون الرسول عن أحكامها ، وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم في ذلك العهد ، وقد أقر الرسول بعضها ، ونهى عن بعض آخر ^٨ ، وذلك يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين ،

- ١ طبقات ابن سعد (١٤٣/٨ ، ١٤٥) .
- ٢ بلوغ الأرب (١٧/١) ، مفتاح كنوز السنة (تأليف فنسنتك) ص ١٠٩ .
- ٣ وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى ، وقد اوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام كما لا يخفى (بلوغ الأرب (١٨/١) .
- ٤ تأريخ الطبري (٨٣/١) ، الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٢ .
- ٥ بلوغ الأرب (١٦/١) فما بعدها) ، (والفترة ما بين كل نبين . وفي الصحاح : ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة ، وفي الحديث فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام) ، لسان العرب (١٣٧/١٣) .
- ٦ بلوغ الأرب (١٦/١) فما بعدها .
- ٧ بلوغ الأرب (١٥/١) ، المزهري ١٧٦ وفي (كتاب ليس) لابن خالويه : أن لفظ الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة .
- ٨ صحيح مسلم (٧٩/١) ، صحيح البخاري ك ٢٤ ب ٢٤ ، ك ٣٤ ب ١٠٠ ، ك ٤٩ ب ١٢ ، ك ٧٨ ب ١٦ ، ك ٨٨ ب ١ ، ك ٣٣ ب ٥ ، ك ١٥ ، ك ٦٤ ب ٥٤ ، (قال صلى الله عليه وسلم : اربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالاحساب ، والظن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) ، بلوغ الأرب (١٧/١) ، مسند احمد بن حنبل (٢/١١ ، ١٠٣ ، ١٨٧) ، (٣/٤٢٥) ، مفتاح كنوز السنة ص ١٠٨ .

وأصبح للفظـة (الجاهلية) مدلول خاص في عهد الرسول .
وأطلق بعض العلماء على الذين عاشوا بين الميلاد ورسالة الرسول (أهل الفترة)
وهم في نظرهم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث ، ذكروا منهم : (حنظلة
ابن صفوان) نبي (أصحاب الرّس) وأصحاب الأخدود ، وخالـد بن سنان
العـبـسي ، و (وثاب السـني) وأسعد أبا كرب الحميري ، وقس بن ساعدة الإيادي
وأمية بن أبي الصلت ، وورقة بن نوفل ، وعداس مولى عتبة بن أبي ربيعة ،
وأبا قيس صرية بن أبي أنس من الأنصار ، وأبا عامر الأوسي ، وعبدالله بن
جهمش وآخرين^١ . فهم اذن طبقة خاصة من الجاهليين ، ميزوا عن غيرهم بهذه
السمة ، لأنهم لم يكونوا على ملة أهل الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان .

فلفظة (الجاهلية) اذن نعت اسلامي ، من نوع النعوت التي تطلق في اليهود
السابقة على حركة ما أو انقلاب . أطلقه المسلمون على ذلك العهد ، كما نطلق
اليوم نعوتاً وأسماء على اليهود الماضية التي يثور الناس عليها ، من مثل مصطلح
(العهد المباد) الذي أطلق في العراق على العهد الملكي منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ،
ومثل المصطلحات الأخرى الشائعة في الأقطار العربية الأخرى ، والتي اطلقت على
اليهود السابقة للثورات والانقلابات .

موارد التاريخ الجاهلي :

تاريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب ،
يعوزه التحقيق والتدقيق والغزيلة . وأكثر ما ذكروه على انه تاريخ هذه الحقبة ،
هو أساطير ، وقصص شعبي ، وأخبار أخذت عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود ،
وأشياء وضعها الـوضـاعون في الاسلام ، لما رآب اقتضتها العواطف والمؤثرات
الخاصة .

وقد تداول العلماء وغير أصحاب العلم هذه الأخبار على انها تاريخ الجاهلية حتى
القرن التاسع عشر . فلما انتهت الى المستشرقين ، شكّوا في أكثرها ، فتناولوها
بالنقد . استناداً الى طرق البحث الحديثة التي دخلت على العلوم النظرية، وتفتحت
بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة، ووضعوا الأسس للجادات
التي ستوصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ جزيرة العرب .

١ مروج الذهب (١ / ٣٨ فما بعدها) .

وكان أهم عمل رائع قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التي دوتها العرب قبل الاسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد أن جهلوا مدة تنيف على ألف عام . وقد فتحت هذه النصوص باب تاريخ الجاهلية ، ومن هذا الباب يجب أن نصل الى التاريخ الجاهلي الصحيح .

لقد كلف البحث عن هذه الكتابات العلماء والسياح ، ثمناً غالياً كلفهم حياتهم في بعض الأحيان ، ولم يكن من السهل تجول هؤلاء الأوروبيين بأرياء مختلفة في أماكن تغلب عليها الطبيعة الصحراوية للحصول على معلومات عن الخرائب والعاديات والحصول على ما يمكن الحصول عليه من نقوش وكتابات .

والتاريخ الجاهلي مع ذلك في أول مرحلة من مراحل وفي الدرجات الأولى من سلم طويل متعب . ولا يُتَظَرُّ التَّقدم أكثر من ذلك، إلا إذا سهّل للعلماء التجوال في بلاد العرب ، لدراستها من جميع الوجوه ، وللبحث عن العاديات ، ويسرت لهم سبل البحث ، ووضعت أمامهم كل المساعدات الممكنة التي تأخذ بأيديهم الى الكشف عن مواطن ذلك التاريخ والبحث عن مدافن كنوز الآثار تحت الأتربة واستخراجها وحل رموزها، لجعلها تنطق بأحوالها في تلك الأيام . وتلك مسؤولية لن تُفهم إلا إذا فهم العرب وعلى رأسهم الحاكمون منهم أن من واجبهم المحافظة على تاريخ العرب القديم بصيانة مواطن الآثار ومنع الاعتداء عليها ، بانزال أشد العقوبات فيمن يحطم تمثالاً ، لاعتقاده بأنه صنم ، أو يهدم أثراً للاستفادة من حجره ، أو ما شابه ذلك من هدم وتخريب .

لم يطمئن المستشرقون الى هذا المروي في الكتب العربية عن التاريخ الجاهلي ولم يكتفوا به ، بل رجعوا الى مصادر وموارد ساعدتهم في تدوين هذا الذي نعرفه عن تاريخ الجاهلية ، وهو شيء قليل في الواقع ، ولكنه مع ذلك خير من هذا القديم المتعارف وأقرب منه الى التاريخ ، وقد تجمعت مادته من هذه الموارد :

- (١) النقوش والكتابات .
- (٢) التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .
- (٣) الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها .
- (٤) المصادر العربية الاسلامية .

١ - النقوش والكتابات :

تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكون التاريخ الجاهلي ، وهي وثائق ذات شأن ، لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام ، وأريد أن أقسمها الى قسمين : نقوش وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب كبعض النصوص الآشورية أو البابلية ، ونصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة ، منها ما عثر عليه في العربية الجنوبية ، ويدخل ضمنها تلك التي وجدت في مصر أو في بعض جزر اليونان أو في الحبشة ، وهي من كتابات المعينيين والسبئيين ، ومنها ما عثر عليه في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، مثل أعالي الحجاز وبلاد الشام والعربية السعودية والكويت ومواقع أخرى ، وكل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص في جزيرة العرب مدوناً بلهجة من اللهجات التي تعارف علماء العرب أو المستشرقون على اعتدادها من لغات العرب .

وأغلب الكتابات الجاهلية التي عثر عليها هي ويا للأسف في امور شخصية ، ولذلك انحصرت فوائدها في نواح معينة ، في مثل الدراسات اللغوية ، وأقلها النصوص التي تتعرض لحالة العرب السياسية ، أو الأحوال الاجتماعية أو العلمية أو الدينية أو النواحي الثقافية والحضارية الأخرى ، ولهذا بقيت معارفنا في هذه النواحي ضحلة غير عميقة . وكل أملنا هو في المستقبل ، فلعله سيكون سخياً كريماً ، فيمدنا بفيض من مدونات لها صلة وعلاقة بهذه الأبواب ، وينقلنا بذلك من هذا الجهل الفاضح الذي نحن فيه ، بتاريخ العرب قبل الاسلام .

بل حتى النصوص العربية الجنوبية التي عثر عليها حتى الآن ، هي في امور شخصية في الغالب ، من مثل انشاء بيت ، أو بناء معبد ، أو بناء سور ، أو شفاء من مرض ، ولكنها أفادتنا ، مع ذلك ، فائدة كبيرة في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين ، فقد أمدتنا بأسماء عدد من الملوك ، ولولاها لما عرفنا عنهم شيئاً . ونظراً الى ما نجده في بعض النصوص من اشارات الى حروب^١ ، ومن صلات بين ملوك الدول العربية الجنوبية ، ونظراً الى كون بعض الكتابات أوامر ملكية وقوانين في تنظيم الضرائب وتعيين حقوق الغرباء وفي امور عامة أخرى لها

علاقة بصلة الحكومات بشعوبها ، ونظراً الى ما عرفناه من ميل الى الحضارة والاستقرار والعمل والبناء ، وفي حكوماتهم من تنظيم وتنسيق في الأعمال ، فاننا نأمل الحصول في المستقبل على وثائق، تعطينا مادة مهمة جديدة عن تاريخ العرب



كتابة عثر عليها في ظفار بعمان ، ويعود عهدها الى القرن الثاني بعد الميلاد
من كتاب Qataban and Sheba (ص ٢٠٤) .

الجنوبيين وعن صلاتهم ببقية العرب او بالعالم الخارجي ، لأن جماعة تهتم هذا الاهتمام بالأمور المذكورة ، لا يمكن ان تكون في غفلة عن اهمية تدوين التاريخ. وتختلف الكتابات العربية الجنوبية طولاً وقصراً تبعاً للمناسبات وطبيعة الموضوع ،

وتتشابه في المضمون وفي انشائها في الغالب ، لأنها كتبت في أغراض شخصية متماثلة . ومن النصوص الطويلة المهمة ، نص رقه العلاء برقم : (C.I.H. 1450) وقد كتب لمناسبة الحرب التي نشبت بين قبائل حاشد وقبائل حير في مدينة (ناعط)^١ ، ونص رقة (C.I.H. 4334) ، وقصد أمر بتدوينه الملك (شعر أوتر بن علهان نهقان) (شعر أوتر بن علهان نهفن) ، (٨٠ - ٥٠ ق.م)^٢ ، ونص (أبرهة) نائب ملك الحبشة على اليمن (عزلي) ، وهو يحوي كتابة مهمة تتألف من (١٣٦) سطراً ، يرتقي تاريخها الى سنة ٦٥٨ الحيرية أو ٥٤٣ م وقد كتب بحيرية رديئة ركيكة ، ونص يرتقي تاريخه الى سنة ٥٥٤ م .

أما الكتابات المكتوبة باللهجات التي يطلق عليها المستشرقون اللهجات العربية الشمالية ، فقليلة . ويراد بهذه اللهجات القريبة من عربية القرآن الكريم . وأما الكتابات التي وجد أنها مكتوبة بالثمودية أو اللحيانية أو الصفوية ، فلها عديدة ، وهي قصيرة ، وفي أمور شخصية ، وقد أفادتنا في استخراج أسماء بعض الأصنام وبعض المواضع وفي الحصول على أسماء بعض القبائل وأمثال ذلك .

تأريخ الكتابات :

والكتابات المؤرخة قليلة . هذا أمر يؤسف عليه ، اذ يكون المؤرخ في حيرة من أمره في ضبط الزمن الذي دون فيه النص ، ولم تتمكن حتى الآن من الوقوف على تقويم ثابت كان يستعمله العرب قبل الإسلام ، مدة طويلة في جزيرة العرب . والذي تبين لنا حتى الآن هو أنهم استعملوا جملة طرق في تأريخهم للحوادث ، وثبتت زمانها ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث في أيام الملك فلان ، أو في السنة كذا في حكم الملك فلان . وأرخوا كذلك بأيام الرؤساء وسادات القبائل وأرباب الأمر وهي طريقة عرفت عند المعينين والسبئيين والقتبانين وعند غيرهم في مختلف أنحاء جزيرة العرب .

١ Margoliouth, Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930, P., 29

وسارمز اليه بـ Lectures P., 30

٢ « شعراوتي » ، (شاعر أوتر) (شاعر أوتار) . وقد ورد الاسم في كتاب (الاكليل) مكتوباً كتابة صحيحة (شعرم أوتر) في طبعة نبيه فارس ، وخطاً فيه أنستاس الكرمللي فكتبه (سنوان أوتر) ، كما ورد في إحدى المخطوطات التي اعتمد عليها ، طبعة الكرمللي ٢٤ .

والكتابات المؤرخة بهذه الطريقة ، وان كانت أحسن حالاً من الكتابات المهمة التي لم يؤرخها أصحابها بتاريخ ، الا اننا قلما نستفيد منها فائدة تذكر ، اذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئاً عن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة او حكمه ، أو زمانه ، او زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هذه الكتابات أن شهرة الانسان لا تدوم ، وأن الملك فلاناً ، أو رب الأسرة فلاناً ، أو الزعيم فلاناً ربما لا يعرف بعد أجيال ، وقد يصبح نسباً منسياً ، لذلك لا يجدي التأريخ به شيئاً ، وذاكرة الانسان لا تعي إلا الحوادث الجسام . لهذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هذه الطريقة ، وأملنا الوحيد هو أن يأتي يوم قد نستفيد فيه منها في تدوين التاريخ .

وترد التواريخ في الكتابات العربية الجنوبية ، ولا سيما الكتابات القتبانية ، على هذه الصورة : (ورخس ذو سحر خرف)^١ ، او (ورخس ذو تمنع خرف)^٢ ، أي : (وأرخ في شهر سحر من سنة) و (أرخ في شهر تمنع من سنة) . ويلاحظ ان (ورخ) و (تورينخ) ، مثل (أرخ) و (تاريخاً) ، هما قريبتان من استعمال تميم ، اذ هي تقول : (ورخت الكتاب تورينخاً) أي : (أرخت الكتاب تاريخاً)^٣ . وأما حرف (السين) اللاحق بكلمة (ورخ) ، فانه أداة التنكير . ويلى التاريخ اسم الشهر ، مثل شهر (ذو تمنع) و (ذو سحر) وغير ذلك . وقد تجمعت لدينا أسماء عدد من الشهور في اللهجات العربية الجنوبية المختلفة تحتاج الى دراسة لمعرفة ترتيبها بالنسبة الى الموسم والسنة . ثم تلي الشهور في العادة كلمة (خرف) أي (خريف) ، وهي في العربية الجنوبية ، السنة أو العام او الحول . وعندئذ يذكر اسم الملك او الرجل الذي أرخ به ، فيقال : (خرف شهر بكل) أي سنة (شهريكول) ، وهو ملك من ملوك قتبان . وهكذا بالنسبة الى الملوك او غيرهم .

نرى من ذلك ان التاريخ بأعوام الرجال كان يتضمن شهوراً . غير اننا لا

N. Rhodokanakis, Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft, Bd., I, S., 123.

وسارمز اليه بـ : KTB

Glaser 1395 — 1604, Se 84. Glaser 1412 — 1612, SE81, KTB, BD., 130.

بلوغ الارب (٢١٤ / ٣)

نستطيع أن نجزم بأن هذه الشهور كانت ثابتة لا تتغير بتغير الرجال ، أو أنها كانت تتبدل بتبدل الرجال . والرأي الغالب هو أنها وضعت في وضع يلائم المواسم وأوقات الزراعة . ويظهر أنهم كانوا يستعملون أحياناً مع هذا التقويم تقويمان آخر هو التقويم الحكومي ، وكان يستند الى السنين المالية ، أي سني جمع الضرائب . وتختلف أسماء شهور هذا التقويم عن أسماء شهور التقاويم التي تؤرخ بالرجال^١.

ويظهر أن العرب الجنوبيين كانوا يستعملون التقويم الشمسي في الزراعة ، كما كانوا يستعملون التقويم القمري والتقويم النجمي أي التقويم الذي يقوم على رصد النجوم^٢.

وقد اتخذ الحميريون منذ سنة (١١٥ ق. م) تقويمان ثابتاً يؤرخون به ، وهي السنة التي قامت فيها الدولة الحميرية — على رأي بعض العلماء — فأخذ الحميريون يؤرخون بهذا الحادث ، واعتدوه مبدأً لتقويمهم . وقد درسه المستشرقون ، فوجدوه يقابل السنة المذكورة قبل الميلاد. والكتابات المؤرخة بموجب هذه الطريقة ، لها فائدة كبيرة جداً في تثبيت التاريخ .

وقد ذهب بعض الباحثين حديثاً الى أن مبدأ تأريخ حمير يقابل السنة (١٠٩ ق. م) اي بعد ست سنوات تقريباً من التقدير المذكور ، وهو التقدير المتعارف عليه . والفرق بين التقديرين غير كبير^٣.

ومن النصوص المؤرخة ، نص تأريخه سنة ٣٨٥ من سني التقويم الحميري . وإذا ذهبنا لمذهب الغالبية التي تجعل بداية هذا التقويم سنة (١١٥ ق. م) ، عرفنا أن تاريخ هذا النص هو سنة ٢٧ م تقريباً ، وصاحبه هو الملك (يسر يهنعم)

KTb., I, S., 81. f.

N. Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie und Grammatik des
Altsudarabischen, 2 BD., BD., 2, S., 145.

وسأرمز اليه بـ : LEXI

Sab, Denkm., 21, Glaser, Zwei Inschriften, 47, note 7, ZDMG., 48, Glaser Die
Sternkunde der Südarabischen Qabylon, in SBWA, Winckler, AOF., 2, 35. ff.

الوقوف على مبدأ التقويم الحميري ، راجع :

Glaser, Skizze, I, S., 3. ff., F. Hommel, Geschichte Südarabiens, 1, 1937, S. 96.
Ryckmans, Chronologie Sabéenne, C. Rend. Ac. Inscr. et Belles. Lettres, 1948,
P., 236 — 246, Le Muséon, 1964, 3 — 4, P., 407 — 427, 429. f.

«ياسر ينعم» (ياسر ينعم) ملك سبأ وذو ريدان وابنه (شمر يهرعش) ^١ .
وللملك (ياسر ينعم) نص آخر يعود تاريخه الى سنة ٣٧٤ من سني التقويم



كتابة قتبانية عثر عليها في تخنق وهي لرجل اسمه ثويب
من كتاب Qataban صفحة (١٠٢)

الحميري ، أي الى سنة (٢٩٥ م) ^٢ . (ولشمر يهرعش) ^٣ كتابة أمر بتدوينها
سنة ٣٩٦ للتقويم الحميري ، اي سنة ٢٨١ م ^٤ . وقد ورد

١ نص رقم
C.I.H. 46, Hartmann, Arabische Frage, S., 174,
Rhodokanakis, WZKM, XXXVII, S., 148, J.H. Mordtmann und Eugen
Mittwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg, 1931, S., I. ff.

وسأرمز اليه بـ : Sab. Inschr.
٢ يعرف في الكتب العربية بـ (ياسر أنعم) (ياسر أنعم الحميري) ، (ياسر ناشر
النعم) (مالك ناشر النعم) ، الاكليل (٨ / ٢٠٧ فما بعدها) (طبعة
نيه) ، التيجان . ١٧ فما بعدها ، ١١٩ فما بعدها ، الطبري (١ / ٦٨٣ فما
بعدها) ، (١ / ٥٦٦) (طبعة دار المعارف) (تحقيق محمد ابي الفضل
أبراهيم) .
٣ ويعرف بـ (شمر برعش) في الموارد العربية ، الاكليل ٨ (٢٠٨) ، التيجان
(ص ٢٢٢ فما بعدها) ، الاكليل (١٠ / ١٩ ، ٣٣) .
٤ MMI50 — C.I.H. 448.

اسمه في نصوص أخرى ، وقد لُقّب نفسه بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) ، ولُقّب نفسه في مكان آخر بلقب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وعمت) ، مما يدل على أنه كان قد وسّع ملكه ، وأخضع الأرضين المذكورة لحكمه^١ ، وهي نصوص متأخرة بالنسبة الى النصوص الأخرى .

ولما أراد الملك (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وعمت وأعرابها في الجبال والسواحل) بناء السد^٢ ، أمر بنقش تاريخ البناء على جداره . وقد عثر عليه ، وإذا به يقول : إن العمل كان في سنة ٥٦٤ - ٥٦٥ الحميرية ، وهذا يوافق عامي ٤٤٩ - ٤٥٠ من الأعوام الميلادية^٣ . وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ ، أي في عام ٤٥٧ - ٤٥٨ من التاريخ الميلادي (٥٧٢ - ٥٧٣ حميري) ، وضع عبد كلال نصاً تاريخياً يذكر فيه اسم (الرحمن) ، ولهذين النصين أهمية عظيمة جداً من الناحية الدينية . يذكر النص الأول (إله السماوات والأرضين) ، ويذكر الثاني (الرحمن) . وتظهر من هذه الإشارة فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها^٤ .

وقد عثر على نصين آخرين ورد فيهما اسم الملك « شرحبيل يعفر » و « شرحبيل يعكف » . تأريخ أحدهما عام ٥٨٢ الحميري (٤٦٧ م) ، وتأريخ النص الثاني هو سنة ٥٨٥ الحميرية ، الموافقة لسنة ٤٧٠ م^٥ .

ومن النصوص الآثارية المهمة ، نص حصن غراب . وهذا النص أمر بكتابته (السميع أشوى) (السميع أشوع) وأولاده ، تخليداً لذكرى انتصار الأحباش على اليمنيين في عام ٥٢٥ م (سنة ٦٤٠ الحميرية)^٦ . ويليه النص الذي أمر أبرهة حاكم اليمن في عهد الأحباش بوضعه على جدران سد مأرب لما قام بترميم السد^٧ واصلاحه في عام ٦٥٧ الحميري ، الموافق لعام ٥٤٢ م^٨ .

وآخر ما نجده من نصوص مؤرخة ، نص وضع في عام ٦٦٩ لتقويم حمير (يوافق عام ٥٥٤ م)^٩ . ولم يعثر المتقبون بعد هذا النص على نص آخر يحمل

C.I.H. 628, C.I.H. 353, 407, 430, 431, 438

Sab. Inschr., S., 2, CIH 540.

BOASOR, 83 (1941), PP., 22, Sab. Inschr., S., 2.

CIH 537, 644, Sab. Inschr., S., 2.

Sab. Inschr., S., 2.

Sab. Inschr., S., 2, CIH 541, Margoliouth, P., 32.

Sab. Inschr., S., 2, CIH 325.

١ راجع النصوص :

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

تأريخاً . نعم ، عثروا على نصوص كثيرة تشابه في مضمونها وعباراتها وألفاظها النصوص التي أقيمت في الفترة بين ٤٣٩ م وسنة ٥٥٤ م ، وهذا يبعث على احتمال كون هذه النصوص مكررة ، وأنها من هذا العهد الذي بحثنا عنه آنفاً^١. هذا ، وإن مما يلاحظ على الكتابات العربية الجنوبية أن التي ترجع منها إلى العهود القديمة من تأريخ جنوب بلاد العرب ، قليلة . وكذلك الكتابات التي ترجع إلى العصور الحميرية المتأخرة، أي القرية المتصلة بالإسلام . ولذلك أصبحت أكثر الكتابات التي عثر عليها حتى الآن من العهود الوسطى المحصورة بين أقدم عهد من عهود تأريخ اليمن وبين أقرب عهود أيمن إلى تأريخ الإسلام. وأكثرها خلو من التأريخ غير عدد منها يرد فيه أسماء ملوك وملكات أرخت بأيامهم . لكننا لا نستطيع تعيين تأريخ مضبوط لزمانهم ، لعدم وجود سلسلة لمن حكم أرض اليمن ، ولعدم وجود جداول بمدد حكمهم، ولفقْدان الإشارة إلى من كان يعاصرهم من الملوك والأجانب .

وقد كان ما قدمناه يتعلق بالكتابات العربية الجنوبية المؤرخة . أما الكتابات العربية الشمالية المؤرخة ، فهي معدودة ، وهي لا تعطينا لهذا السبب فكرة علمية عن تأريخ الكتابات في الأقسام الشمالية والوسطى من بلاد العرب . وقد أُرِخ شاهد قبر (امرئ القيس) في يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ (٣٢٨ م) . وهذه السنة هي من سني تقويم بصرى Bostra ، وكان أهل الشام وحوران وما يليها ، يؤرخون بهذا التقويم في ذلك العهد ، ويبدأ بدخول بصرى في حوزة الروم سنة ١٠٥ م^٢ .

وعثر على كتابة في خرائب (زيد) بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب ، كتبت بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ، يرجع تأريخها إلى سنة (٨٢٣ للتقويم السلوقي) ، الموافقة لسنة ٥١٢ م . والمهم عندنا ، هو النص العربي ، ولا سيما قلمه العربي . أما من حيث مادته اللغوية ، فإن أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة^٣ .

١ Sab. Inschr., S., 2, CIH 541, CIH 45, KTB, S., 140.

٢ العرب قبل الاسلام ٢٠٣ ، مجلة سومر ، الجزء الاول ، كانون الثاني ، ١٩٤٧ ، المجلد الثالث ، ص ١٣١ .

٣ Dussaud, Les Arabes en Syrie, PP., 34, Nabla, P., 4.
Grund., I, S., 156, Edward Sachau, Eine Dreisprachige Inschrift aus Zebed, Monatsbericht der Preussische Akademi der Wissenschaften, Berlin, 10 Febr., 1881, S., 169 — 190, zur Triliguus Zebedaea, in ZDMG., 36 (1882) S., 345 — 352.

وأرخت كتابة (حرّان) اليونانية بستة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقراطية الأولى ، وهي تقابل سنة ٥٦٨ م ، والأندقراطية ، هي دائرة ثمانين سنين عند الرومانيين ، وكانت تستعمل في تصحيح تقويم السنة^١ . أما النص العربي ، فقد أرخ (بسنة ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم) (عام)^٢ . ورأى الاستاذ (ليتمن) أن عبارة (بعد مفسد خيبر بعم) ، تشير إلى غزوة قام بها أحد أمراء غسان لخيبر^٣ . وفي استعمال هذه الجملة التي لم ترد في النص اليوناني ، دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية ، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التي تقع بينهم .

أما الكتابات الصفوية والشمودية والحيانية ، فإن من بينها كتابات مؤرخة ، إلا أن تواريخها لم يقدنا شيئاً أيضاً . فقد أرخت على هذا الشكل : (يوم نزل هذا المكان) أو (سنة جاء الروم) . ومثل هذه الحوادث مبهمه ، لا يمكن أن يستفاد منها في ضبط حادث ما .

هذا وقد أشار (المسعودي) إلى طرق للجاهليين في تواريخ الحوادث ، تتفق مع ما عثر عليه في الكتابات الجاهلية المؤرخة ، فقال : (وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ، فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن ، فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التابعة وغيرهم)^٤ ، ثم ذكر أنهم أرخوا أيضاً بما كان يقع لديهم من أحداث جسيمة في نظرهم ، مثل (نار صوان) ، وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصي بلاد اليمن ، ومثل الحروب التي وقعت بين القبائل والأيام الشهيرة . وقد أورد جريدة بتواريخ القبائل الى ظهور الإسلام^٥ . وذكر (الطبري) أن العرب لم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا - فيما ذكر - يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيسامهم المذكورة ، كتأريخهم بيوم جيلة وبالكلاب الأول والكلاب الثاني^٦ .

١ ولغستون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ ، وسارمز اليه ب : السامية .

٢ السامية ١٩٢ ، سومر ، العدد المذكور ص ١٣٢ .

٣ Rivista degli Studi Orientali, 1911, P., 195,

السامية ١٩٢ .

٤ التنبيه والإشراف (ص ١٧٢) (القاهرة ١٩٣٨) (دار الصاوي)

٥ التنبيه والإشراف (ص ١٧٢ وما بعدها)

٦ الطبري (١ / ١٩٣) (طبعة دار المعارف) .

وقد ذكر المسعودي أن قدوم أصحاب الفيل مكة ، كان يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمئة واثنين وثمانين سنة للاسكندر ، وست عشرة سنة ومئتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدد^١ (حجة الغدر)^٢ ، ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان^٣ . ولم يشر المسعودي الى العرب الذين أرّخوا بالتقويم المذكور ، غير أننا نستطيع أن نقول إن (المسعودي) قصد بهم أهل مكة ، لأن حملة (أبرهة) كانت قد وجهت الى مدينتهم ، وأن الحملة المذكورة كانت حادثاً تاريخياً بالنسبة اليهم ، ولذلك أرّخوا بوقت وقوعها . ويرى كثير من المستشرقين والمشتغلين بالتقاويم وبتحويل السنين وبتثبيتها ، وفقاً لها ، أن عام الفيل يصادف سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، وبذلك يمكن اتخاذ هذا العام مبدءاً نؤرخ به على وجه التقريب الحوادث التي وقعت في مكة أو في بقية الحجاز والتي أرّخت بالعام المذكور .

٢ - التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية :

وقد جاء ذكر العرب في مواضع من أسفار التوراة تشرح علاقات العبرانيين بالعرب . والتوراة مجموعة أسفار ، كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة ، كتبوا أكثرها في فلسطين . وأما ما تبقى منها ، مثل حزقيال والمزامير ، فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي ، وأقدم أسفار التوراة هو سفر (عاموس) (Amos) ، ويظن أنه كتب حوالي سنة ٧٥٠ ق. م^٤ .

- ١ (حجة العدد) مروج الذهب (١ / ٢٨٢) ، (حجة العدد) ، مروج (٢ / ١٧٠) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) (سنة ثمان مئة واثنين وثلاثين سنة للاسكندر ، مروج (٨ / ٢) (تحقيق محمد محي الدين) (حجة الغدر) ، البدء والتاريخ (٤ / ١٣١ وما بعدها)
- ٢ مروج (٢ / ١٧٠) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) (وسنة أربع وأربعين من ملك أنوشروان بن قباد) ، البدء والتاريخ (٤ / ١٣١) .
- ٣ احد الانبياء ، وكان راعياً في (تقوع) (تقوعة) مدينة صغيرة جنوبي يهوذا على بعد نحو « ١٢ » ميلاً من جنوب القدس . عاش في أيام عزيا ملك يهوذا وبربعام ملك اسرائيل نحو سنة ٨٠٠ ق. م . وسفر عاموس هو الثلاثون من أسفار التوراة ، قاموس الكتاب المقدس (ترجمة الدكتور جورج بوست) ٥٩ / ٢

Hastings, Dictionary of the Bible, p., 27,

وسارمز اليه بـ Hastings

Encyclopaedia of the Bible, P., 147,

وسارمز اليه بـ Ency. Bibli.

وأما آخر ما كتب منها ، فهو سفر (دانيال) (Daniel) والإصحاحان الرابع والخامس من سفر (المزامير) . وقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح^١ .

فما ذكر في التوراة عن العرب يرجع تاريخه اذن الى ما بين سنة ٧٥٠ والقرن الثاني قبل المسيح .

وقد وردت في التلمود (Talmud) اشارات الى العرب كذلك . وهناك نوعان من التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي (Yeruschalmi) كما يسميه العبرانيون اختصاراً ، والتلمود البابلي نسبة الى (بابل) بالعراق ، ويعرف عندهم باسم (بابلي) اختصاراً .

أما التلمود الفلسطيني ، فقد وضع ، كما يفهم من اسمه ، في فلسطين . وقد تعاونت على تحريره المدارس اليهودية (Academies) في الكنائس (الكنيس) . وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين ، وأعظمها هو مركز (طبرية) (Tiberias) ، وفي هذا المحل وضع الحبر (رابي يوحنا) (Rabbi Jochanan) التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صورته في أواسط القرن الثالث الميلادي وتلاه بعد ذلك الأحبار الذين جاؤوا بعد (يوحنا) ، وهم الذين وضعوا شروحاً وتفسيرات عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيأته النهائية في القرن الرابع الميلادي .

وأما التلمود البابلي ، فقد بدأ بكتابته - على ما يظهر - الحبر (آشي) (Rabbi Ashi) المتوفي عام ٤٣٠ م ، وأكماله الأحبار من بعده ، واشتغلوا به

١ (التلمود) (تعليم) Learning راجع عن التلمود المصادر الآتية :

Hastings, P., 890, Ency. Britani., Vol., 21, P. 769, J.Z.

Lauterbach, Mishna and W. Bacher, Talmud, In Jew. Ency., Funk, Entstehung des Talmud, Leipzig, 1910, Rodkinson, History of the Talmud, New York, 1903, Strack, Einleitung in den Talmud, 1908.

ويتألف التلمود من (المشنة) Mishnah ، وهو الموضوع ومن (جمارة) (Gemara) ، وهو التفسير . فالمشنة (التكرار) عبارة عن مجموع تقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع ، وسلموها للأنبياء ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام (يهوذا) وكتبها ، ومن ثم صار يعد جامعاً للمشنة . و (الجمارة) (الكمارة) (التعليم) ، وهو مجموع المناظرات والتعليم والتفسير التي جرت في المدارس العالية بعد انتهاء المشنة . قاموس الكتاب المقدس (١ / ٢٩٠) ، Pirke Aboth, 1, 1.

حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد^١ . ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به ، هو طابع البلد الذي وضع فيه ، ولذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث . وأما التلمود البابلي ، فيظهر عليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق في التفكير ، وتوسع في الأحكام والمحاكمات ، وغنى في المادة . وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني^٢ .

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة ، وتفيدنا إشاراته من هذه الناحية في تدوين تاريخ العرب . أما الفترة بين الزمن الذي انتهى فيه من كتابة التوراة والزمن الذي بدأ فيه بكتابة التلمود ، فيمكن أن يستعان في تدوين تاريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب ، ومنهم المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس) (جوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) الذي عاش بين سنة ٣٧ و ١٠٠ للمسيح تقريباً . وله كتاب باللغة اليونانية في تأريخ عادات اليهود (Joudaike Archaioloigia) ، تنتهي حوادثه بسنة ٦٦ للميلاد ، وكتاب آخر في تأريخ حروب اليهود (Peri tou Joudiakou Polemou)^٣ من استيلاء (انطيوخس افيفانوس) (Antiochus Epiphanos) على القدس سنة ١٧٠ قبل الميلاد الى الاستيلاء عليها مرة ثانية في عهد (طيطس) (Titus) سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة . وقد نال تقدير (فسبازيان) (Vespasian) و (طيطس) وأنعم عليه بالتمتع بحقوق المواطن الروماني^٤ .

وفي كتبه معلومات ثمينة عن العرب ، وأخبار مفصلة عن العرب الأنباط ، لا نجدها في كتاب ما آخر قديم . وكان الأنباط في أيامه يقطنون في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات ، فتتأخم بلاد الشام ، ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر . وقد عاصروهم هذا المؤرخ ، غير أنه لم يهتم بهم إلا من ناحية علاقة الأنباط بالعبرانيين ، ولم تكن بلاد العرب عنده الا مملكة الأنباط^٥ .

Hastings, P., 891.

١

Hastings, P., 891.

٢

Peri tou Joudaikou Polemou, De Bello Judiaco.

٣

Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature, P., 228, Simon Dubnow, Weltgeschichte des Jüdischen Volkes, BD., 2, s., 83. ff., BD. 3, s., 105, Ency.

٤

Brita., Vol., 13, P., 153.

Josephus, Antiquities, BK., XIV, Ch., 14, I, The Jewish War, BK., I, ch. 1. 3.

٥

Ch. 4. 2.

Hastings, P., 68.

٦

هذا وان للشروح والتفسير المدونة على التوراة والتلمود قديماً وحديثاً، وكذلك للمصطلحات العبرانية القديمة على اختلاف أصنافها أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية ، وفي شرح المصطلحات الغامضة التي ترد في النصوص العربية التي تعود الى ما قبل الإسلام ، لأنها نفسها وبترسيماتها ترد عند العبرانيين في المعاني التي وضعها الجاهليون لها . وقد استفدت كثيراً من الكتب المؤلفة عن التوراة مثل المعجمات في تفهم أحوال الجاهلية ، وفي زيادة معارفي بها ، ولهذا أرى أن من اللازم لمن يريد درس أحوال الجاهلية ، التوغل في دراسة تلك الموارد وجميع أحوال العبرانيين قبل الإسلام .

٣ - الكتب الكلاسيكية :

وأقصد بالكتب (الكلاسيكية) الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام. ولهذه الكتب - على ما فيها من خطأ - أهمية كبيرة ، لأنها وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة ، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها شيئاً . وقد استقى مؤلفوها وأصحابها معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان أو الرومان الى بلاد العرب ، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرائهم ، ولا سيما في بلاد الأنباط ، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة . وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقدمها الى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط . وقد استقى كثير من الكتاب (الكلاسيكيين) معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية .

وتتحدث الكتب الكلاسيكية جازمة عن وجود علاقات قديمة كانت بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان ، وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان ، وهي وجود أصل دموي مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان . وتفصح هذه النظرية ، على ما يبدو منها من سذاجة ، عن العلاقات العريقة في القِدَم التي كانت تربط سكان

البحر المتوسط الشماليين بسكان الجزيرة العربية^١ .
ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين (أخيلس) (Aescylus) (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م) ، و (هيرودتس) (٤٨٠ - ٤٢٥ ق.م) وقد زار مصر ، وتبع شؤون الشرق وأخباره بالمشاهدة والسماع ، ودون ما سمعه ، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي . وهو أول أوروبي ألف كتاباً بأسلوب منمق مبوب في التاريخ ووصل مؤلفه إلينا ، وقد لقبه (شيشرون) (Cicero) الشهير بلقب (أبي التاريخ) .

تناول « هيرودتس » تاريخ الصراع بين اليونان والفرس ، وإن شئت فسمه (النزاع الأوروبي الآسيوي) ، فآلف عن تاريخه . والظاهر أنه لم يتمكن من إتمامه ، ففيه فصول وضعت بعد وفاته . وهو أول كاتب يوناني اتخذ من الماضي موضوعاً للحاضر ومادة للمناقشة ، بعد أن كان البحث في أخبار الأيام السالفة مقصوراً على ذكر الأساطير والقصص الشعبية والدينية . وهو مع حرصه على النقد والمحاكمة ، لم يتمكن أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التي كانت تغلب على ذلك العالم الابتدائي في ذلك العهد^٢ ، فحشر في كتابه قصصاً ساذجاً وحكايات لا يصدقها العقل ، متأثراً بعقلية زمانه في التصديق بأمثال هذه الأمور . ومنهم (ثيوفراستوس) (Theophrastus) ، (حوالي ٣٧١ - ٢٨٧ ق.م) ، مؤلف كتاب (Historia Plantarum) وكتاب (De Causis Plantarum) . وفي خلال حديثه عن النبات تطرق إلى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها مختلف الأشجار، ولا سيما المناطق الجنوبية التي كانت تصدر التمر واللبن والبخور والأفاوية^٣ . و (ايراثو ستينس) (Eratosthenes) (٢٧٦ - ١٩٤ ق.م) . وقد استفاد الكتاب اليونانيون الذين جاؤوا من بعده من كتاباته، ونجد في مواضع مختلفة من جغرافية (سترابون أقوالاً معزوة إليه) .

١ Agatharchides, De Rubro Mari, Opud Geograph, Vet Script minton, I, P., 59, ed., Oxon, 1698, Ch. Forster, The Historical Geography of Arabia, in two Vol, Vol, I, PP., XXXVI,

وسأرمز إليه ب : Forster :
Pliny, Nat. History, Vol., VI, P., 32, Vol., 2, PP., 718. ed. Paris, 1828. 8 Vol.

٢ اعتمدت على ترجمة George Rawlinson الانكليزية ،
The History of Herodotus, Translated by George Rawlinson, in 2 Vol., London, 1920

٣ Theopheophrastus, Historia Plantarum, Ed., Hort, 1916.

٤ H. Berger, Die Geogr. Fragmente des Eratosthenes, 1880.

ونضيف إلى من تقدموا (ديودورس الصقلي) (Diodorus Siculus) (٤٠ ق.م).
وقد ألف باللغة اليونانية تأريخاً عاماً سَمَّاهُ (المكتبة التأريخية) (Bibliotheka Historike) ، تناول تأريخ العالم من عصر الأساطير حتى فتح (يوليوس قيصر)
لأفليم (الغال) . وهو في أربعين جزءاً ، لم يبق منها سوى خمسة عشر جزءاً ،
تبحث في الحقبة المهمة التي تبتدىء بسنة ٤٨٠ ق. م. وتنتهي بسنة ٣٢٣ ق. م.^١
ويعزز هذا المؤرخ النقد ، لأنه جمع في كتابه كل ما وجده في الكتب
القديمة من أخبار ولم يحصها ، وقد امتلأ كتابه بالأساطير ، والعالم مع ذلك
مدِين له الى حد كبير بمعرفة أخبار الماضين ، ولا سيما الأساطير الدينية القديمة.

ومن المؤلفين الكلاسيكيين ، (سترابون) (سترابو) (Strabon) (Strabo)
(٦٤ ق. م - ١٩ م) وهو رحالة كتب كتاباً مهماً باللغة اليونانية في سبعة
عشر جزءاً سَمَّاهُ (جغرافيا) (Geographica)^٢ . وقد وصف فيه الأحوال
الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الإمبراطورية الرومانية الرئيسية ، وتأريخها ، وحالات
سكانها ، وغريب عاداتهم وعقائدهم . وللكتاب شأن كبير ، اذ اشتمل على
كثير من الأخبار التي لا تيسر في كتاب آخر . وقد اعتمد فيه على ما ذكره
الكتاب السابقون .

وقد أفرد (سترابون) في جغرافيته فصلاً خاصاً من الكتاب السادس عشر
ببلاد العرب ، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم في عهده ، ووصف أحوالهم
التجارية والاجتماعية والاقتصادية ، وحلة (أوليوس غالوس) (أوليوس كالوس)
(Aelius Gallus) المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من اخفاقه . ولأخبار
هذه الحملة التي دوتها (سترابون) في جغرافيته ، أهمية خاصة ، اذ جاءت
بمعلومات عن نواحي من تأريخ العرب نجعلها ، وقد شارك هو نفسه في الحملة ،
وقد كان صديقاً لقائدها ، فوصفه وصف شاهد عيان^٣ . وقد استهل وصف

^١ Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica, Vol., 1-3,
Edited by Friedrich Vogel, Vol., 4 and 5, Edited by C.T. Fischer, in Bibliotheca
Scriptorum Graeco rum et Romanum Teubneriana, Leipzig, 1888-1906.

^٢ وقيل (٦٦ ق. م - ٢٤ م) ، أعتمدت على ترجمة : Hamilton
The Geography of Strabo, Translated by Hamilton, London, 1912, in 3 Vols.,
Strabo, Geographia, Edited by August Meineke, in 3 Vols. Leipzig, 1907-1913,

^٣ Strabo, BK., 16, Cha., I, ed. Hamilton, Vol., 3, PP., 170, 209.

الحملة بهذه العبارة : (لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة أوليوس غالوس في أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد)^١ .

ومن تحدث عن العرب (بلينيوس) (بليني الأقدم) (Pliny the Elder) (Galus Plinius Secundus) المتوفى سنة ٧٩ م ، ومن كتبه المهمة كتابه (التاريخ الطبيعي) (Naturalis Historia) في سبعة وثلاثين جزءاً ، وقد نقل في كتابه عن تقدمه ، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه ، غير أنه أتى في أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر من كتب المؤرخين الآخرين^٢ .

وهناك مؤلف يوناني مجهول، وضع كتاباً، سماه (الطواف حول بحر الأريتريا) (Periplus Maris Erythraei) (The Periplus of the Erythraean Sea)^٣ أتمه في نهاية القرن الأول للمسيح في رأي بعض العلماء ، أو بعد ذلك في حوالي النصف الأول من القرن الثالث للميلاد في رأي بعض آخر^٤ ، وقد وصف فيه تطوافه في البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية . والظاهر أنه كان عالماً بأحوال الهند وشواطئ أفريقيا الشرقية ، ولعله كان تاجراً من التجار الذين كانوا يطوفون في هذه الأنحاء للتجارة ، ولم يعتن إلا بأحوال السواحل . أما الأقسام الداخلية من جزيرة العرب ، فيظهر أنه لم يكن ملماً بها إلماماً كافياً . وقد ذهب (البرايت) إلى أن الكتاب المذكور قد أُلّف في حوالي السنة (٨٠) بعد الميلاد^٥ . وذهب آخرون إلى أن مؤلفه قد أُلّفه في حوالي السنة (٢٢٥) أو (٢١٠) بعد الميلاد^٦ .

Strabo, Vol., 3, PP., 209, O'Leary, Arabia, P., 75 Strabo. BK. 16 Ch. 4. 22. ١

Pliny, Naturalis Historia, edited by, C. Mayerhoff, ٢

Teubner Series, 1882-1909, 2nd Edition, 6 Vols., Leipzig, 1892-1909, D. Detlefsen Die Geographischen Bucher (II.242 VI Schluss), Der Naturalis Historia des G. Plinius mit Vollständigen Kritischen Apparat., Edited by W. Sieglin, Vol., 9, Berlin, 1904.

The Periplus of the Erythraean Sea, Translated by W. H. Schof, New York, 1912. ٣

Franz Altheim und Ruth Stiehl, Die Araber in der Alten Welt, Berlin, 1964, ٤
Bd., I, 108.

BASOR., Num. 176, 1964, P., 51. ٥

J. Pirenne, La Date du Periple de la Mer Erythree, Journal Asiatique, 1961, ٦
PP., 441., F. Altheim, Geschichte der Hunnen, V. Berlin, 1962, PP., II, Le
Museum, 1964, 3-4, P., 478.

وهناك طائفة من الكتاب الذين تركوا لنا آثاراً وردت فيها اشارات الى العرب والبلاد العربية ، مثل (أبولودورس) (Apollodorus) (المتوفى سنة ١٤٠ بعد المسيح) . و (بطليموس) (Claudius Ptolemaes) الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثاني للمسيح . وهو صاحب مؤلفات في الرياضيات منها (كتاب المجسطي) المعروف في اللغة العربية . وله كتاب مهم في الجغرافية سميّه (Geographike Hyphegesis) ، ويعرف باسم (جغرافية بطليموس)^١ . ولهذا الكتاب شهرة واسعة ، وقد درّس في أكثر مدارس العالم الى ما بعد انتهاء القرون الوسطى . جمع فيه بطليموس ما عرفه العلماء اليونان وما سمعه هو بنفسه وما شاهدته هو بعينه ، وقسم الأقاليم بحسب درجات الطول والعرض . وقد تكلم في كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها ، وزين الكتاب بالخرائط التي تصور وجهة نظر العلم الى العالم في ذلك العهد^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن ما ذكره (بطليموس) عن حضرموت يشير الى أن المنبع الذي أخذ منه كان يعلم شيئاً عنها ، وأنه كان قد أقام مدة في (شبوة) العاصمة . ويرون أن ذلك المنبع قد يكون تاجراً رومياً ، أو أحد المبعوثين الرومان في تلك المدينة ، لأن وصف (بطليموس) للأودية والأماكن الحضرمية يشير إلى وجود معرفة بالأماكن عند صاحبه . أما ما ذكره (بطليموس) عن أرض (سبأ) والسبئيين ، فانه لا يدل على حد قول المذكورين ، على علم بالأماكن ، وإجادة لأسمائها ، وأن الذي أخذ منه (بطليموس) لم يكن قد شاهدها^٣ .

ومن الذين أوردوا شيئاً عن أحوال بلاد العرب (أريان) (Arrian) (Flavius Arrianus) (٩٥ - ١٧٥ م) ، وقد ألف كتاباً عديدة . منها

١ Geographia, Edited by C.F. Nobbe, 3 Vols, Leipzig, 1843-1845, Vol., I, Part, I, Carolus Mullerus, Paris, 1884, Vol., I, P., 2, by C. Th. Fisher, Paris, 1901.

٢ قال المسعودي : وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ، ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، واعددها اربعة آلاف وخمسة مئة وثلاثين مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في اقليم اقليم) ، مروج الذهب (٧٣ / ١) .

Le Muséon, 1964, 3-4, P., 466.

كتابته (Anabasis of Alexander the Great) في خمسة عشر قسماً ، وصف في سبعة منها حملات الإسكندر الكبير ، وفي الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد (Nearchus) (نيرخس) (أميرال الإسكندر في الخليج العربي ^١ . ومنهم (هيروديان) (Herodianus) (١٦٥ - ٢٥٠ م . ب) ، وهو مؤرخ سرياني ألف في اليونانية كتاباً في تأريخ قيصرية الروم من وفاة القيصر (ماركوس أوريليوس) إلى سنة ٢٣٨ م ^٢ .

الموارد النصرانية :

وللمواد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تأريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتأريخ القبائل العربية ، وعلاقات العرب باليونان والفرس ، وقد كُتِبَ أغلبها باليونانية والسريانية . ولها في نظري قيمة تاريخية مهمة لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتاريخ ثابت معين ، مثل المجامع الكنيسية ، أو تواريخ القديسين ، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة .

ومن أشهر هذه الموارد مؤلفات المؤرخ الشهير (أويسيوس) المعروف بـ (أويسيوس القيصري) (Eusebius of Caesarea) (٢٦٣ - ٣٤٠ م) (٢٦٥ - ٣٤٠ م) وبـ (أبي التاريخ الكنائسي) (Father of Ecclesiastical History) . وبـ (هيرودتس النصراني) ^٣ . وكان على اتصال بكبار رجال الحكومة وبروساء الكنيسة ، فاستطاع بذلك أن يقف على كثير من أسرار الدولة وأن يراجع المخطوطات والوثائق الثمينة التي كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والأغنياء .

وكان قد ألف كتاباً في التاريخ باللغة اليونانية ، عرف بـ (The Chronicon) ، حوى بالاضافة الى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التي حدثت في أيامه .

Anabasis, Edited by, A.G. Ross, Leipzig, 1907, C. Muller, Paris, 1846, Historia Indica, Edited by Carl Muller, in his Geographi Graeci Minoris, Vol., I, Paris, 1861, PP., 306-389.

Herodianus, Ab Excessu divi marci libri Octo, Edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1883.

William Smith, A Dictionary of the Bible, Vol., 3, P., 107.

وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥م ، ولم يبق من أصله غير قطع صغيرة . غير أن له ترجمة باللاتينية عملها (جبروم) (Jerome) ، وأخرى باللغة الأرمنية ، وقد سدت (جوزيف سكالكر) (Joseph Scaliger) النقص الذي طرأ على النسخة الأصلية ، باستفادته من هاتين الترجمتين^١ .

ولهذا الأسقف كتب مهمة أخرى ، في مقدمتها كتاب (التاريخ الكنائسي) (Ecclesiastical History) ، وهو في عشرة كتب ، يبدأ بأيام المسيح ، وينتهي بوفاة الامبراطور (Licinius) سنة ٣٢٤م . وقد استقى كتابه هذا من مصادر قديمة ، وأورد فيه أموراً انفرد بها^٢ . ومن مؤلفاته : كتاب (شهداء فلسطين) (The Martyrs of Palastine) تحدث فيه عن تعذيبهم واستشهادهم في أيام (Diocletian) و (Maximin) (٣٠٣ - ٣١٠ م) ، وكتاب (سيرة قسطنطين) (The Life of Constantine) ، وكتاب في فلسفة اليونان ودبانته^٣ .

ومن مؤرخي الكنيسة : (Athanasius) [(حوالي ٢٩٦ - ٣٧١ م)] و (Gelasius) (حوالي ٣٢٠ - ٣٩٤ م) أسقف قيصرية ، وله تنمة لتاريخ (Eusebius) . و (روفينوس تيرانيوس) (Rufinus Tyranius) المتوفى سنة ٤١٠م ، وصاحب كتاب (Historiae Ecclesiasticae) . وقد ضمته أقساماً من تاريخ (أويسيوس) و (ابرينوس) (Irenaeus) (٤٤٤م) ، وكان أسقفاً على (صور) (Tyre) ، وقد كتب مؤلفاً عن مجمع (أفسوس) للنظر في النزاع مع النساطرة ، وكان يميل اليهم . والمؤرخ (سقراط) (Socrates) ، وهو من الفقهاء في الكنيسة ، وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين ، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد

1 Eusebius, Chronicorum, Edited by Alfred Schoene, in 2 Vols., Berlin, 1866-1875, Onomastikon der Biblischen Ortsnamen, by Erich Klostermann, Vol., II, Part, I, Eusebius, Vol., 3, Part, I, Leipzig, 1904.

2 تاريخ الكنيسة ، تأليف يوسابيوس القيصري ، ترجمة القس مرقس داود ، الناشر ، دار الكرناك ، القاهرة . ١٩٦٠ .

3 Smith, A dictionary, Vol., 3, P., 40, 107.

العرب^١ . والمؤرخ (سوزومينوس) (Sozomenus) (٤٠٠ - ٤٤٣) وله كتاب في التاريخ الكنائسي^٢ ، و (ثيودوريت) (Theodoret) المتوفى حوالى سنة ٤٥٧ للميلاد . و (زوسيموس) (Zosimus) ، وهو مؤرخ يوناني ألّف في تاريخ الامبراطورية الرومانية - اليونانية ، فأشار الى العرب وعلاقاتهم بها^٣ . و (شمعون الأرشامسي) (Simeon of Beit Arsham) ، وهو صاحب (رسائل الشهداء الحميريين)^٤ التي تبحث في تعذيب ذي نواس للنصارى في نجران ، وقد جمع أخبارهم (على ما يدعيه) من بلاط ملك الحيرة أيام أوفده اليه امبراطور الروم في مهمة رسمية . و (بروكوبيوس) (Procopius) من رجال القرن السادس للميلاد ، وكان أمين سر القائد (بليزارىوس) (Belisarius) أعظم قوّاد (يوسطنيانوس)^٥ ، وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال أفريقية وجزيرة صقلية . ومن مؤلفاته مؤلف في تأريخ زمانه ، لا سيما حروب (يوسطنيانوس) ، وكتاب (De Bello Persico) وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب^٦ .

ومن هؤلاء (زكريا) (Zacharias) ، المتوفى حوالى سنة ٥٦٨م . و يوحنا

١ Smith, A Dictionary, Vol., 3, P., 107. ff., Socrates, Ecclesiastical History, Oxon., 1844
٢ Sozomenos, Ecclesiasticae Histria, in, J.P., Migne Patrologiae, 67, 1859, Smith, A Dictionary, P., 107. ff.

٣ Zosimus, Historia Nova, Edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1887.

٤ Simeon of Bejt Arsham, (524), Letter on the Himiarite Martyrs, by Ign. Guidi, entitled, La Lettera di Semeone Vescova di Beth Arsham (524), Spora i Lincei atti, Anno, CCLXXVIII, Storiche e Filologiche, Vol., 7, Rome, 1881, PP., 471-515.

٥ (يوسطنيانوس) حمزة الاصفهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، (طبع مطبعة كاوياني ببرلين) ، ص ٧ ، (يوسطانيوس) ، مروج الذهب (٢٧٧ / ١) ، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .

٦ J. Haury, Procopius De Bello Persico, in Bibliotheca Scriptorum Graecarum et Romanorum, Leipzig, 1905.

٧ Zacharias, Historia Miscellanea, Edited by J.P.N. Land, Entitled Zacharia Episcopi mitylenes Alorumuae Scripta Historica Graece Plerumque deperdita, Constituting J.P.N. Land, Anecdota Syriaca, Vol., 3, Leiden, 1870, Zachariah of Mtiylene, The Syriac Chronicle, Translated by Hamilton and Brooks, London, 1893.

وربما توفي ما بين ٥٣٦ - ٥٥٣ للميلاد .

ملالا (John Malalas) المتوفى سنة ٥٧٨ م^١. و (مينندر) (Menandar) Protector المتوفى حوالي سنة ٥٨٢ م^٢. و (يوحنا الأفسى) (John of Ephesus) وقد ولد في حوالي سنة ٥٠٥ م ، وتوفى سنة ٥٨٥ م تقريباً ، وله مؤلفات عديدة منها كتابه : (التاريخ الكنائسي) (Ecclesiastica Historia) ، وهو في ثلاثة أقسام يبدأ بأيام (يوليوس قيصر) وينتهي بسنة ٥٨٥ م^٤. وكتاب (تاريخ القديسين الشرقيين) ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٥٦٩ م^٣. ومن هؤلاء (اسطيغان البيزنطي) (Stephanus Byzantinus) المتوفى سنة ٦٠٠ م^٥. و (ايواكريوس) (Evagrius) المعروف بـ (Scholasticus) أي (المدرسي) المتوفى سنة ٦٠٠ م^٦. وهو صاحب كتاب (التاريخ الكنائسي) (Historiae Ecclesiasticae) في ستة أقسام . يبدأ بذكر (المجمع الأفسوسي) المنعقد عام ٤٣١ م وينتهي بسنة ٥٩٣ م^٧. وهو من الكتب المهمة ، لأن مؤلفه لم يكتب عن هوى ، شأن أكثر مؤرخي الكنيسة . وقد استعان بالنصوص الأصلية وبالكتب المؤلفة سابقاً^٨.

ومن هؤلاء أيضاً (ثيوفليكت) (Theophylactus Simocatta) المتوفى سنة ٦٤٠ م^٩ و (ثيوفانس) (Theophanes the Confessor) المتوفى سنة ٨١٨ م^{١٠}. و (ايليا النصيبي) (Elijah (Elis) of Nisibis)^{١١} ، (وميخائيل السوري)^{١٢}.

- | | |
|---|----|
| John Malalas, Chronographia, in J.P. Migne Patrologiae cursus Completus, Series Graeca, Vol., 97, Paris, 1865, Cols., 65-716, Also, Dindorf, Bonn 1831. | ١ |
| Menander Protector, (582), De Legationibus, in J.P. Migne, Patrologiae Cursus Completus, Series Graeca, Vol., 113, Paris, 1864, Cols 791-928. | ٢ |
| John of Ephesus, Ecclesiastical History, Part, 3, Edited by William Cureton, Oxford, 1853. | ٣ |
| Land, Anecdota Syriaca, 3 Vols., Leiden, 1862-1870, 1-288. | ٤ |
| Ethnica, by August Meineke, Ethnicorum Quae Supersunt, Vol. 1, Berlin, 1879. | ٥ |
| Evagrius Scholasticus, Historia Ecclesiasticae, Libri sex, in J.P. Migne, Patrologiae Graeca, Vol., 86, Part, 2, Paris, 1865, Cols, 2405-2906, Bury, Byzant. Texts, London, 1898. | ٦ |
| Historiae, Edited by, C. De Boor, Leipzig, 1887. | ٧ |
| Theophanes the Confessor, Chronographia, in J. P. Migne, Patrologiae Cursus Completus, Series Graeca, Vol., 108, Paris, 1863, Cols, 1-1010, Also Edited by C. De Boor, Leipzig, 1887. | ٨ |
| Elijah of Nisibis, Opus Chronologicum, Edited and Translated by, F.W. Brooks, (Part) and J.P. Chabot, (Part 2), in Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Ser., 3, Vol., 7 and 8, Paris, 1909-1911. | ٩ |
| Michael the Syrian, Chronicle, by J.B. Chabot, Chronique de Michel le Syrien, Patriarche Jacobite D'Antioche (1166-1199), 4 Vols, Paris, 1899-1906. | ١٠ |

وفي قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني أسماء مخطوطات تاريخية ودينية أخرى ذات فائدة كبيرة في هذا الباب^١. وفي مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية^٢ وفي المجموعات التي تبحث في أعمال القديسين وفي انتشار النصرانية، اشارات مهمة الى بلاد العرب. وهناك كتاب نشره المستشرق (كارل مولر Carl Muller) المؤلف مجهول اسمه (Glaucus) يبحث في (آثار بلاد العرب)^٣.

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من روم وسريان عاشوا في أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ألفوا في التاريخ العام وفي تواريخ النصرانية الى أيامهم، فتحدثوا لذلك عن العرب في الجاهلية وفي الإسلام. ومؤلفات هؤلاء مفيدة من ناحية ورود معارف فيها لا ترد في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام، تفيد في سدّ الثغر في التاريخ الجاهلي وفي الوقوف على النصرانية بين العرب وعلى صلات الروم والفرس بالعرب.

وأكثر الموارد المذكورة هي، ويا للأسف، مخطوطة، ليس من المتيسر الاستفادة منها، أو مطبوعة ولكنها نادرة، لأنها طبعت منذ عشرات من السنين، فصارت نسخها محدودة معدودة لا توجد الا في عدد قليل من المكتبات. ثم أنها في اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، أي في لغاتها الأصلية، ولهذا صعب على من لا يتقن هذه اللغات الاستفادة منها، ولهذا الأمور ولأمثالها، لم يستفد منها الراغبون في البحث في التاريخ الجاهلي حتى المستشرقون منهم استفادة واسعة، فحرمنا الوقوف على أمور كثيرة من أخبار الجاهلية كان في الامكان الوقوف عليها لو تيسرت لنا هذه الكنوز.

الموارد العربية الإسلامية :

وأعني بها الموارد التي دوت في الإسلام وقد جمعت مادتها عن الجاهلية من

١ Wright, W., Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, in 3 Vols, London, 1870-1872.

٢ Corpus Inscriptionum Latinarum, Consilio et Auctoritate Academiae Litterarum Regiae Porussicae, Berlin, 1862, (15 Vols).

٣ Glaucus, Archaeologia Arabica, by, Carl Muller, in Fragmenta Historicorum Graecorum, Vol., 4, Paris, 1851, P., 409.

الأفواه ، خلا ما يتعلق منها بأخبار صلات الفرس بالعرب وبأخبار آل نصر
وآل غسان وبأخبار اليمن المتأخرة، فقد أخذت من موارد مرتبة يظهر أنها كانت
مكتوبة كما سأحدث عن ذلك .

والموارد المذكورة كثيرة ، منها مصنفات في التاريخ ، ومنها مصنفات في
الأدب بنوعيه : من نثر ونظم ، ومنها كتب في البلدان والرحلات والجغرافيا
وفي موضوعات أخرى عديدة، هي وإن كانت في أمور لا تعد من صميم التاريخ،
إلا أنها مورد من الموارد التي يجب الاستعانة بها في تدوين تاريخ الجاهلية، لأنها
تتضمن مادة غزيرة تتعلق بتاريخ الجاهلية القريبة من الإسلام والمتصلة به ، لا نجد
لها ذكراً في كتب التاريخ ، فلا بد لمؤرخ الجاهلية من الأخذ منها لاتمام
التاريخ .

الحق ، اننا إذا أردنا البحث عن مورد يصور لنا أحوال الحياة الجاهلية ،
ويتحدث لنا عن تفكير أهل الحجاز عند ظهور الإسلام، فلا بد لنا من الرجوع
الى القرآن الكريم ولا بد من تقديمه على سائر المراجع الإسلامية ، وهو فوقها
بالطبع . ولا أريد أن أدخله فيها، لأنه كتاب مقدس ، لم ينزل كتاباً في التاريخ
أو اللغة أو ما شاكل ذلك ، ولكنه نزل كتاباً عربياً ، لغته هي اللغة العربية
التي كان يتكلم بها أهل الحجاز، وقد خاطب قوماً نتحدث عنهم في هذا الكتاب،
فوصف حالتهم ، وتفكيرهم وعقائدهم ، ونصحهم وذكرهم بالأثم والشعوب
العربية الخالية^١ ، وطلب منهم ترك ما هم عليه ، وتطرق الى ذكر تجارتهم ،
وسياساتهم وغير ذلك . وقد مثلهم أناس كانت لهم صلات بالعالم الخارجي ،
واطلاع على أحوال من كان حولهم . وفيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوبة التي
نجدها في المصادر العربية الإسلامية . فهو مرآة صافية للعصر الجاهلي، وهو كتاب
صدق لا سبيل الى الشك في صحة نصه .

وفي القرآن الكريم ذكر لبعض أصنام أهل الحجاز، وذكر لجلدهم مع الرسول

١ سورة هود سورة ١١ اية ٩٥ ، سورة الحج ، سورة ٢٢ اية ٤٢ ، سورة
الشعراء ، سورة ٢٦ اية ١٤١ ، سورة الحاقة ، سورة ٦٩ اية ٤ ، سورة ق ،
سورة ٥٠ اية ١٤ ، سورة الدخان ، سورة ٤٤ اية ٣٧ ، سورة الفيل ، سورة
١٠٥ ، اية ١ ، سورة البروج ، سورة ٨٥ اية ٤ .

في الإسلام وفي الحياة وفي المثل الجاهلية. وفيه تعرض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم ، وذكر تجارتهم مع العالم الخارجي ، ووقوفهم على تيارات السياسة العالمية ، وانقسام الدول الى معسكرين ، وفيه أمور أخرى تخص الجاهلية وردت فيه على قدر ما كان لها من علاقة بمعارضة قريش للقرآن والإسلام . وفي كل ما ورد فيه دليل على أن صورة الإخباريين التي رسموها للجاهلية ، لم تكن صورة صحيحة متقنة ، وأن ما زعموه من عزلة جزيرة العرب ، وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء ، كان زعماً لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيراً مما ذهبوا اليه .

والتفسير ، مصدر آخر من المصادر المساعدة لمعرفة تأريخ العرب قبل الإسلام. وفي كتب التفسير ثروة تاريخية قيمة تفيد المؤرخ في تدوين هذا التأريخ ، تشرح ما جاء مقتضباً في كتاب الله ، وتبسط ما كان عالقاً بأذهان الناس عن الأيام التي سبقت الإسلام ، وتحكي ما سمعوه وما وعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضب في السور، وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات . ولكن كتب التفاسير - وبالألفاظ - غير مفهومة ولا مطبوعة طبعاً حديثاً، وهي في أجزاء ضخمة عديدة في الغالب ، ولهذا صعب على الباحثين الرجوع اليها لاستخراج ما يحتاج اليه من مادة عن التأريخ الجاهلي ، حتى ان المستشرقين المعروفين بصبرهم ومجملتهم وبعدم مبالاتهم بالتعب ، لم يأخذوا من معينها إلا قليلاً، مع أن فيها مادة غنية عن نواح كثيرة من أمور الجاهلية المتصلة بالإسلام . وكتب الحديث وشروحها ، هي أيضاً مورد غني من الموارد التي لا بد منها لتدوين أخبار الجاهلية المتصلة بالإسلام ، اذ نجد فيها أموراً تتحدث عن نواح عديدة من أحوال الجاهلية لا نجدها في مورد آخر . فلا مندوحة من الرجوع اليها والأخذ منها في تدوين تأريخ الجاهلية . ولكن أكثر من بحث في التأريخ الجاهلي لم يغرف من هذا المنهل الغزير ، بسبب عدم انتباههم لأهميته في تدوين تأريخ عرب الحجاز عند ظهور الإسلام ، فعلى نحن اليوم واجب الأخذ منه ، لنزيد علمنا بتأريخ هذه الجاهلية المتصلة بالإسلام .

والشعر الجاهلي ، مورد آخر من الموارد التي تساعدنا في الوقوف على تأريخ الجاهلية والاطلاع على أحوالها ، وقدماً قيل فيه إنه (ديوان العرب) . « عن عكرمة . قال : ما سمعت ابن عباس يفسر آية من كتاب الله ، عز وجل ،

إلا نزع فيها بيتاً من الشعر ، وكان يقول : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله ، فاطلبوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب ، وبه حُفظت الأنساب ، وعرفت الآثار ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحديث صحابته والتابعين »^١ .
 « وعن ابن سيرين . قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه »^٢ . وقال الجمحي فيه ، أي في الشعر الجاهلي : (وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصبرون »^٣ .)

وقد جُمع الشعر الجاهلي في الإسلام ، جمعه رواة حاذقون ، تخصصوا برواية شعر العرب . قال (محمد بن سلام الجمحي) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار »^٤ . واشتهر بجمعه أيضاً (أبو عمرو بن العلاء) المتوفى سنة (١٥٤) للهجرة^٥ ، وخلف بن حيّان أبو محرز الأحمر^٦ ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، والمفضل بن محمد الضبي الكوفي^٧ صاحب المفضليات ، وهي ثمان وعشرون قصيدة ، قد تزيد وقد تنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية^٨ .

- ١ الزهر (٢/٤٧٠) ، (وأخرج أبو بكر الانباري في (كتاب الوقف) من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب) ، الزهر (٢/٣٠٢) ، التبريزي ، شرح الحماسة (١/٣) .
- ٢ الجمحي : طبقات الشعراء (ص ١٠) (طبعة لندن) .
- ٣ طبقات الشعراء (ص ١٠) .
- ٤ طبقات الشعراء (ص ١٤) ، توفي حماد سنة ١٥٦ للهجرة ، الفهرست (ص ١٤٠) .
- ٥ البيان والتبيين (١/٣٢١) ، الزهر (٢/٣٠٤) ، الفهرست (ص ٤٨) .
- ٦ (وكان من امرس الناس لبيت شعر ، وكان شاعرا يعمل الشعر على لسان العرب وينحله أياهم ... وله من الكتب : كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر) ، الفهرست (ص ٨٠)
- ٧ طبقات الشعراء (ص ٩) ، الفهرست (ص ١٠٨) .
- ٨ الفهرست (ص ١٠٨) .

وأبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة^١، قيل : إنه جمع أشعار العرب ، فكانت نيفاً وثمانين قبيلة^٢. وأبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة^٣ ، وأبو محمد جناد بن واصل الكوفي^٤ ، وخلاّد بن يزيد الباهلي^٥ ، وغيرهم ممن تفرغوا له ، وصرفوا جلّ وقتهم في جمعه وحفظه وروايته .

(قال ابن عوف عن ابن سيرين . قال : عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلو بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته . فلما كثّر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموث والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم أكثره^٦ . وورد عن (أبي عمرو بن العلاء) انه قال : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير)^٧ . ولا جدال بين العلماء حتى اليوم في موضوع ذهاب أكثر الشعر الجاهلي ، وفي أن الباقي الذي وصل الينا مدوناً في الكتب ، هو قليل من كثير . وقد عللوا سبب اندثار أكثره وذهابه بسبب عدم تدوين الجاهليين له ، واكتفائهم بروايته حفظاً ، فضاء بتقادم الزمان ، وبموت الرواة ، وبانطاس أثره من الذاكرة ، وبانشغال الناس بأمور أخرى عن روايته ، ولا سيما رواية القديم منه الذي لم يعد يؤثر في العواطف تأثير الجديد منه الذي قيل قبيل الإسلام .

نعم جاء في الأخبار أنه (قد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار

-
- ١ (واخذ عند دواوين اشعار القبائل كلها) ، (قيل مات في اليوم الذي مات فيه ابو العتاهية وابراهيم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين) ، الفهرست (ص ١٠٧ وما بعدها)
 - ٢ الفهرست (ص ١٠٧) .
 - ٣ الفهرست (ص ١٠٨ وما بعدها) .
 - ٤ (كان ممن اعلم الناس بأشعار العرب وآيامها) الفهرست (ص ١٤١) .
 - ٥ الفهرست (ص ١٦٢) .
 - ٦ طبقات الشعراء (ص ١٠) .
 - ٧ المصدر نفسه .

الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه (١) . وورد عن «حماد الراوية» أنه ذكر أن النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكرايس ، فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفروه ، فأخرج تلك الأشعار (٢) .

ووردت عنه أيضاً حكاية أهل مكة للمعلقات على الكعبة (٣) . ووردت أخبار أخرى تدل على وجود تدوين للشعر عند الجاهليين . الا اننا لا نجد حماداً ولا غير حماد ينص على أنه نقل ما دونه من تلك الموارد المدونة أو من غيرها مما وجدته مدوناً . وهذا ما حدا بالعلماء قديماً وحديثاً إلى البحث في هذا الموضوع : موضوع الشعر الجاهلي من ناحية وجود تدوين له ، أو عدم وجود تدوين له . وأثر ذلك على درجة ذلك الشعر من حيث الصحة والأصالة والصفاء والنقاء .

وفي الشعر الجاهلي الواصل إلينا ، شعر صحيح وشعر موضوع منحول حمل على الشعراء . وقد شخص أهل الفراسة بالشعر الصحيح منه ونصوا على أكثر الفاسد منه . ولم يقل أحد منهم أن الشعر الجاهلي موضوع كله ، فاسد لا أصل له . فدعوى مثل هذه ، هي دعوى كبيرة لا يمكن ان يقولها أحد . إنما اختلفوا في درجة نسبة الصحيح إلى الفاسد ، أو نسبة الفاسد إلى الصحيح .

« وكان ممن هجّن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء ، محمد بن اسحاق مولى آل مخزّمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسيرة فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ، ويقول لا علم لي بالشعر إنما أوتى به فأحله ،

-
- ١ طبقات الشعراء (ص ١٠) ، المزهري (٤٧٤/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٧٠/٢) ، لسان العرب (١٤٢/٣) الخصائص لابن جني (٣٩٢/١ وما بعدها) .
 - ٣ المزهري (٤٨٠/٢) ، ياقوت ، ارشاد الاديب (١٤٠/٤) .
 - ٤ طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، ١٩٢٦ ، ثم في الادب الجاهلي ، مصطفى صادق الرافعي : تاريخ ادب العرب ، وتحت راية القرآن ، محمد الخضري : محاضرات في بيان الاخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي محمد الخضر حسين : نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، محمد احمد الغمراوي : النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي ، محمد فريد وجدي : نقد كتاب الشعر الجاهلي ، محمد لطفي جمعة : الشهاب الراصد .

ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وشمود أفلا يرجع الى نفسه : فيقول من حمل هذا الشعر ، ومن آداه منسداً ألوف من السنين ، والله يقول : (وأنه أهلك عاداً الأولى وشمود فما أبقي) . وقال في عاد : (فهل ترى لهم من باقية) . وقال : (وعاداً وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله)^١ .

وآتهم (حماد الرواية) بالكذب وبوضع الشعر على السنة الشعراء ، فقليل فيه : (وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار)^٢ . وقال (أبو جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة في أمر (المعلقات) : (إن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة)^٣ ، وآتهم غيره ممن ذكرت من جهابذة حفظة الشعر الجاهلي بالوضع كذلك . وقد نصوا في كثير من الأحايين على ما وضعوه ، وحملوه على الجاهليين . وذكروا أسباب ذلك بتفصيل^٤ ، كالذي فعله مصطفى صادق الرافعي في (تأريخ آداب العرب)^٥ .

وبعد هذه الكلمة القصيرة في الشعر الجاهلي — الذي سأحدث عنه بإطناب في الجزء الخاص باللغة — أقول : إن اليه يعود فضل بقاء كثير من الأخبار المتعلقة بالجاهلية ، فلولاها لم نعرف من أمرها شيئاً . ولست مبالغاً اذا قلت ان كثيراً من الأخبار قد ماتت لموت الشعر الذي قيل في مناسباتها ، وان أخباراً خلقت خلقاً ، لأن واضع الشعر أو راويه اضطر الى ذكر المناسبة التي قيل فيها ، فعمد الى الخلق والوضع . وهو من ثم صار سبباً في تخليد الأخبار ، لسهولة حفظه ، ولاضطرار راويه الى قص المناسبة التي قيل فيها .

وما قلته في أهمية الشعر الجاهلي بالقياس الى عمل مؤرخ الجاهلية ، ينطبق

-
- ١ طبقات الشعراء (ص ٤) .
 - ٢ طبقات الشعراء (ص ١٤) .
 - ٣ الزهر (٢ / ٤٨٠) .
 - ٤ طبقات الشعراء (ص ١٥ ، ١٦ ، ٦١ وما بعدها ، ومواضع عديدة اخرى)
 - ٥ راجع الصفحات ٢٧٧ فما بعدها .
 - ٦ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (تاريخ) (ص ٤٨٤) ، الترجمة العربية ،

أيضاً على أهمية شعر الشعراء المخضرمين بالقياس الى عمل هذا المؤرخ ، فقد أسهم أكثر الشعراء المخضرمين في أحداث وقعت في الجاهلية ، وكان منهم من جالس (آل نصر) و (آل غسان) ، وبقية سادات العرب ، فورد في شعرهم أخبارهم وأحوالهم وطباعهم وغير ذلك . كما نجد في شعرهم مادة عن الحياة العقلية والمادية في أيامهم . ثم ان حياتهم اتصلت بالإسلام ، فلم يكن شعرهم وما قالوه ورووه بعيداً عهد عن أهل الأخبار ورواة الشعر ، وهو من ثم أقرب الى المنطق والواقع من شعر الجاهليين لبعدهم عن الرواة بعض البعد .

ولم ينج هذا الشعر أيضاً من الوضع ، فحمل على بعض الشعراء مثل (حسان ابن ثابت) بعض الشعر لأغراض ، منها العصبية القبلية ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد. وفي الجملة إن المؤرخ الحاذق الناقد لن تفوته هذه الملاحظة حين رجوعه الى هذا الشعر والى ما ورد على ألسنة الشراح .

وتعرضت كتب السير والمغازي لأخبار الجاهلية بقدر ما كان للجاهلية من صلة بتاريخ الرسول ، كما تعرضت لها كتب الأدب وكتب الأنساب والمثالب والبيوتات ومجامع الأمثال والكتب التي ألقت في أخبار المعمرين ، وفي الأيام ، وفي البلدان ، وفي المعجيات والجغرافية والسياحات وغير ذلك ، فورد في ثناياها أخبار قيّمة عن هذه الجاهلية المتصلة بالإسلام . وهي موارد عظيمة الأهمية لمؤرخ هذه الحقبة ، كثيرة العدد ، هيأها عدد كبير من العلماء ، لا يمكن استقصاؤهم في هذه المقدمة ، ولا التحدث عن مؤلفاتهم ، وهو حديث يحتاج الى فصول . على أننا يجب أن نأخذ بعض هذه الموارد المذكورة بحذر جدّ شديد ، ولا سيما كتب (الأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب) ، فإن مجال الوضع والصنعة بها واسع كبير ، لما للعواطف القبلية فيها من يد ودخل ، وللحزبية والأغراض فيها من تأثير . وطالما نسمع أن فلاناً وضع كتاباً في مثالب القبيلة الفلانية أو في مدحها ترضية لرجال تلك القبيلة ، أو لحصوله على مال منها . ومن هنا وجب الاحتراس كل الاحتراس من هذه الموارد ، ووجوب نقد كل رواية فيها قبل الاعتماد عليها والأخذ بها كمورد صحيح دقيق .

وفي كتب الأدب ثروة تاريخية قيمة ، ماثورة في صفحاتها ، لا نجد لها مثيلاً ولا مكاناً في كثير من الأحيان في كتب أهل التاريخ عن التأريخ الجاهلي، حتى اني لأستطيع أن أقول إن ما أورده رجال الأدب عنه هو أضعاف أضعاف ما

رواه المؤرخون عن ذلك التأريخ ، وأن ما جاءت به كتب الأدب عن ملوك الحيرة وعن الغساسنة وعن ملوك كندة وعن أخبار القبائل العربية ، هو أكثر بكثير مما جاءت به كتب التأريخ ، بل هو أحسن منها عرضاً وصفاءً ، وأكثر منها دقة . ويدل عرضه بأسلوبه الأدبي المعروف على أنه مستمد من موارد عربية خالصة ، وقد أخذ من أفواه شهود عيان ، شهدوا ما تحدثوا عنه . وقد أفادنا كثيراً في تدوين تأريخ الجاهلية الملاصقة للإسلام ، ولشأنه هذا أودّ أن ألقت أنظار من يريد تدوين تأريخ هذه الحقبة إليه ، وأن يرعاه بالرعاية والعناية وبالنقد ، وسيحصل عندئذ على رأي لا يستطيع العثور عليه في كتب أهل التاريخ .

وقد صارت كتب المؤرخين المسلمين لذلك ضعيفة جداً في باب تأريخ العرب قبل الإسلام ، ومادتها عن الجاهلية هزيلة جداً قليلة بالقياس إلى ما نجده في كتب التفسير والحديث والفقه والأدب وشروح دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والموارد الأخرى . والغريب أن تلك الكتب اكتفت في الغالب بإيراد جريدة لأسماء ملوك الحيرة أو الغساسنة أو كندة أو حمير ، مع ذكر بعض ما وقع لهم في بعض الأحيان ، على حين نجد كتب الأدب تتبسط في الحديث عنهم ، وتحدث عن حوادث وأمور لا نجد لها ذكراً في كتب المؤرخين ، بل نجد فيها أسماء ملوك لم تعرفها كتب التاريخ ، مما صيرها في نظري أكثر فائدة وأعظم نفعاً لتأريخ الجاهلية من كتب المؤرخين .

المؤرخون المسلمون :

لا نتمكن من الاطمئنان الى هذه الأخبار والروايات المدونة في الموارد الإسلامية عن الجاهلية، الا اذا وقفنا بها الى حدود القرن السادس للميلاد أو القرن الخامس على أكثر تقدير . أما ما روي على أنه فوق ذلك، فإننا لا نتمكن من الاطمئنان اليه ، لأنه لم يرد به سند مدون ، ولم يؤخذ من نص مكتوب ، وانما أخذ من أفواه الرجال ، ولا يؤتمن على مثل هذا النوع من الرواية ، لأننا حتى اذا سلمنا ان رواة تلك الأخبار كانوا مترهين عن الميول والعواطف ، وانهم كانوا صدوقين في كل ما رويوا ، وكانوا أصحاب ملكة حسنة ذات قدرة في النقد وفي

التمييز بين الصحيح والفساد، فإننا لا نتمكن من أن نسلم أن في استطاعة الذاكرة أن تحافظ على صفاء الرواية وان تروي القصة وما فيها من كلام وحديث بالنص والحرف حقبة طويلة. لذا وجب علينا الحذر في الاعتماد على هذه الموارد وتمحيص هذا المدون الوارد ، وان تكاثر واشتهر وتواتر، فقد كان من عادة رواة الأخبار رواية الخبر الواحد دون الإشارة الى منبعه ، ويُتداول في الكتب ، فيظهر وكأنه من النوع المتواتر في حين انه من الأخبار الآحاد في الأصل .

ولا أدري كيف يمكن الاطمئنان الى نص قصة طويلة فيها كلام وحوار أو قصيدة طويلة زعم ان التبع فلاناً نظمها ، في حين أننا نعلم أن الذاكرة لا يمكن أن تحفظ نصاً بالحرف الواحد إذا لم يكن مدوناً مكتوباً ، ولهذا جَوَّزَ أهل الحديث رواية حديث الرسول بالمعنى ، إذا تعذرت روايته بالنص . ولا أعتقد ان عناية العرب المسلمين بحديث رسول الله كانت أقل من عنايتهم برواية ما جرى مثلاً بين النعمان بن المنذر وبين كسرى من كلام ، أو من رواية ذلك الكلام المنق والحديث الطويل العذب ، الذي جرى بين وفد النعمان الذي اختاره من خيرة ألسنة القبائل المعروفة بالكلام ، وبين كسرى المذكور^١ .

ومن هذا القبيل نصوص المفاخرات والمنافرات ، فإن مجال لعب العاطفة فيها واسع رحيب . وكذلك كل الأخبار والروايات النابعة عن الخصومات والمنافسات بين القبائل أو الأشخاص ، فإن الوضع والافتعال فيها شائع كثير ، ولا مجال للكلام عليه في هذا الموضع ، لأنه يخرجنا من حدود التأريخ الجاهلي ، الى موضوع آخر ، هو نقد الروايات والأخبار والرواة ، وهو خارج عن هذا الموضوع .

لقد تحدث أهل الأخبار عن عاد وثمود وطسّم وجديس وجُرهم وغيرهم من الأمم البائدة ، وتكلموا على المياني (العادية) وعن جن سليمان وأسلحة سليمان ، ورووا شعراً ونثراً نسبوه الى الأمم المذكورة والى التبابعة ، بل نسبوا شعراً الى آدم ، زعموا أنه قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده ، ونسبوا شعراً الى (ابليس) ، قالوا إنه نظم في الردّ على شعر (آدم) المذكور ، وأنه أسمعه

١ راجع النصوص في بلوغ الارب (١٤٧/١) فما بعدها .

(آدم) بصوته دون أن يراه^١ . ورووا أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل :
ولكن هل يمكن الاطمئنان إلى قصص كهذا يرجع أهل الأخبار زمانه إلى
مئات من السنين قبل الإسلام ، وإلى أكثر من ذلك ، ونحن نعلم ، بتجاربنا
معهم ، أن ذاكرتهم اختلفت في أمور وقعت قبيل الإسلام ، واضطربت في
تذكر حوادث حدثت في السنين الأولى من الإسلام . كيف يمكننا الاطمئنان إلى
ما ذكروه عن التبابعة وعن أناس زعموا أنهم عاشوا دهرًا طويلًا قبل الإسلام ،
ونحن نعلم من كتابات المسند ومن المؤلفات اليونانية والسريانية ، أنهم لم يكونوا
على ما ذكروه عنهم ، وأنهم عاشوا في أيام لم تبعد بعدًا كبيرًا عن الإسلام ،
وأنهم كانوا يكتبون بالمسند وبلسان يختلف عن هذا اللسان الذي نزل به القرآن .
ثم خذ ما ذكروه عن حملة (أبرهة) على مكة وعن أبرهة نفسه ، وعن (أبي
رغال) ، وعن حادث نجران وذي نواس ، وعن خراب سد مأرب ، وعن
أمثال ذلك من حوادث وأشخاص سيرد الكلام عليها في أجزاء هذا الكتاب ،
نجد أن ما ذكروه عنها وعنهم يتحدث بجلاء وبكل وضوح عن جهل بالواقع
وعن عدم فهم لما وقع ، وعن عدم ادراك للزمان والمكان ، وعن عدم معرفة
بالأشخاص . فرفعوا تواريخ بعض تلك الحوادث إلى مئات من السنين ، وخططوا
في بعض منها ، وفي كل ذلك دلالة على أن ما حفظته الذاكرة ، لم يكن نقيًا
خالصًا من الشوائب ، وأن الذاكرة لا يمكن أن تحافظ على ما تحفظه أمدًا طويلًا
وأن آفات النسيان وتلاعب الزمان بالحفظ لا بد أن يغير من طبائع المحفوظ .

والاخباريون إذ رووا ذلك ودوتوه ، لم يكونوا أول من وضع وصنع وافعل
وجاء بالقصص والأساطير على أنها باب من أبواب التاريخ ، فقد فعل فعلهم
اليونان والرومان والعبرانيون وسائر الشعوب الأخرى ، يوم أرادوا تدوين تواريخ
العصور التي سبقت عندهم عصور الكتابة والتدوين ، إذ لم يجدوا أمامهم غير
هذا النوع من الروايات الشفوية البدائية التي عبث بصفاتها الزمان كلما طال أجلها
إلى زمن التدوين ، فدوتوه ورووه ، إلى أن وصل إلينا على النحو المكتوب .

وللسبب المذكور نرى في الأخبار الواردة عن ملوك الحيرة ، أو عن صلات
الفرس بالعرب أخباراً قريبة إلى منطق التاريخ وإلى الواقع يمكن أن نأخذ بها وأن

١ مروج الذهب (٢٦/١ وما بعدها) ، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)

نستعين بها في تدوين تاريخ الحيرة وتاريخ الساسانيين مع العرب . ويعود سبب ذلك الى رجوع الرواة الى موارد مدونة ، أو الى شهود عيان أدركوا أنفسهم الحوادث ، وكلها من الحوادث القريبة من الإسلام والتي وقع بعضها في أيام الرسول . أما حوادث آل نصر ، أو أخبار الفرس مع العرب البعيدة ، فلا نجد فيها هذا الصفاء والنقاء ، بل نجد فيها قرة وغبرة ، لتقلها بالسماح والمشافهة وتقادم العهد على السماع . وهكذا صار تاريخ الحيرة المروي في التواريخ غيوماً تتخللها فجوات متبعثرة تنبعث منها أشعة الشمس .

نعم جاء أن أهل الحيرة كانوا يُعنون بتدوين أخبارهم وأنساب ملوكهم وأعمار من ملك منهم ، وكانوا يضعون ذلك في بيع الحيرة^١ . وورد أن النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ، فكُتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبي عبيدة ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفزه فأخرج تلك الأشعار^٢ . وذكر ابن سلام الجُمُحِيّ أنه (كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان ، أو ما صار منه)^٣ .

ولكنني على الرغم من ورود هذه الأخبار لا أستطيع أن أقف منها الآن موقفاً إيجابياً، إذ لم أسمع أن أحداً من رواة الشعر ذكر أنه رجع الى تلك الطنوج والدواوين فأخذ منها ، أو أن بني مروان عرضوها على أحد . ولو كانت تلك الدواوين موجودة ، لم يسكت عنها رواة الشعر الجاهلي وطلابه الذين كانوا يبحثون عنه في كل مكان . ثم إن الأخباريين يذكرون أن (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، كان يرسل الى (حمّاد) رسلاً ليأتوا اليه بما يريد الوقوف عليه من الشعر الجاهلي ، وأنه (جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك وردّ الديوان الى حمّاد وجناد)^٤ ، وأنه أحضره الى الشام ، واستنشد أشعار (بكليسي) وأشعاراً أخرى^٥ ، ولو كان لدى (بني

-
- ١ الطبري (٣٧/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٧٠/٢) ، لسان العرب (١٤٢/٣) ، ابن جني ، الخصائص (٣٩٢/١) وما بعدها .
 - ٣ طبقات فحول الشعراء (ص ١٠) ، المزهر (٤٧٤/٢) .
 - ٤ الفهرست (ص ١٤٠) .
 - ٥ الاغانى (٩٤/٦) .

مروان) ديوان (النعمان بن المنذر) الذي جمع فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، لما احتاج (الوليد) الى أن يسأل حماداً وجناداً ليرسلا اليه ديوان العرب ، وهو ديوان لا ندري اليوم من أمره شيئاً ، ولم يذكر (ابن النديم) صاحب الخبر ، ما علاقة الرجلين المذكورين بذلك الديوان . هل كانا اشتراكاً معاً في جمعه ، أو أن كل واحد منها قد جمع بنفسه الأشعار في ديوان ، فأرسل الوليد اليهما يطلب منها ما جمعه ، ليجمعه مع ما عنده في ديوان .

ثم إننا لم نسمع أحداً يقول: (كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر ابن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم ، لآل كسرى ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها)^١ ، غير الراوية (هشام بن محمد الكلبي) . فلم وقف (ابن الكلبي) وحده على تلك الكنوز ، ولم يلجأ غيره الى بيع الحيرة ، ليأخذ منها أخبار نصر ؟ ألم يعلم بوجودها أحد غيره ؟ ثم لم اختلفت روايات (ابن الكلبي) وتناقضت في أمور من تاريخ الحيرة ، ما كان من الواجب وقوع اختلاف فيها ، ولم لجأ أيضاً الى رواية القصص والأساطير عن منشأ (الحيرة) ، وعن (عمرو بن عدي) ، وعن جذيمة ، وعن (قصر الحورنق) وعن غير ذلك ، ليقصها على أنها تاريخ آل نصر^٢ . أبعد هذا دليلاً على أخذه من موارد قديمة مكتوبة مدونة ؟ نعم ، من الجائز أن يكون قد أخذ من صحف كانت قد دوت أسماء آل نصر المتأخرين ، وبعض الأخبار المتعلقة بهم ، أما أنه أخذ أخبارهم كاملة مدونة من كتاب أو من كتب تاريخ بالمعنى المفهوم من الكتاب ، فذلك ما أشك فيه ، لأن الذي ينقل أخباره من كتاب في التاريخ لا يروي تاريخ تلك الأسرة وتاريخ عربها على الشكل الذي رواه.

قال (الطبري) : (وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة ، متعلماً ، مثبتاً عندهم في كنائسهم وأسفارهم)^٣ ، وتدل هذه الملاحظة التي تؤيد رواية (ابن الكلبي) المتقدمة - ولعل (الطبري) أخذها من رواية لابن

١ الطبري (٦٢٨/١) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٢ الطبري (٦٠٩/١) وما بعدها (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ الطبري (٦٢٨/١) (طبعة دار المعارف بمصر) .

الكليبي ، دون أن يشير اليه ، — على وجود أسفار في تواريخ أهل الحيرة ، إلا أنني أعود فأقول إن أكثر المروي عنهم ، لا يدل على أنه منقول من موارد مدونة ، لما فيه من اضطراب وتناقض ، ولغلبة طابع الروايات الشفوية عليه . والأخبار الوحيدة التي يمكن أن تكون منقولة من موارد مدونة ، هي الأخبار المتأخرة التي تعود الى أواخر أيام الحيرة ، الأيام المقاربة للإسلام الى زمن فتح المسلمين لها . ثم إن لقربها من زمن التدوين علاقة بوضوح هذه الأخبار المتأخرة وبدرجة صفائها .

ولا تعني هذه الملاحظات اننا ننكر وجود مدونات عند أهل الحيرة في التاريخ أو في الشعر أو في أي موضوع آخر ، ولا أعتقد أن في استطاعة أحد نكران وجود التأليف عندهم . فقد ورد في التواريخ الكنائسية أسماء رجال من أهل الحيرة ساهموا في المجالس الكنائسية التي انعقدت للنظر في أمور الكنيسة ومشكلاتها ، ومنهم من برز وألف في موضوعات دينية وتاريخية ، كما ورد في أخبار أهل الأخبار أن أهل الحيرة كانوا يتداولون قصص رستم واسفنديار وملوك فارس ، وأن (النصر بن الحارث) الذي كان يعارض الرسول ، تعلم منهم ، وكان يحدث أهل مكة بأخبارهم معارضاً رسول الله ، ويقول : أينما أحسن حديثاً ؟ أنا أم محمد ؟

ولا بد أن يكون معين القصص الذي تعلمه (النصر بن الحارث) هو في هذا المعين المدون في كتب الفرس . وقد كانت للفرس كتب في سير ملوكهم وآدابهم ترجم بعضها في الإسلام ، مثل كتاب (سير العجم)^٢ ، أو (كتاب خدای نامه)^٣ ، أو كتاب (سير الملوك) أو (سير ملوك العجم) ، ترجمة (عبدالله بن المقفع) و (كتاب التاج)^٤ للمترجم نفسه ، وكتب أخرى لم ترجم

- ١ سيرة ابن هشام (٣٨١/١) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .
- ٢ ابن قتيبة : عيون الاخبار (١١٧/١) .
- ٣ الفهرست (ص ١٧٢) ، (خدای نامه) ، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية الى العربية سمي كتاب تاريخ ملوك الفرس ، حمزة (ص ١٥) ، (وهو في حكاية جمل ما في خدای نامه لم يحكها ابن المقفع ولا ابن الجهم ، فجئت بها في آخر هذا الكتاب) ، (كتاب خدينامه في السير) ، حمزة (ص ٤٣) .
- ٤ عيون الاخبار (١١٧/١) .
- ٥ عيون الاخبار (٥/١) ، (كتاب التاج في سيرة انوشروان) ، الفهرست (ص ١٧٢)

كانت شائعة عند الفرس معروفة ، يحافظون عليها ويتداولونها ، منها استمد المؤرخون العرب الإسلاميون أخبار الفرس ومن حكم منهم من ملوك^١ :

ولقد قال (كولد تزهير) و (بروكلمن) بوجود أثر فارسي في ظهور علم التاريخ عند المسلمين^٢ . أما أثر الموارد الفارسية في مادة الفصول المدونة عن الفرس وعن ملوك الحيرة ، فواضح ظاهر ، ولا يمكن لأحد الشك فيه ، وأما أثرها فيما عدا ذلك ، ولا سيما في كيفية عرض التاريخ وفي أسلوب تدوينه وتبويبه ، فدعوى أراها غير صحيحة ، لأن طريقة الابتداء بالزمان ثم ابتداء الخلق وعدد أيام الخلق وخلق آدم ثم التحدث عن الأنبياء بحسب تسلسل رسالاتهم ، وهي الطريقة التي سار عليها من دون في التاريخ العام من المسلمين مثلاً ، كما فعل (الطبري) في تأريخه ، طريقة لا يمكن أن تكون فارسية ، لأن الفرس مجوس ، والمجوس لا يعتقدون بهؤلاء الرسل والأنبياء . والصحيح ، أنها طريقة المؤرخين الذين جاؤوا بعد الميلاد ، فهم الذين روجوا الأسلوب المذكور في تدوين التاريخ . ويمكن ادراك ذلك من المقابلة بين الأسلوبين : الأسلوب الإسلامي في تدوين التاريخ وفي كيفية تبويبه وتصنيفه وأسلوب الكتب التاريخية المدونة في اليونانية وفي السريانية الى زمن تدوين التاريخ عند المسلمين .

والرأي عندي أن علمنا بأسلوب التاريخ عند الفرس : كيفية عرضه وطرقه وتبويبه علم نزر ، لأن ما وصل إلينا من كتبهم محدود محدود ، وما ورد فيه سير ملوكهم وأيامهم وما نجده مترجماً ومنشوراً في المؤلفات العربية ، هو من نوع القصص الذي يغلب عليه الطابع الأدبي ، فيه أدب السلوك ومواعظ الحكم وأقوال في الحكمة ، وحتى القسم المتصل منه بالتاريخ قد وضع بأسلوب عاطفي أدبي . ومن هنا ابتعد عن أسلوب المؤرخين اليونان واللاتين ، وعن أسلوب المؤرخين الذين ظهوروا بعد الميلاد . وقد يكون لاختلاف الذوق دخل في اختلاف الأسلوبين . ومهما يكن من أمر فأنا لا أريد أن أكون متسرعاً عجولاً في إصدار حكم على فن التاريخ عند الفرس ، فأبغض الأشياء إليّ التسرع في إصدار الأحكام

١ السعودي : مروج (١٤٦/١) ، (وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف ...) ، المروج (١٩٩/١) ، التنبيه والإشراف (ص ٩٢) .
٢ الموسوعة الإسلامية ، مادة : تاريخ .

في التأريخ ، ومن الحكمة وجوب التريث والانتظار ، فلعل الأيام تتحفنا بتواريخ فارسية ، ترينا أن للفرس رأياً أصيلاً في التأريخ ، وأن لهم طريقة المؤرخين في تدوين تاريخ العالم وتاريخ بلادهم وفي تدوين سير الملوك والأشخاص ، وأنهم كانوا قد عينوا مراسلين يلزمون جيوشهم لتدوين أخبار الحروب ، كما فعل الروم ، ولكن بعقلية مستقلة لم تتأثر بطريقة اليونان واللاتين .

ويكاد يكون أكثر ما دون عن (الغساسنة) في المؤلفات العربية الإسلامية مأخوذاً من الروايات الواردة عن ملوك الحيرة وعرب الحيرة ، أُنُداد الغساسنة ، ولذلك لم تكن في جانبهم ، وتكاد تلك الأخبار ترجع في الغالب إلى شخص واحد ، تخصص بأخبار الحيرة وملوك الفرس ، هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو الذي روى هذه الأخبار اعتماداً على بحوثه الخاصة ، وعلى البحوث والدراسات التي قام بها والده من قبله . ويجب أن نجعل لهذه الملاحظات الاعتبار الأول في تدوين تاريخ الغساسنة . وقد وردت أخبارهم في الطبري مع أخبار ملوك الحيرة والفرس لهذا السبب . وأما في سائر الأصول التاريخية الأخرى ، فهي مقتضبة ، وقد اكتفى بعض المؤرخين بإيراد جريدة بأسماء الملوك ، وهو عمل ينبشك بقلة بضاعة القوم في تاريخ عرب الشام . وعلى كل حال ، فأننا نجد في كتب الأدب وفي دواوين الشعر عوناً لنا في تدوين ، تاريخ غسان ، قد يسد بعض الفراغ في تاريخ هذه الإمارة ، وإن كان ذلك كله لا يكفي ، بل لابد من الاستعانة بأصول أعجمية من يونانية وسريانية ، ففيها مواد عن نواح مجهولة من هذا التاريخ ، كما أنها تصحح شيئاً مما ورد في الموارد العربية من أغلاط^١ .

ولقد تأثرت روايات (ابن الكلبي) بطابع التعصب لأهل الحيرة على الغساسنة ، لاعتماده على روايات أهل الحيرة وعلى أهل الكوفة في سرد تاريخ الغساسنة ، وقد كان ملوك الحيرة أُنُداداً للملوك الغساسنة ، ولهذا تتعارض رواياته وروايات من استقى من هذا المورد مع روايات علماء اللغة والأدب والشعر التي وردت استطراداً عن أهل الحيرة أو الغساسنة ، وذلك في أثناء شرحهم لفظة أو بيت شعر أو قصيدة أو ديواناً أو حياة شاعر كانت له علاقة بالحيرة أو بالغساسنة ، أو عن

١ امراء غسان لنولدكه ، ترجمة الدكتور قسطنطين زريق والدكتور بندلي جوزي ، (بيروت سنة ١٩٣٣) (ص ١ - ٢) .

قصة من القصص، وما شاكل ذلك . ومرجع أولئك الروايات العربية الخالصة، وقد استمدت من رجال كانوا شاهدي عيان، أو رَووا ما سمعوه من أفواه الناس، ويمكن ادراك اتجاهها وميولها بوضوح ، ولهذا نجب الموازنة بين الروايتين .

أما روايات أهل (يثرب) أي (المدينة) ، فهي في مصلحة الغساسنة في الأكثر ، وقد كانوا على اتصال دائم بهم، ولهم تجارات معهم ، وكان شعراؤهم يفتخرون بانتسابهم هم وآل غسان إلى أصل واحد ودوحة واحدة هي الأزد . ولهذا يستحسن التفكير في هذا الأمر بالنسبة إلى روايات أهل المدينة ، ولا سيما أخبار حسان بن ثابت الأنصاري عن آل غسان .

ومما يؤسف عليه أن المؤرخين المسلمين لم يغرفوا من المناهل اليونانية واللاتينية والسريانية لتدوين أخبارهم عن تأريخ العرب قبل الإسلام ، لا قبل الميلاد ولا بعده ، مع أنها أضيف وأدق من الأصول الفارسية ، ومن الروايات التي تعتمد على المشافهة بالطبع. وقد كان من عادة اليونان إلحاق عدد من المخبرين والمسجلين الرسميين بالحملات لتسجيل أخبارها ، كما حوت الموارد السريانية بصورة خاصة والموارد اليونانية المؤلفة بعد الميلاد أموراً كثيرة فيما يخص انتشار النصرانية بين العرب ، وفيما يخص المعاجم الكنائسية التي حضرها أساقفة من العرب ، وكذلك الآراء والمذاهب النصرانية التي ظهرت بين نصارى العرب .

نعم لقد وقف المؤرخون على تواريخ عامة وخاصة مدونة بالرومية والسريانية كانت عند جاعة من المشتغلين بالتأريخ من أهل الكتاب . وقد فسروها ، أو فسروا بعضها لهم ، ولا سيما ما يتعلق منها بموضوعات لها صلة بالقرآن الكريم، مثل كيفية الخلق والزمان والمكان وقصص الرسل والأنبياء والملوك ، نجد طابعها ومادتها وأسلوبها في هذا المدون عن قبل الإسلام ، والذي صار مقدمة لتاريخ الإسلام ، درج المشتغلون في التأريخ العام على وضعها قبل تاريخ الرسالة . وقد استفاد من بعضها بعض المؤرخين ، مثل المسعودي^١ وحزرة الأصفهاني وآخرين ،

مروج الذهب (١/١٨٧/٢٠٣) ، التنبيه (ص ١٣٢) ، وهذه التواريخ أخذتها عن رجل رومي) ، وقال وكيع : نقلت هذه التواريخ من كتاب ملك من ملوك الروم ، تولى نقله إلى العربية بعض التراجم^٢ ، جملة : كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (ص ٤٨ ، ٥٢) .

في تدوين تاريخ ملوك الروم ، وقد صارت طريقتهم كما قلت سابقاً أنموذجاً للمؤرخين ساروا عليه في عرض التاريخ وفي تدوينه ، غير أن هذا النقل لم يكن ويا للأسف قد تجاوز هذا الحد ، فكان ضيق المجال محدود المساحة ، وقد كان من الواجب عليهم الاستعانة بتلك الموارد في علاقات العرب بالروم وفي موضوع النصرانية في بلاد العرب على الأقل، وهي موارد فيها مادة مفيدة في هذا الباب .

وأود أن أشير الى الخدمة التي أداها علماء الأخبار برجوعهم الى الشيب والى حفظة أخبار القبائل من مختلف القبائل لجمع أخبار القبائل وأيامها وحوادثها قبل الإسلام . وقد وضعت في ذلك جملة مؤلفات ضاع أكثرها ويا للأسف ، ولم يبق منها الا الاسم، ولكننا نجد مع ذلك مادة غنية واسعة منها في كتب الأدب، أستطيع أن أقول أنها أوسع وأنفع بكثير من هذه المواد المدونة المجموعة في كتب التاريخ . وهذا شيء غريب ، اذ المأمول أن تكون كتب التاريخ أوسع مادة منها في هذا الباب ، وأن تأخذ لب ما ورد فيها مما يخص التاريخ لتضيفه الى ما تجتمع عندها من مادة . والظاهر ان المؤرخين ، ولا سيما المتزمين منهم المتقيدون بالتاريخ على أنه حوادث - مضبوطة مقرونة بوقت وبمكان وبعيدة عن أسلوب الأيام والقصص ، رأوا أن ذلك المروي عن أخبار القبائل والأنساب وحوادث الشعراء هو ذو طابع أدبي أو طابع خاص لا علاقة له بالحكومات والملوك ، فلم يأخذوا به ، وتركوه ، لأنه خارج حدود موضوع التاريخ كما فهموه . وهو فهم خاطيء لفهوم التاريخ ولفهوم الموارد التي يجب أن يستعان بها لتدوينه . فأضاعوا بذلك مادة غزيرة لم يدركوا أهميتها وفائدتها اذ ذاك . واهملهم لتلك الموارد هو من جملة مواطن الضعف التي نجدها عند أولئك المؤرخين . أما نحن، فقد وجدنا فيه ثروة تزيد كثيراً على الثروة الواردة في مؤلفات المؤرخين . واهمال المؤرخين لتلك الموارد هو من أسباب الضعف التي نجدها في فهمهم للمنايع التي يجب أن يستعان بها في تدوين التاريخ .

واذا كان القدامى قد أخطأوا في فهم معنى التاريخ ، ووقعوا من ثم في خطأ بالنسبة الى الموارد التي يجب أن يرجع اليها في تدوين تاريخ الجاهلية ، فعلينا يقع في الزمن الحاضر وعلى القادمين من بعدنا بصورة خاصة واجب مراجعة الموارد الأخرى من كتب في التفسير وفي الحديث وفي الفقه وفي الأدب وغير ذلك، لاستخراج ما فيها من مادة عن الجاهلية ، لأنها كما قلت أغزر مادة وأقرب الى

المنطق في بعض الأحيان في فهم الحوادث من كتب المؤرخين .

والغريب أن المستشرقين الذين عُرِفوا بجدهم وبحرصهم على الإحاطة بكل ما يرد عن حادث ، أهملوا مع ذلك شأن الموارد المذكورة ، ولم يأخذوا منها الا في القليل . ولو راجعوها ، لكان ما جاؤوا به عن الجاهلية أضعاف أضعاف ما جاؤوا به وكتبوه ، ولكانت بحوثهم أدق وأعمق مما هي عليه الآن .

وفي طبيعة من اشتغل برواية أخبار ما قبل الإسلام : عبيد بن شرية، ووهب ابن منبه ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وآخرون . وبعض هؤلاء مثل عبيد بن شرية وكعب الأخبار ووهب ابن منبه ، قصاص أساطير ، ورواة خرافات ، وسمر مستمد من أساطير يهود ، وأولئك وأمثالهم هم منبع الإسرائيليات في الإسلام .

فأما عبيد بن شرية ، فقد كان من أهل صنعاء (في رواية) أو من سكان الرقة (في رواية أخرى)^١ . وكان معروفاً عند الناس بالقصص والأخبار ، فطلبه معاوية ، فصار يحدثه بأخبار الماضين^٢ . ومن الكتب المنسوبة اليه : كتاب الأمثال^٣ ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين ، وقد طبع في ذيل (كتاب التيجان في ملوك حمير) المطبوع بمحدراباد دكن بالهند بعنوان (أخبار عبيد بن شرية الجهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها)^٤ وقد وضع الكتاب على الطريقة

١ الفهرست (ص ١٣٨) ، السجستاني : كتاب المعمرين (ص ٤٠) ، ياقوت : ارشاد (١٠/٥) و

Brockelmann, Bd., I, S., 64, Suppl., Bd., I, S., 100

Von Kremer Sudarabische Sage, 16-32, Muh. Stud., Bd., I, S., 183.

٢ (فامر به معاوية ، فأنزله في قريه ، واخدمه ، وامر من يجري وظيفته ، ووسع عليه ، والطفه فاذا كان في وقت السمر فهو سميره في خاصته من أهل بيته . وكان يقص عليه ليله ، ويذهب عنه همومه ، وأنساه كل سمر كان قبله ، ولم يخطر على قلبه شيء قط الا وجد عنده شيئاً وفرحاً ومرحاً ، فاذا كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها امر أهل ديوانه ان يوقعوه ويدونوه فسي الكتب .) ، أخبار عبيد بن شرية الجهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها (ص ٣١٢ فما بعدها) .

٣ كتاب الامثال نحو خمسين ورقة رأيتها ، الفهرست (١٣٨) ، ارشاد (١٩٠/١٢) .

٤ طبع سنة ١٣٤٧ هـ ، ويرى المستشرق (كرنكو) ، ان الجامع له ابن هشام ، راجع ملحوظة ١ ص ٣١٢ .

التي تروى بها الأسفار وأيام العرب ، وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقيان وطسّم وجدّيس والتبابعة^١ ، وفيه قصص اسرائيلي وشعبي يمثل في جملته السداجة وضعف ملكة النقد ، وبساطة القص والقصة ، وميلغ علم الناس في ذلك الوقت بأخبار الأوائل^٢ .

وقد حصل (كتاب الملوك وأخبار الماضين) على شهرة بعيدة ، وطلب في كل مكان ، وكثرت نسخه ، ومع هذه الكثرة اختلفت نسخه ، حتى صعب العثور على نسختين متشابهتين منه^٣ . وقد نقل الحمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة) بعض الأخبار المنسوبة الى عبيد^٤ . ولما نقله ، أهمية كبيرة في تثبيت مؤلفات عبيد ، اذ يمكن مقابله بما نشر ، ومطابقته بما طبع ، فيمكن عندئذ معرفة ما اذا كان هناك اتفاق أو اختلاف . ويمكن عندئذ تعيين هوية المطبوع .

والطابع الظاهر على أخبار عبيد ، هو طابع السمر والقصص والأساطير المتأثرة بالاسرائيليات . وأما الشعر الكثير الذي روي على أنه من نظم التبابعة وغيرهم ، وفيه قصائد طويلة ، فلا ندرى أمن نظمهم أم من نظم أشخاص آخرين قالوها على لسان من زعموا أنهم نظموها ، أو أنها اضيفت فيما بعد الى الكتاب ونسبت روايتها الى عبيد ؟ وعلى كل فلانها تستحق توجيه عناية الباحثين الى البحث عن زمن ظهورها وأثرها في عقلية أهل ذلك الزمن .

وأما (وهب بن منبه) ، فقد كان من أهل (ذمار) ، وكان قاصاً أخبارياً ، من الأبناء ، ويقال انه كان من أصل يهودي ، واليه ترجع أكثر الاسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية . وقد زعم أنه كان ينقل من التوراة ومن كتب بني اسرائيل ، وانه كان يقول : (قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً) ، وانه كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، وبحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقدر أحد على قراءتها^٥ . قال المسعودي : (وُجد في

١ Muh. Stud., Bd., 2, S., 204.

٢ دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية (ص ٤٨٣) .

٣ مروج الذهب (١٥٣/٢) (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد)

Muh. Stud., Bd., I, S., 182. f., Brockelmann, Bd., I, S., 64. Wustenfeld Geschichte. S., 5, Lidsbarski, De Prophetis qu. d. Legendis Arabicis, Leipzig, 1893, 1-2.

٤ الاكليل (طبعة الكرمل) ، (١٨٤٧/٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ومواضع اخرى) .

٥ ارشاد الارب (٢٣٢/٧)

حائط المسجد^١ لوح من حجارة ، فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به الى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب في أيام سليمان بن داوود ، عليهما السلام ، فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن آدم ، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقي من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وإنما تلقي قدمك ندمك اذا زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت الى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل . وكتب في زمن سليمان بن داوود^٢ .

وفي كتاب (التيجان في ملوك حبر) رواية ابن هشام نماذج لقراءته ، وهي على هذا النسق الذي يدل على سخريته بعقول سامعيه ان كان ما نسب اليه حقاً ، وأنه قرأه عليهم صدقاً ، ومن يدري ؟ فلعله كان لا يعرف حروف اليونانية ، ولا يميز بينها وبين الأبجديات الأخرى . ثم هل يعجز أهل دمشق عن قراءة نص يوناني أو سرياني أو عبراني وقد كان فيها في أيام وهب بن منبه علماء فطاحل حلقة بهذه اللغات هم نفر من أهل الكتاب ؟

والذي يهمننا من أمر (وهب بن منبه) أخباره عن الجاهلية . ولوهب أخبار عن اليمن والأقوام العربية البائدة ، ونجد روايته عن نصارى نجران وتعذيب (ذي نواس) لإياهم ، وقصة الراهب (فيميون) مطابقة للروايات النصرانية ولما جاء في كتاب (شمعون الأورشامي) عن هذا الحادث^٣ . والظاهر أنه كان قد أخذها من المؤلفات النصرانية أو من أشخاص كانوا قد سمعوا بما ورد عن حادث (نجران) من أخبار . وقد ذكر أن وهباً كان يستعين بالكتب ، وأن أخاه (همام بن منبه بن كامل بن شيخ الياني) أبا عقبة الصنعاني الأبناري ، كان يشتري الكتب لأخيه^٤ . ولعله استقى أخباره عن بعض الأمور المتعلقة

-
- ١ يعني مسجد دمشق ، وذلك في أيام الخليفة الوليد .
 - ٢ مروج الذهب (١٥١/٢) وما بعدها . (طبعة عبد الرحمن محمد) .
 - ٣ راجع الطبري (١٠٣/٢) ، أيضاً ما كتبه فيه في الجزء الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي في (موارد تاريخ الطبري) سنة ١٩٥٠ م .
 - ٤ تهذيب التهذيب (٦٧/١١) ، ابن سعد (٣٩٥/٥) .

بالنصرانية مثل مولد وحياة المسيح من تلك الموارد ، أو من اتصاله بالنصارى^١. أما ما ذكره عن التبابعة والعرب البائدة ، فإنه قصص . وأما علمه بأخبار العرب الآخرين ، فيكاد يكون صفراً ، فلا نجد في رواياته شيئاً يعد تأريخاً لعرب الحيرة أو الغساسنة أو عرب نجد . فهو في هذا الباب مثل (عبيد بن شربة) من طبقة القصاص . لم يصل الى مستوى أهل الأخبار ، ولعله وجد نفسه ضعيفاً في التأريخ وفي أخبار العرب ، فال الى شيء آخر لا يدانيه فيه أحد ، وهو مرغوب فيه مطلوب ، وهو القصص الإسرائيلي ، وما يتعلق بأقوام ماضين ، ذكروا في القرآن الكريم ، وكانت بالمسلمين الأولين حاجة الى من يتحدث لهم عن ذلك القصص وأولئك الأقوام .

ومن الكتب المنسوبة الى وهب (كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)^٢ ، وقد تناول أخبار التبابعة . والظاهر أن (كتاب التيجان في ملوك حمير) الذي طبع في الهند^٣ ، رواية ابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أبوب الحميري (المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) قد استند اليه ، بعد أن أضاف اليه أخباراً أخذها من مؤلفات محمد بن السائب الكلبي^٤ ، وأبي مخنف لوط بن يحيى^٥ وزباد بن عبدالله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي رواية ابن اسحاق^٦. وهو خليط من الإسرائيليات والقصص

- ١ تفسير الطبري (١٤٧/٣ ، ١٧٧) ، (مولد المسيح وحياته) ، (٤٣/١٦) (الحمل) ، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن تأليف (كولدتزهر) ، ترجمة علي حسن عبد القادر ، ص ٨٨ ، تاريخ الطبري (١٠٢/١) ، تفسير الطبري (٤٣/١٦) ، مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٠/١) ، (٤٣/١٦) ، Ency., Vol., 4, P., 1084 .
- ٢ ارشاد (٢٣٢/٧) ، (كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك) ، وعثر على مجموعة من اوراق مخطوطة في خزانة كتب (هايدلبرك) بالمانية ، رأى (بيكر) انها جزء من كتاب في المغازي ، ينسب الى وهب بن منبه ، C.H. Becker, Papyri Schott-Reinhardt, I., 8, Fuck, Muhammad ibn Ishaq, S., 4, Ency., Vol. 4, P., 1084. f.
- ٣ في حيدرآباد دكن سنة ١٣٤٧ هـ ، وبذيله (كتاب اخبار عبيد بن شربة الجهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها) ، وقد مر ذلك .
- ٤ التيجان ص ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ومواضع أخرى .
- ٥ التيجان ص ١٢٥ ، ١٨٠ ومواضع أخرى .
- ٦ التيجان ص ٧٥٤٦٦ ، ومواضع أخرى . راجع عن البكائي : لسان الميزان (٨٣٦/٦) ، سيرة ابن هشام (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، (١٦/١) ، وكتاب الكنى والالقب (٨٢/٢) ، لعباس بن محمد رضا القمي ، طبع مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٨ هـ .

اليمني ومن مواد أخرى قد تكون من وضعه ، أو من صنعة آخرين ، صنعوها قبله ، فأخذها من ألسنة الناس ، مثل تلك القصائد والأشعار الكثيرة المنسوبة إلى التبابعة وغيرهم . وقد أورد في الكتاب أسماء أخذت من التوراة ذكرها بنصها كما تلفظ بالعبرانية ، مما يبعث على الظن أنها أخذت من مورد يهودي^١ . وأما سائر الأخبار الواردة في الكتاب ، فالغالب عليها السداجة ، إذ لا نجد فيها عمقاً ولا مادة تاريخية غزيرة كالمادة التي نجدها في مؤلفات ابن الكلبي ، وفي مؤلفات الهمداني الذي عاش بعده .

وأودّ أن ألفت أنظار العلماء إلى أهمية روايات (وهب بن منبه) وأخباره بالنسبة إلى من يريد الوقوف على الدراسات التوراتية والتلمودية في ذلك العهد ، ففيها فقرات كثيرة زعم (وهب) أو آخرون قالوا ذلك على لسانه ، أنها قراءات أي ترجحات أخذت من التوراة ومن كتب الله الأخرى . وإذا ثبت بعد مقابلتها بنصوص التوراة والتلمود والمشنا وغيرها من كتب اليهود ، أنها من تلك الكتب حقاً ، وإنها ترجحات صحيحة ، فنكون قد حصلنا بذلك على نماذج قديمة لمواضع من تلك الكتب قد تفيد في إرشادنا إلى ترجحات أقدم منها ، كما تعيننا في الوقوف على النواحي الثقافية للعرب في ذلك العهد .

ولأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ ، فضل كبير على دراسات تأريخ العرب قبل الإسلام ، فأغلب معارفنا عن هذا العهد تعود إليه^٢ . وقد سلك مسلكاً جعله في طليعة الباحثين في الدراسات الآثارية

١ راجع ما كتبه (كرنكو) عن الكتابين : كتاب التيجان وكتاب اخبار عبيد، في مجلة:

(The Islamic Culture) المجلد الثاني بعنوان :

(The Two Oldest Books on Arabic Folklore) ، دائرة المعارف الإسلامية

الترجمة العربية ص ٤٨٤ مادة : (تأريخ) .

٢ والده أبو النصر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ ، من

علماء الكوفة بالتفسير والأخبار والأنساب ، الفهرست ١٣٩ ، الأغاني (١٦/٩) ،

(٤٨/١١) (١٦١/١٨) ، ابن سعد : الطبقات (٢٥٠/٦) ، ابن خلكان : وفيات

(١٣٤/٣) وما بعدها) ، إرشاد (٢٥٠/٧) ، تذكرة الحفاظ (٣١٣/١) ، تأريخ

بغداد (٤٥/١٤) وما بعدها) ، أنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء (١١٦) ،

تهذيب التهذيب (١٧٨/٩) ، كتاب الأضنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ،

Ency., vol., 2, P., 689, Muh. Stud., I, S., 186, Noldeke Gesch. der Araber und

Perser, S., XXVII, ZDMG., XLIII,

Brockelmann, Bd., I, S., 211.

عند المسلمين ، برجوعه الى الأصول ، واعتماده على المراجع التاريخية ، متبعاً سبيلاً تختلف عن سبيل أهل اللغة في البحث ، وهو - بطريقته هذه - قريب من طريقة المؤرخين في تدوين التاريخ^١ .

ولكنه لم يخل مع ذلك من مواطن الضعف التي تكون عادة في الأخباريين ، مثل سرعة التصديق ، ورواية الخبر على علته دون نقد أو تمحيص . وقد اتهم بالوضع والكذب^٢ . ولذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، وقالوا عن بعض أسانيده أنها سلسلة الكذب^٣ . وذهب (بروكلمن) الى أن ما اتهم عليه ابن الكلبي لم يكن كله صحيحاً ، وأن البحوث العلمية التي قام بها المستشرقون دلتهم على أن الحق كان في جانبه في كثير من المواضع التي اتهم عليها^٤ .

وأنا لا أريد أن أبرئه من الوضع أو من تهمة أخذه كل ما يقال له ، ولا سيما إذا كان القائل من أهل الكتاب ، دون مناقشة ولا ابداء رأي . ففي المنسوب اليه شيء كثير من الإسرائيليات والقصص المسوخ الذي يدل على جهل قائله أو استخفافه بعقل السامع وعلمه ، مثل اختراع سلاسل من النسب زعم أنها واردة في التوراة ، أو عند أهل النسب ، مع أن الوضع فيها بيّن واضح ، وهي غير واردة في التوراة ولا في التلمود . ولعلّ حرصه على الظهور بمظهر العالم المحيط بكل شيء من أخبار الماضين ، هو الذي حمله على الوضع ، وقد وضع غيره من أقرائه شعراً ونثراً ، وصنع قصصاً ، ليتفوق بذلك على أقرانه وخصومه ، وليظهر بمظهر العالم الذي لا يفوته شيء من العلم .

Brockelmann, Bd., I, S., 138.

١ لسان الميزان (١٩٦/٦ فما بعدها) ، تذكرة الحفاظ (٣١٣/١) ، الاغانى (١٩/٦) ، وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه اشعار القوم ، وانما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي) ، الاغانى (١٦١/١٨) .

٢ مثل سنده عن ابي صالح عن ابن عباس ، ووجد من دافع عنه ، ارشاد (١٥٨/٢) .

Brockelmann, I, S., 139, Noldeke, Übers. d. Tabari, XXVII, Ency., 2, P., 689.

وقد عالج بعض الباحثين زعم « ابن الكلبي » أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر ومبالغ أعمار من عمل منهم ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، فرأى أن كتابات أهل الحيرة كانت بالكتابة النبطية وبالأرقام النبطية ، كما أثبت ذلك نص « النارة » أيضاً ، وأن « ابن الكلبي » لم يكن يحسن قراءة النبطية ولم يفهمها ، وعندما حاول قراءتها لم يتمكن من ذلك فوقع في أوهام ، وجاء بأمثلة على ذلك تتعلق بما ذكره « ابن الكلبي » من مدد حكم أولئك الملوك ، فوجد أنه لم يميز مثلاً بين الرقم « ٢٠ » والرقم « ١٠٠ » وذلك لشابه شكل الرقم الأول مع شكل الرقم الثاني في النبطية ، فقرأ العشرين مئة ، فزاد سني حكم الملوك . ومن هنا أخطأ في ضبط مدد حكم ملوك الحيرة ، ولا سيما بالنسبة للقدامي منهم ، لأن الكتابات النبطية المتقدمة لم تكن مثل الكتابات النبطية المتأخرة في قربها من الأبجدية العربية القديمة^١ .

هذا ولم يُبحث موضوع أخذ « ابن الكلبي » من بيع الحيرة حتى الآن بحثاً علمياً مركزاً . وهو موضوع أرى أنه جدير بالدراسة والعناية . وحرى بأن يقارن ما ذكره « ابن الكلبي » بما جاء في الموارد النصرانية عن « آل نصر » ، لئلا يرى مقدار الصحة من الخطأ في فهم « ابن الكلبي » لتلك الموارد التي ذكر أنه قرأها وأنه استعان بها في جمع تاريخ عرب العراق قبل الإسلام .

ولم يبق من القائمة الطويلة التي ضمنها (ابن النديم) مؤلفات ابن الكلبي غير قليل^٢ . وهي في المآثر والبيوتات والمنافرات والمؤودات وأخبار الأوائل ، وفيما قارب الإسلام من أمر الجاهلية ، وفي أخبار الشعر وأيام العرب ، والأخبار والأسماء والأنساب^٣ .

وهناك بعض الشبه بين بحوث أبي عبيدة (المتوفى سنة عشر

١ Die Araber, IV, S., 3. f.

٢ الفهرست ١٤٠ ، ارشاد (٢٥١/٧) ،

Brockelmann, I, S., 138, Suppl., I, S., 211. f.

٣ الفهرست ١٤٠ ، وفيات الاعيان (٢٥٨/٢) ، (قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٥٨ : لله دره ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب ، ألا وكان قوله اقوى حجة ، وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارض مكلوم) ، تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان (٣١/٣) ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

ومائتين^١ الذي كان له علم بالجاهلية، ومصنفات وبحوث في القبائل والأنساب^٢، وبين ابن الكلبي في اتجاهه ومناحيه. ولكنسه دونه في أخباره عن الجاهلية، ومؤلفاته في أمور الجاهلية لا تعد شيئاً بالنسبة إلى ما ينسب إلى ابن الكلبي من مؤلفات، كما أن أخباره وروايته عنها قليلة بالنسبة إلى أخبار ابن الكلبي وروايته.

وهناك عدد آخر من العلماء، كالأصمعي، و (الشرقي بن القطامي)^٣، وسائر من اشتغل بالأنساب واللغة والأدب، كان لهم فضل كبير في جمع أخبار الجاهلية المتصلة بالإسلام، وقد تولدت من شروحيهم وأمالهم وكتبهم ثروة تاريخية قيمة لم ترد في كتب التاريخ. ولكن عرض أسمائهم هنا وذكر بحوثهم ومؤلفاتهم يضطرننا إلى كتابة فصول طويلة عن جهودهم وأنسابهم وعن ضعف رواياتهم أو قوتها، وذلك يخرجنا عن حدود كتابنا، ولهذا اكتفي هنا بما كتبت وذكرت، على أن أتعرض لآراء الباقيين في المواضيع التي ترد فيها، فأشير إلى صاحبها وإلى روايته عن الحادث. ولكن لا بد لي من التحدث عن عالين من علماء اليمن، ألفا في تاريخ اليمن القديم، وجاءا بمعلومات ساعدتنا كثيراً في توسيع معارفنا بالأماكن الأثرية هناك، إذ أشارا إلى أسماء أبنية ومواضع، وشخصاً أمكنة، ووصفا عادات رأياها، فأفادنا بذلك فائدة كبيرة.

أما أحدهما، فهو الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف المتوفى سنة ٤٣٣هـ. أو بعد ذلك كما ذهب إلى ذلك الحوالي^٤. وأما

١ (وقيل إحدى عشرة، وقال أبو سعيد: سنة ثمان، وقيل سنة تسع.) ،
(أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي)، (وقيل: كان شعوبياً يطعن في الأنساب)
الفهرست (ص ٧٩)، أرشاد (١٦٥/٧).

٢ Ency., Vol., I, S., 195, Flügel,

Die Grammatischen Schulen, S., 68, Brockelmann, I, S., 103.

٣ وقد اتهم بالوضع والتلفيق، الفهرست (ص ١٣٢).
راجع عن الهمداني: تاريخ أداب اللغة العربية (٢/٢٠٤)، ابن القفطي: تاريخ الحكماء (أخبار الحكماء)، (طبعة Lippert)، ١١٣، أرشاد (٩/٣)، السيوطي: بغية الوعاة (٢١٧)، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين سنة ١٩٥٠ ص ٦٢، مقالة للسيد حمد الجاسر بعنوان: (الجزء العاشر من الأكليل).

Brockelmann, I, S., 229, Suppl., I, S., 409, Ency., 2

P., 246, Muller, Sudarab. Stud., 170.

واشتهر بـ (ابن الحائك) وبـ (ابن أبي الدمينه)، الأكليل (٢٩٧/٨)، طبعة الكرملي.

٤ محمد بن علي الأكوغ الحوالي، محقق الجزء الأول من كتاب الأكليل للهمداني الأكليل (٦٠/١).

الآخر ، فهو (نشوان بن سعيد الحميري) ، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ .

لقد بذل الهمداني مجهوداً يقدر في تأليف كتبه وفي اختيار موضوعاته، وسلك في بحوثه سبيلاً حسناً بذهابه بنفسه الى الأماكن الأثرية و بوصفه لها في كتبه ، فأعطانا بذلك صوراً لكثير من العاديات التي ذهب أثرها واختفى رسمها ، بل طمست حتى أسماء بعضها . وبمحاولته قراءة المسند وترجمته الى عربيتنا، للوقوف على معناها ومضمونها ، يكون قد استحق التقدير والثناء ، لأن عمله هذا يدل على ادراكه لأهمية الكتابات في استنباط التواريخ . على أننا يجب أن نذكر أيضاً أن الهمداني لم يكن أول من عمد الى هذه الطريقة ، طريقة قراءة الكتابات لاستنباط التواريخ منها ، فقد سبقه غيره في هذه القراءات ، وكانوا مثله يبغون الوقوف على ما جاء فيها ، ومعرفة تواريتها . وقد أشار (الهمداني) نفسه اليهم وذكرهم بأسمائهم ، مثل (أحمد بن الأغر الشهابي من كندة) و (محمد ابن أحمد الأوساني) و (مسلمة بن يوسف بن مسلمة الحيواني) وغيرهم^١ . فهم مثله يستحقون الثناء والتقدير أيضاً ، وهم بطريقتهم هذه في جمع مادة التاريخ يكونون على شاكلة الآثاريين المحدثين في ادراك أهمية دراسات الآثار والكتابات بالنسبة الى اكتشاف تواريخ العاديات ، وهم بطريقتهم هذه يكونون قد فاقوا غيرهم من المؤرخين العرب في الأمكنة الأخرى بهذه الطريقة ، فقلما نجد مؤرخين في الأماكن الأخرى لجأوا الى دراسة الآثار ودراسة الكتابات ووصف الأمكنة الأثرية لاستنباط التواريخ منها كما يفعل الآثاريون في الزمن الحاضر .

وقد أنفى الهمداني بصورة خاصة على أستاذ له أخذ منه ، فوسمه بأنه (شيخ حمير ، وناسبها ، وعلامتها ، وحامل سفرها ، ووارث ما ادخرته ملوك حمير خزائنها من مكنون علمها ، وقارئ مساندها ، والمحيط بلغاتها)^٢ وسمّاه (أبا نصر محمد بن عبدالله اليهري) . وقال انه كان مرجعه فيما كان يشكل عليه من أخبار أهل اليمن ، والمنبع الذي غرف منه علمه بأحوال الماضين ، الى أن قال : (وكان بحاجة ، قد لقي رجلاً وقرأ زير حمير القديمة ومساندها الدهرية ، فربما نقل الاسم على لفظ القدمان من حمير ، وكانت أسماء فيها ثقل ، فخففتها العرب ،

١ الاكليل (١٥/١٠ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١١١) .

٢ الاكليل (٩/١) .

وأبدلت فيها الحروف الدلالية ، وسمع بها الناس مخففة مبدلة . فإذا سمعوا منها الاسم الموفر ، خال الجاهل انه غير ذلك الاسم ، وهو هو . فما أخذته عنه ، ما أثبتته هنا في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجل خولان القديم بصعدة ، ومن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخبوان وما أخبرني به الآباء والأسلاف ^١ .

ولملاحظة (الهمداني) على الأسماء اليانية القديمة ، وثقلها على ألسنة الناس في أيامه وقبل أيامه ، شأن كبير ، إذ ترينا أن لسان أهل اليمن كان قد تغير وتبدل ، وأن ذلك التغير قد تناول حتى الأسماء ، فصارت الأسماء القديمة ثقيلة على أسماعهم ، غليظة الوقع عليهم ، فحذفوها أو بدلوها ، والواقع أننا نشعر من المساند المتأخرة التي وصلت إلينا وقد دُوت في عهود لا تبعد كثيراً عن الإسلام ، ومن الموارد الإسلامية أن الأسماء اليانية المدونة في كتابات المسند التي يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد ، هي أسماء أخذت تقل في كتابات المسند المدونة بعد الميلاد إلى قبيل الإسلام ، وأن أسماء أخرى جديدة أخف على السمع حلت محل الأسماء المركبة القديمة . وفي هذا التطور ، دلالة على حدوث تغير في عقلية أهل اليمن بعد الميلاد ، وعلى حصول تقارب بين لغتهم ولغة أهل الحجاز وبقية العرب الذين يسميهم المستشرقون (العرب الشماليين) .

وقد حملني قول الهمداني إنه أخذ أخبار رجال حمير وكهلان من (سجل خولان القديم بصعدة) ^٢ ، على مراجعة متن الجزء الأول من الاكلیل للوقوف على الأماكن التي اعتمد فيها على هذا السجل ، لأتمكن بها من تكوين رأي عنه ، ومن الحصول على فكرة عما جاء فيه . وقد وجدته يقول في موضع منه : (وقرأت في السجل الأول : أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً ، وهم : يعرب ، والشلف الكبرى ، ويشجب ، وأزال وهو الذي بنى صنعاء ، ويكلي الكبرى ، بكسر الياء ، وخولان : خولان رداع التي في القفاعة ، والحارث وغوثا ، والمرتاد ، وجُرهما ، وجديسا ، والمتمنع ، والملمس ، والمتغشم ، وعبادا ، وذا هوزن ، ويمنا ، وبه سميت اليمن ، والقطامي ،

١ الاكلیل (١ / ١٣) فما بعدها .

٢ المصدر نفسه

ونباتة ، وحضرموت ، فدخلت فيها حضرموت الصغرى ، وسماكاً ، وظالملاً ،
ونخياراً ، والمشفتر^١ . ووجدته يقول في موضع آخر: (وأصحاب السجل يقولون
مثل قول بعض الناس فيما بين عدنان واسماعيل^٢) ، ووجدته يقول : (وفي
سجل خولان وحير بصعدة : أولد مهرة الأمري ، والدين ، ونادغم، ويبدع...^٣)
ويقول في (باب نسب خولان بن عمرو) ، (فهذه الآن بطونها على ما روى
رجال خولان وحير بصعدة . وقد سكنت بها عشرين سنة ، فأطلت على أخبار
خولان وأنسابها ، ورجلها كما أطلت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد
ابن أبيان الخنفرى المتوارث من الجاهلية ، فن أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ،
ومنها ما دخل في كتاب الأيام^٤ . وقال في موضع : (وقال بعض وضعة
السجل ونساب الميسع)^٥ . ويتبين من هذه الملاحظات أن السجل المشار اليه هو
مجموعة أجزاء ، وضعها جملة أشخاص ، كل جزء سجل قائم بذاته في الأنساب ،
وهو متفاوت الأزمنة ، ويشمل القبائل والناس . وقد جمعت جمعاً ، على طريقة
رواة النسب في رواية الأنساب . ولا استبعد أن يكون السجل قد وضع في صدر
الإسلام ، حينما شرع في أيام (عمر) بتسجيل النسب في ديوان . فدونت عندئذ
أنساب القبائل ، ورجع في ذلك إلى ما كان متعارفاً عليه من النسب في الجاهلية
الملاصقة للإسلام وفي صدر الإسلام ، ثم أكمل على مرور الأيام . ولذلك
تعددت الأيدي في كتابته ، وصار على شكل فصول في أنساب القبائل ، كل
سجل في نسب قبيلة وما يتفرع منها . والطابع البارز عليه هو الطابع اليانعي المحلي
المتأثر بالروايات التوراتية عن (اليقطينيين) ، الذين صيروا قحطانيين بتأثير روايات
أهل اليمن من أهل الكتاب وعلى رأسهم كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وربما
من أناس آخرين سبقوهم ، ومن الروايات اليمنية المحلية التي تعارف عليها أهل
اليمن في أنساب قبائلهم آنئذ . ولهذا نجد الطابع اليانعي المحلي بارزاً في مؤلفات
أهل اليمن التي نقل منها الهمداني وأمثاله ، ولا نجد على هذا النحو في مؤلفات

١ الاكلیل (١٣١/١ وما بعدها)

٢ الاكلیل (١٣٦/١) .

٣ الاكلیل (١٩٣/١) .

٤ الاكلیل (١٩٩/١) .

٥ الاكلیل (٣٥٥/١) ، « قال أهل السجل » ، الاكلیل (١٦٠/٢) .

النسابين الشماليين الذين ينسبون أنفسهم الى اليمن مثل (ابن الكلبي) وأضرابه ، لأنهم كانوا بيعيين عن اليمن ، فعلمهم بالروايات اليانية ، ولا سيما روايات أهل حير وصعدة وخولان وصنعاء وغيرهم من النسابين المحليين ، لذلك ، قليل . وقد أورد الحمداني في الجزء الثاني من كتابه « الإكليل » جملة تدل على أن « السجل القديم » الذي يشير اليه في كتابه ، كان سجل نسباً عرف بـ « ابن أبان » ، اذ يقول : « قال الحمداني : قال علماء الصعديين وأصحاب السجل القديم : سجل ابن أبان »^١ . ولعل « ابن أبان » كان قد وضعه وجمعه في أبواب ، ثم جاء جمع من النسابين فأضافوا عليه فصولاً جديدة في الأنساب ، وعرف الكتاب كله وبجميع فصوله بـ « السجل » . وقد كان أصحاب السجل من أهل صعدة ، لما ذكره الحمداني من قوله : « عن الصعديين من أصحاب السجل »^٢ .

وكان « الحمداني » ، قد نص في الجزء الأول من « الإكليل » على أن ذلك السجل ، هو سجل « محمد بن أبان الخنفري » ، وذلك في أثناء حديثه على بطون « صعدة » ، اذ قال : « فهذه الآن بطونها على ما روى رجال خولان وحير بصعدة . وقد سكنت بها عشرين سنة ، فأطلت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها ، كما أطلت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية ، فن أنخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ، ومنها ما دخل في كتاب الأيام »^٣ . ويفهم من هذا النص ، أن السجل المذكور هو سجل « محمد بن أبان » وكان يحفظه ، وقد ورثه من الجاهلية .

ويظهر من اشارات « الحمداني » اليه ، انه قصد بهذا السجل « السجل القديم » ، وأما السجلات الأخرى ، فقد كانت من وضع علماء آخرين من علماء النسب كانوا بمدينة صعدة ، وقد جمعوا أنساب خولان وحير وقبائل أخرى ، وأضافوها على شكل مشجرات نسب الى ذلك الديوان ، فصار مجموعة سجلات . ولهذا كان ينسب « الحمداني » الى الموارد التي كان يستقي منها من غير ذلك السجل ، كالذي ذكره من « أنساب بني الهميسع بن حير » ، اذ قال : « الا

١ الإكليل (١٤/٢) .

٢ الإكليل (١٦/٢) .

٣ الإكليل (١٩٩/١) ، « وفي سجل خولان وحير بصعدة » (١٩٣/١) .

ما أخذته عن رجال حير وكهلان من سجل خولان القديم بصعدة وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخبوان وما أخبرني به الآباء والأسلاف^١ .

وأما ما يذكره « الهمداني » من أن أصل السجل القديم وأساسه جاهلي ، فأمر لا أريد أن أبت فيه الآن . لا أريد أن أنفيه ، ولا أريد أن أثبته أيضاً . بل أقف منه موقف المحايد الخدر ، لأنني لا أجد في المنقول منه في كتاب « الاكلیل » ما يشير الى جاهلية وأصل جاهلي ، فالشجرات المذكورة هي من هذا النوع المؤلف الذي نراه في كتب الأنساب المؤلفة في الإسلام ، وبعضه متأثر بروايات التوراة ، ولهذا فأنا لا أستطيع أن أرجعه الى ما قبل الإسلام ، ولا أستطيع أن أتجر فيه وفي أصله ما دمت لا أملك « السجل » نفسه ، لا القديم منه ولا الجديد ، أو نصوصاً طويلة أخذت منه ، حتى يسهل عليّ الحكم من قراءتي لما ورد ومن دراسته على أصل ذلك الكتاب وصحة نسبته الى الجاهلية .

وأما « الخنصري » ، صاحب السجل ، فهو : « محمد بن أبان بن ميمون ابن حريز الخنصري »^٢ . ولد في ولاية معاوية بن أبي سفيان في سنة خمسين ، وتوفي في سنة خمس وتسعين ومائة ، ودفن في رأس « حدة صعدة »^٣ . هذا ما رواه « الهمداني » عنه . وذكر « الهمداني » انه عاش « ١٢٥ » سنة ، ولو أخذنا بهذا الرقم الذي ذكره « الهمداني » ، فيجب أن تكون سنة وفاته « ١٧٥ » ، لا « ١٩٥ » للهجرة . ولذلك ، فيجب أن يكون في تأريخ المولد أو الوفاة وربما في مدة عمر « الخنصري » خطأ . واني أشك في طول ما ذكره عن عمره .

وكان لغير أهل صعدة كتب في الأنساب أيضاً ، دونوا فيها أنسابهم ، كما كان هنالك نسابون حفظوا أنساب قبائلهم أشار « الهمداني » اليهم في مواضع من كتابه^٤ . وهم من غير أصحاب السجل . وكان بعض منهم قد قابل بين ما دونه عن القبائل وبين ما دون في السجل عنها ، كما كان أهل السجل يعرضون

١ الاكلیل (١٣/١) فما بعدها .
٢ اكلیل (١٩٩/١ ، ٢٢٧) ، الاكلیل (١١٨/٢) .
٣ الاكلیل (١١٩/٢) .
٤ الاكلیل (١٠٢/٢ ، ١٩٤) ، « قال الهمداني : فخيرني محمد بن احمد القهبي السمسار وكان خبيراً بالخطيين » ، الاكلیل (٦٥/٢) .

ما دونوه عن القبائل على نسائهم ليسان رأيهم فيها . قال الهمداني « بطون الصدف ، عن الصعديين من أصحاب السجل ، مقروء على بعض نسابة الصدف »^١ .

ونجد في الجزء الثامن من الإكليل مواضع ذكر فيها الهمداني (أبا نصر) أيضاً . وقد راجعتها وراجعت الأماكن التي أشير فيها إليه في الجزء الأول ، فتبين لي أن علم (أبي نصر) بتاريخ اليمن القديم هو على هذا الوجه : احاطة بأنساب القبائل اليمنية على النحو الذي كان شائعاً ومتعارفاً في أيامه ومسجلاً في سجلات الأنساب في تلك الأيام ، ورواية للأساطير التي راجت عن التبابعة ، وأخذ من موارد توراثية ظهرت في اليمن من وجود اليهود فيها قبل الإسلام .

أما علمه بالمسند ومدى وقوفه عليها ، فأنا أعتقد أن علمه بها لا يختلف عن علم غيره من أهل اليمن : وقوف على الحروف ، وتمكن من قراءة الكلمات ، واحاطة عامة بالمسند . أما فهم النصوص واستنباط معانيها بوجه صحيح دقيق ، فأرى أنه لم يكن ذا قدرة في ذلك ، وهو عندي في هذا الباب مثل غيره من قراء الخط الحميري . ودليلي على ذلك أن القراءات المنسوبة إليهم هي قراءات لا يمكن أن تكون قراءات لنصوص جاهلية ، وإن تضمنت بعض أسماء بمانية قديمة ، لسبب بسيط ، هو أن أساليبها ومعانيها ونسقها لا تتفق أبداً مع الأساليب والمعاني المألوفة في الكتابات الجاهلية ، فقراءات أبي نصر وأمثاله قراءات بعيدة جداً عن النصوص المعهودة ، هي قراءات إسلامية فيها زهد وتصوف وتوحيد وحض على الابتعاد عن الدنيا . أما نصوص المسند التي عثر عليها حتى الآن ، فلأنها نصوص وثنية لا تعرف هذه المعاني ، وأسلوبها في الكتابة لا يتفق مع ذلك الأسلوب . وهي في أمور أخرى شخصية أو حكومية لا صلة لها بمثل هذه الآراء والمعتقدات .

وقد أورد (الهمداني) نصاً قال إنه قراءة من قراءة (أبي نصر) فيه نسب (عابر) ، هذا نصه : (قال أبو نصر : الناس يغلطون في عابر ، وهو هود بن أعين بن حلجم بن بضم بن عوضين بن شداد بن عاد بن عوض بن إرم بن عوض بن عابر بن شالخ . وذكر أنه وجد هذا النسب في بعض مساند

١ الإكليل (١٦/٢) .

حمير في صفاح الحجارة)^١. وقارئ هذا النص الذي هو مزيج من رواية توراتية ومن إضافة غريبة ، يخرج من قراءته ، برأي واحد هو أن (أبا نصر) ، كان لا يتوقف عن نسبة أمور من عنده إلى المساند ، فيحملها ما لا يعقل أن تحمله أبداً . فلو كان النص حميرياً صحيحاً مأخوذاً من التوراة ، لكان النسب على نحو ما ورد في التوراة ، ولو كان صاحبه وثيقاً لا يدين بدين سماوي ، فإنه لا يعقل أن يخلط فيه هذا الخلط .

ولكنني لا أريد هنا أن أكتفي بتقديم التقدير الى الهمداني والى الباقيين من علماء اليمن الذين سبقوه أو جاؤوا من بعده والثناء على طريقتهم المذكورة ، بل لا بد لي من التحدث عن درجة علم هؤلاء العلماء بالمسند ، وبقراءة الكتابات وبعلمهم بمعانيها، أي علمهم بقواعد وأصول اللهجات التي كتبت بها مثل اللهجة المعينية أو السبئية أو القتبانية أو الحضرمية وغيرها من بقية اللهجات ، وذلك ليكون كلامنا كلاماً علمياً صادراً عن درس ونقد وفهم بعلم أولئك العلماء بتاريخ اليمن القديم .

ولن يكون مثل هذا الحكم ممكناً الا بالرجوع الى مؤلفات (الهمداني) وغيره من علماء اليمن لدراستها دراسة نقد عميقة . ومقابلة ما ورد فيها من قراءات للنصوص مع قراءات العلماء المحدثين المتخصصين بالعربيات الجنوبية لتلك النصوص ان كانت أصولها أو صورها موجودة محفوظة ، وعندئذ يمكن الحكم حكماً علمياً سليماً على مقدار علم أولئك العلماء بلغات اليمن القديمة وبتأريخها المندرس . ولكننا ويا للأسف لا نملك كل أجزاء كتاب (الإكليل) ولا كل مؤلفات الهمداني أو غيره من علماء اليمن ، فالجزء التاسع من الإكليل مثلاً وهو جزء خصص بأمثال حمير وبحكمها باللسان الحميري وبحروف المسند^٢، هو جزء ما زال مختفياً ، فلم نر وجهه ، وهو كما يظهر من وصف محتوياته مهم بالنسبة إلينا ، وقد يكون دليلاً ومرشداً لنا في اصدار حكم على علم الهمداني بلغة حمير . ولكن ماذا نصنع

١ الإكليل (٩٣/١) .

٢ للوقوف على الأجزاء الأخرى من كتاب (الإكليل) تراجع مقدمة (نبيه فارس) Brockelmann, Vol., I, S., 229, Ency., Vol., 2, P., 246.

قال الهمداني : أكثر ما وجد في المساند القبورية بكلام الحميرية ، وأنا لما جعلنا الجزء السابع ؟ مقصوراً على الكلام بالحميرية (الإكليل (١٤٣/٨) (طبعة الكرملية) وقد أخطأ الكرملية في كلمة (السابع) ، والواجب ان يكون الرقم : (التاسع)

ونفعل ، وقد حررنا رؤية هذا الجزء ، وليس في مقدورنا نشره وبعثه ، فهل نسكت ونجلس انتظاراً للمستقبل ، عسى أن يُبعث الى عالم الوجود ؟

هذا ، وقد طبع الجزء الثامن من الإكليل وكذلك الجزء العاشر منه ، فاستفاد منها المولعون بتاريخ اليمن القديم وبتأريخ بقية أجزاء العربية الجنوبية ، وطبع الجزء الأول من هذا الكتاب حديثاً برواية (محمد بن نشوان بن سعيد الحميري) ، وقد ذكر أنه اختصر شيئاً في مواضع الاختلاف وفي النسب مما ليس له شأن في نظره دون أن يؤثر على الكتاب^١ .

وطبع الجزء الثاني من الإكليل أيضاً ، أخرجه ناشر الجزء الأول : « محمد ابن علي الأكوع الحوالي » من عهد غير بعيد^٢ ، وليس لنا الآن إلا أن نرجو نشر الأجزاء الباقية من هذا الكتاب ، ليكون في وسعنا الحكم على ما جاء فيه من أخبار عن أهل اليمن الجاهليين .

إن أقصى ما نستطيع في الزمن الحاضر فعله وعمله لتكوين رأي تقريبي تخميني من علم الهمداني وعلم بقية علماء اليمن بلهجات أهل اليمن القديمة وبتأريخهم القديم ، هو أن نرجع الى المتيسر المطبوع من مؤلفاتهم ، لدراسته دراسة نقد علمية عميقة ، لاستخراج هذا الرأي منها . وهو وإن كان أقل من الضائع بكثير ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، والموجود خير من المعلوم ، وفي استطاعته تقديم هذا الرأي التخميني التقريبي . فلنبحث إذن في هذا المطبوع لنرى ما جاء فيه .

أما بخصوص الخط المسند ، فقد ذكر (الهمداني) أن جماعة من العلماء في أيامه كانت تقرأ المسند ، غير أن أولئك العلماء كانوا يختلفون فيما بينهم في القراءة ، وكان سبب ذلك — على رأيه — اختلاف صور الحروف ، (لأنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويكون للذي يقرأ لا يعرف إلا صورة واحدة)^٣ . وقد عرف (الهمداني) أن كتاب المسند كانوا يفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم ، وذكر أنهم كانوا يقرأون كل سطر بخط . غير أنه لم يذكر عدد الحروف . وصرح أنهم « كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط

١ طبع في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٦٣ ، ونشر برقم ٢ من المكتبة اليمنية (ص ٥)

٢ القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، سنة ١٩٦٦ م .

٣ الاكليل (١٢٢/٨) .

الحرف ، مثل ألف همدان وألف رثام ، فيكتبون رثم وهمدن ، ويثبتون ضمة آخر الحرف وواو عليهم^١ . وهي ملاحظات تدل على احاطة عامة بالمسند، سوى ما ذكره من أنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويظهر أنه وغيره قد توصلوا إلى هذا الرأي من اختلاف أيدي الكتاب في رسم الحروف ونقورها على الحجر ، كالذي يحدث عندنا من تباين الخطوط باختلاف خطوط كتبه ، فأدى تباين الخط هذا إلى اختلافهم في القراءة ، وإلى ذهابهم إلى هذا الرأي ، أو أنهم اختلفوا فيها من جراء تشابه بعض الحروف مثل حرف الهاء والحاء ، فإن هذين الحرفين متشابهان في الشكل ، فكلاهما على هيئة كأس يرتكز على رجل ، والفرق بينهما ، هو في وجود خط عمودي في وسط الكأس هو امتداد لرجل الكأس ، وذلك في حرف (الحاء) ، أما الهاء ، فلا يوجد فيه هذا الخط الذي يقسم باطن الكأس إلى نصفين . ويشبه حرف (الحاء) حرف (الهاء) في رسم رأس الكأس ، ولكنه يختلف عنه في القاعدة ، إذ ترتكز هذا الرأس على قاعدة ليست خطأ مستقيماً ، بل على قاعدة تشبه كرسي الجلوس ذي الظهر . ومثل التشابه بين حرفي الصاد والسين ، فكلاهما على هيئة كأس وضعت وضعا مقلوباً ، بحيث صارت القاعدة التي ترتكز الكأس عليها إلى أعلى . أما الرأس ، وهو باطن الكأس ، فقد وضع في اتجاه الأرض . ولكن قاعدة (الصاد) هي على هيئة رقم خمسة في عربيتنا ، أي على هيئة دائرة أو كرة بينما قاعدة حرف السين هي خط مستقيم ، أما باطن كأس حرف (الصاد) ، ففيه خط يقسمه إلى قسمين وذلك في الغالب ، وقد يهمل هذا الخط المقسم ، أما حرف السين ، فلا يوجد فيه هذا الخط^٢ .

وجاء (شوان بن سعيد الحميري) بملاحظات عن (المسند) هي الملاحظات

- ١ الاكلیل (١٢٢/٨) ، (طبعة نبية) ، (١٤١/٨) ، - طبعة الكرملی - ، له ملاحظات أخرى في كيفية الكتابة بـ المسند ، ذكرها في الجزء العاشر ص ١٦ ، ١٧ ، (والمسند : خط حمير ، مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام مسكهم فيما بينهم ، قال ابو حاتم : هو في ايديهم الى اليوم باليمن) ، لسان العرب (٢٠٦/٤) ، الفهرست ص ٨ ، الجزء الاول من مجلة المجمع العلمي العراقي في (جمهرة النسب) ، ص ٣٤٥ ، سنة ١٩٥٠ .
- ٢ للوقوف على اشكال حروف المسند ، يستحسن مراجعة جدول الحروف الموضوع في هذا الجزء .

التي أوردتها (الهمداني) عنه ، فقال : المسند : خط حمير ، وهو موجود كثيراً في الحجارة والقصور ، وهذه صورته على حروف المعجم ... وله صور كثيرة ، إلا أن هذه الصورة أصحها . واعلم أنهم يفصلون بين كل كلمتين بصفر ، لئلا يخلط الكلام . وصورة الصفر عندهم كصورة الألف في العربي^١ .. وما قلته عن تعدد صور الحرف قبل قليل ، ينطبق على ملاحظة (نشوان) أيضاً . ويظهر أن قوماً من أهل اليمن بقوا أمدأ في الإسلام وهم يتوارثون هذا الخط ويكتبون به . فقد جاء في بعض الموارد : (والمسند خط حمير ، مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم . قال أبو حاتم : هو في أيديهم إلى اليوم باليمن)^٢ ، إلا أنه لم يتمكن من الوقوف أمام الخط العربي الشمالي الذي دون به القرآن الكريم ، فغلب على أمره ، وتضاءل عدد الكتاب به حتى صار صفراً .

ومما يؤسف عليه كثيراً أننا لا نملك النسخ الأصلية التي كتبها أولئك العلماء بخط أيديهم، حتى نرى رسمهم لحروف المسند . فإن الصور المرسومة في المخطوطات الموجودة وفي النسخ المطبوعة ، ليست من خط المؤلفين ، بل من خط النساخ، فلا أستبعد وقوع النسخ في صور حروف المسند في أثناء النقل ، ولا سيما إذا تعددت أيدي النساخ بنسخ أحدهم عن ناسخ آخر . وهكذا . فليس للنساخ علم بالمسند ، ولذا لا أستبعد وقوعهم في الخطأ . ومن هنا فإن من غير الممكن إصدار رأي في مقدار اتقان الهمداني وبقية العلماء لرسم حروف الخط المسند .

وقد أشار (الدكتور كرنكو) الى هذه الحقيقة، إذ ذكر أن صور الحروف الحميرية في (الإكليل) تختلف باختلاف النسخ اختلافاً كبيراً ، فقد صور كل ناسخ تلك الحروف على رغبته وعلى قدرته على محاكاة النقوش، ومن هنا تباينت وتعددت ، فأضاعت علينا الصور الأصلية التي رسمها الهمداني لتلك الحروف^٣ . أما رأينا في علم علماء اليمن بفهم المسند ، فيمكن تكوينه بدراسة النصوص الواردة في مؤلفاتهم وبدراسة معرباتها ومقابلتها بالنصوص الأصلية المنقورة على الحجارة ان كانت تلك النصوص الأصلية لا تزال موجودة باقية ، أو بمراجعة

١ منتخبات (ص ٥٢) .

٢ لسان العرب (٢٠٦/٤) .

٣ الاكليل (٣٢٨/٨) (طبعة الكرمل) .

النصوص المدونة ومقابلتها بمعرباتها لئرى درجة قرب التعريب أو بعده من الأصل. وعندئذ نستطيع ابداء حكم على مقدار فهم القوم لكتابات المسند . أما في حالة اكتفاء المؤلف بإيراد التعريب فقط أي معنى النص لا متنه ، فليس أمامنا من سبيل غير وجوب مراجعة المعربات ودراستها من جميع الوجوه ، لئرى مقدار انطباق أساليبها على الأساليب المألوفة في كتابات المسند ، وعندئذ نتمكن من تكوين رأي في هذا الذي ورد في المؤلفات على أنه ترجحات ، ونتمكن بذلك من الحكم بمقدار قرب تلك الترجحات والقراءات من المسند أو بعدها منه .

وخلاصة ما توصلت إليه من دراساتي الاجالية للأجزاء المطبوعة من مؤلفات (الهمداني) أن الهمداني ، وإن كان يحسن قراءة حروف المسند ، ويعرف القواعد المتعلقة بالخط الحميري ، إلا أنه لم يكن ملماً بالأسنة المسند . ولم يتمكن من ترجمة النصوص التي نقلها ترجمة صحيحة ، ولم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها وما قصد منها ، فجعل (تالِباً) ، وهو اسم إله من آلهة اليمن المشهورة ، ومعبود قبيلة (همدان) الرئيس ، اسم رجل من رجال الأسرة المالكة لهمدان . وجعل (رياما) ، وهو اسم مكان من الأمكنة المشهورة ، وكان به معبد معروف للإله (تالب) ، ابناً من أبناء (نهقان) ، ومن أبناء (تالب) . ولم يبخل الهمداني عليه ، فوهب له أمماً قال لها : (ترعة بنت بازل بن شرحبيل بن سار بن أبي شرح يحضب بن الصوار)^١ .

وأورد (الهمداني) نصاً ذكر أن (أحمد بن أبي الأغر الشهابي) ، وحده بـ (ناعط) ، فقرأه ، فإذا هو : (علهان ونهقان ابنا بتع بن همدان ، لهم الملك قديماً كان)^٢ . وقد عدّ (علهان نهقان) رجلين هما (علهان) و(نهقان) ، مع أن (علهان نهقان) ، هو رجل واحد ، وهو ملك من ملوك سبأ وسيأتي ذكره . وقد كان والده (يريم أيمن بن أوسلت رفشان) من قبيلة (همدان) . وكلمة (نهقان) لقب له . أما اسمه فهو (علهان) . وكان له شقيق اسمه (برج يهركب) ، كما ورد ذلك في كتابة عثر عليها في (ريام)^٣ ، فلم يكن

١ الاكليل (١٧/١٠ ، ١٨)

٢ الاكليل (١٦/١٠)

٣ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ، تأليف (اغناطيوس غويدي) من نشرات الجامعة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٣٠ ، ص ٢١ ، راجع النص الموسوم بـ :

C.I.H. 315

والده اذن رجلاً اسمه (بتع بن همدان) كما جاء في القراءة .
وأما (بتع) ، فقبيلة من قبائل همدان ، وأما جملة : « لهم الملك قديماً كان » ، فهي لا ريب من قول الشهابي ، وليست بعبارة حميرية . وليس التعبير - وان فرضنا أنها ترجمة للأصل - من التعابير المستعملة في الحميرية ، التي ترد في الكتابات . ولما كنا لا نعرف المتن الأصلي للنص ، يصعب علينا الحكم عليه أكان قريباً من هذا المعنى أو كان شيئاً آخر ، عرف منه الشهابي بضع كلمات ثم فسره بهذا التفسير .

ويظهر على كل حال أن قراء المسند (وقد قلت لأنهم كانوا يحسنون في أيام الهمداني قراءة حروف المسند) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميرية ، ولا باللسان الحميري ، أو الألسنة العربية الجنوبية الأخرى . نخذ مثلاً على ذلك : (بن) وهي حرف جر عند العرب الجنوبيين ، وتعني (من) و (عن) بلغتنا قد أوقعتهم هذه الكلمة في مشكلات خطيرة . فقد تصور القوم عند قراءتهم لها ، أنها تعني أبداً (ابناً) على نحو ما يفهم من هذه الكلمة في لغتنا . وفسروها بهذا التفسير . ففسروا (بن بتع) أو (بن همدان) وما شابه ذلك (ابن بتع) أو (ابن همدان) ، والمقصود من الجملتين هو (من بتع) و (من همدان) ، وبذلك تغير المعنى تماماً ، ومن هنا وقع القوم - على ما اعتقد - في أغلاط حين حسبوا أسماء القبائل وأسماء الأماكن الواردة قبل (بن) وبعده ، أسماء أشخاص وأعيان ، وأدخلوها في مشجرات الأنساب . فاقصر علمهم على الأبجدية وجهلهم باللغة ، أوقعهم في مشكلات كثيرة ، وسبب ظهور هذا الخلط^١ .

وجاء الهمداني بنصوص آخر ذكر أنها كانت مكتوبة بالحميرية ، مثل النص الذي زعم أن مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيواني قرأه على حجر في مسجد خيوان ، وهذا نصه : (شرح ما ، وأخوه ما ، وبنوه ما ، يقول شهران بنو هجر ، هم معنة بدار القلعة)^٢ . وأمثال ذلك من النصوص . ولا اعتقد أنك ستقول : إن هذا نص حميري ، ولا يسع أمراً له لإلام بالحميرية أن يوافق على وجود مثل هذه العائلة عاتلة ما ، أو يسلم بأن هذه قراءة صحيحة لنص

١ Ditlef Nielsen, Der Sabalsche Gott Ilmukah, Leipzig, 1910, 2.

٢ الاكليل (١٩/١٠) .

حميري . بل لا بد من وجود أخطاء في القراءة وفي التفسير . ولا أريد أن أتجاوز على رجل مشى الى ربه ، فلعله كان يحسن قراءة بعض الحروف والكلمات ، ويتصور أنه أحسن قراءة النص كله وفهمه ، فجاء بهذه العبارة . وعلى كل ، إن كل الذي جاء في النصوص التي وقفت عليها في كتب الهمداني لا يمكن أن يعطي غير هذا الانطباع ، ولعلنا سنغير رأينا في المستقبل اذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره .

ويأتي (الهمداني) أحياناً بأبيات شعر زاعماً انها من المسند . ففي أثناء كلامه مثلاً على قصر (شحرار) قال : « وفي بعض مساند هذا البنيان بحرف المسند :

شحرار قصر العلا المنيف أسسه تبع ينوف
يسكنه القليل ذي معاهر نخر قدّامه الأنوف^١

أما نحن ، فلم نعر حتى اليوم على أية كتابة بالمسند ، ورد فيها شعر ، لا بيت واحد ولا أكثر من بيت . وأما متن البيتين المذكورين ، فليس حميرياً ولا سبئياً ولا معينياً وليس هو بأية لهجة يمانية أخرى قديمة ، وإنما هو بعريتنا هذه ، أي بالعربية التي نزل بها القرآن الكريم ، نظمه من نظمه من المحدثين بهذه اللغة البعيدة عن لغات أهل اليمن .

أما الباب الذي عقده في الجزء الثامن بعنوان : (باب القبوريات) ، فقد استمد مادته من روايات وأخبار (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)^٢ ، و (ابن لهيعة)^٣ و (موهبة بن الدعام) من همدان^٤ و (أبي نصر)^٥ و (وهب بن منبه)^٦ و (كعب الأحبار) و (عبدالله بن سلام)^٧ . وقد

-
- ١ الاكلیل (٦٦/٨) (طبعة الكرملی) .
 - ٢ الاكلیل (١٤٤/٨ ، ١٤٧ ، ١٥٤ فما بعدها ، ١٧٧ ، ١٩٦ ومواضع أخرى) (طبعة الكرملی) .
 - ٣ الاكلیل (١٤٥/٨ ، ١٩٥) .
 - ٤ الاكلیل (١٤٦/٨) .
 - ٥ الاكلیل (١٧٣/٨) .
 - ٦ الاكلیل (١٨٠/٨) (وقد ذكر القصة كاملة وهب بن منبه في تيجان الملوك) ، الاكلیل (١٨٦/٨) .
 - ٧ الاكلیل (٣٠٩/٨) (طبعة الكرملی) .

أورد فيه نصوصاً زعم أنها ترجحات لنصوص المسند ، عثر عليها في القبور عند الأجداث . وأورد بعضها شعراً ، زعم أنه مما وجد في تلك القبور ، كالذي ذكره عند حديثه عن قبر (مرشد بن شدّاد)^١ ، وعن قبرين جاهليين عثر عليهما بـ (الجند) وقد نص على أن الشعر المذكور كان مكتوباً بالمسند وقد دونه^٢ . وهو وكل الأشعار الأخرى ومنها المراثي منظوم بعربية القرآن . وأما النثر ، فإنه بهذه العربية أيضاً ، وهو في الزهد والموعظة والندم والحث على ترك الدنيا ، فكأن أصحاب القبور ، من الوعاظ المتصوفين الزهاد ، ماتوا ليعظوا الأحياء من خلال القبور ، ولم يكونوا من الجاهليين من عبدة الأصنام والأوثان .

وهو قسم بارد سخي ، يدل على ضعف أحلام رواه ، وعلى ضعف ملكة النقد عند (الهمداني) وعلى نزوله إلى مستوى القصص والسمّار والأخباريين الذين يروون الأخبار ويشبّثونها وإن كانت مخالفة للعقل . إذ أنه لا يختلف عنهم هنا بأي شيء كان .

وجعل رأيي في (الهمداني) أنه قد أفادنا ولا شك بوصفة للعاديات التي رآها بنصه على ذكر أسمائها ، وأفادنا أيضاً في إirاده ألفاظاً يمانية كانت مستعملة في أيامه استعمال الجاهليين لها : وقد وردت في نصوص المسند ، فترجمها علماء العربيات الجنوبية ترجمة غير صحيحة ، فمن الممكن تصحيحها الآن على ضوء استعمالها في مؤلفات الهمداني وفي مؤلفات غيره من علماء اليمن . أما من حيث علمه بتاريخ اليمن القديم ، فإنه وإن عرف بعض الأسماء إلا أنه خلط فيها في الغالب ، فجعل اسم الرجل الواحد اسمين ، وصير الأماكن آباءً وأجداداً ، وجعل أسماء القبائل أسماء رجال ، ثم هو لا يختلف عن غيره في جهله بتاريخ اليمن القديم ، فلأ الفراغ بإيراده الأساطير والخرافات والمبالغات . وأما علمه بالمسند فقد ذكرت أنه ربما قرأ الكلمات ، ولكنه لم يكن يفقه المعاني ، ولم يكن ملماً بقواعد اللهجات اليمنية القديمة ، وقد حاولت العثور على ترجمة واحدة تشير إلى أنها ترجمة صحيحة لنص من نصوص المسند ، فلم أتمكن من ذلك وبالأسف .

١ الاكلیل (١٧٥/٨) (طبعة الكرملی) .

٢ الاكلیل (١٧٨/٨) .

وعلم (الهمداني) بجغرافية اليمن والعربية الجنوبية ، يفوق كثيراً علمه بتاريخ هذه الأرضين القديم ، فقد خبر أكثرها بنفسه وسافر فيها ، فاكسب علمه بالتجربة . أما علمه بجغرافية الأقسام الشمالية من جزيرة العرب ، فإنه دون هذا العلم^١ .

وأفادت (القصيدة الحميرية) ، لصاحبها (نشوان بن سعيد الحميري) فائدة لا بأس بها في تدوين تاريخ اليمن^٢ . ولهذا المؤلف معجم سمّاه (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)^٣، ضمنه ألفاظاً خاصة بعرب الجنوب^٤ . وينطبق ما قلته في الهمداني على نشوان أيضاً . فاذا قرأت كتبه ، تشعر أنه لم يكن يفهم النصوص الحميرية ولا غيرها ، وإن كان يحسن قراءة المسند . وما ذكره في كتابه (شمس العلوم) - وإن دلّ على حرص على جمع المعلومات ، وعلى تتبع يحمده عليه للبحث عن تاريخ اليمن ولغاتها القديمة - يدلّ على أنه لم يكن يفهم نصوص المسند ، وليس له علم بتاريخها وبتواريخ أصحابها ، وأنه لا يمتاز بشيء عن الهمداني أو سائر علماء اليمن الذين كانوا يدعون العلم بأخبار الماضين ، وأكثر الذي ذكره في كتابه على أنه من اللهجات الحميرية والعربية الجنوبية هو من مفردات معجمات اللغة ، ومن لهجات العربية الفصحى خلا ذلك الذي كان يستعمله أهل اليمن ، وهو قليل إذا قيس إلى سواه ، وقد فسر معانيه على نحو ما كان يقصده الناس في أيامه . ومع هذا ، فهذا النوع من الكلمات هو الذي نطمح فيه ، لأنه من بقايا اللهجات البائدة ، ويفيدنا فائدة عظيمة في فهم معاني النصوص وفي قراءتها وشرحها وتفسيرها ، ولعله لم يكثر منها ، لأنها كانت من كلام العوام فأشفق على نفسه من البحث في لغة العوام .

١ Moritz, S., 20.

٢ تجد ترجمته في : ارشاد الاريب (٢٠٦/٧) ، بغية الوعاة (ص ٤٣٠) ،
W. F. Prideaux, The Lay of the Himyarites, Sehare, 1879,
Von Kremer, Die Himjarische Qaside, Leipzig, 1865.
Brockelmann, I, S., 301, Suppl., I, 527, f., R. Basset,
La Qasidah Himyarite De N.B.S., Alger, 1914.

٣ الاكليل (٨/٨) وقيل : (شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم) نشر
منتخبات منه عظيم الدين احمد في سلسلة تذكّار (كب) لندن ، ١٩١٦ ،
(منتخبات في اخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) ،
وسأشير اليه ب : منتخبات .

٤ راجع مئة مادة هجر منتخبات ص ١٠٨ .

ولم يزد (نشوان) في شروحه لأسماء الأعيان والأجذام والقبائل والعوائل والأمكنة على ما أورده الهمداني أو سائر علماء التاريخ وأهل الأنساب ، فعدّ أسماء القبائل مثل همدان ، أسماء أشخاص لهم أنساب وأولاد وأقرباء ، وأخطأ في الأغلاط نفسها التي وقع فيها الهمداني ، فذكر جملاً مسجوعة على أنها من وصايا التباينة ، وعبارات متكلفة على أنها قراءات لنصوص حميرية مكتوبة بالمسند^١ .

ومحمد بن نشوان بن سعيد الحميري نفسه هو ممن اعتمد على علم الهمداني ، كما نص على ذلك في فاتحة الجزء الأول من الإكليل . فهذا الجزء الذي طبع حديثاً هو برواية محمد بن نشوان ، رواه لمن سأله أن يوضح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها وما حفظ من سيرها وآثارها ، فما كان منه إلا أن أخذ الإكليل فكتب له ، لم يغير فيه سوى ما قاله : (غير اني اختصرت شيئاً ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب . بل هو مما ذكره من الاختلاف في التاريخ ونحوه ، من غير أن أنسب الكدر الى صفوه)^٢ . وفي مقدمته لهذا الجزء ثناء عاطف على الهمداني ، وتقدير كبير لعلمه في أخبار اليمن .

هذا هو كل ما أريد أن أقوله هنا عن مصادر التاريخ الجاهلي ، وهو قليل من كثير ، ولكن التوسع في هذا الموضوع يخرجنا حتماً عن حدود بحثنا المرسوم ، ويخرجنا الى التحدث في شيء آخر لا علاقة له بالجاهلية ، وإنما يعود الى البحث في التاريخ ، وفي نقده ودروبه عند المؤرخين . على أنني أراني قد توسعت مع ذلك في هذا الباب ، وذلك للحاجة التي رأيتها في ضرورة توضيح بعض الأمور الخاصة بتلك الموارد .

١ منتخبات ص ٧٥٦٠ ومواضع أخرى .

٢ الإكليل (٥/١) .

الفصل الثالث

اهمال التاريخ الجاهلي واعادة تدوينه

من الأمور التي تثير الأسف ، تهاون المؤرخين في تدوين التاريخ الجاهلي ، ولا سيما القسم القديم منه ، الذي يبعد عن الإسلام قرناً فأكثر ، فإن هذا القسم منه ضعيف هزيل ، لا يصح أن نسميه تاريخاً ، بعيد في طبعه وفي مادته عن طبع التواريخ ومادتها .

لقد وفق المؤرخون العرب في كتابة تأريخ الإسلام توفيقاً كبيراً ، من حيث العناية بجمع الروايات والأخبار واستقصائها ، وفي رغبتهم في التمهيص . أما التاريخ الجاهلي ، فلم يظهروا مقدرة في تدوينه ، بل قصروا فيه تقصيراً ظاهراً . فاقصر علمهم فيه على الأمور القريبة من الإسلام ، على أنهم حتى في هذه الحقبة لم يجيدوا فيها إجابة كافية ، ولم يظهروا فيها براعة ومهارة ، ولم يتركوا كل الأبواب أو الموضوعات التي تخص الجاهلية . فتركوا لنا فجوات وثغراً لم نتمكن من سدها وردمها حتى الآن ، ولا سيما في تأريخ جزيرة العرب ، حيث نجد فراغاً واسعاً ، وهو أمر يدعو الى التساؤل عن الأسباب التي دعت الى حدوثه : هل كان الإسلام قد تعمّد طمس أخبار الجاهلية ؟ أو أن العرب عند ظهور الإسلام لم تكن لديهم كتب مدونة في تأريخهم ولا علم بأحوال أسلافهم ، وكانت الأسباب قد تقطعت بينهم وبين من تقدمهم ، فلم يكن لديهم ما يقولونه عن ماضيهم غير هذا الذي وعوه فتحدثوا به الى الإسلاميين ، فوجد سبيله الى الكتب ؟ أو أن العرب لم يكونوا يميلون الى تدوين تواريخهم ، فلم يكونوا مثل

الروم أو الفرس يجمعون أخبارهم وأخبار من تقدم منهم وسلف ، فلما كان الإسلام ، وجاء زمن التدوين ، لم يجد أهل الأخبار أمامهم شيئاً غير هذا الذي روه وذكروه ، وكان من بقايا ما ترسب في ذاكرة المعمرين من أخبار .

لقد عزا بعض الباحثين هذا التقصير الى الإسلام ، فزعم ان رغبة الإسلام كانت قد اتجهت الى استئصال كل ما يمت الى أيام الوثنية في الجزيرة العربية بصلة ، مستدلاً بحديث : (الإسلام يهدم ما قبله)^١ ، فدعا ذلك الى تثبيط همم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية ، والى نحو آثار كل شيء يتفرع عن النظام القديم ، لم يميزوا بين ما يتعلق منه بالوثنية والأنصاب والأصنام، وبين ما يتعلق بالحالة العامة كالثقافة والأدب والتأريخ . فعلوا ذلك كما فعل النصارى في أوروبا في أوائل القرن السادس للميلاد ، فكان من نتائجه ذهاب أخبار الجاهلية ، ونسيانها ، وابتداء التأريخ لدى المسلمين بعام الفيل^٢ . ولهذا (كان المؤرخون أو الأخباريون ، الذين يترتب عليهم تدوين أخبار الماضي وحفظ مفاخره ، من الذين ينظر اليهم شزراً في المجتمع الإسلامي ، وخاصة في العهد الإسلامي الأول . أما مؤرخو العرب العظام ، فلم ينبغوا الا بعد تلك الفترة ، وحتى هؤلاء فإنهم صرفوا عنايتهم الى التأريخ الإسلامي ، ولم يدققوا فيما يخص الجاهلية . وبالإضافة الى ما سبق ، أصبح لكلمة مؤرخ (اخباري) معنى سيء بل أصبحت صفة تفيد نوعاً من الازدراء . وقد ألصقت هذه الصفة بابن الكلبي ، كما ألصقت بكل عالم نجراً على البحث في تأريخ العرب قبل عام الفيل . لكن لم يهاجم أحد من المؤرخين بعنف كما هوجم ابن الكلبي . والراجح أن السبب في ذلك هو انصرافه للدراسة الأشياء التي قرر الإسلام طمسها ، أعني بذلك البيانات والطقوس الوثنية في بلاد العرب)^٣ .

- ١ مجلة الابحاث (ص ١٨٩) ، السنة الـ ٣ ، الجزء الـ ٢ ، حزيران ١٩٥٠ ، الاكليل : مقدمة نبيه امين فارس ص (ب) ، دراسات عن المؤرخين العرب ، تعريب الدكتور حسين نصار ، تأليف (مارغليوث) (ص ٥٣ وما بعدها) .
- ٢ مقدمة نبيه امين فارس للجزء الثامن من الاكليل (ص ب) ، قال : (وقد يكون للحديث المنسوب الى النبي اثر في ذلك . فقد جاء في الحديث ان (الاسلام يهدم ما قبله) ، ولا بد ان عنى النبي في قوله هذا البيانات الوثنية الشائعة في الجزيرة قبل ظهوره من عبادة الأصنام والأنصاب وغيرها . اما اتباعه ، فدفعتهم غيرتهم على تثبيط دعائم الدين الخفيف الى عدم التمييز بين الفث والسمين ، فكادوا يقضون على جميع معالم الثقافة والادب ... الخ) .
- ٣ الابحاث ، الجزء المذكور (ص ١٨٩) .

ثم سبب آخر ، هو أن الإسلام ثورة على مجتمع قائم ثابت ، وعلى مثل تمسك بها أهل الجاهلية ، وعلى قوم كانوا قد تسلطوا وتحكموا وتجهروا بحكم العرف والعادات ، وككل ثورة تقع وكما يقع حتى الآن ، وسم الإسلام الجاهلية ، بكل منقصة ومثلية ، وحاول طمس كل أثر لها وكل ما كان فيها ، حتى ظهرت تلك الأيام على الصورة التي انتهت اليها عن «الجاهلية» وكأن الناس فيها جهلة لم يكن عندهم شيء من علم في هذه الحياة يومئذ ، وكأن عهدهم في هذا العالم لم يبدأ إلا ببدء الإسلام .

وجاءوا بدليل آخر في اثبات أن الإسلام كان له دخل في طمس معالم تأريخ الجاهلية ، إذ ذكروا أن الخليفة (عمر) سأل بعض الناس (أن يرووا بعض التجارب الجاهلية ، أو ينشدوا بعض الأشعار الجاهلية ، فكان جوابهم : لقد جب الله ذلك بالإسلام ، فلم الرجوع)^١ . فوجدوا في امتناعهم عن رواية الشعر الجاهلي أو أخبار الجاهلية ، دلالة على كره الإسلام لرواية تأريخ الجاهلية وانتهاء ذلك الى طمس معالم ذلك التأريخ .

أما حديث (الإسلام يهدم ما قبله) ، فهو حديث لا علاقة له البتة بتأريخ الجاهلية ولا بهدم الجاهلية ، وقد استل من حديث طويل ورد في صحيح مسلم في (باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج) ، وبعد (باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية) ، وقد ورد جواباً عن أسئلة الصحابة عن أعمال منافية للإسلام ارتكبوها في الجاهلية ، هل يغفرها الله لهم ، أو تكتب عليهم سيئات يحاسبون عليها ؟ فقالوا : (يا رسول الله ، انؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟)^٢ . وقد ورد في صحيح مسلم بعد هذا الباب باب آخر بهذا المعنى ، هو (باب بيان حكم عمل الكافر اذا أسلم بعده) .

ولإعطاء رأي صحيح عن هذا الحديث ، أنقل الى القارئ نصه كما جاء في صحيح مسلم قال : (حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن شماس المهرري ، قال : حضرنا عمرو بن العاص ، وهو في سياقة الموت ييكي طويلاً ، وحول

١ دراسات عن المؤرخين العرب (ص ٥٣) . وقد اقتطعت نص هذا الدليل من الترجمة العربية لكتاب المستشرق (مرغليوث) ، المسمى : دراسات عن المؤرخين العرب ، لعدم وجود النص الانكليزي لدي ، فانا ارويّه على مسؤولية المعرب وان كنت ارى ان في الترجمة وهما .

٢ صحيح مسلم (٧٧/١) .

وجهه الى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكذا ؟ قال : فأقبل بوجهه ، فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . إني قد كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مني ، ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي ، أثبت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أبسط يمينك فلأباعدك ، فبسط يمينه . قال : فقبضت يدي ، قال مالك يا عمرو ؟ قلت أردت أن اشترط . قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي . قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه لإجلاله . ولو مت على تلك الحال ، لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدري من حالي فيها ، فإذا أنا مت ، فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فإذا دفنتموني ، فشنوا عليّ التراب شنأ ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وانظر ماذا أراجع به رسل ربي .

وبعد ، فآية علاقة إذن بين هذا الحديث وبين الحث على تهديم الجاهلية وإهمال التأريخ الجاهلي يا ترى ؟

وأما اتخاذهم نهى بعض الصحابة عن رواية الشعر الجاهلي أو أخبار الأيام دليلاً على كره الإسلام لإحياء ذكرى الجاهلية، ومحاولة طمس معالمها وتأريخها ، وحكمهم من ثم عليه بمساهمة في طمس تأريخ الجاهلية واطفائه له ، فإنه دليل بارد ليس في محله ، فإن الذين نهوا عن رواية الشعر الجاهلي أو رواية الأيام ، أو امتنعوا هم أنفسهم عن روايتها ، لم ينهوا ولم يمتنعوا عن روايتها مطلقاً ، أي عن رواية جميع أنواع الشعر الجاهلي أو أخبار كل الأيام التي وقعت في الجاهلية ، بل نهوا أو امتنعوا عن رواية بعض أبواب الشعر ، وبعض أخبار تلك الأيام ، لما كان يحدثه هذا النوع من الشعر أو يوقعه هذا الباب من رواية

الأخبار من شرّ في النفوس ومن فتن قد تجدد تلك العصبيات الخبيثة التي حاربها الإسلام ، لتمزيقها الشمل ، وتفريقها الصفوف . « ومن ثمّ نهى الفاروق ، رضي الله عنه ، الناس بدياً أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحبي بالميت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . ومرّ عمر بحسان يوماً ، وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ، فأخذ بأذنه ، وقال : أرغاء كرغاء البعير ؟ فقال حسان : دعنا عنك يا عمر ، فوالله لتعلم أنني كنت أنشد في هذا المسجد منّ خير منك ، فقال عمر : صدقت ، وانطلق »^١ . ولم يأخذ عمر على حسان رواية ذلك الشعر في مسجد رسول الله إلا لأنه كان من ذلك الشعر المثير للنفوس المهيج للعواطف ، وانشاده في نظره يعيد الناس الى ما كانوا عليه من قتال قبل الإسلام . فلمصلحة العامة نهى بعض الصحابة عنه . ومع ذلك ، تساهل عمر مع حسان ، وتركه ينشد شعره ، بعد أن حاجّه حسان بما رأيت .

وهناك رواية أخرى تشرح لنا الأسباب التي حملت عمر على النهي عن رواية بعض الشعر الجاهلي ، وهي انه (قدم المدينة ، في خلافة الفاروق ، عبد الله بن الزبيرى وضرار بن الخطاب — وكانا شاعري قريش في الشرك — فترلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالوا له : نحبّ أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فتشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا ، فأرسل اليه ، فجاءه . فقال له : يا أبا الوليد : هذان أخواك ابن الزبيرى وضرار قد جاءا أن يسمعاك وتسمعها ما قالوا لك وقلت لهما . فقال ابن الزبيرى وضرار : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا ، وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن ، أم أبداً ؟ قالوا : نبدأ نحن ، قال : ابتدئا . فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر ، فقص عليه قصتها وقصته . فقال له عمر : لن يذهب عنك بشيء إن شاء الله ، وأرسل من يردّهما ، وقال له عمر : لو لم تدركها إلا بمكة ، فأرددهما عليّ ... فلما كان بالروحاء ، قال ضرار لصاحبه :

١ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، لعبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ١٩٢٩ (ص ٠ س ٠ م) .

يا ابن الزبيرى ، أنا أعرف عمر وذبة عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به ، وكأني به قد جاء وشكا اليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا ، وقال لرسوله : إن لم تلحقها إلا بمكة ، فارددهما عليّ ... فأربح بنا ترك العناء ، وأقم بنا مكاننا ، فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها ، وإن أخطأ ظنّي ، فذلك الذي نحب . فقال ابن الزبيرى : نعم ما رأيت . فأقاما بالروحاء ، فما كان إلا كمر الطائر حتى وافهما رسول عمر ، فردّهما اليه . فدعا لهما بحسان وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله . فقال لحسان : أنشدكما مما قلت لهما فأنشدكما ، حتى فرغ مما قال لهما ، فوقف . فقال له عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . فقال له : أنشدك في الخلا ، وأنشدتها في المسأ ... وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيا ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : اني كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً ، دفعاً للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فأما اذ أبوا ، فاكتبوه ، واحتفظوا به . قال الراوي : فدوتوا ذلك عندهم . قال : ولقد أدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها اذا خافت بلاه .. ١ .

بل كان الرسول كما رأينا في خبر (حسان) ، وكما ذكر في أخبار أخرى يجلس وأصحابه يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون أشياء من أمور الجاهلية ، وهو يسمع ويساهم معهم في الحديث ، وينشدهم شيئاً مما حفظه ٢ . ولم ينه عن رواية شعر ما إلا ما كان فيه فحش ، أو إساءة أو إثارة فتنه ، أما ما شابه ذلك ، لما كان يحدثه ذلك الشعر من أثر سيء في النفوس . لقد تمثل بشعر « أمية بن أبي الصلت » مع أنه كان من خصومه اللد ، وسمع الناس ينشدون شعره ، ولم يكره منه إلا ما كان منه في تحريض قريش بعد وقعة (بدر) على المسلمين وورثائه من قتل منهم ٣ .

وقد كان (أبو بكر) ، وهو الخليفة الأول ، من حفظة الشعر الجاهلي ،

-
- ١ شرح ديوان حسان (ص . س . م)
 - ٢ ابن سعد ، الطبقات (٢/١ ص ٩٥ وما بعدها) ، الاغانى (٧/٣ ، ١١٧) ، (١٢٩/٤) ، (٢٤٣/٨) الامالى (٢٤١/١) ، المرزبانى (٢٠٣) ، الفائق للزمخشري (٥٢/٣) ، ابن سعد ، (٣٧٦/٥) .
 - ٣ الاغانى (١٢٢/٤ وما بعدها) ، الفائق (١/٦٦٤) .

الراوين له ، المتشبهين به^١ . وكان (عمر) من العالمين بذلك الشعر الحافظين له البصيرين به^٢ . وكذلك كان شأن كثير من الصحابة . لم يذكر أحد أنهم تخرجوا من روايته وانشاده ، وأنهم تهيّبوا منه ، إلا ما ذكرته من إحجامهم عن رواية بعض منه ، وهو قليل جداً ، لأسباب ذكرتها ، وقد روه مع ذلك ودوّنوه .

لقد حرم الإسلام أشياء من الجاهلية ، وأقر أشياء أخرى نص عليها في الكتاب والسنة^٣ ، ولم يرد أنه حرم أقلام الجاهلية أو الشعر الجاهلي أو النثر الجاهلي أو أي أدب أو علم جاهلي ، ولم يصل إلى علمنا أنه أمر بهدم المباني الجاهلية وطمس معالمها ، حتى محجّات الأصنام بقيت على حالها ، خلا الأصنام والأوثان وما يتعلق بها من أمور مما كان من صميم الوثنية أو كانت له علاقة بإعادتها إلى الذهن مثل التصوير . ولم نسمع أنه أمر بإتلاف كتابات الجاهلية ، أو أنه نهى عن قراءتها والاستفادة منها ، أو أنه منع استعمال اللهجات الأخرى ، التي كان يستعملها الجاهليون ، أو أن علماء الإسلام منعوا رواية أخبار الجاهلية ، بل الذي نسمعه ونراه أن « ابن عباس » كان يستشهد بالشعر الجاهلي في تفسير القرآن ، وبقية الصحابة يروونه ويحفظونه ، وأن خلفاء بني أمية كانوا يدفعون الهدايا والجوائز لمن يروي لهم الشعر الجاهلي ، ونرى أنهم كانوا يقضون ليايلهم برواية أخبار الجاهلية وحالتهم فيها ، وما وقع لهم في تلك الأيام من فادروطريف ، وقد سجل ما بقي منه في الذهن في كتب الأخبار والأدب ، يوم شرع الناس في التدوين .

وأما أنهم كانوا ينظرون الى (الأخباري) نظرة سيئة ، فيها شيء من ازدراء وعدم التقدير ، فما كان ذلك لروايته أخبار الجاهلية واشتغاله بجمع تاريخها والتحدث عنها ، وما كانوا يريدون بلفظة (أخباري) راوي أخبار الجاهلية وحدها في أي يوم من أيام التاريخ الاسلامي ، وإنما كان ذلك لإغراب الاخباريين في رواية الأخبار ومبالغتهم فيها مبالغة تجافي العقل ، وسردهم الإسرائيليات والنصرانيات والشعبيات وغير ذلك من القصص المدونة في الكتب ، وكذب بعضهم كذباً يخالف

١ ابن سعد (٥٧/٦) ، ابو بكر الصولي ، ادب الكتاب (ص ١٩٠)
٢ الاغانى (١٩٩/٨) ، خزائن الادب : للبغدادى (٢٩٢/٢) ، العقد الفريد (٩٣/٦)
وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٩/١) وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٣/١)
٣ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٣٩٣/١) .

أبسط قواعد المنطق، وما رُمي (ابن الكلبي) بالكذب أو نظر اليه نظرة ازدراء لكونه من رواة أخبار الجاهلية بل وثق في هذه الناحية وأخذ عنه دون ردّ أو اعتراض ، كما يتبين ذلك من اعتماد العلماء عليه في هذا الباب وأشارهم اليه ، وإنما ضعف في أمور أخرى هي أمور إسلامية لا علاقة لها بالجاهلية ولا صلة لها بها البتة ، مدونة في كتب التفسير والحديث .

ولو كان الإسلام قد حث على طمس أخبار الجاهلية أو اطفاء ذكر الأصنام والأوثان ، لما كان في وسع (ابن الكلبي) ولا غيره التحدث عنها والإشارة إليها ، ولما أخذ العلماء عنه ورووا كتبه وتوارثوا كتاب (الأصنام) ، بل القرآن نفسه حجة في ردّ هذا الزعم ، ففيه ذكر لرؤوس أصنام العرب ، وفيه مفصل حياة أهل الجاهلية ومثلهم وما كانوا يقومون به ، ولو شراً وباطلاً ، وروت كتب التفسير وكتب الحديث والسير والأخبار أوصاف بعض أصنام العرب وهيئاتها وشكل محجّاتها وأوقات الحج ، كما ذكرت ما أقر الإسلام من أمور كانت قائمة في الجاهلية وما حرم منها ، ولو كان الإسلام قد تعمد طمس الجاهلية والقضاء على معالمها ، لتخرج القرآن وتخرج المسلمون من الإشارة إليها ومن إحياء أسمائها وبعثها في ذاكرة الناشئين في الإسلام .

وقد تحدث (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) ، في المقالة الثالثة التي خصصها (في أخبار الأخباريين والنسابين وأصحاب الأحداث) ، عن (ابن الكلبي) وعن أبيه ، كما تحدث عن غيره من مشاهير العلماء من أمثال (عوانة ابن الحكم) و (ابن اسحق) صاحب السيرة ، و (أبي مخنف) و (الواقدي) و (الهيثم بن عدي) و (أبي البخري) و (المدائني) و (محمد بن حبيب) وغيرهم ممن ألف في أمور وقعت قبل الإسلام في أمور وأحداث إسلامية محضة ، وقد ضعف بعضهم ، مع أنهم لم يؤلفوا في أمور تخص الجاهلية ولا في أحداث وقعت قبل عام الفيل أو قبل الإسلام . وأطلقت عليهم لفظة (أخباري) أو (وكان أخبارياً) ، مع أنهم لم يكتبوا إلا في أخبار قريبة من الإسلام أو في أحداث إسلامية بحجة ، فلفظة (أخباري) إذن لم تكن قد علّمت بالشخص الذي تخصص برواية أخبار الجاهلية الواقعة قبل عام الفيل فقط ، بل قصد بها هؤلاء وكل من اشتغل برواية الأخبار مهما كانت صفتها وعادتها وطبيعتها، روى تاريخ ما قبل الفيل أو ما بعد الفيل الى الإسلام ، أو أخبار الإسلام .

والأخباري في عرف ذلك اليوم وقبل أن يتشر التأليف وتتصنف المعارف ، هو من يروي الأخبار ، تمييزاً له عن الآخرين الذين اشتغلوا بالنسب ، فعرف أحدهم ب (النسابة) ، وقيل عن أحدهم (أحد النسابين) أو (وكان نسباً)^١ ، أو بالتفسير أو برواية الشعر وما شاكل ذلك من معارف . فهو مؤرخ ذلك الزمن اذن ، ولهذا نرى لفظة (أخبار) بمعنى تأريخ ، ورد في « الفهرست » في أثناء الحديث عن عبيد بن شربة الجرهمي ومعاوية : فسأله (أي معاوية عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم)^٢ ، وورد عن (ابن دأب) وكان (عالماً بأخبار العرب وأشعارها)^٣ وذكر عن (عوانة بن الحكم) انه كان (راوية للأخبار عالماً بالشعر والنسب)^٤ . وورد عن (أبي اليقظان النسابة) أنه كان (عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب)^٥ . وورد مثل ذلك عن أشخاص آخرين هم في أوائل من اشتغل بالتأريخ عند المسلمين ، يخرجنا ذكرهم هنا عن حدود هذا الموضوع^٦ .

ويظهر من دراسة (الفهرست) لابن النديم والمؤلفات الأخرى ان العرب في صدر الإسلام لم يكونوا يطلقون لفظة (المؤرخ) على من يشتغل بالتأريخ، ذلك لأن التأريخ نفسه في ذلك العهد لم يكن قد تطور وبلغ الشكل الذي بلغه في أواخر أيام الأمويين وفي الدولة العباسية. بل كانوا يطلقون على المؤرخ (الأخباري) كما ذكرت ، لاشتغاله بالأخبار كائنه ما كانت أخبار ما قبل الإسلام أو أخبار الإسلام ، وكانوا يطلقون على الموضوع نفسه (الأخبار) . ولهذا نرى ان أكثرية المشتغلين بها ، أطلقوا على كتبهم : (الأخبار المتقدمة) و (أخبار الماضين) و (أخبار النبي) و (أخبار العرب) و (كتاب السير في الأخبار والأحداث) وأمثال ذلك، ولم يقولوا : (تأريخ المتقدمة) أو (تأريخ الماضين) أو (تأريخ العرب) أو (تأريخ الرسول) ، ويستعملون لفظة (سيرة) و(السير) في سير الأشخاص ، ولا سيما (سيرة الرسول) . وأما لفظة (تأريخ) ، فقد

١ الفهرست (ص ١٢٨) .

٢ الفهرست (ص ١٣٨) .

٣ الفهرست (ص ١٣٩) .

٤ الفهرست (ص ١٤٠) .

٥ الفهرست (ص ١٤٤) .

٦ يراجع الباب المسمى (المقالة الثالثة) : في اخبار الاخباريين والنسابين واصحاب الاحداث ... من كتاب الفهرست ، لابن النديم (ص ١٣٧) .

استعملت في عنوانه بعض الكتب المؤلفة في التاريخ ، فقد كان لـ (عوانة بن الحكم) المتوفى سنة (١٤٧ هـ) كتاب اسمه (كتاب التاريخ) كما كان له كتاب اسمه (كتاب سيرة معاوية وبني أمية)^١ . وكان للهيثم بن عدي المتوفى سنة (٢٠٧ هـ) كتاب يدعى (كتاب تاريخ العجم وبني أمية) و (كتاب تاريخ الأشراف) ، و (كتاب التاريخ على السنين)^٢ ، وكانت للمدائني المتوفى سنة (٢٢٥) للهجرة كتاب عنوانه : (تاريخ أعمار الخلفاء) وآخر اسمه (كتاب تاريخ الخلفاء) وثالث اسمه (أخبار الخلفاء الكبير)^٣ ، لا أستبعد أن يكون هو هذا الكتاب .

الا أن هذا الاطلاق لم يكن واسعاً كثير الاستعمال ، وفي استطاعتنا ذكر هذه الكتب وعدّها ، وما دامت الحال على هذا المنوال ، فليس من المعقول اطلاق لفظة (مؤرخ) و (المؤرخ) و (تاريخ) بصورة واسعة في هذا العهد، وفي جملة العهد الذي عاش فيه (ابن الكلبي) ، ما دام العرف فيه اطلاق لفظة (أخبار) بمعنى (تاريخ) ، وانما طغت لفظة (تاريخ) و (مؤرخ) في الأيام التي تلت هذا العهد ، ولا سيما أواخر القرن الثالث للهجرة فما بعده .

هذا من حيث استعمال لفظة (أخباري) . وأما من حيث اهمال التاريخ الجاهلي وصلة الإسلام به ، فقد ذكرت أنه لا علاقة للحديث المذكور بهدم الجاهلية أو باهمال تاريخها، وإنما الإهمال هو اهمال قديم ، يعود الى زمان طويل قبل الإسلام، فعادة قلع المباني القديمة لاستخدام أنقاضها في مباني جديدة ، والاعتداء على الأطلال والآثار والقبور بحثاً عن الذهب والأحجار الكريمة والأشياء النفيسة الأخرى، هي عادة قديمة جداً، ربما رافقت الإنسان منذ يوم وجوده . وهي عادة لا تزال معروفة في كثير من بلدان الشرق الأوسط حتى اليوم ، بالرغم من وجود قوانين تحرم هذا الاعتداء وتمنع هذا التطاول . وقد كان من نتائجها تلف كثير من الآثار، وذهاب معالمها ، فصارت نسياً منسياً . فتكبدت الآثار الجاهلية من أهل الجاهلية ، أي في الأيام السابقة للإسلام مثل ما تكبدته وتتكبد الآثار الجاهلية والإسلامية معاً في أيام الإسلاميين حتى اليوم^٤ .

١ الفهرست (ص ١٤٠) .

٢ الفهرست (ص ١٥١ وما بعدها) .

٣ الفهرست (ص ١٥٥) .

٤ راجع عن فتح القبور الجاهلية للحصول على ما فيها من كنوز ، الاكليل (١٤٣/٨) فما بعدها .

وأما موضوع إهمال الآثار وعدم توجيه عناية الحكومات نحوها ، لرعايتها وللمحافظة عليها من التعرض للسقوط والتلف والأضرار ونحو ذلك ، فإنه موضوع لم يدرك الناس أهميته إلاّ أخيراً ، ولم تشعر الحكومات بأنه واجب مهم من واجباتها إلاّ حديثاً ، ولذلك لا نستطيع أن نوجه اللوم الى القدامى لاهمالهم الآثار ولعدم اعتنائهم بالمحافظة عليها .

وكان من آثار هذا الجهل بأهمية الآثار أن أزيلت معالم أبنية وقصور، وحطمت تماثيل وكتابات، لغرض استعمالها في البناء ، وقد كان على مقربة من (سدوس)، أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التبابعة، وأن من جملتها شاخص كالمنارة، وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها ، فهدهما أهل سدوس ، لاختلاف بعض السياح من الافرنج اليها ملاحظة التداخل معهم^١. ومثل ذلك حدث في اليمن وفي مواضع أخرى من أمكنة الآثار .

وقد هدمت قرى ومدن في الجاهلية وفي الإسلام من أجل استعمال أنقاضها في بناء أبنية جديدة . ذكر (الهمداني) حصن (ذي مرمر) ، وهو من المواضع الجاهلية المهمة ، وكذلك (شبام سخيم) (يسخم) ، وبقي معروفين زمناً طويلاً بعده، ثم جاء أحد الأتراك واسمه (حسن باشا) فهدم حصن (ذي مرمر) لينشئ في أسفله مدينة جديدة ، أخذ معظم مواد بنائها من (شبام سخيم)^٢ . وذكر ان حكومة اليمن قامت بعد سنة (١٩٤٥ م) ببناء ثكنة لجنودها في المنطقة الشرقية من اليمن في (مأرب) على نمط الثكنة التي بناها الأتراك في صنعاء ، فهدهما أبنية جاهلية كانت لا تزال ظاهرة قائمة ، واستعملوا الحجارة الضخمة التي كانت مترامية على سطح الأرض ، وأزالوا بعض الجدر والأسوار وحيطان البيوت عند بناء تلك الثكنة ، فطمسوا بذلك بعض معالم تأريخ اليمن القديم^٣ ، وأسأؤوا بجهلهم هذا الى قيم الآثار اساءة لا تقدر في نظر عشاق التأريخ والباحثين في تأريخ العرب قبل الإسلام .

ويضاف الى ما تقدم عامل آخر ، هدم الآثار وقضى عليها بالجملة ،

١ الإلوسي ، تاريخ نجد ، تحقيق الاستاذ محمد بهجت الأثرى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٧ (ص ٢٨) .

٢ Beltrage, S., 18.

٣ Beltrage, S., 28.

وأعني به الحروب . وسوف نرى حروباً متوالية اكتسحت جميع مناطق العربية الجنوبية ، وأنت على مدنها ، اذ استعمل القادة سياسة حرق المدن والمواقع والمزارع ، وقتل السكان بالجملة فأدى ذلك الى اندثار الآثار وتشتيد الناس وهربهم الى البوادي وتحول الأراضين الخصبية الى أراضين جرد ، حتى ضاعت بذلك معالم الحضارة القديمة ، فخسرنا من جراء ذلك علماً كثيراً ، وأسفاه . وهناك تقصير آخر لا يمكن أن ينسب الى الإسلاميين ، بل يجب عزوه الى الجاهليين فالظاهر من رجوع الصحابة الى ذاكرتهم والى ذاكرة الشيعة الذين أدركوا الجاهلية في تذكّر أيامها وما كانوا عليه قبل الإسلام ، ومن جلب (معاوية بن أبي سفيان) المولع بسماع الأخبار له (عبيد بن شربة) ليقص عليه « الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبليد الألسنة ، وأمر افتراق الناس في البلاد »^١ ، ومن رجوع أهل الأخبار الى الأعراب لأخذ أخبار قبائلهم وأيامهم وأنسابهم وشعرهم وغير ذلك ، أن غالبية أهل الجاهلية لم تكن لهم كتب مدونة في تاريخهم ، ولم تكن عندهم عادة تدوين الحوادث وتسجيل ما يقع لهم في كتب وسجلات ، بل كانوا يتذكرون أيامهم وأحداثهم وما يقع لهم ، ويحفظون المهم من أمورهم مثل الشعر حفظاً . ولما كانت الذاكرة محدودة الطاقة ، لا تستطيع أن تحمل كل ما تحمل ، ضاع الكثير من الأخبار ، بتباعد الزمن ، وبوفاة شهود الحوادث ، ولم يبق بتوالي الأيام غير القليل منها . ومن هنا كان تعليل علماء العربية ضياع أكثر الشعر الجاهلي ، فقالوا : (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولطت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم كثير)^٢ . وإذا كان هذا ما وقع للشعر مع مكانته عندهم وسهولة بقائه في الذاكرة بالقياس الى النثر ، وتعصب القبائل لشعر شعرائها ، فهل في استطاعتنا استثناء الأخبار ، من هذا الذي يحدث للشعر ؟

١ الفهرست (ص ١٣٨) .

٢ المزهر (٢ / ٤٧٤) .

بل ما لنا وللجاهلية ، ولتراجع تأريخ الاسلام نفسه ، خذ تأريخ آباء الرسول وطفولة الرسول الى يوم مبعثه ، بل حتى بعد مبعثه ، ثم خذ سير الصحابة وما وقع في صدر الإسلام من أحداث ، ترى أن ما ورد من سيرة آباء الرسول وسيرة الرسول الى الهجرة ، مقتضباً بعض الاقتضاب ، وأن ما ذكر هو من الأمور التي تحفظها الذاكرة عادة ، وما فيها عدا ذلك مما وقع للرسول ، فغير موجود ، وترى اقتضاباً مخلاً في سيرة الصحابة ، واضطراباً في تواريخ الحوادث ، واختلافاً بين الصحابة في ذلك . أما سبب ذلك فهو عدم تعود الناس اذ ذاك تسجيل أخبار الحوادث وما يقع لهم ، وعدم وجود مسجلين مع السرايا والغزوات والفتوح يكون واجبهم تسجيل أخبارها وتدوين وقائعها ، حتى ما سجل من أمر ديوان الجند والأنساب وأمثال ذلك ، لم يكن في نسخ عديدة ، فضاع أكثره ، ولم يصل الى الأخباريين لذلك يوم شرعوا في التدوين . وإذا كان هذا حال أخبار الاسلام ، وهي أمور على جانب خطير من الأهمية بالقياس الى المسلمين ، فهل يعقل بقاء أخبار الجاهلية كاملة الى زمن شروع الناس في التدوين في الإسلام ، وقد ضاعت قبل الإسلام بزمان ؟

لقد قلت فيما سلف إن الهمداني وغيره ممن عنوا بأخبار اليمن ، لم يعرفوا من تأريخ اليمن القديم إلا القليل ، ولم يعرفوا من أخبار دول اليمن القديمة شيئاً ، ولم يحفظوا من أسماء ملوكها إلا بعض الأسماء ، وقد حرف حتى هذا البعض ، أما معارفهم من معبودات أهل اليمن القديمة ، فصفر ، فلسنا نجد في كتبهم إشارة ما الى عبادة (عشر) ولا الى عبادة (أنبي) و (ذات صنم) و (نكرح) و (سين) و (حوكم) و (حكيم) و (هوبس) ولا الى بقية المعبودات . نعم ، أشار (الهمداني) الى اسم إله من آلهة (همدان) هو (تالب) ، وكانت محبته في (ريم) (ريام) ، يقصدها الناس في ذلك الزمن للزيارة والتبرك ، ولكنسه لم يعرف أنه كان إلهاً ، بل ظن أنه ملك من ملوك همدان ، فدعاه باسم (تالب) ، وزعم أنه ابن (شهران)^١ . وجعل (المقه) ، وهو إله سبأ العظيم ، المقدم عندهم على جميع الأصنام ، اسم بناء من أبنية جن سليمان . وقد بُني على ما

١ الاكليل (١٧/١٠) .

زعمه يأمر سليمان^١ . وتحدث عن « رثام » فقال : « أما رثام ، فإنه بيت كان متنسك ، تنسك عنده ويحج إليه . وهو في رأس جبل أقوى من بلد همدان » ، ونسبه إلى (رثام بن نهفان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان)^٢ . وقد ذكره (ابن اسحاق) و (ابن الكلبي) و (السهيلي) و (ياقوت الحموي) وغيرهم أيضاً^٣ وفي كل الذي ذكروه دلالة على أن ما رويته لم يكن عن مصدر مدون ، وإنما هو روي عن أفواه الرجال . وأن تلك الأفواه قد نسيت كثيراً من الأصل ، فحاولت سدّ الثغر بالقصص المذكور .

بل تخذ ما ذكره رجال هم أقدم من (ابن الكلبي) ومن (الهمداني) في الزمان ، وألصق منها عهداً بالجاهلية مثل (ابن عباس) و (عبّيد بن شريّة) وغيرهما ، ثرّ أن ما ذكره عنها لا يدل على أنها أخذت أخبارهما من مورد مكتوب ومن كتب كانت موجودة ، ولا أعتقد أن (معاوية بن أبي سفيان) ، وهو نفسه ، من أدرك الجاهلية ، كانت به حاجة إلى (عبيد) وأمثال (عبيد) من قوّل الأساطير ، وإلى الاستماع إلى أخبارهم ، لو كان عنده شيء مدون عن أمر الجاهلية ، ثم إنه لو كانت عند (ابن عباس) و (عبيد) وطلاب الشعر الجاهلي والأخبار مدونات ، لما لجأوا إلى الذاكرة وإلى الرواة والأعراب يلتمسون منهم الأخبار والأشعار وأمور القبائل !

لأنّ جهل أهل الأخبار بأصنام أهل اليمن القديمة التي ترد أسماؤها في كتابات المسند ، وذكرهم أسماء أصنام جديدة زعموا أنها كانت معبودة عند أهل اليمن لم يرد لها ذكر في كتابات المسند ، أشار (ابن الكلبي) وغيره إلى بعضها ، وأشاراتهم إلى دخول اليهودية والنصرانية إلى اليمن ، وإلى تهود (تبع) وهو في (يثرب) في طريقه إلى اليمن ، وأخذ خبرين من أخبار يهود معه ، وأمره بتهديم معبد (رثام) ، بناء على إشارة الخبرين ، ثم ظهور جمل وألفاظ في كتابات المسند تدل على التوحيد وعلى وقوع تغير وتطور في ديانات أهل اليمن ، مثل عبادة (الرحمن) وعبادة (ذو سموي) ، أي (ذو السماء) أو (صاحب

Detlef Nielsen, Der Sab. Gott Himukrah, S., 2, D.H. Mueller, Burgen und Schloesser, Bd., 2 S., 972.

١

٢ الاكليل (٦٦/٨) ، (٨٢/٨) ، (طبعة الكرملية) .

٣ الاصنام (١٢) ، الاكليل (٨٢/٨) فما بعدها (طبعة الكرملية) .

٤ الاصنام (١٢) فما بعدها ، البلدان (٣٤٥/٤) .

السماء^١ : إن كل هذه الأمور وأمثالها ، هي دلائل على حدوث تغير وتطور في عقليات أهل اليمن ، أثرت في معتقداتهم فجعلتهم ينسبون آلهتهم القديمة ، بل يتنكرون لها ، ويتعدون بذلك عن ثقافتهم الوثنية القديمة ، ومثل هذا التطور والتغير لا بد أن يؤدي طبعاً الى نسيان الماضي والى الالتفات عنه بالتطور الجديد . وقد وقع هذا قبل الإسلام بزمان .

كان لدخول اليهودية والنصرانية في اليمن وفي أنحاء أخرى من جزيرة العرب ، دخلٌ من غير شك في إعراض القوم عن ديانتهم الوثنية وعن ثقافتهم وآدابهم . أما اليهود فقد سعوا بعد دخولهم في اليمن لتهويد ملوك اليمن وأقبالها ونشر اليهودية فيها للهيمنة على هذه الأرضين ، وأخذوا ينشرون قواعد دينهم وأموار شريعتهم بينهم ، ويذيعون قصص التوراة ، وأعاجيب سليمان وجن سليمان ، وتمكنوا من اقناع بعض حكام اليمن بالتهود ، على نحو ما سنراه فيما بعد .

ووجدت النصرانية سبيلها الى اليمن كذلك من البحر والبر ، وسعت كاليهودية لتثبيت أقدامها هناك وفي سائر أنحاء جزيرة العرب ، ووجدت من سمع دعوتها هنا وهناك ، فتنصرت قبائل ، وشايعتها بعض المقاطعات والمدن ، وتعرضت الوثنية للنقد من رجال الديانتين ، واقتبس من دخل في اليهودية الثقافة اليهودية ، ومن دخل في النصرانية الثقافة النصرانية ، وأعرض عن ثقافته القديمة ، وفي جملتها الخط المسند ، خط الوثنية والوثنيين ، وصار عدد قرائه يتضاءل بمرور الأيام . ومن يدري ؟ فلعل رجال الدين الجدد ، صاروا يعلمون الناس الكتابة بقلمهم الذي كانوا يكتبون به ، وهو قلم أسهل في الكتابة من المسند ، وخاصة على الورق والجلود والقراطيس . وقد يكون هذا سبباً من جملة أسباب تضائل عدد الكتابات المدونة في المسند ، في حقبة سأحدث عنها فيما بعد .

وآية ذلك عثور المتقنين والسياح في مواضع من نجد وفي العروض ، وهي مواضع بعيدة عن اليمن ، على كتابات سبئية يعود تأريخ بعضها الى ما قبل الميلاد وتأريخ بعضها الى ما بعده^٢ ، ثم اختفاء آثار كتابات المسند من هذه

١ راجع النصوص :

"Zur Geschichte des Judentums im Jemen", in Alt-Orientalische Forschungen, I, 336.

"A Monotheistic Himjarite Inscription", by F.V. Winnet, Glasser 399, Winckler, Asmare, I, Ryk 203, Le Muséon, LII, P., 51ff. BOASOR 83 (1941), P., 22, CIH537, 538, 539, 543, 645, Res 4109, Bose 13, RES 4069, Stambul, 7608 Res 3904

The Qariya Ruin Field, Geographical Journal, June, 1949.

Sanger, The Arabian Peninsula, P., 139, Philby, Two notes from Central Arabia,

٢

المواضع في العهود المتأخرة من الجاهلية القريبة من الإسلام ، مما يبعث على الظن أن أهل الجزيرة كانوا قد استبدلوا بذلك القلم قبيل الإسلام قلماً جديداً مشتقاً من الأقلام الإرمية الشمالية ، وذلك بانتشاره بينهم على أيدي المبشرين وبالاتجار مع عرب العراق ، ولا سيما سكان الحيرة والأنبار ، وهو القلم الذي كان يكتب به أهل مكة وأهل يثرب عند ظهور الإسلام . وبذلك شارك هذا القلم الجديد في موت القلم المسند واختفائه من هذه المواضع ، وبموته انقطعت صلات القوم بالثقافة العربية الجنوبية ، ثقافة القلم المسند .

ولا أستبعد أن يكون من بين رجال الدين من الديانتين أناس كانوا على قدر العلم والفهم بأمور التوراة والإنجيل وبالقصص الإسرائيلية والنصراني وعلى شيء من الإلمام بالتأريخ . فقد كان من بينهم أناس هم من أصل رومي أو سرياني أو عبراني ، فليس من المستبعد أن يكون لهم حظ من العلم بالأمور المذكورة أخذوه من كتبهم المكتوبة بلغاتهم ومن دراساتهم لأمور الدين . ومثل هؤلاء لا بد أن يستشهدوا في مواضعهم في (مدرائهم) أو (كنائسهم) في الأماكن التي نزلوا بها من جزيرة العرب ، بشيء من قصص التوراة والكتب اليهودية والأنجيل . ودليل ذلك أن معظم القصص الواردة عن الرسل والأنبياء وعن انتشار اليهودية والنصرانية في جزيرة العرب ، مصدره أناس من أهل الكتاب ، هم من أهل يثرب ، أي من يهود المدينة ، ومن أهل اليمن ، وهو قصص على دلالة على جهل فاضح بأمور اليهودية أو النصرانية ، يدل عموماً على أنه أخذ من أصل يرجع إلى أهل الكتاب ، وقد غُطّي بقصص وأساطير ساذجة . وهو على بساطته وسذاجته يصلح إن صحت نسبته إلى من نسب إليهم ، أن يكون موضوعاً لدراسة مهمة ، هي دراسة مقدار علم يهود جزيرة العرب ونصاراها في الجاهلية بأمور دينهم ومقدار جهلهم بأحكام اليهودية أو النصرانية في تلك الأرضين .

ونحن لا نجد في بقية جزيرة العرب تدويناً للتأريخ ، لعدم وجود حكومات منظمة كبيرة فيها ، ولسيادة النظام القبلي في أكثر أنحائها ، وإنما نجد فيها رواة يروون أخبار قبيلتهم وأمورها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى ، وحوادثها وأيامها ، ورواة تخصصوا برواية الأنساب ، لما للنسب من أهمية في المجتمع القبلي ، ونجد جماعات تحفظ الشعر وما شاكل ذلك من أمور تخص القبيلة والنظام القبلي ، وكل ذلك رواية ، أي مشافهة ، لا كتابة . ومثل هذا النوع من التورخ الشفوي

معرض كما قلت سابقاً لآفات عديدة ، أهمها تحكم العواطف القبلية على الرواة وتعرض الخبر للنسيان كلما تقدم العهد به في الذاكرة ، وكلما ابتعد به الزمن ، اذ تقل حماسة الناس له ، ويضعف تأثيره في العواطف ، وتفقر عندئذ همم الرواة عن حفظه وبذلك يتعرض للموت والاندثار ، ومن هنا اندثرت وضاعت أخبار الجاهلية البعيدة عن الإسلام . أما الجاهلية القريبة من الإسلام ، فقد بقي منها ما يشبه ذكريات الطفولة ، خلا الأمور التي عاصرت ظهوره ، فقد أدركها الصحابة ، فكان في امكانهم تذكرها وروايتها ، وانتقلت منهم الى من جاء بعدهم حتى وصلت الى المدونين .

ما ذكرته هو أهم أسباب إهمال التأريخ الجاهلي ، فجاء ذلك التأريخ لذلك ناقصاً فجاً على نحو ما نقرأه في المؤلفات العربية القديمة . أما تدوينه مجدداً ، واعادة كتابته وتنظيمه وتنسيقه وسد الفجوات الواسعة فيه ، فقد تم على هذا النحو :

تدوين التأريخ الجاهلي :

للمستشرقين مجهود يقدر في تدوين التأريخ الجاهلي وفي كتابته بأسلوب حديث ، يعتمد على المقابلات والمطابقات ونقد الروايات والاستفادة من الموارد العربية والأعجمية . وقد أفادوا بما جاء عن العرب في التوراة وفي التلمود وفي الكتب اليهودية ، كما أفادوا بما جاء عن جزيرة العرب وسكانها في الكتابات الآشورية والبابلية ومن الموارد (الكلاسيكية) والمؤلفات النصرانية سريانية ويونانية ولاينية ، فأضافوا كل ما تمكنوا الحصول عليه في هذا الباب الى ما ورد في الموارد الإسلامية عن الجاهليين ، فصححوا وقوّموا ، وسدّوا بهذه المواد بعض الثلم في التاريخ الجاهلي .

وعملهم في بعث الكتابات الجاهلية ونشرها ، مشكور مقدر ، فقد أعادوا الى الخط الذي كتبت به الحياة ، وجعلوه مقروءاً معروفاً ، وترجموا كثيراً من هذه النصوص الى لغاتهم ، وهي وثائق من الدرجة الأولى ، وعملوا على نشر النصوص بالمسند وبالحروف اللاتينية أو العبرانية أو العربية في بعض الأحيان ، وعلى استخلاص ما جاء فيها من أمور متنوعة عن التأريخ العربي قبل الإسلام .

وقد أمكننا بفضل هذا المجهود المضني الحصول على أخبار دول وأقوام عربية لم يرد لها ذكر في الموارد الإسلامية، لأن أخبار تلك الدول وأولئك الأقوام كانت قد انقطعت وطمست قبل الإسلام ، فلم تبلغ أهل الأخبار .

وقد ساعدتهم في شرح الكتابات الجاهلية وتفسيرها علمهم بلغات عديدة ، مثل اللغة العبرانية والسريانية والبابلية ، فإن في هذه اللغات ألفاظاً ترد في تلك الكتابات بحكم تقاربها واشتراكها في هذه الثقافة المتقاربة التي نسميها (الرابطة السامية) ، كما أن فيها أفكاراً وآراء ترد عند المتكلمين بهذه اللغات ، ولهذا صار في الامكان فهم ما ورد في الكتابات الجاهلية بالاستعانة بتلك الأفكار والآراء .

وقد كان للسياح الذين جابوا مواضع متعددة من جزيرة العرب ، ولا سيما المنطقة الغربية والجنوبية منها ، فضل كبير في بعث الحياة في الكتابات الجاهلية . فقد أخذ أولئك السياح بعض كتابات ، كما أخذوا صور بعض آخر ، وبفضل تعاونهم مع العلماء البحريين باللغات الشرقية أمكن حل رموزها وبعث الحياة فيها بعد موت طويل .

وقد كانت أسفار أولئك السياح مغامرات ومجازفات، إذ تعرضت حياة أكثرهم للخطر ، بسبب عدم استقرار الأمن إذ ذاك ، وبسبب سوء الأوضاع الصحية ، ولعدم وجود أماكن مريحة ، تناسب حياتهم التي تعودوها ، إلا أنهم لم يبالوا ذلك ولم يحفلوا به ، وتحايلا بمختلف الحيل للتغلب على تلك الصعوبات ولكسب ودّ رؤساء القبائل والحكام لتسهيل مهمتهم . وقد قضى نفر منهم نحبهم في أسفاره هذه . وقد كانت أكثر أسفار هؤلاء الرواد أسفاراً فردية قام بها أفراد من العلماء ومن الضباط والمغامرين . والأسفار الفردية، مهما كانت ، لا تأتي بالنتائج التي تنجم عن دراسات البعثات المتخصصة بمختلف الشؤون ، لذلك نتطلع الى اليوم الذي تتمكن فيه البعثات العلمية الكبيرة من اختراق آفاق بلاد العرب، وتقديم نتائج بحوثها الى العلماء لتدوين تأريخ مرتب لجزيرة العرب قبل الإسلام ، ولا سيما الى البعثات العلمية العصرية التي تتألف من متخصصين من الناطقين بلغة هذه البلاد ، لأن هؤلاء أقدر من غيرهم على فهم اللهجات القديمة ومحتوياتها وروح ذلك التأريخ .

ونستطيع أن نعدّ السائح الدانماركي (كارستن نيبور) Carsten Niebuhr الذي

قام في سنة ١٧٦١ للميلاد برحلة الى جزيرة العرب ، أول رائد من رواد الغرب ظهر في القرون الحديثة ، وصف بلاد العرب ، ولفت أنظار العلماء الى المسند والرقم العربية^١ . وقد أثارت رحلته هذه همم العلماء والسياح ، فرحل من بعده عدد منهم لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً رحلات إلى مختلف أنحاء جزيرة العرب عادت على التأريخ العربي بفوائد جزيلة .

فزار الدكتور (سيتزن) Dr. Seetzen جنوبي بلاد العرب ، وتمكن من نقش صور نصوص عربية جنوبية أرسلها الى أوروبا عام ١٨١٠ م وهذه النصوص على قصرها وغلظها ، أفادت في تدوين تأريخ العرب قبل الإسلام افادة غير مباشرة ، لأنها لفتت أنظار المستشرقين اليها والى دراسة التأريخ العربي القديم ، حتى آل الأمر الى حل رموز تلك الكتابة ومعرفة حروفها^٢ .

وتمكن الرحالة السويسري (ليديك بركهارد) Johann Ludwig Burckhard من القيام برحلة الى الحجاز ، فتزيا بزي مسلم اسمه (ابراهيم بن عبدالله) يريد الحج وزيارة مسجد الرسول وقبره . وقد صحب الحجاج في حجهم ، ووصف موسم الحج وصفاً دقيقاً ، وكتب عن مكة والمدينة كتابة علمية . وقد زار آثار الأنباط وعاصمتهم (البتراء)^٣ .

Carsten Niebur, Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Laendern, ١ Kopenhagen, 1772-1837, in 2 Bande.

وهناك طبعة فرنسية وترجمة انكليزية ،

Carsten Niebuhr, Description de L'Arabie, Copenhagen, 1773, Voyage en Arabie, Amsterdam, 1774-80, R.H. Sanger, The Arabian Peninsula, Cornell University Press, 1954, P., 241.

Pfannmueller, S., 85, Seetzen, Travels in Yemen, 1810, Hommel, Explorations in ٢ Arabia, in Hilprecht, Explorations in Bible Land, P., 702, Seetzen, Fundgruben des Orients, Vienna, 1811,

نشر مذكرات (Seetzen) التي أرسلها الى أوروبا المستشرقون (Fleischer) و (Kruse) و (Heinrich Mueller) في أربع مجلدات :

Reisen durch Syrien, Palaestina, Phoenizien, die Transjordan-Länder, Arabia Petraea und Unter-Aegypten.

Johann Ludwig Burckhardt, Travels in Arabia, London, 1829, Deutsch, Weimar, ٣ 1830, Burckhardt, Travels in Syria and Holy Land, London, 1822, Notes on the Bedouins and Wahabys, 2Vols., London, 1830, in German, Weimar, 1831, S. M. Zwemer, Arabia the Cradle of Islam, London, Explorations, P., 703.

وتتمكن ضابط انكليزي يدعى James R. Wellsted من زيارة الأنحاء الجنوبية من جزيرة العرب ، ومن الظفر بصور نصوص عربية قديمة قصيرة، ومن استنساخ كتابة حصن (غراب) التي يرجع تأريخها الى سنة (٦٤٠) من تأريخ أهل اليمن ، وتوافق سنة ٥٢٥ للميلاد . وبفضل هذا الضابط عرف المستشرقون هذا النص^١ .

وأضاف الرحالة (هوتن) T.G. Hutton عدداً آخر من الكتابات الجاهلية سنة ١٨٣٥ الى ما كان قد عرف سابقاً . وجاء (كروتندن) Cruthenden سنة ١٨٣٨ م بنقوش أخرى جديدة . وكذلك (الدكتور مكل) Dr. Mackell الذي عاد بخمسة نصوص سبئية ، فتوسعت بذلك دوائر البحث قليلاً ، وتمكن العلماء بفضل هذه النقوش من حل رموز المسند^٢ .

وقد قام الصيدلي الفرنسي (توماس يوسف أرنو) (Thomas Joseph Arnaud) برحلة الى اليمن ، كانت موفقة جداً ، اذ تمكن بفضل علمه بالعقابر ، من اكتساب صداقة المشايخ والزعماء . وبهذه الصداقة استطاع أن يتجول في بعض أنحاء اليمن ومدنها ، ولم يكن ذلك أمراً ميسوراً للغرباء ، فزار الجوف ووقف على خرائب (مأرب) ، ومكث في مدينة (صنعاء) أمداً ، وزار (صرواح) المدينة الأثرية القديمة ، واستنسخ ستة وخمسين نصاً كتابياً قديماً^٣ .

وكتب التوفيق لسائح أوروبسي آخر ، هو الضابط الانكليزي (Coghlan) ، فحصل في سنة ١٨٦٠ م على عشرين لوحاً برنزيماً سليماً عثر عليها في أنقاض مدينة (عمران)^٤ . وقد أرشدت هذه الألواح المعدنية المستشرقين الى ناحية مهمة

١ Otto Weber, Arabien vor dem Islam, S., 10, Wellsted, Travels in Arabia, London, 1838, in 2 Vols., Narrative of a Journey to the Ruins of Nakeb el Hajar, in Journal Royal Geogr. Soc., VII, 20, in German, Halle, 1842, by Rodiger, Saenger, The Arabian Peninsula, p., 221, 241.

٢ Cruttenden C. J. Journy. of an Excursion to San'a the Capital of Yemen, Bombay, 1838, Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol., III, 276-289, and in the Proceedings of the Bombay Geographical Society, 1838, PP., 39-55.

٣ Otto Weber, S., 10, Pfannmüller, S., 85, Hommel, Explorations, P., 704 Arnaud Relation d'un Voyage a Mareb, in Journal Asiatique, 1845, 211, 309, 1874, 3.

٤ (عمران) ، الاكليل (١٣/٨ ، ١٠٦ ، ١١٠) .

من نواحي الفن العربي القديم^١ .

وتوصل العلماء ، بعد جهود ، الى حل رموز هذه الكتابة العربية ، فعرفوا منها - وكان أغلبها قصيراً - انها تبحث في موضوعات متشابهة ، وانها مؤلفة من حروف أطلقوا عليها اسم (الكتابة الحميرية) أو (الحروف الحميرية) . وكان الرأي السائد بادىء بدء انها كذلك ، حتى تبين لهم ان هذه النصوص والنصوص التي جيء بها أخيراً لم تكن جميعها نصوصاً حميرية ، بل كان بعضها من النصوص المعينية ، وبعضها كتابات سبئية ترجع الى عهد دولة سبأ ، وبعضها بلهجات أخرى ، تختلف عن الحميرية بعض الاختلاف . وهذه الكتابة ، هي الكتابة المسماة بـ (خط المسند) وبـ (القلم المسند) وبـ (المسند) في الموارد العربية .

عالج بعض العلماء ، ممن أولعوا بدراسة النقوش ، تلك النصوص ، وأعملوا رأيهم فيها حتى تمكن بعضهم من التوصل الى حل رموز بعضها ، مثل العالم (ولیم كسنیوس) (Wilhelm Gisenius) والعالم (رودكر) (E. Rodiger) والعالم (هاينرش ايوالد) (Heinrich Ewald) والعالم (فريسنل) (F. Fresnel) الذي نشر النصوص التي جاء بها ، وعددها ستة وخمسون نصاً بحروف عربية وحميرية ، في الجريدة الآسيوية (Journal Asiatique) سنة ١٨٤٥ م ، إلا أن نشره لم يكن متقناً اتقاناً تاماً . وجاء القسيس (أرنست أوسيندر) (Ernest Osiander) فآتم ما كان قد بدىء به^٢ . ولم يتمكن العلماء الذين عالجوا مشكلة الكتابة العربية الجنوبية من معرفة الحروف كلها ، ولذلك لم يستطيعوا قراءة أكثر النصوص التي جيء بها الى أوروبا وفهم معناها ، كما ان النصوص المقروءة لم تكن مضبوطة ضبطاً تاماً ، فاستطاع هذا العالم بمجوده العظيمة قراءة كل النصوص التي جاء بها السياح والعلماء ، وتعيين أشكال الحروف ، ووضع أسس متينة لدراسة عرفت بعد ذلك باسم (الدراسة العربية الجنوبية) وقد استعان العلماء على فهم هذه الكتابات بالدراسات اللغوية السامية مثل العبرانية ، وباللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، وباللهجات اليمنية ، وبالمعلومات الجغرافية المدونة في الكتب

١ Pfannmueller, S., 85, Weber, S., 10.

٢ Pfannmueller, S., 85, Fulgence Fresnel, in Journal Asiatique, 111, Series, V, 521, 1838, Lettres Sur Hist. des Arabes Avant l'Islamisme, 1853, Fresnel, Recherches sur les Inscriptions Himyariques de San'a, Kha'riba Marib in, Journal Asiatique, IV, Serie, Tom, 6, P., 169-1845.

العربية ، وبأسماء الملوك والأشخاص الذين وردت أسمائهم في المؤلفات العربية^١ . وترسم المستشرق (ليفي) (M. A. Levy) أثر (اوسيندر) ، وتتبع أسلوبه في البحث، وحاول استخراج مادة تاريخية من هذه النصوص التي ترجمت وعرفت. وقد تمكن من نشر ما تركه (أسيندر) من نصوص عاجلته المنية قبل أن يوفق لاجراجها الى الناس ، فتمكن (ليفي) من تنسيقها وتهذيبها ، وطبعها وعرضها على العلماء^٢ .

وفاق (يوسف هاليفي) (Joseph Halévy) ، وهو يهودي فرنسي ، كل من تقدمه بكثرة ما جاء به الى أوروبا من نقوش ، وبسعة علمه في تاريخ اليمن ، وبدراسة الكتابات العربية الجنوبية . دخل هذا الفرنسي اليمن في هيئة يهودي متسول من أهل القدس ، ليتجنب بذلك ما يتعرض له الغرباء وأهل البلاد المسلمون على السواء من أخطار رجال القبائل وقطاع الطرق الذين لا يمتسون أهل الذمة بسوء .

وقد استطاع ، بهذه الطريقة ، التطواف في أرجاء اليمن ، حتى بلغ أعاليها مثل (نجران) ، وأعالي الجوف وهي المنطقة التي كان فيها (المعينيون) . ووصل في تطوافه الى حدود (مأرب) عاصمة سبأ والى (صرواح) ، وهو بهذا أول أوروبي زار (نجران)^٣ . ولما عاد الى أوروبا ، أحضر معه (٦٨٦) نقشاً جمعها من مواضع مختلفة من اليمن .

وفي سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٤ م نشر هذا العالم في الجريدة الآسيوية (Journal Asiatique) ما كتبه في وصف رحلته الى بلاد اليمن ، وقد ضمن كتاباته وصفاً للأماكن التي حل بها والطرق التي اجتازها ، وترجمة لـ (٦٨٦) نصاً ، وهي النصوص التي كان قد جاء بها أو استنسخها من أصولها ، ونشر بحثاً علمياً وانتقاداً قيماً للأبحاث اللغوية والتراجم والنصوص التي سبق أن نشرها العلماء من قبله^٤ .

١ Pfannmueller, S., 85, Weber, S., 10.

٢ Pfannmueller, S., 85.

٣ Halévy, in, Bulletin de la Société de Géographie, 1873, et 1877, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asiatique, Series O, Vol., XIX, Joseph Halévy, in Journal Asiatique, 1874, Pfannmueller, S., 86, Explorations, P., 709.

٤ Pfannmueller, S., 85.

وكان ممن ذهب الى اليمن شاب نمساوي اسمه (سيكفريد لانكر) (Siegfried Langer) ، وقد استطاع تصوير بعض النقوش واستساخ قسم من الكتابات في عام ١٨٨٢ م . غير أن القدر عاجله اذ قتل هناك ، ففقد البحث في تاريخ اليمن بوفاته عضواً نشيطاً . غير أن نمساوياً آخر عوّض عن خسارة ذلك الشاب ، وهو العالم (ادورد كلاسر) (Eduard Glaser) . وقد قام بأربع رحلات الى اليمن ، ورجع بعدد كبير من النصوص والنقوش وبمادة غزيرة من المعلومات^١ .

بدأ الرحلة الأولى (في اكتوبر من سنة ١٨٨٢ م) ، وختمها في شهر آذار (مارس) من سنة ١٨٨٤ م ، وكانت الحالة السياسية في ذلك الزمن مضطربة ، والأوضاع غير مساعدة ، والفوضى عامة في بلاد اليمن ، ولم يكن للحكومة على القبائل من سلطان . ومع ذلك تمكن من الحصول على (٢٥٠) نقشاً رجع بها الى أوروبا . أما الرحلة الثانية ، فكانت في نيسان سنة ١٨٨٥ م ودامت حتى فبراير سنة ١٨٨٦ ، وقد زار في أثنائها المناطق الجنوبية الشرقية والمنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب (صنعاء) حتى مدينة (عدن) . وقد تمكن من جمع معلومات مهمة عن طبغرافية البلاد وأماكنها الأثرية ، وعاد بنصوص معينة مهمة دخلت في ممتلكات المتحف البريطاني^٢ .

وقام بالرحلة الثالثة في سنة ١٨٨٧ م ، ومكث في اليمن الى سنة ١٨٨٨ م ، وكانت رحلته هذه موفقة جداً ، اذ حصل على آثار ونقوش كتابية كانت على جانب عظيم من الأهمية ، منها أربعمئة نص أخذها من مدينة (مأرب) عاصمة (سبأ) ، ومن هذه النصوص نصان عن تصدع سدّ مأرب يرجع عهدهما الى زمن قريب من ميلاد الرسول ، ونصوص أخرى من مدينة (صرواح) يرجع عهدهما الى العصر السبئي ، وهي ذات أهمية كبيرة في تدوين تاريخ بلاد العرب الجنوبية^٣ .

وكانت رحلته الرابعة ، وهي الأخيرة ، في سنة ١٨٩٢ م ، وكانت موفقة

١ O'leary, P., 221, Explorations, P., 722, Pfannmueller, P., 83, Weber S. 11

٢ Weber, S., 11.

٣ Explorations, P., 721, Mittheilungen der Vorder-Asiatischen Gesellschaft, Berlin, ٢
Beilage der Allgemeinen Zeitung, 1888, Nos, 293, f., Eduard Glaser, Reise nach Ma'rib.

جداً كذلك . اتبع فيها أسلوباً جديداً في الحصول على صور النصوص ، اذ استعان بالأعراب الذين فرقهم في مختلف الجهات التي لم يسبقه أحد من الأوروبيين الى زيارتها، بعد أن علمهم مختلف الطرق في الحصول على تلك النصوص بطريق الورق الذي يتأثر بالضوء وبطريقة القوالب الجبسية وبطرق أخرى . وقد تمكن بهذا الأسلوب الجديد من الظفر بصور مضبوطة بعض الضبط للكتابات القديمة التي لم يكن بوسعها الذهاب الى أماكنها واستنساخها بنفسه، وبها أيضاً تمكن من تصحيح أغلاط الصور التي أخذها (هاليفي) عن النقوش الأصلية ، ومن الحصول على زهاء مئة نص قتباني أخذها من منطقة خرائب (مأرب) . وفي متحف (فينا) قسم من الأحجار المكتوبة التي كان هذا العالم قد جلبها معه في المرة الأخيرة إلى أوروبا^١ .

وقد زار المستشرق (جورج أغسطس والين George Augustus Wallin) سنة ١٨٤٥ م نجداً ودون رحلته إليها^٢ . وزار الحجاز المستشرق الهولندي الشهير (سنوك هرغونيه Snouk Hurgtionje) ، فكتب في أحوال مكة ووصف الحياة في الحجاز وموسم الحج . وكان قد ذهب إليه سنة ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م وهو من العلماء المدققين^٣ .

وقد زار الحجاز (السير ريشارد برتن Sir Richard Burton) متنكراً بزي مسلم سمى نفسه (عبدالله) زار الحرمين وكتب وصف رحلته هذه^٤ .

وتوغلت (حنة بلنت Anne Blunt) سنة ١٨٧٩ م في شمال بلاد العرب حتى بلغت أرض نجد ، وكانت مولعة بدراسة أحوال الحيول العربية^٥ . واخترق الرحالة الانكليزي (تشارلس دوني Charlis M. Doughty) الصحاري العربية وشمال بلاد العرب ، ووضع كتاباً مهماً وصف فيه أسفاره في بلاد العرب

١ Weber, S., 12, Pfannmueller, S., 86.

٢ Ency. Brita., Vol., 2, P., 171, Explorations, P., 705.,

٣ Ency. Brita., Vol., 2, P., 170, Mekka, den Haag, 1888, Explorations, P. 720.

٤ Richard Burton, Personal Narrative of a Pilgrimage to El-Medina and Meccah, London, 1857, in two Vols.

٥ Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Najd, 2 Vols, London, 1883, The Bedouins of the Euphrates, London, 1879.

الصحراوية^١ . وقد اهتم خاصة بدراسة النواحي (الجيولوجية) والجغرافية للبلاد العربية ، ودون ملاحظاته عن الظواهر الجوية وتغيرات الجو ولم يغفل عن دراسة طبائع البدو وحياتهم الاجتماعية وطرق تفكيرهم وعقائدهم . وقد طبع كتابه ، في سنة ١٨٨٨ ، وترجم الى بعض اللغات الأوروبية لأهميته^٢ .

ويعد هذا الرحالة من المتعصبين على الإسلام ، وقد يكون لهذا التعصب سبب ، فقد لاقى من الأعراب وأهل المدن شيئاً كثيراً أثر في نفسه ، فصار يتعامل على المسلمين ويقسو في حكمه على الرسول، إلا أنه لم يتمكن مع ذلك من الغض من قيمة المبادئ الأخلاقية التي يتحلى بها . وما لاحظته على البدو ، عدم اهتمامهم بعبادتهم كالصلوات الخمس والصوم ، كما لاحظ من جهة أخرى ان الخوف من وجود إله يكاد يكون أعمق أثراً في نفوس هؤلاء من الحضر . ولاحظ أيضاً أن جذور الوثنية القديمة لا تزال راسخة حتى الآن في نفوس الأعراب وأكثر سكان القرى والمدن ، وقد أظهر هذا الرحالة ميلاً عظيماً لدراسة حياة البدو وطرق معيشتهم ، وهو يتشوق الى الصحراء ويحن إليها حين البدو ، ويتجلى ذلك العطف في رحلته التي تعد من روائع الأدب الانكليزي^٣ .

ورحل (ثيودور بنت) (Theodore Bent) وزوجته الى البحرين وجنوب الجزيرة العربية فزارا الأماكن الأثرية ، وتحدثا عن بعض الخرائب الجاهلية والكتابات . وكانت زيارتهما للبحرين سنة ١٨٨٩ م . أما زيارتهما لمسقط وعمان وحضرموت ، فكانت في هذه السنة ثم في سنين بعدها^٤ .

وتزيا الرحالة الألماني (هاينرش فون مالتزن) (Heinrich von Maltzen) بزي حاج مغربي، وكان قد زار المغرب وتعلم لهجة سكانه ، وذهب إلى الحجاز وتظاهر هناك بأنه منهم ، وبعد عودته من الحج وضع رحلته^٥ .

١ Travels in Arabia Deserta, Cambridge, 1888, in 2 Vols.

٢ Charils M. Doughty, Die Offenbarung Arabiens, Paul List Verlag, Leipzig, 1937.

٣ Passage from Arabia Deserta, Selected by, Edward Garnett, London, 1949, Pfannmueller, S., 54.

٤ Th. Bent and Mrs Bent, Southern Arabia Sudan and Socotra, London, 1900.

٥ von Maltzen, Meine Wallfahrt nach Mekka, Leipzig, 1865, Bd., 1, 2," bearbeitet

von F. Gansberg, Braunschweig, 1919, Reise in Arabien, Braunschweig, 1873, Bd., 1, 2, Arabica, Parts 4 und 5, Leiden, 1896-1898.

ومن الجوّالين العلماء (يوليوس أويتنك Julius Euting) ، وقد اهتم خاصة بدراسة أحوال البدو ، وكتب في الوهابيين والحركة الوهابية^١ .

ومنهم الرحالة الجيوكوسلوفاكّي الأصل (ألويس موسل) (Alois Musil) ، زار (العربية الحجرية) وكتب عدة كتب في وصف شمال الحجاز وبادية الشام ومنطقة الفرات الأوسط وتدمر ونجد ، ووضع في نهاية كل كتاب من كتبه فصلاً علمية قيّمة فيها تحقيق تاريخي جليل^٢ . وثمة جوابون آخرون لا بد من ذكرهم مثل (جوسن) (Antonine Jaussen)^٣ و (برونوف) (R. E. Brünnow)^٤ و (شارلس هوبر) (Charles Huber)^٥ و (وبرترام توماس) الشاب الانكليزي المستشرق الذي استطاع في شباط سنة ١٩٢٩ م أن يخترق لأول مرة (الربع الخالي) فكشف بذلك بقعة من أكبر البقاع المجهولة في بلاد العرب^٦ . ويضارعه في مخاطراته هذه (فليبي) الذي أسلم فأطلق على نفسه (الحاج عبدالله فليبي) . وقد ألّف هذا الانكليزي المستعرب عدة كتب بالانكليزية وصف فيها أسفاره في بلاد العرب ، وقد تهيأ له من الفرص ما لم ينتهياً لأوروبي آخر ، إذ كان من الملازمين للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود والمقربين اليه . وقد مكث الرحالة الألماني (راتجن) (C. Rathjens) بضع سنين في اليمن وكتب عنها ، وجلب معه عدة كتابات يمانية قديمة الى ألمانيا وضعت في (متحف الشعوب) في مدينة (هامبرغ)^٧ .

Julius Euting, Tagbuch einer Reise in Inner-Arabien, Leiden, 1896-1914, Bd., I. ١

The Northern Hegas, New York, 1926, Arabia Deserta, New York, 1927, ٢
Palmyrena, New York, 1928, Northern Negd, New York, 1928, The Middle
Euphrates, New York, 1927, In the Arabian Desert, New York, 1930.

Antonine Jausen, Countems des Arabes au Pays de Moab, Paris, 1908, Pfannmueller, ٣
S., 29, Hitti, P. 7.

R.E. Bruennow und A.V. D omaszewski, Die Provincia Arabla, Strassburg,
1904-1909, 3 Baende.

Charles Huber, Voyage dans l'Arable Centrale, Paris, 1885, Journal d'un Voyage ٤
en Arable, (1883-1884, Paris, 1891.

Arabia Felix, Across The Empty Quarter of Arabia, New York, 1932. ٥

The Empty Quarter, 1988, The Background of Islam, 1947, ٦
وكتب كتباً أخرى

C. Rathjens und H. von Wissmann, Suedarabien-Reise, 3 Bd., Hamburg, 1934, ٧
Rathjens und von Wissmann, "Sanaa, Eine Stuedarabische Stadtlandschaft" in,
Zeltschrift der Gesellsch. f. Erdk. zu Berlin, Nos., 9-10, S., 329. ff.

وقامت بعثة أمريكية عرفت بـ (المؤسسة الأمريكية لدراسة الانسان)
(The American Foundation for the Study of Man) برئاسة (وندل فيليبس)
(Wendell Phillips) ، وضمت بعض العلماء الواقفين على تأريخ اليمن القديم مثل
(البرايت) (Dr. W. F. Albright) أستاذ الآثار في جامعة (جون هوبكنس)
بالولايات المتحدة ، وآخرين في مختلف الموضوعات وذلك ما بين سنتي ١٩٥٠ -
١٩٥٢ م بأعمال الحفر في منطقة (عدن) واليمن . وبالرغم من النهاية المحزنة
التي انتهت أعمال البعثة إليها ، فقد تمكنت من الحصول على نتائج حسنة جديدة
لم تكن معروفة عن تأريخ مملكة قتيبان وسبأ ، وعادت ببعض الآثار^١ .

وكانت في جملة ما درسته هذه البعثة نظم الري في مملكة (قتيبان) . ودراسة
موضع (هجر بن حميد) ، حيث عثرت على فخار ومواد أخرى يعود عهدها ،
كما يرى خبراء البعثة الى ألفي سنة . ودراسة أخرى لمدينة (تمنه) عاصمة (قتيبان)
ولعبدها الشهير ولبقايا مقبرتها ، وعثرت على كتابات جديدة ، وقدّرت سقوط
تلك العاصمة وخرابها بسنة (٢٥) قبل الميلاد^٢ .

وقامت هذه البعثة في سنة (١٩٥٢) و (١٩٥٣) للميلاد بأعمال الحفر في (ظفار)
بعمان . ثم عادت فنقبت في هذه المنطقة في ابتداء سنة (١٩٦٠) م ، حيث كشفت
عن بعض الخفايا من تأريخ هذه المنطقة التابعة لسلطنة عمان^٣ .

وقامت في سنة (١٩٦٢) م بعثة أمريكية من المستشرقين الأميركيين ، لا علاقة
لها بالبعثة المتقدمة بزيارة مواضع من المملكة العربية السعودية ، فزارت (سكاكة)
' سككه ' والجوف وتيما ومدائن صالح والعلا وتبوك ، وظفرت بسنماذج من
فخار قديم ، ونقلت صوراً لكتابات ثمودية ونبطية ، أهمها الكتابات التي وجدتها
في قمة (جبل غنيم) الذي يقع على مسافة ثمانية أميال من جنوب (تيما) .

١ وقد ترجم كتاب (وندل فيليبس) ونشر بعنوان : (كنوز مدينة بلقيس) ترجمة
(عمر الديراوي) سنة ١٩٦١ ، وفي الكتاب ، ويا للأسف أغلاط كثيرة في تدوين
الإعلام ، زيد بن علي عنان : تأريخ اليمن القديم (وقد أولاني ثقته - حفظه
الله - حين أرسلني مشرفاً على أعمال الحفر بمأرب الذي قامت به البعثة
الأميركية المشؤومة برئاسة وندل فيليبس ، ذلك اللص النصاب
الذي جنى على دعائم محرم بلقيس الخ) ، المقدمة ،

Saenger, The Arabian Peninsula, P., 241.

Saenger, The Arabian Peninsula, P., 241. f. ٢

BASOR., Num. 159, (1960), PP., 14. ٣

وهي ، كما تقول البعثة ، من أقدم الكتابات التي عثر عليها حتى الآن في العربية الشمالية . وكان (فلبلي) قد استنسخها بيده ، وتبين بعد مقارنة ما استنسخه فلبلي بالصور (الفوتوغرافية) التي أخذتها البعثة أن في نقل (فلبلي) أوهاماً عديدة . وفي جملة ما عثرت عليه البعثة صور نحتت على أحجار تمثل آلهة عربية قديمة^١ .

وهناك طائفة أخرى من المستشرقين خدمت التاريخ العربي قبل الإسلام خدمة جليلة مهمة ، هي طائفة أساتذة الجامعات وأصحاب التنبع والبحوث ، استفادت من بحوث السياح ومن الموارد المذكورة التي تحدثت عنها عن مصادر التاريخ الجاهلي ، ثم غربلتها ونقذتها وألفت منها مادة جديدة لتأريخ الجاهلية . ومن هؤلاء المستشرق : (بركر) (Berger) مؤلف كتاب (جزيرة العرب قبل محمد في الآثار) (L'Arabie Avant Mahomet d'après les Inscriptions), Paris 1885. والمستشرق (كوسان دي برسفال) العلامة الفرنسي صاحب كتاب (تأريخ العرب قبل الإسلام) (Essai sur l'Histoire des Arabes Avant l'Islamisme)^٢ وهو من الكتب المفيدة . وقد جاء صاحبه بنتائج مهمة وبآراء صائبة في بعض الموضوعات ، غير أن الكتاب أصبح قديماً ، وفيه نواقص كثيرة ، وهو لا يتفق اليوم مع أساليب البحث الحديثة . وقد اعتمد مؤلفه على المصادر العربية ولا سيما كتاب (الأغاني) وعلى مصادر أخرى كانت معروفة في ذلك الوقت ، غير أنه لم يتمكن من الوصول الى مصادر كثيرة أخرى مهمة ، لأنها لم تكن في متناول يده في ذلك العهد .

وللمستشرق الإيطالي (كيتاني) (L. Caetani) بحث جيد في تأريخ العرب قبل الإسلام ، جعله مقدمة لتأريخ الإسلام^٣ . وهو على جهده في محاولة التعمق في فهم تأريخ الجاهلية والإسلام ، لا يخلو من هفوات ومن تغلب العاطفة عليه ، ولا سيما في القسم الخاص بتأريخ الإسلام .

ومن كتب في حياة العرب قبل الإسلام المستشرق (أوليري) (Delacy O'Leary) ،

١ BASOR., Num 168, 1962, P., 9.

٢ Paris, 1847-1848, Reprinted, 1902, in 3 Vols.

٣ Annali Dell'Islam, by Leone Caetani, Principe di Teano, Vol., I, Milano, 1905, Studi di Storia Orientale, Milano, 1911.

صاحب كتاب (البلاد العربية قبل محمد)^١ . وقد تحدث فيه عن صلات العرب بالمصريين فالآشوريين الى زمن ظهور الإسلام ، وهو لا يخلو أيضاً من هفوات . وقد صار قديماً . والمستشرق (تشارلس فورستر) (Charles Forster) ، وله كتاب مفيد (وان أصبح قديماً جداً) في تأريخ بلاد العرب القديمة وجغرافيتها ويستند في أكثر أبحاثه كأغلب معاصريه الى نظريات التوراة^٢ .

وقد كتب المستشرق الألماني (أوتو ويدر) (Otto Weber) رسالة صغيرة في حالة العرب قبل الإسلام^٣ .

وقد كتب المستشرقون الذين عنوا بالسيرة النبوية والتأريخ الإسلامي عامة فصولاً تمهيدية في حالة العرب قبل الإسلام ، تعرضوا فيها لمختلف النواحي التاريخية ، وهي مفيدة للاطلاع على أحوال الجاهلية .

وهناك من كتب في موضوع خاص من التأريخ الجاهلي كالمستشرق (رينه دوسو) ، فقد وضع كتاباً في (العرب في الشام قبل الإسلام)^٤ . والمستشرق الألماني (ثيودور نولدكه) ، وله كتاب في (تأريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين)^٥ ، وكتاب آخر في (أمراء غسان)^٦ .

وللمستشرق (روتشتاين) (Rothstein) كتاب (تأريخ أسرة اللخمين في الحيرة)^٧ ، وهو من الكتب المهمة التي جمعت شيئاً كثيراً من أخبار هذه الأسرة . وقد استعان مؤلفه بالمصادر العربية والسريانية واليونانية ، ولا يخلو على كل حال من الضعف في بعض مواضعه .

ويضاف الى كل ذلك ما كتبه بعض المستشرقين في الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام ، وأهمها كتاب (بركن) (Bergmann) في أديان العرب في الجاهلية^٨ ، والفصل الذي كتبه المستشرق (أرنست أسيندر) (Ernst Osiander)

-
- ١ O'Leary, Arabia, before Muhammed, London, 1927.
 - ٢ Charles Forster, The Historical Geography of Arabia, London, MDCCCXLIV, 2 Vols.
 - ٣ Arabien vor dem Islam, 1904.
 - ٤ Les Arabes avant l'Islam en Syrie.
 - ٥ Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, 1879.
 - ٦ Die Ghassanidischen Fuersten aus dem Hause Gafna's, Berlin, 1887.
 - ٧ Die Dynastie der Lachmiden in al-Hira, Berlin, 1899.
 - ٨ De Religione Arabum anteislamica.

في ديانة العرب قبل الإسلام ، في مجلة الجمعية الآسيوية الألمانية^١ . وقد بحث هذا المستشرق في ديانة العرب قبل الإسلام بحثاً عميقاً ، وهو أول مستشرق درس هذا الموضوع بعد « بوكوك » (Pococke) الذي كان أقدم من درس الوثنية عند العرب دراسة تفصيلية مستقلة في كتابه المطبوع سنة ١٦٤٩ للميلاد^٢ . وقد تطرق (أسيندر) لعبادة النجوم عند العرب وعبادة الأصنام والأماكن المقدسة في جنوبي بلاد العرب وعبادة الأصنام في الحجاز ونجد ، وتوصل إلى أن العرب عبدوا النجوم في بادئ الأمر ، ثم تطورت الفكرة الدينية عندهم ، وبالرغم من ذلك ظلت عقدة عبادة النجوم راسخة في أدمغتهم .

وجاء المستشرق (لودولف كرييل) (Ludolf Krehl) ، فأحيا هذه الدراسة مرة ثانية بكتابه « بحث عن ديانة العرب قبل الإسلام »^٣ ، وطرق موضوعات لم يتمكن من سبقه من البحث فيها . وقد ذهب إلى أن العرب القدماء كانوا من الموحدن في الأصل . غير أنهم تركوا التوحيد بعدئذ ، وعمدوا إلى عبادة النجوم والأصنام فالأحجار والأشجار ، وبذلك انحطت الحالة الدينية عندهم ، وفي القرن السادس تأثروا بالديانة اليهودية والنصرانية في الأماكن التي حدث فيها اتصال بهاتين الديانتين .

وأهم ما ألفت في الوثنية عند العرب قبل الإسلام ، كتاب المستشرق الألماني (ولوزن) الذي سماه : (بقايا الوثنية العربية)^٤ . وقد بحث في نواح مختلفة من نواحي الحياة الدينية عند عرب الجاهلية وفي الأصنام ، فجمع ما لم يتمكن من جمعه في هذا الباب أحد من المستشرقين قبله ، واتبع أسلوب المقابلة والنقد في البحث .

هذا ولا بد من الإشارة إلى مجهود عدد من العلماء تخصصوا بالعربيات وعالجوا نواحي عديدة من دراسات الجاهلية ، ومنهم (فريتز هومل) (Fritz Hommel) صاحب المؤلفات والبحوث الكثيرة ، والدراسات القيّمة في تأريخ اليمن والعرب

١ Studien ber die vorislamische Religion der Araber, in: Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft, 7, 1853.

٢ Specimen Historiae Arabum, Oxford, 1649.

٣ Ueber die Religion der vorislamischen Araber, Leipzig, 1863.

٤ Reste arabischen Heidentums, Berlin, 1887., 2 Ausgabe 1929.

الجنوبيين ، وفي ترجمة الكتابات المعينية والسبئية والحضر موتية والقبتانية والحميرية ، وفي الدراسات اللغوية . وهو في مقدمة من وضع أسس الدراسات العربية الجنوبية ومهد الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين . و (رودوكاناكس) (Nikolaus Rhodokanakis)^١ ، وهو صاحب جملة مؤلفات في شرح وحل النصوص العربية الجنوبية ، و (دتلف نيلسن) (Detlef Nielsen) الدانماركي من الباحثين في الكتابات العربية الجنوبية وفي الحضارة العربية ، والتأريخ العربي قبل الإسلام^٢ .

كذلك خصص (موردتمن) (J. H. Mordtmann) و (داؤو هاندش ميلر) (D.H. Mueller) ، و (ميتوخ) (Eugen Mittwoch) ، و (فون فزمن) (von Wissmann) ، و (بيستن) (C.F.L. Beeston) ، و (كونسي روسيني) (C. Conti Rossini) ، و (فنت) (F.V. Winnett) ، و (ركمنس) (C. Ryckmanns) ، و (كروهمن) (A. Grohmann) ، و (ملاكر) (K. Mlaker) ، و (أغناطيوس كويلدي) و (وهربرت كريمه) (Herbert Grimme) ، و (أنوليتمن) و (البرايت) ، وغيرهم قسطاً من بحوثهم في العرييات الجنوبية ، فساعدوا بذلك على تقديم مادة غنية للمؤرخين والباحثين ، وعلى تحسين معارفنا في اللهجات العربية الجنوبية وقواعدها وفي تأريخ الجاهلية^٣ .

هذا ، ولا بد لي أيضاً من الإشارة الى جهود مستشرقين محدثين قصرُوا عملهم على البحوث العربية الجنوبية ، وصرفوا وقتهم في دراستها ، وألفوا وكتبوا فيها ، ونشروا بحوثهم في المجلات ، ونشروا نشراً جديداً نصوصاً سبق أن نشرت ، وبعثوا الحياة في نصوص لم تكن معروفة فعرفت . ومن هؤلاء : (فون وزمن) (H. von Wissmann) . و (ريكمنس) (J. Ryckmans) ، وهو صاحب

Nikolaus Rhodokanakis: Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft, 2 Hefte, Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsuedarabischen, Der Grundsatz der Öffentlichkeit in den Sudarabischen, Urkunden, 1914.

Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, Bd., 1, Hamburg, 1927. ٢

٣ للاطلاع على المؤلفات التي تعرضت لاسفار السياح في جزيرة العرب ، يستحسن الرجوع الى الكتب التي الفت في هذا الموضوع باللفات الأوروبية ، ومنها : Hilprecht: Explorations in Bible Land during the 19th Century, Edinburgh, 1903, Ency. Brita., Vol., 2, P., 169, ff.

بحوث وتحقيقات في نشر الكتابات والتعليق عليها وعلى أيام الملوك . و (البرايت) (W. F. Albright) العالم الآثاري الأمريكي الذي ذكرته قبل قليل . و (الأب جامة) (A. Jamme) الذي رافق البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان ، والخير بقراءة النصوص وتعيين زمان كتابتها ، وناشر جملة كتابات عثرت عليها البعثة المذكورة . و (مارية هوفنر) (M. Hofner) و (بيرين) (J. Pirenne) و (بيستن) (A.F.L. Beeston) وغيرهم ، ممن جاؤوا ببحوث قيمة جديدة وما زالوا يبحثون في التأريخ الجاهلي^١ .

هذا ، وسوف يكون لدراسة علماء الآثار والآثار التي عثر وسيعثر عليها من ناحية علم الآثار ، وكذلك تطور الخطوط ومقارنة الكتابات بعضها ببعض لمعرفة زمانها وتحليل الآثار ودراساتها بالمختبرات وبطرق (الفحص الكاربوني) وبما شاكل ذلك من طرق تعد اليوم حديثة ، شأن كبير في الكشف عن التأريخ الجاهلي ، وتقريبه من الواقع ، وتضييق شقوق الخلاف التي نراها بين العلماء في عمر الدول وفي حكم الملوك وأمثال ذلك من أمور هي اليوم في موضع اهتمام الباحثين في تأريخ الجاهلية .

هذا وأودّ أن أشير هنا الى أمر يتعلق بالكتابات الجاهلية ، هو أن غالبية من عاجلها وترجمها اعتمد في الغالب على العبرانية وعلى السريانية في الترجمة ، ولهذا لم يوفقوا في ترجمتهم توفيقاً كبيراً ، وأعتقد أن دراسة اللهجات العربية لقبائل اليمن وبقية العربية الجنوبية وجمع معاني مفرداتها ، تفيد كثيراً في تفسير كتابات المسند وشرحها مثلاً ، لأن كثيراً من هذه المفردات ما زال مستعملاً استعمال القدماء له . ولكن مثل هذه الدراسات لم تتم بشكل علمي منظم منسق حتى الآن وبالأأسف . ورجائي أن يأتي يوم يقوم فيه المتخصصون من العرب بدراسة تلك اللهجات وتثبيتها بصورة علمية ووضع معجمات بألفاظها ، فإن في هذا العمل خدمة كبيرة للتراث العربي القديم .

وقد قام المستشرقون بنصيبهم في كتابة تأريخ الجاهلية ، فهم يستحقون على عملهم هذا كل شكر وثناء ، مهما وقع في دراساتهم من قوة وضعف ، وغرض ونية ، فهم قد قاموا بعمل ، وقد أفادونا في عملهم هذا ولو بعض الفائدة ،

E. Wright, The Bible and the Ancient Near East, Essays in Honor of William Foxwell Albright, New York, 1965, PP., 301.

فعلينا ألاّ ننكر فضل الناس ، واذا كان هناك شيء من خطأ أو نيّة سيئة ، فعلينا بقع واجب تصحيحه وبيان مواطن سوء النية ، فهم غرباء ، ونحن حملة هذا التأريخ وأصحابه . وعلينا وحدنا يقع واجب تدوينه وانتزاعه من باطن الأرض ، والبحث في كل زاوية ومكان لايجاد مورد جديد نضيفه الى الموارد الموجودة . وعلى الحكومات العربية واجب إتمام العمل ، وتيسير الوسائل التي توصل الباحثين الى الأماكن التي يقصدها العلماء وحمايتهم ورعايتهم ، وواجب اعداد طائفة من المتقنين العرب للقيام بهذه المهمة والإنفاق عليهم بسخاء ، وإنشاء متاحف تحفظ فيها العاديات ، ومنع الناس من التجاوز والتطاول على الأماكن الأثرية ، ومن أحق بالمحافظة على تراث البلاد من أبنائها ؟.

الفصل الرابع

جزيرة العرب

ليس بين أشباه الجزر شبه جزيرة تنيف على شبه جزيرة العرب في المساحة، فهي أكبر شبه جزيرة في العالم . ويطلق العلماء العرب عليها تجاوزاً اسم (جزيرة العرب)^١ . تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة ، ومع ذلك لم يستطع الجو البحري أن يخفف من حدة الحرارة فيها ، ويتغلب على جفافها ، والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل إلى أواسط بلاد العرب ، لإنزال رحمتها عليها . فإنّ الرياح السهائم ، وهي ذات الحرّ الشديد النافذ في المسام ، تتلقى الرطوبة التي تنبعث من البحار بوجه كالح عبوس ، ومقاومة تسلبها قوتها ، وتنتزع الرطوبة منها ، وتمنعها في الغالب من الوصول إلى أواسط الجزيرة .

يُحمد جزيرة العرب من الشرق الخليج العربي المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) (Sinus Persicus) ، وما زال يعرف بهذه التسمية المأخوذة عن اليونانية في المؤلفات المعاصرة . أما قدماء أهل العراق ، فقد عرف عندهم بـ (البحر الجنوبي) و (البحر الأسفل) و (البحر التحتاني) (Lower Sea)^٢ ، وبـ (البحر الذي تشرق منه الشمس) و (بحر الشروق) (Sea of the Rising Sun)

١ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٤٧ ، وسيكون رمزه : صفة ، الالوسي : بلوغ الأرب (١٨٤/١ وما بعدها) ، معجم البلدان (١٠٠/٣) وسيكون رمزه بـ (البلدان) ، L.D. Stamp, Asia, an Economic and Regional Geography, P., 133.

٢ Ancient Iraq, by Georges Roux, London, 1964, P., 29.

وب (البحر المر) و (البحر المالح) و (نار مرتو) (Nar Marrtu) في الآشورية^١. ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ، وقد أطلق بعض الكتبة اليونان واللاتين على القسم المتصل منه بسواحل جزيرة العرب الجنوبية والملاصق لسواحل إفريقية الشرقية المقابلة لهذه السواحل اسم (البحر الأريتري) (Mare Erythraeum) ؛ أما (بطلميوس) فقد أطلق على الماء المحصور بين عُمان وحضرموت اسم (خليج سخاليتة) (Sinus Sachalites) ، وأطلق على القسم الغربي الباقي اسم (بحر ربرم) (Mare Rubrum)^٢ (Rubri Maris) ، أي البحر الأحمر . وقد قصد الاغريق واللاتين بـ (Mare Rubrum) في الغالب البحر الأحمر الحالي والبحر العربي والخليج العربي ، بل حتى المحيط الهندي، فهم يتوسعون في هذا الاطلاق كثيراً^٣ .

أما حدتها الغربي ، فهو البحر الأحمر كما يسمى في الخارطات الحديثة المعروف باسم (الخليج العربي) (Sinus Arabicus) في الخارطات اليونانية واللاتينية ، وبـ (بحر القلزم) في الكتب العربية^٤ . أما العبرانيون، فقد أطلقوا عليه (ه - ي م) (ه ا ي م) (اليم) ، ومعناه اللغوي : (البحر) من (ي م) (يام) بمعنى (بحر) و (ها) أداة التعريف التي هي في مقام (ال) في العبرانية، وذلك بصورة عامة ، و (يام سوف) (Yam Suph) بصورة خاصة ، وبـ (سوف) و (سوقة) أحياناً^٥ . وقد فسّر (البيضاوي) لفظة (اليم) ، الواردة في القرآن الكريم بهذا البحر ، أي البحر الأحمر^٦ . وقد أريد بـ (Mare Erythraeum) وبـ (Mare Rubrum) البحر الأحمر أيضاً^٧ .

وشكل البحر الأحمر ، شكل يلفت النظر ، يظهر وكأنه خسط منظم ممتد من الشمال نحو الجنوب على هيئة ثعبان منتصب ذي قرنين . أما باقي جسمه ، فإنه

١ Ancient Iraq, P., 247.

٢ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية الموضوعة في هذا الباب .

٣ Quintus Curtius, I, P., 75.

٤ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية ، بلوغ الارب (١٨٤/١) فما بعدها .

٥ (سوف) في اللغة العبرانية ، بمعنى اعشاب ضارة ، حشائش ودغل .

٦ Smith, A Dictionary of the Bible Comprising its Antiquities, Biography, Geography, and Natural History, Vol., 1, 1009, Hastings, P., 833, 987.

٧ تفسير البيضاوي (١٣٢/٧ ، ٣٤١) .

Smith, Vol., 1, P., 1009.

البحر العربي . أما هذا الثعبان ، فقد كان أرضاً في الأصل ، خسفت على هذه الصورة في الزمن الثالث من الأزمنة الجيولوجية^١ ، فابتعدت بذلك بلاد العرب عن إفريقيا ، الا من ناحية الشمال ، حتى لا تكون هناك قطعة تامة ، وارتفعت بذلك السواحل الغربية ، نتيجة انخساف الأرض ، فسالت الى الأرض المنخفضة مياه البحر العربي ، ولو تم الخسف ، وامتد الى (طور سيناء) فشطرها ، لما كانت هناك حاجة الى قيام الانسان فيما بعد باتمام العمل الذي لم تكمله الطبيعة ، وهو ايصال البحر الأحمر الى البحر الأبيض بقناة السويس .

وهناك من يرى أن البحر الأحمر كان بحيرة في الأصل ، وكانت إفريقيا والعربية الجنوبية قطعة واحدة عند جنوب هذه البحيرة ، أي عند ما يسمى بـ (مضيق باب المندب) في الزمن الحاضر ، ولكن خسفاً وقع ، أدى الى انفصال إفريقيا عن العربية الجنوبية الغربية ، فاتصل المحيط الهندي بالبحيرة ، وتكون البحر الأحمر . وقد كان الناس قبل وقوع هذا الانفصال يتنقلون براً وكان إفريقيا وجزيرة العرب قطعة أرض واحدة ، ومن هنا كانت الهجرات . أما خليج العقبة ، فقد عرف بـ (خليج أيلة) وبـ (خليج الأيلانيين) ، (Sinus Aelanites) (Sinus Aelaniticus) في الكتب الكلاسيكية ، نسبة الى مدينة (أيلة) المسماة (ايلات) (Elath) و (ايلوت) (Eloth) عند العبرانيين . وهي مدينة مهمة من مدن (أدوم) (الأدوميين)^٢ . وأما خليج السويس (فقد عرف بـ (Sinus Heroopolites) (Sinus Heroopoliticus) عند اليونان واللاتين^٣ .

ويحصن مناطق واسعة من ساحل جزيرة العرب على البحر الأحمر صخور مرجانية تفتك بالسفن التي تتجاسر فتقترب منها ، نبتت في تلك المواضع لتحمي الساحل من وصول الأجانب اليه . ولكنها أضرت سكانه من ناحية أخرى ، اذ جعلت الملاحة صعبة في هذه الأماكن ، فقللت بذلك الاستفادة من الانجار بالبحر ، وقللت أيضاً من عدد الموانئ الصالحة لرسو السفن على هذا الساحل . وهناك جزر متفرقة تقابل الساحل ، أكثرها مهجور ، وبعضها قليل السكان ، ومعظمهم خليط

١ بروكلمن : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (طبعة دار العلم للملايين) ، الجزء الاول (ص ١٠) .

٢ Hastings, P., 211, Smith, Vol., 1, 1009.

٣ Smith, Vol., 1, P., 1009

من دم إفريقي أسود ومن عرب ، عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام على التعرض للسفن بالغزو وعلى الصيد .

ويرى بعض الباحثين أن البحر الأحمر لم يكن وحده نتيجة خسف أصاب بلاد العرب ، ففصلها عن إفريقية إلا من جهة (طور سيناء) ، بل ان سواحل بلاد العرب الأخرى ، أي السواحل الجنوبية والسواحل الشرقية ، تعرضت هي أيضاً لهزّات عديدة، فخسفت في مواضع عديدة مثل (عدن)، حيث تكون خليج عدن ، ومثل الخليج العربي ، وكانت هذه الهزّات والتصدعات استجابة لتصدع واهتزازات حدثت في الشمال على مقربة من حدود بلاد الشام ، فامتدت الى وادي الأردن والبحر الميت فوادي عربة الى خليج العقبة . وهكذا تعرضت جزيرة العرب في عصور سحيقة في القدم قبل الميلاد لهزّات وتحركات أرضية ، حتى جعلتها على الشكل الذي نراه عليه الآن^١ .

وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي ، فيكون النفوذ الشمالي من الحدود التي تفصل الهلال الخصيب عن جزيرة العرب . أما من الناحية « الجيولوجية » ، فإن باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن تربة الجزيرة ، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب . وأما من الناحية التاريخية ، فإن هذا الخط الوهمي المتصور ، هو وهم وخطأ ، فقد سكن العرب في شمال هذا الخط قبل الميلاد بمئات السنين . سكنوا في العراق من ضفة نهر الفرات الغربية ، وامتدوا في البادية حتى بلغوا أطراف الشام . وسكنوا في فلسطين وطور سيناء ، حتى بلغوا ضفاف النيل الشرقية . وهي أرضون أدخلها الكتبة القدامى من يونان ولاتين وعبرانيين وسريان في جملة مساكن العرب ودعوها بـ (العربية) وبـ (بلاد العرب) ، لأن أغلب سكانها كانوا من العرب^٢ ، حتى ذهب بعض علماء (التوراة) ، الى أن (بلاد العرب) في التوراة، هي مواطن (الإسماعيليين Ishmaelite) و (القطوريين Keturaean) ، أي البوادي التي نزلت بها القبائل المنتسبة الى (اسماعيل) و (قطورة) . وهي

١ B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook, Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 11

٢ O'Leary, Arabia before Muhammad, P., 5.

قبائل بدوية ، كانت على اتصال بالعبرانيين . وهي بوادٍ تقع شمال جزيرة العرب وفي الأقسام الشمالية منها^١ .

أما (أربي) ، أي (العربية) في النصوص الآشورية ، و (ماتو أربي) (Matu A-ra-bi) ، أي (أرض العرب) و (بلاد العرب) في النصوص البابلية ، و (اربايا) (Arabaya) (Arpaya) في النصوص الفارسية ، و (بيت عربية) (Beth 'Arabaya) في الإرمية ، فإنها كلها تعني البادية الواسعة التي تفصل العراق عن بلاد الشام . أما حدودها الجنوبية ، فلم تحددها النصوص المذكورة^٢ . ولكننا نستطيع أن نقول ان امتدادها كان يتوقف على مبلغ علم تلك الشعوب بالعرب ، وعلى المدى الذي وصل اليه تعاملهم في بلاد العرب .

فبلاد العرب أو (أرض العرب) (مت أربي) (Mat Arabi) (Mat Aribi) ، هي بادية الشام أيضاً ، وهي كل الأرضين التي تحدها جبال (الأمانوس) (Amanus) في الشمال ، أي الأرضين التي تقع في جنوبها وكل شبه جزيرة سيناء عند (بلينيوس) (Plinius)^٣ . فمن اذن أوسع جداً مما تصوره علماء الجغرافيا المسلمون لجزيرة العرب .

ولذا نظرنا نظرة عامة الى خارطة جزيرة العرب ، نرى أنها أرضون مرتفعة في الغرب ، تسيطر على السواحل الضيقة ، وتكون سلاسل من المرتفعات متصلاً بعضها ببعض ، تمتد من بلاد الشام الى اليمن ، ويقال لهذه المرتفعات جبال (السراة)^٤ . وهي توازي ساحل البحر الأحمر ، وتقرب منه في مواضع عديدة . ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم . أما أقصى ارتفاع لها ، فيبلغ زهاء ١٢,٣٢٦ قدماً ، وهو في اليمن^٥ .

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر ، فإنها ضيقة ، تسيطر عليها هذه المرتفعات ، وتنحدر اليها انحداراً شديداً قصيراً . وسواحلها

١ Hastings, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 585.

٢ Encyclopaedia Biblica, Vol., I, Col., 273.

٣ Pliny, Nat. Hist., VI, 142. f., A. Grohmann, Arabien, S., 3.

٤ السراة : أعلى كل شيء ، وهناك مواضع عديدة يقال لها سراة مضافة الى القبائل ، تاج العروس (١٧٤/١٠) ، البلدان (٥٩/٥) .

٥ C. Rathjens und H. von Wissman: Suedarabische Reise, Hamburg, 1934, Bd., 111, S., 2, Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.

المهيمنة على البحر ، صخرية في أغلب الأحيان ، يصعب رسو السفن فيها^١ .
وطالما تحطمت عليها السفن المنكوبة ، فتكون طعاماً للبحر ، وللأعراب الساكنين
على السواحل ، فيكون من ينجو بنفسه من أصحاب تلك السفن وما يتبقى من
حطامها ملكاً لأولئك الساكنين بحسب عرف أهل ذلك الزمان وعاداتهم .

أما الانحدار الى البحر العربي والخليج العربي ، فانه يكون تدريجياً وطويلاً
ولذلك تكون الأقسام الغربية من جزيرة العرب أعلى من الأقسام الشرقية . وتتألف
الأرضون الوسطى من هضبة تدعى (نجداً) ، يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠
قدم . وتمتد في الأقسام الجنوبية من الجزيرة سلاسل من الجبال ، يتفاوت ارتفاعها ،
تسيطر على المنخفضات الساحلية ، وعلى ما يليها من أرضين من جهة البر^٢ ،
وتتصل هذه بسلسلة جبال اليمن ، وتكثر فيها الأودية التي تفصل بين السلاسل ،
وتأخذ مختلف الاتجاهات من الشمال الشرقي أو من الشمال الغربي الى سواحل
البحر ، حيث تمثل اتجاهات المياه والسيول^٣ . ويكون أعلى ارتفاع لسلسلة الجبال
الجنوبية في أقصى الجنوب الشرقي من الجزيرة ، أي في عمان ، حيث يبلغ ارتفاع
الجبل الأخضر زهاء عشرة آلاف قدم^٤ .

وتتكون أغلب الأرضين في جزيرة العرب من بواد وسهول ، تغلبت عليها
الطبيعة الصحراوية ، لكن قسماً كبيراً منها يمكن اصلاحه إذا ما تعهدته يد
الانسان ، واستخدمت في اصلاحه الوسائل العلمية الحديثة . وأما الأرضون الصالحة
للزراعة ، فإنها تزرع فعلاً لوجود المياه فيها . أما الأرضون التي تعدّ اليوم
من المجموعة الصحراوية ، فهي :

١ - الحِرار ، أو الأرضون البركانية : وقد تكونت بفعل البراكين ، ويشاهد
منها نوعان : نوع يتألف من فجوات البراكين نفسها ، ونوع تكون من حممها (اللابة)
Lava التي كانت تقذفها ، فتسيل الى الأطراف ثم تبرد وتفتت بفعل التقلبات
الجوية ، فتكون ركاماً من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات ، قد تكون
سميكة ، وقد تكون رقيقة ، تتبعثر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض
الأصلية .

١ Hitti, P., 14.

٢ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.

٣ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169, Hitti, P., 14.

وفي مثل هذه الأرضين يصعب السير ، لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها ، وتقل الاستفادة منها ، فتتحول شيئاً فشيئاً الى مناطق صحراوية ، والساثر اليوم في منطقة (اللجاة) في جنوب شرقي دمشق ، يلاحظ الطريق الذي سلكته الحمم المقلوفة^١.

وقد وصف العلماء العرب الحِارَ ، فقالوا^٢ : الحَرَّةُ أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، ويكون ما تحتها أرضاً غليظة ، من قاع ليس بأسود ، وإنما سودها كثرة حجارتها ، وتدانيها . وتكون الحرة مستديرة ، فإذا فيها شيء مستطيل ليس بواسع ، فذلك الكراع ، واللابية واللوبة ما اشد سواده وغلظ واقفاد على وجه الأرض^٣ . فيظهر من هذا ان (الحرار) هي أفواه البراكين ، ولذلك تكون مستديرة . وأما اللابة أو اللوبة ، فإنها المناطق التي غطتها حمم البراكين ، وسالت فوقها ، ثم جفت . وأما الكراع ، فإنها أعناق الحرار^٤.

Moritz, Arabien, Studien zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes, Hannover, 1923, S., 12.

وسيكون رمزه : Moritz

(اللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام ، فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة) ، البلدان (٣٢٣/٧) .

٢ البلدان (٢٥٦/٣) ، تاج العروس (١٣٥/٣) ، ويقال للحرة المنعزلة في الرمال (بسقة) ، الطبري (٢٢١/٣) ، وللنهر الذي يسيل من الحرار (شرج) و (شراج) ، وأحياناً (سواقي) ، البلاذري : الفتوح (١٢) ، المراسد (١٧٥/٢) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) .

٣ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (لوابة) (لابة ولوبة) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) ، البلدان (٣٥٧/٣) ، ويقال (حرة سوداء) ، الطبري (٩٥٩/٢) (طبعة أوربة) ، وجاء ايضاً (حرة رجلاء) ، صفة ص ٢٠٥ ، وقد علل الهمداني ذلك بقوله (سميت الحرة الرجلاء لأنها ترجل سالكها ، ولا يقدر فيها على الركوب) ، صفة ص ٢٠٥ ، راجع كذلك معلقة الحارث ، بيت ٢٨ ، وجاء (حرة سوداء) ، Moritz, S., 11 وجاء كذلك (حامية) ، والظاهر انها من الفاظ العوام .

وقد كتب العلماء في (الحرار) ، كتباً ، مثل (كتاب الحرة) المنسوب الى ابي عبد الله محمد الغلابي ، (الفهرست ص ١٠٨) ، و (كتاب الحرات) لابي عبيدة (الفهرست ص ٥٩) ، (طبعة أوربة) (٨٠) طبعة المطبعة الرحمانية ، لسان العرب (٢٤٢/٢) ، وورد ايضاً (لابة سوداء) ، (لوابة) و (لوبة) ، ابن سعد ، الطبقات (٢/١ ، ٢٥) ،

Moritz, S., 12, Anm. 1, Loth, in ZDMG., 22, 365-382.

٤ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (١٨٢/١٠) ، القاموس (٧٨/٣) .

وتكثر الحرار في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وتمتد حتى تتصل بالحرار التي في بلاد الشام ، في منطقة حوران ، ولا سيما في الصفاة^١ ، وتوجد في المناطق الوسطى ، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق ، وفي المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية ، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المندب وعند عدن^٢ . وقد ذكر علماء العرب أسماء عدد منها^٣ ، كما أضاف إليها السياح أسماء عدد آخر عثروا عليها في مناطق نائية^٤ .

وقد وردت في الشعر الجاهلي اشارات إليها . وكانت لإحدى الحرار ، وهي (حرة النار) في عهد الخليفة عمر لا تزال ثائرة تخرج النار منها^٥ . وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج في عهد الخليفة عثمان من بعض الجبال القريبة من المدينة^٦ . وهذا يدل على أن فعل البراكين في جزيرة العرب ، لم يكن قد انقطع انقطاعاً تاماً ، وأن باطن الأرض ، كان ما زال قلقاً ، لم يهدأ .

وكان آخر حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦ م) ، إذ ثارت إحدى الحرار في شرقي المدينة ، واستمر هيجانها بضعة أسابيع ، وقد وصل ماسال من حممها الى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينة التي كان نجاتها من الأعاجيب^٧ . وكان أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين عهد زلازل وثوران براكين في مناطق آسية الغربية^٨ . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي ، لم يبق أثر لفعل البراكين في مختلف أنحاء بلاد العرب^٩ .

وقد تركت الأصوات المزعجة ، و (الصيحات) المرعبة ، والنيران التي كانت ترى من مسافات بعيدة ، وسحب الدخان التي كانت ترتفع من أجواف

١ Moritz, S., 12, Chr. Philps Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 122, Alfos
Musil, In the Arabian Desert, New York, 1930, PP., 3, 21.

٢ Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

٣ البلدان (٢٥٩/٢) (مطبعة السعادة ١٩٠٦) ، (حرة اشجع) الاصابة
(٦٧/١) .

٤ Doughty, Arabia Deserta, 2, 618. f.

٥ البلدان (٢٦١/٣) ، Moritz, S., 13

٦ الطبرى (٢٩٨/١) (الطبعة الاوربية) ،

٧ Moritz, S., 13.

٨ Moritz, S., 14.

٩ Moritz, S., 19.

الأرض ، و (البريق) الذي كان يظهر من الحرار ، مثل حرّة (القوس) التي قيل انها كانت ترى كأنها حريق مشعل^١ ، و (حرة لبن) التي كان يخرج منها ما يشبه البرق ، ويسمع منها أصوات كأنها صياح^٢ ، هذه كلها تركت صوراً مرعبة في نفوس الجاهليين ، تتجلى في القصص المروية عنها ، وفي عقائدهم بتلك النيران .

ولعل قوة نيران (حرة ضرّوان) وشدة قذفها للحمم وارتفاع لهيها ، هي التي دفعت أهل اليمن الى التعبد لها والتحاكم اليها ، فقد كانوا يذهبون اليها ليتحاكموا عندها فيما يحدث عندهم من خلاف ، والرأي عندهم ان النار تخرج فتأكل الظالم وتنصف المظلوم . وقد كانت حرة نشطة عاشت أمداً طويلاً كما يظهر من وصف (الهمداني) وغيرها لها ، وصلت حممها الى مسافات بعيدة عن الحرة^٣ .

وقد تسببت أكثر هذه الحرار في هلاك كثير ممن كان يسكن في جوارها وفي هجرة الناس من الأرضين التي ظهرت بها ، فتحوّلت الى مناطق خاوية خالية . وقد وجد السياح أرضين شاسعة واسعة أصيبت بالحرار ، وتأثرت بفعل (اللابة) التي سالت عليها . وللناس الحق كل الحق في ارجاع أسباب هلاك أصحابها الى العذاب الذي نزل بهم بانفجار الأرض وبخروج النيران منها تلتهم الساكنين عندها . وقد جهلوا ان هذه النيران المتقدمة الصاعدة والروائح الكريهة المنبعثة عنها ، هي من فعل العوامل الأرضية الداخلية التي تعمل سراً في بطن الأرض . وكثرة الحرار في جزيرة العرب ، وانتشارها في مواضع متعددة منها ، دليل على أن باطنها كان قد تعرض لامتحانات عسيرة قاسية ، ولتقلبات كثيرة ولضغط شديد في المناطق الشمالية والغربية والجنوبية ، وقد ظهر أثر ذلك الضغط في وجهها فبان اليوم وكأنه حب الجُدريّ ، يتحدث عن ذلك المرض القديم .

١ قال عريرة النميري :

بحرة القوس وجنبي محفل بين ذواه كالحريق المشعل

البلدان (٢٥٩/٣) .

٢ (لبن) ، بضم اللام وتسكين الباء الموحدة ، قال الشاعر :

بحرة لبن يبرق جانبها ركود ما تهد من الصياح

البلدان (٢٦٠/٣) .

٣ الأكليل (٣٣/١) .

وقد اشتهرت بعض مناطق الحارار بالخصب والماء وبكثرة المياه فيها ، ولا سيما حارار الحجاز التي استغلت استغلالاً جيداً ، ومنها (خيبر) ، التي ميزت على سائر القرى ، فقبل عنها لأنها (خير قرى عربية)^١ ، غير أن ظهور العيون فيها بكثرة ، جعلها موطناً من مواطن الحمى ، اشتهر أمرها في الحجاز حتى قيل : (حمى خيبر)^٢ . واستفاد الجاهليون من الحارار باستخراج الأحجار منها ، كأحجار الرحي والمعادن ، فكانت موطناً من مواطن التعدين القديمة فيها^٣ .

ويدرس علماء طبقات الأرض بعناية بالغة توزيع الحارار في جزيرة العرب ، وتقصي أنواع الحجارة التي يكثر وجودها مثل الحجارة الكلسية والگرانيتية والرملية وتوزعها ، والينابيع الحارة في الأحساء ، لما في هذه الدراسات من أهمية بالنسبة الى اكتشاف الموارد الطبيعية ، والثروات الكامنة في الأرض .

ويظن أن فعل البراكين كان له أثر خطير في العصور الب « ابوسينية » (Eocene) ، اذ ثارت براكين عديدة في جزيرة العرب وفي الحبشة وفي السواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب . وقد أثرت هذه البراكين بالطبع في شكل الأرضين التي ثارت فيها وفي شكل الأرضين القريبة منها ، وقد ظهرت براكين فعالة نشيطة في العصور (البليوسينية) (Pliocene) أيضاً ، أثرت كذلك في شكل سطح الأرض ، بأن أحدثت فيها تضاريس ، لا تزال آثارها تشاهد حتى الآن^٥ .

وفي جزيرة العرب عيون وينابيع ، تخرج منها مياه حارة . ففي عسير وفي الحجاز وفي اليمن وفي حضرموت وعمان والأحساء والمخوف وفي مواضع أخرى

١ (خير قرى عربية خيبر) ، ابن سعد ، الطبقات (٥٠/١) (قسم ٢)

Zwemer, Arabia, P., 23, Moritz, S., 12.

٢ كان به - اذ جثته - خيبر - يعود عليه وردها وملالها

قلت لحمي خيبر : استعدي هالك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصالب وورد اعانك الله على ذا الجند
البلدان (٤٩٧/٣) ، الحماسة (طبعة فرايتاك) (ص ٦٤) ، صفة ١١٨ ، نقااض
جرير ٦٢٠ .

٣ مثل حرة سليم ، وحرة الرفاع على ساحل البحر الاحمر شمالي غربي ينبع ،
البلدان (٢٥٨/٣) ، (٥٢٦/٨) ، تاج العروس (٦٣٥/٣)

٤ Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

٥ Naval, PP., 19.

غيرها ، مواضع تخرج منها مياه حارة كبريتية في الأكثر ، يستشفى ب مياهها الناس بالاستحمام . وانتشارها على هذه الصورة وبهذه الكثرة يلفت النظر ، وهي من آثار التقلبات الجوفية التي حدثت في جزيرة العرب منذ القدم^١ .

٢ - الدهناء :

وهي مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر في الغالب ، تمتد من النفود في الشمال الى حضرموت ومهرة في الجنوب ، واليمن في الغرب ، وعمان في الشرق^٢ . وفيها سلامل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة ، تنتقل في الغالب مع الرياح ، وتغطي مساحات واسعة من الأرض^٣ . ويمكن العثور على المياه في قيعانها اذا حفرت فيها الآبار^٤ .
وقد أشير الى الدهناء في بيت شعر للأعشى هذا نصه :

يمرون بالدهناء خفافاً عياهم ويرجعن من دارين يُبحر الحقائب*

وقد تصل الأمطار الموسمية الى بعض أجزاء (الدهناء) فتنبت فيها الأعشاب ، ولكن عمرها فيها قصير اذ سرعان ما تجف وتموت . وقد هجر الناس السكنى في أكثر أقسام الدهناء ، لجفاف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة ، وخلوها من الماء والمراعي ، ولكثرة هبوب العواصف الرملية فيها ، ولشدة حرارتها التي يصعب احتمالها في أثناء النهار ، وأقاموا في الأمكنة المرتفعة منها ، التي تتوافر فيها المياه ، وتتساقط عليها الأمطار ، فتنبت الأعشاب ، وينتجعا الأعراب . أما الأقسام الجنوبية من الدهناء فيسميها الجغرافيون المحدثون

١ Naval, P., 21.

٢ (الدهناء) بفتح اوله وسكون ثانيه ونون والفاء تمد وتقصّر ، البلدان (١١٥/٤ وما بعدها) .

٣ Ency., Vol., 1, P., 893, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173 Hitti P. 15.

٤ Handbook of Arabia, vol., 1, P., 11

٥ الالوسي ، تاريخ نجد ، تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثري ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٧ (ص ٣٠) .

(الربع الخالي) (The Empty Quarter) ^١ ، لخلوها من الناس ، وكانت تعرف بـ (مفازة صيهد) ^٢ .

وقد تمكن السائح الانكليزي (برترام توماس Bertram Thomas) من اجتيازها في (٥٨) يوماً ، وهو عمل مجهد شاق ، فكان أول أوروبي جرؤ على اجتياز هذه الأرض ^٣ .

ويطلق على القسم الغربي من الدهناء اسم (الأحقاف) وهو منطقة واسعة من الرمال بها كثران اقترن اسمها باسم (عاد) . (واذكر أبا عاد ، إذ أندر قومه بالأحقاف) ^٤ .

وكشف (برترام توماس) في الربع الخالي بحيرة من المياه الملحة ، وبقايا حيوانات مبعثرة ، وتبين لدى العلماء أن هذه البحيرة كانت من متفرعات الخليج العربي ، وأن من المحتمل أن هذه الأرضين التي تكثر فيها رواسب قيعان البحر ، قد كانت في عهدها من المناطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط ، كما عثر فيه على آثار جاهلية لم يعرف من أمرها شيء حتى الآن ، يظهر أنها لأقوام كانت تستوطن هذه المناطق أيام كانت ذات مياه صالحة للإنبات والخصب . وما زالت حتى اليوم تعد أرضاً مجهولة ، وإن تحسنت معارفنا عنها كثيراً ، بفضل بعض موظفي شركات البترول والباحثين عن المعادن في مختلف أنحاء الجزيرة . وستأتي الاكتشافات الجديدة لما بمعارف قيمة عن تأريخ العرب قبل الإسلام من غير شك . وتكون (وبار) قسماً من الدهناء ، وكانت من الأرضين المشهورة بالخصب والنماء ، وهي اليوم من المناطق الصحراوية ، وبها آثار القرى القديمة التي كانت كثيرة قبل الإسلام . والظاهر أنها كانت مواطن الرباريين ، وهم الذين دعاهم

١ Terra Incognita, Hitti, P., 15, Ency., Vol., 1, P., 895, Philby, The Empty Quarter, London, 1933, Bertram Thomas, Arabia Felix, P., XXIII, 180, Philby, In the Geographical Journal, "The Empty Quarter", 81, (1933), 1-26.

٢ صفة ٢١٤ ، البلدان (١٩٠٥) ، Ency., Vol., 1, P., 370, Moritz, S., 15.

٣ Ency., Vol., 1, P., 183, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 11 Bertram Thomas Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia, London, 1932, The Geographical Journal, Across the Empty Quarter, III, (1948), 1-21, Also "A Further Journey Across the Empty Quarter", CXIII, (1949), 12-45.

٤ سورة الاحقاف ، السورة ٤٦ آية ٢١ .

٥ Arabia Felix, PP., 180, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

(بطليموس) (Jobaritai) الذين سأتحدث عنهم^١ . وفي الجهة الشمالية الشرقية من وبار ، رمال (يعرين) ، وكانت من المناطق المأهولة كذلك ، ثم دخلها الحراب^٢ .

٣ - النفود :

أما النفود ، وهو اسم لم يكن يعرفه العرب^٣ ، فهي صحراء واسعة ذات رمال بيض أو حر تلدوها الرياح فتكون كثباناً مرتفعة، وسلاسل رملية متموجة، تبتدىء من واحة (تياء) ، وتمتد الى مسافة ٤٥٠ كيلومتراً تقريباً نحو الشرق ، ويبلغ امتدادها من الجوف الى جبل شمر زهاء ٢٥٠ كيلومتراً تقريباً. وقد عرفت أيضاً بـ (الدهناء) و بـ (رملة عالج) ، ثم تغلب عليها اسم (النفود) وصارت تعرف به^٤ .

وتعد النفود من الأماكن المائلة أو المنحدرة ، ويظهر من القياسات (وان كانت قليلة جداً) ، ان المنطقة الشرقية من النفود أوطأ من مستوى المنطقة الغربية عند خط طول (٢٧) درجة و (٣٠) دقيقة ، بما يزيد على ١٥٠ متراً، أي ان هذه البادية مرتفعة في الغرب ، آخذة في الانخفاض والميل في الشرق^٥ .

وقد نتج عن هذا الميل والانحدار المتوالي ان الرمال التي كانت الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية تحملها ، تراكت في المنخفض ، فأصبحت الحدود الغربية والشرقية لهذه المنطقة مرتفعة بالنسبة اليها ، بحيث صار (الحجاد) يشرف عليها اشرافاً تاماً^٦ .

ويغطي وجه (النفود) ، كثبان من الرمال متموجة يبلغ ارتفاع بعضها

-
- ١ البلدان (٣٩٢/٨) ،
Philby, The Empty Quarter, PP., 157, Ency., Vol., 1, P., 370 Vol. 4, P. 1073.
 - ٢ البلدان (٩٩/٦) ، صفة (ص ٨٤، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٥) .
Ency., Vol., 1, P., 370.
 - ٣ فجر الاسلام (١/١) .
 - ٤ (رمل عالج) باللام المكسورة والجيم ، (رملة عالج) ، البلدان (٩٦/٦) ،
Moritz, S., 15, Handbook of Arabia, Vol., P., 11.
 - ٥ Ency. Brit., Vol., 2, P., 173, Moritz, S., 15, Musil, in the Arabian Desert PP. 124.
 - ٦ Moritz, S., 15.

زهاء (١٥٠) متراً ، ولذلك لا يعد سطح بادية النفود سطحاً مستوياً منبسطاً . وتأخذ هذه المرتفعات مختلف الأشكال ، فتكون في أغلب الأحيان على شكل نعل الفرس ، ويكون اتجاهها من الغرب نحو الشرق، وتكون أبعادها وأعماقها مختلفة ، وتسمى (القعور) . وقد تركت أثراً عميقاً في تخيلة المسافرين ورجال القوافل^١ . وبعد الأشنية الممطرة تتحول هذه المنطقة الرملية الموحشة الى جنة حقيقية فتظهر الرمال وكأنها قد فرشت ببسط خضر ، يزينا الزهر والشقائق ومختلف الأعشاب الصحراوية ، ويتجمعها الأعراب للرعي . وقد تنمو فيها النباتات المرتفعة ذات السيقان القوية كبعض أنواع (الغصّي) ، فتكون أدغالاً محتطب منها البلو ، وقد يحرقونها لاستخراج الفحم منها^٢ . وهذه الأعشاب والنباتات ، لا تظهر إلا في المنطقة ذات الرمال الحمر (نفود سمرا) . أما النفود البيضاء المؤلفة من رمال نشأت من تفتت أحجار (الكوارتز) فلها في أكثر الأماكن غير منبئة^٣ .

ولكن هذه الجنة الأرضية جنة قصيرة العمر ، لا يدوم عمرها إلا أسابيع قليلة ، ثم يحل بها الجفاف ، وتهب السائم ، فتقضي على كل ما نبت في هذه البادية، فتبدو كالحلة عابسة مزعجة منفرة، وكأن انساناً كنس وجهها كنساً أزال عنه كل أثر لذلك الجمال . وتهب في شهر نيسان رياح حارة من الشرق والجنوب ، ورياح في شهور الصيف ، تحرق البادية حرقاً ، حتى تغدو وكأنها جحيم^٤ . وفي العربية ألفاظ عديدة لها صلة بالبادي ، كثرت وتعددت لاتصال حياة العرب بها ، منها ما لها علاقة بشكل البادية وظاهر وجهها ، ومنها ما لها علاقة بطبيعتها وبنوعيتها ، الى غير ذلك من مصطلحات ، نشأ بعضها من تعدد لهجات العرب ولغاتها ، اذ تسمى قبيلة البادية باسم ربما لا تعرفه قبيلة أخرى ، وهكذا تنوعت التسميات .

مصدر الصحارى :

واذا سألتني عن مصدر هذه الصحارى المزعجة التي وسمت جزيرة العرب بسمة

- | | |
|---|---|
| Buting, in "Zeitschr. der Ges. fue Erdkunde zu Berlin" No. 5, Tagebuch, 1, 144. | ١ |
| Moritz, S., 16. | ٢ |
| Moritz, S., 16. f., A Blunt, Pilgrimage to Nejd, 2, 55. | ٣ |
| Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 12, Moritz, S., 17. | ٤ |

خاصة ، وصيرت معظم أهلها بدواً بالرغم منهم ، فأقول لك : إن الرأي المنتشر أن هذه الصحارى تكونت من تفتت الأحجار الرملية بتأثير الرياح والجفاف فيها^١ . ويؤيد وجود مثل هذه الأحجار في الشمال الغربي من بلاد العرب هذا الرأي كثيراً ، ويظهر أنه رأي علمي ينطبق على بعض الصحارى انطباقاً كبيراً ، غير أنه لا يحل مشكلة مصدر الرمل الأحمر المتكون من أحجار غير رملية الذي يغطي مساحات واسعة من صحراء النفود ، بينما الرمل الناشئ من الأحجار الرملية لا يغطي إلا مساحات ضيقة بالنسبة إلى المناطق الأخرى . وهذا يدل دلالة صريحة على أن رمال (النفود) لم تتكون من تفتت الأحجار الرملية حسب ، بل من عوامل أخرى كالتقلبات الجوية وتأثيرها في قشرة الأرض^٢ .

يكون ظاهر التربة الأجرد معرضاً لحرارة الشمس والتغيرات الجوية مباشرة ، إذ لا أشجار تحميها ، ولا أعشاب تحافظ على تماسك ذراته وحفظها من تلك التغيرات . فلذا انقطعت الأمطار ، جفت التربة ، فتفتت تدريجياً ، وتستطيع الرياح أن تعث فيها بكل سهولة ، وتتمكن الرياح التي سرعتها ١٨ كيلومتراً في الساعة من إثارة الطبقات الرملية الخفيفة والأتربة الباقية المبعثرة على سطح الأرض .

ولذا هبت الرياح بسرعة ٣٣ كيلومتراً في الساعة ، امتلأ الجو بالغبار . فاذا ازدادت السرعة ، استحالت إلى عواصف ، تؤثر تأثيراً كبيراً في سطح الأرض فتحمل ما عليه من أتربة ، وتعرض الطبقات السفلى التي كانت تحت هذه الأتربة لفعل الجو المباشر ، ليحدث لها ما حدث في الطبقة التي كانت فوقها ، وهكذا تتحول هذه المناطق إلى صحارى ، وتتكون الرمال حينئذ من التربة المتفتتة لا من تهشم الأحجار الرملية أو الكلسية وحدها^٣ .

وتهب مثل هذه الرياح في الشمال الغربي من جزيرة العرب من نهاية شهر (آذار) مارس حتى نهاية شهر (أيار) مايس ، وتهب في أغلب الأحيان هبوباً فجائياً ، وتستمر يومين أو ثلاثة أيام ، وتنتهي في بعض الأحيان برعد

١ Moritz, S., 17.

٢ المصدر نفسه .

٣ Moritz, S., 17, Arabia Deserta, Vol., 2, P., 656.

وبرق . وعند حدوث هذه الزواجع يغير الأفق ويكشف وجه السماء ، ثم تهب بعد لحظات عواصف شديدة وأعاصير ، تضفي على الجو لوناً قاتمًا، وأحياناً مائلاً الى الصفرة أو الحمرة بحسب لون الرمال التي تحملها الرياح ، وتختفي الشمس ، وتؤثر هذه (العجاجة) في النبات والأشجار تأثيراً كبيراً . وإذا استمرت مدة طويلة ، سببت تلف قسم كبير من المزروعات في الأماكن المزروعة^١ .

وقد أشار الكتاب اليونان والرومان الى البادية، كما عرفها العبرانيون . ولكلمة (حويلة Havilah) ، ومن معانيها الأرض الرملية^٢ ، أي تخم بني اسماعيل - وأولادهم وهم البدو - ولهذا المدلول علاقة كبيرة بمعنى صحراء^٣ . وقد ذهب بعض علماء التوراة الى انها تعني النفود^٤ .

وتفصل العراق عن بلاد الشام بادية واسعة ، تعرف بـ (بادية الشام) أو (البادية) ، أو (خساف) ، ويقال للقسم الجنوبي منها - وهو القسم الذي بين الكوفة والساوة من جهة ، وبينها وبين الشام من جهة أخرى - (بادية الساوة)^٥ ، ويسميتها العامة (الحجاد) أو (حماد)^٦ .

الدارات :

وفي بلاد العرب (الدارات) ، والدارة : كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو سهل أو رمل مستدير ، في وسطه فجوة ، وهي الدورة ، وتجمع الدارة على دارات^٧ . فهي أرض سهلة لينة بيض في أكثر الأحيان ، وتنبث فيها

١ Moritz, S., 17.

٢ Moritz S., 17, Diodorus, 2, 54, Strabo, XVI, 3.

٣ التكوين ، الاصحاح الثاني ، الآية ١١ ، الاصحاح العاشر الآية ٧ ، الاصحاح ٢٥ ، الآية ١٨ ،

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١) ،

٥ Hastings, P., 333, Ency. Bibl., P., 1974, Glaser, Skizze, 2, S. 323 E. Meyer, Geschichte des Alterthums, Bd., 1, S., 224 Delitzsch, Wo lag des Paradies? S., 12, 57.

٦ البلدان (٤٣٦/٣) ، (١٢٠/٥) .

٧ Handbook of Arabia, 1, P., 12, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

٨ البلدان (١٤/٤) ، القاموس المحيط (٢١/٢) ، (كتاب الدارات) للاصمعي بعناية (أوغست هفتر) ، في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الاول سنة ١٨٩٨ ص ٢٤ وما بعدها .

الأعشاب والصلبان والنباتات الصحراوية^١، ويبلغ عددها زهاء عشر دارات ومئة^٢.
ولبعض هذه الدارات شهرة ، اذ وردت أسماءها في الشعر الجاهلي والإسلامي ،
مثل (دارة جلجل) ، التي ورد ذكرها في شعر امرئ القيس الكندي^٣ .
و (دارة الآرام) وكانت مملوءة من شقائق النعمان ، كما جاء ذلك في شعر
برج بن خنزير المازني الذي كلفه الحجاج بن يوسف حرب الخوارج^٤ .

الجبال :

تكون سلسلة جبال السَّرات العمود الفقري لجزيرة العرب ، وتتصل فقراته
بسلسلة جبال بلاد الشام المشرفة على البادية، المتحركة فيها تحكم الجنود في القلاع.
وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة ، وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل دباغ الذي
يرتفع (٢,٢٠٠) متر عن سطح البحر^٥ ، وجبل وثر وجبل شيبان . وتنخفض
هذه السلسلة عند دنوها من مكة ، فتكون القمم في أوطأ ارتفاع ، ثم تعود
بعد ذلك الى العلو حيث تصل الى مستوى عال في اليمن حيث تتساقط الثلوج
على قمم بعض الجبال^٦ .

وتمتد في محاذة السواحل الجنوبية سلاسل جبلية تنفرع من جبال اليمن ، ثم
تنحدر نحو الشرق الى أرض عمان ، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعاً يتراوح
من تسعة آلاف قدم الى عشرة آلاف قدم^٧ . وتتخلل هذه السلاسل الجنوبية
أودية تمثل اتجاه مسایل الأمطار الى البحر .

وتفصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول ساحلية ضيقة في الغالب ، ربما
لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً عن سواحل البحر الأحمر^٨ . وتكون هذه السواحل

- ١ البلدان (١٤/٤) .
- ٢ القاموس المحيط (٢١/٢) ، البلدان (١٤/٤) .
- ٣ البلدان (١٦/٤) ، مجلة المشرق العدد المذكور ص ٢٦ .
- ٤ فأبرق وأرعد لي اذا العيس خلفت
البلدان (١٥/٤) المشرق ، العدد المذكور (ص ٢٦) .
- ٥ Moritz, S., 5 f.
- ٦ الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص ٨٠ ، حتى ٢١ (الترجمة العربية) .
- ٧ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.
- ٨ Ency. Brit., Vol., 2, P. 169.

حارة رطبة في الغالب ، يتضايق منها الانسان ، وتكون غير صحية في بعض الأماكن . ويطلق على بعض أقسام التهام (الغور) و (السافلة) ، لانخفاض بقاعها . وقد ذهب بعض العلماء الى اطلاق تهامة على طول الأغوار الساحلية الممتدة من شبه جزيرة سيناء وبحر القلزم الى الجنوب^١ . وسأحدث عنها فيما بعد . وتكون هذه السلاسل مانعاً - للأبحر المتصاعدة من البحر الأحمر والبحر العربي - من وقوع الأمطار في أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية ، لذلك كثرت الأودية القصيرة التي تسيل فيها المياه في هذه المناطق ، وزادت فيها امكانيات الحصب والزراعة عن البقاع التي وراء السراة حتى الخليج .

وفي نجد ، وهي هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم ، منطقة جبلية تتكون من (الغرانيت) ، يقال لها جبل (شمر) ، وهي من مواضع (طيء) التي اشتهر أمرها قبل الإسلام اشتهاراً كبيراً ، وقد عرفت قديماً بجبل طيء^٢ . وتتألف من سلسلتين ، يقال لإحدهما أجأ ، وللأخرى سلمى^٣ . وهناك منابع عديدة للمياه في شعاب هذه السلسلة وفي السهل الكبير المنبسط بينهما . ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور^٤ . وأما جبل (طويق) فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض ، وتتألف من الحجارة الرملية وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية ، وتدل البحوث على أن من الصخور والمواد البركانية ما قدفته البراكين الى هذه الجهات^٥ .

الأنهار والأودية :

ليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل ، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر . وهي لذلك تعد في جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يتغلب

-
- ١ البلدان (٤٢٦/٢) ، (٣١١/٦) ، صفة (ص ٥٤ ، ١١٩ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (١٨٨/١) .
 - ٢ تاريخ نجد ، لالوسي (ص ٢١) . Moritz, S., 6, Handbook, Vol., 1, P., 13.
 - ٣ وهبة ص ٦٣ .
 - ٤ Moritz, S., 6.

عليها الجفاف . ويقبل فيها سقوط الأمطار ، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان . غير انها كثيرة الأودية، تغطي عليها السيول عند سقوط الأمطار ، فتصير وكأنها طاغية مزبدة . وهي في الغالب طويلة ، تسير في اتجاه ميل الأرض . أما الأودية التي تصب في البحر الأحمر أو في البحر العربي، فإنها قصيرة بعض الشيء ، وذات مجرى أعمق ، وانحدار أشد ، والمياه تسيل فيها بسرعة فتجرف ما يعترضها من عوائق ، وتنحدر هذه السيول الى البحر فتضيع فيه ، ومن الممكن الاستفادة منها في الأغراض الزراعية والصناعية . وقد تكون السيول خطراً يهدد القوافل والمدن والأماكن ، ويأتي على الناس بأفدح الخسائر^١ . وفي كتب المؤلفين الإسلاميين إشارات الى سيول عارمة جارفة، أضرت بالمدن والقرى والمزارع وبالقوافل والناس ، إذ كانت قوية مكنتها من جرف الأبنية والناس ، ومن إغراقهم حتى ذكر أن خراب عاصمة اليمامة القديمة كان بفعل السيل ، وأن كثيراً من المزارع والأموال هلكت وتلفت بفعل لعب السيول بها لعباً لم تتحمله ، فهلكت من هذا المزاح الثقيل^٢ .

وليس في استطاعة أحد التحدث عن ملاحاة بالمعنى المفهوم من الملاحاة في نهيرات جزيرة العرب ، وذلك لأن هذه النهيرات اما قصيرة سريعة الجريان منحدرة انحداراً شديداً ، واما ضحلة تجف مياهها في بعض المراسم فلا تصلح في كلتا الحالتين للملاحاة . وهي أيضاً شعبية بالثروة الحيوانية ، وليس فيها إلا مقادير قليلة من الأسماك .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن كثيراً من أودية جزيرة العرب كانت أنهاراً في يوم من الأيام . واستدلوا على ذلك بوجود ترسبات في هذه الأودية ، هي من نوع الترسبات التي تكون في العادة في قيعان الأنهار ، ومن عشور السياح على عاديات وآثار سكن على حافات الأودية . ومن نص بعض الكتبة (الكلاسيكيين) على وجود أنهار في جزيرة العرب . فقد ذكر (هيرودوتس) نهراً سماه «كورس» زعم انه نهر كبير عظيم ، يصب في (البحر الأريتوي) ، ويقصد به البحر الأحمر ، وزعم أن العرب يذكرون أن ملكهم كان قد عمل ثلاثة أنابيب صنعها

١ فتوح البلدان للبلاذري ، الفصل الذي عقده لآخبار السيول ، الطبري والازرقى في أخبار السيول .

٢ Naval, PP., 24.

من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، امتدت من هذا النهر الى البادية مسيرة اثني عشر يوماً ، حملت الماء من النهر الى مواضع متقورة ، نقرت لخزن المياه الآتية من ذلك النهر فيها^١ .

وهناك موضع على مقربة من ساحل البحر الأحمر اسمه (قرح)^٢ على مسافة ٤٣ كيلومتراً من (الحجر) في مكان يمر به خط الحديد الحجازي في منطقة صحراوية ، وكان في الأزمنة السابقة من المحلات المزروعة ، وبه بساتين عدة تعرف بـ (بساتين قرح) ، وعلى مقربة منها (سقيا يزيد) أو (قصر عنتر) (اسطبل عنتر) ، كما تعرف به في الزمن الحاضر على بعد ٩٨ كيلومتراً من المدينة . والى شماله (وادي الحمض) الذي يرى بعض العلماء أنه المكان الذي أراده (هيرودوتس)^٣ .

وذكر (بطليموس) نهراً عظيماً سماه (لار) Lar ، زعم انه ينبع من منطقة (نجران) ، أي من الجانب الشرقي من السلسلة الجبلية ، ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقاً بلاد العرب حيث يصب في الخليج العربي^٤ . ولا يعرف من أمر هذا النهر شيء في الزمن الحاضر ، ولعله كان وادياً من الأودية التي كانت تسيل فيها المياه في بعض المواسم ، أو كان بقايا نهر ، أثرت في مياهه عوامل الجفاف . ويرى (موريتس) ان هذا النهر الذي أشار اليه (بطليموس) ، هو وادي الدواسر ، الذي يمس حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد زهاء خمسين ميلاً من جنوب شرقي السليل ، وتمده بعض الأودية المتجهة من سلاسل جبال اليمن بمياه السيول^٥ ، وتفيض مياهه في الرمال في مواضع عديدة ، فتكون بعض الواحات التي يستقى منها ، ويزرع عليها . ويلاحظ وجود مياه غزيرة في واديه ، في مواضع لا تبعد كثيراً عن القشرة . وهذا مما

١ Herodotus, Vol., 1, P., 214, Bertram Thomas, The Arabs, P., 350.

٢ البكري ٧٨٧ ، المقدسي ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٢ ، (قرح) بالضم ثم السكون ، البلدان (٤٨/٧) وكانت من اسواق العرب في الجاهلية ، وزعم بعضهم ان بها كان هلاك

عاد قوم هود ، مما يدل على انها من المواضع القديمة في بلاد العرب .
٣ (اسطبل عنتر) ، وهبه ص ٢٠ ، والظاهر انها كانت تعرف بـ (سقيا) ، وهي من المواضع الجاهلية القديمة ، البلدان (٩٤/٥) .

٤ Moritz, S. 21.

٥ وهبه ٥٤ ، الالوسي ، تاريخ نجد (ص ٢٩) .

يحمل على الاعتقاد بوجود مجاري أرضية تحت سطح الوادي ، وانه كان في يوم ما نهراً من الأنهار ، غير اننا لا نستطيع أن نتكهن في أمر هذا الوادي أكان نهراً جارياً في زمن بطلميوس كما أشار الى ذلك ، أو كان وادياً رطب القيعان لم تكن عوامل الجفاف قد أثرت فيه أثرها في الزمن الحاضر. لذلك كانت تتمكث فيه السيول والأمطار المتساقطة على السفوح الشرقية لجبال اليمن مدة أطول مما هي عليه الآن^١ . والرأي عندي ان هذه الأنهار وأمثالها التي يشير اليها المؤلفون اليونان والرومان ، لم تكن في الواقع وبالنسبة الى ذلك الزمن الا سيولاً عارمة جارفة سمعوا بأنخبارها من تجارهم ومن بعض رجالهم الذين كتب لهم الذهاب الى بلاد العرب أو اتصلوا بالعرب ، فظنوا انها أنهار عظيمة على نحو ما ذكروه . فلا يعقل وجود الأنهار الكبيرة في ذلك الزمن ، اذ كان الجفاف قد أثر تأثيره في إقليم جزيرة العرب قبل ذلك بأمد طويل ، فلا مجال لبقاء أنهار على النحو الذي يذكره أولئك الكتاب .

وينطبق هذا الاحتمال على الأودية الأخرى ، وهي كما قلت كثيرة ، ومنها وادي الرمة ووادي الحمض ، وبعد هذان الواديان من الأودية الجافة ، إلا في مواسم الأمطار الشديدة حيث تصب السيول فيها ، غير أن لها مجاري أرضية ، تشير الى تلك الحقيقة ، ويمكن الحصول على المياه فيها بجحر الآبار على أعماق ليست بعيدة عن السطح . وقد تظهر على سطح الأرض في بعض المحال ، وربما كانا قبل آلاف السنين ، أنهاراً تجري فيها المياه، فتروي ما عليها من أرضين^٢ .

يتكون (وادي الرمة) عند (حرة خيبر) أو (حرة فلك)^٣ من التقاء بضعة أودية ممتدة من الشمال على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ثم تتجه بعد ذلك نحو الشرق ثم تأخذ اتجاهها جنوبياً شرقياً حيث تتصل بـ (الجريير) أو (الجريب) كما كان يعرف سابقاً ، وهو من أوسع فروع وادي الرمة . ويتجه هذا الوادي

١ Moritz, S., 21.

٢ Moritz, S., 21, Philby, in the Geogr. Journ, CXIII, (1949), 86.

٣ ويقال له (بطن الرمة) بضم الراء وتشديد الميم ، وقد يقال بالتخفيف ، البلدان (٢١٩/٢) ، ومنها وادي القصيم ، المسمى وادي الرمة (تاريخ نجد ، للالوسي (ص ٢٩) .

٤ (الجريب) بالفتح ثم الكسر ، البلدان (٩١/٣) ، Moritz, S., 23

نحو الشرق حيث يصل الى (بريدة) ، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي فالشرق الى (القصيم) حيث يسمى بعد ذلك (الباطن) (البطن) ثم يتفرع الى فرعين يخترقان منطقة صحراوية ، ويسير أحدهما في (النفود) حيث يتصل بالدهناء إلى أن يبلغ موضعاً قرب البصرة^١ . ويبلغ طول هذا الوادي زهاء ٩٥٠ كيلومتراً أو أكثر^٢ .

وأما مبدأ وادي الحمض أو وادي إضم كما كان يسمى قديماً ، فمن جنوب حرة نخير ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربي الى أن يصل الى يثرب حيث تتصل به أودية فرعية أخرى ، منها (وادي العقيق) ، ويتصل به كذلك (وادي القرى) ، ويستمد مياهه من السيول التي تنحدر اليه من الجبال من العيون التي عند نخير حيث يصب في البحر الأحمر في جنوب قرية الوجه . وعند هذا المصب بقايا قرية يونانية قديمة ، وبقايا معبد يعرف عند الأهليين (كصر كريم)^٣ ، وهو من مخلفات المستعمرات اليونانية القديمة التي كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان ، وللاتجار مع الأعراب ، ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعتقد (موريتس) أن هذا الموضع هو محل مدينة (لويكه كومه) (Leuke Kome) المشهورة التي وصل اليها (أوليوس كالوس) لما همّ بفتح اليمن^٤ ، على حين يرى آخرون أن هذه المدينة هي في المحل المعروف باسم (الحوراء) . ويبلغ طول وادي الحمض زهاء ٩٠٠ كيلومتر^٥ .

١ (البطن) (بطن الرمة) ، البلدان (٢١٩/٢) ، صفة ١٤٤

٢ وهبه ص ٢ ، (القصيم) ، بالفتح ثم الكسر على (فعيل) قال الاصمعي :

(وأسافل الرمة تنتهي الى القصيم) ، البلدان (١١٦/٧) ، (بطن) الحماسة

(فرايتاك) ٦٠٨ ، صفة ١٤٤ ، الدينوري : الاخبار ، ١٦٠ ، ٢٥٨ ، ويرى

(موريتس) احتمال كون نهر (بيشون Pischon) الذي هو احد انهار

الجنة الاربعة في التوراة هو وادي الرمة ،

Moritz, S., 23, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.

٣ (اضم) بالكسر ثم الفتح وميم ، قال ابن السكيت : اضم واد يشق الحجاز حتى

يفرغ في البحر ، البلدان (٢٨١/١) ، وادي (الحمض) ، البلدان (٣٤٢/٣) .

٤ Moritz, S., 24, Pauly-Wissowa, Leuke Kome.

٥ (الحوراء) بالفتح والمد ، كانت بها اثار خرائب قديمة حتى ايام ياقوت الحموى

وكانت قد هجرت في ايامه ، وكانت ميناء المصريين الى المدينة ، البلدان (٢٥٩/٣)

Moritz, S., 21.

وهناك (وادي حنيفة) ، وهو من الأودية المهمة كذلك ، يبتدىء من غرب (جبل طويق) ثم يتجه نحو الشرق نحو الخليج العربي . وهو مهم ، ويمكن الحصول على المياه فيه بطريقة حفر الآبار ، لأن الماء غير بعيد عن قاعه . وأما عند هطول الأمطار ، فإن المياه تجري إليه من السفوح فتسيل فيه^١ .

ولقلة المياه في بلاد العرب ، انحصرت الزراعة فيها في الأماكن التي حبتها الطبيعة بمواسم تتساقط فيها الأمطار مثل العربية الجنوبية ، وفي الأماكن التي ظهرت فيها عيون وينابيع ، مثل وادي القرى في الحجاز ، والأحساء على الخليج العربي . وفي الأودية والأماكن التي تكثر فيها المياه الجوفية ، حيث استنبطت المياه منها بحفر الآبار . والزراعة في هذه الأماكن — باستثناء العربية الجنوبية — هي زراعة محدودة ، حدودها ضيقة ، وآفاقها غير بعيدة ، وناتجها قليل لا يكفي لإعاشة كل السكان .

وقد لُزمت سكان الأرضين التي تغيث السماء أرضهم ، بانزال الغيث عليها ، الاستفادة من الأمطار المنهمرة ، بحصرها وتوجيهها الى مخازن تخزنها لوقت الحاجة ، وذلك بإنشاء السدود وإقامة خزانات ذوات أبواب تفتح وتغلق لتوجيه المياه الوجهة التي يريدونها الانسان . وقد أقيمت هذه السدود في مواضع متناثرة من جزيرة العرب ، خاصة في الأماكن التي يركبها المطر مثل العربية الجنوبية والعربية الغربية . وتشاهد اليوم آثار سدود جاهلية استعملها الجاهليون للاستفادة من مياه الأمطار .

ولما كانت الأمطار رحمة ونعمة كبرى ، اذا انحبست نفقت لبسل العرب ومواشيهم ، صار انحباسها نقمة وهلاكاً ، وعدوا انحباسها عنهم غضباً من الآلة ينزل بهم ، ولهذا كان الجاهليون يتضرعون الى آلهتهم ويتقربون اليها ، أن تنزل عليهم الغيث ، ولهم في ذلك صلوات وأدعية للاستسقاء سيأتي الحديث عنها في باب الدين عند الجاهليين .

وعلى خلاف العيون الحارة التي هي من آثار التفاعلات البركانية والتفاعلات الباطنية الكيمياوية ، فإن في بلاد العرب عيون وينابيع وواحات ، صارت موطناً للزراع والزرع . وبعض هذه العيون ، تتدفق من الجبال والهضاب وبعد مجرى قصير تعود فتدخل باطن الأرض كما هو الحال في أرض (مَدْيَن) . وهناك

١ حافظ وهبه ، جزيرة العرب (ص ٦٤) . Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.

عيون تتوقف حياتها على المطر . وقد استفاد الجاهليون من بعض العيون والينابيع فربطوها بكهاريز وبقنوات تجري فيها المياه تحت سطح الأرض الى بيوتهم ومزارعهم دون أن تتعرض للتبخر الزائد ، فتفقد كميات كبيرة من المياه تذهب هباء . وقد عثر على شبكات منها في عُمان وفي وادي فاطمة بالحجاز وفي اليمن^١ .

أقسام بلاد العرب :

قسم اليونان واللاتين جزيرة العرب الى أقسام ثلاثة :

- ١ - العربية السعيدة Arabia Felix .
- ٢ - العربية الصخرية ، وترجمت بالعربية الحجرية كذلك (Arabia Petreae) .
- ٣ - العربية الصحراوية Arabia Deserta .

وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول للميلاد . فالقسم الأول مستقل ، والقسم الثاني قريب من الرومان ثم أصبح تحت نفوذهم ، وأما القسم الثالث فهو البادية الى نهر الفرات^٢ . وقد أشير الى العربية السعيدة والعربية الصحراوية في الموارد (الكلاسيكية) القديمة مثل جغرافية (سترابون)^٣ . ويرى بعض العلماء ان القسم الآخر وهو (العربية الصخرية) Arabia Petreae هو من اضافة (بطليموس) العالم الجغرافي الشهير ، وقد قصد به برية شبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من فلسطين الى الأردن^٤ . فهو في رأي هؤلاء أحدث عهداً في التسمية من التسميتين الآخرين . ولم يأخذ الجغرافيون العرب بالتقسيم (الكلاسيكي) ، مع أنهم وقفوا على بعض مؤلفاتهم ، كجغرافية بطليموس^٥ . الا ان جزيرة العرب عندهم ، هي (العربية السعيدة) في اصطلاح أكثر الكتبة اليونان واللاتين .

١ Naval, PP., 33.

٢ Christina Phelps Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 10, Ch. Forster, The Historical Geography of Arabia, in 2 Vols., Vol., 2 P., 109.

٣ Strabo, vol., 3, P., 309.

٤ William Smith, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 91.

٥ Forster, 2, 109, Edward Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, Vol., 5, P., 209, (Everyman's Library ed. 1931).

العربية السعيدة : Arabia Felix

أما العربية السعيدة ، ويقال لها (Arabia Beata) و (Arabia Eudaimon) في اليونانية ، فهي أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، وتشمل كل المناطق التي يقال لها جزيرة العرب في الكتب العربية كما يفهم من بعض المؤلفات ، وليست لها حدود شمالية ثابتة ، لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية . ولكن يمكن القول إنها تبدأ في رأي أكثر الكتاب اليونان والرومان من مدينة (هيروبوليس) (Heropolis) على مقربة من مدينة السويس الحالية ، ثم تسير حدود العربية الحجرية الجنوبية ، ثم تحترق الصحراء حتى تتصل بمناطق الأهوار (أهوار كلديا) عند موضع (Thapsacus) . وقد أدخل بعض الكتاب هذه الأهوار في جملة العربية السعيدة ، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط الحدود في جنوبها إلى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج^١ . وعرفت البادية الواسعة التي هي جزء من النفود والتي تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية ، باسم (Eremos) عند اليونان ، وهي امتداد لبادية الشام^٢ .

العربية الصحراوية :

ويقال لها في اليونانية (Arabia Eremos)^٣ . أما حدودها ، فلم يعينها الكتاب اليونان واللاتين تعييناً دقيقاً . ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام ، أي البادية المعروفة عندنا بـ (بادية الشام) . ويكون نهر الفرات الحدود الشرقية لها إلى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة . وأما الحدود الشمالية ، فغير ثابتة ، بل كانت تتبدل بحسب الأوضاع السياسية . وأما الحدود الغربية ، فكانت تتبدل وتتغير كذلك ، ويمكن أن يقال بصورة عامة إن حدودها هي المناطق الصحراوية التي تصاقب الأرضين الزراعية لبلاد الشام . فما كان بعيداً عن امكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم ، عد من العربية الصحراوية^٤ .

١ Ptolemy, VI, 7, 2, 27, Strabo, XVI, 4:2, Musil, Arabia Deserta P. 498 The Bible Dictionary, Vol., 1, P., 98, A. Grohmann, Arabian, S., 4.

٢ Musil, Arabia Deserta, P., 499.

٣ Musil, Deserta, P., 497, 511, Hitti, 44.

٤ Forster Vol., 2, P., 110 ff.

ويفهم من العربية الصحراوية أحياناً (بادية السماوة)^١، وقد يجعلون حدودها على مقربة من بحيرة النجف ، أي في حدود الحيرة القديمة ، حيث تبدأ (بطائح كلدية) التي كانت تشغل اذ ذاك مساحة واسعة من جنوب العراق . وعرفت عند بطليموس باسم (Amardocaea) ، وهي تمتد حتى تتصل ببطائح (Maisanios Kolpos) أو (خليج مسنيوس) (خليج ميسان) ، الذي يكون امتداد الخليج العربي (Persikos Kolpos) . وكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمي ، عدّ في العربية السعيدة^٢ .

وقد فهم (دبودورس) من (العربية الصحراوية) المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل المتبدية ، وتقع في شمالها وفي شمالها الشرقي في نظره أرض مملكة (تدمر) . وأما حدّها الشمالي الغربي والغربي حتى ملتقاها بالعربية الحجرية ، فتدخل في جملة بلاد الشام . وأما حدودها الشرقية ، فتضرب في البادية الى الفرات . فأراد بها البادية اذن . وقد جعل من سكانها الإرميين والنبط^٣ .

وتقابل العربية الصحراوية ، ما يقال له (أربى) عند الآشوريين ، و (ماتوأربى) عند البابليين ، و (أرباية) عند السريان والفرس .

كانت البادية ، بادية الشام ، أو (العربية الصحراوية) ، مأهولة بالقبائل العربية ، سكنتها قبل الميلاد بمئات السنين . وليست لدينا مع الأسف ، نصوص كتابية قديمة أقدم من النصوص الآشورية التي كانت أول نصوص أشارت الى العرب في هذه المنطقة ، وذكرت انه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك . وأقدم هذه النصوص هو النص الذي يعود تأريخه الى سنة ٨٥٤ ق. م^٤ . وقد ورد فيه اسم العرب في جملة من كان يعارض السياسة الآشورية ، ولما كان هذا النص يشير الى وجود مشيخة أو مملكة عربية ، يحكمها ملك فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا في هذا العهد في هذه البادية ، بل تشير كل الدلائل الى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد بأمد ، وربما كان قبل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد كانت هذه القبائل تهاجم أرض ما بين النهرين وبلاد الشام ، وتكون مصدر

١ Musil, Deserta, P., 235.

٢ Musil, Deserta, P., 500, 503, Stephan of Byzantium, Ethnica, P., 237, (Ed. Meineke).

٣ Musil, Deserta, P., 499, Diodorus, Bibl. Hist., 11, 54.

٤ D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol., 1, 611.

رعب للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب ، وكانت تثقل في هذه البادية
الواسعة ، لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الكأ والماء والمحل الذي
يلائهم طبعها^١ .

أما الروايات العربية ، وهي لا تستند الى وثائق أو نصوص جاهلية ، فقد
رجحت وجود العرب في هذه الأرضين الى ما بعد الميلاد في الغالب ، ولم يتجاوز
بعض من تجاوز الميلاد أيام (بخت نصر) وهو بالطبع حديث مغلوط فيه .

العربية الحجرية ، العربية الصخرية :

وأما العربية الحجرية ، فتشمل الأرضين التي كان يسكن فيها الأنباط ،
وخضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين . ويطلق ذلك الاسم ، أي العربية الحجرية ،
على شبه جزيرة سيناء ، وعلى المملكة النبطية ، وعاصمتها (بطرا) (بتر)
(البتر)^٢ . وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية
وبحسب مقدرة العرب ، ففي عهد الحارث الرابع ملك الأنباط (من سنة ٩ ق.م
الى سنة ٤٠ ب.م) اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية مدينة دمشق^٣ .
ولما ضعف أمر النبط ، استولى الامبراطور (تراجان) عام (١٠٦ م) على هذه
المقاطعة وضمها الى المقاطعة التي كونها الرومان وأطلقوا عليها اسم (المقاطعة
العربية) (Provincia Arabia) . ويظهر من وصف (ديودورس) لهذه
المنطقة انها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت ، وجنوبه الغربي وفي شمال
العربية السعيدة وغربها^٤ . وان الأنباط يقيمون في الأرضين الجبلية وفي المرتفعات
المتصلة بها التي في شرق البحر الميت ، وفي شرق وادي العربية ، وفي جنوب
اليهودية حتى الخليج العربي ، (خليج العقبة)^٥ . وأما الأقسام الباقية ، فكانت
تسكنها قبائل عربية قيل لها (سبئية) ، وهي تسمية كانت تطلق عند الكتيبة

Forster, Vol., 1, P., 347. ١

R.E. Brunnow und A. v. Domszewski, Die Provincia Arabia, in 3 Bd. ٢

Hitti, P., 44, 68. ٣

Diodorus, 11, 48, Musil, Hegaz, P. 309. ٤

Musil, Hegaz, P., 309, Deserta, P., 499. ٥

اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة أسماءها، التي تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ، ويعنون بذلك قبائل جنوبية في الغالب .

التقسيم العربي :

ويؤسفنا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر أحد من الجاهليين في أقسام بلاد العرب، لعدم ورود شيء من ذلك في النصوص أو في الروايات التي يروونها عنهم أهل الأخبار ، وكلهم مسلمون .

أما الإسلاميون ، فقد اكتفوا بجزيرة العرب ، فأخرجوا بذلك البادية الواسعة منها ، وأخرجوا القسم الأكبر مما دعاه الكلاسيكيون بالعربية الحجرية منها كذلك. وجزيرة العرب وحدها ، هي (العربية السعيدة) عند اليونان والرومان ، وما يقال له أيضاً بـ (Arabia Proper) في الانكليزية^١ .

وقد قسموا جزيرة العرب الى خمسة أقسام : الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ونجد^٢ . ويرجع الرواة أقدم رواياتهم في هذا التقسيم الى عبدالله بن عباس^٣ .

أما الحجاز ، فتمتد رقعته في رأي أكثر علماء الجغرافية المسلمين ، من تخوم الشام عند العقبة الى (الليث)^٤ ، وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر ، فتبدأ عندئذ أرض تهامة^٥ . وقد عد قسم من العلماء (تبوك) وفلسطين من أرض الحجاز^٦ . ويقال للقسم الشمالي من الحجاز أرض مدين وحسمى ، نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم ، التي تتجه من الشمال نحو الجنوب^٧ ، وتتخللها

Forster, Vol., 2, PP., 112.

١ صفة (ص ٤٧ وما بعدها) ، البلدان (٢١٨/٣) ، المفضليات ص ٤١٦ .

٢ صفة ص ٤٦ .

٣ (الليث) بكسر اللام ثم الياء الساكنة والشاء المثناة ، البلدان (٢١٨/٣) ، (٣٤٦/٧) ، (اذا خلفت عجلزا صعدا فقد انجدت ، فلا تزال منجدا حتى تنحدر من ثنايا ذات مرق ، فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر ، واذا عرضت لك الحرار وانت منجد فتلك الحجاز) ، (حد الحجاز ، الاول بطن نخلة وظهر حرة ليلي ، والحد الثاني مما يلي الشام شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع شابة وودان ، ثم ينحدر الى الحد الاول) ، بلوغ الارب (١٨٧/١ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢١٨/٣)

٥ البلدان (٢١٨/٣)

٦ Ency., 1, 368, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 96.

٧ البلدان (٤١٧/٧)

أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بني عذرة من ظهرة حرة نهيل من جهة أخرى^١ . وكانت تسكنها في الجاهلية قبائل جذام^٢ . ويسكنها في الزمن الحاضر عرب الحويطات ، ويعتقد المستشرقون أنهم من بقايا النبط^٣ .

وأرض (حسمى) ، أرض خصبة كثيرة المياه . وكانت من المناطق المعمورة ، وبها آثار كثيرة ومن جبالها جبل يعرف بـ (لارم)^٤ . ويرى بعض المستشرقين أن لهذا الجبل علاقة بموضوع (لارم) الوارد ذكره في القرآن الكريم وفي كتب قصص الأنبياء والتواريخ^٥ . ويرى (موريتس) أنه موضع (Aramaia) الذي ذكره (بطليموس) على أنه أول موضع من مواضع العربية السعيدة ، وأنه لا يبعد كثيراً عن البحر^٦ . ويقال له (رم) في الزمن الحاضر^٧ .

وتتخلل الحجاز أودية عديدة ، منها وادي لإضم الذي ورد ذكره في أشعار الجاهلية وفي أخبار سرايا الرسول^٨ . ووادي نخال ، ويصب في الصفراء بين مكة والمدينة^٩ . والصفراء واد من ناحية المدينة ، كثير النخل والزرع ، في طريق الحاج ، سلكه الرسول غير مرة ، وعليه قرية الصفراء ، وماؤها عيون تجري إلى ينبع ، وهي لجهينة والأنصار ولبنى فهر ونهد ورضوى^{١٠} . ووادي (بدا) قرب أيلة ، يتصل بوادي القرى^{١١} . ووادي القرى واد مهم يقع بين العلا والمدينة ، ويمر به طريق القوافل القديم الذي كان شرياناً من شرايين الحركة

١ البلدان (٢٧٦/٣) ، لسان العرب (٢٤/١٥) .

٢ Ency., Vol., I, P. 368, Doughty, Vol. 2, P. 624.

٣ Ency., Vol., 2, P., 349.

٤ البلدان (٢٧٧/٣) .

٥ Mr. Horsfield, in Revue Biblique, XLI, (1932),

PP., 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (6934),

PP., 572, XLIV, (1935) PP., 45.

٦ Ptolemy, VI, 7 : 27, B. Moritz, in MFOB, III, P., 395, "Ausflüge in der Arabla Petraea".

٧ Musil, Hegaz, P., 273.

٨ البلدان (٢٨١/١) ، صفة ١٧١ .

٩ البلدان (٢٧٢/٨) .

١٠ البلدان (٢٧٢/٨) .

١١ البلدان (٣٦٧/٥) .

التجارية في العالم القديم ، ويقال له (وادي الديدبان)^١ ، ويصب فيه واديان هما : وادي جزل من الشمال ، ووادي الحمض من الجنوب ، يلتقي به واد آخر هو وادي التبج ، أي وادي السلسلة^٢ . وكان عامراً جداً ، تكثر فيه المياه ، وتشاهد فيه اليوم آثار المدن والقرى^٣ . وقد عثر فيه على كتابات كثيرة لحياة وسبئية ومعينية وغيرها ، سأحدث عنها .

ومن أهم مواضع وادي القرى (العلا) ، وقد نزل الرسول في طريقه الى تبوك^٤ . ويقع في موضع (ديدان) (ددان) (ددن) القديم . وبه واحة ونهر صغير^٥ . ومدينة (قرح) ، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية ، وقد زعم أنها القرية التي كان بها هلاك عاد^٦ . وتبعد عن خرائب (ديدان) بمسافة ثلاثة كيلومترات ، وقد سكنتها قبائل (بلي) من القبائل العربية القديمة^٧ . وهي ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام . ويرى (موسل) أنها هي (العلا) ، دعيت بهذا الاسم فيما بعد^٨ . ولما سأل (دوتي) الأعراب القاطنين في هذه الأماكن عن (قرح) ، لم يعرفوا من أمرها شيئاً^٩ .

ووجد (دوتي) في قرى وادي القرى وخرائبه عدداً كبيراً من الحجارة المكتوبة بحرف المسند ، وقد اتخذها السكان أحجاراً من أحجار البناء^{١٠} . وعثر في (الخريبة) على كتابات بهذا القلم ، وعلى آثار أبنية ومواطن حضارة وعلى ألواح من الحجر كان يستعملها الصيارفة لصف نقودهم عليها ، أو لذبح القرابين^{١١} . كما شاهد موضعاً يقال له (اسطبل عنتر) على قمة جبل شاهق يرنو الى الوادي ولعله معبد أحد الأصنام التي كانت تعبد هناك .

١ البلدان (٨٧/٢)

٢ Ency., Vol., 4, P., 1077, Doughty, Travels in Arabia Deserta, London, 1936, Vol., 1, P., 187.

٣ Ency., Vol., 4 P., 1077.

٤ (وكان بين سبأ والشام قرى متصلة ، فكانوا لا يحتاجون من وادي سبأ الى الشام الى زاد) ، لسان العرب (٣٨/١٩) .

٥ البلدان (٢٠٧/٦) .

٦ وهبه ٢٠ .

٧ البلدان (٤٩/٧) .

٨ Musil, Hegaz, P., 295, Doughty, 1, P., 203.

٩ Musil, P., 295.

١٠ Doughty, I, P. 87

١١ Doughty, 1, P., 203 f.

تهامة :

وتبدأ حدود تهامة ، في رأي بعض الجغرافيين ، من بحر القلزم^١ ، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر^٢ . ويقال لتهامة الواقعة في اليمن (تهامة اليمن) ، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه ، وقد يبلغ عرضها خمسين ميلاً في بعض الأماكن . وترتفع أرض تهامة الجنوبية الواقعة على البحر العربي ما اتجهت نحو الشرق ، وتتكون فيها سلاسل من التلال المؤلفة من حجارة كلسية ترجع الى العهود الجيولوجية الحديثة أو من حجارة بركانية^٣ .

ولانخفاض أرض تهامة قبل لها (الغور) و (السافلة)^٤ . وقد وردت لفظة تهامة على هذا الشكل (تهمت) (تهتم) في النصوص العربية الجنوبية^٥ .

ويظهر ان لهذه اللفظة علاقة بكلمة (Tiamtu) ، التي تعني البحر في البابلية . وبكلمة (تيهوم Tehom) العبرانية^٦ . وعندني ان هذه الكلمة ترجع الى أصل سامي قديم ، له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ، والتي تكون لذلك شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف^٧ . ولهذا فإنها في العربية بلهجة القرآن الكريم وباللهجات الجنوبية السواحل المنخفضة الواقعة بين الجبال والبحر ، وهي حارة وحة شديدة الرطوبة كأنها من بقاع جهنم في الصيف .

اليمن :

حدث اليمن في عرف بعض العلماء من وراء « تثليث » وما سامتها الى صنعاء

- ١ (القلزم) بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم ، البلدان (١٤٥/٧) .
- ٢ راجع حدود تهامة في : البلدان (٣١١/٦) ، صفة ٥٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، بلسوغ الارب (١٨٨/١) .
- ٣ Ency., Vol., 4, P., 769.
- ٤ البلدان (٤٣٧/٢) ، (٣١١/٦) .
- ٥ Glaser 554, 618, Ency., Vol., 4, P., 764.
- ٦ Schrader, Die Kellinschriften und das Alte Testament, neu bearbeitet von Zimmern und Winckler, Berlin, 1903, S., 492.
- ٧ وسأشير اليه برمز : KAT

وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان، الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهامم والنجود . وقيل : يفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خط ، يأخذ من حدود عمان ويرين الى ما بين اليمن واليامة فيلى حدود الهجيرة وتثليث وكثبة وجرش ومنحدرأ في السراة الى شعف عتر وشعف الجبل أعلاه الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرممل بالقرب من حضنة ، وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة^١ . أما النصوص العربية الجنوبية ، فلم تثبت حدود اليمن. ولكن اليمن فيها وتسمى (يمنت) (يمنتات) ، منطقة صغيرة ذكرت في نص يعود عهده الى أيام الملك (شمر يهرعش) ، المعروف في الكتب الإسلامية بـ (شمر يرعش)^٢ ، بعد (حضرموت) في الترتيب . وعلى هذا الترتيب وردت أيضاً في نص (أبرهة) نائب النجاشي على اليمن . ويعود عهده الى سنة ٥٤٣ م^٣ .

وتحرق السراة اليمن من الشمال الى الجنوب حتى البحر ، وتدخلها الأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار، وتمتد بين الهضاب والشعاب فلاة تنفرع من الدهناء من ناحية اليامة والفالج يقال لها (الغائط) ، وتظهر في أواسطها (الصيهدة) ، وتقع بين مأرب وحضرموت^٤ .

وفي شمال منطقة عدن صحراء تتصل بالربع الخالي ، يحترق الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسابيل مياه ، وأنها من بقايا

١ KAT, S., 492, anm., 2, P. Jensen, Keilinschr. Bibl., VI, 1, S. 559 Ency. Vol. 4 P. 764

٢ (قال الاصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوى على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، فليست بينونة من اليمن . . .) ، البلدان (٨١/٥) ، (٥٢٢/٨ وما بعدها) ، صفة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، البكري : معجم ما استعجم (١٦/١) ، ابن خرداذبه ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩ ، بلوغ الارب (٢٠٢/١ وما بعدها) و Ency., Vol., 4, P. 1155

٣ الاكليل (١٠٨/٨ وما بعدها) ، التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها ، اخبار عبيد ص ٤٢٨ ، تاريخ الطبري (٥٤٧/١ ، ٧٩٣ فما بعدها) ، (الطبعة الاوربية) Glaser, Zwei Inschriften ueber den Dammbruch von Marib, in Mithell. der Vorder-Asiat. Ges. 1887.

٤ صفة ٨٤ ، البلدان (٤١٩/٥) .

أنهار جفت ، وتسيل في بعضها المياه عند سقوط الأمطار ، ومنها (وادي تب) ^١ ، وهو من بقايا نهر طويل ، له فروع عديدة ، وتمر به الطريق الرئيسية المؤدية الى اليمن ^٢ .

ويخترق حضرموت واد ، يوازي الساحل ، يبلغ طوله بضعة مئات من الأميال ويتألف سطحه من أرضين متموجة تتخللها أودية عميقة تكثر فيها المياه ، في باطن الأرض ، وبعض تلاله مخصبة ^٣ .

وفي حضرموت حجارة بركانية ومناطق واسعة ، يظهر أنها كانت تحت تأثير البراكين . والظاهر أن دورها لم ينته إلا منذ عهد ليس ببعيد ^٤ . ويزرع الناس في هذه الأودية حيث يحفرون آباراً في قيعانها فتظهر المياه على أبعاد متفاوتة ، وهناك نهر يقال له نهر حجر ^٥ .

ومن شرق سيحوت تبتدئ سواحل (مهرة) ، وتعرف عند الجغرافيين باسم (الشحر) . ومعنى كلمة (مهرة) في العربية الجنوبية القديمة (ساحل) ^٦ . ويطلق اليوم اسم (الشحر) على الميناء الغربي وحده . وفي (قارة) ^٧ مدينة (ظفار) ، وهي غير ظفار اليمن ^٨ . وعند خليج ظفار كان موضع (Syagro) المشهور عند اليونان والرومان ^٩ .

ويمتد إقليم ظفار من سيحوت الى حدود عمان ، وهو هضبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ، تهب عليها الرياح الموسمية ، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الإسلام . وتشققها طولاً وعرضاً أودية تكسوها

١ Hugh Scott, In the High Yemen, P., 25, f.

٢ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 179 f.

٣ وادي عدم : الهلال ، الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨

ص ٦٠٣ ، Adolf von Wrede, S., 290, Ency., 1, P., 369.

٤ Ency., 1, P., 369, Reise, S., 287. ff.

٥ تاريخ حضرموت السياسي ، تأليف صلاح البكري (٣/١) ، (القاهرة ١٣٥٤) ، (نهر ميفع) ، الهلال ، العدد المذكور ص ٦٠٤ ، وقد تحدث صاحب المقال عن الآثار التي رآها في وادي عدم .

٦ البكري (١٤١/٢) فما بعدها ، Ency., 1, 369

٧ وتنمو في قارة نباتات الطيب والافاويه ، Hugh Scott, PP., 147.

٨ Reise, S., 39.

٩ Reise, S., 33, Forster, Vol., 2, P., 161, 166, 224 234.

الأعشاب وتنخلها الأشجار . وبها جبال (قرا) ^١ ، ومنحدراتها أرجوانية ، وقد تفتت الصخور الحمر فيها ، فأكسبت الأودية والسهول الحمرة ، وتوجد نهيرات وعيون ، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار . ولا زال السكان يحتفظون بعاداتهم القديمة الموروثة مما قبل الإسلام ^٢ .

ويظهر أن هذه المنطقة كانت أماكن (القرين) من الشعوب العربية الجنوبية القديمة ، وهناك قبيلة لا تزال حتى اليوم يقال لها (بنو قرا) ^٣ لعل لها صلة بالقرين .

ويتكلم أهل (مهرة) بلهجة خاصة ، يقال لها (المهرية) أو (الأمهرية) ، وهي متأثرة بالجعزية . كما يتكلم أهل قارة (قرا) بلهجة يقال لها (أحكيليلة) ، ويظن أنها من اللهجات العربية القديمة .

وتتألف أرض عمان من أماكن جبلية ، وهضاب متموجة ، وسهول ساحلية . وأكثر حجاراتها كلسية وجرانيتية ، وفيها أيضاً حجارة بركانية . والظاهر أنها كانت من مناطق البراكين ^٥ . وفي مناطق التلال وفي (جعلان) عيون ومجاري مياه معدنية أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة . وتوجد آبار في (الباطنة) وفي المناطق المجاورة للصحراء وفي الأقسام الشرقية من عمان ^٦ .

وتنخل هضاب عمان وجبالها أودية معظمها جاف ، وتكون طرق المواصلات بين الساحل والأرضين الباطنة ، وجوؤها حار استوائي ، وتتجه الجبال من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وأعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأخضر ، ويبلغ ارتفاعها تسعة آلاف قدم . والأرضون المحيطة بهذا الجبل ، خصبة ، وقابلة للاستثمار ^٧ .

١ Hugh Scott, P., 147.

٢ اليافعي (٢٠١/٢) فما بعدها .

٣ اليافعي (٢٠٦/٢) فما بعدها .

٤ Reise, S., 33, Leo Hirsch, Reisen in Sued-Arabien, Mahra Und Hadramut, Leiden, 1897, S., 19, 34, 51, 52, 53.

٥ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 238, Ency. Brit., Vol., 16, P., 785.

٦ Handbook, Vol., 1, P., 238, Leo Hirsch, S., 183.

٧ S.H. Steinberg, The Statesman's Yearbook, London, 1948, P., 689.

وفي عمان مدن قديمة ، منها (صحار) و (نزوة)^١ و (دبا) أو (دما) ، وكانت من المدن المهمة في أيام الرسول ، وهي عاصمة عمان الشمالية ، كما كانت سوقاً من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد . والعُمانيون من الشعوب البحرية المحبة لركوب البحار ، ولهم صلات وروابط بسواحل افريقية والهند . ونجد بينهم عدداً كبيراً من الزنوج والهنود والفرس والبلوج^٢ .

العروض :

وأما العروض ، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها^٣ . وأغلب الأرضين فيه صحارى وسهول ساحلية ، ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر . ويمتد مرتفع الصمان الصخري موازياً لساحل الخليج ، متوسطاً بين الأحساء والدهناء . ومن أودية الأحساء ، وادي فروق في الجنوب ، وهو قسم من وادي المياه^٤ .

ومن أقسام العروض ، شبه جزيرة (قطر) التي تمتد من عمان الى حدود الأحساء^٥ . يشتغل سكانها بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، وقد عرفت بـ (Cataraei) عند (بلينيوس)^٦ . ومعظم أراضيها صحارى، وفيها واحات قليلة ، ويزرع السكان في بعض الأماكن على مياه الآبار^٧ . وقد عرفت قديماً بأنواع من الثياب والمنسوجات القطرية ، كانت تصدر الى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام^٨ .

ويلى شبه جزيرة قطر ، (الأحساء) ، وكان يقال لهذه المنطقة قديماً (هجر)

١ البلدان (٣٠/٤) ، (٣٣٩/٥) ، (٢٨١/٨) .

٢ Steinberg, P., 690, O'shen, The Sand Kings of Oman, London, 1947.

٣ البلدان (١٠١/٣) ، (١٦٠/٦) .

٤ وهبة ٦٨ ، (الصمان) ، بالفتح ثم التشديد واخره نون ، البلدان (٣٨٣/٥) .

٥ البلدان (١٢٣/٧) ، Steinberg, P., 692.

٦ Pliny, Natura. Hist., VI, 28, 147, Ency., Vol., 2, P., 817 Sprenger, Geogr. Arab. S., 116, Skizze, BD., 2, S., 75.

٧ Ency., Vol., 2, P., 817, Fr. Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S., 177, Palgrave, Travels in Arabia, London, 1865, Vol., 2, PP., 232.

٨ البلدان (١٢٣/٧) .

والبحرين^١ . والقسم الأكبر من الأحساء ، سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، ويتخلله كثير من التلال ، يتجه بعضها باتجاه وادي المياه وجبل الطف^٢ . والمنطقة الساحلية ، سبخة في الغالب ، وتكثر فيها الآبار التي لا تبعد مياهها كثيراً عن سطح الأرض . وأغنى مناطق الأحساء ، منطقة الأحساء والقطيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون^٣ .

وتظهر المياه الجوفية المنحدرة من الأمطار التي تتساقط بمقدار أربع عقد أو خمس عقد (انج) في السنة على حافات جبل (طويق) في (الهفوف) ، تظهر فيها على شكل عيون ، تبلغ زهاء أربعين عيناً ، جعلت المنطقة من أهم الواحات في المملكة العربية السعودية^٤ . وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع (العقير) ، وهي الآن ميناء صغير^٥ . وعلى مقربة منها خرائب عادية ، يعتقد العلماء أنها موضع (Gerrhaei) المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها ، وبلغت شهرتها اليونان والرومان^٦ . وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق . وقد أغرت الطامعين ، فطمعوا في الاستيلاء عليها ، وأوحت الى الكتبة (الكلاسيكيين) ، فكتبوا فيها قصصاً من نسج الخيال ، وتقع على خليج سماء (الكلاسيكيون) (Sinus Gerraicus) ، أي خليج جرها^٧ .

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة (تاروت) وتعد المدينة البحرية الرئيسية في الأحساء ، يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر ، وتكثر بها مياه العيون^٨ . وتشاهد عندها خرائب عادية ، يستدل منها على أن هذه المدينة كانت

- ١ وهبة ٦٨ . Handbook, Vol., 1, P., 298
- ٢ الطف ، بالفتح والفاء مشددة ، البلدان (٥١/٦) ، وهبة ٦٨ ،
- ٣ وهبة ٦٨ ، Handbook, Vol., 1, P., 298
- ٤ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 58.
- ٥ وهبة ٧٢ فما بعدها ، البلدان (١٩٨/٦) ، مروج الذهب (٩١/١) ،
- Handbook, Vol., 1, P., 308, Chesman, PP., 27,
- وكانت هجر قصبة بلاد البحرين ، البلدان (٤٤٦/٨)
- ٦ الجرها ، « Gerrael »
- Forster, Vol., P., 217, "Gerrael", Glaser, Skizze, Bd, 2, S. 75.
- ٧ Strabo, Vol., 3, P., 186, 187, Forster, Vol., 2 P. 217.
- ٨ Forster, Vol., I, P., 196, 197, 291, Vol., 2, P. 220. Cornwall in The National Geographical Magazine, April, 1948.

ذات تاريخ قديم ، ربما يعود الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي .
وفي هذه المنطقة ، يجب أن يكون موقع مدينة (بلبانا) (Bilbana)
(Bilaena) (Bilana) ، احدى مدن (الجرهابيين)^١ . ومواطن قبيلتي
(Gaulopes) و (Chateni) على سواحل خليج سماء (بليينوس)
(Sinus Gaulopeus) أي (خليج كيبوس) . ويرى (شبرنكر) أنه
(خليج القطيف)^٢ . ويذكرنا اسم (Chateni) (خطيني) باسم (الخط) ،
ويطلق في العربية على سيف البحرين كله^٣ . وربما كان (كيبوس) ، الذي
سمي الخليج به ، هو تحريف (Cateus) الذي يشير بكل وضوح الى اسم
(القطيف) .

وأما جزيرة (تاروت) الصغيرة التي في هذا الخليج ، فالظاهر انها جزيرة
(Tahr) أو (Taro) أو (Ithar) في جغرافية (بطليموس)^٤ ، وفيها
مدينة (دارين) . ويظهر انها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة ، ولعلها كانت
معبداً للإله (عشروت) . اشتهرت به ، ثم حذفت المقطع الأول من اسم
الإله اختصاراً ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين ، وهما (تاروت) .
والقسم الأكبر من أرض الكويت منبسط ، وأكثر السواحل رملياً ، الا بعض
الهضاب أو التلال البارزة . وفي المحال التي تتيسر فيها المياه تتوافر الزراعة ،
وأكثر ما يزرع هناك النخيل . وليس في الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى
واحد أو نهر يقال له (المقطع) ، يصب في البحر . ومشكلة ماء الشرب من
أهم المشكلات في هذه الإمارة ، لأن ماء أغلب الآبار ملح أجاج ، ولذلك يضطر
الأغنياء الى جلب المياه من شط العرب^٥ .

ومن أشهر مدن الكويت مدينة (الكويت) ، وهي العاصمة ، وهي على ساحل
الخليج ، و (جهرة) ، وهي في منطقة زراعية خصبة ، ذات آبار على مقربة
من خليج الكويت^٦ . ويظن أن الخندق الذي أمر بحفره (سابور ذو الأكتاف)

١ Forster, Vol., 2, P., 216, Glaser, Skizze, 2, S., 74.

٢ Enc., 2, P., 821.

٣ البلدان (٤٤٩/٣) ، المفضليات ص ٢٤٥ .

٤ Forster, Vol., 2, P., 216.

٥ Forster, Vol., 1, P., 298, 301, Vol., 2, P., 216 217 220 Glaser Skizze 2 S. 76.

٦ وهبة ص ٧٦ ، Handbook, Vol., 1, P., 285, Ency., 2, P., 1173.

٧ (الجهرة) ، وهبة ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ومواضع أخرى
Handbook, Vol., 1, P., 298.

ليحمي السواد من غزو الأعراب ، كان ينتهي في البحر عند (خليج كاظمة) في شمال الإمارة^١ .

وأرض الكويت ، مثل سائر أرض العروص ، كانت موطن شعوب قديمة ، فيظهر أن (Bukae) أو (Abucae) أو (Abukae) ، وعاصمتهم مدينة (Coromanis) ، هم أسلاف بني عبد القيس ، وأن (Coromanis) ، المصدر اللغوي الذي اشتق منه (القرين) ، الاسم القديم للكويت^٢ .

ولعلّ (Idicare) هي (قارة) من مواضع الكويت^٣ ، وإن (Jucara) هي (الجهرة) من أخصب مناطق الكويت في الزمن الحاضر، وكانت من المواضع المأهولة قبل الإسلام^٤ .

وقد عرف (ياقوت) البحرين بأنها الأرضون التي على ساحل بحر الهند بين البصرة ومُعمان ، وذكر أن من الناس من يزعم أن البحرين قصبة هجر ، وأن منهم من يرى العكس ، أي أن هجرأ هي قصبة البحرين^٥ .

أما (أبو الفداء) فذكر أن البحرين هي ناحية على (شط بحر فارس) ، وهي ديار القرامطة ولها قرى كثيرة ، وبلاد البحرين هي هجر . وذكر أيضاً أن من الناس من يرى أن هجرأ اسم يشتمل جميع البحرين كالشام والعراق ، وليس هو مدينة بعينها^٦ . ويظهر من دراسة ما ذكره العلماء عن البحرين أن رأيهم في حدودها كان متبايناً ، وأنهم لم يكونوا على اتفاق في تحديدها، فتارةً يوسعونها ، وتارةً يقلصونها .

ومن مواضع البحرين (محلم) ، وبه نهر اشتهر بنخله ، واليه أشار (بشر بن أبي خازم الأسدي) بقوله :

كأن حد وجههم لما استقلوا نخل (محلم) فيها ينوع^٧

١ Ency, 2, P., 1173.

٢ تاريخ الكويت ، لعبد العزيز الرشيد (بغداد ١٩٢٦) ، (٢٢/١) ، Forster, Vol., 2, P., 213.

٣ وهبة ص ٧٩ ، Forster, Vol., 2, P., 214.

٤ Forster, Vol., 2, P., 214.

٥ البلدان (٣٤٦/١) (دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥) .

٦ تقويم البلدان (ص ٩٩) .

٧ ديوان بشر (ص ١٣٠) .

اليامة :

وأما اليامة ، فكانت تعرف بـ (جو) أيضاً^١ ، وقد عدّها (ياقوت الحموي) من نجد^٢ ، وقاعدتها (حجر) . وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الإسلام ، منها (منفوحة) ، وبها قبر كان ينسب الى الشاعر (الأعشى)^٣ . و (سدوس) من المدن القديمة ، وبها الآن آثار كثيرة ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً^٤ . و (القرية) ، وعلى مقربة منها بئر ، قال الهمداني - وهو يتحدث عنها - : « فإن تيامنت شربت ماءً عادياً ، يسمى قرية ، الى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد ثجر »^٥ . والظاهر أن هذا الموضع كان من المواضع الكبيرة المعروفة . وذكر ياقوت وغيره ان اليامة « كانت تسمى جوا والقرية »^٦ . ولا يعقل تسمية اليامة بالقرية لو لم يكن لهذا الموضع شهرة .

وقد نشر (فليبي) وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية صوراً فوتوغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقال له (قرية الفأو) على الطريق الموصلة الى نجران ويقع على مسافة سبعين كيلومتراً من جنوب ملتقى وادي الدواسر بجبل الطويق ، وعلى مسافة (١٢٠) كيلومتراً من شرقي (نجران)^٧ ،

- ١ صفة ١٦١ ، البلدان (٥١٦/٨) ، (واليامة القرية التي قصبتها حجر ، كان اسمها فيما خلا جوا . وفي الصحاح كان اسمها الجو) ، لسان العرب (١٣٥/١٥)
- ٢ البلدان (٥١٦/٨)
- ٣ البلدان (١٨٢/٨) ، صفة ١٦٢ .
- ٤ وهبة ص ٥١ ، راجع وصف (فليبي) لسدوس في كتابه Arabia of the Wahabls, P., 77.

- ٥ صفة ص ١٥٢ .
- ٦ البلدان (٥١٦/٨) ، وقد نزل بنو سدوس بن شيبان بن ذهل ، ولذلك قيل لها (قرية بني سدوس) ، قال ياقوت : (قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل ، وفيها منبر وقصر يقال أن سليمان بن داود عليه السلام بناه من حجر واحد من اوله الى آخره ، وهي اخصب قرى اليامة ، لها رمان موصوف ، وربما قيل لها القرية) ، البلدان (٤٦/٥) (٧٦/٧) .

The Geographical Journal, Vol., CXII, June, 1949, PP., 86, v
Le Museon, LXII, (1949), 1-2, PP., 87.

راجع ايضا ما كتبه (فليبي) في بعض مؤلفاته عن هذا الموضع .

وعلى ثلاثين ميلاً من جنوب غربي (السليل) في وادي الدواسر^١ .

كما وجدوا آثاراً أبنية ضخمة ، يظهر أنها بقايا قصور كبيرة ، ووجدوا كهفاً منحوتاً في الصخر مزداناً بالكتابات والتصاویر واسعة ، يقول له الناس هنالك (سردباً) أو (سرداباً) . وعند هذا الموضع عين ماء وآبار قديمة ، وقد كتب اسم الصنم (ود) بحروف بارزة . وتدل كل الدلائل على أن الموضع الذي تتغلب عليه الطبيعة الصحراوية في الزمن الحاضر ، كان مدينة ذات شأن^٢ .

وقد أشار الألوسي في كتابه (تأريخ نجد) الى سدوس وآثارها فقال : (وفي قربها أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التبابعة .) (نقل لي بعض الأصحاب الثقات من أهل نجد : ان من جملة هذه الأبنية شاخصاً كالمنارة ، وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها . فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الإفرنج إليها ، هدموها ملاحظة التدخل معهم)^٣ . وفي هذا الوصف دلالة على أن الخرائب التي ذكرها (ياقوت الحموي) بقيت ، وأن المنبر الذي أشار اليه ، قد يكون هذا الشاخص الذي شبه بالمنارة والذي أزيل على نحو ما ذكره الألوسي .

والكتابات التي عثر عليها في (قرية الفاو) ذات أهمية كبيرة ، لأنها أول كتابة باللهجات العربية الجنوبية عثر عليها في هذه المواضع ، وتعود الى ما قبل

١ كتاب من الدكتور (جورج ماثيوس) تأريخه ٣٠ اغسطس ١٩٥٠ م في تعيين وضع المكان . (قرية : موضع في جنوب نجد ، في الطريق بينه وبين نجران ، ويبعد عن نجران ٣٤٣ كيلو متراً وعن الافلاج الواقعة في جنوب نجد (٣٨٣) كيلو متر (الافلاج تبعد عن الرياض ٢٧٣ كيلو متر) ، ويقع بينها وبين الافلاج العقيق - الموقع الذي ذكره الهمداني في صفة الجزيرة ، وأشار الى وجود جالية اجنبية فيه في العهد القديم تشتغل بالتعدين ، وأشار الى معبد منحوت في الصخر في تلك الجهة ، وبلغني ان في الجبال القريبة من (قرية) هذه - كتابات ونقوشاً وصوراً كثيرة . وقد مر بها المستر فليبي ، وتبعد عن العقيق ٩٤ كيلو متراً في جنوبه . ويبعد العقيق عن الافلاج ٢٨٠ كيلو متراً تقريباً) . كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ (العقيق مدينة فيها مئتا يهودي ، ونخل كثير ، وسيوح وابار) ، صفة ١٥٢ ، البلدان (١٩٨/٦)

The Geographical Journal, CXIII, June, 1949, P., 90, Philby, ٢
Sheba's Daughter's, P. 430

٣ تاريخ نجد (ص ٢٨) .

الميلاد . وعثر فيها على مقابر ، وعلى أدوات وقطع فخارية ظهر من فحصها أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد^١ . ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود الى السبثيين . والظاهر أن هذا الموضع هو بقايا مدينة قديمة كانت تتحكم في الطريق التجارية التي تخترقها القوافل التي تقصد الخليج الفارسي والعراق من اليمن عن طريق نجران . وفي هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن تخربت قبل الإسلام . ورأى (برترام توماس) (Bertram Thomas) أن آبار (العويفرة) القرية من القرية هي موضع (أوفير) (Ophir) الوارد ذكره في التوراة والذي اشتهر بالذهب ، والطواويس ، وإن الاسم العربي القديم هو (عفر) (Ofar) ، وقد تحرف بالنقل الى العبرانية واليونانية ، فصار (Ophir) . وهذا الموضع قريب من مناجم الذهب^٢ . وبالجمله إن هذه الأرضين ويعرين ووبار وغيرها ، هي من المناطق التي تستحق الالتفات اليها وتجريد البعثات العلمية للتنقيب فيها ودراسة أحوالها والتطورات التي طرأت عليها .

ويظهر ان هنالك جملة عوامل أثرت في اليامة وفي أواسط جزيرة العرب ، فحولت أراضيها الى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد في الكتب انها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومزارع ومراع .

ومن أودية اليامة (العرض) (العارض) الذي يخترق اليامة من أعلاها الى أسفلها . ولما كان من الأودية الحصبة ، كثرت فيها القرى والزرع^٣ . وهو واد طويل ، لعله من بقايا مجرى ماء قديم ، و (الفقي) ، في طرف عارض اليامة ، تحيط به قرى عامرة ، تسمى (الوشم)^٤ . و (وادي حنيقة) و (عرض شمام)^٥ . وفي اليامة مرتفعات مثل (جبل شهوان) ، تخرج منه عيون ومياه^٦ ، و (عارض اليامة) ، ويبلغ طوله مسيرة أيام ، وتكون عند سفوحه الآبار^٧ .

١ The Geogr. Jour., Vol., CXIII, June, 1949, P., 92, Sanger, The Arabian Peninsula, P., 139.

٢ The Empty Quarter, P., 177, Bertram Thomas, Arabia Felix, P., 163.

٣ البلدان (١٤٦/٦ فما بعدها) ، (١٢٨/٨) ، صفة ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ويقال له أحيانا عرض حجر .

٤ (الوشم) بالفتح ثم السكون ، البلدان (٤٢٤/٨) ، صفة ١٦٣ .

٥ البلدان (١٤٧/٦) .

٦ البلدان (٣٨٦/٧) .

٧ البلدان (٣٨٦/٦) ، (عارض) (عارض اليامة) ، البلدان - ٩٣/٦ - (العارض) ، وهبة ٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ومواضع أخرى ، صفة ص ١٦٣ .

وتعد (الأفلاج) من المناطق التي تكثر فيها المياه ، وتصب فيها أودية العارض ، وفيها السيوح الجارية والجداول التي تمدّها العيون . وقد ذكر (الهمداني) من سيوحه (الرقادي) و (الأطلس) و (نهر محلم) . قال : ويقال انه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم^١ . وطبيعي ان يكثر فيها وجود الخرائب العادية التي تعود الى ما قبل الإسلام . وقد وصف الهمداني بعض التحصينات القوية ، فقال عنها : انها من عاديّات طسم وجديس ، مثل (حصن مرغم) و (القصر العادي) بالأثل^٢ . ويرجع (فلي) الخراب الذي حل باليامة الى العوامل الطبيعية ، ومنها فيضان وادي حنيفة^٣ .

نجد :

نجد في الكتب العربية « اسم للأرض العريقة التي أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام »^٤ . وحدها ذات عرق من ناحية الحجاز ، وما ارتفع عن بطن الرمة ، فهو نجد الى أطراف العراق وبادية السماوة^٥ . وليست لنجد في هذه الكتب حدود واضحة دقيقة ، وهي بصورة عامة الهضبة التي تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لها في الانكليزية : (The Heart of Arabia)^٦ . وتتخلل الهضبة أودية وتلال ترتفع عن سطح هذه الهضبة بضع مئات من الأقدام ، وتتألف حجارتها في الغالب من صخور كلسية ومن صخور رملية غرايتية في بعض المواضع . وأعلى أراضيها هي أرضو نجد الغربية المحاذية للحجاز ، ثم تأخذ في الانحدار كلما اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض .

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاث :

- ١ صفة ص ١٦٠
- ٢ صفة ص ١٦٠
- ٣ Ency., Vol., 4, P., 1155, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, PP. 31.
- ٤ البلدان (٢٥٨/٨ فما بعدها) ، الالوسي : محمود شكري ، تاريخ نجد (الطبعة الثانية) ، القاهرة (١٣٤٧ هـ) ، (ص ٧ فما بعدها) .
- ٥ صفة ص ٤٨
- ٦ K. S. Twitchell, Saudi Arabia, P., 6, Stamp, P., 137.

١ - منطقة وادي الرمة ، وتتألف أرضوها من طبقات طباشيرية في الشمال وحجارة رملية في الجنوب ، وتغطي وجه الأرض في بعض أقسامها طبقات مختلفة السمك من الرمال ، وتدخلها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة ، ولكنها ليست بعيدة في الجملة عن سطح الأرض ، وتسرب إليها المياه من المرتفعات التي تشرف عليها وخاصة من جبل شمر^١ ، ومن الحرار الغربية التي تجود على الوادي بالمياه . ويختلف عرض وادي الرمة ، فيبلغ زهاء ميلين في بعض المحلات ، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء (٥٠٠) ياردة ، وتصل مياه السيول إلى ارتفاع تسع أقدام في بعض الأوقات^٢ .

٢ - المنطقة الوسطى، وهي هضبة تتألف من تربة طباشيرية، متموجة ، تدخلها أودية تنحدر من الشمال إلى الجنوب . وبها (جبل طويق) ، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية، وحجارة رملية ، ويرتفع زهاء (٦٠٠) قدم عن مستوى الهضبة . وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه في مواسم الأمطار ، فتصل إلى الربع الخالي فتغور في رماله . ويمكن اصلاح قسم كبير من هذه المنطقة ، ولا سيما الأقسام الواقعة عند حافات وادي حنيفة^٣ .

٣ - المنطقة الجنوبية ، وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدريج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى إلى الصحارى في اتجاه الجنوب . وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار ، مثل (الحريق) و (الخرج) ، ويرى الخبراء أن مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادي حنيفة . ومن مناطقها المشهورة (الأفلاج) و (السليل) و (الدواسر) ، وفي جنوب هذه المنطقة تقل المياه ، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحفاف .

ويقسم علماء العرب نجداً إلى قسمين : نجد العالية ، ونجد السافلة . أما العالية فما ولي الحجاز وتهامة^٤ . وأما السافلة ، فما ولي العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات ، ولا سيما في (الشربة) جنوب (وادي الرمة) وفي (وجرة)^٥ .

١ وهبة ص ٦٠

٢ Handbook, Vol., 1, P., 349.

٣ Ency., Vol., 3, P., 894, Handbook, Vol., 1, P., 349.

٤ البلدان (١/٨) ، تاريخ نجد ص ٨ .

٥ Ency., Vol., 3, P., 895, Philby, The Heart of Arabia, 1, P., 116.

وفي جزيرة العرب وبادية الشام أرضون يمكن أن تكون مورداً عظيماً للماشية بل وللحجوب أيضاً ، لو مسها وابل وهطلت عليها أمطار ، وتوفرت فيها مياه ، فإن أرضها الكلسية تساعد كثيراً على تربية الماشية بجميع أنواعها . كما تساعد على الاستيطان فيها ، ولهذا يتحول بعضها الى جنان تخلب الألباب وتسحر النفوس عند هبوط الأمطار عليها ، فتجلب اليها الانسان يسوق معه إبله لتشبع منها . ولكن هذه الجنان لا تعمر ، ويا للأسف ، طويلاً ، فيضطر أصحاب الإبل الى الذهاب الى أرضين أخرى ، والى التنقل من مكان الى مكان ، فصارت حياته حياة تنقل وهي حياة الأعراب .

أما وقد انتهيت من الحديث إجمالاً عن صفة جزيرة العرب وعن حدودها ورسومها العامة ، فلا بد لي من الإشارة الى جزيرة (سقطرى) (سوقطره) من الجزر التي تقابل الساحل العربي الجنوبي ، وهي جزيرة كانت تعادل وزنها ذهباً يوم كان البخور والصبر يعادلان بالذهب . أما اليوم فما زال سكانها يجمعون الصبر والبخور والند ، ولكنهم لا يجدون لحاصلهم السوق القديمة لزوال دولة المعابد والملوك الآلهة ، وحلول عهد الدرة والبترول . وسكانها منذ القديم ، خليط من عرب وإفريقيين وهنود ويونان . يتكلمون بلغة خاصة هي من بقايا اختلاط اللغات في هذه الجزيرة ، فيها اللهجات العربية الجنوبية القديمة والمصرية والإفريقية . وهم يعيشون في كهوف ومغاور في الغالب ينالون رزقهم من الطبيعة بغير جهد . وترى في الجزيرة آثار الماضي وقد اختلط بعضه ببعض ، لتداخل الحكم في هذه الجزيرة الثمينة التي هي اليوم في قبضة الانكليز .

والآن وقد وقفت على صفة جزيرة العرب ، وعرفت على سبيل الاجال معالم وجهها ، وكيف تغلبت الصحراوية ، وظهر الجفاف عليها ، فلن في وسعك أن تكون رأياً في سبب قلة نفوس جزيرة العرب في الماضي وفي الحاضر ، وفي سبب عدم نشوء مجتمعات حضرية وحكومات مركزية كبيرة فيها ، وفي سبب تفشي البداوة وغلبة الطبيعة الأعرابية على أهلها وبروز الروح الفردية عند أهلها ، وتقاتل القبائل بعضها مع بعض . ونفرة أهلها من الزراعة والحرف واعتدادهم إياها من حرف الوضعاء والرقيق . إن بيئة تحكمت فيها الطبيعة على هذا النحو ،

١ جان جاك بيربي : جزيرة العرب (ص ١٩٢ فما بعدها) .

لا يمكن أن يشاكل سكانها سكان المناطق الباردة ذات الأمطار الغزيرة والخصرة الطبيعية الدائمة، أو سكان الأرضين التي حباها الله الخصب والأنهار والماء الغزير . من هنا اختلفت حياة العرب عن حياة غيرهم من الشعوب . وللسبب المتقدم، أي بسبب تحكم الطبيعة في مصير الانسان ، انحصرت الحضارة في جزيرة العرب في الأماكن المطورة والأماكن التي خرجت فيها المياه الجوفية عيوناً وبناييع ، أو قاربت المياه فيها سطح الأرض ، فأمكن حفر الآبار فيها . في هذه المواضع نبتت الحضارة وأظهر العربي فيها أنه مثل غيره من البشر قادر على الابداع حين تنهيا له الأحوال المواتية ، وتساعدته الطبيعة ، ومن هذه الأماكن نستقي علماً في العادة عن الجاهليين .

وعلى الرغم من سعة مساحة جزيرة العرب واتساعها ، فلإنها لم تتسع لعدد كبير من السكان لأن معظم أرضها صحراوية ، لا تجذب الناس إليها ولا تساعد على ازدياد عدد السكان فيها ازدياداً كبيراً ، غير ان ذلك لا يعني أنها لا يمكن أن تتسع لعدد أكبر من سكانها الحاليين ، وان طاقتها لا يمكنها أن تتحمل هذا العدد أو ضعفه ، بل الواقع هو أن في استطاعة الجزيرة تحمل أضعاف أضعاف هذا العدد ، لو تهيأت لها حكومات حديثة رشيدة ، تأخذ بأساليب العلم الحديث في استنباط مواردها الطبيعية لمصلحة أهلها وفي تحسين الصحة العامة وإيجاد موارد رزق للناس ، وضمان الأمن والسلامة لهم ، واسكان الأعراب ، وعمل ما شاكل ذلك من أمور . فإن سكان الجزيرة سيزدادون حتماً، ويملون أضعاف أضعاف ما هم عليه اليوم .

ونجد بين سكان جزيرة العرب في الوقت الحاضر اختلافاً في الملامح الجسمية . فأهل أعالي نجد هم أقرب في الملامح الى قبائل عرب الأردن وعرب بادية الشام . وأهل الحجاز والسواحل ، يختلفون بصورة عامة عن أهل البوطن ، أي باطن الجزيرة ، في الملامح بسبب اختلاط أهل السواحل بسكان السواحل المقابلة لهم، وامتزاج دمائهم . وقد أجرى بعض الباحثين المحدثين فحوصاً علمية على السكان في مواضع متعددة من جزيرة العرب لمعرفة الملامح البارزة عليهم والأصول التي يرجعون إليها، فوجدوا أن هناك امتزاجاً واضحاً بين السكان يظهر بصورة خاصة في السواحل ، وهو امتزاج يرجع بعضه الى ما قبل الإسلام ويرجع بعض آخر الى الزمن الحاضر^١ .

Naval, P., 365.

ولم يكن لسان عرب الجاهلية لساناً واحداً ، ولكن كان كما سئى ألسنة ولهجات . وقد استطعنا بفضل الكتابات الجاهلية أن نقف على بعضها . أما في الزمن الحاضر ، فإن لغة القرآن الكريم هي اللغة المتحكمة الموحدة للألسنة، وهي لغة العلم والأدب والحكومات ، غير أن بعض القبائل لا تزال تحتفظ بلهجاتها القديمة ، وكذلك بعض أهل القرى والأرياف البعيدة عن الحضارة ، فإنها تتكلم بلهجات وألسنة متفرعة من اللهجات العربية الجاهلية ، كما الحال في مواضع من اليمن وفي العربية الجنوبية . ونجد في العربية الجنوبية قبائل تتكلم لهجات غربية عن عربيتنا مثل اللغة المهرية واللغة الشحرية، واللهجات المسماة بألسنة (أهل الهدرة) . وهي لهجات لها صلة باللغات العربية الجنوبية الجاهلية واللغات الإفريقية^١ .

الفصل الخامس

طبيعة جزيرة العرب وثرواتها وسكانها

لم تدرس طبيعة أرض جزيرة العرب دراسة علمية مستفيضة شاملة ، بالرغم من قيام الشركات الأجنبية بالبحث ، في أنحاء منها ، عن طبيعة تربتها للتوصل بذلك الى اكتشاف ما في باطنها من ثروات . فأرض جزيرة العرب ، أرض واسعة ، تغطي الرمال أكثر مساحاتها ، فليس من السهل البحث فيها بحثاً علمياً عميقاً عن تركيبها وعن تطورها في كل أنحائها ، لهذا كان علمنا بهذه النواحي من البحث ضحلاً مختصراً في الغالب .

يتألف ثلثا الأقسام الشرقية من أرض المملكة العربية السعودية ، من طبقات رسوبية يقال لها في علم طبقات الأرض (Sedimentary Formation) ، تكون نوعاً من الصخور يتأثر ببعض المؤثرات الأرضية ، فتكون من أحسن الأماكن الملائمة للبترول والفحم . وتتألف هذه الطبقات الرسوبية في الدرجة الأولى من الحجارة الكلسية . وتتكون أرض منطقة آبار البترول عند (الظهران) والمناطق الأخرى التي أصابت شركة البترول العربية السعودية الأمريكية فيها البترول ، من هذا النوع من الصخور^١ .

وتوجد آثار طبقات رسوبية في المناطق الغربية من جزيرة العرب المطلة على

Twitchell, Saudi Arabia, P., 8. ١

البحر الأحمر عند جزر (فرسان)^١ و (جيزان)^٢ و (صبيا)^٣ و (أملج)^٤ و (المويلح)^٥ الواقع على مقربة من رأس خليج العقبة ، و (ضبا)^٦ ، وحجارة رملية في العلا في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة بكميات واسعة ، وحجارة بركانية ولا سيما في مناطق الحرار، وصخور تكونت بفعل الترسبات المتأثرة بالضغط والحرارة ، وهي التي يقال لها : (Metamorphic Formation) ، وتساعد على تكوين المعادن . وقد وجدت في هذه المنطقة^٧ ، خامات المعادن ولكنها لم تستغل حتى الآن استغلالاً تجارياً ، كما أن هذه الخامات والأرضين لم تفحص فحوصاً فنياً لمعرفة النسب المعدنية فيها .

وتوجد الصخور الرملية في عسير وفي وادي الدواسر ، وتشاهد في منطقة هذا الوادي تلال تتجه من الشمال الى الجنوب ، تقع الى جنوب (التماسين) وعلى ارتفاع (٢٢٠٠) قدم ، يظهر أنها تكونت من الصخور (الأيولينية) (Aelian Sandstone) ومن حجارة « الكوارتز » الضخمة ، وقد حوت مقداراً من (أكاسيد الحديد) أعطت هذه السلسلة لوناً أحمر غامقاً . ويتكون فئات هذه الحجارة على هيئة ألواح صلبة ، وعند قطعها يلاحظ أنها تتكون من طبقات ، ويمكن فصلها على أشكال ألواح ، وقد تكونت على حافات هذه السلسلة وجوانبها أشكال طبيعية مذهشة أخذاً بتأثير فعل الرياح والرمال فيها . وتتكون أرض (قرية) من صخور كلسية ، وهناك آبار قديمة تبلغ أعماقها

١ وهبة ص ٤٠ ، البلدان (٣٥٩/٦) ، صفة ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٨ ، Twitchell, P., 8, 63.

٢ (ميناء صغير على بعد مئتي ميل من جنوب الجنوب الشرقي للقنفذة ، وهي واقعة امام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان) ، وهبة ص ٤٠ .

٣ البلدان (٣٣٧/٥) ، صفة ٧٣،٥٤ ١٢٠ (صبيا على بعد عشرين ميلاً في الداخل وهي الى الجنوب الشرقي من جيزان ، وكانت عاصمة الادراسة) ، وهبة ٤٠ .
٤ (أملج : قرية بها نحو مئة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وامامها تقع جزيرة حسان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع ونخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل الى اصطبل عنتر ، احدى محطات سكة حديد الحجاز) ، وهبة ١٥ ، ٢٠ .

٥ قرية وقلعة على بعد ١٥٠ ميلاً الى الجنوب من العقبة ، وهبة ١٩ .
٦ الى جنوب المويلح ، المحل الرئيس لقبيلة الحويطات ، اتخذها الاتراك مركز دفاع عن الشاطئ ، وهبة ص ١٩ .

Twitchell, P., 8.

تسعين قدماً ، حفرت في طبقات أرضية مؤلفة من حجارة الكلس ، تتخللها طبقات من الحجارة الرملية غير أنها ليست ثخينة^١ . أما أرض (بشر حما) التي يبلغ ارتفاعها زهاء أربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، وتقع على الحافات الغربية للربع الحالي ، فلأنها مؤلفة من الحجارة الرملية الأيولينية الحمراء ، وعلى مسافة (٣٥) ميلاً إلى الجنوب الغربي من (حما) موضع يقال له (بشر الحسينية) فيه بشر يبلغ عمقها (١٢٩) قدماً ، وقد حفرت في أرض فيها طبقات ثخينة من (الغرانيت) . وتتألف أكثر الأرضين التي تمتد من هذا الموضع إلى نجران من حجارة (غرانيتية) . وتظهر الحجارة الرملية في القسم الجنوبي والغربي من هذه المنطقة التي ترتفع زهاء (١٥٠٠) قدم عن مستوى سطح الوادي الموصل إلى نجران ، والذي يرتفع هو نفسه زهاء أربعة آلاف قدم عن سطح البحر. وتتألف مناطق واسعة من اليمن من حجارة رملية ومن الطبقات المترسبة (Sediments)^٢.

قلت : إن هنالك مناطق في الحجاز مكونة من طبقات مترسبة تعد من أحسن الصخور والطبقات الأرضية ، ملائمة للنفط والفحم ، وإن هنالك مناطق فيها صخور بركانية ونارية ، وقد تكون أكثرها بعد تغيرات كبيرة وعمليات طويلة من ضغط هذه السلسلة الجبلية الطويلة التي تكون العمود الفقري لجزيرة العرب . وترتفع زهاء (٩٠٠٠ - ١١٠٠٠) قدم عن مستوى سطح البحر في اليمن على ما تحتها من طبقات .

ونجد مناطق واسعة من (اللابات) مبعثرة على طول هذه السلسلة ، منها ما هو حديث التكوين . ويشاهد في الزمن الحاضر لسان بارز من (اللابة) في شرقي (أبي عريش)^٣ يمتد حتى يتأخم حدود اليمن، كما نشاهد مناطق أخرى مؤلفة من هذه الحجارة في مواضع عديدة بين (شقيق)^٤ و (خور البرك)^٥ مثلاً حيث تصل (اللابة) إلى البحر الأحمر فتدخل فيه . وكذلك في شمالي (شقيق) عند (جهمة) حيث توجد بقايا بركان يكون جزيرة في البحر مقابل هذا

١ Twitchell, P., 9.

٢ Twitchell, P., 9.

٣ أبو عريش في تهامة على بعد سبعين ميلاً شمالي اللحية ، وهبة ٤٠ .

٤ في تهامة ، وهبة ٣٨ .

٥ البرك ، وهبة ٣٨ .

الموضع^١ .

وعلى مسافة اثني عشر ميلاً من مكة جبل ، يقال له جبل النورة ، حيث تحرق حجارة الكلس المكونة له ، لاستخراج النورة واستعمالها في البناء^٢ . وهذه الحجارة الكلسية هي من الطبقات المترسبة المتحولة . وهناك أماكن أخرى تكونت من هذه الحجارة ، يشاهدها المار من جدة إلى موضع (مهد الذهب) ، الذي تستغل الآن مناجمه ، لاستخراج الذهب ، وتتكون تلال مهد الذهب من الحجارة المترسبة التي تعرضت لتغيرات طبيعية عديدة ، عليها طبقات من حجارة (البازلت) (Basalt) . وفي حجارة المناجم خامات معادن متعددة، وفيها حجارة (الكوارتز) (Quartz)^٣ . وتوجد في منطقة الطائف صخور (الغرانيت) ، وفي نهاية هذه السلسلة الجبلية الطويلة التي تنتهي في اليمن تشاهد (لابات) الحِيار ، وبقايا الحِيار التي كانت تزجج اليابانيين ، إذ هي قد تقذفهم حمماً في يوم من الأيام فتسومهم سوء العذاب .

وفي أرض اليمن عدد كبير من الحِيار ، ذكر السياح بعضها ، مثل حرة (أرجب) ، وتقع شمالي (صنعاء) ولها لابة استخراج منها الناس حجارة سوداً لبناء البيوت^٥ . وعلى مقربة من (ذمار) تكون الأرض بركانية^٦ . وتوجد الحِيار في القسم الشمالي من (وادي أبرد)^٧ ، وفي الوادي بين (صرواح) و (مأرب)^٨ . وقد حمل بعض المستشرقين وجود الحِيار في اليمن بهذه الكثرة وعلى مقربة من المدن القديمة ، على تفسير هلاك بعض المدن كخراب (مأرب)^٩ و (حقة)^{١٠} و (شبوة)^{١١} بتأثير هياج البراكين .

- | | |
|--|----|
| Twitchell, P., 10. | ١ |
| Twitchell, P., 10. | ٢ |
| Twitchell, P., 10. | ٣ |
| Twitchell, P., 10. | ٤ |
| H. Scott, In the High Yemen, London, 1947, P., 8, 114. Scott, P., 113. | ٥ |
| Scott, P. 113. | ٦ |
| Philby, Sheba's Daughter's, P., 389. | ٧ |
| المصدر نفسه ص ٣٩٢ | ٨ |
| كذلك ص ٣٨٩ | ٩ |
| Scott, P., 195. | ١٠ |
| Philby, in Geogr. Journal, 92, PP., 127, August, 1938, Sheba's, 103. | ١١ |

كذلك توجد مناطق حرار في العربية الجنوبية، في عدن^١ وحضرموت وعمان^٢ وفي الربع الخالي ، وقد استعمل القدماء حجارة البراكين في البناء ، ولا يزال الناس يستعملونها في البناء حتى اليوم ، وقد وجد بين الحجارة المكتوبة عدد من صخور البراكين . وقد استغل الجاهليون بعض الحِرار لاستخراج الكبريت منها، وذكر (نيبور) أن أهل اليمن كانوا يستخرجون الكبريت من جبل يقع في شرقي ذمار ، ويظهر أن هذا الجبل بركان قديم^٣ .

وتتكون بعض هضاب اليمن من الصخور المتبلورة التي مرت في أدوار طويلة. ويرى العلماء أنها كانت في الأصل تحت سطح البحر ، ثم ترسبت عليها طبقات ثخينة من المواد الرسوبية حتى تبلورت وتصلبت^٤ . وقد استعملها الجاهليون ولا تزال تستعمل في النوافذ، لتقوم مقام الزجاج . وهناك طبقة طباشيرية وطبقات من صخور رملية غدت المناطق المنخفضة ، وهي تهائم اليمن ، بالرمال. وكذلك المنطقة التي يقال لها الرمل^٥ . وتتكون التربة في تهامة وفي سهل صنعاء من المواد الصلصالية التي تعود الى الأزمنة (الجيولوجية) ، المتأخرة ، ومن المكونات (الأيولينية) التي حصلت بتأثير فعل الرياح في الصخور الرملية^٦ . ويكثر وجود الصخور المتبلورة في الحجاز وفي العربية الجنوبية كذلك^٧ . وتوجد الصخور والطبقات الرسوبية في اليمن وفي حضرموت وعمان ، وقد وجدت في هذه المناطق علائم وجود البترول .

والسواحل الشرقية لجزيرة العرب ، أي السواحل الواقعة على الخليج ، هي سهول ، ولكنها سهول من الرمال في الغالب ، ولهذا قلت فيها الزراعة ، إلا في المواضع التي تتوافر فيها المياه الجوفية، وتنفجر عيوناً، مثل الأحساء والقطيف . وهناك سباح ومستنقعات ناتجة من انخفاض الأرض، جوّها غير صحي. والبترول في القرن العشرين ، هو الذي أغاث أهل هذه الأرض ، وجلب لهم الثراء والمال.

Stamp, P., 140. ١

D.G. Hogarth, The Nearer East, P., 97. ٢

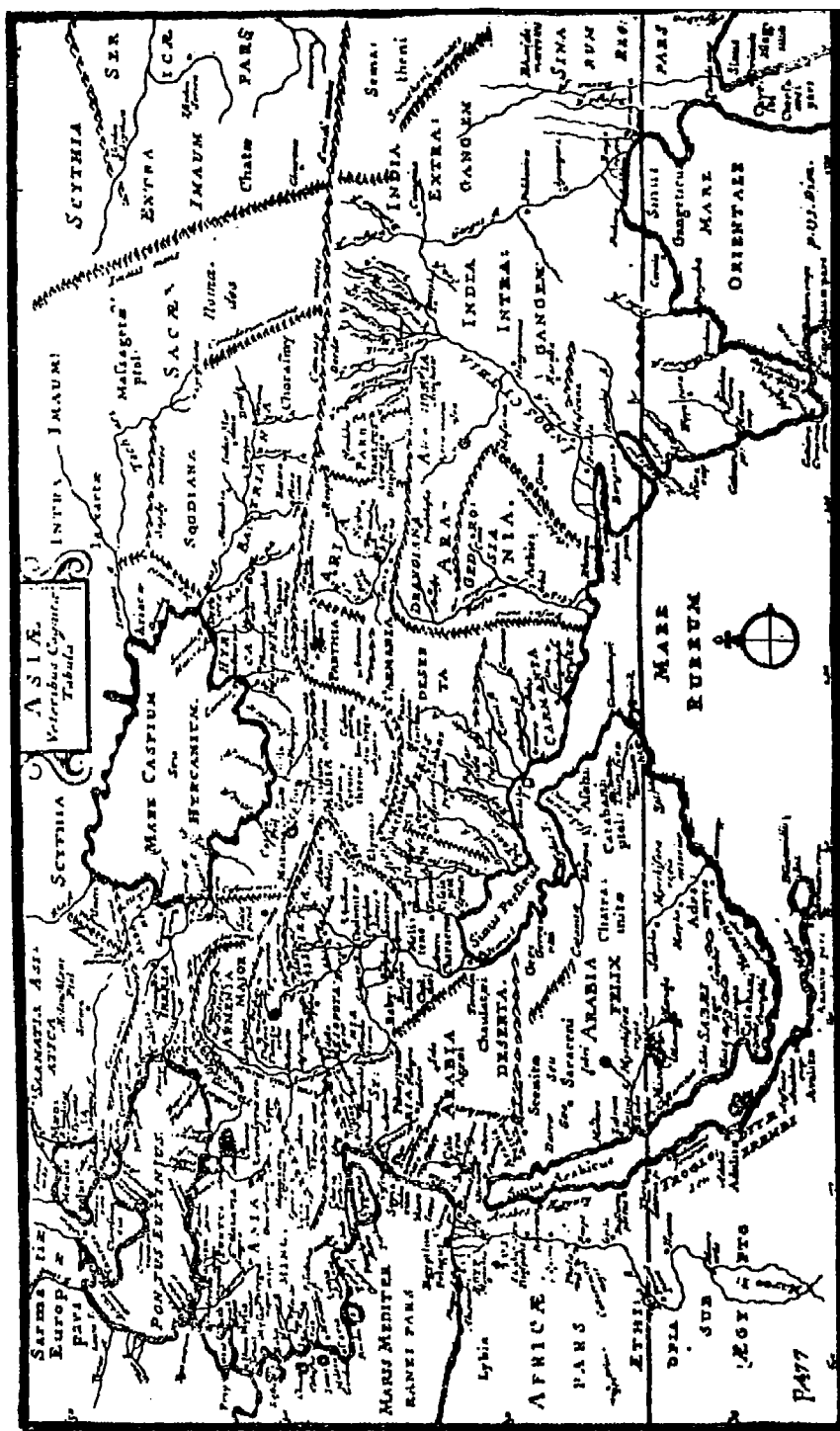
Scott, P., 114, 237, Niebuhr, Reisebeschreibung, S., 324. ٣

Scott, PP. 6. ٤

Handbook, Vol., 1, PP., 145. ٥

Scott, P., 8. ٦

In Unknown Arabia, PP., 421, Stamp, P., 109. ٧



مالك الشرقين الأوسط وشعوبها في نظر الكلاسيكيين . Booth, P. 477.

الوافر والسيارات الفارحة وآلات التبريد ووسائل الترف والرفاهية ، وبعث فيها الحياة بعد أن كانت خامدة خاملة .

وقد كانت حال هذه السواحل قبل الإسلام أحسن بكثير من حالها في القرن التاسع عشر الى يوم استنباط البترول في القرن العشرين ، بدليل ما نقرؤه في الموارد التاريخية من أسماء مواضع كانت مأهولة ، زالت واندثرت ، وأسماء قبائل كانت تنزل بها ، اضطرتها أحوال القاهرة متعددة متنوعة الى هجرها ، فقلَّ عدد سكانها بالتدريج .

وتعد البحرين من أكتف المناطق في جزيرة العرب . فلن نسبة عدد سكانها بالقياس الى مساحة أرضها عالية نسبياً قبل الإسلام وفي الإسلام . وسبب ذلك هو توافر الماء فيها ، واعتمادها على استخراج اللؤلؤ من البحر وعلى صيد السمك الذي يقدم للأهلين المادة الأولى للمعيشة . والماء فيها غير عميق عن سطح الأرض وقد كون عيوناً في بعض الأماكن ولهذا المميزات صارت موطناً للحضر قبل الإسلام بزمان طويل .

وفي جزيرة العرب خامات معادن ، ومن الممكن استغلال بعضها استغلالاً اقتصادياً ، ومن هذه المعادن الذهب . وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء ومواضع عرفت بوجود خام الذهب بها ، مثل موضع (بيشة) أو (بيش) ، وقد كان الناس يجمعون التبر منه ، ويستخلصون منه الذهب^١ . و (ضنكان) ، وكان به معدن غزير من التبر^٢ ، والمنطقة التي بين القنفذة و (مرسي حليج)^٣ .

ويظهر من المؤلفات اليونانية ومن الكتب العربية أن المنطقة التي بين القنفذة و (عتود) ، كانت معروفة بوجود التبر فيها ، فكان الناس يشتغلون هناك باستخلاص الذهب منه ، ولهذا رأى (موريتس) أن هذه المنطقة هي منطقة (أوفير) (Ophir) التي ورد ذكرها في التوراة على أنها كانت تصدر الذهب^٤ . ويشاهد في وادي تثليث على مقربة من (حمضة) وعلى مسافة ١٨٣ ميلاً من

١ البلدان (٢٣٣/٢ فما بعدها) ، صفة (١٢٧ ، ٢٥٧) ، المسالك والممالك (١٨٨)
فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (٦١ فما بعدها) ، Moritz, S., 105.

٢ صفة ١٢٠

٣ Moritz, S., 110, Glaser, Skizze, S., 29.

٤ Hommel, Grundriss, Vol., 1, S., 13, Moritz, S., 110.

نجران آثار التبر ، ويظهر انه كان من المواضع التي استغلت قديماً لاستخراج الذهب منها^١ . وقد اشتهرت ديار بني سليم بوجود المعادن فيها^٢ ، وفي جملتها معدن الذهب ، ويستغل اليوم الموضع الذي يقال له (مهد الذهب) ، ويقع الى الشمال من المدينة باستخراج الذهب منه ، وتقوم بذلك شركة تستعمل الوسائل الحديثة ، تحررت في مواضع عديدة من الحجاز الذهب والفضة ومعادن أخرى ، فوجدت أماكن عديدة ، استغلت قديماً لاستخراج (التبر) منها، ولكنها تركتها لعدم تمكنها من الحصول على الذهب منها بصورة تجارية ، تأتيا بأرباح حسنة ، واكتفت بتوسيع عملها في (مهد الذهب) ، لأنه من أغزر تلك الأماكن بخام الذهب ، وظلت تنقب به الى أن تركت العمل فيه ، وحلت نفسها ، وتركت كل شغل لها بالتعدين^٣ .

وقد ذكر الكتبة اليونان أن الذهب يستخرج في مواضع من جزيرة العرب خالصاً نقياً ، لا يعالج بالنار لاستخلاصه من الشوائب الغريبة ولا يصهر لتنقيته . قالوا ولهذا قيل له (ابيرون) (Apyron) . وقد ذهب (شرنكر) الى أن العبرانيين أخذوا لفظة (أوفير) من هذه الكلمة^٤ .

وقد عثرت الشركة في أثناء بحثها عن الذهب في (مهد الذهب) على أدوات استعملها الأولون قبل الإسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ، مثل رحي وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيع ، وشاهدت آثار القوم في حفر العروق التي تكون الذهب ، وأمثال ذلك مما يدل على أن هذا المكان كان منجماً للذهب قبل الإسلام بزمان طويل ، ولعله من المناجم التي أرسلت الذهب الى (سليمان) ، فأضيف الى كنوزه ، على نحو ما هو مذكور في التوراة^٥ .

١ The Middle East, (Royal Inst. of Inter. Affairs), P., 91, (1950), Twitchell, P., 77.

٢ صفة ١١٣ ، ١٥٣ ، ومواضع أخرى

٣ (شركة التعدين السعودية العربية) ، ويشمل امتيازها كل أرض الحجاز ، وتقوم بالبحث عن جمع المعادن ، وقد بحثت في منطقة الطائف ، غير انها لم توسع أعمالها كثيراً ، تأسست سنة ١٩٣٤ م ، ثم صفت أعمالها وتوقفت عن العمل ،

(Saudi Arabian Mining Syndicate, Ltd), Twitchell, P., 146, 157, Sheba's, P., 15, The, Middle East, 1948, P., 248.

٤ Montgomery, Arabia, P., 39.

٥ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 20, 23.

ويظن بعض الباحثين أن منجم (مهد الذهب) هو المنجم الذي كان لبني سليم ، فعرف باسمهم وقيل له : (معدن بني سليم) ، وقد وهبه الرسول الى بلال بن الحارث^١ .

وعرفت (أرض مدين) وما والاها من الأرضين في شمال (وادي الحمض) ، بوجود التبر فيها . واستخراج الناس له هناك قبل الميلاد بمئات من السنين . وتوجد آثار المناجم التي كانت تستغل مبعثرة في مواضع عديدة حتى اليوم^٢ .

وتوجد خامات معادن أخرى في الحجاز منها الكبريت والنحاس والقصدير والحديد^٣ ، وتستخرج الأملاح من الصخور المحلية التي في الحجاز وفي عسير عند جيزان ، ويستخرج الأهلون منها مسحوقاً لاستعماله في عمل المفرقات^٤ كما أن هنالك مثل هذه الصخور المحلية في السلف من اليمن . ويمكن الاستفادة من هذه الأملاح فائدة كبيرة من الوجهة الاقتصادية حيث تدخل في كثير من الصناعات.

وفي منطقة (رابغ) توجد رواسب (الباريت) (Barite) ، وتدل البحوث الأولية على أنه من الممكن استخراج عشرة آلاف طن من (الباريت) في كل عام^٥ . وتدل الدلائل على أن هنالك منجماً قديماً في منطقة (رابغ) كان يستغل لاستخراج (الكالينه) (Galena) ، غير أن النماذج التي فحصت فحصاً أولياً دلت على أن هذه المادة قليلة فيها . ويظهر أن هناك كميات كبيرة من تراب الحديد في (العقيق) على مقربة من (مهد الذهب) كما شوهدت خامات المعادن في موضع (برم) جنوب الطائف^٦ وفي موضع (نفى)^٧ ، ولا يستبعد العثور على البترول في الحجاز في المواضع المتكونة من الطبقات المترسبة (Sedimentary Formations) ، وتوجد في الحجاز الرمال التي تصلح لصنع الزجاج^٨ . وتستغل أرض الأحساء في استخراج (البترول)^٩ ، ويكثر وجود البترول في

Naval, P., 517. ١

Richard Burton, The Arabian Peninsula, P., 17. ٢

Twitchell, P., 162. ٣

Twitchell, P., 163. ٤

Twitchell, P., 164. ٥

المصدر نفسه ص ١٦٤ ، (معدن البرم) ، البلدان (٩٤/٨) . ٦

(نفى) البلدان (٣٠٨/٨) ، Twitchell, P., 164. ٧

وهبة ٢٠. ٨

The Middle East, (1950), P., 90. ٩

العروض حيث حضرت الآبار في الكويت والبحرين ، وتدل الدلائل على وجوده في قطر وعمان ، كذلك دلت التحريات على وجوده في حضرموت في منطقة (شبوة)^١ ، وفي المناطق وراء شبوة الى داخل جزيرة العرب ، حيث يحتمل العثور على مناجم للذهب كذلك^٢ . ويجري البحث عن البترول في محمية (عدن) وفي اليمن .

ودلت التقارير الأولية على وجود الفحم في حضرموت في منطقة (شبوة) ، وتوجد الصخور الملحية منرسبة في بطن طبقات الأرض يقطعها الأهلون ، وتستغل في الأعمال التجارية ، كذلك توجد هذه الصخور الملحية في اليمن ، وقد تكونت بفعل العوامل (الجيولوجية) والضغط المتواصل ، فتحجرت بمرور آلاف السنين عليها ، وتكمن تحت سطح الأرض في بعض الأماكن حيث تخفر جوانب التلال للوصول الى قلب مناجم الملح المتحجرة ، وقد يفتت باستعمال المواد المتفجرة (الديناميت)^٣ ، وتستخرج صخوره من بعض المناجم صافية بيضاء كأنها البلور^٤ . مثل الملح المستخرج من (جبل الملح) بمأرب ، فإن ملحه كما يقال صاف كالبلور^٥ . وتشتهر (السلف) بوجود مناجم ملح فيها ، تقع على مسافة أربعين ميلاً الى الشمال من الحديدة . وتوجد في جزيرة (قران) المقابلة لهذا الموضع مناجم ملح ، وكذلك في (اللحية)^٦ .

والى وجود مثل هذه الصخور الملحية في كثير من أنحاء جزيرة العرب ، يجب أن يعزى ظهور قصص بناء القصور من الملح المنتشرة في كتب التاريخ والأدب .

ولما كانت أرض اليمن وأكثر الأنحاء الأخرى من الجزيرة ، لم تفحص حتى الآن فحصاً فنياً ، ولم تطأها أقدام الخبراء ، فمن الصعب التحدث عن مواطن المعادن فيها ، وعن أنواع التربة ، وأثرها في الحضارة الجاهلية . وقد وجدت مصنوعات حديد في اليمن ، عثر عليها في الخرائب والآثار

Sheba's, P., 103. ١

المصدر نفسه ص ١٩٨ ٢

كذلك ص ٩٩ ، ١١٤ . ٣

أيضاً ، ص ١١٤ ، ١٢٧ ٤

صفة ص ٢٠١ ٥

Scott, P., 114, 237. ٦

والأماكن العادية ، كما اشتهرت اليمن بسيوفها ، في الجاهلية وفي الاسلام ، غير أننا لا نعرف الآن المواطن التي كانت تستغل لاستخراج الحديد منها ، وقد ذكر الرحالة «نيبور» انه كان في «صعدة» منجم ، يستخرج منه الحديد ، وأن أماكن أخرى كانت تستغل لإنتاج هذه المادة^١ .

وذكر (الهمداني) من معادن اليمن الذهب والفضة ، وقال : انه كان يستخرج من (الرضواض) ولا نظير لفضته ، والحديد ، وكان يستخرج من (نقم) و (غمدان) و (فصوص البقران) ، وتستخرج من جبل أنس . و (فصوص السعوانية) وتستخرج من (وادي سعوان) جنب صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم وظليمة والجمش من شرف همدان ، وحجر (العشاري) ، وهو الحجر العشاري من عشار بالقرب من صنعاء ، والبلور، والمسني الذي تعمل منه أنصاب السكاكين والعقيق الأحمر ، والعقيق الأصفر من الهان والجزع الموشى والمسير ، والشزب تعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف وأنصاب سكاكين ومداهن وقحفة وغير ذلك^٢ . وعرفت اليمن بعقيقها الذي يقال له (عقيق يمانى) و (حجر يمانى) وهو (الجزع) (Onyx)^٣ .

وقد بقيت بعض المواضع المذكورة تستغل معادنها في الإسلام ، إلا أن تغير الوضع في جزيرة العرب في الإسلام وهجرة كثير من القبائل الى البلاد المفتوحة ، ووجود صناعات فيها ومعادن أثمانها أرخص من أثمان معادن الجزيرة ، ثم تقدم العالم بعد ذلك وظهور الثورة الصناعية ، كل هذا وأمثاله أثر في وضع التعدين وفي صناعة المعادن في جزيرة العرب ، فدثرها ، أو تركها مشلولة لا تعمل إلا في حدود مرسومة ضيقة وفي مجال محلي .

وليست دولة الحيوان في جزيرة العرب دولة ضخمة عظيمة ، وكيف تكون ضخمة وأكثر أرض الجزيرة عدو للحيوان ولكل ذي روح ؟ والجمل هو الحيوان الأليف الوحيد الذي استطاع بعناده وبصلابته على السير بجبروت وبتبخر فوق

١ Scott, P., 114, 237.

٢ صفحة ص ٢٠٢ فما بعدها .

٣ Scott, P. 237

رمال الصحارى ، غير عابىء بالرياح العاتية التي تزدرو الرمال في الأعين ، وتنقل أكواماً منها معها ، تكفي لدفن الجمل ومن عليه أو من معه ومع ذلك فإن هذا الحيوان الصبور العنيد . لم يتوقف أيضاً في تحطيم جبروت البوادي في كل مكان ، فظلّ بعضها أرضاً حراماً عليه وعلى السابلة، تحطم من يريد التجاوز عليها والاعتداء على استقلالها ، بأن تميته عطشاً ، فتفتح ذرات رملها الناعم ، وعندئذ تغوص قوائم الجمل فيها فيبقى في مكانه حتى ينفق .

والجمل ، هو أيضاً من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب ، وأعزّها . وقد صورّ في النصوص الآشورية ، عند ذكر معركة (قرقر) ومعارك أخرى ، وقعت بين العرب والآشوريين . وطبيعي أن يقرن الجمل بالبادية، وأن يجعل رمزاً لها، فليس لحيوان آخر القدرة على اجتياز البوادي واختراقها وتحمل مشقاتها وعطشها مثل الجمل . ثم انه مركب العرب ، يحملهم ، ويحمل تجارتهم وماءهم، وهو مموّنهم بالوبر لصنع البيوت حتى قيل للأعراب (أهل الوبر) ومنه يصنعون أكسية عديدة . ولبن الإبل ، هو لبن أهل البادية ، واذا احتاجوا الى لحم ، ذبحوا الجمل ، فأكلوه ، وأفادوا من جلده .

والجمل ثروة ، والثري العربي هو من يملك عدداً كبيراً من الإبل، وتقدر ثروته بقدر ما يملكه منها . وقد كان الجمل مقام (النقد) ، أي مقام الدينار والدرهم في الغالب ، فبعدد من الإبل يقدر مهر الفتاة ، وبعدد من الإبل تفضّ الديّات والخصومات . وهكذا يتعامل به كما نتعامل اليوم بالنقد .

ويرى العلماء أن الانسان ذلل الجمل حتى صيره أليفاً مطيعاً له في الألف الثانية قبل الميلاد^١ . وقد ذهب بعضهم الى أن العربية الشرقية كانت الموطن الذي ذلّل فيه هذا الحيوان في الشرق الأدنى ، استدلوا على ذلك باطلاق العراقيين القدماء على الجمل اسم (حمار البحر) ، وقالوا إن قصدهم من (البحر) الخليج ، وأن لفظة (الجمل) (جملو) (كَمَلُو) في (الأكادية) إنما وردت من بادية الشام ، ومعظم سكان البادية هم من العرب ، وقد كانوا يستعملون الجمل استعمال الناس للسيارات ولوسائل الركوب في هذا الزمن . وقد استعملوه في الألف

W. F. Albright, From the Stone Age to Christianity, Baltimore, 1948, PP., 107, 120, Reinhard Waltz, Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, 101, 1951, S., 29, ff., 1954, S., 47. ff., Discoveries, P. 35.

الثانية قبل الميلاد، فدخلوه من البوادي الى العراق هو دليل على أن العرب كانوا قد استخدموه أولاً^١ ومنهم انتقل الى العراق والبلاد الأخرى^٢.

ويرى (البريت) أن البداوة الحقيقية على نحو ما نعرفها اليوم من السكنى في البوادي والتنقل فيها من مكان الى مكان ، لم تظهر في جزيرة العرب إلا في أواخر النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، وذلك بتدليل الانسان للجمال وبزويضه له لخدمة أغراضه ، ففتح له بذلك أبواب البوادي، وتمكن من التوغل فيها واجتيازها بفضل جملة خادمه المطيع . أما ما قبل الجمل، فقد كان العربي لا يستطيع اجتياز البوادي واختراقها لأن حماره الذي كان واسطة الركوب عنده، لا يتحمل ولوج البادية ، ولا يستطيع أن يعيش فيها ، وأن يصبر عن شرب الماء أو الأكل صبر الجمل ، لذلك كان عرب الجزيرة في الألف الثانية ، وقبل وقت تدليل الجمل رعاة في الغالب ، وسائط ركوبهم الحمير ، ولم يكونوا قد طرّقوا البوادي أو توغلوا فيها توغل العرب أصحاب الوبر فيما بعد^٣ .

فالجمال اذن هو الذي فتح لأهل جزيرة العرب آفاق البوادي ، ووسع البداوة عندهم ، حتى جعلها عالماً خاصاً يقابل عالم الحضارة في الجزيرة . وهو الذي صار أهم واسطة لنقل الأموال بالطرق البرية الطويلة التي تربط أجزاء الجزيرة بعضها ببعض، وترتبط طرق الجزيرة مع الطرق الخارجية . وبفضل الجمل القادر على تحمل العطش والصبر على الجوع ، وعلى تحمل الصعاب صار في امكان العرب التنقل الى مسافات بعيدة من الجزيرة وحمل أثقاله معه . فاستخدام العرب له هو في الواقع ثورة كبيرة في ذلك العهد بالنسبة الى وسائط النقل والحمل وفي عالم التجارة والاقتصاد . ومن حق العربي اذا ما عبّر عن الغنى ان يعبر بكثرة ما عند الانسان من لابل .

وقد عرف الجمل بوجود غريزة الانتقام فيه ، وبعدم نسيانه أذى من يؤذيه، لذلك زعم أنه يبقى حاقداً على المسيء اليه حتى ينتقم منه ولو بعد زمن طويل . ويظن أن لتفسير اشتقاق اسمه دخلاً في ظهور هذه الفكرة ، فقد فسرت لفظة الجمل بأنها من فعل (كَمَلَ) (جَمَلَ) (كَامَلَ) (جَامَلَ) ، أي انتقم ، مع أنها تعني (حَمَلَ) أيضاً . وقالوا إن معنى (الجمل) (المنتقم) ،

١ BASOR., Num. 160, 1960, P., 42.

٢ Recoveries, P., 87.

وقالوا إنه سمي بذلك لأنه حيوان منتقم. ومن ثم وصف (أرسطو) و (أريان)،
الجمال بأنه حيوان لا ينسى الأذى ، سريع الانتقام . وقد يكون لأقوالهما ولأقوال
غيرهما في الجمال دخل في تكون هذه الفكرة عنه عند الناس حتى اليوم^١ .

الجمال المعروف في جزيرة العرب ، هو الجمال ذو السنام الواحد . وهناك
نوع من الجمال يقال للواحد منها (المهجين) ، وهو الجمال المضرب ، ويكون
أصغر حجماً من الجمال العربي الأصيل ، إلا أنه أسرع عدواً منه^٢ . وقد عدّ
الجمال عند العبرانيين من موارد الثروة والغنى كذلك ، ولذلك عدّ (أيوب)
من أغنياء زمانه لأنه كان يملك ألفي جمال ، وعد (المديانيون) (أهل مدين)
وهم من العرب ، أغنياء ، لأنهم كانوا يملكون عدداً كبيراً من الجمال^٣ .

وللجمال في العربية أسماء كثيرة . أما في العبرانية وفي اللغات السامية الأخرى،
فلا نجد فيها مثل هذه الكثرة . ويقال للجمال (كمل) و (بكرة) . وبراد
ب (كمل) الجمال . أما (بكرة) فالجمال الصغير . والجمال من أقدم الحيوانات
المذكورة في التوراة ، وذكر أنه كان لإبراهيم عدد كبير من الجمال^٤ .

وبالرغم من اشتهار جزيرة العرب بجمال خيلها ، وبتربيتها لأحسن الخيل ،
وبتصديرها لها . فإن الخيل في جزيرة العرب إنما هي من الحيوانات المهجنة
الدخيلة الواردة عليها من الخارج ، ولا ترتقي أيام وصولها إلى الجزيرة إلى ما
قبل الميلاد بكثير . قيل إنها وردت إليها من العراق . ومن بلاد الشام ، أو من
مصر^٥ ، وإن وطنها الأصلي الأول هو منطقة (بحر قزوين) . ولهذا لا نجد
في الكتابات الآشورية ، أو في (العهد القديم) أو في المؤلفات (الكلاسيكية)،
إشارات إلى تربية الخيل في جزيرة العرب، أو استعمال العرب لها في حلهم وترحالهم
وفي حروبهم .

وقد بقي العرب إلى ما بعد الميلاد ، بل إلى ظهور الإسلام ، لا يملكون
عدداً كبيراً من الخيل . وفي غزوات النبي ومعاركه مع المشركين ، كان عدد
الخيل التي اشتركت في المعارك محدوداً معدوداً ، مع أنها كانت مهمة جداً وعدة

١ قاموس الكتاب المقدس (٣٣٨/١) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٣٩/١) .

٣ القضاة ، الأصحاح السابع ، الآية ١٢ .

Hastings, 1, P., 344.

Sanger, The Arabian Peninsula, P., 77.

حاصمة في احراز النصر . وذلك بسبب قلتها اذ ذاك ، وعدم تمكن كل الناس من اقتنائها ، إلا من كان موسراً منهم، أو في حال حسنة . فقد كانت تكاليف الخيل كثيرة لا يتحملها إلا ذوو الدخل الحسن ، فالخيل في حاجة الى عناية ورعاية، وطعامها للمحافظة على صحتها يكلف باهظاً . فلا بد من تقديم الحشائش والحبوب لها ثم إن مجال استعمالها في البادية محدود لأنها لا تستطيع تحمل جوع الصحراء وعطشها تحمل الجمل ، كما أنها لا تستطيع السير في رمال البوادي المهلكة المتعبة مسافات بعيدة لهذا لم يقبل الأعرابي العادي على شرائها أو تربيتها في تلك الأيام ، فصارت من نصيب أهل اليسر والحال الحسنة ، يمتلكها ويعني بها من يملك السيارات في هذه الأيام . كثرتها عند الرجل علامة على ثرائه ووجاهته بين الناس .

ونظراً لسرعة الخيل وخفتها في الكر والفر ، صارت أهم سلاح لنجاح الغزو وإلحاق الأذى بالعدو ، يغير عليها المغير فيباغت خصمه بهجوم سريع خاطف ، فربكه ، ولهذا أخذت القبائل ، ولا سيما القبائل الساكنة في مضارب قريبة من الأرياف ومن الحضر ، تشتري الخيل وتعني بها للمحافظة على حياتها في الدفاع والمهجوم . وعدت القبائل بقوة ، هي التي تملك عدداً كبيراً من الخيل ، وصار للفارس مقام خطير في ذلك الزمن ، لشجاعته وصبره في الدفاع عن مواطنيه ، فهو بمثابة (الكومندو) في هذه الأيام .

واستعملت الخيل للتسلية واللهو واللعب ، فتسابق على ظهورها الفرسان في حلبات السباق ، وتراهن الناس على السباق ، ولعب الفرسان بعض الألعاب : ألعاب الفروسية وخرجوا على ظهورها للصيد ، فالصياد الراكب، أقدر من الصياد الراجل على مطاردة الصيد .

وفي القرآن ذكر للخيل كمصدر من مصادر القوة ، يرهب بها المسلمون أعداءهم ومصدر من مصادر الثروة ، ومصدر من مصادر الزينة وبهجة الحياة الدنيا^٢ . وفي الحديث ذكر لها كذلك وثناء عليها. وُعدت الخيول من الحيوانات

١ قاموس الكتاب المقدس (١٥٥/١ وما بعدها) .

٢ آل عمران ، الآية ١٤ ، الانفال ، الآية ٦٠ ، النحل ، الآية ٨ ، الحشر ، اية ٦ اسراء ، اية ٦٤ .

الشريفة الرفيعة في التوراة^١ ، وصورت على شكل خيول من نار فيها، تهبط على أعداء الرب لتنتزل بهم الهلاك والدمار^٢ .

أما البغال ، فلأنها من الحيوانات المعروفة بتحملها للمشقات ، وقدرتها على السير في المناطق الوعرة ، مثل الهضاب والأرضين المتموجة والجبال . وقد استعملت في الحمل وفي الركوب ، وهي تؤدي خدمات في هذه المناطق يعسر على الجمل القيام بها ، وقد يعجز عنها . أما هي ، فإن من الصعب عليها العمل في البوادي ذات الرمال ، كما أنها لا تستطيع الصبر صبر الجمل على تحمل الجوع والعطش أياماً متوالية عديدة ، لذلك لم يقبل عليها أهل البادية ، ولم يعتنوا بها .

وقد حرم قدماء العبرانيين على أنفسهم تربية البغال ، وأول من أباح ذلك وجوز لهم استعمالها هو (داوود) ، ومنذ ذلك الحين ، أقبلوا على تربيتها والاستفادة منها في أرض فلسطين^٣ . ويظهر ان قدماء العبرانيين لم يكونوا يعرفون البغال ، فلما وجدوها عند أمم وثنية غريبة عنهم ، كرهوا استعمالها فحرموها على أنفسهم ، حتى انتبه (داوود) لفائدها ومنافعها ، فاستعملها ، ثم قلده في ذلك بقية العبرانيين بالتدريج .

ويظهر أن البغال لم تكن كثيرة الاستعمال في جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام . فقد ورد في كتب السير ان (دلدلاً) ، بغلة النبي ، (أول بغلة رثيت في الإسلام أهداها له المقوقس ، وأهدى معها حماراً يقال له عُفَيْر)^٤ . وورد أيضاً : (أهدى لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بغلة شهباء فهي أول شهباء كانت في الإسلام)^٥ . وورد : (أهدى فروة بن عمرو الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بغلة يقال لها فضة)^٦ .

١ ايوب ٣٩ ، اية ١٩ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١٥٥/٢) .

٢ الملوك الثاني ، الاصحاح الثاني ، الاية ١١ ، قاموس الكتاب المقدس (١٥٦/٢) .

٣ اللاويون ١٩ ، ١٩ ، صموئيل ١٣ ، ٢٩ ، ١٨ ، ٩ ، الملوك الاول ، ٣٢١ ، ١٠ .

Hastings, P., 637. ٥٥ ، ١٨ ، ٢٥

٤ ابن سعد الطبقات (٤٩١/١) (طبعة دار صادر) .

٥ المصدر نفسه

٦ كذلك .

وورد في القرآن الكريم : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ... »^١ ، مما يدل على أن من الناس من استعمل البغال للركوب وللزينة . وقد كان من الإشراف والوجهاء من يتخذ البغال للركوب في الطرق الوعرة . أما من هم دونهم في منزلة ، فكانوا يتخذون الحمير .

وقد ورد في شعر لـ (بشر بن أبي خازم الأسدي) ما يفيد أن البغال كانت معروفة في بعض المواضع ، وأن أبوالها كانت ترك وقيعاً أي أثراً على الأرض^٢ . والظاهر أنه قصد بعض الأرضين الوعرة التي كان من الصعب على غير البغال السير بها ، وذلك مثل بلاد اليمن التي كانت تستعمل البغال للركوب ولرفع الأثقال .

والحمير هي أول واسطة للركوب وللحمل عند الحضر وأهمها ، هي للحضري مثل الجمال للبدوي ، وهي مركب مريح لا يسبب ازعاجاً ، ولا سيما إذا كان أثاثاً ، لأنها أهدأ وآمن من العثار . هذا ، إلى أنها صبور^٣ تتحمل المشقات ، ولعل صبرها وتحملها وسكوتها عند ضربها ، قد حمل كل الناس على وسمها بالبلادة . فشبه البليد بالحمار ، فإذا أريد تعبير شخص بالبلادة وعدم الفهم قيل إنه (حمار) . ليس ذلك عند العرب وحدهم ، بل عند غيرهم من الشعوب القريبة منهم مثل العبرانيين ، والبعيدة عنهم . فشهرة الحمار بالبلادة شهرة عالمية^٤ . ويقال للحمار (حامور) (Hamor) في العبرانية . أما الأثني ، فلإنها (أثون) (Athon) أي (أثان) في العربية . وأما الحمار الصغير ، وهو ما يقال له (الكر) أو (الجحش) ، فإنه (عير) (Ayir) في العبرانية^٥ .

ويظهر من ملاحظات بعض الباحثين أن الحمار في جزيرة العرب هو أقدم عهداً من الجمل ومن الخيل والبغال ، إذ كان واسطة الركوب والنقل في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد . فلما حل الجمل محله خفف من واجباته وأعماله ، وصار عند العرب في منزلة هي دون منزلة الجمل بكثير .

١ النحل ، الآية ٨ .

٢ وقد جاوزن من غمدان أرضاً لا بوال البغال بها وقيع وفي بعض الكتب (عيدان) في مكان (غمدان) ديوان بشر (ص ١٣٢) .

٣ Hastings, P., 59.

٤ Hastings, P., 59.

والبقر من الحيوانات القديمة في بلاد العرب ، وهي من الحيوانات الملازمة لأهل الحضر في الغالب، ولا سيما لأهل الريف ، أما الأعراب فإن استفادتهم منها غير ممكنة وتكاليدها كثيرة بالنسبة إليهم ، ثم لأنها لا تستطيع تحمل طبيعة البادية ، لذلك لم يقبلوا عليها ، ولم يعتنوا بتربيتها ، بل ربما نظروا إلى أصحابها نظرة ازدراء وعدم احترام . ويستفاد من ألبانها ومن لحومها وجلودها ، كما يستفاد منها في حرث الأرض ، وفي سحب الماء من الآبار ، وفي جر العربات . وقد عثر على ألواح مكتوبة بالمسند وعليها صور ثيران تقوم بحراثة التربة لتهيئتها للزراعة .

والأغنام ، هي المادة الرئيسية لتأمين الناس باللحوم والصوف . تربى في كل أنحاء جزيرة العرب ، ويستفاد من ألبانها كذلك . أما (المعز) فيربى في المناطق المتوجة ، أي ذات التلال ، وفي الأرضين الجبلية بصورة خاصة . ويستفاد منها مادة للحوم وللحليب وللجلود ، ويستعمل شعرها للخيام السود المصنوعة من شعرها في تلك الأزمنة^١ . ولكن هذه الأنواع من الماشية، لا تستطيع العيش في البادية ، لذلك كانت من نصيب أهل المدن وحدهم . أما أهل الوبر الضاربون في البادية فلأن ماشيتهم الوحيدة الإبل .

وعرفت جزيرة العرب الأسد ، الذي قلّ وجوده فيها في الإسلام ، ويظهر من كثرة أسمائه في اللغة ومن ورود اسمه في الشعر الجاهلي ، أنه كان كثيراً فيها ، وقد اشتهرت أماكن خاصة منها بكثرة أسودها حتى قيل لها (مأسد) والواحدة (مأسدة) . ومن هذه الأماكن (عثر) ، وإليها نسبت (أسود عثر) ، و (عتود) وهي قرية نسبت إليها الأسود كذلك^٢ . وقد عرف الأسد بشدة بطشه وبقوته وبسيادته على سائر مملكة الحيوان في القوة، ولهذا لقبوا الشجاع الذي لا يقهر أسداً .

أما بقية الحيوانات المعروفة باسم الحيوانات الوحشية ، أي التي لم تألف الإنسان ، فمنها النمر^٣ والفهد والثعلب والذئب والقط الوحشي والضبع والبقرة

١ Hastings, P., 906.

٢ المخصص (٥٩/٨ فما بعدها) ، صفة (٥٤) ، Moritz, S, 40., f., Noldeke, in, Zdmg, 49, 713, f.

٣ صفة (٢٠٢) .

الوحشي^١ ، أو الرثم والحجار الوحشي ، وقد كان الجاهليون يصطادونه ويأكلونه عند الحاجة ، حتى حرمه الإسلام ، والنعام^٢ والغزال والضَّبّ ، وله ذنب معقد ، ويأكله الأعراب . والورل والوزغ ، والبربوع ، والقنفذ . ولا تزال مواضع من اليمن والحجاز وحضرموت تحتضن قردة تتيه وحدها على الجبال والمرتفعات ، فخورة بأنها من نسل تلك القردة التي عاشت قبل الإسلام بأمد طويل .

وعرف العقاب والبازي والنسر والصقر والبوم من بين الكواسر التي تنقض على الطيور الضعيفة والهوام فتعيش عليها ، والغراب بأنواعه معروف في جزيرة العرب وله قصص في الأساطير العربية، ولهذا الطائر قصص في الآداب الأعجمية كذلك ، لها علاقة كما هي عند العرب بالتفاؤل والتشاؤم بصورة خاصة وكان من الحيوانات التي تركت أثراً في أساطير الشعوب القديمة وما برح الناس بتطيرون من نعيمه . ولهدهد المذكور في القرآن الكريم ، من الطيور الجميلة المحبوبة ، وهناك أنواع عديدة من الحمام والعصافير والققط والعنادل ، وغيرها من الطيور الجميلة ولبعضها أصوات جميلة أخاذة ساحرة ، كما أن لبعضها ألواناً زاهية .

والجراد ، وإن كان طعاماً شهياً لكثير من البدو ، بلاء على أهل الحضر يأكل زرعهم ويأتي على ما غرسوه فتحل بهم المجاعة ، ويزيد في قساوة الطبيعة على الإنسان . ولذلك عد نقمة توجهها الآلهة على البشر ، وتعبيراً عن الغضب الإلهي على الخارجين على طاعة الآلهة، ولما كان يحدثه من أضرار بالزرع والأثمار والأشجار^٣ .

والعقارب ذات أحجام وألوان ، وهي تلدغ من تصيبه فتؤذيه وتؤلمه إيلاماً شديداً ، وهي مثال الحق والظلم عند العرب ، فيضرب المثل بطبيعتها ، على عكس الأفاعي والحيتات ، مع أنها مؤذية كذلك ، وقد تمت من تلدغه . والسبب في ذلك أنها أكبر حجماً من العقرب ، وفي استطاعة الإنسان رؤيتها وتجنبها ، ثم إنها لا تقدم على الإنسان ولا تلدغه إلا إذا شعرت أنها في وضع

١ Moritz, S, 42, Wellhausen, Heder der Hudhalliten, no., 175, 176.

٢ Euting, 1, 230, Moritz, S, 42.

٣ الخروج ، الإصحاح العاشر ، الآية ٤ وما بعدها ، مزامير ، المزمور ٧٨ ، الآية ٤٦ ، ١٠٥ ، الآية ٣٤ ، قاموس الكتاب المقدس (١ / ٣٢٢) .

خرج مخيف بالنسبة اليها . ولهذا ورد في الأمثال : « نحو العقرب لا تقرب ، نحو الحية افرش ونم » ، وزعم أن العقرب عمياء مع أنها ترى مثل سائر الحيوانات . ولكن صغر حجمها ولونها الذي يقرب من لون التراب ، وكثرة وجودها في البيوت ، هي عوامل تجعل الانسان لا يميزها بسهولة ، ولا يشعر بها إلاّ وقدمه عندها أو فوقها ، فتلدغه عندئذ دفاعاً عن نفسها ، كما يفعل أي حيوان آخر باستعمال ما عنده من وسائل الدفاع عن النفس .

وقد تركت الأفاعي والحيات أثراً كبيراً في القصص العربي . ولما كان بعضها كبير الحجم ، يقفز على من يهاجمه بسرعة خاطفة ، أفرع الناس في البوادي والأودية ، وترك في مخيلاتهم آثاراً باقية لا تنسى . جعلهم يربطون بين الحيات والأفاعي والعقارب ، وبين الجن « الجان » ، بأن جعلت فصائل منها .

وتعيش في الرمال وفي الغابات وبين الصخور ، فصائل من الحيات مختلفة الأحجام ، بعضها صغير ، يقفز قفز بعض السمك فوق سطح البحر ، أو الهوام وبعض الحشرات فوق سطح الأرض . فلا يشعر المار إلاّ وأمامه حية قافزة تفزعه وترعبه . وقد طار صيتها وانتشر خبرها خارج حدود جزيرة العرب ، فوصفت بلاد العرب بكثرة الحيات الطائرة ، حتى زعم أن لبعضها أجنحة ، وأنها ذات ألوان متعددة ، وكون وجودها قصصاً في تخيلة الآشوريين واليونان والرومان ، نرى أثره فيما ذكره « هيرودتس » و « سترابو » عن تلك الحيات^١ .

وقد فزع جيش (أسرحدون) في أثناء اختراقه البادية من كثرة الثعابين والحيات التي كانت تشور عليهم وتقفز أمامهم كما يقول نص «أسرحدون» . وذكر أن من بينها ثعابين ذات رأسين ، وأن من بينها ما له جناح فيطير . ولما مرّ الجيش بأرض (بوزو) (بازو) (Bozu) (Bazu) ، وجد الأرض مغطاة بالثعابين والعقارب ، وهي في كثرتها مثل الذباب والبعض^٢ . والظاهر أن البوادي كانت منازل طيبة للثعابين . وقد تذر الاسرائيليون من « الثعابين الطائرة » وفزعوا منها عندما كانوا يقطعون البوادي والفيافي في طريقهم الى

١ Herodotus, III, 107, 113, Strabo, XVI, 4, 19, 25.

Rogers, Cunelform parallels to the Old Testament, P., 359, Luckenbill, II, ٢ 209, 229, Montgomery, Arabia and the Bible, PP. 8.

فلسطين^١ . وقد أفزعت السياح المحدثين والمستشرقين ، ومنهم «لورنس» الذي هاله ما رأى من كثرة الثعابين في الأماكن التي نزل بها وفي جملتها «وادي السرحان»^٢ .

والسمك هو من أهم موادّ العيش لسكان سواحل الجزيرة ، يعيشون عليه ويبيعونه لحماً جافاً ويصدرونه الى الأماكن البعيدة ويحملون الطري منه الى الأماكن التي لا تبعد كثيراً عن الساحل . ويجفف ويدق ليكون طعاماً عند الحاجة اليه ، كما يكون طعاماً لحيواناتهم كذلك . ولا يزال سكان السواحل يصيدون السمك بالطرق التي تعود أهل الجاهلية استعمالها في السمك . ويأتي سمك (السردين) أي السمك الصغير في مواسم الشتاء الى السواحل بكثرة ، فيصاد بسهولة وتغذى به الحيوانات . وطالما تنبعث الروائح الكريهة ويترآكم الذباب بدرجة منفرة من تكدس الأسماك المعرضة للشمس لتجفيفها ، فتكون من شر الأماكن لمن لم يعود دخولها .

ومن أنواع السمك الكبير الذي يوجد في البحر الأحمر وفي البحر العربي والخليج ، نوع يقال له (القرش) ، يحتاج صيده الى مهارة وبراعة ، ويحمل لبيع لحمه مقطعاً في الأسواق .

وقد اشتهرت اليمن والطائف في الحجاز ومواقع أهل الحضر الأخرى بدباغة الجلود ومعالجتها لتحويلها الى مادة نافعة لصنع الأحذية أو الدلاء أو القُرَب وما شابه ذلك . وقد تصدرّ الجلود مدبوغة أو غير مدبوغة ، الى العراق أو إلى بلاد الشام لبيعها هناك .

ولست لدينا في الزمن الحاضر دراسات علمية دقيقة عن أنواع الحيوانات التي عاشت في جزيرة العرب في العصور السحيقة لما قبل الإسلام . فما عثر عليه من بقايا عظام قديم ، أو أصداف ومحار ، هو قليل لا يكفي لاعطاء أحكام علمية عن حيوانات جزيرة العرب في العصور البرنزية والحديدية والحجرية ، أو ما قبل هذه العصور التاريخية . فليس لنا الا الانتظار ، حتى تأتي الفرص الملائمة التي يقوم فيها العلماء المتخصصون بالتجوال في مختلف المناطق بحثاً عن آثار عظام

١ العدد ٢١ الآية ٢٤ وما بعدها ، اشعيا ، ٣٠ ، الآية ٦ .

٢ Colonel Lawrence, Revolt in the Desert, P., 93, G. Jacob, Studien in Arab. Dichtern, Heft, 1, S., 93, Heft, 4, S., 10, Montgomery P. 9.

وهياكل ، تكشف القناع عن ذلك العالم الحي ، الذي عاش في هذه البقاع قبل آلاف السنين .

وإذا كان الجمل ، هو رمز جزيرة العرب ، لالتصاقه بها ، فإن النخيل هي رمز آخر لها ، وكتاية عن أهم حاصل ومنتوج زراعي تصدره تلك البلاد ، ولهذا صارت رمزاً لها . وصار (التمر) ، عند كثير من المسلمين من أهم ما يتناولونه في شهر رمضان ، للافطار به ، لأنه رمز الإسلام ورمز المدينة التي عاش وتوفي فيها الرسول .

وكما أفاد الجمل أهله الفوائد المذكورة المعلومة ، من ناحية حمله ولحمه وجلده ووبره ، كذلك أفادت النخلة سكان جزيرة العرب فوائد عديدة ، حية وميتة ، أفادتهم في تقديم ثمرة صارت إداماً للعرب ، وطبياً يستطبون بها لمعالجة عدد من الأمراض . ومادة استخرجوا منها دبساً وخرأً وشراباً ، وأفادهم كل جزء من أجزائها ، حتى أنهم لم يتركوا شيئاً من النخلة يذهب عبثاً . فهي اذن رمز الخير والبركة بكل جدارة وحق لأهل جزيرة العرب ، لا يدانيها في ذلك أي نوع من أنواع النباتات النامية في هذه البلاد .

وكائن له هذه الفوائد والمنفعة ، ينمو ويثمر بسهولة ويسر ، لا بد أن يثمن ويقدر ، ويميز على غيره . ولهذا صارت النخلة سيدة الشجر ، لا عند العرب وحدهم بل عند قدماء الساميين أيضاً ، وأحيطت عندهم بهالة من التقديس والتعظيم^١ . وزخرفت معابدهم بصورها واستعمل سعفها الأخضر في استقبال الأعياد والأبطال والملوك وكبار الضيوف ، لأنه علامة اليُمن والبركة والسعادة والفرح . ولا يزال السعف زينة تزين بها الشوارع في المناسبات العامة المهمة حتى اليوم . وقد عثر على صورها وصور سعفها على النقود القديمة وفي جملتها نقود العبرانيين الذين يحترمون النخلة احتراماً لا يقل عن احترام العرب لها ، ولهذا ورد ذكرها في مواضع عديدة من التوراة والتلمود^٢ .

والنخيل ، هي مثل الجبال ثروة ورأس مال يدور على صاحبه ربحاً وافرأ . ومن كان له نخل وافر كان غنياً ثرياً . وقد ربح يهود الحجاز أرباحاً طائلة من

١ Hastings, P., 876.

٢ اللاويون ، ٢٣ ، ٤٠ ، نحميا ، ١٥،٨ ، المكابيون الاول ، ١٣ ، ٥١ ، Hastings, P., 876.

اشتغلهم بزراعة النخيل هناك . فالتمر هو مادة ضرورية للأعرابي يعيش عليها ويأتمد بها ، واذ هو لم يكن يفلح ولا يزرع ، كان يشتريه مقايضة في الغالب من تجار التمور ، فيكسب أصحاب النخيل أرباحاً طائلة من بيعهم التمور . ولا يوجد مكان في جزيرة العرب فيه ماء ، إلا والنخلة هي سيدة المزروعات فيه ، بل تكاد تكون النبات المتفرد بالزرع في أكثر تلك الأمكنة . لا يزاحمها نبات آخر من النبات .

والنخلة هي من أقدم الأشجار التي احتضنها الساميون ، ولعل الفوائد التي حصل الساميون عليها من هذه الشجرة ، هي التي حملتهم على تقديسها وعدّها من الأشجار المقدسة ، فنجد النخلة مقدسة عند قدماء الساميين وعدّوا ثمرها وهو التمر من الثمار المقدسة التي تنفع الناس^١ .

أما الكروم ، فقد غرست في مناطق من الجزيرة اشتهرت وعرفت بها مثل الطائف واليمن . وأما الأشجار المثمرة الأخرى مثل الرمان والتفاح والمشمش وأمثالها ، فقد غرست في مناطق عرفت بالخصب ، ويتوافر الماء فيها ، ويميل أهلها الى الزراعة والاستقرار ، مثل مدينة (الطائف) مصيف أهل مكة منذ الجاهلية ، واليمن . وقد ذكر أن الكروم دخلت الى بعض المناطق حديثاً، فورد أنها دخلت الى (مسقط) مثلاً في القرن السادس عشر للميلاد ، على أيدي البرتغاليين^٢ ، ودخلت الى الحجاز في القرن الرابع بعد الميلاد غريبة من بلاد الشام . ويرى بعض الباحثين أن النبط واليهود كانوا الوسطاء في نقل الأشجار المثمرة الى الحجاز^٣ .

أما أشجار ضخمة تمد الناس بالخشب على نحو ما نجده في الهند أو في إفريقية ، فلجفاف الجزيرة لا نجد فيها مثل تلك الأشجار . لذلك استورد العرب خشب سفنهم ومعابدهم وبيوتهم من الخارج في الغالب ، من إفريقية ومن الهند ، خلا الأمكنة القريبة من الجبال والمرتفعات التي يصيبها المطر ، وتصطدم بها الرطوبة ، فقد نبتت فيها أشجار كونت غابات وأيكات ، أفادت من في جوارها ، إذ

١ Hastings, P., 875.

٢ جان جاك بيربي ، جزيرة العرب (٢٠٥) ، وفي هذه الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٦٠ ببيروت ، اغلاط كثيرة في ضبط الاعلام .

٣ حتى (٢٢) .

أمدتهم بما احتاجوا اليه من خشب لاستعماله في مختلف الأغراض . وقد كانت منطقة (حسمى) وأعالي الحجاز ذات غابات ، وقد تعبد أهلها لإله اسمه (ذو غابة) ، إله الغابات ، كما كست الأحراج الطبيعية والغابات جبال اليمن وجبال حضرموت وعمان .

وما زال أهل العروض ولا سيما سكان الخط ، يستوردون أخشاب سفنهم من الهند ، لعدم وجود الخشب الصالح لبناء السفن عندهم أو في أماكن قريبة منهم . وهم في ذلك على سنة أجدادهم الذين عاشوا قبل الإسلام بل قبل الميلاد، يذهبون بسفنهم الشراعية الى سواحل الهند وسيلان تحمل اليها التمور وحاصلات جزيرة العرب والعراق وتعود بهم محملة بحاصلات الهند ومنها الخشب الثمين للاستفادة منه في بناء السفن ولاستعماله في المعابد الضخمة المهمة وفي قصور الملوك .

والسدر من الأشجار المعروفة في جزيرة العرب ، وترتفع شجرته أمتاراً عن سطح الأرض، وتكون ظلاً بقي من يجلس تحته لطيب الشمس ووهجها المحرق . وتكون له ساق قوية متينة . وهو لا يحتاج الى سقي دائم ، لأن جذوره تمتد عميقة في باطن الأرض ، فتمتص الرطوبة ، ويعطي ثمرأ هو (النبق) ، ويستعمل ورقه استعمال الصابون في تنظيف الجسم .

وأشجار مثل السدر ذات ارتفاع وظل ، وهي أشجار ذات نفع كبير لأهل البلاد التي تغلب عليها طبيعة الجفاف ، لا يمكن أن يقدر أهميتها وفائدتها الا من ركب الصحراء في يوم حار ، ثم جاء فجأة فجلس تحت ظل شجرة تقيه وتقي حيوانه من لهب الشمس ، سرى نفسه في جنة وسط جهنم . فلا عجب اذا ما عبد بعض العرب وبعض الساميين مثل هذه الأشجار ، وتقربوا اليها بالنذور والقرابين ، وتوسلوا اليها ، أو عدّوها من الأشجار المقدسة ، من الأشجار المباركة ، من أشجار طوبى ، الأشجار التي وعد بها المتقون في الجنة .

وقد عبد قداماء العبرانيين بعض الأشجار المثمرة ، وعدّوها إلهة أنثى ، لا إلهاً ذكراً ، وذلك لخاصية الحمل التي فيها ، وقد تصوروا أن للقمر أثراً في حمل تلك الأشجار ، أي في اعطاء الثمرة^١ .

1 A Religious Encyclopaedia, or Dictionary of Biblical, Historical, Doctrinal, and Practical, Theology, by Philip Schaff, Vol., 2, P., 916.

وقد ذكرت أسماء بعض الفواكه والأثمار والأشجار في القرآن الكريم ، ويدل ذلك على وجودها في الحجاز ، واستعمال الناس لها ، ووقوفهم عليها ، مثل التين والزيتون والأعناب والطلح والسدر والرمان وعلى وجودها وزرعها في الحجاز ، قبل الإسلام بأمد . ولم يكن الحجاز مثل اليمن وحضرموت في كثرة الأشجار والفواكه ، وذلك لخفاه بالقياس الى جو العربية الجنوبية الذي ساعد على نمو الأشجار .

والأثل والأراك والغصن الذي يستخرج منه الفحم ، والمعروف بجمره ، و (السنط) ، والسمح ، و (الصعتر) ، وأمثالها ، هي من الأشجار التي لا تزال تنمو وتعيش في مواضع متعددة من الجزيرة ، وبعضها في الأقسام الغربية والجنوبية حيث تنمو وتنتب على المرتفعات ، يستخرج منها الناس وقوداً ، أو ثمراً برياً يأكلونه ، وقد يستفيدون من ورقه فيجففونه ويسحقونه فيبيعونه .

وأما الحبوب والخضر والبقول ، فمحتاج كلها الى سقي ، لهذا انحصرت زراعتها في الأماكن التي تتوافر فيها المياه أو تتساقط عليها الأمطار في المواسم المناسبة . لذلك نجد في الحجاز وفي اليمن وفي العربية الجنوبية وفي مواضع المياه من نجد والعروض . والحبوب هي الحنطة والشعير والذرة والأرز، وسأحدث عنها وعن بقيتها في باب الزراعة عند الجاهليين . وبعض الخضر ، مستورد من الخارج ، أدخل من العراق أو من بلاد الشام أو من إفريقية والهند ، فالبطيخ مثلاً المعروف بـ (الخربز) عند أهل المدينة مستورد كما يدل عليه اسمه الفارسي من العراق : استورد قبل الإسلام بأمد . ويمكن الاستدلال من أسماء الأثمار والخضر ، ومن دراسة توزيعها وأماكن وجودها، على الأماكن التي جاءت منها ، فدخلت جزيرة العرب قبل الإسلام .

أما (البخور) واللبان — بترول العالم في ذلك الزمان — والصمغ والمرّ والمنتجات الزراعية الأخرى التي اشتهرت بها العربية الجنوبية ، وكانت مصدر رخائها ، ومصدر تنافس الدول الكبرى عليها في ذلك الزمان ، فقد زالت أهميتها بالتدريج ، وذهب أثر سحرها بتبدل الأيام . و (ظفار) والمناطق الأخرى ، وإن كانت لا تزال ترى أشجار البخور تنبت على الفطرة حتى اليوم ، قد زالت دولتها الآن ، فلا تأتي للسكان بالذهب والفضة ، فقد تغير ذوق العالم، وتبدلت تجارتها ، وصار يفتش عن الذهب الأسود ، منتوج الطبيعة في باطن الأرض .

وفي هذه المواضع من العربية الجنوبية وفي الأودية وحافات الهضاب والجبال التي كانت تنبت بها تلك المواد الثمينة ، والتي لا تزال تنبت على الطبيعة، تشاهد كهوف ومغاور غربية وآبار وكتابات جاهلية بالمسند ، وآثار مقابر تتحدث كلها عن قوم كانوا قد استوطنوا هذه الأماكن قبل الإسلام بزمان طويل^١. أما الآن، فهي خرائب ، ترجو من الأحياء توجيه نظرهم إليها لإحيائها ولاستنطاق آثارها وكنوزها لتحديثهم عن ماضيها القديم .

وقد حبت الطبيعة اليمن بمزية جعلتها تحتضن كل النباتات المذكورة ، وتنبت أكثر أنواع المزروعات ، وذلك بانعامها عليها بجبال وبمرتفعات وبمنخفضات حارة رطبة ، هيأت لها ثلاثة جواء ، تنتج محاصيل ثلاثة أنواع من المناخ : منتج المناخ المرتفع البارد ، ومنتج المناطق المعتدلة ، ومنتج المناطق الحارة .

وقد عرف أهل اليمن الأذكياء كيف يستغلون تربتهم ، فعملوا مدارج على سفوح جبالهم وعلى المرتفعات ، أصلحوا تربتها ، وذلك لحصر مياه المطر عند نزوله ، ضماناً لدخوله التربة وإروائها ، وزرعوا تلك المدارج أو السلاالم العريضة بمختلف المزروعات وذلك قبل الإسلام بأمد طويل ، فأمنوا بذلك خيراً وأفرأ لهم ، جعل اليمن من أسعد بلاد جزيرة العرب ، فهي العربية السعيدة والعربية الخضراء بكل جدارة ، وهي موطن الحضارة وأرقى مكان نعرفه في الجزيرة في أيام ما قبل الإسلام .

ومن النبات ما هو دخيل استورد من الخارج، من العراق أو من بلاد الشام ، وقد احتفظ قسم منه باسمه الأعجمي القديم . ويظهر أن بعضه قد دخل بعد الميلاد . وقد يكون من المفيد دراسة نبات جزيرة العرب قبل الإسلام ، لمعرفة الدخيل منه وكيفية وصوله إلى الجزيرة ، كما يستحسن دراسة الكتابات الجاهلية لاستخراج ما ورد فيها من أسماء النبات .

وأما البوادي فإن ظروف الخصب والماء فيها محدودة ، تركزت في مواضع المياه وفي الأماكن الرطبة التي تكون المياه الجوفية فيها على حافة القشرة ، وفي أعقاب الأمطار ، حيث تخضر الأرض وتلبس حلة خضراء سندسية جميلة، لكن لبسها لا يدوم طويلاً ، فسرعان ما تمزقها الرياح الجافة والأهوية الحارة، فتقضي

Sanger, The Arabian Peninsula, P., 126. ١

عليها وتظهر حقيقة ما تحتها من تربة جافة عبوس، لا مكان للنبات فيها ولا مجال لزرع فيها في مثل هذه الظروف .

والواحات ومواضع الآبار والمياه في البوادي ، هي رحمة للانسان حقاً، ومنظر تقرّ به العين . فالواحة في البادية ، لؤلؤة وكنز وجنة وسط جحيم ، لا يدرك جلالها ولا يعرف قدرها إلا من اضطر إلى ركوب البوادي وتعرض لرياح السموم ووهج الشمس وعواصف الرمال تستقبل الأوجه بلبرات الرمل الناعمة ، تهاجم العيون والأنوف والأفواه، وتضطر حتى الجمل إلى البطء في سيره وإلى التوقف ، ثم تأتي على ما لدى الإنسان من ماء حرص على حل أكبر كمية يستطيع حملها للوصول إلى مكانه المقصود لضمان حياته في هذه البادية وحياة حيوانه الذي هو فيها جزء من حياته أيضاً . ولولا الآبار والواحات في هذه البوادي ، لما كان من الممكن طرقها وسلوكها ، ولما كان الدمار والمهلك .

وفي هذه المواضع التي حبتها الطبيعة بـ (إكسير الحياة) يستعيد المسافر نشاطه ويتجدد أمله ، ويسترد قواه ، يعطيه ماؤها قوة تعيد إليه كبريائه وعظمته وجبروته ، ثم تنسيه كل ما تعرض له من مصاعب ومشقات ، وما أبداه من عجز وضعف تجاه القوى الخفية القادرة المهيمنة على الصحراء . وعندئذ يتذكر حكمة : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »^١ . ويشعر ببحر الماء والخضراء ، يسحر هذه الأشجار والشجيرات والأعشاب النامية في هذه التربة بفضل (إكسير الحياة) . ومهما كان الانسان في هذا المكان من السداجة والبلادة والجهل ، فلا بد أن يستولي عليه شعور من حيث لا يشعر بعظمة سحر هذا المكان .

أما الغرباء الذين يعجبون من تقاتل العرب فيما بينهم على موضع صغير فيه بئر أو بركة ماء أو عشب ، فإنهم سيدركون سر هذا التقاتل في حياة أهل البادية لو كلفوا أنفسهم يوماً اجتياز تلك البوادي الواسعة العابسة . عندئذ فقط ، يدركون أن ذلك القتال الذي وسم أهل البادية بسمة حب الغزو والغارات لم يكن سببه فردية وأثانية ، وإنما غريزة انسانية تثبت في كل انسان متى عاش في هذه الظروف القاسية العابسة الفقيرة . إنها غريزة المحافظة على الحياة .

ولا غرابة بعدُ إذا ما تغنى العربي بمواضع المياه والبادية بعد نزول الغيث

١ الانبياء ، الآية ٣٠ .

عليها ، واذا ما أظهر الحنين إليها ، وتوجع في شعره وفي غنائه على الليالي المقمرة يقضيها في باديته يتأجج سماءه الصافية ونور قره الساطع يغازله ويوحى اليه ، ويرسل اليه النسمات العليقة ، والى جانبه حبيته . يذكر حسه هذا في شعره وفي غنائه وفي موسيقاه ، حتى ليبدو للغريب ، وكأن ما يقوله العربي ويحس به نغمة واحدة ساذجة مكررة تعاد وتعاد من غير معنى ولا مسبب . ولكن حسه هذا حس الصحراء ، وليس في الصحراء غير نغم واحد ، ترنم به الطبيعة ، فلما هدوء شامل ، ولما نسمة واحدة عليقة مستمرة ، ولما عواصف رملية ، اذا هدأت عاد الى الصحراء هدوؤها المعهود .

ومناخ جزيرة العرب - على العموم - حار شديد الحرارة ، جاف ، إلا على السواحل ، ولا سيما في التهائم ، فإن الرطوبة تكون عالية فيها، ولهذا يتضايق الناس من أثر الحر فيهم ، مع أن الحرارة ذاتها فيها لا تكون عالية كثيراً ، وإنما مبعث هذا التضايق هو من الرطوبة المصحوبة بالحرارة ، ولهذا صار بعض مواضع التهائم من شر الأمكنة على وجه هذه الأرض .

ولهذا الجو الرطب الحار أثر في حالة الناس ، في صحتهم وفي نشاطهم . فانتشرت الأمراض في الأماكن التي تكثر فيها السباخ والمستنقعات ، وفكت بالناس ، وتكدس فيها الذباب وتجمعت الحشرات للملاءمة مثل هذه الأجواء لمعيشة هذه المخلوقات .

ولهذا السبب المذكور ، عاشت في هذه الأرضين ونمت النباتات التي تألف المناطق الحارة الرطبة ، والأعشاب التي تعيش على المستنقعات وفي الأرض الرطبة، من حشائش وقصب وأعشاب .

أما في الداخل ، فإن الحرارة فيها تكون جافة ، ولهذا فإنها لا تكون حديدية الطبع ، على نحو حر السواحل . ويتلطف الجو في الليالي في النجساد ، فيكون الليل رحمة للناس ينسيهم قسوة النهار وشدة حرارته ، وفقر الحياة ، لا سيما إذا كمل القمر ، وصار قرصاً يسحر الناظرين . فإن سحره يكون عاماً ، يشمل الغني والفقير ، ويبعث في النفوس الرقة والحنان ، ويشير فيها عواطف الشجن المنبعثة من قسوة الحياة وشحها وفقر الأرض ، فتأخذ النفوس الرقيقة في مناجاته بقيثارة بسيطة ذات ثقب ، ينفخ فيها لتخرج منها أصواتاً تسمع القمر فعلى سحره في نفس الانسان المعذب في النهار المحروم من طيب الحياة التي ينعم بها

أهل الأرضين الآخرون ، أو بآلات بسيطة أخرى صنعوها بأيديهم لتعبر أناملهم وأوتار آلاتهم الساذجة عن إحساسهم الحزين، ثم لا يكتفي أصحاب هذه النفوس الرقيقة في الغالب بإرسال نغمات الحس العميق من آلة ، بل يقرنون تلك النغمات الحزينة بنغمات بشرية تنطق بما في قلب الإنسان من حس وألم دفين ، يوحيه إليه ألم الحرمان ، ودغدغة النسيم العليل ، وسحر القمر وتلاؤف مصابيح السماء . فتخرج نغمات شجية حزينة ، تعاد وتكرر، لتسيح السماء على هذا الجبال الساحر ، ولتفسر للسامع نوع الحياة في هذه البقاع التي وهبتها الطبيعة عاطفة عميقة ، وسحراً فائناً في الليل ، وحرمتها خيرات الدنيا في أثناء النهار ، ولتخبره بهذه النغمات المعادة أن الحياة هنا بسيطة لا تعقيد فيها ولا التواء وأنها معدودة ومحدودة، وعودة وتكرار .

وقد يعجب الغريب من تغزل العرب بـ (ريح الصبا) ، ومن مدحهم لها الى حد بلغ الإفراط ، فليس في أشعار العالم ، ولا في نثرهم ، شعر أو نثر فيه هذا القدر من التغزل بريح من الرياح . وقد لا يفهم الغريب أي تعليل يقدم اليه ولا يقبله ، وخير جواب يقدم اليه هو حضوره بنفسه الى جزيرة العرب للاستمتاع بلذة (الصبا) في ليلة مقمرة من ليالي الجزيرة ، وسيعرف عندئذ سحر دلال (الصبا) وسحر تغزل العرب بها ، على عكس (السموم) ، التي تشوي الوجوه ، وتعمي العيون ، فتجعل الشعراء يلعنونها ، والناس يتذكرون ثقلها وشدها عليهم وما ألحقته بهم من مهالك وأضرار .

والمطر هو غوث ورحمة لسكان جزيرة العرب ، يبعث الحياة للأرض ، فتنبث العشب والكلأ والكمأة والأزهار ، ويحول وجهها العابس الكئيب الى وجه مشرق ضحوك ، فيفرح الناس وتفرح معهم ماشيتهم ، ويخرج أهل الحضر الى البادية للتمتع برؤية البساط الأخضر المطرز بالأزهار ، وللإستمتاع بالمنظر الساحر الذي كسا الريع به وجوه البوادي ، ولصيد الغزلان والحيوانات الأخرى التي جاءت هي أيضاً من مآويها لتشارك الطبيعة في فرحتها ، ولتشبع نفسها بعد جوع وعطش . وتفرح الإبل ، ويدرب لبنها ، ويكثر نسلها ، وتتضاعف بذلك ثروة أصحابها ، ويسير الجمل متبختراً فخوراً بنفسه معتزاً ، بطراً لا يقضم منها إلا ما يعتقد أنه طعام للذيد له ، يقضم من موضع ثم يتركه بطراً الى موضع آخر ، وقد كان قبل ذلك من جوعه يأكل كل ما يقع بصره عليه ويراه . أفليس من حق العرب

اذن أن تسمي المطر (غيثاً) ؟ وأن تفرع وتتوجع من انحباسه ، وأن تفرع الى آفتها تتوسل اليها لإرسال سحب المطر اليها ، وتتقرب اليها بالبدعاء وبصلوات (الاستسقاء) و (الاستمطار) ، لترسل اليها غيثاً يغيثها ويفرج كربتها يدرأ عنها مصيبة تنزل بها إن انحبس المطر ؟ لذلك كان انحباس (الغيث) عند العرب كارثة يتألم منها الناس ، ويكابد من فداحتها الحيوان .

والجفاف هو الصفة الغالبة على جو جزيرة العرب ، فالأمطار قليلة والرطوبة منخفضة في الداخل إلا التهامم والسواحل ، فلمها ترتفع فيها كما ذكرنا . ولكن الطبيعة رأفت بحال بعض المناطق ، فجعلت لها مواسم تنزل فيها الغيث ، لإغاثة كل حي ، وأهمها اليمن . أما عمان ، فينزل فيها مقدار منه ، ينفع الناس ويعينهم على تصريف أمورهم . وأما باقي الأقسام ، فإن أكثرها حظوة ونصيباً من المطر ، هي النفود الشمالي ، وجبل شمر ، فتتزل بها الأمطار في الشتاء ، فتنبت أعشاب الربيع . وأما الصحارى الجنوبية فلا يصيبها من المطر إلا رذاذ ، وقد تبخل الطبيعة عليها حتى بهذا الرذاذ .

وينهمر المطر أحياناً من السماء وكأنه أفواه قرب قد تفتحت ، فيكون سيولاً عارمة جارفة تكتسح كل ما تراه أمامها ، وتسيل إلى الأودية فتحولها إلى أنهار سريعة الجريان . وقد لاقت (مكة) من السيول مصاعب كثيرة ، وكذلك المدينة والمواضع الأخرى^٢ وقد يهلك فيها خلق من الناس ، وتسيل مياه السيول الى مسافات حتى تصب في البحر ، وقد تبتلعها الرمال فتغوص فيها وتجري في باطن الأرض مكونة مجاري جوفية ، تقرب وتبتعد عن قشرة الأرض على حسب قربها أو بعدها منها ، وعلى حسب قرارة المكان الذي تسيل عليه . وقد تبلغ البحر فتندفق عيوناً في قاعه ، كالذي نشاهده في الخليج بين الساحل والبحرين . وقد استفاد أهل اليمن بصورة خاصة وأهل حضرموت والحجاز من السيول بأن بنوا سدوداً للسيطرة عليها ، ولحبسها الى حين الحاجة . وسد (مأرب) الشهير هو خير تلك السدود شهرة وصيتاً ، وقد غذى بإكسیر الحياة مساحات واسعة من أرض سبأ . وقد وجد السياح آثار سدود قديمة في نواحي من الحجاز ونجد والعربية الجنوبية تعود الى ما قبل الإسلام ، بنيت في مواضع ممتازة تصلح

١ حافظ وهبة : جزيرة العرب (٦) .
٢ البلاذري ، فتوح البلدان (٥٣ فما بعدها) ، الأزرقى ، تاريخ مكة .

جيداً لمنع مياه السيول من الذهاب عبثاً ، حتى إن المهندسين المحدثين رأوا انشاء سدود جديدة في هذه الأمكنة للاستفادة من مياه السيول لإحياء أراضي موات في الزمان الحاضر ، يمكن قلبها الى مزارع وجنان خضر .

إن أرض اليمن التي صادقتها الطبيعة فأحسنّت إليها ووهبتها هبات تحسدها المناطق الأخرى عليها ، ووهبتها أمطاراً موسمية ووهبتها جواً حاراً رطباً في تهامة



منظر يمثل المدرجات المقامة على الجبال والتلال لزراعتها
من كتاب > Jemen, das Verbotene Land < مؤلفه Guenther Pawelke (الصفحة ٥٦)

اليمن ، وجواً معتدلاً في المرتفعات ، وجواً لطيفاً في الجبال ، ووهبتها نباتات كثيرة تناسب تنوع هوائها وحيوانات عديدة كثيرة ، ومعادن متنوعة ، هي

أرض ذات حظ كذلك بعدد سكانها ، فإنها حتى اليوم من أكثف مناطق جزيرة العرب وأكثرها سكاناً . وسكانها ثروة مهمة ومصنع غذى بلاد العرب والبلاد الإسلامية بموجات من القبائل ، نشرت الإسلام والثقافة العربية في البلاد المفتوحة ، كما أنه موطن العراق وبلاد الشام في الجاهلية بقبائل ، استوطنت هناك ، فكوّنت حكومات مثل حكومة الحيرة وحكومة الغساسنة ، ونسب المناذرة ونسب الغساسنة يرجع الى اليمن . ولا تزال اليمن تقذف بالألوف من أبنائها كل عام ، تقذف بهم في شتى الأنحاء إلى سواحل إفريقية المقابلة ، حتى بلغ بعضهم الولايات المتحدة وانكلترا ، فكوّنوا فيها جاليات يمانية . ويعيش اليوم زهاء مليون يمني خارج اليمن ، هاجروا من بلادهم لظروف مختلفة لا مجال للبحث فيها في هذا المكان . وقد سبقهم أجدادهم قبل الإسلام ، فطفروا حدود جزيرة العرب وذهبوا الى مصر وإلى بعض جزر اليونان .

ويعد سكان « الجبل الأخضر » سعداء حقاً بالقياس الى سكان جزيرة العرب الساكنين في العربية الشرقية أو في البوادي الواقعة في جنوب المملكة العربية السعودية ، فإن الغيوم المثقلة بالأبخرة تصطدم بمرتفعات هذا الجبل فتضطر الى تفريغ شحنتها عليه . ولهذا توافرت المياه فيها ، فاستغلها السكان وزرعوا عليها . وصارت الأودية من مواطن الحضارة القديمة التي تعود الى ما قبل الإسلام بزمان طويل ، كما صارت سفوح الجبال والمرتفعات موارد رزق للزراع ، يستهلكون من الحاصل ما يحتاجون اليه ، ويصدرون الباقي لمن يحتاج اليه من أهل بقية جزيرة العرب . وما زال أهل البلاد يزرعون على سنة آبائهم وأجدادهم الأقدمين . وقد شاهد السياح آثار سدود في هذه المناطق شيدها الأقدمون للتحكم في الأمطار التي تسقط بفزارة وتجري سيولاً .

وفي مثل هذه الأمكنة نجد كتابات دونها أصحابها شكراً لآلهم على إنعامها عليهم بالغلة الوفرة وبالخصاد الغزير، أو لانعامها عليهم بأرض مخصبة ولمساعدتها لإيتامهم على حفر بئر زودتهم بماء للسقي وللزراع ، ووجود هذه الكتابات دليل ناطق على وجود الحضارة فيها في تلك الأيام .

أما مواطن الحضارة ، فقد وزعتها الطبيعة بيدها ، وما برح هذا التوزيع معترفاً به . وزعتها عليها توزيعها للنبات والمعادن والماء . ففي المحلات ذوات الحظ التي أحبها الماء ، فظهر فيها واحات وعيوناً واحساء أو رطوبات أو

نهرات أو مطراً موسمياً ، ظهر الاستقرار ، وتولدت الحضارة على قدر إسعاف الماء ومقدار استعداده لوضع نفسه في خدمة الأهلين وفي خدمة حيواناتهم وزراعتهم لا فرق بين أن يكون الماء في باطن الجزيرة أو في الأودية أو في السواحل ، ولو أن لموقعه دخلاً في ازدياد ثروة أصحابه وفي تمكينهم من الاتصال بالخارج ، فتنفتح عندئذ لهم أبواب العالم ، كأن يكون الموضع على طريق ، أو على مفترق طرق ، أو على ساحل أو مرفأً بحري ، أو على مقربة من بلد متحضر مثل العراق أو بلاد الشام . أما إذا كان واحة منعزلة ومحلاً نائياً ، فإن الحضارة لا يمكن أن تظهر بالطبع فيه ظهورها في الأماكن المذكورة .

ومن هنا نرى الحضارة والإستقرار والميل الى الإستقرار في بلاد اليمن وحضرموت أظهر وأبرز من أي مكان آخر ، نرى فيها حكومات بالمعنى المفهوم من الحكومة قبل الميلاد بأمد طويل ، ونرى فيها مدناً عامرة مسورة لها حصون وقلاع وتنظيمات وتشكيلات حكومية ، ونرى فيها مؤسسات دينية ترعى المسائل الروحية والروابط التي تربط بين البشر وخالقهم ، ونرى أنظمة وقوانين مكتوبة وسدوداً وأبنية عالية مرتفعة وفناً ما زالت جذوره ومظاهره خالدة باقية في دم الناس . ثم نرى مثل ذلك أو قريباً منه في أعالي الحجاز وفي الأرضين الداخلة في هذا اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية . أما الواحات والعيون والآبار ، فقد صارت مستوطنات لثموين المستقر والقادم بالماء والتمر وبشيء من الجبوب والخضر ، وإذا كانت على طريق صارت مأوى للقوافل ، ولهذا لم يكن من الممكن قيام حكومات كبيرة بها ، لعدم توفر الشروط اللازمة لإنشاء الحكومات الكبيرة بها ، واضطرت إلى توثيق علاقاتها بأهل البادية ، وإلى الارتباط بهم بروابط العهود والمواثيق ودفع الإتاوة لمنعهم من التعرض لهم بسوء .

فالحياة في جزيرة العرب ، هي هبة الماء ، ولهذا انحصرت في هذه الأماكن المذكورة ، وصار فرضاً على رجال القوافل وأصحاب التجارات المرور بها ، وهو أي الماء ، الذي رسم لأصحاب الجمال خطوط سيرهم إلى المواضع التي يريدون السير إليها ، وحدد لهم معالم الطرق . وأقام لهم أماكن الراحة ، وما زال الأعراب والتجار يسلكون تلك الطرق ، للوصول إلى الأماكن النائية بالوسائل القديمة التي استعمالها سكان الجزيرة قبل الإسلام ، وبالمركب القديم ، بطوله وبعرضه وهو الجمل . ولكن وسائل النقل الحديثة التي نافسته وأحلتها مكرهاً على التقاعد

واضطرتته الى الانسحاب من بعض الطرق ، لا تزال تطارده وتنافس في الطرق الأخرى ، وعندئذ لا بد من حدوث مشكلات بالنسبة الى تربية هذا الحيوان الصحراوي القديم الذي أخلص للبادية ، وبقي على إخلاصه لها ، ولكن الأمر ليس بيد البادية ، وانما هو بأيدي قاهر البوادي والأرضين والجواء ، السيد الإنسان .

أما السواحل ، فخلقت من سكانها رجال بحر، يحبّون ركوب البحر واستخراج ما فيه للتعيش به ولبيعه وتصريفه في الأسواق ، كما جعلتهم أصحاب ضيافة ، يقدمون الماء وما عندهم من طعام الى السفن القادمة اليهم ، ويعرضون ما عندهم من سلع فائضة لبيعها لهم ، ويشترّون من أصحاب تلك السفن ما عندهم من بضاعة نافعة ، فتحولت الى أسواق للبيع والشراء، المتعاملون بها مزيج من القادمين اليها من أنحاء الجزيرة ومن الوافدين الأجانب القادمين اليها من الخارج ، وقد اجتذبت هذه الأمكنة اليها الغرباء ، فسكنوا بها ، واختلطوا بسكانها ، وتولدت بها أجيال مختلطة ممتزجة الدماء ، كلما كانت قرية من ساحل مقابل، كان مظهر الاختلاط والامتزاج أظهر وأكثر ، ولهذا احتضنت تهامة والسواحل العربية الجنوبية عدداً كبيراً من الإفريقيين ، هاجروا اليها من السواحل الإفريقية المقابلة واستقروا فيها بكثرة ، واختلطوا بأصحاب البلاد الأصليين . أما سواحل عمان والخليج ، فقد اجتذبت اليها الهنود والفرس ، وقد عثر في مواضع من سواحل عمان على بقايا عظام بشرية اتضح انها من بقايا الهنود (ال دراودين) ، سكان الهند القدماء . ولم ينس البحارة وأصحاب السفن اليونان سواحل جزيرة العرب، فأقاموا مستعمرات يونانية في مواضع متعددة منها سيأتي الكلام عليها فيما بعد .

وقدفت الطبيعة بالأعراب في كل مكان من أمكنة الجزيرة، حتى زاد عددهم على الحضر . والصفة الغالبة عليهم ، أنهم لا يرتبطون بالأرض ارتباط المزارع بأرضه ، ولا يستقرون في مكان إلا إذا وجدوا فيه الكلاً والماء، فإذا جفّ الكلاً وقلّ الماء ، ارتحلوا الى مواضع جديدة . وهكذا حياتهم حياة تنقل وعدم استقرار ، لا يحترقون الحرف على شاكلة أهل الحضر ، ولذلك صارت حياتهم حياة قاسية، يتمثل مجتمعهم في القبيلة . فالقبيلة هي الحكومة والقومية في نظر البدوي : وإن حياة على هذا الشكل والطراز ، حياة لا تعرف الراحة والاستقرار ، ولا تعرف إلا بمنطق القوة . حياة جلبت المشقة لأصحابها ، والمشقة لمن يقيم على

مقربة منهم من الحضرة . فهم في نزاع دائم فيما بينهم ، ثم هم في نزاع مع الحضرة ، ولهذا كان خطر البداوة على العرب ، يوازي خطر الغربة البعداء عليهم ، وصارت البداوة مشكلة عويصة لكل حكومة ، ولا تزال مشكلة حتى اليوم . ولن تحل إلا باقناع الأعراب بأن حياة الاستقرار خير لهم وأفضل من حياتهم التي يحيونها ، وذلك بوسائل لا يدخل الكلام عليها في حيز هذا الكتاب .

الطرق البرية :

من نتائج غلبة الطبيعة الصحراوية على أرض جزيرة العرب ، أن انحصر امتداد شرايين المواصلات فيها في أماكن خططتها الطبيعة نفسها للإنسان ، فجعلتها تسير بمحاذاة الأودية ومواضع المياه والآبار ، وهي السبل الوحيدة التي يستطيع المسافر ورجال القوافل أن يستريحوا في مواضع منها ويحملوا منها الماء . وتنتهي رؤوس هذه الطرق بالعراق وبلاد الشام في الشمال وبالعربية الجنوبية وبموانئها في الجنوب ، وهناك طرق أخرى امتدت من العربية الشرقية إلى العربية الغربية ، ولها مراكز اتصال بالطرق الطولية الممتدة من الشمال إلى الجنوب في الغالب . وقد أقيمت في مواضع من هذه الطرق مواضع سكنى ذات مياه من عيون أو آبار ، عاشت ونمت بفضل منة مائها عليها ، فصارت منازل مريحة لرجال القوافل يحمدون آهنتهم عليها ، ويحمد أصحاب ذلك الماء آهنتهم على مننتها عليهم باعطائهم ذلك الكثر العظيم الذي أعانهم على العيش وجلب لهم كرم التجار .

وفي العقد الحساسة من هذه الطرق نشأت المستوطنات ، ومواطن السكنى القديمة انتشرت في أماكن متباعدة بعضها عن بعض في الغالب ، فكان لهذا التوزيع أثر كبير في الحياة الاجتماعية والحياة السياسية والعسكرية ، ولا شك . وما الطرق الحالية التي يسلكها الناس اليوم إلا بقية من بقايا تلك الطرق القديمة التي ربطت أجزاء الجزيرة ببعضها ببعض ، كما ربطت الجزيرة بالعالم الخارجي . ونجد في مخلفات تلك المستوطنات مواد مستوردة من مواضع بعيدة ، هي دليل بالطبع على أن الإنسان كان يقطع الطرق قبل الميلاد بمئات من السنين ليتاجر ويبيع ويشترى دون أن يبالي ببعد المسافة وطول الشقة وصعوبة الحصول على وسائل النقل وما يتعرض له ، وهو في طريقه إلى هدفه ، من مخاطر وأحوال .

وتعد (نجران) من أهم المواضع المهمة الحساسة في شبكة المواصلات البرية قبل الإسلام ، ففيها تلتقي طرق المواصلات الممتدة في الجنوب ، وفيها يتصل الطريق البري التجاري المهم الممتد الى بلاد الشام ، فيلتقي بطريق العربية الجنوبية ومنها يسير الطريق المار الى (الدواسر) فالأفلاج فالليامة أو ساحل الخليج ومنه الى العراق .

ولم تَمُوتْ الطرق البرية المارة بالعربية الشرقية أي (ساحل الخليج) العراق بتجارة جزيرة العرب وبالمواد المستوردة اليها من الهند ، بل موّنتها بموجات من البشر منذ آلاف السنين قبل الميلاد . فقد كانت القبائل العربية النازحة من الجنوب لأسباب متعددة تحطّ رحالها على هذا الساحل ، انتهازاً لفرصة ملائمة ترحل خلالها الى العراق لتستقر فيه . وقد سلكت أكثر القبائل العربية التي استوطنت العراق هذا السبيل حينها هاجرت اليه قبل الميلاد وبعده أيضاً .

الفصل السادس

صلات العرب بالساميين

لاحظ المعنيون بلغات (الشرق الأدنى) وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والأرمية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها ، فهي تشترك أو تتقارب في أمور أصلية وأساسية من جوهر اللغة ، وذلك في مثل جلدور الأفعال ، وأصول التصريف ، تصريف الأفعال ، وفي زمني الفعل الرئيسين ، وهما : التام والناقص ، أو الماضي والمستقبل ، وفي أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والأعداد ، وبعض أسماء أعضاء الجسم الرئيسية^١ ، وفي تغير الحركات في وسط الكلمات الذي يحدث تغيراً في المعنى ، وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين^٢ ، وفي أمور مشابهة أخرى ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الشعوب ، وأطلقوا على ذلك الأصل ، أو الوحدة (الرس السامي) أو (الجنس السامي) ، أو (الأصل السامي) ، أو (السامية) (Semites) (shemites)^٣ (Semitic Race) وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب

Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., II, PP, 378 (1934), Zimmern, ١
Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1898, P., 82, ff.

Ency. Brita., 20, PP., 315. ٢

Leland. W. Parr, An Introduction to the Anthropology of the Near East, X٢
Amsterdam, 1934, P., 43.

(اللغات السامية) ، (Semitic Languages)^١ .

وقد أخذ من أطلق هذه التسمية ، تسميته هذه من التوراة^٢ . أخذها من اسم « سام بن نوح » ، جد هذه الشعوب الأكبر ، كما هو وارد فيها . وأول من أطلقها وأذاعها بين العلماء علماً على هذه الشعوب ، عالم نمساوي اسمه (أوغست لودويك شلوتسر) August Ludwig schloetzer أطلقها عام (١٧٨١م) فشاعت منذ ذلك الحين ، وأصبحت عند العلماء والباحثين في موضوع لغات الشرق الأدنى علماً للمجموعة المذكورة من الشعوب^٣ وقد أخذ (آيشهورن) (Joh. Cotte. Eichhorn) هذه التسمية ، وسعى لتعميمها بين العلماء علماً على الشعوب المذكورة^٤ .

وفي عام (١٨٦٩ م) قسم العلماء اللغات السامية الى مجموعتين : المجموعة السامية الشمالية ، والمجموعة السامية الجنوبية^٥ وتتألف المجموعة الشمالية من العبرانية والفينيقية والآرامية والآشورية والبابلية والكنعانية . وأما المجموعة الجنوبية ، فتألف من العربية بلهجاتها والحبشية . وعم استعمال هذا الاصطلاح بينهم وأصبح موضوع (الساميات) من الدراسات الخاصة عند المستشرقين ، تقوم على مقارنات وفحوص (أنتولوجية) و (بيولوجية) وفحوص علمية أخرى ، فضلاً عن الدراسات التاريخية واللغوية والدينية^٦ .

وهذه القرابة الواردة في التوراة ، وذلك التقسيم المذكور فيها للبشر ، لا يستندان إلى أسس علمية أو عنصرية صحيحة ، بل بُنيت تلك القرابة ، ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية وعلى الآراء التي كانت شائعة عند شعوب

١ Hommel, Grundriss, Bd., I, S., 17, Ency. Brita., Vol., 20, PP. 314. Eichhorna, Geschichte der Neuern Sprachenkunde, I, abt., Gottingen, 1807.

٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ١ ، ٢١ ، قاموس الكتاب المقدس (١ / ٥٣١) .

٣ Hommel, Grundriss, I, S, 76, Ency. Brita., 20, PP., 314, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 4, P., 473, Hastings, P., 845, S. Moscati, The Semites in ancient History, Cardiff, 1959.

٤ Eichhorn, Geschichte der Neueren Sprachenkunde, I abt., Gottingen, 1807, Sprachen, der Semiten in Westasien, S., 403-672,

٥ Hommel, Grundriss, 1, S., 76, Eichhorn, S., 405, Eberhard Schrader, S., 76.

٦ S.H. Hooke, The Origins of early Semitic ritual, London, 1938, Hommel, Grundriss, I, PP., 84.

العالم في ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزع البشر^١ . فحشرت التوراة في السامية شعوباً لا يمكن عدّها من الشعوب السامية، مثل (العيلاميين) (Elam) و (اللوديين) (Ludim) (Lud) ، وأقصت منها جماعة من الواجب عدّها من الساميين ، مثل (الفينيقيين) و (الكنعانيين)^٢ .

ويرى (بروكلمن) أن العبرانيين كانوا قد تعددوا لإقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام ، لأسباب سياسية ودينية ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من صلات عنصرية ولغوية^٣ .

وقد رَجَعَ الإصحاح العاشر من التكوين نسب الفينيقيين والسبثيين إلى حام، جد الكوشيين ، ذوي البشرة السوداء ، مع أنهم لم يكونوا من الحاميين ، وقد يكون ذلك بسبب وجود جاليات فينيقية وسبثية في افريقية ، فعدّ كتبة التوراة هؤلاء من الحاميين^٤ .

وقد عرف المسلمون اسم (سام بن نوح) ، وقد كان لا بد لهم من البحث عن أولاد (نوح) لما لذلك من علاقة بما جاء عن (نوح) وعن الطوفان في القرآن الكريم . وقد روي أن رسول الله قال : (سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش)^٥ ، وقد روى (الطبري) جملة أحاديث عنه في هذا المعنى . وقد لاحظت أنها كلها وردت من طريق (سعيد بن أبي عروبة) عن (قتادة) عن (الحسن) عن (سمرة بن جندب) ، وهي في الواقع حديث واحد ، ولا يختلف إلا اختلافاً يسيراً في ترتيب الأسماء أو في لفظ أو لفظين^٦ . ومن هنا يجب أن يدرس هذا الحديث وكل الأحاديث المنسوبة إلى الرسول في هذا الباب دراسة وافية ، لنرى مدى صحة نسبتها إلى الرسول ، كما يجب دراسة ما نسب إلى عبدالله بن عباس أو غيره في هذا الشأن ، فإن مثل هذه الدراسات تحيطنا علماً برأي المسلمين أيام الرسول وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في نسبتهم إلى سام بن نوح^٧ .

١ George Aaron Barton, Semitic, and Hamitic Origins, London, 1934, P., 1, ١

٢ (التكوين ، الأصحاح العاشر) الآية ١ ، فما بعدها ، ٢
Hastings, P., 945, Ency. of Relig. and Ethic., Vol., II, PP., 37 378, Barton, P. I.

٣ Brockelman, Sprachwissenschaft, S., 15, ٣

٤ Reynold, A. Nicholson A Literary History of the Arabs, P., XV. ٤

٥ الطبري (٢٠٩/١) « دار المعارف » ٥

٦ الطبري (٢٠٩/١) « دار المعارف » ٦

٧ الاكليل (٦٤/١) . ٧

وقد قسم بعض علماء الساميات المحدثين اللغات السامية الى أربع مجموعات هي :
المجموعة السامية الشرقية ومنها البابلية والآشورية، والمجموعة الشمالية ومنها الأمورية
والأرمية ، والمجموعة الغربية ومنها الكنعانية والعبرانية والموابية والفينيقية، والمجموعة
الجنوبية ومنها المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والأمهرية^١ . ويلاحظ أن واضعي
هذا التقسيم لم يراعوا في وضعه التطورات التاريخية التي مرت بها هذه اللغات
بل وضعوا تقسيمهم هذا على أسس المواقع الجغرافية لتلك الشعوب .

والسامية بعد، ليست رساً (Race) بالمعنى المفهوم من الرس عند علماء الأحياء،
أي جنس له خصائص جسمية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى.
فبين الساميين تمايز وتباين في الملامح وفي العلامات الفارقة يجعل اطلاق (الرس)
عليهم بالمعنى العلمي الحديث المفهوم من (علم الأجناس) ، أو الفروع العلمية
الأخرى نوعاً من الاسراف واللغو ، كما أننا نرى تبايناً في داخل الشعب الواحد
من هذه الشعوب السامية في الملامح والمظاهر الجسمية ، وفي هذا التمايز والتباين
دلالة على وجود اختلاط وامتزاج في الدماء ، سأحدث عنه في الفصل الخاص
بالأنساب وبانقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين .

ولقد وجد بعض علماء (الانثروبولوجي) مثلاً أن بين اليهود تبايناً في
الصفات وفي الخصائص التي وضعها هذا العلم للجنس ، مع ما عرف عن اليهود
من التقيد بالزواج وبالابتعاد عن الزواج من غير اليهود^٢ . وكذلك وجد العلماء
الذين درسوا العرب دراسة (انثروبولوجية) أن بين العرب تبايناً في الملامح
الجسمية . وقد اتضح وجود هذا التباين عند الجاهليين أيضاً ، كما دلت على
ذلك الفحوص التي أجريت على بقايا العظام التي عثر عليها في مقابر جاهلية^٣ .
كذلك وجد علماء (الأنثروبولوجي) من فحص العظام التي عثر عليها في الآثار
الآشورية والبابلية أن أصحابها يختلفون أيضاً فيما بينهم في الملامح التي تعد أساساً
في تكوين جنس من الأجناس .

١ Ency. Brita., 20, P., 316, Gesenius, Geschichte, der Hebraeischen Sprache und Schrift, Graf Arthur, Gobineau, Die Ungleichheit der Menschenrassen, Berlin, S., 180, (German translation).

Buxton, The People of Asia, P., 96. ff. ٢

Buxton, P., 99. ff. ٣

ولهذا ، فلإني حين أتحدث عن السامية لا أتحدث عنها على أنها جنس ، أي رسّ صاف بالمعنى (الأنثروبولوجي) ، بل أتحدث عنها على أنها مجموعة ثقافية وعلى أنها مصطلح أطلقه العلماء على هذه المجموعة لتمييزها عن بقية الأجناس البشرية ، فأنا أجاريهم لذلك في هذه التسمية ، ليس غير .

إن بحوث العلماء في موضوع السلالات البشرية وفي الأجناس البشرية وفي توزيع الشعوب وخصائص ومميزات الأجناس لا تزال بحوثاً قلقة غير مستقرة . ولهذا نجد نتائج بحوثهم في تعريف الجنس وفي صفات الأجناس وفي المسائل الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع مختلفة ، ولا سيما أن هنالك عدة أمور تؤثر في حياة الإنسان وفي خصائصه الروحية والجسمية . والنواحي اللغوية وبعض الخصائص الروحية الأخرى ، وإن كانت مهمة وضرورية لدراسة الناحية العقلية للإنسان ، إلا أنها ليست الأسس الوحيدة لتكوين رأي في الأجناس البشرية^١ .

فالسامية إذن ، بهذا المعنى هي مجرد اصطلاح ، قصد به التعبير عن هذه الروابط أو الظواهر التي نراها بين الشعوب المذكورة، أما البحث على أن الساميين جنس من الأجناس بالتعبير الذي يعنيه أهل العلوم من لفظة جنس، فإن ذلك في نظري موضوع لا يسع علماء الساميات أو علماء التاريخ أن يبتئوا فيه ويصدروا حكماً في شأنه ، لأنه بحث يجب أن يستند إلى تجارب وبحوث مختبرية ، وإلى دراسات للشعوب الباقية من السامية ، بأن ندرس جاجم قدماء الساميين وعظامهم في جزيرة العرب وفي المواطن الأخرى التي انتشر فيها الساميون ، وعند اكتمال مثل هذه الدراسات ووصولها إلى درجات كافية ناضجة يمكن العلماء حينئذ أن يتحدثوا عن السامية من حيث أنها جنس بالمعنى العلمي ، أو جنس بالمعنى الاصطلاحي .

هذا وقد عني بعض الباحثين المحدثين بدراسة ما عثر عليه في بعض القبور العادية من عظام ، لتحديد أوصافها وخصائصها والجنس الذي تعود إليه ، كما قام بعضهم بدراسة أجسام الأحياء وأجراء فحوص عليها وتسجيل قياسات الرؤوس

١ Ralph Linton, The Study of Man, L. H. Dudley Buxton, The Peoples of Asia, London, 1925, Sonia Cole, Races of Man, British Museum, (Natural History), London, 1965.

وملامح الأجسام وما الى ذلك مما يتعلق بموضوع (الأجناس البشرية) ، وإذا ما استمر العلماء على هذه الدراسة وتوسعوا فيها ، فسيكون لها شأن خطير في وضع نظريات علمية عن تأريخ أجناس الشرق الأدنى وفي جملتهم الساميين .

ومن بحث في (أنثروبولوجية) الشرق الأدنى (كبرس Ariens Kappers) ، وقد وضع مؤلفاً قيماً في دراسة شعوب الشرق الأدنى^١ . و (الدكتور ملكمن) (Dr. Seligman)^٢ ، و (شكنل W. Shanklin) الذي عني بدراسة (أنثروبولوجية) سكان شرقي الأردن وتقسياتهم وحالات أعصابهم^٣ ، و (A. Mochi)^٤ ، و (برترام توماس) الذي قام بدراسات علمية عديدة من هذه الناحية لنماذج من أفراد القبائل العربية الجنوبية^٥ ، والبعثة الأمريكية التي أرسلها متحف (فيلد) بشيكاغو لدراسة (أنثروبولوجية) القبائل العراقية النازلة على مقربة من (كيش) ، عدا دراسات أخرى عديدة قام بها علماء آخرون^٦ .

وقد أجريت أكثر هذه البحوث في مناطق عرفت باتصالها منذ القديم بالعالم الخارجي ، وفي أرضين استضافت الغرباء ، فهي لذلك لا يمكن أن تعطينا فكرة علمية عن (أنثروبولوجية) داخل جزيرة العرب ، فلا بد من القيام بدراسات دقيقة في قلب الجزيرة لتكوين رأي علمي عن عرب هذه الأماكن .

وقد لاحظ الفاحصون للعظام التي عثر عليها في الأقسام الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب وجود تشابه كبير بين جماجم أهل عمان وجاچم سكان السواحل الهندية المقابلة لهذه البقاع، كما لاحظوا تشابهاً كبيراً في الملامح الجسمية بين العرب الجنوبيين أهل عدن وبقية العربية الجنوبية الغربية وتهامة وسكان إفريقية الشرقية .

١ C.U. Ariens Kappers, An Introduction to the Anthropology of the Near East in ancient and recent Times, Amsterdam, 1934, P., 73.

٢ Dr. Seligman, The Physical Characters of the Arabs, in Journal of the Royal Anthropol. Inst., Vol., 47, 1917, P., 217, The Races of Africa, 1930.

٣ W. Shanklin, The Anthropology of the Transjordan Arabs, Psychiatrische en Neurologische bladen, 1934, Anniversary Book for the central Institute of Brainresearch Amsterdam.

٤ A. Mochi, Sulla Anthropologia Giuffrida Ruggeri, in Crani Egiziani antichi, ed., Arabo — Egiziani, Atti della Soc. Romana d'Anthrop., T., 15, 1915.

٥ راجع الفصل الذي كتبه «Dr. Wilton Marion Krogman» في كتاب «Arabia Felix» (صفحة ٣٠١)

٦ Henry Field, The Anthropology of Iraq, Field Museum of Natural History, Chicago, 1940.

وقد اتخذ القائلون إن أصل العرب الجنوبيين من إفريقية هذا التشابه حجة ،
تدفعوا بها في إثبات نظرياتهم هذه^١ .

غير أن هذه الفحوص أشارت من جهة أخرى الى حقيقة تخالف النظرية
الإفريقية ، إذ بينت أن أشكال جماجم العرب الجنوبيين ورؤوسهم هي من النوع
الذي يقال له : (Brachycephaly)^٢ . أما أشكال جماجم سكان إفريقية الشرقية
ورؤوسهم ، فن النوع الذي يعرف باسم (Dolichocephaly) في الغالب^٣ .
وهذا التباين لا يشير الى وحدة الأصل . وقد تبين من هذه الفحوص أن أشكال
جماجم العرب الشماليين ورؤوسهم ، هي من نوع (Dolichocephaly) كذلك ،
أي أنها نوع مشابه لأشكال جماجم الإفريقيين الشرقيين ورؤوسهم^٤ .

وقد حملت هذه النتائج بعض الباحثين على التفكير في أن العرب الجنوبيين
كانوا في الأصل في المواطن التي تكثر فيها الرؤوس المستديرة ، وأن هذه المواطن
هي من آسية الصغرى الى الأفغان ، فزعموا أنهم كانوا هناك ثم هاجروا منها
الى مواطنهم الجديدة في العربية الجنوبية^٥ ، كما زعموا أن سكان (عمان) قد
تأثروا تأثراً كبيراً بالدماء (الدراويدنية) (Dravidian) الهندية ، لهذا نجد
أنهم يختلفون بعض الاختلاف عن بقية العرب الجنوبيين^٦ .

وإذا قامت بعثات علمية بالبحوث (الأنثروبولوجية) في مواضع أخرى من
جزيرة العرب ولا سيما في باطن الجزيرة ، وإذا ما استمر العلماء والسياح في البحث
عن العظام والأحداث ، وفي دراستها دراسة مختبرية ، واستمروا في إجراء
فحوصهم على الأحياء ، وقورنت نتائج فحوصها بنتائج فحوص العلماء في بقية
أنحاء الشرق الأدنى ، فإن البحث في الساميات وفي علاقات الشعوب القديمة بعضها

١ Arabia Felix, P., 302.

٢ اصطلاح يطلق في علم « النثروبولوجي » على الجماجم التي يبلغ عرضها حوالي
« ٨٠٪ » أو أكثر من مقدار طول الجمجمة من الامام الى الخلف . ويقال لهذه

الرؤوس قصيرة . راجع : Enc. Britanica., Vol., 3, P., 1003, 18, P., 865.

٣ ويعنى اصحاب الرؤوس الطويلة ، وهي الجماجم التي تكون ابعادها من جانب
الى جانب تساوى « ٧٥٪ » أو اقل من طول المسافة بين جبهة الجمجمة

والمؤخرة . راجع : Enc. Britanica, Vol., 7, P., 508.

٤ Seligman, The Races of Africa, 1930, Arabia Felix, P., 304, P., 308.

٥ Arabia Felix, P., 304, 322.

٦ Dr. Wilton Marion Krogman, in Arabia Felix, P., 316.

بعض ، سيتقدم كثيراً، وسيأتي ولا شك بنتائج علمية مقبولة في موضوع السامية والجنس السامي .

وطن الساميين :

وتساءل العلماء الباحثون في الأجناس البشرية : من أين جاء الساميون الأول، آباء الشعوب السامية ؟ وأين كان موطنهم الأول وبيتهم القديم ، الذي ضاق بهم في الدهر الأول ، فغادروه الى بيوت أخرى ؟ أما أجوبتهم ، فجاءت متباينة غير متفقة لعدم اهتدائهم حتى الآن الى دليل مادي يشير الى ذلك الوطن ، أو يؤيد نظرية وجود مثل هذا الوطن ، فقامت آراؤهم على نظريات وفرضيات ، وبحوث لغوية وعلى آراء مستمدة من الروايات الواردة في التوراة عن أصل البشر، وعن أبناء نوح ، والأماكن التي حلّ بها هؤلاء الأبناء وأحفادهم ثم أحفاد أحفادهم ، وهكذا على نحو ما تصورته مخيلة العبرانيين . فرأى نفر منهم ان أرض بابل ، كانت المهد الأول للساميين ، ورأى آخرون أن جزيرة العرب هي المهد الأول لأبناء سام ، وخصص فريق آخر موطناً معيناً من جزيرة العرب ، ليكون وطن سام وأبنائه الأول ، وذهب قسم الى إفريقية فاختارها لتكون ذلك الوطن ، لما لاحظته من وجود صلة بين اللغات السامية والحامية ، ورأى قوم في أرض (الأموريين) الوطن الصالح لأن يكون أرض أبسي الساميين ، على حين ذهب قوم آخرون الى تفضيل أرض (أرمنية) على تلك الأوطان المذكورة . وهكذا انقسموا وتشعبوا في موضوع اختيار الوطن السامي ، ولكل حجج وبراهين .

وحتى القائلون بنظرية من هذه النظريات وبرأي من هذه الآراء ، هم قلقون غير مستقرين في نظرياتهم هذه ، فتراهم يُغيّرون فيها ويبدلون . يفترضون وطناً أصلياً لجد الساميين ، ثم يفترضون وطناً ثانياً يزعمون ان قدماء الساميين كانوا قد تحولوا من الوطن الأول اليه ، فصار الموطن الأقدم لهم . فقد ذهب (فون كريمر) مثلاً ، وهو عالم ألماني الى أن اقليم (بابل) هو موطن الساميين الأول ، وذلك لوجود ألفاظ عديدة لمسميات زراعية وحيوية (حياتية) أخرى تشترك فيها أكثر اللغات السامية المعروفة ، وهي مسميات لأموور هي من صميم

حياة هذا الاقليم ، الا أنه عاد فذكر أنه وجد أن لفظة (الجمل) لهذا الحيوان المعروف هي لفظة واردة في جميع اللغات السامية وفي ورود هذه التسمية في جميع هذه اللغات دلالة على أنها من بقايا اللغة (السامية) الأولى . ولكن الجمل حيوان أصله وموطنه الأول الهضبة المركزية التي في آسية على مقربة من نهر سيحون ونهر جيحون ، ولما كان قد لازم الساميين من فجر تأريخهم واقرن اسمه باسمهم ، وجب أن يكون موطن الساميين الأقدم اذن هو تلك الهضبة ، إلا أن أجداد الساميين غادروها في الدهر الأول ، وارتحلوا عنها فانجازوا الى الغرب مجتازين ايران والأرضين المأهولة بالشعوب (الهند أوروبية) حتى وصلوا الى اقليم (بابل) ، فزلوا فيه ، فصار هذا الإقليم الوطن الأقدم أو الأول للساميين .

وطريقة (فون كريمر) في هذه النظرية ، دراسة أسماء النبات والحيوان في اللغات السامية وتصنيفها وتبويبها للتمكن بذلك من معرفة المسميات المشتركة والمسميات التي ترد بكثرة في أغلب تلك اللغات . والتوصل بهذه الطريقة الى الوقوف على أقدم الحيوان والنبات عند تلك الشعوب ، فإذا اهتمينا اليها صار من السهل على رأيه التوصل الى معرفة الوطن الأصل الذي جمع في يوم ما شمل أجداد الساميين^١ .

أما (كويدي) ، وهو من القائلين أيضاً ان اقليم بابل هو الموطن الأول للساميين ، فقد سار على نفس أسلوب (فون كريمر) نفسه وطريقته ، ولكن بصورة مستقلة عنه . درس الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات ونواحي الحياة الأخرى ، وقارن بينها وتتبع أصولها ثم قال قوله المذكور ، إلا انه اختلف عن (فون كريمر) في الوطن الأول ، حيث رأى أن مواطن الساميين الأول كانت الأرضين في جنوب بحر قزوين وفي جنوب شرقه إلا أنهم غادروها بعد ذلك وارتحلوا عنها الى اقليم بابل^٢ .

وأما (هومل) ، وهو من العلماء الألمان الحاذقين في الدراسات اللغوية ، فقد

١ Von Kremer, Semitische Culturen Entlehnungen aus Pflanzten-und Thierreiche, in das Ausland, Bd., IV, note, 1, und 2.

٢ Guidi, Della sede primitiva dei Popoli Semitici, Roma, 1879, Wright, Comparative Grammer of the Semitic Languages, P., 5 Barton, P., 3, Hommel, Grundriss, 1. S., 80, A. Grohmann, Kulturgeschichte, S., 14.

ذهب أولاً الى أن موطن الساميين هو شمال العراق ، ثم عاد فقرر أن اقليم بابل هو الوطن الأصل ، وذهب أيضاً الى أن قدماء المصريين هم فرع من فروع الشجرة التي أثمرت الثمرة السامية ، وهم الذين نقلوا على رأيه الحضارة الى مصر فقلوها من البابليين^١ .

وقد ناقش (نولدكه) آراء هؤلاء العلماء المذكورين القائمة على المقابلات والموازنات اللغوية ، وعارضها معارضة شديدة ، مبيناً أن من الخطأ الاعتماد في وضع نظريات مهمة كهذه على مجرد دراسة كلمات واجراء موازنات بين ألفاظ لم يثبت ثبوتاً قطعياً أن جميع الساميين أخذوها من العراق ، وأورد جملة أمثلة اختلف فيها الساميون ، مع أنها أجدر المعاني بأن يكون لها لفظ مشترك في جميع اللغات السامية^٢ .

ومن أوجه النقد التي وجهت الى نظرية القائلين إن العراق ، أو اقليم بابل منه بصورة خاصة ، هو موطن الساميين ، هو أن القول بذلك يستدعي تصور انتقال الساميين من أرض زراعية خصبة ذات مياه الى بواد قفرة جرد ، وابدال حياة زراعية بحياة نخشة بدوية ، ومثل هذا التصور يخالف المنطق والمعقول والنظم الاجتماعية .

وأما القائلون إن الموطن الأصلي لجميع الساميين هو جزيرة العرب ، فكان من أولهم (شبرنكر) . فقد رأى أن أواسط جزيرة العرب ، ولا سيما نجد ، هو المكان الذي يجب أن يكون الوطن الأول للساميين ، وذلك لأسباب وعوامل شرحها وذكرها . ومن هذا الوطن خرج الساميون في رأيه الى الهلال الخصيب فطبعوه بالطابع السامي ، ومن هذا الهلال انتشروا الى أماكن أخرى^٣ .

وقد أبد هذه النظرية جماعة من المستشرقين الباحثين في هذا الموضوع من

Hommel, Die Namen der Saeugethiere bei den Suedsemitischen Volkern, Leipzig, 1879. S., 406, Die Semitischen Voelker und Sprachen, 1881, Bd., I, S., 20, 63, Barton, P., 3 Hommel, Grundriss, I, S., 10. f.

Noeldeke, Semitischen Sprachen, Leipzig, 1887, S., 3, 2ed., 1899, Enc. Brit., 9th. ed., Article, Semitic Language.

A. Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Berlin, 1861, Bd., I, S., 241, Alte Geographie Arabiens, 1875, S., 293, Barton, P., 4.

أمثال (سايس) ^١ و (أبرهرد شرادر) ^٢، و (دي كويه) ^٣ و (هوبرت كرمه) ^٤ و (كارل بروكلمن) ^٥ و (كينغ) ^٦ و (جول ماير) ^٧ و (كوك) ^٨، وآخرين ^٩.

وقد مال الى تأييدها وترجيحها (دنف نلسن) ، وهو من الباحثين في التأريخ العربي قبل الإسلام ^{١٠}. وكذلك (هوكو ونكلر) . و (هومل) الذي يرى أن موطن جميع الساميين الغربيين هو جزيرة العرب ^{١١}.

وقد ذهب نفر من القائلين بهذه النظرية الى أن العروض ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها ، هي الوطن السامي القديم . ويستشهد هذا النفر على صحة نظريته ببعض الروايات والدراسات التي قام بها العلماء فكشفت عن هجرة بعض الأقوام كالفينيقيين وغيرهم من هذه الأماكن .

أما (فلي) ، فذهب في دراساته المسهبة لأحوال جزيرة العرب الى أن الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين. وفي هذه الأرضين نبتت السامية ، ومنها هاجرت بعد اضطرارها الى ترك مواطنها القديمة للحلول الجفاف بها الذي ظهرت بوادره منذ عصر (البالوثليتيك) (Palaeolithic) هاجرت في رأيه ، في موجات متعاقبة سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها . هاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة ، حملت معها آلهتها ، وأولها الإله (القمر) ، وحملت معها ثقافتها ونخطها

١ Sayce, Assyrian Grammer, 1872, P., 13, Barton, P., 4.

٢ Eberhard Schrader, in ZDMG., XXVII, (1873), S., 397. ff., "Die Abstammung der Chaldaer und die Ursitze der Semiten".

٣ De Goeje, Het Vaterland der Semitische Volken, Barton, P., 5, Wright, Comparative Grammer of the Semitic Languages, P., 8.

٤ Hubert Grimme, Mohammed, Weltgeschichte in Charakterbildern, 1904, S., 6. f., Barton, P., 5.

٥ Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin, Berlin, 1908, 1, 2.

٦ L.W. King, History of Sumer and Akkad, London, 1915, P., 119.

٧ John L. Meyers, in Cambridge ancient History, Cambridge 1923, 1, 38, Barton, P. 6.

٨ S.A. Cook, in Cambridge ancient History, I, P., 192. f.

٩ Ditef Nielsen, Handbuch der altarabischen Altertumskunde, I, Kopenhagen, Paris, Leipzig, 1927, 47, 55.

١٠ A. Grohmann, S., 14, Hommel, Ethnologie und Geographie des alten Orient, Muenchen, 1926, S., 10.

الذي اشتقت منه سائر الأقسام ، ومنه القلم الفينيقي ، وطبعت تلك الأرضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع السامي الذي ما زال باقياً حتى اليوم . وقد أخذ (فلي) رأيه هذا من دراسات العلماء لأحوال جزيرة العرب ومن الحوادث التاريخية التي تشير إلى هجرة القبائل من اليمن نحو الشمال^١ .

فاليمن في رأي (فلي) وجماعة آخرين من المستشرقين ، هي (مهد العرب) ومهد الساميين ، منها انطلقت الموجات البشرية الى سائر الأنحاء . وهي في نظر بعض المستشرقين أيضاً (مصنع العرب) ، وذلك لأن بقعتها أمدت الجزيرة بعد كبير من القبائل ، قبل الإسلام بأمد طويل وفي الإسلام^٢ . ومن اليمن كان (نمرود) وكذلك جميع الساميين^٣ .

والذين يقولون إن نجداً هي موطن الساميين الأول ، يفترضون أن موجات هجرة الساميين اتجهت نحو الشمال كما اتجهت نحو الجنوب والشرق والغرب^٤ ، فكانت نجداً معين ماء يفيض فيسيل ماؤه الى أطرافه .

غير أن هنالك جماعة من الباحثين ترى أن نجداً لا يمكن أن تكون الموطن الأول للساميين ، وذلك لأن شروط الحياة اللازمة لم تكن تتوفر بها ، اللهم إلا في المواضع التي توجد بها آبار أو واحات ، وهي قليلة متناثرة ، وذلك حتى في العصور (الباليوثية) (Palaeolithic Ages) . أما المراعي التي كانت بها في تلك الأوقات فلم تكن دائمة الخضرة ، بل كانت مع المواسم ولهذا فإن السكن فيها لا يمكن أن يكون سكناً دائماً مستمراً ، ثم إن السكن في نجد يقتضي وجود الجمل فيها ولم يكن الجمل موجوداً عند الساميين في العهود القديمة بل كان الحمار هو واسطة الركوب والنقل عندهم . ولما كان الحمار لا يتحمل العيش في البوادي الواسعة الفسيحة ، لذلك لم يتمكن الساميون اذ ذاك من التوغل في

Philby, The Background of Islam, Alexandria, 1949, P., 9, ff. ١

Montgomery, Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934, P., 126, Background, P. 9. ٢

Eberhard Schrader, Die Abstammung der Chaldaer und die Ursitze der Semiten, in ZDMG, S., 14. ٣

James Hastings, A Dictionary of the Bible dealing with its Language Literature and Contents including the Biblical Theology, Extra Volume, 1904, P., 74. f. W. ٤

Warrell, A Study of Races in ancient Near East, Cambridge, 1927, 7, 45, 94.

B. Thomas, Anthropological observation in South Arabia, 93-94, A. Grohmann, Arabien, S., 14.

الصحراء والسكن بعيداً عن مواضع الماء ، فانحصر سكنهم في أسياف البوادي أي في مناطق قريبة من الحضر ، ولهذا السبب رفض العلماء رأي من يقول إن نجداً هي الموطن الأول للساميين^١ .

ويمكن تلخيص الحجج والبيانات التي استند اليها هؤلاء العلماء لاثبات نظريتهم في الأمور الآتية :

١ - لا يعقل أن ينتقل سكان الجبال والمزارعون من حياة الحضارة والاستقرار الى البداوة ، بل يحدث العكس . ولما كانت الشعوب السامية قد قضت في أطوارها الأولى حياة بدوية ، فلا بد أن يكون وطنها الأول وطناً صحراوياً ، وجزيرة العرب تصلح أن تكون ذلك الوطن أكثر من أي مكان آخر .

٢ - ثبت أن معظم المدن والقرى التي تكونت في العراق أو الشام إنما كونتها عناصر بدوية استقرت في مواضعها ، واشتغلت باصلاح أراضيها وعمرانها، واشتغلت بالتجارة ، فنشأت من ذلك تلك المدن والقرى . ولما كانت أكثر هذه العناصر البدوية قد جاءت من جزيرة العرب ، فتكون الجزيرة قياساً على ذلك الموطن الذي غذى العراق وبادية الشام وبلاد الشام بالساميين ، وأرسل عليها موجات متوالية منها .

٣ - هناك أدلة دينية ولغوية ، وتاريخية وجغرافية ، تشير بوضوح الى أن جزيرة العرب هي مهد السامية ووطن الساميين^٢ .

٤ - إننا نرى أن جزيرة العرب قد أمدت العراق وبلاد الشام بالسكان، وأن القبائل الضاربة في الهلال الخصيب قد جاءت من جزيرة العرب ، فليس بمستبعد إذن أن يكون الساميون قد هاجروا منها الى الهلال الخصيب .

وقد عارض هذه النظرية طائفة من علماء الساميات ، وحججهم : أن كل ما قبل وذكر من حجج وبيانات ، لا يدل يقيناً على أن جزيرة العرب كانت هي المهد الأصلي للأمم السامية ، ونظرت الى إفريقية على أنها المكان المناسب لأن يكون الوطن الأول للساميين . ومن هذه الطائفة من علماء الساميات (بلكريف) ،

١ Ancient Iraq, P., 125.

٢ ومن القائلين أن جزيرة العرب هي مهد الساميين (روبرتسن سمث Robertson)
(Smith) الهلال ، نيسان ١٩٠٦ ، ج ٧ سنة ١٤ ، ص ٣٩٩ ،

Kinship and Marriage in Early Arabia, P., 178, Barton, P., 5.

وقد كَوّن رأيه من وجود تشابه في الملامح ، وفي الخصائص الجنسية ، وصلات لغوية بين الأحباش والبربر والعرب دفعته الى القول بأن الوطن الأول للساميين هو إفريقية^١ .

وذهب الى هذا الرأي (جيرلند Gerland) ، مستنداً الى الدراسات (الفيزيولوجية) مثل تكوين الجمجم ، والبحوث اللغوية . وقد زعم ان شمال إفريقية هو الموطن الأصلي للساميين ، وادعى ان الساميين والحاميين من سلالة واحدة ودوحة تفرعت منها جملة فروع، منها هذا الفرع السامي الذي اختار الشرق الأدنى موطناً له^٢ .

وهناك نفر من العلماء أيدوا هذه النظرية ودافعوا عنها أو استحسوها ، مثل (برتن Bertin)^٣ و (نولدكه)^٤ و (موريس جسترو)^٥ و (كسين) و (ريلي) وغيرهم^٦ . ولكنهم اختلفوا أيضاً في تعيين المكان الذي نبت فيه الساميون أول مرة في القارة الإفريقية ، واختلفوا كذلك في الطريق الذي أوصل الساميين الى جزيرة العرب^٧ ، فاختر (برنتن) Brinton شمال غربي إفريقية ، ولا سيما منطقة جبال (الأطلس) فجعلها الموطن الأصلي للساميين^٨ .

واختار نفر آخر إفريقية الشرقية موطناً أول للساميين ، للعلاقات (الأنثولوجية) الظاهرة التي تلاحظ على سكان هذه المنطقة والساميين^٩ . وزعم أن الساميين سلكوا في عبورهم الى آسية أحد طريقين : إما طريق سيناء حيث هبطوا في العربية

١ Enc. Brit., 9Th. Ed., "Arabia", Barton, P., 6, Enc. of Relig. and Ethics, Vol., II, P., 380.

٢ Enc. of Relig. and Ethics, Vol., II, P., 380, Barton, P., 6, Iconographic Enc., Art., "Ethnography".

٣ Bertin, Journal of the Anthropological Institute, XI, 431, (1882), Barton, P., 6.

٤ Noeldeke, Die Semit. Sprachen, S., 9, Ency. Brita., (1911), "Semitic Languages", Enc. of Relig. and Ethics, Vol., II, P., 380.

٥ Barton, P., 7, Brinton, The Cradle of the Semites, Philadelphia, 1890, Races and Peoples, New York, 1890, P., 132.

٦ Barton, P., 7, A Sketch of Semitic Origin Social and Religious, Ch. I, New 1901.

٧ Barton, P., 6, C.U. Ariens Kapper and Leland W. Paar, An Introduction to the Anthropology of the Near East, Amsterdam, 1934, P., 47.

٨ Barton, P., 7, Brinton, Cradle of the Semites, Philadelphia, 1890, Races and Peoples, New York, 1890, P., 132, Enc. of Relig. and Ethics, Vol., II, P., 380.

٩ حتي (ص ١٠) .

الحجرية وأناخوا فيها مدة ثم انتشروا منها^١ ، ولما طريق المندب حيث دخلوا العربية السعيدة من مواضع مختلفة من الحبشة ومن أرض (فنت Punt)^٢ . وهي الصومال الحديثة^٣ . وقد اكتسبتهم اقامتهم في بلاد العرب خصائص جديدة ، وسمتهم بسمات اقتضتها طبيعة الوطن الثاني ، ولكنها لم تتمكن من القضاء على الخصائص الأولى التي تشير الى الوطن الأول قضاء تاماً ، ولا على الصلة بين اللغات الحامية والسامية التي تشير الى الأصل المشترك كذلك^٤ .

وهذه النظرية ، بالرغم من دفاع بعض كبار علماء اللغات والأجناس عنها لا تخلو من ضعف ، ومن مواطن ضعفها أنها غضت الطرف عن الاعتبارات التاريخية ، واستسلمت لدراسات لم تنضج بعد ، فمن الممكن مثلاً ارجاع ما لاحظته علماء اللغات السامية واللغة المصرية القديمة الى عوامل الهجرات السامية من جزيرة العرب وعن طريق سيناء الى إفريقية ، مثل هجرة (الهكسوس) وهم من أصل سامي جاؤوا مصر من بلاد العرب . وقد ثبت أيضاً من تحقيقات العلماء أن كثيراً من الأسماء المصرية القديمة التي كانت تطلق على الأقسام الشرقية من الديار المصرية هي أسماء سامية . وإذا سوغ علماء النظرية الإفريقية لأنفسهم الاستدلال على إفريقية الساميين من وجود القرابة اللغوية بين اللغة المصرية واللغات السامية مثلاً ، فإن من الممكن ارجاع هذه القرابة الى أثر الهجرات السامية في اللغة المصرية .

١ Barton, P., 6, Journal of the Anthropol. Inst, XI, 431.

٢ يجب تعريب "Punt" بـ « فنت » ، قياساً على طريقة تعريب الاسماء الأعجمية الى العربية . وقد عربها بعضهم بـ « فوط » وتقابل كلمة « فوط » كلمة Put أو Phut الواردة في التوراة انها مسكن ابن حام الثالث ، غير ان علماء التوراة لم يتفقوا حتى الان على موضع « فوط » ، فذهب بعضهم الى انها في نواحي طرابلس الغرب « ليبيا » ، ورأى آخرون انها بين مصر و « كوش » ، أي السودان او الحبشة ، وربما كانت نوبيا الجنوبية ، وهناك آراء أخرى . فلا أرى من الصحيح تسمية Punt بفوط لكان هذا الاختلاف . راجع عن « فوط » ، أرميا ، اصحاح ٤٦ ، آية ٦ ، وحزقيال ، اصحاح ٢٧ ، آية ١٠ و ٣٠ ، آية ٥ ، و ٣٨ ، آية ٥ ، ناحوم ، اصحاح ٣ آية ٩ ، قاموس الكتاب المقدس (١٨ / ٢) ، عربت في ترجمة « تاريخ العرب المطول » للدكتور حتي بـ « فوط » ص ٤٢ .
Hastings, P., 777, Enc. Bibl., P., 3984.

٣ حتى (ص ١٣) ،

٤ Barton, P., 8.

وأما تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند ، فلا يكون دليلاً قاطعاً على هجرة الساميين من إفريقية عن طريق الحبشة إلى جزيرة العرب ، إذ يجوز العكس ، وقديماً هاجر الساميون من العربية الجنوبية إلى الحبشة . والساميون هم الذين كوّنوا دولة (أكسوم) التي كانت تتكلم باللغة (الجعزية) ، وهي لغة سامية ، كما أن قلمها الذي يشبه قلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي . وكتابات (يها) (يحا) المكتوبة بالمسند ، في حد ذاتها دليل على أثر العرب الجنوبيين في الإفريقيين (الكوشيين) ، وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة إلى كتابات السبثيين^١ ، كما يمكن اعتبار تشابه أسماء بعض الأماكن القديمة في الحبشة مع نظائر لها في اليمن ووجود معبد في الحبشة خص بالإله (المقة) إله سبأ العظيم^٢ ، وأمور أخرى دينية ولغوية وأثرية ، واعتراف الأحباش بأنهم من نسل ملكة سبأ (بلقيس) (ماقدة)^٣ ، من (سليمان الحكيم) ، وأن (حبشت) التي أخذ الأحباش منها اسمهم في اللغة العربية هي مقاطعة تقع في العربية الجنوبية في رأي أكثر العلماء ، وأن (الأجاعز) أصحاب اللغة الجعزية هم أقدم من هاجر من اليمن إلى الحبشة ، ووجود صلات قديمة بين الساحلين الإفريقي والعربي ، إذا نظرنا إلى كل هذه الأمور نظرة علمية دقيقة ، نجد أنها تجعل أمام القائلين إن أصل الساميين من إفريقية صعوبات ليس من السهل التغلب عليها ، ولا سيما إذا أضفنا إليها الأثر الذي تركته اليهودية والنصرانية في الأحباش وفي الشعوب الكوشية الأخرى ، فقرب ثقافتها من الثقافة السامية وأثر في لغتها ، وهو أثر يجب أن يقام له وزن عند بحث هذا الموضوع .

ثم إن كثيراً من علماء (الأنثروبولوجي) يرون أن إفريقية تأثرت بالدماء الآسيوية . أما تأثيرها في دماء أهل الشرق الأدنى وفي دماء سكان جزيرة العرب ،

Mueller, Epigraphische Denkmäler aus Abessinien, Glaser, Die Abessiner in Arabien und Africa, Muenchen, 1895. ١

Ditlef Nielsen, Der Sabaische Gott Imukah, S., I, D. H. Mueller, Epigraphische Denkmäler, S., 57. ٢

Enc., Vol., I, P. 720, B. Littman, The Legend of Queen of Sheba in Tradition of Axum, in Bibliotheca Abessinica. ٣

Enc., Vol., I, P., 119, Conti Rossini, Note sugli Habshat, Roma, 1905. ٤

فقد كان قليلاً لقد دخلت إليها دماء شعوب الشرق الأدنى من البحر المتوسط ومن طورسيناء ومن مضيق باب المندب . ويظهر أثر هذا الاختلاط واضحاً في إفريقية الشرقية وإفريقية الشمالية ، وما زال هذا التأثير واضحاً حتى اليوم^١ . ولهذا فإن من الصعب تصور هجرة الساميين من إفريقية الى جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق على وفق نظرية هؤلاء العلماء .

ومن القائلين إن المهمل الأصلي للساميين هو أرض إرمينية (جون بيترس) ، وحجته في ذلك أن هذا المحل هو أنسب مكان يتفق مع رواية التوراة في الطوفان ، وهو المحل الأصلي للأمم السامية والآرية^٢ . ثم إن الأنف الحثي يشبه كل الشبه الأنف العبراني ، وفي هذه التسمية دلالة على المكان ، وقد نسي أن العرب وهم من الساميين لم يرزقوا هذا الأنف^٣ .

وقد ذهب (أنكناد) (Ungnad) الى أن أصل الساميين من أوروبة ، وقد تركوها وهاجروا منها إلى آسية الصغرى ، ثم هاجروا منها الى أرض (أمورو) (Amurru) ، وذهب قسم منهم في الألف الرابعة قبل الميلاد الى بابل وبقية أنحاء العراق^٤ .

وذهب (كلي) الى أن الوطن الأصلي للساميين هو أرض (أمورو) (Amurru) (الأموريين) وتشمل هذه الأرض ، في رأيه ، بلاد الشام ومنطقة الفرات^٥ . من هذه المنطقة هاجر الساميون ، وهو قد توصل الى نظريته هذه من الدراسات اللغوية^٦ ، ولكنها لا تستند في الواقع إلى أدلة قوية . والأموريون من الشعوب السامية القديمة التي سكنت في فلسطين والشام واقليم بابل^٧ .

١ L. H. D. Buxton, The People of Asia, London, 1925, P., 34.

٢ السامية (ص ٤)

Journal of the American Oriental Society, XXXIX, 243, ff, Barton, P., 8.

Barton, P., 8. ٣

A. Ungnad, Die Aeltesten Voelkerwanderungen Vorderasiens, Kulturfragen, I, (Breslau), 1923, 5, A. Grohmann, Arabien, S., 14. ٤

Barton, P., 8, A. T. Clay, Amurru, The Home of the Northern Semites, Philadelphia, 1909, The Empire of the Amorites, New Haven, 1919, Enc. of Rel. and Ethics, II, 380. ٥

Barton, P., 9. ٦

Haslings, P., 27, Enc. Bibl., P., 146, Meissner, Altar. Privatrecht, No. 42, Schrader, K. A. T., S., 178. ff. ٧

وذهب آخرون إلى أن الوطن الأول الأصل للساميين هو أرض (قفقاسية) ،
إذ كان البشر من ثلاثة أجناس أساسية، هي : الجنس القفقاسي (Caucassids)
والجنس المنغولي (Mongoloids) (الآسيويين) ، والجنس الزنجي Negroids .
وقد قصدوا بالجنس القفقاسي أصحاب البشريتين البيضاء والسمرات ، أي الآريين
والساميين . فوطن هذين الجنسين الأول هو (قفقاسية) على هذا الرأي . منه
انتقل الساميون إلى أوطانهم الجديدة ، بهجرتهم إلى الجنوب واستقرارهم فيما يقال
له (الهلال الخصيب) ، ثم فيما وراءه إلى السواحل الجنوبية لجزيرة العرب ،
ومنه انتقل الآريون إلى الجنوب الشرقي لقفقاسية وإلى الغرب والشمال ، أي إلى
آسية وأوروبية ثم إلى أماكن أخرى فيما بعد^١ .

وهجرات على هذا النحو ، لا بد أن تكون لها أسباب ومسببات، إذ لا يعقل
ترك إنسان لوطنه من غير سبب . وقد بحث القائلون بهذا الرأي عن الأسباب
التي أدت إلى وقوع تلك الهجرات ، فوضعوا لهم جملة فرضيات .

ظهر الساميون على مسرح الوجود في الألف الثالثة قبل الميلاد ، واستقروا في
هذه الأرضين التي اصطبغت بالصبغة السامية ، وهي الهلال الخصيب وشبه جزيرة
سيناء وجزيرة العرب ، حيث تعد اليوم المواطن الرئيسية للساميين^٢ .

وقد توسط بعض الباحثين بين الآراء المتباينة ، عن الوطن الأول للجنس
السامي، فذهب إلى أن الهلال الخصيب وأطراف جزيرة العرب هي الوطن الأول
للساميين والميدان الذي وجدوا فيه منذ أقدم أيامهم، وقد كان هذا الميدان موضع
صراع بين البداوة والحضارة ، فقد كان البدو يهاجمون الحضرة سكان القرى
والمدن ، والبدو هم من الساميين ، وكثير من الحضرة كانوا من الساميين أيضاً،
ومن هذا التنازع على الحياة تكون تاريخ الساميين في هذه المنطقة الواسعة من
الهلال الخصيب التي تحدها من الشرق والشمال والغرب الجبال والتي تمتد فتشمل
كل جزيرة العرب^٣ .

Sonia Cole, Races of man, British Museum (Natural History). PP. 9. ١

Simon Dubnow, Weltgeschichte des Juedischen Volkes, Bd., I, S., 3. ٢

Ancient Iraq, PP., 125. ٣

الهجرات السامية :

تقول كل النظريات التي رأيناها عن أصل الوطن السامي ، بهجرات الساميين من ذلك الوطن الأم الى أوطان أخرى في أزمان مختلفة متباعدة ، وذلك لأسباب عديدة منها : ضيق أرض الوطن من تحمل عدد كبير من الناس، وتراحم الناس على الرزق ، مما دعاهم الى التحاسد والتباغض والتفتيش عن وطن جديد، وظهور تغيرات في طبيعة ذلك الاقليم ، الى عوامل أخرى .

وقد تصور القائلون ان جزيرة العرب هي مهد الجنس السامي ، بلاد العرب كمخزان هائل يفيض في حقبة متعاقبة ، تبلغ الحقبة منها زهاء ألف عام ، بما يزيد على طاقته من البشر الى الخارج، يقذف بهم موجات أطلقوا عليها (الموجات السامية)^١ .

وقد علل القائلون بنظرية أن جزيرة العرب هي مهد الجنس السامي ، سبب هذه الهجرات بعدم استطاعة جزيرة العرب قبول عدد كبير من السكان يزيد على طاقتها ، فلا يبقى أمامهم غير سلوك طريق الهجرات الى الأماكن الخصبة في الشمال . وقد كانت الطرق الساحلية من أهم المسالك التي أوصلت المهاجرين الى أهدافهم .

وفي جملة أسباب ضيق جزيرة العرب عن استيعاب العدد الكبير من السكان تغير مستمر طرأ عليها ، أدى الى انحباس الأمطار عنها وشيوع الجفاف فيها مما أثر على قشرتها وعلى أحيائها ، فهلك من هلك وهاجر من هاجر من جزيرة العرب ، وقد استمر هذا التغير آلافاً من السنين حتى حوّل بلاد العرب أرضين غلبت عليها الطبيعة الصحراوية ، وقلّت فيها الرطوبة ، وغلب على أكثر بقاعها الجفاف^٢ .

وقد رأى بعض العلماء أن جزيرة العرب كانت في عصر (البلايستوسين) (Pleistocene) خصبة جداً كثيرة المياه ، تتساقط عليها الأمطار بغزارة في جميع فصول السنة ، وذات غابات كبيرة وأشجار ضخمة، كالأشجار التي نجدها في الزمان

١ حتي (ص ١٣) . Montgomery, Arabia and the Bible, P., 21.

٢ Montgomery, Arabia and the Bible, PP., 90, « The Problem of the Physical change in Arabia ».

الحاضر في الهند وإفريقية ، وأن جوها كان خصباً من جو أوروبا في العصور الجليدية التي كانت تغطي الثلوج معظم تلك القارة ، ثم أخذ الجو يتغير في العالم ، فذابت الثلوج بالتدريج ، وتغير جو بلاد العرب بالطبع ، حدث هذا التغير في عصر الـ (نيوليثك Neolithic) أو في عصر الـ (كالكوليثك Chalcolithic) ، ولم يكن هذا التغير في مصلحة جزيرة العرب ، لأنه صار يقلل من الرطوبة ويزيد في الجفاف ، ويحول رطوبة التربة إلى يبوسة فيميت الزرع بالتدريج ، ويبهج سطح القشرة فيحولها رمالاً وتراباً ثم صحارى لا تصلح للنبات ولا الحياة الأحياء^١ .

فاضطرب سكان الجزيرة الذين كانوا من الصيادين إلى أن يكيفوا أنفسهم بحسب الوضع الجديد ، فأخذ ناس منهم يهاجرون إلى مناطق أخرى ملائمة لتوائهم حياتهم ومزاجهم ، وأخذ ناس آخرون يعتمدون على الزرع وتدجين الحيوانات ، وعلى الاكتفاء بصيد ما يرونه من حيوانات تحملت الجو الجديد متنقلين من مكان إلى مكان حيث الكأ والماء . وهكذا تعرضت حياة الأجسام الحية من نبات وحيوان لتغيرات تدريجية مستمرة ، فرضها عليها تغير الجو .

وقد أدى انحباس المطر وازدياد الجفاف ويبوسة الجو الى انخفاض الرطوبة من سطح الأرض ، وهبوط مستوى الماء بالتدريج عن قشرة الأرض ، وظهور الأملاح في الآبار ، وجفاف بعض الآبار ، فأدى ذلك إلى ترك الناس هذه الأماكن ، إذ صعب عليهم استغلالها بالزراعة ، واصلاحها بحفر آبار لا تساعد مياهها المالحة على نمو النبات ، ومعيشة الحيوان . حدث ذلك حتى في العصور الإسلامية حيث نسمع شكاوى مريرة من هذه العوارض الطبيعية^٢ .

١ BOASOR, Suppl., No. 7-9, P. 41, (1950), Discoveries, P. 82, A. Grohmann., Arabien, S. 5, B. Thomas, Anthropological Observations in South Arabia, Proceedings of the Royal Anthropological Institute.

٢ تجد امثلة كثيرة وبحثا فيما في هذا الموضوع كتبه (موريتس B. Moritz) في كتابه :

Arabien, Studien Zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes.

وقد تحدث (فلي) عن هبوط مستوى مياه بعض الآبار التي زارها عام ١٩١٧ م في الخرج^١ ، كما تحدث غيره من السياح عن حوادث مشابهة حدثت في تهامة والحجاز وأماكن أخرى^٢ .

ويعزو علماء طبقات الأرض انخفاض مستوى سطح الماء في جزيرة العرب إلى عوامل أخرى، إضافة إلى الجفاف مثل هبوط درجات الضغط على قشرة الأرض . وقد رأى الخبير الأمريكي (تويجل) (Twitchell) ، أن الماء قد انخفض زهاء سبع وعشرين قدماً عن مستواه الذي كان عليه قبل ألفي عام^٣ . ومن العلماء من يرى أن مستوى سطح الماء في البحر الأحمر وفي الخليج العربي قد انخفض كذلك، فذهب بعض علماء دراسة التوراة إلى أن مستوى سطح الماء في خليج السويس قد انخفض (٢٥) قدماً عما كان عليه في (أيام الخروج - Exodus)^٤ . وذهبت جماعة منهم إلى أن هذا الهبوط لم يكن كبيراً ، وإنما بلغ زهاء ست أقدام أو أقل من ذلك في خلال ثلاثة آلاف سنة^٥ . أما مستوى سطح الخليج العربي ، فقد هبط على رأي بعضهم زهاء عشر أقدام أو خمس أقدام خلال ألفي عام ، وإن ماء البحر قد تراجع في هذه المدة ، ويستدلون على ذلك بوجود السبخ في الأحساء والقطيف ، وهي ، في رأيهم ، من بقايا تآثر البحر في الأرض وبما ذهب إليه بعضهم من أن الربع الخالي ، وقد عثر فيه على بقايا بحر واسع في السهل المنخفض الذي يقال له أبو بحر ، كان متصلاً بالبحر العربي^٦ . ومهما يكن من شيء ، فإن هبوط مستوى سطح الماء مهما كان مقداره قد أثر في سطح الأرض .

وقد وجد السياح محاراً من النوع الذي يكون في المياه العذبة ، وأدوات من الصوان ترجع إلى ما قبل التاريخ والعصور الحجرية ، وبقايا عظام ترجع إلى هذه العصور في مناطق صحراوية ، ويدل وجودها فيها على أنها كانت مأهولة، وأنها لم تهمل إلا لعوارض طبيعية قاهرة لم يكن من الممكن التغلب عليها ، حولت

١ Philby, The Heart of Arabia, P., 37, 38, BOASOR, Suppl., Nos, 7-9, P., 41.

٢ راجع كتاب « موريتس » المذكور Discoveries, P., 83.

٣ Twitchell, Saudi Arabia, P., 44, 51.

٤ BOASOR, Suppl., Stud., Nos, 7-9, P. 42.

٥ المصدر نفسه

٦ Philby, The Heart of Arabia, P., 31, Dougherty, The Sealand, P., 160.

تلك المناطق الحصبة في ألوف من السنين إلى مناطق لا تتوفر فيها شروط الحياة ،
فهجرت^١ .

كما أننا نجد في الكتب العربية ذكر أشجار ضخمة كانت تنمو في مناطق
لا تنبت شيئاً ما في الزمان الحاضر ، وذكر مناطق كانت تحمي ، يقال لها
(الحمى) وقد جفّ معظمها ، وعاد أرضين قفرة جرداء ، فهلاك هذه النباتات
وجفاف هذه الأرضين ، لا يمكن أن يعزى إلى سوء الأوضاع السياسية وهجرة
القبائل والمزارعين إلى أماكن أخرى لفساد الإدارة في الأماكن البعيدة حسب ،
بل لا بد أن يكون للطبيعة يد في هذا التحول ونصيب . إن هذا التغير الذي
حدث في جو جزيرة العرب ، فساعد على ازدياد الجفاف وانجbas الأمطار ،
قد أباد النباتات ، وقاوم نمو المزروعات ، وعفى على الأشجار الضخمة التي
كانت تعيش من امتصاص جذورها العميقة للرطوبة من أعماق الأرض ، كما أثر
في حياة الحيوان كالأسد الذي قلّ وجوده ، وقد كان كثير الوجود ، ويدل
على كثرة وجوده هذه الأسماء الكثيرة التي وضعت له وحفظت في كتب
اللغة^٢ . وحمار الوحش وقد كان من الحيوانات التي يخرج الناس لصيدها في
الحجاز وفي نجد ، والنعام^٣ . والرثم أو بقر الوحش ، والفهد ، والنسر^٤ .

ومن العلماء الذين نسبوا هجرة الساميين من جزيرة العرب إلى خارجها ، إلى
عامل الجفاف والتغير الذي وقع في جو جزيرة العرب ، العالم الايطالي (كيتاني)
(L. Caetani) . لقد تصور (كيتاني) بلاد العرب في الدورة الجليدية جنة ،
بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدة طويلة وكانت سبباً في رسم تلك الصورة
البديعة في تخيلة كتّاب التوراة عن (جنة عدن) . وجنة عدن المذكورة في
العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت في نظر (كيتاني) في جزيرة العرب ،

١ المراجع نفسها ، مجلة سومر ١٩٤٩ ، المجلد الخامس ، ١٢٧/٢ فما بعدها .
٢ المخصص (٥٩/٨) فما بعدها) وقد اشتهرت بعض الأماكن بأسودها ، مثل
(عثر) قال الهمداني : « وإلى حارة عثر تنسب الاسود التي يقال لها اسود
عثر ، واسود عتود وهي قرية من بواديها وقد ذكرها ابن مقبل : »
جلوسا بها الشم اللجان كأنهم اسود بئرج او اسود بعثودا

Moritz, S., 35. ff., 40, Noeldeke, In ZDMG., 49, 713. f.

Moritz, S., 42, Wellhausen, Lieder der Hudhaliten, No., 175, 176, Bunting, I, 230. ٣

٤ صفة ص ٢٠٢

غير أن الطبيعة قست عليها ، فأبدلتها صحارى ورمالاً ، حتى اضطر أصحابها إلى الارتحال عنها إلى أماكن تتوافر فيها ضروريات الحياة على الأقل فكانت الهجرات إلى العراق وبلاد الشام ومصر والمواطن السامية الأخرى . وكانت هذه الهجرات كما يقول قوية وعنيفة بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، فدخل الهكسوس أرض مصر ، وهاجر العبرانيون إلى فلسطين ، ثم ولي ذلك عدد من الهجرات^١ .

ويرى (كيتاني) أن هذا التغير الذي طرأ على جو جزيرة العرب ، انما ظهر قبل ميلاد المسيح بنحو عشرة آلاف سنة ، غير أن أثره لم يبرز ولم يؤثر تأثيراً محسوساً ملموساً إلا قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة آلاف سنة . وعندئذ صار سكان بلاد العرب ، وهم الساميون ، ينزحون عنها أمواجاً ، للبحث عن مواطن أخرى يتوفر فيها الخصب والخير ، وحياة أفضل من هذه الحياة التي أخذت تضيق منذ هذا الزمن^٢ .

وقد تصور (كيتاني) أودية جزيرة العرب ، مثل وادي الحمض ووادي السرحان ووادي الرمة ووادي الدواسر ، أنها رأ كانت ذات مياه غزيرة تنساب إليها من المرتفعات والجبال في الدهور الغابرة ، أثرت فيها التغيرات الطبيعية المذكورة ، فقللت من مياهها حتى جفت ، فصارت أودية ، لا تجري فيها المياه إلا أحياناً ، إذ تسيل فيها السيول بعد هطول الأمطار^٣ .

وقد ذهب إلى هذا الرأي المستشرق الألماني (فرتزهومل) أيضاً ، فرأى أن الأنهر المذكورة في التوراة على أنها أنهر جنة (عدن) ، هي أنهر تقع في بلاد العرب ، وأن الأنهر المشار إليها ، هي وادي الدواسر ، ووادي الرمة ، ووادي السرحان ، ووادي حوران^٤ . وأما (كلاسر) ، فذهب إلى أن نهري

١ المقتطف ، جزء يوليو ١٩٤٤ ، ص ١٢٣ فما بعدها ، الجزء الثاني من المجلد الخامس بعد المئة ، مجلة سومر ، الجزء الثاني ، المجلد الخامس ١٩٤٩ ، ص ١٢٣ فما بعدها ،

Caetani, Studi della Historia Orientale, Vol., I, P., 64, 185, 186, 188, 192. 277.
Musil, Negd, P., 311, 305, Caetani, Studi, Vol. 2, PP. 53, 65.

Montgomery, Arabia and the Bible, P., 95. ٢

Caetani, Studi, Vol., I, P., 64, 80, 243, Vol. 2, PP. 53. 65. Musil. Negd. ٣
P., 305, Caetani, Annali Dell'Islam, II, Part II, (1907), 831. ff.

Montgomery, Arabia, PP., 9, F. Hommel, Opus Magnum Ethnologie und ٤
Geographie des Alten Orients, II, 508, 547, 1928.

(جيحون) و (فيشون) ، وهما من أنهر (جنة عدن) الأربعة في رواية التوراة^١ ، هما في جزيرة العرب^٢ .

ويعتقد (كيتاني) أن الفيلة والحيوانات الضخمة التي يندر وجودها اليوم في بلاد العرب ، كانت موجودة فيها بكثرة ، ولا سيما في أرض (مدين) . وكان الصيادون يخرجون لاصطيادها لأكل لحومها^٣ . وقد جاء بأمثلة لتأييد رأيه من كتب (الكلاسيكيين)^٤ .

وقد قسّم (كيتاني) جزيرة العرب إلى قسمين : غربي وشرقي . أما القسم الغربي ، فهو الذي على ساحل البحر الأحمر الشرقي ، وفيه سلاسل جبلية ومرتفعات . وأما القسم الشرقي ، فالأرضون التي تأخذ في الانحدار والميل . وهي عند السفوح الشرقية للجبال ، وتمتد نحو الخليج . وقد كان سكان المناطق الغربية - في رأيه - في مستوى راق من المدنية ، وكان لهم سلطان كبير على المناطق الشرقية ، وعلى سكانها الذين كان يغلب عليهم الفقر . وقد كان فعل الجفاف أشد وأسرع في الأرضين الشرقية منه في الأقسام الغربية ، لذلك بدأت الهجرات من هذه المناطق قبل المناطق الغربية ، وظهرت فيها البداوة بصورة أوضح من ظهورها في الأرضين التي على ساحل البحر الأحمر والمتصلة باليمن وبلاد الشام . ولما توسعت منطقة الجفاف وأخذت الرطوبة تقلّ في جو بلاد العرب الغربي ، ظهرت أعراض الصحراوية في تلك الأرضين كذلك ، واضطر السكان إلى الهجرة منها إلى مناطق أخرى^٥ .

وقد لاقت نظرية (كيتاني) هذه رواجاً بين عدد كبير من المستشرقين ، واعتدها (السير توماس أرنولد) من أهم النظريات التي اكتشفها المؤرخون الحديثون بالنسبة إلى التأريخ العربي^٦ . غير أن المستشرق (الويس موسل) ، يرى أنها لا تستند إلى أسس تاريخية ، ولا إلى أدلة علمية ، وأن القائلين بها قد بالغوا

١ التكوين ، الإصحاح الثاني ، الآية ١٠ . فما بعدها .

٢ Glaser, Sklze, S., 314, Montgomery, P., 94.

٣ Musil, Negd, P., 308.

٤ Strabo, Geography, XVI, 4, 18, Periplus, PP., 177, (Mueller Ed.), Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 43. f.

٥ Musil, Negd, P., 311, Caetani, Studl., P., 210.

٦ Musil, Negd, P., 304, Arnold, The Caliphate, (1924), PP. 23.

فيها مبالغة كبيرة ، ويرى أنه ما دامت البحوث (الجيولوجية) التي قام بها العلماء في مراحلها الأولى ، وقد جرت في مناطق محدودة فلم تفحص أكثر مناطق جزيرة العرب فحصاً علمياً فنياً ، حتى الآن ، فلا يصح الاعتماد على فرضيات ، تبنى عليها آراء ثابتة . ولهذا فهو يرى أن الأدلة (الجيولوجية) التي استشهد بها (كيتاني) ضعيفة وغير كافية ، فهي لا تستحق مناقشة ، واكتفى بمناقشة الأدلة التاريخية^١ .

يرجع (موسل) سبب الهجرات ، وتحول الأرضين الخصبة صحارى ، إلى عاملين هما : ضعف الحكومات ، وتحول الطرق التجارية^٢ . فضعف الحكومات ينشأ عنه تزعم سادات القبائل والرؤساء ، وانشقاقهم على الحكومات المركزية ، ونشوب الفتن والاضطرابات واشتعال نيران الحروب ، وانصراف الحكومة والشعب عن الأعمال العمرانية ، وتلف المزارع والمدن ، وتوقف الأعمال التجارية وحصول الكساد ، وانتشار الأمراض والمجاعة ، والهجرة إلى مواطن أخرى يأمن فيها الإنسان على نفسه وأهله وماله . فعراق سد^٣ (مأرب) مثلاً لا يعود إلى فعل الجفاف الذي أثر على السد^٤ كما تصور ذلك (كيتاني)^٥ ، بل يعود إلى عامل آخر لا صلة له بالجفاف ، هو ضعف الحكومة في اليمن ، وتزعم (الأقيال) و (الأذواء) فيها ، وتدخل الحكومات الأخرى في شؤون العريضة الجنوبية كالحبشة والفرس ، مما أدى إلى اضطراب الأمن في اليمن ، وظهور ثورات داخلية وحروب ، كالذي يظهر من الكتابات التي تعود إلى النصف الثاني من القرن السادس للميلاد^٦ ، فألهم ذلك الحكومة عن القيام بإصلاح السد ، فتصدعت جوانبه ، فحدث الانفجار ، فخرست منطقة واسعة من أرض اليمن مورد عيشها الأول ، وهو الماء ، وبست المزارع التي كانت تترتوي منه ، واضطرت القبائل وأهل القرى والمدن الواقعة فيها إلى الهجرة إلى مواطن جديدة . وتصدع السد بسبب ضغط الماء على جوانبه ، هو في حد ذاته دليل على فساد نظرية الجفاف^٧ .

١ Musil Negd, P., 304.

٢ Musil, Negd, PP., 317.

٣ Musil, Negd, P., 309, Caetani, Studl., 267, 296.

٤ Corpus Inscriptionum Semiticarum, (1911), Part, 4, Vol., 2, Nos. 384, 540, 541.

٥ Musil, Negd, P., 310, Corpus Inscript. Semit, No. 540, II, 54-54.

ويرى (موسل) أن التقدم الذي حدث في البلاد العربية بعد القرن التاسع عشر دليل آخر على فساد نظرية (كيتاني) ، فقد ظهرت مدن حديثة ، وعمرت قرى ، وشقت ترع ، وحفرت آبار ، وعاش الانسان والحيوان والنبات في مناطق من العراق وسورية ولبنان وفلسطين والأردن كانت تعد من الأرضين الصحراوية^١ . فليس الجفاف هو المانع من عمارة هذه المناطق ، والسبب في تكون هذه الصحارى ، بل السبب شيء آخر ، هو ضعف الحكومات وانصرافها عن العمارة وعن المحافظة على الثروة الطبيعية وضبط الأمن ، ووقوفها موقف المتفرج تجاه قطع الناس للأشجار واستئصالها لاستخراج الفحم منها ، أو لاستعمال خشبها في أغراض أخرى ، وقتال القبائل بعضها ببعض ، هذا وان من الممكن إعادة قسم من الأرضين الجرد إلى ما كانت عليه ، إذا ما تهيأت لها حكومة قوية رشيدة تنصرف إلى حفر الآبار ، واقامة السدود ، وغرس الجبال ، وانشاء الغابات ، والاستفادة من مياه العيون^٢ .

ويرى (موسل) أيضاً أن ما ذكره (كيتاني) عن الأنهار في جزيرة العرب مسألة لا يمكن البت فيه الآن ، لقلة الدراسات العلمية^٣ ، كما ان ما ذكره عن انعدام أجناس من الحيوانات ، ليس مرده إلى الجفاف وعدم احتمال تلك الحيوانات الجو الجديد ، فهلك ، أو هاجرت إلى مواطن جديدة ، بل مرده في نظره إلى اعتداء الانسان عليها ، وقتله إياها . ودليله على ذلك أن الحيوانات التي ورد ذكرها في كتب (الكلاسيكيين) لا تزال تعيش في المناطق التي عيشتها أولئك الكتاب ، ولكنها بقلة . كذلك نجد الهمداني وغيره ينكر وجود الأسد وحيوانات أخرى في مواضع قل فيها وجودها الآن ، وهذا مما يشير إلى أن هذه الحيوانات لم تنقرض أو تقل بفعل تبدل الجو ، بل بفعل اعتداء البشر عليها ، وان اعتداء البشر على الحيوان شر من اعتداء الطبيعة عليه^٤ .

ولا يوافق (موسل) على نظرية (كيتاني) في هجرة القبائل العربية من الجنوب إلى الشمال ، أو من الشرق إلى الشمال . وقد رأى (كيتاني) كما سبق

١ Musil, Negd, P., 310.

٢ Musil, Negd, P., 318.

٣ Musil, Negd, P., 305, Caetani, Studl., P., 60, 87. ff.

٤ Musil, Negd, P., 309.

أن ذكرنا تقسيم جزيرة العرب إلى قسمين : قسم غربي وهو الممتد من فلسطين إلى اليمن ، وينتهي بالبحر العربي ، وتكون حدوده الشرقية (السراة) والغربية البحر الأحمر ومضيق باب المندب . وقسم شرقي ، وهو ما وقع شرقي (السراة) إلى الخليج والبحر العربي^١ .

وقد ظهر الجفاف في رأي (كيتاني) في القسم الشرقي قبل الغربي ، ولهذا صار سكانه يهاجرون منه بالتدريج إلى مواطن جديدة صالحة للاستيطان مثل العراق والشام ، كما صار سبباً لظهور الصحارى الشاسعة في هذا القسم بصورة لا نعهد لها في القسم الغربي^٢ .

ويرى (موسل) أن هذا تقسيم لا يستند إلى أسس طبيعية وجغرافية ، ولا إلى آراء (الكلاسيكيين) ، أو علماء الجغرافية العرب ، أو غيرهم ، وأنه مجرد رأي لا يمكن أن يكون حجة لاثبات مثل هذا الرأي^٣ .

ولموسل رأي في الهجرات ، يرى أن ما قاله (كيتاني) وغيره عن الهجرات من جزيرة العرب ، من اليمن أو من نجد إلى الشمال ، قول لا يستند إلى دليل تاريخي قوي . فليست لدينا حتى الآن براهين كافية تثبت - على حد قول موسل - أن أصل (الهكسوس) أو (العبرانيين) مثلاً من جزيرة العرب^٤ . كما أن ما ادعاه (كيتاني) عن استمرار الهجرات من الألف الثالث أو قبل ذلك قبل الميلاد إلى القرن السابع بعد الميلاد قول لا ينطبق مع المنطق . فلكم ظلت هذه الهجرات مستمرة إلى أن توقفت بعد القرن السابع للميلاد ؟ أزدت الرطوبة وتحسن الجو ؟ أم أن القبائل الكبيرة كانت قد تجمعت إلى قبائل صغيرة وعشائر وأفخاذ ، فأصبح في إمكانها العيش بعض الشيء في محال صغيرة ، لا تحتاج إلى مراعي شاسعة ، ولا إلى مياه غزيرة ؟ فلم تدفعها الحاجة منذ هذا العهد إلى الهجرة في شكل موجات كبيرة . وهل كان الجفاف هو المانع من مهاجمة حدود الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية اللتين كانتا قد سدتا أبواب جزيرة العرب على أهلها ، فلم تسمحا للقبائل بتخطي هذه الحدود ؟ ويرى ان

Musl, Negd, P., 311. ١

Caetani, P., 210, Musl, Negd, P., 311. ٢

Musl, Negd, P., 311. ٣

Musl, Negd, P., 311. ٤

ما ادعاه (كيتاني) من أن الجفاف والجوع حملا قبائل اليمن على الهجرة إلى الهلال الخصيب حيث نزلت في أرضين كانت خالية مهجورة على أطراف الفرات والشام ، فألفت حكومتي (المناذرة) و (الغساسنة) ، قول لا يؤيده ما جاء في الكتب (الكلاسيكية) وفي المصادر (السريانية) من أن تلك الأرضين كانت عامرة ، آهلة بالسكان ، تمر بها الطرق التجارية العالمية . ويرى (موسل) أن الحكومتين (اللخمية) و (الغسانية) إنما ظهورتا بعد سقوط (تدمر) وقد أسس الدولتين (مشايخ) من أهل الهلال الخصيب، ولم يكونوا مهاجرين وردوا من الجنوب ، أو من العروض على نحو ما تزعمه بعض الروايات^١ .

ويأخذ (موسل) على (كيتاني) تصديقه الرواية العربية عن هجرة القبائل ونظريتها في الأنساب ، واعتدادها من جملة الأدلة التي تثبت نظرية الجفاف . ويرى أنها - مع التسليم بصحتها - تنطبق على الوضع الذي كان في القرن السابع للميلاد وفي الجاهلية القريبة من الإسلام ، وأنها رواية تستند إلى خبر مسوَّغ لا يصح أن يكون سنداً في اثبات الهجرات لما قبل الميلاد^٢ .

ويمكن تفسير انتساب القبائل - على حد قول موسل - بصورة أخرى ، هو أن العرب الجنوبيين كانوا قد هيموا في الجاهلية وقبل الإسلام بقرون على الطريق التجارية التي تصل الشام باليمن وعلى الطرق التجارية الأخرى ، وكانت لهم حاميات فيها لحماية القوافل من غارات الأعراب ، فلما ضعف أمر حكومات اليمن ، استقلت هذه الحاميات ، وكان كثيراً من أفرادها قد تزاوجوا مع من كان يجاورهم من القبائل ، واتصلوا بهم . ولما كان لليمن مقام عظيم وشرف بين القبائل ، انتسب هؤلاء إلى اليمن ، وصاروا يعدون أنفسهم مهاجرين ، يتصل نسبهم بنسب اليمن . ومن هنا نشأت ، في رأي (موسل) أسطورة الأنساب ! ثم جاء علماء الأنساب في (المدينة) و (الكوفة) فسجلوها على أنها حقيقة واقعة ، ومنهم انتقلت إلى كتب التاريخ ، فتوسعت وتضخمت في الإسلام^٣ .

ويدعي (موسل) أنه لو كانت هنالك هجرات حقاً ، لرأينا أثرها في لغة

١ Musil, Negd, P., 312, Kuseir 'Amra, PP., 131.

٢ Caetani, PP., 268, Musil, Negd, P., 311.

٣ Musil, Negd, P., 312.

القبائل النازحة إلى الشمال وفي عقيدتها الدينية وفي ثقافتها وفي أساطيرها وفي قصصها الشعبي ، ولوجدنا في أقل الأحوال إشارة في الكتابات العربية الجنوبية التي تعود إلى ما قبل الإسلام . ولكننا لا نجد شيئاً من ذلك ، وهذا مما يفند رأي القائلين بالهجرات، وبأن أصل كثير من القبائل التي كانت تقيم في شمال جزيرة العرب ، ومن هؤلاء الغساسنة والمناذرة ، هم من اليمن^١ .

ويعترض (موسل) أيضاً على دعوى (كيتاني) وغيره من المستشرقين ممن زعموا أن الفتح الإسلامي هو آخر هجرة سامية قذفت بها جزيرة العرب إلى الخارج ، وأنها كانت بسبب الجفاف والجوع ، ويرى أن ما جاء في هذه الدعوى لا يتفق مع الحقيقة ، وأن ما ذكره (كيتاني) عن عدد نفوس الحجاز مبالغ فيه ، وأن الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية حسب ، بل كانت فيها قبائل عراقية وشامية نصرانية، ساعدت أبناء جنسها العرب مع اختلافها مع المسلمين في الدين، وحاربت الروم والفرس ، ولذلك فليست الفتوحات الإسلامية هجرة من جزيرة العرب إلى الخارج على نحو ما تصوره (كيتاني) بدافع الفقر والجوع^٢ .

والرأي عندي أن ما يسمى بموضوع تغير الجو في جزيرة العرب وبالهجرات السامية والاستشهاد بآثار السكنى عند حافات الأودية وفي أماكن مهجورة نائية ، لاتخاذ ذلك دليلاً على الوطن السامي وعلى هجرة الساميين ، هو موضوع لم ينضج بعد ، وهو لا يزال بعدُ يحتاج إلى دراسات علمية وإلى نتائج أبحاث علماء (الجيولوجيا) والعلوم الأخرى ، ليقولوا كلمتهم في هذا الموضوع . فعلى بحث هؤلاء يتوقف الحكم في موضوع تطور الجو وتغير الإقليم . أما الحدس والتخمين ، وأما الاعتماد على حوادث وعلى بحوث لغوية ومقابلات ومطابقات في أمور دينية وثقافية أخرى ، فإنها لا تكفي في نظري للبت في قضايا يجب أن يكون فيها الحكم والكلمة للعلوم لا للحدس والتصور والتخمين . هذا هو رأيي الآن في هذا الموضوع ، وفي كل الآراء الواردة عن مواطن الساميين .

فقد رأينا أن بعض تلك الآراء إنما قيلت لاعتقاد أصحابها بما ورد في التوراة،

١ Musil, Negd, P., 318.

٢ Musil, Negd, P., 313, Caetani, Studl., P., 307.

فجاءت بكل ما عندها من حجج وأدلة لإثبات رأيها هذا ، ورأينا أن في بعض الأدلة متناقضات واستشهادات ضعيفة ، ورأينا أن الاستشهاد باشتراك اللغات في الألفاظ لا يمكن أن يكون دليلاً قاطعاً على الأصل المشترك ، ثم إننا لا نملك سجلاً تاريخياً للنبات والحيوان ولظهور الألفاظ حتى نستشهد به في إثبات نظرية من النظريات ، وكل ما لدينا من هذا النوع إنما هو مجرد رأي وحس. والرأي لا يكون رأياً علمياً إلا بحجة قاطعة وبدليل علمي دامغ وبحوث مخبرية وآثار تثبت ذلك للعيان ، فن حقي إذن أن ألتزم التريث والانتظار وأستعجل العلماء المتخصصين في دراسة طبقات الأرض ، لنرى نتائج بحوثهم لنستشير بها في إعطاء أحكام في هذه الآراء .

أما بعض الأمثلة التي استشهد بها لإثبات تغير جو جزيرة العرب ، فهي أمثلة لا يمكن أن تكون دليلاً للتغير ، وإنما ترجع إلى عوامل أخرى مثل تغير طريق القوافل ، وتغير اتجاهات السفن البحرية ، وإلى الفتن والحروب وغارات القبائل المتوالية التي هي من شر الأوبئة التي فتكت بالمجتمع العربي ، فسببت هرب الجضر من أماكن إقامتهم إلى أماكن أخرى ، لعدم وجود قوات نظامية وحكومة ترد اعتداءات الأعراب عليهم ، ثم الحروب الأهلية التي وقعت في اليمن بين الحبش وأهل اليمن وأمثال ذلك مما وقع بين الفرس والعرب . أما في الإسلام، فقد كان للفتوحات دخل كبير في هجرة القبائل لنشر الإسلام وللإستمتاع بخيرات بقاء جديدة في العراق وفي بلاد الشام وفي أماكن أخرى لا يوجد بها مثيل في جزيرة العرب ، فتخربت لذلك بعض القرى والسدود القديمة التي كانت في الإسلام ، وهي اليوم خراب . أضف إلى ذلك الحروب والفتن التي وقعت في اليمن وفي باقي العربية الجنوبية والعروض في أيام الأمويين والعباسيين وفي الأيام التي تلتهم ، فنشرت في تلك الديار الخراب ، ثم إهمال الأمويين ومن جاء بعدهم من خلفاء وملوك وحكام شأن جزيرة العرب ، لفقرها وعدم وجود موارد غنية فيها ، وانتقال أصحابها أصحاب الجاه والتفوذ إلى البلاد الغنية ، فلم يبق من يدافع عنها ويتحدث بلسانها باعتبارها مهد العرب الأول ومهد الإسلام، فتقوى الخراب بذلك على العمار ، وأخذ يبتلع ما يجده أمامه من مستوطنات حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم .

والدليل على ذلك ، ورود أسماء مواضع عديدة في اليمامة وفي الحجاز وفي

نجد واليمن وفي كل أنحاء جزيرة العرب الأخرى في الموارد العربية الإسلامية ، كانت مأهولة مزروعة في صدر الإسلام ، خربت وهجرت وصارت أثراً ، وقد ذهب عن أكثرها حتى الاسم . فلما كتب عنها الجغرافيون لم يجدوا من عمرائها شيئاً . بل نجد في كتب الجغرافيين أسماء مواضع نزلوا بها وأقاموا فيها ، وكانت معمورة مسكونة . أما اليوم فلم يبق من أكثرها شيئاً ، فهل نرجع فعل هلاكها إلى الجفاف وتغير الجو وإلى اندثار الواحات والبحيرات والأنهار ؟ إن الجغرافيين المذكورين لم يشيروا إلى وجود واحات وبحيرات وأنهار حتى نقول بفعل الجو فيها ، بل هنالك عوامل أخرى عديدة اضطرت الناس إلى ترك مواطنهم تلك التي ذكرتها ، وفي مقدمتها الفتن والغزو وتغير الطريق وعدم قيام حكومة قوية تحمي الأمن .

وأما موضوع الاستشهاد بالهجرات ، فإنه موضوع غامض يحتاج إلى دراسة علمية عميقة ، فالذين يرون أن جزيرة العرب كانت مهد الجنس السامي ، وضعوا نظريتهم هذه قياساً على روايات أهل الأخبار من أمر هجرة العرب إلى تلك الأرضين ، ومن الفتح الإسلامي الذي جرف قبائل عدنانية وقحطانية فساقها إلى بلاد العراق وبلاد الشام وإلى ما وراء هذه الأرضين ، ومن هجرة قبائل من جزيرة العرب إلى تلك البلاد حتى الزمن القريب ، ومن أخبار عن هجرة الفينيقيين من البحرين إلى بلاد الشام . ولكننا نجد من ناحية أخرى أن التوراة تذكر أن الاسماعيليين هم سكان أرضين تقع في الأقسام الشمالية الغربية من جزيرة العرب وفي شرق فلسطين في البادية وفي طور سيناء ، والأخباريون يذكرون أن العدنانيين هم من سلالة اسماعيل أي أنهم اسماعيليون ، ويذكرون أنهم جاؤوا من الشمال فسكنوا الحجاز ، وأن جددهم رفع قواعد البيت الحرام . ونرى أن اليهود زحفوا من فلسطين نحو الحجاز ، وأن أقواماً من سكان العراق زحفوا نحو الجنوب فسكنوها في العروص . وأن قبائل عراقية كالقبائل العبرانية هاجرت من العراق إلى بلاد الشام ثم إلى مصر ثم عادت إلى بلاد الشام ، فمثل هذه الهجرات تلفت النظر وتجعل الباحث يبحث عن أمثلة أخرى من هذا القبيل ، لعله يجد غيرها أيضاً . وهي تجعله يشعر أن الهجرات لم تكن دائماً في اتجاه واحد ، بل كانت حركة دائمة تتجه مختلف الاتجاهات ، لعوامل سياسية واقتصادية وحربية ساحتها من شمال بلدية الشام إلى سواحل البحر العربي في الجنوب ، ومن سواحل البحر

الأحمر إلى سواحل الخليج العربي ، فهي ليست هجرات بالمعنى الذي نفهمه من الهجرات في لغة علماء الساميات ، ذات أزمان معينة لها أمد محدود كآلف عام أو أكثر من ذلك أو أقل ، وبمقياس ضخم كبير ، بل هي حركة دائمة لقبائل أو الجماعات تنتقل من مكان إلى مكان طلباً للمعاش أو لأحوال سياسية وحربية ، فهي هجرة بهذا المعنى لاذن ليس غير . فهذه الأرضون التي تشمل كل جزيرة العرب والعراق إلى حدود الجبال وكل البادية الواسعة حتى سواحل البحر الأبيض فطورسيناء إلى نهر النيل ، هي مواطن الساميين، ومسارحهم التي كانوا وما زالوا يدرجون عليها . وقد درجت عليها أقوام أخرى أيضاً ليست بأقوام سامية ، قبل الميلاد وبعده ، بل حتى في زمن الإسلام ، ولكنها غلبت على أمرها، وصهرت في بوتقة الساميين ، أمثال الفرس واليونان والرومان والصليبيين . فقد بقي من هؤلاء خلق اندمجوا بهم وتحلقوا بأخلاقهم وتكلموا بلستهم بمرّ السنين ، حتى صاروا مثلهم ومنهم ، وبذلك امتزجت دماء الساميين بدماء غريبة عنهم فدمهم من هنا ليس بدم صاف نقي ، وليس في الأجناس البشرية جنس يستطيع أن يفخر فخراً مطلقاً بكونه الجنس النقي الخالص الذي لم يختلط قط بأي دم غريب .

أضف إلى ما تقدم أن العلماء القائلين بتبدل الجو وبتغيره ، هم على خلاف بينهم في الأزمنة وفي الأسباب . فمنهم من بالغ ، ومنهم من أفرط حتى قال إن الجو في جزيرة العرب كان يختلف في أيام اليونان والرومان عنه في الأيام الحديثة^١ . ومنهم من قال إن الجو لم يتبدل تبديلاً محسوساً مؤثراً فيها منذ حوالي ألفي عام ، ومنهم من عزا أسباب انخفاض مستوى الماء الأرضي في جزيرة العرب إلى عوامل ليست لها صلة بتبدل الجو، وعزا خراب القرى والمدن واندثار السدود إلى عوامل أخرى لا علاقة لها بتبدل الجو^٢ . ومع كل ذلك ، فإن هذه الدراسات لم تنضج بعد ، ودراسة أرض جزيرة العرب وجوّها لم تتم بصورة علمية مختبرية بعد ، وأكثر ما ذكرته هو ملاحظات مؤرخين أو باحثين علميين ، على نحو من الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء نظريات معقولة مقبولة على مثل هذه الآراء .

Discoveries, P., 82, E. Huntington, Palestine and its Transformation, Cambridge, 1911.

١

Discoveries, P., 84.

٢

إن هذه الملاحظات تدفعني إلى التريث في البت في وطن الجنس السامي، حتى تنهياً دراسات أخرى علمية دقيقة عنه ، لأن الأخذ بالقياس، وبمجرد الملاحظات والمشاهدات ، لا يمكن أن يكون دليلاً علمياً مقنعاً في تثبيت الوطن الأول الذي ظهر فيه هذا النسل الذي نسميه بالنسل السامي . وإن كنت أجد أن جزيرة العرب قد أمدت الأقسام العليا منها ، وهي بلاد العراق والبادية وبلاد الشام بفيض من الناس ، بصورة دائمة مستمرة ، وذلك لأسباب عديدة عسكرية واقتصادية ، وأنها لم تأخذ من تلك الأرضين مثل هذا الفيض .

إن نظرية موطن الجنس السامي ، هي في نظري جزء من مسألة كبرى معقدة ، هي مسألة موطن الجنس البشري بكامله ، هل هو موطن واحد في الأصل ، أو جملة مواطن ، وإذا كان ذلك الموطن موطناً واحداً ، فأين كان؟ وكيف ظهرت هذه الأجناس البشرية بألوانها المتعددة وبسحنها المختلفة ؟ إن هذه بحوث ، على البشرية أن تضفي نفسها في البحث عنها ! وكل بحوثنا الآن حدس وتخمين ، حتى يترقى العلم البشري إلى درجات فدرجات .

اللغة السامية الأم :

تدفعنا هذه النظريات التي قالها العلماء عن السامية وعن القرابة اللغوية التي نراها في مجموعة اللغات السامية ، وعن اشتراكها في كثير من أسس النحو والصرف ، إلى التفكير في أن جميع هذه اللغات تفرعت من لغة واحدة هي أم اللغات السامية ، (Ursemitisch) كما يعبر عنها بالألمانية . ويدفعنا ذلك إلى البحث عن أقدم النصوص المدونة في اللغات السامية ، وعن الخصائص الأساسية المشتركة بين كل هذه اللغات ، للوقوف على اللغة السامية الأولى التي انقرضت ، وبقيت آثارها في هذه الجذور التي غذت اللغات السامية القديمة منها والحديثة بالخصائص السامية ، وعن أقرب الفروع التي انفصلت من الأم .

لقد بحث المستشرقون في هذا الموضوع ولا يزالون يبحثون فيه ، فمنهم من وجد أن العبرانية أقدم اللغات السامية ، وأقربها عهداً بالأم ، ومنهم من رأى أن العربية على حداثة عهدها جديدة بالدراسة والعناية ، لأنها تحمل جرثومة السامية ، ومنهم من رأى القدام للآشورية أو البابلية ، وهناك من رأى غير

ذلك^١ . وبالجمله ، لم يدع أحد من العلماء أنه توصل إلى تشخيص لغة (سام) ،
وتمكن من معرفة اللغة التي تحدث بها مع أبيه (نوح) أو مع أبنائه الذين نسلوا
هذه السلالات السامية .

وكان من جملة العوامل التي ألهمت نار الحماسة في نفوس علماء التوراة
والساميات للبحث عن اللغة السامية الأولى أو أقرب لغة سامية إليها ، القصص الوارد
في التوراة عن سام وعن لغات البشر ، وبابل ولغاتها والطوفان وما شاكل ذلك ،
ثم وجد المستشرقون المعاصرون أن البحث في هذا الموضوع ضرب من العبث ،
لأن هذه اللغات السامية الباقية حتى الآن هي محصول سلسلة من التطورات
والتقلبات لا تخصي ، مرت بها حتى وصلت إلى مرحلتها الحاضرة ، كما أنها
حاصل لغات ولهجات منقرضة . واللغة السامية القديمة لم تكن إلا لغة محكية زالت
من الوجود ، دون أن تترك أثراً . ومن الجائز أن يهتدي العلماء في المستقبل إلى
لغات أخرى ، كانت عقداً بين اللغات السامية القديمة التي لا نعرف من أمرها
شيئاً وبين اللغات السامية المعروفة . والأفضل أن ننصرف الآن إلى دراسة اللغات
السامية والموازنة بينها ، لنستخلص المشتركات والأصول . ومتى تتكون هذه الثروة
اللغوية ، يسهل البحث في اللغة السامية الأم ، كما تستحسن الموازنة بين هذه
اللغات واللغات التي ظهرت في القارة الإفريقية ، مثل المصرية القديمة والبربرية
والهررية وبقية اللهجات الحبشية ، لتكوين فكرة علمية عن الصلات التي تربط
بين الحاميين والساميين وكانت من جملة العوامل التي دفعت بعض العلماء إلى القول
بأن أصل الجنسين واحد ، كان يقيم في قارة إفريقية .

وبالجمله إن هناك جماعة من المستشرقين ترى ان اللغة العربية على حداثة عهدها
بالنسبة إلى اللغات السامية الأخرى ، هي أنسب اللغات السامية الباقية للدراسة
وأكثرها ملاءمة للبحث ، لأنها لغة لم تختلط كثيراً باللغات الأخرى ، ولم تتصل
باللغات الأعجمية قبل الإسلام ، فبقيت في مواطنها المعزولة صافية ، أو أصفى
من غيرها في أقل الأحوال ، ثم أنها حافظت على خواص السامية القديمة مثل
المحافظة على الإعراب على حين فقدت هذه الخاصة المهمة أكثر تلك اللغات ،

Carl Brocklemann, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen Berlin, 1908
Zimmern, Vergleichende Grammatik der Semitischen Sprachen, 1898.

ولهذه الأسباب وغيرها رأوا أن دراستها تفيد كثيراً في الوقوف على خصائص السامية القديمة ومزاياها^١.

وقد شغل علماء العرب أنفسهم بموضوع اللغة السامية أو لغة سام بن نوح بتهجير أصح ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، ذهبوا إلى البحث في لغة آدم أبي البشر وفي لغة أهل الجنة . وقد سبق لليهود والنصارى أن بحثوا في هذا الموضوع أيضاً ، في موضوع لغة آدم أي لغة البشر الأولى ، التي تفرعت منها كل لغات البشر حتى اليوم . وقد ذهب بعض علماء العربية إلى أن العربية هي اللسان الأول ، هي لسان آدم ، إلا أنها حرفت ومسخت بتطاول الزمن عليها ، فظهرت منها السريانية ، ثم سائر اللغات . قالوا : « كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً ، إلى أن بعد العهد وطال ، فحرف وصار سريانياً . وهو يشاكل اللسان العربي إلا أنه محرف »^٢ . وقد أدركوا ما أدركه غيرهم من وجود قرابة وصلة بين العربية وبين السريانية ، فقال المسعودي : « ولأنما تختلف لغات هذه الشعوب (أي شعوب جزيرة العرب) من السريانيين اختلافاً يسيراً »^٣ .

وقد أخذ علماء العربية نظريتهم هذه من أهل الكتاب . ولما كانت السريانية هي لغة الثقافة والمثقفين ، ولغة يهود العراق وأكثر أهل الكتاب في جزيرة العرب في ذلك العهد ، فلا يستغرب إذن قول من قال إن السريانية هي أصل اللغات وانها لسان آدم ولسان سام بن نوح .

العقلية السامية :

وتحدث المشتغلون بالتاريخ الثقافي و (علم الأجناس) عن عقلية خاصة بالشعوب السامية ، دعوها (العقلية السامية) ، كما تحدثوا عن عقلية (آريسة) وعن عقليات أخرى ، وحاولوا وضع حدود لأوصاف العقلية السامية ، ورسم صورة خاصة بها تميزها عن صور العقليات البشرية الأخرى .

١ Nicholson, A Literary History of the Arabs, P., XVI.

٢ المزهر (٢٠/١) .

٣ التنبيه (ص ٦٨) .

وقد شاعت هذه النظرية نظرية خصائص العقلية السامية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ووجدت لها رواجاً كبيراً ، لظهور بعض الآراء والمذاهب التي مجدت العقلية الأوروبية ، وسبّحت بحمدها ، وقالت بتفوق العقل الغربي الخلاق المبدع على العقل الشرقي الساذج البسيط ! ورمز العقل الشرقي هو العقل السامي ، فهو لذلك عقل ساذج بسيط . ومن أشهر مروجي هذه النظرية الفيلسوف الفرنسي (رينان) (Ernest Renan) (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م) ، و (كراف كوينو) (Graf Arthur Gobineau) (١٨١٦ - ١٨٨٢ م) ، وهو من القائلين بتمايز العنصرية البشرية وبتفوق بعضها على بعض وبسيادة العقلية الآرية على سائر العقلية^١ ، و (هوستن ستewart شامبرلين (Hosten Stewart Chamberlain) (١٨٥٥ - ١٩٢٧ م) صاحب كتاب (أسس القرن التاسع عشر)^٢ .

ومن هذه الموارد أخذت (النازية) نظريتها في تفوق العرق الآري على سائر أعراق البشر ، وتفوق الجنس (الجرمانى) خاصة من العرق الآري على سائر الأجناس والأعراق البشرية . ومن هنا وضع (هتلر) (قوانين نورنبرك) لحماية الدم الآري من الاختلاط بالدماء الأخرى ، ولصيانته ولبقائه دماً نقياً صافياً . ولترسيخ هذه النظرية في نفوس الناس ولترويجها بين الألمان والأوروبيين ، شجع البحث في موضوع (الأجناس البشرية) ، وحشد عدداً كبيراً من الأساتذة لإجراء بحوث ودراسات فيه ، وأوحى إلى أساتذة التاريخ كتابة التاريخ بطريقة تظهر دائماً أن الحضارة البشرية هي حاصل عمل الشعوب الآرية وحدها ، وناتج من نتائجها ، بتلك الشعوب بدأت وبها تستمر . وقرر أن ما يقال عن حضارات الشرق الأدنى القديمة هو لغو وهراء ، ولهذا أوجب كتابة تاريخ هذه الشعوب على نحو جديد ، وعلى أساس هذه الفلسفة .

وبحوث مثل هذه تقوم في ظروف كهذه أو في ظروف مشابهة لها ، لا يمكن أن تكون الا دراسات فجأة مغرضة ، مبعثها عاطفة وقصد مبيت ، لذلك لا يمكن الاطمئنان إليها ولا الاعتماد عليها . والبحث في خصائص جنس من

١ Essai sur L'Inégalité des Races Humaines.

٢ Hosten Stewart Chamberlain, Die Grundlagen des neunzehnten Jahrhunderts, in 2 Vols.

الأجناس وفي مميزاته وسماته الظاهرة والباطنة ، يقتضي تقصي ملامح الجنس في الحاضر والماضي ، وذلك بدراسة ملامح الباقيين وبفحص أجسامهم وخصائصهم بطرق علمية حديثة ، وبدراسة عظام الماضين وما تخلف من أجسامهم في باطن الأرض بالأساليب العلمية الحديثة أيضاً ، ليكون بحثنا شاملاً للماضي والحاضر ، ومثل هذه البحوث لم تجرِ حتى الآن ، لا على العرب ، ولا على غير العرب من هذه الشعوب التي نسميها (الشعوب السامية) .

ثم إن البحوث العلمية على قلتها وضآلتها تدل على وجود فروق بارزة بين الساميين في الملامح الجسمية ، في مثل شكل الجمجمة والأنف . ووجود مثل هذه الفروق ، لا يمكن أن يكون علاقة على وجود (جنس) بالمعنى العلمي المفهوم من (الجنس) يضم شمل الساميين . وعلى وجود عقلية خاصة بالساميين ذات حدود ورسوم تختلف عن عقليات الأجناس البشرية الأخرى .

والصفة العامة التي يراها علماء الساميات في الساميين ، أن الساميين يحبون الحركة والتنقل والهجرة من مكان الى مكان على طريقة الأعراب ، وأنهم ميالون الى الغزو والأخذ بالثأر ، وعاطفيون تتحكم العواطف في حياتهم ، ويغضبون لثأفه الأمور ويرضون بسرعة ، يحبون فيسرفون في حبّتهم ، ويظهرون الوجد فيه ، ويغضبون فيبالغون في بغضهم حتى ليصلوا الى حد القساوة والعنف لأسباب تافهة لا تستوجب كراهية ولا بغضاً ، فرديون في طباعهم ، تتغلب عليهم الفردية ، لذلك تراهم في الأصل قبائل ، اذا اتحدت وكونت حكومة قوية كبيرة ، لا تلبث أن تتعرض للانفصال والتفتت ، الحياة عندهم على وتيرة واحدة . موسيقاهم وشعورهم العام بما في ذلك الشعر والغناء وكل وسائل التعبير عنه ، حزن ونغم محدود مكرراً^١ . قضاؤهم قضاء قبلي ، يقوم على القصاص بالمثل ، على أساس السن بالسن والعين بالعين والقتل بالقتل ، ونظام الحكم عندهم نظام ، أسسه الفكرة القبلية ، وديانتهم متشابهة ، تتجلى عندهم الغريزة الدينية واتقاد المخيلة وقوة الشعور الفردي والقسوة^٢ . وتتغلب عليهم السطحية في التفكير ، فلا يميلون الى التعمق في درس الأشياء للوصول الى كنهها وجوهرها ، كما فعل اليونان .

١ Hastings, Extra Volume, P., 85.

٢ Hastings, A Dictionary of the Bible dealing with its Language Literature and Contents, Including the Biblical Theology, Extra Volume, 1904, P., 90.

وليس لهم قابلية في فهم الأمور المعقدة، ولهذا صارت أحكامهم عامة شاملة ساذجة لا تعقيد فيها ، لأن تفكيرهم تفكير ساذج غير معقد . وتفكيرهم هذا هو الذي جعلهم يبشرون بالتوحيد على حين كانت الأديان الآرية - على حد قولهم - أدياناً معقدة تعتقد بوجود أكثر من إله ١

ويرى هؤلاء العلماء أن البدوي هو خير ممثل للعقلية السامية، فقد عاش الساميون بدواً أمداً طويلاً ، ومرّوا في حياتهم بحياة البداوة ولهذا صارت عقليتهم عقلية بداوة ، تجمع بينهم صفات مشتركة نتجت من اشتراكهم في تلك الحياة ٢ .

وقد وضع المتعصبون للنظرية العنصرية كتباً في موضوعات متعددة ، تعالج الجسم والروح عند الساميين والآريين ، وعنوا عنابة خاصة بدراسة الحياة الروحية ومظاهرها عند الجنسيتين ، فبحثوا في الناحية القانونية والتشريعات المختلفة عند الساميين والآريين ، وقارنوا بين التشريع عند الجماعتين ٣ . كذلك عالجوا مختلف النواحي الأخرى من الحياة ، حتى إن بعضهم ألف كتاباً في موضوع حرمة أكل لحم الخنزير عند الساميين . مع انه من اللحوم الشهية عند الآريين ، وعدّ ذلك من مميزات الجنس ٤ .

وهناك جماعة من العلماء ، ردّت على هذه النظرية التي تحدد العقليات ، وترسم لها حدوداً وتضع لها معالم ، رأت أن ما يذهب إليه أصحابها من وجود عقليات صافية خالصة للأجناس البشرية المذكورة ، يستوجب وجود أجناس بشرية صافية خالصة ذات دماء نقية ، لم تمتزج بها دماء غريبة ، ويقتضي ذلك افتراضاً اعتزال الأجناس بعضها عن بعض عزلة تامة، وهو افتراض محال ، لأن البشرية لم تعرف العزلة منذ القدم ، ولم تبن حولها أسواراً مرتفعة لتحول بينها وبين الاختلاط ببقية الأجناس ، والشواهد التاريخية والبحوث العلمية المختبرية تشير الى العكس، تشير الى الاختلاط والامتزاج ، كما ذكرنا آنفاً ، فما يقال عن اختلاف العقليات ، هو حديث أوحته العواطف والتزوات . أما ما نشاهده من اختلاف في أساليب

١ Ancient Iraq, by Georges Roux, London, 1964, P., 126, A. Guillaume, Prophecy and Divination among the Hebrews and other Semites, London, 1938.

٢ Hastings, P., 85, ff. (Extra Volume).

٣ Gerd. Ruehle, Rasse und Sozialismus im Recht, Berlin, 1935.

٤ R. Walter Darré, Das Schwein als Kriterium fuer Nordische Voelker und Semiten, Muenchen, 1933.

الفكر وفي فهم الأمور، فليس مرجعه ومردّه الى الدم ، بل الى البيئات الطبيعية والاجتماعية والثقافية ، فهي التي أثّرت وكونت هذه الفروق . وعلى الباحث دراسة كل ما يؤثر على الانسان من محيط ومن مؤثرات طبيعية مثل الضغوط الجوية والحرارة والبرودة والرطوبة ، ومن تركيب الأجسام وأشكالها . وألوان الشعر والبشرة والعين وبنية الجسم بصورة عامة ، ومن أنواع الأغذية التي يتناولها والمحيطات الثقافية التي يعيش فيها الى غير ذلك من مؤثرات يدرسها علماء الأجناس اليوم ، وذلك لاصدار أحكام معقولة عن أجناس البشر .

الفصل السّابع

طبيعة العقلية العربية

لكل أمة عقلية خاصة بها ، تظهر في تعامل أفرادها بعضهم مع بعض وفي تعامل تلك الأمة مع الأمم الأخرى ، كما أن لكل أمة نفسية تميزها عن نفسيات الأمم الأخرى ، وشخصية تمثل تلك الأمة ، وملامح تكون غالبية على أكثر أفرادها ، تجعلها سمة لتلك الأمة تميزها عن سمات الأمم الأخرى^١ .

والعرب مثل غيرهم من الناس لهم ملامح امتازوا بها عن غيرهم ، وعقلية خاصة بهم . ولهم شمائل عرفوا واشتهروا بها بين أمم العالم ، ونحن هنا نحاول التعرف على عقلية العربي وعلى ملامحه قبل الإسلام ، أي قبل اندماجه واختلاطه اختلاطاً شديداً بالأمم الأخرى ، وهو ما وقع وحدث في الإسلام .

وقد بحث بعض العلماء والكتاب المحدثين في العقلية العربية ، فتكلموا عليها بصورة عامة ، بدوية وحضرية ، جاهلية وإسلامية . فجاء تعميمهم هذا مغلوطاً وجاءت أحكامهم في الغالب خاطئة . وقد كان عليهم التمييز بين العرب الجاهليين والعرب الإسلاميين ، وبين الأعراب والعرب ، والتفريق بين سكان البوادر أي بوادر البوادي وسكان الأرياف وسكان أسياف بلاد الحضارة . ثم كان عليهم البحث عن العوامل والأسباب التي جبلت العرب من النوعين : أهل الوبر وأهل الحضر ، تلك الجبلية ، من عوامل اقليمية وعوامل طبيعية أثرت فيهم ، فطبعتهم بطابع خاص ، ميزهم عن غيرهم من الناس .

١ فجر الاسلام ، احمد امين ١٩٢٨ (٣٥/١)

بل إن الحديث عن العقلية العربية ، حديث قديم ، ففي التوراة شيء عن صفاتهم وأوصافهم ، كونه من علاقات الإسرائيليين بهم ، ومن تعاملهم واختلاطهم بالعرب النازلين في فلسطين وطور سيناء أو في البوادي المتصلة بفلسطين . ومن أوصافهم فيها : أنهم متنابدون يغزون بعضهم بعضاً ، مقاتلون يقاتلون غيرهم كما يقاتلون بعضهم بعضاً (يده على الكل ، ويد الكل عليه)^١ . يغيرون على القوافل فيسلبونها ويأخذون أصحابها أسرى ، يبيعونهم في أسواق النخاسة ، أو يسترقونهم فيتخذونهم خدماً ورقيقاً يقومون بما يؤمرون به من أعمال ، الى غير ذلك من نعوت وصفات .

والعرب في التوراة ، هم الأعراب ، أي سكان البوادي ، لذلك فلن نعوت الواردة فيها عنهم ، هي نعوت لعرب البادية ، أي للأعراب ، ولم تكن صلاتهم حسنة بالعبرانيين .

وفي كتب اليونان والرومان والأنجيل ، نعوت أيضاً نعت بها العرب وأوصاف وصفوا بها ، ولكننا اذا درسناها وقرأنا المواضع التي وردت فيها ، نرى أنها مثل التوراة ، قصدت بها الأعراب ، وقد كانوا يغيرون على حدود امبراطوريتي الرومان واليونان ، ويسلبون القوافل ، ويأخذون الإتاوات من التجار والمسافرين وأصحاب القوافل للسماح لهم بالمرور .

وقد وصف (ديودورس الصقلي) العرب بأنهم يعشقون الحرية ، فيلتحقون السماء . وقد اختاروا الإقامة في أرضين لا أنهار فيها ولا عيون ماء ، فلا يستطيع العدو المغامر الذي يريد الايقاع بهم أن يجد له فيها مأوى . انهم لا يزرعون حباً ، ولا يغرسون شجراً ، ولا يشربون خمرأ ، ولا يبنون بيوتاً . ومن يخالف العرف يقتل . وهم يعتقدون بالارادة الحرة ، وبالحرية^٢ . وهو يشارك في ذلك رأي (هيرودوتس) الذي أشاد بحب العرب للحرية ، وحفاظهم عليها ومقاومتهم لأية قوة تحاول استرقاقهم واستذلالهم^٣ . فالحرية عند العرب هي من أهم الصفات التي يتصف بها العرب في نظر الكتبة اليونان واللاتين .

وفي كتب الأدب وصف مناظرة ، قيل انها وقعت بين (النعمان بن المنذر)

١ التكوين ، الاصحاح السادس عشر ، الاية ١٢

٢ Diodorus, 19, 94, 95, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 31.

٣ Herodotus, Vol., I, P., 254.

ملك الحيرة وبين (كسرى) ملك الفرس في شأن العرب : صفاتهم وأخلاقهم وعقولهم ، ثم وصف مناظرة أخرى جرت بين (كسرى) هذا وبين وفد أرسله (النعمان) لمناظرته ومحاكمته فيما جرى الحديث عليه سابقاً بين الملكين^١ . وفي هذه الكتب أيضاً رأى (الشعوبين) في العرب ، وحججهم في تصغير شأن العرب وازدراؤهم لهم ، ورد الكتاب عليهم^٢ . وهي حجج لا تزال تقرأ بالعرب في بعض الكتب .

ومجمل ما نسب الى (كسرى) من ما أخذ يُزعم انه أخذها على العرب ، هو أنه نظر فوجد أن لكل أمة من الأمم ميزة وصفة ، فوجد للروم حظاً في اجتماع الألفة وعظم السلطان وكثرة المدائن ووثيق البنيان ، وأن لهم ديناً يبين حلالهم وحرامهم ويرد سفيهم ويقيم جاهلهم ، ورأى للهند، نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ودقيق حسابها وكثرة عددها . ووجد للصين كثرة صناعات أيديها وفروسياتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وأن لها ملكاً يجمعها ، وأن للترك والخزر ، على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون ملوك تضم قواصبيهم وتدبر أمرهم . ولم يرَ للعرب ديناً ولا حزماً ولا قوة . همتهم ضعيفة بدليل سكنهم في بوادي قراء ، ورضائهم بالعيش البسيط ، والقوت الشحيح ، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة . أفضل طعامهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها . « وإن قرى أحدهم ضيفاً عداً مكرمة . وإن أطعم أكلة عدا غنيمة تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم »^٣ . ثم لأنهم مع قتلهم وفاقتهم وبؤس حالهم ، يفتخرون بأنفسهم ، ويتطاولون على غيرهم وينزلون أنفسهم فوق مراتب الناس^٤ . « حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين » ، وأبوا الإنقياد لرجل واحد منهم يسوسهم ويجمعهم .

١ بلوغ العرب (١٤٧/١) وما بعدها .

٢ البيان والتبيين (١٥/٣) فما بعدها ، العقد الفريد (٨٦/٢) ، فجر الاسلام (٣٥ / ١) بلوغ العرب (١٥٨/١) فما بعدها .

٣ بلوغ العرب (١٤٧/١) وما بعدها

٤ بلوغ العرب (١٤٨/١) .

إذا عاهدوا فغير وافين^١. سلاحهم كلامهم ، به يتفتنون ، وبكلامهم يتلاعبون . ليس لهم ميل إلى صنعة أو عمل ولا فن ، لا صبر لهم ، إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم ، حاولوا جهدهم التغلب عليها ، أما إذا وجدوها قوة منظمة هربوا مشتين متبعثرين شراذم ، يخضعون لحكم الغريب ويهابونه ويأخذون برأيه فيهم ، ما دام قوياً ، ويقبلون بمن ينصبه عليهم ، ولا يقبلون بحكم واحد منهم ، إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم^٢ .

وقد ذكر أن أحد ملوك الهند كتب كتاباً إلى « عمر بن عبد العزيز » ، جاء فيه « لم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض لها ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات ، مثل صنعة الديباج وهي أبدع صنعة ، ولعب الشطرنج وهي أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ، ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والاصطرلاب الذي يعدل به النجوم ويدرك به الأبعاد ودوران الأفلاك وعلم الكسوف وغير ذلك من الآثار المتقنة ، ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ويضم قواصيها ، ويقمع ظلمها وينهى سفيها ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر . وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذي تفتخر به العرب على العجم فإنما هي كاللذائب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض . فرجالها موثقون في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريخ استنقذن بالعشي ، وقد وطنن كما توطأ الطريق المهيع^٣ » . إلى آخر ذلك من كلام .

وقد تعرض « السيد محمود شكري الألوسي » في كتابه « بلوغ الأرب » ، لهذا الموضوع ، فجاء بما اقتبس منه ، ثم جاء برأي « ابن قتيبة » على الشعوبية ، في كتابه : « كتاب تفضيل العرب » ، ثم أنهاه ببيان رأيه في هذه الآراء وفي رد « ابن قتيبة » عليها .

- ١ بلوغ الأرب (١٥٦/١) .
- ٢ راجع أصل المناظرة وحجج الشعوبيين في تفضيل الأعاجم على العرب ، ورد العرب عليهم ، بلوغ الأرب (١٤٧/١) وما بعدها .
- ٣ بلوغ الأرب (١٦٥/١) وما بعدها .
- ٤ بلوغ الأرب (١٤٧/١) فما بعدها .

ولابن خلدون رأي معروف في العرب ، خلاصته « أن العربي متوحش
نهّاب سلاب اذا أخضع مملكة أسرع اليها الخراب ، يصعب انقياده لرئيس ،
لا يجيد صناعة ولا يحسن علماً ولا عنده استعداد للاجادة فيها ، سليم الطباع ،
مستعد للخير شجاع »^١ . وتجدر آراءه هذه مدونة في مقدمته الشهيرة لكتابه العام
في التاريخ .

وقد رمى بعض المستشرقين العرب بالمادية وبصفات أخرى ، فقال « أوليري » :
« إن العربي الذي يعد مثلاً أو نموذجاً ، مادي ، ينظر الى الأشياء نظرة مادية
وضيقة ، ولا يقوّمها إلا بحسب ما تنتج من نفع ، يملك الطمع مشاعره ،
وليس لديه مجال للخيال ولا للعواطف ، لا يميل كثيراً الى دين ، ولا يكثر
بشيء إلا بقدر ما ينتج من فائدة عملية ، يملؤه الشعور بكرامته الشخصية حتى
ليثور على كل شكل من أشكال السلطة ، وحتى ليتوقع منه سيد قبيلته وقائده
في الحروب الحسد والبغض والخيانة من أول يوم اختير للسيادة عليه ولو كان
صديقاً حميماً له من قبل ، من أحسن اليه كان موضع نقمته ، لأن الاحسان
يثير فيه شعوراً بالخضوع وضعف المنزلة وأن عليه واجباً لمن أحسن . يقول
لامانس « إن العربي نموذج الديمقراطية » ، ولكنها ديمقراطية مبالغ فيها الى
حد بعيد ، وإن ثورته على كل سلطة تحاول أن تحد من حريته ولو كانت في
مصلحته هي السر الذي يفسر لنا سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء
في تاريخ العرب ، وجهل هذا السر هو الذي قاد الأوروبيين في أيامنا هذه الى
كثير من الأخطاء ، وحلمهم كثيراً من الضحايا كان يمكنهم الاستغناء عنها ،
وصعوبة قيادة العرب وعدم خضوعهم للسلطة هي التي تحول بينهم وبين سيرهم
في سبيل الحضارة الغربية ، ويبلغ حب العربي لحريته مبلغاً كبيراً ، حتى إذا
حاولت أن تحدّها أو تنقص من أطرافها هاج كأنه وحش في قفص ، وثار ثورة
جنونية لتعطيم أغلاله والعودة الى حريته . ولكن العربي من ناحية أخرى مخلص ،
مطيع لتقاليد قبيلته ، كريم يؤدي واجبات الضيافة والمخالفة في الحروب كما يؤدي
واجبات الصداقة مخلصاً في أداؤها بحسب ما رسمه العرف ... وعلى العموم ، فالذي

١ هذا تلخيص المرحوم احمد امين لراى ابن خلدون ، تجده في كتابه : فجر الاسلام
(٤١/١) .

يظهر لي أن هذه الصفات والخصائص أقرب أن تعد صفات وخصائص لهذا الطور من النشوء الاجتماعي عامة من أن تعد صفات خاصة لشعب معين ، حتى إذا قر العرب وعاشوا عيشة زراعية مثلاً ، تعدلت هذه العقلية ١ . ويوافق المستشرق (براون أوليري) في رمي العرب بالمادية المفرطة ٢ . ورامهم (أوليري) أيضاً بضعف الخيال وجمود العواطف ٣ .

أما (دوزي) فقد رأى أن بين العرب اختلافاً في العقلية وفي النفسية، وأن القحطانيين يختلفون في النفسية عن نفسية العدنانيين ٤ .

وقد تعرض (أحمد أمين) في الجزء الأول من (فجر الإسلام) للعقلية العربية ، وأورد رأي الشعوبيين في العرب ، ثم رأي (ابن خلدون) فيهم ، وتكلم على وصف المستشرق (أوليري) لتلك العقلية ، ثم ناقش تلك الآراء ، وأبان رأيه فيها وذلك في الفصل الثالث من هذا الجزء ، وتحدث في الفصل الرابع عن (الحياة العقلية للعرب في الجاهلية) . وخصص الفصل الخامس بـ (مظاهر الحياة العقلية) ، وتتجلى عنده في : اللغة والشعر والمثل والقصص . أوجز (أحمد أمين) في بداية الفصل الثالث آراء المذكورين في العرب، وبعد أن انتهى من عرضها وتلخيصها ناقشها بقوله : « لسنا نعتقد تقديس العرب ، ولا نعبأ بمثل هذا النوع من القول الذي يمجدهم ويصفهم بكل كمال ، ويتزهمهم عن كل نقص ، لأن هذا النمط من القول ليس نمط البحث العلمي ، انما نعتقد أن العرب شعب ككل الشعوب ، له ميزاته وفيه عيوبه ، وهو خاضع لكل نقد علمي في عقليته ونفسيته وآدابه وتأريخه ككل أمة أخرى ، فالقول الذي يمثله الرأي الخاص لا يستحق مناقشة ولا جدلاً ، كذلك يخطئ الشعوبية أصحاب القول الأول الذين كانوا يتطلبون من العرب فلسفة كفلسفة اليونان ، وقانوناً كقانون الرومان ، أو أن يمهروا في الصناعات كصناعة الديباج ، أو في المخترعات كالاصطرلاب ، فإنه إن كان يقارن هذه الأمم بالعرب في جاهليتها كانت مقارنة خطأ ، لأن المقارنة انما تصح بين أمم في طور واحد من الحضارة ، لا بين أمة

١ اقتباساً من فجر الإسلام (٣٩/١) فما بعدها .

٢ فجر الإسلام (٤١/١) .

٣ فجر الإسلام (٤٣/١) .

٤ Dozy, Gesch. d. Mauren in Spanien, Vol., I, S., 73, Muh. Stud., I, S. 89, Nallino. Raccolta, Vol., 3, P., 73.

متبذية وأخرى متحضرة ، ومثل هذه المقارنة كمقارنة بين عقل في طفولته وعقل في كهولته ، وكل أمة من هذه الأمم كالفرس والروم مرت بدور بداوة لم يكن لها فيه فلسفة ولا مخترعات . أما إن كان يقارن العرب بعد حضارتها ، فقد كان لها قانون وكان لها علم وإن كان قليلاً ..^١ ثم استمر يناقش تلك الآراء الى أن قال : فلنقتصر الآن على وصف العربي الجاهلي^٢ ، فوصفه بهذا الوصف :

« العربي عصبي المزاج ، سريع الغضب ، يهيج للشيء النافه ، ثم لا يقف في هياجه عند حد ، وهو أشد هياجاً اذا جرحت كرامته ، أو انتهكت حرمة قبيلته . واذا احتاج ، أسرع الى السيف ، واحتكم اليه ، حتى أفتتهم الحروب ، وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة .

« والمزاج العصبي يستتبع عادة ذكاء ، وفي الحق أن العربي ذكي ، يظهر ذكاؤه في لغته ، فكثيراً ما يعتمد على اللمحة الدالة والاشارة البعيدة ، كما يظهر في حضور بديته ، فما هو الا أن يُفجأ بالأمر فيفجؤك بحسن الجواب ، ولكن ليس ذكاؤه من النوع الخالق المبتكر ، فهو يقلب المعنى الواحد على أشكال متعددة ، فيبهرك تغننه في القول أكثر مما يبهرك ابتكاره للمعنى ، وإن شئت فقل ان لسانه أمهر من عقله .

« خياله محدود وغير متنوع ، فقلما يرسم له خياله عيشة خيراً من عيشته ، وحياة خيراً من حياته يسعى وراءها ، لذلك لم يعرف (المثل الأعلى) ، لأنه وليد الخيال ، ولم يضع له في لغته لفظة واحدة دالة عليه ، ولم بشر اليه فيما نعرف من قوله ، وقلما يسبح خياله الشعري في عالم جديد يستقي منه معنى جديداً ، ولكنه في دائرته الضيقة استطاع أن يذهب كل مذهب .

« أما ناحيتهم الخلقية ، فويل الى حرية قل أن يحدّها حد ، ولكن الذي فهموه من الحرية هي الحرية الشخصية لا الإجتماعية ، فهم لا يدينون بالطاعة لرئيس ولا حاكم ، تأريخهم في الجاهلية - حتى وفي الإسلام - سلسلة حروب داخلية وعهد عمر بن الخطاب كان عصرهم الذهبي ، لأنه شغلهم عن حروبهم الداخلية بحروب خارجية ، ولأنه ، رضي الله عنه ، منح فهماً عميقاً ممتازاً لنفسية العرب .

١ فجر الاسلام (١/٤٠) فما بعدها .

٢ فجر الاسلام (١/٤٣) .

« والعربي يحب المساواة ، ولكنها مساواة في حدود القبيلة ، وهو مع حبه للمساواة كبير الاعتداد بقبيلته ثم بجنسه ، يشعر في أعماق نفسه بأنه من دم ممتاز ، لم يؤمن بعظمة الفرس والروم مع ما له ولهم من جذب وخصب وفقر وغنى وبداءة وحضارة ، حتى اذا فتح بلادهم نظر اليهم نظرة السيد الى المسود »^١ .

ثم خلص الى أن العرب في جاهليتهم كان أكثرهم بدواً ، وان طور البداءة طور اجتماعي طبيعي تمر به الأمم في اثناء سيرها الى الحضارة ، وان لهذا الطور مظاهر عقلية طبيعية ، تتجلى في ضعف التعليل ، وغنى بذلك عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب فهماً تاماً ، « يمرض أحدهم ويألم من مرضه ، فيصفون له علاجاً ، فيفهم نوعاً ما من الارتباط بين الدواء والداء ، ولكن لا يفهمه فهم العقل الدقيق الذي يتفلسف ، يفهم ان عادة القبيلة أن تتناول هذا الدواء عند هذا الداء ، وهذا كل شيء في نظره ، لهذا لا يرى عقله بأساً من أن يعتقد ان دم الرئيس يشفي من الكلب ، أو ان سبب المرض روح شرير حل فيه فيداويه بما يطرد هذه الأرواح ، أو انه اذا خيف على الرجل الجنون نجسوه بتعليق الأقدار وعظام الموتى الى كثير من أمثال ذلك ، ولا يستنكر شيئاً من ذلك ما دامت القبيلة تفعله ، لأن منشأ الإستنكار دقة النظر والقدرة على بحث المرض وأسبابه وعوارضه ، وما يزيل هذه العوارض ، وهذه درجة لا يصل اليها العقل في طوره الأول »^٢ .

ثم أورد أمثلة للاستدلال بها على ضعف التعليل ، مثل قولهم بخراب سدّ مأرب بسبب جرذان مُحَرَّر ، ومثل قصة قتل النعمان لسِنَمَار بسبب آجرّة وضعها سِنَمَار في أساس قصر الخورنق ، لو زالت سقط القصر .

ثم تحدث عن مظهر آخر من مظاهر العقلية العربية ، لاحظها بعض المستشرقين ووافقهم هو عليه ، هو : ان طبيعة العقل العربي لا تنظر الى الأشياء نظرة عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك . فالعربي لم ينظر الى العالم نظرة عامة شاملة كما فعل اليوناني ، بل كان يطوف فيها حوله ؛ فلإذا رأى منظرأً خاصاً أعجبه تحرك له ، وجاس صدره بالبيت أو الأبيات من الشعر أو الحكمة أو

١ فجر الاسلام (٤٤/١) فما بعدها .

٢ فجر الاسلام (٤٦/١) .

المثل . « فأما نظرة شاملة وتحليل دقيق لأسسه وعوارضه فذلك ما لا يتفق والعقل العربي . وفوق هذا هو اذا نظر الى الشيء الواحد لا يستغرقه بفكره، بل يقف فيه على مواطن خاصة تستثير عجبه ، فهو اذا وقف أمام شجرة ، لا ينظر اليها ككل ، انما يستوقف نظره شيء خاص فيها، كاستواء ساقها أو جمال أغصانها ، واذا كان أمام بستان، لا يحيطه بنظره، ولا يلتقطه ذهنه كما تلتقطه (الفوتوغرافيا)، انما يكون كالنحلة ، يطير من زهرة الى زهرة ، فيرتشف من كل رشقة . الى ان قال : « هذه الخاصة في العقل العربي هي السر الذي يكشف ما ترى في أدب العرب — حتى في العصور الإسلامية — من نقص وما ترى فيه من جمال » .

وقد خلص من بحثه ، الى أن هذا النوع من النظر الذي نجده عند العربي، هو طور طبيعي تمر به الأمم جميعاً في أثناء سيرها الى الكمال ، نشأ من البيئات الطبيعية والاجتماعية التي عاش فيها العرب ، وهو ليس إلا وراثته لتنتج هذه البيئات ، « ولو كانت هنالك أية أمة أخرى في مثل بيئاتهم ، لكان لها مثل عقليتهم ، وأكبر دليل على ذلك ما يقرره الباحثون من الشبه القوي في الأخلاق والعقليات بين الأمم التي تعيش في بيئات متشابهة أو متقاربة ، واذا كان العرب سكان صحارى ، كان لهم شبه كبير بسكان الصحارى في البقاع الأخرى من حيث العقل والخلق »^١ .

أما العوامل التي عملت في تكوين العقلية العربية وفي تكييفها بالشكل الذي ذكره ، فهي عاملان قويان . هما : البيئة الطبيعية .، وعنى بها ما يحيط بالشعب طبيعياً من جبال وأنهار وصحراء وغير ذلك ، والبيئة الاجتماعية ، وأراد بها ما يحيط بالأمة من نظم اجتماعية كنظام حكومة ودين وأسرة ونحو ذلك . وليس أحد العاملين وحده هو المؤثر في العقلية .

وحصر أحمد أمين مظاهر الحياة العقلية في الجاهلية في الأمور التالية : اللغة والشعر والأمثال والتقصص . وتكلم على كل مظهر من هذه المظاهر وجاء بأمثلة استدلل بها ما ذهب اليه .

والحدود التي وضعها أحمد أمين للعقلية العربية الجاهلية ، هي حدود عامة ،

١ فجر الاسلام (٦) وما بعدها .

جعلها تنطبق على عقلية أهل الوبر وعقلية أهل المدر ، لم يفرق فيها بين عقلية من عقلية الجماعين . وقد كونها ورسمها من دراساته لما ورد في المؤلفات الإسلامية من أمور لها صلة بالحياة العقلية ومن مطالعته لما أورده (أوليري) (وبراون) وأمثالها عن العقلية العربية ، ومن آرائه وملاحظاته لمشكلات العالم العربي ولوضع العرب في الزمن الحاضر . والحدود المذكورة هي صورة مقاربة مع الصورة التي يرسمها العلماء المشتغلون بالسامية عادة عن العقلية السامية، وهي مثلها أيضاً مستمدة من آراء وملاحظات وأوصاف عامة شاملة، ولم تستند الى بحوث علمية ودراسات مختبرية ، لذا فإني لا أستطيع أن أقول أكثر مما قلته بالنسبة الى تحديد العقلية السامية ، من وجوب التريث والاستمرار في البحث ومن ضرورة تجنب التعميم والاستعجال في اعطاء الأحكام .

وتقوم نظرية أحمد أمين في العقلية العربية على أساس أنها حاصل شيئين وخلاصة عاملين ، أثرا مجتمعين في العرب وكونا فيها هذه العقلية التي حددها ورسم معالمها في النعوت المذكورة . والعاملان في رأيه هما: البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية: وعنى بالبيئة الطبيعية ما يحيط بالشعب طبيعياً من جبال وأنهار وصحراء ونحو ذلك ، وبالبيئة الاجتماعية ما يحيط بالأمة من نظم اجتماعية كنظام حكومة ودين وأسرة ونحو ذلك . وهما معاً مجتمعين غير منفصلين ، أثرا في تلك العقلية . ولهذا رفض أن تكون تلك العقلية حاصل البيئة الطبيعية وحدها ، أو حاصل البيئة الاجتماعية وحدها . وخطأ من أنكر أثر البيئة الطبيعية في تكوين العقلية ومن هنا انتقد (هيكلم) (Hegel) ، لأنه أنكر ما للبيئة الطبيعية من أثر في تكوين العقلي اليوناني ، وحججه (هيكلم) أنه لو كان للبيئة الطبيعية أثر في تكوين العقلية ، لبان ذلك في عقلية الأتراك الذين احتلوا أرض اليونان وعاشوا في بلادهم ، ولكنهم لم يكتسبوا مع ذلك عقلهم ولم تكن لهم قابلياتهم ولا ثقافتهم . ورد (أحمد أمين) عليه هو أن ذلك يكون صحيحاً لو كانت البيئة الطبيعية هي المؤثر الوحيد ، إذن لكان مثل العقل اليوناني يوجد حيث يوجد اقليمه ، وينعدم حيث ينعدم ، أما والعقل اليوناني نتيجة عاملين ، فوجود جزء العلة لا يستلزم وجود العلول ١ .

١ فجر الاسلام (٥٢ فما بعدها) .

وأثر البيئة الطبيعية في العرب ، أنها جعلت بلادهم بقعة صحراوية تصهرها الشمس، ويقل فيها الماء ، ويحجب الهواء ، وهي أمور لم تسمح للنبات أن يكثر، ولا للمزروعات أن تنمو ، إلا ككلاً مبعثراً هنا وهناك ، وأنواعاً من الأشجار والنبات مفرقة استطاعت أن تتحمل الصيف القاسئ ، والجو الجاف ، فهزلت حيواناتهم ، ونحلت أجسامهم ، وهي كذلك أضعفت فيها حركة المرور ، فلم يستطع السير فيها إلا الجمل ، فصعب على المدنيين المجاورة من فرس وروم أن تستعمر الجزيرة ، وتفيض عليها من ثقافتها ، اللهم إلا ما تسرب منها في مجار ضيقة معوجة عن طرق مختلفة .

وأثر آخر كان لهذه البيئة الطبيعية في العرب، هو أنها أثرت في النفوس فجعلتها تشعر أنها وحدها تجاه طبيعة قاسية ، تقابلها وجهاً لوجه، لا حول لها ولا قوة ، لا مزروعات واسعة ، ولا أشجار باسقة ، تطلع الشمس فلا ظل ، ويطلع القمر والنجوم فلا حائل ، تبعث الشمس أشعتها المحرقة القاسية فتصيب أعماق نخاعه ، ويسطح القمر فيرسل أشعته الفضية الوداعة فتبهز لبسه ، وتتألق النجوم في السماء. فتملك عليه نفسه ، وتعصف الرياح العاتية فتدمر كل ما أتت عليه . أمام هذه الطبيعة القوية ، والطبيعة الجميلة ، والطبيعة القاسية ، تهرع النفوس الحساسة الى رحمن رحيم ، والى بارئ مصور والى حفيظ مغيث - الى الله - . ولعل هذا هو السر في أن الديانات الثلاث التي يدين بها أكثر العالم ، وهي اليهودية والنصرانية والإسلام نبتت من صحراء سيناء وفلسطين وصحراء العرب^١ .

والبيئة الطبيعية أيضاً ، هي التي أثرت - على رأيه - في طبع العربي ، فجعلته كثيراً صامداً يغلب عليه الوجد ، موسيقاه ذات نغمة واحدة متكررة عابسة حزينة ، ولغته غنية بالألفاظ ، إذا كانت تلك الألفاظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية ، وشعره ذو حدود معينة مرسومة ، وقوانينه تقاليد القبيلة وعرف الناس ، وهي التي جعلته كريماً على فقره ، يبذل نفسه في سبيل الدفاع عن حمى قبيلته . كل هذه وأمثالها من صفات ذكرها وشرحها هي في رأيه من خلق هذه البيئة الطبيعية التي جعلت لجزيرة العرب وضعاً خاصاً ومن أهلها جماعة امتازت عن بقية الناس بالمميزات المذكورة .

١ فجر الاسلام (٥٤) فما بعدها .

وقد استمر (أحمد أمين) ، في شرح أثر البيئة الطبيعية في عقلية العرب وفي مظاهر تلك العقلية التي حصرها كما ذكرت في اللغة والشعر والأمثال والقصص ، حتى انتهى من الفصول التي خصصها في تلك العقلية . أما أثر البيئة الاجتماعية التي هي في نظره شريكة البيئة الطبيعية في عملها وفعلها في العقلية الجاهلية وفي كل عقلية من العقليات ، فلم يتحدث عنه ولم يشر الى فعله ، ولم يتكلم على أنواع تلك البيئة ومقوماتها التي ذكرها في أثناء تعريفه لها ، وهي : « ما يحيط بالامة من نظم اجتماعية كنظام حكومة ودين وأسرة ونحو ذلك » ، ثم خلص من بحثه عن العقلية العربية وعن مظاهرها وكأنه نسي ما نسبته الى العامل الثاني من فعل ، بل الذي رأيت وفهمته من خلال ما كتبه انه أرجع ما يجب ارجاعه الى عامل البيئة الاجتماعية - على حد قوله - الى فعل عامل البيئة الطبيعية وأثرها في عقلية العرب الجاهلين . وهكذا صارت البيئة الطبيعية هي العامل الأول الفعال في تكوين تلك العقلية ، وحرمتنا بذلك من الوقوف على أمثلته لتأثير عامل البيئة الاجتماعية في تكوين عقلية الجاهلين .

وأعتقد ان (أحمد أمين) لو كان قد وقف على ما كتب في الألمانية أو الفرنسية أو الانكليزية عن تأريخ اليمن القديم المستمد من المسند ، ولو كان قد وقف على ترجحات كتابات المسند أو الكتابات الشمودية والصفوية والحيانية ، لما كان قد أهمل الإشارة الى أصحاب تلك الكتابات ، ولعدّل حتماً في حدود تعريفه للعقلية العربية ، ولأفرز صفحة أو أكثر الى أثر طبيعة أرض اليمن وحضرموت في عقلية أهل اليمن وفي تكوين حضارتهم وثقافتهم ، فإن فيما ذكره في فصوله عن العقلية العربية الجاهلية ما يجب رفعه وحذفه بالنسبة الى أهل اليمن وأعالي الحجاز .

ونجد في كتاب (جزيرة العرب في القرن العشرين) لحافظ وهبة فصلاً بعنوان (السكان) ، وردت فيه ملاحظات كيسة عن عقلية الحضرة وعقلية البدو في المملكة العربية السعودية وفي بعض المناطق المجاورة لها في الزمان الحاضر. وهذه الملاحظات وان كانت تتعلق بعرب هذا اليوم ، الا أنها مع ذلك ذات فائدة ومنفعة لفهم العقلية الجاهلية، فالزمان وان تباعد بين عرب الجاهلية وعرب القرن العشرين، الا ان الخصائص العقلية لأكثر أهل البادية المنعزلين عن عالمهم الخارجي لا تزال هي هي ، لم تتغير في كثير من الأمور ، بل خذ من نسميهم (الحضر)

أو العرب المستقرين في جزيرة العرب ، فإن البعيدين منهم عن الأماكن التي لها اتصال بالعالم الخارجي وبالأجانب لا يزالون يحتفظون بكثير من خصائص عقلية حضر اليمن أو الحجاز عند ظهور الإسلام . ومن هنا تفيدنا ملاحظات (حافظ وهبة) هذه وملاحظات غيره من أذكاء العرب والسياح والخبراء الأجانب ، فائدة كبيرة في التعرف على أسس تفكير العرب قبل الإسلام .

وفي حديث (حافظ وهبة) عن طباع الحضر أشار الى اختلاف طباعهم باختلاف أماكنهم ، فقال : « والحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها ، وظروف الحياة التي تحيط بهم فأهل حائل أقرب مظهراً الى البداوة . وأهل مكة والمدينة واليمن العالية أبعد مظهراً عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل العارض ، لأنهم كثير و الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا فترى موظفي ديوان الملك المكلفين بالمقابلات والتشريفات من أهل القصيم أو حائل .

وأهل الرياض أرقى بكثير من أهل الدواسر الذين لم يفارقوا بلادهم ، ولم يعرفوا شيئاً عن أحوال العالم الخارجي^١ .

وأشار إلى تنافس الحضر والى تفاخرهم وتفضيل أنفسهم بعضهم على بعض في الشائيل والعادات وحتى في اللهجات .

ومن طباع الحضري ، كما يقول « حافظ وهبة » « الخلق التجاري » ، وهم يتباينون في ذلك أيضاً بتباين أماكنهم ، « فأهل القصيم والزلفى وشقرا ، أنشط من أهل نجد في التجارة . فقوافلهم تقصد سائر الجهات العربية ، وتجارهم كثيراً ما يسافرون الى الهند ومصر في سبيل التجارة ، والتجار النجديون المعروفون في الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد » . « أما أهل الكويت ، فنشاطهم في التجارة البحرية ... ويغلب على حضر الجزيرة - وعلى الأخص أهل خليج فارس - التعاون التجاري سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأمراء والأهالي^٢ .

أما طباع البداوة، وهي طباع تختلف عن طباع أهل المدن فقد وصفها بقوله:

١ حافظ وهبة (ص ٧) .

٢ المصدر نفسه (ص ٨ فما بعدها)

« أما البدو ، فهم القبائل الرحل المتنقلون من جهة الى أخرى طلباً للمرعى والماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوي على المحافظة على هذه الحياة ، وحياة البدوي حياة شاقة مضيئة ، ولكنه وهو متمتع بأكبر قسط من الحرية يفضلها على أي حياة مدنية أخرى . هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدو ينظر الى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى .

« إن البدوي في الصحراء لا يهتم إلا بالمطر والمرعى ، فأزمته الحقيقية انجباس المطر وقلة المرعى ولا يبالي بما يصيب العالم في الخارج ما دامت أرضه مخضرة ، وبغيره سميئاً وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحمًا .

« أما إذا تما السكان وضائق بهم الأرض او لم تجد اراضيهم بالمرعى، فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها ، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة .

« لقد كان البدو قبل ثلاثين سنة في غارات وحروب مستمرة ، كل قبيلة تنتهز الفرص للإغارة على جاراتها لنهب مالها ، وتعدد الإمارات وتشاحن الأمراء وتخاصمهم مما يشجع البدوي .

« ولهذا كان للقبيلة قيمتها في بلاد العرب، فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأقربين والأبعدين ، وإذا كانت العvisية ضعيفة أمكن تقوية القبيلة بالتحالف مع سواها حتى يقوى الفريقان وبأمننا شر غيرهما من القبائل القوية .

« وقد جرى العرف ان القبائل تعتبر الأرض التي اعتادت رعيها، والمياه التي اعتادت أن تردها ملكاً لها ، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها الا بإذنها ورضاهها، وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهاجم بلا سابق انذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياهها .

« إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء في الشر والتعدي على السابلة والقوافل ، فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم والسماحة والترفع عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها بالتعدي وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما في أيدي الناس .

« ليس للبدو قيمة حرية تذكر ، ولذا كان اعتماد الأمراء على الخضر ، فهم الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه . وكثيراً ما كان البدو

شراً على الأمير المصاحبين له ، فإن ذلك الأمير اذا ما بدت الهزيمة كانوا هم البادئين بالنهب والسلب ويحتجون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين » ١ .
« والبدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه نهب الغادي والرائح ، فالحق عنده هو القوة يخضع لها ، ويخضع غيره بها . على أن لهؤلاء قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها ، فالقوافل التي تمر بأرض قبيلة وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستمر بأرضها ويسمون هذا رفيقاً .

والبدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه ، كما ان الحضري يحقر البدوي ، فإذا وصف البدوي الحضري ، فانه في الغالب يقول حُضيري تصغيراً لشأنه .
ومن عادة البدوي الاستفهام عن كل شيء ، وانتقاد ما يراه مخالفاً للوقه أو لعادته بكل صراحة ، فإذا مرت بالبدوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعن وراءك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التي مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي ؟ وعن أسعار الأغذية والقهوة ؟ وعن في البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض .

ومع أن البدو قد اعتادوا النهب والسلب ، فإنهم كثيراً ما يعفون عن أهل العلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يحلف كاذباً مهما كانت النتيجة . والبدوي ينكر إذا وجد مجالاً للإنكار ، ويفلت بمهارة من الاجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له اليمين وكان لا مفر له اعترف بجرمه إذا كان مذنباً ، ولا يحلف كاذباً » .

« وليس أعدل من البدوي في تقسيم الغنيمة حتى قد يتلفون الشيء تجريباً للعدل ، ويقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السروال ، كل هذا إرضاءً لضمايرهم ودفعاً للظلم ، إنهم يعرفون الخيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التي يعيشون فيها ، ومع ذلك فهم يقسمونها مراعاةً للعدل ، أما الإبل والغنم فإنهم يقسمونها اذا أمكن القسمة أو يقومونها بشمن اذا لم يكن هنالك سبيل للقسمة » .
« والبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضري ، لا يفهمون

١ وهبة (ص ١١ فما بعدها) .

البيوت وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى ان البدو الذين كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية كان عملهم بعد الإستيلاء على الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لا لبيعها والانتفاع بثمنها ، بل لاستعمالها وقوداً اما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعندما أسكنت الحكومة بعض القبائل في ثكنة جَرُوكْ ، اكتشفت الحكومة ان النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدريج، وانها استعملت للطبخ وتحضير القهوة ، فأخرجهم جلالة الملك توأ من الثكنة ، وأسكن الحضر فيها ، والحضر بطبيعتهم يفهمون ما لا يفهمه جهلة البدو عن النوافذ والأبواب .

« وللبدو مهارة فائقة في اقتفاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم .

« والقبائل العربية المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة وتحرص عليها كل الحرص ، فلا تصاهر الا من يساويها في النسب ، والقبائل المشكوك في نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة .

« أما حكام العرب ، فيترفعون عن سائر الناس حضرهم وبدوهم ، لا يزوجون بناتهم الا لقرباهم . أما هم فيتزوجون من يشاءون ، وطبقات الحكام يترفع بعضها على بعض : الأشراف يرون أنفسهم أرفع الخلق بنسبهم ، وآل سعود يرون أنفسهم أرفع من الأشراف ، وأرفع من سواهم من حكام العرب الآخرين »^١ .

« وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تملك شروى نقيير ترفض الزواج من غني ، لأنه ابن صانع ، أو انه من سلالة العبيد ، أو لأن نسبه القبلي يحيط به شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الأرستقراطية التي تنجلي فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم ، فإنه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى » .

ومن عادة القسم الأكبر من سكان الجزيرة ، ولا سيما البدو ، مخاطبة رؤسائهم بأسمائهم أو بألقابهم ، لأنهم لا يعرفون الألقاب وألفاظ التعظيم والتفخيم ، فيقولون يا فلان ويا أبا فلان ويا طويل العمر .

١ هبة (ص ١٣ فما بعدها) .

ولا يزال العربي الصريح ينظر الى الحِرَف والمِهَن نظرة ازدراء ، والى المشتغل بها نظرة احتقار وعدم تقدير .

والبدوي ، لا ينسى المعروف ، ولكنه لا ينسى الإساءة كذلك ، فإذا أُسيء اليه ، ولم يتمكن من رد الإساءة في الحال ، كظم حقه في نفسه ، وتربص بالمسيء حتى يجد فرصته فينتقم منه . فذاكرة البدوي ، ذاكرة قوية حافظة لا تنسى الأشياء .

فنرى من هذه الملاحظات أن كثيراً من الطبائع التي تطبع بها عرب الجاهلية ما زالت باقية ، وبينها طبائع نهى عنها الإسلام وحرمتها ، لأنها من خلال الجاهلية ، ومع ذلك احتفظ بها البدوي وحافظ عليها حتى اليوم ، وسبب ذلك أن من الصعب عليه نبذ ما كان عليه آباؤه وأجداده من عادات وتقاليد . فالتقاليد والعرف وما تعارف عليه القبيلة هي عنده قانون البداوة . وقانون البداوة دستور لا يمكن تخطيه ولا مخالفته ، ومن هنا يخطيء من يظن أن البداوة حرية لا حد لها ، وفوضى لا يردعها رادع ، وأن الأعراب فرديون لا يخضعون لنظام ولا لقانون على نحو ما يترأى ذلك للحضري أو للغريب . انهم في الواقع خاضعون لعرفهم القبلي خضوعاً صارماً شديداً ، وكل من يخرج على ذلك العرف يطرد من أهله ويترأ قومه منه ، ويضطر أن يعيش (طريداً) أو (صعلوكاً) مع بقية (صعاليك) .

العرب والعربي رجل جاد صارم ، لا يميل الى هزل ولا دعابة ، فليس من طبع الرجل أن يكون صاحب هزل ودعابة ، لأنها من مظاهر الخفة والحمق ، ولا يليق بالرجل أن يكون خفيفاً . ولهذا حذر في كلامه وتشدد في مجلسه ، وقل في مجتمعه الإسفاف . وإذا كان مجلس عام ، أو مجلس سيد قبيلة ، روعي فيه الإحتشام ، والابتعاد عن قول السخف ، والإستهزاء بالآخرين ، وإلقاء النكات والمضحكات ، حرمة لأداب المجالس ومكانة الرجال .

وإذا وجدوا في رجل دعابة أو ميلاً الى ضحك أو اضحاك ، عابوا ذلك الرجل وانتقصوا من شأنه كائناً من كان ، وعبرة مثل « لا عيب فيه غير أن فيه دعابة » أو « لا عيب فيه الا أن فيه دعابة » ، هي من العبارات التي تعبّر عن الانتقاص والهمز واللمز .

والبدوي محافظ متمسك بحياته وبما قدر له ، معتر بما كتب له وإن كانت

حياته خشونة وصعوبة ومشقة . ومن هذه الروح المسيطرة عليه ، بقي هو هو ، لا يريد تجديدًا وتطويرًا ، الا اذا أكرهه على التجديد والتغيير والتبديل ، فهنا فقط يخضع لقانون (القوة) ، وهو لا يسلم له الا بعد مقاومة، والا بعد شعوره بضعفه وبعدم قابليته على المقاومة ، فيقبل الأمر الواقع مستسلمًا، ومع ذلك يبقى متعلقًا بما فيه ، يحاول جهد امكانه التمسك به ، ولو بإلباسه ثوبًا جديدًا . وفي القرآن الكريم آيات بينات فيها تقريع وتعنيف للأعراب ، ووصف لحياتهم النفسية . فيها أن الأعرابي محافظ لا يقبل تجديدًا ، ولا يرضى بأي تغيير كان لا يتفق وسنة الآباء والأجداد ، ومنطقه في ذلك : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا »^١ ، « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون »^٢ .

ولهذا لا نجد البدو يؤمنون بسنة التقدم والنشوء والارتقاء . فالبدوي يعيش أبدًا كما عاش آباؤه وأجداده ، مساكنه بيوت الشعر ، وهي لا تحميه ولا تقيه من أثر أشعة الشمس المحرقة ولا من العواصف والأمطار ، ومع ذلك لا يستبدلها بيتًا آخر ، ولا يفكر في تحسين وضعه وتغيير حاله : « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » . وليس من الممكن أن تقوم في هذه البادية ثقافة غير هذه الثقافة الصحراوية الساذجة ، ما دام البدوي مستسلمًا مسلمًا نفسه للطبيعة ولحكم القدر ، وهو استسلام اضطر الى الخضوع له والإيمان بحكمه ، بحكم عمل الطبيعة القاسية فيه منذ آلاف السنين .

وكيف يغير حاله ، وليس في البادية ما يساعده على تغيير الحال ، ليس فيها ماء كاف ولا شجر نام ولا أمطار وخضرة ، فهو يعيش على كرم الطبيعة ورحمتها . أما اذا تكاثرت عدده ، وزاد عدد خيام القبيلة ، اضطرت الى التنقل الى مكان آخر ، أحسن وأنسب من المكان القديم . وهكذا صار دائماً في تنقل من مكان الى مكان .

وتحمس الأعراب وأشباه الحضر في دفاعهم عن العرف ، ليس عن بلادة وغباء وشعور بضعف في الكفايات ، كلا فللبدوي ذكاء وقاد وفطنة وكفاية وموهبة ، وهو إذ يقاوم التغيير والتبديل والتجديد ، لا يقاومه عن غباء وبلادة

١ المائدة ، الآية ١٠٤ .

٢ الزخرف ، الآية ٢٣ .

وعن شعور بضعف تجاه تقبل الحياة الجديدة ، وإنما يقاومه لأنه يشعر عن غريزة فيه أن حياته أفضل وأن البسداوة حرية وانطلاق وعدم تقيد ، وأن التطور إن لم يأت منه ، فهو شر وبلاء ، وأن كيانه مرتبط بتقاليده ، وأن وجوده من وجود آبائه وأجداده ، فهو إن انحرف عن عرفه عرض نفسه وأهله وقبيلته وكل وجود قومه للهلاك ، فهو لذلك يرفض كل تجديد وتغيير وإن بدا لنا أو له أنه لمصلحته ، لغريزة طبيعية فيه وفي كل انسان ، هي غريزة المحافظة على البقاء ، فخوفه من تعرض تقاليده وكيانه للخطر ، هو الذي جعله محافظاً شديد التمسك بالعرف والعادة . أما إذا شعر هو أو أشعر من طريق غير مباشر بفائدة التطور والتغيير وبما سيأتيه من نفع وريح ، ولا سيما إذا لم يكن في التغيير ما يعارض عرفه ولا يناقض تقاليده ، فإنه يتقبله ويأخذه ، ويظهر مقدرة ومهارة فيسه ، حتى في الأمور الفنية الحديثة الغربية عنه . ويروي خبراء شركات البترول كثيراً من القصص عن مقدار براعة البدو وحذقهم في إدارة الآلات والأعمال التي وكلت اليهم . وهناك شهادات أخرى مماثلة وردت من جهات فنية أخرى . ولو تبنياً لهؤلاء البدو مرشدون وخبراء عقلاء كيسون لهم علم بنفسياتهم ، ولو عرفت الحكومات العربية عقلياتهم ومشكلاتهم ، لكان في الامكان تحويلهم الى ثروة نافعة لا تقدر بثمن ، ولتجنب بذلك المشكلات التي تواجهها منهم^١ .

حتى الطب ، هو في البادية طب بدوي متوارث لا يتغير ولا يتبدل ، يقوم على المداواة بتجارب (العارفة) في الطب . ولا يطمئن الاعرابي الى طب أهل الحضر ، مهما فتكت به الأمراض وأنزلت به من آلام ، ذلك لأن طب أهل الحضر هو طب غريب عليه بعيد عنه ، فهو لذلك لا يطمئن اليه . اللهم إلا اذا أقبل عليه رؤساؤه وساداته ، أو أقنع بمنطقه وبطريقة إدراكه هو للأمور أن في الدواء الذي يداوى به شفاءً لمرضه ، وعندئذ يقبل عليه ثم يزيد اقباله عليه ، حتى يكون مألوفاً عنده ، بل يقوم في مثل هذه الحالات باختزان ما يمكن اختزانه من الدواء للمستقبل من غير أن يفكر في كيفية خزنه ، أو في المدة المقدرة لعمر ذلك الدواء ، وتلفه بعد انقضائها .

ووصف الأعراب في القرآن الكريم بالغلظة والجفاوة وبعدم الإدراك وبالنفق

١ جان جاك بيرلي : جزيرة العرب (ص ١٠٢) .

وبالتظاهر في اللسان بما يخالف ما في الجنان : « قالت الأعراب : آمنا ، قل ، لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمانُ في قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله ، لا يلتكم من أعمالكم شيئا ، إن الله غفور رحيم »^١ .
« ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَءُوا عَلَى النِّفَاقِ ، لا تعلمهم ، نحن نعلمهم ، سنُعَذِّبُهُمْ مُرَّتَيْنِ ، ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ »^٢ .

فالأعرابي « البدوي » إنسان لا يعتمد عليه، مسلم ومع ذلك يتربص بالمسلمين الدوائر ، فإذا خذل المسلمون في معركة ، أو شعر بضعف موقفهم خذلهم وانقلب عليهم ، أو اشترط شروطاً ثقيلة عليهم ، بحيث يجد فيها مخرجاً له ليخلص نفسه من الوضع الحرج الذي أصاب المسلمين . فلا يكلف نفسه ، ولا يخشى من مصير سيء ينتظره إن غلب المسلمون . « الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم . ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم »^٣ ، والأعرابي لم يُسَلِّمْ في الغالب عن عقيدة وعن فهم ، إنما أسلم لأن رئيسه قد أسلم فسيّد القبيلة إذا آمن وأسلم ، أسلمت قبيلته معه . وقد دخلت قبائل برمتها في النصرانية للدخول سيّدها فيها . وقد وردت في سورة الحجرات هذه الآيات في وصف بعض الأعراب : « قالت الأعراب آمنا ، قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا . إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون ، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . قل أتعلّمون الله بدينكم ، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض . والله بكل شيء عليم . يمتنون عليك أن أسلموا . قل لا تمتدوا عليّ لإسلامكم ، بل الله يمتن عليكم ، أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين »^٤ .

وقد استثنى القرآن الكريم بعض الأعراب مما وصهم به من الكفر والنفاق والتربص وانتهاز الفرص فتزل الوحي فيهم : « ومن الأعراب من يؤمن بالله

-
- ١ سورة الحجرات الآية ١٤ .
 - ٢ سورة التوبة ، الآية ١٠١ .
 - ٣ سورة التوبة الآية ٩٧ وما بعدها .
 - ٤ سورة الحجرات الآية ١٤ وما بعدها .

واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم ١ .

وقد وصف الأعراب بالغلظة والخشونة ، فقيل : أعرابي قح ، وأعرابي جلف ، وما شاكل ذلك . وفي الحديث (من بدا جفا) ، أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب ٢ .

وذكر أن الرسول وصفه (سراقه) وهو من أعراب (بني مدلج) بقوله : « وان كان أعرابياً بوّالاً على عقبيه » ٣ . وأنه نعت (عَيْسَنَة بن حصن) قائد (غطفان) يوم الأحزاب بـ (الأحمق المطاع) ٤ . « وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، بغير إذن ، فلما قال له أين الاذن ؟ قال ما استأذنت على مضربي قبلك . وقال : ما هذه الحميراء معك يا محمد ؟ فقال : هي عائشة بنت أبي بكر . فقال : طلقها وانزل لك عن أم البنين . في أمور كثيرة تذكر من جفائه . أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيراً فأثني به أبو بكر ، رضي الله عنه ، أسيراً فنّ عليه ولم يزل مظهراً للإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات » .

وذكر ان « الأعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش » ، والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب ٥ . وذلك لإزدراء العرب الأعراب ، ولارتفاعهم عنهم في العقل وفي الثقافة والمنزلة الإجتماعية .

وهذه الصفات التي لا تلائم الحضارة ولا توائم سنن التقدم في هذه الحياة ، هي التي حملت الإسلام على اعتبار (التبدي) أي (التعرب) بعد الهجرة ردّة على بعض الأقوال وعلى النهي عن الرجوع الى البادية والعيش بها عيشة أعرابية . فلما خرج (أبوذر) الى الربرة قال له عثمان بن عفان : « تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً » . فكان « يختلف من الربرة الى المدينة مخافة الأعرابية » ٦ . ولما وصل

-
- ١ سورة التوبة الآية ٩٩
 - ٢ الفاخر (ص ٦٥) ، بلوغ الارب (٣ / ٤٢٥) .
 - ٣ الروض الانف (٦ / ٢) .
 - ٤ الروض الانف (٢ / ١٨٨) .
 - ٥ تاج العروس (٣ / ٣٣٤) ، « الكويت » .
 - ٦ الطبرى (٤ / ٢٨٤) .

(عبدالله بن مسعود) الربذة ، ورأى ابنة أبي ذر وهي حائرة وكان والدها قد فارق الحياة لتوّه ، سأها : « ما دعاه الى الإعراب »^١ . وفي الحديث : « ثلاث من الكبائر منها التعرب بعد الهجرة » . وهو أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً . وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عذر يعدّونه كالمتردّ^٢ . وذلك بسبب جفاء الأعراب والجهالة ، ومن هنا كرهت شهادة البدوي على الحضري فورد في الحديث « لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية » . لأنهم في الغالب لا يضبطون الشهادة على وجهها ولمّا في البدوي من جفاء وجهالة بأحكام الشرع^٣ .

وقد عُرِفَ العربي الحضري بـ (القراري) ، أي الذي لا ينتجع ويكون من أهل الأمصار ، وقيل ان كل صانع عند العرب قرازي^٤ . وهذه النظرية هي نظرة أهل البداوة بالنسبة لأهل الحضارة ، فالصانع عندهم انسان مزدري لاشتغاله بصناعة من هذه الصنائع التي يأنف منها العربي الحرّ .

والحق ان النعوت المذكورة لا تلازم جميع الأعراب ولا تنطبق عليهم كلهم . فهم يختلفون مثل أهل الحضرة ، باختلاف مواضعهم ، من قرب عن حضارة ومن بعد عنها ، ومن وجود ماء وخصب ، أو جذب أو فقر ، وما شاكل ذلك . كما ان بعض النعوت المذكورة تنطبق على بعض أهل المدر أيضاً . ولهذا نجد القرآن الكريم يطلقها عليهم ، ولكن لا على سبيل التعميم بل على سبيل التخصيص ، فهي نتائج ظروف خاصة وأحوال معينة ، لا بد وأن تؤثر في أصحابها فتكسبهم تلك الصفات والمؤثرات . كما ان العرب ، أي الحضرة ، لم يكونوا كلهم في التحضير على درجة واحدة سواء ، فبينهم اختلاف وتباين ، وبهذا التباين تباينت خصائصهم النفسية بعضهم عن بعض .

والبدوي الذي تمكن « ابن سعود » أو غيره من الحكام من ضبطه بعض الضبط ومن الحد من غاراته على الحضرة أو على البدو الآخرين ، هو البدوي نفسه الذي عاش قبل الميلاد وفي عهد إسماعيل ، والذي قالت في حقه التوراة :

- ١ الطبري (٣٠٨/٤) .
- ٢ تاج العروس (٣٥٤/٣) ، « الكويت » .
- ٣ اللسان (٦٧/١٤) .
- ٤ اللسان (٩٠/٥) .

« يده على الكل ويد الكل عليه »^١ . وهو سيبقى كذلك ما دام بدوياً ترتبط حياته بالصحراء ، ينتهز الفرص كلما وجد وهنا في الحكومات وقوة في نفسه على أخذ ما يجده عند الآخرين . وهو إن هداً وسكن ، فلأنه يجد نفسه ضعيفاً تجاه سلطة الحكومة ، ليس في استطاعته مقاومتها لضعف سلاحه ، فإذا شعر بقوته لم يخش عندئذ أحداً .

وقد تأصلت الفردية في أنفس الأعراب وفي أنفس أشباه الحضرة وفي أكثر الحضرة ، حتى صارت أنانية مفرطة ، عاقت المجتمع العربي في الجاهلية وفي الإسلام عن التقدم وعن التوثق والاتحاد . وفي الأدبين الجاهلي والإسلامي أمثلة عديدة سارت بين الناس تمثل هذه النظرية الضيقة الى الحياة . ورد في الحديث عن أبي هريرة أنه قال: « قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى الصلاة ، وقتنا معه ، فقال أعرابي في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا »^٢ . فقد تم نفسه على الرسول ، مع أنه مسلم يحمله دينه وأدبه : أدب الإسلام على تقديم الرسول عليه ، ثم لأنه لم يخصص أحداً بالرحمة غير الرسول وغير نفسه مدفوعاً بهذه الأنانية القبيحة . وكثيراً ما تسمع الناس يتمثلون بقول أبي فراس : « اذا مت ظمأناً فلا نزل القطر » .

يتمثل به الحضرة تعبيراً عن فلسفة ووجهة نظر قديمة الى هذه الحياة ، مبعثها الوضع السيء العام القلق الذي عمّ المجتمع وما زال يعمه ، والذي جعل الفرد يشعر بعدم وجود من يحميه ويساعده ، فتحول غضبه الى عقيدة مؤذية مضرّة ويا للأسف .

والبدواة عالم خاص قائم بذاته ، تكونت طباعها وخصائصها من الظروف التي نشأت فيها ، لها مقاييسها وموازينها الخاصة ، وهي مقاييس وموازين تختلف عن مقاييس الحضرة وموازينهم ، الحضرة البعيدين عن البادية وعن أحوال البدواة ولذلك اختلفت افهام الجماعتين وتباعدت عقلياتهما ، ومن هنا يظهر خطأ من يحكم على البدواة بمقاييس أهل الحضارة ويفسر ما يقع من الأعراب تفسيره لما يقع من أهل المدر من أعمال ، ومن هنا أيضاً نجد أن البدواة لا تستطيع فهم منطق الحضرة

١ التكوين ، الاصحاح ١٦ ، الاية ١٢

٢ سنن أبي داود (٨٩/١) .

ولا تستنسخ أسلوب حياتهم ، ولا تأمنهم ، لأن عالمها يختلف عن عالم الحضرة ، ولأنها تجدد من قيود الريف والمدن ما يصعب عليها تحمله ، ولأنها ترى في الحضرة جماعة حيل وشرّ ومكر فلا تأمنهم ، ولا تستطيع أن تطمئن اليهم ، مهما أظهر الحضرة نحوها من عطف واحسان. وقد كابدت البداوة كثيراً كما كابدت الحضارة كثيراً أيضاً من جراء سوء الفهم هذا الناجم من اختلاف العقليتين .

ويظهر البدوي في عين الحضري الحديث ، وكأنه انسان مزدوج الشخصية جامع للتقيضين ، له وجهان . فهو محارب يحارب معك وفي صفوك ، أما اذا شعر أن الهزيمة ستحل بك ، فإنه أول من ينقلب عليك ، فيمعن عندئذ في سلبك ما معك ونهبه ، لا فرق عنده أن يكون الذي يحارب معه وفي صفوفه عربياً أو أعجمياً ، شريفاً من أسرة عريقة أم قائداً محترفاً . وهو كريم جواد يقدم لضيفه آخر شيء عنده ليأكله ويحبيه بكل وسائل الاكرام ، ولكنه لا يمتنع من سلب غريب يجده في طريقه ، ومن أخذ ما عنده . وهو رجل متدين لا يحلف كاذباً مهما رأى النتيجة، ولكن تدينه تدين بدويّ سطحي الى غير ذلك من متناقضات .

أما الأعرابي ، فيستخر من انهام الحضري له بهذه التهم ، ويعجب من سداجة منطقته وحكمه ، فنطقه في نظره منطق رجل ساذج مريض معلول ، وحكمه حكم إنسان ضعيف ذليل . وإلا فكيف يسمح عقل إنسان سليم لإنسان مثلاً أن يترك أموال صاحبه أو أصحابه تقع في أيدي غيره أو أعدائه ، يأخذونها لينعموا بها وليفتخروا بحصولهم عليها ، ثم لا يمد هو يده اليها يأخذ منها ما يحتاج اليه ويريد ؟ ألا يدل هذا العمل على السخف والضعف وفساد الرأي ؟ إن المحارب في نظر الأعرابي أولى من غيره بأموال زميله المحارب ، وهو أحق بها من أي إنسان آخر للحصول عليها إن داهمه خطر ، وشعر أن تلك الأموال ستقع في أيدي عدوه ، فهو زميله وصديقه ، وهو فوق ذلك به حاجة اليها ، فمن حقه الطبيعي إذن أن يأخذها ولو عنوة ويولي بها ليحرم عدوه الحصول عليها والحصول على أي مكسب كان من هذه الحرب . ثم إنه إن لم يباشر أخذ ما يجده أمامه في الوقت الملائم ، فإن غيره سيأخذه حتماً ، وقد يكون غيره هو خصمه وعدوه : ولما كانت النفس مقدمة على غيرها ، كان من العقل والحكمة أن يأخذ حقه بنفسه ، وإلا ضاع حقه عليه وأفلت منه . ومن هنا اختلفت منطقته عن منطق الحضري وباين حكمه على الأمور حكم الحضري .

وحكم الأعراب على الأمور، حكم صادر عن عقلية خاصة بهم ، كونتها عندهم الأحوال التي يعيشون فيها والمحيط الذي يتحكم فيهم من جفاف وحرارة وضوء ساطع واختلاف في درجات الضغط الجوي وانجاس الأمطار وفقر محال لأغلب الأرضين ومن فقر وتفتير وبساطة في المأكل وأمثال ذلك من مؤثرات كونت عندهم عقلية خاصة وثقافة خاصة ، فهمت الأمور بمنطقها لا بمنطق الآخرين . ومن هنا اختلفت أيضاً عقليات الأعراب وتباينت بعض التباين باختلاف الأحوال التي تحيط بالأمكنة التي ينزلون بها وبقرى تلك الأمكنة وبعدها من الحضر ومن الحضارة . وبمقدار تأثيرها بالمؤثرات الخارجية وبالثقافات الواردة من الخارج ، كالذي نلاحظه من وجود شيء من التباين بين عقليات القبائل المنتصرة وأعمالها وعقليات القبائل الوثنية وأعمالها ، بالرغم من أن نصرانية تلك القبائل لم تكن نصرانية عميقة صميمة ، ولم تكن صافية خالصة، وذلك لأن هذه القبائل المنتصرة، على سطحية تنصرها ، كانت مواطنها ملاصقة للحضر وللحضارة وذات اتصال بالحضر وبالأعاجم وبالثقافات الأجنبية وبالبيئات الثقافية الغربية ، وعاش بينها رجال دين غرّفوا من ثقافات غربية وبشّروا بين العرب المنتصرة بآراء غريبة عنهم ، كما تأثر رؤساء تلك القبائل بمؤثرات الحضر الذين احتكوا بهم ورجال السياسة والدين الذين كانوا على اتصال بهم ، وقد تزوج بعضهم من نساء نصرانيات ، أثّر في بيئة ذلك الزوج .

وقد نص الأقدمون على اختلاف طباع القبائل، فعرف بعضها باللين والسهولة، وعرف بعضها بالشدّة والحشونة والغلظة ، وعرف آخرون بالشجاعة والصبر على المكّاره والميل إلى الغزو والحروب ، وعرف غيرهم بالميل إلى الاستقرار وبقابليتها على الاستيطان واستغلال الأرض والإلتزام مع الجيران . ولوجود هذه الصفات في القبائل كان الحكماء في الجاهلية وفي الإسلام إذا أرادوا أمراً وكلّوه إلى القبيلة التي تناسب صفتها التي اشتهرت بها مع العمل الذي يراد القيام به ، وصار اعتماد الحكماء على هذه الفراسة في الغالب . وما زال هذا التباين في كُنَايات القبائل معروفاً حتى اليوم ، فقد اشتهرت بعض قبائل نجد بأمور لم تشتهر بها القبائل الأخرى ، أو أنها فاقت بها سائر قبائل نجد، فاشتهرت بعضها بالقتال، واشتهرت بعضها بالصرامة والصبر ، وما إلى ذلك ، ويراعي حكماء جزيرة العرب اليوم هذه الصفات في ضبط الأمور في حكوماتهم وفي حفظ التوازن في حكم البوادي

والأعراب وفي السياسة العامة للحكومة . وفي تقارير السياسيين الوطنيين والأجانب وفي كتب السياح والبعثات الأجنبية على اختلاف أنواعها كلام على تباين طباع الأعراب في جزيرة العرب وطباع الحضر في هذا اليوم .

فنى اذن أن للأعراب رأياً في الحضر يشبه رأي الحضر فيهم ، أي رأي فيه ازدياء وحط من شأن الحضر ومن مجتمعهم الذي يعيشون فيه ، ومن قيمهم في هذه الحياة ، وهو رأي تكون عندهم من بيناتهم التي يعيشون فيها ومن ثقافتهم الخاصة بهم ، التي تفسر الأمور بمقاييسها وأوزانها ، وهي مقاييس وأوزان بعيدة عن مقاييس الحضر والحضارة . ولا أقصد بالحضر هنا حضر الأعاجم وحدهم ، بل ادخل فيهم حتى الحضر العرب ، كالذي يتبين من استهجان الأعراب لشأن أهل المدر في كل مكان من أمكنة جزيرة العرب ومن ازديادهم لأحلامهم ومثلهم في الحياة . فالبداءة ثقافة خاصة بهذا العالم ، عالم البداءة ، والحضارة ثقافة أخرى خاصة بالحضر ، وبين الثقافتين بون وخلاف .

وليست هذه الطباع ورائة تنتقل من الآباء الى الأبناء أبداً في الدم، فلا تتبدل ولا تتغير ، بل هي حاصل أحوال وبيئة ، اذا تغيرت الأحوال والبيئة وقع تغير يتوقف على مقدار فعل البيئة الجديدة في الإنسان وعلى الزمان الذي يقضيه فيه وعلى مقدار استعداد ذلك الإنسان لتقبل البيئة الجديدة والثقافة الجديدة التي دخل فيها ، ولهذا يكون فعل التغير في الجيل القديم أقل من الجيل الجديد. وعلى ذلك يخطئ من يصف العرب بصفات يلصقها بهم يجعلها عامة فيهم أبدية . ودليلنا على ذلك أن من عاش من الأعاجم بين العرب وفي بيئة عربية ، تطبع بطباع العرب وصار مثلهم ، حتى اذا انقضى الجيل القديم ونبع الجيل الجديد تحول الى جيل عربي في كل شيء ، لا نستفي من ذلك حتى الإنتساب الى العرب الى عدنان وقحطان وحتى التعصب والعصبيات . والإسلام الذي صهر الأعاجم في بوتقته ، وجعلهم جنوداً يحاربون في الصفوف الأمامية لنشره وإعلاء كلمته ، لم يلبث أن أنساهم أصولهم ولغاتهم ، فحوّلهم بذلك الى عرب من حيث لم يشعر العرب ولا الأعاجم أنفسهم به .

والأعرابي واقعي ، تتأثر أحكامه بالواقع الذي يراه ، وبمقياس المادية التي تتمثل عنده ، يؤمن بالروح ، ولكنه يحولها الى ما يشبه المادة الملموسة . يؤمن بإله أو بآلهة ، كما كان في الجاهلية ولكنه حول تلك الآلهة الى أوثان وأصنام،

يلمسها ويحسها بيديه ، فيتقرب إليها ويتوسل بها ، وخاف من الأرواح مثل الجن والأرواح الخبيثة التي صورها عقله ، أكثر من خوفه من آلهته ، فإذا نزل مكاناً قفراً ، أو محلاً موحشاً ، أو دخل مكاناً مظلماً أو كهفاً ، تعوذ من الأرواح ، واحتال عليها بمختلف الحيل التي ابتكرها عقله ، ليتغلب عليها وليتخلص منها . فهو يخافها أكثر من خوفه من الآلهة ، لأنه جعلها تعيش معه في كل مكان ، فهي تحيط به . أما الآلهة ، فإنها بعيدة عنه ، ثم إنها لا تؤذي ، ومن طبع الإنسان التخوف من المؤذنين .

وهو لا يحفل بما بعد الموت ، لأن هذا العالم الثاني عالم غير محسوس بالقياس إليه . ولهذا لم يتصوره كتصور غيره من الأمم الأخرى ، بل هو لم يتعب نفسه بالتفكير فيه ، ولهذا كانت مراسيم دفن الميت بسيطة جداً ، لا تكلف فيها ولا تعقيد ، على نحو ما نجده عند الحضري أو العجم ، متى دفن في قبره وهيل التراب عليه ، انتهى كل شيء . ولهذا كان عجبهم شديداً اذ سمعوا بالبعث وبالقيامة والحشر والنشر . « إذا أمتنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ، أو آباءنا الأولون » ١ . وكان قائلهم يقول :

حياة ، ثم موت ، ثم نشر : حديث خرافة ، يا أم عمرو ٢ !
وقال شداد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك ، يرثي قتلى قريش يوم بدر :

يحدثنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام ٣

وقد ورد البيت المذكور في صورة أخرى في كتاب (الصبح المنير في شعر أبي بصير) ، في باب شعر (أعشى نهشل) ، ورد في هذا الشكل :

وكائن بالقلب قلب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
أبوعدني ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام ؟
أعجز أن يرد الموت عني	وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأنني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعي شرابي	وقل لله يمنعي طعامي ٤

١ سورة الواقعة ، الآية ٤٧ ، « إذا متنا وكنا تراباً ، ذلك رجع بعيد » سورة ق ، الآية ٣

٢ بلوغ الأرب (١٩٨/٢) .

٣ الصبح المنير (ص ٣٠٨) « طبعة أوربة ١٩٢٧ » .

والحضر الذين نظروا الى الأعراب ، نظرة استصغار وازدراء ، لما بينهم وبين الأعراب من تفاوت في الثقافة وفي العقلية ، هم أنفسهم وفي الواقع أشباه حضر ، وأخص من هؤلاء الحضر حضر الحجاز ، فخصائص التعرب غالبية عليهم ، غلبة تزيد على خصائص الحياة الحضرية . فقد قامت قراهم مثلاً وأعظمها مكة ويثرب على الفكرة الأعرابية القائمة على أساس النسب ، فكل من مكة ويثرب شعاب ، كل شعب لفخذ أو عائلة أو ما أشبه ذلك من أسماء تدخل في أسماء أجزاء القبيلة ، تتعصب وتتحزب وتتقاتل فيما بينها وتحالف ، كما يتقاتل أو يتحالف الأعراب . ثم لأنهم كانوا يأنفون من الاشتغال بالحرف ، تماماً كما يفعل البدو ، ويعافون الزراعة في الغالب ، لا استثنى منها زراعة النخيل ، لأن الزراعة في نظرهم من أعمال النبط والرقيق ، والروح الفردية سائدة بينهم ، موجودة عندهم ، إلا في أوقات الشدة والضيق ، والفردية الجائحة من طبائع البادية ومن خصائصها ، الى أمور أخرى عديدة تعدّ من صميم الحياة الأعرابية . وسبب ذلك أن هذه المستوطنات التي سموها قرى كانت وسطاً بين البداوة والحضارة ، وكانت كالجزر الصغيرة وسط المحيطات الواسعة ، محيطات من الأعراب ، تستمد غذاءها الروحي والمادي من البداوة أكثر مما تستمد من الحضارة . أضف الى ذلك عامل الطبيعة الذي يلعب دوراً خطيراً في تكون المجتمعات وفي تكييفها بالشكل الملائم . ولذلك لم تتكون في يثرب أو في مكة أو في غيرها حياة مشابهة لحياة الحضر العجم في الأماكن الأخرى مثل مدن وقرى العراق وبلاد الشام ومصر ، بل وحتى حضر مدن اليمن وهم من العرب بالطبع .

ومن هنا نجد حضر اليمن ، بل وأعراب اليمن أيضاً يختلفون عن حضر وأعراب الحجاز ونجد والعربية الشرقية ، في كثير من الخصائص والصفات . مع أنهم كلهم عرب ومن أصل واحد . فحضر اليمن ، حضر لا يأنفون من العمل ولا يستصغرون شأن الحرف . ولا يأنفون من الزراعة . بينهم الحائك والنساج والمشتغل بالأرض ، والصانع والحداد والتجار وعامل البناء ، وقالع الحجر ومربي الماعز والغنم والبقرة ، وزارع الحضر والبقول ، ودانج الجلود ، مع أنها حرف يراها العربي في بقية مواضع جزيرة العرب من حرف العبيد والطبقات الدنيا من الناس .

وأعراب اليمن ، الذين ميزهم حضر اليمن عن أنفسهم في الجاهلية باطلاق

لفظة (اعرب) عليهم ، لأنهم لم يكونوا في مستواهم وفي درجتهم في الحضارة. هم مع ذلك وبوجه عام أرقى مستوى وأكثر ادراكاً من أعراب الحجاز ونجد. لقد وطنوا أنفسهم في أطراف الخواضر وعند مواضع الماء والحصب ، وزرعوا ورعوا ماشية وأنعاماً ، واستقروا في بيوت من مدر أو حجارة . وهي حياة لا يألفها البدوي القح . ولا يراها من مقومات البداوة . ثم انهم لم يكونوا رحلاً على شاكلة أعراب الحجاز أو نجد أو بادية الشام . وإذا كنا نرى بعض قبائل اليمن ، وهي ترحل من مواضعها ، فرحيلها هذا هو عن سبب قاهر ، مثل حروب أو كوارث طبيعية تجعل من الصعب عليها البقاء في منازلها ، فلا يكون أمامها للمحافظة على حياتها غير الرحيل الى مكان آخر . انهم بالقياس الى عرب الحجاز أو نجد رعاة أو شبه أعراب^١ .

ومرجع هذه الفروق هو في التباين في الطبيعة . فطبيعة أرض اليمن مثلاً طبيعة لطيفة خفيفة ، الحرارة فيها معتدلة بوجه عام ، والفروق في درجات الحرارة بين الصيف والشتاء، أو بين الليل والنهار ليست كبيرة متناقضة متعاكسة . والضغط الجوي فيها معتدلة غير قلقة متغيرة بكثرة في اليوم أو في الشهر أو في السنة ، والأمطار متوفرة بوجه عام ، تزور اليمن في مواسم معينة ، وجبال اليمن العالية جبال تقف شامخة عنيدة وفي وضع مناسب أمام الأبحر المتصاعدة من البحار ، حتى تضطرها على الهبوط غيثاً على اليمن يغيث الناس . ثم ان اليمن هضاب وأودية وتهاثم ، ومسابل طبيعية تقود السيول الى أحواض حفرتها الطبيعة ، وعلمت هذه الطبيعة الإنسان على رفع حافاتها لتحبس الماء في الأحواض ، وعلى عمل فتحات فيها لخروج الماء منها وقت الحاجة . وهي غنية بالمعادن وبالحجر الصالح للبناء وبالأشجار التي غرستها الطبيعة بيدها ، وأرض على هذا النحو وعلى هذه الشاكلة لا بد وأن تؤثر على أجسام وعلى عقول أصحابها ، فجعلتهم من ثم من أنشط شعوب جزيرة العرب في ميدان العمل والحيلة في كسب العيش وفي إقامة المجتمعات وانشاء حضارة ، وفوقتهم بذلك بوجه عام على سائر عرب جزيرة العرب ، وصيرتهم قوماً لا يرون الاشتغال بالحرف عيباً ، ولا امتهان المهن العملية نقصاً . ولو كانت أرضهم على شاكلة أرض الحجاز أو نجد ، ولو

Naval, P., 402.

كانت طبيعتها ذات طبيعة صحراوية قاسية ، لما صار أهل اليمن بالشكل الذي ذكرته . ولهذا السبب ، اختلفت طبائع من يسميهم أهل الأخبار بالقحطانيين الساكنين خارج اليمن في نجد أو في بادية الشام عن طبائع أهل اليمن ، فصاروا أعراباً أقحاحاً يأنفون من الاشتغال بالحرف ، ولا يعيشون الا على تربية الإبل ، الى غير ذلك من سمات وسم بها البدو مع انهم يمانيون كما يذكر أهل الأخبار . ولو كانت طبيعة أرض البادية على نحو آخر ، على نحو يؤمن العيش والراحة لمن يقيم بها ، لما وجدنا ما وصفناه من أوصاف عند الأعراب ، فإن الطبيعة تصقلهم اذ ذاك صقلاً آخر ، قد يجعلهم مستقرين مقيمين على الأقل ، ودليل ذلك أثر الأمطار والربيع فيهم ، عندما تغيثهم السماء ، سنين متواليه ، اذ يبقون في أماكنهم ، ويقىمون فيها ، ولا يخطر ببالهم عندئذ خاطر الارتحال والتنقل من هذه الأرض .

ولأثر الطبيعة المذكور في طبائع الناس ، اختلفت طبائع أهل « الطائف » عن طبائع أهل مكة مع أنها أقرب الى مكة من اليمن ، وسبب ذلك ان الطائف أرض مرتفعة ذات جو معتدل ، بها مياه وفيرة ، وبها أشجار وهبتها الطبيعة لأرضها منذ القدم ، أرضها خصبة فرحة ، لا تسودها كثابة البادية ولا يخيم عليها عبوس اليبداء ، فصارت أخلاق أهلها من ثم أقرب الى أخلاق أهل اليمن ، وصاروا أذكاء ، عقولهم متفتحة نيرة ، استغلوا أيديهم ، فزاولوا الحرف مثل الدباغة ، واستغلوا الأرض ، إذ زرعوها حباً وأشجاراً مثمرة ، وربوا الماشية ، وصارت مدينتهم حتى اليوم مصيف أهل مكة . مع أنهم عرب ما في أصلهم العربي أدنى شك ، وهم وعرب مكة أو يثرب أو نجد من طينة واحدة ، لا شك في ذلك ولا شبهة .

فللطبيعة إذن من حرّ وبرد ومن اختلاف في الضغوط الجوية ومن أشعة شمس محرقة منهكة ومن اشعاع أرضي ومن أمطار وأهوية ورياح ومن طبيعة أرض وموقع ، ومن هبة الطبيعة الى السكان من طعام غني أو فقير ، من حبوب وأثمار وخضر وحيوان ، أثر بالغ في تكوين الطباع وفي خلق التمايز بين الأجناس البشرية ، تضاف الى ذلك الظروف الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تحيط بالناس ثم التكوين الجسماني ومظهره . ومن هنا نجد العربي الأصيل الذي لا شك ولا شبهة في أصله العربي ، إذا أقام وحده مدة في مجتمع غربي مثل انكلترا

أو اسكاندينافية أو أميركا الشمالية ، حيث الطبيعة مختلفة عن طبيعة بلاده وحيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية متباينة عن الظروف المذكورة في بلاده ، تغير وتبدل واضطر مختاراً أو كرهاً عن غريزة تطور كامنة فيه الى التأقلم والانسجام مع القوم الذين صار يعيش بينهم . ويتوقف هذا التحول بالطبع على عمر الشخص وعلى قابلياته وعلى مدة اقامته في المكان . ولو أقام ذلك العربي طيلة حياته كلها في ذلك الوطن الجديد ، وصار له نسل من زوجته العربية التي قدمت معه أيضاً ، فإن النسل الجديد سيكتسب صفات الموطن الذي نشأ فيه ، ويتخلق بأخلاقه ، أما نسل نسله ، فإنه سيتحول الى شخص آخر غريب عن جده ، غريب عنه حتى في لغته . ومن هنا نجد الجيل الثالث من أجيال المهاجرين العرب الذين هاجروا الى أميركا ، وتجنسوا بها ، جيلاً أميركياً في كل شيء ، حتى في لغته وثقافته وشعوره وهواه ، يشعر أن حنجرته لا تطاوعه على تعلم العربية وأن أوتارها لا تساعد على النطق بها . مع أنه من أصل عربي أباً وأماً . وقد برز من هذا الجيل الجديد اليوم قوم في ميادين العلم والتجارة والمال والصناعة والسياسة والعمل ، ودخل نفر منهم مجلس النواب في واشنطن ، وسيزيد هذا العدد ولا شك ، لم يعقهم عن ذلك عائق الرس والعنصر والجنس وخصائص الدم ولو كان الدم عائقاً الى الأبد ، لما حدث في المذكورين ما نراه عملياً في هذا اليوم .

والعربي بعد ، إن وصف في الجاهلية أو في الإسلام بالحمول والكسل ، وبـ « الرومانطيقية » ، أي بالخيال ، وبعدم الصبر وبالأناية والفردية وبما شاكل ذلك من صفات ، فصفاته هذه ليست حاصل خصائص دم ونتيجة سمات عرق ، وإنما هي ظروف وأحوال وأوضاع أجبرته على ذلك ، ولو أطعم ذلك العربي طعاماً صحياً فيه المواد الغذائية الضرورية لنمو الجسم والعقل ، ولو تغيرت ظروفه ، فهو كما ذكرت سيتغير حتماً . وما كان الأوروبي ليفوق على الشرقي لو أن طبيعة اقليمه وأرضه كانت كطبيعة جزيرة العرب ، ولو سكن الألماني أو السويدي أو الانكليزي بلاد العرب ، وصار له نسل ، فإن نسله لا ينشأ كما لو نشأ في وطن والده أو جدّه ، لاختلاف الظروف والأجواء . وما كانت أوروبا خضراء هذه الخضرة ونشطة هذا النشاط بسبب دم أهلها وحده ، بل لأن طبيعتها ساعدت الناس وعاونتهم ، فأنبثت الرطوبة والأمطار الأشجار بنفسها وكونت لأهلها الغابات ،

ودفع البرد الناس على العمل دفعا ، ولهذا نجد الناس عندنا في الشتاء يندفعون الى العمل اندفاعاً بعامل البرد الذي يدفع الجسم الى الحركة .

أضف الى كل ذلك عوامل أخرى تؤثر في جسم الإنسان وفي تصرفاته واتجاهاته من تركيب جسم ومن ملامح ، مثل لون شعر وتركيبه ولون بشرة أو لون عين وشكل جمجمة وأمر أخرى يدرسها ويبحث فيها علماء الأجناس البشرية ، تؤثر أيضاً في خصائص الإنسان وفي أجناسه وفصائله ، مما لا مجال للبحث عنها في هذا المكان .

والبحث في موضوع نفسيات الشعوب وأصول تفكيرها وميزات عقلها ، بحث يجب أن يستند الى أسس علمية حديثة ، والى تجارب دقيقة عامة، لذلك لا يمكن التعميم ما دمنا لا نملك بحوثاً ودراسات علمية منسقة ، قام بها علماء متخصصون في البوادي وفي الحواضر وفي كل مكان من جزيرة العرب ، روعي عند اجرائها الظروف الطبيعية المؤثرة في ذلك المكان ، والظروف الثقافية السائدة عليه، ودرجة تأثير ذلك المكان بالمؤثرات الخارجية ، أي بمؤثرات المناطق المجاورة له . فبين أهل جزيرة العرب بون كبير في العقلية ، وبين أهل البوادي في الجاهلية وفي هذا اليوم فروق في النفسيات وفي التعامل ، حتى وسمت القبائل بسما ، فوسمت (معد) مثلاً بالحيلة والكيد والذكاء وبالغلظة والحشونة ، ووسمت (ثقيف) بسما ، ووسمت (كندة) بسما . وقد رأينا ما ذكره (حافظ وهبة) عن أهل نجد من حضر وبدو .

بل اننا نرى ان الأعاجم المتعربين أي الذين يتزلون بين العرب وينسلون بينهم ويتخللون العربية لساناً لهم ، سرعان ما يتعربون كل التعرب ، ويتحول أبناؤهم الى جيل عربي خالص ، حتى ليصعب عليك التفريق بينهم وبين العرب في الرسوم والعادات والتفكير ، وذلك بتأثير المحيط الذي حلوا به، والظروف الطبيعية المؤثرة بالمكان . وقد تعرب آراميون في العراق وفي بلاد الشام ، وصاروا عرباً في كل شيء حتى في الصفات التي ذكرناها ، وقد وجدت البعثة الأمريكية التي جاءت الى العراق للبحث عن السلالات البشرية ان في دماء القبائل العربية التي ترى نفسها انها قبائل عربية خالصة نسباً مختلفة من الدماء الغربية ، واذا أدركنا هذه الملاحظة وقيمة أمثال هذه الدراسات في موضوع تكون العقلية وفي حدودها ورسم معاملها ، علمنا انه ليس من السهل في الواقع البحث عن عقلية عربية خالصة

تعبّر عن عقلية جميع العرب وفي كل مكان .
إن الذين بحثوا في العقلية العربية بصورة عامة ، تصورووا العرب وكأنهم جنس واحد انحدر من عرق واحد . وبهذا الاعتقاد وضعوا حدود تلك العقلية. أما اذا فطرنا الى نتائج فحوص بعض علماء (الأنثروبولوجي) وعلماء الآثار وعلماء الحياة لبقايا الجاجم والعظام التي عثروا عليها من عهود ما قبل الإسلام، والى فحوصهم للملامح العرب الأحياء وأجسامهم، فإنها على قلتها ، تشير الى وجود أعراق متعددة بين سكان جزيرة العرب ، الأموات منهم والأحياء ، الجاهليين والإسلاميين ، والى وجود اختلاف في نفسياتهم وفي قابلياتهم العقلية ، وقد تحدثت قبل قليل عن ملاحظات (حافظ وهبة) عن عقليات عرب المملكة العربية السعودية ، وتحدثت عن رأي علماء الحياة والأجناس في تعدد الأعراق وتسرب دماء غريبة الى جزيرة العرب يجعل من الصعب على الباحث الحذر أن يعتقد بإمكان وضع صورة دقيقة تمثل وجود عقلية واحدة لجميع أولئك الناس وفي كل العصور والعهود.

الفصل الثامن

طبقات العرب

اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث القدم الى طبقات : عرب بائدة، وعرب عاربة ، وعرب مستعربة . أو عرب عاربة ، وعرب متعربة ، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة وعرباء وهم الخالص، والمتعربة. واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب الى قسمين: قحطانية ، منازلهم الأولى في اليمن . وعدنانية ، منازلهم الأولى في الحجاز^١ .

واتفقوا ، أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله ، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل ، والعدنانية الفرع ، منهم أخذوا العربية ، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم الى الحجاز ، شرح الله صدر جدهم إسماعيل ، فتكلم بالعربية ، بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الإرمية ، أو الكلدانية ، أو العبرانية على بعض الأقوال^٢ .

وتجدد الأخباريين والمؤرخين يقسمون العرب أحياناً الى طبقتين : عرب عاربة، وعرب مستعربة . ويدخلون في العرب العاربة عاداً وعيلاً ابني (عوص بن لارم)،

١ ابن خلدون (١٦/٢) « طبعة بولاق » ، الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة حزيران ، ١٨٩٧ (ص ٧٦٨ فما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٣/٣) ، « الكويت »
٢ مرجع الذهب (٢٦٢/١) ، نهاية الارب ، للنويري (٢٩٢/٢)

وثمود وجديس ابني (جائر بن لأم) ، وعمليق وطسم وأميم بني (لوزان بن لأم) ، و (بني يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام) ، وهم : جرهم ، وحضرموت ، والسلف ، وجاسم بن عمان بن سبأ بن يقشان بن إبراهيم^١ . أما (الحمداني) ، فقد عدّ كل القبائل التي أولها (جاسم) وآخرها (عبس الأولى) من العرب العاربة^٢ . والقبائل المذكورة هي (جاسم) الذين نزلوا بعمان والبحرين ، وبنو هيف ، وسعد ، وهزان الأولى ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق ، وبنو بديل ، وراجل ، وغفار ، وتيما ، وبنو أثابر ، وبنو عبد ضخم^٣ .

وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تاريخ العرب قبل الإسلام ، وفي موضوع الأنساب . ولا حاجة بنا الى أن نعود ، فنقول : إن كل ما روي من هذا التقسيم وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات ، لم يرد إلينا من النصوص الجاهلية ، وإنما ورد إلينا متواتراً من الكتب المدونة في الإسلام ، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول : إن هذا التقسيم وضعه الجاهليون ، وتوارثوه كابراً عن كابر ، حتى وصل إلى صدر الإسلام ، ثم منه وصل إلينا :

وتقسيم العرب الى طبقات — وذلك من ناحية القدم والتقدم في العربية — هو تقسيم لا نجد له ذكراً لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية ، أو السريانية . ويظهر أنه تقسيم عربي خالص ، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام ، فلم تبق منهم غير ذكريات ، وبين العرب الباقين ، وهم إما من عدنان ، وإما من قحطان .

وجماع العرب البائدة في عرف أكثر أهل الأخبار ، هم : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم ، وعييل ، وعبد ضخم ، وجرهم الأولى ، والعالقة ، وحضورا^٤ . هؤلاء هم مادة العرب البائدة وخامها ، وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق في نظر أهل الأخبار .

١ المحبر (ص ٣٩٥) .

٢ الاكلیل (٧٥/١) .

٣ الاكلیل (٧٢/٢) فما بعدها .

٤ الطبری (١٠٣/١) فما بعدها ، (٢٠٣/١) فما بعدها ، طبعة « دار المعارف » ، وتجد اختلافا في الأنساب ، التنبيه والاشراف (١٥٧) ، « طبعة الصاوي » ، « العرب العاربة سبع قبائل » « وهم تسع قبائل » تاج العروس (٣٣٣/٣) ، « الكویت » ،

أما عاد ، فلأنهم من نسل (عاد بن عوص بن لرم) . وأما ثمود فن نسل (ثمود بن غائر بن لرم) . وأما (طسم) ، فن نسل (طسم بن لاوذ) . وأما (جدیس) ، فن نسل (جدیس بن غائر بن لرم) ، في رواية أو من نسل (جدیس بن لاوذ بن سام) على رواية أخرى^١ . وأما (أميم) ، فلأنهم من نسل (أميم بن لاوذ بن سام)^٢ . وأما (جاسم) ، فن نسل (جاسم) ، وهو من المالقي أبناء (عمليق) ، فهم اذن من نسل (لاوذ بن سام) . وأما (عييل) ، فلأنهم من نسل (عييل بن عوص بن لرم)^٣، وأما (عبد ضخم) ، فن نسل (عبد ضخم) من نسل (لاوذ) ، وقد جعلوا من صُلُب (أبناء لرم) في رواية أخرى . وأما (جرهم الأولى) ، فن نسل (عابر) ، وهم غير جرهم الثانية ، الذين هم من القحطانيين^٤ . وأما المالقة ، فلأنهم أبناء (عمليق بن لاوذ) ، وأما (حضورا) ، فلأنهم كانوا بالرس ، وهلكوا . نرى مما تقدم ان أهل الأخبار قد رجعوا نسب العرب البائدة إما الى (لرم) ، وإما الى (لاوذ) ، باستثناء (جرهم الأولى) الذين ألحق بعض النساين نسبهم بـ (عابر) . وهذه الأسماء هي أسماء توراتية ، وردت في التوراة ، وأخذها أهل الأخبار من منابع ترجع الى أهل الكتاب ، وربطوا بينها وبين القبائل المذكورة ، وكونوا منها الطبقة الأولى من طبقات العرب .

و (لرم) ، هو شقيق (لاوذ) في التوراة ، وأبوها هو (سام بن نوح) ، وقد ترك (سام) هذا من الأولاد (آشور) Asshur و (أرفكشاد) و (لود) و (لرم) و (عيلام) . كما ورد في التوراة^٥ . وقد أجرى أصحاب الأخبار بعض التحوير والتغيير في هذه الأسماء ، بأن صيروا (آشور) (أشوذ) و (انشور) و (أرفكشاد) (أرفخشذ) ، و (لود) (لاوذ) ، و (عيلام) (عويلم) . أما (لرم) ، فقد أبقوه ولم يغيروا في شكله^٦ .

١ « وولد لللاوذ بن سام : طسم وجدیس » ، الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٦) ، « دار المعارف » .

٢ الطبري (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .

٣ الطبري (٢٠٣/١) وما بعدها ، « عوض » ، الكامل (٣١/١) ، مروج (٢٤/١) .

٤ ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، صبح الاعشى (٣١٤/١) .

٥ « آشور » « آشور » Asshur أرفكشاد ، أرفخشذ ، Arpachshad
لود ، Lud لوديم ، Ludim أرم ، Aram « عيلام » ،
Elam

٦ الطبري (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .

ولا نجد لـ (لود) أي (لاوذ) ولداً في التوراة . فأولاده المذكورون هم هدية من أهل الأخبار قدمت اليه . أما (إرم)، وهو (آرام) في التوراة، فإن له من الأولاد (عوص) و (حول) و (ماش) و (كيثر)^١ . ولم تذكر التوراة ولداً لهؤلاء الأبناء الأربعة ، فالأولاد الذين ذكرهم أهل الأخبار ، على أنهم ولد (عوص) و (كيثر) (غاثر) (كاثر)، هم هبة من الأخباريين قدموها الى هذين الأخوين .

وأما (لود) الذي صار (لاوذ) ، عند أهل الأخبار ، فإن آراء الباحثين في التوراة مختلفة في المراد منه . وقد ظن بعضهم أنه جد (اللوديين)، وذكر هؤلاء (اللوديين) مع (كوش) و (فوط) ، وبين (فارس) و (فوط) . وأما (لود) أبوهم ، فإنه ابن (مصرايم) أي مصر^٢ . ويحملنا هذا على التفكير في أنهم شعب من شعوب إفريقيا . ولكن هذا الرأي يخالف ما جاء عن (لود) من أنه ابن (سام)، وأنه شقيق لإخوته المذكورين الذين تقع أملاكهم في الهلال الخصيب ، ومقياساً على هذه المواضع يجب أن يكون ملكه في هذه الأرضين أيضاً . ومهما يكن من شيء ، فإن آراء العلماء متباينة في مواضع نسله، ولم ينوه أحد منهم أنها في جزيرة العرب^٣ .

وأما عوص ، فإن آراء العلماء متباينة كذلك في المكان المنسوب اليه ، فذهب بعضهم الى أن أرض (عوص) يجب أن تكون على تخوم (ايدوم)^٤ أو تخوم العربية الشمالية ، وذهب بعض آخر الى أنها المناطق التي على نهر الفرات، وذهب بعضهم الى أنها في منطقة (حوران) وذهب بعض آخر الى أنها أرض (دمشق) و (اللجاة) (اللجاء)^٥ ، وذهب آخرون الى أنها في الحجاز أو في نجد^٦ . ورأى بعض أهل الأخبار أن منزل (عوص) هو (الأحقاف)^٧ .

-
- ١ « عوص » Uz « حول » Hul ماش Mash كيثر
— كاثر — جائر — غاثر — Gether التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣ .
 - ٢ « مصرايم » Mizraim
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢) ، Hastings, P., 557.
 - ٤ « ايدوم » (Idom) (Idumaea)
 - ٥ Trachonitis
 - ٦ قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) ، Hastings, P., 956.
 - ٧ الطبري (٢٠٦/١) ، « دار المعارف » .

وأرض (عوص) هي موطن (أيوب) الشهير صاحب السفر المعروف باسمه ، والذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وضرب به المثل في الصبر .
وأكاثر (جائر) (Gether) ، فلا يعلم من أمره شيء^١ ، ويجب أن تكون مواطن (الكاثريين) في الهلال الخصيب ، أو في بادية الشام ، أو في التخوم الشمالية لجزيرة العرب ، وذلك نظراً لوروده مع (عوص) و (ماش) .
وقد جعل أهل الأخبار (النبط) من نسل (نبيط بن ماش) ، وجعلوا أهل الجزيرة والعال من ولد (ماش) كذلك^٢ . أما النبط في التوراة ، فإنهم (نبيوت)^٣ نسبة الى الابن الأكبر لأبناء (اسماعيل) المسمى بـ (نابت) عند أهل الأخبار^٤ وليس لـ (ماش) علاقة به وبالنبط . وأما (ماش) ، فإنه كناية عن موضع سكنه جماعة عرفوا بهذا الاسم ، لعله (بادية ماش) (صحراء ماش) المذكورة في الكتابات الآشورية ، وهي في البادية الكبيرة المسماة (بادية الشام)^٥ .

العرب البائدة :

ونحن جرياً مع عادة أهل الأخبار في تقسيم العرب الى الطبقات الثلاث المذكورة، نبدأ بذكر الطبقة الأولى من طبقات العرب ، وهي طبقة العرب البائدة .
وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة ، فعدّها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها تخيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية ، وقد اتضح الآن أن في هذه الأحكام شيئاً من التسرع ، إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ، ومن الحصول على بعض

١ Hastings, P., 292.

٢ الطبري (٢٠٧/١) .

٣ « نبيوت » ، Nebaloth

٤ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرين ، الآية ١٣ ، أخبار الايام الاول ،

الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ ، Hastings, P., 648.

٥ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣ ، أخبار الايام الاول ، الاصحاح

الاول ، الآية ١٧ ، Hastings, P., 590.

المعلومات عنها ، ومن حلّ رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات التمودية . وقد اتضح أن بعض هذه الأقوام أو أكثرها قد عاشوا بعد المسيح ولم يكونوا ممنوعين في القدم على نحو ما تصور الرواة . ولعلّ هذا كان السبب في رسوخ أسمائهم في مخيلة الأخباريين .

وأبدأ الآن بالتحدث عن (عاد) :

عاد : وإذا جاربنا الأخباريين ، وسرنا على طريقتهم في ترتيب الشعوب العربية ، وجب علينا تقديم طسم وعمليق وأميم وأمثالهم على عاد وثمرود ، لأنهم من أبناء (لاوذ بن سام) شقيق (إرم) ، وعاد وثمرود من حَقْدَة (إرم بن سام) . ولكن الأخباريين يقدمون عاداً على غيرهم ، ويبدأون بهم ، وهم عندهم أقدم هذه الأقوام ، ويضربون بهم المثل في القدم^١ . ومثلهم في ذلك مثل أخباريي العبرانيين الذين عدّوا العالقة أول الشعوب^٢ . ولعل هذه النظرية تكونت عند الجاهليين من قدم عاد ، أو من ورود اسم عاد في القرآن الكريم في سورة الفجر^٣ ثم مجيء اسم (ثمود) بعد ذلك . ولهذا صاروا إذا ذكروا (عاداً) ذكروا (ثموداً) بعدها في الترتيب . فلورودهما في القرآن الكريم قدما على بقية الأقوام .

وقد أورد (الطبري) ملاحظة مهمة عن قوم (عاد) وعن رأي أهل الكتاب فيهم ، إذ قال : « فأما أهل التوراة ، فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهود وصالح في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية ، والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه^٤ » . ويظهر من ذلك أن المسلمين حيناً راجعوا اليهود يسألونهم علمهم عن عاد وأمثالهم ، أخبروهم بعدم وجود ذكرهم في التوراة . والواقع أن التوراة لا علم لها فيهم . فأحاديث عاد وثمرود وهود وصالح إنما هي أحاديث عربية ، تحدث بها الجاهليون ، وليس لها ذكر في كتب يهود ، ولكن أهل الأخبار ربطوا مع ذلك بينها وبين التوراة ، وأوجدوا لها صلة ونسباً

١ ومنهم من رأى أنهم أبناء « إرم » اللسان (٢٨٠/١٤)

٢ التكوين ، الأصحاح الرابع والعشرون ، آية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس (١١٣/٢)
Hastings, P., 24.

٣ سورة الفجر ، رقم ٨٩ ، الآية ٦ فما بعدها .

٤ الطبري (٢٣٢/١) .

بأسماء أعيان وردت في التوراة . ولكن عملهم هذا لا يخفى بالطبع على من له وقوف على التوراة .

وأكثر هذه الأقوام أقوام متأخرة عاشت بعد الانتهاء من تدوين التوراة ، عاشت بعد الميلاد في الغالب ، ولعل منها من عاش الى عهد غير بعيد عن الإسلام . ثم إن التوراة والكتب اليهودية الأخرى لم تهتم إلا بالشؤون التي لها علاقة بالعبرانيين ، وهي ليست كتباً في التواريخ العامة للعالم حتى تكتب عنهم وعن أمثالهم من قبائل . أما بقاء أخبار قوم عاد ومن كان على شاكلتهم من العرب البائدة في ذاكرة أهل الأخبار ، فلا أنهم عاشوا بعد الميلاد ، وفي عهد غير بعيد عن الإسلام ، ومع ذلك ، فقد أخذت أخبارهم طابع القصص والأساطير . وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن عاداً هي (هـدورام) في التوراة^١ . ودليلهم على ذلك اقتران عاد بإرم في الكتب العربية ، وبعض القراءات التي قرأت (عاد إرم) في الآية : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد »^٢ على الإضافة ، أو مفتوحتين ، أو بسكون الراء على التخفيف ، أو بإضافة إرم الى ذات العماد . وبين (عاد إرم) و (هـدورام) تشابه كبير في النطق^٣ .

ولكن التوراة تشير الى أن (هـدورام) من نسل (يقطان) ، أي قحطان في الكتب العربية ، وهذا لا يستقيم مع الروايات . ويرد (جرجي زيدان) على هذا الاعتراض بقوله : « ولعل كاتب سفر الخليفة رأى مقر تلك القبيلة في بلاد اليمن ، فقال انها من نسل قحطان ، لأن مقام عاد في الأحقاف بين حضرموت واليمن . وكثيراً ما التبس علماء التوراة في هـدورام أو هادرام ومقر نسله ، ولم يهتدوا الى شيء عنه ، مع أنهم اهتدوا الى أماكن أكثر أبناء قحطان ، وكلها بجوار الأحقاف ، فعاد هي (هـدورام) في التوراة . ولما أن يكون كاتب سفر الخليفة أراد بيان القبائل التي سكنت اليمن ، وكلها ينسب الى قحطان ، فرأى عاد إرم في جملتها ، فجعله من أولاد قحطان وبعبارة أخرى : من القبائل

١ التكوين ، الأصحاح العاشر ، الآية ٢٧ ، أخبار الأيام الاول ، الأصحاح الاول ، الآية ٢١ ، الاكليل (١٦٢/٨) .

٢ سورة الفجر ، الآية ٦ فما بعدها .

٣ الهلال : الجزء الثالث والعشرون ، السنة السادسة ، آب ١٨٩ م (ص ٨٩٠)

المتفرعة عن قبيلة قحطان . ولما أن يكون بالحقيقة من نسل قحطان، وهم العرب في نسبه الى آرام^١ .

ورأى (فورستر) وجود صلة بين (عادة) ، وهو اسم زوجة (لامل) ، وبين (عاد) ، وهي والدة (يابال) الذي كان أباً لسكان الحيام ورعاة المواشي^٢ ، ونسلها من الأعراب . وقوم عاد من الأعراب كذلك . وذهب أيضاً الى أن هؤلاء هم Oaditae وهو اسم (قوم ذكرهم) بطليموس^٣ (على أنهم كانوا يقيمون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب^٤ ، ولعلمهم كانوا يقيمون عند موضع (بئر لرم) ، وهي من الآبار القديمة في منطقة (حسمى) على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديلر جندام بين أيلة وتيه بني اسرائيل^٥ . ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد . وقد أيد هذا الرأي (شبرنكر) وجماعة من المستشرقين ، وهو أقرب الآراء الى الصواب .

وذهب الأخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد هما : عاد الأولى ، وعاد الثانية ، وكانت عاد الأولى ، في زعم أهل الأخبار ، من أعظم الأمم بطشاً وقوة ، وكانت مؤلفة من عدة بطون تزيد على الألف ، منهم : رعد، ورميل ، وصد، والعبود^٦ . والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الأخباريين من الآية : « وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثموداً فما أبقي^٧ » ، فتصوروا وجود عاد ثانية ، قالوا انها ظهرت بعد هلاك عاد الأولى^٨ .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن (عاداً الأولى) ، هو (عاد بن عاديا ابن سام بن نوح) ، الذين أهلكهم الله ، وأوردوا في ذلك بيت شعر ينسب

١ المصدر نفسه .

٢ التكوين ، الإصحاح الرابع ، الآية ٢٠ .

٣ Forster, Vol., 2, P., 32 ff.

٤ Forster, Vol., 2, P., 32, Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger Geogra. S. 207.

٥ البلدان (١٩٦/١) ، صفة (ص ١٢٩)

٦ Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger, S., 207, Wensink und J H Kramers, Handwörterbuch des Islam, Leiden, 1941, S. 13.

وسأرمز اليه ب : Wensink

٧ الهلال : الجزء نفسه ، (ص ٨٩١) .

٨ سورة النجم ، سورة رقم ٥٣ ، الآية ٥٠ . فما بعدها .

ابن خلدون (٢٠/٢) .

الى (زهير)^١ . وأما عاد الأخيرة ، فهم (بنو تميم) ويتزلون برمال عالج^٢ .
 وذهب الطبري الى أن عاداً الأولى ، هم نسل بن عوص بن لرم بن سام
 ابن نوح^٣ ، وأن عاداً الأخيرة هم رهط قيل بن عتر ، ولقيم بن هزّال
 ابن هزّيل بن عثّيل بن صد بن عاد الأكبر ، ومرشد بن سعد بن عفير ،
 وعمرو بن لقيم بن هزّال ، وعامر بن لقيم ، وعمرو بن لقيم بن هزّال ،
 وكانوا في أيام (بكر بن معاوية)^٤ صاحب (الجرادتين) ، وهما قيتان له
 تغنيان^٥ . وقد هلكوا جميعاً الا (بني اللوذية) ، وهم (بنو لقيم بن هزّال
 ابن هزّيل بن هزيلة ابنة بكر) ، وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم (آل بكر
 ابن معاوية) ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الأخيرة ، ومن كان من
 نسلهم الذين بقوا من عاد^٦ .

وجعل بعض أهل الأخبار عدد قبائل عاد ثلاث عشرة قبيلة^٧ ، ذكروا منها :
 (رقد) و (زمل) و (صد) و (العبود)^٨ .

وجعلها (الحمداني) أحد عشر قبيلة وهي : العبود ، والخلود ، وهم رهط
 هود النبي المرسل ، وفيهم بيت عاد وشرفهم ، وهم بنو خالد . وقيل :
 بنو مخلد ، وبنو معبد ، ورفد ، وزمر وزمل ، وضد وضمود^٩ ، وجاهد ،
 ومناف ، وسود ، وهو جد^{١٠} .

وقد ذهب العلماء لمذاهب في تفسير المراد من (لرم ذات العباد) في الآية :
 (ألم ترَ كيف فعل ربك بعادٍ ، لرمَ ذات العباد)^{١١} فذهب بعضهم الى أن

١ « واهلك لقمان بن عاد وعاديا » ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، اللسان (٣١٧/٤) .

٢ اللسان (٣١٧/٤) .

٣ الطبري (٢١٦/١) « طبعة دار المعارف » .

٤ الطبري (٢١٩/١) « دار المعارف » ، وورد « معاوية بن بكر » في رواية أخرى .

٥ الطبري (٢٢١/١) وما بعدها .

٦ المصدر نفسه .

٧ المعارف (١٤) .

٨ تأمرنا لنترك ال رقد وزمل وال صد والعبود

الطبري (٢٢١/١) « دار المعارف » .

٩ « ضد » و « ضمود » ، هكذا ضبط محقق الاكليل (٨٧/١) ، اللفظتين ، وقد

ضبطتا بحرف « الصاد » « صد » و (ضمود) ، أكثر المؤلفات الأخرى .

١٠ الاكليل (٨٧/١) .

١١ سورة الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، الآية ٦ فما بعدها ، اللسان (٢٨٠/١٤) .

(لأرم ذات العباد) مدينة في (تیه أبینن) بین عدن وحضرموت ، وذهب آخرون الى أنها دمشق^١ أو الإسكندرية^٢ . والذي دعاهم الى هذا الرأي - على ما أرى - هو كثرة وجود المباني ذوات العباد في هاتين المدينتين وما عرف عنها من القدم ، فوجد الأخباريون فيها وصفاً ينطبق على وصف لأرم ذات العباد^٣ . وقد خلقت (باب جيرون) من أبواب دمشق قصة (جيرون بن سعد ابن عاد) الذي قالوا فيه إنه كان ملكاً من ملوكهم ، وإنه الذي اختط مدينة دمشق ، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها ، وسماها (لأرم)^٤ .

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون الى أن دمشق هي (لأرم) أو (لأرم ذات العباد) ، فقد كانت دمشق - كما هو معروف - من أهم مراكز الإرميين (الآراميين) ، وكانت عاصمة من عواصمهم . ولهذا السبب أيضاً قال نفر من الباحثين إن (لأرم) تعني (أرام) ، وأن عاداً من (الآراميين) ، وأن (عاد لأرم) إنما تعني (عاد أرام) ، فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العباد صفة ، فزعموا أنها مدينة بناها عاد^٥ . غير أنه قول لا يؤيده دليل يثبت أن (لأرم) في هذا الموضع تعني (أرام)^٦ . ومن الجائز أن تكون (لأرم ذات العباد) هي التي أوحى الى النسابين فكرة جعل (عاد) من نسل (عوص بن أرم) ، لتشابه اسم (أرام) و (أرم) عند العرب التي هي (آرام) فأصبحت عاد من الإرميين .

١ الاكليل (٣٣/٨) ، « طبعة نبيه » ، صفة (٨٠) ، البكري (١٤٠/١) « طبعة السقا » ، منتخبات (٢) سبائك الذهب ، للسويدي (١٥) .

٢ البلدان (١٩٧/١) ، منتخبات (٢) ، مروج (٤٢٠/٢) فما بعدها ، « طبعة مينارد » ، Meynard

BOASOR, Number 73, February, 1939, p., 13, Koranic Iram, Legendary and Historical, by, Harold W. Glidden.

٣ « والعجم تذكر ان أرم ذات العباد بدمشق ، وان جيرون بن سعد بن عاد بنى مدينتها ، وسماها جيرون ذات العباد ، لكبر اعمدة حجارتها » ، الاكليل (٣٣/٨) « طبعة نبيه » .

٤ ابن خلدون (١٩/٢) ، السعودي ، مروج (٤٢٠/٢) الاكليل (٣٣) « طبعة نبيه » BOASOR, Number 73, P., 13, (1939).

٥ « وكان يقال لعاد في دهرهم عاد أرم » ، الطبقات (١/١ ص ١٩) ، البكري ، معجم (٤٨/١) .

٦ Enc., Vol., I, P., 121.

ويرى بعض المستشرقين أن الذي حمل الأخباريين على القول إن (الإسكندرية) هي (إرم ذات العماد) ، هو أثر قصص الإسكندر في الأساطير العربية الجنوبية ذلك الأثر الذي نجده في كتب القصص اليانين ، في مثل كتاب (التيجان) المنسوب إلى وهب بن منبه ، وفي الرواية اليانية . وقد حاول الإسكندر كما نعرف احتلال اليمن ، فغدا (شداد بن عاد) بانياً للإسكندرية ، وأصبح (الإسكندر) مكتشفاً لها^١ .

وقد فسر العلماء لفظة (إرمي) الواردة في بيت الحارث بن حازمة الشكري :

إرميَ بمثله جالت الجن فآبت لحصمها الأجلاء

بأنها نسبة إلى (إرم عاد) في قدم ملكه ، وقيل في حلمه^٢ . ونسب بعض أهل الأخبار لـ (عاد) ولدأ ، دعوه (شداداً) قالوا : إنه كان قوياً جباراً ، سمع بوصف الجنة ، فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً ، فأرسل عماله ، وهم : (غانم بن علوان) ، و (الضحاك بن علوان) ، و (الوليد بن الريان) ، إلى الآفاق ، ليجمعوا له جميع ما في أرضهم من ذهب وفضة ودرّ وياقوت ، فابتنى بها مدينته ، مدينة (إرم) باليمن ، بين حضرموت وصنعاء ، ولكنه لم ينعم بها إذ كفر بالله ، ولم يصدق بنبوّة (هود) ، فهلك . وتولى من بعده ابنه (شديد)^٣ .

وزعم بعض النسابين أن نسب (شداد) هو على هذه الصورة : (شداد ابن عمليق بن عويج بن عامر بن إرم) ، فأبعدوه بذلك عن (عاد) . وقيل في نسبه غير ذلك^٤ .

ويفهم من القرآن الكريم أن مساكن (عاد) بالأحقاف ، (واذكر أنما عاد ، إذ أنذر قومه بالأحقاف)^٥ . والأحقاف : الرمل بين اليمن وعمان إلى

١ BOASOR, Number, 73, P., 13., (1939).

٢ المعاني الكبير (٨٢٦/٢) .

٣ وقيل أخوه ، البلدان (١٩٨/١) ، « يقول اليمانية وأكثر العلماء في البلاد : أن إرم ذات العماد في تيه أبين ، وهو غائط بين حضرموت وبين أبين » ، الأكليل (٣٣/٨) .

٤ « عويج » ، البلدان (١٩٩/١) .

٥ سورة الأحقاف ، سورة رقم ٤٦ ، الآية ٢١ ، اللسان (٣٩٨/١٠) .

حضر موت والشجر^١ . وديارهم بالدو^٢ والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان الى حضر موت الى اليمن . وقد اندفع أكثر الأخباريين يلمسون مواضعهم في الصحارى ، لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصاً كثيراً في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد، ورووا في ذلك كثيراً من قصص المغامرات التي تشبه قصص مغامرات لصوص البحر^٣ .

وفي بعض الأخبار : أن (عاداً) لجلت بالشجر ، فسكنت به، وعليه هلكوا بوادٍ يقال له (مغيث) . فلحقهم بعد (مهرة) بالشجر^٤ . وقد سبق أن قلت : إن Oaditae الذين ذكرهم (بطلميوس) هم قوم (عاد) ، ولأنهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب في منطقة (حسمى) ، أي في أعالي الحجاز ، وعلى مقربة من مناطق ثمود . وهو أقرب الى الصواب ، إذ اقترن ذكر عاد في القرآن بذكر (ثمود الذين جابوا الصخر بالواد) ^٥ . (حسمى) أقرب الى هذا الوصف من الرمال . ولم يعين القرآن موضع الأحقاف ، وإنما عينه المفسرون ، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان ، حيث جعلوا رمال (وبار) في جملة المناطق التي كانت لعاده .

وقد ذهب (موريتس) الى أن موضع (Aramaua) الذي ورد عند (بطلميوس) ، وهو (لارم) ، أو (لارم ذات العاد) . ويقال له الآن (رم) ^٦ . وقد أيد (موسل) رأى (موريتس) غير أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه من أنه (لارم) ^٧ . وقد أظهرت الحفريات التي قام بها (المعهد الفرنسي) في القدس ، صحة هذا الرأي ، إذ ورد في الكتابات (النبطية) التي عثر عليها في خرائب معبد اكتشف في (رم) أن اسم الموضع هو (لارم) ^٨ . فيتضح من

١ ابن خلدون (١٩/٢) ، « والحقف وجمعه احقاف ، وهي الرمال . وكانت الاحقاف رمالا قبل عمان الى حضر موت . قال : وكانت منازل عاد » ، المفضليات (١٥) « والاحقاف : رمال بأعبانها في اسفل حضر موت » ، منتخبات (٢)

٢ المعارف (١٤) .

٣ الطبري (٢٠٨/١) « دار المعارف » .

٤ الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، آية ٩ .

٥ ديوان الطرماح ، « طبعة كرنكو » ، (١٤٨) .

٦ B. Moritz, Ausflüge in der Arabia Petraea, in MFOB, III, S. 395.

٧ Musil, The Northern Hegaz, P. 273, BOASOR, Number, 73, P. 15 (1939).

٨ BOASOR, Number, 73, P. 15, (1939).

ذلك أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، غير أنه صار يعرف أخيراً بـ (رم) بدلاً من (لرم) .

وفي سنة ١٩٣٢ قام (هورسفيلد) Horsfield من دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية بحفريات في موضع جبل (رم) ، ويقع على مسافة (٢٥) ميلاً الى الشرق من العقبة ، ويقع المكان الذي بحث فيه عند واد ، وعلى مقربة منه (عين ماء) ، ووجد في جانب الجبل آثاراً جاهلية قديمة^١ . وقد حلت اكتشافاته هذه واكتشافات (سافينياك) Savignac واكتشافات (كليدن) H. W. Glidden على القول : إن هذا المكان هو موضع (لرم) الوارد ذكره في القرآن، والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام ، فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان يتزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر - الحجاز^٢ .

وذكر (ياقوت الحموي) اسم مكان سمّاه (جش لرم) ، قال عنه : إنه اسم جبل عند (أجأ) أحد جبلي طيء ، أملتس الأعلى ، سهل ترعاه الإبل، وفي ذروته مساكن لعاد ولإرم ، فيه صور منحوتة من الصخر^٣ . ففرق (ياقوت) هنا بين عاد ولإرم ، وجعلهما قومين : قوم عاد وقوم لإرم ، وقد تكون الواو بين الكلمتين زيادة من الناسخ، فيبطل حينئذ الاستدلال على تفريق ياقوت بينهما . وفي الكتب العربية أسماء محلات أخرى قديمة عثر فيها على نقوش وتماثيل، وصفت أنها من مساكن قوم عاد .

وبالإضافة الى المواضع التي أشير فيها الى (عاد) في القرآن الكريم^٤ ، فقد أشير اليهم في الشعر الجاهلي كذلك في شعر طرفة^٥ وفي شعر النابغة^٦ وفي شعر

١ BOASOR, Number 73, P. 14, (1939), Revue Biblique, XLI, (1932), PP. 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (1934), PP., 572, XLIV, (1935), PP. 245.

٢ BOASOR, Number 73, P. 15, (1939).

٣ بالفتح والضم ثم التشديد ، النجفة وفيه ارتفاع ، البلدان (١٠٧/٣) .
٤ سورة الحج ، رقم ٢٢ ، آية ٤٢ ، سورة الحاقة ، ٦٩ ، آية ٦٤ ، سورة الفرقان ، ٢٥ ، آية ٣٨ ، سورة فطت ، ٤١ ، آية ١٣ ، سورة الاعراف ، ٧ ، آية ٦٥ ، سورة هود ، آية ٥٠ .

٥ طرفة ١ ، ٨ ، Enc., Vol., I, P. 121.

٦ أحلام عاد وأجساد مطهرة من العفة والافات والائم

ديوان النابغة مع شرحه للبطلبيوسي (٧٤) ،

البطلبيوسي (٧٤) ، Enc., Vol., I, P. 121.

زهير^١ وفي شعر المهذلين^٢ ، وفي شعر طفيل بن عوف الغنوي^٣ ، وفي شعر (متمم بن نويرة) شقيق (مالك بن نويرة) ، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام^٤ ، وفي شعر (أمية بن أبي الصلت) ، وهو ممن عاش في أيام الرسول كذلك^٥ ، وفي شعر غيرهم من الشعراء الجاهلين المخضرمين^٦ .

وورد في شعر لزهير بن أبي سلمى (أحر عاد)^٧ ، وضرب المثل بشؤم أحر عاد ، فقيل : أشأم من أحر عاد^٨ . وجعل الشاعر (أبو خدّاش الهذلي) (كليب وائل) كأحر عاد في الشؤم ، وذلك بسبب الحرب التي هاجت بين

- ١ فتنّج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، البيت ٣٢ ، Enc., I, P., 121.
- ٢ ديوان الهذليين ، XXXX, 6 ، ٣١ ، ديوان هذيل ، ٥٣١
- ٣ شعر طفيل بن عوف الغنوي ، رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي (طبعة لوزاك ١٩٢٧) ، سلسلة « كب » بعناية « ف . كرتكو » ، (ص ١٣٥ ، ١٤٨) .
« لنا الجبلان من أرمّان عاد » .
- ٤ أفنين عاداً ثم آل محرق فتركهم بلداً وما قد جمعوا
شرح المفضليات (ص ٧٨) ، (٢٤/٢) ، ملحوظة ٤٠ ، المفضليات (ص ١٤)
« طبعة السندوبى » .
- ٥ فقال : ألا لا تجزعي وتكذبني ملائكة من رب عاد وجرهم
ديوان « أمية بن أبي الصلت » ، « طبعة بشر يموت » (ص ٥٨) ، بيروت ١٩٣٨
Friedrich Schulthess, Uman Ibn Abi-Salt, Leipzig, 1911, S. 48.
- ٦ سويد بن أبي كاهل :
غلبت عاداً ومن بعدهم فأبت بعد فليست تتضع
المفضليات (٤٠٤) ، قول « صريم بن معشر بن ذهل » الملقب بأفنون من شعراء الجاهلية :
- لو أنني كنت من عاد ومن أرمّ ربيت فيهم ولقمان ومن جدن
المفضليات (ص ٥٢٥) ، وقال الطرمّاح بن حكيم :
- لنا الجبلان من أرمّان عاد ومجتمع إلا لاءة والفضاة
ديوان الطرمّاح (ص ١٣٥) ، (سلسلة كب) ، لندن ١٩٢٧ ، بعناية « كرتكو » .
- ٧ فتنّج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، بيت ٣٢ .
- ٨ الأمثال (ص ١١) ، « طبعة حيدر أباد الدكن » ، ابن قتيبة الدينوري ، المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .

بكر وتغلب^١. وقد نص (ابن قتيبة الدينوري) على أن المراد من (أحر عاد) (أحر ثمود) الذي عقر الناقة^٢.

ويدل ورود خبر (عاد) في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون أن قوم (عاد) كانوا من أقدم الأقوام ، ولذلك ضُربَ بقدمهم المثل حتى لأنهم كانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا بقدمه ، الى عاد ، فيقولون إنه (عادي). وإذا رأوا أثراً قديماً أو أثلاً قديماً عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ، قالوا إنها عادية ، أي من أيام عاد^٣. وإذا رأوا بناءً قديماً لا يعرفون صاحبه ، قالوا إنه بناء عادي^٤. وقد تحدث (المسعودي) عن أشجار عادية ، أي قديمة جداً^٥. ولهذا السبب رأى (وهوزن)^٦ أن كلمة (عاد) لم تكن اسم علم في الأصل ، بل كان يراد بها القدم ، وأن كلمة (عادي) تعني منذ عهد قديم جداً ، وكذلك كلمة (من عاد) أو (من العاد) ، أو من (عهد عاد). وان المعنى هو الذي حل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام (عاد)^٧.

وقد جعل بعض الشعراء أيام (عاد) من أوليات الزمان ، التي جاءت بعد (نوح)^٨ وجعل بعض آخر لفظة (إرمي) ، بمعنى (عادي) ، أي قديم

١ المعاني الكبير (١٠٢٣/٢) .

٢ المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .

٣ لعادية من السلاح استعرتها

وكان بكم فقر إلى الفدر او عدم
المفضليات (ص ٦١٣) ، « والعادي الشيء القديم » ، اللسان (٣١٧/٤) ،
الحماسة « طبعة فرايتاغ » Freytag (١٩٥/١ ، ٣٤١) ،

Causin de Perceval, Essai, Vol, I, P. 259, Blochet, Le Culte D'Aphrodite.

Sprenger, Das Leben, Bd., I, S., 512. ٤

٥ المصدر نفسه .

٦ قال أبو دواد اليايادي :

الا ابلغ خزاعة اهل مر

تركنا دارهم لئلا نرونا

التنبيه والاشراف (ص ١٧٥) ، « طبعة الصاوي » .

Wensick, P., 13.٧

٨ وقال بعض طيء :

وبالجبيلين معقل

ملكناه في اوليات الزمان

الاكليل (٩٠/١) .

كأنه من عهد إرم وعاد ، أو كأنه في الحكم من عاد^١ .
وقد ضرب المثل في القرآن الكريم بقدم (قوم نوح) وقوم (عاد وثمود)
حتى إن أخبارهم خفيت عن الناس فلا يعلمها إلا الله : (ألم يأتيهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) ، وفي
ذلك دلالة على أن الناس في أيام الرسول كانوا يرون أن الأقوام المذكورة هي
من أقدم الأقوام ، ولهذا ذكروا بهم للاعطاء^٢ .

وقد ورد ذكر عاد في الكتاب الذي وجهه (يزيد بن معاوية) الى أهل
المدينة يهددهم فيه بمصير يشبه مصير (عاد وثمود) ، حيث يتزل بهم عقاباً
شديداً ويصيرهم حديثاً للناس ، (واترككم أحاديث تنسخ بها أخباركم مع أخبار
عاد وثمود)^٣ . وقال (سبيع) لأهل اليمامة : « يا بني حنيفة بعداً كما بعدت
عاد وثمود »^٤ .

وضرب المثل برجل من (عاد) اسمه (ابن بيض) ، زعموا أنه كان من
عاد ، وكان تاجراً مكثرأ عقر ناقة له على ثنية ، فسد بها الطريق على السابلة ،
فضرب به المثل^٥ .

وزعم أهل الأخبار أن رجلاً غنياً من بقية (عاد) اسمه (حمار) كان متمسكاً
بالتوحيد ، فسافر بنوه ، فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم ، فأشرك بالله وكفر بعد
التوحيد ، فأحرق الله أمواله وواديه الذي كان يسكن فيه فلم ينبت بعده شيء .
ويزعمون أن (امرأ القيس) الشاعر ذكر ذلك الوادي في شعر له^٦ .
ويذكر أهل الأخبار أن المكان الذي كان فيه (حمار) المذكور هو (جوف) ،
وهو موضع في ديار عاد ، وقد نسب اليه ، ف قيل (جوف حمار) ، نسبة الى

١ الاكليل (٨٩/١ وما بعدها) .

٢ التنبيه والإشراف (ص ٨٢) .

٣ عيون الأخبار ، لابن قتيبة (٢٠٢/١) .

٤ المصدر نفسه (٢٣٣/١) .

٥ ورد في شعر بشامة بن عمرو :

كثوب ابن بيض وقاهم به فسد على السالكين السبيلا

المفضليات (ص ١٦) « طبعة السندوبي » .

٦ ووداد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

شرح المعلقات السبع ، للزوزني ، (ص ٢٨) « طبعة دار صادر » .

(حمار بن مويلع) ، فلما أشرك بالله وكفر ، أرسل الله ناراً عليه فأحرقتة وأحرقت الجوف أيضاً ، فصار ملعباً للجن لا يستجريء أحد أن يمر به ، والعرب تضرب به المثل ، فتقول : (أخلى من جوف حمار)^١ .

هود :

ويرد مع قوم (عاد) ذكر نبي منهم ، هو (هود) ، وقد نعت في القرآن الكريم بـ (أخي عاد) : « وإلى عاد أخوهم هوداً ، قال : يا قوم ، عبدوا الله »^٢ . كما نعت القرآن عاداً بقوم هود : « ألا ، إن عاداً كفروا ربهم ، ألا بُعداً لعاد قوم هود »^٣ . « قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح »^٤ . وقد نسبته الناسيون إلى (الخلود بن معبد بن عاد)^٥ ، وإلى (عبدالله بن رباح ابن جابوب بن عاد بن عوص بن لرم)^٦ ، وإلى (عبدالله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن لرم)^٧ ، ومن أهل الأنساب من زعم أنه (عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح) ، إلى غير ذلك من روايات^٨ .

وقد وردت قصته مع قومه ونبيه لهم عن عبادة الأصنام في القرآن الكريم^٩ . وقد ضرب المثل بكفر رجل من عاد ، اسمه (حمار) ، ف قيل : (أكفر من حمار) ، قالوا : « هو رجل من عاد ، مات له أولاد ، فكفر كفراً عظيماً ، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه إلى الكفر ، فإن أجابه ، والا قتله »^{١٠} . وذلك على نحو ما ذكرته عنه قبل قليل . وهي قصة واحدة ، رويت بطرق متعددة ،

-
- ١ البكري ، معجم (٤٠٥/١) .
 - ٢ الأعراف ٧ ، آية ٦٥ ، سورة هود ، ١١ ، آية ٥٠ ، الشعراء ، ٢٦ ، آية ١٢٤ .
 - ٣ هود ، ١١ ، آية ٦٥ .
 - ٤ هود ، ١١ ، آية ٨٩ .
 - ٥ نهاية الارب (٥٢/١٣) ، الاكلیل (٩٣/١) .
 - ٦ المعارف (١٤) .
 - ٧ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » .
 - ٨ الطبري (٢١٦/١) ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٢٠/١) .
 - ٩ سورة هود ، ١١ ، آية ٦٥ ، ٧٩ ، الشعراء ، ٢٦ ، آية ١٢٤ ، الأعراف ٧ ، آية ٦٥ .
 - ١٠ اللسان (٢٩٥/٥) .

تختلف في التفاصيل ، لكنها متفقة من حيث الفكرة والجوهر، وعليها طابع قصص الوعظ وأهل الأخبار . وقد ذكر أصحاب الأخبار أن غالبية (عاد) كفرت بنبو (هود) ، ولم تؤمن به ، لهذا أصابها العذاب والمهلك . ولم ينج منهم الا من آمن بـ (هود) واتبعه وسار معه حين ترك قومه : قوم عاد .

وقد نبه المستشرقون الى وجود شبه بين هود و (هود) الواردة في القرآن أيضاً بمعنى (يهود)^١ : « وقالوا كونوا هوداً ، أو نصارى ، تهتدوا »^٢ . وأشاروا الى أن (هوداً) تعني اليهود ، أي الدخول في اليهودية ، كما لاحظوا ان بعض النسايب قالوا ان هوداً هو (عابر بن شالح بن أرفكشاد) جد اليهود ، فذهبوا الى أن هوداً لم يكن اسم رجل ، وإنما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب ، وأقامت في الأحقاف ، وحاولت تهويد الوثنيين ، وعرفوا بيهودا ، ومنها جاءت كلمة (هود)^٣ ، وانها استعملت من باب التجوز علماً لشخص^٤ .

وزعم الرواة ان هوداً ارتحل هو ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التي حلت بقومه الكافرين من أرض عاد الى الشحر . فلما مات دفن بأرض حضرموت^٥ . ويدعي الرواة انه قبر في وادٍ يقال له (وادي برهوت) غير بعيد عن (بئر برهوت) التي تقع في الوادي الرئيسي للسبعة الأودية^٦ . وهي من الآبار القديمة

١ اللسان (٤٥١/٤) ، القاموس (٣٤٩/١)
Enc., Vol. 2, P. 327. f., Hirschfeld, Beitrage zu Erklarung des Koran,
Leipzig, 1886, S., 17, Nota, 4.

٢ البقرة ، ٢ ، آية ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ .
٣ الهلال ، ٢٣ ، سنة ٦ ، جزء اب ، ١٨٩٨ (ص ٨٩٤) .
٤ « والهود : جمع هائد ، وهو التائب ، والهود : اليهود ، قال الله تعالى : « كونوا هوداً أو نصارى » . التهويد : المشي الرويد ، وفي حديث عمران بن حصين : اذا مت فخرجتم بي فأسرعوا المشي ولا تهودوا كما تهود اليهود والنصارى » ، « وهود الانسان ولده : أي جعله على دين اليهود » ، منتخبات (ص ١١١ وما بعدها) ،
Enc. Vol., 2, P., 328.

٥ « قال الواقدي : « ما يعلم موضع قبر نبي من الانبياء ، الا ثلاثة : قبر اسماعيل فانه تحت الميزاب بين الركن والبيت ، وقبر هود ، فانه في حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تندی وموضعه اشد الارض حرا ، وقبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فان هذه قبورهم بحق » ، الطبقات ، القسم الاول من الجزء الاول (ص ٢٥) ، « تحقيق سخو » ، نهاية الارب (٦٠/١٣) ،
Forster, Vol., 2, PP., 374.

٦ البكري ، تاريخ حضرموت السياسي (٦٥/١) فما بعدها .

التي اشتهرت في الجاهلية بكونها شر بشر في الأرض ، ماؤها أسود متنن ، تتصاعد من جوفها صيحات مزعجة ، وتخرج منها رواائح كريهة ، ولذلك تصور الناس انها موضع تتعذب أرواح الكفار فيه^١ .

ويذهب السياح الذين زاروا هذا المكان ودرسوه الى انه موضع بركان قديم ، يظهر أنه انفجر ، فأهلك من كان حوله . ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الكتب العربية من أنه كان يسمع لهذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وانه كان يقذف ألواناً من الحمم يسمع لها أزيز رابع^٢ . ومن هنا نشأت قصة قبر هود ، وعذاب عاد في هذا الموضع ، على رأي المستشرق (فون كريبمر)^٣ .

ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له (قبر هود) ، يزار حتى الآن ، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة ، وربما كان من الأماكن التي كان يقدسها الجاهليون^٤ .

وفي هذه المناطق آثار مدن بائدة ، وقرى جاهلية ، وتشاهد كهوف ومغاور على حافتي الوادي ، وكتابات وصور منقوشة على الصخور تدل كلها على أنها كانت من المناطق المأهولة ، وأنها تركت لسبب آفات وكوارث طبيعية نزلت بهذه الديار^٥ .

ورأى نفر من المستشرقين أن هذا المكان الذي فيه قبر (هود) هو الموضع الذي سماه الكتاب اليونان Styx أو Stygis ، والذي زعم الرومان أن قبيلتين من قبائل جزيرة (اقريطش) (كريت) وهما قبيلة Minos و (رودوماتنس)

١ البلدان (١٥٧/٢) ، « خير بشر في الأرض زمزم ، وشر بشر في الأرض برهوت » ، منتخبات (ص ٧) ، « برهوت واد معروف قيل هو بحضرموت ، وفي حديث علي عليه السلام : شر بشر في الأرض برهوت . هي بفتح الباء والراء ، بشر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول الى قعرها . ويقال : برهوت بضم الباء وسكون الراء » ، اللسان (١٤٣/١) ، (٣١٤/٢) .

٢ تأريخ حضرموت السياسي (٦٧/١) .

٣ « ويفيض وادي ثوبة الى بلد مهرة ، وحيث قبر هود النبي ، صلى الله عليه ، وقبره في الكتيب الاحمر ، ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الاحقاف ، وهو واد يأخذ من بلد حضرموت الى بلد مهرة مسيرة ايام ، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت » ، صفة (ص ٧) ،

von Kremer, Über die Suedarabische Sage, S., 21.

٤ تأريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، Enc., Vol., I, P., 634.

٥ تأريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، الهلال : الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ (ص ٦٠٥) .

Rhodomantys تركنا موطنها الأصلي، وارتحلنا الى هذا المكان الذي ضم مئات من القبائل العربية ، فكانتا من أقواها . وقد سكنتا في رأيهم ، على مقربة من موضع سماه (بلينيوس) Stygis Aguniae Fossa^١ .

أما الأخباريون الذين زعموا أن (هوداً) اعتزل قومه بعد يأسه من قبول دعوته ، وأنه ذهب مع من آمن به الى مكة ، فقد ذهبوا الى أنه عاش فيها أمداً ، ثم مات هناك ، فقبره بمكة مع قبور ثمانية وتسعين نبياً من الأنبياء^٢ . وذكر جماعة أنه بدمشق في المسجد الأموي^٣ . ولعل القصص الوارد عن (دمشق) ، وأنها (لرم ذات العباد) هو الذي أوحى الى هؤلاء فكرة جعل قبر (هود) بدمشق . ومهما يكن من شيء فإن هناك جماعة من أهل الأخبار قبرت بعض الأنبياء في هذه المدينة ، واختارت المسجد الأموي نفسه مقبرة لهم . ولعل ذلك بسبب أن هذا المسجد كان كنيسة معظمة قديمة عند أهل دمشق قبل دخولهم في الإسلام ، وكان قد قبر فيها جماعة من قديسيهم ورجال دينهم ، فلما تحولت الكنيسة الى جامع تحولت قبور هؤلاء بعواطف الناس القديمة الى قبور أنبياء . وقد ظهر مثل هذه الروايات التي تمجد الجامع الأموي في الوقت الذي تحصن فيه (ابن الزبير) بمكة ، وتحزب أهل الحجاز على الأمويين .

وقد اتخذ القحطانيون هوداً جداً من أجدادهم ، وألحقوا نسبهم به ، وتفاخروا به^٤ . فعلوا ذلك بدافع العصبية والمفاخرة على العدنانيين الذين كانوا يقولون إن فيهم الأنبياء ، ولم يكن في قحطان نبي ، فأوجد نسباً لهم نسباً يوصلهم الى الأنبياء ، كما أوجدوا لهم نسباً احتكر لهم العروبة ، وجعلهم الأصل والعدنانيون من الطارئین عليهم ، كما سيأتي الحديث عن ذلك .

١ Enc. Vol. I, P. 654, Wensinck, P. 175.

٢ أخبار مكة ، للزركلي (٣٠/١ وما بعدها) ، Enc., Vol. 2, P. 327.

٣ رحلة ابن بطوطة (٢٠٥/١) ، (٢٠٣/٢) « طبعة باريس » .

٤ « هود النبي ، عليه السلام ، المرسل الى عاد المذكور في القرآن ، هو أبو قحطان قحطان بن هود . قال حسان :

ابونا نبي الله هود بن عابر

وهو هود بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح النبي » ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، نهاية الارب (٥١/١٣) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلوسي (ص ٦٣ فما بعدها) التنبيه والاشراف (ص ٧١) « طبعة الصاوي » .

وإذا صح أن الشعر المنسوب إلى حسّان بن ثابت الذي افتخر فيه بانتسابه إلى (هود بن عابر) ، وبأن قومه وهم من (قحطان) منهم ، هو لهذا الشاعر حقاً ، يكون لدينا أول دليل يثبت أن هذا الانتساب كان معروفاً عند ظهور الإسلام^١ . وأن أهل (يثرب) ، وهم من الأوس والخزرج ، وهم من قحطان في عرف النسّابين ، كانوا قد انتسبوا إليه قبل الإسلام . أخذوا ذلك من اليهود النازلين بينهم ، الذين كانوا يحاولون التقرب إلى أهل يثرب ، للعيش معهم عيشة طيبة . فأشاعوا بين الناس أن (عابراً) ، وهو جد العبرانيين ، ووالد ولدين هما (فالغ) و (يقطان) كان جدّهم وجد أهل يثرب ، لأن أصلهم من يقطان ، وأن علاقتهم لذلك بهم هي علاقة أبناء عمّ بأبنساء عم . ولما نزل الوحي بنجر (هود) ، وتفاخر المكّيون على أهل يثرب بالإسلام ، استعار أهل يثرب (هوداً) ، وصبروه (قحطاناً) ، أو ابناً له ، وانتسبوا إليه ، ليظهروا بذلك أنهم كانوا أيضاً من نسل نبي ، وإن نبوءة قدميّة كانت فيهم ، وقد كان (حسّان بن ثابت) من المتعصبين للأزد قوم أهل يثرب ، والأزد من قحطان ، وكان من المتباهين بيمين وقحطان .

لقمان :

ومن قبائل عاد قبيلة كان فيها (لقمان) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي وفي القصص^٢ . وقد ضرب به المثل بطول العمر ، فعُدّ في طليعة المعمرين^٣ ، وعدّه (أبو حاتم السجستاني) ثاني المُعمرين في العالم بعد

١ « أبونا نبي الله هود بن عابر » ، وسأتكلم عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب وعندني أنه متحول ، وأنه حمل عليه .

٢ سورة لقمان ، تفسير الطبري (٣٩/٢١) « القاهرة ١٣٢١ هـ » ، قال صريم بن معشر بن ذهل المعروف بـ « أفنون » :

لو أنني كنت من عاد ومن أرم
المفضليات (ص ٥٢٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلوسي (ص ٧٥) .
نمين فلا له في سوق رأس
إلى لقمان في سوق مقام
البيان والتبيين (٢٣/١)

٣ Enc., Vol., 3, P. 35, Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie, S. 2, Leiden, 1899, Rene Basset, Loqman Berbere, Paris, 1890, Wensinck, P. 365.

الخضر^١ . وقد كان عرب الجاهلية يعرفون قصص (لقمان) ، وكانوا يصفونه بالحكمة . وقد وُصف في القرآن الكريم بهذه الصفة : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »^٢ . ولهذا السبب عرف بين الناس وفي الكتب بـ (لقمان الحكيم) . وذكر عنه انه كان (حكيماً عالماً بعلم الأبدان والأزمان)^٣ وانه طلب من الله أن يُعمر طويلاً فأعطاه طلبه : وعمر عمر سبعة أنسر ، وذكر الأخباريون أن آخر نسر أدركه ، وهلك بهلاكه اسمه (لبـد) . قالوا واليه يشير (النابغة) بقوله :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أنخى عليها الذي أنخى على لبـد^٤

وقد أكرت العرب في صفة طول عمر النسر ، وضربت به الأمثال . وبلبد ، ويصحة بدن الغراب . وذكروا في ذلك شعراً ، منه ما نسب الى (الخارجي) في طول عمر (معاذ بن مسلم بن رجاء) ، مولى القعقاع بن حكيم :

يا نسر لقمان ، كم تعيش ، كم تلبس ثوب الحياة يا لبـد^٥ ؟
قد أصبحت دار حمير خربت وأنت فيها كأنك الودد^٦
تسأل غير بانها اذا حـجـجـلت كيف يكون الصداق والرمـد^٧ ؟

ويذكر أهل الأخبار ان (لقمان) قد عرف لذلك بـ (لقمان النسر) ، لأنه عمر عمر سبعة نسور^٨ . وذكر بعض أهل الأخبار انه عمر مائة وخمسين سنة ، وانه لما مات قبر بحضرموت ، أو بالحجر من مكة^٩ . وهو عمر لا يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار من طولهِ ، ومن انه يعادل عمر سبعة نسور . أما

١ ابو حاتم السجستاني : كتاب المعمرين « طبعة كولدتزهر » ، (ص ٢) ، Goldziher, Abhandlungen, 2, S. 2, Enc., Vol., 3, P. 35.

٢ سورة لقمان ٣١ ، آية ١٢ .

٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .

٤ الفاخر (ص ٦٨) ، الطبري (٢٢٣/١) ، « دار المعارف » ، عيون الأخبار (٥٩/٤) ، نهاية الارب (٦٠/١٣) وما بعدها ، ابو الفداء ، المختصر (٢١/١) وما بعدها ، « دار الكتب اللبنانية » ، الكامل ، لابن الاثير ، (٤٩/١) وما بعدها .

٥ مروج الذهب (٩٢/٢) وما بعدها ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

٦ نهاية الارب (٦٠/١٣) وما بعدها .

٧ الكامل ، لابن الاثير (٤٩/١) وما بعدها .

(السجستاني) ، فجعل عمره خمسمائة سنة وستين . وهو عدد أخذه من عمر النور المذكورة ، اذ عاش كل نسر ثمانين عاماً ، والعدد المذكور هو مجموع عمر تلك النور السبعة . غير ان من الأخباريين من أعطاه عمراً قدره بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة^١ . وهو عمر يؤهله ولا شك لأن يكون في عداد المعمرين . وقد ورد اسم لقمان على انه اسم خنّار في شعر منسوب للناطقة حيث يقول :

كأن مشعشعاً من خمر بصرى نمته البخت مشدود الخيام
حلن قلالة من بين رأس الى لقمان في سوق مقام^٢

وجعلوا للقمان نسباً هو (لقمان بن عاد)^٣ ، وصبروه (لقمان بن ناحور بن تارخ) ، وهو (آزر) أبو (ابراهيم)^٤ . وقال بعضهم : بل هو ابن أخت (أيوب) ، أو ابن خالته ، وجعله آخرون من حمير ، فقالوا له : (لقمان الحميري)^٥ ، وصبره آخرون قاضياً من قضاة (بني اسرائيل)^٦ . وقد اشتهر عند المسلمين بالقضاء ، ويظهر أن هذا السبب هو الذي جعل الواقدي يقول : إنه كان قاضياً في بني اسرائيل . ولم يفتن الأخباريون الى هذه الأخبار المتناقضة التي تخالف رواياتهم في عاد ، وأنها من أمم العرب البائدة ، إلا اذا جعلناه من الطارئين على قوم عاد الداخلين فيهم ، فهو غريب بين قوم عاد .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن الأخباريين كانوا يرون وجود لقمان آخر ، هو غير لقمان عاد . فقد زعموا أنه كان في عهد (داوود) لقمان ، عرف به (لقمان الحكيم) . وقد نسب به بعضهم على هذا النحو : (لقمان بن عتقاد) ، وقد زعم (المسعودي) ، أنه كان نوبياً ، وأنه كان مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داوود ، وكان عبداً صالحاً ، من الله عليه بالحكمة ، ولم يزل باقياً في الأرض مظهراً للحكمة في هذا العالم الى

١ العمرون (ص ٤) « طبعة عبد المنعم عامر » .

٢ البكري ، معجم (١١٦١/٣) .

٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) ، نهاية الارب (١٣/٦٠) ، البيان والتبيين (١٧٤/٣) .

٤ قصص الانبياء ، للثعالبي ، (ص ٢٠٥) .

٥ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .

٦ قصص الانبياء (ص ٢٠٥) .

أيام يونس بن متى حين أرسل الى أرض نينوى في بلاد الموصل^١ .
وهناك من فرّق بين (لقمان بن عاد) وبين (لقمان) المذكور في القرآن ،
قال الجاحظ : (وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ،
ولقيم بن لقمان في التباهة والقدر وفي العلم والحكم ، في اللسان وفي الحلم ، وهذان
غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون)^٢ . وقد أورد
الجاحظ جملة أبيات للنمر بن تولب في لقمان وليم^٣ .

وقد ذكر الجاحظ أنه كانت للقمان أخت محمقة ، تلد أولاداً حقى ، فذهبت
الى زوجة لقمان ، وطلبت منها أن تنام في فراشها حتى يتصل بها لقمان ، فتلد
منه ولداً كيساً على شاكلته ، فوقع عليها فأحبها به « لقيم » الذي أشرت اليه ،
فهو ابن لقمان اذن من أخته . وقد أورد الجاحظ في ذلك شعراً جاء به على
لسان الشاعر المذكور ، أي : (النمر بن تولب) ، زعم أنه نظم في هذه
القصة ، وزعم الجاحظ أيضاً أن لقمان قتل ابنته (صحرًا) أخت (لقيم) ، وذلك
أنه كان قد تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل
من الجبل ، كان أول من تلقاه (صحرًا) ابنته فوثب عليها فقتلها ، وقال :
(وأنت أيضاً امرأة) . وكان قد ابتلي بأخته على نحو ما ذكرت ، فاستاء من
النساء . وضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحرًا ، وقد أشير الى
ذلك في شعر لـ (خفاف بن ندبة)^٤ .

وقد أشير الى (حي لقمان) في شعر لأبي الطحان القيني^٥ ، كما أشير اليه

١ أبو الفداء : المختصر (٢١/١ وما بعدها) ، مروج الذهب (٥٧/١ وما بعدها) ،
منتخبات (ص ٩٥ وما بعدها) ، ابن كثير ، البداية (٢٦/٢) ، « مطبعة
السعادة » ، تفسير ابن كثير (٤٤٣/٣ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (١٣٤/٧)
وما بعدها ، البلدان (٦٠٩ / ٣) ، تفسير الفخر الرازي (٧١/٧) ، تفسير
الطبري (٦٧/٢١) ، الحيوان ، للجاحظ (٢١/١) .

٢ البيان والتبيين (١٣٦/١) .

٣ البيان والتبيين (١٣٦/١) ، (١٦١/١) « القاهرة ١٩٣٤ م » ، نهاية الارب
(٦١/١٢) .

٤ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٥ الحيوان (٢١/١) « طبعة الحلبي » .

٦ امست بنو القين افرافا موزعة
البيان والتبيين (١٦٤/١) .

كانهم من بقايا حي لقمان

في شعر ينسب الى (لييد بن ربيعة الجعفري)^١ . وفي شعر للفرزدق^٢ ، وفي شعر لبنت وثيمة بن عثمان ترثي به أباها^٣ .

وأضافوا الى (لقمان) أمثالا كثيرة نسبت اليه في الإسلام ، ولم تكن معروفة في الجاهلية^٤ . ونسب اليه بعض الأخباريين الميل الى انشاء المدن والبناء ، وضرىوا به أيضاً المثل في كثرة الأكل ، فقالوا : (آكل من لقمان)^٥ .

وزعم (وهب بن منبه) انه قرأ من حكمة (لقمان) نحواً من عشرة آلاف باب^٦ ، وزعم الرواة ان عرب الجاهلية كانت عندهم (مجلة لقمان) ، وفيها الحكمة والعلم والأمثلة^٧ ، وان جماعة منهم كانوا قد قرأوها وامتلكوها ، ذكروا من جملتهم (سويد بن الصامت) . وقد رووا انه كان يقرأها ، وانه أخبر الرسول بها لما قدم عليه^٨ . وقد جمع الناس ، فيما بعد ، حكمته وأمثاله والقصص المروي عنه ، ويشبه ما نسب اليه المنسوب الى (ايسوب) Aesop صاحب الأساطير والحكم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان^٩ .

وبالفوا في حكمته وفي علمه حتى زعم انه كان يدرك من الأشياء ما يعجز عن ادراكه الانسان السوي^{١٠} . وضرب المثل في أيساره ، وعظم أمره ، حتى قيل (أيسار لقمان) ، كالذي ورد في شعر (طرفة) .

وورد في الأخبار : « اذا شرف الأيسار ، وعظم أمرهم قيل : هم أيسار لقمان . يعنون لقمان بن عاد » . واستشهدوا على ذلك بيت طرفة :

وهم أيسارُ لقمانٍ ، اذا أغلت الشتوةُ أبداءَ الجزُر^{١١}

١ واخلف قساليثني ولعلني واعى على لقمان حكم التدبير

البيان والتبيين (١٦١/١) .

٢ البيان والتبيين (١٦١/١)

٣ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٤ اللسان (٢٠/١٦ وما بعدها) ، Enc., Vol., 3, P., 35.

٥ مجمع الامثال ، للميداني (٩٨/١) .

٦ المعارف (ص ٢٥)

٧ Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Bd. I, S. 93.

٨ امثال لقمان الحكيم ، « طبعة ديرنبورغ » ، لندن (١٨٥٠)

٩ Sprenger, Das Leben. I, S. 93.

١٠ المعاني الكبير (١١٩٣/٣)

١١ المعاني الكبير (١١٥٢/٣) .

وقد زعم أن (زرقاء اليمامة) ، التي اشتهرت بحدة بصرها وقوة رؤيتها حتى أنها كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام ، كانت امرأة من بنات لقمان بن عاد ، وكانت ملكة اليمامة واليمامة اسمها ، فسميت الأرض باسمها . وقد زعم أن النابغة الذبياني أشار إليها في شعره^١ .

وقد ورد في بعض الأشعار (لقمان بن عاد) . اذ جاء :

تراه يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وهناك أمثلة عديدة ينسبها الرواة الى (احدى حظيات لقمان) ، ووردت على لسانها وعلى لسان لقمان وعلى لسان فتى اسمه عمرو^٢ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان لقمان بن عاد ، هو الذي بنى سد مأرب ، وأن مأرب اسم قبيلة من عاد ، وقد سمي باسمها هذا الموضع^٣ .

لم يبق بعد هلاك عاد الأولى ، على رأي أهل الأخبار إلا هود ونفر ممن آمن به والوفد الذي سار الى مكة للاستسقاء ، وفيهم لقمان وكان من أكابر العادين . فأنشأ هؤلاء عاداً الثانية ، وخالف لقمان (الخليلجان) ملك عاد الأولى ، الذي خالف هوداً ، فهلك . وخاف العاديون انحباس المطر والجفاف ، فارتحلوا الى أرض سبأ ، وبني لقمان سد (الحرم) قرب مأرب ، وبقيت عاد الثانية قائمة ، الى أن تغلبت عليها قبائل قحطان ، ثم انقرضت وبادت^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان عاداً لما رأوا انحباس المطر عنهم ، أرسلوا وفداً ، بلغ سبعين رجلاً في قول بعض الرواة ، الى مكة يستسقون ، وكان أصحابها هم العالقة يومئذ ، ورئيسهم (معاوية بن بكر) ، فأكرمهم وأضافهم ، وأقاموا عنده شهراً : يشربون الخمر وتغنيهم (الجرادتان) وهما قيتان لمعاوية بن بكر ، وفي الوفد المذكور لقمان . ونسوا أنفسهم هناك ، ولم يفتنوا لما جاؤوا اليه ،

-
- ١ واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت
قالت : الا ليتما هذا الحمام لنا
شرح ابن عقيل لافية ابن مالك ، (٢٩٠/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، القاهرة ١٩٦٢ م .
 - ٢ الامثال ، للميداني (٣٧/١) ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
 - ٣ البكري ، معجم (١١٧١/٣) « لجنة التأليف والترجمة والنشر » .
 - ٤ الطبري (٢٢١/١) وما بعدها .

إلا بعد أن ذكرتهم (الجرادتان) بما جاؤوا به إليها ، فاستسقوا ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاتية ، أهلكت عاداً في ديارها^١ ، ودمرت كل شيء ، فهلكت ، ولم يبق من عاد إلا من كان خارج أرضهم بمكة ، وهم من (آل لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيمة ابنة بكر) ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد^٢ .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب الأخبار أن (عاداً) تعبدوا لأصنام ثلاثة ، يقال لأحدها : صداء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء^٣ . ولم نعثر على أسماء هذه الأصنام حتى الآن في الكتابات .

وكان هلاك (عاد) واندثارهم بسبب انحباس المطر عنهم سنين ثلاثاً ، أعقبه هبوب رياح عاتية شديدة استمرت (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)^٤ فهلك الناس واقتلعتهم الرياح وصارت ترميهم من شدتها ، (كأنهم أعجاز نخل منقعر)^٥ . (ففرى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية^٦) وخلت ديارهم منهم ، وصارت أماكنهم أثراً .

ويجمع أهل الأخبار على أن هلاك عاد ، إنما كان بفعل عوارض طبيعية نزلت بهم فأهلكتهم ، وهي على اختلاف رواياتهم في وصفها وفي شرحها ، انحباس الأمطار عنهم ، وهبوب رياح شديدة عاتية عليهم . وقد تحدث المفسرون عنها لورود ذكرها في القرآن الكريم^٧ . وروي أن النبي أشار إلى أن هلاكهم وهلاك ثمود كان بالصواعق ، والصواعق من العوارض الطبيعية بالطبع^٨ .

ويرجع قسط من أخبار (عاد) إلى الجاهليين ، فهو من القصص الشعبي القديم الموروث عنهم ، ويعود قسط آخر منه إلى الإسلاميين ، وهو القسط الذي

- ١ سورة الاحقاف ٢٤ ، آية ٢٥ .
- ٢ الطبري (٢١٨/١) فما بعدها ، الفاخر (ص ٦٨) .
- ٣ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » ، قصص الانبياء (ص ٣٩) ، نهاية الارب (٥١/١٣) ، الاصنام (١١٠ وما بعدها) ، « تحقيق احمد زكي باشا » ، مروج الذهب (٦١/٢) « طبعة دار الرجاء » .
- ٤ سورة الحاقة ، آية ٧ ، الطبري (٢٢٥/١) فما بعدها .
- ٥ سورة القمر ، آية ٢٠ .
- ٦ الحاقة ، آية ٧ .
- ٧ ابن كثير ، البداية (١٢٠/١ وما بعدها) ، تفسير الرازي (٤٣/٢٩) ، القاهرة ١٩٣٨ م (٩/٨) ، تاريخ ابن عساكر (١٤/١) .
- ٨ القد الفريد (٣٦/٢) .

جاء شرحاً لما جاء موجزاً في القرآن الكريم ، ويرجع بعضه الى (الحارث بن حسان البكري) و (الحارث بن يزيد البكري) ، وتزعم رواية وردت في تأريخ الطبري أنه قص على الرسول قصصاً عن أمر (عاد)^١ ، ويرجع بعض آخر الى (كعب الأحبار) والى (وهب بن منبه) ، وهما من مسلمة يهود^٢، والى (السدي)^٣، والى أشخاص آخرين تجد ذكرهم في سند الروايات المذكورة عند (محمد بن اسحاق) صاحب السيرة ، وعند الطبري وعند آخرين من أهل الأخبار والتواريخ ممن ساروا على طريقة ذكر المسند مع الروايات .

ويظهر أن كثيراً من أخبار (عاد) وضعت في أيام (معاوية) الذي كان له ولع خاص بأخبار الماضين ، فجمع في قصره جماعة اشتهرت بروايتها هذا النوع من القصص ، وفي مقدمة هؤلاء (عُبَيْد بن شَرِيْة الجرهمي) و (كعب الأحبار)^٤ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن رجلاً قصّ في أيام معاوية ، أن إبلًا له ظلت في تيه أيمن ، وهو غائط بين حضرموت وأبين ، فالتقطها من هناك ، ووجد فيه موضع (إرم ذات العماد) ، ووصف أبنيته العجيبة ، وهذا الرجل هو في جملة من موّن العاشقين للأساطير بأخبار عاد . وقد ذكر الطبري أن (وهب بن منبه) ، قصّ أنه سمع من رجل اسمه (عبد الله بن قلابة) أن إبلًا له كانت قد شردت ، فأخذ يتعقبها ، فبينما هو في صحارى (عدن) ، وقف على موضع (إرم ذات العماد) ، وقد وصف ذلك الموضع على النحو المألوف عن (وهب) ، من اغراقه في الأساطير وفي القصص الخيالي البعيد عن العقل .

ثمود :

ويرد اسم ثمود في الكتب العربية مقرونًا باسم (عاد) ، وبعد هذا الاسم

-
- ١ الطبري (٢١٧/١) فما بعدها ، شمس العلوم (١ - ١ ، القسم الاول ، ص ٢٦٢)
 - ٢ الطبري (٢٢٦/١) .
 - ٣ الطبري (٢٢٥/١) .
 - ٤ نهاية الأرب (٦٢/١٣) فما بعدها) راجع قصة « ابن بيض » مع لقمان ، ويظهر أنها من قصص الجاهلية ، المفضليات (ص ٩١) ، ديوان المفضليات (ص ٩١) ، « طبعة بيروت ١٩٢٠ م » .
 - ٥ تفسير الطبرسي (٤٨٦/٩)

في الغالب ، والروايات العربية الواردة عنهم لا تعرف من تأريخهم شيئاً ، إنما روت عنهم قصصاً أوردتها لمناسبة ما ذكر عنهم في القرآن الكريم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير . وقد وردت اشارات عنهم في الشعر الجاهلي^١ .

وجاء اسم (ثمود) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، جاء منفرداً ، وجاء مقروناً باسم شعوب أخرى مثل قوم (نوح) وقوم (عاد) ، فبدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود^٢ . وجاء مع ثمود في موضعين (أصحاب الرس) ، وجاءوا بعد (ثمود)^٣ كما جاء اسمهم قبل (ثمود)^٤ . وورد أيضاً ذكر قوم (لوط) و (أصحاب الأيكة) ، وقد تقدم في هذا الموضع اسم (ثمود) ، ودعت الآية أولئك : (الأحزاب)^٥ ، كما ورد ذكر (ثمود) مع (عاد)^٦ . وقد تقدم اسم (عاد) على ثمود إلا في آية واحدة تقدم فيها اسم ثمود على اسم (عاد) : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة »^٧ ، وورد اسم (ثمود) في آيات

١ ورد في الشعر المنسوب لامية بن ابي الصلت :

كثمود التي تفتكت الدين عتيا وام سقب فقيرا

وذكر قصة الناقة ، رجع ديوانه (ص ٤٤) ، « طبعة فر . شلتيز »
Fr. Schulthess « لايزك ١٩١١ م » .

وورد في شعر لسلمة بن الحرث ، وهو من معاصري عمرو بن كلثوم :

حتى تزور السباع ملحمة كانها من ثمود او ارما

راجع الفضليات (ص ٤٢٨) .

وورد اسم ثمود ايضا في شعر لجريز بن خرقاء العجلي :

ويوم الحنو قد علمت معد حصدناكم كما حصدت ثمود

الفضليات (ص ٤٣٩) ، وورد في شعر لبید اسم ارم وعاد و ثمود ، ديوان لبید ،
(ص ٢٥) ، سبائك الذهب ، للسويدي (ص ١٥) .

٢ سورة التوبة ٩ ، الآية ٧٠ ، سورة ابراهيم ١٤ ، الآية ٩ ، سورة الحج ٢٢ ، الآية ٤٢ ، سورة غافر ٤٠ ، الآية ٣١ .

٣ « وعادا و ثمودا وأصحاب الرس » ، سورة الفرقان ٢٥ ، الآية ٣٨ .

٤ سورة ق ، ٥٠ ، الآية ١٢ .

٥ سورة ص ، ٣٨ ، الآية ١٣ .

٦ سورة العنكبوت ٢٩ ، الآية ٣٨ ، سورة فصلت ٤١ ، الآية ١٣ ، سورة النجم ٥٣ ، الآية ٥١ .

٧ سورة الحاقة ، ٦٩ ، الآية ٤ .

أخرى من القرآن الكريم^١ .

وقد ذكر الطبري أن شعراء الجاهلية ذكرت في شعرها عاداً وثمود ، وأن أمرهما كان معروفاً عند العرب في الشهرة قبل الإسلام، وأن من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عاداً أو ثموداً فإنه على وهم وخطأ^٢ .

ويظهر من ورود ذكر (ثمود) في مواضع متعددة من القرآن ، لترهيب (الكفار) من العقوبة التي آلت إليها حالة (ثمود) بعد أن استحبوا العمى على الهدى ، واستمروا بطغواهم كما استمر طغيان (فرعون)^٣ وقوم (مدين)^٤ وغيرهم ممن ذكرناهم ، أن الجاهليين كانوا يعلمون مصير ثمود ومصير عاد الذي كان من نوع مصير ثموده ، وأنهم كانوا يعرفون منازلهم كالذي يظهر بجلاء من الآية : (وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم)^٥ معرفة جيدة ، ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل (ثمود) ، وإنما يظهر من آية : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد^٦) ، أن مواضعهم كانت في مناطق جبلية ، أو في هضاب ذات صخور . وقد ذكر المفسرون أن معنى (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً^٧ ، وأن (الواد) هو وادي القرى . فتكون مواضع ثمود في هذه الأماكن . وقد عين أكثر الرواة (الحجر) على أنه ديار ثمود ، وهو قرية بوادي القرى . وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان

١ سورة الاعراف ٧ ، الآية ٧٣ ، سورة هود ١١ ، الآية ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ ، سورة الاسراء ١٧ ، الآية ٥٩ ، سورة الشعراء ٢٦ ، الآية ١٤١ ، سورة النمل ٢٧ ، الآية ٤٥ ، سورة الداريات ٥١ ، الآية ٤٣ ، سورة القمر ٥٤ ، الآية ٢٣ ، سورة البروج ٨٥ ، الآية ١٨ ، سورة الفجر ٨٩ ، الآية ٩ ، سورة الشمس ٩١ ، الآية ١١ .

٢ الطبري (٢٣٢/١) ، « طبعة دار المعارف » ، الكامل ، لابن الاثير (١/٥٠) ، نهاية الارب (٢٩٢/٢) .

٣ سورة البروج ٨٥ ، الآية ١٨ .

٤ سورة هود ١١ ، الآية ٩٥ .

٥ سورة فصلت ٤١ ، الآية ١٣ .

٦ سورة العنكبوت ٢٩ ، الآية ٢٨ .

٧ سورة الفجر ٨٩ ، الآية ٩ .

٨ الكشف ، للزمخشري (٢٠٩/٤) ، تفسير الطبري (١١٣/٣٠) ، روح المعاني ،

للأوسى (١٢٤/٣٠) .

والسياح ، وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر (ثمود) ^١ ، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه في غزوة (تبوك) ^٢ . وقد ذكر المسعودي أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبيشي ، وديارهم بفتح الناقة ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رمهم كانت في أيامه باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادي القرى ^٣ .

وينسب النسابون ثمود الى (ثمود بن جائر أو كائر بن إرم بن سام بن نوح) ^٤ ، ويكتفي بعضهم بارجاع نسبهم الى عاد ، فيقولون عنهم لأنهم من بقية عاد ^٥ . وينسبهم بعض آخر الى (عابر بن إرم بن سام بن نوح) ، وزعموا أن ثمود هو أخو جديس ^٦ .

وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات (الكلاسيكية) ، فوجدوا اسم ثمود في النصوص الآشورية : وجدوه في نص من نصوص (سرجون الثاني) ، مع أسماء شعوب أخرى سوف أتحدث عنها . وقد دعوا بـ (Tamudi) (Thamudi) ^٧ ، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب ، انتصر فيها الآشوريون ، كما وجدوه في النصوص والكتابات الثمودية ، وقد عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، وفي النصوص (الكلاسيكية) حيث عرفوا باسم (Thamudeni) (Thamudenoï) (Thamydenoi) (Thamyditai) ^٨ .

- ١ البلدان (٢٢١/٣) ، الطبري (١١٨/١) ، اللسان (٢٤٢/٥) ، سبائك الذهب (ص ١٥) ، صبح الاعشى (٣١٣/١) ، تقويم البلدان (٨٩) .
- ٢ البكري ، معجم (٤٢٦/٢) ، « طبعة السقا » الاغانى (٢٨/٦) ، ابن كثير ، البداية (١٣١/١) وما بعدها .
- ٣ مروج الذهب (٢٥٩/١) ، « قال كعب : لما اهلك الله عز وجل عاداً ، جاءت ثمود وعمرت الارض ، وكانوا بضع عشر قبيلة وكانت منازلهم ما بين الحجاز الى الشام ، وهي ديار الحجر من وادي القرى » ، نهاية الارب (٧١/١٣) .
- ٤ صبح الاعشى (٣١٣/١) .
- ٥ « وثمود ، كصبور ابن عابر بن إرم بن سام . قبيلة من العرب الاول ، ويقال انهم من بقية عاد » ، تاج العروس (٣١٢/٢) ، اللسان (١٠٥/٣) « صادر » .
- ٦ ابن كثير ، البداية (١٣٠/١) وما بعدها .

^٧ Rawlinson, Cunei Form Inscriptions, Vol., I, Pl., 36, Lyon,

Sargon, P., 4, Musil, Deserta, P., 291.

^٨ Musil, Deserta, P., 291, Ptolemy, Geography, VI, 7 ; 4, VI,

7; 21, Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Forster, Vol., I, P., 323,

Vol., 2, P., 30, 117, 274, 284.

ولقد وصف مؤلف كتاب : (الطواف حول البحر الأريتري) مواضع الثموديين (Thamudeni) مستنداً إلى مورد آخر ، أخذ منه ، أقدم عهداً منه . فذكر أن (Thamudeni) ، كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل ، لا يصلح لسير السفن ، وليست فيه خلجان تستطيع أن تأوي إليه القوارب فتحتمي بها من الرياح ، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه ، ولا موضع أو جزر عنده تقبل إليه القوارب الهاربة من الأخطار^١ . فيظهر من وصف هذا المؤلف أن مواطن ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر .

وقد ذكر هذا الوصف ، ولكن بشيء من التحوير (ديودورس)^٢ . وأما (بلينيوس) ، فذكر (Tamudaei) بين (Domata) و (Haegra) ومدينة دعاها (Badanatha) (Baclanaza) . وأما (بطلميوس) ، فقد جعل قوم ثمود (Thamuditae) (Thamudeni) بين الـ (Sarakenoi) وبين (Apatae)^٣ ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال غربي (العربية السعيدة)^٤ ، أي في المواضع التي عينتها المصادر العربية .

يظهر من جغرافية (بطلميوس) اذن ، أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار (عاد) ، ليس بينها وبين ديار عاد (Oaditae) الا ديار (سره كيني) (Sarakeni) وكلها في أعالي الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن . وفي هذا تأييد للروايات العربية القائلة ان ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد . فإذا كانت (الحجر) وما والاها هي مواطن ثمود : وجب أن تكون ديار (عاد) على مقربة من هذه المواضع .

وأما تأريخ قوم (ثمود) ، فيعود الى ما قبل الميلاد بزمان . وقد ذكرت قبل قليل أنهم كانوا في جملة الشعوب التي حاربت الآشوريين في عهد (سرجون

1 Musll, Deserta, p., 302, The Periples of the Erythrean Sea, by William Vincent, London, 1800, Part the Second, P., 262.

2 Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Musll, Deserta, P., 291.

3 Pliny, Natur. History, (translated by H. Rackham), Vol., 2, P., 456 457, VI, 32.

4 Glaser, Skizze, 2, S., 108, Ptolemy, VI, 7:4 VI, 7:21, V, 19 7 Hastings.

5 A Dictionary of the Bible, Vol., I, P., 630.

6 Musll, Hegaz, P., 291, Glaser, Skizze, 2, S., 108, 256.

الثاني) ، وقد ذكر هذا الملك في النصوص التاريخية التي سجلها ، أنه تغلب عليهم ، وأنه أجلاهم من مواطنهم الى (السامرة) (Samaria)^١ . ولم يكن أولئك الثموديون الذين حاربوه من أبناء الساعة ، بل لابد أن يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرون .

وقد عرفت المنطقة التي حارب بها قوم ثمود والشعوب الأخرى الآشوريين باسم (بري) (Bari) ، ويظهر أنها تعني لفظة (بر) و (برية) العربية ، أي (البادية) فحرفّت الى (بري) على وفق الآشوري^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد في الوثائق لقوم (ثمود) كان في القرن الخامس للميلاد ، حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً في جيش الروم^٣ .

وقد كان الثموديون يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم المذكورة في أعالي الحجاز في (دومة الجندل) و (الحجر) وفي غرب (تباء) . وقد ذكر أنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حَرََّتَيَّ (العوارض) و (الأرحاء)^٤ . ويرى (دوتي) أن (الحجر) التي سكن بها قوم ثمود ، هي موضع (الحريية) في الزمن الحاضر ، لا (مدائن صالح) التي هي في نظره (حجر) النبط . وتقع (مدائن صالح) ، وهي عاصمة النبط ، على مسافة عشرة أميال من موضع (الحريية)^٥ .

ولم يرد في الموارد العربية الإسلامية، ما يفيد وجود قبائل ثمودية قبيل الإسلام، أو في الإسلام ، غير ما ذكره بعضهم من نسب (ثقيف) الذي رجعه الى ثمود، ولكن ذلك لم يرض الثقيفيين . فقد كان الحجاج بن يوسف يكذب ذلك^٦ ، والظاهر أن أعداء ثقيف ولا سيما معارضي الحجاج وضعوا ذلك على ثقيف بغضاً

١ Lyon, Kellschrifttexte Sargons, S., 4, (1883), Winckler, Kellschrifttexte Sargons, (1889), Bd., 2, PL., 2, No., I, Linie 20, Schrader, Kellschriftliche Bibliothek, (1889-1900), Bd., 2, S., 42, Musil, Deserta, P., 479, Musil, Hegaz, P., 289.

٢ Sprenger, Geography, S., 28. ٢

Doughty, Vol., I, P., 229, Sprenger, S., 28. ٣

Musil, Hegaz, P., 291. ٤

Doughty, Vol., I, P., 229. ٥

٦ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الكامل (٢٧٦/١) .

للحجاج ، الذي كان قاسياً عاتياً شديداً . وقد روى (دوتي) أن بدو نجد
يذكرون ان قبيلة (بني هلال) هي من نسل عاد وثمود^١ .

ونجد في كتاب : (Mission archéologique en Arabie) لمؤلفيه
(Jaussen) و (Savignac) ، عدداً من الكتابات الثمودية ، عثرا عليها
في (العلا) وفي مواضع أخرى من الأرضين التي هي اليوم في المملكة الأردنية
الهاشمية وفي أعالي الحجاز من المملكة العربية السعودية ، كما عثُرَ غيرهما قبلهما
وبعدهما على عدد آخر ، أغلبه من هذه الكتابات القصيرة ، التي كتبت على
مختلف الأحجار ، بالمناسبات ، مثل تذكّر شخص، أو تسجيل اسم لمناسبة وجود
صاحبه في هذا المكان ، كما يفعل كثير من الناس في أيامنا^٢ .

ويمكن (لانكستر هاردنك) محافظ مديرية الآثار العتيقة في المملكة الأردنية
الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمسمائة كتابة ثمودية أرسلها الى المشرق
(أنوليّمان) ، يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها الى ما بعد
الميلاد ، ومن بينها نص أرخ بسنة (٢٦٧) للميلاد ، ونص آخر رسمت فيه
دائرة في داخلها صورة تشبه الصليب ، وكتابة قرأها المشرق (أنوليّمان) :
(يشوع) أو (ليشوع) ، أي (ليسوع) ، وهو النص الذي رُقم بـ (٤٧٦) .
والظاهر ان صاحبه كتبه تيمناً باسم المسيح ، ولا يعرف تاريخه بالضبط . ويعتقد
(ليّمان) انه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية في شمال جزيرة
العرب^٣ . وقد قرأها المشرق (فان دين برندن) : (بوايوب) أي (لأيوب) ،
أو (بأيوب) ، أو (أيوب) . وبالجملة فان العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات
ترجمة صحيحة حتى الآن^٤ .

وفي المتاحف الأوروبية وفي مكاتب بعض الجامعات وفي أوراق المشرقين
مجموعة من النصوص الثمودية ، جميعها في أمور شخصية وفي موضوعات دينية
وأدعية لآلهة ثمود . وأما المناطق التي وجدت فيها هذه النصوص ، أو أخذت

Die Offenbarung Arabiens, (Arabia Deserta), Leipzig, 1937, S., 63. ١

Van den Branden, Les Inscriptions Thamoudéennes, Louvain-Heverbe, 1950. ٢

The Muslim World, Vol., XI, No., I, January, 1950, Jesus in Pre-Islamic Arabic
Inscription, by Enno Littmann. ٣

A. Van den Branden, in Le Museon, LXIII, (1950) 1-2, P.,
47-51, "Une Inscription Thamoudeenne". ٤

صورها ، فهي مناطق (حائل) بنجد ، وأرض (تبوك) وتيما ومداخن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز ، وعثر في الطائف على بعض النصوص الثمودية أيضاً وفي السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند (الوجه) وفي (طور سيناء) وفي (الصفا) شرقي دمشق وفي مصر^١ . وفي (الحرة) و (الرحبة) وفي شمال غربي تدمر^٢ .

وقد عثر على نقوش ثمودية في اليمن ، وبذل وجود هذه الكتابات هنالك على وجود صلات بين اليمن وتمدود ، ولعلمهم كانوا يقيمون في اليمن كذلك . وقد عثرت البعثة المصرية التي زارت اليمن على مخربشات ثمودية في (حجر المعقاب) عند جبل (حليل) على مسافة ليست بعيدة من (بيت حيد) بوادي شرع بالخارد^٣ .

ويشك المستشرق (هوبرت كريمة) (Hubert Grimme) في صحة نسبة كثير من هذه النصوص الى ثمود ، ويرى أنها لأناس غيرهم ، إذ لا دليل علمياً هناك يثبت كون هذه النصوص تعود الى هؤلاء .

وهناك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها الى العهد النبطي ، ويشغل حيزاً من الزمن يقع بين حوالي مئتي سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده ، وتمتزع في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية . وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها نصوص ثمودية ، مثل نص : Hu. 418 = Eu. 772 ، ونص آخر يعود الى سنة ٢٦٧ للميلاد^٤ .

إلا أن هناك نصوصاً ثمودية يظهر عليها أثر عبادة (صلم) (Salm) . وقد كانت (تياء) من أهم الأماكن التي كانت تقدر هذا الإله حوالي سنة (٦٠٠) ق.م. ، ويرمز أهل تياء الى (صلم) برأس ثور ، وقد وجد هذا الرمز

١ Ency., Vol., 4, P., 736, Musil, Negd, P., 104, 140, Huber in Journal D'un Voyage en Arabie, 1883-1884, Grimme, Entzifferung Thamudenischer Inschriften, 1904, Jausen-Savignac, Mission Archéologique en Arabie, 1-2 1901, 1914.

٢ E. Littmann, Thamud und Safa, S., 6, f, 95, f, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 164.

٣ نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحهما ، للدكتور خليل يحيى نامي ، القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) ، وقد عثر الرحالة « فليبي » على بعض الكتابات التي يظهر أنها ثمودية لحانية ، Philby, Sheba's Daughters, P., 441.

٤ Ch. Doughty, Documents Epigraphiques Recueillis dans le Nord de L'arabie, 1884.

على النقوش الثمودية ، كما وجدت أسماء بعض الآلهة التي كان يتعبد لها أهل تيماء منقوشة في النصوص الثمودية ، مما يدل على أن قوم ثمود كانوا يتعبدون لها كذلك ، وأن هنالك صلات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود .

ويرجح بعض الباحثين تأريخ عدد من الكتابات الثمودية الى القرن السابع قبل الميلاد . وهناك كتابات يرون أنها أقدم عهداً من القرن السابع . غير أن أكثر ما عثر عليه يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد . وهي بالجملة في أمور شخصية ، لا تفيد المؤرخ الذي يريد تدوين تأريخ (ثمود) فائدة كبيرة . ولكنها نافعة على كل حال من نواح أخرى ، فهي تفيد اللغوي الذي يريد الوقوف على لغة الثموديين ومعرفة أسمائهم ولهجاتهم ، وتفيد الباحثين في اللهجات العربية الجاهلية وفي الساميات .

والكتابات الثمودية في نظر الباحثين نوعان : كتابات قديمة وقد دونت بالقلم الثمودي القديم ، وكتابات حديثة وقد كتبت بقلم ثمودي متطور تختلف أشكال حروفه ورسومها بعض الاختلاف عن القلم القديم . وللقلم الثمودي صلة بقلم (طور ميناء) ، كما أن له علاقة بالقلم المسند . وتفيد دراسته من هذه الناحية في الوقوف على تأريخ تطور الكتابة في جزيرة العرب قبل الميلاد ، وفي تطور الأقلام بوجه عام^١ .

ويلاحظ وجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثر عليها في الحجاز ، لا نجدها ، أو قلما نجدها في كتابات ثمودية أخرى ، عثر عليها في نجد وفي اليمن . ويعود سبب ذلك الى تأثير البيئات ، ولا شك ، في هؤلاء الثموديين الذين تأثروا بلهجات جيرانهم وثقافتهم ، فظهر ذلك الأثر في هذه الكتابات^٢ .

ويظهر من الكتابات الثمودية أن قوم ثمود كانوا زُرّاعاً وأصحاب ماشية ، وأنهم كانوا أقرب الى الحضرة منهم الى أهل الوبر ، فقد كانت لهم مستوطنات ثابتة استقروا فيها ، وكانت لهم معابد ثابتة أيضاً ، أي مبنية ، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة . ولعل الأيام ستجود علينا بكتابات ثمودية تتحدث عن أمور عامة ، وعندئذ نستطيع أن نستنبط منها شيئاً عن أحوالهم من مختلف الوجوه .

Hubert Grimme, Die Loesung des Sinalschriftproblems, Die Althamudische schrift, S., 24.

١

Grimme, Die Loesung, S., 25. ٢

ومن أصنام ثمود التي ورد ذكرها في كتاباتهم ، الصنم (ودّ) ، وهو من الآلهة القديمة عند العرب^١ . والصنم (جد - هد) أو (جد - هدد) ، وله عندهم معابد وسدنة يخدمونه ، ويعرف سادن الأصنام عندهم بـ (قسو) أي (قس) . عرفنا أسماء بعضهم ، ومنهم السادن (ايليا) (ايلية)^٢ . ويظهر أنه كان من الآلهة العربية العتيقة ، غير أن سعده أخذ في الأفول ، فأخذت مكانه آلهة أخرى ، ثم غفى أثره من الذاكرة ، فلم يرد اسمه بين الأصنام التي كان يعبدها الجاهليون قبيل الإسلام . وقد بقيت مع ذلك أسماء مثل: (عبد جد) تشير الى اسم الإله العربي القديم^٣ .

و (شمس) و (مناف) و (مناة) و (كاهل) و (بعلة) (بعلت) و (بعل) و (يهو) و (رضو) أو (رضى) ، هي أيضاً من أصنام ثمود ، سألتحدث عنها كلها في أثناء بحثي في الديانة العربية قبل الإسلام . ومن بقية آلهة ثمود (عثرت) (عثيرة) ، و (وتسن) (وت) ، و (بثع) (سمع) و (سميع) و (هبل) و (سحر) ، و (سين) و (عم) و (قين) و (يفوث) و (إله) و (أل) و (إلهي) و (الت) و (اللات) و (حول) (حويل) و (ذو شري) و (سمين) و (هلال) و (صلم) و (نهي) و (عثر سمين) و (كاهل) (كهل) ، و (ملك) و (مالك) ، و (هادي) (هادي) ، و (بخل) ، و (رتل) ، و (هيتج) ، و (شوع) ، و (ستار) ، و (طنفت) ، و (سعى) ، و (غم) ، و (عس) ، و (عسحرد) ، و (عشير) ، و (عطير) ، و (تجر) ، و (دبر)^٤ .

وبعض هذه الأسماء ليست في الواقع أسماء آلهة ، وإنما هي من قبيل ما يقال له (الأسماء الحسنى) عندنا أو صفات الله ، فلفظة (سمع) مثلاً ، وهي بمعنى (سميع) أو (السميع) في عربيتنا ليست اسم إله معين ، إنما هي صفة للإله ، بمعنى أن الإله هو سميع يسمع دعوات الداعين . ولذلك يخاطبه المؤمنون ويقولون له (سمع) (يا سميع) ، ليسمع دعاءهم وليجيب طلباتهم ، وهناك ألفاظ

J. Wellhausen, Reste, S., 14. ١

Grimme, S., 39, Note 9. ٢

Wellhausen, S., 146. ٣

Van den Brandeen, Les Inscriptions, PP., 10. ٤

أخرى هي من هذا القبيل .

ووصلت إلينا أسماء ثمودية كثيرة ، مثل : (أوس) و (سعد) و (عفير) و (وائل) و (بارح) و (كربال) (كرب إيل) و (عش) (عائش) و (مالك) (ملك) و (عذرال) (عذرايل) ، و (عوذ) ، و (أسعد) ، و (عياش) ، و (إياس) ، و (قيس بن وائل) (قس بن وال) وغيرها ، مما يخرجنا ذكرها عما نحن فيه . وهي أسماء لا يزال بعضها مستعملاً^١ . ويلاحظ أن بعض هذه الأسماء مثل (كرب ال) و (عذرال) ، وما شاكله ، قلّ استعمالها عند العرب قبيل الإسلام ، بينما كانت من الأسماء الشائعة في الجاهلية البعيدة عن الإسلام ، ولا سيما بين الجاهليين في العربية الجنوبية ، حيث ترد بكثرة في كتابات المسند .

ويرى (برو) Brau أن ثموداً أصيبوا بكارثة عظيمة ، من ثوران براكين أو هزات أرضية ، بدليل ورود كلمة (رجفة)^٢ وكلمة (صيحة) في القرآن الكريم ، وذلك محتمل جداً ، لأن البقاع التي كانوا يقطنونها هي من مناطق الحرارة^٣ .

ويشبه مصير (عاد) و (ثمود) مصير (سدوم) (Sodom) وعمورة (جمورة) (كمورة) (Gomorrah) وبقية مدن الدائرة في عمق السديم^٤ التي تقع — على رأي كثير من علماء التوراة — في جنوب البحر الميت ، فقد لاقت هذه المدن ، وهي خمس على سهل (دائرة الأردن) المصير الذي لقيه قوم عاد و ثمود ، حيث أرسل الله عليهم عذاباً (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض)^٥ . وأصحاب هذه المدن هم : قوم (Lot) (لوت) .

١ E. Littmann, Thamud und Safa, (Abhand. f. d. Kunde d. Morgenlandes 25, I), 1940, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 163. ff., M. Hofner, Die Beduinen in L'Antica Societa Beduina (Studi Semitici), 1959, 53. f.

٢ Ency., Vol., 4, P., 736.

٣ James A. Montgomery, Arabia and the Bible, P., 91, Hastings, P., 734.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٥٥١/١) ، (١١٩/٢) ، (٣٠٠) ،

Hastings, P., 734, Ency. Bibl., P., 3790.

٥ التكوين ، الاصحاح التاسع عشر ، الآية ٢٣ وما بعدها .

و (لوت) هو (لوط) المذكور في القرآن الكريم . وقد رأيت ان القرآن الكريم قد أشار الى مصير (قوم لوط) ، وأطلق على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة (الأحزاب) . « و ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب »^١ .

وقد تعرض المفسرون لقوم (لوط) وما حل بهم من العذاب ، وبحث عنهم أهل الأخبار والتأريخ ، باعتبار ان أخبارهم هي صفحة من صفحات التأريخ القديم العام قبل الإسلام . وفي الرواية التي ذكرها (الطبري) في تأريخه عنهم ، وسندها مرفوع الى (محمد بن كعب القرظي) ذكر للقرى الخمس الواقعة حول (سهل دائرة الأردن) ، وقد دعاها بـ (المؤتفكات) المأخوذة من القرآن الكريم من « والمؤتفكة أهوى »^٢ ، وهي : صبعة ، وصعرة ، وعمرة ، ودوما ، وسدوم ، بحسب رواية الطبري هذه^٣ . وفي هذه الأسماء تحريف وتغيير في الترتيب الذي وردت به في التوراة ، اذ هي فيها على هذا الشكل : سدوم (Sodom) و (عمورة) (Gomorrah) و (ادمة) (Admah) و (صبوبيم) (Zeboim) و (بالع) (Bela) وتسمى أيضاً بـ (صوغر) (Zoar)^٤ .

وقد نبه القرآن قريشاً الى مصير يشبه مصير (ثمود) ، اذ كفروا بنبوة نبيهم (صالح) ، وعقروا (الناقة) التي أرسلت لهم آية تحذرهم من عاقبة كفرهم ومن استمرارهم في تكذيبهم نبوة نبيهم . فلما استمروا في غيهم وضلالهم ، أرسل الله عليهم (الصيحة) ، فأهلكتهم ، ورجفت الأرض بهم ، فلم يبق من كفارهم على الأرض إلا رجل واحد ، هو (أبو رغال) كان في حرم الله^٥ ، فنعاه حرم الله من عذاب الله^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أن رسول الله لما غزا غزاة تبوك ، نزل (الحجر) ، ونهى الناس من دخول القرية ، ومن شرب مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل .

١ سورة ص رقم ٢٨ ، الآية ١٣ ، وتجد قصة لوط وقومه مفصلة في تأريخ الطبري (١٥٠/١) وما بعدها ، نهاية الارب (١٢٣/١٣ ، ٢٤٨) .

٢ سورة النجم ، الآية ٥٣ .

٣ الطبري (٣٠٧/١) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٠٠/٢) ، Hastings, P. 734

٥ الطبري (٢٣١/١) فما بعدها ، « طبعة دار المعارف » .

والقرية المذكورة هي (الحجر) ، وهي (قرية ثمود)^١ .
وقد ورد في شعر (حسان بن ثابت) : (أشقى ثمود) ، وقد ذكر
الشرائح أنه (قدار بن سالف أحيمر ثمود) ، وهو عاقر ناقة صالح^٢ . وهكذا
نجد لثمود (أحيمراً) على نحو ما وجدنا عند عاد .
ويرجع سند روايات (الطبري) عن ثمود الى (الحسن بن يحيى) ، ويتصل
سنده بـ (أبي الطفيل) ، والى (القاسم) ، وينتهي سنده الى (عمرو بن
خارجة) ، و (ابن جريج) عن جابر بن عبد الله و (اسماعيل بن المتوكل الأشجعي)
وينتهي سنده بـ (عبد الله بن عثمان بن خثم) عن (أبي الطفيل)^٣ .
وتفيدنا دراسة هذه الأسانيد وأمثالها فائدة كبيرة في الوصول الى معرفة الموارد
التي أمدّت الأخباريين بأمثال هذه الأخبار .

طسم وجديس :

وساق الأخباريون نسب (طسم) على هذه الصورة : (طسم بن لاوذ بن
إرم) أو (طسم بن لاوذ بن سام) ، أو (طسم بن كائر) ، أو ما شابه
ذلك من نسب^٤ . ونحن لا نعرف الآن من أمرهم غير ما ورد من القصص
المدون في الكتب ، ولم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم . وقد جعلهم بعض
أهل الأخبار من أهل الزمان الأول ، أو من عاده^٥ .
وقد شكّ حتى الأخباريون في الأخبار المنسوبة الى (طسم) ، إذ اعتبروها
أخباراً موضوعة ، فقال بعضهم : (وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له .
تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : أحاديث طسم وأحلامها ، وطسم إحدى قبائل

-
- ١ الطبري (٢٣١/١) فما بعدها .
 - ٢ كاشقى ثمود ، إذ تعاطى لحينه عضيلة ام السقب والسقب وارد ديوان حسان (ص ١٢٠) « للبرقوقي » .
 - ٣ الطبري (٢٣١/١) .
 - ٤ الطبري (٧٧١/١) « طبعة أوربة » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغانى (٤٨/١٠) ، ابن الاثير (١٣٩/١) ، الطبري (٢٠٣/١) وما بعدها « دار المعارف »
 - ٥ اللسان (٣٦٣/١٢) .

العرب البائدة (١) .

أما مواطن طسم ، فكانت اليمامة ، وعند بعضهم الأحقاف والبحرين^٢ . وقد زعم الأخباريون أن طسماً وجديساً سكنتا اليمامة معاً ، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، ثم انتهى الملك الى رجل ظالم غشوم من (طسم) يقال له (عمليق) أو (عملاق) إستدلّ جديساً ، وأهانها ، فثارت جديس وقتلت عمليقاً ومن كان معه من حاشيته ، واستعانت طسم بـ (حسّان بن تبع) من تبابعة اليمن ، فوقعت حرب أهلكت طسماً وجديساً ، وبقيت اليمامة خالية ، فحل بها (بنو حنيقة) الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام^٣ .

وذهب نفر من المستشرقين الى أن طسماً من الشعوب الخرافية التي ابتدعها الأخباريون ، غير أنه لا يستبعد أن يأتي يوم قد يعثر فيه على أخبار هؤلاء القوم وعلى اسمهم في الكتابات . وقد وردت في نص يوناني عثر عليه في (صلخد) ، ويعود تاريخه الى سنة (٣٢٢ م) جملة (أنعم طسم) ، فلا يستبعد أن يأتي اليوم الذي نقرأ فيه نصوصاً تعود الى طسم^٤ .

ويروي أهل الأخبار ان (الأسود بن رباح) ، وهو قاتل عمليق ، هرب بعد ذلك من اليمامة الى جبلي طيء ، فأقام بها الى أن جاءت طيء ، وأمر سيدهم (سامة بن لؤي) ابنه الغوث أن يقتل الأسود ، بعد أن رأوا ضخامة جسمه بالنسبة الى أجسامهم ، وخافوا منه ، فجاء اليه الغوث ، ثم أخذ يكلمه ، ثم باغته بأن رماه بسهم قتله ، واستقرت طيء بالجبلي^٥ .

وذهب (جرجي زيدان) الى أن (طسماً) هي (لطوشيم)^٦ ، وهي قبيلة من العرب ورد اسمها في التوراة على أنها من نسل (ددان بن يقشان) وورد

١ الاغانى (١٠٣/١١) ، اللسان (٢٥٦/١٥) ، الاغانى (٤٥٦/١٠) ، الطبري (٢٠٦/١) ، دار المعارف .

٢ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الطبري (٢٠٦/١) ، المعارف لابن قتيبة (١٣)
Enc., Vol., I, P., 992.

٣ وعند الطبري انه « تبار اسعد كرب ملكي كرب » ابن خلدون (٢٥/٢) ، المعارف (٣٠٨) ، الأمثال للميداني (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) الاغانى (٤٥٦/١٠) (٨٩/١٠) « بيروت »

٤ D. H. Mueller, Suedarabische Studien, S., 67.

٥ ابن خلدون (٢٥/٢) ، الاغانى (٤٧/١٠) ، (٩٢/١٠) « طبعة بيروت » .

٦ الهلال ، الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران « ١٨٩٧ م » ، (ص ٧٧٦)

معها اسم قبيلة أخرى من قبائل (ددان) دعيت بـ (Leummim) (لأميم) ، يرى زيدان أنها (أميم)^١ .

ونسب الأخباريون الى طسم صنماً سموه (كثرى) ، لعله الصنم (كثرى) الذي أدرك الإسلام ، فحطّم مع الأصنام الأخرى التي أمر الرسول بتحطيمها تخلصاً من عبادة الأصنام ، فحطمت أينما وجدت ، وقد حطم الصنم (كثرى) (نهشل بن الربيس بن عرعة) ، ولحق بالنبي^٢ .

وقد ضرب أهل الأخبار المثل بـ (كلب طسم) . وذكروا قصته على هذا النحو : كان لرجل من طسم كلب ، وكان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويسمونه ، يرجو أن يصيب به خيراً ويحرسه ، فجاء يوماً فهجم على صاحبه وأكله ، فضرب به المثل قليل : ستمن كلبك يأكلك^٣ .

وقد جاء ذكر طسم في شعر للحارث بن حلزة ، هو :

أم علينا جرى إياد كما قيل لطسم أخوكم الأبناء

وقد قال الأصمعي في شرحه : « كان طسم وجديس أخوين ، فكسرت جديس على الملك خواجه ، فأخذت طسم بدين جديس »^٤ . فضرب لذلك بها المثل ، لمن يؤخذ بجريرة غيره .

جديس :

وقالوا عن (جديس) أنهم حي من عاد ، وهم اخوة طسم ، أو أنهم

١ التكوين ، اصحاح ٢٥ ، آية ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٩٣/٢) .

٢ قال عمرو بن صخر بن أشنع :
حلفت بكثري حلفة غير برة
لأصنام (ص ١١٠) ، تاج العروس (١٢٥/٢) .

٣ قال بعض الشعراء :
ككلب طسم وقد يربيه يعلبه بالحليب في الفلس
ظل عليه يوماً يفرقه أن لا يلغ في الدماء ينتهس
الفاخر (ص ٥٧) .

٤ المللاني الكبير ، (١٠١١/٢) ، « طبعة حيدر اباد دكن » .

حي من العرب كانوا يناسبون عاداً الأولى^١ . وقالوا أنهم أبناء (جديس بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح)^٢ ، أو أبناء (جديس) شقيق (ثمود بن غائر ابن إرم بن سام بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من نسب^٣ . وقد كانوا أتباعاً لطسم ، ويسكنون معهم في اليامة ، ثاروا على (عمليق) (عملوق) ملك طسم ، فكانت نهاية طسم كما كانت نهاية (جديس) ، ولذلك قيل « بوار طسم بيدَي جديس »^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن جديساً لما قتلت (عملوقاً) ومن كان معه من قومه طسم ، هرب رجل من طسم اسمه (رباح بن مروة) ، حتى أتى (حسان بن قُبَّع) ، فاستغاث به ، فخرج (حسان) في حَمِير ، فأباد جديساً، وأخرب بلادهم ، وهدم قصورهم وحصونهم^٥ . ويرى (كوسين دي برسفال) أن اغارة حمر المذكورة كانت حوالي سنة (٢٥٠) بعد الميلاد^٦ .

ويرتبط بخبر هذه الابادة قصة امرأة زعم أنها كانت أقوى الناس بصراً ، ترى من مسافات بعيدة جداً ، عرفت به (زرقاء اليامة) . وقد ورد قصص عنها ذكره أهل الأخبار^٧ .

وورد في بعض الأخبار أن (جديمة الأبرش) كان قد حارب (طسماً)

١ اللسان (٣٥/٦) .

٢ الطبري (٧٧١/١) « طبعة أوربة » ، (٦٢٩/١) « دار المعارف » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغانى (٤٨/١٠) ، المعارف (ص ١٤) ، « جديس بن عامر بن أزهري ابن سام بن نوح ، ابن الاثير الكامل (١٣٩/١) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٦٧/١) ، « وجديس : حي من عاد ، وهم اخوة طسم . وفي التهذيب جديس : حي من العرب ، كانوا يناسبون عاداً الاولى » ، اللسان (٣٣٣/٧)

٣ المصادر نفسها . Ency., Vol., I, P., 992.

٤ اللسان (٣٣٤/٧) ، الامثال ، للميداني (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) ، الاغانى (١٦٤/١١) ، « دار الكتب المصرية » .

٥ الطبري (٦٢٩/١) فما بعدها ، « حسان بن اسعد تبع » ، شمس العلوم (الجزء الاول ، القسم الثاني) (ص ٣٠٧) .

٦ Caussin de Perceval, Essai, 2, P., 26, Ency., Vol., I, P., 992.

٧ وهناك قصة عن زرقاء أخرى ، كانت ترى من مسافة بعيدة ذكروها في تفرق ولد معد ، الاغانى (٣٦/١١ ، ١٥٥) ، « دار الكتب المصرية » ، مجمع الامثال ، للميداني (١٢٠/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٠٧/١) .

و (جديساً) ١ .

ويذكر أهل الأخبار أن (حسان بن تبع) الذي أوقع بجديس ، هو (ذو معاهر) ، وهو (تبع بن تبع تبار أسعد أبي كرب بن ملكيكر بن تبع بن أقرن) ، وهو أبو (تبع بن حسان) ، الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة ويثرب ، وأنه وجّه ابنه (حسان) الى (السند) وابنه (شمرد الجناح) (سمر) ، إلى آخر ذلك من قصص سألت عنه في أثناء الكلام على مملكة (حير وذي ريدان) ٢ .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً أن التي أبصرت جند (حسان) اسمها (اليامة) ، وكانت أول من اكتحلت بالإثمد ، ولهذا تكونت في عينيها عروق سود منه ، كانت هي السبب في نشوء حدة البصر عندها ، وأن (حسان) أمر ففقت عيناها لإدراك سبب حدة بصرها ، فاكتشف وجود الإثمد بهما، ويزعمون أنه أمر بابدال اسم (جو) مساكن طسم وجديس الى (اليامة) ، فعرفت بهذه التسمية مذ ذلك الحين ٣ .

وإذا كان ما جاء في شعر الأعشى عن (اليامة) وعن حسان صحيحاً، فإن ذلك يدل على أن القصة المذكورة كانت شائعة معروفة في أيامه بل وربما قبل أيامه ، والظاهر أن أهل الأخبار قد أخذوا اسم اليامة من اسم المكان ، فصيره لمرأة ذات بصر حديد . ونجد قصة (اليامة) ومجيء التبج في شعر للنمر بن تولب العسكلي ٤ . ونجد اتفاقاً بين القول المنسوب الى اليامة في سياق القصة وبين قولها في الشعر المنسوب الى الأعشى وإلى النمر .

وقد ذكر (ابن دريد) أن (تبع) أرسل على مقدمته (عبد كلال بن مشوب بن ذي حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان) الى اليامة ، فقتل طسماً وجديساً . ولم يذكر اسم ذلك التبج ٥ .

Enc., Vol., I, P., 992. ١

٢ « سمي ذا الجناح » في طبعة « دار المعارف » ، (٦٣٢/١) ، (سمر) في الطبقات الأخرى ، وفي الموارد الأخرى . وهو الصحيح .

٣ الطبري (٦٣٠/١) « دار المعارف » .

٤ ديوان الأعشى (٧٢ - ٧٤) ، الطبري (٦٣٠/١) وما بعدها ، الكامل ، لابن الأثير (٤٥١/١) .

٥ الاشتقاق (ص ٣٠٧ وما بعدها) .

ويعتقد بعض المستشرقين أن اسم (Jolisitae) أو (Jodisitae) الوارد في (جغرافيا بطليموس) إنما يقصد به قوم (جدیس) ، وأنهم كانوا معروفين في حوالي سنة (١٢٠) بعد الميلاد^١ .

وقد نسب أهل الأخبار أماكن عديدة إلى طسم وجدیس ، وهي قرى ومدن ذكر أنها كانت عامرة أهلة بالسكان ذات مزارع ، وقد بقي بعضها في الإسلام ، ووصفه أهل الأخبار . وإذا صح أنها كانت لطسم وجدیس حقاً ، وأنها كانت من أعمالهم ونتائجهم ، فإن ذلك يدل على أن القوم كانوا حضراً وعلى مستوى من الرقي ، ولم يكونوا بدوياً على شاكلة الأعراب . وربما يعثر على كتابات في هذه المواضع تكشف اللثام عن حقيقة أصحاب هذه المواضع وهوية الأقوام التي عاشت فيها .

ومن الأماكن المذكورة (المشقر) ، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال ، يقابله حصن سدوس ، وهو من أمكنة (طسم) . وقد نسب بعض الرواة بناءه — كعادتهم عند جهلهم أسماء الأماكن — إلى سليمان ، وقد سكنته عبد القيس أهل البحرين^٢ . و (معنق) من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة^٣ . و (الشموس) قيل : أنه من بناء (جدیس)^٤ .

ومن قرى اليمامة الشهيرة (حجر) ، وكانت لطسم وجدیس ، والظاهر أنها كانت عامرة ذات قصور عالية كثيرة ، وأنها كانت محاطة بالمزارع ، وأنها بقيت مدة طويلة مهملة في وسط الرمال التي تكونت في تلك البقاع المنبتة الخصبية التي تحولت إلى صحراء^٥ . و (القرية) (قرية بني سدّوس) ، وكان بها قصر عظيم من الصخر ، وقد زعموا أنه كان من حجر واحد بناءه جنّ سليمان^٦ . و (جعدة) وهي حصن ، وبها قصر قديم (عادي) ينسبونه إلى طسم وجدیس ، ويظهر أنه ظلّ باقياً إلى أيام (الحمداني) ، بدليل وصفه له في كتابه (صفة

١ Ptolemy, Geogr., I, 29, Libr., VIII, (Ed. Willberg), Ency., Vol., I, P., 992.

٢ البلدان (٦٥/٨) ، اللسان (٩١/٦) .

٣ البلدان (٦٥/٨) .

٤ البلدان (١٠٠/٨) .

٥ البلدان (٢٢١/٣) .

٦ البلدان (٧٦/٧) فما بعدها ، الحمداني ، صفة (ص ١٤١) .

جزيرة العرب) والظاهر من وصفه أن الحصن كان عظيماً ، وأنه كان يحيط بالقرية ، وأن أساسه من اللبن وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، وكان فيه الأتيل والنخيل ، وحوله منازل الناس والسوق، ويحيط بالقرية خندق ، وفي السوق آبار . قال الهمداني : أنها مثنان وستون بئراً ماؤها عذب فرات^١ . و (خضراء حجر) ، وهي حضور (طسم) و (جدیس) ، وفيها آثارهم وحصونهم وبتلهم ، الواحد بتيل ، وهو مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين . وقد بولغ في وصف ارتفاع هذه (البتل) وطولها ، حتى زعم أن ارتفاع ما تبقى منها إلى أيام الهمداني كان قد بلغ مئتي ذراع في السماء^٢ . و (الحضرة) ، وكانت لجديس ، وبها آثار قديمة كثيرة^٣ ، و (الهدار)^٤ و (ريمان)^٥ .

أميم :

وجعل الأخباريون (أميماً) في طبقة طسم وجديس ، وقالوا أنهم من نسل (لاوذ بن عمليق)^٦ ، أو (لوذ بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من شجرات نسب^٧ . وكان من شعوبهم على زعم أهل الأخبار (وبار بن أميم) ، نزلوا برمّل (عالج) بين اليمامة والشحر ، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم^٨ . ويزعم أهل الأخبار أن ديار (أميم) كانت بأرض فارس ، ولذلك زعم بعض نسبة الفرس أنهم من (أميم) ، وإن (كيومرت) الذي يُنسبون إليه هو ابن أميم ابن لاوذ^٩ .

-
- ١ الهمداني : صفة (ص ١٤١) .
 - ٢ صفة (١٤١) .
 - ٣ صفة (١٤١) .
 - ٤ صفة (١٤١) .
 - ٥ صفة (١٤١) .
 - ٦ الطبري (٢١٤/١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، (٢٠٣/١ وما بعدها) ، « دار المعارف » .
 - ٧ طبقات ابن سعد (١/١ ص ١٩) .
 - ٨ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .
 - ٩ ابن خلدون (٢٨/٢) .

ولا نعرف من أمر أميم شيئاً غير هذه التتف ، ولم يذكر الأخباريون كيف عدوهم من طبقة العرب الأولى إذا كانت ديارهم بأرض فارس ، ولم يشرحوا لنا كذلك كيف وصلوا نسب (وبار) بأميم ، وما العلاقة بينهما .

وقد ذكر الهمداني أن وبار هو شقيق (كيومرت) ويقال (جيومرت) ، وقد أولدهما (أميم) . ويوبار عرفت أرض (وبار) ، وهي أرض أميم^١ .

وجاء في جغرافيا (بطليموس) اسم شعب عربي دعسي (Iobaritai) (Jobaritae) (Jobabita) ، على أنه من شعوب العربية الجنوبية ، ويسكن على مقربة من أرض قبيلة أخرى دعاها Sachalitae ، وتوطن عند خليج يدعى باسمها (Sinus Sachalits)^٢ . وهذا الاسم قريب جداً من اسم (وبار) ، لذلك ذهب المستشرقون إلى أن (Jobaritae) ، هو شعب وبار^٣ أو (بنو وبار)^٤ . غير أن هنالك عدداً من العلماء يرون أن الاسم الأصلي الذي ورد في جغرافيا بطليموس هو (يوباب) ، غير أن النساخ قد أخطأوا في النسخ فحرفوا حرف الباء (B) الثاني في هذا الاسم وصيروه داء (R) ، فصار الاسم بعد هذا التحريف (Jobabita)^٥ . فالشعب الذي قصده بطليموس - على حد قول هؤلاء - هو (يوباب) أو (يباب) ، إلا أنه لا يوجد هنالك دليل قوي يثبت حدوث هذا التحريف^٦ .

وفي موضع ليس ببعيد عن هذا المكان الذي ذكره بطليموس تقع أرض وبار الشهيرة ، وهي بين رمال بيرين واليمن « ما بين نجران وحضرموت وما بين مهرة والشحر » ، أو ما بين الشحر إلى تخوم صنعاء . وقيل : « قرية وبار كانت لبني وبار ، وبين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة » ، والنسبة إليها

١ الاكليل (٧٧/١) ، « ولحقت أميم بارض اباد فهلكوا بها » ، وهي بين اليمامة والشحر ، ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت أبار بأبار بن أميم » ، الطبري (١ / ٢٠٨) « دار المعارف » .

٢ Forster, Vol., I, P., 173. f., Vol., 2, P., 270. Ptolemy, VI, 7, Glaser, Skizze, 2, S., 256.

٣ Ritter, Erdkunde, Berlin, 1896, Bd., XIII, S., 315, Sprenger, Geographie, S. 296.

٤ الطبري (٧٥٠/١) « طبعة أوربة » .

٥ Forster, Vol., I, P., 177.

٦ Forster, Vol., I, P., 173, Vol., 2, P., 270.

(أباري)^١ . ونرى ان هذه النسبة قريبة من الاسم الذي ذكره بطلميوس ..
ويدعي (ياقوت الحموي) انها مسماة بـ (وبار بن إرم بن سام بن نوح)^٢ .
وقد روت الكتب العربية قصصاً كثيرة عن (وبار) ، ومن جملة الأساطير
التي تروى عنها أسطورة (النسناس) . وتتلخص في أنهم (من ولد النسناس بن
أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام) ، وأنهم كانوا في الأصل بشرأ ،
فجعلهم الله نسناساً، للرجل منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة
ورجل واحدة ، وأنهم صاروا يرعون كما ترعى البهائم ، وأنهم يقفزون قفزاً
شديداً ويعدون عدواً منكراً^٣ . والظاهر أن لهذه القصص والأساطير أصولاً
جاهلية ، وقد وضع منها في الإسلام شيء كثير ، ووضع معها شعر كثير على
لسان ذلك (الإنسان الحيوان) ، ولا يزال الناس يروونها حتى الآن .

وقد أنكر بعض المستشرقين ، وجود وبار ، وزعموا أنهم من الشعوب التي
ابتكر وجودها القصص قائلين إن تلك الرمال الواسعة المخيفة هي السبي أوحى
إلى القصص والأخباريين لإختراع شعب (وبار) وقصص النسناس^٤ . والذي
أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب بهذا الاسم ، وإن كنا لا نعرف من أمره
شيئاً إلا هذه القصص والأساطير . وقديماً أنكروا وجود عاد وثمود ، ثم اتضح
بعد ذلك من الكتابات وجود عاد وثمود . وهكذا قد يعثر في المستقبل على كتابات
وبارية لعلها تلقي ضوءاً على حالة ذلك الشعب .

ونجد في رواية أهل الأخبار عن عمار (وبار) وكثرة زروعها ومراعيها ومياهاها
في الجاهلية شيئاً من الأساس . فقد أيد السياح ذلك ، وأثبتوا وجود أثر من
آثار عمران قديم^٥ . وهو سند يتخذ القائلون بتطور جو بلاد العرب ، وسطحها
لإثبات رأيهم في هذا التغيير .

١ البلدان (٣٩٢/٨) فما بعدها ، منتخبات (ص ١١٣) ، « ولحقت أميم بارض
وإبار فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر . ولا يصل اليوم إليها أحد ، غلبت
عليها الجن . وإنما سميت إبار بأبار بن أميم » ، طبقات ابن سعد (ج ١) ، قسم
١ ص ٢٠ .

٢ البلدان (٣٩٢/٨) .

٣ البلدان (٣٩٢/٨) فما بعدها ، القزويني ، عجائب المخلوقات (٤١/٢) ، « طبعة
وستنفلد » ، المسعودي ، التنبيه (ص ١٨٤) ، صفة (١٥٤ ، ٢٢٣) .

٤ Sprenger Geogr., S. ٥٥٦.

٥ Enc., Vol., 4, P., 1077, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, P., 353.

ولم يذهب اسم (وبار) من ذاكرة سكان العرب حتى هذا اليوم . فهم يروون أن في الربع الخالي موضعاً منكوباً هو الآن خراب ، هو مكان (وبار) . وقد قاد بعض الأعراب (فليبي) الى موضع في الربع الخالي ، قال له عنه إنه مكان (وبار) المدينة التي غضب الله عليها ، فأُنزل بها العقاب، وصارت خراباً . وقد تبين لـ (فليبي) أن ذلك الموضع هو فوهة بركان ، قذف حمماً ، فبانت الأرض المحيطة به وكأنها خرائب تولدت من حريق^١ . وتحديث أعراب آخرون للسائح (برترام توماس) عن مكان آخر يقع في جنوب شرقي هذا الموضع بمسافة (٢٠٠) ميل ، قالوا له إنه مكان (وبار) المدينة المفقودة المنكوبة كما عثر رجال شركة (أرامكو) على موضع في البادية وذلك في سنة ١٩٤٤ ؛ زعم لهم الأعراب انه مكان وبار، مما يدل على أن الأعراب يطلقون اسم وبار على مواضع عديدة تقع في البوادي . والبوادي أنسب مكان يليق في نظرهم بأن يكون موطن وبار^٢ .

عيبيل :

و (عيبيل) مثل أميم لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم اخوان عاد بن عوص ، أو اخوان عوص بن إرم ، وأنهم لحقوا بموضع (يثرب) حيث اختطوا يثرب . وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له (يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عيبيل)^٣ . ثم ان قسماً من العماليق انحدروا الى يثرب ، فأخرجوا منها عيبلاً ، فزلوا موضع (الجحفة) ، فأقبل سيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة)^٤ .

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد (يقطان) ، هو (Obal) (عوبال)

Philby, The Empty Quarter, P., 165, R. H. Sanger, The Arabian Peninsula, P., 126, 132. ١

Sanger, The Arabian Peninsula, P., 132. ٢

٣ ابن خلدون (٢١/٢) ، « وعاد وعيبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح » ، طبقات ابن سعد (١٠ ، قسم ١ ص ١٩) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١٠ قسم ١ ص ٢٠) ، البلدان (٦٢/٣) .

أو (Ebal) ^١ . وهذا الاسم قريب من (عيبيل) ، لذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون (عيبيل) هو (عوبال) ^٢ . ونجد في جغرافيا بطليموس اسم موضع يقال له Avalitae على خليج يدعى بهذا الاسم (Avalites Sinus) وعليه مدينة تسمى (Avalites Emporium) ، وسكانها يعرفون باسم (Avalites) . وقد ورد هذا الاسم عند (بلينيوس) على صورة (Abalitae) و (Abalites) ، ويرى (فورستر) أن من المحتمل أن يكون هؤلاء هم (عوبال) ^٣ وقد يكون أبناء عوبال هم عيبيل .

وذكر أن في اليمن مكاناً يقال له عيبيل ^٤ ، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال) ^٥ . وهذان الاسمان قريبان من اسم عيبيل . غير أنني لا أريد أن أقول الآن شيئاً فيما يخص (عبيلا) ، فلا يجوز الحكم في مثل هذه الأمور لمجرد تشابه الأسماء ، وإنما ذكرت ذلك للمناسبة العارضة والتثنية .

وأما عبد ضخم ، فكانت تسكن على قول الأخباريين الطائف ، وهلكوا فيمن هلك من الشعوب البائدة ، وكانوا أول من كتب بالخط العربي ^٦ . وذكر الطبري أنهم حي من عبس الأول ^٧ .

ويذكر أهل الأخبار ان (أمية بن أبي الصلت) ذكر (بني عبد ضخم) في شعره ، اذ قال فيهم :

كما أفني بني عبد بن ضخم فما يذكر لصاليها شهاب
بني بيض ورهط بني معاذ وفيهم عزة وهم غلاب ^٨

١ أخبار الأيام الاول ، الاصحاح الاول ، اية ٢٢ ، التكوين ، الاصحاح العاشر ، اية ٢٨ .

٢ Hastings, P., 201, Ency., Bibl., P., 2462, M. Gottfried Buchner's Biblische Real und Verbal Hand., S., 276

٣ Forster, Vol., I, P., 148, 149.

٤ Glaser, Skizze, 2, S., 426.

٥ Scott The High Yemen, P., 185.

٦ ابن خلدون (٢١/٢) ، « عبد ضخم بن ارم » .

٧ « وكان ساكني الطائف بنو عبد ضخم ، حي من عبس الاول » ، الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .

٨ الاكليل (٧٥/١) .

وقد ذكر الهمداني أن (ابن الكلبي) يرى أن (عبد ضخم) و (بيض) ،
وهما حيّان ، هما اللذان وضعوا الكتاب العربي ، وذكر الهمداني أن الشاعر
(حاجز الأزدي) ضمن هذا الرأي بقوله :

عبد بن ضخم اذا نسبتهم
ابتدعوا منطقاً لخطهم

ويبض أهل العلوة في النسب
فبين الخط لهجة العرب^١

جرهم الأولى :

وجرهم هؤلاء ، هم غير (جرهم) القحطانية على رأي النسابين والأخباريين ، ولذلك يقولون لجرهم هذه (جرهم الأولى) ، ولجرهم القحطانية (جرهم الثانية) ، ويقولون عن الأولى أنهم من طبقة العرب البائدة ، وأنهم كانوا على عهد عاد وثمود والعماليق^١ . ويظهر من روايات الأخباريين أنهم كانوا يقيمون بمكة ، ويرجعون أنسابهم الى (عابر) ، وأنهم أبيدوا : أبادهم القحطانيون^٢ . أما جرهم الثانية ، أي جرهم القحطانيين فينسبهم بعض أهل الأخبار الى (جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار اسماعيل^٣ . وقد ورد اسم (جرهم) عند (اصطيفان البيزنطي) من الكتبة اليونان^٤ .

العلاقة :

وحشر الأخباريون العالقة (العالمية) في هذه الطبقة أيضاً ، فنسبهم الى (عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح) ° . ولم تذكر التوراة أصلهم ونسبهم ،

١. الاكليل (٧٨/١) .

Enc., Vol., I, P., 1066. γ

Enc., Vol., I, P., 1066. ٣ ابن خلدون (٣٠/٢)، صبح الاعشى (٣١٤/١)

شمس العلوم (ج ١، ق ١، ص ٣٢٢).

Enc., Vol., I, P., 1066.

الطبرى (٢١٣/١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، « طبعة أوربية » .

وهي لا تشير الى أبناء (لود) أو (لاوذ) كما يقول له الأخباريون^١ .
 (وعليق) جد العالقة ، هو شقيق طسم . ويذكرون أنهم كانوا أئماً كثيرة ،
 تفرقت في البلاد ، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر .
 ويعرف أهل عمان والبحرين بـ (جاسم) ، وجاسم هم من نسل عليق على زعم
 أهل الأخبار . وكان من العالقة أهل المدينة ، ومنهم (بنو هف) و (سعد
 ابن هزان) و (بنو مطر) و (بنو الأزرق) . وكذلك سكان نجد ، ومنهم
 بديل وراحل وغفار ، وكذلك أهل تيماء^٢ .

وكان ملكهم (الأرقم) ، وهو من العالقة^٣ . وهو من معاصري (موسى)
 على رواية الهمداني . وقد أرسل (موسى) عليه جنداً لمقاتلته فقتل بأتباعه أهل
 تيماء وببقية عمالة الحجاز^٤ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن (العالق) لحقت بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ،
 ثم انحدر بعضهم الى يثرب ، فأخرجوا منها (عبيلاً) ، وسكنوا في ديارهم ،
 وذهبت (عبيلى) الى موضع (الجحفة) ، فأقبل السيل فاجتحمهم ، فذهب
 بهم ، فسميت الجحفة^٥ . وذكروا أن (موسى) أرسل جيشاً لحرب عماليق
 يثرب^٦ ، ولم نجد في التوراة ذكراً لمثل هذا الجيش ، أو الحرب .

والعالقة الذين نتحدث عنهم ، هم عرب صُرحاء ، من أقدم العرب زماناً ،
 لسانهم اللسان المصّري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل
 الأخبار^٧ . بل زعم بعضهم أن عمليقاً، وهو أبو العالقة ، أول من تكلم بالعربية
 حين ظعنوا من بابل ، فكان يقال لهم ولجهرهم (العرب العاربة)^٨ .
 ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العالقة ونقده أنه
 مأخوذ من منابع يهودية ، فقد ذكر العالقة في التوراة ، وقد كانوا اول شعب

١ قاموس الكتاب المقدس (١١٢/٢) فما بعدها) ،
 Hastings, P., 24, The Unl. Jew. Enc., Vol. I., P., 218.

٢ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف »

٣ الطبري (٢٠٣/١)

٤ الاكليل (٧٤/١) وما بعدها .

٥ الطبري (٢٠ /١) .

٦ Enc., Vol., I, P., 325.

٧ الطبري (٢٠٣/١) فما بعدها .

٨ الطبري (٢٠٧/١) فما بعدها .

صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين الى فلسطين^١ . وظلوا يحاربونهم ، ويكبدونهم خسائر فادحة ، وأوقعوا الرعب في نفوسهم ، ولهذا ثار الحقد بينهم على العماليق . ويتجلى هذا الحقد في الآيات التي قالها النبي (صموئيل) لشاؤول (Saul) أول ملك ظهر عند العبرانيين ، قالها لهم باسم اسرائيل : « ليأي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه اسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود . اني افتقدت ما عمل عمليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرّموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملاً وحميراً^٢ . وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين .

وقد كانت منازل العماليق من حدود مصر فطور سيناء الى فلسطين . وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب لا يدل على أنهم لم يكونوا عرباً ، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة (عرب) الا على الأعراب ، أعراب البادية ، ولا سيما بادية الشام^٣ . ثم ان العماليق من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون ، وحملوا حقداً عليها ، وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعيليين .

حضورا :

وأورد أهل الأخبار قصصاً عن (حضورا) ، فذكروا أن (حضورا) كانوا يقيمون بالرس^٤ ، وكانوا يعبدون الأوثان ، وبعث اليهم منهم نبي منهم اسمه (شعيب بن ذي مهراع) ، فكذبوه ، وهلكوا^٥ .
وهناك عدة مواضع يقال لها (الرس) منها موضع بالهامة ، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود^٥ .

١ Musil, Hegaz, P., 460, The Uni. Jew. Enc., Vol., I, P., 218.

٢ صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١ فما بعدها .

٣ Hastings, A. Dictionary of the Bible Vol., I, P., 77.

٤ ابن خلدون (٢٠٠/٢) ، نهاية الارب (٨٦/١٣) فما بعدها ، « قال كعب : ان

اصحاب الرس كانوا بحضرموت » ، نهاية الارب (٨٨/١٣) .

٥ البلدان (٢٥٠/٤) .

وورد في القرآن الكريم (أصحاب الرس)^١ ، مع عاد وثمود ، وذهب المفسرون الى أنهم كانوا جماعة (حنظلة) ، وهو نبي ، فكفروا به ورستوه في البشر^٢ ، الى غير ذلك من الأقوال .

ويظهر من القرآن الكريم أن (أصحاب الرس) كانوا مثل جماعة عاد وثمود في الطبقة ، أي في زمانهم ، وأنهم هلكوا أيضاً . وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن نبي (أصحاب الرس) هو (خالد بن سنان) ، وقد ذكروا أن الرسول ذكره ، فقال فيه : « ذاك نبي ضيعة قومه »^٣ .

وذكر (الهمداني) أن (حنظلة بن صفوان) كان نبياً في اليمن ، وقد أرسل الى سبأ ، وكان من (الأقيون) ، وهم بطن دخل في (حير) ، وذكر أنه وجدت عند قبره هذه الكتابة : « أنا حنظلة بن صفوان . أنا رسول الله . بعثني الله الى حير وهدان والعريب من أهل اليمن ، فكذبوني وقتلوني » . وأنه أنذر قومه (سبأ) برسائله فكذبوه ، فلما كذبوه ، أرسل الله عليهم سيل العرم^٤ .

وذكر (الهمداني) أيضاً نقلاً عن (ابن هشام) أن (حنظلة بن صفوان ابن الأقيون) ، هو ، نبي الرّس ، والرس بناحية صيهده ، وهي بلدة منحرفة ما بين بيحان ومأرب والجوف ، فنجران فالعقيق فالدهناء ، فراجعا الى حضرموت . وذكر أيضاً أن الرس ، بمعنى البشر القليلة الماء ، وأن أهل الرس قبائل من نسل أسلم ويامن أبو زرع ورعويل وقدمان ، وهم من نسل قحطان . وقد كذبوا نبينهم (حنظلة) وقتلوه وطرحوه في بحر رس ماؤها^٥ .

وروى أهل الأخبار أن (بنختنصر) (نبوخذ نصر) غزا أهل (حضور) (حضوراء) وأعمل فيهم السيف وأجلى خلقاً منهم الى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله اليهم ، وهو (شعيب بن مهلم بن ذي مهلم بن المقدم بن حضور) ، ولم يصدقوه ، وكانوا أصحاب بطش وشدة

١ « وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » ، الفرقان ، ٢٥ ، آية ٣٨ ، « كذبت قبلهم قوم نوح ، وأصحاب الرس وثمود » ، ق ، ٥٠ ، آية ١٢ .

٢ البلدان (٢٥٠/٤) ، قصص الانبياء (١٤١) ، حياة الحيوان ، للدميري ، مادة عنقاء نهاية الارب (٨ / ١٣) ، Enc., Vol., I, P., 479.

٣ الإصابة (٤٦٨/١) .

٤ الاكليل (١٢٠/١) وما بعدها .

٥ الاكليل (١٢١/١) وما بعدها .

وغلظة . فلما قتلوه ، أوحى الله الى نبي في عصره هو (برخيا بن أخيا بن رزنائيل ابن شالشان) ، وكان من سبط (يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل) ، أن يأتي (بختنصر) ، فيأمره بغزو (العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب) ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلهم ، ويستبيح أموالهم . فأقبل (برخيا) من نجران ، حتى قدم على (بختنصر) ، وذلك في زمان (معد بن عدنان) ، فوثب (بختنصر) على من كان في بلاده من العرب ، وجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصننه ، ثم ضمهم فيه ، ووكّل بهم حرساً وحفظه ، ثم سار في بلاد العرب فالتقى بعدنان بذات عرق ، فهزم (بختنصر) عدنان ، وسار الى (حضور) ، فانهزم الناس وفروا فرقتين : فرقة أخذت الى (ريسوب) وعليهم (عك) ، وفرقة قصدت وبار . أما الذين بقوا في (حضور) ، وحاربوا (بختنصر) فقد احتصدتهم السيوف . ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا ، فألقاهم بالأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط ، ومات عدنان . فلما مات (بختنصر) ، خرج (معد بن عدنان) حتى أتى مكة ، ثم ذهب الى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وسأل عن بقي من ولد (الحارث بن مضاض الجرهمي) وهو الذي قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثر جرهم على يديه - فقليل : بقي (جرشم بن جلهمة) ، فتزوج معد ابنته (معانة) ، فولدت له (نزاراً)^١ .

وأهل حضور الذين قتلوا نبيهم ، وقتلهم (بختنصر) هم شعب من أهل اليمن على رأي الأخباريين ، كانوا يقيمون الحضور أو (حضوراء) . وفي اليمن موضع يسمى (حضور) ، ينسبه أصحاب الأخبار الى (حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حير بن سبأ)^٢ ، وذكروا أنه المكان الذي قصده (بختنصر) ، فقتل أهله^٣ . وعلى هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم ، يقال له مسجد شعيب نبي أصحاب الرس^٤ . وهو جبل من جبال اليمن المقدسة ،

١ الطبري (٢٩١/١ وما بعدها) ، (٥٥٩/١) « دار المعارف » .
٢ « حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حير بن سبأ » ، البكري ، معجم (٤٥٦/٢) « طبعة السقا » ، اللسان (٢٧٨/٥) .
٣ البلدان (٢٩٦/٣) .
٤ الأكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » ، Enc., Vol., 2, P., 210.

قال الهمداني : (وأما الجبال المقدسة عند أهل اليمن ، فجبل حضور وصنّين ورأس بيت فائش من رأس جبل تخلى ورأس هنوم ورأس تعكر ورأس صبر . وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة)^١ .

وأرى أن قداسة هذه الجبال وردت إليها من الأيام التي سبقت الإسلام ، من أيام الوثنية ، وأن المساجد التي أنشئت في رؤوسها ، إنما أنشئت فوق معابد قديمة ، لعبادة الأصنام ، وذلك كما حدث في أماكن أخرى من جزيرة العرب حيث اكتسبت بعض المعابد الوثنية القديمة قدسية خاصة . فلما جاء الإسلام ، ألبست ثوباً إسلامياً ، فبقيت حية ، وتحولت بمرور الزمن الى مزارات ومساجد تقام فيها الصلوات .

وقد اعتمد رواية خبر غزو (بختنصر) لأهل (حضور) على ما جاء عن (ابن الكلبي) و (ابن اسحاق) ونفر آخر ممن عرفوا بروايتهم هذا النوع من الروايات التي تعرف من معين الإسرائيليات . وما بنا حاجة أبداً الى البحث في أسماء رواة المعرفة صلته بالتوراة . فالمسألة جد واضحة . خذ التوراة واقراً ما جاء في أسفار (أرميا) ونبوءته، تجد القصة مكتوبة في السفر التاسع والأربعين : (عن قيذار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذ راصر^٢ ملك بابل . هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا الى قيذار ، اخربوا بني المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ، يأخذون لأنفسهم شققهم وكل آتيتهم وجاهلهم ، وينادون اليهم الخوف من كل جانب .

« اهربوا ، انهزموا جداً ، تعمقوا في السكن يا سكان حاصور، يقول الرب ، لأنّ نبوخذ راصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة ، وفكر عليكم فكراً . قوموا الى أمة مطمئنة ساكنة آمنة . يقول الرب لا مصاريع ولا عوارض لها . تسكن وحدها وتكون جبالهم نبياً ، وكثرة ماشيتهم غنيمة ، وأدرى لكل ريح مقصوص الشعر مستديراً ، وآنى بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب . وتكون حاصور مسكن بنات آوى، إلى الأبد، لا يسكن هناك انسان، ولا يتغرب فيها ابن آدم^٣ .

١ الاكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » .

٢ « نبوخذ راصر » « بختنصر » (نبوخذ نصر) .

٣ ارميا ، اصحاح ٤٩ ، آية ٢٨ وما بعدها .

أما النبي (برخيا) الذي زعم الأخباريون أنه هو الذي أشار على (بمختصر) بغزو (حضور) ، فهو « باروخ بن نيريا (نريا) بن محسيا » شقيق (سرايا) (Seraiah)^١ . وقد كان كاتباً ، حياً مخلصاً للنبي (أرميا)^٢ ، وكان يكتب لأرميا ، وهو الذي كلفه النبي (أرميا) بالذهاب الى (بمختصر) حاملاً رسالة الى الملك^٣ . وهي الرسالة المدونة في أسفار (أرميا) . وقد ذهب الى بابل وقابل الملك ، ثم عاد الى القدس حيث هاجم (بمختصر) القدس واستولى عليها بتحريض من هذا النبي نبي العبرانيين !

ترى أن الأخباريين أخذوا قصة غزو (بمختصر) لحضور ، القصة الواردة في أسفار (أرميا) ، وجعلوها غزواً لشعب (حضور) في اليمن ، وهو موضع بعيد لا يعقل وصول (بمختصر) اليه ، وأضافوا اليه شيئاً من الزخارف التي وضعها (ابن الكلبي) أو غيره ، كإقحام اسم عدنان ومعد بن عدنان واسم نبي عربي جنوبي في القصة ، ولم يكفهم ذلك ، فجعلوا (برخيا) من أهل (نجران) ، وجعلوه يقطع المسافة ما بين نجران وبابل ، ليكلف (بمختصر) غزو العرب . وصيروا (حضور) (حضور) الواردة في (أرميا) (حضور) و (حضوراء) ، وجعلوه في اليمن ، ولم ينسوا البحث عن سبب ، فجعلوه اعتداء أهل (حضور) على نبيهم .

أما (حضور) التوراة ، فإنها أرضون تقع في (العربية) ، كانت فيها ممالك صغيرة ، أو مشيخات ، كما يفهم ذلك من عبارة (أرميا) « وعن ممالك حاصور »^٤ . وكانت تتاخم (قيدار) ولعلها كانت في البادية^٥ . ويرى علماء التوراة أن سكانها كانوا من أهل المدر ، وقيمون في بيوت ثابتة ، وقد أطلقت كلمة (حاصور) (Hazor) عليهم تمييزاً لهم عن أهل الوبر ، وكانت ديارهم في جنوب فلسطين أو شرقها^٦ .

-
- ١ أرميا ، اصحاح ٢٥ ، الآية ٥٩ .
 - ٢ أرميا ، اصحاح ٣٢ ، الآية ١٢ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) ، وقد سجن مع أرميا في القدس وكانا يعارضان الملك « يهو ياقيم » « ٦٠٤ ق.م » ، Hastings, P., 85, Enc., Bibl., P., 491.
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) .
 - ٤ أرميا ، اصحاح ٤٩ ، الآية ٢٨ .
 - ٥ Hastings, P., 334.
 - ٦ Enc., Bibl., P., 1978.

وتعني كلمة (حاصور) (Hazor) (Hasor) وجمعها (Hazerim) (Haserim) ما تعنيه لفظة (حيرتا) (Herta) في الإرامية و (الحيرة) في العربية ، من معنى (محاط) أي (محصور) (محاصر) ، بمعنى الحصن أو الأمكنة المحاطة المحصورة أو (المضرب) و (الحمى) . وقد كان مشايخهم يقيمون في أسياف البادية في غنيمات ومضارب مع أتباعهم ، فهي في معنى (حيرتا) عند بني لارم و (Paremboles) عند اليونان^١ . وكانوا يرعون الماشية من ماعز وأغنام وجمال في مناطقهم التي اعتادوا الإقامة بها ، ويظهر أنهم تعرضوا للجيوش (مختنصر) ، أو أنهم لم يساعده في حملته على فلسطين ، فاغتاظ منهم ، وجرّد عليهم حملة ، وكان من عادتهم اللجوء الى الكهوف والمغاور حين مهاجمة عدو لهم ، حيث يذهبون الى مناطق بعيدة يصعب على الجيوش مطاردتهم ، فيتخذون منها مواطن آمنة ويعيشون فيها ما دام الخطر^٢ .

ولم يكن للأخباريين علم دقيق بما يرد في التوراة من أمور ، فلم يفتنوا من غير الممكن أن يكون أهل (حاصور) من أهل اليمن ، لأن ذكر التوراة لهم مع (قيدر) يجعل مواضعهم في شمال جزيرة العرب ، ثم إن اليمن بعيدة جداً عن (مختنصر) ، ولا يعقل أن يكون في امكان جيوشه الوصول بسهولة الى هناك . ثم إن الكتب اليهودية تصور (حاصور) في مكان في العربية الشمالية في جوار أرض (قيدر) ، ولم يكن لها علم واسع عن اليمن ، كما أن (باروخ) من القدس ولم يكن من أهل نجران .

ويظهر أن حرباً قديمة ماحقة ، أو كارثة طبيعية مثل زلزال أو هياج حرة ، وقعت في (حضور) اليمن ، سبب تلفها وانزال خسائر كبيرة بها وبأهلها ، فترك ذلك أثراً عميقاً في ذاكرة الناس ، رواه كابر عن كابر ، فوجد الأخباريون الذين وقفوا على أخبار التوراة ، أو كانوا يجالسون أهل الكتاب ويسألونهم ، شيئاً بين (حاصور) و (حضور) ، وظنوا جهلاً بالطبع بما ورد في (أرميا) عن (حاصور) ، أن (حاصور) التوراة (حضور) اليمن ، ثم أضافوا الى ذلك ما شاءوا على طريقتهم في أمثال هذه المناسبات .

Musil, Deserta, P., 490.

Musil, Deserta, P., 490, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 64. ٢

هلاك العرب البائدة :

هذا ويلاحظ أن هلاك العرب البائدة كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بهم مثل انحباس المطر جملة سنين مما يؤدي الى هلاك الحيوان وجوع الإنسان ، واضطراره الى ترك المكان والارتحال عنه الى موضع آخر ، قد يجد فيه زرعاً وماءً وقوماً يسمحون له بالنزول معهم كرهاً لقوته ولتغلبه عليهم ، أو صلحاً بأن يسمح الأقدمون له بالنزول في جوارهم لاتساع الأرض وللفائدة المرجوة للطرفين . وقد يتفرق ويتشتت بين القبائل ، فيندمج فيها بمرور الزمن ويلتحق بها في النسب والعصبة ، فيكون نسبه النسب الجديد . وبذلك ينظم ذكر القبيلة القديم والأصل الذي كان منه . وقد لا يبقى منه غير الذكريات ، كالذي رأيناه من أمر القبائل البائدة .

وقد تكون الكارثة هيجان حرّات وهبوب عواصف رملية شديدة عاتية تستمر أياماً واهتزازات أرضية في الأرضين غير المستقرة ، مما يلحق الأذى بالناس . ومن هنا نجد ذكر هذه الكوارث في القرآن الكريم وفي الأخبار الواردة عن هلاك القبائل المذكورة فيه ، أو التي لم ترد فيه ، وانما يذكر أسماءها أهل الأخبار . هذا وقد ألفت بعض أهل الأخبار كتباً في بعض العرب البائدة ومن هؤلاء (عبيد بن شربة الجرهمي) ، و (ابن الكلبي) ، فقد ذكر ان لهذا مؤلفاً دعاه (كتاب عاد الأولى والآخرة) و (كتاب تفرق عاد)^١ ، ومنهم (أبو البخري) و (وهب بن وهب بن كثير) فله (كتاب طسم وجديس)^٢ وغير ذلك . والغالب على هذه المؤلفات كما يظهر من الاقتباسات منها والمبثوثة في الكتب الباقية ، أنها ذات طابع أسطوري .

١ الفهرست (ص ١٤٧) .

٢ الفهرست (ص ١٥٢) .

الفصل التاسع

العرب العاربة والعرب المستعربة

تحدثت في الفصل السابق عن العرب البائدة، وهم العرب الذين هلكوا واندثروا قبل الإسلام ، ولم يبق منهم غير آثار وذكريات . أما العرب العاربة والعرب المستعربة (المتعربة) ، أو العرب القحطانيون والعرب العدنانيون ، فإنهم العرب الياقون الذين كانوا يؤلفون جمهرة العرب بعد هلاك الطبقة الأولى ، فهم العرب الذين كتب لهم البقاء ، وكان ينتمي اليهم كل العرب الصرحاء عند ظهور الإسلام^١ .

العرب العاربة :

أما الطبقة الثانية من طبقات العرب بعد البائدة ، فهي (العرب العاربة) على أقوال النسابين ، وهم من أبناء قحطان وأسلاف القحطانيين المنافسين للعرب العدنانيين ، الذين هم العرب المستعربة في عرف النسابين .

وقحطان الذي يرد في الكتب العربية ، هو (يقطان) الذي يرد اسمه في سفر التكوين ، وهو (قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح)

١ الطبري (٢٠٤/١) « دار المعارف » .

في رأي أكثر النسابين^١ . وهو (يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام ابن نوح) في التوراة^٢ .

فترى من ذلك مطابقة تامة بين النسب الوارد في الكتب العربية والنسب الوارد في التوراة ، مما يدل دلالة واضحة على أن الأخباريين أخذوا علمهم بنسبه من روايات أهل الكتاب ، وهم يؤيدون ذلك ولا ينكرونه^٣ .

وقد سرد بعض الأخباريين نسب قحطان في شكل آخر : مثل (قحطان بن هود بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح)^٤ . على أن هوداً هو عابر ، أو (قحطان بن هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح) ، أو (قحطان بن يمن بن قدار) ، أو (قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن اسماعيل بن إبراهيم)^٥ . فترى من ذلك أن بعض شجرات النسب أدخلت أسماء عربية بين الأسماء المأخوذة من التوراة .

وقد ألح بعض نسابي اليمن على جعل (هود) عابراً ، وعلى جعله والد قحطان ، وأصروا على ورود ذلك في الشعر ، ولم يكن من العسير عليهم بالطبع إيجاد ذلك الشعر ووضع ، فكانوا إذا نوقشوا في ذلك ، احتجوا بقول الشاعر :

وأبو قحطان هو ذو الحقف^٦

واحتجوا بأمثال ذلك من كلام منظوم أو مثور . وجاءوا بأكثر من ذلك لإفحام الخصوم .

- ١ مروج (٢٧٦/١) فما بعدها ، ابن هشام (٤/١) « طبعة وستنفلد » ، (٥/١) ، « طبعة الابياري وجماعته » ، القاهرة (١٩٣٦ م) ، نهاية الارب (٢٧٥/٢) ، الاخبار الطوال (ص ٩) ، الاشتقاق (ص ٢١٧) ، الاكليل (٨٧/١) فما بعدها الطبري (٢٠٥/١) ، « دار المعارف » ابن خلدون (٩/١)
- ٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٥ فما بعدها .
- ٣ « ويقطن » هو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، الطبقات : لابن سعد ، الجزء الاول ، القسم الاول ، (ص ١٨) فما بعدها ، ابن خلدون (٩/١) ، النويري ، نهاية الارب (٢٨٩/٢) .
- ٤ التنبيه (ص ٧٠) .

Wuestenfeld, Genealogische Tabellen der Arabischen Staemme und Familien, Goettingen, 1852-1853.

- ٥ التنبيه (ص ٧١) ، ابن خلدون (٤٦/٢) .
- ٦ التنبيه (ص ٧١) ، منتخبات (ص ٨٣) ، اخبار عبيد (ص ٣١٣) .

والقائلون إنَّ (قحطان) هو (قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل) هم نَسَابُو ولد (نزار بن معد) ، أي التزارية ، الذين كانوا يقابلون (اليمانية) في صدر الإسلام وفي الدولة الأموية والعباسية ، يؤيدهم في ذلك بعض اليمانية ، مثل (هشام بن الكلبي) ، و (الشرقي بن القطامي) و (نصر بن زروع الكلبي) و (الهيثم بن عدي) ^١ . ويظهر أن غايتهم من ذلك وصل نسب قحطان بشجرة نسب أولاد إسماعيل . أما سائر اليمانية ، فتأبى ذلك ، وتذهب إلى أنه (قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح) ^٢ .

وتستهدف هذه الروايات غاية عاطفية بعيدة على ما يظهر ، كانت ذات أهمية في نظر القحطانيين ، هي وصل نسبهم بالأنبياء . فبعد أن ذكروا ما ذكروا من أخبار مُلكهم ودولهم قبل الإسلام ، وجدوا أن العدنانيين يفخرون عليهم مع ذلك بأن فيهم النبوة والأنبياء ، منهم الرسول ، وفيهم إسماعيل جدهم . فأرادوا أن يكون لهم أجداد أنبياء : أنبياء خلص قحطانيون ، أو أن يكون لهم نسب يتصل بنسب إسماعيل على الأقل ، أو أن يصل نسب إسماعيل بأسباب نسبهم ، فقالوا : إنهم من نسل هود ، وهود نبي من أنبياء الله ، وقالوا : إن قحطان من نسل إسماعيل ، وقالوا : إن هوداً هو عابر ، وعابر من نسل الأنبياء ، وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل ترمي إلى ترجيح كفتهم على كفة منافسيهم العدنانيين في الفخر بالأنساب على الأقل .

ولم يعجب اليمانية المعنى الوارد في التوراة للفظ (يقطان) (يقطن) ، ولعلمهم عرفوا معناها من أهل الكتاب ، فعكسوا المعنى بأن صبروه على الضد تماماً . جعلوه (الجبار) ، وقالوا : (واسمه في التوراة الجبار) ^٣ ، مؤكدين جازمين . أما في التوراة وعند أهل الكتاب وفي العبرانية ، فهو العكس ، فـ (يقطان) في التوراة لفظة تعني (صائر صغير) ^٤ ، فهي في معنى : (صغير) . وبين صغير وجبار فرق كبير . وهكذا صار الصغير جباراً . وبهذا التفسير أعاد النسابون أو أحد المتحدثين إليهم من أهل الكتاب الهيبة والمكانة إلى (قحطان) . وشاء بعض أهل الأخبار أن يكون دقيقاً في حكمه ، عارفاً بمدة حكم

١ التنبيه (ص ٧١) ، الاكليل (١٠٣/١ وما بعدها) .

٢ التنبيه (ص ٧١) .

٣ التنبيه (ص ٧٠) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٤/٢) .

(قحطان) ، لثلاثا يترك الناس في جهل من أمرها ، فجعلها مثني سنة ، لم يزد عليها ولم ينقص منها . وكان صاحب هذا الخبر (هشام بن الكلبي) رأس الأخباريين في مثل هذه الأمور^١ .

وقد ورد في جغرافيا (بطليموس) اسم قريب من اسم (قحطان) ، هو (كتنيتة) (كتانيتة) (Katanitae)^٢ . غير أن هذا لا يدل حتماً على أن المراد منه (قحطان) ، إذ يجوز أن يكون اسم موضع لا علاقة له بقحطان ، أو اسم قبيلة من القبائل اسمها قريب منه . وقد ورد اسم قبيلة تدعى (قطن) أو (بنو قطن) ، كما ورد اسم موضع عرف بـ (جو قطن)^٣ ، وذكر اسم مدينة بن (زبيد) و (صنعاء) ، يقال لها (قحطان)^٤ . وأشار (المسعودي) إلى (جزائر قطن)^٥ ، لهذا أرى أن من الخير ألا يتخذ الآن أي موقف كان لا سلباً ولا إيجاباً ، قبل اكتمال العدة والظفر بمواد مساعدة تكفي لإصدار الأحكام .

وقد عثر على اسم قبيلة عربية عرفت بقبيلة (قحطن) ، أي قحطان ، في نصوص المسند ، لا أستبعد أن يكون لاسمها علاقة بقحطان الذي صيرَه أهل الأخبار جداً لكل العرب الجنوبيين . فقد ذكر بعد اسم (كدت) الذي هو كندة في النص : (Jamme 635)^٦ وكان على قبيلة قحطان وعلى كندة ملك واحد اسمه (ربيعت) (ربيعة) ، وهو من (ثورم) (آل ثورم) (الثورم) أي (آل ثور) . وثور هو جد قبيلة كندة في عرف النسابين من أيام الملك (شعر أوتر) ، وسأحدث عنه وعن الملك فيما بعد .

ونحن لا نعرف من أمر (قحطان) شيئاً غير هذا النسب الذي يردده الأخباريون ، وليس لدى العبرانيين من أمره غير ما ورد من أنه أحد أولاد

١ المجر (٣٦٤) .

Ptolemy, Geogr., VI, 7,20,23, Glaser, Skizze, Bd., 2, S. 283

Knobel, Die Voekerstafel der Gensis, S., 185, Forster, The Historical Geography, Vol., I, 80, O'leary, P., 18.

Glaser, Skizze, S., 288, 422, Enc., Vol., 2, P., 629.

٤ احسن التقاسيم ، (٨٧/٣ ، ٩٤) « الطبعة الثانية » .

٥ مروج (٩١/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » .

Jamme 635, MaMb270, Mahram, P., 136.

(عابر) وآخرهم ، وانه جد قبائل عديدة قديمة . وسكوت أهل الأخبار عنه واكتفاؤهم بسرد نسبه ، دليل على أخذهم له من التوراة .
 أما أولاده ، فلم يبخل عليه أهل الأخبار بالأولاد ، فوهب بعضهم له امرأة سموها (حتى بنت روق بن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح)^١ ، ووهبوا له من الولد ما تراوح عدده من عشرة ذكور الى واحد وثلاثين على حسب كرم الراوي أو بخله على قحطان ، من بينهم يعرب وحضر موت وعمان وجرهم^٢ .

وقد ذكر (الهمداني) أولاد (قحطان) على هذا النحو : يعرب ابن قحطان ، ودعاه بـ (المزدغف) ، ومعنى (المزدغف) المحتوي للأشياء ، وجرهم بن قحطان ، ولؤي ، وخابر ، والمتلمس ، والعاض (العاصي) (القاضي) ، وغاشم ، والمتعصم ، وغاصب ، ومغرز ، ومبتع ، والقطامي ، وظالم ، و (الحارث) (الحارث) ، ونباة ، وقاحط ، وقحيط ، ويعفر جد المعافر ، والمود ، والمودد ، والسلف ، والسالف ، ويكلأ ، وغوث ، والمرتاد ، وطسم ، وجديس ، وحضر موت ، وسماك ، وظالم ، وخيار ، والمتنع ، وذو هوزن ، ويأمن ، ويفوث ، وهذرم . وقد أخذ هذه الأسماء من روايات أشار الى أسماء روايتها . وقد جمعتها ليكون في إمكان القارئ الاحاطة بها^٣ .

وذكر (الهمداني) في موضع آخر انه قرأ « في السجل الأول : أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً » ، وهم : يعرب ، والسلف الكبرى ، ويشجب ، وأزال ، وهو الذي بنى صنعاء ، ويكلي الصغرى ، وخولان - خولان رداع في الفقاعة - والحارث ، وغوث ، والمرتاد ، وجرهم ، وجديس ، والمتنع ، والمتلمس ، والمتغشمر ، وعباد وذو هوزن ، ويمن ، وبسه سميت اليمن ، والقطامي ، ونباة ، وحضر موت ، وسماك ، وظالم ، وخيار ، والمشقر^٤ . وقصد بـ (السجل الأول) سجل خولان الذي تحدثت عنه آنفاً .

أما الذي تولى الملك بعد قحطان - على رأي الأخباريين - فكان يعرب ،

١ مروج (٢٧٧/١) .
 ٢ مروج (٢٧٧/١) ، ابن خلدون (٤٧/١) ، الاشتقاق (ص ٢١٧) .
 ٣ الاكليل (١١٦/١) وما بعدها .
 ٤ الاكليل (١٣١/١) وما بعدها .

وكان ملكه باليمن ، وقد غلب بقايا عاد ، ووزع اخوته في الأقطار ، فأقر أخاه حضرموت على الأرضين التي عرفت باسمه فقبل لها حضرموت ، وعين عمان على أرض عمان ، وولى جرهماً على الحجاز^١ .

ولا نعرف من أمر يعرب شيئاً غير ما ذكره بعض الأخباريين من ان أم يعرب هي من عاد أو من العماليق ، ومن أن له اخوة من أمه ، هم : جرهم والمعتمر والمتمس وعاصم ومنيع والقطامي وعامي وحير وغيرهم^٢ .

وقد حكم (يعرب) على رأي بعض أهل الأخبار مدة تساوي المدة التي حكم فيها أبوه ، أي مئتي سنة^٣ . وإذا كانت هذه المدة هي مدة حكمه ، فلا بد أن تكون أيام حياته أطول من أيام حكمه . فعمره اذن عمر لا بد أن يحسده عليه كل أحياء هذا القرن ومن سيأتي بعدهم من الناس .

ولم ينسب أهل الأخبار والنسب الى يعرب ولداً كثيراً . فقد نسب بعضهم اليه يشجب ، قالوا وبه كان يكنى ، وشجبان ، وبه سميت (شجبان) باليمن ، وهي أعلا رَمَع^٤ .

ويلاحظ أن بين (يشجب) و (شجبان) تقارباً كبيراً ، ولعل أحد الاسمين خلق الاسم الثاني . وجعل بعضهم ليعرب من الولد : يشجب ، وحيدان ، وحياة^٥ ، وجنادة ، وواثلاً ، وكعباً^٦ .

ولم يرد اسم (يعرب) في الشعر الجاهلي . وإنما ورد اسمه في شعر ينسب الى (حسان بن ثابت)^٧ ، وفي شعر ينسب الى (مضاض بن عمرو الجرهمي) ، وهو من جرهم ، قيل : إنه قاله لما أخرجتهم الأزدي من مكة^٨ . والشعران من النوع المصنوع المحمول على حسان وعلى (مضاض) الذي لا أدري أكان يتكلم

١ صبح الاعشى (١٩/٥) ، ابن خلدون (٤٧/٢) ، القاموس (١٠٣/١)

٢ الاخبار الطوال (ص ١١) .

٣ المحبر (ص ٣٦٥)

٤ الاكلیل (١٢٤/١) .

٥ الاكلیل (١٢٥/١) .

٦ الاكلیل (١٣٢/١) .

٧ تعلمتم من منطق الشيخ يعرب

الاكلیل (١١٦/١) .

٨ الاكلیل (١١٧/١) .

ابينا فصرتم معربين ذوي نفر

بهذا اللسان العربي الذي نزل به القرآن ، أم بلسان أهل اليمن الذي يختلف عن هذا اللسان .

ولا نعرف لـ (يعرب) اسماً في التوراة ، لا في أبناء يقطان ولا في غير أبنائه . إنما نعرف أن في التوراة اسم ملك سمته (يرب Jareb) يظن بعض علماء العهد القديم أنه اسم ملك عربي كان يحكم مقاطعة عربية ، ومن الجائز في نظرهم أن يكون قد حكم (يثرب) ، أو مكاناً آخر في جزيرة العرب^١ . ولا يستبعد أن يكون أهل الأخبار قد سمعوا باسمه من يهود (يثرب) ، فصيّروه (يعرب بن قحطان) .

ويقصد الأخباريون بجرهم جرهماً الثانية، التي جاءت بعد هلاك جرهم الأولى . وقد أقامت بمكة ، وكان منها أرباب البيت^٢ . ويظهر أن أهل الجاهلية كانوا يتصورون أن قبيلة جرهم كانت ترعى البيت الحرام^٣ . وقد ذكر الأخباريون أن إسماعيل نشأ بينها وتزوج منها ، وأن أباه إبراهيم بعد أن قام ببناء الكعبة ورفع قواعدها ، ترك ابنه بينهم ، فصارت له صلة بهم^٤ . ثم تغلبت على جرهم خزاعة ، فانتزعت منهم السدانة ، واحتفظت بها إلى أن انتقلت إلى قريش .

وكان سبب تغلب خزاعة على جرهم وخروجها من مكة أن جرهماً بغت على (قطوراء) وتنافست معها ، وكان (قطوراء) أبناء عم لجرهم، وكانوا يقيمون أسفل مكة بأجياد، وجرهم في أعلاها بـ (قُبَيْعَقَمَان) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً،

١ Hastings, P., 427, Enc. Biblica., P., 331, KAT, 2, 414, 439, 3 ed. P. 150.

٢ « جرهم » كقنفذ : حي من اليمن ، وهو ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح ، نزلوا مكة ، وتزوج فيهم إسماعيل عليه السلام ، وهم اصهاره ثم الحلو وإبادهم الله تعالى .. » ، تاج العروس (٢٢٧/٨) ، « جرهم : حي من العرب من ولد جرهم بن قحطان بن هود « شمس العلوم (١ ق ٢ ص ٣٢٢) ، Enc., Vol., I, P., 1066.

٣ في بيت ينسب لزهير بن أبي سلمى : فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال ، بنوه ، من قريش وجرهم شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : صنعة الامام أبي العباس احمد بن يحيى ثعلب، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤ م (ص ١٤) .

٤ ابن خلدون (٣٩/٢) ، اللسان (٣٩٤/١٤) .

وقتل (السמידع) صاحب (قطوراء) ، وتصلح الطرفان ، واستقر الأمر لجُرْهم . ثم إن جرهماً بغت بمكة، وظلمت من دخلها من غير أهلها ، وأكلت مال الكعبة الذي يهدى لها . فلما رأت (بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة) و (غبشان) من خزاعة ذلك ، أجمعوا على حربها وإخراجها من مكة، فاقتتلوا، فغلبتهم (بنو بكر) و (غبشان) فنفوهم من مكة^١ .

وذكر النسابون أن (قطوراء) (قطورا) كانوا أبناء عم جرهم ، وكانوا ظعناً من اليمن، فأقبلوا سيارة، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ، وعلى (قطوراء) السמידع ، فاستقروا بمكة^٢ . وعاشوا مع جرهم والعدنانيين أبناء اسماعيل بمكة بعد هجرتهم هذه من اليمن ، ولم يتعمق النسابون في البحث عن أصل قبيلة (قطوراء) .

وقد نص (الطبري) ، على أن اسم جرهم هو (هذرم) ، ونص على أن والده هو (عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح)^٣. وهو نسب أخذ من التوراة إلا أن من أخذه ونقل الطبري روايته منه لم يروه صافياً تقياً ، بل غير فيه وبدل ، جهلاً أو لسبب آخر . فإن (هذرم) هو (هذورام) (Hadoram) في التوراة ، وهو الابن الخامس من أبناء (يقطان) أي قحطان^٤ . وبذلك تكون (جرهم) من القبائل القحطانية بحسب رواية التوراة .

ولم يختلف ذكر جرهم حتى في صدر الإسلام ، فكان القاص (عبيد بن شربة الجرهمي) ينسب إلى جرهم ، ويظهر من شعر (حسان بن ثابت) أن

١ ابن هشام (١٢٣/١) فما بعدها) ، وجعل ابن اسحاق « قطوراء » اخا لجرهم ، تاج العروس (٢٢٧/٨) .

٢ ابن هشام (١٢٣/١) ، « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، « قال ابن اسحاق : وكان اخوه قطوراء ، اول من تكلم بالعربية عند تبليل اللسنة » تاج العروس (٢٢٧/٨) .

٣ الطبري (٢٠٧/١) ، « دار المعارف » .

٤ التكوين : الاصحاح العاشر ، الاية ٢٧ ، واخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ٢١ ، قاموس الكتاب المقدس ، (٤٥٠/٢) ، Hastings, P., 324 .

بقية منها بقيت باقية^١ ، وظلت جعاعة منها تعيش على ساحل البحر الأحمر المقابل لمكة الى أواخر القرن الثاني للهجرة^٢ . ومن بقايا جرهم ، (العبيديون) في اليمن ، على زعم بعض الأخباريين^٣ . هذا ، وما ذكره (الطبري) من وجود علاقة بين (جرهم) و (لحيان) يستند الى حقيقة^٤ .

وقد ذكر (بلينيوس) اسم شعب دعاه : (Charmaei) ، وذكره (أسطيفان البيزنطي) كذلك ، ويرى (فورستر) انه (جرهم)^٥ . ويشك بعض الباحثين في صحة هذا الرأي ، وذلك لأن الشعب المذكور كان يعيش على مقربة من المعينيين ، أي في أرض بعيدة عن مكة . ويدل ذكر (بلينيوس) و (أسطيفان البيزنطي) لهم ، على أنهم كانوا من الشعوب العربية المعروفة في حوالي الميلاد وبعده ، ولهذا ورد ذكره عند هذين الكتّابين^٦ .

وقد ذكر (الهمداني) ان موضعاً كان بمكة يقال له : (دوحة الزيتون) ، كان مقبرة من مقابر جرهم ، وان نفراً دخلوا المقابر ، فوجدوا أشياء ثمينة من مصوغات وكتابات^٧ .

والى يعرب ينسب أهل الأخبار نشوء العربية ، فيزعمون انه كان أول من أعرب في لسانه ، ولهذا قيل لسانه (العربية)^٨ . وهذه رواية قحطانية تعارض الروايات العدنانية بالطبع ، ويظهر من بعض روايات أهل الأخبار ان (يعرب) هو الذي جاء بولده الى اليمن ، فأسكنهم بها ، الا انها لم تذكر الموطن الذي

- ١ فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان او باقي بقية جرهما ديوان حسان بن ثابت ، رواية ابي سعيد الحسن بن عبد الله بن المزيان السيرافي « طبعة سلسلة جب » ، بعناية « هرشفلد » ، ليدن ١٩١٠ م ، (ص ٤٤) .
- ٢ Enc., Vol., I, P., 1066.
- ٣ الهمداني : صفة (ص ١٨٨)
- ٤ الطبري (٧٤٩/١) « طبعة أوربة » ، Enc., Vol., I, P., 1066.
- ٥ Forster, Vol., I, P., 123.
- ٦ Enc., Vol., I, 1066.
- ٧ الاكليل (١٦١/٨) فما بعدها ، « طبعة نبيه » ، (١٨٣) فما بعدها « طبعة الكرملية » .
- ٨ مروج (٢٧٧/١) .

جاء منه^١ . وتذكر هذه الروايات ان ولده كانوا أول من جيًا بتحية الملك ، فقالوا له : (أبيت اللعن) و (أنعم صباحاً)^٢ ، وهي تحايا ينسبها بقيّة الأخباريين الى غيره من الملوك المتأخرين . وسأحدث عنها فيما بعد .

وانتقل الملك - على رأي الأخباريين - من يعرب الى ابنه يشجب ، ويقال له (يمن) ، ومن ولده عبد شمس ، ويقال له عامر ويلقب بـ (سبأ) على زعم بعض الأخباريين . زعموا انه هو الذي بنى قصر سبأ ومدينة (مأرب) ، وانه فتح مصر وبنى بها مدينة عين شمس ، وانه أول من سنّ السبئيّ ، ولذلك عرف بـ (سبأ) ، وغير ذلك مما يقصه علينا أهل الأخبار^٣ .

ويلاحظ ان النسابين قد تخلّوا على (يشجب) كثيراً ، فلم يهبوا له أولاداً كثيرين ، وكل ما أعطوه هو : (سبأ الأكبر) ، واسمه كما رأينا (عبد شمس) ، وأعطاه بعضهم بالاضافة اليه : (جرهم بن يشجب) ، و (شجبان بن يشجب) ، فأولد (شجبان) صيفياً ، وأولد صيفي مالكاً ، وأولد مالك الحارث ، وقد ملك^٤ .

ويذكر (الممداني) نقلاً عن بعض الرواة ان لقب (سبأ) ، هو (الأعقف) ، قال : « وكان أول من استعمل لتدمير الحكم في ملكه ، وأول من نصب ولي العهد في حياته .. وأول من سبى السبي ممن ختر به وحاربه وناصبه » . وروى في ذلك شعراً نسبته الى (علقمة بن ذي جَدَن)^٥ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) نقلاً عن (عيسى بن داب) ان ملك (عبد شمس) ، أي (سبأ) ، كان في زمن (كيقباد) ، فسار (سبأ) في مدن اليمن ومخابثها ، وكانت اذ ذاك في بقايا عاد، فلم يدع بأرض اليمن أحداً منهم الا سباه واستعبده فسمي (سبأ) ، ووطد بذلك حكم القحطانيين في اليمن^٦ .

١ « صار يعرب بن قحطان الى ارض اليمن في ولده فاستوطنها ، وهو اول من نطق بالعربية » ، حمزة (ص ٨١) .

٢ حمزة (ص ٨١) ، الاكلیل (١١٦/١) وما بعدها .

٣ ابن خلدون (٤٧/٢) ، التيجان (ص ٤٩) ، المحبر (ص ٣٦٤) ، الاشتقاق (ص ٢١٧) ، حمزة (ص ٨١) .

Enc., Vol., 4, P., 1160, Wuestenfeld, Register, S., 388.

٤ الاكلیل (١٢٥/١) وما بعدها .

٥ الاكلیل (١٢٥/١) .

٦ حمزة (ص ٨٢) .

وقد عثر العلماء على نصّ وسموه بـ (Rep. Epigr. 4304) ، هذا نصه :
 (عبد شمس ، سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان) . وهو نص أشك في صحته ، وأرى أنه وضع بعد الجاهلية بزمان ، قد يكون غير بعيد . صنعه بعض من تعلّم حروف المسند ، أو ممن يتقنون صناعة تزييف العاديات اليبانية ، لأن أسلوب المسند معروف ، ولا نجد في نصوصه نصاً واحداً دون على هذا النسق في تدوين النسب . ثم إن هذا النسب هو نسب متأخر وضع على أثر احتدام النزاع بين القحطانيين والعدنانيين في العصر الأموي كما سنرى فيما بعد . والظاهر أن ناقش النص ، وهو من اليمن ، أراد إثبات ورود هذا النسب عند السبئيين واقناع الناس بأنه كان معروفاً فدوّنه ، على كل حال إن في استطاعة الباحثين تقدير زمن تدوين هذا النص ، ودراسة طبيعة اللوح الذي دوّن عليه بالطرق الفنية ، وعندئذ يمكن إثبات صحة تلك الكتابة أو عدم صحتها بطريقة علمية لا تقبل جدلاً .

وجعل (المسعودي) لسبأ عشرة أولاد ، تشاعم منهم أربعة ، وتيامن منهم ستة . فالذين تشاعموا : لحم وجُذام وعاملة وغسان ، والذين تيامنوا حمير والأزد ومذحج وكنانة والأشعريون وأنمار الذين هم بجيلة وخشعم^١ . وذلك على رواية من جعل أنماراً من سبأ ، وجعلهم في كتابه (التنبيه والأشراف) : حمير وكهلان وعمرو والأشعر وأنمار وعاملة ومُر^٢ . وجاء في كتاب (شمس العلوم) : (سئل النبي عن سبأ ، فقال : رجل من العرب أولد عشرة : تيامن منهم ستة : حمير وهمدان وكندة ومذحج والأشاعر وأنمار ، وتشاعم منهم أربعة : جُذام ولحم وعاملة والأزد^٣) .

وأما (الهمداني) ، فأولد لسبأ العرنجج ، وهو حمير ، وكهلان ، وأضاف إليهما استناداً إلى رواية (ابن الكلبي) : نصرأ ، وأفلح ، وزيدان ، وعبدالله ، ونعمان ، والمود ، وهوذة أو أهود ، ويشجب ، ودرهما ، وشداد ، وربيعة^٤ . وأضاف إلى هؤلاء استناداً إلى رواية أخرى : أبا ملك عميكرب بن سبأ ، وأهون

١ مروج (٢٧٨/١) .

٢ التنبيه (ص ٤٦) ، الاشتقاق (ص ٢١٧) .

٣ شمس العلوم (ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٢) .

٤ الاكليل (١٢٦/١) وما بعدها .

ابن سبأ (الهون) ، وجعلهم : حميراً ، وكهلان ، وبشراً ، وريدان ، وعبدالله ، وأفلح ، والنعمان ، والمود ويشجب ، ورهماً ، وشداداً ، وربيعاً ، في مكان آخر^١ .
 ويذكر المسعودي أن حمير هو الذي تولى الملك بعد أبيه : وكان كما يقول :
 أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ، ولذلك عرف بـ (المتوّج) .
 وحكم خمسين سنة^٢ . وقد عرف حمير بـ (العرنج) (العرنجج) . وذكر (ابن الكلبي) أنه كان يلبس حلاًّ حمراً ، وصرح بعض أهل الأخبار أنه كان هناك ثلاثة رجال عرفوا بـ (حمير) ، هم : الأكبر والأصغر ، والأدنى . فالأدنى هو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن علي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حذار بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهيصم بن العرنجج ، وهو حمير الأكبر ابن سبأ الأكبر بن يشجب^٣ .

وأولاد حمير هم : مالك ، وعامر ، وعمرو ، وسعد ، ووائل في رواية .
 والهميص بن حمير ، ومالك بن حمير ، ولهيرة بن حمير ، ومرة بن حمير على رواية (أبي نصر) في قول (الهمداني) ، والهميص ، ومالك ، وزيد ، وعريب ، ووائل ، ومشروح (مسروح) ، ومعديكرب ، وأوس ، ومرة على رواية أخرى ، وجعلهم بعض الرواة أكثر من ذلك عدداً^٤ . وقد ورد في الجزء الأول من الإكليل (عميكرب) في موضع (معديكرب) و (واسا) في موضع (أوس)^٥ .

١ الإكليل (١٣٣/١)

٢ مروج (٢٧٨/١) ، وجعل بعض النسابين لحمير تسعة اولاد ، هم : الهميص ، ومالك ، وزيد ، وعريب ، ووائل ، ومشروح (مسروح) ومعديكرب ، وأوس ، ومرة ، وجعلهم بعض آخر أكثر عدداً ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٤٠٦) ابن خلدون (٢٤٢/٢) .

٣ تاج العروس (١٥٨/٣) ، « زرعة ، هو حمير الأصغر » ، الاشتقاق (ص ٢١٧ ، ٣٠٦) ، اللسان (١٤٧/٣) ، تاج العروس (٧٣/٢) .

٤ الإكليل (١٢٩/١) ، مروج (٢٧٨/١) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٤٠٦) ، ابن خلدون (٢٤٢/٢) .

٥ الإكليل (١٣٣)

وولد مالك بن حير ، قضاة بن مالك بن حير ، جد قبائل قضاة في زعم من يجعل قبائل قضاة من اليمن . أما نسابو العدنانيين ، فيدخلونها في عدنان ، ولا يوافقون على إلحاق نسبها باليمن ، ويرون ان ذلك وقع متأخراً لدوافع سياسية وعصبية . وجعل (الهمداني) لقضاة أولاداً هم : الحاف ، والحاذي ، ووديعة ، وعبادة^١ . أما صاحب (الاشتقاق) ، فقد اكتفى بذكر ولدين هما : الحاف والحاذي ، ثم قال : ومنها تفرعت قضاة^٢ .

وولد الحاف بن قضاة على رأي (الهمداني) هم : عمران بن الحاف ، وعمر بن الحاف ، وأسلم بن الحاف ، وعمرأيند بن الحاف ، وزيد بن الحاف ، وعبيد بن الحاف ، وعشم بن الحاف ، وسقام بن الحاف ، وليلى بنت الحاف ، وسلمان بن الحاف على ما ورد في سجل خولان^٣ .

فولد عمران بن الحاف ، حلوان بن عمران بن الحاف ، وتزيد بن عمران ابن الحاف ، وسليح بن عمران بن الحاف^٤ . فولد حلوان بن عمران تغلب الغلباء، وربآن وهو علاف^٥ . وقد عدهم (ابن حبيب) من (قبائل الحُمسِي من العرب)^٦ . وقد جعل بعض النسابين (سليحاً) ابناً لعمر بن الحاف ابن قضاة^٧ . وذكر بعضهم ان اسم سليح هو (عمرو) . ونسبوا الى حلوان أبناء آخرين ، هم : مزاح ، وعابد ، وعائد ، وتزيد . وقد دخل بعض هذه القبائل في قبائل أخرى ، فدخلت (عابد) و (عائد) في غسان ، ودخلت تزيد في تنوخ .

وولد تغلب وبرة ، فولد وبرة كلباً والنمر والأسد والدبب والثعلب والفهد والضبع والدب والسيد والسرطان والبرك وتغلب والحشد وعيساً وضنة . فولد الأسد بن وبرة تيم الله فهماً^٨ وقهماً^٩ في همدان ، وهو تنوخ ، وقد دخل في

١ الاكليل (١٦٦/١ ، ١٨٠) .

٢ الاشتقاق (ص ١٣٣) .

٣ الاكليل (١٨٠/١ وما بعدها) .

٤ الاكليل (١٨١/١ وما بعدها) .

٥ الاكليل (١٨٠/١) .

٦ المحبر (١٧٦) .

٧ المحبر (ص ٢٥٠) .

٨ بالفاء

٩ بالقاف .

تنوخ المتخين ، وهم : جرم ، ونهد ، والأزد ، وإياد ، وشيع الله بن أسد.
فأولد شيع الله جسراً ، فولد الجسر القسين بن جسر . وولد تغلب بن وبرة
عامراً ، وهو طابحة ، وولد النمر بن وبرة التيم وخشينا وفتية بن النمرا .

وولد (ربان) جرماً ، وعوقاً ، وأولد أسلم بن الحاف سوداً وحوتكة
أبي أسلم . فولد سود ليثاً ، فولد ليث زيداً ، فولد زيد نهداً، وسعداً وجهينة .
فولد سعد — ويعرف بسعد هذيم — عذرة والحارث وصعباً ومعاوية ووائل بطون
كلها . وولد عمرو بن الحاف^٢ بهراء وبلياً وحيدان وخولان ولوذة . وخولان
تقول : لوذ. فأولد لوذ (هوذة) . وولد حيدان بن عمرو ، مهرة ، ومجيداً ،
وتزيد الذين تنسب اليهم (الثياب التزيدية)^٣ .

وأولد مهرة بن حيدان : اضطمرى بن مهرة ، فولد اضطمرى ثلاثة نفر :
الأمري ، ويقال آمري ، ونادغم ، والدين ، فولد الأمري : القمر ، والقرا ،
والمصلا ، والمسكا . ومن قبائل القمر : بنو ريام ، وبلدهم قرية يقال لها رضاع
على ساحل بحر عُمان . ولهم جبل حصين بناحية عمان يتمتعون فيه يعرف بجبل
بني ريام ، وبنو خنزريت ، وبنو تبرح . ومن قبائل الدليل حسريت ، فأولد
حسريت : الشوجم ، ويحجن ، وأولد يحجن : كرشان ، والثعين ، فمن الثعين
بنو تيلة بن شاسة^٤ .

ويختلف ما في (سجل خولان وحبر بصعدة) عن نسب مهرة بعض الاختلاف
في رواية (أبي راشد) المتقدمة التي ذكرها الهمداني . ففي السجل المذكور :
أولد مهرة : الأمري ، والدين ، ونادغم وبيدع بطن . فولد الأمري : اضطمرى
ومهرى . فولد اضطمرى : القمر ، وبرح . فولد يبرح : القرا ، وبني رثام .
وولد مهرى : المذاذ والمسكا ، والمصلا . فولد المصلا ، المزافر . وولد الدين :
الوجد ، والغيث ، فمن الغيث : بنو باغت ، وبنو داهر . وولد نادغم : العيد

١ الاكليل (١٨٢/١) وما بعدها .

٢ في الاكليل (١٨٨/١) ، « وولد عمر بن الحاف بهرا » ، والصحيح « عمرو »
والخطأ ، هو خطأ مطبعي ، اردت التنبيه عليه لاصلاحه .

٣ الثياب التزيدية ، هي التي بها خطوط حمر ، الاكليل (١٨٩/١) ، « التزيديات »
« برود بني تزيد » ، معاهد التنصيص (ص ٨٥ ، ٢٥٧) ، الاكليل (١٨٩/١) وما
بعدها ، شمس العلوم (١ ، ١ ق ، ١ ، ص ١٩٦)

٤ الاكليل (١٩٢/١) وما بعدها .

وحسريت ، والعقار . فولد حسريت : الشوجم ، ويحن ، فولد يحن : الثعين ،
والثغراء ، والكشاشان . وقال بعض الحضارمة : من نادغم : بنو حديد ،
وبنو بخ^١ .

وأولد مجيد بن عمرو بن حيدان بن عمرو ويحنأ ، وحيأ ، وحيبأ ، وعندلأ^٢
ووداعة ، والأقارع^٣ .

فأولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة سبعة نفر : حي^٤ بن خولان
وهو الأكبر من ولده ، وسعد بن خولان ، وهو الذي ملك بصرواح ، ورشوان
ابن خولان ، وهانيء بن خولان ، ورازح بن خولان ، والأزمع بن خولان ،
وصُحار بن خولان^٥ . ويضيف بعض النسابة اليهم أولاداً آخرين ، وجعلهم
بعضهم ثلاثة عشر ابنأ^٦ .

وأولد حي^٧ بن خولان : عدي بن حي^٨ ، وزيد بن حي^٩ ، وشعب بن حي^{١٠} ،
ومرثد بن حي^{١١} ، وغنم بن حي^{١٢} ، والمقدام بن حي^{١٣} ، ونوف بن حي^{١٤} . وتجذ
بعض الاختلاف في هذه الأسماء ، بحسب اختلاف روايات النسابة^{١٥} .
ومن ولد حي^{١٦} بن خولان (جيهم) ، وهو الذي قال فيه امرؤ القيس :

فن يأمن الأيام من بعد جيهم فعلى به كما فعلى بحزفرا

وقد زعم أهل الأخبار أن (جيهمأ) المذكور كان ملكاً من ملوك حمير^{١٧} .
وأولد سعد بن خولان : ربيعة بن سعد ، وسعد بن سعد ، وعمرو بن سعد^{١٨} .
فأولد ربيعة : حجر بن ربيعة ، وسعد بن ربيعة ، وكامل بن ربيعة ، وفروذ
ابن ربيعة ، ويغنم بن ربيعة ، ورشوان الأضر بن ربيعة ، وداهكة بن ربيعة
في بعض الروايات^{١٩} .

-
- ١ الاكليل (١٩٣/١) وما بعدها .
 - ٢ الاكليل (١٩٨/١) .
 - ٣ الاكليل (٢٠١/١) وما بعدها ، (٣٤٨) .
 - ٤ الاكليل (٢٠٣/١) .
 - ٥ الاكليل (٢٠٥/١) وما بعدها .
 - ٦ الاكليل (٣٤٨/١) .
 - ٧ شمس العلوم (ح ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٨) .
 - ٨ الاكليل (٢١٧/١) ، (٣٤٨) .
 - ٩ الاكليل (٢١٨/١) .

وأولد سعد بن سعد بن خولان : الحارث بن سعد ، وحرب بن سعد ، وغالب بن سعد ، وسهمك بن سعد ، وقثم بن سعد^١ . وأولد غالب بن سعد ابن سعد بن خولان : يعلى بن غالب ، فأولد يعلى بن غالب : جبراً ، ومعيشاً ، وشبلاً ، ثلاثة أبطن^٢ .

وولد هانيء بن خولان : هلالاً ، وعلياً . فولد هلال شرحبيل وجابراً ، فولد شرحبيل هلالاً ، فولد هلال شرحبيل الأصغر ، وجابراً . وأولد شرحبيل الأصغر (جماعة) ، وهي قبيلة عزيزة . وهم أهل بوصان من أرض خولان . وجعل بعض النسابين ولد هانيء خمسة نفر : هلالاً ، ويعلى ، وعلياً ، وسعداً ، وجامعاً^٣ .

وأولد بن خولان مرتداً ، وعويضاً ، ورائماً ، ويعلى ، ويغماً ، وبزياً ، بطون كلها . وذكر بعضهم قائمة تختلف عن هذه في أسماء هؤلاء الأولاد^٤ . وأولد رشوان بن خولان : لاحقاً ، ومخلفاً ، وخليفة ، وسعداً ، ومنبراً ، وحرباً ، وخولياً . وهناك رواية أخرى تختلف عن هذه في ذكر الأسماء^٥ . وولد الأزمع بن خولان ثابتاً ، والأجبول ، وأخيل ، ومخيلاً ، والأسوق ، والجعل ، ومران^٦ . وجعل بعض الأخباريين عدة ولده عشرة ، هم : مران ، والكرب ، والأسوق ، وحفنى ، وعبد الله ، ويعلى ، وثابت ، وعمرو ، وعمر ، والناسك^٧ .

وأولد صحرار بن خولان ستة نفر : عامراً ، وبشراً ، وطارقاً ، وعلقمة ، وشبلاً ، وحاذراً . وكل هذه بطون كبار^٨ .

هذا واننا لنجد اختلافاً بين النسابين في تثبيت هذه الأنساب ، مما يدل على ان أهل النسب مع دعواهم بحفظ النسب ووجود مشجرات للأنساب عندهم ،

١ الافليل (٢٩٨/١) .

٢ الاكليل (٣١٤/١) .

٣ الاكليل (٣٢١/١) وما بعدها ، ٣٤٨ .

٤ الاكليل (٣٢٣/١) وما بعدها ، ٣٤٨ .

٥ الاكليل (٣٢٤/١) ، ٣٤٨ .

٦ الاكليل (٣٢٥ / ١) .

٧ الاكليل (٣٤٨/١) .

٨ الاكليل (٣٢٦/١) .

كانوا يختلفون فيما بينهم في النسب ، حتى اننا نستطيع أن نقول ان سجل خولان وحمير الذي بصعدة ، لم يكن يتفق مع الروايات الأخرى الواردة في النسب ، ويتجلى ذلك في الروايات المتناقضة التي نراها في الإكليل وفي غيره من كتب الأنساب ، ويظهر ان نسابي أهل اليمن، كانوا يعتمدون على علمائهم في النسب، وعلى ما كان مدوناً عندهم منه ، ولهذا تجدهم يختلفون في كثير من أنساب أهل اليمن عن النسابين الشماليين الساكنين في العراق أو في بلاد الشام .

وجعل (الهمداني) ولد (مالك بن حمير) على هذا النحو: (زيد بن مالك)، و (زهران بن مالك) ، وهم حيّ عظيم ، ولهم كانت اليمامة ، و (هوازن الأولى بن مالك) و (الغمر بن مالك) و (الأخطور بن مالك) ، وقيل (هزان الأولى بن مالك) . وقد ولد زيد بن مالك (مرة بن زيد) ، فولد مرة بن زيد عمرو بن مرة ، فولد عمرو بن مرة مالك بن عمرو ، فولد مالك بن عمرو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير^١ .

وولد عامر بن حمير دهمان ، وولد دهمان (يحصب) كلها ، وولد سعد ابن حمير السلف وأسلم ، وولد عمرو بن حمير الحارث ، وولد (الحارث) (آل ذي رعين)^٢ .

ويذكر ابن (قتيبة) ان الذي حكم بعد (حمير) هو أخوه (كهلان) ، وكان ملكه ثلاثمئة سنة ، أي أنه أضعاف أضعاف مدة حكم أخيه حمير . وإذا كانت هذه هي مدة حكمه ، فلا بد أن يكون عمره يوم مات أكثر من ذلك بالطبع^٣ . وقد ولد (كهلان) زيدا ، وولد (زيد) مالكا ، وأددا ، فولد أدد طيئا وهو جلهمة ، و (الأشعر) وهو (نبت) ، و (مالكا) ، وهو (مذجع) ، و (مرة)^٤ .

ومن طيء (بنو فطرة) ، و (الغوث) ، و (الحارث) . ومن (فطرة) : (سعد) ، ومنهم : (الأسعد) ، و (خارجة) ، و (تيم الله) . ومن

١ الإكليل (١٣٦/١) .

٢ المعارف (ص ٤٧) .

٣ المعارف (ص ٤٧) .

٤ المبرد ، نسب عدنان (ص ١٨) ، وفي المعارف : « طيء بن ادد ومالك بن زيد » (٣٥) ، وفي الاشتقاق : هما ابنا « زيد بن كهلان » ، (٢٢٨) .

(خارجة) ، (جديلة) ، ومن (جديلة) : (بنو رومان) ، ومنهم (ذهل) ،
و (ثعلبة) ومن (ذُهل) : ثعلبة ، و (جدعاء) ، ومن (جدعاء) : ثعلبة ،
ومن ثعلبة : تيم^١ .

ومن الغوث بن طيء : عمرو ، ومن عمرو : أشنع ، وثعل ، وبولان ،
وهنيء ، ونهبان ، وجرم^٢ . ومن (ثعل) : معاوية ، وسلامان ، وجرول .
ومن معاوية : سنيس . ومن سلامان : بختر ، ومعن . ومن جرول : ربيعة ،
ولوذان . ومن ربيعة : أخزم^٣ .

ومن ولد (مالك بن أدد) المعروف بمذحج : سعد العشيرة ، وعنس ،
وجلد ، ومراد ، وهو مجابر^٤ . ومن سعد العشيرة : جزء ، وزيد الله ، والحكم ،
وأوس الله ، وصعب ، وجعفي . ومن جزء : الحمد والعدل . ومن الحكم :
جشم ، وسلمهم . ومن صعب : زبيد ، وأود . ومن جعفي : مرّان وحريم^٥ .
ومن جلد : عُلّة . ومن عُلّة : حرب ، وعمرو ، . ومن حرب : يزيد
ابن حرب ، ومنبّه بن حرب . ومن منبّه : رهاء ، ومن يزيد المعروف بصداء :
الحارث ، والغلي ، وسيحان ، وشمران ، وهفّان ، ومنبه ، هؤلاء الستة يقال
لهم : جَنَب^٦ .

ومن (عمرو بن عُلّة) : عامر ، وكعب ، والنخع ، وهو جسر^٧ .
ومن عامر : مُسلية . ومن كعب : الحارث . ومن الحارث : معقل ، والحماس ،

١ نسب عدنان (ص ١٩) ، الاشتقاق (٢٣٣) ، الاغاني (١٦ / ٩٣) ، سبائك
الذهب (٥٦) .

٢ نسب عدنان (١٩)

٣ نسب عدنان (١٩) ، سبائك الذهب (٥٦) ، الاغاني (١٦ / ٩٣) ، الاشتقاق
(٢٢٣) ، شمس العلوم (ح ١ ق ١ ، ص ٢٥٠)

٤ نسب عدنان (١٩) .

٥ نسب عدنان (١٩) .

٦ وفيها يقول لبيد :

ولقد بليت يوم النخيل وقبله
مران من ايامنا وحريم

نسب عدنان (١٩) .

٧ ويختلف النسابون في هذه الانساب ، نسب عدنان (٢٠) .

٨ نسب عدنان (١٩) ، « فمن بنى علة : النخع ، قبيلة ، واخوه جسر » ،
الاشتقاق (٢٣٧ / ٢) .

وعبد المدان . ومن النخع : عوف ، ومالك^١ . ومن النخع : صلاة ، ورزام .
ومنهم الحماس ، والحارث ، وكعب ، وهو الأرت^٢ :

ومن مراد وهو يحابر : زاهر ، وناجية . ومن ناجية : غطيف ، وقرن ،
وبنور دمان . ومنهم من جعل قرناً ابناً لردمان . ومن زاهر : الربض ، وبنو
زوف ، والصنابح^٣ .

ومن الأشعر : الجاهر، والأثغم ، والأدغم ، والأرغم، وجدة ، وعبد شمس،
وعبد الثرياء^٤ .

ومن ولد (أدد) : (مرة) . وولد (مرة) : (الحارث) . وولد
(الحارث) : (عدياً) ، و (مالكاً) . وولد (عدي) : (جذاماً) ، واسمه
عمرو ، ومنهم بنو حرام ، وبنو حشم^٥ ، و (لحماً) ، وهو (لحم بن عدي) .
ومنهم : (بنو جزيلة) ، و (بنو نمارة)^٦ ، و (عفيراً) . ومنهم (ثور
ابن عفير بن عدي) ، وهو (كندة) . و (الحارث) ، وهو (الحارث بن
عدي) . وهو (عاملة)^٧ .

وقد هجا (الكميت) جذاماً لأنها تحولت الى اليمن ، وهي معروفة بأنها من
(بني أسد بن خزيمه)^٨ . وهذا مما يدل على ان جذاماً كانت قد اختلطت نسبها
بسبب اختلاطها بالقبائل المتجمعة، وان نسبها اختلط لذلك بالقحطانيين وبالعدنانيين .
ومن كندة : (بنو معاوية) و (أشرس) . ومن (بني معاوية) :
(الحارث)^٩ ، ومنهم (الرائش)^{١٠} . ومن (أشرس) : (السكون)^{١١} ،

-
- ١ الاشتقاق (٢٣٧/٢) .
 - ٢ الاشتقاق (٢٣٧/٢) .
 - ٣ الاشتقاق (٢٤٧/٢) وما بعدها .
 - ٤ الاشتقاق (٢٤٨/٢) .
 - ٥ الاشتقاق (٢٢٥/٢) .
 - ٦ الاشتقاق (٢٢٥/٢) وما بعدها .
 - ٧ نسب عدنان (ص ٢٠) .
 - ٨ المعاني الكبير (٥٢٤/١) وما بعدها .
 - ٩ نسب عدنان (ص ٢٠) ، نهاية الأرب (٣٤١/١٣) ، وفيهم يقول الاعشى :
وان معاويه الاكرمين
نسب عدنان (ص ٢١) .
 - ١٠ نسب عدنان (٢١) ، المعارف (١٥٠) ، الاشتقاق (٢١٨)
 - ١١ نسب عدنان (٢١) ، الاشتقاق (٢٢١) .

و (السكاسك) ، و (بنو حجر)^١ ، و (بنو الجون) ، و (بنو الحارث) ، وأولاده ، وقبائل أخرى^٢ .

ومن (بني حرام) : (غطفان) ، و (أفصى) . ومن (جزيلة) : راشدة ، وحُدس ، ومن نمارة : الدار ، وبنو نصر .

أما (مالك بن الحارث بن مرة بن أدد) ، فولد : (عمراً) ، و (يعفر) : ومن (عمرو) خولان وهو فكل^٣ ، ومن يعفر ولده : المعافر^٤ .

وولد (خيار بن مالك) ربيعة ، وولد (ربيعة) أوسلة ، وهو : همدان^٥ ، وألهان . وولد همدان نوفاً وخيران ، فمنهم بنو حاشد وبنو بكيل . منهم تفرقت همدان ، وعريب^٦ . ومن بطون همدان : السبيع ، ووادة^٧ .

وأما (خارجة) فمنهم جديلة ، وهي من طيء^٨ . وأما عمرو بن سعد ، فهو أبو خولان بن عمرو^٩ . وولد (مراد بن مذحج) : أنعم بن مراد ، ويحابر ، وكان لهم يغوث بجرش . وولد خالد بن مذحج : علة بن خالد . فولد علة عمراً . فولد عمرو : جسراً وكعباً . ومن كعب (بنو النصار) ، و (بنو الحماص) ، و (بنو قنان)^{١٠} .

وأما (سيدعان) ، فمنهم سلامان^{١١} . وأما (زهران) ، فمنهم (دوس ابن عدنان) ، ومنهم جديلة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وجهضم ابن مالك رهط الجهاضم^{١٢} . وسليمة بن مالك ، وبنو هناة ، ومعن بن مالك .

-
- ١ نسب عدنان (٢١) .
 - ٢ نسب عدنان (٢١) .
 - ٣ الاشتقاق (٢٢٧/٢) .
 - ٤ الاشتقاق (٢٢٧/٢) .
 - ٥ المعارف (٤٨) ، نسب عدنان (٢٠) ، « ولد مالك بن زيد بن كهلان : الخيار ، فولد الخيار أوسلة ، وهو همدان ، وألهان » ، الاشتقاق (٢٥٠/٢)
 - ٦ الاشتقاق (٢٥٠/٢)
 - ٧ الاشتقاق (٢٥٣/٢) ، العقد الفريد (٢٤٦/٢) ، نسب عدنان (٢١) .
 - ٨ طيء بن أدد ، واسمه جلهمة ، الاشتقاق (٢٢٨) .
 - ٩ خولان واسمه فكل بن عمرو . . . ولد يعفر المعافر باليمن ، تنسب إليهم الثياب المعافرية ، الاشتقاق (٢٢٧ وما بعدها) .
 - ١٠ المعارف (٤٨) .
 - ١١ المعارف (٤٩) ، الاشتقاق (٢٨٧) .
 - ١٢ بنو جهضم بن جديلة الأبرش بن مالك ، الاشتقاق (٢٩٢)

ومنهم بطن يقال له محمد ، والقراهيد . ومن زهران بنو يشكر والجدرة^١ .
وأما نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، فقد أولد (الغوث) . ومن (الغوث)
عمرو والأزد . ومن (عمرو) : أراش ، ومن أراش : أنمار ، ومن أنمار :
خثعم ، وبجيلة ، وعبقرة^٢ . ومن بجيلة : بنو قسر . ومن بطونهم : بنو نذير ،
وبنو أفرك ، وعرينة^٣ . ومن (خثعم) : شهران ناهس ، وشهران ، ويقال
لها بنو عفرس^٤ .

وأما الأزد ، فن ولده : مازن ، وعمرو ، ودوس ، ونصر ، ومالك ،
وقدار ، والهنو ، وميدعان ، وزهران ، وعامر ، وعبدالله ، وغيرهم . وأما
مازن فمنهم : ثعلبة ، ومنهم عامر ، وامرؤ القيس ، وكُرز . ومن امرئ القيس :
حارثة الغطريف . ومنهم عدي ، وعامر ماء السماء ، والتوأم ، ومن عامر ماء
السماء ثعلبة العنقاء ، ومالك ، والحارث ، وجفنة ، وكعب ، وهسم غسان .
نزلوا على ماء يسمى غسان فنسبوا إليه . ومن ثعلبة العنقاء حارثة ، ومنهم الأوس
والخزرج^٥ .

وقد عرف (الأوس) و (الخزرج) بابني قبيلة^٦ ، وذكر أنهم لم يؤدوا
إتاوة قط في الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكتب إليهم تبع يدعوهم إلى طاعته .
فغزاهم ، (تبع أبو كرب) ؛ فكانوا يقاتلونه نهاراً ، ويخرجون إليه العشاء
ليلاً ، فلما طال مكوثه ، ورأى كرمهم ، رحل عنهم^٧ .

ومن (نصر بن الأزد) : (حمار بن نصر بن الأزد) . قالوا : وكان
له بنون فأتوا ، فحلف لأمتين من أحيا من أهل الجوف ، فقتل ثمود ، فقتل :
أخلى من جوف حمار^٨ .

-
- ١ المعارف (٤٩)
 - ٢ الاشتقاق (٣٠٢/٢)
 - ٣ الاشتقاق (٣٠٢/٢)
 - ٤ الاشتقاق (٣٠٤/٢) .
 - ٥ شمس العلوم (ح ١ ، ق ٢ ، ص ٣٤٢) ، نسب عدنان (٢١) ، الاشتقاق (٢٨٧ ، ٢٥٨) ، المعارف (٤٩) .
 - ٦ العقد الفريد (١٩٢/١) وما بعدها .
 - ٧ العقد الفريد (١٩٢/١) وما بعدها .
 - ٨ شمس العلوم (ح ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٢) وما بعدها .

العرب المستعربة :

والطبقة الثالثة من طبقات العرب - على رأي أهل الأخبار - هم (العرب المستعربة) (المتعربة) ، ويقال لهم العدنانيون أو التزاريون أو المعديون . وهم من صلب (إسماعيل بن إبراهيم) وامراته (رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي)^١ . قيل لهم (العرب المستعربة) ، لأنهم انضموا الى العرب العاربة ، وأخذوا العربية منهم . ومنهم تعلم (إسماعيل) الجسد الأكبر للعرب المستعربة العربية ، فصار نسلهم من ثم من العرب واندجوا فيهم . وموطنهم الأول مكة على ما يستنبط من كلام الأخباريين ، فيها تعلم (إسماعيل) العربية ، وفيها ولد أولاده ، فهي إذن المهد الأول للإسماعيليين^٢ .

ويذكر أهل الأخبار أن (إسماعيل) ولد من زوجه (رعدة) ، اثني عشر رجلاً هم : (نابت) وكان أكبرهم ، و (قيذر) و (أذبل) ، و (ميسا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيا ، ويطور ، ونبس ، وقيلدا^٣ . وأكثر هذه الأسماء وروداً في الكتب العربية ، نابت ، وقيذر . وقد أخذ النسابة هذه الأسماء من التوراة ، فقد جاء فيها : (هذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم ، على حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل ، وقيدار ، وأدبيل ، ومبسام ، ومشاع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتبا ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه^٤) . ولم تذكر التوراة اسم المرأة التي تزوجها إسماعيل ، فأولدها هؤلاء الأولاد الذين انتشروا ، فسكنوا في منطقة تمتد من (حويلة) الى (شور)^٥ .

وعدنانيون في نظر العدنانيين هو جدّهم الأعلى ، كما أن قحطان هو الجد الأعلى للقحطانيين^٦ . ولما كانت الطبقة الأولى من العرب قد بادت وذابت ، تكون

- ١ ابن هشام (٣/١) ، السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، ابن خلدون (٣٧/٢) ، الطبري (١٦١/١) ، ابن الأثير (٤٩/١) ، الطبقات - ١ ، ص ٢٥ تاج العروس (٣٧٥/١) ، ونابت بن إسماعيل عليه السلام ، ولي بعد أبيه ، أمه السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، تاج العروس (٥٩٠/١)
- ٢ المصادر المذكورة ، نهاية الأرب (٣٩٢/٢) ، طبقات ، لابن سلام (ص ٤)
- ٣ ابن هشام (٣/١) ، ابن خلدون (٣٩/٢) ، الطبري (١٦١/١) ، ابن الأثير الكامل (٤٩/١) ، مع اختلاف في ضبط الأسماء .
- ٤ التكوين ، الأصحاح ٢٥ ، الآية ١٢ فما بعدها .
- ٥ التكوين ، الأصحاح ٢٥ ، الآية ١٨
- ٦ تاج العروس (٢٧٥/٩)

العرب الباقية وكلها من ولد قحطان وعدنان ، استوعبت شعوب العرب كلها .
وقد رأينا أن (قحطان) هو (يقطن) أو (يقطان) في التوراة . أما
(عدنان) ، فلا نجد له اسماً فيها ، وقد رأينا أن بين (يقطان) و (سام) ثلاثة
آباء أو أربعة . أما بين عدنان وسام ، فعدد كبير من الآباء .

وقد اختلف النسّابون في عدد من كان بين إسماعيل وعدنان من الآباء، فرأى
بعضهم أنهم أربعون ، وروى غيرهم أنهم عشرون ، وقال آخرون أنهم خمسة
عشر شخصاً^١ ، وقالت جماعة ان المدة طويلة بين عدنان وإسماعيل بحيث يستحيل
في العادة أن يكون بينها هذا العدد من الآباء^٢ .

وقد اختلف الأخباريون وأصحاب الأنساب في نسب عدنان اختلافاً كبيراً ،
واختلفوا بينهم حتى في كيفية النطق بتلك الأسماء، على حين اننا لا نرى اختلافاً
بينهم في نسب قحطان ، ولا في كيفية النطق بتلك الأسماء^٣ . وقد علل محمد
ابن سعد الواقدي ذلك بقوله : « وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب
من مسلمة بني إسرائيل قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمهم ، فذكر ان بورخ
ابن ناريا ، كاتب أرميا أثبت نسب معد بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ،
وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب وعلمائهم ، مثبت في أسفارهم، وهو مقارب
لهذه الأسماء . ولعل خلاف ما بينهم من قبيل اللغة ، لأن هذه الأسماء ترجمت
من العبرانية »^٤ .

ويقول الواقدي في موضع آخر : « وهذا الاختلاف في نسبه يدل على انه

١ النويري ، نهاية (٣٢٤/٢) ، ابن عبد البر ، القصد (٢٢)

٢ الطبري (١٩١/٢) ، ابن هشام (٣/١) فما بعدها ، مروج (٣٩٤/١) طبقات
ابن سعد (١ ، ١ ، ص ٢٨ فما بعدها) ، ابن خلدون (٢٩٨/٢) نسب عدنان
(٢) ، صبح الاعشى (٣٠٧/١) ، نسب قريش ، لابي عبد الله المصعب بن
عبد الله بن المصعب الزبيري (تحقيق ليفي بروفنسال ، (ص ٣ فما بعدها) .

Enc., Vol., I, P., 142, Wuestenfeld, Register zu den General.

Tabellen der Arab. Stamme, S., 47, Caussin de Perceval, Hissai, I, 8, 175, J.D.
Bate, An Examination of the claims of Ischmael, 1884, P., 109, Sprenger, Life
of Mohammad, 57, Note 3, and 4, Mills, History of Mohammadanism, 7, Pocock,
Specimen, 40.

٣ نهاية العرب (٣٠٦/٢)

٤ الطبقات (١ ، ١ ، ص ٢٩)

لم يحفظ ، وإنما أخذ من أهل الكتاب ، وترجموه لهم ، فاختلفوا فيه . ولو صح ذلك ، لكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعلم الناس به . فالأمر عندنا على الانتهاء الى معد بن عدنان ، ثم الإمساك عما وراء ذلك الى اسماعيل ابن ابراهيم ^١ ، وقال أيضاً : « ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت » ^٢ .

ونقل ابن خلدون رأي من تقدمه في هذا الاختلاف ، فقال : « ونقل القرطبي عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيدار نحواً من أربعين أباً ، وقال : « سمعت رجلاً من أهل تدمر من مسلمة يهود ومن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان الى اسماعيل من كتاب أرمياء النبي ، عليه السلام ، وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء الا قليلاً » ، ولعل الخلاف انما جاء من قبل اللغة ، لأن الأسماء ترجمت من العبرانية » ^٣ .

ويرجع بعض أهل الأخبار اختلاف الناس في عدد الآباء والأجداد فيما بين عدنان واسماعيل الى أيام النبي ، فهم يذكرون ان الناس كانوا في خلاف فيما بينهم في عددهم ، وان الرسول لما رأى خلافهم هذا ، نهاهم عن تجاوز نسب (معد بن عدنان) ، وأمرهم بالتوقف عنده . وانتسب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الى عدنان ، وقال : « كذب النسابون ، فما بعد عدنان ، فهي أسماء سريانية لا يوضحها الاشتقاق » ^٤ .

وقد جعل بعض الأخباريين اسم والد (عدنان) (أدَدَا) ، وساقوا نسبه على هذا الشكل : (عدنان بن أدَد بن يري بن أعراق الثرى) ^٥ ، وساقه آخرون على هذا الوجه : (عدنان بن أدَد بن الهميسع بن سلامان بن عوص ابن يوز بن قوال بن أبي بن العوام بن ناشد بن بلداس بن تدلاف بن طابخ ابن جاحم بن ناحس بن ماخي بن عيقي بن عبيد بن الدعا ...) الى آخر ذلك

١ الطبقات (١٠ ، ١ ق ، ص ٢٩)

٢ الطبقات (١٠ ، ١ ق ، ص ٣٠) .

٣ ابن خلدون (٢ / ٢٩٨) ، ابن سلام ، طبقات (١١) ، ابن حزم ، جمهرة (٦) .

٤ الاشتقاق (٢٠) ، ابن خلدون (٣ / ١) ، البلاذري ، انساب (١٢ / ١) .

٥ الطبقات (١٠ ، ١ ق ، ص ٢٨) .

من سلسلة مفتعلة ولا شك ، رواها (ابن الكلبي)^١ . وقد سبق النسب على هذه الصورة أيضاً : (عدنان بن أد بن الميسع)^٢ . وروي بصور أخرى في كتاب نسب قريش (للزبيري)^٣ .

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن (أد) أو (أدد) ، ولا عن كيفية توصلهم الى أحدهما ، أو كليهما . وقد زعم بعض علماء اللغة ان (أد) من (أدّ) ، والكلمة فعل من المودة ، (قلبت الواو ألفاً لانضمامها)^٤ .

وذكر الأخباريون أن (وُدّآ) ، وهو الصنم الشهير الذي تغلب على دومة الجندل وتعبدت له (كلب) و (قريش) وقبائل أخرى عديدة ، كان يهزم أيضاً ، فيقال (أدّ) ، وبه سمي (عبد وُدّآ) ، كما سمي (أدّ بن طابخة) ، و (أدد جد معدّ بن عدنان)^٥ .

ونجد بين آلهة الشعوب السامية اسم صنم يقال له : (أدد) (Adad) و (أدو) (Addu)^٦ ، أرى أن لاسم هذا الصنم علاقة باسم (أدد) .

وقد ساق (محمد بن إسحاق) نسب عدنان على هذه الصورة أيضاً : (عدنان ابن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل)^٧ ، فجمع بين نسب (عدنان) ونسب (يعرب) ، ورجعها كما ترى الى (إسماعيل) ، وساقه في مكان آخر بصورة أخرى .

والغريب أن الرواة الذين رووا هذه الأنساب وشجرات النسب التي يتصل سند روايتها بهم ، كابن الكلبي ومحمد بن إسحاق وأمثالها ، هم أنفسهم يروون هذا النسب بأشكال مختلفة ومتضاربة ، وطالما حرفوا الأسماء العبرانية ، ورووها بصور متعددة ، وقد يحشون بينها أسماء عربية . وقد روى رواياتهم هذه أناس متعددون ، ولكنهم متفقون على أنهم سمعوها منهم ، أو نقلوها من مؤلفاتهم ،

١ الموارد المتقدمة وتاج العروس (٢٧٥/٩) .

٢ تاج العروس (٢٧٥/٩)

٣ نسب قريش (ص ٣ فما بعدها) .

٤ اللسان (٤٩٦/٤) .

٥ اللسان (٤٩٦/٤) .

٦ Schrader, KAT, S., 443. ff.

٧ الطبقات (ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٨) .

كما يتبين ذلك من السند . ولما كان أكثر هذه الأسماء الواردة في عمود نسب (عدنان) محرفة ، وكانت غير موجودة في التوراة ، وإنما هي أسماء عبرانية مسوخة أحياناً ، فإنّ هذا يدل على أن الرواة اليهود الذين كانوا يتحدثون بمثل هذه الأمور إلى ابن الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما ممن مال إلى الأخذ منهم ، كانوا إما جهلة بما يتحدثون به ، وإما كذابين أو ممن كانوا يحاولون التقرب إلى المسلمين بهذه التلفيقات لمآرب خاصة ، أو ادعاءً للعلم . غير أننا لا نستطيع أن نرى هؤلاء الرواة أنفسهم من وصمة الجهل أو الكذب ، ولا سيما ابن الكلبي الذي تفرد برواية معظم هذه الأخبار . الجائز أنه كان يلجأ إلى أهل الكتاب ليأخذ منهم ما عندهم ، ومن الجائز أنه كان يضيف إليها ، أو يخترع من عنده ، ليتحدث به إلى الناس . وإلا فإن من الصعب صدور هذا الخلط من رجل ثقة يعني ما يقول .

وقد استغل نفر من أهل الكتاب مثل اليهودي التدمري المذكور ، الذي أسلم كما يقول الرواة ، هذا الجشع الذي ظهر بين أهل الأخبار في البحث عن الأنساب القديمة ، أنساب أجداد العرب القدامى ، فصنعوا ما صنعوا من أسماء عليها مسحة توازنية ، قدموها اليهم على أنها مذكورة في التوراة . وقد أخذها الرواة على عادتهم من غير بحث ولا مراجعة للتوراة . وما الذي يدفعهم إلى البحث والمراجعة ، فإن كل ما يطمعون به ويريدونه هو الحصول على مادة يظهرون بها على أقرانهم من أهل الرواية والأخبار .

ولم يرد اسم (عدنان) في النصوص الجاهلية ، ولا في المؤلفات (الكلاسيكية) . أما في الشعر الجاهلي ، فقد ورد في شعر ينسب إلى (لبيد) ، وفي شعر آخر ينسب إلى (عباس بن مرداس) . « ولم يجاوز أبناء نزار في أنسابها وأشعارها عدنان . اقتصروا على معد ، ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد .. وقد يروى لعباس بن مرداس بيت في عدنان »^١ . وهذا يدل على أن (عدنان) لم يكن

١ ممن ذكر عدنان من شعراء الجاهلية ، لبيد . قال :
فان لم تجد من دون عدنان والدا
وفي ديوان « لبيد » ، تحقيق احسان عباس الكويت ١٩٦٢ م ، - باقيا - في موضع والدا (ص ٢٥٥) .
وعباس بن مرداس ، قال :
وعك بن عدنان الذين تلعبوا
وفي رواية « بغسان » ، مكان « بمذحج » ، ابن سلام ، طبقات الشعراء (ص ٥)
ابن هشام (٦/١) .

مناطق واسعة من جزيرة العرب حتى وصلوا الى العراق والشام، واختلطوا بالقبائل الأخرى ، وتفرقوا في كل مكان .

ويظهر من تلك الروايات أيضاً ، أن القبائل العدنانية ، كانت قبائل متشاحنة يحارب بعضها بعضاً ، دفعها الى تشاحنها هذا طبيعة البداوة وفقر البادية، والتقاتل على الكلاً والماء ، حتى ضرب بها المثل في التفرق والتشتت^١ .

ونجد اسم (نزار) على انه اسم قبيلة مذكوراً في نص (امرئ القيس) مع أنه ابن (معد) ، أي حفيد عدنان ، ولا نجد اسم جده في هذا النص . وهذا مما قد يبعث الظن في نفوسنا أن فكرة (عدنان) لم تظهر إلا في الجاهلية القريبة من الإسلام وفي الإسلام .

وأولد الأخباريون عدنان عدداً من الأولاد ، أشهرهم وأعرفهم في نظرهم : معد^٢ ، وعك^٣ . وقد زعم الأخباريون أن معداً عاش في أيام (بختنصر) ، وأن معداً خلص الى (حران) حينما هاجم ملك بابل أهل (حضورا) في اليمن . أما (عدنان) والده ، فلقى (بختنصر) فيمن اجتمع اليه من (حضورا) وغيرهم في (ذات عرق) ، فهزمهم (بختنصر) ، ومات (عدنان) في أيامه . فلما هلك (بختنصر) خرج (معد^٤) من (حران) الى مكة ، فوجد أخوته وعمومته قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوجوا فيهم ، فرجع بهم الى بلادهم^٥ .

ورجع (الزبيدي) أيام (معد^٦) الى أيام (موسى) إذ قال : « وكان معد بن عدنان في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، كما يعرفه من مارس علم التواريخ والأنساب » .

وقد جعل بعض أهل الأخبار أم معد^٧ بنتاً من بنات يشجب ، قالوا إن اسمها (تيمة) وإنها (تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان)^٨ . فربطوا بذلك

١ قال البجلي في تفرق بجيلة :

لقد فرقتم في كل اوب

البكري ، معجم (٥٧/١) .

٢ ابن خلدون (٢٩٩/٢) ، المعارف (ص ٢٩) ، نسب قريش (ص ٥) ابن حزم ، جمهرة (٨) ، نهاية الأرب (٣٥٢/٢) ، الطبري (٢٩/٢) .

٣ ابن خلدون (٢٩٩/٢) .

٤ الاشتقاق (ص ٢٧) .

جداً كبيراً في الجاهلية ، كما صورته أهل الأخبار والأنساب ، فلو كان جداً كبيراً ، لوجب عقلاً تردد اسمه ، وورود شيء عنه . والغريب اننا نجد اسم (معد) مذكوراً عند (بروكويوس) وفي القديم من الشعر الجاهلي ، مع انه ابن (عدنان) .

وقد وردت في الكتابات النبطية والثمودية أسماء قريبة من اسم (عدنان) ، مثل (عبد عدنون) و (عدنون)^١ . أما الكتابات الجاهلية التي عثر عليها في اليمن ، فلم يرد فيها هذا الاسم ، أو اسم آخر قريب منه .

لقد كان من السهل علينا الوقوف على المنبع الذي أمدّ أهل الأخبار بأصل كلمة (قحطان) . أما بالنسبة الى (عدنان) ، فإن من العسير علينا أن نتحدث عن المنبع الذي أمدّ أهل الأخبار باسمه . فليس في التوراة اسم يشابهه بين أسماء أبناء اسماعيل ، أو غير أبناء اسماعيل ، وليس فيها اسم ملك عربي أو سيد قبيلة عربية اسمه يشابه اسم (عدنان) . ثم اننا لا ندري كيف عثر عليه أهل الأخبار ، وكيف صيروه على الوزن الذي صيغ به اسم (قحطان) : هل ابتدعوه ابتداءً ، أو أخذوه من أفواه أناس أدركوا الجاهلية وكانوا قد وقفوا على اسمه بين أهل مكة أو بين القبائل التي تنسب الى اسماعيل ؟ وهل كان اسم قبيلة أو اسم حلف من الأحلاف ، ثم صيّر اسم رجل فيما بعد . هذه أسئلة يجب أن نعترف بأن من غير الممكن الاجابة عنها في الزمن الحاضر ، لعدم وجود مادة لدينا تساعدنا في استنباط أجوبة منها ، لذلك نترك أمرها الى المستقبل ، فلعل الأيام المقبلة تأتي بمادة جديدة ، تزيج النقاب عن هذا الجهل المطبق باسم عدنان ، وبفكرة عدنان .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان (تهامة) هي موطن العدنانيين ، ومكة من تهامة . ولكن أحوالاً قاهرة أحاطت بالقبائل العدنانية فاضطرتها الى التفرق والهجرة . وكانت (قضاة) أول من نشئت وتفرقت بسبب قتال وقع بينها وبين نزار^٢ . ثم أعقب هجرة قضاة هجرات أخرى من العدنانيين ، فانتشروا في

١ Savignac, Mission, Nos., 38, 328, Hardings, Some Thamudic Inscriptions, Leiden, 1952, G. Strenziak, Die Genealogie der Nordaraber nach Ibn Al-Kalbi, Köln, 1953, Enc., Vol., I, P., 210.

٢ الاغانى (١٥٤/١١ فما بعدها) ، ابن خلدون (٢٤٠/٢) .

نسب معدّ بنسب قحطان من جهة الأم . بل ذهب هؤلاء الى أبعد من ذلك بأن جعلوا أم (عدنان) ، بنتاً من بنات (يعرب) ، وقد قالوا لها (بلهاء)^١ . فصار (يعرب بن قحطان) بهذا الزواج ، خالاً لعدنان ولذريته العدنانيين . وجعلها بعض آخر من جدّيس أو من طسم ، وقالوا إن اسمها (مهدد بنت اللّهم) . ويقال (اللّهم بن جلعب بن جدّيس) ، وقيل ابن طسم ، وقيل ابن الطوسم ، ومن ولد يقشان بن ابراهيم^٢ . ومن بقية ولد عدنان على رأي أهل الأخبار : عدن بن عدنان ، وزعم أنه صاحب عدن ، وأبين بن عدنان ، وهو صاحب (أبين) على بعض الآراء ، وأد بن عدنان ، وقد درج ، والضحّاك ، والعيّ ، وأم جميعهم أم معد على بعض الروايات^٣ .

ونجد لمعد ذكرراً في الشعر الجاهلي ، فقد ورد في شعر (امرئ القيس)^٤ ، وفي شعر (النابغة الذبياني)^٥ ، وفي شعر (زهير بن أبي سلمى)^٦ ، وفي شعر (قيس بن الخطيم)^٧ ، وفي شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي)^٨ ،

-
- ١ الاشتقاق (ص ٢٧)
 - ٢ الطبري (٢٧/٢) القاهرة ١٩٣٩ م ، (٢٧٠/٢) « دار المعارف » .
 - ٣ الطبري (٢٧٠/٢) « دار المعارف » .
 - ٤ فابلق معدا والعباد وطينا وكندة : اني شاكر لبني ثعل
 - شرح ديوان امرئ القيس : للسندوبي (ص ١٦٠) ، Enc., Vol 3, P. 58.
 - ٥ علوت معدا نائلا ونكاية فانت لغيث الحمد اول رائد
 - ديوان النابغة ، شرح البطلبيوسي (ص ٣٤ ، ٧٨) .
 - ٦ وان الغدر قد علمت معد بناه في بني ذبيان باني
 - عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
 - ابي الشهداء عندك من معد فليس لما تدب به خفاء

- ٧ بلاد بها عزوا معدا وغيرها مشاربها عذب واعلامها ثمل
- هم خير حي في معد علمتهم لهم نائل في قومهم وفعنائل
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، للامام أبي العباس ثعلب ، طبع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٤٤ م ، (ص ١٧ ، ٨١ ، ١٠٦ ، ١٠٩) ، الزوزني ، شرح (ص ٧٩) ، « صادر » .
- ٨ ورثنا المجد قد علمت معد فلم نغلب ولم نسبق بوتـر
- شعر قيس (ص ٣٣) .
- هم فضلوا بخلات كرام معدا حيثما حلوا وساروا
- ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ م (ص ٧٢) .

وفي شعر (عمرو بن كلثوم التغلبي)^١ ، وفي شعر (عبد المسيح بن عمرو الغساني)^٢ ، وفي شعر (المثقب العبدى)^٣ ، وفي شعر (سلامة بن جندال السعدي)^٤ ، وفي شعر ينسب الى (الحاجب بن زرارة)^٥ . يقولون انه قاله يردّ فيه على (الحارث) ، وفي شعر ينسب الى الشاعر (ابن دارة) ، زعموا انه قاله في مدح (حاتم الطائي)^٦ ، وفي شعر ينسب الى (زهير بن جناد الكلبي)^٧ ، وغيرهم ، كما ورد اسم معد في شعر المخضرمين^٨ . وقد استعملت كلمة (الحي المعدي) في شعر لـ (حاجب بن زرارة)^٩ ، كما ورد (حي في معد)^{١٠} ، مما ينبىء ان معداً كانت مؤلفة من أحياء ، لا من حي واحد ، وجاء في شعر عمرو بن كلثوم : « وقد علم القبائل من معد^{١١} ، ويدل ذلك على ان معداً كانت مؤلفة من قبائل ، وانها لم تكن قبيلة واحدة . ونلاحظ أن شعراء الجاهلية القدامى كانوا يستعملون : « قد

- ١ ورثنا المجد قد علمت معد نظامن دونه حتى بيننا
معلقة عمرو بن كلثوم ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٢٥) ، « دار صادر » .
- ٢ تقسمنا القبائل من معد علانية كأسار الجزور
الاغاني (٥٨/١١) ، السجستاني ، العمرون (٣٧) .
- ٣ الفضليات (٢٩٣) ، ديوان زهير (١٠٦)
- ٤ همت معد بنا هما فنهنا عنا طعان فضر غير تعذيب
الفضليات (ص ٤٧) ، « سندوبي » .
- ٥ وقد علم الحي المعدي اننا على ذاك كنا في الخطوب الاوائل
الاغاني (١١ / ١٥٠) .
- ٦ تحن قلوصي في معد وانما تلاقي الربيع في ديار بني ثعل
العقد الفريد (٣٠٩/١)
- ٧ البلاذري ، انساب (١٩/١) .
- ٨ قال ابو ذؤيب :
فان تك انشى في معد كريمة علينا فقد اعطيت نافلة الفضل
ديوان الهذليين ، « طبعة دار الكتب المصرية » (٣٧/١) ، شرح اشعار الهذليين
للسكري (٨٨/١) .
- ٩ وقد علم الحي المعدي اننا على ذاك كنا في الخطوب الاوائل
الاغاني (١٠٠/١١) ، « دار الكتب المصرية »
- ١٠ قال زهير بن ابي سلمى :
هم خير حي في معد علمتهم لهم نائل في قومهم وفضائل
ديوان زهير بن ابي سلمى ، لثعلب (ص ١٠٦) .
- ١١ بيت ٩٤ من معلقة عمرو بن كلثوم ، Goldziher, Muh. Stud., I, S., 91.

علمت معد^١ . ويقول علماء اللغة : ان معداً « غلب عليه التذكير ، وهو مما لا يقال فيه من بني فلان . وما كان على هذه الصورة ، فالتذكير فيه أغلب . وقد يكون اسماً للقبيلة^٢ . ويستتج من هذا ان معداً لم تكن في الأصل اسم علم لرجل تنتمي اليه قبيلة معينة ، وانما كانت كلمة عامة تشمل قبائل تشترك في طراز الحياة وان كانت تعتقد انها ترتبط بعضها ببعض برابط النسب .

وقد استعمل حسّان بن ثابت كلمة (معد) في مقابل (الأنصار) ، وذكر أن الأنصار (لها في كل يوم من معدّ قتال أو سباب أو هجاء^٣) ، وأن الأنصار نصروا رسول الله على رغم أنف معدّ^٤ ، وأورد اسم معد في أحد الأبيات مع قحطان^٥ ، كما قال عن (بني أسد) إنها (تذبذب في معدّ^٦) ، فاستعمل كلمة معدّ في شعره للدلالة على خصوم الأنصار ، كما استعملها في مقابل قبائل معينة . وخصوم الأنصار هم قريش والمهاجرون . ولما كان الشاعر يعد نفسه من اليمن ، وأهل مدينته من أصل يمني ، فإن من الجائز أن نقول إنه عبر عن فكرة معد وقحطان في هذا الزمان وعن رأي أهل مدينته خاصة في النسب عند ظهور الإسلام .

وبينا يصرف حسّان بن ثابت كل فته الى هجاء خصوم الأنصار ، أي أهل مكة والدفاع عن أهل يثرب ، والافتخار بقومه على قوم معد ونزار^٧ ، نرى أنه لا يسمي من يهجوهم عدنانيين ، ولم يستعمل في شعره الواصل الينا المطبوع اسم عدنان ، فلم أغفل حسّان اسم عدنان ؟ أليس عدنان والد معدّ ؟ ألم يكن

١ Goldziher, Muh. Stud., I, S., 91.

٢ تاج العروس (٥٠٣/٢) ، اللسان (٤٠٧/١٦) ، « دار صادر » .

٣ وقال الله قد سرت جنسدا
لنا في كل يوم من معد
شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٦) ، ديوان حسان ، (ص ١) . « طبعة
هرشفلد »

٤ ديوان حسان (ص ٥ ، ٦ ، ٢٥) .

٥ فلو سئلت عنه معد بأسرها
وقحطان او باقي بقية جرهما

ديوان حسان (ص ٤٤) ، البرقوقي ، شرح (ص ٣٩٨)

٦ ديوان حسان (ص ٤٧) .

٧ وكل محارب وبني نزار
تبين في مشافره الرضاع

ديوان حسان (ص ٣٦) .

من الأجدر به ذكر عدنان وتقديمه على معدّ ؟ ألم يقسم علماء النسب العرب الى أصليين : أصل قحطاني وأصل عدناني ؟ ألسنا نجد في كتب الأنساب والتاريخ اسم عدنان مقدماً على معدّ ، وأن قبائل معدّ تعد نفسها عدنانية ، كما أن قبائل قحطان تعد نفسها قحطانية ؟ لا يعقل بالطبع أن يكون حسّان قد ترك عدنان والعدنانية ولجأ الى استعمال (معد) لو لم تكن لفظة (معد) أشهر وأعرف وأكثر استعمالاً في أيامه من عدنان . وهذا هو ما نلاحظه أيضاً في سائر الآثار التي تعود الى الجاهلية وصدر الإسلام .

ويلاحظ أن حظ مصطلح (عدنان) و (عدنانية) و (قبائل عدنانية) قد برز في الإسلام بروزاً لا نلاحظه في الجاهلية بل حتى في الجاهلية الملاصقة للإسلام ولهذا غلب على مصطلح (معد) و (معدية) و (قبائل معدية) ، فصار (عدنان) في مقابل (قحطان) ومن هنا صار العرب قحطانيين أو عدنانيين، واختفت بالتدريج المصطلحات الانتسابية الأخرى التي شاعت في الجاهلية أو في صدر الإسلام .

ويستنتج من أقوال علماء اللغة أن لفظة (معدّ) تعني الشظف في العيش ، والغلظ في المعاش والتعشف^١ ، وأنها تعني حياة بدوية شاقة بعيدة عن كل وسائل الحضرة وترف أهل المدر ، وهذا بالنظر لأهل المدن وأهل المدر نوع من الخشونة لا يحمد الانسان عليه . وقد وصفت ملابسهم بالخشونة كذلك فيزت عن غيرها، جاء « عليكم بالبسة المعدية » أي خشونة اللباس ، وروي : « اخشوشوا وتمعدوا »^٢ . وبهذا المعنى ورد : « نسمع بالمعيدي خير من أن تراه »^٣ . فالظاهر ان كلمة معد كانت تعني ما تعنيه (اريبي) (عربي) عند الآشوريين، أي البدو والأعراب . غير انها خصصت بعد ذلك بقبائل خاصة هي القبائل التي نسبت نفسها الى عدنان واسماعيل ، وأكثرها من مكة وحولها ، ثم تغلبت عليها (العدنانية) في العصر الأموي فما بعده .

والمثل : « نسمع بالمعيدي خير من أن تراه » ، من الأمثال المشهورة

-
- ١ اللسان (٤١٤/٤) ، الاشتقاق (٢٠/١) ، تاج العروس (٥٠٣/٢) .
 - ٢ اللسان (٤١٤/٤) فما بعدها ، ديوان النابغة مع شرحه ، للبطلبيوسي ، (ص ١٠) ، اللسان (٤٠٧/١٦) ، « دار صادر » .
 - ٣ تاج العروس (٥٠٣/٢) ، الميداني ، مجمع الأمثال (١٢٩/١) ، المثل رقم ٦٥٥

المعروفة حتى الآن . ويرتفع أهل الأخبار بزمنه الى أيام الجاهلية ، ويقولون ان النعمان بن المنذر تمثل به يوماً^١ . ولفظة (معيدي) ، تصغير (معدي) ، ويراد بها رجل من معد . وفي اطلاق هذا المثل بهذا المعنى دلالة على المعاني المتقدمة . وفي رواية أن قاتل هذا المثل هو (المنذر بن ماء السماء)^٢ . وقد استخف النابغة الذبياني بمعد أيضاً اذ قال :

ضلت حلومهم عنهم وغرهم^٣ سن المعيدي في رعي وتغريب^٤

ولا أستبعد أن يكون بين لفظة (معيدي) و (معدان) التي تطلق في العراق اليوم على الغلاظ السود من بعض الأعراب ، وبين (معد) صلة ، فقد كانت مواطن (معد) في العراق أيضاً ، والصفات المذكورة تنطبق على المعدان كذلك .

وقد اهتمت (معد) بالمكر والحيلة والكيد ، فورد في الأخبار « وان هذه المعدية لا تخلو من مكر وحيلة » ، وورد « كنت أخبرك ان معداً لا ينام كيدها ومكرها » ، وورد « ان عدي بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمعدى لا يصلح الا هكذا »^٥ مما يدل على أن ملوك الحيرة كانوا لا يأمنون من القبائل المعدية ولا يعتمدون عليها ، ولذلك كانوا يحذرونها .

كما اهتم ولد نزار بالحيل ، قال (المسعودي) : « ورأيت بيلاد مأرب من أرض اليمن أناساً من عقيل مخالفة للحدج ، لا فرق بينهم وبين أحلافهم ، لاستقامة كلمتهم ، فيهم حيل كثيرة ومنعة ، وليس في اليمن كلها أحيل من نزار بن معد غير هذا الفخذ من عقيل ، الا ما ذكر من ولد أنمار بن نزار ابن معد ، ودخولهم في اليمن حسب ما ورد به الخبر »^٥ .

وورد في كتاب (تاريخ الحروب) لـ (بروكوبيوس Procopius) المتوفى

١ فقال النعمان : تسمع بالمعيدي لا ان تراه ، البيان (١٧٢/١) ، (٢٣٧) ، « لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » ، الميداني ، مجمع الامثال (١/٢٢٨) ، الاشتقاق (٢٤٤)

٢ تاج العروس (٥٠٧/٢) ، مجمع الامثال ، للميداني (١١٣) .

٣ ديوان النابغة الذبياني (١٧) .

٤ الاغانى (٢٢/٢) .

٥ مروج (١٧٣/١) ، « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » .

سنة (٥٦٥ م) ، أي في زمن لا يبعد كثيراً عن ميلاد الرسول ، ذكر قبيلة من قبائل (السركينوى) Sarakenoi سماها (Maddeni) (Maddenoi) ، وقال أنها كانت خاضعة لحكم Homeritae ، وأن (يوسطينانوس) (جستنيانوس) (٥٢٧ - ٥٦٥ م)^١ ، قيصر الروم ، أرسل رسولا إلى ملك الـ Homeritae لينضم إلى الروم ويوافق على تعيين شيخ اسمه (Caisus) (Kaisus) على Maddeni ، وتأليف جيش مشترك من (هوميريه) و (مديني) (معديني) لمهاجمة الفرس وشن الغارات على حدودهم . وقد نصب ملكاً على (مديني) ، ورجع الرسول ليخبر القيصر ، غير أن الملكيين لم يغزوا أرض الفرس^٢ .

وقصد (بروكوبيوس) ب (مديني) Maddeni (معداً) وب (هوميريه) Homeritae (حميراً) ، وعنى بذلك اليمن . وكانت معد خاضعة يومئذ لحمير ، وكان هذا الزمن زمن استيلاء الحبشة على اليمن . و Caisus الذي نصب ملكاً على (معد) هو (قيس) ، وكان صاحب كفايات ، شجاعاً محارباً ، وكان قد قتل أحد اقرباء ملك Homeritae ، وكان هذا الملك هو Esimiphaeus ، أي (السميذع أشوع) ، الذي نصبه النجاشي نائباً عنه على اليمن ، فتلقب بلقب (ملك) . والظاهر أن وساطة القيصر لدى (السميذع) إنما كانت لإصلاح ذات البين ، ولتسوية ذلك الحادث . وقد تم على ما يظهر ونجحت الوساطة ، وتلقب (قيس) وهو رئيس (معد) بلقب ملك . ولا أستبعد أن يكون (قيس) هذا أحد رؤساء القيسيين .

وقد ذكر (بروكوبيوس) أن معداً هم جماعة من (السركينوى) ، أي جماعة من القبائل التي عرفت عند اليونان باسم (السرسين) أيضاً ، كما ذكرت ذلك في السابق . وهذا يعني أن معداً لم تكن في أيام ذلك المؤرخ الذي لم يبعد عهده عن الإسلام كثيراً ، على النحو الذي يصوره الأخباريون . وكل ما في الأمر أنها قبيلة أو مجموعة قبائل تسمى بـ (معد) ، وأنها كلها أو قبيلة منها كانت خاضعة لحمير ، أي للسلطة الحاكمة على اليمن يومئذ ، وهي الحبشة ، ثم استقلت عنها . أما بقية معد ، فلم يتحدث المؤرخ عنهم ، لذلك لا ندرى

١ « يوسطينانوس » ، الطبري (٧٤٣/١) ، « طبعة اوربة » ،

Procopius, History of the Wars, P., 181, (H.B. Dewing).

٢ Procopius, History of the Wars, P., 181.

أكان (معد) (بروكويوس) هم كل معد أو جاعة منها .

وإذا كان الشعر المنسوب الى (ابن بقليلة) ، وهو من نقباء الحيرة وساداتها صحيحاً ، تكون كلمة (معد) معروفة في ذلك العهد ، على نحو يفهم منه أنها كانت تعني قبائل عديدة أعراية تنضوي كلها تحت هذه التسمية . فقد جاء في شعره ألم وتوجع لما حل بأهل الحيرة بعسد الفتح ، فقد رأى سواماً تروح بالخورنق والسدير بعسد ما كانا مكانين مختارين للمنذرين ، وبعد فرسان النعبان ، يرى الناس قلوصلاً بين (مرة والحفير) ، وصاروا بعد هلاك (أبي قبيس) كعجرب المعز في اليوم المطير ، وقد تقاسمتهم القبائل من معد ، علانية كأيسار الجزور ، بعد أن كانوا أناساً لا يرام لهم حريم ، وصاروا كضرة الضرع الفخورة يؤدون الخراج بعد خراج كسرى ، وخراج من قريظة والنضير ، ثم نخلص الى نتيجة يخلص اليها من يئأس ويقنع ، فقال :

كذلك الدهر دولته سجال^١ فيوم من مساء أو سرور^٢

وقد ذكر (الطبري) ان خالداً لما أمره (أبو بكر) بفتح العراق ، وقصد الأبلّة ، حشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر الى ألفين كانا معه^٣ ، وربما قصد (ابن بقليلة) من (معد) هذه القبائل التي انضافت الى خالد . ولكن القبائل التي انضافت الى خالد في العراق أو التي حاربتة هي من مضر وربيعه في الغالب ، وبين سكان الحيرة قوم يرجعون أنسابهم الى تميم وإلى قبائل معدية ، فكيف يتألف (ابن بقليلة) من إدبار الدنيا ومن اعراضها عنه وعن أمثاله حتى صاروا في حكم (معد) ، وقد اقتسمتهم قبائل معد . فالظاهر انه كان يتأفف لأن الأمر أدبر منه ومن سادة أهل الحيرة والقرى ، وهم حضر مستقرون ، لهم نعيم وملك وقصور وبيوت وعيش رغيد . ولكن الدنيا أدبرت عنهم ، وسلمت الأمر الى قبائل من معد ، وهم أعراي ، وصار أمرهم اليهم ، فتأفف من ذلك الزمان . وقد عرف (حذيفة بن بدر) سيد غَطَفَان بـ (رب معد)^٣ ، وكان من

-
- ١ الطبري (٣٦٢/٣) .
 - ٢ الطبري (٣٤٧/٣) .
 - ٣ المعارف (ص ٣٨) .

أشرف بيوتات هذه القبيلة، التي كانت محالفة لـ (أسد). وقد عرفتا بـ (الحليفتين)^١ مما يدل على أنهما كانتا متحالفتين. ويدل هذا النعت الذي نعت به (حليفة)، وهو (رب معد)، على أن معداً كانت قبائل، وكل منها تقتسب إليها، وأنها لم تكن قبيلة معينة، أي أنها كانت قبائل ترى نفسها أنها من نسب واحد، وأن قبيلة واحدة منها إذا برزت وظهرت جاز لها أن تمثل قبائل معد، وأن ينعت رئيسها نفسه ببعض النعوت التي تدل على ترأسه لها، ومنها (رب معد).

فيتبين من كل ما تقدم أن (معداً) كلمة أريد بها أعراب كانوا يتنقلون في البوادي، يهاجمون الحضر والأرياف بصورة خاصة، لأنها كانت أسهل صيد للأعراب بسبب بُعد أهلها عن سيطرة الحكومة المركزية، وعدم وجود قوات دفاعية رادعة لتدافع عنهم. وكانوا يباغتون الناس ويفاجئونهم، وكانت حياتهم حياة قاسية صعبة. ولم يكونوا قبيلة واحدة، ولكن قبائل عديدة، تشابه في المعيشة، وتشترك في فقرها وفي تعيشها على الغزو والتنقل، وقد كانت تقيم في البوادي وعلى أطراف الحضارة، كانت مواطنها بادية الشام ونجد والحجاز والعربية الشرقية. ثم صارت اللفظة علماً لرجل صير جداً للقبائل التي عاشت هذه المعيشة، وعرفت بهذه التسمية على الطريقة المعروفة عند العرب وعند غيرهم من الساميين من تحويل أسماء الأماكن أو الأصنام أو المحالفات إلى أسماء أجداد وآباء.

وقد كانت (تهامة) موطن أبناء معد على حسب رأي أهل الأخبار. سكنت قضاة من ساحل البحر حيث أنشأت (جدة) فيما بعد إلى حيز الحرم، وسكن أبناء جنادة بن معد منطقة الغمر: غمر ذي كندة، وكانت كندة قد أقامت بها أيضاً فعرفت بها. وسكن أبناء قنص بن معد وسنام بن معد، وبقية ولد معد أرض مكة، حيث أقاموا مع بقايا جرهم. ظلوا على ذلك متساندين متآلفين تضمهم المجامع، وتجمعهم المواسم، حتى وقع الشر بينهم، ففترقوا وتخاذلوا

١ وسمع عيينة النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: غفار واسلم ومزينة وجهينة خير من الحليفتين اسد وغطفان، الاشتقاق (١٧٣/٢).

وقاتل بعضهم بعضاً ، يقتل العزيز منهم الدليل^١ .

عكّ :

وقبائل عكّ، هي القسم الآخر الشهير من أقسام قبائل عدنان ، وتقع أرضها في جنوب أرض معدّ ، شقيق عكّ^٢ . وقد زعم أهل الأخبار أن (بختنصر) لما هاجم (حضورا) انطلق (عكّ) الى أرض اليمن ، فاستقر بها ، فاختلط من ثم نسب عكّ باليمنين^٣ . وقد سكن العكيون تهامة اليمن الى جدّة^٤ . ومن معاني لفظة (عكّ) في اللغة الحر الشديد^٥ .

وقد تصور جاعة من النسّابين وجود صلة بين (عكّ) و (الأزد)^٦ . والظاهر أن ذلك إنما وقع لهم من اختلاط منازل القبيلتين . وزعم بعض الأخباريين أن نسب عكّ كان في اليمن في الأصل ، ثم انتقل الى معدّ ، بعد قتال وقع بين عكّ وغسان في تهامة ، تغلبت فيه غسان على عكّ ، فأجلتها عن أوطانها ، فن ثم انتفت عكّ من اليمن ، وانتسبت في معدّ^٧ .

١ قال مهلهل :

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معدّ حلولا
فتساقوا كاسا أمرت عليهم بينهم يقتل العزيز الدليلا
البكري ، معجم (١٨ / ١) ، « طبعة السقا » .

٢ تركنا الأيت أخوتنا وعكّا الى سمران فانعلقوا سراعاً
وكانوا من بني عدنان حتى اضاعوا الامر بينهم فضاعوا
الطبري (١٩١ / ٢) ، البكري : معجم ، (٥٣ / ١) فما بعدها ، البلاذري ، انساب (١٢ / ١) .

٣ يوم عكّ اكّ ، اي شديد الحرارة ، مجالس ثعلب (ص ٢٤٨) ، اللسان (٢٥٣ / ٢)
تاج العروس (١٦٣ / ٧) .

٤ ابن خلدون (٢٩٩ / ٢) ، ابن حزم (٣٠٩) ، تاج العروس (١٦٣ / ٧) ، اللسان (٣٥٧ / ١٢) .

٥ وهذه الرواية اليمنية تتمثل في شعر « نشوان بن سعيد الحميري » الذي قال :

الم تر عكا هامة الازد اصبحت مدبذبة الانساب بين القبائل
وعفت اباهها الازد واستبدلت به ابا لم يلدها في القرون الاوائل
منتخبات في اخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ،
لنشوان بن سعيد الحميري ، ليدن ١٩١٦ (ص ٧٤) قارن ذلك برواية الطبري (١٩١ / ٢) .

وقد سبق نسب (عك) على هذه الصورة : (عك بن الديث بن عدنان)
في بعض الروايات، وسبق على صور أخرى مثل : (عك بن عدنان بن عبد الله)
من بطون الأزد^١ .

وهناك بيت شعر للشاعر (العباس بن مرداس) يتكرر بعك على اليمن ،
حيث يقول :

وعك بن عدنان الدين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد^٢

ومضمون هذا البيت يخالف ما جاء في الرواية الأخرى التي تدعى تغلب
غسان على عك .

وقد ذكر (ابن دريد) أن (عدنان) والد (عك) ، هو (عدنان بن
عبد الله بن الأزد) ، وأن من نسب (عكاً) إلى الأزد ، نسبه إلى هذه الصورة^٣
فجعل (عدنان) حفيداً من حفدة الأزد .

وقد ورد في جغرافيا (بطلميوس) اسم شعب من الشعوب العربية ، دعي
بـ Anchitae Achitae Akkitae Akkitai^٤ ، مواطنه هي المواطن التي
نسبها النسابون إلى (عك) ، لهذا ذهب الباحثون المحدثون إلى أن هذا الشعب
هو (عك)^٥ . وعلى ذلك تكون إشارة (بطلميوس) إليهم أقدم إشارة إلى
هذه القبيلة في التاريخ . وتكون (عك) بذلك من القبائل المعروفة قبل الإسلام
بزمان . وهي لا بد أن تكون قد عرفت قبل (بطلميوس) وإلا لم يذكرها
هذا الجغرافي في جغرافيته .

غير أن (بطلميوس) لم يشر إلى أصلها ونسبها ، ولا إلى صلتها بغيرها
من القبائل . وكل ما ذكره عنها أنها قبيلة من قبائل العرب ، تسكن في المواضع
التي عينها في كتابه المذكور .

١ ابن خلدون (٢ / ٢٩٩) ، ابن حزم (٣٠٩) ، تاج العروس (١٦٣ / ٧) ، اللسان
(٣٥٧ / ١٢) .

٢ نسب قريش (ص ٥) .

٣ اشتقاق (٢٨٧) .

٤ Glaser, Skizze, 2, S., 256, Forster, Vol., I, P., 89.

٥ Enc., Vol., I, P., 241.

اولاد معد :

وولد معد بن عدنان عدداً من الأولاد ، جعلهم بعض الأخباريين أربعة ، هم : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وقنص بن معد ، وإياد بن معد . وجعلهم بعض آخر أكثر من ذلك ، اذ أضافوا الى المذكورين عبيد الرماح ابن معد ، وقد دخل أبناؤه في (بني مالك بن كنانة) ، والضحّاك بن معد ، قالوا : أغار على بني اسرائيل^٢ ، وقناصة بن معد ، وسناماً، وحيدان ، وحيدة ، وحيدة ، وجنيداً ، وجنادة ، والقحح ، والعرف ، وعوفاً ، وشكاً ، وأمثال ذلك^٣ .

وزعموا ان الإمارة كانت لقنص بعد أبيه على العرب . وأراد اخراج أخيه نزار من الحرم ، فأخرجه أهل مكة ، وقدموا عليه نزاراً^٤ .

ويُخرج بعض أهل الأخبار (قضاعة) من صلب معد ، فيضيفها الى القحطانيين ، على حين نرى فريقاً آخر من النسابين ومن ورائهم القضاعيون يعدّون أنفسهم من أقدم أبناء معد ، فيقولون : قضاعة ابن معد ، وبه كان يكنى معدّه ، أي انهم أقدم أبناء معد . ويروون في ذلك شعراً من أشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية^٥ . وفي كل ذلك أثر التعصب القبلي الذي كان يتحكم في النفوس ، ويظهر في النسب . ويذكر النسابون الذين يرجعون نسب قضاعة الى حمير انها من نسل قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ كما رأيت^٦ .

ونرى (الكُصيت) يعبر قضاعة ويهجوها بانتمائها الى اليمن وادعائها انها من (قضاعة بن مالك بن حمير) ، وانما هو (قضاعة بن معد بن عدنان)^٧ .

- ١ ابن هشام (٧/١) ، واكثر النسابين على ان ايادا من نسل نزار بن معد ، التنبيه (ص ٢٩) ، سبائك الذهب (ص ٢٠) ، البلاذري ، انساب ، (١٣/١)
- ٢ ابن حزم ، جمهرة (ص ٨) ، اللسان (٣٥٢/٨) ، ابن خلدون (٣٠٠/٢)
- ٣ الطبري (٦٧١/١) ، (١٩٠/٢) ، « طبعة اوربة » الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٣٠)
- ٤ (٥٨/١) « طبعة بيروت » ، ابن حزم ، جمهرة (٩) البلاذري ، انساب (١٣/١)
- ٥ ابن خلدون (٣٠٠/٢) .
- ٦ الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٣٠) ، (٥٨/١) « طبعة بيروت » .
- ٧ نسب قريش (ص ٥) .
- ٨ المعارف (ص ٢٩) ، نسب قريش (ص ٥) .
- ٩ رأيكم من مالِك وادعائهم
وَحظك من قحطان ان كنت منهم
وَمِنْ مالِك حظ البغي من الحمل
المعاني الكبير (٥٢٤/١)

وقد شبهها بالريثال لفارقتهما نزاراً ، وانتقالها الى اليمن^١ .

ويشير اختلاف النسابين هذا في نسب قضاة الى اختلاط قبائل قضاة بقبائل معد وبقبائل اليمن ، فانتفى قسم منهم الى معد ، وقسم منهم الى اليمن ، ومن هنا وقع هذا الاختلاف . وأرى ان لاختلاط قبائل قضاة في بلاد الشام وفي أماكن أخرى بقبائل ترجع نسبها الى قحطان دخلاً في إدخال نسبها في اليمن . وقد يكون ذلك في العصر الأموي بصورة خاصة، حيث صار نزاع قيس وكنب ، أي نزاع عدنان واليمن نزاعاً سياسياً عنيفاً قسم عرب بلاد الشام الى جماعتين متباغضتين ، تسعى كل جماعة لضم أكثر ما يمكن من القبائل اليها ، ولا سيما القبائل القوية المهمة مثل قضاة . فأدخلها البانيون لذلك فيهم وألحقوا نسبها باليمن . أما قضاة الباقون الذين كانوا في أرضين أخرى ، فلم يقع عليهم مثل هذا التأثير ، وقد كانوا أكثر استقلالاً ، وعلى اتصال متين بالعدنانيين ، ولهذا أبوا إلحاق نسبهم بقحطان .

وإذا غربلنا أخبار الأيام ، وبعض الروايات التي يرويها أهل الأخبار ، فلنأخذ نتوصل منها الى أن قضاة كانت قد اشتركت مع ربيعة ومعد في محاربة (يمن) . فقد ذكر مثلاً : أن (عامر بن الظرب العدواني) قاد ربيعة ومضر وقضاة كلها (يوم البيداء) ، لليمن حين تملحجت على بني معد^٢ . وذكر أن (ربيعة ابن الحارث بن زهير التغلبي) قاد مضر وربيعة وقضاة يوم السلان الى أهل اليمن ، وأن ابنه (كليب بن ربيعة) ، وهو (كليب وائل) ، قاد ربيعة ومضر وقضاة يوم (خزازي) الى اليمن^٣ . ولعل في هذه الأمثلة وفي غيرها تأكيداً لرأي غالب قضاة وبقية النسابين الذين يرجعون نسب قضاة الى بني معد ، أي أنها كانت في حلف مع ربيعة ومضر ، وهما من بني معد . ولما كانت ربيعة ومضر في نزاع مع اليمن ، كانت قضاة معها في هذا النزاع .

وتذكر (قضاة) في الأخبار مع (مضر) و (ربيعة) و (اليمن)^٤ وهذا

مفارقة الرميل الى الرميل

١ فلما استرالت حسبت سواء

المعاني الكبير (٣٥٣/١) .

٢ المحبر (ص ٢٤٦)

٣ المحبر (ص ٢٤٩)

٤ المحبر (ص ١٤٤) .

يدل على أنها كانت في منزلة المذكورين في الكثرة والمكانة . وقد عدت في قبائل (الحلة) من العرب ما خلا علافاً وجناباً^١ . وأهميتها هذه وكثرة عددها ، دفعت العدنانيين والقحطانيين الى ضم نسب قضاة اليهم ، لما كان في هذا الضم من أثر كبير في تقوية مركز أحد الطرفين .

ويذكر (ابن سعد) أن ولد (معد) تفرقوا في غير بني معد سوى (نزار)^٢ وقد أدرك (ابن سعد) وأمثاله ذلك من اختلاطهم باليمنيين ، الأمر الذي أدى الى تداخل النسب ، فصارت أنسابهم لذلك مترجحة بين قحطان وعدنان .

نزار :

وهو جد القبائل (النزارية) المنحدرة على رأي النسابين من نزار بن معد من زوجه (معانة بنت جوشم بن جلهمة) ، أو (معانة بنت جهلة) من جرهم^٣ . وهو على زعم الأخباريين والد أربعة أولاد ، هم : ربيعة ، ومضر ، وأنمار وإياد^٤ . وهم أجداد قبائل كثيرة في الوقت نفسه . وقد انتشرت هذه القبائل في أواسط بلاد العرب وشمالها ، وهناك أسطورة رواها المؤرخون والنسابون عن اختصاص كل ولد من أولاد نزار وعن المناطق التي نزلت بها قبائلهم واحتكامهم الى (الأفعى الجرهمي^٥) أو (أفعى نجران^٦) .

وقد زعم بعض أصحاب الأخبار أن أم ربيعة وأنمار : (حدالة) (جدالة) بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو) من جرهم ، وأن أم (مضر)

١ المحبر (ص ١٧٩)

٢ الطبقات (٥٩/١)

٣ تاج العروس (٥٦٣/٣) ، السهيلي ، روض الانف (٨/١) ، الطبري (١٩٠/٢) الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٣٠) ، المحبر (ص ١٣٢)

٤ Enc., Vol., 3, P., 939, Wuestenfeld, Geneal. Tab., A. 3.

٥ الفاخر (ص ١٥٥ فما بعدها) ، حكم الافعى ، الطبري (١١٠٨/١) مسروج (٣٥/٢) ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، لقد تأثر بهذه القصة الفيلسوف

الفرنسي « فولتير » في « Zadig » ، Enc., Vol., 3, P., 940.

٦ ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، البلاذري ، انساب (٢٩/١)

(سودة بنت عك)^١ ، كما زعم بعض المؤرخين أن إباداً وأنماراً هما من أبناء معدّ. وأما نزار ، فقد كان من عقبه البطنان : ربيعة ، ومضر^٢ .
وقد نعتت مضر بـ (الحمراء) ، فليل : (مضر الحمراء)^٣ ، ونعتت إباد بـ (الشمطاء) و (البلقاء) ، وقيل لربيعة (الفرس) ، ولأنمار (الحمار)^٤ .
ويقال للنزاريين : (نزارية) و (بنو نزار) و (أبناء نزار) . أما التتزر ، فالانتساب إلى نزار ، ويقال : تنزر الرجل ، إذا تشبه بالنزارية ، أو أدخل نفسه فيهم^٥ . واستعملت (النزارية) في مقابل (الجانية) في أيام الأمويين^٦ .

ويرى (ليفي ديلافيدا) أن (النزارية) فكرة سياسية نجمت في العصر الأموي ، في وسط ذلك الصراع الحزبي المعروف ، وعلى الأخص بعد معركة (مرج راهط) ، وإنها لا تمثل حقيقة تاريخية، فهي لا تعني رابطة قبائل بالمعنى المفهوم . ومن رأيه أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة كافية بعد ، وأن المواد اللازمة لدراسته غير متوافرة^٧ .

وقد ذهب أيضاً إلى أن أقدم من ذكر اسم (نزار) من الشعراء الجاهليين هو (بشر بن أبي خازم)^٨ ، و (كعب بن زهير) من الشعراء المخضرمين^٩ ويرى أن (بني نزار) الواردة في شعر (حسان بن ثابت) لا تعني النزارية ، أي أبناء نزار بن معد بن عدنان على نحو ما يذهب إليه أهل الأنساب ، بل

- ١ الطبري (١٩٨/٢) ، خيبة بنت عك بن عدنان ، نسب قريش (ص ٦)
- ٢ ابن خلدون (٣٠٠/٢)
- ٣ قال بشر بن أبي خازم الأسدي :
دموا منبت السيفين أنهما لنا
اللسان (٥٩/٧) .
- ٤ ديوان حسان (ص ٣٦) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ٥) ، اللسان (٥٩/٧)
Enc., Vol., 3, P., 940.
- ٥ التنبيه (ص ٧٠)
- ٦ Enc., Vol., 3, P., 940. r.
- ٧ الفضليات (ص ٦٦٧) ، قال بشر بن أبي خازم :
مضى سلافنا حتى حللنا
ديوان بشر (ص ٦٧) ، الفضليات (ص ١٦٢) « السندوبي » ،
Enc., Vol., 3, P., 940.
- ٨ صدموا علينا يوم بدر صدمة
الجمحي ، طبقات (ص ٢١) ، الطبري (١١٠٦/١) ، « طبعة أوربة » .

جماعة أخرى هي من نسل (نزار بن معيص بن عامر بن لؤي) من قریش^١ . ويرى (ليفي ديلافيدا) أيضاً ان ما ورد في شعر (أمية بن أبي الصلت) من شعر ، نسب فيه ثقيفاً الى نزار^٢ ، وما ورد في قصة (الأقرع بن حابس التميمي) من ذكر (نزار) ، لا يمكن أن يبعث الثقة الى النفوس ولا الاطمئنان الى القلوب ، بل يظهر ان ما ورد انما وضع لأغراض واضحة هي على زعمه إلحاق نسب ثقيف بنزار ، وقد كان ذلك موضع جدل في ذلك العهد ، وإثبات نسب (بجيلة) وهو نسب كان موضع جدل أيضاً^٣ .

أما أنا ، فأرى ان (نزاراً) من القبائل التي كانت معروفة في القرن الرابع بعد الميلاد ، بدليل ورود اسمها في النص المعروف بـ (نص الهارة) السني وضع على قبر (امرئ القيس) ، ويعود عهده الى سنة (٣٢٨) للميلاد . فقد ذكرت في جملة القبائل التي خضعت لحكمه . ولكن النص لم يتحدث عن نسب نزار ومواضعها في ذلك الزمن . وفي الجملة انها ذكرت مع قبيلة (أسد) .

وتتألف القبائل النزارية من ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، على رأي من جعل أنماراً ابناً من أبناء نزار . فأما إياد ، فقبيلة كانت مواطنها تهامة الى حدود نجران ، ثم انتشرت بسبب حروب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر ، فارتحل قسم منها الى العراق ، وانضم قسم آخر الى قضاة وأقام بالبحرين ، وسكن قسم منها في (وادي بيشة) ، وهاجر آخرون الى بلاد الشام^٤ .

وقد كانت رئاسة مضر الى ربيعة في أيام (كليب بن ربيعة) ، المعروف أيضاً بـ (كليب وائل)^٥ . وقد كانت مضر وربيعة متجاورتين ومتحالفتين ، ودليل ذلك اقتران اسم أحدهما بالآخر ، وجعل أهل الأنساب مضر شقيقاً لربيعة غير أن تحاسداً شديداً كان يقع بين سادات مضر وسادات ربيعة ، وطالما كانت

- ١ وكل محارب وبني نزار تبين في مشافره الرضاع ديوان حسان (ص ٣٦) ، البرقوقي ، شرح ديوان حسان (ص ٢٦٦) .
Enc., Vol., 3, P., 940, Wuestenfeld, Genea., S., 15.
- ٢ ديوان أمية (ص ٦٩) ، وهو من الشعر المنسوب اليه ،
Enc., Vol., 3, P., 940.
- ٣ النقائض (طبعة بيفان) ، (ص ١٤١ فما بعدها) ، ابن هشام (٥٠ / ١) ، « طبعة وستنفلد »
Enc., Vol., 3, P., 940.
- ٤ ابن خلدون (٣٠٠ / ٢) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٩) .
- ٥ Enc., Vol., 2, P., 565, Wuestenfeld, Register.
- ٦ الفاخر (ص ٧٥ وما بعدها) .

لأحدهما تفتخر على الأخرى ، وترى أنها أعز مكانة ونفراً من شقيقتها ، كالذي يحدث بين القبائل .

ويظهر أن الأمر قد اختلط على بعض أهل النسب في قضية (إياد) ، فجعلوا إياداً ابناً من أبناء معد ، أي شقيقاً لتزار ، وجعلوه ابناً لتزار ، فصبروه شقيقاً لربيعة ومضر وأثمار . وقد ذكر المسعودي أن إياداً ينسبون إلى القبيل الأكبر ، وليست لهم قبائل مشهورة . ويذكر قوم أن ثقيفاً من إياد ، ويرى فريق أنهم من قيس عيلان^١ .

وأما (قنص بن معد) ، فيزعم قوم أن (آل المنذر) ملوك الحيرة منهم^٢ . ويظهر من عدم ذكر أسماء قبائل تنسب إلى قنص أن قنصاً لم تكن من القبائل الكبرى ، وأنها دخلت في القبائل الأخرى قبل الإسلام ، فنسبت ، فلما دون أهل الأخبار الأنساب ، لم يكن لها شأن يذكر عندئذ غير الاسم .

ويلاحظ أن النسابين الذين جعلوا (آل نصر) من (قنص بن معد) ، أي من العدنانيين ، يذكرون أنفسهم ويروون في كتبهم أن نسبهم هو من اليمن ، وأنهم من أصل قحطاني .

ويذكر أهل الأخبار أن ربيعة ومضر حاربوا أبناء قنص بن معد وتغلبوا عليهم ، حتى أخرجوهم من ديارهم فتنفروا في البلاد ، وذهب جمع منهم إلى سواد العراق ، ولكنهم اصطدموا بالنبط الأرمانيين من ملوك النبط ، فراجعوا واستقر قسم منهم في الأنبار والحيرة^٣ .

وأما (مضر بن الياس) فولد (الياس بن مضر) ، والياس ، وهو قيس عيلان . وعرف أبناء (الياس) بـ (خندف) نسبة إلى أمهم (خندف) ، وهم : مدركة ، وطابحة ، وقعة^٤ . وذكر المسعودي أن مضر ترجع إلى حين ،

-
- ١ المعارف (ص ٢٩)
 - ٢ المعارف (ص ٢٩) ، الطبري (٦١١/١) ، «دار المعارف» ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٨) ، البكري معجم (٥٢/١) ابن هشام (٥/١)
 - ٣ البكري ، معجم (٥٢/١) وما بعدها ، «طبعة السقا» .
 - ٤ المعارف (ص ٣٠) «وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف ، فغلب على من ذكرنا الألقاب ، ونسب ولد الياس إلى أمهم خندف» ، مروج (٣٩٦/١) ، نسب عدنان (ص ١) ، ابن حزم ، جمهرة (٩) البلاذري ، أنساب (٣١/١) .

هما : خندف ، وقيس^١ .
ومن النسابين من يزعم أن (قعة) ، واسمه (عمير) ، هو والد خزاعة .
أما خزاعة^٢ ، فتأبى ذلك ، وترجع نسبها الى غسان^٣ .
وورد في شعر الشعراء المعاصرين لبني أمية : (ابنا نزار) ، وقد قصدوا
بذلك (ربيعة) و (مضر)^٤ ، كما ورد (بحرا نزار) في المعنى نفسه^٥ .
وجعل (ابن جني) ، اللغة العربية التي نزل بها القرآن (لغة ابني نزار)^٥ .
وقد سمي (الفرزدق) (قيس علان) و (خندف) بـ (الحيين) المكونين
لمعد^٦ . وورد في شعر للعجاج (حَيِّيْ مُضَر)^٧ . وجاء في شعر لجرير :

إذا أخذت قيس عليك وخندف بأقطارها ، لم تدر من حيث تسرح^٨

مما يدل على ان قيساً وخندفاً ، كانا من القبائل القوية في هذه الأيام .
ويظهر من تقسيم النسابين قبائل مضر الى حين : خندف وقيس عيلان ،
ان تلك القبائل كانت حلفاء في الأصل ، ثم انفصلت عراه ، أو ان خندفاً
تحالفت مع قبائل قيس عيلان ، وربطت نسبها بنسب مضر . وتتألف خندف من

- ١ مروج (٣٩٦/١) .
- ٢ نسب قريش (٨)
- ٣ قال جرير :
وابنا نزار احلانسي بمنزلة
الجمحي ، طبقات (ص ٨٩) .
وقال الراعي :
- ٤ تأبى قضاة ان تعرف لكم نسباً
الجمحي ، طبقات (ص ١١٨)
قال الكمي :
- ٥ اضحت عداوتهم اياي اذ ركبوا
المعاني الكبير (٨٥٥/٢) ، (١١٣٤/٣) .
- ٥ « وبعد فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار » ، الخصائص
(٣٩٢/١)
- ٦ اذا اجتمع الحيان قيس وخندف
فثم معد هامها وعديدها
- ٧ ديوان الفرزدق (١٨٩) .
- ٨ نسب عدنان (ص ٢) .
- ٨ نسب عدنان (ص ٢) .

قبائل مهمة ، منها ضبة ، وتميم ، وخزيمية ، وهذيل ، وكنانة ، وقريش ، وأسد وغيرها . وأما قيس عيلان ، فن قبائلها : فهم ، وعدوان ، وغطفان ، وعبس ، وذبيان ، وسليم ، وهوازن ، وباهلة ، وغنى ، وغيرها من قبائل سبأتي ذكرها بعد قليل .

وأما مدركة بن الياس ، فولد : خزيمية ، وهذيل^١ ، وأسد^٢ ، وكنانة . فأما هذيل ، فأولد ثلاثة : معداً ، ولحياناً ، وعميراً ، والعدد في سعد بن هذيل : تميم وحريث ، ومنعة ، وخزاعة ، وجهامة ، وغنم ، وولد تميم معاوية والحارث^٣ . وجعل « مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري » أولاد مدركة ولدين ، هما خزيمية وهذيل . أما أسد وكنانة ، فهما عنده ولدان من أولاد خزيمية^٤ .

وأما خزيمية ، فله من الولد كنانة ، وأسد ، وأسدة ، والهون^٥ . وولد أسد دودان ، وكاهلاً ، وعمراً وحملة . فهؤلاء (بنو أسد) ، ومنهم تفرقت أسد كلها . ومن بطونهم المشهورة : (بنو ققفس) ، وبنو الصيداء ، وبنو نصر ابن قعين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعام . أما ولد الهون ، فهم : القارة ، ومن القارة : عضل ، والديش ، وهما قبيلة الهون . وقد اشتهرت القارة بالرماية^٦ . وجعل (الزبيري) ولد الهون ثلاثة : هم عضل ، والديش ، والقارة^٧ .

ويذكر (الزبيري) ، الذي أدخل أسدة في أولاد خزيمية ، ان أسدة يزعمون انه جذام ، ونحس ، وعاملة ، وقد انتسبوا في اليمن . ويظهر ان قبائل (أسد ابن خزيمية) ادعت ، حين مجيء لنحس وجذام مع خالد بن عبدالله القسري الى العراق ، انها والقبائل القادمة من دم واحد ، هو دم خزيمية بن مدركة ، وانها أرادت إلحاق نسبها بهذا النسب^٨ .

١ المعارف (ص ٣٠) ، وقد جعل « ابن قتيبة » قريشا ضمن أبناء مدركة ، ونسي خزيمية .

٢ نسب قريش (ص ٨) .

٣ المعارف (ص ٣٠) ، ولم يذكر صاحب كتاب « المعارف » : أسدة في أولاد خزيمية والذي ادخلهم هو « الزبيري » نسب قريش (ص ٨) .

٤ المعارف (ص ٣٠) .

٥ نسب قريش (ص ٩) .

٦ نسب قريش (ص ٨ فما بعدها) .

وأما كنانة^١ ، فولد النضر ، ومالكاً ، وملكاً ، وعبد مناة . وهو علي ، وربما قالوا مسعوداً^٢ ، وآخرين ذكرهم (الزبير)^٣ . فأما بنو ملكان ، فلهم بقية ، وليس لهم شرف بارع ، مما يدل على أنهم لم يكونوا كثيري العدد . وأما بنو مالك ، فن قبائلهم بنو فقيم وبنو فراس . ومن بني فقيم (القلامس) نسابة الشهور . وأما عبد مناة ، فمنهم (بنو مُدَلج) القافة ، ومنهم بنو جذيمة ، ومنهم بنو ليث ، ومنهم الدئل ، ومنهم بنو ضمرة . ومن بني ضمرة : غفار . ومنهم بنو عريج^٤ .

وأما (النضر) ، فولده مالك والصلت^٥ . فأما (الصلت) ، فصاروا في اليمن ، ويقول قوم انه أبو خزاعة^٦ . ورجعت قريش الى مالك كلها ، فهو أبوها كلها . وولد مالك بن النضر فهراً والحارث^٧ . فأما (الحارث) الحارث ابن مالك ، فهو من المطيبين ، ويقال ان الخلج منهم . ويقال كانوا من عدوان ، فألحقهم عمر بن الخطاب بالحارث ، وسموا خلجاً لأنهم اختلجوا من عدوان ، وهم بالمدينة كثير^٨ .

وأما فهر بن مالك ، فمنهم تفرقت قبائل قريش ، فقبل لهم (بنو فهر) . وولده : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر^٩ . فأما (محارب) ، فمنهم ضرار ابن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية . وأما غالب بن فهر ، فولده لؤي وتيم . فأما تيم ، فهم بنو الأدرم من أعراب قريش^{١٠} .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن قريشاً كانوا متفرقين في (بني كنانة) ، فجمع (قصي) الى مكة (بني فهر بن مالك) فجدم قريش كلها (فهر بن مالك)

١ ممن ذكر « كنانة » من الجاهلين « بشر بن ابي خازم الاسدي » ، قال :

فأبلغ ان عرضت بهم رسولا كنانة قومنا في حيث صاروا

ديوان بشر (ص ٧٣) .

٢ المعارف (ص ٣٠ فما بعدها) .

٣ نسب قريش (ص ١٠)

٤ المعارف (ص ٣٠)

٥ نسب قريش (ص ١١) ، المعارف (ص ٣١)

٦ نسب قريش (ص ١١) ، الانباه (ص ٩٤)

٧ المعارف (ص ٣١) ، نسب قريش (ص ١٢) .

٨ المعارف (ص ٣١) .

٩ واذن « الزبير » اليهما « الحادث » ، نسب قريش (ص ١٢)

١٠ المعارف (ص ٣١ فما بعدها) .

فما دونه (قريش) وما فوقه عرب ، مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر ، فانما قريش الى (فهر بن مالك) لا تجاوزه^١ . ثم يفسرون معنى (قريش) ، بالقرش أي التجمع ، أو جمع المال والتجارة ، أو غير ذلك مما سأحدث عنه فيما بعد^٢ . مما يدل على أن تلك التسمية لم تكن قديمة ، وإنما هي لقب في الأصل أطلق على جماعة من بني فهر كانوا يسكنون مكة ، فعرفوا به حتى غلب على اسمهم ، وصار اللقب اسماً ، ومن هنا اشتهر بين النسابين انه اسم لإنسان وجدّ قبيلة .

وأما لؤي ، فإليه ينتهي عدد قريش وشرفها . وولده : كعب بن لؤي ، وعامر بن لؤي ، وسامة بن لؤي ، وسعد بن لؤي ، وخزيمة بن لؤي ، والحارث بن لؤي وعوف بن لؤي^٣ . فأما عامر ، فولده حسيل ومعيص ، ومن حسيل سهل وسهيل والسكران بنو عمرو . وأما سامة ، فوقع بعمان ، وهلك بها فولده هناك . وأما سعد بن لؤي ، فهو أبو ولد بنانة ، وأما خزيمة بن لؤي ، فمنهم عائذة ، وهم في بني شيبان . وأما كعب بن لؤي ، فولده : مرة ، وهصيص ، وعدي^٤ . فأما هصيص ، فمنهم بنو سهم ، وبنو جمع . وأما عدي ، فمنهم عمر بن الخطاب . وأما مرة ، فمنهم تيم بن مرة رهط أبي بكر ، وآل المكندر ، ومنهم مخزوم ابن يقظة بن مرة ، ومنهم كلاب بن مرة وولد زهرة بن كلاب وقصي ابن كلاب* .

وأما قصي بن كلاب ، فإنه أول من جمع قبائل قريش ، وأنزلها بمكة ، وبني دار الندوة ، وأخذ مفتاح الكعبة من خزاعة . وكان له من الولد : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد^٥ . فأما عبد ، فبادوا . وأما عبد العزى ، فمنهم خويلد بن أسد أبو خديجة . وأما عبد الدار ، فمنهم آل أبي طلحة ، ومنهم شيبه بن عثمان ، وقد أعطاه النبي مفتاح الكعبة ، وصار في

١ العقد الفريد (٣/٣١٣) ، ابن حزم ، جمهرة (١١) الانباه (٦٦) ، البلاذري انساب (٣٩/١) .

٢ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٧٢) .

٣ المعارف (ص ٣٢) ، « والحارث ، وهم جشم وهم في همدان » ، نسب قريش (ص ١٣)

٤ نسب قريش (ص ١٣) ، المعارف (ص ٣٢)

٥ المعارف (ص ٣٢) نسب قريش (ص ١٣)

٦ نسب قريش (ص ١٤) ، المعارف (ص ٣٢) فما بعدها

ولده . وأما عبد مناف ، فولده هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل وأبو عمرو^١ .
وأما طابخة بن الياس ، فولد أدآ ، وولد (أد) مرآ وعبد مناة وضبة
ومزينة وحميسا والرباب . فأما عبد مناة ، فبنهم تيم بن عبد مناة ويطونها ،
وعدي بن عبد مناة ، وعطل بن عبد مناة ، وهؤلاء الثلاثة من الرباب ، وثور
ابن عبد مناة^٢ . وجعل (الزبيري) ولد أد بن طابخة : مزينة ، ومرآ وتيمما^٣ .
وأما ضبة بن أد ، فولده سعد وسعيد وباسل . فأما باسل ، فهو أبو الديلم ،
وقتل سعيد ولا عقب له ، وضبة كلها ترجع الى (سعد بن ضبة) ، وهي
جمرة من جمرات العرب ، وهي من الرباب . وولد سعد الذين تنسب اليهم ضبة
بكرآ ، وثعلبة وصريمآ . ومن بطونهم نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ،
وعائذة ، وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم . ومن ذهل بجالة ، وتيم ،
وصبيح ، وضبة ، وكعب . ومن كعب ضرار بن عمرو ، وهو بيت ضبة ،
وبنو صباح ، وهم معروفون بالصيد ، وشقرة وهلال^٤ .

وأما مزينة بن أد ، فهم مزينة مضر ، ومنهم الشاعر زهير . وأما حميس
بن أد ، فهم قليلون ، يكونون في البصرة في بني عبد الله بن دارم وبالكوفة
في بني مجاشع . وأما مرآ بن أد ، فولده ثعلبة بن مرآ . وهم بنو ضاعنة ،
ونسبوا الى أمهم . وبكر بن مرآ ، وهم الشعراء وأراشة بن مرآ ولحقوا باليمن ،
فصاروا في جذام ، ويقال لهم جديس ، والغوث بن مرآ ، وصاروا باليمن ،
ويقال لهم بنو صوفة ، وكانوا يفيضون بالناس قبل بني صفوان وتيم بن مرآ .
وأما تيم بن مرآ ، وقبره بـ (مران) ، فولده زيد مناة ، وعمرو ،
والحارث . فأما الحارث ، فبنهم شقرة ، وأما عمرو ، فولده العنبر والهجوم
وأسيد والقليب والحارث بن عمرو المعروف بـ (الحبط) ، ويقال لولده (الحبطات) ،
ومالك بن عمرو . وأما زيد مناة ، فولد سعدآ وفيهم العدد ، وعامرآ ، وانتسب
ولده الى عامر بن مجاشع والحارث ، وهم قليل ، وامرؤ القيس ، منهم عدي

١ نسب قريش (ص ١٤) ، المعارف (ص ٣٢ وما بعدها)

٢ المعارف (ص ٣٤)

٣ نسب قريش (ص ٨) .

٤ المعارف (ص ٣٤) .

٥ المعارف (ص ٣٤) .

ابن زيد الشاعر ، وقبائلهم بنو عصىة . ومالك بن زيد مناة ومنهم ربيعة الجوع ، ومنهم البراجم ، وهم عمرو وقيس وكلفة وظليم وغالب بنو حنظلة بن مالك : ومنهم بنو يربوع بن حنظلة ، وهم بنو كليب بن يربوع ، ورياح بن يربوع ، وثعلبة بن يربوع ، وعُدانة بن يربوع ، وحزام بن يربوع^١ .

ومن تميم بن مرّ بنو دارم بن مالك بن حنظلة ، ومجاشع بن دارم ، ونهشل ابن دارم ، ومنهم بنو العدوية ، نسبوا الى أمهم ، وهم : زيد بن مالك بن حنظلة ، وصدى بن مالك بن حنظلة ، ويربوع بن مالك بن حنظلة ، وعوف ابن مالك بن حنظلة ، وجشش بن مالك بن حنظلة^٢ .

وأما سعد بن زيد مناة بن تميم فهو الفزّر . وولده كعب بن سعد ، وعمرو ابن سعد ، والحارث بن سعد ، وهم : عوافة ، وعبشمى بن سعد ، واسمه مقروع ، وجشم بن سعد ، ومالك بن سعد ، وهيرة بن سعد . فأما كعب ابن سعد ، ففيهم العدد . منهم مقاعس ، ومنهم حمان ، ومنهم بنو منقر ، ومنهم بنو مرة ، ومنهم ربيعة . ومن (عوف بن كعب) بهدلة رهط الزبرقان ابن بدر ، وقريع رهط بني أنف الناقة ، ومنهم آل عطارذ وآل صفوان بن شجنة الذين كانت فيهم الإفاضة بالناس من عرفة ، ومن عطارذ بنو عوف^٣ :

وأما قيس بن عيلان ، وهو قعة بن الياس بن مضر ، فولد سعداً، وعكرمة ، وأعصرأ ، وعمراً ، وخصفة . وبعض النساب يزعم أن عكرمة هو ابن حفصة ، وأعصر هو ابن سعد^٤ . وأما عمرو بن قيس ، فولده فهم وعدوان . فن فهم تأبط شراً . وأما عدوان ، فن بطونهم بنو خارجة وبنو وابش وبنو يشكر وبنو عوف والفرعا وبنو رهم وبنو رباح . ومن عدوان عامر بن الظرب حاكم العرب ، وأبو سيارة الذي كان يفيض بالناس ، وعدوان أنزلوا ثقيفاً بالطائف ، وكانت كثيرة السادة ، فتنفروا يبغى بعضهم على بعض^٥ .

١ المعارف (ص ٣٥)

٢ المعارف (ص ٣٥)

٣ المعارف (ص ٣٦)

٤ المعارف (ص ٣٦)

٥ المعارف (ص ٣٦)

وأما بنو سعد بن قيس عيلان ، فهم غطفان^١ وأعصر بن سعد : فولد أعصر غنياً ومعتناً وهو أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همدان نسب بنو معن اليها ، ومنبه بن أعصر وهم الطفاوة . فأما غني ، فمنهم بنو ضبيبة وبنو بهثة وبنو عبيد . وهم حلفاء في بني كلاب . وأما الطفاوة ، فمنهم بنو جسر وبنو سنان ، وكانوا في بني شيبان حلفاء . ومن الطفاوة الحبال ، وكانوا في المهجم ، وأما معن ابن أعصر ، فولد قتيبة ووائل ، وأمه من فزارة ، وأود ، وجاءت أمها باهلة امرأة من همدان ، وفراص وأبو عليم^٢ .

وأما قتيبة بن معن ، فن ولد غنم ، وولد غنم سهم بن غنم ، ومن بني قتيبة بنو صحب ، وهم يتزلون اليمامة . ومنهم عمرو بن عبد واعبد وقعب وسعد بن عبد وعامر بن عبد ، ومن بني سعد بنو أصمع . وأما وائل بن معن ، فمنهم بنو سلمة وبنو هلال بن عمرو وبنو زيد وبنو عامر ابن عوف وبنو عصية^٣ .

وأما غطفان بن سعد ، فولد ريث وعبدالله ، فولد ريث بغيضاً وأشجع ، فولد بغيض ذبيان وعيساً وأنماراً . وأما عبدالله بن غطفان ، فمنهم في بني عبس : وأما أشجع ، فمنهم بنو دهمان . وأما أنمار بن بغيض ، فمنهم قليل . وأما عبس بن بغيض ، فولد قطيعة ، وورقة ، ومعتم ، والشرف والعدد في قطيعة . وأما ورقة ومعتم ابنا عبس ، فلا يعرف منها أحده^٤ .

وأما ذبيان بن بغيض ، فولد فزارة ، وسعد ، وهاربة البقاء ، وقد بادت هاربة الا بقية^٥ بسيرة في بني ثعلبة بن سعد ، وأما فزارة بن ذبيان ، فولد عدي ، وظالم ، ومازن ، وشمخ . فأما ظالم ، فقد بادوا الا قليلاً ، وأما شمخ بن فزارة ، فولد لؤي وهلال ، وأما مازن بن فزارة ، فمنهم بنو العشاء ، وأما عدي بن فزارة ، فولد ثعلبة وسعد^٥ .

وأما سعد بن ذبيان ، فولد ثعلبة وعوف . فن ثعلبة بنو جحاش ، وبنو سبيع ، وبنو حشور . وفي بني سبيع البيت والشرف . وولد عوف بن سعد

-
- ١ التنبيه (ص ٢٠٩ ، وما بعدها ، ٢١٦)
 - ٢ المعارف (ص ٣٦)
 - ٣ المعارف (ص ٣٧)
 - ٤ المعارف (ص ٣٧)
 - ٥ المعارف (ص ٣٨)

مرة وعيداً . فأما عيد ، فقليل ، وفي مرة بن عوف الشرف والسؤدد . فولد مرة بن عوف غيظاً ، ومالكاً ، وحرمة ، وسها ، وبني صارذ وغيرهم . فولد غيظ نسبة وبربوعاً^١ .

وأما خصفة بن قيس عيلان ، فولده عكرمة ومحارب . وبعضهم ذكر ان عكرمة هو ابن قيس . وأما محارب ، ففهم جسر والخضر . وبني جسر حلفاء بني عامر بن صعصعة . وأما عكرمة ، فولده عامر ومنصور ، وأبو مالك . فأما بنو أبي مالك ، فهم في بني تيم الله . وأما عامر ، فهم حشوة في بني سليم ولهم بقية بالبادية . وأما منصور بن عكرمة ، فولده سليم ، وسلامان ، وهوازن ، ومازن . وأما سليم فولده بهثة . وولد بهثة امرأ القيس وعوفاً . ومن قبائل سليم ، بنو حرام ، وبني خفاف ، وسماك ، ورعل ، وذكوان ، ومطروود ، وهز ، وقنفذ ، ورفاعة ، وعصبة ، وظفر ، وبجلة ، وحبيب ابن مالك ، وبني الشريد ، وبني قتيبة^٢ .

وأما هوازن بن منصور ، فولده بكر ، ومسيح ، وحرب ، ومنبه ، ولاعقب لسبيع وحرب . وأما منبه ، فهو أبو ثقيف في قول بعض النسابين . وولد بكر بن هوازن سعداً ومعاوية وزيداً . ومن ولد معاوية بن بكر ، جشم ، ونصر ، وصعصعة ، والسباق ، وجسر ، وجحش ، وجحاش ، وعوف ، ودحوة ، ودحية . فأما دعوة ، ودحية ، وجحش ، وجحاش ، فلا عقب لهم . وأما عوف ، فيقال لهم الوقعة^٣ .

وأما صعصعة بن معاوية ، فولده عامر ومرة وغازة ومازن وواثلة . فأما بنو مرة ، فيعرفون بـ (بني سلول) . وأما عامر بن صعصعة ، فولده هلال ابن عامر ، وسواء بن عامر ونمير بن عامر ، وهي جمرة من جمرات العرب . وربيعه بن عامر ، وولده بنو مجد وينسبون الى أمهم . وهم عامر بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ، وكعب بن ربيعة . فأما عامر بن ربيعة ، فن ولده عمرو ابن عامر فارس الضحياء ، وبني البكا بن عامر . وأما كلاب بن ربيعة ، فن ولده جعفر ، ومعاوية ، وربيعه ، وأبو بكر ، وعمرو ، والوحيد ، ورواس ،

١ المعارف (ص ٣٨)

٢ المعارف (ص ٣٨)

٣ المعارف (ص ٣٩) .

والأضبط ، وعبدالله : وأما معاوية بن كلاب ، ففمنهم الضباب ، وهم حصل وحسيل وضب^١ :

وأما عمرو بن كلاب ، ففمنهم بنو دودان . وأما أبو بكر بن كلاب ، ففمن ولده القرطات : قرط وقريط ومقرط . وأما كعب بن ربيعة ، ففمن ولده عقيل وقشير والحريش وجعدة وعبدالله وحبيب . وأما عبدالله ، ففمن ولده بنو العجلان . وأما قشير بن كعب ، ففمنهم غطيف وغطفان ، ومنهم مالك ذو الرقية ، ومنهم بنو ضمرة . وأما عقيل بن كعب ، ففمنهم خفاجة ، ومنهم الخلفاء ، ومنهم الأخيل^٢ .

وأما منه بن هوازن بن منصور ، فولده قسي ، وهو ثقيف . فولد ثقيف جشم وعوفاً والمسك ، فتزوج قاسطاً المسك ، فولدت واثلاً أباً بكر بن واثل : وأما جشم ، فولد حطيظاً ، فولد حطيظ مالكاً وغاضرة . وأما عوف ، ففهم الأحلاف ، وذلك أنهم تحالفوا على بني مالك وصارت غاضرة مع الأحلاف ، فثقيف فرقان : بنو مالك والأحلاف^٣ .

هذا وإننا لنجد بعض النسابين ينسبون ثقيفاً الى (ثمود) ، فيقولون إنهم من بقاياهم ، وهو نسب لا يرضى عنه الثقفون بالطبع ، ويزعمهم أن يكونوا من قوم هلكوا بسبب غضب الله عليهم^٤ . ومنهم من جعل نسبهم في إيساد : ومنهم من جعل نسبهم من (أبي رغال) الى غير ذلك من أقوال ، يظهر أنها ظهرت في الإسلام كرهاً للحجاج بن يوسف ، أحد بني ثقيف ، المشهور بتعسفه وبظلمه . وقد قيل إن قيساً ، وهو اسم (ثقيف) هو من القسوة ، وكان غليظاً قاسياً^٥ ولا أظن أن هذا التفسير هو مما يرضي الثقفين .

وأما ربيعة بن نزار بن معد ، فولد أسد بن ربيعة وضييلة بن ربيعة وأكلب ابن ربيعة . فأما أكلب بن ربيعة ، ففهم في خثعم . وهم بطون كثيرة تنسب الى خثعم . وأما ضبيعة بن ربيعة ، فولد أحمس ، والحارث ، والقلادة ، وأما

١ المعارف (ص ٣٩)

٢ المعارف (ص ٤٠)

٣ المعارف (ص ٤١)

٤ ابن خلدون (٢٤/٢) .

٥ الاشتقاق (١٨٣/٢) ، الاغانى (٢٢٠/١٤) ، المبرد ، الكامل (٢٧٦/١) ، الانباه (٨٩) ، البلاذري ، انساب (٢٥/١)

أسد بن ربيعة ، فولد جديلة وعنزة وعميرة . فأما عميرة ، فهم في عبد القيس .
أما عنزة ، فاسمه عامر . وأما جديلة ، فولد دعمي وولد دعمي أفصى ، فولد
أفصى هنباً وعبد القيس . فولد عبد القيس اللبو وأفصى . وولد أفصى شناً
ولكيزاً . فمن شنّ الدليل بن شنّ . وولده سعد وجديلة وعامر وحبيب . ومنهم
بنو بهثة بن جديمة بن الدليل بن شنّ . وأما لكيز ، فولد نكرة وصباحاً ووديعة .
فأما نكرة ، فهم حلفاء جديمة ، ومنهم هنية بن نكرة ، وهم أهل البحرين^١ .
وفيهم العدد والشرف ، ومنهم المثقب العبدي الشاعر والمزق الشاعر والمفضل
ابن عامر الشاعر وصاحب القصيدة المنصفة . وبعمان قوم من نكرة ، وباليمن
قوم منهم .

وأما وديعة ، فولده عمرو وغنم ودهن . فأما دهن ، فهم وائلة ، نسبوا
إلى أمهم . وأما غنم ، فولد عمرو بن غنم وعوف بن غنم . وأما عمرو بن وديعة
فولده أنمار وعجل ومحارب والدليل والعوق وامرؤ القيس . فمن ولد الدليل أهل
عمان . وأما العوق ، فمنهم العوقة ، وهم عمانيون قليل . وأما أنمار ، فمنهم
عصر ، ومنهم ظفر . وأما محارب ، فولد حطمة وظفر أبي محارب^٢ .

وأما هنب بن أفصى ، فولد قاسط بن هنب وعمرو بن هنب وخندف بن
هنب . وأما عمرو بن هنب ، فهم بنو شيبان . وأما قاسط ، فولد
عمرو بن قاسط والنمر بن قاسط ووائل بن قاسط . أمهم المسك بنت ثقيف .

وأما النمر بن قاسط ، فولد تيم الله وأوس الله وعائد الله وأمهم هند بنت
تيم بن مر وإخوتهم لأمهم بكر وتغلب ، وأخوهم لأمهم أيضاً اللبو بن عبد
القيس . فأما تيم الله ، فولد الخزرج والحريث . وولد الخزرج سعداً . وأما
وائل بن قاسط ، فولد بكر بن وائل وتغلب بن وائل وعنز بن وائل . أمهم
هند بنت تميم بن مر . فأما عنز بن وائل ، فأولد أراشة ورفيدة . فمن أراشة
أشجع وغضاضة^٣ .

وأما تغلب بن وائل ، فولد غنم بن تغلب والأوس بن تغلب وعمران بن
تغلب . فأما غنم بن تغلب ، فمنهم معاوية بن عمرو بن غنم . ومنهم الأرقام ،

١ المعارف (ص ٤١) فما بعدها)

٢ المعارف (ص ٤٢)

٣ المعارف (ص ٤٢)

وهم : جشم ، ومالك ، وعمرو ، وثعلبة ، والحث ، ومعاوية بنو بكر بن حبيب بن عمرو . ومن بني تغلب عكب . ومنهم بنو عدي بن أسامة ، ومنهم بنو كنانة يقال لهم قريش تغلب . وهم بنو عكب . ومنهم جشم بن بكر ، ومن بني جشم بنو الحارث بن زهير ، رهط كليب بن ربيعة ، ومنهم بني زهير بنو عتاب .

وولد بكر بن وائل علي بن بكر ، ويشكر بن بكر ، وبدن بن بكر ، أمهم هند بنت تميم بن مر . ويقال لها أم القبائل . فأما يشكر ، فولد كعباً وكنانة وحرباً . وفي كعب العدد والشرف . فمن ولد كعب حبيب والعتيك ، ومنهم بنو غنم بن حبيب وثعلبة وجشم وعدي بن جشم^١ . وأما علي بن بكر ، فولده صعب .. وولد صعب لجيماً وعكابة ومالكاً . فأما مالك ، فمنهم بنو زمان وعددهم في بني حنيفة . وأما لجيم ، فولد عجلاً وحنيفة . فأما عجل ، فولده ربيعة وضبيعة وسعد وكعب . فأما كعب وضبيعة فقليل .

وأما حنيفة بن لجيم ، فولده الدول وعدي وعامر وعبد مناة . فأما عبد مناة فهم قليل . وأما الدول ، فمنهم بنو هفان . وولد عكابة بن صعب قيساً وثعلبة . فأما قيس ، فقليل ، وعددهم في بني ذهل . وأما ثعلبة بن عكابة ، فيقال له الحصن . وولد ثعلبة ذهلاً وشيبان وقيس وتيم الله وأتيداً وضنة . فأما وضنة ، فلحقت باليمن فصارت في بني عذرة . وأما أتيد ، فهي في بني شيبان . وأما تيم الله بن ثعلبة ، فهم اللهازم ، وهم حلفاء بني عجل . فولد تيم الله مالكاً والحارث وعامراً وهلالاً وذهلاً وزماناً وحاطمة ، فهؤلاء يقال لهم الأخلاف ، إلا الحارث وعامراً ومالكاً ، وسمي أولئك أخلافاً لأنهم تحالفوا على هؤلاء^٢ .

وأما قيس بن ثعلبة ، فولد ضبيعة وتيماً وسعداً . وفي ضبيعة العدد . وأما تيم بن قيس وسعد بن قيس ، فهما الحرقتان . وأما ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، فولد شيبان وعامراً . فأما عامر ، فيقال لها الوحيم . وأما شيبان ، فولده سدوس وفيه العدد ، وعمرو ومازن وعلباء وعامر وزيد مناة .

١ المعارف (ص ٤٣)

٢ المعارف (ص ٤٤)

فأما علياء ، فهم قليل . وأما شيان بن ثعلبة بن عكابة ، فولده : ذهل ،
وتيم ، وثعلبة ، وعوف . فأما عوف ، فلا عقب له . وأما ذهل بن شيان ،
فولد مرة بن ذهل ، وربيعة ، وعلم ، والحارث ، وعبد غنم ، وعوفاً ،
وصبحاً وشيخان ، وعمر و أمه جذرة ، وهم يدعون بني الجذرة ، وهم
قليل^١ .

والأنساب التي دونتها ورتبتها ، لا تعني انها أنساب كاملة ، كل شجرة
منها بأغصانها وأوراقها ، لم أترك نسباً ، ولم أهمل اسماً . بل هي خلاصة
الأنساب ، أخذتها كما رويت في كتاب (الإكليل) للهمداني وفي كتاب (المعارف)
لابن قتيبة . وقد ترك ابن قتيبة أسماء قبائل وبطون وأفخاذ ، لأنها لم تكن مثل
المذكورين في الشهرة . وبين (ابن قتيبة) وغيره من النسابين اختلاف كبير
في عرض الأنساب وترتيبها . ولما كان عملي هو وضع مخطط عام في النسب
لا غير ، فقد رأيت الاكتفاء بهذا الرسم الأولي ، وترك التفاصيل ومواطن
الخلافاً الى الراغبين في دراسة النسب المتعشقين له ، ليراجعوا الكتب الخاصة بها .
وغايتي من هذا المخطط ، هو تقديم جريدة صغيرة الى القارئ بأسماء قبائل عدنان
وقحطان ، ليقف عليها ، فعلى هذه المعرفة يتوقف فهم كثير من الأحداث .

الفصل العاشر

أثر التوراة

لهذا المدون في التوراة عن الإسماعيليين والقحطانيين ، وعن نوح وأولاده ، وعن الأنساب الأخرى ، أثر ظاهر على عمل أهل الأخبار والأنساب الذين اشتغلوا بموضوع النسب في الإسلام ، بل يظهر أن أثره كان فعالاً ومؤثراً حتى في الجاهليين ، وذلك لاتصالهم واختلاطهم بأهل الكتاب :

وكان لما جاء في القرآن الكريم مجملًا من أمر آدم ونوح والطوفان وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وغيرهم ، وما جاء فيه من أمر عاد وثمود وقوم صالح وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، أثر كبير أيضاً في أهل الأخبار والتفسير حملهم على البحث عنهم . والتفتيش عن أخبارهم من الأحياء المسنين الذين كانوا يقصون على جيلهم قصص الماضي وأخبار العرب المتقدمين ، ومن أهل الكتاب الذين كان لهم إلمام بما جاء في التوراة من الرسل والأنبياء والأمم القديمة والأنساب .

ويمكن حصر الروايات الواردة في الأنساب ، والمأخوذة من أهل الكتاب ورجعها إلى الطرق الأصلية التي وردت منها وإلى الأماكن التي ظهرت فيها ، وسنجد بعد البحث أن أكثر رواة هذا النوع من الأخبار كانوا قد استقوا من معين واحد . هم مسلمة أهل الكتاب ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجل من أهل تدمر عرف

بـ (أبي يعقوب) كان يهودياً فأسلم . وقد زود (ابن الكلبي) وغير ابن الكلبي بقسط من هذه الأسماء التي يستعملها النسابون في الأنساب : وكان (محمد ابن اسحاق) صاحب السيرة يعتمد على أهل الكتاب ، ويكثر الرواية عنهم ويسميهـم أهل العلم الأول^١ .

وقد استغل نفر من أهل الكتاب حاجة المسلمين هذه الى الوقوف على (البدء)^٢ أي مبدأ الخلق والتكوين ، وقصص الرسل والأنبياء ، وكيفية توزيع البشر ، فأخذوا يفتعلون ويضعون ويصنعون على التوراة والكتب اليهودية المقدسة ، يبيعونه لهم أو يتقربون به اليهم ، إدعاءً للعلم والفهم . قال الطبري (كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً)^٣ .

أما ما ذكره من أن (أبا يعقوب) التدمري وجد في كتاب (بورخ بن ناريا) (كاتب أرميا) ، نسب (معد بن عدنان) فإنه كذب وتلفيق ، فليس في كتاب (بورخ) شيء من هذا النسب . وكتابه من جملة أسفار (الأبوكريفا) في نظر (البروتستانت)^٤ ، وهو مترجم الى العربية ومطبوع مع أسفار التوراة الأخرى ، في الترجمة (الكاثوليكية) ، وقد قرأناه فلم نجد فيه شيئاً من هذا الذي يذكره اليهودي الذي دخل في الإسلام . وليس لـ (بورخ) كتاب آخر فنقول

١ الفهرست (ص ١٣٦) ، « عن محمد بن اسحاق . قال حدثني بعض اهل العلم من اهل الكتاب » ، الاكلیل (٣١/١)

٢ « وفي كتاب البدء ، ونقله ابن سعيد » ، قيل للكتب التي تبحث في الخلق وبدء التكوين والانبياء « كتب البدء » ، قال المسعودي : « وما ذكره اهل التاريخ والمصنفون لكتب البدء ، كوهب بن منبه وابن اسحاق وغيرهما .. » مروج (٣٢٠/١) ابن خلدون (١٨/٢ ، ٣٤٤)

٣ « وكان رجل من اهل تدمر يكنى ابا يعقوب من مسلمة بنى اسرائيل قد قرأ من كتبهم وعلم علمهم ، فذكر ان بورخ بن ناديا كاتب ارميا اثبت نسب معد بن عدنان عنده ووضعه في كتبه ، وانه معروف عند احباء اهل الكتاب وعلمائهم مثبت في اسفارهم ، وهو مقارب لهذه الاسماء ، ولعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لان هذه الاسماء ترجمت من العبرانية » ، الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٢٩) ، تفسير الطبري (٣٠٠/١) ، (٢٣١/٣)

Nallino, Raccolta, Vol. 3, P. 120, Sprenger, Mohammad, Vol. 3, P. CXXXIII, Goldzliher, Muh. Stud. Bd. I, S. 178, Muir, Life of Muhamet, CVII, Bate, P. 117.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٥/١)

لأنه وجده فيه ، ولا يعقل أن يكون كتاب (بورخ) الذي قرأه نسخة خاصة لم توجد عند غيره من الناس ، حتى نحسن الظن به . وكل ما نجده في سفر (بورخ) مما قد يكون له علاقة بالعرب هو هذه الكلمات : (لم يسمع به في كنعان ولا تروى في تيمان ، وبنو هاجر أيضاً المبتغون للتعقل على الأرض وتجار مرّان وتيمان وقائلو الأمثال ومبتغو التعقل ، لم يعرفوا طريق الحكمة ولم يذكروا سبلها)^١ . وليس في هذه الكلمات كما نرى شيء ما له صلة بنسب (معد بن عدنان) .

فكنعان ، كناية عن الكنعانيين ، وليست لهم صلة بمعد أو بعدنان . وأما (تيمان) فكناية عن أرض كانت في الجنوب الشرقي من (أدوم) ، وهي أرض (أبناء الشرق) ، وقد نسبت التوراة التيمانيين الى (اليفاز بن عيسو)^٢ ، ونسبت اليهم الحكمة^٣ . وليست لهم علاقة أيضاً بأبناء معد ولا بعدنان .

وأما (بنو هاجر) (الهاجريون) (Hagrites) فانهم شعب سكن شرق أرض (جلعاد) ، وقد اختلف علماء التوراة في أصله ، فمنهم من عدّه قبيلة عربية ، ومنهم من عدّه من الآراميين ، ومنهم من رأى انهم (الإسماعيليون) . وقد ذكر الهاجريون مع أقوام من الآراميين في كتابة أخبار انتصارات (تغلا تيليس الثالث) (Tiglath-Pileser III) . وهكذا وجدنا أنفسنا غاجزين حتى في هذا الموضع من سفر (باروخ) من العثور عن أية صلة للكلمات المذكورة بنسب (معد بن عدنان) .

ويروي رواية الشعر وأهل الأخبار شعراً لعدي بن زيد العبادي ولأمية بن أبي الصلت ولنضر آخر من الشعراء في أحداث وأمرور توراتية . وهذه الأشعار إن صح انها لهم حقاً ، دلت على وقوف أولئك الشعراء على التوراة، أو على بعض أسفارها ، أو على قصص منها . أما عدي بن زيد ، فلا أستبعد وقوفه على التوراة ، فقد كان نصرانياً قارئاً كاتباً بالفارسية والعربية ، وربما كان كاتباً بلغة بني إرم كذلك ، لغة المثقفين في العراق يومئذ . وقد كان هو نفسه من

١ نبوة باروك ، الاصحاح الثالث ، الاية ٢٢ وما بعدها .

٢ التكوين ، الاصحاح ٣٦ ، الاية ١١ ، قاموس الكتاب المقدس (١ / ٢٩٦ وما بعدها)

٣ ارميا الاصحاح ٤٩ ، الاية ٧ وما بعدها .

المثقفين ثقافة عالية بالقياس الى زمانه ، وفي شعره زهد وتصوف وتدين وتأمل وتفكر ، فلا يستبعد إذن أخذه من التوراة ومن الأناجيل . وقد أورد (الهمداني) له أبياتاً في قصة آدم وحواء والجنة والحياة^١ . وهي أبيات فيها ركة وضعف ، ولكنها منتزعة من (سفر التكوين) من التوراة أخذت منه^٢ . وهي إن كانت من شعره ومن نظمه حقاً ، كانت أقدم شعر يصل إلينا في نظم بعض قصص التوراة بلغة عربية .

وأما (أمية بن أبي الصلت) ، فقد كان واقفاً على كتب اليهود والنصارى كما يذكر أهل الأخبار ، قارئاً لكتب الديانتين ، مطلعاً على العبرانية أو السريانية أو على اللغتين معاً ، إن كان واقفاً أي حائراً بين الديانتين ، فلم يدخل في أمية ديانة منها ، وإنما كان من الأحناف على حد تعبير أهل الأخبار ، لذلك لا يستبعد وقوفه على قصص توراني وإنجيلي ، وعلى الاستفادة منه في الشعر . ونجد في شعره ألفاظاً غريبة ، يذكر أهل الأخبار أنه أخذها من لغات أهل الكتاب ، فوضعها في شعره ، وشعره كما قلت في مواضع من هذا الكتاب يستحق من هذه الناحية الدرس والنقد ، لنرى الى أية درجة من الحق والصدق تصل دعاوى أهل الأخبار في شعر أمية ، وفي نسبه اليه . وهو إن ثبت أنه له ، كان أيضاً دليلاً على وقوف المثقفين من الجاهليين على كتب أهل الكتاب ، وشيوعه في الحجاز ، وكان أيضاً دليلاً على نظم بعض الشعراء لحوادث التوراة والإنجيل في شعرهم في ذلك العهد :

ونجد في شعر (أمية بن أبي الصلت) وأمثاله من المتصلين بأهل الكتاب القارئون لكتبهم كما يذكر أهل الأخبار ، فائدة كبيرة لنا في تكوين رأي عام عن وقوف العرب على الآراء التوراتية في الجاهلية ، وفي جملة ذلك أنساب التوراة . وفي الشعر المنسوب الى (أمية) آراء مستمدة من التوراة ، مثل شعره في (نوح) وفي قصة (الطوفان) والغراب والحمامة وبقية حكاية الطوفان الى زواله ، فإنه إن صح دل على وقوف (أمية) على خبر قصة (الطوفان) الواردة في السفر السادس فما بعده من التكوين . فإن ما جاء في هذا الشعر هو اقتباس

١ الاكليل (٢٩/١) وما بعدها

٢ الاصحاح الثاني وما بعده

لما ورد في تلك الأسفار^١ : ونجد له أشعاراً أخرى إن صحت نسبتها إليه ، دلّت على أنه كان على اتصال بأهل الكتاب ، وعلى أخذٍ منهم . ولعله كان يغرف من قصصهم الذي كان يشرح للناس ما جاء في التوراة ، أو أنه كان يراجع ترجمات التوراة كانت بعريية أهل الكتاب في ذلك العهد ، أو يسمع منهم ترجمة التوراة سماعاً فوقف على بعض ما جاء فيها ، وفي جملة ذلك هذا القصص ، وربما الأنساب المتعلقة بالعرب كذلك .

وحكاية (أمية) عن الطوفان أقرب الى التوراة من حكاية (الأعشى) أبي بصير ميمون بن قيس ، عن الطوفان . وذلك إن صح أن ذلك الشعر من نظمه حقاً . فإن العناصر التوراتية فيه ليست بارزة واضحة وضوحها في شعر أمية : ويظهر من بعض الجمل الواردة في شعر الأعشى عن الطوفان مثل :

ونادى ابنه نوح وكان بمزل ألا اركب معي واترك مصاحبة الكبر

فقال :

سأوي نحو أعيط مشرف بطول شنان السماء ذي مسلك وعر^٢

ومثل :

ونجا لنوح في السفينة أهله ملاحكة الألواح معطوفة الدر
فلما استوت من أربعين تجرمت تناهت على الجودي أرسى فما تجري^٣

ومن مضمون القصة نفسها ، ان المنبع الذي استقى منه الشاعر (الطوفان) هو القرآن الكريم ، ومن يراجع الآيات المنزلة عن (نوح) وعن الطوفان وعن ابنه ، وكيف امتنع عن الركوب معه بالرغم من إلحاح نوح عليه ، يجزم أن الشاعر المذكور قد أخذ الطوفان من القرآن الكريم ومن موارد اسلامية ، واستعمل ألفاظاً وتراكيب وردت في كتاب الله ، ولم ترد في التوراة :

١ راجع التكوين ، الاصحاح السادس فما بعده ، الاكليل (١٨/١ وما بعدها)
٢ « الكبر » هكذا ضبطت في الاكليل (٥٢/١) ، وارى ان لفظة الكفر انسب الى المعنى من هذه اللفظة .
٣ الاكليل (٥٢/١)

واني أشك في كون هذا الشعر من شعر (الأعشى) . فالأعشى رجل لم يسلم
وان أدرك أيام الرسول ، كان قد قصد الرسول ، ونظم قصيدة في مدحه ،
ولكن قريشاً أثرت عليه ، وحالت بينه وبين الوصول الى الرسول ، وعاد الى
(منفوحة) بلدته ، فمات بها دون أن يسلم . والرأي عندي ان تلك الأبيات ،
هي من صنع مسلم ، وضعها على لسانه .

ولا يعني شكّي في صحة نسبة هذه الأبيات الى الأعشى ، ان الأعشى كان
بعيداً عن آراء ومعتقدات أهل الكتاب ، غير واقف على أخبارهم وعقائدهم .
فقد كان الأعشى جوالاً جواً زار العراق وبلاد الشام ، اتصل بقبائل نصرانية ،
وجالس اليهود والفرس والروم ، ووردت في أشعاره ألفاظ من ألفاظ الحضارة
الأعجمية ، كما وردت فيها أفكار تسدل على وقوف على آراء وأفكار دينية
وخواطر فلسفية ، فرجل مثل هذا لا يستبعد وقوفه على قصص يهودي ونصراني
وعلى آراء دينية لأهل الكتاب . وللحكم على مقدار فهمه لها ، يمكن بالطبع
دراسة ما ورد في الشعر على لسانه ، ومطابقته بما نعرفه من آراء القوم لنقف
على درجة صلة ما جاء في شعر الأعشى من آراء ومعتقدات بآراء أهل الكتاب
ومعتقداتهم .

أما الأماكن التي ظهرت فيها هذه الروايات الاسرائيلية ، فهي : اليمن ،
والمدينة ، والعراق . ومن العراق الكوفة بصورة خاصة . وقد كان في كل هذه
المواضع رجال من أهل الكتاب موتوا أهل الأخبار بما كانوا يرغبون في معرفته ،
ولم يكن هؤلاء على قدر واحد في المعرفة والفهم ، والظاهر ان منهم من لم يكن
له إلمام بالتوراة ولا بالتلمود وغيرهما من الكتب ، وانما أخذ ذلك من أهل النظر
منهم ، أو كما وصل اليه من أهله وحاشيته ، ولذلك اضطرب الأخباريون في
بعض الأحيان في رواية خبر واحد ، كما اختلفوا في ضبط الأسماء . وقد علل
ابن خلدون اختلافهم في ضبط الأسماء بقوله : « واعلم ان الخلاف السدي في
ضبط الأسماء انما عرض في مخارج الحروف ، فان هذه الأسماء انما أخذها العرب
من أهل التوراة ، ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب . فاذا
وقع الحرف متوسطاً بين حرفين من لغة العرب ، فترده العرب تارة الى هذا
وتارة الى هذا . وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم ،
فن هاهنا اختلف الضبط في هذه الأسماء »^١ .

١ ابن خلدون (٥/٢)

والحق هو ان هذا الخطأ لم يقع في ضبط الأسماء فقط ، بل وقع في أمور جوهرية أخرى ترىنا جهل بعض الرواة بمجدول الأنساب ، وترينا الخلط أحياناً بين الروايات الاسرائيلية والروايات الايرانية حتى تكون من هذا المجموع المدون في الكتب الإسلامية عن الأنساب خليط من روايات اسرائيلية وروايات فارسية وقصص شعبي عربي ، يجوز أن نضيف اليه عنصراً آخر هو الوضع ، فقد وضع الرواة شيئاً من عندهم حين عجزوا عن الحصول عليه من الموارد الثلاثة المذكورة ، وكان لا بد لهم من سد تلك الثُغْر ، فسدّوها بما جادت به قرائحهم من شعر ونثر . ومن هذا القبيل ، ما أدخلوه على التوراة أيضاً من أنساب زعموا أنها وردت في التوراة ، وليس لها في الواقع وجود فيها .

خذ آدم ، فقد صيّرهُ الأخباريون (كيومرث)^١ وهو من الفرس ، وخذ نوحاً ترّاه صار (افريدون) عند أهل الأخبار وهو من الفرس أيضاً^٢ ، وجعلوا (لاوذ) ابناً من أبناء إرم من سام أخني عوص وكاثر^٣ ، مع انه (لود) في التوراة ، وهو شقيق إرم بن سام ووالد عوص وجاثر^٤ ، وقالوا أشياء أخرى لا وجود لها في التوراة .

أما متى دخلت أنساب التوراة الى العرب ، ومتى ظهرت وشاعت بينهم ، فنحن لا نستطيع أن نحدد ذلك على وجه مضبوط بالقياس الى أيام الجاهلية . ولكننا نستطيع أن نقول انها كانت قد تسربت الى الجاهليين من اليهود ، وذلك بوجودهم في الجزيرة العربية واتصالهم بالعرب ، وقد يكون من النصارى أيضاً ، وقد تفشت في أماكن من جزيرة العرب وبين بعض القبائل ، وان هؤلاء أي أهل الكتاب هم الذين أشاعوا بين الجاهليين هذه الأنساب . وقد تكون لليهود يدٌ في اشاعة خبر رابطة النسب وأواصر القربى التي تربط بينهم وبين العرب ، وذلك للتأثير عليهم وللتقرب منهم ، وللسكن بينهم بهدوء وسلام .

ونستطيع أن نقول جازمين ان هذا القصص الإسرائيلي ، وهذه الأنساب التي يرويها أهل الأخبار ، لم تكن كثيرة الشيوخ بين الجاهليين ، وانما هي شاعت

١ ابن خلدون (٥/٢)

٢ ابن خلدون (٦/٢)

٣ ابن خلدون (٧/٢) .

٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ،

الآية ١٧ ، Hastings, P. 557.

وراجت في الإسلام ، وذلك للأسباب المذكورة ، ومروجوها وناشروها هم زمرة تحدثت عنهم في مواضع متعددة من هذا الكتاب .

ونحن لا يهمنا هنا من الأنساب الواردة في التوراة الا الأنساب المتعلقة بالعرب وبالشعوب العربية ، ومعنى هذه الأنساب الخاصة بذرية (سام) و (كوش) : ويهمنا من ذرية (سام) ذرية (إرم) و (لود) و (أرفخشذ) ، حيث ألحق النسابون بهؤلاء قبائل العرب . أما أشور و (عيلام) ، وهما بقية أبناء (سام) ، فليس لذريتهم علاقة بالعرب ، فليس لنا كلام عنهم في هذا المكان .

وأولاد سام في التوراة ، هم خمسة : (عيلام) ، و (أشور) ، و (أرفكشاد) ، و (لود) ، و (أرام)^١ . وقد ضبط الأخباريون الأسماء على هذه الصورة : (أشوذ) ، و (أرفخشذ) ، و (عليم) (عويلم) (عيلم) ، و (لاوذ) و (إرم)^٢ . وأضافوا اليهم (عابر) ، فصيروه أخاً للمذكورين وابناً من أبناء (سام) . أما في التوراة فإن عابراً هو حفيد حفيد (سام) ، وليس بابن له ، وقد سبق نسبه فيها على هذه الصورة : (عابر بن شالح بن أرفكشاد ابن سام) . وكان إبراهيم هو السابع من أعقابه^٣ .

ونجد الطبري يروي في مكان من تأريخه أن أولاد سام ، هم : (أرفخشذ ابن سام ، وأشوذ بن سام ، ولاوذ بن سام ، وعويلم بن سام)^٤ ، فهم أربعة . وقال بعد اسم (عويلم بن سام) مباشرة : (وكان لسام إرم بن سام)^٥ مما يدل على أن المورد الذي نقل منه الطبري روايته لم يكن على علم تام بخبر أم (إرم) ، ويؤيد هذا الاستنتاج قوله : (قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ واخوته أم لا ٦٩) . وقد قال هذا المورد إن أم أبناء سام المذكورين هي :

-
- ١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ١٧
 - ٢ ويرد إرم في بعض الكتب إرام وإرم ، الطبري (١٠٣/١) ، ابن خلدون (٧/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٣١/١) ، التيجان (٢٥) .
 - ٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢١ ، ٢٥ ، والاصحاح الحادي عشر ، الآية ١٤ فما بعدها ، واخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الآية ١٩
 - ٤ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .
 - ٥ المصدر نفسه
 - ٦ كذلك

(صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم) فيكون عدد أولاد (سام) خمسة أيضاً وهو العدد المذكور في التوراة إلا أننا نرى تبايناً بين روايتي الطبري والتوراة في الترتيب وفي الضبط : ضبط الأسماء .

ونجد الطبري يروي في مكان آخر أن أولاد سام ، هم : عابر ، وعليم ، وأشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وإرم . وذكر أن من ولد (أرفخشذ) الأنبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها والقراعة بمصر^٢ . ويظهر من هذه الرواية أن ولد سام هم ستة ، وقد نتج ذلك عن ضم (عابر) الى ولد سام . وهو ضم مخالف لما جاء في التوراة . ولو رفعنا اسم (عابر) من الأسماء المذكورة ، لصارت بقية الأسماء خمسة ، وقد رتبنا على وفق ما ورد في (سفر التكوين) : ف (عليم) هو (عيلام) ، و (أشوذ) ، هو (آشور) ، و (أرفخشذ) ، هو (أرفكشاد) ، و (لاوذ) ، هو (لود) ، و (إرم) هو (أرام) .

وليس في التوراة ذكر لأبناء (لود) ، أي (لاوذ) أهل الأخبار والأنساب . وكل ما فيها أن له نسلاً ، وقد عرفوا بـ (اللوديين) . وقد ذكروا مع (كوش) و (فوط) مما يبحث على الظن أنهم إفريقيون^٣ . ولورود اسم جدتهم (لود) مع (آشور) و (أرام) و (عيلام) ، يرى علماء التوراة أن اللوديين الذين هم من نسل (لود بن سام) هم شعب من شعوب الشرق الأدنى ، لا تبعد مواطنهم عن البابليين والآشوريين ، وأنهم غير (اللوديين) الإفريقيين ، اللوديين المنحدرين من صلب (مصرايم) ، أي (مصر) المذكورين أيضاً في التوراة^٤ .

ولهذا فإن الأولاد الذين نسبهم أهل الأخبار الى (لود) ، (لاوذ) ، وهم : طسم وعليق ، وجرجسان ، وفارس على رواية ، وجديس ، وأميم ، وعبد ضخم على رواية أخرى^٥ ، وأمثالهم ممن لم نذكر من الأولاد ، هم هبة منحها

١ الطبري (٢٠٢/١ وما بعدها)

٢ الطبري (٢٠٥/١) ، التيجان (٢٥) ، الكامل (٣١/١)

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢ فما بعدها) ، ارميا ، الاصحاح السادس والأربعين ، الآية ٩ .

٤ التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ١٣ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ الآية ١٠ ، الاصحاح

٣٠ ، الآية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس ، (٢٩٩/٢) ، Hastings, P. 557

٥ الطبري (١٠٣/١) ، ابن خلدون (٧/٢)

Sprenger, in ZDMG., 17 (1863), S. 373.

أهل الأخبار والأنساب ل (لاوذ) لا نجد لها ذكراً في التوراة :
 إن (عملياً) ، الذي هو جد العمالة على رأي أهل الأخبار ، وليس من
 نسل (لود) في التوراة ، بل هو جد (أول الشعوب)^١ ، لذلك يبدو تجاسر
 أهل الأخبار بمنح (لود) أولاداً عملاً غريباً ، والظاهر أن (ابن الكلبي) واليه
 ترجع أكثر هذه الروايات ، أو أحد من سألهم عنهم ، اختاروا (لوداً) من
 بين أبناء (سام) فتنحوه أولئك الأولاد . وكان لا بد لهم من نسبتهم الى أحد
 الأجداد المتقدمين القحطانيين ، لأنهم أقدم منهم في نظرهم ، فاختاروا لهم
 ذلك الأب .

أما (أرام) ، وهو (لرم) عند أهل الأخبار ، فقد أولد أولاداً على ما
 جاء في التوراة ، وهم : (عوص) (UZ) ، و (جائر) (كائر) (غائر)
 (Gether) ، و (حويل) ، (حول) (Hul) ، و (ماش) (Mash)^٢ . وقد ذكروا
 في موضع من التوراة أنهم أبناء (سام)^٣ ، وذلك جرياً على طريقة العبرانيين
 في حذف اسم الأب أحياناً ، وإلحاق الحفدة بالجد مباشرة^٤ .

وقد عرف أهل الأخبار هذه الأسماء^٥ ، إلا أنهم قدّموا وأخروا فيها كما
 حرفوا فيها بعض التحريف ، وقد اختار أهل الأخبار (عوصاً) ، فجعلوا له
 أولاداً هم : عاد ، وعييل^٦ ، وغائر بن عوص ، واختاروا (جائر) فجعلوا
 له (ثموداً)^٧ و (جديساً)^٨ . وقالوا عنهم : (وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا

-
- ١ العدد ، الاصحاح ٢٤ ، الآية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس ، (١١٢/٢) .
 - ٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣
 - ٣ اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ١٧
 - ٤ « ولا يستغرب ذلك ، لان من عوائد العبرانيين في جدول أنسابهم انه كثيرا ما
 ينزلون الحفدة واولادهم منزلة الاولاد من الجيل الاول » ، قاموس الكتاب
 المقدس (١٢٦/٢) .
 - ٥ سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣
 - ٦ الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٧) ، الكامل (٣١/١) ، مروج (٢٤/١) (٣١/١) « طبعة
 محمد محيي الدين عبد الحميد »
 - ٧ الطبري (١٠٣/١) ، (٢٠٧/١) « دار المعارف » ، مرو
 محيي الدين عبد الحميد .
 - ٨ الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٧) « دار المعارف » .

اللسان المضري^١ . ولا نجد في التوراة ولا في اليهوديات ذكراً لهؤلاء الأولاد الذين منحهم أهل الأخبار (عوص) أو (غاثر) (جائر) . إذن فالنسب المذكور هو من صنع الأخباريين .

و (أرام) هو جد (بني إرم) أي (الآراميين) . وهم قوم معروفون فلا حاجة إلى التحدث عنهم . وأما (عوص) فهو جد (العوصيين) ، سكان أرض (عوص) موطن (أيوب) (Job) ، إلا أن العلماء لم يتفقوا في تعيين مكانه^٢ . فذهب بعضهم إلى أنه (دمشق) و (اللجاء) (اللجاة) مستندين في ذلك إلى رواية (يوسيفوس) ، وذهب آخرون إلى أنه (أورفا) على الفرات^٣ ورأى بعض أنه في (نجد)^٤ ، وذهب بعض آخر إلى أنه (أدوم) أو العربية الشمالية^٥ ، ورأى (كلاسر) أنه في شمال غرب (المدينة)^٦ ، ورأى غيره أنه في مكان ما من جزيرة العرب أو من بادية الشام^٧ .

وقد استدلل بعض الباحثين من سفر (أيوب) وما ورد عنه : ومن اسمه على أنه كان عربياً ، عاش بين العبرانيين ، أو أن بعضهم اختلط به ، فدوّن أخباره وقصصه^٨ . وقد أمدت كتب (الهكادة) (Haggadah) و (التلمود) و (المدارش) اليهود وأهل الأخبار بقصص عنه وعن أصدقائه الخالص الذين لازموه^٩ .

نرى مما تقدم أن الأخباريين قد ربطوا نسب العرب البائدة أي العرب الأولى بالإرميين (الآراميين) وباللوديين (اللاوذيين) وبالعوصيين وبالجاثريين (الغاثريين) . ولا نجد في كتبهم الأسباب التي حملتهم على رجوع أنساب هؤلاء العرب إلى هؤلاء الآباء . ويظهر أن فكرة وجود عرب أولى عاشت قبل القحطانيين والعدنانيين ،

١ الطبري (٢٠٤/١)

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢)

Enc. Bibl. P. 5238, Hastings, P. 956, Musil, Hegaz, P. 248.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) Josephus, Ant. I, VI, 4.

٤ قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢)

Hastings, P. 956.

Hastings, P. 956.

Hastings, P. 956, Enc. Bibl. P. 5238.

Margoliouth, The Relations, P. 31. f.

٩ « الطبعة الجديدة » Enc., I, P. 795.

جعلت أهل الأخبار يبحثون عن آباء لهم ، يكونون أقدم عهداً من (قحطان) ومن (عدنان) ، فنسبوا أولئك العرب الى (لود) و (أرام) ابني سام ، والى (عوص) و (جاثر) ابني (أرام) ، وهم أقدم عهداً من جدي القحطانيين والعدنانيين .

أما أثر التوراة على النسابين وأهل الأخبار بالنسبة الى الطبقة الثانية من العرب ، الطبقة التي دعاها العرب العاربة ، والعرب القحطانيون ، فقد ذكرت في الفصل الخاص بهؤلاء العرب ان (قحطان) جد القحطانيين ، هو (يقطان) في التوراة . وقد نسبه أكثر أهل الأخبار الى (عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح)^١ . وصيره بعضهم ابناً من أبناء سام . وقد ذكرت ان النسب الثاني نسب مغلوطة ، وان نسبه المذكور في التوراة يجعله الابن الثاني الأصغر لـ (عابر) . أما الولد البكر فهو (فالج) ، فيكون العبرانيون واليقطانيون أبناء عم وفق هذا النسب . وقد ذهب بعض الباحثين في التوراة الى ان (يقطان) لا وجود له ، وإنما ابتدع ابتداءً لاجتماع صلة بين العرب والعبرانيين^٢ .

وقد ذهب بعض الباحثين في التوراة الى ان عابراً ، جد قبيلة كبيرة ، انقسمت على نفسها الى قسمين : قسم بقي فيما بين النهرين ، وهو القسم الذي عرف بذرية (فالج) ، ومن هذه الذرية انحدر (العبرانيون) ، وقسم ترك (ما بين النهرين) وارتحل الى جزيرة العرب ، وهو القسم الذي عرف بـ (يقطان) ، ودليلهم على ذلك ان معنى (فالج) هو (الانشقاق) و (الانقسام) ، وان في أيامه (قسمت الأرض) على رواية التوراة^٣ . ومعنى ذلك انقسام ذرية (عابر) ، وانشطارهم الى شطرين .

وقد ذكر (الطبري) ان (بني يقطن) لحقت باليمن ، فسميت اليمن حيث تيامنوا ، ومصدر خبره هذا (ابن هشام) ، وقد أخذ (ابن هشام) خبره هذا من أهل الكتاب ولا شك .

١ « ويقطن : هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح » ابن سعد الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ١٨ وما بعدها) ، الطبري (٢٠٧/١) دار المعارف

٢ Hastings, P. 491.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٤٩/٢) ، التكوين ، الاصحاح العاشر الآية ٢٥ Hastings, P. 490, 697.

٤ الطبري (٢٠٩/١) « طبعة دار المعارف »

ويشك بعض دارسي التوراة في كون (يقطان) المذكور هو (قحطان) الذي يذكره علماء الأنساب ، ويرون ان نظرية من يجعل قحطاناً هو (يقطان) ، فظرية لا تستند الى أساس ، وانما وضعت على التشابه الموجود بين اللفظين، وهذا التشابه هو الذي دفع علماء الأنساب الى اعتبار (قحطان) (يقطاناً) ، فن ثم صار (يقطان) جدّاً للعرب القحطانيين^١ . ولكنهم لا ينكرون مع ذلك أن (يقطان) التوراة ، هو جدّ قبائل ذكرت التوراة أسماءها، وبعضها قبائل عربية معروفة ، فلا يستبعد أن يكون (يقطان) على رأيهم كناية عن قبائل عربية لم يكن العبرانيون على علم بها تمام العلم^٢ .

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة (قحطان) أو (يقطان) . ولم ترد كذلك في الكتابات الجاهلية . أما الشعر الجاهلي ، فقد وردت فيه في مواضع الفخر والحماسة . واذا وافقنا على أنها وردت في الجاهلية القريبة من الإسلام، فإن موافقتنا هذه لا تعني أن قدماء أهل الجاهلية البعيدين عن الإسلام كانوا على علم بـ (قحطان) ، أو ان قوماً منهم كانوا ينتمون اليه وينسبون بنسبه ، فحكم مثل هذا لا بد أن يستند الى كتابات وأدلة مقبولة. ولهذا رأى نفر من المستشرقين ان الأخباريين جاؤوا بقحطانهم هذا من التوراة ، من تأثرهم بأهل الكتاب ، ومن مطالعتهم للتوراة ، فحولوا النزاع الذي كان بين أهل اليمن وفيهم (سبأ)، والنزاع الذي كان بين أهل مكة وبين أهل مكة ويثرب التي ينتمي أهلها الى اليمن الى نزاع بين جدّين ، وصار (قحطان) وليد (يقطان) (يقطن) جدّاً حقيقياً ليمن ولمن نسب نفسه اليهم من الأفراد والقبائل^٣ .

وقد ورد في جغرافيا (بطليموس) اسم قريب من (قحطان) هو (كتنيتيه) (كتانيتيه) (Katanitae)^٤ ، قد يكون دليلاً على وجود أسماء عند الجاهليين قريبة من (قحطان) . أما هذه التسمية ، فإننا لا نستطيع أن نقول ان لها علاقة بقحطان . فالتشابه في التسميات ، لا يكون دليلاً قاطعاً على وحدة تلك

Hastings, P. 491. ١

Hastings, P., 490. ٢

Enc. Vol. 2, P., 629. ٣

Ptolemy, Geogr. VI, 7, 20, Glaser, Skizze, Bd., 2, S., 283, Knobel Die Voelkerstafel der Genesis, S. 185, The Historical Geography, Vol. I, P. 80, O'Leary, P. 18. ٤

التسميات . وقد ورد في الموارد العربية اسم قبيلة عرفت بـ (قطن) و بـ (بني قطن) ، كما ورد اسم مكان عرف بـ (جوّ قطن) ، واسم مدينة تدعى (قحطان) ، تقع بين (زبيد) و (صنعاء)^١ . لهذا أرى ان من الخير لنا ألا نتخذ موقفاً خاصاً لا سلباً ولا إيجاباً تجاه هذا الموضوع انتظاراً لاستكمال العدة والحصول على مواد جديدة تكفي لإصدار حكم فيه .

أما بلاد (اليقطينين) ، على رأي التوراة ، فتمتد من (ميشا) (Mesha) الى (سفار) (Sephar)^٢ . ولم تذكر التوراة حدوداً جغرافية لها غير هذين الحدين . ولا يعرف العلماء عن موضوع (ميشا) شيئاً . فذهبوا في تعيينه لمذاهب . ذهب بعضهم الى انه (مسينة) أو (ميسان) (Mesene) على رأس الخليج العربي^٣ ، وذهب آخرون الى انه (موزح) أو (موسج) في نجد^٤ ، ورأى آخرون انه (ماشو) (Mashu) أو (ماش) (Mash) ، أي بادية الشام في الكتابات الآشورية^٥ .

وذهب (ديلمن) (Dillmann) الى ان (ميشا) ، تحريف (مسا) (Massa) ، وهو اسم أحد أبناء اسماعيل ، فتكون حدود (اليقطينين) على رأيه بعد حدود أرض (مسا) ، من قبائل الإسماعيليين مباشرة ، غير اننا لا نستطيع مع ذلك من تعيين الموضع^٦ ، لأننا لا نعلم أيضاً أين كانت مواطن (مسا) من قبائل الإسماعيليين ، فكيف ثبتت هذه الحدود ؟
وأما الحد الآخر ، وهو (سفار) ، فهو الحد الجنوبي للبلاد (اليقطينين) ، وذلك باجتماع آراء علماء التوراة . ولكنهم يختلفون في تعيين الوضع فقط ، فمنهم من رأى أنه (ظفار) عاصمة الحميريين ، ومنهم من يرى أنه (ظفار) حضرموت التي اشتهرت شهرة واسعة في العالم القديم ، وورد ذكرها في الكتب (الكلاسيكية)^٧.

١ احسن التقاسيم (٨٣/٣ ، ٩٤) ، « الطبعة الثانية »

Enc. Vol. 2, P. 629, Glaser, Skizze, 2 S. 288.

٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٣٠

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٩/٢) ، Hastings, P. 606.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٩/٢)

٥ Hastings, P., 607, Delitzsch, Wo Lag ٢, S. 242.

٦ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١٤ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ٣٠
Enc. Bibli. P. 3040.

٧ Enc. Bibli., P., 4370, Ritter, Erdkunde, 14, 372, Sprenger, Alte Geogr. S. 185, Skizze, 2, S. 437, Hastings P. 836.

ومن المرجح أن تكون هي الموضع المقصود ، وذلك لشهرتها هذه ولقدمها .
وقد جعلت التوراة لـ (يقطان) أولاداً ، عدتهم فيها ثلاثة عشر ولداً ،
هم : الموداد ، وشالف ، وحضر موت ، ورياح ، وهديرام ، وأوزال ،
ودقلة ، وعوبال ، واببايل ، وشبا ، وأوفير ، وحويلا ، ويوباب^١ . وهذه
الأسماء ، هي أسماء قبائل ، وأمكنة ، اعتدّها كتبة التوراة على عادة ذلك العهد
أسماء أعيان ، وصيروها أسماء أولاد (يقطان) .

ولا يعني هذا العدد ، في نظري ، أنه جميع القبائل العربية التي كانت تقيم
في موطن (اليقطينين) ، وإنما هو حاصل ما بلغ اليه علم كتبة تلك الأسفار
في ذلك اليوم من أمر هذه القبائل ، ولم تكن معارف أولئك الكتبة يومئذ أكثر
من هذا الذي ذكروه ودونوه . على نحو ما وصل الى علمهم ومسامعهم ، فهو
لهذا لا يمثل أيضاً ترتيباً جغرافياً للأماكن المذكورة ولا سرداً على نسق معين
مضبوط^٢ .

ونحن اذا أنعمنا النظر في هذه الأسماء نجد أنها قد كدّست في منطقة ضيقة ،
هي اليمن وحضر موت . أما ما فوقها الى (ميشا) نهاية الأرض اليقطينية في
الشمال ، فلم يذكر الكتبة من أسماء قبائلها شيئاً ما . وهو يدل على أنهم لم يكونوا
يعرفون عن باطن جزيرة العرب شيئاً ، أو أن موضع (ميشا) في مكان آخر
في غير هذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة ، كأن يكون في شمال اليمن
مثلاً ، وبذلك يستقيم التحديد كل الاستقامة مع ما هو شائع معروف من أن
أرض اليمن وبقية العربية الجنوبية هي أصل موطن القحطانيين .

ويظهر أن كتبة النسب في التوراة لم يراعوا في عددهم أسماء أبناء يقطان الترتيب
الجغرافي ، أو قرب اليقطينين وبعدهم عن العبرانيين . فهذا الترتيب ، لا يشير
— في الحقيقة — الى أن الأسماء وضعت على أساس جغرافي . والظاهر أنها جمعت
كما وصلت الى مسامع العبرانيين من غير فحص أو تدقيق ، كما أننا لا نستطيع
أن نؤكد أنها وصلت صحيحة سالمة من غير تصحيف أو تحريف .

و (الموداد) (مودد) (المودد) (Al-Modad) ، هو الابن البكر

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٦ فما بعدها

٢ Enc. Bibl. P. 2564, Hasings, P., 490.

ليقطن على ما يفهم من التوراة . وهو رمز عن شعب من الشعوب البقطنانية ، يرى نفر من علماء التوراة أن مواطنه في العربية الجنوبية . قد يكون في جنوب غربي جزيرة العرب^١ . وقد وردت في النصوص العربية الجنوبية وفي نصوص غير عربية كلمات قريبة من هذه الكلمة، مثل (موددى) في البابلية ، و(مودادو) (موددو) في البابلية أيضاً وفي (الأمودية)^٢ . ووردت لفظة (مودد) في كتابات (جبانة) (كبانة) (Gebanitae) ، في نصوص تدل على تقرب ملوك (حبان) (جن) (كبن) (جبان) من ملوك معين ، وإلى سيادة (معين) على (الجبانين) في ذلك الحين . فورد (مودد ملك معين) بمعنى (المتودد لملك معين) و (المحب لملك معين) . ويرى (كلاسر) أن هذه الجملة لا تعني (أحباء ملوك معين) وأصفىاهم ، وإنما تحكي وظيفة لها علاقة بالإله (ود) ، مثل كهانة الإله (ود) وسدائه . ومسكن هؤلاء (الجبانين) في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة العرب^٣ ، كما ورد اسم (مودد) في الكتابات السبئية^٤ ، وفي كتاب الإكليل للهمداني . وقد ذكره قبل (السلف) ، مما يدل على أنه اسم مكان مجاور للسلف^٥ .

وأورد (بطلميوس) في الجغرافيا اسم شعب عربي دعاه (Allumaeotae) يرى (فورستر) أنه شعب (الموداد) الذي نتحدث عنه . ويقع مكان هذا الشعب في جغرافيا (بطلميوس) جنوب (الجرعاء) (Gerraea) (Vicus Jerachaeorum) ، ويتصور أنه على ساحل الخليج العربي عند (قطن)^٦ . وأما (شالف) (Sheleph) الذي ورد في التوراة بعد (الموداد) ، فلم يتمكن العلماء من تشخيصه أيضاً^٧ . ويرى بعضهم أنه شعب (Salepeni) المذكور في جغرافيا (بطلميوس)^٨ : ويرى آخرون أنه (السلف) ، وهم بطن من

١ Hastings, P. 22, Dictionary of the Bible, I, P., 50, By W. Smith.
٢ Enc. Bibli. P. 116, Hommel, A. H. T., S., 113, Early Babylonian Personal Names, P. 30, Montgomery, Arabia and the Bible, P. 40.

٣ Glaser, Skizze, 2, S. 425.

٤ Ency, Bibli. P. 116, ZDMG. 37, 13, 18.

٥ الإكليل (١١٦/١) وما بعدها

٦ Forster, Vol. I, P. 107, F.

٧ Hastings, P., 845, Enc. Bibli. P. 4448, Montgomery, Arabia, P. 40.

٨ Forster, Vol. I, P. 109. f.

ذي الكلاع من حير ، وهو (السلف بن يقطن)^١ ، أو (السلاف) ، أو (بنو سلفان)^٢ . و (السلف) أقرب هذه الأسماء الى (شالف) ، وخاصة اذا أخذنا بما قاله النسابون من انتساب هذه القبيلة الى جدّ أعلى هو (السلف ابن يقطن) ، وذكر (نيبور) في رحلته اسم موضع في اليمن يقال له (سلفية) ، قد تكون لاسمه علاقة بـ (شالف)^٣ . وفي منطقة (يريم) ممر يقال له (نجد الأسلاف)^٤ ، وقد رأى (كلاسر) احتمال وجود صلة بينه وبين (شالف)^٥ . وأما (حزرماوث) ، (Hazarmaveth) ، فهو (حضرموت) . ومعلوماتنا عن هذا الشعب حسنة بفضل الكتابات الجاهلية التي عثر عليها في العربية الجنوبية ، والتي ترجم عدداً منها المستشرقون . وسأحدث عنهم في الأجزاء الآتية من هذا الكتاب .

وأما (يارح) (Yerah) ، فان معناه (قر) و (شهر) ، ولهذا ذهب بعض الباحثين الى انه اسم قبيلة عربية . وبين العرب قبيلة تعرف بـ (بني هلال) ، فلا يبعد أن يكون (يارح) اسم قبيلة^٦ . وقد عثر في كتابات تدمر على اسم (يارح) ، وقد ورد اسم علم^٧ ، كما ان اسم (شهر) من الأسماء المعروفة عند الجاهليين ، وقد سُمّي به عدد من الملوك الذين عاشوا قبل الميلاد وبعده . ويرى (كلاسر) ان الشعب كان يقيم في (مهرة) ، أو في جنوب عمان في موضع قد يكون المكان الذي سماه (بطلميوس) (Jerakon Kome)^٨ . و (يارح) هو (يرخ) و (ورخ) في اللهجات العربية الجنوبية ، وتعني (شهراً) (قرأ) . وهناك مواضع متعددة في العربية الجنوبية تسمى بأسماء قريبة من هذه الكلمة ، مثل (وراخ) و (يراخ) . وقد ذكر الهمداني

١ جامع العروس (١٤٣/٦) ، « السلف » ، البلدان (١٠٩/٥) ، نهاية الارب (٢٧٨/٢) ، القاموس (١٥٣/٣) ، الاكليل (١١٦/١)
٢ الهلال ، ١٣ ، سنة ١٠ ، نيسان ، ١٩٠٢ م (ص ٤٠١)
٣ Enc. Bibli. P. 4448, Niebuhr, Arabien, S. 247, Oslander, in ZDMG., II, 153. ff. Glaser, Skizze, S. 425.

٤ صفة (ص ١٠١ ، ٧١)

٥ Glaser, Skizze, 2 S. 425.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٨٧/٢) .

٧ Enc. Bibli. P. 2362, Montgomery, Arabia, P. 40.

٨ Glaser, Skizze, 2, S., 425.

اسم موضع دعاه (وراخ) في مخلاف (العود)^١ ، لذلك رأى بعض العلماء وجود صلة بين هذه المواضع و (يارج) . كما ورد في جغرافيا (بطليموس) اسم مكان دعاه (Insula Jerachaeorum) ، وهو جزيرة تقع في البحر الأحمر جنوب جدة . وورد اسم محل آخر سمي (Vicus Jerachaeorum) ، ويقع في مقابل النهر الذي دعاه نهر (الآر) (Lar) الذي يصب على زعم (بطليموس) في الخليج العربي (الخليج الفارسي) (Sinus Persicus)^٢ .

وأما (هدورام) (Hadoram) ، فيرى (ملر) (Muller) ، و (كلاسر) احتمال أنه (دورم) ، وهو موضع على مقربة من (صنعاء) . ويؤيدان رأيهما هذا بما ورد في المؤلفات العربية من أن اسم (صنعاء) القديم هو (أزال) . و (أزال) هو شقيق (هدورام) ، وقد ذكر بعده في ترتيب أسماء أولاد (يقطان)^٣ .

وقد ذكرت الكتب العربية اسم موضعين يقال لهما (الهدار) . قال الهمداني عن أحدهما : إنه (حصون ونحول وقصور عادية)^٤ ، وقال عن الثاني : إنه (هدار بني الحريص) ، وذكر أن فيه (القطنية)^٥ ، وهذا الموضع الأخير قريب من (هدورام) ، ولللفظة (القطنية) أهمية كبيرة لقربها من لفظة (يقطان) .

وقد ذكر (الطبري) في تأريخه أن جرهما (اسمه هذرم بن عابر بن يقطن ابن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح)^٦ . وهذا النسب الذي ذكره (الطبري) هو النسب الوارد في التوراة بزيادة (عابر) بين (هذرم) وهو (هدورام) وبين (يقطن) . وهو خطأ ، يرد كثيراً في الأنساب المنقولة من

١ صفة (ص ١٠١) ، « وراخ : ناحية باليمن » البلدان (١١١/٨)

٢ Forster, Vol. I, P. 116. ff.

٣ Enc. Bibli. P. 1932, Muller, Burgen und Schlosser, I, S. 360

٤ صفة Glaser, Skizze, 2, 426, Hastings, P. 324, Forster, 2, P. 137.

٥ صفة

٦ الطبري (٢٠٧/١) « دار المعارف »

التوراة الى الكتب العربية . ومورد (الطبري) هو (ابن الكلبي)^١ ، ومورد (ابن الكلبي) هو من أهل الكتاب ، شأنه في ذلك شأن كل الأنساب حيث أخذها من أهل الكتاب .

أما (أزال) ، فهو مثل سائر الأسماء المتقدمة ، غير معروف . ولم يتفق علماء التوراة على تعيينه حتى الآن . وقد ذكر أهل الأخبار أن (صنعاء) عاصمة اليمن ، كانت تعرف في الجاهلية بـ (أزال)^٢ . وترجع هذه الرواية الى (وهب بن منبه) ، الذي زعم (أنه وجد في الكتب القديمة المتزلة التي قرأها : أزال كل عليك ، وأنا أتحن عليك)^٣ وزعم أن (أزال) هي (صنعاء) ولم يرد في النصوص الجاهلية ما يفيد أن صنعاء كانت تعرف بـ (أزال) ، بل لدينا نص من أيام الملك (يشرح محضب) (ملك سبأ وذي ريدان) ويعود الى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول لما قبل الميلاد ، أي القرن المتصل بالقرن الأول للميلاد ورد فيه (صنعو) وهو (صنعاء)^٤ .

ويرى (كلاسر) ان اسم (أزال) انما وضع لـ (صنعاء) بعد دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك ، وضعه اليهود^٥ . وذكر (البكري) ان صنعاء كلمة حبشية ، ومعناها وثيق وحصين^٦ .

وهناك مواضع أخرى عرفت بـ (أزال) ، منها موضع يعرف بـ (بأزل) ، عند جبل (حضور) ، وموضع آخر في الحجاز ، غير أن من غير الممكن في الزمان الحاضر البت في أي مكان من هذه الأمكنة بأنه هو (أزال) التوراة^٧ . ولم يتمكن علماء التوراة من البت في موضع (دقلة) (Diklah) أيضاً . ويرى بعض المستشرقين ان هذا الاسم يشير الى مكان يجب أن يكون كثير

١ المصدر نفسه

٢ البلدان (٢١٤/١) ، (٣٨٧/٥) ، صفة (ص ٢٥٥)

Montgomery, Arabia, P. 40, Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, Vol. I, P. 40.

٣ تاج العروس (٤٢١/٥)

Enc. Bibl. P. 5239, Hastings, P., 956, Enc. Vol. 4, P. 143, Glaser, Skizze 2, S. 427

Sprenger, Geogr. S. 181, Glaser, 424.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 427.

٦ تاج العروس (٤٢١/٥)

٧ Glaser, Skizze, 2, S., 427.

التمر^١ : وقد رأى (هومل) انه موضع (حدّقل)^٢ . وذكر (ياقوت الحموي) موضعاً في اليمامة سماه (دقلة)^٣ ، ولكن الباحثين في هذا الموضوع لم يقطعوا برأى فيه .

ورأى بعض الباحثين ان (عوبال) (Obal) (Ebal) ، شعب (عيبيل) ، ورأى آخرون انهم (عيبال) في تهامة الحجاز ، أو (عبال) أو (عيبال) ، وهما موضعان في اليمن^٤ .

ورأى (فورستر) احتمال وجود صلة بين (عوبال) و (Avalitae) ، وهو اسم شعب عربي ذكر (بلينيوس) ، أو (Abalitae) ، وقد ذكره بعض الكتبة (الكلاسيكيين)^٥ .

وذهب (كلاسر) الى احتمال كون وادي (أتمّة) ، هو موضع شعب (أبيثايل) (Abimael) ، غير ان ذلك مجرد ظن ، ليس غر^٦ .

والولد العاشر من ولد (يقطان) ، هو (شبا) . وقد وردت بعض أخبار (شبا) في أسفار التوراة ، وذكرت قصة (ملك شبا) وزيارتها لسلطان^٧ : فسبأ هنا ، شعب من شعوب اليقطينيين . ولكننا نرى التوراة تجعل (شبا) في موضع آخر ابناً لـ (يقشان) ، و (يقشان) هو ابن (ابراهيم) من زوجته (قطورة) (Keterah) ، وهو شقيق (اسماعيل) من أبيه^٨ . فسبأ هنا من نسل شعب آخر يختلف عن (سبأ) اليقطينيين . ونراها تذكر (سبأ) بالسين المهملة في جملة أبناء (كوش)^٩ . والمعروف ان المراد من (كوش) عند العبرانيين ، الحاميون ، أي الشعوب الإفريقية ، فيكون (سبأ) هنا اسم شعب

١ Enc. Bibli. P. 1101, Forster, I, P., 147, Montgomery, Arabia, P. 40.

٢ Enc. Bibli. P. 1101.

٣ البلدان (٦٥/٤)

٤ Enc. Bibli. P. 1151, Glaser, Skizze, 2, S. 426, Hastings, P. 201, Halevy, Melanges D'epigraphie et D'archéologie Semitiques, 86.

٥ Forster, I, 148. f.

٦ Glaser, Skizze, 2, S. 426, Enc. Bibli. P. 17, Hastings, P. 4.

٧ الملوك الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ١ فما بعدها

٨ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٤/٢) ، التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرين ،

الآية ٢ ، اخبار الايام الاول الاصحاح الاول ، الآية ٣٢ Hastings, P. 490.

٩ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٧

من الشعوب الإفريقية^١ .

ومعنى هذا التعدد في النسب انتشار السبثيين وسكناتهم في مواضع متعددة ، وهذا ما حمل كتبة التوراة على ادخال نسب السبثيين الساكنين في إفريقية في نسب (الكوشيين) ، وادخال السبثيين الساكنين عند (ددان) في نسل (رعمة) ، ويرد اسم (أوفير) (Ophir) بين (شبا) و (حويلة) ، وهو كناية عن أرض اشتهرت عند العبرانيين بكثرة ذهبها وبوجود الفضة وخشب الصندل وبعض الأحجار الكريمة فيها^٢ . وقد اختلف في تعيين مكانها ، فذهب كثير من علماء التوراة الى انها في جزيرة العرب ، ولكنهم اختلفوا في تعيين المكان ، فذهب بعضهم الى انها في اليمن ، وذهب آخرون الى انها في عسير ، وآخرون الى انها في اليامة^٣ أو موضع (العوفرة) الذي لا يبعد كثيراً عن حافات جبل طويق^٤ ، ومنهم من رأى انه (مهد الذهب) في الحجاز ، وهو موضع عرف باستخراج الذهب منه قبل الإسلام بزمان طويل ، وقد نقبت فيه شركة تعدين حديثة ، أغلقت أبوابها من عهد ليس ببعيد ، كما ذكرت ذلك في كلامي على معادن جزيرة العرب .

غير أن هنالك جماعة من الباحثين في التوراة ترى أن الوصف الوارد في التوراة لأرض (أوفير) يجعلها أرضاً في الهند ، وذلك لأن الحاصلات المذكورة فيها هي حاصلات هندية، ومن الصعب تصور وجودها في بلاد العرب في ذلك الزمان^٥. وذهب فريق آخر الى أنها في إفريقية^٦ .

والابن الثاني عشر من أبناء (يقطان) ، هو (حويلة) . وقد ذكرته التوراة في موضع آخر في جملة أبناء (كوش) مع (سبأ) ، مما يدل على توطن قبيلة

١ قاموس الكتاب المقدس (٢٧٨/٢) ، Hastings, P. 171.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٧٩/١)

٣ Sprenger, Geogr. S. 49. ff. Glaser, Skizze, 2, S. 357, Hommel, AHT. 236, Montgomery, Arabia, P. 38. ff.

٤ Philby, Sheba's Daughters, P. 430.

٥ Lassen, Indische Alterthumskunde, I, 538, Soetbeer, Das Goldland Ophir, 1880 A.K. Keane. The Gold of Ophir, 1901, Moritz, Arabien, S. 7, Forster, Vol. I P. 161, 2, P. 237.

٦ Peters, Das Goldene Ophir Salamons, 1895, Enc. Bibl. P. 3514, Enc. Brita. Vol. 18, P. 807.

أخرى تسمى بهذا الاسم في (إفريقية) لعلها فرع من فروع (حويلة) بلاد العرب^١ . وقد ذهب بعض العلماء الى أن (حويلة) بلاد العرب ، هي في بادية الشام ، أو على مقربة من خليج العقبة ، وذهب آخرون الى أنها في أواسط جزيرة العرب ، أو في منطقة (جبل شمر) ، ورأى كلاسر أنها في اليامة^٢ .

وقد ذكر (الهمداني) جماعة دعاهم (الحولين)^٣ ، يظهر أنهم سكان موضع (حوالة) وهناك بطن من بطون اليمن يقال له (بنو حوالة) ، كما ورد في اسم (حويل)^٤ .

وفي التوراة : (وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ، ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس . اسم أحدهما فيشون ، وهو المحيط بجميع أرض حويلسة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هنالك المقل وحجر الجزع)^٥ . فيفهم منه أن نهر (فيشون) (Pishon) يحيط بأرض (حويلة) وهو من أنهر الجنة الأربعة . وأحد الأنهار الأربعة على رأي علماء التوراة هو نهر النيل ، وأما الثاني فهو الفرات ، وأما الثالث فهو نهر دجلة ، وأما النهر الآخر الذي نتحدث عنه ، فذهبوا الى أنه نهر (كارون) أو شط العرب ، أو أحد الأنهر الأخرى فتكون أرض حويلة عندئذ في منطقة تقع على رأس الخليج^٦ .

وآخر أبناء (يقطان) هو (يوباب) (Jobab) ، ويرى (كلاسر) انه اسم قبيلة (يهيب) ، الذي ورد في النصوص السبئية^٧ . وذهب بعض آخر الى انه اسم شعب (وبار) ، وانه تصحيف لاسم (Jobarital) الوارد في جغرافيا (بطلميوس)^٨ .

- ١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٩ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الآية ١٩ ، ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١)
- ٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١)
- ٣ Enc. Bibli. P. 1974, Musil, Hegaz, P. 261, Hastings, P. 333, Glaser, 2 S. 302
- ٤ الاكليل (٨٥/٨) « طبعة نبيه »
- ٥ تاج العروس (٢٩٧/٧) ، القاموس (٣٦٤/٣) ، اللسان (٢٠٧/١٣)
- ٥ التكوين ، الاصحاح الثاني ، الآية ١٠ وما بعدها
- ٦ Hastings, P. 203.
- ٧ Hastings, P., 472, Glaser, Skizze, 2, S. 303, Enc. Bibli. P. 2491.
- ٨ الهلال : الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ، ص ٣٠٤

وقد أضاف (ابن الكلبي) الى سلسلة أبناء (يقطن) (يقطان) ولداً آخر لم يرد له ذكر في التوراة ، دعاه (توقير) ، زعم انه والد الهند والسندا ، فربط بذلك بين نسب (اليقطنيين) والهنود . ولا ندري : أعبر عن ذلك جهلاً واعتباطاً ، أم كنتى بذلك عن الروابط القديمة التي ربطت بين العربية الجنوبية والهند ، حيث سكن عدد كبير من قدماء الهنود (الدراويدين) (Dravidians) في سواحل عمان وحضرموت ؟ وقد عثرت البعثات العلمية التي نقت في هذه الأماكن على بقايا هياكل عظمية ترجع الى هؤلاء ، كما يتحدث السائح والباحثون في أثر دماء الهند على سكان هذه المناطق .

ولم ينل هؤلاء الأولاد الثلاثة عشر عناية الأخباري (ابن الكلبي) ، ولا عناية (محمد بن اسحاق) ، أو غيرهما من أهل الأخبار المعروفين بأخذهم عن أهل الكتاب ، اذ لم يسيروا اليهم في أثناء كلامهم على أولاد (يقطن) (يقطان) ، ولم يتحدثوا عنهم . بل نسبوا اليه أولاداً آخرين تراوح عددهم من عشرة ذكور الى واحد وثلاثين^٢ ، أسماؤهم أسماء عربية ، لا وجود لها في التوراة ، ما عدا اسماً أو اسمين . وهذا الإهمال يثير في نفوسنا الدهشة والاستغراب : لم أهمل يا ترى هؤلاء الأخباريون أبناء (قحطان) المذكورين في التوراة ، مع أنهم أخذوا (يقطان) من التوراة ، وجعلوا نسبه نسباً لقحطان ! ولم تكرموا عليه فأعطوه عدداً من الأولاد لم يأت لهم ذكر في التوراة ؟ ولم لم يضم أهل الأخبار أولاد (يقطان) المذكورين الى أولاد قحطان ؟ ألا يدل ذلك على جهل أهل الأخبار بهم وعدم وقوفهم عليهم ؟ إن كان جهلهم بهم هو السبب ، فان ذلك يدل على ان أهل الأخبار لم يكونوا يرجعون الى التوراة رأساً ، يقرأون أسفارها ويأخذون منها ، بل كانوا — وهذا هو ما أذهب اليه — يراجعون أهل الكتاب ويأخذون منهم ما يريدون . ولهذا لم يقفوا على أولاد (يقطان) ، لأنهم لم يسألوا أهل الكتاب عنهم ، أو لأن أهل الكتاب لم يتحدثوا اليهم عنهم . على اننا لا نستطيع أن نقبل هذا العذر ، ذلك لأن أهل الأخبار كانوا قد ذكروا أسماء أبناء (اسماعيل) ، نقلوها من التوراة وعلى حسب الترتيب الوارد في

١ الطبري (٢٠٧/١) Hastings P. 472.

٢ مروج (٧٧/١) ، ابن خلدون (٤٧/١) .

(التكوين) . وهذا ما يجعلنا نتساءل : لمَ ذكر أهل الأخبار أبناء (اسماعيل) ، وأهملوا أبناء (يقطان) ؟ هل هناك تعمد وغرض ؟ إن الاجابة عن مثل هذه الأسئلة ، ليست سهلة في الواقع ، لأن أهل الأخبار لم يكونوا يسرون على قواعد ثابتة وأنظمة معينة في أخذ الأنساب ، ولهذا نراهم يقعون في الغلط ، وذلك يدل على ان علمهم بالأمور الواردة في التوراة لم يكن علماً راسخاً ، وان علم محدثيهم من أهل الكتاب لم يكن راسخاً أيضاً ولم يكن مستمداً من التوراة رأساً ، بل من السماع والرواية في بعض الأحيان ، والا لما وقعوا في أغلاط شنيعة ، وما احتاجوا الى الوضع والكذب ، كالذي نراه من كعب الأخبار ووهب بن منبه وأمثالهما من مسلمة يهود .

الاسماعيليون :

و (اسماعيل) هو الجد الأكبر للعرب المستعربة ، أي العرب العدنانيين . وهو (يشمئيل) (Ishmael) في التوراة ومعنى الاسم (إلهي يسمع) ، أو (يسمع إلهي) . وهو ابن (ابراهيم) من زوجه (هاجر) . وتقول التوراة إنه (ختن) وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ورحل الى بَرِّيَّة (فاران) فتزوج فيها من امرأة مصرية ، وعاش فيها رامياً بالسهم حيث اشتهر بالرماية . ولم تذكر التوراة بعد ذلك شيئاً عنه ، إلا ما ورد من أنه حضر دفن أبيه (ابراهيم) ، وأنه عاش (١٣٧) سنة^١ .

هذا مجمل ما ورد في التوراة عنه . أما ما أورده أهل الأخبار عنه ، فانه يستند الى هذا الوارد في التوراة عنه ، إلا ما ذكروه عن امرأته ، فقد جعلوها امرأة من (جرهم) ، وما أورده عنه من أنه هاجر الى مكة ، وأنه عاش هناك ، وتعلم العربية فيها ، وقبر في (الحجر) عند قبر أمه (هاجر)^٢ ، وأمور أخرى صغيرة تختلف باختلاف الروايات .

١ التكوين ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٤ فما بعدها ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١٨ فما بعدها ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٧ فما بعدها .

Hastings, P. 392.

٢ الطبري (١ / ٣١٤) فما بعدها .

وقد جعلت التوراة ل (اسماعيل) ولداً ، عدتهم اثنا عشر ولداً ، هم :
 نايوت بكر اسماعيل ، وقيدار ، وأدبيل ، ومبسام ، ومشماح ، ودومة ، ومسا ،
 وحدار ، وتيا ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه . ذكرتهم على حسب مواليدهم ،
 كما نص على ذلك فيها ^١ . وهو عدد يظهر أنه من وضع كتاب الأسفار وترتيبهم ^٢ .
 أهمهم امرأة نصرية ^٣ ، وهي كناية عن اتصال الاسماعيليين بالمصريين ، وقد أخذ
 أهل الأخبار هذه الأسماء ، وغيروا في نطقها بعض التغيير ، فصيروها : نابت
 وقيلدر ، وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيا ،
 ويطور ، ونبش ، وقيلدما ، وما شاكل ذلك . وقد نص الطبري على اختلاف
 أهل الأخبار في ضبط هذه الأسماء ^٤ . ويعود هذا الاختلاف على ما يظهر الى
 اختلاف المورد الذي أخذ منه أهل الأخبار .

وقد زعم أهل الأخبار أن اسماعيل تزوج من جرهم ، وأن اسم زوجه
 (رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي) ^٥ ، أو ما شاكل ذلك من أسماء ،
 وأنها ولدت له اثني عشر رجلاً ، هم : نابت وكان أكبرهم ، وقيلدر ،
 وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيا ، ويطور ،
 ونبش ، وقيلدما ^٦ . وأكثر هذه الأسماء وروداً وتكراراً في الكتب العربية ،
 نابت وقيلدر .

ونرى من عدد هؤلاء الأولاد ومن أسمائهم ، أن رواها أخذوا أولئك الأولاد
 من التوراة . أخذوا العدد وأخذوا الأسماء ، ولكنهم حرفوا وصحفوا فيها ،
 ولا ندري أكان هذا التحريف قد وقع من الأخباريين أنفسهم ، أجروه تعمداً
 ليسهل النطق بها في العربية ، أم وقع من الرواة الاسرائيليين أو النصارى الذين

١ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١٢ فما بعدها .

٢ Hastings, P. 392.

٣ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢١ .

٤ الطبري (٣١٤/١) « طبعة دار المعارف » .

٥ ابن هشام (٣/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، « السيدة بنت
 مضاض بن عمرو الجرهمي » ، ابن خلدون (٣٧/٢) ، الطبري (١٦/١) ، ابن
 الاثير ، الكامل (٤٩/١) ، الطبقات (١٠٠ ، ١٠١ ، ص ٢٥) ، تاج العروس
 (٣٧٥/١) ، (٥٩٠/١)

٦ ابن هشام (٣/١) ، ابن خلدون (٣٩/٢) ، مع اختلاف في ضبط الاسماء ،
 الطبري (١٦١/١) ، ابن الاثير ، الكامل (٤٩/١)

رَجَعَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ ، أَوْ أَنَّهُ مَجْرَدُ تَحْرِيفٍ وَتَصْحِيفٍ ، وَقَعَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، فَظَهَرَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ .

أما امرأة (إسماعيل) أم أولاده ، فلأنها ليست جرمية عربية في التوراة ، وإنما هي امرأة مصرية كما ذكرت . لم تذكر التوراة اسمها . ويذكر أهل الأخبار أن إسماعيل كان قد تزوج بامرأة أخرى من جرحهم قبل (رعدة بن مضاض ابن عمرو الجرمي) ، أو (السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي) ، كما تعرف في روايات أخرى ، إلا أنه طلقها بأمر أبيه ، لما جاء إلى مكة زائراً ، فلما جاء للمرة الثانية ورأى زوجته الثانية رضي عنها، وأمر ابنه إسماعيل بإبقائها ، فبقيت ، ومنها كان نسله المذكورين^١ .

وقد نص (الطبري) على أن العرب هم من نابت وقيدروا^٢ ، ولم يذكر شيئاً عن بقية الأولاد . والظاهر أن إهمال هذا الإهمال يعود إلى عدم وقوف الموارد التي أمدت الأخباريين على شيء عنها ، وعدم تمكنهم من تعيينها وتثبيت مواضعها ، فإن ذلك يحتاج إلى علم وإلى وقوف على ما جاء في كتب التفسير والشروح والموارد اليهودية الأخرى عن هذه القبائل . والموارد المذكورة نفسها لا تعرف عن تلك القبائل وعن تلك البلاد شيئاً كثيراً يزيد على ما جاء في التوراة . فإن كتبة الأسفار لم يهتموا إلا بما يتعلق بإسرائيل . أما ما وراء إسرائيل من شعوب وأرضين ، ولا سيما الشعوب التي لا تخام الأرضين التي وجد فيها العبرانيون ، فلأنها لم تكن تُعْنَى بها إلا بمقدار ما لها من صلة بإسرائيل .

وقد حددت التوراة المنازل التي أقام بها (الإسماعيليون) ، فجعلتها من (حويلة) إلى (شور)^٣ . فكل ما وقع بين المكانين ، هو في أرض القبائل الإسماعيلية . وقد ذكرتُ قبل قليل أن آراء العلماء مختلفة في تعيين موقع أرض (حويلة) ، وعندني أن هذا الموضع يجب ألا يكون بعيداً عن فلسطين ، لأن (شاول) ضرب العماليق من (حويلة) إلى شور^٤ . ولا يعقل أن تكون هذه

١ الطبري (٢٥٦/١) (٣١٤)

٢ الطبري (٣١٤/١) .

٣ التكوين ، اصحاح ٢٥ ، الآية ١٨ .

٤ صموئيل الاول ، اصحاح ١٥ ، الآية ٨ .

الأرضون بعيدة عن فلسطين ، لأن (شاؤول) لم يكن قوياً ذا جيوش جرارة حتى تضرب العماليق في منطقة نائية ، بعيدة عن فلسطين .

وأما (شور) ، فهو ضع يقع على الحدود الشمالية الشرقية لأرض مصر ، في البرية المسماة بـ (برية تيه بني اسرائيل) وبـ (برية ايتام)^١ . ويرى بعض علماء التوراة ان (الطور) الحالية هي أرض (شور)^٢ .

ويلاحظ ان الأرض التي زعم ان (شاؤول) قد ضرب بها العماليق ، وضرب شاؤول عماليق من حويلة حتى مجيثك الى شور التي مقابل مصر^٣ ، هي الأرض ذاتها التي جعلتها التوراة أرضاً لذرية (يشمعثيل) (اسماعيل) . فيظهر من ذلك أن العماليق كانوا قد سكنوها أيضاً . ولما كان العالقة قد سكنوا أرضاً ، تقع بين كتعان ومصر في برية سيناء وتيه بني اسرائيل^٤ ، وجب أن تكون تلك الأرض هي موطن الإسماعيليين .

ويعترف العبرانيون بوجود صلات قرىبى لهم بالإسماعيليين . ويظهر أن القبائل الإسماعيلية عاشت زمناً طويلاً في (طور سيناء) . وفي جنوب فلسطين. عاشت عيشة أعرابية^٥. ولهذا كان الإسماعيليون أهل وبر بالقياس الى اليقطينيين المستقرين. وقد نظر العبرانيون نظرة عداء الى الإسماعيليين ، لأنهم كانوا يتحرشون بهم ويغيرون عليهم ويتعرضون بتجاراتهم . وقد ذكروا في أيام (داوود)^٦ . وقد ورد في التوراة أن الله أوحى الى (هاجر) يبشرها بأن نسل ابنها سيكثر وينمو حتى يكون أمة عظيمة^٧ ، وهو كناية عن كثرة عدد أولئك الأعراب في أيام العبرانيين .

هذا ونحن لا نعرف شيئاً يذكر عن (الاشماعيليين) (الإسماعيليين) ، ولا

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٦٤١) . Musil, Hegaz, P. 261, 265.

٢ Hastings, P. 852, Enc. Bibl. P. 4498.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٦٤١) .

Hastings, P. 852, Enc. Bibl. P. 4498, Musil, Hegaz, P. 261, 265. ff.

٤ صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الاية ٧ ، قاموس الكتاب المقدس (١١٣/٢) .

٥ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ١٣ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١/٩٨) .
٦ Enc. Bibl. P. 2211, Hastings, P. 392.

٧ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ١٣ وما بعدها .

عن لهجاتهم . ويرى بعض العلماء أن لهجاتهم يجب أن تكون من اللهجات العربية الشمالية المتأثرة بلغة بني إرم^١ . ولعدم وصول نصّ مدوّن بلهجة من لهجات هذه القبائل ، لا نستطيع أن نبدي في الزمان الحاضر رأياً علمياً في شكل هذه اللهجات .

و (نبايوت) هو بكر اسماعيل وأهم القبائل الإسماعيلية في التوراة ، وقد أعطاه هذه المنزلة أهل الأخبار أيضاً لأخذه منّا . ونحن لا نعرف الأسباب التي جعلت التوراة تعدّه أحسن أولاد (إسماعيل) أراعت في ذلك بعدد القبيلة ، أم راعت قربها من العبرانيين ، أم ضخامتها وكثرة عددها بالقياس إلى القبائل الإسماعيلية الأخرى ، أم أموراً أخرى جعلت العبرانيين ينظرون إليهم على أنهم أقدم تلك القبائل ؟ فليس في التوراة قواعد ثابتة تمشي عليها كتابة العهد القديم في تدوين الأنساب .

ويعرف (نبايوت) بـ (نابت) و (نبت) عند الأخباريين . ومنه ومن قيدير، نشر الله العرب ، على رأي أهل الأخبار^٢ . وقد جعل بعض الأخباريين نابتاً والدأ^٣ (يشجب) ، مع أن (يشجب) هو ابن (يعرب) عند الأكثرين .

وقد ورد اسم (نبايوت) مع اسم (قيدير) في النصوص الآشورية ؛ ويظهر أنهم كانوا أقوياء كثيري العدد . ويدل ورود اسمهم مع (قيدير) في التوراة في النصوص الآشورية على أنهم كانوا متجاورين . ولم تعين التوراة مواضع سكنهم ، ولكن ورود اسمهم في رأس قائمة الإسماعيليين واقترانه بالأدوميين عن طريق المصاهرة ووقوف العبرانيين على أخبارهم ، يدل كله على أنهم كانوا يقيمون في المناطق الواقعة في جنوب شرقي فلسطين وفي الأقسام الجنوبية الشرقية من بادية الشام^٤ .

وقد ذهب (كلاسر) إلى أن (نبايوت) (مشيخة) أو مملكة حكمت في (القصيم) ، وقد كانت معاصرة لمملكة (عريبي) ، وكانت لا تزال مستقلة في أيام الفرس^٥ .

1 Enc. Brit. Vol. 12, P. 706.

2 الطبري (٣١٤/١) .

3 ابن هشام (٥/١) .

4 التكوين ، الاصحاح ٢٨ ، الآية ٩ .

5 Glaser, Skizze, 2, S. 266. ff. Schrader, KAT, S. 151, Hommel, AHT, 275.

وقد ظن بعض العلماء أنهم (النبط)^١ ، ذهبوا الى ذلك من تشابه (نبايوت) (Nabaiot) و (نبط) (Nabat) ، غير ان هذا رأي يعارضه كثير من علماء التوراة^٢ .

وقد كان بين الأوس قوم يقال لهم (النبيت) ، افتخر بهم الشاعر (قيس ابن الخطيم) من شعراء الجاهلية ، وقد قتل قبل الهجرة ، ومدحهم ، ووصفهم بالشدة والبأس^٣ ، كما كان في (إيراد) قوم يقال لهم (النبيت)^٤ .

وكان نبيت الأوس يتألفون من (ظفر) رهط الشاعر قيس بن الخطيم، ومن عبد الأشهل ، وحارثة^٥ . وقد وقعت بينها حروب ومعارك، فانضمت حارثة الى الخزرج ، وتحالفت معها ، ودخلت فيها . وأما ظفر وبنو عبد الأشهل ، فقد اضطروا أخيراً الى ترك ديارهم الى مكة للتحالف معهم ، أو مع اليمن ، أو الغساسنة أو المناذرة ، لمساعدتهم على الخزرج ، ولاسترداد ملكهم^٦ . والظاهر أنهم كانوا قديماً من القبائل القوية ، وكانت في الحارث الشرقية ، ثم أقل نجمها، وتشتت شملها بسبب الحروب التي وقعت بين بطونها. ولعلها من القبائل التي كانت تقيم في الشمال ، في العربية الحجرية أو العربية الصحراوية، ثم اضطرت الى الهجرة الى الجنوب والاستيطان في مناطق الحارث. والظاهر انها كانت على اتصال باليهود، وقد تحالفت معها يهود خيبر .

وقد ورد اسم (قيدار) في النصوص الآشورية ، ورد على هذه الصورة : (قَدرو) (Kidru) و (قَدرو) (Kadru)^٧ ، كما ورد في المؤلفات

١ النبط - النبط - الانباط - نبطي - نبط - قال ابن عباس :

نحن معاشر قريش من النبط - ، تاج العروس (٢٣٩/٥) .

٢ Enc. Bibl. P. 2213, Hastings, P. 648, f.

٣ ويشرب تعلم ان النبيت رأس بيثرب ميزانها

وقد علموا ان ماقلهم حديد النبيت واعيانها

فلا امر فئكم بعد عز وثروة يقال الا تلك النبيت عساكر

شعر قيس (ص ٩ ، ١٠ ، ٣٨) .

٤ شعر قيس (ص ٩) ، « والنبيت ابو حي ، وفي الصحاح حي من اليمن » .

اللسان (٤٠٢/٢) ، تاج العروس (٥٨٩/١) .

٥ شعر قيس (ص XX) ، القسم الالمانى

٦ شعر قيس (ص XX II) ، القسم الالمانى .

٧ Schrader, KGF. 101, Kat. 147, Delitzsch, Wo lag das Paradies? S. 299.

(الكلاسيكية) ، فقال لهم (بلينيوس) (Pliny) (قدراي) (Cedrei) ، وذكر أنهم قبيلة عربية تقيم على مقربة من النبط^١ . وقد حاربهم (آشور بنبال) ، وكان ملك (قيدار) في ذلك العهد ، ملك عرف باسم (أو أيطع) (U Aite) ابن (خزاعيل) (Hazael)^٢ ، وقد ذكرهم (آشور بنبال) مع (عربي) (أربي) ، كما ذكرهم (حزقيال) مع العرب (العرب وكل رؤساء قيدار)^٣ ، مما يدل على أن مواطن (قيدار) كانت تجاور العرب ، ويراد بالعرب هنا ، الأعراب . وهو ما يتفق مع ما جاء في نص (آشور بنبال) كل الاتفاق . وذكروا بعد (نايوت) في التوراة ، مما يدل على أنهم كانوا يقطنون في جوارهم ، كما ذكروا مع (ممالك حاصور) التي ضربها (نبوخذ نصر) (بختنصر)^٤ . وقد نكل (بختنصر) بالقيداريين كذلك ، وخرب بلادهم وأخذ غنائم كثيرة منهم ، واستولى على ما وقع في أيدي جيشه من أموالهم وخيامهم وغنمهم وجالهم وقد ورد وصف ذلك في سفر (أرمياء)^٥ .

ويظهر من التوراة أن القيداريين كانوا أعراباً يعيشون في الخيام ، عيشة أهل البداوة^٦ ، وقد وصفت خيامهم بأنها خيام سود (أنا سوداء وجميلة يا بنات اورشليم ، كخيام قيدار ، كشقق سليمان)^٧ . والخيام السود هي بيوت أهل الوبر . وكانوا يعتنون بتربية المواشي ، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كثيرة^٨ . إلا أن منهم من كان متحضراً سكن القرى والمدن^٩ . ونجد (أشعيا) يتنبأ بإفناء (مجد قيدار . وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار)^{١٠} مما يدل على أن القيداريين كانوا قوة وعدداً ضخماً ، فيهم جماعة مهت برمي السهام . ويتبين من (المزامير) أنهم غزاة ، وحياتهم حياة غزو ، لا يعرفون السلام

١ Pliny, 5, 21, 65, Enc. Bibl. P. 2213, Forster Vol. I, 238 ff.

٢ Musil Deserta P. 485.

٣ حزقيال ، الأصحاح ٢٧ ، الآية ٢١

٤ أرمياء ، الأصحاح ٤٩ ، الآية ٢٨

٥ أرمياء ، الأصحاح ٤٩ ، الآية ٢٨ وما بعدها

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) .

٧ نشيد الاناشيد ، الأصحاح الأول ، الآية ٥ .

٨ قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) .

٩ أشعيا ، الأصحاح ٤٢ ، الآية ١١ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢)

١٠ أشعيا ، الأصحاح ٢١ ، الآية ١٦ وما بعدها ، Hastings, P. 512.

ولا الاستقرار' .

وقد ذكروا مع العرب في جملة من تاجر مع العبرانيين . تاجروا معهم (بالخرقان والكباش والأعتدة^٢) . وكانوا مثل قبائل العرب الأخرى على احتكاك بالعبرانيين ، يتاجرون معهم تارة ، ويخاصمونهم تارة أخرى ، ويظهر أنهم كانوا على عداء شديد معهم ، وخصومة منكرة في أيام (أشعيا) و (أرميا) ، كما يتبين ذلك من الهجوم العنيف الموجه اليهم في سفرهما ومن فرح العبرانيين من النكبات التي حلت بهم ، ولا سيما انتقام (بختنصر) منهم . ويظهر أنه غزاهم ، لأنهم كانوا يتحرشون بالبابليين في أثناء مرورهم بالبادية الى فلسطين ، مما حمل (بختنصر) على الانتقام منهم ومن قبائل أخرى كانت ضاربة في البادية وفي الطرق المؤدية الى بلاد الشام .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل دعوه (قدار بن سالف) ، زعموا أنه كان يدعى (أحيمر ثمود)^٣ ، وأنه هو الذي عقر الناقة ، ناقة النبي صالح^٤ ، وذكروا أن (قيذار بن إسماعيل) هو أبو العرب ، وزعم بعضهم أنه كان نبياً ، وزعم أن له قبراً ومشهداً يزار قريباً من السلطانية بالعجم ، وأعقب من ولده (حل بن قيذار) ، وله ابن يقال له (سوارى) . وقد ذكر أهل الأخبار أن (كعب الأحبار) ، قال : (قال الله لرومية : لاني أقسم بعزتي لأهبن سبيك لبني قاذر ، أي بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، يريد العرب)^٥ وإذا صح أن هذا الكلام هو من كلام (كعب) حقاً ، فإنه يدل على تحريض (كعب) للمسلمين على اكتساح امبراطورية الروم ، وقد كان اليهود يكرهون الروم ، لما أوقعوه بهم من ظلم ، وأنه كان يعبر عن الحالة التي كانت بين الروم والعرب في ذلك الزمان . وليس الكلام المذكور ، كلام الله في التوراة

١ الزامير ، المزمور ١٢٠ ، الآية ٥ وما بعدها .

٢ حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٢١

٣ الطبري (٣١٤/١) « دار المعارف » ، « قيذر » منتخبات (ص ٨٤) مروج (٣٩٤/١) ، ابن خلدون (٢٩٨/٢) ، تاج العروس (٤٨٣/٣) فما بعدها .

٤ تاج العروس (٤٨٣/٣) .

٥ تاج العروس (٤٨٥/٣) ، عن « قيذار » : الطبري (١٩٣/٢) ، « قيذر » ، منتخبات (ص ٨٤) ، مروج (٣٩٤/١) ، ابن خلدون (٢٩٨/٢)

ولأنما هو كلام (كعب) . ولكعب أمور عديدة من هذا القبيل ، إذ يضع كلاماً يزعم أنه من كلام الله المذكور في الكتب المنزلة .

وأما (أدبثيل) (Adbeel) ، فكناية عن قبيلة عربية أخرى من القبائل الإسماعيلية ، يرى بعض علماء التوراة أنها عاشت في جنوب غربي البحر الميت^١. ويظن أنها قبيلة (ادب ايله) (Idiba'ila) (Dibi'ila) (ادبيله) (ادبعيله) (دبيله) (وبعيلة) المذكورة في كتابة من كتابات الملك (تغلاتبلسر الثالث)^٢. وقد ذكر هذا الملك أنه عين نائباً عنه، أو (مندوباً سامياً) (قيبو) (Kepu) على خمسة عشر موضعاً ، وكان اسم هذا المندوب (ادب ال) (أدب أبل) (أدبثيل) (Idibi'il) ، وهو سيد قبيلة عرفت بهذا الاسم . والظاهر أنه فوّض إليه أمر حماية الحدود والمحافظة عليها من الغزو . وتقع أرض هذه القبيلة على مقربة من الحدود المصرية وفي الجنوب من غزة^٣. وكانت هذه القبيلة لا تزال موجودة في أيام المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس)^٤ .

ويلى (أدبثيل) (أدب ال) (ادب ايل) في تسلسل أولاد إسماعيل ، مبسام (Mibsam) ، وقد سمي في بعض الكتب العربية (ميشا) ، ولانعرف من أمر هذه القبيلة شيئاً^٥ .

وأما (مشماع) ، وقد سمي (منسى) و (منشى) و (مسمع) و (مشعاع) في بعض الكتب العربية ، فلا نعرف من أمره شيئاً . ويتصور بعض العلماء أن لهذا الاسم علاقة بقبيلة (بني مسماع) أو (جبل مسماع) (جبل مسمع) قرب تبء^٦ .

ورأى (فورستر) أن (مشماع) هي قبيلة (Masmaos) التي ذكرها (يوسفوس) ، على أنها من القبائل العربية التي كانت تعيش في أيامه^٧ . ويرى

١ Enc. Bibl. P. 2213.

٢ « تغلاتبليزر الرابع » عند « الويس موسل » ،
Musl, Hegaz, P. 291, Deserta, P. 278. f. Hastings, P. 12, Delitzsch, Paradies, S. 301, Enc. Bibl. P. 65.

٣ Schrader, KAT. S. 58.

٤ Forster, I, P., 266.

٥ Forster, Vol. I, P. 273, Enc. Bibl. P. 3067, Musl, Deserta, P. 479.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤/٢) ، Enc. Bibl. P. 3154.

٧ Forster, Vol. I, P. 274.

(فورستر) أيضاً أن قبيلة (Masaemanes) التي ذكرها (بطلميوس) هي هذه القبيلة كذلك^١ . وهذا الاسم قريب من اسم (ماء السماء) .

و (دومة) هو (دوما) في بعض الكتب العربية ، وهو كناية عن موضع (دومة الجندل)^٢ ، وقد عرف بـ (دوماتا) (Domatha) عند (بلينيوس)^٣ وبـ (Doumaetha) (Dumaetha) عند (بطلميوس)^٤ ، وبـ (Adumu) (ادومو) في الكتابات الآشورية^٥ ، وهو كناية عن موضع وعن اسم قبيلة عربية . فقد ورد أن شعباً اسمه (Dumathii) كان يقدم قرباناً ، (ولدأ) في كل سنة إلى آلهته ، ويدفن ذلك القربان في معبد الإله . ويراد به شعب (دومة الجندل)^٦ .

وقد ورد اسم (مسا) (Massa) في النصوص الآشورية مقروناً بـ (تيا) (تياء) . ويرى بعض العلماء أنه كناية عن قبيلة كانت منازلها في الشرق والجنوب الشرقي من (موآب)^٧ . ويرى بعض آخر أن مواطنها في الأرضين الجنوبية من وادي السرحان ، وفي غرب منازل (عربي) (اريبي)^٨ .

وجاء في رسالة أرسلها أحد (المقيمين) الآشوريين إلى ملك آشوري لم يرد اسمه في الكتابة أن (ملك قرو) (مالك قرو)^٩ ابن (عميطع) سيد قبيلة (مسئا) (Mas'a) غزا قبيلة (Naba'ati) ، وقتل عدداً من أتباعها^{١٠} . والظاهر أن هذه القبيلة ، هي القبيلة المذكورة في التوراة .

-
- | | |
|--|----|
| Forster, Vol. I, P. 274. | ١ |
| « ودما ، وهو دوما ، وبه سميت دومة الجندل » ، ابن سعد ، طبقات (ح ١ ق ١ ، ص ٢٥) . | ٢ |
| Pliny, 6, 28, & 157, Forster, Vol., I, P. 281. | ٣ |
| Forster, Vol. I, P. 281. | ٤ |
| Enc. Bibl. P. 1142, 2213, Musil, Deserta, P., 480. | ٥ |
| Hastings, A Dictionary of the Bible, Vol. I, P. 630 Burckhardt, Travels in Syria, 662, Ritter, Erdkunde von Arabien, II, S. 360. ff. | ٦ |
| Hastings, P. 591, Enc. Bibl. P. 2213, 2972, Musil, Hegaz, P. 288. | ٧ |
| Musil, Deserta, P. 478. | ٨ |
| مالك قمر — ملك قمر — مالك القمر — ملك امره — وما شابه ذلك من أسماء | ٩ |
| Musil, Deserta, P. 478, Delitzsch, Paradise, P., 302, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, Vol. 4, P. 1. 54, No. I. | ١٠ |

وأما (حدد) أو (حدار) ، كما دُوِّن في سفر التكوين^١ ، فإنه (أدد) عند بعض أهل الأخبار^٢ . وقد تكون لاسمه علاقة باسم الإله (حدد) أو (أدد) المعبود الشهير الذي تعبد له الآراميون وقبائل عربية كثيرة ، وكذلك الآشوريون والبابليون^٣ . ولا نعرف من أمر قبيلة (حدد) هذه شيئاً يذكر في الزمن الحاضر .

وأما (تيا) ، فإنه (طا) في الكتب العربية ، وهو كناية عن (تباء)^٤ ، وسوف أتحدث عنها . وأما (يطور) ، وهو (وطور) وما أشبه ذلك في الكتب العربية ، فقبيلة عرفت بـ (Ituraea) في المؤلفات اليونانية واللاتينية^٥ . وقد حاربت العبرانيين ، وكانت تقيم شرقي نهر الأردن في أيام الملك (شاؤول) : ويظهر أنها هاجرت نحو الشمال، فسكنت في الأقسام الجنوبية من لبنان وفي الحافات الشرقية من جبال لبنان . وقد أجبر الملك اليهودي (ارسطوبولس الأول) (Aristobulus I) (١٠٧ قبل الميلاد) قسماً من اليطوريين على التهود . وكان قد استولى على أرضهم . وكان لهم ملوك . وفي أيام ملكهم (سوهومس) (سوحومس) (سوخومس) (Sohumus) أدخلت أرضهم في مقاطعة (سورية) وذلك في سنة (٥٠) ب. م. وقد كابدت دمشق مصائب شديدة من غزوات اليطوريين^٦ .

وكانت مواطن اليطوريين في ما بين (اللجة) (Trachonitis) و(الجليل) ، وعرفت بـ (جدورا) ، وبـ (ابطورية)^٧ . وقد عرفوا بمهارتهم في الرماية . وقد ذكرهم (سترابو)^٨ . والظاهر أن مواطنهم الأصلية كانت في البادية، ومنها جاؤوا الى (ابطورية) ثم ذهبوا الى الأقسام الجنوبية من لبنان والى سهل البقاع . وقد ضيق عليهم الرومان في حوالي الميلاد وأجبروا بعضهم على الرجوع الى البادية

١ الاصحاح ٢٥ ، الآية ١٥ ، قاموس الكتاب المقدس (١/٣٦٠)

٢ الطبري (١/٣١٤) .

٣ Hastings, P. 323.

٤ Enc. Bibl. P. 2213, Forster, Vol. I, P. 310.

٥ Enc. Bibl. 2213, Josephus, Anti. XIII, II, 3.

٦ Enc. Bibl. P. 2213.

٧ قاموس الكتاب المقدس (٢/٥١٣)

٨ Strabo, XVI, II, 10.

ويظهر أن سبب ذلك هو عدم خضوعهم للسلطات وغاراتهم على الحضر . وقد قتل (مارقوس أنطونيوس) (Marcus Antonius) ، ملك البطورين في سنة (٣٤) ق.م ، وكان يدعى (ليسانياس) (Lysanias)^١ ، وتوفى (زنودوروس) (Zenodorus) الذي خلفه في سنة (٢٠) ق.م ، واستولى (هيرود الكبير) (Herodes the Great) على قسم من أرض البطورين . ولما قسمت مملكة (هيرود) ، صارت هذه الأرضون من نصيب (فيليب)^٢ .

وفي أيام (لوقا) ، كانت (Ituraea) منطقة ، تقع على ما يظهر في شمال شرقي (بحر الجليل)^٣ . ويخترق الطريق الروماني الذي عمله الرومان من (دمشق) الى (طبرية) (طبريا)^٤ هذه المنطقة .

وقد كوّن البطوريون لهم إمارة أو مملكة في (البقاع) ، كان حكامها رجال دين أي كهاناً وملوكاً في آن واحد. وقد عرفنا منهم رجلاً اسمه (Mennaios) وهو اسم قريب من الأسماء العربية ، فلعله (معن) . أما ابنه فقد سمي نفسه باسم يوناني ، هو (بطلميوس) (Ptolemaios) . وكان لهذا الملك ، أي (بطلميوس) ، ولدان ، هما : (Lysanias) ، وقد تولى الملك من بعد والده و (فيليب) (Philippion) . وأما (زينودور) (Zenodor) ، فقد خلف (Lysanias) وأما (Sohaimos) (Sohumus) ، فإنه اسم قريب من (سحيم) ومن (سهم) و (سخيم) و (سهم) ، وأمثال ذلك ، وهي أسماء عربية معروفة^٥ .

ويظهر أن ارتحال (البطورين) من الأقسام الشرقية من الأردن نحو الشمال ، نحو دمشق ، ثم سهل البقاع حتى ساحل البحر الأبيض ، كان قبل القرن الثاني قبل الميلاد . ولعلمهم هم العرب الذين ذكر أن الاسكندر الكبير كان قد حاربهم بعد حصاره لمدينة (صور) (Tyros)^٦ .

1 Dio Casius, XLIX, 32, Hastings, P. 418.

2 Hastings, P. 418, Josephus, Anti. XV, X, 3.

3 Hastings, P. 418.

4 The Bible Dictionary, I, P. 573.

5 Die Araber in der Alten Welt, I, S. 279, 315, M. Lidzbarski Ephemeris, I, (1900-1902), 335.

6 Die Araber in der Alten Welt, I, S. 170, 179.

وقد كوّن الرومان فرقاً محاربة من (اليطوريين)، اشتركت معهم في الحروب. وقد امتازت بعض هذه الفرق في حذقها بالرمي. وكوّن (مارك أنتوني) (Marcus Antonius) حرساً خاصاً منهم، أشير اليهم في الموارد اليونانية واللاتينية^١.

و (نافش) (Naphish) ، هو (نفيس) عند الأخباريين^٢. ويرى بعض علماء التوراة احتمال كون (بنو نفسيم) (Naphisim) المذكورين في سفر (عزرا) هم (نافش) هؤلاء^٣.

وأما (قدمة) ، فهو (قیدمان) و (قیدما) وما شاكل ذلك في المؤلفات العربية^٤، ولا نعرف من أمرهم شيئاً يذكر في الزمان الحاضر، ولعلمهم (القدموين) الذين أدخلت أرضهم في جملة (الأرض الموعودة) المذكورة في التوراة^٥. وكانت مواطنهم عند (البحر الميت). ومن العلماء من يظن أن لهم صلة بـ (بني قديم) (Bene Kedem) ، أي (أبناء الشرق)^٥. وذهب (فورستر) ، الى الى احتمال كون (قدمة) موضع (رأس كاظمة) على الخليج^٦. ولما كانت (قدمة)^٧ من القبائل الإسماعيلية ، وقد ذكرت مع القبائل الإسماعيلية في التوراة، ومواطنها كلها لا تبعد كثيراً عن فلسطين ، فإني أرى أن مواطن هذه القبيلة يجب أن تكون أيضاً في هذه المواضع ، أي في مكان لا يبعد كثيراً عن فلسطين.

والغالب على أبناء اسماعيل البداوة ، أي حياة التنقل والغزو والرماية ، لذلك كانت ملاحظة التوراة عن اسماعيل من أنه سينشأ راعياً ، ملاحظة حسنة ، تدل على تبصر بأمور (الإسماعيليين) الذين كانوا يقومون بالغزو ويرمون بالسهم .

أما المجموعة الثالثة من مجموعات أنساب العرب المذكورة في التوراة ، فإنها مجموعة قبائل نسبت الى (قطورة) زوج (ابراهيم) . وقد ذكرت التوراة

Hastings, A Dictionary, II, P. 521.

الطبري (٣١٤/١) .

Hastings, P. 645, Enc. Bibl. P. 3331 عزرا ، الاصحاح الثاني ، الآية ٥ .

الطبري ، (١٦١/١) ، (٣١٤/١) ، « دار المعارف » ، ابن سعد ، الطبقات (١ ق ، ١ ص ٢٥)

التكوين ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١٩ .

Hastings, P. 512, Enc. Bibl. P. 3331.

Forster, Vol. I, P. 313.

انها ولدت له (زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحاً)^١.
وولد يقشان : شبا ، وددان . وكان بنو ددان : أشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم.
وبنو مديان : عيقة ، وعفر ، وحنوك ، وأبيسداع ، والدعة^٢ . ويبلغ عدد
القبائل المنحدرة من (قطورة) ست عشرة قبيلة^٣ .

ف (قطورة) اذن هي مجموعة قبائل مثل الإسماعيليين واليقطانيين ، وهي
تتفق مع القبائل الإسماعيلية في أنها تنحدر من صلب ابراهيم ، وهي من هذه الناحية
أقدم عهداً من القبائل الإسماعيلية ، لأن والد هذه القبائل هو ابراهيم . أما والد
القبائل الإسماعيلية ، فهو اسماعيل ، وهو ابن ابراهيم .

والأسماء المذكورة كناية عن قبائل عربية ، ألفت مجموعة خاصة ، كان حلفاً
على ما يظهر تألف من قبائل رجعت نسبها الى أصل واحد ، هو (قطورة) .
انتشرت قبائله في الأرضين الواقعة بين القبائل العربية الإسماعيلية وبين القبائل
اليقطنانية . وتشير قصة زواج (ابراهيم) بقطورة الى صلة القطوريين بالإسماعيليين ،
والإسماعيليين من صلب اسماعيل بن ابراهيم ، ويؤخذ على أنه كناية عن اختلاط
قبائل المجموعتين ، أي الحلفين بتعبير أصح . ووجود أسماء بعض قبائل يقطانية
وبعض قبائل كوشية في قائمة أسماء أبناء قطورة ، هو أيضاً دليل على وجود
صلات بين هذه الاحلاف الثلاثة وعلى تداخل القبائل واختلاطها ببعضها بعض .

أما أولاد (قطورا) عند أهل الأخبار ، فهم : يقسان ، وزمران ، ومديان ،
ويسبق ، وسوح ، وبسر على رواية^٤ ، ومدن ومدين ويقسان وزمران ويسبق
وسوح على رواية أخرى^٥ . ومدن ومدين ويقشان ، وزمران ، وأشبق ، وشوخ^٦.
وقد أخذت هذه الأسماء كما نرى من التوراة ، الا ان من أخذها حرّف فيها
بعض التحريف ، وخالف الترتيب الموجود للأسماء في التوراة فقدّم وأخر ،
وأضاف اسماً جديداً هو (بسر) على الرواية الأولى ، وضعه في مكان (مدان) ،

-
- ١ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١ فما بعدها .
 - ٢ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١ فما بعدها .
 - ٣ Hastings, P. 514.
 - ٤ الطبري (١٥٩ / ١) ، (٣٠٩ / ١) ، « دار المعارف » .
 - ٥ الطبري (١٦٠ / ١) .
 - ٦ ابن سعد ، الطبقات (١ - ١ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

الا أن الطابع التوراتي ظل بارزاً واضحاً عليها . فلا حاجة بنا الى ارجاع كل اسم منها الى الاسم المقابل له في التوراة .

وزوج أهل الأخبار (يقشان) (يقسان) ، من امرأة سموها (رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن جرهم بن يقطن بن عابر) ، وأولدوا لها ولداً دعوه (البربر) ، قالوا عنه إنه جد البربر^١ . وهو زوج لا تعرف عنه التوراة شيئاً ، وأما الزوج (رعوة بنت زمر بن يقطن) ، فليس لها ذكر فيها أيضاً ، وأما نسبها ، فهو نسب اخترعه من اخترعها ، وليس له لذلك ذكر في التوراة . وأما (بربر) ابن (رعوة) فهو من صنع صانع أخبار أمه . وليس له ذكر ما في التوراة .

ولفظه (بربر) في الكتاب المقدس لفظة تعني (الغريب) ، وهي من أصل يوناني ، وقد أطلقها اليونان على الغرباء الناطقين بلغة أخرى غير اللغة اليونانية^٢ . ولم تستعمل علماً على جنس معين له جد وأب ونسل . ولذلك ، فإن ربط نسب (البربر) ، وهم سكان المناطق المعروفة من شمال إفريقيا بـ (رعوة) وبقحطان ، هو من صنع (أهل الأخبار) ، وقد وقع في الإسلام بالطبع ، وبعد الفتح الإسلامي لتلك المناطق ، لغايات سياسية ، على نحو ما حدث من ربط نسب الفرس واليونان والأكراد بالعرب .

ولم يشر الأخباريون وأهل الأنساب الى (القطوريين) كطبقة خاصة من العرب . وقد أشار بعضهم الى قبيلة عربية عرفت بـ (قطورة) ، ذكروا أنها عاشت مع (جرهم) بمكة^٣ . ولعل لتشتت شمل القبائل القطورية ودخولها في القبائل الأخرى : قحطانية وعدنانية ، وفي جهل أهل الكتاب في ذلك العهد ، أي أيام لجوء أهل الأخبار اليهم يسألونهم عن الأنساب ، دخلاً في هذا الإهمال .

ويلاحظ أن بين أسماء قبائل (قطورة) أسماء وردت في جدول أنساب قبائل (يقطان) ، وفي جدول أسماء أبناء (كوش) . ويفسر بعض العلماء ذلك بانصال القبائل القطورية بالقبائل اليقطنانية وبالقبائل الكوشية وباختلاطها بها وتلاحمها

١ الطبري (٣٠٩/١) ، « دار المعارف » .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢١٧/١) . Hastings, P. 84.

٣ Hastings, P. 514, Enc. Bibl. P. 2660, Ritter, Erdkunde, 12, 19.

معها ، ونزولها بينها ، فعدّ كتبة (أسفار التكوين) ذلك نسباً ، فأدخلوا القسم الذي دخل في اليقطانيين من اليقطانيين ، والقسم الذي نزل بين الكوشيين من الكوشيين ، ومن ثمّ صار ذلك نسباً ورابطة دم^١ .

وزوج إبراهيم (قطورة) ، معروفة عند أهل الأخبار . وقد دعوها بـ (قطوراء) وبـ (قطورا) وبـ (قنطوراء)^٢ . ومعنى اللفظة في اللغة العبرانية (البخور) . وقد تزوجها إبراهيم بعد وفاة (سارة)^٣ . ولكنهم كعادتهم في معظم الأخبار التي أخذوها من أهل الكتاب ، خلطوا في أخبارها وحرّفوا فيها ، فجعلوها نسباً ، ولم يرد له ذكر في التوراة ، اختلفوا فيه أيضاً ، فصار (يقطن) والد (قطورة) في خبر^٤ ، وصار (يكفور) أو (مفطور) هو والدها في خبر آخر ، وصار (افراهم بن أرغو بن فالخ) هو والدها في خبر آخر أيضاً^٥ . وجعلت عربية من العرب : تتكلم بهذا اللسان العربي المعروف . وقيل إن اسمها (انموتا) أو (انتملى)^٦ ، وصيرت (قطورا بنت يقطن) ، ولكنهم أخرجوها أحياناً من العرب ، وأضافوها إلى الكنعانيين^٧ ، كما جعلوها (قطورا بنت مقطور) من العرب العاربة^٨ .

ولم يظن أهل الأخبار إلى خلطهم في هذا النسب وإلى سكوت التوراة عن نسبها ، ولا أدري من أين جاؤوا بـ (يكفور) ، أو (مفطور) ، وكيف يجوز أن تكون (قطوراء) من نسل (افراهم بن أرغو بن فالخ) . فـ (افراهم) ، هو (إبراهيم) ، وهو زوج (قطورة) لا والدها أو جدّها أو جدّة جدّها أو ما شاكل ذلك . ثم إن نسب (إبراهيم) على هذه الصورة هو نسب مغلوطة ، يدل على جهل ، فإنه (إبراهيم) وهو (ابرام) في التوراة ، هو ابن (تارح)

١ Musil, Hegaz, P. 287.

٢ القاموس (١٢٣/٢) ، اللسان (٤٢٢/٦) .

٣ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، آية ١ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ٣٢

٤ الطبري (١٥٩/١) ، الكامل (٤٨/١) .

٥ الطبري (٥٩/١) ، الكامل (٤٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (١٠ ، ق ١ ، ص ٢٢)

٦ الطبري (١٥٩/١) .

٧ الطبري (٣٠٩/١) ، « دار المعارف » .

٨ الطبري (٣١١/١) ، « دار المعارف »

و (تارح) هو ابن (ناحور) و (ناحور) ابن (سروج) وهذا هو ابن (رعو) الذي صار (ارغو) عند الإسلاميين . و (رعو) هو ابن (فالج) الذي صير (فالج) عند أهل الأخبار . فترى من ذلك كيف خلط أهل الأخبار ، وكيف كان علمهم بالقصص المأخوذ من التوراة . وكل هذا الجهل ناشئ من اعتمادهم على الأخذ شفاهاً من أهل الكتاب ، ومن عدم رجوعهم الى نص التوراة ^١ .

ويلاحظ ان أكثر الذين قالوا في (قطورة) (قطوراء) و (قطورا) ، ذكروا أولادها على نحو ما ورد في التوراة . أما الذين قالوا (قنطوراء) ، فقد نسب أكثرهم اليها الترك والصين ، وأضاف بعضهم اليها السودان في بعض الأحيان ^٢ . وهو نسب تكرم به عليها أهل الأنساب والأخبار ، فليس في التوراة ذكر لهؤلاء الأولاد النجباء . ولعل إلحاق هؤلاء بـ (قنطوراء) انما كان لغرض سياسي ، هو إدماج نسب الترك والصين بالعرب ، ترضية لهم ، كما فعلوا بالنسبة الى شعوب أعجمية أخرى . ويرد اسم (بنو قنطوراء) في الملاحم والثنويات ، فرووا أحاديث تدل على شعور الخلافة الإسلامية بالخطر القادم من الترك والصين ، وبأن النسب لم ينفع شيئاً معهم ، اذ ورد : « يوشك بنو قنطوراء أن يخرجوكم من أرض البصرة » ، وورد : « اذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء » ^٣ .

وزعم أهل الأخبار ان ابراهيم تزوج من زوج أخرى ، كانت من العرب أيضاً ، أسموها (حجور بنت أرهير) ، ولدت له خمسة بنين : (كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس) . وليس في التوراة ذكر لهذه الزوج العربية ، فليس لها نسل فيها بالطبع . فالأولاد هم من نسل غيلة أصحاب الأخبار ، جمعوها من أسماء توراتية مرت وتبر علينا في مواضع من هذا الكتاب ، وضبطوها بعدد ، لتظهر بمظهر خبر صحيح مضبوط .

ومن الأخباريين من أحجم عن تعيين هوية زوج ابراهيم ، فلم يذكروا شيئاً

١ راجع نسب ابراهيم في التكوين ، الاصحاح الحادي عشر ، الاية ١٥ فما بعدها .

٢ القاموس (١٢٣/٢) ، اللسان (٤٢٢/٦)

٣ اللسان (٤٢٢/٦) .

٤ الطبري (١٦٠/١) ، (٣١١/١) ، « طبعة دار المعارف » ، الكامل لابن الاثير

(٤٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (١٠٠ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

عن عروبتهأ أو عن أبيها وجدّها، بل اكتفوا بذكر اسمها وحده، فدعوه (حجونى)، وقالوا : إنها ولدت له سبعة نفر ، هم : نافس ، ومدين ، وكيشان، وشروخ، وأمىم ، ولوط ، ويقشان^١ .

ومعارفنا بالقبائل القطورية لا تختلف عن معارفنا بالقبائل الإسماعيلية واليقطانية من حيث الضالة والضمالة . فهي قد لا تزيد في بعض الأحيان على الاسم ، ذلك لأن التوراة لم تذكر شيئاً عنها ، ولأن المفسرين والأخبار الذين شرحوا التوراة ، لم يذكروا شيئاً عن تلك القبائل ، إما جهلاً بها ، وإما لعدم وجود ميل بين العبرانيين الى الوقوف على أحوال تلك القبائل التي ذكرت في التوراة لمناسبة من المناسبات . ولهذا ضحل علمنا بها أيضاً . وليس أمامنا غير انتظار الحظ ، فقد يكتشف العلماء موارد جديدة قد تساعدنا في الوقوف على أولئك الأقوام .

فزمران مثلاً ، لا نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد ورد لدى (بلينيوس) اسم قبيلة عربية دعاها (Zamareni) ، وهذا الاسم قريب من (زمران) ، لهذا رأى بعض العلماء احتمال وجود صلة باسم هذه القبيلة القطورية^٢ ، كما ورد اسم موضع يقال له (زبرم) (Zabram) يقع غرب مكة ، يرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة له بتلك القبيلة^٣ . غير أن من الصعب الحكم أن أحد هذين الموضعين هو (زمران)^٤ .

وأولد أهل الأخبار لـ (زمران) ولداً سموه : (المزامر) ، وهو في نظرهم جدّ (المزامر الذين لا يعلمون)^٥ . وليس في التوراة ولد لـ (زمران) اسمه (المزامر) صفتهم أنهم لا يعلمون . وليس للفظه أية صلة بـ (المزامر) التي هي أغان أو موشحات ترتل على صوت المزمار لتمجيد الله . وتقسم الى خمسة كتب ، يحتم كل منها بتسبيحة ، وتكرر لفظة (آمين) مرتين ، أضافها

١ الطبري (١٦٠/١) ، (٣١١/١) ، « دار المعارف » ، لابن الاثير

(٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

٢ Enc. Bibl. P. 5419, Pliny, 26, 32, (Grotius).

٣ Enc. Bibl. P. 5419.

٤ Glaser, Skizze, 2, S. 451.

٥ الطبري (١٥٩/١) ، (٣٠٩/١) ، « دار المعارف » .

جامعو المزامير لا مؤلفوها^١ . وهي من لفظة (مزمو) (Mizmor) في العبرانية و (Mazmor) في السريانية و (Mazmur) في الاثيوبية ، وتقابل (الزبور) و (الزبر) في القرآن الكريم^٢ .

وقد ذكر (ابن النديم) على لسان (أحمد بن عبدالله بن سلام) من مترجمي التوراة والإنجيل ، أن المزامير هي (الزبور) ، وهي خمسون ومئة زمور^٣ . وهو عدد صحيح مضبوط ، يدل على علمه بعدد المزامير ، لأن ما ذكره هو عددها الصحيح .

والعلماء مختلفون فيما بينهم في المعنى (الاثنولوجي) لكلمة (زمران) . ويرى بعضهم أنها من (زمر) ومعناها (تيس جبلي) ، ويقولون إن بني (زمران) اتخذوا ذلك الحيوان (طوطماً) لهم ، ولذلك عرفوا به^٤ .

أما (يقشان) ، يرى (كلاسر) أنه موضع (وقشة) ، وهو مكان من السراة في عسير^٥ . ورأى (أوسيندر) انه (يقش) في اليمن^٦ . وذكر (الهمداني) اسم قبيلة سماها (بني وقشة) من قبائل (الجنب)^٧ . وذهب فريق من العلماء الى أن اللفظة هي تحريف للفظ (يقطان)^٨ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (بني يقسان) ، أي (بني يقشان) لحقوا بمكة فسكنوا بها^٩ . ولكنهم لم يسيروا الى بنية على نحو ما جاء في التوراة .

وأما (مديان) (مدان) (Midian) ، فلمنه (مدين) في الموارد العربية .

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٥١٣ وما بعدها) ، Hastings, P. 769.

٢ الاسراء ، السورة رقم ١٧ ، الاية ٥٥ ، ال عمران ، ٣ ، الاية ١٨٤ ، النحل ، ١٦ ، الاية ٤٤ ، الشعراء ، ٢٦ ، الاية ١٩٦ ، فاطر ، ٣٥ ، الاية ٢٥ ، القمر ، ٥٤ ، الاية ٤٣ ، ٥٢ .

٣ الفهرست (ص ٣٤) .

٤ Hastings, P. 990.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 453.

٦ Osiander, in ZDMG. 10, 31 Enc. Bibl. P. 2564.

٧ صفة (ص ١١٦) .

٨ Enc. Bibl. P. 2564, Hastings, P. 490, Montgomery, Arabia and the Bible, P. 44.

٩ الطبري (١/٣١١) ، « دار المعارف » .

وقد ورد ذكر (مدين) و (أصحاب مدين) في مواضع من القرآن^١ . ورد على سبيل العظة والتذكير بمصير يشبه مصير (مدين) ، وأشار الى نبيهم (شعيب) : (والى مدين أخاهم شعبياً)^٢ . وورد اسمهم في سورة (التوبة) مع قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم^٣ ، وورد مثل ذلك في سورة (الحج)^٤ . ومما جاء في القرآن على لسان شعيب ، قوله يخاطب أهل مدين : « يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين »^٥ . وورد في سورة هود ما يشير أيضاً الى أنهم كانوا يتقصون المكيال والميزان ، فاستحقوا العقاب والعذاب ، وذلك لترهيب أهل مكة ، وكانوا تجاراً ، من نقص المكيال والميزان ، لثلاث يصيبهم ما أصاب قوم شعيب حيث أصابهم الهلاك .

ويظهر من ذكر (الرجفة) أن حدثاً أرضياً ، هزة أو هياج حرّة ، أصابهم ، فأثر فيهم^٦ . وهذا ممكن جداً ، لأن أرض مدين من مناطق الزلازل والحيرار .

ولورود اسم (مدين) وقصة (شعيب) في القرآن الكريم ، عني المفسرون وأصحاب قصص الأنبياء بجمع ما ورد عن أهل مدين وأخيهم شعيب من أخبار ، غير أنهم لم يجدوا في ذاكرة من تقدمهم شيئاً ، فاستعانوا بما ورد عند يهود . وقد أضاف الأخباريون الى ذلك شيئاً من القصص الشعبي ، وشيئاً ابتكروه ، فأصبح (شعيب) (شعيب بن نويت بن رعويل بن مر بن عتقاء بن مدين ابن ابراهيم)^٧ . وقد ذكر الطبري وغيره من المفسرين والمؤرخين ان اسم (شعيب) (يثرون) (يثرون) (يثرو)^٨ ، وقد أخذوا ذلك من أهل

١ الاعراف ، ٧ ، الآية ٨٥ ، التوبة ٩ ، الآية ٧٠ ، هود ، ١١ ، الآية ٨٤ ، ٩٥ ، طه ، ٢٠ ، الآية ٤٠ ، الحج ، ٢٢ ، الآية ٤٤ ، القصص ، ٢٨ ، الآية ٢٢ ، ٢٥ ، ٤٥ ، العنكبوت ، ٢٩ ، الآية ٣٦ .

٢ الاعراف ٧ ، الآية ٨٥ .

٣ التوبة ٩ ، الآية ٧٠ .

٤ الحج ٢٢ ، الآية ٤٤ .

٥ الاعراف ٧ ، الآية ٨٥ .

٦ العنكبوت ٢٩ ، الآية ٣٦ .

٧ مروج الذهب (٢٨/١) .

٨ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .

الكتاب ولا شك ، ففي التوراة ان (موسى) نزل على أهل (مدين) ، بعد هربه من (فرعون) ، وتزوج ابنة كاهن (مدين) (مديان) (يثرون) ، واسمها (صفورة) ، فولدت له ولداً دعاه (جرشوم) (كرشوم) . فرأى المفسرون والأخباريون ان شعبياً المذكور في القرآن الكريم هو (يثرون) التوراة . ويرى (بول) (Buhl) ان ذلك لم يكن معروفاً في صدر الإسلام وانما حدث هذا بعد هذا العهد^١ .

وقد وضع بعض أهل الأخبار نسباً عجيباً مضحكاً لـ (شعيب) ، فجعلوه (يثرون بن ضيعون بن عثقا بن ثابت بن ابراهيم)^٢ . وتعقل آخرون فقالوا: انه (شعيب بن ميكيل) من ولد مدين^٣ . وقيل غير ذلك . وكل هذا من وضع أهل الأخبار ، وأهل الكتاب الذين أمدّوهم بمثل هذه الأنساب والقصص ، ولم يتورعوا من ادعاء انهم وجدوا ذلك في كتب الله .

وقد عرف (يثرو) (Jethro) (Jether) بـ (رعوثيل) (Reuel) أيضاً في التوراة^٤ . كما عرف بـ (حوباب بن رعوثيل) في موضع آخر^٥ . ويظهر ان خطأ قد وقع في كتابة الاسم الثاني أو الأول ، ولهذا صار (رعوثيل) في سفر الخروج و (حوباب بن رعوثيل) في سفر العدد . ونرى ان الاسم الذي ذكره (المسعودي) وغيره من أهل الأخبار لـ (شعيب) الذي هو (يثرو) يختلف مع اسمه المذكور في التوراة . ويرى بعض الباحثين ان كلمة (يثرو) ليست اسم علم له ، وانما هي كناية عن وظيفته ، وهي الكهانة ، فقد كان كاهناً في قومه ، والكاهن هو (يثرو) في بعض اللغات العربية الجنوبية ، وأما اسمه ، فهو (رعوثيل) أو (حوباب بن رعوثيل)^٦ .

وقد جعل الناس لشعيب قبراً زعموا انه على مقربة من (حطين) في موضع سماه (باقوت) (خيارة)^٧ . وقال له (بول Buhl) (خربة مدين)^٨ .

Enc. Vol. 4, P. 389, J. Horowitz, Koranische Untersuchungen, Berlin, 1916, S. 119. ff. ١

٢ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .

٣ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .

٤ الخروج ، الاصحاح الثاني ، الآية ١٨ .

٥ العدد ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٩ .

٦ Hastings, P. 465.

٧ البلدان (٢٩٩/٣)

٨ Enc. Vol. 4, P. 389.

وقد ورد خبر (مدين) في غزوة (زيد بن حارثة) لجذام في (حسمى)^١ .
ويظهر من بعض الموارد الإسلامية أن (مدين) كانت في صدر الإسلام من أرض
(جذام) ، وانها كانت اذ ذاك أكبر من (تبوك) . وبها بشر زعم انها البئر
التي استقى منها موسى^٢ .

ويظهر من شعر (كُثَيْر عَزَّة) انه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان،
يتعبدون ، وييكون من حذر العقاب^٣ . وورد اسم بطن يقال له (بنو المدان)،
كما ورد ذكر (مدان) في غزوة (زيد بن حارثة) بني جذام ، ويقال له
(فيفاء مدان)^٤ . (والمدان) اسم صنم أيضاً ، وبه عرف (بنو عبد
المدان)^٥ .

وفي التوراة ان (المديانيين) كانوا برفقة (الإسماعيليين) لما بيع (يوسف)^٦ .
وأن موسى نزل عندهم وتزوج فيهم : أخذ ابنة (يثرون) كاهن (مديان)
(مدين)^٧ . وفي موضع آخر أن (يثرون) من (بني القيني) (Kenite)^٨
ويظن أن (بني القيني) هم فرع من فروع (مديان)^٩ .

١ ابن هشام (٩٩٤/١) « طبعة وستنفلد » .

٢ صفة (١٢٩) ، اللسان (٢٨٩/١٧) ، البلدان (٤١٨/٨) ، ابن خرداذبه ،
المسالك (ص ١٢٩) ، « طبعة دى غويه » ، ابن رسته ، الاعلاق (طبعة دى غويه)
(ص ١٧٧) ، احسن التقاسيم ، (ص ١٥٥) ، « طبعة دى غويه » ، البلدان
لليعقوبي (ص ٣٤١) ، « طبعة دى غويه » ، البكري ، معجم ، (٥١٦/٢) فما
بعدها ، « طبعة وستنفلد » .

٣ البلدان (٤١٨/٨)

٤ اللسان (٢٨٩/١٧) .

٥ « والمدان : صنم ، وبنو المدان بطن » ، اللسان (٢٨٩/١٧) ،

Enc. Bibli. P. 3002.

٦ « فمر قوم مدينيون تجار ، فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه
للاسماعيليين بعشرين من الفضة ، فأتوا بيوسف الى مصر » التكوين ، الاصحاح
السابع والثلاثون ، الآية ٢٨ .

٧ الخروج ، الاصحاح الثالث ، الآية ١ وما بعدها ، « وكان موسى يرعى غنم
يثرو حمية كاهن مدين ، فساق الغنم الى ما وراء البرية ، حتى افضى الى جبل الله
حوريب » .

٨ القضاة ، الاصحاح الاول ، الآية ١٦

٩ Hastings, P. 616, Enc. Bibli. P. 3080.

وقد اتحد (المديانيون) مع (مؤاب) ضد اسرائيل^١ . وفي أيام (جدعون) (Gideon) كان المديانيون قد ضايقوا العبرانيين مضايقة شديدة ، وكانوا قد اتفقوا مع العمالة و (بني المشرق) ، فتمكن (جدعون) من اخراجهم . وقد ورد في سفر (القضاة) اسم أميرين من أمراء المديانيين ، هما (غراب) (Oreb) ، و (ذئب) (Zeeb)^٢ وورد في الإصحاح الثامن من القضاة اسم ملكين أو (شيخين) من (مديان) (مدين) هما : (زبج) (Zebah) و (صلنماع) (Zalmuna)^٣ . والظاهر أنه لم يعد للمديانيين شأن منذ هذا العهد ، فلم يرد عنهم شيء يذكر ، ولعلمهم ذابوا في القبائل العربية الأخرى^٤ . ويفهم مما جاء في (القضاة) أنهم كانوا فرعاً من (الإسماعيليين)^٥ . والذي يفهم من مواضع متعددة من أسفار التوراة أن مواطن (المديانيين) كانت تقع شرق العبرانيين^٦ . والظاهر أنهم توغلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين، واتخذوا لهم هناك مواطن جديدة ، عاشوا فيها أبداً طويلاً بعد هذا التاريخ حيث يرد ذكرهم في الأخبار المتأخرة^٧ . وقد ذكر (بطلميوس) موضعاً يقال له (مودينا) (Modiana) على ساحل البحر الأحمر ، يرى العلماء أنه موضع (مدين) ، وهو ينطبق على موضع أرض مدين المعروفة في الكتب العربية^٨ .

وذكر (يوسفوس فلافيوس) المؤرخ اليهودي المعروف مدينة سماها (Madiana) وقال إن موسى زارها^٩ . وذكر (بطلميوس) مدينة أخرى سماها (Madiama)^{١٠} ، وقد أشار المؤرخ (أوسيبوس) (Eusebius) الى مدينة دعاها (مديم) (Madiam) ، قال إنها سميت بهذا الاسم نسبة الى ولد من أولاد (قطورة) زوج ابراهيم ، وهي تقع في بادية الـ (سَرَسِينَ) (Saracens) الى شرق

- ١ القضاة ، الإصحاح السادس ، الآية ٢٣ .
- ٢ القضاة ، الإصحاح السابع ، الآية ٢٥ ، الإصحاح الثامن ، الآية ٣ .
- ٣ القضاة ، الإصحاح الثامن ، الآية ٦ وما بعدها .
- ٤ Hastings, P. 616.
- ٥ القضاة ، الإصحاح الثامن ، الآية ٢٤ . Enc. Bibl. P. 3081.
- ٦ Enc. Bibl. P. 3081, Hastings, P. 616.
- ٧ Enc. Bibl. P. 3081.
- ٨ Enc. Bibl. P. 3081, Hastings, P. 616, Ptolemy, VI, 7, 27, Enc. Vol. 3, P. 104.
- ٩ Josephus, Archaeologia, II, 257, (Naber), Mustl, Hegaz, P. 278.
- ١٠ Ptolemy, Geography, VI, 7, 27, Enc. Bibl. 3081.

البحر الأحمر . ويرى (موسل) أن (Madiama) أو (Madiam) هي (مدين)^١ .

ويظهر من التوراة أن (المدينين) قد غيروا مواضعهم مراراً ، بدليل ما يرد فيها من اختلاطهم بـ (بني قديم) والعمالقاة والكوشيين والإسماعيليين^٢ . ويظهر أنهم استقروا بعد ضعفهم في المنطقة التي ذكر (يوسفوس) وجود مدينة (Madiana) فيها ، أي في القرون الأخيرة قبل الميلاد . ويرى (موسل) أنها تقع في جنوب (وادي العرب) وإلى جنوب وجنوب شرقي العقبة^٣ .

ومن الصعب تعيين (يشاق)^٤ . فقد رأى بعضهم أنه موضع (يسبق) وهو مكان في شمال سورية ، ذكر في كتابات (شلمنصر) الثاني^٥ . وقد ورد في خبر فتوحات (تغلا تيليزر) الأول اسم مكان يقال له (سوخ) (Sukh) أو (شوح) أو (شوخ) (Schukh) ، ويقع شرق (حلب) ، وهو لا يبعد كثيراً عن أرض (يسبق) (Jasbuk) . واسم (سوخ) قريب جداً من (شوح) الذي يلي اسم (يشباق) في التوراة ، لذا رأى بعض العلماء أنه هو الموضع المقصود ، وأن (يشباق) كناية عن هذا المكان ، عن موضع (يسبق) الذي لا يبعد كثيراً عن (شوح)^٦ . ورأى بعض الباحثين أنه (الشبك) ، وهو موضع يقع على طريق (السكة الرومانية) الموصلة إلى العقبة^٧ .

وأما (شوحا) ، فذهب بعض الباحثين إلى أنه موضع (سوخ) (سوخو) (Sukh) (Suchu) المذكور في نص (آشور بنبال) (٨٦٠) ق. م^٨ . ويقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات^٩ . وقد ذكرت أن نفرأ من الباحثين رأوا

١ Musil, Hegaz, P. 279.

٢ التكوين ، الأصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٦ ، الأصحاح السابع والثلاثون الآية ٢٥ ، العدد ٢٨ ، الأصحاح الثاني عشر ، الآية ١ ، حبقوق ، الأصحاح الثالث ، الآية ٧ .

٣ Musil, Hegaz, P. 287.

٤ Hastings, P. 392.

٥ Enc. Bibl. 2210, Fr. Delitzsch, in "Zeitschrift fuer die Kellschriftforschung und verwandte Gebiete," 2, 91. f., 1885 W. Smith, A Dictionary of the Bible, comprising its Antiquities, Biography, Geography, and Natural History, 2nd. Ed. Glaser, Skizze, 2, S. 445. Glaser, Skizze, 2, S. 445. ff.

٦ Glaser, Skizze, 2, S. 445. ff.

٧ Forster, I, P. 352. f.

٨ Enc. Bibl. P. 4495.

٩ Hastings, P. 852, Enc. Bibl. P. 4495.

أنه مكان (سوخ) المذكور في نص (تغلا تبليزر) الأول . وقد نسب أحد أصحاب (أيوب) الثلاثة ، وهو (بلدد) الى (شوح) فعرف به (الشوحي)^١ . ويظن كثير من العلماء أنه من قبيلة أو من أرض عرفت به (شوح) ، وأن هذه القبيلة أو الأرض هي (شوحا)^٢ .

وقد نسبت التوراة ولدين الى يقشان هما : (شبا) ، و (ددان) . ويجب أن تكون أرض (شبا) هنا في جوار أرض (ددان) ، وذلك لورود (ددان) مباشرة بعد (شبا) ، أي على مقربة من موضع (ديدان) الذي هو (العلا) في الحجاز^٣ . وأهل (شبا) المذكورون هنا ، هم جالية سبئية من جاليات سبئية عديدة انتشرت بين اليمن وفلسطين ، وفي السواحل الإفريقية المقابلة لليمن^٤ ، كما سأحدث عن ذلك .

ولم تهب التوراة لشبا أولاداً ، بل تركته عقيماً . إنعسا وهيت شقيقه ددان عدداً من الأولاد ونسلاً ، هم (أشوريم) و (لطوشيم) و (لأميم) . أما (أشوريم) (Ashurim) (Asshurim) ، فلأنهم قبيلة عربية من قبائل (قطورة) باجاء علماء التوراة ، ولا صلة لهم به (آشور) ، أي الآشوريين . وقد ورد في (التركوم) (Targum) أن (أشوريم) بمعنى سكان مستوطنة أو معسكره . مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا مستقرين مقيمين في مستوطنات ، ولم يكونوا أعراباً .

وقد ورد اسم (آشور) في نصوص معينة مقروناً باسم موضع (عبر نهران) ، وتقع هذه المنطقة من (طور سيناء) الى (بئر السبع) (Beersheba) و (حبرون)^٥ ونحاذي (مصرى) في جزيرة العرب على رأي (ونكلر)^٦ . ولا نعرف شيئاً عن (لطوشيم) و (لأميم) ، ويظن (كلاسر) أنهم من سكان (طور سيناء)^٧ .

١ ايوب ، الاصحاح الثاني ، الاية ١١

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥/١) ، Enc. Bibli. P. 4495 Hastings, P. 852.

٣ Glaser, Skizze, 2, S. 454.

٤ Hastings, P. 842.

٥ Hastings, 2, P. 59.

٦ Enc. Bibli. P. 346, Glaser, 1155, Winckler, AOF, 28. f. ZDMG, 1895, S. 527, Winckler, Musri, 2, S. 51. ff.

٧ Winckler, Musri, 2, 51.

٨ Glaser, Skizze, 2, S. 460, Enc. Bibli. P. 2768, Hastings, P. 541.

وأما (مديان) (مدين) ، فكان له من الأولاد : عيفة ، وعفر ، وحنوك ، وايبداع ، والدعة^١ . فهم اذن قبائل من صلب (مديان) أي مدين .

أما (عيفة) ، فقد ورد ذكره في التوراة على انه اسم قبيلة كانت تحمل الذهب واللبان على الجمال من (شبا) وتبيع تجارتها في فلسطين .

ذكرت مع (مدين)^٢ . ويظهر ان (بني عيفة) وأهل مدين، كانوا وسطاء أو تجاراً يذهبون الى (شبا) ، فيحملون الذهب واللبان ، لبيع هذه السلع الغالية النفيسة في فلسطين . ولا نعرف من أمر هذه القبيلة في الزمن الحاضر شيئاً يذكر^٣ .

وأما (عفر) ، فاسم قبيلة يظن بعض العلماء انها (بنو غفار) من (كنانة)^٤، أو موضع (يعفر) على مقربة من (الحنكية) بين تهامة وأبان^٥ . ورأى (كلاس) انه موضع (Apparu) الذي ورد في كتابة تعود الى (آشور بنبال)^٦ .

وهناك مواضع أخرى اسمها قريب من اسم (عفر) ، فعلى مقربة من (مكة) موضع يعرف بـ (عفر) وبـ (عفار) ، وفي نواحي (العقيق) مكان يسمى (عفاريات)^٧ . وذكر (الهمداني) (عفار) و (الحنفقة) ، واسماهما قريبان من (عفر) و (حنوك)^٨ . غير ان في أعالي الحجاز في منطقة (مدين) وفي الأردن مواضع تسمى بأسماء قريبة من (عفر) .

وأما (حنوك) ، فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد ذهب بعض الباحثين الى انه (الحنكية) ، وهو موضع في شمال المدينة^٩ .

وأما (ايبداع) (Abida') ، فيرى (كلاس) انه موضع من هذه

١ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٤ .

٢ اشعيا ، الاصحاح الـ ٦٠ ، الآية ٦

٣ Enc. Bibl. P. 1301, Hastings, P. 231.

٤ Enc. Bibl. P. 1301.

٥ Enc. Bibl. P. 1301.

٦ Glaser, Sklzze, 2, S. 449.

٧ صفة (ص ٢٥٣)

٨ البلدان (١٨٧/٦) فما بعدها .

٩ Glaser, Sklzze, 2, S. 449, Enc. Bibl. P. 1960.

المواضع في الحجاز^١. وقد ورد في النصوص السبئية اسم قريب من هذا الاسم^٢. ولا نعرف من أمر (الدعة) شيئاً حتى الآن^٣.

أبناء كوش :

ونجد في التوراة ان أبناء (كوش) (سبا ، وحويلة ، وسبته ، ورعمة ، وسبتكا) ، وان (سبا وددان) هما ابنا (رعمة) . و (كوش) هو ابن (حام) ، والمراد بأبناء (كوش) الحيش وسكان (نوبيا) وهم سود^٤. أما الأسماء المذكورة ، فهي أسماء قبائل وأرضين عربية معروفة ، لذلك حار علماء التوراة في تفسير الأسباب التي حملت كتابة التوراة على جعل تلك الأسماء أسماء أولاد لكوش. فرأى بعضهم أنها كناية عن قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب الى السواحل الافريقية المقابلة واستقرت في افريقية منذ أزمنة قديمة وكونت لها مستوطنات وربما حكومات هناك ، واندمج نسبها في أرض افريقية ، فعُدّت من شعوبها ، فلما دوّن أهل الأنساب العبرانيون أنساب البشر في أيامهم عدّوها من شعوب افريقية بحسب اقامتها ، وأدخلوها في أبناء (كوش) ، أي في أبناء تلك المنطقة التي أقاموا فيها . وذهب بعض آخر الى أن (الكوشيين) المذكورين لم يكونوا من افريقية ، بل من جزيرة العرب ، ورأوا وجود (كوش) أخرى في جزيرة العرب أصحابها هم القبائل العربية المذكورة^٥. واستدلوا على ذلك بما جاء في (أخبار الأيام الثاني) : « وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب (الكوشيين) »^٦. حيث يفهم من هذه الآية ان العرب المذكورين الذين عادوا (يهورام) كانوا يجاورون (الكوشيين) ، ويقتضي ذلك على زعمهم وجود (كوش) أخرى ، هي (كوش عربية) ، وإياها قصد (سفر التكوين) في هذا المكان^٧.

Glaser, Skizze, 2, S. 449. ١

Enc. Bibl. P. 14. ٢

Enc. Bibl. P. 1255. ٣

التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٧ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٢٧٨/٢) ٤

Hastings, P. 171. ٥

الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١٦ ٦

Hastings, P. 171. ٧

(Rammanitae) الذي ذكره (سترابو)^١ ، أو موضع (ركمت) (ركمت) (رجمت) (رجات) المذكور في كتابات المسند . وبخيل إلى أنه كناية عن حلف ضمّ جماعة من السبثيين الشماليين والديدانيين ورعمة ، في تلك الأيام ، ولذلك صيّر والدًا لشبا وددان ، ثم انقصمت عراه ، فذكرت (رعمة) مع (شبا) تتاجر مع (صور) (Tyx) وذلك في سفر حزقيال^٢ ، أو أنه اسم أرض في شمال غربي العربية الغربية يجاور مواضع السبثيين الشماليين والديدانيين . أو في موضع ما من سواحل الخليج^٣ .

وأما (سبتكا) ، فلا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها تحريف لفظة (سبتة)^٤ . ويرى (كلاسر) أنها في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب^٥ .

المهاجريون :

وذكر في التوراة اسم شعب سكن في شرقي الأردن وفي شرقي أرض (جلعاد)، عرف باسم (المهاجرين) . وهم من العرب أو من (بني لرم) في رأي بعض العلماء . غير أن إطلاق هذه اللفظة على الإسماعيليين ، يدل على أن المراد بهم العرب؛ لأن (الإسماعيليين) هم عرب ، وأن (هاجر) كناية عن أم (إسماعيل) جدّ القبائل التي تحدثت عنها على رأي التوراة . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مراد التوراة من (المهاجرين) الأعراب ، أي البدو وهم عرب أيضاً^٦ . وقد امتدت منازل المهاجرين من الفرات إلى (طور سيناء) ، فهي منطقة

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٤٨٥) ،
Hastings, P. 780, Enc. Bibli. P. 3997, Hommel, AHT. S. 240, Montgomery, Arabia, P. 30, 39, 42, 58, Glaser, Skizze, 2, S. 352, Forster I P. 59. ff.

٢ حزقيال ، الأصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢

٣ Forster, I, P. 59. ff. Glaser, Skizze, 2, S. 252.

٤ Enc. Bibli. P. 4181, Glaser, Skizze, 2, S. 252, Hastings, P. 809.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 252, Forster, 2, P. 59.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٦٦) وما بعدها ، أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الخامس ، الآية ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، الأصحاح ٢٧ ، الآية ٣١ .

٧ Hastings, P. 325.

أما (سبأ) ، وقد ذكر الاسم بالسين في هذا الموضع من التوراة ، فإنه اسم شهير معروف ، هو شعب سبأ . وتصور التوراة وجود (سبأ) في (كوش) ، يشير الى انتشار السبثيين في افريقية ، ووقوف العبرانيين على ذلك ، وعندى ان ذكر السبثيين مرة بـ (شبا) أي بالشين المعجمة ، ومرة بالسين المهملة ، انما وقع من كتابة الأسفار ، كتبوه بالشين على وفق النطق العبراني ، وكتبوه بالسين على نحو ما ينطق به في العربية ، فظهر الاسم وكأنه اسم شعبين متباينين ، ولا سيما في الموضع المذكور ، حيث ظهر اسم (سبأ) بالسين ، ابن من أبناء (كوش) ، بينما ظهر بالشين أي (شبا) ابن من أبناء رعمة وشقيق لـ (ددان) على حين ورد بالشين أيضاً في أولاد يقطان . والظاهر ان المورد الذي استقى منه كتابة الأسفار هذه الأسماء سمّوها بالشين من اخوانهم العبرانيين الذين كانوا على اتصال بالسبثيين ، وذلك على وفق نطقهم ، وقد كان هؤلاء السبثيون من سكان اليمن وأعالي الحجاز ، فأطلقها عليهم بحسب نطق العبرانيين بها ، وسمع عن السبثيين الآخرين وهم من دعاهم بـ (الكوشيين) من العرب ، فضببطها بالسين . وفرق بين الأنساب على طريقة العبرانيين من نسبة الأقوام الى المواضع التي تقسم من ينسبونهم بها .

وأما (حويلة) ، فقد تحدثت عنها في كلامي على أبناء (يقطان) .
وأما (سبته) (Sabta) ، فقد رأى بعض العلماء انها قبيلة من قبائل جزيرة العرب ، يجب أن تكون مواطنها بين (سبأ) و (رعمة) ، ورأى آخرون انها على ساحل الخليج^١ ، على حين رأى آخرون انها (Sabota) أي (شبوة) عاصمة حضرموت ، ورأى (كلاسر) انها في اليامة^٢ .

وأما (رعمة) (Raamah) ، فإنه والد (شبا) و (ددان) (ديدان) ، ولكونه أحد أبناء (كوش) وجب البحث عن أرضه في افريقية ، إلا أن العلماء لا يتفقون على ذلك ، بل يذهب أكثرهم الى ان (رعمة) كناية عن أرض هي في مكان ما من جزيرة العرب ، في غرب الخليج العربي حيث موضع (Regma) الذي ذكره (بطليموس) ، أو في أرض

Hastings, P. 809, Enc. Bibl. P. 4181. ١

Glaser, Skizze, 2, S. 252, Enc. Bibl. P. 4181. ٢

واسعة تشمل البادية : بادية الشام ، وتضم عدداً كبيراً من الأعراب . وهي منازل (الإسماعيليين) أيضاً ، وقد يكون هذا هو السبب في عدم تمييز التوراة أحياناً فيما بين المهاجرين والإسماعيليين^١ . وقد ذكروا مع (بطور) (Jetur) و (Naphish) ، وهما من الإسماعيليين . وأشار إلى اسم رجل من المهاجرين عرف بـ (يازيز) (Jaziz) ، ذكرت التوراة أنه كان يرعى بغنم داوود^٢ في جملة أشخاص كان (داوود) قد أودع اليهم أمر إدارة أمواله^٣ .

وبعد ، فهذا كلام موجز في أثر التوراة على روايات أهل الأنساب والأخبار في أنساب العرب . وقد رأيت أن مروجيه ومدخليه بين العرب هم أهل الكتاب ، ومعظمهم من يهود أو من مسلمة يهود . لهذا ترى أسانيد أكثر هذه الروايات تنتهي بـ (كعب الأخبار) و (وهب بن منبه) وأضرابهما . وقد ينتهي السند بـ (ابن عباس) ، من طريق (ابن الكلبي) عن أبيه ، عن أبي صالح^٤ ، وللعلماء كلام في هذا السند . و (ابن الكلبي) مورد مشهور معروف في هذه الموضوعات ، لا يقابله في ذلك إلا (ابن اسحاق) الذي عرف ، كما ذكرت في أول هذا الفصل ، من مناهل أهل الكتاب ، وكان يسميهم أهل العلم الأول ، فلأ كتابه لذلك بغث كثير ، لاعتماده على هؤلاء وتوثيقه لهم ، ولم يكن لأكثرهم كما يظهر من نقد ما نسب اليهم علم بما جاء في التوراة . وبكتب اليهود الأخرى .

وقد ظهر لي من دراساتي لهذا الموضوع وللقصص الإسرائيلية عامة أن كثيراً من هذا الذي يرويه أهل الأخبار في النسب وفي القصص ، بعيد عما يرد في التوراة ، وقد اخترع اختراعاً وصنع بغاوة وبجهل ، وحشي بالفاظ عبرانية أو قريية منها ، بطريقة مضحكة أحياناً ، تدل على خبث واضح الخبر أو جهله ، وعلى سذاجة الناقل عنه وعلى عدم اهتمامه إلا بإظهار نفسه بمظهر الواقف على عدم اهتمامه إلا بإظهار نفسه بمظهر الواقف على الأخبار ، ولذلك كان لا يهتم إلا بجمع الأخبار وقصصها للناس ، وقد يكون هو واضع تلك الأخبار وصانع ذلك القصص .

١ The Bible Dictionary, Vol. I, P. 499, 570.

٢ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٣١

٣ Hastings, A Dictionary, II, P. 281.

٤ الطبري (٢٠٣/١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨) ، « دار المعارف » .

وقد ذكر (الطبري) في تأريخه حديثاً يرجع سنده الى رسول الله ، في أبناء نوح ، زعم أن الرسول قال : (سام أبو العرب ، وياث أبو الروم ، وحام أبو الحبش) . ذكره بصور مختلفة ، فيها تقديم وتأخير ، أو زيادة في بعض الألفاظ . ويتصل اسانيد هذا الحديث بمختلف صور رواياته الى سند واحد ، هو : (سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ابن جندب ، عن الرسول)^١ .

وهناك أحاديث ، وردت في موضوع نسب عدنان ، فيها نهى عن تجاوز ما وراء ذلك ، وهي وأمثالها يجب أن تكون موضع دراسة مستقلة حقاً ، لرى سلاسل سندها ، ومقدار قربها أو بعدها من حديث الرسول . فعلى مثل هذه الدراسة نستطيع أن نبنى أحكاماً في موضوع رأي النسابين في نسب العرب في أيام الرسول .

ولا بد لي هنا من التنبيه على أن (محمداً بن اسحاق بن يسار) صاحب المغازي والسير ، هو - كما قلت مراراً - من الآخذين عن أهل الكتاب ، الراوين عنهم^٢ . وكان يسميهم أهل العلم الأول . وهم بالطبع من هذه الناحية أعلم من غيرهم بأمور التوراة والإنجيل ، بحكم كونهم يهوداً أو نصارى . ولهذا نجد المؤرخين والأخباريين يروون ما ورد من قصص توراتي ومن أنساب توراتية عن (ابن اسحاق) ، فهو اذن أحد الناشرين للإسرائيليات بين المسلمين . والقصص الإسرائيلي الذي نشره ، ليس في الواقع قصصاً اسرائيلياً صافياً خالياً من الكدرة ، بل هو متفاوت في درجات النقاء والصفاء . فيه العكر ، وفيه ما هو قريب مما جاء في التوراة ، وفيه ما هو مطابق لما جاء في (العهد القديم) ، فهو نقي صاف . ويعود سبب هذا الاختلاف الى الموارد التي استقى منها (ابن اسحاق) علمه . ففيها منابع كانت ذات علم ووقوف على كتب أهل الكتاب ، وفيها موارد مدعية أو ليس لها حظ من العلم ، وانما تحدثت اليه على نحو ما كان شائعاً بين أهل الكتاب ، وبينها موارد استباحث الكذب ، ادعاءً للعلم ولأسباب أخرى ، ومن هنا اختلفت موارد (ابن اسحاق) في درجات النقاء والصفاء .

١ الطبري (٢٠٩/١) ، « دار المعارف » .

٢ الاكليل (٣١/١) .

و (هشام بن محمد بن السائب الكلبي) ، هو من الآخذين عن أهل الكتاب كذلك ، المدخلين للإسرائيليات ولأنساب التوراة الى المسلمين . وهناك نفر آخرون أخذوا عن أهل الكتاب أيضاً ، يخرجنا ذكر أسمائهم هنا عن صلب الموضوع ؛ ولهذا اكتفيت بذكر هذين الرجلين ، لما لهما من أثر بارز فيمن جاء بعدهم في موضوع الإسرائيليات وأنساب التوراة .

وأما ما نسب الى (ابن عباس) من أقوال لها صلة بالتوراة فيجب دراسته بحذر ونقده نقداً عميقاً ، ومطابقته بما ورد في تلك الأسفار وفي كتب اليهود الأخرى . ونقد سلسلة السند التي تروي تلك الأقوال وتنسبها اليه . ولم يبق حتى الآن باحث لفت نظره هذا الموضوع . لذلك أرجو أن ينتبه اليه العلماء ليبسوا رأيهم فيه ، ورأيهم في الأقوال المماثلة المنسوبة الى صحابيين آخرين وتابعين ، ليكون حكمنا في مثل هذه الأمور حكماً مستنداً الى درس وعلم .

ومما نسب الى (ابن عباس) شعر مشهور معروف اليوم بين الناس قالوا إنه نسبه الى آدم ، وأنه قال : إن آدم نظمه بعد قتل ابنه ، وهو شعر موضوع بالطبع ، وضع على آدم ، على لسان ابن عباس . فقد نسبه بعض العلماء الى أناس آخرين^١ .

ولم يعرف عن (كعب الأخبار) أنه ألّف أو دوّن شيئاً ، إنما عرف عنه انه كان يجلس مجالسه في المسجد يتحدث الى الناس ويستعين بالتوراة أحياناً يقرأ منها عليهم ، ويفسرهما لهم^٢ . ولكن (الهمداني) يذكر انه كان قد كتب كتباً ، وإن أهل (صعدة) ، كانوا قد توارثوا كتبه ورووا منها . قال : « روى الصعديون مرفوعاً الى ابراهيم بن عبد الملك الخنفسري ، قال : قرأت كتب كعب الأخبار ، وكان كعب رجلاً من حمير من ذري رعين ، وكان قد قرأ التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، وأوسع في العلم^٣ . وقال أيضاً : (والوجه ما ذكرنا في أول السيرة من هذا الكتاب ، ما رواه أهل صعدة عن كعب الأخبار في خلق آدم ، ومن خلفه الى نوح ، ونحو الطوفان^٤ . وقد

١ الاكليل (٣٦/١) .

٢ ابن سعد ، الطبقات (٧٩/٧) .

٣ الاكليل (٥٥/١) .

٤ الاكليل (٥٥/١) .

نقل (الحمداني) نقفاً عن (الخلق) والأنبياء ونوح والطوفان في الجزء الأول من كتابه : الإكليل ذكر أنها لكعب الأحبار . والظاهر أنه أخذها من رواية أهل صعدة لكعب (ابراهيم بن عبد الملك الخنصري) ، نقلاً من كتب كعب الأحبار^١ .

١ الإكليل (٥٥/١) .

ضعفت فيها وشائج الدم والنسب ، وكثر فيها التزاوج والتصاهر بين العرب والعجم ، فصعب على الناس فيها المحافظة على أنسابهم ، وقلّت الفائدة من النسب عندهم . ولهذا لم يعتنوا به عناية الأعراب بالأنساب .

فالانتماء الى عشيرة أو قبيلة أو حلف ، هو حماية للمرء ، وجنسية في عرف هذا اليوم . ولهذا صار إخلاص الأعرابي لقبيلته أمراً لازماً له محتماً عليه ، وعليه أن يدافع عن قبيلته دفاع الحضري عن وطنه. فالقبيلة هي قومية الأعرابي ، وحياته منوطة بحياة تلك القبيلة . ولهذا كانت قومية أهل الوبر قومية ضيقة ، لا تتعدى حدودها حدود القبيلة وحدود مصالحها وما يتفق أهل الحل والعقد فيها عليه . ومن هنا صارت القبائل كُتلاً سياسية ، كل كتلة وحدة مستقلة ، لا تربط بينها إلاّ روابط المصلحة والفائدة والقوة والضعف والنسب .

والعادة انتساب كل قبيلة الى جدّ تنتمي اليه ، وتدعي أنها من صلبه ، وان دماءه تجري في عروق القبيلة ، وتتباهى به وتتفاخر ، فهو بطلها ورمزها ، وعلامتها الفارقة التي تميزها عن القبائل الأخرى . وليس ذلك بدعاً في العرب ، بل إنّنا لنجد الأمم والشعوب الأخرى تنتمي الى أجداد وآباء . ف (هيلين) (Hellen) ، هو جدّ أهل (دورس) (Dorus) ، ومنه أخذ (الهيليون) اسمهم هذا . وكان للرومان والفرس والهنود وللاوروبيين أجداد انتموا اليهم واحتسبوا بهم وتعصبوا لهم ونسبوا أنفسهم اليهم على نحو ما نجده عند العرب والإسرائيليين وبقية الساميين^١ .

وفي التوراة ولا سيما (أسفار التكوين) منه ، أبرز أمثلة على النسب ، نجد فيها أنساب الأنبياء والشعوب ، وأنساب بني اسرائيل . يسبق النسب في العادة جملة : (وهذه مواليد) (وإلّه تولدت) ، ثم يرد بعدها النسب^٢ . أي أسماء من يراد ذكر نسبهم . قد يذكر نسب الأب والزوجة والولد، وقد لا تذكر الزوجة ، بل يكفي بالأب وبأولاده . وقد لا يذكر الولد . والذي يقرأ هذه الأسماء يقرأها وكأنها أسماء أشخاص حقاً . ولكننا اذا قرأناها قراءة نقد ، نرى أن بعضها أسماء مواضع ومواقع ، أو أسماء قبائل ، وعشائر أو أسماء طوائف ،

١ Hastings, P. 285.

٢ راجع السفر العاشر من التكوين ، الآية الاولى . Hastings, P. 285.

الفصل الحادي عشر

أنساب العرب

لنسب عند العرب شأن كبير ، ولا يزال العربي يقيم له وزناً ، ولا سيما عربي البادية . فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان ، بل حياته في الغالب . فنسب الإنسان ، هو الذي يحميه ، وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه .

وقد يبدو ذلك للمدني الأعجمي أمراً غريباً شاذاً غير مألوف . ولكن هذا المدني نفسه يعمل بالنسب ويأخذ به ، وإن كان في حدود ضيقة . فجنسيته هي نسبه ، تحميه وتحفظ حقوقه . وليس نسب الأعرابي غير هذه الجنسية ، يحمي به ، لأنه يصونه ويحفظ حقوقه ويدافع عنه . وهو مضطر الى حفظه ، وإلى عدم آبائه وأجداده وذكر عشيرته وقبيلته ، لأنه بذلك يسلم ، ويحافظ على حياته . فإن اراد شخص الاعتداء عليه ، عرف ان وراءه قوماً ، يدافعون عنه ويأخذون بحقه من المعتدى عليه . وهو لذلك مضطر الى حفظ نسبه والمحافظة عليه .

وأما كون الحضر أقل عناية بأنسابهم من أهل الوب ، فلأن الحاجة الى النسب عندهم أقل من حاجة أهل الوب اليها . فالأمن مستقر ، ولدى الحضر في الغالب حكومات تأخذ بحق المعتدى عليهم من المعتدين . ثم ان مجال الاختلاط والامتزاج عندهم أكثر وأوسع من أهل البوادي وسكان الأرياف ، وكلما كانت الحواضر قريبة من السواحل ومن بلاد الأعاجم ، كان الاختلاط أوسع وأكثر ، ولهذا

أي أسماء حيوانات تسمت بها القبائل ، مثل (ذئب) و (كلب) و (أسد) و (ضبة) وأمثال ذلك ، وكلها كناية عن قبائل وشعوب عاشت قبل الشروع في تدوين هذه الأنساب أو في أيام التدوين .

ويظهر من كيفية عرض هذه الأنساب وجمعها وتبويبها أن في العبرانيين جماعة من النسابين اختصت بجمع الأنساب وحفظها، ومنهم من كان يعني بجمع أنساب الغرباء عن بني اسرائيل ، وربما كان كتابة الأسفار من هؤلاء . فلما شرع كتابة أسفار التكوين بقصة الخلق وبكيفية توزع شعوب العالم وظهور الإنسان على سطح الأرض ، كان لا بد من ذكر الشعوب وأنسابها على أسلوب كتابة التأريخ في ذلك العهد ، فاستعين بما تجمع عند نسابي العبرانيين من علم بالنسب ، وأدرج في هذه الأسفار .

وقد وردت في التوراة في أسفار التكوين وفي (أخبار الأيام الأولى) أسماء قبائل عربية ، رجعتها الى مجموعات ، مثل مجموعة (يقطن) (يقطان) ، ومجموعة الإسماعيليين ، أي الإسماعيليين ، نسل اسماعيل ، غير أنها لم تشر كعادتها بالنسبة الى كل أنساب البشر الى المورد الذي أخذت منه تلك الأنساب . لذلك لا ندري اذا كانت التوراة قد اقتبست ما ذكرته عن أنساب الأمم من الأمم التي تحدثت عن نسبها ، بأن أوردت تلك الأنساب على نحو ما كان شائعاً متعارفاً عند الأمم المذكورة بالنسبة لنسبها ، أو أنها روتها على حسب ما كان متعارفاً عند قدماء العبرانيين في أجداد البشر وفي أنسابهم ، فدونتها على هذا النحو الشائع بين العبرانيين اذ ذاك .

أما النصوص الجاهلية ، فإنها لم تتحدث ، ويا للأسف ، عن مجموعات قبائل على النحو المتعارف عليه عند علماء النسب . ولكنها جاءت بأسماء قبائل عديدة كثيرة ، لم يعرف من أمرها أهل الأخبار والنسب شيئاً . فنحن نقف على أسمائها لأول مرة ، بفضل تلك الكتابات .

وقد أفادتنا الكتابات الجاهلية فائدة كبيرة من ناحية دراسة أسماء القبائل الواردة في كتب النسب والموارد للإسلامية الأخرى ، إذ مكنتنا من الوقوف على الصلات بينها ، وعلى معرفة ما سمي منها بالأب أو الابن أم الأم ، كما عرفتنا على مواطن عديدة من مواطن الخطأ التي وقع فيها النسابون وأصحاب الأخبار ، وعلى كثير من الوضع الذي وضع في النسب أو في القصص المروي عن القبائل جهلاً

أو عمداء أو ظهوراً بمظهر العلم والإحاطة بأنساب العرب وأخبارهم ، الجاهليين منهم والإسلاميين .

ولم أجد في الشعر الجاهلي هذه القحطانية والعدنانية التي يراها أهل النسب والأخبار ، وأقصى ما وجدته فيه قصيدة للأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي حوت أسماء قبائل وأسماء مواطنها ومواضعها ، هي : (معد) و (لكيز) و (بكر) و (تميم) و (كلب) و (غسان) و (بهراء) و (إباد) و (نخم)^١ . وهي قبائل بعضها عدنانية وبعضها قحطانية في اصطلاح أهل النسب ، إلا أنني لم أجد فيها أسماء آباء هذه القبائل ولا أجدادها ، ولم أستطع أن أفهم منها أن هذه القبيلة ، هي قبيلة عدنانية ، وأن تلك قبيلة قحطانية ، فقد جاءت الأسماء متداخلة وكل ما وجدته فيها مما يخص النسب ، هذا البيت :

فوارسها من تغلب ابنة وائل حماة كماء ليس فيها أشائب

ولم يرتفع الأخنس بنسب تغلب الى ما وراء وائل من آباء وأجداد .
والحق أن من يقرأ هذه القصيدة دون أن يقرأ اسم صاحبها ، يرى أنها من قصائد الشعراء المتكلمين الذين ظهوروا في أيام الدولة العباسية ، ولن يخطر بباله أبداً أنها من نظم شاعر جاهلي . وأنا أريد أن أنجاسر فأقول : إني أشك في صحة نظم ذلك الشاعر لهذه القصيدة ، وأسلوب نظمها يأبى أن يرجعها الى ذلك العهد .

وقد خصص (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) فصلاً بـ (أخبار الأخباريين والنسابين وأصحاب الأحداث) ، ذكر فيه أسماء بعض من عرف واشتهر بحفظه للأنساب ، ولا سيما من ألف فيهم تأليفاً في النسب . وقد طبعت بعض مؤلفات المذكورين ، وهي متداولة بين الناس . والذين ذكرهم (ابن النديم) هم من اشتهر وعرف وذاع خبره في العراق وفي البيعة التي اتصل بها (ابن النديم) ، وهم من أهل الحواضر في الغالب ، إلا أن بين أهل البوادي والأماكن القصية النائية المنعزلة جماعة كانت قد تخصصت بالنسب ، انحصرت شهرتها في البيعة التي

١ الفضليات (ص ٩٥ وما بعدها) ، طبعة السندوبي ، القاهرة ١٩٢٦ م .

عاشت فيها . ولهذا لم يصل خبرهم اليه والينا ، وكثير منهم لم يؤلف في النسب تأليفاً ، وإنما حفظه حفظاً ، شأنهم في ذلك شأن النسّابين الجاهليين ، أو الذين أدركوا الاسلام .

ونجد في كتب الأدب والتواريخ قصصاً عن بعض النسّابين في الجاهلية وفي الإسلام ، يثير الدهشة من قدرة وشدة الحافظة عند أولئك النسّابين في حفظ الأنساب . وقد عرف أحدهم بـ (النسّابة) ، فقليل : (فلان النسّابة) أو (النسابة) . وقد كان لهم شأن خطير بين قومهم ، لأنهم المرجع في الأحساب والأنساب ، واليهم المفزع عند حصول اختلاف في الأمور المتعلقة بها . ويذكر أن الخليفة (عمر) أمر بتسجيل الأنساب وتبويبها وتثبيتها في ديوان ، وذلك عند فرضه العطاء ، فبدأ بالترتيب في أصل النسب ، ثم ما تفرع عنه ، فالعرب عدنان وقحطان . فقدم عدنان على قحطان لأن النبوة فيهم وعدنان تجمع ربيعة ومضر ، فقدم مضر على ربيعة لأن النبوة فيهم ، ومضر تجمع قريشاً وغير قريش ، فقدم قريشاً لأن النبوة فيهم . وقريش تجمع بني هاشم وغيرهم ، فقدم بني هاشم لأن النبوة فيهم ، فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ، ثم بمن يليهم من أقرب الأنساب اليهم حتى استوعب قريشاً ، ثم بمن يليهم في النسب حتى استوعب جميع عدنان^١ . وقد كان هذا التسجيل سنة خمس عشرة للهجرة ، في رواية ، أو سنة عشرين في رواية أخرى^٢ .

وذكر أن الخليفة قال : (أما حي من العرب كانوا في حي من العرب أسلموا معهم فهم معهم ، إلا أن يعترضوا ، فعليهم البيّنة ، كالذي فعله مع (بجيلة) رهط جرير بن عبدالله بن جابر ، وكانوا قد تفرقوا ، واغتربوا بسبب حروب وقعت بينهم والتحقوا بقبائل أخرى . وروي أن عوف بن لؤي بن غالب ألحق نسبه بـ (غطفان) ، والتحق نسب بنيّه (بني مُرّة) بـ (غطفان) ، ويقال إن الخليفة قال : لو كنت مستلحقاً حياً من العرب ، لاستلحقت بني مُرّة ، لما كنا نعرف فيهم من الشرف البين ، مع ما كنا نعرف من موقع عوف بن لؤي بتلك البلاد . ثم قال لبعض أشرافهم : إن شئتم أن ترجعوا لنسبكم من

١ البلاذري ، فتوح (٥٤٩/٣) ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (١١٣/٣) ، بلوغ الأرب (١٩٠/٣) .

٢ الكامل ، لابن الاثير (٢١٢/٢) ، اليعقوبي (١٣٠/٢) ، الطبري (١٦٢/٤) .

قريش ، فافعلوا . ولكنهم كرهوا أن يتركوا نسبهم في قومهم ، ولهم فيهم من الشرف والفضل ما ليس لغيرهم ^١ .

وقد ضاعت أصول الجرائد التي دوت عليها الأنساب في ذلك الديوان ، ولم يبق منها شيء . ويظهر أن أهل الأخبار لم ينقلوا صورها ، وإنما أخذوا الأسس التي قام عليها التسجيل على نحو ما ذكرت ، وبالجملية فإن في إشارتهم إلى تلك الأسس والقواعد التي سار عليها الخليفة في اتخاذ القربى بالرسول والوضع القائم للقبائل ، فائدة كبيرة لدراسة أسس تثبيت الأنساب عند العرب في صدر الإسلام .

ويذكر أن الذي قام بوضع مخطط الأنساب وتسجيل القبائل والعشائر وفق الخطة التي أشرت إليها ، هو (عقيل بن أبي طالب) ، وهو من الثقات في معرفة الأنساب ، وخزعة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وأن الذي أشار عليه بتدوين النسب في الدواوين هو (الوليد بن هشام بن المغيرة) لما رآه من عمل الروم في تسجيل العطاء في بلاد الشام ^٢ .

ولم يقتصر التسجيل المذكور على تسجيل نسب القبائل وحدها ، بل شمل ذلك نسب أهل القرى أيضاً ، كنسب أهل مكة والمدينة والطائف وغيرها . وذلك لأن سكانها وإن كانوا من أصحاب المدر ، وقد أقاموا واستقروا في بيوت ثابتة ، إلا أنهم كانوا كالأعراب من حيث الانتساب إلى الآباء والأجداد . وقد رأينا أن عمر كان قد بدأ بقوم الرسول ، وقومه حضر ، من أهل مكة ، إلا أنهم كانوا لا يختلفون عن أهل الوبر في التعلق بالأنساب وفي حفظها ، لأن حياتهم الاجتماعية وإن كانت في قرية ، إلا أن غريزة المحافظة على النفس والدفاع عن الحقوق حملتهم مثل الأعراب على التمسك بالعصبية ، بعصبية النسب ، ليتمكنوا من المحافظة على الأمن والسلامة والمال ، لعدم وجود حكومة قوية تقوم إذ ذاك بتأمين هذه الواجبات . ثم إن هذه الأماكن محاطة بالأعراب ، وبين أهل مكة من كان شبه حضري ، وبيئة مثل هذه لا بد لها من الاحتماء بعصبية النسب ، وبالتزاوج مع الأعراب ، لتكوين رابطة دموية ، تؤدي إلى عصبية تضطر الطرفين إلى الدفاع عن مصالحها المشتركة وتكوين كتلة واحدة تستجيب للنخوة ولنداء

١ شرح المفصلية (ص ١٠١ ، ١١٦) .
٢ البلاذري (٥٤٩/٣) ، الطبري (٢٠٠/٣) ، ابن أبي الحديد ، شرح (١١٣/٣) .

الاستغاثة في ساعة الحاجة والضرورة . ولهذا كان للتزاوج عند العرب أهمية كبيرة في السياسة . ومن هنا نظرت سادات القوم والملوك الى التزوج من بنات سادات القبائل الكبيرة نظرة سياسية في الدرجة الأولى وذلك لشد عضدهم ولتثبيت ملكهم ولضبط القبائل ، وبضبطها يستتب الأمن وينتصر على الأعداء . وقد كان لزواج معاوية في الإسلام من (كلب) أثر كبير في السياسة الأموية وفي تثبيت ملكه وملك ابنه يزيد وملك مروان الذي انتصر بهم في معركة (مرج راهط) على القيسيين .

وعلى الرغم من التسجيل المذكور الذي كان للعطاء ، أي لأغراض حكومية رسمية ، فإن أنساب القبائل لم تثبت ولم تستقر الا بعد ذلك بأمد . وآية ذلك ما نجده من خروج قبائل في العصر الأموي من نسب قديم ، ودخولها في نسب آخر جديد . وقد كان شروع النسابين في تسجيل علمهم وتدوينه ، مما ساعد كثيراً ولا شك في تثبيت هذه الأنساب واقرارها، ولا سيما أنساب القبائل المشهورة المعروفة ، وقد وصلت بعض كتب الأنساب ، وطبع قسم منها .

وقد وضع بعض المؤلفين ، مثل الواقدي أبي عبد الله محمد بن عمر المتوفى سنة (٢٠٧ هـ) ، مؤلفاً في (وضع عمر الدواوين ، وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها)^١ ، الا انها ضاعت ، فحرمنا الاستفادة منها ، ولو بقيت مثل هذه المؤلفات اذن لكان لنا علم قيم ورأي في كيفية تصنيف القبائل في تلك الأيام .

وقد كان بعض النسابين قد تخصص بنسب جماعة من العرب ، جماعة قومه ومن يرتبط بهم في الغالب . مثل (الزبير بن بكار) صاحب (كتاب نسب قريش وأخبارها)^٢ ، ومثل (عقيل بن أبي طالب) ، وكان قد تخصص بنسب قريش ، ومثل (أبي الكناس الكندي) ، وكان أعلم الناس بنسب كندة ، ومثل (النجار بن أوس العدواني) ، وكان من أحفظ الناس لنسب (معد ابن عدنان) ، ومثل (عدي بن رثاث الإيادي) ، وكان عالماً بإياد ، ومثل (خراش بن اسماعيل العجلي) ، وكان عالماً بنسب ربيعة^٣ . وعن هؤلاء وأمثالهم

١ الفهرست (ص ١٥٠) .

٢ الفهرست (ص ١٦٦) .

٣ الفهرست (ص ١٤٦) .

أخذ أهل الأنساب علمهم بالأنساب، ووضعوا كتباً في نسب القبائل أو في أنساب العرب ، أو في أنساب جماعة منهم .

ولتسجيل (مُعمَر) للأنساب شأن كبير بالنسبة الى الباحثين في تطور النسب عند العرب ، لأنه ثبت بذلك الأسس ووضع القواعد للنسابين في الإسلام وقليل من الاضطراب الذي كان يقع في النسب، بسبب الاختلاط ، وعليه سار المسلمون في تقسيم العرب الى أصليين . ولا بد أن يكون لهذا التقسيم أصل قديم ، يرجع الى ما قبل عمر . أقره الخليفة ، وجعله أساساً له في التقسيم الذي بقي مرعياً متعارفاً عليه بين النسابين الى اليوم . ويمكن أن تقارن هذا العمل ، أي تسجيل النسب وتثبيته في سجلات ، بالعمل الذي قام به (عزرا) في تثبيت أنساب اليهود وتدوينها ، وفي تدوين انساب الغرباء ، لتستقر بذلك الأنساب فسار من جاء بعده من النسابين في تعيين النسب على اساس ذلك التدوين^١ .

وفي القرآن الكريم آيات تشير الى عناية القوم بأحسابهم وأنسابهم ، ولكنه لم يتعرض لبيان وجهة نظرهم بالنسبة اليها ، ولا يشعر في موضع ما منه بوجود تلك الفكرة التي ألح على وجودها أهل الأخبار ، وهي انقسام العرب الى ثلاث طبقات أو طبقتين ، ووجود نسبين أو جملة أنساب للعرب ، ولم يرد فيه اسم (عدنان) ولا (قحطان) ، ولا أي من هذه الأشياء التي يتمسك بها أهل الرواية والأخبار ، ويقصونها لنا على أنها من الحقائق الثابتة في أنساب العرب ، وعلى أن العرب كانوا حقاً من جدّين هما : عدنان وقحطان .

بل كان ما ورد في القرآن يشعر أن العرب كانوا ينظرون الى أنفسهم أنهم من جد أعلى واحد ، هو : (ابراهيم) وأن (ابراهيم) أبو العرب : (وجاهدوا في الله حق جهاده . هو اجتباكم . وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم . هو سبّكم المسلمين ...)^٢ . فلم يفرق بين عرب قحطانيين وعرب عدنانيين . ورؤي : ان الرسول قال : (كل العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام)^٣ .

١ Hastings, P. 286.

٢ سورة الحج ، رقم ٢٢ ، الآية ٧٨ .

٣ ابن سعد ، الطبقات (ح ١ ، ق ١ ، ص ٢٥) .

بل حتى الشعر الجاهلي ، لا نجد فيه اشارة واحدة تفيد اعتقاد الجاهليين بوجود أصلين أو ثلاثة أصول أو أكثر لهم . وكل ما ورد فيه هو فخر بقحطان وفخر بعدنان أو معدة أو غير ذلك من الأسماء التي تعد من أسماء الأجداد التي ينتهي اليها (الشعب) أو (الجذم) . وأما التفصيلات الأخرى والأسماء الواردة في كتب النسب أو الأخبار والتواريخ ، فهي من روايات الإسلاميين . ثم إن من الشعر الجاهلي ما لا يصح أن يكون جاهلياً ، ومنه ما قبل قبيل الإسلام ، ولا يصح كل الشعر الجاهلي أن يكون شاهداً على آراء أهل الجاهلية البعيدين عن الإسلام .

كذلك لا نجد في شعر الجاهلية سلسلة نسب قحطان أو عدنان . ولا نجد في الأخبار ما يفيد وقوف أهل الجاهلية عليها . وهي سلسلة أخذت أسماؤها من التوراة ، وبعضها أسماء محرفة موضوعة على شاكلة الأسماء التوراتية . أما في الحديث النبوي ، فقد ورد أن الرسول انتسب الى (أدد) ، وهو والد (عدنان) ، ثم قال : (كذب النسابون)^١ . وفي كل ذلك دلالة على أن أسماء آباء قحطان وعدنان ، إنما دونت وتثبتت في الإسلام . أما قبل الإسلام ، فلعل بعضهم وفي أيام الرسول ، كان قد تلقن من اليهود نسب قحطان ، وإن بعض اليهود لقن العرب نسباً لعدنان ، فلما لاكت الألسنة تلك الأنساب ، وسمعتها الرسول قال : (كذب النسابون) .

أما أسماء أبناء قحطان وعدنان فما دون ذلك ، فلإنها أسماء عربية في الغالب ، وينقطع منها أثر التوراة وأثر الأسماء التوراتية ، مما يدل على أن النسابين العرب كانوا على علم وبصيرة بتلك الأسماء ، وأنها كانت معروفة عندهم . وهي أسماء لا ترد في التوراة ولا خبر لها عند أهل الكتاب .

وقد ذهب (دوزي) الى وجود فروق أساسية بين القحطانيين والعدنانيين ، حتى ذهب الى وجود اختلاف بين نفسية كل جماعة من الجماعتين^٢ . وأنا لا أريد أن أنكر عليه وجود العداء الذي كان قد استحکم بين القبائل التي تنتسب الى معد أو الى قحطان ، ولا أريد أن أنكر عليه تهجم شعراء اليمن على قبائل معد ،

١ نسب عدنان (ص ١) .

٢ Dozy, Gesch. d. Mauren in Spanien, Bd. I, S. 73, Goldziher, Muh. Stud. Bd. I, S. 89, Nallino, Raccolta, Vol. 3, P. 73.

أو عدنان ، ولا تهجم شعراء عدنان على قبائل اليمن المنتمة الى قحطان ، ولا أريد أن أنكر افتخار اليانين بانتسابهم الى اليمن ، ولا افتخار العدنانيين بانتسابهم الى عدنان أو مضر أو معد أو غير ذلك من أسماء الشعوب والأجداد ، لا أريد أن أنكر شعر (امرئ القيس) في افتخاره بنسبه في اليمن^١ ، ولا أن أنكر شعر غيره من الشعراء اليانين أو الشعراء العدنانيين في الافتخار باليمن أو بمضر أو بمعد. ولكنني لا أريد أن أنكر في الوقت نفسه افتخار القبائل القحطانية بعضها على بعض ، وافتخار القبائل العدنانية بعضها على بعض ، وهجاء القبائل القحطانية بعضها لبعض ، وهجاء القبائل العدنانية بعضها لبعضها هجاء لا يقل عن هجاء اليمن لمعد أو هجاء معد لليمن . فهل يصح أن يتخذ هذا الهجاء سبباً لوضع نظرية في اختلاف أجناس هذه القبائل ؟ وهل يصح أن نجعل هذا الهجاء حجة على تباين أصل القحطانيين ، وعلى تباين أصل العدنانيين ؟ ان جاز ذلك ، وجب علينا اذن اعادة النظر في كل ما هو مكتوب عن أصول القبائل وفي كل ما هو مدون في كتب النسب والأخبار .

هذا (سلامة بن جندل السعدي) ، وهو من مضر ، يحمل في شعره على معد^٢ ، ويهجوها هجاءً مرأ^٣ ، وهذا (قيس بن الخطيم) لسان الأوس يحمل على الخزرج ، ويردد ذكريات الأيام التي كانت بين الأوس والخزرج بمثل الشدة التي تجدها في شعر الهجاء الذي قاله العدنانيون في القحطانيين ، والقحطانيون في العدنانيين . إنه ذكر تلك الأيام لا لمجرد الفخر والتباهي ، بل ليثير في نفوس الأوس الأحقاد القديمة ، وليزيد في تلك النيران نيراناً . لقد ذكرهم (بيوم الربيع)^٤ ، وذكرهم بـ (يوم السراة)^٤ ، وذكرهم بـ (يوم مضرس)

١ (أنا معشر يمن) ، Muh. Stud. Bd. I, S. 89.

٢ همت معد بناهما فنهها
عناطعان وضرب غير تدبيب
بالمشرفي ومصقول اسنتها
صم العوامل صدقات الانابيب
المفضليات (ص ٢٢٧) .
وقال الجميع الاسدي :

سائل معدا من الفوارس لا
أوفوا بجيرانهم ولا غنموا

المفضليات (ص ٤٥) .

٣ شعر قيس (ص ٧)

٤ شعر قيس (ص ٢٠)

ومعجب) ١ ، وهو يوم دارت فيه الأيام دورتها على الأوس ، فقتل منهم عدد كبير ، وانهمز أكثرهم الى بيوتهم وأطابهم ، حتى خرج الناس من طوائفهم الى مكة يستعينون على الخزرج ، وذكرهم بأيامهم الأخرى ٢ . كل ذلك بلهجة عنيفة شديدة، ليس فيها لين ولا رفيق . إنه ينظر الى الخزرج نظرة عداوة وحقد، نظرة تشعر منها أن الأوس جنس وأن الخزرج من جنس بعيد آخر . لقد ذكر قريشاً بخير ، وذكر أنها ستحمل عنهم حرب الخزرج ، وذكر أنهم لو التحقوا بأبرهة اليماني أو بنهمان أو عمرو ٣ ، لنالوا من هؤلاء كل تقدير ، ولجعلوا لهم جاهاً أي جاه .

ذكر أبرهة حاكم اليمن ، وذكر غسان ونحماً ، وذكر أهم من ذلك كله قريشاً على أنها ستحمل الحرب ومستقابل الخزرج عما قريب . وقريش من عدنان، والأوس والخزرج من قحطان ، ولم نجد في شعره ما يذكر برابطة النسب بين الخزرج والأوس . ولم يرد في شعره اسم قحطان أو عدنان . والقصيدة التي ذكر فيها هذا اليوم هي من أقدم قصائد هذا الشاعر الذي اضطرت قبيلته (الظفر) ، ومعها (عبد الأشهل) الى مغادرة يثرب والتفتيش عن حليف يساعدها في العودة الى ديارها ، فذكر قيس قريشاً ، وكأنه يذكر قبيلة قريبة من قبيلته ٤ ، مع أنها من نسب آخر في رأي النسابين .

وفي كتب الأدب والدواوين شعر كثير ينسب الى شعراء جاهليين وشعراء مخضرمين وشعراء اسلاميين ، فيه هجاء عنيف من شاعر قحطاني لقبائل قحطانية، ومن شاعر عدناني لقبيلة عدنانية، وفيه مدح وفيه إغراق من شاعر قحطاني لقبائل عدنانية ، وهجوم عنيف على القحطانيين ، وهكذا . ولو أردنا شرح ذلك وسرد الأمثلة ، لأخذ ذلك منا وقتاً طويلاً يخرجنا عن صلب الموضوع ، وينقلنا الى أمور أخرى لا صلة لها بهذا البحث .

ثم إن علينا أن نحسب حساباً لأمر هذا الشعر المروي في المدح والفخر وفي

١ شعر قيس (ص ٣٢) ، ديوان حسان بن ثابت (تحقيق هرشفلد) (ص ٨٣ فما بعده) .

٢ شعر قيس (ص ٣٢) .

٣ شعر قيس (ص ٦٧) (القسم اليماني) .

٤ شعر قيس (ص ٦٦) (القسم اليماني) .

الدم والهجاء ، وهو عندي أوسع باب من أبواب الشعر يحتمل النقد ، واثارة الشكوك حوله . وقد خبرنا من الكتب أن القبائل كانت تستأجر الشعراء لقول المدح أو الذم ، وأنها كانت تعد الشاعر منحة من منح الله على القبيلة ، لأنه لسانها الناطق والذائد عنها بشعره ، يدافع عن قبيلته ، ويهاجم أعداءها، ويتهمم بكل ما يصل إليه فنه من الهجاء ورمي التهم ، كائنين ما كانوا قحطانيين أو عدنانيين . وقد اقتضت طبيعة الحصومة التي زادت حدة في الإسلام بين يمن ومضر وضع شيء كثير من هذا الشعر شعر المنافرة والمفاخرة بين عدنان وقحطان ، وهذا أمر وقع ، مفروغ منه ، لا شك في صحته وثبوته ، اقتضته ظروف السياسة ، فيجب الانتباه له حين التحدث عن نزاع قحطان وعدنان^١ .

وترينا الأخبار أن ما نسميه بنزاع قحطاني وعدناني لم يكن شديداً في الجاهلية بين القبائل التي كانت تقيم في الأنحاء الشمالية من جزيرة العرب ، أي بين تلك القبائل التي رجع النسابون نسبها بحق أو بغير حق الى عدنان أو قحطان ، بمثل تلك الشدة التي تظهر في النزاع الذي تحدثوا عنه بين القبائل التي كانت تعيش في اليمن أو في الحجاز . وهذا أمر ذو بال ، يجب أن يحسب له كل حساب عند الحديث عن نزاع عدنان وقحطان^٢ .

وترينا الأخبار كذلك أن الحصومات التي وقعت بين القبائل العدنانية نفسها ، أو بين القبائل القحطانية نفسها ، لم تكن أقل عنفاً وضراوة من ذلك النزاع الذي وقع بين من نسميهم بالقحطانيين ومن نسميهم بالعدنانيين . لقد اتخذ شكلاً عتياً، شكلاً يجعلك تشعر أن تلك القبائل كانت تشعر أنها قبائل متباعدة لا يجمعها شمل ، ولا يربط بينها نسب ، ولا تجمعها جامعة دماء على النحو الذي يرويه ويذكره أهل الأنساب والأخبار .

والغريب أنك في كل ذلك النزاع المرّ العنيف ، لا تسمع فيه انتساب كل العرب الى عدنان أو قحطان ، وإنما تسمع فيه فخراً بأسماء القبائل أو بأسماء الأحلاف الداخلة في عدنان أو في قحطان ، تسمع فيه اسم (معد) أو اسم (يمن) أو (نزار) أو (مضر) أو غير ذلك ، ولا تسمع فيه اسم الجدّين

Muh. Stud. I, S. 91. ١

Muh. Stud. I, S. 91. ٢

الأكبرين المذكورين . فإذا يعني هذا ؟ وعلام يدل ؟
ويمن عند أهل الأنساب والأخبار وفي العرف ، كناية عن (قحطان) ،
و (قحطان) عندهم أيضاً وفي العرف كناية عن (يمن) وعن الشعوب التي
ترجع نسبها الى (يمن) . أما (معد) و (مضر) و (نزار) ، فكناية
عن (عدنان) أو عن أحلاف من أحلاف عدنان .

وأنت اذا ما أردت أن ترسم حدوداً فاصلةً بين (قحطان) و (عدنان) ،
أي بين (يمن) و (معد) ، فلذلك تستطيع أن ترسمها بسهولة اذا ما اعتبرت
(قحطان) كناية عن اليمن ، وان (عدنان) كناية عن (قريش) والقبائل
التي ترجع نسبها الى نسب قريش . وحدود أرض قريش وحدود أرض اليمن
معروفة واضحة . أما اذا أردت أن ترسم حدوداً فاصلة، وأن تضع معالم واضحة
بيّنة بين القبائل القحطانية والقبائل العدنانية ، استناداً الى روايات أهل الأنساب
والأخبار والى الشجرات التي رسموها لأنساب العرب طراً ، فلذلك ستخفق حقاً ،
ومسيخيب عملك من غير شك . ذلك لأن أهل الأنساب لم يسيروا في تقسيمهم
العرب على وفق قواعد ثابتة وأسس واضحة مرسومة ، مثل اختلاف في ملامح
جسمانية ، أو تمايز في أمور عقلية أو نفسية أو لغوية ، أو اختلاف في مواقع
جغرافية ، بل ساروا وفقاً للعرف والشائع ، فسجلوا الأنساب على وفق الشائع
بين الناس عن النسب في ذلك العهد .

وأنت اذا أردت تطبيق ما عندك من علم في (الأنثولوجيا) وفي (الأنثروبولوجيا)
وفي العلوم المشابهة الأخرى ، على التقسيم الثنائي للعرب ، فستجد نفسك حائراً
تائهاً لا مجال لقواعد علمك في هذا المكان . فبين القبائل التي تنتمي الى (قحطان)
مثلاً تباين كبير في الملامح وفي العقلية وفي اللغة ، ويجعل من غير الممكن تصور
وجود وحدة دموية تجمع شمل هذه القبائل، وجدّ واحد انحدر من صلبه هؤلاء ،
وبين القبائل العدنانية اختلاف كذلك في الملامح وفي اللغة ، يضطرك الى القول
بفساد نظرية النسابين في أصل هذه القبائل . ولا بد عندئذ من اعتبار هذا النسب
رمزاً أخذ من صراع قديم ، أو من أحلاف قديمة ، فصير جدّين لجماعتين .

وكيف تتمكن من اقناع الباحث الحديث في العلوم المذكورة بوجود وحدة في
اللامح الجسمية وفي الصفات العقلية ، ووحدة في اللسان بين القبائل القحطانية
الجنوبية ، الضاربة في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية وبين القبائل القحطانية

الشمالية ، مثل غسان ولحم و كلب وكندة وغيرها ، على حين يرى بين الجماعتين فروقاً واضحة بيّنة في كل شيء . حتى انه يستطيع أن يشير الى القحطاني الجنوبي حالاً عند رؤيته له ، على حين لا يستطيع أن يميز القحطاني الشمالي من العدناني ، ولا أن يعرفه الا بالاستفسار منه . الصحيح اننا اذا أخذنا بالملامح وبالأمر الأخرى المذكورة، خلصنا الى نتيجة تقول لنا ان الفروق بين القحطانيين والعدنانيين هي أقل جداً من الفروق التي نراها بين القحطانيين الشماليين والقحطانيين الجنوبيين . وهي نتيجة ليست في مصلحة أهل الأنساب بالطبع، تبين لنا ان قضية قحطان وعدنان قضية اعتبارية لا غير .

بل خذ القحطانيين الجنوبيين ، وهم لبّ القحطانية ومادتها ، ترّ ان القحطاني الساكن على السواحل الجنوبية يختلف في سحته عن القحطاني الساكن في المرتفعات والهضاب ، والجبال . وان الساكن على السواحل المقابلة للسواحل الافريقية يختلف في ملامحه الجسمية عن الساكن على السواحل المقابلة للهند ، وان سكان حضرموت أو عمان أو مسقط يختلفون في الملامح والسحن عن اخوانهم القحطانيين الساكنين في اليمن وفي نجران وفي الأقسام الجنوبية من المملكة العربية السعودية . فهل يكون هذا الاختلاف دليلاً على قحطانية بالمعنى الذي يزعمه أهل الأنساب ؟

ولقد ذهب بعض الباحثين في علم الأجناس البشرية (الأنثروبولوجي) (Anthropology) الى ان العرب الجنوبيين هم من أصل حامي ، وان وطنهم الأصلي هو افريقية ^١ . وقد ذهب بعض آخر الى وجود شبه كبسير في الملامح وفي الخصائص البشرية بين العرب الجنوبيين والقبائل الإفريقية الساكنة على الساحل الإفريقي من البحر الأحمر والصومال ، الا انه نسب ذلك الى ان تلك القبائل كانت عربية في الأصل ، هاجرت من جزيرة العرب عن طريق باب المندب الى افريقية ، فسكنت هناك . ومن ثم وقع هذا التشابه . بين تلك القبائل والعرب الجنوبيين ^٢ .

R. Poech, Berichte des Forschungsinstitutes fuer Osten und Orient, II, Wien, 1918, 19. ff. V. Giuffrida-ruggeri, Affinità Antropologiche fra Etiopici e Arabi Meridionali, Annuario del R. Istituto Orientale di Napoli, 1919-20, A. Grohmann, Arabien, S. 9.

Les Antiquités du Yemen, Muséon, 61, 1948, 225. ff. ٢

ورأى آخرون أن العربية الجنوبية هي مزيج من الأجناس البشرية واضح المعالم، وذلك منذ أقدم أيامها . فزى فيها قبائل تشبه جماعة (الفيديد) (Weddid) الهندية ، وهي من السلالات الهندية القديمة ، يسكن بعضها في أرض (سيبان) و (معارة) من حضرموت ، ونرى فيها عناصر مما يطلق عليها اسم (الجنس الشرقي) (Orientalide Rasse) ، وهو الجنس الذي يكثر وجوده بين العرب الشماليين، وعناصر أخرى تمثل انسان حوض البحر المتوسط (Mediterranen Rasse) أو الأجناس الأوروبية ، حيث وجد بعض السياح بين بعض قبائل اليمن جماعة من الناس لها عيون زرق وشعر أشقر وبشرة بيضاء أو تميل الى البياض وملامح أوروبية بينة ، وتراوح نسبة هؤلاء بين ٨ الى ١٢ بالمائة^١ .

ووجد الباحثون بين قبائل العربية الجنوبية، جماعات لها ملامح آشورية وجماعات ذات ملامح تشبه ملامح سكان آسية الصغرى ، وجماعات ذات ملامح افريقية . وقد وجد الدكتور (سليمان أحمد حزبن) أن بين أهل شمال اليمن وبين أهل جنوب اليمن الى المحيط اختلافات بارزة في الملامح وفي المظاهر الجسمية يخرجنا البحث عنها هنا من حدود التاريخ العام^٢ . ووجد غيره مثل ذلك . كما وجد هذا الاختلاط بارزاً في بقايا الهياكل البشرية القديمة التي عثر عليها في العاديات .

وما هذه المظاهر واللامح التي رأيناها من الجاهج وبقية الهياكل البشرية ومن أشكال التماثيل والصور ، ومن دراسات الباحثين (الأنثروبولوجيين) للقبائل الحاضرة ، الا حكاية واضحة صريحة عن عملية امتزاج أجناس بشرية متعددة في العربية الجنوبية ، بسبب الهجرات والحروب والاتصال البحري والتجارة وعوامل أخرى ، ونجد مثل ذلك بالطبع بين من نسميهم بالعرب الشماليين . وسوف نرى ان الدول القديمة كانت تنقل البشر نقلاً من مناطق الى مناطق فتزرعهم فيها ، وان أكثر أفراد الجيوش التي كانت ترسل لمحاربة القبائل أو للتوسع في الجزيرة كانت تبقى وتستقر في المواضع التي ترسل اليها ، فتتطبع بطباع من نزلت بينهم، وتكون في النهاية منهم ، أضف الى ذلك الرقيق .

١ A. Grohmann, Arabien, S. II.

٢ بعثة جامعة فؤاد الاول سنة (١٩٣٦ م) .

وقد ذكر ان جماعة من (بني الحارث بن كعب) وفدت على الرسول ، فنظر اليهم ، فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند ؟ » . وقد كان (قيس بن عمرو) الشاعر المعروف بـ (النجاشي) من هؤلاء^١ . وسواء أكان ما نسب الى الرسول من قوله المذكور صحيحاً أم موضوعاً ، فإن الأخبار تذكر ان بشرة (بني الحارث بن كعب) ، كانت تميل الى السمرة الشديدة ، بل الى السواد الذي يشبه سواد بشرة الإفريقيين ، أفلا يجوز أن يكون أصلهم من افريقية ؟ . وقد عرفت جماعة كبيرة من أهل مكة بالأحباش ، لأن أصلهم من رقيق الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب ؟

فدعوى وجود جنس (أنثروبولوجي) واحد أو جنسين منفصلين ، لكل منها خصائص جسمية وملامح (فسيولوجية) معينة للعرب ، وبالمعنى العلمي المفهوم اليوم عند علماء الأجناس ، هي دعوى غير مقبولة ، لأن البحوث العلمية والمختبرة لا تؤيدها ولا تثبتها ، ولأن البحوث التاريخية الحديثة تعارضها أيضاً ، وكل ما نقوله هو أن ما نسميه اليوم بالجنس هو جنسية ثقافية فكرية ، لا جنسية دموية تقوم على وحدة الملامح والمظهر والدم .

فما يذكره أهل الأنساب عن النسبين ، وما يتصوره بعض الناس من صفاء الجنس العربي صفاءً تاماً ونقاؤه من كل دم غريب ، دعوى لا يمكن الاطمئنان اليها في هذا اليوم . لن يضير العرب قول مثل هذا ، فصفاء الأجناس البشرية صفاءً تاماً ، من القضايا التي عجز حتى القائلون بنظرية العنصريات مثل النازيين عن اثباتها في هذا اليوم . وسيظهر ضعفها في المستقبل ظهوراً أوضح مما هو عليه الآن .

لقد كان (فولدكه) أول من شك من المستشرقين في هذا النسب العام الذي وضعه أصحاب الأنساب للعرب ، وكان أول من نبه على أثر اليابانيين في وضعه وفي محاولتهم رجعه الى عهود قديمة قبل الإسلام^٢ . وذهب (هاليفي) الى أبعد من ذلك ، فرأى ان كل ما قيل في هجرة القبائل اليابانية الى الشمال هو أسطورة ،

١ البيان (٢٣٩/١) ، الاصابة (٨٥٨) ، الخزائن (١١٣/١) .

٢ Muh. Stud. Bd. I, S. 92, Noeldeke, in ZDMG. XL.

وان ما يزعم من انتساب تلك القبائل الى اليمن هو حديث خرافة لا يركن اليه^١ .
ونحنا مستشرقون آخرون هذا المنحى ، فرأوا ان للنسابين يداً في ترتيب هذه
الشجرة العظيمة للأنساب، أو الشجرتين بتعبير أصبح : شجرة نسب أبناء قحطان ،
وشجرة نسب أبناء عدنان . ولذلك فهم لا يطمثون اليها ، ولا يصدقون بكثير
من هذه الأنساب المروية وبالأخبار والروايات الواردة في هجرة القبائل القحطانية
نحو الشمال^٢ .

اذن ، قحطان ليس بمجدّ لكل القبائل القحطانية المعروفة ، وعدنان لم يكن
جدّاً لجميع القبائل العدنانية ، وانما هما كنيتان عن مجموعة قبائل ، تدعى عند
العرب (بالهلف) ، وقد أخذ أهل النسب قحطانهم من التوراة ، وهو هناك
كناية عن مجموعة قبائل مواطنها في العربية الجنوبية . أما (عدنان) فلم يرد
اسمه في التوراة ، ولا نعرف من أمره شيئاً في الزمن الحاضر ، والظاهر انه
كناية عن حلف ، ويظهر انه ظهر للوجود قبيل الإسلام . وعدم وقوفنا على
أخباره ، لا يسوغ لنا نكران وجوده، فلعل الأيام تكشف لنا عن كتابات نرى
فيها اسمه ، كما حدث بالنسبة الى أسماء أخرى شك في أصلها بعض المستشرقين،
ثم تبين انها كانت معروفة ، بدليل ورودها في بعض كتابات الجاهليين .

ولا أعتقد ان التوراة ابتدعت فكرة (يقطان) ونسل يقطان ، اذ لا يعقل
تصور ذلك . والذي أراه انها حكمت نسباً كان يجمع شمل القبائل العربية المذكورة
عند العرب ، وصل خبره الى العبرانيين فسجله كتبة التوراة في الأسفار ، مع
أنساب الشعوب . كما انها أخذت من العرب أيضاً نسب (الإسماعيليين) على نحو
ما كان معروفاً يومئذ ، وكذلك نسب أبناء (قطورة) . فتكون التوراة قد
ذكرت أنساب ثلاث مجموعات أو أحلاف عربية كبيرة ، كانت قائمة في ذلك
الزمن .

وقد يكون من الخير الاتيان بأمثلة من أيام الإسلام ، تساعدنا في شرح
موضوع النسب عند الجاهليين وتفسيره . فإن الزمن وان تغير وتبدل في الإسلام

1 Muh. Stud. Bd. I, S. 92, Halévy, in Journal Asiatique, 1882, II, 490, and Compte Rendu de VI, International Orientalisten Congress, Leiden, 1884, P. 102.

2 Nicholson, A Literary History of the Arabs P. XX, L. Della Vida, Pre-Islamic Arabia, in Arab Heritage, 50, Robertson Smith, Kinschip, P. 6.

وتباعد عن الجاهلية ، الا أن الأفكار القبلية بقيت هي هي عند تلك القبائل بالنسبة الى النسب وتكوين الأحلاف . فقبيل ظهور الإسلام كان بين (يثرب) و (مكة) نزاع شديد . ولما هاجر الرسول الى (يثرب) عرف أتباعه الذين تبعوه بالمهاجرين . وقد دامت الهجرة الى عام الفتح : (فتح مكة)^١ . وأما أهل المدينة الذين آووا الرسول ونصروه ، فقد عرفوا بالأنصار لانتصارهم للرسول ولتقديم مساعداتهم له وللمسلمين . وللقضاء على الخصومة ، آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين . غير أن العداء عاد فتجدد بين الأنصار والمهاجرين ، بعد وفاة الرسول ، ويظهر أثره في شعر حسان بن ثابت والنعمان بن بشير^٢ والطرماتح بن حكيم ، وهم شعراء يثرب وألستهم ، وفي الأشعار الأخرى التي جمعت في دواوين الأنصار^٣ .

وقد صيّر النزاع المذكور لفظة (الأنصار) علماً خاصاً على أهل المدينة ، حتى كادت تكون نسباً ، واصطبغت الدعوة بصبغة عمانية ، فنجد في شعر الأنصار فخراً باليمن ، واعتزازاً بأصلهم اليمني ، ومجاهرة بأنهم يمانيون صرحاء وبأنهم من أقرباء الغساسنة ومن ذوي رحمتهم . كما أنهم استعملوا لفظة الأنصار مقابل قریش^٤ ومعدّه ومضر^٥ ونزار^٦ ، وأطلقوا على لسانهم حسان بن ثابت شاعر الأنصار ، وشاعر اليمن ، وشاعر أهل القرى^٧ .

- ١ (فلما فتحت مكة ، صارت دار سلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة . وفي الحديث : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية) ، اللسان (١١١/٧) ، المؤلف (ص ١٢٦)
- ٢ الاغانى (١٤٢/١٣) ، (١١٤/١٤) فما بعدها .
- ٣ (كان نهيك بن اساف يهاجي ابا الخضراء الاشهلي في الجاهلية ، واشعارهم موجودة في اشعار الانصار) ، الاغانى (١١٧/٢٠) .
- ٤ ذهبت قریش بالكارم والعلا والزم تحت عمائم الانصار الاغانى (١٤٢/١٣) .
- ٥ وقال الله قد سيرت جنندا لنسا في كل يوم من معد فنحكم بالقوافي من هجانا ديوان حسان (ص ١) (تحقيق هرشفلد) ، شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٦) (سباب او قتال) .
- ٦ ونحن جندك يوم التعف من احد اذ حزبت بطرا اشباعها مضر ديوان حسان (ص ٥٧) ، شرح ديوان حسان (ص ٢٠٠) (للبرقوقي) .
- ٧ Muh. Stud. Bd. I, S. 94, ZDMG. XVIII, S. 239.
- ٨ مجالس ثعلب ، القسم الثاني ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، سنة ١٩٤٩ (ص ٤٢٩) .

ونجد في أيام معاوية وفي أيام ابنه يزيد قصصاً عن هذا النزاع الثرسي المكي ، النزاع الذي سمي بتزاع الأنصار مع المهاجرين ، أو نزاع الأنصار مع قريش ، ويلاحظ ان هذا القصص لم يستعمل لفظة (مهاجرين) في مقابل (الأنصار) الا نادراً ، انما استعمل الألفاظ المذكورة . وقد عرفت وفودهم فيه بـ (وفود الأنصار) أو (الأنصار)^١ . فصارت تلك اللفظة وكأنها نسب أو علم من أعلام القبائل ، حتى تضايق من ذلك رجال قريش . قيل بينها كان (عمرو بن العاص) عند (معاوية) يوماً ، اذ دخل عليه حاجبه يقول : « الأنصار بالباب » ، فتضايق من ذلك عمرو ، وقال : « ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً ؟ أرددهم الى نسبهم » . فقال له معاوية : ان علينا في ذلك شناعة . قال : وما في ذلك ؟ انما هي كلمة مكان كلمة ، ولا مرد لها . فقال معاوية لحاجبه : أخرج ، فناد : مَنْ كان بالباب من ولد عمرو بن عامر ، فليدخل . فخرج ، فنادى بذلك ، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار ، فقال له : أخرج ، فناد : مَنْ هنا من الأوس والخزرج ، فليدخل . فخرج فنادى ذلك ، فوثب النعمان بن بشير ، فأشأ يقول :

يا سغد ، لا تعد الدعاء ، فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا أثقل به نسباً الى الكفار
إن الذين ثووا بيد منكم يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضباً . فبعث معاوية ، فرده ، وترضاه وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار^٢ . وكان النعمان بن بشير حامل لواء الأنصار قد غضب في مجلس من مجالسه مع معاوية ، ولاحظ معاوية عليه الغضب فضاحكه طويلاً ، ثم قال له : « إن قوماً أولهم غسان ، وآخرهم الأنصار ، لكرام »^٣ . وكان أهل يثرب يلحقون نسبهم بنسب غسان ، ويرجعون نسبهم ونسب غسان الى الأزدي . ونسب الأزدي الى اليمن .

١ (وفود الأنصار) ، الاغاني (١٤٢/١٣) .

٢ الاغاني (١٤٠/١٢ ، ١٢٢) .

٣ الاغاني (١٤٠/١١٩) .

لقد كان من المعقول استعمال لفظة (المهاجرين) في مقابل (الأنصار) ،
الا أن الجانبين لم يستعملها الا قليلاً ، وانما استعمالا لفظي قريش ومعد ، كما
استعمالا (قريشاً) في مقابل (يمن) . وقد افتخرت قريش بمعد ، وبالنبوة .
فأجابهم الأنصار بأن أم الرسول من بني النجار أحوال النبي ، وهم من المدينة ،
وبأنهم كانوا أول من آمن به ونصره ، وبأن المتنبئين كانوا من قبائل معد^١ .

ولو كتب لمصطلح (الأنصار) بالبقاء ، ولو كان عهد التدوين بعيداً عنه ،
لصار ولا شك نسباً من الأنساب ، ولصار اللفظة اسم أب ل قبيلة ، كما صارت
الألفاظ المذكورة التي خلدت لأنها الألفاظ الجاهلية ، فلما صار التدوين ، كان
الناس يتداولونها على أنها أنساب وأسماء .

واستعملت لفظة (الهانية) في مقابل (التزارية) ، في العصر الأموي .
ويظهر أنها تغلبت على لفظة (الأنصار) وقضت عليها . وهي تعني القبائل التي
ترجع أنسابها الى اليمن . أما (التزارية) فقد عنت كل القبائل العدنانية^٢ .

وقد كان بين الحزبين نزاع شديد . ولكل شيعة نسابون ومدافعون ومهاجمون .
وقد أثر هذا النزاع تأثيراً خطيراً في وضع الأنساب^٣ .

ويرجع بعض الباحثين انقسام العرب الى قحطانيين وعدنانيين الى هذا النزاع :
نزاع (يثرب) ومكة قبل الإسلام ، ويرجعه آخرون الى التنازع الطبيعي الذي
هو بين البداوة والحضارة . فقد كان أهل يثرب أي اليمن كما يقولون أصحاب
حضارة وملك . أما أهل مكة ومن والاهم ، فقد كانوا أعراباً أو شبه أعراب .
ومن هنا اختلفت طبيعة أهل يثرب عن طبيعة أهل مكة ، ووقع النزاع والتنافس
بين الجماعتين ، وتحول الى نسبين . وزعموا ان هذا النزاع هو نزاع الحضارة مع
البداوة ، نزاع أهل المدر مع أهل الوبر ، نزاع (بني مدراء)^٤ ، أو (أهل
القارية) كما يقال لهم أيضاً ، لأنهم (قارون) أي سكان القرية والقرى مع
أهل البادية أي البادون نزلة البادية . قالوا : ومن هنا قيل : الحضر خلاف

1 Muh. Stud. Bd. I, S. 96.

2 التنبيه (ص ٦٩) .

3 التنبيه (ص ٧٢) .

4 اللسان (١٣٣/٧) ، الاغاني (١٤٥/١٢) .

البدو ، والحاضر خلاف البادي ، و (أهل الحاضرة) و (أهل البادية) و (الحاضرة) ، خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف^١ ، وهو تقسيم ، يرويه ، قديماً ، يرجع الى الجاهلية . روي أن الرسول قال ، حين وفد عليه قيس بن عاصم : « هذا سيد أهل الوبر »^٢ . ونجد مثل ذلك في النصوص الجاهلية الجاهلية ، اذ أشارت الى الأعراب كطبقة خاصة قائمة بنفسها ، تمتاز عن الحضر المستقرين .

ومن ثم كانت غالبية القبائل العدنانية التي يذكر أهل الأخبار أسماءها قبائل أعرابية ، أي قبائل بدوية ، أو قبائل غلبت البداوة عليها ، وغالبية القحطانية قبائل مستقرة أو قبائل شبه حاضرة تنخت في أماكن ثابتة ومالت الى حياة الحضارة . ولما كان الحضر أرقى فكرياً من أهل الوبر ، صارت اليهم السيادة في الغالب ، فتحكموا في القبائل العدنانية ، وملكوا القبائل المعدية . فحكم المناذرة والغساسنة وآل كندة وغيرهم ممن يرجع نسبه النسابون الى قحطان ، قبائل عدنانية ، ولم يحكم العدنانيون القحطانيين قبل الإسلام .

هذا هو رأي من يرى أن القحطانية والعدنانية كناية عن الحضارة والبداوة ، وتعبير عن أهل المدر وأهل الحضر . يستدلون على رأيهم هذا بما قلته من غلبة الحياة الحضرية والاستقرار على القبائل التي يرجع النسابون نسبها الى قحطان ، وغلبة البداوة أو شبه البداوة على القبائل العدنانية .

وللحكم على هذه النظرية ، يجب تكوين جدول بأسماء القبائل الجاهلية العدنانية منها والقحطانية ، ودراسة أحوالها الاجتماعية والمواضع التي عاشت فيها في مختلف الأزمنة ، وعند ذلك نستطيع الحكم على ما فيها من قوة أو ضعف ، فإن في القحطانيين قبائل متبدية ، وفي العدنانيين قبائل مستوطنة وأصحاب قرى . ولهذا لن تصدق تلك النظرية الا بمثل هذه الدراسة .

ولفهم التراع القحطاني العدناني ، أو نزاع يثرب ومكة ، لا بد من البحث عن موارد جاهلية واسلامية نستعين بها على فهم طبيعة هذا التراع . أما الموارد

١ اللسان (٣٨/٢٠) ، فجر الاسلام ، (٧/١)

Sprenger, Das Leben, Bd., 3, S. CXXXVIII

٢ معجم الشعراء (ص ٣٢٤) .

الجاهلية، أي الكتابات ، فليس فيها حتى الساعة شيء ما يحدثنا عن هذا النزاع ،
وأما الموارد الإسلامية ، فإن شعر حسان بن ثابت ، أو الشعر المنسوب الى هذا
الشاعر بتعبير أصدق وأصح، هو المرجع الأول الذي يحدثنا عن طبيعة هذا النزاع
أو التحاسد الذي كان بين مكة ويثرب قبل ظهور الإسلام وعند ظهوره، اذ كان
حسان نفسه من المناضلين فيه الحاملين للواء يثرب في نزاعها مع مكة . ونرى
القحطانيين يروون شعره ويذكرونه في افتخارهم على العدنانيين . وقد حمل شعره
جلّ مواضع فخر قحطان على عدنان ، ومفاخر أهل يثرب على أهل مكة ،
حتى نستطيع أن نقول انه أحد بناء النزاع القحطاني العدناني ، باعتبار انه أقدم
مشارك فيه يصل خبره إلينا ، وأن أكثر ما تذكره القحطانية من دعاوى مركزه
في شعر هذا الشاعر مذكورة فيه .

وقد وصل جلّ شعر حسان إلينا، وطبع في ديوان . راجعناه وراجعنا ما يحمل
من شعر ، فلم نجد فيه ذكراً لعدنان ، وانما نجد فيه اسمي (قحطان) و(معد)^١ .
ولم يرد فيه اسم الأول الا مرة واحدة في قوله :

فلو سئِلْتُ عنه معد بأسرها وقحطان أو باقي بقية جرهما^٢

وأما اسم الثاني ، أي (معد) ، فقد ورد في مواضع بلغت سبعة في
الديوان^٣ .

غير اننا نرى في الجزء الأول من (الإكليل) ، أبيات شعر نسبها (الهمداني)
لحسان ، ورد فيها ذكر لقحطان ، وفخر به ، وانتسب اليه :

لقد كان قحطان العلا القرم جدّنا له منصب في يافع الملك يشهر
ينال نجوم السعد ان مدّ كفه تفلّ أكف عند ذاك وتقصر
ورثنا مناء منه برزاً ومحتدأ متيف الدرى فخر الأرومة يذكر^٤

-
- ١ طبعة (هرشفلد) سنة ١٩١٠ بمدينة (لايدن) ، رواية السيرافي ، شرح ديوان
حسان بن ثابت الانصاري ، للبرقوقي ، القاهرة ، ١٩٢٩ .
 - ٢ ديوان حسان (ص ٤٤) ، البرقوقي (ص ٣٩٨) .
 - ٣ ديوان حسان (ص ١ ، ٥ ، ٦ ، ٢٥ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٨٩) .
 - ٤ الاكليل (١١٨/١) .

ونرى أبياتاً أخرى من هذا النوع من الفخر، في مكان آخر من هذا الكتاب،
نسبها أيضاً لهذا الشاعر ، هي هذه :

فنحن بنو قحطان والملك والعلا ومنا نبيّ الله هود الأخير
وإدريس ما ان كان في الناس مثله ولا مثل ذي القرنين أبناء عابر
وصالح والمرحوم يونس بعد ما آلات به حوت بأخيل زاجر
شعيب والياس وذو الكفل كلهم يمانون قد فازوا بطيب السرائر^١

ونرى أبياتاً أخرى نسبها (الهمداني) الى (حسان) أيضاً ، فيها فخر
بقحطان وبقوم الشاعر ، رواها على هذا النحو :

فن بك عنا معشر الأزد سائلاً فإننا بنو الغوث بن نبت بن مالك
ابن زيد^٢ بن كهلان نما سبأ له الى يشجب فوق النجوم الشوابك
ويعرب ينمي لقحطان ينمي لهود نبيّ الله فوق الحباثك
يمانون عاديون ، لم يلتبس بنا مناسب شابت من الى وأولئك^٣

والأبيات المذكورة ، لا يمكن أن تكون من نظم حسان ، فأسلوبها غير
أسلوبه في شعره ، وفي بعضها ركة وضعف ، ولفظة (المرحوم) من
الاصطلاحات الحادثة المتأخرة^٤، كما ان التفاخر بالأنبياء المذكورين لم يكن معروفاً
على عهده .

وأما الشعر المبتدئ بهذا البيت :

فن بك عنا معشر الأزد سائلاً فإننا بنو الغوث بن نبت بن مالك

ففيه اضافات لا نجدها في الديوان .

وفي المضاف اليه تباين ظاهر مع أسلوب حسان في شعره ، وركة بينة ،
وطابع الصنعة ظاهر عليه . وقد ورد في ديوانه على هذا النحو :

١ الاكلیل (٩٦/١) .

٢ الاكلیل (١٠٦/١) هكذا : (ابن زيد) .

٣ الاكلیل (١٠٦/١) .

٤ الفضل لاستاذي الاثري في تنبيهي الى هذه الملاحظة .

فإن تلك^١ عنا معشر الأسد^٢ سائلاً فنحن بنو الغوث بن زيد بن مالك
لزيد بن كهلان الذي نال عزّه قديماً دراري النجوم الشوابك
إذا القوم عدّوا مجدهم وفعالهم وأيامهم عند التقاء المناسك
وجدت لنا فضلاً يقر لنا^٣ به إذا ما فخرنا كل باق وهالك^٤

فأنت ترى أن الأبيات في الديوان خالية من نسب (سباً) و (يشجب)
(يعرب) و (قحطان) و (هود) وغير ذلك ، وإن أسلوب صياغة هذا
النظم لا يمكن أن يكون من أسلوب شاعر جاهلي أو شاعر مخضرم ، بل لا بد
أن يكون من نظم المتأخرين ، أضافه بعض المتعصبين لليمن الى شعر حسان ،
ونظمه على وزن البيت الأول وطريقته ، ليكون أوقع في النفس ، ودليلاً على
قدم ذلك النزاع .

ولا أعتقد ان هنالك حاجة تدعوني الى إلفات نظر القارئ الى أن الأبيات
المتقدمة الواردة في ديوانه ، هي الأبيات المتقدمة عليها نفسها ، أي الأبيات التي
أخذتها من كتاب الإكليل للهمداني رويت بشكل آخر ، بشكل يرينا أن الرواة
مهما حاولوا اظهار انهم على حرص تام في المحافظة على أصالة الشعر والمحافظة
على الأصل ، فلمهم لا يتمكنون من ذلك .
ونسب بعض الرواة اليه هذه الأبيات :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أينا ، فصرتم معربين ذوي نعر
وكنتم قديماً ما بكم غير عجمة كلام ، وكنتم كالبهائم في القفر^٥

وهي أبيات لم ترد في ديوانه ، تشعر ان (يعرب) ، وهو جد القحطانيين ،
هو أول من أعرب في لسانه ، وأول من نطق بالعربية ، فهو أول متكلم بها ،
وأول من أوجدها وكوّنها ، وان العدنانيين تعلموها من أبنائه ، بعد ان كان
لسانهم لساناً أعجمياً . وأما من ناحية صحة نسبتها الى شاعر الإسلام وشاعر

١ وفي الديوان : (من تك) ، (ص ٤٠) ، البرقوقي (ص ٢٩٥) .
٢ « الأسد » ، الاصح في نظري : « الازد » . كما في الابيات المتقدمة .
٣ ديوان حسان (ص ٤٠) ، البرقي (ص ٢٩٥) .
٤ الاكليل (١١٦/١) .

الأنصار ، فإن في أسلوب نظمها وفي صياغة البيت الأول وجملة (منطلق الشيخ يعرب) ، ما فيه الكفاية لإظهار أنها مصنوعة ، حملت عليه حملاً ، ولا يمكن أن يكون هذا النظم من نظم أول الإسلام ، حتى وإن كان من شاعر من شعراء أهل الممر في ذلك العهد .

وزعم أن حسناً ذكر القليل (ذو ثات) ، وهو من أقيال حمير ، فقال هذا البيت :

وفي هكر قد كان عز ومنعة وذو ثات قَيْلٌ ما يكلم قائله^١

ولم يرد هذا البيت في ديوانه . أما أسلوب نظمها ، فينبثك أن قائله يجب أن يكون شخصاً آخر من المتأخرين عن حسان ، ممن كانوا يضعون الشعر على ألسنة غيرهم على نحو ما وضعوا على ألسنة التبابعة وآدم والجن . هذا ولحسان شعر لم يرد في ديوانه ، بل ورد في موارد أخرى . منه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود ، لأنه متحول وقد حمل على حسان وألصق به ، ولم يغفل العلماء عنه ، بل أشاروا إليه ونبهوا أن بعض الناس قد تعمدوا وضعه وحمله عليه لمآرب^٢ . قال الأصمعي في ذلك : « تنسب إليه أشياء لا تصح عنه . وهذا فيما يظهر صحيح ، وكثيراً ما رأيت في سيرة ابن هشام أبياتاً لحسان من هذا القبيل يعقبتها صاحب السيرة بقوله : وأهل العلم ينفيها عن حسان^٣ . وقد نسب الجمحي الوضع على حسان إلى بعض قريش للغرض منه ، فقال : « وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد . لما تعاضت قريش ، واستبقت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة ، لا تليق به » . وقد كان ذلك لتعرضه بهم ، ولتعصبه المفرط ليثرب ، وافتخاره بهم على قريش^٤ .

هذا ومع إفراط (حسان) في التعصب ليثرب ، لا نراه يذكر قحطان إلا

١ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ٢٧١) .
٢ ديوان حسان : المقدمة الانكليزية (ص ٢ وما بعدها) ، (وقد قال الأصمعي في ذلك : تنسب إليه أشياء لا تصح عنه . وهذا فيما يظهر صحيح ، وكثيراً ما رأيت في سيرة ابن هشام أبياتاً لحسان من هذا القبيل يعقبتها صاحب السيرة بقوله : وأهل العلم ينفيها عن حسان ٠٠٠٠) ، البرقوق (ص ٨) .
٣ المصدر المتقدم .
٤ طبقات الشعراء (ص ٥٢) .

مرة واحدة ، أما عدنان فلم يذكره في شعره قط . ولهذه الملاحظة أهمية كبيرة ، لتكوين رأي في فكرة (قحطان) وعدنان في ذلك العهد ، اذ انها تدل على ان القحطانية والعدنانية لم تكن عنده على النحو الذي صارت عليه فيما بعد ، بعد اشتداد التزاع بين الأنصار وأهل مكة ومن حولها في خلافة بني أمية خصوصاً ، وهم عصب العدنانيين ، وانه في كل فخره بالنسب لم يتجاوز الأزدي ، أبناء (الغوث بن زيد بن مالك بن زيد بن كهلان)^١ ، وغسان وآل نصر .

وأما بعد اسلامه ، فقد حول فخره وتباهيه الى فخر بالأنصار على قريش ومضر ومعد ، أي أهل مكة ، بنصرة قومه للإسلام ، وبنصر النبي حين خذلوه وقاوموه . فكانوا ملوك الناس قبل محمد ، فلما أتى الإسلام ، كان لهم النصر في نصرته^٢ . ونجد هذا الفخر واضحاً قوياً في شعره ، فهو فخر أهل يثرب على أهل مكة . فخر الأنصار على مضر ومعد وقريش ، فلم يصل الفخر بقومه عنده اذن الى حد الفخر بقحطان ، أو باليمن كلها على عدنان . وأما ما ورد منه أكثر من ذلك ، كما نرى في الأبيات المنسوبة اليه في الجزء الأول من الإكليل ، فإنه عندي من ذلك النوع المنحول الذي اضيف اليه . فالتكلف ظاهر عليه ، والأسلوب مختلف عن أسلوبه ، وهو من النظم المتأخر عن ايام حسان ، من نظم وضاح يتكلف قول الشعر ولا يحسن صناعته .

خذ قصيدته التي تمثل منتهى فخره بقومه ، نره يقول :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقي ؟
رسا في قرار الأرض ، ثم سميت له فروع تسامى كل نجم حلق
ملوك وأبناء الملوك ، كأننا سوارى نجوم طالعات بمشرق

الى أن يقول :

كجفنة والقمقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق

فنحن بنو الغوث بن زيد بن مالك
قديماً ذراري النجوم الشوابك

فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

١ من تلك عنا معشر الأزدي سائلاً
لزيد بن كهلان الذي نال عزه
ديوان حسان (ص ٤٠)
٢ وكنا ملوك الناس قبل محمد
ديوان حسان (ص ٧٠ ، ٧٣) .

وحارثة الغطريف أو كابن منلر^١ ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق^٢

فلا تجد فخره بها يتعدى حدود الفخر بالأزد وبالفاسنة وآل نصر ، أي
ملوك الحيرة . وهو ما وجدناه في أشعاره الأخرى . وقد عاب في هذه القصيدة
(قيساً) و (خندفاً) لأنها قاومتا الرسول وأذناه . مما يدل على أن هذين
الاسمين كانا معروفين قبل الإسلام .
هذا ، وقد أضاف أهل الأخبار الى قصيدة حسان التي مدح فيها الملك
(جبلة بن الأيهم) ، ومطلعها :

لمن الدار أقفرت بمغان بين أعلى اليرموك والصمان^٣

هذا البيت :

أشهرنها فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل عياني^٤

ولم يرد ذكر هذا البيت في الديوان . وهو بيت يتحدث كما ترى عن فخر
باليمن : أصل الفاسنة ، وأهل يثرب ، وكل قحطان . وأغلب ظني انه من
الآبيات المدسوسة ، وضعه أحد المتعصبين لليمن ودسه في القصيدة .
هذا وقد نسب الى النعمان بن بشير الأنصاري شعر قيل انه قاله في هذا الباب :
ونسب الى الطرماح بن حكيم مثل ذلك ، وهو أيضاً شاعر من شعراء الأنصار .
وعليّنا أن ندرس شعرهما ، وشعر أمثالهما ، وشعر شعراء قريش أيضاً دراسة نقد
ونمحيص تميز بها بين صحيحه وفاسده ، لنتمكن بذلك من تكوين رأي علمي
صحيح في القحطانية والعدنانية وتأريخ ظهورهما . ولو تسر لنا ديوان الأنصار أو
دواوين الأنصار ، لزادت معارفنا ، ولا شك ، في هذا الباب وتمكننا من تكوين
رأي في تلك العصبية القبلية بصورة أصح وأدق ولا شك .

- ١ البرقوقى (ص ٢٨٨) .
- ٢ مروج الذهب (٣١/٢) (تحقيق محمد محيي الدين) . ونجد هنا اختلافا في
الالفاظ وفي بعض الجمل عن نص القصيدة الوارد في الديوان ، راجع (ص ٥٥)
من الطبعة الأوروبية ، و (ص ٤١٤) من (شرح ديوان حسان بن ثابت) لعبد
الرحمن البرقوقى . وقد اخذت مطلع القصيدة من رواية المسعودي .
- ٣ مروج الذهب (٣١/٢) .
- ٤ فمنا سراة الناس هود وصالح وذو الكفل منا والملوك الاعاظم
الكليل (١٤/١) .

لقد حارب الإسلام العصبية الجاهلية ، وآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وحالف بين قريش وأهل يثرب ، ونهى عن أحلاف الجاهلية ، وروي عنه أنه قال : (لا حلف في الإسلام)^١ ، لما ينتج عنه من فتن ومن قتال بين القبائل وغارات ، ولأن الإسلام قد عوّض عن الحلف ، وزاده شدة بتزوله . (وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة)^٢ . وعدّ (التعرب) بعد الهجرة ، أي أن يعود المرء إلى البادية ويقيم مع الأعراب ، كبيرة من الكبائر ، حتى عدّ من يعود إلى موضعه من البادية بعد الهجرة كالمرتد^٣ . ومع ذلك ، لم يكن من الممكن تناسي العصبية ، وغسل آثار الجاهلية ، وطمس معالمها تماماً ، فتحزبت القبائل وتكتلت ، وكانت تحارب على أنها همدان^٤ ، أو ربيعة^٥ ، أو طيء^٦ ، أو مضر^٧ ، أو قريش^٨ ، أو قيس^٩ ، أو الأزد ، أو ربيعة^{١٠} ، أو تميم^{١١} ، أو غير ذلك من أسماء قبائل .

القحطانية والعدنانية في الإسلام :

الحق أن ما نسميه قحطانية أو عدنانية إنما هو صفحة من صفحات النزاع الحزبي عند العرب في الإسلام ، شاء أصحابه ومثيروه رجعه إلى الماضي البعيد ، ووضع تاريخ قديم له ، فجعلوا له أصولاً زعموا أنها ترجع إلى ما قبل الإسلام

- ١ تفسير الطبري (٣٦/٥)
- ٢ تفسير الطبري (٣٦/٥) .
- ٣ (وفي الحديث : ثلاث من الكبائر ، منها التعرب بعد الهجرة ، هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً . وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه ، من غير عذر ، يعدونه كالمرتد) ، لسان العرب (٧٦/٢)
- ٤ مروج (٢٢/٢) .
- ٥ مروج (٢٢/٢) .
- ٦ مروج (٢٢/٢) .
- ٧ اليعقوبي (١٦٥/٢) ، الكامل (٨٥/٤)
- ٨ اليعقوبي (٣/٣) ، الكامل (٦١/٣) .
- ٩ الكامل (١٤/٤) ، ٦٣ .
- ١٠ الكامل (٥٨/٤) .
- ١١ الكامل (٥٨/٤) .

بكثير ، ورووا في ذلك شعراً لا يخرج في نظرنا عن هذا الشعر السدي يحفظه الرواة على لسان آدم وهايل وقايل والجن .

وفي هذا الصراع القحطاني العدناني العنيف شرع في تدوين الأنساب وتثبيتها في القرايطيس والكتب. فكان لهذا الصراع ولوضع القبائل وتكتلاتها في هذا الوقت أثر خطير في تثبيت أنساب القبائل وتسجيلها ، ليس في هذا العهد فقط، بل في تثبيت أنساب قبائل الجاهلية وتسجيلها أيضاً . اذ سجلت هذه الأنساب : جاهلية وإسلامية على الرأي السائد في النسب يوم شرع في التسجيل والتدوين ، أي في أوج هذه العصبية العنيفة التي عمت الناس في صدر الإسلام . ومن هنا كان لا بد لفهم الفكرة القحطانية العدنانية من الإلمام بتزاع قحطان وعدنان في الإسلام .

والذين قاموا بتسجيل الأنساب وتدوينها وتثبيتها في الكتب، كانوا هم أنفسهم من أصحاب العصبية لتزار أو لليمن ومن المتأثرين بالأحوال السياسية لذلك العهد. ولهذا نجد في أقوال بعضهم تحزباً وتطرفاً وميلاً إلى تأييد فريق على فريق . ومن هنا كان لا بد لنا من التنبيه لهذه العصبية، واتخاذ الحيلة والحذر عند دراسة هذا النزاع القحطاني العدناني .

وقد استعملت في هذا العهد (مضر) في مقابل (الأزد)^١ ، كما استعملت الأزد في مقابل تميم ، وورد (أهل اليمن) أو اليمانية^٢ . ولكننا قلنا نسمع في نداء القبائل وأخبار هذه الفتن أو الحروب التي وقعت في هذا العهد استعمال كلمة (عدنان) في مقابل (قحطان) ، ويقال مثل ذلك في الأشعار أيضاً، في مثل شعر (الفرزدق) الذي استعمل كلمة (قحطان) في مقابل كلمة (نزار) وكلمة (يمن) في مقابل (نزار) أو (الأزد) في مقابل (نزار)^٣ . كما استعمل الحكم بن عبدل (قحطان) في مقابل (معد)^٤ . وقد ذكر الأعشى

١ الكامل (٥٨/٤) .

٢ الكامل (٦١/٤) .

٣ ديوان الفرزدق « طبعة بوشيه » Boucher « ص ٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٨٦ » .
Muh. Stud. Bd. I, S. 98.

٤ فما صادفت في قحطان مثلي
كما صادفت مثلك في معد
الآغاني (١٤٨/٢) .

في شعر له : (ومن معدّ قد أتى ابن عدنان) ، وذلك في مقابل (قحطان)^١ . وفي أيام معاوية وابنه (يزيد) و (مروان بن الحكم) ، نالت (كلب) مركزاً سامياً ، لتزوج معاوية امرأة من كلب ، هي (ميسون بنت بحدل) ، فأصبحت هي والقبائل التي تؤيدها مقربة عند الخلفاء ، مع أن الخلفاء من قريش ، وقريش من قيس . وهذا مما أغضب قيساً المعروفة بعدائها لكلب . وقد كانت لفظة (قيس) في هذا العهد ترادف كلمة (معد) و (مضر) و (نزار)^٢ . وأما (كلب) ، فترادفه اليمن . وقد عرفت المعركة التي وقعت في (مرج راهط) بين مروان وابن الزبير بأنها معركة (قيس) و (كلب) لأن قيساً حاربت فيها عن (ابن الزبير) . أما كلب ، فقاتلت عن مروان ، وقد أوجد هذا الانتصار حقاً كبيراً بين (قيس) وحلفائها من القبائل ، وبين كلب وأنصارها من القبائل التي أدعت أنها من اليمن ، ف وقعت حروب بين قيس و كلب هلك فيها خلق كثير من الفريقين^٣ . ولعب دوراً مهماً في تكتل القبائل وفي تجمع القحطانيين والعدنانيين .

وقد أسهم الخلفاء الذين جاؤوا بعد (عبد الملك) ، وبالأأسف ، في هذا النزاع ، متأثرين بعاطفتهم وبدمهم من الأمهات ، فكان بعضهم يؤيد القيسيين إذا كانت أمهم من قيس ، وكان آخرون يؤيدون (كلباً) إذا كانت أمهم من اليمن . وسار على هذه السياسة الولاة والعمال ، فكانت النتيجة تكتل القبائل وانقسامها الى معسكرين (قيس) و (يمن) ، وتزعمت (أزدعمان) في البصرة وخراسان حزب (يمن) في مقابل (قيس) و (نعيم)^٤ .

ووقعت وقائع دموية بين يمن وقيس ، انهكت العرب جميعاً ، وصارت من جملة العوامل التي عجلت بسقوط الأمويين .

وحمل الشعراء مشاعل هذا النزاع ، وأمدوا ناره بوقود غزير . نظموا القصائد في مدح قيس وفي ذم يمن وذم قيس بحسب قبيلة الشاعر ونسبه . ساهم فيه

١ سار بجمع كالقطا من قحطان ومن معد قد أتى ابن عدنان
الآغاني (١٥١/٥) .

٢ Enc. Vol. 2, P. 655.

٣ Enc. Vol. 2, P. 655, Werner Caskel, Die Bedeutung der Beduinen in der Geschichte der Araber, S. 13.

٤ Wellhausen, Das Arabische Reich und sein Sturz, S. 40, Enc. Vol. 2, P. 655.

الأخطل والكُمَيْت ودُعَيْل الخزاعي وجريز بن عطية بن الخطمى التميمي
واسحاق بن سويد العدوي وغيرهم ، فكان مدح وكان ذم ، وكان تباه
وافتنخار ، وكان قذع وهجاء . وبدلاً من أن يتدخل الحكام ومسيرو الأمة في
اختاد نار هذه الفتنة واسكات الشعراء جمعاً للصف ، ساهموا هم أنفسهم كما
قلت في هذه المعركة وشجعوا المحاربين فيها ، ففرقوا بين العرب بسياساتهم هذه
وأطمعوا الأعاجم فيهم ، وجعلوا العرب يقاتل بعضهم بعضاً ، وبذلك توقفت
الفتوحات العربية الإسلامية ، نتيجة لهذه السياسة المفرقة للخزء .

ولم يقف هذا النزاع على التباهي بقحطان وعدنان وبالأيام وبالشجعان ، بل
تجاوز ذلك الى التباهي بارتباط كل فريق بجماعة من الأعاجم بروابط الدم والنسب
والثقافة ، فافتخرت النزارية بالفرس على اليمانية ، وعدوهم من ولد (اسحاق
ابن ابراهيم) وافتنخروا بإبراهيم جدّ العرب والفرس . ونظم (جريز بن عطية
ابن الخطمى التميمي) ، في ذلك شعراً ، جاء فيه :

أبونا خليل الله لا تنكرونا فأكرم بابراهيم جداً ومفخرا
وأبناء اسحاق الليوث اذا ارتدوا حائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبيهد منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
أبونا أبو اسحاق يجمع بيننا أب لا نبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله ، والله ربنا رضىنا بما أعطى الإله وقدرنا^١

ومن هذا القبيل ، قول اسحاق بن سويد العدوي :

اذا افتخرت قحطان يوماً بسؤدد أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءاً بإسحاق عمنا وكانوا لنا عوناً على الدهر أعبدنا
ويجمعنا والفر أبناء فارس أب لا نبالي بعده من تفردنا^٢

وقول بعض النزارية :

واسحاق واسماعيل مدا معالى الفخر والحسب اللبابا
فوارس فارس وبنو نزار كلا الفرعين قد كبرا وطابا^٣

-
- ١ التنبيه (ص ٩٥) .
 - ٢ التنبيه (ص ٩٥) .
 - ٣ التنبيه (ص ٩٥) .

ولم يقف النزاريون عند هذا الحد ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فزعموا أن هذا النسب قديم ، وأن قرابة الفرس بالعدنانيين قديمة ، وأن الفرس كانت في سالف الدهر تقصد الى البيت الحرام بالنذور العظام تعظيماً لإبراهيم الخليل بانيه ، وأنه عندهم أجل الهياكل السبعة العظيمة والبيوت المشرفة في العالم ، وأن رجلاً تولاه وأعطاه العدة والبقاء ، واستشهدوا على صحة دعواهم بشعر زعموا أن قائله هو أحد شعراء الجاهلية :

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم^١

وترتب على هذا وضع نسب للفرس يتصل بنسب العرب العدنانيين ، فزعموا أن (منوشهر) الذي ينتسب اليه الفرس هو (منشخر بن منشخرباغ) ، وهو (يعيش بن ويزك) ، و (ويزك) هو اسحاق بن ابراهيم الخليل ، واستشهدوا على زعمهم هذا بشعر ، قالوا ان بعض شعراء الفرس في الإسلام قاله مفتخراً :

أبونا ويزك وبه أسامي اذا افتخر المفاخر بالولاده
أبونا ويزك عبد رسول له شرف الرسالة والزهادة^٢

أما (يعيش بن ويزك) جد الفرس الجديد ، فهو (عيسو) (Esau) ، وفي العبرانية (Usu) ، ومعناها (مشعر) أو (خشن) ، وهو شقيق يعقوب وجد الأدوميين في التوراة وابن إسحاق^٣ . وأما (ويزك) فهو (يزك) أو (إيزك) (Isaac) (Icaak) وهو (إسحاق) ، وهو في العبرانية (يصحق) (يصحك) (يصحاك) (Yishak) أي (الضحاك) . ويرى علماء التوراة ان الأصل اسم قبيلة كان يقال لها (يصحقيل) (يصحق ال) (يضحك ال) (Yishhake) (Yishakil) ، وهو والد (عيسو) و (يعقوب)^٤ .

وقد أسهم بعض الفرس أنفسهم في اذاعة هذا النسب ونشره ، وقد استشهد على صحة دعواه بالأشعار المذكورة التي تفتخر بالفرس على اليانية ، وانهم من

١ التنبيه (ص ٩٥) .

٢ التنبيه (ص ٩٦) .

٣ Enc. Bibl. P. 1333, Budde, Urgeschl. S. 217, Hastings, P. 235.

٤ Enc. Bibl. P. 2175, Hastings, P. 386.

ولد أبيهم ابراهيم^١ . ولعلمهم قالوا ذلك تقريباً الى الحكومة ، وهي عدنانية ،
ولعوامل سياسية أخرى ، منها تقريب الفرس من العرب ، وضمان تعاونهم مع
الحلافة في وجه النعرات القومية التي ظهرت في ايران .

ولم يكتف العدنانيون بقرابتهم للفرس وللإسرائيليين ، بل زعموا ان الأكراد
من أقربائهم كذلك ، وانهم من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل ، أو
انهم من نسل ربيعة بن نزار بن معد ، أو انهم من نسل مضر بن نزار ، أو
من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وانهم انفردوا في قديم الزمان
لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، وانهم اعتصموا بالجبال فحدادوا عن اللغة
العربية لما جاورهم من الأمم ، وصارت لغتهم أعجمية ، فذلك على رأي أهل
الأخبار بدء نسب الأكراد^٢ .

وقد لقي هذا النسب الجديد للأكراد تشجيعاً من بعض الأكراد في أيام
العباسيين ، وربما في أيام أواخر الدولة الأموية كذلك ، فأيدوه وانقسموا أيضاً
فرقاً في شجرات النسب ، فمنهم من أخذ بشجرة كرد بن مرد، ومنهم من أخذ
بانتسابهم الى سبيع بن هوازن، ومنهم من انتسب الى ربيعة ثم الى بكر بن وائل^٣ .

وكان من الطبيعي أن يجعل القحطانيون أعداء الفرس من ذوي أرحامهم، وهم
اليونان فقالوا : إن يونان أخ لقحطان ، ولأنه من ولد عابر بن شالخ ، ولأنه
خرج من أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جماعته حتى
وافى أقاصي بلاد المغرب فأقام هناك ، وانسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه
ووازي من كان هناك في اللغة الأعجمية من الأفرنجية ، فزالت نسبته ، وانقطع
نسبه وصار منسياً في ديار اليمن . وقالوا أيضاً إن الاسكندر من تبع^٤ . وكان
من الطبيعي انزعاج العدنانيين من ربط نسب قحطان بيونان ، فانبروا للرد عليه،
وكيف يرضون أن يكون للقحطانيين أبناء عم على شاكلة اليونانيين ، وقد

١ التنبيه (ص ٩٤) .

٢ مروج الذهب (٣٠٧/١) فما بعدها (التنبيه (ص ٧٨) .

٣ التنبيه والإشراف (ص ٧٨) .

٤ مروج الذهب (١٧٨/١) (وقد ذكر ان يونان اخو قحطان . . . وقد كان يعقوب

ابن اسحاق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا) .

كانوا أمهر من الفرس ، ولهم دولة كبرى . فقال أحدهم ، وهو أبو العباس
الناشيء :

وتخلط يوناناً بقحطان ضلّة^١ لعمري لقد باعدت بينها جيداً^٢

وأضاف القحطانيون الأتراك اليهم أيضاً ، فزعموا أن معظم أجناس الترك وهم
(التبت) من حمير ، وأن التبع (شمر يرعش) أو تبعاً آخر ربّتهم هناك ، وأن
(شمر يرعش) هو الذي أمر ببناء (سمرقند) ، إلى غير ذلك من أقوال
لا ترضي العدنانيين بالطبع ، وفي ذلك يقول (دُعَيْل بن علي الخزاعي) في
قصيدته التي يردّها على (الكميّ) ، وفخر فيها بمن سلف من ملوكهم
وسير في الأرض ، وإن لهم من الفضل ما ليس لمعدّ بن عدنان ، فقال في شعره :

هو كتبوا الكتاب بباب مرو^٣ وباب الصين كانوا الكاتيينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند^٤ وهم غرسوا هناك التبتينا^٥

وأضافوا (الضحّاك) اليهم ، وصبروه من (الأزدي) ، والأزد من اليمن ،
فهو يمانيّ إذن أصيل^٦ . و (الضحّاك) هو (بيوراسب) عند أهل الأخبار .
وقد ملكوه ألف سنة . وهو بطل أسطوري عند الفرس^٧ . وقد أخذ أهل
الأخبار (ضحّاكهم) هذا من (إسحاق) ، كما أخذ العدنانيون (ويزكهم)
من (إسحاق) فصبروه (منشخر) على نحو ما ذكرت . وقد قلت إن معنى
(إسحاق) في العبرانية الضحّاك . فالقحطانيون فعلوا هذا فعل العدنانيين ،
لجأوا إلى إسحاق فصبروه (الضحّاك) ، وبدلاً من أن يقولوا إنه (ويزك) من
اسم (إسحاق) في العبرانية أخذوا معنى الاسم فصبروه اسماً عربياً هو الضحّاك .
وجعلوه قحطانياً من الأزدي .

وكان كل فريق يرد على مزاعم الفريق الآخر ، حين يضيف إليه أمة من
الأمم . فلما ادعى العدنانيون أنهم هم والاسرائيليون والأعاجم من نسب واحد ،

١ مروج الذهب (١٧٨/١) ، ابن خلدون (١٨٤/٢) .

٢ مروج الذهب (٣٠٠/١) .

٣ مروج الذهب (ص ٧٦) .

٤ التنبيه (ص ٧٥) .

انبرى (دعبل الخزاعي) يرد عليهم في قصيدة ساخرة يقول فيها :

فان يك آل اسرائيل منكم	وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي	مسخن مع القروذ الخاسثينا
بأيلة والخليج لهم رسوم	وأثار قدمن وما محينا
لقد علمت نزار ان قومي	الى نصر النبوة فاخرينا

قال هذه القصيدة في الرد على (الكميت) ، وهو لسان من ألسنة التزارية ، وقد تعرض فيها باليانية وتهكم عليهم^١ .

حتى الموالي ، وهم كما نعلم من أصل غير عربي، أسهموا في هذه المعركة ، وحاربوا في الصفوف الأولى منها ، تعصب كسل منهم للجانب الذي دخل في ولائه . هذا (أبو نواس) ، وهو مولى (بني حكم بن سعد العشيرة) ، يتعصب للقمحطانية ويدافع بكل قواه عنها ، لأن (بني الحكم) من اليمن . وقد حمله تعصبه لهم على نظم قصيدة هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقمحطان وقبائلها ، وقد أوجعت التزاريين وآلتهم ، فشكوه الى الخليفة الرشيد، وهو منهم، فأمر بحبسه بسببها ، وقيل انه حده لأجلها ، وأولها :

لست لدار عفت وغيّرها ضربان من قطرها وحاصبها

ثم قال مفتخراً باليمن وذاكراً للضحاك :

فنحن أرباب ناعظ ولنا	صنعاء والمسك في محاربها
وكان منا الضحاك يعبده الـ	سخابل والطير في مساربها

ثم يستمر فيقول في هجاء نزار :

واهج نزارا وافر جلدتها وكشّف السر عن مثالبها^٢

وآثارت هذه القصيدة جاعة من التزارية ، فردت عليه . وكان منهم رجل

١ مروج (٣٠٠/١) .

٢ التنبيه (ص ٧٦ فما بعدها) .

من (بني ربيعة بن نزار) ، فقال يذكر نزاراً ومناقبها ، واليمن ومثالبها في قصيدة أولها :

دع مدح دار خبا وانتهى عهد معدّ بزعم عاتبها
ثم استمر ، فقال :

فامدح معداً وافخر بمنصبها الد عالي على الناس في مناصبها
وهتك السر عن ذوي يمن أولاد قحطان غير هائبها^١

وقد أنتج هذا النزاع القحطساني العدناني قصصاً وحكايات وشعراً دُونَ في الكتب ، وأنتج (حديثاً) زعم أن قائله هو الرسول ، قاله في مدح قحطان أو في مدح عدنان ، وأحياناً في مدح القبائل ، مثل : حمير ومذحج وهمدان وغسان ، وقبائل أخرى أو في مدح بيوتات معينة من مثل هذه القبائل .

لقد تلون هذا النزاع بلون أدبي زاه لا يخلو من طرافة وإن كان قد أساء من الناحية السياسية الى هذه الأمة أبما أساءة . فقد لوّن اليانون تاريخهم القديم بألوان زاهية جميلة من القصص والحكايات والأخبار ، فهم الذين زعموا أن قحطان هو ابن هود النبي ، فأوصلوا نسبهم بالأنبياء ، وهم الذين أوصلوا نسب قحطان الى إسماعيل ، فنفوا بذلك أي فضل كان للعدنانيين على القحطانيين في الآباء والأجداد ، وهم المسؤولون عن هذا التقسيم المشهور المعروف للعرب وجعل القحطانيين في الطبقة الأولى من العربية بالنسبة الى العدنانيين ، وهم الذين نظموا في الإسلام تلك الأشعار والقصائد التي ذكرها الرواة على أنها من نظم التبابعة وملوك القحطانيين ، وهم الذين ساقوا تلك الحكايات عن الفتوحات العظيمة للملوك اليمن وعن حكم القحطانيين للعدنانيين واستدلالهم إياهم .

وقد استغل العدنانيون ظهور الرسول بينهم ، فاتخذوا من هذا الشرف ذريعة للتفاخر والتباهي على القحطانيين^١ . وقد أجابهم اليانون على ذلك بأنهم هم الذين كان لهم شرف نصرة الرسول وإعلاء كلمة الله ، وهم الذين كوّنوا مادة الجيش الإسلامي ، وهم الذين آووا الرسول وفتحوا مكة . وتمسك العدنانيون بأذيال

١ التنبيه (ص ٧٧) .

إبراهيم وعدّوه جدهم الخاص بهم ، مع أنه جدّ العرب عامة ، كما في القرآن الكريم ، ونفوا كل مشاركة للقحطانيين في هذا النسب الشريف . وقد كان لهم ما يساعدهم في تقوية حجّتهم ، فقد كان الرسول من صلب إسماعيل والرسول منهم ، فإبراهيم هو أبو المختص بهم . ولردّ دعوى الإسماعيليين هذه من اختصاص إسماعيل وإبراهيم بهم . وصل بعض رواّتهم نسب قحطان لإسماعيل وإبراهيم ، ولم يكتفوا بذلك فلا بدّ لهم من شرف زائد ، ورجحان على العدنانيين الذين لم يبدأ ملكهم إلا في الإسلام ، فاخصّصوا هوداً بهم ، وجعلوه نبياً يمانياً . ثم لم يقبلوا بنبي واحد زيادة على الأنبياء الذين اختص بهم العدنانيون فأضافوا إليهم صالحاً النبي وقالوا : إنه من صميم حمير وإنه صالح بن المصيص بن ذي ماذن نبي حمير من آل ذي رعين ، وزعموا أن ثقفيّاً كان غلاماً له ^١ ، وحصلوا بذلك على نبي وطعنوا في ثقيف ، وهم من العدنانيين في الوقت نفسه ، وأضافوا إليهم نبياً آخر من صميم حمير سموه أسعد تبع الكامل بن ملكي كرب بن تسبع الأكبر ابن تبع الأقرن ، وقالوا إنه ذو القرنين الذي قال الله تعالى فيه : (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم لأنهم كانوا مجرمين) ^٢ . وذكروا أنه كان من أعظم التبابعة وأفصح شعراء العرب ، ولذلك قال بعض العلماء فيه ذهب ملك تبع بشعره ، ولولا ذلك لما قدم عليه شاعر من العرب وقالوا : نهى النبي عن سبّه ، لأنه آمن به قبل ظهوره بسبع مئة عام ، وليس ذلك إلا بوحي من الله عز وجل . وهو أول من كسا البيت ، وجعل له مفتاحاً من ذهب . وأوردوا له أشعاراً لا لبّات إيمانه بالرسول تمنى فيها لو أدرك أيامه إذن لآمن به ، ولكان له وزيراً وابن عم ، ولألزم طاعته كل من على الأرض من عرب وعجم ، ورووا له أبياتاً في البيت الحرام ، وكيف كان يقصده فيمكث فيه تسعة أشهر ، وكيف كان ينحر في العام سبعين ألفاً من البدن ^٣ .

وزعموا فوق هذا كله أنه تنبأ بعودة ملك حمير حيث يظهر المهدي منهم ، وهو رجل حميري سبّني الأبوين ، يعيد الملك إلى حمير بالعدل ، في هذه الأبيات التي رواها عبّيد بن شَرِيّة الجُرهمي :

١ منتخبات (ص ٦٢) .

٢ منتخبات (ص ١٣) .

٣ منتخبات (ص ١٣) .

ومن العجائب أن حمير سوف تعلى بالقهور
ويسودها أهل المواشي من نصير أو نصير

يعني النصير بن كنانة ، وهو قریش :

ويثيرها المنصور من جنبي أزال كالصقور
وهو الإمام المرتجي المذکور من قدم الدهور

وأنه قال :

بمنصور حمير المرتجي يعود من الملك ما قد ذهب
ويرجع بالعدل سلطانها على الناس في عجمها والعرب

وقالو ان المنصور هو لقب القائم المنتظر الذي سيظهر ليعيد ملك حمير
المسلوب^١.

وذكروا انه كان في جملة ما قاله من شعر قوله :

واعلم بني " بأن كل قبيلة ستذل ان نهضت لها قحطان^٢

الى غير ذلك من أشعار نسبت اليه والى غيره من التبابعة تتحدث عن حقد
القحطانيين على العدنانيين ، وعن ألمهم الشديد لفراق ملكهم وانتقال الحكم منهم
الى المكيين ، وقد كانوا من أتباعهم بالأمس . فعلوا أنفسهم بالتحدث عن
الماضي ، ثم صبروا أنفسهم بالحديث عن ملك سيعود ، وعن دولة ستأتي ،
وعن مهدي يأخذ بالنار ، كالذي يفعله المغلوبون . وجعلوا ذا القرنين الذي ورد
اسمه في سورة الكهف منهم^٣ ، فقالوا : هو الهاميسع بن عمرو بن زيد
ابن كهلان ، أو الصعب بن عبدالله بن مالك بن زيد بن مدد بن حمير الأصغر ،
أو تبع الأكبر بن تبع الأقرب ، أو تبع الأقرب ، وكان مؤمناً عالماً عادلاً ،
ملك جميع الأرض وطاقها ، ومات في شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلاً
إذا انتهت الشمس الى برج الجدي : وقد كان يقول الشعر ، وهو الذي بشر

١ منتخبات (ص ١٠٣) .

٢ منتخبات (ص ٨٣) .

٣ سورة الكهف : ١٨ ، الآية ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ .

بالنبي في شعره ، وطبيعي أن يكون واضعو هذه الأشعار أناساً من الأنصار ومن بقية فروع قحطان^١ .

وتعلق متعصبو اليمانية بالأبنية الفخمة وبالمدين الكبرى ، فجعلوها من أبنية ملوكهم أو من أبنية أسلافهم العرب العاربة . وقد ذكر المسعودي ان من اليمانية من يرى أن الهرمين اللذين في الجانب الغربي من قُسطاط مصر ، هما قبراً (شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر ، وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم)^٢ . ونسبوا لملوكهم الفتوحات الفخمة في الشرق والغرب .

وأضافوا اليهم لقمان الحكيم ، زعموا انه لقمان الحميري ، وقالوا انه كان حكيماً عالماً يعلم الأبدان والأزمان ، وهو الذي وقت المواقيت ، وسمي الشهور بأسماء مواقيتها . وزعموا أن ياسر ينعم ملك بعد سليمان بن داود ، وسمي ينعم ، لأنه ردّ الملك الى حمير بعد ذهابه ، وان الضحاك ملك من الأزدي كان في وقت ابراهيم فنصره . وبذلك كانت للقحطانيين منة قديمة على ابراهيم وعلى العدنانيين بصورة خاصة . وقالوا أشياء أخرى كثيرة ، قد يخرجنا ذكرها من صلب هذا الموضوع من أعمال وفتوحات لشمر يرعش وغيره من التبابعة^٣ .

وقد لوّن العدنانيون تأريخهم ، واستعانوا بالشعر ، فوضعوا منه ما شاءوا في الرد على القحطانيين . قال ابن سلام « نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكثرت منه في الإسلام »^٤ ، وعقبوا على الروايات القحطانية . فلما ادعى اليمانيون مثلاً ان تبعهم (أبا كرب) فتح العراق والشام والحجاز ، وانه امتلك البيت الحرام ، ونكل بالعدنانيين شر تنكيل ، وانه قال شعراً، منه :

١ قال النعمان بن بشير :

فمن ذا يفاخرنا من الناس معشر
ونحن بنينا سد يأجوج فاستوى
وقال لبید :

والصعب ذو القرنين اصبح ثاويًا
منتخبات (ص ٦١ ، ٨٤ فما بعدها) .

٢ التنبيه (ص ١٨) .

٣ منتخبات (ص ٥٦ ، ٦٥)

٤ في الادب الجاهلي (ص ١٢٣) .

لست بالتبع الياني إن لم تركض الخيل في سواد العراق
أوتؤدي ربيعة الحرج قسراً أو تعقني عوائق العواق

قال العدنانيون : نعم ، وقد كانت بين تبع هذا وقبائل نزار بن معد وقائع
وحروب ، واجتمعت عليه معد من ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، فانتصرت عليه ،
وأخذت الثأر منه ، وفي ذلك قال أبو دؤاد الإباضي :

ضربنا على تبع حربه حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هارباً وكان جبناً كثير الرهب
وأتبعته فهوى للجبين وكان العزيز بها من غلب

إلى غير ذلك من القصص والحكايات التي وضعها الرواة في صدر الإسلام
حين احتدم الخلاف بين الأنصار وقريش ، سجلت في الكتب ، ورويت للناس ،
وانتشرت بينهم على أنها أمور واقعية ، وإن العرب كانوا من أصلين : قحطان
وعدنان .

وقد كان لكل فريق رواية وأهل أخبار يقصون على الناس قصصاً وأخباراً في
أخبار النزاع القحطاني العدناني . فوضع (عبيد بن شريفة الجُرهمي) كثيراً
من القصص والأشعار عن العرب الأولى وعن القحطانيين ، وضع ذلك لمعاوية
ابن أبي سفيان ، وكان معاوية مغرمًا بسماع أساطير الأولين وأخبار الماضين ،
كما سبق أن أشرت إلى ذلك .

ووضع (يزيد بن ربيعة بن مفرغ) المتوفى سنة (٦٩) للهجرة ، وهو
شاعر متعصب لليمن ، قصص (تبع)^٢ . جاء في كتاب الأغاني : « سئل
الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعها ، فقال : ابن مفرغ . وذلك أن
يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عبيد الله بن زياد ، أنزله الجزيرة
وكان مقيماً برأس عين ، وزعم أنه من حمير ، ووضع سيرة تبع وأشعاره .
وكان النمر بن قاسط يدعي أنه منهم »^٣ .

١ مروج الذهب (١ / ٣٠٠) .

٢ Muh. Stud. Bd. I, S. 97.

٣ الأغاني (١٧ / ٥٢) .

وظهرت كتب ضمت أخبار التبابعة وقصصهم ، أشار إليها المسعودي ، دعاها بـ (كتب التبابعة)^١ : وقد وقف عليها ونقل منها ، وهي كما يظهر من نقله ومن نقل غيره منها من هذه الأساطير المنسوبة إلى عبيد ووهب ويزيد ابن المفرغ وأمثالهم من أصحاب القصص والأساطير .

وكان بين العدنانيين والقحطانيين جدل وكلام في لغة (إسماعيل) ، فالهانيون ومنهم (الهيثم بن عدي الطائي) كانوا يرون أن لسان (إسماعيل) الأول هو اللسان السرياني ، ولم يكن يعرف العربية . فلما جاء إلى مكة وتظاهر مع جرهم ، أخذ لسانهم وتكلم به ، فصار عربياً . أما النزارية ، فكانت تنفي ذلك نفياً قاطعاً ، وترده رداً شديداً ، وتقول لو كان الحال كما تزعمون : (لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة . وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولده يعرب بخلاف لسانه . وليست مترلة يعرب عند الله أعلى من مترلة إسماعيل ، ولا مترلة قحطان أعلى من مترلة إبراهيم ، فأعطاه فضيلة اللسان العربي التي أعطاها يعرب بن قحطان)^٢. فنفوا النزارية العربية عن قحطان أيضاً وصبروه كإسماعيل سرياني اللسان .

وقد عقب (المسعودي) على هذا النزاع النزاري القحطاني بقوله : « ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا في النزاع والتفاخر بالأنبياء والملوك وغير ذلك مما قد أثبتنا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف »^٣. ونجد جملاً كثيرة من هذا النوع مبثوثة في كتابيه : مروج الذهب ، والتنبيه والإشراف ، تتحدث عن ذلك النزاع المرّ المؤسف الذي وقع بين العرب في تلك الأيام .

ولعل هذه العصبية الجاهلية ، هي التي حملت جماعة من المتكلمين منهم (ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الأشرس) و (عمرو بن بحر الجاحظ) على الرغم أن (النبط) خير من العرب ، لأن الرسول منهم ، ففضلوهم بذلك على العدنانيين والقحطانيين . وهو قول رد العدنانيين والقحطانيون عليه^٤ . قال به

- ١ مروج الذهب (٢٧٩) .
- ٢ مروج الذهب (٢٧٧/١) .
- ٣ مروج الذهب (٢٧٧/١) .
- ٤ مروج الذهب (٢٦٦/١) فما بعدها .

المتكلمون متأثرين بآراء أهل الكتاب في أنساب أبناء إسماعيل وبآرائهم الاعتزالية التي تكره التعصب في مثل هذه الأمور . وقد ذكر (المسعودي) شيئاً من الرد الذي وضعه القحطانيون والعدنانيون ضد هؤلاء .

العرب العاربة والعرب المستعربة :

أما مصطلح (العرب العاربة) و (العرب المستعربة) ، فهما على ما يتبين من روايات علماء اللغة والأخبار من المصطلحات القديمة التي تعود الى الجاهلية ، ولكننا لو درسنا تلك الروايات خرجنا منها ، ونحن على يقين بأن الجاهليين لم يطلقوها بالمعنى الذي ذهب اليه الإسلاميون ، بل قصدوا بهما القبائل البعيدة عن أرض الحضارة ، والقبائل القريبة منها ، فقد عرفت القبائل النازلة ببلاد الشام والساکنة في أطراف الإمبراطورية البيزنطية بـ (المستعربة) . و (المستعربة) مصطلح أطلق على هذه القبائل وعلى القبائل النازلة في سيف العراق من حدود نهر الفرات الى بادية الشام ، فهو يشمل إذن القبائل النازلة على طرفي الهلال الخصيب وفي طرفي القوس الذي يحيط بحدود الإمبراطوريتين . ومن المستعربة غسان وإياد وتنوخ^١ . وقد فضلت غالبية هذه المستعربة السكنى في أطراف المدن في مواضع قريبة من البوادي والصحاري ، عرفت عندهم بـ (الحاضر) ، فكان في أكثر مدن بلاد الشام حاضر يقيم به العرب من تنوخ ومن غير تنوخ^٢ .

وقد وجدت في تأريخ الطبري خبراً زعم انه جرى بين (خالد بن الوليد) وبين (عدي بن عدي بن زيد العبادي) ، يفهم منه أن العرب : عرب عاربة وأخرى متعربة . وقد جرى بينهما على هذا النحو : (قال خالد : ويحكم ما أنتم ؟ أعرب ؟ فما تنعمون من العرب ؟ أو عجم ، فما تنعمون من الانصاف والعدل ؟ فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة . فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي : لبدلك على ما نقول انه ليس لنا لسان الا بالعربية^٣) . يفهم من هذا الحديث ان العرب : عرب عاربة وعرب متعربة . وهم أناس تعربوا فصاروا عرباً . وهو كلام معقول

١ البلاذري (١٧١) .

٢ البلاذري (١٨٠) ، و (الحاضر : الحي العظيم او القوم ... حاضري) ، تاج

الفرس (١٤٨/٣) .

٣ الطبري (٣٦١/٣) .

مقبول ، ولا سيما بالنسبة الى الحيرة والعراق وبلاد الشام ، حيث تعرب فيها كثير ممن لم يكن عربياً في الأصل فصاروا عرباً ، لسانهم لسان العرب . ولا يفهم من هذا الكلام بالطبع تقسيم العرب بالمعنى المفهوم عند أهل الأخبار والتأريخ ، أي عرب قحطانيون وعرب عدنانيون . وكل ما قصد به ان صح ان هذا الكلام هو كلام (خالد) وكلام (عدي) حقاً تعنيف وتأنيب لعدي بن عدي بن زيد على وقوفه هو وقومه وأهل الحيرة موقفاً معادياً للمسلمين ، وتأيدهم للفرس ولدفاعهم عنهم ، مع انهم عجم بعيدون عنهم . فكأنه قال لهم : لو كنتم عرباً فكيف تؤيدون عجماً علينا ونحن عرب ؟ و (عدي) من العرب ، وأبوه من تميم كما يقول النسابون . فهو ليس من العرب الأخرى المتعربة ، ولكن من العرب العاربة ، أي عرب بالأصالة ، كما أن خالداً نفسه من العرب العاربة ، لأنه عربي أصلاً وان كان عدنائياً . فلم يقصد بالعرب العاربة هنا العرب القحطانيين ، ولا بالعرب المتعربة العرب العدنانيين . فالعرب المتعربة اذن هم المتعربون من أهل الحيرة وغيرهم ، ممن كانوا من النبط وبني إدم أو غيرهم ثم دخلوا بين العرب ولحقوا بهم ، فصار لسانهم لساناً عربياً مثل العرب الآخرين وتعربوا بذلك .

ويلاحظ ان (غسان) قد أدخلت في (المستعربة) ، مع انها من العرب العاربة ، أي من العرب القحطانيين في عرف النسابين . وفي ذلك دلالة على ان مدلول العرب العاربة والعرب المستعربة لم يكن في الجاهلية وفي صدر الإسلام بالمعنى الذي صار عليه عند علماء النسب وأهل الأخبار ، وان تخصيص العرب العاربة بالقبائل التي ترجع نفسها الى اليمن ، والعرب المستعربة بالقبائل التي يرجعون نسبها الى عدنان ، قد وقع من النسابين في أيام الأمويين فما بعد .

الفصل الثاني عشر

طبقات القبائل

ورتب علماء الأنساب قبائل العرب على مراتب ، هي : شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم فصيلة . فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، والقبيلة مثل ربيعة ومضر ، والعمارة مثل قريش وكنانة ، والبطن مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ، ومثل بني هاشم وبني أمية ، والفصيلة مثل بني أبي طالب وبني العباس^١ . وجعل (ابن الكلبي) مرتبة بين الفخذ والفصيلة ، هي مرتبة العشيرة ، وهي رهط الرجل^٢ . وبني (النويري) طبقات القبائل على عشر طبقات هي : الجذم ، والجاهير ، والشعوب ، والقبائل ، والعمائر ، والبطون ، والأفخاذ ، والعشائر ، والفصائل والأرهاط^٣ . ورتب (نشوان ابن سعيد الحميري) القبائل على هذا النحو : الشعب ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الجليل ، ثم الفصيلة . وجعل مضر مثال الشعب ، وكنانة مثال القبيلة ، وقريشاً مثال العمارة ، وفهراً مثال البطن ، وقُصَيّاً مثال الفخذ ، وهاشماً للجيل ، وآل العباس للفصيلة^٤ .

-
- ١ بلوغ الأرب (١٨٧/٣) فما بعدها ، اللسان (٥٧/١٤) ، (البطن دون القبيلة ، وقيل هو دون الفخذ وفوق العمارة) ، اللسان (١٩٩/١٦) ، الأكليل (٢٢/١) .
 - ٢ المقد الفريد (٢٨٣/٣) فما بعدها .
 - ٣ نهاية الأرب (٢٦٢/٢) فما بعدها .
 - ٤ منتخبات (ص ٥٥) .

وأكثر علماء النسب يقدمون الشعب على القبيلة ، والظاهر ان هذه الفكرة كانت قد اختمرت في رؤوس الجاهليين الذين عاشوا في الجاهلية القريبة من الإسلام حيث ظهرت عندهم الفكرة القومية بمعنى واسع ، وحيث نجد عندهم ظهور الكلمات التي تشير الى هذا المعنى ، مثل اطلاقهم العرب على العرب جميعاً اصطلاحاً ، وحيث أخذ الحس القومي يظهر بين القبائل بوجوب التكتل لمكافحة الغريباء ، كالذي حدث في معارك اليمن مع الحبش ، وفي معارك عرب العراق مع الفرس . وقد قدّم القرآن الكريم الشعوب على القبائل « وجعلناكم شعوباً وقبائل ، ليتعارفوا »^١ . فالشعوب هنا فوق القبائل وتعبّر عن هذا المعنى الواسع الذي أتحدث عنه .

وزاد بعض العلماء الجذم ، بأن وضعوها قبل الشعب ، ووضعوا الفصيلة بعد العشيرة ، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ، ثم العترة . ورتبها آخرون على هذه الصورة : الجذم ، ثم الجمهور ، ثم الشعب ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم العشيرة ، ثم الفصيلة ، ثم الرهط ، ثم الأسرة ، ثم العترة ، ثم الدرية . وزاد غيرهم في أثنائها ثلاثة ، هي : البيت ، والحلي ، والجماع .

والاختلاف الذي نراه من علماء النسب ، هو في الترتيب ، أي من حيث التقديم والتأخير ، وفي اضافة بعض المصطلحات أو في نقصها . أما من حيث العموم ، فإننا نجد أنهم يتفقون في الغالب ، ولا يختلفون أبداً في أن القبائل والأنساب كانت على منازل ودرجات . ولا بد أن تكون أكثر هذه المصطلحات مصطلحات أهل الجاهلية القرييين من الإسلام . أما بالنسبة الى الجاهليين البعيدين عنه ، فإن يكون حكمنا عليهم علمياً إلا إذا أخذنا مصطلحاتهم من كتاباتهم . ولم نتمكن ويا للأسف من الحصول على مادة منها تفيدنا في هذا الباب . فليس لنا إلا الصبر والانتظار .

والقبيلة : الجماعة تنتمي الى نسب واحد^٢ ، ويرجع ذلك النسب الى جد أعلى ، أو الى جدة وهو في الأقل . ولا تزال اللفظة حية مستعملة يستعملها

١ الحجرات ، الرقم ٤٩ ، الآية ١٣ .

٢ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٤٠٠) .

العرب في كل مكان في المعنى الاصطلاحي المستعمل عند النسابين^١ .

والقبيلة هي المجتمع الأكبر بالنسبة الى أهل البادية ، فليس فوقها مجتمع عندهم . وهي في معنى (شعب) عندنا وفي مصطلحنا الحديث . وتتفرع من القبيلة فروع وأغصان ، هي دون القبيلة ، لأنها في منزلة الفروع من الشجرة : ثم اختلفوا في عدد الفروع المتفرعة من القبيلة ، فجعل بعضهم بعد القبيلة العِمارة ثم البطن ، ثم الفخذ ثم الفصيلة^٢ ، وجعل بعض آخر ما دون القبيلة : العِمارة ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، وزاد بعض آخر قبل الشعب الجِذم ، وبعد الفصيلة العشيرة . ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ، ثم العترة . ورتب بعض النسابين طبقات النسب على هذا النحو : جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عِمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم عشيرة ، ثم فصيلة ، ثم رهط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية . وزاد بعضهم في أثنائها ثلاثة ، وهي : البيت والحلي ، والجماع^٣ .

ويدل اختلاف النسابين في ضبط أسماء ما فوق القبيلة أو ما تحتها، واضطرابهم في الترتيب على أن هذا الترتيب لم يكن ترتيباً جاهلياً أجمع الجاهليون عليه ، وإلا لما تباينوا هذا التباين فيه ، ولما اختلفوا هذا الاختلاف في سرده ، إنما هو ترتيب اجتهادي أخذته العلماء من أفواه الرواة ومن الأوضاع القبلية التي كانت سائدة في أيامهم ومن اجتهادهم أنفسهم ، فرتبوها على وفق ذلك الاجتهاد .

وأكثر هذه المصطلحات لم ترد لا في الكتابات الجاهلية ولا في الشعر المنسوب الى الجاهلين ، لذلك يصعب على الانسان أن يييدي رأياً علمياً مقبولاً فيها ، وأعتقد أن خير ما يمكن فعله في هذا الباب هو استنطاق الكتابات الجاهلية وتقليتها وتقليتها الشعر الجاهلي للبحث عما فيه من مصطلحات تتعلق بالنظم القبلية ، وعندئذ نتمكن من تكوين رأي قريب من الصواب والصحة في هذا الموضوع .

ومن أجل ذلك قال (روبرتسن سمث) ان البطن والحلي هما أساس أقدم أشكال المجتمعات السياسية عند الساميين .

Naval, P. 403. ١

٢ بلوغ العرب (١٨٨/٣) .

٣ بلوغ العرب (١٨٨/٣) .

كما استدل من أسماء بعض القبائل التي تحمل أسماء بعض الحيوانات ، مثل : بني أسد ، وبني كلب ، وبني بدن ، وبني ثعلب ، وبني ثور ، وبني بكر ، وبني ضب ، وبني غراب ، وبني فهد ، وما شاكل ذلك من أسماء جماعة من القبائل ، وبعضها عمائر ، وبعضها بطون أو فصائل على وجود (الطوطمية) عند العرب ، وعلى أن هذه الأسماء هي من ذكريات (الطوطمية) القديمة .

وقد تأثر بنظريته هذه جماعة من العلماء . وعدّ بعض العلماء نظرية (الطوطمية) مفتاحاً يوصل الى حل كثير من المسائل الغامضة من تأريخ البشرية القديم .

هذا وقد رجع (ابن حزم) جميع قبائل العرب الى أب واحد ، سوى ثلاث قبائل ، هي : تنوخ ، والعنق ، وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون . وقد نص غيره من أهل النسب على أن تنوخاً اسم لعشر قبائل ، اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فسموا تنوخاً . وذكر بعض آخر ان غسان عدة بطون من الأزد ، نزلت على ماء يسمى غسان ، فسميت به . فترى من هنا ان تنوخاً والأزد حلف في الأصل ، وقد صار مع ذلك نسباً عند كثير من أهل الأخبار في الدفاع عنه . ولما كانت هذه النزعة الفردية هي هدف سياسة سادة القبائل ، أصبحت من أهم العوائق في تكوين الحكومات المدنية الكبيرة في جزيرة العرب ، ومن أبرز مظاهر الحياة السياسية قبل الإسلام .

وينطبق ما قلته عن تنظيم القبيلة وبناء الأنساب عليه على أهل الحضر أيضاً . فالحضر ، ولا سيما حضر الحجاز ، وان استقروا وأقاموا غير أنهم لم يتمكنوا من ترك النظم البدوية الاجتماعية القائمة على مراعاة قواعد النسب وفقاً للتقسيمات المذكورة . وهي تقسيمات أوجدتها طبيعة الحياة في البادية ، تلك الحياة الشحيحة التي لا تتحمل طاقاتها تقديم ما يحتاج اليه مجتمع كبير مستقر من مأكّل وماء ، ولذلك اضطرت المجتمعات الكبرى ، وهي القبائل ، على التشتت والانقسام والانتشار كتلاً تختلف درجات حجمها حسب طبيعة الأرض التي نزلت بها ، من حيث الكرم والبخل . ولما استقر بعض هؤلاء البدو وتحضروا في أماكن ثابتة مثل مكة ويثرب والطائف ، حافظوا على نظمهم الاجتماعية المذكورة الموروثة من حياة البادية ، وعاشوا في مدرهم أحياءً وشعباً عيشة قائمة على أساس الروابط الدموية والنسب ، كما سأحدث عن ذلك في الحياة الاجتماعية .

والنسب عند العرب ، هو نسب يقوم لإذن على الطبقات المذكورة ، كما أن

الطبقات المذكورة قائمة على دعوى النسب ، فبين النسب وبناء المجتمع ، صلة وارتباط ، ولا يمكن فك أحدهما عن الآخر . ولهذا نجد شجرات الأنساب تتفرع وتورق وتزهر على هذا الأساس .

وأنا لا أستثني المجتمع العربي في الجنوب ، الذي تغلب عليه حياة الاستقرار والسكن والاستيطان من هذا التنظيم . فنحن وإن لم نتمكن حتى الآن من الحصول على كتابات كافية تقدم لنا صورة واضحة عن الأنساب وعن تنظيمات المجتمع عند المعينين والسبثيين وغيرهم من العرب الجنوبيين ، غير أن في بعض الكتابات التي وصلت إلينا إشارات تفيد وجود هذا التنظيم عند العرب الجنوبيين ..

والعرب الجنوبيون وإن غلبت عليهم حياة السكن والاستقرار ، غير أن زمانهم لم يتمكن من تحرير نفسه من قيود الحياة القبلية ، ولم يكن من الممكن بالنسبة لهم الابتعاد عن الاحتماء بالعصبة القبلية وبعرف القبيلة ، فالطبيعة اذ ذاك طبيعة حتمت على الناس التمسك بتلك النظم لحماية أنفسهم وللدفاع عن أموالهم حيث لا حق يحمي المرء غير حق العصبة القائم على أساس النسب والدم .

ويعبر عن القبيلة بلفظة (شعيم) و (شعبن) في العربيات الجنوبية . أي (قبيلة) و (القبيلة)^١ . أما لفظ (القبيلة) فلم أعثر على وجود لها في كتابات المسند . فلعلها من الألفاظ الخاصة بأهل الحجاز ونجد . وأما ما دون (الشعب) ، أي القبيلة في اصطلاحنا ، فلم أقف على مسمياتها بالنحو الذي يذكره أهل الأنساب . وإنما نجد العرب الجنوبيين يقسمون القبيلة الى أقسام ، مثل (ربعن) أي (ربع) و (ثلثن) أي ثلث . ويريدون بذلك ، ربع قبيلة وثلث قبيلة . وربما كانوا يقسمونها الى أقسام أخرى ، لم تصل أسماؤها إلينا ، ولعل الأيام ستزودنا بما كان العرب الجنوبيون يستعملونه من مصطلحات في النسب عندهم ، وذلك قبل الإسلام بزمان طويل ، وبالمصطلحات التي كانوا يطلقونها على فروع القبيلة في تلك الأوقات .

وبينما نجد أهل الأنساب ينسبون أهل الوبر وأهل المدر الى أجداد ، عاشوا

١ راجع النصوص : ٣٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ من كتاب «نشر نقوش سامية قديمة» لخليل يحيى تامي .

وماتوا ، نجد المعينين مثلاً^١ . يستعملون جملة . (أولدهوود)^٢ . أي (أولادود) ، و (ود) هو إله شعب معبر الأكبر . كما نجد السيثيين يطلقون على أنفسهم (ولد الله)^٣ ، أي أولاد الإله (الله) . والله كما سنرى فيما بعد ، هو إله سبأ الأول . ونجد القتيانيين يدعون أنفسهم (ولد عم) ، أي أولاد عم^٤ . ومعنى هذا ، ان كل قبيلة من القبائل المذكورة ، نسبت نفسها إلى إلهها الخاص بها واحتمت به ، تماماً كما فعل العبرانيون وغيرهم ، إذ نسبوا أنفسهم إلى إله قومي اعتبروه إلههم الخاص بهم ، المدافع عنهم ، والذي يرزقهم وينقذهم . وقد يعدّ هذا نسباً . أما نسب على النحو الذي يقصده ويربده أهل الأخبار ، أي جد عاش ومات وله أولاد وحفدة ، فهذا لم يصل خبره إلينا في كتابات المسند ، بل في كل ما وصل إلينا من كتابات جاهلية حتى الآن .

الأنساب :

وأقرب تفسير إلى أنساب العرب في نظري هو ان النسب ، ليس بالشكل المفهوم المعروف من الكلمة ، وإنما هو كناية عن (حلف) يجمع قبائل توحدت مصالحها ، واشتركت منافعها ، فانفقت على عقد حلف فيما بينها ، فانضم بعضها إلى بعض ، واحتوى الضعيف منها بالقوي ، وتولدت من المجموع قوة ووحدة ، وبذلك حافظت تلك القبائل المتحالفة على مصالحها وحقوقها . قال البكري : « فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس في الماء والكلاء ، والتماهم المعاش في المتسع ، وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش ، واستضاف القوي الضعيف ، انضم الدليل منهم إلى العزيز ، وحالف القليل منهم الكثير ، وتباين القوم في ديارهم ومخالتهم ، وانتشر كل قوم فيما يليهم » .

لقد حلت الضرورات قبائل جزيرة العرب على تكوين الأحلاف ، للمحافظة على الأمن وللدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول . وإذا دام الحلف

1 Ehling 57, Jaussen et Savignac,

Mission, I, P. 255, Die Altarabische Kultur, I, S. 217.

2 Glaser 1000 A.

3 Glaser 1800, Die Altarabische Kultur, I, S. 217.

أمدأ ، وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة ، فإن هذه الرابطة تنتهي الى نسب ، حيث يشعر أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد ، وقد يحدث ما يفسد هذه الرابطة ، أو ما يدعو الى انفصال بعض قبائل الحلف ، فتتظم القبائل المنفصلة الى أحلاف أخرى، وهكذا نجد في جزيرة العرب أحلافاً تتكون ، وأحلافاً قديمة تنحل أو تضعف .

لم يكن في مقدور العشائر أو القبائل الصغيرة المحافظة على نفسها من غير حليف قوي ، يشد أزرها اذا هاجمتها قبيلة أخرى ، أو أرادت الأخذ بالثأر منها . لقد كانت معظم القبائل داخلة في هذه الأحلاف ، الا عدداً قليلاً من القبائل القوية الكثيرة العدد ، يذكر أهل الأخبار أنها كانت تتفاخر لذلك بأنفسها، لأنها لا تعتمد على حليف يدافع عنها ، بل كانت تأخذ بثأرها وتنال حقها بالسيف . ويشترك المتحالفون في الغالب في المواطن ، وقد تنزل القبائل على حلفائها ، وتكون الهيمنة بالطبع في هذه للقبائل الكبيرة .

وقد عرفت مثل هذه الأحلاف عند سائر الشعوب السامية كالعبرانيين مثلاً، وطالما انتهت كما انتهت عند العرب الى نسب ، حيث يشعر المتحالفون أنهم من أسرة واحدة يجمع بينهم نسب واحد . ويقال للحلف أيضاً (تحالف) ، وعند اليونان (تكلع) .

ويرى (كولدترهبر) انه لفهم الأنساب عند العرب ، لا بد من معرفة الأحلاف والتحالف فإنها أساس تكون أنساب القبائل ، فإن هذه الأحلاف التي تجمع شمل عدد من البطون والعشائر والقبائل هي التي تكون القبائل والأنساب ، كما ان تفكك الأحلاف وانحلالها يسبب تفكك الأنساب وتكوين أنساب جديدة ويرى أيضاً أن الدوافع التي تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشئة عن حس داخلي بوجود قرابة وصلة رحم بين المتحالفين وشعور بوعي قومي ، بل كانت ناشئة عن المصالح الخاصة التي تهتم العشيرة كالحماية والأخذ بالثأر وتأمين المعيشة. ولذا نجد الضعيف منها يفتش عن حليف قوي، فانضمت (كعب) مثلاً الى (بني مازن) وهم أقوى من (كعب) ، وانضمت (خزاعة) الى (بني مدلج) ، كما تحالفت (بنو عامر) مع (اياد) وأمثلة أخرى عديدة . ولما كانت المصالح الخاصة هي العامل الفعال في تأليف الأحلاف ، كان أمد الحلف يتوقف في الغالب على دوام تلك المصالح . وقد تعقد الأحلاف لتنفيذ شروط اتفق عليها ، فتي نفذت

أو تلكاً أحد الطرفين في التنفيذ انحل الحلف . وتعد هذه الناحية من النواحي الضعيفة في التأريخ العربي ، فإن تفكير القبائل لم يكن يتجاوز عند عقدهم هذه الأحلاف مصالح العشائر أو القبائل الخاصة ، لذلك نجد أنها تتألف للمسائل المحلية التي تخص القبائل ، ولم تكن موجهة للدفاع عن جزيرة العرب ولمقاولة أعداء العرب . ولا يمكن أن نطلب من نظام يقوم على العصبية القبلية أن يفعل غير ذلك . فإن وطن القبيلة ضيق بضيق الأرض التي تنزل فيها ، فإذا ارتحلت عنها ونزلت في أرض جديدة ، كانت الأرض الجديدة المواطن الجديد الذي تبالغ القبيلة في الدفاع عنه . ولما كانت هذه النزعة الفردية هي هدف سياسة سادة القبائل ، أصبحت من أهم العوائق في تكوين الحكومات المدنية الكبيرة في جزيرة العرب ، ومن أبرز مظاهر الحياة السياسية قبل الإسلام .

خذ اختلاف النسابين في نسب بعض القبائل وتشككهم فيه ، فإنه في الواقع دليل قوي يؤيد هذا الرأي ، فقد اختلف في نسب (أنمار) مثلاً . فمنهم من عدّها من ولد (نزار) ، ومنهم من أضافها إلى اليمن . والذين يضيفونها إلى (نزار) يقولون أن أنماراً من نزار ، وأنمار هو شقيق ربيعة ومضر وإياد ، فهو أحد أبناء نزار . دخل نسله في اليمن ، فأضيفوا إليه ، ومن هنا حدث هذا الاختلاف . أما البائية ، فانهم يرون أن أنماراً هو منهم ، وقد كان أحد ولد (سبأ) العشرة . فهو عندهم شقيق لحم وجدام وعاملة وغسان وحير والأزد ومذحج وكنانة والأشعرين ويرون أن بجيلة ، وخنعماء من أنمار . ويستدلون على ذلك بحديث ينسبونه إلى الرسول .

وأما الذين يرجعون نسبه إلى (نزار) فيستدلون على نسبه هذا بحديث ينسبونه إلى الرسول أيضاً . وفي الجملة لا يهمننا هنا موضوع نسب (أنمار) أكان في اليمن أم كان في نزار ، وإنما الذي يهمننا أن الأحلاف تؤثر تأثيراً كبيراً في نشوء النسب ، فلولا دخول أنمار في اليمن ونزولها بين قبائل يمانية ، لما دخل نسبها في اليمن . ولولا دخول أنمار في قبائل عدنانية وتحالفها معها لما عدّها النسابون من نزار ، ولما عدّوا أنماراً ابناً من أبناء نزار الأربعة . فاختلاط (أنمار) في اليمن وفي نزار وتردها بين الجماعتين هو الذي أوقع النسابين في مشكلة نسبها . وطالما دفعت الحروب القبائل المغلوبة على الخضوع لسيادة القبائل الغالبة وقد تتحالف معها وتدخل في جوارها ، وإذا دام ذلك طويلاً ، فقد يتحول الحلف والجوار إلى

نسب. ثم إن تقاتل القبائل بعضها مع بعض يؤدي أحياناً الى ارتحال بعض هذه القبائل المتقاتلة الى مواطن جديدة فتتوزل بين قبائل أخرى ، وتعتقد معها حلفاً وتجاورها ومتى طال ذلك صار نسباً ، كالذي ذكره أهل الأنساب من نزوح قبائل عدنانية الى اليمن بسبب تقاتلها بعضها مع بعض ، مما أدى الى دخول نسبها في اليمن ، وكالذي ذكره أيضاً من نزوح قبائل يمانية نحو الشمال واختلاطها بقبائل عدنانية مما أدى الى دخول نسبها في نسب تلك القبائل .

وتجسد في كتب الأنساب والأخبار أمثلة كثيرة على اختلاط أنساب قبائل معروفة في عدنان وفي قحطان ، كما رأيت فعل السياسة في تكييف النسب في مصدر الاسلام وفي عهد الدولة الأموية وتنظيمه ، كما رأيت كيف أن بعض النسابين ينسبون قبيلة الى أب قحطاني على حين ينسبها بعض آخر الى أب عدناني ، وكيف أن نسابي القبيلة كانوا يرون رأياً آخر . وقد رأيت كيف أن بعضهم رجع نسب ثقيف الى (ثمود) بغضاً للحجاج الذي كان من ثقيف ، ورأيت أيضاً اختلاف النسابين فيما بينهم في رسم شجرات الأنساب .

لقد وقع هذا الاختلاف لعوامل عديدة سياسية وجغرافية وعاطفية ، لا يدخل البحث فيها في هذا المكان .

هذا وقد رجع (ابن حزم) جميع قبائل العرب الى أب واحد ، سوى ثلاث قبائل ، هي : تنوخ ، والعتق ، وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجمعة من عدة بطون . وقد نص غيره من أهل النسب على ان تنوخاً اسم لعشر قبائل ، اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فسموا تنوخاً . وذكر بعض آخر ان غسان عدة بطون من الأزدي ، نزلت على ماء يسمى غسان ، فسميت به . فترى من هنا ان تنوخاً والأزد حلف في الأصل ، وقد صار مع ذلك نسباً عند كثير من أهل الأخبار .

وبين أجداد القبائل والأسر الذين يذكروهم أهل الأنساب ، أجداد كانوا أجداداً حقاً ، عاشوا وماتوا . وقد برزوا بغزواتهم وبقوة شخصياتهم ، وكونوا لقبائلهم وللقبائل المتحالفة معها أو التابعة لها مكانة بارزة ، جعلتها تفتخر بانسابها اليهم ، حتى خلد ذلك الفخر على هيئة نسب . ونجد في كتب الأنساب أمثلة عديدة لهؤلاء .

(الطوطمية) ودور الأمومة عند العرب :

وقد لاحظ العلماء المحدثون ان بين أسماء القبائل ، أسماء هي أسماء حيوان أو نبات أو جباد أو أجرام فلكية . كما لاحظوا ان بين المصطلحات الواردة في النسب مصطلحات لها علاقة بالجسم وبالدم . وقد وجدوا ان بين هذه التسميات والمصطلحات وبين البحوث التي قاموا بها في موضوع دراسة المجتمعات البدائية صلة وعلاقة . وان للتسميات المذكورة صلة وثيقة بـ (الطوطمية) ، كما ان للمصطلحات صلة بما يسمى بـ (دور الأمومة) أو (زواج الأمومة) عند علماء الاجتماع .

والطوطمية نظرية وضعها (ماك لينان) (مكلينان) المتوفى سنة ١٨٨١م ، خلاصتها :

- ١ - ان الطوطمية دور مرّ على القبائل البدائية ، وهي لا تزال بين أكثر الشعوب اغراقاً في البدائية والعزلة .
- ٢ - ان قوامها اتخاذ القبيلة حيواناً أو نباتاً، كوكباً أو نجماً أو شيئاً آخر من الكائنات المحسوسة أباً لها تعتقد انها متسلسلة منه وتسمى باسمه .
- ٣ - تعتقد تلك القبائل ان طوطمها يحميها ويدافع عنها ، أو هو على الأقل لا يؤذيها وان كان الأذى طبعه .
- ٤ - لذلك تقدس القبيلة طوطمها وتتقرب اليه وقد تتعبد له .
- ٥ - الزواج ممنوع بين أهل الطوطم الواحد ، ويذهبون إلى الزواج من قبائل غريبة عن قبيلة الطوطم المذكور . وهو ما يعبر عنه بـ (Exogamy) في اللغة الانكليزية . اذ يعتقدون ان التزاوج من بين أفراد القبيلة الواحدة ذو ضرر بالغ ، ومهلك للقبيلة ، لذلك يتزوج رجال القبيلة نساءً من قبيلة أخرى غريبة ، لا ترتبط بطوطم هذه القبيلة، والمخالف لهذه القاعدة ، أي الذي يتزوج امرأة من قبيلته يعرض نفسه للعقوبات قد تصل الى الحكم عليه بالموت .
- ٦ - الأبوة غير معروفة عند أهل الطوطم، ومرجع النسب عندهم إلى الأم .
- ٧ - لا عبرة عندهم إلى العائلة ، والقرباوة هي قرابة الطوطم ، فأهل الطوطم الواحد اخوة واخوات يجمعهم دم واحد^١ .

١ من كتاب جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي (٢٤٤/٣ وما بعدها)

والطوطمية (Totemism) ، لفظة أُخذت من كلمة (Ototemom) ، وهي من كلمات قبيلة (Ojibwa) من قبائل هنود أمريكا^١ . اشتق منها (لأنك) (J. Lang) كلمة (توتيم) (Totem) ، ومنها أخذ اصطلاح (طوطمية) (توتيميسم) (Totemism)^٢ الذي يعني اعتقاد جماعة بوجود صلة لهم بحيوان أو حيوانات تكون في نظرها مقدسة ، ولذلك لا يجوز صيدها أو ذبحها أو قتلها أو أكلها أو إلحاق أذى بها^٣ . وتشمل الطوطمية النباتات كذلك ، فلا يجوز لأفراد الجماعة التي تقدسها قطعها أو إلحاق الأذى بها . وقد يتوسع بها فتشمل بعض مظاهر الطبيعة مثل المطر والنجوم والكواكب^٤ .

وهم يؤمنون بأن (الطوطم) لا يؤدي أتباعه . فلا يخافون منه ، حتى وإن كان من الحيوانات المؤذية ، التي تلحق الأذى بالإنسان ، كالحية أو العقرب أو الذئب . وهم يعتقدون أيضاً أنه يدفع عنهم ، وأنه ينذر أتباعه إن أحس بقرب وقوع خطر على أتباعه ، وذلك بعلامات وإشارات على نحو ما يقال له الزجر والطيرة والفأل .

وهم يتقربون الى طوطمهم ، محاولة منهم في كسب رضاه ، فيقلدونه في شكله ومظهره ، وقد يلبسوا جلده أو جزءاً من جلده ، أو يعلقون جزءاً منه في أعناقهم أو أذرعهم على نحو من التعاويذ . لأنه يحميمهم بذلك ويمنع عنهم كل سوء . كما يحتفلون به وبالمناسبات مثل مناسبات الولادة أو الزواج أو الوفاة بنقش رمز الطوطم على ظهر المولود ، أو دهن الجسم بدهن مقدس من دهان ذلك الطوطم الى آخر ما هنالك من أعراف وتقاليد^٥ .

ويؤلف المعتقدون بالطوطم جماعة تشعر بوجود روابط دموية بين أفرادها ، أي بوجود صلة رحم بينها . والرابط بينها هو ذلك الطوطم الذي تنتمي الجماعة اليه وتلتف حوله ، ليكون حامياً والمدافع عنها في الملمات . ومن أصحاب هذا المذهب من لا يذكر اسم الطوطم ، بل يُكنى عنه . ويجوز أن يكون ذلك خوفاً

١ Enc. Rel. Vol. 9, P. 454, Peter Jones, History of the Ojibwa Indians, London, 1961, Enc. Rel. Vol. 12, P. 393.

٢ Voyages and Travels of an Indian Interpreter and Trader, London, 1791.

٣ Lang, Voyages, P. 87, Wesleyen, Journals of Two Expeditions of Discovery in N.W. and W. Australia, London, 1841, 11, 225, f. 391.

٤ Enc. Rel. Vol. 12, P. 394.

٥ التمدن الاسلامي (٢/٢٤٢ وما بعدها) .

منه ، أو احتراماً له . وقد يرسم له شعار تحمله الجماعة وأفرادها . ولها قوانين وآراء في موضوع الزواج الذي تترتب عليه قضية القرابة وصلات الرحم^١ .

والعلماء نظريات وآراء في الطوطمية . وهي منصبّة على دراسة الناحية الاجتماعية منها ، من حيث كون « الطوطمية » نظاماً اجتماعياً يقوم على أساس مجتمع صغير مبني على العشيرة أو القبيلة . أما الدراسات الدينية للطوطمية ، فهي بعد هذه الدراسة من حيث التوسع والتبسط في الموضوع . وأكثر هذه الدراسات أيضاً عن قبائل هنود أمريكا الشمالية وعن قبائل أستراليا ثم افريقية . أما أثر الطوطمية عند الشعوب القديمة مثل اليونان والشعوب السامية فلأن بحوث العلماء في المراحل الأولى من البحث ، وهي مستمدة بالطبع من الاشارات الواردة في الكتابات أو المؤلفات أو من دراسات الأسماء .

ومن أشهر أصحاب النظريات في موضوع الطوطمية (تيلر) (Sir E. B. Tylor)^٢ و (سير جيمس فريزر) (Sir J. G. Frazer) ، وهذا الأخير يرفض نظرية الداهين الى أن الطوطمية في شكلها الأول هي ديانة ؛ لأن الطوطم لا يعبد كما يقول على صورة صنم^٣ .

ومن أسماء الحيوانات التي تسمت بها البطون والعشائر : كلب ، وذئب ، ودب ، وسلحفاة ، ونسر ، وثعلب ، وهر ، وبطة ، وثور ، وغير ذلك من أسماء حيوانات تختلف بحسب اختلاف المحيط الذي تكون فيه عبدة الطواطم . يضاف الى ذلك أسماء أشجار ونباتات أخرى وطائفة من أسماء الأسماك . وقد ذكر (بيتر جونز) (Peter Jones) أربعين بطناً من بطون قبيلة الـ (Ajibwa) لها أسماء حيوانات^٤ .

وقد لاحظ (روبرتسن سميث) (Robertson Smith) ان في أسماء القبائل عند العرب أسماء كثيرة هي أسماء حيوان أو نبات أو جسد . فأتخذ من هذه الأسماء دليلاً على وجود (الطوطمية) عند العرب ، وعلى أثرها في الجاهليين .

١ Enc. Reli. Vol. 12, P. 394, J. Lubach, Origin of Civilization, 1905, A. Lang, The Secret of the Tote. 1905, Frazer, Totemism and exogamy, 4. Vols. 1910, Freud, Totem and Tabu, 5. ed. 1934.

٢ Taylor, Primitive Culture, Vol. I, P. 402.

٣ Bowman, P. 98. f.

٤ Enc. Religi. Vol. 12, P. 394.

فأسماء مثل : بني كلب ، وبني كليب ، والنمر ، والذئب ، والفهد ، والضبع ،
والدب ، والوبرة ، والسيد ، والسرطان ، وبكر ، وبني بدن ، وبني أسد ،
وبني يهثة ، وبني ثور ، وبني جحش ، وبني ضبّة ، وبني جعل ، وبني
جمعة ، وبني الأرقم ، وبني دُسل ، وبني يربوع ، وقريش ، وعنزة ،
وبني حنش ، وبني غراب ، وبني فهد ، وبني عقاب ، وبني أوس ، وبني
حنظلة ، وبني عقرب ، وبني غم ، وبني عفرس ، وبني كوكب ، وبني قنفذ ،
وبني الثعلب ، والسيد ، وبني قنفذ ، وبني عجل ، وبني انعاقه ، وبني هوزن ،
وبني ضب ، وبني قراد ، وبني جراد ، وما شاكل ذلك من أسماء ، لا يمكن
في نظره الا أن تكون أثراً من آثار الطوطمية ، ودليلاً ثابتاً واضحاً على وجودها
عندهم في القديم^٢ .

وقد لاقى تطبيق روبرتسن سمث نظرية (الطوطمية) على العرب الجاهليين ،
ترحيباً عند بعض المستشرقين ، كما لاقى معارضة من بعضهم . وقد رد عليه
(جرجي زيدان) في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) ، وبين أسباب اعتراضه
على ذلك التطبيق^٣ .

دور الأمومة :

واتخذ (روبرتسن سمث) من تسمي بعض القبائل بأسماء مؤنثة مثل : (مدركة)
(وطابخة) و (خندف) و (ظاعنة) و (قبلة) و (جديلة) و (مُرّة)
و (عطية) ، وأمثالها ، دليلاً على وجود ما يسمى بـ (دور الأمومة) عند
العرب . وهو دور لم يكن للنساء فيه أزواج معينون ، لأن الزواج لم يكن فيه
بالمعنى المفهوم من الزوجية عندنا ، بل كان الرجل يجتمع بالمرأة ثم يتركها ،
ليجتمع بامرأة أخرى ، وهكذا تكون المرأة قد اتصلت بجملة رجال ، كما يكون
الرجل قد اتصل بجملة نساء . واذا كانت المرأة لم تكن تعرف زوجها الذي

١ الاكليل (١٨٢/١ وما بعدها) ، الاشتقاق (٩٠ ، ١٨٧) ، التمدن الاسلامي (٢٦٦/٣)
Kinship, P. 188.

٢ Robertson Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia. Religion of the Semites,
2nd. ed. London, 1894, P. 35.

٣ (٢٤٠ / ٣) وما بعدها .

تَنَجَّلَ مولودها ، ولا يعرف المولود والده نُسب إلى أمه وعرف بها . وبهذا التفسير ، فسر (روبرتسن سمث) ومن ذهب مذهبه من علماء علم الاجتماع ، وجود الأسماء المؤنثة عند العرب وعند العبرانيين وعند بقية الساميين^١ .

واتخذ (روبرتسن سمث) من وجود بعض الكلمات في تسلسل أنساب القبائل مثل : البطن والفخذ والصلب والظهر والدم و (رحم) ، دليلاً آخر على وجود (دور الأمومة) عند العرب ، لأن لهذه الألفاظ صلة بالجسم ، ولهذا كان إطلاقها عند قدماء العرب - على حد قوله - علاقة بجسم الأم . ولا سيما أنهم استعملوا لفظة (الحي) كذلك . ولهذا اللفظة علاقة بالحياة وبالدم . وإطلاق الألفاظ في نظره ورأيه على معان اجتماعية ، دليل على الصلة التي كانت للأم في المجتمع لذلك العهد^٢ .

وقد بحث (روبرتسن سمث) بحثاً مفصلاً في الحي ، إذ هو في نظره وحدة سياسية واجتماعية قائمة بذاتها^٣ . ويطلق على (الحي) لفظة (قوم) و (أهل) . وينظر أبناء الحي الواحد بعضهم إلى بعض نظرة قرابة ، فكأنهم من نسل واحد يربط بينهم دم واحد . وقد استدل (روبرتسن سمث) من معنى (الحي) على وجود معنى الحياة في الكلمة في الأصل ، كما هو الحال في اللغات السامية ، ورأى لذلك أنها تمثل رابطة قرابة وصلة رحم عند سائر العرب السامية . ويكون أعضاء الحي الأحرار (صرحاء) ، وفي العبرانية (أزراح) . أما الذين ينتمون إليه بالولاء ، فهم (الموالي) يستجيبون به أو بالقبائل أو الأفراد ، فيلقون حماية من يستجيبون بهم ، ويكون (الجار) في رعاية مجيره .

و (البطن) في نظر (روبرتسن سمث) هو أقدم أوضاع المجتمع السامي القديم ، ويقوم على أساس الاعتقاد بوجود القرابة والروابط الدموية . ويرى أن مفهومه عند قدماء الساميين كان يختلف اختلافاً بيناً عنه عند العرب المتأخرين ،

١ Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, Cambridge, 1885.

٢ Kinship, P. 37. ff. Smith, Religion of the Semites, London, 1894, P. 35.

٣ (الحي : الواحد من أحياء العرب ، والحي البطن من بطون العرب . ويقع على بني أب كثروا أم قلو) ، اللسان (٢٣٥/١٨) ، والعمارة : الحي العظيم يقوم بنفسه) ، المفضليات (ص ٤١٤) ، بلوغ العرب (١٨٩/٣) . (الحي) ديوان الطرماس (١١٤ ، ٩٥)

أو عند العبرانيين ، أو غيرهم . وقد فهم من اللفظة معنى المجموع الأكبر عند العرب ، أي معنى (شعب) أو (جذم) أو قبيلة ، ورأى أن هذا المعنى هو المعنى القديم للكلمة عند العرب^١ . أما المعاني التي يذكرها علماء اللغة والأدب والأخبار ، فهي في نظره معان متأخرة وضعت في الجاهلية القريبة من الإسلام ، ومن جملة هذه المعاني اختصاصها بالأماكن التي تقيم فيها القبيلة أو العشيرة ، وتتألف من جملة عدد من الدور .

وقد استدل (روبرتسن سمث) من لفظة (البطن) و (الفخذ) وأمثالهما على مرور العرب في دور الأمومة ، وعلى أن القبائل كانت قد أخذت أنسابها القديمة وأسمائها من الأمومة ومن (الطوطمية) . ورأى أن كلمة (البطن) في الأصل كانت تعني معنى آخر غير الذي يذهب إليه علماء الأنساب ، ودليله على ذلك استعمال (رحم) .

ول (روبرتسن سمث) بحوث في طرق الزواج عند قدماء العرب ، سأحدث عنها في موضوع الزواج والطلاق عند الجاهليين في القسم الخاص بالحياة الاجتماعية عند العرب وبالتشريع .

وقد أشار (نولدكه) Noeldeke الى أهمية تأنيث أسماء القبائل^٢ ، فانخذ القائلون بنظرية (الأمومة) من هذه الأسماء دليلاً على أهمية هذا العهد في التأريخ الجاهلي القديم .

وقد وافق (ويلكن) G.A. Wilken على بعض آراء (روبرتسن سمث) ، وخالفه في بعض الآراء^٣ .

ومن واضعي نظرية الأمومة العالم الألماني السويسري (باخ أوفن) (Johann Jakob Bachofen) (١٨١٥ - ١٨٨٧ م) ، وهو من علماء القانون ومن مؤسسي (علم القانون المقارن) ، وكان معروفاً بأبحاثه عن الأشياء الخفية

١ الهلال : الجزء الثامن من السنة الرابعة عشرة ، ايار ١٩٠٦ ، (ص ٤٧٨) ،

٢ Naeldeke, in ZDMG, Bd. XVII, S. 707.

٣ راجع كتاب : « الأمومة عند العرب » ، تأليف « ويلكن » ، ، تعريب بندلي صليبا الجوزي ، قازان ١٩٠٢ م ،

G. A. Wilken, Het Matriarchaat in de ande Arabieren, Oestr.

Monatschrift fur d. Orient, 1889.

التي تؤثر في حياة الانسان . وقد ذهب الى أن تأريخ العالم صراع بين الروح والمادة ، بين الذكر والأنثى ، وأن الحياة الأرضية مزيج من هذين الكفاحين . وقد لفت نظره الى الزواج باعتبار أنه ناحية من النواحي القانونية ، وتعرض لمباحث الزواج عند الانسان القديم ، ولفوضوية الزواج ، حيث كان الرجل يتناول المرأة بغير عقد ، كما تفعل الحيوانات ، ولاشراك عدد من الرجال في امرأة واحدة ، (Hetaische Gynaikokratie) ، فلا يعرف فيه النسل من أي أب هو ، ولهذا بقي في رعاية أمه ، فنسب اليها ، وهو زواج مرّ على جميع الشعوب . كما بحث عن الأديان البدائية وعلاقتها بأمثال هذا الزواج^١ .

ويجب أن نضيف الى تلك الفوضوية فوضوية أخرى ، هي فوضوية الغزو وتقاتل الانسان مع الانسان وإباحة المدن والقرى للجيوش الغازية المنتصرة، يعيش فيها وفي أهلها فساداً ، يؤدي الى انتهاك الحرمات واستباحة الأعراض وتوالد أطفال ليس في مقدور أمهاتهم معرفة آبائهم، فلا يبقى لهم من مجال إلا الانتساب إلى الأمهات .

ودور الأمومة عند أصحاب هذه النظرية ، هو أقدم أنواع الزواج . وأما (الأبوة) أي دور الزواج الذي عرف النسل فيه آباءهم فهو عندهم أحدث عهداً من الأمومة ، وقد زعموا أن هذين الدورين مرّاً على البشرية جمعاء ، وفيهم العرب . وفي دور الأمومة تكون القرابة فيه لصللة الرحم ، أي الى الأم ، فهو الرباط المقدس المتين الذي يربط بين الأفراد ويجمع شملهم ، وهو نسبهم الذي اليه ينتمون . ففي هذا الدور لا يمكن أن يعرف فيه الانتساب الى الأب ، لسبب عادي هو عدم امكان معرفة الأب فيه . ولهذا كان نسب النسل فيه حتماً للأم . وكان نسب الجماعات فيه أيضاً للأم . ومن هذه الجماعات القبائل . وهم يرون أن تسمي القبائل بأسماء رجال ، بأن يجعلهم أجداداً وآباءً ، هي تسميات محدثة ظهرت بعد ظهور دور الأبوة، وتطور الزواج من زواج القوضى أو زواج تعدد الرجال الى زواج حدد فيه على المرأة التزوج برجل واحد ليس غير ، يكون فيه بعلمها الذي تختص به . ومن هنا اندثرت الأسماء القديمة ، أي أسماء الإناث في الغالب ، وحلت محلها أسماء الذكور . وسيأتي الكلام على موضوع

Mutterrecht und Urreligion, von R. Mark, in KTA. Bd. 52, Der Mythos von Orient und Okzident, M. Schroeter, 1926, H. Schmidt, Philosophisches Woerterbuch, S. 61.

أشكال الزواج عند العرب في موضعه من هذا الكتاب .
هذا ، وقد بحث (جرجي زيدان) في نظرية (الأمومة) عند العرب وردت
عليها بتفصيل^١ .

أصول التسميات :

وقد ألف (ابن دريد الأزدي) كتاباً في اشتقاق الأسماء عند العرب ، سماه
(كتاب الاشتقاق) ، تحدث فيه عن أصول الأسماء واشتقاقها ، وذلك رداً على
من زعم أن العرب تسمي بما لا أصل له في لغتهم ، فذكر اشتقاق تلك الأسماء^٢ .
وقد قال في مقدمته له : « كان الأميون من العرب ... لهم مذاهب في أسماء
أبنائهم وعبيدهم وأتلاذهم . فاستشنع قوم إما جهلاً وإما تجاهلاً تسميتهم كلباً ،
وكليياً ، وأكلب ، وخنزيراً ، وقرداً ، وما أشبه ذلك مما لم يستقص ذكره :
فقطعوا من حيث لا يجب الطعن ، وعابوا من حيث لا يستنبط عيب .. وكان
الذي حدانا على انشاء هذا الكتاب ، أن قوماً ممن يطعن على اللسان العربي
وينسب أهله الى التسمية بما لا أصل له في لغتهم ، وإلى ادعاء ما لم يقع عليه
اصطلاح من أوليتهم وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ، ولم ينفذ علمهم في الفحص
عنها^٣ .. إلى أن قال : « واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائهم فنما
ما سموه تفاعلاً على أعدائهم نحو : غالب ، وغلاب ، وظالم ، وعارم ، ومنازل
ومقاتل ، ومعارك ، وثابت ونحو ذلك . وسموا في مثل هذا الباب مسهراً ،
ومؤرقاً ، ومصباحاً ، ومنبهاً ، وطارقاً . ومنها ما تفاعلوا به للابناء نحو :
نايل ، ووايل ، وناج ، ومدرك ، ودرآك ، وسالم ، وسلميم ، ومالك ،
وعامر ، وسعد ، وسعيد ، ومسعدة ، وأسعد ، وما أشبه ذلك . ومنها ما سمي
بالسباع ترهيباً لأعدائهم نحو : أسد ، وليث ، وفراس ، وذئب ، وسيد ،
وعملس ، وضرغام ، وما أشبه ذلك . ومنها سمي بما غلظ وخشن من الشجر
تفاعلاً أيضاً ، نحو : طلحة ، وسمرة ، وسلمة ، وقتادة ، وهراصة ، كل

١ تاريخ التمدن الاسلامي (٢٤٠/٣) وما بعدها .
٢ طبعة « وستنفلد » في « كوتنكن » (غوتنكن) سنة ١٨٥٤ م .
٣ الاشتقاق (ص ٣ وما بعدها) .

ذلك شجر له شوك وعضاة . ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطئه ، مثل : حجر ، وحجير ، وصخر ، وفهر ، وجندل ، وجرول ، وحزن ، وحزم . ومنها ان الرجل كان يخرج من منزله وامراته تمخض فيسمي ابنه بأول ما يلقاه من ذلك ، نحو : ثعلب ، وثعلبة ، وضب ، وضبة ، وخزز ، وضبيعة ، وكلب ، وكليب ، وحمار ، وقرد ، وخنزير ، وجحش ، وكذلك أيضاً يسمي بأول ما يسنح أو يبرح لها من الطير ، نحو : غراب ، وصرده ، وما أشبه ذلك .. خرج وابل بن قاسط وامراته تمخض ، وهو يريد أن يرى شيئاً يسمي به ، فإذا هو ببكر قد عرض له ، فرجع وقد ولدت له غلاماً ، فسماه بكراً ، ثم خرج خرجة أخرى وهي تمخض ، فرأى عتراً من الأطباء ، فرجع وقد ولدت غلاماً فسماه عتراً .. ثم خرج خرجة أخرى ، فإذا هو بشخيص قد ارتفع له ولم يتبينه نظراً ، فسماه الشخيص .. ثم خرج خرجة أخرى ، وهي تمخض ، فغلبه أن يرى شيئاً ، فسماه تغلب .. خرج تميم بن مرّة وامراته سلمى بنت كعب تمخض ، فإذا هو بواد قد انبثق عليه لم يشعر به ، فقال : الليل والسيل ، فرجع وقد ولدت غلاماً ، فقال : لأجعلنه لإلهي ، فسماه زيد مناة ، ثم خرج خرجة أخرى ، وهي تمخض ، فإذا هو بمكاء بغرد على عوسجة قد يبس نصفها وبقي نصفها ، فقال لئن كُنت قد أثريت وأسريت لقد أجددت وأكديت ، فولدت غلاماً فسماه الحرث ^١ ...

قيل لأبي الدقيش الاعرابي : « لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح ؟ » ، فقال : « إنما نسمي أبناءنا لأعداءنا وعبيدنا لأنفسنا » ^٢ . وتعرض الجاحظ لهذا الموضوع أيضاً ، فقال : « والعرب إنما كانت تسمي بكلب وحمار وحجر وجعل وحفظلة وقرد على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا ولد له ذكر ، خرج يتعرض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حمجر أو رأى حمجراً ، سمى ابنه به وتفاعل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر وأنه يحطم ما لقي ، وكذلك إذا سمع إنساناً يقول ذئب أو رأى ذئباً تأول فيه الفطنة والمكر والكسب ، وإن كان حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد ، وإن كان كلباً تأول فيه الحراسة واليقظة وبعد

١ الاشتقاق (ص ٣ وما بعدها) ، بلوغ الارب (١٩٣/٣) وما بعدها .

٢ الديري (٢٤٢/٢) .

الصوت والكسب^١ . ويظهر مما تقدم أن موضوع التسميات عند العرب كان من الموضوعات التي لفتت إليها الأنظار ، لما في كثير منها من غرابة وخروج على المألوف ، فانبرى بعض العلماء في شرح الأسباب التي أدت بالعرب الى اتخاذ تلك التسميات ، والى ذكر العلل التي دفعتهم عليها كالذي نراه في بحث (ابن دريد) في كتابه (الاشتقاق) ، حيث ذكر في مقدمته كل الأسباب التي رأها وتوصل اليها في بحثه عن هذا الموضوع ، الذي أثار جانباً منه (روبرتسن سمث) وغيره من المستشرقين .

كما سموا بعبد العزى وعبدود وعبد مناة وعبد اللات وعبد قسي ونحو ذلك ، مما فيه إضافة العبودية لأحد الأصنام .

والمعارف عليه في الإسلام ، هو ارجاع النسب الى الأب . أما الانتساب الى الأم ، فإنه قليل الوقوع . ولهذا يعد الرجل عربياً اذا كان والده عربياً ، لا يؤثر فيه نسب أمه إن كانت أعجمية . أما قبل الإسلام ، فإن النسب وإن كان تابعاً لنسب الأب ، إلا أنه قد يلحق الولد بالأم . وبالرغم من هذا العرف ، فلن العرب في الماضي وفي الحاضر يقيمون وزناً كبيراً لدم الأمهات ، بل قد تزيد أهميته عندهم على أهمية دم الأب . والمثل العراقي العامي (ثلثين الولد على الخال)^٢ ، خير تعبير عن وجهة نظرهم تلك ، فإنه يمثل نزعة عرق الخصال^٣ . وهي من النزعات التي أقام لها الجاهليون وزناً كبيراً عندهم .

أما وجهة نظر العلم الحديث ، فإن لدم الأبوين أثراً متساوياً في المولود . ولهذا فإن موضوع النسب الى الأب أو الأم ، موضوع لا يعالج عنده بالعرف والعادة ، بل يعالج وفق قواعد العلم المقررة لديه . وبناءً على ذلك يجب أن نقيم وزناً لموضوع التزاوج المختلط بين العرب والغرباء ، وقد كان معروفاً وشائعاً في الجاهلية أيضاً ، اذ تزوجوا من الرقيق ، ولاسيما الرقيق الأبيض ونسلوا منه ، كما سكن في جزيرة العرب آلاف من الغرباء قبل الإسلام واندجوا في أهلها . وتركوا أثراً في دماء أهلها ، يختلف باختلاف مقدار الاختلاط . ويتبين ذلك بوضوح في سحن سكان السواحل ، لأنهم أكثر عرضة للاختلاط من أبناء البواطن والنجاد .

١ التمدن الاسلامي (٢٦٩/٣) .

٢ اي : ثلثا الولد .

٣ ابن سعد ، الطبقات (٣ ، ق ١ ، ص ٣٣٥) .

ولا تختلف أسماء القبائل العربية في طبيعتها عن طبيعة أسماء القبائل عند الشعوب الأخرى ، ولا سيما قبائل الشعوب المسماة : الشعوب السامية . فهسي أسماء آباء وأجداد ترد غالباً في شكل أسماء ذكور ، وترد في الأقل في صورة أسماء نساء، وتعدّ عندئذ أسماء أمهات ، أي أمهات قبائل . وهي كما قلت قبل قليل ليست أسماء أعيان بالضرورة ، فبينها أسماء مواضع نسب سكانها إليها ، فصارت بمرور الزمن جدّاً ، وأباً ، أو أمّاً . وبينها أسماء آلهة وأصنام ، تعلق المؤمنون بها حتى نسبوا إليها ، وبينها أسماء طواطم . ونجد بين أسماء القبائل العربية أسماء ترد عند العبرانيين وعند غيرهم من الشعوب السامية أعلاماً لقبائل كذلك، وقد يكون من المفيد جداً دراسة هذه الأسماء ومقابلتها بعضها ببعض ، ودراسة أسماء القبائل العربية دراسة مستفيضة لمعرفة أصولها وتطورها ومراجعة الموارد الأعجمية والكتابات الجاهلية للعثور على تلك الأسماء فيها وتعيين زمن ظهور الاسم فيها لأول مرة .

الفصل الثالث عشر

تاريخ الجزيرة القديم

ليس من السهل بقاء العاديات ، التي تتألف من مواد منزلية وأدوات ضرورية لحياة الانسان ، مدة طويلة في أرضين مكشوفة سهلية ، وفي مناطق صحراوية لا حماية فيها لتلك الأشياء . وليس من السهل أيضاً احتفاظ مثل هذه التربة بحدث الإنسان وبعضهم الحيوان أمداً طويلاً . وهي معرضة لحرارة شديدة قاسية ولرياح عاصفة قاسية . ولهذا لا يطمع الباحثون في الحصول على كنوز غنية من المناطق السهلة المكشوفة التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية والتي تؤلف أكبر قسم من جزيرة العرب .

ومن هنا سيتجه أمل الباحثين عن الآثار الى الأودية التي تتوافر فيها الوسائل الكفيلة بنشوء المجتمعات على اختلاف أشكالها ، وإلى السهول التي تبتع النهرات والينابيع والآبار الحياة فيها ، وإلى الهضاب والجبال حيث توجد المياه وتنساقط الأمطار وتتوافر الكهوف والصخور، وهي من العوامل المساعدة على نشوء الحضارة وحفظ الآثار ، للاستفادة منها في الحصول على آثار تحدثنا عن تاريخ جزيرة العرب في آلاف السنين الماضية قبل الميلاد .

وليس في استطاعتنا في الزمن الحاضر التحدث عن جزيرة العرب في العصور الجليدية ، لعدم وجود بحوث علمية عن هذه العصور في هذه البلاد . كذلك لا نستطيع أن نتحدث عن بلاد العرب في العهود الحجرية ، لعدم وجود موارد

كافية تساعدنا في الكشف عنها كشفاً علمياً . نعم ، عثر على أدوات حجرية في موضع يقال له (الدوادمي) (Dawadmi) ، وهو يبعد (٣٧٥) ميلاً عن الخليج ، عثر عليها مدفونة في الأرض ، وكان بينها فأس طولها سبع عقد ونصف عقدة ، ولها لون يميل الى الخضرة ^١ ، وعثر على أدوات حجرية أخرى في أنحاء من جزيرة العرب ، وفي جملتها الأحساء وحضرموت ، ولكن ما عثر عليه ما زال قليلاً ، لا يمكن أن يعطينا رأياً واضحاً علمياً في تلك العهود في هذه البلاد .

وقد تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في الأحساء أنها تتكون من أحجار لا توجد في العروض، وبينها أحجار بركانية أو من حجارة (الكوارتز)، ومن أنواع أخرى من الصخور ، لهذا رأى فاحصوها أنها أدوات استوردت من العربية الغربية . كما تبين من فحص الأدوات الحجرية التي عثر عليها في اليمن وفي حضرموت أنها من النوع المستورد من فلسطين أو من بلاد الشام ، لأنها تشبه الأدوات الحجرية التي عثر عليها هناك ^٢ .

أما الأدوات الحجرية التي عثر عليها في مواضع من حضرموت ، فليست محكمة دقيقة الصنعة ، بالقياس الى ما عثر عليه في فلسطين أو في بلاد الشام أو في إفريقية ، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة أحجار هذه المنطقة ، وعزاه آخرون الى تأخر حضارة أهل حضرموت في ذلك العهد بالقياس الى الحضارات الأخرى ^٣ . ورأى بعض الباحثين أن أرض حضرموت كانت في عزلة عن البلاد المتقدمة في الشمال ، وأن صلاتها بإفريقية كانت أقوى من صلاتها بشمال جزيرة العرب وبالهلال الخصيب وبحضارة البحر المتوسط ، ولذلك صارت الأدوات التي عثر عليها بدائية بعض الشيء بالقياس الى ما عثر عليه في أعالي جزيرة العرب ، حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارات المتقدمة .

ومن الأدلة التي تثبت ان اتصال حضرموت بالسواحل الافريقية المقابلة كان

١ P. B. Cornwall, Ancient Arabia, Explorations in Hasa, 1940-1941, P. 39, in Geogra. Journ. CVII, Febr. 1946.

٢ Geogr. Journal, Vol. XCIII, No. I, January, 1939, PP. 30.

٣ Geogr. Journal, Vol. XCIII, No. I, January, 1939, "An Exploration in the Hadhramaut and Journey to the Coast" By, Freya Stark.

قوياً ووثيقاً في العصور الـ (الباليوليثية) ، هو عثور المتقنين على فؤوس يدوية في حضرموت تعد من صميم الصناعات التي ظهرت في تلك الأنحاء من افريقية . ووجودها في حضرموت وعثور المتقنين على أدوات أخرى هي من صناعات افريقية ، دليل على شدة العلاقات ومبلغ توثقها بين افريقية والسواحل العربية الجنوبية ^١ .

ويظن ان الزجاج البركاني ، المتكون من فعل البراكين (Obsidian) المتخذ أشكالاً هندسية ، مثلثاً أو هلالاً أو مربعاً ، الذي يعود الى الدور المعروف عند علماء الآثار بدور صناعات النصل (Blade Industries) ، والذي عثر على نماذج منه في حضرموت ، هو من المستوردات التي يرجع أصلها إلى سواحل افريقية الشرقية . وقد كانت هذه الصناعة مزدهرة في حوض البحر المتوسط وفي أوروبا قبل الألف الثالثة قبل الميلاد . أما في العربية الجنوبية ، فيعود عهدها الى الألف قبل الميلاد ^٢ .

واكتشفت أدوات من العصور الحجرية في (الحملة) ورأس (عوينات علي) (عوينت علي) وجنوب (دخان) من (قطر) ، منها فؤوس ومقاشر ونبال وكميات من حجر الصوان . وهذه الصخور هي من العصور (الباليوليثية) و (النيوليثية) ^٣ .

وعثر في مواضع متفرقة أخرى من جزيرة العرب على أدوات من عهود مختلفة قبل التاريخ ، عثر على أكثرها في مواضع شتى تقع عند الأودية والطرق والمواضع التي تتوافر فيها وسائل الحياة . وسيكون لبحث من يأتي بعدي فيقوم بوضع خارطة أو مخطط للمواضع التي عثر فيها على آلات وأدوات مما قبل التاريخ شأن كبير . ولا شك في الكشف عن مواضع السكنى والحضارة في بلاد العرب قبل التاريخ، وفي الكشف عن نظرية تغير الجو في جزيرة العرب ونظرية الهجرات وارتحال السكان من مكان الى مكان .

B.R. 527, (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June, 1946, Naval Intelligence Division.

وسيكون رمزه : Naval

Naval ٢

٣ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

وعثر على آثار متنوعة من العصور الـ (الباليوليثية) (Palaolithikum)
(Palaeolithic) والـ (النيوليثية) (Neolithikum) (Neolithic) في الكويت
والبحرين وحضرموت ومواقع أخرى من العربية الجنوبية واليمن . وقد ذهب
(فيلد) (H. Field) إلى أن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان في العصور
(النيوليثية) ، ثم هاجر قسم من الناس إلى عمان والخليج ، وهاجر قسم آخر
بطريق باب المندب إلى الصومال و (كينيا) (Kenya) و (وتنجانيقا) ،
وهاجر فريق آخر بطريق مأرب ونجران إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين
والأردن^١ .

وعثر على آثار من العصور المذكورة في مواقع من المملكة العربية السعودية
تمتد من الأحساء (الهفوف) إلى الحجاز ، ومن مدائن صالح إلى نجران . وقد
عثر على أدوات حجرية في (تل الهبر) . وقد كان الصيادون في عصور
ما قبل التاريخ ينتقلون باتجاه الأودية من مكان إلى مكان حيث كانت الأحوال
فيها خير مما عليه الآن . وقد ترك هؤلاء الصيادون ثم الرعاة بعض الآثار في
الأمكنة التي حلّوا بها ما برح السياح وخبراء شركة (أرمكو) وغيرهم يعثرون
على قسم منها بين الحين والحين^٢ .

ووجدت في (كلوة) (Kelwa) التي تقع على سفح (جبل الطبق)
آثار من العهود (الباليوثيكية) القديمة : (Chelléen) والـ (Acheuléen)
والـ (Levalloisien) . وقد قدر بعض الباحثين تأريخ السكنى في هذا الموقع
إلى الألف الثامنة قبل الميلاد . وقد اكتشف هذا الموقع (هورسفيلد) (G. Horsfield)
و (كلويك) (N. Glueck) ، فوجد آثاراً وصوراً على الصخور ، قدّر أنها
ترجع إلى آلاف من السنين قبل الميلاد من مختلف العصور^٣ .

وعثر على كهوف وقد صورت على جدرانها صور حيوانات وصور الشمس ،

A. Grohmann, Arabien, S. 15, H. Field, Papers of the Peabody Museum, 48/2 ١
(1956), PP. 117.

H. Field, Papers, 48/2 (1956), 63, A. Grohmann, Arabien, S. 15. ٢

N. Glueck, The other Side of the Jordan, New Haven, Conn. 1940, PP. 43, H. Rothert, ٣
Transjordanien, Vorgeschichtliche Forschungen, Stuttgart, 1938, S. 161, A.
Grohmann, Arabien, S. 16.

والهلال ، وذلك على طريق التجارة القديمة في العربية الجنوبية ، بين وادي يبعث ووادي عرمة . وهي تشبه في أهميتها من دراسة الناحية الأثرية ، العصور المتقدمة التي عثر عليها في (كلوة) في الأردن^١ .



فأس من الحجر تعود الى عصر الـ « PaIaeolithic » ، المتأخر ، عثر عليها في « دواامي » .
صنعت هذه الصورة من صورة نشرت في مجلة : « The Geographical journal »
جزء شباط سنة ١٩٤٦ أرسلها لي صديقي الدكتور جورج ماثيوس من الظهران

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن جزيرة البحرين كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوروبا ، أي قبل خمسين ألف سنة ، وأن ساحل الخليج ، ولا سيما المنطقة الواقعة بين (الدواامي) وشمال القطيف ، كان مزدهراً

بالسكان في العصور البرنزية ، أي حوالي (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م) ، كما عثر على أدوات من العصور (الباليوثيكية) في موضع (رأس عوينت علي) (عوينات علي) في شبه جزيرة (قطر)^١ .

وقد ذهبوا أيضاً الى أن جوّ البحرين آنذاك - أي أيام العصور الجليدية - كان يشبه جوّ بلاد اليونان في الوقت الحاضر . وأن أرض البحرين كانت مخصبة خضراء ، مغطاة بكساء من الغابات . ولعلها كانت متصلة إذ ذاك بالأرض الأم - أرض جزيرة العرب - أما سكانها فقوم من الصيادين . عاشوا على ما يقتنصونه من حيوانات ، وفي مقدمتها الأسماك . وقد عثر على أدوات من حجر الصوان ، استخدمها أولئك الصيادون في صيدهم وفي تقطيع لحوم الفرائس التي يوقعها سوء حظها في أيديهم . عثر عليها في مواضع متعددة من البحرين ، وبعدد كبير أحياناً ، مما يدل على أن تلك الأماكن كانت مستوطنة أهلة بالناس . وليس في هذه الأدوات الصوانية ما يشير الى أصل أصحابها ، أو الى أسمائهم وأسماء المواضع التي كانوا فيها . وكل ما يستفاد منها أنها من أواسط العصور (الباليوثيكية) (Paleolithic) ، وذلك بدليل مشابهتها لأدوات من الصوان ترجع الى هذا العهد عثر عليها في شمال العراق وفي فلسطين في شمال غربي الهند^٢ .

وقد عثر في البحرين أيضاً على عدد من رؤوس حراپ وسكاكين صنعت من الصخور الصوانية . قدّر بعض الباحثين عمرها يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف سنة . وهي ترجع الى أواخر أيام الرعي وابتداء عهد الاستيطان والاستقرار والاشتغال بالزراعة . وبين ما عثر عليه من هذه الأدوات ، أحجار سنت وشذبت لكي تكون بمثابة آلات لحصد المزروعات ولقطع الحشائش واجتثاثها من الأرض^٣ .

وفي العربية الغربية والعربية الجنوبية جبال ترصعها كهوف ، اتخذها الانسان

P.B. Cornwall, Ancient Arabia: Explorations in Hasa, 1940-1941, A. Grohmann, ١
Arablen, S. 255.

وسيكون رمزه : Arablen

James H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, London, 1965, PP. 50. ٢

٣ المصدر نفسه ، (ص ٥١) .

مساكن له ، فأقام فيها قبل الميلاد بأمد طويل ، لا نستطيع تقدير زمانه، واتخذ بعضها معابد ومواضع مقدسة ، وأماكن للخلوة والتأمل الروحي والعبادة، وبعضها مقابر يودع فيها أجداث آبائه وأجداده وأهله ، ولكن أكثر هذه الكهوف قد عث بها الزمن ، وعثت بها أيدي الإنسان ، أكثر من عث الطبيعة بها ، فانتزعت منها ما نبحث الآن عنه من بقايا عظام وتركات سكنى ، وآثار فن ، فحرمنا بذلك الوقوف على حياة الإنسان في جزيرة العرب في تلك الأيام .

وقد أشار الكتبة (الكلاسيكيون) الى سكان الكهوف في بلاد العرب. وعثر السباح على بقايا تلك الكهوف التي كانت منازل ومساكن أهلة بالناس. ولا يزال الناس يسكنون الكهوف في حضرموت وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب^١ . وقد يكون من بينها كهوفاً كانت منازل الأجساد النازلين بها اليوم منذ آلاف من السنين .

ولما كانت زيارات السياح لهذه الكهوف زيارات سريعة خاطفة ، لم يتعمق السائحون فيها في داخل الكهف ، ولم تتناول ما على جدر الكهوف من رسوم أو زخارف، وقد يأتي يوم بعثر فيه الباحثون على كنوز من فن سكان الكهوف، ومن مخلفات لهم وعظام تكدست تحت أطباق الثرى ، نستخرج منها وصفاً لحياة الانسان في تلك المناطق من جزيرة العرب ، وقد تفيدنا في دراسة الصلات والعلاقات التي كانت بين أهل الجزيرة وبين بقية أنحاء العالم في تلك العهود السحيقة .

فيتبين من هذه الآثار القليلة ان بلاد العرب كانت مأهولة بالناس منذ العصور (الباليوثية) (Palaeolithic) ، أي العهود الحجرية المتقدمة ، وان من أقدم الآثار التي عثر عليها آثاراً من أيام العصور المعروفة بـ (Chellian) بين علماء الآثار ، أي الأدوار الأولى من أدوار حضارة العصر الحجري ، وانه قد عثر على أدوات من الصوان في الربع الخالي وفي حضرموت من عهد الـ (Neolithic) والعصور (البرنزية). وعثر على أدوات من الصوان من عصور الـ (Chalcolithic) هي من النوع الذي عثر عليه في جنوب فلسطين^٢ .

Van der Meulen, Aden to the Hadhramaut, P. 120, 200, 203.

Naval. P. 213.

ولم يوفق الباحثون للعثور على هياكل كاملة للإنسان ما قبل التاريخ ، لا في جزيرة العرب ولا في (سيناء)^١ . وللعثور عليها أهمية كبيرة بالنسبة الى البحث في تأريخ ظهور الإنسان وتطوره ، للوقوف على الزمن الذي عاش فيه في بلاد العرب .

والجأجم والعظام مادة مفيدة جداً في دراسة التاريخ ، ولكن الباحثين لما يتمكنوا من الحصول على مقدار كاف منها يكون عندهم فكرة علمية عن العصور التي ترجع اليها وعن أشكال أصحابها . وقد عثر رجال شركة (أرمكو) للبحث عن البترول في العربية السعودية على بقايا عظام وأسنان لبعض الحيوانات (الحمية) (Mastodon) وعلى قسم من جمجمة حيوان قديم في موضع يبعد تسعين ميلاً إلى الغرب من (الدمام) ووجد مثل هذه البقايا الحيوانية في أنحاء أخرى من جزيرة العرب ، ولكن ما عثر عليه لا يزال قليلاً ، لا يكفي لاعطاء آراء علمية عن الحياة في جزيرة العرب في التاريخ القديم^٢ .

وقد تعرضت تلك المقابر لعبث الطبيعة ولعبث الطامعين بما فيها من أشياء ثمينة ، لذلك أصاب أجسام الموتى التلف ، ولم يبق منها غير بقايا من جسم ، إلا ما كان من مقابر البحرين ، فقد أعطت الباحثين هيكليين كاملين لم يصبها أي سوء أو تلف . فقد تبين من فحصها ان أهل الميت وضعوا جسي الميتين على الجانب الأيمن ووجهوا الوجهين نحو المشرق ، وأمدوا رجلي الميتين . ويبعث وضع الميتين على هذه الصورة الاحتمال بأن أهل البحرين كانوا يتبعون هذه العادة في دفن موتاهم ، وهي عادة كانت عند أهل العراق أيضاً ، في الألف الثالثة قبل الميلاد^٣ .

وقد عثر في مواضع من جزيرة العرب على مقابر تبين انها من نوع المقابر التي يقال لها (تمولي) (Tumuli) ، التي عثر عليها في البحرين في نهاية القرن التاسع عشر . أما مقابر البحرين ، فهي تلال تكونت من قطع من الصخور ، وضع بعضها فوق بعض ، لتكون غرفة أو غرفتين ، تكون احدهما فوق الأخرى في الغالب ، لتتخذ قبراً يوضع فيه الموتى ، وتكون سقوف الغرف من ألواح

Naval. P. 213. ١

Cornwall, Ancient. P. 39. ٢

James H.D. Belgrave, P. 52. ٣

الصخور . وبعد اغلاق باب القبر يمال التراب على الصخور ، حتى تتخذ شكل تلال . وقد عثر على بقايا خشب فيها ، مما يدل على استعمال الخشب في بناء هذه القبور التي يصل قاعدة بعضها الى حوالي خمسين ياردة في العرض وحوالي ثمانين قدماً في الارتفاع . ويقدر الباحثون الذين بحثوا عن هذه المقابر عددها بزهاء خمسين ألف تل ، وبزهاء (١٠٠) ألف تل في تقدير بعض آخر ، أي خمسين ألف قبر أو (١٠٠) ألف قبر . قبر فيها الإنسان والحيوان جنباً الى جنب ، كما يتبين ذلك من بقايا العظام التي عثر عليها فيها . والغالب أنهم دفنوا الحيوان مع الإنسان ، ليستفيد منه الميت في العالم الثاني في عقيدة أهلها يومئذ ، وكما نحمد ذلك في اعتقاد المصريين واعتقاد غيرهم من الشعوب ، ولهذا دفنوا مع الموتى أواني وأدوات بيتية وحلياً وجواهر وفخاراً وغير ذلك مما يحتاج اليه الإنسان ^٢ .

وقد عثر في هذه المقابر على عدد من الجرار ، تشبه الجرار المستعملة في الوقت الحاضر ، مما يدل على أن الناس في الوقت الحاضر لا يزالون يسرون على سيرة أجدادهم الذين عاشوا قبل الميلاد في عمل الجرار وسائر الخزف . وقد صنعت تلك الجرار من الطين ، وضعه الخزاف على قرص دولاب يديره برجليه . واستعمل يديه في اكساب الطين شكل الجرة التي يريدتها . ويميل لون هذه الجرار الى الحمرة . كما عثر على قشور بيض النعام ، وقد قطعت بصورة تجعلها كأساً يشرب بها . وعثر على أدوات أخرى، وكل ما عثر عليه غير مكتوب ولا مؤرخ ، لذلك لا نعرف من أمره اليوم ولا من أمر أصحابه شيئاً ^٣ .

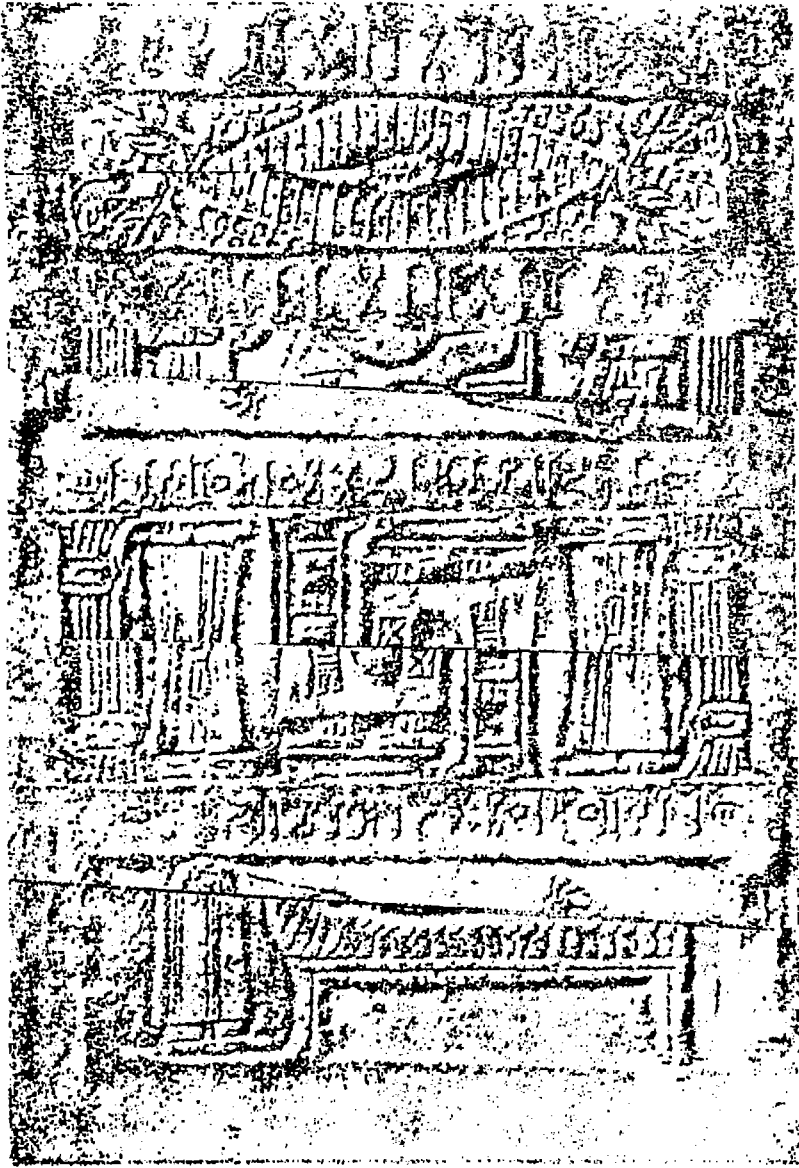
وعثر رجال شركة (أرمكو) على عدد كبير من هذه المقابر على حافات جبل (المدرى) الشمالي ، قدرها (كورنول) بالآلوف ، وعثروا كذلك على عدد آخر من هذه المقابر في جبل (المدرى) الجنوبي ^٤ . وقد حافظت بعض

J.H.D. Belgrave, Welcome to Bahrain, P. 51. ١

Bent, The Bahrain Islands, Proc. Roy. Geogr. Soc. 12, London, 1890, Jouannin, A, "Les Tumuli des Bahrain", Memoirs de la Delegation in Perse, T., VIII, 1905, V., 149-157, Prideaux, F.B., The Sepulchral Tumuli of Bahrain, Archaeological Survey of India, Annual Rep. 1908-1909, Calcutta, Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141. ٢

Belgrave, P. 52. ٣

Cornwall, P. 36. ٤



حجر يظهر أنه من الأحجار التي توضع شاهداً على القبور يمثل صورة امرأة يقال لها :
 « خلكت بنت مندوت » ويقال للبنت في العربية الجنوبية « بنت » أيضاً . وقد توسلت الى
 الإله « مشتر » بانزال الوبل واليبور على من يتجاسر فيغير هذا الحجر عن موضعه .

هذه القبور على أشكالها محافظة جيدة ، ويشبه بعضها القبور التي عثر عليها (فليبي) في الأقسام الجنوبية الغربية من جزيرة العرب^١ . ووجد (كورنول) مقابر أخرى في موضع (الرديف) الواقع على بعد (١١٠) أميال من شمال غربي (الدمام) ، وفي موضع يقع شمال (عين السبح) ، بمسافة أربعة أميال ، حيث بلغ قطر أحد تلك المقابر (٣٣) ياردة وارتفاعه (١٣) قدماً . وقد تمكن من الحصول على هيكل عظمي وعلى فخار وقطع من العاج وقشور بيض للنعام وأسلحة مصنوعة من البرنز^٢ .

وعثر على مقابر في موضع (المويه) الواقع على (١٤٣) ميلاً من شمال شرقي مكة^٣ . وقد وصف (فليبي) المقابر التي عثر عليها في (الرويق) وفي مرتفعات (العلم الأبيض) و (العلم الأسود) ، فقال : إن أكثرها قد عث به العابثون ، فأخذوا ما كان داخل الغرف التي كان يوضع فيها الموتى من ذخائر ومواد ، وهي مختلفة الأحجام والارتفاع . ويظهر من وجود هذه المقابر في محال صحراوية بعيدة عن مواضع العمران وفي أماكن لا يقيم فيها الناس ، أن هذه المناطق كانت مأهولة قبل الإسلام ، وأنها كانت ذات تاريخ قديم جداً ، ربما يرجع في رأي (فليبي) إلى أيام قدماء (الفينيقيين) وربما كان (الفينيقيون) في رأي (فليبي) أيضاً من الأفلاج والخرج ، حيث هاجروا بعدئذ إلى البحرين^٤ . وقد سمع (فليبي) بوجود مقابر أخرى من هذا النوع ، تعرف بين الناس باسم (الخشبة) . وسمع (Thesiger) بمقابر أخرى في موضع (رهلة جهمين)^٥ . وعثرت شركة (أرمكو) على مقابر عادية كثيرة العدد في (وادي الفاو) و (القرية) ، لم تحدد هوية أصحابها حتى الآن . وقد زارها (فليبي) ووصفها ، وتبين له أن الموضع وهو (القرية) ، كان محاطاً بسور ، وجد في داخله آثار بيوت ومقابر ، وبين أنقاض المقابر أحجار مكتوبة تدل على أنها كانت شواهد قبور . وعلى مسافة من (القرية) كتابات وصور حيوانات مثل النعامة والأيل ، وصور أناس نقشت على الصخر^٦ .

Cornwall, P. 36, Philby Sheba's, P. 373. ١

Cornwall, P. 37. ٢

Philby, Sheba's, P. 373. ٣

Philby, Sheba's, P. 373. ٤

Beltrage, S. 16. ٥

Beltrage, S. 12. ٦

ويظهر من وصف (جيرالد دي كوري) (Gerald de Gaury) (وفلي)
لمقابر الخرج أنها كثيرة العدد ، وأنها في مواضع متعددة من هذه الإيالة عند
(فرزان) و (السلمية) و (الدلم) ، وهي متفاوتة الأحجام والارتفاع^١ .
ولم يتمكن (دي كوري) من تعيين تأريخها ، ولا يمكن التثبت من ذلك بالطبع
إلا بعد القيام بحفريات دقيقة وفحوص للعظام وللمحتويات القبور لمعرفة مكانها في
التأريخ .

وقد وجد أن أبواب مقابر البحرين قد وضعت في الجهة الغربية ، مما يبعث
على الظن على أن لهذا الوضع صلة بدين القوم الذين تعود اليهم تلك المقابر .
وقد وجد أن المواد والأدوات التي عثر عليها في هذه المقابر تشبه المواد والأدوات
التي عثر عليها في المقابر الأخرى التي عثر عليها في المواضع المذكورة من جزيرة
العرب . ويظن بعض الباحثين أن أصحاب هذه المقابر كانوا يقيمون في الجهة
المقابلة لجزيرة البحرين من الجزيرة ، أي على ساحل الخليج ، وكانوا قد اتخذوا
الجزيرة مقبرة لهم ، فينقلون إليها موتاهم لدفنهم هناك . ومنهم من يرى أن
تلك المقابر هي مقابر رؤساء الفينيقيين وأشرافهم الذين كانوا يقطنون البحرين ،
وأن عهد تلك المقابر يرجع إلى ما بين ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد^٢ .

وقد عثرت البعثة الدانماركية في سنة (١٩٥٩ م) في البحرين جنوب طريق
(البدع) على أربع مقابر تبين من فحصها أنها ترجع إلى العصور الحجرية^٣ .
وعثر السياح على تلال في مواضع متعددة من عمان وقطر ، تبين أنها مقابر
لعهود سبقت الميلاد .

وليست لدينا الآن دراسة علمية شاملة عن هذه المقابر : مقابر البحرين ،
ومقابر المواضع المذكورة من جزيرة العرب ، إلا أن آراء من زاروها ورأوها ،
تكاد تتفق في القول بوجود ترابط في الزمن فيما بينها ، ويرجعون أيامها إلى
عصر الـ (Chalcolithic) أو إلى العصر البرنزي . ومنهم من يرى أنها من
العصر البرنزي المتأخر^٤ ، ويرى أن المقابر القائمة على المرتفعات هي مقابر سجاة

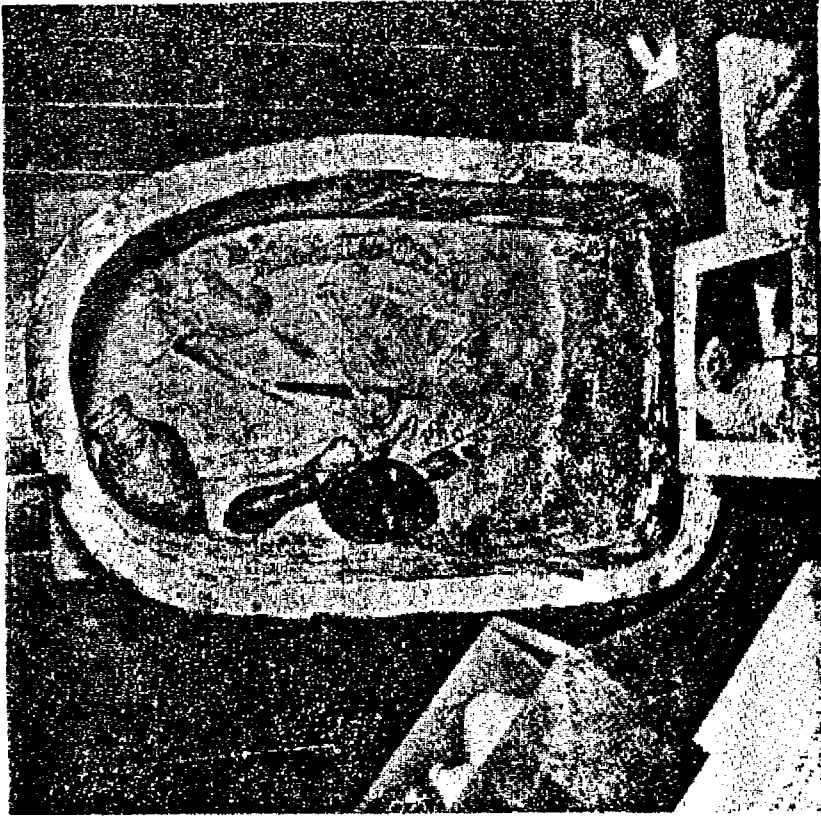
١ Geogr. Journal, Vol. CVI, Numb. 3, 4, Sept-Octo. 1945 P. 152, Philby, Heart of Arabia, Vol. 2, P. 26.

٢ Sanger, The Arabian Peninsula, P. 141, Enc. Vol. I, P. 585.

٣ P.V. Glob, Archaeological Investigations in four Arab States, Kuml, 1959, P. 238.

٤ Sanger, P. 141.

من الصيادين أو الرعاة . أما المقابر المقامة على السهول المنبسطة فيرون انها مقابر قوم مزارعين مستقرين^١ .



تابوت من الفخار على شكل حوض وأدواته ترجع الى عام ٦٠٠ قبل الميلاد
من نشرة دائرة الاعلام : حكومة البحرين

ويظن ان المقابر التي عثر عليها في جزيرة (ام النار) في (أبي ظبي) هي مقابر أقوام عاشوا في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد عثر فيها على هياكل عظمية وعلى خرز وفخار عليه رسوم . وقد كسيت هذه المقابر وغطيت بحجارة منحوتة ، حفرت عليها صور ثيران وجمال وأفاعي وحيوانات أخرى . وقد نحتت

Cornwall, P. 37.

واجهة الحجر المحيطة بالصور لتظهر الصور بارزة عالية^١ . ويظهر من دراستها أنها من عمل أيد أنقنت مهنتها ، وأجادت في فنها بالقياس الى تلك الأزمنة . وهي تحتاج الى دراسة لمعرفة مدى تأثيرها بفنون الشعب الأخرى التي كان لها اتصال بهذه البلاد .

ان هذه المقابر تستحق الدراسة حقاً ، لأنها تتحدث عن وجود روابط فكرية مشتركة بين أصحابها ، وعن احتمال ارتباطهم بعقيدة دينية واحدة . ولا يستبعد أن تكشف بعض القبور السالمة التي لم تعبت بها أيدي البشر العاتية ، عن كتابات مطبوعة في غرفها ، أو عن صور ونقوش ورموز تتحدث إلينا عن هوية أصحابها وعن مكانتهم في التاريخ وفي الحضارة البشرية بالنسبة الى الأيام التي عاشوا فيها . وعندئذ نكون قد انتقلنا الى مرحلة جديدة من مراحل تأريخ العرب القديم ، لا نعرف اليوم من أمرها الا هذا النزر اليسير الذي نتحدث عنه .

ولست أستبعد أيضاً احتمال عثور المتقنين في المستقبل على آثار أصحاب هذه المقابر في مواضع لا يمكن أن تكون بعيدة عنها ، اذ لا يعقل أن يكون ذور أرحام الموتى قد سكنوا في مواضع قصية نائية عنها . وأن قوماً لهم هذه المهمة في عمل هذه القبور ، لا بد أن يكونوا على درجة من الحضارة . والمخلفات التي عثر عليها في بعض هذه القبور هي خير شاهد على ذلك . فقد عثر فيها على حلي وعلى أوان من الفخسار وعلى آثار أخرى مصنوعة تظهر براعة في الصنعة والالتقان . ولا يستبعد العثور على أمثاله في مستوطناتهم متى عثر عليها .

هذا ، وقد عثر بعض السياح على قبور جاهلية في حضرموت وفي اليمن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، الا أن هذه المقابر هي أحدث عهداً من تلك ، ثم انها قبور نحتت في الصخور نحتاً ، ولم تعمل على هيئة تلال على النحو الذي وصفناه . ولـ (كارل راتجن) (Carl Rathjens) وصف مفصل لمقابر منحوتة زارها تقع على مقربة من مدينة (كوكبان) في اليمن . وهي كثيرة منحوتة في جانب الجبل ، منها المنفردة المنعزلة ومنها ما نحتت بعضها فوق بعض . وقد وجد أن أكثرها قد لعبت بها الأيدي ، فأخذت ما كان فيها ، فخلت من كل شيء . وقد عثر على كتابة سبئية عند أحد أبواب هذه المقابر ، مما يدل على

١ تقرير شامل من الحفريات الاثرية في جزيرة « فيلكا » ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م ، الكويت (ص ٢٤) .

انها كانت لقوم من سبأ^١. ولا يستبعد بالطبع أن يكون أولئك الناس قد توارثوا هذا النوع من القبور من أسلاف لهم كانوا قد نحتوها .

وعلمنا بأحوال جزيرة العرب في العصور (البرنزية) ، لا يزيد على علمنا بالعصور الحجرية فيها . فهي ضحلة يسيرة ، لأن ما عثر عليه من مخلفات تلك العصور ليس بشيء يذكر ولا يكفي لاستنباط آراء منه . ولا يستبعد بالطبع احتمال عثور المتقنين في المستقبل على آثار قد ترجع الى هذه العصور ستهتك الحجب التي تحول الآن بيننا وبين التعرف على تلك الحقب القديمة من تأريخ الجزيرة . وقد وجدت (البعثة الدانماركية) التي نقتب في جزيرة (فيليكا) من جزر الكويت على آثار من هذه العصور^٢ ، إلا أن ما عثر عليه لا يكفي لإعطاء رأي علمي كاف عن العصور البرنزية في هذه الأرضين .

وقد عثر في جزيرة (فيليكا) على آثار سكنى وبقايا أبنية وهياكل يرجع عهدا الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد تبين أن هذه الجزيرة والجزر الأخرى الواقعة في الخليج كانت ملاجئ يلجأ اليها أصحاب السفن والتجار في تلك الأزمنة للاستراحة ولشراء ما يجدونه عند أهل السواحل المقابلة ، وللتمون بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ولأهميتها هذه اهتمت بها وبالسواحل المقابلة لها حكومات العراق ، فاستولى عليها الأكاديون والآشوريون واليونان .

وقد عثر على مواد مصنوعة من حديد من العصر الحديدي ، غير أنها قليلة لا يمكن أن تكون لنا رأياً واضحاً من العصور الحديدية في جزيرة العرب . وعثر على بقايا جاجم بشرية في (الظهران) تبين من دراستها وفحصها على أنها من العصور (البرنزية)^٣ .

وتدل الأدوات المكتشفة على قلتها على أن شعوب جزيرة العرب حتى في الأزمان البعيدة عن الميلاد كانت على اتصال بالعالم الخارجي ولا سيما العراق وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط والقارة الإفريقية، وأنها كانت تستورد منها ما تحتاج

١ Carl Rathjens, Sabaelica, I, S. 105.

٢ تقرير شامل عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيليكا ، ١٩٥٨ - ١٩٦٣ م الكويت مطبعة الحكومة ، من منشورات وزارة التربية والتعليم ، (ص ٩) .

٣ H. Field, Papers of the Peabody Museum, 48/2, (1956), 58, A. Grohmann, Arabien, S. 15.

اليه من مواد وتبيح لها ما عندها من سلع خام أو من سلع تستوردها من السواحل الإفريقية أو الهند ، وأنها لم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن بقية العالم .
والعراق وبلاد الشام ، أي الأرضون التي يقال لها (الهلال الخصيب) في الزمان الحاضر ، هي من الناحية الطبيعية وحدة لا يستطاع فصلها عن جزيرة العرب ، وامتداد طبيعي لها ^١ . وليست البادية الواسعة التي تملأ باطن الهلال إلا جزءاً من جزيرة العرب ، وامتداداً لها ، لا يفصلها عنها فاصل ، ولا يحد بينها حد ، وإذا ما تنقلت من بادية الشام الى بوادي المملكة العربية السعودية ، فلا تجد أمامك شيئاً يشعرك بوجود فروق بين طبيعة هذه الأرضين الواسعة ، أو وجود حواجز تمنع سكانها من الهجرة نحو الشمال أو الى الجنوب ^٢ . ولهذا كان من الطبيعي تنقل الناس في هذين الأرضين منذ وجدوا فيها وظهروا عليها بكل حرية ، وبحسب الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية .

وتأريخ ظهور العرب في بادية الشام وفي أطراف الهلال الخصيب ، تأريخ قديم جداً ، ولكننا لا نستطيع تحديد مبدئه ، ولا تثبيته ، لأننا لا نملك أدلة علمية تعينه ونحدده . ثم ان كلمة (العرب) لم تكن تعني عند الشعوب التي عاشت قبل الميلاد ، غير معنى (أعراب) ، وكانت اذا ما ذكرت لفظة (عرب) تقصد البدو على نحو ما ذكرت في الفصل الأول في تحديد معنى هذه اللفظة . أما العرب المستقرون ، أو شبه الحضر ، فقد عرفوا عندهم بأسمائهم ، ولهذا اشتبه أمرهم علينا ، وعسر على العلماء تعيين هوياتهم ، لعدم نص الكتابات أو الكتب القديمة على انهم عرب بمعنى جنس للسبب المذكور ، فصرنا في حيرة من أمرهم ، وفي التوراة أسماء قبائل كثيرة ، نسبت الى آباء وأجداد ، يجب أن تعد من العرب ، ولكن التوراة لم تطلق عليها لفظة (عرب) ، لأنها لم تكن قبائل بدوية وليست اللفظة فيها الا بهذا المعنى ، فحار العلماء في تعيين أصل كثير منها ، وما زالت حيرتهم هذه حتى اليوم . وليس من المستبعد أن يكون بين الشعوب القديمة شعوب عربية ، الا انها لم تعد من العرب لأن اللفظة لم تكن علماً على جنس قبل الميلاد .

١ الهلال الخصيب (Fertile Crescent) اصطلاح أطلقه « برستيد (H. Brested) لأول مرة بهذا المعنى ، على القوس المتكون من العراق وبلاد الشام .

٢ Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S. I.

وإذا ما أخذنا بنظرية القائلين ان جزيرة العرب هي مهد الساميين ، جاز لنا أن نقول عندئذ ان معظم أهل الحصب والبادية هم من معمل تفريخ الجنس السامي الكائن في تلك الجزيرة ، وان ذلك المعمل هو الذي أمدّ هذه الأرضين الممتدة من ايران الى البحر المتوسط بسلالات الساميين . فصلة جزيرة العرب بالهلال الحصب صلة قديمة ترجع الى الأيام الأولى من أيام الساميين ، على هذه النظرية ، وربما ترجع الى أقدم من تلك الأيام .

وسرى فيما بعد أن حكام العراق كانوا قد استولوا على العروض في الألف الثالثة أو قبلها قبل الميلاد ، وانهم نزلوا في البحرين وفي جزر أخرى من جزر الخليج ، وان أصل الفينيقيين هو من البحرين في رأي كثير من العلماء ، منها هاجروا الى أرض (فينيقية) وسواحلها ، وما كان ذلك ليتم لو كانت جزيرة العرب بمعزل عن الهلال الحصب أو عن بادية الشام ، أو ان الهلال والبادية كانا بمعزل عن جزيرة العرب .

وقد ذكر ان جماعة من تجار (أور) كانوا يتاجرون في حوالي السنة ٢٠٠٠ ق.م مع البحرين . وكانوا قد أنشأوا أسطولاً لنقل التجارة^١ . ويقال ان (سرجون) الأكادي استولى في حوالي السنة (٢٣٠٠ ق.م .) على البحرين وقطر ، وان البحرين كانت في حوالي السنة (١٧٥٠ ق.م .) في يد قبيلة اسمها (أكاروم) (أجارم) (Agarum) ، وهو اسم قريب من (أجرم) ، وانها كانت تدفع الجزية الى الملك (اسرحدون)^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (Agarum) هم أهل مدينة (هجر) التي هي الأحساء^٣ .

وقد كانت العلاقات التجارية مستمرة دوماً بين البحرين وبين العراق . إذ كانت (دلون) محطة مهمة جداً للتجارة بين الهند وإفريقية وسواحل الخليج والعراق . تستورد الأخشاب من الهند ومن إفريقية كما تستورد الحاصلات الأخرى وتنقل النحاس من عمان ، فتبيع ذلك الى جنوب العراق ، وربما حلت تلك التجارات بسفن يملكها أهل (أور) أو غيرهم خلال نهر الفرات ، لنقلها من

١ P.V. Glob, Bahrain, Kuml, 1954, 103, Bahrain Oldtidshovedstad, Kuml, 1954, 169.

٢ Arabien, S. 257, H. Field, Ancient and Modern Man in Southwestern Asia, 108, Archiv fuer Orientforschung, 16, (1952-1953), 6-9.

٣ Arabien, S. 257

هناك الى بلاد الشام ومنها الى البحر المتوسط لبيعها الى أهل اليونان وبقيّة أرجاء (أوروبة) . وقد تبين من الأخبار التي تعود الى أيام الأسرة الثانية من أسر (أور) أن سفن ذلك الوقت (٢٢٠٠ - ٢١٠٠ ق. م) كانت تقوم برحلات منتظمة فيما بين البحرين و (أور) ، وذلك لنقل ما يرد الى هذه الجزيرة من نحاس ومن أحجار ثمينة من عمان ، ومن ذهب وأخشاب وأفاويه ومواد أخرى ثمينة من الهند .

وقد نزلت جاليات عراقية في البحرين ، كما هاجرت جاليات من البحرين الى العراق فسكنت به . وما الإله (انزاك) (Inzak) الذي عبد في جنوب العراق وشيدت المعابد باسمه ، إلا علامة على هجرة أهل البحرين الى العراق ، وتأثر أهل العراق به . فهذا الإله هو إله أصله من آلهة أهل البحرين . وانتقال عبادته الى العراق دليل على تأثر العراقيين بثقافة أهل البحرين ، ونقل أهل البحرين له معهم الى وطنهم الجديد .

وقد كانت البحرين ترتاح كثيراً عند انشغال أهل العراق بالتحارب فيما بينهم ، أو بانشغال الحكومات المهيمنة عليه بمحاربة جيران العراق من الدول القوية الكبيرة ، اذ تلهيهم تلك الحروب عن التفكير في السيطرة على البحرين وابتزاز الأموال من أهل الجزيرة ، وتكون مثل هذه الظروف فرصة ثمينة للدلونيين ، إذ يجدون أسواقاً رائجة تشتري منهم ما يأتون به الى جنوب العراق ، كما يجدون الحكومات مشغولة في معالجة مشكلاتها فلا تشتط كثيراً في أخذ الضرائب من أولئك التجار .

والكتابات الآشورية ، هي أقدم سجل ، لا شك في ذلك ، يشير الى وجود (العرب) في الأرضين الواسعة الممتدة من الفرات الى مشارف بلاد الشام . ولكن العرب فيه هم أعراب ، لا أقل من ذلك ولا أكثر : أعراب متنقلون في الغالب ، هائمون في البادية حيث الماء والكلاء والارتزاق من الغارات على الآشوريين وعلى غيرهم . والى هذه الغارات يعود ، ولا شك ، فضل اضطراب الآشوريين الى الإشارة اليهم في تلك الكتابات ، ولولاها لما ذكروا فيها ولا أشير اليهم . وقد وجد هؤلاء الأعراب قبل زمان هذا التسجيل بأمد طويل من دون ريب ، ومن يدري ؟ فقد يعثر على كتابات جديدة من زمن سحيق ، يسبق زمن الكتابات

الآشورية ، يرد فيها شيء من الأعراب فترفع بذلك معارفنا عنهم الى زمن أبعد من هذا الزمن المنصوص عليه في كتابات الآشوريين .

أما الموارد الإسلامية ، فقد اضطربت في تعيين الزمن الذي ظهر فيه العرب في بادية الشام ومشارقتها وفي العراق ، ولكنها كلها لا تعرف تأريخاً يسبق التاريخ المذكور في النصوص الآشورية . وما ذكروه عن ظهور العرب في هذه البلاد ، فهو مأخوذ من قصص اسرائيلي . ويظهر من رواية (لهشام بن محمد الكلبي) أن العرب كانوا في أرض العراق في أيام (بختنصر) ، وأنهم كانوا تجاراً يقدمون العراق للتجارات ، وذلك في أيام (معد بن عدنان) ، وأن (بختنصر) جمع من كان في بلاده من العرب حين همّ بغزو العرب في جزيرتهم ، اذ نزل وحي من الله على (برخيا) ، فبنى لهم (حبراً) على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظةً ، ثم نادى في الناس بالغزو . وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت اليه طوائف منهم مسالين مستأمنين ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطئ الفرات ، فابتنوا عسكرهم بعد ، فسموه (الأنبار) : وخلصى عن أهل الحيرة ، فاتخذوها لهم منزلاً . فهذا كان مبدأ نزول العرب في العراق .

ويظهر من رواية أخرى (لابن الكلبي) كذلك ان الذي أنزل العرب في العراق هو (تبع) ، فالعرب الذين نزلوا الحيرة والأنبار هم قوم بمانون . و (تبع) هذا حكم - على زعمه - بعد (ياسر انعم) ، الذي حكم بعد بلقيس ، وهو (تبار أسعد) ، وهو (أبو كرب بن ملكي كرب بن تبع ابن زيد بن عمرو بن تبع) ، وهو (ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) ، وكان يقال له (الرائد) . وقد خرج من اليمن حتى نزل على جبلي (طيء) (جبل شمر) ، ثم سار يريد (الأنبار) . فلما انتهى الى (الحيرة) ليلاً ، تحير فأقام مكانه ، فسمي ذلك الموضع (الحيرة) . ثم سار ، وخلف به قوماً من (الأزد) و (اللحم) و (جدام) و (عاملة) و (قضاة) ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون و (بلحارث بن كعب) و (إيساد) ، ثم توجه

الى (الأنبار) ثم الى (الموصل) ، ثم الى (أذربيجان) ، فلقي الترك ، ثم انكفأ راجعاً الى اليمن . وأقام العرب في العراق . ففهم من قبائل العرب كلها من بني الحيات وهذيل وتميم وجعفي وطيء وكتب .^١ فهذا كان مبدأ نزول العرب السواد من أرض العراق .

وحكى (الطبري) رواية أخرى عن (ابن الكلبي) متممة للرواية الأولى عن نزول العرب أرض العراق ، خلاصتها : أن العرب الذين أسكنهم (بختنصر) الحيرة ، انضموا بعد وفاة هذا الملك الى أهل (الأنبار) ، وبقيت الحيرة خراباً . فلما كثر أولاد (معد بن عدنان) ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون التسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جاعة من (الأزدي) كانوا نزلوها في دهر (عمران بن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، فاجتمع بالبحرين جاعة من قبائل العرب ، فتخالصوا على (التنوخ) ، وهو المقام ، وتعاقدا على التآزر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم (تنوخ) . وتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق ، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه ، أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤساقهم على المسير الى العراق ، ووطن جاعة ممن كان معهم على ذلك ، فكان أول من طلع منهم (الحيقار بن الحيق) في جاعة قومه وأخلاق من الناس ثم أعقبتهم موجات أخرى استقرت في الحيرة والأنبار وغيرهما من الأماكن بعد أن تغلبوا على (الأرمانين)^٢ .

وروي عن (ابن الكلبي) أن (أردشير) لما استولى على الملك بالعراق ، كره كثير من (تنوخ) أن يقيموا في مملكته ، وان يدبوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل (قضاة) الذين كانوا أقبلوا مع (مالك وعمرو ابني فهم) و (مالك بن زهير) وغيرهم ، فلحقوا بالشام الى هناك من قضاة . ثم وصلت اليهم جموع أخرى من قبائل العرب ، فكونوا بمالك وأمارات ، سوف أتحدث عنها^٣ .

١ الطبري (٣/٢) « المطبعة الحسينية » .

٢ الطبري (٥٩/٢) « المطبعة الحسينية » .

٣ ابن خلدون (٢٧٨/٢) .

هذا ما وصل اليه علم الأخباريين عن العرب في الهلال الخصيب ، وهو علم لا يستند بالطبع الى نصوص عربية جاهلية ، وإنما أخذ من روايات شفهية ، وأخبار وردت على ألسنة الأخباريين ومن روايات أهل الكتاب .

ومن الخطأ بالطبع أن نتصور أن وجود العرب في بادية الشام وشاطئ الفرات وأطراف دمشق يرتقي الى أيام الآشوريين ، أو قبل ذلك بقليل . فوجود العرب في هذه الأرضين هو أقدم من هذا العهد بكثير . وإذا كنا قد أشرنا الى وجودهم في المواضع المذكورة في هذا العهد ، فلأن الكتابات الآشورية هي أقدم كتابة وصلت اليها ووردت فيها إشارة الى العرب ، وإلا فإن العرب هم في هذه الأرضين قبل هذا العهد بكثير . في عهد لا نستطيع بالطبع تعيين ابتدائه ، لأن هذه الأرضين هي امتداد لأرض جزيرة العرب ، والتنقل بينها وبين جزيرة العرب هو تنقل حرّ ليس له حاجز ولا حدود ، فلا نستطيع إذن أن نقول متى سكن العرب بادية الشام .

وقد لاقت القبائل العربية مقاومة شديدة وعنّتاً شديداً من الحكومات التي حكمت العراق والحكومات التي حكمت بلاد الشام ، فقد وقفت تلك الحكومات منذ الدهر الأول لها بالمرصاد ، وأبت أن تسمح لها بالتوغل في داخل أرضها التي تحكمها حكماً فعلياً ، ذلك لأنها كانت تهاب الأعراب وتخشى من البداوة ، إذ لم يكن من السهل على البدو تغيير سننهم واقتباس سنن الحضار ، ثم إنهم كانوا يغربون على الحضار وعلى الحدود لأخذ ما يجدونه أمامهم . وقد ترك غزو الأعراب للحدود أثراً سيئاً راعباً في نفوس الحكام جعلهم لا يتساحون في دخول البدو الى أرض الحضارة ، ما دامت للحكام قوة ، ولم يتساهلوا معهم إلا بالوصول الى حدود الحضارة ومشارفها ، وذلك لأنهم نصبوهم حرساً لهم ، بمنع القادمين الجدد من البادية من الدنو من أرض الحضارة ، ويدافع عن الحدود ساعة الخطر ، ويهاجم مع القوات النظامية للحكومة الحاكمة أرض العدو في الحروب ، وفي أيام السلم لإلقاء الرعب والفرع في نفس العدو وإكراهه على تنفيذ مطلب يراد منه .

وقد اضطرت الحكومات الى دفع أكل وطعم وهبات وعطايا سخية لسادات القبائل الحراس في مقابل قيامهم بحراسة الحدود . إذ لم يكن في استطاعة تلك الحكومات القيام بها بنفسها ، ولا سيما في تعقب الأعراب وملاحقتهم في البوادي وغزو أعراب العدو ، فصارت لسادات القبائل جمعات سنوية وهدايا والطف

وبعض امتيازات لاسترضائهم وإسكاتهم ما داموا أقوياء أعزاء ، وجعلت معهم في بعض الأحيان حاميات من قوى تلك الحكومات عليها سياسيون وقادة لمراقبة أعمال سادات القبائل والحد من غلوائهم ، ولمساعدتهم عند ظهور سيد آخر قوي منافس في الميدان يريد مهاجمة الحدود أو انتزاع الرئاسة من سيد القبيلة صاحب الامتيازات. والحكومات هم عادة الى جانب سادات القبائل ما دام السادات أقوياء أعزاء. فلماذا بدا الوهن عليهم ، وتبين أن الأمر قد أفلت من أيديهم ، وإن سادات جدد أصبحوا كفايات وقُدَر ورؤساء أقوى من رؤساء القبائل القديمة قد برزوا في الميدان ، وقد أخذوا على أيدي السادات القدامى ، وأن المصلحة تقتضي الآن التحول من القديم الى الجديد ، تحولت تلك الحكومات الى السادات الجدد ، وانفقت معهم على شروط مرضية ، للقيام بأداء المصالح والواجبات المذكورة حتى يظهر منافس جديد ، يتناول على القديم فيأخذ مكانه . وهذا هو سر تعدد حكم سادات القبائل ، وانتزاع قبيلة الحكم من قبيلة أخرى ، وتغير حكم (آل فلان) و (آل فلان) ، وحلول حكم قبلي محل حكم قبلي سابق .

وسادات القبائل هم على هذه السنة أيضاً ، فكانوا اذا وجدوا ضعفاً في الحكومة المهيمنة على العراق أو على بلاد الشام وأدركوا انها في وضع حرج ، تقدموا اليها بمطالب جديدة وبشروط جديدة ، تكون متناسبة مع حرجة الموقف. فإذا لم تجب قام سيد القبيلة بتهديد مصالح الحكومة وبغزو أرضها أحياناً ، وقد يفاوض العدو للاتفاق معه عليها ، وقد يثور ويخرج عن طاعتها ، ويظل هذا شأنه حتى تجاب مطالبه ، أو يتفق معها على شروط يرضى عنها . وينطبق هذا الوضع على الأعراب الذين يجاورون الحضر ، فعلى الحضر دفع جعالة الى سيد الأعراب في مقابل حمايتهم لهم ومنع القبائل الأخرى المجاورة من الإغارة على أولئك الحضر . ويتقيد هؤلاء السادة بعهودهم مع الحضر ما دامت في مصالحهم. أما اذا رأوا أن الحضر في وضع حرج وأن الحكومة التي ترعاهم ، أو حكومة المدينة ضعيفة غير قادرة على الدفاع عن نفسها ، فإن الأعراب يفرضون على الحضر مطالب جديدة ، ويأخذون منهم امتيازات اضافية مثل حق الارتواء من الآبار ومن مجاري الماء ، وحق رعي ماشيتهم في زرع الحضر ، الى غير ذلك من شروط ، يضطر الحضر الى الموافقة عليها للمحافظة على حياتهم وأموالهم ، والا تعرضوا للغزو ولكوارث أخرى قد تنزل بهم أضراراً تزيد على ما يطلبه

الأعراب منهم بكثير .

وللسيطرة على حركات الأعراب ولضبطهم ، أقامت حكومات العراق وبلاد الشام لها (مسالحيات) ، أي مواضع حصينة تعسكر فيها قوات نظامية في البادية ، يرأسها ضباط ، وضعت فيها كل ما يحتاج إليه من سلاح ومؤن وذخائر وقوات كافية للقيام بمثل هذه المهام الخطيرة في البوادي . وقد حفرت لها آباراً للارتواء منها ، ونصب ضباط هذه الحصون أنفسهم حكاماً يتحكمون في البوادي التي يشرفون عليها ، يفضون مشكلات القبائل ، ويحافظون على الأمن ، ويراقبون تحركات الأعراب وتنقلاتهم ، ليكونوا على حذر منهم ومن غزواتهم المفاجئة للحدود . وقد بقيت هذه (المسالحيات) إلى أيام فتوح المسلمين للعراق ولبسلا الشام . وكان من واجبات هذه الحصون توزيع الأرزاق على الأعراب أيام الشدة والضيق ، والتقرب إلى سادات القبائل ، وعقد صداقات معهم ليستفيد منهم في كسب جراح أتباعهم ، ويحولوا دون تحرشهم بهم ، ولئلا يقوموا بمهاجمة الحدود . وكان أقصى مكان مسموح للعرب بالوصول إليه هو الشاطئ الغربي لنهر الفرات ، وحدود الحضارة لبلاد الشام وأعالي البادية ، أي قصر البادية الأعلى . أما ما وراء ذلك ، فكان من الصعب على العرب الوصول إليه ، لتشدد الحكومة في منعهم من الدنو منه ، وتصلب الحضر تجاههم . ولم يدخله من العرب إلا أفراد أو جماعات تنكرت للبادية ولسننها ، وكفرت بسنة الغزو ، ورأت في الزراعة وفي احترام الحرف شرفاً لا يقل عن شرف رعي الإبل والتنقل بها من مكان إلى مكان . أما الذين وقفوا عند هذه الحدود ، وهم السواد الغالب ، فقد بقوا على سنن البادية ، مخلصين لها مؤمنين بحق الغزو والقوة ، إلا من اشم رائحة الحضارة وتنفس قليلاً من ريح الحضارة ، وجاور الفرات ومشارف الشام ، حيث تلوح معالم الحضر ، فقد طور نفسه بعض التطور ، واستقر في الأرض بغض الشيء وصار وسطاً بين الحضارة والبداءة ، لا هو حضري كسل الحضري ، ولا هو أعرابي تام الأعرابية ، وإنما وسط بين بين ، ومنزلة بين المنزلتين .

ولم يكن من الممكن للأعرابي أن يدرك قيمة الزرع والغرس وحياة الاستقرار لأن الماء وهو جوهر الزرع غير متوافر لديه ، ولأن الأمن غير موجود عنده ، فهو متى زرع واستقر وكون مجتمعاً حضرياً صغيراً ، هاجمه من هم على شاكلته من أهل البادية وسلبوه كل ما لديه . ومجتمعه مجتمع صغير لا يستطيع الاعتماد

على نفسه والركون الى قوته في صد عادية الغزاة ، لذلك حالت هذه الظروف دون السكنى والزرع والاستقرار . إلا في الأماكن التي وجدت فيها مياه ، وتوافرت لديها القوة ، كما لم يكن من السهل على سادات القبائل اكراه أتباعهم على الاستيطان والسكنى في بيوت من مدر ، ذلك لأنهم هم أنفسهم أبناء بادية ، وآراؤهم آراء أعرابية ولا يفكر في هذه الشؤون إلا من كان حضرياً مستقراً ومن ولد ونشأ وتثقف في أرض الحضارة . ثم إن تنفيذها يستدعي وجود مال وأمن وقوة رادعة تمنع الأعراب من إفساد ما يقوم به الحضري من عمل مجهد . ولم تكن هذه متوافرة عند سادات القبائل ، ولم يكن في وسع سيد القبيلة الذي يجب أن يكون محتسماً بقطاً حتى لا يفاجئه منافس طامع من أهل البادية فيأخذ مكانه ، أن يأمر قومه بالاستيطان ، ووضعهم على هذه الحالة من القلق وعدم الاستقرار . لذلك قضت طبيعة هذه البيئة على غالبية الأعراب التي جاءت الى هذه الأماكن بأن تعيش عيشة أعرابية أو عيشة رعي ، تعيش على ماشيتها بدلاً من الاستقرار استقراراً دائماً والاشتغال بالزراعة والتجارة بالزرع .

لقد كانت القبائل العربية قد توغلت في (طور سيناء) منذ القدم . ولا بد أن تكون هذه القبائل قد نزلت مصر أيضاً ، فمن يصل الى (طور سيناء) يكون قد طرق أبواب مصر . ذهبت تلك القبائل الى مصر تحمل اليها مسا عندها من سلع ، وفي جملتها البخور والمر والخصائص الأخرى التي عرف العرب بالتجارة بها ، غير أننا لا نملك وبالأسف نصوصاً تاريخية نستطيع أن نعتمد عليها في اثبات ذلك الاتصال . نعم ، عثر على صور ومدونات مصرية للسلالات الملكية الأولى ، تشير الى البدو ، والبدوي هو (عمو) في اللغة المصرية^١ . غير أننا لا نستطيع أن نؤكد أن أولئك البدو ، هم أعراب من أعراب طور سيناء ، أو من بدو مصر أو من أعراب جزيرة العرب .

والذين يتحدثون اليوم عن صلات السلالات الملكية المصرية القديمة بالعرب وبلاد العرب ، إنما يتحدثون عن حدس وتخمين ، لا عن وثائق ونصوص أشير فيها صراحة الى العرب والى بلاد العرب ، وإن كنا لا نشك كما قلنا بوجود وجود صلات قديمة جداً ربطت بين مصر وبلاد العرب ، لا سيما أن مصر متصلة

Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. I, 450, 483, O'leary, Arabia, P. 28, Naval, P. 214.

فعلاً بجزيرة العرب من ناحية البر عن طريق (طور سيناء) ، ثم لأنها على الساحل المقابل للجزيرة ، فلا بد أن يكون هناك اتصال بري وبحري قديم بين الغرب والمصريين . ولا يستبعد احتمال عثور المتقيين في المستقبل على آثار قد تتحدث عن هذا الاتصال .

يظهر من أقوال (هيرودوتس) و (بلينيوس) ، وغيرهما من (الكلاسيكيين) ، ان الأقسام الشرقية من (مصر) ، ولا سيما المناطق المتصلة بـ (طور سيناء) كانت مأهولة بقبائل عربية . وقد ذكرت أسماء عدد منها في كتب هؤلاء^١ . ولم تستقر هذه القبائل في أيام هؤلاء (الكلاسيكيين) ، بل سكنت قبلهم بأمد طويل كما يظهر ذلك من كتبهم . وقد أطلق (الكلاسيكيون) على البحر الأحمر اسم (الخليج العربي) (Arabici Sinus) (Sinus Arabicus) ، وفي هذه التسمية معنى يشير الى نفوذ العرب وهيمنتهم على هذا البحر^٢ .

ومعارفنا بصلات العرب بالحكومات العراقية القديمة ، مثل حكومة السومريين والأكديين (الأكاديين) ، لا تزيد على معارفنا المذكورة بصلات المصريين بالعرب ، فهي حتى الآن قليلة ضئيلة ، ولكن ضالة ما لدينا من معلومات لا يمكن أن تكون سبباً في الحكم بعدم وجود صلات وثيقة بين سكان الخليج وسكان العراق ولا سيما القسم الجنوبي منه في أيام السومريين ، بل وقبل أيامهم أيضاً ، فالعراق هو امتداد طبيعي لتربة ساحل الخليج ، وهو جزء طبيعي من جزيرة العرب . وهو من ثم لا يمكن أن يكون بمعزل عن أرض الساحل وعن بقية أرض جزيرة العرب .

وقد يكون لاسم أرض (دلون) ، وهي أرض السلامة والنظافة ، والأرض التي لا تعرف الموت ولا الأمراض والأحزان ، والتي لا ينعب فيها غراب ، ولا ترفع الطيور أصواتها بعضها فوق بعض ، والتي لا تفرس أسودها ، ولا يأكل ذئب فيها حملاً ، الجنة في الأسطورة السومرية، علاقة بـ (دلون) التي هي جزيرة البحرين في لغة قدماء أهل العراق . وقد حوّل الخيال السومري ، أو خيال من عاش قبلهم على تلك الأرض الى أرض مسالمة مثالية لا قتال فيها ولا موت

Herodotus, Vol. I, P. 118, 120, 190, 196, Pliny, Natr. Hist. Vol. II, Bk. VI, 165 P. 463ff. ١

Forster, II, 154. ٢

ولا حزن ، استمده من تلك الجزيرة المسألة الواقعة في الخليج^١ .

ويحدثنا نص كتب عن فتوحات (لوكال - زكه - سي) (Lugal-Zagge-Si) (٢٤١٠ - ٢٣٧١ ق.م.) ، وهو من رجال السلالة الثالثة من ملوك (الوركاء) (Uruk) ، أن فتوحاته كانت قد امتدت من (البحر الأسفل) (الخليج العربي) الى (البحر الأعلى) (Upper Sea) ، أي البحر المتوسط . ومعنى هذا ان حكمه كان قد شمل الخليج العربي^٢ .

وفي أخبار (سرجون) الأكدي ، المعروف بـ (شروكين) (Sharru-Kin) (٣٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م.) ، أي العادل ، أن فتوحاته بلغت (البحر الجنوبي) (البحر الشمالي) (البحر الأسفل) ، أي الخليج العربي ، وأنه استولى على مواضع منه^٣ . و (سرجون) ، هو أقدم ملك أكدي ، يقص علينا خبر وصول الأكديين الى تلك الجهات .

وبلاحظ أن قدماء العراقيين كانوا يطلقون على البحر المتوسط (البحر الأعلى) ، وعلى الخليج العربي (البحر الجنوبي) (The Lower Sea)^٤ . وذهب بعض العلماء الى أن المراد من (البحر الأعلى) بحيرة (وان)^٥ .

وقد أرسل الملك الأكدي (منشوسو) (Manishtusu) (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق.م.) حملة عسكرية بحرية ، يظهر أنها ركبت السفن من الجزء الجنوبي الغربي من ايران من (شريكم) (Shirikum) ، فعبرت الخليج (البحر الأسفل) الى الساحل المقابل ، أي الساحل الشرقي لجزيرة العرب . ولما وصلت سفنه الساحل ، تجمع ملوك (المدن) ، وبلغ عددهم (٣٢) ملكاً ، وقرروا محاربة جنوده ، غير أن جنوده انتصروا - كما يقول ملك أكد - على جنود ملوك المدن ، واندحر أهل الساحل ، واضطروا الى الاستسلام والخضوع ، وسلمت تلك المدن له . وبذلك فرض سلطان (أكد) عليها الى موضع (مناجم الفضة) . وقد استولى على الجبال جنوب (البحر الأسفل) ، وأخذ ما وجد

١ Ancient Iraq, P. 94.

٢ Ancient Iraq, P. 122.

٣ Ancient Iraq, P. 129.

٤ W. F. Leemans, Trade in the Old Babylonian Period, P. 4, Leiden, 1960.

٥ Reallexikon der Assyriologie, I, Fünfte Lieferung, S. 374.

فيها من أحجار ، فصنع منها تماثيل قدمها نذراً للإله (انليل) (Enlil)^١ . وأغلب الظن أن مراد الملك من الجبال أسفل (البحر الأسفل) هي أرض عمان ، وهي أرض متصلة من البحر بالبحرين وبالعراق من البر والبحر ، كما أن تحرك السفن من جنوب غربي إيران ، أي من الأرض العربية المسماة بـ (عربستان) في الزمن الحاضر إلى الساحل المقابل ، أي ساحل جزيرة العرب الشرقي ، يحمل الدهن إلى أن الجبال التي ذكرها الملك هي جبال عمان ، وإذا صح هذا الرأي، يكون هذا الملك الأكدي قد وصل في فتوحاته إلى أرض عمان .

وجاء في كتابة مدونة على تمثال الملك (نارام سن) (نارام سن) (نارام سين)^٢ (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق. م)^٣ . أنه أخضع موضع (مكان) مجان (مغان) (Magan) ، وتغلب على ملكه (مانو) (مانيوم) (Manium) (مانودانو) (Mannu-Dannu) ، وأسر^٤ .

ويظهر أن أهل (مجان) (مكان) ، وهم قوم لم يشر إلى اسمهم (منشوسو) والد (نارام سن) (Naram-Sin) ، وهم أهل عمان في رأي أكثر العلماء - كما سأتحدث عن ذلك بعد قليل - كانوا قد ثاروا على العراقيين الأكديين الذين أخضعهم لحكمه والد (نارام سن) ، وذلك في أيامه أو في أواخر أيام والده ، فأرسل لذلك (نارام سن) حملة تأديبية قصت على ثورتهم وأعادتهم إلى حكم الأكديين ، وعاد بذلك ساحل الخليج العربي من عمان إلى أعلاه ، فصار جزءاً من مملكة أكد .

وقد ورد اسم (مكان) (مجان) في نصوص سومرية وأكادية ، نشر

١ G.A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1924, P. ff. Ancient Iraq, P. 131.

٢ نحو « ٢٣٠٠ ق م » حتى (ص ٤٣) الترجمة العربية ، و (٢٤٠٠ ق م) في الطبعة الثالثة باللغة الانكليزية (ص ٣٦) ، - (٢٧٣٠ ق م) في :

Rostovtzeff, A History of the Ancient World, Vol. I, Oxford 1930, P. 397, ancient Iraq, P. 132.

٣ L.W. King, Studies in Eastern History, II, "Chronicles concerning Early Babylonian Kings," Vol. I, P. 8, 51, 52, Vol. II, P. 10, 38, 39.

٤ King, I, P. 51, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, Cambridge, 1923, Bruno Meissner, Koenige Babylonien und Assyrien, S. 31, King, Vol. II, P. 10, 38 39.

بعضها العلماء ، منها نص للملك (شلجي) أو (دلجي) أو (ونجي) الملقب بـ (ملك سومر وأكاد) أفاد وجود صناعة بناء السفن في هذا المكان^١. والواقع ان أهل الساحل الشرقي لجزيرة العرب عرفوا ببناء السفن منذ القديم ، وقد ركبوا البحار ، وتاجروا ، وتوسطوا في نقل التجارة من مختلف السواحل ، ولا تزال صناعة بناء السفن الشراعية معروفة حتى اليوم مع قلة ربحها ، وعدم تمكنها من منافسة البواخر ، الا انها على كل حال مورد رزق لأصحابها لاقتناعهم بالقوت القليل .

ويدل عثور المتقنين على اختتام ومواد أخرى من عمل الهند ، في (اور) وفي (كيش) و (البحرين) ومواقع أخرى من الساحل العربي الشرقي على أن الاتصال التجاري بالبحر كان معروفاً في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وأن حركة الاتصال هذه كانت مستمرة عامرة ، وان بعض مواقع الخليج مثل (البحرين) كانت من مراسي السفن الشهيرة في تلك الأيام ، تقصدها السفن القادمة من العراق في طريقها الى الهند ، والسفن القادمة من الهند في طريقها الى العراق^٢ .

وقد دعت (مكان) (مجان) في نصوص أخرى (Matu-Ma-Gan-Na) أي (أرض مجان)^٣ . ويظهر ان الملك (مانيوم) (ماننوم) (مانوم) هو الملك (منودنو) (Mannu-Dannu) نفسه الذي ورد في نص آخر^٤ . وقد كتبت على التمثال لفظة (بلو) (Belu) بمعنى (سيد) ، أي سيد (مجان) ، وهو (مانيوم) . وقد جيء بحجر التمثال من (مجان) . وتعني كلمة (دنو) (المقتدر) ، ولذلك يرى بعض الباحثين انها صفة ألحقت بالاسم ، فهي لقبه ، وليست جزءاً من الاسم^٥ .

١ S.H. Langdon, The Cambridge Ancient History, Vol. I, P. 415, 437, F. Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadischen Koenigsinschriften, Bd. I, S. 66, 72, 76, 78, 104, 106, 134, 164, 166, H.R. Hall, The Ancient History of the Near East London, 1947, P. 190, Ancient Iraq, P. 142

٢ C. J. Gadd, Seals of Ancient Indian Style found at Ur, PBA, XVIII, P. 191-210, Sir M. Wheeler, The Indus Civilization, P. 85, Leemans, P. 5.

٣ King, II, P. 38, 39.

٤ King, I, P. 8, 51, 52, De Morgan, Délégation en Pers, Mémoires VI, P. 2 1905.

٥ King, I, P. 52, Cambridge Ancient History, I, P. 415.

وفي أنباء (جوديا) (غوديا) (Godea) ، وهو (باتيسي) مدينة (لكش)^١ ، انه جلب الحجر من (مجان) ، وذلك لصنع التماثيل ، كما جلب الخشب منه ومن (دلون)^٢ . وذكر مع موضع (مجان) اسم موضع آخر هو (ملوخا) . وقد ذكر (جوديا) (غوديا) انه جلب كميات كبيرة من (حجر أحمر) من (ملوخا)^٣ . وقد أخذ العلماء في تقصّي هذين المكانين اللذين أخذ منهما هذا الـ (باتيسي) أحجاره وأخشابه ، وكذلك أسماء مواضع أخرى ذكرت مع المكانين^٤ .

وقد بحث (ونكلر) عن موضع (مجان) ، ويقع على رأيه في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب^٥ . وقد نبه على اقتران اسم (ملوخا) باسم (مجان) في الغالب ، ويرى انهما اصطلاحان يقصد بهما في البابلية القديمة بلاد العرب ، فيراد من (مجان) القسم الشرقي من الجزيرة من أرض (بابل) الى الجنوب . وأما (ملوخا) ، فيراد بها القسم الشرقي من جزيرة العرب . ويرى أيضاً ان ما وقع في جنوب المنطقتين عرف باسم (كوش) أي الحبشة ، وان البابليين لم يكونوا يتصورون بلاد العرب شبه جزيرة تحيط بها البحار من الشرق والجنوب والغرب ، بل تصورها منطقة واسعة تمتد من الحبشة الى الهند ، وان (كوش) تقابل مصر التي هي القسم الشمالي من جزيرة العرب . فما ذكر عن (كوش) ومصر في التوراة ، لا يقصد به الحبشة ومصر ، بل يقصد به جزيرة العرب وشمالها . وقد جاء على ذلك بأمثلة من العهد العتيق ، ذكر أن من الصعب ان يكون المراد بها مصر والحبشة .

وقد ألف (ونكلر) رسالة سماها (مصري وملوخا ومعين) بيّن فيها رأيه في أن (مصري) هي أرض عربية شمالية ، وأن مصر المذكورة في التوراة

١ « باتيسي » ، في السومرية في مقابل كلمة « اشاكو » (Ischakku)
و« لكرب » أي الحاكم الكاهن ، الذي يجمع بين السلطينتين الزمنية والدينية

٢ Schrader, Die Keilschriften und das Alte Testament, S. 15. ff.

وسكون رمزه : KLT

٣ Ancient Iraq, P. 141.

٤ « مجان وملوخا ، جمعنا الخشب من جبالهما وجوديا جلب الخشب منهما الى مدينة جرسو » ،
Ancient Iraq, P. 141.

٥ KLT, S. 15.

هي في بلاد العرب ، لا في إفريقية . وقد أثارت نظرية (ونكلر) هذه جدلاً بين العلماء وقوبلت بنقد شديد ، لأنها تعارض ظاهرة نصوص التوراة ^١ :

وذهب آخرون الى أن (مجان) هي في المنطقة المسماة (Gerrha) عند (الكلاسيكيين) ، وهي الأحساء ، وأما (ملوخا) فتمتد من المنطقة الواقعة الى الجنوب من البحرين الى عمان ^٢ . وقد اشتهرت (ملوخا) بوجود الذهب فيها ^٣ . ومنها حصل (جوديا) (Gudea) (غوديا) على الذهب ^٤ ، كما اشتهرت بالخشب الثمين المسمى (Ushu) ^٥ . وأما (هومل) ، فيرى أن (مجان) في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب ، وأن (ملوخا) تقع في وسط جزيرة العرب ، أو في القسم الشمالي الغربي منها .

وذهب (جيسمن) الى احتمال وقوع (مجان) على مقربة من ساحل الخليج ، في موضع في الرمال جنوب (بربن) ، فيه بئر جاهلية ، قال إن اسمها قريب من (مجان) (Magan) ، ويعرف هذا المكان باسم (مجيمنة) ^٦ .

وقد عارض (فليبي) رأي (جيسمن) هذا ، لأن الموضع المذكور يقع في منطقة صحراوية بعيدة عن ساحل البحر ، ولا توجد فيه آثار عاديات تشعر أنه كان من المواضع الجاهلية العتيقة ، ولا صخور من نوع (الديوريت) الذي صنع منه تمثال (نرام - سين) ، ولا أي نوع آخر من الصخور ، يبعث على الظن أنه المكان الذي نقلت منه الحجارة الى العراق . وقد رأى (فليبي) أن موضع (مجن) ، الواقع على مقربة من الساحل عند مصب وادي (شبة) ، هو أقرب الى (مجان) من الموضع الذي اختاره (جيسمن) ، ولهذا ظن أنه هو المكان المقصود ^٧ .

ويرى (موسل) أن من الصعب جداً الاتفاق على تعيين موضعي (مجان)

١ Hugo Winckler, Musri, Meluhha, Main, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1898, I, Berlin, "hefte.

O'leary, P. 47. ٢

O'leary, P. 49. ٣

Thureau-Dangin, Die Sumerischen und Akkadien Königinschriften, Leipzig, 1907, S. 70. ٤

Fr. Hommel, Grundriss, I, S. 13, Arnorid T. Wilson, The Persian Gulf, Oxford, 1928, P. 28. ٥

Philby, The Empty Quarter, P. 119. ff. ٦

Major Cheesman, In Unknown Arabia, P. 266. ٧

و (ملوخا) ، لأن مدلولي الاسمين قد تغيرا تغيراً مراراً . فالذي يفهم من نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد ، أنها يقعان في جزيرة العرب على سواحل الخليج وعلى سواحل المحيط الهندي . ف (بجان) في نص (نرام - سين) أرض تحمّد لإقليم (بابل) ، أو هي لا تبعد عنه كثيراً^١ . وهي كذلك في كتابة (جودية) (جوديا) (غوديا) . وفي بعض النصوص التي عثر عليها في (اور) حيث أشير إلى طريق قوافل يوصل من (السوس) إلى (بجان)^٢ . وهذا مما يبعث على الظن أن أرض (بجان) و (ملوخا) المذكورتين في نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد تقع على الخليج ، في الأرضين التي سكن فيها الـ (جرهائيون) (Gerrhaens)^٣ . وقد كان سكان هذه السواحل يتاجرون منذ القديم مع الهند وإيران والسواحل العربية الجنوبية ، ومع إفريقية أيضاً . ويرى احتمال شمول اسم (ملوخا) منطقة واسعة تشمل ما يسمى (كوش) في التوراة ، والسواحل العربية الجنوبية التي كانت تعرف بـ (كوش) كذلك^٤ .

ويرى (موسل) أن مدلول (بجان) قد توسع في الألف الأول قبل الميلاد فشمل منطقة كبيرة شملت مصر أيضاً ، فعنى في النصوص الآشورية التي ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد بـ (بجان) طور سيناء والأقسام المتاخمة لها من مصر ، وإلى هذا الرأي ذهب (مايسنر) كذلك^٥ . أما (ملوخا) ، فقد قصد بها الحبشة والسودان . وقد توسع مدلول (حويلة) المذكور في التوراة أيضاً، فشمل المنطقة التي تقع غرب (بابل) إلى طور سيناء والسواحل الشرقية الواقعة على خليج العقبة . ولهذا ظن بعض العلماء أنها صارت تعني (ملوخا)^٦ .

وقد ذهب (كيتاني) إلى أن (بجان) هي (مدين) ، لأن أرض (مدين) كانت في حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كثيفة الأشجار ، وكانت تصدّر الأخشاب التي تصلح لبناء السفن . ومن مدين أخذ البابليون الذهب والنحاس

Musil, Negd, P. 306. ff. British Museum Tablet, 26, 472, K. 2130.

Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

Konige, S. 31, Musil, Negd, P. 307.

Musil, Negd, P. 307.

والأخشاب . أما (موسل) ، فيعارض هذا الرأي ، ويرى أن من الصعب تصور نقل الأكديين والسومريين والبابليين الأخشاب والصخور الثقيلة من مدين على ظهور الجمال الى بلادهم مع اتساع الشقة وبعد الطريق ، ويرى أن من الصعب تصور نقلها في البحر الأحمر فالبحر العربي فالخليج ، فإن ذلك يستدعي زمناً طويلاً ومتاعب كثيرة ، ثم إن النصوص لم تشر الى ذلك . فن المعقول أن تكون (مجان) في العربية الشرقية على ساحل الخليج^١ .

ويرى (كلاسر) أن (Magon Kolpos) الذي ذكره (بطليموس) لا يعني (خليج المجوس) (Magorum Sinus) حتماً ، إذ يجوز أن يكون المراد منه (مجان) (Magan) ، أي موضع (مجان) الذي نتحدث عنه^٢ . ويقع — في رأيه — على ساحل الخليج ، وربما كان عند (القطن) (قطن) . ويحتمل — في رأيه أيضاً — أن يكون (Maka) المذكور في نص (دارا)^٣ .

ويرى (أوليري) أن (مجان) هي (Gerrha) ، وتمثلها الأحساء في الزمن الحاضر . أما (ملوخا) (Meluhha) ، فتقع — في رأيه — جنوب الأحساء ، في عمان . وقد استدل على ذلك بنص دون في عهد (سرجون) (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م.) ، جاء فيه أن مملكته بلغت مسيرة ١٢٠ (بيرو) من سقي نهر الفرات الى (ملوخا) على ساحل البحر^٤ ، وأن موضع (دلون) (Dilmun) يقع على مسافة ٣٠ (بيرو) من رأس الخليج^٥ . فيجب أن يكون موضع (ملوخا) اذن بعد موضع (دلون) . ولما كان موضع (دلون) هو (تيلوس) (Tylus) في رأي أكثر العلماء ، أي البحرين ، فلأذن تكون أرض (مجان) وأرض (ملوخا) في العرض ، وفي المواضع المذكورة^٦ . وذهب

١ المصدر نفسه .

٢ Glaser, Skizze, II, S. 223. f. Forster, I, P. 298, 306, II, 215.

٣ Skizze, II, S. 225.

٤ Schroder, Keillinschr. Verschiedenen Inhalts, No. 92, O'leary P. 46.

٥ « بيرو » ، وفي القراءات القديمة « قصبو » (قصبه) « Kaspu » عوشا عن (بيرو) وهي مقياس للمسيرات ، سومر ، الجزء الثاني ، ١٩٤٩ ، من المجلد الخامس (ص ١٣٤) .

٦ O'leary, P. 46, ff.

بعض آخرون الى احتمال أن يكون (مجان) (مكان) في العربية الشرقية في موضع عمان^١ .

وقد ذكر الملك (شروكين) (Sharrukin) ملك آشور أن في جملة الأرضين التي خضعت لحكمه أرض (تلمون) (Tilmun) و (مجانا) (مجان) (مجنا) (Maganna) ، وتقع في البحر الجنوبي ، ويريد به الخليج . ويشير الى انه فتح هذه الأرضين بيده ، وذلك قبل الميلاد بمئات السنين (١٩٨٠ ق - ١٩٤٨ ق . م .)^٢ . وقد رأى (ينسن) (P. Jensen) أن المراد بـ (تلمون) جزيرة (قشم) ، على الرغم من ذهاب كثير الباحثين الى انها البحرين . وأما (مجان) فإنها في نظره أرض (عمان)^٣ .

وجاء اسم (ملوخا) (ملوخه) (Melluhha) واسم (تلمون) (Tilmun) في جملة أسماء الأرضين التي كان يحكمها ملك آشور (توكولتي نينورتا) (Tukulti-Ninurta) ، وقد نعت نفسه بـ (ملك كردونيش) (Karduniash) وملك سومر وأكاد ، وملك سيبار (Sippar) وبابل ، وملك تلمون وملوخا ، وملك (البحار العالية) و (البحار التحتية) ، وقصد بجملة (البحار العالية) (بحيرة وان) على ما يظهر ، وتقع أعلى آشور ، وجملة (البحار التحتية) البحر الذي يقع أسفل مملكة آشور ، أي في جنوبها ، ويظهر انه أراد به الخليج العربي . ومعنى ذلك انه حكم منطقة واسعة امتدت رقعتها من (بحيرة وان) حتى الخليج ، وفي ضمنها (البحرين) والسواحل الواقعة الى غربها ، وهي سواحل (ملوخا) (ملوخا)^٤ .

دلمون :

ويجربنا الحديث عن (مجان) و (ملوخا) الى الحديث عن موضع آخر ورد في النصوص (الأكديّة) و (السومرية) و (الآشورية) ، هو موضع

1 Leemans, P. 12.

2 Reall. I, Dritte Lieferung, S. 237, 240.

3 المصدر نفسه .

4 Reall. I, Fünfte Lieferung, S. 374, Berlin, 1931.

(ني - تلك) (Ni-Tuk) (Ni-Tuk-Ki) وهو (دلمون) (Dilmun)
أو (تلمون) (Tilmun)^١ : وقد اشتهر بتمره وخشبه وبمعادنه مثل النحاس
والبرنز ، وكانت فيه مملكة يرأسها ملوك^٢ . وقد رأينا ان (جوديا) (Gudea)
كان قد أشار اليه والى موضع (بجان) ، وقد ذكر انه استورد الخشب منه ،
كما رأينا اسم هذا المكان في ضمن الأماكن المذكورة في نص (سرجون) ، وقد
ورد أيضاً في نص للملك (آشور بانبال)^٣ . وفي نص للملك (سنحاريب)
(سنحريب) ، وقد ذكر هذا الملك انه بعد أن تمكن من (بابل) ودكها
دكاً ، عزم على ضم (دلمون) الى مملكته ، فأرسل وفداً الى ملكها يخبره أمراً
من أمرين : إما الخضوع لـ (آشور) ولما الخراب والدمار . فوافق ملك
الجزيرة على الاعتراف بسيادة (سنحاريب) عليه ، وأرسل اليه بحزبة ثمينة^٤ .
وكذلك كانت هذه الجزيرة في عداد الأرضين التي خضعت لـ (آشور بانبال)^٥ .
ويظهر من النصوص أن (دلمون) كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة ،
فكانت تعدّ من الأماكن المقدسة ، وقد رويت عنها أساطير دينية ، وعبدت
فيها آلهة تعبد لها أهل العراق ، مما يدل على الاتصال الثقافي المتين الذي كان
بين العراق والبحرين . ووجد اسم الإله (انزاك) في كتابة عثر عليها في
البحرين^٦ ، وتشير أسطورة (أنكي) وزوجه (ننخرساک) وملحمة (كلشمش)
(جلجامش) (جلجامش) ، وأسطورة (أرض الحياة)^٧ وغير ذلك من
القصص الشعبي ، الى هذا الاتصال الطبيعي الذي كان بين جنوب العراق
والعروض :

وذكر (هومل) أن من كبار آلهة (دلمون) : (نلخامو) (نلخامون) ،
وهو إلهة أنثى^٨ . وأشار أيضاً الى نص أرخ في السنة السابعة من سني (فيليبس)

١ O'leary, P. 46.

٢ Burrows, Tilmun, Bahrain, Paradise, in *Orientalia*, Heft, 2, *Scriptura Sacra et Monumenta Orientis Antiqui*, Roma, 1928, P. 5, 30.

٣ Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, II, 41, 76, 92, 185.

٤ Luckenbill, *Ancient*, II Sect. 438.

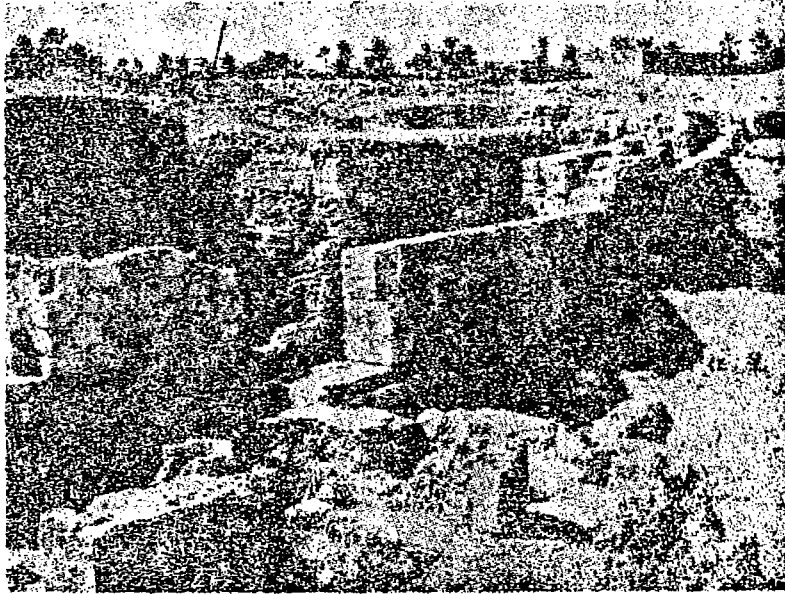
٥ مجلة سومر ، الجزء الثاني من المجلد الخامس ، ١٩٤٩ ، (ص ١٣٧) .

٦ Burrows, P. 30.

٧ S.N. Kramer, in *BOASOOR*, Num. 96, (1944), P. 18.

٨ Hommel, *Grundriss*, I S. 130.

(Philippus) (فيلفوس)^١ وتقابل سنة (٣١٧ ق. م.) ، وهو نص (بابلي) ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) (Pardesu) ، وتقابل هذه الكلمة كلمة (Pildash)^٢ (Pardes) بالعبرانية^٣ و (فردوس) بالعربية ، وتقع في



معبد من حضارة ديلمون (٣٠٠٠ ق. م)
من نشرة دائرة الإعلام : حكومة البحرين

القسم الشرقي من جزيرة العرب ، بين (مجان) و (بيت نيسانو) (Bit Napsanu) التي هي جزيرة (دلون)^٤ . وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة ، إنما أريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج^٥ .

١ « فيلفوس » ، الطبري (٦٩٤/١ ، ٧٣٨) ، « طبعة ليدن » ،

Hommel, Grundriss, I, S. 166. ٢

Enc. Bibl. P. 3569. ٣

Hommel, Grundriss, I, S. 250. ٤

٥ المعرفة النظريات التي ذكرها علماء التوراة عن « جنة عدن » يستحسن مراجعة: Enc. Bibl. P. 3574.

وقد ذهب أكثر العلماء الى أن أرض (دلمون) هي جزيرة البحرين ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لها ، وذلك لأن المسافة التي ذكرت في نص (سرجون) تكاد تساوي بعد البحرين عن فم نهر الفرات ، وهذا مما حملهم على القول إن موضع (دلمون) هو جزيرة البحرين . ثم إن الصلات بين العراق والعروض كانت قوية ، والأرض هي على امتداد واحد ، فلا موانع ولا حواجز ، ولهذا رجحوا كون (دلمون) هي البحرين^١ .

وعرفت (دلمون) أو البحرين في الكتب (الكلاسيكية) باسم (تيلوس) (Tylus) ، ويرى بعض الباحثين أنه حرف عن (تلوون) (Tilwun) ، وهو (Dilmun) في الأصل ، وورد معه اسم (أرادوس) (Aradus)^٢ . وقد ذكر (بلينيوس) (Pliny) أن جزيرة (Tylos) (Tylus) معروفة بالؤلؤ ، وبها مدينة عرفت بهذا الاسم كذلك . وعلى مقربة منها جزيرة صغيرة . وهي تقابل الساحل الذي يسكنه الـ (الجرهابيون) (Gerrhaens) ، نسبة الى مدينتهم (جرهابا) (Gerrha)^٣ . وينطبق وصف (بلينيوس) لجزيرة (Tylos) (Tylus) على جزيرة البحرين كل الانطباق :

وقد ورد في بعض نصوص (أور) (Ur) أنها صدرت الصوف في السفن الى (تلمون) (Tilmun)^٤ ، كما أشير الى قوافل كانت تذهب من (أور) الى هذا الموضع ، وقد عادت بأرباح كبيرة^٥ . ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص أخرى أن الاتجار بين (تلمون) و (أور) كان متصلاً مستمراً ، وأن جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن الى (تلمون) للاتجار ، تحمل الى هذا الموضع ما بها حاجة اليه من حاصلات العراق ومن الأموال الواردة الى العراق من الأسواق الخارجية مثل ايران وبلاد الشام وآسية الصغرى وربما من اليونان وأسواق أوروبا ، فتييعها هناك ، وربما يشتريها تجار (تلمون) أو غيرهم

P.B. Cornwall, in BOASOOR, 1946, P. 3. ff. The Geographical Journal, CVII, Nos, I, and 2, Febr. 1946, 28-50, The National Geographical Magazine, April, 1948. ١

Enc. I, P. 584. ٢

Glaser, Skizze, II, S. 74. ٣

UET III, 1507, Leemans, P. 22. ٤

UETV 526, UETV 678, Leemans, 25, 26, 27, 28, 29. ٥

لتصديرها الى أماكن أخرى بعيدة مثل الهند، أو إفريقية ، أو قلب جزيرة العرب .
فإذا انتهى هؤلاء التجار من بيع تجارتهم ، يعودون ببضائع من البحرين ، هي
في الغالب من تجارة الهند أو إفريقية ، في جملتها المعادن والأخشاب والعطور
والأشياء النفيسة الأخرى التي كانت تباع بأثمان باهظة ، فيربح هؤلاء التجار من
هذه التجارة ربحاً كبيراً .

وقد كان تجار (تلمون) يأتون بسفنهم الى (أور) يحملون ما استوردوه
من تجارات من الهند أو إفريقية أو جزيرة العرب ، لبيعه في أسواق (أور) ثم
يعودون بسلع أسواق أور ، من حاصل العراق وما جلب الى أور من الخارج .
وقد كان هؤلاء التجار يدفعون العشر ، ضريبة عن هذا الاتجار^١ .

وقد عثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار
للاتجار بين (أور) و (تلمون) ، وبينها وثائق تتعلق بتجارة تجار قاموا
بأنفسهم بالاتجار مع (تلمون) . ويظهر من دراستها ان اولئك التجار كانوا
يستوردون النحاس بمقياس واسع من (تلمون) ، لأنه مطلوب في العراق ،
ولأن أسعاره هناك أرخص بكثير من سعره في أور ، وكان في جملة السلع التي
استوردوها من (تلمون) الفضة و (عين السمك) ، أي اللؤلؤ على ما يظن^٢ .

ولا بد أن يكون هذا النحاس من جملة المواد المستوردة من مواضع أخرى
الى (تلمون) . وقد تكون أرض عمان في جملة الأماكن التي أمدت هذا
الموضع به . فقد عثر في عمان على آثار منجم عند مكان يسمى (جبل معدن)
يقع على مسافة (٧٥) ميلاً الى الشمال الغربي من الجبل الأخضر^٣ . فلعل هذا
المنجم القديم كان مستغلاً في تلك الأيام يستخرج النحاس منه .

ولقد عثر في البحرين على مقابر قديمة كثيرة كما ذكرت قبل . وقد وجد
بعد فتحها أنها خططت على نمط واحد ، وتتجه مداخلها نحو الغرب ، وذلك
مما يبعث على الظن ان لهذا الاتجاه علاقة بشعائر دينية عند القوم أصحاب المقابر .
وقد وجدت فيها كما سبق أن قلت عظام بشرية ، منها جمجمتان بشريتان ،

Leemans, P. 31. ١

Leemans, P. 48, 50. ٢

Leemans, P. 122. ٣

وعظام حيوانات يظهر أنها دفنت وهي حية مع أصحابها وفق العقائد الدينية التي كانوا يدينون بها . وعثر على مصوغات من الذهب وعلى خرز وأحجار زينة : غير أن هذه الأشياء لم تعط الباحثين حتى الآن فكرة يقينية عن تأريخها وعن أيام أصحابها ، والرأي الشائع بين الذين عثروا بدراساتها وفحصها أنها مقابر (فينيقية) ، لأن البحرين كانت الموطن القديم للفينيقيين^١، وأن لم يصدر حتى الآن رأي جازم في هذا الشأن :

وقد عثر كما ذكر (ولسن) (Wilson) في مقبرة من هذه المقابر على حجر أسود مكتوب بكتابة تشابه الكتابات المسارية^٢ .

ويستشهد العلماء الذين يذهبون إلى أن تلك المقابر هي مقابر (فينيقية) ، وأن سكان البحرين هم فينيقيون ، بما ذكره (سترابون) من أن في جزيرتي (Tylus) (Tyrus) و (Aradus) ، مقابر تشابه مقابر الفينيقيين ، وأن سكان الجزيرة يرون أن أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينيقية^٣ .

وقد قامت بعثة آثارية دانماركية بالبحث عن الآثار في البحرين ، وقد نبشت الأرض في ثلاث مواضع لاستنطاقها والاستفسار منها عن ماضيها القديم . وقد تأكدت البعثة من أن الأماكن التي نقبت فيها تعود إلى مستوطنات العصر البرنزي . وكان في جملة ما عثرت عليه تمثالين صغيرين لثورين ، وفخاراً ، وأشياء أخرى .

وقد عثر المنقبون على آثار معابد في مواضع من جزر البحرين ، تبين من فحصها أنها خربت مراراً ، وأن الأيدي لعبت بها ، وقد انتزعت أحجارها للاستفادة منها في تحويلها إلى أبنية جديدة . وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها بعض التماثيل وبعض الأحجار المثقوبة ، وكانت مذابح تذبح عليها القرابين ، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب إلى حفرة تتجمع فيها الدماء . وقد تبين أن هذه المعابد ، هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرنزي ، وأن تأريخ بعضها يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد^٤ .

Enc. Vol. I, P. 585, Cornwall, in Geogr. Journal., CVII, P. 36, 142, 1946, Wilson, ١
The Pers. Gulf. P. 29, Bent, The Bahrain Islands, In Roy. Geogr. Soc. 12, London, 1890.

Wilson, P. 31. ٢

Enc. I, P. 585, Wilson. P. 29, 30, Strabo, XVI, III, 3, 4, Stuhlmann Der Kampf S. 195 ٣

Belgrave, P. 53. ٤

ويرى كثير من الباحثين في التاريخ القديم ان أصل الفينيقيين الساكنين في (فينيقية) بلبنان هو من هذه المنطقة ، أي من البحرين والساحل المقابل له . وقد ذكر (هيرودوتس) ان المشهور في أيامه ان أصلهم من البحر الأحمر . ولكن العلماء يرون انه قصد الخليج العربي (Sinus Persicus) لا البحر الأحمر .



سلام تؤدي الى معبد من معابد « باربار » في البحرين
من تصوير شركة فقط البحرين

ويذكرون أن الفينيقيين تركوا ديارهم هذه ، وهاجروا منها ساكني الساحل ، ثم وادي الفرات ، ومن وادي الفرات يمتدوا لبنان ، حيث استقروا على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم ، أي (فينيقية) (Phoenicia)^١ .
اننا لا نستطيع أن نتحدث الآن عن حكومة العروش أو حكومات العروش

١ Herodotus, I, VII, 89, Hastings, P. 725.

٢ Hastings, P. 725.

في عصور ما قبل الميلاد : فما لدينا من أخبار هو نزر يسير . نعم ، من الجائز أن يكون أهل هذا الساحل قد كونوا لهم حكومة واحدة ، ومن الجائز أن يكونوا قد أقاموا حكومات عديدة ، حكومات مدن ، أو حكومات قبائل ، على نحو ما نعرفه عن هذه المنطقة الى عهد ليس يبعد : وكما نرى في مشيخات وإمارات الخليج في هذا الزمان . ومن الجائز أن يكون أهل العراق قد أخضعوا ذلك الساحل وأقاموا حكومات فيه . ونحن لا نستطيع التحدث الآن عن (أرض البحر) (Mat-Tamtim) ، هل كانت حكومة قوية عاشت في الألف الثالث قبل الميلاد ، حكمت كل الساحل الى أن غزتها حكومات من العراق أو كانت إمارة أو (مشيخة) في اصطلاح هذا اليوم ؟ ولكن ما نراه من سرعة تغلب الأكاديين والسومريين والآشوريين على أهل الساحل ، يشير الى أنهم لم يكونوا أصحاب حكومة قوية وانهم انما كانوا في أغلب الظن رجال بحر وتجارة ، لهم حكومات صغيرة أي إمارات و (مشيخات) ، وهذا يفسر لنا سر استسلامها لحكومات العراق بسهولة ويسر وأدائها الجزية لها .

وهناك من يزعم أن (السومريين) إنما جاءوا الى العراق من البحرين ، جاءوا اليه في حوالي السنة (٣١٠٠ ق. م) . وقد عرفت البحرين باسم (دلمون) (Dilmun) في نصوص السومريين وقد كانت البحرين محطة مهمة ينزل فيها الناس في هجراتهم نحو الشمال ، كما كانت محطة للتجارة مع الهند والبلاد البحرية الأخرى . والرأي الغالب اليوم بين علماء التاريخ القديم أن الكلدانيين الذين سكنوا الأقسام الجنوبية من العراق ، إنما جاءوا الى هذه الأرضين من العربية الشرقية ، من ساحل الخليج ، وذلك في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد ، ثم زحفوا نحو الشمال حتى وصلوا الى بابل ، وقد وجد بعض الباحثين كتابات كلدانية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية القديمة ، أي حروف المسند ، واستدلوا من ذلك على أن أولئك المهاجرين الذين ربما كان أصلهم من عمان هاجروا الى ساحل الخليج ، ثم انتقلوا منه الى العراق ، ونقلوا معهم خطها القديم ، الذي تركوه بعد ذلك حينما استقروا في العراق ، لتأثرهم بالموثرات الثقافية العراقية . والنماذج القديمة من كتاباتهم التي عثر عليها الباحثون ،

وإن لم نتحدث عن أصل أصحابها ، إلا أن خطها المذكور يشير الى أنه من العربية الشرقية ^١ .

وقد ذهب (سترابو) الى أن (Gerrha) التي تقع عند (العتير) كانت في الأصل موضعاً للكلدانيين (Chaldaer) ، وكانت ذات تجارة مع أهل بابل مزدهرة ^٢ .

على كل فالذي يتبين لنا من الأخبار السومرية والآكدية والآشورية وغيرها أن أهل العربية الشرقية كانوا قد كونوا لهم حكومات مدن وذلك قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، صرفت جل عنايتها نحو التجارة وركوب البحار للتجارة ، والاستفادة من البحر لاستخراج ما فيه من سمك و (لؤلؤ) ، واستغلال ما في أرضها من ماء للزراعة عليه . والطبيعة هي التي فرضت على أهل هذا الساحل هذا الشكل من الحكم ، لأنها لم تمنحهم أمطاراً وافرة تمكنهم من استغلال أرضهم ، ولم تعطهم أنهاراً كبيرة طويلة تساعد في نشوء العمران عليها وتكوين حكومات مطلقة ، كما في العراق أو في وادي النيل ، لذلك انحصرت السكنى في مواضع متناثرة من الساحل ، فصعب على السكان تكوين حكومة مطلقة واحدة يكون الحكم فيها حكماً مركزاً في أيدي الملوك ، لتباعد المدن بعضها عن بعض ، لذلك صار الحكم فيها حكماً مدن ، على المدينة (ملك) أو رئيس يدير شؤون الجماعة ، إلا أن هذا الوضع جعلهم عرضة للغزو اذ طمعت فيهم الحكومات الكبيرة ، كالذي رأيناه من غزو السومريين والآكديين لهم ، وكالذي سئراه فيما بعد من غزو الآشوريين واليونانيين وغيرهم لهذه الأرضين .

لقد استورد السومريون والآكديون الذهب والحجارة الصالحة لصنع التماثيل ، والأخشاب لبناء المعابد ، والأشياء النفيسة الأخرى من (دلون) ومن (ملوخا) ومن (مكان) (حجان) ، وهي أماكن يرى كثير من العلماء أنها في العربية الشرقية ، وقد تكون تلك المواد من الأموال المستوردة من الهند . على كل حال ، فقد توسطت تلك الأماكن في استيرادها وإيصالها الى العراق ، بفضل مهارة سكانها في تسخير البحر وتيسيره ، وقد ترك الفتح العراقي فيها أثراً كبيراً

١ W. F. Albright, in BASOOR, Num. 128, 1952, P. 39, "the Chaldaean Inscriptions in Proto-Arabic Script".

٢ Strabo, XVI, 7, 66, Grohmann, Arabien, S. 257.

يظهر في الآثار العراقية التي استخرجت من باطن الأرض وفي فن العربية الشرقية التأثير بالفن العراقي .

وقد أثر انتقال ثقل الحكم من (أور) ومن القسم الجنوبي من العراق الى وسطه تأثيراً كبيراً في ثراء (أور) واقتصادها ، فقد كان في هذه المدينة تجار كوتونا لهم شركات بحرية لنقل التجارة بين هذه المدينة ومدن الخليج ، وربما الى



رأس ثور عثرت عليه البعثة الدانماركية
في « باربار » بالبحرين

مدن الهند أيضاً . وقد أثر ذلك فيهم بصورة خاصة حين وضع (حمورابي) أنظمة تحدد الاتجار البحري في ذلك العهد^١ : وقد افتخر ملك (آشور) ، الملك (تكلتي - نورتا) (Tukulti-Ninurta) (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق. م.) ، بأنه وسّع حدود مملكته في الجنوب ، بأن استولى على (سومر) و (أكّد) ، وثبت حدودها الجنوبية عند (البحر الأسفل حيث مشرق الشمس)^٢ . ويعني بذلك الخليج ، غير انه لم يشر الى الأرضين التي استولى عليها في هذا الخليج :

هذا كل ما نعرفه اليوم عن تاريخ العرب في العهود القديمة : وهو كما رأينا

١ Ancient Iraq, P. 184, Leemans, The Old Babylonian Merchant, Leiden, 1950, P. 78-95, Foreign Trade in the Old Babylonian Period, Leiden, 1960, A. L. Oppenheim, JAOS, S. 74, 1954, P. 15, 17.

٢ Ancient Iraq, P. 217, D.D. Luckenbill, Ancient Records, I, P. 145,

نزر يسير، أخذ من بحوث أفراد ومن بحوث عرضية حصل عليها عند البحث عن البترول ، وأملنا في زيادة علمنا بتلك العهود هو في قيام بعثات علمية بالبحث عن الآثار والمعاديات لاستنطاقها عن أحوال تلك العهود . وليس أمامنا بعد هذه المقدمة الا الدخول في العصور المعروفة التي وضل اليها بعض أخبارها في الكتابات وفي الموارد الأخرى .

وقد كان لأعمال الحفر التي قامت بها بعثة (دانماركية) أرسلها متحف ما قبل التاريخ في (Aarhus) بالدانمارك فضل كبير في الكشف عن صفحات مطوية من تاريخ سواحل الخليج . فقد تمكنت هذه البعثة من العثور على آثار من عهود ما قبل العصور التاريخية في البحرين وقطر و (أبي ظبي) ، كما تعقبت آثار السكنى القديمة في البحرين وعمان وبقية الساحل ، وعثرت على معابد قديمة مثل معبد (بربر) (باربار) في البحرين و (تل قلعة البحرين) في البحرين ، وتوصلت بذلك الى نتائج قيمة جداً رجعت بتاريخ هذه البلاد الى عصور بعيدة جداً عن الميلاد ، وكان من أعمالها الكشف عن آثار (فيلكا) في الكويت .

وقد تبين من دراسة البعثة الدانماركية لآثار معبد (بربر) (باربار) في البحرين ، انه معبد عتيق : يرجع عهده الى حوالي السنة (٣٠٠٠ ق.م .) أو أقدم من ذلك ^١ . وأنه كان معبداً كبيراً به (بئر) مقدسة يستقي منها المؤمنون للتبرك بمائها ولتطهير أجسامهم ولإجراء الشعائر الدينية، ويلاحظ أن الباحثين تمكنوا من العثور على آبار مقدسة في بيوت العبادة الكبرى عند الجاهليين ، وهذا يدل على أن معابدهم الكبيرة كانت ذات آبار مقدسة يشربون منها للتبرك والشفاء ولتطهير أجسامهم ، شأنهم في ذلك شأن أهل مكة و (زمزم) .

لقد وجدت هذه البعثة تحت أنقاض (تل القلعة) في البحرين بقايا مدينة قديمة يمكن أن تعدّ من مدن الجزيرة الكبيرة أو عاصمتها ، يرجع تاريخها الى حوالي السنة (٢٥٠٠ ق.م .) . وكانت مسورة بسور ارتفاعه (١٦) قدماً عن سطح الأرض ، بني بالحجارة ، وقد بنيت به قلعة لحمايته من هجوم الأعداء ، وعثر على باب المدينة، وقد زينت ببناء مربع الشكل . ويقال ان الملك (سرجون) الأكادي كان قد أمر باحراقها سنة (٢٣٠٠ ق.م .) ، حتى صارت ركاماً ،

وبقيت على ذلك طوال أيام (الكاسيين) (الألف الثانية قبل الميلاد) ، حتى أعيد بناؤها في القرن السابع قبل الميلاد ، فازدهرت وتوافد عليها السكان ، وأخذت تتاجر مع العراق . وكانت مزدهرة في أيام (الأخمينيين) و(السلجوقيين) ، إلا أن النحس حلّ بها بعد سقوط الحكومة السلجوقية ، ولأزمها ولم يتركها حتى هجرها الناس^١ .

وفي جملة ما عثرت عليه تلك البعثة آثار مدينة يرجع عهدها الى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد ، في مكان يعرف بـ (مرب) في القسم الغربي من (قطر)^٢ .

١ P.V. Glob, Kuml, 1957, 1958, 142, 144, T.G. Bibby, Kuml, 1957, 162.

٢ Glob, Kuml, 1959, 238, Grohmann, Arabien, S. 260.

الفصل الرابع عشر

العرب في الهلال الخصيب

ليس من السهل علينا التعرض في الوقت الحاضر للصلات التي كانت بين العرب الشماليين وبين حكومات الهلال الخصيب في أقدم العهود التاريخية المعروفة التي وقفنا على بعض ملامحها ومعالمها من الآثار ، فبينها وبيننا حجب كثيفة ثخينة لم تتمكن الأبصار من النفاذ منها لاستخراج ما وراءها من أخبار عن صلوات العرب في تلك العهود بالهلال الخصيب .

ولعل خبر (نرام - سن) (نرام - سين) (Naram-Sin) الأكادي (٢٢٧٠ - ٢٢٢٣ ق. م.) ، عن استيلائه على الأرضين المتصلة بأرض بابل والتي كان سكانها من العرب (Aribu) (Arabu) ، هو أقدم خبر يصل إلينا في موضوع صلوات العرب بالعراق^١ . وهو خبر ينبئك بأن عرب أيام (نرام - سن) ، كانوا في تلك المنازل قبل أيامه بالطبع ؛ وهي منازل كوتوا فيها (مشيخات) و (إمارات) مثل إمارة (الحيرة) الشهيرة التي ظهرت بعد الميلاد .

ويحدثنا سفر (القضاة) بأن (المدينيين) والعمالقة وبنو المشرق ، كانوا ينتزعون ما بأيدي الإسرائيليين من غلة زراعة، وما عندهم من ماشية ، ويغبرون

Arablen, S., 21.

عليهم . كانوا يأتون اليهم بنحياهم « كالجراد في الكثرة ، وليس لهم وبلجهم عدد ، حتى ذل الإسرائيليون^١ . وأصل المدينين من جزيرة العرب ، استقروا بأرض (مدين) جاءوا اليها من الحجاز ، وأخذوا يغزون العبرانيين ، ومنها هذه الغزوات التي يرجع بعض الباحثين تأريخها الى النصف الأول من القرن الحادي عشر قبل الميلاد^٢ . أما العاقبة وبنو المشرق ، فإنهم مثل المدينين من قبائل العرب .

العرب والآشوريون :

إن أول إشارة الى العرب في الكتابات الآشورية ، هي الإشارة التي وردت في كتابات الملك (شلمنصر الثالث) (شلمنصر) ملك آشور^٣ . فقد كان هذا الملك أول من أشار الى العرب في نص من النصوص التاريخية التي وصلت إلينا ، إذ سجل نصراً حروبياً تم له في السنة السادسة من حكمه على حلف تألف ضده ، عقده ملك (دمشق) وعدد من الملوك الإرميين الذين كانوا يحكمون المدن السورية وملك اسرائيل ورئيس قبيلة عربي ، اسمه (جندب) . وقد كان هذا النصر في سنة (٨٥٣) أو (٨٥٤ ق.م)^٤ . وقد قصد (شلمنصر) بلفظه (عرب) الأعراب ، أي البدو ، كما شرحت ذلك في الفصل الأول : أما العرب الحضرة ، أهل المدر ، أي المستقرون ، فقد كانوا يدعون كما ذكرت ذلك أيضاً بأسماء الأماكن التي يقيمون فيها أو التسميات التي اشتهروا بها . ذلك لأن لفظة (العرب) لم تكن قد صارت علماً على جنس ، من بدو ومن حضر ، بالمعنى المفهوم من اللفظة عندنا . ولم يكن هذا الاستعمال مقتصرأ على الآشوريين

١ . القضاة ، الاصحاح السادس ، الآية ٣ وما بعدها .

٢ . Arabel, S., 21.

٣ . (شلمنصر) ، قاموس الكتاب المقدس (١/٦٢٩) ، بمعنى (شلمان ذو نعمة) سنة ١٢ و ١٩ (ص ٦٥) ، راجع عن مادة العرب في الموارد البابلية والآشورية ادي شير : تاريخ كلنو وأثور (المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين) في بيروت اطروحة T. Weiss Rosmarin المعنونة بـ

(Arabi und Arabeln in den Babylonish-Assyrischen Quellen) Wuerzburg, 1931, New York, JSOR, 16, 1932.

٤ . D.D. Luckenbill, Ancient Records, Vol. II, 17, 118, Vol., I, 661.

بل كان ذلك عاملاً حتى بين العرب أنفسهم وقد أدى ذلك الى جهلنا بهويات شعوب ذكرت في النصوص الآشورية وفي النصوص الأخرى وفي التوراة ، دون أن يشار الى جنسيتها ، فلم نستطع أن نضيفها الى العرب للسبب المذكور :

وكان ملك (دمشق) (بيرادري) (Bir-Idri) (Biridri) ، المعروف باسم (بنهدد) (Benhaddad) في التوراة^١ ، قد هاله توسع الآشوريين وتدخلهم في شؤون الممالك الصغيرة والإمارات ، ولا سيما بعد تدخلهم في شؤون مملكة (حلب) ، وخضوع هذه المملكة لهم بدفعها الجزية واعترافهم بسيادة آشور عليها . فعزم على الوقوف أمام الآشوريين ، وذلك بتأليف حلف من الملوك السوريين وسادات القبائل العربية ، لدرء هذا الخطر الداهم . وقد انضم اليه (آخاب) ملك اسرائيل ، وأمراء الفينيقيين ، فكان مجموع من استجاب لدعوته اثنا عشر ملكاً من ملوك سوريا ، (وجنديو) ملك (العرب) ، وقد أمد الحلف بألف جمل وبمحاربي ، وكل هؤلاء كانوا قد أصيبوا بضربات عنيفة من الآشوريين وتعلموا بتجاربهم معهم مبلغ قوتهم وغلظتهم على الشعوب التي غلبوها على أمرها ، فأرادوا بهذا الحلف التخلص من شرهم والانتقام منهم والقضاء عليهم .

وعند مدينة (قرقر) ، الواقعة شمال (حماة) وعلى مقربة منها ، وقعت الواقعة ، وتلاقى الجيشان : جيش (آشور) تسيّره نشوة النصر ، وجيوش الإرميين والعرب والفينيقيين ومن انضم اليهم ، تجمع بينهم رابطة الدفاع عن أنفسهم ، وبغضهم الشديد للآشوريين . لقد تجمع ألوف من جنود الحلفاء في (قرقر) على رواية ملك آشور ، لمقاومة الآشوريين وصدهم من التوسع نحو الجنوب ، واشتركت في المعركة مئات من المركبات . أما النصر فكان حليف (شلمنصر) ، انتصر عليهم بيسر وسهولة ، وأوقع بهم خسائر كبيرة ، وغنم منهم غنائم كثيرة ، وتفرق الشمل ، وهرب الجميع ، وانحل العقد ، ورجع ملك آشور الى بلده منتصراً ، مخلداً انتصاره هذا في كتابة ليقف عليها الناس^٢ .

١ راجع عن (بنهدد) ، قاموس الكتاب المقدس ، (٢٥٠/١) ، (بنهداد ، اوبرهداد) (ادايردري) ، وهو الذي يسميه الكتاب المقدس بنهداد ، باسم ابيه بنهداد الاول

ادي شير (ص ٦٩) ، Enc. Bibl. P. ٥٠٦ ، Hastings, P. 90, Meisner, Konige, S. 139

٢ ادي شير (ص ٦٩ فما بعدها) ،

والإليك بعض ما جاء في نص (شلمنصر) عن معركة (قرقر) ، لتقف على ما قاله عنها : (قرقر : عاصمته الملكية ، أنا أثلقتها ، أنا دمرتها ، أنا أحرقتها بالنار ، ١٢٠٠ عجلة ، ١٢٠٠ فارس ، ٢٠,٠٠٠ جندي لهدد عازر صاحب إرم ... ألف جمل لجندب العربي ... هؤلاء الملوك الاثنا عشر الذين استقدمهم لمساعدته ، برزوا الى المعركة والقتال ، تألبوا عليّ ...)^١ .

ويلاحظ كثرة عدد العجلات المستخدمة في المعركة بالنسبة الى تلك الأيام . وهذه الأرقام ليست بالطبع أرقاماً مضبوطة ، فقد عودنا الملوك الأقدمون المبالغة في ذكر العدد ، والتهويل في تدوين أخبار المعارك والحوادث ، للتضخيم من شأنهم وللتعظيم ، وتلك عادة قديمة ، نجدها عند غير الآشوريين أيضاً^٢ .

و (جنديو) اسم من الأسماء العربية المعروفة ، هو (جندب) . ويكون هذا الاسم أول اسم عربي يسجل في الكتابات الآشورية . ولم يشر (شلمنصر) الى أرضه والمكان الذي كان يحكم فيه . غير ان القرائن تدل على انها كانت في أطراف البادية ، ويرى (موسل) انها كانت تقع في مكان ما جنوب مملكة (دمشق)^٣ . وأرى انه كان ملكاً على غرار الملوك سادات القبائل مثل ملوك الحيرة والغساسنة ، حكم على قبائل خضعت لحكمه وسلطانه ، وكان يتناول الإتاوات من الحكومات الكبيرة مقابل حماية حدودها من الغارات والاشتراك معها في الحروب .

وقد أبلغنا (شلمنصر) الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م.) أيضاً ، انه زحف نحو الجنوب ، نحو أرض (كلدو) ، أي أرض الكلدانيين ، فاستولى عليها وتوغل بعد ذلك نحو الجنوب حتى بلغ (البحر المر) (البحر المالح) (Nar Marratu) أي الخليج العربي ، فقهر كل السكان الذين وصلت جيوشه اليهم^٤ . ويظهر انه بلغ حدود الكويت فاتصل بذلك بجزيرة العرب وبقبائل عربية ساكنة في هذه الأرضين .

Melsner, Koenige, S. 140, J.W. Weiss, Geschichte des Orients, S. 597, Grohmann, S. 21, Luckenbill, I, 611, Melsner, Koenige, S. 140.

Melsner, Koenige, S. 140. ٢

Musil, Deserta, P. 477. ٣

Ancient Iraq, P. 277, Luckenbill, I, 624. ٤

وفي السنة الثالثة من حكم (تغلث فلاسر) (تغلاتبلاسر الثالث) (Tiglath Pileser)^١ (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م.) تقريباً ، دفعت ملكة عربية اسمها (زيببي) الجزية الى هذا الملك . وكانت تحكم (أريبي) ، أي العرب : ولم يتحدث النص الذي سجل هذا الخبر عن مكان الأعراب أتباع (زيببي) :



معركة بين العرب والآشوريين

وقد ذهب (موسل) الى انه (أدومو) (Adumu) ، أي (دومة) (دومة الجندل) ، وذهب أيضاً أن الملكة كانت كاهنة على قبيلة (قيدار) (Kedar)^٢. و (زيببي) ، هو تحريف لاسم (زيبية) ، وهو من الأسماء العربية المعروفة. ويحدثنا هذا الملك أيضاً انه في السنة التاسعة من ملكه ، قهر ملكة عربية أخرى اسمها (سمسبي) (Samsi) (شمسي) (Shamsi) ، واضطرها الى دفع الجزية له بعد أن تغلبت عليها جيوش آشور. ويدعي الملك أنها حنت بيمينها

١ « تغلث فلاسر » ، و « تغلث فلناسر » في الترجمات العربية للتوراة ، اخبار الأيام الثاني ، الاصحاح الثامن والعشرون ، الآية العشرون ، الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٢٩ ، اخبار الأيام الاول ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢٦ ، ولذلك اخترت هذه التسمية ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨٨/١) ، ادي شير (ص ٨٠) ، وقد جعله « موسل » « تغلث فلاسر الرابع » ، Musil, Hegaz, P. 287, Deserta, P. 477.

وعرف بـ "Tukulti-Apil-Esharra" في النصوص^٣ Hastings, P. 934.

٢ Rost, Kellschrifttexte, II, P 1. 16, (1893), Olmstead, History of Assyria, P. 189, G. Rawlinson, The Five Great Monarchies, Vol. II, P. 396.

وكفرت بالعهد الذي قطعته للإله العظيم (شماش) (Schamash) ألا تتعرض للآشوريين بسوء ، وبأن تخلص لهم ، فانتصر عليها ، واستولى على مدينتين من مدنها ، وتغلب على معسكرها ، فلم يبق أمامها غير الخضوع والاستسلام وتأدية الجزية لبلا : جبالاً ونوفاً^١ .

والظاهر أنها انضمت الى ملك دمشق في معارضته للآشوريين ، وتعرضت لقوافل آشور ، فجهز الملك عليها حملة عسكرية تغلبت عليها . ولضمان تنفيذ مصالح الآشوريين ، قرر الملك تعيين (قييو) أي مقيم أو مندوب سام آشوري لدى بلاطها ، لارسال تقاريره الى الحاكم الاشوري العام في سورية عن نيات الملكة واتجاهات الأعراب ، وميول قبيلتها ، ولتوجيه سياسة الملكة على النحو الذي تريده (آشور)^٢ .

وقد ذكر النص الآشوري أن الملكة أصيبت بنحسائر فادحة جداً ، وهي ألف ومئة رجل ، وثلاثون ألف جمل ، وعشرون ألف من الماشية ، وهي أرقام بولغ فيها جداً ، ولا شك^٣ .

وبذكرنا اسم الملكة (شمسي) (شمسي) باسم عربي هو (شمس) أو (شمسة) . و (شمسة) من الأسماء العربية القديمة التي ما تزال حية . وقد كان في المدينة امرأة نصرانية اسمها (شمسة) ، أسلمت على يدي الحسن بن علي بن أبي طالب ، فحرف الآشوريون الاسم وفق نطقهم وكتبوه على هذا الشكل . وقد صور على اللوح الذي ورد فيه خبر الانتصار المذكور ، منظر فارسين آشوريين يحملان رحلين ، يتعقبان أعرابياً راكباً جمللاً ، وتحت أعقاب الفرسين وأمامها جثث الأعراب الذين خروا صرعى على الأرض . وصور شعرهم طويلاً وقد عقد الى الوراء ، وأما اللحى فكثيرة ، وأما أجسامهم فعارية إلا من مئزر شد بجزام . وقد حرص الفنان على تصويره الأعرابي الراكب قريباً جداً من الفارسين ، ماداً يده اليمنى اليها مترسلاً ومسترحماً ومستسلماً ، وصورت الملكة

١ ادي شير (ص ٨٥) ،

Musil, Deserta, P. 477, Olmstead, History Of Assyria, P. 199, J. B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1950, P. 283.

Musil, Deserta, P. 477. ٢

Melsner, Konige, S. 140. ٣

٤ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٤/٥) « طبعة بيروت ١٩٥٧ »

(شمس) (شمسي) (سمسي) حافية ، ناشرة شعرها ، تحمل جرة من الجرار الاحدى عشرة المقدسة ، بعد أن أضناها الجوع والتعب في فرارها الى (بازو) ، وقد خارت قواها المعنوية ^١ .

وورد في الكتابة الآشورية أن الملكة أرسلت وفداً الى ملك آشور لمصالحته واسترضائه ، ضم عدداً من سادات قبيلتها وأتباعها ، منهم (يربع) (يرباً) (Jarapa) ، وكان رئيس الوفد ، و (خترنو) (حترنو) (Hataranu) و (جنبو) (Ganabu) ، و (تمرنو) (Tamranu) ^٢ . وهي أسماء عربية لا غبار عليها ، كتبت بحسب النطق الآشوري . ف (Jarapa) مثلاً ، يمكن أن يكون أصله (يرفع) أو (يربع) أو يربوع ، و (Hataranu) جائز أنه (خاطر) أو (خطر) ، و (Ganabu) جائز أنه جناب أو (جنب) ، و (Tamranu) جائز أنه (تمر) أو (تمار) أو ما شابه ذلك . ولا أرى بنا حاجة الى ذكر أمثلة عديدة وردت فيها أسماء من مثل (يربوع) (وجناب) و (جنب) وأمثال ذلك لدى الإسلاميين ^٣ .

وبعد أداء (شمس) الجزية الى ملك آشور ، دفعت عدة قبائل وشعوب عربية الجزية اليه . وقد جعل بعض الباحثين ذلك في حوالي سنة (٧٣٨ ق م)^٤ وجاء في الترجمة العربية لكتاب (حتي) أن ذلك كان في عام (٧٢٨ ق م)^٥ . وإذا كان أداء العرب المذكورين الجزية في السنة التاسعة من حكمه ، فيجب أن تكون السنة سنة (٧٣٦ ق م) تقريباً ، لأن حكم الملك كان في (٧٤٥ ق م)^٦ . وقد ذكر الملك انه تسلم الجزية ذهباً وفضة وإبلاً وطبوباً من (مسأى) (Mas'a) و (نيا) و (سبا) و (خيا) و (خيايه) (مسأى) (Hajapa) (Hayapa) (Hajappa) و (بطنه) (Batana) (Badana)

١ Olmstead, History of Assyria, P. 199.

٢ H. Winckler, Kellschrift. Bd. II, S. 62, AOF. BD. I, S. 485.

٣ الاشتقاق (٢٣٥/٢ ، ٣٦٢)

٤ Stuhlmann, Der Kampf, S. 10.

٥ حتي (ص ٤٥) .

٦ تولى الحكم في « ١٣ ايار » ، Hastings, P 934.

و (خطي) (Hatti) ، (Hatte) و (ادبيل) (Ibida'il)^١ . وقد ورد
 انها كانت تقطن في ارضين تقع في الغرب في أماكن بعيدة^٢ . ويقصد انها
 كانت غرب آشور ، والغالب انه كان يريد من قوله : في مواضع بعيدة ،
 البادية حيث يصعب الوصول اليها .

ويرى بعض الباحثين ان (مسأى) (مسا) (Mas'a) هي قبيلة (مسا)
 (Massa) المذكورة في التوراة^٣ . وهي قبيلة اسماعيلية كانت منازلها في شرق
 (مرآب) ، أو في جنوب شرقيها^٤ . ويظهر انها لم تكن بعيدة جداً عن
 فلسطين^٥ . ورأى (ذورمه) (Dhorme) انها قبيلة من قبائل العربية الجنوبية^٦ ،
 وهو رأي بعيد الاحتمال^٧ ، فلا يعقل وصول نفوذ الآشوريين في ذلك الزمن الى
 تلك المواضع . ثم ان (مسا) وهو أحد أبناء (اسماعيل) كما ورد في التوراة^٨ .
 والقبائل الإسماعيلية لم تكن تسكن العربية الجنوبية ، بل المواضع التي ذكرتها في
 أثناء حديثي عنهم . ثم ان أحد المقيمين الآشوريين كان قد كتب تقريراً الى
 ملكه ، يذكر فيه ان (ملك قهرور) (مالك قهرور) ، وهو ابن (عم يشع)
 (عم بطع) (عمي بطع) (Amme'uta') من قبيلة (مسا) ، غزا ، بعد
 خروج الملك وارتحاله عن قبيلة (نبا أتى) (نبي أتى) (Nabi'ati) ، هذه
 القبيلة وذبح أفرادها ، وسرقها وقد تمكن أحدهم من النجاة بنفسه ، فبلغ الملك
 وأخبره بالحدث^٩ . ويشير المقيم السياسي الآشوري في تقريره هذا الى الحادث ،
 ليكون ملكه على علم به . وقبيلة (نبي أتى) (نبا أتى) (Nabi'ati) هي

١ Musil Hegaz, P. 288, Rost, Kellschrifttexte, II, Taf. 23, Z. 218-226, 240,
 Melssner, Koenlge, S. 165, Pritchard, Ancient, Near East Texts, 1950, P. 283, 284.

وسيكون رمزه : Pritchard

٢ Winckler, KLT. S. 58

٣ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٤ ، اخبار الايام الاول الاصحاح
 الاول ، الآية ٣٠ ، قاموس الكتاب المقدس (٣٤٢/٢)

٤ Musil Hegaz, P. 288, W. F. Albright, The Biblical Tribe of Massa', in Studi
 Orientalistici, Roma, 1956, 12,

٥ Hastings, P. 591, Enc. Bibli. P. 2972.

٦ Dhorme, Les Pays Bibliques, P. 196, 1910, Deserta, P. 478.

٧ Musil, Deserta, P. 478.

٨ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الآية ١٤ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الآية ٣٠

٩ Rawlinson, Cunelform Inscriptions, (1861-1884) Vol. 4, P. 1. 54. Note, I.

قبيلة (نبايوت) (Nabajot) (Nebaioth) المذكورة في التوراة^١ . وهي مثل (مسا) إحدى القبائل الإسماعيلية . ولهذا تكون منازل قبيلة (مسا) في الشمال أو في الشمال الغربي من منازل (نبايوت)^٢ :

وأما (تيا) (Tema) ، فإنها (تياء) المذكورة في التوراة^٣ ، والمعروفة حتى في الإسلام . وتقع على الطريق التجاري الخطير الذي يربط العربية الجنوبية والحجاز والشام والعراق ومصر ، ثم بموانئ البحر المتوسط ، كما عرف التيائيون باشتغالهم بالتجارة ، فلعلهم دفعوا الجزية إلى آشور حفظاً لمصالحهم التجارية ولكي يسمح لهم الآشوريون بمرور تجارتهم في الطرق التي تخترق العراق وبلاد الشام وموانئ البحر المتوسط بعد أن أصبحت تحت سيطرتهم^٤ .

وقد ذكرت (تياء) مع (ددان) في مواضع من التوراة^٥ . وذكرت مع (ددان) و (بوز) كذلك^٦ . ومعنى هذا أن هذه المواضع كانت متقاربة لا يبعد بعضها عن بعض كثيراً ، وأشير إلى (قوافل تياء) و (سيارة سبأ)^٧ ، ويدل ذلك على اتصال تجاري كان بين التيائيين والسبثيين في ذلك العهد .

ويدل ورود اسم (سبأ) ، بعد (تياما) في نص (تغلث فلاسر) ، على أن السبثيين المقصودين كانوا يعيشون على مقربة من التيائيين ومن بقية من دفع الجزية للآشوريين . ويرى (موسل) أنهم كانوا يقيمون إذ ذاك في (ددان) (ديدان) ، وأنهم من السبثيين الذين أخذوا مكان المعينيين ، وكانت لهم قوافل تنقل التجارة على الطرق البرية كما كانوا يقومون بتربية الإبل والماشية^٨ :

وأما (خيايه) (Hajapa) ، فإننا لا نعرف عنهم اليوم شيئاً غير الاسم . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنهم (عيفة) ، المذكورون في التوراة . ومن

١ التكوين ، الأصحاح ٢٥ ، آية ١٣ . Deserta, P. 478.

٢ Deserta, P. 478.

٣ التكوين ، الأصحاح ٢٥ ، الآية ١٥ ، أخبار الأيام الأولى ، الأصحاح الأول ، الآية ٣ . قاموس الكتاب المقدس (٢٩٦/١)

٤ Musil, Hegaz, P. 288.

٥ إشعياء الأصحاح ٢١ ، الآية ١٣ وما بعدها ، أرميا الأصحاح ٢٥ ، الآية ٢٣

٦ أرميا ، الأصحاح ٢٥ ، الآية ٢٣

٧ أيوب ، الأصحاح السادس ، الآية ١٩ .

٨ Musil, Hegaz, P. 288. وسيكون رمزه : Hegaz

هؤلاء (فرديش دلج)^١ و (شرادر)^٢ و (موسل) وآخرون^٣ . وهو على رواية نسابي العهد العتيق من نسل (مديان) (مدين) ، ومن حنّدة (إبراهيم) من زوجه (قطورة) . وفيهم من (أشعيا) ، أنهم كانوا يتاجرون مع (شبا) مثل (مديان) يحملون الذهب واللبان^٤ ، ويظهر أنهم كانوا يقطنون منطقة (حسمي)^٥ .

ومن الصعب تشخيص قبيلة (بطنه) (بطنا) (بدنسه) (Batana) (Badana) . ولم يرد في التوراة ما يقابل الاسم أو ما يقاربه. وقد قرأ (موسل) الاسم (بدنه) (Badana) ، وذهب الى أنه اسم قبيلة (بدون) أو (مدون) ، بإبدال (الباء) ميماً ، وهذا أمر مألوف . وتقع منازلها في (العلا) ، أي في (ددان) (ديدان) القديمة . ويعتقد أفرادها أنهم من سلالة قديمة جداً ، وليست لهم صلات قريبي بالقبائل الأخرى . وتسكن بطون منهم عند (البتراء) (Petra) أي الرقيم^٦ .

وأشار (موسل) أيضاً الى اسم موضع ذكر أنه ورد في كتاب (بلينيوس) ، وهو (Badanatha) . غير أنه لاحظ أن هذا الاسم مشكوك في صحته ضبطه، فإن بعضهم قد قرأه (Baclanaza)^٧ . فإذا كانت القراءة (Badanatha) صحيحة ، فن الممكن إذن أن يكون لهذا الاسم علاقة بـ (بدون) ، أو (مدون) وبـ (بطنه) (Batana) ، الوارد في نص ملك آشور^٨ . والموضع الذي ذكره (بلينيوس) ، قريب من (Domata) ، أي (دومة الجندل) ،

١ Fr. Delitzsch, Wo Lag das Paradies? Leipzig, 1881, S. 304.

وسيكون رمزه Delitzsch

٢ KLt. S. 58.

٣ Hegaz, P. 289.

٤ « تغطيك كثرة الجمال ، بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً »
أشعيا ، الأصحاح الستون ، الآية السادسة ،

Hastings, P. 231, Ency. Bibl. P. 1300.

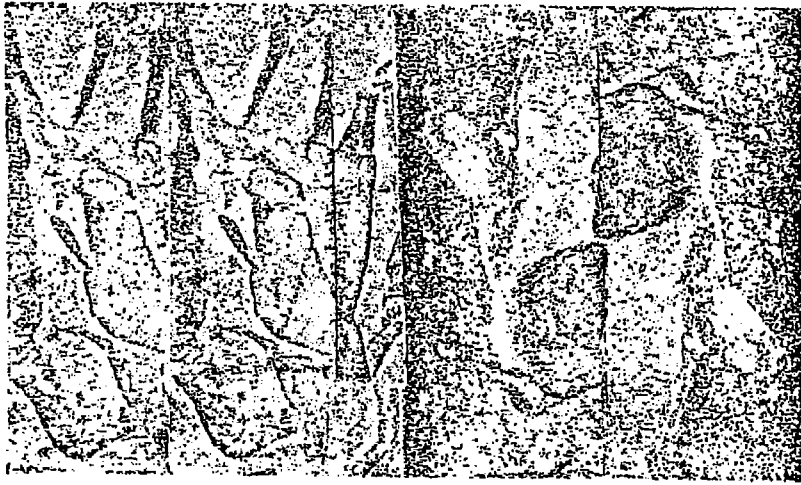
٥ Hegaz, P. 289.

٦ Rost, Die Kellschrifttexte Tiglatpilesers, III, Leipzig, 1892, S. 36, Hommel,
Geographie, S. 297, 595, Reall., I, S. 431, Hegaz, P. 290.

٧ Pliny, Natu. Histo. VI, 157, Vol. II, P. 457, (H. Rackham)

٨ Skizze, II, S. 107, Hegaz, P. 290.

ومن (ثمود) ، فهو في هذه المنطقة التي دفع أصحابها الجزية الى الآشوريين :
وتقع ديار (خطي) (Hatti) على مقربة من (أدوم) ، على رأي
(موسل)^١ . وأما (كلاسر) ، فيذهب الى أنها كانت تسكن (الخط) ،
سيف البحرين ، أي على ساحل الخليج^٢ . وهي منطقة قريبة من العراق ، يرى
أن من السهل الاستيلاء عليها . وقد ذكر (بلينيوس) موضعاً دعاه (خطيني)
(Chateni) يقع على ساحل الخليج ، ولهذا رجح (كلاسر) أن (Hatti)
هم (خطيني) هؤلاء^٣ . وقد ذكر (ياقوت الحموي) جبلاً بمكة دعاه (الخط)^٤ .



اعرابية تتبعها ابلها . من الألواح المنحوتة التي عثر عليها في عصر « تفلت فلاسر » الثالث
وقد نقل الراجح الى المتحف البريطاني. Helmuth Th. Bossert, 1394

وقد يكون سكان المنطقة المجاورة له عرفوا باسم (الخطيون) ، وقد مارسوا
التجارة ، وبعثوا كالقبايل الأخرى بتجاراتهم الى اليمن وبلاد الشام والعراق ،
ولذا دفعوا الجزية الى الآشوريين ليسمحوا لقوافلهم باجتياز الطرق البرية التي خضعت

١ Hegaz, P. 290.

٢ البلدان (٤٤٩/٣) ، المفضليات (٢٤٥) .

٣ Skizze, II, S. 75, Forster, II, P. 216.

٤ البلدان (٤٤٩/٣) .

لسلطانهم وللاتجار في أسواق مملكة آشور :

ويظهر ان (ادبثيل) (ادبعيل) (Idiba'il) ؛ القبيلة المذكورة في نص (تغلث فلاسر) ، هي قبيلة (ادبثيل) (Adabeel) في التوراة . وهي إحدى القبائل الإسماعيلية على حسب رواية نسابي العبرانيين^١ . وكانت منازلها في جنوب غربي البحر الميت على مقربة من غزة وإلى جنوب غربها عند حدود مصر ، وفي طور سيناء^٢ . وكان يسكن إلى الشرق منهم ومن قبيلة (خطي) وكذلك إلى الجنوب الشرقي وشرقي (بثر السبع) (Beersheba) (مبسام) (Mibsam) و (مشاع) ، وهما ولدان من ولد (اسماعيل)^٣ ، ويمثلان قبيلتين من القبائل الإسماعيلية . ويظهر من (أخبار الأيام الأول) أن بني (مبسام) و (مشاع) كانوا من بني (شمعون) ، وكانوا من بطون (الشمعونيين) القوية ولهم أرضون واسعة^٤ . ويشير هذا إلى أن (المبساميين) و (المشاعيين) كانوا قد توسعوا وتصاهروا مع (الشمعونيين) واختلطوا بهم ، فاختلط الأمر ، وعدّ الذين تصاهروا مع الشمعونيين واختلطوا بهم منهم ، مع أن أصلهم من الإسماعيليين ، أي من العرب الشماليين^٥ .

وقد عيّن (تغلث فلاسر) في سنة (٧٣٤ ق. م.) عربياً (Arubu) اسمه (ادبثيل) (Idiba'il) في وظيفة (قيو) (Kepu) ، أي والياً على (مصري) ، ليدبر شؤونها بالنيابة عنه ، وجعل تحت تصرفه خمسة وعشرين موضعاً من (عسقلان)^٦ . ويحتمل أن يكون هذا الرجل - على رأي (موسل) - شيخاً من قبيلة (ادبثيل) ، كان مقيماً مع قبيلته في (طور سيناء) ، وكان له سلطان واسع بلغ حدود مدينة (غزة)^٧ . ولم يكن هذا الشيخ الذي اعتمد

١ التكوين ، الأصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٣ ، أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الأول ، الآية ٢٩ .

٢ Hastings, P. 12, Enc. Bibli. P. 65, Hegaz, P. 291, Deserta, P. 478.

٣ التكوين ، الأصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٣ ، فما بعدها أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الأول ، الآية ٢٩ ، فما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٣٠٨/٢ ، ٣٤٤)

٤ أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الرابع ، الآية ٢٥ ، فما بعدها .

٥ Deserta P. 479.

٦ Reall, I, S. 125. Deserta, P. 478, Winckler, AOF., I, S. 25.

٧ Deserta, P. 478. Arabien, S. 21.

طلبه ملك آشور فعينه والياً عنه، إلا سيد قبيلة كلف حماية الحدود وحفظ مصالح الآشوريين بحفظ الأمن والسلامة ومنع الغزو والتحرش بالحدود . ولما كان من الصعب على الجيوش النظامية ولوج البوادي وتعقب أثر الأعراب ، فكرت الحكومات القديمة والحكومات الحديثة في القرن العشرين في حماية مصالحها بدفع جماعات شهرية وسنوية وهدايا الى سادات المشايخ ، وتعيين بعضهم في مناصب كبيرة ، ليتولوا حماية الحدود ، وكبح جماح البدو ومنعهم من الغزو، والاستفادة منهم في ازعاج خصومهم بغزوهم ومحاربتهم أو محاربة القبائل المتحالفة معهم ، كالذي فعله الفرس واليونان والرومان والسدول المستعمرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

ويظهر ان بلوغ جيوش (تغلاتلارس الثالث) غزة كان في حوالي السنة (٧٣٨ ق. م.) . فسيطر الآشوريون بذلك على هذا الميناء المهم ، الذي كان نهاية طرق القوافل التجارية الآتية بصورة خاصة من الحجاز^١ ، وهو ميناء كان مقصد تجار يثرب ومكة حتى عند ظهور الإسلام .

ويحدثنا (سرجون الثاني) (٧٢٤ - ٧٠٥ ق م) أنه في السنة السابعة من حكمه ، سنة (٧١٥ ق م)^٢ أدب (تمودي) (Tamudi) و (اباديدي) (عباديدي) و (مرسماني) (Marsimani) و (خيايه) (Hajapa) ، وهزمهم ، ونقل من وقع في يديه منهم الى (السامرة) (Samaria)^٣ . ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من (سمسي) (Samsi) ملكة (اربي) ومن (برعو) (Pir'u) ملك (مصري) (Musuri) ومن (يتع أمر) (It'amra) السبئي^٤ . وذكر أن الجزية كانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والنبات والخيل والإبل^٥ . ويتبين من أسماء المواضع والقبائل التي ذكرها (سرجون) ، أن تلك المعارك كانت قد وقعت في أرضين تقع في الشمال الغربي من جزيرة العرب ، وفي المنطقة

١ Arabien, S., 21.

٢ « شركينا الثاني » ، ادي شير (ص ٨٨)

٣ سنة « ٧١٥ ق م » ، بحسب راي Reall. I, S. 125

٤ Schrader, KLB. Bd. II, S. 42, Rawlinson, The Five great Monarchies, II, P. 415
Reall, I, S. 125.

٥ Reall. I, S. 125, Winckler, Sargon I, S. 20.

٦ Luckenbill, II, 17.

الواقعة فسيما بين خليج العقبة و (تباء) والبادية . ولا بد وأن تكون الجيوش الآشورية قد هاجمتها من الشمال أي من فلسطين :

وقد ورد في بعض ترجمات نص (سرجون) أنه نقل الأعراب الذين يتزلون في مواضع نائية من البادية ، ولم يعرفوا حاكماً رسمياً ولا موظفاً ولم يدفعوا جزية الى أي ملك سابق ، نقلهم الى (السامرة) وأسكنهم فيها ^١ . ويظهر أن هذه الجملة لا تخص الجملة السابقة التي ذكر فيها (ثمود) وبقية الأسماء ، وليست معطوفة عليها ، لأنه وصف هؤلاء الأعراب بأنهم سكان بؤادٍ نائية ، ولم يدفعوا الجزية لأحد من قبل ، على حين يقيم المذكورون في أرض معروفة ولمازلهم أسماء ، وهي ليست من البوادي .

وورد في هذه الترجمات بعد جملة (ويشع أمر السبي) « ومن هؤلاء الملوك ملوك على الساحل ، ومنهم ملوك في البادية . تسلمت منهم جزية : تبرأ ، وأحجاراً كريمة ... الخ » ^٢ ، مما يدل على أن أولئك الملوك كانوا يحكمون أرضين واسعة تمتد من البادية الى البحر الأحمر .

ووردت في نص (سرجون) المشار اليه أسماء مواضع هي (Uaidaue) و (Bustis) و (Agazi) و (Ambanda) و (Dananu) ، ووردت معها جملة : (اربي الساكين في مشرق الشمس) (اربي مطلع الشمس) . ولهذا ذهب بعض الباحثين الى أن الأسماء المذكورة هي أسماء مواضع في أرض (اربي)، أي البادية . وهو رأي يعارضه باحثون آخرون ، لغموض العبارة ، ولتعذر القول إن أسماء هذه المواضع تعود الى (اربي الساكين في مشرق الشمس) ^٣ :

أما (تمودي) (Tamudi) ، فلأنهم (ثمود) ، الذين سبق أن تحدثت عنهم : وأما (أباديدي) (Ibadidi) ، فشعب لا نعرف من أمره شيئاً . وقد ذهب (موسل) الى احتمال كونهم (أبيداع) (Abida) المذكورين في التوراة ^٤.

1 Pritchard, P. 286.

2 Pritchard, P. 286.

3 « اربي شانخ شمسي » "Aribi Sha Nipikh Sebamschi" Reall, I, S. 144, Delitzsch, S. 306, Winckler, Sargon I, S. XXVII, UAOG. 112 Rost, MVAG. 1897, 2, S. 84.

4 التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٤ ، اخبار الأيام الاول الاصحاح الاول ، الآية ٣٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨/١) ،

Hastings, P. 3, Enc. Bibl. P. 14.

وهو فيها ابن (مديان) ، أي (مدين) . ويرى أن مساكنهم كانت في جنوبي شرقي (أيلة) (Elath) أي العقبة ، على الطريق التجارية المهمة التي تربط ديار الشام بالحجاز^١ .

ورأى (كلاسر) أن (الاباديدي) هم (Apataei) المذكورون في جغرافيا (بطلميوس)^٢ ، وكانوا يقيمون في مكان يقال له (وادي العبايد) أو (العبايد) على مقربة من العقبة ؛ أو أن فرعاً منهم كان يقيم في هذا المكان^٣ . وذهب (فورستر) الى أن شعب (Apataei) ، هم شعب آخر ، وأن الكلمة هي في الأصل (Nabataei) ، وهو شعب كانوا يقيمون في موضع (نبت) على ساحل الحجاز^٤ .

ولا نعرف من أمر (مرسماني) (Marsimani) شيئاً يذكر ، ولم يرد لهذه القبيلة اسم في التوراة . غير أن بعض الكتبة (الكلاسيكيين) ذكروا قبيلة عربية يظهر أنها كانت تقيم في جنوب شرقي (العقبة) سموها (Batmizomaneis) (Banizomaneis) ، وقد كانت في جوار قبيلة (Thamudeni) أي ثمود^٥ . ويرى (موسل) احتمال كون هذه القبيلة هي (مرسماني) ، تحرف اسمها في النص الآشوري أو حرفه الكتبة (الكلاسيكيون) حتى صار على نحو ما نرى^٦ . وعلى كل حال فإن على لفظة (Marsimani) طابع العروبة ، فلا يستبعد أن تكون من (مرسم) ، أو أسماء أخرى عربية قريبة منها .

ويظهر أن كراهية الأعراب للآشوريين كانت شديدة جداً ، لم تخفف من حدتها لا سياسة القوة والعنف ولا سياسة التودد واللين . لقد حلت هذه الكراهية القبائل على مد يد المساعدة الى كل مبغض للآشوريين ، أو متمرد عليهم ، فقدمت المعونة الى (مردخلبلدان) (مردخ بلدان) (مردخ بلادان)^٧

١ Hegaz, P. 292.

٢ Skizze, II, S., 289.

٣ « العبايد » ، البلدان (١٠٤/٦) ، Skizze, II, S. 259.

٤ Forster, I, P. 233. ff.

٥ Diodorus, Bibliotheca, III, 43. f.

٦ Hegaz, P. 292.

٧ « مردخ بلادان » ، (مردخ بلدان) ، (مردوخ بلبلدان) ، ادي شير (ص ٩٧) Reall., I, S., 125, Deserta, p. 480.

(Merodachbaladan) ملك بابل خصم وعدو (سنحاريب) (سنحريب) وأرسلت (ياتية) (يثعة) (بطيعة) (Ja'iti'e) ، ملكة (اريبي) جيشاً لمساعدته ومناصرته في كفاحه هذا مع الآشوريين وضعته تحت قيادة أخيها (بسقانو) (بصقانو) (Basqanu)^١ ، إلا أنه لم يتمكن من الوقوف أمام الآشوريين ، فنزلت به خسارة فادحة ، وأسر (بسقانو) وأسر معه معظم جيشه ، وكانت هذه المزيمة في موضع (كيش) (Kish) . وقد كانت في حوالي سنة (٧٠٣) أو (٧٠٢) قبل الميلاد على رأي بعض الباحثين^٢ .

ويظهر أن لفظة (Iati'e) هي تحريف لاسم عربي من أسماء النساء لعله (بطيعة) أو ما يشابه ذلك . وقد كانت ملكة إذ ذاك ، أي أنها كانت مثل (زيبية) و (شمس) المذكورتين . وأما اسم (بسقانو) (Basqanu) ، فالظاهر أنه (الباسق) فإنه قريب منه .

وبحدثنا (مرجون) في كتاباته عن أيامه وعن أعماله المجيدة أن الملك (أيري) (Uperi) ملك (دلون) سمع بقدرة آشور وبِعظمتها فأرسل هداياه إليه^٣ . ومعنى هذا أن البحرين كانت إذ ذاك تحت حكم ملك اسمه (أيري) ، لعله (أير) ، وأن الصلات السياسية كانت وثيقة بين آشور والبحرين في ذلك العهد . وقد ذكر (مرجون) أن (أيري) ، (ملك دلون) ، كان يعيش كالمسكة في وسط بحر الشروق ، البحر الذي تشرق عليه الشمس ، وعلى مسافة ثلاثين ساعة مضاعفة ، وكان قد سمع بجلال عظمي فأرسل بالهدايا إلى^٤ .

وفي هذا الخبر إشارة واضحة إلى استقلال البحرين ، أي جزيرة (دلون) وخضوعها لحكم ملك لعله كان من أهلها . ولما كان القسم الجنوبي من العراق تحت حكم الآشوريين في هذا العهد . وللبحرين علاقات تجارية متينة مع هذا القسم ، لذلك أرسل هدايا ثمينة إلى ملك آشور .

ويظهر من خبر آشوري يعود عهده إلى أيام الملك (سنحاريب) (سنحريب) ،

Reall., I, S., 125. ١

Reall., I, S., 125, British Museum Cylinder, 113, 203, Smith, First Campaign of Sennacherib, P., 62, (1921), Deserta, P., 480. ٢

Ancient Iraq, P., 281. ٣

Belgrave, P. 87. ٤

وهو ابن (سرجون) ، أن ملك البحرين لما سمع بخبر اجتياز هذا الملك نهر الفرات ودخوله الخليج ووصوله أرض جزيرة (دلون) ، أسرع فاعترف بسيادة ملك آشور عليه. وكان هذا الملك قد دكّ أرض بابل في حوالي السنة (٦٨٩ ق.م.) ، وسار منها متوجهاً نحو أرض الخليج . وفي هذا الخبر إشارة الى أن علاقة الآشوريين بالبحرين كانت وثيقة في هذا العهد أيضاً ، وإن ملك البحرين كان يخشى ملك آشور ، لذلك اعترف بسيادته الاسمية عليه^١ .

وأخبرنا (سنحاريب) (سنحريب) (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م.) انه تسلم هدايا من (كرب ايل) (كربي - ايلو) (Karibi-ilu) ملك سبأ (Saba'i) ، اذ بنى بيتاً أو معبداً (بيت اكيكو) (Bit-Akitu) ، للاحتفال فيه بعيد رأس السنة والأعياد الأخرى^٢ . وكان من جملة هذه الهدايا أحجار كريمة وأنواع من أفخر الطيب ذي الرائحة الزكية الطيبة (Rikke Tabutu)^٣ ، وفضة وذهب وأحجار ثمينة أخرى^٤ ، وهي أمور اشتهرت بها العربية الجنوبية ، كما عرفت بتصديرها هذه المواد الى الخارج ، وقد تحدثت عنها التوراة في مواضع من الأسفار^٥ .

وقد ذهب (هومل) الى أن (كربي - ايلو) ، هذا هو (كرب ال) (كرب ايل) أحد (مكربي) (مقربي) سبأ ، أي الكهان الحكام ، ولم يكن ملكاً على عرش سبأ وان دعاه (سنحاريب) ملكاً ، ذلك لأن الآشوريين لم يعرفوا لقبه الرسمي ، أو لأنهم لم يهتموا بذلك فجعلوه ملكاً . وهذه الهدايا لم تكن جزية فرضت عليه ، بل كانت هدية من حاكم الى حاكم ، وقد بعث بها اليه مع القوافل الداهية الى الشام بطريق غزة ، أو طريق مكة ، فالبادية الى العراق^٦ . وعندني ان من الجائز أن يكون (كربي - ايلو) هذا سيد قبيلة أو أميراً من الأمراء الذين كانوا في العربية الشمالية ، من المجاورين لتلك القبائل

١ Belgrave, P. 56, 87.

٢ Handbuch. I, S. 76.

٣ Reall. I, S. 61.

٤ « طبوو » ، (طيبوتو) ، (طيب)

٥ Handbuch, I, S. 76, O. Schroeder, Keilschrift Texte aus Assur. Hist. Inhalts, II, No. 122, Leipzig, 1922.

٦ Handbuch. I, S. 76, 86.

التي تحدثت عنها وسبق لها أن قدمت هدايا لآشور ، وكان من السبيين النازحين الى الشمال الذين حلوا محل المعينين .

ولما قضى (سنحاريب) على مقاومة البابليين وعين عليهم ملكاً منهم ، كان قد تربى في قصور الآشوريين فأخلص لهم ، سار الى بلاد الشام لانخضاع العمونيين والمؤابيين والأدوميين والعرب والعبرانيين ، فقد كان هؤلاء قد انتهزوا فرصة قيام البابليين وقبائل لآرم والعرب والعلاميين على الآشوريين للتخلص منهم ، فألفوا حلفاً بينهم في جنوب بلاد الشام ، أي في فلسطين والأردن ، واتحدوا لمحاربة (سنحاريب) . فلما وصل الى ساحل البحر المتوسط ، أخذ جيشه يستولي على المدن ، الفينيقية والفلسطينية ، ويتقدم نحو الجنوب حتى بلغ (عسقلان) (Ashkelon) . ولما وصل الى موضع (التقه) (علقه) (Eltekeh) (Aitekeh) ، اصطدم بالعرب وبالمصريين ، غير انه تغلب عليهم واستولى على (التقه) وعلى (تمنة) (تمنث) (ثمنة) (Timnath) ^١ و (عقرون) (عاقر) (Ekron) ^٢ .

وفي أنباء الانتصارات التي سجلها (سنحاريب) لنفسه انه قام في حوالي السنة (٦٨٩ ق.م.) بحملة على الأعراب التابعين للملكة (تلخونو) (Telhunu) ملكة العرب (Arabi) ، أي أعراب البادية ، وعلى الملك (خزا ايلي) (خزا ايلي) (Haza-ili) ، ملك (قيديري) (Qidri) ، أي القيداريين ، فسارت جيوشه في اتجاه (أدوماتو) (دومة) (Adummatu) ، فتغلبت على العرب وعلى القيداريين ^٣ . ويقصد بـ (أدوماتو) (دومة الجندل) ^٤ . وقد كانت (أدوماتو) (Adummatu) من مواضع (أريبي) (عربي) الحصينة ^٥ .

١ . يحتمل انها « تبنة » في الزمن الحاضر ، قاموس الكتاب المقدس (٢٩١/١)
٢ « عقرون » من مدن الفلسطينيين الخمس ، وتسمى الآن عاقر ، على تل يبعد اثني عشر ميلاً عن يافا الى الجنوب الشرقي ، تنبأ « صفيا » بخرابها ، أذ قال : « عقرون تستأصل » ، صفيا ٢ ، الآية ٤ ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٨/٢) وما بعدهما .

٣ . أدى شير (ص ١٠٨ فما بعدها) ، Hastings, P. 67, Reall, I, S. 125.
٤ . Reall, I, S. 125, Ungnad, Vorderasiatische Schriftdenkmaler I, No. 77. II, 22. ff.
٥ . Olinstead, History of Assyria, P. 310.

Deserta, P. 480.

Reall, I, I Lieferung, S. 39.

وهي في موضع بعيد عن عواصم الدول الكبرى ، الا انها لم تنج مع ذلك من غزوات تلك الدول . وقد ذكرها (بطلميوس) باسم (Doumatha) (Adomatho)^١ .

وقد جاء في نص آشوري ان الملك (سنحريب) أرسل حملة الى الخليج ، فانتصرت وحقت رغباته ، وقد فرّ ملك (أرض البحر) الى أرض (عيلام) . ويظهر انه بني أسطولا قوياً حمل جنوده الى تلك الأنحاء ، فلم يتمكن أهل الخليج من مقاومته واضطر الى الخضوع لآشور^٢ .

ويظهر ان (سنحريب) كان قد تمكن فعلاً من اخضاع الأعراب له ، ومن السيطرة عليهم ، ويرى بعض الباحثين في نعت (هيرودوتس) له بأنه (ملك العرب والآشوريين)^٣ تعبيراً عن اخضاع (سنحريب) الأعراب لحكمه وان كان ذلك قد وقع لأمد محدود^٤ .

وفي نص دوتنه (أسرحلون) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) عن أعماله وعن أعمال والده ان أباه (سنحاريب) ، أخضع (أدومو) (Adumu) (معقل أربي) ، واستولى على أصنامها ، وحملها معه الى عاصمته ، وأسر ملكتها (Iskallatu) التي كانت كاهنة للإله (دلبات) (Dilbat) ، وأسر الأميرة (تبوة) (Tabua) كذلك . فهو يؤيد بذلك ما ذكره أبوه من انتصاراته على العرب^٥ .

ولم يتحدث النص الآشوري عن الجهة التي هاجم منها (سنحاريب) (دومة الجندل) أي (Adummatu) (Adumu) (Adumu) . ويرى (موسل) أنه هاجمها من إقليم (بابل) ، ويرى أيضاً أن سلطان الملكة (تلخونو) كان يشمل منطقة واسعة تمتد من (أدومو) الى حدود بابل . وقد كان أعراهم يمتارون ويتاعون الطحين والملابس والمواد الضرورية الأخرى من بابل ، فيسلكون البادية ، ومن هذه البادية وصلت امداد الملكة وقواتها الى بابل لمساعدتها في مقاومة

١ Albright, in JRAS., 1925, P. 293, Hommel, Geographie, S. 581. f, 594.

٢ العرب والملاحه في المحيط الهندي ، جورج فاضلو حوراني (ص ٣٨ وما بعدها)

٣ Herodotus, II, 141.

٤ Grohmann, S. 22.

٥ Reall. I, S. 126, «Jal'u», «Jata», «Jauta», Pritchard, P. 289, «91».

آشور ، فاشتركت مع البابليين في الحرب ، على حين هاجم فريق آخر من أتباع الملكة المقاطعات الآشورية في بلاد الشام . فلما تغلب (سنحاريب) على بابل وانتصر عليها في سنة ٦٨٩ ق.م ، تفرغ لمحاربة الملكة والانتقام منها ، فأمر قواته بالضبط على أتباع الملكة ، وتعقبهم في البادية لحفظ الحدود . ثم حاصر (أدومو) ، حتى تغلب عليها ، وانتصر على هذا المعقل الذي التجأ اليه أتباع هذه الملكة وغيرهم للخلاص من الآشوريين^١ .

ويظهر من النصوص الآشورية أن خلافاً وقع بين الملكة (تلخونو) والملك (خزا ايلي) ، قد تكون أسبابه المزعجة التي حاقّت بهما ومحاصرة (سنحاريب) لهما في (دومة الجندل) . وقد كان (خزا ايلي) على ما يظهر هو الذي تولى قيادة الجيش ، وتنظيم خطط الدفاع والهجوم . فسببت الهزائم التي حلت بهما غضب الملكة عليه وعلى سوء قيادته (فغضبت تلخونو على خزا ايلي ملك ارببي)^٢ . ولعلها اختلفا أيضاً بسبب محاصرة (دومة الجندل) والدفاع عنها أو عدمه . ومهما يكن من شيء ، فقد استسلمت الملكة (تلخونو) للآشوريين ، وتغلبت جيوش (سنحاريب) على هذا المعقل ، وأخذت الأصنام أسرى الى (نينوى) كما أخذت الأميرة (تبوة) (Tabua) أسيرة الى عاصمة آشور ، لتربى هناك تربية يرضى عنها الآشوريون ، ولتهذب تهذيباً سياسياً خاصاً يؤهلها أن تكون ملكة على (أرببي) :

أما (خزا ايلي) ، فقد تمكن من خرق حصار الآشوريين على (دومة الجندل) ومن الاعتصام مع أتباعه بالبادية ، حيث لم يكن في قدرة (سنحاريب) مطاردتهم وإيقاع خسائر بهم ، وبقي في هذه البادية طول حياة (سنحاريب) . فلما توفي هذا الملك ، وانتقل الملك الى ابنه (أسرحدون) ، وزالت أسباب الجفاء ، قصد نينوى لمقابلة الملك الجديد ، ومعه هدايا كثيرة ، سُرّ بها الملك واستقبله بلطف ورعاية ، وسلمه الأصنام الأسيرة السيئة الحظ التي كان عليها أن تشارك أتباعها الحياة الأرضية المزعجة ، وتمكنت كل من (عتر سمين) (عثر السماء) و (دبلا) و (دايا) (ديه) (Daja) و (نوهيا) (نهيا) (نهى) (Nuhia) و (ابريلو) (Ebirillu) و (عثر قريمة) (عثر قرمي)

Deserta, P. 480. ١

British Museum Tablets, K3087, K3405. ٢

(Atar Kurumaia) ، وهي الآلهة التي كتب عليها أن تسجن ، من استنشاق ريح الحرية ثانية ، ومن استعادة مقامها بين عبادها ، فوضعت في أماكنها ، وسر أتباعها ولا شك بهذه العودة ^١ .

وفي أثناء وجود تلك الأصنام في الأسر، أصيبت ببعض التلف، فن^٢ (أسرحدون) عليها بالأمر باصلاح ما أصابها واعادتها الى ما كانت عليه ، ثم تطف فامر بإرجاعها الى (خزا ايلي) (خزائيل) ، بعد أن نقشت عليها كتابة تفيد تفوق إله آشور على تلك الأصنام ، وبعد أن نقش عليها اسم الملك ^٣ .

وأراد (أسرحدون) تنصيب (تبوة) (Tabua) ، التي تربت تربية آشورية ، ملكة على (أربي)، ليضمن بذلك فرض سلطان آشور على الأعراب : وهو حلم تحقق ، ولكنه لم يدم طويلاً ، لأن العداء بين الآشوريين والعرب كان عميقاً ، لا يقضي عليه منح تاج ، ونصب ملك أو ملكة ^٤ .

واعترف (أسرحدون) بـ (خزا ايلي) ملكاً على قبيلة (قيدار) ، في مقابل إتاوة يدفعها ، قدرها خمسة وستون جملًا ^٥ . فلما توفي (خزا ايلي) ، سنة (٦٧٥ ق. م) اعترف (أسرحدون) بابنه (ياتع) (ياطع) (بطع) (يثع) (Uaite') ملكاً مكان أبيه، على أن يدفع إتاوة سنوية كبيرة مقدارها ألف (من) (Minae) من الذهب ، وألف حجر كريم وخمسون جملًا ، وطيب ، أي أكثر مما كان يدفعه أبوه ^٦ . وقد رضي الابن بذلك على أمل أن ينعم عليه بتاج كفيما كانت الشروط . غير أن حسابه هذا لم يكن دقيقاً ، فقد ثار عليه شعبه الذي أبى أن يخضع لرجل فرض عليه فرضاً ، وأبى قبوله ملكاً عليه . وقام — وعلى رأسه الزعيم (اوبو) (وهبو) — (وهب) ، (أوب) (Uabo) (Uaboa) بثورة عامة للتخلص منه ، ومن سلطان الآشوريين . وأسرع الآشوريون فأرسلوا جيشاً لإخماد هذه الثورة ، فأطفأها ، وأسر

Pritchard, P. 291, D.J. Wixman, The Vassal-Treaties of Esarhaddon, London, 1958, P. 4. ١

Pritchard, P. 291. ٢

Pritchard, P. 291. ٣

Deserta, P. 482. ٤

Hastings, P. 832. ٥

Grohmann, S. 22. ٦

(أوبو) (Uabo) وأخذ الى (فينوى) ، إلا أن الانتصار عليه لم يقض على مقاومة العرب للآشوريين وثورتهم عليهم ، فقاد (يابتي) (يثع) (Uaite) الثورة هذه المرة ، ورفع راية الحرب على الآشوريين ، وغزا هو وأتباعه حدود الامبراطورية الآشورية المحاذية للبادية ، واضطر الآشوريون الى تجهيز حملة جديدة انتصرت عليه ، وهاجمت مضاربه ، وقبضت على أصنامه ، وأخذتها معها أسرى للمرة الثانية ^١ . أما (يابتي) ، فقد فر « وحيداً الى أصقاع بعيدة » على ما جاء في النص ^٢ . والأصقاع البعيدة ، هي البادية ، ولا شك ، حيث يصعب على الآشوريين التوغل فيها للتوصل اليه . لذلك صارت مأوى لكل ثائر محل به خسارة . فإذا نجح بنفسه ، وتمكن من الفرار من ساحة الهزيمة الى البادية ، صار في حصن أمين ، لا تمتد اليه الأيدي بسوء الا اذا كان المهاجمون من أبناء جنسه ، الأعراب .

وقام (أسرحدون) ، بعد هذه الحملة ، بحملة أخرى على قبائل عربية تنزل أرض (بازو) (Bazu) و (خازو) (Hazu) ^٣ . وقد ابتدأ بها في اليوم الثاني من شهر (تشرى) من السنة الخامسة من سني حكمه . وهي تقابل سنة (٦٧٦ ق. م.) ^٤ . وقد قتل فيها ثمانية ملوك ، هم : (كيؤ) (Kiau) ^٥ (قيسو) (Kisu) و (كي-ي-سو) (Ki-i-su) ملك (خلديلي) (Haldilli) ^٦ . و (اكبرو) (Agbaru) (Ak-baru) ، وهو ملك (ال بياتي) (البياتي) (ايل بياتي) (Ilpiati) ^٧ (Na-pi-a-te) ^٨ ، و (منسكو) (منساكو) (منسك) (Mansaku) (Ma-an-sa-ku) ، ملك (مجل اني) (مجلاني)

II, S., 217, 377, British Museum, A Guide to the Baby. and Assy. Antiquities, ١
II, S., 217, 377, British Museum, A Guide to the Baby. and Assy. Antiquities,
P. 227, Deserta, P. 482.

Luckenbill, II, 916, ٢

Rawlinson, Cunel. Inscr., Col. 3, II, 25-52, III, Pl., 15, 16 Col. 4 II 10-26. ٣

Schrader, Keil. Bibl. II, S. 131 Deserta, P. 482.

Reall, I, S. 440, Skizze, II, S. 4. ff. Hommel, Geschichte Babyloniens-Assyriens, S. 709. ٤

سومر : الجزء الثاني ، ١٩٤٩ م ، المجلد الخامس (ص ١٤٠)

Reall. I, S. 440. ٥

«Dil-di-li», «Kud-di-li», Deserta, P. 488, Skizze, II, S. 265. ٦

Reall. I, S. 42, 440, Schrader, Keil. Bibl. II, S. 146 ٧

Skizze, II, S. 265, Deserta, P. 483. ٨

(Magal'ani) (Ma-gal-a-ni) ^١ ، والملكة (يافا) (ايفع) (يفع) (Iapa')
 (Ja-pa') ، ملكة (دخراني) (دحراني) (دخر) (Dihrani) ^٢ (Didhrani)
 و (خبيصو) (خابصو) (جيسو) (Habisu) (Kha-bi-su) ملك (قداباً)
 (Qadab') ^٣ ، و (نهارو) (نيعرو) (نهارو) (نحر) (Niharu)
 (Ni-kha-ru) ملك (جاباني) (جعباني) (جعباني) (Ga'pani) ^٤ ،
 والملكة (با ايلو) (بائلة) (Ba'ilu) (Ba-i-lu) ملكة (اخيلو) (Ihilu) ^٥



آشوريون يحرقون خيمة أعراب قيام Helmuth Th. Bossert, Altsyrien, 1397

و (خبن امرو) (خبن عمرو) (حبن امرو) (حبان امرو) (Habanamru)
 (Kha-ba-zi-ru) ملك (بداء) (بدع) (Buda') ^٦ . وأسر خلقاً من
 أتباعهم أخذهم الى أرض آشور كما حمل آلتهم معه . وتمكن أحد الملوك ، وهو
 الملك (ليل) (Laili) (ليلة) (Laiale) ملك (يادي) (ياديا) (يدع)
 (Iadi) (Jadi') من النجاة ، غير انه ذهب الى نينوى بعدئذ ، حيث طلب
 العفو والصفح عما بدر منه ، فقبل (أسرحدون) منه ذلك ، وتآخى معه ،

١ «Ma-gal-Za-ni», Skizze, II, S., 265, Reall., I, S., 440, Deserta, P. 483.

٢ «Di-lkh-ra-a-ni», «Di-lkh-ra-ta-a-ni», Skizze, II, S., 266.

٣ «Ka-da-ba'-a», «Ka-ta-ba'-a», Skizze, II, S. 266.

٤ «Ga'-u-u-a-ni», Skizze, S. 266.

٥ «I-khl-lu», Reall. I, S. 392, Schrader, Keil. Bibl. II, S. 148, Skizze, II, S. 266.

٦ Reall. I, Sechste Lieferung, s. 440, II, S. 74, «Pu-ta'-a», «Bu-da-a», Asarh. Prism Br. Col. IV, L. 22, Schrader, Keil. Bibl. II, S. 148, Skizze, II, S. 266.

وأعاد اليه أصنامهم ، وعينه ملكاً على أرض (خازو) و (بازو) (بازي)
على أن يدفع الجزية اليه^١ .

وقد ورد في التوراة اسم (بوز) و (حزو)^٢ . أما (بوز) ، فهو
ابن ناحور أخي ابراهيم ، ويظن ان لاسمه صلة باسم أرض (بوز)^٣ : وأما
(حزو) فانه أحد أولاد (ناحور)^٤ . وقد ذكرت كلمة (بوز) بعد (تيماء)
في سفر (إرميا) ، حيث ورد : « وكل اللفيث وكل ملوك أرض عوص ،
وكل ملوك أرض فلسطين وأشقلون وغزة وعقرون وبقية أشدود ، وأدوم ومثاب
وبني عمون ، وكل ملوك صور ، وكل ملوك صيدون ، وكل ملوك الجزائر
التي في عبر البحر ، وددان وتيماء وبوز ، وكل مقصوسي الشعر مستديراً ،
وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيث الساكنين في البرية »^٥ . ف (بوز)
في التوراة اسم موضع ، واسم شعب ، وقد ورد في التوراة اسم رجل من (بوز)
سمي (اليهو) (Elihu) البوزي ، وهو ابن (برخثيسل) ، وكان صديق
(أيوب) وحكماً في المحاورة التي جرت بين أيوب وأصحابه الثلاثة الذين أتوا
ليعزّوه في المصائب والبلايا التي نزلت به^٦ . وأيوب كان من سكان أرض
(عوص)^٧ ، وهو عربي على رأي عدد من علماء التوراة .

ولم يحدد موقع (بوز) في التوراة : ولكن ورود (بوز) بعد ددان وتيماء
في الموضع الذي ذكرته من إرميا، وقبل جملة (وكل مقصوسي الشعر مستديراً) ،
يحملنا على التفكير في أن أرض (بوز) كانت في جوار تيماء ، وليست بعيدة
جداً عن (ددان) (ديدان) ، وقرية من الأعراب الذين كانوا يخلقون شعور
رؤوسهم إلا دائرة تبقى في أعلى الرأس، أي غير بعيدة عن البادية وعن الأعراب

١ ادي شير (ص ١١٨)

Rawlinson, The Flve, II, P. 470. ff. Reall. I, 6. te. Lieferung, «Basil», S. 440,
Deserta, P. 483, Real. I, 3. Lieferung, S. 201.

٢ التكوين ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ٢١ وما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٥٥/١) .

٤ التكوين ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية الثانية والعشرون ، قاموس الكتاب
المقدس (٢٧٣/١) .

٥ إرميا ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٢٠ وما بعدها .

٦ أيوب ، الاصحاح الثاني والثلاثون ، الآية ٨ ، قاموس الكتاب المقدس (١٤١/١)

٧ قاموس الكتاب المقدس (١٨٨/١) .

الإسماعيليين : ولهذا ذهب (كلاسر) و (دلج) (F. Delitzsch) وغيرهما الى أن بوز ، هي (بازو) الواردة في نص (سنحاريب) ، وتقع في العريسة الشمالية^١ : ورأى (ذورمة) (Dhorme) ، أنها في منطقة تقع في جنوب شرقي الجوف^٢ . وأما (موسل) ، فيستند أيضاً الى الوصف الذي جاء في النص الآشوري عن (بازو) التي تقع في موضع قاص ، ويبدأ من السباخ وبادية مجدبة ، (١٤٠ برو من الرمال)^٣ ، وليس فيها غير الشوك ونوع من حجر يعرف بـ (حجر قم الغزال)^٤ ، ثم سهل فيه الأفاعي والعقارب مثل (الزربابو) الجراد^٥ . تليه (خازو) ، وهي أرض جبلية اتساعها (٢٠ برو) من حجر الـ (Saggilmut)^٦ . ويرى من هذا الوصف أن موضع (بازو) في غرب وفي جنوب (تدمر) وفي (وادي السرحان) ، وأن الملوك الثمانية الذين قتلهم (اسرحدون) كانوا يقيمون في وادي السرحان عند الحدود الشرقية لخوران وفي (الرحبة) و (قطبة) الى وادي (القطامي) . ويرى أيضاً أن (يدي) (يدي) (يادي) (يدي) ، وهو موضع الملك (ليلي) ، هو (الجفاف) ، أو (الودي) وذلك ببدال الحرف الأول من كلمة (يدي) بحرف الواو . وهو أمر يرى أنه كثير الحدوث ، فمن المحتمل أن يكون موضع (الودي) - على رأيه - هو (يدي) أو (يدي) مقر الملك (ليلي) (Laili)^٧ .

فأرى (موسل) أن (بازو) تعني النصف الشمالي من (وادي السرحان) . وأما الأرض الواقعة في شرق (السرحان) وفي شمال السرحان في المنطقة الجبلية ، فلأنها (خازو) (خازو) ، وقد سلك الجيش الآشوري كما يقول الطريق التجارية

١ Reall, I, S. 440, Enc. Bibl. P. 615, Delitzsch S. 307, Skizze, II, S. 265, 266.

٢ Deserta, P. 483.

٣ « كسبو » « قصبو » « Kasbu » عند (كاسر) و (دلج) بدلا من - بيرو - و - قصبو - قصب - و - بيرو - هما وحدة قياس الأبعاد والمسافات

Rawlinson, The five. II, P. 470, S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 18,

Campbell Thompson, Assyrian Herbal, 102.

٤ « صبتي » « Sabiti » Deserta, P. 484,

٥ « زربابو » « Zirbabu » جراد ، Reall, I, S. 440, Skizze, II, S. 265.

٦ Reall, I, S. 440 Deserta, P. 482. f. Skizze, II, S. 265, Delitzsch, S. 306.

٧ Deserta, P. 484.

المارة من الحافات الشرقية لخوران الى دمشق^١ .

وقد صيرت أرض (بوز) و (بوزي) بـ (أرض أوسيتس) (Ausitis) في الترجمة السبعينية للتوراة (العهد العتيق)^٢ ، ولذلك رأى بعض العلماء أن المراد بها اسم (Aiseitai) (ايسايتاي) (ايسايتيه) ، وهو اسم موضع ذكره الجغرافي (بطلميوس) في داخل بادية بلاد العرب^٣ . ورأوا أن بوز هي هذا المكان^٤ .

ورأى آخرون أن (بازو) هي نجد، وأن البادية التي تحدث عنها (أسرحدون) هي (النفود) . وأما (خازو) فلأنها الأحساء^٥ . وذهب (رولنسن) الى احتمال كون هذه المنطقة هي أرض مملكة الحيرة ، وما يتصل بها الى جبل شمر ، لأن الوصف المذكور ينطبق - في رأيه - على هذا المكان^٦ .

وذهب (كلاسر) في مكان آخر من بحوثه المستفيضة عن (بازو) و(خازو) الى أن (خازو) هي (حزو) ، والى أن (بازو) و (خازو) في الأقسام الشرقية والجنوبية من (اليامة) الى أرض (مأكن) (Maken) الى مرتفعات (رأس الخيمة)^٧ . وأشار أيضاً الى (حزوى) ، وهي (السدوسية) لبني سعد في اليامة ، وقد ذكرها (الهمداني)^٨ ، ويرى أن هذه اللفظة قريبة جداً من (حزو) التوراة ومن (خازو) النص الآشوري . وعلى هذا تكون أرض (خازو) في اليامة ، وهي أرض ذات آثار قديمة وعاديات وخرائب تقع بين وادي (ملهم) و (وادي حنيفة)^٩ .

Deserta, P. 484. ١

٢ - العهد القديم - ، - العهد العتيق - ، - الصورة القديمة - ، الترجمة السبعينية ، هي الترجمة التي تمت في عهد الملك - بطلميوس الثاني - ٢٨٥-٢٤٧ ق. م - ، وذلك ليتمكن يهود مصر ، الذين كانوا قد نسوا العبرانية ، وتكلموا باليونانية من الوقوف على التوراة وفهمها .

Ptolemy, Geography, V, 19, 2. ٣

Reall, I, 6te. Lieferung, S. 440. ٤

Reall, I, 440, Palgrave, Central Arabia, I, P. 96, (1866) ٥

Rawlinson, The Five, II, P. 470. ٦

Skizze, II, S. 266. ٧

الصفة (ص ١٦٢) . ٨

Skizze, II, S. 269. ٩

ورأى بعض الباحثين المحدثين ان أرض (بازو) هي الساحل المقابل لجزر البحرين ، أي جزيرة (تلمون) كما كانت تعرف عند القدماء . وأما (خازو) أي (خازو) في قراءة ، فهي (الأحساء)^١ . ونرى بين اللغظتين (خازو) و (أحساء) تقارباً كبيراً .

ولم يذكر (أسرحدون) كيف رجع الى بلاده بعد حملته الطويلة هذه ، ومن أي سبيل رجع الى ملكه ؟ غير ان بعض الباحثين يرون انه سلك طريقاً غير الطريق الأول الذي سلكه في حملته على الشعوب والأرضين المذكورة . يرون انه سلك طريقاً موازياً لساحل الخليج ، فاخترق أرض (بازو) و (خازو) ، (حاسو) ، ثم سار شمالاً الى اقليم بابل . و (حاسو) عندهم هي الأحساء ، وهي بين (نجد) والخليج ، وكان (أسرحدون) قد سلك في حملته الأولى كما يروون طريقاً اخترق (نجداً) . فلما قرر العودة سلك الطريق الثاني^٢ .

ويرى (موسل) ان اسم (دخراني) (Di-ih-ra-ani) هو (Dacharenoi) المذكور عند (اصطيغان البيزنطي) (Stephen of Byzantium)^٣ . أما (كلاسر) فيرى ان قبيلة (Dachareni) ، التي ذكرها (بطلميوس) بعد اسم قبيلة (Malangite) هي القبيلة المذكورة في نص (أسرحدون)^٤ ، وان قبيلة (Malangite) هي قبيلة (Ma-gal-a-ni) المذكورة في نص (أسرحدون) . ورأى احتمال كون (Gauuani) هي (جوجان)^٥ و (Ikhilu) ، هي (أجلة) أو (أخلة) ، وهما عند الخرج^٦ .

ويرى (كلاسر) احتمال وجود علاقة بين (Bi-i-lu) ، وهو اسم الملكة ، و (باهلة) ، وهو اسم القبيلة المعروفة التي تقع منازلها منذ القديم في هذه المنطقة . وعنده أن حملة (أسرحدون) قد كانت في اليامة ، حيث ينطبق وصف

١ J. Simons, P. 15.

٢ Reall, I, te. Lieferung, S. 441.

٣ Deserta, P. 484, Stephen of Byzantium, Ethnica, (meineke) I, P. 223, Forster, II, P. 141, Skizze, II, S. 5.

٤ «Dacharaemoizae» Forster, I, P. LXXIX, 138, II, 268, Skizze, II, S. 256.

٥ « جوجان » ، صفة (ص ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٠) .

٦ « أجلة » صفة (ص ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦١) . Skizze, II, S. 5.

هذه المنطقة على وصف الأماكن المذكورة في حملة (أسرحدون) أحسن انطباق^١. وبعد وفاة (أسرحدون) رأى (يتع) (يطع) (يايطع) (Uaite) أن من الأصلح مصالحة الآشوريين، فذهب إلى (آشور بانبال)، (آشور بنبال) وقابله وأرضاه، فأعاد إليه أصنامهم، ومنها الصنم (عثر السماء)، (أترسمائين) (Atarsamain) (A-tar-sa-ma-a-in)، أي (عثر السماوات)، وهو الإله (عثر) إله السماء، الذي سأنحدث عنه عند كلامي على ديانة العرب قبل الإسلام، ورضي عنه وأعادته إلى منصبه^٢.

ويذكر (آشور بانبال) أن (Uaite) حثت يمينه، وخالف عهده وميثاقه معه، لما أعلن (شمش - شوم - أوكسن) (Schamaschsumukin)، شقيق آشور بانبال العصيان عليه، وخاصمه، فانضم إليه، وأيده بمدد يساعده، جعله تحت قيادة (اب يتع) (أب يتع) (Abjate) و (ايمو) ابنا (تاري) (نار) (تور)، (Te'ri). وقام على رأس أتباعه بغزو الحدود الغربية لأرض بلاد الشام التي سبق أن استولى عليها الآشوريون، وأصبحت من المقاطعات الخاصة لهم، من (أدوم) (Adom) في الجنوب إلى جنوب (حماة) في الشمال. غير أن السعد لم يحالف (Uaite) في هذه المرة أيضاً، فتصدت الجيوش الآشورية للسعد الذي أرسل لمساعدة (شمش - شوم - أوكسن)، وشتت شملهم قبل وصوله إلى (بابل). أما الذين تمكنوا من الهرب والوصول إلى (بابل)، فقد أبعد أكثرهم كذلك. وقد اضطرت (اب يتع) (Abjate) أن ينجو بنفسه بالهرب إلى البادية خشية أن يقع في الأسر، وذهب من ثم إلى (نينوى) حيث مثل أمام الملك طالباً منه العفو والصفح، وقبل الملك عذره وصفح عنه، ثم أصدر أمره بتعيينه ملكاً في مكان (Uaite) الذي كان مشغولاً بغزو حدود الشام وفلسطين الشرقية المتاخمة للصحراء أي حدود أرض (أمورو) (Amurru) على رأي بعض العلماء^٣، وذلك بعد

١ Skizze, II, S., 269, 273.

٢ «أسور بانبال» أدي شير، (ص ١٣٢) Reall. I, S. 310, 312, Schrader, KAT. S. 434, Streck, Vorderasiatische Bibliothek, VII, S. 72, Deserta, P. 485.

٣ لمعرفة آراء علماء الآشوريات في أرض «أمورو» التي تعني أرض المغرب، أو الرياح الغربية، استحسن الرجوع إلى ما كتب عن هذا الموضوع في: Reall. I, S. 99. ff. Hastings, P. 27.

هزيمة (Uaite') وتغلب الآشوريين عليه في حوالي سنة (٦٤٨ ق.م.)^١ . وقد وافق (اب يتيء) (Abjate') أن يدفع جزية الى الآشوريين ، تتألف من ذهب وأحجار كريمة وجمال وحمر^٢ .

ولم يتمكن (Uaite') من الثبات طويلاً والاستمرار على مهاجمة الآشوريين ، إذ كلف الملك (آشور بانبال) حرس الحدود والقوات الآشورية التي كانت هناك مهاجمة أتباعه ، ومعاقبة (Uaite') الذي نسي الجميل ، وخاس بعهدده على حد قول (آشور بانبال)^٣ . وبعد مصادمات ومعارك وقعت بالقرب من (ازريلو) (Azarilu)^٤ . و (خير اتكاسي) (Khiratakasi) و (ادومه) (Udume) في ممر (يردو) (Jabrudu) في (بيت أماني) (بيت عماني) (Bit Ammani) في منطقة (خوينه) (Khaurina) و (موابه) (Mu'aba) و (ساري) (Sa'ari) و (خرجه) (Kharge) و (صوبيتي) (Subiti) ، اضطر أتباع (اويتي) (Uaite') الى الرجوع الى البادية للاحتماء بها . ويظهر أنهم أصيبوا في أثناء ذلك بخسائر فادحة . وقد أكره (اويتيء) بعد هذه الخسائر على الالتجاء الى الملك (نتنو) (Natnu) ملك (نيتي) (نيبطي) (Nabaitai) (Nabaiti) تاركاً زوجته بين أتباعه من قبيلة (قيدار) (Qidri) (Kedar)^٥ .

ولما هاجم (امولاتي) (عمولاتي) (امولاتي) (Ammulati) ملك قبيلة (قيدار) (قيديري) أرض مملكة (مؤاب) (Moab) أصيبت جيوشه بخسارة كبيرة، وسقط أسيراً - ومعه (ادبا) (عادية) (عدية) (Adija) زوجة (Uaite') ملك (اربي) في أيدي الملك (Kamashkalta) (Kamaskhalta) ملك مؤاب (٦٤٨ ق.م.) . فأرسلا أسيرين الى نينوى

١ Melssner, Konige, S. 246, Deserta, P. 486, Reall. I, S. 9

٢ Deserta, P. 486, Rawlinson, Cuneiform, 5, Part, I, Plate, 9, Col. 8 II 30.

III, P 1, 34, Streck, Die Inschriften Assurpanipals, II, S. 68, 134, 202.

٣ Reall. I, S. 126.

٤ Reall. I, S. 325.

٥ Deserta, P. 485, Rawlinson, IV, Part. I, P 1. 9, Streck, II, S. 64, 132.

حيث سلما الى (آشور بانبال)^١ . وكان (Ammulati) قد ساعد (شمش - شوم - أوكن) في ثورته على أخيه ، وهاجم أرض المغرب (أمورو) (Ammurru) ، لذلك سر (آشور بانبال) ؛ بهذا الانتصار الذي أحرزه (مؤاب) . وقد رسم منظر غلب (آشور بانبال) وأسر (Ammulati) و (Adija) على جدار إحدى غرف قصر الملك (آشور بانبال)^٢ .

لقد أثرت الانتصارات التي أحرزتها جيوش (آشور) في نفس (ننتو) (ناتنو) (Natnu) ملك (Nabaiti) ، فأخذ يتقرب الى (آشور بانبال) ، ومن جملة ما فعله في التقرب اليه أنه أرسل (Uaite') - الذي كان قد التجأ اليه - الى نينوى حيث سلم الى الملك الذي أمر بوضعه في قفص ، ليعرض على الناس عند أحد أبواب المدينة^٣ . وذكر (آشور بانبال) في كتابته أن منازل (Nabaiti) قبيلة (Natnu) بعيدة ، ولم يسبق لها أن أرسلت رسلاً الى بلاط أحد من أجداده وآبائه في نينوى من قبل ، وأن هذه هي المرة الأولى التي يصل فيها من هذه القبيلة رسول^٤ .

وقد وصف (آشور بانبال) موقف الأعراب وصفاً مؤثراً بهذه الكلمات : « اشتدت عليهم وطأة الجوع . ولكي يسدوا رمقهم ، أكلوا لحوم صغارهم .. » وقد سأل أهل العربية بعضهم بعضاً : ما بال بلاد العرب قد أحلق بها هذا الشر ؟ فكان الجواب : تلك عاقبة من ينكث العهد، ويخرق المواثيق التي قطعناها لآشور^٥ .

وذكر (آشور بانبال) انه عامل (Uaite') على هذه الصورة ، وذلك في عباراته التي أمر بتدوينها في النص : « حبسته في مرتبط الكلاب ، وضعته مع بنات آوى والكلاب ، وأقته على حراسة الباب في نينوى^٦ . »

١ British Museum Tablet, K2802, Rawlinson, 3, Pl., 34, Col. 8, II, 31-44, Pl. 35. ff. Col. 5, II, 15-30, Reall. I, S. 36.

٢ Real. I, S. 36, 98, British Museum, A Guide to the Babylonian and Assyrian Antiquities, London, 1922, P. 184, 44, K. 2802, + K3047, + 3049.

Reall. I, S. 126. ٣

Deserta, P. 486, Ungnad, in Vorderasiatische Schriftdenkmaler, I, No. 83, Col. 3, II, 4-16. ٤

Luckenbill, II, 888. ٥

Luckenbill, II, 819. ٦

ووصف حملته على الأعراب ومطاردته لهم بهذه الكلمات : « في رمضان البادية وقبيلها ، حيث لا ترى طيور السماء وحيث لا يرى حمار الوحش ولا الغزال »^١ . وذلك من شدة جذب البادية ، وعدم احتمالها الأحياء .

لم تنفع الشدة التي استعملها الآشوريون في القضاء على مقاومة الأعراب شيئاً . فأكاد (آشور بانبال) يشغل نفسه بقتال ملك (عيلام) وحربه في عام (٦٤٠ - ٦٤١ ق. م.) حتى ثارت القبائل العربية على آشور بزعامة (أبياتا) (أبي يثع) (Abijate) ابن (تاري) (Te'ri) الذي تحدثت عنه سابقاً ، و (اويث) (Uaite) الثاني ، وهو ابن (بير دادا) (Bir Dadda) (Bir Dadda) ، وأخذت تتحرش ثانية بمحدود المقاطعات الآشورية المتصلة بالبادية . ولما أرسل الآشوريون جيوشاً قوية لصده هذه الهجمات ، طلبت قبيلة (قيديري) (قيدار) مساعدة (ننتو) ملك (نبتى) (Nabaiti) ، فلبى الطلب ، وتحالف معهم ، وأخذوا يهاجمون الحدود ، ومعهم قبيلتنا (يسمع) (يسمأ) (Isamme') و (عثر ممين) (Atarsamain) . غير أن الجيوش الآشورية تمكنت - مع ذلك كما تدعي كتاباتهم - من الانتصار على (قيدار) وعلى حلفائهم ، فانحصرت على (Isamme') وعلى (Atarsamain) و (Nabaiti) في موضع في البادية بين (ياركى) (يركى) (Jarki) (أرك) (شرق تدمر) ، و (ازلة) (Azalla)^٢ ، وشتت شملهم . ثم انتصرت في معركة أخرى على (Atarsamain) على (قيدار) وقعت عند (Qurasiti) ، وغنمت فيها غنائم كبيرة من الحمير والجمال والأغنام ، كما أسرت أصنام (Uaite) وأمه وزوجته وعدداً كبيراً من أتباعه^٣ . وأخذوا إلى دمشق ، وأسر (ابى يثا) (Abjate) وشقيقه (أيمو) (Aimnu) في المعركة التي وقعت عند (خوكرينا) (Khukkurina) (Khukruna)^٤ .

١ Luckenbill, II, 823.

٢ Meissner, Könige, S. 246, Streck, Vab. VII, S. S. CCLXXXII, ff.

٣ وتقع في بادية « تدمر » بين « يركى » « Jarki » ودمشق ،
Reall. I, S. 325, Reall. I, Ite, Lieferung, S. 9.

٤ Deserta, P. 487.

٥ Deserta, P. 488, Reall. I, S. 126.

أما الملك (Uaite) ، فقد اعتصم مع عدد من أتباعه بالصحراء ، غير أن الأمراض والأوبئة التي انتشرت بين أتباعه أكرهته على الذهاب الى الآشوريين الذين نقلوه الى نينوى ، وعرضوه أمام الملك . وقد عوقب عقاباً قاسياً، وعذب عذاباً شديداً، ثم عفا عنه الملك بعد ذلك غير انه لم يسمح له بالعودة الى البادية، حيث أمهله وأتباعه ومنازله ، ولعله مات في نينوى^١ .

لقد وردت في أخبار حملات الآشوريين على العرب ، أسماء مواضع منها ما يمكن التعرف عليه ، ومنها ما ليس في الامكان تشخيصه الآن ، وقد تحدثت عن بعضها . ويرى بعض العلماء ان موضع (أزريلو) (Azarilu) المذكور في أخبار انتصارات (آشور بانبال) على العرب ، هو موضع يقع في بادية الشام^٢ . وأما لفظة (أدومة) (Udume) ، فيرى (موسل) انها تعني (أدوم) (Edom) أرض (الأدوميين) من ذرية (عيسوبن إسحاق) على رواية التوراة . وهم شعب استوطن في الأصل جبل (سكير)^٣ ، ثم توسع فسكن في منطقة شملت كل تخوم كنعان الجنوبية من البحر الميت الى الخليج الشرقي للبحر الأحمر ، ومن ضمنها جبل (سكير)^٤ . وقد كان الأدوميون من أعداء العبرانيين :

ولما زاحم النبط الأدوميين على أرضهم ، زحفوا نحو الشمال فسكنوا في (اليهودية) (Judah) ، وتوسعوا حتى تجاوزوا شمال (حبرون) ، ولذلك دُعيت هذه المنطقة باسم (الأدومية) (Idumaea)^٥ . وذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) ان من أصنامهم صنماً يدعى (Koze)^٦ ، ويذكرنا اسم هذا الصنم باسم الصنم (قزاح) ، وهو صنم كان يعبد على مقربة من مكة^٧ .

١ Deserta, P. 389, Rawlinson, The Five. II, P. 492.

٢ Reall. I, S. 325.

٣ التكوين ، الاصحاح الثاني والثلاثون ، الآية ٣ ، القضاة ، الاصحاح الخامس الآية

٤ ، قاموس الكتاب المقدس (٥٣/١) ، Hastings, P. 203.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥٣/١)

٥ Hastings, P. 203.

٦ Josephus, Antiq. XV, 7, 9.

٧ Enc. Bibl. P. 1188.

وأما (Mu'aba) ، فبرى (موصل) أنها (مؤاب) المذكورة في التوراة ^١ ، وهي أرض المؤابيين ، أبناء (مؤاب) ^٢ .

وأسماء الأشخاص الواردة في النصوص الآشورية هي أقدم أسماء نعرفها وردت في نصوص تاريخية عند العرب الشماليين ، مثل (زبيبة) و (شمس) و (الباسق) الذي كتب (بسقانو) (Basqanu) في النص الآشوري ، و (أيم) الذي هو (ايمو) في النصوص الآشورية ، و (جندب) الذي صار (جنديبو) (Gindibu) في اللغة الآشورية (Kiau) (Kisu) (Ki-i-su) الذي يحتمل أنه (قيس) ، و (Agbaru) (Akbaru) القريب من أكبر أو (أنجر) أو (أجبر) ، و (خبيصو) (جيصو) (Habisu) (Kha-bi-su) الذي يحتمل أنه (خبيص) أو (خابص) أو (حبيس) أو (حابس) أو (قبيصة) أو ما شابه ذلك من أسماء ، و (نخرو) (نحر) (Niharu) (Ni-kha-ru) الذي يحتمل أنه (نخر) ، أو (ناخر) أو (نهار) ، (وليلى) (Laili) (Laiale) ، الذي هو (ليلي) الى آخر ذلك من أسماء .

وورد في جملة الأرضين التي استولى عليها (آشور بانبال) في بلاد العرب ، اسم موضع دعسي (انزلكرمة) (Enzilkarme) (Al-en-zi-kar-me) ^٣ ، وهو كناية عن واحة ، يرى (ديلج) (Delitzsch) أنها تقع جنوب حوران ^٤ . وقد افتخر « آشور بانبال » الملك العظيم ، الملك الحق الشرعي ، ملك العالم ، ملك آشور ، ملك الجهات الأربع ، ملك الملوك ، الأمير الذي لا ينازعه منازل ، الذي يحكم من البحر الأعلى الى البحر الأسفل ، والذي جعل كل الحكام الآخرين يخرون له سجداً ويقبلون أقدامه ^٥ ، بأنه ملك من البحر الأعلى حتى جزيرة (دلون) من البحر الأسفل ^٦ . ومعنى هذا أن ملكه امتد من أعالي العراق الى البحرين ^٦ .

يظهر من النصوص الآشورية أن الآشوريين قاموا بعدد من الحملات يزيد

١ Deserta, P. 485.

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٨٥/١) .

٣ Delitzsch, S. 300, Hommel, Geographie, S. 588, Reall, II, S. 404.

٤ راجع النص في : Pritchard, P. 297.

٥ Pritchard, P. 297.

٦ R. C. Thompson, In AAA, XX (1933), 71.

عددها على تسع للانتقام من الأعراب الذين كانوا قد تعودوا التحرش بهم ، ومضايقتهم عند اجتياز البوادي ، ومهاجمة قوافلهم وحدود أمبراطوريتهم ، تحرضهم بابل في بعض الأحيان ، أو حكومة مصر ، أو يدفعهم الى ذلك أملهم في الحصول على غنائم يتعيشون منها . وقد أزعجت هذه التحرشات الآشوريين كثيراً ، وأغضبتهم ، يتجلى غضبهم هذا فيما دوتوه عنهم . وفي الصور التي رسموها للعرب في قصورهم ، فصوروهم يقبلون أرجل ملوك (نينوى) ليرضوا عنهم ، مقدمين اليهم الهدايا فيها الذهب والحجارة الكريمة وأنواع الطيب والكمحل واللبان والجمال . وصوروا الآشوريين وهم يحرقون خيام الأعراب ، وهم نيام ، وصوروا عساكرهم يقاتلون الأعراب ويطاردونهم ، وهو على ظهور خيولهم المطهمة . أما العرب ، فإنهم على ظهور الجمال لا يستطيعون الافلات من الآشوريين^١ . وترجع هذه الصور الى أيام (آشور بانال) ، حيث عثر عليها في قصره بـ (نينوى) :

وقد صور العرب ولهم ولحي وقد تدلى شعر رؤوسهم على أكتافهم ضفائر ، وشد أحياناً بخيط . وأما الشوارب ، فإنها محفوفة في الغالب . وقد صور العرب وهم يركبون الجمال عراة في بعض الأحيان ، أو تمنطقوا بمنطقة ثخينة أو انزروا لزاراً تمتد من البطن الى الركبتين^٢ . ولا تصور هذه الصور كل الأعراب بالضرورة بل هي تمثل أولئك الذين تحاربوا مع الآشوريين .

لقد أقام الآشوريون لهم مسالح في أقاصي الأماكن التي بلغ نفوذهم الحربي والسياسي اليها ، كما أقاموا حصوناً في مفارق الطرق المؤدية الى البادية ، وذلك لحماية حدودهم من غزو أبناء البادية . كما وضعوا مراقبين آشوريين ، أو مندوبين سياسيين في مواطن سكن سادات القبائل ، وذلك لمراقبة حركات القبائل وأخبار حكوماتهم بنوايا وبأعمال ساداتها وللتأثير على أولئك السادات لحملهم على تنفيذ ما يريده ملوك آشور . وهي خطة قلدها من جاء بعد الآشوريين من أجناب . ولم يكن الآشوريون هم أول من ابتدع هذه السياسة ، فلا بد وأن يكون من سبقهم قد سار على هذا الدرب ، ومهد أرضه الآشوريين ولن جاء بعد الآشوريين من حكام .

British Museum, Assy. Sal. Nr. 85-87, Reall. I, 127, E. Unger, Assy. und Babyl. ١
Kunst, 1927, Abb. 77, Marucchi, Catal. del Mus. Egiz. Vaticana. Nr. 24.

Streck, VAB. VII, S. 217, Anm. II, 411, 772, Reall. I, S. 127. ٢

الفصل الخامس عشر

صلة العرب بالكلدانيين والفرس

لا نعلم شيئاً كثيراً عن صلات العرب بالكلدانيين ، فلم تصل إلينا كتابات منهم تفصح عن علاقتهم بالعرب . غير أن سكوت هذه الكتابات وعدم وصولها إلينا ، لا يمكن أن يكون سبباً يحملنا على التفكير في عدم قيام صلات بين العرب والكلدانيين . فقد رأينا فيما مضى أنهم ساعدوا أهل بابل في نزاعهم مع آشور ، ثم إن العرب كانوا يجاورون البابليين منذ القديم ، وهذه المجاورة القديمة في حد ذاتها واسطة طبيعية لتكوين الاتصال المباشر بين العرب والكلدانيين .

وقد تحدث الأخباريون عن غزو (بخت نصر) (بختنصر) (٦٠٤ - ٥٦١ ق.م.) للعرب في أيام (معد بن عدنان) ، ووصوله إلى موضع (ذات عرق) ، كما تحدثت عن ذلك في فصل «طبقات العرب» ، وقد قلت إن روايته أخذوا مادته من أهل الكتاب ، وأضافوا إليه مادة جديدة أنتجها ابتداعهم له ، فصار نسيجاً جديداً هو المدون في الكتب^١ . وهو حديث لا قيمة تاريخية له ، ولذلك لا يمكن الاطمئنان إليه والأخذ به . وقد قص علينا الأخباريون ألواناً كثيرة من هذا القصص الذي بان لونه وعرف أصله في القرن العشرين .

وأنا لا أريد أن أستبعد احتمال قتال (بخت نصر) مع القبائل العربية ، فذلك

١ الطبري (٢٩١/١) ، ابن الأثير ، الكامل (١١٧/١) ، (نبوكد ناصر) ، (أدي شير) (ص ١٤٠) .

ممکن جداً ، ولا سيما أن بابل مجاورة للعرب ، وان توسع هذا الملك ودخوله فلسطين جعل البابليين يتصلون اتصالاً مباشراً بالأعراب ، فلا بد أن يكون (بنحصر نصر) قد احتك بالعرب واتصل بهم . وقد يكون حاربهم وأوقع خسائر بهم ، لتحرشهم بجيوشه وبمحدود امبراطوريته التي شملت البادية الواسعة الفاصلة بين العراق وبلاد الشام^١ . ولكن الذي نتوقف عنده وننظر اليه بحذر ، هو هذا الطابع المعروف عن الأخباريين ، الذي يروون به كيفية غزو ذلك الملك لـ (معد ابن عدنان) .

وقد يكون (بنحصر نصر) ، قد بلغ موضع (ذات عرق) وقد يكون بلغ موضعاً آخر أبعد منه ، إلا أن الذي أراه أن استيلاء البابليين على الأماكن التي احتلوها من جزيرة العرب إن وقع فعلاً ، فإنه لم يدم طويلاً ، فقد كانت فتوحات الفاتحين لجزيرة العرب كالسيول ، تأتي جارقة عارمة ، تكتسح كل شيء تجده أمامها ، ثم لا تلبث أن تزول وتختفي آثارها بعد مدة قصيرة ، لأسباب منها بُعد طرق المواصلات عن عواصم الغازين الفاتحين وعدم وجود مواد غذائية كافية في البلاد المفتوحة لإعاشة جيش كبير ، ليستطيع ضبط القبائل والمحافظة على الأمن ، ومهاجمة القبائل للقوافل التي ترد لتموين الحاميات وللحاميات نفسها ، وعدم تمكن الفاتح من وضع جيش كبير جاهز في كل لحظة للقتال ليصد غارات القبائل التي تؤلف غالبية سكان جزيرة العرب في ذلك العهد . ثم إن القسم الأكبر من الذين قاتلوا وفتحوا أناس مرتزقة سيقوا الى القتال سوقاً ، خوفاً أو طمعاً ، وقبائل اشترى الفاتحون ساداتها بأطعامهم في مغنم ينجونها أو لدوافع حقد قبلي ، ومن عادة سادات القبائل أنهم مع الفاتح ما دام قوياً سخياً يبذل لهم بكل سخاء ، فإذا ضعف أو أمسك أو دارت الدنيا عليه ، كانوا هم أول من ينقلب عليه . ولذلك صارت أمثال هذا الفتوحات غارات انتقامية سريعة ، لا يلجأ اليها إلا بعد تفكير واعداد خطط ووجود ضرورات ملحة تستوجب ارسال مثل هذه الحملات .

ويرى بعض علماء التوراة والبابليات ما جاء في كتاب (دانيال) الذي كتب بعد أيام (بنحصر نصر) من نبوءة ومن رسالة أرسلها النبي الى ذلك الملك ، ومن

D.J. Wiseman, Chronicle of Chaldaean Kings, PP. 32, 48, 70, Nebuchadrezzar's Campaign in Arabia, 599 B. C. ١

فتوحات في بلاد العرب ، هو من وضع كاتب تلك الرسالة ، وضعه ليثبت نبوءته ، وأن ذلك الكاتب أخذ فتوحات (نبوئيد) فنسبها الى (بخت نصر)^١. أما أنا ، فلا أريد أن أثبت فتوحات (بخت نصر) ، ولا أريد أن أنفيها في هذا العهد ، فوصول (بخت نصر) الى الحجاز أمر ممكن ، وسوف نرى أن (نبوئيد) قد وصل الى مدينة (يثرب) ، فليس بمستبعد وصول (بخت نصر) الى الحجاز ، بعد أن استولى جيشه على فلسطين ، وصار في إمكانه الزحف نحو الجنوب ، ولكن الذي أراه الآن هو التريث ، فلعلّ الزمن يجود علينا بنصوص قد تتحدث عن حروب وفتوح أمر بها هذا الملك في بلاد العرب . وكتاب (دانيال) ، وإن كُتب على شكل نبوءة ، لا يستبعد أن يكون قد استمد خبر النبوءة من وثيقة أو خبر شائع ، فصاغه في شكل نبوءة ، ليثبت نبوءته لبني اسرائيل .

وقد أخبرتنا الكتابات البابلية أن (بختنصر) (Nebuchadrezzar) أرسل في شهر (كسلو) (Kislev) (Kislew) من السنة السادسة من ملكه المقاتلة لسنة (٥٩٩ ق.م.) حملة على العرب الساكنين في البادية ، نهبت أملاكهم وما عندهم من مواشي ، وسرقت آلهتهم ثم عادت^٢ . ولم يذكر النص البابلي اسم البادية التي هاجمها الجيش البابلي ولا اسم القبائل التي هاجمها ، ولم يذكر أيضاً اسم المواضع التي تحرك منها الجيش لمهاجمة العرب . ويرى الباحثون احتمال مهاجمة البابليين للعرب من (حماة) (Hamath) أو (ريلة) (Riblah) ، أو (قادش) (Kadesh) ، فتوغل جيش (بختنصر) في البادية ، ثم عاد حاملاً ما ذكر في النص من أسلاب ومن مواشي وآلهة العرب أي الأصنام . وكانت غاية البابليين من تأسر الأصنام وأخذها ، هو اكراه القبائل على الاستسلام والخضوع لهم ، لما للأغنام من أثر كبير في نفوسها ، وقد رأينا ان ملوك الآشوريين مثل : (سرجون) و (سنحريب) و (أسرحدون) كانوا قد أسروا أصنام العرب وأخذوها معهم الى آشور وكتبوا عليها شهادة الأسر والوقوع في أيدي الآشوريين ، ليؤثروا بذلك نفسياً في نفوس أتباعها وعبادها

S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 35. ١

Br. Mus. 21946, D.J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956, P. 31, 48, 71. ٢

ويكرهوهم على الخضوع لهم وعلى مساومة الآشوريين لاستردادها في مقابل الاستسلام لهم وتأييد سياستهم وعدم التحرش بهم . ولم يذكر النص البابلي أسماء تلك الآلهة .

وكانت غاية (بختنصر) من ارسال حملته هذه على العرب ، هو حماية حدود (حماة) وبقية مشارف فلسطين وبلاد الشام من الأعراب واخضاعهم لحكمه ، ثم تأديب بعض القبائل التي تحرشت به على ما يظهر حين دخوله بلاد الشام وفي جملة ذلك فلسطين . واستناداً الى ما جاء في (سفر إرميا) نستطيع أن نقول ان (قيذار) كانوا على رأس القبائل العربية البارزة التي غزاها جيش (بختنصر) وكذلك (بني المشرق) (أبناء المشرق) و (ممالك حاصور) . ونظراً لوجود تشابه كبير بين الرواية البابلية عن حملة (بختنصر) على العرب وبين ما جاء في (سفر إرميا)^١ ، أرى ان مدون السفر قد أخذ خبره هذا الذي صيرته نبوءة من موارد بابلية ثم كيّفه على النحو المذكور .

ولدينا خبر رواه لنا (اكسينوفون) (Xenophon) ، يفيد أن (بختنصر) لما حل على مصر أخضع (ملك العربية) . وقد قصد بذلك حملته على مصر سنة (٥٦٧) قبل الميلاد^٢ .

والخبر التاريخي الثاني الذي وصل الينا عن صلات البابليين المتأخرين بالعرب ، هو ما ورد عن الملك (نبونيد) (Nabonid) (Nabonidus) (٥٥٥ - ٥٣٨ ق. م.) (٥٥٦ - ٥٣٩ ق. م.) من اتخاذه (تيماء) مقراً له . ففي السنة الثالثة من حكمه جرد حملة على (أدومو) (Adumu) (Adummu) أي (دومة) (دومة الجندل) ، وسار منها الى (تيماء) ، سالكاً طريقاً لم تعرف في الزمن الغابر ، على رأس جيشه ، جيش أرض (أكد) (أكاد) . فلما وصل اليها ، أعمل فيها السيف ، وقتل أميرها وأهلها ، والظاهر ان ذلك بسبب مقاومتهم له وعنادهم في الدفاع عن مدينتهم ، ثم طاب له أن يستقر بها ، فابتنى بها قصراً ضخماً له جعلوه كالقصر الذي في بابل ، وحلت (تيماء) محل

١ الاصحاح ٤٩ ، الآية ٢٧ وما بعدها .

٢ Xenophon, Cyropaedela, I, 5, 2, Naval, P. 216.

بابل ، أي صارت عاصمة الملك البابليين^١ :

ويرى العلماء أن حملة (نبونيد) على (دومة الجندل) (ادومو) (Adummu) (وتيما) (Tema) كانت في سنة (٥٥٢ ق.م .)^٢ . وقد جاء اليها سالكاً الطريق البرية المؤدية من بلاد الشام الى شرقي الأردن ، الطريق التي يسلكها حجاج بلاد الشام في الإسلام الى مكة . وبعد أن قضى على حكام المدينتين استقر في (تيما) ومعه حرسه البابليون . ويظهر من اشارته في نصه المدون عن أخبار فتوحاته أنه سلك في وصوله الى (تيما) سبيلاً لم يسلكها الأقدون من قبل ، ومن اشارته الى قتله (ملك تيما) وسكان المدينة أن المدينة في أيامه كانت مستقلة ، يحكمها ملك من أهلها ، وأن البابليين لم يكونوا قد حكموها قبله^٣ .

وقد أقام (نبونيد) سنين في عاصمته الجديدة . أما ابنه (بلشاصر) (بلشصر) (بلشسر) (Belsharrusur) (Belsazar) ، فكان ب (بابل) مع الجنود البابليين . ويظهر أنه أقام بهلده المدينة حتى السنة الحادية عشرة من حكمه ، وربما أقام بها أكثر من ذلك قليلاً ، حتى اضطر الى تركها والعودة الى بابل ، بظهور الفرس ، الذين هددوا البابليين ، ووسعوا ملكهم ، وصاروا على مقربة من بابل . فقد تغلب (كيرش) (كورش) (Cyrus)^٤ على العربية وأدخلها في جملة أملاكه ، وعين عليها مقيماً سياسياً فارسياً (ستراب) (Satrap) ، ويظهر أن حملته هذه على العربية كانت حوالي سنة (٥٤٠ - ٥٣٩ ق.م) ، وأن (نبونيد) كان قد ترك (تيما) ، وجاء الى بابل قبل تغلب (كيرش) على العربية^٥ .

وقد يتساءل المرء عن الأسباب التي حملت (نبونيد) على ترك بابل والالتجاء هذه السنين الى (تيما) : أهى شؤون سياسية خطيرة حملته على السكنى في هذه

١ Musil, Negd, P. 225, Meissner, Koenige, S. 208, Sidney Smith, Babylonian, P. 88, Dougherty, Nabonides, and Belshazzar, New Haven, 1929, PP. 106, Reall. I, 5te, Lieferung, S. 383.

٢ S. Smith, P. 53.

٣ راجع الأسطر ٢٤ من النص S. Smith, P. 88.

٤ (كيرش) ، الطبري (٥/٢) ، (٦٥٣/١ ، ٦٩١ ، ٧١٨) ، (طبعة ليدن) ، (كورش) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، (ص ٨١) ، (بيروت ١٨٩٠) .

٥ S. Smith, Baby. Hist, P. 82, 102, The Cambridge Ancient History. IV, P. 194.

المدينة البعيدة عن عاصمته القديمة ، أم هي عوامل عسكرية ، أو اقتصادية أو بواعث شخصية لا تتعلق بهذه ولا بتلك ؟ أما اجابات المؤرخين ، فهي مختلفة ومتنوعة . منهم من رأى أن لتبوء أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية لوقوعها في ملتقى طرق تجارية عالمية بالنسبة الى ذلك العهد ، والاستيلاء عليها والبقاء فيها معناه كسب عظيم ، وربح كبير بالنسبة الى عالم السياسة في ذلك اليوم . ومنهم من رأى أن ذلك كان لأثر مزاج الملك وطبيعته ورغبته في التخلص من أمراض بابل ، بسكنائه في محل جاف مرتفع زهاء (٣٤٠٠) قدم عن سطح البحر .

وتبوء مركز مهم ، ذكر كما رأينا في نصوص الآشوريين ، وهو من الأماكن القديمة المذكورة في التوراة ، وهو فيها كناية عن أحد أبناء اسماعيل ، مما يدل على أنه كان من المواطن الإسماعيلية ، ويقع على مسافة (٢٠٠) ميل الى الجنوب الشرقي من رأس خليج العقبة ، ويمثل هذه المسافة الى الشمال من المدينة ، وعلى بعد (٦٥) ميلاً من شمالي العلا . وبها عين غزيرة المياه ، هي التي بعثت الحياة في هذا المكان .. وتعدّ أشهر عين ماء في جزيرة العرب^١ ، تستعمل للسقي ، ولإرواء المزارع التي تنبت مختلف الفواكه والتمور والحبوب . وهواؤها صحي جيد ، ولا تزال مأهولة ، فهي في الزمن الحاضر ، كناية عن قرية يزيد عدد سكانها على الألفين ، يسكنون في بيوت من طين وفي أكواخ^٢ .

وعلى مقربة من (تبوء) خربة فيها أحجار ضخمة مربعة ، وبقايا عمران قديم يظن بعض العلماء أنها موضع معبد عتيق . ويرى بعض من زارها أنها كانت مدينة لا نقل ضخامة عن (الحجر) وعن المدن الأخرى التي ترى آثارها في العربية النبطية حتى الآن . ولم تفحص هذه الخربة التي يسميها الناس (توما) (Tuma) فحصاً علمياً^٣ . وقد يعثر فيها على كتابات آشورية وبابلية ويونانية وإرمية وعربية تربنا أثر الاتصال الثقافي الذي كان في هذه المواضع التي تعد ملتقى القوافل والتجار والثقافات .

Hastings, P. 897, Doughty, Arabia Deserta, I, Chapt. 10, 19, Jaussen, and ١
Savignac, Archéologique en Arable, II, Part, I, Chapt. 4, Musil, Oriental
Explorations, V, P. 224, Montgomery, P. 66.

٢ وهبة ، جزيرة العرب (ص ٧٥ فما بعدها) .

٣ S. Smith, Baby Hist. Text. P. 80.

وقد عثر في هذه الخربة على حجر مكتوب بلغة بني إرم ، يرجع تأريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، ورد فيه ان أحد الكهسان استورد صنماً جديداً الى تيماء ، وبني له معبداً ، وعيّن له كهاناً توارثوا خدمة (صلم هجم) . و (صلم) بمعنى صنم . وقد مثل صنم (هجم) في زي آشوري ، وظهر في أسفل الرسم رسم الكاهن الذي شيّد ذلك النصب . وقد نشرت ترجمة الكتابة الإرامية . ويرى (سدني سميث) ان تأريخها يرجع الى ايام (نبونيد) ، فلعله صنع في ذلك الزمن بتأثير البابليين^١ :

ولطول اقامة (نبونيد) في (تيماء) ، لا يستبعد أن يجيء يوم قد يعثر فيه على كتابات أو آثار أخرى ترجع الى هذا الملك . فلا يعقل أن تذهب ذكريات ايامه كلها من هذه المدينة ، وينطمس أثر قصره عنها ، ذلك القصر الذي بالغ الملك في وصفه وأراد أن يجعله في مستوى قصور بابل . وقد يعثر فيها على مراسلاته مع مدينته بابل ومع الحكومات الأجنبية التي كانت في ايامه ومع الأعراب . واذا حدث ذلك ، فقد نجد شيئاً جديداً لا نعرفه عن ايام تيماء في عهد نبونيد .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (تيماء) التي استقر بها (نبونيد) هي تيماء أخرى تقع في العروض على ساحل الخليج ، وحجتهم في ذلك أن المسافة بين تيماء الحجاز وبابل ، كبيرة واسعة ، تجعل من الصعب تصور اقامة (نبونيد) في هذا المكان . أما العروض فإنه على اتصال ببابل ، ولا يفصل بينهما حاجز أو فاصل أو عائق ، ولهذا ذهبوا الى احتمال وقوع (تيماء) في العروض^٢ ، كما ذهب بعض آخر الى احتمال كون (تيماء) (تيان) المذكورة في التوراة^٣ . وهي أرض (أبناء الشرق)^٤ ، وملتقى طرق القوافل القادمة من بلاد الشام ومصر والعراق والجنوب^٥ . غير أن الباحثين في هذا اليوم متأكدون من أن (تيماء)

١ Smith, Baby. Hist. Texts. P. 79, Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars, Secunda, Plate, IX, Tome, I, P. 107, Montgomery P. 67, Hogarth, Penetration of Arabia, P. 280, Cooke, North Semitic Inscriptions, P. 195.

٢ Negd, P. 228.

٣ ارميا ، الاصحاح التاسع والاربعون الاية ٧ ، عوبديا ، الاية ٩ ، وعاموس الاصحاح الاول ، الاية ٢ ، حبقوق ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٦/١) فما بعدها

٥ Negd, P. 225.

(نبونيد) هي (تياء) الحجاز ، في المملكة العربية السعودية .
 فقد عثر في (حرّان) على كتابة مهمة جداً في بحثنا هذا ، دونها الملك
 (نبونيد) ، عثر عليها في سنة (١٩٥٦ م) ، وكانت مدفونة في خرائب جامع حرّان
 الكبير ، وترجمت الى الانكليزية ، وإذا بها تتحدث عن تأريخ أعمال ذلك الملك ،
 ومما جاء فيها : انه لما ترك (بابل) وجاء الى (تياء) ، أخضع أهلها ، ثم
 ذهب الى (ددانو) (ديدان) و (بداكو) و (خبرا) و (ايديخو) حتى
 بلغ (اتريو)^١ . ثم تحدث بعد ذلك عن عقده صلحاً مع (مصر) و (ميديا)
 (ما - دا - ا - ا) (مادا ا) (Ma-da-a-a) (Medes) ومع (العرب)
 (مات - ا - را - بي - او) (Mat A-ra-bi-u)^٢ . وقد ختم العمود الذي جاء
 فيه هذا الخبر بأسطر تهشمت جمل منها ؛ يفهم من مآلها أن العرب المذكورين
 أرسلوا اليه رسلاً ، عرضوا عليه عقد صلح معه ، واستسلامهم له ، فوافق
 على ذلك ، بعد ان كبّدهم جيشه خسائر فادحة ، وأسر منهم ، ونهب . ولم
 تذكر تلك الأسطر المواضع التي حارب فيها جيش (نبونيد) أولئك الأعراب^٣ .
 وقد يفهم من هذه السطور الأخيرة ايضاً ان بعض هؤلاء العرب هاجموا البابليين ،
 ونهبوا المناطق الخاضعة لهم بالرغم من عقدتهم الصلح معه ، وموافقتهم على ان
 يسالموه ، وهذا ما دعاه على ارسال حملات تأديبية عليهم ، انزلت بهم خسائر
 فادحة^٤ .

ولم يكن نص (نبونيد) مغروفاً بين العلماء يوم اختلفوا في تعيين موضع
 (تياء) . أما اليوم وقد نشر النص وترجم ترجمة دقيقة صحيحة ، وعرفنا
 منه (فدك) و (خير) و (يثرب) ، وهي مواضع معروفة مشهورة حتى
 اليوم وتذكر مع (خير) ، فقد أجمع العلماء على أن (تسياء) (نبونيد)
 هي (تياء) الحجاز من دون أي شك ، وان موضع اقامة ملك بابل وقصره

١ راجع السطرين ٢٤ و ٢٥ من النص الموسوم :
 Nabonidus H2, A and B, In Anatolian Studies, By C. J. add, The Harran
 Inscriptions of Nabonidus, VIII, 1958, PP. 35.

٢ السطر ٤٢ وما بعده من النص المذكور .

٣ راجع الاسطر من ٤٣ حتى ٤٨ من النص .

٤ Anatolian Studies, VIII, 1958, P. 76, A. R. Burn, Persia and the Greeks, P. 38.

كان في هذا المكان من الحجاز .

ولما كان استيلاء (نبونيد) على (تياء) في حدود سنة (٥٥١ - ٥٥٢ ق.م.)
وجب أن يكون زحفه على الأماكن المذكورة بعد ذلك ، والظاهر ان الذي حمله
على التوغل في الجنوب ، رغبته في السيطرة على أنحطط طريق برية للتجارة ،
تربط بلاد الشام بالعربية الجنوبية ، وهي طريق قديمة مسلوكة ، تسلكها القوافل
التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك العهد ، ثم السيطرة على البحر
الأحمر ، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن وربما على العربية الجنوبية
كلها . ولو تم له ذلك ، لكان ملكه قد بلغ المحيط الهندي . ومن يدري ؟
فلعل اختياره (تياء) مقراً له ، وتجوّله في الأرضين الواقعة بينها وبين (بثرب)
كان لهذا السبب ، أي لتنفيذ تلك الفكرة الخطيرة ، فكرة السيطرة على جزيرة
العرب وبلوغ المياه الدافئة للوصول الى إفريقيا والهند والعربية الجنوبية إلا أن
فكرته هذه لم تتحقق كما يتبين من النص ، فكان أقصى ما وصل اليه (بثرب) ،
ثم توقف عند ذلك المكان .

ويرى بعض الباحثين الذين درسوا كتابة (حرّان) هذه أن الصلح الذي
أشار اليه الملك يجب أن يكون قد عقد في حوالي سنة (٥٤٨ ق.م.) في
مدينة (تياء) عاصمة الملك الجديدة ، وأن الصلح الذي عقد مع الأعراب قد
وقع في (تياء) أيضاً ، وأن الهجمات التي هاجم بها بعض الأعراب البابليين
وقعت لإبان وجوده في هذه العاصمة وقبل رحيله عنها الى (بابل) ، ولكن من
هم العرب الذين عقدوا الصلح مع (نبونيد) ؟ ومن هم العرب الذين هاجموا
جيشه والأرضين التي خضعت له ؟ إن النص لم يشر اليهم ، ولم يتحدث عنهم ،
وهم بالطبع قبائل عديدة ، قد يكون منها قبائل سالت البابليين وحالفهم ،
ومنها قبائل عارضتهم وكرهتهم ، ثم إن بين القبائل منافسة وأحقاد وحسد ،
فاذا حالفت قبائل "حكومة" ما ، حسدت القبائل المنافسة ، فهاجمتها وهاجمت
الحكومة التي عقدت معها الحلف ، لإثبات نفسها ، ولإظهار وجودها ، ولأخذ
الزعامة منها ، وهذا داء القبائل منذ كان النظام القبلي .

والذي أراه أن الحجاز لم يكن آنذاك تحت حكومة واحدة يرأسها ملك واحد ،
ولمّا كان على نحو ما كان عليه عند ظهور الإسلام ، حكومات قرى ومدن
وقبائل . ويؤيد ذلك ما جاء في النص البابلي عن (تياء) أن (نبونيد) ، قتل

بالسلاح ملك تباء) (ملكو)^١ . ومعنى هذا أنها كانت في حكم حاكم يلقب نفسه باللقاب الملوك : ولا أستبعد أن يكون حال (ديدان) و (خبير) و (فذك) و (يديع) و (يثرب) مثل حال هذه المدينة ، أي عليهاحكام يلقبون أنفسهم باللقاب الملوك . ولا أستبعد أيضاً أن يكون حالها أو حال بعضها على نحو حال هذه المدن يوم ظهور الإسلام أي تحت حكم سادات المدينة والأشراف يشتركون معاً في الحكم ويتشاورون فيما بينهم عندما يحدث حادث ما في مدينتهم أو قريرتهم في أمور السلم وفي أمور الحرب .

ووضع سياسي على هذا النحو ، لا يمكن أن يقاوم جيشاً لجباً قوياً عارماً كجيش بابل المدرّب على القتال ، والذي يعيش على الحروب ، ولذلك انهيار بسرعة وسلم أمره الى البابليين . ومن هنا نشتم من نص (نبونيد) رائحة الاستخفاف بأسلحة (العرب) ، أي الأعراب سكفة هذه المواضع ، وبأسلحة تلك المدن التي استسلمت له . وكل ما فعله الأعراب أنهم تراجعوا الى البوادي ، وصاروا يشنون منها غارات على البابليين ليأخذوا منهم ما يجدونه أمامهم ، فاذا تعقبهم البابليون عادوا الى معاقلمهم وحصونهم : الصحراء .

وقد عثر على كتابة ثمودية وردت فيها جملة : (رمح ملك بابل) ، وعلى كتابة ثمودية أخرى جاء فيها : (حرب دون) (حرب ديدان)^٢ . وقد فسر العلماء الجملتين المذكورتين بأنهما اشارة الى الحرب التي نشبت بين البابليين وأهل ديدان في أيام (نبونيد) ، وان أهل تلك المناطق صاروا يؤرخون بها لأهميتها عندهم كحادث تاريخي^٣ . فالكتابتان اذن تحدّدان وقت تلك الحرب ، وتعيّنان مبدأ تقويم يؤرخ بموجبه عند أهل ثمود . غير اننا لم نتمكن من الوقوف على ذلك المبدأ من الكتائين المذكورين ، لقصرهما ولعدم وجود مفتاح معها يفتح لنا الباب لنصل منه الى الموضوع الذي حفظ فيه سر ذلك التاريخ .

أما موضع (Da-da-nu) (دادانو) ، فانه (ديدان) ، وهو موضع معروف مشهور ، ورد ذكره في (العهد القديم) ، وفي عدد من الكتابات^٤ :

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 84.

٢ A. Van den Branden, Textes Thamoudéens de Philby, Vol. II, PP. 54.

٣ Anatolian Studies, 1958, VII, PP. 78.

٤ W. Gaskel, Lihyan und Lihyanisch, 1954, W. F. Albright, Dedan, in Geschichte und Atlas Testament, 1953, A. Van den Branden, La Chronologie de Dedan et de Lihyan in Bibliotheca Orientalis, XIV, 1957, 13.

وتحدثت عنه في مواضع من هذا الكتاب ، فكسان اذن في جملة الأرضين التي خضعت لحكم (نبونيد) .

وأما (Pa-dak-ku) (بذاكو) ، فهو موضع (فذك) ، ولم يكن مشهوراً في الأخبار القديمة ، وإنما اشتهر في أيام الرسول ، إلا أن عدم اشتهاره لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم وجوده في أيام (نبونيد)^١ . وربما لا يستبعد أن يعثر في خرابته على آثار من عهد (نبونيد) وقبل عهده ، اذ كان معروفاً قبل أيامه ، بدليل ذكره في جملة المواضع التي استولى عليها هذا الملك .

وأما (Hi-ib-ra-a) (خي - اب - را - ا) (خيبرا) ، فهو موضع (خيبر) . وهو موضع معروف وقد كان من مواطن يهود في أيام النبي . وهو موضع (خيبر) الذي أرخ بحرب وقعت فيه في حوالي سنة (٥٦٨ م) (بعد مفسد خيبر بعام)^٢ .

وموضع (Ia-di-hu-u) (Iadihu) ، وهو موضع (يديع) ، ويقع بين (فذك) و (خيبر) ، وقد ذكره (ياقوت الحموي) والهمداني^٣ .

وأما (Iatribu) (ايتريبو) ، فهو موضع (يثرب) أي المدينة . وقد ذكر في جغرافيا (بطليموس) ، فيكون نص (حران) اذن أقدم نص ذكر اسم هذا المكان .

و (يثرب) اذن آخر موضع استولى عليه البابليون في الحجاز وألحقوه بمملكته مملكة بابل . لسكوت النص عن ذكر مواضع أخرى تقع في جنوبها ولو كانوا قد تجاوزوها لذكروا اسم الأماكن التي استولوا عليها من دون شك . وقد استطعنا بفضل هذا النص التاريخي الخطير من العثور على خبر (يثرب) في وثيقة تعود الى ما قبل الميلاد بكثير ، فعلمنا منه أنها كانت مدينة عامرة قديمة ، وانها كانت أقدم بكثير مما تصوره أهل الأخبار عن نشوئها، ثم استطعنا

١ Anatolian Studies, 1958, P., 81.

٢ E. Combe, J. Savaget et G. Wiet, Repertoire Chronologique D'épigraphie Arabe, I, P. 3, No. 3.

٣ البلدان (١٠١٣/٤)

Anatolian Studies, 1958, Vol., VIII, P. 83, F. Wuestenfeld, Das Gebiet von Medina, S. 161, Arabien, S. 22.

أن نفهم ان العراقيين كانوا قد استولوا على منطقة مهمة من الحجاز في ذلك العهد ، وان بعد المسافات بين الحجاز أو العربية الجنوبية لم يحل بين الآشوريين والبابليين من التوغل مسافات شاسعة في جزيرة العرب من طرفيها ومن اجتياز نجد أيضاً ، كما رأينا من وصولهم الى جنوب البحرين على الخليج والى سبأ والى يثرب في هذا العهد .

وقد تنقل (نبونيد) مدة عشر سنوات في هذه المنطقة التي فتحها من الحجاز ، في أرض يبلغ طولها حوالي (٢٥٠) ميلاً من (تيماء) الى (يثرب) وحوالي (١٠٠) ميل عرضاً ، يراجع أهلها ويتزل بين قبائلها ، ويختلط بها ، ثم يعود الى عاصمته تيماء ، حيث يسير منها أمور الدولة . ويظهر أنه تطبع من خلال اقامته هذه المدة بين العرب ببعض طباعهم ، واقتبس بعض مصطلحاتهم حيث وردت في النص^١ :

ويرى بعض من عالج هذا النص ودرسه أن الملك البابلي نقل معه خلقاً من العراق ، وأسكنهم في هذه الأماكن الحجازية ، في المواضع المذكورة وكان يأتي اليهم من تيماء ، ليتفقد أحوالهم ، ويرى بنفسه سبل الدفاع عنهم وحمايتهم من غارات الأعداء . ويرون أيضاً أن في جملة ما جاء بهم الى هذه الأماكن اليهود : يهود من بابل ، ويهود من فلسطين ، كما رأوا أن اليهود كانوا قد سكنوا هذه المواضع من قبل ، وربما كان ذلك منذ جاء اليهود الى فلسطين ، فأقاموا بها الى أيام النبي^٢ :

ويظهر أن الملك (نبونيد) كان قد وضع خطة للهيمنة على الأرضين والحقاقها نهائياً ببابل ، وذلك باسكان أتباعه بها واجبارهم على الإقامة فيها . وقد نفذ خطته هذه فعلاً ، ووزع من كان قد جاء بهم معه على هذه المواضع بأن انتزع الأملاك من أصحابها العرب وأعطاهما للمستوطنين الجدد ، وحماهم بجيش وضعه في كل مكان لصد غارات الأعراب عليهم : ولتقوية معنوياتهم ولتثبيت قلوبهم في البقاء في هذه الأرضين الجديدة . صار يتفقد شؤونهم بين الحين والحين ويوزورهم . ولكن الخطة لم تنجح ، لأن الظروف السياسية والعسكرية أكرهته

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 84.

٢ Anatolian Studies, 1958, Vol. VIII, PP. 86, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 146.

على العودة الى بابل ، فأت مشروعه مع عودته ، فلم تلحق تلك الأرضين ببابل ، غير أن أكثر المستوطنين الجدد بقوا في هذا الأماكن ، وفي جملتهم اليهود الذين ازداد عددهم بمرور الأيام وكونوا مستعمرات يهودية وصلت (يثرب) في الجنوب .

لقد ترك فتح (نبونيد) لهذه الأرضين من الحجاز وبقاء بعض من نقلهم الى هذه المواضع فيها للاستيطان بها أثراً كبيراً من الناحية الثقافية والاقتصادية والحضارية ، وهي نواح لم تدرس حتى الآن ، ولم يهتم بها أحد . ولكن وجود ألفاظ عراقية قديمة في لغة أهل (يثرب) والمناطق الأخرى التي تقع الى الشمال منها ، وخاصة في الزراعة ، يدل دلالة واضحة على أثر العراق في أهل هذه المواضع ، فقد يكون قسم منه من بقايا أثر أولئك العراقيين الذين نقلوا الى هذه الأماكن ، وقد يكون قسم منه من مؤثرات أخرى وقعت قبل هذا الحادث . قد يكون في أيام (بنحصر) أو قبله ، وقد يكون بعضه من مؤثرات حوادث وقعت بعد ذلك .

وفي نسخة (قران) الحاوية لبعض الإصحاحات من العهد القديم ، وقد عثر عليها في نفس الوقت الذي عثر فيه على نص (حران) - أخبار قد تساعدنا في توضيح أسباب سوق (نبونيد) لليهود وأخذهم معه ، وإرسالهم بهذه الأرضين الجديدة من أعالي الحجاز ، لإرساء أقرهم فيها وأبقاهم حتى جاء الإسلام فأبعدهم عن الحجاز^١ .

إننا لا نملك نصوصاً بابلية عن مدى بلوغ سلطان البابليين السياسي في جزيرة العرب وعن صلاتهم بالقبائل العربية ، لذلك انحصر علمنا بعلاقة بابل بالعرب في الأمور التي ذكرتها . وقد عثر على نص في مدينة (عانة) ، يثبت وجود صلات تجارية بين بابل والبلاد العربية كما يشير الى أثر بابل في الحياة العربية^٢ .

أما علاقات البابليين بأهل الخليج ، فلا نعرف من أمرها شيئاً ، فلم يرد في النصوص البابلية التي نتحدث عن هذه الحقبة شيء ما عن الفتوحات البابلية في هذه الأرضين . وقد يعثر على شيء من الكتابات في المستقبل ، نتحدث عن نوع

١ Anatolian Studies, Vol. VIII, 1958, P. 87.

٢ A. J. Jaussen-R. Savignac, Mission, No. 138, A. T. Olmstead History of the Persian Empire, P. 294.

الصلوات التي كانت بين حكومة (بابل) وأهل الخليج في هذا العهد :
وكل ما نعرفه عن علاقة البابليين بالخليج ، ان البابليين كانوا قد ضمتوا
جزيرة (دلون) أي البحرين الى أملاكهم ، وعينوا عليها حاكماً بابلياً ، وذلك
بعد سنة (٦٠٠ ق. م.) بقليل ^١ .

ومعارفنا بصلوات العرب بالأخمينيين (Achaemenian) وبالبارثيين (الفرث)
(Parthians) قليلة جداً . ويرى بعض المؤرخين أن العرب كانوا في أيام
(الأخمينيين) قد تقدموا في زحفهم نحو الشمال ، فدخلت قبائل منهم الى العراق ،
ووسعت مساحة الأرضين التي كان العرب قد استوطنوها سابقاً ، كما تقدموا في
هذا العهد نحو الغرب ، فتوسعوا في بلاد الشام وفي طور سيناء الى شواطئ نهر
النيل ، حيث كانوا قد استوطنوها ، وقد قاموا بخدمات كبيرة نحو ملوك الفرس
في زحفهم على مصر ^٢ .

ولم يلاق العرب أية مقاومة كانت في أثناء حركاتهم وتنقلاتهم ودخولهم
الأرضين التي كان الأخمينيون قد استولوا عليها ، ولكن وجدوا أنفسهم في حرية
تامة ، لهم الحق في الذهاب الى أي مكان شاءوا ، وهذا مما مكنهم من الدخول
الى أرضين جديدة وإلى توسيع هجرتهم في الأرضين التي كان الأخمينيون قد بسطوا
سلطانهم عليها ^٣ .

لقد ذكر (اكسنوفون) (Xenophon) العرب في جملة أتباع الملك (كيرش)
(Cyrus) (Kyros) الثاني (٥٥٧ - ٥٢٩ ق. م.) (٥٥٩ - ٥٢٩ ق. م.) ،
وذكر أن هذا الملك عيّن والياً عنه على (العربية) (Arabia) (Arabioi)
ويظهر من ورود لفظة (Arabia) بعد (Kappadokia) أن المراد بها (الجزيرة) ،
أي (Mesopotamia) ، أو جزء منها . ويظهر من موضع آخر أن (العربية)
هي المنطقة الواقعة في شرق (Araxes) أي (الخابور) ^٤ .
وقد ورد في أخبار حملة (كيرش) على (بابل) أن جماعة من العرب

١ Belgrave, P. 56.

٢ Die Araber, I, S. 164.

٣ Die Araber, I, S. 171.

٤ ZDMG. 94, NF. 19, (1940), 202, f. Die Araber, I, S. 165, Xenophon, Anab. I, 5. I.

كانت تحارب معه ^١ . وكانت تلك الجماعة من الأعراب الراكبين للجمال . وذلك في سنة (٥٣٩) قبل الميلاد ^٢ .

ويتبين من مراجعة الموارد اليونانية التي تعرضت لتأريخ وجغرافية العراق، أن اليونان أخذوا يطلقون لفظة (Arabioi) من هذا الوقت فما بعده بمعنى (العرب) و (عرب) ، أي علماً لقوم وشعب على نحو ما كانوا يطلقون من أسماء على الشعوب الأخرى . وقد ذكروهم في جملة شعوب الجزيرة، أي (Mesopotamia) . وقد أخذوا ذلك من (الأيونيين) (Ionien) . وعلى هذا فسيكون مراد (اكسينوفون) وغيره من العربية الأرض التي غلب عليها العرب . ومعنى هذا توسع العرب في زحفهم وتقدمهم نحو الشمال وتغلبهم على أرضين جديدة كان سكانها من بني إرم وغيرهم ، وتعرب كثير من بني إرم وتكوين طبقة عربية مستعربة ^٣ .

ولما قام (قبيز) الثاني (قبايوس) (Cambyes) بغزو مصر سنة (٥٢٥ ق. م.) ، وطلب معونة العرب ، أمدّوه بالجمال ، وبالماء ، وساعدوه مساعدة كبيرة لولاها لما تمكن من الوصول الى مصر . ويزعم (هيرودوتس) أن (فانس) (Phanes) ، الذي خان سيده فرعون مصر ، فهرب منه وذهب خلصة الى (قبيز) وحشّه على فتح مصر ، أشار على الملك بأن يستعين بالعرب ليساعدوه في اجتياز الصحراء . وكان الملك يفكر في الصعوبات التي ستعرض جيوشه في قطع تلك القياقي والقفار ، ومن أهمها قلة الماء . فلما اقتنع الملك بصواب رأي (فانس) وصدقه ، أرسل رسولا الى ملك العرب ليتفاوض معه في هذا الأمر ، فوافق العرب على تقديم المساعدات فهيأوا قرباً كثيرة ملأوها بالماء ، وحملوها على ظهور جبالهم حيث قدموها الى الفرس ^٤ .

ولم يشر (هيرودوتس) الى اسم الملك العربي الذي وافق على تموين الجيش الفارسي بما يحتاج اليه في حملته على مصر بالماء ، ولم يشر أيضاً الى الأرض التي

١ Die Araber, I, S. 171, Xenophon, Cyrop. 7, 5, 14.

٢ Xenophon, Kyrupadie, VII, 4, 16, 5, 13, Grohmann, Arabien S. 171.

٣ Die Araber, I, S. 165.

٤ G. Rawlinson, The History of Herodotus, I, P. 211, 213, The Cambridge Ancient History, IV, P. 20, Herodotus 3, 4, 7, Die Araber, I, S. 167.

كان يحكمها . وقد يكون هذا الملك أحد ملوك النبط الذين كانوا يحكمون في أعالي الحجاز وفي الأقسام الجنوبية من الأردن وطور سيناء ، وقد يكون أحد كبار سادات القبائل العربية الكبيرة في طور سيناء ، حيث كان له سلطان واسع كبير على الأعراب الساكنين في هذه الأرضين .

وأشار (هيرودوتس) في معرض كلامه على تزويد العرب قبباز بالماء ، الى وجود نهر عظيم في بلاد العرب ، دعاه : (كوريس) (قوريس) (Corys) ، زعم انه يصب في (البحر الأريتري) (البحر الأريتري) (Erythraean Sea) أي البحر الأحمر ، قائلاً : ان هناك من يزعم ان ملك العرب عمل انبواً من جلود الثيران والحيوانات الأخرى لنقل المياه من النهر الى صهاريج ، أمر بحفرها وعملها في الصحراء لحزن الماء فيها ، وان هناك ثلاثة خطوط من هذه الأنابيب تنقل الماء الى مسافة اثني عشر يوماً من النهر الى موضع هذه الصهاريج^١ .

ولا يعقل أن يكون في بلاد العرب نهر على الوصف الذي ذكره (هيرودوتس) في ذلك العهد . كما ان الأنابيب المذكورة الممتدة الى تلك المسافات المذكورة ، هي من مخيلات القصاص الذين أخذ منهم ذلك المؤرخ خبره . والظاهر ان الذين حدثوه عن ذلك النهر ، كانوا قد سمعوا أو شاهدوا السيول التي تصب في البحر الأحمر في مواسم الأمطار الشديدة ، فتصوروها أنهاراً عظيمة تجري طول السنة . أما الصهاريج ، فإنها معروفة في بلاد العرب ، ولا سيما شمال العربية الغربية ، تأتي اليها مياه الأمطار فتملؤها ، وتغطي فتحاتها ، فلا يعرف مواضعها الا أصحابها ، فاذا داهمهم عدو ، سدوا منافذها ، فلا يصل الى مائها أحد . والظاهر ان الذين أمدوا الفرس بالماء ، كانوا يأخذونه من الصهاريج المنتشرة في مختلف الأماكن ، ومن هنا ظهرت أسطورة نقل المياه اليها من ذلك النهر في ثلاثة خطوط من الأنابيب المصنوعة من الجلود .

وذكر (هيرودوتس) في أثناء الكلام على (دارا) (داريوش) (داريوس) (Darius)^٢ ، ان جميع سكان آسية الذين أذلهم (كيرش) (كورش) ثم

١ Herodotus, Bk. III, 9, Vol. I, P. 213.

٢ فهرست تاريخ الطبري عمل « دي غويه » ، (ص ١٧٥) ، حمزة (ص ٢٠) ، داريوس ، ابن الطبري (ص ٨٣) ، داريوش ، الاخبار الطوال (ص ٣١) ، « طبعة فلاديمير جرجاس » ، « ليدن ١٨٨٨ م » .

(قبيز) بعده ، قد اعترفوا بسلطانته ، الا العرب . فهؤلاء لم يخضعوا كالرقيق البتة لسلطان الفرس ، وانما كانوا قد تحالفوا معهم ، وأصبحوا حلفاء وأصدقاء لهم منذ مهدوا الطريق لقمييز للوصول الى مصر . ولو كانت علاقاتهم غير ودية معهم ، لما تمكن الفرس من القيام بذلك الغزو . وأثنى هذا المؤرخ على إباء العرب ، وعلى شهامتهم ، وعلى محافظتهم على الوعد والعهود^١ :

وذكر (هيرودوتس) أن الأرضين بين (Phoenicia) ، أي (فينيقية) ومدينة (Cadytis) ، كانت تابعة للسريان الفلسطينيين (Palaestine Syrian) . أما الأرضون بين مدينة (Cadytis) وموضع (Jenysus) (Ienysos) ، فقد كانت تابعة للملوك العرب^٢ ، ويريد بهم عدداً من سادات القبائل ولا شك ، ويرى (جيمس رنل) (James Rennell) أن مدينة (Cadytis) هي القدس^٣ ويرى آخرون أنها (غزة)^٤ . وأما (Jenysus) ، فهي (خان يونس) في جنوب غربي (غزة) على رأي (جيمس رنل)^٥ .

يتبين من قول (هيرودوتس) هذا أن العرب كانوا في أيام (قبيز) أي قبل الميلاد بعدة قرون ، في هذه المنطقة من فلسطين . وانهم كانوا قد انتشروا في (طور سيناء) ، ونزلوا المناطق الشرقية من مصر ، حتى ضفة نهر النيل : ولهذا السبب أطلق عليها اسم (العربية) دلالة على توغل العرب فيها^٦ :

لقد كانت (غزة) مدينة عربية يحكمها ملوك عرب . وقد كانت في حكم ملك عربي في أيام (هيرودوتس) ، وكانت كل الأرضين الواقعة بين (غزة) وبين (Rhinokolura) تحت حكم العرب أيضاً وذلك منذ أيام الفلسطينيين^٧ . وقد كان يحكم (غزة) في أيام (هيرود الكبير) ملك من أهل غزة^٨ : وقد كانت (غزة) قبيل الإسلام وعند ظهوره فرضة العرب ، يقصدها أهل

Herodotus, I, P. 254, 3, 5. ١

Herodotus, I, P. 212, Bk. III, IV-V. ٢

The Geographical System of Herodotus, London, 1800, P. 245, 683. ٣

Herodotus, I, P. 212. ٤

Rennel, P. 259. ٥

Die Araber, I, S. 167. ٦

Grohmann, Arabien, S. 23. ٧

Flavius Josephus, Antiquitates, XV, 7, 9. ٨

العربية الغربية للبيع والشراء . ولا أستبعد أن تكون (غزة) فرضة عرب العربية الغربية في هذا الوقت أيضاً . وقد كان تجار العربية الشرقية يقصدونها أيضاً على الرغم من بعد المسافة واتساع الشقة ، فقد كان أهل (الجرعاء) (جرهما) (Gerrha) ، يقصدونها ، حاملين معهم تجارة الهند وما وراء الهند ، فتأخذهم إلىهم عن طريق الواحات والآبار إلى (دومة الجندل) ومنها إلى جنوب فلسطين فغزة حيث يبيعون ما عندهم ويشتررون ما يحتاجون إليه من حاصلات البحر المتوسط ثم يعودون بأموالهم الجديدة إلى بلادهم لبيعها هناك ، أو لشحنها إلى ما وراء الخليج من أرضين .

وفطن (دارا) لخطورة المشروع القديم ، مشروع ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر (النيل) فاحتفزه^١ . وقد وضع أساس هذا المشروع (رامسيس الثاني) ، غير أنه امتلأ بعد ذلك بالرمال مراراً ، فاحتفزه من جاء من بعده من الملوك^٢ . وذكر (هيرودوتس) أن الفرعون (نخو) (Necos) كان قد أرسل بعثة دخلت الخليج العربي ، أي البحر الأحمر في اصطلاح اليونان عن طريق القناة التي حفرت بين النيل وهذا البحر ، وكانت هذه البعثة من الفينيقيين للبحث عن أعمدة (هرقل) (Hercules)^٣ . ويرى بعض الباحثين احتمال كون الملك الذي حكم (غزة) في هذا العهد ، ملك من ملوك الليحيانيين^٤ :

واهتم (دارا) بأمر التجارة البحرية ، فأمر (Skylax) من اليونانيين بالذهاب إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي لكشف تلك المناطق وتكوين صلات تجارية معها ، فوصل هذا المكتشف اليوناني - على رواية هيرودوتس - إلى الهند . وهو بذلك أول يوناني يبلغنا خبره حتى الآن ، يدخل البحر الأحمر ، ويطوف حول جزيرة العرب للوصول إلى الهند^٥ . ويفتخر (دارا) في كتابته التي أشار فيها إلى مشروع القناة ، بأنه استطاع أن يسيّر السفن عبرها من مصر إلى أرض فارس^٦ . وقد كانت هذه الخطوة من أعظم الخطوات في تاريخ العالم ، ولا شك .

١ Herodotus, I, P. 302, Bk. IV, 39.

٢ Herodotus, I, P. 302, Note. I.

٣ Herodotus, I, P. 302.

٤ Arabien S. 23.

٥ Montgomery, Arabia, P. 69.

٦ Montgomery, Arabia, P. 69, Breasted, History of Egypt, PP. 276, 584, R.W. Rogers, A History of Ancient Persia, PP. 119.

وقد أثرت تأثيراً خطيراً في التجارة العربية في البحار ، اذ فتحت البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي لمنافسين أقوياء ، صار بإمكانهم شراء تجسارة افريقية والهند وسواحل جزيرة العرب بأسعار رخيصة ، لبيعها في الأماكن التي تربدها والتي كانت تشتريها بأثمان عالية ، وبذلك أخذت من التجار العرب جزءاً كبيراً من أرباحهم ، وألحقت بتجارهم مع البحر المتوسط ضرراً لا يستهان به :

ولما تحدث (دارا) عن الأرضين التي خضعت لحكمه ، أدخل (عربية) (أرباية) (Arabaya)^١ في جملة تلك البلاد . وقد دعاها بـ (ماتو أربي) (Matu A-ra-bi) في النص البابلي^٢ . ولم يقصد (دارا) بـ (عربية) كل البلاد العربية ، أي جزيرة العرب وبادية الشام ، وإنما أراد بها بادية الشام ، كما تحدثت ذلك في شرح المراد من (ماتو أربي) في الكتابات السامرية . وقد كانت هذه البادية مثل جزيرة العرب موطناً للأعراب منذ وجد العرب .

وقد ذكر (هيرودوتس) ان بلاد العرب كانت تقدم جزية سنوية من الطيب الى (دارا)^٣ ، إلا انه لم يحدد مكان البلاد العربية ، ولم يشر الى العرب الذين دفعوا هذه الجزية . ولما كانت هذه الجزية طيباً ، فإنها تحملنا على التفكير في أن العرب الذين دفعوها كانوا من رجال القوافل المتاجرة التي تأتي بتجارة العربية الجنوبية لبيعها في بلاد الشام ومصر ، وكان الطيب والبخور من أهم المواد الرائجة في أسواق تلك البلاد . وهذه الجزية لم تكن بالمعنى السياسي المفهوم الذي يدل على خضوع العرب للفرس ، وإنما كانت جعالة سنوية تدفع للسلطات الحاكمة على تلك الأسواق مقابل السماح لها بالانجار ، أو ان (هيرودوتس) عني ببلاد العرب الأرضين التي كان يسكنها العرب ودخلت تحت حكم الفرس ، وعني بالعرب الذين دفعوها بعض القبائل العربية التي كانت تقيم في مصر أو طور سيناء

١ The Sculptures and Inscription of Darius the Great, London, 1907, Col. 1, 15, P. XIII, 4.

٢ « ماتو أربي » في النص البابلي ،

Col. I, 5, Sculptures, P. XVIII, The Babylonian Version, 5, 161.

٣ Inscription of Darius on the Rock at Behlston, Translated, by Sir H. Rawlinson, London, 1873, P. III, Herodotus, 3, 91, 97.

أو بادية الشام .

ويلاحظ ان (هيرودوتس) كان قد ذكر ، كما بينت قبل قليل ، ان العرب لم يخضعوا للفرس في ايام كورش ولا في ايام قبيز ، وانما كانوا حلفاء للفرس . فيظهر من كلام (هيرودوتس) الأخير ان العرب الذين خضعوا للفرس ولدارا ، هم من أعراب بادية الشام ، ومن كانت منازلهم وديارهم في فلسطين وفي طور سيناء^١ .

ويرى بعض المؤرخين ان (العربية) التي خضعت لحكم (دارا) لم تكن جزيرة العرب ، وانما منطقة الجزيرة الواقعة بين (بابل) وآشور^٢ ، مثل منطقة (سنجار) (Singara) و (الحضر) ، وكان العرب قد توغلوا فيها^٣ .

وقد ورد في خبر للمؤرخ (اكسينوفون) (Xenophon) وفي كتابته لـ (كيرش الثاني) (Kyros II) (Kyrush II) ، ما يفيد ان العرب كانوا قد خضعوا لحكم الأخمينيين . فورد في كتابة (كيرش) مثلاً : « ملوك الأرضين الغربية الذين يقطنون في الخيام » ، وذلك في جملة من اعترف بسلطان الملك عليهم . غير ان هذه الإشارات لا تفيد ان العرب كانوا قد خضعوا لهم مدة طويلة ، كما انها لا تدل على خضوع حقيقي لهم ، ولا سيما وقد ذكرنا ان (هيرودوتس) قد صرح ان العرب لم يخضعوا لحكم الفرس^٤ .

وأشار (هيرودوتس) الى وجود فرقة عسكرية من العرب في الجيوش الفارسية التي كانت بمصر ، كان على رأسها قائد فارسي دعاة (ارسامس) (Arsames) ، وقال انه أحد أولاد (دارا)^٥ . ويظهر ان هؤلاء الجنود هم من عرب مصر ، أي من العرب القاطنين هناك ، ولعلمهم من سكان الأرضين المحصورة بين النيل والبحر الأحمر^٦ . وقد كان العرب ينزلون هذه المنطقة والمنطقة شرقي النيل وجنوب البحر المتوسط والمتصلة بطور سيناء منذ القديم . فالعرب كانوا من قدماء سكان مصر ، لا كما يتصور بعضهم من أنهم دخلوا مصر في

١ Die Araber I, S. 167. ff.

٢ Mesopotamien, In: RE. 15, (1931), 1131, F. H. Weissbach, Die Kellschriften der Achameniden (1911), S. 82. f. R.G. Kent, Old Persian, (1953), 136.

٣ Die Araber, I, S. 165.

٤ Die Araber, I, S. 171.

٥ The Cambridge Ancient History, Vol. IV, P. 190.

٦ Herodotus, II, P. 148, Note. I.

الفتح ، وانهم لذلك غرباء لا صلة هناك بينهم وبين المصريين قبل الإسلام :
 والمعروف ان (الهكسوس) الذين حكموا مصر كانوا من العرب في رأي كثير
 من العلماء ، بل في نظر قدماء المصريين ، كما حكى ذلك الراهب المصري المؤرخ
 (مانيتو) (Manetho) في كتابه المؤلف باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد.
 وقد ذهب بعض الباحثين الى ان (هيرودوتس) قصد بـ (العرب) النبط^٢ ،
 غير ان بعضاً آخر يخالف هذا الرأي ويعترض عليه ، فيرى ان النبط لم يظهر
 ظهوراً بيناً الا في أواخر ايام الأخمينيين ، وكان ظهورهم في (بطرا) (Petra)
 وما حولها . أما مملكتهم فلم تقيم الا في القرن الثاني قبل الميلاد . ولهذا فإن العرب
 الذين قصدهم المؤرخ اليوناني ، هم عرب آخرون ، وان الأرض التي أرادها
 ذلك المؤرخ هي : طور سيناء حتى شواطئ نهر النيل^٣ .

ويظهر من الإشارات الواردة في التوراة ، أن عرب الضواحي ، كانوا يقيمون
 في مستوطنات ، عرفت بـ (حاصير) (حازير) (حاصور) (حصور)
 (Haser) في العبرانية . ومعناها : (محاط) . وقد كانوا أشباه بدو في الواقع :
 أناخوا في هذه المواضع واستقروا بها وامتنعوا الرعي^٤ .

وكان الجنود العرب يلبسون كما يقول (هيرودوتس) نوعاً من الثياب يسمى
 (زيرا) (Zeira) ، وهي ثياب طويلة تشد عليها الحُرْمُ ، ويحمل مرتدوها
 على أكتافهم اليمنى قسيّاً طويلاً . أما في حاله عدم استعمالها ، فيعلقونها على
 ظهورهم* . والظاهر أن هذه الكلمة هي تحريف (السِّيرا) . و « السِّيرا » :
 « ضرب من البرود ، وقيل : ثوب مسير ، فيه خطوط تعمل من القز كالسيور .
 وقيل : برود يخالطها حرير . وقيل : هي ثياب اليمن^٥ » . ويلاحظ أن الثياب
 المخططة كانت ولا تزال شائعة بين شعوب الشرق الأدنى ، فلا تستبعد أن تكون
 كلمة (Zeira) تصحيفاً أو تحريفاً للسِّيرا ، وهي أقرب إليها من لفظة (إزار)
 أو مئزر على ما أرى .

W. G. Waddell, Manetho, P., 85, (The Loeb Classical Library), London, 1948. ١

Olmstead, History of the Persian Empire, 1948, P. 88. ٢

Die Araber, I, 170, 284, 290. ٣

Die Araber, I, S. 170. ٤

Herodotus, II, P. 147. ٥

اللسان (٥٧/٦) ، ديوان قيس بن الخطيم (ص ٦) . ٦

وقد ألف الفرس - بالاضافة الى الجنود الغرب المشاة - كتائب عربية من الهجانة ، تقاتل على الإبل ، يلبسون ملابس المشاة ، ويحملون أسلحتهم . يقول (هيرودوتس) : لأنهم كانوا يوضعون في مؤخرة الفرمان ، تجنباً لانزعاج الخيل إذا ما سارت مع الإبل ^١ .

وقد استعملت دول أخرى كتائب عربية من الهجانة في جملة القوات المحاربة ، للعمل في البوادي خاصة ، حيث يصعب على المشاة والفرمان اجتيازهما وتعقيب الأعراب . ولا تزال كتائب الهجانة محافظة على حياتها بين القوات المحاربة ، ولحماية الحدود الصحراوية حتى الآن .

وقد ألف العرب فرقة محاربة من الرماة بالسهم ومن المقاتلين ، اشتركت في جيش (احشويرش) (Xerxes) (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م.) ^٢ :

وقد أدخل الملك (احشويرش) (العربية) (Arabia) في جملة البلاد التي كانت قد خضعت لحكمه ، وذلك في نص من أيامه ، عثر عليه . وقد ذكر (العربية) بعد موضع (Maka) وقبل موضع (Gandara) ^٣ .

Herodotus, II, P. 152. ١
Die Araber, I, S. 171. ٢
Pritchard, P. 316. ٣

الفصل السادس عشر

العرب والعبرانيون

لم تذكر التوراة (العرب) في مواليد بني نوح : سام ، وحام ، ويافت^١ ، ولكنها ذكرت أسماء قبائل لا شك في أصلها العربي ، وفي سكنائها في جزيرة العرب . وهذا يؤيد ما ذهبت إليه من أن كلمة (العرب) لم تكن تعني قومية خاصة ، ولم تكن تؤدي معنى العلمية ، وإنما ترادف (الأعراب) والبدو ، أي سكان البادية ، ولهذا لم تذكر في جدول الأنساب ، وذكرت في مواضع أخرى من التوراة ، لها علاقة بالبادية والتبدي والأعرابية . والا لم تسكت عن ذكر العرب بين الشعوب المصنفة في الجدول المذكور ، وقد كان العرب يجاورون العبرانيين وكانوا على اتصال بهم دائم ، فكان ينبغي ذكرهم في ذلك الجدول ، لو كانت هذه التسمية تعني العلمية في الأصل ، وتعني جميع سكان جزيرة العرب من حضر وبدو . أما وهي لم تكن تعني إلا قسماً من العرب ، وهم الأعراب أي حالة خاصة من الحالات الاجتماعية ، فلذلك لم تذكر ، ومن ذكر في الجدول كلهم حضر مقيمون يعرفون بأسمائهم ، وهم معروفون ، أو قبائل أعرابية عرف العبرانيون أسماءها فذكروها ، فمن طبع العبرانيين اطلاق لفظة (العرب) على الأعراب الذين لا يعرفون أسماءهم وعلى البدو عامة دون تخصيص . والبدو هم طبقة عاشت عيشة خاصة ، ولم تكن قبيلة واحدة أو قبائل معينة

١ التكوين : الاصحاح العاشر ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول

محدودة يمكن حصرها وارجاعها الى نسب واحد ، على نحو ما نفهم من كنعانيين وفينيقيين ، ثم ان الأعراب لم يكونوا ينتسبون الى جد واحد ولا الى أب معين ، لذلك لم تدخلهم التوراة في عداد الشعوب .

وقد ذهبت جماعة من المستشرقين الى ان العبرانيين هم قوم أصلهم من جزيرة العرب ، هاجروا منها وارتحلوا عنها على طريقة الأعراب والقبائل المعروفة نحو الشمال . وجزيرة العرب لذلك هي الوطن الأم الذي ولد فيه العبرانيون . ودليلهم على ذلك هو الشبه الكبير بين حياة العبرانيين وحياة الأعراب ، وان ما ورد في التوراة وفي القصص الإسرائيلي عن حياة العبرانيين ، ينطبق على طريقة الحياة عند العرب أيضاً ، ثم ان أصول الديانة العبرانية القديمة وأسسها ترجع الى أصول عربية قديمة . أضف الى ذلك ان العرب والإسرائيليين ساميون ، وجزيرة العرب هي مهد الجنس السامي ، فالعبرانيون على رأيهم هم من جزيرة العرب ، وهم جماعة من العرب اذن ان صحت هذه التسمية ، بطرت على أمها وعاقنتها وهربت منها الى الشمال^١ .

وإذا جارينا التوراة في قولها بالأنساب ، نرى أن العرب والعبرانيين هم على رأيها من أصل واحد ، هو سام بن نوح ، ونرى أيضاً أنها تعترف ضمناً بقدم (البقطنيين) ، أي القحطانيين على الإسرائيليين . فالبقطيون هم أبناء يقطان ابن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام^٢ . وعلى ذلك فهم أقدم عهداً من بني اسرائيل ، وأغرق حضارة ومدنية منهم ، ولا سيما إذا ما عرفنا أن كلمة (عبري) على رأي كثير من العلماء تعني التحول والتنقل ، أي البداوة^٣ ، أي أنهم كانوا بدواً أعراباً ينتقلون في البادية قبل مجيئهم الى فلسطين واستقرارهم بها وتحضرهم ، على حين كان القحطانيون متحضرين مستقرين أصحاب مدن وحضارة . كذلك جعلت التوراة الفرع العربي الآخر الذي وضعته في قائمة أبناء (كورش) أقدم عهداً من الإسرائيليين^٤ .

١ Montgomery, Arabia, Nielsen, Handbuch der altarabischen Altertumskunde, I, S. 241.

وسيكسون رمزه : Handbuch

٢ التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٢٠ وما بعدها .

٣ اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية (ص ٧٧ فما بعدها) .

٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٦ وما بعدها .

لقد كان العرب، بدواً وحضراً على اتصال بالعبرانيين ، فأينما عاش العبرانيون عاشوا مع العرب . ولعل هذا الاتصال هو الذي حمل نسبائهم على عدّ العرب ذوي قرى لليهود ، ومن ذوي رحمهم . وكان العرب حتى في أيام تكوين العبرانيين حكومة في فلسطين يؤثرون تأثيراً خطيراً في الوضع السياسي هناك . وقد كانوا يقطنون بكثرة في الأقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين وفي طور سيناء وغزة^١ . بل وكانوا يقطنون في القدس كذلك .

ومن علماء التوراة من يرى أن (أيوب) ، صاحب السفر المسمى باسمه ، أي (سفر أيوب) وهو من أسفار التوراة ، هو رجل عربي ، إذ كانت كل الدلائل الواردة في سفره تدل على أنه من العرب ، فقد كان من أرض (عوص) (Uz) . و (عوص) وإن اختلف العلماء في مكانها ، فالراجح عندهم أنها في بلاد العرب في (نجد) ، أو في بلاد الشام في (حوران) ، أو في (اللجاة) ، أو على حدود (ادوم) (Idumaea) ، أو في العربية الغربية في شمال غربي (المدينة) . ويرى بعضهم أنه كان يسكن في شرق فلسطين أو في جنوب شرقها ، أي في جزيرة العرب ، أو في بادية الشام^٢ .

وسبب هذا الخلاف ، هو أن التوراة لم تحدد مكان أرض (عوص) ، فبينما نرى أن سفر (أيوب) يتحدث عن هجوم (أهل سبأ) على ملك (أيوب) واستياق بقر كانت له تحرث الأرض وأتن ترعى^٣ ، مما يشعر أن أرض (أيوب) التي هي (عوص) ، كانت على مقربة من السبثيين . نرى هذا السفر يذكر بعد آية واحدة هجوم ثلاث فرق من الكلدانيين على ابل (أيوب) ، مما يجعلنا نتصور أن أرض (عوص) كانت على مقربة من الكلدانيين ، أي في البادية القريبة من الفرات^٤ . والرأي عندي أن (أيوب) كان رجلاً غنياً يملك ابلاً وبقراً وأتناً وأملاكاً ، وربما كان سيد قبيلة ، وله رعاة يتنقلون بماشيته في بادية الشام ما بين العراق وفلسطين وأعالي الحجاز ، فأغار (أهل سبأ) على بقر له كانت تحرث أرضه وعلى أتن كانت ترعى في أرضه، وأخذوها من رعاته وحراسه.

١ Enc. Bibl. I, P. 272. ff.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٨٨/١) ، (١٢٦/٢) . Hastings, P. 469, 956.

٣ أيوب ، السفر الاول ، الآية ١٤ فما بعدها

٤ أيوب ، السفر الاول ، الآية ١٧ . Hastings, P. 469, 956.

وهؤلاء السبيثيون ، هم من السبيثيين النازحين الى الشمال والساكنين في أعالي الحجاز وفي الأردن . فالغارة كانت في هذه المنطقة . أما غارة الكلدانيين فكانت في العراق على مقربة من أرض الكلدان ، وذلك لأن رعاة إبله كانوا قد تنقلوا الى هناك على عادة الأعراب حتى اليوم في التنقل يلبلهم من مكان الى مكان طلباً للماء والكلأ ، فاستولى الكلدانيون عليها وأخذوها ، ولا علاقة لهاتين الغارتين بموطن أيوب .

وقد ذكر في سفر (أيوب) أنه (كانت قنيتة سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان . وله عبيد كثيرون جداً ، وكان ذلك الرجل أعظم أبناء المشرق جميعاً)^١ . وتدل هذه الأرقام والأوصاف المذكورة لثروته أنه كان من أعظم الأغنياء في أيامه ، وأنه كان من (أبناء الشرق) ، هي ترجمة لجملة (بني قديم) (Bene Kedem) العبرانية، وليس في التوراة تحديد لمكان (بني قديم) (بني قديم) ، ولا تعريف لهم، ولكن التسمية العبرانية هذه ، تشير الى أن المراد منها من كان يقيم في شرق العبرانيين ولا سيما في البادية الواقعة شرق فلسطين^٢ . فهم إذن في نظر العبرانيين، الساكنون في شرقهم. ولما كان أيوب من (بني قديم) ، ومن أرض (عوص) ، فيجب أن تكون أرض (عوص) في البادية في شرق فلسطين، أي في منازل (بني قديم) الممتدة الى العراق^٣، وهي مواطن الأعراب. وقد عرف واشتهر بعض (بني قديم) بالحكمة عند العبرانيين^٤ .

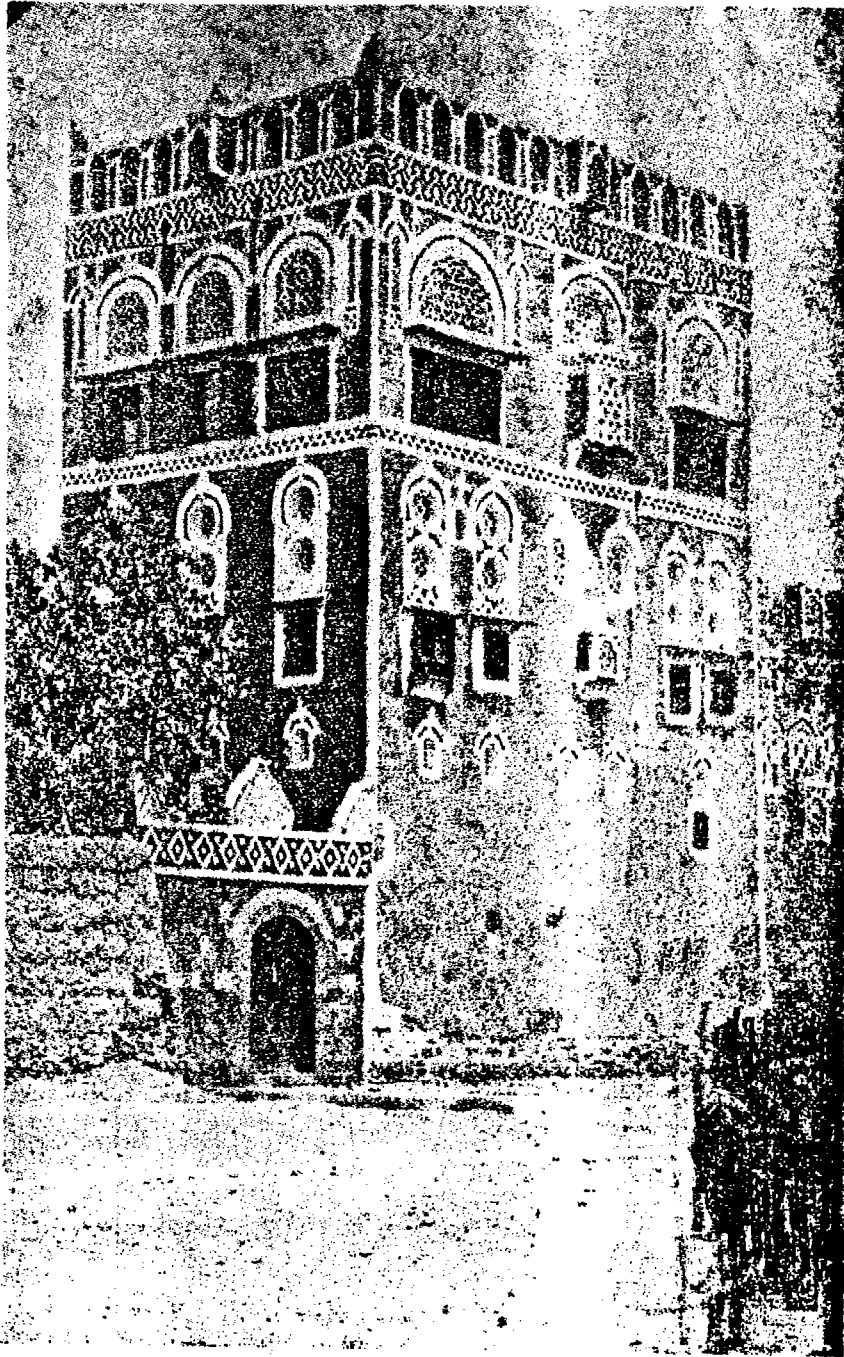
ويستدل من يقول بعروبة (أيوب) بالأثر العربي البارز على (سفر أيوب). ومن قدماء من قال بوجود أثر للعروبة في سفره ، العالم اليهودي (ابن عزرا) (بن عزرة) (Ibn Ezra) (Ben ezra) من رجال القرن الثاني عشر . وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير الى وجود أثر عربي عليه ، حتى ذهب بعضهم الى أن

١ أيوب ، السفر الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٣

٢ Montgomery, P. 41, 46, 49, 71, 169.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٦١٧ فما بعدها) ،

٤ Hastings, P. 200,



دار من دور صنعاء ، ويرى عليها الأثر المماري اليهاني القديم

ذلك السفر هو ترجمة لأصل عربي مفقود^١.

وفي أثناء حديث التوراة عن أيام (داوود) وملكه ، أشارت الى رجل كان من شجعانه وأبطاله الذين تباهى بهم واقتخر ، دعتة (أبيل) العربي (Abiel)^٢ وكان من أهل (بيت عرابة) (بيت عربية) (Beth-Arabah) في تيه (يهودا)^٣ . ويدل لقبه هذا والموضع المذكور انه كان من العرب ، وأشارت الى رجل آخر ، ذكرت انه كان على جمال (داوود) ، دعتة به (أوبيل الإسماعيلي) (Obil)^٤ ، فهو من العرب الإسماعيليين . ولا يستبعد أن يكون هذا الرجل من وجوه الأعراب ، ولذلك أوكّل اليه أمر إبله ، وهي حرفة من صميم عمل أبناء البادية .

وقد أشير في سفر (يوثيل) الى السبثيين ، فورد فيه : « ها أنا ذا أنهضتهم من الموضع الذي بعموهم اليه ، وأرد عملكم على رؤوسكم ، وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا لبيعوهم للسبثيين لأمة بعيدة ، لأن الرب قد تكلم »^٥ . وقد ورد هذا التهديد لأن الصوريين والصيدونيين وجميع دائرة فلسطين كانوا قد استولوا على فضة الهيكل في (أورشليم) وذهبه ونفائسه ، وباعوا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) لبني (ياون)^٦ أي اليونان^٧ . فورد هذا التهديد على لسان (يهوه) إله إسرائيل متوعداً أولئك الذين نهبوا الهيكل وأسروا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) ، أي سكان القدس ، وباعوهم لليونان ، بمصير سيء ، وبانتقام الرب منهم ، وبقرب ورود يوم ، يبيع فيه (أبناء يهوذا) ، أي العبرانيين أبناء المذكورين الى السبثيين .

وتدل جملة « للسبثيين » ، لأمة بعيدة ، على ان السبثيين المذكورين كانوا يسكنون في منازل بعيدة عن العبرانيين . ويظهر انها قصدت السبثيين أهل اليمن ، فهم بعيدون عن فلسطين . وكان تجار سبأ يأتون أسواق اليهود لشراء ما فيها من بضاعة بشرية لاستخدامهم في سبأ^٨ .

١ Montgomery P. 172, Foster, in Amerl. Journ. of Sem. Languages, October, 1932, PP. 31, Margollouth, The Relations, P. 30.

٢ اخبار الأيام الأول ، الاصحاح ١١ ، الآية ٣٢
Hastings, P. 3.

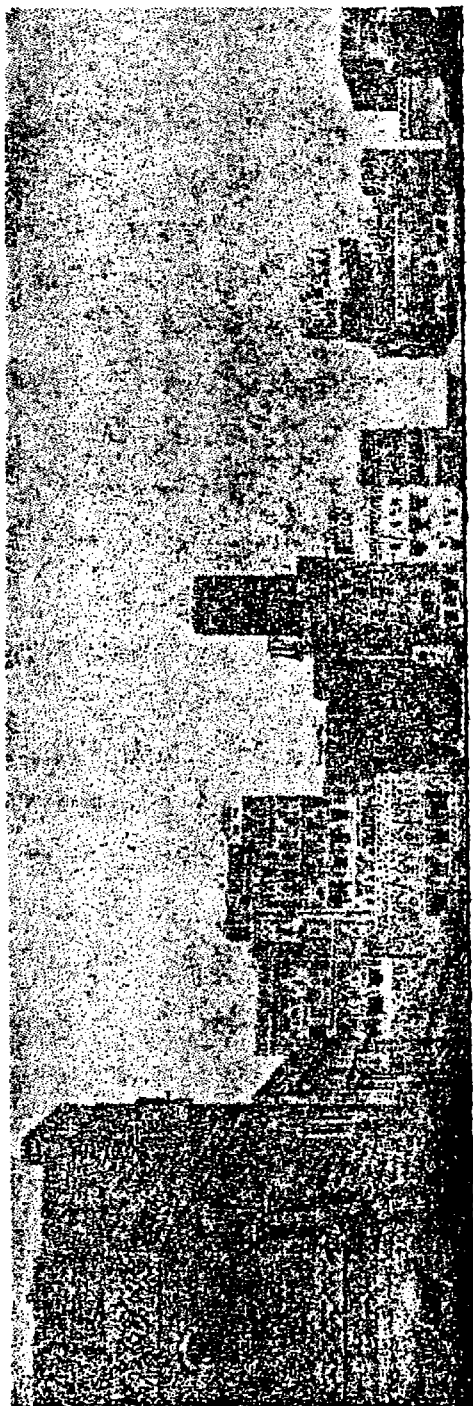
٣ اخبار الأيام الأول ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٣٠.

٤ يوثيل ، الاصحاح الثالث ، الآية ٧ فما بعدها

٥ يوثيل ، الاصحاح الثالث ، الآية ٥ وما بعدها

٦ Montgomery, P. 181.

٧ Margollouth, The Relations, P. 50, Hartmann, Arabische Frage, S. 421.



سوق الحطب بمصنعا . وتقرى بيروت السكن وقد حافظت على طراز البناء القديم

وفي التوراة خبر زيارة ملكة (سبأ) لسليمان ، وقصة هذه الزيارة ، وان دونت فيما بعد ، كتبها كتبة التوراة بعد عدة قرون ، الا انها تستند الى قصص قديم كان متداولاً ولا شك بين العبرانيين ، فدونه هؤلاء الكتاب .
وقد رأى بعض نقدة التوراة ان هذه القصة قد كتبها أولئك الكتبة لاثبات عظمة سليمان ، وسعة دولته ، وشهرة حكمته . غير ان هذا لم يبت به حتى الآن . ورأى آخرون ان هذه الملكة لم تكن ملكة (سبأ) في اليمن ، لعدم ورود أسماء ملكات في النصوص العريضة الجنوبية ، بل كانت ملكة تحكم في العربية الشمالية ، تحكم جماعة من السبئيين الذين كانوا قد نزحوا الى هذه المناطق منذ عهد بعيد ، وكونوا مستوطنات سبئية في الأردن وفي أعالي الحجاز^١ .

وتعلل التوراة سبب زيارة ملكة سبأ لسليمان بقولها : « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب ، فأنت لتمتحنه بمسائل ، فأنت الى اورشليم بموكب عظيم جداً . بجبال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة ، وأنت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها^٢ . فلما سأله ورأت البيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقائه ومحرقاته التي كان يصعد فيها في بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد ، فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك ، ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيني^٣ . وأعطت (سليمان) مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان^٤ . وجاء في سفر (الملوك الأول) حكاية عن الذهب الذي وصل الى سليمان : « وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستمئة وست وستين وزنة ذهب ، ما عدا الذي ورد من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض^٥ . ولا تعني جملة « وجميع ملوك العرب » و « كل ملكي

١ Hastings, P. 843.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١ فما بعدها ، وتقابل : سفر اخبار الايام الثاني ، الفصل التاسع ، الآية ١ فما بعدها من الترجمة الكاثوليكية .
٣ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ٤ فما بعدها .
٤ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١٠ .
٥ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١٠ ، ١٤ فما بعدها ، اخبار الايام الثاني الاصحاح التاسع ، الآية ١٣ فما بعدها .

ها عرب ، في رأبي ونظري ملوك جزيرة العرب ، كما يفهم ذلك من ظاهر النص ، وانما تعني رؤساء أعراب كانوا يقيمون على مقربة من فلسطين ، وفي فلسطين نفسها ، دفعوا اليه هدايا وضرائب ، لأنهم كانوا يتاجرون مع العبرانيين ، فقدموا اليه هدايا على قاعدة ذلك اليوم . وقد رأينا ان الآشوريين كتبوا مثل ذلك عن العرب وعن غيرهم في نصوصهم ، اذ لا يعقل خضوع كل ملوك جزيرة العرب لسليمان . فلم يكن ملكه قد جاوز حدود العقبة ، كما نجد في التوراة ، وقد ذكرنا ان لفظة (هاعرب) ، أي (الغرب) انما كانت تعني الأعراب والبدو في العبرانية ، ولذلك فجملة « وكل ملوك العرب » تعني « وكل رؤساء الأعراب » ، وهم كثيرون . فقد كانوا قبائل وعشائر ، ولكل قبيلة وعشيرة سيد ورئيس . وقد كان منهم عدد كبير في فلسطين وفي طور سيناء .

ووجه (سليمان) أنظاره نحو البحر ، ليتجر مع البلاد الواقعة على البحار ، وليستورد منها ما يحتاج العبرانيون اليه ، فأنشأ أسطولاً تجارياً في (عصبون جابر) (Ezion Geber) على خليج العقبة بجانب (أيلسة) (أيلوت) (Eloth) (ايلات) (Elath) ، من أرض (أدوم)^١ . وقد عرف خليج العقبة بـ (بحر سوف) ، (يم - سوف) (Yam-Soph) في العبرانية . ولما كان العبرانيون لا يعرفون البحر ، استعان سليمان بـ (حيرام) ملك (صور) في تسيير الاسطول وتدريب العبرانيين على ركوب البحر . فأمدّه بخبراء من صور ، تولوا قيادة السفن ، يخدمهم رجال سليمان . فبحروا البحر حتى وصلوا الى (أوفر) ، وأخذوا من هناك ذهباً ، زنته أربع مئة وعشرون وزنة ، أتوا بها الى سليمان^٢ . ويظن ان (عصبون كبير) (عصبون جابر) (Ezion Geber) كانت عند (عين الغديان) في قعر وادي العربية ، على رأي بعض الباحثين^٣ ، أو (تل الخليفة) على رأي بعض آخر^٤ . وقد عرفت بـ (Berenice) فيما بعد^٥ ، وتقع الى الغرب من العقبة . وقد قامت بعثة أمريكية بحفريات علمية

١ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ .

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ فما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) .

٤ N. Glueck, in BOASOOR. Nos. 71, 72, October, and December, 1938, No. 76, October, 1939, No. 80, October, 1940, J. Hornell, in Antiquity, Vol. XXI, June 1947 PP. 66, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1963, P. 44, 127, 128.

Hastings, P. 253. ٥

بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ في هذا الموضع ، وظفرت - فيما عثرت عليه من الآثار-
بأدوات مصنوعة من النحاس ومن الحديد . والظاهر أن سكان هذا الموضع كانوا
يحصلون على النحاس من مناجمه الغنية في (طور سيناء) .

وفي جملة ما عثر عليه من آثار في (تل الخليفة) جرتان ، عليها كتابات
بأحرف المسند ، وقد قدر أن تأريخ صنعها لا يقل عن القرن الثامن قبل الميلاد .
وتدل أحرف المسند هذه على أن صانعيها كانوا يكتبون بهذا القلم ، وقد رأى
بعض الباحثين ، أنها من صنع أهل مدين . وإذا صح هذا الرأي فإنه يكون
دليلاً على أن المدينين كانوا يكتبون به . ويرى (ريكمانس) (G. Ryckmans)
أن لهذه الكشف صلة بالمعنيين الذين كانوا في العلا وتبوك^١ .

وترى طائفة من علماء التوراة أن (أوفير) التي اشتهرت بوفرة ذهبها ، والتي
أرسل (سليمان) إليها سفناً مع سفن (حيرام) في طلب الذهب وخشب الصندل
والحجارة الكريمة^٢ ، هي أرض في بلاد العرب . ونظراً الى ورود اسمها بين
(شبا) و (حويلة) في الإصحاح العاشر من التكوين^٣ ، ذهب بعض العلماء
الى وقوعها في الأقسام الشرقية أو في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب^٤ .
ورأى (كلامر) أنها المنطقة الواقعة على ساحل خليج عمان والخليج العربي^٥ .
وذهب نفر آخر من علماء التوراة الى وقوع (أوفير) في إفريقية أو في
الهند^٦ . ولكن الرأي الغالب أنها في العربية على ما ذكرت . وذلك ، لما ورد
في التوراة من أن (أوفير) ابن من أبناء (يقطان) ، وقد ذكر بين (شبا)

G. Ryckmans, On some Problems of South Arabian Epigraphy, in Bulletin of
the School of Oriental and African Studies, University of London,
London, 1952, Rep. Epig. 4918 bis, The Illustrated London News, Vol. 195,
No. 5233, 1939, P. 247, G. Ryckmans, Revue Biblique, 1939, P. 247-249, N. Glueck,
The Excavations of Solomon's Seaport: Ezlon-Geber, in Smithsonian Institution
Annual Report for 1941, P. 479.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الاية ٢٧ وما بعدها ، الاصحاح العاشر ، الاية
١١ ، اخبار الايام الثاني ، الاصحاح التاسع الاية ١٠

٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٩

٤ قاموس الكتاب المقدس (١٧٨/١) Hastings, P. 669.
Enc. Bibl. P. 3514, Simon Dubnow, Die Älteste Geschichte des Jüdischen
Volkes, Jüdischer Verlag, Berlin, 1925, Bd. I, S. 123.

Skizze, II, S. 353. ٥

Hastings, P. 669. ٦

و (حويلة) ، ونظراً الى أن مواطن اليقطينيين هي ما بين (ميسا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق)^١ . و (ميسا) وإن تباينت آراء العلماء في تعيين مكانه فمنهم من ذهب أنه (ميسي) (ميسان) (Mesene) على رأس الخليج ، (خليج البصرة) ، أو (ماش) (ماشو) (Mashu) الأرض المذكورة في الكتابات الآشورية ، والتي تعني بادية الشام . أو أنه موضع (موزح) أو (موسح) في نجد ، أو اسم قبيلة من قبائل نجد^٢ . إلا أنك ترى من كل آرائهم انه اسم مكان في بلاد العرب ، أو اسم قبيلة عربية ، وأن (سفار) وهي الحد الآخر من حدود منازل اليقطينيين هي (ظفار) (Zafar) ، عاصمة مملكة حضرموت القديمة على رأي علماء التوراة^٣ . ولما كانت أسماء أبناء يقطين المذكورين ، والذين قد تحققنا من هويتهم كناية عن أسماء مواضع في جزيرة العرب ، وجب ان تكون (أوفير) في جزيرة العرب كذلك :

ومن الباحثين من يرى ان (أوفير) هي (عسير) ، ورأى آخرون انها ارض (مدين) وقد رجح أكثرهم كونها على سواحل جزيرة العرب الغربية أو الجنوبية ، لأن الأماكن هي اقرب الى الوصف الوارد في التوراة من الأماكن الأخرى^٤ :

وقد ذكر الهمداني في (معادن اليامة) موضعاً سماه (الحفيسير) ، قال : « ومعادن الحفير بناحية عماية ، وهو معدن ذهب غزير »^٥ . وصلة وجود الذهب فيه بغزارة ، تنطبق على هذا الموضع أحسن انطباق ، الا ان هذا الموضع بعيد عن البحر ، ولكن من يدري ؟ فلعل كتاب التوراة لم يكونوا يعرفون مكان (أوفير) ، وإنما سمعوا بذهبه ، الذي يتاجر به العرب الجنوبيون ، من الموانئ الساحلية ، فأرسل سليمان سفنه الى مواضع يبعه في سواحل جزيرة العرب لشرائه ، ومن هنا ظن كتاب (العهد القديم) ان (أوفير) على ساحل البحر . و(الحفير)

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٦ فما بعدها

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٩/٢) Hastings, P. 606

٣ قاموس الكتاب المقدس (٥٥٨/١) Hastings, P. 836

٤ Sprenger, Die Alte Geography Arabiens, S. 53. ff. Moritz, Arabien, S. 7, Burton,

The Gold Mines of Midian, Skizze, II S. 347, Montgomery, Arabia, P. 38.

٥ صفة (ص ١٥٣ ، سطر ٢٤) .

كما ترى اسم قريب جداً من (أوفير) .
وقد ضرب المثل بكثرة تبر (أوفير) ، وبحسن سبائك ذهبها ، فورد في سفر (أيوب) على لسان (اليفاز التيناني) مخاطباً (أيوب) ، داعياً إياه الى توجيه وجهه لله : « فانك إن تبت الى القدير ، يعاد عمرانك وتنفي الإثم عن أخيبتك ، فتجعل التبر مكان التراب وسبائك أوفير مكان حصي الأودية »^١ : وأنشأ سليمان خطأً بحرياً آخر ينتهي بأرض اشتهرت بالذهب كذلك ، سميت في التوراة (ترشيش) . وقد استعان سليمان بمدرين وملاحين من (صور) ، أمدّه بهم (حيرام) ملك (صور) . وكان الأسطول مختلطاً اسرائيلياً وحيرامياً ، يذهب مرة في كل ثلاث سنوات . وأما البضاعة التي يعود بها من (ترشيش) فهي ذهب وفضة وعاج وقردة وطواويس^٢ . ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين موضع (ترشيش) ، فرأى بعضهم انه مكان في افريقية ، ورأى بعض آخر انه في مكان ما من سواحل آسية الجنوبية ، ورأى آخرون انه في اسبانية^٣ : وكانت سفن صور تتاجر مع ترشيش وتربح من هذه التجارة ربهاً فاحشاً ، كما جاء ذلك في التوراة :

وعلى أثر وفاة (سليمان) في حوالي سنة (٩٣٧ ق. م.) انشطرت حكومته شطرين : لإسرائيل (Israel) و (يهوذا) (Judah) . وقد أثر هذا الانقسام على أعمال العبرانيين التجارية البحرية ، لذلك لا نسمع لها ذكراً في التوراة الى أيام (يهوشافاط) (Jehoshaphat) ابن الملك (آسا) (Asa) ، الذي حكم فسيما بين (٨٧٦) و (٨٥١) ق. م. تقريباً^٤ فتحدثنا التوراة أنه اتفق مع (أخزيا) ملك (إسرائيل) على بناء أسطول جديد في (عصيون جابر) ليسير الى (ترشيش) ، غير أن مآربهما لم يتحقق ، إذ تكسرت السفن ، ولم تستطع السير الى (ترشيش)^٥ . ويظهر أنه أراد إحياء فكرة (سليمان) القديمة في الاتصال بالبحر الأحمر والمحيط الهندي وإفريقية وبسواحل جزيرة العرب الجنوبية وبسواحل آسية ، إلا أنه لم ينجح^٦ . والظاهر أن العبرانيين لم يكونوا قد اتقنوا

١ أيوب ، السفر الثاني والعشرون ، الآية ٢٣ فما بعدها .

٢ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ فما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٨٤/١ وما بعدها) Hastings, P. 895

٤ Hastings, P. 400.

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح العشرون ، الآية ٣٥ فما بعدها .

٦ Dubnow, I, S. 185.

بناء السفن والسير بها في البحار ، فأخفقوا ، وأن نجاح (سليمان) في الوصول الى (أوفير) و (ترشيش) مَرَدّه الى خبرة ومهارة البحارة السوريين الفينيقين .

ويظهر من سفر (الملوك الأول) ان (يهوشافاط) قام بنفسه منفرداً ببناء السفن لإرسالها الى (ترشيش) ، غير أنها تكسرت في (عصيون جابر) فعرض (أخزيا بن آخاب) ملك اسرائيل عليه أن يبني أسطولاً مشتركاً ، يشترك فيه ملاحون من اسرائيل وملاحون من يهوذا ، الا انه رفض ذلك^١ . ولم نعد نسمع بمحاولات أخرى للبرانيين ترمي الى اعادة فكرة (سليمان) في بناء سفن بحرية للتجارة بها مع البلاد الواقعة على البحر بمسافات بعيدة عن اسرائيل .

نعم ، لقد كوّن (المكابيون) أسطولاً تجارياً لهم جعلوا مقره في (يافا) (Jappa)^٢ ولكنهم لم يتمكنوا من بناء أسطول لهم يخترق مياه البحر الأحمر ، ليزاحم العرب أو غيرهم فيه . فلم يكن الإسرائيليون من عشاق البحر على شاكلة الفينيقين أو العرب الجنوبيين أو سكان العروض . ولولا المساعدة الثمينة التي قدمها ملك صور لسليمان ، لما استطاع البرانيون أن يصلوا الى (ترشيش) أو (أوفير) .

وقد انصرف (يهوشافاط) على ما يظهر الى اقرار الأمن في حدود مملكته ، وتحسين علاقاته مع (آخاب) ملك اسرائيل ، ومع جيران (يهوذا) ، حتى تمكن من عقد محادثات معهم ، أدت الى الاستقرار والهدوء ، فلم يحاربوا (يهوشافاط)^٣ ، وهذا مما حمل علماء يهود على التجول في مدن (يهوذا) لتعليم الناس أحكام دينهم . وحمل اليه (الفلسطينيون) هدايا وجزى دفعوها فضة ، كما جاء في التوراة^٤ ، ودفع اليه (العرب) كما تقول التوراة أيضاً (٧٧٠٠) كبش و (٧٧٠٠) تيس^٥ . ويظهر ان (العرب) المذكورين ، هم من الأعراب النازلين في (يهوذا) ومن الأعراب الذين يفدون عليها للتجارة : والا

١ الملوك الأول ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ٣٨ فما بعدها
Montgomery, Arabia, P. 179.

٢ Hastings, P. 849.

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الثامن عشر ، الآية الاولى فما بعدها .

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١١

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١١

فلم يدفع الأعراب الساكنون في خارج (يهوذا) جزى أو هدايا للملكها ، وليس له سلطان عليهم ؟ وقد ترجمت لفظة (عربايم) العبرانية بلفظة (عربان) في ترجمة (جمعية التوراة الأمريكية) للتوراة الى العربية. أما (الترجمة الكاثوليكية) فقد ترجمتها بلفظة (العرب) . أما المراد من النص العبراني ، فهو (الأعراب) لأن لفظة (عرب) ، لم تكن تعني يومئذ الا هذا المعنى .

وتولى (يهورام) (Jehoram) (٨٥١ - ٨٤٣ ق.م.) ، الحكم على مملكة (يهوذا) بعد (يهوشافاط)^١ . وتذكر التوراة أنه قتل جميع اخوته وبعض رؤساء إسرائيل بالسيف^٢ . وأنه أغضب إلهه (إسرائيل) بأفعاله المنكرة ، لذلك (أهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين ، فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً . ولم يبق له ابن إلا يوحاز أصغر منه)^٣ . وتذكر بعد ذلك أن الله ابتلاه بمرض في أمعائه وبأمراض رديئة (فذهب غير مأسوف عليه ، ودفنوه في مدينة داوود ، ولكن ليس في قبور الملوك)^٤ .

ويظهر أن هجوم العرب على (أورشليم) كان هجوماً شديداً عنيفاً كاسحاً ، بدليل ما جاء في الآية التي أشرت اليها في التوراة ، وفي الآية الأولى من (الإصحاح التالي) للإصحاح المذكور : (وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه ، لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب الى المحلة)^٥ . وفي هذا الهجوم الماحق دلالة على ضعف مملكة (يهوذا) وتضعف الأمن فيها وعلى التناحر الشديد الذي كان بين السكان حتى أننا لنجد الشعب فرقاً غير متفقة ، وأكثرها تخاصم الحكام .

ويرى (مرغيلوث) (Margoliouth) أن المراد بالعرب الذين بجوار الكوشيين العرب الجنوبيون ، أي سكان اليمن . وذلك لأنهم في جوار (الكوشيين) أي

١ (ملك ٨ سنين من سنة ٨٩٢ - ٨٨٥ ق . م) ، قاموس الكتاب المقدس (٥٣٤/٢) . Hastings, P. 400.

٢ اخبار الايام الثاني ، الإصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٤ فما بعدها
٣ اخبار الايام الثاني ، الإصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١٦ فما بعدها
٤ اخبار الايام الثاني ، الإصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١٩ فما بعدها
٥ اخبار الايام الثاني ، الإصحاح الثاني والعشرون ، الآية ١

الحاميين ، السودان ، وهم سكان إفريقية ، لا يفصلهم عنهم إلا مضيق (باب المندب) . ويرى أيضاً أن ذلك الهجوم كان بحراً ، مستندلاً على رأيه هذا بأن العرب المذكورين سرعان ما تراجعوا الى منازلهم بغنائمهم وبما حصلوا عليه من أموال ، دون أن يكلفوا أنفسهم البقاء في (أورشليم) والاستيلاء على (يهوذا) ، وبمساعدة الفلسطينيين للعرب في هجومهم على يهوذا ، وقد كان الفلسطينيون يسكنون سواحل فلسطين^١ .

أما (موسل) ، فيرى أن (العرب الذين بجانب الكوشيين) ، هم العرب النازلون في الأقسام الغربية من (طور سيناء) وعلى حدود مصر ، وفي الأقسام الجنوبية من (طور سيناء) وعلى مقربة من (أيلة) . وقد كانت (طور سيناء) موطناً قديماً للعرب ، وقد أشير في الكتابات المسماة الى ملوك عرب ، حكموا هذه الأرضين^٢ .

ويحدثنا الاصحاح السادس والعشرون من (أخبار الأيام الثاني) أن (عزيا) (Uzziah) ملك (يهوذا) (٧٧٩ - ٧٤٠ ق. م.)^٣ . كان مستقيماً في أول أمره مطيعاً لأوامر الكهان ، لذلك وفقه الله ، فخرج (وحارب الفلسطينيين وهدم سورجت وسور ينة وسور أشدود ، وبني مدناً في أرض أشدود والفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جوربعل والمعونيين^٤ . ويفهم من هذه الآيات أن الفلسطينيين والعرب كانوا جبهة واحدة متحدة ضد مملكة (يهوذا) . وقد كبدها خسائر فادحة كما رأينا . فلما تولى هذا الملك ، أراد رمي صفوف أهل مملكة (يهوذا) ووقاية مملكته ، وقد نال تأييد شعبه له ، فحارب الفلسطينيين وتغلب عليهم ، وحارب العرب الساكنين في (جوربعل) والمعونيين ، وهدم أسوار المدن التي عرفت بعدئها لـ (يهوذا) ، وبني مدناً جديدة في (أشدود) وفي الأرضين الساحلية المعروفة بفلسطين :

١ Margollouth, The Relations, P. 52.

٢ Hegaz, P. 274.

٣ Hastings, P. 401, 957, Enc. Bibl. P. 5240, Hegaz, P. 244.

ويدعى أيضاً «عزريا» وهو ابن «أمصيا» ، (٨٠٨ - ٧٥٦ ق. م.)
(٧٨٢ - ٧٣٧ ق. م.) ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٠/٢) .

٤ أخبار الأيام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الآية ٦ وما بعدها

ومدينة (جث) ، هي مدينة قديمة في تخوم (دان) ، وبها ولد (جليات) (كليات) (Goliath) جبار الفلسطينيين كما أنها إحدى مدنهم الخمس^١ : وكانت في أيام داود في يد الفلسطينيين ، وكان عليها ملك اسمه (أخيش) (Achish)^٢ ، ولم يعرف مكانها بالضبط . وأما (بينة) ، وتعرف أيضاً بـ (بينثيل) ، فلأنها من مدن الفلسطينيين كذلك . وهي (بينة) في الزمان الحاضر ، وتقع على بعد (١٢) ميلاً جنوب (يافا) و (٣) أميال شرقي البحر^٣ ، أو (يمنة) على مسافة ٧ أميال جنوبي (طبرية)^٤ .

ولم يتمكن علماء التوراة من تثبيت موضع (جوربعل) . وتعني لفظة (جور) (مسكن) ، فيكون تفسير (جوربعل) (مسكن بعل)^٥ . ويظهر من ذكر الفلسطينيين والعرب الساكنين بهذا المكان والمعونين بعضهم مع بعض أن أرضهم كانت قرية بعضها من بعض ، وأنهم كانوا يبدأ واحدة على (يهوذا) . ويرى (موسل) أن الزاوية الشمالية الغربية من أرض (حسمى) هي (جوربعل) . وتقع في رأيه على مقربة من جبل (إرم) الذي يعرف اليوم باسم (رم) ، وهو (Aramaia) في (جغرافية بطلميوس) ، ويكون حداً من الحدود الشمالية للحجاز^٦ . وذهب بعض الباحثين إلى أن (جوربعل) تعني (صخرة بعل) ، في بعض النصوص الإغريقية ، ولهذا فسروها بـ (بطرا) . ولذلك قالوا إن العرب المذكورين كانوا العرب الساكنين عند (بطرا) (Petra)^٧ .

وأما (المعونون) ، فإن آراء علماء التوراة متباينة كذلك في تعيين هويتهم^٨ . وقد ذهب بعضهم إلى أنهم جماعة من (المعينين) ، الذين كانوا قد استقروا

١ يشوع : الأصحاح الحادي عشر ، الآية ٢٢ ، الأصحاح الثالث عشر ، الآية ٣ ، صموئيل الأول ، الأصحاح السادس ، الآية ١٧ ، الأصحاح السابع عشر ، الآية ٤ ، قاموس الكتاب المقدس (٣١٤/١ وما بعدها) .

٢ صموئيل الأول ، الأصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١ . وما بعدها ، الأصحاح السابع والعشرون ، الآية ١ وما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٤٩٤/٢) .

٤ Enc. Bibl. P. 2303, Hastings, P. 419.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤/١) . Enc. Bibl. P. 1920, Hastings, P. 322.

٦ Hegaz, P. 274.

٧ Montgomery, Arabla, P. 30.

٨ قاموس الكتاب المقدس (٣٦٢/٢)

في (ديدان) ، وكونوا مملكة معينة شمالية ^١ . وذهب بعض آخر الى انهم سكان (معين مصران) ^٢ .

وقد استعاد (عزيا) (أيلة) (ايلات) (Eloth) (Elath) ، وبنى ميناءها ، وتقع في أرض (آدوم) ، وهي فرضتها الشهيرة ، ويقع على مقربة منها ميناء (عصيون جابر) الذي تحدثت عنه . وقد بقيت في ملك (يهوذا) الى ان استولى عليها ملك (آرام) ^٣ . وقد حاول (عزيا) ومن جاء بعده ، جعل (ايلات) (أيلة) ميناء (يهوذا) الجنوبي ، وذلك للاستفادة منه في الاتجار مع افريقية والبلاد العربية وسواحل آسية الجنوبية ، تطبيقاً لخطه (سليمان)، الا ان هذا الأمر لم يتحقق ، اذ لم تكن مملكة (يهوذا) قوية متمكنة في هذه المناطق الجنوبية ، التي كانت هدفاً للغارات والحروب .

ويظهر ان ميناء (عصيون جابر) كان قد خرب أو امتلأ بالرمال ، فلم يصلح للاستعمال ، فرأى (عزيا) استبدال ميناء (أيلة) به ، وقد يكون ماء هذا الميناء أعمق وأصلح للملاحة وللمواصلات من ذلك الميناء ، لذلك وقع اختيار ملك (يهوذا) عليه ^٤ .

وفي أخبار حملة (سنحاريب) التاسعة ما يفيد ان (حزقيا) ملك (يهوذا) استخدم الـ (الأربي) ، أي الأعراب ، فيمن استخدمهم للدفاع عن القدس (أورشليم) ، حينما حاصرها ملك آشور ^٥ . ولم يكن هؤلاء العرب ، الا أعراباً من سكان (يهوذا) ، ومن سكان الأرضين الأخرى في فلسطين .

وعلى عاتق هؤلاء الأعراب وقعت مسؤولية الدفاع عن القدس ، حيث قاموا بدور كبير في الدفاع عنها وفي مقاومة الآشوريين ^٦ :

ولما سمح الفرس ليهود بابل الذين كانوا في الأسر بالعودة الى بلادهم، توسل

١ Margoliouth, P. 51.

٢ Winckler, AOF. 29, 337, Enc. Bibli. P. 3065.

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الاية ٢ ، الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، الاية ٢٢ ،

قاموس الكتاب المقدس (١٨٤/١) Hastings, P. 211.

٤ Montgomery, Arabia, P. 179.

٥ Luckenbill, II, 240, Reall. I, S. 125.

٦ A.R. Burn, Persia and the Greeks, P. 21.

(نحميا) الى (ارتحشتا) ، ملك الفرس ، بالسماح له بالعودة الى القدس ، وكان (نحميا) نديماً للملك ، يسقيه الخمر ويؤانسه ، فسمح له . ولما وصل اليها ، وجد المدينة خربة ، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها ، فجمع سكانها وأمرهم بإعادة بناء الأسوار وإصلاح الثغر والثلثم التي فيها ، وعمل أبواب جديدة . ولكنه لقي معارضة شديدة من (سنبلط الحوروني) و (طوبيا العبد العموني) و (جشم العربي) ، اذ عارضوا في إعادة بناء الأسوار والأبواب وهددوه بالزحف على المدينة . ونجد في (سفر نحميا) وصفاً لموقفهم من (نحميا) ، فيه استهزاء وسخرية به وازدراء بأمر سكان (أورشليم) وبالسور الذي أخذ في بنائه ، وبين المستهزئين أناس من العبرانيين . « ولما سمع سنبلط اننا آخذون في بناء السور ، غضب واغتاض كثيراً ، وهزأ باليهود ، وتكلم أمام اخوته وجيش السامرة ، وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ؟ هل يتركونهم ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة ؟ وكان طوبيا العموني بجانبه ، فقال : ان ما بينونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم »^١ . وقد تأثر (نحميا) من هذا الازدراء الشائن كثيراً ، فتراه يوجه وجهه لربه ويخاطبه قائلاً : « اسمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً وردّ تعبيرهم على رؤوسهم وأجعلهم نبأ في أرضي السي »^٢ .

وصمم (نحميا) كما يقول على الاستمرار في البناء حتى إكماله « فلما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون ان أسوار أورشليم قد رمت ، والثغر ابتدأت تسد ، غضبوا جداً ، وتآمروا معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً »^٣ . ولكنهم كما يفهم من (نحميا) لم ينفذوا تهديدهم بالهجوم على القدس ، بل بقوا يتكلمون ويهددون ، يرسلون الرسل الى (نحميا) للاجتماع به ، ويذكر (نحميا) انهم لم يكونوا يريدون من هذا الاجتماع الا الفتك به ، فرفض . وعندئذ تراسل (سنبلط) و (طوبيا) مع أحد رؤساء (أورشليم) وهو (شمعي بن دلایا) ، ليدخل (نحميا) الهيكل ، ثم يعلن للناس انه دخل

١ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ١ فما بعدها

٢ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ٤ .

٣ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ٧ فما بعدها .

الميكال خائفاً هارباً ، فتسقط منزلته من أعين الناس . وقد أحس (نحميا)
بالمؤامرة ، فرفض الدخول كما يقول^١ .

وكان (جشم) العربي ، من أشد المعارضين لبناء السور، ولتحصين القدس ،
وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة (يهوذا) ولتنصيب (نحميا)
ملكاً على (أورشليم) . وقد صرح برأيه هذا الى (نحميا) في رسالة وجهها
اليه نقل (نحميا) منها هذه الكلمات : (وجشم يقول : انك أنت واليهود
تفكرون ان تتمرّدوا ، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً بحسب هذه
الأمور . وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك^٢ .
وما كان (جشم) ، ليعارض بناء أسوار القدس ووضع الأبواب لها ،
وإعادة حكومة (يهوذا) التي قضى عليها البابليون الى الوجود لو لم يكن صاحب
سلطان وحكم في أرضين تجاوز القدس ، ولهذا رأى في إعادة الملكية الى القدس
عاصمة مملكة (يهوذا) المقرضة ، تهديداً له ولمن تحالف معهم على مقاومة هذا
المشروع^٣ .

و (جشم) (Geschem) اسم من الأسماء العربية المعروفة . وفي القبائل
العربية قبيلة يقال لها (جشم) ، وهي من قبائل (بني سعد) ، وهو أيضاً
(جشم) من أسماء الرجال^٤ . ويرد بصورة : (جشمو) في الكتابات النبطية^٥ .
ولم يشر (نحميا) الى موطنه ومكانه ، ولذلك لا ندرى أين كان . وقد ذهب
بعض الباحثين في التوراة الى أنه كان من أهل (السامرة) (Samaria) ،
وذهب بعض آخر الى أنه كان من أهل المناطق الجنوبية من (يهوذا) وأنه كان
رئيس قبيلة فيها^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (جشم بن شهرو) (جشم بن شهر) ،
هو (جشم) المذكور في التوراة . وهو أحد ملوك قبيلة (قيدر) (قدار)
(قدرو) . وهو الذي عارض (نحميا) في سنة (٤٤٤) قبل الميلاد في إعادة

١ نحميا ، الاصحاح السادس ، الآية ٢ فما بعدها .

٢ نحميا ، الاصحاح السادس ، الآية ٦ فما بعدها .

٣ (جشم) (Geschem) (جشمو) Enc. Bibl. I, P. 273, ff. (Gushamu)

٤ الاشتقاق (١٥٤/١) ، (١٧٧/٢) ، (٢٠٣ ، ٢٤٢) .

٥ Margoliouth, P. 48, Montgomery, Arabia, P. 29.

٦ Hastings, P. 291, Enc. Bibl. P. 1710, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P. 162.

بناء سور (أورشليم) . وقد كانت (قيدار) مملكة تسيطر على أرض تمتد من (دلتا) النيل الى حدود مملكة (يهوذا) فجنوب (ديدان) بحوالي (٢١) كيلومتراً نحو الجنوب في الحجاز، أما في الغرب فتصل حدودها بالبادية^١ . فلك (قيدار) وهو (جشم بن شهر) ، كان إذن هو المعارض لبناء السور ، وفي معارضته هذه دلالة ولا شك على مقاومته لمحاولة إعادة دولة إسرائيل من بعد السبي .

ويظن أن الإناء الذي عثر عليه بمصر في موضع يقع على مسافة اثني عشر ميلاً الى غرب الإسماعيلية ، وقد دُوِّن عليه اسم شخص يدعى (قينو بن جشم ملك قيدار) ، هو ابن (جشم) المعاصر (لنحميا) . وعلى ذلك يكون أحد ملوك (قيدار)^٢ :

وقد كانت (طور سيناء) منذ القديم أرضاً يسكنها العرب ، حتى في أيام داوود وسليمان . ونجد أن رسالة (القديس بولس) الى أهل غلاطية تجعل جبل سيناء في ديار العرب ، وتذكر أن (طور سيناء) موطن أبناء هاجر ، أي العرب^٣ . كما نجد أن النقب ووادي عربية كانا من مواطن الأعراب^٤ . وقد كان أعراب (جشم) وغيره ينتقلون وينزلون في هذه المواطن وعلى مقربة من القدس :

وفي هذا العهد وصل الاتجار بين فلسطين وبين العربية الجنوبية ذروته . فعثر على مواد كثيرة في مواضع متعددة من فلسطين استوردت من العربية الجنوبية . كما عثر في حضرموت على آثار تدل على أنها استوردت من فلسطين وبلاد الشام . وقد كانت حاصلات العربية الجنوبية هي من أهم السلع المطلوبة في فلسطين . ترسل اليها عن طريق البر على ظهور الجمال .

ومنذ عهد (نحميا) أي أوسط القرن الخامس قبل الميلاد ، أخذ العبرانيون

Grohmann, Arabien, S. 23, F. V. Winnett, Notes on the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, in Muséon, 51, (1938), 307, 309, W.F. Albright New Light on early Recensions of the Hebrew Bible, in BASOR, Num. 140, 1955, 31, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 145.

William Culican, The Medes and Persians, London, 1965, P. 151.

الإصحاح الرابع ، الآية ٢٤ فما بعدها .

W. F. Albright, The Archaeology. P. 145.

ينظرون نظرة عداوة الى العرب ، ويعتدونهم في الجماعات المعادية لهم^١ . وذلك مما يدل على اتخاذهم موقفاً موحداً ضد العبرانيين وعلى توغلهم في فلسطين في المناطق التي حكمتها حكومتا (إسرائيل) و (يهوذا) ، ولهذا اشتدت مقاومة العرب للعبرانيين واتحدوا مع الشعوب الأخرى في مقاومتهم ، وفي منعهم من إعادة تكوين حكومة يهودية في هذه البلاد .

ولما تولى (يهوذا المكابي) مؤسس أسرة (المكابيين) (Maccabees) (١٦٦ - ١٦١ ق. م.) الحكم ، حارب أعداء العبرانيين^٢ ، وكان من بينهم (تيموثاس) (Timotheus) رئيس (العمونيين)^٣ ، الذي استأجر جيشاً من العرب ومن الغرباء ليحارب به (يهوذا) ، غير أنه أصيب كما يقول (سفر المكابيين) بنحسائر في كل المعارك التي خاضها مع (يهوذا) ، ولم يتمكن من الانتصار عليه^٤ .

وقد تحدث سفر المكابيين الثاني عن (تيموثاس) هذا ، فقال : (ثم ساروا (أي اليهود) من هناك تسع غلوات زاحفين على تيموثاس ، فتصدى لهم قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف ، ومعهم خمس مئة فارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الفوز لأصحاب يهوذا بنصرة الله ، فانكسر عرب البادية ، وسألوا يهوذا أن يعاقدهم على أن يؤدوا اليهم مواشي ويمدوهم بمنافع أخرى)^٥ . ولعل هؤلاء العرب ، هم العرب المذكورون ، الذين ذكر السفر الأول من المكابيين أن (تيموثاس) كان قد استأجرهم لمقاتلة اليهود . وقد كانوا من أعراب البادية ، كما نرى ذلك في هذا النص .

وورد في (سفر المكابيين الأول) اسم سيد قبيلة عربية هسو (زبدبثيل) (زبدابيل) (زبديل) ، وكان يقطن في (ديار العرب) ، كما جاء ذلك في السفر المذكور. ذكر السفر اسم هذا الرئيس وهو يتكلم على فرار (اسكندر بالس)

١ Margollouth, P. 48, Hastings, P. 406, Enc. Bibl. I, P. 273.

٢ Hastings, A Dictionary. I, P. 936.

٣ A Dictionary, I, P. 937.

٤ المكابيون الأول ، الأصحاح الخامس ، الآية ٦ فما بعدها ، ٣٤ فما بعدها ، المكابيون الثاني الأصحاح الثامن ، الآية ٣٠ ، الأصحاح التاسع ، الآية ٣ ، الأصحاح العاشر الآية ٢٤ فما بعدها .

٥ المكابيون الثاني عشر ، الآية ١٠ فما بعدها .

(Alexander Balas) الى (ديار العرب) ، وكان قد مني بهزيمة أوقعه بها (بطلميوس) (بطلماوس) (Ptolemy) ، عمه أي والد زوجته . وكان قد تخاصم معه . فلما وصل (إسكندر بالس) الى (ديار العرب) ، قبض عليه (زبديثيل) ، وقطع رأسه ، وأرسله الى (بطلماوس)^١ .

ولم يتحدث السفر المذكور عن منزل (زبديثيل) ، ولم يحدد مكان (ديار العرب) ، وعندني أن المراد بـ (ديار العرب) بادية الشام ، والأرضين التي دعاها الآشوريون بـ (أربي) (Aribi) ، وهي موطن آمن لمن يصل اليه ، إذ يصعب للجيوش النظامية أن تقاتل فيها . وقد كان (زبديثيل) من رؤساء البادية في هذا الزمن . وهو حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد^٢ . وكان الحاكم على اليهود هو (يوناتان) من المكابيين .

ويذكر (سفر المكابيين) أيضاً أن (تريفون) (Tryphon) ، وهو أحد قواد (إسكندر بالس) ومن جماعته ، ذهب الى رجل عربي اسمه (ايملكوثيل) ، وكان يربي (أنطيوخس بن الإسكندر) ، فألح عليه أن يسلمه اليه ليملكه مكان أبيه ، ومكث عنده اياماً . وقد تمكن عربي مع حقد العبرانيين المتزايد على العرب من حكم اليهود ومن تأسيس أسرة حاكمة حكمتهم . ذلك الرجل هو (انتيباتر) (Antipater) الأدومي ، نسبة الى (أدوم) (Edom) (Idumea) (Idumaea) ، وهم سكان جبل سدير ، الذين دعاهم (اويسبيوس) (Eusebius) باسم (Gabelene) أو (Gabalene) أي الجبليين^٣ .

فقد تمكن هذا الرجل الذي لم يكن من أسرة ملكية ولا من أسرة معروفة بفضل شخصيته وبقوته من فرض نفسه حاكماً على (أدوم) (Idumaea) ، ثم تمكن من جعل نفسه حاكماً (Procurator) على اليهودية (Iudaea) (Judaea) ، وذلك في حوالي السنة (٣٣) قبل الميلاد . وفي خبر ان (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) ، اعترف به (Procurator) على اليهودية في حوالي السنة (٤٧) قبل الميلاد^٤ .

١ المكابيون الاول ، الاصحاح الحادي عشر الاية ١٥ وما بعدها

٢ Hastings, P. 20.

٣ Hastings, P. 345.

٤ Smith, A Dictionary of the Bible, I, P. 790. f. Josephus, Anti. Xlv, 7, 3.

ولما وقعت الحرب بين (يوناتان) المكابيين (١٦١ - ١٤٣ ق. م.) و (ديمترتوس الثاني) ، ضرب (يوناتان) العرب المسمين بالزبديين (Zabadaeans) وأخذ منهم غنائم كثيرة^١ . حدث ذلك في سنة (١٤٤ ق. م.) . ويرى بعض علماء التوراة ان هذه القبيلة العربية قبيلة (زبد) (زبيد) كانت تنزل في موضع في شمال غربي (دمشق) ، ويرى بعض آخر احتمال ان ذلك المكان هو (الزبداني) ، الذي يبعد عشرين ميلاً من الشام على طريق دمشق بعلبك^٢ . وأرى ان من المحتمل أن يكون هؤلاء (الزبديون) هم سكان (زبد) ، وهو خرب في الزمن الحاضر ، يقع بين قنسرين ونهر الفرات . وقد اشتهر عند المستشرقين بالكتابة التي عثر عليها في هذا الموضع ، وقد كتبت باليونانية والسريانية والعربية ، ويرجع تأريخها الى سنة (٥١١ م.) . وقد أدخلهم (يوسفوس) في عداد النبط^٣ .

و (أرتاس زعيم العرب) الذي طرد (ياسون) من بلاده حينما التجأ اليه فاراً من الملك (أنطيوخس) ، هو (الحارث) أو (حارثة) وهو من ملوك النبط ، ولا شك . وقد ذكر اسمه في سفر المكابيين الثاني^٤ .

وفي أيام (سترابون) كان العرب في جملة سكان مدن فلسطين ، مثل القدس و (يافا) و (الجليل)^٥ . وذكر (سترابون) ان (الأدوميين) (Idumaens) كانوا يقطنون الأقسام الغربية من (اليهودية) (Iudaea) ، وهم على حد قوله من (النبط) . ولما كان (سترابون) قد نقل كلامه من موارد أخرى قديمة ، فما ذكره يفيد ان العرب كانوا يقيمون في فلسطين قروناً عديدة قبل الميلاد .

وقد ذكر العرب في جملة الشعوب الساكنة في (أورشليم) يوم مرور الخمسين يوماً على المسيح . ويظهر من أعمال الرسل ان أهل القدس كانوا خليطاً في تلك الأيام من معظم شعوب العالم المعروفة يومئذ^٦ .

-
- ١ سفر المكابيين الأول الاصحاح الثاني عشر الآية ٣١ فما بعدها
 - ٢ Hastings, P. 982, Beeton, Dictionary of Religion Philosophy and Law, P. 1809.
 - ٣ Anti. XIII, 5, 10, Beeton, Dictionary, P. 1809.
 - ٤ المكابيون الثاني ، الاصحاح الخامس الآية ٥ فما بعدها . Dubnow, II, S. 48,
 - ٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٣١/١) .
 - ٦ أعمال الرسل ، الاصحاح الثاني ، الآية ٩ وما بعدها

وقد أطلق العبرانيون اسم (طيبة) و (طيابة) على العرب ، محاكاةً لبني لرم . فتجد اللفظة في (التلمود) وفي كتابات العبرانيين المدونة في القرون الأولى للميلاد . وقد أخذ الاسم (طيبة) و (طيابة) من (طيء) اسم القبيلة المعروفة ، على نحو ما ذكرت في الفصل الأول :

وقد ذكرت في (المدراس) قبيلة عربية عرفت بـ (سوجي) ، لعله (سواجر) ، أو ما شابه ذلك من أسماء^١ .

وفي التوراة مصطلحات يرى العلماء أنها كناية عن العرب . ففيها مصطلح (بني قديم) (Bene Kedem) ، ومعناه : (أبناء الشرق) ، ويقصد به الساكنون شرق العبرانيين ، أي سكان بادية الشام ، وهو في معنى (شركوني) (شرقوني) ، أي الساكنون في المشرق . وهم كما نعلم قبائل عديدة من العرب سكنت هذه البادية قبل الميلاد بمدة لا يعلمها إلا الله . وقد يكون من بين هؤلاء أقوام من الآراميين^٢ :

وقد وصفت التوراة بعض عادات العرب وزسومهم ، كما تعرفت لتجارهم : ولما كانت (فلسطين) امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب ، وجزء منها ، وكانت على طريق مصر وبلاد الشام وعلى ساحل البحر المتوسط ، صارت سوقاً مهمة للتجار العرب وللأعراب ، يأتونها لبيع ما عندهم من سلع ، وأهمها أنواع الطيب والذهب والحجارة الكريمة والأغنام والأعتدة وحاصلات بلاد العرب الأخرى^٣ ، كما كانوا يشترون من أسواقها ما فيها مما يحتاجون إليه من حاصلات حوض البحر المتوسط وبلاد الشام وفي جملة ذلك الرقيق .

وورد في (التلمود) اسم صنم عربي دعي (نشرا)^٤ ، ويقصد به (نسر) ولا شك . وهو من أصنام العرب المعروفة . وقد ذكر (ابن الكلبي) أن حمير تعبدت لنسره . كما أنه ذكر في (التلمود) أيضاً (حج الأعراب) ، وذكر أن مواسم حجهم كانت تتغير بتغير فصول السنة^٥ . وقد تعرض للأحكام الشرعية

١ إخبارائسي (٧/٣)

٢ Hastings, P. 200, The Bible Dictionary, I, P. 177.

٣ حزقيال ، الأصحاح السابع والعشرون ، الآية ٢١ وما بعدها .

٤ عبودة زارة ١١ ب .

٥ الأصنام (ص ١١ ، ٥٧)

٦ عبودة زاره ١١ ب ،

الخاصة بدخول البيوت ، فذكر انها لا تنطبق على خيام العرب ، لأنها متقلة ، فلا تستقر في مكان واحد^١ . كما ذكر ان من عادة نساء العرب التحجب عند خروجهن الى المحال العامة^٢ . ولعله يقصد بذلك نساء المدن ، وذكر ان من عادة الرجال وضع اللثام على وجوههم في أثناء السفر لوقايتهم من الرمال^٣ ، وأشار الى أن للعرب مقدرة فائقة في معرفة مواضع المياه في الصحراء بمجرد شم الرمال^٤ . وورد في (المشنة) (المشنا) ان أغلب طعام العرب من اللحوم^٥ .

وقد ورد في (السهدرين) ، أن احـد اليهود قصّ على الحبر (حية) (R. Hiyya) ، أنه رأى مسافراً عربياً أخذ سيفاً بيده فقطع به جملاً قطعاً ، ثم أخذ (جرساً) فدق به ، فنهض الجمل حالاً ، وكأنه لم يقطع إرباً ، فقال له الحبر ، إن ما حدث هو نوع من الخداع^٦ .

ونجد في (السهدرين) كلاماً لـ (ربه بن برحنه) (Rabbah B. Bar Hana) يروي فيه ، أنه كان مسافراً ، وفي أثناء سفره التقى به عربي ، فقال له : تعال معي وسأريك الموضع الذي انشقت به الأرض وابتلعت جماعة (القورحين) (قورح) (Korah) . فذهب معه اليه ، ورأى به دخاناً . ثم أخذ العربي قطعة من صوف وبلتها بالماء ، ثم وضعها على رمح له ، ثم أدخلها الموضع فاستشاطت بالنار . ثم قال للعربي اصنع الى المكان ، لعلك تسمع شيئاً فيه . فسمع أصواتاً تقول : (موسى وتوراته على الحق ، أما القورحيون فهم كذّابون) ثم قال له في كل ثلاثين يوماً يتحول هؤلاء في جهنم (Gehenna) ، تحول اللحم في القدر ، وهو يقولون : (موسى وتوراته على حق ، أما هم ، فهم كذّابون)^٧ .

ونجد قصة هذا الحبر في (بابا بثرا) (Baba Bathra) ، حيث يقول :

١ هـلوت ٢٨ : ١٠

٢ شبت ٦ : ٦

٣ موفيد قطان ٢٤ ، ومشنة كليم ٢٩ : ١

٤ بابا بثرا ٧٣ ب

٥ مناحوت ٣٦ ب

٦ Sanhedrin, 67b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, III, P. 460, Translated by, Rabbi I. Epstein.

٧ Sanhedrin 110a, 110b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, III, P. 757.

قاموس الكتاب المقدس (٢٢٦/٢) «قورح» .

لقد كنا في سفر في صحراء ، فالتقى بنا تاجر عربي ، وكان ممن يستطيع التنبؤ بمواضع المياه وبالأبعاد وبالطرق من شمس التربة ، فأردنا الاستفسار منه عن أقرب مكان الينا فيه ماء . فقال لنا : أعطوني رملاً فأعطي ، فشبه ثم قال أقرب مكان اليكم فيه ماء هو على بعد ثمانية فراسخ (Parasangs) ثم سرنا وأردنا الاستفسار ثانية منه ، فقدمنا له رملاً ، شمه ثم قال لنا الماء على بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان . ثم حاول هذا الحبر اختباره لمعرفة مدى صدقه من كذبه ، فأبدل الرمل ، فلما قدم اليه رملاً آخر . لم يستطع أن يقول شيئاً^١ .

ويقص علينا قصة أخرى يزعم أنها وقعت له مع هذا التاجر العربي ، حيث يقول انه قال له : تعال معي أريك (أموات التيه) ، أي الإسرائيليين الذين ماتوا في التيه في طريقهم إلى أرض الميعاد . فذهب الحبر معه ، ورأى الأموات وكأنهم في حالة فرح وسرور ، وقد رقدوا على أظهرهم ، ثم يقول : وقد رفع احد هؤلاء الأموات ركبته ، ومرو التاجر العربي من تحت تلك الركبة ، وقد كان حاملاً رجه راكباً بعيره ، ومع ذلك فإن رجه لم يمس رجل الميت . ثم يقول وقد ذهبت إلى أحد الأموات الراقدين فقطعت جزءاً من ذيل رداءه الأزرق العميق ، وعندما حاولت الرجوع ، لم أتمكن من الحركة وبقيت ثابتاً في مكاني ، فقال له العربي : إذا أخذت شيئاً من هؤلاء فأرجعه إلى محله ، وإلا فلأنك ستبقى ملتصقاً في مكانك، لأن من يتناول على حرمة الراقدين فيأخذ شيئاً منهم، يجمد في مكانه ، ولا يستطيع التحرك . فذهبت وأرجعت القطعة وتمكنت عندئذ من السير^٢ .

ثم يذكر أن هذا التاجر العربي أخذه إلى جبل الطور (جبل سيناء) (Mount of Sinai) فأراه إياه ، ثم أخذه إلى الموضع الذي انشق بالقورحين ، جماعة (قورح) ، فأراه شقين في الأرض ، ووجد الدخان لا يزال يخرج منهما ، ثم يذكر أنه أخذ قطعة الصوف وادخلها هو بنفسه ، ثم أخرجها وإذا بها وقد علقت بها النار، ثم يقص باقي القصة على نحو ما جاء في (السندهرين)^٣ . ونجد في (مينحوت) (Menahoth) فتوى تتعلق في نجاسة أو طهارة قُرْب

١ Baba Bathra, 73b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, Baba Bathra, P. 292.

٢ Baba Bathra, 74a, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 292.

٣ Baba Bathra, 74a, Seder Nezikin, II, P. 293-294.

الماء . وقد ورد في هذه الفتوى ، أن القرب التي تشد وتعدد بعقدة تكون طاهرة ، إلا اذا عقدت بعقدة عربية . فلأنها تكون نجسة ولا يحل الشرب منها^١ . ونجد هذا البحث مرة أخرى في مكان آخر من (المشنة) في كتاب الد (قليم) (Kelim) ، أي (كتاب الأواني والأوعية) من (كتاب الطهارة) ، حيث عرضت آراء الأخبار في قرب الماء وفي كيفية عقد عقدها لمدة طويلة أو لمدة قصيرة ، ومن حيث شدة العقدة أو رخاوتها ، وتأثير ذلك في طهارة الماء . فأشير إلى قرب ماء العرب وموقفهم من الشرب منها أو من الاستفادة من مائها وهل يعد ماؤها طاهراً أو نجساً في الشريعة اليهودية ؟ وقد جاءت آراء الأخبار متباينة في ذلك^٢ : ويظهر أن اتصال العرب باليهود اتصالاً وثيقاً بالعراق، وسكن اليهود بين العرب في بلاد العرب ، أثار امام اليهود هذه المشكلة الفقهية ، فهم مضطرون دائماً إلى الاتصال بالعرب وإلى شرب الماء منهم ، فظهرت من ثم عندهم هذه المشكلة ، وكان على الأخبار بيان رأيهم في طهارة ماء القرب ، وقرب العرب منها بوجه خاص ، لما في ذلك من علاقة بقضية الطهارة والنجاسة ومكانتها في فقه يهود .

وفي موضع آخر من كتاب (الأواني والأوعية) (Kelim) ، بحث عن جواز أو عدم جواز ارتداء بعض الأردية وموقف الشريعة من أكسية الرأس وأغطية الوجه والجسم ، فبحث في جملة ما بحث عنه ، عن القناع الذي يصنعه العرب على أوجهم وعن تلثمهم به ، فهل يجوز لليهودي شرعاً أن يفعل فعل العرب أم لا^٣ .

وقد استثنت (المشنة) في كتاب (أو حولت) أي (الخيام) ، عشرة مواضع من تطبيق أحكام الشرع عليها ، بخصوص طهارتها أو نجاستها لكون ساكنيها من الوثنيين . وقد ذكرت مضارب خيام العرب على رأس هذه المواضع العشرة التي لا تخضع لحكم الشريعة في موضوع حكم طهارتها أو نجاستها . وذلك لأن مضارب البدو غير مستقرة ، إذ أن الأعراب يتنقلون من مكان إلى آخر . لذلك لا يمكن تطبيق الأحكام الشرعية التي تطبق على العقار الدائم عليها في

Menahoth, 37b, p. 231, Translated by Eli Cashdan. ١

The Mishmahs, Kelim, P. 124. ٢

The Mishna Kelim? P. 138. ٣

موضوع نجاسة الأثاث والأواني وكل شيء يكون تحت الخيمة التي يموت فيها إنسان ، ولأن أصحابها غير يهود^١ .

وقد أشير في (مينحوت) (Menahoth) الى موضوع تقديم طعام مطبوخ في موقد عربي ، هل يقبل أو يرفض . فأشار بعض فقهاء الشريعة اليهودية الى عدم جواز الأكل من ذلك الطبخ^٢ .

ونجد في (بابا بئرا) (Baba Bathra) ، ان الحبر (ماير) (R. Meir) يستثني النبط والعرب والسلمونيين (Salmoeans) من الوعد الذي أعطاه الله لموسى حين أراه الأرض الموعودة^٣ . ويظهر ان (السلمونيين) ، هم قبيلة من القبائل العربية الشمالية^٤ . لعل لاسمهم علاقة بـ (سلمان) .

وقد ورد ذكر العرب في كتاب الحيض (نده) (Niddah) من كتاب (الطهارة) في الفقه اليهودي . وذلك في موضوع العبدية وهل يجوز الاتصال بها ، أو لا يجوز ، على اعتبار انها خصصت لأداء الأعمال لا للاتصال الجنسي . وقد أجاز الحبر (شيشث) (R. Shesheth) ابداع العبدية أي المملوكة الى العرب ، على أن يقال لهم احتسروا من الاتصال بالإسرائيليات^٥ .

وفي التلمود والمشنه والكمارة مسائل فقهية أخرى عديدة يخرجنا ذكرها هنا من حدود هذا الموضوع تتعلق بموضوع صلات العرب واليهود . في مثل موقف الشريعة اليهودية من ذبائح العرب ، وهي التي يذبحها اليهود للعرب في مقابل إعطائهم اللحم ليقدم العرب دمها وشحمها للأصنام^٦ .

وموقف الشريعة من المرأة التي يأسرها الأعراب ثم تعاد بعد ذلك الى أهلها بعد فك أسرها، هل يجوز للحبر أو لغيره التزوج منها أو لا؟ أو موقف الشريعة من المملوكة اليهودية التي تكون في ايدي العرب ، من حيث احتمال دخول العرب بها^٧ . أو موقف الشريعة من الحبوب او المواد الأخرى التي تقع بين روث

The Mishnahs, Oholoth, P. 228. ١

Menahoth, 63a, Menahoth, P. 372. ٢

Baba Bathra, 56a. ٣

The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, P. 227. ٤

Niddah 47a, The Babylonian Talmud, Seder Tohoroth, P. 328. ٥

The Babylonian Talmud, Seder Kodashim, II, Hullin, P. 214, Hullin, 39b. ٦

The Babylonian Talmud, Seder Nashim, II, P. 199, Kethuboth, 36b. ٧

ماشية العرب^١ ، أو دخول إبل العرب في (كثوبة) (Kethubah) يهودي^٢.
أو موقف اليهودي من المرأة^٣ . أو موضوع نظر اليهودي الى عضو من جسم
امرأة عربية ، مثل صدرها حينما يمر في مكان ويرأها وقد كشفت عن صدرها
لترضع رضيعها^٤ ، أو موقف الشريعة اليهودية من المختنتين العرب^٥ .
ونجد في باب (الشهادات) (الوثائق) (كطين) (خطين) (Gittin)
قولاً لأحد الأحبار يقول : ان امرأة عربية جاءت الى أحد اليهود تحمل كيساً
فيه تعاويد لبيعها ، فقال لها اليهودي اعطيك تمرتين عن كل تعاويدتين. فاغتازت
المرأة ورمت ما حملته في النهر . فتقدم اليهودي وقال وددت لو لم أكن قد أعطيتها
هذا العوض الرخيص^٦ .

وقد نشأت هذه المعضلات الفقهية من اختلاط اليهود بالعرب في فلسطين وفي
الأماكن التي هاجروا اليها من بلاد العرب من جراء ضغط الرومان عليهم ،
وعدم تمكنهم من ممارسة عبادتهم في البلاد الخاضعة للحكم الروماني بسهولة وبحرية
تامة ، فهاجر كثير منهم الى أعالي الحجاز والى العراق حيث اختلطوا بالعرب
وعاشوا بينهم في مثل (الأنبار) و (فومبيثة) و (زقونية) (زكونية) (Zekonia) ،
وهو موضع على مقربة من (فومبيثة)^٧ . وموضع (بمكسه) (Be-Mikse)^٨ ،
(نهر دعة) (Nehardea) وسورا (Sura) وأماكن أخرى من العراق .
وقد كان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب وكانوا يعيشون معهم في كثير من
الأماكن ويتاجرون معهم . وكون اليهود لهم (كالوتا) أي (جالية) عاشوا
فيها متمتعين بشبه استقلال ذاتي ، يدير رؤساؤهم (كالوتاتهم) ، ويكونون
هم الممثلين لأتباعهم أمام السلطات صاحبة النفوذ الفعلي ، كما كانوا يعقدون أحلافاً
مع الأعراب على طريقة أهل المدن والحضر في عقد موثيق مع سادات القبائل
لمنع الأعراب من غزوهم ومن التحرش بأموالهم وتجاراتهم .

-
- | | |
|--|---|
| Kethuboth 66b, II, P. 405. | ١ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, P. 408. | ٢ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, P. 452. | ٣ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, 472, Kethuboth 75a. | ٤ |
| Yebamoth 71a, Babylonian, I, P. 479. | ٥ |
| Gittin, 45b, Babylonian, Seder Nashim. IV, P. 200. | ٦ |
| J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonian, S. 234, Hullin, 39b. | ٧ |
| Yebamoth, 45a, babylonian, Seedr Nashim, I, P. 295, Obermeyer, S. 334. | ٨ |

وأود ان أشير هنا الى أهمية (التلمود) و (المشنة) و (الكماره) ، بالنسبة لتأريخ العراق ، ففي أبوابها بحوث قيّمة عن مدن العراق وجغرافية العراق في عهد تدوين هذه الكتب ، وهي تمتد لمئات من السنين . ففي (القيدوشين) مثلاً ، أسئلة وأجوبة عن (اقليم بابل) وعن (ميسان) (Mesene) وعن (ميديا) ، وقد وردت فيها أسماء مدن وأنهار وقرى وغير ذلك مما يساعد كثيراً في فهم جغرافية العراق في عهود ما قبل الميلاد وما بعده^١ .

وقد تساهل الفرس في الغالب مع اليهود ، فنحوهم استقلالاً ذاتياً واسعاً في ادارة شؤون مستوطناتهم وفي ممارسة طقوسهم الدينية وفي الاتجار ، حتى صارت كل مستوطنة تدير شؤونها بنفسها وتختار حاكمها بنفسها ، حتى ان بعضها وضعت على رأسها حاكماً يهودياً لقبته بلقب (ملك) ، أدار شؤون الجالية طبقاً لأحكام يهود . وكان هؤلاء الحكام هم الصلة بين اليهود وبين الفرس . وقد صارت بعض هذه المستوطنات من أهم المراكز العلمية عند اليهود في العالم ، وفي ضمن ذلك فلسطين . وفي هذه المواضع دوّن (التلمود البابلي) ، دوّنه أحبارهم الذين استقروا في العراق . وهو يعد من أثنى التراث العبراني الذي ظهر عند اليهود . وقد تأثر بالروح العراقية حتى امتاز بها على التلمود الأورشليمي ، أي التلمود الذي كتب في فلسطين .

وقد لاقى اليهود مساعدة حسنة من العرب ، وعوملوا معاملة طيبة . ويظهر من مواضع في التلمود والمشنة ، أن العبرانيين فروا الى جزيرة العرب منذ أيام (بنجت نصر)^٢ . وقد تأثر اليهود النازحون الى جزيرة العرب بعادات العرب ورسومهم . ويحدثنا (أبا أريخا) من الأحبار وكبار علماء التلمود في القرن الثالث الميلادي ، أن اليهود كانوا يؤثرون حكم الإسماعيليين ، ويقصد بهم العرب ، على الرومان ، ويؤثرون حكم الرومان على حكم المجوس^٣ . ومع ذلك ، فقد حدث خصام بين العرب واليهود ، فنجد في (التلمود) مواضع يظهر فيها حقدهم على العرب وكراهيتهم لهم . كالذي يظهر من كلام (الحبر يشوعه بن ليفي)^٤ (يشوعه بر ليفي) ، حين رأى أكواماً من العنب مكدسة ، فقال : (يا للبلاد

Keddushin 71b. ١

The Universal Jewish Encyclopedia, I, P. 439. ٢

Shabth IIa. ٣

R. Joshua b. Levi. ٤

يا للبلاد) . لمن هذه ، لأولئك العرب (الوثنيين)^١ الذين ثاروا علينا لخطيتنا^٢ .
وكالذي يظهر من كتاب (قدوشين) (Kiddushin) ، حيث ورد ، (أعطي
العالم عشرة (قابات) من الوقاحة ، خص العرب بتسع منها)^٣ . وفي هذا
الكلام دليل على تناول العرب على اليهود في المواضع التي كانوا يعيشون بها
معاً . وحقد اليهود عليهم من أجل ذلك .

ونجد في الأخبار السريانية والعبرانية أخبار غارات وغزوات قام بها عرب
العراق على الجاليات اليهودية التي انتشرت من (بابل) وماجاورها حتى جاوزت
شمال (عانه) على نهر الفرات . وقد ازعجت هذه الغارات اليهود الذين حولوا
هذه الأرضين الى أرض سادتها وغلبتها حتى صيرتها على شاكلة (وادي القرى)
عند ظهور الإسلام . فاضطروا الى تحصين مستوطناتهم وأحاطتها بأسوار وإلى
تشكيل قوات تقوم بحمايتها ليل نهار حتى في أيام السبت والأعياد اليهودية ، مع
تحریم الشريعة اليهودية العمل يوم السبت . وأباح الأخبار لهذه القوات حمل السلاح
في أيام السبت وفي أيام العطل حتى تكون على استعداد للدفاع عن تلك المستوطنات
في أية لحظة يشن فيها الأعراب غاراتهم عليها، إذ يحتمل أنها تقوم بقتل اليهود^٤ .
وقد تعرض الرعاة اليهود الذين كانوا يخرجون بماشيتهم من مستوطناتهم الى
البرية أو الى ضواحي مستوطناتهم الى غارات الأعراب عليهم ، وسلبهم ماشيتهم^٥ ،
كما تعرض اليهود الى الأسر ، فأسر عدد منهم ، نساءً ورجالاً . حتى سلبوا
وأسروا بعض الأخبار ، لذلك كانت الجاليات اليهودية تخشى من الأعراب كثيراً^٦ .
وقد تعرضت مدينة (نهردعة) (Nehardea) الى الغزو وذلك سنة (٥٧٠) من
التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد. فقد غزاها كما تقول الأخبار اليهودية
سيد قبيلة عربية ، اسمه (بابابر نصر) (بابا بن نصر) (Papa Bar Nasr) ،
وألحق بها أضراراً فادحة، وخرب بعض أماكنها ، وقد هرب منها بعض أخبارها
الى مستوطنات يهودية أخرى^٧ . وقد ذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz)

١ الوثنيون في طبعة (Bomb)

٢ Kethuboth 112a, Babylonian, Seder Nashim, II, P., 225.

٣ القاب (Kab) وحدة من وحدات الوزن Kiddushin 49b, Babylonian, Seder Nashim, IV, P., 249.

٤ 'Erubin 45a.

٥ Baba Bathra 36a.

٦ Koheleth 7, Cittin 23a.

٧ Obermeyer, S., 254. ff.

الى أن هذا الأمير العربي المهاجم هو (أذينة) ملك تدمر وزوج الملكة الزباء^١. غير أن اشتهار ملوك الحيرة عند العرب بـ (آل نصر) وقرب الحيرة من مدينة (نهر دعة) واتصال عربها بالجاليات اليهودية يحملنا على التفكير في أن المهاجم هو أمير من أمراء (آل نصر) . ملوك الحيرة ، وهم حلفاء الفرس . وورد في الأخبار أيضاً أن مدينة (فومبديشة) (Pumbaditha) تعرضت للغزو أيضاً ، وهي من أمهات مدن الجاليات اليهودية . هاجمها جيش جاءها من (عاقولاء) ويظهر أنه من قوات (آل نصر) ملوك الحيرة^٢ .

وقد كانت مدينة (فومبديشة) ، محاطة بالأعراب . ولذلك كانوا يتعاملون معهم ، ويأتون اليهم ويلبسون عندهم . وقد جاء في الأخبار أن أحبارها قد أباحوا لأهلها التعامل مع الأعراب في أيام أعيادهم ، أي أعياد الأعراب . وذلك لأن أعياد الأعراب لم تكن ثابتة ، تحل في وقت معين وفي مواسم متباعدة ، لذلك جوسزوا لهم البيع فيها . لأن أحكام التلمود تمنع اليهود من التعامل مع الغرباء في أيام أعيادهم اذا كانت تلك الأعياد أعياداً دينية .

ولما كانت الشريعة اليهودية لا تعتبر العيد عيداً مقدساً دينياً إلا اذا كان يقع في أوقات ثابتة معينة لا تتغير ولا تتبدل في التقويم ، لذلك أفتى الأحبار بعدم اعتبار أعياد الأعراب أعياداً دينية ، وأباحوا لأهل المدينة التعامل مع المعبدن في أيام أعيادهم :

ولاً^٣ فما كان يحل لهم بيع الأعراب شيئاً في أيام تبييدهم . وقد باعوا لهم خراً وحبوباً . أما بالنسبة الى أعياد الفرس والروم ، فقد منع التلمود اليهود من التعامل مع الفرس أو الفرس فيها ، لأنها أعياد ثابتة وقد نص على مواعيدها ، وأشير اليها في التلمود ، لذلك، طلب من اليهود الامتناع عن بيع الفرس والروم شيئاً في أعيادهم^٣ .

ويذكر التلمود ان الأعراب (طيعه) (طية) (طياه) ، المجاورين لموضع (صقونية) (Sikunya) ، طلبوا من أهلهم وهم يهود أن يلبحوا لهم ذبائح في مقابل اعطائهم لحومها وجلودها ، أما دمها فيجمع ويعطى للأعراب وذلك

١ Gratz, Geschichte der Juden, IV, 295.

٢ Obermeyer, S., 223.

٣ Obermeyer, S. 234.

لتقديمه لأربابهم . وكانت عاداتهم تلطيخ أصنامهم بدم القرابين^١ .
وقد عرف الأعراب بـ (طييعه) في التلمود . أما السريان والموارد اليهودية
الأخرى المدونة بالسريانية ، فقد أطلقوا وأطلقت على الأعراب لفظة (طييعه)
(طيايا) ، وذلك باسقاط حرف العين من الكلمة : (طييعه) والكلمتان من
أصل واحد ، هو (طيء) اسم القبيلة العربية المعروفة . وقد كانت في أيام
تدوين التلمود من أقوى وأشهر القبائل العربية ، حتى غلب اسمها سائر أسماء
القبائل ، فأطلق على كل عربي كائن ما كان^٢ .
وأطلقت لفظة (عربايه) في كتاب من كتب التلمود ، على العرب المزارعين
الذين استقروا على مقربة من (فومبيثة) . وذكر التلمود ان اولئك العرب
المزارعين كانوا قد انتزعوا مزارع اليهود بما فيها من أبنية وأملاك ، وأقاموا بها ،
ولهذا السبب ، فقد ذهب اليهود الى حبرهم وقاضيتهم (ابيه) (Abaya) ،
وطلبوا منه اعطاءهم وثائق تملك أخرى ، حتى يكون في إمكانهم مراجعة السلطات
لإثبات ملكيتهم لأملاكهم التي انتزعت بالقوة منهم^٣ .
وقد نزع يهود من فلسطين الى الحجاز ، فسكنوا وادي القرى حتى نزلوا
(يثرب) ، وذهب قسم منهم الى اليمن ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد .

Obermeyer, S. 234. ١

Obermeyer, S. 233. ff. ٢

Baba Bathra, 168b, Obermeyer, S. 235. ٣

فهرست

٥	مقدمة
١٣	١ : تحديد لفظة العرب
٣٧	٢ . الجاهلية ومصادر التأريخ الجاهلي
٤٢	موارد التأريخ الجاهلي
٤٤	النقوش والكتابات
٤٦	تأريخ الكتابات
٥٣	التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية
٥٦	الكتب الكلاسيكية
٦١	الموارد النصرانية
٦٥	الموارد العربية الاسلامية
٧٣	المؤرخون المسلمون
١٠٧	٣ : اهمال التأريخ الجاهلي واعادة تدوينه
١٢٣	تدوين التأريخ الجاهلي
١٤٠	٤ . جزيرة العرب
١٤٥	الحرار ، أو الأرضون البركانية
١٥٠	الدهناء
١٥٢	النفود
١٥٣	مصدر الصحارى
١٥٥	الدارات
١٥٦	الجبال
١٥٧	الأنهار والأودية
١٦٣	أقسام بلاد العرب
١٦٤	العربية السعيدة

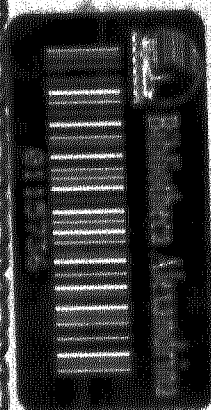
١٦٤	العربية الصحراوية
١٦٦	العربية الحجرية ، العربية الصخرية
١٦٧	التقسيم العربي
١٧٠	تهامة
١٧٠	اليمن
١٧٤	العروض
١٧٨	اليمامة
١٨١	نجد
١٨٦	٥ . طبيعة جزيرة العرب و ثرواتها وسكانها
٢٢٠	الطرق البرية
٢٢٢	٦ . صلات العرب بالساميين
٢٢٩	وطن الساميين
٢٤٠	الهجرات السامية
٢٥٤	اللغة السامية الأم
٢٥٦	العقلية السامية
٢٦١	٧ . طبيعة العقلية العربية
٢٩٤	٨ . طبقات العرب
٢٩٨	العرب البائدة
٣١٠	هود
٣١٤	لقمان
٣٢١	ثمود
٣٣٤	طسم وجديس
٣٣٦	جديس
٣٤٠	أميم
٣٤٣	عيبيل
٣٤٥	جرهم الأولى
٣٤٥	العاقلة

٣٤٧	حضورا
٣٥٣	هلاك العرب البائدة
٣٥٤	٩ . العرب العاربة والعرب المستعربة
٣٥٤	العرب العاربة
٣٧٥	العرب المستعربة
٣٩٠	عك
٣٩٢	أولاد معد
٣٩٤	نزار
٤١٠	١٠ . أثر التوراة
٤٣٣	الاسماعيليون
٤٥٩	أبناء كوش
٤٦١	المهاجرون
٤٦٦	١١ . أنساب العرب
٤٩٣	القحطانية والعدنانية في الاسلام
٥٠٧	العرب العاربة والعرب المستعربة
٥٠٩	١٢ . طبقات القبائل
٥١٤	الانساب
٥١٨	(الطوطمية) ودور الأمومة عند العرب
٥٢١	دور الأمومة
٥٢٥	أصول التسميات
٥٢٩	١٣ . تأريخ الجزيرة القديم
٥٦١	دلون
٥٧٣	١٤ . العرب في الهلال الخصيب
٥٧٤	العرب والآشوريون
٦٠٧	١٥ . صلة العرب بالكلدانيين والفرس
٦٢٩	١٦ . العرب والعبرانيون

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هود عاي

الجزء الثاني



المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الثاني

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل السابع عشر

العرب واليونان

أقدم من سُجِّلَ اسمه من اليونان في سجل العلاقات العربية اليونانية هو (الاسكندر الكبير) (٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م.) ، فبعد أن سيطر هذا الرجل الجبار الغريب الأطوار الذي توفي شاباً ، على أرضين واسعة، وأسس امبراطورية شاسعة الأرجاء ذات منافذ على البحر الأحمر والخليج العربي ، وبعد أن استولى على مصر والملال الخصب ، فكر في السيطرة على جزيرة العرب ، وفي جعلها جزءاً من امبراطوريته، ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندي، والسيطرة على تجارة إفريقية وآسية ، وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يوناني .

وقد شرح الكاتب (أريان) Flavius Arrianus المولود سنة (٩٥ ب. م.) والمتوفى سنة (١٧٥ ب. م.)^١ ، الأسباب التي حلت الاسكندر على التفكير في الاستيلاء على جزيرة العرب وعلى بحارها ، في الكتاب السابع من مؤلفه *Anabasis Alexandri*^٢ . فذكر أن هنالك من يزعم أن الاسكندر إنما جهز تلك الحملة البحرية ، لأن معظم القبائل العربية لم ترسل إليه رسالةً ، للترحيب به ولتكريمه ، فغاضه ذلك . أما (أريان) ، فإنه يرى أن السبب الحقيقي الذي

Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature, P., 51

Arrien, History of Alexander and Indica, in 2 vol., Loeb Classical Library, 1946, Anabasis, Book, VII, 19, 5. XX, II. 1.

حمل الاسكندر على إرسال هذه الحملة ، يكمن في رغبته في اكتساب أرضين جديدة^٣ .

وأورد (أريان) في كتابه قصة أخرى ، خلاصتها : ان العرب كانوا يتعبدون لآلهين هما : (أورانوس) Uranus ، و (ديونيسوس) Dionysus ، وجميع الكواكب وخاصة الشمس . فلما سمع الاسكندر بذلك ، أراد أن يجعل نفسه الإله الثالث للعرب^٢ . وذكر أيضاً انه سمع يبحر ببلاد العرب وطبيها ، وحاصلاتها الثمينة ، وبسعة سواحلها التي لا تقبل مساحتها كثيراً عن سواحل الهند ، وبالجزر الكثيرة المحلقة بها ، وبالمرافئ الكثيرة فيها التي يستطيع أسطوله أن يرسو فيها ، وبيناء مدن يمكن أن تكون من المدن الغنية ، وسمع بأشياء أخرى ، فهاجت فيه هذه الأخبار الشوق إلى الاستيلاء عليها ، فسير إليها حملة بحرية للطواف بسواحلها إلى ملتقاها بخليج العقبة^٢ . وعندي ان التعليل الأخير هو التعليل الحقول الذي يستطيع أن يوضح لنا سر اهتمام (الاسكندر) بجزيرة العرب ، وتفكيره في إرسال بعثات استكشافية للبحث عن أفضل السبل المؤدية إلى الاستيلاء عليها . ولم يكن (الاسكندر الأكبر) أول من فكر في ذلك ، فقد سبقه إلى هاهنا الفكرة خكام كان منطقتهم في الاستيلاء على بلاد العرب وعلى غير بلاد العرب من أرضين ، هو سماعهم بغنى من يريدون الاستيلاء عليه ، فهو إما أن يتصادق معهم ، فيقدم ما عنده من ذهب وفضة وأحجار كريمة وأشياء ثمينة اليهم ويرضى بأن يكون تابعاً لهم ، وإما أن يمتنع فيكون عدواً ويتعرض للغزو والسلب والنهب والقتل والإبادة . بهذا المنطق كتب ملوك آشور إلى ملك (دلمون) وغير دلمون ، وبهذا المنطق كتب (أوغسطس قيصر) إلى ملوك اليمن فيما بعد .

أرسل الاسكندر بعثات استطلاعية تتسقط له المعلومات اللازمة لإرسال أسطول كبير يستولي على سواحل الجزيرة ، يتجه من الخليج فيعقب سواحلها ، ثم يدخل البحر الأحمر إلى خليج العقبة ، حيث ينفذ أسطوله إلى سواحل مصر . وقد هيا الأسطول ، وجاء بأجزاء السفن وبالأخشاب اللازمة لبنائها من (فينيقية)

Anabasis, VII, 19, f. ١

Anabasis, VII, XX, I, II ٢

Anabasis, VII, II, ff. ٣

Phoenicia (وقبرس) Cyprus ، واتخذ (بابل) قاعدة للإشراف على تنفيذ هذه الخطة . ومن أرسلهم الإسكندر لاكتشاف الطريق، القائد البحري (أرشياس) (أرخياس) Archias ، وقد كلف السير في اتجاه السواحل ، فبلغ جزيرة سماها (أريان) (تيلوس) Tylus ، وهي (البحرين) ، ولم يتجاوزها ، والقائد (أندروستينيس) Androstheneis ، وقد بلغ مكاناً قصياً لم يصل اليه القائد (أرشياس) ، (وهيرون) Hieron ، وقد وصل مكاناً بعيداً لم يصل اليه القائد المذكوران ، وكان قد كلف أن يطوف حول جزيرة العرب حتى (هيروبوليس) Heroopolis أي السويس . وقد عاد فأخبر الإسكندر بما حصل عليه من معلومات وبما يتطلبه المشروع من جهود^١ . ولم يذكر (أريان) المكان الذي بلغه (هيرون) ، ويظن (أرنولد ولسن) A. Wilson أنه لم يتجاوز موضع (ماكيتة) Maketa وهو موضع (رأس الخيمة) ، أي (رأس مسندم) Ras Musandam كما يسميه الأوروبيون ، وهو (مونس اسبو) Mons Asabo عند (بلينيوس) ، أي (رؤوس الجبال)^٢ .

ويصف (أريان) جزيرة (تيلوس) Tylus ، بأنها جزيرة تبعد عن مصب نهر الفرات ، بمسيرة سفينة تجري مع الريح يوماً وليلة . وهي جزيرة واسعة وعرة ، لا يوجد بها شجر وافر ، غير أنها خصبة ويمكن غرسها بالأشجار المثمرة كما يمكن زرعها بنباتات أخرى . وذكر (أريان) ، أن مخبري (الإسكندر) كانوا قد أخبروه بوجود جزيرة أخرى غير بعيدة عن مصب نهر الفرات ، إذ لا تبعد عنه أكثر من (١٢٠) (استاديوناً) ، وهي صغيرة نوعاً ما ، غير أنها ذات شجر من كل نوع وبها معبد للإلهة (أرتميس) Artimus = Artemis يعيش الناس حول معبده وتمرح الحيوانات وتسرح دون أن يمسها أحد بسوء ، لأنها في حى المعبد، فهي حرام على الناس وقد سمي هذه الجزيرة باسم (ايكاروس) Ikaros^٣ ، نسبة الى جزيرة (ايكاروس) من جزر البحر الايجي Aegaein Sea^٤ . ويظهر أن الإسكندر عرف الصعاب التي ستواجهه في اقداامه على اقتحام الجزيرة

Anabasis, VII, XX, 8. ١

The Persian Gulf, P., 40, 43. ٢

The Persian Gulf, P., 40, 43, Anabasis, VII, XX; 8; Die Araber; IV; S.; 66. ff. ٣

Die Araber, IV, S., 66. ff. ٤

من البر : من مقاومة القبائل ، وصعوبة قطع الفيافي ، وقلة المياه ، فعزم على تحقيق المشروع من البحر ، وكلف (هيرون) Hieron متابعة السواحل ، ودراسة أحوال سكانها ومواضع المرافئ وأماكن المياه والمنابت ومواضع الشجر فيها ، وعادات العرب وأحوالهم ، لتكون جيوشه على بينة من أمرها ، إذا أقدم أسطوله على تحقيق هذا المشروع الخطير^١ .

وأعدّ (الإسكندر) كل ما يلزم اعداده ، غير أن موته المفاجيء ، وهو في مقتبل عمره ، ثم تنازع قواده وانقسامهم ، وما إلى ذلك من شؤون ، صرف قواده عن التفكير فيه ، فأهمل ومات بموته مشروعه الخطير .

ويرى بعض الباحثين أن الإسكندر لم يكن يقصد فتح جزيرة العرب ، ولكن كان يرغب في الاستيلاء على بعض الموانئ والمواضع المهمة على ساحل الجزيرة وبذلك يكون قد أدرك الغايات التي قصدها من هذا الفتح^٢ .

ولما أراد الإسكندر احتلال (غزة) في طريقه إلى مصر ، قاومت المدينة ، ودافع عنها رجل سمّاه (أريان) (باتس) Batis = Baetis = Betis^٣ ، مستعيناً بجيوش عربية قاومت مقاومة شديدة اضطرت الإسكندر إلى نصب آلات القتال ، إلا أن العرب هاجموا لاحتراقها ، كما هاجموا المقدونيين الذين كانوا متحصنين في مراكز القيادة وراء تلك العُدّة^٤ . وقد اضطّر المقدونيون إلى مغادرة مواضعهم هذه إلى أماكن جديدة ، وكادوا ينهزمون هزيمة منكرة لو لم يأتهم الإسكندر بمساعدات قوية في الوقت المناسب . وقد أصيب بجراح^٥ . وظلت تقاومه مدة خمسة شهور (٣٣٢ ق.م) . ويذكر (هيرودوتس) أن المنطقة الواقعة من (غزة) إلى موضع Jenysus ، كانت مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء منذ القديم . وقد حكمها ملك عربي لم يذكر اسمه^٦ .

١ Anabasis, VII, XX, 10.

٢ Tarn, II, P. 394, U. Wilcken, Die Letzen Plaene Alexanders des Grossen; Berlin, 1937, S., 195.

٣ W. W. Tarn, Alexander the Great, Cambridge, 1948, Vol., 2, P.; 265; «Betis»; «Baetis»; Curtius Rufus, 4, 6, 7, 20, : 30, Die Araber; I; S.; 171.

٤ Arrian, Vol., I, P. 217, II, 23, 4.

٥ Arrian, I, P., 219.

٦ Herodotus, I, P., 212.

ويرى بعض الباحثين أن (باتيس) Batis هذا الذي وقف بوجه جيوش الاسكندر وقاومها هذه المقاومة العنيفة ، في حوالي سنة (٣٣٢ ق. م.)^١ ، كان رجلاً عربياً اسمه (باطش) ، أي الفاتك . ويستدلون على ذلك بورود اسم رجل في الكتابات النبطية ، هو (بطشو) ، أي (باطش)^٢ . وقد حُرف ذلك الاسم فصار Batis^٣ . وهم يرون أن غالبية سكان (غزة) كانت من العرب منذ زمن طويل قبل الميلاد. وأنها كانت نهاية طرق القوافل البرية التجارية التي كان يسلكها التجار العرب القادمون من اليمن والحجاز ومن مواضع أخرى. ولا يعقل لذلك أن يكون حاكمها إيرانياً ، كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين. فرجحوا لذلك رأي من يقول أن (الباطش) Batis ، كان من العرب^٤ .

لقد كانت (غزة) المركز الرئيسي للتجار العرب على البحر المتوسط ، فاليه تنتهي التجارة العربية ، ومنه يتسوق التجار العرب البضائع التي ترد اليه من موانئ هذا البحر . ولما فتحت المدينة أبوابها لجيش الإسكندر بعد ذلك الحصار الشاق، وجد اليونان فيها مقادير كبيرة من المر واللبن وحاصلات العربية الجنوبية، فاستولوا عليها . فخسر التجار العرب بذلك خسارة فادحة^٥ .

ونجد في كتاب (تاريخ الإسكندر) لـ (كويتس كورتينوس) Quintus Curtius ، خبراً يفيد أن (الإسكندر) أخذ من أرض العرب المنتجة للبخور كمية من البخور لاحتراقها للآلهة تقرباً إليها . غير أننا لا نستطيع تصديق هذه الرواية ، لأن جيوش الإسكندر لم تتمكن من دخول جزيرة العرب ، ولم تصل إلى أرض البخور^٦ . إلا أن يكون حكامها قد أرسلوا البخور المذكور هدية إليه ، أو ضريبة من التجار العرب في مقابل السماح لهم ببيعه في الأسواق التي استولى عليها اليونان .

١ H. Berve, Das Alexanderreich auf Prosopographischer Grundlage, 2 (1928), S., 105, Die Araber, I, S., 34, 173.

٢ Die Araber, I, S., 35.

٣ Curtius Rufus, 4, 6, 7, Die Araber, I, S.; 35.

٤ J. Cantineau, Le Nabatéen, 2, (1932), 70, R. Maéus, in : Josophos; Vol.; 6; 1937, P. 463 (Loeb), Tran. Alexander. 2; P. 266; Die Araber; I; S. 172.

٥ Diodorus, XVII, 48, 7, Strabo, XVI, 2; 30; Plutarch; Alexander; 25; 4; 26-27; Olmstead, History of the Persian Empire, P., 507, f.

٦ Quintus Curtius, I, P., 7,

وقد توسع مؤلف الكتاب المذكور في إطلاق لفظة العرب Arabum والعربية أي أرض العرب Arabia في أثناء حديثه عن العرب وعن أرضهم فأدخل في العرب جماعة ليسوا منهم مثل (بني إرم) . ولما تحدث عن فتح الإسكندر للبنان ، ذكر انه ذهب بعد ذلك إلى العربية ، أي أرض العرب وعنى بها البادية الواسعة التي تفصل بلاد الشام عن (ما بين النهرين) ، وكل الأرضين على ضفة الفرات الغربية ^١ .

هذا ولا أظن ان انساناً يقول ان (الإسكندر) المذكور كان قد حصل على علمه بثراء العرب وبنفاة ما يبيعونه في أسواق البحر المتوسط من تجارات عن طريق الوحي والإلهام ، وبنهاة فكره ، إن علماً من هذا النوع لا يمكن أن يحصل عليه إنسان إلا من علم الماضين ومن علم السياح والتجار بصورة خاصة لأنهم كانوا ولا زالوا منذ خلق الانسان يفتشون عن الأسواق وعن المنتجات ويتعارفون فيما بينهم على اختلاف ألوانهم وأديانهم للحصول على معارف تجارية تحوّلهم الحصول على ما يبتغون بأرخص الأسعار .

من هذه الموارد ولا شك حصل (الإسكندر) على عمله بأحوال الهند وبأحوال جزيرة العرب وبالأسواق التي كانوا يرتادونها . وعلمه هذا هو الذي حمله على أن يوجه حملته على بلاد العرب - على ما أرى - من البحر لا من البر ، لأنه أدرك أن حملة بحرية تمكنه من السيطرة على مفاتيح الجزيرة وعلى النقاط الحساسة فيها بسهولة ويسر وبدون تكاليف باهظة ، وبذلك يقبض على خناقها ويقطع عنها إن تيسر له النجاح اتصالها بأسواق إفريقية والهند وما وراء الهند ، وهي الأسواق الرئيسية التي موّنت العرب بالثراء وبذلك يقطع عنهم موارد الثراء . أما من البر فقد كان على علم أكيد من خلال تجارب الماضين ومن علمه وعلم قواد جيشه بصعوبة الاستيلاء عليها من البر ومن الاحتفاظ بها أمداً طويلاً والمحافظة على طرق المواصلات الطويلة ولإيصال المؤن إلى قواته ، لذلك لم يفكر في الاستيلاء عليها من البر . ثم إن ثراء سكان الجزيرة المشهور لم يكن من ثراء حاصلاتها وإنتاجها وإنما كان من أسواق إفريقية والهند في الغالب ، ولهذا رجّح خطة السيطرة على موانئ جزيرة العرب بوضع قوات بها على خطة السيطرة

على الجزيرة من البر ، وأغلب الجزيرة بحار من رمال . وبذلك وضع خطة سار عليها من جاء بعده من الغربيين حتى العصر الحديث باستثناء (أغسطس قيصر) الذي لاقت حملته البرية الفشل والهزيمة لأنها بنيت على جهل فاضح بحال جزيرة العرب ، وبحقيقة صعوبة السيطرة عليها من البر .

وقد ورد في بعض الموارد أن العرب قدموا الأسلحة والملايس إلى الجيش المقدوني^١ ، وأن الإسكندر تمكن من قهر العرب^٢ . كما ذكر أن عربياً انقض على الإسكندر وفي يده اليمنى سيف مسدد نحو رقبته ، قاصداً قتله في أثناء معركة حامية ، غير أن الإسكندر تجنب الضربة بسرعة فائقة فنجأ . وكان هذا العربي في جيش (دارا) (داريوس) Darius^٣ .

وذكر (كونيتوس كورتيوس) أن (الإسكندر) بعد أن سار مع مجرى نهر Pallacopas وصل إلى مكان أعجبه ، فأمر بإنشاء مدينة فيه ، أسكنها العجزة والمسنين من رجاله ، وذلك في أرض العرب^٤ . وسوف يأتي الكلام على ذلك في أثناء الحديث عن (بلينيوس) وما عرفه من بلاد العرب .

وكان مما تحدث به المؤرخ المذكور عن حملة الإسكندر أن أحد قواده كان قد تنكر في زي الأعراب وأخذ معه اثنين من العرب ليكونا دليلين في سيره ، ووضعاً زوجتيهما وأطفالهما لدى الملك الإسكندر ليكونوا رهائن عنده ، لئلا يصيب القائد أي سوء ومكروه . فلما وصل إلى الموضع الذي قصدته ، وأبلغ رسالة الملك من أرسله إليه عاد ومعه الأعرابيان ، فأثابهما^٥ .

ليست فتوحات الإسكندر التي قذفت بالآغريق والرومان إلى مساحات واسعة من آسية ، حدثاً سياسياً حسب، إنما هي فصل من فصول كتاب التاريخ البشري، نقرأ فيه أخبار التقاء العالمين الشرقي والغربي وجهاً لوجه على مساحات واسعة من وجه هذه المسكونة . ونزعة الغرب في السيطرة على الشرق وتأثير الحضارات والثقافات بعضها ببعض . وحصول علماء اليونان والرومان على معارف مباشرة عن

Julius Valerius, II, 25, Arabien, S. 23.

Livius, XLV, 9, Plinius, XII, 62, Arabien; S.; 23.

Quintus Curtius, I, P., 219.

Quintus Curtius, II, P., 513.

Quintus Curtius, II, P. 137.

أحوال أم كانوا يسمعون أخبارها من أفواه التجار والسياح والملاحين فاذا وصلت اليهم كان عنصر الخيال فيها الذي يميل الى التخميم والتجسيم قد انتهى من عمله وأدى واجبه . فصححت فتوحات الاسكندر هذه للهلل الحبيب ولمصر ، بعض تلك الأوهام ، وجاءت بعلماء من اليونان الى هذه البلاد ، ولا سيما مصر فأفادوا واستفادوا ، وصارت (الاسكندرية) بصورة خاصة ، وبعض مدن بلاد الشام ، ملتقى الثقافات ، الثقافات الشرقية والثقافات الغربية ، ومركز الاتصال العقلي بين الغرب والشرق وبقية الاسكندرية محافظة على مكانتها هذه حتى ظهور الإسلام . وقد حملت فتوحات الإسكندر والحروب ، التي وقعت بين الروم والفرس الى الشرق الأدنى ، دماً جديداً هو دم الإغريق ومن دخل في خدمة الإسكندر واليونان والرومان من الجنود والمتطوعة والمرزقة من سواحل البحر المتوسط الشمالية وما صاقبها من أصقاع أوروبية . لقد بنى الإسكندر الأكبر مدينة Charax على ملتقى نهر (كارون) بدجلة^١ ، وأسكنها أتباعه وجنوده ومواطني المدينة الملكية ، كما بنى مدناً أخرى ، وقد كان من المحبين المولعين ببناء المدن ، وبنى خلفاؤه مدناً جديدة في الشرق ، وكذلك من أخذ تراثهم من اليونان والرومان^٢ . وحمل الفرس عدداً من أسرى الروم ، وأسكنوهم في ساحل الخليج وفي مواضع أخرى . وطبيعي أن ترك سكنى هؤلاء في الشرق أثراً ثقافياً في الأماكن التي أقاموا فيها وفي نفوس من جاورهم أدرك قيمته المؤرخون المعاصرون .

والمؤرخ (بلينيوس) ، هو أول من أشار إلى مدينة Charax ، هذه المدينة التي أنشأها الإسكندر ، في جملة المدن التي أنشأها في الشرق ، ويظن أنها (المحمرة)^٣ . بنيت هذه المدينة - كما يقول (بلينيوس) - في النهاية القصوى من الخليج العربي أي الخليج الذي يسمى اليوم باسم (خليج البصرة) أو (خليج فارس) كما يسميه (الكلاسيكيون) Sinus Persicus ، عند خط ابتداء العربية السعيدة Arabia Eudaemon أي جزيرة العرب ، ويقع نهر دجلة على يمينها . وقد دعيت (الاسكندرية) نسبة إلى الإسكندر . وقد خربت هذه المدينة مراراً من فيضان الأنهر وإغراقها لها ، ثم بناها (انطيوخس الرابع)

Charax Spasini. ١

Pliny, Book, VI, 138, Vol., II, P.; 443; (H. Rackham); ٢

The Persian Gulf, P., 30, 49. ٣

Antiochus Epiphanes IV (١٧٥ - ١٦٣ ق. م.) ودعيت باسمه، ثم تخربت أيضاً ، فرمها وأعاد بناءها الملك (سباسينس) Hyspaosines/Spasines ملك العرب المجاورين ، وأنشأ لها سداً لحمايتها، وسماها باسمه . وقصدها التجار اليونان والعرب^١ .

وقد ذكر ان والد الملك (سباسينس) Spassiones/Hyspaosines كان ملكاً يحكم العرب المجاورين لهذه المدينة . وقد عرف بـ Sagdodonacus . وهو اسم لم يتفق الباحثون على أصله^٢ . ولما وجد (سباسينس) ان الخراب قد حل بالمدينة المذكورة ، بنى لها سداً ، أنقذها من الغرق ، وأعاد بناءها فعرفت باسمه . ويظهر ان حكم هذا الملك كان في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد . ويرى بعضهم انه حكم بابل و (سلوقية) Seleukeia في حوالي سنة (١٢٧ ق. م.)^٣، وانه كان يحكم مقاطعة Charax في حوالي سنة (١٣٠ ق. م.)^٤ أو (١٢٩) . وقد عثر على نقود ضربت باسمه^٥ . ويظهر ان حكم هذه المملكة الصغيرة بقي إلى أيام الملك (أردشير) الساساني ، حيث قضى عليها في حوالي سنة ٢٢٤ أو ٢٢٧ م^٦ .

وقد عرفت Charax بـ Charakene ، وهي (ميسان) Mesene^٧ . و Charax ، هي (كرخا) ، وعرفت أيضاً بـ (كرخ ميسان)^٨ . وقد تحدث (سترابون) بشيء من الإيجاز عن الساحل العربي المشرف على الخليج ، مستمداً له من (ايراتوستينس) على الأكثر ، إذ استند إلى وصفه وأخباره . أما (ايراتوستينس) ، فقد جمع مادته من أقوال رجال عرفوا الخليج وعركوه ، وكانت لهم أيام فيه . منهم (نيرخس) Nearchus قائد الإسكندر

١ Gulf, P., 49.

٢ Die Araber, I, S., 279, 317.

٣ Araber, I, S., 321, A.R. Bellinger, Hyspaosines of Charax, in Yale Class. Stud., 8, (1942), 55.

٤ Araber, I, S., 327.

٥ Ency., III, P., 146.

٦ Nöldecke, Gesch. der Araber und Perser, Leden, 1879, S. 13.

٧ Ency., III, P., 146.

٨ Ency., III, P., 146.

الشهير وأمير أسطوله ، و (أندروستينس) Androstheneš من أهل (ثاسوس) Thasos ، كان في صحبة القائد (نيرخس) ، ثم كلف قيادة الأسطول الذي أمر بالسير بمحاذاة ساحل الجزيرة للكشف عنه ، وللحصول على معارف جديدة عن بلاد العرب . ومنهم (أرسطوبولس) Aristobulus وكان أيضاً من رجال البحر ، و (أورثاغوراس) Orthagoras الذي كان من هذا الصنف كذلك . وأخذ (سترابون) من مورد آخر يرفع سنده إلى (نيرخس) ، إلا أن (سترابون) لم يذكر رجال السند ، وإنما ذكر جملة « قال نيرخس »^٢ . فيجوز أن يكون هذا المورد من وضع القائد نفسه ، أو من وضع مرافقيه ، حكوا عنه ، أو من وضع أناس جاءوا بعدهم ، استندوا إلى روايات وأقوال مرجعها (نيرخس) . أخذ منه (سترابون) .

وقد اقتصر (سترابون) على ذكر (جرها) Gerrha و (تير) Tyre ، و (أرادوس) Aradus و (مأكه) Macae ، وهي مواضع تقع على ساحل العروض ، أي الساحل الشرقي لجزيرة العرب المطل على الخليج ، ولم يذكر أماكن أخرى غيرها تقع في هذه المنطقة^٣ ، وفي ذلك دلالة على قلة علمه بأحوال ذلك الخليج .

أما (جرها) ، فمدينة تقع ، على حد قوله ، على خليج عميق أسسها مهاجرون (كلدانيون) من أهل بابل^٤ ، في أرض سبخة ، بنوا بيوتهم بحجارة من حجارة الملح ، ترش جدرانها بالماء عند ارتفاع درجات الحرارة لمنع قشورها من السقوط . وتقع على مسافة (٢٠٠) (اسطاديون) Stadia من البحر . وهم يتاجرون بالطيب والمر والبخور ، تحملها قوافلهم التي تسلك الطرق البرية . ويذكر (أرسطوبولس) Aristobulus أنهم ينقلون تجارتهم بالبحر إلى بابل ،

١ Strabo, III, P., 186, Book, XVI, III; 3-6.

٢ Strabo, III, P., 188, Book, XVI, 5; 7.

٣ Strabo, III, P., 186.

٤ « الكلدانيون » ، المسعودي ، التنبيه (ص ١ ، ٢ ، ٧ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٥٦ : ومواضع أخرى .

٥ « اسطاديون » ، Stadion ، استخدم علماء تقويم البلدان كلمة

« اسطاديون » في مقابل : Stadion و « الاسطاديون : مساحة أربع

مئة ذراع » ، البلدان (١ / ١٨) .

ثم إلى مدينة Thapascus ، ومنها يعاد نقلها بالطرق البرية إلى مختلف الأنحاء^١ و (نباسكوس) Thapascus ، هي : الدير ، أو (الميادين) في رأي كثير من الباحثين^٢ .

وقد أشار إلى (جرها) كتاب آخرون ، عاشوا بعد (ايراتوستينس) صاحب خبر هذه المدينة المدونة في جغرافية (سترابون) . أشار إليها مثلاً (بوليبوس) Polybius (٢٠٤ - ١٢٢ ق.م.)^٣ ، و (أغاثانجيلس) المتوفى سنة (١٤٥) أو (١٢٠ ق.م.)^٤ ، و (أرتيميدورس) Artemidorus من أهل مدينة (أفسوس) Ephesus (حوالي ١٠٠ ق.م.)^٥ ، و (بلينيوس) . وخلاصة ما أورده عنها أن المدينة كانت مركزاً من المراكز التجارية الخطيرة ، وسوقاً من الأسواق المهمة في بلاد العرب ، وملتقى طرق تلتقي في القوافل الواردة من العربية الجنوبية والواردة من الحجاز والشام والعراق ، كما أنها كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية تستقبل تجارة إفريقية والهند والعربية الجنوبية ، وتعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق بطريق القوافل البرية حيث ترسل من طريق (حائل) - (تياء) إلى موانئ البحر المتوسط ومصر ، أو من الطريق البري إلى العراق ومنه إلى الشام^٦ . وقد ترسل في السفن إلى (سلوقية) Seleucia ، أو بابل ف Thapascus ومنها بالبر إلى موانئ البحر المتوسط . وما بقي حاجة إلى أن أقول إنها كانت تستقبل تجارات البحر المتوسط والعراق والأسواق التي تعاملت معها ، لتتوسط في إصدارها إلى العربية الجنوبية وإفريقية والهند ، وربما إلى ما وراء الهند من عالم ينتج ويستهلك . فهي سوق وساطة ، والوسيط يصدر ويستورد ويعمله هذا يكتنز الثروة والمال .

وذكر القدماء أن الجرهابيين تاجروا مع حضرموت ، فوصلت قوافلهم إليها في أربعين يوماً^٧ . وكانت تعود وهي محملة بحاصلات العربية الجنوبية، وحاصلات

١ Strabo, III, P. 186, Book, XVI, III; 3-4; Dillman; Haute Mesop.; 131.

٢ Gulf, P., 30, Deserta, P., 515, Strabo; III; P.; 187.

٣ Gulf, P., 46.

٤ Skizze, II, S., 10.

٥ Gulf, P., 46.

٦ Cornwall, Ancient Arabia, in Geographical Journal, CVII, 142, Febr., 1946;

P., 30, Dussaud, La Pénétration des Arabes en Syrie, 13, 25.

٧ Gulf, P., 45, Strabo, III, P., 191; Book; XVI; IV; 4.

إفريقية المرسلة بواسطتها وهي بضاعة نافقة ذات أثمان عالية في الأسواق التجارية لذلك العهد . وتاجروا مع النبط بإرسال قوافلهم التي قطعت الفيافي مارة بمواضع الماء والآبار الى (دومة الجندل) Dumatha ، ومنها الى (بطرا) عاصمة النبط . والنبط هم مثل بقية العرب تجار ماهرون نشيطون . فإذا وصل تجار (جرها) الى أرض النبط باعوا ما عندهم للنبط واشتروا منهم ما يحتاجون اليه من حاصل بلاد الشام والبحر المتوسط . أما التجار الذين يريدون أسواقاً أخرى غير أسواق النبط ، فكانوا يتجهون نحو الشمال ، فيدخلون فلسطين قاصدين (غزة) ، أو يتجهون وجهة أخرى هي وجهة بصرى وبقية بلاد الشام . وقد اكتسبت (جرها) شهرة بعيدة في عالم التجارة في ذلك الزمان ، بسبب مركزها التجاري الممتاز ، وذاع خبر ثراء أهلها وغناهم ، حتى زعم أنهم كانوا يكترون الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأنهم اتخذوا من الذهب آنية وكؤوساً وأثاثاً، وجعلوا سقف بيوتهم وأبواب غرفهم به وبالأحجار النفيسة الغالية ، وغير ذلك مما يسيل له لعاب الجائعين إلى المال^١ . وهذا الصيد البعيد ، هو الذي أثار الطمع في نفس الملك (انطيوخس الثالث) Antiochus III^٢ ، فجعله يقود أسطوله في عام (٢٠٥ ق.م.) ، للاستيلاء على المدينة الغنية الكانزة للذهب والفضة واللؤلؤ وكل حجر كريم ، وإذلال القبائل المجاورة لها ، وإلحاقها بحكومته . فلما أن تدعن وتستسلم بغير قتال ، وتقدم ما عندها هدية طيبة اليه ، ولما القتل والنهب ودك المدينة دكاً .

وتقول الرواية التي نتحدث عن طمع هذا الملك وجشعه للمال إن المدينة المسالمة التاجرة ، أرسلت رسولاً الى الملك يحمل رجاءها اليه ألا يحرمها نعمتين عظيمتين أنعمتها الآلهة عليهم : نعمة السلام ، ونعمة الحرية . وهما من أعظم نعم الآلهة على الانسان . فرضي من حملته هذه بالرجوع بحزبة كبيرة من فضة وأحجار كريمة ، فأبحر الى جزيرة (تيلوس) ، ومنها الى (سلوقية) (٢٠٥-٢٠٤ ق.م.)^٣ . وهكذا اشترت المدينة سلمها وحريتها من هذا الطامع بالمال ، وصدق أهل المدينة . إن كانت الرواية صادقة ، فالسلم والحرية من أعظم نعم الله على الانسان^٤ .

١ Polybios, II, 39, II.1.

٢ Gulf, P., 46. « أنطيوخس » ، الطبري (١ / ٧٩٠) « طبعة ليدن » .

٣ Gulf, P., 46, Polybios, Book, 13, 9; Die Araber; II; 8.; 74.

٤ Polybios, 13, 9, 4-5.

وفي رواية ان الملك المذكور لما عاد من حملته على الهند اتجه نحو الغرب ، أي السواحل الشرقية لجزيرة العرب ؛ ساحل العروض . فنزل في أرض دعنها (خطينة) Chattenia . وهي أرض من (جرها) . وعندئذ أرسل الجرهابيون رسلاً اليه يفوضونه على الصلح على نحو ما ذكرت ، فوافق على أن يدفعوا اليه في كل سنة جزية من فضة ولبان وزيت مصنوع من البخور^١ .
ويظهر من هذه الرواية ان مجيء الملك إلى أرض الجرهابيين، كان من الهند ، وكان قد رجع بعد أن قاد جيشه اليها، وانه نزل في ساحل عرف باسم Chattenia وهو الخط .

يتبين من وصف (سترابون) للحجارة التي بنيت بها المدينة على زعمه ومن ادعاء (بلينيوس) ، ان أبراج المدينة وسورها قد بنيت بقطع مربعة من صخور الملح^٢ . يتبين من ذلك انها بنيت في أرض سبخة ، وان هذا السبخ هو الذي أوحى إلى مخيلة (الكلاسيكيين) ابتداء قصة حجر الملح الذي بنيت به دور المدينة وسورها . وفي التأريخ قصص من هذا القبيل عن قصور ومدن شيدت بحجارة من معدن الملح .

يظن ان Gerra أو Garraei أو Gerrei على حسب اختلاف القراءات ، وهو موضع ذكره (بطلميوس) ، هو هذه المدينة (جرها)^٣ . وذكر (بلينيوس) انها تقع على خليج يسمى باسمها Sinus Gerraicus^٤ ، ويبلغ محيطها خمسة أميال^٥ (خمسة آلاف خطوة)^٦ . وعلى مسافة خمسين ميلاً من الساحل ، (أي خمسين الف خطوة) ، تقع منطقة تدعى (أتنه) Attene ، وفي مقابل مدينة (جرها) من جهة البحر وعلى مسافة خمسين ميلاً تقع جزيرة (تيلوس) Tylos المشهورة بالؤلؤ . والمدينة التي ذكرها (بلينيوس) هي المدينة التي قصدها (سترابون) .

١ Pliny, 6, 148, J. Pirenne, Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa Datation, (1961), 169; Araber, I, S., III.

٢ Pliny, II, 448.f.

٣ Forster, II, P., 209, 217.

٤ Pliny, II, P., 449, Book, VI, 147.

٥ بالأميال في الترجمة الانكليزية لكتاب « بلينيوس » ، راجع : Pliny, II, P., 449, Book., VI, 147; Gulf; P.; 51.

٦ بالخطوات في الترجمة الالمانية ، راجع Skizze, II, S., 74.

وبعد ، فد (جرها) إذن ، مدينة تقع في العربية الشرقية على ساحل الخليج على مسافة منه ، أو عليه مباشرة . وقد رأى (شبرنكر) أنها (العقير)^١ ، وتدعى (المعجير) في لهجة الناس هناك^٢ . ويرى هذا الرأي (فلي)^٣ وطائفة من الباحثين . ومنهم من رأى أنها (القطيف)^٤ ، أو الخرائب المعروفة باسم (أبو زهمول) مع (العقير) ، وتكون هذه الخرائب الطرف النائي من (جرها) الذي يكون الميناء^٥ ، ودعاها بعضهم (الجرعاء)^٦ . وظن آخرون أنها (سلوى) الواقعة على ساحل البحر^٧ .

ومن رجّح (الجرعاء) رأى أنها في لفظها قريبة جداً من (جرها) (جرها) ، وموضعها قريب منها . ولسبب آخر ، هو ورود اسم Thaimon/Thaemae مع Gerraiei عند (بطليموس) ، و Thaemae هو (تميم) في نظر الباحثين . وقد اقترن اسم (الجرعاء) بتميم . فقد ذكر (الممداني) (الجرعاء) ، فقال : « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب »^٨ . وقد كانت (جرها) سوقاً تتبايع فيه الناس . ويرى (كلاسر) ان Gerra/Gerrha ليست (العقير) أو الجرعاء ، وإنما هي موضع يقع في الطرف الجنوبي الغربي من خليج (القطن)^٩ .

ويظهر أن (جرها) كانت قد بلغت أوجها في هذا العهد ، وقد بقيت على ذلك مدة . غير أننا لا ندري إلى متى بقيت على هذه الحال . والظاهر أن مدناً أخرى أخذت تنافسها ، مثل مدينة Charax ، فأثرت هذه المنافسة فيها ، وذلك بتحويل الطرق البحرية عنها ، وتحسن وضع صناعة السفن مما أدى إلى

١ « العقير : تصنيف العقر ٥٠٠ قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر » ، البلدان (١٩٨ / ٦) ، Sprenger, Geographie, S., 135.

٢ Chessman, In Unknown Arabia, P. 28.

٣ The Empty Quarter, P., 3, Araber, I, S., 112.

٤ Forster, II, P., 216.

٥ Cheesman, P., 28.

٦ Skizze, II, S., 75.

٧ Geographical Journal, CVII, 142, Febr., 1946, P., 32.

٨ الصفة (ص ١٧٣) .

٩ Gloser, Skiyye, II, S., 76.

تمكنها من قطع مسافات واسعة من غير حاجة الى التوقف في موانئ كثيرة فلم تعد تقف في موانئ الجرهائين أو أن الجرهائين لم يتمكنوا بذلك من مزاحمة السفن الأخرى فأخذ نجمها في الأفول بالتدريج . ولعل لتحول طرق القوافل البرية دخلاً في ذلك أيضاً . فقد كانت الطرق البرية تتحول دوماً ، لعوامل سياسية واقتصادية وعسكرية ، وبتحسن وسائل المواصلات ، فيؤدي هذا التحول إلى اندثار مدن وظهور مدن ، ولا نزال نرى أثر هذا التحول في حياة قرى جزيرة العرب .

وأما جزيرة Tyre/Tyros ، التي أشار (سترابو) إليها ، فإنها جزيرة (تيلوس) Tylus/Tylos ، التي ذكرها (بلينيوس)^١ . ويلاحظ وجود شبه بين (تيلوس) Tylus و (تلمون) أو (دلون) الواردة في النصوص الآشورية ، يحملنا على التفكير بوجود صلة بين الاسمين^٢ . وقد أشرت إلى ذهاب الباحثين إلى أن (تيروس) Tyrus هي جزيرة من جزر البحرين . أما (كلاسر) فيرى أنها ليست من جزر البحرين ، ولكنها جزيرة أخرى تدعى (دلة) أو (بليجرد) ، وقد رجح هذه الجزيرة على الأولى ، لأن موقعها أقرب في نظره إلى المسافات التي أشار إليها (سترابون) من (دلة) ، ومن جزر البحرين . وقد ذهب (فورستر) إلى أن (تيروس) Tyrus ، هي (أوال) . وأما Aradus ، فإنها (أرد) (أراد) ، أي جزيرة (المحرق) من جزر البحرين . وقد تكون لتسمية (خليج عراد) بهذا الاسم علاقة بلفظة (أرد) (عرد) القديمة^٣ .

ولم يعثر المنقبون حتى الآن على كتابات يونانية تشير إلى مدة حكم قواد الإسكندر للبحرين ولكنهم عثروا على فخار يوناني يعود عهده إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وعلى فخار محلي مصنوع في البحرين عليه أسماء يونانية ، وفي ذلك دلالة على سكن اليونان في البحرين لأغراض سياسية أو حربية أو تجارية . قد يكون ذلك منذ عهد الإسكندر فيما بعد إلى انتهاء ملك خلفائه (السلوقيين) ،

١ Pliny, II, P., 449.

٢ Gulf, P., 5,26; 27; Ency., I, P., 584; P.B. Cornwall; on the Location of Dilmun; ٢ Boas, No. 103, 1946.

٣ Forster, II, P., 219, 221, Gulf, P.; 31.

وقد يكون من عهد السلوقيين فما بعد حتى أيام (البارثيين) Parthians .

وأما موضع Macae المقابل لـ (هرموزي) (هرمز) Harmozi . فيعرف أيضاً باسم Maketa/Maceta^١ ، وهو مضيق Make لدى (بطلميوس)^٢ ، وهو (رأس الخيمة) الرأس البارز في مضيق (هرمز) Harmozi ، وربما الرأس وكل شبه الجزيرة المتصل بها . ويعرف هذا الرأس عند الغربيين باسم (رأس مستدم) Ras Musandam . وهو موضع يظهر أنه أحسد المواضع الواردة في كتابة (دارا) التي تشير إلى الأماكن التي كانت خاضعة لحكمه^٣ . ونجد شيئاً في النطق بين Maka/Make/Macae و (مجان) (مكان) يحملنا على تصور أن الاسمين هما لشيء واحد ، وأن الاختلاف الذي نجده بين التسميتين هو من التحريف الذي يقع في النقل من لغة إلى لغة أخرى . وإذا صح هذا التصور كانت أرض (مكان) (مجان) ، في هذه البقعة من جزيرة العرب .

لقد قام تجار الخليج بالتوسط في نقل البضائع من الهند وإفريقية إلى العراق ، يوصلونها إلى موانئ العراق أو إلى موانئ الخليج ، ثم تنقل إما بالطرق المائية إلى إيران والعراق وإما بالطرق البرية . فقد تنقل التجارة إلى مدينة (كاركس) (خاراكس) Charax ، وهي (المحمرة) في الزمان الحاضر ، ثم توزع منها إلى مختلف الأنحاء ، وإما إلى ميناء (أبولوكس) Apologus ، ومنه بالنهر إلى الأمكنة المقصودة مثل (سلوقية) على دجلة مقابل (طيسفون) ، أي (المدائن) ، الموضع المعروف اليوم بـ (سلمان بك) ، وكانت عاصمة (السلوقيين) آنذاك ؛ أو إلى مواضع على نهر الفرات ، حيث تنقل منها برّاً إلى بلاد الشام .

و (أبولوكس) Apologus هي (ابولم) Ubulum في الكتابات الأكادية . وقد ورد في نص أيام الملك (تغلت فلاسر) الثالث اسم قبيلة U-bu-lu ، كما ورد هذا الاسم على هذه الصورة : U-bu-lum في جملة أسماء القبائل التي انتصر عليها (سرجون الثاني) . ويرى (كلاسر) صلة بين Apologus و (أبلة) ،

١ Strabo, III, P., 186, Gulf, P., 40.

٢ Skizze, II, S., 249.

٣ Skizze, II, S., 249.

واسم هذه القبيلة التي تقع مواطنها على رآيه في جنوب العراق^١ .
وقد ذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري)^٢ أن مدينة
(أبولوكس) ، هي في (بارثيا) ، أي في بلاد (الفرث) ، وأنها تصدر
اللؤلؤ والتعمر والذهب ومواد أخرى إلى العربية السعيدة ، وكانت تستورد بضاعة
ثمينة منها كذلك ، منها بضاعة من العربية الجنوبية، ومنها بضاعة إفريقية الأصل،
كما كانت تتاجر مع الهند ، فهي (ميناء البصرة) بالنسبة إلى العراق في هذا
اليوم .

وفي الحرب الرابعة التي قام بها (أنطيوخس الثالث) Antiochus III
(٢١٩ - ٢١٧ ق. م.) اشترك في جيوشه زهاء (٢١٨) قبيلة عربية^٣ . وفي
الأردن هاجم العرب مدينة (ربة عمان) (فيلادلفيا) ، ونهبوها^٤ . وفي
ابتداء سنة (٢١٧ ق. م.) كان في جيش هذا الملك زهاء عشرة آلاف عربي
بإمرة (زبدبديلوس) (زبدابيل) Zabdidos . وهو اسم يظهر أن صاحبه كان
عربياً ، إذ هو (زبدابيل) على ما يظهر ، حرف فصار على هذا النحو. وقد
اشترك العرب مع هذا الملك في حصاره لمدينة (غزة)^٥ كما اشتركوا معه في
حربه الخامسة التي أججها في بلاد الشام ، حيث أشير اليهم أيضاً في معركة
Magnesia^٦ .

وقد ذهبت Pirenne إلى أن الكتابة المعينة التي أمر بكتابتها كبير (مصران)
(كبير مصرن) و (معين مصران) وسمها العلماء بـ Res 3022 ، هي كتابة
تشير إلى هذه الحروب التي نشبت بين (أنطيوخس الثالث) وخصومه البطالمة ،
وأدت إلى احتلال (غزة) سنة (٢١٧ ق. م.) . وترى من دراسة الكتابة
المذكورة أنها تعود إلى ما بين سنة (٢٢٠ ق. م.) و (٢٠٥ ق. م.) ، وأن
لفظة (مذى) التي تعني (الماذين) (الميديين) ، هي كتابة عن السلوقيين
الذين احتلوا بلاد (الميديين) وورثوا ملكهم منذ عهد الإسكندر^٧ .

١ Skizze, II, S., 188, Gulf, P., 53.

٢ Periplus Maris Erythraei, The Periplus of the Erythraean Sea.

٣ Polyb., 5,70, Araber, I, S.; 74, 289.

٤ Polyb., 5, 71.

٥ Araber, I, S., 74.

٦ Araber, I, S., 77, 171.

٧ Pirenne, Paléographie des Inscriptions Sud-Arabs (1956), 211. Araber I, S., 74.

وورد في الأخبار ان فرقة من العرب من ركبان الإبل ، كانت في جيش (أنطيوخس) وذلك في حوالي السنة (١٩٠ ق. م.)^١ . ويظهر انها كانت تقوم بحماية حدود الدولة السلوقية وحفظها من غزو الأعراب لها ، وبالحرب في الصحراء ومساعدة الجيش السلوقي في البادية عند اضطرابه إلى اجتيازها .

هذا ويلاحظ ان معظم القبائل كانت قد أبدت (أنطيوخس) ضد (بطليموس) والبطالة الذين ورثوا القسم الغربي من تركة (الإسكندر)^٢ . ولعل سبب ذلك هو ان ملك (أنطيوخس) لم يكن قد مس أرض العرب والأعراب ، ولذلك لم يكن له إشراف مباشر عليهم يستوجب اثارهم . أما البطالة ، فقد كانوا يمتلكون أرضين ، أصحابها عرب ، وتعيش في أرضهم قبائل عربية من قديم الزمان ، ولذلك لم تستطع هضم (البطالة) فأرادت التخلص منهم بالانضمام إلى منافسيهم في الجزء الشرقي من امبراطورية (الإسكندر) .

ويحدثنا الكتاب (الكلاسيكيون) ان (بطليموس ساطر)^٣ (٣٢٢ - ٢٨٣ ق. م.) أرسل جيشاً إلى (سلوقس نيقاطور) (٣١٢ - ٢٨٠ ق. م.) فخرج من مصر واجتاز (سيناء) إلى غزة ، ومنها إلى (بطرا) ، فركب الجمال ، وتمون بالماء ، واجتاز البادية ، فكان يقطعها بسرعة كبيرة ليلاً ، لشدة الحرارة في النهار ، إلى أن بلغ العراق^٤ . أما البادية التي اجتازها هذا الجيش ، فهي بادية السماوة . وأما الطريق التي سلكها فهي الطريق المألوفة التي تسلكها القوافل ، وهي من أهم الطرق الموصلة إلى العراق وأقصرها ، وقد أرسل (سلوقس نيقاطور) Seleucus Nicator (ميكستينس) Magastenes إلى الهند^٥ .

وكان (بطالة) مصر أنشط من السلوقيين في مجال الاشتغال بالتجارة البحرية الجنوبية ، والاستفادة من البحر ، إذ وجهوا أنظارهم نحو البحار الجنوبية ، فأرسلوا بعثات استكشافية عدة لدراسة أحوال البحار والسواحل والشعوب ، لتطبيق ما تتوصل إليه من معارف في مقاصدها العملية التي أرادت تنفيذها في تلك البحار . ولعل

١ Livius, XXXVII, 40, 12, Grohmann, Arabian, S.; 23.

٢ Polybius, V, 71, Arabian, S., 23.

٣ « بطليموس ساطر » ، الطبري (١ / ٧٠٣) « ليدن »^٥

٤ Hegaz, P., 216.

٥ Montgomery P., 72.

لوضع مصر الجغرافي الممتاز الذي يكون قنطرة بين البحرين وسوقاً تلتنقي به التجارات الآتية من الشمال ومن الجنوب ، من أوروبة وحوض البحر المتوسط ومن السودان والحبشة وبقية أنحاء إفريقيا ثم من جزيرة العرب والهند دخلاً في هذا الاهتمام بالبحر الأحمر وبالمحيط الهندي الذي أظهرته حكومة البطالة ، فقد سبقهم إليه قدماء المصريين ثم الفرس ثم الإسكندر ، فاهتمامهم هذا هو في الواقع استمرار لتنفيذ تلك المقاصد القديمة المذكورة .

وأمر (بطلميوس الثاني فيلادلفوس) (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م.) (٢٨٤ - ٢٤٧ ق.م.) ، بإعادة حفر القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر ، (المشروع) الذي بدأ به المصريون لربط البحرين وبتوسيع التجارة مع سواحل إفريقيا وسواحل جزيرة العرب والهند ، وبتكثير الأصناف التي كانت تستورد من المناطق الحارة ، وبذلك اتخذت تجارة مصر والبلاد العربية وإفريقية شكلاً لم تعهده من قبل .

وذكر (ديودورس) أن آخر محاولة جرت لوصول البحر الأحمر بالنيل كانت في أيام (بطلميوس الثاني فيلادلفوس) حيث عزم على شق قناة منه إلى خليج السويس عند مدينة (أرسينو) Arsino . وقد أطلق على القناة التي أمر بشقها اسم (قناة بطلميوس)^٢ . وقد شقت في حوالي سنة (٢٦٩ ق.م.) ، كما حصنت المدينة بسور حصين لحمايتها من الغارات. وقد قصد بذلك غارات الأعراب الذين كانوا في الأرضين منذ أمد طويل^٣ . ولعل هذا الملك هو الذي أرسل (أرستون) (أرستون) Ariston للكشف عن سواحل البحر الأحمر من السويس إلى المحيط الهندي^٤ ، ولعله أيضاً الملك الذي ساعد أهل (مليتيوس) ، وهم يونان، أسسوا مستعمرة Ampelone/Ampelonaea في مكان ما من الساحل العربي للبحر الأحمر وأمدتهم برعايته . وهي مستعمرة أشار إليها الكتبة (الكلاسيكيون) . والظاهر أنها واحدة من مستعمرات مشابهة ، أسسها الروم على سواحل البحر الأحمر ، لحماية سفنهم وتجارتهم وامتدادها بما تحتاج إليه من معاونة ومساعدة ولشراء ما يرد إليهم من بر جزيرة العرب .

O'Leary. P. 71. S.A. Huzayyin, Arabia and the Far East, P. 86. ١

Booth, P., 16. ٢

Araber, I, S., 72. ٣

Araber, I, S. 67, Tran, in : Journal of Egypt. Archeol., 15; (1929); 14. ٤

وقد عاد (أرسطون) من أسفاره البحرية ، فقدم تقريراً إلى ملكه ذكر فيه قوم (ثمود) في جملة من ذكرهم من الشعوب ولعله أول إغريقي ذكرهم . وفي أيام (بطلميوس فيلادلفوس) كذلك ، أسست موانئ جديدة على سواحل البحر الأحمر ، لرسو السفن فيها ، وللمحافظة على الطرق البحرية من لصوص البحر ، بلغت مداها جزيرة (سقطرى) Dioscorida^١ ، حيث أنشئت فيها جملة مستعمرات يونانية . وقد بقي اليونانيون فيها عصوراً غير أن نزولهم فيها لا يدل على احتلالهم لها^٢ . وفي أيام صاحب كتاب « الطواف حول البحر الأثيري »^٣ كانت الجزيرة على حد قول المؤلف في حكم (البعزوز) Eleazus ملك (سباتا) Sabbatha ، أي (شبة) . ويدل هذا على أنها كانت تابعة للعربية الجنوبية . ويظهر أن (بطلميوس فيلادلفوس) قصد أيضاً الالتفاف حول السواحل العربية وضرب الفرس وإلحاق الأذى بهم ، بأسطول كوته لهذه الغاية^٤ . وقد كانت جزيرة (سقطرى) (سقطرة) ذات أهمية في ذلك العهد ، وإن فقدت أهميتها في الزمن الحاضر فلا يعرفها ولا يذهب إليها اليوم إلا القليل . وذلك لأنها كانت تنتج حاصلات لها أهمية كبيرة في أسواق العالم إذ ذاك مثل البخور والصبر والصمغ وغير ذلك ، وهي سلع لها قيمة ، تشبه قيمة البترول في القرن العشرين ثم لأنها محطة مهمة لاستراحة رجال السفن ومفتاح يؤدي إلى مغالق المحيط الهندي من جميع النواحي ، ولما كانت السفن في ذلك العهد صغيرة ، سبورها الرياح ، وليس في مقدورها أن تحمل مقادير كبيرة من الماء العذب والأكل ، كان لا بد لها من الوقوف في منازل عديدة ، ومنها هذه الجزيرة ، التي يعني اسمها (جزيرة السعادة) ، إذ يذكر الباحثون أن تسميتها جاءتها من السنسكريتية (دفيبا سوختارا) Dvipa Sukhatara وهي تسمية إن صح أنها من هذا الأصل ، فإنها تدل على صلة أهل الهند بها منذ عهد قديم^٥ .

^١ Dioscordia, Dioscorides, Dioscurias, Dioscora, Willam Vincent, The Periplus of the Erythrean Sea, Part the Second, London, 1805, P., 307.

^٢ O'Leary, P. 72, Vincent, II, P. 309.

^٣ Periplus of the Erythrean Sea.

^٤ Vincent, II, P. 309, O'Leary, P. 72.

^٥ Stuhlmann, Der Kampf, S., 10.

^٥ مروج الذهب (١ / ٣٣٥) .

^٦ H. F. Tozer, A History of Ancient Geography, Cambridge, 1935, P. 138.

وأهلها خليط من عرب وروم وإفريقيين وهنود ، يتكلمون بلهجات متداخلة ، وهذا الاختلاط نفسه أمانة على الأهمية التي كانت للجزيرة في ذلك الزمن. وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن أكثر أهلها نصارى عرب ، وأن اليونانيين الذين فيها يحافظون على أنسابهم محافظة شديدة وقد وصلوا إليها في أيام الإسكندر ، ويزعم بعض الأخباريين أن (كسرى) هو الذي نقل اليونانيين إليها ، ثم نزل معهم جمع من (مهرة) فسكانوهم وتنصر معهم بعضهم^١ . وفي الروايات العربية عن الروم الذين بجزيرة (سقطرى) شيء من الصحة .

والذين يزورون هذه الجزيرة في هذه الأيام ، يرون آثار ذلك الاختلاط وتشابهك الشعوب والثقافات فما زالت الآثار النصرانية باقية فيها ، تتحدث عن انتشار النصرانية فيها ، وعن وجود جالية رومية ، أنساها الزمن أصلها فدخلت في أهل (سقطرى) ، وأخذت لساناً جديداً مزيجاً من ألسنة آرية وسامية وحامية. ولا يزال كثير من أهلها يسكنون الكهوف والمغاور ويعيشون عيشة بدائية، لانعزال الجزيرة عن بقية العالم .

لقد صرف البطالسة مجهوداً كبيراً في سبيل السيطرة على البحر الأحمر والتوسع في المحيط الهندي ، وقد تابع البطالسة الذين خلفوا (بطليموس الثاني فيلادلفوس) خطته في التوسع في السواحل الأفريقية وفي المحيط الهندي ، وأخذوا يرسلون الرجال المغامرين إلى تلك الأماكن للكشف عنها بغية الوقوف على أحوالها والاستفادة مما يحصلون عليه في سياسة التوسع التجاري والسياسي التي وضعوها للبلاد التي تقع في المناطق الحارة . وقد جمعت التقارير وكانت مهمة ولا شك ، ووضعت في خزائن الاسكندرية ، وقد وقف على بعضها الكنية (الكلاسيكيون) .

وقد أخرجت أيام البطالمة جماعة من المغامرين الإغريق جسابوا البحر الأحمر وسواحله ، ودخلوا بسفنهم المحيط الهندي حتى بلغوا الهند^٢ . غير أن تجارة الهند ، والبحار ، بقيت في الجملة في أيدي العرب . ولم يحاول البطالمة تغيير الوضع وتبديل الحال . وقد انحصرت كل محاولتهم في توجيه التجارة من الموانئ

١ البلدان (٥ / ٩٣) ، ويذكر المسعودي أن « أرسطوطاليس » ، هو الذي كتب إلى الاسكندر حين سار إلى الشرق يوصيه بهذه الجزيرة ، وكان يحكمها ملوك الهند ، فنزل اليونانيون بها ، وأقاموا بها ، وتنصروا بعد ذلك ، وذكر أن بوارج الهند تأتي إليها في أيامه ، مروج الذهب (١ / ٣٣٥ وما بعدها) .

٢ Strabo, 15, 1, 4, O'Leary, P. 73.

العربية إلى سواحل مصر . لقد كان بحارة العربية الجنوبية أصحاب كفاية ودراية ، وما زالوا ملاحين أكفاء حتى الآن^١ . فلم يكن من السهل على البطالة اخراجهم من البحر وابعادهم عنه . ولقد حاول البرتغاليون من بعدهم بعدة قرون اقضاء العرب عن تجارة الهند وإفريقية ، ومنع سفنهم من الظهور في المحيط الهندي ، فباءت محاولاتهم بالاختفاق ، وبقوا في البحر بالرغم من أنف البرتغاليين .

وقد وجه (بطليموس أورغاطس الثاني) Ptolemy Euergetes^٢ (١٤٦ - ١١٧ ق.م.) ، انتباهه نحو البحر الأحمر والمحيط الهندي والهند ، فكان أسطولا قويا من البحر الأحمر ، قام برحلات منتظمة إلى قبة أنظار التجار : الهند . وبظهر من بعض الكتابات أنه خصص موظفين بإدارة أعمال السفن والسهر على سيرها وإدامتها وتنميتها . أناط بهم حماية السفن التجارية وحراستها حتى لا يتحرش بها لصووس البحار ، الذين كانوا يهاجمون السفن المحطمة ويأخذون ما فيها ويعرضون للسفن المحملة بالأنقال فيأخذون ما فيها وينقلونه إلى الساحل . وقد ألف لتحقيق هذه المهمة حرساً بحرياً أخذ دور شرطة بحرية ، واجبها تقديم المساعدات لمن يطلبها وتعقب اللصوص^٣ .

وقد برز اسم قائد محنك من أهل Cyzicus/Kyzikus استطاع أن يبلغ الهند وأن يتاجر معها ، وأن ينشئ خطاً ملاحياً منتظماً بين مصر والهند . وقد استطاع هذا القائد المسمى بـ (يودوكسوس) Eudoxus أن يتعلم أشياء كثيرة من أسرار الملاحة البحرية وأخطارها ومجازفاتها ومن معارفها والأماكن التي يجب النزول بها ، ولعل ادراك (هيبالس) (هيبالوس) Hippalus لأهمية الرياح الموسمية واستعماله لها ، هو ثمرة من ثمرات الرحلات التي قام بها (يودوكسوس) للهند . وإذا لم يكن (هيبالوس) من رجال ذلك القائد ، فإنه لم يكن بعيد عهد عنه على كل حال^٤ .

وكان الساحل الشمالي الغربي لجزيرة العرب ، أي القسم الجنوبي من المملكة الأردنية الهاشمية في الزمان الحاضر وأعالي الحجاز للنبط . لهم حكومة تحكمهم ،

١ O'Leary, P. 73.

٢ « بطليموس أورغاطس » ، الطبري (٧٠٣ /) ، « ليدن » .

٣ Araber, 1, S., 69.

٤ Araber, 1, S., 131.

إلا أنها كانت تخضع لنفوذ البطالة وقد تأثرت مصالحهم كثيراً ، ولا شك بتدخل البطالة في أمور البحر وبوضعهم اليونان في أماكن متعددة من الساحل لحاية سفنهم ، ولاتجارهم مباشرة مع موانئ جزيرة العرب ، حيث أثر ذلك على القوافل التجارية البرية التي كانت تحمل تجارات إفريقية والهند والعربية الجنوبية فتأتي بها على ظهور الجبال إلى بلاد الشام محترقة أرض النبط وبذلك تدفع لهم حق المرور .

ولم يتأثر النبط وحدهم بسيطرة البطالة على البحر الأحمر ، بل تأثر بهذه السيطرة عرب الحجاز والعربية الجنوبية كذلك . إذ أخذت سفن البطالة تصل بنفسها وبحراسة السفن الحربية إلى الموانئ المشهورة ، فتشتري ما تحتاج إليه وتبيع ما تحمله من سلع ، وحرمت بذلك التجار العرب من موارد رزقهم التي كانوا يحصلون عليها من الاتجار بالبحر . وقد اضطرت التجار العرب على ترك البحر للمنافسين الأقوياء وعلى الاقتصار على لإرسال تجارتهم بطرق البر نحو بلاد الشام .

ويظهر ان عرب البحر الأحمر ، لم يكونوا يميلون إلى ركوب البحار وبناء السفن قبل أيام البطالة وبعد أيامهم كذلك . ولهذا فلم تكن لديهم سفن مهمة مذكورة في هذا البحر . ولم تكن لهم سيطرة عليه . بل يظهر انهم كانوا يتخوفون من ركوب البحر ، وفي المثل المنسوب إلى (أحيقار) : « لا تُرَ العربي البحر ، ولا ساكن صيدا البادية »^١ ، تعبير عن وجهة نظر عرب العربية الغربية وأعراب البادية بالنسبة إلى البحر ، والتجارة البحرية .

وقد كان ميناء (ايلة) Ailana/Eloth في أيدي البطالة في هذا العهد^٢ . وهو ميناء مهم ترسل منه تجارة فلسطين إلى موانئ البحر الأحمر وإفريقية . كما كان يستقبل السفن القادمة من إفريقية ومن المحيط الهندي . فهو اذن من الأسواق التجارية المعروفة في ذلك العهد .

لقد كان ميناء (لويكة كومة) Lueke Kome^٣ ، أي (المدينة البيضاء) من أهم الموانئ التجارية على سواحل الحجاز على عهد البطالسة ، منه تنج

١ Araber, 1, 70.

٢ Araber, 1, S., 69.

٣ Leuce Kome, Forster, 1, P., 220.

السفن إلى الساحل المصري لتفرع شحنتها هناك ، فتنقل إما بواسطة القوافل ، وإما بالسفن من القناة المحصورة بين البحر الأحمر وهر النيل لتتبع طريقها إلى موانئ البحر المتوسط^١ ، وقد كان من موانئ النبط ، ذكره (سترابون) في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على جزيرة العرب ، ففيه نزلت جيوش الرومان القادمة من مصر للاتصال لحلفائهم النبط^٢ ، ولا يعرف موضعه الآن معرفة تحقيق ، وإنما يرى بعضهم انه (الحوراء)^٣ ، مرفأ سفن مصر إلى المدينة^٤ ، ويظهر ان (الحوراء) كان من المواضع الجاهلية القديمة وقد وجدت فيه آثار قصور .

ورأى (ونست) Vincent ان (لويكة كومة) هو (المويلح) في الزمان الحاضر^٥ ، وهي قرية بها بساتين ومزارع ونخيل ، ومياهها من الآبار، لها طريق قوافل إلى المدينة وإلى تبوك^٦ . ورأى آخرون انها (عينونة) أو (الخريبة) وهي تابعة لإمارة (ضبا) على ساحل البحر الأحمر ، وهي من إمارات الحجاز^٧.

ويظهر ان تجارة هذا الميناء كانت عامرة جداً ، فكانت القوافل التي تنقل البضائع بين (بطرا) Petra وبين Leuce Kome/Leuke Kome ضخمة جداً حتى كأنها قطع كبيرة من الجيوش^٨ ، تقوم بنقل الأموال من الميناء إلى (بطرا) ومنها إلى الأسواق ، أو بنقل التجارة الواصلة إلى (بطرا) من العراق أو الخليج أو اليمن ، ومنها إلى ذلك الميناء لتصديره إلى مصر وحوض البحر المتوسط ويتبين من إهمال الكتب اليونانية أو اللاتينية ذكر هذا الميناء بعد الميلاد ان شأنه أخذ في الأفول منذ ذلك العهد . ولعل ذلك بسبب تحول خطوط سير السفن في البحر الأحمر بعد استيلاء الرومان على مصر ، وانشائهم أسطولاً تجارياً كبيراً في

١ Vincent, II, PP., 230.

٢ Skizze, 11, S., 46.

٣ Forster, 1, P., 220.

٤ البلدان (٣ / ٣٥٩) .

٥ Forster, II, P. 285.

٦ حافظ وهبة ، جزيرة العرب (ص ١٩) .

٧ فؤاد حمزة . قلب حريره العرب (ص ٧٢) Hegaz, PP 125

٨ Huzayyin P 112, Strabo, 16, 4, 33.

هذا البحر قام بالاتجار مباشرة مع إفريقية والهند ومصر ، فلم تبق له حاجة إلى التزول في هذا الميناء .

و Leuce Kome/Leuke Kome ، اسم أعجمي بالطبع ، ورد في الكتب (الكلاسيكية) ، لا ندري أهو ترجمة لمسمى عربي ، أم هو اسم حقيقي لذلك الميناء أطلقه عليه مؤسسوه في زمن البطالمة ، أو قبل ذلك ، وكانوا من اليونان ، ولوجود خرائب عديدة على ساحل الحجاز (ترجع إلى ما قبل الإسلام ، بها آثار يونانية ورومانية ، لم تدرس دراسة علمية دقيقة ، ولم تمسها أيدي المتقنين) ، لا يمكن القطع في موضع هذا الميناء وفي اسمه الحقيقي الذي كان يعرف به .

والميناء الآخر المهم الذي تاجر البطالمة معه ، ونزل فيه رجالهم هو ميناء Muza/Mauza . وهو (مخا) . وهو ميناء قديم ، وقد عثر على مقربة منه على كتابة وسميت بـ Ry. 598 . وقد قدر زمان كتابتها بحوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٥٠ ق.م.)^١ . وكان في أيام صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) تابعاً لملك سماه Charibael ملك Sapphar . و Charibael هو (كرب ايل) وكان ملكاً على (سبأ) . ويستنتج من الكتاب المذكور أن حكم هذا الملك كان قد امتد على أرض Azania وعلى أرضين أخرى مجاورة لها في إفريقية^٢ ، أي ان تلك الأرضين كانت خاضعة لحكام اليمن في ذلك العهد .

وتعامل البطالمة مع ميناء آخر يقع على السواحل العربية ، هو ميناء Arabeae Eudaemon ، فكان تجارهم يأتون بسفنهم إليه ، فيشترون من تجاره ما يحتاجون إليه . كما أنهم اتخذوه محطة للاستراحة وللتزود بالماء والزاد ، وللقيام منه برحلات بعيدة إلى سواحل إفريقية ، أو الذهاب إلى الهند . وهذا الميناء هو (عدن) الشهير ، الذي لا يزال محافظاً على كيانه وعلى أهميته في العالم السياسي والحربي والاقتصادي . وذلك بفضل مكانه الحصين واشرافه على المحيط في مكان مشرف على باب المندب مفتاح البحر الأحمر وعلى الساحل الإفريقي . وقد كان هذا الميناء موجوداً ومعروفاً قبل البطالمة ، بدليل اشتهاره عندهم

١ Araber, I, S. 133, J. Pirrenne in : Le Muséon, 73, (1960), 6.

٢ Araber, I, S., 133.

وانتخاذه محطة لهم . ولكننا لا نعرف من تأريخه القديم شيئاً كثيراً ، وقد عثر فيه على كتابات بالمسند إلا أن العلماء لم يستطيعوا حتى الآن التحدث بشيء من التفصيل عن تأريخ عدن قبل هذا العهد^١ . وقد ازدادت عناية الغربيين به منذ حملة (أوليوس كالوس) ، كما سأتحدث عنه فيما بعد .

ويرى بعض الباحثين أن ما ذكره بعض (الكلاسيكيين) من وجود مدن أو جاليات يونانية مثل Arethusa (أرتوسه) و (لاريسا) Larissa و (خلقس) Chalkis في بلاد العرب ، إنما يراد بها مواضع يونانية أقيمت في أيام (البطالة) على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب في مواضع لا تبعد كثيراً عن (عدن) . وقد بقيت حية عامرة إلى سقوط حكم (البطالة) فضعف أمر تلك المستوطنات ولم يسعفها أحد من اليونان أو الرومان بالمساعدة فدمرت ، دمرتها القبائل العربية الساكنة في جوارها^٢ .

أما موضع (ابنه) Athene/Athenae/Attene ، الذي ذكره (بلينيوس) مع المواضع المذكورة فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أنه (عدن) . وهو موضع كان معروفاً عند اليونان والرومان معرفة جيدة ، وكانت سفن البطالة تأتي إليه للتجارة .

وقد ذهب (تارن) W. W. Tarn إلى أن مستعمرة (أمبلونه) Ampelone وهي إحدى المستعمرات اليونانية التي أقيمت على ساحل البحر الأحمر ، إنما هي مستعمرة أنشئت في أيام (بطلميوس الثاني) ، وقد استوطنها قوم من أهل Miletos ، لغرض إبحار السفن منها إلى البحار الجنوبية واستقبال السفن القادمة منها^٣ .

لقد أحدث دخول اليونان البحار الجنوبية من الخليج العربي ومن البحر الأحمر احتكاكاً مباشراً بين الثقافة اليونانية والثقافات الشرقية ، وقد عثر على كتابات يونانية في مواضع متعددة من الخليج ومن السواحل الإفريقية تتحدث عن وجود اليونان في هذه الأماكن ، فقد عثر على كتابات من أيام السلوقيين في جزيرة (فيلكا) ، وكتابات لـ (بطلميوس الثالث) (أورغاطس) Euergetes

١ Stuhlmann, S. 121.

٢ Araber I, S., 121.

٣ Araber I, S., 70.

(٢٤٧ - ٢٢١ ق. م.) في (أدولس) Adulis عند (مصوع)^١ ، وعثر على نقود في مواضع متعددة من السواحل الجنوبية لجزيرة العرب والسواحل الإفريقية ، ومنذ هذا العهد دخلت المؤثرات الثقافية اليونانية إلى الحبشة وإلى مواضع أخرى من افريقية^٢ .

وقد عثر في خرائب مدينة (تمنع) على كثير من الأشياء (الهيلينية) الأصل أو المتأثرة بالهيلينية : من تماثيل ، وتحف فنية ، وفخار ، وما شابه ذلك^٣ ، هي من نتائج التبادل التجاري ، والاتصال الذي كان بين حوض البحر المتوسط والعربية الجنوبية . وقد تربنا الحفريات في المستقبل آثاراً أخرى تتحدث عن أثر الثقافة اليونانية في جزيرة العرب في نواح أخرى عديدة لم نعرفها بعد .

وكان من نتائج دخول اليونان إلى الخليج العربي والبحر الأحمر، دخول النقود اليونانية إلى جزيرة العرب ، وظهور دور ضرب السكة فيها . وقد عثر في مواضع من الجزيرة على نقود ضرب بعضها على طراز نقود (الإسكندر الأكبر) وضرب بعض آخر في أيام خلفائه ، كما عثر على نقود محلية ضربت في العربية الجنوبية ، وقد تبين من دراستها وفحصها أنها ضربت على الطريقة اليونانية ، ويظهر الأثر اليوناني واضحاً فيها . وسأتحدث عن ذلك في الموضع الخاص بالنقود .

هذا وقد كشفت جزيرة صغيرة من جزر الخليج العربي، هي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت عن بعض أسرارها التاريخية القديمة ، فقدمت بعض الهدايا والعطايا لبعثة أثرية (دانماركية) نبشت الأرض في مواضع منها، وإذا بها تتحدث إليها بتحفظ وبحرص عن أيامها الأولى ، في (العصور البرنزية) ثم في (العصور الحديدية) ، ثم عن صلاتها بالعراق حيث نزل بها الأكاديون والآشوريون ، وعن صلاتها بالجزر الأخرى مثل البحرين ، وعن صلاتها بالفرس ثم باليونان في أيام (الإسكندر الكبير) وخلفائه ، حيث نزل بها جنوده وقوم من أتباعه وأتباع من جاءوا بعده من حكام .

Stuhlmann, S., 10. ١

Stuhlmann, S., 10. ٢

BOASOOR, 119, (1950), P., 6. ٣

وفي جملة ما عثر عليه في هذه الجزيرة مما هو من أيام خلفاء الإسكندر ، كتابة يونانية على حجر ، عثر عليه سنة (١٩٣٧ م) ، أي قبل قيام البعثة الدانماركية بأعمال الحضر ، احتفظ به أحد الانكليز وإذا به مقدمة قدمها أحد المواطنين الأثينيين ، واسمه (سوتيلس) Soteles والجنود إلى (زيوس المخلص) Zeus Sotore وإلى (بوزيدون) Poseidon وإلى (أرتميس المخلصة) Artemis Soteira^١ . فيظهر منها ان حامية يونانية كانت في هذه الجزيرة، لعلها من بقايا الجيش الذي بعث به الإسكندر للسيطرة على الخليج ولفتح الهند والجزر المقابلة لبلاد العرب ولسواحل جزيرة العرب .

وعثر على قوالب كثيرة من الآجر لصنع التماثيل ، منها قالب ظهر انه حفر حفراً ليوضع في داخله مادة تتحول إلى تماثيل ، وقد تبين من صنع تماثيل فيه أنه يمثل وجهاً له شبه كبير بوجه الإسكندر ، فلعله كان قد صنع ليمثل وجه ذلك الرجل ، كما عثر على تماثيل يظهر عليها أثر الفن اليوناني ، وعلى أنواع من الفخار والأختام والآجر تمثل عهوداً مختلفة أقدم من عهود اليونانيين ، ترجع بتاريخ الجزيرة إلى حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد^٢ .

ومن الآثار المهمة النفيسة التي عثرت البعثة الدانماركية عليها ، كتابة مدونة على حجر في (٤٤) سطرأ ، تفيد ان الملك بعث برسالة إلى أهل (ايكاروس) Ikarus في شأن عزمهم على اقامة معبد في تلك الجزيرة ، وتعيين كهان لها ، وتبين موافقة الملك عليه ، وتحدد الأجور والنفقات التي تدفع ، وحقوق الحكومة من الواردات وكيفية الجباية ، وما شاكل ذلك .. وهي رسالة لم تحمل رموزها حلاً تماماً حتى الآن ، لوجود كسور في الحجر وذهاب حروف بعض الكلمات . ويظن انها من أيام (سلوقيوس الثاني) المعروف بـ (كلينيكيوس) ، دونت في حوالي سنة (٢٣٩ ق. م.)^٣ .

١ تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة « فيلكا » ، وزارة التربية والتعليم، قسم الآثار والمتاحف ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، (ص ٩ ، ٢٧) « ١٩٦٣ م » وسيكون رمزه : تقرير

٢ تقرير (ص ١٣) .

٣ P. V. Glob, Investigations in Kuwait, Kuml, 1958, 170. f.

E. Albrechtsen, Alexander the Great's visiting Card, Kuml, 1958, 186, Grohmann, Arabien, S., 259, Die Araber, IV, S., 68.

ويعود عهد النقود التي عثر عليها في هذه الجزيرة إلى هذا الزمن أيضاً ، فقد وجد نقد ضرب في أيام (سلوقس الأول) باسم الإسكندر الأكبر حوالي (٣١٠ - ٣٠٠ ق.م) ، فهو لا يبعد كثيراً عن أيام الإسكندر المتوفى سنة (٣٢٣ ق.م) . ووجد نقد ضرب في أيام (أنطيوخس الثالث) ، الذي حكم المملكة (السلوقية) ما بين (٢٢٣) و (١٨٧ ق.م)^١ .

ولاكتشاف هذه النقود شأن تاريخي كبير لأنها تشير إلى تدخل اليونان في أمور الخليج في هذا العهد ، وحكمهم لسواحل العربية من (جرها) إلى جنوب العراق ، كما أنها ستعين في التوصل إلى تثبيت تواريخ حكم السلوقيين لهذه المنطقة . وسيكون لما سيكتشف من نقود في الكويت ، أو في مواضع أخرى من الخليج ، فائدة كبيرة في توسيع معارفنا بالسلطان الاقتصادي والسياسي للسلوقيين في هذه الجهات وفي تعيين صلاتهم بالشعوب العربية الساكنة على بقية ساحل الخليج وفي الأرضين البعيدة عن منطقة سلطان السلوقيين .

ويعد اكتشاف آثار الـ (اكروبولس) Akropolis وكذلك المعبد في جزيرة (فيلكا) التي هي جزيرة (ايكاروس) Ikaros عند اليونان ذا أهمية كبيرة من ناحية دراسة الأثر الذي تركه اليونان في الخليج^٢ .

أما في الساحل المقابل للجزيرة وفي الأماكن الأخرى من الخليج ، فلم يعثر حتى الآن على مثل هذا المعبد اليوناني أو البيوت اليونانية فيها ، ولهذا لا نستطيع أن نتحدث عن أثر اليونان فيها ، وقد يكون وجود المعبد والبيوت اليونانية في هذه الجزيرة بسبب إبقاء حامية الإسكندر فيها وسكانهم في الجزيرة وبقائهم بها بعد زوال حكم اليونان عن العراق . وقد اختار الاسكندر أوقوآده هذه الجزيرة ، لأهميتها من الوجهة العسكرية من حيث رسو سفن الجيش اليوناني بها وإمكان تأديب سكان السواحل منها وإخاد معارضتهم لليونان وتعقب (القراصنة) والهيمنة على مصب دجلة والفرات في الخليج والدفاع عن جنوب العراق .

لم يتمكن السلوقيون من الهيمنة على الخليج والاتجار به ، لأن حكومتهم في

١ تقرير (ص ١٦ ، ١٧) ، ، نقود يونانية من جزيرة « فيلكا » ، مطبعة حكومة الكويت .

٢ Kuml, 1959, 236, 238, Grohmann, Arabien, S., 259.

العراق لم تكن حكومة قوية ، ثم سرعان ما قضى عليها الفرس ، فزال حكم اليونان عن العراق . أما في مصر ، فقد قضى الرومان على حكم البطالمة، وانتزعوا الحكم منهم. وورث الرومان اليونان في البحر الأحمر ، وولوا أنظارهم نحو سواحله ونحو المحيط الهندي ، على حين انتزع الخليج من الروم ومن الرومان ، وصار بجزراً شرقياً ، السلطان الأول فيه للعرب والفرس .

لقد كافح البطالمة أعمال اللصوصية (القرصنة) في البحر الأحمر ، وأمنوا بذلك لسفنهم السير في هذا البحر ، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على العربية الغربية ، ولم يتمكنوا من المساهمة مع العرب في الإبحار برأ مع اليمن وبقية العربية الجنوبية . لقد كانت التجارة في أيدي العرب . وكان المهيمن على النهاية القصوى لهذه الطرق البرية (النبط) الذين تكتلوا في أعالي الحجاز ، وكونوا لهم مملكة النبط ، وأخذ نجمهم في الصعود منذ أيام (الإسكندر الأكبر) وقد ساعد في صعوده الحروب التي نشبت بين البطالمة والسلوقيين ، فوجد النبط لهم فرصة مؤاتية فأخذوا يوسعون أرضهم، ويتقدمون نحو الشمال متوغلين حتى بلغوا أرضين تقع شمال (دمشق)^١ .

وأدت الحروب التي نشبت بين السلوقيين والبطالمة إلى تقدم القبائل العربية وزحفها من الجنوب نحو الشمال ، وزاد من توسعها تفتت مملكة السلوقيين وتقلص سلطانها ، مما أفسح في المجال للقبائل بالتزوح بكل حرية إلى أرضين جديدة في العراق ، وتكوين إمارات من قبائل متحالفة . كذلك أدى ضعف حكومة البطالمة إلى توسع القبائل العربية وتوغلها في طور سيناء وفي المناطق الشرقية من مصر الواقعة على الضفاف الشرقية لنهر النيل ، مما حمل بعض الكتبة (الكلاسيكيين) على إطلاق لفظة (العربية) عليها دلالة على توغل القبائل العربية فيها بالطبع^٢ .

وإلى عهد البطالمة ترجع الكتابات العربية المدونة بالمسند التي عثر عليها في الجزيرة بمصر . وقد كتبت في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس ، ويصعب تعيين زمان هذه الكتابة وزمان بطلميوس بن بطلميوس

Araber, I, S., 5. f. ١

Araber, I, S., 6. f. ٢

الذي في أيامه كتبت ، لأن هنالك عدداً من البطالة حكموا أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، فأيهم المقصود ؟ ويرى (وينت) F. V. Winnet أنها لم تكتب على أي حال بعد سنة (٢٦١ ق. م.)^١ . وعثر على كتابات أخرى في موضع (قصر البنات) على طريق (قنا) وفي منطقة (أدفو)^٢ ، ووجود كتابات المسند في مصر يدل على الصلات الوثيقة التي كانت بين العربية ومصر .

وقد دون إحدى هذه الكتابات رجل اسمه (زدال بن زد) (زيدال بن زيد) (زيد ايل بن زيد) من (آل ظرن) (آل ظيران) (آل ظرون) ، وقد كان كاهناً في معبد مصري ، وقد اعترف بوجود دين عليه وواجب هو تزويد (بيبوت آلهة مصر) (معابد آلهة مصر) (ابنت الالهة مصر) بـ (المرّ والقليمة) (امرن وقلمتن) . ويقصد بـ (قلمتن) ما يقال له : Calamus في الانكليزية و Kalmus في الألمانية ، ويراد به ما يقال له قصب الذريرة أو قصب الطيب وقد عبر عن لفظة (ورد) واستورد بلفظة (ذسرب) . وذكر ان ذلك كان في عهد (بطلميوس بن بطلميوس) ، (بيومهر تلميث بن تلميث) ، أي (بيوم أو بأيام بطلميوس بن بطلميوس) . وقد عبرت عن لفظة (بطلميوس) بـ (تلميث) .

وقد استحق عليه تسديد الدين ، وصار نافذاً في شهر (حتحر) . وعبر عن ذلك بهذه الجملة : « ويفقر زبدال بورخ حتحر » . و (فقر) بمعنى أصبح مستحقاً نافذاً ، ومعنى الجملة : (واستحق تسديده على زيد ايل بشهر حتحر) . وقد وفي بذلك دينه ، لكل معابد آلهة مصر . وقدمت اليه في مقابل ذلك ، وربما على سبيل المقايضة ، أنسجة وأقمشة أو أكسية بز (كسوبوص) ،

^١ BOASOOR, Number, 73, 1939, P., 7.

^٢ BOASOOR, Number 73, 1939, P. 7, Le Muséon, LVII; 1-2; (1949); P. 56;

A. E. P. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts, London, 1909, P. 1

IV, Fig., 13; 14; H. Winkler, Rockdrawings of Southern - Upper Egypt, I,

London, 1938, P. 1, 4, Rhodokanakis, in Zeitschrift für Semitistik, Bd. 11;

1924, S. 113, Schwartz, Die Inschriften des Wüstentempels von Redeslye,

in : Jahrbuch für Klassische Philologie, Bd., CLIII, 1896, S. 157.

أخذها إلى سفينة تجارية ، ربما كانت سفينته . وقد أخذ عليه عهد واعترف مقابل ذلك بالدين الذي عليه وبوجوب تسديده عند استحقاقه لمعبد الإله (أثر هب) . (أثر هف) . ويقصد بذلك الإله Osarapis ، وذلك في شهر (كبحك) من السنة (خرف) الثانية والعشرين من حكم الملك (بطلميوس بن بطلميوس) . وقد ذهب (رودو كناكس) ناشر النص إلى احتمال كون (زيد ايل) كاهناً في معابد مصر ، ولو كان من أصل غير مصري ، فقد كان المصريون تساهلوا في هذا العهد — كما يرى — ، فسمحوا للغرباء بالانخراط في سلك الكهان وخدمة المعابد ، وتساهلوا مع (زيد ايل) هذا فأدخلوه في طبقة (أوب) Ueeb وانتخبوه كاهناً ، ليضمن لهم الحصول على المرور والقليمة بأسعار رخيصة ، لاستيراده إياها باسمه ومن موطنه مباشرة من غير وساطة وسيط^١ .

وقد ذهب (رود كناكس) أيضاً إلى أن (زيد ايل) كان يستورد المرّ والقليمة لا لحسابه الخاص ومن ماله ، بل لحساب المعابد المصرية ومن أموالها . فلم يكن هو إلا وسيطاً وشخصاً ثالثاً يتوسط بين البائع والمشتري ، يشتري تلك المادة ويستوردها باسمه ، ولكنه يستوردها للمعابد ولفائدتها . وهو لا يستبعد مع ذلك احتمال اشتغاله لنفسه وعلى حسابه في التجارة ، يستوردها ويبيعها في الأسواق ويتصرف بالأرباح التي تدرها كما يريد . وهو لا يستبعد أيضاً احتمال مساعدة المعابد له بتجهيزه بالمال لتقوية رأس ماله ، أو انتشاله من خسارة قد تصيبه .

وقد أصيب هذا التاجر ، كما يظهر من هذا النص ، بخسارة كبيرة في شهر (حتحر) ربما أنت على كل ما كان يملكه ، فهبت المعابد المصرية لانقاذه ، وإعادة الثقة به ، بإسناده بتقديم أكسية البز (بوص) إليه . وقد أخذها وصدرها في سفينته التي يستورد بها المرّ والقليمة إلى الأسواق ، فربح منها ، واستورد المرّ والقليمة وأعاد إلى المعابد ما أخذ منها من تلك السلعة ، وأدى

ديونه في شهر (كيهك) . وقد أعادت اليه الثقة به ، وأنقذ من تلك
الضائقة المالية التي حلت به ، بمدة قصيرة لا تتجاوز شهراً كما يرى ذلك
(رودوكناكس) ' :

N. Rhodokanakis, «Die Sarkophaginschrift von Glzeh», Zeitschrift für Semitistik, 11, (1923), S. 113, Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, 11, 1924, S. 113, Tarn, in : Journal of Egypt. Archeol., 15, (1929); 20 Beeston; in : Journal Roy. Asiat. Soc., Gesch. der Hellenist. Welt, 1955, 1, 300, 3, 1172; Araber, 1, S., 70.

الفصل الثامن عشر

العرب والرومان

انتهز حكام (رومة) فرصة ضعف خلفاء الإسكندر ، وانحلال المملكة العظيمة التي كونها ذلك الفاتح ، فاستولوا على مقاطعة (مقدونية) Macedonia وعلى جزر اليونان وآسية الصغرى وبلاد الشام وإفريقية وفي ضمنها مصر، فأصبحوا بذلك كما كان شأن البطالمة على اتصال بالعرب مباشرة^١ . وبهذا الاتصال بدأت علاقات العرب بالرومان .

وقد كان العرب يقيمون في لبنان وفي سورية قبل الميلاد بزمان طويل . وقد اشتغل قسم منهم بالزراعة وتحولوا إلى مزارعين مستوطنين ، وتولى قسم منهم حماية الطرق وحراسة القوافل ولا سيما القوافل التي تجتاز طريق الشام - تدمر - العراق . وقد أشير إلى العرب (السكوثيين)، أي سكان الخيام Arabes Skynitai الذين كانوا ينزلون البوادي وهم من الأعراب الشماليين^٢.

استطاع (بومبيوس) Pompeius القائد والقيصر أن يضم بلاد الشام إلى الأملاك التي استولت عليها رومة ، ويجعلها مقاطعة من المقاطعات الرومانية ، فكان من نتيجة ذلك اتصال الرومان بالعرب ، وبالأعراب الذين كانوا قوة لا يستهان بها على أطراف الشام . وقد وجد الرومانيون بعد استيلائهم على الشام مسا شجعهم

^١ The Historians History of The World, Vol., VI, London, 1908, P., 3.

^٢ Pliny, Nat. Hist., VI, 142, Strabo, XVI, 749, 755; Plutarchos; Lucullus; 21; Arabia ; 8 ; 23.

على الزحف إلى فلسطين ، انتهزاً لفرصة النزاع الداخلي الذي كان بين (هيركانوس الثاني Hyrkanus II وأخيه (أرسطوبولس الثاني) Aristobulus II . وكان (هيركانوس) قد ذهب إلى (الحارث) Aretas ملك العرب ، أي النبط ، فاراً من أخيه ، ليحميه وليساعده مقابل تنازله عن بعض الأراضين وعن المدن الاثنتي عشرة التي كان (الاسكندر ينائس) Alexander Jennaeus (١٠٤ - ٧٨ ق.م.) قد استولى عليها ^١ . كما ذكرت من قبل ، فرأى الرومان في هذه الفوضى فرصة مواتية للتوسع نحو الجنوب .

وقبل أن يجتاز (سكورس) Scaurus بجيوشه حدود أرض (يهوذا) ، وصلت إليه رسل (أرسطوبولس) Aristobulus تطلب منه مساعدة صاحبهم وتمكينه من أخيه ، كما وصلت إليه رسل (هيركانوس) Hyrkanus ليرجو منه معاونته لصاحبهم ، ومساعدته على شقيقه . فتعهد كل طرف من الطرفين بتقديم ما قدمه الآخر . ووافق (سكورس) على تأييد (أرسطوبولس) فكتب إلى (الحارث) ملك العرب ، يخبره بين البقاء في القدس والدفاع عنها وعداوة الرومان وبين تركها وترك الدفاع عنها وصداقة القائد . فرأى (الحارث) Aretas الارتحال عنها ، وفي أثناء ارتداده حصلت مناوشات بين أتباع الأخوين قرب الأردن ، كان النجاح فيها حليف (أرسطوبولس) ^٢ .

وفي سنة (٦٤ ق.م.) شخص (بومبيوس) نفسه إلى سورية للاشراف على إخضاع جميع أجزائها ، وقد طلب منه الأخوان أن يتدخل في حل هذا النزاع ، وأن يكون حكماً بينهما ، وقدما له هدايا ثمينة حملته على التفكير في احتلال فلسطين . وقد حضرا إلى مقره ، وأظهرا له من الضعف والضعفة مادعاة إلى الإسراع في إرسال حملة إلى أرض Aretas ملك العرب ، الذي قاوم مقاومة عنيفة ، وبعد هذه الحملة احتل القدس وأرض يهوذا وسائر فلسطين ، وأمر بالحاقها بالمقاطعة الرومانية السورية ، ونصب عليها (سكورس) حاكماً، وانتزع من يهوذا مدناً وقرى ألحقها بهذه المقاطعة . أما مملكة (يهوذا) الصغيرة ، فقد أصبحت ، من عملها هذا، في حماية الامبراطورية الرومانية . وأخذ (أرسطوبولس)

Dubnow, 11, S., 154.

١ « ١٠٣ - ٧٦ ق.م. »
Bubnow, 11, S., 176., f. ٢

وأكثر جنوده أسرى ، نقلوا إلى (رومة) ، وسير بهم في موكب الأسرى الذين جيء بهم من الشرق ، للاحتفال بالانتصار العظيم الذي انتصره (بومبيوس) ، وذلك في عام (٦١ ق. م.)^١ .

وعقد (سكورس) الحاكم الروماني اتفاقية مع (الحارث) ، حسماً لل نزاع وحداً لتحركات العرب بحدود الامبراطورية ، وافق بموجبها (ملك العرب) ، أي العرب النبط ، على المحافظة على الأمن ، وعلى التعاون مع الرومان في هذا الشأن . وقد عُثر على نقد ضرب في أيامه ، وجدت عليه صورة رمزية تشير إلى هذا الاتفاق^٢ .

وقد ساعد العرب (كاسيوس) Cassius في حوالي السنة (٥٣ ق. م.) ، وساعدوا (كراسوس) Crassus ، وذلك في حروبها مع (الفرث) (البارثيين) Parther^٣ .

وقد عيّن (يوليوس قيصر) Julius Caesar في حوالي سنة (٤٧ ق. م.) (انتيپاتر) Antipater بمنصب Procurator على (اليهودية) ، وهو من أصل (أدومي) ، والأدوميون عرب في رأي كثير من العلماء . وهو والد الملك (هيرود الكبير) Herod ملك اليهود ، ومؤسس أسرة معروفة في تاريخ اليهود^٤ ، كما عيّن رجلاً اسمه Cypros ، وهو عربي من أسرة كبيرة^٥ .

وقد استندت سياسة الرومان ثم سياسة الروم من بعدهم إلى قاعدة الاستفادة من العرب في حماية المواضع التي يصعب على الرومان أو السروم حمايتها والدفاع عنها ، وذلك مثل تخوم الصحارى ، وفي صد هجمات الأعراب المعادين أو الذين يدينون بالولاء للفرس ، وفي مهاجمتهم أيضاً ومهاجمة حلفاء أولئك الأعراب المعادين لهم وهم الفرس .

وفي أيام (بومبيوس) (بومبي) كان أحد سادات القبائل العربية متحكماً في البادية المتاخمة لبلاد الشام . وقد ذكر (سترابون) أن اسمه هو Alchaldamos

1. Dubnow, 11, S., 182.

2. Murry, P., 101.

3. Arabian, S., 23.

4. Die Araber, 1, S. 301, W. Smith, A Dictionnary of The Bible., Vol. 1; 488; 791.

5. A Dictionnary, I, P. 791.

وجعله ملكاً على قبيلة دعاها باسم Rhambaei^١ . وقد كان من حلفاء الرومان ثم انتفض عليهم وعبر إلى العراق ، وذلك لاهانة لحقته من الحاكم الروماني أو من القواد الرومان . ويظهر أنه اجتاز الفرات في سنة (٤٦ ق. م.) والتجأ إلى (البارثيين) . وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان في السنة (٥٣) قبل الميلاد فيما بين النهرين ، وأنه كان يقوم بغارات على حدود بلاد الشام . ويظهر أنه ترك البارثيين بعد ذلك وعاد إلى خلفائه الرومان . وقد نعت (ديوكاسيوس) Dio Cassius بالتذبذب وبالانتهازية ، وقال عنه إنه كان يتنقل دائماً إلى الجانب القوي^٢ .

وكان (الخديموس) ، قد استولى على مدينة (أريتوسه) Arethusa ، وهي مدينة (الرستن) ، وجعلها مقراً لحكمه ، وتقع على نهر (الميلاس) ، وهو نهر (العاصي) ، ويسمى بـ Orontes عند الكتبة اليونان والرومان^٣ . ولا ندري اليوم متى دخلت في حكمه ، ويظهر أن حكمه دام طويلاً إذ كان لا يزال في الحكم في الفترة الواقعة فيما بين السنة (٤٦) والسنة (٤٣) قبل الميلاد^٤ .

وذكر أنه كان لهذا الملك ولد اسمه (إيامبليخوس) Iamblichos = Jamblichus وكان عاملاً على شعب Emesener . وقصد (سترابو) بشعب (إيميسر) ، الناس الساكنين في أطراف المدينة . أي أطراف مدينة Emessa : Emesa ؛ وهي حمص^٥ .

وقد ساعد (إيامبليخوس) (المتوفى سنة ٣١ ق. م.) ، حكام (رومة) ضد (البارثيين) (البرث) (الفرث) Parther فقدم لهم مساعدات مهمة ، ولا سيما بالنسبة إلى (أوكتافيوس أغسطس) Octavianus Augustus^٦ . وقد ساعد الملك (اكبروس) (أكبر) Acbarus الذي حكم (حمص) بعد

١ Strabo, 16, 753, Die Araber, 1, S., 179.

٢ Dio Cassius, 40, 20, 1, I., Die Araber, 1, S.; 180.

٣ Ency., 11, P., 309.

٤ Die Araber, 1, S., 356.

٥ Die Araber, 1, S., 144.

٦ Arabian, S., 23.

هذا الملك بأمد ، الرومان أيضاً في كفاحهم للبارثيين ، وذلك سنة (٤٩) بعد الميلاد . ولم يكن هؤلاء الملوك من خيار في سياستهم سوى الانحياز الى الرومان لأنهم كانوا أقوياء ، وقد هيمنوا على بلاد الشام .

ولا نعرف في الوقت الحاضر شيئاً عن الملك (الخديموس) ، ولا عن قبيلته Rhambaei . أما عن اسم الملك فيظهر انه محرف عن أصل عربي هو (الخدم) أو (جديمة) أو (خضم) أو (الخضم) ^٢ ، وهي من الأسماء المعروفة التي ترد في كتب أهل الأخبار ^٣ . أو (الخطيم) ، وهو اسم معروف أيضاً ، ورد في أسماء العرب ^٤ ، أو اسماً عربياً آخر ابتداء ب (ال) أداة التعريف .

وأما عن اسم Rhambaei ، فيظهر انه محرف عن تسمية عربية هي : (رجة) ، أو (رحاب) أو ما شاكل ذلك ^٥ ، وتورد لفظة (رجة) كثيراً في العربية اسم موضع من المواضع ، فلعل هذه القبيلة كانت تقيم في موضع اسمه (رجة) فعرفت به .

ويظهر من هذا الخبر ان القبيلة المذكورة كانت في جملة القبائل العربية التي كانت قد زحفت قبل الميلاد إلى بلاد الشام ، واستوطنت في أطراف (حصص) ، وتقدمت بعضها فنزلت في أماكن أبعد من هذا المكان إلى الشمال ، حيث المراعي والكلا والماء ، وكانت كلما وجدت ضعفاً في الحكومات الحاكمة لبلاد الشام ، انتهزت فرصته فتقدمت إلى مواضع أخرى في الشمال ، حيث يكون الحصب والماء .

وأخذ العرب (يوليوس قيصر) Julius Caesar من المأزق الحرج الذي وقع فيه ، وهو يهيم بالقبض على ناصية الحال في الاسكندرية عام (٤٧ ق.م) ، إذ أرسل الملك (مالك) Malchu ، وهو (مالك الأول بن عبادة) ، نجدة مهمة ، ساعدته على انقاذه من الوضع الحرج الذي كان فيه ^٦ ، كما أنجدوا

١ Arabian, S., 23.

٢ Sarre und Herzfeld, Arch. Reise, 1, S. 119, 11, 105, Die Araber; 1; S. 150;

M. Lidzbarski, Epyememris, 3, 164.

٣ الاشتقاق (٢٢٧)

٤ الاشتقاق (١٦٧)

٥ Sarre und Herzfeld, Arch. Reise, 1, S. 119, 11, 105.

٦ Muryy, P., 102.

(هيركانوس) الذي فر من القدس إلى (بطرا) حينما ظهرت أمام العاصمة طلائع
الفرثيين^١ .

ولما استولى (أغسطس) على مصر ، وجعلها تابعة لحكم قيصرية (رومة) ،
أمر باصلاح ما كان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التي
حدثت في أيام البطالسة ، فأصلحت الطرق ، وطهرت القناة ، وعني بالتجارة
البحرية وبمياه البحر الأحمر التي غصت بلصوص البحر ، وأرعى إلى حاكم مصر
(أوليوس غالوس) Aelius Gallus بغزو جزيرة العرب ، للاستيلاء عليها وعلى
ثروتها العظيمة التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبن والبخور والأفاويه ،
وللقضاء أيضاً على لصوص البحر الذين كانوا يجمعون بسواحل الحجاز واليمن ،
وللهيمنة على البحر . وقد أمر بوضع حراس على ظهر السفن التي تبحر البحر
الأحمر ، لحمايتها من أولئك اللصوص^٢ .

لم تكن الأوضاع في القرن الأول حسنة في (مصر) ، فقد كان حكم البطالمة
حكماً ضعيفاً هزلياً ، ألهاهم عن التجارة البحرية وعن الاهتمام بالبحار ، فقل
عدد السفن الداهية الى المحيط الهندي ، وتزايد عدد لصوص البحر ، كما أن
الصراع الذي كان في (رومة) على الحكم أثر في مستوى مشترياتها من مصر .
وقد أثر ذلك بالطبع في الوضع الاقتصادي في مصر ، وفي مستوى الأسعار ،
ولا سيما في (الإسكندرية) (بورصة) العالم في ذلك العهد . لذلك أحدث
فتح (يوليوس قيصر) لمصر تغييراً في الأوضاع هناك نراه بارزاً في هذا (المشروع)
الضخم الذي أراد (أغسطس) (٣١ ق.م. - ١٤ ب.م.) القيام به ،
وهو الاستيلاء على جزيرة العرب وضمها مصالح (رومة) في ذلك الجزء من
العالم ، وجعل البحر الأحمر بحراً رومانياً .

ولو تم ذلك (المشروع) على نحو ما حلم به (أغسطس) ، كان حكم
(رومة) الفعلي قد بلغ العربية الجنوبية ، وربما سواحل إفريقية أيضاً ، إلا
أن سوء تقدير الرومان له ، واستهانتهم بطبيعة جزيرة العرب ، وعدم ادخالهم
في حسابهم قساوة الطبيعة هناك ، وعدم تمكن الجيوش النظامية من المحاربة فيها
وتحمل العطش والحرارة الشديدة ، كل هذه الأمور أدت إلى خيئته منذ اللحظة

١ Dubnow, 11, S., 250.

٢ O'Leary, P. 74, Fliny, 11, P. 415, 6, 101.

التي شرع فيها في تنفيذه، فكانت انتكاسة شديدة في هيبة (رومة) وفي مشاريعها التي رسمتها وازادت تنفيذها في جزيرة العرب .

وقد وصل البنا وصف تلك الحملة لكاتب جغرافي شهير اسهم فيها في رأي بعض الباحثين ، فحصل على معارفه عن العرب وعن بلادهم من مشاهداته ايضاً فضلاً عما سمعه ، وأعني به (سترابون) الذي قال في مطلع وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ، بقيادة (أوليوس غالوس) ، أشياء كثيرة عن خصائص تلك البلاد . لقد ارسله (أغسطس قيصر) للبحث عن الشعوب والأماكن التي فيها ، وعن حدود بلاد الحبش ، وأرض Troglodytes المقابلة لبلاد العرب ، والأقسام المجاورة من الخليج العربي التي يفصلها عن العرب مضيق ضيق ، لعقد معاهدات معها أو احتلالها . لقد سمع أنها غنية جداً ، لأنها تقايض التوابل بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ؟ وانها لا تحتاج إلى استيراد الأشياء من الخارج . فأراد إما أن يكون منهم اصدقاء اغنياء ، واما ان يحتل بلد اعداء اغنياء^١ . فهذه هي الأغراض التي توخاها قيصر (رومة) من توجيه حملته الى جزيرة العرب في القرن الأول للميلاد ، و (رومة) جائعة نهمة تريد المزيد من تجارة البحار الجنوبية بالمجان أو بأرخص الأسعار .

وقد وضع القيصر آماله في تحقيق هذا المشروع على التبط الذين كانت تربطهم بالرومان معاهدة تحالف منذ احتل الرومان بلاد الشام ، ومن جعلتها فلسطين ، فأصبحوا بذلك على اتصال بالتبط ، وكان ملكهم إذ ذاك (عبادة الثاني) Obadas II (٢٨ - ٩ ق. م.) وقد وعد الرومانين خيراً ، وعدهم بتقديم كل المساعدات لهم ، وبارسال المرشدين اليهم لارشادهم إلى أهدافهم ، وبتقديم الرجال لشدة أزر الرومانين ، وبوضع وزيره المدعو Syllaues تحت تصرفهم ليكون لهم دليلاً ومستشاراً^٢ .

وبعد إعداد الحملة وتهيئة السفن التي كان ينبغي أن تنقل رجالها وعدتهم عشرة آلاف جندي ، جمعوا من مصر من المصريين والرومانين ومن لقيف غيرهم ، أركبوها من ميناء على الساحل المصري للبحر الأحمر، لتتجه بهم إلى ميناء (لويكة

١ Strabo, XVI, 22, Vol., III, P. 209, Pliny; 6; 180; Dio Cassius; 53; 3-8;
Die Araber; 11; S. 49.

٢ لعله تحريف « صالح » .

كومة) حيث ينضم اليهم نبط وغيرهم ، ثم يتجهون براً إلى اليمن . إلا أن الحملة لم تكن منظمة منسقة مدروسة دراسة دقيقة إذ تحطم عدد كبير من سفنها في أثناء محاولة قطعها البحر من الجانب المصري إلى الساحل العربي المقابل له ، لعدم ملائمتها لمثل هذه المهمة التي أوكلت اليها ، وبعد مشقات وأهوال وصلت السفن السالمة بعد خمسة عشر يوماً إلى (لويكة كومة) ، تحمل على ظهرها جنوداً منهوكين من قطع البحر على سفن لم تكن ملائمة لمثل هذا النقل . وقد عزا (سترابون) هذه الخسارة التي لحقت ببرجال الحملة إلى (صالح) Syllaesus الذي غش - على زعمه - القائد ، فأعلمه بتعذر الوصول من البر ، لعدم وجود عدد كاف من الجبال ، ولعدم وجود طرق برية صالحة لمروور هذا الجيش .. والذي أراد بذلك اضعاف الرومان وإذلالهم ، وإضعاف القبائل ليكون سيد الموقف فيدبر الأمور بنفسه ، ويكون السيد المتصرف وحده في الأمور^٢ .

ولما وصل (أوليوس غالوس) بجيشه إلى ميناء (لويكة كومة) ، كان المرض قد فتك به ، لأسباب عديدة منها فساد الماء والطعام ، وسوء الغذاء فاضطر إلى قضاء الصيف والشتاء فيه ، حتى استراح الجيش وتعافى من المرض الذي ابتلي به .

ويظهر أن الرومان كانوا قد هيمنوا على هذا الميناء أمدأ ، أو احتلوه إذ ورد في الأخبار أنهم وضعوا فيه حامية رومانية Centurio ، لحماية السفن من لصوص البحر ، ولحماية الطرق البرية من قطاع الطرق واللصوص في البر ، كما أنهم أنشأوا لهم فيه دائرة لجباية المكس من السفن والتجار ، وقد تقاضوا ما مقداره (٢٥٪) من أثمان البضائع التي تدخل الميناء^٣ .

وميناء (لويكة كومة) ، ميناء النبط الأعظم ، منه تنقل البضائع الواردة بطريق البحر إلى (بطرا) (بتر) Petra ، ومنها إلى موضع (رينوكولورا) Rhinocolura في (فينيقية) على مقربة من مصر ، ثم إلى الشعوب الأخرى .

١ Strabo, XVI, IV, 23, J. Pirenne, Le Royaume, Sud-Arabe de Qataban et sa Datation, (1961), 93-124.

٢ Strabo, XVI, IV, 24.

٣ Sprenger, Alte Geogr., S., 28.

ومنه أيضاً إلى سواحل منصر على البحر الأحمر حيث تنقلها القوافل إلى نهر النيل ثم إلى الاسكندرية^١ . فهو ميناء مهم لتصدير التجارات ، واستيرادها في أرض النبط .

وميناء Leuke Kome (لويكة كومة) هو (الحوراء) أو (ينبع) على ساحل الحجاز ، وقد كان من الموانئ المهمة في تلك الأيام^٢ . وسوف أتحدث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب .

وقد ظن^٣ (أوليوس غالوس) ، أنه سيلقي من العرب مقاومة شديدة في البحر ، لذلك قرر بناء أسطول قوي يتألف من ثمانين سفينة كبيرة محاربة ، ومن عدد من السفن الخفيفة ، وشرع بإعداده في ميناء (قفط) (قفطس) بـ Kleopatris على قناة النيل القديمة . ولما تبين له من الاستخبارات ، أن العرب لم يكونوا يملكون أسطولا ، وأنهم لا يستطيعون مقاومة الرومان ، أسرع فنقل جيشه على ظهر (١٣٠) سفينة نقل إلى ميناء (لويكة كومة) . وكان في هذا الجيش الذي بلغ عدده عشرة آلاف محارب ، ألف من النبط و (٥٠٠) من اليهود^٣ .

وفي ميناء (لويكة كومة) تجمع جيش الحملة ، ومنه تقدم (أوليوس غالوس) نحو اليمن ، فدخل أولاً أرضاً لم يذكر (سترابون) اسمها ، وإنما ذكر أنها كانت أرض ملك يدعى Aretas أي (الحارث) ، وكان من ذوي قرابة (عبادة) Obadas ملك النبط . وقد استقبل الرومان استقبالا حسنا ، ورحب بهم ومنها سار في أرض وعرة قليلة الزرع والأشجار مدة ثلاثين يوماً إلى أرض مأهولة بالأعراب تدعى (أرارين) (عرارين) Ararene ، عليها ملك اسمه Sabos . قطعها (غالوس) في خمسين يوماً حتى بلغ مدينة تدعى (نجراني) Negrani ، ومنطقة خصبة مزروعة آمنة ، هرب ملكها ، وأخذ الرومان مدينته . وبعد مسيرة ستة أيام عنها بلغ نهراً جرت عنده معركة خسر فيها المهاجمون عشرة آلاف رجل . أما الرومان ، فلم يخسروا غير رجلين ، ومرد ذلك ، في زعم (سترابون) إلى تفوق الرومان في أساليب القتال وفي عدد الحرب التي لديهم ،

١ Strabo, XVI, 24.

٢ Arabien, S., 4, 29, 44.

٣ Araber, II, S., 49. f.

في حين تعوز أصحاب الأرض المالكين الخبرة في القتال ، والتمرين في استعمال ما عندهم من أسلحة تتألف من السهام والرماح والسيوف وآلات القذف والفؤوس ذوات الرأسين .

وأعقب هذه المعركة سقوط مدينة (أسقه) Asca ، التي سلمها الملك ، ومدينة (اترله) Athrula التي سلمت من غير مقاومة ، فوضع فيها حامية ، واشتغل بجمع الحبوب والتمر . ثم توجه إلى مدينة Marsybae = Marsiaba ، مدينة الـ Rhammanitae الخاضعين للملك Ilassarus ، وقد حاصرها ستة أيام ثم دخلها ، غير انه تركها لقلة المياه فيها^١ . وعلم من الأسرى انها تبعد مسيرة يومين فقط عن أرض التوابل . وكان هذا الموضع آخر ما بلغه الرومان في الجنوب^٢ . وقد قطع الجيش الطريق بين (لويكة كومة) ومدينة Marsiaba في أشهر . أما في عودته ، فقد قطعها في مدة أقل من هذه المدة بكثير ، فبلغ مدينة Negrana في تسعة أيام ، وهناك نشبت معركة بين الرومان والعرب ، وغادرها (أوليوس غالوس) ، فبلغ بعد مسيرة أحد عشر يوماً موضعاً يعرف بـ (الآبار السبع) ، لوجود آبار فيه . ثم قطع بادية فوصل إلى موضع Chaalla ، وموضع آخر يدعى Malothas يقع على نهر وقطع بادية أخرى ، قليلة المياه ، وانتهى إلى قرية Egra^٣ من قرى أرض (عبادة) Obadas ، وتقع على ساحل البحر . وقد قطع هذه المسافة كلها في ستين يوماً . ومن مدينة Negra = Egra عاد (أوليوس غالوس) برجاله إلى مصر ، فبلغ (ميوس هورمس) Myus Hormus في أحد عشر يوماً ، وسار بمن بقي من رجال هذه الحملة على قيد الحياة ، من هذه المدينة على ساحل مصر الشرقي إلى مدينة (قفط) Captus = Koptus ، ومنها إلى الإسكندرية^٤ .

نرى من خبر (سترابون) عن حملة (أوليوس غالوس) أن اول موضع نزل فيه الجيش الروماني في بلاد العرب ، هو فرضة (لويكة كومة) ففي هذه

١ Strabo, XVI, IV, 24, «Marsiaba», Skizze, II, S.; 48.

٢ Strabo, XVI, IV, 24.

٣ وقرأها بعضهم « نيرا » و Egra و Nera وغير ذلك لاختلاف النسخ . راجع : و Strabo, Vol., III, P., 212, (Bohn's Classical Library), Note : I, Glaser; Skizze;

11, S., 48, Pliny, VI, 159-162.

٤ Strabo, XVI, IV, 24, Die Araber, 1, 97.

الفرضة أنزل الجيش ، وفيها استراح ، ومنها اتجه في سيره لتحقيق الغاية التي من أجلها جاء . وأما الميناء الذي أبحرت منه هذه الحملة المخففة ، فكان ميناء (أكر) Egra او (نيكرا) Negra (نيرا) Negra Kome Nera بحسب اختلاف القراءات . ويرى (فورستر أن Negra أو Nera هي (ينبع) الفرضة الشهيرة ، وفيها عيون عذاب غزيرة^١ . وهو الميناء الثاني في الحجاز في الزمن الحاضر ، وميناء (المدينة)^٢ . ويرى أن كلمة (نيرا) اليونانية تعني (ينبع) في العربية ، ولذلك يعني Nera Kome في العربية (مدينة ينبع) ، وأن Nera Kome التي أبحر منها اليونان هي ينبع ، لا مكان آخر ، في رأي هذا الباحث^٣ . وأما (كلاسر) ، فلم يتأكد من موضع Egra . أما (شبرنكر) : فيرى أنه (عويند) الواقع على خط عرض (٢٧) درجة وخمس ثوان^٤ . وأما (فليبي) فيرى احتمال كونه (مدائن صالح)^٥ . وهو رأي يتعارض مع قول (سترابون) أن Egra هي في أرض (عبادة) وعلى ساحل البحر ، ومنها أبحر رجال الحملة إلى مصر^٦ .

ويلدب البعض أن قرية Egra ، هي (الحجر) . وهي بعيدة بعض البعد عن ساحل البحر ، ويرى أنها كانت متصلة بميناء عرف باسمها أيضاً . كما أن ميناء (مدين) عرف باسمها أيضاً . ويرى أنه (الوجه) في الوقت الحاضر^٧ .

ويزعم (سترابون) أن الاصابات التي أصابت الرومانيين ، إنما هي من الأمراض والأوبئة ومشقات الطرق . أما من المعارك فلم يتكبدوا فيها إلا سبع إصابات^٨ . وفي زعم (سترابون) المذكور مبالغات ولا شك ، اذ كيف يعقل عدم تكبد الرومان خسارة ما ، مهما قيل في تنظيم الجيش وحسن تدريبه ؟ وقد أشار في كلامه على إحدى المعارك ، التي هاجم فيها العرب والرومان ، إلى

١ البلدان (٨ / ٥٢٦) ، فؤاد حمزة (ص ٤٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٥ ومواضع أخرى)

٢ حافظ وهبة (ص ١٦ ومواضع أخرى) .

٣ Forster, II, P., 293.

٤ Glaser, Skizze, II, S., 63.

٥ Philby, Background, P., 101.

٦ Strabo, III, P., 213.

٧ Die Araber, 1, 97, W. W. Tarn, in : Journal Egypt. Archeol. 15, 1929, 17.

٨ Strabo, XVI, IV, 24, Vol., III, P., 213.

أنهم تكبدوا عشرة آلاف قتيل على حين خسر الرومان قتيلين اثنين فقط^١. وفي هذا القول وحده ما فيه من مبالغة ظاهرة .

لم يذكر (سترابون) - وهذا أمر يؤسف عليه جداً - من أسماء المواضع التي مر بها الرومان ، أو من أسماء القبائل التي اتصلوا بها ، أو اصطدموا بها ، غير ما ذكرت ، وهو شيء قليل جداً ، لا يتناسب أبداً مع أهمية تلك الحملة التي قضت أشهراً في بلاد العرب ، خاصة إذا ما تذكرنا أن الرجل كان سائحاً وكاتباً وجغرافياً ومؤرخاً ، وكان صديقاً لقائد الحملة ، ومدافعاً عنه ، وقد كان نفسه من المشاركين في الحملة ، في رأي بعض الباحثين^٢ . وما ذكره في الحملة عن بلاد العرب ، يدل على أن معارفه عن جزيرة العرب محدودة ، وقد استقاهها من كتب من تقدمه من المؤلفين أو من السياح والملاحين والتجار من غير تدقيق أو نقد . واعتقد أن اقدامه لم تطأ أرضاً في جزيرة العرب . وليس هنالك من شاهد يثبت اشتراكه في هذه الحملة ، ولست أعتقد أن لدى القائلين باشتراكه فيها دليلاً قوياً يثبت ذلك الرأي . ولعله نقل ما قصه عن الحملة من تقرير قدمه إليه صديقه (أوليوس غالوس) أو أحد الذين اشتركوا فيها .

وترتب على قلة أسماء المواضع التي ذكرها (سترابون) في خبر هذه الحملة صعوبة إدراك الطرق التي سار عليها (أوليوس غالوس) إلى موضع وصوله Marsiaba ، وهو آخر ما وصل إليه ، ثم الطرق التي سلكها في رجوعه حتى موضع إبحاره إلى مصر . وأبرز اسم بين هذه الأسماء التي ذكرها (سترابون) : Negrani - Negrana أي (نجران) في رأي أكثر الباحثين^٣ .

وبين (لويكة كومة) و (نجران) مواضع كثيرة ، وأرضون واسعة ، لم يذكرها (سترابون) ، وكل ما ذكره هو أن الجيش دخل بعد تركه ميناء (لويكة كومة) أرض ملك يعرف بـ (الحارث) Aretas ، ثم أرضاً يقطنها الأعراب ، وهي صحراوية في الأكثر ، تعرف باسم (أرارين) Ararene^٤ ،

١ Strabo, XVI, IV, 24, Glaser, Skizze, 11, B.; 50.

٢ O'Leary, P. 75.

٣ Glaser, Skizze, II, 48, O'Leary, P. 78; Beiträge; B. 31.

٤ Strabo, XVI, IV, 24, VOL., III, P., 212.

وقد ذهب (الحارث) إلى ربه ، وذهب معه (سترابون) ، فأبي أرض قصدها صاحب خبر هذه الحملة التي تعود إلى (الحارث) ؟ وأي أرض هي Ararene^١ . لقد ورد في الكتب الإسلامية اسم قبيلة تعرف بـ (بني الحارث ابن كعب) ، وذكرها الهمداني وذكر مواضعها^٢ ، وتقع شمال (نجران) إلى وادي تثليث ، ويرى (كلاسر) أنها الأرض التي قصدها (سترابون) وأن (الحارث) Aretas هو (الحارث بن كعب) ، وهو كناية عن جد هؤلاء الذين أصبحوا في الإسلام يسمون (بني الحارث بن كعب)^٣ .

وأرى أن Aretas هو اسم ملك كان يحكم منطقة نزل فيها الرومان ، وأنه رجل كان حقاً من ذوي قرابة (عبادة) ملك النبط ، وأن الرومان عرفوا اسمه ولم يعرفوا اسم أرضه الواسعة فتسبوا اليه ، فقالوا : أرض Aretas كما يقول العوام في العراق عن نجد والمملكة السعودية : (أرض ابن سعود) أو (قيعان ابن سعود)^٤ أو كما يقولون حتى اليوم لأرض قبيلة من القبائل (أرض فلان) ، ويذكرون اسمه ، لاشتهاره ولقوة شخصيته .

وقد ذهب (كسكل) إلى أن المراد بأرض Aretas (الحارث) مملكة لحيان . وقد كانت هذه المملكة لا تزال - على رأيه - قائمة في هذا العهد ، فجاء إليها الرومان وذهبوا منها نحو الجنوب في اتجاه اليمن . غير أن بعض الباحثين يعارضون رأيه هذا ، لأنهم يرون أن مملكة لحيان لم تكن قائمة موجودة في هذا الوقت ، أي في حوالي السنة (٢٥ ق. م.)^٥ .

ويرى (كلاسر) أن Ararene ، هي (عراعران) (عراعرين) ، وهو موضع ذكره (الهمداني) في كلامه على (سروم) من ديار جنب قبل (القرعاء)^٦ وأن Sabus هو تحريف (شعب) أي قبيلة . وأما النهر الذي نشبت عنده معركة قتل فيها على زعم (سترابون) عشرة آلاف قتيل ، فهو (غيل الخارد) في الجوف^٧ . وعلى هذا يكون الروماني قد دخل الجوف وسار إلى مدن Nescus

١ الصفة (ص ١١٦) .

٢ Glaser, Skizze, II, S., 52.

٣ ينطقون القاف « كاف » أعجمية كـ .

٤ Die Araber, I, S., 96, Caskeel, Liyan, S., II, f.

٥ الصفة (ص ١١٥) .

٦ Glaser, Skizze, II, II, S., 55, 61.

، Askā = Asca = Nesca ، وهي (نشق) المعينة القديمة . و Atroula ،
و Marsiaba Athrulla^١ . والجوف هو موطن المعينين ، فلما غلبهم السبيثون
على أمرهم ، أصبحت السيادة عليه لسباً قبل مدة طويلة من وصول الرومان اليه .
ويظهر أن السبيثين كانوا يتصورون ان الرومان يسلكون الطريق التي هي الى
الغرب . فلما سمعوا أنهم سلكوا طريقاً تقع الى الشرق ، أسرعوا الى الجوف ،
لمنعهم من الزحف الى العاصمة . ويرى (كلاسر) أن الرومان سلكوا في مسيرهم
الى اليمن طريقاً تقع على حافات (السراة) الشرقية ، وذلك ليتجنبوا الاحتكاك
بالقبائل الساكنة على الطريق التجارية التي تسلكها القوافل التجارية^٢ . ويعارض
رأي (شبرنكر) الذي يذهب الى أنهم سلكوا طريق وادي لإضم الى المدينة ،
ومنها الى نجد فالفلج ، ومنه الى نجران^٣ . أما (فورستر) ، فيرى ان الرومان
بعد أن نزلوا (لويكة كومة) ، وهي في نظره (الحوراء) ، سلكوا
طريق (يثرب) ، ثم اتجهوا الى (القصيم) حيث دخلوا قلب نجد ، ثم عقبوا
بعد ذلك الطريق المؤدية الى اليمن ، فساروا في اتجاه نجران ، ومنها دخلوا
اليمن ، فاصطدموا باليمنيين على نحو ما قصه علينا (سترابون) و (بلينيوس)^٤ .
ولما عادوا ، سلكوا طريقاً أخرى أقصر ، وفرت عليهم بعض الزمن . مروا
بنجران ، ومنها الى (الآبار السبع) (العيون السبع) وهي (الحصبة) ، وهو
موضع يقع على مسافة (١٥٠) ميلاً الى الغرب من نجران ، ومنه الى موضع
Chaalla ، وهو (خولان) في بلد (خولان) ، ومنه الى Malotha ، وهو
مدينة تقع على نهر هو وادي (ضنكان)^٥ . ويرى أن Malotha هي (تبالة) ،
ومن (تبالة) الى (ينيع) حيث أبحر من بقي حياً من الرومان الى مصر^٦ .
وذكر (سترابون) ان موضع (الآبار السبع) انما دعي بهذا الاسم لوجود

١ Die Araber, II, S., 50.

٢ Glaser, Skizze, II, S., 62.

٣ Glaser, Skizze, II, S. 54.

٤ Ibid, II, S., 50, Forster, II, P., 303.

٥ وهو واد في اسافل السراة يصب في البحر . وهو من مخاليف اليمن ، البلدان
(٤٤٢ / ٥)

٦ Forster, II, PP., 328.

آبار فيه ^١ . ومن الصعب جداً في الزمن الحاضر البت في موضع هذا المكان . أما (فلي) ، فبرى انه أرض (خير) التي اشتهرت بكثرة مياهها ، أو موضع (بيشة) . وأما Chaalla و Malothas ، فبرى (فلي) انها موضعان غير معروفين ، يصعب تعيينها في الزمن الحاضر ^٢ . وتفصل بين (الآبار السبع) و Chaalla صحراء . و Chaalla قرية تليها قرية أخرى هي Malothas وتقع على نهر ^٣ .

وبرى (كلاسر) احتمال كون Chaalla ، موضع (كهالة) ، أو موضع ما يدعى بـ (حوالة) ، وهو - في نظره - موضع Achoali في تاريخ (بلينيوس) ^٤ . وأما Malothas ، القرية التي تقع على نهر ، فبرى ان من الصعب تعيين موضعها ، ولكنها تقع على وادي (بيشة) على كل حال ^٥ . و (كهالة) موضع من المواضع المعروفة في اليمن ، وبه مياه . ولا يمكن أن يكون المكان الذي قصده (سترابون) ، لأن ذلك المكان بعيد عن (الآبار السبع) ، وتقع (الآبار السبع) على مسيرة أحد عشر يوماً عن Negrana ، أي (نجران) ، فيقع مكان Chaalla ، اذن شمال (الآبار السبع) ، أي أبعد منه عن (نجران) . فهو اذن من الأماكن التي يجب البحث عنها في الحجاز .

وسجل خبر حملة (أوليوس غالوس) على اليمن باختصار رجل آخر مات بعد (سترابون) (المتوفى عام ٢٤ ب. م.) بمدة قصيرة ، هو (بلينيوس) المتوفى سنة (٧٩ ب. م.) ^٦ . وقد أشار في مطلع حديثه عن الحملة إلى أن (أوليوس غالوس) كان الروماني الوحيد الذي أدخل محاربي (رومة) جزيرة العرب . وقد خرب مدناً ، لم يرد ذكرها في كتب من تقدمه من المؤلفين ،

Strabo, III, P., 212. ١

Philby, Background, P., 101. ٢

Strabo, III, P., 212. ٣

Glaser, Skizze, II, S., 63. ٤

Ibid, ٥

الصفة (ص ١٨٨ ، ٢٠١) ، البكري ، معجم (٤٨٢) ، « طبعة وستنفلد » ٦

H. Rackham, Pliny, Natural History, Vol., I, P., VII, () (Leob Classical Library). ٧

ولذلك ذكرها ، وهي : Negrana و Nestus^١ و Nesca و Magusus^٢ و Caminacus^٣ و Labaetia^٤ و Mariba^٥ التي يبلغ طول محيطها ستة أميال ، و Caripta ، وهي أبعد موضع بلغه (غالوس)^٦ . وأما (ديوكاسيوس) Dio Cassi ، فيرى ان مدينة Adula هي آخر موضع بلغه الرومان^٧ .

و Negrana ، هي نجران كما ذكرت سابقاً . أما Asca و Nesca ، Neska فمدينة (نشق) وتعرف اليوم بـ (البيضاء)^٨ . وأما Magusum = Magusa ، فيرى (كلاسر) أنها قرية من (مجزر) ، وهو موضع يقع جنوب (البيضاء) أو (مجزع) ، أو (مجزأة)^٩ . وأما (كروهن) Grohmann فيرى أنها قرية (مجزرة) المعروفة حتى هذا اليوم . وهي في موضع ذي مياه ، وقد كان مأهولاً وما زال . لذلك رأى انه ذلك المكان الذي قصده (بلينيوس)^{١٠} .

وأما Caminacum ، فهو قريب من (كمنة) (كمنهو) الواردة في المسند . و (كمنأ) في الزمن الحاضر^{١١} ، ويقع شرق (البيضاء) وشمال شرقي (مجزر)^{١٢} . وأما Caripeta ، فيرى (كلاسر) أن هذه التسمية قرية من (خربة) العربية ، وان (بلينيوس) الذي أوردها إنما أراد إحدى المدن التي كانت خربة في ذلك العهد^{١٣} . ويذهب (فليبي) الى هذا الرأي أيضاً ، ويرى احتمال كون Caripeta موضع (خربة سعود) . وذهب بعض آخر الى

١ «Amnestrum», «Nestrum», «Nestum», Skizze, II, S., 56, 61; «Nestum»; Pliny; II, P., 458.

٢ «Masugum», Magusum», Glaser, Skizze, II, S., 56, 61.

٣ Pliny, II, P., 458, «Caminacum», Glaser, Skizze, II; S.; 56; 61.

٤ «Labecia», «Labetia», «Labaetiam», Glaser, Skizze, II, S., 56; 61; Pliny; II; P.; 458.

٥ «Maribam», «Mariva», Skizze, S. 56, 61, Pliny, II; P. 458.

٦ Pliny, II, P., 458. f., Bk. VI, 160.

٧ Glaser, Skizze, II, S., 56.

٨ Glaser, Skizze, II, S., 61, Beiträge, S., 31.

٩ Glaser, Skizze, II, 61, Beiträge S. 31.

١٠ Beiträge, S., 15.

١١ الصفحة (١٦٧) .

١٢ Glaser, Skizze, II, 61, Beiträge, S. 31.

١٣ Glaser, Skizze, S., 58.

إنها موضع (حريب) ويسمى بـ (اساحل) في (رغوان)^١ .
ويرى (شبرنكر) أن Labetia أو Labecia إنما هي (لقبق) . أما
(كلاسر) ، فيرى أنها (لوق) ، وهو موضع خربة في (شحاط) عند
جبل (قدم) على مسيرة ساعتين من شمال شرقي معين ، أو قاع (لبة) غرب
البيضاء^٢ ، وان Nestum هي (نسمة)^٣ ، أو (وادي وسط) ، الواقع بين
الخب والجوف ، أو (وادي وسط)^٤ ، أو (نشان) (نشن) ، المدينة
المعينة القديمة^٥ ، ان Marsiaba ، أو Mariva ، إنما هي Mariba لدى
(سترابو) أي (مأرب) في رأي بعض الباحثين . أما (كلاسر) فيرى ان
الرومان لم يتمكنوا من الوصول الى مأرب ، وان Marsiaba أو Mariva أو
Mariaba ، لا يقصد بها مأرب عاصمة سبأ ، وإنما هي موضع آخر في الجوف^٦ .
فلو كانت هي عاصمة سبأ ، لما ذكر (سترابون) أنها عاصمة شعب يعرف
باسم Rhamanitae ، كما يحكمه ملك ، يسمى Iasaros ، وفي ذلك دليل
على أنها مأرب أخرى ، لا مأرب السبئية^٧ .

و Iasaros من الأسماء العربية ، ولا شك ، وقد صحف على ما يظهر ،
فصار بهذا الشكل . والظاهر انه (الشرح) (اليشرح) في الأصل . وقد
رأينا ان عدداً من ملوك العرب الجنوبيين عرفوا باسم (الشرح) . وقد يكون
سيد قبيلة من القبائل الكبيرة ، اسمها Rhamanitae على حد قول (سترابون) .

ولسنا نعلم على وجه التحقيق من هم Rhamanitae الذين كان يحكمهم
(الشرح) وقد رأى (فلي) احتمال كونهم (ردمان) أو (ريمان)^٨ .
واذا أخذنا بهذا الرأي ، وجب القول إن Marsiaba هي مدينة أخرى، لا (مأرب)
عاصمة سبأ كما ذهب (فلي) الى ذلك . و (ردمان) من الأسماء المشهورة

١ Philby, Sheba's P. 10, Beiträge, S. 31.

٢ Glaser, Skizze, II, S. 61, Beiträge, S. 31.

٣ الصفة (١٦٧) .

٤ Glaser, Skizze, II, S., 62.

٥ Beiträge, S. 31.

٦ Glaser, Skizze, S., 58.

٧ Glaser, Skizze, S., 62.

٨ Philby, Background, P., 98.

المعروفة . وقد ورد في الحديث : « أملك ردمان » ، أي مقاولها^١ . وقد ورد اسم (ردمان) في مواضع عديدة في كتاب (صفة جزيرة العرب)^٢ . كما ان (ريمان) من الأماكن الشهيرة كذلك وهو بخلاف باليمن وقصر^٣ . وأما (كلاس) فقد سبق ان ذكر جملة أسماء تحتمل في رأيه أن تكون لها علاقة باسم هذه القبيلة . وهو يرى أيضاً احتمال كون الاسم Rambanitae بدلاً من Rhamanitae . وأما الأسماء التي ذكرها ، فهي : (رغوان) ، و (رابن) (رابان) (ربان) و (رحبة) (رحابة) ، و (ريمان) ، و (غيان) ، و (ردمان)^٤ . أما (رابان) (ربان) و (ردمان) ، فن أسماء القبائل أيضاً . ويرى ان موضع (ردمان) هو الى الجنوب من الأماكن التي بلغها الرومان ، ولذلك استبعد اسم (ردمان) من هذه الأسماء ، ثم استبعد كذلك (غيان) ، و (وريمان) و (رحبة) أيضاً . فلم يبق لديه من هذه الأسماء الا (رغوان) و (رابن) (رابان) . أما موضع (رغوان) ، فيرى ان مكانه ملائم تمام للملاءمة ، إلا انه لم يثبت عنده انه اسم قبيلة ، فرجح اسم (رابان) عليه ، وهو اسم قبيلة ورد في نصوص المسند ، ورد مثلاً في نص : « Glaser 302 »^٥ ، ويعود الى أيام (ملوك سبأ) وكانوا من المعاصرين لمملكة (سمعي) ، ويرى ان الرابانيين كانوا قد حافظوا على استقلالهم ، فكانت لهم مملكة في أيام (أوليوس غالوس) والظاهر انها حلت محل (سمعي) ، غير ان هذا لا يعني انها كانت مملكة بالمعنى المفهوم ، بل كانت مشيخة أو إمارة يتمتع ساداتها بلقب (ملك) ، وكانت تابعة للمملكة (سبأ وذي ريدان)^٦ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن Ilasaros هو (الشرح يحضب) وكان إذ ذاك في نزاع وصراع مع (ذي ريدان) أي الحميريين الذين كانوا قد ظهوروا للوجود ، وأخذوا ينازعون الأسرة السبئية الحكم منذ حوالي سنة (١٠٠ ق. م) . وذلك في عاصمتهم (ظفار) ومن مقرهم في حصن (ريدان) . فكان غزو

١ منتخبات (ص٧٦) ، البلدان (٢٤٤/٤) .

٢ الصفة (٥٥ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٥) .

٣ البلدان (٤ / ٣٥١) ، الصفة (٧١ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٢٥ ، ٢٢٤) .

٤ Glaser, Skizze, II, S., 59.

٥ Glaser, Skizze, II, S., 59.

٦ Glaser, Skizze, II, S., 60.

(أوليوس غالوس) اليمـن في وقت ملائم جداً للرومان ، ولكن ظروفاً أخرى عاكستهم فاضطرتهم إلى التراجع والعودة فتمكن بذلك (الشرح) من التغلب على خصومه^١ .

وقد ذهب (فون وزمن) إلى أن مدينة Marsaiba/Marsiaba هي (مأرب) ، وقد حرفت وتحولت من Mariaba ، حتى صارت على الشكل المذكور . وقد ذكر (سترابون) أن (أوليوس غالوس) حاصرها مدة ستة أيام ، ثم رفع الحصار عنها لقلّة مياه الشرب ، واضطر بذلك إلى التراجع^٢ .

وأما شعب Rhamanital/Ramanital فإنه (ريمان) . وريمان قبيلة عربية ورد اسمها في عدد من كتابات المسند . ويرى (فون وزمن) أن الرومان أخطأوا في اسم الشعب ، وذلك لأن قبلاً من أقيال هذه القبيلة كان هو المدافع عن (مأرب) في ذلك الزمن وقد سمعوا باسمه ، فظنوا أن ريمان اسم أهل مأرب ، ولذلك جعلوا (مرسيابة) عاصمته وصيبروا Ilassaros ملكاً من ملوكهم من جراء وقوعهم في هذا الوهم^٣ .

وذهبت (بيرين) Pirenne إلى أن Marsiabe والصور الأخرى للكلمة ، إنما حدثت من تحريف وقع في اليونانية ، وأن الأصل (مأرب سبأ) . فحرفها اليونان إلى Marsiabe . وقد استدلت على صحة رأيها بما ورد في المؤلفات العربية (من مأرب سبأ)^٤ .

وقد ذكر (بطلميوس) شعباً سماه Rabanital أو Arabanital ، تمتد مواضعه إلى جبل Klimax ، أي الجبل المدرج ، والظاهر أنه يقصد سلسلة (السراة) التي يعمل الناس فيها مدرجات لغرس الكروم ، وغيرها . وذكر بعدهم شعباً آخر هو Masonitai . يرى (كلاسر) أنه (مأذن) ، ويسكنون في أعالي (الحارد) أي في جوار (رأبان) ، وهو يطابق قول (بطلميوس) وواقع الحال^٥ .

١ Belträge, S. 33.

٢ Belträge, S. 32.

٣ Belträge, S. 34.

٤ Die Araber, II, S. 50, Le Royaume Sud Arabe de Qataban et sa Datation, 1961, 112.

٥ Glaser, Skizze, II, S. 60.

وقد وردت جملة كتابات ذكرت اسم (ريمان) منها كتابة من أيام (الشرح يحضب) . وقد تبين من تلك الكتابات ان (آل ريمان) كانوا من الأسر المعروفة في هذا العهد ، ومنهم من تولى مناصب دينية وحكومية ، ولذلك رأى بعض الباحثين انهم هم Rhamanitae الذين ذكرهم (سترابو) . ويرون ان سترابو إنما سمي مدينة Marsiaba اي (مأرب) بمدينة الـ Rhamanitae لأن الذي حارب الرومان وقاتلهم ودافع عن المدينة قائد (ريمانى)، اي من (ريمان) ، فظن (سترابو) انها مدينة من مدنه فنسبها اليه .

ومن طريق (صراوح) تراجع (أوليوس غالوس) ، على طريق (اترلة) Athrulla إلى (نجران) سالكاً وادي مذاب ، ثم (وادي دماج) ٢ . أما (الآبار السبع) التي ذكرها (سترابون) ، فتقع ، في رأي (كلاسر) ، في (عسير) . وأما موضع (Chaalla) ، فهو (كهالة) او (حوالة) ، ومنه الى Malothas الواقع على نهر ، لعله (وادي بيشة) ، الى موضع قفر، اوصلهم الى تهامة عسير فالحجاز فمدينة Egra حيث ابحر منها الى مصر ٣ . وما ذكرته آنفاً عن تشخيص هذه المواضع التي ذكرها (سترابون) او (بلينيوس) او (ديو كاسيوس) ، إنما هو مجرد آراء وحوس . لعدم وجود كتابات او أدلة لدينا ترشدنا الى تعيين تلك المسميات على وجه مقنع صحيح .

وقد ذهب (ديو كاسيوس) Dio Cassius الى ان مدينة Athrula Athoula / Athulula ، كانت آخر موضع بلغته جيوش (أوليوس غالوس) في العربية الجنوبية ، وهو يخالف بذلك (بلينيوس) الذي ذكر ان مدينة Caripeta هي آخر المواضع التي بلغها جيش الرومان . ومدينة Athrula/Athloul/Athlula هي مدينة (يثل) على رأي بعض الباحثين الذين يرون ان الروم حرفوا الاسم العربي حتى صيروه على الشكل المذكور ليستقيم بذلك مع لسانهم ٤ .

ولم ترد في النصوص العربية الجنوبية اشارة ما الى غزو قام به الروم أو غيرهم لبلاد العرب . وقد تساءل (كلاسر) عن سبب سكوت المساند وعدم اشارتها

١ Philby, CH 322, 432, 512, Rep. Epig. 2742, 2743, Beltrage; S.; 34.

٢ الصفة (٨٢ ، ٨٣ ، ١١٤) .

٣ Glaser, Skizze II, S., 63.

٤ Beiträge, S., 32, Die Araber, II, S., 50.

إلى حملة (أوليوس غالوس) ، هذه الحملة المهمة التي لا بد أنها قد تركت أثراً بعيداً في نفوس السبثيين وغيرهم من القبائل الساكنة في اليمن والحجاز ، ورأى احتمال كون المراد من حملة (دشامت) (دشمت) الواردة في النص Halevy 535 الرومان المسيطرين على الشام ، وجملة (دشمت) السبثيين^١. وعلى ذلك يكون هذا النص كما يقول قد تعرض لخبر الحرب التي نشبت بين الرومان والسبثيين . أما أنا فأستبعد جداً هذا الرأي ، بل هذا الاحتمال، وأرى أن الجواب عن هذا السؤال هو أننا لم نعر حتى الآن على جميع المساند ، فنذهب إلى أمثال هذه الفرضيات ، وما عثرنا عليه هو شيء يسير بالقياس إلى ما قد يعثر عليه في المستقبل، ولا سيما إذا ما علمنا أن هذه المساند إنما عثر عليها على ظاهر الأرض، وإن العلماء لم يقوموا بحفريات علمية في أعماق الأرض . ولنا وطيد الأمل بالعثور على كتابات كثيرة مطمورة تحت الانقراض ، قد تأتي لنا بوثائق خطيرة عن تأريخ العرب الجنوبيين ، وقد تضع بين أيدينا أصول مكاتبات ومعاهدات ووثائق على جانب كبير من الأهمية ، كما يحدث في سائر الحفريات والتنقيبات ، وإذا لم يقيم العلماء حتى الآن بحفريات علمية على نطاق واسع ، فلا داعي إذن لإثارة سؤال في الزمن الحاضر كهذا السؤال .

لقد ظن (هالفي) أن الحظ سيسعده في أثناء سفره إلى اليمن ، فيظفره بآثار تشير إلى تلك الحملة الرومانية المخففة ، غير أن الحظ لم يحالفه، ولم يكتب له التوفيق . كذلك لم يكن الحظ حليفاً لـ (فليبي) ولا لغيره من السائحين^٢ . فلم يستطع أحد منهم حتى الآن الاهتداء إلى كتابة عربية أو أعجمية أو أثر يشير إلى تلك الحملة المشؤومة، حملة الرومان ، للاستيلاء على العربية السعيدة على أرض الطيب واللبان والمر والبخور .

وأشار (سترابون) إلى أن أرض الطيب والبخور ، تتألف من أربعة أقسام، هي : Minaei أي معين ، ومدينتهم الكبرى هي : Carna أو Carnan و Sabaea وهم سبأ ، وعاصمتهم هي Mariaba ، و Chattabanae وهم (قتبان) ، وعاصمتهم Tamna ، وتقع بلادهم على ساحل البحر العربي ،

١ Glaser, Skizze, II, S. 65.

٢ Philby, Background, P., 32.

و Chatramotita ، وهم حضرموت وعاصمتهم Sabata ، وهم أبعد هذه الشعوب إلى الشرق^١ . وقد نقل (سترابون) كلامه هذا من (ايراتوستينس) الذي عاش قبله كما هو معلوم^٢ ، فهو يتحدث إذن عن الحكومات الكبرى التي حكمت العربية الجنوبية ، وعن الشعوب التي وصل علمها إلى مسامع اليونان والرومان .

وتطرق (سترابون) بشيء من الإيجاز إلى الناحية الاجتماعية التي كانت عليها اليمن في ذلك العهد ، فذكر ان الحياة كانت طبقات ، لكل طبقة واجب ووظيفة ، وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء . فهناك طبقة المحاربين ووظيفتهم الدفاع عن الطبقات الأخرى ، وطبقة المزارعين وشغلهم تهية القوات والطعام لاعاشة سائر الشعب ، وطبقة ثالثة وظيفتها التجارة ، والتجارة لا تنتقل من أسرة إلى أخرى ، وعلى كل فرد أن يمارس حرفة أبيه^٣ . وذكر أشياء أخرى يظهر ان طبيعة أكثرها من نوع قصص التجار والسياح ، لا يعتمد على التدقيق والتمحيص .

ويظهر ان تلك الانتكاسة لم تؤثر في خطة (أغسطس) في السيطرة على البحار ، إذ نرى (سترابون) المعاصر لهذا القيصر ، يشير إلى أن الرومان كانوا يرسلون سفناً إلى الهند ، لم يتعودوا ارسال أمثال عددها فيما مضى ، كما عثر على نقود رومانية في الهند ، وأقيم في ساحل (مالابار) معبد كرتس باسم ذلك القيصر ، مما يدل على وجود جالية رومانية فيه^٤ . ويظهر ان اسطول الرومان كان قوياً وقد استعمل سفناً كبيرة ، وضع فيها محاربين من رماة السهام ومن المقاتلين المدربين ، وبذلك تمكن من الوصول إلى الهند ومن الرجوع منها بانتظام وبحرية .

لم تصل إلينا أخبار مفصلة عن مشروعات الرومان في جزيرة العرب بعد هذه الحملة . والظاهر أنهم غيروا خططهم السياسية ، وكيفوها تكييفاً جديداً يوائم التطور الذي حدث في الموضع العالمي في القرن الأول للميلاد ، ويناسب الدروس التي تعلموها من حملتهم المخفقة المذكورة . فلم يفكروا في فتح عسكري مباشر

١ Strabo, III, P., 190, 213.

٢ Strabo, III, P., 189.

٣ Strabo, III, P., 213.

٤ العرب والملاحه (ص ٧٥) .

لجزيرة العرب يكون متجهاً من الشمال للجنوب ، مخترقاً الطرق البرية ، بل رأوا تقوية أسطولهم في البحر الأحمر ، وتحسين علاقاتهم السياسية بالإمارات العربية وبسادات القبائل ، للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية ، وتوجيه أنظارهم نحو ساحل إفريقية وحكومة الحبشة . ف عقدوا اتفاقيات صداقة ومودة مع حكام (أكسوم) ، وكونوا حلفاء معهم ، وبذلك أخذوا يضغطون منذ ذلك العهد على السبثيين .

ويحدثنا صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) أن الرومان عقدوا معاهدة تحالف مع ملك (ظفار) ، وهو ملك Homeritae^١ ، وتدل هذه الإشارة الغامضة على وجود صلات بين الرومان وبين رئيس حير في هذا العهد . وفي هذا التحالف ما فيه من شرح للعلاقات السياسية الجديدة التي حدثت بين الرومان والعربية الجنوبية ، ومن محاولات الرومان ، ثم البيزنطيين من بعدهم ، التدخل في شؤون البلاد العربية الجنوبية بأسلوب جديد .

ولا ندري متى احتل الرومان ميناء (عدن) الذي يسمونه Eudamon - Emporion والذي دعاه (بلينيوس) Athene = Athenae = Athaene^٢ ، إذ يحدثنا مؤلف (كتاب الطواف حول البحر الأريتري) أن (القيصر) Kaisar استولى عليه في زمن غير بعيد عن زمانه ودمره . وقد تصور بعضهم أن ذلك وقع في أيام (كلودبوس) (٤١ - ٥٤ م) أو قبلها بقليل^٣ . ولعل لمساعدات (الأكسوميين) لحكام (رومة) فضلاً في هذا الاحتلال^٤ . ولا بد أن يكون هذا الاستيلاء قد حدث من البحر ، إذ لا يعقل وقوعه من البر . فقد كان البر في أيدي السبثيين والقبائل العربية الأخرى . وقد رأينا قبل قليل اخفاق الرومان في الاستيلاء على اليمن ، ورجوعهم عنها خائبين . ولأهمية (عدن) من جميع الوجوه نستطيع أن نتصور أنهم قد حصلوا على فوائد عظيمة من هذا الاحتلال الذي لا نعرف منتهاه وخاتمته ، وكيف حدثت تلك النهاية .

ويرى بعض الباحثين أن استيلاء الرومان على (عدن) كان بعد حملة

١ Hourani, P., 32.

٢ Stuhlmann, S., 12, Parola del Passato, 9 (1954), 401, Araber; I; S.; 43.

٣ Araber, I, S., 43.

٤ Stuhlmann, S., 12.

(أوليوس غالوس) على اليمن ، وربما بعد الميلاد بقليل . وذلك بعد اخفاق تلك المحاولة الرامية إلى بلوغ المحيط الهندي من البر والاستيلاء على العربية الجنوبية ، تعويضاً عن تلك الخطة الخائبة ، فنجح الرومان في الاستيلاء على الميناء من البحر ، وذلك في حوالي السنة (٢٤) بعد الميلاد ، وهو زمن غير بعيد عن حملة (أوليوس غالوس)^١ .

وقد ذهب (مومسن) Mommsen ، إلى أن الاستيلاء على عدن كان قد وقع في أيام (كايوس قيصر) Caius Caesar ، إذ ورد في الأخبار أن أسطوله في البحر الأحمر كان قد استولى على جزء صغير من بلاد العرب ، فيحتمل على رأي (مومسن) أن يكون المكان الذي استولى عليه هو عدن . ويحتمل على رأيه أيضاً أن يكون هذا الاحتلال قد وقع بعد قليل من هذا الوقت . بينما ذهب آخرون إلى أنه وقع في أيام (كلوديوس) Claudius ، أو (نبرون) (نبرو) Nero^٢ .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن القيصر المقصود هو (كركلا) (كركلا) Caraculla ، وذلك لأنه كان قد هاجم العرب الـ (سكينيتة) Scenites في أثناء الحروب الثانية التي أعلنها القيصر (سبتيميوس سيوروس) Septimius Severus على (البارثيين) Parthians ، (١٩٧ - ١٩٩ م) . وذهب بعض آخر إلى أن في خبر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريترى » بعض الوهم في تثبيت لفظة (قيصر) Kaiser ، وذلك لأن العادة لم تكن قد جرت في ذلك الوقت بتلقيب ملوك (رومة) بلقب (قيصر) . لذلك رأى أن في الكلمة تحريفاً ، وأنها قد تعني شيئاً آخر . وقد يكون تحريف Elisar أو Haisar ، أي (الأشعر) ، وهم Elisaroi عند (بطلميوس)^٣ . ويرى من يذهب إلى أن المراد بـ Kaiser (البزر) Elisar ، أي (الأشعر) (اشعرن) ، أن الاستيلاء على ميناء (عدن) وتخريبه كان بعد اخراج الجيوش عن العربية الجنوبية ، وأن أرض (الأشعريين) غير بعيدة عن عدن . لذلك فلا تستبعد مهاجمتهم لعدن

^١ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 170.

^٢ J. Oliver, Thomson, History of Ancient Geography, Cambridge, 1948, P., 296.

^٣ F. Althelm, Geschichte der Hunnen, V, 1962, S. 13, Die Araber; S. 42; Le Muséon; 1964; 3-4. 480.

في وقت غير بعيد عن أيام مؤلف الكتاب ، وان المؤلف ذكرهم، ولكن تحريفاً وقع في الاسم فحوّله إلى Kaiser^١ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان لفظة Kaiser هي كلمة Ilisar أو Ilasar المذكورة في خبر (سترابون) عن حملة (أوليوس غالوس) ، وقصد بها (الشرح يحضب) .. وهو يرى ان ميناء (عدن) قد خرب في ابان حروب (الشرح يحضب) مع قتيان وحضرموت، وان مؤلف ذلك الكتاب أراد (الشرح) Ilasar ، ثم حرف النسخ اللفظة حتى صارت Kaiser^٢ .

وقد صار في امكان السفن الرومانية بعد الاستيلاء على عدن الاستراحة فيها والاقلاع منها إلى الهند وإلى السواحل الافريقية والعودة اليها . وقد وضع الرومان فيها حامية رومانية لضمان سلامة الرومان في هذه المنطقة ، كما وضعوا سفناً تحمل رماة من الرومان لمقاومة لصووص البحر من التحرش بالسفن ، وقد كان أولئك اللصوص يملأون البحار^٣ .

وفي عدن عند الـ Crater (الكريتر) صهريج كبير لتخزن الماء ، من عهد ما قبل الميلاد على رأي بعض الباحثين ، يتسع لزهاء عشرين مليون (غالون) من الماء ، تأتي اليه من الأمطار ، يظهر انه استعمل في ذلك العهد لتأمين هذا الميناء المهم بماء الشرب ، لعدم وجود موارد كافية من الماء ، تسد حاجة أهله به^٤ .

وقد حصل ميناء (عدن) على شهرة بعيدة منذ هذا الزمن ، وظل محافظاً عليها وعلى أهميته حتى اليوم . ولا ندري متى اضطّر الرومان الى ترك هذا الميناء، على وجه صحيح مضبوط . ولكن الذي نعرفه أن الرومان ، ثم الروم من بعدهم، بقوا يقيمون وزناً له ، ويهتمون بشأنه ، لأنه كان أسهل طريق لهم توصلهم إلى سواحل إفريقية والهند والعربية الجنوبية ، ولذلك كانت فيه دائماً جالية كبيرة من أصحاب السفن والتجار . ولعل هذا الاهتمام هو الذي حمل القيصر (قسطنطين

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P., 481.

٢ Belträge, S., 88

٣ Sanger, P. 170.

٤ Sanger, the Arabian Peninsula, P. 208.

الثاني) على إرسال بعثة نصرانية تبشيرية الى عدن ، بلغت سنة ٣٥٦ للميلاد^١ .
 ويفهم من كلام مؤلف (كتاب الطواف حول البحر الأريتري) أن ميناء
 عدن Eudaimon Arabia كان الموضع الذي تقصده السفن القادمة من مصر
 ومن الهند ، ففيه تفرغ حمولات تلك السفن لتتنقل منها الى مصر أو الى الهند^٢ ،
 فبناء عدن كان ذا شأن خطير في التجارة العالمية إذ ذاك ، وكان الموضع الذي
 تتبادل فيه السفن الحمولات .

وعرف ميناء عدن بـ Arabia Emporion عند (بطلميوس)^٣ ، وكان
 (أورانيوس) Uranius أول من سماه بـ (ادنه) Adana ، أي (عدن) ،
 وذلك كما جاء في كتاب (اصطيفانوس البيزنطي) الذي عاش في القرن الثالث
 بعد الميلاد^٤ . وذكر اسم Adane في أخبار تنصر الحميريين في أيام القيصر
 (قسطنطين الثاني) (٣٣٧ - ٣٦١ م)^٥ . وقد سمي ميناء عدن بـ Athana
 عند (بلينيوس)^٦ وبـ (Adana) ، عند (فيلوستورجيوس) Philostorgius^٧ .
 وكان قد خرب وتعطل أيام حملة (أوليوس غالوس) ، فحل ميناء Muza على
 البحر الأحمر محله ، ولكنه مع ذلك لم يفقد منزلته ، وعادت اليه مكانته بعد
 مدة قصيرة من هذه الكارثة^٨ .

وقد ذكر (بليني) بعد اسم (عدن) Athana = Athenae اسم قبائل
 جعل أرضها على مقربة من (عدن) . فذكر اسم Caunaravi و Chorrantae
 و Cesani = Chani^٩ . وفي هذه الأرضين ، وجدت كما يفهم من أخبار
 (بليني) وغيره ، مدن يونانية سكنها يونان ، منها : Arethusa و Larisa
 و Chalcis . وهي مدن خربتها ودمرتها الحروب^{١٠} .

١ Sanger, P. 203.

٢ Belträge, S. 88.

٣ Belträge, S. 89.

٤ Belträge, S. 89.

٥ Philostorg., Hist. Eccles., III, 5, Belträge, S. 89.

٦ Pliny, 6, 28, 32.

٧ Philostorgius. H. Eccl., 3, 4, O'Leary, P. 108.

٨ O'Leary, P. 96.

٩ Pliny, 6, 28, 32.

١٠ Araber, I, S., 120.

ويظن بعض الباحثين ان المدن اليونانية التي أُشير اليها ، والتي ذكر (بلييني) انها خربت ودمرت بالحروب ، هي من المستوطنات التي أنشأها وأقامها (البطالمة) على السواحل العربية ، لايواء السفن اليونانية والتجسار والجنود الذين زرعوا في هذه الأماكن لحماية تجارة البطالمة والسيطرة منها على السواحل العربية وعلى البحار . فلما ضعف أمر البطالمة ، هاجمت القبائل العربية هذه المواضع واستولت عليها ، فخربت تلك المدن ، أو غلب عليها العرب ، وتبدلت أسماءها إذ تحولت إلى أسماء عربية .

وميناء Qena (قنا) الذي يقع على المحيط الهندي ، كان أيضاً من الموانئ المعروفة التي يقصدها التجار في هذا الزمن فتصل اليه السفن للامتياز وللخروج منه إلى الهند . وشهرته هذه قديمة ، ويغلب على الظن انه ميناء (كنة) الذي ذكر مع (عدن) في سفر (حزقيال) ، لأن القرائن تدل على انه هو المقصود من الآية في هذا السفر : « حَرَآن وكنة وعدن تجار شبا وآشور وكلمد تجارك »^٢ .

وقد ذكره (بلينيوس) في جملة الموانئ المقصودة التي كانت السفن الرومانية تصل اليها وهي قادمة من ميناء Berenice بمصر . وهذه الموانئ هي : Muza ، أي (موزع) عند (غنا) و Ocelis عند باب المنذب ، و Cane (قنا) الميناء الذي نتكلم عنه^٣ .

وذكر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » هذا الميناء أيضاً ، كما ذكر ميناء Mōusa = Muza وعدن ، و Ocelis = Okylis . وقد ذكر ان هذا الميناء الأخير كان قرية . أما ميناء (قنا) (كنا) (كانه) Kany = Kana (كان) فكان في أرض الملك Eleazoz ، أي (العزيط) . يملك حضرموت ، وذكر ان في مقابل هذا الميناء جزيرتين ، تسمى احدهما جزيرة الطيور Ogneun ، وتسمى الأخرى جزيرة (القباب) ، والجزيرة الأولى هي جزيرة (سبخا) في الزمن الحاضر ، وأما الثانية فهي جزيرة (براقه)^٤ . وذكر

15, (1929), II Araber, I, S., 121, W. W. Tarn, Journ. Egypt. Arch., ١
Belträge, S. 88. ٢
Belträge, S. 89. ٣
Belträge, S. 90. ٤

مؤلف الكتاب المذكور ان اللبان والمر وبقية الأفاويه تحمل من منابقتها إلى ميناء Kany وقد تحمل على وسائل النقل المائية المصنوعة من قرب منفوخة بالهواء ، مشدودة إلى جذوع أو أخشاب بحبال تربط بينها ، لتوصل تلك المواد الثمينة إلى الميناء المذكور . ثم توزع من هذا الميناء على التجار أو ترسل في السفن إلى الأسواق العالمية ، كما ذكر ان السفن تذهب من هذا الميناء إلى الهند وإلى الخليج وتذهب منه إلى موانئ الساحل الأفريقي كذلك^١ .

وبعد أن كوّن (تراجان) ما يسمى بـ (المقاطعة العربية) (الكورة العربية) Provincia Arabaea في سنة (١٠٥م) أو (١٠٦م) ، أحدث تغييرات مهمة في الإدارة وفي طرق المواصلات وأصول الجباية ، فأنشأ طريقاً مهمة من (أيلة) على رأس خليج العقبة مارة بالبثراء فبصرى إلى (دمشق) ، وصارت (بصرى) محطة مهمة جداً للقوافل القادمة من اليمن والحجاز ، وأصلح القناة القديمة التي تصل النيل بالبحر الأحمر ، وقوى الأسطول الروماني ، وأمدّه بسفن أحدث وأقوى من السفن القديمة ، وذلك لمقاومة لصوص البحر وللسير بحرية في البحر الأحمر ، ولاحتكار التجارة البحرية التي هي مصدر كل غنى وثراء^٢ .

ولا تزال آثار الطريق الرومانية باقية تشاهد حتى اليوم . تشهد بأهمية الطريق وبحسن هندستها بالنسبة إلى ذلك الزمن . وهي تمر بمدن وقرى عديدة وتربط بينها : منها (أم الجبال) ، وهو موضع مهم كان ذا أهمية خاصة في العهد الروماني ، وفي أيام النبط ، حيث عثر فيه على كتابات نبطية عديدة ، وموضع (خربة سمرا) وهو موضع اشتهر في العهد الروماني وفي العهد البيزنطي الذي تلاه . وقد عثر فيه على آثار رومانية وبيزنطية ونبطية . ويظهر من مخازن المياه ومن آثار الآبار التي عثر عليها في هذا الموضع أنه كان مركزاً من مراكز تجمع القوافل التجارية ، وموضعاً من مواضع تربية الماشية^٣ .

وقد اكتسحت فتوحات (تراجان) مناطق واسعة من الشرق الأدنى ، ويقال إنه وصل إلى جنوب العراق ، وإنه دخل مدينة (كاركاس) (كركس) Charax ، وإنه نظر سفينة قاصدة الهند ، فتحسر وتنهّد ، لأنه بلغ من العمر

Beiträge, S. 90.

Basoor, Num. 85, 1942, PP., 3, 6.

Basoor, Num. 85, 1942, PP., 6.

١

٢

٣

مبلغاً لا يسعفه على ركوب تلك السفينة واستنشاق هواء ذلك البحر ، وقد غبط الإسكندر الذي سبقه الى هذا المكان بمئات من السنين ، وكان أصغر منه سناً ، فبلغ مبلغاً لم يصل اليه ملك هذا الامبراطور^١ .

وقد كان على مقربة من (الرها) Edessa سيد قبيلة عربية اسمه (معنو) Ma'nu أي (معن) . وكان يحكم العرب المجاورين . ولما طلب القيصر (تراجان) حضوره اليه لمكالمته لم يلب طلبه بالرغم من علامات الودّ التي أظهرها له . ذلك لأن القيصر كان يشك في نيّاته ، فخاف أن يقبض عليه ، وتراجع إلى مواضع بعيدة ، فاستولى الرومان على (سنجار) Singara وكانت تابعة له . وقد نزل العرب فيها واختلطوا بسكانها الأصليين^٢ .

لقد كان البخور رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة في ذلك العهد . كان سعره يساوي سعر الذهب والبترول في هذه الأيام . ولم يكن يشتريه لغلائه هذا إلا رجال الدين ، لاستعماله في الشعائر الدينية التي تستترف القسم الأكبر منه، والملوك والأثرياء ، وذلك لحرقه في المناسبات الدينية وفي اجتماعاتهم . ونجد المؤرخ الكاتب (بلينيوس) يشتكي من تبذير (نيرون) عاهل (رومة) (٥٤ - ٦٨ م) ومن إسرافه في حرق البخور واللبان لأجراء شعائر جنازة زوجه المتوفاة . فقد كلف حرق تلك المادة الضرورية في مثل هذه المناسبات خزينة الدولة ثمناً باهظاً لارتفاع أسعارها في ذلك الزمن^٣ .

وآخر ما يقال عن تدخل الرومان في شؤون جزيرة العرب ، هو ان القيصر (سبتيموس سيفروس) Septimus Severus ، أرسل حملة عسكرية في سنة (٢٠١ م) توغلت في (العربية السعيدة) ، غير ان معارفنا عنها قليلة ، فلا نعلم إلى أين وصلت وكيف انتهت^٤ . ولعلها كانت قد تقدمت من (المقاطعة العربية) ، وهي المقاطعة الجديدة التي أوجدها الامبراطور (تراجان) على حطام مملكة النبط . وكان الذي قاد الحملة العسكرية على (العربية السعيدة) Eudaimon Arabla ابن القيصر (سبتيموس سيفروس)^٥ . وقد اشتهر فيها ،

-
- ١ العرب والملاحه (ص ٤٩) .
 - ٢ Die Araber, I, S., 313.
 - ٣ العرب والملاحه (ص ٧٥) .
 - ٤ Stuhlmann, S., 12.
 - ٥ Die Araber, I, S., 44.

غير ان معارفنا عنها لا تزال قليلة . وقد وردت أخبار هذه الحملة في موارد لم تشر إلى اسم القيصر الذي أمر بتجريد تلك الحملة على (العربية السعيدة) ، إذ اكتفت بذكر لفظة (قيصر) . ويظهر منها ان جيوش القيصر أنزلت خسائر فادحة أولاً بالعرب الساكنين في البادية وقد دعتهم تلك الموارد بـ Skenitae ، أي (سكان الخيام) ويراد بهم الأعراب ، ثم سارت تلك الجيوش حتى بلغت (العربية السعيدة) ، وذلك في السنة (١٩٦ - ١٩٨ ب. م) . ولا نعلم إلى أي مدى وصل إليه القيصر أو ابنه في هذه الغزوات^١ .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان (كروكال) Caracalla الذي خلف والده (سبتيميوس سيفيروس) Septimus Severus في الحكم ، هو الذي قاد الجيش الروماني الذي زحف على العرب الساكنين في أعالي (العربية السعيدة) Arabia Eudaimon كما يسميها (بطلميوس) ، وانه في ذلك العهد كانت حروب (سبتيميوس) مع (البارثيين) Parthians (١٩٧ - ١٩٩ م)^٢ . ويرون ان الرومان لم يتوغلوا بعيداً في جزيرة العرب ، وربما كان أقصى ما بلغوه ديار ثمود^٣ .

وفي كتاب «بحث في القضاء والقدر» Dialog über das Atom وهو المسمى أيضاً بـ «كتاب قوانين البلاد» Buch der Gesetze der Länder لـ (برديسان) Bardesanes الذي عاش فيها بين السنة ١٥٤ والسنة ٢٢٢ للميلاد إشارة إلى ان الروم لما استولوا على العربية Arabia من عهد غير بعيد عن أيامه ، أبطلوا قوانين أهلها البرابرة^٤ . ويقصد بالبرابرة الأعراب على ما يظهر . ويظهر انه قصد بذلك الحملة الرومانية المذكورة^٥ . وفي تأريخ الامبراطورية الرومانية أسماء رجال يرى بعض المؤرخين انهم كانوا من أصل عربي ، من هؤلاء (يوليا دومنا) Iulia Domina ، و (يوليا ميا) Julia Maesa ، و (ايلاكيل)

١ Die Araber, I, S., 44, II, S., 62, Miller, In Cambridge Ancient History, 12, (1939), 9, 16.

٢ F. Altheim, Geschichte der Hunnen, V, 1962, S., 13, Die Araber, I, S., 42.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 480.

٤ W. Cureton, Spicilegium Syriacum, 1955, 30.

٥ Die Araber, I, 43.

Elagabal (٢١٨ - ٢٢٢ م) ، و (يوليا مامية) Julia Mamaea و (سيفيروس الكسندر) Severus Alexander (٢٢٢ - ٢٣٥ م) ، وكانوا في رأيهم من أسرة دينية عربية . أما (فليب) Philippus (٢٤٤ - ٢٤٩ م) الذي تولى عرش (رومة) ، فقد عرف بـ (فليب العربي) ، وقد برز نفر من أسرة (الزباء) ملكة تدمر ، ونالوا مراكز ممتازة في الامبراطورية الرومانية^١ . وقد سعى القيصر (سيفيروس الكسندر) (سويروس الكسندر) للوصول إلى الخليج ، وذلك في حروبه مع الفرس سنة (٢٣٢ م) . وقد تمكنت بعض قواته الزاحفة عن طريق نهر الفرات من بلوغ (البطائح) ، ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة من الفرس ، حتى اضطرت الى العودة من حيث أتت ، ولم تتمكن من تحقيق هدفها المنشود^٢ .

وحاول (فيليب العربي) Philipus Arabus ، جاهداً الوصول الى الهند والسيطرة على الخليج ، غير أن الحظ لم يكن في جانبه في حروبه مع الفرس ، واضطر إلى ترك ذلك المشروع الخطير^٣ .

وقد انتهب الأعراب فرصة الكارثة التي نزلت بالقيصر (فاليريان) Valerianus (٢٥٣ - ٢٦٠ م) ، بتغلب الفرس عليه ، فأخذوا يهاجمون الخطوط الرومانية الدفاعية ، ويباغتون مدنها بغزوهم لها ، مما حل من جاء بعده من حكام (رومة) على تقوية الحصون وإعادة ترميم استحكاماتها ، ومن هذه مدينة Adraha ، وهي (درعه) (درعا) (الدرعة) . لتصمد أمام غارات الأعراب التي تكاثرت عليها^٤ .

وقد كوّن الرومان كتائب من الجنود العرب ألقوها لحماية الطرق وللدفاع عن حدودهم الطويلة المتصلة بالبوادي ، وهي حدود يصعب على الجيوش النظامية حمايتها ، ولذلك عمدوا الى تكوين هذه الكتائب . ونجد في الكتابات (الصفوية) كتابات دوتها أصحابها يذكرون فيها فرحهم وحدهم لآلتهم لأنها ساعدتهم في فرارهم من الخدمة في الجيش الروماني ، ورجوعهم إلى أهلهم سالمين ، بعد

Die Araber, I, S., 4. ١

Die Araber, II, S., 63, Herodian, 6, 5, 2; 9-10. ٢

«Philip The Arabian», Porphy., V, Plot., 3 : Die Araber, II, S., 63. ٣

Die Araber, II, S., 251. ٤

أن قتل غيرهم في أثناء فرارهم على أيدي من كان يتعقبهم من عساكر الروم أو البيزنطيين لإجبارهم على الرجوع الى ثكناتهم . والظاهر أن كثيراً من هؤلاء كانوا من الجنود المرتزقة أو المسخرة التي أكرهت على الخدمة في الجيش . فنجد في إحدى الكتابات أن رجلاً اسمه (حنين بن حنين بن أبياس) اتخذ سنة فراره من (نمارة السلطان) ، مبدأ أرخ به ، دلالة على أهمية تلك المناسبة بالنسبة الى حياته، وذكر انه شاد قبراً على مرقد أخته (وبني هرجم) (وبني الرجم) ، والرجم القبر . والظاهر أن (السلطان) ، اي (سلطان) الروم تعبير عن حكومة كانت قد أقامت مركزاً او حامية او معسكراً (نمارة) ، وكان حنين أحد من كان في ذلك المعسكر ففر منه ، وفرح لنجاته بنفسه . وتعبر (السلطان) من التعابير العربية القديمة التي لا تزال حية حتى اليوم^١ .

ونجد رجلاً آخر اسمه (مغير بن محلم) ، يؤرخ بسنة هرب رجل اسمه (جر) (جور) من (قصر نقات) (قصر نقات) . والظاهر ان (قصر نقات) كان ثكنة من ثكنات الروم ، وقد حشد فيها جمع من العرب لأداء الخدمة العسكرية للسلطات الرومانية ، ففر منها (جور) . وفي هذه السنة جاء (مغير) إلى قبور جماعة ذكر أسماءهم قتلوا فوضع رجماً أي حجارة فوق قبورهم تعبيراً عن تكريمه لذكراهم . وقد وردت في النص جملة (طر هسموي) ، أي (طير السماء) . وقد ذهب (ليتمان) E. Littmann إلى احتمال كون (طير) اسم رجل ، و (هسموي) بمعنى (السماوي) ، أي نسبة إلى بادية السماوة ، أو اسم موضع (سمه) (سامه) يقع جنوب شرقي (بصرى)^٢ .

ونجد شخصاً اسمه (تيم ايل) يذكر في كتابة له هذه الجملة « ونفر من رم » ، أي (ونفر من الروم) ، و (نفر) بمعنى (فر) في الصفوية^٣ . ولم يذكر (تيم ايل) سبب فراره من الروم ، ولعله كان من الكتابات العربية، ففر منها طلباً للحرية والراحة والمعيشة مع الأهل ، أو انه كان قد غزا حدود الروم ، فقبض عليه وسجن ففر من سجنه . ونجد رجلاً آخر يذكر انه (نفر

Enno Littmann, *Safitic Inscriptions*, Leyden, 1943, P. 140. ١

Safitic وسيكون رمزه :

Safitic, P. 167. ٢

راجع الجملة الأخيرة من النص « ٨٧ » المنشور في كتاب : Safitic, P. 19. ٣

من الروم) وذلك في سنة ثلاث . ويقصد بسنة ثلاث ، مرور ثلاث سنوات على تأريخ احتلال الرومان لبلادهم ، وقد وقع ذلك في السنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد ، أي في عهد تكوين المقاطعة العربية وسقوط (بصرى) في أيدي الرومان على نحو ما ذكرت . فتكون اذن سنة هربه مساوية لسنة (١٠٨) أو (١٠٩) بعد الميلاد .

وقد عبر شخص آخر عن هربه من الروم ورجوعه إلى اهله ناجياً سالماً بعبارة (ونجى من رم) ، اي (ونجا من الروم)^٢ . فيظهر انه كان أيضاً في أيدي الرومان لسبب نجته فاهتبل الفرص ، وهرب منهم ، ونجا بنفسه ، حيث وصل إلى منزل جده وأقام عنده يرعى ماعزاً له^٣ . واما (سواد بن يسلم) ، فقد كان يشعر ان الرومان كانوا يراقبونه ويتعقبون آثاره لسبب لم يذكره ، وقد عبر عن ذلك بقوله « وخرص ال روم » اي (وخرّص الروم) ، بمعنى انه راوغهم وخلص منهم . ولم يذكر سبب مراقبة الرومان له فلعله كان قد اغار على ارض الروم ، اي الأرضين المحتلة الخاضعة لهم ليغنم منها شيئاً فتعقبه حرسهم ، ولكنه راوغهم (وخرص) منهم ونجا^٤ .

وقد ازعجت القبائل الرومان بغاراتها على الأرضين التي استولوا عليها واخضعوها لحكمهم ، فأوجد الرومان جيشاً مرتزقاً من اهل البلاد التي تحكموا في امرها ، وضموه تحت إمرة جماعة من الضباط الرومان، وجعلوا واجبه حماية الحدود والدفاع عنها، واقاموا له ثكنات على طول تلك الحدود ، ورد اسماء بعضها في الكتابات الصفوية وغيرها . ومع ذلك كانت القبائل تهتبل الفرص، فتهاجم الحدود وتتوغل في الأرضين الخاضعة للرومان لتستولي على ما تجده أمامها من مال وحيوان ، ثم تعود مسرعة إلى مضاربها في البادية حيث يصعب على الرومان محاربتها هناك .

كانت الإسكندرية منذ تأسيسها الى الفتح الإسلامي ، المنيع الذي أمدّ رجال السياسة والحرب والعلم بما احتاجوا اليه من علم عن بلاد الشرق وإفريقية . فيها تجمع التجار أصحاب المال يبحثون عن البضاعة وعن منشئها وأسعارها في المنشأ

١ E. Littmann, Saftic, P. 21.

٢ اليص رقم « ١٢٨ » من المرجع المذكور .

٣ المصدر نفسه (ص ٣٤) .

٤ راجع النص رقم « ٧٠٩ » من هذا المصدر .

وفي كيفية الحصول عليها بأسهل السبل وبأرخص الأسعار ، منهم من ذهب بنفسه الى مواطن البضاعة وإلى الأسواق الرئيسية المجهزة ، فتموّن منها ما احتاج اليه ، ومنهم من تسقط أخبارها من تجار الإسكندرية او التجار الوطنيين الوافدين على الإسكندرية ، أو من رجال السفن . وفي الإسكندرية كانت في الغالب نهاية مطاف ربابنة السفن الذين خبروا البحر وعركوه ، ووقفوا على أحوال البلاد الغريبة العجيبة : علم إفريقية وآسية ، ومن أفواههم تلقف التجار والعلماء أخبار البحار وما وراءها من أرضين ، وفي مكتبتها ودوايرها الرسمية حفظت تقارير قادة الأساطيل والجواسيس الذين كانوا يتجسسون الأخبار عن أحوال حكومات وشعوب تلك البلاد . وهي تقارير لا بد أن تكون على غاية من الخطورة والأهمية عند خلفاء الإسكندر ثم الرومان فالبيزنطيين ، ويحدثنا (أغاثر شيدس) (أغاثر خيدس) الذي عاش في الإسكندرية في حوالي (١١٠ ق.م.) أنه اخذ علمه بأحوال البحر الأحمر من أفواه أناس قاموا هم انفسهم بأسفار الى البحر الأحمر وإلى ما وراءه ، كما أخذه من وثائق ملكية وسجلات كانت محفوظة ، سمح له بالوقوف عليها ، وفي جملتها تقرير (أرسطون) (أرسطون) ، وهو احد رجال البحر الذين كلفهم (بطلميوس الثاني) او (بطلميوس) آخر كشف البحر الأحمر ، فلما أنجز عمله وخبر أمر الساحل العربي للبحر ، قدم تقريره المذكور . فحفظ في جملة الوثائق الخطيرة المهمة في خزانه وثائق الإسكندرية ومن هذا المنبع أخذ بقية الكتاب . ومنهم من قام نفسه بركوب البحر وبأسفار في الشرق ، ثم عاد اليها ليضع ما حصل عليه في كتاب .

والخلاصة أن هذه التطورات والأحداث السياسية والعسكرية التي وجهت أنظار الغرب منذ أيام (الإسكندر الأكبر) نحو الشرق ، قد أدت إلى نزول اليونان والرومان بأنفسهم الى البحار الدافئة لمنافسة العرب في تجارتهم ، في بحارهم وفي البحار الأخرى ، فبنوا سفناً أقوى وأكبر وأوسع ، وأخذوا يقومون أنفسهم بالتدريب، ويحتلون الموانئ المهمة أو يقيمون لهم قواعد قوية عسكرية على السواحل لحماية خطوط مواصلاتهم البحرية ، وبذلك أصابوا التجارة العربية إصابة مباشرة وأنزلوا بها ضرراً بالغاً ، إذ أخذوا يشترون منتجات البلاد الحارة من مواضع انتاجها ، وصاروا يزاحمون السفن البعرة التي لم تتمكن من تطوير نفسها تطويراً يناسب الزمن وروح العصر ، فتغلبت سفن الروم والرومان عليها كما تغلب

البرتغاليون فيما بعد ثم مَن جاء بعدهم من الغربيين على السفن العربية في عصور الاستكشاف ، واضطر التجار العرب الى اعتزال البحر والانسحاب منه تدريجياً والاكتفاء بشحن ما يحصلون عليه بطرق البر ، إلى أسواق تفرض ضرائب مرتفعة على التجار والتجارات . وقد أدى هذا التطور إلى اضعاف مركز العرب الجنوبيين اضعافاً كبيراً ، وإلى إلحاق الأذى بثرائهم ، وصار الروم والرومان يتدخلون في شؤون العربية الجنوبية تدخلاً مباشراً أو غير مباشر بتحريض الجيش والقبائل العربية على حكومات العربية الجنوبية على نحو ما سنراه مفصلاً فيما بعد .

الفصل التاسع عشر

الدولة المعينية

تعدّ الدولة المعينية من أقدم الدول العربية التي بلغنا خبرها ، وقد عاشت وازدهرت بين (١٣٠٠ - ٦٣٠ ق. م.) تقريباً على رأي بعض العلماء . وقد بلغتنا أخبارها من الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية^١ . أما المؤلفات العربية الإسلامية فلا علم لها بهذه الدولة . ولكنها عرفت اسم (معين) على أنه محفد من محافد اليمن وحصن ومدينة ، وذكرت أنه هو و (براقش) من أبنية التابعة^٢ .

وأقدم من ذكر المعينين من الكتاب (الكلاسيكيين) (ديودورس الصقلي)^٣ و (سترابون) (سترابو) ، وقد سمّاهم Minae = Meinaoi وقال: إن مدينتهم العظمى هي Carna = Karna ، وذكر نقلاً عن كاتب أقدم أنه هو (ايراتوستينس) Eratosthenes ، أن بلادهم شمال بلاد سبأ وشمال أرض (شبان) . وأما حضرموت ، فتقع شرق بلاد معين^٤ . أما (ثيوفراستوس) Theophrastos

١ Philby, The Background of Islam, Alexandria, 1947, P. 141.

وسيكون رمزه : Background

٢ الهمداني ، صفة (١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٣) ، وسيكون رمزه : الصفة ، اللسان

اللسان (٢٩٨/١٧) ، البلدان (٩٨/٢ وما بعدها) ، (١٠٢/٨) .

٣ Diodorus Siculus, 3, 42.

٤ Strabo, XVI, 768 (16, 4, 2), Glaser, Skizze, 2, S., 14,

O'Leary, P. 93, Sprenger, Alte Geogr. Arablan, S. 211.

فقد ذكر السبئين والقتبانين والحضارمة، وذكر أرضاً أخرى دعاها Mamali، ويرى (أوليري) انه قصد (معين) Menaiol = Minaea، وأن تحريفاً وقع في نسخ الكلمة، فصارت على الشكل المذكور، أي Mamali^١. وقد ذكرهم (بلينيوس) Pliny أيضاً، فأشار الى ان بلادهم تقع على حدود أرض (حضرموت) Atramitae^٢. وآخر من ذكرهم الجغرافي الشهير (بطلميوس)^٣.

ولم يتحدث أحد من الغربيين بعد الجغرافي المذكور عن (معين)، حتى دخل السياح الأوروبيون بلاد العرب بعد نوم طويل، فبعث عندئذ اسم (معين)، وكان في مقدمة من نشر خبر هذا الشعب (يوسف هاليفي) Joseph Halevy^٤ و (أدورد كلاسر) Eduard Glaser و (أويتنك) Euting^٥ و (جوسن) Jaussen و (ساوينه) Sasignac^٦، وغيرهم ممن سترد أسماؤهم، حصلوا على نفوس معينة نشرت ترجمات بعضها، ونشر بعض آخر بغير ترجمة، ولا يزال بعض آخر ينتظر النشر^٧.

وقد ظهرت هذه الدولة في الجوف، والجوف منطقة سهلة بين نجران وحضرموت، أرضها خصبة منبسطة. وقد زارها السائح (نيبور) Niebuhr ووصفها^٨. وذكر الهمداني جملة مواضع فيها، ولم يعرف شيئاً عن أصحابها.

^١ Theophrastus, Hist. Plant., 9, 4, O'Leary, P. 93.

^٢ Pliny, Nat. Hist., 6, 28-32, 12, 30, 14, O'Leary,

P., 93, Boasoor, Num. 73, February, 1939, P. 4.

^٣ Ptolemy, Geography, VI, 7, 23, BOASOOR, Num. 73, (1939), P. 4,

O'Leary, P. 94.

^٤ Halevy, In : Journal Asiatique, 1872, 129-266, 489-547, 1873. Tome, I,

434-521, Tome, II, 305-365, 1874, 497-585, «Inscriptions Sabéennes».

^٥ «D.H. Müller» نشرت مجموعة «Euting» في مؤلف

المعنون : Epigraphische Denkmäler aus Arabien, 1889,

وكذلك في بحث : « Mordtmann » ، في

Beiträge zur Minalschen Epigraphik, 1897.

^٦ Mission Archéologique en Arable, 1917.

^٧ Corpus Inscriptionum Semiticarum, Tome, IV, Part, I, II, III,

IV, and De L'epigraphie Sémitique, Tome, V, and VI, BOASOOR, 73,

1939, P. 5.

^٨ Carsten Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien und anderen

umliegenden Ländern, Kopenhagen, 1772-1837, II, Bände.

ومن هذه : معين ، ونشق : وبراقش ، وكمنا وغيرها^١ . وقد كانت عاصمة تلك الدولة (القرن) (قرن) (قرون) ، وهي : (قرنة) (قرنا) Carna = Karna عند بعض الكتبة الكلاسيكيين .

وقد حصل (هاليفي) على عدد كبير من الكتابات المعينية اكتشفها في أثناء سياحته في الجوف ، دعيت ورقت باسمه ، حصل على الكتابات المرقمة برقم Halevy 187 حتى رقم Halevy 266 ومجموعها ثمانون كتابة من خرائب (معين) وحصل على الكتابات المرقمة من رقم (٤٢٤) حتى رقم (٥٧٨) من (يثل) ، ويبلغ مجموعها (١٥٥) كتابة ، كما حصل على صور عدد آخر من الكتابات من (كمنا) ومن (السوداء) . ويبلغ مجموع الكتابات المعينية التي استنسخها زهاء (٧٠٠) كتابة^٢ ، أغلبها قصيرة ، وبعضها يتضمن بضع كلمات ، ما خلا (٥٠ - ٦٠) كتابة تتألف من بضعة أسطر^٣ .

وزار الجوف بعد ذلك السيد محمد توفيق وقد ندبته (جامعة فؤاد الأول) الجامعة المصرية لدراسة هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق تولده، ودخله مرتين ، المرة الأولى سنة (١٩٤٤ م) والمرة الأخيرة سنة (١٩٤٥ م) ، وقد انتهز الفرصة فدرس سطح تلك المنطقة وخرائبها وآثارها ، وأخذ صوراً (فوتوغرافية) لخراف وكتابات ، نشرها في البحث الذي نشره له (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة) ، وذلك سنة (١٩٥٠ م) بعنوان : « آثار معين في جوف اليمن »^٤ .

ورحل (الدكتور أحمد فخري) الأمين بالمتحف المصري ، إلى اليمن ، وزار سبأ والجوف في مايس سنة (١٩٤٧ م)^٥ .
وليس في كل بلاد العرب على حد قول (هاليفي) ، مكان ينافس الجوف

١ الصفة (ص ٦٧ فما بعدها) .

٢ « وجمع في رحلته هذه زهاء ست مئة نقش وخمس وثمانين نقشا من النقوش العربية الجنوبية » ، محمد توفيق : آثار معين في جوف اليمن ، من منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١ .

٣ Hommel, Grundriss, Ed., I, S., 135.

٤ وسيكون رمزه : معين .

٥ معين (ص ٢) .

في كثرة ما فيه من آثار وخرائب عادية^١ . ولذلك ، فإن الباحثين عن القديم يرون فيه أملاً عظيماً وكثراً ثميناً ، وقد يكشف لهم عن صفحات مطوية من تأريخ تلك البلاد وربما يكشف عن تأريخ بلاد أخرى كانت لها صلات وعلاقات باليمن . وفيه مدن مهمة ، كان لها شأن وصيت في تأريخ العالم القديم ، كالمدين التي مر ذكرها ، وكمدينة (مأرب) عاصمة سبأ ، التي بلغ صيتها اليونان والرومان .

والجوف أرض خصبة ذات مياه ، تسقيه مياه (الخارد) ، الذي يبلغ عرضه مترين وعمقه متراً ، كما تتساقط عليه الأمطار ، فتروي أرضه ، وتكون سيولاً تسيل في أوديته ، ويبلغ ارتفاعه (١١٠٠) فوق سطح البحر ، وتحيط به الجبال من ثلاث جهات^٢ ، ونظراً لوجود مزايا كثيرة فيه تساعد على تكون الحضارة فيه ، لذلك صار مخزناً للحضارة القديمة في اليمن ، وموقعاً يغري علماء الآثار بقصودونه للبحث في تربته عما كان فيها من أسرار وآثار . وسيكون من الأماكن المهمة في اليمن في الزراعة وفي التعدين بعد تطور اليمن ودخول الأساليب العلمية الحديثة الى تلك الأرجاء .

وقد أمدتنا الكتابات التي عثر عليها في الجوف وفي (دبدان)^٣ ، التي كانت مستوطنة معينة في طريق البلقاء من ناحية الحجاز ، والكتابات المعينية التي عثر عليها في مصر في (الجيزة)^٤ ، والكتابات المعينية الأخرى التي عثر عليها في جزيرة (ديلوس) Delos من جزر اليونان ، والتي يعود عهدها الى القرن الثاني قبل الميلاد^٥ ، بأكثر معارفنا التي سنسقطها هنا ، ومنها استخرجنا في الأغلب أسماء ملوك معين . ولولاها لكأنت معارفنا عن المعينين قليلة جداً .

ويرى جماعة من العلماء ان (ماعون) (معون) Maon أو (معونم)

١ O'Leary, P. 95.

٢ زيد بن علي عنان ، تاريخ اليمن القديم ، (ص ٩٥) .

٣ « الديندان » : مدينة حسنة كانت في طريق البلقاء من ناحية الحجاز خربت ، البلدان (١١٩/٤) ،

D.H. Müller, Epigraphische Denkmäler aus Arabien, 1889.

٤ BOASOOR, Num. 73, (1939), P. 7.

٥ BOASOOR, Num. 73, (1939), P. 7.

(معينيم) Me'inim = Me'unim الواردة في التوراة إنما يقصد بها (المعينون)^١ ، وهم سكان (النقب) الى طور سيناء^٢ ، أو هم سكان (معان) الواقعة الى الجنوب الشرقي من (البتراء) Petra^٣ ، أو هم أهل (العلا) (الديدان)^٤ . وقد ذكروا في موضع من التوراة في جملة سكان (النقب) Negev، وذكروا في موضع آخر مع قبائل من العرب^٥ .

وليس بين الباحثين في تأريخ المعينين اتفاق على تأريخ مبدأ هذه الدولة ولا منتهاه ، فـ (كلاسر) مثلاً يرى أن الأبجدية التي استعملها المعينون في كتاباتهم ترجع إلى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد ، وهذا يعني أن تأريخ هذا الشعب يرجع الى ما قبل هذا العهد ، فالمعينون على هذا هم أقدم عهداً من العبرانيين^٦ . ويعارض هذا الرأي (هالفي) و (ميلر)^٧ D.H. Müller و (مورتدتمن) Mordtmann^٨ و (ماير) E. Meyer^٩ و (شبرنكر) Sprenger^{١٠} و (ليدزبارسكي) Lidzbarski^{١١} وغيرهم . ويرون أن نظرية (كلاسر) هذه مبالغية ، وأن مبدأ هذه الدولة لا يتجاوز الألف الأولى قبل المسيح بكثير . ويرى (هومل) Hommel أن من الممكن أن يكون مبدأ تأريخ دولة (معين) ما بين (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق. م.) ونهاية حكومتها في عام (٧٠٠ ق. م.)^{١٢} . وجعل (فليبي) مبدأ حكم أول ملك من ملوكها في عام ١١٢٠ ق. م. وحكم آخر ملك نعرفه من ملوكها في عام ٦٣٠ ق. م.^{١٣} .

1 Ency. Bibl., P. 3065, James Montgomery, Arabia and the Bible, P. 183.

2 Hastings, P. 619.

3 Montgomery, Arabia, P. 183.

4 Ibid,

5 أخبار الأيام الأول ، الاصحاح الرابع ، الآية ٤١ ، أخبار الأيام الثاني ، الاصحاح

٢٦ ، الآية ٧ ، Hastings, P. 619.

6 Glaser, Skizze, 2, S., 110, 330.

7 D. H. Müller, Bellage zur Münch. Allgem. Zeitung, 1890.

8 Nov. 24, and 31, Ency., Vol., 4, P. 13.

9 Nordotmann, in : ZDMG., XVII, 400, Beiträge, S. 105, 115.

10 E. Meyer, Gesch. d. Altertums, 2, S., 382.

11 Sprenger, Bemerkungen, S., 502, Ency., Vol., 4, P. 13.

12 Ephemeris, 2, S., 101.

13 Handbuch, I, S., 67. Ency., Vol., 4, P. 13, BOASOOR, Num. 73, 1959, P. 5,

Background, P. 141.

ويعارض (ونت) Winnett رأي (كلاسر) و (نكلر) و (هومل) في تقدير مبدأ تأريخ دولة معين ، ويرى أن في ذلك التأريخ مبالغة ، وأن (شبا) أي (سبأ) وكذلك (ددان) (ديدان) ، أقدم الدول العربية مستدلاً على ذلك بما ورد في التوراة من قدم (شبا) . ويرى أن مبدأ دولة (معين) لا يمكن أن يتجاوز عام (٥٠٠ ق.م.) ، واما نهايتها، فقد كانت بين عام (٢٤ ق.م.) وعام (٥٠ ب.م.)^١ .

ويرى معارضو نظرية (كلاسر) عن قدم الدولة المعينية أن هذه النظرية لا تستقيم مع ما هو معروف بين العلماء عن تأريخ ظهور (الألفباء) عند البشر، فإن ارجاع تأريخ معين إلى الألف الثانية أو الألف الثالثة قبل الميلاد معناه ارجاع (المسند) إلى أقدم من ذلك ، وهذا يتعارض مع النظريات الشائعة عن قدم الخط عند البشر ، فإن الخط (الفينيقي) لا يتجاوز عهده ألف سنة قبل الميلاد وليس (المسند) كما يظهر من أشكاله وصوره الهندسية أقدم عهداً منه^٢. واستند (هوارت) إلى هذه الحجة أيضاً في معارضته رأي من يرجع تأريخ معين إلى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد^٣ . ويرى (أوليري) هذا الرأي أيضاً ، ويرى أيضاً أن كتابات المسند كافة معينة أو مبهمة ، لا تتجاوز البتة السنة ٧٠٠ قبل الميلاد، وذلك لأن هذا القلم قد أخذ من القلم (الفينيقي) ، ولهذا لا يمكن أن يطاوله، وأن يرجع في تأريخه إلى أكثر من القرن الثامن قبل الميلاد^٤ .

وقد ثبت (ملاكر) في كتابه في تأريخ التشريع والتوريق عند العرب الجنوبيين مبدأ قيام دولة معين بسنة (٧٢٥) قبل الميلاد ، وسقوطها بالقرن الثالث قبل الميلاد^٥ .

وتناول (البرايت) موضوع ترتيب حكام معين بالبحث ، وذلك في النشرة

BOASOOR, Num., 73, 1939, P. 8. ١

Lidzbarski, Ephemeris, II, S., 101, Ency., Vol., 4, P. 13 ٢

Hilprecht, Explorations in Bible Lands, P. 731.

Huart, Geschichte der Araber, Bd., I, S., 45. ٣

O'Leary, P. 95. ٤

K. Mlaker, Die Hierodulen-Listen von Main nebst Untersuchungen zur Altsüdarabischen Rechtsgeschichte und Chronologie, Leipzig, Harrassowitz, 1943. •

التي تصدرها المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية. وهو يختلف أيضاً مع المتقدمين في موضوع تواريخ أولئك الحكام، ويحاول جهد الامكان الاستفادة من الدراسات الأثرية للكتابات والآثار التي يعثر عليها في تقدير حكم المكربين والملوك^١. وقد ذهب في أحد أبحاثه عن (معين) الى تقسيم ملوك دولة معين الى ثلاث مجموعات جعل الملك (اليفع يثع) وهو ابن الملك (صدق ايل) ملك حضرموت على رأس هذه المجموعات، وجعل حكمه في حوالي السنة (٤٠٠ ق. م.) وجعل نهاية هذه الدولة فيما بين السنة (٥٠) والسنة (٢٥ ق. م.)^٢.

وهو يرى ان التاريخ الذي وضعه لمبدأ قيام حكومة معين ولنهايتها وسقوطها، هو تاريخ في رأيه مضبوط، لا يتطرق اليه الشك، غير انه يرى ان ما ذكره عن رجال المجموعات الثلاث يحتمل اعادة النظر فيه، ولا سيما المجموعة الأولى حيث يمكن اجراء بعض التغيير فيها^٣.

وذكر (البرايت) في موضع آخر انه يرى ان قيام مملكة معين كان قبل السنة (٣٥٠ ق. م.)، وقد استمر حكمها الى ما بعد السنة (٥٠ ق. م.)^٤ أو السنة (١٠٠ ق. م.)^٥.

وذهب آخرون الى ان نهاية مملكة معين كانت في حوالي السنة المئة بعد الميلاد. وهكذا نجد الباحثين في العربيات الجنوبية مختلفين في بداية الدولة وفي نهايتها، ويلاحظ ان القدماء منهم كانوا يرفعون مبدأ الدولة ونهايتها عن الميلاد، أي يبعدون المبدأ والنهاية عنه، أما المتأخرون فهم على العكس، لا يذهبون مذهبهم في البعد عن الميلاد، ويحاولون جهدهم جعل نهاية المملكة في حوالي الميلاد.

وما زال الجدل بين علماء العربيات الجنوبية في تقدير عمر الدولة المعينية مستمراً. فهناك صعوبات تعترض نظرية من يقول ان الدولة المعينية سقطت قبل

١ W. F. Albright, The Chronology, In The BOASOOR, Num., 119, «The Chronology of Minaean Kings of Arabia», Num., 129, (1953), PP. 20.

٢ BOASOOR, Num., 129, (1953), PP. 22.

٣ BOASOOR, Num., 143, (1956), P. 9.

٤ BOASOOR, Num., 176, 1964, P. 51.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434.

٦ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 434, J. Pirenne, Royaume de Qataban, P. 7.

الميلاد بمئات من السنين في أيدي حكام سبأ ، والقائلون بها (كلاس) وأتباعه . وقد رأى (كلاس) أيضاً ان المعينين قد تضاعل أمرهم وضعفوا كل الضعف وغلبت عليهم البداوة في نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، على حين ان الموارد الكلاسيكية ومنها مؤلفات (سترابو) و (بلينيوس) و (ديودورس الصقلي) تعارض هذا الرأي بإشارتها الى المعينين والى تجارتهم ، بل نجد ان (بطليموس) الذي هو من رجال القرن الثاني للميلاد يقول فيهم « انهم شعب عظيم »^١ . ثم ان الكتابات المعينية التي عثر عليها في الجزيرة بمصر ، تؤيد هذا الرأي أيضاً ، اذ تشير الى اشتغالهم في التجارة ، تجارة استيراد البخور للمعابد المصرية ، في القرن الثالث أو الثاني بعد الميلاد^٢ . ومن هنا قال (أوليري) وغيره ان المعينين بقوا نشطين عاملين الى ما بعد الميلاد ، وربما كان ذهاب حكمهم في أيام (البطالة) أو في أيام الرومان ، ومهما يكن من أمر فليس في الامكان البت في تعيين ذلك العهد^٣ .

والذين يقولون بتقديم دولة معين على سبأ ، ويرون ان حكام (سبأ) من دور (المكربين) ، أي دور الملوك الكهنة هم الذين قضوا على حكم دولة معين فانزعوا الحكم من ملوك معين ، وأخضعوا المعينين الى حكم سبأ . غير اننا لا نعرف كيف تم ذلك ، ومن هو الملك المعيني الذي تغلب عليه السبثيون .

ولا يمكن تقريب وجهة الخلاف هذه إلا بالاستعانة بالخفريات العلمية العميقة المنظمة ، وبما سيستخرج من جوف الأرض من آثار وكتابات ، ودراساتها دراسات علمية متنوعة . دراستها من ناحية تطور الخط Paleography وأسلوبه ، ومقارنته بالخطوط الأخرى التي عثر عليها في جزيرة العرب وفي خارجها ، لمعرفة عمرها ، ودراساتها من ناحية تحليلها تحليلًا مخبريًا لمعرفة زمانها ووقت نشوئها ، حيث يمكن التوصل بهذا التحليل إلى نتائج يكون مجال الشك والجدل غير كبير Radiocarbon ، ودراساتها من ناحية علم الآثار ، إلى غير ذلك من طرق توصل الى نتائج ايجابية أو قلبية من حدود الايجاب .

O'Leary, P. 94. ١
O'Leary, P. 95. ٢
O'Leary, P. 94. ٣

ملوك معين :

وقد حصل قراء الكتابات المعينية على أسماء ملوك حكموا دولة معين، أحصوها وجمعوها ، وحاولوا الاستفادة منها بتنسيقها وتبويبها لتكوين قائمة منظمة مرتبة بمن حكم عرش تلك الدولة حكماً زمنياً متسلسلاً بقدر الامكان . غير أنهم لقوا صعوبات كبيرة حالت بينهم وبين الاتفاق على وضع قائمة موحدة متفقة . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ، ووضعوا تواريخ متباينة مختلفة ، وكيف يمكن الاتفاق وقد ذكرت أنهم مختلفون اختلافاً كبيراً من حيث تعيين مبدأ ظهور تلك الدولة ، وأنهم مختلفون أيضاً في تأريخ سقوطها وفي الدولة التي أسقطتها . بضاف إلى ذلك أن الكتابات المعينية عفا الله عنها ، لم ترد مؤرخة على وفق تقويم من التقاويم ، ولم تتحدث عن حكم أي ملك من أولئك الملوك ولم تذكر ترتيبهم في الحكم ، وهي أكثرها في أمور شخصية لا علاقة لها بسياسة ولا بدولة وملوك . فليس من الممكن اذن اتفاق الباحثين على وضع قوائم صحيحة للملوك معين ، ولا لمدد حكمهم ما دام الوضع على هذا الحال والمنوال ، والرأي عندي هو أن ذلك لن يتم ، ما لم تُجرَّ حفریات علمية عميقة في مواضع المعينين في اليمن وخارج اليمن ، تمكنا من الحصول على كتابات جديدة لها صلة بسياسة الحكومة وبأخبار الملوك وبالعلاقاتهم مع الدول الأجنبية . فإذا تم ذلك أمكن وضع مثل هذه القوائم مستعينين بهذه الكتابات وبالكتابات الأجنبية التي قد تشير الى ملوك معين وبأمثال هذه الدراسات نطمئن الى هذه القوائم ، ونستطيع اعتبارها ذات قيمة في تثبيت الحوادث وتواريخ حكومة معين .

والملوك الذين وردت أسماؤهم في الكتابات المعينية ، ليسوا هم كل ملوك معين ، بل هم جمهرة منهم . ولا استبعد احتمال حصول المنقبين في المستقبل على عدد آخر من أسماء ملوك جدد لا نعرف من أمرهم اليوم شيئاً ، قد يزيد عددهم على هذا العدد المعروف . وقد يبلغ أضعافه . فتصبح القوائم الموضوعه التي رتبها علماء اليوم غير ذات خطر بالنسبة للقوائم الجديدة ، وسيتغير فيها كل شيء من أسماء ملوك ، ومن أرقام مدد حكم وتواريخ .

ومع ذلك فأنا لا أريد ان اكون جدلياً سوفسطائياً ، سلبياً غير بناء، وسأجاري الحال فأعرض على القارئ نتائج جهود أولئك العلماء في وضع قوائمهم بأسماء ملوك معين ، فأقول : جعل (هومل) من أسماء ملوك معين التي عرفها ثلاث

طبقات ، كل طبقة تتألف من أربعة ملوك ، وطبقة أخرى تتألف من ملكين^١ .
ورتب (كليان هوار) ، هؤلاء الملوك سبع طبقات ، الطبقة الأولى ، تتألف
من أربعة ملوك ، والطبقة الثانية من خمسة ، والطبقة الثالثة من أربعة ، والرابعة
من اثنين ، والخامسة من ثلاثة ، وأما الطبقتان السادسة والسابعة فتتألف كل
واحدة منها من ملكين . ويبلغ مجموع ملوك هذه الطبقات السبع اثنين وعشرين
ملكاً^٢ . وينقص هذا العدد أربعة ملوك عن قائمة (مولر) الذي حقق هوية
سنة وعشرين ملكاً . وقد رتب (أوتووير) و (موردتمن) أولئك الملوك في
طبقات أيضاً^٣ . أما (فليبي) ، فقد ذكر اثنين وعشرين ملكاً ، نظمهم خمس
سلالات ، وجعل على رأس السلالة الأولى (اليفع وقه) ، وفي آخر السلالة
الخامسة الملك (تبع كرب) الذي حكم على رأيه من سنة ٦٥٠ الى سنة ٦٣٠ ق.م^٤.

وعند (هومل) ان السلالة التي في أولها الملك (اليفع وقه) ، هي أقدم
أسر ملوك معين^٥ . وأما (موردتمن) ، فيقدم الأسرة التي جعل على رأسها
الملك (يشع أيل صديق)^٦ . وقد فعل ذلك (كليان هوار) أيضاً^٧ . أما
(ونست) ، فيرى ان الأسرة التي فيها (أب يدع يشع) هي أقدم عهداً من
الأسرتين^٨ . والخلاصة ان هذه الأسر أو السلالات لا تعني انها كل الأسر التي
حكمت (معيناً) أو ان الأسرة الأولى منها هي أول أسرة حكمت ذلك الشعب
فقد يكون هنالك عدد آخر من الأسر والملوك حكموا قبلها سنين كثيرة ربما
بلغت قروناً .

ويرى (البرايت) ان ملوك حضرموت كانوا هم الذين أسسوا مملكة معين ،
أسسوها في حوالي السنة (٤٠٠ ق.م .) أو بعد ذلك بقليل . ويرى ان أول

-
- | | |
|---|---|
| Hommel, Grundriss, I, S., 136, Ohrest., S., 90. | ١ |
| Cl. Huart, Geschichte der Araber, Bd., I, S., 56. | ٢ |
| Grundriss, I, S., 136, Mordtmann in ZDMG., 47, 1893, | ٣ |
| S., 397-417, Muller, Die Burgen, 2, 60. | |
| Background, P. 141. | ٤ |
| Handbuch, S., 67, 71, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 234, | ٥ |
| BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 7. | |
| Mordtmann, in ZDMG., XLVII, 409, BOASOOR, Num., 73, P. 7, (1939). | ٦ |
| Geschichte der Araber, I, S., 56. | ٧ |
| BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 7, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949. | ٨ |

ملك من ملوكها كان الملك (اليفع يثع) ، وكان ابناً للملك (صدق ايل) ملك حضرموت . ويرى من عدم وصول كتابات سبئية ما بين السنة (٣٥٠) والسنة (١٠٠) قبل الميلاد ، أي ان السبئيين كانوا في خلال هذه المدة أتباعاً لحكومة معين^١ .

فأول ملك من ملوك (معين) اذن على رأي (البرايت) ، هو الملك (اليفع يثع) . أما (هومل) ، فجعل (اليفع وقه) أقدم ملك معين وصل خبره إلينا ، وقد جراه في رأيه هذا (فلي) وآخرون . وهناك كما قلت قبل قليل من قدم ملكاً آخر على هذين الملكين .

وقد ورد اسم الملك (اليفع وقه) في كتابة عثر عليها في موضع (السوداء)^٢ ، وهو مكان مدينة (نشن) (نشان) القديمة في الكتابات المعينية ، ورد فيها : ان الملك (اليفع وقه) ملك معين ، وشعب معين ، قدما بأيديهم الى معبد الإله (عم) بـ (راب) (راب) من (ذي نيط) نذوراً وهدايا وقرايين ، تقرباً إليه . وقد تسلم الـ (رشو) ، أي (كاهن) المعبد والقيم عليه تلك الهدايا ، وتقبلها باسم المعبد^٣ . ولم تذكر الداعية التي دعت الملك وشعبه الى تقديم تلك النذور والقرايين إلى الإله (عم) رب (راب) ، ولعلها كانت مذكورة في المواضع التي أصيبت بتلف في الكتابة .

وورد اسم هذا الملك في كتابة أخرى عثر عليها في (براقش) ، وهي مدينة (يثل) من مدن معين ، دونت عند بناء بناية في عهده ، فذكر هو وابنسه (وقه آل صدق) (وقه ايل صديق) فيها ، تيمناً باسمها وتثبيتاً لتاريخ البناء^٤ . وعثر على اسم الملك (وقه آل صدق) (وقه ايل صديق) ابن الملك (اليفع وقه) في كتابة وجدت في (قرونو) (قرن) (القرن)^٥ .

١ BOASOOR, Num., 129, (153), P. 22, Note : 7.

٢ « الخربة السوداء » ، « خربة السوداء » « والخربة السوداء بالشاكرية ، ثم معين وبراقيش ثم كمنا وروثان لنشق » ، الصفة (ص١٦٧) ، « السوداء » مدينة السوداء « تأريخ اليمن القديم ، لزيد علي عنان ، (ص ٩٧) »

٣ Rep. Epig., 3307, Hommel, Chrest., S., 91, (257), Glaser, 284, Background, P. 49.

٤ Background, P. 49, BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 7.

٥ Background, P. 49, BOASOOR, Num., 73, 1939, P. 7.

أما الذي حكم بعد (وقه ايل صدق) (وقه ايل صديق) ، فهو ابنه الملك (اب كرب يشع) (أبكرب يشع) . وهو في نظر (البرايت) مثل والده و (اليفع وقه) من رجال المجموعة الثانية من مجموعات ملوك معين . وقد حكم - على حسب رأيه - في حوالي السنة (١٥٠) قبل الميلاد^١ .

وجاء اسم الملك (ايكرب يشع) (اب كرب يشع) في كتابة عثر عليها في (العلا) ، أي في (الديدان) ونعود لذلك الى المعينين الشماليين ، وصاحبها رجل من (آل غريث) (غرية) ، كتبها عند شرائه ملكاً من شخص اسمه (اوس بن حيو) (اوس بن حي) . وتيمناً بذلك قدم ندوراً الى الإله (نكرح) وآلهة معين ، وجعل الملك في رعايتها وحمايتها لتقيه أعين الحساد وكل من يحاول الاعتداء عليه . ودعا آلهة معين ان تنزل نغمتها على كل من يحاول رفع تلك الكتابة ، أو يتلفها ، أو يلحق بها أذى . وقد تيمن باسم تلك الآلهة ، وذكر بهذه المناسبة اسم الملك (ابكرب يشع) ، وذكر بعده اسم (وقه آل صدق) (وقه ايل صديق)^٢ . وقد وجد فراغ بين الاسمين ، بسبب تلف أصاب الكتابة رأى ناشر الكتابة انه واو العطف ، فصيّر الجملة على هذا النحو : (ابكرب يشع ملك معين ووقه آل صدق) ، (أبكرب يشع ملك معين ووقه ايل صديق) ، وعندى ان هذا الفراغ يمثل حرفين ، هما (بن) ، أي (ابن) فتكون الجملة : (ابكرب يشع معين بن وقه آل صدق) ، (أبكرب يشع ملك معين ابن وقه ايل) وبذلك ينسجم المعنى ، اذ ان (وقه آل صدق) ، هو والد (أبكرب يشع) فاذا ذكر اسم الأب بعد لفظة (ابن) ، انسجم المعنى . أما اذا وضعنا حرف العطف (الواو) ، بين الاسمين ، نكون قد قدمنا اسم الابن على اسم الأب ، وفي ذلك نوع من سوء الأدب ، أو دلالة على ان الابن هو الملك الحقيقي ، وان والده لم يكن شيئاً يومئذ ، أو كان ملكاً بالاسم فقط . على انه حتى في هذه الأحوال والاحتمالات ، لا يوضع اسم الأب بعد اسم الابن . وقد أرخت الكتابة بأبام تولي (أوس) من (آل شعب) منصب (كبير) تلك المنطقة التي كان يقيم فيها صاحب تلك الكتابة^٣ .

ASOR, Num., 129, (1953), P. 23. ١

Rep. Eplg., 3697, Jansen-Savignac, Mission, II, (732), P. 261, 292. ٢

راجع الفقرة (١٢) من النص . ٣

وعثر على كتابة في مدينة (بثل) (براقش) ، وجاء فيها اسم ملك يدعى (عم يثع نبط) (عميثع نبط) (عمى يثع نبط) . وهو ابن الملك (أبكرب يثع) المذكور^١ .

وقد ورد اسم الملك : (عم يثع نبط بن أبكرب) (عميثع نبط بن أبكرب) في كتابة دونت لمناسبة حبس أرض لآلهة معين ، لتكون وقفاً على معبد الإله (عثر شرقن) ، أي (عثر الشارق) بمدينة (بثل)^٢ .

أما (البرايت) ، فقد وضع اسم (عم يثع نبط) في المجموعة الأولى من مجموعاته الثلاث التي كونها ملوك معين . وقد جعل حكمه في حوالي السنة (٣٠٠ ق. م.) . وذكر أنه رجل اسمه (اب كرب) (أبكرب) . وقد أشار الى ان (اب كرب) هذا هو غير (اب كرب يثع) الذي هو ابن الملك (وقه ايل صدق) ، الذي كان حكمه - على رأيه - في أواخر القرن الثاني لما قبل الميلاد^٣ .

ويرى (فليبي) وجود فترة قدرها بنحو عشرين سنة ، لا يدري من حكم فيها بعد (عم يثع نبط) ، وقد كانت في حوالي السنة (١٠٤٠ ق. م.) ، وقد انتهت في حوالي السنة (١٠٢٠ ق. م.) بتولي الملك (صدق ايل) عرش معين . وهو ملك من ملوك حضرموت . فيكون بذلك قد جمع في شخصه بين عرش حضرموت وعرش معين ، ثم انتقل العرش الى (اليفع يثع) ، وهو ابنه ، وقد حكم - على رأي (فليبي) - في حوالي السنة (١٠٠٠ ق. م.) . وكان له شقيق اسمه (شهر علن) (شهر علان) ، انفرد بحكم حضرموت . وبذلك انفصل عرش حضرموت عن عرش معين^٤ .

وبين تقدير (فليبي) هذا لحكم (صدق ايل) ولحكم ابنه (اليفع يثع) وتقدير (البرايت) الذي جعل حكم (صدق ايل) في حوالي السنة (٤٠٠ ق. م.) فرق كبير . كذلك نجد بين ترتيب (فليبي) وترتيب (البرايت) للملوك فرقاً كبيراً . ف (اليفع يثع) وهو ابن (صدق ايل) هو أول ملك ملك عرش

١ Background, P. 51, BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 7.

٢ Fakhry, 17, Le Muséon, 1-2, 1953, P. 113.

٣ BOASOOR, Num., 129, (1953), P. 23.

٤ Background, P. 141.

معين على رأي (البرايت) ، على حين أخره (فليبي) على نحو ما رأيت ،
 إلا أنهما يتفقان في أن (صدق ايل) والد (اليفع يشع) كان ملكاً على
 حضرموت . ثم يعودان فيختلفان أيضاً ، ذلك ان (فليبي) جعله ملكاً على
 حضرموت ومعين ، أما (البرايت) فلم يدخل اسمه في قائمته للملك حضرموت^١ .
 وحكم بعد (اليفع يشع) ابنه (حفن ذرح) وكان حكمه في حوالي السنة
 (٩٨٠ ق.م) على تقدير (فليبي) . وكان له شقيق اسمه (معدكرب)
 (معد يكرب) ، ولي عرش حضرموت^٢ . ولم يذكر (البرايت) اسم هذا
 الملك في قائمته للملك معين^٣ .

وقد ذكر (فليبي) أنه كان لـ (حفن ذرح) شقيق ، اسمه (معدكرب)
 (معد يكرب) ، ولي عرش حضرموت .

أما الذي ولي عرش (معين) بعد (حفن ذرح) ، فهو (اليفع ريم)
 (اليفع ريام) . وقد حكم في حوالي السنة (٩٦٥ ق.م) على تقدير (فيلبي)
 وهو ابن (اليفع يشع) . وقد حكم حضرموت أيضاً ، وذلك لأن ولد
 (معديكرب) لم يحكموا عرش حضرموت^٤ .

ثم انتقل حكم معين الى (هوف عث) (هوفعث) (هو عث) من بعد
 (اليفع ريام) ، وهو ابنه . وقد ولي الحكم سنة (٩٥٠ ق.م) - على رأي
 (فيلبي)^٥ - ودون ذلك بمئات من السنين على رأي (البرايت)^٦ .

وانتقل العرش الى (أب يدع يشع) (أبيدع يشع) بعد (عوف عث)
 وقد كان حكمه في حوالي السنة (٩٣٥) قبل الميلاد^٧ . أما (البرايت) فيرى
 ان زمان حكمه كان في حوالي السنة (٣٤٣) قبل الميلاد^٨ . وهو ابن (اليفع
 ريام) .

Background, P. 141, Boasoor, Num., 129, (1953), P. 22. ١

Background, P. 141 ٢

BOASOOR, Num., 129, (1053), P. 22. 1. ٣

Background, P. 141. ٤

Background, P. 141. ٥

BOASOOR, Num. 129, (1953), P. 22. ٦

Background, P. 141. ٧

BOASOOR, Num. 129, (1953), P. 22, Num. 119, (1950), P. II, ٨

Discoveries, P. 295.

وجاء في الكتابة المرقمة برقم : Glaser 1150 و Halevy 192 وهي كتابة تتألف من جملة أسطر ومصدرها مدينة معين^١ ، اسم الملك (اب يدع يثع)^٢ ورد لمناسبة قيام جماعة من أشرف مدينة (قرنو) (قرن) (القرن) باصلاح خنادق هذه المدينة وترميم أسوارها وإنشاء محلة جديدة فيها . وصاحب هذه الكتابة والأمر بتدوينها ، هو (علمن بن عم كرب) من أسرة (ذي حذار) (ذي حذار) ، أي (آل حذار) ورئيس (كبآن) (جبآن) وصديق ومكتسب عطف ومودة (موددت) ملك معين (اب يدع يثع) ، ووالد عدد من الأولاد ساعدوه في هذا العمل ، هم (يابوس آل) (يابوس ايل) (يابوس ايل) ، و (يذكر آل) (يذكر ايل) ، و (سعد آل) (سعد ايل) (وهب آل) (وهب ايل) ، و (يسمع ايل) (يسمع آل) . وقد قاموا بهذا العمل تقريباً إلى آلهة معين : (عثتر ذقبضم) (عثتر ذو قبض)^٣ . و (ود) (نكرح) وإلى ملك معين . وقد جرى العمل في ريع (ريعن) المدينة ، المسمى (رمشو) (رمش) ، وقد امتد الى موضع (شلوث) . وبعد الانتهاء من هذا العمل ذبحت القرابين على عاداتهم للآلهة (عثتر) (رب) (قبض) (عثتر ذقبضم) و (ود) . وذكرت الكتابة تفاصيل الأعمال التي تمت ومواضعها ومقدارها وغير ذلك مما يذكر عادة في وثائق البناء .

وهناك كتابة أخرى عثر عليها في (قرنو) ، وهي الكتابة التي أشير إليها بعلامة Halevy 193 ، ورد فيها اسم الملك (اب يدع يثع) ، وهي من الكتابات المهمة التي تشير إلى الصلات السياسية التي كانت في هذا العهد بين مملكة معين ومملكة حضرموت . وقد جاء فيها ان (معد يكرب) ملك حضرموت وقف حصن (خرف) للإله (عثتر ذقبضم) ، وقد بنى ذلك الحصن (شهر علن بن صدق آل) ملك (حضرموت) ونذره للإله (عثتر ذقبضم) و (عثتر شرقن) و (ود) و (نكرح) ، وقدمه الى ابن أخيه (اب يدع يثع) ملك

١ محمد توفيق ، آثار معين في جوف اليسمن ، القاهرة (١٩٥١) ، النقش ١

(الواح ١٧ - ١٩) ، Halevy, Mission, P. 32, 75, 77

٢ Glaser, 1150, Halevy 192 + 199.

٣ N. Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen, Heft, 2, S., 54.

٤ « هكرن فرنو بقلح ريعن رمشو » ، Stud. Lexl., 2, S., 55

(معين) ، وشعبه شعب معين^١ .
 وورد اسم الملك (معد يكرب بن اليفع يثع) في الكتابة الموسومة ب :
 Halevy 520 ، وهي من الكتابات التي عثر عليها في خرائب مدينة (يثل) ،
 وتحدث عن انشاء بناء في مدينة (وكل) ، كما ورد اسم الملك (اب يدع يثع)
 واسم (معد يكرب بن اليفع) في كتابة أخرى عثر عليها في (يثل) أيضاً^٢.
 وورد اسم (اب يدع يثع) في ثلاث كتابات أخرى . وورد في اثنين منها
 اسم ابنه (وقه آل ريم) (وقه ايل ريام) معه^٣ .

وتشير هذه الكتابات الى ان (معد يكرب بن اليفع يثع) ، أي ابن أخي
 (أب يثع بن اليفع ريام) كان معاصراً لـ (أب يدع) وان الصلات بين
 ابني الشقيقين كانت وثيقة وحسنة . وهي كتابات تفيد المؤرخ بالطبع كثيراً في
 محاولاته لوضع قائمة بأسماء ملوك حضرموت وملوك معين ، اذ انها جعلتنا نتفق
 في أن حكمي الملكين كانا في زمن واحد تقريباً، ومكثتنا بذلك من تثبيت أسماء
 بقية أسرتها على هذا الأساس بحيث لا يبقى هنا موضع للجدل في موضع ترتيب
 أسماء رجال هذه الأسرة الحاكمة في حضرموت وفي معين .

ومن الكتابات المعينية المهمة، كتابة رقت برقم Halevy 535 = Glaser 1115 ،
 Halevy 578 ، ترجع ايامها الى أيام الملك (اب يدع يثع) . وهي تتحدث
 عن حرب وقعت بين (ذيمنت) و (ذشامت)^٤ ، أي بين الجنوب والشمال ،
 ولا يعرف مقصود الكتابة من الجنوب ومن الشمال على وجه أكيد . وقد ذهب
 (ونكلر) الى ان المراد بـ (الجنوب) حكومة معين ، وان المقصود من الشمال
 حكومة عربية ، هي حكومة (أريبي) التي كان يمتد سلطانها على زعمه ،
 اذ ذاك الى أرض دمشق^٥ . وقد دونت هذه الكتابة لمناسبة نجاة قافلة كبيرة
 ضخمة من غزو تعرضت له بين موضع (معين) أي (معين) على قراءة ،

١ Background, P. 51, Albright, in BOASSOR, 129, (1953), P. 22

119, (1950), P. II.

Halevy 535.

Background, P. 51.

٢ « وبن ضركون بين ذيمنت وذشامت » ، أي « ومن الحرب التي وقعت بين سادة
 الجنوب وسادة الشمال » .

٣ Winckler, Musri, Melucha, Ma'in, S., 20, 22.

أو موضع (ماون) (ماوان) على قراءة أخرى ، وبين موضع (ركمت) (ركيات)^١ . وإذا صح ان الموضع الأول المذكور هنا هو (معن) ، فيكون الهجوم على القافلة المذكورة قد وقع فيما بين (معين) العاصمة وموضع (ركمت) . وإذا كان الموضع (مون) أو (ماوان) ، يكون الهجوم قد وقع عليها في المنطقة التي بين (مون) (ماوان) و (ركمت) .

ولا نعلم من أمر (مون) (ماوان) شيئاً على وجه التأكيد ، وقد ذكر (ياقوت الحموي) اسم موضع دعاه (ماوان) ، قال عنه : (واد فيه ماء بين النقرة والزبدية ، فغلب عليه الماء ، فسمي بذلك الماء ماوان)^٢ .

وقد أمر بتدوين هذه الكتابة (عم صدق) (عميصديق) (عم يصدق) ، (عم صديق) ابن (حم عث) ، (ذو يفعن) و (سعد بن ولك)^٣ (ذو ضفكن)^٤ ، وكانا (كبر) كبيرين على (مصر) وعلى (معن مصون) (معين مصران)^٥ . وقد أمر بتدوينها ، شكراً لآلهة معين : (عثر ذو قبض) و (ود) و (نكرح) ، لأنها نجت القافلة وأنقذتها من الوقوع في أيدي الغزاة ، كما قاما بتزيين معبد (تنعم) ، وذلك في عهد ملك (معين) (أب يدع يثع) . وقد ورد في الكتابة ذكر حرب وقعت بين (مذى) و (مصر) في وسط (مصر)^٦ . وقد شكر الآلهة على أن سلمت أموال المعينين في هذه المنطقة أيضاً ، وحفظت أرواح رجال القافلة وشملت بها برحمتها وحمايتها الى أن أبلغتها حدود مدينتهم (قرنو) ، شكراً وتسييحاً بـ محمد (عثر شرقن) (عثر الشارق) و (عثر ذو قبض) و (ود) و (نكرح) و (عثر ذي يهرق) (وذات نشق)^٧ وكل آلهة معين^٨ و (يثل) ، وملك معين (أب يدع يثع) وبابني

١ « رجمت » « رجعات » ، Winckler, Musri, S., 20, Background, P. 53

٢ البلدان (٣٧٠ / ٧) .

٣ « ولك » ، « ولج » ، « ولي » ، « على » ، Winckler, S., 56, Background, P. 53

٤ « ضفكن » « ضفلن » ، Winckler, Musri, S., 20, Background, P. 53.

٥ « عم صدق بن جمعث » ذيفعن وسعد بن ... ولج « ولك » « على » ، « ولي » ...

٦ « ذصفكن كبرى مصرن ومعن مصرن ... مصرن ورتكل ... مهسمن مصرن والاشور »

٧ « بن وسط مصق بمرد كون بين مذى ومصر » ، السطرين الخامس والسادس من النص .

٨ « ذات نشقم » ، « ذات نشق » .

٨ « وبكل الإلت معن ويثل » ، « وبكل آلهة معينة ويثل » .

(معد يكرب بن اليفع) ، وشعبي معين ويثل^١ .
ولم يرد في الكتابة ذكر الجهة التي كانت تقصدها هذه القافلة ، أكانت متجهة من معين نحو الشمال ، أي من اليمن نحو بلاد الشام ، أم كان اتجاهها على العكس من (معين مصران) نحو الجنوب قاصدة اليمن ، ولكن القرائن تدل أنها كانت راجعة عائدة أي متجهة نحو اليمن ، نحو العاصمة (قرنو) ، وقد تعرضت لأخطار كثيرة بسبب الحرب المذكورة وبسبب الغزو الذي تعرضت له ، وهي في طريقها الى وطنها .

وقد كانت مثل هذه القوافل هدفاً ممتازاً للقبائل والعشائر وقطاع الطرق ، لما تحمله من أموال . وهي وان أمنت على نفسها باتفاقات تعقدها الحكومات ويعقدها أصحاب الأموال مع سادات القبائل الذين تمر الطرق من مناطق نفوذهم ، إلا أن مثل هذه الاتفاقات لم تكن كافية لحماية الأموال المغربية التي تحملها الجبال من طمع الطامعين فيها . وقد يقع الاعتداء من قبائل أخرى معادية لسادات القبائل الذين يحمون تلك الطرق . ولهذا كانت أموال التجار معرضة دائماً للأخطار ، وعلى التجار أيضاً زيادة أسعار أموالهم ، بسبب الضرائب المستمرة التي يدفعونها لسادات الطرق ، وبسبب الزيادات التي يفرضونها في أتاواتهم هذه ، وإلا تعرضت القوافل للسلب والنهب . ولهذا لا غرابة إن نذر التجار لأهلهم وحمدها وسبحوا بأسمائها عند عودتهم سالمين من تجارتهم ، أو عادت قوافلهم سالمة ، فيوم العودة هو في الواقع يوم فرح وعيد .

واختلف الباحثون في تعيين الحرب التي نشبت في وسط مصر بين (ملدى) و (مصر) اختلفوا في تعيين زمن وقوعها كما اختلفوا في تثبيت هوية المتحاربين : فذهب بعضهم الى ان المراد من (ملدى) (الماذين) ، ويراد بهم (الماديون) (الميديون) ، وهم طبقة من طبقات الايرانيين ، ورأوا ان المعنيين كانوا قد أطلقوا (ملدى) عليهم محاكاة لبني إرم ، وكانوا على اتصال وثيق بهم . ولهذا دعوا بـ (ملدى) في هذه الكتابة . ومن بني إرم تعلم المسلمون نسبة (الماذين)

(الميديين) ، فقالوا أنهم من نسل (ماضي بن يافت بن نوح)^١ . وقد ذكر الطبري اسم (كيرش الماذوي)^٢ . فـ (مذي) و (ماضي) اذن بمعنى (مادي) و (ميديا) Media . و (ماضي) هو (مادي) الابن الثالث ليافت في التوراة ومن نسله تسلسل الماديون^٣ .

وذهب (فليبي) الى ان (مذي) هم (المدينيون) ، أهل مدين (المديانيين) الذين عرفوا بتحرشهم بالعبرانيين . وهم سكان أرض (مديان) (مدين) ، وهي أرض واسعة تمتد من خليج العقبة الى موآب وطور سيناء . ويرى ان الحرب المذكورة قد وقعت بينهم وبين أهل (معن مصرن) أي (معين المصرية)^٤ . ورأى (هومل) ان (مذي) هم جماعة من بدو طور سيناء^٥ .

ونجد (فليبي) نفسه ، يخالف نفسه في مناسبات أخرى ، فقد ذهب مرة الى ان (مذي) هم جماعة عرفوا بـ (مذوي) Madhoy أو Maroe أو Mazlou ، وبين هؤلاء وبين (مصر) وقعت تلك الحرب^٦ .

واختلفوا في زمن وقوع تلك الحرب ، فذهب (ونت) الى ان الحرب المذكورة في هذا النص ، حرب (مذي) و (مصر) هي الحرب التي وقعت بين (الميديين) والمصريين في سنة (٣٤٣ ق. م)^٧ . وقد استولى فيها

١ « ماضي بن يافت ، وهو الذي تنسب السيوف الماذية اليه » ، الطبري (٢١٦/١ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢) ، « طبعة ليندن » ، (٢٠٥/١) ، « دار المعارف » ، ولما عدد الطبري أسماء أبناء يافت بن نوح ، لم يذكر اسم « ماضي » في جملتهم ، (٢٠٦/١) ، « دار المعارف » .

٢ الطبري (٢٠٦/١) ، « دار المعارف » .

٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢ ، أخبار الأيام الأول ، الاصحاح الأول ، الآية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (٣٠٦/٢) ،

٤ « مدين » ، « مديان » ، « مديانيون » ، قاموس الكتاب المقدس ، (٣٢٤/٢) ، « مدين » في الكتب العربية ، Background, P. 54.

٥ Handbuch, I, S. 70, Hommel, Aufsätze, S. 231, Le Muséon.

LXII, 3-4, P. 238, (1949).

٦ Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 238.

٧ BOASOOR, Num. 73, 1939, P. 8

(أرتخششتا أوخوس) (أرتخششت أوخوس) Artaxerxes Ochus على مصر^١.
والى هذا الرأي ذهب (البرايت) Albright كذلك^٢. أما (ملاك) K. Mlaker
ف يرى ان هذه الحرب ، هي الحرب التي وقعت في حوالي سنة (٥٢٥ ق.م.)
وأدت الى فتح (قبيز) (كمبيس) Cambyses لمصر^٣. ومن اختلافهم في
تقدير زمن وقوع هذه الحرب ، اختلفوا في زمن حكم (اب يدع يثع) ملك
معين ، وفي حكم سائر ملوك معين ، من مبدأ أول ملك الى حكم آخر ملك من
ملوك هذه الدولة .

وقد ذهبت (بيرين) J. Pirenne إلى أن الحرب المذكورة وقعت في الفترة
الواقعة فيما بين (٢١٠) الى (٢٠٥ ق.م.) ، وأن المراد من (مذي) (السلوقيون)
ومن (مصر) البطالمة ، وأنها قد تشير إلى الاستيلاء على (غزة) في سنة
(٢١٧ ق.م.) تقريباً ، وإلى المعركة التي تلتها ووقعت عند موضع Raphela^٤.

ويرى البعض أن لفظة (مذي) إنما كانت تعني الحكومة التي تحكم العراق ،
ولو لم تكن من (الماذهيين) (الميديين) ، وأن (مصر) تعني الحكومة التي
تحكم مصر من غير تقييد بجنسية الحاكمين لها . ويستشهد على هذا بورود لفظة
(مذي) (همذي) في نص (صفوي) من سنة (٦١٤) للميلاد ، وقد
قصد بهم (الفرس) . ويرى أن اطلاق لفظة (همذي) أي (الميديين) على
الفرس لا يثير اعتراضاً كبيراً مثل الاعتراض الذي يثار حول تفسير (مذي)
بـ (سلوقيين) ، إذ أن الساسانيين هم فرس ، والماذهيين فرس كذلك ، وان

١ هكذا كان يكتب عند اليونان . أما الفرس ، فكانوا ينطقون به على هذا الشكل :
« Artakhshatra »

وفي العبرانية « Artachschasta » ، ومعناه : ملك عظيم ، قاموس الكتاب
المقدس (٥٩/١) ، « ارتخششت الثالث المعروف بالأسود ، واليونانيون
يسمونه أوخوس ، ملك سبعا وعشرين سنة ، واستعاد ملك مصر ، وهزم
نقطاببوس ملكها ٠٠٠ » ، تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري (ص ٨٩) ،
بيروت ، (١٨٩٠ م) .

٢ BHASOOR, 119, (1950), «The Chronology of Ancient South Arabia
in The Light of the first Campaign of Excavation in Qataban», P. II.
٣ Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 231, K. Mlaker, Die Hierodulen-Listen von
Ma'in nebst Untersuchungen zur Altsüdarabischen Rechtsgeschichte und
Chronologie.

٤ P. Pirenne, Paléographie des Inscriptions sud arabes, I, (1956), 211.

كانوا من جيلين مختلفين . أما (السلوقيون) ، فقد كانوا يوناناً ، وليست لهم علاقة بالفرس ، ثم من يدرينا أن أهل ذلك العهد من العرب كانوا يطلقون على كل من يحكم العراق (ميديين) (ماذويين) ، وفي جملتهم هؤلاء السلوقيون^١ .

هذا وقد ورد في النص اسم أرض دعيت (اشور) (اشر) ، ووردت معها لفظة (مصر) . وقد ذهب بعض الباحثين فيه الى أن الكبيرين المذكورين كانا يمثلان ملك معين في (مصر) ، أو في (صور) على بعض القراءات وعند ملك (اشر) (اشور) و (عبر نهران)^٢ . وذهبوا الى أن (اشر) (اشور) هي (آشور) ، أو البادية . أما (هومل) و (كلاسر) فذهبا إلى أن المراد من (اشور) أرض تقع على حدود مصر^٣ ، سكنها شعب دعي في التوراة بـ (اشوريم) Asshurim ، وهم (ولطوشيم) Lutushim^٤ و (لويميم) Leummim قبائل عربية جعلتها التوراة من نسل (ددان) Dedan (دبدان) من ابراهيم من زوجته (قطورة)^٥ . وقد ورد في (التركوم) Targum أن معنى (اشوريم) سكان الخيام . وقد وردت اللفظة (اشور) (اشور) Ashur في كتابتين معينتين^٦ .

وعلى رأي (هومل) و (كلاسر) يكون الكبيران المذكوران في الكتابة ، وهما أصحابها ، قد حكما ومثلا ملك معين في (معين المصرية) وفي أرض (اشور) أي في منطقة تمتد من مصر الى (بئر السبع) Beersheba و(حبرون) Hebron . وهي طور سيناء عند (هومل) ، والأرض الواقعة بين السويس الى (غزة) وجنوب فلسطين عند (كلاسر)^٧ .
وأما المغبرون على القافلة والذين أرادوا الاستلاء عليها ، فهم قوم من (سبأ)

Die Araber, I, S., 75. ١

Glaser, Skizze, 2, S., 452, Winckler, Musri, S., 20, Background, P. 53. ٢

Glaser, Skizze, 2., 452, Hommel, AHT, 239, Winckler, ٣

AOF., S., 28, ZDMG., 527, (1895).

قاموس الكتاب المقدس (٢٩٣/٢) ، التكوين الاصحاح ٢٥ ، الآية ٣ ، ٤
Hastings, P. 541.

التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الآية ٣ ، ٥
Ency. Bibl., P. 346, Hastings, P. 59.

Hastings, P. 59. ٦

Ency. Bibl., P. 346, Glaser, Skizze, 2, S., 452. ٧

و (خولان) على رأي الباحثين . وقد ورد اسم الخولانيين في نصوص عربية جنوبية مما يدل على أنهم كانوا من القبائل المعاصرة للسبثيين^١ .

ويتبين من هذا النص ان حربين قد نشبتا قبل تدوينه ، حرب نشبت بين (ذيمنت) و (ذشامت) ، أي بين سادة الجنوب وسادة الشمال ، وحرب أخرى هي الحرب التي نشبت بين (ملدي) و (مصر) . وقد أصاب المعينيين من هاتين الحربين خسائر كبيرة . أما متى نشبت الحربان ولم كانت المدة بينهما ، وبين الهجوم على القافلة المعينية المذكورة ، فليس من الممكن تقديم أجوبة عنها مقنعة ومقبولة ، لقلة ما لدينا من كتابات ووثائق ، وقد رأينا اختلاف أهل العلم في تقدير تأريخ هذا النص ، بسبب أخذهم بالحدس والتخمين ، لذلك أرى ان من الصواب ترك هذه الاجابة الى المستقبل .

وقد رأينا ان هذا النص دوتن في ايام الملك (اب يدع يثع) ، وقد أشر فيه الى ابني (معد يكر ب بن اليفع) الا انه لم يذكر اسميهما ولا نعتها فجعلنا بذلك يجهل من أمرهما . ولهذا لم يتمكن الباحثون من وضعها في قائمة ملوك حضرموت . الا ان (فلي) ذكر انها لم يتربعا على عرش تلك المملكة لأنها ضمت الى معين وبقيت مدة قدرها بحوالي ثلاثة قرون مندمجة فيها الى حوالي السنة (٦٥٠) قبل الميلاد حين انفصلت عن معين ، وتولى الحكم عليها - على رأيه - الملك (السمع ذبيان بن ملككرب)^٢ .

وذكر اسم الملك (ابيدع يثع) ، واسم ابنه (وقه آل ريم) (وقه ايل ريام) في النص الذي وسم بـ Rep. Epig., 3535 ، وهو نص دوتنه (سعد ابن هوفعث) من (آل ضفجج) (آل ضفجان) (آل ضفكان) عند بنائه (مذبا) (مذبا) ، وصاحب هذه الكتابة هو من العشيرة التي ينتمي اليها صاحب الكتابة Glaser 1155 المذكورة . وقد كان (كبيراً) كذلك . تولى ادارة مقاطعة (معن مصرن) (معين مصران) ، أي (معين المصرية) ، وقد دعيت بذلك لأن سكانها من المعينيين الساكنين في الشمال في العلا وما جاورها على الحدود المتاخمة لشرق (مصر) . وقد تيمن بهذه المناسبة على عادة العرب

١ نشر نقوش ، نقش رقم ٩ ، سطر ٣ ، Glaser 1076, Halevy 585, Glaser 119.
٢ Background, P. 144.

الجنوبيين بذكر آلهة معين ثم ملك معين وابنه ، مما يدل على ان ابنه كان يشاركه يومئذ في تدبير الأمور ، كما شكر (مجلس معين) و (مشود معين) (مزود معين)^١ .

وجاء بعد (اب يدع يثع) (أبيدع يثع) على عرش معين الملك (وقه آل ريم) (وقه ايل ريام) ابن الملك (أبيع يثع) (أب يدع يثع)^٢ . وابن (هوف عث) (هوفعث) على رأي (فليبي)^٣ . أما (البرايت) ، فقد جعله في موضع^٤ ابن (هوفعث) ، غير انه عاد في مواضع أخرى^٥ ، فجعله ابناً من أبناء (أب يدع يثع) .

وانتقل الحكم الى (حفن صدق) (حفن صديق) بعد (أب يدع يثع) ، وهو ابن (هوفعث) على رأي (فليبي)^٦ ، وابن (وقه آل ريم) (وقه ايل ريام) على رأي (البرايت)^٧ . وكان (البرايت) قد جعله في بحث آخر نشره من قبل شقيقاً لـ (وقه ايل ريام) ، أي أنه جعله أحد أبناء (أب يدع يثع)^٨ .

ثم صار الحكم الى (اليفع يفس) بعد (حفن صدق) ، وهو ابنه على رأي (فليبي)^٩ . أما (البرايت) فقد ذكر في بحث من بحوثه أنه ابنه ، غير أنه وضع أمام قوله هذا علامة استفهام إشارة الى أنه غير واثق برأيه كل الوثوق^{١٠} ، ووضع في بحث له آخر في ملوك المعينيين جملة اشترك مع (حفن صدق) في الحكم) ، من غير أن يشير الى علاقته به^{١١} .

Rep. Epigr., 3535, Weber, Stud., II, S. 34, Lidzbarski, Eph. Semi., II, S., 98, ١
Hartmann, Süd-Arab-Frage, I, Conti Rossini, Chrest. Arab. Mrid., 1931.

P. 80.

Rep. Epigr., 3535. ٢

Background, P. 141. ٣

BOASOOR, Num., 119, (1950), P. II. ٤

BOASOOR, Num., 129, (1953), P. 22. ٥

Background, P. 141. ٦

BOASOOR, Num., 129, (1953), P. 22. ٧

BOASOOR, Num., 119, (1950), P. 11. ٨

Background, P. 141. ٩

BOASOOR, Num., 119, (1950), P. 11. ١٠

BOASOOR, Num., 129, (1953), P. 22. ١١

ووضع (فلبى) فراغاً بعد اسم (اليفع يفش) ، لا يدري من حكم فيه ، قدره على عادته بعشرين عاماً ، ويقابل ذلك حوالي السنة (٨٧٠ ق. م.) ، وجعل نهايته في سنة (٨٥٠ ق. م.) ، ثم وضع بعده أسرة جديدة ، زعم أنها حكمت معيناً على رأسها (يثع ايل صديق) (يثع آل صديق) ولا نعرف الآن من أمره شيئاً إلا ما ورد في كتابة من الكتابات من أنه بنى حصن (يشم) (يشبوم) ، وأنه والد (وقه آل يثع) (وقه ايل يثع) ملك معين^١ . و (وقه آل يثع) هو والد (اليفع يشر) الذي ضعفت في أيامه حكومة معين كما يظهر ذلك من كتابة كتبها أهل (ذمرن) (ذمران) لمناسبة وقفهم وقفاً على معبد ، إذ ورد : (في أيام سيدهم ، وقه آل يثع وابنه اليفع يشر ، ملك معين ، وباسم سيده شهريكل يهركب ملك قتبان) . ويظهر منها أنها كتبت في أيام (وقه آل يثع) ، وكان ابنه (اليفع) يحمل لقب (ملك) ، كذلك وأن حكومة قتبان كانت أقوى من حكومة (معين) ، ولهذا اعترف ملك معين بسيادة ملك قتبان عليه^٢ .

وقد ورد اسم (اليفع يشر) في كتابات أخرى ، منها الكتابة الموسومة Glaser 1144 = Halevy 353 ، وقد دونت بأمر جماعة من أهل (نبط) لمناسبة قيامهم بترميمات واصلاحات في الأبراج وحفر قنوات ومسايل للمياه تقريباً إلى آلهة معين^٣ . ومنها كتابة دونت في (نشن) (نشان) ، وكتابة دونت في (قرنو) ، ويظهر من هذه الكتابة الأخيرة ما يؤيد رأي القائلين إن حكومة قتبان كانت أقوى من حكومة معين إذ ذاك ، وأنها فرضت نفسها لذلك عليها^٤ إلا أن هذا لا يعني أنها فقدت استقلالها وصارت خاضعة لحكومة قتبان فأننا نرى أنها بقيت مدة طويلة بعد هذا العهد محافظة على كيانها ، وعلى رأسها ملوك منهم الملك (حفن ريم) (حفن ريام) وهو ابن (اليفع يشر) وشقيقه (وقه آل نبط) و (كه ايل نبط)^٥ .

Background, P. 56, BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 7. ١

Background, P. 56. ٢

Stud. Lexl., 2, S., 30-31, Mordtmann, Min. Epigr., S., 68, 71, JS., II, Euting, ٣

5, JS., 13, Euting 22.

Background, P. 56. ٤

Background, P. 141. ٥

وورد اسم (اليفع بشر) في كتابتين عثر عليهما في (الديدان) (ددن) (ددان)^١ (العلا) ، أمر بتدوين احدهما (وهب آل بن حيو ذعم رتبع)^٢ (عمى رتبع)^٣ من أعيان المعينين في الشمال ومن (الكبراء) . وأما الكتابة الأخرى فتعود لـ (يفعن) (يفعان) من رؤساء (ددان) كذلك . وقد كان هذان الرجلان من أسرتين كبيرتين عرفنا في أيام معين المتأخرة وفي عهد اللحيانيين ، وورد اسم الأسرتين في عدد آخر من الكتابات^٤ .

وورد في النص الموسوم بـ Rep. Epigr., 3707 اسم الملك (وقه آل نبط) وورد فيه اسم المدينة (قرنو) العاصمة . وهذا النص دُون في أيام (هنا فامن) (هانيء فامان) الذي كان كبيراً على هذه المنطقة التي دُون فيه النص ، وهي منطقة (الخريبة) في أرض مدين أي في الأرضين التي سكنها المعينون الشماليون^٥ . والملك المذكور هو ابن الملك (اليفع بشر) وشقيق الملك (حفن ريام)^٦ . أما (البرابت) ، فقد وضع هذه الأسرة التي يرأسها (يثع ايل صدق) ، في نهاية الأسر الحاكمة لحكومة معين . وتتألف عنده من (يثع ايل صدق) ، ومن (وقه ايل يثع) ابنه ، ومن (اليفع بشر) ، ومن (حفن ريام) ، ومن (وقه ايل نبط)^٧ . وقد كان حكم (وقه ايل صدق) - على رأيه - في حوالي السنة (١٥٠ ق. م.) . وكان تابعاً للملك (شهر يجل يهرجب) (شهر بكل يهركب) ملك قنابان^٨ .

وترك (فليبي) بعد اسم (حفن ريام) و (وقه ايل نبط) فراغاً لا يدرى من حكم فيه ، قدره بعشرين عاماً ، ويبدأ - على رأيه - من سنة (٧٧٠) وينتهي بسنة (٧٥٠ ق. م.) ، ثم وضع بانتهائه ابتداء أسرة أخرى جديدة ، جعلها الأسرة الرابعة من الأسر التي حكمت حكومة معين . وقد ابتدأها بـ (ابيدع

١ Rep. Epigr., 3341, Rep. Epigr. 3355b, Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 234,

Euting 10, Jausen - Savignag, Mission, II, (732), P. 256.

٢ Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 234.

٣ « عم رتبع » ، « عمرتبع » ،

BOASOOR, Num., 73, (1939), P. 6.

٤ JS 43, 245, 276, 281, 288, JS, 50, 196, 197, 216,

٥ Rep. Epigr., 3707, Jausen-Savignag, Mission, II, P. 301,

Handbuch, I, S., 72.

٦ Handbuch, I, 72, Albright, The Chronology, P. 12.

٧ BOASOOR, Num., 119, (1950), P. 12.

٨ Ibid.

ريام) ، ثم بابنه (خل كرب صدق) (خال كرب صديق) . وقد ورد اسمه في كتابة وجدت في (قرنو) المناسبة (تدشين) معبد (لعشر ذ قبض) (عشر ذو قبض) ، وكان له ولدان ، هما : (حفن يثع) و (أوس) وقد تولى (حفن يثع) عرش (معين) بعد وفاة أبيه ، ومن الجائز - على رأي (فلي) - أن يكون شقيقه (أوس) قد اشترك معه في الحكم ^١ .

وورد عهد الملك (خلكرپ صدق) (خالكرپ صديق) (خالكرپ صادق) في الكتابة المرقمة بـ Glaser 1153 = Halevy 243 ، وذلك مناسبة تقديم جماعة ذكرت أسماءهم في الكتابة نذراً إلى الآلهة (عشر ذ قبض) في معبده بـ (رصف) (رصاف) (رصفم) لقبيلة (هورن) (هوران) . فذكروا أن ذلك كان تيمناً بآلهة (معين) و (يثل) في عهد هذا الملك . وأما الرجال الذين قدموا ذلك النذر ، فهم : (مشك بن حوه) من (خد من) (خدمان) (آل خدمان) من قبيلة (زلتن) (زلتان) ، و (أوس بن بسل) (باسل) من (آل وكيل) (ذو كل) و (متعن بن حم) (متعان بن حام) من (آل وكيل) ، (ذو كل) و (باسل بن لحيان) ^٢ . من (آل وكيل) و (ثني بن أبانس) ^٣ . من قبيلة (معهرم) (معهر) ^٤ ، و (ملذكر بن عمانس) من (حرض) ^٥ وآخران . وقد ذكر بعد اسم الملك اسم (الكبير) (كبر) ^٦ الذي كان يحكمهم ، وهو (مشك) من (آل خد من) (آل خدمان) ^٧ .

ويرى (فون وزمن) أن الملك (خل كرب صدق) ، (خال كرب صديق) ، هو الذي بنى معبد (رصف) ، (رصفم) ، المعبد الشهير عند المعينين ^٨ . ويقع هذا المعبد خارج سور (قرنو) العاصمة ، على مسافة

Background, P. 57.

١ « بسل بن لحين » ، السطران السادس والسابع من النص .

٢ « وثني بن أبانس » .

٣ « ذو معهر » .

٤ « ذو حرض » .

٥ « كبر هسم » ، السطر ١٩ .

٦ خليل يحيى نامي ، نقوش خربة معين (مجموعة محمد توفيق) ، من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ١٩٥٢ م (ص ٢٠) ، النقش رقم ١٥ .

٨ Beltrüge, S., 73.

حوالي (٧٥٠) متراً من المدينة^١ . وقد عُثر في أنقاضه على عدد من الكتابات .
وتيمن بذكر الملك (خالكرب صديق) ملك معين في نص آخر ، دونه
(مشك بن حوه) من (آل خدمان) من قبيلة (زلتان) أي الشخص الذي
مرّ ذكره في الكتابة السابقة بالاشتراك مع أناس آخرين ، هم : (حيوم بن
هوف) و (وينان)^٢ و (مأوس) ابن عمه من (آل كزيان)^٣ ، (جزيان)
و (هبان) (وهب)^٤ وأخوه (اكر)^٥ ابنا (صبح) من (آل جزيان) ،
و (أوسان) ، وجماعة آخرون سقطت أسماؤهم من الكتابة . وقد ذكر بعد
اسم الملك اسم (الكبير)^٦ الذي في عهده كتبت الكتابة وهو (مشك خدمان)
أي (مشك) من (آل خدمان) أو (كبير خدمان) (ذو خدمان) وهو
الكبير المذكور في الكتابة السابقة^٧ .

وقد ورد اسم هذا الملك في الكتابة الموسومة بـ 241 + 242 Halevy^٨ .
وقد أمر صاحبها بتدوينها المناسبة تبجيده بشره المسماة (ثمر) (ثمار)^٩ على
مقربة من معين وتوسيعها وطيها (أي بنائها) ، وتسويره مزارعه وقد قوتى
وحصن البرج المشرف عليها . وتيمناً بهذه المناسبة ، ذكر اسم (عثر ذقبض)
و (ود) و (نكرح) و (عثر ذيهرق) آلهة معين ، والملك (خالكرب
صديق) وشعب معين^{١٠} .

أما (البرايت) ، فكان قد ذكر في نهاية بحث له نشره في سنة (١٩٥٠ م)
عن ملوك معين أن هناك ما لا يقل عن خمسة ملوك نعرفهم أنهم من ملوك معين
غير أننا لا نستطيع أن نعرف مواضعهم التي يجب أن يوضعوا فيها بين ملوك

-
- ١ المصدر نفسه (ص ١٤) .
 - ٢ « وينن » .
 - ٣ « كزين » بحرف الجيم على حسب النطق المصري .
 - ٤ « وهبن » .
 - ٥ « اكر » « اجر » .
 - ٦ « كبير » .
 - ٧ خربة معين ، ص ٢٦ ، النقش رقم ١٨ ، Glaser 1154 ،
Halevy 195, REP. Epigr. 2777.
 - ٨ Glaser 1161, REP. Epigr. 2817, 2818.
 - ٩ « ثمر » .
 - ١٠ خربة معين ص ٢٥ ، النقش رقم ١٧ .

معين . وهؤلاء الملوك هم : (أبيدع ريام) ، ثم ابنه (خلكرب صدق)
(خليكرب صديق) (خال كرب صديق) ، ثم ابنه (حفنم يشع) (حفن
يشع) ، ثم (يشع ايل ريام) وابنه (تبع كرب)^١ .

ثم عاد (البرايت) فغير رأيه في بحث نشره في سنة ١٩٥٣ م في هذا
الموضوع أيضاً : موضوع ترتيب ملوك معين . فقد وضع اسم (يشع ايل ريام)
بعد اسم (عم يشع نبط) وهو ابن (اب كرب) (أبكرب) . وقد حكم
— على رأيه — بعد (اليفع يفس) وذلك في حوالي السنة (٣٠٠ ق. م.) ،
ثم وضع بعده اسم (تبعكرب) (تبع كرب) ، وهو ابن (يشع ايل ريام)
ثم ذكر اسم (خليكرب صدق) (خالكرب صديق) (خال كرب صديق)
من بعده ، وهو ابن (أبيدع ريام) ، وقد كان حكمه في حوالي السنة
(٢٥٠ ق. م.) ، ثم جعل اسم (حفنم يشع) من بعده وهو ابنه^٢ . وبذلك
قدّم هذه الأسماء في هذا البحث بأن جعلها في المجموعة الأولى من المجموعات
الثلاث التي حكمت مملكة معين .

وقد ختم (فليبي) قائمته لأسماء ملوك معين بأن وضع فراغاً مقداره عشرون
عاماً ، لا يدري من حكم فيه ، أنهاه بسنة (٦٧٠ ق. م.) ، ثم تحدث عن
أسرة خامسة زعم ان أعضائها هم : (يشع ايل ريام) ، وقد حكم في حوالي
السنة (٦٧٠ ق. م.) ، ثم (تبع كرب) وهو ابنه وقد كان حكمه من سنة
(٦٥٠ ق. م.) حتى سنة (٦٣٠ ق. م.) . وكان له شقيق اسمه (حيو)
(حي) ربما كان قد شاركه في الحكم^٣ . وبذلك أنهى (فليبي) قائمته للملوك
(معين) .

وقد وضع (البرايت) قائمة رتب فيها ملوك معين ، فجعل أولهم (اليفع
يشع) ، وقد حكم على رأيه حوالي سنة (٤٠٠ ق. م.) ، وابن (صدق
ايل) ملك حضرموت . وعندني ان البدء بهذا الملك على انه أقدم ملوك معين ،
يدل على ان مملكة معين كانت في أقدم عهودها خاضعة لمملكة حضرموت ، وهو
يحتاج الى دليل ، ولم يرد في نص ان حكومة معين كانت خاضعة في بادئ

١ BOASOOR, Num., 119, (1950), P. 12.

٢ BOASOOR, Num. 129, (1953), P. 23.

٣ Background, P. 141.

الأمر لحكومة حضرموت ، ثم استقلت عنها ، بل يذهب أكثر علماء العربيات الجنوبية الى تقدم معين على حضرموت في القدم . ويلاحظ أيضاً انه جعل الملك (يدع ايل) على رأس قائمة ملوك حضرموت وقد كان هذا الملك على رأيه أيضاً معاصراً للملك (كرب آل وتر) (كرب ايل وتر) ، وقد حكم على رأيه حوالي سنة (٤٥٠ ق. م.)^١ .

والواقع اننا لا نستطيع التحدث عن صلة (صدق ايل) ملك حضرموت معين بصورة جازمة ، وان كان الغالب على الظن انه كان ملكاً على شعب معين وشعب حضرموت . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد انه كان حضرمياً ، كما اننا لا نستطيع أن نقول جازمين انه من معين . وقد سبق أن تحدثت عنه ، والظاهر انه كان ملكاً أيضاً على معين ، وقد سبقه بالطبع جملة ملوك حكموا دولة معين كانوا من المعينيين . أما ابنه (اليفع يثع) ، الذي جعله (البرايت) أول ملوك معين ، فقد ورث عرش معين من أبيه على نحو ما رأى (فليبي) ، على حين ورث شقيقه (شهر علن) (شهر علان) عرش حضرموت . وهذا يدل على ان رابطة دموية كانت تربط بين حكام الشعبين ، يؤيد ذلك ان (معد يكرب ابن اليفع يثع) هو الذي تولى عرش حضرموت بعد (شهر علن) أي بعد وفاة (عمه) ، وأبوه كما رأيت ملك معيناً .

وجعل (البرايت) (حفن ذرح) بعد (اليفع يثع) ، وهو ابنه ولعله الابن الأكبر ، وهو شقيق (معد يكرب) ملك حضرموت ، أي ان ولدي (اليفع يثع) كانا قد اقتسما تاج معين وتاج حضرموت .

وتولى عرش معين بعد (حفن ذرح) (اليفع ريام) ، وقد تولى أيضاً عرش حضرموت على رأي (البرايت) ، ثم تولى بعده (هوف عث) ، ثم (اب يدع) ، وهو شقيقه وابن (اليفع ريام) ، والى ايامه يعود النص المعروف بـ 578 + 535 Halevy^٢ ، الذي يتحدث عن حرب نشبت بين (مدي) (ماذي) و (مصر) . ويرى (البرايت) استناداً الى هذا النص ان حكمه

^١ BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 14-15.

^٢ Glaser 1155.

يجب أن يكون في حوالي عام (٣٤٣ ق. م.)^١ . أما (فلي) فقد جعل حكمه في حوالي عام (٩٣٥ ق. م.) ، وجعله العاشر بحسب تسلسل الملوك^٢ .

وتتشابه قائمة (البرايت) وقائمة (فلي) في تسلسل المجموعة التي تولت حكم معين هي والتي تبدأ بـ (اب يدع يشع) وتنتهي بـ (اليفع يفش) ، ثم تختلف قائمته عن قائمة (فلي) ، اذ يذكر (فلي) أسرة جديدة ، يرى انها حكمت بعد تلك الأسرة بمدة قدرها بزهاء عشرين عاماً ، على عادته في تقدير متوسط مدة حكم كل ملك من الملوك وتبدأ على رأيه بـ (يشع ايل صديق) ثم بابنه (وقه ايل يشع) ثم بـ (اليفع يشع) ثم بـ (حفن ريام) ابن (اليفع يشع) ، ثم (وكه ايل بنت) (وجه ايل نبط) . أما (البرايت) فيذكر، قبل هذه السلالة التي تبدأ بـ (اليفع وقه) ، ثم بـ (وقه ايل صديق) ثم بـ (اب كرب يشع) ، ثم تنتهي بـ (عم يشع ثبط) (نبط) . وقد حكم (اليفع وقه) على رأي (البرايت) في حوالي سنة (٢٥٠ ق. م.)^٣ . على حين قدم (فلي) هذه السلالة وجعلها في رأس قائمة ملوك معين . وقد حكم (اليفع وقه) على رأيه حوالي سنة (١١٢٠ ق. م.) .

وذكر (البرايت) بعد الأسرة المتقدمة أسرة أخرى جعل على رأسها (يشع آل صدق) ، ثم (وقه آل يشع) ، وهو ابن (يشع آل صدق) ، وقد ذكر أنهما كانا تابعين للملك (شهر يجل يهرجب) ، ملك قتيان الذي حكم على تقديره في حوالي سنة (١٥٠ ق. م.) ، وجعل بعد (وقه آل يشع) ابنه الملك (اليفع يشع) وقد ورد اسمه في كتابة عثر عليها في (ددان) (ديدان) ، ثم جعل من بعده ابنه (حفن عم ريام) ، ثم شقيقه (وقه آل نبط) . وقد ورد اسمه في كتابة (ديدان) .

وذكر (البرايت) أنه لا يستطيع تعيين زمن حكم الملوك (اب يدع ريام) وابنه (خلكرب صدق) ، وابنه (جفن عم يشع) ، و (يشع آل ريام) ،

BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 15, W.F. Albright, «The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban, Baltimore, 1950, P. 11.

Background, P. 141. ٢

BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 15. ٣

وابنه (تبع كرب)^١ .

ويرى (فون وزمن) احتمال كون (اليقع يشر الثاني) هو آخر ملك من ملوك معين . وقد لقب (البرايت) هذا الملك (بالثاني) ، أيضاً ليميزه عن ملك آخر عرف بهذا الاسم وضعه في الجمهرة الثانية من الجمهرات الثلاث التي صنعها الملوك معين ، لهذا دعاه بـ (الأول)^٢ . وقد جاء في الكتابة الموسومة بـ REP. EPig. 3021 اسمه واسم (شهر يجل يهرجب) ملك قتبان ، كما سبق أن ذكرت . وهذا مما يدل على انه كان معاصراً لملك قتبان المذكور . وقد حكم فيما بين السنة (٧٥ ق. م.) والسنة (٥٠ ق. م.) . أما (فون وزمن) ، فيرى أن حكمه كان في حوالي السنة (٤٥ ق. م.)^٣ .

وقد عاد (البرايت) كما قلت سابقاً فأعاد النظر في قائمته المذكورة التي وضعها الملوك معين ، فقدم وأخر ووضع تواريخ جديدة ، أشرت الى بعضها فيما سبق وسأنتقل قائمته نقلاً كاملاً في نهاية هذا الفصل^٤ .

وقد جعل (البرايت) زمان حكم المجموعة الأولى من حكام معين بين السنة (٤٠٠ ق. م.) والسنة (٢٠٠ ق. م.) . أما زمان حكم المجموعة الثانية فقد جعله بين السنة (٢٠٠ ق. م.) والسنة (١٠٠ ق. م.) الى الـ (٥٧ ق. م.) . وأما زمان حكم المجموعة الثالثة فن أوائل القرن الأول قبل الميلاد الى النصف الأخير منه ، فيما بين السنة (٥٠ ق. م.) والسنة (٢٥ ق. م.)^٥ .

غير أنه يبين أنه لا يريد أن يؤكد أن قائمته هذه قائمة ثابتة لا تقبل تعديلاً ولا أصلاً . فقد يجوز أن تعدل في المستقبل في ضوء الاكتشافات الجديدة ، كما عدلت قائمته السابقة تعديلاً كبيراً . وقد رتب قائمته الثانية في ضوء دراسة تطور الخط وشكل الكتابة عند العرب الجنوبيين بحسب العصور . ولكن هذا لا يكفي وحده بالطبع في ابداء أحكام قاطعة صحيحة بالنسبة الى السنين .

أما قائمة (كليمان هوار) ، فتتألف من سبع مجموعات . رجال المجموعة الأولى الملك (يبع ايل صديق) والملوك (وقه ايل يبع) و (اليقع يشر)

The Chronology, P. 12, BOASOOR, Num. 19, (1950), P. 15.

BOASOOR, Num. 129, (1953), P. 24.

Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 442.

BOASOOR, Num. 129, (1953), PP. 20.

BOASOOR, Num. 129, (1953), P. 12.

و (حفن عم ريمم) (حفن ريام) . ورجال المجموعة الثانية الملوك : (اليفع يثع) و (اب يدع يثع) و (وقه ايل ريام) ، و (حفنم صديق) (حفن صديق) (حفن صدق) ، و (اليفع يفش) . ورجال الجماهرة الثالثة هم الملوك : (اليفع وقه) و (وقه ايل صديق) و (اب كرب يثع) ، و(عم يدع نبط) (عمى يدع نبط) . ورجال الجماهرة الرابعة الملوك : (اليفع ريام) و (هوف عثت) . وأما الجماهرة الخامسة ، فتتألف من (أب يدع) ولم يذكر لقبه، ومن (خال كرب صديق) ومن (حفن يثع) . وأما المجموعة السادسة ، فتتكون من (يثع ايل ريام) ، و (تبع كرب) . وأما المجموعة السابعة ، فعمادها (اب يدع) ، ولم يذكر لقبه و (حفنم)^١ .

ويلاحظ أن ملوك معين ، وكذلك ملوك سائر الحكومات العربية الجنوبية ، كانوا يحملون ألقاباً مثل (يثع) بمعنى المنقلد أو المخلص ، و (صدق) (صدوق) أي (الصادق) و (العادل) و (الصدوق) ، و (ريم) (ريام) بمعنى (العالي) و (نبط) بمعنى (الماضي) ، و (وقه) بمعنى (المجيب) و (المطيع) ، وربما بمعنى (الأمر) و (يقش) ، بمعنى (الفخور) و (المتكبر) أو (المتعالي) ، و (يشر) بمعنى (المستقيم) و (ذرح) ، بمعنى (الوضاح) ، أو (المنير) أو (المشرق) ، و (وتر) ، بمعنى (المتعالي) ، و (بين) بمعنى (الظاهر) والبين^٢ . إلى غير ذلك من ألقاب ترد في الكتابات المعينية والسبئية والقبتانية والحضرية والكتابات الأخرى .

ومما يلاحظ أيضاً أن ملوك الروم والرومان والفرس ، كانوا أيضاً يتلقبون بمثل هذه الألقاب . وقد تلقب الخلفاء والملوك بمثل هذه الألقاب في العصور العباسية . أما الخلفاء الراشدون والأمويون، فلم يميلوا إلى استعمالها ، ولعل استعمال العباسيين لها كان تشبهاً بفعل الملوك المذكورين ، وبتأثير الموالي السذج نقلوا إلى المسلمين كثيراً من رسوم الملك عند الفرس واليونان .

وقد ورد في الكتابة الموسومة بـ Halevy 208^٣ ، وهي من (معين) اسم

١ Geschichte der Araber, I, S., 56.

٢ Handbuch, I, S., 68.

٣ Glaser 1089-1660, Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S., 26.

ملك من ملوك معين، هو (اليفع يثع) ، وذكر بعده اسم (ابيدع) (أبي دع)^١ ولم يلقب أي واحد منها بلقب (ملك) ، وإنما ذكرنا بعد ذكر أسماء آلته معين . وجاء بعد ذلك في جملة تالية (وملوك معين)^٢ . ويظهر بوضوح من هذا النص أن (اليفع يثع) و (أبيدع) كانا ملكين من ملوك معين . وأن في عهدهما دونت هذه الكتابة ، تيمناً باسمهما ، وتخليداً لتأريخها . وقد لاحظت أن الباحثين في حكومة معين لم يشيروا إلى اسميهما في ضمن القوائم التي وضعوها لحكام تلك الحكومة .

حكومات عدن :

انقرضت حكومة (معين) وحلت محلها حكومة (سبأ) غير ان هذا لا يعني انقراض شعب معين بانقراض حكومته ، وذهابه من عالم الوجود ، اذ ورد اسم المعينيين في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع عهدها الى ما بعد سقوط حكومتهم ، كما ورد اسمهم في المؤلفات الكلاسيكية التي تعود الى القرن الأول للميلاد^٣ . وقد سبق ان ذكرت رأي المتخصصين في العربيات الجنوبية في هذا الموضوع . أما متى خفي اسمهم من عالم الوجود خفاء تاماً ، فذلك سؤال لا يمكن الاجابة عنه الآن ، اذ يتطلب ذلك التأكد من اننا قد وقفنا على جميع الكتابات العربية الجنوبية والمؤلفات الكلاسيكية ، ولا اخال ان في استطاعة أحد اثبات هذا الادعاء .

أعود فأقول : تباينت آراء العلماء في تعيين الزمن الذي ظهرت فيه مملكة (معين) الى الوجود ، كما تباينت في نهايتها. كذلك ذهب (البرايت) الى ان النهاية كانت في حوالي سنة (١٠٠ ق. م.)^٤ . ثم عدل عن ذلك فجعلها في النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد ، بين سنة (٥٠) وسنة (٢٥) قبل الميلاد^٥ . وجعلت (بيرين) نهايتها في حوالي سنة (١٠٠ ب. م.)^٦ .

١ الفقرة الرابعة من النص .

٢ الفقرة الخامسة من النص .

٣ Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 231, «South Arabian Chronology», By Philby.

٤ The chronology, in BOASOOR, Num. 119, 1950, P. 5-15.

٥ BOASOOR, Num. 129, 1953, P. 24, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434.

٦ J. Pirenne, Royaume, P. 7, Le Muséon, 1964, P. 435.

والذي أرجحه ان نهايتها كانت بعد الميلاد، لورود اسمها مملكة الى ما بعد الميلاد .
وقد جعل (البرايت) في أحد رأيه في سقوط حكومة معين سنة (١١٥)
قبل الميلاد ، وهي مبدأ التقويم السبتي ، هي سنة زوال حكم معين ، فلأهمية
هذه الحادثة اتخذت مبدأ لتقويم يؤرخ به . وذهب آخرون الى أن نجم معين أخذ
في الأفول ما بين سنة (١٢٥) وسنة (٧٥ ق. م.)^١ .

وفي خلال الفترة التي انصهرت بين أواخر أيام حكومة معين واندماجها نهائياً
في مملكة (سبأ) ، ظهرت حكومات صغيرة يمكن أن نشبهها بحكومات المدن ،
انتهزت فرصة ضعف ملوك معين ، فاستقلت في شؤونها ، ثم اندمجت بعد ذلك
في سبأ . ومن هذه الحكومات (هرم) (الهرم) و (نش) (نشان)
و (كمنت) (كمنه) (كمنهو)^٢ ، (كمننا) وغيرها^٣ . ويمكن اعتبار
مملكة (لحيان) التي كان مركزها في (الديدان) (ددن) ، أي (العلا)
من الحكومات التي استقلت في أيام ضعف المعينيين^٤ ، وقد كانت في الأصل
جزءاً من أرضي هذه المملكة يحكمها كبير .

وقد عرفنا من الكتابة الموسومة بـ Halevy 154 ملكاً من ملوك (هرم)
سُمي (يذمر ملك) . وقد غزا مدينة (نشن) (نشان) . ودمرها تنفيلاً
لطلب الملك (كرب ايل وتر) ملك سبأ ، الذي كان معاصراً له ، وقد وهب
له (كرب ايل وتر) في مقابل هذه الخدمة جزءاً من أرض (نشن) عرف
بخصبه وبوجود الماء فيه^٥ . وقد ورد اسمه في عدد آخر من الكتابات^٦ .

وكان له ولد اسمه (بعثر) جلس على عرش (هرم) ، وشقيق اسمه
(وروال ذرحن) (وروايل ذرحان)^٧ .

وقد ورد في النص الموسوم بـ Glaser 1058 اسم ملك آخر من ملوك (هرم)

Beltrage, S., 33.

Philby, in Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 231.

الصفة (ص ١٦٧) .

Le Muséon, LXII, 1949, 3-4, P. 231.

Beltrage, S., 15.

Halevy 144, 145, 146, 148, 150, 151, 153, 154, 155, 156, 158, 159.

Halevy 160, Handbuch I, S., 82.

هو (معد كرب ريدن) (معد يكر ب ريدان) ، وأبوه هو (هوتر عث)^١.
وقد تبين من فحص الكتابات المدونة في مملكة (هرم) أن لها خصائص
صرفية ونحوية تستحق العناية والدرس ، ويظهر أن هذه الخصائص إنما نشأت من
موقع هذه المدينة ومركزها السياسي والأحداث السياسية التي طرأت عليها ، ومن
الاختلاط الذي كان بين سكانها ، فأثر كل ذلك في لهجة السكان^٢ . ويرى
(هارتمن) أن لهجة كتابات (هرم) من اللهجات التي يمكن ضمها الى الجمهرة
التي تستعمل حرف (هـ) في المزيد مقابل حرف (س) في الجمهرة التي تستعمل
هذا الحرف في الفعل المزيد^٣ .

مملكة كمنه :

ومن ملوك مملكة (كمنه) (كمنهو) ، الملك (نبط علي) ، وقد ورد
اسمه في بعض الكتابات^٤ . وورد في كتابة يظن أنها من كتابات (كمنهو)
مكسورة سقطت منها كلمات في الأول وفي الآخر ، جاء فيها : وبمساعدة عثر
حجر (هجر) و (نبط علي) . والمقصود بـ (عثر حجر) (هجر) الإله
عثر سيد موضع يقال له (حجر) (هجر) ، وربما كان في هذا المكان
معبد لعبادة هذا الإله . وجاء قبل ذلك : (نبعل دالن) (نبعل الدال) ،
وهذه الجملة ترد لأول مرة في الكتابات ، ويظهر أن معناها (بعل الدال) أو
(الدليل) ، ويظهر أن (الدال) أو (الدليل) من الصفات التي أطلقها شعب
(كمنه) (كمنهو) على عثر^٥ .

وكان لـ (نبط علي) ولد أصبح ملك (كمنه) (كمنهو) بعد والده ،
هو : (السمع نبط) . وقد وصلت إلينا كتابة ، جاء فيها : (السمع نبط
بن نبط علي ملك كمنهو وشعبه كمنهو لالمقه ومريبو ولسبا)^٦ ، أي (السمع

Handbuch, I, S., 82, Rhodokanakis, KTB, II, S., 62, Hofmus., 13, Glaser 1058, Halevy 398. ١

Rhodokanakis, KTB, II, S., 62, Hommel, Grundriss, S., 686. ٢

Hartmann, Arab. frage., S., 179. ٣

Orientalia, Vol., V, (1936), P. 8, Halevy 269-278, 327, 389, Handbuch, I, S., 82. ٤

Orientalia, Vol., V, (1936), P. 6. ٥

CIH, IV, II, I, P., 32-33, 377. ٦

نبط بن نبط على ملك كمنه وشعبه شعب كمنه، لألقه ومأرب ولسبأ) . وهذه العبارة تظهر بجلاء ان مملكة (كمنو) (كمنهو) كانت مستقلة في هذا الزمن استقلالاً صورياً ، وانها كانت في الحقيقة تابعة لحكومة (سبأ) وللمأرب العاصمة يدل على ذلك تقريبها الى (الملقه) ، وهو إله السبئيين وللمأرب العاصمة ، أي للموكها ولشعب سبأ . وكان من عادة الشعوب القديمة انها اذا ذكرت آلهة غيرها فجدتها وتقربت اليها ، عنت بذلك اعترافها بسيادة الشعب الذي يتعبد لتلك الآلهة عليها .

حكومة معين :

حكومة معين حكومة ملكية يرأسها حاكم يلقب بلقب (ملك) ، غير ان هذه الحكومة وكذلك الحكومات الملكية الأخرى في العربية الجنوبية ، جوزت ان يشترك شخص أو شخصان أو ثلاثة مع الملك في حمل لقب (ملك) ، اذا كان حامل ذلك اللقب من أقرباء الملك الأدنسين ، كأن يكون ابنه أو شقيقه . فقد وصلت الينا جملة كتابات ، لقب فيها أبناء الملك أو أشقاؤه بلقب ملك، وذكروا مع الملك في النصوص . ولكننا لم نعثر على كتابات لقب فيها أحد بهذا اللقب ، وهو بعيد عن الملك ، أي ليس من أقربائه المرتبطين به برابطة الدم . كما اننا لا نجد هذه المشاركة في اللقب في كل الكتابات ، وهذا مما يحملنا على الظن بأن هذه المشاركة في اللقب ، كانت في ظروف خاصة وفي حالات استثنائية ، ولهذا خصصت بأبناء الملك أو بأشقائه، ولهذا أيضاً لم ترد في كل الكتابات ، بل وردت في عدد منها هو قلة بالنسبة الى ما لدينا الآن من نصوص .

ولم تبج لنا أية كتابة من الكتابات العربية الجنوبية بسر هذه المشاركة أكانت مجرد مجاملة وحمل لقب ، أم كانت مشاركة حقيقية ، أي ان الذين اشتركوا معه أيضاً في تولي أعمال الحكم كلية ، أو بتولي عمل معين من الأعمال ، بأن يوكل الملك من ينحوله حمل اللقب القيام بوظيفة معينة ؟ ولم تبج لنا تلك الكتابات بأسرار الدوافع التي حملت أولئك الملوك على السماح لأولئك الأشخاص بمشاركتهم في حمل اللقب ، أكانت قهرية كأن يكون الملك ضعيفاً مغلوباً على أمره ، ولهذا يضطر مكرهاً الى اشراك غيره معه من أقربائه الأدنين لاسناده ولتقوية مركزه، أم كانت

برضي من الملك ورغبة منه ، فلا اكراه في الموضوع ولا إجبار ؟ .
ويظهر من الكتابات المعينية أيضاً ان الحكم في معين ، لم يكن حكماً ملكياً
تعسفياً ، السلطة الفعلية مركزة في أيدي الملوك ، بل كان الحكم فيها معتدلاً
استشارياً يستشير الملوك أقرباءهم ورجال الدين وسادات القبائل ورؤساء المدن ،
ثم يبرمون أمرهم ، ويصدرون أحكامهم على شكل أوامر ومراسيم تفتتح بأسماء
آلهة معين ، ثم يذكر اسم الملك ، وتعلن كتابة ليطلع عليها الناس .
وقد كانت المدن حكومات ، لكل مدينة حكومتها الخاصة بها ، ولهذا كان
في استطاعتنا أن نقول ان حكومة معين هي حكومات مدن ، كل مدينة فيها
حكومة صغيرة لها آلهة خاصة تسمى باسمها ، وهيئات دينية ، وجميع يقال له :
(عم) ، بمعنى أمة وقوم وجماعة . ولكل مدينة مجلس استشاري يدير شؤونها
في السلم وفي الحرب ، وهو الذي يفصل فيما يقع بين الناس من خصومات وينظر
في شؤون الجماعة (عم) .

وكان رؤساء القبائل يبنون دوراً ، يتخذونها مجالس ، يجتمعون فيها لتمضية
الوقت وللبت في الأمور وللفضل بين أتباعهم في خلافاتهم ، ويسجلون أيام تأسيسها
وبنائها ، كما يسجلون الترميمات والتحسينات التي يدخلونها على البناية . وتعرف
هذه الدور عندهم بلفظة (مزود)^١ . ولكل مدينة (مزود) ، وقد يكون
لها جملة (مزود) ، وذلك بأن يكون لشعبها وأقسامها مزود خاصة بها ،
للنظر فيما يحدث في ذلك الشعب من خلاف . ويمكن تشبيه المزود بدار الندوة
عند أهل مكة ، وهي دار قُصَيِّ بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً
إلا فيها ، يتشاورون فيها في أمور السلم والحرب^٢ .

وتتألف مملكة معين من مقاطعات ، على رأس كل مقاطعة ممثل عن الملك ،
يعرف عندهم بـ (كبر) ، أي (الكبير) . يظهر أنه كان لا يتدخل إلا
في السياسة التي تخص المسائل العليا المتعلقة بحقوق الملك وبشعب معين . ويرد

١ « مزود » ، بحرف الزاي ، ولكنه ليس كحرف الزاي في عربيتنا ، بل هو أقرب
إلى السين ، وقد كتب بعض الباحثين ، « مشود » ، نشر نصوص (ص ٤٨) ،
نقش ٢٨ ، سطر ٤ ،

Stud. Lexl., 2, S., 55, Mordtmann und Eugen Mittwoch,
Sabaische Inschriften, I, S., 22. f, MM. 4.

Studl. Lexl., II, S., 58. ٢

اسم الكبير بعد اسم الملك في النصوص على عادة أهل معين وغيرهم من ذكر
ألهتهم أولاً ثم الملوك ثم الكبراء في كتاباتهم التي يدونونها ليطلع عليها الناس .

ودخل الحكومة من الضرائب ومن واردات الأرضين الحكومية التي تستغلها
أو تؤجرها للناس بجعل يتفق عليه . أما الضرائب فتؤخذ من التجار والزراعي
وسائر طبقات الشعب الأخرى ، يجمعها المشايخ ، مشايخ القبائل والحكام والكبراء
بوصفهم الهيئات الحكومية العليا ، وبعد اخراج حصصهم يقدمون ما عليهم للملك .
وأما الواردات من المصادر الأخرى ، مثل تأجير أملاك الدولة ، فتكون باتفاق
خاص مع المستغل ، ويعقد يتفق عليه .

ومن الضرائب التي وردت أسماؤها في الكتابات : كتابات العقود ووفاء الضرائب
والديون ، ضريبة دعيت بـ (فرعم) ، أي (فرع) وضريبة عرفت بـ (عشرم)
أي (عشر) ، وتؤخذ من عشر الحاصل ، فهي (العشر) في الإسلام^١ .

وكان للمعابد جبايات خاصة بها ، وأرضون واسعة تستغلها ، كما كان لها
موارد ضخمة من النذور التي تقدم اليها باسم آلهة معين ، عند شفاء شخص من
مرض ألم به ، وعند رجوعه سالماً من سفر ، وعند عودته صحيحاً من غزو
أو حرب ، وعند حصول شخص على غلة وافرة من مزارعه أو مكسب كبير
من تجارته ، وأمثال ذلك . ولهذا كانت للمعابد ثروات ضخمة وأملاك واسعة
ومخازن كبيرة تخزن فيها أموالها . ويعبر عن النذور والهبات التي تقدم الى المعابد
بلفظي (كبودت) و (اكرب) ، (أقرب) أي ما يتقرب به إلى الآلهة .
وتدون عادة في كتابات تعلن للناس ، يذكر فيها اسم المتبرع الواهب واسم
الآلهة أو الآلهة التي نذر لها ، واسم المعبد ، كما تعلن المناسبة ، وتستعمل بعض
الجميل والعبارات الخاصة التي تتحدث عن تلك المناسبات مثل : (يوم وهب)
و (بدماد بن يدهس) ، أي (بذات يده) وأمثال ذلك من جمل ومصطلحات^٢ .
وقد وصلت اليينا نصوص كثيرة من نصوص النذور ، وهي نفيدنا بالطبع كثيراً
في تكوين رأينا في النذور والمعابد واللغة التي تستعمل في مثل هذه المناسبات عند
المعنيين وعند غيرهم من العرب الجنوبيين .

Studi. Lexi., II, S., 58, Glaser 1083, 1144, 1150, 1155. ١

Studi. Lexi., II, S., 58. ٢

ويقوم (الناذر) أو الشخص الذي استحققت عليه الضرائب أو القبيلة بتقديم ما استحق عليه إلى المعبد ، وكانت تعد (ديوناً) للآلهة على الأشخاص . فإذا نذر الشخص للآلهة بمناسبة مرض أو مطالبة باحلال بركة في المزرعة أو في التجارة أو انقاذ من حرب وصادف أن مرت الأمور على وفق رغبات أولئك الرجال ، استحق النذر على الناذر ، فرداً كان أو جماعة ، ولذلك يعبر عنه بـ (دين) ، فيقال (دين عشر) أو (دين ...)^١ .

وقد يفوض الملك أو المعبد إلى رئيس أو سيد قبيلة أو غني استغلال مقاطعة أو منجم أو أي مشروع آخر في مقابل شروط تدون في الكتابات ، فتحدد الحدود ، وتعين المعالم ، وينشط المستغل للاستفادة منها وأداء ما اتفق عليه من اداء للجهة التي تعاقد معها ، ويقوم بجباية حقوق الأرض ان كان قد أجراها لصغار المزارعين ويدفع أجور الأجراء ويتمشية الأعمال ، ويكون هو وحده المسؤول أمام الحكومة أو المعبد عن كل ما يتعلق بالعمل، وعليه وحده أن يحسب حساب خسائره وأرباحه .

ويتعهد الكبراء وسادات القبائل والحكام عادة بجمع الضرائب من أتباعهم ودفع حصة الحكومة ، كما يتعهدون بانشاء الأبنية العامة كانشاء المباني الحكومية وإحكام أسوار المدن وبناء الحصون والأبراج والمعابد وما شاكل ذلك ، مقابل ما هو مفروض عليهم من ضرائب وواجبات أو تفويض التصرف في الأرضين العامة . فإذا تمت الموافقة ، عقد عقد بين الطرفين ، يذكر فيه ان آلهة معين قد رضيت عن ذلك الاتفاق ، وان المتعهد سيقوم بما اتفق عليه . وإذا تم العمل وقد يضيف إليه المتعهد من جيبه الخاص، ورضي عنه الملك الذي عهد إليه بالعمل أو الكهنة أرباب المعبد أو مجلس المدينة ، كتب بذلك محضر ، ثم يدون خبره على الحجر ، ويوضع في موضع ظاهر ليراه الناس ، يسجل فيه اسم الرجل الذي قام بالعمل ، واسم الآلهة التي باسمها عقد العقد وتم ، واسم الملك الذي تم في أيامه المشروع ، واسم (الكبير) الحاكم ان كان العقد قد تم في حكمه وفي منطقة عمله .

وتعهد المعابد أيضاً للرؤساء والمشايخ القيام بالأعمال التي تريد القيام بها ، مثل

انشاء المعابد وصيانتها وترميمها والعناية بأملاكها وباستغلالها بزرعها واستثمارها نيابة عنها . وقد كان على المعابد كما يظهر من الكتابات اداء بعض الخدمات العامة للشعب ، مثل انشاء مباني عامة أو تحصين المدن ومساعدة الحكومة في التخفيف عن كاهلها ، لأنها كانت مثلها تجبي الضرائب من الناس وتلقى أموالاً طائلة من الشعب وتتاجر في الأسواق الداخلية والخارجية ، فكانت تقوم بتلك الأعمال في مقابل اعفائها من الضرائب . وقد كانت وارداتها السنوية ضخمة قد تساوي واردات الحكومة .

وتخزن المعابد حصتها من البخور واللبان والمر والحاصلات الأخرى في خزائن المعبد ، وتأخذ منها ما تحتاج اليه مثل البخور للأعياد وللشعائر الدينية وتبيع الفائض ، وقد ترسله مع القوافل لبيعه في البلاد الأخرى ، وقد تعود قوافلها محملة ببضائع اشترتها بأثمان البضائع المباعة ، ولذلك كانت أرباحها عظيمة، وكان أكثر الكهان من البيوتات الكبيرة ومن كبار الأغنياء .

لنقد معينة :

تعامل قدماء المعينين مثل غيرهم من شعوب العالم بالمقايضة العينية ، وبالمواد العينية دفعوا للحكومة وللمعابد ما عليهم من حقوق ، وبها أيضاً دفعت أجور الموظفين والمستخدمين والعمال والزراع . وقد استمرت هذه العادة حتى في الأيام التي ظهرت فيها النقود ، وأخذت الحكومات تضرب النقود ، وذلك بسبب قلة المسكوكات ، وعدم تمكن الحكومات من سك الكثير منها كما تفعل الحكومات في هذه الأيام .

وقد عرف المعينون النقود ، وضربوها في بلادهم . فقد عثر على قطعة نقد هي (دراخا) أي درهم ، عليها صورة ملك جالس على عرشه ، قد وضع رجله على عتبة ، وهو حليق الدقن متدل شعره صفائراً ، وقد أمسك بيده اليمنى وردة أو طيراً وأمسك بيده اليسرى عصا طويلة ، وخلفه اسمه وقد طبع بحروف واضحة بارزة بالمسند ، وهو (اب يثع) وأمامه الحروف الأول من اسمه ، وهو الحرف (أ) بحرف المسند ، دلالة على انه الأمر بضرب تلك القطعة . وهذه القطعة من النقود أهمية كبيرة في تأريخ (النميات) في بلاد

العرب وفي دراسة الصلات التجارية بين جزيرة العرب والعالم الخارجي .
ويظهر من دراسة هذه القطعة ومن دراسة النقود المشابهة التي عُثِرَ عليها في بلاد أخرى ، أنها تقليد للنقود التي ضربها خلفاء الإسكندر الكبير ، سوى شيء واحد ، هو أن عملة (أب يثع) قد استبدلت فيها الكتابة اليونانية بكتابة اسم الملك (اب يثع) الذي في أبيامه ، ثم ضرب تلك القطعة بحروف المسند . أما بقية الملامح والوصف ، فلإنها لم تتغير ولم تتبدل ، ولعلها قالب لذلك النقص ، حفرت عليه الكتابة بالمسند بدلاً من اليونانية . ويعود تأريخ هذه القطعة الى القرن الثالث أو القرن الثاني قبل الميلاد .

وقد كانت نقود (الإسكندر الكبير) والنقود التي ضربها خلفاؤه من بعده مطلوبة مرغوبة في كل مكان ، حتى في الأمكنة التي لم تكن خاضعة لهم ، شأنها في ذلك اليوم شأن الجنيه أو الدولار في هذا اليوم . وتلك النقود لا بد أن تكون قد دخلت بلاد العرب مع التجار ورجال الحملة الذين أرسلهم لاحتلال بلاد العرب ، فتلقفها التجار هناك وتعاملوا بها ، وأقبلت عليها الحكومات ، ثم أقدمت الحكومات على ضربها في بلادها بعد مدة من وصول النقود اليها . وأسست بذلك أولى دور ضرب النقود في بلاد العرب . ولا بد أن يكون نقد (اب يثع) قد سبق بنقد آخر ، سبق هو أيضاً بالنقد اليوناني الذي وصل بلاد العرب ، لأن درهم (اب يثع) مضروب ضرباً متقناً ، وحروفه واضحة جلية دقيقة تدل على الظن بوجود خبرة سابقة ودراية لعمال الضرب ، أدت بهم إلى إتقان ضرب أسماء الملوك على تلك النقود .

الحياة الدينية :

كان في كل مدينة معبد ، وأحياناً عدة معابد خصصت بآلهة شعب معين . وقد ينحصر معبد بعبادة إله واحد ، يكرس المعبد له ، ويسمى باسمه ، وتتلذز له النذور ، ويشرف على ادارته قومة ورجال دين يقومون بالشعائر الدينية ويشرفون على ادارة أوقاف المعبد . ويعرف الكاهن والقيم على أمر الإله عندهم

George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia Mesopotamia,
and Persia, London, 1922, P. IXXXII.

بـ (شوع) ، وقد وردت اللفظة في جملة نصوص معينة ^١ .

وقد تجمعت لدينا من قراءة الكتابات المعينية أسماء جمهرة آلهة معين ، وفي مقدمتها اسم ' (عثر) (عثتر) ، ويرمز الى (الزهرة) ، ويلقب في الغالب بـ (ذ قبضم) ، فيقال (عثر ذ قبضم) ، أي (عثر القابض) ، (عثر ذو قبض) ، كما ورد أيضاً (عثر ذ يهرق) (عثر ذو يهرق) ^٢ . ويهرق اسم مدينة من مدن معين ، فيظهر أنه كان في هذه المدينة معبد كبير خصص لعبادة (عثر) .

ومن آلهة معين (ود) و (نكرح) ، وترد أسماء هذه الآلهة الثلاثة في الكتابات المعينية على هذا الترتيب : (عثر) ، (ود) و (نكرح) في الغالب ، وترد بعدها في بعض الأحيان جملة : (الالت معين) ، أي (آلهة معين) ^٣ . أما (نكرح) ، فيظهر أنه يرمز الى الشمس ، وهو يقابل (ذات حم) (ذات حيم) في الكتابات السبئية ^٤ .

وقد ورد في عدة كتابات عثر عليها في (براقش) وفي (أبين) وفي (معين) وفي (شراع) في (أرحب) ذكر معبد كرتس للإله (عثر) دعي بـ (يهر) . كما ورد اسم حصن (يهر) وقد خصص لـ (عثر وقبض) . وورد في كتابة أخرى اسم (يهر) على أنه بيت ، وربما قصد به بيت عبادة . وورد في كتابة همدانية ذكر (يهر) أنه بيت الإله (تالب) (تالب) إله همدان . وورد اسم (يهر) على أنه اسم موضع واسم شعب . وذكر (الحمداني) أن (يهر) هو حصن في (معين) ^٥ . ويتبين لي من اقتران (يهر) بـ (عثر) ، ومن تخصيص بيت للتعبد به سمي باسمه أن (يهر) جماعة كانت تتعبد لهذا الإله وتقده ولها دعوى معبده باسمها ، كما أنه اسم مدينة نسبت تلك الجماعة إليها .

١ راجع النقش رقم ٤ ، ص ٣ ، والنقش رقم ٥ ، ص ٥ ، خربة معين .

٢ Handbuch, I, S., 228, Hommel, Grundriss, I, S., 85.

٣ خربة معين ص ٢١ ، ٢٧ ، ٢٩ .

٤ D. Nielsen, Der Sabalsche Gott Ilmukah, S., 55. وسيكون رمزه : : Ilmukah

٥ Handbuch, I, S., 188, Ilmukah, S., 56.

٥ Beltrage, S., 270.

وأما (ود) ، فقد ظلت عبادته معروفة في الجاهلية الى وقت ظهور الاسلام ، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم^١ . وقد تحدث عنه ابن الكلبي في كتابه (الأصنام)^٢ . وذكر ان قبيلة (كلب) كانت تتعبد له بدومة الجندل^٣ ، ووصفه فقال : « كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلطان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكَّب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل .. »^٤ . وقد نعت (ود) في بعض الكتابات بنعوت ، مثل : (الاهن) (الهن) أي (الإله) ، و (كهلن) (كاهلن) (كهلان) ، أي (القدير) (المقتدر)^٥ . وكتب اسم (ود) بحروف بارزة على جدار في (القرية) (قرية الفأو)^٦ ، وذلك يدل على عبادته في هذه البقعة .

ويرمز (ود) الى القمر ، بدليل ورود جملة : (ودم شهرن) ، (ودم شهران) ، أي (ود الشهر) في بعض الكتابات . ومعنى كلمة (شهرم) (شهر) (الشهر) ، القمر^٧ . وتمثل هذه الآلهة المعينية ثالوثاً يرمز الى الكواكب الثلاثة : الزهرة ، والشمس ، والقمر .

ويلاحظ ان الكتابات المعينية الشمالية ، أي الكتابات المدونة بلهجة أهل معين التي عثر عليها في أعالي الحجاز ، لا تتبع الترتيب الذي تتبعه الكتابات المعينية الجنوبية نفسه في ايراد أسماء الآلهة ، كما يلاحظ أيضاً أن للمعنيين الشماليين آلهة محلية لا نجد لها ذكراً عند المعنيين الجنوبيين ، ولعل ذلك بتأثير الاختلاط بالشعوب الأخرى^٨ .

-
- ١ سورة نوح ١٧ ، الآية ٢٣ .
 - ٢ الأصنام ص ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦ .
 - ٣ الأصنام ص ٥ .
 - ٤ الأصنام ص ٥٦ ، Wellhausen, Reste Arabische Heidentums, S., 14.
 - ٥ Hommel, Grundriss, I, S., 136, Glaser 284, Halevy 237, Chresto., S., 91, 97.
 - ٦ Philby-Qariya 23c, Le Muséon, LXII, (1949), 1-2, P. 97, and Pl., Iv.
 - ٧ Ilmukah, S., 64, Nielsen, Altarabische Mondreligion, S., 51.
 - ٨ Ilmukah, S., 59.

مدن معين :

ومن أشهر مدن معين ، مدينة (قرو) ، وهي العاصمة ، وقد عرفت أيضاً بـ (م ع ن) (معن) ، أي (معين) ، وبـ Karna و Karana و Carna عند بعض الكتبة (الكلاسيكيين)^١ . وتقع على مسافة سبعة كيلومترات ونصف كيلومتر من شرق قرية (الحزم) ، مركز الحكومة الحالي في الجوف . وقد وصف خرائبها (محمد توفيق) في كتابه (آثار معين في جوف اليمن) ، فقال : إنها تقع على أكمة من الطين منحدرية الجوانب ، تعلو على سطح أرض الجوف بخمسة عشر متراً ، وهي مستطيلة الشكل ، واستطالتها من الغرب الى الشرق وطولها ٤٠٠ متر ، وعرضها ٢٥٠ متراً ، ولها بابان أو مدخلان ، أو مدخل ومخرج ، أحدهما في جانبها الغربي والآخر في الجهة المقابلة من الجانب الشرقي ، وليس لها أبواب أخرى . وسورها الذي كان يحيط بها ، وقد قدر ارتفاعه بخمسة عشر متراً ، وقد وجد في بعض أقسامه فتحات المزاغل التي استعملت للمراقبة ولرمي السهام ، كما تعرض لبحث البناء والزخرفة في هذه المدينة ، وقد حصل على تسع عشرة كتابة ، نقل تسعاً منها بكتابة اليد ، ونقل عشراً منها الباقية بالتصوير القوتوغرافي^٢ .

ويقع معبد (رصفم) (رصف) (رصاف) الشهير ، الذي طالما تقدم اليه المؤمنون بالهدايا والندور وتوسلوا اليه لأن يمن عليهم بالعافية والبركة ، خارج سور (قرو) . وتشاهد آثار سكن في مواضع متناثرة من المدينة . وقد كانت (قرو) (القرن) مأهولة حتى القرن الثاني عشر ثم هجرت وتحولت إلى خراب^٣ .

وقد أشار الأخباريون الى معين ، وروى بعض منهم أنها من أبنية التبابعة ، وأنها حصن ، بني بعد بناء (سلحين) ، بني مع يراش في وقت واحد^٤ . ومن مدن حكومة معين (يثل) ، وهي من المراكز الدينية ، وعرفت

O'Leary, P. 95, Richard H. Sanger, The Arabian Peninsula, ١
P. 237, Halevy 192-199, 443, 541.

الصفحة ٣ فما بعدها من كتابه المذكور . ٢

Beltrage, S., 14. ٣

« سلحين » « سلح » . البلدان (٣٦٤/١) ، البكري ، معجم (٢٣٧/١) . ٤

بـ (براقش) فيما بعد . وكانت قائمة في أيام (الهمداني) ، ووصف الهمداني الآثار والخرائب التي كانت بها ^١ . وقد ورد في إحدى الكتابات أن جماعة من كهنة (ود) ، قاموا ببناء ثلاثين (أمه) أي ذراعاً من سور (يثل) من الأساس حتى القمة ^٢ . والظاهر أن هذا العمل الذي قاموا به ، هو الجزء الذي كان خصص بهم عمله على حين قام أناس آخرون ، وفي ضمنهم مجلس يثل ، ببقية السور .

وللأخباريين قصص عن (براقش) . وقد زعم بعض منها أنها و (هيلان) مدينتان عاديّتان ، وكانتا للأُمّ الماضية . وزعم بعض آخر أنها من أبنية التّابعة ^٣ فهي من الأبنية القديمة اذن في نظر الأخباريين . وقد كان يسكنها (بنو الأدبر ابن بلحارث بن كعب) ومراد في الاسلام ^٤ .

ولهم عن سبب تسمية (براقش) بـ براقش قصص . فزعم بعض منهم أنها إنما سميت بذلك نسبة الى كلبة عرفت بـ براقش . وزعم بعض آخر انها امرأة ، وهي ابنة ملك قديم ، ذهب والدها للغزو ، وأودع مقابلد بلاده اليها ، فبنت مدينة براقش ومعين ، ليخلد اسمها ؛ فلما عاد والدها غضب ، وأمر بهدمها . وزعم فريق منهم ، أنها باسم براقش امرأة لقمان بن عاد . ومصدر القصص مثل مشهور هو : « على أهلها تجني براقش » ^٥ . و « على أهلها براقش تجني » ، وقد أشير في الشعر اليه ^٦ .

و (يثل) ، هي مدينة Athrula ، Athlula المذكورة في أخبار حملة (أوليوس غالوس) على اليمن ، والتي زعم أنها آخر موضع بلغه الرومان في حلتهم هذه . ويزعم القائلون من المستشرقين بهذا الرأي ان لفظة (يثل) لفظة

-
- ١ الاكليل (١٢٤/٨) ، « طبعة الكرملية » ، (٣٨/٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥) ، « طبعة نبيه » .
 - ٢ نقوش خربة معين (ص ٥ فما بعدها) ، النقش رقم ٥ .
 - ٣ البكري ، معجم (٢٣٧/١) ، البلدان (٣٦٤/١) ، الأغاني (٢٧/٥) وما بعدها (٢٨٧/٦) .
 - ٤ البكري ، معجم (٢٣٧/١) .
 - ٥ « على أهلها جنت براقش » ، مجمع الأمثال ، للميداني (٢٦٢/٢) .

- ٦ بل جناها أخ علي كريم وعلى أهلها براقش تجني
مجموع الأمثال (١٤/٢) ، البيان والتبيين (٢٢٢/١) ، اللسان (٢٦٦/١) .

صعبة على لسان الرومان واليونان ، ولذلك حرفت فصارت الى الشكل المذكور^١ .

ومن بقية مدن معين : (نشق)^٢ ، و (رشن) (ريشان)^٣ و (هرم) (هريم)^٤ (خربة هرم)^٥ ، و (كمنه) (كمنهو) (خربة كمنه)^٦ ، (كمننا) ، و (نشن) (نشان) وهي (الخربة السوداء) (خربة السودا) في الوقت الحاضر^٧ .

وقد ورد في بعض الكتابات ان (يدع آل بين) مكرب سبأ ، كان قد استولى على مدينة (نشق) ، غير اننا لا نعرف اسم الملك المعيني الذي سقطت هذه المدينة في أيامه في أيدي السبئيين .

ويوجد موضع عادي خرب ، يعرف بـ (كعاب اللوذ) وبـ (خربة نشان) (خربة نيشان) ، يحتمل في رأي بعضهم أن يكون مكان (نشان) (نشن) . ويعارض بعض الباحثين ذلك ، ويرون انه بعيد بعض البعد عن مكان (نشن) المعيني ، ويذهبون الى ان هذا المكان هو بقايا معبد أو قبور قديمة ، وانه يشير الى وجود مسكن فيه قديم لا نعرف اسمه^٨ .

وقد تبين للباحثين في موضع (الخربة السوداء) التي هي موضع (نشن) (نشان) ان تلك المدينة كانت مدينة صناعية ، لعثورهم بين أنقاضها على خامات المعادن ، وعلى أدوات تستعمل في التعدين وفي تحويل المعادن الى أدوات للاستعمال^٩ .

Beltrage, S., 32.

١
٢ الاكليل (١٢٨/٨) « الكرمللي » ، (١٠٩/٨) ، « نبيه » ،
H. Von Wissmann und M. Hofner, Beiträge zur Historischen Géographie
des Vorilamischen Sudarabien, 1953, S., 14, 15.

٣ الاكليل (١٢٤/٨ ، ١٢٨) ، « الكرمللي » ، (١٠٩/٨) « نبيه » .
٤ الاكليل (١٠٤/٨) ، « نبيه » ، « هرم » ، (١٢٤/٨) ، « الكرمللي » .
٥ آثار معين « محمد توفيق » ، (ص ١١ ×) .
٦ الاكليل (١٢٤/٨) ، « الكرمللي » ، (١٠٤/٨) ، « نبيه » ، آثار معين (ص ١١ ×) .

٧ « والخربة السوداء بالشاكرية ، ثم معين وبراقش ثم كمننا وروشان لنشق » ،
الصفة (ص ١٦٧) ، آثار معين (ص ١١ ×) ، Handbuch, I, S., 70, 82, 83.

٨ Beltrage, S., 15.

٩ Beltrage, S., 16.

و (نشن) (نشان) ، هي (نسّم) NESTUM في كتاب (بلينيوس)^١ .
ويظن أن خرائب (مجزر) ، هي من بقايا مدينة قديمة ، لعلها المدينة التي
سماها (بلينيوس) (مكوسم) Magusum ، ويظهر من موقعها ومن بقايا
آثارها أنها كانت ذات أهمية لعهداها ذلك ، وأنها كانت عامرة بالناس لخصب
أرضها ووفرة مياهها^٢ .

وفي الجوف أماكن أخرى، مثل (بيعحان) و (سراقه) و (ابنه) و (مقعم)
و (بكبك) و (لوق) ، وهي خرائب كانت مواضع معمورة في أيام المعينيين
ومن جاء بعدهم فأخذ مكانهم .

وقد ذهب (كلاسر) الى أن موضع (لوق) ، هو Labecia الذي ذكره
(بلينيوس) في جملة الأماكن التي استولى عليها (أوليوس غالوس) . وذهب
(فون وزمن) إلى أنه (لبة) Labbah^٣ .

ويرى علماء العربيات الجنوبية أن (نشق) هي Nescus ، Nesca في
كتب المؤلفين اليونان واللاتين القدماء . وهي Aska ، Asca في (جغرافيا
سترابون) . وقد ذكرها (سترابون) في جملة المدن التي استولى عليها (أوليوس
غالوس) إبان حملته على اليمن^٤ .

المعينيون خارج أرض معين :

وعثر على كتابات معينة خارج اليمن ، ولا سيما في موضع (العلا) ،
وبينها عدد من كتابات (لحيانة) متأثرة باللهجة المعينية^٥ . وقد وردت فيها
أسماء معينة معروفة ، شائعة بين المعينيين ، مثل : (يهر) و (علهان) ،
و (ثوبت) و (يفعان) ، كما وردت فيها أسماء آلهة معين ، وذلك يدل
على نزول المعينيين في هذا الموضع وفي الأرضين المجاورة أمداً ، وتركهم أثراً

Le Muséon, 1964, 3-4, 435, Von Wissmann, Zur Geschichte, S., 140. ١

Von Wissmann und M. Hofner, Beitrage zur Historischen Gêographie des ٢

Vorislamischen Sudarabien, S., 14, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 435.

Beiträge, S., 15, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 435. ٣

Beiträge, S., 32. ٤

BOASOOR, Num. 73, (1939), PP. 3. ٥

ثقافياً فيمن اختلطوا بهم أو جاوروهم وفيمن خلفهم من خلق .
وقد جاء هؤلاء المعينيون من معين بالطبع ، أي من اليمن ، فتركوا في هذه
الأرضين التي تقع اليوم في أعالي الحجاز وفي المملكة الأردنية الهاشمية وفي جنوب
فلسطين . ومنهم من تاجر مع بلاد الشام والبحر المتوسط ومصر ، بدليل عثور
المنقبين على كتابات معينة في جزيرة (ديلوس) من جزر اليونان^١ ، وفي
مصر : في (الجزيرة)^٢ وفي موضع (قصر البنات)^٣ . وظهر من كتابة (الجزيرة)
المؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من حكم (بطلميوس بن بطلميوس) ، أن جالية
معينة كانت في مصر في هذا الزمن ، ولعلها من أيام حكم (بطلميوس الثاني)^٤
وكان المعينيون يتاجرون في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بتجهيز معابد مصر
بالبخور^٥ . ويرجع بعض الباحثين تأريخ هذه الكتابة الى السنة (٢٦٤ - ٢٦٣ ق.م)^٦ .
وموضع (العلا) المذكور ، هو موضع (ديدان) (الديدان) (علت) Ulat
في التوراة . وقد قصد به فيها شعب عربي من الشعوب العربية الشمالية ، يرجع
نسبه الى (كوش) كما جاء في موضع من (التكوين)^٧ . والى (يقشان) من
ابراهيم من (قطورة) Keturah في موضع آخر منه^٨ . وقد جعلت (الديدان)
متاخمة لأرض أدوم Edom ، وتقع في الجنوب الشرقي منها^٩ . وذكر في التوراة
ان الديدانيين كانوا من الشعوب التي ترسل^{١٠} لحاصلاتها الى سوق (صور) Tyre^{١٠} .

-
- Background, P. 42, BOASOOR, Num. 73, (1939), P. 7, REP. EPIG. 3570. ١
BOASOOR, Num. 73, (1939), P. 7, Hommel, in PSBA, XVI, (1894), 145-149, ٢
D. H. Muller, in Wiener Zeitschrift für d. Kunde Des Morgeländers, 1894,
I, REP. EPIG. 3427.
Le Muséon, LXII, (1949), 1-2, 56, A. E. P. Weigall, Travels in the Upper ٣
Deserts, 1909, Pla. IV, Le Muséon, XLVIII, 1935, P. 228.
BOASOOR, Num. 73, 1939, P. 7. ٤
REP. Epig. 3427, BOASOOR, Num. 73, 1939, P. 7, Conti Rossini, Chrest. Arab., ٥
1931, Pl. No 86
Arabien, S., 26. ٦
التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٧ . ٧
التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٣ . ٨
حزقيال ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٣ ، ارميا الاصحاح الخامس ٩
والعشرون ، الآية ٣ ، الاصحاح التاسع والأربعون ، الآية ٨ ، Hastings, P. 184
حزقيال ، الاصحاح السابع والعشرون ، الآية ٢٠ ، وتعرف « صور » بـ Tsor ١٠
في العبرانية ، ومعناها صخرة .

ويرى أكثر الباحثين في دولة معين ان هذه المنطقة منطقة (الديدان) وما صاقبها من أرض ، كانت جزءاً من تلك الدولة وأرضاً خاضعة لها ، وان ملوك معين كانوا يعينون حكاماً عليها باسمهم ، وان درجتهم هي درجة (كبير) أي (كبير) على طريقتهم في تقسيم مملكتهم الى (محافد) أي أقسام ، يكون على كل محفد أي قسم من المملكة (كبير) ، يتولى الحكم باسم الملك في المسائل العليا وفي جمع الضرائب التي يبعث بها الى العاصمة وفي المحافظة على الأمن. وقد عثر على كتابات ذكرت فيها أسماء (كبراء) حكموا باسم ملوك معين^١ .

ومعنى هذا ان دولة معين ، كانت تحكم من معين كل ما يقال له الحجاز في عرف هذا اليوم الى فلسطين ، وان هذه الأرضين كانت خاضعة لها اذ ذاك . ولكننا لا نجد في النصوص الآشورية أو العبرانية مثل التوراة ولا في الكتب الكلاسيكية ما يشير الى ذلك . ولكن القائلين بالرأي المذكور يرون ان حكم معين كان في أوائل عهد معين ، أي قبل أكثر من ألف سنة قبل الميلاد فلما ضعف ملوكها تقلص سلطان المعينيين عن الحجاز وبقي نافذاً في المنطقة التي عرفت بـ (معين مصرن) ، (معين مصران) ، أي (معين المصرية) ، ثم ضعف سلطان المعينيين الشماليين عن هذه الأرض أيضاً بتغلب السبثيين على معين ، ثم بتغلب اللحيانيين في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ، حيث استقلوا وكونوا (مملكة لحيان)^٢ .

وقد أثارت (معين مصرن) (معين مصران) ، جدلاً شديداً بين العلماء ، ولا سيما علماء التوراة ، فذهب بعضهم الى أن (مصر) (مصرايم) Mizraim الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرويها نهر النيل ، بل أريد بها (معين مصران) ، وهو موضع تمثله (معان) في الأردن في الزمن الحاضر^٣ . وان لفظة (برعو) Per'o التي ترد في التوراة أيضاً لقباً للملوك مصر ، والتي تقابلها لفظة (فرعون) في عربيتنا ، لا يراد بها فراعنة مصر ، بل حكام (معين مصران) ، وان عبارة (هاكرهم مصريت) Hagar Ham-Misrith ، بمعنى (هاجر المصرية) ، لا تعني (هاجر) من مصر المعروفة ، بل من مصر

Musil, Hegaz, P. 295, D. H. Muller, Epigraphische Denkmaler, S., 1-96. ١

Hegaz, P. 295. ٢

Hastings, P. 719, Winckler, KLT, S., 145. ٣

العربية ، أي من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها (معن مصرن) وان القصص الوارد في التوراة عن (مصر) وعن (فرعون) ، هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية ، وملكها العربي^١ .

وقالت هذه الجمهرة: إن ما ورد في النصوص الآشورية من ذكر لـ Musri لا يعني أيضاً مصر المعروفة ، بل مصر العربية ، وأن ما جاء في نص (تغلانبلسر الثالث) الذي يعود عهده الى حوالي سنة (٧٣٤) قبل الميلاد ، من أنه عين عربياً Arubu واسمه (ادبثيل) (ادب ال) (ادب ايل) (Idiba'il) حاكماً على (مصري) (Musri) ، لا يعني أنه عينه حاكماً على (مصر) الإفريقية المعروفة ، بل على هذه المقاطعة العربية التي تقع شمال (نخل مصري) أي (وادي مصري)^٢ . ويرى (وينكر) ، أن (سبعة) (Sib'e) الذي عينه (تغلانبلسر) سنة (٧٢٥ ق.م.) على مصري ، والذي عينه (سرجون) قائداً على هذه المقاطعة ، إنما عين على أرض (مصر) العربية ولم يعين على (مصر) الإفريقية .

وقد ورد في أخبار (سرجون) أن من جملة من دفع الجزية اليه (برعو) Pir'u وقد نعت في نص (سرجون) بـ (برعو شاروت مصري) ، أي (برعو ملك أرض مصري)^٣ . وورد ذكر (برعو) هذا في ثورة (أسدود) التي قامت سنة (٧١١ ق.م.)^٤ . وورد ذكر (مصري) في أخبار (سنحريب) ملك آشور ، وكان ملك (مصري) وملك (ملوخة) قد قاما بمساعدة اليهود ضد (سنحريب) ، وذلك في عام (٧٠٠ ق.م.) ، وقد انتصر (سنحريب)^٥ . ويرى (ونكلر) أن كل ما ورد في النصوص الآشورية عن (مصري) مثل : (شراني مت مصري) (Sharrani Mat Musri) ، أي (ملوك أرض مصر)

1 Ency. Bibl., P. 3163, Winckler, Musri, Meluhha, Main, Schrader, KAT., S., 144.

2 Winckler, Musri, S., 5, AOF., I. S., 465, Reallexikon, I, Zweite Lieferung, S., 125.

3 Reallexikon der Assyriologie, Erster Band, Zweite Lieferung, S., 125, Ency. Bibl., P. 3163, Winckler, Sargon, I, S., 20.

4 Reallexikon, I, 2, S., 125.
5 Reallexikon, I, II, S., 125.

انما قصد به هذه المقاطعة العربية^١ .

ويشير هذا الرأي مشكلات خطيرة لقائله ولعلماء التوراة ، فرأي (شرادر) و (ينكلر) وأضرابهما المذكور يتعارض صراحة مع الرأي الشائع عند اليهود وعند التوراة والتلمود والمنشا والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع، ويتعارض كذلك مع رأي أهل الأدبان الأخرى في الموضوع نفسه ، ولم يلق هذا الرأي رواجاً بين الباحثين ، وهم يرون أن وجود أرض عربية عند (معان) في الزمن الحاضر ، تسمى (مصري) وهي تسمية (مصر) في اللغات السامية^٢، ووجود حاكم عليها اسمه (برعو) ، و (برعو) لقب ملوك (مصر) ، ويقابل (فرعون) في لغتنا^٣ ، لا يحتم علينا التفكير في هذه الأرض العربية ، ومن الجائز على رأيهم أن يكون الآشوريون قد استولوا على هذه المقاطعة وحكموها ونصبوا حكاماً عليها على حين كانت الحوادث الأخرى قد وقعت في مصر الإفريقية . وبناء على ذلك فليس هناك أي داع للدعاء أن الاسرائيليين لم يكونوا في مصر ، وأن فرعون لم يكن فرعون مصر ، بل فرعون مصري التي هي (معين المصرية) ، وليستبعد أيضاً أن تكون تسمية (مصري) العربية قد أخذت من مصر ، فليل (معين مصرن) لقربها من مصر ، ولتمييزها عن (معن) أي (معين) اليمن .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان (معين مصران) (معين المصرية) ، لم تكن جزءاً من حكومة معين ، بل كانت مستوطنة مستقلة من مستوطنات المعينيين. وذلك منذ القرن الخامس حتى القرن الأول قبل الميلاد . وان لقب (كبر) الوارد في نصوص هذه المستوطنة لا يعني ان حامله كان موظفاً في حكومة معين بل هو مجرد لقب حمله صاحب هذه المقاطعة باعتبار انه كبير قومه وسيدهم والحاكم عليهم . وقد بقيت هذه المستوطنة مستقلة الى القرن الأول قبل الميلاد ، وحينئذ زال استقلالها بزوال حكومة المعينيين الجنوبيين^٤ .

وتعدّ الكتابات المعينية التي عثر عليها في جزيرة (ديلوس) Delos = Delus

Winckler, Musri, Meluffa. Main. ١
Reallexikon, I, I, S., 45. ٢
Hastings, P. 719. ٣
Arabien, S. 277. ٤

ذات أهمية كبيرة كذلك ، في بحثنا هذا ، فإنها ترينا وصول المعينين الجزر اليونانية واقامتهم فيها ، واتجارهم مع اليونان . ومن جملة هذه النصوص ، نص مكتوب بالمعينية وبالخط المسند وبال يونانية وبالحروف اليونانية ، ورد فيه : (هنا) أي (هانيء) و (زيد ايل من ذي خذب نصب مذبح ود وآلهة معين بدلت) أي : بـ (ديلوس) . وورد في اليونانية : (ياود إله معين ياود)^١ . وفي هذا النص دلالة على وجود جالية معينة في هذه الجزيرة وسكنائها فيها ، وعلى تعلقها بدينها وبآلهتها وعدم تركها لها حتى في هذه الأرض البعيدة عن وطنها . ومن يدري ؟ فلعلها كانت تتصل ببلادها ، وتتاجر وتراسل معها ، تصدر اليها حاصلات اليونان ، وتستورد منها حاصلات اليمن والعربية الجنوبية وافريقية والهند وتعمل مع اليونان شركة أو تعاوناً في أسواق التجارة العالمية ذلك العهد .

قوائم بأسماء حكام معين

قائمة (البرايت) :

- وقد رتب (البرايت) قائمة للملوك معين على النحو الآتي :
- ١ - اليفع يثع ، وهو ابن الملك (صدق ايل) ملك حضرموت . وقد حكم في حوالي السنة (٤٠١) قبل الميلاد .
 - ٢ - حفن ذرح ، وهو ابن اليفع يثع .
 - ٣ - اليفع ريام ، وهو ابن اليفع يثع . وقد كان أيضاً ملكاً على حضرموت .
 - ٤ - هوف عثر (هوفعث) . (هوفعثر) ، وهو ابن اليفع ريام .
 - ٥ - أب يدع يثع (أبيدع يثع) ، وهو شقيق هوف عثر . وقد كان يحكم في حوالي السنة ٣٤٣ قبل الميلاد .
 - ٦ - وقه آل ريم (وقه ايل ريام) ، وهو ابن هوفعثر .
 - ٧ - حفن صدق (حفن صديق) ، وشقيق وقه ايل ريام .
 - ٨ - اليفع يفش وهو ابن حفن صديق .
-

REP : EPIG. 357, P. 225, Conti Rossini, Chrest., 1931, P. 78.

- ١ - اليفع وقه ، وقد كان حكمه في حوالي السنة ٢٥٠ قبل الميلاد .
- ٢ - وقه ايل صديق (وقه آل صدق) ، وهو ابن اليفع وقه .
- ٣ - اب كرب يثع (أبكرب يثع) (أبكرب يثع) ، وهو ابن (وقه آل صدق) . وقد ورد اسمه في كتابات (ددان) (ديدان) وذلك في الأيام اللحيانية المتأخرة .
- ٤ - عم يثع نبط (عمى يثع نبط) (عميثع نبط) ، وهو ابن (أبكرب يثع) (أبكرب يثع) .

.....

- ١ - يثع ايل صدق (يثع آل صدق) (يثع ايل صديق) .
- ٢ - وقه آل يثع (وقه ايل صديق) . وكان تابعاً للملك (شهر يجل يهرجب) ملك قتيان .
- ٣ - اليفع يشر ، وهو ابن (وقه ايل يثع) .
- ٤ - حفن ريام (حفن ريم) ، وهو ابن اليفع يشر .
- ٥ - وقه آل نبط (وقه ايل نبط) .

.....

وذكر (البرايت) أسماء ما لا يقل عن خمسة ملوك ، قال انه غير متأكد من زمان حكمهم ومن مكان ترتيبهم في هذه القائمة، وهم : أب يدع (ريام؟) وابنه (خلكرب صدق) (خالكرب صديق) . و (حفن يثع) ، وهو ابن (خلكرب صدق) و (يثع ايل ريام) و (تبع كرب) (تبعكرب) ، وهو ابنه . وقد أعاد (البرايت) النظر في قائمته السابقة ، وأخرى عليها تعديلات على ضوء دراسة صور الكتابات وتغير أسلوبها بمرور العصور ، ثم انتهى الى وضع قائمة جديدة تتألف من ثلاث مجموعات هي:

المجموعة الأولى :

- ١ - اليفع يثع ، وهو ابن صدق ايل ملك حضرموت حوالي ٤٠٠ ق. م.

- ٢ - اليفع ريام .
- ٣ - حفن عثت ، وهو ابن اليفع ريام .
- ٤ - أبيدع يشع ٣٤٣ ق. م.
- ٥ - وقه آل ريام .
- ٦ - حفن صدق ، وهو ابن وقه ايل ريام .
- ٧ - اليفع يفس .
- ٨ - عميش نبط ، (عم يشع نبط) ، وهو ابن (ابكرب) .
- ٩ - يشع ايل ريام .
- ١٠ - تبع كرب (تبعكرب) ، وهو ابن يشع ايل ريام .
- ١١ - خلركرب صدق ، وهو ابن أب يدع (ريام ؟) .
- ١٢ - حفن يشع ٢٥٠ ق. م.

المجموعة الثانية :

- ١ - وقه ايل نبط ٢٠٠ ق. م.
- ٢ - اليفع صدق
- ٣ - وقه ايل صدق ١٥٠ ق. م.
- ٤ - أبيكرب يشع (أبكرب يشع) .
- ٥ - اليفع بشر الأول ١٠٠ ق. م.
- ٦ - حفن ريام .

المجموعة الثالثة :

- ١ - يشع آل صدق (يشع ايل صديق) .
- ٢ - وقه آل يشع (وقه ايل يشع) ٧٥ ق. م.
- ٣ - اليفع بشر الثاني .

نهاية مملكة معين بين السنة ٥٠ والسنة ٢٥ قبل الميلاد .

قائمة (ريكمنس) :

وقد دوّن (ريكمنس) (J. Ryckmans) أسماء ملوك معين على النحو الآتي :

أب يدع (ملك ؟ = أب يدع ريام ؟) .

خلكرب صدق .

.....

اليفع وقه .

وقه ايل صدق .

أب كرب يثع .

عم يثع نبط .

.....

يثع ايل ريام .

تبع كرب .

.....

اليفع ريام .

هوف عثت .

.....

اليفع يثع = معد يكرب ملك حضرموت .

.....

أب يدع يثع (٣٤٣ قبل الميلاد = يثع ايل (بين ؟) .

وقه ايل ريام .

حفن صدق .

.....

اليفع يفس .

 يثع ايل صديق .
 وقه ايل يثع { شهر يكل يهركب ملك قنبان
 اليفع يشر
 حفن ريام .

 وقه ايل فيط .

 خلكر ب .

 حفن يثع .

 يثع ايل
 حيوا .
 حفن ذرح .

الفصل العشرون

مملكة حضرموت

وعاصرت مملكة (معين) مملكة أخرى من ممالك العربية الجنوبية ، هي مملكة (حضرموت) ، وقد ظهرت قبل الميلاد أيضاً ، وما زال اسمها حياً يطلق على مساحة واسعة من الأرض ، فلها أن تفخر بهذا على الحكومات العربية الأخرى التي عاشت قبل الميلاد ، ثم ماتت أسماؤها ، أو قلّ ذكرها قلة واضحة .

وقد قطع اسمها مئات من الأميال قبل الميلاد ، فبلغ مسامع اليونان والرومان ، وسجله كتّابهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوروبية ، وكتب لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم . ولكن سجلوه بشيء من التغير والتحريف ، اقتضته طبيعة اختلاف اللسان ، أو سوء السماع ، أو طول السفر ، فرواه (ايراتوستينس) (Chatramotitae)^١ ، ورواه (نبوفراستوس) (Hadramyta)^٢ ، وأما (بلينيوس) فقد رواه (Atramitae) و (Chatramotitae)^٣ . وقد ورد عند (بطليموس) بشكل (Chathramitae) = (Adramitae)^٤ .

Strabo, 16, 4, 2, Vol. 3, P. 190, (Hamilton). ١

Theophrastus, Enquiry into Plants, Vol., 2, P. 235, Book, 9, 2. ٢

Ency., Vol., 2, P. 207, Forster, Vol., I, P. 113, O'Leary, P. 99, Pliny, 6, 28, 32. ٣

« Adramitae », « Cathramonitae », « Chatramotitae », Forster, Vol., I, P. 113, 194, Vol., 2, P. 270, Ptolemy, VI, 7, 10, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 441. ٤

وقد تحدث مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) عن سواحل حضرموت الجنوبية ، فذكر ان فيها مناطق موبوءة، يتجنبها الناس ، ولا يدخلونها الا لضرورة ، ولذلك لا يجمع التوابل والأفاويص الا حول ملك حضرموت ، وأولئك الذين يراد انزال عقوبات صارمة عليهم^١ . وهذا يدل على ان الروم والرومان كانوا قد سمعوا من ملاحيههم ومن غيرهم من ركاب البحر أخبار السواحل ، وهي أخبار مهمة بالطبع بالنسبة الى أصحاب السفن في ذلك العهد .

وكلمة (هزرمات) (حزرماوت) (Hazarmaveth) الواردة في التوراة على انها الابن الثالث لأبناء (يقطان) ، تعني (حضرموت) ومعناها اللغوي (دار الموت)^٢ ولعل لهذا المعنى علاقة بالأسطورة التي شاعت عند اليونان أيضاً عن (حضرموت) ، وانها (وادي الموت) ، وعرفت في الموارد الإسلامية كذلك^٣ . وقد وصلت في الإسلام من طريق أهل الكتاب ، قال ابن الكلبي : « اسم حضرموت في التوراة حاضر ميت ، وقيل : سميت بحضرموت بن يقطن ابن عابر بن شالخ »^٤ .

وقد ذهب أكثر من بحث في أسباب التسمية من العلماء العرب الى ان حضرموت هو اسم (ابن يقطن) أو (قحطان) ، وانه كان انساناً وبه سميت الأرض ، وما بنا حاجة الى ان نقول مرة أخرى ان هذه النظرية ليست عربية، وانما تسربت الى الأخباريين من التوراة ، اذ جعلت حضرموت اسم رجل هو (ابن يقطان) .

وقد ورد اسم (حضرموت) في الكتابات العربية الجنوبية ، كما عثر على كتابات حضرمية ورد فيها أسماء عدد من ملوك حضرموت ، وأسماء أسر حضرمية ومدن كانت عامرة زاهية في تلك الأيام^٥ . وبفضل هذه الكتابات حصلنا على

١ Periplus Maris Erythraei, 12, Beiträge, S., 87.

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٦ ، أخبار الأيام الأول : الاصحاح الأول الآية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس (٣٧٨/١) .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣٧٨/١) ، Hastings, P. 333, Ency. Bibl., P. 1976, Montgomery, Arabia and the Bible, P. 39.

٤ البلدان (٢٩٢/٣) ، Enct., Vol., 2, P. 207.

٥ Halevy 193, Halevy 423, Mordtmann, Beiträge zur Min. Epigr., S., 16.

معلومات لا بأس بها عن مملكة حضرموت وعن علاقاتها بالدول العربية الجنوبية الأخرى . ولما كانت أكثر هذه الكتابات قد عثر عليها على وجه الأرض ، أو هي من نتائج حفريات لم تتعمق كثيراً في باطن العاديات ، فإننا نأمل أن يقوم المستقبل باقناع المحبين للتأريخ العربي ، بالقيام بحفريات علمية منتظمة وعميقة في مواطن الآثار ، لاستنطاق ما فيها عن تأريخ العرب الجاهليين ، وأنا على يقين من أن في باطن الأرض وبين الأثرية المتراكمة على هيئة أطلال وتلول أسراراً كثيرة ستغير من هذا الذي نعرفه اليوم عن تأريخ حضرموت وعن تأريخ غيرها من حكومات ، وستزيد العلم به اتساعاً .

لقد قامت بعثة بريطانية صغيرة بأعمال الحفر في موضع يقال له (الحريضة) ، فاكشفت فيه آثار معبد الإله (سين) ، وهو يرمز إلى القمر ، وعثرت على عدد من الكتابات تبين أن بعضها سبئية ، كما عثرت على قبور عثر فيها على عظام في حالة جيدة تمكن من دراستها ، وعلى أواني ومواد من الفخار والخزف وخرز ومسابع يظن أنها من القرن السابع أو الخامس قبل الميلاد . وعثر في خرائب (شبة) وفي (عقلة) وفي مواضع أخرى على عدد من الكتابات الحضرمية ، كما استنسخ نفر من السياح صور بعض الكتابات التي نقلها الناس من مواضع العاديات إلى المواضع الحديثة حيث استعملوا حجارتها في البناء .

وتشاهد في مباني (الحريضة) الحديثة ، وهي لا تبعد كثيراً عن الموضع القديم ، أحجار مكتوبة أخذت من تلك الخرائب ، شوهد بعضها أيدي البتائين وقضت على أكثرها معاولهم ، ومحت آلاتهم كثيراً من تلك الكتابات ، ولا يستبعد وجود عدد آخر من الأحجار أوجهها المكتوبة في داخل البناء ، فلا يمكن الوقوف عليها ، أو أنها كسيت بطبقة من (الجبس) أو مادة أخرى تجعل الجدران صقيلة مُلْساً .

ولم تتوصل جهود من بحث في الآثار التي استخرجت من معبد (سن) (سين) في (الحريضة) إلى نتيجة قطعية لتأريخ هذا المعبد ، ويظن أن المقابر التي عثر

Reports of the Research Committee of the Society of Antiquaries of London, XIII, The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramout), By G. Caton Thompson, Oxford University Press, 1944, P. 15.

وسيكون رمزه : Caton

عليها وبعض واجهات المعبد تعود الى أواسط القرن الخامس فبا بعد الى القرن الرابع قبل الميلاد ، وان قسماً من بناء المعبد يعاصر العهد (السلوقي)^١ . ويعرف موضع الحريضة في الكتابات الحضرمية باسم (مذنب) (مذنب) (مذاب) ، وفي هذه المدينة الحضرمية القديمة ، معبد خصص بعبادة (سين) ، وعرف عندهم باسم معبد (سن ذمذبم) (سين ذو مذاب) ، كان الناس يندرون له الندور ، ويتقربون اليه ، ليمنحهم العمر الطويل والخير والبركة .

وليس علمنا بأحوال حكام (حضرموت) بأحسن من علمنا بأحوال حكام الحكومات العربية الجنوبية الأخرى ، مثل معين أو قتبان أو سبأ ، فلا نزال لا نعرف شيئاً يذكر عن حكامها الأول وعن عددهم وعن مدد حكمهم وعن أمور أخرى من هذا القبيل ، ولا نزال نجد الباحثين في أحوالها غير متفقين لا على مبدأ قيام حكومة حضرموت ولا على منتهاها وسقوطها فريسة في أيدي السبثيين ، ثم لا نزال نراهم يختلفون أيضاً في عدد الحكام وفي مدد حكمهم .

والحكام الذين يذكر العلماء أسماءهم ليسوا بالطبع هم جميع حكام حضرموت ، بل هم جمهرة الحكام الذين وصلت أسماءهم إلينا مدونة في الكتابات ، ولذلك لا نستبعد أن تزيد أسماءهم في المستقبل ، زيادة قد تكون كبيرة ، وهي ستوقف بالطبع على مقدار ما يعثر عليه من كتابات .

لقد تبين من بعض الكتابات الحضرمية ان عدداً من المكربين حكموا شعب حضرموت ، وذلك قبل أن يتحول هذا الشعب الى مملكة . وقد ذكر (فلبي) بعضهم في آخر القائمة التي رتبها بحسب رأيه لحكام حضرموت^٢ . ومن هؤلاء المكربين المكرب (يرعش بن أبيشع) ، (يرعش بن أب يشع) ، (يهرعش بن أب يشع) (يسكر ايل يهرعش بن أب يسع) (يشكر ايل يهرعش بن أبيع)^٣ الذي ورد اسمه في كتابة سجلها (شكمم سلحن بن رضون) (شكمم سلحان بن رضوان) ، والظاهر انه كان من الموظفين أو الأعيان البارزين في حكومة

Caton, P. 153. ١

Background, P. 144. ٢

٣ (شكيم) ، (يشكرال يهرعش بن ايزع) ، (يسكر ايل يهرعش بن أبيع) .
REP. EPIG., V, I, P. 39. No. 2887, Le Muséon, 1964 3-4, P. 444, Beltrage,
S. 95.

حضر موت . وقد كلفه المكرب بناء سور وباب وتحصينات لحصن (قلت) الذي يهيم على واد تقطعه الطريق القادمة من مدينة (حجر) والمؤدية الى ميناء (قانه) (كانه) (قنا) ، كما كلف انشاء جدر وحواجز في ممرات الوادي المهمة لحماية منطقة (حجر) والمناطق الأخرى من المغيرين ومن كل عدو يريد غزو حضر موت ، ولا سيما الحميريين الذين صاروا يهددون المملكة ، ويتدخلون في شؤونها . وقد وضع تحت تصرفه موظفين ومعماريين للإشراف على العمل ، وعمالاً يتولون أعمال البناء الذي تم في خلال ثلاثة أشهر تقريباً^١ ، وكان ذلك في السنة الثانية من سني (يشرح آل) (يشرح ايل) من آل (عذذ) (ذعذم) ، ولسنا نعرف اليوم هذا التقويم : (تقويم بشح آل) الذي أرخت به الكتابة .

وقد أنجز (شكم سلحان) (شكم سلحن) العمل الذي كلف انجازه ، فبنى الجدار والباب لحصن (قلت) ، وبنى الحواجز والموانع الأخرى للمواضع الخطيرة الرئيسية الواقعة في ممرات الوادي ومعابره ، لتصد الأعداء والغزاة عن عبوره ، وأنشأ استحكامات ساحلية لحماية البر من الهجوم الذي قد يقوم به العدو من جهة البحر . ويظهر انه أقام حصوناً على لسانين كانا بارزين في البحر ، فحمى بذلك الخليج الذي بينها ، كما حصّن المنفذ المؤدي الى وادي (أبنة) والى مدينة (ميفعة) ، حيث بنى سوراً قوياً لها ، وبرجين هما برج (يذان) ، وبرج (يذقان) ، وباب (يكن) ، وأماكن حاية يلتجئ اليها الجنود اذا لزم الدفاع عن المدينة فضلاً عن بناء الموانع المذكورة وقد قام بهذا العمل الجنود بدليل ورود كلمة (أسدم) في النص ، ومعناها الجنود^٢ .

وتوجد اليوم في (وادي لبنة) (لبنا) بقايا جدار كان يسد هذا الوادي في أيام مكربسي حضر موت . ويظهر ان بانيه هو (شكم سلحن) (شكيم

١ « ١٢٠ » شخصاً في النص الذي دونه « رودوكناكس » و « ٢١٠ » في غيره : Rhodokanakis, Stud. Lexl, 2, S., 48, REP. Epig., V, I, 39, 2687.

٢ السطر الخامس من النص ، راجع : Von Maltzan, In A. Von Wrede, Reise in Hadhramount, S. 327, 362, Rhodokanakis, Stud. Lexl., 2, S. 48, REP. EPIG., V, I, P. 39, Hommel, Chresto., S. 119, (257), Aufsa. und Abh., S., 166.

سلحان) المذكور ، يبلغ ارتفاعها زهاء سبعة أمتار ، وقد أقيم من أحجار مكعبة ، قطعت من الصخر ، ونحتت نحتاً جيداً ، ونضد بعضها فوق بعض ووضعت بين سُوْفها مادة من نوع السمّنت ، وفي وسط الجدار آثار باب عرضه خمسة أمتار لمرور الناس والقوافل منها . وقد بني هذا الجدار ليمنع المغيرين القادمين من الجنوب من الاتجاه نحو حضرموت ، وذلك في ضمن الخطة العسكرية التي رسمت يومئذ لتحصين المدن المهمة واحاطتها بأسوار وجدر قوية في الممرات المهمة والطرق المؤثرة من الوجهة الحربية لمنع الأعداء من الزحف على حضرموت . ويرى بعض الباحثين ان انشاء هذا الجدار كان في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد^١ .

ويرى بعض الباحثين ان الكتابة التي دوّنها (شكّم سلحن) (شكيم سلحان) ووضعت على جدار (لبنا) وعثر عليها في مكانها ، هي أقدم كتابة حضرمية وصلت الينا حتى الآن، وتليها في القدم الكتابة التي عثر عليها في (عقبة عقيبة) وتخص ممر (هريان) ، شرق (شبوة) . ويرجع هؤلاء زمن كتابة الكتابة الأولى الى القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع قبل الميلاد^٢ .

لقد كانت الغاية من سدّ الأودية باقامة جدر قوية حصينة بين طرفي الوادي بحيث تمنع الناس من المرور في الوادي الا من باب يشرف منه الجنود عليها ، هو حماية حضرموت من غزو حير . وكانت مساكن قبائل حير اذ ذاك تجاور حضرموت . ولهذا صار الحميريون خطراً على حضرموت . ويفهم من إحدى الكتابات ان جدار (قلت) وحصنه انما أقيما لصد غارات الحميريين وغزوهم المتوالي لأرض حضرموت . وقد جددت تلك الجدر والحصون ورمت مراراً وقويت بالحجارة الصلدة التي قدت من الصخر ، اذ لم تتمكن من الوقوف أمام سيل غزاة حير . والظاهر ان غزوهم كان مستمراً في أيام المكرب المذكور ، فاضطر الى بناء تلك العقبات والحواجز لمنعهم من تهديد شعبه .

لقد كانت مواطن الحميريين في هذا العهد في الجنوب وفي الجنوب الشرقي من (لبنا) (لبته) ومدينة (ميفعة) . ولم ينتقل الحميريون نحو الغرب الى

Beiträge, S., 94.

Beiträge, S., 109.

١

٢

المواضع التي عرفت باسمهم الا في القرن الثاني قبل الميلاد ، أو قبل ذلك بقليل. أما دولة حمير في أرض يافع وفي رعين وفي المعافر ، فقد قامت في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد ، واستمرت هجرة حمير اليها الى ما بعد الميلاد . وقد أطلق (الهمداني) على أرض (يافع) اسم (سرو حمير)^١ .

ويرى (فون وزمن) ان حمير كانت قد استولت على ميناء (قنا) (قانه) في أيام هذا المكرب . وهذا الميناء هو الميناء الوحيد لحضرموت الصالح للتجارة بحراً مع الهند وافريقية ، أخذته من حمير ، وكانت تتحكم - على رأيه - بطول الساحل بين (عدن) و (قنا) . ولها أسطول من السفن للتجارة مع الساحل الإفريقي الذي ربما كان خاضعاً لها في ذلك الزمن^٢ .

وورد في إحدى الكتابات التي عُثر عليها (فليبي) اسم مكرب آخر من مكربي حضرموت يسمى (علهان بن يرعش) (علهن بن يرعش) . ويظهر ان (يرعش) والد (علهان) هذا ، هو (يرعش) المكرب المتقدم . وقد دوّن نص (Philby 108) لمناسبة انشاء طريق في ممر (همربان) (Hamraban) الذي يقع شرق (شبوة)^٣ . وقد انشئت هذه الطريق لتسهيل وصول القوافل الى العاصمة، ولأسباب عسكرية قد يكون منها تسهيل مسيرة الجيش الى مقر الملك للدفاع عنه .

وقد زهد آخر (مكرب) من مكربي حضرموت في لقبه هذا ، فتركه الى لقب آخر يتسمى به ، يدل على الحكم الديني وحده وعلى السلطان والملك، وهو لقب (ملك) فتسمى به . وانتقلت حضرموت بذلك من طور الى طور، وصار النظام فيها نظاماً ملكياً . واذا سألتني عن اسم هذا المكرب الذي أبدل لقبه ، فصار ملكاً ، وصار بذلك آخر مكرب وأول ملك ، وأول جامع للقبين في حكومة حضرموت ، فاني أقول لك ان علمي به لا يزيد على علمك به ، وان العلماء الباحثين الذين أخذ علمي منهم ، لا يزالون في ذلك على خلاف ، بل ان علمهم به لا يزيد ، ويا للأسف ، على علمك وعلمي به .

Belträge, S., 97.

Le Muséon, 1964, 3-4 P. 444.

Philby, Three New Inscriptions from Hadhramaut, in Jurna. Asiat.

Soc., 1945, Belträge, S., 106.

لقد وضع (فليبي) الملك (صدق آل) (صدق ايل) (صدق ايل) طليعة ملوك مملكة حضرموت ، وجعل زمان توليه العرش في حدود عام (١٠٢٠ ق. م.)^١ . أما (البرايت) ، فوضع اسم الملك (يدع آل) (يدع ايل) في رأس القائمة التي رتبها للملوك حضرموت ، وجعله معاصراً لـ (كرب آل) (كرب ايل) أول ملوك مملكة سبأ ، وقد حكم على رأيه في حوالي سنة (٤٥٠ ق. م.) ، ثم ترك فراغاً بعد هذا الملك يشير الى أنه لم يهتد الى معرفة من حكم بعده ، وذكر بعد هذا الفراغ اسم الملك (صدق آل) (صدق ايل) الذي كان ملكاً على حضرموت ومعين . وقد ذكر أنه حكم في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد^٢ . والفرق كما ترى ، كبير جداً بين تقدير (فليبي) وتقدير (البرايت) .

وقد وضع (هومل) الملك (صدق آل) (صدق ايل) على رأس قائمة ملوك حضرموت ، وعلى هديسه سار (فليبي) في ترتيبه للملوك هذه المملكة . وكان على رأيه يعاصر الجماعة الثانية من جماعات ملوك معين^٣ . وذكر بعده اسم ابنه (شهر علقن) (شهر علان) ، ثم (معد يكرب بن اليفع يشع) (معد كرب بن اليفع يشع) ملك (معين) . وكان لـ (معد يكرب) ابنان هما : (هوف عشت) (هو فعشت) ، و (أب يدع يشع) (أييدع يشع) ، لم يتوليا عرش حضرموت بعد أبيهما ، والظاهر ان حضرموت اندمجت بعد وفاة (معد يكرب) في مملكة (معين) مدة لا نعرف مقدارها بالضبط^٤ . ويرى (فليبي) انها زهاء ثلاثة قرون الى نحو سنة (٦٥٠ ق. م.)^٥ .

ولدينا كتابة حضرمية من أيام (معد يكرب) ، ورد فيها اسمه واسم (شهر علقن بن صدق آل) ملك حضرموت ، واسم (أب يدع يشع) ملك معين . وقد تقرب فيها صاحبها الى الإله (عثر ذ قبضم) (عثر ذي قبض) ببناء برج موضع (حرف) ، وتيمن فيها أيضاً بذكر الآلهة : (عثر شرقرن)

Background, P. 144.

BOASOOR, Num. 119, PP. 5-15, (1950).

مجموعة (B) في كتاب : Handbuch, S., 68 ومجموعة

(C) في كتاب Chresto.

Handbuch, S., 68, 102.

Background, P. 144.

(عثر الشارق) و (ود) و (نكرح)^١ ، وتشير هذه الكتابة الى الروابط المتينة التي كانت بين العرشين : عرش حضرموت وعرش معين . فقد كان (معد يكرب) ملكاً على حضرموت ، على حين كان شقيقه ملكاً على معين . ولا ندري الى متى دام حكم هذه الأسرة التي جمعت بين عرشي المملكتين^٢ .

وقد عثر على هذه الكتابة في (معين)^٣ وقد طمست منها كلمات واردة قبل اسم (أب يدع يثع) ، ولم يبق منها غير (... نخي ... شو)^٤ ، فلم يعرف المقصود بهذين المقطعين الباقيين . أيقصد بهما ابن أخيه (أب يدع يثع) ، أم يقصد بهما أخاه (أب يدع يثع) ؟ أم مؤاخيه وحليفه (أب يدع يثع) ؟ ويعود الضمير في هذه الجملة الى (معد يكرب) صاحب هذه الكتابة . وقد ذهب (هومل) الى أن المقصود بذلك (ابن أخيه)^٥ . وعلى هذا يكون (أب يدع يثع) الوارد في هذا النص الملك (أب يدع يثع بن البقع ريام) شقيق (معد يكرب) ملك معين ، وهو ابن أخيه (معد يكرب) ملك حضرموت . ولورود جملة : (ملك معين) بعد اسم (أب يدع يثع) ، وهي جملة ترد في النصوص بعد اسم كل ملك للدلالة على أنه كان ملكاً - نستنتج أن (أب يدع يثع) كان ملكاً على معين زمن تدوين هذه الكتابة - نغني أنه كان هو ملكاً على معين في الزمن الذي كان فيه (معد يكرب) ملكاً على حضرموت ، ولهذا يبدو غريباً ما ذهب اليه (فليبي) من أن (أب يدع يثع) حكم في حدود سنة (٩٣٥ ق.م.)^٦ وأن (معد يكرب) حكم في حوالي (٩٨٠ ق.م.)^٧ وأن مملكة (حضرموت) لم يكن عليها ملك في حدود عام (٩٣٥ ق.م.) ، بل كانت تتبع مملكة معين ، فإن هذا الرأي يخالف ما جاء في النص المذكور من تعاصر الملكين .

وقد ورد في كتابة معينة وسمت بـ (Halévy 520)^٨ ، اسم (معد يكرب

١ REP. EPIG. 2775, Tome, V, 2. P. 129-130, Halévy, 193, Hommel, Chresto.,

S., 106, Hartmann, Arab. Frage, S., 171.

٢ جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (٦٧/٢ وما بعدها) .

٣ REP. EPIG., V, II, P. 129.

٤ Handbuch, I, S., 69.

٥ REP. EPIG., V, II, P. 129, Handbuch, S., 69.

٦ Background, P. 141.

٧ Background, P. 144.

٨ Halévy 520, REP. EPIG. 3012, Glaser 1159+1160.

ابن اليفع) ، وذكرت بعده جملة : (ملك معين) ، فذهب العلماء الى أن (معد يكر ب) هذا هو (معد يكر ب) ملك حضرموت^١ الذي نتحدث عنه ، وجعلوه ملكاً على معين وعلى حضرموت . ولكن هذا الرأي يخالف ما ذهبوا اليه في ترتيبهم لأسماء ملوك معين ، وقولهم إن ملك معين كان في هذا العهد الملك (أب يدع يشع) ، وهو ابن الملك (اليفع ريام بن اليفع يشع) . وأعود فأكرر ما قلته مراراً من أن ترتيب الملوك يمثل آراء العلماء ويختلف باختلاف هذه الآراء ، فلا مندوحة من الوقوف منها موقف المتفرج الباحث في هذا العهد .

وقد سجلت هذه الكتابة لمناسبة بناء برج (ذو ملح) في مدينة (قرو) عاصمة مملكة معين ، وبرج آخر في مدينة (يثل) المعينية . وقد ورد في النص اسماً مدينتي (يفعن) (يفعان) و (هرن) (هران) من مدن المعينين كذلك ، كما ورد فيها اسم معبد الإله (عثر ذو قبض)^٢ .

ويظهر ان هذه الكتابة قد كتبت في زمن مقارب لزمن الكتابة المعينية المعروفة بـ (Glaser 1155)^٣ ، التي تحدثت عن حرب نشبت بين (ملدي) و (مصر) ، فصاحبها (عم صدق بن حم عث) (عمصديق بن حم عث)^٤ ، من (ذ يفعن) (آل يفعان) ، ورجل آخر اسمه (سعد بن وليج)^٥ من (ذ ضفجن) (آل ضفجان)^٦ . وكانا (كبيرين) في حكومة معين . وقد ورد فيها اسم (اب يدع يشع) (أبيدع يشع) ملك (معين) و (معد يكر ب بن اليفع)^٧ . وأصحاب كتابتنا المتقدمة المعروفة بـ (Halévy 520) ثلاثة هم : (عم صدق) و (عم يدع) و (عم كرب) أبناء (حم عث) من (آل يفعان) (ذ يفعن) . فأحدهم ، وهو (عم صدق بن حم عث) أسهم مع صاحبه (سعد بن وليج) في تدوين الكتابة الأولى وأسهم مع اخوته في تدوين هذه

Handbuch, S., 69, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, 235. ١

REP. EPIG., V, II, P. 293, Halévy, Inscr. Sba., 91, No. 520. ٢

Halévy 535+578, Grohmann, Gotter., S., 52, Hartmann, Arab. Frage, S., 130., REP. EPIG., V, II, P. 303, 3022. ٣

(عم صديق بن جمعت) ٤

(سعد بن ولك) . بحرف الجيم على النطق المصري . ٥

(ضفكن) بحرف الجيم على النطق المصري . ٦

Winckler, Mursl., S., 20. ٧

الكتابة الثانية التي ورد فيها اسم (معد يكرب) ابن (اليفع) ملك معين ، وقد كان معاصراً كما رأيت للملك (أب يدع يثع) ملك معين ، ويكون زمن حكم (معد يكرب) في هذا الزمن الذي وقعت فيه تلك الحرب أو قبل ذلك . وقد ورد في أحد النصوص اسم (سعد) من (آل ضفجن) ، ولم يذكر معه اسم أبيه ، وكان (كبيراً) على (معين مصران)^١ ، وذلك في أيام الملك (أب يدع يثع) و (وقه آل ريمم) (وقه ايل ريام) ملك معين . ويلاحظ ان هذا النص قدم اسم (أب يدع يثع) على اسم (وقه آل ريام) ، مع ان المعروف ان (أب يدع يثع) هو ابن (وقه ايل ريام) شقيق (معد يكرب) فهل يدل ذلك على ان (أب يدع يثع) كان شقيقاً للملك (معد يكرب) ولـ (وقه ايل ريام) كما ذهب اليه بعض الباحثين^٢ ؟ وقد ورد في النص اسم مدينة (قرنو) أي عاصمة معين ، وقبيلة (ضفجن) و (مزود معين) ، وان (سعداً) أنشأ (مذاب) وعملها^٣ . وقد تيمن في النص بذكر أسماء آلهة معين . واسم (وهب آل بن رثدال) (وهب ايل بن رثد ايل) من (آل يفعان) .

ويظهر من الأسماء الواردة في هذا النص ، ومن مضمونه ، ومن اسم ملك معين الوارد فيه، أن صاحب هذه الكتابة ، (سعد) من (ضفجن) (ضفكنن) هو (سعد بن ولج) الذي اشترك مع (عم صدق بن حم عثت) وكان كبيراً مثله في الكتابة التي مر الحديث عنها . وقد رأيت أن (عم صدق) كان من (يفعان) ، وقد ورد اسم (يفعان) في هذا النص فهو لذلك من نصوص هذا العهد .

وأشار (هومل) الى الملك (يدع أب غيلان) بعد اشارته الى (يدع ايل بين) (يدع آل بين) و (السمع ذبيان) ملكي حضرموت ، وذكر أن الحميريين كانوا هم أصحاب الحل والعقد في ذلك الزمان . وذكر أن الذي تولى بعده هو (العز يلط) (العذ يلط)^٤ ، ولكنه لم يجزم أنه كان ابن (يدع

^١ REP. EPIEG. 3535, VI, I, P. 193, Weber, Studi., II, s., I, Rossini, Chrest.

Arab. Merid., P. 80.

^٢ Philby, in Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 235.

^٣ الحرف الاخير من (العز) (العذ) قد يقرأ زايا وقد يقرأ (ذ'لا) ، وذلك لان اللهجة الحضرمية لم تفرق بين الحرفين ، بل ان لهما نطقاً خاصاً في هذه اللهجة ، ولذلك صعب التعبير عنه في كتابتنا فعبرت عنه بالحرفين .

أب غيلان ^١ . فأما (فلي) ، فقد جعله ابنه ، غير أنه لم يضعه في هذا المكان ^٢ .

وتطرق (هومل) الى ذكر الملك (يدع آل) بعد الملك (معد يكرب) وقد جاء اسمه في النص الموسوم بـ (Glaser 1000) الذي دوّن في مدينة (صرواح) وكان معاصراً للمكرب (كرب ايل وتر) مكرب سبأ . ويحتمل في نظره أن يكون (يدع ايل) هذا هو الملك (يدع ايل بين) الذي ذكر اسمه في الكتابة الحضرمية المعروفة (SE 43) . وهو ابن (سمع يفع) ، وقد ذكر معه اسم الملك (السمع ذبين) (السمع ذبيان) ، وهو ابن (ملك كرب) (ملكي كرب) (ملكيكرب) ^٣ .

و (غيلان) هو أول من تولى حكم حضرموت بعد هذه الفترة التي لم نعرف من حكم فيها بعد (معد يكرب) على رأي (البرايت) . وقد حكم من بعده ابنه (يدع أب غيلان) . وذكر (البرايت) أن اسم هذا الملك قد ذكر في كتابة عثر عليها في (وادي بيهان) ، وهو يرى أن المحتمل أن يكون هو (يدع أب غيلان) السدي كان حليفاً لـ (علهن نهفن) (علهان نهفان) ملك سبأ ، وقد حكم على تقديره في حوالي سنة (٥٠ ق. م.) ^٤ .

وذهب (فون وزمن) الى ان (يدع أب غيلان) المذكور كان معاصراً لـ (علهان نهفان) ، وان والده هو الملك (يدع ايل بين) وقد حكم على رأيه في حوالي السنة (١٤٠ ب. م.) . وأما الملك (يدع أب غيلان) فقد حكم فيما بين السنة (١٦٠ ب. م.) الى (١٩٠ ب. م.) ^٥ . وقد عقد صلحاً مع (علهان نهفان) الهمداني ^٦ .

أما (فلي) ، فقد رأى ان السدي حكم بعد هذه الفترة التي انتهت على حسب اجتهاده بحوالي سنة (٦٥٠ ق. م.) هو (السمع ذبيان بن ملك كرب)

Handbuch, S., 102. ١

Background, P. 144. ٢

Handbuch, S., 102. ٣

The Chronology, P. 10, BOASOOR, Num. 119, P. 14. ٤

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٥

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 466, 468, 498. ٦

و (يدع ايل بين بن سمه يفع) ، واندجت حضرموت بعده في مملكة سبأ أو قتيان ، ثم أصبحت جزءاً من مملكة سبأ الى حوالي سنة (١٨٠ ق. م.) حيث عادت فاستقلت ، فتولى الملك فيها الملك (يدع آل بين بن رب شمس)^١ الذي كوّن أسرة ملكية جديدة اتخذت مدينة (شبوة) عاصمة لها^٢ .

وقد ذكر (البرايت) ان الذي حكم بعد (يدع أب غيلان) وهو ابن الملك (غيلان) ، هو الملك (العذيلط) (العزيلط) ، وقد نعت به (الأول) وجعله معاصراً لـ (شعرم أوتر) (شعر أوتر) ملك سبأ ، وقد كان حكمه على تقديره في حوالي سنة (٢٥ ق. م.)^٣ .

وذهب (البرايت) الى احتمال كون (العزيلط) هذا هو الملك (العزيلط بن عم ذخري) المذكور في كتابة عثر عليها في (وادي بيهان) في كتابات عثر عليها (فلي) في (عقلة) بحضرموت^٤ ، غير ان (العزيلط بن عم ذخري) هو من المعاصرين للملك (شارن يعب يهنعم) ، ولذلك لا يمكن أن يكون هو الملك (العزيلط) الذي لقبه (البرايت) بالأول ، وجعله معاصراً للملك (شعرم أوتر) (شعر أوتر) .

وقد وجد اسم الملك (العز) في كتابة حفرت على صخرة عند قاعدة جبل (قرينيم) (قرن)^٥ ، كما عثر على اسمه في كتابات وجدت في (عقلة) ، و (عقلة) موضع مهم عثر فيه على كتابات وردت فيها أسماء عدد من ملوك حضرموت ، زاروا هذا المكان ، وذكرت أسماءهم فيه^٦ . وقد جاء في إحدى هذه الكتابات أن الملك (العزيلط) زار هذا الموضع ، ورافقه في زيارته عدد من الزعماء والرؤساء ، منهم : (شهرم بن والم) (شهر بن وائل) و (قربت ابن ذمرم) (قرية بن ذمر) و (ابفال بن القتم) (أبفال بن القتم) و (وهب آل بن هكحد)^٧ .

١ (يدع ايل بين بن رب شمس) ، (يدع ال بين بن رب شمس)
Background, P. 144, Philby, 46, 401, (4872), REP. EPIG., VII, III, P. 400,

4841.

Chronology, P. 10, Philby, Sheba's, P. 442. ٢

Background, P. 144.

The Chronology, P. 10. ٣

BOASOOR, Num. 120, (1950), P. 27. ٤

BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 14. ٥

Sheba's Daughters, P. 448, Philby 81, REP. EPIG., VII, III, P. 413, 4908. ٦

وسجل هؤلاء الرجال ذكرى هذه الزيارة في هذا النص الذي وسم بـ (Philby 81) . وقد ذكر فيه اسم والد (العذ) (العز) ، وهو (عم ذخر) (عمذخر) ، ولم يدون كاتبه حرف العطف (الواو) بين الأسماء : ورفقة الملك هؤلاء الذين صحبوه في رحلته الى حصن (أنود) ، وان كانوا لم يفصحوا عن مراكزهم ومناسزلهم الاجتماعية نستطيع أن نجزم أنهم كانوا من الوجهاء والأعيان ، فرفقة تصاحب الملك للاحتفال بزيارة كهذه الزيارة لا بد أن يكون لها شأن بين الناس .

وتعد الكتابة التي وسمت بـ (Philby 82) من الكتابات المهمة ، وقد دونها رجلان من أشرف (حير يهن) ، أي من حير ، رافقا الملك في سفرته الى حصن (أنود) ، لإعلان نفسه ملكاً على حضرموت والمناسبة لتلقبه بلقبه ، وهي عادة كان يتبعها ملوك حضرموت عند توليهم الملك وتلقبهم بلقب جديد لم يكن يتلقبون به قبل انتقال العرش اليهم . ولسنا نعرف متى نشأ هذا التقليد عند ملوك حضرموت ، ولا السبب الذي دفعهم الى اختيار هذا المكان دون غيره . ولعله كان من الأماكن المقدسة القديمة عندهم ، فكانوا يتبركون بتتويج أنفسهم فيه ، أو أنه كان قلعة أو موضعاً قديماً فجرت العادة أن يتوج الملوك فيه . وقد كان هذان الرجلان بعثها (ثارين يعب يهنعم) ملك (سبأ وذو ريدان) لمرافقة ملك حضرموت في هذه المناسبة . والظاهر أن ملك سبأ إنما بعثها لتهنئة ملك حضرموت ولتمثيله في هذا الاحتفال المهيّب الذي يجري في (أنود)، فهي مبعوثان سياسيان من ملك الى حليفه^١ . وقد سجل (العذيلط) (العزيط) هذه المناسبة في كتابة قصيرة ورد فيها (العزيط ملك حضرموت بن عم ذخر سيراو جندلن أنودم هسلقب)، أي (العزيط ملك حضرموت ابن عم ذخر سار الى حصن أنود ليتلقب بلقبه ..)^٢ وقد كتبت هذه الكتابة في الزمن الذي دونت فيه الكتابتان الأخريان عن زيارة الملك لحصن (أنود) عند اعلان لقبه الجديد وتوليّه العرش رسمياً ، غير اننا لا نعرف - ويا للأسف - تأريخ هذه المناسبة .

وذكر اسم الملك (العزيط بن عم ذخر) في كتابة دونتها جماعة من الأعيان عند تنزيحه وتوليّه العرش وعلان ذلك للناس في حصن (أنود) . وأصحاب

١ Sheba's Daughters, P. 449, Philby 82, REP. EPIG., VII, III, P. 414.

٢ Sheba's P. 450, Philby 83, REP. EPIG., VII, III, P. 415, 4910.

هذه الكتابة هم : (نصرم بن نهد) (نصر بن نهد) و (رقشم بن أذمر) (رقاش بن أذمر) ، و (والم بن يعللد) (وائل بن يعللد) ، و (والم بن بقلن) ، و (أبكرب ذو دم) (أبكرب ذو ود)^١ . وقد ورد أنهم ساعدوا الملك سيدهم (العزيط بن عم ذخر) (العذيط بن عم ذخر) حين ذهب الى حصن (أنود) لاعلان نفسه ملكاً^٢ . ويظهر من ذلك أنهم كانوا من جملة رجال الحاشية الملكية التي صحبت الملك الى ذلك المكان . ووردت نصوص أخرى سجلها رجال الحاشية الملكية تخليداً لاسمهم في هذه المناسبة^٣ . وقد سجل كتابة من هذه الكتابات رجل اسمه (حصين بن ذا ييم مقتوي العزيط ملك حضرموت) ، (حصين بن ذا ييم مقتوي العزيط ملك حضرموت) ، ويظهر ان هذا الرجل كان من قواد جيش الملك وضباطه ولعله كان من مرافقيه^٤ .

وقد منح بعض علماء العربيات الجنوبية هذا الملك ، أي الملك (العز بن عم ذخر) (العذ) لقب (العز الثالث) ، لذهابهم الى وجود ملكين حكما قبله عرفا بهذا الاسم . ورأى (ركمنس) ان حكمه كان في حوالي السنة (٢٠٠ ب.م)^٥ . وقد ورد في كتابة حضرمية اسم ملك دعي بـ (العذ) (العز) ابن (العزيط) (العذيط) ملك حضرموت ، فيظهر من ذلك ان والد هذا الملك كان ملكاً كذلك ، ولم يشر أحد من الباحثين مثل (فليبي) أو (البرايت) اليه . ولعله ابن للملك المتقدم ، وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (هبسل قرشم)^٦ وتذكرنا كلمة (قرشم) (قرشم) ، أي (قریش) باسم قبيلة (قریش) صاحبة مكة .

ولم يتأكد (البرايت) من اسم الشخص الذي تولى العرش بعد (العزيط) ، فترك فراغاً ذكر بعده ملكاً سماه (العزيط) (العذيط) ميزه عن الأول باعطائه لقباً ، هو (الثاني) . وقد رأى أنه كان معاصراً للملك (ثأرن يعب يهنعم)

١ (نصر بن نهد) ، (رقاش بن أذمر) ، (وائل بن يعللد) ، (وائل بن باقل) ، (أبكرب ذوودة) .

٢ REP. EPIG., VII, III, P. 392, 4852, Philby 27+29.

٣ REP. EPIG., VII, III, P. 395, 4855, 396, 4857, Philby 30, 32, 34.

٤ REP. EPIG., VII, III, P. 398, 4861, Philby 36, P. 401, 4874, Philby 49.

٥ Beiträge, S., 114, 144.

٦ REP. EPIG., VII, III, P. 322, 4693, Le Muséon, LXIII, 3-4 1950, P. 261.

ملك سبأ . أما والد (العز الثاني) على رأيه فهو (علهان) أو (سلفان)^١ . ويرى (فلي) أن (علهان) أو (سلفان) هو ابن (العزيط) الأول^٢ . وقد سبق أن ذكرت أن (ثارن يعب يهنعم) كان حليفاً للملك (العزيط بن عم ذخري) ، وأنه أرسل وفداً لتهنئته بتتويجه وإعلانه لقبه الجديد^٣ . لذلك يبدو غريباً ما ذهب إليه (البرايت) من أن (العزيط الثاني بن علهان) أو (سلفان) هو الملك المعاصر للملك (ثارن يعب) السبئي .

ويحتمل على رأي (البرايت) أن يكون (العزيط) (العزيط) الذي ورد ذكره في النص (Glaser 1619 = 1480) الذي عثر عليه في (وادي بيهان) ويعود تأريخه إلى سنة (١٤٤) من التقويم السبئي التي تقابل سنة (٢٩ م) تقريباً ، هو (العزيط الثاني) . ويحتمل على رأيه أيضاً أن يكون هو الملك (Eleazos) الذي ذكر في كتاب (الطواف حول البحر الأريتري)^٤ . وكان هذا الملك معاصراً للملك آخر سماه مؤلف هذا الكتاب (Karibael) - (Charibael) وهو ملك الحميرين والسبئيين^٥ ، وقد أراد به الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ، وهو (ملك سبأ وذوي ريدان) المذكور في النص (Glaser 483)^٦ .

أما (فون وزمن) ، فيرى أن كاتب النص قد أهمل الرقم ثلاث مئة فكتب مئة وأربعة وأربعين ، على حين أن الصحيح هو (٣٤٤) من التقويم الحميري ، واذن يكون زمان تدوين الكتابة هو (٢٢٩) أو (٢٣٥) بعد الميلاد وهو وقت حكم (العزيط بن عم ذخري) على تقديره^٧ .

وجاء اسم ملك يدعى (العزيط) (العزيط) في كتابة سجلها رجالان ، يدعى أحدهما (عذم بن أب انس) (عذ ذ بن أب انس) ويدعى الآخر (رب آل بن عذم لت) (رب ايل بن عذم لات) ، وهما من عشيرة (مريهن) (مريهان) ، ذكر فيها أنهما قدما إلى معبد الإله (سن ذ علم)

١ BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 14.

٢ Background, P. 144.

٣ Sheba's, P. 449.

٤ يرى بعض العلماء أنه الف بين ٤٠ - ٧٠ بعد الميلاد .

٥ BOASOOR, Num. 119 (1950), P. 14.

٦ Beiträge, S., 114.

٧ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 482.

(سين ذي علم) في معبد (علم) المشيد في مدينة (شبوة) ، سبعة تماثيل من الذهب (سبعة أصلم ذهن) ، كما أمرهما سيدهما الملك^١ . ويظهر أنهما كانا من حاشيته وأتباعه . وقد أهملت هذه الكتابة اسم والد هذا الملك ، فلا نعرف أي ملك هو ، أهو (العزيط الأول) ، أم (العزيط الثاني) ؟

وقد ورد في بعض الكتابات ما يفيد استقبال (العزيط) لضيوف وفدوا عليه من مختلف الأماكن : من الهند (هند) ، ومن (تدمر) (تدمر) ؛ وضيوف آراميون جاءوا اليه من (كشد)^٢ ، بل ورد في الكتابة (Ja 919) مرافقة عشر نساء قرشيات له الى حصن (أنود)^٣ . وإذا كانت الكتابة قد قصدت من (قريش) قريش المعروفة صاحبة مكة ، نكون بذلك قد وقفنا لأول مرة على اسمها في وثيقة مدونة .

ولاشارة النصين المذكورين الى الهند وتدمر والى بني لارم وقريش ، أهمية كبيرة ولا شك ، اذ تدل على الاتصال الذي كان لمملكة حضرموت بالعالم الخارجي في ذلك الزمن ، وعلى الروابط التجارية التي كانت تربط ذلك العالم بحضرموت . وقد كان اتصال حضرموت بالخارج عن طريق ميناء (قنا) ، فقد كانت السفن تأتي اليه وتخرج منه لتذهب الى افريقية والهند وعمان وأرض فارس^٤ .

وترك (البرايت) فراغاً بعد (العزيط الثاني) ، مغزاه انه لا يدري من حكم بعد (العز) هذا ، ثم ذكر بعده اسم (يدع أب غيلان بن أمين) (يدع أب غيلان بن أمين) ، ثم جعل اسم ابنه من بعده ، وهو (يدع ايل بين) ، أي انه هو الذي تولى الحكم من بعده . وقد بين انه غير متأكد من زمان حكمهما ، الا ان دراسة الكتابات التي ذكر فيها اسماهما تدل على انها من

١ لم يذكر في النص الذي نشره « بيستن » في مجلة : Le Muséon اسم هذه العشيرة ، راجع :

Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 262, 265, REP. EPIG., VII, III, P. 320, 4691, Philby 2, Ryckmans 1266.

JA 931, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 484. ٢

JA 919, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 484. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, 484. ٤

نوع كتابات القرن الأول للميلاد ، ولذلك وضع زمانها في هذا العهد^١ .
ومن الكتابات التي ذكر فيها اسم (يدع ايل بين) ، أي ولد (يدع أب
غيلان بن أميم) الكتابة التي وسمها العلماء بسمه (Glaser 1628) ، وهي كتابة
قصيرة تتألف من أربعة أسطر ، ورد في جملة ما ورد فيها اسم الإله (سين
ذو علم) ، أي الإله (سين) رب معبد (علم) . وكان معبد (علم) قد
خصص بعبادة هذا الإله^٢ .

وقد وصلت إلينا كتابة أخرى ورد فيها اسم (يدع ايل بين) ، إلا أنها
لم تذكر لقب والده ، وهو (غيلان) ، وإنما اكتفى فيها بتسجيل الاسم وحده
وهو (يدع أب) . وقد ذكر فيها أن هذا الملك بنى وحصن سور مدينة
(شبوة) ابتغاء وجه الإلهتين : (ذات حشولم) (ذات حشولم) (ذات حشولم)
و (ذات حم) (ذات حميم) ، وذكر فيها اسم (صدق ذخر) (كبير)
(كبير) حضرموت^٣ . ويظهر أن الغرض من ذكر اسم هذا الكبير (كبير)
في النص ، أن تؤرخ الكتابة به على نحو ما رأينا في الكتابات المعينية من التأريخ
بأسماء الرجال^٤ .

ولم يذكر (البرايت) من حكم بعد (يدع ايل بين) ، فترك فجوة تدل
على أنه لا يدري من حكم فيها ، ثم ذكر بعدها ملكاً آخر ، سماه (يدع ايل
بين) ، قال : إنه ابن (سمه يفع) ، ثم ذكر (السمع ذبيان بن ملكي
كرب) (ملكيكرب) من بعده ، وقال إنها كانا متعاصرين^٥ . وقد حكما
حكماً مزدوجاً ، أي أن كل واحد منهما كان يحكم بلقب (ملك حضرموت) .
وكان حكمهما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد على بعض الآراء^٦ .

ثم عاد (البرايت) ، فترك فراغاً بعد (السمع ذبيان) ، دلالة على وجود
فجوة في ترتيب أسماء ملوك حضرموت ، لا يدري من حكم فيها ، ثم ذكر

-
- | | |
|--|---|
| The Chronology, P. II. | ١ |
| BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 14, Ryckmans, 169, REP. EPIG., 4698, | ٢ |
| VII, III, P. 323, Philby 9, SE. 49. | |
| Le Muséon, LX, 1-2, 1947, P. 53, Hamilton, 2, Plate, I. | ٣ |
| Le Museon, LX, 1-2, 1947, P. 55. | ٤ |
| BOASOOR, Num. 119, 1950, P. 14. | ٥ |
| Beiträge, S., 85. | ٦ |

بعدها الملوك : (رب شمس) (ربشمس) ثم (يدع ايل بين) ثم (الريم يدم) ثم (يدع أب غيلان)^١ .

وقد ذكرت اسم (رب شمس) قبل قليل ، وقدمت زمانه بعض التقديم ، وذلك حكاية عن رأي بعض العلماء وفي ضمنهم (فلي) الذي جعل حكمه في حوالي سنة (١٨٠ ق.م.) ، ثم عدت لأذكره هنا مجازة لرأي (البرايت) الذي وضعه في أواخر قائمته للملك حضرموت . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن حكم هذا الملك كان بعد سنة (٢٠٠ ب.م.)^٢ ، وفرق كبير كما نرى بين التقديرين .

وقد جعل (فون وزمن) زمان (رب شمس) بين السنة (١٠٠) و (١٢٠ ب.م.) ، وصيّرهُ من معاصري (اوسلت رفش) (اوسلة رفشان) ملك همدان ومن معاصري الفترة الواقعة بين حكم (ذمر علي يهبر) و (ثاران يعب) الحميرين^٣ . ثم البقية التي جاءت بعده ، وتتألف من (يدع آل بين) (يدع ايل بين) ، ثم (الريم يدم) (الريام يدم) ، ثم (يدع اب غيلن) (يدع أب غيلان) ، ثم (رب شمس) (ربشمس) وقد جعل نهاية حكمه سنة (١٨٠ ب.م.)^٤ .

وبعد النص الموسوم بـ Philby 84 من النصوص المهمة بالنسبة الى تأريخ مدينة (شبوة) ، وقد كتب في عهد (يدع ايل بين بن رب شمس) ، وجاء فيه ان (يدع ايل بين بن رب شمس) من (أحرار يهبار) (أحرار يهبار) (أحرر يهبر) عمر مدينة (شبوة) وأقام بها ، وبني المعبد بالحجارة ، وذلك بعد الخراب الذي حل بها ، وعمر ما تهدم وتساقط منها ، وانه احتفالاً بهذه المناسبة أمر بتقديم القرابين ، فلذبح (٣٥) ثوراً و (٨٢) خروفاً و (٢٥) غزالاً و (٨) فهود (أفهد) ، وذلك في حصن (أنود)^٥ .

The Chronology, P. II, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 468, Jamme, Sabaean Inscriptions, P. 305, The Al-'uqlah Texts, Catholic Univ. of America Press, Washington, 1963, PP., 7.

Beiträge, S., 105.

Le Muséon, 1964, 3-4, 498.

Le Muséon, 1964, P. 498.

Philby 84, Sheba's, P. 451, Le Muséon, LXI, 3-4, 1948, P. 190, REP.

EPIG. 4912, VII, III, P. 416.

وقد حدثنا هذا النص حديثاً صريحاً بأن أصل (يدع ايل بين) من أحرار (يهبار) (أحرر يهبر) أي من صرحاء القبيلة ، وحدثنا أيضاً بأنه بني مدينة شبوة ، وعمر معبدها وكسا جدره بطبقة من القار أو غيره لتكون مُلْساً ، من أساسها الى شرفاتها ، وذلك بعد الخراب الذي حل بشبوة ، الا ان الملك لم يتحدث عن سبب ذلك الخراب الذي أصاب المدينة ومعبدها معها ، وهو خراب كبير على ما يظهر ، فتركنا في حيرة من أمره ، وتباينت آراء الباحثين فيه . ويرى (البرايت) ان النص المذكور هو من نصوص القرن الثاني بعد الميلاد . أما (ركمنس) فيرى انه من نصوص ما بعد السنة (٢٠٠) بعد الميلاد . فهو اذن نص يكاد يجمع أكثر علماء العربيات الجنوبية على انه من نصوص بعد الميلاد . واذا صدق رأي هؤلاء ، كان خراب شبوة اذن واعادة تعميرها قد وقعا بعد الميلاد^١ .

وقد فسّر بعض الباحثين خراب (شبوة) باستيلاء أحد ملوك (سبأ وذى ريدان) عليها ، فلما نهض (يدع ايل بين) ، لاستردادها من السبئيين ، وقع قتال شديد فيها بينه وبينهم في المدينة نفسها ، لم ينته إلا بعد خراب المدينة وتدمير معبدها معبد الإله (سين) . وعندئذ ارتحل عنها السبئيون ، فاضطر (يدع ايل) الذي طردهم منها الى إعادة بناء المدينة والمعبد ، فلما تم له ذلك ، احتفل بهذه المناسبة ، أو بمناسبة تتويجه ملكاً على حضرموت في حصن (أنود) وقرّب القرابين الى إله حضرموت (سين) والى بقية الآلهة ، شكراً لها على ذلك النصر ، وعلى النعم التي أغدقتها عليه . هذا في رأي فريق من علماء العربيات الجنوبية^٢ .

ورأى فريق آخر أن في خراب (شبوة) سبباً من سببين ، فإما أن يكون (يدع ايل) وهو من أحرار قبيلة (يهبار) ، قد أعلن الثورة على السبئيين الحميرين الذين كانوا قد استولوا على شبوة ، وقاومهم مقاومة عنيفة أدت الى إلحاق الأذى بالمدينة ، فلما تركها السبئيون الحميريون كانت ركاماً ، فأعلن (يدع ايل) نفسه ملكاً على حضرموت ، بعد أن ظلت المملكة بدون ملك . وإما أن

Beiträge, S., 115. ١

Beiträge, S., 115. ٢

يكون ذلك الخراب بسبب عصيان (يدع ايل) على الأسرة المالكة الشرعية ومقاومته لها ، مما أدى الى إنزال التلف في المدينة ، فلما تغلب على الاسرة المالكة أعاد بناء المدينة وجددها وجدد معبدها على نحو ما جاء في النص^١ .

وليس في النص شيء ما عن الطريقة التي كسب بها تاج حضرموت ، إلا أن اشارة وردت في كتابة تفيد أن بعض الأعراب ورجال القبائل كانوا قد تعاونوا معه وساعدوه ، فقد عاونه رجل من قبيلة (يم) (يام) ، ومئة من بني أسد ، ومئتان من (كلب) أو (كليب)^٢ ، وعاونوه ولا شك آخرون ، وبفضل هؤلاء وأمثالهم من رجال القبائل تغلب على من ثار عليهم ، فانتزع التاج منهم . والاشارة المذكورة على أنها غامضة ، كافية في اعطائنا فكرة عن مساعد (يدع ايل) على الظفر بالعرش .

ويظهر من كل ما تقدم أن (يدع ايل بين) ، وهو من أبناء العشائر ، كان قد جمع حوله جماعة من القبائل ، ساعدته في عصيانه وتمرده على السلطة الحاكمة في (شبوة) فاستولى على الملك وقد جاء بعده عدد من الملوك ، إلا أن الأمر أفلت زمامه منهم ، إذ نجد أن الملك (شمر يرعش) (شمر يهرعش) يضيف (حضرموت) الى الأرضين الخاضعة لحكومته ، حتى صار اسم حضرموت منذ ذلك الحين جزءاً من اللقب الذي يلقب به الملوك . ومعنى ذلك انقراض مملكة حضرموت ودخولها في حكومة (ملك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنت) اللقب الرسمي الذي اختاره (شمر) المذكور نفسه .

ويرى (فون وزمن) ان الكتابة الموسومة بـ Jamme 629 ، هي من الكتابات التي تعود الى أيام هذا الملك . وقد جاء فيها ان (مرثدم) (مرثد) و (ذرحن) (ذرحان) ، وهو قائد من قواد جيش (سعد شمع أسرع) و (مرثدم يحمسد) من (آل جرت) (آل جرة) ، قد حاربوا الملك (يدع آل) (يدع ايل) ملك حضرموت والملك (نبطم) (نبط) ملك قتبان ، و (وهب آل بن معهر) (وهب ايل بن معاهر) و (ذاخولن) (ذو خولان) و (ذو خولن) و (ذو خصبج) (ذو خصبج) و (مفحيم) (مفحي) حاربهم في أرض (ردمان) قرب العاصمة (وعلن) (وعلان)^٣ .

Belträge, S., 115. ١

Belträge, S., 115. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 463. ٣

ويرى (فون وزمن) أن هذه الحرب قد وقعت في أواخر أيام حكم الملك (نبطم) (نبط) ملك قتيان ، المعروف بـ (نبطم يهنم) ، وقد لقب في هذه الكتابة بلقب : (ملك قتيان) ، إلا أنه كان في الواقع تابعاً لحكم ملك حضرموت . وقد كانت (تمنع) - كما يرى هو أيضاً - قد خربت قبل هذا العهد ، وتحولت الى قرية صغيرة . وقد التقت عساكر (سعد شمس) و (مرثد) بخصوصها قرب هذا المكان . ولم تكن (أوسان) مملكة في هذا العهد ، بل كانت قبيلة . وقد أذلت (شيعان) بعد هذه الحرب .

وأما (مرثد) (مرثدم) صاحب الكتابة ، فهو من (ذ بن جرفم) (بني ذي جرفم) (بني ذي جرف)^١ بـ (صنعو) ، أي (صنعاء) . وقد عمل مع الملكين : (سعد شمس أسرع) و (مرثدم يهحمد) ، وهما من ملوك مملكة (جرت) (جرة) ، لتنظيم اجتماع لسادات القبائل في موضع (رحبت) (رحابة) الواقع شمال صنعاء ، بأرض (سمعي) . وقد حضر الاجتماع : (شرحت) ، وهو من سادات (بتع)^٢ و (الرم) (الرام) (الريام) ، وهو من (بني سخم) ، و (يرم أيمن) الهمداني . ويظهر أن ملكي (جرة) كانا قد استحوذا على مرتفعات سبأ في هذا الحين^٣ .

وكان (وهب آل بن معهر) (وهب ايل بن معاهر) صاحب (ردمان) (ردمن) والأرضين المتاخمتين لـ (خولان) في هذا الوقت . وقصد بـ (معهر) دار الحكم بمدينة (وعلان) (وعلان) من أرض (ردمان)^٤ .
وأما (خصيص) ، فبطن من بطون قتيان .

وتولى الملك بعد (يدع ايل بين) ابنه (الريم يدم) (الريام يدم) . ونحن لا نعرف من أمره شيئاً يذكر، إلا ما ورد في كتابة تذكر انه ذهب الى حصن (أنود) ، واحتفل هناك بتولية العرش ، واعلانه لقبه الذي اتخذ لنفسه^٥ ، والا ما ورد في كتابة أخرى ، دوتها (رب شمس بن يدع ايل بين) ، أي

١ « جراف » ، « كراف » .

٢ راجع النص : CIH 222 .

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 465.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464.

٥ Sheba's, P. 452, Philby 85, REP. EPIG., VII, III, P. 418, 4913.

شقيق (الریم یدم) ، تذكر انه رافق شقيقه الى حصن (أنود) عند المناسبة المتقدمة ، فكان من جملة المشاهدين لحفلة التتويج^١ .

ولا نعرف من أمر (يدع أب غيلان) شقيق (الریم یدم) شيئاً يذكر كذلك . وقد جعله (البرایت) خليفة شقيقه المذكور . وكل ما لدينا عنه ، لا يتجاوز ما ذكرناه عن شقيقه . فقد جاء في كتابة انه ذهب الى حصن (أنود) ، فاحتفل فيه بتتويجه وأعلن في الاحتفال اللقب الذي لقب نفسه به ، وجاء في كتابة أخرى سجلها (رب شمس) ، أي شقيقه ، انه ذهب مع أخيه (يدع أب) الى حصن (أنود) لمشاهدة الاحتفال بتتويجه وباعلانه اللقب^٢ .

وقد ورد في أحد النصوص ان (يدع أب غيلان) (يدع أب غيلان) ، سور مدينة (ذ غيلان) . ويرى بعض الباحثين ، ان هذا الملك كان قد بنى هذه المدينة في أرض قتبانية فتحت في أيام والده ، في مكان يقع عند فم وادي (مبلقه) (مبلقت) المؤدي الى وادي (بيحان) . ويشك بعض الباحثين في صحة قراءة اسم المدينة^٣ .

وفي الكتابة المرقمة برقم Philby 88 جملة هي : (رب شمس خير اسدن بن يدع آل بين) ، ترجمها (بيستن) بـ (رب شمس أمير أسد بن يدع ايل بين) على ان (أسداً) قبيلة، واستدل على ذلك بما جاء في إحدى الكتابات من ان الملك (ختن أسد)^٤ ، ومعنى ذلك انه كان ختناً لـ (بني أسد) . وأرى ان لفظة (اسدن) (اسد) هنا لا تعني قبيلة أسد وانما تعني جنوداً أو جيشاً ، وهي بهذا المعنى في العربيات الجنوبية ، فان لفظة (اسدم) تعني الجندي ، وان المراد من جملة (رب شمس خير اسدن) (رب شمس أمير الجند) أو (الجيش) ، أي ان لفظة (خير) بمعنى أمير أو قائد ، وخير القوم سيدهم ، فيكون بذلك قائداً أو أميراً لجيوش حضرموت .

Philby 86, Sheba's, P. 452, REP. EPIG. 4914, VII, III, P. 418.

Philby 88, Sheba's, P. 487, REP. EPIG. 4918, VII, III, P. 419.

A. Jamme, A New Chronology of the Qatabanian Kingdom, BOASOOR,

Num. 120, 1950, 26, Sabaeen Inscriptions, P. 297, Le Muséon, 1964,

3-4, P. 464.

Philby 88, Sheba's P. 444, REP. EPIG. 4919, VII, III, P. 419.

وبناء على ما تقدم نكون قد عرفنا اسم ثلاثة أولاد من أبناء (يدع ايل بين)
تولى الملك اثنان منهم على وجه أكيد ، أما الثالث ، وهو (رب شمس) فلم
تصل إلينا كتابة تذكر ذهابه إلى حصن (أنود) للاحتفال بتتويجه وإعلان لقبه.
لذلك لا نستطيع أن نبت في موضوع توليه عرش حضرموت . ولم يذكر
(البرايت) اسمه بين أسماء أبناء (يدع ايل بين) . وقد استخرجته أنا من
الكتابات التي ذكرتها ، وهي الكتابات التي استنسخها (فليبي) من موضع
(عقله) .

وفي اللوح النحاس المحفوظ في المتحف البريطاني اسم ملك من ملوك حضرموت
هو (صدق ذخر برن) (صدق ذخر بران) ، ووالده (الشرح) ، وقد
ذكر فيه أن هذا الملك قدم نذوراً إلى الآلهة : (سين) و (علم) و (عثر)
لخيره ولخير (شبوة) ولخير أولاده وأفراد أسرته ، وقد وردت فيه أسماء قبائل
يظهر أنها كانت خاضعة في هذا الزمن لحكمه هي : (مرشد) و (أذهن)
(أذهان) ، و (ينعم)^١ . ولورود اسم (شبوة) في هذا النص ، يجب
أن يكون هذا الملك قد حكم بعد تأسيس هذه المدينة .

وذكر (هومل) أنه وجد محفوراً على الجبهة الثانية من اللوح النحاس
(مونكراما) Monogramm طغراء تشير إلى اسم الملك الذي كان يحكم حضرموت
في ذلك الزمن ، وقد دعاه (هومل) (سعد شمس) (سعد شمس)^٢ .

وورد اسم ملك آخر من ملوك حضرموت ، هو : (حي آل) (حي ايل) ،
وقد ورد اسمه في نقد حضرمي^٣ . وما نعرف من أمره في الزمن الحاضر شيئاً .

ولم يشر (البرايت) و (فليبي) و (هومل) وغيرهم إلى اسم ملك
حضرمي ورد ذكره في النص المرقم برقم (٩٤٨) المنشور في كتاب CIH^٤ .
وهو نص متكرر في مواضع متعددة منه ، أضاعت علينا المعنى . واسم هذا
الملك (شرح آل) (شرح ايل) (شرحيل) .

وقد سقطت كلمات قبل هذا الاسم ، لعلها تكملته . وقد وردت بعده جملة :

Halevy, Etudes, P. 173, OS. 29. ١

Hommel, Grundriss, I, S., 138. ٢

Handbuch, S., 96, Anm. 2, 103. ٣

CIH, IV, III, II, P. 275-276. ٤

(ملك حضر ...) ، وسقطت الأحرف الباقية من كلمة حضرموت وكلمات أخرى .
وقد ورد في النص المذكور اسم (شمر يهرعش) ملك (سبأ وذي ريدان
وحضرموت ويمنات)^١ . ويدل ورود اسم (شمر يهرعش) في هذا النص مع
اسم (شرح ايل) على أن الملكين كانا متعاصرين ، ويدل هذا النص على أن
مملكة حضرموت بقيت الى ما بعد الميلاد ، وحتى أيام (شمر يهرعش) ، يحكمها
حكام منهم ، يحملون لقب (ملك) .

وكان آخرهم هو (شرح ايل) هذا المدون اسمه في النص المذكور . ولكنه
لم يكن مستقلاً كل الاستقلال ، بل كان تحت حماية (شمر يهرعش) ووصايته .
ودليلنا على ذلك ذكر (شمر) في النص مع (شرح ايل) وادخال اسم
(حضرموت) ضمن أسماء المواضع الخاضعة لحكم (شمر) ، أي في اللقب
الرسمي الذي اتخذته (شمر) لنفسه بعد استيلائه على حضرموت .

وعثر على نص وسم ب JA 656 ، جاء فيه اسما ملكين من ملوك حضرموت
أحدهما (رب شمس) ، الآخر (شرح ايل) (شرح آل)^٢ . وليس في
النص ما يكشف عن هوية الملكين ، وأرى ان (رب شمس) هذا هو (رب
شمس) المتقدم شقيق الملكين ، وابن (يدع ايل بين) . وإذا صدق رأيي
هذا ، يكون قد تولى الملك لمدة قليلة ، تولاها بعد وفاة شقيقه (يدع أب غيلان)
ثم انتقل العرش الى (شرح ايل) ، وهو في نظري (شرح ايل) الذي اعترف
بسيادة (شمر يهرعش) وسلطانه عليه كما تحدث عنه .

وقد يكون أحد أبناء (رب شمس) وقد يكون حمل لقب (ملك حضرموت)
مع (رب شمس) في آن واحد . وهذا النص هو بالطبع أقدم من النص المتقدم
الذي ورد فيه اسم (شمر يهرعش) .

لقد جعل بعض علماء العربيات الجنوبية سقوط مملكة (حضرموت) واندماجها
نهائياً في مملكة (سبأ وذي ريدان) في أيام (شمر يهرعش) ، وبعد السنة
(٣٠٠ ب. م)^٣ . وأود ان ابين هنا اننا لما نظفر بكتابة عربية جنوبية ،

١ وهو (شمر يهرعش) عند الاسلاميين .

٢ Le Muséon, 1946, 3-4, P. 453.

٣ Beiträge, S., 116.

فيها شيء عن كيفية سقوط مملكة حضرموت ، وعن كيفية استيلاء (شمر يهرعش) أو غيره من الملوك عليها ، فنحن لهذا في وضع لا يسمح لنا بوصف نهاية تلك المملكة وذكر الأحداث التي أدت الى سقوطها واندماجها في مملكة سبأ وذي ريدان .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان سقوط حضرموت كان في القرن الرابع بعد الميلاد ، وقبل احتلال الجيش العربية الجنوبية بقليل . وقد وقع هذا الاحتلال على رأيهم فيما بين السنة (٣٣٥ ب. م.) والسنة (٣٧٠ ب. م.)^١ .

وقد أدت فتوحات (شمر يهرعش) لحضرموت ، ولأرضين أخرى تعد من المناطق الخصبة الكثيفة بسكانها في جزيرة العرب ، الى هجرة الناس عنها الى مناطق بعيدة نائية ، والى نزول الخراب في كثير من القرى والمدن ، اذ تهدمت بيوتها ومعابدها ، وقتل كثير من أهلها ، وأنت النار على بعضها حرقاً، فتحوّلت منازل الناس الى خرائب ، وجفت مزارعهم فأضت بوادي ، فهجرها أهلها ولم يعودوا اليها بعد هذا الخراب . فزادت مساحة الصحاري ، ولم تعمر منذ ذلك الحين . وقد زاد في نكبة العربية الجنوبية هذه ان حروب (شمر يهرعش) المذكورة استمرت زمناً طويلاً ، وشملت أكثر اليمن حتى بلغت البحر ، مما أطمع الجيش في العربية الجنوبية ، فزادت قواتها في الأرضين التي احتلتها ، وتوغلت في مناطق واسعة ، ولا سيما بعد موت (شمر يهرعش) .

هذا ، وقد انتهت الينا كتابات عدة تعرضت لأنباء الحروب التي نشبت بين حضرموت وسبأ ، وبين حضرموت وحكومات أخرى ، منها كتابات لم تذكر فيها أسماء الملوك الذين وقعت في أيامهم تلك الحروب ، كالكتابة المرقومة بـ (٤٣٣٦) المنشورة في كتاب REP. EPIG.^٢ . وقد قدم صاحبها الى إله الشكر والحمد ، وتمثالين من الذهب الى معبده في (نعلم) لأنه نجى سيده (بشمم) (بشم) ومنّ عليه بالشفاء من الجرح الذي أصابه في المعركة التي نشبت في مدينة (ثبير) في أرض (بحر) . وهي معركة من معارك نشبت بين (شمر ذي ريدان) و (أب أنس) من قبيلة (معهرم) (معهر) (معاهر) وأمرأ (خولان)

Beiträge, S., 144.

REP. EPIG., VII, II, P. 199.

وملك سبأ وملك حضرموت . ولما كانت هذه الكتابة قد كتبت لاعلان شكر صاحبها لإلهه واعلانه بوفائه لنذره ، وهي في موضوع شخصي لم تكن متبسطة في أخبار تلك الحرب المزعجة ، لذلك اكتفيت بذكرها اجالاً دون تفصيل . أما نحن العطاش الى معرفة خبر تلك الحرب ، وما كان من أمرها ، فقد خرجنا بعد قراءتنا لهذا النص ونحن آسفون على بخل صاحبها علينا وتغيره في تفصيل خبر هذا الحادث المهم ، وشاكرون الله مع ذلك على سلامة رجل وقاه الله شر تلك الحرب .

هذا ما وصل الى علمنا من أسماء ملوك حضرموت و (مكربيهـا) . ولست أرى بأساً في التنبيه مرة أخرى على أن هذه الأسماء لم ترتب الى الآن ترتيباً زمنياً مضبوطاً ، وإنما رتب على حسب اجتهاد الباحثين . ولذلك نجدهم يختلفون في هذا الترتيب وغيره ، في أسماء الملوك . وسيلنا الآن أن نحاول جهد الامكان حصر هذه الأسماء حتى يأتي اليوم الذي نستطيع فيه الترتيب والتصنيف .

والظاهر أن حكم الحميريين لحضرموت ، لم يتحقق بصورة فعلية ، بل كان في أواخر أيامهم ، ولا سيما في أواخر القرن الخامس وابتداء القرن السادس للميلاد ، حكماً شكلياً ، لأننا نجد أرض حضرموت وقد استقل فيها حكام المدن وسادات القبائل وأشرف الأودية ، وقد لقب أكثرهم أنفسهم بلقب (ملك) . وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن بني (معد بكرب بن وليعة) وهم :مخوص ، ومشرح ، وجمد ، وأبضعة ، كانوا يسمون ملوكاً ، لأنه كان لكل واحد واحد مملكه^١ . والواقع أن كثيراً من سادات القبائل قبل الميلاد وبعده ، كانوا يلقبون أنفسهم بلقب ملك ، ولكنهم لم يكونوا غير سادات قبائل وأصحاب أرض .

قبائل حضرمية :

وفي حضرموت كما في كل الأماكن الأخرى من جزيرة العرب قبائل وعشائر وأسر ذوات حكم وسلطان وجاء في مواطنها ، وقد ورد أسماء عدد منها في الكتابات ، ومن قبائل حضرموت وعشائرها وأسرها : (شكـم) ، أي (شكـم)

١ البلدان (٢٩٤/٣) ، الطبري (٢٠٠٤/١) وما بعدها (طبعة ليدن) .

(شكيم) ، وعشيرة (يشيم) (يشيوم)^١ .
ويرجع نسب عشيرة (رشم) الى قبيلة (مقنعم) (مقنع) أو (يقنعم)
كما جاء في بعض الكتابات^٢ ، وهو اسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً في الزمن
الحاضر ، وكان يحكمها (أقيال) منهم : (هو فعث) و (لحي عث) ،
وهما من موضع (علم) ، أي (علب)^٣ . وقد جاء في نص انهما قدما
وثناً (صلمن) الى الآلهة (عثر) و (هبس) (هوبس) و (المقه)
و (ذت حم) (ذات حميم)^٤ . وقد يفهم من ذلك ان هذه القبيلة كانت قبيلة
سبئية ، نزحت الى حضرموت ، واستقرت فيها ، أو انها كانت من القبائل السبئية
التي خضعت لحضرموت .

و (يهبار) (يهبر) (يهبار) من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية ،
ولا يستبعد أن تكون قبيلة Iobaritai التي ذكر اسمها (بطلميوس) ؟ وكانت
منازلها على ما يظهر من جغرافيته على مقربة من الموضع الذي سماه Sachalltai
أي (الساحل) أو (السواحل)^٥ ، فهي من القبائل العربية الجنوبية التي لا تبعد
منازلها عن الساحل كثيراً ، وقد كان (يدع ايل بن بن رب شمس) من أبنائها
الأحرار .

وقبيلة (أسد) من القبائل العربية الشمالية المعروفة بعد الميلاد . أما في نصوص
المسند ، فليست فيها معروفة . ويظهر ان قسماً منها كان قد نزح من نجد الى
الجنوب حتى بلغ أرض حضرموت ، فساعد (يدع ايل بن) . ولعل نزوحها
الى الجنوب كان بسبب خلاف وقع بين عشائرها أو مع قبائل أخرى ، فاضطر
قسم منها الى الهجرة الى العربية الجنوبية^٦ .

و (يام) من القبائل المعروفة حتى اليوم ، وتسكن عشائر منها حول نجران^٧ .

REP. EPIG., 3512, VI, I, P. 182. ١

REP. EPIG., VI, II, P. 258. ٢

Orientalia, Vol., VI, 1937, P. 92, Museo Nazionali Romano, Ansaldo il ٣

Jemen nella Storia e nella Legenda, Abb, 91.

REP. EPIG., VII, III, P. 312, Hamburg 31, 300, 1625. ٤

Beiträge, S., 116. ٥

Beiträge, S., 115. ٦

Beiträge, S., 115. ٧

وأما (كلب) أو (كليب) ، فإنها من القبائل التي يرجع النسابون نسبها الى عدنان ، أي الى العرب الشماليين .

مدن ومواقع حضرية :

و (شبوة) ، هي عاصمة حضرموت وهي Sabbatha = Sabotha = Sabota عند الكتبة الكلاسيكين^١ . وهي Sabtah المذكورة في التوراة في نظر بعض الباحثين^٢ . وزعم (هوكارت) Hogarth أنها Sawa^٣ . وذكر (الهمداني) موضع (شبوة) في جملة ما ذكره من حصون (حضرموت) ومحافدها^٤ .

وقد ظن (فون مالتزن) وآخرون غيره أنها مدينة (شبام)^٥ . وزار (فليبي) (شبوة) ، وعثر على آثار معابدها وقصورها القديمة ، كما شاهد بقايا السدود التي كانت في وادي شبوة لحصر مياه الأمطار والاستفادة منها في ارواء تلك المناطق الواسعة الحصبة^٦ .

وتشاهد في (وادي أنصاص) وفي خرائب (شبوة) بقايا سد^٧ وأقنية للاستفادة من المياه وخزنها عند الحاجة اليها^٨ . وهناك سدود أخرى بنيت في مواضع متعددة من العربية الجنوبية للاستفادة من مياه الأمطار للسيطرة على السيول ، وتحويلها الى مادة نافعة تخدم الانسان .

وأما حصن (أنود) (أنودم) ، الموضع الذي يحتفل فيه الملوك عند تنويعهم وإعلانهم اللقب الذي يتلقبون به بعد توليهم العرش ، فإنه موضع (عقلة) في الزمن الحاضر . وهو خربة على شكل مربع . وقد زار هذا المكان جملة

Pliny, 6, 28, 32, Ptolemy, 6, 7, 38, C. A. Nallino, Raccolta di Scitti editi e inediti, Vol., III, P. 50. ١

Montgomery, Arabia and the Bible, P. 42. ٢

D. G. Hogarth, The Penetratio of Arabia, P. 149, 151, 221. ٣

الصفة (٨٧ ، ٩٨) ، الاكليل (٨ / ٩٠) ، نبيه ، البلدان (٥ / ٢٣٤) . ٤

Von Wrede, Reise, S., 289, William Vincent, The Periplus of the Erythraean Sea, Part the Second, P. 301. ٥

Sheba's, P. 79. ٦

Beiträge, S., 108. ٧

أشخاص من الغربيين ووصفوه ، منهم (فليبي) ، وقد وجد فيه خرائب عادية ووجد عدداً من الكتابات الحضرمية ، هي الكتابات التي وسمت باسمه . ويشرف هذا الموضع على وادٍ يمتد، فيتصل ببتلال (شبة) ١ . وقد كان حصناً ومعسكراً يقيم فيه الجيش ، لحماية مزارع هذا الوادي ، ولا بد أن يكون هنالك سبب جعل الملوك يختارون هذا المكان لإعلان اللقب الرسمي الذي يختاره الملوك لأنفسهم عند التتويج .

وقد تبين من بعض الكتابات المتعلقة بتنصيب ملوك حضرموت في هذا المكان أنهم كانوا يتقربون في يوم إعلان تتويجهم في حصن (أنود) بنحر الذبائح للآلهة . وقد تبين من بعضها أن في جملة تلك الذبائح التي قدمت إلى الآلهة حيوانات وحشية مثل الفهود . وقد استمرت هذه الاحتفالات قائمة إلى القرن الثاني بعد الميلاد على رأي (البرايت) ، وإلى حوالي السنة (٢٠٠) بعد الميلاد على رأي (ركنس) ٢ .

ومن مدن الحضرميين مدينة (ميفت) (ميفعة) ، وكانت على ما يظن عاصمتهم القديمة . وقد ورد في بعض الكتابات ما يفيد أن (يدع ايل بن سمه علي) رم أسوار هذه المدينة ٣ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها Mapharitis التي أشار إليها مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) ٤ ، ولدينا نص حضرمي يفيد أن (هبسل بن شجب) بنى سور المدينة وأبوابها ، واستعمل الحجارة والأخشاب ، وأنشأ فيها بيوتاً ومعابد، وأتم عمله بعده ابنه (صدق يد) فأعلى سور المدينة وأحكمه ٥ .

ولم تذكر الكتابة الجهة التي أنفقت على هذا العمل الذي يحتاج إلى نفقات عظيمة ولا شك، ولعل الدولة هي التي عهدت إليها هذا العمل على أنها مهندسان أو من المقاولين المتخصصين بأعمال البناء .

وكانت (ميفعة) من المدن المهمة ، وقد ذكرت في عدد من الكتابات ،

١ راجع وصف الموضع في (ص ٣١٤ وما بعدها) من كتاب : Sheba's Daughters لفليبي .

٢ Belträge, S., 108.

٣ Background, P. 77.

٤ Background, P. 80.

٥ REF. EPIG., 2640, V, I, P. 14.

وهي Maipha Metropolis عند (بطلميوس)^١ ، ويقع عند (حصن السلامة) موضع عادي خرب ، يقال له (ريدة الرشيد) ، يظهر انه كان محاطاً بسور حصين ، كما يتبين ذلك من أحجاره الضخمة المبعثرة الباقية . وقد كان مدينة ، يرى أنها Ralda عند (بطلميوس) وقد وضعها في جنوب شرقي Maipha Metropolis أي ميفعة^٢ .

وعثر على كتابات عديدة أخرى ، تتحدث عن تحصين (ميفعت) (ميفعة) ، وعن تسويرها بالحجارة وبالصخر المقدود وبالحشب ، وعن الأبراج التي أقيمت فوق السور لصد المهاجمين عن الدنو اليه . وذكر اسمها في كتابة (لبنه) (لبننا) التي هي من أيام المكربين في حضرموت^٣ .

ويظهر أن الخراب حل بـ (ميفعة) في القرن الرابع بعد الميلاد ، وحل محلها موضع آخر عرف بـ Sessania Adrumetorum ، أي (عيزان) فـ (عيزان) اذن ، هو الوليد الجديد الذي أخذ مكان (ميفعة) منذ هذا الزمن^٤ .

ومن مدن حضرموت مدينة سهاها بعض الكلاسيكيين Cane Emporium ، وذكر أنها ميناؤها^٥ . وأما (أريانوس) ، فقال إنها الميناء الرئيسي للملك أرض اللبان ، وقد سهاه Eleazus وقال إنه يحكم في عاصمته Sabatha^٦ .

وقد ذكر هذا الميناء (بلينيوس) كذلك ، فقال إن السفن التي تأتي من مصر في طريقها الى الهند ، أو السفن الآبية من الهند الى مصر ، كانت ترسو إما في ميناء Cana = Qana ، وإما في ميناء Ocelis على ساحل البحر عند المضيق . وذكره مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) كذلك فقال: Cana = Qana ميناء حضرموت ، وله تجارة واسعة مع (عمان) 'omana على الخليج ، ومع سواحل الهند . ومع سواحل الصومال في افريقية^٧ . وقال

Belträge, S. 86. ١

Belträge, S. 86. ٢

Belträge, S. 86. ٣

Belträge, S. 86. ٤

The Periplus of the Erythraean Sea, 27, 57, Part the Second, P. 301. ٥

Forster, Vol., 2, P. 165. ٦

The Periplus, 27, 57, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 192. ٧

إن السواحل كانت مأهولة بالأعراب ، وبقوم يسمون Ichthyophogi ، أي (أكلة السمك)^١ .

وفي ميناء Cana (قنا) يجمع اللبان والبخور وغير ذلك ، ويصدر الى الخارج ، إما بحراً حيث تنقلها وسائل النقل البحرية، وفي ضمنها بعض الوسائط التي تطفو على سطح البحر بالقرب المتفوخة بالهواء ، وأما برأ حيث تنقلها القوافل^٢ . ويقع هذا الميناء الى شرق (عدن) وعلى مسافة منه جزيرتان ، جزيرة Orneon أو جزيرة الطيور ، وجزيرة Trulla . ويقع الى الشرق من Cane ميناء آخر ، يقال له Methath Villa^٣ . ويرى (فورستر) وأكثر الباحثين الآخرين الى ان ميناء Cane هو المحل المعروف باسم (حصن غراب) في الزمن الحاضر^٤ .

و (حصن غراب) ، قد بني على مرتفع من صخر أسود على لابة بركان قديم ، يشرف على المدخل الجنوبي الغربي لتخليج أقيم عليه الميناء ، فيحميه من لصووص البحر ومن الطامعين فيه . وقد زاره بعض السياح، مثل (ولستيد) فوصفه^٥ . وزاره B. Doe سنة (١٩٥٧ م) وتحدث عنه^٦ .

وقد ورد اسم هذا الحصن في الكتابة الموسومة بـ CIH 728 ، وقد سمي فيها (عرمرت) (عرماوية) . وهو الاسم القديم لهذا الحصن الذي يعرف اليوم بـ (حصن غراب) (حصن الغراب) . وورد في الكتابة الطويلة المعروفة بـ CIH 621 التي يعود تأريخها الى سنة (٥٣١ م) . وتحدث عن ترميم هذا الحصن وتجديد ما تهدم منه ، وذلك بأمر (سميغ أشوع) (السميغ أشوع)^٧ .

The Periplus, II, P. 300. ١

The Periplus, II, P. 301. ٢

Forster, Vol., II, P. 186. ٣

Forster, Vol., II, P. 186, Glaser, Skizze, 2, S., 175. ٤

Wellsted, Travels in Arabia, London, 1838. ٥

Le Muséon, 1961, 1-2, P. 194. ٦

J. Ryckmans, La Persecution des Chretiens Himyarites au Sixième siècle, Istanbul, 1956, A. F. L. Beeston, Problems of Sabaeen Chronology, BOASOOR, 16, 1954, Le Muséon, 1961, 1-2, P. Le Muséon, 68, 1955, P. 2. ٧

وورد ذكره في النص Ryckmans 538 الذي يتحدث عن الحروب التي خاضتها جيوش الملك (شعرم اوتر) (ملك سبأ وذى ريدان) في أرضين لقبائل قتبائية ورومانية وقبائل مضحيم (مضحى) وأوسان فبلغت (عرمويت) (عر ماوية) وموضع (جلع) في جملة ما بلغتها من أرضين . و (جلع) قرية على الساحل شمال غربي (بلحاف) في الزمن الحاضر^١ .

وقد وجد (ولستيد) Wellsted في (حصن غراب) الكتابة التي وسمت بـ CIH 728 . وقد جاء فيها أن (صيد أبرد بن مشن) (مشان) ، كان مسؤولاً عن (بدش) (باداش) ، وعن (قنا) ، وقد كتب ذلك على (عرمويت) (عر ماوية) ، أي حصن (ماوية) . و (قنا) هو اسم الميناء الشهير . وأما الحصن الباقي أثره حتى اليوم ، فيسمى (حصن ماوية) ، وأما (باداش) ، فإنه ما زال معروفاً حتى اليوم ، ولكن بشيء من التحريف . وفي هذا المكان يعيش قوم رعاة يعرفون بـ (مشايخ باداش) ، وقد جاء هذا الاسم من (باداش القديم)^٢ . وهكذا حصلنا من النص المذكور على اسم ميناء حضرموت الذي كانت الموارد (الكلاسيكية) هي أول من وافقنا به .

فحصن غراب اذن هو (عرمويت) ، وهو حصن مدينة (قنا) لا المدينة نفسها ، ولا تزال آثار مخازن مائه القديمة باقية ، وهي صهاريج تملأ بالأمطار عند نزولها لتستعمل وقت انحباسها . وقد أمكن التعرف على موضع البرج الذي يجلس فيه الحرس والمراقبون لمراقبة من يريد الوصول الى المكان . ويرى بعض الباحثين ان موقع المدينة الأصلية كان في السهل الواقع عند قدم الحصن من الناحية الشمالية ، حيث ترى فيه آثار أبنية ومواقع سكنى . أما ما يسمى بـ (بئر علي) (بئر علي) في هذا اليوم ، فانه مستوطنة حديثة بنيت بأنقاض تلك المدينة القديمة^٣ .

ومن مدن حضرموت مدينة (مذب) (مذاب) ، وقد اشتهرت بمعبيدها الذي خصص بعبادة الإله (سن) (سين) . وتقع بقاياها اليوم في الموضع

١ المصدر نفسه .

٢ Beiträge, S., 91.

٣ Le Muséon, 1961, 1-2, P. 194.

المعروف باسم (الحريضة) . وقد سبق أن قلت ان بعثة بريطانية نقتبت هناك ،
ووجدت آثار معبد ضخم هو معبد الإله (سين) ، الإله الذي يرمز الى
القمر^١ .

وقد تبين للذين بحثوا في أنقاض معبد (مذب) (مذاب) انه بني عدة
مرات . ويظهر انه تداعى ، فجدد بناؤه مراراً . وقد تبين من الكتابة الحلزونية
التي عثر عليها في أنقاض هذا المعبد انها من أيام (المكربين) وانها ترجع بحسب
رأي الخبراء الذين درسوها الى حوالي السنة (٤٠٠ ق.م .) ، وان تأريخ
المدينة ومعبدها يرجع الى الفترة الواقعة بين القرن السادس والقرن الخامس قبل
الميلاد^٢ .

وقد تبين من بعض الكتابات ان (كبير) (كبر) (مذب) (مذاب) كان من آل
(رمي) (رامي) . وكان يقسم في الموضع المسمى بـ (جعدة) في الزمن
الحاضر . وكان يملك جزءاً كبيراً من (وادي عمد) ، وله بشر في المدينة تتصل
بصهرج مدرج يخزن فيه الماء ، تعرف بـ (شعبت) (شعبة) (شعبات) .
ومن قبائل هذا الموضع : (عقم) (عغن) (عقان) ، و (كرب) (جرب) ،
و (يرن) (يارن)^٣ .

وقد تبين من فحص مواضع من جدران معبد (سين) ان الحجارة التي
استعملت في اقامته كانت قد قلدت من الصخر، ونحت لتتسجم بعضها مع بعض ،
وقد ربط بعضها الى بعض حتى لا تنفصل بسهولة . وتبين ان قاعة المعبد كانت
فيها أعمدة تحمل سقفها ، وربما كانت قاعة كبيرة فسيحة تتسع لعدد كبير
من المؤمنين المتقين الذين يؤمنونها للتعبد والتقرب الى الإله في معبده هذا .

وعثر في الأماكن التي حفرت على أدوات من الخزف ، وعلى مباخر وقلائد
ومسايح صنعت حباتها من الحجر والخرز ، وعلى أختام خفيفة من النوع المعروف
عند الفرس بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد . ويرى بعض الباحثين أن

G. Caton Thompson, The Tombs and Moon Temple of Hureidah,
Reports of the Research Committee of the Socie. of Antiquities in
London, Num. XIII, London, 1944, Le Muséon, LX, 1-2, 1947, P. 71.

Caton Thompson, P. 44, Beiträge, S. 128.

Beiträge, S., 128, Caton Thompson, P. 9, 10.

تأريخ (مذاب) ومعبدها يعود الى الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن الثالث قبل الميلاد^١.

وقد ذهب بعض من درس معبد (مذاب) الى أن حضارة حضرموت وحضارة بقية العربية الجنوبية القديمة كانت قد تأثرت بالمؤثرات الحضارية العراقية في بادئ الأمر ، وذلك في أيام المكربين ، ولكن تلك الحضارة كانت متماسكة وذات طابع خاص ، أخذ من ظروف العربية الجنوبية ، غير أنها أخذت تبتعد من بعد عن المؤثرات الحضارية العراقية منذ القرن الأول قبل الميلاد فما بعده ، وتتقرب من مؤثرات حوض البحر المتوسط والمؤثرات الإيرانية ، وذلك نتيجة اتصال الروم والرومان والفرس بالعربية الجنوبية ، فظهرت حضارة عربية جنوبية جميلة وأبنية حديثة ، إلا أنها لم تكن في متانة الحضارة العربية الجنوبية القديمة وقوتها، وليست لها تلك الشخصية التي أسبغها الفنان العربي القديم في القرون السابقة للميلاد على أبنيته ، فلذبت بذلك العناصر العربية الجنوبية الأصيلة ، وتراجعت ، وطمح عنصر التجديد أو التقليد البعيد على تلك الشخصية العربية القديمة في هذه البقاع^٢.

ومن مواضع حضرموت ، موضع عرف في الكتابات باسم (مشور) ، وقد اشتهر بمعبد المسمى (سن ذ مشور) ، أي (سين رب مشور) ، وفي مكانه في الزمن الجاضر خرائب عادية تعرف باسم (صونة) و ب (حدية الفصن). وقد عثر فيه على كتابات ورد فيها اسم هذا المعبد ، كما عثر فيه على حجارة مزخرفة نقش عليها صور حيوانات نقشت بصورة تدل على فن وبراعة واتقان. ويرى بعض الباحثين أن هذه الزخارف تشبه الزخارف التي عثر عليها في معبد (حقه) (حقة) ، ويقدر عمرها بحوالي القرن الثالث قبل الميلاد^٣.

وفي أرض حضرموت مواضع قديمة حضرمية وسبئية ينسبها الناس اليوم الى (عاد) (وثمود) . ففي ملتقى (وادي منوة) بوادي ثقبه صخور مهيمنة على الوادي، وقد نقرت لتكون ملاجئ ومواضع للسكنى وربما جعلت ملاجئ للجنود يختبئون فيها ليهاجموا منها الأعداء الذين يخترقون الوادي وليرموهم بالسهم

١ ايضا هويك ، سنوات في اليمن وحضرموت ، تعريب خيرى حماد ، (بيروت ١٩٦٢) (ص ٢٧٠) .

٢ Beiträge, S., 128.

٣ Beiträge, S., 135.

والحجارة . وعلى المرتفعات بقايا بيوت ومساكن ، يظهر أنها كانت قرى أهلة قبل الاسلام ، وعلى واجهة الوادي الصخرية كتابات دونت بلون أحمر ، ظهر للسياح الذين رأوها أنها كتابات سبئية ، وأنها أسماء أشخاص ، لعلها أسماء الجنود أو المسافرين الذين اجتازوا هذا المضيق^١ .

وفي موضع (غيون) على مقربة من (المشهد) خرائب يرى أهلها أنها من آثار (عاد) . ويظن الآثاريون الذين رأوها أنها من بقايا مدينة (حميرية) . وقد وجدوا فيها فخاراً وزجاجاً قديماً وحجارة مكتوبة ، وعلى مقربة منها موضع يقال له (مقابر الملوك)^٢ . ونظراً إلى أنها في موقع حضرمي ، يقع بين (القعيطي) و (الكثيري) (آل كثير) في الزمن الحاضر ، فلا أستبعد أن يكون من القرى أو المدن الحضرمية .

وعلى مقربة من (تريم) خرائب جاهلية أيضاً ، ينسبها الناس إلى عاد . وهي من آثار معبد ، وطريق كان معبداً يوصل إليه . وقد بني هذا المعبد على قمة تل وعنده آثار بيت وأحجار متناثرة قدت من الحجر ، عليها مادة بناء توضع بين الأحجار لتشد بعضها إلى بعض^٣ .

وعند موضع (سون) (سونة) (سونه) خرائب تسمى (حدة الفصن) تشبه خرائب (غيون) ، هي عبارة عن بقايا أبنية لعلها كانت قرى أو مدناً حجارته متناثرة على سطح الأرض . ولا تزال بعض الأسس على وضعها ، ترشد إلى معالمها . وقبل هذه الخرائب بقايا جدار كان متصلاً بجاني واد ، يظهر أنه من بقايا سد بني في هذا المكان لحبس السيول والأمطار ، للاستفادة منها عند انحباس المطر^٤ .

وفي حضرموت موضع آثار ي ، يسمى (حصن عر) ، وهو بقية حصن جاهلي ، لعله من حصون ملوك حضرموت ، يظهر أنه أسس في هذا المكان لحماية المنطقة من الغزاة ولحفظ الأمن فيها . وقد كان الحصن عالياً مرتفعاً فوق

Van Der Muelen and Von Wissmann, Hadramaut, Some of its Mysteries Unveiled, Lelden, 1964, P. 57.

Hadramaut, PP. 83, Beiträge, S. 130.

Hadramaut, P. 139.

Hadramaut, P. 145.

تل ، ولا تزال بقايا بعض جدرانها وأوارده ترتفع في الفضاء زهاء خمسين قدماً .
وهناك بقايا أبنية ومعالم طريق ضيقة توصل الى ذلك الحصن الذي لا نعرف اسمه
القديم^١ .

وقد تمكن (فان دير مويلن) Van Der Meulen و (فون وزمن)
H. Von Wissmann من زيارة مواضع أثرية أخرى في حضرموت ، مثل (المكنون)
El-Mekenun ، و (ثوبة) و (العرّ) وتقع آثار (مكنون) (المكنون)
على مقربة من (السوم) . وهناك أرض مكشوفة يزعم المجاورون لها أنها أرض
(عاد)^٢ .

أما (ثوبة) أو (حصن ثوبة) ، فإنه بقايا أبنية على قمة تل ، يظهر أنه
كان في الأصل حصناً لحماية المنطقة من الغزاة ولمنع الأعداء من الوصول الى قرى
مدن المنطقة ومدنها أو اجتياز الأودية للاتجاه نحو الجنوب . ولا تزال بقايا جدر
الحصن مرتفعة عن سطح الأرض . وأما (العرّ) ، فهو موضع حصن قديم
أيضاً بني لسكنى الجنود الذين يدافعون عن الأرضين التي بنيت فيها^٣ .

يظهر من آثار الحصون والقلاع الباقية في حضرموت أن مملكة حضرموت
كانت قد حصنت حدودها ، وحمتها بحاميات عسكرية أقامت على طول الحدود
لحمايتها من الطامعين فيها ولحماية الأمن الداخلي أيضاً . وقد أقيمت هذه الحصون
في مواقع ذات أهمية من الوجهة العسكرية ، على تلال وقمم جبال ومرتفعات
تشرف على السهول ومضائق الأودية حيث يكون في متناول الجنود إصابة العدو
وانزال الحسائر به . وهذه التحصينات دافعوا عن حدود بلادهم .

ويعد ميناء (سمهرم) المعروف بـ (خور رورى) ، وهو في (ظفار)
عمان من الموانئ المعروفة التي كانت في القرن الأول للميلاد . ويرى بعض
الباحثين أن مؤسسيه هم من الحضارمة ، ولذلك كان من موانئ مملكة حضرموت .
وقد عثرت البعثة الأمريكية لدراسة الانسان على بقايا خزف ، تبين لها من فحصه
أنه مستورد من موانئ البحر المتوسط في القرن الأول للميلاد . ووجوده في هذا

Hadramaut, P. 153. ١

Hadramaut, P. 173. ٢

Hadramaut, P. 174. ٣

The American Foundation for the Study of Man. ٤

المكان يشير بالطبع الى الاتصال التجاري الذي كان بين العربية الجنوبية وسكان البحر المتوسط في ذلك العهد^١.

قوائم حكام حضرموت

قائمة هومل :

صدق آل (صدق ايل) ، (صديق ايل) ، وكان معاصراً للملك (أب يدع يثع) (أبيدع يثع) ، ملك معين .
شهرم علن (شهر علن) ، (شهر علان) ، وهو ابن (صدق آل) .
معد يكرب (معدي كرب) .

.....

سمه يفع (سمهو يفع) (سمهيفع) ، ولا نعرف اسم والده .
يدع آل بين (يدع ايل بين) ، وقد ورد اسمه مع اسم (السمع ذ بين بن ملك كرب (السمع ذبيان بن ملكيكرب) على انها ملكا حضرموت .
امينم (أمينم) ، (أمين) .

يدع أب غيلن (يدع أب غيلان) .
يدع آل بين (يدع ايل بين) ، Glaser 1623 .

.....

يدع أب غيلن (يدع أب غيلان) .
العز يلط .

.....

يدع أب غيلن (يدع أب غيلان) .

.....

BOASOOR, Num. 160, (1960), P. 15.

سلفن (سلفان) ، أو (علهان) (الهان) .
العز يلط : حكم حوالي سنة (٢٩) بعد الميلاد .

.....

رب شمس (ربشمس) .
يدع آل بين .

.....

نهاية حكومة حضرموت ، وقد كانت في حوالي سنة (٣٠٠) بعد الميلاد ،
في ايام (شمر يهرعش) .

المكربون :

أب يزع (أب يزع) .
حي آل (حي ايل) ، (حيو ايل) .

قائمة (فلي) :

- ١ - صدق آل (صديق ايل) ، ملك حضرموت ومعين . وقد حكم على تقديره في حوالي سنة (١٠٢٠) قبل الميلاد .
- ٢ - شمر علن بن صدق آل (شهر علان بن صدق ايل) ، وقد تولى الحكم في حوالي سنة (١٠٠٠) قبل الميلاد .
- ٣ - معد يكر ب بن اليفع يثع ملك معين ، وقد تولى الحكم في حوالي سنة ٩٨٠ قبل الميلاد .

ويرى (فلي) ان (حضرموت) ألحقت بعد (معد يكر ب) بمملكة معين ، وقد ظلت تابعة لها الى حوالي سنة (٦٥٠) قبل الميلاد .

- ٤ - السمع ذ بين بن ملك كرب (السمع ذبيان بن ملكي كرب) (السمع ذبيان بن ملكيكر ب) .

- ٥ - يدع آل بين بن سمه يفع (يدع ايل بين سمهيفع) ، وقد حكما من سنة (٦٥٠) الى سنة (٥٩٠) قبل الميلاد .

- ومنذ سنة (٥٩٠) قبل الميلاد ، أصبحت حضرموت على رأي (فلبى) جزءاً من قتبان أو سبأ حتى سنة (١٨٠) قبل الميلاد .
- ٦ - يدع آل بين بن رب شمس (يدع ايل بين بن ربشمس) . وهو مؤسس أسرة ملكية جديدة في العاصمة (شبو) . وقد حكم في حدود سنة (١٨٠) قبل الميلاد .
- ٧ - اليفع ريم بن يدع آل بين (اليفع ريام بن يدع ايل بين) . وقد حكم في حوالى سنة (١٦٠) قبل الميلاد .
- ٨ - يدع أب غيلان بن يدع آل بين (يدع أب غيلان بن يدع ايل بين) . وقد حكم في حوالى سنة (١٤٠) قبل الميلاد .
- ٩ - العز بن يدع اب غيلان (العز بن يدع أب غيلان) وشقيق (امين) (امين) . وقد حكم في حوالى سنة ١٢٠ قبل الميلاد .
- ١٠ - يدع أب غيلان بن امين (يدع أب غيلان بن أمين) ، وقد حكم في حوالى سنة (١٠٠) قبل الميلاد .
- ١١ - يدع آل بين بن يدع أب غيلان (يدع ايل بين بن يدع أب غيلان) . وحكم في حوالى سنة (٨٠) قبل الميلاد . وترك (فلبى) فجوة لم يعرف من حكم فيها جعلها بين سنة (٦٠) وسنة (٣٥) قبل الميلاد .
- ١٢ - عم ذخر (عمذخر) ولم يرد في الكتابات اسم أبيه . وقد حكم في حوالى سنة (٣٥) قبل الميلاد . وربما لم يتول الحكم .
- ١٣ - العزيط بن عم ذخر . وقد حكم في قرابة سنة (١٥٠) قبل الميلاد .
- ١٤ - الهان (علهان) أو (سلفان) بن العزيط . وقد حكم في حدود سنة (٥) بعد الميلاد .
- ١٥ - العزيط بن الهان (علهان) أو (سلفان) . وقد حكم من سنة (٢٥) الى سنة ٦٥ بعد الميلاد . وهو الملك Eleazos الذي ذكره مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأيرتري) .
- ١٦ - أب يزع (أبيزع) (أبيع) (أب يسع) . وكان مكرباً . من المحتمل أنه حكم في حوالى سنة (٦٥) بعد الميلاد .
- ١٧ - يرعش بن أب يزع . ربما حكم في حوالى سنة (٨٥) بعد الميلاد .

١٨ - علهان (الهان) (١٠٥ - ١٢٥) بعد الميلاد ؟.

ويرى (فليبي) أنه منذ سنة (١٢٥) حتى سنة (٢٩٠) بعد الميلاد ، كان الوضع غامضاً في حضرموت ، فلا نعرف من حكم فيها . أكان يحكمها (مكربون) أم كانت تحت حكم مملكة (سبأ وذو ريدان) ؟ . غير أنها خضعت نهائياً في سنة (٢٩٠) بعد الميلاد لحكم ملوك (سبأ وذو ريدان) فصاروا يعرفون لذلك منذ هذا العهد بـ (ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت) .

قائمة (البرايت) :

يدع آل (يدع ايل) ، وكان معاصراً للملك (كرب آل وتر) ، ملك سبأ . وقد حكم على رأيه في حوالي سنة (٤٥٠) قبل الميلاد .

.....

صدق آل (صديق ايل) ملك حضرموت ومعين . وقد حكم في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد .

شهر علن بن صدق آل .

معد يكرب بن اليفع يثع ملك معين .

.....

غيلن (غيلان) .

يدع أب غيلن (يدع أب غيلان) . يحتمل على رأي (البرايت) أن يكون هو الذي حالف علهان نهفان ملك سبأ . وقد حكم في حوالي سنة (٥٠) قبل الميلاد .

العزبيلط الأول ، وكان معاصراً للملك (شعرم أوتر) ملك سبأ وذو ريدان . وقد حكم في حوالي سنة (٢٥) قبل الميلاد . وربما كان هو (العز بن عم ذخري) .

العزبيلط الثاني ، وكان معاصراً للملك (ثارن يعب يهنعم) ملك سبأ وذو ريدان . وكان والده (سلفن) (سلفان) أو (علهان) . ويجوز أن يكون هو الملك Eleazos الذي ذكره مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) .

.....

يدع اب غيلن بن امينم (يدع أب غيلان بن أمينم) .

يدع آل بين بن يدع اب غيلان (يدع ايل بين بن يدع أب غيلان) ،
• Glaser 1623 و Ryckmans 169

.....

يدع آل بين بن سمه يفع .
السمع ذ بين بن ملك كرب (السمع ذبيان بن ملكي كرب) .

.....

رب شمس .
يدع آل بين (يدع ايل بين) .
الريم يدم (الريام يدم) .
يدع أب غيلان (يدع أب غيلان) .

الفصل الحادي والعشرون

حكومة قتبان

وعاصرت مملكة معين مملكة عربية جنوبية أخرى ، هي حكومة (قتبان) . وقد وجد اسمها في كتابات عديدة قتبانية وغير قتبانية ، وهي التي أمدتنا بأكثر علمنا بحكومة قتبان ، كما أشار بعض الكتبة (الكلاسيكيين) مثل (ثيوفراستس) «Theophrastus» (حوالي ٣١٢ ق. م)^١ و (سترابو)^٢ و (بلينيوس)^٣ ، وغيرهم الى القتبانيين ، فذكرهم (ثيوفراستس) بعد (سبأ) و (حضرموت) «Hadramyta» ، وأطلق على أرضهم «Kittibaina» = «Kattabaina» ، وذكر بعدهم أرضاً سماها (ممالي) «Mamali»^٤ وهو اسم لا نعرف من أمره شيئاً ، إلا أن (كلاسر) يرى أنه (ممالي كومة) «Mamali Kome» ، وهو موضع ورد في جغرافيا (بطليموس) ، ويقع في نظره على ساحل (تهامة) ، وقد يكون عند موضع (مأملة) شمال وادي (تنداحة)^٥ .

ويظهر من جغرافيا (سترابون) نقلاً عن رواية (ايراتوستينس) (١٩٤ ق.م)

-
- | | |
|---|---|
| Theophrastus, Enquiry into Plants, Translated by A. F. Hort | ١ |
| (Loeb) Lebrary), Vol., II, P. 235, (IX, VI, 2-4). | |
| Strabo, XVI, 768. | ٢ |
| Pliny, V, 85. | ٣ |
| Theophrastus, Vol., II, P. 235. | ٤ |
| Glaser, Skizze, II, S., 3. | ٥ |

ان القتبانيين كانوا يقطنون في الأقسام الغربية من العربية الجنوبية ، وفي جنوب السبئيين وفي جنوبهم الغربي ، وقد امتدت منازلهم حتى بلغت (باب المندب)^١ . وذكر (ياقوت الحموي) أن (قتبان) موضع في نواحي (عدن)^٢ . ويعد



تمثال مصنوع من البرنز ، عثر عليه على مقربة من (تمنع)
من كتاب Qataban and Sheba صفحة (١٨١)

١ Ency., Vol., 2, P. 810.

٢ البلدان (٣٣/٧) .

(وادي بيحان) من صميم أرض قتبان ، ويقع شمال الجهة الغربية من (عدن)^١ .
 وكان يجاوز القتبانيين شعب آخر سماه (بلينيوس) (كبانيتيه) «Gebanitae»^٢ .
 وذكر أن الشعبين المذكورين هما من شعوب (لارنديني) (Larendani)
 وكانا يقطنان في مدن عديدة كبيرة^٣ .

وقد أطلق (سترابو) اسم «Kastabaneis» على مملكة قتبان^٤ . أما
 (بلينيوس) ، فسماها (Catabanes) = (Catabani)^٥ .

ولا نجد في الكتب العربية شيئاً يستحق الذكر عن قتبان، والظاهر أن أخبارهم
 قد انقطعت قبل ظهور الإسلام بزمان ، فلم نجد لهم من أجل هذا شيئاً في أخبار
 الجاهلية القريبة من الإسلام ، وكل ما ورد عنهم أنهم من قبائل حمير ، وإن هناك
 موضعاً في عدن يقال له (قتبان)^٦ ، سمي بقتبان بطن من رعين من حمير ،
 أو بقتبان بن ردمان بن وائل بن الغوث^٧ ، مع أنه لا صلة في النسب بين حمير
 وقتبان في النصوص القتبانية أو الحميرية . وعندني أن هذا النسب إنما وقع بسبب
 ضعف (قتبان) التي اندمجت بعد فقد استقلالها في حكومة سبأ (سبأ وذي ريدان)
 وهي الحكومة التي يطلق عليها المؤرخون اسم (حمير) ، وبسبب كون (حمير)
 القبيلة الرئيسية في اليمن عند ظهور الإسلام ، وكان لها حكومة قاومت الأحباش
 وتركت أثراً في القصص العربي ، وفي قصة الشهداء النصاري الذين ستحدث
 عنهم ، لذلك عدت معظم القبائل التي كانت خاضعة لها من حمير ، ونسبت إليها ،
 وفي جملتها قتبان .

وقد دون اسم (قتبان) في الترجمة العربية لكتاب (حني «تاريخ العرب»

BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 7.

Pliny, VI, 153.

Pliny, 6, 32, (28), O'Leary, P. 108.

O'Leary, P. 96, Strabo, 16, 4, 2.

O'Leary, P. 96.

١ « وكتبان بالكسر بعدن » ، القاموس (١١٤/١) ، تاج العروس (٤٣١/١) ،
 « وفي المراسد أنه بعدن ، تبعاً للبكري ، ويقال إن الموضع سمي بقتبان » .
 ٢ « وكتبان بالكسر ، بطن من رعين من حمير . كذا في كتب الأنساب ، وهو قول
 الدارقطني ، ويرده قول ابن الحباب ، فإنه ذكر في قبائل حمير ، قتبان بن
 ردمان بن وائل بن الغوث ، إلا أن يكون في رعين قتبان آخر » ، تاج العروس
 (٤٣١/١) .

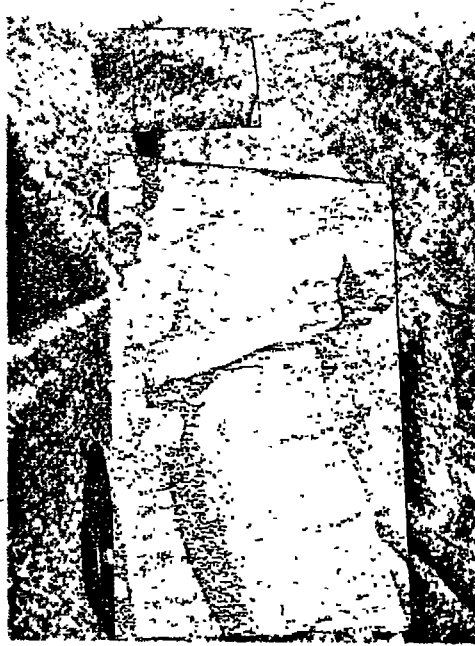
(History of the Arabs) على هذا الشكل : (قطبان)^١ ، كما دون بهذه الصورة أيضاً في عدد من الترجمات لكتب غربية ظهرت حديثاً، وهو خطأ بالبداية فان النصوص العربية الجنوبية قد كتبت الاسم بالتاء (ق ت ب ن) ، كما ان الكتب العربية قد ضبطت الاسم (ق ت ب ن) ، ويظهر ان مترجمي الكتاب والكتب الأخرى قد حسبوا ان هذا الاسم أعجمي ، ولا سيما بعد تردده في الكتب (الكلاسيكية) ، فحاولوا جعله عربياً ، فصيروه (التاء) (طاء) فصارت (ق ت ب ن) الواردة في كتابات المسند وفي الكتب العربية (قطبان) . وهي هفوة لم أكن أرغب في الإشارة اليها في متن هذا الكتاب ، لولا حرصني على صحة الأشياء لثلا يخطيء من لا علم له بهذه الأمور من القراء ، أو الباحثين فيأخذها على الصورة التي دونت بها في هذه الترجمات .

والكتابات القتبانية تشارك الكتابات العربية الجنوبية الأخرى في ان غالبها قد كتب في أغراض شخصية ، فهي لا تفيد المؤرخ في استخراج تأريخ منها . فهي في اصلاح أرض ، أو شراء ملك ، أو تعمير دار أو نذر ، وما شابه . غير اننا نرى في الذي وصل الينا منها انه يمتاز عن غيره من الكتابات العربية الجنوبية بكثرة ما ورد فيه من نصوص رسمية تتعلق بالضرائب أو القوانين أو التجارة ، بالقياس إلى ما ورد من مثله في الكتابات المعينية أو الحضرمية أو السبئية . وهي تشارك الكتابات الأخرى أيضاً في خلوها من صيغة المتكلم أو المخاطب واقتصارها على صيغة الغائب ، وتشاركها أيضاً في خلوها من نصوص أدبية من شعر أو نثر ، ومن نصوص دينية من أدعية وصلوات . وهو أمر يبدو غريباً ، ولكننا لا نستطيع أن نحكم حكماً قطعياً في مثل هذا ، فإ وصل الينا قليل ، وما لم يصل الينا كثير ، والحكم بيد المستقبل .

ويعود الفضل الى السياح ، وعلى رأسهم (كلاسر) ، في حصول علماء العربيات الجنوبية على أخبارهم عن مملكة قتبان ، فقد كانت الكتابات التي حصل عليها في رحلته الى اليمن في سفره الرابع (١٨٩٢ - ١٨٩٤ م) أول كتابات

١ تاريخ العرب « المطول » ، بقلم : الدكتور فيليب حتي والدكتور أدور جرجي والدكتور جبرائيل جبور ، الجزء الاول ١٩٤٩ م ، (ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ومواضع أخرى) .

قبتانية تصل الى أوروبا^١ . وقد ذهب (هومل) في دراسته لها الى أنها تعود الى زهاء ألف سنة قبل الميلاد ، القرن الثاني قبل الميلاد ، وهو الزمن الذي انقرضت فيه مملكة قتيان على رأيه . وقد جمع منها اسم ثمانية عشر ملكاً ،



تمثال من البرنز مثر عليه في معبد اوام مارب
من كتاب Qataban and Sheba (الصفحة ٢٧٦)

حكموا المملكة^٢ . وأفادتنا دراسات (نيكولاولس رودوكناكس)
(Ditlef Nielsen) و^٣ (Nikolaus Rhodokanakis) و (دتلف نيلسن)
للكتابات القتبانية فائدة كبيرة في كتابة تاريخ قتيان^٤ .

وقد ذهبت بعثة أمريكية علمية في عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ م مؤلفة من طائفة

Ency., Vol., 2, P. 813. ١

Ency., Vol., 2, P. 813, Hommel, Grundriss, I, S., 139. ٢

Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft, in Zwei Fefte, Wien, 1922. ٣

Ditlef Niesen, in MVAG., 1906, XI-IV, Neue Katabanische Inschriften. ٤

من المتخصصين الى (وادي بيحان) للتنقيب عن الآثار هناك ، فزارت (تمنع)
المدينة القتبانية القديمة ، وعاصمة المملكة وبعض المواضع القريبة منها ^١ . وسوف
يكون للنتائج التي تتوصل اليها بعد دراستها دراسة علمية كافية ، أهمية كبيرة
في توجيه تأريخ العرب قبل الإسلام ^٢ .

وقد تبين من دراسة الكتابات القتبانية ان لهجتها أقرب الى اللهجة المعينية منها
الى اللهجة السبئية ^٣ ، فهي تشترك مع المعينية مثلاً في اضافة السين الى أول الفعل
الأصلي بدلاً من الهاء الذي يلحق أول الفعل الأصلي في السبئية ، ويقابل هذا في
عربيتنا (أفعل) مثل (سحدث) في المعينية والقتبانية ، و (هحدث) في
السبئية ^٤ ، وفي أمور أخرى ترد في نحو اللهجات العربية الجنوبية .

وقد حاول الباحثون في العربيات الجنوبية وضع تقويم لحكومة قتبان ، غير
انهم لم يتفقوا حتى الآن في تعيين مبدأ أو نهاية لهذه المملكة . ولما كانت هذه
الحكومة قد عاصرت - كما جاء في الكتابات المعينية والسبئية - حكومة معين
وحكومة سبأ ، فقد توقف تعيين تأريخ قتبان أيضاً على تثبيت تأريخ هاتين
الحكومتين وعلى البحوث (الأركيولوجية) والكتابات . وقد رجع (هومل)
تأريخها الى ما قبل سنة (١٠٠٠) قبل الميلاد ، ووضع (البرايت) تأريخ
(هوف عم يهنعم) وهو من قدماء (المكربين) في القرن السادس قبل

١ وضع منهج هذه البعثة ونظمها « وندل فيليبس » ، « Windell Phillips »
رئيس المؤسسة الأمريكية للبحث عن الانسان :
« American Foundation for the Study of Man ».

راجع وصف الرحلة ورجالها في :
BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 5, Windell Phillips,
Qataban and Sheba, London, 1955.

٢ راجع بحث « البرايت » عن سني حكم ملوك قتبان ومعين وسبأ وحضرموت في :
W. F. Albright, The Chronology of Ancient South Arabian
in the Light of the first Campaign of Excavation in Qataban,
Baltimore, 1950.

O'leary, P. 96. ٣

٤ غويدي ، المختصر (ص ٧) ،
Marla Hofner, Altsudarabische Grammatik, S., 34.

الميلاد^١ . وهو يلي (سمه علي) في الترتيب . و (سمه علي) هو أقدم (مكرب) يصل خبره إلينا ، وقد رجع (فليبي) أيامه إلى حوالي سنة ٨٦٥ قبل الميلاد^٢ . وذهب (ملاكر) إلى أن ابتداء حكم (قتبان) كان في حوالي سنة (٦٤٥ ق.م.) وأن نهاية استقلالها كان في القرن الثالث قبل الميلاد^٣ .

ومن علماء العربيات الجنوبية الذين عنوا بتبويب أسماء حكام (قتبان) وتصنيفها تصنيفاً زمنياً ، (كروهن)^٤ ، و (دتلف نلسن)^٥ ، و (ويدر)^٦ ، و (هارتمن)^٧ و (البرايت)^٨ ، و (فليبي)^٩ ، وغيرهم ، ويختلف هؤلاء في كثير من الأمور : يختلفون في مبدأ قيام قتبان ، وفي ترتيب الملوك وفي مدد حكمهم ، كما يختلفون في نهاية هذه الحكومة . فبينما يرى (كلاسر) أن نهاية هذه الدولة كانت بين (٢٠٠) و (٢٤٠ ق.م.) وربما كان قبل ذلك^{١٠} ، يرى غيره أن هذه النهاية كانت بعد الميلاد ، وربما كان في حوالي سنة (٢٠٠) بعد ميلاد المسيح^{١١} . ويرى (البرايت) أن نهايتها كانت على أثر خراب مدينة (تمنع) واحراقها كما يتبين ذلك من طبقات الرماد الكثيفة التي عثر عليها في انقاضها ، وكان ذلك في حوالي سنة (٥٠ ق.م.)^{١٢} . وقد ذهب (ريكمنس) أن نهاية مملكة (قتبان) كانت في حوالي السنة (٢١٠) أو (٢٠٧) للميلاد .

-
- | | |
|---|--------|
| BOASOOR, Num. 119, (1950), P. 11. | ١ |
| Background, P. 143. | ٢ |
| Malaker, Die Hierodulenlisten von Ma'in nebst untersuchungen zur
altsudarabischen Rechtsgeschichte und Chronologie, Leipzig, 1943, | ٣ |
| Albright, The Chronology, P. 3. | |
| Grohmann, Über Katabanische Herrscherreihen, in :
Anzeiger der Wiener Akad., X., 1916, S., 42. | ٤ |
| Ditlef Nielsen, Katabanische Texte, I, S., 26, II, S., 98,
Handbuch, I, S., 98. | ٥ |
| Weber, Studien, S., 9. | ٦ |
| M. Hartmann, Die Arabische Frage in Der Islamische
Orient, Bd., II, S., 165, 601, Leipzig, 1909. | ٧ |
| BOASOOR, Num. 119, (1950), P. II, The Chronology,
Background, P. 143. | ٨
٩ |
| Glaser, Die Abassiner in Arabien und Afrika, S., 114. | ١٠ |
| Ency., II, P. 809. | ١١ |
| BOASOOR. Num. 119, (1950), P. 5 | ١٢ |

أما (فور ورم) ، فذهب الى أن نهايتها كانت في حوالي السنة (١٤٠) أو (١٤٦) بعد الميلاد .

والرأي عندي ان الوقت لم يحن بعد للحكم بأن المكرب الفلاني أو الملك الفلاني قد حكم في سنة كذا أو قبل هذا أو ذاك ، لأننا لا نزال نطمع في العثور على أخبار حكام لم تصل أسماؤهم الينا ، لعلها لا تزال في بطن الأرض ، كما ان ما عثر عليه من كتابات لا يبعث أيضاً على الاطمئنان ، فانها لا تزال قليلة ، وقد وردت فيها بعض أسماء للحكام بدون نعوت ، تهشت نعوتها ، أو سقط قسم منها ، ووردت في بعض الكتابات كاملة مع نعوتها ، ووردت في بعض آخر مع نعوتها ، غير انها لم تذكر اللقب الذي كان يلقب به أبو الملك أو ابنه ، فأحدث ذلك ارتباكاً عند الباحثين بسبب زيادة في العدد أو نقصاناً ، وأحدث خطأ في رد نسب بعضهم الى بعض . لهذه الأسباب أرى التريث وعدم التسرع في اصدار مثل هذه الأحكام .

وأرى ان خير ما يستطيع عمله في الزمن الحاضر هو جمع كل ما يمكن جمعه من أسماء حكام قتيان على أساس الصلة والقرابة وذلك بأن يضم الأبناء والأخوة الى الآباء ، على هيئة جمهرات ، ثم تدرس علاقة هذه الجمهرات بعضها ببعض ، وترتب على أساس دراسات نماذج الخطوط التي وردت فيها أسماء الحكام ، وطبيعة الأحجار التي حفرت الحروف عليها ، والأمكنة التي وجدت فيها ، أكانت من سطح الأرض أم بعيدة عنه ، وأمثال ذلك لتكون أحكامنا منطقية علمية تستند الى دليل . ولانقضاء ذلك ، أصبحت القوائم التي وضعها علماء العربيات الجنوبية لحكام قتيان أو حضرموت أو معين ، قوائم غير مستقرة في نظري ، ومن أجل ذلك لا أميل الى ترجيح بعضها على بعض ما دامت غير مبنية على الأسس التي ذكرتها ، ولا يمكن أن تبنى على هذه الأسس ما دامت البعثات العلمية غير متمكنة من القيام بحفريات علمية منظمة عميقة ، تدرس طبقات التربة وما يعثر عليه ، دراسات آثرية دقيقة من كل الوجوه .

واني اذ أذكر حكام قتيان ، لا أتبع في ذلك قائمة معينة ، لأنني لا أرى انها قد رتب ترتيباً تاريخياً يطمئن اليه ، ولا أستطيع أن أخطيء أحداً في الأسلوب

الذي اتبعه في ترتيبه . وسبيلي أن أذكر المكربين ثم الملوك ، وإن أشير بعد ذلك الى الكتابات المدونة في أيامهم وما ورد فيها من أمور . فاذا قدمت أو أخرت فانما أسير برأيي الخاص ، لا أتبع رأي أحد من الباحثين الذين عنوا بترتيب أسماء حكام قتيان . وقد رجحت ذكر بعض قوائمهم ، ليطلع عليها القراء ، وليروا ما فيها من مطابقات ومفارقات .

حكام قتيان :

وجد من دراسة الكتابات القتيانية أن حكام قتيان الأول كانوا يلقبون أنفسهم باللقب الذي تلقب به حكام (سبأ) الأول نفسه وهو لقب (مكرب) . وترجم هذه الكلمة بكلمة (مقرب) في لهجتنا ، وتعبر (كرب) (قرب) عن التقرب الى الآلهة . فالمكرب هو المقرب الى الآلهة والشفيع اليها والواسطة بينها وبين الانسان . وهو كناية عن الكاهن الحاكم الذي يحكم باسم الآلهة التي يتحدث باسمها وتقابل (بانيسي) (Patesi) في الأكادية و (اشاكو) (Ischschakku) في الآشورية^١ .

وقد كان هؤلاء المكربون يحكمون في مجامعهم وطوائفهم حكماً يشبه حكم (قضاة بني اسرائيل) . فلما توسع سلطان (المكرب) ، وتجاوز حدود المعبد ، ولم يعد حكماً دينياً فقط ، بل انصرف الحكم الى خارج المعبد ، وصار حكماً زمنياً ، لقب نفسه بلقب (ملك) ، ومن هنا صارت طبقة الملوك متأخرة بالنسبة الى طبقة المكربين^٢ ، أي أن المكربين هم أقدم من الملوك .

ومن قدماء مكربي قتيان - على رأي أكثر علماء العرييات الجنوبية - المكرب (سمه علي وتر) ، وابنه (هوف عم يهنعم) . وقد عثر على كتابات من أيام (سمه علي وتر) كتبت بشكل حلزوني يبدأ السطر منها من جهة اليمين الى جهة اليسار ثم يبدأ السطر الثاني من جهة اليسار وينتهي في جهة اليمين ، وهكذا . فقارء الكتابة يقرأ السطر الأول من اليمين على نحو ما نقرأ في العربية ، غير أنه يقرأ

Handbuch, I, S., 86, Montgomery, Arabia, P. 137, 143.

Background, P. 60.

السطر الثاني من جهة اليسار متجهاً نحو اليمين ، أي على طريقة الكتابة اللاتينية ، ويقال لهذا النوع من الكتابات في الانكليزية (Boustrophedon Inscriptins) ^١ وتعد في نظر علماء الخط والآثار أقدم عهداً من الكتابات الأخرى التي تسير على نسق واحد من اليمين الى اليسار ، أو من اليسار الى اليمين . ويرى (ألبرايت) أن هذا المكرب قد حكم في القرن السادس قبل الميلاد^٢ . وجعله (فليبي) في حوالي سنة (٨٤٥ ق. م.)^٣ .

ولم يذكر (فليبي) في قائمته التي صنعها ووضعها في ذيل كتابه (سناد الإسلام) اسم والد المكرب (سمه علي) ، ولا كنيته^٤ ، ولم يذكر (ألبرايت) في القائمة التي ألفها لحكام (قتبان) اسم والده أيضاً^٥ ، غير أن هنالك نصاً قتبانياً ورد فيه (هوف عم يهنعم بن سمه علي وتر ، مكرب قتبان ، بن عم) ^٦ . و(سمه علي) في هذا النص ، هو هذا المكرب الذي نتحدث عنه ، ووالده اذن هو (عم) وقد سقط لقبه من النص بسبب كسر أو تلف حدث في الكتابة ، لأن من عادة ملوك العرب الجنوبيين اتخاذ الألقاب .

وقد وصلت الينا كتابات قتبانية ، ورد فيها ذكر (هوف عم يهنعم) ، (هوفعم يهنعم) ، منها الكتابات التي وسمت بـ (Glaser 1117, 1121, 1333, 1344, 1345) والكتابتان (Glaser 1339) و (Glaser 1343) ، وهما من الكتابات المزبورة على الطريقة الحلزونية (Boustrphedon Inscription) .

وجاء بعد (هوف عم يهنعم) في قائمة (فليبي) ، اسم (شهر يجل يهرجب) (شهر بكل يهركب) ^٧ ، وهو ابن (هوف عم يهنعم) ، وقد جعله ملكاً ، حكم على رأيه في حوالي سنة (٨٢٥ ق. م.) ، وذكر انه فتح

١ Ency. Brita., Vol., 3, P. 972.

٢ BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. 11.

٣ Background, P. 143.

٤ Background, P. 143.

٥ BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. II, The Chronology, P. 7.

٦ REP. EPIG., VI, II, P. 260.

٧ « يجل » « يهرجب » ، حرف « الجيم » في المسند هو « كيل » ، ويلفظ على الطريقة المصرية في الزمن الحاضر في النطق بحرف الجيم .

معيناً^١ . وكان له من الأولاد (وروال غيلن يهنعم) (وروايل غيلان يهنعم) ،
وقد لقب بلقب (ملك) . و (فرع كرب يهوضع) (يهودع)^٢ . ثم ذكر
(فلي) اسم (شهر هلل) (شهر هلال) بعد (فرع كرب يهودع) ،
جاعلاً حكمه في حوالي سنة (٧٧٠ ق.م.) ، وقد كان ملكاً على قتيان .
وهو ابن (ذراً كرب) . ثم نصب (يدع اب ذ بين يهرجب) (يدع أب
ذبيان يهركب) ، من بعده ، وقد كان حكمه - على رأيه - في حوالي سنة
(٧٥٠ ق.م.) ، وقد جعله مكرباً وملكاً . ثم ترك فراغاً بعده ، مكتفياً
بالإشارة الى ان الذي تولى بعده هو أحد أبنائه ، ولم يشر الى اسمه ، وقد قدر
انه حكم من سنة (٧٣٥ ق.م.) حتى سنة (٧٢٠ ق.م.) ، ثم جعل من
بعده ملكاً سماه (شهر هلل يهنعم) (شهر هلال يهنعم) ، وهو أحد أبناء
(يدع اب ذبين يهرجب) (يدع أب ذبيان يهركب) ، وقد حكم - على
رأيه - حوالي سنة (٧٢٠ ق.م.) ، ثم خلفه (يدع أب ينف) أو (يجل
يهنعم بن ذمر علي) وقد يكون - على حد قوله أيضاً - شقيقاً لـ (شهر
هلال بن يدع أب ذبيان يهركب) وقد كان حكمه في حوالي سنة (٦٨٠ ق.م.)^٣ .

وترك (فلي) فراغاً بعد الملك المتقدم ، كناية عن حكم ملك لم يصل اسمه
اليانا ، حكم في حوالي سنة (٦٦٠ ق.م.) حتى سنة (٦٤٠ ق.م.) حيث
دوّن بعده اسم ملك سماه (سمه وتر) لم يذكر لقبه الثاني ولا اسم أبيه . ثم
ذكر بعده اسم ملك آخر ، سماه (وروال) (وروايل) ، لم يذكر لقبه ،
يتصور انه ابن (سمه وتر) ، وقد جعل حكمه في حوالي سنة (٦٢٠ ق.م.) .
ثم ترك (فلي) فجوة قدرها بنحو من عشر سنين بين الملك المتقدم والملك الذي
تلاه ، ثم ذكر بعدها اسم ملك سماه (آب شيم) (أب شيم) ، لم يعرف
اسم أبيه ، وقد حكم - على تقديره - في حوالي سنة (٥٩٠ ق.م.) ،
وذكر بعده اسم (اب عم) (أبعم) (أب عم) ، وهو ابن (اب شيم) ،
وقد كان حكمه في حوالي سنة (٥٧٠ ق.م.) تلاه في الملك على - رأي
(فلي) - الملك (شهر غيلن) (شهر غيلان) ، وهو ابن (أبشم)

١ Background, P. 60, 143.

٢ Background, P. 60, 143.

٣ المصدر نفسه .

(اب شيم) ، وقد حكم من سنة (٥٥٥ ق. م.) الى سنة (٥٤٠ ق. م.) .
وفي هذه السنة ، أي سنة (٥٤٠ ق. م.) كانت نهاية مملكة قتيان ، فاندجيت
— على رأيه — في مملكة سبأ ، وصارت جزءاً منها^١ .

هذه هي قائمة حكام قتيان ، من مكربين وملوك على وفق رأي (فليبي) ،
ويلاحظ انه وضع مدداً لحكم كل مكرب أو ملك تراوحت من خمس وعشرين
سنة الى عشر سنين . فامتد أجل هذه الحكومة بحسب قائمته من سنة (٨٦٥)
قبل الميلاد الى سنة (٥٤٠) قبل الميلاد . وتقديراته هذه هي تقديرات شخصية ،
لا تستند الى كتابات قتيانية ولا غير قتيانية ، وانما هي رأي شخصي واحد ،
ومن هنا اختلف في مذهبه هذا عن مذاهب الباحثين الآخرين في مدد حكم ملوك
قتيان ، وكلهم مثله يستندون في أحكامهم الى آرائهم وتقديراتهم الشخصية ، ولا
يوجد بينهم من وجد نصاً فيه تأريخ مرقوم ثابت لأحد من هؤلاء الحكام ، يستند
اليه في تثبيت حكم مكربي وملوك قتيان . ونرى مما تقدم ان (فليبي) جعل عدد
من عرفهم من حكام قتيان سبعة عشر رجلاً^٢ .

أما البرايت ، فقد ترك فراغاً ، ولم يحدد مدته بعد (هوف عم يهنعم) ،
ثم ذكر بعده اسم مكرب دعاه (شهر) ، ولم يشر الى لقبه ولا الى اسم أبيه ،
وذكر بعده اسم (يدع أب ذيين يهنعم) (يدع أب ذيبان يهنعم) ، قال
لانه ابن (شهر) ، وقد كان مكرباً . وذكر بعده اسم ابن له يقال له (شهر
هلال يهو ..) ، (شهر هلال يهو ..) ، وقد صار مكرباً بعد وفاة أبيه
(يدع اب ذيبان يهنعم) . وقد سقط حرفان أو ثلاثة أحرف من لقب (شهر
هلال) الأخير فصار (يهو) ، ولعله (يهودع) أو (يهنعم) في الأصل .

وترك (البرايت) فراغاً بعد (شهر هلال يهو ..) ، ذكر بعده اسم
(سمه وتر) ، قال : إن من المحتمل أن يكون هو المكرب الذي هزمه (يثع
أمر وتر) مكرب (سبأ) . ثم ترك فراغاً آخر ولم يحدد مدته ، ثم ذكر أن
من المحتمل أن يكون قد تولى الحكم بعد هذه الفترة مكرب آخر هو (وروابل)
ولم يشر الى لقبه ، وقد كان تابعاً له (كرب ايل وتر) أول ملك من ملوك

١ المصدر نفسه .
٢ كذلك

سبأ ، وقد حكم - على تقديره - حوالي سنة (٤٥٠ ق. م.)^١ .

وترك (البرايت) فراغاً بعد اسم (وروايل) يشير إلى وجود فجوة لم يعرف من حكم فيها ، ثم ذكر مكرباً آخر سماه (شهر) ، ولم يذكر لقبه ، ثم ذكر اسم ابنه بعده وهو (يدع أب ذبيان) ، قال إنه آخر مكرب وأول ملك في قتبان ، وقد ترك عدداً من الكتابات ، ومنها كتابة عثر عليها خارج الباب الجنوبي للمدينة (تمنع) ، وقد حكم - على رأيه - في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، وتولى ابنه من بعده (شهر هلال) (شهر هلل) ثم (نبط عم) ابن (شهر هلال)^٢ . ويحتمل أن يكون (يدع أب ذبيان) هذا - بحسب رأيه - هو باني ذلك الباب^٣ .

نرى أن قائمة (البرايت) قد كتبت اسم (شهر) وابنه وحفيده مرتين ، وأشار هو نفسه إلى أن من الممكن أن يكون ذلك من باب التكرار ، غير أنه ذكر من جهة أخرى أنه ما دامت الأدلة التي تثبت هذا التكرار غير متوافرة ، فإنه يسجل هذه الأسماء على هذا الوضع ، فلعل أسماء هذه المجموعة المتشابهة هي لأشخاص آخرين ، إلى أن يثبت بالدليل خلاف ذلك .

وترك (البرايت) فراغاً بعد (نبط عم) (نبطعم) ، ذكر بعده (ذمر علي) ، ثم ابنه (يدع أب يجل) (يدع أب يكل) ، ويرى (البرايت) أنه كان معاصراً لثلاثة ملوك من ملوك سبأ ، عاشوا في القرن الرابع قبل الميلاد ، ولم يستبعد احتمال كونهم من رجال القرن الثالث قبل الميلاد ، حينما كانت سبأ مجزأة منقسمة على أمرها^٤ .

وقد كانت معظم أرض حير خاضعة في هذا العهد للقتبانين . وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل الحميريين ينعتون أنفسهم بـ (ولد عم) ، لأن (عما) هو إله القتبانيين . و (ولد عم) تعني (أولاد عم) و (شعب عم)^٥ .

BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. II. ١

BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. II, The Chronology. P. 17. ٢

W. Phillips, Qataban and Sheba, P. 219. ٣

The Chronology, P. 8, BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. 12. ٤

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 429, 431. ٥

وترك (البرايت) فراغاً بعد الملك (يدع أب يكل) ، ذكر بعده ملكاً سماه (اب شيم) ، (أبشام) (أب شبام) ، ولم يذكر اسم أبيه ولا نعوته ، ثم ذكر بعده الملك (شهر غيلن) (شهر غيلان) ، قال إنه ابن (أبشام) ، وإن المنقبين قد عثروا على كتابات عديدة من أيامه ، منها كتابة عثر عليها عند الباب الجنوبي لمدينة (تمنع)^١ . ثم ذكر بعده ملكاً آخر سماه (بعم) وهو ابن الملك السابق ، أي (شهر غيلان) ، ثم الملك (يدع أب يجل) (يدع أب يكل) ، وهو شقيق (بعم) ، ثم نصب (البرايت) بعده الملك (شهر يجل) (شهر يكل) ، قال إنه ابن الملك (يدع أب) ، وإنه صاحب جملة كتابات وفتاح معين في حوالي سنة (٣٠٠ ق. م.) . ثم ذكر الملك (شهر هلال يهنعم) (شهر هلال يهنعم) من بعده ، وهو شقيق (شهر يجل) (شهر يكل) ، وقد تركت أيامه جملة كتابات ، منها كتابة عثر عليها عند باب مدينة (تمنع) الجنوبي .

وقد ذهب (البرايت) الى أن حكم الأسرة أو المجموعة المتقدمة قد كان فيما بين (٣٥٠) و (٢٥٠ ق. م.) . وهو لا يدري من حكم بعد (شهر هلال) آخر ملوك هذه المجموعة^٢ ، ولذلك ترك فراغاً ، انتقل بعده الى مجموعة جديدة من الملوك ، وضع على رأسها (يدع أب ذين يهرجب) (يدع أب ذيبان يهركب) ، وقال إنه لا يرى أن وضع هذا الملك في هذا المكان هو من قبيل التأكد ، وإنما يرى أن ذلك شيء محتمل ، ثم ترك فراغاً آخر بعد هذا الملك يشعر أنه لا يدري من حكم فيه ، ثم ذكر بعد هذا الفراغ الملك (فرع كرب) ثم ابنه (يدع أب غيلن) . (يدع أب غيلان) . وقد ذكر أن في أيامه بني (بيت يفش) المذكور في كتابة قتيانية ، وأن ذلك كان في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد^٣ .

وترك (البرايت) ، فراغاً بعد (يدع اب غيلان) ، ذكر بعده الملك (هوف عم يهنعم) (هونعم يهنعم) ، وقد جعل حكمه في حوالي سنة (١٥٠ ق. م.) . ثم ذكر ابناً له حكم - على رأي (البرايت) - من بعده

^١ The Chronology, P. 8.

^٢ W. Phillips, P. 220.

^٣ W. Phillips, P. 220.

سماه (شهر يجل يهرجب) (شهر يكل يهركب) ، والى ايامه تعود الأسود المصنوعة من البرنز التي عثر عليها في أنقاض (تمنع) ، والكتابة المتعلقة ببناء حصن الباب الجنوبي للعاصمة . وكتابة بناء (بيت يفش)^١ . ثم ذكر (وروال غيلن يهنعم) (وروايل غيلان يهنعم) من بعده، وهو ابن (شهر يكل يهركب) وقد عثر على قطعة نقد ضربت في مدينة (حريب) ، تحمل اسم (وروايل غيلن) ، يرى (البرايت) احتمال كونها تعود اليه . وذكر بعده الملك (فرع كرب يهودع) (يهوضع) ، وهو ابن الملك (شهر يكل) وشقيق (وروايل غيلان) .

وقد ترك (البرايت) بعد (فرع كرب يهودع) (يهوضع) فراغاً يشير الى انه لا يعرف من حكم بعد ذلك الملك ، ثم ذكر بعد هذا الفراغ ملكاً آخر سماه (يدع اب ينف) (يدع اب ينوف) . وقد عثر على نقود له ضربت من ذهب في (حريب) . ولا يعرف (البرايت) اسم من حكم بعده ، لذلك ترك فراغاً ، ذكر بعده ملكاً سماه (ذراكرب) (ذراكرب) ، ولم يذكر نعتيه ولا اسم أبيه ، وقد جعل بعده ابنه (شهر هلال يهقبض) (شهر هلال يهقبض) ، ويرى احتمال كونه (شهر هلال) (شهر هلال) ، الذي أمر بضرب نقد من ذهب في (حريب) . وبه ختمت قائمة (البرايت) للحكام قتيان من مكربين وملوك اذ ذكر بعد اسمه خراب (تمنع) العاصمة ونهاية استقلال قتيان ، وذلك في حوالي سنة (٥٠) قبل الميلاد^٢ .

ويرى (البرايت) ان (شهر هلال يهقبض) هذا هو الذي بنى البيت المسمى (بيت يفعم) (بيت يفغ) ، الذي عثر على أطلاله وأسسه عند باب المدينة الجنوبي^٣ .

وتعد هذه الفترة القريبة من الميلاد من أهم المراحل الحاسمة في تأريخ قتيان ، في رأي (البرايت) ، اذ فيها كان سقوط الحكم الملكي وزواله عنها، ودخولها في حكم مملكة (معين) ، أو دخول قسم منها في حكم معين ، وقسم آخر في

W. Phillips, P. 100. ١

BOASOOR, 119, (1950), P. 12, The Chronology, P. 8. ff. ٢

W. Phillips, P. 220. ٣

حكم مملكة السبثيين^١ .

ويرى (البرايت) ان عاصمة قتيان كانت قد تعرضت قبيل الميلاد لغزو أليم ، وقد استدل عليه من وجود طبقة من الرماد تغطي أرض العاصمة ، وقد فسر هذا بسقوط المدينة فريسة لئار أججها في المدينة ملك ، لم نقف على اسمه حتى الآن ، ولا على الأسباب التي حملته على احراق المدينة أو احراق أكثرها^٢ .

ويرى (البرايت) أيضاً ان مملكة حضرموت كانت قد اغتصبت جزءاً من مملكة قتيان ، وذلك بعد سقوط (تمنع) في القرن الأول للميلاد . وقد كانت مملكة حضرموت ، ومعها مملكة سبأ ، من أهم الممالك في العربية الجنوبية في هذا العهد . ومنذ القرن الأول للميلاد فما بعده ، فقد القتيانيون استقلالهم واندمجوا في حكومة (سبأ وذى ريدان) في النهاية^٣ .

وقد عثر على كتابة في (وادي بيحان) ، ورد فيها (يدع اب غيلان بن غيلان ملك حضرموت بنى مدينته مدينة : ذي غيلان)^٤ . وذهب قراء هذه الكتابة الى ان مدينة (ذي غيلان) ، هي مدينة بناها هذا الملك في (وادي بيحان) على مسافة عشرة أميال من موضع (بيحان القصب) في الزمن الحاضر أي في أرض قتيانية ، وذلك بعد سقوط مدينة (تمنع) . وقد عثر على كتابتين حضرمونيتين أخريين في هذا الوادي ، وردت فيها أسماء ملوك حضرميين^٥ .

كتابات وحوادث قتيانية :

أحاول هنا تدوين الحوادث التي وقعت في قتيان في أيام المكربين وإيام الملوك مستخلصاً إياها من كتابات العهدين ، فأبدأ بالبحث في الكتابات التي يرجع عهدها الى المكربين . وفي جملة الكتابات إيام (المكربين) كتابة وسمها العلماء بـ (Glaser 1410-1681) ، وقد دوّنت عند قيام قبيلة (هورن) (هوران)

-
- ١ W. Phillips, P. 221.
 - ٢ المصدر نفسه
 - ٣ المصدر نفسه
 - ٤ كذلك
 - ٥ كذلك

ببناء بيت في أرضها للإله (عم ذو دونم) ، بنته بالخشب وبالحجارة والرخام ومواد أخرى ، تقريباً الى ذلك الإله والى آلهة قتيان الأخرى : (عم) و (أنبي) و (ذات صنم) و (ذات ظهران) . وقد وردت في النص أسماء مواضع هي : موضع (لتلك) الواقع في منطقة (ذبحم) (ذبحه) ، و (دونم) (دون) و (أذ فرم) (أذفر) . وقد سقط من السطر الأول اسم (المكرب) وبقي اسمه الثاني وهو (ذين) (ذيان) ، ولقبه وهو (يهنم) ، واسم أبيه وهو (شهر) . ويظهر من عبارة : (ذسين يهنم بن شهر ، مكرب قتيان وكل ولدعم واوسن وكحد ودهسم وتبنو بكر انبي وحوكم) . أي (.. ذيان يهنم بن شهر مكرب قتيان وكل ولدعم واوسان وكحد ودهس وتبنو بكر أنبي وحوكم)^١ ان قتيان وكل المتعبدين للإله (عم) الذي يمثله مكرب قتيان نفسه والأوسانيون وكحد ودهس وتبنو كانوا متحدين في ذلك العهد متحالفين ، يحكمهم المكرب المذكور .

وقد رأينا أن (أبريت) جعل هذا المكرب في الجُمهرة الثانية من جُمهرة المكربين الذين حكموا قتيان ، ولم يذكر شيئاً عن أبيه (شهر) لعدم ورود شيء عنه في الكتابات . أما اسم المكرب الأول الساقط من النص ، فهو (يدع اب) .

وفي أسماء المواضع المذكورة دلالة على أنها كانت خاضعة لحكم قتيان في أيام المكرب المذكور . وأن حدود قتيان كانت واسعة إذ ذاك أي في القرد السابع قبل الميلاد على رأي بعض الباحثين أو في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد على رأي بعض آخر^٢ .

وقد عثر على اسم المكرب (شهر هلل بن يدع اب) (مكرب قتيان) في كتابتين ، رقتا برقم (RES 312) و (Res 312 + SE60)^٣ . وقد ورد فيها اسم (أنبي) و (حوكم) و (عم) من أسماء آلهة قتيان . وورد فيها أسماء

REP. EPIG. 3880, Tome, VI, P. 336, Hommel, Ethno., S., 660.

Beltrage, S., 71.

Lidzbarski, Eph., II, S., 107, 455, Weber, Stud., III,

S., 39, Hartmann, Arab., S., 165, Conti Rossini, Chrest., P. 87,

Mordtmann-Mittwoch, In Orientalia, I, (1932), P. 27.

مواضع مثل : (لثك) ، و (ذبحتم) و (اضفرم) ، وقبيلة أو جماعة تعرف بـ (هورن) (هوران) . وكان سبب تدوينها التوسل والتضرع الى الإله (أنبي) ليمن على أصحاب الكتابتين فيبعث اليهم بالخير والبركة ، ويسيئهم شر المجاعة^١ . والظاهر أن قحطاً كان قد حدث في أيام هذا المكرب فتوسل أصحاب الكتابة الى إلههم (أنبي) أن يمن عليهم بانقاذهم منه .

ويلاحظ أن هذه الكتابة تحدثت عن موضع (لثك) في (ذبحة) التابعة لقبيلة (هورن) من قبائل قتيان ، إلا أنها لم تذكر (قتيان وولد عم وأوسان وكحد ودهس) كما جاء ذلك في النص السابق . وقد سقط من هذه الكتابة (شهر هليل) (شهر هلال) ، كما أنها لم تذكر لقب (يدع اب) مكرب قتيان وهو والد (شهر) . ولا نستطيع بالطبع الادعاء بأنه كان أقدم من المكرب السابق أو أنه جاء من بعده في الحكم لعدم وجود دليل ملموس لدينا يثبت أحد الرأيين .

وقد عثر على عدد من الكتابات القتبانية ، ورد فيها اسم المكرب : (يدع اب ذبين بن شهر) (يدع أب ذبيان بن شاهر) (شهر)^٢ . منها الكتابة الموسومة برقم : (Glaser 1600) . وقد جاء فيها : أن (يدع أب ذبين بن شهر مكرب قتيان ، وكل أولاد عم وأوسان وكحد ودهس وتبني) فتحوا طريقاً ، وانشأوا (مبلقة) بين موضعي (برم) و (حرب) (حريب) ، وجددوا (بيت ود) و (عثيرة) ، وبنوا (مخن) في موضع (قلي) . ووردت في هذه الكتابة أسماء آلهة أخرى ، هي عثر ، وعم ، وأنبي ، وحوكم ، وذات صنتم ، وسحرن ، ورجبن^٣ .

وقد وردت في الكتابة لفظة (منقلن) ، ويراد بها الطريق في الجبل . وهي بهذا المعنى أيضاً في معجمات اللغة التي نزل بها القرآن الكريم . ووردت فيه لفظة (مبلقة) ، ومعناها فتحة وثغرة ، وهي بهذا المعنى في عربيتنا كذلك ، يقال

REP. EPIG. 3540.

١ « يدع أب ذبيان بن شهر » .

٢ REP. EPIG., 3550, VI, I, P. 203, Nielsen, Neue Katab. Inschriften, S., 3,

Stud., 127, Weber, Stud., III, S., 8, Conti Rossini, Chres.,

P. 86, BOASOOR, NUM. 120, P. 27, (1950), Ryckmans 215, Baihan 48.

انطلق الباب اذا انفتح ، وأبلى الباب : فتحه كله أو أغلقه بسرعة ، ومعنى الكلمة في النص عمل ثغرة في الجبل ليمر منها الطريق المار في الجبل من مكان الى مكان^١ . وفي هذا العمل المشترك الذي اشترك فيه هذا المكرب وشعب قتبان وقبائل أخرى غير قتبانية ، هي أوسان وكحد ودهس وتبني ، دلالة على وجود فن هندسي راق عند العرب الجنوبيين في هذا العهد الذي لا نعرف مقدار بعده عن الميلاد ، ولكننا نجزم أنه كان قبل الميلاد .

ولدينا كتابة أخرى تشبه الكتابة المتقدمة ، دونت في أيام هذا المكرب كذلك . ورد فيها بعد اسم المكرب جملة : (وكل ولد عم) ، ثم أسماء من ساعد (ولد عم) في البناء ، وهم (أوسان) و (كحد) و (دهمس) (وتبني) و (يرفأ) ، ثم وليت هذه الأسماء جملة (ايمن واشامن) ، أي (الجنوبيون والشماليون) ، وبعبارة أخرى (أهل الجنوب وأهل الشمال) ، ويقصد بذلك على ما يظهر من سياق الكلام سكان المناطق الشمالية وسكان الجنوب . أما جملة (ولد عم) فلأنها كناية عن أهل (قتبان) . و (عم) هو إله (قتبان) الرئيس ، ولذلك أطلق القتبانيون على أنفسهم (ولد عم) . ويفهم من ذكر أسماء القتبانيين وغيرهم في هذه الكتابة أن العمل المذكور في الكتابة كان ضخماً واسعاً ، لذلك اشترك في اتمامه وانجازه أهل أوسان والقبائل الأخرى . ولم يتحدث النص عن كيفية اشتراك أوسان والقبائل الأخرى المذكورة في هذا العمل : أكان ذلك لأنها كانت خاضعة في وقت تدوين هذه الكتابة لحكم المكرب (يدع أب) فاضطرت الى الاشتراك فيه ، أم هي قامت به بالاشتراك مع قتبان لأنه في مصلحتها ، لأنها ستستفيد منه كما يستفيد منه القتبانيون ، فتعاونت مع قتبان في انجازه واتمامه .

والكتابة وثيقة مهمة نتحدث عن عمل هندسي مهم خطير ، هو فتح طريق جبلي في مناطق وعرة وفي أرضين جبلية ، فاستوجب العمل تمهيد الأرض وتسويتها واحداث ثغر في الصخور وفتح أنفاق ليمر بها الطريق . وقد كرس العمل باسم الآلهة (عم ذو شقرم) و (عم ذو ريمت) و (أنبي) و (حوكم) و (ذات صتم) و (ذات ظهران) و (ذات رحبان) ، وتقرب به اليها . وقام به

Rhodokanakis, Studl., II, S., 98.

وأشرف عليه رجل اسمه (أوس عم بن يصرعم) (أوسعم بن يصرعم) (أوس بن يصرع) ، أدار هذا الرجل العمل ، ورسم الخطط وقام برصف الطريق وتبليطه ورصف ممر (ظرم) بصورة خاصة بمطبعة سميكة من الحجارة . وقد قام بكل ذلك بأمر سيده المكرب (يدع اب)^١ .

ونحن هنا أمام رجل كان له علم خاص بهندسة الطرق وله تجارب ودراية في أحداث الثغر في الصخور وإنشاء الممرات والمناقل للقوافل والمارة في المناطق الوعرة ولهذا كلفه حاكم قتيبان القيام بذلك العمل ، فأنجزه وأتمه على النحو الموصوف . وكان (اوس عم بن يصرعم) من قبيلة تسمى (مدهم)^٢ .

وقام المهندس المعماري المذكور بأعمال هندسية أخرى لسيده المكرب، فقد جاء في نص آخر انه شق طرقاً وثنايا في مواضع جبلية وعرة ، وحفر أنفاقاً تمر السابلة منها ، وبني أيضاً (بيت ودم) ، أي معبد الإله (ود) ، و (مختن ملكن بقلي) ، أي (مختن الملك) بموضع (قلي)^٣ . وقد سبق أن أشير إلى هذا (المختن) في النص (Glaser 1600) الذي تحدثت عنه قبل قليل ، وهو من النصوص التي تعود الى هذا المكرب نفسه . والتي تتحدث عن فتح طريق وبناء (بيت ود) و (مختن الملك بقلي) ، إلا أنه لم يذكر اسم (المهندس) الذي أشرف على العمل في النص الموسوم بـ « Glaser 1600 » .

وليست لدينا معرفة تامة بمعنى (مختن) ، الواردة في النصين المذكورين ، وقد ذهب بعض الباحثين الى انها من الألفاظ المستعملة في الشعائر الدينية ، وانها تؤدي معنى محرقة ، أو الموضع الذي توضع عليه القرابين التي تقدم الى الآلهة ، أو المذبح الذي تذبح عليه الضحايا ، فهي بمعنى (يبحت) و (ومنظف) و (منظفت) (منظفة) . وذلك لورود هذه الألفاظ في كتابات تتعلق بالقرابين ، كما سأتحدث عنها في فصل « الحياة الدينية عند الجاهليين » .

REP. EPIG. 3642, 4328, VII, II, P. 192, SE 90, Grohmann, Katabanische Herrscherr, S., 43, Rhodokanakls, Altsab. Texte, I, S., 44, Beiträge, S., 43.

Beiträge, S., 46. ٢

Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), P. 78. ٣

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 277. ٤

ويظهر أن لاسم قرية (شفير) و (حصن شقير) الموجودتين في اليمن في الوقت الحاضر . علاقة بمعبد (عم ذو شقرم) الذي تقرب صاحب النص المذكور اليه ببناء الطريق ورصفه ، وقد كان (شقرم) موضع في ذلك الوقت أقيم به معبد خصص بعبادة الإله (عم)^١ . ولعل الطريق الذي شيده (يدع أب ديبان) كان يمر به ، وأنه أوصل اليه ليسهل على المؤمنين الوصول اليه ، فكرس الطريق لذلك باسمه فذكر قبل بقية الآلهة ، تعبيراً عن هذا التخصيص .

ويرى بعض الباحثين أن ملك قتبان كان قد توسع في عهد (يدع أب ديبان) هذا فصار يشمل كل (أوسان) وقتبان ومراد حتى بلغ حدود سبأ . ولحماية أرضه أقام حواجز وفتح طرقاً في الهضاب والجبال ليكون في امكان جيشه اجتيازها بسهولة في تحركه لمقاتلة أعدائه . أقامها في شمال أرضه وفي جنوبها لمنع أعدائه من الزحف على مملكته . وتعبيراً عن فتوحاته هذه في شمال وفي جنوب قتبان استعمل جملة (ايمن واشامن) أي (الجنوبيون والشماليون) ، وهو لقب يعبر عن هذا التوسع الذي تم على يديه^٢ .

ويظهر أن الذي حمل (يدع ديبان) على الأقدام على شق الطرق في المرتفعات وفي الجبال وعمل الأنفاق وتبليط الطرق بالأسفلت ، هو عدم اطمئنانه من الطرق الممتدة في السهول ، إذ كانت هدفاً سهلاً للأعداء . فإذا اجتازتها قواته هاجمها الغزاة ويكون من الصعب عليها الدفاع حيثئذ عن نفسها ، أما الطرق التي أنشأها فلأنها وإن كانت صعبة وفي السير بها مشقة إلا أنها آمنة لأنها تمر في أرض خاضعة لحكمه وهي أقصر من الطرق المسلوكة في الأرض السهلة . ثم إن الدفاع عنها أسهل من الدفاع عن الطرق المفتوحة . فبهذا التفكير الحربي أقدم على فتح تلك الطرق^٣ . وقد تبين من ورود لفظة (ملك) في بعض هذه الكتابات مع وجود لقب (مكرب) فيها ، أن (يدع اب ديبان) هذا كان كاهناً في الأصل ، أي حاكماً يحكم بلقب (مكرب) ، ثم تحلى بلقب (ملك) أيضاً . ولعله استعمل اللقبين معاً ، ولهذا ذكرا معاً في الكتابات المشار اليها . إلا أن الكتابات المتأخرة

Beiträge, S., 43

Beiträge, S., 44.

Beiträge, S., 45

نعتته بلقب ملك فقط ، وفي اكتفائها بذكر هذا اللقب وحده دلالة على أنه صرف النظر عن اللقب القديم ، وجعل لقبه الرسمي هو اللقب (ملك) فقط^١ .

ومن الكتابات التي تعود الى أوائل حكم (يدع أب ذبيان) ، أي أيام حكمه (مكرراً) الكتابات : Ryckmans 390 و REP. EPIG 3550, 4328 . أما الكتابة : REP. EPIG. 3878 ، فتعود الى أيام تلقبه بلقب (ملك) . وتتناول الكتابات الأولى موضوع فتح وتعبيد طريق (مبلقة) ، وقد عثر عليها مدونة على الطريق وفي (شقرم) (شقر) التي تقع الى الغرب منها^٢ .

ومن كتابات أيام الملكية الكتابة الموسومة بـ (Glaser 1581) ، وقد دونت عند الانتهاء من بناء حصن (برم) (محفدن برم) تقريباً وتودداً لآلهة قتيان . وكان العمل في أيام الملك (يدع أب ذبين بن شهر ملك قتيان) (يدع أب ذبيان بن شهر ملك قتيان) . وكان صاحب البناء الذي قام به (لحيعم بن ابانس) من (آل المم) و (عبد ايل بن هاني) . ويظهر أنهما كانا من المقربين الى الملك المذكور ، وربما كانا من كبار الموظفين ، أو من أصحاب الأرضين والأملاك أو من رؤساء العشائر^٣ .

وللملك (يدع اب ذبيان بن شهر) ، وثيقة على جانب كبير من الأهمية لأنها قانون من القوانين الجزائية المستعملة في مملكة قتيان ، بل في الواقع من الوثائق القانونية العالمية ، ترينا أصول التشريع وكيفية اصدار القوانين عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد ، فيها روح التشريع الحديث وفلسفة التقنين، ترينا ان الملك وهو المرجع الأعلى للدولة هو وحده الذي يملك حق اصدار القوانين ونشرها والأمر بتنفيذها ، وترينا أيضاً ان مجالس الشعب، وهي المجالس المسماة بـ (المزود) وتتكون من ممثلي المدن ومن رؤساء القبائل والشعاب ، هي التي تقترح القوانين وتضع مسودات اللوائح ، فاذا وافقت المجالس عليها عرضتها على الملك لامضاها ونشرها بصورة ارادة أو أمر ملكي ، ليطلع الناس على أحكام الأمر الملكي

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 432.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 432.

٣ REP. EPIG. 3553, Nielsen, Stud., S. 168, Contl Rossini,

Chrest.. P. 87, Nielsen, Neue Kat., S. 35.

ويعملوا به . وسأتحدث عن ذلك في فصل « التشريع الجاهلي » بكل تفصيل وتوضيح .

والوثيقة المذكورة هي قانون أصدره الملك في شهر (ذي مسلت) (ذو مسلعة) من سنة (غوث آل) (غوث ايل)^١ وقد شهد على صحتها للتعبير عن شرعيتها جماعة من الأعيان والرؤساء وهم من أعضاء (المسزود) ومن أشرف المملكة ورؤساء القبائل ، ذكرت أسماءهم وأسماء الأسر والعشائر التي ينتمون إليها . وقد كانت العادة في قتيان ان يذكر عند اصدار القوانين والأوامر أسماء أعضاء المزود والرؤساء وكبار الموظفين كما تفعل الدول الحديثة في هذا اليوم من ذكر اسم رئيس الدولة الذي يصدر القانون بأمره وباسمه ، واسم رئيس الوزراء والوزراء أصحاب الاختصاص ، وذلك لاطهار موافقة المذكورين على القوانين ، دلالة على اكتسابها الصفة القانونية بنشر أسمائهم مع اسم الملك .

وفي جملة القبائل التي ذكرت في هذه الكتابة (ردمن) (ردمان) و (الملك) (المالك) و (مضجيم) (مضجى) ، و (يجر) ، و (بكلم) (بكيل) و (ضرب) ، و (ذو ذرآن) (ذرن) ، و (شهران) ، و (هران) (هون) ، و (غربم) ، و (رشم) ، و (زخران) ، و (غربان) ، و (جرعان) ، و (نظران) ، و قبائل أخرى . وقد ذكرت أسماء الرؤساء الذين أمضوا القانون وصدقوا صحته ودونت قبل أسمائهم هذه الجملة : (وتعلمي ايدن ..) ، ومعناها : (علموا عليها بأيديهم ..) ، وكتب قبل اسم الملك : (وتعلمي يد) ، ومعناها : (وعلم عليها بيده) ، ويعود الضمير الى الملك^٢.
والوثيقة التي نتحدث عنها هي قانون في عقوبات القتل العمد أو القتل الخطأ غير المتعمد وفي العقوبات التي يجب أن يعاقب بها من يصيب انساناً بجرح أو جروح قد تحدث آفات وعطلاً في الشخص . وسأتحدث عن هذا القانون وعن المصطلحات الفقهية الواردة فيه في فصل « التشريع عند الجاهليين » . ويرى (فون وزمن) ان هذه الوثيقة المهمة هي من الأوامر التي أصدرها الملك في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد^٣. ويتبين من الوثيقة المتقدمة ان القتيانيين

REP. EPIG. 3878, VI, II, P. 330.

Glaser 1397, SE 80, Beiträge, S., 37.

Beiträge, S., 37.

١

٢

٣

كانوا يحكمون الرومانيين في هذا العهد . وخلاف (ردمان) من مخالفين اليمن المهمة ، فيه قبائل كبيرة، ولهذا فان خضوعه لقتبان هو ذو أهمية كبيرة بالقياس إلى الحكومة .

ويعد موضع (جهر وعسلان) حاضرة خلاف (ردمان) ، ومن أماكن (ردمان) (رداع) و (كُدار) ، وهو مكان قريب من (وعسلان) . وقد ورد اسم (وعسلان) في الكتابات اذ جاء : (وعسلان ذردمن) ، (وعسلان ذو ردمان)^١ .

ويظن أن الملك (يدع أب ذبيان يهرجب بن شهر ، ملك قتبان) الذي أمر بتدوين النص الذي وسم به (Jamme 405 + 406) ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه ، أي الملك المعروف في الكتابات باسم (يدع أب ذبيان بن شهر) ، والفرق بين الاسمين هو في وجود اللقب (يهرجب) (يهركب) في النصين المذكورين وسقوطه من الكتابات الأخرى . ويستدل مَنْ قال بأن الاسمين هما لشخص واحد بورود أسماء قبائل في النصين وردت في كتابات دوت في عهد الملك المتقدم ثم لأنها استعمالا مصطلحات ترد في كتابات تعود إلى هذا العهد ، ثم لأن أسلوب الكتابة ونموذج كتابتها يدلان على أنها كتبت في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، أو في القرن الرابع قبل الميلاد . وفي هذا الوقت كان حكم هذا الملك على رأي بعض الباحثين . لذلك رأوا أن الكتابتين قصدتا هذا الملك^٢ .

وخلاصة ما جاء في النصين أن الملك (يدع أب ذبيان يهرجب بن شهر ملك قتبان) وكل أولاد عم وأوسان و (كحد) و (دهسم) (دهس) و (تبنو) ، بنوا (يسرن) (يسران) والأقسام التابعة لها (ريمت) (ريمة) و (رحبت) (رحبة) ، وذلك من الأساس إلى القمة ، ولحماية ما أمر الملك بينائه من كل أذى وسوء وقدّموا ما قاموا به إلى الآلهة (عشر) و (عم) و (ود) . أما القبائل المذكورة في هذين النصين ، فقد تعرفنا عليها في الكتابات السابقة .

ولدينا كتابة وسمها علماء العربيات الجنوبية بـ (REP. EPIG. 4094) ، دونها (زيدم بن آل وهب) (زيد بن ايل وهب) ، و (أب عم بن شهرم)

CIH 347, Beltage, S., 38.

Discoveries, P. 143.

من (ذي طدام) ، عند اتمامها بناء عدة بيوت أو معابد ذكرا أسماءها، وهي:
 (يفس مبخ) ، و (اهلن) ، و (شمس مبخ) للملكي قتيان : (يدع
 أب ذبيان) وابنه (شهر) . وقد ورد فيها اسم الآلهة : عشر ، وعم ،
 وانبي ، وذات صنتم ، وذات ظهرن (ذات ظهران) . وهي الآلهة التي ترد
 أسماؤها عادة في معظم كتابات القتبانيين . وجاءت بعد أسماء الآلهة ، هذه
 الجملة (وبمبخ واهلن)^١ ، ولا نعرف اليوم شيئاً عن (مبخ) ولا عن
 (اهلن) ، أما اسمان لإلهين من آلهة قتيان بدليل ورودهما بعد أسماء الآلهة التي
 ورد ذكرها تيمناً في هذه الكتابة ، أم هما اسمان لقبيلتين أو لمقاطعتين أو لمعبدين
 من المعابد المشهورة التي كانت في قتيان ؟.

أما (طدام) ، فهو اسم قبيلة أو أسرة قتبانية ، وقد ورد في كتابات
 أخرى عديدة غير قتبانية^٢ . وأما (أبعم) (أب عم) و (زيدم) (زيد)
 فن الأسماء التي ترد في مختلف الكتابات ، ولكن اسم (اب عم) (أبعم) هو
 من الأسماء المنتشرة بصورة خاصة في قتيان^٣ .

وقد اختلف الباحثون في تعيين زمان حكمه ، فذهب بعضهم الى أنه كان
 في القرن الخامس قبل الميلاد ، وذهب بعض آخر الى أنه كان في القرن الرابع
 قبل الميلاد ، أو القرن الثاني قبل الميلاد^٤ أو في أوائل القرن الآخر قبل الميلاد^٥ .
 وقد ذكر اسم الملك (شهر هلال)^٦ وابنه (نبطم)^٧ في كتابة دونها رجل
 اسمه (نبط عم بن يقه ملك) (نبطم بن يقهملك)^٨ إذ حفر بئراً في حصن
 له لارواء أرضه وأملاكه ، وجعلها في رعاية آلهة قتيان وحمايتها ، لتبارك له

REP. EPIG. 4094, VII, I, P. 80, Mordtmann und E. Mittwoch. ١

Altsüdarabische Inschriften, in Orientia, I, 1932, P. 24.

Jausen 90, 93, 173, 175, 176, 180. ٢

Orientalia, Vol., I, (1932), P. 26. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 433. ٤

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434. ٥

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434, Pirenne, Paléographie des Inscriptions
Sud-Arabes, I. ٦

« شهر هلال » ٧

« نبط عم » ٨

« نبط عم بن يقه ملك » ٩

ولذريته ، وذكر أن حفر هذه البئر كان في أيام الملك المذكور وفي أيام ابنه^١.
وقد ذهب (ألبرايت) إلى أن (شهر هلال) المذكور وهو والد (نبطعم)
هو ابن (يدع أب ذيبان بن شهر) . وقد جعله كما قلت قبل قليل آخر المكربين
وأول من تلقب بلقب (ملك) في قتبان .

وجاء اسم الملك (شهر هلال بن يدع اب)^٢ ، في قانون أصدره للقتبانيين
المقيمين بمدينة (تمنع) أي العاصمة وللمقيمين في الخارج ، وذلك لتنظيم التجارة
ولتعيين حقوق الحكومة في ضرائب البيع والشراء ، والأماكن التي يكون فيها
الاتجار . وفي هذا القانون مصطلحات تجارية مهمة ترينا مبلغ تقدم القتبانيين في
أصول التشريع التجاري بالقياس الى تلك الأيام^٣ .

ووصلت إلينا كتابة قتبانية وسمت بـ (REP. EPIG. 4325) ، وهي قانون
لتنظيم التجارة وفي كيفية دفع الضرائب . وقد صدر في أيام (شهر) ، وقد
سقط من النص لقب الملك واسم والده ولقبه ، كما سقطت أسطر من القانون
بسبب تلف أصاب الحجر المكتوب ، فأضاع علينا فهم أكثر القانون^٤ . ولوجود
جملة ملوك حكموا قتبان باسم (شهر) ، لا نستطيع تعيين هذا الملك ، صاحب
هذا القانون ، وقد يكون (شهر هلال بن يدع اب) ، أي الملك المتقدم .
وذكر اسم الملك (ذمر علي) واسم ابنه الملك (يدع اب يجل) (يدع
اب يكل)^٥ في النص القتباني المعروف بـ (Glaser 1693) ، ولم يرد فيه اللقب
الذي كان يلقب به^٦ .

وقد ورد اسم ملك قتباني هو (يدع أب) ، في عدد من الكتابات ، دون
أن يذكر لقبه أو اسم أبيه ، وقد ذهب (فليبي) ، الى احتمال انه (يدع
اب بن ذمر علي) أي الملك المذكور في النص (Glaser 1693)^٧ .

REP. EPIG. 4330, VII, II, 194, SE 99, Glaser 1336, 1407. ١

« شهر هلال بن يدع أب » ٢

REP. EPIG. 4337, Höfner, Eine Südarabische Handelsinschrift, ٣

in Forschungen und Fortschritte, X, (1943), 274, SE 87,

Glaser, 1407, 1615.

REP. EPIG. 4325, VII, II, P. 190, SE 61. ٤

« يدع أب يجل » ٥

BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. 12, KTB., II, S., 41. ٦

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 241, CIH, 494, 496, Philby ٧

17, 18, 19, REP. EPIG., VI, II, P. 321.

وفي أيام (يدع اب يحل) نشبت حرب بين (سبأ) و (قتيان) ، ذكرت في النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 3858) . وهو نص سجله (ذمر ملك بن شهر) من (آل ذران) (آل ذرآن) ، وكان والياً ولاءه الملك على قبيلة (ذبحن)^١ النازلة في أرض (حمر) ، بعد أن ثارت وتمردت على ملك قتيان ، فتغلب عليها ، وضرب عليها الجزية وأخذ غنائم منها ومن القبائل التي عضدتها ، ويظهر أن هذه القبيلة انتهزت فرصة حرب نشبت بين (سبأ) و (قتيان) ، فأعلنت عصيانها على ملوك قتيان واثارت ومعها قبائل أخرى انضمت إليها ، ولكنها لم تنجح ، ففرضت قتيان عليها جزية كبيرة وانتزعت منها بعض أملاكها . وقد أشار النص إلى : (حرب يدع آل بين وسمه علي ينف ويثع أمر وتر ملوك سبأ ، وسبأ وقبائلها وإلى ملوك رعن وقبيلة رعن)^٢ ، ويظهر من هذه الجملة أن الحرب كانت قد نشبت في أيام الملوك المذكورين ، وهم ملوك سبأ ، ومع (ملوك سبأ ، وسبأ وأشعبها) ، ويظهر أنه يقصد بجملة (ملوك سبأ) المذكورة بعد اسم (يثع امر وتر) مباشرة ، ملوك سبأ آخرون ، أو سادات قبائل ، تلقبوا بلقب (ملك) . وأما لفظة (أشعب) ، فهي (الشعوب) في لهجتنا ، وتعبر عن معنى القبائل . ويكون الملك (يدع اب يحل) من معاصري الملوك المذكورين إذن بحسب هذا النص^٣ .

وقد أشير إلى (ذبحن ذمحر) (ذبحان ذو حمرو) في الكتابة : « REP. EPIG. 3550 » . وذكر فيها اسم (نعمن) (نعمان) و (صنع)^٤ . وقد ورد اسم هذا الملك في كتابات أخرى عثر عليها في مواضع من (وادي بيهان)^٥ .

- ١ « ذبحان » .
- ٢ Glaser 1963., REP. EPIG. 3858.
- ٣ KTB., II, S., 41.
- ٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 432.
- ٥ « بيهان واد مشهور ، وقد ذكره «الهمداني» ، الاكليل (٨ / ١١٠) ، « طبعة الكرملي » ، وقد حرف في بعض الترجمات العربية لكتب غربية إلى « بيهان » في كل الكتاب ، وذلك لتصورهم أن حرف الـ « h » في الانكليزية للكلمة : « Balhan » هو « ماء » ، فصيروا الكلمة « بيهان » وهو واد معروف حتى اليوم ومذكور في كل الكتب المؤلفة عن العربية الجنوبية ، راجع كتاب : كنوز مدينة بلقيس ، بيروت (١٩٦١ م) ، فإنه مسخ هذا الاسم كما مسخ أسماء كثيرة أخرى مع شهرتها في الكتب الحديثة ، Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 121.

وقد ورد اسم الملك (شهر غيلان بن أبشم)^١ ، وكذلك اسم ابنه (بعم) ، في نص قتيبان وسم بـ (REP. EPIG. 3552). وقد دوّن هذا النص عند قيام (شرح عث بن عبد يل بن تنزب)^٢ ، وهو معمار كلفه الملك المذكور انشاء (محفد عريم) ، أي برج في موضع يسمى (عرب) (عريم) . وقد قام بالعمل وأتمه ، ووضعت لتخليده هذه الكتابة شاهداً على اتمام البناء . وقد تضمنت شكراً وحمداً لآلهة قتيبان ، التي سهلت العمل ، ومنّت على القائمين به بانجازه واثامه ، تيمناً باسمها على عادة العرب الجنوبيين كلهم في ذكر أسماء الآلهة التي يتعبدون لها^٣ .

وورد في كتابة أخرى اسم الملك (شهر غيلان بن أبشم) ، أمر الملك نفسه بتدوينها ، عند تجديده لإحدى العمارات وانشائه (صحفتن) ، أي برجاً ، فخلد ذلك العمل بهذه الكتابة وشكر الآلهة (عم) و (انبي) و (عم ذيسرم) ، لمتتها عليه وتسهيلها هذا العمل له^٤ .

وتعد الكتابة المرقمة برقم : (Glaser 1601) من الكتابات المهمة المسدونة في أيام هذا الملك ، لأنها أمر ملكي في كيفية جباية الضرائب من قبيلة (كحد ذ دنت) . وقد عقدت بين ملك قتيبان ورؤساء قبيلة (كحد) النازلة في (دنت) (دنته) ، واشهدت آلهة قتيبان عليها . وقد جاء في هذا الأمر أن (كبر) أي (كبير) قبيلة (كحد) هو الذي سيتولى أمر هذه الجباية والاشراف على تنفيذ الأمر وتطبيق أحكامه على كل من يخصه ويشمله ، وذلك من تأريخ تعيينه (كبيراً) الى يوم انتهاء وظيفته ، على أن يقدم الوارد الى الحكومة سنة فسنة ، فاذا انتهت مدة تعيينه ، تولى من يخلفه في هذا المنصب أمر الجباية ، وقد جعل تأريخ تنفيذ هذا العقد من : (بن شهر ورخن ذ تمنع خرف موهمب ذ ذرحن اخرن لآخرن)^٥ ، ومعناها : (من هلال شهر ذو تمنع

١ « شهر غيلان بن أبشم » .

٢ « شرح عث بن عبد ايل بن تنزب » .

٣ REP. EPIG., 3552, VI, I, P. 205, Weber, Stud., III, S., 5,

Nielsen, Stud., S., 160, Conti Rossini, Chrest., P. 87,

Nielsen, Neue Katab., S., 28.

٤ REP. EPIG. 4162, VII, I, P. 114, BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. 12.

٥ راجع نهاية الفقرة (٦) وأول الفقرة (٧) من النص :

Glaser 1601, REP. EPIG. 3688, KTB., I, S., 7, Landberg, Arabica, V. 85.

سنة موهب ذو ذرحن (ذرحان) آخراً فأخراً ، وتعني (اخرون لأخرون)
والأشهر التي تليه الى أمر آخر .

وأما الضرائب المفروضة ، أي الجباية التي يجب أن تجبي من قبيلة (كحد) ،
فقد حددت بهذه العبارة : « عشر كل هنام ومويلم وتفتنم وترثم وكل نفطم
بيثفط »^١ ، أي « عشر كل ربح صاف ، وكل ربح يأتي من التزام أو من
بيع أو من ارث يورث » ، فحصر هذا القانون ضريبة (العشر) في الأرباح
المتأتية من هذه المكاسب^٢ ، وتجي هذه الضرائب لخزانة الحكومة .

وقد ذكرت في هذه الوثيقة ضريبة أخرى ، هي (عصم) (عصم) ،
وهي ضريبة خاصة تجبي للمعابد ، أي أنها تذهب الى الكهان لينفقوا منها على
ادارة المعبد ، فهي ضريبة مقررة تجبي كما تجبي ضرائب الدولة ، وهي مصطلح
يطلق على كل أنواع الجبايات التي تسمى بأسماء الآلهة والمعابد^٣ .

ويرى (رود كناكس) ان (العصم) لفظة تطلق على كل ما يسمى للآلهة
أو المعابد من (زكاة) أو نذر أو صدقات تقدم في مختلف الأحوال ، عند براء
من سقم ، أو عند حدوث زيادة في الغلات^٤ . وقد وردت في النصوص
مصطلحات مثل : (ودم) و (شقم) و (بنم) وأمثالها ، وهي تعبر عن
النذور والهبات التي يقدمها المؤمنون تقرباً وزلفى الى آلهتهم ، وهي غير محدودة
ولا معينة ولا ثابتة ، وانما تقدم في المناسبات كما في أكثر الأدبان^٥ .

وجاءت في هذه الكتابة جملة « وسطر ذتن اسطون بيت ورفو » ، أي
« وسطرن هذه الأسطر بيت ورفو » ، وتؤدي لفظة (بيت) في أمثال هذا
السياق معنى (معبد) ، كما نقول (بيت الله) ، وقد وقعها الملك في شهر
(ذبرم) وأعلنها للناس وأوضح ذلك بهذه العبارة : « يد شهر ورخس ذبرم
قد من خرف موهب ذ ذرحن » ، أي « وقد وقع عليها شهر بيده في شهر
ذي برم الأول من سنة موهب آل ذرحن » . وجعل شاهداً على صحة الوثيقة
رجلاً اسمه (نبط عم بن السمع) من (آل هير) .

١ الفقرة الخامسة من النص المذكور .

٢ KTB., I, S., 12.

٣ KTB., I, S., II.

٤ KTB., I, S., 25.

٥ Glaser 1395, 1412, 1413, 1602. راجع النصوص :

وحظي معبد (بيهان) بعناية الملك (شهر غيلان) ، فقد أمر بترميم أقسامه القديمة وتجديدها وبناء أقسام جديدة فيه . وقد تيمن بهذا العمل بذكر الآلهة (عثر نوفان) ، أي (عثر النائف) . وسجل هذا العمل في كتابة وسمها علماء العرييات الجنوبية بـ (REP. EPIG. 4932)^١ . وقد ذكر فيها أسماء آلهة أخرى تيمناً بذكر أسائها وتقرباً إليها .

وكان هذا المعبد قد خصص لعبادة (عم ذليخ) ، فهو اذن أحد المعابد التي سميت باسم الإله (عم) . وقد عرفت معابده بـ (عم ذليخ) . ومعبد (بيهان) هو معبد من هذه المعابد التي حملت اسمه . وكانت لها جماعة تتعبد بها ، ولعلها مذهب أو طائفة خصصت نفسها بعبادة هذا الإله . وكانت هذه المعابد تنجي أموالاً من أتباعها لتقيم بها المعابد ، وصرف الملوك عليها كذلك^٢ . وفي الكتابة الموسومة بـ (Ryckmans 216) خبر نص أحرزه الملك (شهر غيلان) على حضرموت و (أمر) (آمر) (أمر) . وتخليداً له أمر ببناء معبد (عثر ذبحن) ، أي معبد الإله (عثر) في موضع (ذبحن) (ذبحان) . ويرى (فون وزمن) أن موضع (ذبحان) الذي بني فيه هذا المعبد ، هو المكان المسمى (بيهان القصب) في الوقت الحاضر . ويقع عند قدم (جبل ريدان) . وفي هذا المكان خرائب واسعة تدل على أنه كان مدينة أو قرية كبيرة . ويرجع (فون وزمن) زمان هذا الملك الى أواخر القرن الرابع لما قبل الميلاد^٣ .

ويتبين من النص المتقدم أن (قتيان) كانت في عهد هذا الملك قوية ، فقد انتصرت كما رأينا على حضرموت و (امر) ، وكانت تحكم (دنت) (دتنه) و (كحد) ، كما كانت تحكم أرضين أخرى غير قتيانية . ولولا القوة لانفصلت تلك الأرضين عنها^٤ .

وقد عثر على عدد من الكتابات القتيانية ورد فيها اسم الملك (شهر مجل بن يدع أب) . منها الكتابة التي وسمت بـ (Glaser 1602) . وهي أمر ملكي في كيفية جمع الجبابية من (اربي عم ذليخ) ، أي من (طائفة معبد

REP. EPIG., VII, P. 433, Freya Stark, in JRAS., 1939, P. 497.

KTB., S., 8, 47, Beltrage, S., 65.

Belträge, S., 48, 65.

Belträge, S., 65.

الإله عم في أرض لبخ) ، ويظهر من هذا المصطلح ومن مصطلحات مشابهة أخرى أن العرب الجنوبيين كانوا يؤلفون طوائف تنتمي إلى إله من الآلهة تسمى به وتقيم حول معبده . ويعبر عن الطائفة بلفظة (اربسي) وتقيم في الأرض تستغلها ، وتسمي نفسها باسم الرب الذي تنتمي الطائفة إليه . ويجوز أنها كانت تتعاون فيما بينها في استغلال الأرض وفي تصريف الانتاج لخير الطائفة بأسرها . وتقدم الطائفة حقوق الحكومة الى الجباة الذين يجبون تلك الحقوق ، فيقدمونها الى (الكبير) ، أي نائب الملك المعين والياً على المقاطعات ليقدمها الى الملك .

وقد أصدر الملك (شهر يجل) أمره هذا ، وأمر بتنفيذه ، وذلك في معبد (عم ذلبخ) ، المشيد في موضع (بن غيلم) أي (في غيل) ، وذلك في شهر (ذبشم) سنة (عم علي) كما يفهم من العبارة القتبانية : (ورخس ذبشم خرف عم علي)^١ .

وتألف (الاربي) ، أي طائفة (عم) إله معبد (ذلبسخ) من أسر تجمع بينها صلة القربى ، وكان لهم رؤساء يديرون شؤون الطائفة سماهم الملك، وهم : (معدي كرب) (معدي يكر ب بن هير) و (دال) و (دابل بن رباح) (ربح) ، و (اخهيسمي) أي واخوتها^٢ . وقد قصد الملك من ذكرهما في هذه الكتابة انهما هما اللذان كانا يقومان بجمع الغلات ودفع ما على أتباعها الى خزانة الحكومة والى خزائن المعابد التي في أرض (لبخ) وفوض أمر استثمارها الى هذه الطائفة .

وهناك كتابات أخرى تبحث في الموضوع نفسه ، موضوع أرض (لبخ) وطائفة (عم) (اربسي عم) القاطنة بها ، وعباراتها هي عبارات النص المذكور الا في امور ، اذ تختلف فيها ، في مثل أساء الأشخاص وتواريخ عقد تلك الاتفاقيات ومواضعه ، لأنها عقدت في أوقات مختلفة ومع أشخاص آخرين^٣ .

١ Glaser 1602, REP. EPIG. 3689, KTB., I, S., 57, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1951, P. 268, Beiträge, S., 47.

٢ Glaser 1602, REP. EPIG. 3689. الفقرة الثالثة من النص :

٣ Glaser 1412, 1612, REP. EPIG. 3693, VI, II, P., 275, Glaser, 1395, 1604, SE 81, 84, REP. EPIG. 3691, VI, II, P., 271, Conti Rossini, Chrest., P. 89, KTB., I, S., 121.

وتقدم النصوص المذكورة نماذج عن طرق كتابة العقود الرسمية بين الحكومة القتبانية والموظفين والجماعات في موضوع الالتزامات والعقود ، فلها أهمية خاصة لمن يريد دراسة أصول التشريع عند الجاهليين .

والعادة كتابة هذه الوثائق واعلاؤها للناس بوضعها في محال بارزة ، يتجمع عندها الملاً في العادة أو يمرون عليها ، مثل المعابد أو أبواب المدن ، فانها من أكثر الأماكن التصاقاً بالأفراد والجماعات . وتؤرخ بالتواريخ المستعملة في أوقات عقد العهود ، ليعمل بتلك الأوامر وفي الأوقات المثبتة في الكتابات .

ولدينا نص أمر ملكي أصدره الملك الى القتبانيين أحرارهم وعبيدهم ، رجالهم ونسائهم ، والى كل المولودين في مدينة (تمنع) في كيفية دفعهم (العصم) أي الضرائب . وقد صدر هذا الأمر واعلن للناس في (ورخم ذبرم اخرون ذوران) ، أي في (شهر برم الثاني من السنة الأولى من سني من آل ذران) . وقد سقط من الكتابة اسم الرجل الذي أرخت الكتابة به^١ .

ويرى (البرايت) ان (شهر يجل) ، هذا كان قد حكم في حوالي سنة (٣٠٠ ق. م.) وانه تغلب على المعينين فحكمهم^٢ .

وعثر على امر ملكي أصدره الملك (شهر هلل يهنعم بن يدع اب)^٣ في كيفية جباية (اربي عم لبخ) ، وهو امر يشبه الأمر الملكي الذي صدر من الملك (شهر يجل بن يدع اب) السابق . وقد ذكر الملك انه اصدر امره هذا تنفيذاً لمشيئة معبد (حطبم) (حطب) المخصص بعبادة (عم ذدونم) (عم ذو دونم) ، ومعبد (رصفم) (رصف) (رصاف) معبد الإله (انبي) ولوحي الآلهة (شمس) و (الهلال) (ريع شمس) ، وذكر اسماء وكلاء الطائفة وممثلها : طائفة (عم ذي لبخ) (اربي عم ذلبخ) في (ذي غيل) . وقد نشر الأمر واعلن على باب (شدو) من ابواب مدينة (تمنع) ، وذلك في شهر (ذي تمنع) وفي السنة الثانية من سني (شهر) من عشيرة (يجر)^٤ .

REP. EPIG. VI, P., 334, Glaser, 1393, 1609, SE 80 A. ١

The Chronology, P. 8, Beiträge, S., 47. ٢

Glaser 1395, 1604, SE 84, REP. EPIG 3691, Ktb. I, S. 121, II, S. 103, Conti ٣

Rossini, Chrest., P. 89.

Glaser 1395, 1604, SE 84, REP. EPIG. 3691. ٤
الفقرة الثامنة من النص :

ويرى ألبرايت أن هذا الملك كان شقيقاً للملك (شهر يجل) ، وأنه كان تابعاً للحكومة معين^١ . وقد حمله على هذا الرأي اشتراك اسم الأب . وأنا مع عدم معارضي لهذا الرأي لا أرى أن اشتراك اسم الأب يمكن أن يكون دليلاً على أن شخصين أو أكثر هم إخوة ، فإن أسماء الملوك في العربية الجنوبية متشابهة وتكرر ، والذي يفرق بينها هو اللقب أو الألقاب ، بل اننا حتى في هذه الحالة نجد الألقاب تتكرر أيضاً ، وهي وان بدت وكأنها اسم شخص واحد ، إلا أنها في الحقيقة لجملة أشخاص . وقد عبر المحدثون عن ذلك بالترقيم ، فقالوا فلان الأول، وفلان الثاني ، وفلان الثالث ، وهكذا ، وذلك كناية عن الاشتراك في الاسم وفي اسم الأب وفي الألقاب . ويقع ذلك عند أم أخرى أيضاً : وقع ذلك في القديم ، ووقع في الأيام الحديثة حتى اليوم . ونحن لجهلنا تواريخ ارتقاء الملوك العروش ، ولعدم تيقننا من تقدم بعضهم على بعض ، لا نستطيع لذلك ترقيم الملوك بحسب التقدم في الحكم بصورة يقينية ، فليس لنا اذن إلا التربص للمستقبل فلعل الأيام تقدم إلينا مفاتيح نفتح بها الملفات في تواريخ العرب قبل الإسلام .

وعندنا وثيقة أخرى من الوثائق الخاصة بـ (اربي عم) في (ليخ) ، من أيام الملك (شهر هلال) (شهر هلال) . وهي أيضاً أمر ملكي أصدره الملك في كيفية جباية الضرائب من هذه المنطقة . وقد أمر بوضع هذا الأمر وتعليقه عند باب (ذي شدو) من أبواب مدينة (تمنع) ، وذلك في شهر (ذو أبهي) في السنة الثانية من سني (عم شيم) من (آل يجر)^٢ . وقد مرّ ذكر (آل يجر) في نص سابق ، حيث أرخ أيضاً برجل منها ، مما يدل على أنها كانت من الأسر المعروفة المشهورة في قتيان .

والوثيقة كما نرى هي في الموضوع السابق نفسه ، موضوع جباية الضرائب من طائفة (عم) النازلين بوادي (ليخ) . ولذلك لا تختلف في أسلوبها وفي الألفاظ والمصطلحات القانونية الواردة فيها عن ألفاظ ومصطلحات الوثائق السابقة . ولكنها تختلف عنها في أنها لم تذكر اسم والد (شهر هلال) ، ولذلك تعذر

The Chronology, P. 8. ١
Glaser 1613, 1613 + 1418, SE 82, REP. EPIG. 3693, KTB., ٢
I, S., 132, II, S., 103.

علينا تعيين هذا الملك وغدا صعباً علينا تثبيت نسبه بالنسبة الى الملوك المذكورين .
وقد ترك (البرايت) فراغاً بعد اسم (شهر هلال يهنعم) وضع بعده اسم
(يدع اب ذبيان يهركب) ، غير أنه بين أنه غير متأكد من أن موضعه في
هذا المكان . وأنه وضعه على سبيل الظن ، وذلك اعتماداً على خط الكتابة التي
ورد فيها اسمه والتي يناسب أسلوبها أسلوب كتابات هذا الوقت^١ .

ثم عاد (البرايت) فترك فراغاً بعد هذا الاسم ، لا يدري من حكم فيه ،
ثم ذكر بعده اسم (فرع كرب) ، ولم يذكر أي لقب له ، ثم ذكر من
بعده اسم (يدع اب غيلان) وهو ابنه وفي عهده بني (بيت يفش) الشهر
الذي ورد اسمه في عدد من الكتابات القتبانية . ويرى (البرايت) أن ذلك كان
في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد^٢ .

وقد حصلت (البعثة الأميركية) التي نقبت في خرائب مدينة (تمنع) ،
على كتابة تتعلق ببيت (يفش) ، وباسم الملك (يدع اب غيلان بن فرع
كرب)^٣ . وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (هوفعم بن ثوب) ، ذكر
فيها انه اشترى وتملك ورث البيت المسمى (يفش) واجرى فيه تعميرات كثيرة
وفي القسم الخاص منه باستقبال الضيوف (مزود هو) ، اي المحل الذي يجلس
فيه الزائرون فيتسامرون ، فهو نادي ذلك البيت^٤ ، وكذلك في القسم المسقوف
منه ، اي القسم الخاص بالمسكن الى أعلى البناء . وبهذه المناسبة يمين صاحب البيت
بذكر اسماء آلهته : (ابني) و (التعلي) و (عم) و (عثر) و (ذات
صنتم) و (ذات ضهران) ، ثم يمين بذكر الملك الذي تم ذلك العمل في
ايامه ، وهو الملك (يدع اب غيلان بن فرع كرب) ملك قتيان .

وعثر على كتابة ورد فيها اسم (يدع اب غيلان) (يدع اب غيلان) ،
عثر عليها عند الجدار الشمالي (لحصن الخضير) الواقع على مسافة (كيلومتر)
الى الشرق من (جبل أورد) . وقد جاء فيها أن الملك أجرى ترميمات في

١ The Chronology, P. 9.

٢ The Chronology, P. 9.

٣ « يدع اب غيلان بن فرع كرب » « يدع اب غيلان بن فرع كرب » .

٤ Jamme 118, Archaeological Discoveries in South Arabia, John Hopkins
Press, Baltimore, 1958, P. 186.

مدينته (ذغيلن) (ذو غيلان)^١ .
 وكانت مدينة (ذغيلم) (غيلن) (غيلان) من المدن التي أنشئت في عهد
 الملك (يدع أب غيلان) . بناها على رأي بعض الباحثين في حوالي القرن الثاني
 قبل الميلاد وذلك عند معبد (عم ذي لبخ) الشهير الكائن في موضع (ذغيلم) ،
 أو أنها كانت موجودة ولكنه جدد بناءها فعرفت بـ (ذغيلان) . ولذلك فإن
 اسمها في الكتابات هو (ذغيلم) و (ذغيلن) و (ذغيلان) . وقد اشتهرت
 بمعبدها المذكور^٢ .

وترك (البرايت) فراغاً بعد اسم (يدع غيلان) ، يعني أنه لا يلزم من
 حكم في خلاله ، ثم ذكر اسم (هوف عم يهنعم) (هو فعم يهنعم) بعده .
 وقد حكم - على تقديره - في حوالي السنة (١٥٠ ق. م.) . ثم ذكر من
 بعده اسم ابنه (شهر يجل يهركب)^٣ .

ولدينا كتابة رقت برقم (REP. EPIG. 4335) وقد ذكر فيها اسم (شهر
 يجل يهرجب بن هوفعم)^٤ . وقد دوت هذه الكتابة عند اشتراك (شوشن)
 و (حرم) ، ابني (عم كرب)^٥ في بناء (محفد) لها اسمه (غيلن)^٦ في
 أرضهم (طوب) (طوبم) ، وتيمناً وتبركاً بذلك ذكرا أسماء آلهة قتيان واسم
 الملك المذكور^٧ .

وعثر على كتابة أخرى ، فهم منها انه في عهد الملك (شهر يجل يهرجب) ،
 جدد بناء الباب الجنوبي لمدينة (تمنع) ، وجدد بناء بيت (يفس) . ويرجع
 (البرايت) أيام هذا الملك الى ما بعد سنة (١٥٠ ق. م.) بقليل ، ويستند
 في تقديره هذا الى تمثالي أسدين عثر عليها في خرائب مدينة (تمنع) ، وقد وجدت

-
- | | |
|--|---|
| BOASOOR, NUM. 120, 1950, P. 27. | ١ |
| Beiträge, S., 47, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464, A. Jamme, | ٢ |
| A New Chronology of the Qatabanian Kingdom, in BOASOOR, NUM. 120, | |
| 1950, P. 26, Sabaen Inscriptions, P. 297. | |
| The Chronology, P. 9. | ٣ |
| « شهر يكل يهركب بن هوفعم » . يلفظ حرف « الجيم » ، بالكيميل على الطريقة | ٤ |
| المصرية . | |
| « عمكرب » . | ٥ |
| « غيلان » ، « غيلن » | ٦ |
| REP. EPIG. 4335. | ٧ |

عند قاعدتهما كتابات قتبانية ، ورد فيها اسم المعمار (ثوبيم)^١ (ثوب) ، وقد سبق أن عثر على كتابة ورد فيها اسم هذا المعمار وقد كتبت في عهد الملك (شهر يجل يهرجب) ، ومن اشتراك الاسمين استنتج (البرايت) ان التمثالين هما من عهد هذا الملك ، ويرى (البرايت) أيضاً ان هذين التمثالين صنعا على نمط صناعة التماثيل عند اليونان ، ولا يرتقي عهد صناعتها الى أكثر من القرن الثاني قبل الميلاد ، لذلك لا يمكن في نظره أن يرتقي عهد هذا الملك الى أكثر من (١٥٠) سنة قبل الميلاد^٢ .

ويظهر من الكتابة (Jamme 119) ان (ثوبيم بن يشرح عم)^٣ و (صبحم)^٤ و (هوفعم) ، وهم من آل (مهصنعم)^٥ اشترؤا ونقلوا اسم البيت باسمهم ، أي سجلوه باسمهم ، وسجلوا كل ما يتعلق به من أبنية ومسقات في الطابق الأرضي وفي الأعلى وذلك وفقاً لشريعة الإله (انبي) . وتيمناً بهذه المناسبة سجلوا شكرهم للآلهة (عثر) و (عم) و (انبي) و (ورفو ذلفن) و (ذات صنم) و (ذات زهران) ، وكانت تلك المناسبة في أيام الملك (شهر يجل يهرجب بن هوفعم يهنعم) . وفي عهد (فرع كرب) من أسرة (ذرحن) ونائب الملك (شهر)^٦ .

وقد استنتج بعض الباحثين من هذا النص أن (هوفعم) والد (شهر يجل يهرجب) كان شقيقاً لـ (فرع كرب) الذي كان نائباً عن الملك أو حاكماً يوم دوت هذا النص . وقد كان من أسرة أو قبيلة (ذرحان) . وقد كان له ابن هو الملك : (يدع اب غيلان)^٧ .

ويلاحظ أن هذه الأسماء تنطبق على الأكثر على مجموعة ملوك ذكرها (البرايت) في بحث له بعد اسم (شهر هلال يهنعم) وقبل (يدع أب ينف)^٨ . وسيأتي

١ « ثوبيم » ، « ثوب » ، « ثواب » ، « ثوبيم » ، « ثوب » .

٢ BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 9, The Chronology, P. 9.

٣ « ثوبيم بن يشرح عم » ، « ثوبيم بن يشرحعم » ، « ثوب بن يشرحعم » .

٤ « صبح » ، « صباح » .

٥ « مهصنعم » .

٦ Jamme 119, Discoveries, P. 188.

٧ Discoveries, P. 188.

٨ The Chronology, P. 8.

الكلام عنها فيما بعد . غير أن الزمان الذي قدره لحكم هذه المجموعة متأخر عن الزمان المذكور .

وقد وردت في نص من النصوص المعينية عبارة مهمة جداً لها علاقة بقتبان ، وبشخص ملكها (شهر يجل يهرجب) ، وبالحالة السياسية التي كانت في حكومة معين . ورد فيها ما ترجمته : (في يوم سيده وقه آل يثع وابنه اليثع يشر ملك معين ، وبسيده شهر يجل يهرجب ملك قتبان)^١ . وقد ذكر (هومل) أن كلمة (مراسم) في السطر الرابع من النص قد يمكن قراءتها (مرأس) ، ولو قرئت على هذه الصورة لكانت تعني أن (شهر يجل يهرجب) كان رئيساً على ملك (معين) وابنه ، وهذا يعني أن حكومة معين كانت خاضعة للحكومة قتبان في هذا العهد^٢ . ويرى (فلي) أن ذلك كان حوالي سنة (٨٢٥ ق.م .) وأن حكم (شهر يجل يهرجب) كان على رأيه أيضاً من سنة (٨٢٥ - ٨٠٠ ق.م .) . وفي هذا العهد لم تكن (سبأ) قد كونت حكومتها بعد ، ومن المحتمل أن قبائلها كانت يومئذ كما يرى (فلي) متحالفة مع قتبان^٣ .

ويرى (رودونكاس) أن نص (Halevy 504) يشير الى أحد أمرين : تحالف بين معين و قتبان كان في عهد الملك (شهر يجل يهرجب) أو أن حكومة معين كانت حقاً خاضعة لسيادة قتبان^٤ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن حكم (شهر يجل يهرجب)^٥ ، كان في القرن الأول قبل الميلاد ، وفي حوالي السنة (٧٥ ق.م .) . وبناءً على ذلك يكون خضوع معين المذكور في النص في هذا الزمن ويكون (اليثع يشر) الذي نعتوه بالثاني من هذا العهد أيضاً . ويرون أيضاً أن استيلاء (قتبان) على معين لم يدم طويلاً ، لأن السبئيين سرعان ما

Glaser 1087, Halevy 504.

١ هذا النص هو من « براقش » ، وهناك بعض مواضع فيه لا تزال غامضة « ملكي

معين » ملكي معين ، Weber, Studien, I, S., 60. « بيومه مراسم ... »

REP. EPIG. 2999.

وب مراس شهر يجل يهرجب ، ملك قتبان ، ،

Hommel, Chrest. S., 95, Handbuch, I, S., 18, 71.

٢ Background, P. 56, REP. EPIG. 2999, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 233.

٣ KTB., I, S., 36, II, S., 7.

٤ « شهر يكل يهركب » ، حرف « الجيم » عند أهل اليمن على نحو نطق المصريين في الزمن الحاضر بحرف « الجيم » .
٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 446.

أخذوا زمام الأمور بأيديهم ، فاستولوا على معين . ثم إن الحميريين استولوا على الأرضين الجنوبية لقتبان الممتدة الى البحر فأضعفوا قتيان ، حتى عجزت عن الهيمنة على المعينين .

ولم يؤثر اعتراف (معين) بسيادة ملوك (قتيان) عليها في استقلالها الذاتي ، إذ بقي ملوكها يحكمونها كما يظهر ذلك من الكتابة المذكورة : (Halevy 504) ومن كتابات أخرى . وقد جاء في كتابة (معينة) أمر بتدوينها الملك (اليفع يشر) ملك (معين) في عاصمته (قرنو) ، ذكر كاهنين من (كهلان) (كهلان) من قتيان ، حضرا حفلة تتويجه ، وربما يستشف من ذكر هذين الكاهنين الاشارة الى الروابط السياسية التي كانت بين معين و قتيان ، وأن حكومة (قرنو) كانت خاضعة لسيادة (قتيان) دون أن يؤثر ذلك في استقلالها الذاتي الذي كانت تتمتع به^١ ، أو أنها كانت قد تحالفت مع قتيان ، أو كونت اتحاداً دون أن يؤثر ذلك في الملكية في معين أو قتيان .

ولدينا نص مهم طويل ، هو قانون أصدره (شهر يجل يهرجب) باسمه وباسم شعب (قتيان) ، لقبائل قتيان ، في كيفية الاستفادة من الأرضين واستثمارها وقد صدر هذا القانون بعد موافقة الملك عليه في اليوم التاسع ، وهو يوم ذو (اجيبو) (ذاجيبو) من شهر (ذي تمنع) من السنة الأولى من سني (عم علي) من (آل رشم) من عشيرة (قفعن)^٢ . ويظهر أن رؤساء القبائل وأعيان المملكة قد عقدوا اجتماعات عديدة ، وتداولوا الرأي في استثمار الأرض وقسمتها على القبائل والعشائر والفلاحين ، وبعد أن اتفقوا على الأسس رفعوها الى الملك فأصدر أمره باقرارها ، كما أقرها الكهان ، وكسنت لمعابدهم أوقاف جسيمة يستغلها الفلاحون ، فلا بد أن يكون لهم رأي مهم في صدور أمثال هذه القوانين .

وذكرت في نهاية نص القانون طائفة من الأسماء كتبت بعد جملة (ايد هو) وتعني أن هؤلاء الذين سترد أسماؤهم قد قرأوا القانون ، وقد شهدوا على صحة

Background, P. 56. ١

REP. EPIG., VI, I, P. 218, Glaser 2566, Grundriss, S., 33, ٢

Glaser, Alt. Jam. Nachr., S., 162.

صدوره من الملك فوقوا بأيديهم عليه . وأنهم موافقون على كل ما جاء فيه ، وهم يمثلون بالطبع رؤساء القبائل وأعيان العاصمة والمملكة ، وقد ذكرت مع أسمائهم أسماء الأسر والعشائر التي ينتمون إليها ، فكانت لهذه الأسماء فائدة عظيمة في دراسة القبائل والأسر التي عاشت قبل الإسلام .

وقد وردت في النص كلمة (فقد) وكلمة (بتل) ، ويظهر منه ان لاهتين الكلمتين دلالة على معنى مجالس استشارية ، أو ما شابه ذلك ، كانت تمثل رأي طبقات من الناس ، مثل سادات القبائل أو أمثالهم من أصحاب الجاه والسلطان . فقد وردتا في النص بمعنى تقديم رأي الى الملك للموافقة عليه ، وذلك في شهر (ذوبرم) وفي السنة الثانية من سني (اشبن) من عشيرة (حضرن) (حضران) من قبيلة شهر^١ .

والى عهد الملك (شهر يجل يهرجب) ، تعود الكتابة التي دوتها (عقريم بن ثويم) (عقرب بن ثويب) من (آل مهصنم) من عشيرة (صويم) وذلك لمناسبة بنائه محلاً (خطيس) ، وذلك بحق الإله (انبي) . وقد تيمن بهذه المناسبة بذكر الآلهة (عثر) و (عم) و (ورفو) و (ذات صنم) و (ذات ضهران) ، وكان ذلك في عهد الملك المذكور^٢ .

والى عهده أيضاً تعود الكتابة التي وسمت بـ (Jamme 874) ، وهي كتابة قصيرة ورد فيها ان (شهر يجل يهرجب ملك قتيان) وضع أو قدّم^٣ . ولم تذكر الكتابة شيئاً بعد ذلك .

وقد عثر على كتابة في (وسطى) ، ورد فيها اسم (شهر يجل يهرجب بن هوفعم يهنعم) ، وقد لقب فيها (مكرب) ، مع انه من الملوك وقد لقب في جميع الكتابات بلقب (ملك) . وقد حكم بعد (يدع اب ذبيان بن شهر) الذي ترك لقب (مكرب) واستعمل لقب (ملك) بزمن^٤ . واستعمال كلمة

REP. EPIG., VI, I, P. 212, Glaser, Altj. Nach., S., 162,

Conti Rossini, Chrest., P. 90.

Discoveries, P. 191.

BOASOOR, NUM. 138, (1955), P. 46.

A. F. L. Beeston, Epigraphic and Archaeological Cleanings from South

Araba, Oriens Antiquus, I, 1962, P. 51, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434.

(مكرب) في هذه الكتابة يلتفت النظر ، اذ كانت الكتابات قد تركتها منذ زمن (يدع اب) ، فهل نحن اذن أمام ملك آخر اسمه نفس اسم (شهر يكل) (شهر يجل) واسم والده كاسم والد هذا الملك ، وقد كان مكرباً، فيجب علينا ادخاله اذن في جملة المكربين ، ونقله من هذا الموضع ؟ أو هل نحن أمام خطأ وقع فيه كاتب الكتابة ، اذ استعجل فكتب كلمة (مكرب) موضع لفظة (ملك) ؟ أو هل نحن أمام مصطلح فقط ، يبين لنا ان الحكام وان كانوا قد تركوا لقب (مكرب) ، الا ان الناس كانوا يطلقونها عليهم فيما بينهم على اعتبار ان لهم مقاماً دينياً عندهم ، وانها لا تنافي الملكية ، تماماً على نحو ما يفعل الانيون^١ من اطلاقهم لفظة (امام اليمن) و (ملك اليمن) على حكامهم وذلك لجمعهم بين الصفة الدينية والصفة الملكية في آن واحد ؟.

لقد تمكنا بفضل الكتابات المتقدمة من الوقوف على أسماء مجموعة من الملوك تنتمي الى عائلة واحدة اسم أول ملك منها هو (هوفعم يهنم) ، غير اننا لا نعرف حتى الآن اسم والده، وكان له شقيق اسمه (فرع كرب) (فرعكرب) نسب نفسه الى (ذرحان) (ذرحن) ، فنحن نستطيع أن نقول ان هذه العائلة كانت من (ذرحان) ، وذلك في حالة ما اذا كان (هوفعم) و (فرعكرب) شقيقين تماماً أي من أب واحد وأم واحدة . وكان له (هوفعم) ولد تولى الملك من بعد والده هو (شهر يجل يهرجب) ، وقد أنجب (شهر يجل يهرجب) من الولد (وروابل غيلان) ، وقد تولى الملك ، و (فرع كرب يهوضع) وقد ولي الملك كذلك .

وأما (فرع كرب) شقيق (هوفعم يهنم) ، فقد كان له من الولد (يدع اب غيلان) ، رأى جامه (Jamme) ، انه (يدع اب غيلان) المذكور في نص (هوفعم بن ثويم) (Jamme 118) صاحب بيت (يفش)^١ . ولكننا لو أخذنا برأيه هذا لزم حينئذ وضع اسم (فرع كرب) بعد اسم ابن أخيه (شهر يجل يهرجب) ووضع اسم ابن (فرع كرب) بعده ، بينما تدل الدلائل على ان حكم (فرع كرب) كان قبل (هوفعم يهنم) وان ابنه (يدع اب غيلان) كان من بعده ، ومعنى هذا انها حكما قبل (شهر يجل يهرجب) .

وقد جعل نص (Jamme 118) (فرع كرب) وصياً على (شهر يجل) أو حاكماً ولم يجعله ملكاً . ولذلك أرى ان في رأي (جامه) (Jamme) تسرع يجعل من الصعب قبوله على هذا النحو .

وكان للملك (شهر يجل يهرجب) ولد تولى الملك من بعده ، اسمه : (وروال غيلن يهنعم) (وروايل غيلان يهنعم) ، ويرى (البرايت) ان من المحتمل أن يكون هو (وروال غيلن) (وروايل غيلان) الذي وجد اسمه منقوشاً على نقود ذهب عثر عليها مضروبة في مدينة (حريب)^١ .

وقد وصل الينا نص يفيد ان الملك (وروال غيلن يهنعم) ، أمر وساعد قبيلة (ذو هربت)^٢ الساكنة في مدينة (شوم) ببناء حصن (يخضر) (يخضور) الواقع أمام سور مدينة (هربت) ، وكان قد تداعى فتساقط . وقد نفذت هذه القبيلة ما أمرت به في أيام هذا الملك ، وجعلت العمل قريباى الى الآلهة (عم ذو ذريمتم) (عم ذو ريمة) و (ذت رحبن) (ذات رحبان) و (الهن بيتن روين) أي و (آلهة بيت روين)^٣ .

وبين أيدي العلماء كتابة دونت في عهد الملك (وروايل غيلان يهنعم) (وروايل غيلان يهنعم) ، صاحبها امرأة اسمها (برت) (برات) (برة) (برأت) من (بيت رثد ايل) (رثدال) من عشيرة (شحز) ، وقد ذكرت فيها أنها قدمت الى (ذات حميم عثر يغل) ، تقربة هي ، تمثال من الذهب يمثل امرأة تقرباً الى الآلهة ، وذلك لحفظها ولحفظ أملاكها ، ووفياً لما في ذمتها تجاه الإله (عم ذريجو) . ويظهر أنها كانت كاهنة (رشوت) (رشوة) لمعبد الإله (عم) الكائن في (ريمت) ، وكان ذلك في عهد الملك (وروايل غيلان يهنعم)^٤ . فنحن في هذا النص أمام امرأة كاهنة مما يدل على أن النساء في العربية الجنوبية كن يصلن درجة (كاهنة) في ذلك العهد .

BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 12, The Chronology, P. 9. ١
REP. EPIG. 4329, VII, II, P. 194, VI, II, P. 259, Le Muséon, ٢
1-2, 1951, P. 113.
REP. EPG. 4329, VII, II, P. 194, VI, II, P. 259, Le Muséon, ٣
1-2, 1951, P. 113, SE 96.
Discoveries, P. 191. ٤

وكان للملك (وروال غيلن يهنعم) شقيق اسمه (فرع كرب يهوضع) (فرع عكرب يهوضع) ، لا نعرف من أمره شيئاً يستحق الذكر . وقد ورد اسمه في النص المعروف بـ (Glaser 1415) وهو نص سجله رجل عند بنائه بيتاً له ، وجعله في حماية آلهة قتبان، وذكر لذلك اسم الملكين : (وروال غيلن يهنعم) واسم شقيقه (فرع كرب يهوضع) ، (ابنا شهر)^١ ، ولم يذكر في هذا النص لقب (شهر) .

وورد اسم ملك آخر من ملوك قتبان في كتابة رقمت برقم (REP. EPIG. 3962) وقد دوت هذه الكتابة عند بناء رجل من قتبان اسمه (برم)^٢ حصناً له ، وإصلاحه أرضين زراعية ذات أشجار كثيرة مشمرة ، فسجل على عادة أهل زمانه أسماء آلهته فيها تيمناً بذكر اسمها وتقرباً إليها، لتغذق عليه الخير والبركة ، كما ذكر اسم الملك الذي تم هذا العمل في أيامه ، وهو الملك : (يدع أب ينف يهنعم) (يدع أب ينوف يهنعم)^٣ .

ولا نعرف من أمر هذا الملك شيئاً يذكر ، لعدم ورود اسمه في نصوص أخرى ، وقد وجدت نقود من ذهب ضربت في (حرب) حملت اسم ملك قد ضربها سمي (يدع اب ينف) (يدع أب ينوف)^٤، فلعلة هذا الملك المذكور في هذه الكتابة . ولا نعرف بالطبع وقت حكمه ، ولا موضع مكانه بين ملوك قتبان .

وورد في كتابة قتبانية عثر عليها في (كحلان) اسم ملك سمي (شهر هلال ابن ذرا كرب) (شهر هلال بن ذرا كرب) ، ولم يذكر فيها لقبه . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (شهرا) هذا ، هو الملك السابق (شهر هلال يهقبض) (شهر هلال يهقبض) ، وأن أباه هو (ذرا كرب) لذلك . وقد وضعه (ألبرايت) في قائمة قائمته للملوك قتبان . وقد افتتحت الكتابة المذكورة بما يأتي : (قانون أصدره وأمر به شهر هلال بن ذرا كرب ملك قتبان لشعب

Glaser 1415, SE 95, REP. EPIG. 3965, VII, I, P. 20. ١

« برم » ، « يارم » ، « بريم » . ٢

REP. EPIG. 3962, VII, I, P. 17, SE 93. ٣

BOASOOR, NUM 119, 1950, P. 9, The Chronology, P. 9. ٤

قتبان وذى علشن ومعين وذى عثم أصحاب أرض شدو ^١ . وقد نظم هذا القانون واجبات هذه الشعوب الأربعة في كيفية استغلال الأرض ، وعين الأعمال المترتبة عليها ، وانذر المخالفين بفرض العقوبات عليهم ، وأشار الى الموظف الذي نخول حق تنفيذ ما جاء فيه .

وقد أمر الملك باعلان أمره ونشره على باب (شدو) (زدو) كما يظهر ذلك من هذه العبارة : (ول يفتح هج ذن ذحرون بنحو خلفن ذ شدو ورخص ذعم خرف اب علي بن شحز قد من) ^٢ . أي (وليفتح هذا الأمر ، أي يعلن على طريق باب ذ شدو في شهر ذوعم من السنة الأولى من سني أب علي بن شحز أو من قبيلة شحز) ، أو من آل شحز . وجاءت بعد هذه الفقرة جملة : (وتعلماي يد شهر) ، أي وقد علمته ، أي وقعته يد شهر ، بمعنى وقد وقع شهر بنفسه . وقد نخول الملك (كبر تمنع) ، أي (كبير مدينة تمنع) العاصمة بتنفيذ ما جاء في هذا الأمر الملكي ^٣ .

وقد حدد هذا الأمر الوقت الذي يجب فيه على المزارعين تنفيذ التزاماتهم فيه ، فذكر أنه من أول شهر (ذو فرعم) (ذو فرع) الى السادس من (ذي فقهو) ، يجب دفع الضرائب يوماً فيوماً وشهراً فشهرأ . ويرى (رودوكناكس) أن شهر (ذو فرعم) هو الشهر الأول من السنة عند زراع قتبان ، وأن شهر (ذو فقهو) هو الشهر الأخير من السنة . وعلى هذا التقويم الذي يستند الى الزراعة والبلد والحصاد كانت تدفع الضرائب ^٤ .

ويظهر من ذكر أسماء هذه الشعوب (اشعين) الأربعة في هذا القانون ، انها كانت تحت حكم هذا الملك ، وان قسماً من شعب معين بل ربما كل شعب معين كان يخضع له . ويرى (رودوكناكس) ان في هذه الكتابة دلالة على

١ « حلکم سحر وجرچ شهر هلل بن ذراکرب ملک قتبین شعب قتبین وذ علشن ومعنم وذ عثم ابل صروب عدو شدو ٠٠٠ » وذلك في كتاب : KTB., II, S., 5. و « هنکم سهر وهرن شهر هلل بن ذراکرب ملک قتبین شعبین قتبین وذ علشن ومعنم وذ عثم ابل صروب عدو شدو » ، وذلك في كتاب :

REP. EPIG., VI, II, P. 316, 3854.

٢ الفقرة الأخيرة من النص .

٣ الفقرة السادسة من النص .

٤ KTB., I, S., 82, II, S., 19.

ان شعب معين كان تابعاً لحكومة قتيان في عهد هذا الملك، كما كان تابعاً لقتيان في ايام الملك (شهر يجل بهرجب) ، ولكن ذلك لا يعني في نظره ان شعب (معين) كان قد فقد استقلاله ، ولم يكن عنده ملوك ، وعنده ان هذا النص قد أقدم عهداً من النص المرقم برقم Halevy 504 ، وهو النص الذي ورد فيه اسم (شهر يجل بهرجب) على انه كان صاحب سلطان على حكومة معين . ف (شهر هلال بن ذرأ كرب) في نظر (رودوكتاكس) أقدم عهداً من (شهر يجل بهرجب) ، وقد حكم اذن قبله^١ .

وعندي ان هذه الكتابة تدل على ان من المعقول وجوب تقديم هذا الملك ونقله من المكان الذي وضعه فيه (البرايت) الى مكان آخر يقدمه في الزمان . فقد وضعه (البرايت) في آخر قائمة ملوك قتيان ، وبه ختم حكومة قتيان وأشار الى نزول الدمار بالعاصمة بعده وبسقوط حكومة قتيان وان ملكاً يحكم قتيان ومعين أو قسماً من معين كما يفترض بعض الباحثين ، لا يمكن أن يكون آخر ملك للملك قتيان للسبب المذكور ، بل لا بد من تقديمه بعض الشيء ، فان سقوط المملكة دليل على ضعفها وانهايار بنيانها وليس في هذه الكتابة أثر ما يشير الى هذا الضعف أو الانهيار .

وعثر على كتابة تحمل اسم ملك يسمى (شهر هلال يقبض) عثر عليها في بيت عرف بـ (يغم) ، يقع غرب الباب الجنوبي لمدينة (تمنع) . ويرى (البرايت) ان خط هذه الكتابة خط متأخر كسائر الخطوط المكتوبة على الأبنية وان المحتمل أن يكون هذا البيت قد بني قبل خراب (تمنع) ، بنحو عشر سنين أو عشرين سنة ، ولا يزيد عمر هذا البيت في رأيه على هذا الذي قدره بكثير^٢ .

ويرى (البرايت) احتمال ان (شهر هلال) (شهر هلال) الذي وجد اسمه على سكة من ذهب ضربت في مدينة (حريب) ، هو هذا الملك ، أي (شهر هلال يقبض) (شهر هلال يقبض)^٣ . ويرى (فون وزمن) ان حكم الملك (شهر هلال يقبض) (شهر هلال يقبض) كان فيما بين السنة (٩٠) والسنة

KTb., I, 8., 34, II, 8., 7.

BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 13.

The Chronology, P. 9.

(١٠٠) بعد الميلاد^١ . وفي عهده أو فيما بين السنة (١٠٠) والسنة (١٠٦) وقع خراب (تمنع) عاصمة قتيان^٢ .

وقد عثر على حجر مكتوب في موضع (هجر بن حميد) ، جاء فيه اسم ملك يدعى (نبط بن شهر هلال) ، ومعه اسم ابن له هو (مرثد) . وقد ذهب (ألبرايت) الى أنه من الملوك الذين حكموا في (حريب) والأرضين المتصلة في المناطق الغربية من (قتيان) ، وذلك بعد سقوط مدينة (تمنع) فيما بين سنة (٢٥ ق.م .) والسنة الأولى من الميلاد^٣ ، فهو على رأيه من الملوك المتأخرين الذين تعود أيام حكمهم إلى أواخر أيام هذه المملكة .

والملك المذكور هو (نبط عم يهنعم بن شهر هلل يهقبض) ، فهو إذن ابن الملك (شهر هلال يهقبض) الذي يعدّ آخر الملوك المتأخرين . ويظهر أن (نبط عم) وابنه (مرثدم) (مرثد) كانا في جملة الملوك الذين انتقلوا الى (حرب) (حريب) بعد خراب (تمنع) فاتخذوها عاصمة لهم . فهي العاصمة الثانية لقتيان . وقد سكنوا في قصرهم بـ (حريب) ، ولعلّ هذا الاسم هو اسم القصر ، أما اسم المدينة ، فقد كان غير ذلك ، تماماً كما كان قصر ملوك سبأ الذي هو بمدينة (مأرب) يسمى (سلحين) وقصر ملوك حير الذي هو بمدينة (ظفار) يسمى (ريدان) . ولعلّ هذا هو السبب الذي جعل ضاربو النقود القتيانية يذكرون أن موضع الضرب هو (حريب)^٤ . غير أن هذا لا يمنع من أن يكون اسم (حريب) اسم للمدينة ولقصر الملوك في آن واحد .

ويرى (فون وزمن) أن الكتابة الموسومة بـ (Jamme 629) والتي تتحدث عن حرب اشتركت فيها جملة جهات ، هي حرب وقعت في عهد هذا الملك : (نبط عم) . وقد ورد فيها أن حرباً وقعت على مقربة من (وعلان) ، وأن أصحاب الكتابة وهم : (مرثدم) (مرثد) و (ذرحان) من (بني ذو جرفم) بني (ذي كرفم) (كراف) ، وكان أحدهم قائداً في جيش (الملك سعد

1 Le Muséon, 1964, 3-4, P. 465.

2 Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

3 W. Phillips, P. 221, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464, Beeston, Epigraphic, in Orlens Antiquus, I, 1962, P. 47, Albright, In Jour. Amerl. Soc., 73, 1953, 37.

4 Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464.

شمس أسرع) و (مرثدم يهحمد) ملكا (جرات) (جرت) (جرأت) (كرات) قد اشتركتا في هذه الحرب ضد الملك (يدع ايل) ملك حضرموت وجيش حضرموت ، وضد الملك (نبطم) (ن ب ط م) ملك قتبان ، وضد (وهب ايل بن معاهر) و (ذي خولان) و (ذي خصب) وضد (مذحم) (مذحي) ، وقد كان النصر لهم ، أي لأهل الكتابة^١ .

وقد استدلل (فون وزمن) من عدم ورود كلمة : (هجرن) (هكرن) ، التي تعني مدينة في العربيات الجنوبية قبل اسم (تمنع) ، (عدي خلف تمنع) على ان (تمنع) لم تكن عاصمة في هذا الوقت ، بل كانت موضعاً صغيراً أو اسم أرض حسب^٢ .

ولا يستبعد أن تكون هذه الحرب قد وقعت في أواخر أيام (نبط عم) . ويرى (فون وزمن) ان (نبط عم) وان كان قد لقب في الكتابة بلقب (ملك) الا انه كان في الواقع خاضعاً لحكم حكومة حضرموت^٣ . وقد جعل (فون وزمن) زمان حكمه في حوالي السنة (١٢٠ م) وجعل نهاية حكم ابنه في حوالي السنة (١٤٠) بعد الميلاد . ومعنى ذلك ان الحرب المذكورة قد وقعت في خلال هذه السنين^٤ .

وبعد انتهاء هذه الحرب اجتمع صاحبا الكتابة وهما من (بني ذي كرفم) (بن ذ جرفم) وكانا يقيان في (صنعو) أي صنعاء ، وكذلك ملكا (جرات) (كرات) و (سعد شمس) و (مرثدم) و جماعة من سادات القبائل في موضع (رحبت) (الرحابة) ، شمال (صنعاء) في وسط أرض (سمعي) ، وكان في جملة من حضر ، سادة (ثلث سمعي) و (شرحشت) من قبيلة (بتع) و (الرم) (ايل رام) (الريام) (ريام) من (سخيم) (سخيم) (ويرم) (يارم ايمن) من همدان . ويظهر من ذلك ان سادة (كرات) ، كانوا أصحاب نفوذ في تلك الأيام^٥ .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 463.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 464.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٥ Le Muséon, 1964, P. 465.

يتفق جميع الباحثين في دراسة تأريخ الحكومات العربية الجنوبية على ان السبثيين هم الذين قضوا على استقلال حكومة قتبان . ولا نجد أحداً منهم يخالف هذا الرأي ، ولكنهم يختلفون في تعيين الزمن وتثبيته . فبينما نرى (فليبي) ، يجعل ذلك في حوالي سنة (٥٤٠ ق.م.)^١ ، نرى (البرايت) يجعل سقوط مدينة (تمنع) في حوالي سنة (٥٠ ق.م.)^٢ ، بينما يرى غيره ان خراب (تمنع) كان فيما بين السنة (١٠٠) والسنة (١٠٦) بعد الميلاد^٣ .

ولا يعني سقوط (تمنع) وخرابها وفقدان القتبانيين لاستقلالهم ، ان الشعب القتباني قد زال من الوجود ، وان اسمه قد اندثر تماماً واختفى ، فاننا نرى ان الجغرافي الشهير (بطلميوس) يذكر اسمهم في جملة من ذكرهم من شعوب تقطن في جزيرة العرب ، وقد ساهم (Kottabani) و (Kattabanoi)^٤ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان خراب (تمنع) كان بعد السنة العاشرة للميلاد . وربما كان ذلك في أيام (جوليو - كلوديان) (Julio-Claudian) ، أو في أيام (فلافيان) (Flavian)^٥ .

وقد استدل (البرايت) من طبقة الرماد الثخينة التي عثر عليها وهي تغطي أرض العاصمة (تمنع) ، على أنها كانت قد أصيبت بحريق هائل ربما أتى على كل المدينة . وقد أتى هذا الحريق على استقلال المملكة^٦ . ولا نعلم علماً أكيداً في الوقت الحاضر بالأسباب التي أدت الى حدوث ذلك الحريق ، ولكن لا أستبعد احتمال حرق السبثيين لها عند محاربتهم للقتبانيين ، فقد كان من عادتهم ومن عادة غيرهم أيضاً حرق المدن والقرى اذا مانعت من التسليم وبقيت تقاوم المهاجمين . وفي كتابات المسند أخبار كثيرة عن حرق مدن وقرى حرقاً كاملاً الى حد الافناء .

Background, P., 144. ١

The Chronology, P. 9. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 463. ٣

Paulys — Wissowa, 20 ter Halbband, S., 2359. ٤

BOASOOR, NUM. 160, (1960), P. 15. ٥

BOASOOR, NUM. 119, (1950), P. 9. ٦

قبائل وأسر قتبانية :

وردت في ثنايا الكتابات القتبانية أسماء أسر وقبائل قتبانية عديدة ، طمست أسماء أكثرها ولم يبق منها حياً الى زمن ظهور الإسلام غير عدد قليل ، هذه الأسماء تفيدنا ولا شك ، في دراسة أسماء القبائل العربية فائدة كبيرة . والقبيلة هي (الشعب) في لهجة أهل قتبان ، والجمع (اشعب) (أشعب) ، أي قبائل . ومن هذه الأسماء (جدنم) ، أي (جدن) (بنو جدن)^١ . و (جدن) من الأسماء المعروفة قبل الاسلام أيضاً . وهو اسم جد واسم موضع ، فزعم أن (ذا جدن) الأكبر ملك من ملوك حمير ، وهو أحد الماثمة من ولده ذو جدن الأصغر^٢ . وقد يكون لما ذكره أهل الأخبار عن (ذي جدن) علاقة بـ (جدن) المذكورين في الكتابات القتبانية وفي الكتابات العربية الجنوبية الأخرى .

وكان موضع (حجب) (حباب) من أمكنة (جدنم) (جدن) . وقد ذكر في عدد من الكتابات . ويقال له اليوم (وادي حباب) وفيه مواطن عديدة ، منها : (حزم الدماج) و (خربة المسادر) . وقد ورد اسم (ذحب) (ذو حباب) في كتابة كتبت عند انشاء سدّ لخزن المياه . ويقع (وادي حباب) في غرب (صرواح)^٣ .

وفي جملة القبائل أو الأسر التي ورد اسمها في الكتابات القتبانية اسم (يهر) ويظهر أن (آل يهر) كانوا من أصحاب السلطان والصيت في ذلك العهد ، وقد ذكروا مع أسر أخرى . ووردت في الموارد الإسلامية إشارات الى (ذي يهر) فذكر (الهمداني) انه كان في محفد (بيت حنبص) آثار عظيمة من القصور ، وكان قد بقي منها قصر عظيم كان أبو نصر وآباؤه يتوارثونه من زمان جدهم ذي يهر . وكان بنجارته وأبوابه من عهد ذي يهر ، ولم يزل عامراً حتى سنة خمس وتسعين ومئين حيث أحرقه (براء بن الملاحق القرمطي)^٤ . وذكر

REP. EPIG. 850, VI, I, P. 224.

٢ منتخبات (ص ١٨) ، الاكليل (٧٦/٨) ، « نبیه » ، شعراء النصرانية

(ص ٢١٧) تاج العروس (١٦٠/٩) .

Beltrage, S., 22, Glaser, 928.

٤ الاكليل (٥١/٨) فما بعدها ، « نبیه » (٦٤/٨) ، « الكرملی » ، ونزله ابن ابی الملاحف القرمطي ، قائد علي ابن الفضل ، وسلط عليه النار ، الاكليل (١٢ / ١) .

(نشوان بن سعيد الحميري) ان (ذا يهر) كان ملكاً من ملوك حير (أسعد تبع) قال فيه شعراً^١ ، وغير ذلك مما يدل على ان ذاكرة أهل الأخبار لم تكن تعي شيئاً من أمر تلك القبيلة التي يمتد تأريخها الى ما قبل الميلاد. ويتبين من بعض الكتابات ان ناساً من (يهر) كانوا أتباعاً لقبيلة همدان^٢ . وأما (كحد) فهي من القبائل التي ورد اسمها مراراً في الكتابات القتبانية ، وقد نسبت الى جملة أمكنة ، مما يدل على انها كانت تنزل في مواضع متعددة . فورد (كحد ذ دنت) ، أي (كحد) النازلة في أرض (ذي دنت) ، وورد (كحد ذ حضنم) ، أي (كحد) صاحبة (حضنم) (حضن) ، وورد (كحد ذ سوطم) ، أي (كحد) النازلة في موضع (ذي سوط) ، وهكذا. وفي انتشار هذه القبيلة في أرضين متعددة دلالة على انها كانت من قبائل قتبان الكبيرة. وفي نص في النصين المعروفين بـ : (Glaser 1600) و (Glaser 1620) على انها كالت (شعبن) ، أي قبيلة .

ويظهر انها كانت تتمتع بشبه استقلال ، فقد ذكرت باسمها مع (أوسان) و (تبني) و (دهس) ، و (قتبان) في بعض النصوص ، متعاونة مع (قتبان) في القيام ببعض الأعمال العامة ذات المنافع المشتركة ، مما يدل على انها هي والقبائل الأخرى المذكورة ، كانت تعامل معاملة خاصة ، وانها كانت تتمتع بشيء من الاستقلال ، وربما كانت مستقلة ولكنها كانت في حلف مع مملكة قتبان^٣ .

وقد تحدثت عن كتابة رقت برقم (Glaser 1601) ، وقلت انها أمر أصدره الملك (شهر غيلان بن اب شيم) (شهر غيلان بن ابشيم) ، في كيفية جباية الضرائب من (كحد) النازلة في أرض (دنت) ، وان الملك المذكور كان قد وكل أمر جبايتها الى (كبر) (كبير القبيلة) ، ويظهر منها ان (كحداً) هذه كانت تدفع الضرائب لقتبان ، وكانت معترفة في هذا الوقت بسيادة ملك قتبان عليها .

١ منتخبات (ص ١١٨ فما بعدها) ، « وذو يهر محرقة وقد يسكن ، واقتصر الصاغانمي على التحريك . ملك من ملوك حمير من الاذواء » ، تاج العروس (٦٣٢/٣) القاموس (١٦٤/٣) .
٢ نشر (ص ٧٠) . (CIH, IV, I, IV, P. 370, (331).
٣ Glaser 1600, REP. EPIG. 4328.

ومن القبائل التي ورد اسمها في الكتابات القتبانية قبيلة (اهرين) وقد نعت بـ (شعب اهرين) ، أي قبيلة (اهرين) (أهرب) . وكانت مواضعها في (ظفر)^١ . وقد ورد في إحدى الكتابات أنها جددت وأصلحت بناء (محندن حضرن) ، أي (محفد حضر) ، مما يدل على أنه كان من المحافظ التي تقع في منازل هذه القبيلة^٢ .

و (ذران) (ذران) من القبائل التي ورد اسمها مراراً في الكتابات القتبانية. وقد رأينا أن بعض الكتابات أرخت بتاريخ هذه القبيلة^٣ .

وورد اسمها في كتابات عثر عليها بمدينة (تمنع) العاصمة^٤ . ومن هذه القبيلة أسرة عرفت بـ (هران) (هرن) ، ذكرت مع أسر أخرى ، كانت قد شهدت على صحة محضر قانون في تنظيم الضرائب وكيفية جبايتها ، أصدره الملك (شهر بل يهرجب)^٥ .

وورد اسم قبيلة أو عشيرة (طدام) (طدام) في جملة كتابات قتبانية . ويرى بعض الباحثين أن اسم هذه القبيلة هو من الأسماء الخاصة بقتبان^٦ .

ومن بقية قبائل قتان : قبيلة (هورن) (هوران)^٧ ، وقبيلة (قلب) (قلب) . وقد ذكر (ابن دريد) في كتابه (الاشتقاق) قبيلة تدعى (بني القلب)^٨ ، ويذكرنا هذا الاسم باسم هذه القبيلة القديم^٩ . و (ردمان) (ردمان) و (الملك) و (ملحيم) و (هير)^{١٠} و (يجر) ، وهم أسرة أو قبيلة أرخت بعض الأوامر والقوانين بتاريخهم^{١١} . و (رشم) (آل رشم)

١ ربما تنطق على هذا الشكل « ظفار » و « ظفر » هذه ، من مواطن هذه القبيلة ، وليست مدينة « ظفار » .

٢ Le Muséon, LXIV, 1-2, 1951, P. 126.

٣ SE 80 a.

٤ Le Muséon, 1-2, 1953, P. III, REP. EPIG. 2646, 3017 bis 2.

٥ REP. EPIG. VI, I, P. 218, Glaser 2566, Altj. Nachr., S., 162,

Grundriss, S., 33.

٦ Orientalia, Vol., I, 1932, P. 26, REP. EPIG., VII, I, P. 80.

٧ REP. EPIG. 3550, VI, I, P. 197, SE 90.

٨ الاشتقاق (ص ١٢٦) .

٩ REP. EPIG., I, 5, P. 261.

١٠ KTB., I, S. 8.

١١ Glaser 1413 = 1613, SE 82, REP. EPIG VI, II, P. 275.

(رشام) ، وهم من (آل قفغن) ، (آل قفغان) ، ومنهم (عم علي)
الذي أرخت به بعض الكتابات ، ومن (شحز) (سمكر) .

ومن أسماء القبائل القتبانية الواردة في الكتابات : (دهسم) (دهس)^١ ،
(يجر) ، و (حضرم) ، و (تبني) ، و (ذرحن) (ذرحان) ،
(بوسن) (يوسان) ، و (معدن) (معدان) ، و (اجلن) (أكلن)
(اجلان) (اكلان) ، و (شعبن) (شعبان) ، و (فقدن) (فقدان) ، و (ذمرن)
(ذمران) ، و (اجرم) (أجرم) ، و (ليسن) (ليسان)^٢ ، و (يسقه
ملك) ، و (عرقن) ، (بنو عرقان) (بن عرقن) ، و (برصم)
(بنو برصوم) (بنو برصم)^٣ ، و (قشم) (بن قشم) (بنو قشم)^٤ ،
(بينم) (بنو البين) ، و (يرفأ) (يرفا) ، و (غريم) (غرب)
(غارب) ، وهم من (نشنان) ، و (محضرم) (محضر) و (عيم رشوان)
(عيم رشون) و (مرجزم) و (خلبيان) (خلبن) و (هران) من (ذرأن) ،
وقبائل عديدة أخرى .

ويرى بعض الباحثين أن (الملك) (المالك) ، الذين كانوا في عهد الملك
(يدع أب ذبيان) والذين ذكروا مع (ردمان) و (ملنحي) (ملنجم)
(يجر) ، هم قبيلة من القبائل الكبيرة التي كانت في قتبان في ذلك العهد .
ويرون أن لهم صلة بـ (العمالق) المذكورين في التوراة . وقد كانوا يسكنون
في (وسر) ، وهي أرض (العوالق) العالية في هذا اليوم . ونظراً الى ما
لكلمة (عوالق) و (المالك) من صلة ، ذهبوا الى أن العوالق هم (المالك)
(الملك) المذكورون* .

ويرى (فون وزمن) احتمال ان (الملك) (المالك) من القبائل التي كانت
تنزل فيما بين (ردمن) (ردمان) و (مفتحيم) (مفتح) ، وقد عدل

REP. EPIG. 2549, VI, I, P. 202.

١

REP. EPIG. 3560, VI, I, P. 212.

٢

Le Muséon, LXII, 1-2, 1949, P. 60, Ryckmans, 366.

٣

REP. EPIG. 3856, VI, II, P. 319.

٤

Beiträge, S., 59.

٥

بذلك رأيه السابق الذي كان قد جعل منازل تلك القبيلة في أرض (أوسان) ^١ .

كما ذهب الى ان منازل (يحر) لم تكن في أرض (مراد) ، لأن (مراداً) هي (حرتم) . وذهب الى أن (يحر) هذه ، تختلف عن (يحر) القبيلة المذكورة في النص : (REP. EPIG. 4336) ^٢ .

وأما (شيار) (سيار) ، الذين ذكروا في نص الملك (يدع اب ذبيان) بعد (وعلان) فانهم (سيار) في الوقت الحاضر على بعض الآراء . وهم عشيرة صغيرة منعزلة تعيش في أرض (العوذلة) (العوذلي) ، ويرى بعض الباحثين ان موضع (حصى) ، هو مكان (شيار) ^٣ .

وفي (حصى) ، خرائب وآثار . وقد ذكر (الهمداني) انه كان لـ (شمر تاران) وفيه قبره . وذكر في كتابة (الإكليل) ، ان في (حصى) قصر لـ (شمر تاران لهيعة) من (رعين) وفيه قبره ^٤ . وذكر من زار الموضع من السياح المستشرقين ، انه رأى هناك آثار خرائب واسعة ذات حجارة ضخمة وكتابات كثيرة وتماثيل بحجم الانسان ^٥ . ولا يستبعد أن يكون هذا الموضع مدينة مهمة كبيرة من مدن تلك الأيام .

مدن قتيان :

أهم مدن قتيان ، هي العاصمة (تمنع) ^٦ ، وتعرف حديثاً بـ (كحلان) وبـ (هجر كحلان) في (وادي بيهان) ^٧ في منطقة عرفت قديماً بخصبها وبكثرة مياهها وبساتينها ، ولا تزال آثار نظم الري القديمة تشاهد في هذه المنطقة

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 434.

٣ Beiträage, S., 60.

٤ Beiträage, S., 62.

٥ Beiträage, S., 62.

٦ « تمنع » ، وقد حرق بعض المترجمين للكتب الأعجمية اسم هذه المدينة المدون في المسند ، وهو « تمنع » فصيروه « تمنه » « تمنة » .

٧ حرق بعض المترجمين للكتب الغربية هذا الاسم ، فصيروه « وادي بيهان » . وهو خطأ .



الجانب الجنوبية لمدينة « تمنع » . وقد كانت هذه الآثار
مطورة تحت الرمال ويعود تأريخها الى القرن السادس قبل الميلاد
من كتاب « Qataban and Sheba » (الصفحة ١١٨)

حتى اليوم^١ .

و (تمنع) هي (Tamna)^٢ أو (Thomna)^٣ و (Thumna) عند
(الكلاسيكيين)^٤ . وقد اختلف علماء العرييات الجنوبية المتقدمون في تعيين مكان
هذه العاصمة التي بلغت شهرتها اليونان والرومان^٥ . ثم تبين أخيراً انها الخرائب
التي تسمى اليوم بـ (كحلان) وبـ (هجر كحلان) . وقد أثبتت هذا الرأي

-
- ١ Background, P. 63, Ency., Vol., 2, P. 811, Rhodokanakis, Die Inschriften
an der Mauer von Kohlan, Timm', in BAK, Wien, 1924, CC/II, 8.
 - ٢ Ency., 2, P. 811, Glaser, Abess., S., 112.
 - ٣ Pliny, 2, P. 453, (H. Rackham), Loeb, Classical Library,
BK., 6, 153-154.
 - ٤ Ency., 2, P. 811, (Thomala), Sprenger, Georg., S., 160, Ptolemy, VI, 7, 37.
 - ٥ Glaser, ZDMG., XIV, 184, Skizze, 2, 18, Abessl., S., 112, 115, Hommel,
Grundriss., S., 137, Ency., 2, P. 811.

وأيدته الحفريات التي قامت بها البعثة الأمريكية التي كوَّنتها (ويندل فيلبس) ،
اذ عثرت على كتابات عديدة وعلى أثار أثبتت ان (كحلان) اليوم ، هي
(تمنع) أمس ، سوى ان (تمنع) اليوم هي خراب وأتربة تؤلف حججاً
كثيفاً يغطي الماضي الجميل البعيد . أما (تمنع) أمس ، فكانت مدينة عامرة
ذات ذهب و تراث ومعابد عديدة ، ووجوه ضاحكة مستبشرة . هذا هو وجه
(تمنع) في هذا اليوم ووجهها في الماضي و فرق كبير بين هذين الوجهين .

ويرى (أوليري) أن مدينة (ثومة) (Thouma) المذكورة في جغرافية
(بطليموس) هي مدينة (تمنع)^١ . وقد ذكر^٢ (بلينيوس) أن (Thomna)
تبعد (٤٤٣٦) ميلاً من (غزة) ، وتقطع هذه المسافة بخمس وستين يوماً
تقريباً على الإبل ، وأنها هي ومدينة (Nagia) هما من أكبر المدن في العربية
الجنوبية ، وبها خمسة وستون معبداً^٣ .

وقد اختارت البعثة الأمريكية البقعة الجنوبية من مدينة (تمنع) الكائنة على
مقربة من بابها الجنوبي لتكون الموضع الذي تسرق منه أخبار الماضين ، وتنش
فيه الأرض لتسألها عن أخبار الملوك ومن كان يسكن هذه المدينة من أناس .
وسبب اختيارها هذه البقعة وتفضيلها على غيرها من خربة هذه المدينة التي تقدر
مساحتها بستين فدناً ، أنها تكشف عن نفسها بين الحين والحين بتقديم اشارات
تظهرها من خلال الرمال المتراكمة عليها ، لتنبئ أن في بطون تلال الرمال
كنوزاً تبحث عن عشاق لتقدم نفسها اليهم ، وعن هواة البحث عن الماضي
لتبث لهم هوى أهل (قتيان) ، وأخبار عاصمتهم الحبيبة ذات المعابد الجميلة
العديدة التي ذهبت مع أهلها الداهيين ، كما اختارت بقعة أخرى لا تبعد عن
ركام (تمنع) غير ميل ونصف ميل لتكون مكاناً آخر تحفر فيه لتستخرج منه
حديثاً عن الماضي البعيد . وسبب اختيارها لهذا المكان أنه كان مقبرة أهل (تمنع)
والمقابر من المحججات التي يركض خلفها المنقبون ، لأنهم يجدون فيها أشياء

O'Leary, P. 97, Ptolemy, 6, 7, 37.

O'Leary, P. 97, Pliny, 6, 32.

كثيرة تتحدث عن أصحابها الثاوين فيها منذ مئات من السنين^١ .

وكان موضع (هجر بن حميد)^٢ ، وهو على تسعة أميال من جنوب آثار مدينة (تمنع) ، مكاناً آخر من الأمكنة التي اختارتها البعثة للحفر فيها . وهو عبارة عن تل بيضوي الشكل يرتفع زهاء سبعين قدماً ، يظهر أنه كان قرية مهمة في ذلك العهد ، طمرها التراب فصارت هذا التل العابس الكتيب . وقد سبق أن عثر في هذا الموقع على آثار ، منها لوح من البرنز صغير ، عليه رسوم وكتابات ، عثر عليه أحد الأعراب هناك . ولهذا تشجع رجال هذه البعثة الأمريكية على الحفر في هذا الموضع^٣ .

وكان من نتائج أعمال الحفر عند الباب الجنوبي لمدينة (تمنع) أن عثر على آثار ذلك الباب الذي كان يدخل منه الناس الى المدينة ويخرجون منه من هذه الجهة ، كما عثر على أشياء ثمينة ذات قيمة في نظر علماء الآثار ، إذ عثر على قدور كبيرة وعلى خرز وكتابات وأقراص صنعت من البرنز والحديد . وعثر على شيء آخر قد لا يلفت نظر أحد من الناس اليه ، وقد يجلب السخرية على من يذكره ويتحدث عنه لتفاهته وحقارته في نظر من لا يهتم بالآثار وبالنبش في الخرائب ، ذلك الشيء التافه الحقيق هو طبقات من رماد وبقايا خشب محروق ومعادن منصهرة وقطع من حجارة منقوشة وغير منقوشة ، وقد لبست ثوباً من السخام كأنها لبسته حداداً على تلك المدينة التي كانت جميلة فاتنة في يوم من الأيام . أما ذلك الرماد ، فإنه صار في نظر رجال البعثة علامة على أن المدينة

١ اعتمدت على النسخة العربية لكتاب « ونبدل فيلبس » المسماة « كنوز مدينة بلقيس : قصة اكتشاف مدينة سبا الاثرية في اليمن » ، ترجمة عمر الديراوي ، ونشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١ م ، وهي نسخة قد حرفت فيها الأعلام العربية تحريفاً معيباً ، مثل « تمنع » وبيحان وقتبان ، وشبوة وصبلقة ويفش ، وحريضة وحريب وغيرها فحرفت الى تمنه وبيهان وقطبان وشابوا ومابلقاويافاش وحريدة وحارب وهكذا ، وقد كان في امكان المترجم مراجعة الكتب العربية أو الأشخاص لضبطها . وما كنت لاشير الى هذه الاغلاط ، لولا خشيتي من وقوع من لا علم له بهذه الأمور فيها باعتماده على النقل .

٢ « هجر » ، ومعناها « مدينة » في اللهجات العربية الجنوبية وفي اللغة الاثيوبية ، وتلفظ « هكر » ، على الطريقة المصرية الآن في النطق بحرف الجيم . ولكن الشائع

بين الناس « حجر بن حميد » ، وهو خطأ شائع ، The Chronology, P. 5.
Wendell Phillips, Qataban and Sheba, London, 1955, PP. 58, 64, 119, 166.

٣ كنوز مدينة بلقيس (ص ٥٧) ، The Chronology, P. 5.

المذكورة المسكنة كانت قد تعرضت لحريق هائل أحرق المدينة وأتى عليها ، ولعل ذلك كان بفعل عدو مغير أراد بها سوءاً ، فقاومته وعصته ولكنه تمكن وتغلب عليها ، فعاقبها بهذا العقاب الجائر المؤلم .

وفي جملة ما عثر عليه من كتابات ، كتابة ورد فيها اسم الملك (شهر بجل يهرجب) (شهر يكل يهركب)^١ ، وكتابات أخرى ورد فيها أسماء حكام آخرين^٢ . كما عثر على عمودين كتب على كل واحد منهما كتابة تبلغ زهاء خمسة وعشرين سطراً ، وعلى كتابات على جدار بيت (يفش)^٣ ، وهو بيت معروف وقد حصل السياح على كتابات ورد فيها اسم هذا البيت ، وعلى كتابة عثر عليها على بيت (بنعم)^٤ ، وقد ورد فيها اسم الملك (شهر هلل يهقبض) ، وهو من البيوت المعروفة في هذه العاصمة . ويرى ان عمره لا يتجاوز عشرين سنة عن خرابها^٥ .

وقد ساعد عثور البعثة الأمريكية على غرف بيوت سليمة أو شبه سليمة رجال البعثة على تكوين رأي في البيوت القتبانية . فقد وجدت في البيت الذي سمي بيت (يفش) ، ثلاث غرف ممتدة على الجهة الشرقية للبيت . وقد وجدت في إحدى الغرف مَرايا صنعت من البرنز وصناديق محفورة منقوشة وعليها صور ورسوم ، لها قيمة تاريخية ثمينة من ناحية دراسة الفن العربي القديم^٦ . وسوف تقدم الحفريات في المستقبل صوراً واضحة ولا شك للبيوت العربية الجنوبية وتنظيم القرى والمدن فيها ، وعندئذ يكون في استطاعتنا تكوين رأي واضح في الحضارة العربية في العربية الجنوبية قبل الاسلام .

وقد وجد ان الباب الجنوبي لمدينة (نمنع) كان ذا برجين كبيرين ، بنيا

١ يكتب بحرف الجيم ويلفظ على الطريقة المصرية في النطق بهذا الحرف . وقد صير « شاهر يا ثميل يوجرغب » و « شاهر يا فيل يوجار قيب » في كتاب : « كنوز مدينة بلقيس » ، (ص ١٠٥ ، ١١٣ وما بعدها) .

The Chronology, P. 9.

٢ كنوز (ص ١٠٥ وما بعدها) .

٣ صير « يفش » « يافاش » في كنوز (ص ١٠٨ ومواضع أخرى) .

٤ صير « يا فعام » و « يا فعام » في كنوز (ص ١٠٨ ، ١١٧) .

٥ The Chronology, P. 9, Note, 23.

٦ كنوز (ص ١٩١) .

بحجارة غير مشذبة ، حجم بعضها ثماني أقدام في قدمين . وقد كانا ملجأين للمحاربين ، يلجأون إليها وإلى الأبراج الأخرى للدفاع عن المدينة عند مهاجمة العدو . وقد وجدت نقوش كثيرة على الحجارة الكبيرة التي شيد منها البرجان . ويظهر أن زخارف من الخشب كانت تبرز فوق الباب لاعطائه جمالاً ورونقاً وبهاءً ، كما يتبين ذلك من آثار الخشب التي ظهرت للعيان بعد رفع التراب والرمال عن الباب .

وقد تبين أن مدخل الباب الجنوبي يؤدي إلى ساحة واسعة مبلطة ببلاط ناعم وضعت على أطرافها مقاعد مبنية من الحجر ، لجلوس الناس عليها ، ومثل هذه الساحات هي محال تلاقي الناس ومواضع اجتماعهم وتعاملهم ، كما هو الحال في أكثر مدن ذلك اليوم .

وفي جملة الأشياء الثمينة التي عثر عليها في (تمنع) تماثلاً لأسدين صنعاً من البرنز ، أثرت فيها طبيعة الأرض فحولت لونها إلى لون أخضر داكن ، وقد ركب أحدهما راكب يظهر وكأنه طفل سمين على هيئة (كيبيد)^١ ابن (فينوس) إله الحب ، يحمل بإحدى يديه سهماً وباليده الأخرى سلسلة قد انفصمت ، تنتهي بطوق يطوق عنق الأسد ، يشعر أنه كان متصلاً بالسلسلة التي قطعها الزمان باعتدائه عليها . وأما الأسد الآخر، فقد فقد راكبه وبقي من غير فارس ، إلا أن موضع ركوبه بقي على ما كان عليه ليقدّم دليلاً على أن شخصاً كان فوق ذلك الأسد . وقد وجد أن التمثالين كانا على قاعدتين ، مكتوبتين ، ورد فيها اسم (ثوبم) ، (ثوبم)^٢ . وقد ورد هذا الاسم نفسه في كتابة وجدت على جدار بيت (بفش) كتبت في أيام الملك (شهر يجل هرجب) . وقد استدل (ألبرايت) من طريقة صنع التمثالين ومن طرازهما أنها تقليد ومحاكاة لتماثيل (هيلينية) ، ولا يمكن لذلك أن يرتقي تأريخ صنعها إلى أكثر من (١٥٠) سنة قبل الميلاد ، وذلك لأن اليونان لم يكونوا قد صنعوا

١ « كيبيدو » « كيبيد » ، وهو ابن « فينوس » في الأساطير اليونانية الرومانية ، ويرمز إلى الحب .

٢ لقد صير المعمار « ثوبم » « ثوبم » ، على هذه الصورة : « فاوايابام » في كنوز مدينة « بلقيس » (ص ١١٧) ، فسبحان المغير .

هذا النوع من التماثيل قبل هذا التاريخ^١ .

وقد أعلن (ثويصم بن يشرحعم) و (صبحم) و (هوفعم) ، وكلهم من (آل مهصنعم) ، أنهم ابتاعوا البيت المسمى بـ (بيت يفش) ورموه وأصلحوه ، وعمرُوا سقفه وممراته ومماشيته ، بمشيتة (انبي) وباركوه بالآلهة (عثر) و (عم) و (انبي) و (ورفو ذلفان) (ورفو ذلفن) و (ذات صنم) و (ذات ضهران) . وقد تم ذلك في عهد الملك (شهر يجل يهرجب) وقد دوت (ثويصم) اسمه على قاعدة تمثال الأسد المصنوع من البرنز ، وسجل معه اسم (عقريم) (عقرب) . ويظهر أنهما أمرا بصنع التمثالين ، أو أنهما صنعاهما ليكونا زبنتين في هذا البيت^٢ .

ويرى الخبراء في موضوع تطور الخط ، والمتخصصين في دراسات المصنوعات المعدنية ، أن هذين التمثالين لا يمكن أن يكونا قد صنعا قبل الميلاد ، وإن عهد صنعها يجب أن يكون في القرن الأول للميلاد ، في حوالي السنة (٧٥) أو المئة بعد الميلاد ، وذلك لعثور العلماء على عدد من التماثيل المشابهة ، وهي من القرن الأول للميلاد . ويرون لذلك أن الملك (شهر يجل) الذي في أيامه صنع هذان التمثالان يجب أن يكون من رجال النصف الثاني من القرن الأول للميلاد^٣ .

وقد توصل رجال البعثة الأمريكية إلى أن مدينة (تمنع) كانت قد جددت مراراً ، ذلك أنهم كانوا كلما تعمقوا في الحفر وجدوا طبقات تشير إلى قيام بيت على بيت آخر ، وإن البيوت المبنية في الطبقات السفلى هي بيوت مبنية من (اللبن) ، أي الطين المجفف بالشمس . وذلك يدل على أن الناس أقاموها بيوتاً ساذجة بسيطة ، فلما تقدم الزمن ونزح الناس إليها ، ازداد عمرانها ، واتخذ من نزحوا إليها الحجر والصخور المقطوعة مادة للبناء ، فظهرت البيوت العامرة ، ظهرت فوق البيوت القديمة على عادة الناس في ذلك العهد في بناء البيوت الجديدة فوق البيوت القديمة وعلى أنقاضها ، ومن هنا صار في إمكان عالم الآثار تقدير

١ كنوز (ص ١١٣) ،

W. Phillips, Qataban and Sheba, P. 100, Bowen — Albright, Discoveries in South Arabia, P. 155, B. Segall, 179, J. Terbach, 183, Die Araber, I, P. 27.

W. Phillips, P. 99, 102.

J. Pirenne, Le Royaume Sud — Arabe, PP. 45, 48, 198.

عمر الطبقات والاستدلال بواسطته على العهود التاريخية التي مرت على المدينة .
وقد تبين من فحص المقبرة : مقبرة أهل (تمنع) أن حرمتها كانت قد انتهكت في الماضي وفي الحاضر ، وأن سراق القبور الطامعين في الذهب وفي الأحجار الكريمة وفي الكنوز كانوا قد نبشوا القبور وهتكوا أسرارها لاستخراج ما فيها ، وقد تعرضت بذلك للتلف وتعرض ما فيها مما لم يؤخذ لعدم وجود فائدة مادية فيه بالقياس اليهم للكسر والتلف والأذى ، كما تبين أن سراق القبور المعاصرين ما زالوا على سنة أسلافهم يراجعون هذه القبور وغيرها غير عابئين بحرمتها ، لأنهم يطمعون في كنوز ، سمعوا عنها أنها تغني ، وأنها تجعل من المعدم ثرياً . وقد زاد في جشعهم اقبال الغربيين على شراء ما يسرقونه ، وإن كان حجراً ، بضمن مهيا كان زهيداً تافهاً في نظري ونظرك إلا أنه شيء كثير في نظر الأعراب الذين لا يملكون شيئاً . فالفلس على تفاهته ذو قيمة وأهمية عند من لا يملكه .

وقبور هذه المقبرة مع تعرضها للنبس والاعتداء لا يزال كثير منها محتفظاً بكنوز ثمينة ذات أهمية كبيرة عند رجال الآثار وعشاق البحث عن الماضي . ونتيجة لبحث فريق من البعثة الأمريكية في بعض القبور على التل وفي سفوحه وفي الأرض المحيطة به ، وجدت أشياء ذات قيمة ، وتمكنت من تكوين رأي عن هيئة القبور وهندستها عند القتبانيين. لقد تبين لهم أن قبورهم كانت مزخرفة متينة البناء ، وأن المقبرة عندهم كناية عن دهليز طويل صفت على جانبيه القبور. والقبور عبارة عن غرفتين إلى أربع غرف لها أبواب تؤدي إلى الدهليز . أرى أنها بهذا الوصف قبور أسر ، فتي مات شخص من الأسرة فتح باب المقبرة وأدخل الميت إلى الدهليز الذي هو الممر ، ليوضع في الغرفة التي تختار له ليثوي فيها .

وقد وجدت في غرف الأموات عظام بشرية مهشمة ، ووجدت في الممرات جرار وخزف وأشياء أخرى . ولكنها وجدت مكسورة ومحقمة في الغالب ؛ ولم يعثر على هيكل بشري واحد موضوع بصورة تشعر أن عظامه كانت كلها سليمة . وهذا مما جعل البعثة ترى أن للقتبانيين عادات دينية خاصة في دفن موتاهم ،

١ كنوز (ص ١٢٧ وما بعدها) .

من ذلك أنهم كانوا يكسرون ما يأتون به من أشياء يضعونها مع الميت ، عند وضعها في القبر ، وانهم كانوا يضعون ما يرون ضرورة وضعه مع الميت في الممرات التي تقع على جانبها غرف الأموات . أما الغرف ، فقد كانت مستودعات تحفظ فيها العظام . ولذلك تكلدست تكلدساً . وهي عادة عرفت عند أمم أخرى في مختلف أنحاء العالم^١ .

وفي جملة ما عثر عليه من أشياء ذات قيمة كبيرة من الوجهة الفنية ، رأس لقناة منحوت من رخام أبيض معرق ، وقد تدلى شعرها على شكل خصلات مجمدة على الطريقة المصرية وراء رأسها . وكانت أذناها مثقوبتين ليوضع حلق الزينة فيها ، ووجد أن جيدها على بعقد . وكانت عيناها من حجر اللازورد الأزرق على الطريقة المصرية . وقد نحت التمثال باتقان وبدوق يدلان على مهارة وفن ، كما عثر على بقايا ملابس وأخشاب متأكلة وعلى حلّيّ بعضه من ذهب ، ومن جملة عقد من ذهب ، يتألف من هلال فتحتة الى الأعلى . أما حاشيته ، فلإنها مخرمة ، وقد زين الهلال باسم صاحبه^٢ .

ومن مدن قتيان مدينة (شور) (شوم) ، وقد كان أهلها من قبيلة (ذهريت) (ذو هربة) ، وقد ذكرت في نص سبق أن تحدثت عنه ، وذلك لمناسبة بنائها حصناً أمام سور المدينة ، إذ كان الحصن القديم قد تهدم في عهد الملك (وروال غيلان يهنعم)^٣ . وقد عرف هذا الحصن بحصن (يخضر) (يخضور) .

ومن مدن (قتيان) ، مدينة (حرب) ، وهي (حرب) . وقد ذكرت في الكتابات ، واشتهرت عند الباحثين بالنقود التي تحمل اسمها لأنها فيها ضربت . وقد أشار (الممداني) الى (حرب) ، وتقع كما يظهر من وصفه في أرض

١ كنوز (ص ١٣١ وما بعدها) .

٢ كنوز (ص ١٢٩ فما بعدها) .

٣ لاحظت أن الأستاذ « ركمنس » ، قد كتب اسم المدينة على هذا الشكل في الترجمة الفرنسية « شور » ، على حين كتبه في موضع آخر « شوم » ، وكذلك فعل في النص العبراني للكتابتين ، وربما كان مرد ذلك الى اختلاف ناسخي النسختين في الاستنساخ ، فحاول المحافظة على أشكال النسختين ،

REP. EPIG. 4329, VII, II, P. 193, Glaser 1392, REP. EPIG. 3507,

VI, I, P. 177, SE 96.

قتبان^١ . وهناك موقع آخر يقع على خمسة وخمسين كيلومتراً الى شرقي شمالي صنعاء على طريق مأرب ، يسمى (حريب) . وقد عُثر على نقود ضربت في (حريب) ، منها نقد ضرب في عهد (يدع اب ينف) (يدع أب ينوف) .

وورد في الكتابات اسم مدينة تدعى (برم) . فورد في كتابة من أيام الملك (يدع اب ذبيان بن شهر) مكرب قتيان ، كتبت عند تمهيد الطريق بين هذه المدينة ومدينة (حرب) (حريب) وانشاء مبلقة أي شق طريق جبلي ، ليساعد على الوصول بيسر وسهولة بسين المكانيين^٢ . وورد في كتابة أخرى عند انتهاء الملك (يدع اب ذبيان) من بناء (برج برم)^٣ . وهناك وادٍ عرف بوادي



من تماثيل شرع عليها في مقبرة (تمنع) ، ويعود عهدها الى ما قبل الميلاد
من كتاب Qataban and Sheba (الصفحة ١٢٥)

١ الصفة (ص ٨٠ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٣٤)
G. F. Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia,
P. IXXIV, 75, PL. XI, 20, D. H. Muller, und J. W; Kublitschek, Sudarabische
Altertumer, Wien, 1899, S. 73, 78.

Glaser, 1600.

Glaser, 1581.

٢

٣

(برم) في أرض (احرم) (احرم) . وفي التقويم القتباني شهر من شهورهم عرف به (برم) . وترد كلمة (برم) اسم علم لأشخاص .
ومن الأرضين والأماكن التي ورد اسمها في النصوص القتبانية والتي يفيد ذكرها هنا ، لأنها ترشدنا الى معرفة أسماء البقاع التي كانت خاضعة لحكم قتبان ، أرض (لتلك) و (ذبحتم) (ذبحة)^١ و (دتنت) (دتنة) ، و (لبخ) و (دونم) و (ورفو) و (خضنم) و (يسرم) و (غيلم) (غيل) .
و (عم) ، هو إله شعب (قتبان) الرئيس . وبه تسمى ذلك الشعب ، حيث كانوا يعبرون عن أنفسهم بـ (ولد عم) . ويتقربون اليه بالندور والذبائح . وكانت له معابد في أرض قتبان أشهرها معبد : (عم ذلبخ) ، أي معبد (عم) في (لبخ) من (ذي غيل) . ويرى بعض الباحثين أن هذا المعبد بني في موضع عرف بـ (ذي غيل) ، ثم أنشأ (يدع أب غيلان) مدينة حول هذا المعبد عرفت باسمه ، فدعيت بـ (ذي غيلان) ، وهي موضع (هجر بن حميد) في الوقت الحاضر^٢ .

قوائم بأسماء حكام قتبان :

هذه قوائم بأسماء حكام (قتبان) كما وضعها الباحثون في العريبات الجنوبية . وأذكر أولاً القائمة التي وضعها (فريتس هومل) ، وهي تتكون من جمهرات رتببت على النسب وصلة القرى ، وقد استخرجها من الكتابات :

الجمهرة الأولى وتتكون من المكربين :

١ - شهر .

٢ - يدع اب ذين يهنم . (يدع أب ذيان يهنم) Glaser 1410 = 1618

الجمهرة الثانية :

٣ - يدع اب (يدع أب) .

٤ - شهر هلال يهركب أو يهنم ، (شهر هلال يهركب أو يهنم) ،

. Glaser 1404 = SE 85.

REP. EPIG. 3540, VI, I, I, P. 197, Weber, Studl., III, S. 39, Rhodokanakis, ١
Kohlan, S. 37.
Beiträge, S. 47. ٢

الجمهرة الثالثة :

٥ - سمه علي وتر .

٦ - هوف عم يهنعم (هوفعم يهنعم). Glaser 1117, 1121, 1333, 1344, 1345.

والكتابتان الخلزونيئتان : Glaser 1343, Glaser 1339

الجمهرة الرابعة :

٧ - شهر .

٨ - يدع اب ذبين (يدع أب ذبيان) .

وقد ذكر (هومل) أن من الممكن اختصار هذه الجمهرات ، إذ من الجائز أن يكون من الأسماء المتشابهة المتكررة ما هو لانسان واحد .

ورتب أسماء ملوك قتيان على النحو الآتي :

الجمهرة الأولى :

١ - اب شيم (أبشيم) .

٢ - شهر غيلن (شهر غيلان) .

٣ - ب عم (بعم) ? Glaser 1119, Glaser 1348, 1601, 1115

الجمهرة الثانية :

٤ - يدع اب (يدع أب) .

٥ - شهر يجل (شهر يكل) . Glaser 1602

٦ - شهر هلل يهنعم (شهر هلال يهنعم) . Glaser 1395, 1413.

الجمهرة الثالثة :

٧ - شهر .

٨ - يدع اب ذبين (يدع أب ذبيان) .

٩ - شهر هلل (شهر هلال) .

١٠ - نبط عم (نبطعم) .

وقد قال (هومل) إن من الجائز تقديم هذه الجمهرة على الجمهرة الأولى من جمهرات الملوك ، أو إلحاقها بالجمهرة الأولى بحيث تكون على هذا النحو :

اب شيم (أب شيم) (أبشيم) .

شهر غيلن (شهر غيلان) .

- ب عم (بعم) (بيعم) (بي عم) .
 يدع اب ذبين (يدع أب ذبيان) .
 شهر يجل (شهر يكل) .
 شهر هلال يهنعم (شهر هلال يهنعم) .
 نبط عم (نبطعم) .
 الجمهرة الرابعة :
 ١١- هوف عم يهنعم (هوفعم يهنعم) .
 ١٢- شهر يجل يهرجب (شهر يكل يهرجب) ، Glaser 1400, 1406, 1606.
 ١٣- وروال غيلن يهنعم (وروابل غيلان يهنعم) ، Glaser 1392, 1402.
 ١٤- فرع كرب يهوضع (فرعكرب يهوضع) ، Glaser 1415.
 الجمهرة الخامسة :
 ١٥- سمه وتر .
 ١٦- وروال (وروايل) .
 الجمهرة السادسة :
 ١٧- ذمر علي .
 ١٨- يدع اب يجل (يدع أب يكل) .
 الجمهرة السابعة :
 ١٩- يدع اب ينف يهنعم (يدع أب ينف يهنعم) .
 ٢٠- شهر هلال بن ذراكرب (شهر هلال بن ذراكرب) .
 ٢١- وروال غيلن (يهنعم) (وروابل غيلان (يهنعم)) .

قائمة (رودوكتاكس) :

وقد استفاد (هومل) في ترتيب قائمته المتقدمة بالقوائم التي وضعها (كروهمن)
 (Grohmann)^١ و (رودوكتاكس)^٢ و (مارتن هارتمن) Martin Hartmann .

Adolf Grohmann, Über Katabanische Herrscherreihen, in Anzeiger der

Wiener Akademi, Vom 29 März, 1916.

KTB., I, S., 34, 98, II, S., 48.

١

٢

وقد ذكر (كروهن) تسعة مكربين ، ولم يذكر بين الملوك الملك (سمه وتر).
أما قائمة الملوك التي صنعها (رودوكناكس) ، فتألف من جمهرات كذلك .
تبدأ الجمهرة الأولى بعد (يدع اب ذين بن شهر) (يدع أب ذيان بن شهر)
آخر المكربين ، وهو الذي لقب في عدد من الكتابات بلقب ملك ، ولقب في
عدد آخر بلقب (مكرب) ، فهو مكرب وملك على قتيان . وتألف قائمة
(رودوكناكس) للملوك قتيان من الجمهرات التالية :

الجمهرة الأولى :

- ١ - اب شيم (أب شيم) (أبشيم) . وترتيبه السابع في قائمة (كروهن).
- ٢ - شهر غيلن (شهر غيلان) . وترتيبه الثامن في قائمة (كروهن) .
- ٣ - بعم (ب عم) ، (بي عم) (أبي عم) ، وترتيبه التاسع في
قائمة (كروهن) Glaser 1601 .

الجمهرة الثانية :

- ٤ - يدع اب (يدع أب) . ورقه الخامس في قائمة (كروهن) .
- ٥ - شهر يجل (يهنعم) (شهر يكل (يهنعم)) (شهر يكل (يهنعم)) ،
وهو السادس عند (كروهن) ، Glaser 1395, 1412, 1602, 1612.
- ٦ - شهر هلال يهنعم (شهر هلال يهنعم) . ويرى أنه (شهر هلال بن
ذراكر) (شهر هلال بن ذراكر) ، الذي يرد اسمه في
المجموعة الآتية: Glaser 1395, 1412, 1413, KTB., I, 43,11, S., 48.

الجمهرة الثالثة :

- ٧ - ذراكر (ذراكر) ، ورقه الثاني عشر في قائمة (كروهن) .
- ٨ - شهر هلال (شهر هلال) ، وترتيبه الثالث عشر في قائمة (كروهن)
Glaser 1396.

الجمهرة الرابعة :

- ٩ - هوف عم (هوفعم) ، وهو الرابع عشر في قائمة (كروهن) .
- ١٠ - شهر يجل يهرجب (شهر يكل يهركب) (شهر يكل يهركب) .
وهو الخامس عشر عند (كروهن) .

Glaser 1087, Halevy 507, Glaser 1606.

١١- وروال غيلن يهنعم (وروايل غيلان يهنعم) وترتيبه السادس في قائمة

(كروهن) ، Glaser 1000A .

الجمهرة الخامسة :

١٢- يدع أب يجل (يدع أب يكل) (يدع أب يكل) .

وذكر (رودكناكس) اسم الملكين : (سمه وتر) و (وروال) (وروايل) .
ورأى أن أمكنتها بعد الجمهرة الرابعة ، غير أنه لم يفرد لها جمهرة خاصة .

قائمة (كليمانت هوار) :

ذكر (هوار) أسماء حكام قتيان دون أن يشير الى وقت حكمهم أو صفة
الحاكم من حيث كونه مكرباً أو ملكاً . وعدتهم كلهم عشرة ، هم :

١ - يدع أب ذبيان .

٢ - شهر يجل (شهر يكل) .

٣ - هوف عم (هوفعم) .

٤ - شهر يجل يهرجب (شهر يكل يهركب) .

٥ - وروايل غيلان يهنعم .

٦ - أبشم (أب شم) .

٧ - شهر غيلان .

٨ - بعم (بي عم) .

٩ - ذمر على (ذمر علا) .

١٠- يدع اب يجل (يدع اب يكل)^١ .

قائمة (فلي) :

وقد نشرت في آخر كتاب (سيناد الإسلام) (Background of Islam)

وتألف من :

١ - سمه على . وهو مكرب ، ولم يعرف اسم أبيه ، وقد حكم على تقديره

في حدود سنة (٨٦٥ ق. م) .

Cl. Huart, Geschichte der Araber, I, Leipzig, 1914, S., 67.

- ٢ - هوف عم يهنعم بن سمه على (هوفعم يهنعم بن سمه على) (سمهعلى) ، وهو مكرب كذلك ، حكم في حدود سنة (٨٤٥ ق. م.) .
- ٣ - شهر يجل يهرجب بن هوف عم (شهر يهركب بن هوفعم) ، وقد جعله ملكاً ، حكم في حوالي سنة (٨٢٥ ق. م.) .
- ٤ - وروال غيلن يهنعم بن شهر يجل يهرجب (وروايل غيلان يهنعم بن شهر يكل يهركب) . وقد كان ملكاً ، حكم في حوالي سنة (٨١٠ ق. م.) .
- ٥ - فرع كرب يهوضع بن شهر يجل يهرجب (فرعكرب يهوضع بن شهر يكل يهركب) ، وشقيق (وروايل) . وقد كان ملكاً حكم في حوالي سنة (٧٨٥ ق. م.) .
- ٦ - شهر هلال بن ذراكرب بن شهر يجل يهرجب (شهر هلال بن ذراكرب بن شهر يكل يهركب) . وقد كان ملكاً ، حكم في حوالي سنة (٧٧٠ ق. م.) .
- ٧ - يدع اب ذبين يهرجب بن شهر هلال (يدع أب ذبيان يهرجب بن شهر هلال) ، وقد كان على رأيه مكرباً وملكاً ، حكم في حدود سنة (٧٥٠ ق. م.) .
- ٨ - ؟ ؟ ؟ بن شهر هلال (شهر هلال) وقد كان حكمه حوالي سنة (٧٣٥ ق. م.) .
- ٩ - شهر هلال يهنعم بن يدع اب ذبين يهرجب (شهر هلال يهنعم بن يدع أب ذبيان يهركب) . وقد كان ملكاً حكم حوالي سنة (٧٢٠ ق. م.) .
- ١٠ - نبط عم بن شهر هلال (نبطعم بن شهر هلال) ، حكم في حوالي سنة (٧٠٠ ق. م.) .
- ١١ - يدع اب بنف أو يجل ؟ يهنعم بن ذمر على ، أو شقيق شهر هلال بن يدع اب ذبين يهرجب . وقد حكم حوالي سنة (٦٨٠ ق. م.) .
- ١٢ - ؟ ؟ ؟ . وقد حكم في حوالي سنة (٦٦٠ ق. م.) .
- ١٣ - سمه وتر بين ؟ ؟ ؟ . وحكم حوالي سنة (٦٤٠ ق. م.) .

- ١٤- وروال ؟ ؟ بن سمه وتر . وقد حكم في حدود سنة (٦٢٠ ق. م.) .
وترك (فلي) فجوة قدرها بنحو من عشر سنين بين الملك المتقدم
والملك الذي تلاه ، ثم ذكر :
- ١٥- اب شيم (أبشيم) ، ولم يعرف اسم أبيه . وقد حكم على تقديره في
حوالي سنة (٥٩٠ ق. م.) .
- ١٦- اب عم بن اب شيم (أب عم بن أب شيم) (أبعم بن أبشيم) ،
وقد كان حكمه في سنة (٥٧٠ ق. م.) .
- ١٧- شهر غيلن بن اب شيم (شهر غيلان بن أبشيم) ، وقد كان حكمه
من سنة (٥٥٥ ق. م.) الى سنة (٥٤٠ ق. م.) وسنة (٥٤٠ ق. م.)
كانت على رأي (فلي) نهاية مملكة (قتيان) ، فاندجت في مملكة
سبأ وأصبحت جزءاً منها .

قائمة (البرايت) :

- سمه علي وتر (سمهعلي وتر) (مكرب) .
هوف عم يهنم بن سمه علي وتر (هوفعم يهنم بن سمهعلي وتر) ، وكان
مكرباً حكم في القرن السادس قبل الميلاد . وهو ابن المكرب الأول .
.....
شهر .
يدع اب ذبن يهنم بن شهر (يدع أب ذبيان يهنم بن شهر) مكرب .
شهر هلال ب ... بن (يدع أب) . مكرب .
سمه وتر . يحتمل أنه كان مكرباً ، وهو الذي غلبه (يشع أمر وتر)
مكرب سبأ .
وروال (وروايل) يحتمل أنه كان مكرباً . وكان تابعاً لـ (كرب آل وتر)
(كرب ايل وتر) أول ملك على سبأ . وقد كان حكمه في حدود
سنة (٤٥٠ ق. م.) .
.....

شهر مكرب .

يدع أب ذبين بن شهر (يدع أب ذبيان بن شهر) آخر مكربي قتيان ،
وأول ملوكها . وقد كان حكمه في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد .

شهر هلال بن يدع اب (شهر هلال بن يدع أب) .
نبط عم (بن شهر هلال) (نبطعم بن شهر هلال) .

.....

ذمر علي .

يدع اب يجل بن ذمر علي (يدع أب يكل بن ذمر علي) وقد عاصر ثلاثة
ملوك من ملوك سبأ الذين حكموا في القرن الرابع قبل الميلاد ،

. Glaser 1693

.....

اب شيم (أب شيم) (أبشيم) .

شهر غيلن بن اب شيم (شهر غيلان بن أبشيم) .

بعم بن شهر غيلن (بعم بن شهر غيلان) (بي عم) (أبي عم) .

يدع اب (يجل ؟) بن شهر غيلن ، أي شقيق (بعم) . (يدع أب

يكل ؟) بن شهر غيلان) .

شهر يجل (بن يدع اب) (شهر يكل بن يدع أب) ، حكم حوالي سنة

(٣٠٠ ق . م) .

شهر هلال يهنعم (شقيق شهر يجل) (شهر هلال يهنعم) .

يدع اب ذبين يهرجب (يدع أب ذبيان يهركب) . (غير متيقن بمكانه هنا) .

فرع كرب (فرعكرب) .

يدع اب غيلن بن فرع كرب (يدع أب غيلان بن فرعكرب) . في النصف

الأول من القرن الثاني قبل الميلاد .

هوف عم يهنعم (هوفعم يهنعم) ، حكم حوالي سنة (١٥٠) قبل الميلاد .

شهر يجل يهرجب بن هوف عم يهنعم (شهر بكل يهركب بن هوفعم

يهنعم) .

وروال غيلن يهنعم بن شهر بن شهر يجل (ورويل غيلان بن يهنعم بن

شهر يكل) .

فرع كرب يهوضع بن شهر يجل وشقيق (وروال) ، فرعكرب يهوضع بن
شهر يكل) .
يدع اب بنف (يدع أب ينوف) .
ذراكرب (ذراكرب) .
شهر هلال يهقبض ذراكرب (شهر هلال يهقبض بن ذراكرب) .
خراب (تمنع) ونهاية استقلال مملكة قتبان في حوالي سنة خمسين قبل الميلاد،
ودخول قتبان في حكم ملوك حضرموت^١ .

الفصل الثاني والعشرون

ملككتا ديدان ولحيان

قلت في نهاية كلامي على حكومة معين ان جالية من المعينين كانت تقيم في (العلا) أي (ددن) (ديدان) ، وان (ديدان) كانت مستوطنة معينة في الأصل ، وقد استقلت بشؤونها بعد ضعف حكومة معين ، اذ انقطعت صلتها بأمها في اليمن ، وحكمها ملوك منهم نسميهم ملوكاً ديدانيين .

وأول من لفت الأنظار الى (ديدان) ، هو السائح (جارلس مونتاكودوتي)^١ فقد رحل سنة ١٨٧٦ م الى أرض مدين ، ولم يبال في أثناء رحلته براحته ولا بما قد تتعرض له حياته من أخطار ، ثم زار مواضع عديدة آثارية مثل (مدائن صالح) و (الحجر) و (العلا) ، وكتب رحلته هذه كتابة لا تزال تعد من خيرة ما كتب في هذا الموضوع في الأدب الانكليزي ، وبذلك لفت الأنظار الى هذه البقعة الآثرية التي حكمتها مختلف الشعوب وتكدست في أرضها آثارها متداخلة بعضها ببعض .

ثم جاء بعد (دوتي) رحالون آخرون ، فزاروا هذه المواضع منهم : (يوليوس أويتنك)^٢ ، و (جارلس هوبر)^٣ ، و (جوسن)^٤ ، و (سافينة)^٥ ،

Charles Montague Doughty.	١
Julius Euting.	٢
Charles Huber.	٣
Patre Jausen.	٤
Savignac.	٥

و (فلي)^١ ، وغيرهم ، وصوروا بعض الكتابات ، وقرأوا ما استطاعوا قراءته من كتابات الأحجار ودونوه ، أو أخذوا بعضه ، وبذلك تجمعت للباحثين مادة عن تأريخ (العلا) ، والمواضع التي تقع في أعالي العربية الغربية ، في المملكة الأردنية الهاشمية وفي المملكة العربية السعودية .

وتقع خرائب (ديدان) هذا اليوم في (وادي العلا) ، وتوجد على حافته كتابات ، كما توجد فيه وفي (وادي المعتدل) والأودية الأخرى آثار حضارات ماضية متعددة ، مثل حضارة المعينين والليحيانيين والديدانيين وغيرهم . وتعد (الحربة) مركز الديدانيين ، وقد انتزع الأهليون أحجار الآثار ، فاستعملوها في مبانيهم فقصوا على كثير من الكتابات ، وتشاهد جدر بعض البيوت وقد بنيت بتلك الأحجار ، وبعضها لا يزال مكتوباً يحدث الإنسان باعتداء أهل المنطقة عليها وتطاولهم على التاريخ بعمد وبجمل .

وللكتابات التي عثر عليها في هذه الأرضين والتي سيعثر عليها شأن خاص عند من يريد دراسة تأريخ الخط وكيفية تطوره وظهوره . فإن هذه المنطقة هي عقدة من عقد المواصلات المهمة التي تربط جزيرة العرب ببلاد العراق وبلاد الشام ومصر ، وفيها التقت ثقافات وحضارات هذه الأماكن ، ولهذا نجد في كتاباتها مزايا الخط الشمالي والخط الجنوبي كما نجد للغتها مركزاً خاصاً اللهجات . ولذلك كان لدراسة شأن خاص عند من يريد الوقوف على اللهجات العربية وكيفية تطورها الى ظهور الإسلام .

أضف الى ذلك أنها تقع على الطريق البرية المهمة الموازية للبحر الأحمر ، حيث كان أهل العربية الجنوبية ينقلون منها تجارتهم وتجارة إفريقية والهند وبقية آسيا الى بلاد الشام ، ثم لأنها لا تبعد أكثر من مسيرة خمسة أيام عن البحر الأحمر ، حيث كان التجار يذهبون الى موانئه لبيع ما عندهم لتجار مصر . لذلك كانت ديدان وبقية مدن هذه الأرضين ملتقى العرب : عرب الجنوب وعرب الشمال ، وملتقى تجار أجانب ، فلا عجب إذا ما رأينا هذا الاتصال يظهر في الكتابة وفي اللغة وفي الثقافة والحضارة والفن .

ولا نعرف اليوم من أمر مملكة (ديدان) شيئاً يذكر . ويعود سبب جهلنا

H. St. J. B. Philby.

بتأريخ هذه المملكة الى قلة ما وصل الينا من كتابات عنها . ولعل الزمان يكشف لنا عن كتابات ديدانية تجلي من عيوننا هذه الغشاوة التي حالت بيننا وبين وقوفنا على شيء من أمر ملوك ديدان .

وقد ذهب (كاسكل) الى أن ظهور مملكة (ديدان) وابتداء حكمهما كان في حوالي السنة (١٦٠) قبل الميلاد ، غير أنه يرى أن هذه المملكة لم تتمكن من العيش طويلاً ، إذ سرعان ما سقطت في أيدي اللحيانيين ، وكان ذلك - على رأيه - في حوالي السنة (١١٥ ق. م.)^١ .

وقد وقفنا على اسم ملك من ملوك (ديدان) في الكتابة الموسومة بـ (JS 138) ، وهي كتابة ابتدأت بجملة : (كهف كبرال بن متعال ملك ددن)^٢ ، ومعناها (قبر كبرال بن متع ايل ملك ديدان) . ويعبر عن القبر والمثوى بلفظة (كهف) في اللهجة الديدانية . فهذه الكتابة اذن ، هي شاهد قبر ذلك الملك الذي لانعرف من أمره شيئاً .

ولا يستبعد (كاسل) أن يكون (كبرال) ، أول ملك أسس مملكة (ديدان) ، وآخر ملك حكمها أيضاً ، أي ان سقوطها على أيدي اللحيانيين كان في عهده ، أو بعد وفاته ، وبذلك انتهت على رأيه حياة تلك المملكة^٣ .

وقد ذهب (البراي) الى ان الملك (كرب ايل بن متع ايل) الذي عثر على اسمه في كتابة (ديدانية) ، كان قد حكم في حوالي السنة (٥٠٠ ق. م.)^٤ .

وما زلنا في جهل تام لكيفية حصول الديدانيين على استقلالهم ، وعلاقاتهم بالمعنيين الذين كانوا قبلهم في هذه الأرضين . ولا بد لنا من الانتظار طويلاً للظفر بمزيد من المعارف عن هذه الأمور . فلعل الزمان سيجود على الباحثين بكتابات يخرجها اليهم من باطن الأرض ، يكون فيها شرح واف لما نسأل عنه الآن .

وأما (لحيان) فعارفنا عنهم مع ضآلتها وقلتها خير من معارفنا عن ديدان.

Lihyanisch, S. 37.	١
Lihyanisch, S., 78.	٢
Lihyanisch, S., 37.	٣
Arablen, S., 48.	٤

ويعود الفضل في ذلك الى ما ورد عنهم في مؤلفات بعض الكتبة اليونان واللاتين والى الكتابات اللحيانية التي عثر عليها الرحالون ، فانها أكثر عدداً من الكتابات الديدانية ، وأكثر منها كلاماً ، فاننا حين نجد الكتابات الديدانية قد لاذت بالصمت فلم تذكر من ملوكها الا ملكاً واحداً ، نجد الكتابات اللحيانية قد نطقت باسم أكثر من ملك واحد ، وان لم تأت بشيء من هذه المادة كثير .

وقد وصلت اليها أسماء ملوك حكموا مملكة (لحيان) ، وهي مملكة صغيرة تقع أرضها جنوب أرض حكومة النبط ، ومن أشهر مدنها : (ددان) ، وهي خرائب (العلا) (الخريبة) في الزمن الحاضر ، و (الحجر) ، وقد عرفت بـ (Hegra) و (Egra) عند اليونان واللاتين . ومن الكتابات اللحيانية والآثار التي عثر عليها في مواطنهم ، استطعنا استخراج معارفنا عن مملكة لحيان^١ . وقد كان شعب لحيان من شعوب العربية الجنوبية في الأصل في رأي بعض الباحثين . وقد ذكرهم (بلينيوس) في جملة شعوب العربية الجنوبية ، وسماهم Lexianes أو Laecanitae = Lechieni^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الحميريين استولوا على مواطن اللحيانيين في حوالي سنة (١١٥ ق. م.) ، فخفضوا بذلك لحكم الحميريين^٣ .

ومما يؤيد وجهة نظر من يرى أن اللحيانيين هم من أصل عربي جنوبي ، ورود اسم (لحيان) في نص عربي جنوبي قصير ، هذا نصه : (أب يدع ذلحين) أي (أبيدع ذو لحيان)^٤ . وفي هذا النص دلالة على أن اللحيانيين كانوا في العربية الجنوبية ، ويظهر أن (أبيدع) المذكور كان أحد أقبال (لحيان) في ذلك الزمن .

ويرى (كاسل) أن اللحيانيين كانوا يقيمون على الساحل على مقربة من (ددن) (الديدان) ، وكانت لهم صلات وثيقة بمصر ، وتأثروا بالثقافة اليونانية التي كانت شائعة في مصر اذ ذاك ، حتى إنهم سمّوا ملوكهم بأسماء يونانية ، مثل

Die Araber, I, S., 94. ١

Die Araber, I, S., 94, Pliny, 6, 155, Arabian, S., 23. ٢

W. Caskel, Das Altarabische Königreich Lihjan, (1951), S., 10, J. Ryckmans, ٣

in Bibliotheca Orientalis, 18, 10, (1961), 219, W. F. Albright, Von Ugarit nach Qumran, (1961), S., 6, REP. EPIG. 3902, 10, Die Araber, I, S., 93. ٤

(نحمي) Tachmi ، و (بتحمي) Ptahmy ، و (تلمي) Tulmi وقد أخذت من (بطلميوس) Ptolemaios ^١ .

أما الكتابات اللحيانية أو الكتابات الأخرى مثل النبطية أو الثمودية أو المعينية وغيرها ، فإنها لم تتحدث بأي حديث عن أصل اللحيانيين .

ويعود الفضل في حصولنا على ما سندونه عن تأريخ لحيان الى الكتابات اللحيانية . وهي ، وإن كانت قليلة وأكثرها في أمور شخصية ، فقد أفادتنا فائدة قيمة في الكشف عن بعض تأريخ اللحيانيين . وستزيد معارفنا بالطبع في المستقبل كلما زاد عثور العلماء على كتابات لحيانية جديدة ، ولا يستبعد أن يكون عدد منها ما يزال مطموراً في بطن الأرض .

وقد عالج بعض المستشرقين موضوع (لحيان) ، ومنهم (كاسكل) فكتب فيهم كتابين باللغة الألمانية ^٢ . ذهب فيها الى ان اللحيانيين كانوا كأكثر الشعوب تجاراً ، وكانت تجارتهم مع (مصر) بالدرجة الأولى . وقد انتزعوا الحكم من الجاليات المعينية التي كانت تقيم في هذه الأرضين التي كانت في الأصل جزءاً من مملكة معين . فلما ضعف أمر حكومة معين في اليمن ولم يبق في استطاعتها السيطرة على أملاكها البعيدة عنها ، طمع الطامعون ومنهم اللحيانيون في المعينيين الشماليين الساكنين في هذه الأرضين ، فانتزعوا الحكم منهم وسيطروا عليهم ، واندمج المعينيون فيهم حتى صاروا جزءاً منهم . وكان ذلك - على رأيه - في القرن الثاني قبل الميلاد . وفي حوالي (١٦٠) قبل الميلاد تقريباً ^٣ .

ويرى (كاسكل) أن المعينيين كانوا قد بقوا يحكمون (ديدان) مكونين حكومة (مدينة) الى حوالي السنة (١٥٠ ق. م .) ، وعندئذ أغار عليهم اللحيانيون وانتزعوا الحكم منهم . ويرى ان من المحتمل أن الملك الأول الذي حكم اللحيانيين كان من أهل الشمال ، وربما كان من النبط غير أن الذين جاءوا بعده كانوا من اللحيانيين ^٤ .

وقد كان المعينيون يسيطرون على أعالي الحجاز في القرن الخامس قبل الميلاد،

١ Lihyanisch, S., 39, Die Araber, I, S., 102.

٢ Das Altarabische Königreich Lihjan, 1951, Lihyan und Lihyanisch, 1954.

٣ Die Araber, I, S., 94.

٤ Das Altarabische Königreich, S., 9.

مكونين مستوطنات معينة غايتها حماية الطرق التجارية التي تمر من بلاد الشام الى العربية الجنوبية . وقد عرفت تلك المستعمرة التي تحدث عنها سالفاً باسم (معين مصران) ، وعاصمتها مدينة (علت) ، وهي (العلا) في الزمن الحاضر . ومن مدنها الأخرى (ديدان) ، و (الحجر) وغيرهما^١ .

وقد اختلف الباحثون فيمن سكن هذه الأرضين أولاً ومن حكم قبلاً : الديدانيون ، أم المعينيون أم اللحيانيون ؟ فذهب بعضهم الى ان اللحيانيين انما جاءوا بعد المعينيين ، وهم الذين قضوا عليهم وانتزعوا منهم الحكم وألقوا مملكة لحيانية ، وذهب بعض آخر الى ان اللحيانيين كانوا قد سبقوا المعينيين في الحكم ، وان حكمهم هذا دام حتى جاء المعينيون فانتزعوه منهم في زمن اختلفوا في تعيينه ، وذهب آخرون الى تقديم الديدانيين على المعينيين واللاحينيين وقد اختلفوا كذلك في زمان نهاية حكم كل حكومة من هذه الحكومات^٢ .

ويرى بعض الباحثين ان مملكة لحيان ظهرت في أيام (بطليموس الثاني) ، بتشجيع من البطالة وتأييدهم ليتمكنوا من الضغط على النبط حتى يكونوا طوع أيديهم . وقد جعل بعضهم ذلك الاستقلال فيما بين سنة (٢٨٠ ق. م.) وسنة (٢١٠ ق. م.)^٣ . ويرى غيرهم ان ذلك كان قبل هذا العهد .

وقد كان اللحيانيون يكرهون النبط، لأنهم كانوا يطمعون في بلادهم ويعرقلون تجارتهم التي كان لا بد لها من المرور بأرض النبط ، ولهذا لجأوا الى (البطالة) يحتمون بهم ، ويتوددون اليهم ليحموهم من تحكّم النبط في شؤونهم . بقوا على ذلك طوال أيام (البطالة) ، فلما حل الرومان محلهم، توددوا اليهم كذلك للسبب نفسه^٤ .

ويرى بعض الباحثين ان النبط هم الذين قضوا على مملكة لحيان ، باستيلائهم على (الحجر) سنة (٦٥ ق. م.) وعلى ديدان سنة (٩ ق. م.) ، على

Arabien, S., 26. ١

J. H. Mördtmann, Beiträge zur Mañinischen Epigraphik, Weimar, 1897, S., ٢
XI, BOASOOR, NUM., 73, 1939, NUM., 129, 1953, P. 23, Le Muséon, 51, (1938),
P. 307, Arabien, S., 46.

Ency., Vol., III, P. 26, Die Araber, I, S., 104. ٣

Die Araber, I, S., 104. ٤

حين يرى آخرون ان نهايتها كانت في القرن الثاني بعد الميلاد^١. وذهب (كاسكل) الى ان النبط قضوا على مملكة (لحيان) ، وذلك بعد السنة (٢٤ ب. م.) ، الا ان حكم النبط لم يدم طويلاً ، لأن الرومان كانوا قد استولوا على مملكة النبط سنة (١٠٦ م) ، وكونوا منها ومن أرضين عربية أخرى مجاورة اسم (المقاطعة العربية) (الكورة العربية) وبذلك انتهى حكم النبط على لحيان^٢.

ولا نعرف ماذا كان عليه موقف اللحيانيين من احتلال الرومان لأرض النبط ومن تكوين الرومان لما يسمى بـ (الكورة العربية) ، التي جاورت أرض اللحيانيين . ويرى (كاسكل) ان موقف اللحيانيين من الرومان كان موقفاً ودياً ، لأنهم أنقذوهم من سيطرة النبط عليهم ، ويرى احتمال تكوين اتصال سياسي بينهم وبين الرومان^٣.

وقد استدل (كاسكل) من شاهد قبر يعود زمنه الى حوالي السنة التاسعة قبل الميلاد، عثر عليه في (العلا) أرخ بحكم الملك (الحارث الرابع) Aretas IV^٤. على ان اللحيانيين كانوا يومئذ تحت حكم ملوك النبط . واستدل على رأيه هذا بعدم اشارة (سترابون) الى مملكة لحيانية في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس كالوس) (أوليوس غالوس) على اليمن التي وقعت في حوالي سنة (٢٥ م) . وكلامه على ملوك النبط ، وكأن ملكهم قد شمل أرض لحيان ، حتى بلغ مكاناً لا يبعد كثيراً عن (المدينة) (يثرب) . ورأى في ذلك علامة على ان ملوك النبط كانوا قد استدلوا اللحيانيين وقضوا على استقلالهم زماناً لم يحدد بالضبط^٥.

ويظن ان النص اللحياني الموسوم بـ JS 349 ، من نهاية القرن الثاني قبل الميلاد على رأي بعضهم ، هو من أقدم النصوص اللحيانية ، دونه رجل اسمه (نرن بن حضرو) (ناران بن حضرو) (نوران بن حاضر) ، وذلك بأيام (جشم بن شهر) و (عبد) الذي كان والياً على (ددان) يومئذ . وقد

١ Lihyanisch, S., 35, Die Araber, I, S., 95, CIH, 2, I, 332.

٢ Arabien, S., 48, Lihyanisch, S., 42, Die Araber, I, S., 97.

٣ Lihyanisch, S., 42.

٤ CIH, II, I, 332, Die Araber, I, S., 95.

٥ Die Araber, I, S., 95, Königreich Lihjan, S., II.

٦ Lihyanisch, S., 39, 101.

ذكر في النص اسم الملك الذي كتب النص في عهده ، الا ان الزمان عبث به ، اذ أصيب بكسر فسقط تمام الاسم منه .

وقد نجست بعض النصوص اللحيانية على ملوك لحيان ، فقدمت للباحثين بعض أسمائهم ، وأعلمتنا بذلك أن اللحيانيين كانوا قد كونوا لهم مملكة حكمت أمداً ، ثم زالت من الوجود كما زال غيرها من ممالك . وإذ لم يقم العلماء في (العلا) وفي الأرضين اللحيانية الأخرى بحفريات منتظمة ، فليس بمستبعد أن يعثر فيه يوماً ما على نصوص لحيانية أخرى تكشف النقاب عن أسماء عدد آخر من ملوك لحيان^١ .

ومن الملوك الذين عرفنا أسمائهم من النصوص المذكورة ، ملك اسمه : (هنوس بن شهر) (هانوس بن شهر) (هانواس بن شهر) . وقد ذكر معه في النص اسم ملك آخر شاركه في الحكم ، إلا أنه سقط منه بعث حدث له ، فأضاع علينا اسمه . وقد أصيب النص بتلف في مواضع منه ، فأضاع علينا المعنى ، والظاهر أنه دون لمناسبة انشاء الملكين طريقاً يمر بجبل ، فشقا الأرض ، ورصفا وجهها وكسوها بمادة تملسها ليسهل السير عليها^٢ .

وعرفنا من تلك النصوص ملكاً آخر عرف به (ذ اسفنن تخمي بن لذن) (ذو اسفنن تخمي بن لوزان) . وقد قدر (كاسكل) زمان حكمه في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد^٣ . وإلى أيامه تعود الكتابة الموسومة بـ: JS 85 وقد دونت لمناسبة انشاء (بيت) للإله (ذو غابت) (ذو غابة) إله لحيان ، وذلك في السنة الأولى من حكم هذا الملك^٤ .

وورد اسم الملك (شمت جشم بن لذن) (شامت جشم بن لوزان) في الكتابة الموسومة بـ (JS 85) . وقد دونت لمناسبة تقديم شخص نذراً إلى الإله (ذو غابة) ، وذلك في السنة التاسعة من حكم هذا الملك . وقد قدر (كاسكل) زمان حكمه فيما بين السنة (٩ ق. م.) والسنة (٥٦ ق. م.)^٥ .

١ Arabien, 1963, S. 76, Die Araber, I, S., 100, 103, Lihyansich, S., 41, W. Tarn, in Journal of Egypt. Archeol., 15, (1929), 19, Ency., III, P. 26.

٢ Lihyansich, S., 40, 41.

٣ Lihyansich, S., 41, 88-89.

٤ Lihyansich, S., 88-89.

٥ Lihyansich, S., 41, 90.

وذكر في الكتابة الموسومة بـ JS 83 ملك يسمى (جلتقس) (جلت قوس) (ملتقس) . وقد أرخت بأيامه ، اذ دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكمه ، ودونت لمناسبة تقديم شخص نذراً (نذر) (نذر) الى الإله (عجلبن) (عجل بن) (عجل بن) ، وهو (صلم) ، أي صنم ، قدمه الى معبد ذلك الإله^١ .

وورد اسم الملك (منعى لذن بن هناس) (منعى لوزان بن هانواس) في الكتابة الموسومة بـ JS 82 . وقد دونت في السنة الخامسة والثلاثين من حكم هذا الملك ، لمناسبة تقديم نذر ، هو (صلم) أي (صنم) الى الإله (عجلبن) صنعه (هصنع) رجل اسمه (سلمى) ، وخط الكتابة (هسفر) كاتب اسمه (خرج)^٢ . وقد كان حكمه - على حد قولي (كاسكل) - فيما بين السنة (٣٥ ق. م.) والسنة (٣٠ ق. م.)^٣ .

وفي عهد هذا الملك أصيبت (ديدان) بهزة أنت على المعبد ومن كان فيه ، اذ سقط سقفه على أعضاء مجلس المدينة (هجيل) (ها - جبل) ، فقتل أكثرهم ، ثم أعيد بناؤه بين السنة (١٢٧ ب. م.) و (١٣٤ ب. م.)^٤ . ويظهر من بعض النصوص اللحيانية المتأخرة أن إعادة بناء المعبد قد استغرقت زمناً طويلاً^٥ . وهذا مما يدل على أن الحالة الاقتصادية لم تكن حسنة في ذلك العهد ، وان الأمور لم تكن جارية على وفق المرام ، وأن الحكومة كانت ضعيفة فلم تتمكن من إعادة بنائه بالسرعة المطلوبة .

ويرى (كاسكل) أن النبط هيمنوا على اللحيانيين في القرن الأول قبل الميلاد ، وأخذوا يضايقونهم ، ثم حكموهم ، وقد امتد حكمهم للحيانيين الى ما بعد الميلاد . فقبل سنة (٦٥ ق. م.) استولى النبط على (الحجر) ، ثم ساروا منها الى (تيهاء) . ثم قطعوا كل اتصال للحيان بالبحر ، واستولوا على ميناء (لويكة كومة) وكان تابعاً للحيان ، وتقدموا منه الى مواضع أخرى ، حتى

Lihyanisch, S., 41, 91, Die Araber, I, S., 103, Arabien, S., 289.

Lihyanisch, S., 41, 93.

Lihyanisch, S., 41.

Arabien, S., 66.

Lihyanisch, S., 42.

١
٢
٣
٤
٥

أحاطوا بلحيان من جميع الجهات وحكموهم^١ .
ويظن (كاسكل) أن حكم النبط للحيان قد وقع بين السنة (٢٥ - ٢٤ ق.م)
والسنة (٩ ق.م) .

ويظن (كاسكل) أن حكم النبط للحيان دام منذ ذلك الزمن حتى حوالي
السنة (٨٠ ق.م) . ففي هذا العهد كان حكم النبط نفسه يتدهور بتزايد
سلطان الرومان في بلاد الشام وبدخول حكومة (المكابيين) اليهودية في حماية
الامبراطورية الرومانية . والنبط هم في جوار المكابيين في الجنوب . ولما قهر
جيش (تراجان) النبط ، وقضى على استقلالهم ، تخلص اللحيانيون من حكم
النبط وعادوا فاستقلوا في ادارة شؤونهم فحكمهم اسرة منهم ، يظهر أنها من
الأسرة الملكية القديمة التي كانت تحكمهم قبل استيلاء النبط عليهم^٢ .

وكان جلاء حكم النبط عن لحيان في عهد الملك (رب آل) (رب ايل)
آخر ملوك النبط الذي انتزع الرومان الأقسام الشمالية من مملكته في سنة ١٠٥
للميلاد ، ثم أخذوا الأقسام الجنوبية من مملكته بعد سنة تقريباً ، أي سنة ١٠٦
للميلاد ، وبذلك زال حكم النبط عن اللحيانين ، فاستعادوا استقلالهم برئاسة
الملك (هناس بن تلمي)^٣ .

وقد عثر الباحثون على كتابتين ، ورد في احدهما : (مسعودو : ملك لحيان)
وورد في الأخرى : (ملك لحيان) ، وقد سقط منها اسم الملك لتلف أصاب
الكتابة . وقد ذهب (كاسكل) الى أن الكتابتين من عهد استيلاء النبط على
لحيان وذهب أيضاً الى أن الملك (مسعودو) أي (مسعود) لم يكن ملكاً بالمعنى
الحقيقي ، وإنما كان ملكاً اسماً ، وان الملك الآخر الذي أزال العطب اسمه من
الكتابة الثانية ، هو الملك (مسعود) نفسه ، ولم يذكر كيف جوز صاحب الكتابة
لنفسه نعت مسعود ، بنعت (ملك لحيان) على حين كانت مملكة لحيان تابعة
لمملكة النبط^٤ .

١ Lihyanisch, S., 40, 42.

٢ Lihyanisch, S., 42.

٣ Lihyanisch, S., 42.

٤ Lihyanisch, S., 42, Die Araber, I, S., 100, Jausen — Savignac,
334, 335, 337.

ويرى (كاسكل) أن في جملة من حكم اللحيانيين في هذا العهد ، عهد تدهور حكم النبط وزوال سلطانهم عن لحيان ، ملكاً اسمه (هناس بن تلمي) (هانؤاس بن تلمي) . وقد ورد اسمه في كتابة دونت في السنة الخامسة من حكمه ، دونها (عقرب بن مر) ، صانع تماثيل (هصنع) لمناسبة نخته طرفي صخرة قبره ، وصبرهما يمثلان الإله (أبي ايلاف) (أبا لف) ، وذلك في السنة المذكورة من حكم هذا الملك^١ .

وقد جعل (كاسكل) حكم الملك المتقدم (هناس بن تلمي) مبدأ لحكم أسرة جديدة ، أو حكومة جديدة ، تولت الحكم بعد زوال هيمنة النبط عن اللحيانيين . وكان الملك (لوذن بن هنؤاس) (لوذان بن هـ - نؤاس) آخر من حكم من الحكومة القديمة في لحيان ، أي آخر من حكم قبل استيلاء النبط على لحيان كما يرى (كاسكل)^٢ . وكان حكمه في حوالي السنة (٣٠ ق. م .) على تقدير (كروهن)^٣ .

وورد اسم الملك (تلمي بن هناس) (تلمي بن ها - نؤاس) في كتابة أرخت بالسنة الثانية من سني حكمه ، لمناسبة شراء رجل اسمه (عبد خرج) أرضاً ، بنى عليها ضريحاً (هكفر) ليكون مقبرة (همثرون) (ها - مثرون) ، يدفن فيها هو وأهله^٤ .

وأورد (كاسكل) اسم الملك (سموي بن تلمي بن هناس) بعد اسم الملك المتقدم^٥ . وهو ملك ورد اسمه في كتابة سجلها (وهب لاه) (وهبله) (وهب الله) وكان قيماً (قيمه) على (نعم) أنعام الإله (ذغبت) (ذو غابة) لمناسبة قيامه بتمام بناء معبد (ديدان) الذي كان الزلزال قد عبث به^٦ .

وورد اسم ملك آخر من ملوك لحيان ، في كتابة دونت في السنة الخامسة من سني حكمه^٧ ، دونها (أبو ايلاف بن حيو) ، وكان (كبير هشت) (ها - شعت)

١ Lihyanisch, S., 41, 110, JS 75, M. 25.

٢ Lihyanisch, S., 4.

٣ Arabien, S., 65, 289.

٤ Lihyanisch, S., 41, III, JS 45, M 9.

٥ Lihyanisch, S., 41.

٦ Lihyanisch, S., 41, 42, 112, JS 54, M 4.

٧ Lihyanisch, S., 41.

أي كبير الجماعة ، وهو نعت يدل على أنه كان وجيه القوم ووجههم ، وقد أشار فيها الى مجلس القوم (هيجل) ، وكان ذلك في السنة الخامسة من سني حكم (راي) (رأى) الملك (عبدن هناس) (عبدان بن ها - نؤاس)^١ . ويرى (كاسكل) ان حكمه كان في حوالي السنة (١١٠ ب. م.)^٢ .

ووضع (كاسكل) ملكاً اسمه (سلح) (سليج) (صالح) بعد اسم الملك (عبدان هانؤاس) . وقد حكم - على رأيه - في حوالي السنة (١٢٥) بعد الميلاد^٣ . وقد ورد اسمه في كتابة دونت قبل ثلاثة أيام (تلت ايم : قبل راي سلح) من تولي (سليج) الحكم ، وأرخ ذلك بسنة عشرين من ظهور عتمة ، أي حدوث ظلام (سنت عشرين عتم)^٤ . والظاهر ان كسوفاً وقع فأظلمت الدنيا وعتمت ، وذلك قبل عشرين سنة من تولي هذا الملك الحكم ، فأرخ الناس عندئذ بحدوثها ، وفي جملتهم صاحب هذه الكتابة^٥ .

وحكم في حوالي السنة (١٢٧ ب. م.) ملك اسمه (تلمي هناس) (تلمي ها - نؤاس) على رأي (كاسكل)^٦ . وقد جاء اسمه في كتابة دونت لمناسبة دفع دبة (وديو) عن قتيل قتل في السنة الثانية والعشرين من حكم هذا الملك^٧ . ووضع (كاسكل) الملك (فضج) ، بعد الملك (تلمي بن ها نؤاس) ، وجعل حكمه في حوالي السنة (١٣٤ ب. م.)^٨ . ويظهر من كتابة ورد فيها اسمه انه حكم أكثر من تسع وعشرين سنة^٩ .

ويرى (كاسكل) ان الملوك الليحانيين المتأخرين لم يكونوا على شاكلة الملوك الليحانيين الأول من حيث المكانة والشخصية ، ويرى ان الحل والعقد صارا في يد (الجبل) (هيجل) ، أي مجلس الشعب ، أو مجلس الأمة بتعبير قريب

Lihyanisch, S., 41.	١
Lihyanisch, S., 113, JS, 72, M 23.	٢
Lihyanisch, S., 41.	٣
Lihyanisch, S., 41.	٤
Lihyanisch, S., 115, JS, 68, M 55.	٥
Lihyanisch, S., 41.	٦
Lihyanisch, S., 116, JS, 77, M 27.	٧
Lihyanisch, S., 41.	٨
JS 70, M 52, Lihyanisch, S., 119.	٩

من تعبير هذا الزمان في الغالب، وان الناس لم يعودوا يحفلون بكتابة لقب (ملك لحيان) بعد اسم الملك ، وفي هذا الاهمال تعبير عن نظرة التساهل وعن عدم الاهتمام بأمر الملوك^١ .

ويتبين من النصوص اللحيانية المتأخرة ان هذا الدور الثاني ، أي الدور المتأخر من حكم حكومة لحيان ، لم يكن حكماً مستقراً وطيد الأركان ، لذلك نفشت السرقات ، وكثرت حوادث القتل فيه . ويرى (كاسكل) من ورود أسماء في بعض هذه الكتابات اللحيانية المتأخرة يشعر منها ان أصحابها من افريقية ومن جنس حامي ، احتمال مهاجمة الحبش لساحل البحر الأحمر الواقع فيما بين (لويكة كومة) وحدود مملكة سبأ ونزول الحبش في هذه الأرضين^٢ .

ويرى (كاسكل) ان الكتابات المشار اليها ، هي من زمن يجب أن يكون محصوراً بين السنة (١٥٠) والسنة (٣٠٠) بعد الميلاد، وفي هذه المدة يجب أن يكون وقوع غزو الحبش للسواحل العربية المذكورة^٣ . ويرى باحثون آخرون ان ملك الحبشة الذي يمكن أن يكون قد غزا هذه السواحل ، هو الملك Sembruthes ، وهو من ملوك (أكسوم) ، وقد عثر الباحثون على طائفة من الكتابات مدونة باليونانية تعود الى أيامه، ويجب أن يكون غزوه لتلك السواحل قد وقع بين نهاية القرن الرابع للميلاد وبين النصف الأول من القرن الخامس للميلاد^٤ .

ويرى (كاسكل) ان الرومان الذين استولوا على مملكة النبط لم يبلغوا أرض لحيان ، بل وقفوا عند حدود النبط، أو عند أرض تبعد مسافة عشرة كيلومترات عن (ديدان) ، بدليل انقطاع الكتابات التي كان يكتبها الجنود الرومان ويتركونها في الأماكن التي ينزلون بها عند الحد المذكور، فلم يعثر السياح على كتابة يونانية بعد البعد المذكور^٥ .

ويظهر من كتابة لحيانية وسمت بـ M 28 ان رجلاً من لحيان كان قد زار

١ Lihyanisch, S., 43.

٢ Lihyanisch, S., 43.

٣ Die Araber, I, S., 100.

٤ Die Araber, I, S., 100.

٥ Das Altarabische, S., 18.

المواضع : (صار) (صوار) ، و (نشور) ، و (رينغ) (رانغ)^١ .
والكتابة غامضة وزاد في غموضها وعسر فهمها سقوط كلمات منها، لذلك لا يدري
ما المراد من ذكر هذه المواضع . هل أريد به استيلاؤه عليها وضمها الى النبط؟
أو أريد به توليه الجباية فيها ؟ أو هو زارها وتاجر معها ؟ وقد يستتج منها
أن هذه المواضع كانت من مدن اللحيانيين في ذلك العهد^٢ .

و (صار) (صاور) ، موضع على الطريق بين الحجر ويثرب ، وهو
الموضع الذي ذكر في جغرافية (بطلميوس) باسم Assara = Asvara^٣ . وهو
موضع لا يبعد كثيراً عن (الحجر) . ويقع عند موضع (البدائع) الذي يبعد
زهاء واحد وعشرين كيلومتراً جنوبي شرقي (العلا) . وأما (نشأ) (نشير)
فهو موضع ذكره (ياقوت الحموي) في معجم البلدان ، ، ولم يعين مكانه ،
وأما (رانغ) ، فوضع لا نستطيع أن نؤكد أنه (رانغ) الحالية، وإن كانت
التسمية واحدة^٤ .

ولسنا نعلم بعد^٥ كيف كانت نهاية حكومة لحيان ، ومن قضى عليها ، وإلى
أين ذهب اللحيانيون بعد سقوط مملكتهم الذي كان بعد الميلاد كما رأينا .

ويظهر أن قوماً منهم هاجروا الى الجنوب ، وأن قوماً منهم هاجروا الى
العراق فاستقروا بالحيرة ، إذ نزلوا في موضع عرف باسمهم . وقد كانوا يتاجرون
معهما في أيام استقلالهم . ويظن أن موضع (السلان) المعروف في البادية منسوب
إلى الإله (سلمان) إله لحيان ورب القوافل عندهم . وقد كان اللحيانيون ينزلون
به في طريقهم الى العراق^٥ .

ولا يستبعد أن يكون القسم الأعظم منهم قد عاد الى البادية ، واندمج في
القبائل ، مفضلاً حياة البداوة على حياة العبودية والفوضى ، فاندمج في القبائل

Lihsanisch, S., 40, 94. ١

Lihsanisch, S., 40, 94. ٢

Ptolemäus, V, BK., 7, & 30. ٣

Lihsanisch, S., 40, 94. ٤

Lihsanisch, S., 44, Das Altarabische, S., 19, ٥

Rothstein, Lachmiden, S., 52, 64.

الأخرى على نحو ما حدث لغيرهم من الناس^١ .

وقد عُثر على مزهرية في (تل أبو الصلابيخ) في جنوب العراق ، وجدت عليها كلمة (برك آل) (برك ايل) (برك ايل) ، مدونة بقلم ذهب بعض الباحثين إلى أنه قلم لحياي . وذهب بعض آخر إلى أنه من قلم (المسند) ، وأن أصحابها من العرب الجنوبيين^٢ .

وقد نسب أهل الأخبار (أوس بن قلام بن بطينا بن جميه) إلى (لحيان) وهو من مشاهير أهل الحيرة ، حكم الحيرة أمداً^٣ . وقد يكون للحيان الذين ينسب (أوس) اليهم علاقة باللحيانيين الذين أتحدث عنهم .

وقد يكون (بنو لحيان) الذين يذكرهم أهل الأخبار ، من بقية ذلك الشعب الساكن في (الديدان) . أما اللحيانيون ، فهم من (بني لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر) ، فهم عدنانيون، وقد كانوا يتزلون في شمال شرقي مكة^٤ . والظاهر أنهم لم يكونوا من القبائل القوية عند ظهور الاسلام، ولذلك لا نجد لهم ذكراً في أخبار ظهور الاسلام وفي أيام صدر الاسلام^٥ .

وكانت منازل (لحيان) عند ظهور الاسلام في أرض جبلية . وقد غزاها الرسول بغزوة عرفت بـ (غزوة بني لحيان) ، فاعتصموا برؤوس الجبال ، وهجم الرسول على طائفة منهم على ماء لهم ، يقال له الكدر ، فهزموا، وغنم المسلمون أموالهم^٦ ، وأرسل الرسول عليهم سرية بقيادة (مرثد بن كنان الغنوي) إلى (الرجيع) ، فلقى بني لحيان ، وقد قتل مرشد في المعركة ، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة^٧ .

وقد هجأهم (حسان بن ثابت) فرماهم بالغدر ، وذكر موضعهم وهو

Lihyaniish, S., 44. ١

Arabien, S., 273. ٢

Lihsan, S., 44. المحبر (ص ٣٥٨) ، ٣

ابن قتيبة ، المعارف (ص ٣١) ، تاج العروس (٣٢٤/١٠) ، الاشتقاق (١٠٩/١) ٤

Ency., III, P. 26. ٥

المحبر (١١٤) ٦

Ency., III, PP. 26, 27. المحبر (١١٨) ٧

(الرجيع) ، وذكر انهم تواصلوا بأكل الجار ، فهم من أغدر الناس ، و (دار لحيان) هي دار الغدرا^١ .

ويذكر الأخباريون ان (تأبط شرأ) أتى جبلاً في (بلاد بني لحيان) ، ليشتار منه عسلاً ، ومعه جماعة ، فخرج عليهم اللحيانيون ، فهرب من كان مع (تأبط شرأ) ، فحاصره اللحيانيون ، الا ان (تأبط شرأ) أزلق نفسه على جدران الجبل ، فلم يلحقوا به ، وهرب^٢ .

وقد عثر السباح في حوالي السنة ٣٠٠ بعد الميلاد فما بعدها على كتابات عبرانية ونبطية في وادي (ديدان) تدل على أن قوماً من يهود وقوماً من النبط أو من جماعة كانت تتكلم النبطية كانت قد استوطنت في هذه الأرضين^٣ . وكان اليهود قد زحفوا الى هذه الأرضين وأخذوا يستقرون فيها حتى وصلوا الى يثرب . فلما ظهر الإسلام ، كان معظم سكان وادي القرى الى يثرب من اليهود .

وقد وجدت في الكتابات اللحيانية أسماء آلهة تعبدوا لها ، في طليعتها الإله (ذو غابت) (ذو غابة) . وقد عثر على أنقاض معبد له في وسط خرائب المدينة . ووجد فيه آثار حوض للماء ، يظهر أن المؤمنين كانوا يتوضأون به أو يغسلون مواضع من أجسامهم للتطهر قبل أداء الشعائر الدينية ، كما عثر على اسم إله آخر عرف عندهم بـ (سلمان) ، ويظهر أنه كان يكنى (أبا ايلاف) ، ويرى بعض الباحثين أنه إله القوافل ، أي الإله الذي يحمل القوافل ويحرسها في ذهابها وإيابها ، وذلك لأن ايلاف القوافل كان من واجب الآلهة ، كما يقول هؤلاء الباحثون ، مستدلين على ذلك بوضع (قريش) قوافلهم في حماية الآلهة ، كما يفهم من آية : (لايلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)^٤ .

١ ان شرك الغدر صرفاً لا خراج له فات الرجيع ، وسل عن دار لحيان ديوان حسان بن ثابت (ص ٣٧) ، (طبعة هرشفلد) .

٢ المحبر (١٩٧ وما بعدها) .

٣ Lihyanisch, S., 44.

٤ Das Altarabische, S., 13.

٥ السورة رقم (١٠٦) .

وعثر على اسم إله هو (هانيء كاتب) (هني كتب) ومعناه (عبيد كاتب)
واسم إله آخر هو (ه - محر) (ها - محر) أي (المحر) . وقد ذهب
(كاسكل) الى ان الإله (كاتب) هو في مقابل الإله (توت) Thot عند
المصريين ، إله الحكمة ' .

الفصل الثالث والعشرون

السبئيون

لورود اسم سبأ في القرآن الكريم فضل ولا شك في جميع أهل الأخبار ما بقي في أذهان المسلمين عن سبأ والسبئيين ، فقد اضطر المفسرون الى التقاط ما كان ورد عنهم من قصص وحكايات . وما كان القرآن ليشير الى سبأ، لو لم تكن لهم قصة عند الجاهليين^١ .

وسبأ عند الأخباريين اسم جدّ أولاد أولاداً نسلوا، وكانت من ذرياتهم شعوب، ووالده هو (يشجب بن يعرب بن قحطان) ، ومن أولاده قبائل كثيرة انتشرت في كل مكان من جزيرة العرب ، قبل الإسلام وبعده، واليه نسب نسله السبئيون. وقد زعموا أن اسمه الحقيقي ، هو (عبد شمس) . وأما سبأ ، فلقب لقب به، لأنه أول من سبأ ، أي سن السبي من ملوك العرب وأدخل اليمن السبايا، وذكر بعضهم أنه بنى مدينة (سبأ) وسدّ مأرب ، وغزا الأقطار ، وبنى مدينة (عين شمس) بإقليم مصر ، وولى عليها ابنه (بابلون) (بابلون) ، وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل^٢ .

١ سورة النمل : الرقم ٢٧ الآية ٢٢ ، سورة سبأ ، الرقم ٣٤ ، الآية ١٥ .
٢ المحبر (ص ٣٦٤) ، الطبري (٢٢٥/١) ، ورووا شعرا على لسان علقمة بن ذي جدن في هذا المعنى :

ومنا الذي لم يسب قبل سبائه سبأه ، ومن دان الملوك مرارا
منتخيات (ص ٤٧) ، تاج العروس (١٠/١٦٩) ، ابن خلدون (٤٧/٢) .

وليس في النصوص العربية الجنوبية شيء عن نسب سبأ وعن هويته ، وليس فيها شيء عن اسمه أو عن لقبه المزعوم ، وكل ما ورد فيها أن سبأ اسم شعب ، كَوْن له مملكة ، وترك عدداً كبيراً من الكتابات . وكان يتعبد لآلهة خاصة به ، وله حكام حاربوا غيرهم ، الى غير ذلك من أمور سوف يأتي الكلام عليها .
نعم ، نشرت في كتاب REP. EPIG. صورة كتابة ، ذكر أنها حفرت على نحاس ، وهي في مجموعة P. Lamare ، جاء فيها : (عبد شمس ، سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)^١ .

ولم تنشر الصورة (الفوتوغرافية) لأصل الكتابة ، وإنما نشرت كتابتها بالأحرف اللاتينية والعبرانية ، ولم يد المتخصصون رأياً في هذا اللوح وفي نوع كتابته وزمان الكتابة ، لذلك لا أستطيع أن أبدي رأياً فيها ، ما لم أقف على ذلك اللوح .
وأما حظ سبأ في الموارد التاريخية ، فانه لا بأس به بالقياس الى حظ الشعوب العربية الجاهلية الأخرى ، فقد ورد ذكر السبئيين في التوراة وفي الكتب اليونانية واللاتينية وفي الكتابات الآشورية . ويظن ان كلمة SA-Ba-A-A = Sabu الواردة في نص سومري يعود الى Aradnannar (باتيسي) (لجش) Lagash (تلو) معاصر آخر ملوك (أور) ، أي من رجال النصف الثاني من الألف الثالثة قبل المسيح ، تعني أرض سبأ^٢ . ويرى (هومل) ان كلمة Sabum = Sa-bu-um التي وردت عند ملوك (أور) في حوالي سنة (٢٥٠٠ ق.م .) إنما تعني Seba الواردة في العهد العتيق^٣ . وإذا صح ان Saba و Sabum سبأ والسبئيين ، صارت هذه النصوص السومرية أقدم نصوص تاريخية تصل إلينا وفيها ذكر (سبأ) ، ويكون السبئيون أول شعب عربي جنوبي يصل خبره إلينا ، ونكون بذلك قد ارتقينا بسلام تاريخهم الى الألف الثالثة قبل الميلاد^٤ .
وقد ذهب (مونتكمري) Montgomery الى ان السبئيين المذكورين في

REP. EPIG. 4304, VIII, II, P. 184. ١

Ency., Vol. 4, P. 3, O'Leary, P. 87, Rawlinson, Cunelf. ٢
Inscr. W - Asia., II, 53, 67, III, 10, No. 2, 38.

Hommel, in: Hilprecht's Explorations in Bible Land, Philadelphia, 1903, P. 739, Ency., 4, P. 3, Arablen, S., 24. ٣

Arablen, S., 24. ٤

النصوص السومرية كانوا من سكان (العربية الصحراوية) ، أي البادية ، وهذه البادية هي مواطنهم الأصلية الأولى ، ومنها ارتحلوا الى اليمن . أما متى ارتحلوا عنها ، فليس لدى هذا المستشرق علم بذلك . ويرى بعض الباحثين ان مجيء السبثيين الى ديارهم التي عرفت باسمهم ، انما كان في ابتداء العصر الحديدي ، أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وذلك بعد مئات من السنين من هجرة المعينيين والقبتانيين الى اليمن^١ .

ورأى بعض آخر احتمال هجرة السبثيين الى اليمن في حوالي السنة (١٢٠٠) قبل الميلاد ، أما هجرة المعينيين والقبتانيين وأهل حضرموت ، فقد كانت في حوالي السنة (١٥٠٠ ق. م.) . وقد مارس السبثيون الزراعة والتجارة، فكانت قوافلهم التجارية تصل الى بلاد الشام ، وذلك في حوالي السنة (٩٢٢ ق. م.) على ما يستنبط من التوراة^٢ .

وذهب (هومل) الى ان السبثيين هم من أهل العربية الشمالية في الأصل، غير انهم تركوا مواطنهم هذه، وارتحلوا في القرن الثامن قبل الميلاد الى جنوب جزيرة العرب ، حيث استقروا في منطقة (صرواح) و (مأرب) وفي الأماكن السبئية الأخرى . كانوا يقيمون على رأيه في المواضع التي عرفت بـ (أريبي) (عريبي) (أريبو) في الكتابات الآشورية وبـ (يارب) Jareb = Jarb في التوراة^٣ . ومن (يرب) (يارب) على رأيه جاء اسم (مأرب) عاصمة (سبأ)^٤ . ويؤيد رأيه بما جاء في النص : Glaser 1155 الذي سبق أن تحدثت عنه من تعرض السبثيين لقافلة معينة في موضع يقع بين (معان) و (رجمت) الواقع على مقربة من (نجران)^٥ . وعنده ان هذا النص يشير الى ان السبثيين كانوا يقيمون في أيام ازدهار حكومة معين في أرضين شمالية بالنسبة الى اليمن ، ثم

١ Arabien, S., 24, Burton, Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, 1929, P. 115, Montgomery, P. 50, Otto Eifeldt — Festschrift, Wiesbaden, 1959, S., 153.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ١١ ، Arabien, S., 24, Hommel, Geographie und Geschichte des Alten Orients, I, ٣

S., 142, Aufsatz und Abhande, S., 230, 281, 302, 313. المصدر نفسه ٤

Glaser 1155 = Hálévy 535. ٥

انتقلوا الى اليمن. ويرى في اختلاف لهجتهم عن لهجة بقية شعوب العربية الجنوبية دليلاً آخر على ان السبثيين كانوا في الأصل سكان المواطن الشمالية من جزيرة العرب ، ثم هاجروا الى الجنوب^١ .

وقد ذكر العهد العتيق (شبا) (سبا) تارة في الحاميين ، وذكرهم تارة أخرى في الساميين . ففي الآية السابعة من الاصحاح العاشر من التكوين ، وفي الآية التاسعة من الاصحاح الأول من أخبار الأيام الأول : ان (شبا) من (كوش بن حام) ، فهم من الكوشيين ، أي من الحاميين ، على حين اننا نرى في الآية الثامنة والعشرين من الاصحاح العاشر من التكوين انهم من الساميين . وبين الحاميين والساميين ، فرق كبير كما هو معلوم . ثم اننا نرى ان التوراة قد جعلت (شبا) من ولد (يقطان) في موضع^٢ ، وجعلته من ولد (يقشان) في موضع آخر^٣ ، ويقطان هو ولد من ولد (عابر) Eber . أما (يقشان) فهو ولد من أولاد (ابراهيم) من زوجه (قطورة)^٤ ، وفرق بين الاثنين .

ويرى علماء التوراة أن ذكر (شبا) و (سبا) تارة في الكوشيين أي الحاميين ، وتارة أخرى في اليقطانيين ، أو في (اليقشانيين) ، هو تعبير وكناية عن انتشار السبثيين ، ونزوح قسم منهم الى السواحل الإفريقية المقابلة ، حيث سكنوا فيها ، وكونوا مستوطنات بها في (الأريتريا) وفي الحبشة وفي أماكن أخرى . ولهذا ميزتهم التوراة عن بقية السبثيين المقيمين في العربية الجنوبية بجعلهم من أبناء (كوش) ، وميزت السبثيين المختلطين بقبائل (يقشان) برجع نسبهم الى (يقشان) ، وبذلك صار السبثيون ثلاث فرق بحسب رواية التوراة ، لانتشارهم واقامة جماعات منهم في مواضع غربية عن مواضعهم ، وذلك قبل الميلاد بالطبع بمئات من السنين^٥ .

وقد وصفت أرض (شبا) في التوراة بأنها كانت تصدر (اللبان)^٦، وكانت

١ Hommel, Geogr., I, S., 143.

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٨ .

٣ التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٣ .

٤ التكوين : الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٢ .

٥ Hastings, P. 490, 842, Encycl. Bibl., P. 2564.

٦ ارميا : الاصحاح السادس ، الآية ٢٠ .

ذات تجارة ، وأن تجارها كانوا يتاجرون مع العبرانيين : (تجار شبا ورعة هم تجارك ، بأفخر أنواع الطيب ، وبكل حجر كريم والذهب أقساموا أسواقك . حران وكنة وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك)^١ . واشتهرت قوافلها التجارية التي كانت ترد محملة بالأشياء النفيسة^٢ ، وعرفت بثروتها وبوجود الذهب فيها^٣ . وقد قيل لذهبها (ذهب شبا)^٤ . ويتبين من المواضع التي ورد فيها ذكر السبثيين في التوراة أن معارف العبرانيين عنهم قد حصلوا عليها من اتصالهم التجاري بهم ، وهي محصورة في هذه الناحية فقط ، فلا نجد في التوراة عن السبثيين غير هذه الأمور .

وقصة زيارة (ملكة سبأ) لسليمان ، المدونة في التوراة ، هي تعبير عن علم العبرانيين بالسبثيين ، وعن الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين شعب سبأ . ولم تذكر التوراة اسم هذه الملكة ، ولا اسم العاصمة أو الأرض التي كانت تقيم بها^٥ . وقد ذهب بعض نقدة التوراة إلى أن هذه القصة هي أسطورة دونها كتابة التوراة ، الغرض منها بيان عظمة ثروة سليمان وحكمته وملكه^٦ . ورأى آخرون أن هذه الملكة لم تكن ملكة على مملكة سبأ الشهيرة التي هي في اليمن ، وإنما كانت ملكة على مملكة عربية صغيرة في أعالي جزيرة العرب ، كان سكانها من السبثيين القاطنين في الشمال . ويستدلون على ذلك بعثور المنقبين على أسماء ملكات عربيات ، وعلى اسم ملك عربي ، هو (يثع أمر) السبثي في النصوص الآشورية ، في حين أن العلماء لم يعثروا حتى الآن على اسم ملكة في الكتابات العربية الجنوبية ، ثم صعوبة تصور زيارة ملكة عربية من الجنوب إلى سليمان وتعجبها من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه ، مع أن بلاط (أورشليم) يجب ألا يكون شيئاً بالقياس إلى بلاط ملوك سبأ ، ولهذا لا يمكن أن تكون هذه المملكة في نظر هذه الجماعة

١ حزقيال : الإصحاح السابع والعشرون ، الآية ٢٢ وما بعدها ، الإصحاح الثامن والثلاثون الآية ١٣ .

٢ ايوب : الإصحاح السادس ، الآية ١٩ .

٣ Hastings, P. 842.

٤ المزامير : المزمور الثاني والسبعون ، الآية ١٥ .

٥ (فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة) ، الملوك الإصحاح العاشر ، الآية ٢ .

٦ Hastings, P. 843.

من علماء التوراة ، إلا ملكة مملكة عربية صغيرة لم تكن بعيدة عن عاصمة ملك سليمان ، قد تكون في جبل شمر أو في نجد أو الحجاز^١.

وذهب بعض العلماء أيضاً الى أن الغرض من هذه الزيارة لم يكن مجرد البحث عن الحكمة وامتحان سليمان ، وإنما كان لسبب آخر على جانب كبير من الأهمية بالقياس الى الطرفين، هو توثيق العلاقات التجارية وتسهيل التعامل التجاري بينهما^٢.

وقد ذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس) الى أن هذه الملكة كانت ملكة (أثيوبية) الحبشة ومصر ، زاعماً أن Saba اسم عاصمة الأحباش^٣ ، وأن اسم هذه الملكة Naukalis^٤.

ونجد زعم (يوسفوس) هذا شائعاً فاشياً بين أهل الحبشة ، فهم يذهبون حتى اليوم الى أن أسرته المالكة هي من سلالة سليمان وزوجه ملكة (شبا) ، ويدعونها (ماقدة) Makeda^٥. ولا أظن ان (يوسفوس) قد اخترع نفسه تلك القصة ، بل لا بد أن يكون قد أخذها من أفواه قومه العبرانيين .

وقد وصف هذا المؤرخ زيارتها لقصر سليمان في (أورشليم) ، وذكر أنها عادت الى مملكتها بعد ان استمعت الى حكم هذا الملك النبي^٦. وهو يردد بذلك صدى ما جاء في التوراة من ان زيارة تلك الملكة انما كانت لالهاس الحكمة منه.

ومهما قيل في أصل هذه القصة ، وفي خبر المؤرخ (يوسفوس) عن الملكة ، فإننا نستطيع أن نقول انها ترجمة وتعبير عن الصلات التاريخية القديمة الاقتصادية والسياسية التي كانت بين سبأ والحبشة ، وعن أثر السبثيين في الأحباش من جهة وبين هذا الفريق والعبرانيين من جهة أخرى، رمز اليها بهذه القصة التي قد تكون

1 Montgomery, P. 181, Dhorme, Revue Biblique, P. 105, Glaser, Skizze,

II, S., 387, Dussaud, Les Arabes en Syrie, P. 10, Hastings, P. 843.

2 Hastings, P. 843. Kittel, Die Bücher der Könige, S., 89.

3 Encycl., Vol., I, P. 720.

4 Ency., Vol., I, P. 720.

5 ويدعي الاحباش أن (منليك) وهو جد الأسرة المالكة ، هو ابن سليمان من زوجة (ماقدة) ملكة (شبا) ،

Encycl., Vol. I, P. 720, J. B. Conelbeaux, Histoire de L'Abyssinie, I, P. 108.

6 Josephus, Jewish Antiquities, Vol., V., P. 661.

زيارة فعلية حقاً ، أدهشت العبرانيين ، أدهشتهم من ناحية ما شاهدوه من ثراء الملكة وثروتها ، حتى أدخلوها في التوراة للاشادة بعظمة سليمان وما بلغه من مكانة و ثراء وسلطان .

لقد أدهشت هذه الملكة السبئية (سليمان) حين جاءت مع قافلة كبيرة من الجبال تحمل هدايا وألطافاً من أثنى المواد الثمينة بالقياس الى ذلك العهد ، واذا كانت هذه الزيارة قد تمت من العربية الجنوبية حقاً، فلا بد أنها تكون قد قطعت مسافة طويلة حتى بلغت مقر (سليمان) في حوالي السنة (٩٥٠ ق. م.)^١ .

واذا أخذنا بحديث التوراة عن تجار (شبا) (سبا) ، وعن قوافل السبئيين التي كانت تأتي بالذهب وباللبان وبأفخر أنواع الطيب الى فلسطين، وذلك في أيام (سليمان) وقبل أيامه أيضاً ، وجب رجوع زمان هذه القوافل اذن الى الألف الثانية قبل الميلاد ، وذلك لأن زيارة الملكة : ملكة سبا لسليمان، كانت في حوالي السنة (٩٥٠ ق. م.)^٢ ، ومعنى هذا ان السبئيين كانوا اذ ذاك من الشعوب العربية الجنوبية النشيطة في ذلك العهد. وقد كانوا أصحاب تجارة وقوافل وأموال لا يبالون ببعد الشقة وطول المسافة ، فوصلوا بتجارهم في ذلك الزمان الى بلاد الشام .

وقد قص القرآن الكريم قصة زيارة ملكة (سبا) لسليمان دون أن يذكر اسم الملكة^٣ ، غير أن المفسرين والمؤرخين وأهل الأخبار ذكروا أنها (بلقيس) وأنها من بنات التبابعة^٤ ، وقد صبرها بعضهم (بلقيس بنت ابلشرح)^٥ ، أو (بلقمة ابنة اليشرح) ، أو (بلقيس بنت ذي شرح بن ذي جدن بن ايلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان)^٦ ، وهي (بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل)^٧ ، الى غير ذلك من أقوال^٨ . وأرى أن

-
- | | |
|---|---|
| Discoveries, P. 35, Hastings, P. 868. | ١ |
| Discoveries, P. 35. | ٢ |
| سورة النمل : رقم ٢٧ ، الآية ٢١ وما بعدها . | ٣ |
| Encycl., Vol., II, P. 720. | ٤ |
| الطبري (٥٧٦/١) ، وما بعدها ، ٦٣٨ ، ٩٠٨) . | ٥ |
| الطبري (٢٥٤/١) (طبعة المطبعة الحسينية) . | ٦ |
| اليقوي (١٥٨/١) (طبعة النجف) . | ٧ |
| كتاب النيجان (ص ١٥١) ، مروج الذهب (٤/٢) . | ٨ |

الذين جعلوا اسم والدها الهدهاد ، انما أخذوا ذلك من (الهدهد) الطير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، والذي نقل نبأ ملكة سبأ الى سليمان^١ . وقد كان الهدهاد على زعمهم في عداد ملوك اليمن ، وجعلوا سليمان ملكاً على اليمن كذلك ، جعلوا ملكه على اليمن ثلاثمئة وعشرين سنة ، وجعلوا ملك (بلقيس) وحدها مئة وعشرين سنة^٢ ، الى غير ذلك من أقوال .

وقد صير (ابن دريد) اسم بلقيس (بلقمة) ، وأوجد تعليلاً لهذه التسمية فقال : إنها من (اليلق) ، واليلق القباء المحشو ، ويقال إنه فارسي معرب^٣ . وذكر بعض أهل الأخبار أن (بلقيس) لم تكن متزوجة حين قدمت على سليمان ، فقال لها (سليمان) : لا تصلح امرأة بلا زوج ، فزوجها من (سدود بن زرعة)^٤ . وهكذا صيروا أمر ملكة سبأ كله بيد سليمان ، حتى أمر اختيار زوج لها .

ويرى بعض الباحثين أن ما جاء في التوراة عن السبئيين ، لا يعتمد على موارد أصلية ومنايع موثوقة ، بل أخذ من موارد ثانوية ، ولهذا فإن في الذي جاء فيها عنهم يحملنا على اعتباره مادة كدرة ، ليس فيها صفاء^٥ .

وقد ذكر السبئيون في المؤلفات اليونانية واللاتينية ، وأقدم من ذكرهم من اليونان (ثيوفراستس)^٦ . والمعلومات التي أوردها عنهم وعن جزيرة العرب وان كانت ساذجة ذات طابع خرافي في بعض الأحيان ، الا ان بعضاً منها صحيح ، وقد أخذ من أقوال التجار ، ولا سيما تجار الاسكندرية الذين كانوا يستقبلون السلع من العربية الجنوبية وافريقية ، ومن قصص النوتيين الذين كانوا يسلكون البحر الأحمر ، ويصلون الى العربية الجنوبية وسواحل افريقية والهند للتجارة . وهي قصص سطحية تميل الى المبالغات . غير ان هذه المعلومات ، على الرغم من هذه النقائص وأمثالها مما تتصف به ، هي ذات فائدة كبيرة لمن يريد الوقوف على

١ سورة النمل ، رقم ٢٧ ، الآية ٢٠ .

٢ اليعقوبي (١٥٨/١) .

٣ الاشتقاق (٣١١/٢) .

٤ الاشتقاق (٣١١/٢) .

٥ The Bible and the Ancient Near East, P. 300.

٦ Encycl., Vol., IV, P. 5.

حالة جزيرة العرب في ذلك العهد : وقد تحسنت الأخبار اليونانية واللاتينية منذ الميلاد فما بعد تحسناً عظيماً ، ومردّ ذلك الى الاتصال المباشر الذي تم منذ ذلك العهد وما بعده بين اليونان واللاتين والعرب ، والى الأطماع السياسية التي أظهروها تجاه جزيرة العرب ، تلك الأطماع التي جعلتهم يسلكون مختلف الطرق للحصول على معلومات عن بلاد العرب ، وحالة سكانها ومواطن الضعف التي لديهم للولوج منها في بلادهم ، ولتحقيق مطامع استعمارية رمت ابتلاع جزيرة العرب . ولذلك اعتبروا ما يحصلون عليه من أخبار عن هذه البلاد من أسرار الدولة التي لا يجوز افشاؤها ولا عرضه للناس ، وهي قد جمعت أضيابير وخزنت في الاسكندرية ، لم يسمح الا لبعض الخاصة من العلماء الثقافات الاستفادة منها :

ويعود غالب علمنا بأحوال السبثيين الى الكتابات السبثية التي عثر عليها في مواضع متعددة من العربية الجنوبية ، ولا سيما في الجوف مقرر السبثيين . وهي أكثر عدداً من الكتابات المعينية والفتبانية والحضرية وغيرها . وهي تشاركها في قلة عدد المؤرخ منها . وقد أرخ قسم من النصوص المؤرخة بأيام حكم سبأ أو بأيام أصحاب الجاه والنفوذ . ولذلك صعب على الباحثين تثبيت تواريخها حسب التقاويم الحالية المستعملة عندنا ، لعدم علمهم بأيام حكمهم وبشخصياتهم ، وصار تقديرهم لها تقديرأ غير مؤكد ولا مضبوط ، بتقويم حير الذي يبدأ عادة بحوالي السنة (١١٥) قبل الميلاد ، أو السنة (١٠٩) قبل الميلاد على بعض الآراء . فان من السهل علينا تثبيت زمنها بالنسبة لسني الميلاد ، وذلك بطرح الرقم (١١٥) أو (١٠٩) من التقويم الحميري ، فيكون الناتج من السنين التاريخ حسب التقويم الميلادي بصورة تقريبية .

ومبدأ تقويم حير هو السنة التي تلقب بها ملوك سبأ بلقب جديد ، هو لقب (ملك سبأ وذو ريدان) . وهو لقب يشير الى حدوث تطور خطير في حكم ملوك سبأ ، إذ يعنى ذلك أن ملوك سبأ أضافوا الى ملك سبأ ملكاً جديداً ، هو أرض (ذو ريدان) ، أرض الريدانيين ، وهم الحميرين ، فتوسع بذلك ملكهم ، وزاد عدد نفوسهم ، فأرخوا بسنة التوسع هذه ، واعتبروها مبدأ لتقويم . والعلماء الباحثون في تأريخ سبأ ، هم الذين استنبطوا أن هذا المبدأ هو في حوالي السنة (١١٥) أو (١٠٩) قبل الميلاد .

ويلاحظ أن السبثيين لم يهملوا بعد أخذهم بمبدأ التقويم الحميري ، التورخ

بالطريقة القديمة المألوفة وأعني بها التوريف بالأشخاص وبالحوادث الجسم بالنسبة لأيامهم . حتى الملوك أرخوا بعض كتاباتهم على وفق هذه الطريقة ، وأرخوا البعض الآخر وفقاً للتقويم الحميري الجديد . مما يدل على أنهم لم يتمكنوا من إهمال الطريقة القديمة لشيوعها بين الناس . ولدينا أسماء عدد من الأسر والأشخاص أرخت بهم الكتابات السبئية المؤرخة . مثل : (آل حزفر) (حزفرم) و (آل يهسحم) (يهسحم) و (سالم بن يهنعم) و (آل خليل) وغيرهم^١ . وهي تواريخ محلية ، لذلك تنوعت وتعددت ، ويؤيد ذلك أنا نجد الملك يؤرخ بجملة أشخاص . ولما كان من الصعب الاستمرار بالتاريخ على وفق هذه الطريقة ، إذ الحوادث الجديدة تطمس ذكر الحوادث القديمة ، كانت التواريخ تتبدل بهذا التبدل ، فينسى الناس القديم ويؤرخون بالجديد ، وهكذا . وقد حرمتنا هذا التغير الفائدة المرجوة من تأريخ الحوادث .

وقد تبين من الكتابات السبئية أن لقب حكام سبأ ، لم يكن لقباً ثابتاً مستقراً بل تبدل مراراً ، وأن كل تبدل هو لتبدل الحكم في سبأ ودخوله في عهد يختلف عنوانه عن العهد القديم . ولذلك صار الحكم أدواراً ، واضطر المؤرخون المحدثون إلى التأريخ بموجبها ، فدور أول ، وهو أقدم أدوار الحكم لقب حكامه فيه : (مكرب سبأ) ، ثم دور تال له صار اللقب فيه : (ملك سبأ) . ثم دور آخر تغير فيه عنوان الملك فصار : (ملك سبأ وذو ريدان) . وقد وقع في حوالي السنة (١١٥) أو (١٠٩) قبل الميلاد . جاء بعده دور جديد صار اللقب الرسمي فيه على هذا النحو : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وأعراها في المرتفعات وفي التهائم) ، وهو آخر دور من أدوار الحكم في سبأ وخاتمة الأدوار .

وبفضل الكتابات السبئية حصلنا على شيء من العلم بأصول الحكم في سبأ وبما سأكتبه وبما كتبه غيري عنهم . وبفضل البقية الباقية من آثار خرائب مدنهم وقراهم ومستوطناتهم استطعنا تكوين إلمامة عن فنههم وعن العمران عنهم ، وعن نظم الري والزراعة لديهم وغير ذلك مما سأحدث عنه . ولولا تلك الكتابات ولولا هذه البقية من الآثار لما صار في إمكاننا الكلام عنهم إلا بإيجاز مخل . وكلنا أمل

بالطبع في أن تتبدل الأيام ، فتنعم العربية الجنوبية بالاستقرار ، وبرجال ذوي عقول مستقلة نيرة، تفهم روح الوقت وتبدل الزمن فتأمر بنش الأرض لاستنباط ما هو مدفون في باطنها من كنوز روحية ومادية ، وعندئذ يستطيع من يأتي بعدنا أن ينال الحظ السعيد بالكتابة عن تلك البلاد كتابة تجعل كتابتنا الحالية شيئاً تافهاً قديماً بالياً تجاه ما سيعثر عليه من جديد . واني أرجو له منذ الآن الموفقية والنجاح ، لأنني وان كنت قد دخلت اذ ذاك في باطن الأرض ، فصرت تراباً ضائعاً بين الأتربة ، غير ان لي رجاء وأمل لا ينقطعان ولا ينتهيان بموت ، هو رجاء الكشف عن الماضي الميت وبعثه ونشره وحشره من جديد .

اننا لا زلنا مع ذلك في جهل بنواح عديدة من نواحي الحياة في الممالك العربية الجنوبية التي تكونت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية . نواح تتعلق بالقوانين وبأصول التشريع ، وبالحياة الاجتماعية وبالحياة الدينية أو الفنية ، بل وفي عدد من حكم تلك الممالك وفي ترتيبهم وأعمالهم وما قاموا به ، وبصلات أولئك الحكام ببقية جزيرة العرب وبالعالم الخارجي . ودراسة العلماء عن تأريخ العرب الجنوبية الجاهلي وان تقدمت في خلال السنين المتأخرة ، ولكنها لا تزال مع ذلك في بدء مراحلها وهي تجري ببطء وتؤدة .

المكربون :

لقب أقدم حكام سبأ ، بلقب (مكرب) في الكتابات السبئية ، وفي هذا اللقب معنى (مقرب) في لهجتنا ، وتدل اللفظة على التقريب من الآلهة ، فكان (المكرب) هو مقرب أو وسيط بين الآلهة والناس ، أو واسطة بينها وبين الخلق .

وقد كان هؤلاء (المقربون) (المكربون) في الواقع كهاناً ، مقامهم مقام (المزود) عند المعينيين و (شوفيط) Shophet ، وجمعها (شوفيطيم) عند العبرانيين ، أي (القضاة)^١ . وجاء في كتب اللغة : (كرب الأمر يكرب كروباً : دنا، يقال: كربت حياة النار، أي قرب انطفأؤها، وكل شيء دنا، فقد كرب.

١ Hastings, P, 504, Encycl., Bibl., P. 2632.

قال أبو عبيد : كرب ، أي دنا من ذلك وقرب ، وكل دان قريب ، فهو كارب . وورد : الكرويون سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل ، واسرافيل هم المقربون ، والملائكة الكرويون أقرب الملائكة الى العرش^١ . فللفظة معنى التقريب حتى في عربيتنا هذه : عربية القرآن الكريم .

وقد قدّر (ملاكر) Mlaker حكم المكربين بحوالي قرنين ونصف قرن ، إذ افترض أن حكم المكرب الأول كان في حوالي السنة (٨٠٠ ق. م.) ، وجعل نهاية حكم المكربين في حوالي السنة (٦٥٠ ق. م.) . وفي حوالي هذا الزمن استبدل - على رأيه - بلقب مكرب لقب (ملك) ، وانتهى بهذا التغيير في اللقب دور المكربين^٢ .

وقدّر غيره حكم المكربين بزهاء ثلاثة قرون ، فجعل مبدأ حكمهم في حوالي السنة (٧٥٠ ق. م.) ، ونهاية حكمهم في حوالي السنة (٤٥٠ ق. م.)^٣ ، وجعل بعض آخر مبدأ حكم المكربين في القرن العاشر أو القرن التاسع قبل الميلاد^٤ . وقد تمكن العلماء من جمع زهاء سبعة عشر مكرباً ، وردت أسماءهم في الكتابات العربية الجنوبية ، وكانوا يقيمون في عاصمة سبأ القديمة الأولى مدينة (صرواح) . وقد رتب أولئك العلماء أسماء المكربين في مجموعات ، وضعوا لها تواريخ تقريبية ، لعدم وجود تواريخ ثابتة تثبت حكم كل ملك بصورة قاطعة ، ولذلك تباينت عندهم التواريخ وتضاربت ، فقدم بعضهم تأريخ الأسرة الأولى ، بأن وضع لحكمها تاريخاً يبعد عن الميلاد أكثر من غيره ، وقصر آخرون في التأريخ وأخروا ، وكل آرائهم في نظري فرضيات لا يمكن ترجيح بعضها على بعض في هذا اليوم . وقد يأتي يوم يكون في الامكان فيه تثبيت تواريخهم بصورة قريبة من الواقع ، استناداً الى الكتابات التي سيعثر عليها وعلى دراسة الخطوط وتقدير أعمار ما يعثر عليه وتحليل محتوياته بالأساليب الآثارية الحديثة التي تقدمت اليوم كثيراً ، وستقدم أكثر من ذلك في المستقبل من غير شك .

١ اللسان (٢٠٦/٢) ، تاج العروس (٤٥٣/١) . Freytag, Lexicon, IV, P. 21

٢ Mlaker, Die Hierodulenlisten von Ma'in nebst Untersuchungen zur altsüdarabischen Rechtsgeschichte und Chronologie, Samml. Orientalist. Arab., 15, Beiträge, S., 7.

٣ Discoveries, P. 73.

٤ BOASOOR, NUM., 137, (1955), P. 38, Arabien, S., 122.

ويعد المكرب (سمه على) أقدم مكرب وصل البنا اسمه . ولا نعرف اللقب الذي كان يلقب به ، ومن عادة حكام العربية الجنوبية من مكربين وملوك اتخذ ألقاب يعرفون بها ، ومن هذه الألقاب نستطيع التفريق بينهم . ولا نعرف شيئاً كذلك من أمر والده . وقد جعل (فليبي) مبدأ حكمه بمحدود عام (٨٠٠) قبل الميلاد في كتابه (سناد الإسلام)^١ وبمحدود سنة (٨٢٠) قبل الميلاد في المقال الذي نشره في مجلة Le Muséon^٢ .

وتعد الكتابة الموسومة بـ Glaser 1147 ، من كتابات أيام هذا المكرب . وهي كتابة قصيرة مكتوبة على الطريقة الحلزونية Boustrophedon كأكثر كتابات أيام المكربين ، ولقصرها ونقصها لم نستفد منها فائدة تذكر في الوقوف على شيء من حياة هذا المكرب^٣ .

وقد عد (كلاسر) الكتابة الموسومة بـ Glaser 926 من كتابات أيام هذا المكرب ، وتابعه على ذلك (فليبي)^٤ . وهي من الكتابات المدونة على الطريقة الحلزونية Boustrophedon . وقد كتبت عند انشاء بناء ، وصاحبها (صبحم بن يثع كرب فقضن)^٥ . وقد ورد فيها اسم (سبأ) و (مرب) أي مدينة (مأرب) و (فيش) (فيشان) ، ووردت فيها لفظة (فراهو) أي (سيدة) ، قبل اسم (سمه على) الذي كان يحكم شعب (سبأ) في ذلك العهد ، ودونت في النص أسماء الآلهة : عثر ، و (المقه) و (ذات بعدن)^٦ ، على العادة المألوفة في التيمن بذكر أسماء الآلهة في الكتابات ، ثم التيمن بذكر اسم الحاكم من مكرب أو ملك يوم تدوين الكتابة .

والنص المذكور ناقص يكمله النص الموسوم بـ CIH 955 ، على رأي بعض الباحثين^٧ .

Background, P. 141. ١

Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 248. ٢

Glaser 1147, CIH 367, Vindob 14, CIH, IV, II, P. 14, D.H. Müller, ٣

Südarabische Alterthümer im Kunsthistorischen Hofmuseum, 1890, S., 34, Hommel, Aufsätze., S., 144.

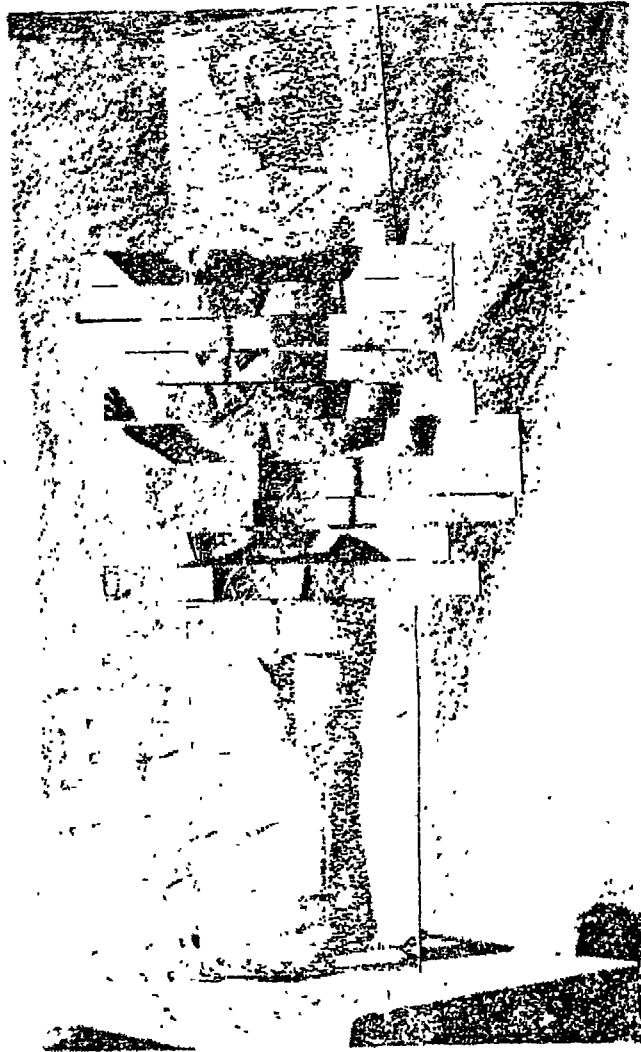
Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248, CIH 418, IV, II, II, P. 99. ٤

(صبحم بن يتعكرب فقضان) ٥

(ذات حميم) (ذات بعدان) ، (ذات حمم) (ذات البعد) ٦

Glaser 927, CIH, IV, III, II, P. 282. ٧

وللمكرب المذكور ولد اسمه (يدع آل ذرح)^١ ، حكم على رأي (فليجي)



تمثال من البرنز قدمه رجل اسمه (معد يكرب) الى الإله (المقه)
بعل أوام . ويعود عهده الى القرن السادس قبل الميلاد .
من كتاب Qataban and Sheba (الصفحة ٢٧٣)

حوالي سنة (٨٠٠ ق.م .)^٢ . وقد عثر على عدد من الكتابات من أيامه ،

١ (يدع ايل ذرح) يدع ايل ذراح)^{*}

٢ Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248.

منها الكتابة التي وجدت في (حرم بلقيس) (محرم بلقيس) ، وميزت عن غيرها بعلامة : Glaser 484^١ وقد ورد فيها أن هذا المكرب أقام جدار معبد (أوم) (أوام) المخصص بعبادة (المقه) (اوم بيت المقه) إله (سبأ) . وقد قدم القرايين لهذه المناسبة الى الإله (عثر ، وذكر الإله (هبس) (هوبس)^٢، وتشبه هذه الكتابة شبيهاً كبيراً كتابة أخرى وسمت بـ Glaser 901^٣ لـ (يدع آل ذرح) أيضاً ، وقد أخبر (يدع آل ذرح) فيها أنه سور (بيت المقه) وهو معبد الإله بمدينة (صرواح) ، وأنه قرّب ثلاثة قرايين لهذه المناسبة الى الآلهة (حرتم) (حرمة) (حرمت) . ويرى (هومل) أن هذه الإلهة هي زوج الإله (المقه) إله سبأ^٤ .

والنصان : Glaser 1108 و Glaser 1109 ، يرجعان الى المكرب (يدع آل ذرح) كذلك ، وقد أخبر فيها أنه عني بتعمير معبد (المقه) وأضاف أجزاء جديدة اليه ، وذكر في أحدهما الإلهان المقه وعثر ، وذكر في الآخر الآلهة : عثر ، والمقه ، وذات حميم^٥ .

وعثر على كتابة أخرى في موضع (المساجد) ، بمأرب ، تبين منها أن هذا المكرب تقرب إلى إله سبأ الإله (المقه) ببناء معبد له^٦ .

وتعود الكتابات AF. 17 و AF. 23 و AF. 24 و AF. 38 الى هذا المكرب كذلك ، وهي من الكتابات التي عثر عليها أحد فخري المصري الذي أمّ اليمن عام (١٩١٧ م)^٧ . وتعود الكتابة CIH 633 الى أبياته أيضاً^٨ .

^١ Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie, II, S., 7, CIH, IV, III,

II, P. 284, 957, Glaser, Reise, S., 137, REP. EPIG., 3624, I, P. 245,

Handbuch. I, S., 77.

^٢ Glaser 484, 901, 1530, 1531, Halévy 50, 54, 55-60, Arnau 901, CIH 366,

IV, III, II, P. 284, IV, II, P. 10, Mackell 3, Fresnel 4, 5, 6-10, Hartmann,

Arabische Frage, S., 124.

^٣ المصادر المذكورة

Handbuch, S., 77.

^٤ REP. EPIG. 3949, 3950, VII, I, P. 2, A. G. Loundine, Yada'li darlh, fils

de Sumh'alay, Mukarrib de Saba, Moscou, 1960, P. 1.

^٥ Beiträge, S., 22, 28, 30, Loundine, P. 5.

^٦ Le Muséon, LXI, 3-4, (1948), PP. 215, 228, LXII, 3-4, 1949, P. 248.

^٧ CIH 633, Halévy 61, REP. EPIG. 2729, V, II, P. 75.

وتدل هذه الكتابات على ان (المكرب) المذكور قد اهتم كثيراً ببناء معبد (أوام) في مأرب ، المعبد الذي يعرف بين أهل المنطقة باسم (محرم بلقيس) وبإضافة زيادات عليه وبترميمه أيضاً . وأغلب الظن انه لم يكن هو الباني له ، وانما كان موجوداً ومبنياً قبله ، غير ان الباحثين لم يتمكنوا من العثور على اسم بانيه حتى الآن ، لأن أعمال الحفر فيه لم تتم بصورة علمية واسعة فيه حتى الآن . والكتابة التي سجلها المكرب المذكور لم تشر الى بناء المعبد كله ، بل أشارت الى أجزاء معينة منه وهي لا تزال تحمل اسمه^١ ، وهناك كتابات أخرى تحمل اسم حكام سبأ من مكربين وملوك ووجهاء ممن أضافوا أبنية جديدة الى هذا المعبد ، أو قاموا بإصلاح ما حدث فيه من خلل بمرور السنين^٢ .

وقد ذهب (فليبي) الى أن هذا المكرب كان قد حكم في حوالي سنة (٨٠٠ ق. م.)^٣ . وذهب (فون وزمن) الى ان حكمه كان في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد^٤ . أما (البرايت) ، فيرى ان حكمه كان في أواسط النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد ، أو في أوائله^٥ ، وثبت آخرون حكمه بحوالي السنة (٧٥٠ ق. م.)^٦ .

وكان لـ (يدع آل ذرح) ولد اسمه (سمه علي ينف)^٧ ، ورد اسمه في الكتابة CIH 636^٨ ، وهي كتابة ناقصة سقط أكثر ما دون فيها . ولم يذكر (هومل) اسمه في القائمة التي صنعها لمكربي (سبأ)^٩ . ولم يذكره (فليبي) كذلك في كتابه (سناد الإسلام)^{١٠} . غير أنه ذكر اسمه في القائمة التي نشرها في مجلة Le Muséon ، وجعله المكرب الثالث ، أي أنه وضعه بعد (يدع

١ BOASOOR, NUM. 137, 1955, P. 38.

٢ Arabien, S., 177.

٣ Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248.

٤ Beiträge, S., 22.

٥ Discoveries, P. 221, « A note on Early Sabaean Chronology ».

٦ in BOASOOR, NUM. 143, 1956, P. 9.

٧ Arabien, S., 177.

٨ (سمه علي ينوف) ، (سمه علي النائف) (سمهعلي ينوف) .

٩ Halévy 338, Glaser 1468.

١٠ Handbuch, I, S., 77.

١١ Background, P. 141.

آل ذرح) والده مباشرة ، وجعله مكرباً^١ . ولم ترد في النص المذكور كلمة (مكرب) بعد اسم (سمه علي بنف) ، وإنما ذكرت بعد اسم (يدع آل ذرح)^٢ ، وهذا يعني أن هذه الكلمة ، وهي (مكرب) ، ليست لـ (سمه علي) ، وإنما تخص الأقرب اليها ، وهو (يدع آل ذرح) .

وقد ورد اسم (سمه علي) بعد اسم (يدع آل) وقبل اسم (يشع أمر) في الكتابة المعروفة بـ 694 Glaser^٣ . ولم ترد فيها نعتهم ، ولا كلمة (مكرب) التي هي الدلالة الرسمية المنبئة بتبوتهم الحكم .

وقد وضع (فلي) الكتابتين المرقنتين CIH 368 و CIH 371 في جملة الكتابات من أيام المكرب (سمه علي بنف)^٤ . أما الكتابة الأولى ، فصاحبها (عم أمر بن أب أمر ذيرن) ، أي من عشيرة (يرن) (يبران) ، ولعله كان سيداً من ساداتها . وكان من المقربين لـ (سمه علي) ولشقيقه (يشع أمر) ولعله كان من ندمائهما ، بدليل ورود جملة (مودد سمه علي ويشع أمر) في النص ، أي أنه كان من المتوددين اليها ، وتعبّر لفظة (مودد) عن منزلة رفيعة عند السبئيين تضاهي منزلة (نديم) عند العرب الشماليين .

وقد دوّن (عم أمر) تلك الكتابة عند بنائه بيته (مردعم) (مردع) في مدينة (منيم) (منيت) (منية)^٥ . وأما الكتابة الثانية فصاحبها (عم أمر بن أب أمر) ، وهو من عشيرة أخرى اسمها (ذلحدم) (نلحد) ، ويظهر أنه كان من أشرافها ، فهو شخص آخر يختلف عن الشخص الأول ، وإن اشتركا في الاسم. ولم يرد في هذه الكتابة الثانية اسم أي مكرب من المكربين. لذلك لا أستطيع أن أضيف هذه الكتابة الثانية الى أيام (سمه علي) . والذي حمل (فلي) على اضافتها الى أيام هذا المكرب هو كون اسم صاحب الكتابتين واحداً ، فظن أنها رجل واحد ، وإن صاحب الكتابتين واحد أيضاً ، ولورود اسم (سمه علي) و (يشع أمر) في النص الأول ، أضاف النص الثاني الى

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 448. ١

CIH, IV, III, I, P. 71, REP. EPIG., V, II, PP. 191, 2857. ٢

REP. EPIG., 3623, VI, I, P. 245. ٣

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248. ٤

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248, OIH 368, Halévy, 596. ٥

النصوص من ايام المكربين . ولو انتبه الى ان كل واحد منها هو من قبيلة تختلف عن القبيلة الأخرى ، لما أضاف الكتابة الثانية الى ايام المكربين المذكورين . وأشار (فليبي) الى اسم ولد من أولاد (سمه على ينف) سماه (يدع آل وتر) ولم يشر الى انه كان مكرباً ، وذكر انه حصل على اسمه من النصوص AF. 86, 91, 92 .¹

ونسب (فليبي) زمن تدوين النصوص : CIH 490 و CIH 492 و CIH 493 و CIH 495 الى عهد (يشع أمر وتر)² . أما النص CIH 490 فقد وضع ناشره ومحققه لفظة (ملك) بعد اسم (يشع أمر) ، وذلك باكمال الحرفين الباقيين من الكلمة المطموس آخرها ، الواردة بعد (وتر) ، وهما (الميم) و (اللام) . فاذا كانت القراءة صحيحة ، انصرف الذهن عن (يشع أمر وتر) هذا الى (يشع أمر) آخر يجب أن يكون ملكاً على سبأ . وان كانت القراءة مغلوطة ، كأن يكون أصلها المطموس لفظة (مكرب) ، جاز حينئذ أن يكون (يشع أمر) هو (يشع أمر وتر) المذكور الذي قصده (فليبي)³ . وتتضمن هذه الكتابة خبراً يفيد ان (يشع أمر وتر بن يدع ايل ذرح) جدد بناء معبد الإله (هبس) (هوبس) . وقد عثر عليها في الموضع المسمى بـ (الدبر) (دبر) في الزمن الحاضر⁴ . ويرى (هومل) ان (دبر) (دابر) ، هو اسم قبيلة ، وقد بنت معبداً تُسمي باسمها ، وقد جدد بناءه هذا المكرب (يشع أمر وتر)⁵ .

وقد ورد اسم (دبر) في كتابات أخرى ، ولهذا ذهب (هومل) الى أنه اسم المعبد المذكور : معبد الإله (هوبس) ، وهذه الكتابة من القرن الثامن قبل الميلاد في رأي بعض الباحثين ، ومعنى هذا أن حكم هذا المكرب السبئي (يشع أمر وتر) كان قد بلغ أرض معين في هذا العهد⁶ . وأما النص CIH 492 ، فهو نص قديم أيضاً ، كتب على الطريقة الحلازونية

1 Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248.

2 Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248.

3 CIH, IV, II, P. 190, Halévy 626 + 627, Handbuch, I, S., 77, Beiträge, S., 23.

4 Handbuch, I, S., 77, Beiträge, S., 23.

5 Beiträge, S., 23, Hommel, Ethnologie, S., 674.

6 Halévy 511, + 627, Beiträge, S., 23.

الشائعة بين السبثيين في أيام المكربين. وصاحبه رجل اسمه (حيم بن بعثر رحضن)^١، أي من (آل رحضان) (رحاض) ، وقد قدم الى الآلهة (ذات حيم) نذراً لعافيته ولعافية بنته وأولاده^٢ . ولكننا لا نجد فيه أي تصريح أو تلميح الى اسم المكرب (ينع أمر وتر) أو الى أبيه .

وأما النص (CIH 493) ، فصاحبه رجل اسمه (حيم بن عم يدع)^٣، من (آل قدران) (ذقدرن)^٤ فهو امرؤ لا صلة له بصاحب النص المتقدم: CIH 492 . وقد ورد في النص اسم (يدع ايل) و (ينع أمر) ، ولم يذكر فيه نعت الرجلين . ومن الجائز أن يكون (يدع ايل) و (ينع أمر) المذكوران هما المكربان اللذان نبحت عنهما ، أي المكرب الوالد وابنه ، ومن الجائز أيضاً ألا يكونا هما ، فهناك فجوات لا نعرف عمقها في تأريخ سبأ ، قد تكون فيها خبايا من أسماء مكربين وملوك . وأعتقد ان اسم (حيم) هو الذي حل (فليبي) على حشر النص السابق بين النصوص التي ظن أن لها علاقة بالمكرب (ينع أمر وتر) ، على اعتبار ان الرجلين رجل واحد ، ولكن الواقع أنهما شخصان مختلفان .

وأما النص CIH 495 ، فصاحبه (حيم بن عم يدع) من (آل قدرن) ، أي صاحب النص CIH 493 المذكور ، ولذلك أضافه (فليبي) الى النصوص التي لها صلة بالمكرب (ينع أمر وتر) . ولم يرد في هذا النص اسم هذا المكرب ولا اسم أبيه ، ولعلها سقطا في جملة ما سقط من اسطر وكلمات .

وقد وضع (هومل) اسم (يدع آل بين) (يدع ايل بين) بعد اسم (ينع أمر وتر) ليكون المكرب التالي له ، وهو - على رأيه - ابنه وخليفته من بعده^٥ . ومن أهم أعماله المذكورة في الكتابات ، تحصينه وتقويته أبراج مدينة

١ (حيوم بن بعثر رحضان) (حي بن بعثر رحضان) .

٢ CIH., IV, II, III, P. 194, Massl, 12, REP. EPIG., I, III, PP. 159, 194.

٣ (حيوم بن عم يدع) (حي بن عميدع) .

٤ CIH. 493, Müller, 4, Praet 8, British Museum 64 + 59.

٥ Background, P. 37.

(نشق) من مدن المعينين^١ . ويدل ذلك على ان هذه المدينة كانت قد دخلت في ممتلكات السبثيين ، في زمن لا نعرفه ، قد يكون في أيام هذا المكرب وقد يكون قبل ذلك . وان السبثيين كانوا يتبعون خطة التوسع بالتدرج حتى ابتلعوا مملكة (معين)^٢ . وقد رأيت انهم كانوا قد استولوا على قرية (دبر) (دابر) ، وحصنوها ، واتخذوها قاعدة حصينة للاغارة منها على الجوف وعلى المعينيين . ويرى بعض الباحثين ان استيلاء المكرب المذكور ، كان في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد . وقد أمر باحاطة تلك المدينة بسور ، وقد توسعت رقعتها ، الا انها لم تلبث ان انفصلت من السبثيين ، ثم عاد السبثيون فاستولوا عليها ، في أيام المكرب والملك (كريب ايل وتر)^٣ .

وحكم بعد (يدع ايل بين) المكرب (يشع أمر) ، على رأي (هومل) ، ولم يشر الى نعته . ويرى (هومل) احتمال كونه ابناً لـ (يدع ايل بين) أو شقيقاً له^٤ .

أما (فليبي) ، فيرى ان (يشع أمر) هو أحد أولاد (سمه على ينف) (سمه على ينوف)^٥ ، وهو شقيق (يدع ايل بين) . وقد ورد اسمه في النص CIH 563^٦ ، فيكون بذلك - على رأيه - ابن شقيق (يدع ايل) ، لا ابنه . وذكر (فليبي) انه عرف بـ (يشع أمر وتر) وجعله معاصراً للملك سرجون^٧ .

والنص CIH 563 ، مكتوب على الطريقة (الخلزونية) ، ويتألف من جملة أسطر ، وقد ورد فيه نعت (يشع أمر) ، وهو (وتر)^٨ .

-
- | | |
|--|---|
| REP. EPIG. 2850, V. II, P. 184, Handbuch, I, S., 77, | ١ |
| CIH 634, IV, III, I, P. 70, IV, I, | |
| III, P. 202, Glaser 117, CIH 138. | |
| Background, P. 37, REP. EPIG. 2850, V. II, P. 184, | ٢ |
| Handbuch, I, S., 77, Beiträge, S., 15, CIH 634. | |
| Beiträge, S., 15. | ٣ |
| Handbuch, I, S., 77. | ٤ |
| Background, P. 141. | ٥ |
| Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 248. | ٦ |
| Background, P. 141. | ٧ |
| CIH 563, British Museum 66, Prideaux 14a, B. C. | ٨ |

وقد ورد في كتابة من كتابات الملك (سرجون) الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م.) أنه تسلم هدايا من عدد من الملوك ، من جملتهم (يثع أمر) It'-Amra Mat Sa-Ba'-al (Iti'Amra) السبئي ، والملكة (شمس) ملكة (ارببي) (عربي) . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (يثع أمر) المذكور في نص (سرجون) هو (مكرب) سبأ هذا الذي نتحدث عنه ^١ . غير أن النص لم يحدد مكان حكم ذلك الملك السبئي ، ولهذا ذهب بعض آخر الى احتمال كونه أحد الملوك السبئيين الحاكمين في شمال جزيرة العرب على مقربة من البادية في أعالي الحجاز أو نجد مثلاً ، أو في الأرض الواقعة في المناطق الجنوبية من الأردن ^٢ .

وكان (هومل) ممن يرون أن (يثع أمر) المذكور في نص (سرجون) هو أحد الملوك السبئيين الحاكمين على قبيلة سبئية في شمال جزيرة العرب ، غير أنه غير رأيه هذا ، وجعل (يثع أمر) هو (يثع أمر) الذي نبحت فيه ، أي مكرب سبأ ، وذلك عندما عثرت بعثة ألمانية على كتابة للملك (سنحريب) (سنحاريب) ، جاء فيها : أنه تناول هدية من ملك سبئي، هو (كرب ايلو) (كرب ايل) ، فتيقن عندئذ ان الرجلين المذكورين اللذين قدما الهدايا ، هما المكريان : (يثع أمر) و (كرب ايل) ^٣ .

ولا أجد في تلك الهدايا علامة على خضوع سبأ لحكم الآشوريين ، إذ أستبعد بلوغ نفوذ الآشوريين في ذلك الزمن الى أرض اليمن . ولو كان الآشوريون قد استذلوا السبئيين اليانين وحكموهم لذكروا اسمهم في جملة الأمم التي استعبدوها. والرأي عندي أن تلك الهدايا هي مجرد تعبير عن الصداقة التي كانت تربط بين آشور وسبأ ، خاصة وأن بين اليمن والعراق تجارة مستمرة قديمة ومواصلات

١ Bota and Flandin, Monument, Vol., 4, PL. 145, I, 3.
Winckler, Kellschrift Sargons, 1889, BD., PL. 2, No. I.
Z., 20, Musil, Arabia Deserta, P. 479.

٢ Handbuch, S., 76.

٣ بخصوص آراء الباحثين في (يثع أمر) راجع أيضا :
BOASOOR, Num. 137, 1955, PP., Archiv für Orientforschung, 16, 1955, S.
232, Handbuch, I, S., 76, Beeston, «Problems of Sabaean Chronology»,
in BOASOOR, 1954, XVI/I, PP. 42.

متصلة ، فلتوطيد الصداقة بين الحكومتين وتسهيل التبادل التجاري بين العراق واليمن أرسل حكّام سبأ تلك الهدايا ، كما فعل أهل مكة وهم قوم تجار فيما بعد ، فقد كانوا يتوددون للأكاسرة والملوك الحيرة بإرسال الهدايا النفيسة لهم ، لكسب ودّهم في تسهيل أمور تجارتهم مع أسواق العراق .

ولإذا أخذنا برأي من يقول إن (يثع أمر) المذكور في نص (سرجون) ، هو (يثع أمر) الذي نبحث فيه ، يكون إرسال الهدايا والألطفاء الى (سرجون) في حوالي السنة (٧١٥ ق. م .)^١ . وقد قدر (فليبي) حكمه بحوالي عشرين سنة ، وجعله من حوالي سنة (٧٢٠) حتى سنة (٧٠٠ ق. م .)^٢ .

وتولى الحكم بعد (يثع أمر وتر) ابنه المكرب (كرب ايل بين) . وقد ذكر اسمه في الكتابة CIH 627^٣ ، وهي كتابة قصيرة ناقصة ، ورد فيها اسم (كرب ايل بين) ومعه اسم والده (يثع أمر) ، ولم يذكر فيها نعت (يثع أمر) وهو (وتر) ، وذكرت بعد اسم (يثع أمر) كلمة (مكرب سبأ)^٤ . وورد اسمه واسم أبيه (يثع أمر) في كتابات أخرى ، ذكرت في بعضها لفظة (وتر) ، بعد (يثع أمر)^٥ . وذكرت في بعض آخر كلمة (مكرب) ، ولم تذكر في غيره .

وقد ورد في الكتابة CIH 634 : أن (كرب ايل بين) وسع حدود مدينة (نشق) بمقدار ستين (شوحطاً)^٦ ، وحسن المدينة .

وورد في أخبار (سنحريب) أنه تسلم هدايا من (كرب ايلو) Ka-ri-bi-lu ملك سبأ ، من جملةتها أحجار كريمة وعطور . وقد ذهب الباحثون في هذا الموضوع الى أن هذا السبئي ، الذي قدّم الهدايا الى ملك آشور ، هو (المكرب كرب آل بين) الذي نبحث عن سيرته . وإن كان النص الآشوري قد نعته بـ (ملك) . وذلك لأن الآشوريين لم يكونوا على علم بألقاب حكام سبأ ،

Belträge, S., 7, BOASOOR, NUM. 143, (1956), P. 10. ١

Background, P. 141. ٢

Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 248. ٣

CIH 627, Fresnel 29, Glaser 541, CIH, III, I, P. 63. ٤

CIH 632, Halévy 52, 349, 672, Glaser 1529, CIH 610, Le Muséon, 3-4, P. 248. ٥

CIH, IV, III, I, 72, Halévy, 352. ٦

فلقبوة بلقب (ملك)^١ .

وقد جعل (هومل) اسم (كرب ايل بين) في آخر المجموعة الأولى من مجموعات مكربي سبأ ، ووضع الى جنبه اسم (سمه على ينف) ، وصارت مجموعته هذه بذلك على هذا النحو :

١ - سمه على (دون نعت) .

٢ - يدع ايل ذرح .

٣ - يشع أمر وتر .

٤ - يدع ايل بين .

٥ - يشع أمر (لا يعرف نعته) .

٦ - كرب ايل (بين) و (سمه على ينف) ، ولعله كان يشارك شقيقه (كرب ايل بين) في الحكم^٢ .

وولى الحكم بعد (كرب ايل بين) ابنه المكرب (ذمر على وتر) ، واليه تعود الكتابة الموسومة بـ Halévy 349 ، وقد جاء فيها: ان هذا المكرب أمر بتوسيع مدينة (نشقم) ، أي (نشق) ، وبإصلاح الأرضين المحيطة بها ، وبتحسين نظم الري فيها ، وذلك فيما وراء الحد الذي وضعه أبوه لهذه المدينة ، وانه قد جعل ذلك وفقاً على شعب سبأ^٣ .

ويظهر من عناية المكربين بمدينة (نشق) ، وهي مدينة معينة في الأصل ، ان السبثيين وجدوها أرضاً خصبة غنية ومهمة بالنسبة اليهم، وقد صارت خراباً ، فقرروا اصلاح ما تخرب منها ، واستصلاح أرضها لاسكان السبثيين فيها، ووسعوا في حدودها ، وأصلحوا ما تداعى ووهن من نظم الري فيها، ووزعوا الأرضين الزراعية منها على أتباعهم السبثيين ، وحولوها بذلك الى مدينة سبئية^٤ . وقد كانت الشعوب القديمة تتبع هذه السياسية ، حيث كانت تستقطع الأرض من المدن التي

1 Ency. Brita., Vol., 19, P. 785, Handbuch., I, S., 76, 85, Otto Schröder, Kellschrifttexte, II, Leipzig, 1922, 122.

2 Handbuch, I, S., 77.

3 Halévy 349, Rhodokanakis, Studi. Lexi., 2, S., 126, CIH 623, IV, III, I, P. 38, REP. EPIG. 3388, 4401, CIH 610.

4 Rhodokanakis, Studi. Lexi., II, S., 127, REP. EPIG. 3865, V, II, P. 200.

تفتحها ، وتعطيها أفرادها ، للسكن فيها ولإعمارها وللهيمنة على أهل المدينة الأصليين .

وقد جاء في إحدى الكتابات : ان هذا المكرب أمر بتجديد ما تلف وتداعى من معبد الإله (عثر) ، واصلاحه . ولم يرد فيها ذكر اسم الموضوع الذي كان فيه ذلك المعبد ، كما جاء اسمه في كتابة أخرى دوتها قيل (قول) كان يحكم قبيلة (يهزحم) و (يزحم)^٢ .

وتولى بعد المكرب (ذمر على) ابنه المكرب (سمه على ينف) (سمه على ينوف) الحكم . وقد ذكر اسمه في كتابات عدة من أهمها كتابة تشير الى تعمير هذا المكرب سد (رحجم) (رحاب) للسيطرة على مياه الأمطار والاستفادة من السيول^٣ . وهو جزء من المشروع المعروف بـ (سد مأرب) الذي نما على مرور الأيام ، وتوسع حتى كمل في زمن (شهر يهرعش) في نهاية القرن الثالث للميلاد ، فصارت تستفيد منه مساحة واسعة من الأرض^٤ . وقد بقي قائماً الى قبيل الاسلام ، وعدّ سقوطه نكبة كبيرة من النكبات التي أصابت العربية الجنوبية ، حتى ضرب بسقوطه المثل ، فقليل : « تفرقوا أبدي سباً » ، ذلك لأن سقوطه أدى الى تفرق السبتيين ، والى هجرتهم من بلادهم التي ولدوا فيها والى تفرقهم شذر مذر في البلاد .

وتخبر الكتابة الموسومة بـ Glaser 514 ان المكرب (سمه على ينف) ثقب حاجزاً من الحجر ، وفتح ثغرة فيه لمرور المياه منها الى سد (رحجم) (رحاب) ، لتسيل الى منطقة (يسرن)^٥ (يسران) ، وهي منطقة ورد اسمها في كتابات عديدة ، وكانت تغليها مسایل وقنوات عديدة تأتي بالماء من حوض هذا السد ، وتبتلع ماءها من مسيل (ذنة) وهو من المسایل الكبيرة ، فتغذي أرضاً خصبة

Glaser 474, 1671, REP. EPIG. 4401. ١

Orientalia, Vol., V, 1936, P. 5, E. Mittwoch und H. Schlobies, «Altsudarabische Inschriften im Hamburgischen Museum für Volkerkunde», Hamburg, NR. 31. ٢

CIH 623, IV, III, I, P. 60, Fresnel 14, Halevy 673 + 674, Glaser 513 + 514, Arnau 14. ٣

Handbuch, S., 79, Discoveries, P. 73. ٤

Rhodokanakis, Studi. Lexl., 2, S., 97, REP. EPIG. 2651, V, I, P. 23. ٥

Beiträge, S., 27. ٦

لا تزال على خصبها ، ومن الممكن الاستفادة منها فائدة كبيرة باستعمال الوسائل الحديثة في إيجاد المياه^١ .

وكتابة هذا المكرب ، هي أقدم وثيقة وصلت إلينا عن سدّ (مأرب) ، إنها شهادة مهمة تشير الى مبدأ تأريخ هذا السد ، ولكنني لا أستطيع أن أقول ان السدّ كان من تفكير هذا المكرب وعمله، وأنه أول من شق أساسه ووضع بنيانه، فقد يكون السد من عمل أناس غيره حكموا قبله ، وما المشروع الذي أقامه هذا المكرب الا تنمة لذلك المشروع القديم .

إن هذه الكتابة هي وثيقة ترجع تأريخ السدّ الى جملة مئات من السنين سبقت الميلاد . ترجمه الى حوالي السنة (٧٥٠ ق. م .) على رأي بعض الباحثين^٢ . وقد ورد اسم هذا المكرب في عدد من الكتابات أكثرها متكسرة^٣ .

وسار المكرب (يشع أمر بين) على سنة أبيه المكرب (سمه علي ينف) في العناية بأمور الري ، فأدخل تحسينات كبيرة على سد مأرب ، وأنشأ له فروعاً جديدة ، ففتح ثغرة في منطقة صخرية لتسهيل منها المياه الى أرض (يسرن) (يسران)^٤ ، وزاد بعمله هذا في التحكم والسيطرة على مياه السيول ، وفي تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان ، وعمل على تعلية سدّ (رحجم) (رحاب) القديم وتقويته ، فوسع بذلك الأرضين الزراعية ، وزاد في ثروة أهل (مأرب) الذين زاد عددهم ، حتى تغلب على عدد سكان (صرواح) عاصمة المكربين، وتمكنت (مأرب) بذلك من منازعة هذه العاصمة ، الى أن تغلبت عليها ، فصارت العاصمة للبيثيين ومقر حكام سبأ ، وصاحبة معبد (المقه) إله سبأ الكبير^٥ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن المكرب (سمه علي ينف) والمكرب (يشع أمر بين) كانا المؤسسين الأصليين لسدّ مأرب . ويرجعون زمانها الى القرن السابع قبل الميلاد، فيكون انشاء السد اذن في هذا الزمن على رأي هؤلاء الباحثين.

١ العظم نزيه مؤيد : رحلة : (٨٨/٢ وما بعدها) .

٢ Glaser 513 + 514, Discoveries ? P. 75.

٣ Le Muséon, LXII, 3-4, (1949), P. 249, CIH 622, 623, 629, 774, 875, Philby 77,

REP. EPIG., 3650, 4177, 4370, AF. 62, III.

٤ Rhodokanakis, Studi. Lexl., 2, S. 102, Glaser 523, 525, Discoveries, P. 75.

٥ Background, P. 39.

وقد استمر من جاء بعدهما في اصلاحه وفي اضافة زيادات اليه وفي توسيعه وترميمه ، إذ أصيب مراراً بتلف اضطر الحكومات الى اصلاحه . وقد أشير في الكتابات الى تهديم جزء منه في سنة (٤٥٠ ب. م) وسنة (٥٤٢ ب. م)^١ وقد كان آخر ترميم واصلاح له في أيام (أبرهة) . والظاهر أن تلفاً أصابه بعد ذلك فيما بين السنة (٥٤٢ ب. م) والسنة (٥٧٠ ب. م) ، فلم يصلح فترك الناس مزارعهم ، واضطروا الى الهجرة منها ، والى ذلك وردت الاشارة في القرآن الكريم^٢ .

والى هذا المكرب تعود الكتابة الموسومة بسمه Philby 77 ، وقد جاء فيها: أنه سورٌ وحصن قلعة (حرب) (حريب)^٣ . ويشير تحصيل المدن وبناء القلاع والتوسع في الأرضين ، التي تعود الى شعوب أخرى مثل ، قتبان ومعين ، الى توسع السبثيين في عهد المكربين ، والى اتخاذ هذه الحصون مواقع هجومية تشب منها جيوشهم على جيرانهم الذين أصاب حكوماتهم الضعف والهزال . وقد هاجم هذا المكرب القتبانيين كما يظهر من كتابة عثر عليها في مأرب ، فقتل منهم زهاء أربعة آلاف جندي في عهد ملك قتبان الملك (سمه وتر) ، ثم هاجم مملكة (معين) ، ولا نعرف الخسائر التي لحقت بالمعنيين ، للكسر الذي في الكتابة ، غير أن الظاهر يدل على أنه انتصر عليهم ، ثم عقب ذلك اخضاع القبائل والمدن التي لم تكن خاضعة لسبأ حتى أرض (نجران) . وقد أوقع بـ (مهامرم) (مهامرم) و (أمرم) (أمرم) خسائر كبيرة ، فقتل منها في المعارك التي نشبت قرب (نجران) زهاء خمسة وأربعين ألف رجل ، وأسر (٦٣) ألف أسير وغنم واحداً وثلاثين ألف ماشية ، وأحرق ودمر عدداً من قراها ومدنها^٤ .

وذكر صاحب الكتابة أن من المدن التي أحرقت مدينة (رجمت) (رجمة) مدينة (لعذرايل) ملك (مهامرم) (مهامرم)^٥ . والظاهر أن هذه المدينة

١ Beiträge, S., 26.

٢ السورة رقم ٣٤ .

٣ Philby, Sheba's, P. 445, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 249, Beiträge, S., 24, 27, REP. EPIG. 1904.

٤ Background, P. 39, Handbuch, I, S., 81, Glaser 419 + 418, Beiträge, S., 9.

٥ (لعذرايل) (لعذرايل) ، هكذا جاء في النص ، وأظن أن الاصل هو (عذرايل) (عذرايل) ، Handbuch, I, S., 81.

كانت عاصمة الملك . وأحرقت أيضاً أكثر قرى هذه المملكة ومدنها وجميع المدن بين (رجمت) (رجمة) (رجيات) و (نجران)^١ .

وقد ذكر (الهمداني) موضعاً سماه (رجمة) في اليمن^٢ ، وهو اسم يذكرنا بمدينة (رجمت) (رجمة) . وقد يكون هو المكان المذكور .

وقد قام المكرب (يثع أمر بين) بأعمال عمرانية عديدة . منها بناؤه بابين لمدينة (مأرب) ، وتخصيصه للمدينة بروج بناها من (البلق) نوع من الحجر . وقد بنى (مرشوم) ومعبد (نسور) ، ومعبد (علم) ، ومعبد (ريذن) (ريذان) ، ومعبد آخر لعبادة (ذات بعدن) (ذات بعدان) في (حن) (حنان) ، وبنى (عدمن) (عدمان) وعدة أبنية بإزاء باب معبد (ذهيم) (ذهب) ، وحفر مسيل (حبيض) (حبابض) ، ووسع مجرى (رحيم) (رحاب) ، وعمقه حتى غلّتى مناطق واسعة جديدة من (يسرن) (يسران) ، وبنى سد (مقرن) (مقران) ، وأوصل مياه (مقران) الى (أبين) ، وكذلك سد (يثعن) (يثعان) حيث أوصل مياهه الى (أبين) ، وسد (منهيتم) (منهيت) و (كهلم) (كهل) الواقع مقابل (طرقل)^٣ .

هذه الأعمال الهندسية التي قام بها هذا المكرب وأسلافه من قبله ، للاستفادة من مياه الأمطار، هي من المشروعات الخطيرة التي ترينا تقدم أهل العربية الجنوبية في فن الري والاستفادة من الأمطار في تحويل الأرض اليابسة الى جنان . ولسنا نجد في التاريخ القديم الا ممالك قليلة فكرت في مثل هذه المشروعات وفي التحكم في الطبيعة للاستفادة منها في خدمة الانسان^٤ . لقد حوّل هذا السد أرض (أذنة) أو (ذنة) الى جنان ترى آثارها حتى الآن . انها مثل حي يرينا قدرة الانسان على الابداع متى شاء واستعمل عقله وسخر يده . وليست هذه القصص والحكايات التي رواها الأخباريون عن سد (مأرب) وعن جنان سبأ باطلاً ، انها صدى ذلك العمل العربي الكبير^٥ .

١ REP. EPIG. 394, Beiträge, S., 9.

٢ الصفة (٨٠ ، ١٠٤ ، ١٦٤) .

٣ REP. EPIG. 3943, VI, II, P. 394,

Rhodokanakis, Altsab. Texte, I.S., 3, Glaser 418 + 419.

٤ Background, P. 39.

٥ Handbuch, I, S., 80.

وقد ظل حكام سبأ الذين حكموا من بعدهما يجرون اصلاحات ، ويحدثون اضافات على سد مأرب، ويرمون ما يتصدع منه ، كما يظهر ذلك من الكتابات . وقد تعرض مع ذلك للتصدع مراراً، وكان آخر حدث مهم وقع له هو التصدع الذي حدث فيه سنة (٥٤٢ هـ . ب . م .) وذلك في أيام أبرهة .

ويظهر ان تصدعاً آخر وقع له بعد هذه السنة ، فأتى عليه ، واضطر من كان يزرع بمائه الى ترك أرضهم ، والهجرة منها الى أرضين جديدة^١ . ويظهر من كتابة ناقصة ان هذا المكرب أنشأ أبنية في مدينة (مأرب)^٢ ، وقد أخذت عناية حكام سبأ بهذه المدينة تزداد ، الى أن صارت مقرهم الرسمي ، وبذلك أخذ نجم (صرواح) في الأفول الى أن زال وجودها .

وذكر اسم هذا المكرب في كتابة أخرى دونت عند تشييده (مذبحاً) عند باب (نوم) (نوم) ، لاحتفاله بموسم الصيد المسمى باسم الإله (عشر) (صيد عشر)^٣ . ولا نعرف اليوم شيئاً عن هذا الصيد الذي خصص باسم الإله (عشر) لأن الكتابة قصيرة وعباراتها غامضة ، ولكن يظهر منها ان مكربي سبأ كانوا يحتفلون في مواسم معينة للصيد ، وانهم كانوا يجعلون صلة بينه وبين الآلهة ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك تسمىاً بأسماء تلك الآلهة ، لتبارك لهم فيه ، ولتمنحهم صيداً وفيراً . وقد عثر على كتابات حضرية وغيرها، لها صلة بالاحتفالات التي كانت تقام للصيد .

وذكر في كتابة قصيرة اسم (يشع أمر بن سمه على)، فلم تعطنا شيئاً جديداً يفيد في استخراج مادة تاريخية منها^٤ .

وقد وضع (فلي) اسم (ذمر علي بنف) (ذمر علي بنوف) بعد اسم المكرب السابق في قائمته لأسماء المكربين التي نشرها في مجلة : Le Muséon .

Belträge, S., 26. ١

Fresnel 46, 49, Glaser 696, CIH 629, IV, III, I, P. J. Mohl, Inscriptions données par M. Arnaud, In Journal Asiatique, 1945, II, P. 179, ٢

Halévy, Etudes Sabéenes, in Journal Asiatique, 1874, II, P. 566.

REP. EPIG. 3625, Glaser 797, Le Muséon, LXI, 3-4, 1948, P. 184, REP. EPIG. 4177. ٣

REP. EPIG. 2674, V, I, P. 32, 35, 36, Glaser 412, 413, 696, 2677, 2680, Hartmann, Arab. Frage, S., 133, REP. EPIG. 4431, VII, II, P. 228, Glaser 557, CIH 864, REP. EPIG. 4432. ٤

وأبوه ، هو (يكر ب ملك وتر)^١ . أما (هومل) ، فوضع اسم (ذمر علي) بعد اسم (يشع أمر بين) ، وأشار الى أنه غير متيقن من اسم أبيه ، وذكر أن من المحتمل أن يكون أبوه المكرب (يشع أمر بين)^٢ .

وقد ورد في النص : AF 70 اسم (يكر ب ملك وتر)^٣ . ولم يشر الى أنه كان مكرباً . وقد دوّن (فليبي) أرقام عدة نصوص ، لها - على رأيه - صلة ب (ذمر علي) . منها النص : CIH 491 ، وهو نص سقطت منه أسطر وكلمات ، ووردت فيه أسماء الآلهة (هبس) (هوبس) و (المقه) و (عثر) و (ذت حم) (ذات حم) . وأسماء : (كرب آل) و (ذمر علي) و (الكرب) و (نشا كرب) (كبراقين) أي (كبير أقيان)^٤ .

وبعد (كرب ايل وتر) خاتمة المكربين وفاتحة الملوك في سبأ . افتتح حكمه وهو (مكرب) على سبأ ، ثم بدا له فغيّر رأيه في اللقب ، فطرحه ، ولقب نفسه (ملك سبأ) . وسار من حكم بعده على سنته هذه ، فلقب نفسه (ملك سبأ) الى أن استبدل فيما بعد أيضاً به لقب (ملك سبأ وذى ريدان) كما سرى فيما بعد .

أما اذا سألنا عن كيفية حصولنا على علمنا بأن (كرب ايل وتر) بدأ حكمه مكرباً ثم ختمه ملكاً ، فجوابنا : أننا حصلنا عليه من الكتابات المدونة في أيامه ، فقد وجدنا أن لقبه في الكتابات القديمة الأولى هو (مكرب) ، فعلمنا أنه تولى الحكم مكرباً ، ثم وجدنا له لقباً آخر هو (ملك سبأ) ، فعرفنا أنه لقب جديد حل محل اللقب القديم ، ثم وجدنا من جاء بعده يحمل هذا اللقب الجديد ، فصار (كرب ايل وتر) آخر مكرب وأول ملك في سبأ في آن واحد .

ويرجع (فليبي) زمان حكم (كرب آل وتر) الى حوالي السنة (٦٢٠) حتى (٦٠٠ ق. م.)^٥ . وقد زعم أنه حكم من (٦٢٠) حتى سنة (٦١٠ ق. م.)^٦ .

١ Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 249.

٢ Handbuch, I, S., 80, Anm. 80.

٣ Le Muséon, LXI, 3-4, 1948, P. 230.

٤ Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 249.

٥ REP. EPIG. 3948, VII, I, P. I, Glaser 1550.

٦ Background, P. 40.

مكرباً ، ثم حكم السنين الباقية ملكاً^١ . ورأى بعض آخر أنه حكم في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد^٢، وذهب بعض آخر في التقدير مذهباً يخالف هذين التقديرين . وقد كان (كرب ايل وتر) كما يتبين من بعض الكتابات التي دونت في ابامه مثل الكتابة الموسومة بكتابة (صرواح)^٣ وكتابات أخرى سأشير إليها في أثناء البحث محارباً سار على خطة المكرب (ينح أمرين) في التوسع وفي القضاء على الحكومات العربية الجنوبية الأخرى أو إخضاعها لحكمه ولحكم السبثيين ، بل زاد عليه في توسيع تلك الحروب ، وفي إضافة أراضين جديدة الى سبأ ، زادت في رقعتها وفي مساحة حكومة السبثيين ، ولكنها أنزلت خسائر فادحة بالأرواح ، وأهلكت الزرع والضرع والناس في العربية الجنوبية ، وإن كان قد قام من ناحية أخرى بأعمال عمرانية وبإصلاح ما تهدم وخرّب ، فإن الحرب ضرر، بتزل بالخاسر وبالرابح على حد سواء . وما الربح في هذه الحروب الا للملوك وللمقربين اليهم من أقرباء وصنائع .

وكتابة (صرواح) التي أشرت إليها ، هي من أخطر الوثائق التاريخية القديمة التي تتعلق بأخبار سبأ وبأعمال هذا المكرب الملك ، دون فيها (كرب ايل وتر) كل ما قام به من أعمال حربية وغير حربية، فهي اذن سجل سطرت فيه بإيجاز أعمال المكرب الملك وأفعاله . ولذلك فهي بحق من الوثائق المهمة الخطيرة القليلة التي وصلت إلينا في تاريخ الحكام الجاهليين ، افترضها بجملة : « هذا ما أمر بتسطيره كرب ايل وتر ين ذمر على مكرب سبأ عندما صار ملكاً ، وذلك لإلتهه الملقه ولشعبه شعب سبأ »^٤ ، تعبيراً عن شكره له ولبقية الآلهة على نعمها وآلائها وتوفيقها له بأن صيّرته ملكاً ، وأنعمت على شعبه باليمن والبركات ، بأن نحمر ثلاث ذبائح الى الإله (عثر) ، اظهاراً لشكره هذا وتقرباً اليه ، وكسا صنمى الإلهين : (عثر) و (هوبس) (هبس) ، تقرباً اليها وشكراً لها على نعمها عليه . ثم انتقل الى تمجيد آلهته التي وحدت صفوف شعبه بأن جعلت أتباعه

Background, P. 141. ١

Beiträge, S., 9, 22, 25, 142. ٢

Glaser 1000A + 1000B, 1155, REP. EPIG. 3945 + 3946, VI, II, P. 395, 405, ٣

Conti Rossini, Chrest. Arab. Merid., P. 55, NO. 49, Fresnel XI, 38, Beiträge,

S., 9.

٤ الجمل الأولى من النص .

كتلة واحدة متراسة كالبنيان المرصوص ، أدى واجبه على أحسن وجه ، وقام بما عليه خير قيام ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، وبين طبقة وطبقة . ثم انتقل بعد هذا الحمد والثناء الى حمد آخر وثناء جديد سطره لآلهته اذ باركت في أرضه وأرض شعبه ، ووهبت أرض سبأ مطراً سال في الأودية ، فأخذت الأرض زخرفها بالنبات ، واذا مكنته من انشاء السدود ، وحصر السيول حتى صار في الامكان اسقاء الأرضين المرتفعة ، واحياء الأماكن التي حرمت الماء ، كذلك احياء أرضين واسعة بانشاء سد لحصر مياه الأمطار يتصل بقناة (عهل) لسقي (ماودن) (ماودن) والأرضين الأخرى التي لم تكن المياه تصل اليها ، فوصلت اليها بامتلاء حوض السد بالماء ، حتى سقت (موترم) (موتر) التي جاءها الماء من (هودم) (هوديم) (هودي) ، وبانشائه مسایل أوصلت المياه الى (ميدعم) (ميدع) و (وتر) و (وقه) ، ونظم الري في (ريمن) (ريمان) حتى صارت المياه تسقي كل أرض^١ .

وانتقل (كرب ايل وتر) ، بعد ما تقدم الى التحدث عن حروبه وانتصاراته ، فأشار الى أنه غلب (سادم) (ساد) و (نقبم) (نقبت) (نقبة) ، وأحرق جميع مدن (معفرن) (المعافر) ، وقهر (صبر) و (ضلم) (ضلم) و (أروى) وأحرق مدنها ، وأوقع فيهم فقتل ثلاثة آلاف ، وأسر ثمانية آلاف ، وضاعف الجزية التي كانوا يدفعونها سابقاً ، وفي جملتها البقر والماعز^٢ . ثم انتقل الى الكلام على بقية أعماله ، فذكر أنه أغار على (ذبحن ذقشرم) (ذبحان ذو قشر) وعلى (شركب) (شرجب) ، وتغلب عليها ، فأحرق مدنها ، واستولى على جبل (عسمت) (عسمة) وعلى وادي (صير) ، وجعلها وقفاً لألقه ولشعب سبأ ، وهزم (أوسان) في معارك كلفتها ستة عشر ألف قتيل وأربعين ألف أسير ، وانتهت جميع (وسر) من (لجاتم) (لجاتم) حتى (حمن) (حمان) ، وأحرق جميع مدن (انقم) (أنف) و (حمن) (حمان) و (ذيب) ، ونهبت (نس)^٣ .

ويرى بعض الباحثين أن (لجيت) (لجايات) (لجاياة) ، هو موضع

-
- ١ راجع الفقرة الثانية من النص .
 - ٢ الفقرة الثالثة من النص .
 - ٣ الفقرة الرابعة من النص .

(لجية) في الزمن الحاضر ، وأن (حن) هو موضع يقع على مدخل (وادي حنّان) ، أو الموضع المسمى بـ (هجر السادة) . . وأما (وسر) ، فلمنها أرض (مرخة) أو جزء منها ^١ .

وأصبحت الأرضون التي تسقى بالمطر وهي (رشأى) و (جردن) ، بهزيمة منكرة ، ونزل بأرض (دثينة) ما نزل بغيرها من هزائم منكرة ، وأحرقت مدنها وهتكت مدينة (تفض) واستبيحت ثم دمرت وأحرقت ، ونهبت قراها وبساتينها التي تقع في الأرضين الحصبة التي تسقى بماء المطر ، وفعلت جيوشه هذا الفعل في الأرضين الأخرى الى أن بلغت ساحل البحر فأحرقت أيضاً كل المدن الواقعة عليه ^٢ .

ويظهر من نص (كرب ايل) ان موقع مدينة (تفض) ، يجب أن يكون بين أرض (دثنت) والبحر . ولما كانت (دهس) تتاخم (عود) من جهة و (تفض) من جهة أخرى ، ذهب بعض الباحثين الى ان أرض (دهس) هي أرض (يافع) في الزمن الحاضر . أما (تفض) ، فانها الخرائب الواسعة المتصلة بمدينة (خنفر) ^٣ . وقد عرفت (يافع) بـ (سروحير) في ايام (الهمداني) . ولا زال أهل يافع يرجعون نسبهم الى حمير ^٤ .

وتكوّن الهضاب الواقعة وراء دلتا (أبين) أرض (يافع) في الوقت الحاضر . وقد رأى (فون وزمن) ان (دهس) (دهسم) التي يرد اسمها في النص : REP. EPIG. 3945 ، هي أرض (يافع) ^٥ .

وذكر (كرب ايل وتر) انه ضرب (وسر) ضربة نكراء واستولى على كل مناطقها الى أن بلغ أرض (أوسان) في ايام ملكها (مرتم) (مرتوم) ، (مرتو) ، (مرت) ، (مرة) ، فأمر جنوده بأن يعملوا في شعبها أوسان السيف ، واستذل رؤساءه ، وجعل رؤساء (المزود) (المسود) وهم رؤساء البلد ، رقيقاً للآلهة (سمهت) وقرايين لها ، وقرر أن يكون مصير ذلك الشعب

Belträge, S., 53. ١

الفقرة الخامسة من النص * ٢

Belträge, S., 68. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 440. ٤

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 440. ٥

الموت والأسر ، وأمر بتحطيم قصر الملك (مرتوم) (مرتم) (مرة) المسمى (مسور) (مسر) ، ومعالم ما فيه من كتابات اوسانية ، وإزالة الكتابات الأوسانية التي كانت تزين جدران معابد اوسان، ولما تم له كل ما أرادته ورغب فيه ، أمر بعودة الجيش السبتي ، من احرار وعبيد : من أرض اوسان ومن المقاطعات التابعة لها ، الى أرض سبأ ، فعاد اليها كما صدر الأمر^١ .

وتذكر الكتابة : أن الملك (كرب ايل) أمر عندئذ بضم (سرم) (سرو) (سروم) وتوابعها ، وكذلك (حمدن) (حمدان) ولواحقها ، الى حكومة سبأ ، وسلم ادارة (سرم) الى السبثيين ، وأحاط المدينة بسور ، وأعاد الترع والقنوات ومسابل الماء الى ما كانت عليه . وأما (دهسم) (دهس) و (تبنى) فقد حلت بسكانها الهزيمية ، وقتل منهم ألفا قتيل وأسر خمسة آلاف أسير ، وأحرقت أكثر مدنها ، وأدججتا ومعهما مقاطعة (دثينة) (دثنت) ، في سبأ . أما مقاطعة (عودم) (عود) ، فقد أبقيت للملك (دهسم) (دهس) . وقد عدّ (العوديون) الذين انفصلوا عن أوسان حلفاء لسبأ ، فأبقيت لهم أملاكهم والأرضون التي كانت لهم^٢ .

وكانت (عود) من أرض (أوسان) في الأصل ، ثم خضعت لـ (ملحي) (ملحيم) . ويرى بعض الباحثين انها (عوذلة) في الزمن الحاضر^٣ . وجاء في هذه الكتابة ، وبعد الجملة المتقدمة : أن (انقم) (أنف) وكل مدنها وجميع ما يخصها من أرضين زراعية وما فيها من أودية ومراعي ، وكذلك كل أرض (نسم) و (رشاي) (رشأي) وكل الأرضين من (جردن) (جردان) الى (فخلد علو) و (عرمو) ، وكذلك جميع المدن والنواحي التابعة لـ (كحد) و (سبن) (سبيان) والمدن (أتخ) (أتخ) و (ميفع) و (رتحم) وجميع منطقة (عبدن) (عبدان) ومدنها وجنودها أحراراً وعبيداً ، و (دثينة أخلفو) و (ميسرم) (ميسر) و (دثينة تبرم) (دثينة تبر) (وحرثو) وكل المدن والأودية والمناطق والجبال والمراعي في منطقتي (دث) (داث) وكل أرض (تبرم) (تبرم) وما فيها من سكان

١ الفقرة السادسة من النص .

٢ الفقرتان السابعة والثامنة من النص .

٣ Beiträge, S., 64.

وأمالك وأموال حتى البحر، وكذلك كل المدن من (نفص) الى اتجاه (دهس) والسواحل وكل بحار هذه الأرضين، ومناطق (يل أي) و (سلن) (سلان) و (عبرت) (عبرة) و (لبنت) (لبنة) ومدنها ومزارعها ، وجميع ما يملكه (مرتوم) ملك أوسان وجنوده في (دهس) و (تبني) و (يتحم) وكذلك (كحد حضنم) (كحد حضن) ، وجميع سكان هذه المناطق من أحرار ورقيق وأطفال وكبار، كل هذه من بشر وأمالك جعلها (كرب ايل وتر) ملكاً لسباً ولآلهة سباً .

ويظن ان موضع (مبسرم) (ميسر) ، وهو من مواضع ارض (دثينة) هو ارض قبيلة (مياسر) في الزمن الحاضر . وقد ذكر بعض السياح ان في أرض (مياسر) سبع آبار ترتوي منها القبيلة المذكورة التي تقطن ارض (دثينة) القديمة ^١ .

ولفظه (سبين) (سييان) الواردة في النص ، هي اسم قبيلة ، ورد ذكرها في نص متأخر جداً عن هذا النص ، هو نص (حصن غراب) . ومعنى ذلك انها من القبائل التي ظلت محافظة على كيانها الى ما بعد الميلاد . فقد أشير الى (كبر) (كبراء) والى (أقيال) (سييان) . وورد (سبين ذ نصف) أي (سييان) اصحاب (نصف) (نصاف) . ويرى بعض الباحثين ان موضع (نصاف) (نصف) ، هو الموضع الذي يقال له (نصاب) في الزمن الحاضر ^٢ .

واما (ميفع) (ميفعة) ، فتقع في الزمن الحاضر في غرب (وادي نصاب) وفي غرب وادي (خورة) . واما (رتح) (رثم) ، فهو اسم قبيلة واسم مدينة في ارض (سييان) . وقد ذكر ايضاً في جملة القبائل التي وردت اسماءها في نص (حصن غراب) . واما (عبدن) (عبدان) ، فانه اسم موضع يقع في جنوب (نصاب) في الزمن الحاضر . وقد قال فيه (كرب ايل) في نصه :
« وكل ارض عبدان ومدنها وواديها وجبلها ومراعيتها وجنود عبدان احراراً وعبيداً » ^٣ .

١ Beiträge, S., 65.

٢ Beiträge, S., 56, RY 63.

٣ Glaser 1000A.

معبراً بذلك عن تغلبه على كل اهل هذه الأرض من مدنيين وعسكر ، حضر وأهل بادية ومراع^١ .

وقد صيّر (كرب ايل وتر) كل ارض (عبدن) (عبدان) ارضاً حكومية ، وتقع في الزمن الحاضر في سلطنة (العوالق العليا) ، ويلاحظ ان (وادي عبدان) ما زال حتى اليوم بقراه وبمياهه من ارض السلطان ، أي انه ارض حكومية تخص السلطنة^٢ .

واستمر (كرب ايل وتر) مخبراً في كتابته هذه : أنه سجل جميع (كحد) وكل سكانها من أحرار ورقيق بالغين وأطفالاً ، وكل ما يملكونه ، القادرين على حمل السلاح منهم ، وجنود (يل اي) و (شيعن) و (عبرت) (عبرة) وأطفالهم ، غنيمة لسباً . ثم ذكر أنه نظراً الى تحالف ملك حضرموت الملك (يدع ايل) وشعب حضرموت مع شعب سبأ في هذا العهد ومساعدتهم له ، أمر باعادة ما كان لهم من ملك في (أوسان) اليهم ، وأمر باعادة ما كان للقتبانيين وملك قتبان من ملك في (أوسان) اليهم كذلك ، للسبب نفسه^٣ . فأعيدت تلك الأملاك الى الحضارمة والى القتبانيين .

ثم عاد (كرب ايل) فتحدث عن عداء أهل (كحد سوطم) لسباً وعن معارضتهم له ، فقال : إنه أمر جيشه بالهجوم عليهم ، فأنزل بهم هزيمة منكرة وخسائر جسيمة ، فسقط منهم خمس مئة قتيل في معركة واحدة ، وأخذ منهم ألف طفل أسير وألفي حائك ما عسدا الغنائم العظيمة والأموال النفيسة الغالية وعدداً كبيراً من الماشية وقع في أيدي السبثيين^٤ .

وتحدث (كرب ايل) بعد ذلك عن (نشن) (نشان) ، وقد عارضته كذلك وناصبته العداء ، فذكر انها اصببت بهزيمة منكرة ، فاستولت جيوشه عليها ، واحرقت كل مدنها ونواحيها وتوابعها ، ونهبت (عشر) و (بيحان) وكل ما يخصها من املاك وارضين . وذكر أن (نشان) (نيشان) عادت فرفعت راية العصيان للمرة الثانية ، لذلك هاجمها السبثيون وحاصروها وحاصروا

١ Beiträge, S., 56.

٢ Beiträge, S., 57.

٣ الفقرة ١٢ و ١٣ من النص .

٤ الفقرة ١٣ من النص .

مدينة (نشق) معها ثلاثة أعوام ، كانت نتيجتها ضم (نشق) وتوابعها الى دولة سبأ ، وسقوط الف قتيل من (نيشان) (نشان) (نشن) وهزيمة الملك (سمه يفع) هزيمة منكورة ، وانتزاع كل ما كانت حكومة سبأ قد أجبرته من أرضين لـ (نشن) واعادتها ثانية الى سبأ ، وتمليك مملكة سبأ المدن : (قوم) و (جوعل) ، و (دورم) و (فدم) و (أيسم) ، وكل ما كان لـ (سمه يفع) ولـ (نشن) من ملك في (يأكم) (ياكم) ، وكذلك كل ما كان لمعبد الأصنام الواقع على الحدود من أملاك وأوقاف حتى (منتهيم) ، فسجلها باسمه وباسم سبأ^١ .

وصادرت سبأ أرض (نشن) الزراعية وجميع السدود التي تنظم الري فيها، مثل ، (ضلم) ، و (حرمت) ، وماء (مذاب) الذي كان يمون (نشن) وأماكن أخرى بالماء ، وسجلت ملكاً لسبأ ، وخرب سور (نشن) ودمره حتى أساسه . أما ما تبقى من المدينة ، فقد أبقاه ، ومنع من حرقه . وهدم قصر الملك المسمى (عفرو) (عفر) ، وكذلك مدينته (نشن) . وفرض كفارة على كهنة آلهة المدينة الذين كانوا ينطقون باسم الآلهة ، ويتكهنون باسمها للناس ، وحتم على حكومة (نشن) اسكان السبيين في مدينتهم وبناء معبد لعبادة إله سبأ الإله (المقه) في وسط المدينة ، وانتزع ماء (ذو قفمن) وأعطاه بالاجارة لـ (يذمر ملك) ملك (هرم) (هرم) ، وانتزع منها كذلك السد المعروف بـ (ذات ملك وقه) وأجره لـ (نبط على) ملك (كمنه) (كمننا) ، ووسع حدود مدينة (كمنه) (كمننا) من موضع سدّ (ذات ملك وقه) الى موضع الحدود حيث النصب الذي يشير اليه ، وسوّر (كرب ايل) مدينة (نشق) وأعطاهما سبأ لاستغلالها ، وصادر (يدهن) و (جزيت) و (عريم) ، وفرض عليها الجزية تدفعها لسبأ^٢ .

وانتقل (كرب ايل) بعد هذا الكلام الى الحديث عن أهل (سبل) و (هرم) (هرم) و (فن) ، فذكر ان هذه المدن غاضبته وعارضته ، فأرسل عليها جيشاً هزمها ، فسقط منها ثلاثة آلاف قتيل ، وسقط ملوكها قتلى كذلك ، وأسر منهم خمسة آلاف أسير ، وغنم منهم خمسين ومئة الف من الماشية، وفرض

١ الفقرة ١٤ و ١٥ من النص .

٢ الفقرة ١٦ و ١٧ .

الجزية عليهم عقوبة لهم ، ووضعهم تحت حماية السبيين^١ .

وكان آخر من تحدث عنهم (كرب ايل) في كتابته هذه أهل (مهامر) (مه أمر) (مها مرم) (مهامر) ، و (أمرم) (أمر) ، فذكر انه هزمهم وهزم كذلك كل قبائل (مه امرم) (مها مرم) ، و (عوهيم) (عوهب) (العواهب) ، حيث تكبدوا خمسة آلاف قتيل ، وأسر منهم اثني عشر ألف طفل ، وأخذ منهم عدداً كبيراً من الجبال والبقر والحمير والغنم يقدر بنحو مئتي ألف رأس ، وأحرقت كل مدن (مه أمرم) وسقطت (بفعت) (يفعة) ، فدمرت وصادر (كرب ايل) مياه (مه أمرم) في (نجران) وقرض على أهل (مه أمر) الجزية يدفعونها لسبأ^٢ .

وقد قص (كرب ايل وتر) في كتابة (صرواح) المسماة بـ Glaser 1000B أسماء المدن المسورة والمقاطعات المحصنة التي استولى عليها ، وسجل بعضها باسمه وبعضها آخر باسم حكومة سبأ وبآله سبأ . ومن هذه : (كتم) و (يثل) ، و (نب) ، و (ردع) (رداع) ، و (وقب) ، و (اووم) (أوم) ، و (يعرت) (يعرتم) ، و (حنلغم) (حنلغم) (حنلغ) ، و (نعوت) ذت فقدم) (نعوت ذات فدد) ، و (حزرأم) (حزرأم) ، و (تسم) (تمس)^٣ ، وهي مواضع كانت مسورة محصنة بدليل ورود جملة : « وسور وحصن ... » بعدها مباشرة .

وأما المواضع التي أمر (كرب ايل وتر) بتسويرها وبتحصينها ، فهي : (تلن) (تلنان) و (صنوت) و (صدم) (صدوم) و (ردع) (رداع) و (ميفع بنجيام) (ميفع بنجام) ، و (محرثم) ومسيلا الماء المؤديان الى (تمنع) وحصن وسور (وعلان) (وعلان) و (ميثم) (موثيم) و (كمدر) (كدار) ، وذكر بعد ذلك أنه أمر بإعادة القتيانيين الى هذه المدن ، لأنهم كانوا قد تحالفوا مع (المقه) إله سبأ و (كرب ايل) ومع شعب سبأ ، أي أنهم كانوا في جانبهم ، فأعادهم الى المواضع المذكورة مكافأة لهم على ذلك^٤ .

- ١ الفقرة : ١٨ من النص .
- ٢ الفقرة ١٩ من النص .
- ٣ الفقرة الأولى من النص .
- ٤ الفقرة الثانية من النص .

ثم عاد (كرب ايل) ، فذكر أسماء مواضع أخرى استولى عليها وأخذها باسمه ، هي : مدينة (طيب) ، وقد أخذها من (عم وقه ذ امرم) (عموقه ذ امرم) ، وأخذ منه أيضاً أملاكه وأمواله في (مسقى نجى) ، وفي (افقن) (افقان) و بـ (حرتن) (حرتان) ، وجبله ومراعيه وأوديته الآتية من (مرس) وكل المراعي في هذا المكان . ثم ذكر أنه أخذ من (حضر همو ذ مفعلم) (حضر همو ذو مفعلم) ، وهو من الأمراء الاقطاعيين على ما يظهر ، هذه المواضع : (شعب) (شعب) ، والأودية ، والمراعي التابعة لـ (مشرر) الى موضع (عتب) ، ومن (ابيت) (ابيت) الى (ورخن) و (دغف) وكل الأملاك في (بقت) و (دنم) (دنم) ، فأمر بتسجيلها كلها باسمه ، وأمر كذلك بتسجيل (صيهو) باسمه ، واشترى (حدنن) أتباع ورقيق (ادم) (حضر همو ذي مفعلم) و (جبرم) (جبر) أتباع (يعق ذ خولن) (يعق ذو خولان) الذي بـ (يرت)^١ .

وذكر (كرب ايل وتر) بعد ذلك : انه وسع املاك قبيلته وأهله (فيشان) (فيشن) وانه اخذ من (رابم بن خل أمر ذ وقيم) (رابم بن خل أمر ذو وقيم) ، كل ما يملكه في (وقيم) من املاك ومن أرضين ومن أودية ومسابل مياه وجبال ومراع ، وسجل ذلك كله باسمه ، كما أنه استولى على (يعرت) (يعرتم) وعلى جميع ما يتبعها من مسابل مياه وأودية ومراع وجبال وحصون ، فسجله باسمه ، واستولى أيضاً على أرض (اووم) (أوم) (أوام) وعلى مسابيلها ، وسجلها ملكاً له^٢ .

ثم ذكر انه صادر كل أموال (خلكر ب ذغرن) (خالكرب ذو غران) وأملاكه في (مضبقت) (مضبقة) وسجلها باسمه ، كما سجل أرض (ثمدت) ومسابل مياهها وحصنها ومراعيها في جملة أملاكه ومقتنياته^٣ .

ثم عاد في الفقرة الخامسة من النص ، فذكر انه أخذ كل ما كان يملكه (خل كرب دغرن) (خالكرب ذو غران) في أرض (مضبقة) (مضبقت) ، وأخذ كذلك التلين الواقعين في (خندفم) (خندف) والأرضين الأخرى الى

-
- ١ الفقرة الثالثة من النص .
 - ٢ الفقرة الرابعة من النص .
 - ٣ الفقرة الرابعة من النص .

مدينة (طيب) ، وسجل ذلك كله في جملة أملاكه . وأخذ كذلك كل ما كان يملكه (خالكرب) في (مسقى نجى) ، كما أخذ موضع (زوت) وكل ما يتعلق به وما يخصه من مسايل مياه ومراع^١ .
ثم أخذ أرض (اكربى) (اكربى) ومسايل مياهها ، وسجلها باسمه ، كما استولى على (نعوت) من حدّ (شدم) و (خبام) (خبام) (خب أم) الى الأوثان المنصوبة على الحدود علامة لها^٢ .

وقطع (كرب ايل وتر) الحديث عن الأملاك التي استولى عليها وسجلها باسمه ، وانتقل فجأة الى التحدث عن بعض ما قام به من أعمال عمرانية ، فذكر انه أتم بناء الطابق الأعلى من قصره (سلحن) (سلحين) ابتداء من الأعمدة والطابق الأسفل الى أعلى القصر ، وانه أقامه في وادي (اذنة) (اذنت) خزان ماء (تفشن) ، ومسايله التي توصل الماء الى (يسرن) (يسران) ، وانه شيّد وحصّن وقوتى جدار ماء (يلط) وما يتفرع منه من مساق ومسايل تسوق الماء الى (أبين) . ثم قال : انه شيّد وبني وأقام (ظراب) و (ملكن) (ملكان) لوادي (يسرن) (يسران) ، كما بنى أبنية أخرى في وسط (يسرن) و (أبين) ، وغرس وعمر أرضين زراعية في أرض (يسرن)^٣ .

ثم عاد فقطع الكلام على ما قام من أعمال عمرانية ، وحوله الى الكلام على أملاكه التي وسعها وزاد فيها ، وهي : (ذيقه ملك) (ذو يقه ملك) ، و (أثابن) (أثاب) (أثابن) ، و (مذبني) (المذاب) ، و (مفرشم) (مفرش) ، و (ذانفن) (ذو انف) (ذو الأنف) ، و (قطنن) (القطنة) و (سفوتم) (سفوت) و (سلقن) (سلقان) ، و (ذفدهم) (ذ وفدعم) ، و (ذ اوئتم) (ذو أوثان) ، و (دبسو) (دبس) ، و (مفرشم) (مفرش) ، و (ذ حبم) (ذو حباب) (ذو حبيب) ، و (شمرو) (شمر) ، و (مهجوم) (مهكوم) (مهجم)^٤ .
ثم عاد (كرب ايل وتر) فتكلم على الأملاك التي حصل عليها وامتلكها ،

١ الفقرة الخامسة من النص .

٢ الفقرة السادسة من النص .

٣ الفقرة الخامسة من النص .

٤ الفقرة السادسة من النص .

فذكر انه تملك في (طرق) موضع (عن . ان) و (حضرو) و (ششعن)
 (ششون)^١ وذكر انه تملك موضع (فرعتم) (فرعت) (فرعة) و (تيوسم)
 (تيوس) و (اتابن) (اثابن) (اث ب ن) في ارض (يسرن) وانه
 تملك (محمين) (محميان) من حدّ (عقبن) (عقبان) حتى (ذي أنف) ،
 وتملك ما يخص (حضر همو بن نخل أمر) (حضر همو بن نخل أمر) من
 املاك ، وتملك (مفعل) (مفعلم) وكل ما في ارض (ونب) وكل ارض
 (ونب) وكل ارض (فترم) و (قنت) وكل ما يخص (حضر همو بن
 نخل أمر) من مدن ، هي : (مفعلم) و (فترم) ، و (قنت) و (جو)
 (كو) وكل ما فيها من حصون وقلاع وأودية ومراع . ثم ذكر انه باع المدن
 والأرضين المذكورة ، وهي مدن : (مفعلم) ، و (فترم) ، و (قنت)
 و (جو) ، التي أخذها من (حضر همو بن نخل كرب) وسجلها باسم
 قبيلته (فيشان)^٢ .

وكان قد ذكر في آخر الفقرة السابعة من النص وقبل الفقرة الثامنة المتقدمة
 التي هي خاتمة النص ، أنه خرج للصيد فصاد ، وقدم ذلك في مذبج (لفظ)
 قرباناً للإله (عثر ذي فصد) ، كما قدم اليه تمثالاً من الذهب^٣ .

وقد أدت حروب (كرب ايل) المذكورة الى تهدم أسوار كثير من المدن
 التي هاجمها ، فصارت بذلك مدناً مكشوفةً من السهل على الأعراب والغزاة
 مداهمتها ونهبها ، ولهذا اضطر الى إعادة تسويرها أو ترميم ما تهدم من أسوارها
 كما اضطر أيضاً الى تسوير مدن لم تكن مسورة وتحصينها . وفي جملة المدن التي
 حصنها وسورها أو رمّ أسوارها ، مدينة (وعلان) حاضرة (ردمان) ،
 و (رداع) ، و (كدر) (كدار) ، ومدن أخرى^٤ .

هذا ، وأودّ أن الخوص الخطط التي سار (كرب ايل) عليها والحروب
 التي قام بها في الأرضين التي ذكر أسماءها في نصه ، على الوجه الآتي : كانت

١ في النص العبراني : (ششون) ، وفي الترجمة الألمانية (ششعن) ، راجع
 الفقرة السابعة من النص .
 ٢ الفقرة الثامنة وهي الفقرة الأخيرة من النص .
 ٣ الفقرة السابعة من النص .
 ٤ Beiträge, S., 38, Glaser, 1000B.

أرض (ساد) أول أرض شرع في مهاجمتها ، ثم انتقل منها الى أرض (نقبت) (نقبت) (نقبة) ، ثم (المعافر) ، ثم سار نحو (ذبحان القشر) (ذبحن قشرم) و (شرجب) (شركاب) (شركب) ثم اتجه في حملته الثانية نحو (أوسان) ، حيث أمر جنوده بنهب (وسر لجيات) وبقية المواضع الى (حمن) (حمان) ، وبحرق كل مدن (آنف) في أرض (معن) حول (يشم) (يشوم) أو (الحاضنة) في الزمن الحاضر ، ومدن (حبان) في وادي (حبان) و (ذياب) في أرض قبيلة (ذياب) شرق حبر في الزمن الحاضر^١ .
ثم أمر (كرب ايل) بنهب (نسم) (نسام) وأرض (رشأى) ، ثم (جردن) (جردان) .

وعند ذلك وجه (كرب ايل) جيشه نحو (دنت) ، حيث أصيب فيها ملك أوسان بضربة شديدة ، فأمر باحراق كل مدن (دنت) ومدينة (تفص) و (أبين) ، حتى بلغ ساحل البحر ، حيث أحرق ودمر المدن والقرى الواقعة عليه .

ثم عاد (كرب ايل) فضرب أرض (وسر) مرة أخرى ، وأصاب قصر ملك أوسان في (مسور) ، حيث هدمه ، وأمر بانتزاع كل الكتابات الموجودة في معابد أوسان وتخطيطها . ثم سار بجيشه كله الى أرض أوسان، وبعد أن قضى على كل مقاومة لهم عاد الى بلاده .

ثم قام بغزو أرضين تقع شمال غربي سبأ . ثم وحد (سروم) وأرض (همدان) وحصن مدنها ، وأصلح وسائل الري فيها .

وحدثت بعد تلك الحروب حرب وقعت في الجنوب ، في (دمس) وفي (تبنو) ، حيث أحرق (كرب ايل) مدنها ، ثم ألحقها كلها مع (دنت) بسبأ ، وفصلت أرض (عود) من (أوسان) فضمت الى (دهس) .

وأصيب (كحد ذ سوط) بمعارك شديدة ، ويظهر أنها ثارت على (كرب ايل) وأعلنت العصيان عليه . وقد ساعدها وشجعها (يذمر ملك) ملك (هرم) وبقية المدن المعينة المجاورة ، مثل (نشن) (نشان) ، فسار جيش (كرب ايل)

اليها ، وأنزل بها خسائر فادحة ، وأحرق أكثر مدنها ، وحاصر (نشان) مدة ثلاث سنين ، مما يدل على أنها كانت مدينة حصينة جداً ، حتى نحى ملكها عنها . ثم انصرف (كرب ايل) الى اعادة تنظيم الأرضين التي استولى عليها ، والى تعيين حكام جدد للمناطق التي استسلمت له ، والى اصلاح أسوار المدن ووسائل الدفاع والري^١ .

أما الحملة الأخيرة من حملاته الصغيرة ، فكانت على (مهامر) (ممه امر) و (أمر) حيث بلغت أرض نجران^٢ .

لقد أضرت حروب (كرب ايل وتر) المذكور ضرراً فادحاً بالعربية الجنوبية فقد أحرق أكثر الأماكن التي استولى عليها ، وأمر بقتل من وقع في أيدي جيشه من المحاربين ، ثم امر بإعمال السيف في رقاب سكان المدن والقرى المستسلمة فأهلك خلقاً كثيراً . ونجد سياسة القتل والاحراق هذه عند غير (كرب ايل) أيضاً ، وهي سياسة أدت الى تدهور الحال في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية ، والى اندثار كثير من المواضع بسبب احراقها وهلاك أصحابها .

وقد عثرت بعثة (وندل فيلبس) في اليمن على كتابة وسمتها البعثة بـ Jamme 819 ، جاء فيها : (وبكرب آل وبسمه)^٣ . أي (وبكرب ايل وبسمه) . وحرف الواو هنا في واو القسم ، والكتابة من بقايا كتابة أطول تهشمت فلم يبق منها غير الجملة المذكورة . وقد ذهب (جامه) Jamme ناشرها الى أنها من عهد سابق لحكم المكربين ، وقدر زمن كتابتها القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد^٤ .

كما عثرت تلك البعثة على كتابات أخرى وسمت بـ Jamme 550 ، وبـ Jamme 552 ، وبـ Jamme 555 ، وبـ Jamme 557 وردت فيها أسماء لم تذكر بعدها جملة (مكرب سبأ) على عادة الكتابات ، غير أن ظاهر النص والألفاظ المستعملة فيه ، مثل : (قين يدع ايل بن) ، يدلان على أنها أسماء (مكربين) حكموا سبأ قبل عهد الملوك .

Belträge, S., 76. ١

Belträge, S., 77. ٢

Sabaen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), By A. Jamme, John ٣

Hopkins Press, Baltimore, 1962, Mahram, P. 389. ٤

فقد دوّن في النصف الأول من النص 550 Jamme أسماء المكربين : (يدع آل بين) (يدع ايل بين) و (يكرب ملك وتر) (يكرب ملك وتر) ، و (يشع أمر بين) . ودوّن في النصف الثاني من أسماء (يدع آل بين) (يدع ايل بين) و (يكرب ملك وتر) (يكرب ملك وتر) ، و (يشع أمر بين) ، و (كرب آل وتر) (كرب ايل وتر) ، أي الأسماء المذكورة في النصف الأول نفسها ، ما خلا اسم (كرب ايل وتر) . فنحن في هذا النص بنصفه أمام أربعة مكربين ، كانوا من (مدمرم) أي من بني (مدمر)^١ .

ومدوّن النص والأمر بكتابتها شخص اسمه (تبع كرب) (تبع كرب) ، وكان كاهناً (رشو) للإلهة (ذت غضرن) (ذات غضران) ، أي كناية عن الشمس ، كما كان بدرجة (قين) ، أي موظف كبير مسؤول عن الأمور المالية للدولة أو للمعبد ، كأن يتولى إدارة الأموال . وكان قيناً للمعبد (سحر) ، أي المتولي لأمواله المالية والمشرف على ما يصل الى المعبد من حقوق ومعاملات وعقود من تأجير الحبوس الموقوفة عليه ، كما كان قيناً للمكربين المذكورين . وقد ذكر في نصه انه أمر ببناء جزء من جدار معبد (المقه) من الحد الذي يحد أسفل الكتابة أي قاعدتها الى أعلى المعبد ، كما أمر ببناء كل الأبراج وما على السقف من أبنية ومتعلقاتها ، وذلك عن أولاده وأطفاله وأمواله وعن كل ما يقتنيه (هقنيهو) وعن كل نخيله (انخلهو) بـ (اذنت) (ادنة) وبـ (كتم) وبـ (ورق) وبـ (ترد) وبـ (وغم) (وغم) وبـ (عسمة) (عسمة) وبـ (برام) وبـ (سحم) وبـ (مطرن ييسرن) ، أي بمنطقة (مطرن) التي في أرض (يسرن) (يسران) ، وهي تُسقى الماء بواسطة قناطر تعبر فوقها المياه ، وبمنطقة (ردمن) (ردمان) من أرض (يسرن) (يسران) ، التي تروى بمياه السدود ، وبأرض (مخضن) الواقعة بـ (يهدل) .

وقد قام بهذا العمل ايضاً ، لأن المقه اوحى في قلبه انه سيهبه غلاماً ، ولأن (يكرب ملك وتر) ، اختاره ليشرّف على إدارة الأعمال المتعلقة بالحرب التي وقعت بين قتيان وسبأ وقبائلها ، فقام بما عهد اليه ، وذلك لمدة خمس سنين ، وأدى ما كان عليه ان يؤديه على احسن وجه ، ولأن الإله (المقه) حرس

١ الفقرة ١٢ و ١٣ من النص . Jamme 550, Mahram, PP. 9.

ووقى كل السبشين وكل القبائل الأخرى التي اشتركت معهم وكل المشاة (ارجل) الذين ارسلوا على مدينة (تهرجب) ^١ ، ولأن إلهه حفظه ومكنه من ادارة الأعمال التي عهد الملك اليه ، فتولى امر سبأ والقبائل التي كانت معها ، ووجه الأمور احسن وجه ضد الأعمال العدوانية التي قام بها اهل (تهرجب) وغيرهم ضد سبأ ، في خلال سنتين كاملتين ، حتى وفقه الإله لعقد سلام (سلم) بين سبأ وقتبان ، فأثابه (يثع أمر بين) على ما صنع ^٢ .

ويظهر من هذا النص ان (تيع كرب) (تبعكرب) ، الكاهن (رشو) و (القين) كان من كبار الملاكين في سبأ في ايامه ، له أرضون وأملاك واسعة في أماكن متعددة من سبأ . وقد كانت تدرّ عليه أرباحاً كبيرة وغلة وافرة ، يضاف الى ذلك ما كان يأتيه من غلات المعبد الذي يديره، والنذور التي تنذر للإله (سحر)، ثم الأرباح التي تأتيه من وظيفته في الدولة .

ويظهر أنه كتب نصه المذكور بعد اعتزاله الخدمة لتقدمه في السن ، في أوائل أيام حكم (كرب ايل وتر) . ولذلك تكون جميع الحوادث والأعمال التي أشار إليها قد وقعت في أيام حكم المذكورين الى ابتداء حكم (كرب ايل وتر) ، الذي ذكر من أجل ذلك في آخر أسماء هؤلاء الحكام وفي القسم الأخير من النص . ويظهر من النص أيضاً أن الأعمال الحربية التي قام بها (تبعكرب) ، كانت في أواخر أيام (يكرب ملك) ، وامتدت الى أوائل أيام حكم (يثع أمر بين) . أرسله الأول الى الحرب ، ومنحه الثاني شهادة اتمام تلك الحرب وانتهائها . فهذا النص يبحث عن السنين الخمس التي شغلها (تبعكرب) بالأعمال الحربية ^٣ .

وأما صاحب النص : Jamme 552 ، فهو (ابكرب) (أبكرب) (أبو كرب) وكان من كبار الموظفين من حملة درجة (كبر) ، اي (كبير) إذ كان كبيراً على (كمدم بن عم كرب) (كمدم بن عمكرب) ، وهم من (شوذم) (شوذ) . وكان (قيناً) ، اي موظفاً كبيراً عند (يدع ايل بين) وعند (سمه على ينف) (سمه على ينف) . وقد سجل نصه هذا عند بنائه (خمخنه) و (مذقنن) قربة الى الإله (المقه) ليبارك في اولاده

١ (وكل ارجل هورد عد هجرن تهرجب) ، القسم الثاني من النص .

٢ القسم الثاني من النص .

٣ Mahram, P. 261.

وأطفاله وبيته (بيت يهر) ، وفي كل عبيده ومقتنياته ، وذلك في أيام المكربين المذكورين^١ .

واما النص : Jamme 555 ، فصاحبه (ذمر كرب بن ابكرب) (ذمر كرب بن أبكرب) ، وهو من (شوذيم) ، اي (بني شوذب) . وكان قيناً لـ (يثع امر) و لـ (يكررب ملك) و لـ (سمه على) و لـ (يدع ايل) و (يكررب ملك)^٢ . وقد دونه عند اتمامه بناء جدار معبد (المقه) ، من حد الحافة الجنوبية لقاعدة حجر الكتابة الى اعلى البناء ، وذلك ليكون عمله قريبة الى الإله ، ليبارك في اولاده واسرته وذوي قرابته وفي أملاكه وعبيده ، وقد ذكر اسماء الأرضين التي كان يزرعها ويستغلها ، وليبارك في بيته : (بيت يهر) وفي بيته الآخر المسمى (بيت حرر) بمدينة (جهرن) (جهران) ، وفي أملاكه وبيوته الأخرى في أرض العشيرتين : (مهاأنف) و (يبران) (يبرن) كما دونه تعبيراً عن حمده وشكره له ، لأنه منّ عليه فأعطاه كل ما أراد منه ، ومن جملة ذلك تعيينه قيناً على (مأرب) ، واشترأكه مع (سمه على ينف) (سمهعلى ينف) في الحرب التي وقعت بينه وبين قتيان في أرض قتيان ، فأعد لتلك الحرب العدد التي ينبغي لها^٣ .

وقد نعت (أبكرب بن نبطكرب) (ابكرب بن نبط كرب) وهو من (زلتن) (زلتان) نفسه بـ (عبد) (يدع ايل بين) و (سمه على ينف) و (يثع أمر وتر) ، و (يكررب ملك ذرح) و (سمه على ينف) ، وذلك في النص : Jamme 557 . وقد دونه عند قيامه ببعض أعمال الترميم والبناء في معبد (المقه) ، تقريباً الى رب المعبد (بعل أوّام) الإله (المقه) ، ولتكون شفيعة لديه ، لكي يبارك فيه وفي ذريته وأملاكه . وقد اختتم النص بجملة ناقصة اصيب آخرها بتلف ، ولم يبق منها الا قوله : « وملك مأرب »^٤ .

وللجملة الأخيرة من النص أهمية كبيرة ، لأنها تتحدث عن ملك كان على مأرب في ذلك الزمن ، سقطت حروف اسمه ، ولم يبق منه غير الحرف الأول.

١ Jamme 552, MAMB 6, Mahram, P. 16.

٢ Jamme 555, MAMB 10, Mahram, PP. 18, 261.

٣ الفقرتان الثالثة والخامسة من النص . Jamme 557, MAMB 12, Mahram, P. 22.

٤ راجع السطر الأخير من النص : Jamme 557, MaMb 12, Mahram, P. 22.

ويتبين من النصوص الأربعة المذكورة اننا امام عدد من حكام سبأ ، لم تشر تلك النصوص الى ازمتهم ولا الى صلاتهم بالحكام الآخرين، حتى نستطيع بذلك تعيين المواضع التي يجب أن يأخذوها في القوائم التي وضعها الباحثون لحكام سبأ. وقد رأى (جامه) استناداً الى دراسته لهذه النصوص ، الى معاينته لنوع الحجر ولأسلوب الكتابة ، ان (يدع ايل بين) المذكور في النص : Jamme 552 هو أقدم من (يدع ايل بين) المذكور في النص Jamme 555 ، ولذلك دعاه بـ (الأول)، ودعا (يدع ايل بين) المذكور في النص : Jamme 555 بـ (الثاني) و (يدع ايل بين) المذكور في النص Jamme 550 بـ (يدع ايل) الثالث^١ . ومنح (جامه) (سمه على ينف) (سمعل ينف) ، المذكور في النص : Jamme 552 لقب (الأول) ، ليميزه عن سمية المذكور في النص Jamme 555 ، وقد لقبه بـ (الثاني) . كما منح (يثع أمر بين) المذكور في النص : Jamme 555 ، لقب الأول ، ليميزه عن سمية المذكور في النص : Jamme 550 والذي أعطاه لقب (الثاني) . وأما (يثع أمر وتر) و (يكر ب ملك ذرح) ، المذكوران في النص : Jamme 552 ، فلم يمنحها أي لقب كان لعدم وجود سمي لهما في النصوص الأخرى^٢ .

وتفضل (جامه) على (يكر ب ملك وتر) ، المذكور في النص : Jamme 555 فمنحه لقب (الأول) ، ليميزه عن سمية المذكور في النص : Jamme 550 الذي أعطاه لقب (الثاني) . وقد وسم (جامه) (يثع أمر بين) المذكور في النص : Jamme 555 بـ (الأول) ، فيزه بذلك عن سمية المذكور في النص : Jamme 550 . وأما (كرب ايل وتر) ، المذكور في آخر أسماء حكام النص : Jamme 550 ، فقد ظل بدون لقب ، لعدم وجود سمي له .

مدن سبأ :

كانت مدينة (صرواح) ، هي عاصمة السبئيين في أيام المكربين ومقر المكرب وفيها باعتبارها العاصمة معبد (المقه) إله سبأ الخاص . أما (مأرب) ، فلم

١ Mahram, P. 264.
٢ Mahram, P. 264.

تكن عاصمة في هذا العهد ، بل كانت مدينة من مدن السبئيين ، و (صرواح) في هذا اليوم موضع خرب يعرف بـ (خربة) وبـ (صرواح الخريبة) على مسيرة يوم في الغرب من (مأرب)^١ ، ويقع ما بين صنعاء ومأرب^٢ . وقد ذكر (الهمداني) مدينة (صرواح) في مواضع عدة من كتابه (الاكليل) ، وأشار الى (ملوك صرواح ومأرب)^٣ . وذكر شعراً في (صرواح) للجاهليين ولجماعة من الإسلاميين^٤ ، كما أشار اليها في كتابه (صفة جزيرة العرب)^٥ .

وتحدث (نشوان بن سعيد الحميري) عنها ، فقال : (صرواح موضع باليمن قريب من مأرب فيه بناء عجيب من مآثر حمير ، بناه عمرو ذو صرواح الملك بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر ، وهو أحد الملوك الثمانية)^٦ . وزعم ان (قُسّ بن ساعدة الإيادي) ذكر (عمرو بن الحارث القليل ذو صرواح) في شعر له^٧ . وذكر غيره من علماء اليمن الاسلاميين هذه المدينة السبئية القديمة أيضاً . وفي اشارتهم اليها وتحدثهم عنها ، دلالة على أهمية تلك المدينة القديمة ، وعلى تأثيرها في نفوس الناس تأثيراً لم يتمكن الزمان من محوه بالرغم من أقول نجمها قبل الإسلام بأمد .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (صرواح حصن باليمن أمر سليمان عليه السلام الجن فبنوه بلقيس)^٨ . وقولهم هذا هو بالطبع أسطورة من الأساطير المتأثرة بالاسرائيليات التي ترجع أصل أكثر المباني العادية في جزيرة العرب الى سليمان والى جن سليمان . وقد عثر في أنقاض هذه المدينة القديمة المهمة على كتابات سبئية بعضها من

١ Handbuch, I, S., 10, Beiträge, S., 22.

٢ زيد على عنان ، تاريخ اليمن القديم ، (ص ٩١) .

٣ الاكليل (٤٥/٨) .

٤ الاكليل (٧٥/٨ وما بعدها) (٢٢/١٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ١١٠) .

٥ الصفة (١٠٢ ، ١١٠ ، ٢٠٣) .

٦ منتخبات (ص ٦٠) .

٧ منتخبات (ص ٦٠) .

٨ اللسان (٣٤٣/٣) ، الاكليل (٢٤/٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٧٩ وما بعدها ، ١٠٩) ، (طبعة نبيه) ، (٢٢/١٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ،

٣٩ ، ١١٠) ، الصفة (١٠٢ ، ١١٠ ، ٢٠٣) .

عهد المكربين . ومن هذه النصوص ، النص المهم الذي تحدثت عنه المعروف بكتابة (صرواح) ، والموسوم عند العلماء بـ Glaser 1000 A, B . وصاحبه الأمر بتدوينه هو المكرب الملك (كرب ايل وتر) . وهو من أهم ما عثر عليه من نصوص هذا العهد . وقد دوّن فيه أخبار فتوحاته وانتصاراته وما قام به من أعمال ، كما دونه قبل قليل . ولأسماء المواضع والقبائل فيه أهمية كبيرة للمؤرخ ولا شك ، اذ تعينه على أن يتعرف مواضع عديدة ترد في نصوص أخرى ، ولم نكن نعرف عنها شيئاً ، كما أعانتنا في الرجوع بتاريخ بعض هذه الأسماء التي لا تزال معروفة الى ما قبل الميلاد ، الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذلك اذا ذهبنا مذهب من يرجع عهد (كرب ايل وتر) الى ذلك الزمن^١ .

وفي مقابل خربة معبد صرواح ، خربة أخرى تقع على تل ، هي بقايا برج المدينة الذي كان يدافع عنها . وهناك أطلال أخرى ، يظهر انها من بقايا معابد تلك المدينة وقصورها^٢ .

وكان على المدينة (كبر) أي كبير ، يدير شؤونها ، ويصرف أمورها وأمور الأرضين التابعة لها ، وتحت يديه بالطبع موظفون يصرفون الأمور فيابة عنه ، وهو المسؤول أمام المكربين عن ادارة أمور المدينة وما يتبعها من قرى وأرضين وقبائل^٣ .

وفي (صرواح) كان معبد (المقه) إله سبأ ، ومن هذه المدينة انتشرت عبادته بانتشار السبئيين . ومن معابد هذا الإله التي بنيت في هذه المدينة معبد (يفغن) (يفغان) الذي حظي بعناية المكربين^٤ .

وقد زارها (نزيه مؤيد العظم) . وذكر أنها خربة في الوقت الحاضر ، بنيت على أنقاضها قرية تتألف من عدد من البيوت ، وتشاهد فيها بقايا القصور القديمة ، والأعمدة الحجرية المنقوشة بالمسند ، وأشار الى أن القسم الأعظم من المباني القديمة ، مدفون تحت الأنقاض خلا أربعة قصور أو خمسة لا تزال ظاهرة

١ Beiträge, S., 22.

٢ A. Fakhry, Les Antiquités du Yémen, Un Voyage à Sirwah, Marib et El-Gof,

Le Muséon, 61, 3-4, P. 215, Beiträge, S., 22.

٣ Handbuch, I, S., 130.

٤ Handbuch, I, S., 78.

على وجه الأرض ، منها قصر يزعم الأهلون أنه كان لبلقيس ، وكان به عرشها ولذلك يعرف عندهم بقصر بلقيس^١ . كما زار خرائب (صرواح) أحمد فخري من المتحف المصري في القاهرة ، وصور أنقاض معبد (المقه) وعدداً من الكتابات التي ترجم بعضها الأستاذ (ركمنس) M. Ryckmans^٢ .

ولم تكن (مرب) ، أي (مأرب) عاصمة سبأ في هذا الوقت ، بل كانت مدينة من مدن سبأ الكبرى ، ولعلها كانت العاصمة السياسية ومقر الطبقة المتنفذة في سبأ . أما (صرواح) ، فكانت العاصمة الروحية ، فيها معبد الإله الأكبر ، وبها مقر الحكام الكهنة (المكربون) . وقد وجه (المكربون) عنايتهم كما رأينا نحو مأرب ، فأقاموا بها معبد (المقه) الكبير والقصور الضخمة وسكنوا بها في فترات ، وأقاموا عندها سد مأرب الشهير ، فكانهم كانوا على علم بأن عاصمة سبأ ، ستكون مأرب ، لا مدينتهم صرواح . وقد يكون المكان مأرب دخل في هذا التوجه .

قوائم بأسماء المكربين :

اشتغل علماء العربية الجنوبية بترتيب حكام سبأ المكربين بحسب التسلسل التاريخي أو وضعهم في جمهرات على أساس القدم، مراعين في ذلك دراسة نماذج الخطوط والكتابات التي وردت فيها أسماء المكربين ، وآراء علماء الآثار في تقدير عمر ما يعثر عليه مما يعود الى أيام أولئك المكربين ، ودراسة تقديراتهم لعمر الطبقات التي يعثر على تلك الآثار فيها . ومن أوائل من عني بهذا الموضوع من أولئك العلماء (كلاسر) ، العالم الرحالة الشهير الذي كان له فضل نشر الدراسات

١ رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء (٣٤/٢) فما بعدها .

٢ Le Muséon, LXI, 3-4, 1948, P. 215, A. Fakhry.

An Archeological Journey to Yemen, I, Cairo, 1952, II, Cairo, 1952,

The Publication of the Inscriptions, by G. Ryckmans, III, Cairo, 1951.

العربية الجنوبية^١ والعالم (فرّس هومل)^٢ ، و (رودوكناكس)^٣ ، و (فليبي)^٤ ، وغيرهم .

قائمة (هومل) :

- وقد رتب (هومل) (مكربي) سبأ على هذا النحو^٥ :
- ١ - سمه على ، ولم يقف على نعته في الكتابات، واليه تعود الكتابة الموسومة بـ Glaser 1147 .
 - ٢ - يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) ، والى عهده تعود الكتابات : Arn. 9, Glaser 901, 1147, 484, Halevy 50
 - ٣ - يشع امر وتر (يشع أمر وتر) والى أيامه ترجع الكتابات : Halevy 626, 627 .
 - ٤ - يدع آل بين (يدع ايل بين) ، والى عهده يرجع النص : Halevy 280 .
 - ٥ - يشع أمر ، ولم يذكر نعته ، وقد ورد اسمه في النصوص الموسومة بـ : Halevy 352, 672, Arn. 29 .
 - ٦ - كرب ايل بين (كرب آل بين) .
 - ٧ - سمه على ينف (سمه على ينوف) (سمه على ينوف) .
- ويكون هؤلاء على رأيه جمهرة مستقلة ، هي الجمهرة الأولى لمكربي سبأ . وتشكون الجمهرة الثانية على رأيه من المكربين :
- ١ - ذمر على .
 - ٢ - سمه على ينف (سمه على ينف) ، (سمه على ينوف) ، وهو باني سد (رجب) ، (رحاب) ، والى أيامه تعود الكتابات : Glaser 413, 414, Halevy 673, Arn. 14

١ راجع كتابه : Skizze der Geschichte und Geographie Arabien
٢ Fritz Hommel, Ausätze und Abhandlungen arabistisch — semitologischen Inhalts., München, 1892 — 1901, S., 145, Grundriss der Geographie und Geschichte des Alten Orient, S., 671.
٣ Rhodokanakis, KTB., II, S., 49.
٤ Philby, Background, P. 141.
٥ Handbuch, I, S., 75.

٣ - يثع امر بين (يثع أمر بين) ، وهو باني سد (حبيض) ، (الحبابض)
وموسع سد (رحب) (رحاب) ، والمتصر على (معن) معين
والى عهده تعود الكتابات :

Glaser 523, 525, Halevy 678, Arn. 12, 13, Glaser 418, 419.

٤ - ذمر على ، لعله ابن يثع أمر بين .

٥ - كرب آل وتر (كرب ايل وتر) ، صاحب نص صرواح .

وقد عثر في بعض الكتابات على صورة النعامة محفورة مع كتابة ورد فيها اسم
الإله (المقه) ، كما عثر على كتابات ذكر فيها اسم هذا الإله وحفرت فيها
صورة (نسر) . وقد ذهب بعض الباحثين الى احتمال كون هذه الصور هي
رمز الى الإله المقه^١ .

قائمة (رودوكتاكس) :

ناقش (رودوكتاكس) القوائم التي وضعها (كلاسر) و (وهومل)
و (هارتمن)^٢ ، وحاول وضع جمهرات جديدة مبنية على أساس الرابطة الدموية
والتسلسل التاريخي ، وما ورد في الكتابات من أسماء ، فذكر في كتابه :
(نصوص قتيانية في غلات الأرض) Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft
هذه الجمهرات^٣ : جمهرة ذكرت أسماؤها في الكتابة : Glaser 1693 ، وتتألف من :

١ - يدع آل بين (يدع ايل بين) .

٢ - سمه على ينف (سمه على ينف) .

٣ - يثع مر وتر (يثع أمر وتر) .

وجمهرة أخرى وردت أسماؤها في الكتابة Glaser 926 وتتكون من :

١ - يثع أمر .

Mahram, P. 264, A. Grohmann, Göttersymbole und Symboltiere auf Südara-
bischen Denkmälern, Wien, 1914, S., 75.

Hartmann, Die Arabische Frage, S., 603.

KTb., II, S., 49.

- ٢ - يدع آل (يدع ايل) .
- ٣ - سمه على .

وتكوّن مجموعة رمز اليها بـ A .
وذكر مجموعة ثلاثة تتألف من :

- ١ - يدع آل (يدع ايل) .
- ٢ - يشع امر (يشع أمر) .
- ٣ - يدع اب (يدع أب) .

وجمهرة رابعة تتكون من :

- ١ - كرب آل (كرب ايل) .
- ٢ - يدع اب (يدع أب) .
- ٣ - اخ كرب (أخ كرب) .

وقارن بين (هومل) و (هارتمن) ، فذكر الجمهورتين .

- ١ - يدع آل (يدع ايل) .
- ٢ - يشع امر (يشع أمر) .
- ٣ - كرب آل (كرب ايل) .
- ١ - يدع أب (يدع أب) .
- ٢ - اخ كرب (أخ كرب) .

وجمهرة :

- ١ - يدع آل (يدع ايل) .
 - ٢ - يشع امر (يشع أمر) .
 - ٣ - كرب آل (كرب ايل) .
- وهي جمهرة B .

ونلخص (رودوكتاكس) هذه الجمهورات في جمهرات ثلاث هي: جمهرة A

وجمهرة B وجمهرة C .

جمهرة (A) Glaser 926 وتتألف من :

- ١ - يشع امر (يشع أمر) .
- ٢ - يدع آل (يدع ايل) .

.....

٣ - سمه على .

جمهرة (B) Glaser 1752, 1762, Halevy 626 ، وتتكون من :

١ - يدع آل (يدع ايل) .

٢ - يثع امر (يثع أمر) .

٣ - كرب آل (كرب ايل) .

٤ - سمه على .

جمهرة (O) Glaser 1693 وقوامها :

١ - يدع آل بين (يدع ايل بين) .

.....

٢ - سمه على ينف (سمه على ينف) .

.....

٣ - يثع امر وتر (يثع أمر وتر) .

وفي مناقشته للمجموعات الثلاث المتقدمة عاد فذكر الجهورات التالية :

جمهرة (١) :

سمه على .

يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) ، CIH 366, FR 9, Halevy 50.

يثع امر وتر (يثع أمر وتر) ، CIH 490, Halevy 626

يدع آل بين (يدع ايل بين) ، Halevy 280

جمهرة (٢) :

يثع. امر (يثع أمر) لم يرد نعته .

كرب آل بين (كرب ايل بين) Halevy 352, 672

سمه على ينف (سمه على ينف) Halevy 45 .

وذكر الجمهرة التالية في آخر مناقشته لقوائم أسماء المكربين ، وتتألف من :

يثع امر بين (يثع أمر بين) Glaser 926 .

يدع آل بين (يدع ايل بين) فاتح مدينة (نشق) Glaser 926, 1752, Halevy 630 .

- يشع امر (يشع امر) Halevy 630, Glaser 1752 .
 كرب آل (كرب ايل) Halevy 633, Glaser 1752, 1762 .
 سمه على Glaser 926, 1762 .

وليس في تعداد هذه الجهورات هنا علاقة بعدد المكربين أو بتسلسلهم التاريخي وانما هي جهورات وأسماء متكررة ، ذكرها (رودوكتاكس) للمناقشة ليس غير ، وقد أحببت تدوينها هنا ليطلع عليها من يريد التعمق في هذا الموضوع .

قائمة (فلي) :

وقفت على قائمتين صنعها (فلي) لمكربي سبأ ، نشر القائمة الأولى في كتابه : « سناد الاسلام »^١ ونشر القائمة الثانية في مجلة Le Muséon^٢ . وقد قدر (فلي) تاريخاً لكل مكرب حكم فيه على رأيه شعب (سبأ) . فقد في قائمته التي نشرها في كتابه المذكور لكل ملك مدة عشرين سنة ، وجعل مبدأ تأريخ حكم أول مكرب حوالي سنة (٨٠٠) قبل الميلاد . وسار على هذا الأساس باضافة مدة عشرين عاماً لكل ملك ، فتألفت قائمته على هذا النحو :

- ١ - سمه على ، أول المكربين ، حكم حوالي سنة (٨٠٠) قبل الميلاد .
- ٢ - يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) ، وهو ابن (سمه على) ، حكم حوالي سنة (٧٨٠) قبل الميلاد .
- ٣ - يشع امر وتر بن يدع آل ذرح ، حكم حوالي سنة (٧٦٠) قبل الميلاد .
- ٤ - يدع آل بين بن يشع امر وتر ، حكم حوالي سنة (٧٤٠) قبل الميلاد .
- ٥ - يدع امر وتر بن سمه على بنف ، وهو معاصر الملك الآشوري سرجون ، وقد حكم حوالي سنة (٧٢٠) قبل الميلاد .
- ٦ - كرب آل بين بن يشع امر ، حكم حوالي سنة (٧٠٠) قبل الميلاد .
- ٧ - ذمر على وتر ولا يعرف اسم والده على وجه التأكيد ، وربما كان والده (كرب آل وتر) ، أو (سمه على بنف) وربما كان شقيقاً لـ (كرب آل بين) ، وقد حكم في حوالي سنة (٦٨٠) قبل الميلاد .

Background of Islam, PP. 141.

Le Muséon, LXII, 3-4, PP. 248.

٨ - سمه على ينف بن ذمر على ، وهو باني سدّ (رجب) (رحاب)
وقد حكم حوالي سنة (٦٦٠) قبل الميلاد .

٩ - يثع امر بين بن سمه على ينف ، وهو باني سدّ (حبيضن) الحبابض ،
وقد حكم حوالي سنة (٦٤٠) قبل الميلاد .

١٠ - كرب آل وتر بن ذمر على وتر ، آخر المكربين وأول ملوك سبأ ،
وقد حكم على رأيه من سنة (٦٢٠) حتى سنة (٦١٠) قبل الميلاد .

أما قائمته التي نشرها في مجلة Le Muséon ، فهي على النحو الآتي :
١ - سمه على ، وهو أقدم مكرب عرفناه . بدأ حكمه حوالي سنة (٨٢٠)
قبل الميلاد . وقد وضع (فليبي) الكتابات : CIH 367, 418, 488, 955
الى جانب اسم هذا المكرب دلالة على أن اسمه ذكر فيها ، غير اني
لم أجد لهذا المكرب أية علاقة بالكتابات : CIH 418, 488, 955 ،
فالكاتبه CIH 418 ، أي Glaser 926 ، لا تعود الى هذا المكرب ،
وانما تعود الى مكرب آخر زمانه متأخر عنه . وقد وجدت خطأ مشابهاً
في مواضع أخرى من هذه المواضع التي أشار فيها الى الكتابات التي
تنخص كل مكرب من المكربين .

٢ - يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) ، حكم حوالي سنة (٨٠٠) قبل
الميلاد . أما الكتابات التي ورد فيها اسمه ، فهي :

CIH 366, 418, 488, 490, 636, 906, 955, 957,

REP. EPIG. 3386, 3623, 3949, 3950, AF 17, 23, 24, 38.

٣ - سمه على ينف ، وقد حكم حوالي سنة (٧٨٠) قبل الميلاد . أما الكتابات
التي تعود الى أيامه فهي :

CIH 368, 371, 636, REP. EPIG. 3623, AF 86, 91, 92

٤ - يثع امر وتر ، لم يذكر المدة التي حكم فيها ، وإنما جعل مدة حكمه
مع مدة حكم سلفه ثلاثين عاماً ، تنتهي بسنة (٧٥٠) قبل الميلاد . أما
الكتابات التي ورد اسمه فيها ، فهي :

CIH 138, 368, 371, 418, 490, 492, 493, 495, 634, 955,

REP. EPI. 3623, 4405

وذكر (فليبي) بعد اسم (سمه على ينف) اسم ابته (يدع آل وتر) ،
ولكنه لم يشر الى أنه كان مكرباً . وقد أشار الى ورود اسمه في الكتابات :
. AF 86, 91, 92

٥ - يدع آل بين ، وهو ابن يثع أمر وتر . وقد حكم في حوالي سنة
(٧٥٠) قبل الميلاد . وورد اسمه في الكتابات :

CIH 138, 414, 492, 493, 495, 634, 961, 967, 979,

REP. EPIG. 3387, 3389, 4405, AF 43, 89.

وذكر (فليبي) اسم (سمه على ينف) مع اسم شقيقه (يدع آل
بين) ، ولم يكن هذا مكرباً ، وقد ذكر في الكتابات 563, 631 . CIH
٦ - ذمر على ذرح وهو ابن (يدع آل بين) ، وقد حكم حوالي سنة
(٧٣٠) قبل الميلاد . جاء اسمه في الكتابات :

CIH 633, 979, REP. EPIG. 3387, 3389, AF. 29

وكان له ولد اسمه (يدع آل) (يدع ايل) لا نعرف نعته، ولم يكن
مكرباً ، وقد ورد اسمه في الكتابات : CIH 633, AF 29 .

٧ - يثع امر وتر . ووالده هو (سمه على ينف) شقيق (يدع آل بين) ،
وقد ذكرت انه لم يكن مكرباً . لم يذكر (فليبي) مدة حكمه، وانما
جعل مدة حكمه مع مدة حكم سلفه (ذمر على ذرح) ثلاثين عاماً ،
انتهت بحوالي سنة (٧٠٠) قبل الميلاد .

٨ - كرب آل بين ، وهو ابن يثع امر وتر ، حكم حوالي سنة (٧٠٠)
قبل الميلاد ، وورد اسمه في الكتابات :

CIH 610, 627, 732, 637, 691, REP. EPIG. 3388, 4125,

. 4401, AF 43, 89

٩ - ذمر على وتر بن كرب آل بين، حكم حوالي سنة (٦٨٠) قبل الميلاد،
ورود اسمه في الكتابات : CIH 610, 623, REP. EPIG. 3388, 4401 .

١٠ - سمه على ينف ، وهو ابن ذمر على وتر . حكم حوالي سنة (٦٦٠)
قبل الميلاد ، وذكر اسمه في الكتابات :

. CIH 622, 623, 629, 733, 774, Philby 77,

. REP. EPIG. 3650, 4177, 4370.

١١- يشع امر بين ، وهو ابن سمه على ينف ، حكم حوالي سنة (٦٤٠)
قبل الميلاد ، وذكر اسمه في الكتابات :

. CIH, 622, 629, 732, 864, Philby 77,

. AF 62, III, REP. EPIG. 3650, 3653, 4177.

وذكر (فليبي) مع اسم (يشع امر بين) اسم (يكرب ملك وتر)
وقد ورد اسمه في الكتابة : AF 70 ، ولم يكن مكرباً .

١٢- ذمر على ينف ، وقد حكم حوالي سنة (٦٢٠) قبل الميلاد، وجاء اسمه

في الكتابات : AF 70, CIH 491, REP. EPIG. 3498, 3636, 3945, 3946 .

١٣- كرب آل وتر ، وهو آخر المكربين ، وقد حكم حوالي سنة (٦١٥)
قبل الميلاد ، وورد اسمه في الكتابات :

CIH 126, 363, 491, 562, 582, 601, 881, 965, REP. EPIG. 3234,

. 34498, 3636, 3916, 3945, 3946, Philby 16, 24, 25, 70? 101, 133?

قائمة (ريكمنس) J. Ryckmans :

وقد دوّن (ريكمنس) أسماء المكربين على هذا النحو :

١ - سمه على .

٢ - يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) وهو ابن (سمه على) .

٣ - سمه على ينف ، وهو ابن (يدع ايل ذرح) .

٤ - يشع أمر وتر ، وهو ابن (يدع ايل ذرح) كذلك .

٥ - يدع آل بين (يدع ايل بين) ، وهو ابن (يشع أمر وتر) .

٦ - ذمر على ذرح ، وهو ابن (يدع ايل بين) .

٧ - يشع أمر وتر ، وهو ابن (سمه على ينف) ، ابن (يشع أمر وتر)

وهو شقيق (يدع ايل بين) .

٨ - كرب ايل بين^١ .

Jacques Ryckmans, L'Institution Monarchique en Arable Méridionale
avant L'Islam (I) Louvain, 1951, P. 95.

الفصل الرابع والعشرون

ملوك سبأ

ويتلقب (كرب ايل وتر) بلقب ملك ، وباستمرار ما جاء بعده من الحكام على التلقب به ، ندخل في عهد جديد من الحكم في سبأ ، سماه علماء العربيات الجنوبية عهد (ملوك سبأ) تمييزاً له عن العهد السابق الذي هو في نظرهم العهد الأول من عهود الحكم في سبأ ، وهو عهد المكربين ، وتميزاً له عن العهد التالي له الذي سمي عهد (ملوك سبأ وذي ريدان) .

ويبدأ عهد (ملوك سبأ) بسنة (٦٥٠ ق. م.) على تقدير (هومل) ومن شايعه عليه من الباحثين في العربيات الجنوبية^١ . ويمتد الى سنة (١١٥ ق. م.) على رأي غالبية علماء العربيات الجنوبية^٢ ، أو سنة (١٠٩ ق. م.) على رأي (ركمنس) الذي توصل اليه من عهد غير بعيد . وعندئذ يبدأ عهد جديد في تأريخ سبأ ، هو عهد (ملوك سبأ وذي ريدان) .

أما (البرايت) ، فيرى أن حكم هذا المكرب الملك في حوالي السنة (٤٥٠ ق. م.) ، أي بعد قرنين من تقدير (هومل)^٣ ، وبناءً على ذلك يكون عهد الملوك — على رأيه — قد بدأ منذ هذا العهد^٤ .

Handbuch, I, S., 86. ١

Handbuch, I, S., 86. ٢

Discoveries, P. 222, BOASOOR, NUM. 137, 1955, P. 38, JAOS, 73, 1953, P. 40. ٣

W. F. Albright, in Journal of the American Oriental Society, 73, I, 1953, P.40. ٤

وقد قدّر بعض الباحثين زمان حكم المكرب والملك (كرب ايل وتر) في القرن الخامس قبل الميلاد^١ . وقد كان يعاصره في رأي (البرايت) (وروايل) ملك أو مكرب قتبان، الذي حكم بحسب رأيه أيضاً في حوالي سنة (٤٥٠ ق.م)، وكان خاضعاً لـ (كرب ايل وتر)^٢ ، و (يدع ايل) ملك حضر موت^٣ .

ويمتاز هذا العهد عن العهد السابق له ، وأعني به عهد حكومة المكربين ، بانتقال الحكومة فيه من (صرواح) العاصمة الأولى القديمة ، الى (مارب) العاصمة الجديدة ، حيث استقر الملوك فيها متخذين القصر الشهير الذي صار رمز (سبأ) ، وهو قصر (سلحن) (سلحين) ، مقاماً ومستقراً لهم، منه تصدر أوامرهم الى أجزاء المملكة في ادارة الأمور .

و (كرب آل وتر) (كرب ايل وتر) ، هو أول ملك من ملوك سبأ افتتح هذا العهد . لقد تحدثت عنه في الفصل السابق ، حديثاً أعتقد انه واف ، ولم يبق لدي شيء جديد أقول عنه . وليس لي هنا الا أن أنتقل الى الحديث عن الملك الثاني الذي حكم بعده ، ثم عن بقية من جاء بعده من ملوك .

أما الملك الثاني الذي وضعه علماء العربيات على رأس قائمة (ملوك سبأ) بعد (كرب ايل وتر) ، فهو الملك (سمه على ذرح)^٤ . وقد ذهب (فليبي) الى احتمال أن يكون ابن الملك (كرب ايل وتر) . وقد كان حكمه على حسب تقديره في حوالي السنة (٦٠٠ ق.م)^٥ .

وقد وقفنا من النص الموسوم بـ CIH 374 على اسمي ولدين من أولاد (سمه على ذرح) ، هما (الشرح) (اليشرح) ، و (كرب ايل) . وقد ورد فيه : أن (الشرح) أقام جدار معبد (المقه) من موضع الكتابة الى أعلاها، ورمم أبراج هذا المعبد ، وحضر الخنادق ، ووفى بجميع نذره الذي نذره لإلهه (المقه) على الوفاء به ان أجاب دعاءه ، وقد استجاب لإلهه لسؤاله ، فيسر أمره وأعطاه كل ما أراد ، فشكراً له على آلائه ونعمائه ، وشكراً لبقية آلهة سبأ ،

Belträge, S., 9. ١
The Chronology, P. 8. ٢
The Chronology, P. 10. ٣
Handbuch, I, S., 86, Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 249. ٤
Background, P. 142. ٥

وهي : (عثر) ، و (هبس) (هويس) ، و (ذات حم) (ذات حميم) ، و (ذت بعدن) (ذات بعدان) ، وتمجيداً لاسم والده (سمه على ذرح) أن أمر بتدوين هذه الكتابة ليطلع عليها الناس^١ . وقد سجل فيها مع اسم شقيقه (كرب آل) (كرب ايل) .

أما (كرب ال) (كرب ايل) أحد أولاد (سمه على ذرح) فلا نعرف شيئاً من أمره . وقد صيره (هومل) خليفة والده ، وجاراه (فلي) في ذلك ، وقدر زمان حكمه بحوالي السنة (٥٨٠ ق. م.)^٢ .

ووضع (هومل) اسم (الشرح) (اليشرح) ، وهو ولد من أولاد (سمه على ذرح) بعد اسم شقيقه (كرب ايل وتر)^٣ ، وجاراه (فلي) في هذا الترتيب^٤ ، ولا نعلم شيئاً عنه يستحق الذكر .

وانتقل عرش سبأ الى ملك آخر ، هو (يدع آل بين) (يدع ايل بين) وهو ابن (كرب آل وتر) (كرب ايل وتر) . وقد ورد اسمه في النص الموسوم بـ Glaser 105 ، ودونه رجل اسمه (تيم) . وقد حمد فيه الإله (المقه) بعل (أوم) (أوام) ، لأنه ساعده وأجاب طلبه ، وتيمن بهذه المناسبة بتدوين اسم الملك ، كما ذكر فيه اسم (فيشن) أي (فيشان) ، وهي الأسرة السبئية الحاكمة التي منها المكربون وهؤلاء الملوك ، كما ذكر اسم (بكيل شبام)^٥ .

وقد ورد في الكتابة المذكورة اسم حصن (الو) . وهو حصن ذكر في كتابات أخرى . ويرى بعض الباحثين أن هذه الكتابات هي من ابتداء القرن الرابع قبل الميلاد ، أي أن حكم (يدع آل بين) ، كان في هذا العهد^٦ . والنص Glaser 529 من النصوص التي تعود الى أيام (يدع آل بين)

Glaser 485, Fresnel 55, CIH 374, IV, II, I, P. 23, Discoveries, P. 222, Jamme ١
551.
Background, P. 142. ٢
Handbuch, I, S., 87. ٣
Background, P. 142. ٤
CIH 126, IV, I, III, P. 194. ٥
Beiträge, S., 19. ٦

(يدع ايل بين) كذلك . وقد ورد فيه اسم عشيرته : (فيشن) (فيشان)^١ . وانتقل عرش سبأ الى (يكر ب ملك وتر) من بعد (يدع آل بين) على رأي (هومل) ، وهو ابنه . وقد ذكر اسمه في الكتابة الموسومة بـ Halevy 51^٢ ، وهي عبارة عن تأييد هذا الملك لقانون كان قد صدر في أيام حكم أبيه لشعب سبأ ولقبيلة (يهليج) في كيفية استغلال الأرض واستثمارها في مقابل ضرائب معينة تدفع الى الدولة ، وفي الواجبات المترتبة على سبأ وعلى (يهليج) في موضوع الخدمات العسكرية ، وتقديم الجنود لخدمة الدولة في السلم وفي الحرب . وقد وردت في هذا النص أسماء قبائل أخرى لها علاقة بالقانون ، منها قبيلة (أربعين) (أربعان) ، وكانت تتمتع باستقلالها ، يحكمها رؤساء منها ، يلقب الواحد منهم بلقب (ملك) .

وقد شهد على صحة هذا القانون ، وأيد صدق صدوره من الملك ، ووافق عليه جماعة من الأشراف وسادات القبائل ، قبائل سبأ وغيرها ، ذكرت أسماءهم في النص بعد جملة : (سمع ذت علم) ، أي (سمع هذا الاعلام) أي شهد على صحة هذا البيان ، وأيده ، ووافق على ما جاء فيه ، وهم : (يكر ب ملك) و (عم أمر) ابنا (بهلم) ، و (سمه كرب بن كرم) (سمه كرب بن كرب) ، و (هلك أمر بن حزفرم) ، و (عم أمر بن حزفرم) ، و (أبكر ب بن مقرم) ، و (سمه أمر بن هلكم) ، و (معدكرب ذ خلفن) (معدكرب ذ خلفن) ، و (سمه كرب ذ ثورنهن) ، و (نبسط آل) ملك قبيلة (أربعين)^٣ .

وقد أعلن هذا القانون وأثبت (مثبتم) في السنة الثامنة (ثمنيم) من سني (ذنيلم) (ذي نيل) من سني تقويم (نشأكرب بن كبر خلل) ، وهو من

١ CIH 562, IV, II, IV, P. 338, Lupa 4540, Hommel, Süd-Arabische Chrestomathie, S., S., 52, O. Weber, Studien zur süd-arabischen Altertumskunde,

II, S., 18.

٢ Glaser 904, Halévy 51, 638, 650, CIH IV, III, I, P. 2, Halévy, Rapport, in JoJurnal Aslat., 1872, P. 137, Glaser, Altjemenizische Nachrichten, S., 71,

160, CIH 601, REP. EPIG. 2726, V, II, P. 68.

٣ CIH, IV, III, I, P. 12.

سادات قبيلة (خلل) أي (خليل)^١ . وذكر قبل هذا تأريخ آخر ، هو (ذا بهي ذخرف بعثر بن خدمت)^٢ ، أي (في شهر ذي أبهى من سنة عثر بن حذمة) . وقد صدر لقبائل سبأ و (يهلح) وكل ساكن في منطقة مدينة (صرواح) (وبكل بهجر صروح)^٣ .

والكتابة المرقمة بـ CIH 390 هي من أيام (يكرب ملك) ، وقد دوتها رجل اسمه (عدال ٩) (ودال) ، وذلك عند تقديمه (قيغا) الى الإله (بل اوم) (بل أوام) لسلامته ونجيره ، ولم يلقب (يكرب ملك) فيها بلقب ملك^٤ .

وولي حكم سبأ بعد (يكرب ملك وتر) ابنه الملك (يثع أمر بن) ، وقد ورد اسمه في عدد من الكتابات ، منها الكتابة المعروفة بـ Glaser 508^٥ ، وهي ناقصة الآخر ، جاء فيها : ان هذا الملك قدم نذراً الى الإله (عثر) في معبده في (ذبيان) (ذين) ، ولسقوط كلمات من النص وتلفها لاندرى ما النذر الذي قدمه الملك الى ذلك المعبد^٦ .

وورد اسم الملك (يثع أمر بن) في نص قصير، وسم بـ REP. EPIG. 3919 وذكر معه اسم أبيه (يكرب ملك)^٧ .

وورد اسمه في كتابة أخرى ، سجلها رجل اسمه (تبع كرب) (تبعرب) وكان كاهناً (رشو) للإلهة (ذت غضرن) (ذات غضران) ، كما كان يتولى وظيفة ادارية كبيرة هي درجة (قين) ، وذلك في عهد الملك (يدع ابل بن) ، وفي عهد الملكين : (يكرب ملك) ، و (يثع أمر بن) ، وقد سجل تلك الكتابة عند بنائه هو وأبناؤه وسائر أسرته جدار معبد (المقه) ، وقيامه معهم

١ السطر ١٨ وما بعده .

٢ السطر العاشر وما بعده .

٣ السطر الثالث عشر .

Rhodokanakis, Der Grundsatz der Oeffentlichkeit in den Sdarabischen

Urkunden, S., 16.

CIH, IV, II, I, P. 47, Halevy 44, Glaser 900.

CIH 966, IV, III, II, P. 292.

Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S., 17, Glaser, Sammlung, I, S., 50.

REP. EPIG., VI, II, P. 385.

بحفر خنادق وانشاء بروج تعبيراً عن شكرهم لآلهة سبأ (المقه) و (عثر) و (هوبس) و (ذات حميم) ، و (ذات بعدان) و (ذات غضران) ، لأنها أنعمت عليه اذ كان قائداً عسكرياً بالتوفيق في عقد صلح بين حكومة سبأ وحكومة قتيان ، وقد وضع شروطاً للصلح بين الطرفين على الملك (يشع أمر بن) في مدينة (مأرب) ، فوافق عليها ، وذلك بعد حرب ضارية استمرت خمس سنوات ، كانت قتيان هي التي أشعلت نارها بهجومها على أرض سبأ وتعرضها لمذبحة سبأ بالشر . وقد عهد الى هذا الكاهن و (القين) والقائد أمر محاربة القتبانيين والدفاع عن المملكة ، فاستطاع على ما يتبين من النص وقف هجوم القتبانيين وصدته ، واجلاء القتبانيين عن الأرضين التي استولوا عليها الى مدينة (نهرجب) (نهركب)^١ .

والكتابة المذكورة ، هي من جملة الكتابات التي عثر عليها في معبد المقه المعروف عند السبثيين بـ (معبد أوام بيت المقه) ، في مدينة مأرب^٢ . ويظهر من ذكرها أسماء الملوك الثلاثة أن (تبع كرب) (تبعكرب) الكاهن (رشو) والقائد ، كان قد خدم هؤلاء الملوك ، وكان من المقربين اليهم . وقد نجح في مهمته في عهد الملك (يشع أمر بن) في عقد الصلح بين سبأ وقتيان ، وقدم شكره وحده الى الإله (المقه) إله سبأ الكبير ، ببناء ذلك الجزء من جدار المعبد الذي نصبت الكتابة عليه . وقد ساعده في ذلك أهله وعشيرته ، وذكر أسماء الملوك الثلاثة على الطريقة المتبعة في التيمن بذكر أسماء الآلهة وأسماء الحكام الذين في عهدهم تم العمل ، وربما على سبيل توريخ الحادث أيضاً . ولما كان (تبعكرب) (تبع كرب) كاهناً (رشو) ، فلا استبعد احتمال كونه كاهن معبد (أوام) ، لأن كاهناً عادياً لا يمكن أن يقوم بمثل هذا العمل ، وأن يتولى قيادة الجيش وأجراء المفاوضات .

وفي هذا النص إشارة الى حرب وقعت بين القتبانيين والسبثيين ، ظلت مستمرة

Fresnel 56, Glaser 481, CIH 375, IV, II, I, P. 25, Halevy, in Journal Asiatique, 1874, II, P. 584. ١

Glaser 481, CIH 375, Jamme 550, CIH IV, II, I, P. 23, Discoveries, P. 222, Studl. Lexl., 2, S., 12, Halévy, in Etudes Sabéenes, Journal Asiatique, 1874, II, P. 581. ٢

خمس سنين ، وهي حرب من جملة حروب نشبت قبل هذه الحرب ونشبت بعدها بين السبثيين والقتبانين . وقد انتهت هذه الحرب المتقدمة بتمكين السبثيين من استعادة ما خسروه وبطرد القتبانين من الأرضين التي استولوا عليها . ونجد في النص الموسوم بـ Glaser 1693 خبر حرب وقعت أيضاً بين قتبان وسبأ في أيام الملك (يدع أب يجل بن ذمر على) ملك قتبان . وقد دون هذا النص (يذمر ملك) سيد قبيلة (ذرن) (ذران) (ذران) . وقد قص فيه أعماله وغزواته وحروبه ، فذكر أنه تغلب على قبيلة (ذبحن) (ذبحان) صاحبة أرض (حمور)^١ وعلى قبائل وعشائر أخرى ، منها : (ناس) (نأس) ، و (ذودن) (ذودان) ، و (صبرم) (صبر) ، و (سلمن) (سلمان) ، وعلى مدنها ومزارعها وأملاكها . وقد وهبها وجبها على الإله (عم) إله قتبان الرئيس و (انبي)^٢ .

وقد أشار (يذمر ملك) في نصه الى حرب وقعت بين قتبان وسبأ، واستمرت في أيام (ملوك سبأ) : (يدع ايل بين) و (سمه على ينف) و (يشع أمر وتر)^٣ . وحرب تجري في عهد ثلاثة ملوك لا بد أن تكون حرباً طويلة الأجل استمرت سنين ، وكان فيها لصاحب النص شأن خطير فيها ، فانتصر على قبائل سبئية عديدة ، وانتزع منها أملاكها وسجلها باسم حكومة قتبان .

وحارب مع السبثيين (شعب رعن) ، أي قبيلة (رعن) (رعين) . وكان حكامها يلقبون أنفسهم في هذا العهد بلقب (ملك) ، كما جاء في نص (يذمر ملك) .

وحكم بعد (يشع أمر بين) ابنه (كرب ايل وتر) (كرب آل وتر) واليه تعود الكتابة الموسومة بـ Glaser 1571 ، وهي أمر ملكي أصدره هذا الملك الى كبار الموظفين وسادات القبائل ومن كان قد خول حق جمع الضرائب ، مثل رؤساء (نزحت) و (فيشان) و (أربعن) و (كبر) كبير (صرواح)

١ (شعين ذبحن ذحمور) .

٢ KTB., II, 8., 41.

٣ (بضرم تنشا يدع ال بين وسمه علي ينف ويشع امر وتر ، واملك سبأ واشعبعهمو واملك رعن ورعن بعلو يدع اب وقتبن وولدعم) ، الفقرتان الثالثة والرابعة من النص .

(يشع كرب بن ذرح على) وأعيان صرواح . وقد صدر هذا الأمر الملكي في شهر (فرع ذنيل) (فرع ذي نيل) من سنة (هلك أمر) . وقد وقع عليه وشهد بصحته : (كرب ايل يهصدق) من قبيلة (ذي يفعان) و (أب أمر بن حزفرم) و (أب كرب) من قبيلة (نرحتن) و (عم يشع بن مونيان) و (لحى عث بن ملحان) من قبيلة (أربعنهان) ، و (أسد ذخر بن قلزان) و (نشأكرب بن نرحتان)^١ .

وقد حكم الملك (سمه على ينف) (سمه على ينوف) بعد (كرب ايل وتر) على رأي (هومل) و (فليبي) . وقد جعل (فليبي) (كرب ايل) أباً له ، غير أنه وضع أمام الاسم (كرب ايل) علامة استفهام دلالة على أنه غير متأكد من دعواه هذه كل التأكد^٢ .

وقد ورد اسم (كرب ايل وتر) في الكتابة الموسومة بـ Berlin VA 5324^٣ وصاحبها (بعثر ذووضام) ، وكان كبيراً على كل قبيلة (أريم) (أريام) ، وقد سجلها لقيامه بأعمال زراعية ، وبأمور تتعلق بالثروة ، مثل حفر أنهار وأغيلة (غيلان) (غيلن) ، وبناء سدود لها بحجارة (البلق) . وقد ورد فيها أسماء الأماكن التي أجريت فيها هذه الأعمال ، وهي : (أثبن) (أثابن) (أثابان) ، و (مطرن) (مطران) ، و (مانم) ، و (ذفونتم) (ذوفونتم) و (سمطانهان) ، وهي من مزارع الملك . وغوطة (ذو ضام) في (سرر أمان) . وذكر في آخر النص اسم (ذمر على) وقد سقط لقبه فيه^٤ .

وقد ورد اسم (كرب ايل) و (سمه على) في النص المعروف بـ REP. EPIG. 4226 ، وصاحبه رجل اسمه (عم أمر بن معد يكرب) . وقد تبين في نصه بلذكر الآلهة : (المقه) و (عثر) ، و (ذات حيم) ، و (ذات بعدان) ، و (ود) . وذكر بعد أسماء هذه الآلهة : (كرب ايل) و (سمه على) ، و (عم ريام) (عم ريم) ، و (يلرح ملك)^٥ .

REP. EPIG. VII, I, P. 3, NUM. 3951, Glaser, 1571. ١

Background, P. 142. ٢

REP. EPIG., VII, I, P. 75. ٣

Berlin VA 5324 راجع النص ٤

REP. EPIG. 4226, Marseille 5536, REP. EPIG., VII, II, P. 151. ٥

وكان (فلي) وضع اسم (الشرح) (اليشرح) في كتابه « سناد الاسلام » بعد اسم أبيه (سمه على ينف) ، وذكر انه أصبح ملكاً بعده ، وذلك على تقديره حوالي سنة (٤٦٠ ق. م.) . ثم ذكر بعده اسم (ذمر على بين) شقيق (الشرح) الذي حكم على رأي (فلي) أيضاً حوالي سنة (٤٤٥ ق. م.) ووضع بعده (يدع ايل وتر) ، وهو ابن (ذمر على بين) ، وقد تولى العرش على تقديره أيضاً حوالي عام (٤٣٠ ق. م.) . ثم وضع بعده (ذمر على بين) وهو - على رأيه - ابن (يدع ايل وتر) ، وجعل حكمه في سنة (٤١٠) قبل الميلاد ، ووضع بعده (كرب ايل وتر) ، وكان حكمه في سنة (٣٩٠) قبل الميلاد^١ .

أما قائمته التي نشرها في مجلة : Le Muséon ، فقد وضع فيها بعد (سمه على ينف) اسم (يدع ايل بين) ، وجعله ابن (سمه على) ، وجعل حكمه حوالي عام (٤٧٠ ق. م.) ، ثم وضع بعده اسم شقيقه (ذمر على) ، ولم يجعل (الشرح) ملكاً في هذه القائمة^٢ .

وقد ورد في الكتابة الموسومة بـ REP. EPIG. 4198 اسم الملك (ذمر على) ملك سبأ (ابن يدع ايل وتر) . واسم ابن له بعده ، غير أنه أصابه تلف مما أثره . وقد ذكرت فيها أسماء آلهة سبأ ، كما ذكر اسم الإله (ودّ ذو ميفعان) و (دم ذ ميفعان) ، وهو إله معيني ، كما ورد اسم إلهة معينية ، هي (هرن) (هران)^٣ . وفي ذكر الآلهة السبئية والآلهة المعينية في هذه الكتابة ، دلالة على اختلاط صاحبها بالمعنيين .

وصاحب الكتابة رجل من (ريمان) ، وكان له بيت اسمه (نمرن) نمران و (ريمان) عشيرة من سبأ ، ويظهر أن جماعة منها نزلت الى أرض معين ، فسكنت بالقرب من (نشق) في مدينة (نمران) التي تعرف اليوم بـ (بيت نمران) ، ولذلك ذكر آلهة معين مع آلهة سبأ ، لاختلاطه بالمعنيين . ويرى بعض الباحثين أن ملك سبأ كان قد أسكن هذه الجماعة من الريمانيين عند (نشق)

١ Background, P. 142.

٢ Le Muséon, LXII, 3-4, 1949, P. 249.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 436.

لحماية معين والدفاع عنها بعد أن خضعت لحكم السبثين^١ .
ولا يستبعد (فون وزمن) ، كون الابن الذي عفى أثر اسمه من الكتابة
المرقمة بـ REP. EPIG. 4198 ، هو (سمه على ينف) (سمعهي ينوف) ،
المقصود في الكتابة : REP. EPIG. 4085 . وهي كتابة يرى (فون وزمن)
أنها تعود الى القرن الأول قبل الميلاد ، وإلى الأيام التي قام بها (أوليوس
غالوس) بحملته على اليمن^٢ .

ولدينا جمهرة أخرى جديدة من ملوك سبأ ، تتألف من ملكين ، هما :
(الكرب يهنعم) ، و (كرب ايل وتر) . وقد عدتها (فلي) السلالة
الثالثة من سلالات الملوك^٣ . أما (الكرب يهنعم) فقد ورد اسمه في الكتابة
Glaser 291 ، وقد ذكر أنه كان ملكاً على سبأ ، وان اسم أبيه (هم تسم) .
وأما (كرب وتر) ، فقد ورد اسمه في الكتابة المعروفة بـ Glaser 302 وهي
من (حدقان) شمال (صنعاء)^٤ . ويكوّن هذ الملك مع الملك (الكرب)
- على رأي (هومل) - جمهرة قائمة بذاتها من جمهرات الملوك^٥ .

ووضع (فلي) بعد (كرب ايل وتر) ملكاً اسمه (وهب ايل) ، ولم
يتأكد من اسم أبيه فوضعه بين قوسين ، ووضع أمام اسم الأب علامة الاستفهام
دلالة على عدم تأكده ، ووضع بعد علامة الاستفهام (ابن سرو) ، تعبيراً
عن عدم تأكده من صحة اسم هذا الأب ، وجعل حكم هذا الملك في حوالي
السنة (٣١٠ ق. م.) ولم يعرف (فلي) لقب (وهب ايل)^٦ .

وتولى الحكم بعد (وهب ايل) ملك اسمه (انمر يهامن) (أنمار يهامن)
(انمر يهنعم) (أنمار يهنعم) . أما أبوه ، فهو (وهب آل) (وهب ايل)
ولا نعرف لقبه الذي عرف به . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن أباه هو الملك
المتقدم ، ولذلك وضعوه بعده^٧ . وقد اختلف الباحثون في كيفية كتابة لقب

-
- | | |
|-------------------------------|---|
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 436. | ١ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 436. | ٢ |
| Background, P. 142. | ٣ |
| Handbuch, I, S., 88. | ٤ |
| Handbuch, I, S., 88. | ٥ |
| Background, P. 142. | ٦ |
| Background, P. 142. | ٧ |

(أنمار) ، فكتبه بعضهم (يهأمن) وكتبه بعض آخر (يهنعم) ، ودونته بعض آخر على الشكل الأول في موضع ، وعلى الشكل الثاني في موضع آخر^١ . ولعدم وجود صور أصول الكتابات بـ (الفوتوغراف) في المطبوعات التي نشرت الكتابات التي تعود الى أيامه ، ولأنها أخذتها من استنساخ العلماء لها ، أتوقف عن البت في تثبيت لقبه في هذا المكان حتى يتهيأ لي الظفر بصور (فوتوغرافية) لأصول تلك الكتابات ، ولهذا السبب كتبت اللقب بالشكلين المذكورين .

وقد نبه مؤلفا كتاب (Sab. Inschr.) على ظفرهما بنعت والد (أنمار) من الكتابات : CIH I. و CIH 517 و CIH 642 ، فجعلاه (يحز)^٢ . وقد راجعت النص CIH I ، فلم أجد علاقة بين الملكين ، فالملك في هذا النص هو الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ملك سبأ ، وأبوه هو (وهب ايل يحز) . وأما الملك الذي نتحدث عنه ونقصده هنا ، فانه (أنمار يهنعم) ، ووالده (وهب ايل) . وراجعت النص : CIH 517 ، فوجدته كالنص السابق لا علاقة له بالملك (أنمار) ولا بأبيه ، اذ كتب في زمان (كرب ايل وتر يهنعم بن وهب ايل يحز) أيضاً ، ولا علاقة له مثل شقيقه بالملك (أنمار) .

وقد ورد اسم الملك (أنمار يهأمن) (يهنعم) في الكتابة الموسومة بـ CIH 244^٣ ، وقد سقط منها اسم صاحبها الذي تضرع الى الآلهة بأن تمن عليه بالصحة ، وأن تبارك له في نفسه وفي أمواله ، وأن ترفع من منزلته ومقامه ومقام ملكه في أيام الملك أنمار يهأمن (يهنعم) ملك سبأ . وقد وردت في آخر النص الحروف (ب ت ب) ، وأكملها ناشره باضافة حرف (اللام) الى الحروف المكسورة ، فصارت (ب ت ل ب) ، أي (بتالب) ومعناها (بالآله تالب) أو (بحق الإله تالب) . ولم يرد في النص بعد اسم الأب نعتة ، ولم يذكره ناشر النص في كتاب : CIH^٤ . أما (ميتوخ) و (موردتمن) فقد كتباه وجعلاه (يحز)^٥ .

Handbuch, I, S., 90, Sab. Inschr., S., 141, Glaser, 223, CIH 244, RW 149, MM 120, Beiträge, S., 18. ١

CIH I, Glaser 2, 3, 24, CIH, IV, I, I, P. 4, D. H. Muller, Sab. Inschr., ZDMG., XXXVII, 1883, S., 379. ٢

CIH 244, IV, I, III, P. 271, RW 149, Glaser 223, MM 120. ٣

CIH, IV, I, III, P. 271. ٤

Sab. Inschr., S., 141. ٥

وأما الكتابة الموسومة بـ CIH 642 . فلم يرد فيها اسم الملك (أنمار) ، ولا اسم (كرب ايسل وتر يهنعم) ، فلا أدري لم أشار إليها مؤلفا كتاب : Sab. Inschr. على أنها من النصوص التي ورد فيها نعت (وهب ايل) . وصاحب هذه الكتابة (مرثد آل بن فسول) (مرثد ايل بن فسول) ، وكان (قول) أي قبلاً على عشيرة (سمعي)^١ .

ولدينا كتابة ناقصة ، سقط من أولها اسم الأمر بتدوينها ، خلاصتها أن صاحب هذه الكتابة قدم تمثلاً إلى الإله (تالب ريم) (تالب ريام) (بعل شصرن) (ش ص ر ن) ، أي رب معبد الإله المذكور المقام في موضع (شصرن) ، لأنه منّ عليه فردّه سالماً من الحرب ، وتيمن فيها أيضاً بذكر ملكه الملك (أنمار يهأمن) ملك سبأ . وقد سقطت كلمات من هذه الكتابة سببت تشويهاً وغوضها ، فلا ندري ما المقصود بهذه الحملة أو الحرب . أهمي حملة قام بها الملك (أنمار يهأمن) أم حملة قام بها ملك آخر ، أعلنها على الملك (أنمار) ؟ ويرى مؤلفا كتاب Sab. Inschr. أن الذي قام بها رجل من (بنع) وقد أمدّه الملك بمساعدة عسكرية^٢ .

وورد اسم الملك (أنمار يهأمن) واسم أبيه ، في نص دونه أحد سادات (ذ مليحم) (ذي مليحم) (ذي مليح) ، اسمه (وهب ذ سموى اليف) (وهب ذو سموى أليف) ، تقريباً إلى الإله : (تالب ريام بعل كبذ) ، لأنه أجاب دعاءه ، فحفظه وساعده ، وساعد ابنه وأتباعه، وذلك في أيام الملك المذكور^٣ .

وقد جعل (فليبي) حكم (أنمار يهأمن) في حدود سنة (٢٩٠) ، حتى سنة (٢٧٠ ق. م.)^٤ . أما (فون وزمن) ، فقد جعل حكمه في القرن الأخير قبل الميلاد ، فذكر انه كان يحكم في حوالي السنة (٦٠ ق. م.)^٥ . وتولى عرش سبأ بعد (أنمار يهأمن) ابنه (ذمر على ذرح) ، وقد وصلت

CIH 642, IV, III, I, P. 76, Mordtmann, in ZDMG., XXXII, (1878), S., 679. ١

RW 129, Sab. Inschr., S., 116, (86), CIH 195, IV, I, III, P. 242, Glaser 179. ٢

MM 26. 120, Sab. Inschr., S., 48, 141. ٣

Background. P. 88, 142. ٤

Beiträge, S., 18. ٥

الينا كتابة قصيرة اصيبت بكسور في مواضع منها ، سقط منها اسم (أنمار) ، وبقيت كلمة (يهأمن) ، وجاء بعدها اسم (ذمر على ذرج) مسبوقةً بالواو حرف العطف ، مما يدل على أنها كتبت في أيام أبيه (أنمار يهأمن) ، وقد ورد فيها مضافاً الى اسمي الملكين اسما (ودم) (ود) و (تزداد) (تزداد)^١ . وقد قرأ بعض الباحثين اللقب الباقي من اسم (أنمار) على هذه الصورة (يهنعم)^٢ ، وقد ذكرت ان مردّ هذا الاختلاف الى اختلاف النسخ .

وانتقل العرش الى الملك (نشأكرب يهأمن) بعد وفاة (ذمر على ذرج) والده . وقد جعل (هومل) نعته (يهنعم)^٣ . وقد وصلت الينا كتابة منه دوتها عند تجديده واصلاحه أصنام (أصلم) معبد (عثر ذذب) (عثر ذي ذب)^٤ . ويظهر ان أصنام هذا المعبد اصيبت بثلث ، فأمر الملك بتجديدها واصلاح مواضع التلث منها تقرباً الى الإله (عثر) الذي خصص به هذا المعبد .

ووصلت الينا كتابة أخرى من أيام هذا الملك ، جاء فيها : أن (نشأكرب يهأمن) قدم الى (تنف بعلت ذغضون) ، أي الى (تنف بعلة ذي غضرن) (تنف ربّة ذي غضران) أربعة وعشرين وثناً ، لسلامته ولسلامة بيته (سلحن) (سلحين) ، ولعافيته وعافية أهله ، ولتبعده عند الشر وكل ضر يريده به الشائثون . وذلك بحق (عثر) و (المقه) وبحق (شمسو تنف بعلت ذغضرن)^٥ فيظهر من ذلك أن هذا المعبد الذي قدم الملك الأصنام اليه ، كان قد خصص بالآلهة (الشمس النافعة) ، وكلمة (تنف) نعت لها ، وموضعه في مكان (ذي غضران) .

وقد جاء اسم الملك (نشأكرب يهأمن) في نص دوتنه (بنو جرت) (بنو كرت) ، (اقول شعبن ذمري وشعبهمو سمهري)^٦ ، أي أقيال قبيلة

REP. EPIG., VII, I, P. 92, VA 5343, Handbuch, I, P. 90, VA 649. ١

REP. EPIG., VII, I, P. 92, VA 5343, Handbuch, I, 90, VA 649. ٢

Handbuch, I, S., 90. ٣

Sab. Inschr., S., 201, REP. EPIG., 644, II, I, P. 71, CIH, 433, Lupa A. O. ٤

1535, CIH, IV, II, II, P. 123.

CH 573, IV, II, IV, P. 365, OS 31, BR. MUS. 32, Osiander, in ZDMG., XIX, ٥

1865, II, 261, Mahram P. 270.

Mahram P. 28, Jamme 559, MaMb 221. ٦

(ذمري) وقبيلتهم (سمهر) ، دوتوه تقريباً إلى الإله (المقه) (بعل اوم) ،
 أي : رب (أوام) ، ووضعوه في معبده هذا ، وهو (معبد أوام) ،
 حمداً له وشكراً على نعمه وأفضاله لأنه ، أي الإله (المقه) أسعد
 ومنّ بالشفاء ووفى لسيدهم (نشأكرب يهأمن ملك سبأ ابن ذر على ذرح) .
 ووقفه وأنعم عليه بحاصل وافر وغلة جزيلة قدمت الى قصره (سلحن) (سلحين)،
 في أيام الضرّ ، أي الحرب وفي أيام السلم . وقدموا من أجل ذلك تمثالين من
 البرونز ، وضعوهما في معبده (معبد اوام) . ودعوا (المقه) أن يبارك لسيدهم
 دوماً ، وأن يمنحه العافية والصحة والقوة ، وأن يسعد قصره قصر (سلحين)
 وكل أتباع (آدم) الملك و (بني جرف) وأقياهم ، وذلك بحق الآلهة :
 عشر شرقن ، وعشر ذ ذبن ، وهوبس والمقه وذات حميم وذات بعدان وبشمس
 ملك تنف ، وبعشر عزيز ، وذات ظهرون رباً (عركنن) وقدموا نذرهما الى
 عشر شرقن والمقه رب اوام^١ .

وقد ورد اسم هذا الملك في نص دوتنه (غوث) و (اسلم) وابنه (ابكرب)
 (أبوكرب) من (بني جميلين عرجن) ، أي : (بني آل الجميل العرج) ،
 وهم (كبراء) قبيلة (ميدعم) (ميدع) ، وذلك حمداً للإله و (المقه)
 تهوان بعل أوام) ، الذي أجاب نداءهم وأغاثهم ومنّ عليهم وعلى بيتهم
 (سلحين) (سلحن) في (جميلين) (الجميل) ، وحامهم في الغارة التي
 أمر بها الملك (نشأكرب يهأمن) على (أرض عربن) ، أي أرض الأعراب
 لانقاذ اصدقائهم ومواطنيهم من اهل مأرب ، وكذلك الجنود والحيوانات التي
 كانت معهم واعادتهم الى مأرب . واعادوا في نهاية النص حدهم الإله (المقه)
 وذلك بحق بقية الآلهة : عشر ، وهوبس ، وذات حميم ، وذات بعدان ،
 و (بشمس ملكن تنف)^٢ .

ويظهر من هذا النص ان أعراباً كانوا قد أغاروا على جماعة من السبئين ،
 او انهم هاجموا ارض سبأ ، فأرسل الملك (نشأكرب يهأمن) قوة من الجيش
 ومن الأهلين للاغارة عليهم في ارضهم : (ارض العرب) ولاسترجاع ما أخذوه
 من غنائم واسلاب وأسرى. وكان في جملة من اشترك في هذه الغارة (ابوكرب

Hahram, P. 28, 36.

Mahram, P. 31, MaMb 222, Jamme 560, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 279, FaKhry

9, 28, Jamme 559, 560, 561, 883, Von Wissmann, HlmYar, S., 455, 458,

Zur Geschichte, S., 324, 302.

بن أسلم) . فلما عاد رجالها الى مأرب سالمين ، قدم (ابو كرب) وابوه اسلم وشخص آخر اسمه (غوث) الى الإله (المقه شهوان) تماثيل وضعوهما في معبده معبد (أوام) ، تخليداً لهذا الحادث ، وتعبيراً عن شكرهم له .

وهذا النص من أقدم نصوص المسند التي تشير الى الأعراب والى غاراتهم على السبئيين او على قوافلهم ، ومن اقدم النصوص التي ورد فيها اسم (عربن) أي (الأعراب) و (ارض عربن) اي ارض الأعراب . ولم يعين النص موضع (ارض العرب) ، فلا ندري أكان قصد ارضاً معينة ، ام اراد البادية . والبوادي هي في كل مكان . والأعراب هم في كل مكان من جزيرة العرب ، وفي جملتها اليمن بالطبع ، وسنرى بعد وفي اثناء كلامنا على ايام (يرم أيمن) واخيه (برج يهرجب) ، اخبار غارات وحملات عسكرية ارسلها الملك على الأعراب الساكنين في محاذة ارض قبيلة (حاشد) وعلى أعراب آخرين (وثبوا على ساداتهم وامرائهم ملوك سبأ) .

وقد وردت في هذا النص جملة (ارضت عربن)^١ . فيظهر من ذلك أن اللغة السبئية كانت تعد لفظة (أرض) اسماً مذكراً ، وإذا أرادت تأنيثه ، قالت : (أرضت) ، على حين أن (الأرض) في عربيتنا اسم مؤنث فقط . وقد عثر على نص آخر ، أمر الملك (نشأكرب يهأمن) ، بتدوينه ، عند تقديمه ستة تماثيل الى الإله (المقه) ، لسلامته وسلامة قصره (سلحين) ، وسلامة أمواله وأملاكه ، وليمن عليه بالسعادة^٢ . وعثر على اسمه في نصوص أخرى ، كلها في مضمون هذا النص ، اذ نخبر عن تقديم هذا الملك تماثيل الى معابد آلهته ، حمداً لها وشكراً ، إذ مننت عليه ، ولتديم أغداق نعمها وألطفاتها وبركتها عليه^٣ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الملك (نشأكرب يهأمن) هو من قبيلة (همدان) ، ذلك لأن اسمه من الأسماء الهمدانية المعروفة . وخالف غيرهم هذا الرأي ، وقالوا إنه لم يكن من همدان ، وإنما كان من (بني جرت)

١ Mahram, P. 37, MaMb 204.

٢ Mahram, P. 269.

٣ Mahram, P. 269-272.

من قبيلة (سمهر) (سمهرام) . وهم يبعدونه بذلك عن (همدان) .
ويعارضون في كونه آخر ملك من ملوك الأسرة السبئية الحاكمة ، بل يشكون
في كون أبيه كان ملكاً فعلياً على سبأ^١ .

ويظهر من النصوص المتقدمة أن (نشأ كرب يهأمن) كان يقيم في قصر
(سلحين) بمأرب ، وهو مقر ملوك سبأ ومركز حكمهم . وقد كان حكمه
فيما بين السنة (١٧٥) والسنة (١٦٠) قبل الميلاد على رأي (جامه)^٢ .

ويلاحظ أن الملك كان يتقرب الى (شمس تنف بعلت غضرن) ، أي إلى
الآلهة الشمس تنف ربة موضع (غضرن) ، تقرب إليها حتى في أثناء اقامته في
عاصمته (مأرب) وفي بيت حكمه قصر (سلحين) . وبدل هذا على أن الملك
لم ينس آلهة قبيلته وعلى رأسها الآلهة (الشمس) ، فقدمها على بقية الآلهة
وذكرها مع الإله (المقه) إله سبأ الخاص . والآلهة (شمس تنف) ، هي
إلهة (بني جرت) من قبيلة (سمهرم) (سمهرام)^٣ .

ولسنا على علم بمن حكم بعد (نشأ كرب) ، ولهذا ترك الباحثون بموضوع
ترتيب ملوك سبأ فراغاً بعده ، يشير الى عدم معرفتهم باسم من حكم فيه . وقد
تصور (فليبي) انه دام ثلاثين عاماً ، بدأ سنة (٣٠) وانتهى في سنة (٢٠٠)
قبل الميلاد^٤ . وقد وضع (هومل) اسم (نصرم يهأمن) على رأس الجمهورية
جديدة ، رأى انها حكمت (سبأ) ، بعد هذه الفجوة التي لا نعلم من حكم
فيها ولا مدتها ، ووضع مقابله علامة استفهام للدلالة على انه لا يقول ذلك على
سبيل التأكيد ، وانما هو احتمال يراه ويجرد رأي هو نفسه غير واثق به^٥ .

وقد وضع (فليبي) (نصرم يهأمن) (ناصر يهأمن) على رأس الجمهورية
الجديدة التي حكمت سبأ في هذا العهد ، وجعله رأساً على الجمهورية الرابعة من
جمهرات حكام السبئيين ، وجعل حكمه في حوالي السنة (٢٠٠ ق.م) ،
وجعل له شقيقاً هو (صدق يهأ) . وقد كتب (فليبي) التعت على هذه

Mahram, PP. 272. ١

Mahram, PP. 390. ٢

Mahram, P. 279. ٣

Background, P. 142. ٤

Handbuch, I, S., 90. ٥

الصورة : (يهنعم)^١ . اما (هومل) وغيره ، فقد كتبوه على هذه الصورة (يهأمن)^٢ .

واستند (هومل) في وضعه (نصرم يهأمن) هذا الموضع الى النص الموسوم بـ Glaser 265 ، وقد ورد فيه عدد من الأسماء كانوا مقربين عند (ناصر يهأمن) منهم (أوسلة بن أعين) (أوسلت بن أعين) الذي هو في نظر بعض الباحثين (أوسلة رفشان) الهمداني . ولما كان (أوسلة) هذا يعاصر (وهب ايل يحز) وكان من جملة المقربين الى (ناصر يهأمن) ، رأى (هومل) أن مكان (ناصر يهأمن) يجب أن يكون إذن بعد الفجوة المذكورة مباشرة وقبل اسم (وهب ايل يحز) ، فوضعه في هذا المحل^٣ .

والنص المذكور ، مكتوب على صخرة ناتئة في وسط مرتفعات وعرة مسننة في (جبل ثنين)^٤ . وذكر (خليل يحيى نامي) أنه رآه ونقشه في (هجر ثنين) وهي تبعد عن غربي (ناعط) زهاء ساعتين على البغال ، وهي بين قبيلة (حاشد) و (أرحب)^٥ . وقد كتب المناسبة الانتهاء من انشاء بناء . وقد تيمن فيه على العادة بذكر (ناصر يهأمن) وأخيه (صدق يهب) ، وبذكر أسماء من ساعد في اتمام البناء ، ومن قام بتسقيفه^٦ ، وهم من الأشراف وسادات القبائل . ويلاحظ أن النص قد أهمل لقب (ملك) الذي يكتب عادة بعد اسم كل ملك ، فلم يذكر بعد اسم (ناصر يهأمن) ولا بعد اسم (صدق يهب) .

وقد ورد اسم (ناصر يهأمن) في النص المنشور برقم (٧) من كتاب : (نشر نقوش سامية من جنوب بلاد العرب وشرحها)^٧ . وقد أخبر (ناصر يهأمن) فيه أنه قدم الى حاميه (تالب ريم بعل حدثن) : أي (تالب ريام) رب معبد (حدثان) صنماً ، ابتهاجاً بسلامته وعافيته . وفي النص المرقم برقم (٢١) المنشور في الكتاب نفسه^٨ ، وقد دوّنه جماعة من (همدان) ،

١ Background, P. 142.

٢ J. Ryckmans, L'Institution, P. 337.

٣ Handbuch, I, S., 88.

٤ CIH, IV, I, III, P. 295.

٥ نشر ص ٧٢ .

٦ Glaser 265, CIH 287.

٧ نشر (ص ١١ - ١٢) .

٨ نشر (ص ٣٣ وما بعدها) ، REP. EPIG., 4994, 4995, VII, P. 471, 473.

للمناسبة انشأهم بيتاً اسمه (وترن) (وترن) (وتران) ، وجعلوه في حماية حاميههم الإله (تالب ريام) ، وتيمناً بهذه المناسبة دوتوا اسم (ناصر يهأمن) و (صدق يهب) ، وليزيد الإله (تالب ريام) من نفوذ قبيلة (همدان) التي ينتسب اليها هؤلاء . ويلاحظ أن هذا النص وكذلك النص الآخر لم يذكر لقب (ملك) بعد اسم (ناصر يهأمن) .

وأصحاب هذا النص ، هم : (برج يحمد) (بارج يحمد) ، وبنوه (يرم نمرن) (يريم نمران) ، و (نشأكرب) ، و (كربعث) ، بنو (أنضر يهرجب) من (بني ددن) (بني دادان) . وقد ورد اسم هذه الجماعة ، وهم من أسرة واحدة ، في نص آخر ، يظهر منه أنهم كانوا يقيمون في موضع (اكنط) (أكنط) ، المعروف في عهدنا باسم (كانط) . وقد ذكر (الهمداني) بيتاً من بيوت (أكانط) سماه (زادان) ، قد يكون اسم عشيرة هذه الأسرة المسماة (دادان) ، حُرِف فصار (زادان)^١ .

ولم يلقب (ناصر يهأمن) ولا (صدق يهب) في نص آخر بلقب (ملك) وأصحاب هذا النص من (همدان) كذلك^٢ . وقد دوتوا فيه هذه الجملة : (وبمقام امريهم) قبل اسم (نصرم يهأمن) ، أي (وبمقام أميرهم) ، أو (وبمقام أميرهم) ، أو (وبجلالة أو رئاسة أميرهم)^٣ ، ولم نجد في هذا النص أيضاً ما يشير الى انها كانا ملكين ، أو ان أحدهما كان ملكاً على سبأ أو همدان .

وأرى ان في اهمال هذه النصوص للقب (ملك) ، وفي عدم تدوينها له بعد اسم (نصرم يهأمن) (ناصر يهأمن) ، دلالة قوية على ان (ناصر يهأمن) لم يكن ملكاً ، وانما كان أميراً ، يؤيدها ويؤكددها استعمال النصوص قبل الاسم لفظة (امراهمو) (امراهمو) ، التي تعني (أميرهم)^٤ . ولو كان (ناصر) أو شقيقه (صدق يهب) ملكين لما نعتا في بعض هذه النصوص بـ (أميرين) ، ولما أهملت النصوص لفظة (ملك) هذا الاهمال . ولا حجة لرأي من قال انه

١ نشر (ص ٣٤ وما بعدها) .

٢ نشر (ص ٥٢)

٣ غويدي : المختصر (ص ٣٣) .

٤ نشر (ص ٣٤ ، ٥٢) .

كان ملكاً ، لأنه كان صاحب لقب ، وهذا اللقب هو (يهأمن) ، وهو نعت خاص بالملوك^١ ، ذلك لأننا لا نملك دليلاً قاطعاً يثبت ان كل من كان ينعت نفسه بنعت كان ملكاً ، وان نوعاً خاصاً من النعوت كان قد حرم على الناس ، لأنه خصص بالملوك . وآية بطلان هذا الرأي اننا نجد كثيراً من سادات القبائل وسائر الناس يحملون ألقاباً أيضاً من نوع ألقاب الملوك ، فليس في الألقاب تخصيص وتنوع في نظري .

وبناء على ما تقدم ، لا نستطيع ادخال (ناصر يهأمن) ولا أخيه (صدق يهب) في عداد ملوك سبأ ، ونرى وجوب اعتدادهما سيدين كبيرين من سادات قبيلة (همدان) ، كان لهما سلطان واسع على قبيلتهما وفي سبأ ، ولذلك ذكر أشراف القبيلة اسميهما في كتاباتهم ، ولقبوهما بلقب (أمرائهم) فالواحد منهم هو بمنزلة (أمير) ، ومعنى ذلك ان (ناصر يهأمن) كان أميراً على همدان ، وكذلك كان أخوه^٢ . والظاهر ان تقديم اسم (ناصر يهأمن) على اسم أخيه ، يشير الى ان (ناصر يهأمن) كان أكبر سنّاً من شقيقه ، لذلك كان هو المقدم عليه .

ويظهر من بعض النصوص التي ذكرت اسم (ناصر يهأمن) انه كان قوياً ، وله قوة عسكرية ضاربة ، وتحت إمرته عدد من القادة ، بدليل ورود لفظة (مقتت) ، جمع (مقتوى) ، ومعناها (الضباط) و (القادة) ، وقد اشتركت قواته في بعض المعارك ، في عهد الملك (نشأكرب يهأمن) ، وكان من المعاصرين له . والظاهر انه بقي حياً الى ايام (وهب ايل يحز) . وبناء على هذا يكون قد عاش في حوالي السنة (١٧٥) والسنة (١٥٠) قبل الميلاد ، وذلك على افتراض ان حكم (نشأكرب يهأمن) كان فيما بين السنة (١٧٥) والسنة (١٦٠) قبل الميلاد ، وان حكم (وهب ايل يحز) كان بين السنة (١٦٠) والسنة (١٤٥) قبل الميلاد ، على حسب تقدير (جامه)^٣ .

وليس في استطاعتنا تحديد العمل الذي قام به (صدق يهب) في همدان ،

Handbuch, I, S., 88.

Mahram, P. 277, A. F. L. Beeston, Problems of Sabaean Chronology, in

BOASOOR, 16, 1954, PP. 37-56.

Mahram, P. 277, 390.

فليس في النصوص التي بين أيدينا ما يكشف الستار عن ذلك . ولا نعرف كذلك زمان وفاة (صدق يهب) ، والظاهر ان وفاته كانت في ايام (وهب ايل يحز) اذ انقطعت أخباره منذ ذلك الحين^١ .

وليس بين الباحثين في العربيات الجنوبية أي خلاف في أصل (ناصر يهأمن) وأخيه ، فقد اتفقوا جميعاً على انه من قبيلة (همدان) ، ذلك لأنها نصت صراحة في احد النصوص المدونة باسمهما على انها من همدان^٢ . ويظهر من ذلك ان قبيلة همدان كانت قد أخذت تؤثر في هذه الأيام تأثيراً كبيراً ، حتى لقب ساداتها أنفسهم بلقب (ملك) ، متحددين بذلك سلطة ملوك سبأ الشرعيين . ووضع (هومل) (وهب آل يحز) (وهب ايل يحز) ، بعد (ناصر يهأمن) ، وسار (فليبي) على خطاه . وقد كان زمان حكمه في حدود سنة (١٨٠ ق.م .) على تقدير (فليبي)^٣ . وكان يعاصره (أوسلت رفش) (أوسلة رفشان) ، أمير (همدان) ، وهو والد الأميرين (يرم أيمن) و (برج يهرحب) (بارح يهرحب)^٤ .

ويظهر من النص : Glaser 1228 أن (وهب ايل يحز) ، تحارب هو (الريدانيون) ورئيسهم إذ ذاك (ذمر على)^٥ . وقد ساعد (وهب ايل يحز) في هذه الحرب (هوف عم) (هوفعم) و (مخطر) (مخطر) و (سخم) و (ذو خولان) و (بنو بتع) ، وانضم الى جانب الريدانيين (سعد شمس) و (مرثد)^٦ . وتشير هذه الكتابة وكتابات أخرى الى مساع بلها رؤساء (ريدان) في منافسة ملوك سبأ وانتزاع العرش منهم .

وقد ورد في النص المذكور : (سعد شمس ومرثد) وقبيلته (ذوجرت) بمدينة (صنعو) . وهذه هي المرة الأولى التي يرد فيها اسم (صنعو) (صنعاء) . وقد ورد اسمها بعد ذلك بقليل في الكتابتين : Jamme 629 و Jamme 644 . ويظهر من ذلك أن (صنعو) كانت في ضمن أرض قبيلة (جرت) ، غير

Mahram, P. 278. ١

CIH 287, Mahram, 278. ٢

Background, P. 142. ٣

Glaser, Abessinier, S. 63. ٤

السطر الخامس عشر من النص : Glaser 1228 ٥

Glaser 1364, Abessinier, S. 67, Le Muséon, 1967, 1-2, PP. 279. ٦

أنها كانت قريبة جداً من حدود أرض قبيلة (بتع) . وأما (شعوب) التي لا تبعد سوى كيلومتر واحد أو كيلومترين عن الجهة الشمالية الغربية من (صنعاء) ، فقد كانت في أرض قبيلة (بتع)^١ .

وقد أشير الى حرب (وهب ايل يحز) مع الريدانيين ، في النص الموسوم بـ Jamme 561 Bis ، وهو نص دونه (يرم أيمن) (يريم أيمن) ، وأخوه (برج يهرحب) وابنه (علهان) أبناء (أوسلت رفشان) ، وهم من (همدان) أقيال (اقول) قبيلة (سمعى) ثلث (حاشد) ، وذلك عند تقديمهم تمثالاً إلى الإله (الملقه ثهون) بعل (اوام) لأنه منّ عليهم وعلى عبيده (ادم هو) (ادمهو) أبناء همدان : وعلى قبيلتهم حاشد ، وأغدق عليهم نعماء وأعطاهم غنائم كثيرة في الحرب التي وقعت بين ملوك سبأ وبين (بني ذي ريدان) ، واشتركوا فيها، إذ ترأسوا بعض القوات . وكذلك في غاراتهم على أرض العرب المجاورين لقبيلة حاشد والنازلين على حدودها ، أولئك العرب الذين أخطأوا خطأ تجاه أمراءهم وساداتهم ملوك سبأ (املك سبأ) ، وتجاه بعض قبائل ملك سبأ ، ولأن الإله (الملقه) ، أنعم عليهم بأن جعل الملك (وهب ايل يحز) (ملك سبأ) راضياً عنهم ، مقرباً لهم ، ولأنه أعطاهم ذرية ذكوراً وحصاداً جيداً ، ولكي يديم نعمه عليهم ويبارك فيهم ويعطيهم الصحة والقوة وذلك بحق عشر و (الملقه) وبحق حاميتهم (شيمهم) وشفيعهم (نالب ريام)^٢ .

وبتين من هذا النص ان (يرم أيمن) وشقيقه كانا تابعين لملك سبأ، وانهما كانا مع (علهان بن برج) من الأقيال على عشيرة (سمعى) التي تكون ثلث مجموع قبيلة (همدان) في هذا العهد ، وانهم كانوا في خدمة ملك سبأ . ويظهر انهم انما أشاروا الى مهاجمتهم لأرض العرب ، والعرب المخالفين لأمر ملك سبأ لأن هؤلاء العرب كانوا على حدود أرض قبيلة همدان ، وقد تعرضت أرض هذه القبيلة وأرض قبائل أخرى لغارات هؤلاء الأعراب ، الذين كانوا ينتهزون الفرص لغزو الحضر كما هو شأنهم في كل زمان ومكان . وقد نجحوا في تأديب هؤلاء الأعراب ، كما نجحوا في الاشتراك مع بقية قوات (وهب ايل يحز) في

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 460.

١

Mahram, P. 37, Jamme Bis. 561.

٢

تكييد (بني ذي ريدان) خسائر فادحة في الحرب التي نشبت بينهم وبين هذا الملك . وقد كان الريدانيون أسلاف الحميريين من سكان اليمن البارزين في هذا العهد .

وقد ميّز أهل اليمن وبقية العربية الجنوبية أنفسهم عن أهل الوبر، أي القبائل المتنقلة التي تعيش في الخيام ، بأن دعوا قبائلهم بأسمائها ، وهي قبائل مستقرة تسكن قرى ومدناً ومستوطنات ثابتة وسموا القبائل البدوية المتنقلة ، ولا سيما القبائل الساكنة في شمال العربية الجنوبية (عربن) أي أعراب ، وسمّوا أرضهم (أرض عربن) و (أرضت عربن) ، أي أرض العرب .

ويظهر من ورود جملة (أملك سبا) ، أي (ملوك سبا) الواردة في هذا النص وفي نصوص أخرى، وجود ملوك عدة كانوا يحكمون سبا في زمان تدوين هذه النصوص . ولكننا نرى ان هؤلاء الملوك لم يكونوا ملوكاً فعليين ، حكموا سبا بالاشتراك مع ملك سبا الحاكم ، وانما كانوا رؤساء وسادة قبائل خاضعين لحكم الملك ، وقد كانوا أصحاب امتيازات ، يحكمون أرضهم حكماً مباشراً مع اعترافهم بحكم ملك سبا عليهم ، ويجوز انهم كانوا يلقبون أنفسهم بلقب ملك ، على سبيل التعظيم والتفخيم ليس غير ، فهم ملوك مقاطعات وأرضين ، لا ملوك حكومات كبيرة كحكومة سبا^١ .

وقد ورد اسم (وهب ايل يحز) في الكتابة الموسومة بـ : CIH 360 ، وصاحبها (سعد تألب يهثب) من موضع (سقهن)^٢ (سقرن) (سقران) ، ذكر فيها أنه قدم الى الإله (تألب ريام) نلراً : تمثالاً وضعه في سجد الإله في (رحين)^٣ ، في أيام سيده (مراسمو) الملك (وهب ايل يحز)^٤ . وقد ورد اسم صاحب هذه الكتابة في النص الموسوم بـ MM 33 + 34 ، وقد دونه جماعة من (بني بتع) و (سخيم) و (ذي نعمان) تقريباً الى الإله (عثتر شرقن)^٥ ، لأنه نجى (سعد تألب يهثب) ، ومدّ في عمره في الحروب التي

١ Mahram, P. 280.

٢ (سقهن) • (٢) (رحبان) (الرحاب) • Mahram, P. 280.

٣ CIH 360, IV, I, IV, P. 445.

٤ Miles 6, Sab. Inschr., S. 5, Anm. I.

٥ (عثتر شرقان) ، (عثتر الشارق) •

أشعلها في (ردمان) وفي أماكن أخرى^١ . ولا يعقل بداهة قيام مدوتي النص ، وهم سادات القبائل ، ببناء (نطعت)^٢ وذلك تقرباً الى الإله (عثر شرقي) إذ من^٣ على (سعد تالب يهثب) بالحياة والنجاة في الحروب التي خاضها ، لو لم يكن لهذا الرجل علاقة بهذه العشائر ولو لم يكن من أهل الجاه والمكانة والسلطان ، ويتبين من كتابات أخرى أنه كان محارباً اشترك في حروب عدة ، فلعلّه كان من كبار قواد الجيش في أيام (وهب ايل يحز) ، وقاد جملة قبائل في القتال منها هذه التي دونت تلك الكتابة .

وذكر اسم الملك (وهب ايل يحز) في كتابة ناقصة قصيرة ، أشير فيها الى (كبر ختل) ، أي (كبير) قبيلة أو موضع (خليل) والى اسم الملك (وهب ايل يحز) (ملك سبأ) . والظاهر أن صاحب تلك الكتابة أو أصحابها كانوا من أتباع (كبير خليل)^٤ .

ولم نعر حتى الآن على اسم والد (وهب ايل يحز) . ولم ترد في نصوص المسند إشارة ما الى مكانته ومنزلته ، لذلك رأى بعض الباحثين أن أباه هذا لم يكن من الملوك ، بل ولا من الأقبال البارزين ، وإلا أشير في النصوص اليه ، إنما كان من سواد الناس ، وأن ابنه (وهب ايل يحز) هذا أخذ الحكم بالقوة ، ثار على ملوك سبأ في زمن لا نعلمه ، وانتزع الملك منهم ، ولقب نفسه بلقب (ملك سبأ) . أما ابنه الذي جاء من بعده ، فقد لقب نفسه بلقب (ملك) كما لقب والده بلقب ملك . ولو كان والد (وهب ايل يحز) ملكاً ، لذكر اذن في النصوص ، ولأشير الى لقبه^٥ .

وقد جعل (جامه) حكم (وهب ايل يحز) بين السنة (١٦٠) والسنة (١٤٥) قبل الميلاد^٦ .

وانتقل الحكم بعد وفاة (وهب ايل يحز) الى ابنه (انعم يهأمن) (أنمار يهأمن) ، على رأي (جامه) ، في حين أغفله أكثر من بحثوا في هذا الموضوع^٦ ،

١ Sab. Inschr., S. 74.

٢ (نطعة) .

٣ REP. ÉPIG. 4130, Glaser 456, Va 5315.

٤ Mahram, P. 280.

٥ Mahram, P. 390.

٦ Mahram, P. 281, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 280.

وقرروا ان الحكم انتقل الى (كرب ايل وتر يهنعم) ، وهو ابن (وهل ايل) مباشرة بعد وفاة أبيه . ويرى (جامه) ان حكم (أنمار يهأمن) ابتدأ بسنة (١٤٥) قبل الميلاد ، وهي سنة وفاة أبيه وانتهى بسنة (١٣٠) قبل الميلاد ، حيث انتقل الحكم الى شقيقه من بعده^١ .

وقد ورد اسم هذا الملك في النص الموسوم بـ Jamme 562 وقد دوتنه (سخان يهصبح) من (بني بتع) ، وكان (ابل بيتن وكلم اقول شعبن سمعي) ، أي (سيد بيت وكل) ، وقيل عشيرته (سمعي) التي تكون ثلث قبيلة (حملان) ، عند تقدمه (صلن) تمثالا الى الإله (الملقه رب أوام) ، وضعه في معبده (معبد أوام) ، لوفاته لكل ما طلبه منه ، ولاستجابته لدعائه ، ولأنه وفقه ووفق أهله وعشيرته في مرافقة الملك (أنمار يهأمن ملك سبأ) ابن (وهب ايل يحز ملك سبأ) في عودته من (بيت بني ذي غيمان) الى قصره (سلجين) مقر ملكه بمدينة مأرب ، ووفق مرافقيه وأقباله وجيشه في عودته هذه ، ولأنه من على صاحب النص بأن منحه أثماراً كثيرة وغلة وافرة وحصاداً جيداً، ولديم نعمه عليه ، وذلك بحق الآلهة : عثر ، وهوبس ، والمقه ، وذات حميم، وذات بعدان ، و (شمس ملكن تنف) ، وبحاميه ، وشفيعه تالب ريام بعل شصر . وقد وضع التمثال والكتابة المدونة تحت حماية (الملقه) في معبده (أوام) ليحميها من كل من يحاول تغيير موضعها أو أخذها^٢ .

وقد كان (سخان يهصبح) من الأقبال الكبار في هذا العهد . كان قبلاً على (سمعي) كما كان سيداً من سادات (بيت وكل) . أي من أصحاب الرأي المطاعين في عشيرة (سمعي) . والظاهر أنه كان في موضع (وكل) ناد ، أي دار للرأي والاستشارة ، يحضره كبار العشيرة ويتشاورون فيما يحدث من حادث لهذه العشيرة . فهو بمنزلة (دار الندوة) عند قريش .

ويظن أن الملك (أنمار) المذكور في النص : REP. EPIG. 399z والذي لم يذكر نعته ، هو هذا الملك . وقد دوتن هذا النص رجل اسمه (وهب ذي سمي اكيف ذو مليح) (م ل ي ح) : وذلك عند تقربه إلى الإله (تالب

Mahram, P. 390.

Mahram, P. 39, MaMb 279.

ريام بعل كبدم) ، بتقديمه تمثلاً اليه ، تعبيراً عن شكره وحده له ، لأنه من عليه وساعده وأجاب كل ما طلبه منه ، ومكنه من خصم له خاصمه في عهد الملك (أنمار)^١ .

وانتقل الحكم بعد وفاة (أنمار يهأمن) الى شقيقه (كرب ايل وتر يهنعم) ، وقد ذكر اسمه في كتابات عديدة لا علاقة لها به ، وانما دوتته فيها تيمناً باسمه وتخليداً لتأريخ الكتابة ليقف على زمانها الناس^٢ . وأهم ما في هذه الكتابات من جديد ، ورود اسم إلهه فيها لم يكن معروفاً قبل هذا العهد ولا مذكوراً بين الناس ، هو الإله (ذسموي) ، أي (صاحب السماء) (صاحب السماوات) أو (رب السماء) . وسأحدث عنه وعن هذا التطور الجديد الذي حدث في ديانة العرب الجنوبيين فيما بعد .

وقد ذكر اسم الملك (كرب ايل وتر يهنعم) في النص الموسوم بـ Jamme 563 وقد دوتته أناس من (بني عشكلن) (عشكلان) ، حمداً وشكراً للإله (المقه) ثوان) الذي أنعم عليهم وحباهم بنعمه ، وأعطاهم حصاداً جيداً وغلة وافرة ، وليزيد في توفيقه لهم ونعمه عليهم ، وليبعد عنهم أذى الحساد وشر الشائنين . وقد كتب في عهد الملك (كرب ايل وتر يهنعم بن وهب ايل يحز) ، ليبارك الإله (المقه) فيه^٣ .

كما جاء اسم هذا الملك في نص آخر دوتته قيل من أقيال (غيان) وسم - Jamme 564 ، دوتته عند تقديمه (صلهن) تمثلاً الى الإله (المقه) حمداً به وشكراً على انعامه عليه وعلى جيش وأقيال الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ، ولأنه من عليه وأعطاه حاصلاً طيباً وغلة وافرة وأثماراً كثيرة ، وليمن عليه وعلى قومه في المستقبل أيضاً ، وذلك بحق المقه وبحق الآلهة عثر ذي ذبن ، وبحر حطيم ، وهويس ، وثور بعلم ، وبالمقه بمسكت ، وبثو برآن ، وذات حيم ، وذات بعدان ، وبحاميههم وشفيهم حجزم قمحم بعل حصنى (تنع) ،

REP. EPIG. 3992, Mahram, P. 281.

OS 32, BR. Mus. 30, CIH 517, IV, II, III, P. 229, E. Oslander, Zur Himjarischen Alterthuskunde, in ZDMG., XIX, 1865, P. 269, Halevy, Etudes Sabéennes, in Journal Asiatique, 1874, II, P. 500, Glaser, 456, VA 5315, REP. EPIG., 4130, VII, I, P. 91.

Jamme 563, MAMB 269, Mahram, 42.

ولمس بعل بيت نهد ، وعثر الشارق ، والمقه بعل أوام^١ .

ويظهر من هذا النص ان صاحبه كان يتولى وظيفة مهمة في (مأرب) ، وانه كان مقدماً في بيت الحكم قصر (سلحين) ، وكان يساويه في هذه المنزلة رجل اسمه (رثدم) (رثد) من (مأذن) ، اذ كان يحكم مأرباً أيضاً ، ويتمتع بمنزلة كبيرة في دار الحكم (قصر سلحين) . وقد حكما مأرباً معاً بتفويض من الملك وبأمر منه ، حكما من القصر نفسه ، اذ كانت دائرة عملها فيه . ويظهر منه أيضاً ان اضطراباً وقع في مأرب في زمان حكمهما ، دام خمسة أشهر كاملة ، أثر تأثيراً كبيراً في العاصمة ، وقد سأل الحاكمان الملك أن يحولهما حق التدبير للقضاء على الفتنة ، فأصدر الملك أمراً أجابهما فيه الى ما سألاه الحاكمان ، غير ان نار الفتنة لم تخمد بل بقيت مشتعلة خمسة أشهر كاملة ، كان الملك في خلالها يلح على الحاكمان بوجوب قمع الفتنة واعادة الأمن ، واستطاعا ذلك بعد مرور الأشهر المذكورة باشتراك الجيش في القضاء عليها^٢ .

ولم يذكر النص الأسباب التي دعت أهل مأرب إلى العصيان ، ولكن يظهر ان من جملة عواملها تعيين صاحب النص ، واسمه (أنمار) ، وهو من (غيمان) حاكماً على مأرب ، وكان أهل العاصمة يكرهون أهل غيمان ، وكانوا قد حاربوهم في عهد الملك (أنمار يهأمن) شقيق (كرب ايل وتر يهنعم) ، فساءهم هذا التعيين ولم يرضوا به . ولما أبى الملك عزله ، ثاروا وهاجوا مدة خمسة أشهر حتى تمكن الجيش من اخاد ثورتهم^٣ .

وقد ذكر (كرب ايل وتر) في النص : Jamme 565 بعد اسم (يرم أيمن) ، وفيه نعته ، وهو (يهنعم) ، وعبر عنها بلفظة (ملكي سبأ) ، أي (ملكا سبأ) ، واستعمل لفظة (واخيهر) ، أي (وأخيه) ، وقد ترجمها (جامه) بمعنى (حليفه) ، فالتأخي في نظره بمعنى التحالف والحلف. وإذا أخذنا بهذا المعنى ، فسنتنتج من ذلك أن العلاقات بين الملكين لم تكن سيئة . يوم كتب هذا النص وان ادعى كل منهما أنه ملك سبأ ، ولأنما يظهر أنهما كانا يحكمان متعاونين ، بدليل ما ورد في النص من أن (املك سبأ) ،

Jamme 564, MaMb 314, Mahram, P. 44, CIH 326, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 280.

Mahram, P. 282.

Mahram, P. 282.

أي ملوك سبأ كلفوا صاحبي النص أن يخوضا معارك أمروهما بخوضها ، فخاضاها ورجعا منها بحمد الإله (الملقه) سالمين^١ .

ويرى (جامه) أن حكم الملك (كرب ايل وتر يهنعم) امتد من سنة (١٣٠) حتى السنة (١١٥) قبل الميلاد ، أو من سنة (١١٥) حتى السنة (١٠٠) قبل الميلاد . وبذلك يكون حكم (وهب ايل يحز) وحكم ابنه (أنمار يهأمن) و (كرب ايل وتر يهنعم) قد امتدا من سنة (١٦٠) حتى السنة (١١٥) أو (١٠٠) قبل الميلاد^٢ .

وليس لنا علم عن ذرية الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ، فليس في أيدينا نص ما يتحدث عن ذلك . وكل ما نعرفه أن الحكم انتقل بعد أسرة (وهب ايل يحز) الى ملك آخر هو الملك (برم أيمن) ، وهو من (همدان) ، وهدان كما قلت فيما سلف من القبائل التي اكتسبت قوة وسلطاناً في هذا العهد ، وقد سبق أن تحدثت عن (ناصر يهأمن) وعن شقيقه (صديق يهب) . وقلت لهما من همدان ، وقد حان الوقت للكلام على هذه القبيلة التي ما تزال من قبائل اليمن المعروفة ، ولها شأن خطير في المقدرات السياسية حتى الآن .

الآن وقد انتهيت من الكلام على آخر ملك من ملوك (سبأ) وختمت به عهداً من عهود الحكم في سبأ ، أرى لزماً علي أن أشير الى ملك قرأت اسمه في نص قصير ، نشر في كتاب CIH وكتاب REP. EPIG. يتألف من سطر واحد ، هو : (وهب شمس بن هلك أمر ملك سبأ) ، ولم أجد اسمه فيما بين يدي من قوائم علماء العربيات الجنوبية للملك (سبأ) ، ولم أعر على نصوص أخرى من عهده ، فتعسّر عليّ تعيين مكانه بين الملوك^٣ . وقد يعثر على نصوص جديدة تكشف عن شخصيته وهويته ومحلّه بين الملوك .

وأود أيضاً ان أشير الى ورود اسم ملك ذكر في النص : Jamme 551 ، واسمه (الشرح بن سيمه على ذرح) (الشرح بن سمه على ذرح) ، وقد نعت

Jamme 565, MaMb 266, Mahram, P. 47, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 280, REP. EPIG. 4190. ١

Mahram, P. 390. ٢

CIH 833, IV, III, I, P. 199, Bardey 9, Luper 4104, REP. EPIG. 459, I, VI, P. 349, Lidzbarski, Ephemeris, 1908, II, S., 387. ٣

فيه بـ (ملك سبأ) وهو صاحب هذا النص والآمر بتدوينه ، ذكر فيه انه شيد ما تبقى من جدار المعبد من الحافة السفلى للكتابة المبنية في الجدار حتى أعلى المعبد ، تنفيذاً لارادة المقه التي ألقاها في قلبه ، فحققتها على وفق مشيئة ذلك الإله واراادته ، ليمنحه (المقه) ما أراد وطلب ، وذلك بحق الآلهة : (عثر) و (هوبس) و (المقه) وبحق (ذات حميم) و (ذات بعدان) ، وبحق أبيه (سمه على ذرح) (ملك سبأ) ، وبحق شقيقه (كرب ايل)^١ .

وورد اسم الملك (يدع ايل بن كرب ايل بين) (ملك سبأ) في النص : Jamme 558 ، الذي دونه قوم من عشيرة (عيلم) (عبل) (عبال) ، عند تقديمهم ثمانية (امثلن) (امثلن) ، أي تماثيل الى معبد الإله (المقه) (بعل) أوام ليحفظهم ويحفظ أولادهم وأطفالهم ويعطيهم ذرية ، وليبارك في أموالهم ، وليبعد عنهم كل بأس وسوء ونكابة ، وحسد حاسد وأذى عدو . وقد ذكر في النص بعد اسم الملك (كرب ايل بين) اسم (الشرح بن سمه على ذرح)^٢ .

هذا ولا بد لنا - وقد انتهينا من ذكر اسم آخر ملك من ملوك سبأ - من ابداء بعض الملاحظات على هذا العهد . ففيما كان الناس في عهد المكربين وفي عهد الملوك الأول الى عهد (كرب ايل وتر بن يثع أمر بين) المعروف بـ (الثاني) في قائمة (هومل) للملك سبأ^٣ ، قد صرفوا تمجيدهم الى إله سبأ الخاص وهو (المقه) تليه بقية الآلهة ، وجدنا الكتابات التي تلت هذا العهد ، تمجد معه أرباباً آخرين لم يكن لهم شأن في العهدين المذكورين ، مثل الإله (تالب ريام) ، وهو إله (همدان) خاصة ، ومثل الإله (ذ سموى) (ذو سهاوي) ، أي الإله (رب السماء) (رب السماوات)^٤ . وفي تمجيد بعض الناس لآلهة جديدة ، دلالة صريحة على حدوث تطورات سياسية وفكرية في هذا العهد .

وتفسير ذلك أن بروز اسم إله جديد ، معناه وجود عابدين له ، متعلقين

Jamme 551, Mahram, P. 15.

Jamme 558, MaMb 201, Mahram, PP. 24.

Handbuch, I, S. 87.

Handbuch, I, S. 88.

به ، هو عندهم حاميههم والمدافع عنهم ، ففي تدوين اسم (تالب ريام) يعد (الملقه) أو قبله في الكتابات ، دلالة على علو شأن عابديه ، وهم (همدان) ، ومنافستهم للسبثيين ، وسرى فيما بعد أنهم نافسوا السبثيين حقاً على الملك ، وانتزعوه حيناً منهم . وطبيعي إذن أن يقدم الهمدانىون الى إلههم (تالب ريام) الحمد والثناء ، لأنه هو إلههم الذي يحميهم ويقيهم من الأعداء ، ويسارك فيهم وفي أموالهم ، وكلما ازداد سلطان تهمدان ، ازداد ذكره ، وتعدد تدوين اسمه في الكتابات .

أما الناحية الفكرية ، فإن في ظهور اسم الإله (ذ سموى) ، دلالة على حدوث تطور في وجهة نظر بعض الناس بالنسبة الى الألوهية وتقرهم من التوحيد وعلى ابتعاد عن فكرة الألوهية القديمة التي كانت عند آبائهم وأجدادهم وعن (الملقه) إله شعب سبأ الخاص .

ويلاحظ أيضاً ظهور لقب (يهامن) و (يهنعم) منذ هذا الزمن فما بعده عند ملوك سبأ . وقد رأينا أن ألقاب مكربى سبأ وملوك الصدر الأول من سبأ لم تكن على هذا الوزن : وزن (يهفعل) ، وهو وزن عرفناه في ألقاب مكربى وملوك قتبان فقط ، اذ رأينا الألقاب : (يهنعم) و (يهرجب) و (يهوضع) تقرن بأساء الحكام . وفي تلقب ملوك سبأ بهادلالة على حدوث تطور في ذوق الملوك بالنسبة الى التحلي بالألقاب .

ويتبين من دراسة الأوضاع في مملكة سبأ أن أسراً او قبائل كانت صاحبة سلطان ، وكانت تتنافس فيما بينها ، وتزاحم بعضها بعضاً . منها الأسرة القديمة الحاكمة في مأرب ، ثم الأسرة الحاكمة في حير ، ثم (سمعى) ، وهي قبيلة كبيرة صاحبة سلطان وقد كونت مملكة مستقلة ، منها (بنو بتع) وفي أرضهم وهي في الثلث الغربي من (سمعى) تقع أرض (حملان) وعاصمتها (حاز) و (مأذن) . ثم الهمدانىون ، ومركزهم في (ناعط) . ثم (مرثدم) (مرثد) وهم من (بكلم) (بكيل) ، ومواطنهم في (شبام أقيان) . ثم (كرت) (جرت) (جرة) ومنها (ذمر على ذرح) .

مأرب :

وإذا كانت صرواح عاصمة المكربين ومدينة سبأ الأولى، فإن (مرب) (مرب) (مرب)

(مريب) ، أي مأرب هي عاصمة سبأ الأولى في أيام الملوك ، ورمز الحكم في سبأ في هذا العهد . وهي وان خربت وطمرت في الأثرية إلا أن اسمها لا يزال حياً معروفاً، ولا يزال موضعها مذكوراً ، ويسكن الناس في (مأرب) و(مأرب) الحاضرة هي غير مأرب القديمة ، فقد أنشئت الحاضرة حديثاً على أنقاض المدينة الأولى ، على مرتفع تحته جزء من أنقاض المدينة القديمة وتقع في القسم الشرقي من مدينة (مأرب) الأولى .

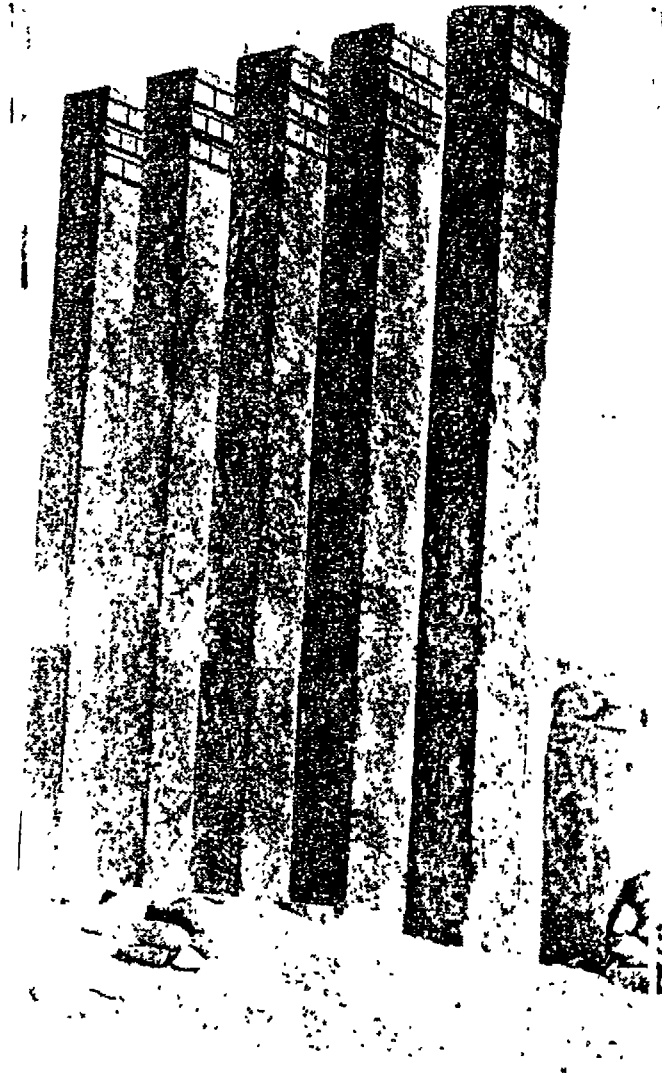
وقد كانت مأرب كأكثر المدن اليمنية الكبيرة مسورة بسور قوي حصين له أبراج ، يتحصن به المدافعون اذا هاجم المدينة مهاجم . وقد بني السور بحجر (البلق) كما نص عليه في الكتابات^١ ، وهو حجر صلد قُدَّ من الصخر ، أقيم على أساس قوي من الحجر ومن مادة جيرية تشد أزرها ، وفوقه صخور من الغرانيت^٢ . ويحيط السور بالمدينة ، بحيث لا يدخل أحد إليها الا من بابين. فقد كانت مأرب مثل (صرواح) ذات بابين فقط في الأصل^٣ .

وأعظم أبنية مأرب وأشهرها ، قصر ملوكها ومعبدها الكبير . أما قصر ملوكها فهو القصر المعروف بقصر (سلحن) (سلحين) (سلحم) . وقد ورد ذكره في الكتابات، وعمر ورم مراراً . وقد ورد في لقب النجاشي (إيزانا) "Ezana" ملك (أكسوم) ، وذلك في حوالي السنة (٣٥٠م) ليدل بذلك على امتلاكه لأرض سبأ واليمن^٤ . وقد عرف في الإسلام ، وذكره (الهمداني) في جملة القصور الشهيرة الكبيرة في اليمن^٥ .

ويقع مكانه في الخرائب الواسعة الواقعة غرب المدينة ، والى الجنوب من خرابته خرائب أخرى على شكل دائرة ، تحيط بها أعمدة ، يظهر أنها لم تكن مبنية في الأصل . وتشاهد أعمدة وأثرية متراكمة هي بقايا معبد (المقه) إله سبأ ، المعروف بـ (المقه بعل برآن) (المقه بعل بران) أي معبد (المقه) (رب برآن) . وفي الناحية الشمالية والغربية من المدينة وفي خارج سورها ،

Glaser 418, 419.	١
Beiträge, S. 27.	٢
Beiträge, S. 27.	٣
Beiträge, S. 27.	٤
Beiträge, S. 27.	٥

تشاهد بقايا مقبرة جاهلية ، يظهر انها مقبرة مأرب قبل الاسلام . وتشاهد آثار
قبورها ، وقد تبين منها ان بعض الموتى وضعوا في قبرهم وضعاً ، وبعضهم
دفنوا وقوفاً ، وقد حصل (كلاسر) وغيره من السياح والباحثين على أحجار
مكتوبة ، هي شواهد قبوراً .



أعمدة من بقايا معبد (المقه) بمدينة مأرب . ويبلغ طول العمود الواحد
حوالي ثلاثين قدماً . من كتاب «Qataban and Sheba» (الصفحة ٢٢٥)

Belträge, S. 28.

وعلى مسافة خمسة كيلومترات تقريباً من مأرب ، تقع خرائب معبد شهير ، كانت له شهرة كبيرة عند السبئيين، يعرف اليوم بـ (حرم بلقيس) وبـ (محرم بلقيس)، وهو معبد (الملقه يعلى أوم) ، أي معبد الإلهة (الملقه) رب (أوام). ويرى بعض الباحثين أن هذا المعبد هو مثل معبد (الملقه) في (صرواح) والمعبد المسمى اليوم بـ (المساجد) من المعابد التي بنيت في القرن الثامن قبل الميلاد . وقد بناها المكرب (يدع ايل ذرح) . وقد يكون المعبد الخرب في (روديسيا) والمعبد الآخر في (اوكاندا) (أوغاندا) ، من المعابد المتأثرة



تمثال من البرنز عثر عليه في معبد اوام بمأرب
من كتاب : «Qataban and Sheba» (الصفحة ٢٧٦)

بطراز بناء معبد (حرم بلقيس) ، فان بينها وبين هذا المعبد شبهاً كبيراً في طراز البناء وفي المساحة والأبعاد .

وعلى مسافة غير بعيدة من (حرم بلقيس) ، خرائب تسمى (عمائد)

(عمابد) في الزمن الحاضر ، منها أعمدة مرتفعة بارزة عن التربة ، ويظهر أنها بقايا معبد (برآن) (برن) (بران) خصص بعبادة الإله (المقم) الذي ذكر في الكتابة الموسومة بـ Glaser 479 وفي الجهة الغربية من هذا المعبد ، تشاهد أربعة أعمدة أخرى هي من بقايا معبد آخر .

قوائم بأسماء ملوك سبأ

قائمة (هومل) :

أول ملك وآخر مكرب هو (كرب آل وتر) (كرب ايل وتر) الذي جمع بين اللقبين : لقب (مكرب) المقدس ولقب (ملك) الدنيوي . وقد تلاه عدد من الملوك وأبناء الملوك هم :

سمه على ذرح .

الشرح بن سمه على ذرح .

كرب آل وتر بن سمه على ذرح .

يدع آل بين بن كرب آل وتر .

يكرب ملك وتر .

يشع امر بين .

كرب آل وتر .

ويرى هومل ان أسرة جديدة تربعت عرش (سبأ) بعد هذه الأسرة المتقدمة ، خلفتها إما رأساً وإما بعد فترة لا نعرف مقدارها بالضبط ، قدرها بنحو خمسين سنة امتدت من سنة (٤٥٠) حتى سنة (٤٠٠) قبل الميلاد . وتتألف هذه الأسرة من :

سمه على ينف .

الشرح .

ذمر على بين .

وهناك أسرة أخرى حكمت (سبأ) تنتمي الى عشيرة (مرثد) من (بكيل)
تألف من :

وهب آل (وهب ايل) راجع النصين : (Glaser 223) (Glaser 179) وهما من (حاز) .

انمرم يهنعم (أنمار يهنعم) ، وهو ابن (وهب آل) .

ذمر على ذرح .

نشاكرب يهنعم (نشأكرب يهنعم) .

نصرم يهنعم ؟ (ناصر يهنعم) .

وهب آل يحز (وهب ايل يحز) .

كرب آل وتر يهنعم .

فرعم يهنب (فارع يهنب) .

ويرى (هومل) ان الملك ، (الكرب يهنعم بن حم عثت) (الكرب

يهنعم بن جمعت) و (كرب آل وتر) هما من جمهرة جديدة من جمهرات
ملوك سبأ^١ .

قائمة (كليان هوار) :

وتألف هذه القائمة ، وهي قديمة ، من الجمهرات الآتية :

الجمهرة الأولى وقوامها :

سمه على ذرح .

الشرح .

كرب آل .

الجمهرة الثانية ورجالها :

يشع امر .

Handbuch, I, S. 88, 89, 90.

كرب آل وتر .
 يدع آل بين .
 الجمهرة الثالثة وتتكون من :
 وهب آل يحز .
 كرب آل وتر يهنعم .
 الجمهرة الرابعة ورجالها :
 وهب آل .
 أثمار يهنعم .
 الجمهرة الخامسة وأصحابها :
 ذمر على ذرح .
 نشاكرب يهنعم .
 ولم يشر الى مكان الملكين : (يكرب ملك وتر) و (يرم ايمن) بين
 هذه الجمهرات ، وان كان أشار الى (يرم ايمن) في قائمة الملوك الهمدانيين^١ .

قائمة (فليبي) :

- ١ - كرب آل وتر . حكم على تقديره حوالي سنة (٦٢٠) قبل الميلاد .
- ٢ - سمه على ذرح لم يتأكد من اسم والده ، ويرى أن من المحتمل أن يكون كرب آل وتر . حكم حوالي سنة (٦٠٠) قبل الميلاد .
- ٣ - كرب آل وتر بن سمه على ذرح . حكم حوالي سنة (٥٨٠) قبل الميلاد .
- ٤ - الشرح بن سمه على ذرح . تولى الحكم حوالي سنة (٥٧٠) قبل الميلاد .
- ٥ - يدع آل بين بن كرب آل وتر . صار ملكاً حوالي سنة (٥٦٠) قبل الميلاد .
- ٦ - يكرب ملك وتر بن يدع آل بين . تولى الحكم سنة (٥٤٠) قبل الميلاد .
- ٧ - يثع أمر بين بن يكرب ملك وتر . حكم حوالي سنة (٥٢٠) قبل الميلاد .
- ٨ - كرب آل وتر بن يثع أمر بين . تولى الحكم في حدود سنة (٥٠٠) قبل الميلاد .

Cl. Huart, Geschichte der Araber, BD., I, S., 56.

- ٩ - سمه على ينف . لم يتأكد (فلي) من اسم أبيه ، وحكم على أبيه حوالي سنة (٤٨٠) قبل الميلاد .
- ١٠ - الشرح بن سمه على ينف . حكم حوالي سنة (٤٦٠) قبل الميلاد .
- ١١ - ذمر على بين بن سمه على ينف . تولى الحكم في حدود سنة (٤٤٥) قبل الميلاد .
- ١٢ - يدع آل وتر بن على بين . تولى حوالي سنة (٤٣٠) قبل الميلاد .
- ١٣ - ذمر على بين بن يدع آل وتر . تولى الحكم في حدود سنة (٤١٠) قبل الميلاد .
- ١٤ - كرب آل وتر بن ذمر على بين . حكم حوالي سنة (٣٩٠) قبل الميلاد .
- ١٥ - وترك (فلي) فجوة بعد اسم هذا الملك قدرها بنحو عشرين عاماً ، ثم ذكر اسم الكرب يهنم . وهو على رأي (فلي) من الأسرة الملكية الثالثة التي حكمت مملكة سبأ ، وقد حكم في حوالي سنة (٣٥٠ ق. م) .
- ١٦ - كرب آل وتر . حكم في حدود سنة (٣٣٠ ق. م .) .
- ١٧ - وهب آل ولم يتأكد من اسم أبيه ، ويرى ان من المحتمل أن يكون اسمه (سرو) . حكم في حدود سنة (٣١٠ ق. م .) .
- ١٨ - انمار يهنم بن وهب آل يحز . حكم في حدود سنة (٢٩٠ ق. م) .
- ١٩ - ذمر على ذرح بن انمار يهنم . حكم في حدود سنة (٢٧٠ ق. م) .
- ٢٠ - نشا كرب يهنم بن ذمر على ذرح . حكم حوالي سنة (٢٥٠ ق. م) .
- وترك (فلي) فجوة أخرى بعد اسم هذا الملك قدرها بنحو ثلاثين عاماً ، أي من حوالي سنة (٢٣٠) الى سنة (٢٠٠) قبل الميلاد ، ذكر بعدها اسم :
- ٢١ - نصرم يهنم (ناصر يهنم) ، وهو من أسرة ملكية رابعة ، وكان له شقيق اسمه (صدق يهب) . حكم في حدود سنة (٢٠٠) قبل الميلاد .
- ٢٢ - وهب آل يحز . حكم في حوالي سنة (١٨٠) قبل الميلاد .
- ٢٣ - كرب آل وتر يهنم بن وهب آل يحز . حكم في حوالي سنة (١٦٠) قبل الميلاد .
- وقد اغتصب العرش (برم ايمن) وابنه (علهن نهفن) (علهان نهفان) في حدود سنة (١٤٥) الى سنة (١١٥) قبل الميلاد ، وهما مكونا الأسرة الحمدانية المالكة ، وقد استعاد العرش الملك :

- ٢٤- فرعم ينهب في حدود سنة (١٣٠) قبل الميلاد .
 ٢٥- الشرح يحضب بن فرعم ينهب . حكم حوالي سنة (١٢٥) قبل الميلاد ،
 وهو من ملوك (سبأ وذو ريدان) .

قائمة (ريكمنس) :

- وقد رتب (ريكمنس) أسماء ملوك سبأ على النحو الآتي :
- ١ - كرب وتر (كرب ايل وتر) .
 - ٢ - يدع آل بين (يدع ايل بين) .
 - ٣ - يكرب ملك وتر .
 - ٤ - يثع أمر بين .
 - ٥ و ٦ - سمه على ذرح وكرب ايل وتر (الشرح) .
 -
 - ٧ - سمه على ينوف (سمه على ينف) .
 - ٨ - يدع آل وتر (يدع ايل وتر) .
 - ٩ - ذمر على بين .
 -
 - ١٠ - يدع آل ذرح (يدع ايل ذرح) .
 - ١١ - يثع أمر وتر .
 - ١٢ - سمه على ينف (سمه على ينوف) .
 - ١٣ - ذمر على بين (الشرح) .
 -
 - ١٤ - يدع آل (يدع ايل) .
 - ١٥ - ذمر على ذرح .
 - ١٦- نشأ كرب يهأمن ، وهو على رأيه آخر الملوك من الأسرة الشرعية الحاكمة . وقد انتقلت سبأ بعده من حكم الملوك السبئيين الى حكم أسرة جديدة يرجع نسبها الى قبيلة (همدان) وذلك سنة (١١٥) قبل الميلاد^١ وكان أول من تولى الحكم منها الملك (نصرم يهأمن) (ناصر يهأمن).

J. Ryckmans, L'institution, P. 336.

وترك (ريكمنس) فراغاً بعد (نصرم يهأمن) ، ذكر بعده اسم (وهب
 آل يحز) (وهب ايل يحز) ، وكان منافسه (أوسلت رفشان) ، ثم ذكر
 بعد (وهب آل يحز) اسم أثمار يهنعم ، وكرب ايل وتر يهنعم ، نسيم يرم
 أيمن . ثم اسم (فرعم يههب) ، وهو من (بكيل) ، وكان معاصراً
 لـ (علهان نهفان) وابنه (شعرم أوتر) ، وهما من (حاشد) .

الفصل الخامس والعشرون

همدان

ومن القبائل الكبيرة التي كان لها شأن يذكر في عهد (ملوك سبأ) ، قبيلة (همدان) والنسابةون بعضهم يرجع نسبها الى : (أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة الخيار بن زيد بن كهلان) ، وبعض آخر يرجعونه الى (همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان) ، الى غير ذلك من ترتيب أسماء تجدها مسطورة في كتب الأنساب والأخبار^١ . ويرجع أهل الأنساب بطون همدان ، وهي كثيرة ، الى (حاشد) و (بكيل). أما (حاشد) ، فتقع مواطنها في الأرضين الغربية من (بلد همدان) ، وأما (بكيل) ، فقد سكنت الأرضين الشرقية منه^٢ . وهما في عرفهم شقيقان من نسل (جشم بن خيران بن نوف بن همدان)^٣ . وقد تفرع من الأصل بطون

- ١ منتخبات (ص ١١٠) ، الاشتقاق (٢٥٠/٢) ، ابن خلدون (٢٥٢/٢) ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب (٣٦٩) ، المبرد ، نسب عدنان وقحطان ، (ص ٢١) ، تاج العروس (٥٤٧/٢) ، Ency., II, P. 246.
- ٢ Handbuch, I, S., 113, ENCY., II, P. 246.
- ٣ تاج العروس (٣٣٦، ٢٣٢/٢) ، (حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان) ، منتخبات (ص ٥٣، ٢٧) ، (ولد همدان نوحا وخيران ، فمنهم بنو حاشد وبنو بكيل ، منهم تفرقت همدان) ، الاشتقاق (٢٥٠/٢) (طبعة وستنفلد) (حاشد بن جشم بن خيوان بن نوفل بن همدان) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٣٧٢) (تحقيق ليفي بروفنسال) ، (وأولد نوف بن همدان خيران ، فأولد خيران جشم ، فأولد جشم حاشدا الكبرى وبكيلا) ، الاكليس (٢٨/١٠)

عديدة ، ذكر أسماءها وأنسابها (الهمداني) في الجزء العاشر من (الإكليل) ، وهو الجزء الذي خصصه بحاشد وبكيل^١ .

وقد ورد في الكتابات العربية الجنوبية أسماء عدد من المدن والمواضع الهمدانية ورد عدد منها في (صفة جزيرة العرب) و (الإكليل) وفي كتب أخرى ، ولا يزال عدد غير قليل من أسماء تلك المواضع أو القبائل والبطون التي ورد ذكرها في الكتابات باقياً حتى الآن . وتقع هذه المواضع في المناطق التي ذكرت في تلك الكتابات، وهي تفيدنا من هذه الناحية في تعيين مواقع الأمكنة التي وردت أسماءها في النصوص ، ولكننا لا نعرف الآن من أمرها شيئاً .

وكان للهمدانيين مثل القبائل الأخرى إله خاص بهم ، اسمه (تالب) (تالب) اتخذوا لعبادته بيوتاً في أماكن عدة من (بلد همدان) . وقد عرف أيضاً في المسند بـ (تالب ريمم) (تالب ريمم) ، أي (تالب ريام)^٢ . وقد انتشرت عبادته بين همدان، وخاصة بعد ارتفاع نجمهم واغتصابهم عرش سبأ من السبئيين ، فصار لإله همدان ، يتعبد له الناس تعبدهم لإله سبأ الخاص (المقه) ، فتقربت إليه القبائل الأخرى ، ونذرت له النذور . ونجد في الكتابات أسماء معابد عديدة شيدت في مواضع متعددة لعبادة هذا الإله ، وسميت باسمه .

وقد تنكر الهمدانيون فيما بعد لإلههم هذا ، حتى هجروه . ولما جاء الإسلام كانوا يتعبدون - كما يقول ابن الكلبي - لصنم هو (يعوق) ، وكان له بيت بـ (خيوان)^٣ . وقد نسوا كل شيء عن الإله (تالب ريام) ، نسوا أنه كان إلهاً لهم ، وأنه كان معبودهم الخاص ، إلا أنهم لم ينسوا اسمه، اذحولوه الى انسان ، زعموا انه جد (همدان) وأنه هو الذي نسل الهمدانيين ، فهم كلهم من نسل (تالب ريام) .

ولم يكتف الهمدانيون بتحويل إلههم الى إنسان ، حتى جعلوا له أباً سموه (شهران الملك) ، ثم زوجه من (ترعة بنت يازل بن شرحبيل بن سار

١ نشر بتحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية (١٣٦٨ هـ) .

٢ CIH, IV, I, IV, P. 529.

٣ الأصنام (ص ٥٧) ، (ومن بطون همدان أيضاً : بطن يقال لهم بنو قابض بن يزيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم . وكان عمرو بن لحي دفع الى قابض المذكور صنما اسمه يعوق ، فجعله في قرية باليمن يقال لها خيوان ، فكان يعبد من دون الله ٠٠٠) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٣٧١) .

بن أبي شرح يحضب بن الصوار^١، وجعلوا له ولداً منهم (يطاع)، و (يارم).
 وأما أبوه (شهران) - على حد قول أهل الأخبار - فهو ابن (ريام بن
 نهقان)، صاحب محفد (ريام). وأما (نهقان)، والد (ريام)، فهو
 ابن (بتع) الملك، وشقيق (عليهان بن بتع)، وكان ملكاً كذلك. وأمها
 (جميلة بنت الصوار بن عبد شمس)^٢. وأما (بتع)، فهو ابن (زيد بن
 عمرو بن همدان)^٣، وكان قريباً لـ (شرح يحضب بن الصوار بن عبد شمس)،
 واليه ينسب سد (بتع).

وإذا دققنا النظر في هذه الأسماء، أساء الآباء والأجداد والأبناء والبنات
 والحفدة والأمهات، نجد فيها أساء وردت حقاً في الكتابات، إلا أن ورودها
 فيها ليس على الصورة التي رسمها لها أهل الأخبار. ف (ترعة) مثلاً،
 وهو اسم زوجة (تألب ريام) المزعومة، لم يكن امرأة في الكتابات، وإنما
 كان اسم موضع شهير ورد اسمه في الكتابات الهمدانية، عرف واشتهر بمعبده
 الشهير المخصص بعبادة الإله (تألب ريام) معبد (تألب ريام بعل ترعت)^٤.
 والظاهر أن الأخباريين - وقد ذكرت أن منهم من كان يستطيع قراءة المساند
 لكن لم يكونوا يفهمون معاني هذه المساند كل الفهم - لما قرأوا الجملة المذكورة
 ظنوا أن كلمة (بعل) تعني الزواج كما في لغتنا، فصار النص بحسب تفسيرهم
 (تألب زوج ترعت). وهكذا صيروا (ترعت) (ترعة) زوجة لـ (تألب
 ريام)، وصيروا (تألب ريام) رجلاً زوجاً، لأنهم لم يعرفوا من أمره
 شيئاً.

و (أوسلة) الذي جعلوه اسماً لـ (همدان) والد القبيلة، هو في الواقع
 (أوسلت رفش) في كتابات المسند. وهو والد (يرم أيمن) (يريم أيمن) (ملك سبأ).
 وقد عرف (الهمداني) اسم (أوسلت رفش) (أوسلة رفشان)، فذكر
 في كتابه (الإكليل) أن اسمه كان مكتوباً بالمسند على حجر بمدينة (ناعط)،

١ الاكليل (١٧/١٠) وما بعدها

٢ الاكليل (١٣/١٠) وما بعدها

٣ الاكليل (١١/١٠) وما بعدها

٤ CIH 337, 338, IV, I, IV, P. 388, 390, 391.

٥ Glaser, Abessi, S. 63, Glaser 1320, 1359, 1360.

ودون صورة النص كما ذكر معناه^١ . ويظهر من عبارة النص ومن تفسيره ان (الهمداني) لم يكن يحسن قراءة النصوص ولا فهمها ، وان كان يحسن قراءة الحروف وكتابتها . ولم يتحدث (الهمداني) بشيء مهم عن (أوسله رفشان) في الجزءين المطبوعين من (الإكليل) ، وقد ذكره في الجزء الثامن في معرض كلامه على حروف المسند ، فأورده مثلاً على كيفية كتابة الأسطر والكلمات^٢ . وذكره في الجزء العاشر في (نسب همدان) ، في حديثه عن (بطاع) و (يارم) ابني (تألب ريام بن شهران) على حد قول الرواة ، ولم يذكر شيئاً يفيد انه كان على علم به^٣ .

وأرى ان أهل الأنساب أدخلوا نسبهم الذي وضعوه لـ (أوسله) ولغيره من أنساب قبائل اليمن القديمة من قراءتهم للمساند . وقد كان بعضهم — كما قلت — يحسن قراءة الحروف ، الا انه لم يفهم المعنى كل الفهم ، فلما قرأوا في النصوص (أوسلت رفشن بن همدان)^٤ ، أي (أوسله رفشان من قبيلة همدان) ، أو (أوسله رفشان الهمداني) بتعبير أصح ، ظنوا ان لفظة (بن) تعني (ابن) ، ففسروا الجملة على هذا النحو : (أوسله رفشان بن همدان) وصيروا (أوسله) ابناً لـ همدان ، مع ان (بن) في النص هي حرف جر بمعنى (من) ، وليست لها صلة بـ (ابن) .

و (أوسلت) (أوسله) مركبة من كلمتين في الأصل ، هما : (أوس) : بمعنى (عطية) أو (هبة) ، و (لت) (لات) ، وهو اسم الصنم (اللات) ، فيكون المعنى (عطية اللات) ، أو (هبة اللات) . ومن هذا القبيل (أوس آل) ،

١ الاكليل (١٨/١٠) ، كتب انستاس ماري الكرملني الاسم على هذا الشكل : (أوسله رفشان) ، (١٤٢/٨) ، اما (نبيه امين فارس) فقد كتبه (أوسله رفشن) ، واعتقد ان هذا الخطأ في النقل انما أحدثه النساخ ، وان (الهمداني) ، كان يعرف الاسم معرفة صحيحة ، بدلالة كتابته صحيحة في الجزء العاشر الذي نشر بتحقيق محب الدين الخطيب . وقد نقضت الكلمة الاولى من الاسم المدون نقشاً قريياً جداً من الصفحة في طبعتي الكرملني ونبيه . اما الكلمة الثانية من الاسم وباقي النص ، فقد حرفها النساخ على ما يظهر تحريفاً قبيحاً ابعدها عن الصواب .

٢ الاكليل (١٢٣/٨) .

٣ الاكليل (١٨/١٠) .

٤ Glaserabessl., S. 63, Glaser 1320, 1359, 1360.

أي (أوس ايل) ، ومعناها (وهب ايل) و (عطية ايل) ، و (سعدلت)
أي (سعد لات) و (عبد لات) و (زيد لات) ، وما شاكل ذلك من
أسماء^١ .

وقد أغفلت النصوص التي ذكرت اسم (أوسلت رفشان) اسم أبيه . غير
أن هناك كتابات أخرى ذكرت من سمته (أوسلت بن أعين) ، (أوسلة بن
أعين) ، فذهب علماء العرييات الجنوبية الى أن هذا الرجل الثاني هو (أوسلة
رفشان) نفسه ، وعلى ذلك يكون اسم أبيه (أعين) ، وهو من همدان^٢ .
وقد عاش في حوالي السنة (١٢٥ ق. م.) على تقدير (البرايت)^٣ .

وقد جعل (فون وزمن) (أعين) من معاصري (ياسر بهصدق) الحميري
و (ذمر على ذرح) ملك السبئين ، و (نشأكرب يهأمن) من أسرة (جرت)
(كرت) (كرات) (جرأت) . وجعل زمانهم في حوالي السنة (٨٠) بعد
الميلاد^٤ . وهو تقدير يخالف رأي (فلي) و (البرايت) وغيرهما ممن وضعوا
أزمنة لحكم الملوك .

وقد ذكر اسم (أوسلت رفشان) في نص وسمه العلماء بـ CIH 647 ، وهو
نص قصير مثلوم في مواضع منه ، يفهم منه أنه بني بيتاً ، ولم يرد في النص
أبن بني ذلك البيت ، ولا نوع ذلك البيت : أكان بيت سُكنى أم بيت عبادة^٥ .
وقد عاش (أوسلت رفشن) (أوسلة رفشان) في حوالي السنة (١١٠ م)
على رأي (فون وزمن)^٦ . وكان من المعاصرين للملك (رب شمس) (ربشمس)
من ملوك حضرموت ، وللملك (وهب آل يحز) (وهب ايل يحز) ، وهو
من ملوك (بني بتع) من (سمعي)^٧ . أما (فلي) ، فيرفع أيام هؤلاء المذكورين
الى ما قبل الميلاد ، أي الى العهود التي سبقت تأليف حكومة (سبأ وذي ريدان)^٨ .

-
- | | |
|--|---|
| Glaser, Abessl., S. 63. | ١ |
| Glaser 1228, 1320, Abessl., S. 63, Handbuch, I, S. 90, Le Muséon, 1964, 3-4, | ٢ |
| P. 498, P. Mahram, P. 284, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 281. | |
| BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 9. | ٣ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٤ |
| CIH 647, Langer 17, Brit. Mus. 67. | ٥ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٦ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٧ |
| Background, P. 88, 91. | ٨ |

وأما (البرايت) ، فجعل أيامه في حوالي السنة (١٠٠ ق. م.)^١ .
وجعل (فون وزمن) (سعد شمس اسرع) ، الذي هو من (مرثد) من
فرع (بكيل) من المعاصرين لـ (أوصلت رفشن) (أوصلت رفشان) . وتقع أرض
(مرثد) في (شبام أقيان)^٢ .

ويظهر من النص الموسوم بـ CIH 287 ان (أوصلت) كان (مقتوى) ،
أي قائداً كبيراً من قواد الجيش عند (ناصر يهأمن) ، ثم صار قبلاً (قول)
على عشيرة (سمعي) ، في أيام (وهب ايل يحز)^٣ . فبرز اسمه واسم أولاده
وصار لهم سلطان في عهد هذا الملك^٤ . والظاهر انه كان كبير السن في هذا
العهد ، وان وفاته كانت في أيام (وهب ايل) .

وقد عرفنا من الكتابات اسم ولدين من ولد (أوصلت رفشان) أحدهما (يرم
أيمن) ، والآخر (برج يهرجب) ، (برج يهرجب)^٥ . وقد ورد اسمها
في عدد من الكتابات ، منها الكتابة الموسومة بـ Jamme 561 Bis التي تحدثت
عنها في أثناء كلامي على (وهب ايل يحز) . وقد وجدنا فيها ان الشقيقين
وكذلك (علهان نهفان) وهو ابن (يرم أيمن) ، كانوا أقبالاً اذ ذاك على
عشيرة (سمعي) ، التي تكونت ثلث عشائر قبيلة (حاشد) ، وانهم كانوا قد
أسهموا في الغارة التي شنّها الملك (وهب ايل يحز) على الأعراب .

وقد ورد اسمها في الكتابة الموسومة بـ Glaser 1359, 1360^٦ ، وقد تبين
منها انها كانا قبيلتين (قول) على قبيلة (سمعي) ثلث (حاشد) ، وانها
قدما الى حاميهما الإله (تالب ريمم) (تالب ريام) ، بعل (ترعت) ، أي
رب معبده المقام في (ترعت) (ترعة) ، ستة تماثيل (ستين أصلمن) ،
لأنه من على (يرم أيمن) بالتوفيق والسداد في مهمته ، فعقد الصلح بين ملوك

BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 9. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٢

Abessl., S. 63. ٣

Mahram, P. 285. ٤

في بعض الكتابات (يهرجب) ، وفي بعض اخر (يهرجب) ومرد هذا التباين
الى قراءة تلك الكتابات ، واختلافهم في نسخ الحروف . ٥

CIH 315, IV, I, IV, P. 346, Halevy Revue Semitique, IV, 1897, P. 76, Winckler, ٦

Die Sab. Inschr. der Zeit Alhan Nahfan's, S. 9.

سبأ وذو ريدان وحضرموت وقتبان، وذلك بعد الحرب التي وقعت بينهم فانتشرت في كل البلاد والأرضين ، بين هؤلاء الملوك المذكورين وشعوبهم وأتباعهم . وقد كان من منن الإله (تآلب ريام) على (برم أيمن) أن رفع مكانته في عين ملك سبأ ، فاتخذته وسيطاً في عقد صلح بينه وبين سائر الملوك ، فنجح في مهمته هذه ، وعقد الصلح وذلك في سنة (ثوبن بن سعد بن يهسم)^١ .

وقد اختتم النص بدعاء الإله (تآلب ريام) أن يوفق (برم أيمن) ويدم له سعادته ، ويرفع منزلته ومكانته دائماً في عين سيده (امراهمو ملك سبأ) ملك سبأ ، ويشارك له ، ويزيد في تقدمه ، ويتزل غضبه وثوره (ثر) وضرره وتشتيته على أعداء (برم أيمن) وحساده وكل من يترصد الدوائر بـ (تآلب ريام)^٢ .

وبتين من هذا النص الموجز - الذي كتب لإظهار شكر (برم أيمن) لإلهه (تآلب ريام) على توفيقه له ، وعلى ما من عليه به من الإيحاء الى ملك سبأ بأن يختاره وسيطاً - أن حرباً كاسحة شاملة كانت قد نشبت في العريضة الجنوبية في أيام الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ، وأن الملك كلفه أن يتوسط بين المتنازعين ، وهم حكومات سبأ وذو ريدان وحضرموت وقتبان ، ويعقد صلحاً بينهم ، وأنه قد أفلح في وساطته ، وسر كثيراً بنجاحه هذا وباختياره لهذا المركز الخطير ، الذي اكسبه منزلة كبيرة ، وهيبة عند الحكومات ، فشكر إلهه الذي وفقه لذلك ، وقد كان يومئذ قتيلاً من الأقبال . وقد ساعدته هذه الوساطة كثيراً ، ولا شك ، فهدت له السبيل لأن يتنازع (ملك سبأ) التاج . وقد اتخذ (كلاسر) من سكوت النص عن ذكر اسم (معين) دليلاً على انقراض (مملكة معين) ، وفقدان شعب معين استقلاله ، وهو رأي عارضه بعض الباحثين^٣ .

وقد وصل إلينا نص قصير لقب فيه (برم أيمن) بلقب (ملك سبأ) ، وقد سجله ابنه ، ولقب ابنه بهذا اللقب كذلك . وهو نص ناقص أعرب فيه

١ الفقرة الخامسة عشرة من النص ، غويدي : المختصر (ص ٢١ وما بعدها) *

٢ بتآلب (يمم) ، الفقرتان (٢٢) و (٢٣) من النص *

٣ Abessl, S. 72, KTB., II, S. 68, Hartmann, Arab. Frage., S. 142, 144.

ابنا (يرم أيمن) عن شكرهما للإله (تالب ريام) لأنه من " وبارك عليهما " .
فهذا النص إذن من النصوص المتأخرة بالنسبة الى أيام (يرم أيمن) .
وانتهى إلينا نص مهم ، هو النص المعروف بـ Wien 669 ، وقد دوتنه
أحد أقبال (أقول) قبيلة (سمعي) ، وقد سقط اسمه من الكتابات ، وبقي
اسم ابنه ، وهو (رفش) (رفشان) من آل (سخيم) .

أما قبيلة (سمعي) المذكورة في هذا النص ، فهي (سمعي) ثلث
(ذ حجرم) (ذو حجر) . وقد قدم هذا القيل مع ابنه (رفشان) الى
الإله (تالب ريام) (بعل رحبان) (بعل رحبن) نذراً ، وذلك لعافيتها
وسلامة حصنها ، حصن (ريمن) (ريمان) ، ونحير وعافية قيلها وقبيلته
(يرسم) التي تكون ثلث (ذي حجر) ، وليبارك في مزروعاتها وفي غلات
أرضها ، ولينزل بركته ورحمته على (يرم أيمن) و (كرب ايل وتر) ملكي
سبأ . وقد ختم النص بتضرع (تالب ريام) أن يهلك أعداءهما وحسادهما وجميع
الساكنين لهما ومن يريد بهما سوءاً^٢ .

وقد جعل (فون وزمن) ، (يرم أيمن) معاصراً لـ (أنمار يهأمن)
الذي ذكره بعد (وهب ايل يحز) ، ثم لـ (كرب ايل يهنعم) ، وهما في
رأيه من المعاصرين لـ (شمر يهرعش الأول) من ملوك (حبر) أصحاب
(ظفار) . وجعل (كرب ايل وتر يهنعم) معاصراً للملك (كرب ايل بين)
ملك سبأ الشرعي من الأسرة الحاكمة في (مأرب) . وجعل (يرم أيمن)
من المعاصرين لـ (مرثد يهقبض) ، وهو من (جرت) (كرت) (كرات)
ولـ (مرثدم) (مرثد) الذي ذكر بعد (نبط يهنعم) آخر ملوك قتبان ،
كما جعله من المعاصرين للملك (يدع ايل بين) من ملوك حضرموت . وجعل
حكم (يرم أيمن) فيما بين السنة (١٣٠) والسنة (١٤٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد نشر (جامه) نصاً وسمه بـ Jamme 565 جاء فيه : ان جماعة من (بني
جدنم) (جدن) قدموا الى الإله (المقه بعل أوام) نذراً تمثالاً (صلن)

Abessl., S. 70, ZDMG., XXXIII, 485.

Wien 669, REP. EPIG., 4190, VII, I, P. 131, SE 8, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 282.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

لأنه منّ عليهم بالعافية ووقفهم في الغارة التي أسهموا فيها بأمر سيديهما ملكي سبأ : يرم أيمن وأخيه كرب ايل وتر ، ولأنه بارك لهما ومنحها السعادة بإرضاء مليكها^١ . وقصد بلفظة (واخييه) حليفه ، لأنهما متآخيان بتحالفهما . ويلاحظ أن هذا النص قد قدّم اسم (يرم أيمن) على اسم الملك (كرب ايل وتر) مع أن هذا هو ملك سبأ الأصيل ، ولقب (يرم أيمن) بلقب ملك ، أي أنه أشركه مع الملك (كرب ايل) في الحكم، وفي هذا دلالة على أن (يرم أيمن) كان قد اعلن نفسه ملكاً على سبأ ، ولقب نفسه بألقاب الملوك وان الملك الأصلي اعترف به، طوعاً واختياراً أو كرهاً واضطراً ، فصرنا نجد اسمي ملكين يحملان هذا اللقب : لقب (ملك سبأ) في وقت واحد .

وقد ورد اسم (يرم أيمن) في النص الموسوم به CIH 328 وقد لقب فيه بلقب (ملك سبأ) ، الا ان النص لم يذكر اسم ملك سبأ الأصيل الذي كان يحكم اذ ذاك^٢ . وقد ذكر في هذا النص اسم الإله (تألب ريام) ، وهو إله همدان ، ولم يذكر معه اسم أي إله آخر . ولما كان صاحب النص همدانياً ، وقد كان (يرم أيمن) ملك همدان وسيدها ، لم يذكر اسم ملك سبأ ولم يشر إليه ، واكتفى بذكر ملكه فقط .

هذا وليس في استطاعتنا تثبيت الزمن الذي لقب فيه (يرم أيمن) نفسه بلقب (ملك سبأ) . فقد رأيناه قبلاً في أيام الملك (وهب ايل يحز) ورأينا صلاته به لم تكن على ما يرام في بادئ الأمر ، وانه كان يتمنى لو ان الإله (المقه) أسعده بالتوفيق بين ملكه وبينه . ثم لا ندري ما الذي حدث بينهما بعد ذلك . ولكن الظاهر ان طموح (يرم أيمن) دفعه الى العمل في توسيع رقعة سلطانه وفي تقوية مركزه ، حتى نجح في مسعاه ، ولا سيما في عهد (كرب ايل وتر يهنعم) ، فلقب نفسه بلقب (ملك) ، وأخذ ينقش لقبه هذا في الكتابات ، وصار يحمل اللقب الرسمي الذي يحمله ملوك سبأ الشرعيون حتى وفاته .

وقد عرفنا من الكتابات اسمي ابنين من أبناء الملك (يرم أيمن) ، هما :

١ Jamme 565, MaMb 266, Mahram P. 47.

٢ Mahram, P. 288.

(علهان نهفان) ، و (برج يهرجب) (برج يهرحب) (بارج يهرحب)^١ .
 (برج يهامن)^٢ . أما (علهان نهفان) ، فهو الذي تولى الملك بعد أبيه .
 وقد لقب بـ (ملك سبأ) ، وعاصر (كرب ايل وتر يهنعم) وابنه (فرعم
 ينهب) .

وقد ذكر (فشوان بن سعيد الحميري) ان (علهان اسم ملك من ملوك
 حير ، وهو علهان بن ذي يتع بن يحضب بن الصوّار ، وهو الكاتب هو وأخوه
 نهفان لأهل اليمن الى يوسف بن يعقوب ، عليهما السلام ، بمصر في المرة لما
 انقطع الطعام عن أهل اليمن)^٣ . ففرق (نشوان) بين (علهان) و (نهفان) ،
 وظن انها اسمان لشقيقتين . وقد دوّن (الهمداني) صور نصوص ذكر انه نقلها
 من المسند ، وفرّق فيها أيضاً بين (علهان) و (نهفان) ، فذكر مثلاً انه
 وجد (في مسند يصنعاء على حجارة نقلت من قصور حير وهدان : علهان
 ونهفان ، ابنا يتع بن همدان)^٤ ، و (علهن ونهن ابنا يتع بن همدان صحيح
 حصن وقصر حدقان ..)^٥ . فعدّ (علهان) اسماً ، و (نهفان) اسم شقيقه .
 وقد ذكر الاسم صحيحاً في موضع ، ولكنه عاد فعلق عليه بقوله : « وانما
 قالوا علهان نهفان ، فجعلوه اسماً واحداً لما سمعوه فيها من قول تبع بن أسعد :

وشمر يرعش خير الملوك وعلهان نهفان قد أذكر

وانما أراد أن يعرف واحداً بالثاني ، فلما لم يمكنه أن يقول العلهانان .. قال
 علهان نهفان »^٦ .

ويلاحظ ان قراءة (الهمداني) للمسند الأول ، هي قراءة قرئت وفق عربيتنا ،
 فجعل (علهن) (علهان) و (نهن) (نهفان) و (همدن) (همدان) ،
 أما قراءته للمسند الثاني ، فهي على نحو ما دوّن في المسند ، وذلك بالنسبة الى

١ (علهن نهن) في الكتابات .
 Le Muséon, 1967, 1-2, P. 281.

٢ منتخبات (ص ٧٥) .

٣ الاكليل (١٥/١٠) .

٤ الاكليل (١٦/١٠) .

٥ الاكليل (٣٣/١٠) ، (حب الملوك) (٣٨٩/٢) .

الأعلام ، فان المسند لا يكتب (علهان) بل يكتبه (علهن) ، وهكذا بقية الأسماء .

ونسب (نشوان بن سعيد الحميري) هذا البيت الى (أسعد تبع) ، وعلق على اسم (علهان نهقان) بقوله : (أراد علهان ونهقان فحذف الواو)^١ . ف (علهان نهقان) إذن اسما رجلين على رأي هذين العالمين ، وعلى رأي عدد آخر من العلماء مثل (محمد بن أحمد الأوساني) أحد من أخذ (الهمداني) علمه منهم . وهو في الواقع اسم واحد لرجل واحد . ولا أدري كيف أضاف (الهمداني) و (الأوساني) وغيرهما ممن كان يذكر أنه كان يقرأ المسند حرف (الواو) بين (علهان نهقان) ، فصيروه (علهان) و (نهقان) ، وجعلوهما اسمين لشقيقتين^٢ .

وقد أدى سوء فهم أهل الأخبار لقراءاتهم للمساند الى اختراع والد للأخوين (علهان) و (نهقان) ، أو لـ (علهان نهقان) بتعبير أصبح ، فصيروه (بتع بن زيد بن عمرو بن همدان)^٣ ، أو (ذا بتع بن يحضب بن الصوار)^٤ . وعرف (نشوان) (ذا بتع) بأنه (ذو بتع الأكبر) ، وهو ملك من ملوك حير ، واسمه نوف بن يحضب بن الصوار ، من ولده ذو بتع الأصغر زوج بلقيس ابنة الهمداهد ملكة سبأ^٥ وصيروه (تبعاً) ، فقالوا : (علهان نهقان ابنا تبع بن همدان)^٦ . ويظهر أن النساخ قد وقعوا في حيرة في كيفية كتابة اسم والد (علهان) ، فكتبوه (تبعاً) ، وكتبوه (تبعاً) وكلا الاسمين معروف شهير ، فوقعوا من ثم في الوهم .

وأما اسم الوالد الشرعي الصحيح ، فهو (برم أيمن) ، كما ذكرت ، وأما الاسم المخترع ، فقد جاؤوا به من عندهم بسبب عدم فهمهم لقراءة نصوص المسند . فقد وردت في النصوص جملة (علهن نهقان بن بتع وهمدان)^٧ ،

- ١ . منتخبات (ص ٧٥) .
- ٢ . الاكليل (٨٣/٨) .
- ٣ . الاكليل (١١/١٠ ، ١٣) .
- ٤ . منتخبات (ص ٧٥ ، ١٠٥) .
- ٥ . منتخبات (ص ٥) .
- ٦ . الاكليل (٨٣،٤٢/٨) (طبعة نبيه) ، (١٠٣،٥١/٨) (الكرملي) .
- ٧ . المختصر (ص ٢٦) ، Glaser 16, Louvre 10, CIH, IV, I, I, P. 8.

فظن قراء المساند من أشياخ (الهمداني) وأمثالهم (ممن كانوا يحسنون قراءة الحروف والكلمات ، الا أنهم لم يكونوا يفهمون معاني الألفاظ والجمل في الغالب) أن لفظة (ين) تعني هنا (ابن) ، فقالوا : ان اسم والد (علهان نهفان) أو (علهان) و (نهفان) على زعمهم اذن هو (بتع) . على حين أن الصحيح ، ان (بن) هي حرف جرّ يقابل (من) في عربيتنا ، ويكون تفسير النص: (علهان نهفان من بتع وهدان) و (بتع) اسم قبيلة من القبائل المعروفة المشهورة .

وأما (بتع) فقد ذكرت أن النسخ هم الذين أخطأوا في تدوين الاسم ، وأن (الهمداني) وغيره كانوا قد كتبوه (بتعاً) ، لا (تبع) . ولكن النسخ أخطأوا في الكتابة ، فكتبوا اسم (بتع) (تبع) على نحو ما شرحت .

وورد في النص الموسوم بـ Glaser 865 اسم (علهان نهفان) . وقد رأيت نقله هنا ، لأن في ذلك فائدة في شرح اسم أبيه . فقد ورد فيه : (علهن نهفن بن همدن بن يرم أيمن ملك سبأ) ، أي (علهان نهفان من همدان ابن يرم أيمن ملك سبأ) ، فأنت ترى أن لفظة (بن) المكتوبة قبل (همدن) ، أي (همدان) هي حرف جرّ . أما (بن) الثانية المذكورة قبل (يرم أيمن) فلإنهما بمعنى (ابن) ، فصارت الأولى تعني أن (علهان نهفان) هو من قبيلة همدان ، وأما أبوه ، فهو (يرم أيمن ملك سبأ) ، ولعدم وقوف أولئك العلماء على قواعد العربيات الجنوبية ، لم يفهموا النص على حقيقته .

وقد ورد اسم (علهان نهفان) في كتابة وسمها العلماء بـ Glaser 16 ، وصاحبها رجل من (يدم) (آل يدوم) اسمه (هعان أشوع) ، ذكر أنه قدم هو وأبناؤه الى الإله (تالب ريمع بعل ترعت) تمثالاً ، وذلك لخيره ولعافيته ولعافية أولاده ، ولأنه أعطاهم كل أمانيتهم وطلباتهم ، ولأنه خلصهم ونجاهم في كل غزوة غزوها لمساعدة (مراهمو علهن نهفن بن بتع وهدان) ، أي لمساعدة سيدهم وأميرهم : علهان نهفان من (بتع) من قبيلة همدان ، وليمنحهم غلة وافرة وأثماراً كثيرة ، وليمنحهم أيضاً رضى أربابهم آل همدان وشعبهم حاشد (حشدم) ، وليهلك وليكسر وليصرع كل عدو لهم وشائء

ومؤذا^١ . ولم يلقب صاحب هذا النص (علهان) بلقب (ملك) ، وإنما استعمل لفظة (مراهمو) (مراهمو) ، أي أميرهم أو سيدهم ، ويظهر لي في هذا الاستعمال ان هذا النص قد كتب قبل انتقال العرش الى (علهان) من أبيه ، ولهذا أغفل اللقب .

ووجد اسم (علهان نهفان) واسم ابنه (شعرم أوتر) في كتابة دوتنها (حيوم يشعر) (حيو يشعر) ، وأخوه (كعدان) ، وذلك المناسبة بنائهم أسوار بيتهم : (وترن) (وتران) ، ولم يشر النص الى هوية هذا البيت ، أهو بيت للسكنى ، أم بيت للعبادة اسمه (بيت وترن) ، أي معبد وترن ، نخصصوه بعبادة الإله (عثر) الذي ذكر اسمه في آخر النص^٢ .

وتعدّ النصوص الموسومة بـ CIH 2 و CIH 296 و CIH 305 و CIH 312 من النصوص المدونة في أيام (علهان) حين كان قيصراً ، ولذلك ورد فيها اسمه دون أن تلحق به جملة (ملك سبأ) . أما النصوص الأخرى ، فقد كتبت في الأيام التي نصب فيها نفسه ملكاً على سبأ ولقب نفسه باللقب المذكور منافساً ملك سبأ الحاكم في مأرب في حكمه ، مدعياً على الأقل انه ملك مثله .

وليس في استطاعتنا التحدث عن الزمن الذي تلقب فيه (علهان نهفان) بلقب (ملك) . فلا ندري أكان قد لقب نفسه به حين وفاة والده مباشرة ، أم بعد ذلك ؟ فإذا كان الظن الأول تكون الكتابات المذكورة قد دوت في أيام أبيه ، وإذا كان الثاني تكون هذه الكتابات قد دوت في عهد لم يكن (علهان) تمكن فيه من حمل هذا اللقب لسبب لا نعرفه ، قد يكون تخاضع الأسرة على الارث ، وقد يكون ضعف (علهان) في ذلك الوقت ، وخوفه من ملك سبأ الذي كان أقوى منه .

ولا ندري كذلك متى أشرك (علهان) ابنه (شعرم أوتر) (شعراوتر) معه في الحكم ، اذ حصل المنقبون والسياح على كتابات سبئية لقب فيها (علهان) وابنه (شعرم أوتر) بلقب (ملك سبأ) و (ملكي سبأ)^٣ .

١ المختصر (ص ٢٦ وما بعدها) .

Glaser, 16, Louvre 10, CIH 2, IV, I, P. 7.

٢ نشر (ص ٤٣ وما بعدها) .

٣ CIH 155, CIH 289, 308, 308 bis, 401, 693, REP. EPIG., 4216, Mahram, P. 290.

وفي هذه الجمل دلالة على أن (شعر أوتر) كان يشارك أباه في لقبه في أيامه ، وأنه اسهم معه في ادارة الملك . وأغلب الظن انه اشركه معه في الحكم لحاجته اليه في تثبيت ملكه في وضع سياسي قلق ، إذ كانت الثورات والحروب منتشرة ، وكان حكام سبأ وحضرموت وحمير والحبش يخاصم بعضهم بعضاً ، فرأى (علهان) اشراك ابنه معه في الحكم وتدريبه على الادارة ، وبقي على ذلك حتى وفاة (علهان) وعندئذ صار الملك له وحده ، فلقب نفسه بلقب (ملك سبأ) .

لقد كان لا بدّ لـ (علهان نهقان) من السعي في عقد معاهدات ومحالفات مع الحكومات والقبائل، لتثبيت الملك الذي ورثه من أبيه ، ولا سيما مع الحكومات المناوئة والمنافسة لحكومة (مأرب) . ونجد في كتابة همدانية تضرعاً الى الإله (تالب ريام) ليقبض (علهان نهقان) في مسعاه بالاتفاق مع ملك حضرموت لعقد معاهدة إخاء ومودة ، حتى (يتأخيا تأخياً تاماً) ، وذلك في المفاوضات التي كانت تجري بينها في موضع (ذت غيل) (ذات غيل)^١ .

وقد نجحت مفاوضات (علهان) مع ملك حضرموت (يدع أب غيلان) في التأخي معه ، وفي عقد معاهدة صداقة بينها ، وأفاد من ذلك فائدة كبيرة ، إذ أصبحت هذه المملكة التي تقع في جنوب سبأ وفي جنوب الريدانيين والمتصلة اتصالاً مباشراً بالحميريين في جانبه ، فإذا لم تقم حضرموت بأي عمل حربي ضد أعداء علهان ، فإن مجرد وقوفها الى جانبه يفيد فائدة كبيرة ، إذ يفزع ذلك أعداءه، ويضطرهم الى تخصيص جزء من قواتهم العسكرية للمحافظة على حدودهم مع حضرموت خوفاً من هجومها عليهم عند سنوح الفرص^٢ .

وكان فرح (علهان) بنجاح مفاوضاته مع ملك حضرموت ، واتفاقه معه كبيراً ، وقد نجح فعلاً في عقد ذلك الحلف، فنراه يحارب الحميريين ويهاجمهم، يؤيده في ذلك ملك حضرموت (يدع أب غيلان) ، لقد هاجمهم من الشمال،

١ اسم الملك (يدع ال) (يدع ايل) في النص الذي نشره يحيى نامي في كتابة : نشر (ص ٣٠) ، أما في النصوص الأخرى ، فكان اسم ملك حضرموت المتحالف مع (علهان) (يدع أب غيلان) ، (بذت غليم) ، (بذ غليم) (بذت غيل) (بدغيل) ، Le Muséon, 1984, 3-4, P. 468.

٢ CIH 155, 308, Nami 71-73, Belträge, S. 113, Le Muséon, 1984, 3-4, P. 468.

وهاجمهم الحضارمة من الشرق ، فانتصر على الحميريين ، في (ذات عرمن)
(ذات عرمن) (ذات العرم) ، وهو موضع يظهر انه قريب من (ذات
العرم) ، وربما كان هو نفسه^١ . وهكذا حصل (علهان) على ثمرة شهية من
هذا الحلف. وقد كان الحميريون من المقاتلين المعروفين ومن المغيرين على غيرهم ،
فانتصار (علهان) عليهم هو ذو مغزى عظيم .

ويظهر ان (يدع أب غيلان) ملك حضرموت لم يُعمر طويلاً ، لأننا نقرأ
في أحد النصوص ان أحد الهمدانين كان يتوسل الى الإله (تألب ريام) ان
يمن عليه بعقد حلف بين (علهان) ملك سبأ و (يدع ايل) ملك حضرموت.
ويظن ان الملك (يدع ايل) هذا ، هو الملك (يدع ايل نين) ، وهو ابن
(يدع أب غيلان) ، الذي هو ابن (امين) (أمين) كما جاء ذلك في
النص الموسوم بـ REP. EPIG. 4698^٢ . واذا أخذنا بما جاء في النص المنشور
في كتاب « نشر نقوش سامية قديمة » ، وهو النص المرقم بـ (١٩) ، فإننا
نستنتج منه ان الملك (يدع أب غيلان) ، كان قد توفي في ايام (علهان نهفان)
وان الملك (علهان نهفان) ، صار يرجو عقد حلف مع ابنه (يدع ايل)
الذي ولي في أواخر ايام حكم (علهان) على ما يظهر . ولذلك توسل صاحب
النص أو أصحابه الى الإله (تألب ريام) رب همدان أن يساعده على عقد ذلك
الحلف .

وحول (علهان نهفان) أنظاره نحو الحبشة أيضاً لعقد معاهدة معها ، وقد
أشار الى هذا في كتابة ملكية سجلها هو وابناه (شعرم أوتر) و (يرم أيمن)
ونعت كل واحد منها في هذه الكتابة بـ (ملك سبأ) .

وقد جاء في مقدمتها أنه هو وابناه قدّموا الى (تألب ريام بعسل ترعت)
ثلاثين تمثالاً من الذهب ، وفضة لاصلاح حرم الإله في معبده (يهجل) ،
وأصلحوا اصلاحات كثيرة في فئاته ، وفي أملاكه ، لأنه أجاب طلباتهم ، ومن
عليهم ، ولأنه وفقه في عقد تحالف مع (جدروت) (جدروت) ملك (نجاشي)

١ Abessl., S. 103, 105, CIH 155, IV, I, III, P. 216, Mordtmann, Himjarische Inschriften, S. 18, Winckler, Die Sabi Inschr. der Zeit Alhan's, S. II.

٢ نشر ، النص رقم ١٩ ، SE 49, Mahram, P. 305.

الحبشة ، ولأنه وفق الوفد الذي قام بالمفاوضات ، فتمكن من تنظيم اتفاقية بين الطرفين حتمت عليها التعاون في أيام السلم والحرب لرد كل اعتداء يقع على الطرفين ، ومحاربة كل عدو يريد سوءاً بأحدهما .

وأشير أيضاً الى اسمي (سلحين) و (زرن) (زراران) (زريران) ، وقد كانا متحالفين مع (جدرت) ، فشمّلها بذلك هذا الحلف^١ .

وقد ورد اسم (علهان نهسان) في كتابات أخرى ، ناقصة ويا للأسف ، وقد سقطت منها كلمات في مواضع متعددة فأضاعت علينا المعنى . وقد أشير فيها الى جيوش (علهان) وأعرابها ، كما أشير الى (ردمان) و (ملحيم) و (قتيان) والى أقبال وسادات قبائل ملك الحبشة^٢ ، والى (ذي ريدان) ، وإلى أعراب ملك حضرموت^٣ . ويرى (فون وزمن) أن في ذكر أقبال وسادات قبائل ملك (حبشت) الحبشة في هذه الكتابات دلالة على أن الحبش لم يكونوا يمتلكون أرض Kinaidokoltitai ، أي ساحل الحجاز من ينبع ثم ساحل عسير فقط ، بل كانوا يمتلكون أيضاً الساحل المسيطر على مضيق باب المندب ، وقد كان ملكهم إذ ذاك هو الملك (جدرت) (جدرة) المذكور^٤ .

ويرى (فون وزمن) أن الحلف الذي عقد بين (علهان) وملك الحبشة ، عقد بعد الحرب التي شنها (علهان) ومن ساعده فيها ، وهم ملك حضرموت وملك الحبشة ضد (حير) . وقد كان ابنه (شعرم أوتر) (شعر أوتر) يشارك أباه في الحكم إذ ذاك ، ولهذا ذكر في الكتابة^٥ . وقد فرض (شعر أوتر) سلطانه على حير وأخضعها له ، وذلك في أوائل أيام حكمه . أما الحبش، فكانوا يمتلكون الأرضين التي ذكرتها وأرض قبيلة (اشعرن) أي (الأشعر)^٦ .

١ المختصر (ص ٢٥) ،

CIH 308, 308 bis, Müller, Epigraphische Denkmaler aus Abessinien, S. 73,
D. H. Müller, Sudarabisc Alterthumer im Kunsthistorischen Hofmuseum,
S. 4, 1899.

٢ نشر (ص ٩٢ وما بعدها) .

٣ نشر (ص ٩٢ وما بعدها) ، Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 470.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

٥ CIH 308, a.

٦ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

وقد حمد (علهان نهقان) وابناه الإله (تالب ريام) أيضاً ، لأنه نصرهم وساعدهم في الحرب التي وقعت بينهم وبين (عم أنس بن سنحن) (عمى أنس بن سنحان) ، وبينهم وبين قبيلة (خولان) . وقد توسط أمير اسمه (شابت ابن عليان) (شبت بن علين) ، أو من (آل عليان) بين (عمى أنس) و (خولان) والريدانيين لتكوين جبهة واحدة قوية في محاربة (علهان) وقد انضمت إليها قبائل معادية للهمدانين ، واشتبكوا مع جيش (علهان) غير أن الإله (تالب ريام) - كما يقول (علهان) - نصره على أعدائه، فانهزموا وهزم الذين من (حقلان) (الحقل) ، ويظهر أنهم كانوا قد حاربوا (علهان) أيضاً ، وخربت حقوقهم ، وعندئذ جاءوا الى (علهان) طائعين ، وندموا على ما فعلوا ، ووضعوا رهائن عنده ، هم : (اشمس بن ريام) ، أو من (ريام) (آل ريام) و (حارث بن يدم) (حرث بن يدم)^١ .

لقد كان حكم (علهان نهقان) في حدود سنة (١٣٥ ق. م.) على تقدير (فليبي)^٢ ، أو في النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد على رأي آخرين^٣ . وفي حوالي السنة (٦٠ ق. م.) على رأي (البرايت)^٤ ، وفي حوالي السنة (١٦٠) بعد الميلاد على رأي (فون وزمن)^٥ . وفي حوالي السنة (٨٥) قبل الميلاد على تقدير (جامه) ، أما نهاية حكمه فكانت في حوالي السنة (٦٥) على تقديره أيضاً^٦ .

وقد جعل (كروهمن) حكم (شعر أوتر) في حوالي السنة (٥٠) أو (٦٠) بعد الميلاد^٧ . ومعنى هذا أن حكم أبيه (علهان) يجب أن يكون بعد الميلاد ، ليتناسب مع الحكم الذي وضعه (كروهمن) لابنه .

وقد عثر علماء العربيات الجنوبية على عدد من الكتابات ورد فيها اسم (شعرم أوتر) ، لُقِّبَ في بعضها بـ (ملك سبأ) ، ولُقِّبَ في بعض آخر بـ (ملك

-
- | | |
|--------------------------------|---|
| المختصر (ص ٢٥) ، | ١ |
| Abessl., S. 46. | |
| Background, P. 142. | ٢ |
| Beiträge, S. 113. | ٣ |
| BOASOOR, NUM. 119, 1950, P. 9. | ٤ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٥ |
| Mahram, PP. 390. | ٦ |
| Arabien, S. 28. | ٧ |

سبأ وذي ريدان) ، ومعنى هذا أنها أحدث عهداً من الكتابات الأولى ، وان (شعر أوتر) كان قد بدأ عهد حكمه حاملاً لقب (ملك سبأ) ، وهو اللقب الذي تلقب به منذ أيام أبيه ، ثم غيره بعد ذلك بأن أضاف إليه جملة هي : (وذي ريدان) ، فصار لقبه في الدور الثاني من حكمه : (ملك سبأ وذي ريدان)^١ .

غير أن لدى الباحثين في العرييات الجنوبية نصاً وسموه بـ 1371 Glaser لقب فيه كل من (علهان نهفان) و (شعر أوتر) ابنه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) . ومعنى هذا أن لقب (ملك سبأ وذي ريدان) كان قد ظهر في أيام (علهان) لا في أيام ابنه ، وأن (علهان) نفسه كان قد تلقب به مع ابنه في أواخر أيام حكمه . وهناك من الباحثين من يشك في صحة النص ، وبرى أن كاتب النص كان هو الذي وضع هذا اللقب ، سهواً أو تعمداً ، وأن (علهان) لم يحمل هذا اللقب ، وان ابنه هو الذي حمله . ومهما يكن من شيء ، فإن النص المذكور هو النص الوحيد الذي نملكه ، لقب فيه (علهان) على هذا النحو^٢ .

ومن الكتابات التي يجب ان نضيفها الى اوائل ايام (شعرم اوتر) (شاعر اوتر) كتابة عثرت عليها بعثة (وندل فيلبس) ، وقد نشرها (الدكتور خليل يحيى نامي) في (مجلة كلية الآداب) بجامعة القاهرة^٣ . وقد بدأت بجملة : (شعرم اوتر ملك سبا بن علهن نهفن ملك سبا) ، أي (شعر اوتر ملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ)^٤ . ولتلقب (شعر اوتر) فيها بـ (ملك سبأ) فقط دون ذكر (ذي ريدان) يجب رجوعها الى الأيام الأولى من حكمه . وقد ذكر (شعر اوتر) فيها انه قدم إلى الإله (الملقه بعل اوام) صنماً (صلم) تقرباً إليه ، وتحدث عن حرب وقعت في موضع يسمى (تعمثن ؟) وعن رجل اسمه (سعد تألب) وعن رجل آخر اسمه (حيوم بن غثريان) (حيم بن غثر بن) ، وذكر أن الحرب كانت قد وقعت في شهر (ذالت الت ذخرف

Abessl., S. 83, Sab. Inschr., S. 219, Mahram, P. 295.

Mahram, P. 295, M. Hofner, Die Sammlung, Eduard Glaser, Wlen, 1944, S.

50, Le Muséon, 1-2, 1967, PP. 271.

مجلة كلية الآداب ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثاني سنة ١٩٦٠ ، مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ (ص ٥٣) .

راجع النقش رقم ١٢ .

وددال بن حيوم بن كبر خلل خمسن^١ ، أي في شهر (ذي إلالات من السنة الخامسة من حكم وددایل بن حيوم بن كبر خليل) ، ثم ذكر بعض الشهور التي وقع فيها القتال . والظاهر أنها قد كانت قد انتهت في مصلحته ، وان القائد الذي أمره بمحاربة عدوه كان قد انتصر عليه ، لذلك تقدم الى الإله (المقه بعل اوام) بنذره ، وهو الصنم المذكور . وقد لقب (شعرم أوتر) نفسه في موضع من النص بـ (شعرم أوتر ملك سبا وبيتن سلحن وغمدن وادمهوسبا وفيشن)^٢ ، أي شعر اوتر ملك سبا وبيت سلحن وغمدان . وعبيده (سبا وفيشان) . وذكر البيتين أي القصرين (سلحن) و (غمدان) ، هو كناية عن الملك . و (سلحن) هو قصر الملوك ومستقرهم في مأرب ، و (غمدان) هو قصرهم ومقرهم في صنعاء . وقد أخذت صنعاء تنافس مأرب منذ هذا الزمن حتى حلت محلها في الأخير .

وقد جاءت في النص جملة : « كما أمر المقه أن يحارب حيوم حتى حريب »^٣ . و (حريب) هي مدينة مشهورة ووادي بين بيحان ومأرب^٤ . وهي من مواضع حمير . فالحرب يجب أن تكون قد تناولت أرض حمير . وقد كان الحميريون في هذا الزمن يحاربون السبئيين .

ولدينا نص وسمه العلماء بـ CIH 334 ، وهو نص مهم من الوجهة التاريخية يتحدث عن حرب أعلنها (شعرم أوتر ملك سبا وذي ريدان) (شعر أوتر ملك سبا وذي ريدان) على (العز يلط) ملك حضرموت . ولم يذكر لقب (العز) فيه . وقد ذهب بعض الباحثين الى انه (العز يلط) (العذيلط) ابن الملك (عمد زخر) (عم زخر)^٥ . وقد انضم الى الحضارمة عدد من القبائل والجنود المرتزقة ، ويذكر النص ان الهمدانيين أتباع (شعرم أوتر) تغلبوا على جيوش حضرموت ، فانتصرت عليها في موضع (ذت غيلم) (ذات غيل) (ذت غريم) (ذات غراب) ، (ذت غ . رم)^٦ . وبعد هذا النصر عيّن

١ السطران السادس والسابع من النص .

٢ السطران : ٢١ و ٢٢ من النص .

٣ المصدر المذكور (ص ٥٧) ، والسطر (٢٥) من النص .

٤ المصدر المذكور (ص ٦٠) .

٥ Beiträge, S. 113.

٦ Glaser 825, Berlin 2672, CIH, 334, IV, I, IV, P. 377, Mahram, P. 300.

(شعرم أوتر) أحد رجاله ، ويدعى (سعدم أحرس بن غضبم) (سعد أحرس بن غضب) قائداً حارساً للحدود . وقد أغار (سعد) هذا بقوة مؤلفة من مئتي محارب من قبيلة (حملان) من المخلصين للملك على أرض (ردمان) فأنزلت بها أضراراً فادحة ، ووقعت معارك دموية هلك فيها خلق من الردمانيين . ووصل (شعرم أوتر) نفسه بجيوشه الى موضع سقطت حروفه الأولى من اسمه وبقي حرفان منه ، وهما (... وت) ، لذلك يرى (كلاسر) انهما بقية اسم عاصمة حضرموت مدينة (شبوت) (شبوة)^١ ، أو (موت) على رأي غيره^٢ ، ووصل (شعرم) الى موضع آخر اسمه (صوارن) (صواران) (صوآرن) (صوارن)^٣ . وقد عاد (سعد أحرس) بغنائم كثيرة من حروبه هذه وغزواته ، شاكرآ الإله (تآلب ريام بعل ترعت) ، ان نصره وعافاه وشفاه من جروحه في غزوته المذكورة^٤ .

ويظهر أن (صوآرن) هي (صوران) التي ذكرها (الهمداني) ، وتعرف اليوم بـ (العادية) وهي في حضرموت في (وادي الكسر)^٥ . ويظهر من ذلك أن جيش (شعرم أوتر) قد وصل الى قلب حضرموت .

ويرى (كلاسر) أن (شعرم أوتر) كان قد استطاع ان ينتصر على بعض قبائل حمير ، فانضمت اليه ، على حين كانت القبائل الحميرية الأخرى منحازة الى خصمه (الشرح يحضب) ، وأن هذا النزاع الذي أدى الى نشوب الحرب بينه وبين ملك حضرموت كان بسبب تنافسهما في اقتسام تركة (قتيان) . وقد تحارب (شعرم) عند (يريم) ، حيث كان خصمه (الشرح يحضب) أو الحضرميون ، قد هاجموا هذه الجبهة ، على حين قام قائده (سعد) بالهجوم على ردمان الذين أرادوا اكتساب الفرص بالمباغنة للحصول على غنائم ، فهاجمهم (سعد) وكبدهم خسائر فادحة^٦ .

Abessl., S. 109, Glaser 424. ١

CIH, IV, I, IV, P. 377. ٢

CIH IV, I, IV, P. 377. ٣

Mordtmann, Hlmjarlsche, S. I, M. Hartmann, in Zeitschrift fur Assyriologie, X, 1895, S. 152, winckler, Die Sab. Inschr. der Zeit Alhan Nahfan's, S. 17. ٤

Beiträge, S. 124. ٥

Abessln., S. 110, Beiträge, S. 113. ٦

ويظهر من دراسة النص المتقدم ان الملك (شعر أوتر) كان قد وجه جيشاً مؤلفاً من سبثيين ومن حميريين ومن قبائل أخرى الى ارض حضرموت للقضاء على جيشها والاستيلاء عليها ولا سيما القسم الشرقي اقليم (ظفار) . واستطاع جيشه ان ينزل خسائر كبيرة بقوات (العز) المرتزقة وبجيشه النظامي ، الذي كان يحارب خارج حضرموت ، بدليل ورود اسم موضع (ذات غيلم) في النص . وموضع (ذات غيلم) ، أي (ذات غيل) الذي نشبت فيه معركة بين الجيشين ، هو مكان في أرض قتبان ، وفي (وادي بيحان) . ثم عاد فأنزله بجيش حضرموت خسارة أخرى ، وذلك حين أراد جيش (العز) مباغته جيش (شعر أوتر) وهو في معسكره ، ولكن يقظة صاحب النص الذي كان يحرس الملك وجيشه وهو على رأس قوة مؤلفة من مئتي محارب من حملان ، أفسدت خطة الهجوم ، واضطر جيش (العز) الى التراجع ، فتعقبه صاحب النص ومحاربوه ، ولكنه فوجيء بهجوم (الردمانيين) محاولين مباغته الجيش من المؤخرة ، فاشتبك معهم فأصيب بجرح في اثناء القتال ، ولكنه تمكن مع ذلك من صد المهاجمين ومن الرجوع سالماً الى منزله معافى ، ولذلك قدم الى إلهه الحمد والشكر ، لأنه عافاه ونجاه ونصره^١ .

وقبل عودة صاحب النص الى وطنه سالماً ، كان قد رافق ملكه في حملته على بقية الأرضين التابعة لحكم الملك (العز) ، فذكر انه رافقه في حملته على مدينتي (... وت) و (صوارن) ، وقد تمكن جيش الملك (شعر أوتر) من الانتصار على الحضارمة في هذين المكانين . وقد قرأ بعض الباحثين اسم المدينة الأولى (شبوت) ، وقرأها بعض آخر (رسوت) ، وزعموا أنها (ريسوت) ، وهي مدينة معروفة في الجنوب الشرقي من حضرموت . وأما (صوارن) (صواران) فهي على مسافة (١١٥) كيلومتراً الى الشرق من شبوة^٢ .

وقد تمكن جيش الملك (شعر أوتر) من الانتصار على جيش (العز) ومن الاستيلاء على العاصمة (شبوت) (شبوة) . ونجد خبر هذا النصر في النصين الموسمين بـ Jamme 636 و Jamme 637 ، وفي نصوص أخرى^٣ . والنص

Mahram, P. 300. ١

Mahram, P. 301. ٢

A. Fakhry 75, 102. ٣

الأول يحدثنا بأن صاحبه وقد سقط اسمه منه بسبب تلف أصاب مقدمته ، قد حمد ربه (المقة) وشكره اذ من^١ عليه وأغدق نعمه عليه وهو في حضرموت مع جيش سيده وملكه (شعر أوتر) (ملك سبأ وذو ريدان) ، الذي حارب حضرموت واستولى على (شبوة) التي لم تمثل أوامر الملك وقاومته ، ولأنه أي ربه (المقة) نصر ملكه ووقفه في هذه الحرب فعاد سالماً ظافراً الى المدينة (مأرب) بالأسلاب والغنائم من ماشية وأموال وأسرى ، مما سر^٢ الملك ورعيته، ولأنه من^٣ عليه فرزقه أولاداً ذكوراً^١ .

وأما النص الثاني ، وهو النص Jamme 637 ، فقد حمد صاحبه ربه (المقة) اذ وقفه ومن^٢ عليه فحصل على غنائم من مدينة (شبوة) التي قاومت الملك (شعر أوتر) فاكنتسحها ، فقدم لمعبده : (معبد أوام) تمثالاً تعبيراً عن شكره له واعترافاً بمنته عليه^٢ . فيظهر منه ان هذا الرجل ، واسمه (ظبنم أثقف بن حلحلم) ، كان نفسه في جملة من دخل مدينة شبوة من جيش (شعر أوتر) ، فحصل على أسلاب وغنائم جعلته يحمد إلهه عليها ويشكره ويقدم اليه ذلك التمثال تعبيراً عن تقربه اليه .

وعثر المتقبون على نص مهم آخر رقم بـ Jamme 632 ، يفيد أن جيش (شعر أوتر) استولى على (شبوة) وعلى مدينة (قنا) ميناء حضرموت الرئيسي في ذلك العهد ، وان صاحبي النص (جمعشت ارسف بن رابم) و (مهقبن بن وزعان) ، وهما بدرجة (مقتوى) ، أي درجة قادة الجيش الكبار ، في جيش (اسدم اسعد)^٣ ، الذي هو من بني (سارن) (ساران) و (محيلم) كانا قد تقربا الى الإله (المقة شوان) بأربعة تماثيل وثور ، وضعوها في معبده المخصص لعبادته المسمى (معبد أوام) ، تعبيراً عن حمدهما وشكرهما له ، إذ من^٢ عليهما واسنغ عليهما نعمه ، وافاض عليهما الغنائم والأموال واعاد سيدهما ورئيسهما (أسد أسعد) من بني (ساران) سالماً غانماً من كل المعارك التي خاضها في سبيل سيده الملك (شعر أوتر) (ملك سبأ وذو ريدان) بصحب

١ Jamme 636, MaMb 245, Mahram P. 139.

٢ Jamme 637. MaMb 60, Mahram, P. 139.

٣ (أسد أسعد) .

الغنائم والأموال والماشية ، ولأنه أغدق عليها أيضاً الغنائم الوفرة التي سرت خاطرهما وقد حصلا عليها في جملة ما حصلوا عليه من (شبة) ومن مدينة (قنا) ، وقد سألا الإله (المقه) أن يديم بركته عليهما وعلى سيدهما (أسد أسعد) ، وأن يبعد عنهم شر الأعداء^١ .

وفي النص الموسوم بـ Jamme 741 وبـ Jamme 756 ، أن شخصاً اسمه (هيثع بن كلب ذكرم) السبيئي، وهو من عبيد (آل نعم برل) و(آل حبت) (آل حبة) ، كان قد نذر نذراً للإله (المقه شوان) ، بأن يقدم له تمثالين بعضهما في معبده (أوام) ، إذا منّ عليه ووقفه وأعادته سالماً من (شبة) ومن البحر . فلما أجاب دعاءه فأعادته سالماً معافى ، قدّم النذر ووضعه في ذلك المعبد ، وقد سأل ربه أن يديم نعمه عليه ويبارك فيه ويسعده^٢ ويظهر أن لهذا النص علاقةً بالنصوص المتقدمة التي تتحدث عن غزو جيش (شعر أوتر) لحضرموت ، وأن صاحبه كان في جملة من أسهموا فيها .

ويظهر من جملة : (بن شبت وبن بحرن)^٣ ، ومعناها (من شبة ومن البحر) ، أن جيش الملك (شعر أوتر) كان قد هاجم الحضارمة من البرّ ومن البحر ، وأن الذين استولوا على مدينة (قنا) كانوا قد هاجموا من البحر. ولم يذكر النص المكان الذي أبحر منه جيش (شعر أوتر) للاستيلاء على السواحل الجنوبية من حضرموت ، ولا بد من أن يكون ذلك المكان من الأمكنة التابعة لحكم الملك (شعر أوتر) أو لحكام كانوا محالفين له وعلى صلات حسنة به .

وللنص الموسوم بـ Geukens I صلة بهذه الحرب وبانتقام جيش (شعر أوتر) من (بني ردمان) الذين أرادوا مباغته جيشه من المؤخرة وتدميره . ويظهر منه أن القائد (أسدم أسعد) (أسد أسعد) ، الذي كان معسكراً مع الجيش في مدينة (القاع) ومعه قائد آخر هو (ربيم أخطر) (ريبب أخطر) ، خرجا من هذه المدينة مع جيش الملك (شعر أوتر) لمحاربة (قنابان) و (ردمان) و (مضحيم) و (اوسان) ، وانضمت إليهما قوة من (بني بكيل) ، قبيلة

Jamme 632, MaMb 301, Mahram, P. 134. ١

Jamme 741, MaMb 251, Mahram, P. 216, Jamme 756, MaMb 297, Mahram, P. 228. ٢

٣ راجع السطر السابع والثامن من النص . Jamme 741.

القائدين وبقيا مع الملك يجاربون معه حتى بلغ مدينة (قنا) . ولما رجعا الى وطنها ، رجعا بغنائم كثيرة وبأموال طائلة حتى وصلا الى مدينة (حرتم) (حرمت) (حرمة) . ولما وصل (أسد أسعد) الى موطنه، وجد ان الأحباش كانوا اغتتموا فرصة انشغال جيش (شعر أوتر) بمحاربة (العز) فأغاروا عليه وأصابوه بأضرار كبيرة . ويظهر انهم أغاروا عليه وعلى أرضين أخرى كانت تابعة للملك (شعر أوتر) ، في اثناء هجوم الردمانيين على مؤخرة جيش (شعر) ولعل ذلك كان باتفاق قد تم بينهم وبين بني ردمان . ومهما كان الأمر فان تحرش الأحباش هذا به (شعر أوتر) دفعه الى الانتقام منهم ومحاربتهم^١ .

ونجد نبأ هذه الحروب في النص المرسوم به Jamme 631 إذ يخبرنا القائد (قطبان أوكان) (قطبن اوكن) ، وهو من (بني جرت) أقبال عشيرة (سمهرم يهولد) ، بأنه قدم الى الإله (الملقه شوان) تمثالين وضعهما في معبده (معبد اوام) ، حمداً له وشكراً لأنه منّ عليه بنعمته ، فكفنه من التنكيل بمن تجاسر وتطاول فأعلن الحرب على (شعر أوتر) ملك سبأ وذو ريدان ، ولأنه أعانه فقتل من أعداء الملك عدداً كبيراً ، ولأنه أنعم عليه بأن أعانه في رد عادية المعتدين الذين أعلنوا حرباً على الملك من البحر ومن الأرض (بن ذبحرم ويسم)^٢ ، ومكنه من تكبيدهم خسائر كبيرة ومن أسر عدد كبير منهم ومن الاستيلاء على غنائم كبيرة منهم ، ولأنه ساعده وأيده في مهمته التي كلفه سيده (شعر أوتر) إياها ، وهي مهاجمة أرض الحبشة (أرض حبشت)^٣ ، و (جدرت) ملك (حبشت) ، أي ملك الحبشة وأكسوم^٤ ، ولأنه أعاده سالماً مع كل من اشترك معه في المعارك او قام بالواجبات العسكرية التي عهد اليه ان يقوم بها ضد النجاشي (نجشين)^٥ ، ولأنه ساعده وأعانه (هعن) في كل المعارك التي وقعت بين مدينة (نعص) ومدينة (ظفار) ، التي تقدم نحوها (ببيجت) (ب ي ج ت) ولد النجاشي (نيجش) ومن كان معه

Geukens I, G. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabes, in Le Muséon, XII, 1942 ١
P. 297-308, Mahram, P. 301.

السطر السابع من النص ٢

السطران ١٢ و ١٣ من النص ٣

السطر ١٣ من النص ٤

السطر ١٥ من النص ٥

من قوات جيشه ، فنزل بها وتمكن منها ، وعندئذ أعانه (المقة) ربه على الحبش بأن أوحى اليه بأن يباغتهم ليلاً ، فباغتهم وانتزع (قروعد) منهم ، وهو جزء من مدينة (ظفار) ، فلدعز الحبش والتجأوا الى حصن في وسط (ظفار) فتحصنوا فيه وأخذوا يقاومون منه . غير أنهم لم يتمكنوا من الاحتماء به طويلاً في مقاومة قوات سبأ ، لأن الإله (المقة) عزز جيش (قطبان أوكان) بقوات (لعززم يهنف يهصدق) (ملك سبأ وذي ريدان) التي كانت قد وصلت الى هذه الجبهة وانصلت بقواته . وعندئذ حاصرت الأحباش وقتلت منهم ونهكتهم ، ثم انشق القوم في اليوم الثالث من الحصار على أن يباغثوا الحبش ليلاً ، فهاجمهم قوم من ذمار وجماعة من الفرسان وعشائر من (بني ذي ريدان) ، وأخذونهم على غرة ، وقد نجحت هذه الخطة وبوغت الحبش وقتل منهم أربعمئة جندي ، قطعت رؤوسهم ، وفي اليوم الثالث أيضاً ترك (قطبان أوكان) جبهة (ظفار) وتوجه ليعقب فلول الحبش الى أرض المعافر (معفرم) . فلما أدركهم قتل قوماً منهم واتصل بهم ، فاتجه الباقون هاربين الى معسكراتهم ، وفي اليوم الثاني من هذا الالتحام تداعى الأحباش فتركوا منطقة ظفار ، وذهبوا الى المعاهر (معهرتن) .

وقد أنهى (قطبان أوكان) صاحب النص نصه بالتوسل الى الإله (المقة) هو أن يمدّ عمر سيده (لحيعثت يرخم) (ملك سبأ وذي ريدان) ويمنحه الصحة والقوة والمعرفة ، وأن يقهر اعداءه وخصومه ، وأن يبارك له ولأهله ، ويمنحه أثماراً وافرة وغلة كثيرة في موسمي الصيف والخريف ويبسارك في زرع أرضه وأرض عشيرته في الصيف وفي الشتاء^١ .

ويتبين من هذا النص انه ما كاد جيش (شعرأوتر) ينتصر على حضرموت وعلى الرذمانيين حتى فوجيء بالحبش يشنون حرباً عليه ويتصدون له . فكلف الملك القائد (قطبان أوكان) ان يسير الى من عصى وتمرد وخالف أوامر الحكومة للقضاء عليه ، ثم يسير على رأس قوة الى أرض الحبشة : يحارب بها (جدرت) ملك الأحباش والأكسوميين (عدى أرض حبشت ب عبر جدرت ملك حبشت واكسمين) فنفلد القائد أمره وأتم الخطط العسكرية التي وضعت له ، ثم عاد مع

Jamme 631, MaMb 213, Mahram, P. 132, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

جندته سالماً ، ولم يشرح النص كيف بلغ القائد أرض الحبشة ، وهل قصد بأرض الحبشة الحبشة المعروفة والسواحل الافريقية المقابلة لبلاد العرب ، أو قصد موضعاً آخر في العربية الجنوبية ؟ ولكن الذي يقرأ النص ويدقق في جملة ويوفق بين معانيها ، يخرج بنتيجة تجعله يرى ان المراد من جملة « على أرض الحبشة الى جدوت ملك الحبش والأكسوميين » ، أرض الحبش في افريقية ، لأن الملك (جدوت) ملك الحبشة وأكسوم ، لم يكن يقيم في بلاد العرب ، ولكن في افريقية ، فأمر (شعر أوتر) قائده بالسير الى أرض الحبشة الى (جدوت) ، معناه التوجه الى افريقية لمحاربة النجاشي (جدوت) . أما (الحبش) الذين كانوا في بلاد العرب ، فقد كانوا تحت حكم (بيجت ولد النجاشي) ، فلا يمكن أن تكون الأرض المحتلة هي المقصودة . والظاهر ان القائد المذكور ركب البحر مع جنوده من (الحديدية) ، وتوجه منها الى السواحل الافريقية فنزل بها ، وباغت أهلها بغزو من وجده أمامه ، ثم جمع كل ما ظفر به من أموال ومن أناس أسرهم وعاد بهم وبالأموال مسرعاً الى بلاده ، فاشترك في بقية المعارك التي ذكرها في نصه ، وفي جملة محاربة الحبش الذين تحت إمرة (بيجت) .

و (معاهر) على ما يظهر حصن (وعلان) في (ردمان) . وقد استدل (فون وزمن) من عدم تدوين اسم الملك (شعر أوتر) في نهاية النص ومن ذكر اسم الملك (لحي عشت يرخم) (ملك سبأ وذو ريدان) فيه ، تقرباً اليه وتيمناً به ، على وفاة (شعر أوتر) ، وتحكم الملك (لحي عشت) عند تدوين هذه الكتابة ^١ .

وقد انتهت المعارك التي جرت مع الحبش النازلين في السواحل الجنوبية من جزيرة العرب بطردهم عن (ظفار) المدينة التي احتلوها ، وصاروا يهاجمون منها جيش (شعر أوتر) ، وطرردوا من كل أرض (معافر) ، ولكنهم ذهبوا الى (معاهر) (معهرتن) حيث بقوا هناك .

ويظهر ان الأحباش ومن انضم اليهم من قبائل باغتوا حكومة (شعر أوتر) بالمهجوم عليها من البحر والبر (بن ذبحرم وبيسم) : وامتدت رقعة الهجوم من مدينة (نعص) الى مدينة (ظفار) . ويظهر أن (بيجت ولد النجاشي) كان

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475. ١

قد تلقى امداداً من افريقية، فصار يهاجم بها السواحل ، ويعبىء بها سفنه لمهاجمة الأماكن البعيدة عن منطقة احتلاله . ولم يتحدث النص عن مصيره بعد هزيمة جيشه من ظفار ومن أرض (معافر) ، والظاهر أنه بقي في أرض (المعاهر) (معهرت) (معهرة) ، وأن السبثيين لم يزجوا الحبش عنها ، فبقوا معسكرين ومتحصنين في هذه الأرض وفي الحصن .

ولدينا نص وسم بـ Jamme 633 يفيد ان صاحبه واسمه (ابكرب احرس) (أبو كرب أحرس) ، وهو من بني (عيلم) و (يحمذيل) (يحمذ آل) (يحمذ ايل) كان قد تولى امر الحميريين المستقرين الذين صاروا بين جيشين وانه قام بواجبه ، غير انه اصيب بمرض صار يعاوده ، وأنه لما عاد من (لحج) قدم تمثالاً الى الإله (المقه شوان) وضعه في معبده : (معبد اوام) وذلك ليحفظه من كل سوء ، لأنه ساعده على تحمل مرضه ، وأعادته الى دياره من (لحج)، وقد قدّم نذره هذا في شهر (دئم) من سنة (أبكرب بن معد كرب) (أبو كرب بن معد يكرب بن فضحسم)^١ . وليس في هذا النص شيء عن هوية الجيشين ، ويرى بعض الباحثين أن المراد بذلك ان الحميريين المذكورين كانوا في ذلك العهد قد صاروا بين فرقتين من فرق الجيش، جيش (شهر أوتر): فرقة مؤلفة من محاربين سبثيين، وفرقة مؤلفة من محاربين حميريين ، وأن الحكومة عينت صاحب النص على الأهلين الحميريين الذين صاروا بين الجيشين ، ليضمن تعاونهم وتآزرهم مع الجيشين ، وييسر لهم الطعام والماء^٢ . ولم يشر النص الى قتال أو حرب يومئذ ، ولكن يظهر أن وجود الفرقتين هناك كان بسبب وجود حالة غير طبيعية ، ولعلها حالة الحرب التي أتحدث عنها .

ويحدثنا القائد المتقدم ، أي (ابكرب احرس) ، في نص آخر له يتألف من (٤٦) سطراً ، وسمه الباحثون بـ Jamme 635 وهو من النصوص التي دوتها وسجلها (جامه) Jamme أحد أعضاء البعثة الأمريكية لدراسة الانسان^٣ ، بأنباء معارك واضطرابات وانتفاضات قام بها القبائل ضد سيدها الملك (شعر أوتر) في الجنوب وفي الشمال ، في البحر وفي البر (بيسم) ، اشترك فيها هذا القائد ،

Jamme 633, MaMb 271, Mahram, P. 135, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 282. ١

Mahram, P. 303. ٢

The American Foundation for the Study of Man. ٣

وقد حمد الإله (المله) بعد عودته منها كلها سالماً معافى^١ ، لأنه هو الذي حرسه وحماه وحفظه ، واعتراًفاً بنعمه هذه عليه، قدم اليه تمثالاً وضعه في معبده المخصص بعبادته المسمى (معبد أوام) . وقد توسل الى إلهه (المله) بأن يديم نعمه عليه وعلى ملكه (شعر أوتر) ملك سبأ وذوي ريدان ، وان يبعد عنه كل أذى وشر ، وان يهلك أعداءه وحساده^٢ .

وذكر القائد بعد هذه المقدمة ان في جملة الحروب والمعارك التي خاضها في سبيل سيده الملك ، حروباً خاضها مع (اشعرن) (اشعران) و (بحرم) ومن انضم اليهما من ناس ، وحروباً خاضها في منطقة خلف مدينة (نجران) (نجرن)، لمحاربة مقاتلي الحبش (حبشن) ومن كان يؤازرهم ويساعدهم^٣ . ويظهر من هذا النص ان نجران كانت في أيدي الحبش في هذا الزمن .

وكانت منازل (الأشاعرة) الأشاعر (الأشعر) (الأشعريون) في القديم منتشرة على الساحل الغربي من (جيزان) الى (باب المندب)^٤ . أما في ايام (الهمداني) ، فقد كانت في أرض (معافر) المعافرين^٥ .

وأما (بحرم) (بحر) ، فقد كانت عشيرة من عشائر (ربيعة) (ربيعت) (ربت)^٦ .

ويظهر من دراسة هذا النص ان الملك (شعر أوتر) كان قد هاجم أولاً أرض (اشعرن) (أشعران) ، ثم هاجم (بحرم) ، وكان القائد صاحب النص يحارب معه. وبعد ان انتهى من قتالها انتقل بجيشه للقتال في منطقة (نجران) حيث كان الحبش قد تجمعوا فيها ، فقاتلهم وقاتل من كان معهم . ثم نقل القتال الى الغرب الى (قرينم) (قرية) وهي (لبني كاهل) (كهل) ، (قرينم ذت كهل) . فتحارب جيش (شعر أوتر) مع سيد المدينة (بعيل هجرن) ، أي مع صاحب مدينة (قرية) ، وتغلب عليه، وحصل على غنائم

١ Jamme 635, MaMb 270, Mahram, PP. 136.

٢ السطران : (٢٣) و (٢٤) من النص :

٣ Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, S. 63.

٤ D. H. Müller, Al-Hamdani's Geographie der Arabischen

٥ Halbinsel, I, S. 53, Mahram, P. 303.

كثيرة منها . ثم حارب (ربيعة) ثور ملك (كدت) (كدة) كندة وقحطان (بعلى ربت ذ الثورم ملك كدت وقحطن)^١ .

ويظهر من هذا النص ان (ربيعة) (ربت) كانت من القبائل المعروفة يومئذ ، وكانت تابعة لحكم (ثور) ، (ملك كندة وقحطان) . وقد انتصر على جميع من حاربهم من أهل (قرينم) ومن اتباع الملك (ربيعة) ملك كندة وقحطان ، واستولى على غنائم كثيرة ، في جملتها خيول وأموال طائلة ، كما أخذ عدداً من الأسرى .

وقد كلف الملك (شعر أوتر) ، صاحب النص بعد المعارك المذكورة أن يتولى قيادة بعض (خولان حضلم) (خولان حضل) ، وبعض أهل نجران وبعض الأعراب ، لحرب المنشقين من بني (يونم) (يوان) ومن أهل (قرينم) . وقد حاربهم (أبكرب أحرس) (أبوكرب أحرس) عند حدود (بكنف أرض الأسد مجزت مونهن ذ ثمل) أرض (الأسد مجزت مونهن) الذي هو صاحب (ثمل) (ثمال)^٢ . ثم عاد مع جيشة كله سالماً غير مصابين بأذى .

ويظن ان المراد من (بني يونم) ، (بني يوان) ، الياوانيين ، اي من (يونم) (يوان) وهم قوم من اليونان ، استوطنوا في جزيرة العرب . وقد ورد اسمهم في النص : Glaser 967^٣ . ويظهر انهم كانوا يحالفون (قرينم) في هذا العهد وقد جاؤوهم ليساعدوهم على الملك (شعر أوتر) .

واما (الأسد مجزت مونهن) ، فإسم علم على شخص ، يظهر انه كان يحكم أرض (ثمل) (ثمال) . ويظهر انه لم يكن يلقب نفسه بـ (ملك) ، بدليل عدم ورود هذا اللقب بعد اسمه في النص . وقد كان كذلك من المخالفين لـ (شعر أوتر) ومن المعارضين له^٤ .

ويظهر من تكليف الملك قائده أبا كرب أحرس (أبكرب أحرس) ان

١ السطران : (٢٦) و (٢٧) من النص ، Le Muséon, 1964, 3-4, P. 473.

٢ السطر ٣٦ فما بعده من النص ، Mahram, P. 137, 304.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 473, Mahram, P. 138, K. Mlaker, Die Hierodulen-
Hsten, S. 35, Jamme, South-Arabian Inscriptions, Princeton, 1955, P. 508.

٤ Mahram, P. 137.

يتولى بنفسه قيادة هذه القوى ، ان الملك قد وجد فيه حنكة عسكرية وجدارة جعلته يثق به ، فكافأه بتسليمه قيادتها اليه^١ .

ويظهر ان غنائم السبثيين من (قريتم) (قرية) ، كانت كثيرة جداً ، اذ نجد اشارة اليها في نصين آخرين . ففي أحدهما شكر وحمد ل (الملقه) ، لأنه من على عبده (شحرم) (شحر) من (بني حلدوت) (حلدوة) و (رجل) (رجل) ، وأعطاه غنائم كثيرة من غنائم تلك المدينة ، جعلته سعيداً^٢ ، وفي النص الثاني شكر لهذا الإله كذلك ، دونته (قشن أشوع) وابنه (ابكرب) (أبوكرب) وهما من (صعقن) (صعقان) ، لأنه من عليهما فأغناهما بما غنموا من (قريتم) قرية ، اذ كانا يساعدان سيدهما (شعر أوتر) ، ولذلك قدما اليه نذراً : تمثالاً ، تعبيراً عن حمدهما له ، ولين عليهما وعلى سيدهما : (شعر أوتر) وأخيه (حيو عثر يضع) (ملكي سبأ وذي ريدان)^٣ .

ولدينا نص وسم بـ Jamme 640 يتحدث عن مساعدة (شعر أوتر) (العز) ملك حضرموت في القضاء على تمرد قبائل حضرموت وثورتهم عليه . ولم يذكر النص اسباب ذلك التمرد ، والظاهر انها تمردت على ملكها ، لأنه تعاون مع (شعر أوتر) الذي فتح حضرموت واخذ جيشه منها غنائم كثيرة ، وانزل بالحضارمة خسائر فادحة ، فغضبوا عليه لتعاونه مع ملك سبأ^٤ .

وقد جاء في هذا النص اسم مدينة دعيت (هجرن اسورن) ، أي مدينة أسورن (أسوران) ، ويظن انها مدينة (أوسرة) Ausra ، التي ذكرها بعض الكتبة اليونان ، وهي موضع (غيظت) (غيظة) التي تقع على مسافة (٢٢٠) كيلومتراً جنوب غربي (ريسوت)^٥ .

وقد ورد اسم (حيو عثر يضع) في هذا النص ، وهو شقيق الملك (شعر أوتر) ، غير انه لم يضع بعده لقب (ملك سبأ وذي ريدان)^٦ .

Mahram, P. 304.

Jamme 634, MaMb 273, Mahram, P. 136.

Jamme 631, MaMb 49, 206, Mahram, P. 140, 141, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 283.

Jamme 640, MaMb 250, Mahram, P. 140, 304.

Mahram, P. 304.

Mahram, P. 140, 304.

ولدينا نص آخر دونه رجل اسمه (ربيعت) (ربيعة) ، ذكر فيه انه قدّم تمثالا الى الإله (الملقه) ، لأنه اعاده سالماً معافى من كل المعارك التي اشترك فيها والحرب التي شنها ، وقد سأل إلهه ان يحفظه وان يمن عليه وعلى سيده (شعر أوتر) و (حيو عشر يضع)^١ . ولم يذكر النص شيئاً عن تلك المعارك وعن المواضع التي دارت فيها رحاها .

ويعد النص : CIH 398 من النصوص المهمة التي تتحدث عن تأريخ سبأ ، اذ تحدث عن (شعر أوتر) ، على انه (ملك سبأ وذي ريدان) ، ثم تحدث في الوقت نفسه عن (الشرح يحضب) ، وعن اخيه (يأزل بين) ، وقد لقبها بـ (ملكي سبأ وذي ريدان) . ومعنى هذا ان حكم سبأ وذي ريدان كان لـ (شعر أوتر) وللأخوين : (الشرح يحضب) وشقيقه (يأزل بين) ، وهما من أسرة همدانية أخرى سأنحدث عنها في موضع آخر . وقد توسل صاحب النص الى آلهته بأن تمنّ عليها بالصحة والعافية والنصر^٢ .

وقد أثار هذا النص جدلاً بين علماء العربيات الجنوبية في معاصرة (علمان نهفان) لـ (فرعم ينهب) ، وفي حكم (شعر أوتر) و (الشرح يحضب) وشقيقه ، وتلقب كل واحد منهم بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) فذهبوا في ذلك مذاهب ، إذ ليس من المعقول ان يكون مقر حكم (شعر أوتر) و (الشرح يحضب) واخيه في (مأرب) ، ويكون حكمهم حكماً مشتركاً . فبين أسرة (شعر أوتر) واسرة (الشرح) تنافس قديم ، لا يمكن ان يسمح بحكم هؤلاء الثلاثة من مدينة مأرب ، وبحملهم لقباً واحداً عن رضى وانفاق .

وذهب بعضهم الى ان هذا النص لا يشير الى حكم الأخوين ، في أيام حكم (شعر أوتر) ، وإنما يشير الى انها حكماً بعده ، واذن فلا غرابة في القضية ، اذ لم يكن الحكم مشتركاً وفي زمن واحد . وذهب بعض آخر الى ان حكم (الشرح) وشقيقه كان مستقلاً عن حكم (شعر أوتر) ، وان الأخوين لم يكونا مرتبطين بـ (شعر أوتر) بأي رباط ، وإنما كانا بعداً ان أنفسهما الملكين الشرعيين ،

REP. EPIG. 4842, Le Muséon, LI, 1938, P. 133, 135, Mahram, P. 304, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 283.

Glaser 891, Abessl, S. 83, CIH 398, IV, II, I, P. 58, Die Arabische Frage, S. 148, Background, P. 95.

وان الحكم إنما انتقل اليها من ابيها (فرعم ينهب) . وذهب آخرون الى ان (فرعم ينهب) كان قد وضع اساس الحكم والملك في منطقة تقع غرب (مأرب) وان (الشرح يحضب) و (بأزل بين) ، خلفاه على ملكه ، واهتبلا الفرص للاستيلاء على عرش سبأ ، حتى اذا سنحت لهما ، لقبا أنفسهما بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) ، وذلك بعد اختفاء ذكر (شعر اوتر) واخيه (حيو عثر يضع) ، وصارا بذلك ملكي سبأ وذي ريدان ، وإنما كان حكمهما على جزء من تلك المملكة^١ .

وقد جاء اسم (شعر اوتر) مع لقبه (ملك سبأ وذي ريدان) في النص المرسوم بـ Jamme 638 ، وقد سقطت الأسطر الأولى منه فلم يعرف مدونه وصاحبه . وقد ذكر فيه اسم والد الملك ، وهو (علهان) ، وقد لقب فيه بلقب (ملك سبأ) فقط^٢ .

وقد ثبت الآن من نصوص عثر عليها من عهد غير بعيد ان (حيو عثر يضع) كان شقيقاً لـ (شعر اوتر) ، وانه كان قد شارك شقيقه في التلقب بـ (ملك سبأ وذي ريدان)^٣ . ويظهر ان ذلك كان بعد مدة حكم فيها (شعر اوتر) حكماً منفرداً ، اي من غير مشاركة اخيه له في اللقب ، بدليل ورود اسمه في النص Jamme 640 بعد اسم اخيه، ولكن من غير تدوين أي لقب له. وذكر في هذا النص اسم (عبد عثر بن موقس) ، وهو من سادات (خولان) ، وقد هاجمته جيوش (شعرم اوتر) وهزمته ، وكبدته خسائر ، وكان قد هدم وخرب معبداً لعبادة (المقه) في موضع (اوعلى) (اوعلى) (محرم بعل اوعلى) ، فعاد صاحب النص هذه الهزيمة عقاباً وجزاء من الإله (المقه) انزله عليه لفعلته هذه بمعبده . فيظهر من هذا النص ان (شعرم اوتر) كان قد اغار على الخولانيين او على القسم الذي يترأسه (عبد عثر) منهم ، واصابهم بضرر فادح ، فقرح بذلك صاحب النص ، لتطاول (عبد عثر) على

Abessl., S. 83, Rhodokanakis, Altsudarabische Inschr. S. 468, J. Ryckmans, ١
L'institution Monarchique, P. 297, Mahram, PP. 305, A. F. L. Beeston, Problems of Sabaeen Chronology, P. 53.

Jamme 638, MaMb 128, Mahram, P. 139. ٢

CIH 408, Jamme 641, REF. EPIG. 4842, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 283. ٣

معبد (الملقه) إلهة السبثيين واستخفافه به . ولم يذكر صاحب النص السبب الذي حمل (شعرم أوتر) على مهاجمة سيد خولان ، اذ عزاه الى انتقام الإلهة (الملقه) منه ، فكأن هذا الإلهة هو الذي سلط (شعرم أوتر) عليه ، ليستقم منه جزاء فعلته المنكرة بمعبدته ، ولعل (عبد عشر) كان قد تجاسر على (شعرم أوتر) فهاجم أرضه ، او انه خاصمه وعارضه او عصى امرأ له ، فهاجمه (شعرم أوتر) وانتقم منه .

واختتم صاحب النص المذكور نصه بتقديم حمده وشكره لإلهه ، اذ من عليه فكنه من الدفاع عن تربة بلاده ، وأغدق عليه نعماء فنحه غلة وافرة وثماراً كثيرة . وذلك في ايام سيده الملكين ، وفي عهد (القول) القيل (رثد أوم يزد بن حبيب)^١ ، وفي ايام (بني عنن) (بني عنان) وشعب (صرواح)، ثم ذكر أسماء الآلهة^٢ .

ويظهر من النص ان صاحبه كان ممن اشتركوا في الحروب ، ولعلّه كان من قادة الجيش فيها ، أو من سادات القبائل الذين أسهموا مع قبيلتهم فيها . وكان في جانب (الشرح) ، وأخيه (يأزل) وقد يكون ذكر (شعر أوتر) وذكر لقبه معه على سبيل الحكاية، لا الاعتراف بكونه ملكاً على سبأ وذي ريدان . وسجل رجل من أتباع الملك (شعرم أوتر) انه قدّم الى الإلهة (عزى) حصاناً وصورة من الذهب ، لأنه أنقذ حياته ، ونجاه في الحروب التي خاضها فيها مع سيده الملك ، ولكي يمنّ الإلهة عليه ، ويبارك فيه وفي سيده الملك^٣ . ويتبين من ذلك أن صاحب هذا النص كان من المحاربين الذين قاتلوا في صفوف (شعرم أوتر) .

وذكر (شعرم أوتر) في كتابة دوتها قوم من (بني ترأد) ، وقد حددوا فيها الإلهة (الملقه شهون بعل رثون)^٤ ومجدوه ، وقدموا نذراً اليه . ثم ذكروا

١ قد يقرأ الاسم على هذه الصورة : (رثد أوم يزيد بن حبيب) ، (رثد أوم يزد بن حبيب) ، وما شاكل ذلك من قراءات .

٢ CIH 398, IV, II, I, P. 58, Halevy, Revue Semitique, IV, 1896, P. 79, Winckler, Die sab. Inschr., der Zeit Alhan Nahfan's S. 347.

٣ REP. EPIG. 4149, VII, I, P. 105, VA 5313.

٤ (الميه شهوان اله رثون) (الملقه شهوان اله رثوان) .

(شعرم أوتر وحيو عثر يطع « يضع » ملكي سبأ وذى ريدان)^١ ، وهي جملة يفهم منها أن (حيو عثر يطع) (حيو عثر يضع) (حيو عثر يشع)^٢ كان ملكاً أيضاً ، وكان يلقب أيضاً بـ (ملك سبأ وذى ريدان) . ويرى (هومل) أن (حيو عثر) هذا كان أحد اولاد (يرم أيمن بن علهان نهقان) ، فهو ابن اخي (شعرم أوتر) وكان له شقيق سقط الشق الأول من اسمه ، وبقي الشق الثاني منه ، وهو (أوتر) . ويرى أن من المحتمل أن يكون الاسم الكامل (شعرم أوتر) ، أي مثل اسم عمه^٣ .

وجعل (موردتمن) و (ميتوخ) ، (حيو عثر) ، ابناً من أبناء (شعرم أوتر) ، فوضعه بعده في الحكم^٤ . وقد شارك أباه الحكم في حياته ، فلقب على العادة الجارية بـ (ملك سبأ وذى ريدان) . وأما اسم (شعرم أوتر) ، الذي سقط القسم الأول منه ، وهو (شعرم) من الكتابة ، فإنه اسم الأب لا الشخص الذي ذهب (هومل) إليه^٥ .

وورد اسم (شعرم أوتر) وبعده اسم (حيو عثر يضع) في كتابة أخرى^٦ يدعى صاحبها (ربيعت) (ربيعة) ، وقد قدم الى الإله (المقه) تمثالاً من الذهب ، لأنه أعاده سالماً من غزوة غزاها ، ومن حرب حضرها في سبيل (شعرم أوتر) ، وتضرع الى (المقه) أن يديم نعمه عليه ، ويمدّ في عمره ، ويبارك فيه وفي سيده (شعر أوتر وحيو عثر يضع)^٧ .

ولما كان صاحب هذه الكتابة من السبثيين ، وكنا قد وجدنا كتابات أخرى حدثت وذكرت (شعرم أوتر) بنخير ، وكان أصحابها من السبثيين كذلك^٨ ،

١ Burchardt 6, CIH 408, IV, II, I, P. 82, Hartmann, in Orientalistische Literatur Zeitung, X, 1909, C. 605-607.

٢ Sab. Inschr., S. 218. Le Muséon, LXIV, 1-2, 1951, P. 134.

٣ Handbuch, I, S. 90.

٤ Sab. Inschr., S. 218, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 80.

٥ المصدر نفسه .

٦ REP. EPIG. 4842, VII, III, P. 387, Le Muséon LI, 1938, P. 133, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 70, 80.

٧ السطران العاشر والحادي عشر من النص .

٨ REP. EPIG. 4152, 4155, VII, I, P. 108, 109.

فاننا نستنتج من ذلك كله ان قسماً من السبثيين كانوا منحازين الى هذا الملك ،
وانهم كانوا يعترفون به ملكاً على سبأ وذي ريدان وان (الشرح يحضب) لم
يكن يحكم كل سبأ والقبائل التابعة للسبثيين .

وذكر اسم (شعرم أوتر) في نصين آخرين قصيرين ، هما بقايا نصين .
ورد في أحدهما اسم (ظفار)^١ ، وقد أهمل فيه لقبه . أما النص الثاني فقد دون
عند بناء بيت ، وقد لقب فيه ب (ملك سبأ وذي ريدان)^٢ .

ويظهر ان (شعر أوتر) قد تمكن من بسط سلطانه على أكثر حكومات
العربية الجنوبية وعلى قبائلها ، ما خلا المناطق التي كانت في أيدي الحبش، وهي
الأرضون الغربية من اليمن والواقعة على ساحل البحر الأحمر^٣ .

لقد جعل (جامه) حكم (شعر أوتر) فيما بين السنة (٦٥) والسنة (٥٥)
قبل الميلاد ، وجعل نهاية حكم شقيقه (حيو عشر يضع) في السنة (٥٠) قبل
الميلاد ، وهي سنة انتقال الملك من أسرة (يرم أيمن) الى أسرة (فرعم ينهب)
التي بدأت حكمها في أرض تقع حوالي (صنعاء) ثم وسعت حكمها حتى شمل
مملكة سبأ وذي ريدان كلها^٤ .

هذا ، وأود أن أشير هنا الى ان النص : Jamme 631 المكتوب في أيام
الملك (شعر أوتر) والذي تحدثت قبل قليل عنه ، قد ورد فيه اسم ملك هو
(لعززم يهنف يهصدق) ، وملك آخر اسمه (لحيعثت يرخم) . وقد لقب
كل واحد منهما ب (ملك سبأ وذي ريدان) . ومعنى هذا وجود ملكين آخرين
كانا يحكمان في أيام (شعر أوتر) كل منهما بلقب بلقب (ملك سبأ وذي
ريدان) . واذا أضفنا اليها والى الملك (شعر أوتر) الشقيقين (الشرح يحضب)
و (يازل بين) ، وقد كانا يلقبان بهذا اللقب أيضاً ، نجد أنامننا خمسة ملوك
يلقبون بلقب واحد . ويرى بعض الباحثين ان الملك (لعززم يهصدق) ، كان
ملك أرض (ظفار) وما جاورها ، وهو الذي هاجمه الحبش وانتصروا عليه ،

١ نشر (ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣) .
٢ نشر (ص ٦٤ وما بعدها) .
٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.
٤ Mahram, PP. 390.

وكان يحكم هذه الأرضين حكماً مستقلاً فلما هاجمه الحبش ، أسرع الملك (شعر أوتر) لنجدته على نحو ما ورد في النص^١ .

وأما الملك (الحبعث برخم) ، فقد ورد اسمه في نص وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 2633 ، ولسنا نعرف من أمره اليوم شيئاً يذكر^٢ . ويظن أنه من ملوك المقاطعات ، أي الملوك الصغار المحليين، وقد كان حكمه يتناول الأرضين الواقعة شمال أرض ظفار^٣ .

يتبين لنا مما تقدم أن ملوك سبأ لم يكونوا ينفردون وحدهم بالحكم دائماً ، وإنما يظهر بين الحين والحين ملوك ينازعونهم الملك واللقب ، يبقون أمداً مستقلين وقد يتغلبون على الملوك الشرعيين الأصليين ويسلبونهم الملك ، كالذي فعله (الشرح يحضب) وشقيقه (يأزل بن) ، إذ كانا ملكين بحكم أن أرض (صرواح) ثم بسطا سلطانهما على أرضين أخرى ثم انتزعا العرش نهائياً ، وصارا الملكين على مملكة (سبأ وذو ريدان)^٤ .

لقد انتهت من الكلام على أسرة (اوسلة رفشان) ، وهي من عشيرة (بتع) من قبيلة (حاشد) أحد فرعي (همدان) ، وقد وجب الكلام الآن على أسرة همدانية أخرى ظهرت في هذا الزمن أو قبل ذلك بقليل ، وانتزعت الملك من السبئيين ، وأخذته لها ، وهذه الأسرة هي أسرة (نصرم يهأمن) التي سبق أن تحدثت عنها في أثناء كلامي على (ملوك سبأ) . فقد كان (نصرم يهأمن) من قبيلة همدان أيضاً ، فنحن إذن في عصر سبئي ، إلا أن الحكم فيه لم يكن في أيدي ملوك سبئيين ، ولكن كان في أيدي ملوك من همدان .

أسرة (يرم اعين) :

١ - أوسلت رفشان (أوسلت رفشن) .

١ Mahram, P. 306.

٢ Mahram, P. 134.

٣ Mahram, P. 306.

٤ CIH 398, Mahram, P. 306.

- ۲ - یریم اَیمن (یرم اَیمن) .
- ۳ - علهان نَهفان (علهن نَهفن) .
- ۴ - شعر اوتر (شعرم اوتر) .
- ۵ - حیو عَثر یضع .

الفصل السادس والعشرون

أسى وقبائل

تحدثت عن ملوك سبأ ، وعليّ الآن أن أتحدث عن الأسر وعن القبائل التي كانت لها أعمال بارزة ملحوظة في هذا العهد ، اذ كانت من القوى الموجهة ، ولتوجيهها أثر مهم في سياسة زمانها .

وأول من يجب ان أبدأ بهم ، (فيشن) (فيشان) . ففهم كان مكربو سبأ ، ومنهم كان الملوك . ولا بد أن يكون الفيشانيون من القبائل القوية الكثيرة العدد ، والا لم تخضع لها القبائل الأخرى ولم تسلم لها بالقيادة والسيادة .

وكانت (صرواح) عاصمة المكربين ، من أهم مواطن الفيشانيين . وقد ورد في الكتابة الموسومة بـ Glaser 926 أنهم كانوا أصحاب (عهرو)^١ ، أي نادر يشبه (المزود) ، أو (دار ندوة) قريش^٢ ، يجتمع فيه ساداتهم للتشاور في الأمور ، وللتحدث عما يحدث لهم .

وقد أضاف المكرب والملك (كرب ايل وتر) الى أسرته والى قبيلته (فيشن) (فيشان) أملاكاً واسعة كما ذكر ذلك هو نفسه في كتابته : (كتابة صرواح) . وقد أخذ تلك الأملاك من القبائل التي عارضته وحاربتة ، فتوسعت رقعة منازلها بفضل هذه الأملاك .

١ Ktb., II, S. 49.

٢ المصدر نفسه (ص ٥٠) .

وجاءت في بعض النصوص ، جملة هي : (سبأ وفیشان)^١ ، فعطفت (فيشان) على سبأ ، مما يدل على ان (فيشان) لم تكن في عداد سبأ في نظر القوم اذ ذاك .

وقد جاء في النص : Jamme 558 ان : (يدع ايل) وهو ابن (كرب ايل بن) (ملك سبأ) وكذلك (الشرح) ، وهو ابن (سمه على ذرح) ، كانا من عشيرة (شعبهمو) (شعب) (فيشن) ، أي (فيشان)^٢ . ففيشان اذن من الأسر القديمة المعروفة في اليمن ، ومنها كان أقدم حكام سبأ^٣ .

وقد ولدت قبيلة أخرى عدداً من الملوك ، جلسوا على عرش سبأ وحكموا السبثيين وغيرهم . وهذه القبيلة هي قبيلة (مرثد) وهي من (بكيل) (بكيل) . وكانت تتعبد للإله (المقه) إله السبثيين الأول . وقد أقامت له معابد عديدة ، منها معبده المسمى بـ (المقه زهرن) ، أي معبد (المقه) في (ذي هرن) (ذي هرن)^٤ . و (هرن) من المواضع التي ذكرها (الهمداني)^٥ .

ومن ملوك سبأ الذين تبوأوا العرش ، وهم من (مرثد) الملك (أنمار يهامن بن وهب ايل) الذي سبق أن تحدثت عنه ، وأكثر الكتابات التي ترجع الى عهده ، عثر عليها في مدينة (حاز) في جنوب (عمران)^٦ .

ومن ملوك سبأ الذين أصلهم الى (مرثد) ، الملك (الشرح بحضب) وأبنائه . وقد دوت اسم (الشرح) في جملة كتابات عثر عليها في (شبام سخيم) .

وكانت لمرثد أرضون غنية واسعة في الجزء الغربي من (بلد همدان) ، وهي جزء من أرض (بكيل) (بكيل)^٧ ، تستغلها قبائل (بكيل) وبطونها لقاء جعل تدفعه لسادات القبائل والملوك ، يتفق على مقدار ، ويقال لعقد هذه الاتفاقيات (وتف) (وتفن) . وتشرف معابد (المقه) على أوقاف واسعة

Handbuch., I, S. 129

الفقرة السابعة من النص : Jamme 558, MaMb 201, Mahram, PP. 24.

A. F. L. Beeston, Sculptures and Inscriptions from Shabwa, in JRAS, 1954,

PP. 52, Mahram, P. 27, Smith, in Vetus Testamentum, II, 1952, P. 287.

CIH IV, I, II, P. III, Handbuch, I, S. 88.

الصفة (١١٧/٢) ، الاكليل (١١٧/٨) (طبعة نبية) .

Handbuch, I, S. 886 ، (٤٥٦ ، ٣٨٥/٢) ،

KTb., II, S. 71.

لها ، تؤجرها أحياناً لسادات القبائل بمبالغ يتفق عليها الطرفان .

وقد وصلت إلينا جملة عقود (وتف) عقدت بين كُهان معابد (المقة) وسادات (مرثد) ، منها الاتفاقية المعروفة بـ 'Glaser 131' . وقد تعهدت (مرثد) فيها للمعبد (المقة بعل اوم) بالرفاء له بما اتفق عليه ، تدفعه له في وقته في كل سنة ، كما تعاقدت عليه في الشروط المدونة في (الوتف) ، على أن يهبها الإله (المقة) غلة وافرة ومحصولاً جيداً . ويظهر أنها لم تف للمعبد بما اتفق عليه ، ولم تسلم له حصته كما ينبغي ، وصادف جسد انزل أضراراً بمرثد ، ففسر الكُهان ذلك بغضب إلهي أرسله (المقة) على (مرثد) لعدم وفائهم بالعهد ، فارتأى سادتهم أن يكفروا عما بدر منهم ، والوفاء في الموسم المقبل ، فجددوا العهد ، وكتبوه مجدداً تأكيداً على أنفسهم أمام الإله (المقة) الذي وافق على ذلك ورضي به^١ . ويعني ذلك بالطبع رضا الكُهان وموافقتهم على تجديد العقد .

وتحكمت (مرثد) ، بما لها من سلطان واتساع أرضين ، في عشائر أخرى ، دانت لها بحق (الجوار) ، وعدت سادة (مرثد) سادتها كذلك . وقد اختارت كل عشيرة منها من شاءت من سادة مرثد ، فكان من ساد منهم عشيرة (عرن) (عران) سيد من (مرثد) اسمه (ريم) اي (ريب) . وقد ورد اسمه في نص كتبه في سنة (خرف) (خريف) (عم كرب بن سمه كرب بن حزفرم) وذلك حمداً وثناء على الإله (المقة) رب معبد (ذهرن) (ذي هران)^٢ ، لمنته ونعمائه ، وتعبيراً عن حمده وشكره ، قدم له نذراً أهداه الى ذلك المعبد^٣ .

وكان (بنو ارفط) (بن ارفط) من القبائل التي دانت بسيادة (بني مرثد) عليهم ، كما يتبين من كتاباتهم . فقد عبروا عنهم بـ (امرائهم بني مرثد)^٤ ، وعبروا عن سيادة (بني مرثد) عليهم بجملة (آدم بن مرثدم) ، أي (خول

١ Glaser 131, CIH 99, STUDI. Lexl., II, S. 157.

٢ Bodenvirtschaft, S. 23.

٣ (المقة ذهرن) (المقة ذو هران) .

٤ CIH 73, IV, I, II, P. 108, E. Oslander, Zur Hlmjarischen Alterthumskunde,

in ZDMG., XIX, S. 161, BM 4, OS I.

٥ CIH 75, BR. MUS. 7, OS 9, CIH, IV, I, II, P. 114.

بني مرثد^١ ، وفي هذا التعبير دلالة واضحة على أنهم كانوا اتباعاً لبني مرثد، خاضعين لهم ، فان لفظة (ادم) لا تقال الا تعبيراً عن التبعية والخضوع . وعرفنا من الكتابات اسم قبيلة اخرى كانت تعدّ نفسها في جوار (بني مرثد) وولائهم . وهي قبيلة (نبشم) (نبش) (نابش) ، وقد قدّم أحد أبنائها ندرأ الى (المقه ذي هران) ، وذكر ان ذلك كان في ايام سيده وأميره (يشعم) اي (يشع) من مرثد^٢ .

ويعد (بن اخرف) (بنو اخرف) ، وهم على ما يظن (بنو الخارف) من اتباع (مرثد) ايضاً . وقد ورد في النص : CIH 79 اسم احد رؤسائهم من (مرثد) ، وهو (يفرعم) (يفرع) . وقد ذكر (نشوان بن سعيد الحميري) : ان (الخارف بطن من همدان من حاشد) ، وذكر نسبهم وبطونهم في الجزء العاشر من (الإكليل)^٣ .

وكان (بنو وهرن) (بنو وهران) ، من اتباع (مرثد) كذلك ، وقد صرح بذلك احدهم في كتابة قدمها الى (المقه ذي هران)^٤ .

ومن القبائل التي اعترفت بسيادة (مرثد) عليها، (بنو كنيم) (بنو كنب)^٥ و (بنو عديم ذي روثن) أي (بنو عبد) أصحاب (روثن)^٦ ، و (بنو أرفث)^٧ و (بنو ضنيم)^٨ ، أي (بنو ضب) و (بنو أسدم) ، أي (بنو اسد) ، الذين تعبدوا لألقه بمعبده في موضع (صوفن) (صوفان)^٩ ، و (بنو يهفرع)^{١٠} و (بنو أشيب)^{١١} ، و (بنو قرين) (قورين)^{١٢} ، و (بنو حيثم)

-
- | | |
|---|----|
| CIH 77, BR. MUS. 9, Oslander, in ZDMG., XIX, S. 199. | ١ |
| CIH 76, BR. MUS. 8, OS 12, CIH, IV, I, II, P. 116. | ٢ |
| CIH 79, BR. MUS. II, OS 8, CIH, IV, I, II, P. 121. | ٣ |
| CIH 87, IV, I, II, P. 140, BR. MUS. 19, OS. 18. | ٤ |
| CIH 88, IV, I, II, P. 143, BR. MUS. 20, OS 16, Oslander in ZDMG., XIX, S. 210. | ٥ |
| Halevy 6, Etudes, P. 114, OS 22. | ٦ |
| OS 9, Halevy, Etudes, P. 117. | ٧ |
| Halevy 16, Etudes, P. 131, OS 23. | ٨ |
| OS 27, Halevy 17, Etudes, P. 132, CIH 84, IV, I, II, P. 135. | ٩ |
| Halevy 25, Etudes, 145, CIH 72, IV, I, II, P. 106, OS 5, BR. MUS. 3. | ١٠ |
| OS 18, Halevy 27, Etudes, P. 148. | ١١ |
| Halevy 18, Etudes P. 136, OS 13, D. Nielsen, Der Sab. Gott Ilmukah, S. 49, Pratorius, Beitr., S. 141. | ١٢ |

(بنو حيث)^١ ، و (بنو ذئح) (بنو ذئحان)^٢ ، وغيرها .
و (روثان) من الأسماء المعروفة في اليمن ، وقد كان محفداً من المحافد ،
وقد ذكره (الهمداني) في (الإكليل)^٣ .

وقد ورد في النص CIH 102^٤ ، اسم جماعة تدعى (بنو مضن) ، (بنو مضان) ، وهم من (ابكلن) (أبكل) من سكان مدينة (عمران) ، وقد ورد اسم هذه المدينة في نصوص أخرى ، يظهر منها أن أصحابها كانوا من (بني ابكلن) (أبكل)^٥ .

ولعل لما ذكره (الهمداني) من وجود قبائل تنسب إلى (الأسد بن عمران)^٦ علاقة بـ (بني أسدم) (أسد) الذين ذكرتهم قبل قليل ، كانوا نزولاً في (عمران) فنسبوا إليها .

سخيم :

ومن القبائل في هذا العهد قبيلة (سخيم) ، التي ورد اسمها في مواضع من هذا الكتاب . وكانت تتمتع بمنزلة محترمة ومكانة مرموقة ، ولها أرضون تؤجرها لمن دونها من القبائل بجمالة سنوية وخدمات تؤديها لسادات هذه القبيلة . وتعد منطقة (شبام سخيم) الموطن الرئيسي لـ (بني سخيم) . وقد تحدث (الهمداني) عن (شبام سخيم) ، فقال : (ومن قصور اليمن ، شبام سخيم ، وكان فيها السخيميون من سخيم بن يداع بن ذي خولان ... وبها مآثر وقصور عظيمة . ومن شبام هذه تحمل الفضة إلى صنعاء ، وبينهما أقل من نصف نهار)^٧ . فجعل

١ Halevy, Etudes, P. 138.

٢ OS 6, Halevy 20, Etudes, P. 140.

٣ الاكليل (٩٠/٨ ، ٩١) (طبعة نبيه) ، (١٢٢/١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .

٤ CIH 102, IV, I, II, P. 164.

٥ CIH 95, BR. MUS. 27, OS 20, CIH, IV, I, II, P. 155, Oslander, Zur Himjarischen, In ZDMG., XIX, S. 220.

٦ الاكليل (٧٠/٨) (طبعة نبيه) .

٧ الاكليل (٨٣/٨) وما بعدها (طبعة نبيه) ، الاكليل (٢٨٣/٢ وما بعدها) ، « خولان » .

(الهمداني) (السخيمين) من (ذي خولان) . وقد أخذ هذا النسب من موقع أرض (سخيم) التي تقع في أرض (خولان) ، فصار هذا نسباً للسخيمين على مرور الأيام^١ .

وكان لـ (بني سخيم) سلطان واسع في (شبام سخيم) ، ولهم في هذا الموضع (مزود) مجتمعون فيه ، ويتداولون في تصريف أمورهم في السلم والحرب . وكان منهم (اقول) (اقيال) حكموا قبائل أخرى . وقد قام رجالهم بأعمال عمرانية مثل فتح طرق ، وحفر قنوات ومسائل للمياه ، يساعدتهم عليها أتباعهم من (بني سخيم) ومن القبائل الأخرى التي كانت نزولاً عليهم . ولتغلب (سخيم) على موضع (شبام) ، عرف باسمهم تمييزاً له عن مواضع أخرى عرفت أيضاً باسم (شبام)^٢ .

وقد وصلت إلينا أسماء طائفة من سادات (سخيم) ، قاموا بأعمال عمرانية دونوها في كتاباتهم ، أو ساعدوا اتباعهم على القيام ببعض الأعمال العمرانية ، فذكروا أسماءهم لذلك اعترافاً بفضلهم عليهم . ومن هؤلاء شيخ اسمه (يشرح آل اسرع) (يشرح ايل اسرع) وكان رئيساً على سخيم . وعثر على اسمه في عدد من الكتابات وجدت في (الغراز)^٣ ، وجد في أحدها أنه ساعد قبيلة سقط اسمها من النص (وكانت تابعة لبني سخيم) على بناء (مزود) لها^٤ ، فذكر اسمه لذلك في الكتابة اعترافاً بفضله على أصحاب النص .

ومن سادات ورؤساء (سخيم) (الرم يجمر) (الريام يجمر) (الريم يجمر) ، وكان (قول) قبلاً على (سمعي) ، التي تكون ثلث (خجرم) في أيام الملك (وتر يهامن) (وتر يهامن) ، وهو ابن الملك (الشرح يحضب) ملك سبأ. وذي ريدان . وقد ارسله الملك لمحاربة (خولان جددن) ، أي خولان النازلة بـ (جددن) (جددان) ، فانتصر عليها وعلى من انضم إليها ، كما يدعي النص الذي سجله هذا القيل^٥ .

Handbuch, I, S. 132, Beiträge, S. 19. ff.

Sab. Inschr., S. 15.

Sab. Inschr., S. 18, MM I, RW 59, MM 4, 5.

Sab. Inschr., S. 24, MM 4.

Jamme 601, Mahram, P. 102, MaMb 205.

وكان له (سخيم) سلطان على فرع من قبيلة (سمعي) ، هو الفرع الذي استقر في (حجر) ، وقد اختار له (أقولاً) أقبالاً من (بني سخيم) ، ولعل هذا الفرع ترك موطنه الأصلي لحصام وقع له مع بقية فروع (سمعي) ، فهاجر الى هذا الموضع ، ونزل في جوار (سخيم) ، وعدت منهم ، وحكمه لذلك أقبال من سخيم . ويجوز أن يكون هؤلاء السمعيتون هم سكان هذه المنطقة في الأصل ، إلا أن (سخياً) تغلبوا عليهم ، وصارت لهم الإمارة في (شبام) ، فصار (سمعي حجر) اتباعاً لهم . والظاهر أن (حجراً) كانت تعد ملك (سخيم) أو تابعة لسلطانهم السياسي ، ولذلك كان أقبال (اليرسميين) من (بني سخيم) كذلك .

وقد كانت (سخيم) من القبائل المهمة في أيام (الشرح يحضب) (الشرح يحضب) . وقد ورد في كتابة عثر عليها في (شبام سخيم) ، كتبها جماعة من (سمعي) التابعين لسخيم ، حمد للآلهة وثناء عليها ، اذ منت على أصحابها بالمن والنعاء ، ورجاء منها بأن تمن عليهم بالخير والبركة وعلى ملكهم (الشرح يحضب) (الشرح يحضب) وأولاده وعلى (أقولهم) أقبالهم السخيمين ، أي من (بني سخيم)^١ . ويظهر ان رؤساءها اكتسبوا قبل تولي (الشرح) العرش قوة وسلطاناً جعلوا قبيلتهم ذات مكانة حين صار العرش اليه .

وكما كان الملوك معين ومأرب وحير وغيرهم قصورهم وحصونهم التي صارت رمزاً لهم ولشعوبهم ، كذلك كان الملوك (سمعي) وسخيم قصرهم الذي عرف بهم ، وهو (حصن ذو مرمر) ، وقد بني على مرتفع من الأرض يبلغ ارتفاعه زهاء (٢١٠) امتار عن السهل الذي يقع فيه ، فيشرف على مدينة (شبام سخيم) القديمة^٢ . وهو حصن قوي ، حصن بسور متين يمنع المهاجمين من الوصول اليه . وقد ذكر اسمه في عدد من الكتابات ، وبقي هذا الحصن قائماً الى حوالي السنة (١٥٨٣ م) . فهدمه والي اليمن العثماني لبيني بحجارته مدينة جديدة^٣ . وكان لسادات سخيم قصر يسمى (بيتن ريمن) ، أي (بيت ريمان) ،

١ Sab. Inschr., S. 38, MM 24, Beltrâge, S. 19.

٢ Beltrâge, S. 17, 18.

٣ Beltrâge, S. 18, Glaser 1209.

وقد نعت أصحابه انفسهم بـ (ابلع بيتن ريمن) ، أي سادات وأرباب بيت ريمن^١ . وقد ورد اسمه في عدد من النصوص^٢ . ويلاحظ ان اصحاب (بيت ريمن) كانوا أقبالا^٣ على (يرسم) .

ومن سادات وأرباب وأصحاب (ابلع) (بيت ريمن) ، القبل (شرحشت أشوع) وابنه (مرثدم) ، وهما من (سخيم) . وكانا قبيلين على بطن (يرسم) من بطون (سمعي) في أيام الملكين : (ثاران ينعم) و (ملككرب يهأمن) (ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)^٤ .

وكان (وهب اوم ياذف) (وهب أوام ياذف) وشقيقه (يدم يدرم) من أصحاب (بيت ريمن) ، ومن أقبال (يرسم) التي هي من (سمعي) المكونة لثلث (حجرم)^٥ .

ومن بطون (سمعي) ، التي تكون ثلث (حجرم) بطن (يرسم) . وكان يحكمه في أيام (نشأكرب يأمن) ، وهو ابن (الشرح يحضب) ، جماعة من (سخيم) . وقد كلفوا محاربة (خولن جددن) ، أي (خولان جددان) . وكانت قد ثارت على (سبأ وذي ريدان) ، فانتصروا عليها واخذوا غنائم وأسرى منها ، كما تعهد رؤساؤها باطاعة أوامر الملوك^٦ .

ومن اتباع (سخيم) عشيرة عرفت بـ (ذ مليحسم) (ذي مليح) ، وكانت تقيم في (الغراز)^٧ . ويظهر انها كانت في الأصل من المعينيين ، ثم هاجرت الى (شبام) ، فنزلت على (بني سخيم)^٨ . وقد هاجر غيرهم من المعينيين الى ارض السبثيين ، مثل (سريعم) اي (بني سريعم) ، وهاجر غيرهم الى اماكن اخرى . والظاهر ان هجرتهم هذه حدثت بعد ضعف معين^٩ .

- | | |
|---|---|
| ١ | راجع السطر الثالث من النص : Jamme 616, MaMb 199, Mahram, P 114. |
| ٢ | REP. EPIG. 4919, CIH 537, REP. EPIG. 4979. |
| ٣ | Jamme 670, MaMb 292, Mahram, PP. 175. |
| ٤ | Jamme 718, 788, MaMb 56, 62, Mahram, P. 202 234. |
| ٥ | Jamme 616, MaMb 199, Mahram, PP. 113. |
| ٦ | Sab. Inschr., S. 204. |
| ٧ | Sab. Inschr., S. 48, CIH 29, IV, I, I, P. 46, Glaser, 281. |
| ٨ | Sab. Inschr., S. 49. |

وقد بلغنا نص دوتنه زعيم من زعماء (ذي مليحم) (ذي مليح) اسمه (وهب ذو سموى اكيڤ) ، تقرباً الى الإله (تالب ريمم بعيل كيدم) (تالب ريام بعيل كيد) ، لأنه أجاب دعاءه ، فحفظه وساعده ، وساعد ابنه وأتباعه ، وذلك في أيام الملك (أنمار يهأمن) ملك سبأ ابن (وهب ايل ينجز)^١ .

خساً :

وخساً من القبائل التي ذكرت في عدد من الكتابات ، وكانوا نزولاً على (بني سخيم) ، الذين كانوا يعدونهم سادة عليهم ، لأنهم أصحاب الأرض^٢ . ويظهر أن جماعة من (خساً) كانت قد نزلت أرض (الهان) ، إذ ورد في نص : (خسا ذاهن) ، (خساً ذو الهان) . وتعني هذه الجملة أن (خساً) كانوا يقيمون في موضع (ذي الهان) ، أو (خساً) أصحاب (الهان) . وقد كان هؤلاء الخسثيون يجاورون قبيلة (عقريم) أي (عقرب) ، (العقارب)^٣ .

وعرف من الكتابات أن (خساً) كانت تتعبد لإلهة خاص بها ، هو الإله (قين) ، أي (قينان) . ومن جملة المعابد التي خصصت به ، معبد أقيم له في (اوئن) (اوئان) ، وقد تعبدت له أيضاً بعض القبائل التي كانت متحالفة مع (خساً)^٤ . وقد ذكر (الهمداني) موضعاً سماه (قينان)^٥ ، قد يكون له صلة باسم ذلك الإله . ولم يبلغني أن المؤلفات العربية أشارت الى هذا الإله .

وقد ورد اسم (الهان) علماً في أرض في عدد من الكتابات^٦ ، كما ورد

MM 26, 120, Sab. Inschr., S. 48, 141.

Sab. Inschr., S. 195, (155), RW 2, CIH 8, IV, I, I, P. 19, Halevy 4, Glaser 9, Orientalia, Vol., V, 1936, P. 34.

المصادر المذكورة .

CIH 8, 26, 560, Halevy 4, Glaser 9, 26, Praetorius, 9, Prideaux 6, BR. MUS.

60, CIH, IV, I, I, P. 19, 39, IV, II, IV, P. 333.

الاكليل (٧٩) ، الصفة (٦٩ ، ١٠٠) .

CIH 350, IV, I, IV, P. 420, Winckler, Die Sab. Inschr. der Zeit Alhan Nahfan,

S. 29.

اسم علم لقبيلة . وربما كانت أرض (الهان) هي (مخلاف الهان) المذكور في المؤلفات الإسلامية ^١ .

وقد ذكر (الهمداني) مخلاف (الهان) ، فقال إنه مخلاف واسع غربي حقل جهران ، وأن (الهان) بلد مجمعها (الجنب) (جنب الهان) ، ويسكنها (الهان بن مالك أخو همدان وبطون من حمير) ^٢ ، وذكره في مواضع من (الاكليل) ^٣ .

وورد في الكتابة الموسومة بـ CIH 40 اسما قبيلتين مع اسم (الهان) هما : (مهانقم) (مهأنف) ، و (بكيلم) أي (بكييل) .
وقد ذكر في إحدى الكتابات رجل يسمى (هوان) ، وكان من (ذي الهان)، تعاون واشترك مع (عقرب) (عقارب) في بناء محفد (صدقن) (صدقان) ، وهو محرم الإله (قينان) ، كما تعاون معهم في بناء بيت (يجر) ^٤ .

عقرب :

وعرف من الكتابات اسم عشيرة أخرى ، هي (عقربم) ، أي (عقرب) أو (عقارب) ، ولا يزال هذا الاسم معروفاً في العربية الجنوبية حتى الآن^٥ .
وقد ورد (العقارب) اسماً لقبيلة تُزعم أنها من نسل (ربيعة بن سعد بن خولان بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير) ^٦ ، كما ورد اسماً لجبل يعرف بـ (جبل العقارب) ^٧ . وقد عرف (العقارب) باسم (عقربي) ^٨ . وذكر (ابن مجاور) قبيلة (عقارب) في جملة القبائل الساكنة في منطقة (عدن) ^٩ ، فلعل لهذه الأسماء

-
- ١ Sab. Inschr., S. 27, Denkmaler, S. 38, Mlaker, in WZKM, XXIV, S. 71
 - ٢ الصفة (الصفة ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥) .
 - ٣ الاكليل (٣٠ / ٨ ، ٥٨) (طبعة نبيه) .
 - ٤ Orientalia, Vol., V, (1936), P. 22, 286.
 - ٥ Sab. Inschr., S. 27, Orientalia, Vol., V, 1936, P. 28
 - ٦ نشر (ص ١٣) ، لب اللباب في علم الأنساب (٣٨) .
 - ٧ Sab. Inschr., S. 28.
 - ٨ Sab. Inschr. S. 28, Ritter, Arabien, I, S. 675, Von Maltzen, Reisen, S. 314, Sab. Inschr., S. 28.
 - ٩ Sab. Inschr., S. 28.

صلة بقبيلة (عقرب) (عقارب) المذكورة .
وقد كانت (عقرب) تابعة لـ (بني سخيم) وحليفة لهم ، ونازلة في
جوارهم . يفهم ذلك من الجمل والتعبيرات في كتاباتهم الدالة على خضوعهم
لـ (بني سخيم) مثل (ادم بن سخيم) ، أي (خول وخدم بني سخيم)^١ ،
فهو تعبير يدل على العبودية والخضوع .

خولان وردمان :

وخولان من القبائل الكبيرة القوية التي ذكرت في عدد كبير من الكتابات
العربية الجنوبية . وقد رأينا اسمهم لامعاً في أيام المعينين ، وقد ذكرت أنهم
هاجموا مع السبثيين قافلة معينة كان يقودها (كيران) ، وحد المعينون آلهتهم
وشكروها على نجاة هذه القافلة ، وهي من القبائل العربية الحية السعيدة الحظ ،
لأنها ما تزال معروفة ، ولها مع ذلك تأريخ قديم قد نصعد به الى الألف الأول
قبل الميلاد^٢ .

ويرجع النسابون نسب (خولان) الى (خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة)^٣
أو الى (خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن
عمرو بن عريب بن كهلان بن سبأ)^٤ . ويميزون بين (خولان قضاة) ،
وهم لإخوة (بكي) و (حيدان) ، وبين (خولان أدد)^٥ ، وقد يذكرون
(خولان) أخرى في (مذحج)^٦ .

وقد صير اسم (خولان) بمرور الزمان ، اسم رجل نسل ذرية تكاثرت
وتوالدت ، فكانت منها هذه القبيلة العظيمة ، وقد جعل له النسابون . أباً وجداً

1 Orientalia, Vol., V, (1936), P. 22, 286, MM 7, RW 53, San'a 1909, Jemen, II, 337, Sab. Inschr., S. 26.

2 Ency., Vol., II, P. 933.

3 منتخبات (٣٥) ، (خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ) البلدان (٤٩١/٣) ، (وخولان قبيلة باليمن . وهو خولان بن عمرو ابن الحاف بن قضاة) ، تاج العروس (٣١٢/٧) .

4 Ency., Vol., II, P. 933.

5 الاكليل (٣/١٠) .

6 الاكليل (٣/١٠) ، صبح الأعشى (٣٢٦/١) .

وأجداداً بعد هذا الجد ، كما جعلوا له ولداً ذكروا أسماءهم . ويمثل هذا النسب الاختلاط الذي كان بين الخولانيين وغيرهم من القبائل بمرور الزمان حتى أيام النسابين ، فدوّن على نحو ما وصل الى عملهم من أفواه الرواة .

ومواطن الخولانيين قديماً ، أرضون متصلة بأرض السبثيين ، فكانوا يسكنون في جوار (مأرب) و (صرواح) ، وهي لب أرض سبأ ، ثم هاجرت جماعات منهم فسكنت الأرضين العالية من شرق (صنعاء) ، وقد قيل للخولانيين الذين سكنوا هذه المنطقة (خولان العالية) ، تمييزاً لهم عن (خولان قضاة)^١ وهذا التمييز لا يستند الى حقيقة ، يمكن رجوعها الى اختلاف النسب^٢ . وإنما نشأ من اختلاف طبيعة المكان ، ومن الأحوال السياسية والاقتصادية التي فرقت بين الخولانيين ، وباعدت بين فروعهم ، فظن أنهم من نسبين مختلفين .

وقد كان الخولانيون يتعبدون عند ظهور الإسلام لصنم لهم اسمه (عم أنس)^٣ (عميأنس) . وقد ذكر (ياقوت الحموي) أنه (في خولان كانت النار التي تعبدها اليمن)^٤ ، ذكر ذلك في أثناء حديثه عن (مخلاف خولان) المنسوب الى (خولان قضاة) . وقد تكون هذه العبادة — إن صح قول ياقوت — قد اقتبست من الفرس عبدة النيران .

وقد ذهب (الويس شبرنكر) و (نيبور) الى أن قبيلة (خولان) هي (حويلة) المذكورة في التوراة^٥ ، ولكن هناك صعوبات كثيرة تحول دون قبول هذا الرأي .

وقد اقترن اسم (خولان) باسم (ردمان) في كثير من النصوص . ويدل هذا بالطبع على وجود روابط وثيقة بين الجماعتين . وقد حكم الخولانيين والردمانين أقيالاً من (ذي معاهر) ، فكان القيل سيداً على القبيلتين في آن واحد في غالب الأحيان ، وفي ذلك دلالة بالطبع على الصلات والروابط السياسية التي ربطت بين خولان و ردمان و ذي معاهر (ذمعهر) .

١ الاكليل (٣/١٠) .

٢ Ency., II, P. 933.

٣ الأصنام (ص ٤٣) ، Ency., II, P. 933.

٤ البلدان (٤٩١/٣) .

٥ Ency., II, P. 933.

وقد عرف الإسلاميون (أقيال ذي معاهر) ، فذكرهم الهمداني في مواضع من كتابه (الإكليل) ، ذكر مثلاً أن (شحرار قصر بقصوى مشيد ببلاط أهر للقبيل ذي معاهر)^١ ، وذكر أيضاً (قصر وعلان بردمان ، وهو عجيب ، وهو قصر ذي معاهر ، ومن حوله أموال عظيمة)^٢ . ويشير قول الهمداني الأخير الى الصلات التي تربط هؤلاء الأقيال بردمان ، والى أن أولئك الأقيال كانوا يقيمون بأرض بردمان .

ويرى (كلاسر) ان قصر (وعلان) ، الذي هو في (ذي ردمان) ، كان مقر أقيال (ذي معهر) ، أي أقيال ردمان^٣ . فوعلان اذن هو قصرهم ، وهو مثل القصور الأخرى التي كانت للملوك والأقيال . وهي قصور وحصون يحمي بها اذا شعر بالخطر ، ولذلك عُدَّت رمزاً للدولة وللحكم .

وترد لفظة (ذي معهر) علماً في الكتابات على (ردمان) و (خولان)^٤ . وقد ذكر أيضاً في نص (أبرهة) الذي دونه سنة (٥٤٣ م) لمناسبة اصلاح سد مأرب وترميمه اذ جاء فيه : (ذي معهر بن ملكن)^٥ . وقد ذهب (كلاسر) الى ان المراد من (ذي معهر) ، في هذا المكان ابن (أبرهة) ، وكان قد تلقب - على رأيه - بهذا اللقب ، الذي يشير الى قصر (ذي معهر) بردمان^٦ . ومن أقيال (ذي معاهر) الذين حكموا الخولانيين والردمانيين ، القبيل (قول) (كرب اسرع) (كرب اسرع) ، وكان من أسرة غنية لها أرضون زراعية خصبة تسقى بمياه الآبار في وادي (ضفخ) (ضفخم) ، ووادي (أخر) وفي أرض (ذات حراض) (ذات حرض) ، ووادي (ملديق) ، وأماكن أخرى . وقد عُتبت أسرته باصلاحها ، وبإروائها من آبار حفرتها في هذه الأماكن ، وكتبت ذلك على الحجارة^٧ ، تسجيلاً لعملها هذا ، ليكون وثيقة شرعية بامتلاكها لهذه المواضع .

- ١ الاكليل (٥٣/٨) .
- ٢ الاكليل (٨٩/٨) ، (وذو معاهر بالضم قيل من أقيال حمير) . قاله ابن دريد . قلت هو قبيح حسان بن أسعد بن صيفي بن زُرعة) ، تاج العروس (٤٣٢/٣) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٣١٢) . Von Kremer, Südarabische, Sage, S. 90, 126.
- ٣ Beiträge, S. 39.
- ٤ Beiträge, S. 39.
- ٥ السطران : ٨٢ و ٣٨ من نص أبرهة .
- ٦ Beiträge, S. 39.
- ٧ Orientalia, Vol., I, (1932), P. 32.

وورد اسم قيل آخر من أقيال (ذي معاهر) الذين حكموا القبيلتين المذكورتين هو القيل (كرب أسار) ، كانت له أملاك في أرض (ذات حرض) (ذات حراض) بوادي (مضيق)^١ .

وورد اسم قيل آخر حكم القبيلتين معاً ، هو القيل (نصرم يهحمد) (نصر يهحمد) (ناصر يهحمد)^٢ ، وهو من (ذ معهر) (ذي معاهر) . وقد دون هذه الكتابة لمناسبة قيامه باصلاح أرض (وادي ملتئم) (وادي ملتنت) حيث حفر آباراً ، وأنشأ سدوداً ، وزرع أشجاراً أثمرت ، وبذر حبوباً . وقد سجل ذلك ملكاً خاصاً بـ (آل معاهر) ، وباسمه وأعلنه للناس في شهر (صيد) من سنة مئة وأربع وأربعين من التقويم السبئي ، وتقابل سنة تسع وعشرين بعد الميلاد^٣ .

ويعد هذا النص ، من النصوص المهمة ، ولعله أقدم نص مؤرخ وفق تقويم ثابت معروف وصل إلينا^٤ .

ويظهر من ذكر اسم الملك (العزيزط) ، وهو ملك حضرموت في هذا النص ، ومن تعبير (القيل) صاحب النص عن الملك بلفظة (سيده) ، أي سيد (نصر يهحمد) : انه كان تابعاً له ، وفي أرض كانت اذ ذاك ، أي في النصف الأول من القرن الأول للميلاد ، تحت حكم حكومة حضرموت . وقد دون هذا القيل أسماء الآلهة : (عثر) ، و (سين ذو علم) ، و (عم ذو دونم) ، و (وعلان) ، و (عم ذو مبرم) (إله سليم) ، و (عثر ذو صنعتم) ، و (ودّ إله منو ...) ، و (ذات بعدان) ، و (ذات ظهران) ، و (عليت) (إلهة حررم) (حرر) ، و (شمس) (إلهة (وبنن) و (علفقن)^٥ . ذكر كل هذه الآلهة ، ولم يذكر إله سبأ الرئيس وهو (المقه) ، وفي اغفاله اسم (المقه) دلالة على انه لم يكن على صلة حسنة بالسبئيين ، وانه لم يكن يعترف بسيادتهم عليه . ذلك لأنه كان تحت حكم ملك حضرموت .

Lapar 4541, CIH 658, IV, III, I, P. 92.

Glaser 1430, 1619.

REP. EPIG 3958, VII, I, P. 12., Studl. Lexl., III, S. 2.

Background, P. 103.

الفقرة الخامسة من النص الى منتهى الفقرة الحادية عشرة .

وقد ورد اسم (خولان) في نص مهم جداً تعرض لخبر حرب نشبت في أيام ملوك (سبأ) ، سقط منه اسم الملك ، وسقطت منه كلمات عدة وأسطر أضاعت المعنى .

وقد شارك أصحاب هذه الكتابة في هذه الحرب ، وعادوا منها موفورين سالمين ، ولذلك سجلوا شكرهم للإله (المقه) رب مدينة (حروتم) (حرون) (حروان)^١ ، لأنه نجّاهم ، ومنّ عليهم بنعمة السلامة . ويفهم من الكلمات الباقية في النص أن قبيلة (خولان) كانت قد ثارت على سبأ ، فجهز السبثيون حملة عسكرية عليهم ، دحرت خولان ، وتغلبت عليها ، وحصل السبثيون على غنائم كثيرة . وكان يحكم (خولان) قيل لم يرد في النص اسمه ، ولعله سقط من الكتابة ، وقد أشير إليه بـ (ذي خولان)^٢ .

وورد في نص (معيني) ما يفيد اعتراض جماعة غازين من الخولانيين لقافلة معينة كانت تسلك طريق (معان) التجاري ، وقد أفلتت من أيدي الغزاة ونجّت ، ولذلك شكرت الآلهة ، لأنها ساعدتها في محنتها ، وحنّتها ، ونجّتها من التهلكة ، وعبرت عن شكرها هذا بتدوين النص المذكور . وقد وقفت على معبد (ودكسم) ، إله معين وقفاً في أرض (أيم)^٣ ، كما سبق أن تحدثت عن تعرض الخولانيين والسبثيين لقافلة تجارية معينة في الطريق بين (ماون) (ماوان) و (رجمت) (رجمة) . وفي هذين الخبرين دلالة على نشاط الخولانيين في مناطق تقع شمال اليمن قبل الميلاد بزمان ، وعلى أنهم كانوا من الذين يتحرشون بالطرق التجارية ويعترضون سبل المارة ، كما يفعل الأعراب . ولعل هؤلاء الخولانيين كانوا من الأعراب المتنقلين .

وقد حكم الردمانيين أقبال منهم أيضاً . فقد ورد في أحد النصوص : (قول ومحرج شعب ردمن ذ سلفن) ، أي (قيل ومحرج قبيلة ردمان صاحبة سلفان) ، ويقصد بـ (سلفان) (السلف) (السلاف) ، فردمان هؤلاء أصحاب الكتابة هم (ردمان السلف) (السلاف)^٤ . ولم يكن هذا القيل من (ذي معامر) .

REP. EPIG 4137, VII, I, P. 95, VA 3844.

الفقرات : ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ من النص .

REP. EPIG 3695, VI, II, P. 278, Jaussen — Savignae, Mission, I, P. 242, 732.

Glaser 275, 276, CIH 648, IV, III, I, P. 82, OM 51, Mordtmann, Muse Impérial

Ottoman, (1895), PP. 36.

والردمانيون هم من الشعوب العربية القديمة أيضاً، وقد ساعدوا القتبانيين مراراً، وحالفوا شعباً آخر هو شعب (مضحيم) (مضحي) ، وتعاون الشعبان في مساعدة (قتبان) ضد سبأ^١ . وقد لعبوا دوراً مهماً في أيام عدد من ملوك سبأ ، وقد كانوا من المناهضين لحكم (شعر أوتر) ، ولما أرسل جيشاً عليهم لانزال ضربة بهم قاوموه وأنزلوا خسائر كبيرة به^٢ .

ويظهر ان أرض ردمان دخلت - بعد أن فقدت استقلالها - في جملة الأراضي التي خضعت لحكم قتبان، ثم استولت عليها بعد ذلك دولة حضرموت . ثم دخلت بعد ذلك في جملة أملاك دولة (سبأ وذى ريدان)^٣ .

وقد ذهب (كلاسر) الى أن شعب Rhadmaei المذكور في بعض الموارد الكلاسيكية هو (ردمان) ، ويؤيد قوله بما ذكره (بلينيوس) من أن الشعب المذكور ينتسب الى جد اسمه Rhadmanthus ، واسم هذا الجد قريب جداً من اسم (ردمان)^٤ .

ويظهر من عدد من الكتابات المدونة في أيام (الشرح يحضب) ان أرض (ردمان) وقسماً من أرض (خولان) كانت تابعة للملك حضرموت في ذلك الزمان ، وان قسماً من خولان كان خاضعاً لـ (أقيال جدن) (جدنم) أهل (حبيب) (حباب) عند (صرواح) . ومعنى هذا ان القسم الشرقي من أرض خولان الواقع شرق وادي (ذنه) عند أسفل أرض (مراد) كان هو القسم التابع لحضرموت في هذا الزمن . وأما القسم الأكبر ، وهو القسم الشمالي الغربي من أرض خولان ، فقد كان تابعاً في هذا الزمن للملك (سبأ وذى ريدان)^٥ .

جدن :

وورد اسم (جدن) في كتابات عهد (ملوك سبأ) ، وهو اسم موضع

١ Mahram, P. 292, Geukens, 6, Jamme, On a drastic cuuent reduction of South Arabian Chronology, in BOASOOR, NUM 145, 1957, P. 29.

٢ Mahram, P. 300.

٣ Glaser, Skizze, II, S. 35.

٤ Glaser, Skizze, II, S. 137, Pliny, II, P. 457, Book, VI, 158 - 159.

٥ Beiträge, S. 39.

واسم قبيلة . ويظهر منها أنهم كانوا أصحاب حكم وسلطان ، بدليل ورود جملة هي : (ادم جدنم) أي (خول جدن) في كتابات دوتنها أناس كانوا في خدمتهم وولاتهم^١ . وبلدكرنا اسم (ذي جدن) المذكور في الكتب الإسلامية ، وموضع (جدن) بهذا الاسم القديم^٢ .

وورد اسم قبيلة أو أسرة عرفت بـ (ددن) ، أي (دادان) (ددان) ، وقد ذكروا في جملة نصوص . فورد في أحدها أنهم تقدموا بوثن (صلمن) الى معبد الإله (تالب ريام) المسمى بمعبد (خضعتن) (خضعة) ، وهو في مدينة (أكانط)^٣ . وتقع مدينة (أكانط) في بلد (همدان)^٤ . وقد ذكرها (الهمداني) مراراً في كتبه ، وذكر أن فيها قصر (سنحار)^٥ . وكان يسكن بها جماعة يعرفون بـ (زادان) ، ينسبون الى (مرثد بن جشم بن حاشد) على حد قول أصحاب الأنساب^٦ .

وقبيلة (يهلبج) من القبائل التي عاشت في عهد (ملوك سبأ) وقد ذكرت ، في أمر أصدره الملك (يدع ايل بن يكر ب ملك وتر) ، في أمر تنظيم الجباية التي تؤخذ من هذه القبيلة ومن (سبأ) في مقابل استغلال الأرضين الخاضعة للدولة واستثمارها^٧ .

أربعين :

وجاء ذكر قبيلة اسمها في الكتابات (اربعين) ، (أربعين) أو (أربعان) (أربعين) ، كان يحكمها سادات ، وقد لقبوا بلقب ملك ، وقد عرفنا منهم ، (نبط آل) (نبط ايل)^٨ ، وقد ذكر في نص Halevy 51 الذي سجله الملك

١ REP. EPIG. 352, 4069, 4668, II, III, P. 224, VII, I, P. 66, 306.

٢ منتخبات (ص ١٨) ، الاكليل (٧٦/٨) (طبعة نبيه) .

٣ CH 348, OM 6, CIH, IV, I, IV, P. 415.

٤ الاكليل (٩٢/٨) (طبعة نبيه) ، (٤٠/١٠) ، (١٢٠) ، الصفة (٨٢، ١١٠، ١١٢)

٥ الاكليل (٩٢/٨) (طبعة نبيه) ، (٤٠/١٠) (١٢٠) .

٦ الاكليل (٤٠/١٠) .

٧ Halevy 51 + 638 + 650, Glaser 904, CIH 601, IV, III, I, P. 2 REP. EPIG., V.

II, P. 68.

٨ السطران ٢٤ و ٢٥ من النص :

(يكرب ملك يدع ايل بن) ، الصادر في كيفية جمع الضرائب من القبائل .
وعرفنا اسم ملك آخر ، هو : (لحي عث بن سلحان)^١ (لحيث بن سلحن)
وملك ثالث يدعى (عم أمن بن نبط ايل) ، وكان من معاصري الملك (يثع
أمر بن) ملك سبأ^٢ .

ولم يكن ملوك (أربعين) ، ملوكاً كباراً بالمعنى المفهوم من لفظة (ملك) ،
ولم تكن مملكة (أربعين) بالمعنى المفهوم من لفظة (مملكة) ، وإنما كانوا أمراء
قبيلة ، وسادات قبائل ، تمتعوا بشيء من الاستقلال في حدود أرض قبيلتهم ،
وقد أعجبهم لفظة (ملك) فحملوها . وقد كانوا في الواقع دون ملوك سبأ أو
معين أو حضرموت أو قتيان بكثير ، وكانت مملكة (أربعين) إمارة أو (شيخة)
كما نفهم من هذه اللفظة في المصطلح الحديث .

بتع :

رأينا ان سلالة من (بتع) حكمت (سبأ وذو ريدان) . وقرأنا في الكتابات
ولا سيما كتابات (حاز) وكتابات مواضع أخرى تقع في صميم (بلد همدان)
أسماء رجال هم من (بني بتع) ، فن هم (بنو بتع) ؟

والجواب : ان (بتع) قبيلة من قبائل (حاشد) و (حاشد) من همدان .
ف (بنو بتع) اذن هم من (همدان) . ولذلك نجد ان معظم الكتابات التي
تعود الى (بني بتع) عثر عليها في أرضين هي من مواطن همدان، مثل (حاز)
و (بيت غفر) و (حجة)^٣ (حجت) ، ومواضع أخرى هي من صميم
أرض بتع^٤ .

ويرد اسم (حاز) في مواضع من (صفة جزيرة العرب) و (الإكليل) ،

KTb., I, S. 74, Glaser 1571. ١

CIH 487, IV, II, II, P. 188, FR 32, 39, Le Muséon, LXII, 3 — 4, 1949, P 249, ٢
AF 69.

Sab. nschr., S. 63, Rhodokanakis und von Wissman, Vorislamische Alter- ٣
tumer, S. 13.

Sab. Inschr., S. 63. ٤

وقد قال عنها الهمداني : « وحاز قرية عظيمة وبها آثار جاهلية »^١ . وذكر ان سد (بتع) (الخشب) مما يصالي (حاز) ينسب الى (بتع بن زيد بن همدان)^٢ . وقد صيّر (الهمداني) وغيره (بتعاً) اسم رجل ، جعلوه جد (بني بتع) ، وجعلوا له والدأ أسموه : (زيد بن همدان) ، بينما هو اسم قبيلة في ذلك الوقت .

وكانت (بتع) على ما يتبين من النصوص ، تتمتع بنفوذ واسع ومكانة ظاهرة ، ولها أرضون واسعة تؤجرها للأفخاذ والبطون ، من (بتع) ومن غير (بتع) ، تأتي الى أقيالها بأرباح طائلة . وكان رؤساء البطون والأفخاذ الذين يؤجرون الأرضين من (بتع) يعدون أنفسهم بحكم اقامتهم في كنف أقيال (بتع) وفي جوارهم أتباعاً لهم ، ولهم حق السيادة عليهم . ويعبرون عن ذلك في كتاباتهم بجملة : (ادم بتع) (آدم بتع) ، أي خول أو خدم بتع ، ويقصدون بها أنهم كانوا أتباعاً لهم^٣ . ويذكرون أسماء الأقيال في كتاباتهم ، ويشيدون بفضلهم ومساعدتهم ، ويدعون لهم فيها بطول العمر والخير والبركة ، ويرجون من آلهتهم أن تزيد في سعادتهم ومكانتهم وأرباحهم . وقد جمع (هارتمن) أسماء الأقيال البتعيين الذين وردت أسماؤهم في الكتابات ، وهم : (برقم) (بارقم) (بارق) و (ذرح آل محضل) (ذرح ايل محضل)^٤ و (هوف عثت) (هوفعت)^٥ و (لحي عثت اوكن) (لحيعت اوكن)^٦ و (مرثد علن اسعد) (مرثد عيلان اسعد)^٧ و (نشاكرب أوتر) (نشاكرب أوتر)^٨ ، و (نشاكرب يزان) (نشاكرب يزأن)^٩ و (نشاكرب

١ الصفة (٨٢ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٧) ، الاكليل (١٢/١٠ ، ١١٧) .

٢ (يصالي يجاور لغة يمنية لا توجد في المعاجم صرف المؤلف منها بعض الصيغ في كتابه جزيرة العرب) ، الاكليل (١٢/١٠) .

٣ Sab. Inschr., S. 63, CIH, 211, IV, I, III, P. 252, Glaser 195.

٤ MM 46, 89.

٥ MM 953.

٦ CIH 130, IV, I, III, P. 196.

٧ Sab. Inschr., S. 63.

٨ CIH 342.

٩ CIH 154, 187, MM 105, 836, 1253.

نهنن يجر ١ ، و (رب شمس نمون) (رب شمس نمران) (ربشمس نمران)^٢
و (ردم يرحب) (ردم يرحب)^٣ ، و (عريب بن يمجذ)^٤ ، و (سعد
اوم نمون) (سعد أوم نمران)^٥ و (سخمن يهصيح) (سخان يهصيح)^٦
و (شرحم يهحمد)^٧ و (شرحم غيلن) (شرح غيلان)^٨ ، و (شرحم
(شرح) (شارح)^٩ ، و (شرح ال) (شرح ايل)^{١٠} ، و (شرح عثت)
(شرحعث)^{١١} و (شرحب ال) (شرحب ايل) (شرحييل)^{١٢} ،
و (كرب ...)^{١٣} ، و (يهن) (يهان) (يهان)^{١٤} وآخرون . ومن
هؤلاء من ساد على (سمعي) ، ومنهم من ساد على قبائل أخرى .

سمعي :

ومن أتباع (بتع) عشيرة (سمعي) ، ويظن بعض الباحثين أنها كانت
في الأصل فرقة تجمع أفرادها عبادة الإله (تالب) ، ثم أصبحت عشيرة من
العشائر القاطنة في أرض همدان ، توسعت وانتشرت وسكنت بين (حاشد)
و (حملان) وفي (حجر)^{١٥} . وكانت تستغل الأرضين التي يمتلكها الأقبال
البتعيون ، فكانوا يعدون أصحاب تلك الأرض أقبالا عليهم، ونسبوا إلى الأرض
التي أقاموا فيها أو العشائر التي نزلوا بينها ، فورد (سمعي حملان) و (سمعي

-
- | | |
|---|----|
| CIH, IV, I, III, P. 220, CIH 158, MM 34. | ١ |
| CIH 164, IV, I, III, P. 222, MM 326. | ٢ |
| Sab. Inschr., S. 64, CIH 242, IV, I, III, P. 270. | ٣ |
| CIH 130, IV, I, III, P. 196. (عريب الن يمجذ) (الن) (علن ؟) ، | ٤ |
| CIH 226, Sab. Inschr., S. 64. | ٥ |
| MM 31, 32, Sab. Inschr., S. 64. | ٦ |
| CIH 172, 241, Sab. Inschr., S. 64, Glaser 156, CIH, IV, I, III, P. 229. | ٧ |
| MM 117. | ٨ |
| CIH 158, IV, I, III, P. 220, Glaser 141, Sab. Inschr. S. 64. | ٩ |
| CIH 571, Sab. Inschr., S. 64. | ١٠ |
| CIH 222, IV, I, III, P. 257, Sab. Inschr., S. 64. | ١١ |
| CIH 130, IV, I, III, P. 196, Sab. Inschr. S. 64. | ١٢ |
| Glaser 109. | ١٣ |
| CIH 187, IV, I, III, 238, Glaser 171, Sab. Inschr., S. 64. | ١٤ |
| Handbuch, I, S. 132, Glaser 1210. | ١٥ |

حشدم) ، أي (سمعي حاشد) ، و (سمعي حجرم) أي (سمعي حجر) .
و (سمعي حملان) هم السمعيون الذين استوطنوا أرض حملان ، واختلطوا
بالحملانيين ، لذلك نسبوا الى (حملان) ، فليل (سمعي حملان) . وأما (سمعي
حشدم) ، فهم السمعيون الذين سكنوا أرض حاشد ، واختلطوا بقبيلة (حاشد)
وقد كانوا يقطنون أرض (ريام) . وأما (سمعي حجرم) ، أي (سمعي
حجر) ، فهم سكان (حجر) على مقربة من (شبام) ، وهم يكوّنون
جزءاً من (سمعي) ، وقد ورد في الكتابات : (سمعي ثلث ذي حجرم)^١ .

وظهر من عدد من الكتابات ان عشيرة (سمعي) ، قد كانت مملكة يحكمها
ملوك ، ولم تكن هذه المملكة بالطبع سوى (مشيخة) صغيرة بالقياس الى مملكة
سبأ ، كما ورد اسم هذه العشيرة منفرداً ، أي انه لم يقرن بحملان أو حاشد أو
حجر أو غير ذلك من الأسماء . وفي ذلك دلالة على انها قد كانت وحدة واحدة
كسائر العشائر والقبائل ، أو ان قسماً من (سمعي) ، كان مستقلاً منفرداً
بشؤونه لا يخضع لحكم قبيلة أخرى عليه ، أو ان (سمعي) كانت في وقت
تدوين تلك الكتابات قبيلة قوية ، يحكمها ساداتها الذين لقبوا أنفسهم بألقاب
الملوك، ثم أصابها ما يصيب غيرها من القبائل من تفكك وتجزؤ وتشتت ، فتنجزأت
وطمع فيها الطامعون ، فخضعت عشائر منها لحكم قبائل أخرى مثل (حاشد)
و (حملان) و (حجر) .

ويصعب علينا بيان المدة التي تمتعت فيه هذه القبيلة بالاستقلال، وهو استقلال
لم يكن بالبداية مطلقاً، بل كان استقلالاً من نوع استقلال (المشايع) والرؤساء :
استقلال في التصرف في شؤون القبيلة والمنطقة التي تتصرف فيها .

أما في العلاقات الخارجية ، فيظهر أنها كانت مقيدة بسياسة الحكومات الكبيرة
التي كانت لها السلطة والقوة مثل مملكة سبأ وذي ريدان .

ومن الملوك السمعيين الذين وصلت أسمائهم إلينا ، الملك (يهن ذبين بن
يسمع ال بن سمه كرب) ، أي (يهان ذبيان بن يسمع ايل بن سمه كرب)
(يهان ذبيان بن اساعيل بن سمه كرب) ، والملك (سمه افق بن سمه يفع)

(سمه أفق بن سمهيفع)^١ . جاء اسمها في النص المعروف بـ Glaser 302^٢ . وقد افتتحه الملك (يهعان) ، بالدعاء إلى الإله (تالب) (تالب) في معبده في (صبين) (صبيان) بأن ينعم عليه ويبارك له ولأولاده : (زيدم) (زيد) و (يزد آل) (يزيد ايل) ، وأولادهما وأملاكهم جميعاً وبيتهم المسمى بيت (بعد) (يعود) وأرضهم : أرض (تالقم) (تالق) ، وفي الأملاك التي ورثت عن الملك (سمعي أفق بن سمه يفع) ملك سمعي من أرض زراعية وقرى ومدن . وأرض (نعمن) (نعمان) وغيرها . وجاء في النص ذكر (بنو رابان) (رابن) حلفاء (سمعي) و (عم شفق) ، وهو (قول) قيل (يرسم) ، و (اقولن) أقيال (يهيب) و (املك مريب) ، أي (ملوك مأرب) ، و (شعبن سمع) ، أي قبيلة (سمع) (سميع) ، و (كرب ال وتر) (كرب ايل وتر) ملك سبأ .

حملان :

وقد ورد اسم (حملان) في عدد من الكتابات . منها الكتابة الموسومة بـ Glaser 179 التي دوت في أيام الملك (أنمار يهنم بن وهب ايل يحز) ملك سبأ ، دوتها جماعة من (بتع) ، وهي ناقصة ، سقطت منها أسطر وكلمات^٣ . وقد قدموا إلى الإله (تالب ريام) تمثالاً ، لأنهم رجعوا سالمين من الحرب معافين . ويظهر أن أصحاب هذه الكتابة قاموا مع الملك بغزو في أرض (حملان) ، فلما رجعوا سالمين قدموا هذا النذر إلى الإله (تالب ريام)^٤ .

وكان (بنو حملان) أتباعاً له (بتع) . وقد ذكروا ذلك في كتاباتهم حيث دونوا جملة (ادم بتع) ، كالذي ورد في الكتابة : CIH 224 ، وقد دوتها رجال من (ذي حملان) (ادم بتع) لمناسبة بنائهم بيتهم و (مذقة تويش)

1 CIH 37, CIH, IV, I, I, 55, Glaser 302, D. Muller, Sabaische Alterthumers, ١

XXXIX, (1886), S. 839.

2 Sab. Inschr., S. 65, Arabische Frage, S. 389. ٢

3 CIH 195, Glaser 179, MM 86. ٣

4 CIH, IV, I, III, P. 243, Sab. Inschr., S. 116, RW 120. ٤

وذلك بتوفيق من الإله (تائب ريام بعل شعرم) وبمساعدة رؤسائهم وسادتهم
ورئيسهم صاحب أرضهم (سخنان يهصيح) من (بنع) ، وبمساعدة قبيلتهم
الساکنة بمدينة (حاز)^١ .

يهيب :

وكان أقيال (سمعي) أقيالا على عشيرة (يهيب) (ي ه ي ب ب)
وهي عشيرة لا نعرف اليوم عنها شيئا يذكر . ويرى (كلاسر) ان أرض
(يهيب) تقع على مقربة من مكة أو في جنوبها ، ويرى احتمال وجود موضعين
يقال لهما (يهيب) ؛ موضع قرب مكة أو في جنوبها ، وموضع آخر على
ساحل الخليج الذي سماه (بطلميوس) Sinus Sachalites في الأرض التي
اشتهرت عند (الكلاسيكيين) بالبخور واللبان ؛ ولعله المكان الذي دعاه (بطلميوس)
Jobaritae^٢ . ويرى ان الأول هو (يوباب) في التوراة^٣ .

يرسم :

وأما (يرسم) ، فقبيلة كانت تقيم في هذه المواضع من أرض همدان . وقد
ورد في إحدى الكتابات اسم (قول) قيل يدعى (عم شفق بن سروم)
(عمشفيق بن سروم) (عم شفيق بن سروم) ، وكان من أقرباء ملك
(سمعي) ، وكانت أرضه عند (حدقان)^٤ ، وقد أشار (الهمداني) الى
(قصر حدقان)^٥ . وكان هذا القيل من (سروم)^٦ .

وكان أقيال (يرسم) من (بني سخيم) ، وقد أشار (اليرسميون) الى

١ Glaser 208, RW 133, CIH IV, I, III, P. 258, Sab. Inschr., S. 70.

٢ Glaser, Skizze, II, S. 306.

٣ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٩ ، وأخبار الايام الأول : الاصحاح الأول ،
الآية ٢١ .

٤ Handbuch, , S. 132, Arabische Frage, S. 378.

٥ الاكليل (٨٣/٨) (طبعة نبيه) ، (١٦/١٠) ، الصفة (٨١ ، ٨٢ ، ١٠٩) .
٦ CIH, IV, I, I, P. 55, Glaser 302.

ذلك في الكتابات ، ومنها الكتابة الموسومة بـ SE 8 . وقد ذكرت فيها جملة :
 (يرسم ثلث ذ حجرم) ، أي (يرسم ثلث ذي حجر) . ويفهم من هذه
 الجملة أن عشيرة (يرسم) كانت تستغل جزءاً من أرض حجر^١ . وورد في
 كتابات أخرى أن قبلاً من أقيالها كان من (سروم)^٢ .

وقد ورد في كتابة أن جماعة من (بني الهان) و (عقرب) بنوا محفداً
 لهم ، هو (محفد صدقن) (محفد صدقان) ليكون (محرماً) للإله (قينان)
 أي حرماً لهذا الإله ، في معبد (يجر) ، وذلك بعون الإله (تألب ريام)
 (رب كبد) (كبد) وقينان وبمساعدة أصحاب أرضهم (بني سخيم)
 وقبيلة (يرسم)^٣ . ومعنى هذا أن هذه القبائل كانت متجاورة متعاونة ، وقد
 كانت تتعاون فيما بينها عند القيام بالأعمال الكبيرة التي تحتاج إلى مال ورجال
 مثل هذا المعبد الذي خصص بعبادة الإله (قينان) ، والذي بناه جماعة من
 (الهان) و (عقرب) بمساعدة وعون (بني سخيم) و (يرسم) .

بنو سمع :

أما (بنو سمع) (بنو سميع) ، فقد كانوا أتباعاً لـ (بني بتع) (آدم
 بن بتع) (آدم بني بتع) ، كما يفهم من الكتابة CIH 343 . وقد ورد فيها
 اسم الإله (تألب ريمم بعل قدمن ذي دمه) ، أي الإله (تألب ريام رب
 قدمان في ذي دمه)^٤ . وجاء اسم الإله (تألب ريمم بعل قدمن) في كتابة
 أخرى ، أصحابها من (بن سمع) (بني سميع) كذلك . وقد ذكروا أنهم
 نذروا للإله صنماً ، ليقمهم وبقي أملاكهم ومقتنياتهم وما يملكونه بمدينة (مريب)
 أي (مأرب)^٥ .

^١ Orientalla; Vol., V, 1936, P. 25, CIH 24, IV, I, I, P. 36, Glaser 25, KTB.,

II, S. 69.

^٢ CIH, IV, I, I, P. 55, Glaser 302.

^٣ Orientalla, Vol., V, 1936, P. 22, 286.

^٤ CIH 343, IV, I, IV, P. 405.

^٥ CIH 19, IV, I, I, P. 29, Glaser 19, Methellungen, S. 68.

فمدينة (قدمن) (قدامان) إذن مدينة من مدن (السميعيين) ، وبها معبد الإله (تألب) المعروف بـ (تألب ريام بعل قدامان) . وتقع في أرض (دمهان) . ويجوز أن يكون (قدامان) اسم موضع صغير في (دمهان) ، أو اسم المعبد . وقد ورد في كتابات أخرى^١ .

رمس :

وجاء اسم عشيرة (رمس) في الكتابة MM 137 ، وهي كتابة مدونة على أطراف اناء ثمين جداً قدم نلراً الى الإلهة (ذات بعدان) أي الشمس^٢ . والظاهر ان عشيرة (رمس) كانت تجاور عشيرة (سميع) ، وانها كانت تملك أرضين تجاور الأرض التي نزلت بها (سميع) ، وتوَجَّرها لغيرها كما يتبين ذلك من استعمال جملة (آدم رمسم) أي (خول رمس) ، وكلمة (امراهمو) التي تعني (امراؤهم) في بعض الكتابات . حيث يفهم من أمثال هذه التعبيرات ان الرمسين كانوا يحكمون عشائر أخرى كانت نازلة في أرضهم وتعيش في كنفهم وجوارهم . وقد ورد اسم (الرمسين) في كتاب (صفة جزيرة العرب) ، فلعل لهم علاقة وصلة بهؤلاء الرمسين^٣ .

وأما عشيرة (رابن) (رابان) التي ورد ذكرها في النص Glaser 302^٤ أي نص الملك (يهمن) (يهعان) ملك (سمعي) . فهم عشيرة قديمة كانت في أيام المكربين وفي أيام ملوك سبأ ، وكانت مواطنها أرض (نههم) وأعالي (الحارذ) . ولكنهم تنقلوا الى مناطق أخرى بعد ذلك . والظاهر انهم Rabanitae أو Raabeni الذين كان يحكمهم ملك يعرف بـ Ilasaros على ما ورد في الكتب (الكلاسيكية)^٥ . واذا صح انهم هم (رابان) دلّ ذلك على أن (الرابانيين) قد تمكنوا من الاستقلال ومن تكوين مملكة او (مشيخة) تلقب رؤساؤها بألقاب الملوك .

CIH 341, IV, I, IV, P. 405. ١

Sab. Inschr., S. 144, RW 102, CIH 341, IV, I, IV, P. 402, ٢

Mordtmann und Müller, Sab. Denkmaler, S. 42.

الصفة (ص ٩٤ سطر ٢٣) ٣

Glaser, Mittheilungen, S. I. ٤

Glaser, Skizze, II, S. 59, Forster, II, P. 238. ٥

سقران :

ومن أتباع (بتع) عشيرة معروفة تقع منازلها في منطقة (حاز) عثر على عدد من الكتابات تعود إليها في (حاز) و (بيت غفر) و (حججه) ، وهذه العشيرة هي (سقرن) أن (سقران)^١ .

ويظهر من جملة (ادم بن بتع) (ادم بني بتع) التي وردت في كتاباتهم أنهم كانوا أتباعاً لبتع ولسادات (بتع) الذين كانوا (أقولاً) ، أي (أقبالاً) على السقرانيين . والظاهر أنهم كانوا يعيشون في كنف (البتعيين) وفي أرضهم يستأجرونها منهم ويستغلونها مقابل أتاوة يدفعونها لبتع ، وهم يؤجرونها لمن دونهم من العشائر والأفراد ، لورود عدد من الكتابات دونها أناس اعترفوا بسيادة (سقران) عليهم وبأنهم (ادم) (ادم) أي اتباع لهم^٢ .

قرعمن :

وورد في الكتابات اسم عشيرة عرفت بـ (قرعمن) (قرعمتان) ، ويظهر أنها كانت في جوار (بتع) و (سقرن) (سقران) . وقد عرفت الأرض التي نزلت بها بهذا الاسم كذلك^٣ .

١ CIH 156, 221, 239, Sab. Inschr., S. 87.

٢ MM 126, 127, CIH 156, Sab. Inschr., S. 86.

٣ CIH 342, OM IIA, B, RW 82, Sab. Inschr., S. 148,

149, Mordtmann, Sab. Denkmaler, S. 43.

الفصل السابع والعشرون

ملوك سبأ وذو ريدان

نحن الآن في عهد جديد من عهود تأريخ مملكة (سبأ) ، هو عهد ملوك (سبأ وذو ريدان) . لقد كان حكام (سبأ) يتلقبون كما رأينا بلقب (ملوك سبأ) ، أما لقبهم في هذا العهد فهو (ملوك سبأ وذو ريدان) .

ففي حوالي السنة (١١٥ ق. م.) أو في حوالي السنة (١١٨ ق. م.) ، أو بعد ذلك بتسع سنين ، أي في حوالي السنة (١٠٩)١ ، خلع (ملوك سبأ) لقبهم القديم واستبدلوا به لقباً آخر جديداً ، هو لقب (ملك سبأ وذو ريدان) ، اشارة الى ضم (ريدان) الى تاج سبأ . وبقي هذا اللقب مستعملاً حتى أيام الملك (شهر يهرعش) (ملك سبأ وذو ريدان) . ثم بدا له رأي دفعه لتغييره ، فاتخذ بدله لَقَبَ (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويعنت) دلالة على توسع رقعة سبأ مرة أخرى ، فدخلت بذلك حكومة سبأ في عهد ملكي جديد .

هذا ما كان عليه رأي أكثر الباحثين في تأريخ سبأ في زمن نشوء لقب (ملك سبأ وذو ريدان) وفي سبب ظهوره عند السبئيين . وقد اتجه رأي الباحثين المتأخرين الى ان ظهور هذا اللقب إنما كان قد وقع بعد ذلك ، وأن (الشرح يحضب) الذي هو أول من حمل ذلك اللقب ، لم يحكم في هذا الزمن ، وإنما

حكم بعد ذلك في أواخر القرن الأول قبل الميلاد إبان حملة (أوليوس غالوس) على العربية الجنوبية في حوالي السنة (٢٤ ق. م.) ، وعلى ذلك يكون اللقب المذكور قد ظهر في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، لا في سنة (١١٥) أو (١٠٩) قبل الميلاد .

وبناءً على هذا الرأي الحديث المتأخر ، لا تكون لسنة (١١٥ ق. م.) أية علاقة بهذا اللقب الجديد ، بل لا بد أن تكون لها صلة بحادث مهم آخر كان له وقع في تاريخ العربية الجنوبية ، ولهذا جعل مبدأ لتقويم يؤرخ به . وقد زعم بعض الباحثين أن ذلك الحادث هو سقوط مملكة معين في أيدي السبئيين وزوال حكم الملوك عنها ، وخضوع المعينيين لحكم (ملوك سبأ) . ولما كان ذلك من الأمور المهمة في سياسة الحكم في العربية الجنوبية ، جعل مبدأ لتقويم يؤرخ به . ورأى بعض آخر أن السنة المذكورة ، هي سنة انتصار سبأ على (قنبان) ، واستيلائها عليها وضمها إلى حكومة سبأ . و (ريدان) ، قصر ملوك سبأ ، ومقر سكنهم وحكمهم . ونظراً لأهمية هذه السنة اتخذت مبدأ لتأريخ ، وبداية لتقويم .

وإذا أخذنا بهذا التفسير المتأخر ، وجب علينا إذن ترك هذا الزمان واتخاذ زمان آخر لظهور لقب (ملك سبأ وذو ريدان) ، وهو زمان يجب ألا يبعد كثيراً عن السنة (٣٠ ق. م.) . ففي هذا الزمن كان حكم (الشرح يحضب) و (شعرم أوتر) على رأي القائلين بهذا الرأي من علماء العربيات الجنوبية . ويعد تأريخ (سبأ وذو ريدان) من أصعب عهود تأريخ (سبأ) كتابة ، على كثرة ما عثر عليه من كتابات طويلة أو قصيرة تعود إلى هذا العهد^١ . ولا نزال في توقع كتابات أخرى نأمل أن تسد من الثغرات والفجوات التي لم تتمكن الكتابات التي وصلت إلينا من سدها ، ولا أن تزيل الغموض الذي يحيط بهذا التأريخ .

لقد عثر — كما قلت — على كتابات عديدة دونت في هذا العهد ، ومنها ما عثر عليه حديثاً . ولكنها لم تخفف من عنائنا مما نلاقه من مشكلات عن تأريخ

Beiträge, S. 142.

١ منزل « ملاكر » ، « Mlaker » و « ريكمنس » وآخرين ،

Handbuch, I, S. 89. ٢

هذه الحقبة ، بل زادت أحياناً في مشكلاتنا هذه . فقد جاءت بأسماء متشابهة وبأخبار اضطرت الباحثين على تغيير وجهات نظرهم في كثير مما كتبه ، تغييراً مستمراً وإلى إعادة النظر في القوائم التي وضعوها لحكام هذا العهد ، كما باعدت بين وجهات نظر بعضهم عن بعض ، فصارت لدينا جملة آراء تمثل وجهات نظر متباينة .

وتأريخ هذا العهد هو تأريخ مضطرب قلق ، نرى (الشرح يحضب) يلقب نفسه فيه بـ (ملك سبأ وذي ريدان) ، ثم نرى خصماً له يلقب نفسه باللقب نفسه ، مما يدل على وجود خصومة ونزاع واختلاف على العرش ، لا اتفاق وائتلاف . ثم نجد كتابات أخرى تدين بالولاء لـ (الشرح يحضب) ولخصمه ، معاً وفي وقت واحد ، وفي كتابة واحدة ، وهو مما يشير ويدل على وجود اتفاق وائتلاف . وهذه الكتابات تزيد في متاعب المؤرخ وتجعل من الصعب عليه التوصل إلى نتائج تأريخية مرضية مقنعة .

وترينا كتابات هذا العهد ، أن الوضع كان قلقاً مضطرباً . وأن حروباً متوالية كانت تقع في تلك الأيام ، لا تنتهي حرب ، إلا وتليها حرب أخرى . وان المنتصر في الحرب كان الخاسر ، فهو ينتصر في حرب ، ثم يخسر في حرب أخرى . وذلك لأن كفءات مؤججي تلك الحروب كانت في مستوى واحد . ولهذا كان الخاسر فيها ، لا يلبث أن يعود بسرعة فيقف على رجله ، يحمل سيفه ليحارب من جديد . حتى كادت الحروب تصير هواية ، أو لعبة مألوفة ، أما الخاسر الوحيد فهو : الشعب . أي الناس المساكين التابعين لحكامهم ، الذين يكونون السواد ، لكنه سواد لا رأي له في حكم ما ولا كلمة . يساق من حرب إلى حرب ، فيسمع ويطيع ، لعدم وجود قوة له تمكنه من الامتناع .

والمتشاجرون البارزون في تلك المعارك والحروب ، هم سادات (همدان) ، وسادات حمير ، أصحاب (ريدان) ، وسادات حضرموت وقتبان ، وأقيال وأذواء وأصحاب أطماع وطموح ، ارادوا اقتناص الفرص لتوسيع نفوذهم ، واصطياد الحكم وانتزاعه من الجالس على عرشه . ووضع مثل هذا ، أضعف العربية الجنوبية بالطبع ، وأطعم الخيش فيها ، حتى صيرهم طرفاً آخر في النزاع ، وفريقاً عركاً قوياً من فرق اللعب بالسيوف في ميدان العربية الجنوبية ،

يلعب مع هذا الفريق ثم يلعب مع فريق آخر ، ضد الفرق الأخرى . وغايته من لعبه ، التغلب على كل الفرق، وتصفيتهما ، ليلعب وحده في ميادين تلك البلاد . لذلك نجد أخبار تدخل الحبشة في شؤون هذا العهد وفي العهد الذي جاء بعده ، بارزة واضحة مكتوبة في كتابات أهل العربية الجنوبية . ومكتوبة في بعض كتابات الحبش .

وقد رأينا في الفصل السابق كيف تخاصم بيتان من بيوت همدان هما بيتا : (علهان نهفان) و (فرعم ينهب) بعضهما مع بعض على الاستئثار بالحكم ، والسيادة على مملكة سبأ . وكيف أن كل بيت من البيتين كان يدعي أن له الحكم والمملك ، وأنه ملك سبأ ، أو (ملك سبأ وذو ريدان) ، وأنه هو الملك الحق .

ثم رأينا ان (شعر أوتر) (شعرم أوتر) ، صار يلقب نفسه بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) ، وان خصمه (الشرح يحضب) ، لقب نفسه بهذا اللقب أيضاً ، ومعنى ذلك حكم سبأ لأرض (ريدان) وهي أرض حمير على أغلب الآراء . وقد رأينا ان تلك الخصومة ، لم تبق مجرد خصومة ونزاع وادعاء على ملك ، بل كانت خصومة عنيفة اقترنت بمعارك وحروب .

وليس في الكتابات التي بين أيدينا حتى الآن أي خبر يشرح لنا كيف انضمت حمير الى سبأ ، أو كيف لقب (الشرح يحضب) أو معاصره (شعر أوتر) أنفسهما بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) وماذا كان موقف ملوك حمير من هذا الاندماج . ولما كان كلا الرجلين (الشرح يحضب) و (شعر أوتر) من همدان ، فهل يعني هذا ان الهمدانيين كانوا قد تمكنوا من حمير وغلبوا ملوك حمير على أمرهم ، واضطروهم الى الخضوع لحكمهم ، فاعترفوا بسيادتهم عليهم ، وتعبيراً عن ذلك الاعتراف وضعوا : (ذا ريدان) بعد اللقب الملكي القديم ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال ، لا يمكن أن تكون اجابة مقبولة الا بعد أمد ، فلعل الأيام تجود على الباحثين بكتابات حميرية تشرح موقف حمير الرسمي من هذا اللقب ، كأن تعطيهم اللقب الذي كان يلقب الحميريون به ملوكهم ، أو تشرح علاقة أولئك الملوك ب (ملوك سبأ وذو ريدان) ، وماذا كان موقف ملوك (ريدان) من ملوك (سلحن) (سلحين) حصن (مأرب) ومقر الملوك . ولكننا سنجد فيما بعد ان الحميريين لم يكفوا عن قتال (الشرح يحضب) ،

ولا عن قتال (شعرم أوتر) (شعر أوتر) حتى بعد تلقيبها بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) ، كما سنرى ان قسماً من قبائل حير كان في جانب (شعرأوتر) وان قسماً آخر كان في جانب (الشرح يحضب) وان قسماً ثالثاً كان خصماً عنيداً للجانبين ، وكان في جانب خصوم ملوك (سبأ وذي ريدان) ؟ ومعنى هذا ان اللقب الجديد ، لم يغنِ أصحابه من قتال حير ، وان الحميريين ظلوا يقاومون العهد الجديد غير مباينين بدعاوى ملوك همدان، وقد دام القتال كما سنرى عهداً طويلاً أضر بالجانبين من غير شك .

وقد أصاب هذا النزاع العربية الجنوبية بأسوأ النتائج ، فهدمت مدن، وخربت قرى ، وتحولت مزارع كانت خضراء يانعة الى صحاري مجذبة عبوسة .

وتأثر اقتصاد البلاد باستمرار الحروب ، وبهروب الناس من مواطنهم ومن مراكز عملهم الى مواطن بعيدة ، فتوقفت الأعمال ، وسادت الفتن والفوضى . وقد كان المأمول تحسن الأوضاع بعد توسع ملك مملكة سبأ وانسدامج الإمارات وحكومات المدن فيها وانتقال السلطة الى ملك واحد ذي ملك واسع ، إلا أن هذا التنافس الشديد الذي أثاره المتنافسون على عرش المملكة ، أفسد كل فائدة كانت ترجى من هذا التطور السياسي الخطير الذي طرأ على نظام الحكم في العربية السعيدة .

وقد برهنت حملة الرومان على العربية السعيدة وقد وقعت في هذا العهد ، وكذلك حملات الحبش ، وقد وقعت في هذا العهد أيضاً ، على أن حكومة (سبأ وذو ريدان) لم تكن حكومة قوية متماسكة ، ولم تكن لديها قوات حربية قوية، ولا جيوش منظمة مدربة، حتى لقد زعم من أرخ تلك الحملة من الكتبة اليونان، أن الرومان لم يقاتلوا العرب ، ولم يصطدموا بقواتهم اصطداماً فعلياً على نحو اصطدام الجيوش ، وأن المحاربين العرب ، لم يكونوا يملكون أسلحة حربية من الأسلحة المعروفة التي تستعملها الجيوش ، وأن كل ما كان عندهم هو الفؤوس والحجارة والعصي والسيوف ، ولذلك لم يتجاسروا على الالتحام بالرومان . وقد لاقى الرومان من الحر والعطش والجوع ، ما جعلهم يقررون التراجع والعودة الى بلادهم ، فهلك أكثرهم من العوامل المذكورة . ويؤيد هذا الرأي أيضاً توغل الحبش في العربية الجنوبية وتدخلها في أمورها الداخلية ، مع أنها دون الرومان في القوة وفي التنظيم الحربي بكثير . وتوغلهم هذا يدل على أن العربية الجنوبية

لم تكن تملك اذ ذاك قوة بحرية قوية ، بحيث تقف أمام الحش ، وتمنعهم من الوصول الى السواحل العربية مع أن الحش أنفسهم ، لم يكونوا يملكون قوة بحرية يعتد بها . ولعل الرومان ساعدوهم في نزولهم في البلاد العربية ، لأنهم كانوا تحت تأثيرهم ، كما صاروا تحت تأثير الروم ، أي البيزنطيين من بعدهم ، ولا سيما بعد دخولهم في النصرانية .

ويبدأ عهد (ملوك سبأ وذو ريدان) بالتزاع الذي كان بين (الشرح يحضب) وأخيه (يزل بين) (يأزل بين) ابني (فرعم ينهب) من جهة ، وبين (شعرم أوتر) و (يرم أيمن) ، وهما ابنا (علهان نهفان) (علهن نهفن) من جهة أخرى . وهو في أصله نزاع قديم له تأريخ سابق ومقدمات ترجع الى أيام أجداد الطرفين ، فالتزاع الذي فتح به عهد (سبأ وذو ريدان) ، هو فصل أول من جزء من كتاب هو جزء متمم لكتاب سابق . ولا نريد هنا أن نعيد الحديث عن تلك الحصومة التي شغلت الأجيال الأخيرة من مملكة سبأ .

وحظ (الشرح يحضب) لا بأس به ، بالقياس الى من تقدمه من المكربين أو الملوك ، فقد بقي حياً في الإسلام ، وخلد في كتب الاسلاميين ، فذكره (الهمداني) في كتابه (الإكليل) ، وسمّاه (الى شرح يحضب) ، ونسب اليه قصر (غمدان) ، وروى له شعراً زعم انه قاله ، وذكر ان (بلقيس) هي ابنته^١ . وحكى (باقوت الحموي) قصة في جملة القصص التي رواها الأخباريون عن بناء قصر (غمدان) ، نسبها الى (ابن الكلبي) ، زعم فيها ان باني هذا القصر هو (ليشرح بن يحضب)^٢ . و (ليشرح بن يحضب) هو (الشرح يحضب) . وقد ذكر في صور أخرى، مثل (أبي شرح) و (يحضب شرح) ، وهي - ولا شك - من تحريفات النساخ .

ونسب (الطبري) بلقيس الى (ايليشرح) ، فجعلها ابنته^٣ . أما (حمزة الأصبهاني) ، فقد جعلها (بلقيس بنت هداد بن شراحيل)^٤ . وقد قصد بـ (شراحيل) (الشرح يحضب) ، ولا شك ، فصيرها حفيداً له .

-
- ١ الاكليل (١٩/٨ وما بعدها) (٢٤/٨) .
 - ٢ البلدان (٣٠١/٦) .
 - ٣ الطبري (٥٦٦/١) (طبعة دار المعارف) .
 - ٤ حمزة (ص ٨٣) .

وهكذا رفع أهل الأخبار أيام (الشرح ينهب) ، فصيّروها في عهد (سليمان)
مع وجود فرق كبير جداً بين زمني الرجلين .

وقد نص في الكتابات على أصل (فرعم ينهب) ، فذكر انه من (بكيل)^١
وذكر انه من (مرثد) ، و (مرثد) عشيرة من عشائر (بكيل)^٢ . فهو
اذن من قبيلة (همدان) ، من غير شك ، الا اننا لا نعرف عنه ولا عن
والده شيئاً يذكر . فلا ندري أكان والده من البارزين المعروفين في أيامه أم لا .
ونستطيع أن نقول بكل تأكيد انه لم يكن ملكاً ، والا ذكر اسمه ، وأشير اليه
والى لقبه في النصوص التي ورد فيها اسم ابنه (شعرم أوتر) (شعر أوتر) .
ومعنى ذلك ان ابنه (شعر أوتر) لم يكن من الأسر المالكة الحاكمة ، بل انتزع
الملك بنفسه ، وكون نفسه بنفسه ، ومهد الحكم بذلك لولديه : (الشرح ينهب)
و (يازل بن) .

وقد ورد اسم (فرعم ينهب) (فرع ينهب) (فارع ينهب) في النصوص :
Jamme 566 و CIH 299 و (نشر : رقم ٥٩) . وأشير في النص Jamme 566
الى (الشرح ينهب) و (يازل بن) . ابني (فرع ينهب) ، ولكنه لم يذكر
بعد الاسمين واسم الوالد جملة : (املك سبا) ، أي (ملوك سبا) ، بل
ذكر (ملك سبا) ، أي : أن هذا اللقب يعود الى (فرع ينهب) ، كما
انه ذكرت في السطرين الأول والثاني جملة : (رجلي ملكن) ، أي (رجلي
الملك) ، مما يدل على أنه قصد ملكاً واحداً ، هو (فرع ينهب) . وأما
لفظة (رجلي) ، فتعني (ربشمس اضاد) (ربشمس اضاد) و (سعد شمس)
(سعد شمس) شقيقه ، وقد كانا مقربين عند الملك يقضيان أموره ، فهما الرجلان
المختاران عنده ، وموضع سره^٣ .

وقد لقب (فرع ينهب) في النص : (نشر ٥٩) ب (ملك سبا) . وقد
ذكر فيه أسماء إلهين ، هما : (بعل أوام) ، أي المقه ، و (سمع) (سمع)
وهو (بعل حرمتن) ، اسم مكان فيه معبده^٤ .

A.F.L. Beeston, Problems of Sabaean Chronology, P. 53, Mahram, P. 308.

Mahram, P. 308.

Jamme 566, MA PI 2, Mahram, P. 48, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 285.

نشر : الرقم ٢٥٩ ، ص ٧٦ وما بعدها .

ويرى (فون وزمن) ان الملك (فرعم ينهب) (فرع ينهب) (فارغ ينهب) (الفارغ ينهب) ، هو الملك الوحيد الذي نعرفه في هذا العهد . ويرى ان سبب عدم تحرش حمير به ، هو بسبب كونه ملكاً لقبائل مشية محتمة بأرضين مرتفعة محصنة . ويرى ان عهد مشاركة ابنه معه في الحكم ، كان في أيام وجود (ياسر ينعم الأول) وابنه (شمر يهرعش الثاني) في (ظفار) و (مأرب) ويرى أيضاً ان (فرع ينهب) وابنيه كانوا ثلاثتهم تابعين لسلطان ملوك حمير : (ملوك سبأ وذو ريدان)^١ .

كان (الشرح يحضب) مقاتلاً محارباً ، ذكر انه قاتل في أيام أبيه (فرعم ينهب) حمير وحضرموت ، لتحرشهم بسبأ وغزوهم لها^٢ . وقد سجل خبر حربه هذه معهم في كتابة وصلت إلينا ، سقط منها اسم صاحبها ، يفهم منها ان صاحبها قدم الى معبد (المقه) المقام في (ذ هرن) (ذي هران) وثناً مصنوعاً من الذهب ، حمداً له وشكراً ، لأنه مكّن سيده (الشرح يحضب بن فرعم ينهب) من أعدائه ، ومنّ عليه بالنصر وأوقع بعده هزيمة منكرة وخسائر جسيمة ، ولأنه نصر سيده (الشرح) وشقيقه (يأزل بين) في غزوهما حمير وحضرموت ، ولأنه مكنها ، وهما على رأس جيوش (سبأ) و (بحض) (باحض) من الانتصار على قوات (اظلم بن زبئر) (أظلم بن زبئر)^٣ .

ولم ترد في هذا النص إشارة الى موقف الحمدانيين من حضرموت وحمير في حربهما هذه مع سبأ، فلم يرد فيه انهم ساعدوهم او اشتركوا معهم . أما (أظلم بن زبئر) ، فالظاهر انه هو الذي كان يقود القوات المشتركة التي حاربت السبثيين، قوات حمير وحضرموت .

وفي النص Glaser 119 خبر غزو (الشرح يحضب) أرض حمير وحضرموت ولم يكن (الشرح) يومئذ ملكاً ، ولكنه كان في درجة (كبر) أي (كبير) على (أقين) (أقيان) (كبر أقين) (كبير أقيان) . وهي الدرجة التي كان عليها حتى صار ملكاً . وقد عاد (الشرح) بغنائم كثيرة ، وبعدهد كبير من الأسرى . ووصل لهيب هذه الحرب الى أرض (خولان) . وقد قدم

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 476. ١

Handbuch., I, S. 92. ٢

Margoliouth, Two South Arabian Inscriptions, P. I. ٣

صاحب هذه الكتابة الى حاميه وإلهه (ومن بعل علمن) (رمان بعل علهان) ،
الحمد والشكر على هذا التوفيق الذي وفقه له (الشرح) ، وقدم الى معبده
نذراً هو وثن (صلمن) تعبيراً عن هذا الشكر^١ .

والكتابات التي نُعيتَ (الشرح يحضب) فيها بـ (كبر اقين) (كبير أقيان)
إذن هي من الكتابات القديمة من أيامه يوم كان في درجة (كبر) (كبير) ، أي
في منصب عال رفيع من مناصب الدولة . فقد عثر على كتابات في (شيام أقيان)
وفي (شيام سخيم) ، ظهر منها أنها من هذا العهد .

ومنطقة (أقيان) التي كان (الشرح يحضب) (كبيراً) عليها ، هي
(شيام أقيان) . وتقع عند سفح (جبل كوكبان)^٢ .

أصبح للحميريين في هذا الوقت شأن يذكر : أصبحوا قوة فعالة في السياسة
العربية الجنوبية ، وزجوا أنفسهم في هذا النزاع الداخلي في حكومة سبأ دون
أن يقيّدوا أنفسهم بجهة معينة . كانت سياستهم هي مصلحتهم . وأما حضرموت
فقد كانت تفتش عن حليف لها لتحافظ على حياتها وكيانها ، كانت قد تحالفت
مع (علهان) على حكومة مرثد ، وحافظت على عهدها هذا ، فأيدت جانب
(شعرم أوتر) في نزاعه مع الشرح يحضب .

غير أن مملكة حضرموت لم تبق مدة طويلة الى جانب (شعر أوتر) ، اذ
نراها - كما يظهر من النص Glaser 825 - في حرب معه أيام تلقبه بلقب
(ملك سبأ وذو ريدان) . وربما كان اختلافها على أسلاب (قتيان) هو سبب
افتراق حضرموت عن همدان . فقد تمكن شعر اوتر من الاستيلاء على جزء من
أرض حمير . ومن استألة قسم من حمير اليه ، بينما مال قسم آخر الى (الشرح
يحضب) . وأرادت حضرموت ضم أرض (ردمان) اليها ، وأرض ردمان
من الأرضين التي كانت تابعة لمملكة قتيان ، وهنا وقع الاختلاف . فقد كان
(شعر أوتر) يريد لها لنفسه ، فحارب من أجلها في المعركة التي وقعت عند

Glaser 119, Abessin., S. 105, CIH 140, CIH, IV, I, III, P. 203,

Winckler, Die Sab. Inschr. der Zeit Alhan Nahfan's, S. 24, Sab. Inschr.,

S. 15, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459, Mahram, P. 310.

Belträge, S. 18.

(دبرم) (دبريم) (دير)^١ .

ويظهر من الكتابة المذكورة أن الردمايين انتهزوا فرصة الحرب التي نشبت بين (شعر أوتر) و (العز) ملك حضرموت ، فأغاروا على أرض سبأ ، وقصدوا سد مأرب ليلحقوا به اضراراً ، غير أن قبيلة (حملان) التي كانت تحرس السد قابلتها ورجعتها الى حيث أتت ، وبذلك أخفق غزو ردمان ولم ينل السد أي سوء كان^٢ . وقد يكون هذا الهجوم بأمر من ملك حضرموت ، كانت الغاية منه ، انزال ضربة قاصمة بالسبئيين ، بتخريب سدّهم الذي هو عرق الحياة بالقياس اليهم والى مأرب العاصمة ، فترتاح بذلك حضرموت . وقد كان هذا الغزو في أيام (الشرح) .

وأغلب الظن أن وقوع هذا الغزو كان أثناء الحرب التي نشبت بين (شعر أوتر) وملك حضرموت .

وقد كان (الشرح يحضب) يومئذ ضد حضرموت . وقد ورد اسمه في النص المذكور الا انه لم يشر الى موقفه منها ، ولكن ذكر على العادة اسمه ولقبه ثم ذكر اسم (شعر أوتر) بعده ، فلا ندرى أكان قد أسهم هو أيضاً في هذه الحرب مع (شعر أوتر) ، أم وقف موقف المتفرج ينتظر النتيجة ليعين موقفه من بعد ، مهما يكن من شيء فقد أحس ملك حضرموت بموقف (الشرح) ، وعرف انه يريد أن يربص به ، فأوعز الى الردمايين بغزو أرض مأرب وبتهديم السد على نحو ما ذكرت .

وقد حارب الردمايون الحضارمة كذلك ، وكانوا في هذا الزمن حلفاء الحمير . ويرى بعض الباحثين ان حمير كانت الى جانب (الشرح يحضب) ، وقد ساعدته في قتاله الحضارمة^٣ . وفي النص المذكور مواضع غامضة ونواقص تحتاج الى دراسة جديدة واعادة نظر في صحة نقل الكتابة عن الأصل .

ولم تنقطع حروب (الشرح يحضب) مع حمير وحضرموت بعد توليه العرش ، فلما لنجد في نص ان (الشرح) ، وكان يومئذ ملكاً على (سبأ وذو ريدان)

Glaser 825, CIH 334, Berlin 2672, Glaser, Abessl., S. 109, Winckler, Die Sab.

Inscri. der Zeit Alhan Nahfan's, S. 17, Handbuch, I, S. 93.

Beiträge, S. 38.

Mahram, P. 311.

قد حارب الحميريين والحضرمين ، وكان أخوه اذ ذاك يشاركه في لقبه هذا ^١ . وقد انتصر فيها على أعدائه ، غير ان مثل هذه الانتصارات وفي مثل تلك الأيام وفي أرض وعرة متموجة قبلية ، لا يمكن أن تكون انتصارات حاسمة ، تأتي بنتائج ايجابية لمدة طويلة . ذلك لأن المغلوبين سرعان ما يجمعون شملهم أو يتحالفون مع قبائل أخرى ، فيعلنون حرباً أخرى ، والحروب كما نعلم جزء من حياة القبائل .

وقد ورد اسم (الشرح يحضب) وأخيه (يأزل بين) في النص الموسوم بـ Glaser 220 ^٢ ، وهو نص دونه جماعة من (بني بتع) ، و (بنو بتع) هم من (همدان) . دونوه عند اتمامهم بناء (معبد) و (مزود) ، تيمناً به وتحليداً له ، وليقف الناس على زمن البناء ذكروا اسمي الملكين . ولم يرد فيه اسم (شعرم أوتر) أو غيره من نسله ، مع أنهم من (بتع) ، و (شعرم أوتر) من (بني بتع) . وقد يكون من تعليل ذلك ان هؤلاء البتعيين كانوا من أتباع (الشرح يحضب) ، وان قسماً من (بتع) كانوا مع (الشرح) ، فلم يشيروا الى اسم (شعرم أوتر) ، وقد يكون تعليله ان (شعرم أوتر) كان قد توفي قبل (الشرح) ، أو ان (الشرح) كان قد تغلب عليه ، أو على من ولي الأمر بعده ، ولم يعد أمامه أحد ينافسه من البتعيين .

وفي الكتابات التي وسمت بـ Jamme 574 و Jamme 575 و Jamme 590/5 ، وهي كتابات عثر عليها منذ عهد غير بعيد ، أخبار عن معارك وحروب وقعت بين الملك (الشرح يحضب) وشقيقه (يأزل بين) من جهة ، وبين الأحباش ومن كان الى جانبهم من قبائل من جهة أخرى . يحدثنا الملكان في النص : Jamme 574 انهما انتقيا (نقمن) من الحبش ومن حلفائهم قبائل (سهرتن) (سهرة) ، وذلك في معارك وقعت في مقراتهم (بمقرهمو) ، أي منازلهم وديارهم الثابتة في وادي سهام ، فأنزلا بهم خسائر فادحة ، ثم توجه الملك (الشرح يحضب) ، ومعه بعض جيشه وبعض أقباله لمحاربة (احزب حبشت) أي أحزاب الحبشة ، ويريد بهم فلول الحبش وجيوشهم ، فالتقى بها في وادي

Handbuch, I, S. 92, Background, P. 94. ١

Glaser 220, CIH 241, IV, I, III, P. 269. ٢

سردد ، واشتبك بالحش وبقبائل سهرة في موضعين حيث جرت معارك معهم في موضع (ودفنتن) (ودفنان) وموضع (وديقان) (ودفن) ، ثم في (لقح) . ثم اشتبك بعد هذه المعارك بخمس وعشرين جماعة من جماعات (اكسمن) و (جمدن) (جمدان) و (عكم) عك ، وجماعات من سهرة . وقد أنزل بكل هذه الجماعات خسائر فادحة ، وغنم منها غنائم كبيرة ، وأخذ منها أسرى وماشية كثيرة ، ثم عاد الى مدينة (هجرن صنعو) صنعاء . وحين وصل اليها جاءه رسل (تنبيلم) (جمدن) (جمدان) ومعهم أطفالهم يريدون أن يضعوهم ودائع عنده ، تعبيراً عن طاعتهم له ، وقراراً بخضوعهم لحكمه . فحفظهم رهائن عنده . وقد أقسموا ، وأقسم قوم من أهل (لقح) يمين الاخلاص والطاعة ، وحمد (الشرح يحضب) مع شقيقه (المقه شهوان) على هذا التوفيق^١ .

ويظهر من هذا النص ان الأحباش ، ومعهم أهل (سهرة) الذين كانوا قد استقروا واستوطنوا (وادي سهام) ، كانوا قد تحرشوا بالسبثيين ، وقاتلوا جيوش (الشرح يحضب) ، أي جيوش مملكة (سبأ وذي ريدان) ، فقرر الملك الانتقام منهم والأخذ بثأره ، فاتجه نحو الشمال حيث تقابل مع الحش في (وادي سردد) ، على مسافة (٤٠) كيلومتراً شمال مدينة (الحديدية) . فوقعت معارك بينه وبينهم في سهل (ودفين) (ودفنان) و (دفن) (ووفان) ، وفي أرض (لقح) (لقاح) . وقد تقابل السبثيون بعد (لقاح) بجماعات عددها خمس وعشرون جماعة من (أكسوم) و (جمدن) (جمدان) وعك، وسهرة . غلبها جيش (الشرح) وشتت شملها . ثم عاد الملك بعد ذلك الى (صنعاء) ، حيث استقبل رسل (جمدن) ، على نحو ما ذكرت .

ويحدثنا النص Jamme 575 عن معارك وقعت أيضاً بين (الشرح يحضب) وأخيه (يأزل بين) من جهة ، وبين الأحباش وحلفائهم عشائر (سهرة) وعشائر أخرى من جهة ثانية ، ويذكر أن الملك (الشرح يحضب) وضع خطة محاربة الأحباش وحلفائهم وهو في (صنعاء) . وبعد أن أتم كل شيء ، أرسل مقدمة من الأدلاء (بقدميهمو دلوم) ، لتتعرف على مواضع العصابات المنشقة .

Jamme 574, MaMb 153, Mahram, P. 60. ١

ثم سار الجيش الى أرض عشائر (سهرة) حيث أبلغ بوجود عصابات فيها ، كانت منتشرة في كل مكان ابتداء من موضع حصن (وحدة) (وحدت) (عرن وحدت) . فلما رأت العصابات ذلك الجيش ، طعنت (طعنو) الى البحر (لبحرن) ، فتعقب آثارها حتى أدركها فحاربها . ثم التف حول الجيش وحلفائهم من (عك) و (سهرة) الذين كانوا قد عسكروا بعيداً عن مواضع أطفالهم وأموالهم ، فأعمل الجيش فيهم السيف ، فقتل منهم عدداً كبيراً وذبح الجيش ، حتى صاروا بين قتيل أو أسير، وحصل جيش (الشرح) على غنائم كثيرة من هؤلاء .

ثم اتجه جيش (الشرح يحضب) بعد هذه المعارك نحو الشرق ، لمنازلة فلول الأحباش وبقيتهم وكذلك عك وبقية حلفائهم ، فبلغ موضع (عيتم) (عين) و (هعان) (هعن) ، واصطدم بهم ، فأعمل فيهم السيف حتى تغلب عليهم وأخذ منهم عدداً كبيراً من الأسرى واستولى على غنائم كبيرة ، عاد بها ، حيث وضعت أمام شقيق (الشرح يحضب) ، أي (يأزل بين) في (صنعاء) وفي قصر (سلحن) سلحين ، أي قصر الملك في مأرب^١ .

ولا نعلم شيئاً أكيداً عن موضع حصن (وحدت) (وحدة) ، ويظن بعض الباحثين أنه لا يبعد كثيراً عن وادي (صور) ، وهو أقرب الى البحر منه الى الهضاب ، ذلك لأن العصابات كانت قد هرعت منه الى البحر ، لتنجو بنفسها من تعقب جيش (الشرح) لها . وهناك وادي يسمى (وادي وحدة) ، وهو في أرض حمير ، غرب (قعطبة) التي تقع على مسافة (١٢٥) كيلومتراً شمال غرب (عدن) وحوالي (١٧٠) كيلومتراً شمال شرقي (مخا)^٢ .

ولا نعلم شيئاً أكيداً عن موضع (عيتم) (عين) (العين) ، وإذا ذهبنا الى انه موضع (العين) الذي يقع على مسافة أربعين كيلومتراً من شمال شرق صنعاء وزهاء عشرة كيلومترات من جنوب غربي عمران ، وإذا فرضنا ان (هعن) وهو الموضع الثاني الذي جرى فيه القتال هو موضع (هواع) الذي يقع على مسافة (٣٥) كيلومتراً من شمال غرب عمران ، فإن ذلك يقربنا من

Jamme 575, MaMb 224, Mahram P. 64.

Mahram, P. 316.

منازل قبائل (بكيل) المذكورة في السطر الثالث من النص ، حيث كانت قد اشتركت مع الحبش في قتال جيش (الشرح يحضب) كما يفهم منه . وهذا مما يحملنا على الذهاب الى أن (عيتم) هي (العين) ، وأن (هعن) هي (هواع)^١ .

وقد أشير في نص وسم بـ Jamme 590 . الى معارك وحروب وقعت مع عشائر (سهرة) ، إذ يحدثنا في هذا النص : (وهب أوم) و (سعد أوم) ، وهما من بني (كرم) (كرب) و (معدنم) (معدن) ، بأنهما قدما الى الإله (المقه) (بعل أرام) تمثالا ، لأنه من عليهما فأعادها سالمين من (سهرة) ، حيث قاتلا هناك مع سيدهما (الشرح يحضب) ، ولأنه أعادها سالمين من المعارك التي جرت فيها ، وكانا في جيش هذا الملك ، حيث هوجمت قطعات (مصر) جيش ذي ريدان في حقل (ريمتم) (ريمت) (ريمة) ، ولأنه أنعم عليهما بغنائم كثيرة وبأسرى ، ولكي يديم نعمه عليهما وعلى سيديهما الملكين^٢ .

وتبيننا النصوص : Jamme 578 و Jamme 580 و Jamme 581 و Jamme 586 و Jamme 589 بأن الملكين الأخوين حاربوا (كرب ايل ذي ريدان) وكل من كان معه من كتائب محاربة (كل مصر) وقبائل (أشعب) ومن محاربي حير الذين حاربوا الى جانبه وحالفوه وكذلك (ولدعم) ، أي القتبانيين . وقد اجتمعت كل هذه القوى تحت إمرة (كرب ايل) وتقدمت نحو (حقل حرمتم) (حرمة) ، ففاجأتها قوات الملكين عند (اساي) (أسأى) و (قرنن) (قرنهن) حتى (عروشتن) و (ظلمن) (ضلمان) و (هكرم) (هكرب) ، فأذاقتها الموت ، ومع ذلك بقيت تلك القوات ، منشقة خارجة على طاعة الملكين ، تباغت قواتهما بين الحين والحين ، تغدر وتخنون ، لا تراعي ذمة ولا تخشى عقاباً ، على الرغم من الحسائر التي حلت بها ، فقرر الملكان عندئذ محاربتها ، وسارت قواتهما الى (كرب ايل ذي ريدان) والى حلفائه الذين انضموا اليه وساعدوه : من حير ومن قتبان ، ومن أقبال وجيوش وفرسان ،

١ Mahram, P. 316.

٢ Jamme 590, MaMb 181, Mahram, P. 96.

وكانوا قد تجمعوا في وادي (اظور) (أظور) ، ولما وصلت قوات الملكين ، اشتبكت بهم عند مدينتي (يكلأ) (يكلأ) و (ابون) (أبون) ، فتغلبت عليهم قوات الملكين ، واضطرت بعض كتائب (كرب ايل) الى التقهقر الى مواطنها ، وغادر (كرب ايل) المكان تاركاً فيه من تبقى من جيشه ولم يرسل رسلاً عنه ، وسرعان ما أعلنوا انصياعهم لأوامر الملكين وخضوعهم له ، وحلفوا على الطاعة . أما (كرب ايل ذي ريدان) فقد لجأ الى مدينة (هكرم) (هكر) فتحصن بها ، وأغلق أبوابها ، فاضطر الملكان الى قصد أرض حمير ، ومحاصرة المدينة التي اقتحمت ونهبت^١ .

يظهر مما تقدم ان قوات (الشرح يحضب) هاجمت قوات (كرب ايل ذي ريدان) في أرض (حرتم) (حرمة) في بادئ الأمر ، وتقع على مقربة من جبل (أتوت) ، جنوب شرقي (ريدة) . وقد ألحقت قوات (الشرح) بقوات (كرب ايل) خسائر متعددة ، وهزمتها في جملة معارك وقعت فيما بين (اساي) (أساي) و (قرننهن) (قرننهان) ، وامتدت حتى (عرشن) و (ظلمن) (ظلمان) و (هكرم) (هكر) . وهي مواضع لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . ويظن ان موضع (عروشن) هو (العروش) في أرض (رداع) . وهناك مواضع أخرى يقال لها (عروش) ، منها موضع ذكره (كلاسر) ، وسماء (بلاد العروش) ، ويقع على مسافة (٩٥) كيلومتراً جنوب غربي مأرب ، وزهاء (٧٠) كيلومتراً جنوبي شرقي صنعاء ، وموضع آخر يسمى بهذا الاسم يقع في منتصف طريق صرواح وذمار^٢ .

وهناك موضع يقال له (ظلمة) (ظلمه) ، يقع على مسيرة ثلاث ساعات من غرب (سحول) السحول . و (سحول) في أرض حمير . ويقع وادي سحول في شمال (لب) ، فلعل له علاقة بموضوع (ظلمان)^٣ .

ويظهر من النص Jamme 578 أن (كرب ايل) بعد أن أصيب بهزائم في أرض (حرمة) في المعارك التي أشرت اليها ، نبذته قبائل حمير ، فاضطر الى أن يتراجع الى أماكن أخرى ، ليجمع فلوله ويضم اليه من بقي موالياً له ،

Jamme 578, MaMb 263, Jamme 589, MaMb 179, Mahram, PP. 83, 96. ١

Mahram, P. 317. ٢

Mahram, P. 317. ٣

فاستطاع ان يجمع اعوانه وانصاره ومن كان يميل اليه ويؤيده ، جمعهم في وادي (أظور) ، غير ان قوات الملكين هاجمته فأصابته بهزيمة اضطر على أثرها الى اللجوء الى مدينتي (يكلأ) (يكلأ) و (أبون) (أبون) (أبوان) ، وأجبر على ان يعطي عهداً بالولاء للملكين ، وعلى الاعتراف بسيادتهما عليه . إلا أنه تحصن بمدينة (هكرم) (هكر) ، وامتنع بها وأغلق عليه الأبواب عندما جاءت قوات الملكين تطلب منه الاستسلام . وهاجمت قوات الملكين المدينة ، واستباحتها ، فاضطر (كرب ايل الى الاستسلام واعلان طاعته وخضوعه للملكين^١ .

وبحسب النص : Jamme 586 بأن الملكين تمكنا من سحق عصيان حمير ومن انزال خسائر فادحة بمحاربيهم ومن تأديب عشائرها ، ثم أنزلا خسائر فادحة بقوات (كرب ايل) وبكتائب حمير المحاربة التي كانت معه ، وغنما من هذه المعارك غنائم كثيرة . وقد قام صاحب النص بغارة مع أربعين جندياً على منطقة (سرعن) سرعان ، فوجدوا هناك مئة جندي من جنود حمير فباغتهم ، وقتلوا منهم سبعة وعشرين نفرأ ، ثم تقدم صاحب النص على رأس قوة مكونة من خمسين جندياً من (سرعان) ، فهاجم قبيلة (قشيم) (قشم) ، وتمكن رجاله من قتل (الزاد) (الزاد) من عشيرة (ربحم) (ربح) (رباح) ، ومن قتل واحد وخمسين محارباً من رجاله . ثم عاد مع رجاله بغنائم كثيرة وبعدد من الأسرى^٢ .

ويظهر ان القتيل (الزاد) (الزاد) ، كان رئيساً من رؤساء العشائر ، ومن مثيري الاضطرابات والفتن ، ومن العصاة على حكم سبأ وذوي ريدان . وأما (قشم) ، فقبيلة أو عشيرة ، كانت منازلها جنوب (ردمان) وغرب (مضجيم) مضجحي^٣ .

وقد سجل الملكان أخبار انتصاراتهما في نص موسوم بـ Jamme 576 . وقد افتتح نصهما بمقدمة تحبر ان الملكين انتصرا بفضل توفيق الإله (المقه هون) (المقه هون) ومساعدته لها على جميع أعدائهما من المحاربين والقبائل ومن ثار عليها ، ابتداءً من القبائل النازلة في الشمال وفي الجنوب الى المحاربين الذين

Mahram PP. 317 - 318. ١

Jamme 586, MaMb 262, Mahram, P. 93. ٢

Jamme, P. 318. ٣

حاربوا على اليابسة وفي البحر^١ ، وانهما لذلك شكرا إلهيهما بأن قدما اليه تماثيل
 قعبراً عن حمدها له ولمنته الطائلة عليهما ، ولأنه وفقهما أيضاً في أسر (ملكم)
 مالك ، ملك (كدت) (كدة) (كندة) ، وأسر ججاعة من سادات قبيلة
 (كدت) (كدة) (كندة) ، لأن (مالكاً) كان قد ساعد أعداء (المقه)
 وأعداء الملكين : (مراقيس بن عوفم) (مراقيس) امرئ القيس بن عوف ،
 ملك (خصصتن) (خصصتان) . وقد وضعوا في مدينة (مرب) ، وبقوا
 فيها الى أن سلم لها الشاب (مراقيس) (مراقيس) ، وكذلك ابن الملك (مالك)
 وأبناء سادات كندة ، ليكونوا رهائن عندهما ، فلا يحثوا يمين الطاعة للملكين.
 وقد سلموا للملكين أفراساً وحيوانات ركوب وجال^٢ .

ويظهر من الفقرة المتقدمة من النص ان (مالكاً) كان من (كندة) (كدة)
 وكان ملكاً عليهما ايام حكم (الشرح يحضب) وشقيقه (يأزل بين) . وقد ساعد
 (مراقيس) (مراقيس) (امرئ القيس) ملك مملكة صغيرة اسمها (خصصتن)
 (خصصتان) ، الذي كان ضد سباً ، فأثارت هذه المساعدة غضب الملكين ،
 فساقا جيوشهما على كندة وعلى (خصصتن) . وقد انتصرا عليهما ، فأسر ملك
 كندة ، وأسر معه عدد من سادات كندة ، فأخذوا الى مدينة تسمى (مرب) ،
 يظن الباحثون انها ليست (مأرب) ، بل مدينة أخرى من مدن شعب (مرب)
 Marabites الذي يسكن أرض عدن ، ووضعوا رهائن فيها ، الى أن جيء
 بـ (مراقيس) (مراقيس) ، وهو ملك شاب ، وبابن ملك كندة وبأولاد
 سادات كندة حيث وضعوا رهائن عند الملكين ، ليضمننا بذلك بقاء كندة ومملكة
 (خصصتن) على الطاعة والاخلاص لها^٣ .

ويظن ان أرض مملكة (كدت) (كدة) كندة كانت في جنوب (قشم).
 وأما أرض (خصصتن) ، فتقع في أرض (عدن)^٤ .

-
- ١ الفقرة الاولى من النص : Jamme 576, MaMb 212, Geuken 3, Mahram, P. 67.
 - ٢ الفقرة الثانية من النص ، Ryckmans 535, Von Wissmann, Zur Geschichte, S. 404, Die Araber, II, S. 322.
 - ٣ D. H. Müller, Al-Hamdani, 53, 124, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, Köln, 1954, S. 9, Mahram, P. 318.
 - ٤ Mahram, P. 318.

وقد تحدث الملكان بعد انتهاء كلامهما على كندة وعلى (خصصتن) عن حملات تأديبية انتقامية أرسلها على أحزاب (احزب) حبشية محاربة، أي عصابات منهم كانت تعيث فساداً فتنير وتغزو ، وعلى عشائر (سهرة) ، وعلى (شمر ذي ريدان) ، وعشائر حمير ، وذلك لأن كل من ذكروا حثوا بيمينهم وخاسوا بوعدهم الذي قطعوه على أنفسهم ، فثاروا على ملكي (سبأ وذي ريدان) ، فخرج الملكان من (مأرب) الى (صنعاء) ، لمحاربة (شمر ذي ريدان) وعشائر حمير و (ردمان) و (مضحيم) (مضحي) . وقاد الملك (الشرح يحضب) بعض أقباله وجيشه وفرسانه ودخل أرض حمير ، حيث حطم مقاومة حمير وقمع ثورتها ، واقتحم (بيت ذ شمتن) (بيت شمتان) ومدينة (دلال) (بيت يهر) ومدينة (اظور) على حدود أرض (قشم) ، وأباح تلك المدن ، وحصل منها على غنائم طائلة وأسّر كثيرين^١ ، ثم عاد الى معسكره بين مأرب وصنعاء^٢ .

ويظهر من هذا الخبر أن (شمر ذي ريدان) ومن كان معه من عشائر حمير ومن الحبش وعشائر (سهرة) ، خاضم ملكي سبأ ، فجرد الملك (الشرح يحضب) حملة عسكرية عليه وعلى حلفائه قادها بنفسه ، فتمكن كما يذكر في نصه من الانتصار عليها ومن التغلب على المتحالفين ومن فتح المدن المذكورة . غير أن هذا النصر لم يحقق له اسكات (شمر ذي ريدان) وإخماد حركته وحركات من كان معه ، إذ سرعان ما عاد (شمر) الى العصيان والى الثورة على ملكي سبأ ، والى تجديد القتال بينه وبينهما ، وسرعان ما عاد مع حلفائه الحبش يقارعون جيش (سبأ وذي ريدان) بالسيوف في معارك عديدة ذكرت في النص : Jamme 576 وفي نصوص أخرى .

فبينما كان الملك (الشرح يحضب) مع جنوده في معسكراته بين مأرب وصنعاء ، أرسل (شمر ذي ريدان) كتائب (مصر) من حمير الى الأرض المحيطة بمدينة (باسن) (بأسان) والى المدينة نفسها ، التي هي (بوسان) ، لتقوية استحكاماته هناك ، وللإستعداد لمقاومة (سبأ وذي ريدان) ، فأسرع

١ الفقرة الرابعة من النص

٢ Mahram, P. 319.

(الشرح يحضب) وتقدم على رأس أقباله وقواده وجيوشه نحو المدينة المذكورة، ففتحها واستباحها ، وحصل جنوده على أسرى وغنائم ، ثم اتجه الملك (الشرح يحضب) منها نحو سهل (درجمن) (درججان) ، فلم يجد أحداً يحاربه ، لأن قوات (شمر) كانت قد انسحبت منه ، فاتجه منه الى أرض (مهانقم) مهانقم ، وأرسل قوات خاطفة سريعة غزت سكانها ، وتمكنت منهم وحصلت على غنائم كثيرة وعلى أسرى ، ثم اجتازت قوات الملك حمر (مقلن) (يلرن) يلران ، قاصدة مدينة (تعمرن) (تعرمان) ، فافتتحتها وأسرت أهلها ثم عادت بأمرها وبغنائمها الى معسكراتها بمدينة (نعض) (ناعض) فرحة مسرورة^١ .

وقيلة (مهانف) (مهأنف) من القبائل المعروفة ، التي ورد اسمها في عدد من الكتابات . وقد اقترن اسمها باسم قبيلة (بكيل) في النص : CIH 140 ، وذكرت مع قبيلة أخرى تسمى (ظهر) ظهار^٢ .

وعاد (الشرح يحضب) فقاد جيشه لغزو القسم الشرقي من أرض (قشم) (قشم) ، فتمكن منه ، وافتتح مدينة (ايضم) (أيضم) ، وكل الأماكن الواقعة في هذه المنطقة من (قشم) ، ثم عاد الجيش الى معسكراته في مدينة (نعض)^٣ .

وتحرك الملك (الشرح يحضب) مرة أخرى ، فخرج من مدينة (نعض) على رأس قواته الى أرض قبيلة (مهانقم) (مهأنف) ، وكانت قواته تتألف من مشاة وفرسان ، وفتح مدينتي (عني) و (عثر) ، وأخذ منها غنائم كثيرة ، وحصل على أسرى ، ثم تركها واتجه نحو مدينة (ملرحم) (ملرح) وهي مدينة عشيرة (ملرحم) (ملرح) (ملراح) ، فحاربها وحارب عشيرة (مهأنف) التي فرت الى مدينة (ضفو) (ضاف) ، ففتحها وأخذ غنائم منها ، ثم غادرها الى مدينة (يكلأ) (يكلأ) (يكلأ) حيث وجد بعض رؤساء ريدان وبعض كتائب حمير ، فالتحم بهم وهزمهم من موضع

١ الفقرة السادسة والسابعة من النص
٢ Jamme 651, Mahram, P. 319.
٣ الفقرة السابعة من النص .

(مرحضن) (مرحضان) ، وتعقب فلولهم حتى بلغ (يكلأ) (يكلأ) ،
وعندئذ عادت قوات (الشرح يحضب) الى مدينة (نعض) ، حيث معسكرها
الدائم^١ .

وقد انتهز الحميريون فرصة انسحاب قوات (الشرح يحضب) الى (نعض)
ففاوضوا رؤساء (يكلأ) (يكلأ) على الاتفاق معهم للانتقام من السببيين
ولمهاجمة وادي (سر نجررم) (وادي نجرر) فأسرع الملك (الشرح) نحو
(يكلأ) ، فبلغه ان رؤساءها لم يكونوا على وفاق مع حمير ، وانهم دفعوهم
عنهم ، فعاد الملك الى قواعد جيشه في مدينة (نعض) ، ثم غادرها الى
(صنعاء)^٢ .

وعلم الملك (الشرح يحضب) ، وهو في (صنعاء) بأن (شمر ذي ريدان)
قد أرسل رسلاً الى (عذبة) (عذبت) عذبة ملك (أكسوم) ليدعوه الى شد
أزر (شمر) ومساعدته على (الشرح يحضب) . فقرر الملك الاسراع لمباغطة
(شمر) ومن كان يؤيده ، وترك (صنعاء) في الحال ، لمباغطة عشائر حمير
و (ردمان) و (مضجيم) (مضحي) ، وأرسل في الوقت نفسه رسلاً الى
الحبشة (حبشت)^٣ . وقد هاجمت قواته سهل (حرور) و (ارصم) (أرص)
و (درجن) ، فتغلبت على سكان هذه المواضع ، وأخذت منهم أسرى وغنائم .
وقد سار جيش الملك حتى بلغ موضعي (قريب) و (قرس) (قريس) ،
فردم آبارهما ، واستولى على مدينة (قريس) ، واتجه (الشرح يحضب) من
هذه المدينة نحو أرض (يهشمر) و (مقرام) (مقرأم) و (شددم) (شدادم)
(شدد) (شداد) ، وأخذ غنائم وأسرى من أهل هذه الأرضين . وعندئذ
وجد نفسه نحو (بيت راس) (بيت رأس) ، فاستولى عليه وعلى كل حصونه
وابراجيه ، وعلى مدينة (راسو) (رأسو) ، ثم توجه نحو (بيت سنفرم)
(بيت سنفر) حيث اخذ كل العصاة الذين كانوا قد اختلفوا فيه . ثم قصد
مدينة (ظلم) ، فوجه اليها قوات كبيرة من المشاة بقيادة ضباطه الكبار ،
فاستولت عليها ، ودحرت خيرة قوات (شمر ذي ريدان) التي وضعها فيها ،

١ الفقرة التاسعة من النص .

٢ الفقرة العاشرة من النص .

٣ السطر السادس من النص . Jamme 577.

فجمع (شمر) قواته وكل من ساعده من حمير وردمان ومضحي، ليصد جيش (الشرح يحضب) وعسكر بها بين مدينتي (هرن) (هران) و (ذمر) (ذمار)^١ ، وأقام هناك استعداداً لجولة جديدة .

ورأى (الشرح يحضب) وجوب مباغنة هذه القوة المتجمعة ، قبل ان يشتد ساعدها وتصبح قوة محاربة قوية ، فسار على رأس الف وخمسمئة جندي واربعين فارساً ، ومعه عدد من الأقبال ، حتى انتهى بجمع (شمر ذي ريدان) ومعه عشائر من حمير وردمان ومضحي ، وزهاء ستة عشر ألف بعير، فباغت (الشرح يحضب) جمع شمر ، وهرب بعض الريدانيين وبعض عشائر حمير الى مدينة (ذمار) ، وذهب بعض الفرسان ومعهم قوات اخرى الى معسكراتهم في (انحرم) (أنحر) و (طريدم) (طريد) ، واخذ قسم من القوات يطارد (شمر ذي ريدان)^٢ . ولم يتحدث النص عما وقع بعد ذلك ، اذ اصاب آخر الكتابة تلف ، او لأن بقيتها كتبت على حجر آخر لما يعثر عليه ، فأضاع خبر بقية الحملة .

ولكن النصوص : Jamme 577 و Jamme 585 و CIH 314 + 954 تفيدنا في الوقوف على انباء معارك وقعت بين (شمر ذي ريدان) وحلفائه وبين (الشرح يحضب) بعد المعارك المتقدمة . وقد اصاب النص Jamme 577 تلفاً واضاع فهم مقدمته ، فاقتحم بجملة : وقتل فرسه ، ثم اتجهوا نحو مدينة (زخنم) (زخان) ، واصابوا غنائم من كتائب حمير وردمان ومضحي ارضتهم ، ثم غادرهم الملك (الشرح يحضب) وذهبوا الى (ترزنن) (ترزنان)^٣ . فيظهر من هذه الفقرة ان الملك (الشرح يحضب) اكتفى بعد انتصاره على خصومه في معركة مدينة (زخان) ، فعاد الى قاعدته ، وذهب قسم من جيشه الى مدينة (ترزنن) ، ليستجم من القتال .

ثم يذكر النص أن (شمر ذي ريدان) ومن انضم اليه من حمير ومن (ولد عم) أي القتبانيين ، صدوا عن الحق ، وعصوا ، وتجمعوا للزحف ثم

١ الفقرة ١٤ من النص .

٢ الفقرة ١٦ من النص .

٣ الفقرة الاولى من النص :

Jamme 577, MaMb 219, Mahram, P. 76, Le Muséon, 1967,

1-2, P. 286.

ذهبوا الى (ذمار) فتحصنوا فيها ، ثم اتجهوا نحو مدينة (نعص) ، ثم رجعوا وعسكروا بين المدينتين ، فواجهتهم قوات (الشرح يحضب) وتعقبهم في المواضع المذكورة ، وأنزلت بهم خسائر كبيرة ، ثم رجعت بغنائمها الى مدينة (صنعاء) . ومعها ماشية كثيرة وأسرى وغنائم وأموال طائلة^١ .

ويظهر أن (شمر ذي ريدان) قد تمكن خلال هذه المدة من اقناع الحبش بالانضمام اليه ومساعدته في حروبه مع خصمه (الشرح يحضب) ، فأمدته (جرمت ولد نجشين) ، (جرمة ولد النجاشي) (جرمة بن النجاشي) بكتائب حبشية محاربة قوت مركزه كثيراً ، ترأسها هو بنفسه وجاءته أمداد من (سهرة) ، فأخذ يتحرش بالسببيين ، مما حمل الملك (الشرح يحضب) على السير اليه لمقابلته مترسلاً قوة قوامها ألف محارب وستة وعشرون فارساً ، فاصطدم ببعض قوات (شمر) وتغلب عليها وأخذ منها أسرى وغنائم ، ثم حدث ان وصلت أمداد من الحبش لمساعدة تلك الكتائب المندحرة في موضع (احدقم) (أحدق) ، فقابلها مشاة (رجلي) (رجاله) من جيش الملك (الشرح يحضب) أنزلوا بها خسائر وشتتوا شملها ، وعاد الملك (الشرح يحضب) مع أقباله ورجاله إلى صنعاء ، ومعهم أسرى وغنائم وأموال طائلة^٢ .

وقد انتصر (الشرح يحضب) على الحبش كذلك ، وعاد (جرمة) الى قواعده مغلوباً على أمره ، جزاء نكثه العهد وازدراؤه بمهمة الرسل الذين أرسلهم (الشرح يحضب) اليه لاقناعه بعدم مساعدة (شمر ذي ريدان) ومن انضم اليه ، وذلك كما يذكر النص^٣ .

وتطرق النص بعد ما تقدم الى الحديث عن دحر ثائر آخر كان قد أعلن الثورة على الملكين ، اسمه : (صحيم بن جيشم) أي (صحب بن جيش) ، (صحاب بن جياش) . ويظهر أن ثورته لم تكن على درجة كبيرة من الخطورة لذلك لم يرأس (الشرح يحضب) نفسه الحملة التي أرسلت للقضاء عليه ، بل رأسها قائد من قواده اسمه (نوفم) (نوف) ، وهو من (همدان) و(غيان) . وقد تألفت الحملة من محاربين من (حاشد) ومن (غيمن) (غيان) .

١ الفقرة النائية من النص .

٢ الفقرة الرابعة والخامسة من النص .

٣ الفقرة السادسة منه .

فانتصر (نوف) على خصمه انتصاراً كبيراً ، وكان في جملة ما جاء به من تلك الحملة رأس صبح ويديه^١ .

وتقع مدينة (غيان) على مسافة اثني عشر كيلومتراً من جنوب شرقي مدينة صنعاء^٢ .

وانتقل الحديث من مقتل (صبح بن جيش) الى الكلام على ثورة قبيلة (نجران) (نجران) على الملكين . وكانت هذه القبيلة قد أكرهت من قبل على الخضوع والاستسلام لحكم (سبأ ذي ريدان) ، ولكنها عادت فأعلنت عصيانها على الملكين ، بتحريض من الحبش ، فسار الملك (الشرح يحضب) بنفسه على رأس قوة من أقباله وفرسانه عليها ، فحاصر مدينة (ظرين) (ظربان) مدة شهرين ، فصبرت وقاومت ولم تسلم ، لأنها كانت تؤمل أن تصل اليها امداد ومساعدات وقوات من ملك حضرموت الذي وعدها بذلك ومن قبيلة نجران ، فقوى ذلك الأمل عنادها ، وشد من عزيمتها على الدفاع عن نفسها ، ولطول مدة الحصار الذي دام شهرين ، قرر الملك العودة الى صنعاء^٣ .

وقد ترك الملك (الشرح يحضب) قسماً من جيشه لمراقبة الأوضاع ، وضعه تحت قيادة قائدين من قواده الكبار ، أحدهما : (نوفم) (نوف) الذي قتل الناصر (صبح بن جيش) . ووصلت في خلال هذه المدة امداد الى ممثل النجاشي (سبلم) (سبيل) ، الذي يمثله في مدينة (نجران) ولدي قبيلة نجران ، فهاجم القائدان بقواتها وبمساعدة رجال محاربين من حاشد وغيان وبأربعة عشر فارساً ، وادبى نجران، فانتصرا وحصلوا على غنائم عدا بها سالمين الى (صنعاء)^٤ .

ويظهر أن رجوع (الشرح يحضب) الى (صنعاء) كان من أجل إعادة تنظيم صفوف جيشه ولوضع خطة محكمة للملاقاة أعدائه حتى إذا تم له ذلك ووضع الخطط اللازمة لمهاجمة أعدائه ، غادر صنعاء متوجهاً الى وادي (ركبتن) (ركبتان) ، وقد التقى فيه بأعدائه فأنزل بهم خسائر كبيرة ، فقتل عدداً كبيراً

١ الفقرة السابعة من النص .

٢ Mahram, P. 322.

٣ الفقرة الثامنة والتاسعة من النص .

٤ الفقرتان العاشرة والحادية عشرة من النص .

منهم ، وأسر عدداً من سادات (مراس) وأحرار (احرر) نجران ، فسيقوا الى (مسلمين) (مسلمين) . ولم يستطع خليفة (عقبه) النجاشي أن يساعد المنكسرين . وقد اعلن المنهزمون خضوعهم لحكم الملكين ، ولكي يحافظوا على وعدهم هذا ويعبروا عن طاعتهم هذه ، وضعوا ابنائهم وبناتهم رهائن في مدينة (صربن) (صربان) وفي وادي نجران . ولوجود بعض التلف في نهاية الفقرة الرابعة عشرة ، لا نعلم ماذا حدث من تفاصيل في حصار نجران . غير ان النص يعود فيذكر ان (٩٢٤) قتلهم الأعداء في المعركة وان (٥٦٢) اسيراً وقعوا في ايدي قوات (الشرح يحضب) ، وان (٦٨) مدينة فُتحت ونهبت واييحت ، وان ستين الف حقل من الحقول التي يروبوها الماء دمرت ، وان سبعاً وتسعين بئراً دفنت ودمرت ، وغنم المحاربون غنائم كثيرة رجعوا بها شاكرين إله سبأ على ما اشار النص الى مقري حكم الملكين : (قصر سلحن) (قصر سلحان) في مأرب وقصر (غندن) (غندان) الذي هو قصر غندان عند اهل الأخبار^١ .

ويعد النص الموسوم بـ CIH 314 من النصوص المهمة المتعلقة بالحروب المذكورة. فهو يتحدث عن امور خطيرة وقعت في تلك الأيام . وقد جاء في هذا النص : ان (رب شمس) ، قيل (قول) عشيرة (بكلم) ، اي (بكيل) التي تكون ربع (ذريدت) (ذي ريده) ، و (وهب أوم) من (جدنم) (جدن) و (خذوت) (خذوة) ، وكانا (مقتوبي) (الشرح يحضب) وشقيقه (يأزل) ، نذرا للإله (الملقه بعسل مسكت ويث) و (برأن) ، تمثالين من الذهب ، لأنه من^٢ على سيديهما الملكين ، وحفظهما ، وكان ذلك في شهر (ذي نيل) من السنة السادسة من سني (تبع كرب بن ودال) (تبعكرب بن ود ايل) ، ولأنه ساعدها ونصرها وأذل أعداءها ، واكره (شمر ذي ريدان) على ارسال رسول عنه يطلب الصلح منها ، واجبر الريدانيين واحزابهم وحلفاءهم الحبشة من مدينتي (زوم) و (سهرة) على الطاعة والخضوع^٣ ، وعلى طلب عقد الصلح ، على حين كان (شمر ذو ريدان وحميز) ، يطلب النجدة من

١ الفقرة ١٢ فما بعدها الى نهاية النص .

٢ (احزاب حبشت هجرن زوم وسهرتن) ،
CIH 314, Glaser 424, Louvre 4088, CIH, IV I, IV, P. 340.

Glaser, Abessl., S. 117, Le Muséon, 3-4, 1948, P. 232.

حلفائه الحبشة لمحاربة ملكي سبأ . ولكن الإله (الملقه) خيب ظنه ، وخذله ، ونصر الملكين : (ملكي سبأ وذوي ريدان) .

وقد ساعد (شمر ذي ريدان) واشترك معه في هذه الحرب عدد من القبائل منها : (سهرتن) (سهرتان) ، و (ردمن) (ردمان) ، و (نخولن) (نخولان) ، و (مضجيم) (مضجى) . وأرسل قوة للحماية مدينة (باسن) (بأسن) (بآس) ، وهي من المدن الواقعة في جنوب غرب (وعلان) . وقد تقدم السبثيون في اتجاه مدينة (ظلم) لمحاربة (شمر) ومجابهته ، حتى انتصروا عليه في مدينة (ذمر) (ذمار) .

وقد كان (شمر) من (ذوي ريدان) ، أي من حمير ، ويظهر أنه أراد مزاحمة (الشرح يحضب) وأخيه على العرش ، أو أنه اختلف معها ، ف وقعت الحرب بينهما ، وتقدم (شمر) بقبائل (حمير) و (أولاد عم) (ولد عم) أي قبان والقبائل الأخرى ، واصطدم بجيش السبثيين على نحو ما ورد في النص^٢ .

ويظهر أن (شمر ذي ريدان) اضطر بعد ذلك الى الاتفاق مع (الشرح يحضب) والى الخضوع والاستسلام له ، فانتهت بذلك معارضة له^٣ ، وتولى قيادة جيشه في حربه مع حضرموت^٤ .

ويمكن تلخيص الوضع السياسي في عهد (الشرح يحضب) على هذا النحو: كان خصم (الشرح) ومنافسه على الملك في هذا العهد هو (شمر) ، وهو من حمير ، أي سيد (ريدان) (ذوي ريدان) ، وعاصمته (ظفار) . وقد استعان بالحيش، وطلب مساعدتهم على (الشرح يحضب) ، فاضطر الى الاستسلام له ، ثم اشترك مع السبثيين في محاربة ملك حضرموت (العذ) .. وكان يومئذ تحت حكم السبثيين . أما (شعرم أوتر) الهمداني ، فكان من المؤيدين لـ (الشرح يحضب) وكان يحمل أيضاً لقب (ملك سبأ وذوي ريدان)^٥ .

وفي هذا النص إشارة الى تدخل الحيش في شؤون العربية الجنوبية في هذا العهد،

BOASOOR., NUM. 145, (1957), P. 29.

Jamme 577, BOASOOR., NUM. 145, 1957, P. 28.

CIH 314, Glaser 424.

Beiträge, S. 38.

Beiträge, S. 34.

والى وجودهم في مواضع من السواحل ، والى تكوينهم مستعمرات فيها تتمون من الساحل الإفريقي المقابل .

وأنا لا استبعد احتمال اتفاق الرومان مع الحبش يوم ارسلوا حملتهم المعروفة على العربية الجنوبية بقيادة (اوليوس غالوس) ، وذلك باتفاق عقده حكامهم في مصر وقد كانت خاضعة لهم اذ ذاك مع ممثلي الحبش يقضي بأن يسهلوا لهم أمر الوصول الى العربية الجنوبية ، ويقدموا لهم المساعدات اللازمة ، وان يتعاونوا جميعاً في الأمور السياسية والاقتصادية ، وفي مقابل ذلك يضمن الرومان للحبش مصالحهم في العربية الجنوبية ويقتسمونها فيما بينهم ، أو يحافظون على مستعمرات الحبشة فيها .

ويظهر من الكتابات ان الحبش كانوا يغيرون سياستهم في العربية تبعاً للأحوال المتغيرة ، فزاهم مرة مع الحميريين ، وتارة عليهم ، ونجدهم في حلف مع (شعرم أوتر) ، ثم نراهم في حلف آخر ضده ، ونجدهم مرة أخرى على علاقات حسنة بـ (الشرح يحضب) ، ثم نجدهم على أسوأ حال معه . وهكذا نرى سياستهم قلقة غير مستقرة ، كل يوم هي في شأن ، وهي بالطبع نتيجة للأحوال القلقة المضطربة التي كانت تتحكم في العربية الجنوبية اذ ذاك ، ولمصالح الحبش الذين كانوا يريدون تثبيت أقدامهم في السواحل العربية المقابلة وتوسيع رقعة ما يملكونه باستمرار .

ويظهر من النص المتقدم ان (بكيل) التي تكون ربع (ذي ريدة) كانت مع الملكين (الشرح) و (يأزل) ، و (بكيل) هي عشيرة الملكين ، وقد كانت تنزل في أرض (ريدة) اذ ذاك .

وقد رأى بعض الباحثين ان (شمر ذ ريدن) (شمر ذي ريدان) هو (شمر يهرعش) ، وان الذي حارب (الشرح يحضب) وأخاه (يأزل) ، هو هذا الملك . ومعنى ذلك انهم رجعوا زمان (الشرح يحضب) زهاء (٢٥٠) سنة اذ جعلوه في أوائل القرن الرابع للميلاد ، وهو رأي يعارضه باحثون آخرون . وقد صيِّروا (الشرح يحضب) من المعاصرين للملك (امرىء القيس) المذكور

في نص النارة ، والمتوفي سنة (٣٢٨ م) ، وذكروا ان (مراقس) ، الوارد في السطر الثاني من النص : Ry 535 هو (امرؤ القيس) المذكور^١ .

وقد وردت في النص المتقدم جملة (هجرن صنعو ورحبتن) ، أي (مدينة صنعاء ورحبة) (رحابة)^٢ . وقصد بـ (صنعو) مدينة صنعاء عاصمة اليمن حتى اليوم . وأما (رحبة) أو (رحابة) (الرحبة) ، فإنه مكان ذكره (الهمداني) ، لا يبعد كثيراً عن صنعاء^٣ . ويكون هذا النص أول نص على ما نعلم وردت فيه إشارة الى صنعاء . وهناك موضع آخر اسمه (صنعاء) وموضع اسمه (رحابة) أو (راحبة) يقعان في منطقة (مأرب) على الجهة اليمنى من وادي (ذنة) ، ظن بعضهم أنها الموضعان المذكوران في النص^٤ .

والرأي الغالب أن النص المذكور قصد بـ (صنعو) مدينة (صنعاء) ، وذلك لورود اسم قصر (غندن) (غ ن د ن) (غندان) أي (قصر غندان) في كتابة أخرى من أيام (الشرح يحضب) ، و (قصر غندان) قصر معروف بقي قائماً الى الإسلام ، وقد كان في صنعاء . ورقم هذه الكتابة هو : CIH 429 . وقد ذكر مع القصر اسم القصر (سلحن) (سلحان) (سلحين) وهو دار الملوك الحاكمين في مدينة مأرب ، فيكون (الشرح يحضب) قد أقام في القصرين ، وحكم منها . وقد ذكر (الهمداني) أن (الشرح يحضب) هو الذي بنى قصر غندان ، وأن (شاعرم أوتر) (شعرم أوتر) هو الذي أسس سور صنعاء^٥ . ويعرف قصر (غندان) بـ (غندن) (غندان) في الكتابات ، فهو إذن من القصور الملكية القديمة من أيام السبئيين .

وقد أشير الى مدينة (صنعو) في النص : REP. EPIG. 4139 ، وكان أصحابه مقتوين للأخوين الملكيين (الشرح يحضب) و (يأزل بين) . وقد وردت فيه أسماء اشخاص من (بني سارن) (بني ساران) و (يحيلم) و (نعمت)

Ry 535, Le Muséon, 69, (1956), P. 139, BOASOOR., ١

NUM., 145, 1957, P. 25.

٢ أي النص :

٣ (رحبة صنعاء) ، (وبلد بكيل من نصف الرحبة ، رحبة صنعاء الى نجران) ، الصفة (ص ١١١ ، ٢٢٧) .

٤ Glaser, Abessl., S. 121.

٥ « قيل هو من بناء سليمان » ، اللسان (٣٢٧/٣) ، Beiträge, S. 19.

(نعمة) و (موضع)^١ . وقد جاءت أسماء هؤلاء في النص CIH 411 الذي دوتوه تقريباً الى الإله (الملقه شهون بعل اوم) (الملقه شهوان بعل أوام)^٢ .

ويتحدث النص : Jamme 115 عن معارك وقعت بين أعداء (تجمعوا وقتلوا) في وادٍ سقط اسمه من النص . وقد انتصر (الشرح يحضب) على أعدائه وغلبهم^٣ .

ويتحدث النص بعد ذلك عن حرب أعلنها الملكان على حمير وحضرموت ، غير انه لم يذكر أية تفاصيل عنها . وكل ما ورد فيه ان حمير انضمت من بعد الى سبأ وذو ريدان ، واشتركت معها في بعض الحروب . ومعنى هذا انها عقدت معاهدة صلح وانها حالفت الملكين^٤ .

ويرى بعض الباحثين ان النص : REP. EPIG. 4336 ، الذي ذكرت فيه حرب وقعت بين (شمر ذي ريدان) من جهة و (ابانسم بن معهر) ، أي (أبانسم بن معهر) (أب أنس بن معهر) ، أو من (آل معهر) (معاهر) و (بنحولم) وملك سبأ، وملوك حضرموت ، من جهة أخرى ، هو من النصوص المتأخرة التي دوت بعد النص المتقدم ، أي بعد النص : Jamme 115 دوت بعد ياس حضرموت وحلفاء (شمر ذي ريدان) من احراز أي انتصار كان على (الشرح) ، ففترقوا لهذا السبب عن (شمر) وانضموا الى جانب الملك (الشرح) ، وخلصوا (شمر) . ولهذا نجد حضرموت مع (الشرح يحضب) في محاربة حليفها السابق (شمر ذي ريدان)^٥ .

ومحدثنا نص ناقص لم يدون تدويناً صحيحاً حتى الآن ان ثورة صهرت في أيام (الشرح يحضب) قام بها (أيسن) ، أي (انسان) ثار على الآلهة ، اسمه : (نمرن) (نمران) او انه كان من عشيرة تسمى بـ (نمران) ،

REP. EPIG., VII, I, P. 99. ١

CIH 411, CIH, IV, II, I, P. 88. ٢

Mahram, P. 323. ٣

Mahram, P. 323. ٤

REP. EPIG. 4336, SE. 101, Mahram, P. 324. ٥

Mahram, P. 324. ٦

وتجراً على آلفته بثورته هذه على (ملك سبأ وذى ريدان)^١ . ثم يذكر النص ،
 الا انه بفضل الآلهة ورحمتها تمكن (الشرح يحضب) من تأديب هذا الغسر :
 هذا (الانسان نمران) (أيسن نمرن) الذي حارب الآلهة والبشر (انسن) ،
 بل حارب حتى ذوي قرابته ورحمه ، فاستحق العقاب . وانه شكراً للإله (عثر
 ذو ذبن بعل بحر حطيم) ، أي الإله (عثر ذو ذبن رب معبد بحر حطيم)
 الذي ساعد عبده (الشرح يحضب) ومنّ عليه بالنصر والعافية والخير ، وعلى
 قصره : (سلحن) (سلحان) (سلحين) و (غندن) (غندان) ، أي
 (قصر غندان) بصنعاء ، وعلى (صرواح) ، وادام عليه نعمه ، ووقاه كل
 بأس^٢ ، تيمناً باعلان ذلك للناس ، ليحمدوا الإله ، وليشكروا نعم الآلهة
 عليهم ، ولتدعيمها عليه بحق : (عثر) و (هوبس) و (المقه) و (ذات
 حم) (ذات حميم) ، (ذات حمى) و (ذات بعدن) (ذات بعدان) ذات
 بعدان) و (شمس) (شمس) .

وقد يكون في تعبير (ايسن نمرن) (انس نمرن) ، ومعناه (الانسان
 نمران) ، بعض الاستهجان والازدراء بهذا الثائر ، الذي هو (رب شمس نمرن) ،
 أي (رب شمس نمران) أحد (اقول) أقبال قبيلة (بتع) على رأي بعض
 العلماء^٣ . وقد ورد اسمه في كتابة دوتها رجال يظهر أنهم كانوا من أتباعه ،
 ومن قبيلة (بتع) ، وذلك لشكر الإله (تالب ريام بعل شصرم) ، لأنه
 منّ عليهم بالعافية ، وأسعد قلوبهم (رب شمس نمرن) (رب شمس نمران) ،
 وبارك على قبيلته^٤ .

ويظهر أن ثورة (نمران) (نمران اوكان) (نمرن اوكن) ، كانت ثورة
 خطيرة كبيرة على (الشرح يحضب) ، ولذلك كان القضاء عليها من الأمور
 المهمة بالقياس اليه^٥ .

CIH 429, IV, II, II, P. 114, Glaser, Abessl, S. 107,
 H. Derenbourg, Les Monuments Sabéens et Himyaritis de la Bibliothèque
 Nationale, 1891, P. 11.

(بن كل باس)
 Sab. Inschr., S. 40.

MM82, RW 118, CIH 164, Glaser 148, REP. EPIG. 3621, VI, I, P. 244,

J. Ryckmans, L'institution, P. 164, Mahram, P. 326.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 481, A. Jamme, Sabeen Inscriptions, P. 327.

إن (الانسان نمران) (انسن نمرن) (انسان نمران) الذي ثار على سيده وأغضب آلهته بثورته هذه ، هو (رب شمس نمرن) (رب شمس نمران) أحد أقبال (بتع) على رأي (موردتمن) و (ميتوخ) الذي ورد ذكره في إحدى الكتابات^١ . وقد دوتها رجال يظهر أنهم كانوا من أتباعه ، أي من قبيلة (بتع) شكراً للإله (تالب ريمم بعل شصرم) (تالب ريام بعل شصر) لأنه من عليهم بالعافية، وأسعد قبيلهم (رب شمس نمران) ، وبارك في قبيلته^٢ .

وقد ورد في أحد النصوص : (رب شمس نمرن بن بتع) ، أي (رب شمس نمران من آل بتع) . والظاهر أنه هو القيل المذكور في النص المتقدم الموسوم بـ MM 82 ، وبـ REP. EPIG. 3621^٣ . وقد ذكر (فليبي) أن (رب شمس) هذا ، هو الملك (رب شمس نمران ملك سبأ وذي ريدان) . وذكر أن هذا الملك عرف بواسطة هذا النص الذي عثر عليه في (مأرب) ، واستنتج من ذلك أن هذه الأسرة أسرة (بتع) التي تقطن في الهضبة هضبة همدان ، امتدت نفوذها حتى بلغ السهل الذي تقع به (مأرب)^٤ . ولا أدري كيف توصل (فليبي) إلى أن (رب شمس نمران) الذي هو من (آل بتع) أي هذا القيل هو الملك (رب شمس نمران) الذي هو (ملك سبأ وذي ريدان) فليس في هذا النص الذي أشار إليه إشارة يمكن أن يستدل منها على أن (رب شمس نمران المذكور فيه ، هو ملك من ملوك سبأ وذي ريدان . فهذا النص لا يخصه اذن ، وإنما هنالك نص آخر رقه : REP. EPIG. 4138 ورد فيه (رب شمس نمران ملك سبأ وذي ريدان)^٥ ، وهو نص لم يشر إليه (فليبي) سأحدث عنه في حديثي عن هذا الملك .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن النص المذكور لم يكن يقصد ثائراً من أهل اليمن ثار على الآلهة والإنسان ، وإنما قصد به حملة (أوليوس غالوس) ، التي جاءت من الخارج إلى اليمن . وهي معادية بالطبع لأهل اليمن ولآلهتها ، فشكر

١ Sab. Inschr., S. 40.

٢ MM82, RW 118, CIH 164, Glaser, 148.

٣ MM82, REP. EPIG. 3621, VI, I, P. 244.

٤ Background, P. 107.

٥ REP. EPIG. 4138, VA 3820, 3843, REP. EPIG., VII, I, P. 96.

(الشرح يحضب) الذي كان هو الملك يومئذ آلهته ، لأنها نصرتة على القادمين
المغربين ، وأنقذت شعبه منهم^١ .

ويعارض (جامه) Jamme رأي من يقول ان المراد من النص: CIH 429
حملة (أوليوس غالوس) ، ويرى أن المراد من (نمران) هو (نمران أوكان)
(نمرن اوكن) الذي ورد اسمه في النصوص Jamme 594 Jamme 684^٢
Jamme 711 Jamme 739 Jamme 758 .

وقد ورد اسم (نمران أوكان) مع اسم أخيه (جحضم احصن) ، وهما
ابنا (سعدم) (سعد) في النص Jamme 594 ، كما ورد في هذا النص اسما
الملكين : (الشرح يحضب) و (يازل بين) . أما النصوص الأخرى ، فلم
يذكر فيها اسم (يازل بين) . وقد استنتج (جامه) من ذلك أن صاحب
النص : Jamme 594 كان قد دونه في أيام حكم الملكين . أما النصوص الأربعة
الأخرى ، فقد دوت بعد ذلك ، دوت في أيام انتقال الحكم الى (الشرح
يحضب) ، أي الى أيام انفراد هذا الملك بالحكم وحده بعد الحادث المجهول
الذي لا نعرف من أمره اليوم شيئاً والذي أدى الى إغفال اسم (يازل بين)
في النصوص .

ويظهر من النصين : Jamme 739 و Jamme 758 انه كان تحت إمرة
الأخوين (نمران أوكان) و (جحضم احصن) قائدان كبيران بدرجة (مقتوى).
ومعنى هذا ان هذين الأخوين كانا من أصحاب القوة والسلطان في هذا العهد ،
ولا يستبعد أن يكونا قد ألّفا جيشاً خاصاً بهما ، يحاربان به . ويرى (جامه)
ان الشعور بالعظمة قد ركب رأس (نمران أوكان) ، حتى دفعه الى الثورة على
سيده (الشرح يحضب) على النحو المذكور في النص : CIH 429^٣ .

وقد ذكر اسم (يازل بين) بعد اسم شقيقه (الشرح يحضب) في الكتابة
CIH 954^٤ . وقد نعتا فيها بـ (ملكي سبأ وذو ريدان) . وقد ورد فيها اسم
(المقه بل مسكت ويث وبران) . وهي من بقايا نص سقطت أسطره الأولى،

Ryckmans, 122a, CIH 429, Beiträge, S. 34. ١
Mahram, P. 327. ٢
Mahram, P. 327. ٣
CIH 954, Bombay 30. ٤

وذكرت فيه أسماء عدد من الرجال من (بني جلدن)^١ .

وذكر اسمها على الترتيب نفسه في النص CIH 398 ، وهو نص سقطت منه كلمات ، ولا سيما في الأسطر الأولى منه^٢ . فسبب سقوطها عدم فهمنا المراد فهماً صحيحاً . وقد دعيا في النص بـ (ملكي سبأ وذوي ريدان) . غير أننا نلاحظ أيضاً أنه ذكر في السطر الثامن منه اسم (شعرم أوتر) ، ونعته بـ (ملك سبأ وذوي ريدان) ، مع أن (شعرم أوتر) (شعر أوتر) كان خصماً للملكين (الشرح يحضب) و (يأزل بين) ، فلم ذكر معهما في النص ؟ وعلى أي محمل نحمل هذا القول ؟ ونلاحظ أن كلمة (مراهم) (مرأهم) أي (سيدهم) (سيده) ذكرت مباشرة قبل اسم (شعر أوتر) ، كما ذكرت كلمة (مراهمي) أي (سيديه) أو (سيديهم) قبل جملة (الشرح يحضب واخييه يأزل بين) أي : (الشرح يحضب وأخيه يأزل بين) . فنرى من هذا النص أن صاحبه نعت الثلاثة : (شعر أوتر) و (الشرح يحضب) وأخاه (يأزل بين) ملوكاً على (سبأ وذوي ريدان) . فهل يدل هذا على أن هؤلاء الثلاثة حكموا حكماً مشتركاً وفي وقت واحد ؟ وقد كان (شعر أوتر) يحكم في مكان بينما كان (الشرح) وأخوه (يأزل) يحكمان في مكان آخر ، وإن صاحب النص أو أصحابه كانوا يملكون أرضين في جزئي المملكة ، لذلك اضطر أو اضطروا إلى ذكر الملوك الثلاثة في النص ؟

هذه أسئلة تصعب الإجابة عنها بالإستناد إلى هذه الكتابة التي لم تتعرض لعلاقات (شعر) مع (الشرح) وأخيه ، ولا يمكننا استخراج أي جواب منها مقنع في هذا الوقت .

ويرى (هومل) أن السبب الذي من أجله ذكر اسم (شعر أوتر) في هذا النص هو لأجل أن ينتقم الإله (المقة) الذي دعا في هذا النص منه ، ولكي ينزل رحمته ونعمته على (الشرح) وعلى شقيقه (يأزل) . اللذين استطاعا في النهاية أن ينتصرا على خصمهما (شعر أوتر) ، وأن (شعر أوتر)

CIH, IV, III, II, P. 280.

CIH 398, Glaser 891, CIH, IV, II, I, P. 58, Winckler,

Die Sab. Inschr. der Zeit Alhan Nahfan's, S. 347, Hartmann,

Die Arabische Frage, S. 148.

هذا هو الذي قصده أحد النصوص ، حيث أشير الى الانسان الذي ثار على سيده^١ .

وقد وردت في هذا النص جملة (ارضن خولن) ، أي (أرض خولان) ، و (محرم بعل اوعلن) (محرم بعل أوعلان) ، و (شعب صروح) ، أي قبيلة صرواح .

ونشر في مجلة Le Muséon نص آخر . ذكر فيه اسم (الشرح يحضب) وقد وردت قبل اسم (الشرح يحضب) جملة (ملك سبأ وذو ريدان ابن) ، وقبلها ثلاثة أحرف هي : (ح م د) (حمد) ، وهي بقايا كلمة . ويظهر أن أصحاب النص قد تيمنوا بذكر اسم أحد أبناء (الشرح يحضب) ممن كانوا ملوكاً على سبأ وذو ريدان . غير أن هذا الاسم طمست معالمه بفعل العوامل الطبيعية وتقادم العهد ، فلم يبق منه أثر . وذكرت بعد (الشرح يحضب) جملة (ملك سبأ وذو ريدان)^٢ .

وقد لفتت بعض الكتابات ، قدر بعض الباحثين عددها بأحد عشر نصاً ، أو أكثر من ذلك بقليل ، أنظار العلماء اليها ، لأنها لم تذكر اسم (يأزل بين) خلافاً للكتابات الأخرى التي يربو عددها على هذا العدد ، والتي تذكر اسم الشقيقين معاً . فاستنتج من اغفال تلك النصوص لاسم (يأزل) أن حدثاً وقع له أخذه الى العالم الثاني ، وذلك في حياة أخيه (الشرح يحضب) ، فصار الحكم الى (الشرح يحضب) وحده ، وبقي على ذلك الى أن بدا له ما حمله على اشارك ابنه معه في الحكم ، فصار اسم ابنه يرد بعد اسمه في الكتابات^٣ .

ويواجه هذا الاستنتاج مشكلة ليس من السهل حلها . مشكلة عثور الباحثين على كتابات ورد فيها اسم (يأزل بين) مدوناً فيها بعد اسم أحد أبناء (الشرح يحضب) . ومعنى هذا ان (يأزل بين) لم يكن قد مات في أيام (الشرح) ، بل بقي حياً وشهد نفسه وفاة شقيقه ثم عاش فعاصر حكم أحد أبناء شقيقه . فلا يمكن الأخذ اذن برأي من يقول انه كان قد أدركه أجله في حياة أخيه ، اللهم

Handbuch, I, S. 93, Derenbourg, Biblio. Nation, 2. ١

Le Muséon, LXII, 1-2, 1949, P. 86, Nr. 404. ٢

Mahram, P. 326. ٣

الا اذا قلنا ان (يأزل بين) المذكور بعد (نشأ كرب يهأمن يهرجب) ، وهو ابن (الشرح يحضب) ، لم يكن (يأزل بين) شقيق (الشرح يحضب) ، بل شخصاً آخر ، كأن يكون ابناً لـ (وتر يهأمن) شقيق (نشأ كرب) ، أو ابناً لـ (نشأ كرب نفسه) . وعندئذ يكون في امكاننا الادعاء بوفاة (يأزل) شقيق (الشرح) في حياة أخيه .

وهناك احتمال آخر قد يكون مقبولاً للعقل أكثر من الاحتمال الأول ، هو احتمال بقاء (يأزل) حياً وادراكه أيام حكم أولاد شقيقه . وعندئذ يمكن تفسير اختفاء اسمه في الكتابات في الأيام المتأخرة من حكم (الشرح) بوقوع خصومة بين الأخوين اشتدت حتى أدت الى وقوع قطيعة بينهما والى حذف اسم (يأزل) ، وهو أصغر سنّاً من أخيه من الكتابات . أي الى خلعه وتجريده من اللقب الرسمي وهو لقب الحكم . وقد بقي مخصصاً لشقيقه حتى أدركت شقيقه منيته ، ثم مخصصاً لابن أخيه (وتر يهأمن) الى ولاية شقيقه (نشأ كرب يهأمن يهرجب) الحكم . فلما ولي (نشأ كرب) عرش (سبأ وذي ريدان) ، أشرك عمه معه في الحكم ، ولهذا أدرج اسمه من جديد في الكتابات ، ادرج بعد اسم (نشأ كرب) الملك الفعلي وارث العرش .

أما كيف أشرك (يأزل) مع ابن أخيه في الحكم ، وكيف عاد مرة ثانية الى الحياة الرسمية العامة ؟ فليس في استطاعتنا الجواب عن ذلك جواباً أكيداً . ولا يستبعد احتمال قيام أناس بالتوسط بين العم وبين ابن أخيه لاصلاح ذات بينهما ، وقد يكون (نشأ كرب) هو الذي صالح عمه وأرضاه ، لدافع شخصي ، أو لمصلحة رأها ، أو لاضطراره الى ترضيته ، لضعف مكانته أو شخصيته ، فأراد الاستعانة به لتقوية مركزه . على كل فاذا كان (يأزل بين) هذا ، هو (يأزل بين) شقيق (الشرح) فيجب أن يكون قد تقدم في السن حين عاد الى الحكم .

ولدينا نص من نصوص الـ (وتف) أمر به (الشرح) ولم يذكر اسم أخيه فيه ، وقد وجه به الى قبيلة (يرسم) في شهر (ذو نسر الأول) وفي وفي السنة السادسة من سني (معد يكرب بن تبع كرب) (معد كرب بن تبع كرب) من آل (حزفرم) (حزفر) ، وقد ذكرت فيه أسماء عدد من سادات هذه القبيلة . وفي النص حديث عن أحوال المزارعين والفلاحين والآبقين

الذين يهربون من المزرعة الى مزارع أخرى ، ولا سيما من الأرض التي يشمل أحكامها هذا النص ، وهي : وادي (يفعن) (يفعان) ، وأرض (يبلح) ، وهي من (رأس مة ن) الى (غضران)^١ .

وبتين من هذا النص أن الفلاحين ، وأكثرهم من المسخرين ، كانوا يفرّون من مزارعهم ، للتخلص من عملهم المرهق الشاق فيها ، ولعدم تمكنهم من كسب قوتهم ، فصدر هذا الأمر في معالجة هذه المشكلة . وهي مشكلة أدت الى تلف المزارع ، واعراض الناس عن الزراعة بسبب اكراه الفلاحين على العمل فيها سخرة ، ولقسوة أصحاب الأرض وموظفي الحكومة عليهم .

وقد عثر في أرض (شبام سخيم) على كتابة ، ذكر فيها (الشرح يحضب) وابنه ، وأقبال (سمعي) وهم من سخيم ، وذكر بيت (ريمان) . و(ريمان) هم من القبائل التي ذكرت في عدد من الكتابات^٢ .

وقد جاء اسم (الشرح يحضب) وحده في النصوص : (أحمد فخري : ٩٤ ، ٩٥ و ١٢٣) ، وهي من نصوص هذا العهد : عهد انفراد (الشرح) بالحكم ، متلقباً بـ (ملك سبأ وذئ ريدان)^٣ .

ويعود النص Jamme 571 الى هذا العهد كذلك ، وهو نص يتوسل فيه صاحبه الى إله بأن يمنّ عليه بالسعادة والعافية ، وبأن يبارك في أثماره (اثمرن) وفي حاصل حصاده (افقلم) ، وبأن يبعد عنه كل شرّ ، ويرد عنه كيد الكائدين ، وحسد الشائنين^٤ .

وأما النص : Jamme 567 ، فقد كتب في هذا العهد أيضاً . دونه رجل اسمه (ابامر اصدق) (أبأمر اصدق) (أب أمر اصدق) ، وهو من بني (صريهو معد كرب) (صريهو معد يكرب) ، وولده (برلم) (برل) ،

١ REP. EPIG. 4646, VII, II, 289, Rhodokanakis, Eine Altsüdarabische Watz

Inscript, 1937, S. 1-6, J. Ryckmans, L'institution, P. 179,

Mahram, P. 326, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 286.

Sab. Inscr., S. 38, MM 24, Beiträge, S. 19. ٢

Mahram, P. 326. ٣

Jamme 571, MaMb 189, Mahram, P. 57. ٤

و (كربةثت) (كرب عثت) ، وذلك عند تقديمهم ثلاثة تماثيل من ذهب^١ الى الإله (المقة هوان) ، وذلك لمناسبة نوم (برلم) الذي أصابه ألم به ، في شهر (عثر) من سنة (سمهكرب بن ابكرب) (سمهوكرب بن أبكرب) من بني (حذمت) (حذمة) ، ومناسبة الحكم الذي رآه في منامه وتحقق فيما بعد ، ومناسبة شفائه من مرضه . ولكي يديم نعمه عليهم جميعاً ، ويعطيهم ذرية طيبة صحيحة ، وثماراً كثيرة وحصاداً جيداً وغلة وافرة ، ويعين على سيدهم (الشرح يحضب ، ملك سبأ وذوي ريدان ، بن فرعم ينهب ملك سبأ)^٢.

والى هذا العهد أيضاً يعود النص : Jamme 572 . وقد دونه ضابطان كبيران (مقتوي) من ضباط (الشرح يحضب ؛ ملك سبأ وذوي ريدان) ، لمناسبة تقديمها تماثلاً من رصاص أو نحاس (صرفن) (صراف) ، وزن ثلاثمئة (رصف) ، تعبيراً عن حمدهما وشكرهما له ، لأنه من على سيدهما (الشرح يحضب) بالشفاء والصحة ، ونجاة من عاقبة مرضه (بن مرض مرض بهجرن مرب) ، بمدينة (مأرب) . ولكي ينعم عليه ويزيل عنه كل بأس (باستم) وكل أرق (مقيظم) أصابه، ولكي ينعم عليها ويسعدهما ويبعد عنها حسد الحاسدين وأذى الأعداء^٣ .

ويتبين من هذا النص أن مرضاً نزل بالملك (الشرح يحضب) ، وهو بمأرب وقد أصيب بأرق (مقيظم) وقلق ، ولم يذكر النص سبب المرض ، ولكن يظهر أنه كان قد أصيب بأعياء وتعب بدني ونفسي ، حتى استولى عليه الأرق والاضطراب ، ولهذا توسل هذان الضابطان الى الإله (المقة) بأن يشفي سيدهما بما ألم به .

وتعد الكتابات : Jamme 568 و Jamme 569 و Jamme 570 ، من نصوص هذا العهد . وصاحب النص الأول رجل اسمه (سعد شمس اسرع) وهو من (جرت) (جرة) ، وكان من أقبال عشيرة (ذمرى) . وقد

١ لقد ترجم (جامه) JAMME لفظة (ذهبن) ، أي ذهب ؛ (برونز) Bronze ، في كل ترجماته للنصوص الى اللغة الانكليزية ، مع أن لفظة (ذهب) معروفة لا تحتاج الى تفسير ، وأنا أخالفه في هذا الرأي .
٢ Jamme 567, MaMb 291, Mahram, P. 49.
٣ Jamme 572, MaMb 112, Mahram, P. 59.

قدم هو وابنه (مرثد يهحمد) مرثد يهحمد ، الى الإله المقه تمثالا ، ليمن على سيدهما الملك ، وليحفظه من كل سوء ، ولكي يبارك فيهما ويزيد نعمه عايهما وعلى أهلها من (جرت) وعلى قبيلتها قبيلة (سمهرن) سمهران^١ .

وقد قدم أصحاب النص : Jamme 569 ، وهم من عشيرة (مربان) (مربآن) ، تمثالا مؤنثا (صلمتن) ، ويظهر أنه يقصد تمثالا لامرأة - وذلك ليحفظوا برضى ملكهم (الشرح يحضب)^٢ . وأما النص : Jamme 570 فقد دونه رجل ، سقط اسمه الأول من النص ، وبقي نعته فقط ، وهو (ركبـن) ، أي (ركبـان) ، وقد قال عن نفسه : (عبد ملكن) ، أي عبد الملك ، يقصد خادماً للملك ، ذلك لأنه تمهل في عمله ، فلم يجمع غلة اليوم الثامن من المزرعة ، فكفر عن تمهله هذا وتجاهله أمر الإله (المقه) الذي كان عليه أن يقوم بخدمته وبأن يحضر موضع أداء الشعائر له ، وذلك بتقديمه ذلك التمثال وبأن يقوم بحني غلة المزرعة على نحو ما يرام^٣ . ويلاحظ أنه استعمل جملة : (ولشرح يدهو ولسنهو)^٤ ، أي : (وليشرح يده ولسانه) ، ويقصد بها التوسل إلى الإله (المقه) بأن يبسط يد الملك ولسانه ، أي يبارك في يده ولسانه ، كما تقول : يشرح الله قلبه ، فهي من التعابير المستعملة عند العرب الجنوبيين في ذلك العهد .

ولم يذكر اسم (يأزل بين) في النصين : REP. EPIG. 3990 ، و REP. EPIG. 4150 . وصاحب النص الأول هو (يجمر بن سخيم) وكان قبلاً (أقول) على عشيرة (سمعى) المؤلفة لثلث (ذي حجرم) . وقد قدم الى الإله (تألب ريام) (بعل كبدم) خمسة تماثيل لينعم ويبارك على سيده (الشرح يحضب) ، ملك سبأ وذي ريدان ، وعلى ابنه (وترم) (وتر) . وليبارك فيه وفي بيته (بيتو) (ريمان)^٥ .

Jamme 568, MaMb 295, Mahram, P. 53. ١

Jamme 569, MaMb 188, Mahram, P. 54. ٢

Jamme 570, MaMb 227, Mahram P. 55. ٣

الفقرة ١٣ من النص . ٤

REP. EPIG. 3990, Mahram, P. 328, MM 24, BU. San'a 1909, ٥

Jemen, II, 345, Sab. Inschr., S. 38.

والنص : REP. EPIG. 4150 صاحباه شقيقان ، (شرح عثت أريم)
وشقيقه (رثد ثون) تمثالا الى الإله (عثر ذ ذبن) (عثر ذو ذبان) ،
(بعل بحر حطيم) حامدين (حمدم) له وشاكرين ، اذ من عليها ، وأوفي
لها ما طلبا وسألا ، وكان ذلك في ايام (الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان
وابنه وتر)^١ .

وبلاحظ ان النصين لم يذكرنا بعد (وترم) لقبه ، ولم يكتبنا جملة (ملك
سبأ وذي ريدان) . ويظهر انهما كتبنا في أيام انفراد (الشرح يحضب) بالحكم.
وتولى ابنه (وتر) ادارة الأمور ، لمساعدة أبيه فقط ، ولم يكن قد منحه أبوه
يومئذ حتى التلقب بألقاب الملوك .

لقد بلغنا الآن نهاية ايام حكم (الشرح يحضب) لقد رأينا محارباً مقاتلاً
حارب الحبش ، وحارب حمير ، وحارب حضرموت ، وحارب قبائل أخرى .
لا يكاد يعود الى احدى عاصمته (مأرب) أو صنعاء ، ليستقر في قصره ومقره
حكمه : قصر (سلحان) أو (غمدان) وليستريح بعض الوقت ، حتى تشتعل
ثورة هنا أو هناك تدفعه الى ترك راحته والاسراع نحوها للقضاء عليها واخذها
حتى لا يمتد لهابها الى مكان آخر . لقد أجهده هذه الحروب وتلك الفن ،
فأتعبت جسمه ونهكت أعصابه ، حتى أصيب مراراً بأمراض وطفى عليه الأرق ،
وهذا ما حمل المقربين اليه على التوسل الى آلهتهم ، لئلا عليه بالشفاء وبنوم
هادئ مريح ، ولتمنحه الراحة والاستقرار ، وتبعد عنه الأتعاب وشر الأعداء
الأشرار وحسد الحاسدين ، دلالة على كثرتهم وتعبيراً عن تلك الفن المتتالية التي
كانت في تلك الأيام .

وقد كلفت هذه الحروب وتلك الثورات العربية الجنوبية أثماً باهظة ، وأنزلت
بها خسائر فادحة في الأرواح والأموال ، وأحلت بكثير من مواضعها الدمار والحراب ،
ونقصت عيش أهلها . فجعلتهم في حالة نفسية قلق مضطربة ، بدليل ما نجده
من توسلات ترتفع الى الآلهة تدعوها بأن تمن على عبيدها بنعمة الطمأنينة والهدوء
والاستقرار ، كما نشرت فيها الأوبئة والأمراض التي كانت تفكك بالناس بالجملة

REP. EPIG. 4150, VA 3846 + 5334, Mahram P. 328,

REP. EPIG., VII, I, P. 106.

فتكاً ، وأحلت الهلاك بالمزارع والحقول ، وبالمدن فردمت آبار ، عاشت عليها الزراعة والقرى والمدن ، واقتلعت الأشجار ، وأتلفت الحقول والمزارع ، وأوذيت مجاري المياه التي تسقيها ، وخربت مدن ، وأعمل في أهلها السيف ، أو سيقوا أسرى ، ووضع على هذا النحو لا بد أن يخلق تعاسة وبؤساً ، ويؤثر في الوضع العام بمجملته تأثيراً سيئاً ، يصير اراثاً ينتقل الى الطبيعة الجديدة^١ .

وقد لاحظ (ريكمنس) J. Ryckmans ان هذا الاقتتال وهذا النظام الانقطاعي يصادف زمن حلول الخيل محل الجمل في القتال في أواسط جزيرة العرب وجنوبيتها ، كما لاحظ W. Dostal أن جيوش العربية الجنوبية استعملت سروجاً جيدة لدوابها التي تخارب عليها ، وأن قبائل أواسط جزيرة العرب ، حسنت من أنظمتها وكفائتها في القتال مما أكسبها قدرة في الغزو بسرعة والانتقال من مكان الى مكان في مدة قصيرة ، فأكسبها شأنًا عسكرياً وسياسياً . فآثر كل ذلك في السياسة العامة للجزيرة ، إذ لم تبق القوى العسكرية محصورة في مناطق الزراعة في هضاب جنوب جزيرة العرب ، وانما انتقلت الى بقية أنحاء جزيرة العرب ، الى مواضع الآبار والرياض والعيون حيث تركزت الزراعة كما حدث في يثرب وفي الطائف وفي أماكن زراعية أخرى ، أو الى مواضع تقع على طرق قوافل مثل مكة ، أهلتها لأن تختص بالتجارة ، وأن تنال مكانة بها^٢ .

لقد وضع (جامه) حكم (الشرح يحضب) مع أخيه (يازل بن) ، اذ كانا يحكمان حكماً مشتركاً في حوالي السنة الخمسين قبل الميلاد ، وجعل نهاية هذا الحكم المزدوج حوالي السنة الثلاثين قبل الميلاد ، حيث حكم (الشرح) حكماً منفرداً لا يشاركه فيه أحد . وقد دام هذا العهد الى حوالي السنة العشرين قبل الميلاد أو بعدها بقليل^٣ .

واذا جارينا رأي (جامه) المتقدم ، ورأي الباحثين الذين ذهبوا الى أن حكم (الشرح يحضب) كان في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد ، وفي

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 451.

٢ W. Dostal, The Evolution of Bedouin Life, L'Antica Societa Beduina, Università di Roma, Studi Semitici 2, 1959, P. 11-34,

Le Muséon 1964, 3-4, P. 452.

٣ Mahram, P. 390.

الربع الأخير منه ، جاز لنا القول بأن (إلساروس) Iasaros ، الذي ذكره (سترابون) على انه ملك السبثيين في أيامه ، وكانت في عهده حملة (أوليوس غالوس) هو هذا الملك (الشرح يحضب)^١ . ولكن جمهرة أخرى من الباحثين والمتخصصين في العرييات الجنوبية ترجع أيام (الشرح) الى ما قبل ذلك ، فقد جعل (فليبي) مثلاً حكمه فيها بين السنة (١٢٥) والسنة (١٠٥) قبل الميلاد^٢ .

هذا ، ويلاحظ ان بعض الكتابات التي أغفلت (يازل) ، ذكرت ابن (الشرح) بعد أبيه ، ودعت له ولأبيه بالعافية ودوام البركة والنعمة ، الا انها لم تنعته بنعت ، مما يدل على انه لم يكن يحمل لقب (ملك سبأ وذي ريدان) آنذاك^٣ .

وقد اختلف الباحثون في ضبط اسم الشخص الذي ولي^٤ الحكم بعد (الشرح يحضب) ، فقد وضع (فليبي) اسم (يازل بين) بعد (الشرح يحضب) ، دلالة على انه هو الذي حكم بعده ، ثم وضع (نشأكرب يهأمن يهرجب) من بعده ، وهو ابن (الشرح يحضب) ، ومعناه انه هو الذي حكم بعد وفاة عمه^٥ . اذ ان (يازل بين) هو شقيق (الشرح يحضب) كما رأينا .

ووضع (فليبي) اسم (وتر يهأمن) بعد (نشأكرب يهأمن يهرجب) ، وهو كذلك أحد أبناء (الشرح يحضب) . ويرى بعض الباحثين أن (وترأ) اتخذ لقب (يهأمن) بعد اعتلائه العرش ، وكان قبيل ذلك يعرف بـ (وتر)^٥ . وقد ورد اسمه في عدد من الكتابات^٦ .

أما (ريكمنس) ، فقد دوّن اسم (يازل بين) بعد (الشرح يحضب) وقد جعله شريكاً له في الحكم ، ومعاصراً لـ (حيو عشتري يضع) ، وهو ابن (شعر أوتر) والمالك من بعده ، وآخر من حكم من أسرة (علهان نهقان) .

Mahram, P. 390, Beiträge, S. 32, J. Ryckmans, L'Institution, P. 337.

Background, P. 142.

MM24, BU San'a 1909, Jemen, II, 345, Sab. Inschr., S. 38.

Background, P. 142.

Sab. Inschr., S. 39.

REP. EPIG. 4215, 4216, VII, II, P. 147, Mordtmann und Eugen Mittwoch,

Altsüdarabische Inschriften, Roma, 1933, S. 47.

(علهن نهفن) . ثم جعل الحكم في (نشأ كرب يهأمن) ابن (الشرح يحضب). وذكر معه اسم (وتر) غير انه لم يذكر انه ولي الحكم ، كما انه لم يذكر أي شيء آخر عنه . ثم ترك فراغاً ، ذكر بعده اسم (ذمر على بن)^١ .

وأما (جامه) ، فقد نصب (وتر يهأمن) ملكاً من بعد (الشرح يحضب) الذي هو أبوه، وجعل حكمه ملكاً في حوالي السنة (٥) قبل الميلاد ، حتى السنة (١٠) بعد الميلاد^٢ .

و (وتر يهأمن) ، هو (وتر) الذي تحدثت عنه ، وقلت إن اسمه قد ورد في النصين REP. EPIG. 3990 و REP. EPIG. 4150 اللذين ورد اسمه فيها غير مقرون بلقب ، ولا جملة (ملك سبأ وذئ ريدان) . أما في النصوص الأخرى ، فقد ذكر فيها لقبه ، وهو (يهأمن) ، وذكر بعده شعار حكمه ملكاً ، وهو (ملك سبأ وذئ ريدان)^٣ .

ويرى (ميتوخ) و (موردتمن) ان من المحتمل أن يكون (وتر يهأمن) المذكور في النصين : CIH 10 و CIH 258 ، هو (وتر يهأمن) هذا الذي نبحت عنه . وقد ذكرت بعد (وتر يهأمن) في النص CIH 10 جملة (ملك سبأ) . ويرى (ميتوخ) و (موردتمن) أيضاً ان ابن (الشرح) كان يعرف بـ (وترم) (وتر) وذلك قبل اعتلائه العرش . فلما أصبح ملكاً ، عرف بـ (وتر يهأمن) ، أي باتخاذ لقب (يهأمن) لقباً رسمياً له^٤ .

ويتحدث النص : Jamme 601 عن معارك وقعت في أرض (خولن جددن) (خولان جددان) ، تولى ادارتها وقيادتها (الرم يجعر) (الرام يجعر) ، وهو من عشيرة (سخيمم) (سخيم) ، وكان قبلاً (قول) على عشيرة (سمى) ، التي تكون ثلث قبيلة (حجرم). وهو صاحب النص ، والأمر بتدوينه . وقد ذكر فيه : ان سيده الملك (وترم يهأمن) (ملك سبأ وذئ ريدان ابن الشرح يحضب ملك سبأ وذئ ريدان)

J. Ryckmans, L'Institution, P. 337. ١

Mahram, P. 390. ٢

CIH 10, CIH 258, Geukens 4, Jamme 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, ٣

Ryckmans, in Oriens Antiquus, Roma, 1964, Vol., III, P. 68.

Sab. Inschr., S. 39. ٤

أمره بأن يسير الى عشائر (خولان) (خولن) ، ويؤدبها لأنها عصت الملك ، وشجعت قبائل أخرى على العصيان ، فانضمت اليها . وقد استطاع هذا القائد كما يذكر في نصه أن يقهر الثائرين ويحطم مقاومتهم ، ثم عاد بعد ذلك بغنائم كثيرة ، سرت الملك فشكر الإله (المقه هوان) (بعل أوام) الذي وفقه ونصره ، فقدم اليه تماثيل له ، تعبيراً عن شكره ، وعن منته عليه ، اذ نصره في معركتين مع قبائل خولان ومن انضم اليها ، اللتين قهر فيها أولئك الثائرين ، ولكي يزيد من نعمه عليه ، ويبارك في ملكه وفي أهله ويعطيه بركة في زرعه وقوة في جسمه . ويبعد عنه أذى الأعداء^١ .

والنص : Jamme 602 هو في معنى النص الأول وفي مضمونه ، وصاحبه هو (الرم يجهر) نفسه . وأما النص : Jamme 603 ، فقد أمر بتدوينه (فرعم بن مكرم) (فرع بن مقر) (الفارح بن مقر) ، وأولاده ، وهو من عشيرة (عقبان) (عقبن) ، وذلك لمناسبة انشائهم (سقه) ، أي (سقاية) صهرجياً و (زوداً) وصرحاً في (ذعقبن) (ذي عقبان) . وتيمناً بهذه المناسبة قدموا الى الإله المقه تماثلاً حمداً له وشكراً على أنعمه عليهم ، وكان ذلك في أيام : (وتر يهأمن ملك سبأ وذي ريدان)^٢ .

وشكر (وهم اصدق) (وهب اصدق) (وهاب اصدق) ، الإله (المقه) على نعمه التي أنعمها عليه . وتعبيراً عن حمده وشكره له ، قدم الى معبده (أوام) ثلاثة أصنام (تماثيل) ، وذلك في أيام (وتر يهأمن ، ملك سبأ وذي ريدان) ، ابن (الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان) . وقد سجل شكره هذا في نص ، وسمه الباحثون بـ Jamme 604 . ومما يلفت النظر فيه ورود جملة : (وبشمس ملكن تنف) ، أي : وبشمس الملك تنف ، ويقصد بها وبشمس إلهة الملك : ونعتها تنف^٣ .

والنصوص الثلاثة الأخرى ، هي في أمور شخصية ، لا صلة لها بالسياسة وبال حرب و ببقية النواحي من الحياة العامة ، كل ما فيها توسلات وتضرعات الى الآلهة بأن تمنّ على أصحابها بالخيرات وبالبركات وبالسعادة وبأولاد ذكور

١ Jamme 601, MaMb 205, Mahram, P. 102.

٢ Jamme 603, MaMb 87, Mahram, P. 104.

٣ Jamme 604, MaMb 207, Mahram, P. 107.

(أولدم اذكرم) ، وما شاكل ذلك^١ . ولذلك لا أجد فائدة في الكلام على مضمونها في هذا المكان .

وقد وضع (جامه) اسم (نشأكرب يهأمن يهرحب) بعد اسم (وتر يهأمن) في الحكم . و (نشأكرب) هذا هو أحد أبناء (الشرح) أيضاً ، فهو شقيق (وتر يهأمن)^٢ .

وقد حصل الباحثون على عدد من الكتابات من أيام حكم (نشأكرب) ، من جملتها الكتابة : Jamme 619 ، وصاحبها رجل اسمه (رب ايل أشوع) (ربشيل أشوع) ، وابنه (ددال) (دودايل) (دادايل) (داديل) من عشيرة (حلحلم) (حلحل) (حلاحل) . وقد كان (رب ايل أشوع) عاقب (عقيب) الملك على مدينة (نشقم) أي (نشق) . ويراد بـ (عقيب) (عاقب) ، درجة نائب الملك ، أو ممثله الذي يمثله ويدير مكاناً ما وقد دوّن كتابته عند شفائه من مرض ألمّ به وهو في مدينة (نشق) ، ومن اضطراب وقع له في معدته ، ومن سقوط بعيره بعثرة عثرها ، فسقط (رب ايل أشوع) من ظهره على ما يبدو من النص ، ولكي يحظى برضى سيده (نشأكرب يهأمن يهرحب) ، ملك سبأ وذي ريدان ابن الشرح يحضب ، ملك سبأ وذي ريدان)^٣ .

وسجل (رب ايل) وأخواه (يزد) (يزيد) و (هوف ال) (هوف ايل) (هوفيل) ، وهم من (ال ذخرم) (آل ذخرم) شكرهم وحملهم للإله (المقه شهوان) (بعل أوام) ، لأنه نجاهم مما ألمّ بهم من أمراض ، وخفف عنهم كل شين نزل بهم (تشينت هشين) ، ومن كل مصيبة ألت بهم فنهكتهم ، سجلوه على لوح وضعوه في معبد ذلك الإله ، كما أهدوا إليه صنماً ، أي تمثالاً ، تعبيراً عن شكرهم وحملهم له ، وكان ذلك في عهد هذا الملك الذي نتحدث عنه^٤ .

وجاء اسم (نشأكرب) في النص : REP. EPIG. 3563 ، وقد نعت فيه

١ السطر الحادي عشر من النص : Jamme 605
٢ Mahram, P. 390, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 272.
٣ Jamme 619, MaMb 178, Mahram, P. 120.
٤ Jamme 620, MaMb 150, Mahram, P. 121.

بـ (ايمن يهرجب) بدلاً من (يهاًمن يهرجب) . وفي النص : REP. EPIG. 4191
وقد سقط اسم أصحابه فيه ، وكانوا أقبالاً (اقول) على قبيلة سقط اسمها فيه
أيضاً ، وقد عبروا عن أنفسهم بـ (ادم نشأكرب) ، أي (عبيد نشأكرم) ،
على سبيل الأدب والتعظيم للملك . وقد ذكروا فيه أنهم أهدوا للإله (المقسه
بعل اوعلن) ، أي المقه رب (أوعلان) ، صنماً (صلمن) مصنوعاً من
صريف (صرفن) أي فضة أو رصاص أو نحاس ، بحسب تعريب الباحثين
لكلمة (صرف) (صرفان) ، وصنماً آخر من ذهب ، لأنه من عليهم
وأجاب كل ما سألوه^١ .

وقد سجل الملك (نشأكرب يهاًمن يهرجب) نصين آخرين ، أحدهما النص :
Jamme 611 ، والآخر النص Jamme 611 . دون في النص الأول أنه
أهدى لمعبد (المقسه شوان) ، وهو معبده المسمى (اوام) (بعل اوام) ،
صنمين ، أي تمثالين من ذهب ، لأنه أجاب دعواته (واستوفين كل دعت)
ووفى له كل ما طلبه منه ، وأعطاه (برق الخريف) ، (برق خرف) أي
الأمطار التي تتساقط في موسم الخريف ، فتحي الأرض وتغيث الزرع ، وذلك
في سنة (نشأكرب من معديكرب) من (فضحم) (فضح الثاني) ، ولأنه
حفظه من البرد (بردم) ، وربما قصد به مرض (البرداء) ، أي (الملاريا)
التي تجعل المريض وكأنه يرتجف من البرد . أو ربما قصد به نزلة أصابته ،
ومن (اريم) وقد ترجمها (جامه) بـ (جراد) ، ومن سحب الهوام
والحشرات التي ظهرت في هذا الموسم ، بمناسبة حدوث هذا البرق ، (بهيت برقن) .
ولكي يزيد في نعمه عليه ويباركها ، ويحفظه ويحفظ ملكه (ملكهمو) ويحفظ
جيشه (خمسهمو) (خيسه) ، ولكي يثبر (لثبر) ويحط (وضع) من شأن
كل شائىء وحاسد وعدو له^٢ .

وأما النص : Jamme 611 ، فيذكر فيه (نشأكرب يهاًمن يهرجب) ،
انه قدّم صنماً ، (صلمن) الى معبد الإله (المقه) ، وهو معبد (اوام)

REP. EPIG. 4191, SE. 68, Wien 72, Mahram, 336. ١

٢ ومجموع النصوص التي عثر عليها حتى الان تحمل اسم الملك (نشأكرب) على
أنه هو الأمر بتدوينها ، هو تسعة نصوص Jamme 610, MaMb 208,
Mahram, P. 107, 336.

(أوام) ، حمداً لذاته ، لأنه أعطاه كل ما أرادته وطلبه منه ، ووفاه له ، قدمه في شهر (هوبس وعشر) من سنة (نشأ كرب بن معد يكرب) من (خدمت) حذمة الثالث (ثلثن) . ولكي يديم نعمه عليه ، ويمنحه القوة والحول ، ويبارك في ملكه (ملكهمو) ، ويعز جيشه ، ويقهر أعداءه^١ .

ولدينا نص آخر من النصوص التي أمر (نشأ كرب) بتدوينها ، هو النص الذي وسم بـ Jamme 877 ، يخبر فيه انه أهدى لمعبد الإله (المقه شوان) ، وهو معبد (بعل أوام) ، صنماً (صلن) ، لأنه من عليه ، وأوحى إليه في قلبه بأن يقدمه إليه ، ولأنه أجاب كل ما سأله وطلبه منه . وقد أهداه له في شهر (هوبس) من سنة (سمه كـرب) (سمه كـرب بن ابكرب) من (خدمت) حذمة الثالث (ثلثن) . ولكي يديم نعمه عليه ، ويبارك فيه ، ويبعد عنه أذى الأشرار والأعداء ، وذلك بحق (المقه شوان) (بعل مسكت) و (يثو برن) (يثو برآن)^٢ .

وورد اسم هذا الملك في نص آخر وسم بـ Jamme 621 وصاحبه من عشيرة (عيلم) (عبال) (عبل) (عيل) ، من بني (ااذن) (أاذنان) (أاذن) . وقد دوتنه تعبيراً عن حمده لذات إلهه (المقه) الذي وفي له كل مطلب طلبه منه^٣ ، وذلك في عهد (نشأ كرب)^٤ ، كما ورد اسمه في النص : Jamme 622 وصاحبه (ابكرب اصصح) (أبو كرب اصصح) : وولداه (محمد يزن) (محمد يزان) (محمد يزأن) (محمد يزآن) ، و (أحمد يزد) (أحمد يزيد) ، وهم من (آل جرت) (جرة) ومن (آل انبر) (أنبر) (آل انبر) وقد دوتنا فيه حمدهما وشكرهما للإله (المقه) ، الذي أغناهم وأنعم عليهم بغنائم حرب أرضتهم ، ولكي يمن عليهم بتنفيذ أي أمر يكلفهم الملك (نشأ كرب) أباه ، ولكي يبارك في زرعهم وفي حاصلهم الشتوي وحاصل الخريف وحاصل الصيف ، ولكي يمنحهم البركة في أرضهم ويوفر لهم الماء لإسقاء زرعهم : ويبعد عنهم كل بأس (بن باسم) ويبعد الأرق عنهم ،

Jamme 611, MaMb 21, Mahram, P. 108. ١

Mahram, P. 336. ٢

« حدم بذت هو فيهمو بكل املا ستملوا » ، السطر الرابع من النص . ٣

Jamme 621, MaMb 171, Mahram, P. 122. ٤

وكل مكروه وكل أذى وحسد الشانئين البعيدين والقريبين^١ . ويلاحظ ورود اسم (أحمد) و (محمد) في هذا النص .

ويتحدث النص Jamme 612 عن حملة قام بها (احمد يغم) (أحمد يغم) ، وهو ابن (نشاي) (نشأى) ، وكان من كبار ضباط (مقتوى) الملك (نشأكرب) ، بأنه أهدى لمعبد (بل اوام) ، المخصص بعبادة الإله (المقه) صنماً من ذهب ، لأنه من عليه وأفاض عليه بنعمه ، وأيده في الحملة التي قادها مع أقبال (اقولن) وجيش الملك الى أرض حضرموت ، ولأنه أعاده سالماً بريئاً (اتو بريتيم) معافى بعد أن قتل رجلين ، ولكي يزيد في نعمه عليه وتوفيقه له ، وليبعد عنه أذى الشانئين^٢

والنص المذكور نص موجز ، لم يذكر أسماء المواضع التي حارب فيها جيش (سبأ وذي ريدان) في حضرموت ، ولا الأسباب التي أدت الى ارساله الى هناك . ويظهر من إيجازه هذا ومن عدم إشارته الى عودته بغنائم وأسرى وأموال ، ان الحملة المذكورة لم تكن حملة كبيرة . وإلا قادها الملك نفسه ، فقد كان من عادة الملوك عندهم ترؤس الحملات الكبيرة ، وإدارة الحروب بأنفسهم اذا كانت كبيرة ، ولو رئاسة شكلية أو رمزية . وعدم إشارة هذا النص الى وجود الملك مع رجال الحملة ، يشير كما قلت الى صغر حجمها ، وإلى أن الغاية التي أرسلت من أجلها لم تكن ذات خطر ، وقد تكون لمجرد تأديب قبائل من حضرموت تحرشت بسبأ أو عصت أمر ملك حضرموت . فأرسلها الملك (نشأكرب) لتأديب تلك القبائل الثائرة .

ونقرأ في النص : Jamme 616 خبر معارك اشترك فيها أصحاب النص ، وهم من بني (سخيم) سادات (بيت ريمان) . وكانوا أقبالاً (اقول) على عشيرة (يرسم) من عشيرة (سمعى) التي تؤلف ثلث قبيلة (هجرم) (هجر) ، كما كانوا من كبار ضباط الملك (نشأكرب) ، أي من درجة (مقتوى) . وقد نشبت تلك المعارك من امتناع عدد من القبائل عن دفع ما استحق عليها من ضرائب ، مما حمل الملك على ارسال حملة عسكرية اليها ، تمكنت من

Jamme 623, MaMb 238, Mahram, P. 122. ١

Jamme 612, MaMb 88, Mahram, P. 109, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 481. ٢

تأديبها واخضاعها ، فاضطرت عشائر (خولان جدد) (خولان جدد) الى ارسال ساداتها وأشرافها الى مدينة صنعاء (صنعو) لمقابلة الملك وعرض طاعتهم عليه وخضوعهم له . وقد رضي الملك عنهم ، وأدّوا ما استحق عليهم من إتاوة ، وبذلك نجحت هذه الحملة . وسر أصحاب النص - وهم قادتها - بهذا النصر^١ .

وتحدث النص بعد ذلك عن عصيان قبيلة (دوات) (دوات) وعشائرها ، وهي (اباس) (أباس) و (ابدعن) (ايدعان) ، و (حكمم) (حكم) و (حدلنت) و (غمدم) (غمد) و (كهلم) (كاهل) و (اهلني) (أهلاني) ، و (جدلت) (جدلة) و (سبسم) (سبس) ، و (حرم) (حرم) و (حرام) و (حجرلسد) و (أوم) (أوم) و (رضحتن) (رضحتان) من (حرت) (حرة) . وقد ثارت كل هذه العشائر، وعصت الملك ، وامتنعت من دفع الضرائب ، فاضطر الملك الى ارسال قوة عسكرية عليها ، التقت بها في أسفل الأودية (بسفل اوديتن) : (بارن) (بثران) (بآرن) (بآران) و (خلپ) و (تدحن) (تدحان) ، فانتصرت عليها ، أي على العشائر الثائرة ، وأخذت منها غنائم كثيرة وأسرى^٢ .

وعثر على كتابات أخرى ، ورد فيها اسمه ثم اسم (يازل بين) من بعده ، وذلك على هذا النحو : (نشأكرب يها من يهرحب ، ملك سبأ وذوي ريدان ابن الشرح يحضب ، ويازل بين ، ملكي سبأ وذوي ريدان) . وقد أوجد ورود هذا الاسم - وذلك كما ذكرت سابقاً - للباحثين الذين قالوا بوفاة (يازل بين) في أيام حياة (الشرح) مشكلة ، خلاصتها : انه اذا كان (يازل بين) قد توفي في أيام شقيقه ، فلم ذكر اسمه في هذا النص وفي نصوص أخرى مثله ؟ أفلا يدل ورود اسمه في النص على انه لم يموت في ذلك العهد ولكن بقي حياً ، وعاد فحكم مع ابن أخيه (نشأكرب) ، بعد ترضيته أو لأسباب أخرى لا نعرفها ، فعاد اسمه ، فظهر مرة أخرى في الكتابات ؟

أما الذين أبقوا (يازل بين) حياً ولم يميتوه ، فانهم يعتمدون على هذه

1 Jamme 616, MaMb 154, 199, Ry. 538, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 481.

2 الفقرة ٢٣ فما بعدها ، وراجع النص : Geukens 6, Mahram P. 114.

النصوص في دعواهم ببقائه على قيد الحياة ، وبمشاركتة ابن أخيه في الحكم ، وأما غيرهم ، فقد تعمدوا الى حجج وأعداء في تفسير ما ورد في النصوص ، في جملتها ان ذكر اسمه لا يدل على بقاءه حياً حتى ذلك الزمن ، وان ذكره في الكتابات معناه الإشارة الى عم الملك ، وقد كان ملكاً ، وأن (نشأكرب) إنما ذكره ليبين للناس أنه سيسير على سنة أبيه وعمه في مقاومة أعدائه بتجريد الحملات عليهم ومحاربتهم ، وأنه سيخالف بذلك سياسة شقيقه (وترم يهأمن) الذي سلك خطة التهذئة وحل المشكلات بطريقة المفاوضات والسلم . ودليلهم على ذلك ، ورود جملة نصوص من أيامه ، فيها أخبار حروب وقاتل ، على حين لا نجد من أخبار القتال في أيام شقيقه غير خبر واحد ورد في نص واحد ، هو النص : Jamme 601 الذي مر ذكره^١ . ولكن ، هل نحن على علم يقين بأننا لن نعر في المستقبل على نص ما من أيام (وترم يهأمن) ، فيه نبأ عن حرب أو حروب ؟ ثم من يدر بنا أنه كان مسالماً ؟ أفلا يجوز أن يكون قصر حكمه ، هو الذي حال بينه وبين خوض المعارك ؟ ثم ما الدليل على أن ذكر اسم (يازل بين) في نصوص أيام (نشأكرب) ، معناه اتباع سياسته وسياسة شقيقه في الحرب ؟ وليس في النصوص أية إشارة ولا أي تلميح يدفعنا الى التفكير في هذا التفسير أو التأويل .

ومن الكتابات التي دون فيها اسم (يازل بين) بعد اسم (نشأكرب) ، الكتابة : Jamme 608 . وصاحبها هو الملك (نشأكرب يهأمن يهرحب) نفسه^٢ . وقد دونتها حمداً للإله (المقه شوان) (بعل اوام) وشكراً له على نعمه وإفضاله ، وذكر أنه قدم في هذه المناسبة صنماً أي تمثالاً من صريف (صرفن) فضة أو رصاص أو نحاس زنته ألف (رضى) (رضىم) ، ليكون تعبيراً عن شكره ، وتقربه إليه^٣ .

وتعد الكتابة : REP. EPIG. 4233 من كتابات هذا العهد ، وصاحبها رجل اسمه (يصبح) وقد سقط اسم أبيه من النص . وقد ذكر فيها أنه قدم خمسة

Mahram, P. 330.

١ دون لقبه (يهأمن) ، اما في بقية النصوص فـ (يهأمن) . وقد يكون الخطأ في الاستنساخ .

٢ Jamme 608, MaMb 109, Mahram, P. 106.

تمائيل الى الإله (المقه هوان) ، لأنه من على عبده (يصبح) فأفاض عليه
بنعمه ، وأجزل له العطاء : ومنحه رضى سيده الملك ، ولكي يديم نعمه هذه
عليه ، ويبعد عنه كل أذى وشر ، بحق الإله : المقه^١ .

والى هذا العهد أيضاً تجب إضافة النص : Jamme 611 ، الذي سبق أن
تحدثت عنه في أثناء كلامي على الكتابات التي أمر الملك (نشأكرب) بتدوينها
باسمه ، إذ ذكر فيها اسم عمه (يأزل بين) .

لقد انتهيت الآن من كلامي على (آل فرعم ينهب) ، ووجب عليّ
التحدث عن أسرة جديدة حكمت (سبأ وذا ريدان) ، هي أسرة يبدأ حكمها
بحكم (ذمر على بين) . ولكنني أرى التحدث عن أسرتين كان لهما شأن في هذا
الزمن : أسرة (وهب اوم يصف) (وهب اوم ياضف) ، وأسرة (سعد
شمس أسرع) (سعد شمس أسرع) .

وقد ورد اسم (وهب اوم يصف) (وهب اوم ياضف) (وهب اوم
يصف) في عدد من الكتابات ، وذكر مع اسمه اسم شقيق له يعرف بـ (يدم
يدرمد) . وقد عاصرا الملك (الشرح بحضب) ، كما عاصرا (نشأكرب يهأمن
يهرحب) . وقد عرفنا من الكتابات أسماء عدد من أولاد (وهب اوم ياضف)
(وهب اوم يصف) هم : (جمعنت أزاد) (جمعنت ازاد) ، و (ابكرب
اسعد) (أبو كرب أسعد) و (سخيمم يزان) (سخيم يزأن) و (وهب
اوم يسبر) (وهب اوم يسبر) ، و (نشأكرب يدرمد) (نشأكرب يدرمد)^٢ .

ويظهر من النص : Jamme 616 ان (وهب اوم) وأخاه ، كانا من
عشيرة (سخيم) ، وكانا (ابعلا) على بيت ريمان (ابعل بيتن ريمن) أي
أصحاب (بيت ريمان) ، وكانوا أقبالا على عشيرة (برسم) من قبيلة (سمعى)
التي تكون ثلث (ذي هجرم) . فيظهر منه ومن النص : Jamme 718 انهما
كانا من عشيرة (سخيم) ، أي سخيم^٣ .

REP. EPIG. 4233, Background, P. 98, REP. EPIG., VII, II, P. 166,

Le Muséon, LXI, 3-4, (1948), P. 232.

Mahram, P. 332.

Jamme 616, MaMb 199, Mahram, P. 113, Jamme 718, MaMb 56,

Mahram, P. 202.

وقد كانت أسرة (وهب أوم) وأولاده ، وشقيقه (يدم) تستغل أرضين حكومية تابعة للملك ، أجراها لها الملك (الشرح يحضب) وفق أمر ملكي أصدره باسمه ، وأعلنه ، عثر عليه الباحثون ، فوسموه بـ REP. EPIG. 4646 . وقد ذكر في النص اسمي ولدين من أولاد (وهب أوم) ، هما : (جمعت) ، و (اكرب) ، كما أشير الى عشيرة (يرسم) و (سخيم) . وهو من النصوص المهمة التي تتعلق بالزراعة وباستغلال الأرضين في ذلك الزمن .

وأما أسرة (سعد شمس اسرع) (سعد شمس اسرع) ، فان أهميتها تزيد على أهمية الأسرة المتقدمة ، إذ كانت لاسمها صلة بالملك (الشرح يحضب) ، كما جاء في النصوص : Jamme 626 و Jamme 627 و Jamme 628 ، Jamme 629 و Jamme 630 . فقد نسب (سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد) في النصوص المذكورة الى (الشرح يحضب) ، فذكر أنهما (ابنا) الملك ، ولقبا فيها بـ (ملكي سبا وذايدين) ، أي ملكي سبا وذوي ريدان) ، مما يدل على أنهما كانا ملكين^١ .

وصاحب النص : Jamme 626 رجل اسمه (ينعم اذرح) (ينعم اذرح) ، وقد دوت مع اسمه اسم ولديه : (ابكرب) (أبكرب) (أبوكرب) و (كبرم) (كبر) ، وهم من (غيان) . واشترك معهم في تدوينه رجل آخر اسمه : (ناسم) (ناسم) (نأس) ، وكانوا أقبالا على قبيلة (غيان) . وقد ذكروا أنهم أهدوا صنما الى الإله (المقه شوان) (بعل أوام) كما أوحى اليهم ، حمداً له وشكراً ، إذ من عليهم ، ومنحهم السعادة والعافية ، وجعل (سيداهم : سعد شمس اسرع وابنه مرثد يهحمد ، وهما ملكا سبا وذوي ريدان وابنا الشرح يحضب ملك سبا وذوي ريدان)^٢ يرضيان عنهم ، ولكي يديم الإله المقه نعمه عليهم ، وذلك بحق عثر وهوبس والمقه وذات حيم وذات بعدان

١ Le Muséon, 1967, 1-2, P. 272.

٢ (رضو وحطى مراهمو سعد شمس اسرع وبنوه مرثد يهحمد ملكي سبا وذوي ريدان بني الشرح يحضب ملك سبا وذوي ريدان) ، الفقرة ٩ وما بعدها من النص :

Jamme 626, MaMb 146, Mahram, P. 124, Orlens Antiquus, Vol., III, 1964, P. 70.

وبشمس الآهة الملك الملقبة بـ (تنف) (تنوف) وبحق سيدهم (وبشهمو)
(حجرم قحهم) (حجر قحهم) (حجر قحام) ، بعل القلعتين (عرنهن) :
(تنع) و (لمس) .

وأما أصحاب النص : Jamme 627 ، فهم : (هوفعث يزان) (هوفعثت)
(يزأن) و (آل كبسيم) (آل كبسي) ، وهم أقيال (أقول) عشيرتي
(تنعم) (تنعم) و (تنعمت) (تنعمة) .

وقد ذكروا فيه أنهم أهدوا لمعبد (أوام) ، وهو معبد (المقة) ، صنماً
(صلماً) لأنه أوحى اليهم انه سيجيب مطالبهم ، وبوفي لهم كل ما سألوه من
دعوات ، فيتزل عليهم الغيث ، ويمطرهم بوابل الخير والبركات ، ويسقي جانبي
وادي (بعد) (يعود) و (اتب) (أتب) وأرضاً من أرض (تنعم)
(تنعم) ، ولأنه أنبأهم بأنه سيملاً (ماخذ هو) ، أي سد (يفد) وأرض
يفد بأمطار الربيع وبأمطار الخريف ، وبماء جار دائم ، وبأنه سيرفع حظونهم
عند (سعد شمس أسرع وعند ابنه مرثد يهحمد ملكاً سباً وذو ريدان ، ابني
الشرح يحضب ، ملك سباً وذو ريدان) ويقربهم اليها تقرباً يرضيهم ، ولأنه
وعدهم بأنه سيمنحهم السعادة والمال والطمانينة ، وانه سيسرّ خواطرهم ،
ويمنحهم غلة وافرة وأثماراً غزيرة وحصاداً طيباً ، وذلك بحق الآهة : (عثر)
و (هويس) و (المقة) و (بلذات حميم) و (بلذات بعدان) وبحق (شمس
ملكن تنف) ، أي : بحق الشمس إلهة الملك الملقبة بـ (تنف) ، وبحق
(المقة) (بعل شوحط) ، وبحق (شهمو بعلت قييف رشم) ، أي :
(الشمس) ربة (قييف رشم) (قييف رشام) ، وقد جعلوا نذرهم تقدمة
للإله (عثر شرقن) (عثر الشارق) و (المقة بعل أوام)^١ .

وأما النص Jamme 628 ، فهو النص المتقدم نفسه ، فلا حاجة بنا الى
الكلام عليه . وأما النص : Jamme 630 ، فانه كالنصوص السابقة : حمد
وشكر للإله (المقة شوان) (بعل أوام) ، لأنه منّ على (لحيعثت اصححل)
وهو من (يهن) (يهان) ، بكل ما سألّه وطلبه منه ، وأمطره بشآبيب

نعمه وافضاله ، وبوابل من فضله ، ورفع منزلته وأعطاه الحظوة عند (سعد شمس اسرع) ، وعند ابنة (مرثد يهحمد) ، ملكي سبأ وذي ريدان ، ابني الشرح يحضب ، ملك سبأ وذي ريدان . ولكسي يديم نعمه عليه ، ويتمها عليه وعلى بيته ، ويعطيه أثماراً وحصاداً جيداً كثيراً من كل أرضه (بن كل أرضتهمو) ، وبقية من كل الأمراض والآفات .. بحق (عثر) و (هوبس) و (المقة) و (بلدات حميم) و (بلدات بعدان) وبحق (شمس ملكن تنف) شمس إلهة الملك تنف^١ .

والنص Jamme 629 هو من أهم النصوص المذكورة ، لورود أخبار ومعارك وحوادث تاريخية فيه لم ترد في أي نص آخر من النصوص المعروفة عن هذا العهد وعن هذه الأسرة وصاحب النص رجل اسمه (مرثدم) وقد سقط لقبه في النص ، وقد دوّن اسم ابنه : (ذرح اشوع) (ذرح أشوع) معه ، وهما من (جرفم) (جراف) (جرف) أقبال عشيرة (يهب عيسل) (يهبعيل) . وقد دوّناه عند تقديمها صنماً إلى الإلهة (المقسه شهوان) (بعل أوام) ، حمداً له وشكراً ، لأنه وفقها وأسبغ نعمه عليها ، ولأنه وفق (ذرحن) (ذرحان) في كل المعارك والحروب التي خاضها لمساعدة سيديه (سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد) (ملكي سبأ وذي ريدان) ، ابني (الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان)^٢ .

وقد حمد (ذرحن) (ذرحان) إلهه وشكره إذ نجاه من المعارك التي حدثت في أرض عشيرة (ردمان) (ردمن) ، تلك المعارك التي هاجمها حلف تكوّن من (وهب ايل) ، الذي هو من (معاهر) ومن (خبولان) وحضر موت وقتبان وردمان ومضحيم (مضحي) ومن كل من انضم اليهم من ناس (وكل انس)^٣ ومن أعراب ، وذلك لمغاضبة سيديها ملكي سبأ ومعارضته^٤ .

١ Jamme 630, MaMb 267, Mahram, P. 131.

٢ Jamme 629, MaMb 203, Mahram, P. 129, Oriens Antiquus, Vol., III, 1964, P. 70.

٣ (وكل انس) ، السطر السابع من النص .

٤ (واعرب) ، السطران السابع والثامن من النص .

ويظهر أن (ذرحان) كان قد حوَّصر أو وقع في مشكل في أرض ردمان ، وربما في (وعلان) ، عاصمة (ردمان) ، وبقي محاصراً أو في وضع حرج صعب حتى جاءت قوات انقلته مما وقع فيه ، وعاد فالتحق بجيش سيديه الملكين لمحاربة ذلك الحلف^١ .

وقد أسرع الملكان ، فعبّأ جيشها ومن كان معها من تبع (ادمهمي) ومخاربين (ذبن اسبعن) وأقيال ، واتجهوا نحو (وعلان) ، حيث واجها الأحلاف : واجها (بدع ايل) ملك حضرموت ، ومن معه من أهل حضرموت و (نبطم) (نبط عم) ، ملك قتبان ، ومن كان معه من أهل قتبان ، و (وهب ايل) من (معاهر) وخولان و (هصبح) و (مضجيم) ، ومن كانوا معهم . وقد جرت معارك انتهت بانتصار (ملكي سبأ وذي ريدان) على رجال الحلف^٢ . ولم تذكر الأسطر التي دون فيها خبر هذه المعارك أسماء المواضع التي نشب فيها القتال : ولم تأت كذلك بأية تفاصيل عنها ولا عن فداحة الخسائر التي منيت بها قوات ذلك الحلف .

ويظهر أن (ذرحان) كان قد ترأس قوة مؤلفة من مقاتلين من (فيشن) (فيشان) ومن (يهبعيل) (يهب عيل) ، وأخذ يهاجم بها بعض الأعداء ، إلا أنه وقع في وضع عسكري حرج ، إذ حاصره أعداؤه ، ولم يتمكن من النجاة بنفسه وبقواته إلا بعد اسراع الملكين أنفسهما على رأس قواتهما لفلك الحصار عنه . وقد نجحا في ذلك ، وسلم مع قواته من الوقوع في الأسر . ولما خلاص ونجا ، أخذ يهاجم فلول بعض الأعداء ، فنجح في هجومه وحصل على غنائم وأموال^٣ . وعاد فانضم إلى جيش الملكين ، وعاد الملكان إلى مدينة (مأرب) سالمين غانمين^٤ .

ويتحدث (ذرحان) بعد ذلك عن معارك نشبت في منطقة مدينة (حلزوم) ومدينة (مشرقن) (مشرقتان) (المشرقة) . وكان (ذرحان) يحارب مع

١ Mahram, P. 342.

٢ السطر التاسع فما بعده من النص .

٣ Mahram, P. 342.

٤ الفقرة : ٢٣ من النص .

جيش الملكين في خلال هذه المعارك . وقد حاصر جيش الملكين مدينة (حلزوم) ثم افتتحها وأباحها فأخذ ما وجد فيها من أموال ، ثم هاجم المواضع الأخرى على جانبي الأودية والسهول ، وتركها للنهب والسلب ، ودمر المعابد (الحرم) (محرمات) والهياكل (وهيكلت) ، وخرب كل المساقى (مسقى) التي تروي الأرضين في هذه المناطق^١ . وبذلك انتهت معارك هذه المنطقة بتفوق الملكين على أعدائهم . ويظهر أن الجيش لم يتمكن من افتتاح مدينة (مشرقن) (المشرقة) ، فبقيت صامدة مقاومة ، حتى اضطر إلى ترك حصارها والإرتحال عنها .

ثم ينتقل النص إلى الحديث عن معارك أخرى أدت إلى احتلال مدينة (منوبم) (منوب) ، وكل مدن (كل هيجرن) ومصانع عشيرة (أوسن) (أوسان) ، وإلى الاستيلاء على مدينة (شيعن) (شيعان)^٢ . ولم يذكر شيئاً مفصلاً عن هذه المعارك ، ولا عن الأماكن الأخرى التي وقعت فيها ، ولا عن الغنائم والأموال التي أخذها الجيش من هذه المواضع . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (منوبم) ، هي (منوب) ، وهي من مدن (بني بدا) ، وأن وادي (منوب) من الأودية التي تصب في وادي حضرموت في غرب (الحوطة) ، التي تقع على مسافة عشرين كيلومتراً من جنوب شرق (شيام) . وأما شيعان فتقع على مسافة ثمانين كيلومتراً جنوب (تمنع)^٣ .

ثم يتحدث النص بعد ذلك عن معارك أخرى اشترك فيها (ذرحان) وقائد آخر اسمه (رب شمس يعر) (ربشمس يعر) . (رب شمس يعر) ، وهو من (علفقم) (علفق) (علافق) ، وكانا يحاربان في أرض قناب ، وقد وقعا على ما يظهر منه في وضع جرح ، وذلك في منطقة مستوطنات حضر (احضر) وأعراب . حتى وصلت أمداد إلى (تمنع) . وتمكنا بفضل (المقه) ورحمته بهما ومساعدته لهما من الخلاص والنجاة مما وقعا فيه ، ثم عادا مع الملكين ، وشقوا طريقهم إلى (مأرب) وعادوا جميعاً سالمين^٤ .

١ الفقرة (٢٥) فما بعدها إلى الفقرة (٣٠) .
٢ الفقرتان ٢٩ و ٣٠ من النص .
٣ Mahram, P. 342.
٤ الفقرة ٣١ وما بعدها .

ويظهر أن (مرثدم) (مرثد) أبا (ذرحان أشوع) كان في مدينة (صنعاء)
 (صنعو) وذلك بأمر من الملك للقيام بأعمال نيطت به ، كما ناط الملكان بخمسة
 أقيال آخرين القيام بأعمال خاصة بمدينة (رحبتن) (الرحبة) في خلال الحملتين^١
 وتقع مدينة (رحبتن) (الرحبة) (الرحابة) (رحبتان) على مسافة عشرين
 كيلومتراً شمال شرقي مدينة صنعاء^٢ .

ويظن أن الملك (نبطعم) (نبط عم) ملك قتيان المذكور في هذا النص ،
 هو الملك (نبطعم يهنعم بن شهر هلال) ، الذي حكم فيما بين السنة (٢٠)
 والسنة (٣٠) بعد الميلاد على رأي (جامه) . وقد حكم أبوه (شهر هلال يهنعم)
 فيما بين السنة (١٠) والسنة (٢٠) بعد الميلاد ، على رأيه أيضاً . و (نبطعم
 يهنعم) هو أبو الملك (مرثدم) ملك قتيان الذي حكم فيما بين السنة (٣٠)
 والسنة (٤٥) بعد الميلاد^٣ .

و (تمنع) المذكورة في هذا النص ، هي (تمنع) عاصمة قتيان . ولورود
 اسمها في هذا النص أهمية كبيرة ، لأنه يدل على أنها كانت موجودة في هذا
 الزمن ، وأنها بقيت الى ما بعد الميلاد : أي الى القرن الأول منه ، إذا ذهبنا
 مذهب (جامه) في التقدير المذكور^٤ .

هذا ، ونحن لا نعلم في الزمن الحاضر عن الملكين المذكورين شيئاً يذكر .
 وقد وضع (جامه) حكم (سعد شمس) وابنه (مرثدم يهنعم) فيما بين
 السنة (٢٠) والسنة (٣٠) بعلا الميلاد . أي انه جعل حكمهما بعد حكم الملك
 (نشأ كرب يهأمن يهرحب) ابن (الشرح يحضب) الذي انتهى حكمه في حوالي
 السنة (٢٠) بعد الميلاد على رأيه^٥ .

أما (فون وزمن) ، فوضع زمان حكم (سعد شمس أسرع) في حوالي
 السنة (١١٠) بعد الميلاد . ووضع زمان حكم (مرثد يهنعم) في حوالي السنة
 (١٣٠) بعد الميلاد . وذكر ان (الشرح يحضب) ، هو (الشرح يحضب)

١ الفقرة ٣٦ فما بعدها .
 ٢ Mahram, PP. 322, 342.
 ٣ Mahram, P. 391.
 ٤ Mahram, P. 343.
 ٥ Mahram, P. 390.

الأول الذي جعل ابتداء زمان حكمه سنة (٨٠) للميلاد . وهو من (مرثد) من (بكيل) ، والذي كان يحكم (شبام أقين) (شبام أقيان) . وقد أشار الى وجود ملك آخر اسمه (الشرح يحضب) ميّزه عن الأول باعطائه لقب (الثاني) وقد جعل زمان حكمه سنة (٢٠٠) أو (٢٠٦) للميلاد^١ .

وقد يذهب الظن الى ان الملكين المذكورين هما في الواقع (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) اللذين كانا من (جرت) جرة ، وكانا قبيلين على قبيلة (ذمرى) ، كما نُصّ على ذلك في الكتابات Jamme 568 و Jamme 606 و Jamme 607 و Jamme 753 . وكانا في خدمة (الشرح يحضب) وفي خدمة ابنه (وترم) ، لأن اسمي الملكين واسمي القبيلين أسماء واحدة ، ولأن زمانها وزمان الملكين زمان واحد ، الا ان هذا الظن يصطدم بكون القبيلين من (جرت) (آل جرة) ، ويكون الملكين من نسل (الشرح يحضب) ، كما يفهم ذلك من كلمة (بني) ، أي ابني بالثنائية الواردة بعد اسمها ولقبها وقبل اسم (الشرح) ، ولم يكن الملك من أسرة (جرت) (جرة)^٢ .

وجملة (سعد شمس أسرع) وبني مرثد يهحمد ملكي سبأ وذريدن بني الشرح يحضب ملك سبأ وذريدن) ، ومعناها : (سعد شمس أسرع) وابنه مرثد يهحمد ملكا سبأ وذري ريدان ، ابنا الشرح يحضب ، ملك سبأ وذري ريدان) ، الواردة في النص Jamme 629^٣ ، جملة مثيرة في الواقع تثير التساؤل عن المراد من لفظة (بني) المذكورة فيها ، فلو فسرناها بمعنى (ابني) أي ولدي (الشرح) اصطدنا بحقيقة ان (مرثد يهحمد) ، لم يكن ابناً للملك (الشرح) وانما كان حفيداً له ، والحفيد غير الابن في اللغة وفي التعبير . ولذلك صار هذا التفسير غير منسجم مع واقع الحال .

أما لو فرضنا أن البنوة المقصودة ، هي بنوة تبني ، أي ان (سعد شمس أسرع) لم يكن ابناً من صلب (الشرح يحضب) ، بل كان ابناً بالتبني جوبها بمعضلة أخرى ، هي أن (سعد شمس أسرع) لم يكن في عمر يتبنى فيه في العادة ، ثم إن ابنه نفسه كان قتيلاً أي في عمر لا بد أن يكون قد جاوز

١ Le Muséon, 1946, 3-4, P. 498.

٢ Mahram, P. 340, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 70.

٣ الفقرة الخامسة وما بعدها ، Le Muséon, 1967, 1-2, P. 289.

فيه سن المراهقة ، وهو أولى على كل حال من والده بالتبني بالنسبة الى سنه .
ولو كان التبني له ، لما جاز لأبيه أن يسمي نفسه ابناً للملك بالمعنى المفهوم من
التبني . لذا فنحن أسام معضلة لا يمكن حلها في الزمن الحاضر ، ولا يمكن
حلها إلا بعثور المنقبين على كتابات جديدة تتعلق بهذه الأسرة ، وبشخصية
(الشرح يحضب) نفسه ، فلعل (الشرح) رجل آخر ، حكم في غير هذا
الزمن .

ويفهم من النص : Glaser 1228 أن (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد
يهحمد) . وقد لقبا أنفسهما بلقب (ملك سبأ وذئ ريدان) كانا حليفين للملك
(ذمر على يهر) ، وقد حاربا معه الملك (وهب ال يحز) (وهب ايل يحز) ،
الذي كان مسيطراً على نجاد قبيلة (سمى)^١ . وقد انتصر (ذمر على يهر)
وحليفاه فيها ، غير أن هذا النص لم يكن حاسماً على ما يظهر .

أسرة فرعم ينهب :

- ١ - فرعم ينهب .
- ٢ - الشرح يحضب بن فرعم ينهب .
- ٣ - يازل بين بن فرعم ينهب ، أي شقيق الشرح يحضب .
- ٤ - نشأكرب بأمن يهرحب ، (نشأكرب يهأمن يهرحب) . وهو ابن
الشرح يحضب .
- ٥ - وترم يهأمن (وتر يهأمن) . وهو ابن الشرح يحضب . ومنهم من
يقدم (وتر يهأمن) على أخيه (نشأكرب يهرحب) .

الفصل الثامن والعشرون

سبأ وذو ريدان

أضفت في الفصل السابق اسمي الملكين (سعد شمس أسرع) و (مرثد يهحمد) الى آخر أسماء الملوك الذين حكموا بعد (الشرح يحضب) ، وذلك حكاية على لسان (جامه) وبحسب ترتيبه لأولئك الملوك ، ولما تراءى له من دراسته لطبيعة الأحجار المكتوبة التي عثر عليها ، ومن دراسته أساليب وأشكال الحروف وطرق نقشها على تلك الأحجار . أما غيره من الباحثين القدامى في العربيات الجنوبية ، فلم يذكروها لأنهم لم يكونوا قد وقفوا على الكتابات التي أوردت اسميهما ، لأنهم لم يكونوا قد عرفوها اذ ذاك ، اذ هي من الكتابات التي اكتشفت من عهد غير بعيد .

وقد اختلف الباحثون في تأريخ حكومة سبأ في تثبيت اسم الملك الذي حكم بعد آخر ابن من أبناء الملك (الشرح يحضب) ، وتباينت آراؤهم في ذلك . وترك (ريكمنس) فراغاً بعد اسم (نشأكرب يهأمن يهرحب) و (وتر) ، دلالة على انه يرى وجود فجوة في الحكم لا يدري من حكم فيها ، وضع بعدها اسم (ذمر على بين) . وقد جعله من المعاصرين للملك (العز) ملك حضرموت^١ . أما (جامه) ، فقد وضع كما قلت اسمي الملكين (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ، بعد اسم الملك (نشأكرب يهأمن يهرحب) ، ثم دوت اسم

J. Ryckmans, L'Institution, P. 338.

(ذمر على بين) بعد اسم (مرثد يهحمد) ، دلالة على انه هو الذي كان قد حكم بعده . وقد جعل ابتداء حكمه في حوالي السنة الثلاثين بعد الميلاد ، وانتهاء حكمه في حوالي السنة الخامسة والأربعين للميلاد^١.

وأما (فليبي) ، فقد وضع اسم (وتر يهأمن) بعد اسم (نشأكرب يهأمن يهرحب) ، ثم وضع اسم (ياسر يهصدق) من بعده . وقال باحتمال كون (ياسر) ابناً من أبناء (وتر) ، ثم دوّن اسم (ذمر على يهر) من بعده (ياسر) ، وهو ابن (ياسر) ، ثم دوّن اسم (ثارن يعب يهنعم) من بعده ثم وضع اسم (ذمر على يهر) بعد (ثارن) وعبر عنه بالثاني ، ليميزه بذلك عن (ذمر على) المتقدم ، ثم جعل اسم (ذمر على بين) من بعده^٢ ، وهو الملك الذي أتحدث عنه الآن ، والذي جعله (ريكننس) و (جامه) على رأس أسرة جديدة حكمت بعد زوال حكم أبناء (الشرح يحضب) على نحو ما ذكرت .

وسأسير في هذا الفصل في ترتيب حكام (سبأ وذى ريدان) ، وفقاً للقائمة التي وضعها ورتبها (ريكننس) مع مراعاة القائمة التي وضعها (جامه) والاشارة الى القوائم الأخرى حسب الامكان .

ولا نعرف من أمر (ذمر على بين) شيئاً يذكر . وقد ورد اسمه في نص وسم CIH 373 ، غير انه لم يلقب فيه بلقب (ملك سبأ وذى ريدان) ، على حين لقب ابنه به . فحمل هذا بعضهم على التريث في الحكم بأنه كان ملكاً^٣ . وقد جعل (جامه) حكمه فيما بين السنة الثلاثين والسنة الخامسة والأربعين بعد الميلاد^٤ :

وقد ورد في هذا النص المتقدم ، أي النص : CIH 373 اسم ابن من أبناء (ذمر على بين) ، هو (كرب ايل وتر يهنعم) ، وقد لقب فيه وفي نصوص أخرى بـ (ملك سبأ وذى ريدان) ، ومدوّن النص : CIH 373 وصاحبه هو الملك (كرب ايل وتر يهنعم) أمر بتدوينه عند تقديمه نذراً الى الإله

١ Mahram, P. 390.

٢ Background, P. 140.

٣ Mahram, P. 344.

٤ Mahram, P. 390.

(المقة) ، ليوفي له وليبارك عليه وعلى قصره (سلحن) (سلحين) (سلحان)
وعلى مدينة (مريب) مأرب . وقد ذكر مع اسمه اسم ابن له هو (هلك امر)
(هلك أمر)^١ .

ووصل اليها نقد ضرب عليه اسم (كرب ايل) ، وأول من أشار الى هذا
النقد (بريدو) Prideaux الذي يبين أن الـ (مونكرام) Monogram ، أي
الحروف المتشابهة المضروبة على النقد ، تشير الى نعت هذا الملك^٢ . وقد بحث
(موردتمن) كذلك في هذا الموضوع^٣ .

وقد ذهب (ريكمنس) الى ان (كرب ايل وتر يهنعم) ، كان يعاصر
الملك (العز) ملك حضرموت .

وللملك (كرب ايل وتر يهنعم) كتابة أخرى أمر هو نفسه بتدوينها ،
هي الكتابة التي سمت بـ REP. EPIG. 3895 . وهي قصيرة ناقصة ، سقطت
منها كلمات عدة . وقد ورد فيها اسم ابن الملك ، وهو (هلك امر) (هلك
أمر) ، ولم يلقب (هلك أمر) فيه بـ (ملك سبأ وذئ ريدان) .

ويظهر من ورود اسم الملك (كرب ايل وتر يهنعم) ، وحده في بعض
النصوص ملقباً بـ (ملك سبأ وذئ ريدان) أن هذا الملك حكم وحده في بادئ
الأمر ، لم يشاركه أحد ، ثم بدا له فأشرك ابنه (ذمر على ذرح) معه ،
وذلك في العهد الثاني ، وهو العهد الأخير من حكمه . لورود اسم (ذمر على
ذرح) من بعد اسم أبيه ، منعوتاً بنعت الملوك .

ويلاحظ ورود اسم (هلك أمر) ابن (كرب ايل وتر يهنعم) وفي كتابات
الدور الأول من دوري حكم أبيه ، إلا انه لم يلقب فيها بـ (ملك سبأ وذئ
ريدان) . أما كتابات الدور الثاني من أدوار حكم (كرب ايل) ، فلا نجد
فيها اسمه وإنما نجد فيها اسم شقيقه (ذمر على ذرح) . وقد تلقب بـ (ملك
سبأ وذئ ريدان) دلالة على أنه كان يحكم مع أبيه حكماً ملكياً مزدوجاً . وقد

CIH 373, Fresnel 54, Glaser 482, 483, Oslander, in ZDMG., X, (1856), ١

S. 67, Discoveries, P. 222, Mahram, P. 344.

Hill, P. LXVIII PL., XI, I, 2, Müller, Burgen, II, S. 904. ٢

Hill, P. LXVIII, Mordtmann, in Numis. Zeit., 1880, ٣

S. 308, D.H. Müller, Hofmus., S. 71.

يعني هذا وفاة (هلك أمر) في أيام حكم أبيه ، ولهذا اختفى اسمه من الكتابات .
وقد قدر (البرايت) F. P. Albright حكم (كرب ايل وتر يهنعم) وابنه
(هلك أمر) في منتصف القرن الأول للميلاد^١ .

وقد وضع (فلي) اسم (ذمر على ذرح) بعد (هلك أمر) ، وهو
شقيقه . وقد ذكر اسمه في النص الموسوم بـ CIH 791 ، وقد كان حكمه
بحسب تقدير (فلي) فيما بين السنة (٧٥ ب.م.) و السنة (٩٥ ب.م.)^٢ .

أما الكتابات التي ذكر فيها (ذمر على ذرح) مع أبيه فيها ، فهي الكتابة:
REP. EPIG. 4132 والكتابة REP. EPIG. 4771 . والكتابة الأولى قصيرة أصيبت
مواضع منها بتلف . ويلاحظ أن النص لم يذكر (ملك سبأ وذو ريدان) بعد
اسم (كرب ايل وتر يهنعم) الذي سقط من الكتابة ، ولم يبق منه إلا الحروف
الأخيرة من نعت (يهنعم)^٣ . وأما النص REP. EPIG. 4771 ، فقد أهمل
فيه لقب (كرب ايل) الذي هو (وتر يهنعم) ، واكتفى بذكر اسمه الأول
وحده وهو (كرب ايل) ، ثم دونت بعده جملة (ملك سبأ وذو ريدان
وذمر على ذرح ملك سبأ وذو ريدان)^٤ . وهو من النصوص التي عثر عليها
في مأرب^٥ .

ولدينا عدد من الكتابات دون فيها اسم الملك (ذمر على ذرح) ، منها
الكتابة : CIH 143 ، والكتابة CIH 729 ، والكتابة CIH. 791 والكتابة
Jamme 644 ، والكتابة Jamme 878 والكتابة Geukens 12 والكتابة
REP. EPIG. 4391 وبعض هذه الكتابات ليست من أيامه ولكنها من أيام ابنه
(يهنعم) ، وقد ذكر فيها لأنه أبوه ، كما أن بعضها مثل الكتابة : REP. EPIG. 4391
مؤلف من سطر واحد : (ذمر على ذرح ، ملك سبأ وذو ريدان)^٦ .

Discoveries, P. 222. ١

CIH 791, IV, III, I, P. 177, REP. Eplg. 631, II, I, P. 62, Louvre 5. ٢

راجع السطر الرابع من النص . ٣

الفقرة الثانية من النص . ٤

REP. EPIG. 4771, REP. EPIG., VII, III, P. 357, ٥

Orlens Antiquus, III, 1964, P. 70.

Glaser 462, REP. EPIG. 4391, REP. EPIG., VII, II, P. 221. ٦

ويحدثنا النص : Jamme 644 ، عن عصيان قام به رجل اسمه (لحيثت بن سم هسمع) (لحيثت بن سم هسمع) ، ومعه قبيلته قبيلة (شددم) (شدادم) (شداد) ، ورجل آخر اسمه (رب اوم بن شمس) (رب أوام بن شمس) ورجال آخرون انضموا اليهم وأيدوا حركتهم . وقد ثاروا على سيدهم (يهقم) وهو ابن (الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان) ، وهاجموا قصر (سلحن) (سلحين) (سلحان) ، قصر الملوك ومقر الحكم في (سبأ وذو ريدان) ودخلوه ، واعتصموا به . فهب رجل اسمه (أوس ال يضع) (أوس ايل يضع) (أوسيل يضع) ، وهو من قبيلة (غيان) ، وكان قتيلاً أيضاً، فهاجم الثوار وتغلب عليهم ، وطردهم من القصر ، ويظهر انه أخذهم غرة ، فصان بذلك القصر من الأذى ، وهربوا عن مأرب ، وحمد (أوسيل) ربه (المقة) اذ وفقه وساعده في انتصاره على الثوار ، وقدم اليه تمثالاً من ذهب تعبيراً عن شكره وحده له^١ .

ويحدثنا صاحب النص المذكور ، وهو (أوس ايل يضع) ، بأن العصاة هربوا من مأرب ، وتحصنوا في مواضع أخرى ، واستمروا في عصيانهم هذا ، فأمر عندئذ (يهقم) بعض عشائر (غيان) ان تهاجم ارض (شددم) (شداد) من مدينة (صنعاء) (صنعو) وتقضي على (لحيثت بن سم هسمع) ، فهاجم جنود (غيان) العصاة في موضع (كومن) (كومنن) ، وتغلبوا عليهم واستنقذوا منهم خيلاً وإبلًا ودواباً أخرى ، وأخذوا منهم غنائم وأسرى وحراس الأسرى الذين كانوا قد وضعوهم في (كومنن) . وسرّ قتلهم كثيراً ان أراضى بذلك قلب سيده (يهقم) وأخذ منهم بثأره^٢ .

وقامت جماعة أخرى من محاربي غيان بتعقب ثلاثمائة مقاتل من العصاة كانوا قد فروا من مأرب ، وكانوا قد ساعدوا رئيس العصاة في هجومه على قصر (سلحن) . وقد لحقت بهم وأعملت السيف فيهم ، ثم عادت بعد ان أفتتهم . وقد غنم الغيانيون من المعركتين ستمئة رأس من الماشية وأربعة أفراس^٣ . ولا نجد في هذا النص إشارة ما ، لا الى الملك (ذمر على) ، ولا الى

Jamme 644, MaMb 274, Mahram, PP. 145.

١
٢ الفقرة ١٥ فما بعدها
٣ الفقرة ٢١ فما بعدها

موضع وجوده في ذلك العهد . ويظهر انه كان خارج (مأرب) ، وإلا لما أغفل النص الإشارة اليه . أما ابنه ، فقد كان في مأرب على ما يظهر منه . ويلاحظ أن النص قد ذكر لفظة (مراهمو) أي سيده قبل اسم (يهقم) ، ويعود الضمير الى صاحب الكتابة ، أي (سيد صاحب الكتابة) ، ولكنه لم يذكر بعد اسم (يهقم) جملة (ملك سبأ وذي ريدان) ، دلالة على أنه لم يكن ملكاً اذ ذاك ، وأن صاحب الكتابة كان يعترف بسيادته عليه .

وفي النص : Jamme 878 ، نبأ معارك جرت في أيام (يهقم) كذلك ، غير ان النص اصيبت مواضع منه بالتلف ، أفسد علينا المعنى ، كما أن فيه غموض وإيجاز يصعب معه استخراج شيء مهم منه عن تلك المعارك التي خاضها أصحاب النص مع (يهقم) الذي كتب اسمه على هذه الصورة (يها ...) ، لوجود تلف في بقية الاسم وتلف آخر في اول السطر الجديد يليه اسم (.. مر على ذرج) ، مما يدل على ان المراد (يهقم) المذكور ، وانه هو الذي تولى قتال المخالفين .

ووضع (جامه) اسم (كرب ايل بين) (كربثيل بين) بعد اسم (ذمر على ذرج) ، وهو ابن (ذمر على ذرج) ، وجعل حكمه فيما بين السنة الثمانين والسنة الخامسة والتسعين بعد الميلاد^١ .

وتعود الكتابة : Jamme 642 الى أيام هذا الملك ، وقد دوّن بها شخص اسمه (حرب ينهب) (حرب ينهب) ، من عشيرة (هلم) (هلال) (هلل) ، عند شفاة من مرض (بن مرض) ، ألمّ به ولزمه حتى قدم مأرباً ، فعوفي من مرضه هذا في شهر (ذى ال الت) (ذى الالت) (الثيلت) (الثيلوت) . وقد حمد (حرب) ربه وشكره على أن منّ عليه بالشفاء ، وقدم اليه نذراً : صنماً (صلمن) تعبيراً عن هذا الشكر ، وليبارك فيه وفي سيده (مراهم) ، (كرب ايل بين ملك سبأ وذي ريدان) ابن ذمر على ذرج وليديم الإله نعمه عليه ويرزقه أولاداً ذكوراً^٢ . ويلاحظ أن النص لم يدون جملة (ملك سبأ وذي ريدان) بعد اسم (ذمر على ذرج) على حسب القاعدة المتبعة في تدوين أسماء الملوك .

Mahram, P. 390. ١

Jamme 642, MaMb 260, Mahram, P. 141. ٢

والنصان : Jamme 643 و Jamme 643 Bis ، يكمل أحدهما الآخر . فالنص الثاني هو تكملة للنص الأول . وهما على جانب كبير من الأهمية عند المؤرخ ، لورود أخبار تاريخية فيها ، لم ترد أية إشارة إليها في نصوص أخرى . وصاحباهما رجلان من عشيرة (جرت) (جرة) ، وهي عشيرة معروفة مرّ بنا اسمها مراراً ، وكان منها أقبال عشيرة (سمهرم) (سمهر) ، وصاحبها النصين هما من أقبال (سمهرم) ، اسم أحدهما (نشأكرب) واسم الآخر (ثوبن) (ثوبان) . وقد دونّا في النصين أخبار معارك خاضها ، وكانا قائدين فيها من قواد جيش (كرب ايل بين) (ملك سبأ وذي ريدان) ، وقد أمرهما الملك بقيادة كتائب من جيشه ، وكذلك فرسانه لمحاربة ملك حضرموت ومن عصى أمره فثار عليه ، أو من انضم إلى ملك حضرموت من عشائر وحضر .

ويظهر من مقدمة هذا النص ان العلاقات لم تكن حسنة بين (ملك سبأ وذي ريدان) وملك حضرموت ، وان مناوشات ومعارك كانت قد وقعت بين حكومة سبأ وحكومة حضرموت ، مناوشات أتعبت الطرفين على ما يظهر حتى اضطرا في الأخير الى عقد صلح بينهما ، وأخذوا الأيمان على انفسهما بوجوب المحافظة على ما اتفقا عليه . وقد وافق ملك حضرموت وهو (يدع ايل) فضلاً عن ذلك على ان يكون في جانب ملك (مأرب) وان يحافظ على حسن الجوار ، وان يضع تحت تصرف الملك (يدع ايل بين) قوة من حرس (يعكرن) (يعكران) وهو ملك آخر من ملوك حضرموت يوجهها حيث يشاء تكون عنده في مأرب . غير ان هذا الاتفاق لم يدم طويلاً ، فسرعان ما نكث ملك حضرموت بعهده كما يقول النص ، وخالف وعده ، بحجة ان (كرب ايل بين) ارسل قوة من محاربين (سمهرم) (سمهر) ، وضعها تحت قيادة (نشأكرب) الى (حنن) (حنان) ، وهي مدينة لا تبعد كثيراً عن (مأرب) ، فخالف بذلك ما اتفق عليه ، وأحل نفسه بذلك من تنفيذ ما اتفق عليه وزحف على بعض المواضع ليهدد باستيلائه عليها الملك .

وكان الملك (كرب ايل بين) قد أمر قائده (نشأكرب) بأن يذهب بثلاثمائة محارب من اهل (سمهرم) الى مدينة (حنن) (حنان) ، فلما وصل بهم إليها ، اعترضه ملك حضرموت ومنعه من الدخول إليها ، لكي يقوم فيها

بتنفيذ اوامر ملكه التي كلفه تنفيذها ، وهي تتعلق ببناء مواضع لتعزيز الأمن في هذه المدينة . وقد عرض (نشأ كرب) على الملك (يدع ايل) ملك حضرموت الأمر الملكي الذي يأمره فيه بتنفيذ ما كلفوه اياه ، فرفض قبوله، وطلب منه أن يعود برجاله الى مأرب ، فاستاء ملك سبأ ، وهاج على ملك حضرموت .

ويظهر ان (يدع ايل) ملك حضرموت ، كان يريد ابقاء منطقة (حن) (حنان) بدون حراسة ولا قوات تحميها ليفرض سلطانه عليها . وقد استغل ضعف (سبأ وذي ريدان) في هذا الوقت فأراد التدخل في شؤونها، وحل نفسه مع جنوده في مدينة (حن) (حنان) مع انها مدينة سبئية تابعة للملك (سبأ وذي ريدان) . وكان قد صمم أيضاً على اخضاع القسم الجنوبي الشرقي من سبأ لحكمه ، فارتاع (ملك سبأ وذي ريدان) ، وشعر بالخطر الذي سيهدد مملكته لو تساهل في ذلك ، وسمح للملك حضرموت بأن يتصرف في الأمور كيف يشاء فأمر قائده بالذهاب الى تلك المدينة لتحصينها وابعاد الحصارمة منها ، فلما وصل اليها ، صادف وجود ملك حضرموت فيها ، وأدرك ملك حضرموت سبب قدوم هذا القائد على رأس هذه القوة ، فتنعه من تنفيذ ما كلف اياه ، لئلا يتعزز حكم سبأ في هذه المدينة السبئية ، وتصرف (يدع ايل) وكأنه ملك سبأ ، لا ملك حضرموت ولا ملك آخر غيره هناك . فصرف (نشأ كرب) ومن كان معه ، ولم يعبأ بأمر ملك (سبأ وذي ريدان) الذي عرض عليه . ثم توجه الى أرض معين ليهدد سبأ ويفاجئها بحرب .

انجبه نحو مدينة (يثل) أولاً ، وهي من مدن معين المهمة القديمة . فلما وصل الى أبوابها ، فتحت له ولجنوده ، واستقر بها مدة . ثم انجبه منها نحو مدينتي (نشقم) (نشق) و (نشن) (نشان) ، وهما من مدن (معين) القديمة المهمة كذلك ، فحاصرهما وأخذ يهاجم مواضع التحصين والدفاع فيها . فقرر ملك (سبأ وذي ريدان) الإسراع بإرسال نجدات اليها تمكنها من مقاومة الحصارمة ومن الصمود أمامهم . امر بوضعها تحت قيادة (نشأ كرب) و (سمه يفع) (سموه يفع) (سمهيفع) وهو من (بتع) . وقد تألفت من كتائب محاربة ومن فرسان .. ولما جاء خبر وصول المدد الى المدينتين ، أبلغه به (منذر) اي احد الدين كانوا يسترقون الأنباء وبيعثون بها الى الحكومات التي ارسلتهم للتجسس على خصومهم ، اسرع فترك حصار المدينتين ، وعاد الى (يثل) ليتحصن بها .

وقرر الملك (كرب ايل بين) ، مهاجمة خصمه بنفسه ، فسار على رأس قوة من جيشه من عاصمته (مأرب) ، وانجه نحو (يثل) ، وأمر قائديه بالزحف مع قواتهم نحو (يثل) أيضاً . وهكذا هاجم (ملك سبأ وذي ريدان) مدينة (يثل) من ناحيتين ، لتطويق (يدع ايل) فيها . وقد سار القائدان من مدينة (نشق) ، فلما بلغا (يثل) ، وكان ملكها قد وصل اليها كذلك ، هاجمت قوات (سبأ وذي ريدان) قوات حضرموت فهزموها ، واضطر ملك (حضرموت) الى ترك (يثل) والانجاء منها نحو (حن) (حنان) . وكان هذا الملك قد حاول قبل ارتحاله نحو (يثل) نهب (المعبد) الحرام (محرم) وأخذ ما فيه ، غير أن قوات القائد المذكورين الزاحفة من (نشق) أدركته ، فخاف من الالتحام بها ، وقرّ نحو (يثل) ، وبذلك أنقذ المعبد الحرام من النهب^١ . ويرى (جامه) أن ذلك المعبد هو المعبد المعروف بـ (محرم بلقيس) بين الناس في هذا العهد^٢ .

ويكمل النص الثاني ، وهو النص Jamme 643 Bis ، آخر خبر ورد في النص الأول ، فيقول: إن قوات اضافية وصلت من مأرب ، الى الملك وقائديه ، وعندئذ اتخذت هذه القوات خطة المهاجمة ، فهاجمت ملك حضرموت وجيش حضرموت ، وأنزلت به خسائر فادحة ، فتكت بألفي جندي من جنود حضرموت ، واستولى السبيون على كل ما كان عند الحضارمة من خيل وجمال وحمير ومن كل حيوان جارح (جرح) كان عند ملك حضرموت ، وبذلك ختم هذا النص ، بالنص على انتصار (سبأ وذي ريدان) على ملك حضرموت^٣ .

ونحن لا نعلم ماذا جرى بعد هذا النصر الذي أحرزه السبيون على حضرموت إذ ليست لدينا نصوص تتحدث عن ذلك . ولكننا نستطيع أن نقول إننا تعودنا قراءة اخبار أمثال هذه الانتصارات ثم تعودنا أن نقرأ بعد ذلك أن المهزوم يعود فيحارب المنتصر الهازم ، وأن المعارك لم تكن تنتهي حتى تبدأ بعد ذلك معارك انتقامية جديدة أخذاً للثأر . لقد صارت العربية الجنوبية ويا للأسف وكأنها ساحة

١ الفقرة : ٢٨ فما بعدها .

٢ Mahram, P. 348.

٣ الفقرة : الواحدة حتى الفقرة (١٠) من النص :

Jamme 643 Bis, MaMb 316, Mahram, PP. 144.

لعب ، لا تخلو من اللعب إلا لفترات الراحة والاستجمام .

هذا ، ونحن لا نعرف شيئاً بذكر عن الملك (يعكرون) (يعكران) ملك حضرموت الثاني الذي ورد اسمه في النصين المتقدمين ، إذ لم يرد اسمه في نصوص أخرى ، ولا أمل لنا إلا في المستقبل ، فقد يعثر على كتابات جديدة يرد فيها اسم هذا الملك .

وقد قدر (جامه) حكم الملك (يهقم) والملك (كرب ايل بين) فيما بين السنة (٨٠) والسنة (٩٥) بعد الميلاد . وفي هذا الزمن كان أيضاً حكم ملكي حضرموت (يدع ايل) و (يعكرون) (يعكران) .

وقد ترك (ربكمنس) فراغاً بعد اسمي (هلك أمر) و (ذمر على ذرح) إشارة الى فجوة لا يدري من حكم فيها ، ثم دوتن بعده اسم (وتر يهأمن) ، ثم ترك فراغاً دوتن بعده اسم (شمدر يهنعم) ، ثم عاد فترك فراغاً ثالثاً دوتن بعده اسم (الشر يحمل) ، ثم ترك فراغاً ذكر بعده (عمدان بين يهقبض) ، ثم فراغاً خامساً دوتن بعده اسم (لعز نوفان يهصدق) ، سخته بفراغ سادس دوتن بعده اسم (ياسر يهصدق)^١ .

ووضع (فلي) اسم (ياسر يهصدق) (يسر يهصدق) ، بعد (وترم يهأمن) . وجعل مبدأ حكمه حوالي سنة (٦٠ ق. م.) ، وذكر ان من المحتمل أن يكون (وترم) (وتر) هو والده^٢ . وقد ورد اسمه في النص : CIH 41 ، وهو نص دوتنه جماعة من أقيال قبيلة (مهانقم)^٣ ، عند بنائهم بيتهم (مهورن) (مهور) و (يسر) و (مزوداً) اسمه (حرور)^٤ ، وقد وردت فيه أسماء الآلهة : (عثر شرقن) أي (عثر الشارق) و (عثر ذ جفتم بعل علم) ، و (شرفن) ، و (ذات حيم) (بعل محرم ريدان) أي ريتاً (حرم ريدان) ، و (الهمو بشر) ، أي إلههم (بشر) . ودوتن بعد أسماء الآلهة اسم الملك (ياسر يهصدق ملك سبأ وذي ريدان) ، ولم يذكر

١ J. Ryckmans, L'institution, P. 338.

٢ Background, P. 142, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 80.

٣ (اقول شعبين مهانف)

٤ (مزود همو حرور)

اسم والد (ياسر) في هذا النص^١ . والكتابة المذكورة من (ضاف) بـ (قاع جهران) شمال (ذمار) . و (قاع جهران) هو (مهانقم) في كتابات المسند^٢ .

ويعد النص المذكور من أقدم النصوص الحميرية التي وصلت إلينا . ويرى (فون وزمن) ، انه أول نص يصل إلينا لقب فيها ملك من ملوك حمير بلقب (ملك سبأ وذوريدان)^٣ . ومعنى هذا ان ملوك حمير كانوا قد نافسوا الأسرة السبئية الشرعية ونازعوها على العرش ، وتلقبوا بهذا اللقب الذي هو من ألقاب ملوك سبأ الشرعيين .

وأرض (مهأنف) (مهانقم) هي (قاع جهران) ، ومعنى ذلك ان هذه الأرض كانت تابعة لهذا الملك في ذلك العهد^٤ .

ويعدّ (ياسر يهصدق) (يسر يهصدق) من حمير ، ومعنى هذا ان حمير التي نازعت الأسرة القديمة لسبأ عرشها لقب حكامها أنفسهم باللقب الرسمي الذي يتلقب به ملوك (سبأ) الأصليون ، تعبيراً عن إثبات حقهم في الملك . وقد حكم (ياسر) - على رأي (فون وزمن) - في حوالي السنة (٧٥ م) أو (٨٠ م) . وكان يقيم في (ظفار) ، في حصن (ريدان) . ويرى (فون وزمن) انه في خلال المدة التي انصرمت بين حملة (أوليوس غالوس) وبين حكم (ياسر يهصدق) ، لم يصل إلينا أي نص من نصوص المسند^٥ . وجعل (جامه) حكم (ياسر يهصدق) بين السنة (٢٠٠) والسنة (٢٠٥) بعد الميلاد^٦ .

وقد وضع (فون وزمن) اسم (الشرح) ، بعد اسم (ياسر يهصدق) ، وجعل أيامه في حوالي السنة (٩٠) بعد الميلاد . وقد ذكر انه من حمير وإلى أيامه تعود الكتابة المرقمة بـ CIH 140^٧ .

١ CIH 41, IV, I, I, P. 67, Langer 2, Rhodokanakis, KTB, II, S. 64, Slegfried
Langer's Reiseberichte aus Syrien und Arabien, S. XXXIV, (1866), 34-43,
ZDMG., (1883), S. 352.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 448.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 448.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 450, 495.

٦ Mahram, P. 392.

٧ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

وعرف ولد من أولاد (ياسر) اسمه (ذمر على يهر) ، وقد ذكر في النص 365 CIH¹ . وقد عثر على بعض النقود ضرب عليها اسم صاحبها، وهو (يهر) ، فلعنه هذا الملك² .

وذكر اسم الملك (ذمر على يهر) واسم أبيه (ياسر يهصدق) في الكتابة المذكورة ، وقد جاء فيها : ان هذا الملك قاتل رجلاً من (بني حزفرم) (بني حزفر) (آل حزفر) . و (آل حزفر) هم عشيرة من (ذي خليل) وهي عشيرة قديمة شهيرة ، أخرجت جملة (مكرب) (مكارب) و (ملوك) . ويرى (فون وزمن) ان هذه الحرب كانت ضد الأسرة السبئية المالكة المتوارثة للعرش من عهد قديم ، وان هذا الملك الذي هو من (حمير) ، استولى على حصن (ذت مخطرن) (ذات مخطران) (ذات المخاطر) ، واستولى على (مأرب) عاصمة سبأ في هذه الحرب³ .

ومعنى هذا أن حمير استولت على سبأ وحكمتها ، فصارت مأرب خاضعة لها . وقد دام خضوع سبأ لحمير الى أيام (ثارن يعب) وهو ابن (ذمر على يهر) (ذمر على يهبار) ، إذ نجد على مأرب ملكاً ، هو الملك (ذمر على ذرح) . وقد قدر (فون وزمن) زمان استيلاء حمير على مأرب بحوالي عشر سنين⁴ .

وورد اسم (ذمر على يهر) واسم أبيه (ياسر يهصدق) في الكتابة REP. EPIG. 310 ، والآمر بكتابتها هو (تبع كرب) (تبعكرب) من آل (حزفرم) (حزفر) ، وقد قدم الى الإله (المقه) نذراً يتألف من أوثان لتوضع في معبد هذا الإله ولحمايته ولخير أرضه وحصنه . ويظهر أن أملاكه كانت في منطقة (رحب) (رحاب)⁵ .

1 CIH 365, Glaser 612, Luparensis 4105, CIH, IV, II, I, P. 6. ff, O. Weber Studien zur Südarabischen Altertumskunde, (1907), S., 36, REP. EPIG., 310, I, V, P. 255, Le Muséon, LXI, 3-4, (1948), P. 232, Orlens Antiquus, III, 1964, P. 80.

Handbuch., S. 94.

2 CIH 365 = Glaser 612, M. Höfner, Die Inschriften aus Glaser Tagebuch XI, Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes 45, 1938, S. 19-21,

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

3 Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

4 REP. EPIG., I, V, P. 255.

1

2

3

4

5

وقد قام (ذمر على يهر) ومعه ابنه (ثارن يعب يهنعم) الذي أشركه أبوه معه في الحكم ، بإعادة بناء سد (ذمر) (ذامر) (ذو أمر) (ذمار) في منطقة (أبين) ، وذلك لتهدم السد القديم الذي كان يمد أهل مأرب بالماء . فأعادوا بذلك الحياة لمساحة واسعة من أرضين موات . وقد قام بهذا العمل عمال من شعب (سبأ) ومن (ذو عذهبن) (ذى عذهب)^١ ، وقديما في ذلك قرابين إلى آلهتهما : (عثر) و (سحر) نحراها في معبد (نفقن) (نفقان)^٢ .

وذكر (ذمر على يهر) مع ابنه (ثارن) في الكتابة المرققة بـ REP. EPIG. 4708 ، وقد كتبت على تمثال من البرنز محفوظ الآن في متحف (صنعاء) ، وذكرت فيها أسماء أصحابها ، وهم قدام من (آل ذرنج) ، وورد فيها اسم معبد (صنع) (صنعو) ، ولعله (صنعاء)^٣ .

وقد ورد اسم (ثارن يعب يهنعم) في الكتابة الموسومة بـ REP. EPIG. 4909 ، وهي كتابة سجلها رجلان من أشراف حير ، أوفدهما ملكها (ثارن يعب) إلى الملك (العذيلط) (العز يلط) ، ملك حضرموت ، لتهنته باعتلاء العرش وتلقبه باللقب الملوكي في حصن (أنودم) (أنود)^٤ . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في حوالي السنة (٢٠٠ ب. م.)^٥ . أما (فليبي) فجعل زمانه في حوالي السنة (٢٠ ق. م.)^٦ ، ومعنى هذا أن زمان حكمه كان بعد حملة (أوليوس غالوس) بقليل . وهو تقدير لا يقره عليه أكثر علماء العربيات الجنوبية .

وأما (جامه) ، فقد جعل زمان حكمه بين السنة (٢٦٥) والسنة (٢٧٥) بعد الميلاد ، وجعله معاصراً للملك (العذيلط) ابن (عم ذخر) (العذيلط)

١ REP. EPIG. 4775, REP. EPIG., VII, III, P. 360, Glaser, 551, M. Höfner, Die Inschriften aus Glasers Tagebuch XI, (Cit. Note 71), S. 15, A. Grohmann, Realen. d. Class. Alter., XIV, 2, S. 1739, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

٣ REP. EPIG. 4708, VII, III, P. 330, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 80.

٤ Sheba's Daughters, P. 449, REP. EPIG. 4909, VII, III, P. 414.

٥ Beiträge, S. 133, 144.

٦ Background, P. 142.

بن عمدنحر (ملك حضرموت^١ . وقد جعله (فون وزمن) معاصراً للملك
(نشأكرب يهأمن يهرجب) (نشأكرب يهأمن يهرجب) ، الذي حكم على رأيه
في حوالي سنة (٢٣٠ ب. م.) الى (٢٤٠ ب. م.)^٢ .

وقد ذكر مع ابنه في الكتابة المعروفة بـ REP. EPIG. 3441 ، وهي تخص
أعمالاً عمرانية أمر بها (ذمر على) وابنه (ثارن) تتعلق بسد (ذو أمر)
(ذمر) (ذمار)^٣ .

وورد اسم (ثارن يعب) في النص : CIH 457 ، وقد ذكر معه اسم أبيه
(ذمر على يهر) ، وقد دوتنه جماعة من (بني ذى سحر) عند تقديمهم الى
الآلهة أوثاناً ، لحماية سبيليهما الملكين (ذمر على يهر) وابنه (ثارن يعب) ،
ولحماية أملاكهم ورعايتهم . وقد ذكرت في الكتابة أسماء الآلهة التي توسل اليها
أصحابها ورجوا منها الحماية والرعاية ، وهي : (عثر) و (سحر بعلى نفقن)
و (هبس) و (المقه) و (ذات حميم) و (ذات بعدان) و (شمس)^٤ .
وورد اسم (ثارن يعب) في نهاية النص : CIH 569 ، وهو نص قصير
مؤلف من ثلاثة أسطر^٥ .

وقد خلف (ثارن يعب) على عرش سبأ ابنه الملك (ذمر على يهر) ،
الذي يمكن أن نطلق عليه (ذمر على يهر الثاني) ، تمييزاً له عن جده . وقد
وجد اسمه في نص أرخ بشهر (ذو نسور) (ذ نسور) ، وقد سقط اسم
السنة التي أرخ بها من النص^٦ .

وقد وضع (فون وزمن) اسم (شمر يهرعش) من بعده، ودعاه بـ (الأول)
تمييزاً له عن (شمر يهرعش) الآخر الذي ولي الحكم بعده بأمد طويل . وقد
جعل (فون وزمن) (شمر يهرعش الأول) معاصراً لـ (أنمار يهأمن)

Mahram, P. 392, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٢

REP. EPIG. 3441, VI, I, 158, Rhodokanakis, KTB., II, S. 77. ٣

CIH 457, O. M. 304, CIH., IV, II, II, P. 158. ٤

CIH 569, Beneyton 4, Glaser 807, 1044, CIH, IV, II, IV, P. 353, Le Muséon, ٥

1964, 3-4, P. 498.

REP. EPIG., VII, I, P. 15, REP. EPIG. 3960, S. E. 103, Oriens Antiquus, 1964, ٦

P. 80.

ول (كرب ايل وتر يهنعم) من (بني بتع) ، من قبيلة (سمعي) . وقد كان حكمه في حوالي السنة (١٤٠) بعد الميلاد^١ .

أما (ريكمنس) ، فقد دوّن اسم (ذمر على يهبار) بعد (ياسر يهصدق) ونعته بـ (الأول) ثم دوّن اسم (ثارن يعب يهنعم) من بعده ، ثم ترك فراغاً وضع اسم (ذمر على يهبار) بعده ، ونعته بـ (الثاني) ليميزه عن الأول ، ثم ترك فراغاً ، ذكر بعده اسم (رب شمس نمران) ، ثم وضع فراغاً آخر ، ذكر بعده ملكاً سماه (الشرح يحضب) (الشرح يحب) ، ثم ذكر بعده ملكين أحدهما اسمه : (سعد شمس أسرو) ، وآخر اسمه مكسور لم يبق منه إلا ثلاثة أحرف ، هي (حمد) ، ثم دوّن فراغاً بعد هذين الاسمين ، وختمه بذكر اسم (ياسر يهنعم) ، ثم اسم (شمس يهرعش) وهو ابنه من بعده ، وقد كان معاصراً للملك (شرح ايل) ملك حضرموت . وبـ (شمر يهرعش) أنهى (ريكمنس) قائمته للملك (سبأ وذي ريدان)^٢ .

أما (فلي) ، فقد وضع اسم (ذمر على بين) بعد اسم (ذكر على يهبر) الثاني . وقد وضع علامة استفهام أمامه دلالة على انه غير متأكد من اسم أبيه . وربما كان ابن أخ (ذمر على يهبر الثاني) . وزعم أنه حكم حوالي سنة عشرين بعد الميلاد^٣ .

ووضع (فلي) اسم (كرب ال يهنعم) (كرب ايل وتر يهنعم) ، بعد اسم (ذمر على بين) ، ثم اسم (هلك امر) (هلك أمر) من بعده ، ثم (ذمر على ذرح) ، وقد سبق أن تكلمت عنهم ، إذ قدمتهم وفقاً لقائمة (ريكمنس) .

ووضع (فلي) اسم (يدع ال وتر) بعد (ذمر على ذرح) أبيه . وقد جعل حكمه من حوالي السنة ٩٥ حتى السنة (١١٥ ب. م)^٤ .

ويظن (فلي) أن (يدع ال وتر) ، هو الشخص المسمى بهذا الاسم في النص : CIH 771^٥ . ويحتمل في نظره أن يكون ابنه^٦ .

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ١

J. Ryckmans, L'Institution, P. 338. ٢

Background, P. 142. ٣

Background, P. 142. ٤

CIH 771, CIH, IV, III, I, P. 167, Halévy 640, 642, Handbuch, S. 94. ٥

Background, P. 105 ٦

وذكر (فلي) أنه منذ السنة (١١٥) الى السنة (٢٤٥ ب. م.) ، حكم عرش (سبا وذي ريدان) ملوك من أسرة (بني يتع) من (حاشد) ، و(حاشد) قبيلة من (همدان) . وقد بلغ عددهم اثني عشر ملكاً ، جمعهم في ست مجموعات ، ولم يضع أمام كل ملك زمان حكمه كما فعل في قائمته للملوك الذين حكموا قبلهم ، ذلك لأنه - كما بين هو نفسه - غير واثق من معرفة زمان حكمهم ، ولا من ترتيب المجموعات وإنما رتبهم على ما آداه اليه اجتهاده ، لا غير^١ .

ومن هؤلاء الملوك ، الملك (شمدر يهنعم) (شمدر يهنعم) ، وقد عرف اسمه من نقود عثر عليها ضربت في مدينة (ريدان)^٢ ، وهي مما بعد الميلاد ، ولا نعرف من أمره شيئاً آخر .

ووضع (فلي) بعد الملك المذكور اسم (عمدان بين يهقبض) (عمدان بين يهقبض) ، وقد ورد اسمه في النص الموسوم بـ Glaser 567^٣ ، كما وجد مضروباً على نقد ضرب في مدينة (ريدان) . وقد صور رأسه على النقد ، فبدا وجهه حليقاً ، وظفائر رأسه متدلّية على رقبتة . وأول من وجّه أنظار الباحثين الى هذا النقد ، (موردتمن) Mordtmann ، و (بريدو) Prideux^٤ .

ووجد اسم (عمدان بين يهقبض) في نص عثر عليه في (حرم بلقيس) ، وقد لقب بـ (ملك سبا وذي ريدان) . وهو نص ناقص ، ذكر فيه اسم الإله (عثر)^٥ .

ووضع (فلي) بعد الملكين المذكورين اللذين كونا المجموعة الأولى ، (نشأكرب يزن) (نشأكرب يازن) ثم (وهب عثت يقد)^٦ . وهما يكونان

١ Background, P. 142.

٢ Background, P. 142, Handbuch, S. 95.

٣ Handbuch, S. 94, Sab. Inschr., S. 9, REP. EPIG. 3433, REP. EPIG., VI, I,

P. 155, Glaser, Abessl., S. 32, Anm. I, Rhodokanakis, KTB., II, S. 66, Le

Muséon, 1967, 1-2, P. 298.

٤ Hill, P. IXIX, JASB, 1881, P. 99, Plate, X, 3, 4, 5.

٥ العظم ،

Al-'Azam 5, 0, Le Muséon. LV, 1-4, (1942) P. 128, REP. EPIG. 5099, Le Muséon,

1967, 1-2, P. 298.

٦ (وهب عثت) .

المجموعة الثانية من المجموعات الست التي تصور أنها حكمت في المدة المذكورة^١. وقد ورد اسمها في النص : CIH 336^٢ ، ولم يلقبها بـ (ملك سبأ وذي ريدان). ولم أجد في هذا النص إشارة ما يمكن أن يستدل بها على أنها ملكان . ولم يذكر (هومل) اسميهما مع من ذكر من الملوك الذين حكموا بعد (الشرح محضب) والذين رتب أسماء من عثر عليهم بحسب حروف الهجاء، ويبلغ عددهم، في رأيه ، زهاء عشرين ملكاً^٣ .

وذكر (فلي) ان والد الملكين المذكورين هو (تصح بن هزحم)^٤ . ودون (فلي) اسمي ملكين آخرين بعد الملكين المتقدمين، أحدهما (هوتري عثت يشف) ، والآخر (كرب عثت يهقبل)^٥ .

وانتقل بعد ذلك الى مجموعة أخرى تضمنت اسمي ملكين أيضاً، هما (نشأ كرب أوتر) ، و (شهر أيمن)^٦ . وقد ورد اسم (نشأ كرب أوتر) في النص الموسوم : Om II,2 ، غير انه لم يلقب فيه بملك ، وقد رجح (هومل) كونه ملكاً ، للقبه الذي هو من نوع الألقاب التي يستعملها الملوك^٧ .

ودون (فلي) اسم (رب شمس نمران) (ريشمس نمران) ، بعد (شهر أيمن) . وذكر انه مذكور في النص الموسوم بـ REP. EPIG. 3621^٨ ، وهو نص عثر عليه في (مأرب) ، ووجد اسمه في نصوص أخرى عثر عليها في (حاز) معقل (همدان) ومقر (رب شمس) . وقد استدل (فلي) من وجود النص المذكور في (مأرب) على بلوغ ملطانه وسلطان قومه (آل بتع) هذا المكان^٩ .

وأما غير (فلي) مثل (ريكمنس) و (جامه) ، فقد قدموا — كما رأينا —

Background, P. 142.	١
CIH 336, IV, I, IV, P. 385.	٢
Handbuch, S. 94-95.	٣
Background, P. 142.	٤
Background, P. 142.	٥
Background, P. 142.	٦
Handbuch, S. 94.	٧
REP. EPIG. 3621, REP. EPIG., VI, I, P. 244.	٨
Background, P. 142.	٩

مكان الملك (رب شمس نمران) (ريشمس نمران) في القوائم التي رتبوها
للملوك (سبأ وذي ريدان) . وقد جعل (جامه) زمان حكمه بين السنة (١٢٠)
والسنة (١٤٠) بعد الميلاد^١ .

وجعل (فون وزمن) زمان حكم الملك (ريشمس نمران) فيما بين السنة (١٦٠)
والسنة (١٧٠) أو (١٨٠) بعد الميلاد . وجعله من المعاصرين للملك (يدع أب
غيلان) ملك حضرموت . ومن أدرك أيام حكم (علهان نهفان) ملك همدان^٢ .

وورد اسم (رب شمس نمران) في النص : REP. EPIG. 4138 . وهو
نص مهم وردت فيه أخبار حروب وغزوات إقام بها (عبد عثر) وأخوه
(سعد ثون) ابنسا (جدنم) (جدن) أو من آل (جدن) ، بأمر من
سيدهم (رب شمس نمران ملك سبأ وذي ريدان) . فلما عادا الى مواطنها
سلمين ، دوتا شكرهما وحمدهما للإله (المقة) الذي من عليهما بالعافية وحفظهما
وأعادهما بصحة جيدة ، وأنقذهما (المقة بعل حروان) من الوباء الذي عم كل
الأرض ، وبارك عليهما في مدينة (نعص) ، إذ أنعم عليهما سيدهما (رب شمس
نمران) . وقد دعوا في هذه الكتابة لـ (المقة نهوان) و (ثور بعل حروان)
بأن يبارك عليهما ويحفظهما ويمن عليهما بالعافية وبأولاد ذكور ، وبثمار كثيرة
وجني جيد، وذلك بحق الآلهة : (عثر وهوبس والمقة وذات حميم وذات بعدان
وشمس)^٣ .

ويظهر من هذا النص أن وباءً كان قد عم البلاد في عهد هذا الملك فأهلك
خلقاً كثيراً . وقد حمدا الآلهة التي جعلتها من الناجين . ويظهر أنهما كانا من
قواد جيش هذا الملك الذي كلفهما غزو أعدائه ومحاربتهم . وورد في النص اسم
قبيلة (جرش) ، ولعل لاسم (جرش) - وهو اسم موضع في اليمن -
علاقة باسم هذه القبيلة^٤ .

١ Mahram, P. 392, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 294, H. Von Wissmann, Himjar.,
S. 458, 496, Zur Geschichte, S. 322, 326, 392.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ REP. EPIG., 4138, REP. EPIG., VII, I, P. 96, VA 3820, 3843, Orients Antiquus,
III P. 70.

٤ الصفة (٤٥ ، ٥١ ، ٧٠ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
١٨٦ ، ٢٤٣) ، منتخبات (ص ١٩ ، ٢٠) .

ويظهر أن الوباء الذي أشار اليه (عبد عثر) هو الوباء الذي اثير اليه في النص الموسوم بـ Jamme 645 . وصاحبه رجل اسمه (وهب ايل) من (يهمن) (يهمن) ومن (قرضن) (قرضان) . وقد دون هذا الرجل نصه حمداً للإله (المقه شهوان) (بعل أوام) ، وشكراً له على نعمه عليه بأن حفظه وسلمه وصانه من الوباء (بن خوم) والطاعون (وعوس) ومن الموت (موت) الذي عمّ البلاد ، وذلك في سنة (حيم) (حي) (حي) (حيوم) (حيو) ابن (ابكرب) (أبو كرب) من (كبر خلل ثكمتن) كبراء (خليل ثكمتان) . فصانه وحفظه من هذا الوباء العام الذي انتشر في الأرض (وموت كون بارضن) ، فأهلك خلقاً من الناس . وليمنّ عليه ويبارك فيه وفي أرضه وزرعه ، ويعطيه أثماراً كثيرة وغلة وافرة من جميع مزارعه في (مأرب) و (نشق) و (رحبن) (رحبتان) . ولينال حظوة ورفعة عند سيده (رب شمس نمران ، ملك سبأ وذي ريدان)^١ .

وليس هذا الوباء الفتاك الذي انتشر في الأرض في أيام هذا الملك ، هو أول وباء نسمع به ففي الكتابات اشارات الى أوبئة عديدة أخرى ، كانت تعم البلاد بين الحين والحين ولا سيما بعد الحروب التي لا تكاد تنقطع ، وبعد الحروب الكبيرة الماحقة التي قام بها الملوك فخربوا المدن ودمروا مجاري المياه ، وأباحوا مواضع السكنى ، والبشر ، وتركوا جيف القتلى في مواضعها لتنتشر الأوبئة والأمراض .

وقد ذهب (ريكنس) الى أن الوباء المذكور هو جزء من وباء عام كان قد انتشر من الهند نحو الخارج ، فجاء الى جزيرة العرب ووصل حوض البحر الأبيض وطفح في (سلوقية) Seleucia وقد وقع ذلك سنة (١٦٥) للميلاد^٢ . وورد اسم (رب شمس نمران) (ربشمس نمران) في نصوص أخرى وسمت بـ : CIH 164 ، وبـ Geukens 10 ، وبـ Jamme 496 .

١ حليل يحيى نامي : نقوش عربية جنوبية ، مجلة كلية الاداب ، القاهرة ٩ ، (١٩٤٧) ص ١ = ١٣ ، قسم ٢ ، ١٦ ، (١٩٥٤) ص ٢١ - ٤٣ ،

Jamme 645, MaMb 276.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 496.

و (رب شمس نمران) ، معروف لدينا معرفة حسنة، وهو من (بتع) ، ومن (ملوك سبأ وذي ريدان) ، لورود ذلك صريحاً في بضعة نصوص أحدها عثر عليه في مأرب^١ ، وعثر على البقية في (حاز) أي في بلد همدان .

والنص الذي عثر عليه في مأرب هو النص المعروف بـ REP. EPIG. 3621 . وهو نص قصير يظهر انه بقية نص أطول لم تبق منه غير كلمات^٢ .

ودون (فلي) اسم (سخمّن يهصبج) (سخّان يهصبج) بعد (رب شمس نمران) . وقد ورد اسمه في كتابتين ، هما Glaser 208 و Glaser 136 ، غير انه لم يلقب فيها بـ (ملك سبأ وذي ريدان) . وقد استدل (فلي) من كلمة (مراهمو) ، أي سيدهم ، الواردة قبل اسمه انه كان ملكاً^٣ . وورد اسم رجل يعرف بـ (أجرم يهنعم بن سخّان) . ويرى (فلي) احتمال كون (سخّان) هذا هو (سخّان يهصبج) ، واحتمال كون (أجرم) أحد أبنائه^٤ . ولم يذكر (هومل) اسم (سخّان) في جملة من ذكرهم من ملوك (سبأ وذي ريدان)^٥ .

وللسبب المذكور جعل (فلي) (أجرم يهنعم) ملكاً بعد (سخّان يهصبج) ثم ذكر من بعده (سعد أوم نمران) . وقد ذكر في النص : Glaser 210 ، وهو من النصوص التي عثر عليها في المدينة الهمدانية (حاز)^٦ . ويرى (هومل) أن (.. نمران ملك سبأ وذي ريدان) الذي سقط اسمه من النص : Glaser 571 وبقي فيه نعته وهو (نمران) ، قد ينطبق على (سعد أوم نمران) هذا الذي نتحدث عنه ، كما ينطبق على (رب شمس نمران)^٧ .

و بـ (سعد أوم نمران) ختم (فلي) هذا العهد الذي استمر - على رأيه -

Background, P. 107, Le Muséon, 1967, 1-2, 294. ١

REP. EPG. 3621, REP. EPIG., VI, I, P. 244. ٢

Handbuch, S. 95, CIH 153, 224, CIH, IV, I, III, P. 214, 258, Glaser 136, 208, ٣

Jamme 562, 564, Le Muséon, 1967, 1-2, P. 280.

Background, P. 107. ٤

Handbuch., S. 94. ٥

CIH 226, IV, I, III, P. 260, Handbuch., S. 95. ٦

Handbuch., S. 95. ٧

من سنة (١١٥ ب. م.) حتى السنة (٢٤٥) . وقد حكم فيه ملوك من بني (بتع) ، وقد كوتنوا - على حسب رأيه أيضاً - الأسرة السادسة من الأسر التي حكمت عرش (سبأ) . ثم وضع بعد هذه الأسرة أسرة جديدة جعلها الأسرة السابعة ، وهي من (بكيل) . وقد جعل أول رجالها الملك (العذنوفان يهصدق) (العز نوفان يهصدق) ، وقد حكم - على حسب رأيه - من سنة (٢٤٥ ب. م.) حتى السنة (٢٦٠ للميلاد)^١ .

ووضع (فلي) اسم (ياسر يهنعم) بعد (العذنوفان) . وهو على حسب تربيته الملك الستون من ملوك سبأ ، الذين حكموا السبثيين من مكربين وملوك . وهو والد (شمر يهرعش) الملك الشهير المعروف بين الأخباريين . وبذلك تنتقل من أسرة قديمة الى أسرة جديدة ، ومن عهد قديم الى عهد آخر جديد .

وأما (فون وزمن) ، فإنه لم يذكر اسم من حكم مباشرة بعده (ريشمش نمران) ، بل ذكر اسم (شعرم اوتر) وهو من (همدان) بعد اسم (علهان نهفان) الذي أدرك أوائل حكم (ريشمش نمران) ، كما ذكر اسم (فرعم يتهب) ، وهو من (جرت) (جرة) وقد جعل حكمه في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد . وذكر اسم (حيور عثر يضع) مع اسم (شعرم اوتر) دلالة على أنه حكم معه في أواخر أيام حكمه . ثم ذكر اسم (لحيعث يرخم) من بعده . وجعله معاصراً لـ (لعز يهنف يهصدق) ملك حمير . وجعل (ياسر يهنعم) الأول وهو والد (شمس يهرعش) الثاني معاصراً لـ (لحيعث يرخم) وقال إن في أيامه استولى الحميريون على مأرب . وكان معاصراً لـ (الشرح يحضب الثاني) الذي حكم مع أخيه (يازل بن)^٢ .

وجعل (فون وزمن) زمان حكم (الشرح يحضب) الثاني في حوالي السنة (٢٠٠) للميلاد . ثم جعل حكمه مع أخيه في حوالي السنة (٢١٠) ، ثم عاد فجعله يحكم وحده في حوالي السنة (٢٢٠) الى السنة (٢٣٠) حيث ذكر اسم (نشأ كرب يأمن يهرحب) من بعده ، وجعل على حمير في أثناء هذه المدة (كرب ايل) (ذو ريدان) و (ثأرن يعب يهنعم) ، وعلى حضرموت

Background, P. 143. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٢

(العزيزي) ، الذي تحالف مع (ثارن يعب)^١ .

وذكر (فون وزمن) اسم (ذمر على وتر يهر) بعد (ثارن يعب يهنعم) ثم جعل (عمدان بين يهقبض) على عرش سبأ . ثم (ياسر يهنعم الثاني) من بعده ، وقد حكم مع ابنه (شمر يهر عرش الثالث) ، الذي انفرد بالحكم في حوالي السنة (٣٠٠) بعد الميلاد^٢ .

وقبل أن أنتهي من هذا الفصل وأختمه ، أود أن أشير الى منافسة كانت بين الأسرة السبئية الحاكمة المنحدرة من (فيشان) صاحبة قصر مأرب ، وبين أسر أخرى لم تكن لها صلة بالعرش ، ولكنها ادعت لنفسها حق حكم سبأ وذوي ريدان. وتلقب أفرادها باللقب الرسمي المقرر للحكم ونازعت الملوك الشرعيين في حق الحكم والسلطان . فوجد الحمدانيون مثلاً وهم يحكمون الثلث الشمالي من دولة (سمعي) القديمة من مقرهم (ناعط) ، ونجد (بني يتع) ، وهم يحكمون الثلث الغربي للمملكة (سمعي) ، (حملان) وعاصمتهم (حاز) وكذلك (مأذن) ، ثم نجد (مرثدم) أي (مرثد) ومعها (أقيان) (شبام أقيان) ، و (جرت) بما في ذلك كنين (كني)^٣ .

هذا ، ولا بد لي وقد انتهيت من تدوين هذا الفصل من الإشارة الى أن عهد (ملوك سبأ وذوي ريدان) هو من أصعب الفصول كتابةً في تأريخ سبأ ، على كثرة ما عثر عليه من كتاباته ، ذلك لأن الكتابات لا تقدم اليها مواعيد تمكن الانسان أن يقف عليها ليتعرف ما حوله من أمور ، ثم ان بعضها ناقص أصابه التلف ، فأثر في معناه ، الى غير ذلك من أمور . لذا نجد علماء العربيات الجنوبية متباينين في تثبيت تأريخ هذا العهد وفي أسماء الملوك ، وأعتقد ان هذا الخلل لن يصلح ، وان الفجوات لن تحشى وتملأ ، الا بعد أمد ، بعد استقرار الأمور في اليمن بحيث يسمح لأصحاب العلم بالبحث عن الكنوز المدفونة لاستنباط ما فيها من سر دفين عن هذا العهد والعهد الأخرى من تأريخ اليمن القديم .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 454, 498

صنعاء :

وقد لمع اسم (صنعو) ، أي (صنعاء) ، في أيام (الشرح يحضب) ، وهي لا بد أن تكون قد بنيت قبله بزمان . وقد أشار (الشرح يحضب) الى قصر له بها ، هو قصر (غندان) (غندان) المعروف في المؤلفات الإسلامية بقصر (غندان) ، وقد ذكره بعد قصره القديم الشهير قصر (سلحن) (سلحن) رمز الملكية في سبأ^١ . وهكذا صارت لصنعاء مكانة ازدادت على مرور الأيام ، حتى صارت عاصمة اليمن ومقر الحكام .

قائمة (ريكننس) :

وقد رتب (ريكننس) أسماء ملوك (سبأ وذى ريدان) على النحو الآتي :

- ١ - فرعم ينهب ، وكان معاصراً لـ (علهان نهفان) .
- ٢ - الشرح يحضب ، وقد حكم على رأيه في حوالي السنة ٢٥ قبل الميلاد وكان يعاصره (شعرم اوتر) (شعر أوتر) . وأما ابنه (يازل بين) (يازل بين) ، فكان معاصراً لـ (حيو عثر يضع) .
- ٣ - نشأكرب يهأمن .
-
- ٤ - ذمر على بين .
- ٥ - كرب ايل وتر يهنعم ، وكان معاصراً للملك (العز) ملك حضرموت .
- ٦ - (هلك أمر) - ذمر على ذرح .
-
- ٧ - وتر يهأمن .
-
- ٨ - شمدن يهنعم .
-

- ٩ - الشرح يحمل .
.....
١٠ - عمدان بين يهقبض .
.....
١١ - لعز نوفان تهصدق (لعز نوفن يهصدق) .
.....
١٢ - ياسر يهصدق .
١٣ - ذمر على يهبر (ذمر على يهبأر) الأول .
١٤ - ثارن يعب يهنعم .
١٥ - ذمر على يهبر (ذمر على يهبأر) الثاني .
١٦ - رب شمس نمرن (ريشمس نمران) .
١٧ - الشرح يحسب .
١٨ - ١٩ - سعد شمس اسرو (.....) حمد .
.....
٢٠ - ياسر يهنعم .
٢١ - شمر يهرعش^١ .

اسرة ذمر على بين :

- ١ - ذمر على بين .
٢ - كرب ايل وتر يهنعم ، (كربثيل وتر يهنعم) . وهو ابن ذمر على بين .
٣ - هلك امر (هلك أمر) . وهو ابن كرب ايل .
٤ - ذمر على ذرح ، وهو ابن كرب ايل وتر يهنعم ، وشقيق هلك أمر .
٥ - يهقم .
٦ - كرب ايل بين ، (كربثيل بين) . وهو ابن ذمر على ذرح^٢ .

J. Ryckmans, L'institution, P. 338. ١

Orlens Antiquus, III, 1964, P. 70. ٢

اسرة ياسر يهصدق :

- ١ - ياسر يهصدق .
- ٢ - ذمر على يهبر . وهو ابن ياسر يهصدق .
- ٣ - ثرن يعب (ثارن يعب يهنعم) (ثارن يركب) (ثارن يرحب)
وهو ابن ذمر على يهبر .
- ٤ - ذمر على يهبر . وهو ابن ثارن يعب يهنعم . ويمكن تلقيبه بالثانسي
تميزاً له عن الأول .
- ٥ - ثارن يهنعم (ثرن يهنعم)^١ .

Orlens Antiquus, III, 1964, P. 80.

الفصل التاسع والعشرون

ممالك وإمارات صغيرة

وعرف من الكتابات القتبانية ، شعب يقال له (أوسن) أو (أوسان)^١ . وكانت أرضوه تكون جزءاً من مملكة قتبان ، مثل دهس و (دنت) (دتنة) و (تني) ومناطق أخرى كانت تابعة لقطبان . وقد عرف من الكتابات أن الأوسانيين كونوا حكومة ، حكمها ملوك ، وصلت أسماء بعضهم إلينا ، ولكنها حكومة صغيرة لم تبلغ مبلغ حكومة قتبان ، أو حضرموت أو معين ، أو سبأ . ولعلّ الأوسانيين الذين أدركوا الإسلام ، هم من بقايا (أوسان) . وقد كان من جملة من اعتمد عليهم الحمداني في أخبار اليمن القديمة ، رجل ينسب إلى أوسان ، هو (محمد بن أحمد الأوساني) ، زعم أنه كان يحسن قراءة الكتابات العربية الجاهلية المدونة بالمسند^٢ .

وقد وهبت لنا هذه المملكة الصغيرة بضعة تماثيل منحوتة من الرخام ، يجوز أن نعدها من أنفس ما عثر عليه من تماثيل في جزيرة العرب حتى الآن . وهي تماثيل بعض ملوك أوسان ، وتعدّ أول تماثيل تصل إلينا من تماثيل ملوك العرب . وقد كتب على قاعدة كل تمثال اسم الملك الذي يمثله ، فهذا تمثال كتب عليه :

REP. EFIG. 454, Hartmann, Arabische Frage, S. 185, Lldzbarski, Ephemeris,

II, S. 385, Beiträge, S. 57. ff.

٢ الأكليل (٦٥/٨ ، ٧٧ ، ٧٨) (طبعة نبيه) .

(يصدق آل فرعم ملك أوسان بن معد ال) ، وهذا تمثال ثان نقش على قاعدته اسم الملك الذي يمثله : (زيدم سيلن بن معدال) ، وتمثال ثالث كتب تحت قدم صاحبه اسمه (معد ال سلحن بن يصدق ال ملك أوسان) ، ورابع كتبت على وجه قاعدته من أمام : (يصدق ال فرعم شرح عت ملك أوسن بن معد ال سلحن ملك أوسن) .

ويرى (فون وزمن) أن الملك (يصدق ايل فرعم شرح عت بن معد ايل سلحن) ، هو الملك (يصدق ايل فرعم ملك أوسان بن معد ايل) نفسه . فإسمان اذن في نظره ، لمسمى واحد ، ويكون والده الملك (معد ايل سلحن بن يصدق ايل ملك أوسان) ، ووالد (معد ايل سلحن) اذن هو (يصدق ايل) الذي لا يعرف اسم أبيه^١ .

وعثر على اسم ملك آخر من ملوك أوسان ، هو (يصدق ال فرعم شرح عت (عت) بن ودم) (يصدق ايل فرع (الفارع) شرح عت بن ودم) ، ورد لمناسبة تقديمه نذراً ، وهو (معمر) أي (مذبح) أو (مبخرة) الى أحد الآلهة : ولم يذكر الملك اسم ذلك الإله^٢ . وقد استدلل بعض الباحثين من جملة (بن ودم) ، أي (ابن ودم) على وجود فكرة تأليه الملوك عند الأوسانيين ، وإن الجملة تعني ان الملك المذكور كان يرى انسه من نسل الإله (ودم)^٣ . وعندني ان لفظة (ودم) هنا هي مجرد اسم لشخص ما . وفي كتب الأسباب والأخبار أسماء عدد من الرجال ، هي في الوقت نفسه أسماء آلهة . ولم يقل أحد ان أصحاب تلك الأسماء كانوا يرون أنفسهم آلهة ، أو من أبناء الآلهة ، وبينهم أناس كانوا من سواد الناس .

ولا نعرف من أمر هؤلاء الملوك شيئاً يذكر ، والظاهر ان تمثال (معد ال سلحن) (معد ايل سلحن) يمثل والد (يصدق ايل فرعم شرح) كما جاء

١ Belträge, S. 70.

٢ وقد اختلف الباحثون في المراد من (معمر) ، كما اختلفوا في تفسير النص ، لانه من النصوص الغامضة ،

Margoliouth, Two South Arabian Inscription, P. 6, Margoliouth, In Proceedings. Britl. Academy, Vol., XI, P. 6, Rhodokanakis, Altesabalsche Texten, I, S. 96, Orientalla, Vol., I, P. 269.

٣ Belträge, S. 58, Conti Rossini., 94.

ذلك مدوناً في قاعدة التمثال الرابع ، ويظهر ان (يصدق ايل فرعم) هو غير (يصدق ايل فرعم شرح عت) كما يتبين ذلك من اختلاف صورتى التمثالين. وتفيدنا هذه التماثيل فائدة كبيرة في تعرف نماذج ملابس الأوسانيين وعلى زيتهم وكيفية تنظيم شعور رؤوسهم ، وعلى غير ذلك مما له علاقة بمظهر الانسان ، وبالفن من حيث الجودة والخلق والتعبير عن النفس والاتقان .

وجاء اسم الملك (يصدق ال فرعم شرح عت) في كتابة أوسانية أمرت بكتابتها امرأة اسمها (رثدت) (رثدة) ، وقد جاء فيها انها قدمت الى سيدها المذكور ملك أوسان ، تماثلاً من الذهب ، ليحفظ في معبد (نعمن) (نعان)^١ ، وهي من كتابات النذور . ويظهر انها قدمت هذا النذر لحادث وقع للملك ، فتوسلت لدى آلهة أوسان بأن تمنّ على الملك وتبارك فيه ، وهي في مقابل ذلك تقدم لها نذراً تماثلاً من ذهب ، ولا بد أن تكون هذه المرأة من الأسر الرفيعة التي لها شأن ومكانة ، ولعلها كانت من أسرته .

وجاء في كتابة أوسانية أخرى تحطم اسم صاحبها وزالت معالمه : أنه قدم تماثلاً (صلمت) من ذهب الى سيده (مراس) (مرأس) (يصدق ايل فرعم شرح عت) ملك أوسان^٢ . ولا بد أن يكون هذا التقديم لمناسبة حدثت للملك ، فأراد هذا الوجيه التعبير عن تقديره لسيده الملك بتقديم هذا التمثال المصنوع من الذهب^٣ . وتشبه هذه الكتابة الكتابة المرقمة بـ Jaussen Nr. 159 bis وهي لأخت هذا الملك ، وقد سقط اسمها من الكتابة بتهمش حدث في الحجر ، وبقيت منه بقية ، هي : (ذت بغيثت اخت ...)^٤ ، وجاء فيها أنها قدمت الى سيدها (سقنيت مراس) صنماً من ذهب (صلم ذ ذهب)^٥ ، ولم تذكر المناسبة التي دعته لتقديمه . وكان له شقيق هو (زيد سيلن) (زيد سيلان)^٦.

REP. EPIG., Tome I, 6, 350, 461. ١

Orientalia, Vol, 1932, P. 127. ٢

(صلمت ذهبن) (تماثل ذهب) ، (صلم من ذهب) ٣

Mordtmann und Eugen Miltwoch, Altusdarabische Inschriften, Roma, 1933, ٤

S. 18.

Orientalia, Vol., I, P. 124. ٥

Background, P. 85. ٦

ويرى بعض الباحثين أن زمان حكم الملك (يصدق ال فرعم شرحعت) (يصدق ايل فارع شرح عت) كان في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد حتى حوالي السنة (٤٥٠) قبل الميلاد^١. وقد استدلووا على ذلك من طراز التمثال الذي نحت ليمثل ذلك الملك. فان شكل اللباس الذي نحتته النحات ليكون لباس الملك ، هو على النسق اليوناني في التماثيل اليونانية المنحوتة قبل منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. ويرى الباحثون احتمال شراء مثل هذه التماثيل من (غزة) في فلسطين ، إذ كانت سوقاً مهمة يفد عليها العرب للتجار ، وفيها معروضات يونانية وغيرها ، ينقلها التجار الى جزيرة العرب ، وفي جملتها الأصنام التي أثرت في الفنانين العرب ، فصاروا ينحتون تماثيلهم على شاكلتها ، وفي جملتها تماثل الملك المذكور الذي يجب أن يكون قد نحت فيما بين النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد الى حوالي السنة (٤٥٠ ق. م.)^٢.

وعرفت أسماء ملوك آخرين من ملوك أوسان ، لا نعلم من أمر أصحابها شيئاً يذكر ، منها (معد ايل سلحان بن ذي يدم)^٣ وقد رأى (جوسن) Jaussen ان الاسم الأخير هو (زيدم) بدلاً من (ذي يدم)^٤. ولقب (سلحن) (سلحان) من الألقاب التي تكرر ورودها مدونة على تماثيل ملوك أوسان ، وعلى بعض الكتابات التي عثر عليها في (أبنة) وفي المعاهدة المعقودة بين (سلحن) و (زرن) (زراران) ، أي بين ملك (نجاشي) الحبشة وملك (سبا) . ويرى (ميتوخ) ان (سلحن) (سلحان) أحد المتعاقدين في المعاهدة المذكورة ما كان ملكاً حبشياً ، ولكن ملكاً من ملوك أوسان . وأما (زرن) ، فانه ملك من ملوك قتيان^٥.

ووجد اسم ملك آخر من ملوك أوسان ، هو (عم يثع غيلن لحي)^٦ ،

١ Wissmann - Hofner, Beiträge, S. 8, 58, 69, 142, Pirenne, Royaume de Qataban, P. 138, 199, Conti Rossini, Chrest., 93, 94, Le Muséon, 1964, 3-4 P. 442.

٢ Beiträge, S. 8, 58, 70.

٣ (معد ال سلحن بن ذي يدم) ، (ذويدوم) .

٤ Mordtmann und Eugen Mittwoch, Altsüdarabische Inschriften, Roma, 1933, S. 13.

٥ Orientalia, I, P. 119, Jaussen I, 2, 17, 57.

٦ (عمينع غيلان لحي) (عم يثع غيلان لحي) .

محفوراً على تمثال من المرمر مكتوباً كتابة حسنة^١ . وقد نعث في المستقبل على تماثيل أخرى للملك العرب الجنوبيين من أوسانيين وغيرهم ، اذ لا يعقل انفراد أوسان من بين سائر الشعوب العربية الجنوبية بصنع التماثيل .

وذكر (فليبي) ملكاً من ملوك أوسان يقال له (يصدق ابل فرعم زغمهن الشرح) ، ولا نعرف من أمره شيئاً . ووردت في الكتابتين الموسومتين به Jaussen 72, 73 و Jaussen 75, 83 ، أسماء ملوك أوسانيين منها : (زيمحن بن الشرح ملك أوسان) ، و (عم يثع ملك أوسان) و (يصدق ابل فرعم عم يثع) ، و (الشرح بن يصدق ابل) ، وهي أسماء لقب بعضها بلقب ملك ، وحرّم بعضها هذا اللقب ، ولا نعرف عن أصحابها شيئاً يذكر^٢ . وقد كانت (أوسان) قبل استيلاء قتيان عليها وادماجها في حكومة قتيان ، مملكة ذات تجارة مع الخارج ، تتاجر مع افريقية ، وتحكم أراضي أخرى ليست في الأصل من (أوسان) ، مثل : (دهس) ، و (تبنو) و (كحد) . استدل بعض الباحثين من اطلاق مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريثري) على الساحل الافريقي الواقع شمال Pemba (بمبا) و (زنبار) (زنجبار) اسم (الساحل الأوساني) عليه ، على ان الأوسانيين كانوا قد حكموه ، ونزع بعضهم اليه فسكنه ، وصار تابعاً لأوسان ، ولا يمكن حدوث ذلك بالطبع لو لم يكن الأوسانيون أقوياء ولهم أرض واسعة في العربية الجنوبية ذات عدد كبير من السكان بحيث يسمح لهم بالاستيلاء على الساحل الافريقي . ويرجح العلماء زمان حكم الأوسانيين لذلك الساحل الإفريقي الى ما قبل السنة (٤٠٠ ق. م.)^٣ .

وتقع مملكة أوسان في جنوب (قتيان) . وهي من الحكومات العربية الجنوبية الصغيرة ، إلا أنها كانت ذات أهمية ، إذ كانت تمتلك الساحل الافريقي الذي أشرت اليه ، وتتاجر مع سكانه . وقد كان ميناء (عدن) من جملة الأماكن التابعة لهذه المملكة^٤ .

ومن ملوك أوسان ، ملك ذكر اسمه في النص الموسوم به Glaser 1600

1. Orientalia, Vol., I, P. 30, 119, (1932).

2. Beiträge, S. 70.

3. Beiträge, S. 74, Periplus Maris Erythraei, 22, A. Grohmann, Arabien, S. 25.

4. Discoveries, P. 39.

الذي تحدث عن حملة قام بها الملك (كرب ايل وتر) على جملة قبائل وإمارات وحكومات ملكية صغيرة . فبعد أن استولى هذا الملك على مدينة (شرجب)^١ بين الجوف ونجران ، ساق جيوشه الى (أوسان) ، فقتل ستة عشر ألف رجل ، وأسر أربعين ، واحتل أماكن أخرى كانت تابعة لأوسان ، هي : (حن) (حمان) ، و (انقم) (أنف) و (حبن) (حبان) و (ديب) (دياب) و (رشا) (رشاي) ، و (جردن) (جردان) ، و (دنتت) (دتنه) ، و (تفذ) الى ساحل البحر . وذكر النص بعد ذلك معبد (مرتوم) (مرتم) (مرتو) الذي اسمه (مسور)^٢ ، أمسا ملك (أوسان) فكان اسمه (مرتوم) (مرتو)^٣ .

وقد كانت قتيان حليفة لسبأ في هذه الحرب . وقد يكون تعبيرنا أدق وأصح لو قلنا إنها كانت تابعة لها في هذا العهد . ولذلك اشتركت مع السبئيين ضد الأوسانيين . أما (أوسان) ، فكان الى جانبها (دنتت) و (دهس) و (تبنى) وبعض قبائل (كحد) . وقد رأيت أن جميع هذه القبائل ومعها (أوسان) كانت تابعة لمملكة قتيان . ويظهر أنها ثارت على قتيان ، وانفصلت عنها ، فتكوتت مملكة أوسان ، ودخلت القبائل الأخرى في هذه المملكة ، أي مملكة أوسان ، أو أنها تحالفت معها ، واسنقلت كل في منطقتها فكوئت إمارة أو مملكة صغيرة . فلما انتهى (كرب ايل وتر) من مملكة أوسان ، تعقب هذه القبائل ، وأخضعها لحكمه . ويظهر أن ملك (دهس) الذي كان في حلف مع أوسان، أو خاضعاً لها ، انتهاز فرصة انتصار (كرب ايل وتر) على أوسان فأعلن انفصاله عنهم وانضمامه الى السبئيين ، فكافأه (كرب ايل وتر) باعطائه جزءاً من أرض أوسان هو أرض (ادوم) (أود)^٤ :

وقد احتل السبئيون أرض أوسان وأرض تبنى، ووهبوا أرض (كحد ذحضنم) لإله سبأ (المقه) . أي ان الملك (كرب ال) (كربيل) (كرب ايل) وهبها لحكومة ولشعب سبأ ، وأنعم على قتيان وحضرموت ببعض الأرضين التي

Glaser, Skizze, 2, S. 89. ١

Glaser, Skizze, 2, S. 89, Hartmann, Arabische Frage, S. 185. ٢

Beiträge, S. 8, Background, P 144. ٣

Glaser, 1000 A7, Rhodokanakis, KTB., I, S. 28. ٤

غنمها من الأوسانيين . ويظهر أنها كانت قتبانية وحضرية في الأصل ، غير ان الأوسانيين اغتصبوها منهم ، فأعادها (كرب ايل) الى قتبان وحضرموت ، لمساعدتهما له . وقد كان ملك قتبان الملك (وروايل) اذ ذاك .

ويظهر من عبارة (وقفي كرب ايل كل قسط كحد جوم لا لقمه ولسبا) ، ومن جملة (كل قسط كحد حرهو وعبدو) ، ان أرض (كحد) ذ حضم (التي وهبت لألقه ولشعب سبا ، أصبحت ملكاً خاصاً بالملك (كرب ايل) ، وان جميع أهل (كحد) أحراراً وعبيداً صاروا أتباعاً له ، يستغلون الأرض ويدفعون اليه الغلات^١ .

وقد جعل (فليبي) الملك (مروتو) في رأس قائمته التي وضعها للملك (أوسان) ، وجعل زمان حكمه فيما بين السنة (٦٢٠) والسنة (٦٠٠ ق.م.) وذلك ليضعه معاصراً لـ (كرب ايل وتر) الذي جعل حكمه في هذا الزمن^٢ . وهو رأي يعارضه أكثر الباحثين في العربيات الجنوبية ، اذ جعلوا حكمه في حوالي السنة (٤٥٠) قبل الميلاد ، أو بعد ذلك بقليل^٣ .

ووضع (فليبي) اسم الملك (ذيدم) (ذيد) (زيد) ، بعد اسم الملك (مروتو) ، وجعل زمان حكمه في حوالي السنة (٢٣٠ ق.م.) . فترك بذلك فجوة كبيرة لا يدري من حكم فيها . ولم يعرف اسم والد الملك (ذيدم) ، وقد ذكر انه كان من عشيرة (بغيث)^٤ .

ثم ذكر (فليبي) (معد ايل سلحن) بعد (ذيد) ، وجعله ابناً له . وجعل حكمه في حوالي السنة (٢١٠ ق.م.) ، وذلك جرياً على طريقته في وضع مدة (٢٠) سنة لكل ملك يقضيها في الحكم . ثم جعل (يصدق ايل فرعم شرح عت) من بعد (معد ايل) وجعله ابناً له . وصير زمان حكمه في حوالي السنة (١٩٠ ق.م.) وجعل (زيد سلحن) شقيقاً له ، كما جعل له أختاً . ثم وضع الملك (معد ايل سلحن) بعد (يصدق ايل فرعم) ، وجعله ابناً له ، وجعل زمان حكمه في حوالي السنة (١٧٠ ق.م.) . ثم صير (يصدق

Rhodokanakis, KTB., I, S. 30.

Background, P. 144.

Beiträge, S. 8.

Background, P. 144.

ايل فرعم عم يثع (ملكاً من بعده ، وهو ابن (معد ايل سلحن) ، وجعل حكمه في حوالي السنة (١٥٠ ق م .) . ثم جعل (فرعم زهمهن الشرح) ملكاً من بعده ، وهو ابن (يصدق ايل فرعم عم يثع) ، وجعل حكمه في حوالي السنة (١٣٥ ق. م .) . ثم ذكر (عم يثع غيلن لحي) من بعده ، وهو ابن (يصدق ايل فرعم عم يثع) ، وقد جعل حكمه حوالي السنة (١٢٠ ق. م .)^١ .

ولم يذكر (فلي) ملكاً آخر بعد هذا الملك ، وإنما ذكر أنه في حوالي السنة (١١٥ ق. م .) ضم (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذو ريدان) مملكة أوسان الى أرض السبئين^٢ .

ويعارض ترتيب (فلي) لأسماء ملوك (أوسان) رأي كثير من علماء العربيات الجنوبية ، فقد ذهب أكثرهم الى تقديم الملوك الذين ذكرهم (فلي) بعد الملك (مرتو) عليه ، وجعلوا زمانهم أقدم من زمانه ، فقدروا زمان الملك (يصدق ايل فرعم شرح ايل) في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد مثلاً ، أي قبل سنة (٤٥٠ ق. م .) ، وهذا يعني أنه أقدم عهداً من (مرتو) ، أي ان رأيهم هو عكس ما ذهب (فلي) اليه^٣ .

وقد ذهبت (بيرين) J. Pirenne الى ان أوسان كانت مملكة في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، أو بعد الميلاد بقليل ، وأن حكم الملك (يصدق ايل فرعم شرحت بن ودم) كان في حوالي السنة (٢٤ ق. م .)^٤ .

لقد كان معبد (نعان) المعبد الرئيسي عند الأوسانيين . وقد خصص بعبادة الإله (ود) ، وهو إلههم الكبير . ويقع هذا المعبد في (وادي نعان)^٥ . وقد ورد اسمه في عدد من الكتابات الأوسانية^٦ .

Background, P. 144. ١

Background, P. 144. ٢

Beiträge, S. 8. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 442, Beiträge, S. 58, J. Pireene, Royaume de Qataban, P. 138, 199, Rathjens, Kulturelle Einflüsse in SW - Arabien besondere Berücksichtigung des Hellenismus, Jahrb. f. Kleinasiat. Forschung., I, 1950, S. 27. ٤

Beiträge, S. 58. ٥

Conti Rossini, 93, 94, 96, Ryckmans 116, Jaussen 137, Beiträge, S. 58. ٦

الجبانيون :

لقد ورد في تاريخ (بلينيوس) اسم شعب من الشعوب العربية الجنوبية ، سماه Gebbanitae ، وقال ان له عدة مدن أكبرها (ناجية) (نجية) Nagia و Thamna (ثمنه) (ثمنه) . وكان في (ثمنه) خمسة وستون معبداً ، وقد يكون في هذا العدد شيء من المبالغة ، الا انه مع ذلك يدل على ضخامة هذه المدينة وسعتها ، بدليل وصول اسمها الى اليونان ، ومبالغة هذا المؤرخ في عدد معابدها . ولما تحدث عن اللبان ، قال : انه لم يكن يسمح بتصديره الا بواسطة هذه المملكة ، والا بعد دفع ضريبة الى ملكها ، وتبعد العاصمة مسافة (١٤٨/٥) ميلاً عن (غزة) يقطعها الانسان في خمس وستين مرحلة على ظهور الجمال^٢ .

وفي أثناء كلام (بلينيوس) عن (المر) ذكر ان ملك الـ (الجبانيين) Gebbanitae كان يأخذ لنفسه ربع الغلة ، وذكر ان بلادهم تقع ما بين أرض شعب دعاه Astramitica وأرض شعب آخر يسمى Ausaritie = Ausaritae ، وأشار الى أن للمملكة ميناء يسمى Ocilia ، وان حق بيع القرفة كان محصوراً بالملك وحده^٣ . وذكر أشياء أخرى عن هذا الشعب .

ومعارفنا عن هذا الشعب قليلة ، ويظن انه كان من الشعوب التي كانت تؤلف مملكة قتيان ، وانه استقل في زمن ربما لا يبعد كثيراً عن ايام (بلينيوس) . وكانت مواطنه بعد استقلاله في جوار القتيانيين في الجنوب الشرقي منهم بين قتيان وسبأ على بعض الآراء ، أو في غربهم على رأي (كلاسر)^٤ . ويرى (كلاسر) انه عشيرة أو طائفة من القتيانيين^٥ . ويظن بعض الباحثين انهم (جباً)^٦ . وقد ذكر (الهمداني) موضعاً سماه (جباً) وقال فيه : « جباً مدينة الفاخر ، وهي

Pliny, Nat. Histo., VI, 154, Vol., 2, P. 453, (H. Rackham), (Leob. Clas. Libr.), ١

Belträge, S. 50.

Pliny, Book., XII, 69, VOL., IV, P. 51. ٢

Pliny, Book., XII, 69, IV, P. 51, S. 50, 73, 112. ٣

Ency., Vol., 2, P. 810. ٤

Ency., Vol., 2, P. 812, Glaser, Punt., S. 35, 60. ٥

Ency., Vol., 2, P. 812. ٦

لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر^١ ، وقال : « ان جباً وأعمالها هي كورة المعافر ، وهي في فجوة بين جبل (صبر) وجبل (ذخسر) في وادي الضباب »^٢ . وقد ورد في النصوص المعينية اسم (جباً) (جبان) مع اسم المعينين^٣ . ولكني لا أستطيع أن أوافق على رأي من يقول ان (الجبثين) هم Gebbanitae ، ولذلك دعوتهم بـ (الجبانين) انتظاراً للمستقبل الذي قد يرشدنا الى اسم يرد في النصوص العربية الجنوبية يكون مرادفاً للفظ المذكورة .

نجران :

وذكرت (نجران) كما رأينا مع (رجمت) (رجمة) ، فهي اذن من المواضع القديمة من عهود ما قبل الميلاد ، سواء أكان اسم نجران اسم أرض أو اسم مدينة وهي في منطقة خصبة جداً ذات ماء ، ولذلك صارت طريقاً مهماً للقوافل المتجهة من العربية الجنوبية نحو الشمال ، أو الآتية من الشمال في طريقها الى العربية الجنوبية . ولموقعها المهم هذا تعرضت للغزو ولطمع الطامعين فيها ، فأصبحت لذلك بأضرار فادحة مراراً . وقد سهاها (بطلميوس) (نكرا ميتربوليس) Nagara Metropolis ، أي مدينة (نكرا)^٤ ، وذكرت في نص (النارة) الذي يعود عهده الى سنة ٣٢٨ م.^٥ .

ومع أهمية (نجران) ، فإننا لا نعرف من تاريخها القديم غير شيء قليل . وقد ورد اسمها في كتابة أشارت الى حملة على النبط ، (نباطو) ، ويظهر أن أصحاب الحملة أو الغزاة كانوا قد توجهوا من العربية الجنوبية نحو الشمال ، لأنها تذكر أنها اتجهت من (نجران) نحو (نباطو) فدمرتها ، أي دمرت مدينة النبط^٦ .

١ الصفة (ص ٥٤) .

٢ الصفة (ص ٩٩) .

٣ Ency., Vol., 2, P. 812.

٤ Beiträge, S. 10.

٥ المصدر نفسه .

٦ Beiträge, S. II, Philby, Motor Tracks and Sabaean Inscriptions in Najd,

Geogr. Journal, 1950, 211-215, A. Tritton, Najran Inscriptions, Journal.

Royal. Asiat. Soc., 1944, P. 119-129.

مملكة مهامر :

و (مهأرم) (مهأمر) مملكة صغيرة نستطيع أن نقول إنها إمارة من الإمارات التي لقب سادتها أنفسهم بلقب (ملك) ، ومقرها على ما يظهر من الكتابات مدينة (رجمت) (ركمت) (رجمة) . وكان لها مجرى ماء منبعه في (نجران) . وتقع أرض (أمرم) (أمر) (أمير) في شرقها في امتداد البادية ، وفي جنوب (مهأمر) في بعض الأماكن . ويرى بعض الباحثين أن (رجمت) هي في أرض (نجران) في الزمن الحاضر ، أو في منطقة تتاخها في شمالها^١ .

وقد جاء اسم (رجمت) كما رأينا في الكتابة المعينية التي وسمها العلماء بـ Glaser 1150^٢ ، وقد بحث عنها في أثناء حديثي عن دولة (معين) وقلت إن من رأي بعض العلماء أن تلك الحرب نشبت بين الفرس (المأذويين) في أيام ملكهم Atraxerxes Ochus وبين المصريين ، في حوالي السنة (٣٤٣ ق.م)^٣ . ويظهر من تلك الكتابة أن مدينة (ركمت) كانت معروفة اذ ذاك ، وكانت ذات شأن وخطر ، وتقع على طريق القوافل التي تصل (معين) والعربية الجنوبية بمصر^٤ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) هي في الواقع مدينة من مدن (نجران) ، وأن (نجران) لم تكن في الأصل مدينة معينة ، وإنما هي أرض تضم جملة مدن ، منها هذه المدينة ، إلا أن الناس خصصوا لفظة (نجران) على مرور الزمان باحدى المدن ، هي مدينة (رجمت) ، حتى عرفت بها ، فضاع بذلك اسمها القديم . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا بأمثلة عديدة وقعت في العربية الجنوبية^٥ .

ويحتمل على رأي^٦ (موردتمن) أن تكون (رجمت) (ركمت) هي (رعمة)

١ Belträge, S. 9.

٢ Glaser 1155, Halévy 535, 578.

٣ Belträge, S. 10, Rhodokanakis, Zur Altudarabischen Epigraphik und Archäologie, II, WZKM, 41, 1934, S. 69.

٤ Belträge, S. 10.

٥ Belträge, S. 10, Philby, Arabian Highlands, P. 257.

في التوراة و (رعمة) في التوراة الابن الرابع لـ (كوش)^١ . وقد ذهب الى أن مراد التوراة من (كوش) في هذا المكان العربية الجنوبية. ومن أولاد (كوش) (شبا) ، أي (سبأ) ، و (دادان) . وقد ذكر تجار (رعمة) مع تجار سبأ في سفر (حزقيال)^٢ .

١ التكوين ، الأصحاح العاشر ، الآية السابعة ، أخبار الأيام الاول ، الأصحاح الاول ، الآية التاسعة .

٢ حزقيال ، الأصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ ،

الفصل الثلاثون

الحميريون

وجب علينا الآن البحث عن شعب لعب دوراً خطيراً في سياسة العربية الجنوبية ، في هذا الوقت وقبله بمئات من السنين ، وهذا الشعب هو : (حمير) الذي لا زال قائماً يلعب دوراً مهماً بين القبائل العربية الجنوبية حتى الآن .

كانت حمير من القبائل العربية المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد ، حتى وصل خبرها الى اليونان والرومان ، فدعوها باسم *Homerital*^١ و *Omyritai* و *Omeritae* و *Hamiroel* ونحو ذلك . وقد اعتبر (بلينيوس) حمير من أكثر الشعوب العربية الجنوبية عدداً ، وذكر ان عاصمتهم مدينة *Sapphar*^٢ ، ويقصد بذلك مدينة (ظفار) . وعرفوا باسم *Hemer* عند الحبش^٣ . وأشار الى اسم مدينة من مدنها ، ساها (مسلة) *Masala = Mesala = Mesalum*^٤

Pliny, VI, 28.

Pliny, Nat. Histo., VI, 104, Ency., III, P. 292, Mordtmann, Miscellen zur
Himjarischen, Pliny, VI, XXXII, 161, Vol., II, P. 458-459, Alterthumskunde,
In ZDMG., 31, 1877, S. 69, Hls. Ecclex., II, 58, Ency., Vol., II, P. 310, Le
Muséon, 1964, 3-4, P. 429, 438.

Ency., II, P. 310, E. Littmann, Sabaische Griechische und Altarabische Ins-
chriftten, Deutsche Aksum-Expedition Vol., IV, Berlin, 1913, Miscellanea Aca-
demica Berolinsia, 11/2, 1950, P. 107, Le Muséon, LXXVII, 3-4, 1964, P. 429.

Pliny, VI, XXXII, 158, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 449.

وفي كلام هذا الكاتب عنهم اشارة الى أن مدينة (ظفار) كانت عاصمة حمير في أيامه ، وان الحميريين كانوا قد تمكنوا في أيامه من تكوين شخصيتهم ومن اثبات وجودهم في العربية الجنوبية يومئذ .

وقد ذهب (كلاسر) الى ان المراد بـ Masala موضع يدعى اليوم (المشالحة) ويقع شرق (مخا) على الساحل . أما (شبرنكر) ، فرأى انه موضع (مأسل الجمع) ، وان المقصود بـ Homeritae في هذا المكان جماعة أخرى، اسمها : Nomeritae ، وان النساخ حرقوه فكتبوه Homeritae بدلاً من Nomeritae^١ . وهذه التسمية التي يراها (شبرنكر) قرية من (نمر) .

وذكر مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ان الحميريين كانوا يحكمون في أيامه منطقة واسعة من ساحل البحر الأحمر وساحل المحيط حتى حضرموت ، كما كانوا يمتلكون ساحل (عزانيا) Azania في افريقية ، أي قسماً من الساحل الشرقي . وكان عليهم ملك يسمى (كرب ال) Charibael ، عاصمته مدينة (ظفار) Taphar . وكان على صلات حسنة بالروم^٢ . وعدهم (مرقيانوس) Marcianus ، وهو من رجال أوائل القرن الرابع للميلاد ، من جملة قبائل الحبشة . ونجد عدداً من الكتاب البيزنطيين يرون هذا الرأي^٣ .

وقد ذكرت حمير في نص (عيزانا) Ezana ، ملك (اكسوم) Askum ، ودعيت في النص اليوناني منه بـ Omyritai = Omeritai^٤ أي حمير . ولم يعثر الباحثون على اسم حمير في الكتابات التي يرجع عهدها الى ما قبل الميلاد بمئات من السنين مع ورود أسماء قبائل أخرى كانت تقيم في المواضع التي نزل بها الحميريون . مثل (حبان) (حبن) و (ذيب) . فقد جاء اسم (حبن) (حبان) في الكتابة الموسومة بـ REP. EPIG. 3945 ، وهي كتابة يرجع بعض الباحثين زمان تدوينها الى حوالي السنة (٤٠٠) قبل الميلاد^٥ . و (حبان) ، مدينة وأرض تقع غرب (ميفعة) ، على الطريق المؤدية الى

Pliny, VI, XXXII, 158, Glaser, Skizze, II, S. 137. ١

Ency., II, P. 310. ٢

Ency., II, P. 310. ٣

E. Littmann, Deutsche Aksum, IV, Berlin, 1913, Reprinted ٤

in : Miscellanea Academica Berolinsia, II/2, 1950, P. 107.

Glaser 1000A, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 445. ٥

(شبوة) . أما (ذيب) (ذيلب) فقبيلة ، كانت منازلها ما بين (عرالق الأحرور) من الغرب ومنطقة (قنا) . وتضم (دلثا) (ميفعة) ، وهي من القبائل التي كانت تسكن القسم الشرقي من (حمير) أي الأرض التي هاجمت منها حمير مملكة حضرموت^١ . ويلدب (فون وزن) الى أن اسم حمير لم يكن قد لمع في هذا العهد على أنه اسم قبيلة حاكمة ، وأن اسمها لم يلعب الا بعد أن تحالف الحميريون مع قبائل أخرى مثل (ذياب) ، فصاروا بحلفهم هذا قوة ، وصار لهم نفوذ^٢ . وقد ورد اسم قبيلة (حبن) (حبان) و (ذيب) (ذياب) في النصوص المتأخرة كذلك مثل كتابات (عقلة)^٣ .

وقد عرف الحميريون عند أهل الأخبار أكثر من بقية الشعوب العربية الجنوبية الأخرى التي نتحدث عنها ، وقد جعلوا (حميراً) ، وهو جد الحميريين في زعمهم ، ابناً لـ (سبأ) ، وصيروه (حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)^٤ . وقد سموه (العرنج) وزعموا أنه كان ملكاً ، وأنه ملك بعد هلاك أبيه (سبأ) ، وأنه أول من تتوج بالذهب ، وملك خمسين سنة ، وعاش ثلاثمئة عام ، وكان له من الولد ستة ، منهم تفرعت قبائل حمير ، وكانت بينهم حروب ، الى أمثال ذلك من أقوال^٥ .

وقد حاول بعض أهل الأخبار إيجاد تفسير للفظ (حمير) ، ولكلمة (عرنج) ، فذكروا أوجهاً متعددة للتسمية . وقد اعترف (ابن دريد) ، بأن من الصعب الوقوف على الأصل الذي اشتق منه اسم (حمير) أو (العرنج) ، لأن هذه أسماء قد أميتت الأفعال التي اشتقت منها . وقد ذكر أن بعض أهل اللغة زعموا أنه سمي حمير ، لأنه كان يلبس حلة حمراء^٦ . وذكر أيضاً (أن هذه الأسماء الحميرية لا تقف لها على اشتقاق لأنها لغة قد بعدت وقدم العهد بمن كان يعرفها)^٧ .

REP. EPIG. 2687, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 445. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 446. ٢

Jamme 959, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 446. ٣

ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (ص ٤٠٦) ، (تحقيق ليفي بروفنسال) . ٤

ابن خلدون (٤٧/٢) ، مروج الذهب (٣/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) . ٥

الاشتقاق (٣٠٦/٢) ، اللسان (٢١٥/٤) ، « دار صادر » . ٦

الاشتقاق (٣١٢/٢) ، (والعرنج اسم حمير بن سبأ) ، اللسان (٣٢٣/٢) ، « دار صادر » . ٧

ويطلق أهل الأخبار لقب (تبع) على الملوك الذين حكموا اليمن ، وعلى مجموعهم (التبابعة) . وهم في حيرة من تفسير المعنى . وقد ذكر أكثرهم أنهم انما سموا تبعاً و (تبابعة) لأنهم يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته . أو لأن التبج ملك يتبعه قومه ، ويسرون خلفه تبعاً له . أو لكثرة أتباعه. أو من التتابع ، وذلك لتتابع بعضهم بعضاً^١ . وذكروا ان أحد التبابعة كان قد صنع (الماذيات) من الحديد ، وان الحديد سخر له ، كما سخر للنبي (داود)^٢ . وأشار الى (تبع) في القرآن الكريم : (أهم خير أم قوم تبع)^٣ و (أصحاب الأيكة وقوم تبع)^٤ . وقد ذكر بعضهم أن هذا اللقب لا يلقب به إلا الملوك الذين يملكون اليمن والشجر وحضرموت ، وقيل حتى يتبعهم (بنو جشم بن عبد شمس) أما إذا لم يكن كذلك فإنما يسمى ملكاً^٥ . وأول من لقب منهم بذلك (الحارث بن ذي شمر) وهو الرائش ، ولم يزل هذا اللقب واقعاً على ملوكهم الى أن زالت مملكتهم بملك الحبشة اليمن^٦ . وذكر أهل الأخبار أن تبع عند أهل اليمن لقب هو بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم . وكان يكتب إذا كتب : بسم الذي ملك براً وبحراً^٧ .

واختلف علماء التفسير في اسم (التبج) الحميري المذكور في القرآن الكريم ، فذهب بعضهم الى أنه من حبر ، وأنه حَيَّرَ الحيرة وأتى (سمرقند) فهدمها . وذهب بعض آخر الى أن تبع كان رجلاً من العرب صالحاً، وأنه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حبر بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ،

١ المفردات (ص ٧١) ، اللسان (٣١/٨) ، تاج العروس (٢٨٧/٥) حمزة (٨٢) .

٢ قال أبو ذؤيب :

وعليهما ماذيتان قضاهما داود أو صنع السوابخ تبع
اللسان (٣١/٨) (تبع) (صادر) ، المفردات (٧١) ، مجمع البيان (١١٥/٢٥) ،
تفسير الخازن (١١٥/٤) ، تفسير الشربيني (٥٥٣/٣) ، تفسير ابن كثير (١٤٢/٤) .

٣ الدخان ، الآية ٣٧ .

٤ ق ، الآية ١٤ .

٥ ابن خلدون (القسم الاول من المجلد الثاني ص ٩٤) ، تاج العروس (٢٨٧/٥) ، (تبع) .

٦ صبح الأعشى (٤٨٠/٥) .

٧ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (٨٦/٢٥) ، تفسير الطبري (٧٧/٢٥) ، تفسير ابن كثير (١٤٢/٤) .

وكانوا يعبدون الأوثان فدعاهم الى دينه ، وقال إنه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار . قال نعم فتحاكموا اليها ، وكان معه حبران ، فغلب الحبران النار ، ونكصت على عقبها ، فتهودت حمير ، وهدم (تبع) بيت (رثام) ، وهو بيت كانوا يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه ، وانتصر عليهم^١ . وقد ذكروا ان تبعاً أول من كسا البيت ، وان الرسول نهى عن سبته^٢ . وروي انه قال : « لا أدري تبع نبياً كان أم غير نبي »^٣ . ويظهر من هذا القصص المروي عن (تبع) والذي يعود سنده الى (كعب الأخبار) و (وهب ابن منبه) و (عبدالله بن سلام) في الغالب ، أنهم قصدوا بـ (تبع) الملك (اسعد أبو كرب) الذي تهوّد . يؤيد هذا الرأي نص كثير من المفسرين والأخباريين على اسمه ، ونسبتهم القصص المذكور اليه^٤ . وذكر (ابن كثير) ان (أسعد أبو كرب بن ملكيكر بن الياني) ، هذا هو (تبع الأوسط) وانه ملك قومه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة ؟ ولم يكن في حمير أطول مدة منه ، وتوفي قبل مبعث الرسول بنحو من سبعمائة سنة الى غير ذلك من قصص يرجع سنده الى المذكورين^٥ .

هذا وللتبابعة قصص طويل في كتب أهل الأخبار . فيها قصص عن نسبهم ، وفيها قصص آخر عن فتوحاتهم وحروبهم ، وكلام عن دياناتهم ، وحديث عن حكمهم وأحكامهم ، تجده مبسوطاً مفروشاً في صفحات تلك الكتب ، تجد فيها بعض التبابعة وقد آمنوا برسالة الرسول ووقفوا على اسمه وذلك قبل ميلاده بمئات من السنين . وتمنّوا لو عاشوا فأدركوا ايامه وذبّوا عن حياضه . هذا أحدهم وهو التبع (اسعد أبو كرب بن ملكيكر) ، يقول :

شهدت على أحمد انه	رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري الى عمره	لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كلّ هم

-
- ١ تفسير الطبري (٧٧/٢٥) .
 - ٢ تفسير الطبري (٩٧/٢٦ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (٨٦/٢٥) .
 - ٤ تفسير الطبرسي (٦٦/٢٥) (طبعة طهران) .
 - ٥ تفسير ابن كثير (١٤٤/٤) .

فهو يشهد برسالة الرسول ، ويؤمن بها قبل مبعثه بنحو من سبعمائة سنة ، ويرجو لو مدّ في عمره ، فوصل الى ايام الرسول ، اذن لجاهد وحارب معه ، وفرّج عنه كل همّ ، لأنه كان يعلم بما سيلقيه الرسول من قومه من أذى وعذاب. ولصار له وزيراً وابن عمّ^١.

ويذكر بعض الأخباريين ، ان تبعاً قال للأوس والخزرج ، كونوا هنا حتى يخرج هذا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أما أنا لو أدركته لخدمته وخرجت معه^٢. الى غير ذلك من قصص يحاول ان يجعل للتبابعة علم سابق قديم برسالة الرسول باسمه وبمكان ظهوره . وبتهيؤ القحطانيين ومنهم أهل المدينة لتأييده وللذبّ عنه ، ولتنشر دينه على رغم قريش أهل مكة ، وهم لبّ العدنانيين .

وتجد في كتب أهل الأخبار بعض التبابعة وقد صيروا مسلمين حنفاء يدعون الى الدين الحق وينهون قومهم عن عبادة الأصنام . وتجد فيها أحاديث قيل ان رسول الله قالها في حق التبابعة مثل قوله : « لا تسبوا تبعاً ، فانه كان قد أسلم » ، أو « لا تسبوا تبعاً فانه كان رجلاً صالحاً » « ولا تسبوا تبعاً فانه أول من كسا الكعبة » . أو « ما ادري أكان تبع نبياً ام غير نبى »^٣ . وتجد فيها أكثر من ذلك فقد بلغ الحال ببعض اهل الأخبار ان صيّروا بعض التبابعة أنبياء وفاتحين ، بلغت فتوحاتهم الصين في المشرق و (روما) في المغرب . وهذا القصص كله هو بالطبع من حاصل ذلك النزاع السياسي الذي كان بين القحطانيين والكتلة المعادية لها ، كتلة العدنانيين .

وما هذا الالحاح الذي يؤكد ايمان التبابعة بإله واحد وتسليمهم برسالة الرسول وتدينهم بدينه ، وفي عدم جواز سب التبابعة او لعنهم أقول ما هذا الالحاح الا دليل ظاهر محسوس على ان من الناس من كان يلعن التبابعة ويسبهم ويشتمهم ، ولم يكن هذا الشتم او اللعن موجهاً الى التبابعة بالذات بالطبع ، بل كان موجهاً لليمن والقحطانيين عامة ، وللرد عليهم وضعت تلك الاحاديث وامثالها على لسان

-
- ١ أخبار مكة (ص ٨٤) ، تفسير ابن كثير (١٤٢/٤) ، البداية والنهاية (١٦٣/٢) وما بعدها .
 - ٢ تفسير الطبري (١١٥/٢٥) وما بعدها .
 - ٣ اللسان (٣١/٨) (صادر) ، تفسير الخطيب الشربيني (٥٥٣/٣) ، تفسير الطبري (١٥٤/٢٦) وما بعدها ، لباب التأويل في معاني التنزيل والمعروف بتفسير الخازن (١١٥/٤ ، ١٧٥) (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٥٥ م) .

الرسول . وقد ظهر أجداد اهل اليمن فيها احسن واخير من اجداد قريش واهل مكة ، ظهوروا فيها مؤمنين موحدين ، كسوا البيت الحرام ، وكانوا هم اول من كسوه ، وعنوا بالبيت اذ عمّروه مراراً ، وقدروا مكانته قبل الاسلام بزمان طويل خير تقدير .

وذكر (المسعودي) ان (تبعاً) المعروف بـ (تبع الأول) كان أول من حكم بعد (الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراثش) ، وقد ملك — على زعمه — اربعائة سنة، ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد^١ . ولم يشر الى صلة (تبع الأول) بالهدهاد ، والظاهر من قوله : (وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلتها)^٢ ، أنه كان على رأي أهل الأخبار وأصحاب (كتب التبابعة)^٣ ، مغتصباً للعرش ليست به بالهدهاد صلة ونسب . فأول من حكم باسم (تبع) على رواية المسعودي هو تبع المذكور .

وكلمة (تبع) لم ترد في نصوص المسند ، لا بمعنى ملك ، ولا بمعنى آخر له علاقة بحكم أو بوظيفة أو بملك . وقد أطلقت تلك النصوص على اختلاف لهجاتها لقب (ملك) على الملوك ، أي على نحو اطلاقنا لها في عربيتنا ، ولهذا يرى المشرقون أن كلمة (تبع) هي (بتع) القبيلة التي تحدثت عنها من (همدان) . وحرفت الكلمة فصارت (تبع)^٤ .

وقد كان الحميريون يسيطرون على القسم الجنوبي الغربي من العربية الجنوبية في ايام مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) ، ولا سيما في مدينة (ظفار) وحصنها الشهير المعروف بـ (ريدان)^٥ ، الذي يرمز الى ملك حمير والذي يحمي العاصمة من غارات الأعداء . وهو بيت الملوك وقصرهم أيضاً^٦ .

وقد كانت منازل حمير في الأصل الى الشرق من هذه المنازل التي ذكرها مؤلف الكتاب . كانت تؤلف جزءاً من أرض حكومة قتبان وتتصل بحكومة حضرموت.

١ مروج الذهب (٤/٢) (محمد محيي الدين) .

٢ المصدر نفسه .

٣ كذلك .

٤ Ency., II, P. 311.

٥ Beiträge, S. 33.

٦ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

وتقع في جنوب (ميفعه)^١ . وتؤلف أرض (يافع) المسكن القديم للحميريين ، وذلك قبل نزوحهم عنها قبل سنة (١٠٠) قبل الميلاد الى مواطنهم الجديدة^٢ . حيث حلّوا في أرض (دهس) (داهس) وفي أرض (رعين) حيث كانت (رعين) ، فأسسوا على اشلائها حكومة (ذو ريدان)^٣ .

وحسود أرض حير في مواطنها القديمة : (أرض (رشأى) (رشأى) و (حبان) (حبن) في الشمال وأرض حضرموت في الشرق ، وأرض (ذيب) (ذياب) في الغرب . وقد كانت في الأصل جزءاً من حكومة قتيان .

ويظهر من الكتب العربية ان الحميريين كانوا يقطنون حول (لحج) في منطقة (ظفار) و (رداع) وفي (سرو حير) و (نجد حير)^٤ .

وقد عرفت الأرض التي اقام بها الحميريون بـ (ذي ريدان) (ذريدن) ، نسبة الى (ريدن) (ريدان) ، قصر ملوك حير بعاصمتهم (ظفار) . وهو عند حير بمثابة قصر (سلحن) (سلحان) (سلحين) ، وقصر (غمدن) (غمدان) عند السبئين .

وقد اخذ حصن (ريدان) اسمه من حصن اقدم عهداً منه كان في قتيان ، بني عند ملتقى اودية في جنوب العاصمة (تمنع) — عرف بـ (ذي ريدان) (ذ ريدان) ، وقد بني على جبل يسمى بـ (ذي ريدان) يؤدي الى (حدنم) (حدن) . ولما كان الحميريون يقيمون في هذه الأرض المعروفة بـ (ذي ريدان) وذلك حينما كانوا اتباعاً لمملكة قتيان ، لذلك اطلقوا على الحصن الذي بنوه بـ (ظفار) اسم حصن (ذي ريدان) ، تيمناً باسم قصرهم القديم ، واطلقوا (ذي ريدان) على وطنهم الجديد الذي اقاموا فيه بعد ارتحالهم عن قتيان ، ليذكرهم باسم وطنهم القديم^٥ .

وقد عثر على كتابة في خرائب حصن (ريدان) القديم ، الذي كان قد بناه الريدانيون ايام اقامتهم بقتيان ، قدّر الخبراء زمان كتابتها بحوالي السنة (٤٠٠)

Beiträge, S. 48. ١

Beiträge, S. 66. ٢

Beiträge, S. 73. ٣

Ency., II, P. 310. ٤

Beiträge, S. 48, Discoveries, P. 8, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 450. ٥

قبل الميلاد^١ . ويقع حصن (حدي) عند حافة الجبل الذي تقع عليه خرائب (ريدان) ، وهو اسم يذكرنا باسم (حدنم) المذكور^٢ .

وقد كان الحميريون أتباعاً لمملكة قتبان قبل انتقالهم الى وطنهم الجديد ، فأرضهم كانت خاضعة لحكومة قتبان تؤدي الجزية لها وتعترف بسيادة ملوك قتبان عليها ، ولذلك اطلق السبثيون عليهم (ولد عم) اي ولد الإله (عم) و (أمة عم) (ملة عم) وهو إله قتبان . وتعني تلك الجملة (جماعة عم) ، اي قتبان ومن يخضع لها من قبائل . ف (عم) هو رمز قتبان^٣ . وهو تعبير يؤدي معنى التبعية والجنسية بالمعنى الحديث . ولما كان الحميريون أتباعاً لقتبان في ذلك العهد ، وان لم يكونوا يتعبدون للإله (عم) إله قتبسان ، ادخلوا في جملة (ولد عم) للتعبير عن المعنى المذكور .

وقد عثر الباحثون على كتابات مؤرخة ، سنة ١٠٩٤ أرخت بالتقويم العربي الجنوبي الذي يرجع عهده الى السنة (١١٥) أو (١٠٩) قبل الميلاد . عثر عليها في ارضين حيرية . وقد تبين من تحويل تلك السنين الى سنين ميلادية ، أنها تعود الى السنة (٤٠٠) للميلاد فما بعد^٤ .

ويرى بعض الباحثين ان السنة المقابلة لسنة (١١٥) أو (١٠٩) قبل الميلاد ، وهي السنة الأولى من سني التقويم العربي الجنوبي . هي سنة نشوء حكومة حمير وظهورها الى الوجود بصورة فعلية^٥ . ولهذا صار الحميريون يؤرخون بها لما لها من أهمية في الناحية السياسية عندهم .

وقد كان الحميريون يغزون أرض حضرموت ويتحرضون بطرق تجارتها . ولا سيما طريق (شبة) — (قنا) (قانه) ، المؤدي الى المدن الجنوبية والساحل لذلك اضطرت حضرموت إلى اقامة سور يسد الوادي (وادي لبنأ) (لبنه) ، أقم من حجارة قوية بحيث سدّ الوادي ، فليس للمارة سبيل سوى البساب الذي

REP. EPIG. 3871, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 450, J. Pirenne

Paleographie, I, (Clt. Note 12), Pl. XIXd.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 450.

Le Muséon, LXXVII, 3-4, 1964, P. 429, 450, Ryckmans

535, Jamme 577, 578, 589.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 429.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 430.

يحرسه حراس أشداء . ويظهر ان اقامة ذلك السور كان قبل السنة (٤٠٠) قبل الميلاد .

وقد اكتسح الحميريون أملاك غيرهم من جيرانهم فاستولوا على أرض (رعين). وقد كانت (رعين) مملكة صغيرة حكمها ملوك كما تبين ذلك من الكتابات . وقد كانت هذه المملكة تحكم أرض (عرش) وقد استولى عليها الحميريون أيضاً كما استولوا على كل الأرضين التي كانت خاضعة لحكم ملوك (رعن) (رعين). فأضافوها الى حكومة (ريدن) (ريدان) (ذي ريدان) . وقد حدث ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد^٢ .

وقد كانت مملكة (رعين) كما يتبين من الكتابة الموسومة بـ Glaser 1693 في حلف مع سبأ ضد مملكة (قتبان) ، ويظهر انها كانت مع سبأ لتدافع بذلك عن نفسها إذ كانت جارة لقتبان ، ولقتبان مصالح خطيرة في أرض (رعين)^٣ . ويتبين من النص الموسوم بـ Glaser 1693 — الذي يعود عهده الى أيام الملك (يدع أب يجل) ، والذي يرجع بعض علماء العرييات الجنوبية عهده الى حوالي السنة (٢٠٠) قبل الميلاد — أن (رعين) ، كانت مملكة إذ ذاك ، وفي أرض (رعين) أقام الحميريون دولتهم حيث اتخذوا (ظفار) عاصمة لهم^٤ . وكانوا قد زحفوا على هذه الأرض وعلى (دهس) (داهس) والمعافر واستقروا بها ، حيث تغلبوا على سكانها الأصليين ، وأقاموا حكومة حمير^٥ ، التي أخذت تنافس سبأ وتوسع في أرض القتبانيين وغيرهم ، متوخية انتزاع السلطة من السبئيين^٦ . وقد كان (شمر ذي ريدان) الذي تحدثت عنه في أثناء كلامي على (الشرح يحضب) من أقبال حمير ومن ساداتهم البارزين في ذلك الوقت . وقد رأينا انه كان نشطاً محارباً يتصل بالحبش وبملك (نجران) ، وبملك حضرموت ، وبكل من يجد فيه عداوة^٧ ونصباً لـ (الشرح يحضب) ليتمكنه من التغلب عليه، ومن انتزاع الحكم منه . ولكنه لم يتمكن مع كل ذلك من التغلب على (الشرح) ، بل

Beiträge, S. 44.	١
Beiträge, S. 39, 48.	٢
Beiträge, S. 143.	٣
Beiträge, S. 69.	٤
Beiträge, S. 73.	٥
Beiträge, S. 113.	٦

اضطر في الأخير الى التصالح معه ، والى الاعتراف بسيادته ، حتى أنه صار قائداً من قواد جيشه في حربه التي أثارها (الشرح) على حضرموت . كما عوقبت (نجران) عقاباً شديداً نتيجة لاندفاعها مع (شمر) وتأييدها له ، واعلانها الحرب على (ملك سبأ وذي ريدان) ^١ .

ويظهر من وصف (بلينيوس) Pliny ، أن القسم الجنوبي من ساحل البحر الأحمر كان تابعاً للملك حمير، صاحب (ظفار) . ويظهر من الكتابة CIH 41 أن مملكة حمير كانت تضم رعين و (ذمار) (ذمر) والأرض التي تقع في الشمال المسماة بـ (قاع جهران) في الوقت الحاضر . فيظهر من ذلك أن الحميريين كانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على الهضبة وعلى المناطق الجنوبية من اليمن الممتدة على البحر الأحمر . ونحن لا نملك في الوقت الحاضر أي نصوص تشير الى الوقت الذي استولت حمير فيه على هذه الأرضين . ويظن البعض أن ذلك قد كان في أيام حملة الرومان على اليمن ، فاستغل الحميريون هذه الفرصة ، فرصة ضعف حكومة السبئيين ، فاستولوا على تلك الأرضين ^٢ .

وقد يرجع زمان استيلاء حمير على ميناء (قنا) الشهير ، وهو اهم ميناء في حضرموت الى هذا العهد ، او الى عهد يقع بعد ذلك بقليل ^٣ .

ولم تكن علاقات حمير بسبأ علاقات طيبة في الغالب . بل يظهر انها كانت نزاع وخصومة في أكثر الأوقات . ونجد في كتابات السبئيين اشارات الى حمير والى نزاع سبأ معهم . وقد دعوهم بـ (حمير) (حمر) (حرم) وبـ (ذي ريدان) (ذ ريدن) و (بني ذي ريدان) ، ودعوا ملوكهم : (ذمر على ذي ريدان) و (شمر ذي ريدان) وبـ (كرب ايل ذي ريدان) ^٤ .

وقد استطاع الحميريون من الاستيلاء على (مأرب) . استولوا عليها جملة مرات . لقد تمكن أحد ملوكهم من احتلالها ودخولها ، ويظهر ان ذلك كان بعد حملة الرومان على اليمن ، فعدل في لقبه الملكي الرسمي وهو (ذو ريدان) ،

١ Belträge, S. 38, Ryckmans 535, Jamme 577, CIH 350,

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 477.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 449.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 449.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 451.

وجعله مثل لقب الملوك السبئيين الشرعيين . وهو (ملك سبأ وذو ريدان) ، الذي يشير الى استيلاء سبأ فيما مضى على حمير وضم ارضهم الى أرض سبأ . والظاهر ان (اقول) أقيال سبأ ثاروا على الحميريين فأخرجوهم من (مأرب) ، وأعادوا العرش الى العائلة السبئية المالكة، فحكموها بصفتهم ملوك سبأ وذو ريدان ، وان لم تكن لهم سيطرة فعلية على أرض حمير ، واحتفظ ملوك حمير باللقب الجديد الذي لقبوا أنفسهم به ، وهو (ملك سبأ وذو ريدان) ، مع أنهم كانوا قد أخرجوا من أرض سبأ ، وان لم يكن قد بقي لهم أي نفوذ عليها . وهكذا صرنا نجد حاكمين : أحدهما سبئي وآخر حميري ، يلقب كل واحد منهما نفسه بلقب (ملك سبأ وذو ريدان)^١ .

وقد جعل (فون وزمن) استيلاء حمير على مأرب في حوالي السنة (١١٠) بعد الميلاد . وعاد فذكر ان الحميريين استولوا على (مأرب) مرة أخرى ، وذلك في حوالي السنة (٢٠٠) أو (٢١٠) للميلاد . واستند في حكمه هذا على الكتابة الموسومة بـ Jamme 653^٢ .

ومن ملوك حمير الملك (يسرم يهصدق) (ياسر يهصدق) ، الملقب بـ (ملك سبأ وذو ريدان) في الكتابة الموسومة بـ CIH 41 . ويرى (فون وزمن) انه حكم بعد الميلاد . حكم في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد ، فيما بين السنة (٧٠) و (٨٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد وضع (فون وزمن) اسم (الشرح) بعد اسم (ياسر يهصدق) ، وجعل ايامه في حوالي السنة (٩٠) بعد الميلاد . وقد ذكر انه من حمير والى ايامه تعود الكتابة المرقمة بـ CIH 140^٤ . ويرى ان هذه الكتابة هي أقدم كتابة ورد فيها خبر حرب وقعت بين حمير وسبأ^٥ .

ثم ذكر (فون وزمن) اسم (ذمر على يهبار) بعد اسم (الشرح) وقد جعل حكمه في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . والى زمانه تعود الكتابة

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 451. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 450, Orlens Antiquus, III, 1964, P. 85. ٣

Le Muséon, 1964, P. 498. ٤

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459. ٥

الموسومة بـ CIH 365 . وكان يعاصره الملك (شهر هلال يهقبض) ملك قتبان^١. ويرى (فون وزمن) ان (ذمر على يهبار) (ذمر على يهبار) حارب شخصاً من (بني جزفر) (بن جزفرم) . و (بنو جزفر) هم من عشيرة (ذخلل) (ذو خليل) ، وهم عشيرة قديمة يرجع اليها نسب مكربو سبأ وأكثر ملوك السبئيين . ويرى احتمال كون هذه الحرب قد وقعت مع أحد أفراد العائلة السبئية المالكة . وقد تمكن (ذمر على) من الاستيلاء على حصن (ذت مخرن) (ذات مخرن) ، ومن دخول (مأرب) . وقد قام هو وابنه (ثارن) (ثاران) بترميم سد مأرب وبيضاء المواضع التي تخربت منه . وذلك لأنه كان قد تخرب ، وذكر ان تخرب السد هذا ، هو تخرب لم يصل خبره اليها^٢ . وقد قدم الملكان قرايين وهما بمأرب الى (عثر) (عثار) و (سحر) بمعبد (نفقان) (نفقن)^٣ .

وقد بلغ الحميريون على رأي (فون وزمن) أوج أيام عزهم في هذا العهد. فقد حكموا السبئيين ومعهم (ذعبن) (ذو عذبن) ، الذين نعتوا أنفسهم بـ (ادم) ، اي الأتباع^٤ .

ثم وضع (فون وزمن) اسم (ثارن يعب) (ثاران يعب) ، بعد اسم (ذمر على) . والى زمانه تعود الكتابتين CIH 457 و CIH 569^٥ .

ثم وضع (فون وزمن) اسم (شمر يهرعش الأول) من بعده ، وقد كان معاصراً لـ (أنمار يهأمن) ولـ (كرب ايل وتر يهنعم) من (بني بتع) من قبيلة (سمعي) . وقد كان حكمه في حوالي السنة (١٤٠) بعد الميلاد^٦ .

وذكر (فون وزمن) أن السبئيين تمكنوا من الاستيلاء على حير ، فصارت تابعة لهم ، وكان ذلك في أيام (ملك سبأ وذو ريدان) (شعرم أوتر) (شعر أوتر) ، وبقيت حير خاضعة لهم الى أن ثارت عليهم بزعامة (لعززيهف يهصدق) (العز يهف يهصدق) (لعز يهف يهصدق) (لعز نوفن يهصدق)

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

٣ CIH 365, 457, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

٤ Glaser 551, REP. EPIG. 4775, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 459.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 81.

٦ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

حيث ولي عليهم وحكم بلقب (ملك سبأ وذو ريدان)^١ .
وقد جعل (فون وزمن) زمان حكم (لعز زيهف يهصدق) ، فسيما بين
السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وجعل أيام حكمه في أيام استيلاء (جدرة)
(جدرة) الحبشي على (ظفار)^٢ .

وقد جاء اسم الملك (لعز زيهف يهصدق) في الكتابة الموسومة بـ Jamme 631
وقد لُقّب فيها بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) . ذكر بعد أسطر من ورود
اسم الملك السبئي (شعر أوتر) (ملك سبأ وذو ريدان) . كما جاء اسم الملك
(الحيعث يرخم) الذي لقب أيضاً بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) . وقد سجل
هذه الكتابة أحد القادة السبئيين . ويظهر ان السبئيين والحميريين كانوا قد كونوا
جبهة واحدة لمحاربة الحبش الذين هاجموا اليمن في عهد (جدرة) (جلرة)^٣ .
وقد وقعت اضطرابات في هذا العهد ، دامت حوالي قرن ونصف قرن .
لم تنعم اليمن في خلال هذه المدة بالراحة والاستقرار . فنجد في الكتابات التي
وصلت إلينا عن هذا العهد ذكر فتن وحروب وأوبئة وغزوات وغارات . ونجد
ملوكاً واقطاعيين يحاربون بعضهم بعضاً . ويعزو (ريكننس) سبب ذلك الى
ادخال الخيل في الحروب وحلولها محل الجمل . مما ساعد على حركة القتال ، وفي
نقل الحروب بصورة أسرع الى جيّهات كان الجمل يقطنها ببطء . كما يرى
(دوستل) W. Dostal أن لتحسين السروج التي كان يستعملها المحاربون الفرسان
دخل في هذه الحروب والاضطرابات^٤ .

لقد أدى استعمال الخيل في الحروب وتحسين سروجها على رأي الباحثين المذكورين
الى احداث تطور خطير في اسلوب القتال . كما أدى الى ظهور قوة محاربة صار
لها نفوذ في الأحداث وفي سياسة جزيرة العرب ، هي قوة الأعراب . فقد أدى
استخدام البسود للخيل الى امعانهم في الغزو والى اغارتهم على الحضير طمعاً في
أموالهم وفي ما عندهم من أمتعة ومال . كما أدى الى الاكثار من غزوهم بعضهم

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 85,

Jamme, Sabaeen Inscriptions, P. 381.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 451.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 452, W. Dostal, The Evolution of Bedouin Life,

L'Antica Beduina, Università di Roma, Studi Semitici, 2, 1959, PP. 11-34.

بعضاً ، والى التدخل في شؤون الحكومات . وصار لهم نفوذهم في الأمور السياسية والعسكرية في العربية الجنوبية ، واضطرت حكومات هذه الأرضين على أن تحسب لهم حساباً ، كما استخدموا الأعراب في قتالهم مع الحكومات الأخرى المنافسة لها ، وفي محاربة الأقبال والأذواء^١ .

ثم جعل (فون وزمن) اسم (ياسر يهنعم الأول) من بعده ، وقد حكم معه ابنه (شمر يهرعش) ، الذي لقبه بالثاني ، تمييزاً له عن (شمر) المتقدم . وفي عهدهما احتل الحميريون (مأرب) ، وصارت (سبأ) تابعة لهم . وكان ذلك في حوالي السنة (٢٠٠) للميلاد^٢ . وكان يعاصرهما (عذبة) نجاشي الحبشة في هذا الوقت^٣ .

ويرى (فون وزمن) أن الكتابات العربية الجنوبية انقطعت فجأة بعد هذه الكتابة المتقدمة عن ذكر ملوك (همدان) ، فلم تعد تذكر شيئاً عنهم ، ويعزو سبب ذلك الى الأوبئة التي اجتاحت البلاد والى تألق نجم الأسرة الحميرية الحاكمة التي تمكنت على ما يظهر من الإستيلاء على عاصمة سبأ (مأرب) وعلى نجد سبأ والى انفراد سادة (مضحى) (مضحم) (مضحم) ، وقد تكون استولت على ردمان كذلك . وفي هذه الظروف حكم (ياسر يهنعم) الذي لقبه (فون وزمن) بالأول مع ابنه (شمر يهرعش) الذي لقبه بـ (الثاني) الذي اشترك معه بالحكم ثم انفرد به وحده فحكم في (ظفار) وفي (مأرب)^٤ .

ثم نصب (فون وزمن) شخصاً دعاه (كرب ايل ذو ريدان) بعد (شمر يهرعش الثاني) وجعله معاصراً للنجاشي (زوسكالس) Zoskales ، وجعل حكمه في حوالي السنة (٢١٠) بعد الميلاد^٥ . وهو شخص لا نعرف اسمه الملكي الكامل . ويرى (فون وزمن) ، انه هو المقصود في الكتابات 578, 586, 589 Jamme ، وهي كتابات دوتها خصومه . ويظهر من احدى الكتابات ان جيوش خصميه (الشرح) و (يأزل) بلغت (سرعن) في (ردمان) و (قرنهن) (القرنين)

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 452.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 457, 498.

REP. EPIG. 4196, 4938, Jamme 647, 653, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

و (عروشن) (العرائش) في نجاد قبيلة (حرمتم) (حرمت) (حرمة) ،
في أرض (مراد) بين (مأرب) و (قتبان) ، وانها استولت على الحصن
الجلبي المنيع (عر اساي) (عر الآسي) (عر أساي) شرق (ذمار)^١ .

وقد نشبت حرب أخرى بينه وبين خصميه ، اضطرتة الى الاعتراف بسيادة
(الشرح) و (أخيه) عليه ، غير انه عاد فثار على خصميه ، فخسر في هذه
المرّة أيضاً . خسر مدينة (هكر) التي اشتهرت بقصرها الملكي على قمة التل ،
وخسر (رداع) و (ظفار) ، فاضطر الى الفرار^٢ .

ثم جعل (فون وزمن) (ثارن يعب يهنعم) من بعده ، وقد كان حكمه
في حوالي السنة (٢٣٠) حتى السنة (٢٤٠) للميلاد^٣ .

ثم ذكر (فون وزمن) اسم (ذمر على وتر يهبار) من بعده ، وقد كان
حكمه في حوالي السنة (٢٥٠) للميلاد . ثم انتقل منه الى (عمدان بين يهقبض)
الذي جعل حكمه في حوالي السنة (٢٦٠) حتى السنة (٢٧٠) للميلاد^٤ .

وجعل (فون وزمن) الملك (ياسر يهنعم) من بعد (عمدان بين يهقبض)
وقد نعتة بالثاني ، وجعل حكمه مع ابنه (شمر يهرعش) الذي لقبه بالثالث ،
والذي انفرد وحده بالحكم بعد وفاة والده فحكم حتى السنة (٣٠٠) للميلاد . وقد
كان يعاصره الملك (شرح ال) و (رب شمس)^٥ .

وجعل (فون وزمن) حكم الملك (ياسر يهنعم الثالث) و (ثارن ايفع)
(ثارن ايفع) بعد حكم (شمر يهرعش الثالث) . وقد كان حكم (ياسر يهنعم)
الثالث منفرداً في بادىء الأمر ثم أشرك ابنه (ذراً أمر أيمن) معه في الحكم ،
وذلك في الشطر الثاني من ايام حكمه . وقد عاصرا (عزانا) ملك الحبش الذي
غزا اليمن . ثم جعل (ذمر على يهبر) ، من بعد الاثنين المذكورين ، وهو
ابن (ثارن يكرب) (ثارن يكرب)^٦ .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 478.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 478.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٦ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 80.

وذكر (فون -وزمن) ان (ذمر على يهر) حكم مع ابنه (ثارن يهنم)
(ثاران يهنم) في الشطر الثاني من ايام حكمه ، وذلك فيما بين السنة (٣٤٠)
والسنة (٣٦٠) للميلاد . وجعل في حوالي هذا العهد خراب سد مأرب للمرة الثانية .

وفي هذا العهد دخل ملك حير في النصرانية بتأثير (ثيوفيلوس) عليه . وبنيت
كنائس في (ظفار) وفي (عدن) . كما أشرك الملك (ثاران يهنم) (ثارن
يهنم) ابنه (ملك كرب يهامن) (ملكيكرب يهامن) معه في الحكم .

وذكر أنه في حوالي السنة (٣٧٨) للميلاد ترك معبد (اوم) (أوام) ،
وأهمل ، بسبب انصراف أكثر الناس عن التعبد فيه وتركهم عبادة آلهة سبأ القديمة^١ .

وذكر (فون وزمن) أن الملك (ملكيكرب يهنم) (ملكيكرب يهامن)
حكم منذ السنة (٣٨٠) للميلاد مع ولديه : (اب كرب اسعد) (أبو كرب
أسعد) و (ذراً أمر أيمن) . ثم ذكر بعدهم اسم (أبو كرب أسعد) مع
ابنه (حسن يهامن) (حسان يهامن) . وقد ذكر أن (أبأ كرب أسعد) هو
الذي حكم بعد والده (ملكيكرب يهنم) (ملكيكرب يهامن) ، ثم حكم مع
ابنه (حسان يهامن) حكماً مشتركاً ، مستعملين لقباً جديداً هو : (ملك سبأ
وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرهمو طودم وتهتم) . وذلك في حوالي السنة
(٤٠٠) للميلاد^٢ .

ونعرف (أبو كرب أسعد) (ابكرب أسعد) ب (أسعد تبع) عند أهل
الأخبار . ويذكرون أنه اعتنق اليهودية أثناء نزوله يثرب في طريقه الى اليمن .

وقد ذهب (فون وزمن) الى أن الذين حكموا حير كانوا من أسرة ملكية
واحدة . ولكنهم يرجعون الى فرعين . وذهب (ريكننس) الى أن ملوك حير
كانوا أسرتين : أسرة (ياسر يهنم) وأسرة (ياسر يهصدق) ، وقد حكم
أعضاء الأسرتين متفرقين ولكن في وقت واحد^٣ .

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498, Orlens Antiquus, III, 1964, P. 80. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480, Orlens Antiquus, III, 1964, P. 80. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 494, J. Ryckmans, Chronologie, ٤

Orlens Antiquus, III, 1964, P. 19-22.

وظفار ، هي عاصمة حير . وقد اشتهرت بجزعها ، ولا تزال تشتهر به . وقد تفنن الحميريون في تجميله بحفر صور ونقوش لحيوانات ونباتات وأزهار عليه ، وفي صقله ، ويستعمل عقداً يوضع حول العنق وشحاتاً لتزيين الأصابع . واشتهرت بأنها موطن لغة حير فقيل : من دخل ظفار حمر ، لأن لغة أهلها الحميرية^١ .

وقد زالت معالم قصر ريدان بظفار ، وموضعه اليوم ربوة مربعة الشكل تعرف بـ (ريدان) ، بقي منه (سرعبان) ، أي طوفين بشكل هندسي ، من الحجر المنحوت^٢ . وقد زار (كلاسر) مدينة ظفار والخرائب الواقعة على الربوة المتاخمة لآثار ظفار من الجنوب . وقد سمى تلك الخرائب القائمة على الربوة بـ (حصن زيدان) . وقد شكَّ في كونه (حصن ريدان) القديم . ولكن بعض الباحثين لا يؤيدون رأيه هذا^٣ . وأظن ان كلمة (زيدان) هي تحريف للاسم القديم (ريدان) .

وقد اشتهرت حير عند أهل الحجاز بمصانعها ، فقيل : مصانع حير . وفي كلام النبي لوفد كندة : « ان الله أعطانني ملك كندة ومصانع حير ، وخزائن كسرى وبني الأصفر ، وحبس عني شر بني قحطان ، وأذل الجبابة من بني ساسان ، وأهلك بني قنطور بن كنعان »^٤ .

ترتيب ملوك حير :

هذا وقد رتب (فون وزمن) بعض ملوك حير ترتيباً زمنياً على هذا النحو :

- ١ — ياسر يهصدق . وقد حكم بحسب رأيه في حوالي سنة (٧٥) ب . م .
- ٢ — ذمر على يهر . وقد كان حكمه في حوالي سنة (١٠٠ ب . م .) .
- ٣ — ثاران يعب . وقد كان حكمه في حوالي سنة (١٢٥ ب . م .) . ثم وضع فراغاً بعده . يدل على حكم ملك من بعده لا يعرف زمانه ، ووضع

١ الاكليل (٨٨/١) .

٢ الاكليل (٨٧/١) .

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

٤ الاكليل (٦٦/١) .

- بعده حكم الملك (شمر يهرعش) الأول ، وقد كان حكم ذلك الملك الذي لم يعرف اسمه ولا خبره ولا أسرته في حوالي سنة (١٥٠ ب.م).
- ٤ - ثم وضع بعد اسم (شمر يهرعش الأول) فراغاً ذكر ان حير صارت فيه تابعة للسبتيين ، وذلك في عهد (ملك سبأ وذو ريدان شعرم اوتر) (شعر اوتر) . ثم وضع بعده اسم الملك (لعزز يهنف يهصدق) (لعزز يهأنف يهصدق) .
- ٥ - ثم ذكر بعد (لعزز يهنف يهصدق) اسم الملك (ياسر يهنعم) ، وقد نعته بـ (الأول) ، ليميزه عن ملكين آخرين عرفا بهذا الاسم .
- ٦ - ثم وضع بعده اسم ابن له دعاه بـ (شمر يهرعش الثاني) .
- ٧ - ثم وضع بعده اسم ملك بقي من اسمه اسمه الأول فقط، وهو (كرب ال) (كرب ايل) ، وقد نعته بـ (كرب ايل ذو ريدان)^١ .
- ٨ - ثم وضع اسم الملك (ذمر على وتر يهر) (ذمر على وتر يهبار) من بعده .
- ٩ - ثم اسم (ثارن يعب يهنعم) ثم ترك فراغاً ، ذكر بعده اسم .
- ١٠ - الملك (عمدان بين يهقبض) .
- ١١ - ثم الملك (ياسر يهنعم الثاني) .
- ١٢ - ثم (شمر يهرعش الثالث) .
- ١٣ - ثم اسم الملك (ياسر يهنعم الثالث) .
- ١٤ - ثم (ثارن ايفع) (ثاران ايفع) .
- ١٥ - ثم (ذرارمر ايمن) (ذراً أمر أيمن) . وهو ابن (ياسر يهنعم الثالث) .
- ١٦ - ثم ذكر اسم ملك لم يتأكد من لقبه هو (ثاران ي...) (ثاران ي...) .
- ١٧ - وذكر بعده اسم (ذمر على يهر) (ذمر على يهبار) .
- ١٨ - ثم ابنه (ثارن يهنعم) (ثاران يهنعم) .
- ١٩ - ثم ذكر اسم ابنه الملك (ملكيكرب يهأمن) (ملك كرب يهأمن) .

- ٢٠- ثم ذكر اسم ابنه (ابكرب اسعد) (أبو كرب أسعد) و(ذرا امر
ايمن) (ذراً أمر أيمن) .
- ٢١- ثم (أبو كرب أسعد) ومعه ابنه (حسن يهأمن) (حسان يهأمن) .
- ٢٢- ثم اسم (شرحب ال يعفر) (شرحبيل يعفر) ، (شرحب ايل يعفر)^١ .

١ أخذت هذه القائمة من الصفحتين (٤٩٥) و (٤٩٨) من مجلة :
Le Muséon, 1964, 3-4.

الفصل الحادي والثلاثون

سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

وفي حوالي السنة (٣٠٠ ب. م) ، أو بعد ذلك بقليل ، لحقت اللقب الرسمي للملوك (سبأ وذو ريدان) إضافة جديدة ، هي (حضرموت ويمنت) ، فصار (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت) ، وصرنا نقرأ أسماء الملوك ، ونقرأ بعدها هذا اللقب الجديد .

وفي الإضافة الجديدة دلالة على ان مملكة (سبأ وذو ريدان) عدت حضرموت منذ هذا العهد أرضاً تابعة لها وخاضعة لحكمها ، ليس لها منذ هذا الضم استقلال ولا ملوك ، وانها عدت أرض (ويمنت) خاضعة لها وجزءاً من ممتلكاتها كذلك. ومعنى هذا ان رقعة أرض (سبأ وذو ريدان) قد توسعت كثيراً بهذا الضم .

وكلمة (يمنت) ، لم ترد قبل هذا العهد لافي المسند ولا في كتب (الكلاسيكين) ولهذا فهي بالنسبة البنا لفظة جديدة ، وقفنا عليها في الكتابات التي دوت بعد الميلاد . وقد يأتي زمان يعثر فيه العلماء على كتابات تحمل هذه الكلمة ، وترجع بها الى ما قبل الميلاد .

ويمنت - في رأي (كلاسر) - كلمة عامة تشمل الأرضين في القسم الجنوبي الغربي من جزيرة العرب . من باب المندب حتى حضرموت . وكانت تتألف من محاليف عديدة ، يحكمها أقبال وأذواء مستقلون بشؤونهم ، ولكنهم يعترفون بسيادة (ظفار) أو (ميفعة) عليهم . ومن أشهر مدن (ويمنت) الساحلية في رأي

(كلاسر) — Ocelis عند باب المنذب ، و (عدن) Arabia Emporium
و (قانه) (قنا) Cane في حضرموت^١ .

وتعني (يمت) في العرييات الجنوبية الجنوب ، وقد رأى (فون وزمن)
أنها تعني القسم الجنوبي من أرض حضرموت ، وهي الأرض التي كانت عاصمتها
(ميفعت) (ميفعة) في ذلك الزمان^٢ .

ومن (يمت) ولدت كلمة اليمن التي توسع مدلولها في العصور الإسلامية
حتى شملت أرضين واسعة ، لم تكن تعدّ من اليمن قبل الإسلام ، تجدها مذكورة
في مؤلفات علماء الجغرافيا والبلدان والموارد الأخرى^٣ .

واليمن عند أهل الأخبار أرض واسعة يحدّها من الغرب بحر القلزم ، أي
البحر الأحمر، ومن الجنوب بحر الهند ، أي البحر العربي في اصطلاحنا ومن الشرق
البحر العربي ، وتتصل حدود اليمن الشمالية الى حدود مكة حيث الموضع المعروف
بـ (طلحة الملك)^٤ .

وقد أورد أهل الأخبار على مألوف عاداتهم تفاسير لسبب تسمية اليمن يمناً ،
فذكروا ان اليمن إنما سميت يمناً نسبة الى يمن بن قحطان ، وقيل إن قحطان
نفسه كان يسمى ييمن . وقيل إنما سميت ييمن بن قيدار ، وقيل سميت لأنها يمين
الكعبة ، وقيل سميت بذلك لتيامنهم اليها ، وقيل : لما تكاثرت الناس بمكة وتفرقوا
عنها ، التأمت بنو يمن الى اليمن ، وهو أيمن الأرض^٥ .

وأول ملك نعرفه حمل اللقب الجديد، لقب (ملك سبأ وذئ ريدان وحضرموت
ويمت) ، هو الملك (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يهرعش) عند الإسلاميين.
أما أبوه ، فهو (يسر يهنعم) (ياسر يهنعم) ، المعروف والمشهور أيضاً مثل
ابنه بن أهل الأخبار .

وقبل أن أدخل في موضوع (شمر يهرعش) وفي أبيه ، أودّ ان أبين أن

1 Glaser, Punt und die Südarabischen Reiche, In Mitteilungen
der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1899, S. 99.

2 Le Muséon, 1964, 3-4, P. 456.

3 الصفة (ص ٤٨) ، البلدان (٥٢٢/٨) .

4 صبح الأعشى (٦/٥) .

5 صبح الأعشى (٦/٥) ، اللسان (٤٦٢/١٣ ، ٤٦٤) .

الباحثين في هذا اليوم ليسوا على اتفاق في عدد من تسمى بـ (ياسر يهنعم) وفي أيام حكمهم ، وكذلك في عدد من تسمى بـ (شمر يهرعش) وفي أيام حكمهم فبينما كان قداماؤهم يذهبون الى وجود (ياسر يهنعم) واحد ووجود (شمر يهرعش) واحد ، ذهب بعض المحدثين الى وجود شخصين اسم كل واحد منهما (ياسر يهنعم) ، وشخصين اسم كل واحد منهما (شمر يهرعش) واسم والد كل واحد منها (ياسر يهنعم)^١ .

وقد ذهب (فون وزمن) الى وجود ثلاثة ملوك كان اسم كل واحد منهم (ياسر يهنعم) ، وثلاثة ملوك كان اسم كل واحد منهم (شمر يهرعش) . واسم والد كل واحد منهم (ياسر يهنعم) . أما (ياسر يهنعم الأول) ، فجعل زمان حكمه في حوالي السنة (٢٠٠) للميلاد . وقد حكم معه ابنه المسمى بـ (شمر يهرعش) ، وقد لقبه بالثاني ليميزه عن ملك آخر حكم قبله وتسمى بهذا الاسم أيضاً ، وهو (شمر يهرعش) ، الذي دعاه بالأول ، وقد حكم في حوالي السنة (١٤٠) للميلاد . ولم يعرف اسم والده^٢ .

وجعل (فون وزمن) حكم (ياسر يهنعم الثاني) في حوالي السنة (٢٧٠) للميلاد ، وقد حكم ابنه (شمر يهرعش الثالث) معه ، ثم حكم (شمر يهرعش الثالث) وحده . ثم نصب ملكاً آخر من بعده ، جعل حكمه في حوالي السنة (٣٣٠) للميلاد سماه (ياسر يهنعم الثالث) حكم مع ابنه (ثارن يهنعم) (ثاران يهنعم)^٣ . ويعرف (ياسر يهنعم) عند أهل الأخبار بـ (ياسر أنعم) وبـ (ناشر النعم) وبـ (ياسر ينعم) وبـ (ناشر ينعم) وبـ (ناشر أنعم) ، وزعموا انه انما عرف بذلك لانعامه عليهم ، ووالده في نظرهم (عمرو بن يعفر بن حمير بن المنتاب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ)^٤ ، أو (يعفر بن عمرو بن حمير بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ)^٥ ، أو (عمرو ذي الأذعار) ، أو

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 422, Orlens Antiquus, III, 1964, P. 80.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

الأكليل (ص ٢٠٧) ، الطبري (١/٥٦٦) (دار المعارف) (١١/٢) (دار

المعارف) (مروج الذهب) (٥/٢) ، ابن خلدون (٥٢/٢) .

التيجان (ص ٢١٩) .

(عمرو بن يعفر بن شرحبيل بن عمرو ذي الأذعار) . وزعموا انه سار الى وادي الرمل بأقصى الغرب ، فلم يجد وراءه مذهباً ، فنصب صنماً من نحاس ، وزير عليه بالمسند : « هذا الصنم لناشر أنعم ، ليس وراءه مذهب ، فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب »^١ .

وقد حكم (ياسر أنعم) أو (ناشر النعم) أو (ناشر ينعم) بعد (بلقيس بنت ايلشراح) معاصرة (سليمان) (١٠٢١ - ٩٨١ ق. م.) ، على رواية من روايات أهل الأخبار^٢ ، أو بعد ثلاثين سنة أو أربعين من حكم (سليمان) لخمير ، حيث أخذه منه وأعاده الى خمير . فلكمهم هو، وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة^٣ . وهكذا رجع اهل الأخبار زمان (ياسر أنعم) الى ما قبل الميلاد ، وصيروه معاصراً لسليمان ، وهو من رجال أواخر القرن الثالث للميلاد .

أما سبب اشتهاه بين أهل الأخبار بـ (ناشر النعم) ، أي (محي النعم)^٤ فلأنه كما يقولون (أحيا ملك خمير) ، أو (لإنعامه عليهم بما قوى من ملكهم وجمع من أمرهم)^٥ ، أو (لإنعامه على الناس بالقيام بأمر الملك ورده ذلك بعد زواله)^٦ . ولفضله العميم هذا على خمير ، نعتوه بالنعت المذكور .

ونسب الأخباريون الى (ناشر النعم) الغزوات والفتوح . زعموا انه جمع خمير وقبائل قحطان ، وخرج بالجيوش الى المغرب حتى بلغ البحر المحيط ، فأمر ابنه (شمر يرعش) ان يركب البحر ، فركب في عشرة آلاف مركب ، وسار يريد وادي الرمل ، ونزل (ناشر النعم) على صنم (ذي القرنين) فأخرج عساكره الى الإفرنج و (السكس) وأرض (الصبقالبة) ، فغنموا ، وسبوا ، ورجعوا اليه بسبي عظيم . ولما رجع (شمر) من المحيط الى أبيه ، أمر بمنارة فبنيت الى جانب منارة ذي القرنين ، ثم أمر فكتب في صدر التمثال الذي عليها من النحاس بالمسند : هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ، وليس وراءه مذهب ،

-
- ١ صبح الأعشى (٢٢/٥) .
 - ٢ التيجان (ص ٢١٩) ، الطبري (٥٦٦/١) (طبعة دار المعارف بمصر) مروج الذهب (٤/٢ وما بعدها) (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٣ التيجان (ص ٢١٩) ، مروج الذهب (٤/٢) .
 - ٤ التيجان (ص ٢١٩) .
 - ٥ الطبري (٥٦٦/١) (دار المعارف) .
 - ٦ حمزة (ص ٨٣) .

فلا يتكلفن ذلك فيعطب^١ . ونسبوا اليه فتح الحبشة ، وارسال العساكر الى أرض (الروم بني الأصفر) ، وملكهم يومئذ (باهان بن سحور بن مدين بن روم بن أسطوم بن روم بن ناطس بن سامك بن رومي بن عيص ، وهو الأصفر بن يعقوب) ، وذكروا انه غلب على أرض الترك، وسار الى التبت والصين وأرض الهند . فلما بلغ (نهاوند) و (دينور) ، مات بها فدفنه ابنه (شمر) في ديار الغربية ، وولي الملك بعده^٢ .

وأبت قرائح أهل الأخبار إلا أن تضيف الى (ناشر النعم) شعراً ، فيه فخر وفيه حاسة ، زعمت أنه قاله^٣ . وأضافت الى ابنه شعراً ، زعمت أنه قاله في رثاء أبيه . ولم تنس هذه القرائح أن تأتي بماذج من كلامه العربي العذب ، لترينا أنه كسائر ملوك اليمن يتكلم بلسان عربي مبين^٤ .

أما نحن ، فلا نعلم شيئاً من أمر هذه الفتوح والغزوات ، ولا من أمر هذا المنظوم أو المنشور . وإنما الذي نعرفه أنه كان يسمى (ياسر يهنعم) ، لا (ناشر النعم) كما جعله الأخباريون ، وأنه عاش في القرن الثالث للميلاد ، وبينه وبين سليمان مئآت من السنين ، وأنه لا يمكن أن يكون قد خلف (بلقيس) معاصرة (سليمان) على حدّ زعم أهل الأخبار ، ولا أن يكون قد انتزع الملك من (سليمان) . ولا أن يكون صاحب فضل ونعمة على حير ، لأنه أنقذهم من حكم (سليمان) . وكل ما في الأمر أن الاسم كان بالنسبة الى أهل الأخبار غريباً ، فصيّروه (ناشر النعم) ، وابتكروا له قصصاً في تفسير معنى ذلك الاسم .

وإذا كان حكم (ياسر يهنعم) في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد ، فإنه يكون من المعاصرين لمملكة (تدمر) ، وربما كان قد عاصر المملكة الشهيرة (الزباء)^٥ ، وأدرك أيام سادات الحيرة اول مؤسسي أسرة لحم . وقد قدّر بعض الباحثين في العرييات الجنوبية زمان حكم (ياسر يهنعم) بأوائل النصف الأول من

- ١ التيجان (ص ٢٢١) ، الطبري (٣/٢) (المطبعة الحسينية) .
- ٢ التيجان (ص ٢٢١ وما بعدها) (قبر الملك مالك ناشر النعم بأرض نهاوند ودينور بأرض العجم) ، الاكليل (ص ٢٠٧) .
- ٣ التيجان (ص ٢٢١) .
- ٤ التيجان (ص ٢٢٠) ، الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الأولية (ص ٨٠ ، ١٠٣) .
- حمزة (ص ٨٣) .
- Carl Rathjens, Sabaelca, I. S. 89., Le Muséon, 1961, 1-2, P. 172.

القرن الثالث للميلاد ، أي في حوالي سنة (٢٠١) أو (٢٠٧) للميلاد فما بعدها^١. ولا نعرف اسم والد (ياسر يهنعم) إذ لم يرد ذكره في النصوص . أما أهل الأخبار فقد عينوه وثبتوه على نحو ما ذكرت ، وصيره (حمزة) (شراحيل) ، — وهو على زعمه — عم (بليقيس) التي حكمت اليمن قبل عمها (ناشر النعم)^٢. وقد ذهب (فليبي) مستنداً الى دراسة بعض النصوص الى احتمال كون (العذ نوفان يهصدق) الذي وضع اسمه قبل اسم (ياسر يهنعم) والداً له^٣.

وقد ورد اسم (ياسر يهنعم) في جملة نصوص ، منها نص رفته العلماء بـ CIH 46 ، عثر عليه في موضع (يكرن) (يكاران)^٤ ، (يكر) (يكار) أرخ بشهر (ذو المحجة) (ذو محجة) (بورخن ذ محجت) (ذو الحجة) من سنة (٣٨٥) من التأريخ الحميري^٥ الموافقة لسنة (٢٧٠ م) من سني (مبحض بن أبحض) (مبحض بن أبحض)^٦. وقد جاء فيه اسم الإله (عثر ذو جوفت) بعل (علم) و (بشر) ، أي إله وسيد موضعي^٧ (علم) و (بشر) ، واسم قبيلتي (مهأنف) و (شهر)^٧.

وقد تبين من الكتابات ان (ياسر يهنعم) كان قد حكم وحده في بادية الأمر ، لم يشاركه أحد في اللقب ولا في الحكم ، ثم بدا له ما حمله على اشراك ابنه (شمر يهرعش) معه ، بدليل ذكر اسمه من بعده ، وبعده : (ملك سبأ وذي ريدان) ، فصرنا نقرأ الكتابات المتأخرة المدونة في هذا العهد وبها اسم الملكين .

وورد اسم (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) في نص آخر مؤرخ كذلك ، أرخ في شهر (مذران) (مذران) سنة (٣١٦) من سني تقويم (نبطال) (نبط ايل) دوتنه (فرعن يزل بن ذرنج) (فرعان يازل بن ذرنج) ، و (يعجف) رئيس قبيلتي (قشم) (قشم) و (مضجيم) (مضحي) ، وذلك عند

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 456.

٢ حمزة (ص ٨٣) .

٣ Background, P. 109.

٤ (يكاران) الصفة (ص ١١١ س ١٤) ، (يكر) . Background, P. 109.

٥ (ذو الحجة) ، (ذبحرفن خمست وثمان وثلاث مائتين) .

٦ CIH 46, IV, I, P. 76, CIH 26, Langer 7, D.H. Müller, in ZDMG.,

XXXVII, (1883), S. 365-370, Background, P. 109.

٧ راجع نهاية النص .

بنائها (ماجلهمو) (مأجل) صهريجين يخزنان فيها المياه لإسقاء أرضين لهما مغروسة بالكروم، وكان ذلك في أيام سديهما (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) ملكي (سبأ وذى ريدان)^١ . ولهذا المناسبة تيمناً بذكر اسمي الملكين .

وقد قدر (فلي) مبدأ تقويم (نبط ايل) بسنة (٤٠ ق.م.) ، فاذا أخذنا بهذا التقدير ، يكون هذا النص قد دوّن حوالي سنة (٢٧٦ ب.م.)^٢ .

وأودّ ان ألفت نظر القارئ الى ان أحد النصين قد أرخ بـ (سني نبط) (نبط ال) (نبط ايل) ، وأن النص الآخر قد أرخ بسني (مبحض بن أبحض) ، كما عثر على نصين آخرين أرخا بسني (مبحض بن أبحض) .

وقد ذهب العلماء الى ان الناس كانوا يؤرخون في ذلك الزمان وفق تقويمين ، أي تأريخين مبدأ أحدهما تقويم (نبط) (نبط ايل) ، ومبدأ ثانيهما تقويم (مبحض بن أبحض) . والفرق بين التقويمين خمسون سنة ، أو خمس وسبعون سنة . وقد بقي الناس يؤرخون بهذين التقويمين أمداً ، ثم مالوا الى التأريخ بتقويم واحد ، الى أن أهمل أحدهما اهمالاً تاماً . ويرى (بيستن) أن التقويم الذي أهمل وترك ، هو تقويم (نبط) (نبط ايل) ، وأن الذي بقي مستعملاً هو تقويم (مبحض بن أبحض)^٣ .

ويرى (بيستن) أن الكتابات السبئية المتأخرة ، قد أرخت وفق تقويم (مبحض بن أبحض) ، وإن لم تشر الى الاسم ، إذ أسقطته من الكتابات .

أما مبدأ هذا التقويم ، فيقع فيما بين سنة (١١٨) و (١١٠ ق.م.) . غير أن الناس لم يؤرخوا به عملياً وفي الكتابات إلاّ في القرن الثالث بعد الميلاد . أما فيما قبل القرن الثالث للميلاد ، فقد كانوا يؤرخون على عادتهم بتقاويم محلية مختلفة^٤ .

ويرى (ريكننس) أن التواريخ التي أرخت بها النصوص المؤرخة في عهد (ياسر يهنعم) وفي عهد ابنه (شمر يهرعش) تختلف عن التقويم السبئي المألوف الذي يبدأ — على رأيه — بسنة (١٠٩ ق.م.) وهي لذلك لا يمكن أن تثبت

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475, REP. EPIG., VII, P. 138,

REP. EPIG. 4196.

Background, P. 110.

A.F.L. Beeston, Epigraphic South Arabian Calendars and Dating, London,

1956. P. 36.

Beeston, Epigraphic, P. 37.

وفق هذا التقييم^١ .

وقد حارب (ياسر يهنعم) الحمدانيين الذين تعاونوا مع قبائل (ذي ريدان) لمهاجمة (مأرب) ، غير أنه باغت الحمدانيين في غرب (صنعاء) وتغلب عليهم^٢ . وفي النص الموسوم بـ CIH 353 خبر ثورة للحميريين على (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) في (ضهر) . وقد حاصر (ياسر) الحميريين . ويرى (فون وزمن) ان هذه الثورة حدثت في حوالي سنة (٣٠٠ ب. م .) . وقد عثر على كتابات في منطقة (ضهر) ، وهي لا تبعد كثيراً عن (صنعاء) . وفي هذه المنطقة خرائب (دورم) ، كما عثر على كتابات في (ثقبان) بين (ضهر) و (صنعاء)^٣ .

أما الذي حارب (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم) ، من الحميريين ، وذلك كما جاء في النص المتقدم ، اي النص الموسوم بـ CIH 353 ف (يرم ايمن) وأخيه (برج) (بارج) . فيكون حكمها اذن في ايام (شمر يهرعش) ، اي في القرن الثالث للميلاد^٤ . وهذا مما يشير الى ان العلاقات بين الطرفين اي بين (سبأ) و (حمير) ، كانت قد تعرضت لـهزة عنيفة خطيرة حتى تحولت الى حرب ، أشير اليها في هذا النص^٥ .

ومن النصوص التي تعود الى الدور الثاني من أدوار حكم (ياسر يهنعم) النص : Jamme 646 ، وصاحبه شخص اسمه (شرح سمد بن يثار) (شر حسمد بن يثار) وآخر اسمه (الفهم) (الفن) (الفان) . وكانا من كبار الضباط في حكومة (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) ، ومن درجة (مقتوى) . وقد دونتا نصهما حمداً وشكراً للإله (المقه) (بعل أوام) ، لأنه مكنهما من الشخص الذي أراد احراج (ذ حرجهو) مكانتهما وزعزعتها عند سيدهما (شمر يهرعش) ، ولكن (المقه) منّ عليهما وشملها بفضله ولطفه ، فنصرهما عليه وأبطل خطته في احراج مكانتهما (بحر جنهو) ، عند سيدهما . وتعبيراً عن حمدهما وشكرهما له ، تقدما الى الإله (المقه) بصنم (بلمن) وضعاه في

Belträge, S. 116.

A. Grohmann, Arabien, S. 29.

Belträge, S. 20, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 81.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 451.

معبد (اوام) . ولكي يمن^١ عليها ويبعد عنها أذى الأعداء وحسد الحاسدين^١ .
 وورد اسم (ياسر يهنعم) واسم ابنه (شمر يهرعش في النص : Jamme 647
 وهو نص دونه ضابطان كبيران (مقتوى) من ضباط الملكين ، لمناسبة ولادة
 مولود لها (هو ولد) ، وقد شكرا فيه الإله (المله) (بل اوام) على
 هذه النعمة ، وتوسلا اليه بأن يمن^٢ عليها بأولاد آخرين ؛ وبأن يرفع من مكانتهما
 عند سيديهما الملكين ، وبأن ينصر جيشهما ويرفع من مكانة قصر (سامحن)
 (سامحن) (سلحان) مقر الملوك بمأرب ومن منزلة قصر (ريدان) ، وتوسلا
 اليه بأن يبارك في كل ما قام به الملكان من أعمال ، وبأن يبارك في كل مشروع
 وضعوه في خلال السنين السبع في أي مكان كان في مأرب أو في صنعاء أو في
 نشق أو في نشان (نشن) ، وفي كل مكان يجتمعون به في أرض البدع الخمس
 (بارضت خمس بدعتن)^٢ ، أو في مواضع السقي (وسقين) ، ولكي يحفظها
 من كل بأس وأذى ، وبأن يبعد عنها حسد الحاسدين .

ورود اسمها في النص : Jamme 648 ، وهو مثل النص المتقدم حمد وشكر
 للإله (المله) (بل أوام) ، لأنه حفظ صاحب النص وعافاه وأعطاه الصحة
 وبارك في حياته وفي حياة ابنه ، ولكي يرفع من مكانته ومكانة ابنه ، ويجعل
 لها الخطوة عند الملكين ، ويرضيها عنها . ولكي يبعد عنها أذى كل مؤذٍ ،
 وحسد كل شائء حقوق^٣ .

ول (شمر يهرعش) قصص ومقام لدى الأخباريين . له عندهم ذكر فاق
 ذكر والده بكثير . هو عندهم (تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن ،
 لأنه لم يقم للعرب قائم قط أحفظ لهم منه ... فكان جميع العرب ، بنو قحطان
 وبنو عدنان ، شاكرين لأيامه . وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلامهم همته
 وأبعدهم غوراً وأشدّهم مكرراً لمن حارب ، فضربت به العرب الأمثال ...)^٤ الى
 غير ذلك مما رتبته (وهب بن منبه) عنه . وكان على زعمهم معاصراً لـ (قباد
 ابن شهريار) الفارسي . ولما بلغه أن الصغد والكرد وأهل نهاوند ودينور هدموا

Jamme 646, MaMb 243, Mahram, P. 148. ١

الفقرة ٢٩ وما بعدها من النص : Jamme 647, MaMb 265, Mahram, P. 149. ٢

Jamme 648, MaMb 94, Mahram, P. 150. ٣

التيجان (ص ٢٢٢) ، تفسير الطبري (٧٧/٢٥) . ٤

قبر (ناشر النعم) وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره، غضب غضباً شديداً ونذر لله نذراً (ليرفعن ذلك القبر بمهاجم الرجال حتى يعود جبلاً منيفاً شامخاً كما كان) . ثم سار بجيوشه وبأهل جزيرة العرب ، فسار الى أرمينية ، فبلغ ذلك قباذ ، فأمر الترك بالمسير الى أرمينية ، فسارت الترك تريد أرمينية فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم هزمهم فقتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم سار نحو المشرق فتغلب على قباذ ، واستولى على الفرس ، وأعاد بناء قبر ابيه . ثم هدم المدائن بدِينَوْرَ (سنجار) بين نهاوند ودينور (فجميع الأرض التي خربها شمر يهرعش ، سماها بنو فارس شمر كند ، أي شمر خرب باللسان الفارسي ، فأعربت العرب بلسانها ، فقالوا (سمرقند) ، وهو اسمها اليوم)^١ ، ثم بسط سلطانه على الهند ، وعيّن أحد أبناء ملوك الهند ملكاً على الصين ، ثم عاد فسار الى مصر ، ومنها الى الحبشة ، فاستولى عليها ، وهرب الأحباش الى غربي الأرض ، الى البحر المحيط ، فبعثهم (شمر) حتى بلغ البحر ، ثم رجع قافلاً الى المشرق ، فرّ بمدينة (شدّاد بن عاد) على البحر ، فأقام بها خمسة أحوال . ثم ذهب لزيارة قبر والده ، ثم رجع الى بلاده الى (قصر غمدان) ، فأقام فيه الى ان توفي ، وعمره ألف سنة وستون عاماً ، بعد أن ملك الأرض كلها^٢ . وزعم بعض أهل الأخبار انه هو الذي بنى الحيرة بالعراق^٣ .

وزعم (حمزة) ان والد (شمر) هو (إفريقيس) ، وذكره على هذا النحو : (يرعش أبو كرب بن إفريقيس بن أبرهة بن الرايش ، وانما سمي يرعش لارتعاش كان به) . وذكر ان رواية أخبار اليمن تفرط في وصف آثاره ، ثم ذكر بعض ما ذكروه عنه ، وذكر ان بعض الرواة يزعمون انه كان في زمان (كشتاسب) ، وان بعضاً آخر يزعم انه كان قبله ، وان (رسم بن دستان) قتله ، وجعل ملكه سبعاً وثلاثين سنة^٤ .

وقال الأخباريون ان (شمر يرعش) هو أول ملك أمر بصناعة الدروع المفاضة

١ التيجان (ص ٢٢٧) ، ابن خلدون (٥٢/٢) ، البلدان (١٢٢/٥)

٢ التيجان (ص ٢٢٢ وما بعدها) .

٣ صبح الأعشى (٢٢/٥) ، (كان رجلاً من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة ثم الى سمرقند فهدمها) ، تفسير الطبري (٧٧/٢٥) .

٤ حمزة (ص ٨٤) .

التي منها سواعدها وأكفها وهي الأبدان ، وقد فرض على فارس ألف درع يؤدونها كل عام ، وكان عامله عليهم (بلاس بن قباذ) ، وجعل على الروم ألف درع ، يؤدونها كل عام ، وكان عامله على الروم (ماهان بن هرقل) . وجعل على اهل بابل وعمان والبحرين ألف درع ، وعلى اهل اليمن ألف درع. وجعلوا اهل (التبت) من بقايا قوم (شمر يرعش) . وذكروا عنه قصصاً أخرى من هذا القبيل^١ . ولم ينسوا بالطبع حكمه وشعره ، فذكروهما^٢ .

أما علمنا عنه ، فيختلف عن علم اهل الأخبار عنه . وقد حصلنا على علمنا عنه من كتابات المسند من أيامه . وهي كلها خرس صامته ، ليس فيها شيء من أخبار تلك الفتوحات المزعومة والحروب الواسعة التي اشعلها (شمر) على زعمهم في جميع أنحاء الأرض ، وليس فيها كذلك شيء ، عن نقل حير الى (التبت) وإسكانه لهم في تلك الأرضين البعيدة ، وليس فيها شيء ما عن قبر والده بدينور ، ولا عن تهديمه لمدينة (سمرقند) .

ونستطيع تقسيم كتابات المسند من أيام (شمر يهرعش) الى قسمين : كتابات من اوائل ايام حكمه ، اي الأيام التي حكم فيها بلقب (ملك سبأ وذوي ريدان) ، ولم يكن قد استولى بعد على حضرموت ويمنت ، وكتابات من العهد الثاني من ايام حكمه ، اي العهد الذي لقب فيه نفسه بلقب (ملك سبأ وذوي ريدان ويمنت) حتى وفاته وانتقال الحكم الى خليفته في الحكم .

ومن كتابات الدور الأول ، الكتابة التي وسمها العلماء بـ Glaser 542 ، وقد سقطت اسطر منها. وهي على جانب كبير من الأهمية بالنسبة الى من يريد الوقوف على تاريخ التشريع عند الجاهليين . ترينا قانوناً سنّه الملك لشعب سبأ ، اهل (مأرب) وما والاها ، في تنظيم البيوع بالمواشي والرقى . فحدد المدة التي يعد فيها البيع تماماً ، وهي امد شهر ، والمدة التي يجوز فيها رد المبيع الى البائع ، وهي بين عشرة ايام وعشرين يوماً . كما بين حكم الحيوان الهالك في اثناء المدة التي يحق للمشتري فيها رد ما اشتراه الى البائع ، فحددها بسبعة ايام . فإن مضت هذه الأيام ، وهلك الحيوان في حوزة المشتري وجب عليه دفع الثمن كاملاً الى

١ التيجان (ص ٢٤٠) ، الاكليل (٢١١) .

٢ التيجان (٢٢٢) .

البائع ، ولا يحق له الاعتراض عليه والاحتجاج بأن الحيوان قد هلك في أثناء مدة أجاز له القانون فيها فسخ عقد الشراء^١ .

ويعد النص الموسوم CIH 407 من النصوص المهمة من الأيام الأولى من أيام حكم (شمر يهرعش) . وهو يتحدث عن حرب قام بها جيش (شمر) في شمال غربي اليمن ، امتدت رقعتها حتى بلغت اليم . شملت أرض (عسير) و(صبية) (صبا)^٢ . بين وادي (بيش) ووادي (سهام) . وهي أرض تهامة . قام بها ضد قبائل (سهرت) (سهرة) و (عكم) عك وغيرها . وصاحبه رجل اسمه (أبو كرب) ، وهو في درجة (مقتوي) أي قائد في جيش شمر ، وقد أبلى في هذه الحرب بلاءً حسناً ، فقتل ثلاثين من الأعداء ، وقتل أسيرين ، وغنم فيها كثيراً^٣ . فقدم من أجل ذلك الى الإله (المقه شهون بعل أوم)^٤ تمثالين من الذهب ، وتمثالاً من الفضة ، لأنه منّ عليه فأنقذه من مرض أصابه في مدينة (مأرب) مدة ثمانية أشهر ، ولأنه منّ عليه في الحرب التي اشتعلت في (وادي ضمد) ، وامتدت حتى موضع ال (عكوتين) (عكوتنه) وساحل البحر . وقد انتصرت فيها جيوش (شمر) على جمع من قبائل تهامة عسير . ومن القبائل التي ورد اسمها في هذا النص : (ذسهرتم) ، أي (ذو سهرت) (ذسهرتن) (ذو سهرت) (ذو سهرة) (سهرة) (ساهرة) و (دوات) و (صحر) (صحرار) (صحر) و (حرت) (حرة)^٥ . و (عكم)^٦ .

فيتبين من هذا النص أن الملك (شمر يهرعش) سير حملة عسكرية الى جملة قبائل من قبائل عسير وتهامة حتى ساحل البحر ، فانتصرت الحملة عليها، وتعقبت القبائل في البحر، وجرت معارك في وسطه ، ونزلت بالمنهزمين ، وهم على أمواج

REP. EPIG. 3910, VI, P. 378, Conti Rossini, AR. Merid., 1931, P. 52,

Background, P. 110, Glaser 542, B. M. 104396

Beiträge, S. 119, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

أغناطيوس غويدي : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية (ص ١٩ وما بعدها) .

(المقه شهون بعل أوم) .

سطر (١٨ وما بعده) .

CIH 407, Jamme 649, 650, Jamme, Les Antiquités Sud-Arabs du Musée

Borély, Cahiers de Byrsa 8, 1958/9, PP. 151-167, Sabaeen Inscriptions,

P. 369.

البحر ، خسائر فادحة^١ . وقد استدلل بعض الباحثين من إشارة (أبي كرب) إلى الخسائر التي مني بها المنهزمون وهم في البحر . إلى أن أولئك المنهزمين كانوا من الحبش الذين كانوا يحكمون ساحل تهامة ، وأن المعركة قد وقعت في البحر الأحمر^٢ .

ويقع موضع (عكوتن) (العكوتان)^٣ شمال (وادي ضمد) . وأما (صحار) (صحر) ، فيقيمون اليوم حوالي (صعدة) . وأما (سهرتم) (سهرة) ، فقبيلة تقع منازلها في تهامة ، وربما كانت منازلها من (وادي ييش) في الشمال إلى (وادي سررد) (وادي سررود) في الجنوب . وقد كانت هذه القبيلة على صلات قوية بالحبش في أيام (الشرح يحضب) . وقد أدت فتوحات (شمر يهرعش) في هذه الأرضين التي بلغت سواحل البحر الأحمر إلى دخوله في نزاع مع الحبش الذين كانوا يحتلون مواضع من الساحل ، ويؤيدون بعض القبائل لوجود أحلاف عقدوها معها^٤ .

و (عكم) (عك) من الأسماء المعروفة التي ترد في كتب أهل الأخبار . أما هنا ، فإنه اسم قبيلة^٥ .

والى هذا العهد أيضاً تعود الكتابة : Jamme 649 . وهي من الكتابات التي تتحدث عن حروب وقعت في أيام (شمر يهرعش) . وقد دوتها رجل اسمه (وفيهم احبر) (وفي أحبر) (وافي احبار) ، وهو من (حجب) (حبيب) و (هينن) (هينان) و (ثارن) (ثاران) (ثثرآن) ، وهم من (عمد) و (سارين) (سأريان) و (حولم) . أقيال (اقول) عشائر (صروح) (صرواح) و (خولان حضلم) (خولان حضل) و (هينان) . وكان (وفيهم احبر) ضابطاً كبيراً (مقتوى) عند (شمر يهرعش) (ملك سبأ وذوريدان) ، دوتها لمناسبة تقديمه صنماً (صلم) إلى الإله (المقه) (بعل أوتام)

REP. EPIG. 189, I, III, P. 150, Hartwig Derenbourg, Les Monuments Sabéens et Himyartes D'Musée D'Archéologie de Marseille, In Revue Archeologique, 3, VOL., XXXV, (1899), P. 25.

Belträge, S. 119.

والمفرد (عكوت) (عكوة) .

CIH 407, Belträge, S. 119.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

لأنه نجاه وحفظه وأعانه في كل المعارك والمناوشات والغزوات (سبات) (سبات) ،
 التي خاضها لمعاونة (شوعن) سيده الملك ، وذلك في (سهرتن ليت) (سهرتان
 ليت) ، و (خيون) (خيوان) و (ضدحن) (ضدحان) ، و (تنعم)
 و (نبعت) (نبعة) ، ولأنه ساعده وقواه ومكّنه من قتل خمسة محاربين في
 خلال هذه المعارك ، أطار رؤوسهم بسيفه ، ولأنه مكّنه من أخذ أسير ، ومن
 الحصول على غنائم كثيرة ، ولأنه أنعم على قبيلته بغنائم كثيرة حصلت عليها من
 هذه المعارك، وبأسرى جاءت بهم الى مواطنها . ولأنه عاد معها سالماً غانماً معافى¹.
 وأرض (سهرتن ليت) ، هي جزء من أرض (سهرتن) ، وتقع غرب
 (دوت) (دوات) (دواة) . ويسقيها (وادي ليت) (وادي ليّة) .
 وأما (خيون) (خيوان) ، فوضع يقع على وادي (خبش) ، في المنطقة
 المهمة من (حاشد) . وهو مدينة تقع في جنوب شرقي (جيزان) ، وعلى
 مسافة (٩٠) كيلومتراً تقريباً جنوب شرقي صعدة ، وحوالي (١٠٥) كيلومترات
 شمال (صنعاء)² .

وأما موضع (ضدحن) (ضدحان) ، فانه وادي (ضدح) (الضدح)
 الذي يوازي (وادي أملح) ، ويقع الى الجنوب منه . وعلى مسافة (٣٥)
 كيلومتراً الى جنوب شرقي (الأخدود)³ . وأما موضع (نبعت) (نبعة) ،
 فانه (نبعه) ، وهو تلال تقع بين وادي (حبونت) (حبونة) ووادي (ثار)
 (ثار) . وقد يكون موضع (نبعة) المكان الذي يسمى اليوم (مجنوة) الذي
 يقع على مسافة (٢٥) كيلومتراً شمال شرقي (بشر سلوى) وعلى مسافة (٦٣)
 كيلومتراً من شمال غربي (الأخدود) . واذا كان هذا الرأي الأخير صحيحاً،
 صار موضع (تنعم) ، فيما بين (صندحان) و (نبعت) (نبعة)⁴ .
 وتحدث النص عن معارك أخرى ، وقعت بعد المعارك المتقدمة ، وقد اشترك

Jamme 649, MaMb 223, Mahram, P. 151. ١

Mahram, P. 369. ٢

Mahram, P. 369, L. Farrer, Südarabien nach al-Hamdan's Beschreibung
 der Arabischen Halbinsel, Leipzig, 1942, S. 121, Note 2, H. Von Wissmann, ٣

Geographische Grundlagen und Frühzeit der Geschichte Südarabiens,
 in Saeculum, 4, (1953), S. 61.

Mahram, P. 369. ٤

فيها مدون النص . اذ يذكر (وفيه أجبر) ، انه قاتل وأعان سيده (شمر يهرعش) وذلك في وادي (ضمد) (ضمد) ، وانه ذهب مع سرية لاستطلاع الأخبار عن قبيلة (حرت) (حرة) ، وقد قتل خمسة محاربين من محاربي العدو ، قطع رؤوسهم ، وقد كان ذلك أمام سريته ، مما ترك أثراً مهماً فيهم . ثم يذكر انه اصيب في هذه المعارك بخمسة جروح ، اصابته وركبه وقدميه وفرسه (ندف) . وقد خشي من ان يؤدي الجرح الذي اصاب قدميه الى قطعها ، وخشي على فرسه كذلك من ان تنفق من الجرح الذي اصابها ، غير ان الإلته (المقة) لطف به ، فشفاه وعافاه ، وشفى فرسه وأعادته مع قبيلته التي حاربت معه ، الى موطنه ، غانماً محملاً مع عشيرته بالغنائم والأموال التي استلبوها من أعدائهم ، وبعدد من الأسرى^١ .

وقد قاتل (وفيه أجبر) ، مرة أخرى في وادي (حرب) (حريب) ، على مقربة من (قريتهن) (قريتهان) (القريتان) ، ثم جاء اليه أمر سيده الملك (شمر يهرعش) ، بأن يتجه على رأس قوة تتألف من (١٧٠) محارباً من المشاة من عشيرته (صرواح) و (نحولان) ، ومن ستة فرسان وذلك لمهاجمة عشائر (عكم) (عك) و (سهرت) (سهرة) ولانزال ضربة قاصمة بها ، فأنجبه نحوها ، والتقى بها عند (عقيت ذر جزجن) (عقة ذر جزجان) ، وألحق بها خسائر ، حاربها من وقت شروق الشمس ، وطول النهار وحين اشتدت حرارة الشمس الى وقت الغروب ، وكل الليل حتى طلع (كوكب ذ صبحن) ، كوكب الصبح ، فاضطرت الى الهروب ، وعندئذ أدار وجهه نحو فلولها ، فقتل منها ، وقد ذبح محارباً واحداً أمام المحاربين ، وأخذ أسيرين . وكان عدد من قتل من الأعداء عند المعركة (عقيت ذر جزجن) (عقة ذر جزجان) مائة وعشرة محاربين ، وعدد من وقع في الأسر من المحاربين (٤٦) أسيراً محارباً ، وعدد من سبي (٢٤٠٠) سبي ، وغنم من الابل (٣١٦) بعيراً ، عدا عن الماشية الأخرى التي نهبت وأخذت^٢ .

والى هذا العهد أيضاً يعود النص : Jamme 650 . وصاحبه شخص اسمه (بهل اسعد) (باهل أسعد) من عشيرة (جرت) (جرة) ومن عشيرة

١ من الفقرة (١٥) الى الفقرة (٢٤) من النص .

(بدش) أقيال (أقول) عشيرة (ذمرى هوتن) (ذمرى هوتان) ، التي تكون ربع قبيلة (سمهرم) (سمهر) . وكان ضابطاً كبيراً بدرجة (مقتوي) عند الملك (شمر يهرعش) (ملك سبأ وذي ريدان) . وقد سجله لمناسبة اهدائه معبد (أوام) ، وهو معبد الإله (المقه) (بعل أوام) ، صنماً ، من العُشُر (ابن عشر يعشرن) الذي يعشر من كل زرع ليكون نصيب الإله (المقه هوان) . أخذه من حاصل زرع الصيف (قيطان) ومن ثمار الجنينات أو الجنى (جنين) ، وجعله قربة له ، لكي يمنَّ عليه بالنعم ، ويبارك فيه وفي أمواله وفي سيده الملك ، ولأنه أسعده وحفظه في كل المناوشات والحروب والغزوات (بكل سبات وحرب سباو) التي خاضها ، ولأنه عاون (شوعن) سيده الملك ، في المعارك وفي القتال وفي المناوشات التي وقعت بين قوات الملك التي اشترك هو فيها وبين قبيلة (سهرتن) (سهرتان) ، والتي انتهت بانتصار (سبأ وذو ريدان) ؛ وعاد الجيش منها محملاً بالغنائم وبالأسلاب وبالماشية التي انتزعت من الأعداء وبالأسرى . وليمنَّ عليه في المستقبل فيعطيه ذرية طيبة (هنام) (هنام) هنيئة من أولاد ذكور ، وليرعاه ويحفظه ويقيه في المعارك التي سيخوضها من أجل سيده الملك¹ .

فيظهر من هذا النص ان (بهل أسعد) ، كان يتحدث عن المعارك والمناوشات التي وقعت في أرض (سهرتن) (سهرتان) (سهرة) ، بين الملك (شمر يهرعش) وبين رجال قبيلة (سهرتن) العاصية التي مر اسمها مراراً فيما سبق في عداد القبائل الثائرة المحاربة لحكومة سبأ ، والتي كانت قد منيت بنحائر كبيرة ومع ذلك فإنها لم تترك عداءها للملك مأرب .

وفي النص : Jamme 651 أخبار مهمة سجلها لنا رجل اسمه (عبدعم) من (مذرجم) (مذرح) ، ومن (ثفين) (ثفيان) ، وكان من كبار ضباط (مقتوي) جيش الملك (شمر يهرعش) . وقد ذكر انه أهدي معبد (أوام) صنماً (صلمن) ، وهو معبد الإله (المقه) لأنه منَّ عليه وشمله بلطفه وفضله ، اذ أعانه واعان من كان معه من رجال عشيرته (شعبهو) ومن أتباعه ومحاربيه الذين كانوا معه ومن انضم اليه من اهل البيوتات ومن سواد الناس (محقر) (حقراء) . من ابناء البيتين المتصاهرين : (همدان) و (بتع) ،

Jamme 650, MaMb 200, Mahram, P. 153.

اذ أمره سيده الملك ، بأن يذهب بهم ، الى (مأرب) (مرب) ، ليحميها
ويقبها من الأمطار التي ستساقط في اليوم التاسع من يوم موسم سقوط المطر المعهود
(وذم ذم يوم تسعم عهدتن) ، وفي اوائل ايام الشهر ، وفي ايام الموسم الثاني
من سقوط المطر ، وقد أمره الملك بأن يقوم بهذا الواجب، حتى شهر (أبهى)^١.

وقد حمد صاحب النص إلهه (المقه) لأنه وحد بين البيتين : بيت (همدان)
وبيت (بتع) ، ولأنه أعانه في القيام بعمله الذي كلف به ، فكافح وهو على
رأس جيش (خمس) (خميس) سبأ ومن كان معه لبناء سور وحصون (مأرب)
وفي اقامة حواجز وموانع وسدود لتحول بين السيول وبين اكتساحها المدينة ، وفي
انشاء مباني وأحواض (مضرفن) في جهة (طمعنين) (طمعنيان) ، حتى
تمكّن من انجاز كل ما كلف به، دون ان يخسر جندياً واحداً من الجنود الشجعان
الذين كانوا من جنود (كبر رحلم) كبير (رحلم) (رحال) ، فأرضى بذلك
سيده الملك وشرح صدره .

وتوسل بعد ذلك الى الإله (المقه) لكي يقيه من كل (باس) (بأس) ،
أي من كل أذى وشر ، ولكي يرفع من منزلته وينال الرضى والخطوة عند سيده
الملك . ويمنحه غلة وافرة وأثماراً كثيرة من أثمار الصيف والخريف في كل مزارعه
وتوسل اليه أيضاً بأن يبعد عنه كل نكايات (نكتين) الأعداء .

ويشير هذا النص الى سقوط أمطار غزيرة في ذلك الموسم ، هددت مدينة
(مأرب) ، فأمر الملك الشخص المذكور بأن يقوم على رأس قوة من جيش سبأ
ومن كبار (همدان) و (آل بتع) ، بتقوية سور مأرب وتحصينه وحمايته من
مداهمة السيول له ، وبانشاء سدود وموانع لمنع الأمواج العاتية من اكتساح مأرب
والأماكن الأخرى . وذلك بمن جمعهم من الناس من سوادهم ومن ساداتهم ،
للقيام بهذه الأعمال . ولمنع المسخرين الذين سخرؤا من الفرار ، وقد وضع الملك
جيشاً تحت تصرف هذا القائد . في جملمته مفرزة من جنود الكبير (كبر رحلم)
(كبير رحلم) (رحال) .

وسجل شقيقان كانا من (حظرم عمرت) (حظرم عمرة) ، ومن ضباط
(مقتوي) الملك (شمر يهرعش) حدهما وشكرهما في كتابتها التي وسماها الباحثون

ب Jamme 652 ، للإله (المله) لأنه من على سيدهما بالعافية وبالبركة وأوفى له ما أراد ، ولأنه رفع حظوتها عنده وزاد في رضاه عنها . وليرعاها ويحفظها في أيام الحروب وفي أيام السلم ، ويقيها أذى الأشرار وحسد الحساد ، ولكي يعاونهما ويشد الإله أزرهما في إرضاء سيدهما ، ويبارك في قصره ، أي قصر الملك : (سلحن) (سلحين) (سلحان)^١ .

ويحدثنا النص : Jamme 653 بحمد (سباكهلن) ، أي (سباكهلان) لرهبهم (المله) وشكرهم له ، لافضاله وانعامه عليهم ، بأن استجاب لدعائهم ، فأمطرهم بوائيل من رحمته ، وأنزل الغيث عليهم وذلك مع برق (برق خرف) الخريف ، أي موسم أمطار الخريف ، الذي تساقط عليهم سنة (تبع كرب بن ودال) (تبعكرب بن ودائل) من (حزفرم) (آل حزفر) الثالث . وقد استبشروا به وسُرّوا . وسألوا رهبهم (المله) وذلك في اليوم الرابع من ذي (فقهي) شهر ذي (ملتي) الذي هو من أشهر الخريف (منذ خرفن) ، بأن ينزل عليهم غيثاً يسقي أوديتهم ويكفي زرعهم ، غيثاً يرضيهم ويسرهم ويثلج صدورهم ، وبأن ينال أهل (سباكهلان) رضى سيدهم (شمر يهرعش) ويرفع من حظوتهم (حظي) عنده^٢ .

وقد كتب النص المذكور بمدينة (مأرب) ، قبل ثلاث سنوات من الكتابة المرقمة ب 954 + CIH 314 التي يخلد فيها (الشرح يحضب الثاني) وإخوه (يازل بين) (يازل بين) (يزل بين) انتصارهما على السبئين وطردهما (شمر يهرعش) من مأرب^٣ .

وذكر جماعة من (عقم) (عقب) (عاقب) (عقاب) ، بأنهم أهدوا معبد (أوام) صنماً (صلمن) ، وذلك حمداً للرب (المله) وشكراً له لأنه رزقهم ولداً ذكراً ، ولكي يرزقهم اولاداً ذكوراً ، ولكي يبارك فيهم وفي أموالهم ويرضي سيدهم (شمر يهرعش) عنهم ويرفع من منزلتهم وحظوتهم عنده ، ولكي يبارك في زرعهم ويعطيهم غلة وافرة وحصاداً جيداً^٤ .

Jamme 652, MaMb 161, Mahram, P. 157. ١

Jamme 653, MaMb 220, Mahram, P. 158. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 476. ٣

Jamme 654, MaMb 31, Mahram, P. 159. ٤

ويذكر (شرح ودم) (شرح ودم) (شرح ودم) ، و (رشد) (رشيد) (راشد) (رشيد) ، وهو بدرجة (وزع) (وازع) ، أي سيد قبيلة (ماذن) (مأذن) ، انها قدما صنماً الى الإله (المقه شوان) ، لأنه اوحى الى قلبها بأنه سيمنحه ولداً (رشد) ولذا يسميه (وداً) وذلك من زوجته (اثهر) (حلحك) . وانه سيعطيه مولوداً غلاماً (غلم) ، عليه ان يسميه (مرس عم) (مرسم)^١ ، وانه سيرزق عبده (شرح ودم) ولداً ذكوراً ، وانه سيمنحها غلة وافرة وحصاداً جيداً ، وانه سيرفع من مكانتهما عند سيدهما الملك، وسيشارك في زرعها وفي زرع قبيلتهما ، وذلك في موسمي الصيف والخريف^٢. وفي النصف الثاني من سني حكمه ، تلقب (شمر يهرعش الثالث) ، أي (شمر يهرعش) الذي نبحث فيه الآن بلقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)^٣ . وتدل هذه الاضافة الجديدة الى اللقب ، على استيلاء (شمر يهرعش) على حضرموت ، أو على جزء كبير منها^٤ . اما (يمنت) فيرى (فون وزمن) ان المراد بها الأرضون التي تكون القسم الجنوبي من مملكة (حضرموت) . ويستدل على رأيه هذا بوجود عاصمتين لحضرموت ، هما : (شوبة) و (ميفعة) ، مما يدل على انقسام المملكة الى قسمين : قسم شمالي يدعى حضرموت ، وقسم جنوبي يعرف بـ (يمنت) (يمنت) (يمنت) .

ويقع النصف الثاني من حكم (شمر يهرعش) في رأي (فون وزمن) ، ما بين (٢٨٥ ب. م.) أو (٢٩١ ب. م.) أو (٣١٠ ب. م.) أو (٣١٦ ب. م.) . ويعني هذا في رأيه أن (شمر) كان يعاصر (امراً القيس بن عمرو) المذكور في نص النارة المتوفي سنة (٣٢٨ م) والذي حارب وأخضع قبائل عديدة ، منها مذحج ومعد وأسد (اسدين) ونزار (نزار) ، ووصل الى (نجران) عاصمة (شمر)^٥ . وقد يعني ذلك أن حروباً نشبت بين الملكين .

١ يعود الضمير الى (رشد) ، كما يظهر من النص .

٢ Jamme 655, MaMb 253, Mahram, P. 160.

٣ CIH 431, CIH, IV, II, II, P. 120, CIH 430, 438, Glaser 1050,

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 485.

٦ (الاسدين) (اسدين) في النص ،

REP. EPG. 483, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, 1959, S. 127.

Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 456, 486.

ولم يشر نص (النارة) الى بقية اسم (شمر) ، لنعرف من كان ذلك الملك الذي كان يحكم في ذلك الزمان ، والذي كانت مدينة (نجران) مدينته اذ ذاك . ويظهر من هذا النص أن قتالاً نشب بين قوات (امرئ القيس) و (شمر) صاحب نجران ، وأن النصر كان لامرئ القيس^١ .

وإذا كان ما ذهب اليه (فون وزمن) صحيحاً من معاصرة (امرئ القيس) لـ (شمر يهرعش) ، فإن هذا يعني أن جزيرة العرب كانت في ذلك الزمن أي في أوائل القرن الرابع للميلاد ، ميداناً للتسابق بين رجلين قوين : (شمر يهرعش) وهو من العربية الجنوبية ، و (امرئ القيس) وهو من الشمال ، وأن العرب كانوا قد انقسموا الى حزبين : عرب شماليين وعرب جنوبيين ، وأن (امرئ القيس) كان قد توغل في جزيرة العرب حتى بلغ (نجران) وأعلى العربية الجنوبية ، وأخضع القبائل المذكورة لحكمه . وهي قبائل يرجع النسابون نسب أكثرها الى (عدنان) ، وفي جملتها (الاسدين) أي (أسد) و (نزار) (نزرو) . هذا ، وأن وصول (امرئ القيس) الى نجران ، وإخضاعه للأعراب ولقبائل عدنانية يقيم بعضها على حدود العربية الجنوبية الشمالية ، جعله أمام (شمر يهرعش) ، ووضع مثل هذا لا بد من أن يثير نزاعاً وخصومة بين الرجلين .

ولا يستبعد اصطدام (امرئ القيس) بـ (شمر يهرعش) ، أو بأي ملك آخر ملك (نجران) ، ما دام ذلك الملك قد حكم قبائل (معد) النازلة في الحجاز وفي نجد والتي تتصل منازلها بحدود نجران . وقد خضعت (معد) لحكم ملوك الحيرة ، كالذي يظهر من نص كتاب (شمعون) الذي هو من (بيت أرشام) Simeon of Beth Arsham ، حيث ذكر (طيايا حنبا) (حنفا) و (معدايا) في معسكر (المنذر) الثالث ملك الحيرة . و (طيايا) هم الأعراب الشماليون و (معدايا) هم (معد) . وكما يفهم أيضاً من نص (مريغان)^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن (مرالقس بن عرمم ملك خصصتن) الذي ورد اسمه في النص : Ryckmans 535 الذي سبق أن تحدثت عنه في اثناء كلامي على (الشرح يحضب) ، وأخيه (يازل بن) ، هو (امرئ القيس) البدء ، ملك

Orlens Antiquus, III, 1964, P. 81.

Ryckmans 506, Die Araber, II, S. 321.

الحيرة . ويرى أيضاً ان (شمر ذي ريدان) المذكور في النص ايضاً ، هو (شمر
يهوعش) . وبناء على ذلك يكون (مالك) ملك (كدت) كندة من المعاصرين
لامرى القيس ولشمر يهوعش ايضاً^١ .

اننا لا نملك أي نص يشير اشارة صريحة الى حدوث قتال بين (شمر يهوعش)
و (امرى القيس) . غير ان لدينا نصاً هو النص المعروف بـ Jamme 658 ،
يرى بعض الباحثين ان فيه تلميحاً الى ان الحرب المذكورة فيه، هي حرب نشبت
بين قوات الرجلين ، وان القائد المذكور فيه ، أعني القائد (نشدال) (نشد ايل)،
هو قائد عربي شمالي، ويحتمل على رأيهم ان يكون قائداً من قواد بجيش (امرى
القيس) . ويظهر من النص ان قوات (شمر يهوعش) كانت قد تجمعت في
مدينة (صعدتم) ، أي مدينة (صعدة) في (خولان) العالية ، أي الشمالية
(خولان اجددن)^٢ ، ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي الى حدود (خولان)
القديمة في (وادي دفاع) ، حيث حاربت القبائل المجاورة قبائل (شنحن)
(شنحان) الساكنة في الغرب ، ثم نزلت من مساكنها الى ارض (سهرتن)
(سهرتان) ثم اجتازت هذه الأرض الى وادي (ييش) ، وهي الحدود القديمة
للعربية الجنوبية ، ثم تقدمت منها نحو الشمال الى (وادي عتود) الذي يقع في
الأرض المسماة بـ Kinaidokoltital عند الكلاسيكيين. وفي هذه الأرض اصطدمت
قوات (شمر) بقوات (نشدايل) القائد المذكور^٣ .

ويظهر من نص عثر عليه منذ عهد غير بعيد أن قائداً من قواد (شمر) كان
قد قاد أعراباً غزا بهم ملك (أسد) ، وأرض (تنخ) (تنوخ) التي تخص
(الفرس) (فرس) ، أي (فارساً) . وذكر أن أرض (تنخ) (تنوخ) ،
كانت تحت حكم مملكتين ، يقال لإحدهما (قطو) ، وللأخرى (كوك) أو
(كوكب) ، وقد أنزل أعراب (شمر) بهما خسائر فادحة . ثم عاد ذلك
القائد بعد نجاحه في غزوه هذا صحيحاً معافي الى نجران ، حيث قدم الى الآلهة

Die Araber, II, S. 322, Le Muséon, 69, (1956), PP. 139, 152, Pirenne, ١
Le Royaume Sud Arabe, 30, 166, 168, Die Araber, IV, S. 272.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 486. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487. ٣

شكره ، وسجل ذلك في النص المذكور^١ .

وقصد القائد بأرض (تنخ) أرض الأحساء في الزمن الحاضر ، وكانت منزل قبائل (تنوخ) في ذلك الزمن . وقصد بـ (قطو) (قطوف) (القطيف) Qtw'f وفي إشارة القائد الى مهاجمة تلك الأرضين ، أي أرض تنوخ ، التي كانت تحت سيادة (فرس) ، أي الفرس الساسانيين ، تأييد لروايات الأخباريين التي تذكر أن (شمر يهرعش) (شمر يرعش) غزا أرض الفرس^٢ .

هذا ولا بد من أن يكون (شمر) قد كان على اتفاق تام مع أعراب نجد ، ولا سيما سادة (كدتم) (كدت) ، أي كندة في ذلك الزمن ، إذ كان من العسير عليه غزو الأحساء وساحل الخليج ، لو لم يكن على صلات بهم حسنة . وقد كان هؤلاء الأعراب يتزلون فيما يسمى الأفلاج والخروج في الزمن الحاضر . وتعد الأفلاج من مواطن (كدت) كندة منذ زمن (شعرم أوتر) (شعر أوتر) في حوالي السنة (١٨٠ م) ، وقد عبر عنهم بـ (ذال ثور) أي (ذي آل ثور) في النص Jamme 635 ، وكذلك في زمن (الشرح يحضب الثاني) في أثناء حكمه مع (يأزل)^٣ ، أي في حوالي السنة (٢١٠ ب.م.)^٤ . وربما قبل ذلك أيضاً حيث نجد في تاريخ (بلينيوس) ما يشير اليهم ، إذ ورد في تأريخه : Dae Aiathuri fons Aeunuscabales ، ويمكن تفسيرها بـ (ذي آل ثور في عين الجبل)^٥ . و (آل ثور) هم كندة ، وقد عرفوا بهذا النسب عند أهل الأخبار .

والنص المذكور ، هو نص وسمه العلماء بـ (شرف الدين ٤٢) . وقد ورد فيه أن الملك (شمر يهرعش) أمر قواته بغزو أرض (ملك) (مالك) ملك (أسد) (ملك أسد) . فتقدمت نحوها ، واتجهت منها نحو أرض (قطوف) ، أي القطيف ، حتى بلغت موضع (كوكبن) (كوكبان) (كوكب) ثم (ملك فارس وأرض تنخ) (ملك الفرس) أي (الأرض التابعة للفرس)

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٤ وذلك بحسب تقدير (فون وزمن) ، راجع Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٥ Pliny, VI, 158, Le Muséon, 1964 3-4, P. 488.

وأرض تنوخ . وقد دون النص قائدان من قواد (شمر يهرعش) ، كانا من (ريمن ذ حزفرم) ، أي من (ريمان ذوي حزفر) ، ومن (عثن) (عنان) . وذلك بعد عودتهما سالمين غانمين من ذلك الغزو^١ .

وقد كانت (مذحج) تنزل في الأفلاج او حولها وفي المنطقة المسماة بـ (جبل طويق) في الزمن الحاضر . والظاهر ان غزو (امرىء القيس) لنجد قد اضطرب اكثر قبائل (مذحج) الى الهجرة نحو الجنوب . وكانت حسنة الصلات بـ (كدت) اي كندة، التي اضطرت أيضاً الى الهجرة الى الجنوب . ولهذا انضمنا الى جيوش (شمر يهرعش) ، والى جيوش من جاء بعده من الملوك . وقد أشير اليهما في الكتابات بـ (كدت ومذحجم)^٢ . وقد أدت هجرة كندة ومذحج وبقية أعراب نجد الى الجنوب نتيجة لغزو العرب الشماليين لهم الى استيطان قسم كبير منهم في العربية الجنوبية ، ودخلهم في جيوش ملوك حمير ، وذلك لتهديد أعدائهم بهم ، اذ كانوا أعراباً أشداء ، يحبون الغزو والقتال ، حتى صاروا قوة رادعة مخيفة ، ولهذا السبب أدخل اسمهم في لقب الملوك كما سنرى فيما بعد .

ومن جملة القواد الذين تولوا قيادة الأعراب ، او الكتائب الخاصة التي ألفها التابعة منهم ، قائد اسمه (وهب اوم) (وهب أوام) ، وكان من قادة (شمر يهرعش) ، وقائد اسمه (سعد تالب يتلف) (سعد تالب يتلف) ، وكان في أيام (ياسر يهنعم الثالث) وابنه (ذراً أمر) وذلك على رأي (فون وزمن)^٣ .

اننا لا نعرف حتى الآن كيف استولى (شمر يهرعش) على حضرموت ، وكيف ضمها الى سبأ ، اذ لم نتمكن من الظفر بكتابة فيها حديث عن كيفية قضاء (شمر) على استقلال تلك المملكة . وعلمنا بضم حضرموت الى سبأ ، مقتبس من اللقب الجديد الذي لقب (شمر) به نفسه على نحو ما ذكرت^٤ . وقد رأى بعض الباحثين ان سقوط (شبوة) وتدميرها في قبضة قوات (شمر) كان في القرن الرابع للميلاد وقبل استيلاء الحبش على العربية الجنوبية بزمان قصير^٥ .

Sharaffadin 42, Le Muséon, 3-4, 1967, PP. 505, 508.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 488, Jamme 660, 665, Ryckmans, 510.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 489.

Glaser 1050, Belträge, S. 116.

Belträge, S. 144.

ذهب (ريكمنس) الى ان الحبش احتلوا العربية الجنوبية حوالي السنة (٣٣٥) بعد الميلاد ، ودام احتلالهم هذا لها الى حوالي السنة (٣٧٠ م) ، ولم يذكر من حكم بعد (شمر يهرعش) ، غير انه وضع (ملكيكرب يهأمن) في نهاية احتلال الحبش لليمن ، أي بعد سنة (٣٧٠ م) ، ووضع لفظه (حسن) في قوس قبل (ملكيكرب يهأمن) ثم ذكر بعد (أب كرب أسعد) (ذراً أمر أيمن)^١ .

وفي النص Jamme 656 خبر حرب وقعت بين (شمر يهرعش) وحضر موت . وقد لقب (شمر يهرعش) فيه بلقبه الجديد : (ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت) وذكر أن حضر موت كانت اذ ذاك تحت حكم ملكين اسم أحدهما : (شرح ال) (شرح ايل) (شرحيل) ، واسم الآخر (رب شمس) (ربشمس) (رب شمس) . وزعم أن الملكين المذكورين هما اللذان أعلننا (هشتا) الحرب على الملك (شمر يهرعش) ، غير أن النص لم يتحدث ، كعادة النصوص الى الأسباب التي حملت الملكين على اعلان تلك الحرب^٢ . وقد ذكر أن عاقبتها كانت سيئة بالنسبة لحضر موت ، إذ خسرت فيها ، وان الحرب كانت قد وقعت في (سررن) (سرران) ، وأن أصحاب النص وكانوا من (سبا كهالن) (سبأ كهلان) ، عادوا مع عشيرتهم من تلك الحرب سالين غانمين . وقد قدموا عشر حاصل غلتهم من زرع أرضهم بـ (رحبتن) (رحابتان) (رحبتان) ، للإله (المقه) ليبارك فيهم ويديم نعمه عليهم ويزيد مكانتهم عند سيدهم (شمر يهرعش ، ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت) ولكي يعطيهم غلة وافرة وحصاداً طيباً هنيئاً .

وقد شهد أصحاب هذا النص المعركة أو المعارك التي جرت في وادي (سررن) السر ، وهو وادٍ يقع على مسافة سبعة كيلومترات من مدينة شبام ، ويعرف بـ (وادي سر) (وادي السر) . ولم يتحدثوا عن معارك أخرى . مما يدل على أنهم لم يشتركوا في غير هذه المعركة ، وأنهم عادوا بعدها مع قبيلتهم التي ساهمت في القتال الى مواطنهم .

وفي النص : Jamme 662 خبر مهم له علاقة وصلة بالنص السابق وبالعلاقات

J. Ryckmans, L'institution, P. 338.

١
٢ راجع السطر ١١ من النص : Jamme 656, MaMb 135, Mahram, PP. 161, 371.

فيما بين سبأ وحضرموت في هذا العهد . خبر يفيد أن (شبوت) (شبوة) كانت في أيدي السبثيين في هذا العهد ، وأن الملك (شمر يهرعش) (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت) ، كان قد عين (يعمر أشوع) (يعمر أشوع) ، وهو سيد (وزع) من سادات (سبأ) ، على مدينة (شبوة) ، عينه عليها لحمايتها وللمحافظة على الأمن فيها ، وقد ذهب اليها ومعه قوم من (سبأ) . وقد سر (يعمر أشوع) بالطبع بهذا التعيين وشكر ربه (المقه) على هذا التوفيق العظيم الذي حصل عليه بفضلله^١ .

فيظهر من هذا النص ان (شبوة) وهي عاصمة حضرموت ، كانت في أيدي (شمر يهرعش) ، قبل اختيار (يعمر أشوع) ليكون حاكماً عليها ، ومعنى هذا ان جزءاً من حضرموت كان قد أصبح في جملة أملاك سبأ ، وهذا ما حمل (شمر يهرعش) على إلحاق جملة (وحضرموت ويمنت) الى لقبه السابق، وهو (ملك سبأ وذو ريدان) . غير ان السبثيين لم يكونوا قد استولوا على كل مملكة حضرموت، بدليل ما ورد في النص السابق من وجود ملكين كانا يحكمان حضرموت وهما : (شرح ايل) و (ربشمس) (رب شمس) . ويظهر ان (شرح ايل) هذا هو الملك (شرح ايل) (شرحيل) المذكور في النص CIH 948 . أما الملك (ربشمس) ، هذا فهو ملك آخر لا صلة له بـ (ربشمس) الذي هو ابن الملك (يدع ايل بين) ملك حضرموت ووالد ملك آخر اسمه (يدع ايل بين) كذلك^٢ .

ويتبين من النص : CIH 948 - وهو نص فيه أمور غامضة غير مفهومة ، وعبارات غير واضحة ، أمر الملك (شمر يهرعش) نفسه بتدوينه - ان الملك المذكور حارب الملك (شرح ال) (شرحيل) (شراحيل) (شرح ايل) ملك حضرموت ، وانه انتصر عليه انتصاراً كاملاً . ويظهر ان الملك (شمر يهرعش) اضطر الى قيادة حملة جديدة على حضرموت ، لأن الحضارمة انتهزوا فرصة عودة الملك (شمر يهرعش) الى سبأ ، وعودة معظم جيشه معه ، سوى الحاميات التي تركها في بعض المدن والمواقع مثل (شبوة) التي مرّ ذكرها ،

Jamme 662, MaMb 98, Mahram, P. 167, MaMb 91, 96. ١

Mahram, P. 372. ٢

فثاروا على السبثيين ، ثاروا بقيادة الملك (شرح ايل الذي مر ذكره ، مما حمل الملك (شمر يهرعش) على الاسراع بالاتجاه نحو حضرموت للقضاء على الثورة^١ . ويظهر من هذا النص ومن النصوص الأخرى ان الحضارمة وإن اندحروا واصيبوا بهزائم في هذه المعارك الا انهم لم يتركوا النضال في سبيل الاستقلال وفي سبيل التخلص من حكم سبأ ، وان ما تذكره النصوص السبئية من أخبار الهزائم الفادحة والانتصارات الباهرة هي من قبيل المبالغات في غالب الأحيان .

ويلاحظ أن النص المذكور، قد أغفل اسم الملك الثاني (ربشمسم) (رب شمس) الذي كان يشارك (شرح ايل) في حكم حضرموت . ولا ندرى بالطبع سر اغفال اسمه منه . كما يلاحظ أيضاً أنه سمي الملك بـ (شمر يهرعش) ، بدلاً من (شمر يهرعش) كما يرد في كل النصوص الباقية^٢ . ويلاحظ أن الأخباريين لا يسمون هذا الملك الا بـ (شمر يهرعش) .

وبعد أن عاد الملك (شمر يهرعش) من حملته على وادي حضرموت ، عاد فقاد حملة أخرى على أرض (أرض خولان الددن) (أرض خولن الددن) ، (خولان الدودان) . وقد كلف الملك أحد قواده بأن يعسكر في مدينة (صعدة) (يهيجرن صعدتم) ، ويضع بها حامية . ثم يقوم بقطع الطريق على بعض فلول (خولان الدودان) ، وقد تغذ القائد ما طلب منه ، فتعقب تلك الفلول . ولما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض (خولان الدودان) حارب جيشه فلول (سنحن) (سنحان) في وادي (دفا) . وقد منّ الإله (المقه) عليه ، فأعطاه غنائم وأسرى وسبائاً واموالاً طائلة ، أرضته وشرحت صدره^٣ .

وعاد الملك (شمر يهرعش) فأصدر أمره بوجوب الزحف على (سهرتن) (سهرتان) و (حرتن) (حرتان) ، أي أرض قبيلة (حرت) (حرة)^٤ . وهي أرض ورد اسمها قبلاً ، حيث سبق للملك ان زحف عليها ، وذلك قبل استيلائه على حضرموت . ولما انتهت القوات من مقاتلة (سهرتن) و (حرتن) ، اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول (نشدال) (نشد ايل) في وادي (عتود) ،

١ Mahram, P. 373.

٢ Mahram, P. 373.

٣ Jamme 658, 659, MaMb 182, 244, Mahram, P 163.

٤ السطر ١٩ فما بعده حتى السطر ٢١ من النص .

الذي يصب في البحر الأحمر ، والذي يقع على مسافة (٨٥) كيلومتراً الى الشمال الغربي من (جيزان) . وتقع مدينة (جيزان) حوالي ثمانية كيلومترات الى الشمال الشرقي من مصبه في البحر^١ .

ويتحدث نص رسم بـ Jamme 660 ، عن غارة قام بها رجل اسمه (حرثن بن كعب) (الحارث بن كعب) ، ورجل آخر اسمه (سدد بن عمر) (سداد بن عمرو) (سدد بن عمر) ، وكانا (جرينهن) ، وقد تعني اللفظة منزلة من المنازل الاجتماعية ، ومعها محاربان من محاربيهم هما : (نفعن) (النخع) (نفعان) و (جرم) ، على (ذخزن) بمدينة مأرب (هجرن مرب) ، فحققوا ما أرادوا ثم خرجوا من (مأرب) ومعهم (يعمر) سيد (وزع) سبأ . فأمر الملك (شمر يهرعش) احد رجاله واسمه (وهب اوم) (وهب اوام) ، بأن يقتني آثار الجناة ويقبض عليهم . فعخرج اليهم وتعقبهم وقبض عليهم ، وجاء بهم الى الملك حيث عرضهم عليه في قصره (ساحن) (سلحين) (سلحان) بمدينة مأرب^٢ .

وكان (وهب اوم) ، الذي تعقب الجناة وقبض عليهم ، من كبار الموظفين في حكومة (شمر يهرعش) ، وكان بدرجة (كبر) أي (كبير) وهي درجة رفيعة في الحكومة تعني ان صاحبها موظف من أكبر الموظفين في الدولة ، وان الملك عينه ممثلاً عنه لادارة المقاطعات . وقد وضعت تحت تصرف هذا الكبير ادارة ثمانية مقاطعات وقبائل هي : (حصرموت) و (كدت) (كندة) و (مذحجم) (مذحج) و (بهلم) (باهل) و (حدان) (حدآن) و (رضوم) (رضو) و (اظلم) (أظلم) و (امرم) (أمرم)^٣ . والأسماء الأولى هي أسماء قبائل معروفة . معروفة عند أهل الأخبار كذلك . ولا يزال بعضها معروفاً حتى اليوم .

وشخص تناط به ادارة هذه القبائل والأرضين ، لا بد وان يكون من الموظفين الأكفاء في عهد (شمر يهرعش) . ويظهر من تسلسل أسماء المواضع والقبائل ،

١ Mahram, P. 373.

٢ Jamme 660, MaMb 156, Mahram, P. 164.

٣ راجع الأسطر ٢ - ٤ من النص .

انها كانت متجاوزة يتاخم بعضها بعضاً. اذ لا يعقل ادارة شخص في ذلك الوقت مقاطعات متفرقة وقبائل متباعدة من الوجهة الادارية .

ويشير هذا النص الى نوع من التنظيم الاداري الذي كان في حكومة سبأ في ايام هذا الملك^١ .

وبعد النص : Jamme 657 من النصوص التي تعود الى هذا العهد أيضاً . وهو نص دونه شخص من (مرجم) أي (مرجب) ، لمناسبة تقديمه ثلاثة أصنام الى ربه (المله شوان) ، لأنه أجاب طلبه ومن عليه بتحقيقه كل ما سأله من رجاء وتوسلات . ولكي يحقق كل ما سيطلبه من مطالب من اعطائه أثماراً كثيرة من كل مزارعه ، ومن حمايته وحفظه من كل سوء ، ومن رجائه في أن يحظى بمكانة محمودة عند ملكه^٢ .

والنص : Jamme 661 ، هو كذلك من النصوص التي تعود الى هذا العهد. وقد كتبه جماعة لمناسبة شفائهم من مرض خطير كاد أن يقضي عليهم ، أصيبوا (مرضو) به في مدينة (ثت) (ثات) ، فلما شفوا منه ، حمدوا ربهم (المقه شوان) (بعل أوام) ، لأنه من عليهم إذ شفاهم وحفظهم ، وتوسلوا اليه أيضاً ، بأن يعطيهم القوة والمنعة ، وبأن يمنحهم غلة وافرة ويبارك في زرعهم ، ويبعد عنهم أعداءهم وشائهم بحق (المله شوان)^٣ .

وقد استنتج (بجامه) من النص : CIH 353 ، أنه قد كان للملك (شمر يهرعش) شقيق اسمه (ملكم) (ملك) (مالك) ، وقد سقط لقبه من هذا النص . وقد استنتج منه أيضاً أنه كان قد حكم مع أخيه (شمر) وشاركه في الحكم . ولم يرد اسم (ملكم) هذا في نص آخر ، لذلك لم يدخل أكثر الباحثين في العريبات الجنوبية اسمه في عداد ملوك سبأ وذي ريدان^٤ .

وقد وضع (فليبي) اسم (يرم يهرحب) بعد (شمر يهرعش) وقال : إن من المحتمل أن يكون أحد أبناء (شمر) ، وقد جعل حكمه في حوالى

1 Mahram, P. 372.

2 Jamme 657, MaMb 216, Mahram, P. 162.

3 Jamme 661, MaMb 242, Mahram, P. 166.

4 Mahram, P. 362.

السنة (٣١٠ ب. م.)^١ .
 أما (فون وزمن) ، فجعل من بعده ولداً له سماه (ياسر يهنعم) ، ولقبه
 بالثالث ، ليميزه عن (ياسر يهنعم) والد (شمر يهرعش) ، وعن (ياسر يهنعم)
 الأول الذي عاش قبله^٢ .

وأما (ريكننس) ، فذهب الى ان (ياسر يهنعم) هذا لم يكن ابناً لـ (شمر
 يهرعش) ، بل كان أباه ، وقد حكم مع ابنه في بادئ الأمر حكماً مشتركاً ،
 ثم انفرد ابنه بالحكم وأخذ لنفسه الى ان مات ، فعاد الحكم الى أبيه (ياسر يهنعم)
 فأشرك (ياسر) هذا ابنه (ثارن أيفع) (ثارن أيفع) في الحكم ، ثم أشرك
 ابنه الآخر (ذراً أمر أيمن) معه في الحكم أيضاً . ويعارض (فون وزمن) هذا
 الرأي ، اذ يراه تفسيراً غريباً لا مثيل له في الحكم ، ويقتضي أن يكون عمر
 (ياسر) اذن عمراً طويلاً جداً^٣ .

وقد جعل (فون وزمن) حكم (ياسر يهنعم) الثالث وابن (ثارن أيفع)
 فيما بين السنة (٣١٠) و (٣٢٠) للميلاد . ثم ذكر اسم (ثارن يركب) (ثارن
 يركب) من بعدهما . وقد جعل زمانه فيما بين السنة (٣٢٠) و (٣٣٠) للميلاد^٤ .
 ثم وضع (فون وزمن) ايام حكم (ياسر يهنعم الثالث) وابن (ذراً أمر
 أيمن) في النصف الأول من القرن الرابع للميلاد ، في حوالي السنة (٣٣٠)
 بعد الميلاد و (٣٣٦) بعد الميلاد . واذا كان هذا الافتراض صحيحاً او قريباً من
 الصحيح ، فانه يكون قد عاصر أو أدرك ايام (قسطنطين الكبير) (٣١٣ -
 ٣٣٧ ب. م.)^٥ .

ويظهر من ذلك ان (فون وزمن) عاد فأعاد الحكم الى (ياسر يهنعم) الثالث
 الا انه قرن حكمه هذا مع حكم ابن آخر له هو (ذراً أمر أيمن) .

وأما (جامه) ، فقد ذهب مذهب (ريكننس) في أن (ياسر يهنعم)
 الذي وضع هو أيضاً اسمه بعد اسم (شمر يهرعش) هو والد (شمر يهرعش)

-
- | | |
|---|---|
| Background, P. 143. | ١ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 489. | ٢ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 489, Note 165, Von Wissmann, | ٣ |
| Zur Geschichte, S. 200, 407. | |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٤ |
| Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. | ٥ |

وقد حكم بعد ابنه (شمر) بسبب حادث لا نعرف سببه ، حكم مع ابن له حكماً مشتركاً ، ثم حكم مع ابن آخر له ، حكم مع (ذراً أمر أيمن) من حوالي السنة (٣٠٥) وحتى السنة (٣٢٠) للميلاد تقريباً ، ثم حكم مع ابنه الآخر (ثارن أيفع) (ثاران أيفع) من حوالي السنة (٣٢٠) وحتى السنة (٣٢٥) للميلاد تقريباً^١ .

ويرى (جامة) أن تولي الأب الحكم بعد الابن ليس بحادث مستغرب، فهناك أمثلة لعودة الآباء الى الحكم بعد حدوث شيء لأبنائهم ، وعودة (ياسر يهنعم) الى الحكم بعد (شمر) هو مثل من تلك الأمثلة . ثم إن اسم (ياسر يهنعم) هو نفس اسم والد (شمر) ، لذلك يرى (جامة) أنه هو والد (شمر) نفسه وأنه حكم مع أولاده مراراً^٢ .

وعندي أن في رأي (جامة) هذا ، تكلف وتصنع ، واتفاق اسمين لا يدل حتماً على ان الاسمين لمسمى واحد ، وإن كان الزمن متقارباً . ثم من يثبت لنا أن (ياسر يهنعم) الذي يرد اسمه في النصين : Jamme 664 و Jamme 665 هو (ياسر يهنعم) الأول والد (شمر يهرعش) . لا سيما وان لقب (ياسر يهنعم) في النصين يختلف عن لقب (ياسر) والد شمر . وفي افتراض أخذ (ياسر) لقبه الجديد من اللقب الذي أحدثه ابنه في أيامه ، تكلف يبين واضح لا يؤيده أيضاً دليل ، ثم ان تصور اشتراكه في الحكم مع أربعة أولاد ، هو تصور غريب أيضاً . ولذلك أرى أن (ياسر يهنعم) هذا هو شخص آخر ، وليس بوالد (شمر) . وأما أنه ابن (شمر يهرعش) ، فلا اعتقد انه رأي صحيح أيضاً . فلو كان ابن (شمر) لذكر اسم والده في النصين ، كما هي العادة في النصوص . وقد كان من فخر الملوك ذكر أسماء آبائهم في النصوص ، إلا اذا لم يكونوا ملوكاً ، فإنهم كانوا يغفلون أسماءهم ، أو يذكرونها دون لقب . وقد كان (شمر يهرعش) ملك ، وصاحب لقب جديد ، فقد كان من فخر (ياسر يهنعم) ذكر اسم والده مع لقبه لو كان ابن شمر حقاً .

وقد ورد اسم (ذراً أمر أيمن) مع اسم والده (ياسر يهنعم) في النص :

١ Mahram, P. 393.

٢ Mahram, P. 374.

Jamme 665 . وهو نص مهم جداً ، فيه أخبار حروب وأنباء عن الأعراب ، اي اهل الوبر في العربية الجنوبية ، وعن الأدوار التي كانوا يقومون بها من النواحي السياسية والحربية والاجتماعية . كما ان فيه أخباراً عن التنظيمات الادارية اذ ذاك . وصاحب النص موظف كبير من موظفي الدولة اسمه : (سعد تالب يتلف بن جدنم) ، أو من (آل جدنم) ، أي (جدن) . وكان بدرجة (كبير) ، أي (كبير) على أعراب ملك سبأ (كبير اعراب ملك سبا) وعلى (كدة) أي كندة وعلى (مذحج) ، أي (مذحج) ، وعلى (حرم) (حرم) (حرام) ، وعلى (بهلم) ، أي (باهلم) (باهلة) وعلى (زيد ال) (زيد ايل) ، وعلى كل أعراب سبأ (وكل اعراب سبا) ، وأعراب حمير وأعراب حضرموت وأعراب (يمنت) ، أي اليمن^١ . وقد دوتنه لمناسبة تخليده ذكرى حروب قام بها في أرض حضرموت وفي مواضع أخرى ، كلفه القيام بها سيده الملك (ياسر يهنم) وابنه (ذراً أمر أيمن) .

وقد أمر ذلك الكبير بالذهاب الى حضرموت ، فذهب اليها ومعه محاربون من أعراب ملك سبأ ومن كندة (كدة) ، وانضم اليه سادات (ابل) (نشقم) (نشق) و (نشن) (نشان) . ولما وصل مدينة (عبرن) (عبران) اصطدم بمحاربيها ، وجرت معارك بين الطرفين . وتقع (عبرن) غرب (وادي العبر) ويقال لها (حصن العبر) ، وهي مدينة ذات آبار^٢ . وقد اشترك في المعركة محاربون ركباناً (ركيم) وفرساناً (افرسم) ومشاة . ويقصد بـ (ركيم) المحاربون الذين كانوا يركبون الجبال ويقاتلون عليها ، وبـ (افرسم) المحاربون الفرسان ، أي الذين يحاربون وهم على ظهور الجياد . وقد ذكر ان عدد المحاربين الراكبين كان (٧٥٠) محارباً راكباً ، وان عدد الفرسان كان سبعين فارساً . وقد اصطدمت احدى المفاوز التي كانت مقدمة للجيش (مقدمتن) ، بمفرزة أرسلها ملك حضرموت لمباغثة محاربي (نشق) و (نشان) و (مأرب) ، وأخذهم على غرة لايقاعهم في الأمر^٣ .

١ Jamme 665, MaMb 290, Mahram, P. 169, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 490.

٢ Mahram, P. 375, Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, S. 189, 306.

٣ السطر الثامن عشر من النص .

فوقعت معركة عند موضع (ارك) . وقد تمكن قائد الحملة (سعد تألب) من التغلب على الحضارمة ومن تخليص مقدمته وانقاذ من كان قد وقع أسيراً في أيدي المستوطنين الحضري من أهل المدر الساكنين في مستوطنات (احضرن)، ثم أتيه بجيشه نحو (دهر) و (رخيت) ، فجرت معركة تغلب فيها على أهل الموضعين وحصل منهم على غنائم وأسرى ، وأموال ، واقتاد جبالاً وثيراناً وبقراً وغنماً كثيراً ، أخذها معه ، ثم أتيه نحو الأرضين المنخفضة (سفل) حتى بلغ (عيون خرصم) (أعين خرصم) (أعين خرص) ، حيث تحارب مع من كان هناك من العصاة والمشقين والأعداء .

ودخل السبثيون بعد هذه المعركة معركة أخرى دخلوها مع قطعات (مصر) حضرموت المتقدمة (قدمهو) . وكانت تتألف من (٣٥٠٠) جندي راكب (اسلم ركم) ومن (١٢٥) فارساً (افرسم) ، وكان يقودها قائدان : (اسود يهو) : أحدهما : (ربعت بن ولم) (ربيعت بن ولم) (ربيعة بن وائل) ، وهو من آل (هلم) ومن آل (الين) (ألين) ، وثانيهما : (افصى بن جمن) (أفصى بن جان) ، ثم قائد الركبان (نخل ركن) وأقيال (أقول) وكبراء (اكبرت) حضرموت وأسياطهم . وقد أصيبت قوات حضرموت بخسائر ، قتل منهم (٨٥٠) محارباً بحد السيف ، وأسر (افصى) ، وكان قائداً بدرجة (نخل) وأسر (جشم) ، وهو (نخل افرسم) ، أي قائد الفرسان ، وأسر معها (٤٧٠) محارباً ، وعدد من أقيال وكبراء حضرموت . وأسر (٤٥) فارساً من فرسان حضرموت ، وغنم ثلاثين فرساً وأخذ ١٢٠٠ جمل ركوب مع رحالها (برجلهن) . وهكذا انتهت هذه المعركة بانتصار السبثيين على حضرموت .

وأمر الملك قائده بأن يقاتل (بساعم) (بساعم) ، وأن يذهب لمساعدة قبيلة (جدنم) (جدن) . فذهب معه (٣٥) فارساً وقطعات من جيشه على (بساعم) ، والتحم به ، وتمكن من انقاذ كل الروايا (كل روتهمو) المحملة على الدواب ، وكل الأمتعة المحملة على حيوانات الركوب ، كما استولوا على ابل من ابل (بساعم) . وعاد القائد مع جنده بعد ذلك سالماً غانماً بفضل الإله (المقه) ونعمه عليه^١ .

١ الفقرة (٤٠) وما بعدها من النص .

ويظهر ان عهد (ياسر يهنعم الثالث) وعهد ابنه (ذراً أمر أيمن) كانا من العهود السيئة لحكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، ففيها انفصلت (حضرموت) عن تلك الحكومة ، واستقلت ارض (سهرت) (سهرتن) (سهرة) (السهرة) واستعاد الحبش سلطانهم في السواحل الغربية للعربية الجنوبية . وانتهاز (الأقبال) وسادات القبائل هذه الفرصة ، فكوتوا حكومات اقطاعية ، يحارب بعضها بعضاً ، وعمت الفوضى تلك البلاد^١ .

وأما النص : Jamme 664 الذي دوّن فيه اسم (ياسر يهنعم) و (ثارن أيفع) (ثاران أيفع) (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، أي (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، ويقصد بـ (ملوك) (ملكا) ، أي ملكين اثنين ، فصاحبه رجل اسمه (ال امر ينهب) (ايل أمر ينهب) ، وهو من (سحر) (سحر) ، وكان قد أهدى معبد (المقه ثهوان) (بعل أوام) صنماً ، لأنه أوحى اليه بأنه سيهبه ولدأ ذكراً . وقد وهبه ولدأ سماه (برلم) (برل) (بارل) . ولأنه أوحى اليه بأنه سيهبه اولاداً ذكوراً في المستقبل وانه سيرفع من منزلته ومكانته عند سيديه : (يسرم يهنعم وثارن أيفع املك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، أي (ياسر يهنعم وثارن أيفع ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، ولأنه أوحى اليه بأنه سيعطيه غلة وافرة وأثماراً كثيرة من أرضه الزراعية (ارضهمو) بمأرب وبنشق وبنشان^٢ .

ويلاحظ ان هذا النص لم يشر الى ان (ثاران أيفع) كان ابنأ لـ (ياسر يهنعم) ، اذ لم يورد لفظة (وبنهو) التي تعني (وابنه) بل ذكر (الواو) وحده ، أي حرف العطف . ومعنى هذا ان (ثاران أيفع) لم يكن من ابناء (ياسر يهنعم) ، بل كان غريباً عنه . ثم يلاحظ ان النص ذكر لفظة (املك) أي (ملوك) بعد اسم (ثاران أيفع) ، والواجب ان يكتب (ملكي) ، أي (ملكا) ، في حالة التثنية لا الجمع ، فلعل ذلك من خطأ الكاتب أو الناسخ للنص .

وقد وضع (جامه) اسم (كرب ال وتر يهنعم) (كرب ايل وتر يهنعم) (كربثيل وتر يهنعم) بعد اسم (ثاران أيفع) . وجعل حكمه من سنة (٣٢٥)

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 490.

Jamme 664, MaMb 293, Mahram, P. 168.

حتى السنة (٣٣٠) للميلاد^١ . ثم نصب (ثاران يركب) ملكاً من بعده ، وقد جعل حكمه من سنة (٣٣٠) حتى السنة (٣٣٥) للميلاد . ثم ذكر اسم (ذمر على يهر) من بعده ، وأعطاه لقب (الثاني) ليميزه بذلك عن (ذمر على يهر) الذي حكم قبله بأمد . وذكر أنه حكم من سنة (٣٣٥) حتى السنة (٣٤٠) للميلاد ، ثم وضع اسم (ثاران يهنعم) من بعده ثم اسم (ملكيكرب يهأمن) (ملكي كرب يهأمن) ، ثم اسمي ملكين هما : (ابكرب أسعد) و (ذراً أمر أيمن)^٢ .

وأما (فون وزمن) ، فوضع اسم (ذمر على يهر) (ذمر على يهأر) بعد اسم (ثاران يركب) ، ثم عاد فذكر اسم (ذمر على يهر) مع ابنه (ثاران يهنعم) ، بمعنى أنهما حكما معاً فيما بين السنة (٣٤٠) والسنة (٣٥٠) للميلاد . ثم ذكر أن (ثاران يهنعم) حكم مع ابنه (ملكيكرب يهأمن) حكماً مزدوجاً ، ثم حكم (ملكيكرب يهأمن) مع ابنه (أبو كرب أسعد) و (ذراً أمر أيمن) . ثم أشار الى انفراد (أبو كرب أسعد) مع ابنه (حسن يهأمن) (حسان يهأمن) بالحكم في حوالي السنة (٤٠٠) للميلاد^٣ .

وقد ورد اسم الملك (كرب ال وتر يهنعم) (كرب ايل وتر يهنعم) في النص : Jamme 666 . وصاحبه رجل اسمه : (ابكرب ابهر) (أبو كرب أبهر) ، ورجل آخر اسمه : (عبد عثر اشوع) (عبد عثر أشوع) ، و (وهب أوم أسعد) ، وكانوا أقبالا^٤ (اقول) على عشيرة (عضدن) (عضدان) ، وكانوا هم منها . وقد تقدموا الى الإله (المقه) ، بصنم هو عبارة عن تمثال فرس وعليه راكبه ، (ركبهو) ، وذلك حمداً له وشكراً لأنه منّ عليهم وحماهم من مالك الأرض (بن محر) ، ولأنه أسعدهم ، ولكي يبعد عنهم كل أذى وسوء وكل عدو حاسد ، ويعطيهم القوة والحظوة والمكانة عند سيدهم (كرب ال يهنعم) (ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت) ، ويمنحهم حصاداً طيباً وغلة وافرة^٥ .

Mahram, P. 393. ١

Mahram, P. 393. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498. ٣

Jamme 666, MaMb 140, Mahram, P. 172. ٤

ويلاحظ ان هذا النص سمي الملك (كرب ال يهنعم) (كرب ايل يهنعم) ولم يذكر لفظة (وتر) بين (كرب ايل) و (يهنعم) . وقد وضع (جامه) لفظة (وتر) بين الاسمين من عنده لاعتقاده بأن هذا الملك هو الملك (كرب ايل وتر يهنعم) الذي يرد اسمه في نص آخر وسم بـ Jamme 667 .

وأما النص : Jamme 667 ، فصاحبه رجل اسمه (ريبم) (ريبب) ، وهو من : (خلفن انترم) (خلفان أنترم) (خلفان أنمار) ومن (حيم) (حيوم). وقد ذكر فيه انه قدّم صنماً الى الإله (المقه شوان) (بعل اوآم)، لأنه من عليه، بأن حفظه ونجاه من الثورة (بن حبل) والاضطرابات (وقسدت) (قسدت) التي وقعت بمدينة (ظفار) ، وذلك قبل هذا اليوم (بقدمى ذن يومن) ولكي يديم نعمه ومننه عليه وينيله رضى وحظوة (حظى ورضو) سيده الملك (كرب ال وتر يهنعم ، ملك سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت) ، أي (كرب ايل وتر يهنعم ، ملك سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت)^١ .

وقد ورد اسم الملك (ذمر على يهر) في النص Jamme 668 ، وورد معه اسم ابنه (ثاران يهنعم) . وأصحابه جماعة من (سباكهان) ، أي (سبا كهلان). وقد حمدوا فيه الإله (المقه) لأنه نجى وحى وحفظ اصحاب النص ، ولأنه من عليهم فكنّهم من الحصول على غنائم في المعارك التي خاضوها ومن اخذ سبي من أعدائهم ، مما أثلج نفوسهم وشرح صدورهم وأفرحهم ، ولكي يبارك فيهم ويرضى عنهم سيدهم الملك (ذمر على يهر) وابنه (ثاران يهنعم) وهما (ملكا سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت) ، ولكي ينعم عليهم (وليهنعنهمو) ، ويمتعمهم في الحياة (متعنهمو) ويبعد عنهم كل أذى وسوء^٢ .

وورد اسم (ثارن يهنعم) (ثاران يهنعم) ، وبعده اسم ابنه (ملك كرب) يهامن) (ملككرب يهامن) (ملكيكرب يهامن) (ملكي كرب يهامن) ، في النص : Jamme 669 ، وهو نص دونه جماعة من عشيرتي : (عبل) (عبال) و (قترن اتون) (قتران أتوان) ، حمدوا فيه الإله (المقه) لأنه أنعم عليهم . فوهبهم مولوداً ذكراً . ولأنه أوحى اليهم بأنه سيهبهم أولاداً

Jamme 667, MaMb 15, 86, Mahram, P. 172. ١

Jamme 668, MaMb 236, Mahram, P. 173. ٢

ذكوراً ، وانه سينجيهم من الضر والسوء ، ولأنه أمات (وميت) (بحمد)
الذي دخل أرضهم وقاتل أولادهم ، وآذاهم ، ولأنه حفظ أخاهم وشفاه ، مما
اصيب به من مرض جعله صامتاً هادئاً ، وتعبيراً عن شكرهم وحمدهم هذا ،
أهدوا معبده صنماً (صلمن) ، وكتابة (مسدم) (مسندم) ، وكانت زنتها
(عصيم) (عصى) ، وقدموا ثورين (ثني ثورن) الى (كلونم) (كلوان)^١.
ويلاحظ ان هذا النص لم يذكر مع اسم (ملككرب) (ملك كرب)
(ملكيكرب) لقبه وهو (يهأمن) من بعده ، بل أهمله .

كما ورد اسمه وبعده اسم ابنه في النص : Jamme 670 . وقد دوتنه
(شرحعث اشوع) (شرحعث أشوع) ، وابنه (مرثدم) (مرثد) ، وهما
من (سخيم) سادات (بيت ريمان) (ابل بيتن ريمن) ، وأقباى عشيرة
(يرسم) من قبيلة (سمعي) التي تكون ثلث (حجرم) (حجر) . وقد
كتباه لحمد الإله (المقه) وشكره ، لأنه منّ على عبده (شرحعث أشوع)
فعافاه مما ألمّ به من مرض شديد (ضلم) كاد ان يقضي عليه ، حلّ به بمدينة
(ظفار) . ولأنه أعاد اليه ابنه (كسدم) ، فساعدته . ولكي يبارك فيه وفي
ابنه (مرثد) ، ويبعد عنها كل مرض ، ويرفع من مكانتهما لدى الملكين :
(ثاران يهنعم وابنه ملك كرب يهأمن ، ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)^٢.
وكتب جماعة من (سخيم) سادات (بيت ريمان) (ابل بيتن ريمن)
وأقباى (اقولن) (يرسم) من عشيرة (سمعي) ، التي تكون ثلث عدد
(حجرم ذخولن جددتن) (حجرخولان جددتان) ، نصاً وسم بـ Jamme 671
وذلك ليكون معبراً عن حمدهم وشكرهم للإله (المقه) ، الذي منّ عليهم
بنعمه وساعدهم بالقيام بالعمل الذي كلفهم به سيدهم : (ثاران يهنعم)
و (ملككرب يامن) (ملك كرب يامن) (ملكيكرب يامن) ، (ملكا سبأ
وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، وهو أن يتقدموا ويقودوا (لقتد من) جيش
الأعراب (خمس بعرب) ، ويتجهوا الى السد (عرمن) الذي تهسدم (بكن
ثبرت عرمن بحبيض) ، عند موضع (حبيض) (حبابض) وموضع (رحبتن)
(رحبتان) (الرحبة) (الرحابة) ، فتداعت جدرانها ومبانيه وأحواضه وسدوده

Jamme 669, MaMb 183, Mahram, P. 174. ١

Jamme 670, MaMb, 292, Mahram, P. 175. ٢

الفرعية ومضارفه (مضرفن) ، الواقعة فيم بين (حبابض) و (رجبتن) (الرحبة)
 وخرب منه ما مقداره سبعون (شوحطم) (شوحطا) . وقد حمدوا الإله
 (المقه) وسبحوه لأنه أجاب دعوتهم ، فحبس الأمطار والأمواج والسيول عنهم
 حتى تمّ العمل وأقاموا الأسس والجدران والسد . ولأنه وفقهم في خدمة سيديهم
 (ثاران يهنعم) : و (ملككرب يامن) (ملك كرب يامن) (ملكيكرب
 يامن)^١ .

ويظهر من هذا النص أن خراباً كان قد حل بسد (حبابض) ، فتهدم قسم
 منه فأضر ذلك بالمزارع التي كانت ترتوي منه . وأن الملك أمر باصلاحه وباعادة
 بنائه ، وقد تم هذا العمل في عهده .

وأما الذي حكم بعد (ذراً أمر أيمن) الذي هو ابن (ياسر يهنعم الثالث) ،
 فهو (ذمر على يهبأر) . وكان قد حكم على رأي (فون وزمن) في حوالي
 السنة (٣٤٠ ب . م) . وقد استنتج (فون وزمن) رأيه هذا من كتابة ورد
 فيها اسم القائد (سعد تألب يتلف) ، وهو في خدمة (ذمر على يهبأر) . ولما
 كان هذا القائد قد خدم في عهد (ياسر) وابنه ، رأى ان (ذمر على يهبأر)
 يجب ان يكون هو الملك الذي تولى الحكم بعد (ذراً أمر أيمن) . وقد نعته
 بـ (ذمر على يهبأر الثاني) تمييزاً له عن ملك سابق حكم بهذا الاسم^٢ .

وقد تمكن القائد المذكور من الوصول الى موضع (صوران) (صوراران)
 الواقع غربي الطريق المؤدية الى روضة (سررن) (سرران) بوادي حضر موت .
 واشترك في معركة نشبت في (سرران) على مقربة من موضع (مريمات)
 (مريمات) . وهو موضع تقع آثاره وخرائبه اليوم بين (سيوون) و (تريم) ،
 في المكان الذي سماه (بطلميوس) Marimatha^٣ .

ولا نعلم من أمر (ذمر على يهبأر) شيئاً يذكر . اما الذي جاء بعده في
 الحكم ، فهو (ثارن يهنعم) ، ثاران يهنعم) ، وهو ابنه . وقد حكم مع أبيه
 حكماً مشتركاً بعد السنة (٣٤٠ م) على رأي (فون وزمن) . وقد عثر على

Jamme 871, MaMb 294, Mahram, P. 176. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, PP. 491, 498. ٢

J. Ryckmans, Chronologie, Oriens Antiquus, III, 1964, P. 22. ٣

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 491.

عدد من الكتابات من ايامه . وفي عهده تصدع السد ، سد مأرب ، للمرة الثالثة على ما جاء في المسند^١ .

ولعل النصوص الموسومة بـ Jamme 669 و Jamme 670 و Jamme 671 هي آخر النصوص التي نقرأ فيها اسم الإله (المقه) ، إله سبأ الكبير ورمز السبئيين. وقد عثر عليها المنقبون في معبده بمدينة مأرب ، المعبد المعروف بـ (أوم) (أوام) ، وهي مكتوبة في عهد الملك (ثارن يهنعم) وابنه (ملككرب يهأمن) (ملكيكرب يهأمن)^٢ . وإذا كان هذا الانقطاع صحيحاً ، أي أن المنقبين لن يعثروا على كتابات أخرى تحمل اسم ذلك الإله وتمجده ، فإنه يمكن تفسيره عندئذ بإعراض ملوك سبأ منذ عهد هذين الملكين ، أي منذ أواخر القرن الرابع بعد الميلاد ، عن عبادة (المقه) وبقيّة آلهة سبأ ، ودخولهم في التوحيد .

ولو افترضنا احتمال عثور الباحثين على كتابات مفقودة فيها اسم (المقه) ، فإن عهدها لن يكون طويلاً ، ذلك لأننا سوف نرى بعد قليل أن الملك (ملككرب يهأمن) (ملكيكرب يهأمن) وهو ابن الملك (ثارن يهنعم) (ثارن يهنعم) ، يتجاهل بعد توليه الحكم اسم (المقه) ، ولا يتقرب اليه على سنة الملوك الماضين ، بل يتقرب الى إله جديد هو الإله (ذسموى) ، أي الإله (رب السماء) ، وهو تحول يدل على حدوث تغير عند هذا الملك بالنسبة الى ديانة آبائه وقومه ، ويدل على دخوله في ديانة جديدة ، هي ديانة (رب السماء) ، أو (رب السماوات) ، وهي ديانة تعبر عن عقيدة التوحيد ، وعن اعتقاد الملك بوجود إله واحد هو (رب السماء)^٣ .

وقد عثر على الكتابات المذكورة بـ (منكث) خارج خرائب (ظفار)^٤ .

ويرى بعض الباحثين احتمال حدوث هذا التحول في عهد الملك (ثارن يهنعم) ، ويرون ان هذا التحول يتناسب كل التناسب مع الرواية المعزوة الى (فيلستورجيوس) Philostorgios عن كيفية تنصير الحميريين ، اذ زعم ان (ثيوفيلوس) Theophilos كان قد تمكن من اقناع ملك حمير بالدخول في النصرانية ، فدان

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.
٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 461.
٣ Glaser 389.
٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492.

بها ، وامر ببناء كنائس في (ظفار) وفي (عدن) . وكان القيصر (قسطنطين الثاني) (٣٥٠ - ٣٦١ م) هو الذي ارسله الى العربية الجنوبية ليدعو الى النصرانية بين اهلها . ويؤيدون رأيهم هذا بالكتابة المذكورة التي يرجع عهدها الى سنة (٣٧٨ م) أو (٣٨٤ م) ، فهي غير بعيدة عن ايام (ثارن يهنعم) ، ويحتمل لذلك ان يكون هو الملك الحميري ، الذي بدّل دينه الوثني ، ودخل في ديانة التوحيد^١ .

ويتحدث النص : Jamme 671 من بين النصوص المذكورة عن تصدع أصاب وسط سد مأرب الكبير وعن سقوطه ، وعن قيام الملك (ثارن يهنعم) (ثاران يهنعم) بإصلاحه واعادته الى ما كان عليه . ويكون هذا الخبر ، هو ثاني خبر يصل إلينا مدوناً في كتابات المسند عن تصدع السد الى هذا العهد^٢ .

أما الكتابة التي ورد فيها اسم الإله (ذسموى) (رب السماء) ، فتعود الى الملك (ملككرب يهأمن) (ملك كرب يهأمن) (ملكيكرب يهأمن) ، وهو ابن الملك (ثارن يهنعم) . وقد عثر عليها في (منكت) خارج خرائب (ظفار) . وقد ورد فيها مع اسمه اسم ولدين من أولاده ، هما : (ابكرب اسعد) (أبو كرب أسعد) ، و (ذراً أمر أيمن) (ورأ أمر أيمن)^٣ ، وكانا يشاركانه في الحكم لورود لقب الملوكية الكامل بعد اسميهما . وقد تقربوا بها الى الإله (ذسموى) ، اي (إله السماء) ، وذلك في سنة (٤٩٣) من التأريخ الحميري ، المقابلة لسنة (٣٧٨) أو (٣٨٤) للميلاد^٤ .

وقد أغفل (فليبي) الإشارة الى (ياسر يهنعم الثالث) ثم من جاء بعده الى (ملك كرب يهأمن) ، فلم يذكرهم في قائمته للملوك (سبأ وذبي ريدان وحضرموت) .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492, J. Ryckmans, Chronologie, Orients Antiquus, III, 1964, P. 22.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 491.

٣ « ورأ أمر أيمن » في بعض القراءات ، و « ذراً أمر أيمن » في قراءة أخرى ، Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492.

٤ Glaser, Skizze, I, S. 12, Dammbbruch, S. 14,

Le Muséon, 1950, 3-4, P. 270, 1964, 3-4, P. 492,

Glaser 389, Die Araber, IV, S. 273.

وفد أخطأ هذا المصدر : (Die Araber) في تدوين التأريخ الحميري ، اذ جعله (٤٧٣) ، بينما هو « ٤٩٣ » ، Le Muséon, 66, (1953), 303.

وتمت . وقد قلت إنه جعل (يرم يهرحب) بعد (شمر يهرعش) ، ومن المحتمل - في نظره - أن يكون أحد أولاد (شمر) ، ثم ذكر أن الأحباش استولوا على العربية الجنوبية بعده ، وذلك في حوالي السنة (٣٤٠ ب.م) ، وقد دام حكمهم حتى سنة (٣٧٥ م) ، حيث ثار عليهم (ملكيكرب يهأمن) ، ويحتمل في نظره أن يكون أحد حفدة (يرم يهرحب) ، فطرد الأحباش من العربية الجنوبية ، وأقام نفسه ملكاً^١ .

وقد ورد اسم (ملك كرب يهأمن) محرفاً في كتب أهل الأخبار ، فدعاه (حمزة) بـ (كلي كرب بن تبع) ، وقد جعل حكمه خمساً وثلاثين سنة^٢ . وسمّاه (الطبري) (ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع)^٣ ، وسمّاه (المسعودي) (كليكرب بن تبع)^٤ ، ودعاه (القلقشندي) (كليكرب بن تبع الأقرون) ، الذي حكم على زعمه بعد (شمر يرعش) (شمر مرعش) ، ثلاثاً وخمسين سنة ، وقيل ثلاثاً وستين سنة ، واسمه زيد . وهو على زعمه ابن (شمر) . وذكر أن الأقرون إنما عرف بالأقرون لشامة كانت في قرنه^٥ .

وانتقل الملك بعد وفاة (ملك كرب يهأمن) إلى ابنه (أب كرب أسعد) (أبي كرب أسعد) ، ويرى المستشرقون أنه (أسعد كامل تبع) الذي يزعم الأخباريون أنه أول من تهوّد من التبابعة ونشر اليهودية بين اليابانيين .

وقد جعل (الطبري) حكم (أبو كرب أسعد) بعد حكم (شمر يهرعش) ، إذ قال : (ثم كان بعد شمر يرعش بن ياسر ينعم تبع الأصغر ، وهو تيسان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد بن تبع الأول بن عمرو ذي الأذعار ، وهو الذي قد قدم المدينة ، وساق الخبرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه)^٦ وتهود وطلب من قومه الدخول في اليهودية . (وقال الكلبي : تبع هو أبو كرب أسعد بن ملكيكرب ، وإنما سمي تبعاً لأنه تبع من قبله . وقال سعيد بن جبير : هو الذي كسا البيت الحبرات) . وذكر أنه قال شعراً أودعه

Background, P. 143. ١

حمزة (ص ٨٥) ٢

الطبري (٥٦٦/١) (دار المعارف) ٣

مروج (١٣٠٥/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ٤

صبح الأعشى (٢٣/٥) ٥

الطبري (١١/٢) ، الأكليل (٣٤/١) « حاشية ٤ » ٦

عند اهل يثرب ، (فكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فأدّوه اليه . ويقال كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد)^١ . وورد في مسند الإمام (أبي حنيفة) : (أول من ضرب الدينار تبع ، وهو أسعد بن كرب)^٢ .

وقد تحدث (الهمداني) عن (أبي كـرب أسعد) ، فقال : « فأولد ملكيكرب بن تبع الأكبر : أسعد تبع بن ملكيكرب . وهو أسعد الكامل ، وتبع الأوسط » (وكانت امه من فايش بن شهاب بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل بن جشم بن جبران بن نوف بن همدان ، ومولده بخمر من ديار فايش بن شهاب) . و (خمر) موضع بظواهر همدان . (ونشأ بجبل هـنـوم من أرض همدان ... فأولد أسعد تبع بن ملكيكرب : كرباً وهو الفدى ، وبه كان يكنى ... ومعدى كرب وحسان وعمرأ .. وجبلاً .. فهؤلاء ... خمسة نفر بنو أسعد بن ملكيكرب وقال اللبخي وغيره : خطيب بن أسعد . والخطيبون بأكانط ومدر من ولده)^٣ فيكون ولد (أسعد) ستة نفر على هذه الرواية .

وذكر (الهمداني) ان والد (أسعد) هو (ملكيكرب بن تبع الأكبر . وهو الرائد بن تبع الأقرون بن شمر يرعش بن إفريقس ذي المنار بن الحارث الراش بن الى شدد)^٤ . وعرف (تبع الأقرون) بالأقرون ، لشامة كانت في قرنه^٥ .

وقد اورد (الهمداني) في كتابه (الإكليل) أشعاراً كثيرة نسبها الى (أسعد بن ملكيكرب) ، بعضها قصائد ، ذكر انه نظمها في مناسبات مختلفة . وقد تطرق في بعض منها الى أنساب الناس والى أمور ذكر انه تنبأ بها قبل وقوعها بمئات من السنين ، ومنها ظهور الرسول ومبعثه في قريش . وذكر (الهمداني) ان شعر (أسعد) وفصاحته من شعر وفصاحة (همدان) . ونسب له شعراً في مدحهم^٦ .

-
- ١ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ١٤٥) .
 - ٢ مسند الامام أبي حنيفة (ص ١٦٣) ، (حلب ١٩٦٢ م) .
 - ٣ الاكليل (٥٦ / ٢) وما بعدها .
 - ٤ الاكليل (٥٤ / ٢) وما بعدها ، ١١٠ وما بعدها .
 - ٥ الاكليل (٥٤ / ٢) .
 - ٦ الاكليل (٥٧ / ٢) .

ويلاحظ ان أهل الأخبار قد صيروا اسم (اب كرب اسعد) (أبكرب أسعد) (أبو كرب أسعد) على هذا النحو : (أسعد تبع) و (أسعد تبع بن ملكيكرب) و (أسعد الكامل) ، فأسقطوا (اب كرب) (أبكرب) منه ، وأخذوا الجزء الأخير منه وهو (اسعد) . ويظهر ان فتوحاته كانت قد تركت اثرأ في ذاكرة أهل اليمن ، وقد بقي ذلك الأثر الى الاسلام ، ولكن الزمن والعصية لعبا دورأ خطيراً في تكييفه حتى طغى عليه الطابع الأسطوري ، فوصل الينا على نحو ما نجده في كتب أهل الأخبار والتواريخ .

وقد تولى هذا الملك - على رأي المستشرقين - الحكم منفردأ من سنة (٤٠٠) بعد الميلاد حتى حوالي سنة (٤١٥) او (٤٢٠ ب. م .) على رأي^١ ، أو من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠ ب. م .) على رأي آخر^٢ ، او من سنة (٣٧٨) حتى سنة (٤١٥ ب. م .) على رأي (فلي)^٣ . والذي أراه ان حكمه امتد الى ما بعد السنة (٤٣٠) للميلاد ، كما سأشرح ذلك في موضعه . وقد أضاف الى لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) الذي ورثه من أبيه اضافة جديدة في آخره ، هي : (واعربهمو طودم وتهتم) ، أي (وأعرابها في الجبال وفي التهائم) ، فصار بذلك أول ملك يحمل هذا اللقب^٤ .

ولا بد ان تكون للاضافة التي ألحقت بآخر اللقب معنى سياسي مهم ، اذ لا يعقل ان يكون هذا الملك قد ألحقها باللقب اعتباطاً من غير قصد . والظاهر ان الذي حمله على إلحاقها به ، هو ظهور أهمية الأعراب ، ولا سيما أعراب الهضاب وأعراب جنوب نجد من قبائل (معد) وقبائل تهامة او التهائم ، أي المنخفضات الساحلية ، بالنسبة الى زمانه اذ صاروا يؤثرون في سياسة العربية الجنوبية تأثيرأ واضحأ ، وصار في استطاعتهم احداث تغيير كبير في الوضع السياسي ، فانتبسه لقوتهم هذه وأعارها أهمية كبيرة ، فأضاف اسمهم الى اللقب ، دلالة على سيطرته عليهم وخضوعهم له ، كما فعل الملوك الماضون باضافة أسماء جديدة الى ألقابهم الملكية كلما اخضعوا ارضأ من الأرضين .

Handbuch, S. 104, Anm. 3, Background, PP. 116, 143. ١

Background, P. 143, Beiträge, S. 20, 40. ٢

Le Muséon, «Note on the last Kings of Saba», By Philby, ٣

LXIII, 3-4, (1950), P. 269.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492. ٤

ومعنى ذلك ان حكم (أبو كرب أسعد) كان قد شمل التهاشم بأعرابها وقراها وكذلك قبائل معدّ التي تمتد منازلها من أرض نجران الى مكة ونجد^١ .

وعلى مقربة من مدينة (غيان) قبر ينسب الى هذا الملك ، وقد فتح من عهد غير بعيد . وذكر أن (غيان) كانت مقراً للتبابعة مدة ما ، وان (أب كرب أسعد) أقام بها زمناً . ويظن ان الرأس المصنوع من البرنز الذي يمثل رأس امرأة والمحفوظ في المتحف البريطاني ، والرأس الجميل الذي يمثل مهارة فائقة في الصنعة ويمثل رأس رجل ، كلاهما قد أخذ من ذلك القبر^٢ .

ويقع قبر (أسعد أبو كرب) أسفل التل الذي اقيم عليه قصر (غيان) (حصن غيان) . وقد دل البحث في موضعه على انه يعود الى عهود متعددة ، وان جملة ترميمات واصلاحات أدخلت على هذا القصر^٣ .

وقد ذكر (الهمداني) ان (ابيكرب أسعد) كان قد اقام في مدينة (بينون) ، أوقام ايضاً في مدينة (ظفار)^٤ . اقام في قصر (ريدان) ب (ظفار) وفي قصر (هكر) بمدينة (بينون) ، كما اقام في قصر (غيان) وفي قصر (غمدان) بصنعاء وهي كلها من قصور اليمن وحصونها الشهيرة المذكورة في تاريخ اليمن^٥ .

وقد أخذ جماعة من المستشرقين برواية أهل الأخبار في تهود (أب كرب أسعد) (أبكرب أسعد) ، فجعلوه على رأس اسرة متهودة حكمت منذ هذا العهد . وجعله (فليبي) رأس الأسرة الثامنة من الأسرة التي حكمت السبئيين بحسب ترتيبه لقائمة الأسر الحاكمة^٦ .

ويدل عثور (فليبي) على كتابة دوّن فيها اسم (أب كرب أسعد) واسم ابنه (حسان يهأمن) في وادي (مأسل الجمح) (مأسل جمح) في موضع مهم على طريق بين (مكة) والرياض ، ولا يزال يعرف اسم جمح على أن هذا الموضع كان من جملة الأرضين الخاضعة لحكم ذلك الملك ، وان نفوذه كان قد جاوز اليمن حتى

١ Die Araber, II, S. 321, IV, S. 274.

٢ Belträge, S. 20.

٣ Arabien, S. 276.

٤ Belträge, S. 40.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

٦ Background, P. 493, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

بلغ نجداً . وبلغ هذه الأرض المهمة التي تجتازها القوافل والتجارات حتى اليوم^١ ، وكانت تعدّ من منازل قبائل (معد) في ذلك الحين ، وهي قبائل متحالفة يجمع شملها هذا الاسم^٢ .

والكتابة التي أقصدها ، هي الكتابة التي وسمت بـ Philby 227^٣ ، وقد دوّنت عند إقامة حصن في وادي (ماسل الجمع) ، وورد فيها اسم موضع آخر هو (مودم ضمو) . ويرى (فلي) انه المكان المسمى (دودمي) (دوادمي) في الزمن الحاضر^٤ . وقد وردت فيها أعلام أخرى ، منها : (كدت) (كدة) ، و (سود) ، و (وله) (وده)^٥ .

وقد ذكر (الحمداني) ان (مأسل الجمع) كان من مواضع (نَمِير) : واسم (نَمِير) ، قريب من اسم قبيلة Nomeritae التي ذكرها (بلينيوس) اذ قال : Nomeritae Mesala Oppido ، ولذلك ذهب بعض الباحثين الى ان (مأسل الجمع) كان من مواضع (نَمِير) ، وذلك في أيام (بلينيوس) ، أي في اواخر القرن الأول قبل الميلاد فما بعده^٦ .

ويظهر ان الملك (أب كرب أسعد) أقام هذا الحصن في (وادي مأسل) ليكون معقلاً تقيم فيه قوات سبئية لحماية الطريق من هجوم القبائل وتعرضها للقوافل التي تسلك هذا الوادي محملة بالبضائع والتجارات بين اليمن ونجد ، وهو طريق مهم من الطرق التي تصل أرض اليمن بنجد وبشرق الجزيرة^٧ .

وقد افتح نص : Philby 227 بحملة : (ابكرب اسعد وبنهو حسن يهامن ملكي سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهتم بن حسن ملك كرب يهامن ملك سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت) ، اي (ابو كرب اسعد

Belträge, S. 120, Ryckmans 464, Philby 228. ١

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492, J. Ryckmans, in : Bibl. OR., 14, 1957, P. 93. ٢

Philby 227, Ryckmans 409, 445, 509, Philby, Motor Tracks and Sabaeen ٣

Inscriptions in Najd., Geogr. Journ., 1950, PP. 211-215,

Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 99.

Le Muséon, 3-4, 1953, P. 303.

Belträge, S. 120. المصادر نفسها ، ٤

Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 102, Le Muséon, 3-4, 1953, P. 304. ٥

Belträge, S. 120. ٦

Philby, in The Geographical Journal, Vol., CXVI, No. 4-6, ٧

(1950), P. 214.

وابنه حسان يهأمن ، ملكا سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد
 والتهاثم ، ابنا حسان ملكيكرب يهأمن ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت).
 فيفهم منها إذن أن اسم والده (أبي كرب اسعد) هو (حسان ملكيكرب
 يهأمن) ، لا (ملكيكرب يهأمن) . فهل نحن امام ملك واحد ، عرف
 بـ (ملكيكرب يهأمن) وبـ (حسان ملكيكرب يهأمن) ، ام امام ملك آخر
 غير الملك (ملكيكرب يهأمن) ؟

ويتبين من هذا النص ان الملكين كانا قد غزوا (كسباو) ارض (مودم
 ضمو) . غزواها بجمع من اهل حضرموت وسبأ وبني مأرب اي اهل مأرب
 وبأصاغر الناس (صغرم) . وكان في جيشها (المقتوين) (مقتوهمو) . اي
 القادة : قادة الجيش . واشير في النص الى اعراب كندة (باعربهمو كدت)والى
 (سود) و (وله) (واله)^١ .

ولدينا كتابة وسمت بـ Ryckmans 534 ، ورد فيها اسم الملك (ابو كرب
 اسعد) وأشير فيها الى سنة اولاد من اولاده . وهي كتابة مؤرخة ، ويقابل تأريخها
 الحميري (٥٤٣) السنة (٤٢٨ م) او (٤٣٤ م)^٢ ، كما عثر على كتابة اخرى وسمت
 بـ Ryckmans 534 يرى من درسها انها يجب ان تكون قد كتبت بعد السنة (٤٣٣)
 او (٤٣٩ م)^٣ . ومعنى هذا ان حكم (أبي كرب اسعد) ، قد جاوز السنة
 (٤٢٨ ب . م .) أو السنة (٤٣٠ ب . م . ، أي ان تقدير الذين جعلوا نهاية
 حكم (أبي كرب اسعد) في سنة (٤١٥ ب . م .) او (٤٢٠ ب . م .) ،
 هو تقدير خاطيء . والظاهر انهم قد وقعوا في هذا الخطأ ، لأن الكتابتين المذكورتين
 لم تكونا قد نشرتا في ذلك العهد .

وقد أشير في الكتابة Rossi 24 الى ستة او سبعة ابناء للملك (ابو كرب اسعد)^٤ .
 وتشير الكتابة الموسومة بـ Ryckmans 409 الى حملة قام بها الملك (أبو كرب

Philby 227, Ryckmans 509, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 303, Die Araber, ١
 IV, S. 273.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492, 1955, P. 308, Die Araber, IV, S. 273. ٢

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492, J. Ryckmans, In Riv. D. Studi. Orient., ٣
 37, Rome, 1962, PP. 243, 249, Die Araber, IV, S. 273.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492, J. Ryckmans, In Riv. D. Studi. Orient., ٤
 37, Rome, 1962, P. 249, Die Araber, IV, S. 273.

أسعد) وابنه الأول (حسان يهأمن) على (وادي مأسل) في أرض (معد) .
وقد ساهم بها معه جمع من (كندة)^١ . ونجد لقبيلة (كندة) ذكر في الكتابات
التي يعود عهدها الى ما بعد الميلاد .

وذهب (كروهن) الى ان ورود اسم (أبو كرب اسعد) في النص :
Jamme 856 — وهو من النصوص السبئية المتأخرة — يجعل ايامه في السنين الثمانين
فما بعد من القرن الخامس للميلاد^٢ . وقد قدر ايام حكمه بحوالي السنة (٤٠٠)
بعد الميلاد^٣ .

ويظهر ان حكم الملك (ابي كرب اسعد) ، كان حكماً طويلاً ، وان
عمره كان عمراً طويلاً ايضاً ، وذلك لأنه كان ملكاً الى ما بعد السنة (٤٣٠)
بعد الميلاد ، واذ قد ذكر ملكاً مع والده في النص المؤرخ بسنة (٣٧٨ ب.م .)
او (٣٨٤ ب.م .) ، فيكون مجموع حكمه قد بلغ زهاء خمسين سنة او اكثر
من ذلك بقليل . ولو فرضنا انه كان في حوالي العشرين من عمره يوم ذكر مع أبيه
في النص ، فيكون عمره اذن يوم وفاته حوالي السبعين ، أو بعد ذلك بسنين^٤ .
لقد استطاع (ابو كرب اسعد) توسيع ملكه، حتى بلغ البحر الأحمر والمحيط
الهندي والأقسام الجنوبية من نجد ، وربما كان قد استولى على جزء كبير من
الحجاز . وفي روايات اهل الأخبار عن فتوحاته وعن غزواته أساس من الصحة،
وان دخل فيها عنصر المبالغة والقصص . ولا بد ان يكون هذا الملك ذا شخصية
قوية وكفاية مكنته من القيام بتلك الفتوحات والتغلب على القبائل ، حتى تركت
أعماله أثراً بقي ينتقل بين الأجيال ، ويتطور بمروره على الأفواه حتى وصل الينا
على الشكل الذي نقرأه في كتب اهل الأخبار .

وقد ذكر (الطبري) ان (اسعد ابو كرب بن ملكيكرب) ، ونعته بـ (نبيج)
كان قد قدم بجيوشه الأنبار ، وأسكن من قومه الأنبار والحيرة ، ثم رجع الى

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492.
٢ Arabien, S. 29, 273.
٣ Arabien, S. 276.
٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 492.

اليمن^١ . وذكر غيره انه (تبان اسعد أبو كرب بن قيس بن زيد الأقرب بن عمرو ذي الأذعار ، وهو تبع الآخر ، ويقال له الرائد ، وكان على عهد يستأسف أحد ملوك الفرس الكيانية وحافده اردشير ، وملك اليمن والحجاز والعراق والشام ، وغزا بلاد الترك والتبت والصين ، ويقال انه ترك ببلاد التبت قوماً من حمير ... وغزا القسطنطينية ومر في طريقه بالعراق فتخبر قومه فبنى هناك مدينة سماها الحيرة .. ويقال انه أول من كسا الكعبة الملاء وجعل لبابها مفتاحاً وأوصى ولاتها من جرهم بتطهيرها ودام ملكه ثلاثمائة وعشرين عاماً^٢) .

وهذه الفتوحات التي نسبوها الى (تبان أسعد) ، هي مثل الفتوحات التي نسبوها لـ (شمر يرعش) ، وهي في الواقع تكرر لها . والظاهر انها خلط بين فتوحات الملكين التي وضعها لها أهل الأخبار .

ونصب بعض أهل الأخبار من بعده (ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة ابن لحم) ملكاً على اليمن ، ثم ذكروا انه رأى (رؤيا هالته فسار بأهله الى العراق وأقام بالحيرة ، وحكم عليها ، ومن عقبه كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة^٣) . وهناك طريق بري يربط المناطق المرتفعة الزراعية بالمناطق الشمالية ، وهي مناطق مأهولة ومن أكثر أرض اليمن كثافة سكان ، يسمى بـ (درب أسعد كامل) أو (طريق اسعد كامل) ، نسبة الى هذا الملك ، وهو يصل الى شمال (الطائف) ويتصل بطريق الحجاز^٤ . ويمتد من (خيوان) وأعالي (خولان) في اتجاه (بيشة) وـ (ربيع المنهوت) ، ثم في الممر الضيق المؤدي الى (الطائف) . ويستعمل تجار (عمران) هذا الدرب^٥ .

ويظهر هذا الدرب تحولاً خطيراً في الطرق البرية القديمة التي كانت تسير في محاذة حافة الصحراء الشرقية المتصلة بالجوف ، اذ يشير الى تحول هذه الطرق من

١ (وفي ذلك يقول كعب بن جميل بن عجرة بن قمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل :

وغزا تبع في حمير حتى

الطبري (٦١٢/١) ، (دار المعارف) .

٢ صبح الأعشى (٢٣/٥) .

٣ صبح الأعشى (٢٣/٥) .

٤ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

٥ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

الأرض السهلة الى الهضاب التي يعيش عليها المزارعون الذين يعيشون على الزراعة التي تعتمد على المطر. وقد شمل هذا التحول فيما شمله طريق البخور واللبان القديم^١. وجعل (فلي) الحكم لـ (ورو أمر أيمن) بعد وفاة (أبي كرب أسعد). وهو شقيقه . قد حكم على رأي (فلي) من سنة (٤١٥ م) حتى سنة (٤٢٥ م) ، ولما توفي انتقل الحكم الى (شرحبيل يعفر) (شرحبيل يعفر) ، وهو ابن (أبي كرب أسعد) . وقد حكم على تقدير (فلي) ايضاً من سنة (٤١٥ م . ب . م) . حتى سنة (٤٥٥ م . ب . م)^٢ ، وحكم على تقدير (هومل) من سنة (٤٢٠ م) حتى سنة (٤٥٥ م)^٣ . ولكن (فلي) في كتابه (النجاد العربية) عاد فجارى (هومل) فيما ذهب اليه في تقدير مدة حكم (شرحبيل يعفر) ، فجعلها منذ سنة (٤٢٠ م . ب . م) حتى سنة (٤٥٥ م . ب . م)^٤ .

وأما (جامه) ، فوضع : (أبكرب أسعد) واسم شقيقه (ذرا امر أيمن) (ذرا أمر أيمن) بعد اسم (ملككرب يهأمن) . وقد حكم (أبكرب أسعد) مع والده في حوالي السنة (٣٦٥) وحتى السنة (٣٧٥) للميلاد . وأما (ذرا أمر أيمن) ، فجعله مشاركاً لوالده في الحكم وذلك في حوالي السنة (٣٧٥) وحتى السنة (٣٨٥) للميلاد^٥ .

ولكن (جامه) عاد فوضع بعد القائمة المتأخرة لحكام سبأ ، والتي انتهت في القائمة (E) ، باسمي (ذرا أمر أيمن) و (أبكرب أسعد) ، قائمة أخرى دعاها بـ (F) ، وقد خصصها بمن حكم في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد ، ابتدأها باسم (حسن ملككرب يهأمن) (حسان ملككرب يهأمن) ، وجعل حكمه من حوالي السنة (٤١٥) حتى حوالي السنة (٤٢٥) للميلاد ، ثم وضع اسم (أبكرب أسعد) من بعده ، وجعل حكمه في حوالي السنة (٤٢٥) وحتى السنة (٤٣٠) للميلاد . ثم ذكر اسم (حسان يهأمن) (حسن يهأمن) من بعده ، وقد شارك (أبكرب أسعد) في الحكم من سنة (٤٢٥) حتى سنة (٤٣٠) للميلاد ، ثم دون اسم (شرحبيل يعفر) من بعد (أبكرب أسعد) وقد جعله شريكاً في

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 423.

٢ Background, P. 143.

٣ Handbuch, S. 104, Ann. 3.

٤ Philby, Highlands, P. 460, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174.

٥ Mahram, P. 391.

الحكم لـ (أبكر ب اسعد) من حوالي السنة (٤٥٠) حتى السنة (٤٤٠) للميلاد^١.
وقد أغفل (فليبي) وغيره اسم (حسان يهأمن) ، وهو ابن (أب كرب
اسعد) ، فلم يذكره بعد اسم ابيه ، مع انه ذكر معه في النص Philby 227 ،
ونعت مثله بـ (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعراباً في الجبال
والتهائم) .

وقد عرف أهل الأخبار اسم (حسان) ، وذكروا انه حكم من بعد ابيه
(أسعد ابو كرب) ، وذكروا اسمه على هذا النحو : (حسان بن تبع اسعد
ابي كرب) ، ولم يذكروا لقبه . وقد زعموا انه أغار على طسم وجديس باليامة
وانه حارب (جذيمة) ملك الحيرة ، وكان (جذيمة) قد خرج يريد طسماً
وجديس في منازلهم من (جوت) وما حولهم ، فوجد (حسان) قد أغار على
طسم وجديس باليامة ، فانكفأ راجعاً بمن معه ، فأنت خيول (تبع) على سرية
الجذيمة فاجتاحتها^٢ . فهو من معاصري (جذيمة) على رأي أهل الأخبار .
و (حسان) هذا هو الذي أفنى (جديساً) على رواية أهل الأخبار ، وهو
الذي فقأ عيني (اليامة) في شعره^٣ ، وان (النمر بن تولب العكلي) ، أشار
في شعره الى قصتها ايضاً^٤ .

وذكر (الطبري) ان (حسان بن تبع) الذي أوقع بجديس ، (هو ذو
معاور ، وهو تبع بن تبع تبان اسعد ابي كرب بن ملكي كرب بن تبع بن أقرن
وهو ابو تبع الذي يزعم أهل اليمن انه قدم مكة ، وكسا الكعبة ، وان الشعب
من المطابخ انما سمي هذا الاسم لنصبه المطابخ في ذلك الموضع واطعامه الناس ،
وان أجياداً انما سمي أجياداً ، لأن خيله كانت هنالك . وانه قدم يثرب فنزّل
منزلاً يقال له منزل الملك اليوم ، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية من
شكاهم اليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار ، وانه وجّه ابنه حسان الى المسند
وشمراً ذا الجناح الى خراسان ، وأمرهما ان يستبقيا الى الصين ، فر بسمرقند
فأقام عليها حتى افتتحها ، وقتل مقاتلتها ، وسبي وحوى ما فيها ونفذ الى الصين
فوافى حسان بها ، فن أهل اليمن من يزعم انها ماتا هنالك ، ومنهم من يزعم

١ Mahram, P. 394

٢ الطبري (٦١٥/١ ، ٦٢٩ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٣ الطبري (٦٣٠/١) ، ديوان الأعشى (٧٢ - ٧٤) .

٤ الطبري (٦٣١/١) .

انهما انصرفا الى بيع بالأموال ^١ .

وقد ذكر (الطبري) أيضاً ان (حسان بن تبان اسعد ابو كرب بن ملكي كرب ابن زيد بن عمرو ذي الأذعار) سار بقومه من أهل اليمن يريد ان يطأ بهم ارض العرب وارض العجم ، كما كانت التبابعة قبله تفعل ، فلما كان بالعراق قتله أخوه (عمرو بن تبان اسعد أبو كرب) ورجع (عمرو) بمن معه من جنده الى اليمن . واصيب بمرض نفسي ، وقتل خلقاً من قومه لندمه على قتله أخاه ، ثم لم يلبث أن هلك ^٢ .

وقد زعم ان (عمرآ) هذا عرف بـ (موثبان) ، وانه قتل أخاه بموضع (رجة طوق بن مالك) ، التي عرفت بـ (فرضة نعم) ^٣ .

وقد زعم الأخباريون، ان الأمر قد مرج في حير بعد وفاة (عمرو) وتفرقوا، فوثب عليهم رجل من حير لم يكن من بيوت المملكة منهم ، يقال له : (لخبعة ينوفه ذو شانتر) ، فلكهم ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، حتى قتله (ذو نواس) في قصة من القصص المألوف وروده من أهل الأخبار ^٤ .

وذكر (القلقشندي) ، ان الذي حكم بعد (ربيعة بن نصر) الذي حكم اليمن على زعمه بعد (تبان أسعد) ، هو (حسان ذو معاهر) ، وهو (ابن تبان اسعد أبي كرب) ، ثم ملّك أخاه (عمرو بن تبان اسعد أبي كرب) من بعده ، ونعته بـ (الموثبان) ، وذكر أنه حكم ثلاثاً وستين سنة ، ومات عن أولاد صغار واكبرهم قد استهوتة الجن ، فوثب على الملك (عبد كلال ابن مثوب) ، فلك أربعاً وتسعين سنة ، وهو تبع الأصغر ^٥ .

قد ترك لنا (شرحبيل يعفر) (شرحب ايل يعفر) نصاً مهماً وسمه علماء العربيات الجنوبية بـ Glaser 554 ^٦ ، وهو وثيقة تتعلق بتصدع سد مأرب الشهير

١ الطبري (٦٣٢/١) .

٢ الطبري (١١٥/٢) وما بعدها .

٣ الطبري (١١٧/٢) .

٤ الطبري (١١٧/٢) وما بعدها .

٥ صبح الأعشى (٢٣/٥) .

٦ CIH 540, Glaser 554 + 410 + 408 + 408b1s

+ 406 + 407 + 409, CIH, IV, II, III, P. 262, Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib, in Mitteilungen der Vorderasatischen Gesellschaft, II, (1897), S. 372, Seper., S. 13, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

في أيامه وإعادة بنائه ، فقصّ علينا فيه الحادث ، وتحدث عن مقدار ما أنفقته على الفعلة والعمال لإعادة البناء . ويتألف هذا النص من مئة سطر . جاء فيه : أن (شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في النجاد والتهائم ابن أبي كرب اسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في النجاد والتهائم) ، قام بتجديد بناء سد مأرب وترميمه على مقربة من موضع (رحب) (رحاب)^١ . وعند (عبرن) (عبران) ، وقام باصلاح أقسام منه حتى موضع (طمعجن) (طمعجان) (الطمح) ، كما قام بحفر مساليل المياه وبناء القواعد والجدران بالحجارة ، وقوّى فروعه ، وبني أقساماً جديدة ، وأوصلها بعضها ببعض بين (غيلن) (غيلان) (الغيل) و (مفلل) (مفلل) (مفلول) ، وجدد سد (يسرن) (يسرن) ، وقام باعاشة العمال ومن اشتغل ببنائه ، وتمت هذه الأعمال في شهر (ذي داوون) (ذي داوون) من سنة (٥٦٤) (٥٦٥) من التاريخ الحميري ، أي سنة (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥٦) للميلاد^٢ . ويشير هذا العمل بالطبع الى حدوث تصدع في السدّ اضطر الملك الى تجديد بناء أقسام منه، وترميم ما أمكن ترميمه من أقسام أخرى . وإضافة أقسام جديدة اليه .

ويظهر من هذا النص ايضاً ان السد قد تهدم بعد مدة قصيرة ، وذلك في شهر (ذو ثبتن) (ذو الثبت) من سنة (٥٦٥) من التقويم الحميري ، أي سنة (٤٥٠) أو (٤٥١) ، (٤٥٥) (٤٥٦) للميلاد ، فأثر ذلك تأثيراً سيئاً جداً فيمن كان ساكناً في جواره ، حتى اضطر من كان ساكناً في (رحبتن) (الرحبة) الى الفرار الى الجبال خوفاً الموت^٣ . فأسرع الملك الى الاستعانة بحمير وبقبائل حضرموت لإعادة بناء السد ، فتنجم لديه زهاء عشرين الف رجل اشتغلوا بقطع الحجارة من الجبال وحفر الأسس وتنظيف الأودية وإنشاء خزانات لحزن المياه وعمل أبواب ومنافذ لمرور الماء والسيطرة عليه ، حتى تمّ ذلك في شهر (ذو داوون) من سنة (٥٦٥) من تأريخ حمير^٤ . وذكر ما أنفق على العمال وما قدمه لهم من

١ (رجم) ، السطر السادس وما بعده من النص .

٢ Glaser, Mitt., S. 379, Sep., S. 20, Handbuch, S. 105, Background, P. 118,

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 494.

٣ السطر ٦٨ من النص .

٤ أي سنة (٤٥٠) أو (٤٥١) للميلاد .

طعام وما ذبحه من بقر وأغنام ، وما صرفه من دبس (دبسم) وخمر وغير ذلك مما ذكره وفصله^١ . وقد استخدم الملك عشرين ألف رجل لاصلاح السد^٢ .

لقد قلّ شأن مأرب في هذا العهد ، وأخذ الناس يرحلون عنها الى مواضع أخرى مثل (صنعاء) التي تألقت نجمها حتى صارت مقراً للحكّام الذين أقاموا في قصر (غندن) (غندان) ، أي (غمدان) ، وقد يكون لتصدع السد مراراً ، تدخل في هذا التحول ، حيث أجبر المزارعين على ترك أرضهم التي أصابها التلف والجفاف والارتحال الى ارضين أخرى، فتركوها الى الهضاب والجبال. وقد يكون للتحول السياسي الذي اصاب هذا العهد دخل ايضاً فيه^٣ .

وفي تصدع السد بعد مدة ليست طويلة. من ترميمه واصلاحه وتجديده ، وبعد اتفاق أموال طائلة عليه واشتغال آلاف من العمال في بنائه ، شيء يثير السؤال عن سبب سقوطه أو سقوط جزء منه بهذه السرعة ، فهل تهدّم من سقوط أمطار غزيرة جداً في هذا العام لم يكن في طاقة السد احتمالها فسقط ؟ او ان بناء السد لم يكن قد كمل تماماً ، فسقطت أمطار غزيرة سببت انهيار الأماكن الضعيفة من المواضع التي لم تكن قد تمت ، فانهار لذلك ؟ او انه انهار بفعل كوارث طبيعية مثل زلزال أو بركان ؟ الى هذا الرأي الأخير يميل (فلي) في كتابه « سناد الاسلام »^٤ .

إن مما يؤسف عليه حقاً ان هذا النص لم يذكر أسماء القبائل التي هربت من (رحبتن) (رحبت) (الرحبة) خوفاً من الهلاك . وعلى الجملة ، فالمستفاد منه بكل صراحة ان القبائل التي كانت تقطن هذه المنطقة تفرقت وتشتت لتهدم السد . وفيه دليل على وجود أصل تأريخي للروايات العديدة التي يرويها الأخباريون عن تهدم سد مأرب وتفرق سبأ^٥ . ولكننا لا نستطيع بالطبع أن نقول ان هذا الحادث الذي وقع في أيام (شرحبيل) هو الحادث المقصود في روايات الأخباريين، وهي روايات يتغلب عنصر الخيال والابتداع والمبالغات فيها على عنصر الحقيقة والتأريخ .

١ راجع السطر ٨٤ وما بعده حتى نهاية النص ، Discoveries, P. 74.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 494, Glaser 554, CIH, 540, 554.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 493.

٤ Background, P. 118.

٥ Glaser, Mitt., S. 387, Sep., S. 28.

وفي النص كما نرى ونقرأ جملة مهمة تشير الى انتشار عقيدة التوحيد في ذلك الزمن بين اليابانيين ، والى الابتعاد عن آلهة اليمن القديمة . وتشير الى ظهور (إله السماء والأرض) أو (إله السماوات والأرض) . فهو إله واحد ، يرعى ملكوت السماء والأرض . وفي هذه العقيدة اعتقاد بوجود إله واحد . فقد ورد في النص : (بنصر وردا الهن بعل سمين وأرضن)^١ . أي (بنصر وبعون الإله رب السماوات والأرض) ، وهي عقيدة ظهرت عند أهل اليمن بعد الميلاد بتأثير اليهودية والنصرانية ولا شك .

وفي جملة (الهن ذهو سمين وأرض) الواردة في النص : Ryckmans 507 ومعناها : (الإله الذي له السماوات والأرض)^٢ . تعبير عن التوحيد أيضاً وهي من نص يرجع الى هذا الملك أيضاً . فنحن اذن في عصر اخذت عقيدة التوحيد تنتشر فيه .

وقد انتقل الحكم بعد (شرحبيل يعفر) (شرحب ايل يعفر)^٣ الى (عبد كلال) (عبد كلم) (عبد كلالم) على رأي (هومل) . وجاراه (فليبي) في رأيه هذا ، وجعل حكمه منذ سنة (٤٥٥ م) حتى سنة (٤٦٠ م)^٤ . ولم يشرح (هومل) الأسباب التي دفعته الى اعتبار (عبد كلال) ملكاً .

أما (فليبي) ، فرأى انه كان كاهناً ، وسيد قبيلة ثار على ملكه ، طمعاً في الملك أو لإخماداً للثورة التي أوجع الملك نيرانها على آلهة قومه ، فغلبه ، وربما كان ذلك بفضل مساعدة مملكة (اكسوم) له . ولكنه لم ينعم بالملك طويلاً ، فلم يزد مدة حكمه على خمس سنين^٥ .

وقد ورد اسم (عبد كلال) في النص الموسوم بـ Glaser 7^٦ . وذكر معه اسم (هنام) (هنم) (هانيء) و (هعلل) . وهما ابناه . ووردت بعد

-
- | | |
|---|---|
| السطر (٨١) وما بعده . | ١ |
| Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174. | ٢ |
| Handbuch, S. 104. | ٣ |
| Handbuch, P. 104. | |
| Background, P. 143, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174. | ٤ |
| Philby, Highlands, P. 260. | ٥ |
| CIH 6, IV, I, I, P. 15, Glaser 7, Halevy 3, Guttenden 3, | ٦ |
| Fresnel 3, D.H. Muller, Slegfried Langer's Reiseberichte, | |
| Leipzig, 1884, S. 52. | |

أسمائهم عبارة : (الهت قولم) ، أي (سادة أقبال) ، وهي جملة تدل على انه هو وابناه كانوا أقبالاً ، فان كانت كلمة (قولم) اسم علم ، صار معناها (آلهة قولم) ، أي (سادة قول) ، على اعتبار ان (قول) اسم قبيلة ، ولا يفهم من التفسيرين على كل حال ان (عبد كلال) كان ملكاً . وقد دوّن هذا النص عند بنائهم بيت (يرت) : (براو وهشقرن بتهمويرت) . وذكرت بعد هذه الكلمات جملة : (بردا رحمن) ، أي : (بعون الرحمن) وذلك في سنة (٥٧٣) من التأريخ الحميري ، المقابلة لسنة (٤٥٨) الميلادية^١ . وليست في هذا النص اشارة لا الى ثورة ولا الى ملك ، ولا الى تعلق بالآلهة قديمة ودفاع عنها بل الأمر على العكس ، فجملة (بردا رحمن) تدل على انه كان مثل (شرحبيل يعفر) موحداً أيضاً ، يدين بإله واحد ، هو (الرحمن) الذي ظهرت عبادته متأخرة كذلك ، وانه لم يكن على دين اجداده في عبادة (المقه) وبقيّة الأصنام .

وذكر الأخباريون ان من ملوك حمير ملكاً اسمه (عبد كلال) ، وكان مؤمناً يدين بدين المسيح ، فأمن بالنبي قبل مبعثه . ومن ولده (الحارث بن عبد كلال) وهو أحد الملوك الذين وفدوا على رسول الله من ملوك حمير ، فأقرشهم رداءه ، وهم : (الأبيض بن حمال) ، و (الحارث بن عبد كلال) ، و (أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح) ، و (وائل بن حجر الحضرمي) . يضاف اليهم (جرير بن عبد الله البجلي) ، و (عبد الجد الحكمي) في رواية أخرى^٢ . ودوّن اسمه في نسخة (كتاب التيجان) المطبوعة على هذه الصورة (عبد كاليل بن ينوف) ، وجعل ملكه أربعاً وستين سنة ، وذكر أنه حكم بعد (عمرو بن تبان) ، وأنه كان مؤمناً على دين عيسى ، ولكنه ستر إيمانه^٣ .

وجعله بعض المؤرخين (عبد كلال بن مثوب) ، وذكروا انه وثب على ملك التبابعة بعد وفاة (عمرو بن تبان اسعد) عن أولاد صغار ، وأكبرهم استهوتة الجن ، فملك أربعاً وتسعين سنة ، وهو تبع الأصغر ، وله مغاز وآثار بعيدة فلما توفي ملك اخوه (مرثد) ، وقد ملك سبعة وثلاثين عاماً^٤ .

Background, P. 117, Sab. Inschriften, S. 192.

١ منتخبات (ص ٩٣)
٢ التيجان (ص ٢٩٩) ، حمزة (ص ٨٧)
٣ التيجان (ص ٢٩٩) ، صبح الأعشى (٢٣/٥ وما بعدها)
٤

ومن روايات الأخباريين هذه ومن تشابه الاسمين ، استنتج (فون كيرمر)
و (هومل) وغيرهما أن (عبد كلال) المذكور في النص هو (عبد كلال)
المذكور عند الأخباريين ، وأنه كان لذلك ملكاً^١ .

و (عبد كلال) ، هو رجل ثائر لم يكن من أبناء الملوك ، وإنما اغتصب
العرش اغتصاباً على رأي أهل الأخبار ، وقد زعم بعضهم ان الذي حكم بعده
اخوه لأمه واسمه (مرثد) ، وقد حكم سبعا وثلاثين سنة . ثم ملك من بعده ابنه
(وليعة بن مرثد) ، ثم ملك من بعده (ابرهة بن الصباح بن لبيعة بن شيبه
بن مرثد بن ينف بن معد بكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذي أصبح ، الحارث
بن مالك) ، وقيل انما ملك تهامة فقط^٢ .

وذكر (الحمداني) ، أن (عبد كلال) ونعته ب (الأكبر ذي الحدث) ،
كان قائد (حسان بن تبع) . وكان على مقدمته الى اليمامة يوم قتل جديساً ،
وقريش تقول : إن (حسان بن عبد كلال هذا حاربهم وأسروه) ثم ذكر ان
(حسان بن عبد كلال بن ذي حدث الحميري) ، أقبل من اليمن (في حمير
وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل احجار الكعبة من مكة الى اليمن ،
ليجعل حج الناس البيت عنده والى بلاده ، فأقبل حتى نزل نخلة ، فأغار على
سرح الناس ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكة ، فلما رأت كنانة وقريش
وقبائل خندف ومن كان معهم من أفناء مضر ذلك ، خرجوا اليه ورئيس القوم
يومئذ (فهر بن مالك) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير وأسر حسان بن
عبد كلال ملك حمير ، أسره الحارث بن فهر ، وقتل في المعركة فيمن قتل :
قيس بن غالب بن فهر . وكان حسان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى
افتدي منهم ، فخرج به ، فمات بين مكة واليمن^٣ .

وقد علق (الحمداني) بعد ذلك على هذا الخبر ، فقال : (ما سمعت العلماء
ولا أحد من عُرُاف حمير ، يثبت هذه الحرب التي كانت بين حمير وقريش ،
وإنما كانت خزاعة الغالبة في عصر فهر على مكة . ولم يكن همّ بحمل حجارة

١ Hartmann, Arabische Frage, S. 486, 492, Wellhausen, Skizzen und
Vorarbeiten, IV, S. 191, Mordtmann und Mittwoch, Sab.
Inschriften, S. 192.

٢ صبح الاعشى (٢٤/٥) .

٣ الاكليل (٣٥٧/٢ وما بعدها) .

البيت سوى تبع بمشورة هذيل بن مدركة^١ . فهو مثل سائر اهل اليمن المتعصبين لقحطان لا يؤيد خبر تلك الحرب ، التي تجعل النصر لأهل مكة . ويضع تبعة ما يذكره أهل الأخبار من نقل حجارة الكعبة الى اليمن على عاتق (هذيل بن مدركة) ، من سادات مكة .

وشاهدت اليمن في سنة (٤٦٠) للميلاد أو قبل ذلك بقليل ملكاً جديداً اسمه (شرحبيل يكف) (شرحب ال يكف) (شرحب ايل يكوف) ، كانت نهاية حكمه في سنة (٤٧٠) للميلاد على تقدير (هومل) و (فلي)^٢ . وهو ملك لا نعرف اسم أبيه ، ولا نعرف علاقته بالملك السابق . ويرى (فلي) انه على الرغم من هذا اللقب الطويل : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد وفي تهامة) ، الذي يشير الى تملك صاحبه العربية الجنوبية الغربية ، فقد ظل الأجاش في بقعتهم الضيقة التي ارتكروا عليها يحاربون حكومة (حمير) وهم البقية الباقية من عهد الإحتلال السابق^٣ .

وقد جاء اسم (شرحب ايل يكف) (شرحبيل يكف) في كتابة مؤرخة بسنة (٥٧٥) من التقويم الحميري ، المقابلة لسنة (٤٦٠) للميلاد . وقد وردت في الكتابة جملة : (رحمن وبنهو كرشتش غلبن) ، أي (الرحمن وابنه المسيح الغالب) ، وقد استعمل لفظة (كرشتش) في مقابل لفظة Christos مما يدل على ان صاحبها نصراني . وقد استعمل المصطلح اليوناني ، ويظهر ان نصارى اليمن كانوا قد أخذوه من المبشرين ، وعربّوه على الصورة المذكورة . وقد ذكر بعد تلك الجملة اسم الملك ونعته الذي هو : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وفي التهائم)^٤ .

وقد بقي من تأريخ النص اسم الشهر وهو (ذحجت) ، أي (ذو الحجة) (ذو حجة) والعدد الأول من اسم السنة وهو خمسة . ويرى (فلي) احتمال كون السنة (٥٨٥) أو (٥٧٥) من التأريخ الحميري ، أي سنة (٤٧٠) أو (٤٦٠)

١ الاكليل (٣٥٩/٢) .

٢ Background, P. 143, Highlands, P. 260, Handbuch, S. 105,

Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174.

٣ Philby, Highlands, P. 260.

٤ A. Jamme, La Dynastie de Sharahbi'l Yakuf et la Documentation

Epigraphique Sud-Arabe, Istanbul, 1961, P. 4.

للميلاد^١ .

وورد اسمه في كتابة أخرى ناقصة وقد سقطت منها حروف وكلمات^٢ .
وقد ذهب (جامه) الى أن (شرحبيل يكف) (شرحب ايل يكوف) ،
كان قد حكم حكماً منفرداً ، وذلك من سنة (٥٧٠) حتى سنة (٥٨٠) من التقويم
الحميري ، ثم اشرك معه أولاده الثلاثة في الحكم ، وذلك من سنة (٥٨٠) حتى
سنة (٥٨٥) من التقويم المذكور ، ثم حكم مع ولدين من ولده ، وذلك من سنة
(٥٨٥) حتى سنة (٥٩٠) من التقويم الحميري ، ثم حكم ابنان من أبنائه وذلك
من سنة (٥٩٠) حتى سنة (٥٩٥) من التقويم المذكور ، ثم حكم من بعدهما
(معد يكرب ينعم) حكماً منفرداً وذلك من سنة (٥٩٥) حتى سنة (٦٠٠) من
ذلك التقويم ، ثم خلفه (عبد كلال) الذي حكم من سنة (٦٠٠) حتى سنة
(٦٠٢) من التقويم الحميري^٣ .

ووصل الينا نص أرخ بسنة (٥٨٢) من التأريخ الحميري ، أي سنة (٤٦٧)
للميلاد ، وفيه كلمات مطموسة ، منها كلمة أو كلمات سقطت بعد كلمة (شرحب
ايل) (شرحبيل) ، وبعدها (معد كرب ينعم) (معد يكرب ينعم) .
ويستدل بتأريخ هذا النص على ان المراد بـ (شرحبيل) (شرحب ايل) الملك
(شرحبيل يكف) (شرحب ايل يكف) الذي نتحدث عنه . ولم يرد في هذا
النص اسم ابن آخر من أبنائه غير هذا الابن ، وهو (معد كرب ينعم) (معد يكرب
ينعم)^٤ .

وقد وجد مدوناً في إحدى الكتابات أسماء ثلاثة اولاد من اولاد (شرحبيل
يكف) ، هم : (نوفم) (نوف) (نوآف) (نائف) ، و (لحيعث ينف)
(لحيعث ينوف) ، و (معد يكرب ينعم) وقد نعتوا جميعاً بالنعث الملكي المعروف^٥

١ CIH, IV, III, I, P. 78, Le Muséon, 3-4, 1964, P. 270,

Jamme, La Dynastie de Sharahbil Yakuf, P. 4.

Jamme, La Dynastie., P. 7.

Jamme, La Dynastie, P. 20.

Background, P. 143, Philby, Highlands, P. 260, Handbuch, S. 105,

Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174, Joseph et H. Derenbourg, Etudes sur

L'épigraphie du Yemen, P. 70.

Jamme, La Dynastie, PP. 8, 19, REP. EPIG. 4919, CIH 537.

مما يدل على أنهم كانوا قد اشتركوا جميعاً في الحكم .
وقد ورد اسم (شرحبيل يكف) في عدد من كتابات أخرى . وقد ذكر
معه في بعضها اسم ولددين من أولاده هما : (لحيث ينف) و (معد يكرب
ينعم) (معد يكرب ينعم) ، وقد لقبا بلقب (ملك سبأ) وذو ريدان وحضرموت
ويعنت وأعرابها في الجبال وفي تهامة) ، مما يدل على أنهما حكما حكماً مشتركاً
وكانا ملكين^١ .

وحكم بعد (شرحبيل يكف) - في رأي (هومل) - ولداه (معد يكرب
ينعم) و (لحيث ينف) (لحيث ينف) (لحيث ينوف) ، وذلك من
حوالي سنة (٤٧٠ م) حتى سنة (٤٩٥ م)^٢ . أما (فليبي) ، فقد وضع في
قائمة التي رتبها في كتابه (سناد الاسلام) للملك سبأ ، اسم (نوف) بعد اسم
(شرحبيل يكف) ، وقدّر مدة حكمه منذ سنة (٤٧٠ م) حتى سنة (٤٨٠)
(٤٩٠ م) ووضع اسم (لحيث ينف) بعده ، وجعل مدة حكمه منذ سنة
(٤٨٠ م .) حتى سنة (٥٠٠ م .)^٣ .

و (لحيث ينف) هو (لحيث بن ينوف ذو شناتر) المذكور عند أهل
الأخبار . وقد زعم بعضهم انه حكم سبأاً وعشرين سنة^٤ .

وقد ورد اسم (معد يكرب ينعم) (معد يكرب ينعم) واسم شقيقه
(لحيث ينف) (لحيث) في النص : Ryckmans 264 وفي النص CIH 620^٥
وورد اسم (لحيث) وورد معه اسم (نوف) ، وهو شقيقه في النص :
Ryckmans 203^٦ .

١ CIH 537, IV, II, III, P. 257, CIH 644, 620.

٢ Background, P. 118, Le Muséon, LXIII, 3-4, (1950), P. 270.

Ott. Mus. 29, CIH, IV, III, I, P. 78, Nordtmann und Müller,

Sabaische Denkmaler, (1883), S. 85, Seetzen 4, CIH, IV, III, I, P. 53, J.H.

Mordtmann, Miscellen zur Himjarischen Alterthumskunde, In ZDMG.,

XXXI, (1877), S. 89-90, Hartmann, Arabische Frage, (1909), S. 163,

Jamme, La Dynastie, P. 10.

Handbuch, S. 105.

٣ Background, P. 143, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174.

٤ صبح الأعشى (٢٤/٥) ، الطبري (١١٧/٢) .

٥ CIH 620, IV, III, P. 53, Mordtmann und Muller, Sabaische Denkmaller,

1883, S. 85, Mordtmann, Miscellen, zur Himjarischen Alterthmskunde,

In ZDMG., XXXI, (1877), S. 89, Jamme, La Dynastie, P. 17.

٦ Le Muséon, LXIII, 3-4, (1950), P. 271.

وقد ذكر (فلي) انه في حوالي سنة (٤٩٥ م) شبت ثورة قام بها (مرثد الن) (مرثد علن ؟) ، غير انها احبطت . ووضع بعد اسم (لحيعث ينف) اسم (معد يكرب ينعم) ، وقدّر مدة حكمه بعشر سنين ، منذ سنة (٤٩٠ م) حتى سنة (٥٠٠ م) ، أي انه شارك ، على رأيه، أخاه في الحكم . أما الذي حكم بعد الأخوين (معد يكرب ينعم) و (لحيعث ينف) - في رأي (هومل) - فهو (مرثد الن) وقال انه قد حكم من حوالي سنة (٤٩٥ م) حتى سنة (٥١٥ م)^٢ .

أما (جامه) ، فقد وضع اسم (عبد كلم) (عبد كلال) ، أي (عبد كلال) بعد اسم (معد يكرب ينعم) ، وقد جعل حكم (معد يكرب) فيما بين السنة (٥٩٥) والسنة (٦٠٠) من التقويم الحميري ، أي بين سنة (٤٨٠) أو (٤٨٦) للميلاد والسنة (٤٨٥) أو (٤٩١) للميلاد . وجعل حكم (عبد كلال) فيما بين السنة (٦٠٠) والسنة (٦٠٢) من التقويم الحميري ، أي سنة (٤٨٥) أو (٤٩١) للميلاد ، والسنة (٤٨٧) أو (٤٩٣) للميلاد . ثم جعل فراغاً لا يدري من حكم فيه ، جعله يمتد من السنة (٦٠٢) حتى السنة (٦١٠) من التقويم الحميري ، أي ثماني سنين ، ثم ذكر بعده اسم الملك (مرثد الن ينف) (مرثد علن) (مرثد علان) ، وجعل حكمه من سنة (٦١٠) حتى السنة (٦٢٠) من التقويم الحميري ، أي من سنة (٤٩٥) أو (٥٠١) حتى السنة (٥٠٥) أو (٥١١) للميلاد^٣ .

ووصل إلينا نص وسم بـ CIH 596 ، وهو ناقص ويا للأسف ، ورد فيه اسم الملك (مرثد الن ينف) (مرثد الن ينوف) وقد لقب فيه باللقب المألوف : (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبال وفي التهائم)^٤ ، يظهر انه الملك (مرثد الن) الذي عناه (هومل) . وقد اصيبت اسطر النص بأضرار ، أتلقت كلمات منه وأفسدت علينا المعنى . وقد وردت في السطر السابع

Background, P. 143. ١

Handbuch, S. 105, Philby, Highlands, P. 260, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174. ٢

Jamme, La Dynastie, P. 20. ٣

CIH 596, IV, III, P. 1, Rehatsek 2, E. Rehatsek, Twele Sabaeen Inscriptions, In Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society, X, 1874, P. 140. ٤

منه كلمة (ومهرجتم) ، مما يفهم ان حرباً وقعت في البلاد في تلك الأيام .
ف (المهرج) في العربيات الجنوبية بمعنى الحرب ، وان فتنة حدثت ، لا ندرى
سببها . ومهما يكن من شيء ، فهي لم تكن بعيدة عهد عن أيام حكم (ذي نواس)
ذلك العهد الذي انتهى بدخول الحبشة ارض اليمن .

ووضع (هومل) بعد اسم (مرثد الن) اسم (ذي نواس) ، وقد حكم
— على تقديره — من سنة (٥١٥ م) حتى سنة (٥٢٥ م) ، وبه ختمت — في
رأيه — سلسلة ملوك الحميرين^١ .

وقد عثر على كتابة وسمت به Philby 228 ورد فيها اسم ملك من ملوك
(سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبال وفي تهامة) ، هو
(معد يكرب يعفر)^٢ . وأرخت هذه الكتابة بشهر (ذي القيص) (ذقيضم)
من سنة (٦٣١) من التأريخ الحميري الموافقة لسنة (٥١٦ م)^٣ . ومعنى هذا أن
هذا الملك قد حكم قبل حكم (ذي نواس) بمدة قليلة . ونحن لا نعلم في الزمن
الحاضر شيئاً من صلة هذا الملك بـ (ذي نواس) .

وقد عبث الدهر ببعض كلمات هذا النص وحروفه ، فأضاع علينا معاني مفيدة .
وردت فيه أسماء اعلام ، هي : (سبا) ، و (حمير) (حمير) ، و (رحبتن)
أي (رحبة) (الرحابة) . وقد ورد اسم (رحبتن) في عدد من النصوص
على انه اسم موضع^٤ . أما هنا ، فهو اسم قبيلة ، لورود كلمة (أشعبهمو)
قبل (سبا وحمير ورحبتن)^٥ . ووردت كلمة (واعربهمو) ، وبعدها جملة
(كدت ومنحجم ... وبني ثعلبت ومنذر وسبع)^٦ . وفي النص حروف ظامسة
حرمتنا معرفة بعض الأعلام .

واما (كدت) ، فقد قلت إن رأي علماء العربيات الجنوبية انها (كندة) .
ويظهر من ورود اسمها في النصوص التي ترجع الى ما بعد الميلاد ، أنها اخذت

Handbuch, S. 105, Le Muséon, 1961, 1-2, P. 174. ١

Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 103, The Geographical Journal, Vol. CXVI, ٢

Nos. 4-6, (1950), P. 214, Le Muséon, 3-4, 1953, P. 307, 1961, 1-2 P. 174.

السطر التاسع من النص . ٣

CIH 289, IV, I, III, P. 300, Glaser, Die Abessinier, S. 74, 117. ٤

السطر السادس من النص . ٥

السطران السابع والثامن من النص . ٦

تؤثر تأثيراً واضحاً في سياسة العربية الجنوبية بعد الميلاد. ولا سيما بعد توسع سلطان القبائل وتدخل الأعراب في الشؤون السياسية لعدم الاستقرار ولتدخل الحبش في شؤون العربية الجنوبية ، وتقاتل الملوك والاقبال بعضهم مع بعض .

ويتبين من ورود كلمة (اعرهمو) قبل كلمة (كدت) في النص ، أن قبيلة كندة كانت من القبائل الأعراية أي البدوية ، ولم تكن من القبائل المستقرة ، النازلة في منازل ثابتة . ولهذا استعان بها حكام اليمن في تأديب القبائل اليائية او قبائل معد وقبائل نجد التي كانت تغزو اليمن ، كما كانت نفسها تهاجم حكام اليمن وتغزو أرضهم ، فصار لها من ثم شأن يذكر في سياسة اليمن في هذا الوقت.

و (مذحج) قبيلة (مذحج) ، وهي من القبائل المعروفة ، وينسبها أهل الأنساب الى مذحج بن مالك بن أدد . ويذكرون ان مذحج اكمة ولدت عليها أمهم فسموا مذحجاً^١ وقد ورد اسم هذه القبيلة في النص : Ryckmans 508^٢ المدون في ايام الملك (يوسف أسار) الذي سآحدث عنه ، كما ورد في نص قتباني ، هو النص الذي وسم ب REP. EPIG. 4688^٣ . وقد ذكر بعده اسم قبيلة (رغض) ، ويظن البعض أن في قراءة الحرف الأول شيئاً من التحريف ، وأن الحرف الأول هو حرف (ب) لا (راء) ، فيكون اسم القبيلة (بغض) لا (رغض) ، وهو اسم القبيلة (بغض) . وبغض من القبائل العربية المعروفة .

وأما (ثعلبة) ، فهي قبيلة (ثعلبان) التي ورد اسمها في السطر الثالث عشر من نص (سميغع أشوع) المحفوظ في متحف (استانبول)^٤ ، وفي نص : Philby 123 حيث ورد : (ألهت ثعلبن) ، ، (آلهة ثعلبان) ، اي : سادة قبيلة (ثعلبان)^٥ .

وذكر اسم (دوس ثعلبان) في قصة تعذيب (ذي نواس) لنصارى (نجران).

-
- ١ الاشتقاق (ص ٢٣٧) .
 - ٢ الفقرة السابعة منه .
 - ٣ السطر الثاني منه ، British Museum 125, 349, Le Muséon, 1953, 3-4, P. 301, Bibliotheca Orientalis, X, 1953, P. 150.
 - ٤ Istanbul 7608, bis, 13, Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 105,
 - ٥ Le Muséon, LIX, 1-4, (1964), P. 171, REP. EPIG. 2633, V, I, P. 5. Le Muséon, LX, 1-2, (1947), P. 150.

ويرى علماء العربيات الجنوبية وجود صلة بين قبيلة (ثعلبان) و (دوس ثعلبان)^١ .
 وورد اسم (دوس ثعلبان) في أثناء كلام الطبري على (ذي نواس)^٢ .
 ويعرف (ذو ثعلبان) المتقدم ذكره بـ (ذي ثعلبان الأصغر) ، وقد قال
 عنه (نشوان بن سعد الحميري) إنه من نسل (ذي ثعلبان الأكبر) ، وهو ملك
 من ملوك حمير ، وأحد الثامنة منهم . واسمه (نوف بن شرحبيل بن الحارث) ،
 وزعم ان (ذا ثعلبان الأصغر) هو الذي أدخل الحبشة الى اليمن غضباً لما فعل
 ذو نواس بأهل الأخدود من نصارى نجران^٣ .

واما (منر) و (سيع) ، فقبيلتين . واطن ان في قراءة اسم القبيلة الأولى
 بعض التحريف . وان الحرف الذي قرأ بـ (ذ) يجب ان يقرأ (ضاداً) (ض) ،
 وتكون القراءة عندئذ (مضر) ، وهو الاسم الشهير المعروف عند النساين .
 وقد رجعت الى الصورة (الفوتوغرافية) المنشورة في مجلة Le Muséon ، فوجدت
 ان الحرف المذكور هو أقرب الى حرف (الضاد) من حرف (الذال)^٤ .
 والذين يقرأون المسند يعرفون ان من السهل الوقوع في الخطأ في قراءة الحرفين
 اذا كانا قد كتبا على أحجار قديمة وقد عبث الدهر بتلك الأحجار لأن بين الحرفين
 شيئاً من التشابه . ويظهر لدي ان رسم الحرف أقرب الى الضاد من الذال ، لوجود
 أثر لخط في أعلى وفي أسفل الحرف .

ويفهم من هذا النص ان حرباً او فتنة كبيرة كانت قد حدثت في ايام هذا
 الملك ، اسهمت فيها القبائل المذكورة ، وهي : سبأ وحمير ورجبة وكدت (كندة)
 ومضر وثعلبة ، وذلك قبل احتلال الحبش لليمن بقليل او في ايام (معد يكرب
 يعفر) ، وفي سنة (٥١٦ م)^٥ . وقد مهدت هذه الفتنة الطريق للأحباش أن
 يدخلوا الى العربية ويحتلوها بسهولة ، وذلك بسبب الخصومات التي كانت بين
 القبائل وظهور الروح القبلية التي لا تعرف التعاون الا في سبيل مصلحة القبيلة حسب .

١ Le Muséon, LXIV, 1-2, (1951), P. 105, M. Hartmann, Die Arabische Frage, S. 335.

٢ الطبري (٩٢٥/١) (طبعة ليدن) ، (١٠٦/٢) (طبعة المطبعة الحسينية بمصر) .

٣ شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ٢٥١) .

٤ Le Muséon, 3-4, 1953, P. 307, Plate VI, Ryckmans 510.

٥ The Geographical Journal, Vol., CXVI, Nos : 4-6, 1950, P. 214.

وتولى الملك بعد (معد يكرب يعفر) الملك ذو نواس، وهو زرعة ذي نواس بن تبان اسعد ابي كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو في رأي الأخباريين^١، وهو يوسف ذو نواس بعد تهوّد في رأيهم ايضاً . ولقد زعم بعض أهل الأخبار انه كان من أبناء الملوك ، وزعم بعض آخر انه لم يكن من ورثة الملك ، ولا من أبناء من حازه قبله ، وانما أخذه أخذاً^٢ . قيل : كانت له ذؤابتان تنوسان على عاتقه بهما سمي ذا نواس^٣ .

ولا يعرف أهل الأخبار اسم الملك (معد يكرب يعفر) ، بل ذكروا اسم ملك آخر قالوا انه حكم قبل (ذي نواس) زعموا ان اسمه (نحيعة ينوف ذو شناتر) ، وقالوا انه لم يكن من بيوت المملكة ، بل كان من حمير ، وثب على الملك ، فلك حمير ، وقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم . وكان امرأة فاسقة ، اذا سمع بالغلام من ابناء تلك الملوك زرعة ذو نواس بعث اليه ، ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله ، فلما خلا به ، وثب عليه ذو نواس بالسكين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتز رأسه ، فخرجت حمير والأحراس في أثر ذي نواس حتى أدركوه ، فقالوا له : ما ينبغي لنا ان علكنا الا انت اذ أرحتنا من هذا الخبيث فلنكوه ، واستجمعت عليه قبائل حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير^٤ .

أما (ابن قتيبة) ، فقد زعم ان (ذا شناتر) رجل لم يكن من أهل بيت الملك ولكنه من أبناء المقاول ، أي من طبقة الأقبال (اقول) . وقد اتفق مع غيره من أهل الأخبار في قصة غلظه وفحشه ، وفعله القبيح بأبناء الملوك ، وفي إرساله الى ذي نواس يستدعيه اليه ليفعل به ما كان يفعله بغيره ، وفي قتله اياه^٥ . وتهوّد ذو نواس وتهوّدت معه حمير، وتسمى (يوسف). هذا ما عليه أكثر أهل الأخبار^٦

-
- ١ التيجان (٣٠٠) ، الطبري (١٠٣/٢) (المطبعة الحسينية) ، المعارف ، لابن قتيبة (٣١١) .
 - ٢ الاصمعي ، تاريخ ملوك العرب الأولية (ص ٤٣ وما بعدها) .
 - ٣ المعارف ، لابن قتيبة (٣١١) .
 - ٤ الطبري (١١٨/٢) وما بعدها (دار المعارف) .
 - ٥ المعارف (٢٧٧) .
 - ٦ الطبري (١١٩/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٧) .

وقد ذكر (ابن كثير) في تفسيره ، انه كان مشركاً^١ .
وهذه القصة والطريقة صيّر أهل الأخبار ابتداء ملك (ذي نواس) .
وذكر (ابن هشام) ان ذا نواس كان آخر ملوك حير ، وذكر آخرون ان
ذا جلدن، وهو ابن ذو نواس قد خلف أباه على حير^٢ . وفي رواية أخرى ان ملك
حير لما انقرض وتفرق في الأذواء من ولد زيد الجمهور ، قام ذو يزن بالملك ،
واسمه علي بن زيد بن الحرث بن زيد الجمهور ، أو علي بن الحرث بن زيد بن
الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور، فسار عليه الحبشة وعليهم
أرباط ، ولقيهم فيمن معه ، فانهزم واعترض البحر فأقحم فرسه وغرق ، فهلك
بعد ذي نواس وولى ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه، وهو الذي استجاشه امرؤ القيس
على بني أسد .

وكان من عقب ذي يزن أيضاً ، علقمة ذو قيفال بن شراحيل بن ذي يزن
ملك مدينة (الهون) ، فقتله أهلها من همدان^٣ .

ولم يصل إلينا شيء من هذا القصص الذي رواه الأخباريون عن ذي نواس
مكتوباً بالمسند . ولم يرد اسمه في أي نص من نصوصه حتى الآن .

وزعم المؤرخ (ابن العبري) Barhebraeus ، أن (ذا نواس) واسمه
(يوسف) ، وكان من أهل الحيرة في الأصل ، وكانت امه يهودية من أهل
(نصيبين) Nisibis ، وقعت في الأسر ، فتزوجها والد (يوسف) فأولده
منها^٤ . ومعنى هذا أنه لم يكن يمانياً ، بل يهودياً وفد على اليمن من الحيرة .
وقد لاحظ بعض المستشرقين ان اسم (يوسف ذو نواس) ، ليس على شكل
وطراز اسماء وألقاب ملوك اليمن ، وهذا ما دعاهم إلى التفكير في احتمال وجود
شيء من الصحة في رواية (ابن العبري) ، لا سيما وأن يهود اليمن ويثرب
ونخبر كانوا من المؤيدين للساسانيين ومن المناصرين لهم^٥ .

وقد اختلف الأخباريون في مدة حكمه، فقال بعضهم : انه ملك ثماني وثلاثين

١ تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) .

٢ ابن هشام (٢٠/١) ، حمزة (٨٩) ، Fell, In ZDMG., 35, 1881, S. 33. .

٣ ابن خلدون (٦١/٢) ، Caussin, Essai., I, P. 135. .

٤ Chron. Eccles., I, 201, 14, Chronik Von Se'ert, I, P. 331, .

Die Araber, I, S. 630.

٥ Die Araber, I, S. 630, Michael Syrus, 2, (1901), PP. 410, 414. .

سنة^١ . وذكر المسعودي وآخرون أنه حكم مئتي سنة وستين سنة^٢ . وذكر حمزة أنه ملك عشرين سنة^٣ . وهكذا هم فيه وفي غيره مختلفون .

وإذا ما استثنينا الأخبار التي رويت عن تعذيب (ذي نواس) لنصارى نجران، فإننا لا نعرف شيئاً آخر مهماً عن أعمال هذا الملك ، الذي كان متحاملاً جداً على النصارى والنصرانية حتى أنه راسل ملك الحيرة لكي يؤثر عليه فيحمله على أن يفعل بنصارى مملكته ما يفعله هو بهم^٤ . ولعله كان يريد بذلك أن يكون حلفاً سياسياً مع ملوك الحيرة ومن ورائهم الفرس لمقاومة الحبش الذين كانوا قد وطئوا سواحل اليمن وأقاموا لهم قواعد فيها وعقدوا مع الأمراء المنافسين للملك حمير ، وصاروا يخرضونهم على أولئك الملوك ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة على كل من اليمن والتوسع من ثم نحو الحجاز ، للاتصال بحلفائهم الروم. والسيطرة بذلك على أهم جزء من جزيرة العرب ، والهيمنة على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وانزال ضربة عنيفة بسياسة خصوم الروم . وهم الساسانيون .

وفي حوالي السنة (٥٢٥ م) كانت نهاية حكم (ذي نواس) ، إذ احتل الأحباش اليمن كما سئرى ذلك فيما بعد .

وفي موضع (سلع) ، ويسمى (نخلة الحمراء) وهو خربة عادية ، موضع زعم أنه قبر (ذي نواس) ، المتوفى في حوالي (سنة ٥٢٥ م) . وقد فتح الموضع واستخرجت منه آثار فنية ذات قيمة، من بينها تمثالان لزنيجيين من البرنز^٥ .

ويظن بأن ما جاء بنص (حصن غراب) الموسوم بين المستشرقين بـ REP. EPIG. 2633 من ان الأحباش فتحوا أرض حمير سنة (٦٤٠) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد ، وقتلوا ملكها وأقباله الحميريين والأرحبيين ، يشير الى الملك (ذي نواس) ، وإن لم يرد بالنص على اسمه^٦ .

-
- ١ التيجان (٣٠١) ، الاكليل (٢٢٦) .
 - ٢ مروج (٢٨٠ / ١) (المطبعة البهية) ، شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة (٩١) .
 - ٣ حمزة (٨٩) .
 - ٤ Die Araber, I, S. II.
 - ٥ Beiträge, S. 22.
 - ٦ REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131, Mordtmann, In ZDMG., VLIV, (1890), S. 176.

وقد عثر على نصين مهمين هما : Ryckmans 507 والنص Ryckmans 508 ، وقد أشير فيها الى حروب وقعت بين الأحباش وبين ملك سمي فيها بـ (يوسف اسار) (يوسف أسار) ، ولم يلقب النصان (يوسف) باللقب الطويل المؤلف بل نعتاه بـ (ملكن يوسف أسار) ، أي (الملك يوسف أسار) فقط^١ . و (يوسف اسار) ، هذا هو الملك (ذو نواس) . وقد كتب النصان في سنة واحدة هي سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري ، الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد . الا انها كتبا في شهرين مختلفين . فكتب أحدهما في شهر (ذمذرن) (ذمذران) (ذو مذران)^٢ وكتب الثاني في شهر (ذقيضن) (ذو قيصن) (ذو القيصن) . ويستنتج من عدم تلقيب (يوسف) باللقب الملكي الطويل المؤلف ، ان ملكه لم يكن متسعاً وان سلطانه لم يكن عاماً شاملاً كل اليمن ، بل كان قاصراً على مواضع منها . فقد كان الأحباش يحتلون جزءاً منها بما في ذلك عاصمة حير مدينة (ظفار) وكان الأقبال ينازعونه السلطة وقد كوّنوا لهم اقطاعات مستقلة ، نازعت الملك على الحكم والسلطان . وكانت الفتن مستعرة وهذا مما مكّن الحبش من انتهاز الفرص ، فأخذوا يتوسعون بالتدريج حتى قضوا على استقلال البلاد واستولوا عليها وتلقب حكام الحبش باللقب الملكي اليمني الطويل المؤلف دلالة على سيطرتهم على اليمن .

وقد سقطت من النص Ryckmans 507 كلمات من صدره ، فأثر سقوطها هذا بعض التأثير على فهم المعنى فهماً واضحاً . وقد وردت في الفقرة الأولى منه كلمات مثل : (اشعبه) أي (قبائله) ، و (اقولهمو ومراسهمو) ، أي (أقيالهم ورؤساؤهم) . وجاءت جملة : (وبنيهمو شرحب ال يكمل) أي (وبنيهم : شرحبيل يكمل) . ثم دوت بعد هذا الاسم أسماء : (هعن اسانن) ، و (لحيعت يرخم) و (ومرثد ال يملد) (مرثد ايل يملد) ، وقد سقطت كلمات بعد لفظة (بني) أي أبناء ، وهم من مؤيدي (الملك يوسف أسار) ومن مساعديه . وقد أشير بعد ذلك الى

-
- ١ راجع الفقرة الثالثة من النص : (Ryckmans 507) ، والفقرة النانية والعاشرة من النص : (Ryckmans 508) ، المنشور في مجلة : Le Muséon, 3-4, 1953, P. 284.
- ٢ راجع الفقرة (١٠) من النص : Ryckmans 507

قتال وقع بينهم أي جماعة الملك وبين الحبش (احبشن) بموضع (ظمو) وفي مواضع أخرى .

وتناول النص الثاني خبر حروب وقعت بين الملك (يوسف أسار) وبين الحبش ومن كان يؤيدهم من أقبال اليمن . وهو نص سجله القليل (قولن) (شرح ايل يقبل بن شرح ايل يكمل) من بني (يزأن) (يزن) و (جدن) (جدنم) و (حيم) (حب) و (نسان) (نان) و (جبا) (جبا) . ويتبين من هذا النص ان الملك (يوسف أسار) هاجم (ظفر) (ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على (قلسن) ، أي (القليس) ، أي كنيسة (ظفار). ثم سار بعد ذلك على (اشعرن) ، أي (الأشعر) (الأشاعر) . قبيلة من قبائل اليمن . ثم سار الجيش الى (مخون) (مخا) ، وحارب وقاتل ، فقتل كل سكانها (حور هو) ، واستولى على كنيستها ، وحارب كل مصانع أي معاقل (شمر) ودكها دكاً ، وحارب سهول (شمر) كذلك . ثم هاجم الملك هجوماً ماحقاً قبيلة (الأشعر) (اشعرن) . ثم أحصى عدد من قتل في هذا الهجوم وعدد ما وقع في أيدي جيشه من غنائم . فكان عدد من قتل: ثلاثة عشر ألف قتيل ، وعدد من أخذ أسيراً تسعة آلاف وخمسة أسير ، واستولى على (٢٨٠) ألف رأس من الابل والبقر والمعز (عترم) (عتر) . واخذت غنائم عديدة أخرى .

واتجه الملك مع جيوشه بعد ذلك الى (نجرن) (نجران) . وفي صعيد هذه المدينة كان قد تجمع (أقرام) (قرم) (بني أزأن) وقبائل همدان وأهل مدنهم واعرابهم واعراب (كدت) (كندة) و (مردم) (مراد) و (ملنج) ، فانزلت جيوش الملك خسائر بالأحباش الذين كانوا قد تحصنوا بالمصانع والحصون وبمن ساعدتهم من القبائل . وبمن كان قد تجمع في (نجران) لمساعدتهم . وكان مع الملك وفي جيشه (اقولن) الأقبال : (لحيعة يرخم) و (سميفع أشوع) و (شرحب ال اسعد) (شرحبيل أسعد) . اقبال وسادات (يزان) (يزأن) (يزن) ومعهم قبائلهم : قبل (ازانن) (أزأن)^١ .

١ راجع النص :

Le Muséon, 3-4, 1953, P. 296, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 434, Ryckmans 508.

وقد جاءت في هذا النص جملة : (سسلت مدين) . وقد قصد بها (حصن المندب) ، أي ما يسمى بموضع (باب المندب) في الوقت الحاضر^١ . نرى من خلال قراءتنا لهذين النصين ان الوضع في اليمن كان قلقاً جداً ، وأن الأمور كانت مضطربة ، وان الفتن كانت تعم البلاد، وان الأحباش كانوا يمتلكون قسماً كبيراً من ارض اليمن . وكان مقرهم مدينة (ظفار) . وكان لهم أعوان وأحلاف من الأقبال والقبائل . وقد استعان بهم الحبش في نزاعهم مع (يوسف أسار) حتى تمكنوا في الأخير من الاستيلاء على كل اليمن ومن انتزاع السلطة من أيدي حكام اليمن الشرعيين ، ومن القضاء على الملك سنة (٥٢٥) بعد الميلاد . و (بنو يزان) (بنو يزأن) ، هم (ذو يزن) عند أهل الأخبار ، وكانوا من العشائر البارزة التي ورد اسمها في نصوص عديدة ، واليهم ينسب (سيف بن ذي يزن) . وذكر (ابن دريد) ان (يزن) موضع ، ويقال (ذو أزن) و (ذو يزن) ، وهو أول من اتخذ أسنة الحديد ، فنسبت اليه ، يقال للأسنة (يزني) و (أزني) و (يزأني) ، وانما كانت أسنة العرب قرون البقر^٢ . والأقبال المذكورون في النصين وهم : (شرحبيل يكميل) و (لحيعة يرخم) و (شرحبيل يقبل) (شرح ال يقبل) و (السميع أشوع) و (شرحبيل أسعد) كانوا من أقبال (يزان) (يزن) . وقد لعبوا دوراً هاماً في الميدان السياسي والعسكري لهذا العهد .

وقد ورد ذكر القيل (شرحب ال يكميل) (شرحبيل يكميل) في النص : Ryckmans 512 . ومدوته رجل اسمه (حجي أيهر) (حجي أيهر) . وذكر اسم قبل آخر اسمه : (شرح ال ذيزان) (شرحبيل ذي يزأن) (شرحبيل ذي يزن)^٣ . وورد اسم قبل آخر من أقبال (ذي يزن) عرف بـ (شرحبيل ذي يزن) (شرح ال ذيزان)^٤ ، لعله القيل المتقدم . وقد جاء اسمه في نص عرف بـ Ryckmans 515 ، دوته شخص اسمه (معويت بن ولعت) (معاوية بن والعة) و (نعمت بن ملكم) (نعمت بن مالك) (نعمة بن مالك) . وقد

Le Muséon. 3-4. 1953, P. 335.

١

الاشتقاق (٣١٠/٢) .

٢

Le Muséon, 3-4, 1953, P. 311, Kaukab 2.

٣

Ryckmans 515.

٤

نختم النص بعبارة مهمة هي : (رب هود برحمن)^١ ، أي : (بالرحمن : رب
يهود)^٢ . ويدل هذا النص على ان صاحبيه كانا من اليهود، أو من العرب المتهودين.
وأما (جدنم) فهم (جدن) . وهم أيضاً من العشائر اليمانية المعروفة . وقد ورد
اسمها في عدد من الكتابات^٣ . وقد ذكر (ابن دريد) ان من رجال (جدن)
(ذو قيفان بن عكّس* بن جدن)، الذي ذكره (عمرو بن معدى كرب) في شعره:

وسيف لابن ذي قيفان عندي تخيره الفتى من قوم عاد^٤ .

وقد أُشير في النص : Ryckmans 51 الى قيل من اقيال هذه القبيلة دعي
بـ (لحيعة ذ جدنم) (لحيعة ذي جدن) . وقد دونه رجل اسمه (تمم يزد)
(تميم يزد) . وقد نعت نفسه بـ (مقتوت لحيعة ذ جدنم) ، أي ضابط
وقائد (لحيعة ذي جدن)^٥ . ومعنى هذا انه قد كان لهذا القيل جيش، وكان
(تميم) من قادة ذلك الجيش .

وقد يكون (تميم) هذا هو (تميم) (تمم) مدون النص الموسوم
بـ Ryckmans 513 وقد جاء فيه : (تمم مقتو لحيعة يرخم ذ جدنم وترحم
على ابني ملكم ذ جدنم . رحمن وامن)^٦ . ومعناه : (تميم ضابط لحيعة يرخم
ذو جدن . وترحم على ابن مالك ذو جدن . الرحمن والامن (الأمان آمين) .
واذا كان تميم هو (تميم) المتقدم ذكره ، فيكون (لحيعة ذو جدن) المذكور
هو (لحيعة يرخم) المذكور في هذا النص اذن .

ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت :

وقد رتب (فون وزمن) ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت على
النحو الآتي :

- | | |
|---|---|
| ١ | السطر الخامس من النص . |
| ٢ | Le Muséon, 3-4, 1953, P. 314. |
| ٣ | Le Muséon, 3-4, 1953, P. 299. |
| ٤ | الاشتقاق (٣١١/٢) . |
| ٥ | Le Muséon, 3-4, 1953, P. 313, Kaukab 4, Ryckmans 511. |
| ٦ | Le Muséon, 3-4, 1953, P. 312, Ryckmans 513, Kaukab 3. |

- ١ - شمر يهرعش الثالث .
- ٢ - ياسر يهنعم الثالث مع (تارن ايفع) .
- ٣ - ثارن يكرب .
- ٤ - ياسر يهنعم الثالث مع ابنه (ذراً امر ايمن) .
- ٥ - ذمر على يهبر (ذمر على يهبار) .
- ٦ - ذمر على يهبر مع ابنه ثارن يهنعم .
- ٧ - ثارن يهنعم مع ابنه ملكيكرب يهامن .
- ٨ - ملكيكرب يهامن مع ابنه أبو كرب اسعد وذراً أمر أيمن .
- ٩ - أبو كرب اسعد مع ابنه حسان يهامن^١ .
- ١٠ - شرحبيل يعفر^٢ .

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 495.

الفصل الثاني والثلاثون

امارات عربية شمالية

. لقد استغلت القبائل العربية الضعف الذي ظهر على الحكومة السلوقية ، فأخذت تزحف نحو الشمال وتهدد المدن القريبة من البوادي وتحاول الاستيلاء عليها . وقد استولت فعلاً على بعضها وكونت حكومات يمكن ان نطلق عليها مصطلح (مشيخة) أو إمارة بحسب مصطلحاتنا السياسية في الزمن الحاضر . وهي حكومات توقفت حياتها على كفاية من كونها واقام اسسها ، وعلى كفاية من خلف المؤسسين لها من اشخاص . ولذلك كان عمرها قصيراً في الغالب . وكان حجمها يتوسع أو يتناقص بسرعة ، لأن قوة الحكومات بقوة الحكام ، فاذا كان الحاكم ذا شخصية قوية و ارادة وحزم وذكاء ، أغار على جيرانه وهاجم حدود الدول الكبرى ، وأصابها بأضرار تضررها الى الاعتراف به رئيساً على قبيلته وعلى الأعراب الخاضعين لسلطانه ، ويبقى على مكانته هذه مادام قوياً ، فإذا خارت قواه ، او ظهر منافس له أقوى منه ، ولا سيما إذا كان منافسه قد جاء حديثاً من البادية بدم نشيط ، ومعه قوم أقوياء أصحاب عدد ، زعزع عن محله المرموق ، وصار الأمر لغيره ، وهكذا .

ويجب ألا ينصرف الذهن الى ان هذه القبائل كانت قد جاءت الى بادية الشام في هذا الزمن أو قبله بقليل ، فقد سبق أن تحدثت عن وجود الأعراب في هذه البادية قبل هذا العهد بزمان . وقد رأينا كيف حارب الآشوريون الأعراب ، ولم يكن اولئك الأعراب الذين كانوا قد كونوا (امارات) لهم في البادية من أبناء

الساعة بالطبع ، بل لا بد ان يكونوا قد هبطوا بها قبل حروبهم مع الآشوريين
بزمان لا يعرف مقداره إلا الله ، ولا بد أن يكون اتصال عرب جزيرة العرب
بهذه البادية اتصالاً قديماً ، فالبادية والهلل الخصب امتداد لأرض جزيرة العرب
والهجرة بين هذه المواضع قديمة قدم ظهور هذه المواضع الى الوجود .

لم يكن أمام اعراب جزيرة العرب من مخرج حينما تحف أرضهم ويقضي الجفاف
على البساط الأخضر الذي يفرشه الغيث في بعض السنين على سطح الأرض مدة
غير طويلة ، إلا الهجرة الى اماكن يجدون فيها الخضرة والماء ، ليحافظوا بها
على حياتهم وحياة ماشيتهم ، وإلا تعرضوا للهلاك . والخضرة والخصب لا يكونان
إلا حيث يكون الجو الطيب والماء الغزير ، وهما متوافران في الهلل الخصب وفي
أطراف جزيرة العرب في الجنوب ، حيث تسعف أشجار البحر العربي والمحيط
تلك الأرضين فتغذيها بالرطوبة وبالأقطار ، لذلك كانت الهجرات الى مثل هذه
الأرضين دائمة مستمرة .

ويجد أعراب نجد في البادية وفي الهلل الخصب ملاذهم الوحيد في الخلاص
من خطر الفناء جوعاً ، فيتجهون بحكم غريزة المحافظة على الحياة نحوها ، غير مبالين
بما سيلاقون من صعوبات ، وأية صعوبات تواجه الانسان أعظم من تحمل الموت
جوعاً وببطء .

كانت كل قبيلة من هذه القبائل تضرب خيامها في المواضع التي ترى فيها
العشب والماء والمغنم في البادية أو عند الحضر . فاذا وجدت للحضر حكومة قوية
احترمتهم ، وان وجدت فيهم ضعفاً ، هزئت بهم ، واستولت على ما عندهم ،
وأخذت ترعى في أرضهم : ثم هي لا تقبل بكل ذلك ، بل كانت تفرض عليهم
(إتاوة) يؤدونها لهم ، مقابل حمايتهم من اعتداء الأعراب الآخرين عليهم .
وبذلك تتمكن سادات القبائل من فرض سلطانهم على بعض المدن كحمص والرها
والحضر ، وغيرها من المدن التي حكمها أسر عربية ، في رأي بعض الباحثين^١ .
وقد وقف الأعراب وقفة تريبص وتأهب من الحكومات القوية المهيمنة على
الهلل الخصب ، كانوا يراقبون ويدرسون بذكائهم وبخبرتهم السياسية أوضاعها ،

١ العرب في سورية قبل الاسلام ، تأليف رينه ديسو ، تعريب : عبد الحميد
الدواخلي ، من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الجمهورية العربية
المتحدة ، (ص ٤) .

فاذا أحسوا فيها ضعفاً بادروا الى استغلاله قبل فوات الأوان . وللأعراب في هذا الباب حاسة غريبة ذات قدرة كبيرة في ادراك مواطن الضعف عند الحضر وعند الحكومات . فاذا تيقنوا بقوة شتم حاستهم من وجود ضعف عند الحضر أو عند حكومة ما ، ووجدوا ان في امكانهم استغلاله في صالحهم جاءوا الى من وجدوا فيه ضعفاً بشروط تتناسب مع ضعف مركزه ، وبطلبات يملونها عليه ، قد تكون طلب زيادة (الإتاوات) أي الجعالات السنوية التي تدفع لهم ، وقد تكون السماح لهم بالزحف نحو ارض الحضر والتوسع في الأرضين الخصبة ذات الكلا والماء ، وقد تكون طلباً بالاعتراف بسيادتهم على ما استولوا عليه وعلى أعراب البادية ، وما الى ذلك من شروط ، قد تزيد فيها ان وجدت من تتفاوض معهم تساهلاً وقد تتساهل ان وجدت منهم شدة وعجرفة وقوة : مع اللجوء الى الحيل السياسية وذلك بالاتصال سراً مع الجانب الثاني المعادي للانضمام اليه ، وتأنيده بحصولهم على شروط أحسن ، وعلى ربح أعلى وأكثر مما يعطيهم أصحابهم الذين هم على اتفاق معهم . وسنجد فيما بعد أمثلة على أمثال هذه المفاوضات السياسية السرية تجري مع الفرس ، وأحياناً مع الرومان أو الروم .

وقد غلّمت الطبيعة حكومات العراق وبلاد الشام دروساً في كيفية التعامل والتفاهم مع الأعراب . علّمتهم ان القوة ضرورية معهم ، وان الصرامة لازمة تجاههم ، لكبح جماحهم والحد من غلواء غزوهم للحلود وللحواضر، وان التساهل معهم معناه في نظر الأعراب وجود ضعف في تلك الحكومات ، وان معنى ذلك طلب المزيد . ولذلك أقاموا مراكز محصنة على حواشي الصحارى ، أقاموا فيها حاميات قوية ذات بأس ولها علم بالبادية وبمعاركها ودروبها ، ومعها ما تحتاج اليه من (الميرة) والماء . وبنوا فيها (أهراء) أي مخازن تخزن فيها الأطعمة لتوزيعها على الأعراب عند الحاجة للسيطرة عليهم بهذا الأسلوب كما خزنوا فيها كميات من المياه في (صهاريج) تحت الأرض ، وحفروا بها الآبار للشرب ، ولتموين الأعراب بها أيضاً عند انحباس المطر وحلول مواسم الجفاف . وضعوا كل ذلك في حصون محصنة ، ليس في استطاعة الأعراب الدنو منها أو اقتحامها، لأن عليها أبراجاً وفي أسوارها الحصينة العالية منافذ يرمي منها الرماة سهاماً تخرج منها بسرعة كأنها شياطين ، تخيف ابن البادية ، فتجعله يتحرج من الدنو من تلك الحصون .

ونجد اليوم في العراق وفي بلاد الشام آثار بعض تلك الحصون التي أقامها حكام العراق وحكام بلاد الشام لصد غارات الأعراب عن أرض الحضر ، ولتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، حصون منعزلة نائية كأنها جزر صغيرة برزت في محيط من الرمال والأنربة ، بعيدة عن مواطن الحضارة ، عند أصحابها على إقامتها في هذه المواضع ، لتكون خطوط دفاع أمامية تحول بين أبناء البادية وبين الدنو من مواطن الحضر ، وتشغل الأعراب بالقتال حتى تأتي النجدة العسكرية فتصطدم بهم ان تمكنوا من اختراق تلك الخطوط .

وقد علمت الطبيعة حكام العراق وحكام بلاد الشام ان القوة وحدها لا تكفي في ضبط الأعراب وتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، علمتهم ان جيوشهم النظامية لا تستطيع أبداً أن تتعقب فلول الأعراب التي تراجع بسرعة لا تبلغها عادة الجيوش النظامية في الوصول الى البادية حصن الأعراب الحصين . وعلمتهم أيضاً ان جيوشهم متى توغلت في البادية فان احتمالات اندحارها واندثارها تزيد عندئذ على احتمالات الانتصار . فالأعرابي هو ابن البادية ، وهو أخبر بها من الحضر ، وهو يعرف مواضع (الإكسر) فيها (لإكسر الحياة) وهو الماء . لقد خبر آبارها ، وخزن الماء في مواضع احتفرتها وجعلها سرية فلا يقف عليها الا خزائنها ، لهذا فان من الحماقة محاربة الأعراب في ديارهم ، وان من الخير مداونتهم واسترضائهم وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء أصحاب الشخصيات والمواهب ، على دفع هبات مالية سنوية لهم ترضيهم ، في مقابل ضبط الحدود وحمايتها من خطر مهاجمة الأعراب لها وغاراتهم عليها . مهما كان أصل أولئك الأعراب ، وفي مقابل الاشتراك مع أولئك الحكام المتحالفين معهم في حروبهم لأعدائهم ، إما بتقديم الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب ، مثل تقديم الجبال لهم لحمل الجنود والأثقال والماء وكل ما يحتاج اليه الجيش في عبوره الى البوادي .

وتقرن الجمالات السنوية بهدايا وألطف يقدمها الحكام الى سادات الأعراب ، وبألقاب مشرفة تبهج النفوس الضعيفة لاستوائهم الى جانبهم ، وبدعوات توجه اليهم في المناسبات لزيارة أولئك الحكام والنزول في ضيافتهم ، فتخلع عليهم الخلع التي تستهويهم وتجعلهم الى جانب أولئك الحكام .

ولأجل الوقوف على حركات الأعراب وسكناتهم ، وللمراقبة أعمال سادات القبائل ، وضعت الحكومات مندوبين عنها في مضارب أولئك السادات ، يتنسمون

الأخبار ويبحثون بها الى الحكام . وقد كانوا في الوقت نفسه بمنزلة المستشارين لهم . وقد يقرنون ذلك بوضع حاميات قوية معهم للدفاع عن أولئك السادات ان جابههم خطر ، أو للضغط عليهم ولردعهم في حالة تفكيرهم بنقض حلفهم مع تلك الحكومات . وقد عرف هؤلاء المستشارون أو (المندوبون الساميون) في عرفنا السياسي في الزمن الحاضر بـ (قيبو) في اللغة الآشورية ، وكانوا يرسلونهم الى مضارب سادات القبائل لتوجيههم الوجهة التي يريدها ملوك آشور ، وللتجسس عليهم وإرسال أخبارهم الى أولئك الملوك حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، ويتخذوا ما يرون من قرارات تجاههم .

ولم يكن من العسير على حكام العراق وحكام بلاد الشام ، استبدال سيد قبيلة بسيد قبيلة آخر ، إذا ما وجدوا في سيد القبيلة المحالف لهم صديقاً أو ميثلاً الى عدوتهم ، أو نزعة الى الاستئثار بالحكم لنفسه والاستقلال .

فالبادية أرض مكشوفة ، وأبوابها مفتوحة لا تمنع أحداً من دخولها ، فإذا جاء سيد قبيلة طامعاً في مركز وأرض وكلاً وماء ، ووجد في عهده وعدته قوة ، نافس من نزل قبله ، وطمع في ملكه وتقرب الى الحكام ليحلوه محله ، وليأخذ مكانه . وإذا وجد أولئك الحكام في القادم شخصية قوية وأنه أقوى من السابق ، لأنه ظهر عليه بعدد من معه وبقوة شخصيته ، وأن السيد القديم لم يظل ذا نفع كبير لهم ، فلا يهتمهم عندئذ إزاحته عن مكانه ، وإحلال الجديد محله . وكل ما يطلبه الحكام هو ضمان مصالحهم ، ومن يتعهد بحماية مصالحهم صار حليفهم وصديقهم كائناً من كان . وهكذا البشر في كل مكان وزمان من أية أمة كانوا . لقد سيطرت القبائل العربية على شواطئ الفرات وهيمنت عليها في أيام السلوقيين . ونجد ساداتها وقد نصبوا أنفسهم عمالاً (فيلاركا) على تلك الشواطئ منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وبعده وتدل أسماء أولئك العمال على أن أصحابها كانوا من أصل عربي ، وأن الأسر التي كونوها هي أسر عربية . وكلما كانت أسماء الملوك الأولين لهذه الأسر أسماء عربية ، كانت أكثر دلالة على أصل أصحابها العربي . فقد جرت العادة أن الملوك المتأخرين يتأثرون بتيارات زمانهم الاجتماعية وبرسوم وعاداته ، فيتخذون ألقاباً وأسماء يونانية أو سريانية أو فارسية ، تظهرهم وكأنهم من أصل يوناني أو سرياني أو فارسي ، على حين هم من أصل عربي ،

ولهذا كانت لأسماء مؤسس الأسر أهمية كبيرة في إثبات اصل الأسرة^١ .
وقد استغل الأعراب أهمية الطرق البرية التي تمر بالبوادي، وهي شرايين التجارة العالمية بالنسبة لذلك الوقت ، فتحكموا في مسالكها ، واستغلوا أهمية الماء بالنسبة للقوافل والجيوش ، فلم يكن في وسع جيش قطع البادية من غير ماء ، وأخذوا يعاملون المعسكرين : المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وهو المعسكر الروماني وفقاً لحاجتهما الى هذه الطرق والماء ويفرضون على المعسكرين شروطاً تتناسب مع مواقفهما العسكرية ومع الأحوال السائدة بالنسبة لتلك الأيام ، وصاروا يجبرون كل معسكر من المعسكرين على تقديم أحسن الترضيات لهم لتقديم خدماتهم له ، والانضمام اليه ضد المعسكر الشحيح البخيل .

ومن هذه الإمارات : إمارة الحضر ، وإمارة (الرُّها) Edessa ، وإمارة (الرستن - حمص) Arethusa — Emesa وإمارة (سنجار) Singara ، وحكومة تدمر ، ثم حكومة الغساسنة في بلاد الشام ، وحكومة المناذرة في العراق .
ويلاحظ ان بعض هذه الحكومات ، تكونت في مدن كانت قديمة عامرة ، سكانها من غير العرب ، ومع ذلك صارت مقراً لأسر حاكمة عربية ، باستيلاء تلك الأسر عليها وباخضاعها لحكمها واتخاذها مقاماً لهم ، فصار الحكم عليها في أيدي تلك الأسر . أما المحكومون فهم السكان الأصليون، وغالبهم من غير العرب ولسانهم هو لسان بني لرم في الغالب .

وهناك إمارات تكونت على أطراف الحضارة ، وفي مواضع الماء والكلاً في البادية ، أو في مواضع غير بعيدة عن حدود الحضارة من العراق وبلاد الشام ، وخاصة في العقْد التي تتصل بها طرق القوافل ، ويعود الفضل في تكونها وظهورها الى هذه الأمور المذكورة ، ولا سيما موضعها من خطوط سير القوافل، حيث يتقاضى سادات تلك المواضع (إتاوات) عن التجارة التي تمر بها ، وعن التجارة التي تحمل اليها لبيعها في أسواقها ، فيتجمع لهم دخل لا بأس به من هذه الجباية التي قد ترتفع أحياناً حتى تصل الى درجات التعسف بالتجار . ويكون سادات هذه المواضع أصحاب حظ عظيم ، اذ كانت مواضعهم عصباً ضرورياً رئيسياً في تجارة البادية ، بحيث لا تجد القوافل الكبيرة المحملة بالتجارة النفيسة بدءاً

من المرور منها ، فان دخلهم يكون حيثئذ كبيراً ، يحملهم على التوسع والطموح وعلى السيطرة على الآخرين بقدر الامكان .

وكما كانت القوافل التجارية والطرق البرية رحمة للمستوطنات الصحراوية التي نشأت وتكونت عند عقد العصب الحساس لهذه الطرق ، كذلك صارت تلك الطرق نقمة على تلك المستوطنات . اذ طالما قضت عليها وحكمت عليها بالموت ، فقد يجد التجار وأصحاب القوافل طرقاً أسهل وأقصر في قطعهم للبادية ، أو معاملة أطيب من سيد قبيلة منافس أو حماية عسكرية أقوى ، فيتحولون عن تلك الطرق المسلوكة الى طرق أخرى ، فتموت بذلك المستوطنات المقامة عليها ، ويضطر أهلها الى تركها الى مواطن جديدة . وقد كان لاستخدام الطرق المائية من طرق نهريّة وبحرية ، أثر كبير في إماتة الطرق البرية أو في منافستها ، كذلك كان للطرق البرية ولا سيما الطرق العسكرية الممهدة التي أقامها الرومان والروم في بلاد الشام ، أو الفرس في العراق أثر كبير في القضاء على المستوطنات التي نشأت في البوادي ، اذ فضل التجار السير في هذه الطرق المأمونة التي لا يتحكم فيها سادات القبائل في مقدراتهم ، ولا يدفعون ضرائب مرور عن الأرضين على تلك الطرق الموحشة المقفرة المملوءة بالمخاطر والتي يتحكم فيها أبناء البادية في مقدرات التجار ، فيفرضون عليهم ضرائب مرور من أرضهم كما يشاءون من غير تقدير لما سيجر ذلك عليهم وعلى التجار من أضرار . وبذلك أعان أبناء البادية بأنفسهم على إماتة مستوطناتهم في بعض الأحيان .

ويظهر من (جغرافية) (سترابو) أن أرض الجزيرة ومنطقة الفرات والبادية المتصلة ببلاد الشام ، كانت في حكم سادات قبائل . يحكمون وكأنهم (عمال) (فيلارك) Phylarchus . وكان بعض هؤلاء يحكمون أرضين صغيرة ، وحكمهم حكم (مشايخ القبائل) في عرف هذا اليوم : يشتغل أتباعهم بالرعي ، وبعضهم يشتغلون بالزراعة ، وآخرون بالتجارة . وكان قسم منهم أعراباً يتنقلون في البادية ، ومنهم أشباه أعراب ، ولا سيما أولئك القاطنين على ساحل العقبة ، أي خليج (أيلة) وقد استغل هؤلاء الأعراب طبيعة أرضهم . فكانوا يجبون (العشر) من النجار . أو يشتغلون هم أنفسهم بالانتجار أو يقومون بنقل التجارة لحساب غيرهم من التجار^١ .

وقد كان الأعراب هم الوحيدين الذين في استطاعتهم حماية الطرق البرية الممتدة بين العالم المتحضر القديم : العراق وبلاد الشام ، فهم وحدهم سادة البوادي، وفي أيديهم (إكسبر الحياة) الماء . لهم آبار أو عيون ، و (صهاريج) سرية يخزنون فيها الماء . ولهم مخازن احتياطية مملوءة بهذه المادة الثمينة الضرورية للحياة، يملأونها من أماكن قد تكون بعيدة عنهم ، ثم يحملونها معهم حيث ذهبوا ، وإلى منازلهم . وهي قِربٌ كبيرة يصنعونها من الجلد ، تمونهم بالماء ، وتمون القوافل المارة بهم بما يحتاجون إليه وبما يكفيهم للتنقل من منزل إلى منزل آخر . وقد أطلق اليونان على أكثر هؤلاء اسم Scentitae = Skenitai ، بمعنى الساكنين في الخيام . لأن (السكينه) Skenai = Skynai معناها الخيمة والبيت ، وهي تقابل لفظه (سكوت) (سكوت) Sukkot في العبرانية، التي تعني الخيمة والبيت أيضاً^١ .

والـ (سكينته) Skenitai ، هم كما قلت أهل الخيام ، الخيام المصنوعة خاصة من شعر المعز^٢ ، وهم أعراب يقطنون البادية وطرفي العراق والشام ، تمتد منازلهم في بلاد الشام حتى تبلغ الخط الممتد بين Europus و Thapascus في الشمال على رأي (بلينيوس)^٣ ، وتمتد في الغرب حتى تبلغ حدود Apamea ، على رأي (سترابون) . أما حدود مجالات هؤلاء الأعراب من الشرق ، فتمتد من أعالي الفرات حتى تبلغ ملتقاه بدجلة في الجنوب على رأي (سترابون) كذلك^٤ . ويفصلهم النهر عن منازل قبيلة (أثالي) Athali في كورة Characene^٥ .

وذكر (سترابو) أن سادات (سكان الخيام) كانوا يجبون الضرائب من التجار في أثناء مرورهم بمناطق نفوذهم ، وكان بعضهم يشتط عليهم فيتقاضى منهم ضرائب عالية ، ولا سيما أولئك الذين يتزلون على ضفتي النهر ، فتجنب التجار المرور بمناطقهم ، ومنهم من كان يتساهل في معاملتهم بلطف ورعاية^٦ . وذكر أيضاً أن الرومان وسادات الأعراب كانوا يسيطرون على الجانب الغربي للفرات

Die Araber, I, S. 272, W. Gesenius, Hebr. und Aram.

Handwörterbuch, (1921), S. 542.

Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927), P 513.

Pliny, VI, 21.

Strabo, XVI, 2.

Paulys — Wissowa, Zweite Reihe, Funfter Halbband, (1927) 513.

Strabo, XVI, I, 27.

حتى إقليم بابل ، وأن فريقاً من سادات القبائل كانوا يشايعون الرومان ، وفريقاً آخر كان يشايح الفرس ، وأن الذين كانوا يسكنون على مقربة من النهر كانوا أقل ميلاً وتودداً الى الرومان من الذين كانوا يقيمون على مقربة من العربية السعيدة^١. وبلغت منازل الـ (السكينية) سكان الخيام حدود مملكة (حدياب) Adiabene^٢ والجبال في العراق على رأي (سترابو)^٣. ويذكر (سترابو) أن من هؤلاء رعاة ، وأن منهم متلصصين، يغزون وينهبون ، ويتنقلون من مكان الى مكان حيث يكون المرعى ، أو تتوافر الغنائم والأموال^٤ ، وأن طريق بابل و (سلوقية) الى الشام الذي يسلكه التجار يمر في أرض جماعة من هؤلاء الأعراب يعرفون بـ Malli في أيامه . لهم البادية يتحكمون فيها كيفما يشاؤون^٥ .

ولا نجد في كتاب (سترابو) شيئاً يتعاق بأصل (السكينية) ، سكان الخيام، وبالزمن الذي ظهرت فيه هذه التسمية . وقد ذكر ان من مواطنهم مدينة اسمها Skenai ، وهي معروفة عندهم ، تقوم على (قناة) على حدود أرض (بابل) ، وعلى بعد ثمانية عشر (شوينوى) Scholnoi من مدينة (سلوقية) ، كما ذكر انهم يسمون الآن باسم آخر ، هو : (ملوى) Mallol (مالي) Malli^٦ . وقد ذهب الباحثون مذاهب عدة في تعيين موضع مدينة Skenai ، ان جاز التعبير عنها بلفظة (مدينة) ، فذهب بعضهم الى انها (عكبرا) ، وذهب بعض آخر الى انها (الحيرة) ، فالخيرة بمعنى المخيم والمعسكر ، وهو معنى قريب من معنى لفظة Skenai . وذهب آخرون الى انها (مسكين) أو (مسجين) ، وهو موضع يقع شمال بغداد، أو (بيت مشكنة) . ولكل رأي ودليل في اختياره لذلك المكان^٧ .

ويظهر من وصف (سترابو) لأحوال (سكان الخيام) ، أي الأعراب . انهم كانوا كثرة ، وقبائل تنتقل مع الماء والكلاء . أما الـ Mallol . فانهم كان منهم

- | | |
|---|---|
| Strabo, XVI, I, 28. | ١ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funter Halbband, (1927), 514, Strabo, XVI, I, 27. | ٢ |
| Strabo, XVI, I, 26. | ٣ |
| Strabo, XVI, I, 26. | ٤ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, 514, Strabo, XVI, I, 27. | ٥ |
| Die Araber, I, S. 271, Strabo, 16, 748, XVI, 26, | ٦ |
| Paulys, Zweite Reihe, Funfter Halbband, 1927, S. 513. | |
| Die Araber, I, S. 272, Ed. Sachau, Die Chronik von Arbela, 1915, 62. | ٧ |

أشباه مستقرين ، وآخرون مستقرون ، تكاد منازلهم تكون ثابتة، ولهم نظام يمكن أن نسميه نظام حكومة . ويدبر شؤونهم سادات منهم ، يشرفون على أعراسهم ويرعون طرق القوافل التي تمر بأرضهم، لأنها تأتي لهم بفوائد كبيرة^١ .

ومن الإمارات التي يرجع كثير من الباحثين أصول حكامها إلى أصول عربية: الحضر Hatra ، و (إمارة حمص) Emesa و (إمارة الرها) Edessa ، والرصافة ، وتدمر، وإمارات أخرى . وهي إمارات لا يمكن أن نقول أن ثقافتها كانت ثقافة عربية ، وإن غالب سكانها كانوا من العرب ، ولكننا نستطيع أن نقول أن العرب كانوا يتحكمون فيها ، وإن هنالك أدلة تزداد يوماً بعد يوم ، تزيد في الاعتقاد بأن العنصر العربي كان قوياً فيها ، وإن سكانها كانوا عرباً ، ولكنهم تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيه ، فتشققوا على عادة تلك الأيام بثقافة بني لرم ، واتخذوا من لسان بني لرم لساناً لهم في الكتابة ، ومن قلم بني لرم قلماً لهم يكتبون به ويعبرون عن احساسهم وشعورهم وعلمهم به .

أما (الحضر) ، فهي اليوم آثار شائعة في البرية بوادي التراث جنوب غربي الموصل ، على بعد (١٤٠) كيلومتراً منها . ولعلماء الآثار آراء في أصل التسمية ، فمنهم من ذهب إلى أنها من أصل لرمي ، ومنهم من رجح أنها من أصل عربي ، بمعنى (الحيرة) أي (العسكر) ، وقد عرفت بـ (اترا) Atra و Atral في اليونانية ، وبـ (هترا) Hatra في اللاتينية^٢ . وهي (حطرا) في الكتابات التي عثر عليها في الحضر^٣ .

ويرى (هرتسفلد) E. Herzfeld أن القبائل العربية هي التي أسست هذه المدينة ، أسستها في القرن الأول قبل الميلاد حصناً منيعاً أقام ساداتها فيه مستفيدين من الخلاف الذي كان بين الفرث واليونان، حيث استغلوه بذكاء وحكمة، فحصلوا على أموال من الجانبين ، لما لموضعهم من الشأن العسكري والسياسي والاقتصادي . وكانوا كلما ازداد مالهم وبرزت أهميتهم، ازدادت المدينة توسعاً وبهاءً وعمراً، حتى صارت

Die Araber, I, S. 274. ١

Brockelmann, Lexi, Syriacum, 1928, 228, Levy — Goldschmid ٢

Wörterbuch über die Talmudim und Midraschim, Bd., 2, 1922, 40a,

Die Araber, I, S. 275.

Die Araber, I, S. 275, II, S. 225. ٣

مدينة كبيرة ذات شأن ، سكنتها جاليات أجنبية أيضاً ، أنجزت ، وتولت الوساطة في البيع والشراء ، ونقل تجارة آسية الى تجار أوروبا . وتجارة أوروبا وحاصلاتها الى تجار آسية^١ .

وقد قوت الكتابات الإرامية التي عثر عليها في (الحضر) سنة (١٩٥١ م) رأي (هرتسفلد) ، القائل بأن الذين أسسوا هذه المدينة هم قبائل عربية ، وذلك لورود أسماء عربية فيها مع اسماء إيرانية وإرامية . وقد وجد أن نسبة الأسماء العربية تزيد على نسبة الأسماء العربية في كتابات مدينة (تدمر) ، وهي مكتوبة بلغة (بني إرم) كذلك ، وهذا مما يدل على وجود جالية عربية قوية في الحضر^٢ . ولكن ذلك لا يعني في الزمن الحاضر أن غالب السكان كانوا عرباً .

وقد نعت رئيس معبد الحضر الكبير بـ (سادن العرب) ، على غرار تلقيب ملوك الحضر أنفسهم بـ (ملوك العرب)^٣ . واسم هذا السادن ، هو (أفرهط) ، وقد قال عن نفسه : (رب ي تا دي عرب) ، أي : (أفرهط سادن العرب) ، وذكر مترجم النص أن المؤلف في كتابات الحضر أنها لا تنسب الكاهن الى عبدة الإله أي المتعبدين ، ولكن تنسبهم الى الآلهة ، بأن يكتب (سادن الإله ...) ، لا (سادن عبدة الإله ...) ، كما هو في هذا النص ، ويرى مترجمه أن (أفرهط) قد خالف المؤلف ، وخالف عادة القوم . تقليداً لما فعله الملك (سنطروق) ملك الحضر من تلقيب نفسه بـ (ملك العرب)^٤ (ملك الأعراب) . وقد عثرت مديرية الآثار العامة في العراق على نص وسمته بـ (٧٩) من النصوص التي عثر عليها في الحضر ، جاء فيه اسم المدينة (الحضر) ، لأول مرة ، فلم يسبق ورود هذا الاسم في نصوص سابقة . وقد ورد على هذا الشكل : (حطرا) ، على نحو ما ينطق به في لغة (بني إرم)^٥ . كما وردت فيه جملة :

١ E. Herzfeld, Hatra, In ZDMG., 68, 1914, 663, U. Kahrstedt, Artabanss, III, 67, Die Araber, I, S., 275, Th. Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber, 1879, 33, F. Altheim, Die Krise der Alten Welt, I, 1943, 132, 206. Die Araber, I, S. 276. ٢

٣ مجلة سومر ، المجلد الحادي والعشرين ، ١٩٦٥ ، (كتابات الحضر) ، لفؤاد سفر ، (ص ٢٢) .

٤ سومر ، العدد المذكور (النص رقم ٢٢٣) (ص ٢٨) .

٥ راجع السطر ١٤ ، وهو السطر الأخير من النص المذكور ، مجلة سومر ، السنة (١٩٦١) ، المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني ، (ص ١٢ ، ١٥ ، ١٧) .

« وبالخطوط العائدة الى العرب »^١ ، وهي جملة ذات دلالة مهمة بالطبع ، لأنها تشير الى العرب ووجودهم في هذه المنطقة ، كما ذكر فيه (عربوا)^٢ ، ولأسم إقليم (عربايا) شأن كبير ، لأنه نسبة الى العرب ، وفيه تقع مدينة الحضر. أما أسماء ملوك الحضر ، فهي أسماء غير عربية النّجار ، يظهر على بعضها أنها إيرانية ، وعلى بعض آخر أنها لإرمية . غير ان علينا ان نفكر في أن التسميات لا يمكن ان تكون أدلة يستدل بها على أصل الناس . فقد كانت العادة تقليد الأجانب ومحادثهم في اختيار أسمائهم ، ولا سيما عند الحكام والملوك . فقد كانوا يختارون لهم في كثير من الأحيان أسماء أو ألقاباً من الدول القوية التي تتحكم في شؤونهم والتي لها سلطان عليهم . فقد لقب جماعة من ملوك (اليطوريين) أنفسهم بـ (بظلميوس) ولقب نفر منهم أنفسهم بـ (ليسناس) *Lysanias* وبـ (فيلبيون) *Philippion* ، وهي من التسميات اليونانية ، مع أن الإيطوريين ليسوا يونانيين^٣ . كذلك نجد اللحيانيين يقلدون اليونان ، فيلقبون أنفسهم بـ (بظلميوس) ، مع أنهم عرب ، وهكذا قل عن أهل (الرها) و (تدمر) وأمثالهم فلأنهم هم وملوكهم قد قلدوا اليونان في أسمائهم وفي اتخاذ ألقاب يونانية لهم ، وهم مع ذلك ليسوا من اليونان . ولهذا لا نستطيع أن نحكم على أصل الانسان استناداً الى الألقاب والأسماء . وينطبق هذا الرأي على ملوك الحضر أيضاً ، فإن (سنطروق) وهي تسمية إيرانية فرثية ، لا يمكن أن تقوم دليلاً على ان أصله من الفرث^٤ .

ويلاحظ ان كثيراً من كتابات الحضر ، لا يكتفى فيها بذكر اسم الشخص واسم أبيه ، وانما يذكر فيها اسم جده أيضاً ، واسم والد جده أحياناً . وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ستة أجداد . ونجد هذه الطريقة في الكتابات الصفوية كذلك ، وقد استدلل (اينو ليتمان) *E. Littmann* من طريقة تدوين الصفويين لأنسابهم على هذه الصورة على أنهم عرب ، لأن العرب يعتنون بالنسب أكثر من عناية غيرهم به ، فيذكرون أسماء الآباء والأجداد . ولذهب بعض أهل الحضر هذا المذهب في تدوين أنسابهم ، رأى بعض الباحثين ان أصحاب هذه الكتابات

١ العدد المذكور (سطر ١٠) من النص .
٢ العدد المذكور (سطر ١٤) .
٣ *Die Araber, I, S. 278.*
٤ *Die Araber, I, S. 280.*

هم من أصل عربي^١ .

وما زال تأريخ الحضرة غامضاً ناقصاً ، فيه فجوات واسعة ، لم تملأ حتى الآن . ويرى الذين عنوا بدراسة تأريخها أنها تعود الى القرن الأول قبل الميلاد ، وربما امتد تأريخها الى ما قبل ذلك . وأما ازدهارها ، فقد كان في أيام (الفرث) Parthians ، وهم (الاشكانيون) و (ملوك الطوائف) في الكتب العربية . وقد عاركت (الرومان) و (الساسانيين) ، وتعرضت للخراب والدمار في أيام (سابور) المعروف بـ (سابور الجنود) في الكتب العربية ، وذلك سنة (٢٤١) للميلاد . ولم تتمكن بعد هذا الحادث من استعادة نشاطها وقوتها، فذكر ان جيشاً رومانياً مرّ بها سنة (٣٦٣) للميلاد ، فوجدتها خراباً^٢ .

ومن ملوك الحضرة ، الملك (سنطروق) ، وقد ورد اسمه في طائفة من الكتابات . ويظهر انه كان مؤسس سلالة ملكية من السلالات التي حكمت هذه المدينة . وقد عرف ابوه باسم (نصر و مري) (نصر)^٣ . ولعله كان اول من ملك الحضرة . ويظهر ان اباه لم يكن ملكاً ، ولكن كان كاهناً . وقد ورد اسمه في نص رقم برقم (٨٢) من نصوص الحضرة ، مؤرخ بسنة (٣٨٨) من التقويم السلوقي ، الموافق لسنة (٧٧) للميلاد . ومعنى هذا ان الملك (سنطروق) كان يحكم في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد . ولا يستبعد ان يكون قد حكم قبل هذا العهد . ويعد هذا النص من اقدم النصوص المؤرخة التي عثر عليها في هذه المدينة^٤ .

وقد عثر على كتابات اخرى ، ورد فيها : (سنطروق ملك بن نصر و مريا)^٥ . ولورود جملة (ملك العرب) بعد اسم الملك شأن كبير بالطبع ، لأنها توضح علاقة هذا الملك بالعرب بكل جلاء .

وقد أمكن الحصول في هذا اليوم على أسماء عدد من حكام الحضرة . منهم : (اورودس) (وروود) ، وكان يلقب بلقب (مريا) ، اي (السيد)

Die Araber, I, S. 280.

١ مجلة سومر ، المجلد الثامن ، الجزء الاول (١٩٥٢) (ص ٣٩ وما بعدها) .

٢ لعله (نصر و مديا) .

٣ مجلة سومر ، (١٩٦١ م) المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني (ص ٢٢ وما بعدها) .

٤ سومر ، العدد المذكور (ص ٢٢) ، حاشية (٣) .

و (الرئيس) . و (نصرو) (نصر) ، وقد لقب بلقب (مريا) كذلك . وهو ابن (نثرى هبه) (نثرى هاب)^١ ووالد الملك (سنطرق) (سنطروق) الموسوم بـ (الأول) . ثم (ولس) (ولس) (ولوجس) ، وقد لقب بـ (مريا) أي (الرئيس) في أحد النصوص ويلقب (ملكا ذي عرب) ، أي (ملك العرب) (ملك الأعراب)^٢ ، في نص آخر . مما يدل على أنه عاف لقب (مريا) ، أي السيد أو الرئيس ، الذي لقب به في أول عهده بالحكم ، وهو لقب أسلافه ، واستبدله بلقب (ملك) . وهو أضخم من لقب (مريا) بالطبع .

وقد عثر على تمثال كتبت على قاعدته جملة : (تمثال ولس ملك العرب) . وقد أقام ذلك التمثال وأمر بتسطير الكتابة (جرم اللات بن حي)^٣ .

ثم الملك (سنطرق) (سنطروق) الأول ، وهو ابن (نصرو) (نصر) (نصر و مريا) ، وقد لقب بـ (ملكا ذي عرب) ، أي (ملك الأعراب)^٤ وقد كان حكمه في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد (٧٧ = ٧٨ م)^٥ . ثم الملك (عبد سميا) ، الملقب بلقب (ملكا ذي عرب) (ملكا ذي عرب) ، وهو والد الملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني^٦ .

والملك (سنطرق) (سنطروق) الثاني ، وهو ابن الملك (عبد سميا) ، هو والد ملك آخر اسمه (عبد سميا) كذلك^٧ . وملك آخر اسمه (معنا) (معني) أي (معن) في عريتنا^٨ .

ولعل (تراجان) (٩٨ - ١١٧ م) الإمبراطور الروماني ذا المطامع الواسعة في الشرق الأدنى ، كان قد فكر في الاستيلاء على الحضر في عهد (سنطرق) (سنطروق) أو أيام (عبد سميا) . اذ عثر على منار في طريق سنجار دون عليه اسمه ، يشير الى وصوله الى هذه المواضع من العراق . ولكن الرومان لم

-
- ١ النص رقم ١٩٤ ، Die Araber, IV, S. 266.
 - ٢ النصوص : ١٤٠ ، ١٩٣ ، Die Araber, IV, S. 266.
 - ٣ Nr. 193, Die Araber, IV, S. 260.
 - ٤ النص ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ .
 - ٥ Die Araber, IV, S. 266.
 - ٦ النص ١٩٥ .
 - ٧ النص ٢٨ و ٣٦ و ١٩٥ ، Die Araber, IV, S. 267.
 - ٨ راجع النص في : Die Araber, II, S. 249, 267.

يتمكنوا من الاستيلاء على الحضر ، وبعد ان حاصروها مدة ، تراجعوا عنها ، لأنهم وجدوا صعوبة في فتحها ، وعادوا الى (أنطاكية)^١ .

وقد ورد في النص (١٣٩) اسم (نثرى هب) ، وهو ابن (نوهرا) ، وهو ابن (سنطرق) (سنطروق) ، الملقب بلقب (ملكا) اي (الملك)^٢ . ويظن ان حكم (اثل ملكا) ، اي الملك (اثل) (أثال) او (اثال الملك) بتعبير اصح ، والذي ورد اسمه في النصوص ، دون ان يذكر اسم والده ، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد ، او في النصف الثاني منه ، وهوملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين^٣ .

واما (برسميا) ، فقد كان من معاصري (سبتيميوس سيفيروس) Septimius Severus الذي كان حكمه في حوالي السنة (١٩٣) الى السنة (٢١١) بعد الميلاد^٤ . وكان من خصومه المزعجين . فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن اسوار مدينته حتى اكبره على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها ، بسبب العطش الذي اثر في جيشه ، على حين كان الماء كثيراً في المدينة مخزوناً عندهم . وبسبب المقاومة العنيفة التي اظهرها الفرسان العرب ، وإلقاء اهل الحضر ، قتابل النفط على جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها^٥ .

ولما ظهرت الدولة الساسانية كانت الحضر على صلات طيبة بالرومان . وكانت تلعب دوراً خطيراً في عالم التجارة لموقعها المهم بالنسبة لطرق القوافل لذلك الوقت ، فتحرش بها الساسانيون وغزوها ، ثم دمروها في الأخير ؛ وكان سبب ذلك هو أن (اردشير) الأول ، مؤسس الدولة الساسانية ومهدم كيان الدولة الأشكانية ، دولة الفرث ، لما انتصر على دولة الفرث ، حارت الدويلات الصغيرة ، وفي جملتها حكومة الحضر . في أمرها ، وظنت أن النصر سيكون للفرث ، فوقفت موقف الحذر من الساسانيين ، ورأى ملك الحضر (الضيزن) أن من الأصلح له

Dilleman, Haute Mesop., 129.

Die Araber, IV, S. 259, A. Caquot 258. ، سومر ١٩٦١ ، ٢

Die Araber, IV, S. 267. ٣

Die Araber, IV, S. 267. ٤

Dio Cassius, LXXVI, 2.3, LXXVI, 9.4, II, 12, Herodian, III, 9, 12, Fr. Stark, ٥

Rome on the Euphrates, PP. 255.

ان ينضم الى الرومان الذين كانوا قد توجهوا نحو الشرق ، واستولوا على (ميديا) ، وان يهاجم الفرس . فهاجمهم وتغلب عليهم في معركة (شهرزور) كما تذكر الموارد العربية ، وأسر بئراً من بنات ملك الفرس^١ . وكان ذلك في حوالي السنة (٢٣٢) للميلاد تقريباً . فسار (سابور) الأول ، وهو (سابور الجنود) ، وهو ابن الملك (أردشير الأول) ، الى الحضرة يريد الانتقام من (الضيزن) ، فتحصن (الضيزن) ، وأناخ (سابور) على حصنه أربع سنين ، من غير أن يتمكن من فتحها ، ثم ان ابنة للضيزن اسمها (النصيرة) رأت (سابور) ف وقعت في حبه ، فراسلته وأرشدته الى طريقة يتمكن بها من احداث ثغرة في سور المدينة ففتحها ، واستولى عليها وقتل أباه ، وأباد أهل المدينة ، وأخذ (سابور) النصيرة فأعرس بها بعين التمر ، ثم تذكر خيانتها (فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غدائرها بذنبه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً)^٢ .

وقد تعرض (الطبري) لمدينة الحضرة ، فقال : (وكان بحيال تكريت بسين دجلة والفرات مدينة يقال لها : الحضرة ، وكان بها رجل من الجرامقة ، يقال له : الساطرون ، وهو الذي يقول فيه أبو دواد الإيادي :

وأرى الموت قد تدلى من الحضرة على ربّ أهله الساطرون

والعرب تسميه الضيزن ، وقيل : إن الضيزن من أهل باجرمى . وزعم هشام بن الكلبي انه من العرب من قضاة ، وانه الضيزن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة ، وان امه من تزويد بن حلوان اسمها جيهلة ، وانه انما كان يعرف بأمه . وزعم انه ملك ارض الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وان ملكه كان قد بلغ الشام ، وانه تطرّف من بعض السواد في غيبة كان غابها الى ناحية خراسان سابور بن أردشير . فلما قدم من غيبته ، اخبر بما كان منه . فقال : ذلك من فعل الضيزن ، عمرو بن إله بن الجُدّي بن الدهاء بن جشم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ... فلما

١ مجلة سومر ، المجلد الثامن (١٩٥٢ م) ، الجزء الاول ، (ص ٤٣) .
٢ الطبري (٤٩/٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٨١/١ وما بعدها) ،
Die Araber, III, S. 108.

اخبر سابور بما كان منه ، شخص اليه حتى اناخ على حصنه ، وتحصن الضيزن في الحصن ، فزعم ابن الكلبي انه اقام سابور على حصنه اربع سنين ، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول الى الضيزن^١ . ثم ذكر قصة ابنة الضيزن مع سابور وخيانتها لآبيها وكيف كان مصيرها .

ويذكر (الطبري) في روايته التي يرفعها الى (ابن الكلبي) ، ان سابور اباد أفناء قضاة الذين كانوا مع الضيزن ، فلم يبق منهم باق ، واصيبت قبائل من بني حلوان ، فانقرضوا ودرجوا . ثم ذكر في ذلك شعراً نسبته الى (عمرو بن إله) ، وكان مع الضيزن^٢ .

وروى (ابن خلدون) ان الملك بالحضر كان لبني العبيد بن الأبرص بن عمرو ابن اشجع بن سليح ، وكان آخرهم (الضيزن بن معاوية بن العبيد) المعروف بالساطرون^٣ . وذكر (البكري) ان (سابور ذا الأكتاف) لما اغار على الحيرة وهزم أهلها ، سار معظمهم الى الحضر ، يقودهم (الضيزن بن معاوية التنوخي) فنزلوا به ، وهو بناء بناه الساطرون الجرهماني ، فأقاموا به مع الزباء ، فكانوا رجالها وولاء امرها . فلما قتلها (عمرو بن عدي) ، استولوا على الملك حتى غلبتهم غسان . وقد فرق البكري بين الضيزن والساطرون^٤ .

وقد ورد في أثناء القصص المروي عن الضيزن والحضر شعراً نسبوا بعضه الى (أبي دؤاد الإيادي) ، وبعضه الى (الأعشى ميمون بن قيس) ، وبعضاً آخر الى (عمرو بن إله) وبعضاً الى (عدي بن زيد العبادي)^٥ . ونجد في شعر الأعشى ، خبر حصار (شاهبور الجنود) حولين للحضر ، وذكر (عدي ابن زيد العبادي) في شعره أن صاحب الحضر شاد حصنه بالمرمر . وجلله كلساء ، ولطير في ذراه وكور . ثم باد ملكه . فصار بابه مهجوراً ، بعد أن كانت دجلة تجي له والخابور^٦ . وهو من هذا الشعر الحزين الذي يغلب عليه طابع الموعظة

- ١ الطبري (٤٧/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، أيضا (الضيزن بن جلهمة أحد الأحراف) ، البلدان (٢٩٠/٣) ، في الأغاني (جبهلة) ، الأغاني (١٤٠/٢) .
- ٢ الطبري (٤٩/٢) .
- ٣ ابن خلدون (٢٤٩/٢) .
- ٤ معجم ما استعجم (ص ١٧) (طبعة وستنفلد) ، المشرق : السنة الخامسة عشرة ، الجزء ٧ ، تموز ١٩١٢ ، ص ٥١٦ ، Ency., II, P. 207.
- ٥ الطبري (٤٧/٢ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٨١/١ وما بعدها) .
- ٦ الطبري (٥٠/٢) .

واحتقار الدنيا وازدائها ، وهو طابع أغلب الشعر المنسوب الى الشاعر البائس .
والساترون، هو (سنطروق) في كتابات الحضرة ، حرف ، فصار الساطرون
عند أهل الأخبار^١ . وهو لفظ إيراني الأصل انتقل من اللسان الإيراني الى لغة
بني إرم ، فصار (سنطروق) ، وصير (سنطروس) في اللغة الإغريقية .
وقد عرف بهذا الاسم أحد الملوك الفرث (الاشكانيين) (سنة ٧٦ أو ٧٥ - حتى
٧٠ أو ٦٩ ق. م.)^٢ .

وإذا أخذنا برواية (الطبري) من أن (الساطرون) كان من الجرامقة ،
فمعنى ذلك أنه كان من (بني إرم) ، أي من الآراميين . وهم سكان (جرمقايه)
(جرمقايه) الواقعة شرق دجلة جنوب (الزاب) الصغرى ، وقد عرفوا بالجرامقة
نسبة الى هذه الأرض^٣ . وإذا أخذنا بروايته أيضاً من أن الساطرون كان يعرف
بالضيزن ، وأن (الضيزن) هو من أهل (باجرمى)^٤ ، فإن في الرواية الثانية
تأييد للرواية الأولى من أن الساطرون كان من بني إرم ، ولم يكن من العرب^٥ .

غير أن (ابن الكلبي) يقول انه من العرب وانه من قضاعة من جهة الأب،
وانه من (تزيذ) من جهة الأم ، وانه ملك أرض الجزيرة ، وان ملكه بلغ
الشأم ، وكان معه من (بني عبيد بن الأجرم) وقبائل قضاعة . وانه انتهز
فرصة غياب (سابور بن أردشير) الى ناحية خراسان ، وتطرف في بعض ناحية
السواد . فلما قدم (سابور) من غيبته أخبر بما كان منه ، فشخص اليه حتى
اناخ على حصنه اربع سنين في رواية (ابن الكلبي) ، وحوالين كما جاء في شعر
(الأعشى)^٦ .

وقد انكر (نولدكه) رواية (ابن الكلبي) بشأن حصار (سابور) للحضر .
وقد كانت الحضرة قد فتحت في عهد (أردشير) الأول ، وذلك قبل وفاته في

١ Ency., II, P. 207, Herzfeld, In ZDMG., LXVIII, Nöldeke, Gesch. der Perser und Araber, S. 33.

٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن الجزء الاول ، (ص ٤٠) ،
Die Araber, IV, S. 267.

٣ Die Araber, III, S. 13, IV, S. 108.

٤ الطبري (٤٧/٢) (دار المعارف) .

٥ Die Araber, III, S. 108.

٦ الطبري (٤٧/٢) .

سنة (٢٤١) للميلاد . وكان ابتداء حكم (سابور) الأول سنة (٢٤١) ، لذلك رأى (نولدكه) وغيره ان قصة (الضيزن) لا علاقة لها بهذا (السابور) ، بل بملك آخر من ملوك الساسانيين . وان (الضيزن) المذكور كان رئيساً من رؤساء قبائل عربية متنفذة كانت تغير من (الجزيرة) ومن الغرب على ارض السواد^١ .

ورجحوا كون (سابور) اهل الأخبار هو (سابور) الثاني الذي حكم من سنة (٣٠٩) حتى سنة (٣٧٩) للميلاد . وقد عرف هذا الملك بغزوه للعرب، وهو صاحب (الأنبار) و (خندق سابور) الذي حفره لحماية الأرض الحصبة المأهولة من هجمات الأعراب . وقد كان هذا الملك قد غزا (خراسان) وغزا ارض بكر وتغلب التي تقع بين الروم والفرس (المناظر) ، وحيث كانت تنزل قضاة ايضاً^٢ .

وقد رأى بعض الباحثين ان تعبير (سابور الجنود) (شاهبور الجنود) الوارد في شعر (الأعشى) و (عمرو بن لثة) تعبيراً يشير الى ان (سابور) المذكور لم يكن ملكاً ، بل كان قائداً من قادة الجيش ، وان هذا التعبير هو ترجمة لمصطلح (اسبهيد) spahbad الذي يعني (صاحب الجيش) . وان المقصود به رجل اسمه (شاپور) (سابور) وكان بدرجة (اسبهيد) (اسبهيد) على (السري) ، وذلك في أيام (قباد) الأول (٤٨٨ - ٥٣١ م) . واما (الضيزن) ، فهو عامل من العمال العرب من سادات القبائل ، قد يكون (طيزانيس) الذي كان في أيام (قباد) ، الذي يجوز أن يكون صاحب المدينة المسماة (طيزن آباد) و (مرج الضيائن) على الفرات^٣ .

ومن القبائل التي ورد اسمها في كتابات الحضرة ، قبيلة عرفت بـ (بني تيمو)^٤ (بني تيم) . وهي قبيلة قد تكون لها صلة بقبيلة ورد اسمها في كتابات عثر عليها في وادي حوران بالعراق ، وفي كتابات عثر عليها في تدمر . ويظهر أنها

١ Die Araber, III, S. 109.

٢ الطبري (٥٥/٢ فما بعدها) (ذكر ملك سابور ذو الاكتاف) .

٣ Die Araber, III, S. III.

٤ سومر ، (١٩٦٥) ، المجلد الحادي والعشرون ، الجزء الاول والثاني ، (ص ٣٣) ،

النص رقم ٢١٤ .

كانت من القبائل المعروفة في الجزيرة وفي بادية الشام في القرن الأول قبل الميلاد فما بعده ، ويدل اسمها على أنها من القبائل العربية المتنقلة التي انتشرت بطونها في منطقة واسعة في ذلك العهد^١ .

هذا ما عرفه أهل الأخبار عن الحضرة وعن أهل الحضرة . فهم على رأيهم من عرب قضاة نزلوا هذه المواضع في زمن لم يحدده ، وأقاموا هناك .

ولا اظن ان ما أورده (ابن الكلبي) عن الحضرة قد جاء به من عنده ، فلا بد أن يكون قد أخذه من موارد فارسية أو أرمية ، وأغلب ظني انه اخذ ذلك عن اهل الحيرة ، وقد كان لرجال الدين فيها من النصارى علم بالتواريخ . أخذوا علمهم هذا من موارد متعددة ، وعنهم نقل ما أورده عن الحضرة .

وأما مملكة (الرها) Edessa ، وتعرف بـ (أورفة) (أرفه) أيضاً ، فإن معارفنا عنها من ناحية صلتها بالعرب لا تزال ضئيلة ، وهي من مدن الجزيرة العليا . وقد أزهرت قبل الميلاد ، وظهرت مثل جملة مدن في هذه المنطقة ، منها : (بتي) ، ونصيبين ، و (سنكارا) Singara أي (سنجار)^٢ .

وقد أدخل (بلينيوس) (الرها) Edessa و Carrhoe = Callirhoe في جملة مدن (العربية)^٣ . ويقال للرها (أورفة) Orrhoe = Orhai في السريانية . وهي من (ديار مضر) المعروفة باسم Orrhoene = Osrhoéne قديماً^٤ . وهي Orroel في تأريخ (بلينيوس)^٥ . ومن جملة الأراضين الداخلة في العربية^٦ ، ومن المدن التي جدد بناءها (سلوقيوس الأول) Seleuces^٧ . وعرفت أيضاً باسم (انطوخية) ، نسبة الى (انطيوخس) Antiochus الرابع^٨ .

١ المصدر نفسه ، القسم الانكليزي (ص ١٠) .

٢ مجلة سومر ، (١٩٥٢ م) ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ، (ص ٣٨) .

٣ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 287.

٤ المشرق : السنة الخامسة عشرة : الجزء ٣ آذار ١٩٥٢ (ص ٢٠١ وما بعدها) ، Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV, Lane, P. 263.

٥ Pliny., V, XX, 85, VI, 25, 129, VI, IX. 25, Vol. II. P. 285, 355, 437.

٦ Pliny., V, XX, 85, Vol. II, P. 284, 285.

٧ Eusebius - Hieronimus, Chron., P. 127.

٨ Pliny., V, XX, 86, Ency., III, P. 993, Hill, P. XGIV.

وقد تكونت في القرن الثاني قبل الميلاد مملكة في هذه المقاطعة، مقاطعة Osrhoene = Orroei . مملكة عدّ الكتبة اليونان والرومان ملوكها من العرب ، وعدّوا سكانها عرباً كذلك ، ويعزو (روستوفتزييف) Rostovtzeff سبب تكونها الى حالة الفوضى التي ظهرت في (ما بين النهرين) على أثر انحلال دولة السلوقيين واحتلال الفرث (الاشكانيين لها)^١ . وذكر (بروكوبيوس) ان هذه المقاطعة انما دعيّت Osroes نسبة الى ملك اسمه Osroes كان يحكم هذه الأرض في الأيام الغابرة ، وكان حليفاً للفرس^٢ .

وقد وجدت اسماء ملوك (الرها) مرتبة ترتيباً زمنياً بحسب حكم الملوك في (حولية الرها) Edessene Chronicle المدونة حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد ، وفي حولية اخرى هي (حولية زقنين) على مقربة من (آمد) المدونة حوالي سنة (٧٧٥) بعد الميلاد، كما وجدت اسماء بعضهم على نقود ضربت في ايامهم^٣ . ويظهر من دراسة هذه الاسماء ان بينها اسماء عربية نبطية ، مثل : (معنو) وهو (معن) ، و (بكرو) وهو (بكر) ، و (عبدو) وهو (عبد) ، و (سهرو) او (سحر) اي (سهر) او (سحر) ، و (أبحر) ، و (مزعور) او (مذعور) . و (وائل)^٤ . وقد استدلل بعض الباحثين من تسمي ملوك (الرها) بأسماء عربية ، ولا سيما الملوك الأولين منهم ، ومن نص (بلينيوس) على ان كورة Osrhoene ، هي كورة عربية ، ومن الوضع السياسي العام في الجزيرة Mesopotamia في القرن الثاني وما بعده قبل الميلاد ، اذ كانت القبائل العربية قد توغلت في هذه المنطقة ، استدلل من كل ذلك على ان اهل الرها وحكامها كانوا من اصل عربي^٥ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار بناء (الرها) الى رجل سمّوه (الرها بن البلندي بن مالك بن دعر) (دعر) ، او الى (الرها بن سبند بن مالك بن

Rostovtzeff, The Social, II, P. 842, Poidebared, Texte, P. X, 72, 94, 129, 138, 148 198. ١

Procopius, I, XVII, 24. ٢

Ency., III, P. 994, Hill, P. XGV, XGVI. ٣

Ency., III, P. 994. ٤

Die Araber, I, S. 312. ٥

دعر بن حجر بن جزيلة بن لحم^١ . وذكر (ياقوت) نقلاً عن (يحيى بن جرير النصراني) ان اسم (الرها) هو (أذاسا) في الرومية ، وقد بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر ، بناها الملك (سلوقس)^٢ . وقد أخذ (يحيى ابن جرير) قوله هذا من كتب سريانية أو يونانية ولا شك . وقد انتزعها المسلمون في سنة (٦٣٩ م) من ايدي الروم^٣ .

ومن آلهة (الرها) ، الإلهان : *Azizus = Azizos* و *Monimos* ، ويرى (مورتدمن) *Mordtmann* أن اسمي هذين الإلهين ليسا إرميين ، ولكنها عريبان أصليان ، وأن أحدهما هو *Azizus* — هو عزيز ، والآخر — وهو *Monimos* — هو عربي كذلك ، وهم منعم . ودليله على ذلك ورود اسميهما في الكتابات اليونانية التي عثر عليها في (الكورة العربية) *Provincia Arabia* . وهما في رأيه من آلهة عرب هذه المنطقة ، وإن أضافهما بعض الكتاب الى السريان الوثنيين . والإله (بعل) و (نبو)^٤ .

وللرها شأن خطير في الأدب السرياني والأدب النصراني وتأريخ النسطورية ، وقد أزهت هذه المدينة خاصة في أواسط القرن الرابع وفي القرن الخامس للميلاد^٥ . وتنسب الى ملكها (أبجر) *Abgar* رسالة قيل إنه بعثها الى (المسيح) ومراسلات مع الحواريين الأولين^٦ .

ويراد بـ (كاليرهو) *Kallirrhoe = Callirhoe* الموضع الذي يعرف اليوم باسم (بركة إبراهيم)^٧ (نبع خليل الرحمان)^٨ . وذكر (بلينيوس) أن سكان (الجزيرة) *Mesopotamia*

-
- ١ البلدان (٣٤٠/٤) ، البكري ، معجم (٤٢٥/١) (طبعة وستنفلد) ، الاصطخري (٧٦) ، ابن حوقل (١٥٤) (ذكر) .
 - ٢ البلدان (٣٤٠/٤) .
 - ٣ *Ency., III, P. 996.*
 - ٤ *Mordtmann, Mythologische Miscellen, In ZDMG., 32, 1878, S. 564, Hill P. XGV.*
 - ٥ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠٤) .
 - ٦ *Eusebius, The Ecclesiastical History, I, XIII, (Kirsopp Lake), (Loeb Classical Library), Vol., I, PP. 85.*
 - ٧ *Hill, P. XGV, Buckingham, Travels in Mesopotamia, 1827, I, III, E. Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, 1883 S. 196.*
 - ٨ المشرق ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩١٢ م ، الجزء ٣ (ص ٢٠١) .

Arabes, Qui Praetavi Vocantur عرباً . مقرهم Singara . أي سنجار . وهو موضع قديم كان معروفاً في أيام الاشوريين . ويظن أن (تراجان) نزل به في أثناء سيره على الحضر قطيسفون Ktesiphon^٧ .

اما Emesa = Homesa = Hemesa أي حمص ، فيشبه تأريخها من أوجه عديدة تأريخ مدينة تدمر . فقد حكمتها أسرة عربية ، وازهر تأريخها في الزمن الذي ازهرت فيه حكومات المدن الأخرى التي ظهرت على اثر الضعف الذي حل بالسلوقيين . وتقع في السهل الذي يرويه نهر العاصي Orontes وعلى مسافة ميل منه . وعرفت بـ Emesa أيضاً عند اليونان والرومان^٢ . وفي أيام (بومبيوس) كانت مدينة Arethusa المجاورة لحمص ، وهي (الرستن) ، مقر أسرة عربية حاكمة^٣ . وفيها ولد القيصر Elagabalus^٤ . وبلغت أوج ازدهارها في أيام (سبتيموس سيفيروس) Septimius Severus وفي أيام Elagabalus واسكندر سيفيروس Alexander Severus ، وكانت أسقفية في عهد البيزنطيين .

وقد استدلل بعض الباحثين من صور أسماء ملوك حمص على أصلهم العربي . فالأسماء Sampsigeramus و Jamblichus = Iamblichus و Azizus و Soemus هي أسماء تحمل طابعاً عربياً خالصاً . وهي أسماء ترد في نصوص صفوية ، وفي نصوص عربية أخرى أيضاً ، مما يحملنا على الذهاب الى ان ملوك حمص هم عرب كذلك^٥ . فالاسم الأول وهو Sampsigeramus يمكن ان يقرأ (شمس جرم) ، والاسم Jamblichus يمكن ان يكون (يملك) او (جميل) او ما شابه ذلك ، والاسم Azizo هو (عزيزو) . اي (عزيز) . واما الاسم Soemus ، فيمكن ان يكون (سخيم) أو (سهيم) او ما شاكل ذلك .

١ Pliny., V, XXI, 86, Vol., II, P. 286, Sarre und Ernest Herzfeld, Archeo. Reise,

I, S. 203, Ency., IV, P. 435, Lane P. 263.

٢ Ency., II, P. 309, Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 54-55, Pauly Emesa.

٣ (الرستن بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء متناة من فوق وآخره نون ، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس ، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدّام حماة) ، البلدان ٢٤٩/٤ .

٤ Ency., II, P. 309.

٥ العرب في سوريا قبل الاسلام، تأليف رينه ديسو، تعريب عبد الحميد الدواخلي، R. Dussaud, 10, Die Araber, III, S. 126. (ص ١١)

وقد كان حكام (حمص) المذكورين كهنة يخدمون هيكل (الشمس) ، شأنهم في ذلك شأن سادات القبائل العربية الذين كانوا كهنة يخدمون آلهة القبيلة ويتحدثون باسمها بين أتباعهم^١ .

وقد ذكر (اصطيفانوس البيزنطي) أن شيخاً عربياً اسمه (مانيكو) Maniko كوّن مشيخة في Chalcis اي (قنسرين) من بلاد الشام^٢ .

وكانت القبائل العربية قد استقرت في هذه المنطقة قبل أيام (اصطيفانوس) بمدة طويلة . وفي (الحيار) ، وهي من أعمال قنسرين ، اصطدم الغساسنة بالناذرة في سنة (٥٥٤) بعد الميلاد ، فانتصر الغساسنة على خصومهم انتصاراً كبيراً . ولما استولى الفرس على (قنسرين) وانتزعوها من البيزنطيين ، كان للقبائل العربية سلطان واسع في مناطق قنسرين وحلب ومنبج وبالس^٣ .

ويعد (الطوريون) Ituraean من القبائل العربية البدوية ، وهي في التوراة من نسل (اسماعيل)^٤ . وهم من نسل (يطور) ابن اسماعيل . وتقع ارضهم بين (اللجاة) Trachonitae والجليل ، وتسمى (جدورا) ، وتقع في جنوب غربي دمشق . وهي من المناطق التي امتزج فيها العرب ببني إرم^٥ .

وقد توسع الطوريون فدخلوا لبنان ، وسكنوا البقاع Massyas ، واستولوا على (بعلبك) Heliopolis ، وتوسعوا نحو الغرب حتى هددوا (جبيل) Byblos وبيروت Berytos . وذلك في أيام ملكهم المعروف بـ (بطلميوس) Ptolmaios ابن Mennaïos^٦ .

وقد استدل بعض العلماء من حشر التوراة الطوريين في (الإسماعيليين) ومن اسم Mennaïos وهو اسم والد الملك (بطلميوس) الذي عاش في القرن الأول

١ Die Araber, III, S. 126.

٢ Rostovtzeff, Vol., II, P. 482, Poidebard, Texte, P. 42, 207.

٣ Ency., II, P. 1021.

٤ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ١٥ : أخبار الأيام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٣١ ، الاصحاح الخامس ، الآية ١٩ ، قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥١٣/٢) ، Paulys, 18 ter Halbband, 2377 - 2378.

٦ Die Araber., I, S. 314.

قبل الميلاد^١ ، ومن عثورهم على اسماء يطورية في كتابات لاتينية ويونانية تشير الى انها اسماء عربية الأصل ، استدلو من هذا كله على انهم من العرب ، وان كانوا قد تأثروا بثقافة بني إرم . فقد تأثر بهذه الثقافة اكثر العرب الشماليين^٢ .

ويعلق بعض العلماء اهمية كبيرة على اسماء الأشخاص في اثبات اصولهم . ووجهة نظرهم هذه في الأسماء ، هي التي جعلتهم يذهبون الى ان من ذكرناهم هم عرب في الأصل ، فان الطابع الظاهر على اسمائهم هو طابع عربي . وترد تلك الأسماء في الكتابات الصفوية ، واصحابها هم عرب من غير شك ، وان دونوا بقلم نبطي وبلغة نبطية . فالنبط انفسهم هم عرب ، كما أشرت الى ذلك في مواضع من هذا الكتاب ، وكما سأشير الى ذلك في مواضع تأتي .

ان تدوين اهل الشرق الأدنى لأفكارهم ولما يحول في خاطرهم بلغة بني إرم وقلمهم ، جعل من العسير على الباحثين الحكم في أصول الشعوب التي دوت بتلك اللغة والتي عاشت في الهلال الخصيب . ويدفعنا هذا التدوين الى وجوب اتخاذ موقف حذر ومتأن في ابداء آراء قطعية في أصول من ذكرنا ، فنظرية الحكم على اصول الناس استناداً الى اسمائهم وان بدت انها نظرية معقولة مقبولة ، لكنها مع ذلك غير علمية . فأكثر اسماء المسلمين في هذا اليوم هي اسماء عربية خالصة ، ما في ذلك شك ، فهل يجوز لنا أن نستنبط من هذه الأسماء بأن حملتها هم من اصل عربي ؟ ثم ان علينا أن نتذكر ان اسماء القبائل والأشخاص عند الشعوب السامية هي متقاربة ومتشابهة ، وهي واحدة في كثير من الأحيان ، بل ان علينا ان نتذكر ان ثقافة تلك الشعوب وآراءها متقاربة . ويعني هذان ان من الواجب علينا الا نتسرع فنحكم بأن ذلك مأخوذ من هذا الشعب أو من تلك الشعوب ، وان ذلك الشعب او هذا هو الأصل ، فسألة تشابه الأسماء وتقاربها في النطق ، لا يمكن أن تكون في نظري ميزاناً توزن به اصول الناس . وهل يعقل ان يكون الأعاجم المسلمون عرباً ، لأن اسماءهم عربية ، او ان زنوج الولايات المتحدة هم من اصل اوروبي لأن اسماءهم اوروبية ؟

١ كان يهدد مدينة (دمشق) سنة ٨٤ - ٨٣ قبل الميلاد ، Die Araber, I, S. 314.

٢ العرب في سورية قبل الاسلام ، رينه ديسو (ص ١١ وما بعدها) ،
Die Araber, I, S. 315.

ويتصل الحديث عن هذه الإمارات بالحديث عن (تدمر) المدينة المعروفة
بـ (بالميرا) Palmyra عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية من الاغريق
واللاتين . وهي (تدمر امورو) في كتابات (تغلات فلاصر الأول) (تغلت
فلاسر) (تغلت فلاسر)^١ في رأي بعض الباحثين^٢ . وسأتكلم عنها بعد حين .

١ (تغلت فلاسر) ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨٨ / ١) .
٢ Ency., III, P. 1020, Syria, Revue D'art Oriental et D'Archéologie, Tome VII,
Paris, 1926, P. 77, Dhorme, Palmyre dans les Textes Assyriens, In Revue
Biblque, 1924, PP. 106, Ency., Brita., Vol., 17, P. 161, Hommel, In ZDMG.,
XLIV, 547.

الفصل الثالث والثلاثون

ساسانيون ويزنطيون

حدث تطور خطير في الشرق الأدنى بعد الميلاد، فقد زالت حكومة (البارثيين) (الفرث) (The Parthians) (البرث) ، في حوالي سنة (٢٢٦ ب. م.) ، وحلت محلها حكومة عرفت بحكومة (الساسانيين) . وهي حكومة نبعت من ثورة على الحكومة السابقة، تولى كبرها ملوك اقوياء اظهروا حزمًا وشدة جعلت الروم يهابونهم ، ويرون انهم مكافئون لهم في القوة . ولم يكن الروم ينظرون الى (الفرث) بهذه النظرة من قبل^١ .

وحدث تطور مشابه في امبراطورية (رومة) ، فقد انقسمت الامبراطورية الى قسمين ، وصارت (القسطنطينية) عاصمه للجزء الشرقي، الذي كوّن الامبراطورية (البيزنطية) ، وذلك في سنة (٣٣٠ م) ، وتولت هذه الامبراطورية لارث النزاع مع الفرس، النزاع الموروث من الاسكندر . واصبحت بحكم وجودها في بلاد الشام وفي مصر على اتصال بالعرب في البر وفي البحر .

وكان لا بد للساسانيين والبيزنطيين من التعامل مع العرب ، ومن استرضائهم، ووضع حساب لهم . فقد كانت لكل من الامبراطوريتين حدود واسعة طويلة معهم كما كان في كل من الامبراطوريتين قبائل ذات شأن نازلة في ارضها في مناطق

J. B. Bury, History of the later Roman Empire, Vol., I, P. 90.

وسيكون رمزه : Bury

حساسة هي حافات الحدود . واما البادية : بادية الشام التي تملأ الهلال الخصيب، فقد كانت مملوءة بقبائل عربية تعرف عند الروم باسم Saracens و Scenites ، وتعني الكلمة الأخيرة سكان الخيام ، او اهل الخيام ، وهي كما قال احد المؤرخين (الكلاسيكيين) في تنقل مستمر وحركة دائمة من مكان الى مكان^١ . اذا وجدت ارضاً خصبة عاشت عليها ، والا كسبت معيشتها بالغزو . تغير على ارض الفرس او الروم ، فاذا جابهتها قوة ، تفهقرت الى البادية حيث يعسر على غير الأعراب ولوجها لتأديبهم . ولهذا لم يكن امام الحكومات الكبيرة الاسترضاء تلك القبائل ، لصيانة حدودها والاستفادة منها في إلقاء الرعب في قلوب الأعداء والخصوم^٢ .

وسلك البيزنطيون السياسة التي سلكها حكام (رومة) من قبلهم، وهي سياسة التقرب الى سادة (أكسوم) ، وعقد اتفاقيات ود وصداقه معهم، لضمان مصالحهم وللضغط على حكام السواحل العربية المقابلة لهم لجلبهم الى جانبهم ولتنعيمهم من التحرش بسفنهم وبتجارهم الذين كانوا يرتادون البحار الى الهند والسواحل الافريقية وقيمون في مواضع من السواحل والجزر على شكل جاليات ، كما هي الحال في جزيرة (سقطرى) . وقد نجحت سياستهم هذه نجاحاً ادى الى غزو الجيش لليمن بتحريض من الروم فيما بعد .

وسلكوا سياسة حكام (رومة) ايضاً في تقوية حدود بلاد الشام وضمان سلامتها من غارات الأعراب أو الفرس عليها ، ببناء سلسلة من الاستحكامات في البوادي وفي مفارق الطرق المؤدية الى تلك البلاد ، وبتقوية (خطة ديوقليطيان) Diocletian الدفاعية الشهيرة التي وضعها ، بالدفاع عن الحدود من مصر الى نهاية الفرات وفي جملتها تحصين مدينة (تدمر) قلب الدفاع ، والمواقع العسكرية الأخرى المقامة في البادية ، لتكون الموانع الأولى للأعراب من مهاجمة بلاد الشام، والرادع الذي يردعهم عن التفكير في الغزو^٣ .

وفي جملة ما اتخذ البيزنطيون من وسائل التأثير في الشرقيين ، وفي جملتهم

Ammianus Marcellinus, Rerum Gestarum, Bk., XIV, 4, I. ١

Bury, I, P. 95. ٢

John Malalas, XII, P. 308, Bury, I, P. 96, Arabien, S. 23. ٣

العرب ، نشر النصرانية ، الديانة التي قبلوها ودانوا بها ، واتخذوها ديانة رسمية للدولة . وفي نشر النصرانية تقريرة لنفوذهم ، وسند لسياستهم في نزاعهم مع الساسانيين . ولهذا نراهم يشجعون إرسال البعثات التبشيرية والارساليات الدينية الى افريقية والى بلاد العرب والى الهند، وينفقون بسخاء لبناء الكنائس في تلك الأرضين يرسلون الخشب النفيس اللازم للبناء ، و (الفسيفساء) التي امتازوا بصنعها ، والعمال الروم المهرة في البناء، لينوا كنائس فخمة جميلة تنهر العيون وتقر الأفئدة، وتؤثر في العقول ، فتجلب إليها الناس وتستهوهم ، وهناك يتلقاهم المبشرون الذين أوفدوا للتبشير، بتلقينهم النصرانية والاخلاص لإخوانهم في الدين وفي طليعتهم الروم بالطبع، وفي ذلك كسب سياسي عظيم. وبذلك صارت (الكنائس) دوراً لعبادة الله، ودوراً للتبشير السياسي والثقافي، ومركزاً أمن مراكز الاستعلامات والتبادل الثقافي في مصطلح هذا الزمن. وتمكنت النصرانية من كسب بعض العرب، فجزتهم إليها . جذبت إليها القبائل الساكنة على حدود الأرياف والأطراف ، اي سكان المناطق الحساسة الدقيقة بالنسبة الى الخطط السياسية والعسكرية للساسانيين ولليزنطيين على حد سواء . وقد كان من سوء المصادفات أن النصرانية كانت قد تجزأت الى شيع ، وان غالبية النصارى العرب تمذهب بمذهب يخالف مذهب الروم ، ولكنها كانت تشعر على كل حال أنها مع الروم على دين واحد. ولهذا لم يحفل ساسة (القسطنطينية) كثيراً بموضوع اختلاف المذهب ، وان تألموا من وجوده وظهوره، فساعدوا نصارى اليمن ونصارى الأماكن الأخرى من جزيرة العرب على اختلافهم عنهم ، وعملوا في الوقت نفسه على نشر مذهبهم بين العرب ، ليتمكنوا بذلك من إيجاد محيط ثقافي سياسي يؤيد البيزنطيين .

وعني الساسانيون بتقوية حدودهم مع البادية كما فعل البيزنطيون ، وكما فعل (الفرث) وغيرهم ممن حكم قبلهم . وسعوا في استرضاء سادات القبائل وأصحاب السلطان من حكام البوادي ، وبنوا (المسالح) في المشارف المؤدية الى أرياف العراق لحمايتها من الغزو ، ولتقوم بتأديب الأعراب ومراقبة حركاتهم وتجمعاتهم، لتكون الحكومة على علم بما يريدون فعله ، ووضعوا في الخليج سفناً لحماية سفنهم من التحرش بها ، ولحماية حدودهم الجنوبية الواقعة على الخليج من التعرض للغزو واقام (أردشير الأول) (٢٢٥ - ٢٤١ م) . عدة موانئ بحرية ونهرية لهذا الغرض .

وتقابل هذه (المسالحي) ما يقال له (المناظر) في عربيتنا بالنسبة الى حماية بلاد الشام . فقد كان اليونان والرومان ثم البيزنطيون قد اقاموا خطوطاً *Limes* من التحصينات اسكنوا بها حاميات ألقوا عليها مهمة الدفاع عن الحدود . وهي تتكون من قلاع *Castella* ومن حصون (أبراج) *Burgi* ومن *Centenaria* و *Turres* . وخطوط التحصينات هذه ، هي (المناظر) عند العرب و (المسالحي) بالنسبة لخطوط دفاع الفرس . وواجبها حماية ما يليها من تحصينات اخرى وحاميات اقيمت على (الخنادق) في الامبراطورية الساسانية ، او ما يقال له *Fossatum* عند الروم . فهي الخطوط الأولى من خطوط الدفاع . اما الذين يقومون بحراستها وبالدفاع عنها ، فانهم لا يتقاضون اجراً ، اي رواتب على عملهم ، لأنهم *Limitanei* كما يقال لهم في اليونانية . ومعاشهم مما يزرعونه بأنفسهم ، او يدفع لهم من غلات الفلاحين الذين يعفون من دفع ما عليهم من استحقاق للدولة . اي ما نسميه بضرائب *Capitatio* . ويختب هؤلاء من السكان المحليين ، ليكون من السهل عليهم السكن في هذه المواضع البعيدة . وعليهم مشرفون من الفرس او الروم لتوجيههم ولقيادتهم في اثناء وقوع غزو او تحرش قبائل بهذه الخطوط .

وشجع الساسانيون مذهب (نسطور) مع انهم كانوا مجوساً ، ولم يكونوا نصارى . شجعوه لأنه مذهب يعارض مذهب الروم ، فانتشر في العراق وفي ايران وفي سائر الأرضين الخاضعة للحكم الساساني . ودخل في هذا المذهب اكثر النصارى العرب في العراق . ومن يدري ؟ فلعلهم ساهموا من طرف خفي في توسيع الشقة بين هذا المذهب ومذهب الروم ولإلقاء العداوة بين هؤلاء النصارى والروم .

كانت بادية الشام ميداناً للقبائل ، تتصارع فيه كيف تشاء . تبرز فيه قبيلة ، ثم ينطفئ اسمها ، لتظهر قبيلة اخرى . ولم يكن ذلك ليهم الدول الكبرى ، ما دام ذلك الصراع في مواضع بعيدة عن حدودها ، فإذا بلغ الحد ، اضطرت تلك الدول الى الوقوف بحزم وصرامة أمامه ، اذا كانت تملك الحزم والقوة .

ولصعوبة قيام جيوشها النظامية بتعقب القبائل المغيرة وملاحقتها في البادية ، عمدت الى استرضاء سادات القبائل الكبيرة ذات العدد الكبير ، بالهدايا والمنح المالية المغرية وبالامتيازات وبالألقاب للقيام بحراسة الحدود ومراقبتها ، وبتعقب القبائل التي قد تتجاسر فتغزو الحدود ، منتهزة مواطن الضعف والثغرات . فالتجاء الساسانيون الى عرب (الحيرة) ، والتجأ البيزنطيون الى الضعجاعة والى اهل تدمر والغساسنة فيما بعد للقيام بهذه المهمة .

ولم تكن مهمة حفظ الحدود مهمة سهلة هينة، حتى على اهل البادية انفسهم ، فنطق القبائل : ان القبيلة اذا كانت قوية ذات بأس ، وشعرت بقوتها ، جاز لها ان تطلب لنفسها ما تشاء وان تغزو من تشاء كائناً من كان . وطالما صار من توكل اليه حراسة الحدود نفسه هدفاً للغزو ، لأنه لم يطعم الغازين ، ولم يقدم لهم ما يرضيهم من ترضيات واعطيات ، او لأن الغازين رأوا في قرارة انفسهم انهم أحق بحماية الحدود من الذين يقومون بحمايتها في هذا الزمن ، ولهذا يرون وجوب انتزاعها منهم بالقوة ، كما انتزعها هؤلاء القائمون بالحماية ممن سلفهم . فلا يكون امام الدول الكبرى غير الموافقة والتسليم ، ودفع الجعالات التي كانوا يدفعونها الى الحرس القديم ، الى الحرس الجدد الذين اظهروا قوة فاقت قوة القدماء في ميدان التنافس والقتال . وما الذي يهم الدول الكبرى في مثل هذه المواقف غير حماية الحدود ؟

ومع رغبة الدول الكبرى في التعامل جهد الامكان مع اصحابهم القدماء الذين اطمأنوا اليهم ، فأوكلوا لهم حراسة حدودهم ، وكانوا يهددون ذلك الحرس بجعل حراستهم الى خصومهم ومنافسيهم إذا ما شعروا بسوء نيتهم أو طمعهم أو إلخافهم في زيادة الجعالات ، او بضعف او تهاون في الدفاع عن الحدود وفي انزال القصاص بالمغيرين . وقد يוכלون الحراسة في الحالات الشاذة الى قوادهم الأشداء . لتعقيب المغيرين . وانزال ضربات شديدة بهم ، الى ان يتفقوا مع حارس جديد او ان يتفق اهل الحارس القديم على اختيار شخص جديد كما في حالات وفاة احدى رؤساء آل نصر او آل غسان .

وليس من الصعب بالطبع على حماة الحدود ادراك الأدوار الخطيرة التي يقومون بها ، والخدمات الكبيرة التي كانوا يؤدونها للدولة التي يتولون حماية حدودها وضبطها من غارات الأعراب عليها . ولهذا صاروا يتحينون الفرص السانحة والظروف

المؤاتية لارغام الدولة على رفع جعلاتهم ولزيادة امتيازاتهم ، والا أضربوا عن الحراسة ، وأثاروا الأعراب عليهم، وهاجموا هم انفسهم تلك الحدود حتى تجاب مطالبهم او يسترضوا ، وعندئذ يقبلون بالعودة الى عملهم . وفي تواريخ المناذرة والغساسنة ، أمثلة عديدة من امثلة خروج امراء هاتين الحكومتين على الساسانيين والبيزنطيين ، لعدم تلبية مطالبهم في زيادة الجعالات وفي الحصول على امتيازات جديدة تزيد على امتيازاتهم السابقة الممنوحة لهم .

وكان من نتائج العداء الموروث بين الساسانيين والبيزنطيين ان انتقلت عدواه الى العرب أيضاً ، فصار اناس منهم مع الفرس ، وآخرون مع الروم ، وبين العربين عداوة وبغضاء ، مع انهما من جنس واحد وكلاهما غريب عن الساسانيين والبيزنطيين . وقد تجسمت هذه العداوة في غزو عرب الحيرة للغساسنة ، وفي غزو الغساسنة لأهل الحيرة ، حتى في الأيام التي لم يكن فيها قتال بين الفرس والروم ، مما أدى احياناً الى تكدير صفو السلم الذي كان بين البيزنطيين والساسانيين ، وتجسمت في شعر المدح والهجاء الذي نجاهه في حق آل نصر او آل لحم ، من الشعراء الذين وجدوا في هذه البغضاء متسعاً لهم ومفرجاً في الرزق . فصار بعضهم يساوم في أجور المدح وفي أجور الذم .

وقد انتهت حدود الأرضين التي خضعت لحكم البيزنطيين او سلطانهم عند حدود (المقاطعة العربية) الجنوبية ، فلم تتجاوزها الى ظهور الاسلام . ولعل محاولة (أبرهة) الاستيلاء على (مكة) كانت خطة سياسية عسكرية من خطط البيزنطيين كانت ترمي الى الاستيلاء على الشقة التي بقيت تفصل بين الروم والحكم الحبشي في اليمن ، فيسيطر بذلك البيزنطيون سلطانهم السياسي على العربية الغربية كلها وعلى قسم كبير من العربية الجنوبية ، ومن يدري ؟ فلعلهم كانوا ييغون من بعد ذلك احتلال العربية الجنوبية كلها ، لغرض سيطرتهم على اهم جزء من خطوط الملاحة البحرية العالمية المؤدية الى الهند والسواحل الافريقية .

اما فيما عدا ذلك من جزيرة العرب ، فلم يكن للبيزنطيين سلطان سياسي او تدخل فعلي . ولهذا انفردت فعاليتهم السياسية والعسكرية مع العرب النازلين في الأرضين التي خضعت لحكمهم ولسطانهم ، ومع عرب بادية الشام وعرب العراق .

ولا نعلم ان ملوك الروم كانوا يرسلون قوافل تجارية خاصة بهم ، لتتاجر مع جزيرة العرب ، او ان حكام مقاطعاتهم في بلاد الشام كانوا يتاجرون باسم حكومتهم او بأسائهم مع بلاد العرب. وكل ما نعرفه هو ان التجار العرب كانوا هم الذين يرسلون القوافل الى بلاد الشام فكانت اذا دخلت مناطق الحدود ، تؤدي ضرائب المرور و (المكس) الى رجال (مصلحة الضرائب) التابعين للروم. وعندئذ يسمح لهم ان يذهبوا الى الأسواق لبيع ما يحملونه وشراء ما يحتاجون اليه . وكانت (بصرى) حاضرة (المقاطعة العربية) ، هي السوق الرئيسية للتجار العرب ، ومنتهى قوافلهم في الغالب . فكانت علاقة اهل الحجاز ، ولا سيما اهل مكة ، بالروم علاقة اقتصادية . وعلى هذه العلاقة كانت تتوقف العلاقات السياسية في غالب الأحيان . فقد كان الروم يزيدون الضرائب احياناً، ويتعسفون في الجباية، فيتضرر بذلك التجار العرب ، فكانوا يشتكون ، ويراجعون حكام المقاطعات ، وقد يرفعون الى كبار القادة والحكام التماساً ، او يرسلون الى عاهل القسطنطينية رسلاً ، كما تقول بعض روايات اهل الأخبار للتوسل برفع هذه المظالم عنهم ولتخفيض الضرائب ، وتنتهي مثل هذه الشكايات بترضيات يراد بها ان تكون ترضيات سياسية ، لتوجيه عرب الحجاز ضد الفرس ، او لفتح المجال لتجار الروم بالمرور من الحجاز الى الجنوب ، أو للضغط على التجار لمنع القبائل من التجاوز على حدود الروم الى ما شاكل ذلك من أمور .

أما ملوك الساسانيين ، فقد كانوا يتاجرون مع العرب. يشترون منهم ويبيعونهم ويرسلون القوافل بأسائهم الى العربية الجنوبية ، لبيع ما تحمله في أسواقها، ولشراء سلع العربية الجنوبية يحملونها الى أسواق العراق . وقد كانوا يوكلون حراستها الى جماعة يختارونهم من سادات القبائل المهيمنين المعروفين ، بمُجْعَل يدفعونه لهم . وسأحدث عن ذلك فيما بعد . ولا أستبعد ان يكون بين تلك القوافل ، قوافل حملت ما كان يرسله الأكاسرة الى عمالهم في اليمن بعد استيلائهم عليها من مؤن وبضائع ، لتعود بما يفضل من الجباية التي يجبيها مراكزهم على اليمن ، لتكون حصنتهم وحصنة الخزينة من مال اليمن .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان جماعة من أهل مكة قد تخصصت بالتجارة مع العراق. وقد كان لها تعامل مع كسرى وربما مع كبار رجال دولته أيضاً من أولئك الذين اقتدوا بملوكهم في الاشتغال بالتجارة وبالنزول الى الأسواق . فلما

نجد أناساً من كبار تجار مكة كانوا يفدون على المدائن، ويتصلون بديوان كسرى، ويتعاملون هناك بيعاً وشراءً. وكانت لهم دالة على ملك المدائن، وربما كان يساعدهم هو نفسه في مال القوافل، أو يجعل له نصيب من الأرباح.

أما حدود الدولة الساسانية مع البلاد العربية، فلم تكن ثابتة، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب الظروف والأحوال. فقد كانت تتوسع أحياناً، وتراجع وتتقلص أحياناً أخرى. كان الساسانيون يتقدمون نحو الجنوب في اتجاه (العروض) وبقيّة الأقسام الشرقية من جزيرة العرب حين تكون لهم قوة بحرية كافية، وكانوا ينسحبون منها حين تضعف هذه القوة، وحين تلهيهم الأحداث الداخلية وحروبهم مع الروم عن التفكير في الجنوب. وقد كان العرب في عهد الساسانيين وقبله قد استوطنوا السواحل الجنوبية من إيران، وهيمنوا عليها، وكان لقبائلهم أثر خطير هناك، ولا سيما قبل أن تكون الدولة الساسانية، إذ وجدوا في انشغال الدولة إذ ذاك في المنازعات الداخلية فرصة ملائمة لهم، فبسطوا سلطانهم على مناطقهم مثل (كرمان) Karmania وغيرها^١، ولهذا كان أول ما فعله مؤسس الدولة الساسانية (أردشير الأول) (٢٢٤ - ٢٤٠ م)، (٢٢٥ - ٢٤١ م) (٢٢٦ - ٢٤١ م) أن حارب عرب هذه الأرضين ليخضعهم إلى حكمه، في جملة سياسته التي قررها. وهي القضاء على الإقطاع وعلى الإمارات التي تعددت في هذا العهد نتيجة ضعف الحكومة.

فوردان (أردشير) سار بعد أن تغلب على خصمه في إيران، لقتال ملك (الأهواز)، فغلبه في معركة حاسمة، واستولى على ولايته، ثم سار نحو (ميسان)، وكان حاكمها عربياً، فاستولى عليها^٢، وبذلك خضع له العرب الساكنون في المناطق الجنوبية من بلاد إيران.

وذكر (حمزة الأصفهاني) أن (أردشير) أبنى مدينة بالبحرين سماها (بتن أردشير)، «وإنما سماها بتن أردشير لأنه بنى سورها على جثث أهلها»، لأنهم فارقوا طاعته، وعصوا أمره، فجعل سافاً من السور لبناءً، وسافاً جثثاً، فلذلك

Die Araber, I, S. 38.

٢ آرثر كريستينسن - تعريب يحيى الخشاب والدكتور عبد الوهاب عزام، إيران، القاهرة ١٩٥٧ م (ص ٧٥).

سماها أردشير^١. ويفهم من هذه الرواية الفارسية التي لا تخلو من الخيال ان أردشير كان قد استولى على البحرين . وقد ورد ان (أردشير) ، كان قد أنشأ عدة موانئ على الأنهار وعلى البحار^٢ ، بعد ان قضى على مقاومة القبائل العربية النازلة في المناطق الجنوبية من ايران، وعندئذ صار من الميسور له ركوب البحر والاستيلاء على البحرين وعلى الأرضين العربية الأخرى من جزيرة العرب . ولهذا نص بعض الكتبة (الكلاسيك) على ان ساحل عمان Oman كان تابعاً للفرس يومئذ ، أي لحكم (أردشير)^٣ .

وذكر الطبري ان (أردشير) بنى بالبحرين مدينة سماها (فنياذ أردشير) وقال انها مدينة (الخط)^٤ .

وفهم من تأريخ (الطبري) ان (عمرو بن عدي) ، وهو أول ملك من ملوك الحيرة ، كان « مستبداً بأمره ، يغزو المغازي ، ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأول ، لا يدين للوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس »^٥ . ولم يشرح (الطبري) صلته بـ (أردشير) . ولكن الذي يتعمق في دراسة معنى هذه العبارة يخرج منها بأن أردشير فرض سلطانه عليه ، وانه أطاعه ، فلم يعد يغزو المغازي، ويصيب الغنائم كما كان يفعل ايام ملوك الطوائف .

أما (سابور الأول) (٢٤١ - ٢٧٢ م)^٦ : وهو ابن الملك (أردشير) مؤسس الدولة الساسانية ، فقد ذكر انه تلقن درساً مهماً في السلوك من (أذينة) ملك تدمر ، اذ يقولون انه لما تمكن من القيصر (فالريان) (فالريانوس) Valerian^٧ وأسرته وانتصر على جيشه انتصاراً كبيراً ، تملكه الغرور والعجب ،

١ تأريخ سني ملوك الارض والانبياء (ص ٣٤) .

٢ العرب والملاح (ص ٩١) .

٣ Die Araber, I. S. 37, 41, 56, 61, 109, 343.

٤ الطبري (٤١/٢) ، (طبعة دار المعارف بمصر) .

٥ الطبري (٦٢٧/١) (دار المعارف) .

٦ « ٢٤٠ - ٢٧٢ م » ، في بعض المراجع ،

Ency., Vol., 4, P. 178, Die Araber, II, S. 67.

٧ « أولاريانوس » ، مختصر تاريخ الدول ، لابن العبري (ص ١٢٨) (بيروت ١٨٩٠) .

وصار يشعر انه ملك الدنيا ، فلما أرسل اليه (أذينة) رسالة مع هدايا تحملها قافلة كبيرة من الجبال ، وصلت اليه في اثناء عودته منتصراً ، تملكه العجب من من تجاسر (أذينة) على مخاطبته بلهجة ليس فيها كثير من التعظيم والتفخيم والاحترام ، وهو (ملك الملوك) و (أذينة) رئيس موضع في البادية ، فأخذته الغزة وأمر برمي هداياه في (الفرات) قائلاً : « ومن هو أذينة Odenathus هذا ؟ ومن أي ارض هو حتى يوجه هذه الرسالة الى سيده ؟ فليأت حالاً اذا اراد ان يخفف من العقاب الذي سينزل به ، وليسجد امامي بعد ان توثق يداه الى ظهره ! » . فلما سمع (أذينة) بهذه الاهانة ، جمع ما عنده من قوة ، وأسرع فباغت الساسانيين مباغطة افزعتهم ، فوقع الرعب فيهم ، حتى تركوا له اكثر ما حصلوا عليه من غنائم من حربهم مع الرومان ، وفقدوا بعض زوجات الملك ، اذ وقعن أسرى في أيدي قوات (أذينة) . ولم يكتف ملك (تدمر) بهذا الانتقام ، بل اسرع في سنة (٢٦٣ م) فهاجم الجزيرة ، فانتصر على (سابور) ، ثم حاصر عاصمته (طيفسون)^١ .

وقد استمر الساسانيون في محاربة (أذينة) رجاء التغلب عليه والانتقام منه الى سنة (٢٦٥ م) من غير جدوى ، اذ قتل (أذينة) دون ان يتمكن (سابور) من أخذ الثأر منه^٢ .

ولما تغير الزمن ، واتبعت (الزباء) سياسة معادية للرومان ، وحاصرها (أورليان) Aurelian . اتصلت بالساسانيين رجاء الحصول منهم على مساعدة عسكرية ، لتخلص بها منهم ، إلا أن الملك (بهرام) لم ينجدها ، فسقطت أسيرة في أيدي الرومان سنة (٢٧٢ م) ، واخذ نجم المدينة المهمة التي اتخذها (هادريان) Hadrian قاعدة عسكرية لحماية حدود بلاد الشام من المغيرين ، في الأقول منذ ذلك الحين . وكان تقاعس (بهرام) عن مساعدة (الزباء) من ضعف سياسة ذلك الملك : الذي لم يكن ذا همّة في ادارة الملك^٣ .

١ Sir Percy Sykes, A History of Persia, Vol., I, P. 402.

٢ آرثر كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين (ص ٢١٣ فما بعدها) ،
Ency., Vol., 4, P. 312, Pauly-Wissowa, 2, II, Reihe, I, 2328, 2331.

٣ ايران في عهد الساسانيين (ص ٢١٥) ،
Sykes, History of Persia, Vol., I, P. 207.

ولا نعلم شيئاً يذكر بعدئذ عن صلات الفرس الساسانيين بالعرب منذ عهد (بهرام الأول) الى عهد (سابور الثاني) (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، فالموارد صامتة لا تتحدث عنها بأي حديث ، الى عهد هذا الملك ، وانما هي تتحدث عن غارات قاسية أغارها هذا الملك على العرب في المنطقة العربية من ايران وفي الخليج العربي وفي العراق .

ومحدثنا (المسعودي) ، أن (سابور بن هرمز) المعروف بـ (سابور ذي الأكتاف) (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، كان قد أوقع في العرب موقعة عظيمة ، وذلك لأن القبائل العربية وفي طليعتها قبيلة (إياد) ، كانت قد غلبت على سواد العراق ، وأطبقت على البلاد ، ولذلك قيل لها (طبق) في أيام ملكها (الحارث ابن الأغر الإيادي) ، وكانت تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق ، فلما كبر (سابور) واخذ أمور الملك بيده من مستشاريه ووزرائه ، إذ جاء الملك اليه بوفاة أبيه وكان في بطن أمه — اراد الانتقام من إياد ، واخضاعها للساسانيين ، كما كانت من قبل ، فأرسل سراياه نحوها ، وكان في حبسه رجل من إياد ، اسمه (لقيط) ، سمع بعزم سابور فأرسل اليها شعراً ينذرها به ، ولكنها لم تحفل بانذاره ، ففاجأها جيوشه ، وأوقعت بهم ، فافلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ، وخلع بعد ذلك اكتاف العرب ، فسمي سابور ذا الأكتاف^١ .

وفهم من البيت الأول من شعر لقيط ، وهو قوله :

سلام في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من إياد^٢

أن إياداً كانت قد استبدت في أرض الجزيرة ، وعصت الفرس هناك وكانت قد استوطنت منذ أمد فيها ، ولذلك حذرها (كسرى) .
واذا كان هذا البيت الذي نسب الى (علي بن أبي طالب) :

لقريب من الهلاك كما أهد لك سابور بالسواد إيادا

١ مروج الذهب (٢١٥/١ وما بعدها) .

٢ الأغاني (٢٤/٢٠) ، الآمدي ، المؤلف (ص ١٧٥) .

حقاً وصحيحاً ، فإن قوله هذا يكون أقدم مورد جاء فيه خبر ايقاع (سابور) بإياد^١ .

وفي خبر (المسعودي) وهم^٢ وتسرع فإن الذي حارب لإياداً وأنزل بهم خسائر فادحة ، لم يكن (سابور ذا الأكتاف) ، بل كان (كسرى أنو شروان) ، او (كسرى بن هرمز) ، وان (كسرى) هذا ارسل جيشاً ضدهم ، وضعه بقيادة (مالك بن حارثة) ومعه قوم من (بكر بن وائل) فأرسل عندئذ (لقيط) اليهم انذاره فلم يحفلوا به ، فوقع بهم خسائر كبيرة في (الحرجية) ، وفر^٣ قسم كبير منهم الى بلاد الشام^٤ .

وينسب بعض الرواة الشعر المذكور الى (عمرو بن جدي) ، ويرجع جماعته من الرواة ايام (لقيط بن معمر) الى ايام (كسرى أنو شروان) (الأول) . وفي القولين دلالة على ان الأبيات الشعرية التحذيرية لا يمكن ان تكون قد أرسلت في ايام (سابور) المذكور ، بل في ايام ملك آخر حكم بعده بسنين^٥ .

وفي رواية اخرى ان (سابور) سار في البلاد حتى أتى بلاد البحرين، وفيها يومئذ بنو تميم ، فأمن في قتلهم ، ففر^٦ من قدر منهم على الفرار، فأراد اللحاق بهم ، ولكن (عمرو بن تميم بن مر) ، وهو سيد تميم يومئذ ، وكان قد بلغ ما بلغ ، تحدث اليه حديثاً لطيفاً أقنعه بالكف عن بقي ، فتركهم وشأنهم^٧ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان السبب الذي دعا بـ (سابور) الى الفتك بالعرب ، هو ان القبائل العربية كانت قد توغلت في جنوب ايران ، وصار لها سلطان كبير هناك ، وتزايد عددها ، ثم صارت تتدخل في الأمور الداخلية للدولة الساسانية . فلما أخذ الأمور يديه ، بدأ يضرب هذه القبائل ، للقضاء على سلطانها ثم قطع البحر ، فورد (الخط) ، فقتل من بلاد البحرين خلقاً كبيراً ، وأفشى القتل في (هجر) ، وكان بها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس . ثم عطف على بلاد عبد القيس فأباد اهلها ، الا من هرب منهم فلحق

Ency., Vol., 4, P. 315. ١

Ency., II, P. 565. ٢

Die Araber, III, S. III. ٣

مروج الذهب (٢١٧/١) ٤

بالرمال ، ثم أتى اليمامة فقتل بها كثيراً أيضاً ، وسار على خطة طمّ المياه وردم الآبار ، ليحرم الناس الانتفاع بها . ثم سار حتى بلغ قرب (المدينة) ، فقتل من وجد هناك من العرب ، وأسراً . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس و (مناظر الروم) بأرض الشام ، ففعل بها ما فعله في الأرضين الأخرى ، وأسكن من كان من بني تغلب من البحرين (دارين) واسمها (هيج) و (الخط) ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم (هَجَرَ) ، ومن كان من بكر بن وائل (كرمان) وهم الذين يدعون (بكر بن أبان) ، ومن كان من بني حنظلة ب (الرميّة) من بلاد الأهواز .

فحملة (سابور) على البحرين وساحل الخليج ، إنما هي جزء من الحملة العسكرية التي وضعها ذلك الملك للقضاء على نفوذ القبائل العربية التي كانت قد سكنت السواحل الجنوبية من إيران وأقامت بها قبل أيامه بزمان . والظاهر أنها انتهزت فرصة ضعف الدولة الساسانية ، وتناحر الرؤساء ورجال الجيش على السلطة فأخذت تزحف نحو الشمال وتقوي سلطانها في الأرضين الجنوبية من المملكة ، فلما انتقل الحكم إلى (سابور) وكان من سياسته إعادة السلطة المركزية للدولة والقضاء على الاقطاعيين وعلى منازعي الحكومة ، حمل على عرب إيران ، حملة شديدة عنيفة حتى أخضعهم ، ثم نزل نحو الجنوب فعبرت جيوشه إلى جزر البحرين والسواحل العربية المقابلة ، فأوقع بالعرب وآذاهم على نحو ما نجد وصفه في كتب أهل الأخبار .

وقد كان نزوح العرب إلى إيران عن طريق البحر ، حيث زحف أهل ساحل الخليج من الخط والبحرين وكاظمة وعمان ، إلى السواحل المقابلة : السواحل الجنوبية من أرض الفرس . كما نزحوا إليها من مملكة (ميسان) Mesene ، فتوغلوا شرقاً إلى (عيلام) Elam ، أي (خوزستان) ثم الأقسام الجنوبية من فارس . ويفهم مما كتبه (كورتوريوس روفوس) Curtius Rufus ، الذي عاش في العشرات الأولى من القرن الثالث للميلاد ، أن العرب كانوا إذ ذاك في (كرمان) وفي (فارس)^٢ . ولا بد وأن يكون وجودهم في هذه الأماكن قبل هذا العهد

١ الطبري (٦٧/٢) ، (٥٧/٢) ، « دار المعارف » .

٢ Curtius Rufus, I, 36-39, Die Araber, II, B. 345, 349.

بأمد طويل . وذلك مما يؤيد ما جاء في تأريخ (الطبري) وغيره من وجود العرب في ايران قبل قيام حكومة الساسانيين .

وقد أنشأ (سابور) اسطولاً قوياً في الخليج العربي ، ليحافظ على حدود امبراطوريته ، وعلى التجارة في هذا الماء ، مع مساهمة أهل الخليج العرب أنفسهم في ركوب البحر وفي نقل التجارة ما بين الهند وسيلان وجزيرة العرب والعراق . ويظهر من روايات أهل الأخبار ان (سابور) نفسه كان في الأسطول الذي وصل الى البحرين للانتقام من العرب الذين كانوا يهاجمون سواحل حكومته الجنوبية المطلة على الخليج^١ .

وفي رواية اخرى نقلها (الطبري) من مورد آخر غير مورد ابن الكلبي : ان سابور ، بعد ان اثنى في العرب وأجلاهم عن النواحي التي صاروا إليها ، مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليامة ، استصلح الغرب^٢ ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوَّج والأهواز^٣ ، وقد كان ذلك بعد حربه مع الروم . والظاهر ان الأوضاع السياسية اضطرتّه الى استصلاح العرب ، بعد ان تبينت له صعوبة الاستمرار في سياسة العنف والقوة الى أمد غير معلوم ، وبعد ما وجد من خطر في الاستهانة بشأن القبائل ، ولا يستبعد أن يكون للدرس الذي تعلمه من (أذينة) نصيب في هذا التبدل الذي أدخله على سياسته .

ويتبين من وصف (الطبري) لحملات (سابور) على العرب ، انها كانت حملات واسعة ، شملت أرضين بعيدة . بدأت بمن نزل أرض فارس من العرب ممن أناخ على (أبر شهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس) ، ثم السواحل المقابلة لإيران من بلاد العرب ، ثم امتدت نحو الغرب حتى بلغت (المدينة) ، ثم منها نحو بلاد بكر وتغلب ، فيما بين مسالح الساسانيين و (مناظر) الروم . اي انه حارب قبائل بادية السهابة . وهي حملات ان صح انها وقعت فعلاً ، فلا بد وان تكون قد نجحت وتمت بقبائل عربية مؤيدة لـ (سابور) ، اذ يصعب

١ العرب والملاحه (ص ٩١) ، Sykes, History of Persia, P. 412.

٢ الطبري (٦٩/٢ وما بعدها) ، (٦١/٢) ، « دار المعارف » .

تصوّر قيام الفرس وحدهم وبدون مساعدة باجتياز البوادي الشاسعة المنهكة للملاحقة العرب ، وهم سادة البادية . ولم يكن في وسع الفرس ، مهما بلغ جيشهم من التدريب والتنظيم تحمّل العطش وحرارة البادية وجوّها القاسي الصارم .

وفي رواية المؤرخ (أميانوس) Ammianus عن حروب (سابور) (شابور) الثاني تأييد لرواية (الطبري) عن تلك الحروب وتوثيق لأكثرها . وقد وقعت تلك الحروب في ارض اغلب سبكانها من عشائر قضاة^١ .

واضمان الحدود من غارات الأعراب عليها ، قوّى (سابور) (المسالحي) ، بأن وضع بها حاميات عسكرية قوية ، لمنع الأعراب من التعرض بالحدود . كما أقام خندقاً عرف بـ (خندق سابور) ليحول بين الأعراب والدنو من الحضر . وقد أباح لرجال الحاميات التي وضعت على الخندق ، اقامة الأبنية وزرع الأرض واستثامهم من دفع الخراج^٢ .

وقام (سابور) بعمليات واسعة لاجلاء القبائل من منازلها الى منازل اخرى جديدة ، تأدياً لها ، وضماناً لعدم قيامها بغارات على الحدود . وهي سياسة قديمة معروفة ، استعملتها الحكومات في تأديب القبائل . فكان الآشوريون يجلون القبائل من مواطنها الى مواطن جديدة ، قد تكون بعيدة عن منازل القبيلة القديمة . وقد أجلى (سابور) بعض عشائر (تغلب) الى البحرين ، حيث انزلوا (دارين) وهي (هيج) ، وأسكن عشائر اخرى (الخط) . ونقل بعض عشائر (بكر وائل) الى (بكرمان) و (ابان) ، حيث عرفوا بـ (بكر أبان) . ونقل (بني حنظلة) الى (الرملية) من (الأهواز) (خوزستان) . ويرى (نولدكه) احتمال كون (الرملية) موضع (قرية الرمل) . الواقع على مسيرة يوم واحد عن (شوشتر) . ونقل قوماً من (عبد القيس) وتيم الى (هجر)^٣ .

وفي جملة ما وضعه (سابور) من خطط لحفظ (السواد) وحفظ الحدود ، اقامة (أنابير) اي مخازن في المواضع المهمة ، لخزن الأسلحة والأطعمة لتوزيعها

Ammianus, 16, 9, 3-4, Die Araber, III, S, 110, Aülthelm-Stiehl, Finanzgeschichte der Spätantike, (1957), S. 35, 38.

Die Araber, II, S. 349.

Die Araber, II, S. 351.

على حاميات (المسالحي) وعلى الأعراب عند الحاجة . ومن هذه المواضع :
(الأنبار) و (عكبرا) . وقد وضعت كلها تحت حماية عسكرية قوية . كذلك
عهد الى (آل نصر) مهمة حماية الحدود ، بضبط العشائر والسيطرة عليها . بأن
جعلهم يقومون بدور الشرطة المسؤولة عن حماية الحدود^١ .

ولا استبعد احتمال تقليد (سابور) للرومان في خططهم العسكرية التي كانوا
وضعوها لحماية حدودهم في بلاد الشام وفي افريقية من غزو القبائل . فقد كانوا
قد حوا حدودهم بسلسلة من التحصينات ضمت Castella و Burgi و Centenaria ،
وخطوطاً دفاعية حصينة أقيمت في مؤخرة التحصينات الأمامية
عرفت بـ Fossatum . و (المسالحي) التي أقامها الفرس أمام (الخندق) أو
أمام الخطوط الدفاعية المحصنة هي محاكاة لخطط الرومان ، وتقابل ما يقال له
Limitanei في اللاتينية^٢ .

ولما تحرش (سابور) سنة (٣٣٧ م) بحدود الروم كلف العرب الهجوم
على حدودهم أيضاً وغزوها^٣ . والظاهر ان هؤلاء العرب كانوا من العرب المحالفين
له، ولعلمهم عرب الحيرة . وقد وقع هذا الغزو في أيام (قسطنطين) Constantine
ملك الروم .

ونجد في الروايات الأعجمية تأكيداً للرواية العربية القائلة باسترضاء (سابور)
للعرب للاستفادة منهم في محاربة الروم وفي الوقوف أمامهم . اذ ورد في الأخبار
اليهودية انه اثناء الحروب الفارسية الرومية الطويلة التي امتدت من سنة (٣٣٨)
حتى سنة (٣٦٣) للميلاد . استدعى (سابور) قبائل عربية عديدة وأسكنها في
مواضع متعددة من العراق . وذلك لتساعده في حربه مع الروم^٤ .

وفي رواية في تاريخ الطبري : ان (ليلانوس) ملك الروم . حارب (سابور) ،
فضم الى جيشه من كان في مملكته من العرب ، أي عرب الروم ، و انتهزت

Die Araber, II, S. 352. ١

Die Araber, II, S. 350. ٢

Sykes, History of Persia, I, P. 413. ٣

The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735, V. Funk, Die Juden in
Babylonian, II, 41. ٤

العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من (سابور) وما كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر (الليانوس) من العرب مئة ألف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته ، يسمى (يوسانوس) . أما من بقي في عسكر (الليانوس) من العرب ، فقد سأله ان يأذن لهم في محاربة (سابور) ، فأجابهم الى ما سأله ، فزحفوا الى (سابور) فقاتلوه ، ففَضُّوا جمعه ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب (سابور) فيمن بقي من جنده ، واحتوى (الليانوس) على مدينة (طيسفون) محلة سابور ، وظفر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ^١ عندئذ استنجد سابور بقواده فلما وصل اليه العون ، استخلص طيسفون ، ثم تصالح بعد مقتل (الليانوس) مع (يوسانوس) الذي انتخبه الجيش ملكاً على أثر قتل (الليانوس) ^٢ .

وقصد (الطبري) بـ (الليانوس) الامبراطور (جوليان) (يوليان) Julian ، فقد تقدم هذا بجيوشه سنة (٣٦٣ م) ، نحو الدولة الساسانية فاكسح حدودها ، وهرب الفرس من أمامه ، حتى بلغت جيوشه (طيسفون) عاصمة الساسانيين ، إلا أنه لم يلحق ضربة شديدة قاصمة بـ (سابور) ، بل ترك عاصمته ، وتراجع حيث لاقى مصيره في المعركة في أثناء رجوعه الى بلاده . فانتخب (يوسانوس) ، وهو (جوفيان) Jovian في لغة الروم ، خلفاً له ^٣ .

وقد ورد في بعض الروايات أن (الليانوس) (يوليان) Julian قيصر الروم ، كان متعجرفاً متغترساً فلما كلف جماعة من العرب Saracen أن ينضموا الى جيشه ، لمحاربة الفرس ، وافقوا على ذلك وحاربوا معه ، إلا أنهم لما طالبوه بعطايهم وبهدايا ، أجابهم جواباً غليظاً : « الامبراطور الشجاع المقدام ، عنده الحديد ، لا الذهب » ، فتركوه وانقلبوا عليه ، وألحقوا به خسائر كبيرة ^٤ .

ويذكر المؤرخ (أميانوس مرسيلينوس) Ammianus Marcellinus : ان (يوليان) Julian لما بلغ (الفرات) ليالحق بالأسطول الذي بناه في هذا النهر

١ الطبري (٦٨/٢) ، اليعقوبي (١٣١/١) .

٢ الطبري (٦٨/٢) وما بعدها .

٣ Sykes, History of Persia, I, P. 422.

٤ Sykes, History of Persia, I, P. 418.

ويسير به لمحاربة الساسانيين ولينقل جيشه الى حيث يلتقي بالجيش الآخر الزاحف من (دجلة) والطرق البرية ، قدمت له قبائل عربية Saracens الطاعة ، الا ان هؤلاء أناس لم يكونوا يعرفون هل هم أعداء أو أصدقاء ؟^١ ولذلك صار الروم على حذر شديد منهم ، خشية الانقلاب عليهم عند الشدائد .

وذكر هذا المؤرخ : ان سادات القبائل قدّموا الى القيصر تاجاً من ذهب ، ليعبّر عن خضوعهم له . ولقبوه بلقب (ملك كل العرب) فقبل الملك منهم التاج واللقب ، لما في ذلك من أثر معنوي يحدثه في نفوس العرب . وحاربت القبائل التي انضمت اليه الفرس في معارك صغيرة^٢ . فكافأها القيصر على عملها هذا . الا انه لم يقدم لها معونات الذهب التي كانت تقدم عادة الى سادات القبائل . فاستاء الرؤساء من ذلك ، وانحاز قسم منهم الى الفرس . وأخذوا يتحرشون بعسكر (يوليانوس) ، وألحقوا به خسائر في الأرواح ، وباعوا من وقع في أيديهم أسيراً من الروم ، في أسواق النخاسة^٣ .

وكان سبب انضمام تلك القبائل الى الروم ، ما لاقتنه من شدة (سابور) (شابور الثاني) ومن تنكيله بها ، فأرادت بانضمامها الى (يوليانوس) الانتقام من الفرس ، وأخذ ثأرها منهم عند سنوح أول فرصة . وقد آذوه فعلاً ، مما حمله على تغيير سياسته تجاههم ، فأخذ يسترضيهم فعاد اليه من عاد منهم^٤ .

وذكر (أميانوس) ، ان ممن انضم الى الفرس من الأعراب Saraceos ، سيد قبيلة اسمه (مالك) Malechus . وقد عرف والده بـ Podosacis^٥ . وقد تمكن بمعاونة رجل عربي آخر اسمه : (سورينا) Surena من الفتك بكتيبة من كتائب الروم . وذلك بنصب شرك لها ، فوقعت تحت سيوف العرب . وذكر ان (مالك) ، كان عاملاً (فيلارخا) على قبيلة اسمها Assanitarum ، يرى البعض انهم الفساسنة^٦ .

١ Sykes, I, P. 419.

٢ Ammianus, 23, 5, I, 24, I, 10, Die Araber, II, S. 324.

٣ Ammianus, 25, 8, I, Die Araber, II, S. 325.

٤ Die Araber, II, S. 325.

٥ Ammianus, 24, 2, 4, Die Araber, II, S. 325.

٦ Die Araber, II, S. 325.

ويذكر أهل الأخبار ان (سابور) إنما لقب بـ (ذي الأكتاف) ، لأنه خلع أكتاف العرب^١ . ويرى (نولدكه) أن هذا التفسير مصنوع ، وان اللقب إنما جاء عند الساسانيين في معنى آخر لا علاقة له بخلع الأكتاف ، بل قصد به (ذو الأكتاف) ، أي صاحب الأكتاف دلالة على الشدة والقوة ، فهو لقب تمجيد وتقدير . وقد حوِّله أهل الأخبار الى معنى آخر ، هو المعنى المتقدم لبطش (سابور) بالعرب وإيقاعه القاسي بهم . أما (آرثر كريستن) ، فيرى أن تفسير أهل الأخبار تفسير صحيح ، وهو لا يستبعد خلع (سابور) لأكتاف العرب ، فقد كان مثل هذا التعذيب القاسي المؤلم معروفاً في تلك الأيام^٢ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) ، أن التسمية المذكورة إنما جاءت من الجملة الفارسية ، وهي (شابور هويه سنبا) (وهويه اسم للكتف وسنبا أي نقاب . قيل له ذلك لأنه لما غزا العرب كان ينقب أكتافهم ، فيجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقسة ويسيه ، فسمته الفرس بهذا الاسم وسمته العرب ذا الأكتاف)^٣ فالتسمية إذن هي تسمية فارسية . ولا استبعد أن تكون القصة شرحاً تكلفه القصاصون ، لتفسير هذا اللقب ، وهناك ألقاب عديدة ، فسرت تفسيراً اسطورياً على هذا النحو من المبالغة والتهويل .

وقد نسب الى (سابور) (شابور) هذا بناء الأنبار ، ذكر أنه بناها ، فسميت بـ (فيروز شابور) . وقد صيرها العرب (الأنبار)^٤ . وكانت من المدن التي تغلب عليها العنصر العربي عند ظهور الإسلام ، كما نسبوا اليه بناء (عكبرا)^٥ .

ويذكر (المسعودي) أن (سابور بن سابور) . ويريد به (سابور الثالث) (٣٨٣ - ٣٨٨ م)^٦ ، كانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب . ويتبين من بيت شعر نسبته الى شاعر نعته بأنه : (شاعر اياد) ولم

١ الطبري (٦٧/٢) ، مروج الذهب (٢١٦/١) .

٢ ايران في عهد الساسانيين (ص ٢٢٥) .

٣ حمزة (ص ٣٦) .

٤ « والأنبار » : أهراء الطعام ، واحدها نبر ، ويجمع أنابير ، اللسان ، مادة (نبر) ،

(١٩٠/٥) (صادر) ، حمزة (٣٤) .

٥ حمزة (٣٧) .

٦ أو سنة (٣٨٧ م) في بعض الروايات ،

يسمى. أن إيراداً استعادت مكانتها ، وأصبحت قبائها و (حولها الخيل والنعم)
وذلك (على رغم سابور بن سابور)^١ . ويظهر أن إيراداً التي كانت قد لحقت
بأرض الروم في أيام (سابور ذي الاكتاف) عادت فرجعت الى العراق وحلت
في محلها .

ويذكر (المسعودي) روايةً أخرى ، خلاصتها أن إيراداً بعد ان رجعت من
أرض الروم ، دخلت في جملة (ربيعة) من ولد (بكر بن وائل) ، وأن
ربيعة كانت قد غلبت على السواد ، وشنت الغارات في ملك هذا الملك ، فصارت
إيراد في جملة (ربيعة)^٢ . فإيراد وإن عادت الى العراق ، لم تتمكن من أن
تستعيد مكانتها ، فدخلت في قبائل (ربيعة) التي هي من (بكر وائل) ،
وهي قبائل كانت قد كسبت سلطاناً ومكانةً مستغلة فرصة ضعف هذا الملك ،
فسادت من ثم على (إيراد) .

وقد وقع هذا التطور بعد وفاة (سابور ذي الاكتاف) ، وإذا أخذنا برواية
(المسعودي) هذه ، وجب أن يكون زمانه ما بين سنة (٣٨٣ - ٣٨٨ م) .
ففي خلال هذه المدة كان حكم (سابور الثالث)^٣ .

ولا نتحدث الموارد العربية بشيء يذكر بعد ذلك عن علاقة الساسانيين بالعرب
الى أيام (بهرام جور) (بهرام كور) (٤٢٠ - ٤٣٨ م) ، وهو المعروف
بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين^٤ . ثم نجدها تعود فتتكلم عن علاقتهم بعرب
الحيرة ، حيث يحتل الكلام عليهم الجزء الأكبر من صفحات تأريخ العلاقات العربية
الساسانية ، ولهذا السبب وجب البحث في الحيرة وفي علاقاتها بالساسانيين في فصل
خاص .

وكان لملك الحيرة فضل في تولي (بهرام) عرش الدولة الساسانية بعد أن قرر
الأشراف وأصحاب الجاه والسلطان من رجال الدين والجيش انتزاعه من أولاد

١ على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اياد حولها الخيل والنعم
مروج الذهب (٢٢١/١) .

٢ مروج (٢٢١/١) .

٣ Ency., Vol., 4, P. 178.

٤ Ency., Vol., 4, P. 178, R. Ghirishman, Iran, P. 299.

(يزدجرد) والده . فقد أمدّه بجيش افزع اولئك الأقوياء فوافقوا على أن يمنحه التاج ، كما سأتحدث عن ذلك في أثناء كلامي على ملوك الحيرة .

ويذكر (الطبري) ان (بهرام) المذكور كان قد ربي تربية عربية ، ذلك لأن أباه (يزدجرد) (يزدکرد) كان قد أرسله الى الحيرة لتربيته تربية صحيحة ، فأقام في البادية وبين الأعراب حتى شب مثلهم قوياً شجاعاً مغامراً ، ينظم الشعر بالعربية ، ويتكلم بها بطلاقة وفصاحة . ويرى بعض المؤرخين المحدثين ان اقامة (بهرام) انما كانت في قصر الخورنق ، ويرون ان بناء هذا القصر كان قد تم قبل ذلك بزمان . ويرون ان ارساله الى الحيرة لم يكن على نحو ما زعمته الروايات العربية ، وانما كان نفياً له في الواقع لخلاف بينه وبين أبيه ، ولأن أباه لم يكن يعطف عليه عطفه على ولديه الآخرين^١ .

وهذا القسم من تأريخ صلات الساسانيين بعرب الحيرة واضح ومفصل بالقياس الى القسم المتقدم ، وانه يدل على انه أخذ من موارد تأريخية منظمة ، غير ساسانية وهي موارد دوتنها أهل الحيرة أنفسهم ، وفي مقدمتهم رجال الكنيسة الذين ألفوا تدوين التواريخ ، وقد صار رجال الدين النصارى هم رواة التأريخ وحفظته منذ تفشي النصرانية ، فمن هذه الموارد نقل (ابن الكلبي) واضرا به ممن دوتوا تأريخ الحيرة .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (كسرى برويز) (كسرى أبرويز) ، لما انهزم من (بهرام شوبين) ، كان فراره على فرس من خيل رجل من طيء ، فنجا بفضلها ، وذكروا ان ذلك الفرس هو (الضبيب) . وهو من خيل العرب المعروفة^٢ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) ان من جملة قواد (كسرى أبرويز) القائد (فنابرزين) . وهو (نكهان) . وكان (فنابرزين) متولياً على ما يلي الريف من البادية الى حد الحيرة الى حدود البحرين ، والعرب تسميه (خنابززين ساسان بن روزبة)^٣ .

١ ايران في عهد الساسانيين (ص ٢٦٠) .
٢ الاشنقاق (ص ١١٧) .
٣ حمزة (ص ٩١) .

وفي أيام (كسرى أنو شروان) ، طرد الأحباش من اليمن ، اذ أرسل اليها نجدة بقيادة (وهرز) ، وبذلك دخل الفرس اليمن ، وصاروا على مقربة من الحبش حلفاء الروم . وقد لاقت السياسة البيزنطية بذلك ضربة شديدة عنيفة ، لأن الفرس بدخولهم اليمن صار في امكانهم الضغط على التجارة البحرية للروم ، وصار في امكانهم الهيمنة على منفذ البحر الأحمر ، البحر الذي تلج منه سفن الروم الى المحيط الهندي وبالعكس ، كما صار في امكان الفرس الاتصال بعرب الحجاز وعقد اتفاقيات تجارية مع أهل مكة ، وهم اذ ذاك من أهم تجار بلاد العرب .

وقد بقي الفرس في اليمن حتى ظهور الاسلام ، فأسلم آخر عامل فارسي ، وزال ملك الفرس عنها بذلك ، كما زالت الدولة التي كان العامل الفارسي يحكم باسمها .

وكانت للفرس قوة في عمان عند ظهور الاسلام ، وقد ذكر ان أول من أغار عليهم (نعام بن الحارث) من (عتيك) ، وكان من فرسانهم في آخر الجاهلية وأول الاسلام^١ .

وذكر (الطبري) : ان (كسرى أنو شروان) (انصرف نحو عدن ، فسكر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عطاء البلاد ... ثم انصرف الى المدائن ، وقد استقام له ما دون هرقة من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن)^٢ . وفرق (كسرى) الولاية والمرتبة بين أربعة اصبهذين . منهم : اصبهذ نيمروز وهي بلاد اليمن^٣ .

وذكر (حمزة) أنه في زمن (كسرى أنو شروان) ولي (أنوش بن حشنشبنده) ناحية من أرض العرب ، وبقي عليها بعض أيام هرمز بن كسرى^٤ .

وكان الساسانيون كالبيزنطيين قد اتخذوا (مسالح) لهم على مشارف البوادي والحدود لحماية أملاكهم من الغزو ، ولإخبار الحكومة عند دنو العدو وحالة حدوث خطر . وهي أبنية حصينة ، وضعوا فيها قوات تحت إمرة أمراء منهم ، يقيمون

١ الاشتقاق (٢٨٤/٢) .

٢ الطبري (١٠٣/٢) ، « دار المعارف » .

٣ الطبري (٩٩/٢) ، « دار المعارف » .

٤ حمزة (ص ٩١) .

فيها ، واتخذوا فيها مخازن لخزن الأسلحة والأطعمة . وحفروا فيها آباراً ، وصنعوا (كهاريز) تخزن الماء . ولما ظهرت جيوش الإسلام افتتح العراق ، كان على هذه المسالحي إخبار (طيسفون) بما حدث ، والوقوف أمام تلك الجيوش ، حتى تنجي جيوشهم فتلتحم بالمسلمين .

وفي جزر البحرين قنوات يظن أنها من عمل الساسانيين ، أقاموها للاستفادة من المياه المتدفقة من العيون ، وهي أخاديد حفرت في الأرض ثم بطنت بمادة تمنع الماء من التسرب إلى التربة ثم سقفت بصفائح من الحجر ، أهيل عليها التراب لتمنع أشعة الشمس من الوصول إلى الماء فتبخره ، وبذلك تقل كمياته . وبين مسافة وأخرى تقدر ما بين عشرة وعشرين ياردة توجد منافذ لمرور الهواء منها إلى باطن القناة . وقد بطنت هذه المنافذ بالحجارة، وقد أقيمت جدر عند مخرجها إلى الأرض لتحميها من سقوط الأتربة فيها . ولا تزال بعضها عامرة تجري فيها مياه العيون حتى الآن . وهناك آثار قنوات مشابهة لها تقع في السواحل المقابلة للبحرين من المملكة العربية السعودية تعود إلى هذا العهد أيضاً^١ .

وقد كانت البحرين تخضع لحكم الساسانيين عند ظهور الإسلام ، أما حاكمها الفعلي فهو رجل من العرب على دين النصرانية ، وعلى مذهب النسطرة . وكان للنسطرة عدة أساقفة في مواضع من الخليج ، كما كانت لليهودية والمجوسية مواضع في بلدان الخليج أيضاً . أما غالبية العرب ، فعلى الوثنية^٢ .

وقد كانت (الأبلّة) من أهم المواضع المهمة في نظر الساسانيين من الوجهة الحربية . وكانت تعدّ عندهم (فرج أهل السند والهند)^٣ . وكان (فرج الهند) أعظم فروج فارس شأناً ، وصاحبه يحارب العرب في البر ، والهند في البحر^٤ . وقد وضعوا هذا الفرج تحت إمرة قواد عسكريين . ولما سمعوا بمجيء خالد بن الوليد من اليمامة ، أسرع كسرى فأمر قواده بالانجاء إلى (الكواظم) وإلى (الحفير) لمقابلته . وقد التقى به (هرمز) بكازمة . وكان جباراً ، كل العرب عليه مغيب . وقد كانوا ضربه مثلاً في الخبث ، حتى قالوا : (أنخبث من

James H. D. Delgrave, P. 68. ١

Delgrave, P. 61. ٢

الطبري (٣/٣٤٧) . ٣

الطبري (٣/٣٤٨) . ٤

هرمز (و (أكفر من هرمز) . فلما التحم العرب والعجم ومن معهم من العرب قتل هرمز وفرّ العجم وأفلت (قباذ) و (أنوشجان) ، وكان على مجنية الفرس . وقد عرفت هذه الواقعة بـ (ذات السلاسل) ، لاقتران العجم في السلاسل حتى لا يكون لهم أمل في الفرار^١ .

وفي الحروب الأخرى التي وقعت بين الفرس والمسلمين ، توالى الهزائم على العجم على الرغم من كثرة عددهم . ولم يكن الفرس يحاربون وحدهم ، بل حارب معهم (عرب الضاحية) ، وآخرون^٢ . ففي (وقعة الوجة) ، مما يلي (كسكر) من البر ، كان يحارب إلى جانب الفرس قوم من العرب من عرب الضاحية ، وقد أسر فيها ابن لجابر بن بجير وابن لعبد الأسود ، وهلك عدد كبير من (بكر بن وائل) وكانوا نصارى ، فغضبت لذلك بقية نصارى بكر بن وائل وغضب نصارى عرب آخرون ، فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم ، فاجتمعوا إلى موضع (أليس) ، وعليهم (عبد الأسود العجلى) في نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ، وكان جابر بن بجير نصرانياً ، فساند عبد الأسود ، فقابلهم (خالد) وجالد العرب أولاً ، فسقط (مالك بن قيس) ، وهو رأس من رؤوسهم ، ثم تهاوت صفوف الفرس أمام سيوف خالد ، ولم تثبت أمامه^٣ .

ولما قصد خالد للحيرة ، وجد قائد الفرس ، وهو (الأزاذبه) قد ولّى هارباً ، وكان عسكره بين الغرّيتين والقصر الأبيض ، فدخل خالد (الخورنق) وأمر بكل قصر رجلاً من قواده يحاصر أهله ويقاثلهم ، فحاصروا (القصر الأبيض) وفيه (إياس بن قبيصة الطائي) ، وحاصروا (قصر العدسين) وفيه (عدي بن عدي) المقتول ، وحاصروا (قصر مازن) وفيه (ابن أكال) ، وحاصروا (قصر ابن بقليلة) ، وفيه عمرو بن عبد المسيح ، وكل هؤلاء عرب نصارى . ولكنهم لم يثبتوا أمام المسلمين ، وتهاوت قصورهم ، وطلبوا الصلح . وكان أول من طلب الصلح (عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث) وهو بقليلة ، وتتابعوا على ذلك ، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم

-
- ١ الطبري (٣٤٨/٣) وما بعدها .
 - ٢ الطبري (٣٥٣/٣) وما بعدها .
 - ٣ الطبري (٣٥٥/٣) وما بعدها .

دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدي وقال: ويحكم ما أنتم ؟ أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ؟ او عجم ؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل ، فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي : ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت . ثم صالحوه على الجزية ^١ .

وصالح (صلوبا بن نسطونا) (صاحب قس الناطف) خالد بن الوليد على (بانقيا) و (بسما) بدفع الجزية له . وقد نقيه خالد على قومه . ولما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا أئته دهاقين (الملقطين) ^٢ ، وأتاه (زاذ بن يهيش) دهقان فرات سوريا ، و (صلوبا بن بصبهري) ، فصالحوه على ما بين الفلاليج الى (هرمز جرد) ، ودخل أهل (البهقباد) الأسفل وأهل (البقباد) الأوسط والأماكن التابعة للمذكورين في الصلح ^٣ ونزل خالد الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج الى اسفل السواد ، وأقر المسالحي على ثغورهم ، ورتب القواد وموظفي الخراج وسائر الأعمال استعداداً لطرد الفرس ^٤ .

وكان أهل الأنبار عرباً ، يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، وكان عليهم حينما بلغها (خالد) (شيرزاد) صاحب (ساباط) . ولما وجد الفرس ان من غير الممكن لهم الوقوف أمام المسلمين ، تركوا المدينة لخالد ، وخرج (شيرزاد) في جريدة خيل . ليلحق بأصحابه ، ثم صالح أهل (كلواذي) ^٥ . ثم قصد خالد (عين النمر) وبها يومئذ (مهران بن بهرام جوين) في جمع عظيم من العجم ، و (عقة بن أبي عقة) في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد ومن لاقهم ، فهاجم خالد على عقة ومن معه من العرب . فأسره وانهزم عسكره ،

- ١ الطبري (٣٥٩/٣) وما بعدها .
- ٢ (ومنه حديث علي ، كرم الله وجهه : فأمرتهم بلزوم هذا الملقاط حتى يأتهم أمري ، يريد به شاطئ الفرات) ، اللسان (٤٠٨/٧) «صادر» ، مادة (ملط) ، الطبري (٣٦٧/٣) ، البلدان (٣٣١/١) ، (بيروت ١٩٥٥ م) ، البكري ، معجم (٢٢٢/١) ، (طبعة السقا) ، اليعقوبي (١٣١/١) ، مرصد الاطلاع (١٢٣/١) .
- ٣ الطبري (٣٦٨/٣) .
- ٤ الطبري (٣٧٢/٣) وما بعدها .
- ٥ الطبري (٣٧٤/٣) وما بعدها .

ثم سقط الحصن ، وانهزم الفرس . وأمر خالد بعقة وكان خضير القوم ، فضربت عنقه ثم دعا بعمر بن الصق ، فضرب عنقه ، وانتهى أمر عين النمر^١ . وحاول الفرس جمع صفوفهم ثانية، للوقوف أمام خالد واسترداد ما أخذ منهم . وكان خالد اقام بدومة الجندل ، فظن الأعاجم به ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقة ، فخرج (زرمهر) من بغداد ومعه (روزبة) ، يريدان الأنبار، واتعدا حصيداً والخنافس ، وانتظرا من كاتبها من ربيعة ، غير أن المسلمين هاجموا الساسانيين بحصيد ، فقتل (زرمهر) وقتل (روزبة) وفر من كان معها ، الى (الخنافس) فلما أحس (المهبودان) بقدوم المسلمين الى المكان ، هرب ومن معه الى (المصيص) وبه الهذيل بن عمران ، وخرج (خالد) من (العين) قاصداً للمصيص ، فأغار على الهذيل ومن معه ومن أوى اليه ، قتلوهم ، وأفلت الهذيل في اناس قليل^٢ .

وأخذ (ربيعة بن بجير التغلبي) يجمع الجموع لمحاربة المسلمين غضباً لعقة ، وواعد الفرس والهذيل ، فباغت خالد جموع (ربيعة) بالثني ، فانتصر عليها وأسر ابنة له، ثم باغت موضع (الزميل) وكان (الهذيل) قد أوى اليه ، ثم باغت موضع (البشر) ، وكانت تغلب به ، فقتل منهم عدداً كبيراً ، ثم تحرك من البشر الى (الرضاب) ، وبها (هلال بن عقة) ، فارتضى عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد منه وانقشع عنها هلال^٣ .

ثم قصد خالد (الفراض) ، والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة، فاغتاظت الروم وحيت ، واستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فارس ، وقد حوا واغتاظوا واستمدوا تغلب وإياداً والنمر ، فأمدوهم ، ثم عبروا الفرات الى الجانب الآخر حيث كان جيش خالد فهزموا ، وانتصر المسلمون^٤ .

وكانت صفوف الساسانيين متضعضة ، والحصومات بينهم شديدة فنهاوى ملكهم ، وسقطت (طيسفون) عاصمتهم ، ثم تهاوت مدنهم في ايران ، وزالت الحكومة من الوجود على نحو ما سنراه فيما بعد .

- ١ الطبري (٣٧٦/٣) وما بعدها .
- ٢ الطبري (٣٧٩/٣) وما بعدها .
- ٣ الطبري (٣٨٢/٣) وما بعدها .
- ٤ الطبري (٣٨٣/٣) .

وأما صلات (البيزنطيين) بالعرب ، فلا نعلم عن بدايتها الا شيئاً قليلاً ، لأن الموارد التاريخية لم تهتم بغير الأحداث الكبرى ، التي كان لها شأن في تأريخ الروم . فلم تشر الى العرب الا في أثناء اشتراكهم اشتراكاً جماعياً في جيش البيزنطيين في قتال الساسانيين أو في جيش الفرس إبان قتال البيزنطيين ، وأما القبائل العربية وغاراتها على حدود بلاد الشام ، فلم تتعرض لها لأنها لم يكن لها شأن ، فهي حوادث اعتيادية محلية ، ثم انها اذا تطرقت الى المهم منها تطرقت اليه بايجاز ، ولهذا حررنا الوقوف على صلات العرب بالبيزنطيين بصورة مفصلة وعلى أخبار الإمارات العربية التي حكمت في البادية الملاصقة لبلاد الشام وفي بلاد الشام ما بين ظهور دولة البيزنطيين وبزوغ نجم آل غسان .

لقد كابد الساسانيون والبيزنطيون من القبائل العربية عنثاً شديداً مثل ما كابده المتقدمون عليهم منهم . فقد كانت تراقب الفرص لتهاجم الحدود أو الجيوش النظامية في أثناء انتقالها الى ساحات القتال أو اشتغالها في القتال ، أو في أثناء تراجعها أو هزيمتها ، فتوقع بها وتكبدها خسائر ، وتربك وضعها ، ثم انها كانت تنتقل من موضع الى موضع ، من الأرضين الخاضعة لسلطان البيزنطيين الى الأرضين التابعة للساسانيين وبالعكس ، وقد ثور وتهاجم القرى في دولة ، فاذا عقبها ، هاجرت الى الدولة الأخرى المعادية لها ، ولهذا السبب وجد الساسانيون والبيزنطيون ان من مصلحتهم عقد اتفاقية تحرم انتقال الأعراب من أرض احدى الحكومتين الى أرض الحكومة الأخرى من غير ترخيص وتحويل ، وذلك في أيام السلم بالطبع .

لقد أخذت الدولة البيزنطية الأرضين التي كانت خاضعة لروما ، وصارت تديرها من (القسطنطينية) ، وتعين حكامها وترسل الجيوش اليها ، وتطبق عليها القوانين التي تصدرها (القسطنطينية) . بقي الحال على هذا المنوال الى ان طرد البيزنطيون عن بلاد الشام بظهور الاسلام ، وارساله الجيوش الى تلك البلاد لنشر دين الله فيها . فذهب الحكم البيزنطي عنها ، وبقي الأثر الثقافي أمداً يهيمن على البلاد المقترحة .

وقد كانت بصرى من أهم المدن التي يرد اليها عرب الحجاز للتجارة . وكانت

آخر مكان يصل اليه تجار أهل مكة في الغالب في الشمال . يقيمون فيه ، يبيعون ويشتررون ويدفعون للروم العشور ، وهي الضرائب المتعارف عليها اذ ذاك ، ثم يعودون الى ديارهم ، ومعهم ما اشتروه من تجارات بلاد الشام ، من طرف مصنوع في هذه البلاد ، أو مستورد اليها من بلاد الروم ومن أوروبا ، ومن سلع حية هي الرقيق الذي يباع في سوق بصرى ، وقد استورد اليها من مختلف الأنحاء .

وتعرف بصرى بـ Bostra عند الرومان واليونان^١ ولاهيتها الحرية والسياسة والتجارية كان يقيم بها حاكم روماني ، ثم حكمها حكام من اليونان بعد انتقالها الى حكم اليونان ، كما وضعوا بها حاميات بيزنطية . وذلك لقربها من الأعراب وللدفاع عن الحدود المهددة بهجوم ابناء البادية عليها . وقد أصيبت بخسائر جسيمة ونزل بها خراب شديد على أثر مهاجمة الفرس لبلاد الشام واستيلائهم عليها ، فتهدم قسم كبير من أبنيتها ، كما تهدم قسم من أبنية (اذرعات) وذلك في سنة (٦١٣ م)^٢ .

و (بصرى) هي الآن قرية مهملة من قرى حوران ، ولا تزال بها بقية قائمة من آثار . وقد ورد ذكرها في سيرة الرسول ، حيث كان قد نزل بها مع عمه (أبو طالب) حينما قدمها عمه للإتجار . وذكر ان (بجيرا) الراهب، الذي يرد اسمه في كتب السير ، كان من رهبان بصرى ، وقد كان يقيم في دير هناك .

وكانت (غزة) من المواضع الأخرى المهمة عند أهل مكة ويثرب ، لأنها كانت المورد الأخير لتجار هاتين المدينتين على البحر الأبيض . وكانت من المواضع التابعة للروم . ترد اليها السفن الواردة من بلاد الروم وموانئ ايطالية ومصر ولبنان . فتفرغ ما لديها من تجارة ويشترى أصحابها ما يجدون في غزة من أموال ، ولهذا صارت فرضة مهمة لتجار أهل الحجاز .

ومن سادات القبائل السدين انتقلوا من أرض كانت خاضعة للساسانيين الى أرض كانت تابعة للبيزنطيين سيد قبيلة ذكره (ملخوس الفيلاذلفي) Malchus

Hastings, P. 102.

١
٢ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ، (٦٧٢/٣) .

Philadelphus في تأريخه ، وسماه (امرأ القيس) Amorkesos = Amerkesos وقال : إنه كان يقيم في الأصل في الأرضين الخاضعة لسلطان الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس ، واخذ يغزو منها حدود الساسانيين والعرب Saracens المقيمين في الأرضين الخاضعة للروم . وتوغل في (المقاطعة العربية) حتى بلغ البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) Iotaba Jotaba ، وهي جزيرة مهمة كان الروم قد اتخذوها مركزاً لجمع الضرائب من المراكب الآتية من المناطق الحارة أو الذاهبة اليها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة ، طرد الجبابرة الروم ، وصار يجيئها لنفسه ، فاغتنى . كذلك حصل على ثروة عظيمة من غنائم غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة الواقعة في العربية الحجرية واعيالي الحجاز والأرضين الخاضعة لسلطان الساسانيين .

وأراد (امرؤ القيس) : بعد أن بلغ من السلطان مبلغه ، الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً أي Phylarch أو Satrap على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم في (المقاطعة العربية) ، فأوفد رجلاً من رجال الدين اسمه (بطرس) الى (القسطنطينية) يعرض رغبته هذه على القيصر (ليو) . فلما قابل هذا رجال البلاط ، أظهر لهم انه يريد الدخول في النصرانية . فأظهر القيصر (ليو) رغبته في مقابلة (امرؤ القيس) للتحدث معه . فقصده (امرؤ القيس) ، فاستقبله استقبالا حسناً ، وعامله معاملة طيبة ، وأجلسه على مائدته ، ومنحه لقب Patrician ، وجالس رجال مجلس (السنات) senate . فأدى ذلك الى استياء الروم من سياسة القيصر هذه مع رجل مشرك . ولكنه بين لهم انه يريد تنصيره بذلك . واخضاعه لسلطانه . ولما قرر العودة أعطاه القيصر صورة ثمينة وهدايا نفيسة ، وحث رجال مجلس الدولة ان يمنحوه هدايا سخية . ثم منحه درجة (عامل) Phylarch على الجزيرة وعلى جميع ما استولى عليه وعلى أرضين أخرى جديدة لم يكن قد أخذها من قبل ، الا ان الروم لم يرتاحوا من هذه المعاملة ، وانزعجوا من اسراف القيصر

في اكرامه ومنحه تلك الأرضين ، ولا سيما تلك الجزيرة التي استرجعوها بعد ذلك
بعدة ليست طويلة وفي مدة حكم القيصر (أنستاس) (انسطاس) (انسطاسيوس)
Anastasius^١ .

ولما كان القيصر (ليو) Leo (لاون) (اليون) ، قد حكم من سنة
(٤٥٧ م) حتى سنة (٤٧٤ م)^٢ ، فيكون اعتراف (ليو) بحكم (امرىء
القيس) ، ومنحه لقب (فيلارخ) (فيلارك) قد وقع في اثناء هذه المدة .

ويظهر من تأريخ (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في سنة (٤٩٠ م)
في أيدي الروم ، استولى عليها حاكمهم Dux على فلسطين بعد قتال شديد^٣ .
ويدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرىء القيس)
أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء (امرىء القيس) عليها، ولعلمهم
استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع نشب بين أولاده وورثته ،
أضعف مركز الإمارة ، فانتهاز الروم هذه الفرصة، وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه
من أملاك .

واذا كانت هذه الجزيرة ، قد كانت في جملة أملاك الروم في سنة (٤٩٠ م)
كما يدعي (ثيوفانس) ذلك ، وجب أن تكون استعادة حاكم فلسطين لها في أيام
القيصر (زينو) (زينون) Zeno الذي ولي الحكم من سنة (٤٧٤) حتى
سنة (٤٩١) . أما سنة (٤٩١ م) فقد انتقل فيها الحكم الى القيصر (أنسطاس)^٤ .

وكان (امرؤ القيس) المذكور سيد قبيلة سماها المؤرخ (ملخوس الفيلاذلفي)
(نكليان) (نكليان) Nokalian . ويظهر أن هذا الاسم هو (النخيلة)^٥
موضع معروف قرب (الكوفة) على سمت الشام ، وهو موضع ينطبق عليه ما
ذكره (ملخوس) من أنه كان في ارض في سلطان الفرس^٦ .

١ Malchus of Philadelphia, In Fragmenta Historicorum Graecorum, Vol., 4, Paris, 1951, PP. 112, Musil, Hegaz, P. 306, Bury, History of the Later Roman Empire, London, 1931, Vol., I, P. 8, 95, Socrates, IV, 36, Sozomen, VI, 38.

٢ Runciman, Byzantine Civilisation, London, 1959, P. 301.

٣ Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307.

٤ Runciman, Byzantine Civilisation, P. 301.

٥ البتدان (٢٧٦/٨ وما بعدها) .

٦ Blau, In ZDMG., 22, 1868, S. 578.

ولم يذكر (ملخوس الفيلاذلفي) أسماء الأرضين التي كانت في حكم (امرئ القيس) ، ويرى (موسل) أن هذا الرئيس كان يتزل في بسادى الأمر مع قبيلته في (الوديان) و (الحجيرة) أيام كانت علاقته بالفرس حسنة . ومن (الحجيرة) هاجر مع قبيلته الى (دومة الجندل) ، ومنها توسع فاستولى على أرضين من (فلسطين الثالثة) *Palestina Tertlia* وهي (العربية الحجيرة) . ثم استولى على جزيرة *Iotaba* ، وهي على رأسه جزيرة (تاران) (تيران)^١ . وذكر (ياقوت) ان سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)^٢ .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة *Ainu* التي ذكرها (بطليموس)^٣ ، أخذت تسميته هذه من (حنو) (حينو) *Hainu* (حينو) الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط^٤ .

وامرؤ القيس هذا ، هو مثل واحد من امثلة عديدة على سادات قبائل راجعوا البيزنطيين لاستمداد العون منهم ، وللحصول منهم على اعتراف رسمي بتنصيبهم رؤساء على الأعراب النازلين في ديار خاضعة لسلطانهم او لمساعدتهم في مقارعة عرب الحيرة او الفرس .

وقد ذكر اهل الأخبار اساء رجال قالوا إنهم ذهبوا الى الروم لهذه الغاية ، وبعضهم ممن كان يقيم في ارضين بعيدة عن سلطانهم . والظاهر ان مثل هذا الاعتراف كان يكسب الرئيس قوة ، ويمنحه منزلة ومكانة في تلك الأيام ، وان كان الروم على مبعدة من الرئيس وليس لهم حول مادي يقدمونه اليه .

ولا نجد في الموارد اليونانية اساء من حكم من رؤساء القبائل في بلاد الشام بصورة منتظمة قبل الغساسنة ، إلا أن الأخباريين يذكرون ان الغساسنة لما جاؤوا الى بلاد الشام من اليمن بعد (انتفاص الحرم) ، وجدوا (الضجاعة) قد ملكوا البلاد قبلهم . وهم (آل سليح بن حلوان) ، وهم من قضاة ، فقتلواهم وأخذوا مكانهم^٥. ولا بد ان يكون الضجاعة قد سبقوا بغيرهم ممن لم يقف اهل الأخبار

١ Musil, Hegaz, P. 306.

٢ البلدان (٣٥٢/٢) .

٣ Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ Musil, Hegaz, P. 307.

٥ حمزة (ص ٧٦) .

على اسائهم ، فقد كانت القبائل تهاجم احداها الأخرى ، فتأخذ مكانها ، ولا يستبعد أن يكون (الضجاعة) قد انتزعوا السلطان من قبائل اخرى لم تبلغ أنباؤها أهل الأخبار .

ان حدود الامبراطورية البيزنطية الجنوبية مع العرب ، لم تتغير ولم تتبدل تبديلاً محسوساً عما كانت عليه في زمان الرومان . وهي بصورة عامة الحدود الجنوبية للمقاطعة العربية . وكانت لهم الجزر المقابلة للمقاطعة العربية في (خليج القلزم) ، وقد اتخذوها مراكز لجباية الضرائب من أصحاب السفن ولحماية البحر من لصوصه مثل جزيرة Iotba التي تحدثت عنها . ولم يشر أحد من المؤرخين المعاصرين للبيزنطيين الى تقدم الروم أكثر من ذلك في جزيرة العرب .

وكان للبيزنطيين بعض المرافىء على سواحل البحر الأحمر ، منها ميناء (كليزما) Clysma ، وهو (القلزم) Qulzum ، ويقع على مسافة قليلة من (السويس) ، تأتي اليه السفن محملة ببضائع الهند وبالسلك وبالمواد الأخرى المستوردة من السواحل الأفريقية والعربية الجنوبية . وبه بقيم (الوكيل) Agens in Rebus ، الوكيل التجاري الذي عليه مراقبة سير السفن والتجارة ، ووضع التعليمات لتنظيم التجارة البحرية ، وعرف ب Logothete في نهاية القرن الرابع للميلاد^١ .

وكانت تجارة الحرير ، من أهم المواد المطلوبة في أسواق البيزنطيين . وقد كان الساسانيون قد احتكروها تقريباً ، وعبثاً حاول الامبراطور (جستنيان) (يستينانوس) Justinian تحطيم ذلك الاحتكار ، وأخذ من أيديهم بالتوسل الى (نجاشي) الحبشة ، لارسال سفنه الى (سيلان) ولشراء السلك منها ، ومنافسة التجار الفرس الذين كانوا قد سيطروا على تجارة هذه المادة المستوردة من الصين الى هذه الجزيرة . فكانوا ينقلونها الى بلادهم ، بسل الى (القلزم) و (أيلة) وموانئ أخرى وأسواق تابعة للبيزنطيين ، فيربحون من هذه التجارة ربحاً حسناً^٢ .

وكان القيصر (يوسطنيان) (٥٢٧ - ٥٦٧ م)^٣ ، قد نصب (أبأ كرب

Bury, II, 318.

Bury, II, PP. 320.

Runcimann, Byzantine Civilisation, P. 301.

ابن جبلة) ، كما يقول المؤرخ (بروكويوس) ، (عاملاً) ، اي (فيلاركا) (فيلارخا) Phylarch على عرب (سرسينس) Saracens فلسطين ، وكان (أبو كرب) كما يقول (بروكويوس) ، رجلاً صاحب مواهب وكفاية ، تمكن من حفظ الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً انه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، وهي أرض واسعة تمتد مسافات شاسعة في البر ليس بها غير النخيل . وقد قدمها هدية الى الامبراطور ، فقبلها منه ، وعدّها من أملاكه ، مع انه كان يعرف جيداً انها فياف وبادية لا يمكن الاستفادة منها ، ليس فيها غير النخيل ، وليس لهذه النخيل فائدة تذكر . ويجاور عربها عرب آخرون يسمون (معدني) (مديني) Maddeni : هم اتباع لـ (حير) Homeritae¹ .

وهذه الأرض التي حكمها (أبو كرب بن جبلة) ، هي الأرض التي حكمها (امرؤ القيس) سابقاً نفسها . او يظهر ان الروم لم يتمكنوا من ضبطها ومن تعيين حاكم بيزنطي عليها ، فاضطر الى الاعتراف بالأمر الواقع ، فثبتوا (أبا كرب) في مكانه ، واعترفوا به اعترافاً رسمياً (عاملاً) على هذه المنطقة التي تقع في جنوب ارض الغساسنة ، وفي الأردن واعيالي الحجاز . ويظهر من ذلك ايضاً ان (ابا كرب) كان عاملاً مستقلاً بشؤونه عن الغساسنة . ونكون بذلك أمام إمارتين مستقلتين .

واذن يكون (أبو كرب) من المعاصرين للحارث بن جبلة ملك الغساسنة . وقد كان حكمه قبل السنة (٥٤٢ م) بدليل ارساله رسولا الى ابرهة لتهنئته عند ترميمه سد مأرب الذي انجز في هذه السنة .

إن اسم (أبو كرب بن جبلة) يثير فينا الظن بأن هذا الرجل كان من آل غسان ، فهذا الاسم هو من الأسماء التي ترد بكثرة عندهم . وقد يحملنا على تصور انه كان شقيقاً للحارث بن جبلة ، غير اني لا أستطيع الجزم بذلك ، لسكوت الموارد السريانية واليونانية عن التصريح بذلك او التلميح اليه .

لقد كان من نتائج توثيق الروم صلاتهم بمملكة (اكسوم) ، تهديدهم اليمن

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180-181, Glaser, Mitt., S. 437, S. 78-79, Sep.

بغزوها إن قاومت. مصالحهم وتعرضت لسفنتهم ولتجارتهم ، وذلك بتحريض الجيش على الزول بها . وقد سبق للأحباش ان استولوا عليها . ، كما سبق للرومان أن استولوا على بعض مواضع من العربية الجنوبية مثل (عدن) في أيام (كلوديوس) . (٤١ - ٥٤ م) او قبل ذلك بقليل^١ . ولا يستبعد ان يكون للروم دخل في الغزو الذي قام به الأحباش لليمن والذي بقي من سنة (٣٠٠) حتى سنة (٣٧٠ م)^٢ . وقد ذكر ان القسطنطينية كانت المحرقة لحكومة الحبشة على غزو اليمن أيضاً في سنة (٥٢٥ م) ، وقد امتد حتى سنة (٥٧٠ م) او (٥٧٥ م)^٣ .

ولما عاد الأحباش الى اليمن حيث بقوا فيها مدة قصيرة ، كرّ الفرس عليهم فطردوهم منها في حوالي سنة (٥٧٥ م) (٥٩٥ م) ، وصارت اليمن من سنة (٥٧٥ م) (٥٩٥ م) حتى الفتح الإسلامي مقاطعة تابعة للساسانيين^٤ . وقد أصيبت مصالح البيزنطيين بأضرار بليغة من هذا التحول السياسي العسكري ، وأصيبت بضرر بليغ آخر كذلك في أيام (كسرى برويز) (٥٩٠ - ٦٢٨ م) الذي هاجم الامبراطورية البيزنطية واستولى على مصر وفلسطين ، وقطع بذلك عنها شرايين التجارة العالمية المهمة. والبيزنطيون وان استعادوا ما فقدوه في مصر وبلاد الشام بعد مدة قصيرة ، فعاد الساسانيون الى مواضعهم ، الا ان الحروب المتوالية كانت قد أنهكت الطرفين : البيزنطيين والساسانيين ، وأضررت بالوضع الاقتصادي ، وجعلت الناس يتذمرون في كل مكان من سوء سياسة الامبراطوريتين ، ويودون التخلص من الفرس واليونان ، لذلك لم يكن من المستغرب سقوط الأرضين التي كانت خاضعة لهم بسرعة مدهشة في أيدي المسلمين .

ولما وصلت الجيوش الاسلامية بلاد الشام ، رحب أهلها بصورة عامة بها . وقد نظر البيزنطيون الى الاسلام على انه نوع من أنواع (الآريوسية) Arrianism المنسوبة الى الكاهن (آريوس) المتوفى سنة (٣٣٦ م) . أو انه مذهب من المذاهب النصرانية المنشقة عن الكنيسة الرسمية . وقد تعودوا على سماع أخبار وقوع

١ العرب والملاحه (ص ٧٩) .

٢ Stuhlmann, S. 13.

٣ Stuhlmann, S. 14.

٤ Stuhlmann, S. 14, Phillips, P. 223.

الانشقاق في الكنيسة ، وظهور مذاهب جديدة^١ . لهذا لا يستغرب ما أظهره أساقفة بلاد الشام من تساهل في تسليم المدن الى المسلمين . وما بدر من القبائل العربية المنتصرة من تعاون مع المسلمين في طرد البيزنطيين عن بلاد الشام^٢ .

Vasiliev, A. A. Histoire de L'empire Byzantin, 279, Fr. Stark, Rome, P. 388. ١

Diehl and G. Marcals, Le Monde Oriental, Paris, 1936, P. 104, Fr. Stark, ٢
Rome, P. 388.

فهرس

الجزء الثاني من المفصل



٥	١٧. العرب واليونان
٣٨	١٨. العرب والرومان
٧٣	١٩. الدولة المعينية
٨١	ملوك معين
١٠٥	حكومات عدن
١٠٧	مملكة كمنه
١٠٨	حكومة معين
١١٢	نقود معينة
١١٣	الحياة الدينية
١١٦	مدن معين
١١٩	المعينيون خارج ارض معين
١٢٤	قوائم بأسماء حكام معين
١٢٩	٢٠. مملكة حضرموت
١٥٥	قبائل حضرمية
١٥٧	مدن ومواقع حضرمية
١٦٦	قوائم حكام حضرموت

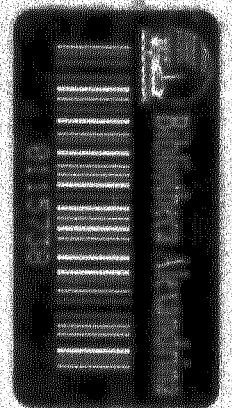
١٧١	.	.	.	.	.	.	.	.	٢١. حكومة قتبان .
١٧٩	.	.	.	.	.	.	.	.	حكام قتبان .
١٨٦	.	.	.	.	.	.	.	.	كتابات وحوادث قتبانية
٢١٨	.	.	.	.	.	.	.	.	قبائل واسر قتبانية .
٢٢٢	.	.	.	.	.	.	.	.	مدن قتبان .
٢٣٢	.	.	.	.	.	.	.	.	قوائم بأسماء حكام قتبان
٢٤١	.	.	.	.	.	.	.	.	٢٢. مملكتا ديدان ولحيان .
٢٥٨	.	.	.	.	.	.	.	.	٢٣. السبثيون .
٢٦٨	.	.	.	.	.	.	.	.	المكربون
٣٠٦	.	.	.	.	.	.	.	.	قوائم بأسماء المكربين
٣١٥	.	.	.	.	.	.	.	.	٢٤. ملوك سبأ .
٣٤٧	.	.	.	.	.	.	.	.	قوائم بأسماء ملوك سبأ .
٣٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	٢٥. همدان .
٣٩٠	.	.	.	.	.	.	.	.	٢٦. أسر وقبائل .
٣٩٤	.	.	.	.	.	.	.	.	سخيم
٣٩٨	.	.	.	.	.	.	.	.	خسأ
٣٩٩	.	.	.	.	.	.	.	.	عقرب
٤٠٠	.	.	.	.	.	.	.	.	خولان وردمان
٤٠٦	.	.	.	.	.	.	.	.	أربعن
٤٠٧	.	.	.	.	.	.	.	.	يتع .
٤٠٩	.	.	.	.	.	.	.	.	سمعي
٤١١	.	.	.	.	.	.	.	.	حملان
٤١٢	.	.	.	.	.	.	.	.	يهيب
٤١٢	.	.	.	.	.	.	.	.	يرسم
٤١٣	.	.	.	.	.	.	.	.	بنو سمع
٤١٤	.	.	.	.	.	.	.	.	رمس
٤١٥	.	.	.	.	.	.	.	.	سقران
٤١٥	.	.	.	.	.	.	.	.	قرعتمن

٤١٦	.	.	.	.	.	.	.	٢٧. ملوك سبأ وذو ريدان
٤٧٣	.	.	.	.	.	.	.	٢٨. سبأ وذو ريدان
٤٩٥	.	.	.	.	.	.	.	صنعاء
٤٩٥	.	.	.	.	.	.	.	قائمة ريكمنس
٤٩٨	.	.	.	.	.	.	.	٢٩. ممالك وإمارات صغيرة
٥٠٦	.	.	.	.	.	.	.	الجنيانيون
٥٠٧	.	.	.	.	.	.	.	نجران
٥٠٨	.	.	.	.	.	.	.	مملكة يهأمر
٥١٠	.	.	.	.	.	.	.	٣٠. الحميريون
٥٣٠	.	.	.	.	.	.	.	٣١. سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت
٥٩٨	.	.	.	.	.	.	.	ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت
٦٠٠	.	.	.	.	.	.	.	٣٢. إمارات عربية شمالية
٦٢٦	.	.	.	.	.	.	.	٣٣. ساسانيون وبيزنطيون

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّاد عاي

الجزء الثالث



انفصیل
فے
تاریخ العرب قبل الاسلام

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

المحرر والممثل

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الرابع والثلاثون

مملكة النبط

مملكة النبط ، مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً . سداها ولحمتها النبط . وهم قوم من جيلة العرب ، وإن تبرأ العرب منهم ، وعيروا بهم ، وأبعدوا أنفسهم عنهم ، وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، وقالوا إنهم نبط ، وإن في لسان من استعرب منهم رطانة . وسبب ذلك ، هو أنهم كانوا قد تثقفوا بثقافة بني إرم ، وكتبوا بكتابتهم ، وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرمية عليهم ، ولأنهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة وبالرعي وباحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم ، ويُعَيَّر من يقوم بها ويحترفها .

وتكمن عوامل ظهور النبط وغلبيتهم على المنطقة التي عرفت بهم ، وتكوينهم دولة بعد أن كانوا أعراباً يعيشون عيشة ساذجة ، تكمن في أسباب وأسس اقتصادية . فقد تمكن هؤلاء النبط الأذكياء من استغلال موقع بلادهم لممر شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام بها ، ففرضوا ضرائب على التجار وعلى التجارة عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا أنفسهم بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشام ومصر ومواقع من جزيرة العرب ، فدرت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة إلى غيرهم ممن يسكنون البوادي ، والمواقع المقفرة المنعزلة .

وقد كان ميناء (غزة) ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط . وهو في الواقع ميناء كل التجار العرب ، إذ كان المرفأ الوحيد الذي ترفأ اليه تجارة العرب . وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط ، صاروا يشترون منه ما يرد عليه من بضائع من موانئ البحر المتوسط ، ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب القادمين اليهم من الحجاز ومن العربية الجنوبية ومن أماكن أخرى من جزيرة العرب ، كما أنهم صاروا يشترون من التجار العرب ما عندهم من تجارة ، ثم يحملونها الى ذلك الميناء لبيعه في أسواقه ، وبذلك حصلوا على أرباح من هذه الوساطة في الاتجار .

وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، في المكان الذي عرف باسم (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) عند اليونان والرومان .

وأما أخبارنا عنها ، فستمدة من كتب الكلاسيكيين ، ومن مؤلفات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) (٣٧ - ١٠٠ بعد الميلاد) . صاحب (Ioudaïke Archaeologia) و (Periton Ioudaikon Polemon)^١ ، ومن كتابات عثر عليها في (العربية الحجرية) وفي الأخرى التي خضعت لحكمها وهي نبطية ولاينية ويونانية . وعلى هذه الموارد يعول المؤرخ الحديث في تدوين تأريخ قوم كان لهم نفوذ وسلطان وصوت مسموع وكلمة ، ثم اذا هم في الذاهبين (وتلك الأيام نداولها بين الناس)^٢ .

وقد تضمن القسم الأكبر من كتابات النبط ، كتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أشير فيه الى المواضع التي عثر فيها على تلك الكتابات ، والى السمات التي وسمت بها لتمييز بعضها عن بعض . وأسهمت كتب أخرى بالطبع في هذا المجهود العسير ، مجهود نشر الكتابات النبطية القديمة وغيرها ، ككتاب : (Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik) ، وكتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum ، للعالم المعروف (مارك ليدزبارسكي)

١ Harvey, P. 228, A. R. Shilleto, The Works of Flavius Josephus in 5 Vols., (Bohn's Standard Library).

٢ سورة ال عمران : رقم ٣ ، الآية ١٤٠ .

(A Text Book of North-Semitic : وكتاب^١ ، (Mark Lidzbarski)
Inscriptions) لـ (كوك) (G. A. Cooke)^٢ وكتاب (REP. EPIG)^٣ ،
وكتب أخرى سأشير إليها في أثناء الحديث ، يضاف إليها ما نشر في المجلات
العلمية الاستشرافية كمجلة : (ZDMG) وأمثالها^٤ .

أما لغة النصوص النبطية ، فلغة (بني إرم)^٥ ، وأما خطها فبالقلم الإرمي ،
ولكنه (إرمي) مأخوذ من القلم الإرمي القديم ، وقد عرف عند المستشرقين
بـ (القلم النبطي) تمييزاً له عن بقية الأقلام^٦ . وأما المواضع التي عثر على هذه
الكتابات فيها فهي عديدة ، منها (بطرا) و (الحجر) (Hegra) و (العلا)
و (تيماء) و (خيبر) و (صيدا) (Sidon) و (دمشق) ومواقع متعددة
من (حوران) ومن (اللجاة)^٧ و (طور سيناء) والجوف واليمن ومصر وإيطاليا
وأماكن أخرى سترد أسماؤها في ثنايا هذا الفصل^٨ .

وتختلف الكتابات النبطية القديمة ، من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف
عن الكتابات النبطية المتأخرة المدونة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن
التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لانجدها
في النصوص الأخرى . وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت بمرور
العصور على أشكال الحروف في مثل (التريسع) والانفصال والاتصال وتقاربها
وتباعدها من الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية ، وعلاقاتها بعضها
ببعض^٩ .

١ Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik nebst Aus-
gewählten Inschriften, Weimar, 1898, Ephemeris für Semitische Epigraphik,

I, Glessen 1901, 11, 1903, III, 1912.

٢ G. A. Cooke, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions : Moabite, Hebrew,
Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

٣ Repertoire D'Epigraphie Semitique.

٤ Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

٥ (بنو إرم) ، الطبري (١ / ٢٢٠) (طبعة ليدن) .

٦ Lidzbarski Nord. Eplg., I, S., 180.

٧ البلدان (٣٢٣ / ٧) .

٨ Musil, Deserta, P., 471, Lidzbarski, I, S., 121, 122.

٩ Lidzbarski, I, S., 121, 194.

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضيع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالمجموع . فهي لا تفيد المؤرخ إفادة مباشرة ، ولكنها تفيد الباحثين من غير شك في أمور أخرى ، تفيدهم في الدراسات اللغوية مثلاً ، فهي كنز لا يقدر بثمن من هذه الناحية . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وبساسة الحكومة أيام السلم أو الحرب ، فهي قليلة جداً - ويا للأسف - مع أنها المادة الأساسية في كتابة التاريخ^١ .

والكتابات النبطية المؤرخة مثل الكتابات السامية الأخرى ، قليلة بالنسبة الى الكتابات الغفل من التأريخ . أما طرائق تواريخ الحوادث عند النبط ، فكانت متعددة منها التواريخ بأيام الملوك كأن يذكر اسم الشهر الذي دوت فيه النص ، ثم يذكر بعده عام التدوين ، فيقال مثلاً : (في شهر كذا من سنة كذا من حكم الملك) (يرح شنت ملك نبطو) . وقد استعملت هذه الطريقة في أيام استقلال النبط خاصة . والتواريخ بسني حكم قياصرة (رومة) وذلك بذكر الشهر الذي دوت فيه الكتابة ، ثم السنة المصادفة من سني حكم القيصر الذي في أيامه جرى التدوين ، أو السنة المصادفة دون الإشارة الى اسم الشهر^٢ .

وقد عثر على كتابات مؤرخة بسني حكم (القناصل) ، وعلى كتابات أخرى أرخت بتقويم (بصرى) ، ومبدأه اليوم الثاني والعشرون من شهر (آذار) من سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، وقد أرخ به في كتابات (طور سيناء) كذلك^٣ . وظلت الأقسام الجنوبية من (الكورة العربية) تؤرخ به حتى بعد فصلها من هذه الكورة وإلحاقها بـ (كورة فلسطين)^٤ . وأرخ بالتقويم (السلوقي) ، وأوله

^١ Lidzbarski, I, S., 163.

^٢ Lidzbarski, I, S., 112, REP. EPIG., 128, I, II, P., 113, Euting, Sinal. Inschr., No : 457.

^٣ Lidzbarski, I, S., 113, Euting 319, 457, 463, Berger, No : 1060.

^٤ Provincia, III, S., 303.

اليوم الأول من شهر (تشرين الأول) (أكتوبر) من سنة (٣١٢) قبل الميلاد^١ .
وأرخ بأيام القيصر (بومبيوس) حيث اتخذت مبدأ لتقويم يبدأ بشهر (تشرين الأول) ، (أكتوبر) من سنة (٦٣) قبل الميلاد ، أرخ به في الكتابات وفي النقود^٢ .

وأرخ في بعض الكتابات النبطية بتواريخ محلية كانت متعارفة عندهم مشهورة .
كما فعل غيرهم في جزيرة العرب حيث أرخوا بالحوادث المحلية المهمة ، نظراً لما كان لها من شهرة بينهم . وقد تمكن العلماء من تشخيص بعض منها ، ولم يتمكنوا من تشخيص بعض آخر . ومن الكتابات المؤرخة بتواريخ محلية كتابة عثر عليها في مدينة (فيليبوبولس) (Philippopolis) ، وقد أرخت بتقويم يبدأ بسنة (٢٤٨) تقريباً أو بين سنة (٢٤٧) وسنة (٢٤٩)^٣ . ومدينة (شقا) (شقة) ، وقد أرخت في عدد من كتاباتها بسنة (٩٢) بعد الميلاد . ومدينة (Constantia) وهي (البراك) في (اللجاة) وفي عدد من الكتابات التي عثر عليها في موضع (شيخ مسكين) ، وهو (Maximinopolis) على رأي بعض الناس^٤ .

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب ، وإن استعملوا الإرامية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، وأنهم يشاركون العرب في عبادة الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز ، مثل (ذي الشرى) و (اللات) و (العزى) ، وأنهم رصعوا كتاباتهم الإرامية بكثير من الألفاظ العربية ، وبدليل إطلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي (يوسفوس) كلمة (العرب) على النبط ، وإطلاق اسم (Arabia Petraea) أي (العربية الحجرية) على أرضهم ، ولو لم يكن النبط عرباً ، لما أطلق (الكلاسيكيون) كلمة العرب عليهم ، وما كانوا يدخلون بلادهم في ضمن العربية ويجعلونها جزءاً من أجزائها الثلاثة .

وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي إلى

Berytus, Archeological Studies, Published by the Museum of Archeology
of the American University of Beirut, Vol., I, American Press Beirut, 1934,

P., 36.

Provincia, III, S., 304.

Provincia, III, S., 205.

Provincia, III, S., 305, 306.

أعالي الحجاز فأقاموا بها، ثم سرعان ما استقروا وتحضروا وأقاموا يفلحون الأرض ويزرعونها ، فأقاموا لهم مستوطنات زراعية ، واستقروا في المدن والقرى، محترفين بمختلف الحرف وفي طبيعتها التجارة وبالاشتغال بالقوافل التجارية التي تنقل التجارة بين مختلف الأمكنة ، فجمعوا من ذلك مالا^١ وثراء^٢ . وقد ذهب بعضهم الى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة^٣ .

ولقد وجدنا طائفة^٤ من العلماء تتنكر لهذا الرأي ولا تراه ، وترى في الألفاظ العربية المزوجة في الإرامية بكثرة، وفي تشابه الأسماء واشتراكها بين النبط والعرب، أثراً من آثار الاختلاط والاتصال بحكم السكنى المشتركة والجوار ، ولا علاقة له بوحدة الجنس ، وترى لذلك أن النبط إرميون احتكوا بالعرب وتأثروا بهم ، أو أنهم إرميون استعربوا من بعد^٥ .

أما ان النبط من بني (إرم) لأنهم كتبوا بلغتهم ، واستخدموا قلمهم، فهو قول مردود ، فقد كتب غير النبط ومن غير (بني إرم) بلغة (إرم) وبقلم (إرم) ، ولم يقل أحد من العلماء إن جميع من كتب بلغة الإرميين وبقلمهم هم من (بني إرم) حتماً . ولا يمكن أن يقال ذلك ، لأن الإرامية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . تغلبت على العبرانية مثلاً وزاحتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والسواد الى نهاية القرن السابع بعد الميلاد ، فدونت بها كتب من (التركوم) والأدعية والشروح و (مجلة تعنيت) و (أنطيوخوس) وغيرها من مؤلفات القرنين الثاني والأول قبل الميلاد^٦ . وألفت بها فيم بعد الميلاد ، فلا عجب إذن إذا ما دوت النبط أو غيرهم من العرب بالإرامية لغة الفكر والثقافة ، وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان^٧ . وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون باللسنة أعجمية ، ويدوتون باللسان العربي لسان العلم والفكر والقرآن .

١ Delties, P., 4.

٢ Kennedy, P., 34.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٥٨/١) .

٤ Ency. Bibli., P., 277, 282.

تلك هي آراء المستشرقين في أصل النبط . أما رأي أصحابنا الأخباريين فيهم فخلاصته ان النبط « جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقيين ، سُمّوا بذلك لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء . وسمّي أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأخلطهم ... »^١ والعرب تنفر من النبط وتنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، وإذا أراد أحدهم الاستهانة بأحد قال له « يا نبطي » . (وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر يا نبطي ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط ، يريد الجوار والدار دون الولادة)^٢ . وورد في الأخبار : « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا »^٣ . وضرب المثل في رطانة كلام النبط بالعربية وقبحه : « وقد قبح الكلام ، وصار على كلام النبط »^٤ الى غير ذلك من كلام فيهم يشير الى ازدراء العرب بنبط العراق ، ونبط الشام وبنبط عامة .

وقد أشار المسعودي الى ان « من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط .. » وقال في معرض حديثه عن أهل نينوى : « وكان أهل نينوى ممن سمّينا نبطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة » . وجعل النبط أهل بابل ، وملوك بابل هم ملوك النبط . وذكر أيضاً ان هنالك من يزعم ان النبط هم (نبط بن ماش بن إرم ابن سام بن نوح)^٥ . فيفهم من كلام (المسعودي) انه لم يكن على علم واضح بأصل أهل نينوى وبأصل أهل بابل ، فجعلهم من السريان ومن النبط . والمسعودي مثل بقية الأخباريين عني بالنبط المتكلمين بالإرمية (الآرامية) من أهل العراق . والسريانية كلمة حديثة عهد ، يراد بها لغة بني إرم ، أي (الإرمية) . ولا يرتقي اسم (السريان) (Syrians) على كل حال أكثر من خمسمئة سنة أو أربعمئة

- ١ تاج العروس (٢٢٩/٥) ، القاموس (٣٨٧/٢) ، اللسان (٢٨٨/٩) وما بعدها ، البستان (٣٥٠/٢) .
- ٢ تاج العروس (٢٣٠/٥) .
- ٣ استعجم العرب في الموامي بعدك ، واستعرب النبطي
- الاغاني (٦١/٥) ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ، القاهرة (١٩٥ م) (١٨٩/٢) ،
- الاغاني (١٦/٥) .
- ٤ مروج الذهب (١٢٩/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦) ، (طبعة المطبعة البهية) .

سنة قبل الميلاد . واما اطلاق اسم السريان على الإرميين الشرقيين ، اي لإرمي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد . أطلق على منتصرة الإرميين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين ، فصار له مفهوم خاص ، وصارت كلمة (إرمي) (آرامي) تعني الصابئ والوثني أما كلمة (سرياني) فتعني النصراني حتى اليوم^١ .

أما (ماش) (Mash) ، فهو أحد أبناء (آرام) ذكر في (التكوين) ، مع (عوص وحول وجائر) بمعنى أنهم اخوته^٢ . ودعي (ماشك) في (أخبار الأيام الأول)^٣ . ويظن أنهم سكان (ماش) (ماشو) في النصوص الآشورية ، أي بادية الشام^٤ . و (إرم) هو ابن (سام بن نوح) في التوراة^٥ . وتنفق رواية (المسعودي) المأخوذة من أقوال أهل الكتاب ولا شك ، مع ما جاء في التوراة من أن (ماش) هو ابن (آرام) ، وهو (إرم) . وأما ما ذكره على لسان غيره أو لسانه من أن النبط هم (نبيط) وأن (نبيطاً) هو ابن (ماش) ، فهو قول لم يرد في التوراة . ولا يعرف العهد القديم شخصاً اسمه (نبيط بن ماش بن آرام) . ويقصد المسعودي من (نبيط) (نبايوت) ، ولا شك و (نبايوت) هو الابن البكر لاسماعيل في التوراة^٦ .

أما أنهم سموا نبطاً لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، أو لاستنباطهم الماء ، وإنباطهم الآبار ، وما شاكل ذلك من تفاسير وردت في معنى النبط^٧ ، فهو كلام كان يسمع في القديم . أما اليوم فلا يمكن أن يقام له وزن . والنبط في عرف الباحثين هم (نبط) و (نبطو) في الكتابات^٨ ، والكلمة

١ لمعرفة ما قيل في أصل لفظة (السريان) وتكونها ، راجع : (دليل الراغبين في لغة الاراميين) تأليف القس يعقوب أوجين حنا الكلداني ، طبع مطبعة دير الإباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م (ص ٩ وما بعدها) .

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٧/٢) الاصحاح الاول ، الآية ١٧ ، Ency. Bibl., P., 2972

٤ Hastings, PP., 606.

٥ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٦ التكوين : الاصحاح ٢٥ ، الآية ٣ ، أخبار الأيام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ .

٧ ابن دريد : الاشتقاق (٢٣٦/٢) (طبعة وستنفلد) .

٨ (نبطو) ، CIS, II, I, II, P., 184, II, 157.

اسم علم ليس غير مثل سائر أسماء الأعلام ، لا علاقة له لا بالماء ولا باستنباط الماء . حار الأخباريون فيه فعالجوه على مألوف طريقتهم بإيجاد معان الأسماء ، وتعليلات وأسباب ، وظنوا أنهم بهذا التعليل وجدوا سر التسمية ووقفوا عليه ، ولا سيما ان النبط زراع ، ولهم مياه غزيرة وعلم بالماء ، وان النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر اذا حفرت ، فقالوا : النبط من نبط ، فالمسألة اذن سهلة هينة . أنهم سمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وهو الماء^١ .

وأشير الى النبط في حديث عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » ، أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط . وفي الحديث الآخر : « لا تنبطوا في المدائن » أي لا تشبهوا بالنبط في سكانها واتخاذ العقار والملك . وورد ذكر النبط في خبر مرفوع الى ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثي ريثا ، قيل : ان ابراهيم الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها »^٢ . وورد في حديث (عمرو بن معديكرب) حين سأله (عمر) عن (سعد بن أبي وقاص) ، فقال : « أعرابي في حيوته ، نبطي في جيوته » ، أراد انه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقاً بها ومهارة فيها، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها. وفي حديث أبي أوفى : « كنا نسلف نبط أهل الشام »^٣ .

ويقال الآن في نجد للشعر العامي (الشعر النبطي) أو (شعر النبط) ، ويرى الباحثون في هذا النوع من الشعر انه منسوب الى نبط العراق^٤ . وعلى كل فإن لهذه التسمية علاقة باسم هذا الشعب العربي القديم الذي نتحدث عنه .

والنبط الذين قصدهم الأخباريون إذن ، هم قبط آخر لا نريد لهم نحن في هذا الفصل ولا نقصد لهم ، هم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم ، ومنهم مترسبات الإرميين في العراق والشام ، وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام ، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غربية

١ اللسان (٤١١/٧) (صادر) ، البستان (٢٢٥٠/٢) .

٢ اللسان (٤١١/٧) .

٣ اللسان (٤١٢/٧) .

٤ خالد بن محمد المفرج : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد . دمشق ١٩٥٢ م (ص : ط) ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي : صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، القاهرة ، ١٩٥١ م (١٨٩/٢) .

ظاهرة . أما نبطنا ، فهم أصحاب كتابات مدوّنة بالإرمية ، وقد عاشوا في (العربية الحجرية) وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال ، كما عاش فرع آخر منهم في (تدمر) ، وسنأتي الحديث عنهم .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب الى قريش والى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بـ (العرب الجنوبيين) . والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام . وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وقد قلت إن من العلماء من يرى أن قلنا هذا مأخوذ من قلم النبط . يضاف الى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدوّنة بالإرمية ، هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم . لهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب الى قريش والى العدنانيين علي حدّ تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تتبعوا أسماءهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين . أضف الى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن (نايوت) وهو (نابت) أهل الأخبار ، هو الابن الأكبر لإسماعيل ، وإسماعيل في عرف النسابين هو جدّ العرب العدنانيين .

وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالإرمية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن ، لأنه حرماننا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن في أشد الحاجة إليها ، لما لها من فائدة في دراسة تطوّر اللهجات العربية واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والمراحل التي مرّت بها . وخاصة أننا لا نملك من النصوص العربية المدوّنة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

ويعد (ديودورس الصقلي) أقدم كاتب (كلاسيكي) تحدّث عن النبط . يليه (سترابون) ، فبقية (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعدهما . وفي تأريخ (يوسفوس) اليهودي المتوفى حوالي سنة (٩٥) بعد الميلاد ، أخبار مفيدة عن النبط ، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار .

وقد تطرق (سترابون) الى أمور لم يتطرق لها (ديودورس) ، أخذها من صديق له اسمه (أثينودورس) (Athenodorus) ، وكان فيلسوفاً ولد بين النبط وعاش بينهم . وقد حدّثه هذا الفيلسوف ان عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء

من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا في نزاع وخصام بينهم .
أما النبط فكانوا على صفاء ووثام ، يعيشون عيشة سلام وراحة^١ . ويتبين أثر
اختلاط الغرباء بالنبط ، في الآثار الباقية وفي الكتابات اليونانية والرومانية التي عثر
عليها في أرض النبط وعلى النقود .

وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت (دمشق) و (سهل
البقاع) (بقاآث ه - لبنون) (Biq'ath Ha-Lebanon) (Coele Syria) ،
والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحواران و (أدوم) (Idumaea) ،
ومدين الى (ددن) (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً ان جماعة
من النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلنا) النيل ، وقد تركت لنا عدداً
من الكتابات^٢ .

ولا يعرف الموطن الأصلي الذي جاء منه النبط على وجه التحقيق ، ولا الزمان
الذي هاجروا فيه منه . ويظن بوجه عام انهم كانوا بدواً في الأصل من سكان
البادية الواقعة شرق شرقي الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فتركوا أرض (أدوم)
وضايقوا الأدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختياراً أو كرهاً ، فسكنوا
في المناطق الخصبية المشرفة على البحر المتوسط . وكان ذلك حوالي (٥٨٧) قبل
الميلاد . ولا يعرف على وجه العموم في الزمن الحاضر شيء ما عن مبدأ تأريخ النبط^٣ .

ويرى بعض العلماء أن النبط هم (نيباطي) المذكورون في أخبار الملك
(أشور بنبال) (Aschurbanipal) ، وهم أيضاً (نبايوت) (Nebojot) =
(Nabatene) أولاد اسماعيل في التوراة^٤ . وهم سكان أرض (Nabatene)^٥ .

١ Sir Alexander B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London, 1925, P., 33.

وسميكون رمزه : Kennedy

٢ Ency., Vol. III, P. 801, Clermont Ganneau, Les Nabatlens en Egypte, in Recueil d'Arch. Or., VIII, 1924, PP. 229.

Kennedy, P., 29.

٣ J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., IX, P. 121.

وسميكون رمزها : ENCY. RELIG.

٤ Josephus Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, Col., I, P., 103, A. R.

Shillea, London, 1911, (Bell and Sons).

ويعارض هذا الرأي بعض آخر ، ولا يرى وجود صلة ما بين النبط و (نبياطي) أو (نبايوت)^١ . وأما النبط المذكورون في (المكايين) ، فهم النبط جماعتنا الذين نتحدث عنهم الآن^٢ .

وقد أطلق (يوسفوس) اسم (النبطية) (Nebaloth) على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتصل بحدود الشام الى البحر الأحمر ، وهي من مناطق أولاد اسماعيل^٣ . ويظهر من تأريخ (يوسفوس) أن مؤلف هذا التأريخ كان يرى وجود صلة بين اسم (نبايوت) وهو اسم ابن (يشمعييل) (اسماعيل) وبين اسم النبط ، وإلى هذا الرأي ذهب أيضاً (جيروم) (Jerome)^٤ .

ومن أخبار (ديودورس) عنهم أن معظم بلادهم قفرة قليلة الماء والقسم المنبت منها قليل ، لذلك عاش سكانها عيشة أعرابية ، على الغزو ، وعلى الترحش بحدود جيرانهم ، لعلهم أن من الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والاتحام بهم في البادية لقلة الماء ، وإلا تعرضت للتهلكة والموت عطشاً .

أما هم ، فلم آبار مخفية ، وكهاريس أغلقت فنتحاتها ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هي ؟ يشربون منها متى شاءوا ، ويأخذون منها ما يحتاجون إليه . وهم قوم يحبون الحرية ويقدمونها ، ويأبون الخضوع لحكم الغزاة . ولهذا لم يخضعوا لحكم الآشوريين أو الميديين أو الفرس أو لحكم ملوك المقدونيين ، مع أن هذه الدول أرادت استعبادهم فأرسلت عليهم جيوشاً قوية ، ولكنها لم تنجح في تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط^٥ .

وقد ذكر عنهم أنهم كانوا يجمعون المطر ويخزنونه في الصهاريج ، التي لا يعرف مراقعها أحد غيرهم ، وأنهم كانوا لا يذيقون ماشيتهم الماء الا في كل ثلاثة أيام ، حتى تتحمل عطش البادية وقلة مائها ، وبذلك تعود هذه البوادي القاسية .

١ E. Schrader, K.L.T., S., 151.

٢ المكايين الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ٢٥ ، الاصحاح التاسع ، الاية ٣٥ ، Hastings, P., 649.

٣ Josephus, Antiqu., I, 12, 4.

٤ Ency. Bibl., P., 3254.

٥ Diodorua, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I. S. 31, 284, J. Cantlineau, Nabatéen et Arabe, I, in L'Inst. des Etudes Orient d'Alger, 1934-1935, 4.

أما الناس ، فكانوا يعيشون على اللحوم والحليب ، يضاف الى ذلك نوع من (الفلفل) ولب بعض الشجر ، حيث تخلط بالماء^١ .

وقد أخذ (ديودورس) أخباره عن النبط من مؤرخ قبله هو (Hieronymos of Cardia) = (Hieronymos of Kardia) ، ويعود خبره الى حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد ، اذ تحدث هذا المؤلف عن حملة (انطيفونس) (انتيكونس) (Antigonos) على القبائل العربية، فذكر (النبط) (Nabataioi) = (Nabatoioi) وأشار الى الحملة التي أرسلت عليهم^٢ .

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط أنهم كانوا في بادئ أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل يتعاطون التجارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون (الاسفلت) من سواحله الشرقية فيحملونه الى مصر لبيعه الى المصريين^٣ . وكانت لهم أماكن محصنة تحصيناً طبيعياً يلتجئون اليها فيصعب على العدو مباغتتهم ومهاجمتهم في هذه الحصون ، كما أن لهم علماء بصحاريهم وبمواضع الماء فيها ، يحتمون بها عند الحاجة ، ويتخلصون بذلك من تعقيب الجيوش . ويذكر أنهم جنوا أرباحاً كثيرة من اتجارهم بالاسفلت، إذ كان المصريون يشترونه منهم لاستعماله في (المومياة) ، ولهذا أقبلوا عليه اقبالاً كبيراً ، درّ على النبط ربحاً طيباً^٤ .

وقد وصفوا بأنهم كانوا يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يزدرون السكنى في بيوت مستقرة ، وكانوا رعاة يربون الأغنام وبقية الماشية . وإذا وجدوا غريباً بينهم قتلوه ، لأنهم كانوا يخشون أن يقعوا تحت حكم الأجانب فيفقدوا حريتهم^٥ . ووصف (سترابو) النبط ، فقال : إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشتغل قوم منهم بالزراعة^٦ .

لقد أظهر هؤلاء الرعاة مقدرة فائقة وكفاية لا تقدر في تكييف أنفسهم وفي

Diodorus, 19, 49, Die Araber, I, S., 32. ١

Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I, 31. ٢

Ency., Vol., III, P., 801, Dieties, P. 4. ٣

Die Araber, I, S., 34. ٤

Die Araber, I, S., 283. ٥

Dieties, P., 4. ٦

أخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة . تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيها من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في (أدوم) ، واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشؤون الحياة . وأخذوا من (الهلينية) تنظيم المدن وأصول الإدارة والفن وحوّلوا مدينتهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابليتهم للمدينة . كما اقتبسوا من (الفرث) (Parthian) ما يلائمهم ويوائم حياتهم وحاجاتهم . وضرّبوا النقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا وأثبتوا أن العربي كيفما كان أمره قابل للتطور والابداع والأخذ والاقتباس ، وأنه إذا هيئت له الظروف وأرشدته المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً : أفاد نفسه وقومه والبشرية خير افادة .

ومن النبط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في بطرا الى اليمن ، وقد كانوا واسطة لنقل (الهلينية) الى العرب الجنوبيين . وقد عثر في (خولان) من اليمن على رأس مصنوع من النحاس ، محفوظ الآن في المتحف البريطاني ، يشبه وجهه الوجوه المطبوعة على النقود النبطية المضروبة في القرن الأخير قبل الميلاد ، لذلك يرى الباحثون أنه من صادرات مملكة النبط الى اليمن ، وأنه من المصنوعات المتأثرة بالطابع (الهليني)^٢ .

ويحدثنا (ديودورس) ان (انطيغونس) (Antigonus) الذي خلف الاسكندر في سورية ، جرّد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندي من المشاة وستمئة فارس جعلها في قيادة صديقه (أثينيوس) (Athenaeus) ليجهزهم على التحالف معه وتأيد مصالحه . وأمره بمباغتتهم وسلب كل ما يمتلكون من ماشية . فسار القائد من مقاطعة (أدوم) (Idumaea) بكل حذر وتكتم لكيلا يعلم أحد من النبط به . وباغت الصخرة في منتصف الليل ، فقتل من حاول المقاومة وأسر خلقاً منهم ، وترك الجرحى ، واستولى على ما وقعت عليه يده من البخور والتوابل والطيب والفضة . ثم أمر قوته بالاسراع بالرجوع ، فلما قطعت مسافة مئتي (اسطاديون) أضناها التعب ، ونهكها قطع الطريق ، فاضطرت الى قطع

M. Rostovtzeff, II, PP. 853.

Rostovtzeff, II, P., 855, R. P. Hings, in British Museum Quarterly, XI, 1937, PP., 153, H. Shlobies. Forschungen und Fortschritte X, 1934, S., 242.

السير للاستراحة في معسكر أقامته . وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف ، فلم ينج من رجال الحملة الا خمسون فارساً هربوا بسلام بعد أن أُنْخِن أكثرهم بالجراح . وكان ذلك كما يزعم (ديودورس) بسبب تهاون رجال الحملة بأمر الحراسة وعدم تصورهم ملاحقة النبط لهم ، وتمكنهم من الوصول الى هذا الموضع في خلال يومين أو ثلاث^١ .

وذكر (ديودورس) ان اليونان تَخَيَّرُوا الوقت المناسب حينما باغتوا (الصخرة) فقد كان من عادة أهلها الذهاب الى أسواق مجاورهم للامتياز وللمبادلة سلعهم بسلع يحتاجون اليها من جيرانهم، تاركين في صخرتهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم وعجزتهم وشيوخهم . ولم تكن الصخرة مع حصانتها ، مسورة ، فانتهاز رجال الحملة هذه الفرصة ، وباغتوا الحصن على نحو ما ذكرت . فلما بلغ الخبر النبط، تركوا السوق وتراكضوا الى الصخرة ، وأسرعوا يتعقبون أثر اليونان حتى أدركوهم في ذلك الموضع ، فانقموا منهم شر انتقام ، وعلموهم درساً لا ينسى ولا شك في وجوب اتخاذ الحذر والحيلة وتقدير كل أمر حق قدره مهما صغر وتفه، وقد تأتي التوافه بنتائج لا تأتي من عظام الأمور . أما تأريخ ارسال هذه الحملة ، فكان في سنة (٣١٢) قبل الميلاد^٢ .

وبعد انتقام النبط ممن حاول استرقاقهم ، عادوا الى الصخرة راضين مطمئنين، فنظموا أمورهم ، ثم كتبوا الى الملك (انطيغونس) كتاباً كتب بالأبجدية السريانية يلومون فيه (أثينيوس) (Athenaeus) على ما فعل بهم، ويعتذرون فيه عما بدر منهم ، ويحملون صاحبه وزر صنعه . وقد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن بعلمه ورضاه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ولذلك فهو يحمله وزره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبينه ، وأن ينسى ما حدث ، وكان غرضه من هذا الكلام التأثير عليهم ، وجلبهم اليه ولو الى حين حتى يرى أمره ، فان أبوا ضرب ضربته . ونال ما أراد .

وبعد مدة هيا قوة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان جعل قيادتها تحت إمرة ابنه (ديمتريوس) (Demetrius) ، للانتقام

Die Araber, I, S., 33, J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 1932, II.

Booth, P., Book, XIX, VI, Kennedy, PP., 30, Deities, P., Ency. Relig., Vol., 9,

P. 121, Ency., III, P., 801, Die Araber, I, S., 33.

من النبط بأية طريقة كانت . فلما سمع النبط بقدومها ، أمنوا أموالهم في مواضع حصينة يصعب الوصول إليها ، ووضعوا عليها حراسة كافية ، وسلكوا طرقاً متعددة تؤدي بهم الى البادية . فلما وصل (ديمتريوس) الى (الصخرة) ، هاجمها بعنف وشدة ، غير أنه لم يفلح في اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجع بجيوشه قانعاً بالهدايا التي قدمت اليه^١ .

ويذكر (ديودورس) أن النبط كانوا قد لجأوا الى اتخاذ أماكن حراسة وضعوا فيها حُرّاساً ، واجبهم تنبيه النبط حين تبدو ظاهرة خطر عليهم ، بإيقاد نيران في مواضع مرتفعة من تلك الأماكن ، تكون علامة على وجود الخطر . فلما ظهر (ديمتريوس) متجهاً نحو الصخرة ، أوقد الحُرّاس النار ، فهرب النبط الى مواضع أمينة من البادية ، وتخلصوا مع أموالهم منه ، لأنه خاف من ملاحقتهم لعدم تمكن جيشه من تعقب آثارهم ولخوفهم من ولوج البادية . وقد كان (المقدونيون) يخشون من دخولها^٢ .

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة، واكتنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عماد طرق القوافل في ذلك الزمن إليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق الى مصر والشأم وغزة والمدن الفينيقية على البحر المتوسط ، وبها يصل طريق تجاري آخر مهم يصل الخليج بمدينة (بطرا) . ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها في التجارة أقل من شأن عاصمة النبط ، وأعني بها مدينة جرها Gerrha على الخليج . فتحمل إليها تجارة الهند وما وراء الهند ، وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشأم ومصر وموانئ البحر المتوسط . وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم^٣ . وقد اقتضى ذلك بالطبع وضع حرس قوي لحماية القوافل واجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور (الترانزيت) .

Booth, PP., 650, Book, XIX, VI, Kennedy, P., 31, Die Araber, I, S., 32. ١

Diodorus, 19, 94, 6, 19, 2, Die Araber, I, S., 284. ٢

M. Rostovtzeff, The Social, II, P., 841. ٣

وقد أدت سياسة البطالة الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية الى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون في البحر الأحمر . فاضطر النبط الى التحرش بسفن البطالة ومهاجمة السفن التي تتجه نحو مصر وبأخذ ما فيها ، فاضطر (بطلميوس الثاني) (٢٨٥ - ٢٤٦ قبل الميلاد) الى انشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية ، وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط^١ ، منعت النبط أمداً من التعرض لقوافل البطالة ، غير ان النبط كانوا ينتهزون الفرص ، فلما انشغل (بطلميوس) بالحرب مع (سلوقي) سورية عادوا الى مهاجمة سفن البطالة والسفن الذاهبة أو الآتية من مصر^٢ .

وألحقت سياسة (بطلميوس فيلادلفيوس) ومشروعاته الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارة البلاد الحارة، أضراراً خطيرة بالتجارة العربية ، أثرت تأثيراً سيئاً جداً في الوضع السياسي في جزيرة العرب . إذ أفقدت العرب السيطرة على البحر الأحمر وأوجدت لهم منافسين خطيرين نافسوهم في أسواق إفريقيا والهند ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم ، بفضل ما أدخلوا على سفنهم من تحسينات فنية وابتكارات ، وما خصصوا بها من قوات لحمايتها من تعرض سفن العرب لها . وقد ابنتى (بطلميوس فيلادلفوس) مدينة (Berenice) على خليج العقبة (Atlantic Gulf) لحماية التجار والسفن من تعرض النبط . ولعل ميناء (امبلونه) (Ampelone) الذي أسسه تجار الروم في جزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر تجاه (العلا) على رأي بعضهم ، هو من المواضع التي أنشئت لهذه الغاية في هذا الزمن^٣ . وبإنشاء هذه المواضع سيطر اليونان على البحر والطريق التجاري القريب منه ، كما تمكنوا من ضمان الحصول على حاجاتهم بشراء ما يريدون من حاصلات الجزيرة ومن بيع ما يريدون يبعه في هذه الموانئ أيضاً .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اقتضي أثرها من جاء بعد (بطلميوس فيلادلفوس) من الملوك والقيصرة ، مشاطرة تجار العرب أرباحهم العظيمة التي

١ Strabo, III, P., 204.

٢ Murry, The Rock City Petra, P., 80, Die Araber, I, S., 285.

٣ M. Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

كانوا يجنونها من الاتجار مع مصر والشام . فلم يدخل في امكانهم وضع الأسعار كما يريدون ويشتهون كما كان ذلك سابقاً . إذ وضع سادة بلاد الشام ومصر الجدد أسعاراً ثابتة للبضائع العربية والهندية التي تصل الى بلادهم ، كما فرضوا عليها ضرائب معينة بحسب قوائم جديدة . وبذلك تحكموا في الأسعار التجارية العالمية ، وحرموا تجارة جزيرة العرب وسادتها من ملوك متاجرين وأسر غنية متنفذة ربحاً عظيماً ، وألحقوا بخزانتهم خسائر كبيرة . وكان من أثر هذه السياسة الصارمة هبوط الأسعار هبوطاً بيناً في الأسواق^١ .

وقد تمكن الباحثون في تأريخ النبط من ضبط أسماء جملة ملوك حكموا النبط. ولا نستطيع اليوم ذكر اسم أول من أسس مملكة النبط، ولا الزمن الذي أسست فيه تلك المملكة ولا الأسرة التي نسلت أولئك الملوك . وكل ما نستطيع قوله هو ان استقلال النبط كان قبل الميلاد ، واننا نعرف أسماء بضعة ملوك حكموا قبل الميلاد ، بصورة أكيدة لا مجال فيها لأي شك ، كما نعرف أسماء ملوك كان حكمهم بعد الميلاد .

ويكثر اسم (الحارث) (أرتاس) (ارتياس) (Aretas) = (Arethas) بين أسماء الملوك ، حتى لقد ذهب الظن ببعض الباحثين الى ان هذا الاسم هو لقب ، وانه في معنى (فرعون) بالنسبة الى ملوك مصر ، و (قيصر) بالنسبة الى ملوك الرومان والروم ، و (النجاشي) بالنسبة الى ملوك الحبشة، و (كسرى) بالنسبة الى ملوك الفرس ، و (تبع) بالنسبة الى ملوك اليمن^٢ . أما الاسم الذي يليه في المرتبة فهو (عبادة) و (مالك) و (رب ال) (رب ايل) . وذهب بعض آخر الى ان لفظة (Aretas) هي اسم الأسرة الحاكمة التي حكمت النبط ، وانها من أصل (آرامي) هو (حرت) (Charethath)^٣ .

وفي الفصل الخامس من أسفار (المكابيين الثاني) ان (أرتاس) زعيم العرب طرد (ياسون) (Jason) من أرضه (فجعل يقر من مدينة الى مدينة والجميع ينبذونه ويغصونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتال لأهل

١ Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

٢ The Bible Dictionary, Vol., I, P. 107.

٣ Hastings, P. 48.

وطنه حتى دحر الى مصر) ^١ . ويظهر من هذه الآية ان الحارث كان قد طرد (ياسون) من أرضه . وتغلب عليه ، وصار يتعقبه حتى هرب الى مصر . وكان (ياسون) قد اختلف مع أخيه (أونياس الثالث) (Onias III) في يهوذا على الكهانة العظمى . وقد حكم (أرتاس) أي (الحارث) المعروف بـ (حرث) (حرثت) (حارثة) (Harithat) في الكتابة النبطية في حوالي سنة (١٦٩) قبل الميلاد . ونظراً الى انه أول ملك وصل اسمه الينا في الأخبار ، أطلق الباحثون عليه لقب (الأول) تمييزاً له عن بقية من جاء بعده حاملاً هذا الاسم ^٢ .

ويلاحظ أن الآية المذكورة لم تلقب (الحارث) بلقب (ملك) ، وإنما نعتته بـ (زعيم) ، أو بما شابه ذلك من معان ، هي دون درجة (ملك) . أما الموارد التاريخية ، فقد لقبته بلقب (ملك) ^٣ .

وقد وردت كلمة (النباطيين) ، وهم النبط ، في موضع من الفصل الخامس من سفر المكابيين الأول ، وذكرت بعدها بجملة آيات كلمة (العرب) . وكان هؤلاء العرب يشدون أزر (تيموتاوس) الذي حارب (يهوذا المكابي) (يهوذا مكابوس) (Judas Maccabaeus) (١٦١ ق. م.) ^٤ أما النبط فكانوا على وئام مع المكابيين: (يهوذا المكابي) وأخوه (يوناثان) وكانت صلاتهم بغيرانهم المكابيين حسنة . ويظهر من الآية التي ذكر فيها اسم (العرب) أن (تيموتاوس) وأنصاره كانوا قد استأجروا العرب للقتال معهم* . وأغلب الظن أن المراد بـ (العرب) . في هذه الآية هم جماعة من الأعراب .

وطلب (يوناثان) (المتوفى سنة ١٤٣ ق. م.) — الذي انتخب مكان أخيه يهوذا المكابي بعد مقتله — من النبط مساعدتهم ، أن يعبروه عدة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب (بكيديس) قتله . وأرسل (يوحنا أخاه في جماعة

١ المكابيون الثاني ، الفصل الخامس ، الآية ٨ .

٢ Ency. Bibl., Vol., 9, P. 121, 296.

٣ Die Araber, I, S. 290.

٤ Ency.. Vol., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, E. Schrader, KLT, S., 152, Ency. Bibl., P. 2853.

٥ المكابيون الاول ، الفصل الخامس ، الآية ٢٤ وما بعدها .

بقيادته يسأل النباطين أوليائه . أن يعيروهم عدتهم الوافرة (١) ، فلما كان يوحنا في (ميدبا) (مادبا) ، خرج عليه (بنو يمرى) وقبضوا عليه وعلى كل من كان معه وذهبوا بالجميع^٢ . ويظهر من ارسال (يوناثان) أخاه النبط ومن جملة (يسأل النباطين أوليائه) الواردة في (المكابيين) أن علاقة المكابيين بالنبط كانت حسنة جداً ، وأن النبط كانوا إذ ذاك أقوياء أصحاب عدة وعتاد .

وأما (بنو يمرى) Bene-Amri/Jambri الذين قتلوا (يوحنا) شقيق (يوناثان) ، وهو المعروف بـ (يوحنا المكابي)^٣ ، فقبيلة عربية يظهر أن منازلها كانت في (ميدبا) (مادبا) من أقدم مدن (مؤاب)^٤ ، وهي تبعد ثمانية أميال الى الجنوب الشرقي من (حشبان) (Heshbon) و (١٤) ميلاً شرقي بحر (لوط)^٥ ، وهي مدينة (Mydava) التي ذكرها (بطلميوس) وذكر أنها تقع في (العربية النبطية) (Arabia Petraea) و (اندبه) (Undaba) و (Ueddaba) لدى (أويسيوس) و (Medaba) لدى (جيروم)^٦ . وصارت في العصور المسيحية مركزاً لأسقف المقاطعة المعروفة باسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ولا نعرف في الزمن الحاضر شيئاً من أمر هذه القبيلة (Bene Amri) ، التي لا يستبعد أن يكون اسمها الصحيح (بنو عمرو) .

وذكر (يوسفوس) أن (يوناثان) وشقيقه (سمعان) (Simon) سمعا أن (بني عمرى) (Bene Amri) (Amaraeus) سيقمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من مدينة (Gabatha) = (Gabbatha) ، وهي من أشرف العرب ، فقرر الانتقام من قتلة شقيقها ، فذهب مع قوة كبيرة ووضعها كميناً في (ميدبا) (مادبا) . فلما وصل الموكب ، خرج الكمين ، فسقط قتلى كثيرون ، وهرب من تمكن من النجاة الى الجبل^٧ .

-
- ١ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٥ .
 - ٢ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٦ ،
Dubnow, II, S., 79, Josephus, Antiqu., XIII, I, II.
 - ٣ (يوحنا مكابيوس) ، قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) .
 - ٤ (مادبا) ، Dubnow, II, S., 79.
 - ٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) ، Ency. Bibl., P. 3002.
 - ٦ Ency. Bibl., P. 3003.
 - ٧ Josephus, Antiqu., XIII, I, IV.

وحكم بعد (الحارث الأول) الملك (زيد ال) (زيد ايل) ، وذلك في حوالي السنة (١٤٦) قبل الميلاد . ثم الملك (الحارث الثاني) (حرت) (حرث) ، الذي حكم حوالي سنة (١١٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى حوالي عام (٩٦) قبل الميلاد^١ .

ويرى (شرادر) أنه حكم حوالي سنة (١٣٩) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩٧) قبل الميلاد^٢ . ويرى بعض آخر أنه حكم حوالي سنة (١٢٠ ق.م.)^٣ ويظهر أنه كان يعرف بـ (ايروتيموس) (Erotimus) = (Herotimus)^٤ ويظن (شرادر) أنه هو الذي قصده (يوسفوس) حين ذكره في حوادث سنة (٩٧) قبل الميلاد^٥ .

وتوقف بعض آخر في تثبيت اسم من حكم بعد الحارث الأول ، فوضع فراغاً قدره بنحو نصف قرن ، ذكر أنه لا يدري من حكم فيه ، ثم وضع بعده اسم (الحارث) الثاني المعروف بـ (Erotimus II) ، وقد قدر حكمه فيما بين السنة (١٢٠) والسنة (٩٦) قبل الميلاد^٦ .

ولم تصل إلينا أخبار واضحة أكيدة عن هذا (الحارث) . ويذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أهل (غزة) طلبوا منه العون والمساعدة ليتمكنوا من الثبات أمام محاصرة (اسكندر جنيوس) (Alexander Jannaeus) لمدينتهم ، غير أنه خيَّب آمالهم ، فلم يساعدهم . وقد نعت هذا المؤرخ بـ (ملك) ، مما يدل على أن هذا اللقب صار لقباً رسمياً لحكام النبط في هذا العهد^٧ .

وذكر أن (ايروتيمس) (Erotimus) = (Herotimus) (الحارث الثاني) ، كان قد اهتبل فرصة ضعف الأوضاع في مصر وبلاد الشام ، فهاجم بأولاده وبجنوده تلك الأرضين ، وغنم منها غنائم كثيرة ، فكوّن بذلك لنفسه وللغرب

١ Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٢ Schrader, KLT, S. 153.

٣ Die Araber, I, S., 290.

٤ Ency., III, P., 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٥ Schrader, KLT, S., 153.

٦ Deities, P. 540.

٧ Josephos, Ant., 13, 360, Die Araber, I, S., 290.

صيتاً بعيداً^١ .

وتبين للنبط على ما يظهر أنهم اذا استمروا في تأييدهم ومساعدتهم للجسمونيين (Hasmoneans) المناضلين للخلاص من حكم السلوقيين السوريين ، ألحقوا أضراراً بمصالحهم الخاصة وبحكومتهم نفسها ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن والتوغل في مناطق النبط نفسها ، وانشاء حكومة قوية قد تراحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فرأوا ان من الخير لهم ان يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا ان احتاج الأمر الى المقاومة . وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الملك المكابي (اسكندر جنيوس) (اسكندر ينيوس) (Alexander Jannaeus) (١٠٣ - ٧٦ قبل الميلاد) حيث وقعت حرب بينه وبين النبط بسبب الأردن^٢ .

فلما تمكن الملك المكابي مستعيناً بمجنود مرتزقة من اليونان ومن أهل آسية الصغرى ومن (المؤابيين) ومن (الجلعادين) أهل (جلعاد) ، وهم من العرب كما يقول المؤرخ اليهودي (يوسفوس)^٣ ، وأجبرهم على دفع الجزية اصطدم بمعارضة الملك (عبادة) (Obedas) الذي أعلن حرباً عليه ، كاد (اسكندر) يهلك فيها لولا الأقدار التي احتضنته ففر مسرعاً هارباً بنفسه الى القدس ، وبذلك كتب لنفسه السلامة والنجاة^٤ .

إن (عبادة) (Obedas) = (Obodas) = (Obadath) هذا الذي ذكره (يوسفوس) ، هو (عبادة) المعروف عند المؤرخين بـ (عبادة الأول) تمييزاً له عن ملوك آخرين عرفوا بـ Obedas ، وقد حكم حوالي سنة تسعين قبل الميلاد^٥ . وجعل (شرادر) حكمه في عام (٩٣) قبل الميلاد . وقد ورد اسمه مضروباً على النقود^٦ .

١ Die Araber, I, S. 290.

٢ The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 8, P. 79.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIII, 5, The Jewish War, Book, 1, IV, 3-4.

٤ Subnow, II, S., 160, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, PP. 399.

٥ Ency. Rellig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P. 801, The Cambridge Ancient

History, Vol., IX, P. 409.

٦ Die Araber, I, S., 291, Schrader, KLT., S. 153.

لم ينعم (اسكندر جنيوس) (اسكندر يانيوس) بعد عودته الى القدس بأيام طيبة هادئة ، فلقد جوبه بمعارضة قوية وبجماعة شديدة أخذت تعارض سياسته وتقاومه ، ودبت الفتنة في كل مكان من مملكته وبلغ من حقد الجماعة عليه انها استدعت (ديمتريوس أويكروس) (Demetrius Eukarus III) المعروف بالثالث من بقايا حكام مملكة السلوقيين السوريين المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً^١ . وهكذا نجد الشعب اليهودي الذي استعاد استقلاله يعود الى طبيعته الأولى ، فينقسم على نفسه ، ويشعل نار حرب أهلية في مملكته ، ويفضل حكم الغرياء على حكم أبنائه . ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً وخصمه قوياً وانه قد يتغلب عليه، وأن له في الجنوب خصماً آخر طموحاً أقوى من خصمه (ديمتريوس) وأعنف، رأى التودد الى العرب والتحبب اليهم ، فترل لهم عن (موآب) و (جلعاد) وعن أماكن أخرى كان يخشى من احتمال انضمامها الى خصومه ، وقدمها إلى ملك النبط وتساهل في أمور أخرى ليأمن على ما تبقى من مملكته على الأقل^٢ .

وأما (ديمتريوس) الذي ترك (يهوذا) (Judaea) وارتحل عنها ، فقد ذهب الى (حلب) (Boroëa) ، وانتصر على أخيه (فيليب) (Philip)^٣ . غير أن (ستراتو) (Strato) حليف (فيليب) وأحد حكامه، أسرع فاستنجد في (Zizus) بسادات القبائل العربية وبالفرث (Parthians) ، فأنجذوه وساروا بقوات كبيرة على (ديمتريوس) فانتصروا عليه^٤ .

وحكم بعد (عبادة الأول) ملك اسمه (رب ال) (Rabb'il) = (Rabilus) . يظهر أن حكمه كان حوالي السنة (٨٧) أو (٨٦) قبل الميلاد . ويعرف عند المؤرخين بـ (رب ايل الأول) تمييزاً له عن عدد من الملوك حكموا بعده عرفوا باسم (رب ايل)^٥ . وقد عثر على كتابة وسمت بـ (CIS II, 349)^٦ ، مؤرخة في شهر (كسلو) وشهر (شمادا) (Schemada) في قراءة^٧ و (شمارة)

١ Dubnow, II, 160.

٢ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

٤ المصدر نفسه .

٥ Ency., III, P. 801, Ency. Rel., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., 153.

٦ CIS, Pars, Secunda, Tomus, I, Fasculus Tertius, P. 306.

وسيكون رمزه : CIS

٧ Provincia Arabia, I, S., 312.

(شمرة) (Schamara) في قراءة أخرى^١ من سنة (١٨) على قراءة^٢ أو سنة (١٦) على قراءة أخرى من سني ملك اسمه (حرتت ملك) ، أي (حارث الملك) ، أو (الملك الحارث) بتعبير أصح . وقد دوتت هذه الكتابة على قاعلة تمثال عثر عليه سنة (١٨٩٨ م) عند (بطرا) (Petra) دوتت عليها : « هذا تمثال رب ايل ملك النبط بن ت ملك النبط عملها ب رحيم (حيم) (نتي) (نجني) الأقدم »^٣ . فيظهر من هذه الكتابة ان تمثالا^٤ أقيم للملك (رب ايل) عمل في السنة الثامنة عشرة أو السادسة عشرة من سني ملك اسمه (حرتت) ، أي (الحارث) ، وان الذي عمل التمثال شخص لعب القدر ببعض حروف اسمه الأول ، فلم يبق منه الا الحرف الأخير ، وهو (ب) ، كما لعب في طمس معالم بعض الحروف الأخرى من الاسم ، حمل الباحثين على الاختلاف في قراءتها .

أما اسم الملك وهو (رب ال ملك نبطو) ، فهو ظاهر واضح . وأما اسم أبيه الذي هو (ملك نبطو) أي ملك النبط ، فقد سقطت حروفه ولم يبق منه الا الحرف الأخير وهو (ت) ، لذلك اختلف فيه الباحثون ، فمنهم من قرأه (عسدت) ، أي (عبادة) ، فجعل لذلك (رب ايل) ابناً له ، أي لـ (عبادة الأول) ، ومنهم من قرأه (حرتت) ، أي (الحارث) ، فجعل أباه ملكاً اسمه (الحارث)^٥ .

ولا نعرف شيئاً يذكر من أعمال (رب ايل) . ولعل ما ذكره (اصطيغان البيزنطي) (Stephanos of Byzanz) نقلاً عن (أورانيوس) من أن ملك العرب المسمى (ريليوس) (Rabilus) = (Rabilos) قتل (انتيغونس) (Antigonos) المقدوني في موضع يقال له (Matho) ، وهو قرية عربية ، أريد به الملك (رب ايل) الذي نتحدث عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان المراد

CIS, II, I, III, P. 306. ١

Provincia Arabia, I, S., 312. ٢

Provincia Arabia, I, S., 312, Nr. 405, J. Cantineau, 2, I. ٣

CIS, II, I, III, P. 306, Provincia Arabia, I, S., 312, Clermont-Ganneau, Re- ٤

cueil d'Archéol. Orientale, II, PP. 221, Syria, Tome, IV, 1923, P. 152.

Die Araber, I, S., 295, Deities, P. 540. ٥

من لفظة (موثو) (موتو) الموت ، وان المقصود موضع الموت أو قرية الموت ،
لما وقع فيها من موت ، فعرفت به^١ .

ولا نعلم من أمر (رب ايل) شيئاً يذكر ، والظاهر ان حكمه كان قصيراً ،
جعله بعضهم نحو سنة ، أي سنة (٨٧) قبل الميلاد ، ثم وضع بعده حكم
(الحارث) المعروف بالثالث^٢ . وهو من أشهر الملوك المتقدمين من النبط ،
وأخباره أوضح من أخبار من تقدمه ممن ذكرت . وقد ذهب بعضهم الى
احتمال كونه هو (اروتيموس) (Erotimus) المذكور في التواريخ اليونانية^٣ .
وذهب بعض الباحثين الى أن حكم الحارث كان من سنة (٨٥) حتى سنة (٦٠)
قبل الميلاد ، أو من سنة (٨٧) حتى سنة (٦٢) قبل الميلاد^٤ . وإذ صح أنه
أدرك سنة (٦٢) أو (٦٠) قبل الميلاد ، يكون الرومان قد استعادوا مدينة دمشق
في أيام هذا الملك ، إذ يرى كثير من المؤرخين أن (اللجيونات) الرومانية العاملة
بإمرة القائد (لوليوس) (Lollius) و (ميتيلوس) (Metellus) قد احتلت
المدينة عام (٦٥) قبل الميلاد ، ثم دخلها (بومبيوس) في سنة (٦٤) قبل الميلاد^٥ .
وذهب بعض الباحثين إلى أنه اضطر الى اخلاء (دمشق) سنة (٧٠) قبل الميلاد ،
إذ لم تستطع جيوشه الوقوف أمام جيش الملك الأرمني (تيكرائس) (Tigranes)
التي زحفت على بلاد الشام^٦ .

وقد عرف الحارث الثالث بـ (فيلهيلان) (Philhellen) ، وهو لقب يوناني
(Aretas Philhellene) ، معناه محب اليونان . وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملك
النبط . فلما هاجمه (أنطيوخس الثاني عشر) (Antiochus XII)
وأخذ يتوغل في أرض النبط ، أسرع (الحارث) فجمع قواته ووقف بحزم
أمام القوات المهاجمة ، ثم اصطدم به عند موضع (Kana) (Cana) ، حيث
قضى على معظم جيش (أنطيوخس) وألحقه مع من قتل بالعالم الآخر . وقد

Die Araber, I, S., 294. ١

Die Araber, I, S., 291. ٢

Die Araber, I, S., 292. ٣

Schrader, KLT, S., Delties, P. 540. ٤

Ency. Bibl., P. 991, Delties, P. 540. ٥

Delties, P. 541. ٦

وقعت هذه المعركة في سنة (٨٦) أو (٨٤ - ٨٣) قبل الميلاد^١.

ويرى بعض الباحثين استناداً الى النقود التي ضربت باسم (أنطيوخس) ، بسنة (٨٧ - ٨٦) قبل الميلاد ، والتي استمر ضربها ثلاث أو أربع سنين ثم انقطعت أن نهاية هذا الملك كانت بسنة (٨٥ - ٨٤) أو (٨٤ - ٨٣) ، وهي السنة التي قتل فيها ، وانتهت بانتصار (الحارث) عليه^٢.

وقد مكن سقوط (أنطيوخس) في تلك المعركة النبط من تقوية أنفسهم ومن شدّ عزيمتهم ، فلما مات الملك (رب ايل) الأول سنة (٨٧) قبل الميلاد على بعض الآراء ، وتولى (الحارث) الثالث (حارثة) (Aretas) الحكم من بعده انتهز تلك الفرصة فاستولى سنة (٨٥ ق.م.) على دمشق ، وتوسعت بذلك رقعة مملكته وأحاطت بملكة المكابيين من الشرق والجنوب^٣.

وقد افتتح عهد (الحارث الثالث) باستيلائه على (دمشق) وعلى (سهل البقاع) (Koile-Syria) = (Coile-Syria) ، فقد استدعاه أهلها لانقاذهم من مهاجمة (اليطوريين) (Ituräer) لهم ، بقيادة ملكهم (بطلميوس بن منيوس) (Ptolemaios Mennaios) ، أي (بطلميوس بن معن) . وهو من أصل عربي أيضاً ، فأسرع اليها ، وكانت يومئذ قصبية (السلوقيين) ، فاستولى عليها ، ودخات في جملة أملاكه^٤ ، ولقبه أهلها (محب اليونان وحاميهم) (Philhellen) ، لأنه أنقذهم من (غزو الأعراب) لهم^٥.

الآن وقد أصبح (الحارث) ملكاً على مملكة واسعة الأطراف ، وتشرف على مملكة (يهوذا) المتداعية ، وبإمرته جيش قوي ، كان لا بد له من التدخل في

-
- | | |
|---|--|
| ١ | (Kana) (Cana) على ساحل البحر المتوسط عند (يافا) ،
The Cambridge Ancient History, Vol., 9, P. 400, Josephus, Antiq., XIII, XV,
I, Vol., 2, P. 428, The Jewish War, Book, I, IV, 7-8, Die Araber, I, S., 294,
Dubnow, II, S., 163, Hastings, P. 147, Deities, P. 540. |
| ٢ | Die Araber, I, S., 294. |
| ٣ | Bernhard Stade, Geschichte des Volkes Israel, II, S., 504, Berlin, 1888,
Deities, P. 540. |
| ٤ | Die Araber, I, S., 294, B. Stade, II, S., 405. |
| ٥ | Die Araber, I, S., 298, R. Dussaud, Penetration, 55, A. Kammerer, Petra
et La Nabatene, 1929, I, 515, A. R. Bellinger, 78. |

شؤون هذه الجماعات المتخاصمة المتنافرة التي تكون مملكة ، ولكنها لا تخضع للملك ولا لسلطان . وإذا لم يتدخل هو بنفسه فإن الأحزاب اليهودية نفسها لا تتركه على الحياد . وهذا ما حدث . فغزا (الحارث) أرض يهوذا ، وفي معركة واحدة وقعت عند موضع (اديدا) = (Addida) = (Adida) أنهار الجيش اليهودي ، وتشتت شمله ، فلم يبق أمام (اسكندر ينيس) (Alexander Jannaeus) = (Alexandros Iannaios) غير طلب الصلح ، فعقد الصلح ، وعاد النبط الى ديارهم الى حين^١ . ولم يشر المؤرخ (يوسفوس) الى محتويات معاهدة الصلح^٢ .

أما (Adida) = (Addida) المكان الذي وقعت فيه المعركة ، فهو (الحديثة) على مقربة من (اللد) (Ludda) ، المسماة أيضاً باسم (Diospolis)^٣ ، وقد عرفت (Adida) باسم (حاديد) (Hadid) و (حديد) (Hadid) و (Aditha)^٤ .

لقد تمكن (الحارث) من بناء جيش يعتمد عليه في المعارك ، فبعد أن كان جيش النبط في بادئ أمره جماعات غزو غير منظمة ولا منسقة تهاجم عدوها وتباغته على طريقة الأعراب ثم تراجع ، يسيّرهما العُرف القبلي ، تحسن جيش النبط بعض التحسن ، وأدخات على القوات الراكبة بعض الاصلاحات ، غير أنها بقيت مع ذلك متأثرة بروح البداوة ، التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر ، والتي لا تهتم الا بالغنائم ، فاذا حصلت عليها رجعت الى مواطنها دون تفكير في العاقبة . فلما استولى (الحارث) على دمشق ، وفيها عدد كبير من اليونان ، انضم بعضهم اليه ، فعملوا على تحسين جيشه وتدريبه ، وعلى تكوين جيش مدرب نظامي ، استعان به في تقوية مركزه حتى صار به من أقوى ملوك النبط الذين حكموا حتى أيامه ، مما حمله على التدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ثم على مجابهة الرومان ، وهم أصحاب جيوش منظمة مدربة ، بجيش لم يتعود دخول الحروب النظامية ، فتغلب الرومان من ثم عليه .

Josephus, XIII, XV, 2, Vol., II, P. 428, Dubnow, II, S., 163, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 400. ١

Die Araber, I, S., 298. ٢

Hastings, P. 12, 324, Ency. Bibl., P. 1932. ٣

المكابيون الاول ، الفصل الثاني عشر ، الاية ٣٨ ، الفصل الثالث عشر ، الاية ١٣ ،
Ency. Bibl., P. 65, 1932, Jerome, Onom., 93, Die Araber. I, S., 298. ٤

فلما دب الخلاف بين الأخوين (أرسطوبولس) (Aristobolus) و(هركانوس) (Hyrcanus)، ابني (اسكندرة) (Alexandra) على الملك، وانقسمت (يهودا) إلى أحزاب وجاعات أبرزها جماعة (الفريسيين) (Pharisées) يؤيدون (هركانوس) وجماعة (الصدوقيين) (Sadducées) أنصار (أرسطوبولس)، وجمع (أرسطوبولس) حوله أنصاره وجيشاً من العرب ومن جنود مرتزقة، وتفوق على أخيه، طلب (هركانوس) مساعدة النبط، وبعث صديقه (انتيبتر) (Antipater) إلى (بطرا) ليتوسط لدى (الحارث)، وكان صديقاً له، في أمر مساعدة (هركانوس) وفي أمر اللجوء إليه. فلما نجحت الوساطة، هرب من القدس ليلاً متجهاً إلى النبط، وطلب من الملك بإلحاح أن يعيده إلى (يهودا)، وأن يأخذ له التاج من أخيه، ويثبته في ملكه، ويتمهد في مقابل هذه المساعدة بإعادة المدن الاثنتي عشرة التي أخذها أبوه (اسكندر) من العرب، وهي: (مادبا) (مأدبا) (Medaba) و(نبالو) (Naballo) و(ليبياس) (Libias) و(ثريسة) (Tharabasa) و(اكلة) (Agalla) و(اتونه) (Athone) و(زوره) (Zoara) و(اورونه) (Oronae) و(ريده) (Rydda) و(لوسه) (Lusa) و(اوريه) (Oryba) و(مريسه) (Marissa) إلى النبط. فوافق (الحارث) على هذه الشروط، وهجم على (يهودا) (٦٦ - ٦٥ ق.م.) بجيش قوامه خمسون ألف جندي راجل وفارس شنت شمل أصحاب (أرسطوبولس) وتركه وحده، فهرب إلى القدس. فتعقبه الحارث على رأس جيش عربي يهودي كبير، وأحكم عليه الحصار، وكادت العاصمة تسقط في يديه لولا حدوث تطور سياسي عسكري خطير قلب الوضع، ذلك هو هجوم الرومان فجأة في أيام (بومبيوس) على دمشق وسورية وهجوم قائدهم (سكورس) (Scaurus) على (يهودا) وتدخله في هذا النزاع. لقد كان تقدم الرومان هذا في بلاد الشام تهديداً صريحاً لليهود وللنبط، أدى بعد قرون إلى الاستيلاء التام على كل فلسطين والأردن وإلحاقها بالمستعمرات الرومانية. وقد كانت فاتحة ذلك تدخل الرومان في شؤون يهودا، وتوجيه انذار

Josephus, XIV, I, 4, II, 1-3, Dubnow, II, S., 172, Josephus, The Jewish War, 302.

تاريخ يوسفوس اليهودي، المطبعة العلمية، بيروت (ص ١١٥) .

الى (الحارث) بوجوب فك الحصار عن (القدس) والتراجع عن يهوذا مع جميع جيشه فوراً ان أراد أن تكون علاقاته بـ (رومة) حسنة ، والا عدواً لها ومشاكساً . وقد أدرك (الحارث) ان جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة المنظمة المسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة الى أسلحة النبط . فك الحصار ، وتراجع ومعه (هركانوس) ، فاغتم (أرسطوبولس) الفرصة ، وكان قد اكتسب ثقة (سكوروس) قائد الرومان ، وتعقب المراجعين في طريقهم الى (ربت - عمان) (فيلادلفيا) (عمان) ، فالتحم بهم في معركة عند موضع اسمه (بابيرون) (Papyron) ، فانتصر على (الحارث) وقتل ستة آلاف من أتباعه^١ .

وتعقدت الأمور ثانية بين الرومان والنبط ، وهدد (سكوروس) النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم ، وقرر الحارث في بادئ الأمر تحديته ، ثم وجد ان من المستحيل عليه الثبات له ، وتوسط (انتياتر) فيما بينه وبين (سكوروس) بأن يدفع الحارث جعالة للرومان ، وتصلح بذلك معهم . وقد سرّ (بوميوس) من هذه النتيجة حتى انه أمر بوضع صورة (الحارث) في موكب نصره ، كما سرّ (سكوروس) بذلك اذ أمر بضرب نقد ، صور الحارث عليه وقد أحنى رأسه راکعاً وحاملاً سعة تعبيراً عن استسلامه له^٢ .

لقد وقع كل ذلك في حوالي السنة (٦٢) قبل الميلاد ، السنة التي هلك فيها هذا الملك ، وذهبت بوفاته معه كل آماله وأحلامه في أن يكون وريث مملكة السلوقيين في بلاد الشام . ولعل النكسة التي وقعت له قد أثرت فيه ففعلت منيته.

وقد ورد اسم (الحارث) في كتابة عشر عليها في القسم المعروف بـ (المدراس) (المدرس) (Elmadras) من (بطرا)^٣ . و (المدراس) معبد خصص لعبادة الإله (ذو الشرى) (Duschara) إله النبط الكبير . وقد دوتها أحد قواد الملك في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من حكم (حرثت) (Harit)

Josephus, XIV, II, 1-3, Vol., 3, PP. 4, Dubnow, II, S., 176, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 382, Die Araber, I, S., 302.

Die Araber, I, S., 303, J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient., 2, 1924, 237.

Provincia Arabia, I, S., 209.

في مناسبة تقربه الى الإله (ذو الشرى) بصنم تخيره ونخيره ملكه^١ .

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثاني) ، حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو من سنة (٦٢) حتى سنة (٦٠) على رأي آخر^٢ . ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد عثر على نقد من الفضة ضرب بأمره وهو من فئة الـ (دراخما) (Dirakhma) ، ضرب في السنة الثانية أو الثالثة من سني حكمه . وقد صور عليه وجه الملك حليفاً ، وشعر رأسه قصيراً^٣ .

ويظهر من رواية أوردها المؤرخ (يوسفوس) أن القائد (A. Gabinius) ، انتصر على النبط في إحدى المعارك ، وأن النبط قد هزموا هزيمة منكرة . ولم يذكر اسم الملك الذي انتصر عليه هذا القائد . وإذا أخذنا برواية من يجعل هذا الانتصار في السنة (٥٥) قبل الميلاد^٤ ، فمعنى هذا أن الملك المغلوب هو (عبادة الثاني) على رأي من يرى أنه حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو في أيام (مالك الأول) على رأي من يجعل ابتداء حكم هذا الملك من سنة (٦٠) قبل الميلاد .

وحكم الملك (مالك) (Malichus) = (Malchus) المعروف بـ (الأول) بعد (عبادة الثاني) ، وهو ابنه ، من سنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) على رأي . ومن سنة (٥٠) أو حوالي السنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) قبل الميلاد على رأي آخر^٥ . وذهب بعض المؤرخين الى أن (مالكا) كان قد حكم بعد (الحارث الثالث) ، وأن حكمه كان فيما بين السنة (٦٢) والسنة (٣٠) قبل الميلاد^٦ .

وقد انجد النبط في أيام ملكهم (ملكوس) (مالكوس) (Malichus) ،

Provincia Arabia, I, S., 210, CIS, II, 442, Euting 16, Lagrange 56, Lagrange, Revue Biblique, VII, 1898, P. 165, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archeol. Orient., II, P. 379.

اختلف في تاريخ حكمه ولبعض الباحثين رأي آخر ، راجع :
Ency., III, P. 801, Dillmann, Neue Petra-Forschungen, 1912, S., 99.

Hill, P. XII, 3, PL., XLIX, 2, 3.

Josephus, Antiqu., 14, 103, Jud., I, 178, Die Araber, I, S., 306.

Hill, P. XIII, Ency. Relig. Vol., 9, P. 121, Ency., Vol., III, P. Schrader, KLT., S., 153.

Deities, P. 541.

أي (مالك الأول) ، (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) سنة (٤٧) أو (٤٨) قبل الميلاد في حصاره لمدينة الاسكندرية ، فأمدّه بقوة من جيشه^١ . كما ساعده أيضاً عدد من سادات القبائل توسط في ارسالهم اليه (أنتيباطر) (Antipater) ، لعلهم من سادات قبائل طور سيناء^٢ .

وكان (انتيباتر) قد تزوج امرأة عربية من أسرة كبيرة معروفة ، نجلت له أربعة أولاد وبنات ، وتمكن بهذا الزواج من تكوين صداقة متينة مع ملك العرب (النبط) كما يقول ذلك (يوسفوس) . ولما وقعت الحرب بينه وبين (ارستوبولس) (Aristobulus) ، أرسل أولاده الى جدهم ملك العرب ليكونوا في مأمن هناك^٣ .

وكان لـ (بطرا) أثر مهم في الحصومات الشخصية التي وقعت في مملكة (يهوذا) أيام الملك (هركانوس بن اسكندر) ، هذه الحصومات التي أدت الى تدخل (الفرث) (Parthians) من جهة ، والى تدخل الرومان من جهة أخرى في شؤون مملكة يهوذا ، ولكل دولة مصلحة في هذا الجزء المهم من الشرق الأدنى ومطمع . وللدولتين أنصار وأعوان ، وطامعون في الملك يريدون المساعدة والمعونة للحصول على العرش . والطامعون في العرش والراغبون في الفتن والحصومات في (يهوذا) كثيرون . فلما بلغت جيوش الفرث حدود (القدس) ، بتحريض من (انطيغونس) ابن أخ (هركانوس)^٤ ، أسرع (هيرودوس) (Herodus) ابن القتيل (انتيباتر) الذي كان الحاكم الحقيقي في (يهوذا) ، وصاحب النفوذ في المملكة ، وصاحب الخطوة عند الرومان ، فهرب الى النبط ، الى ملكهم (مالك) (Malchus) في عاصمة (بطرا) ، يلتمس منه العون والمساعدة والمال على سبيل الهبة أو الدين لما كان لوالده القتيل من صداقة به ، ليرشو به من ينقذ حياة أخيه . فلما كان في طريقه الى بطرا وصلت رسل الملك تخبره أن الملك لن يتمكن من مقابلته ، وذلك بناءً على طلب ورجاء تقدم به الفرث اليه ، واتصل عندئذ بسادات قبائل عربية كانت لهم صلات وصداقة بوالده ، فلما رأى ذلك أثر

١ Delties, P. 541, Die Araber, I, S., 306.

٢ Josephus, Antiq., XIV, VIII, I, Vol., 3, P. 22.

٣ Josephus, The Jewish War, Book, I, VIII, 8.

٤ تاريخ يوسفوس (ص ١٤٦) (Antigonos)
Josephus, Antiqu., XIV, XIII, 3, Dubnow, II, S., 250.

الذهاب الى مصر ومنها الى ايطالية حيث كان له فيها أصدقاء ليساعدوه في الانتقام من قتلة أبيه^١ . وإلى هذا الملك ، أي ملك النبط (مالك) هرب (يوسف) (Joseph) شقيق (هيرودس) مع مئتي رجل من رجاله ، على أثر هجوم (انطيوخوس) ، وحينما بلغه تغير رأيه بالنسبة الى (هيرودس) أخيه^٢ .

وعاد (هيرودس) من (رومة) ملكاً ، لقد تفضل (أغسطس) و (أنطونيوس) ومشايخ الرومان عليه فنصبوه ملكاً على اليهود ، على مملكة يعين ملوكها الرومان أو الفرث . عاد بفضل الرومان ، فصار بالطبع آلة في أيدي سادة (رومة) . ولما نشبت الحرب بين (أنطونيوس) و (أوكتافيوس) سنة (٣٢) قبل الميلاد ، انضم الى حزب (أنطونيوس) صاحب الفضل عليه . أما واجبه الذي كلفه ، فقد كان محاربة النبط ، الذين رفضوا دفع الجزية للرومان ، وأبوا الخضوع لهم ، والذين أيدوا الفرث . ولما تمكن القائد (فنتيديوس باسوس) (Ventidius Bassus) من ضرب الفرث ومن انزال هزيمة بهم ، أصاب الضرر الملك (مالك) حليف (الفرث) فانتزعت منه بعض أملاكه . لذلك فرح (هيرودس) بهذا التكليف ، وشجعت على ذلك (كليوباترة) ملكة مصر وصاحبة (أنطونيوس) ، التي طلبت منه الاسراع في محاربة (ملك العرب) الذي أبى دفع الجزية لها ، وكانت تكره (هيرودس) وتريد هلاكه ان أمكن ، فأرادت بعملها هذا أن تقضي عليه ، أو أن تضعف من مركزه ومن مركز ملك العرب ، بمحاربتها بعضها بعضاً فتمكن من الملكين فيخضعان لها وتكون سيده (العربية) . ويادر (هيرودس) بمحاربة النبط ، فالتقى بهم عند (اللد) (Diospolis) وانتصر عليهم ، ثم التحم بهم في (قنا) (Cana) (قنات) (Canatha) في البقاع (Coele Syria) وكاد يتغلب عليهم لولا هجوم (أثيناوس) (Atheniaius) فتغيرت الحال ، وهاجمه النبط أيضاً فسقط عدد كبير من جيشه في ساحات القتال وأسروا من فرّ منهم الى (Ormiza) فاضطر عندئذ الى الرجوع الى (القدس)^٣ .

Josephus, Antiq., XIV, XIV, 1-3, The Jewish War, I, XIII, 8, Book., I, XIV, 1-2. ١

Josephus, The Jewish War, Book, I, XV, I. ٢

تاريخ يوسفوس ص ١٦٨ وما بعدها ، ٣
Josephus, Antiq., XV, 110, 119, The Jewish War, I, XVIII, 4, 1-4, Die Araber, I, S., 306, 307.

وفي القدس أخذ (هيرودس) يحرض قومه على الانتقام من العرب ، والأخذ بالثأر ، ولا سيما بعد هجوم العرب على مملكته ومباغته مدنه . فنشبت سلسلة من الحروب كلفت اليهود والعرب خسائر كبيرة ، اذ طالت الحروب ، ولم تنته الا بعد مشقة . ويدعي المؤرخ (يوسفوس) ان النصر كان في الخاتمة في جانب اليهود . فقد جمع (هيرودس) كل قواته وأعاد تنظيمها ، ثم عبر الأردن . ولما بلغ (عمان) (Philadelphia) التحم بالنبط ، فأنزل بهم خسائر كبيرة ، إذ سقط منهم خمسة آلاف قتيل ، واستسلم منهم أربعة آلاف رجل كانوا قد تحصنوا في معسكر حصين ، ولكن أجبرهم العطش في الأخير على الاستسلام . كما قتل سبعة آلاف آخرون كانوا حاولوا الفرار من الحصار ، فتعقبهم اليهود وقتلوه^١ . واضطر النبط عندئذ الى دفع الجزية الى (هيرودس) ، وعقدوا صلحاً معه ، ولم تخالفه العرب بعد ذلك^٢ .

يقول (يوسفوس) : إن العرب كانوا يكرهون (هيرودس) وحاولوا الثورة عليه والانتقام منه حتى بعد عقد هذا الصلح . وقد كان في جملة من دفع الجزية اليه العرب الساكنون في (حوران) (Auranitis) ، بحكم تبرع القيصر (أغسطس) بأرضهم له ، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية اليه أحياناً ، وكانوا يمتنعون من دفعها أحياناً ، أخرى ، ويحاولون التخلص منه . ولم تكن قوة (هيرودس) في الحقيقة هي التي جعلت هؤلاء الأعراب يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم ، إنما كانت قوة الرومان التي تسخرها أيدٍ إدارية قوية تحسن التوجيه للبطش في القبائل المتعادية وفي سادات القبائل المتنافسين على الزعامة المتباغضين ، وفي العساكر المسخرين الذين أكرهوا على القتال ، ولم يكن لديهم علم بأسلوب القتال ولا بكيفية استخدام الأسلحة ، ولا عزم على الوقوف في وجه الخصم ، وليس لهم ضباط وقادة مجربون محنكون ، لهم هدف وطني وخبرة بأساليب القتال ، ولم يكونوا يرون في الفرار ما لا يتفق مع واجبه العسكري .

ولا ندرى متى كانت نهاية الملك (مالك) بعد هذه الخسائر التي حلت بالنبط . والظاهر انه لم يعمر بعدها طويلاً ، أو انه مات في أثنائها ، فإن المؤرخ (يوسفوس)

١ Josephus, Antiq., 15, 153, 157-158, Jewish War, I, 383, Die Araber, I, S., 306.

٢ تاريخ يوسفوس (ص ١٦٨ وما بعدها) ،
Josephus, Antiq., XV, V, 1-5, The Jewish War, Book, I, XIX, 1-6.

الذي هو مرجعنا في أخبار هذه الحروب لم يشر اليه ولم يذكره في الغارة الانتقامية التي أغارها النبط على أسطول (كليوبطرة) عند موضع (Actium) التي أدت الى احراق السفن المتجمعة هناك^١ .

وقد خلف (عبادة) (Obodas) المعروف بالثاني عند بعض المؤرخين وبالثالث عند بعض آخر الملك (مالك الأول) . خلفه على الحكم سنة (٣٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩) قبل الميلاد . ويظن انه مات مسموماً سنة (٩ ق. م.) سمه وزيره ومستشاره (صالح) (Syllaes) الذي قطع رأسه في (رومة) سنة (٥) قبل الميلاد^٢ .

وفي أيام هذا الملك كانت حملة الرومان التي أرسلها (أغسطس) بقيادة (أوليوس غالوس) لفتح بلاد اليمن . وهي حملة أسهم فيها النبط بتقديم قوات لمساعدة الرومان ، كما أسهم فيها (هيرودس) ملك (يهوذا) بخمسمئة رجل يهودي ، ضمهم الرومان وسار بهم الى اليمن ، كما تحدثت عنها في كلامي على السبئين . ويصف (يوسفوس) (عبادة) بالضعف وفقر الهمة والكسل ، ووصف وزيره (صالح) (Syllaes) بالقدرة والكفاية على صغر سنه . وانه لذلك كان هو المتصرف في الأمر والمدير لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي . وكان صديقاً لـ (هيرودس) يزوره وينزل عليه . وكاد يتزوج أخته لولا اختلاف الدين ، ورفض (Syllaes) الدخول في الديانة اليهودية ليسمح له بالزواج^٣ .

وقد انقلبت المودة التي كانت بين (هيرودس) و (صالح) (Syllaes) عداوة شديدة ، فسعى (صالح) حين ذهب الى (رومة) لاثارة حفيظة (أغسطس) على (هيرودس) بسبب الحملات العسكرية التي قام بها على أرض (اللجاة) (Trachonites)^٤ ، وعلى العرب الذين آووا أهل (اللجاة) وساعدوهم . فلما

1 Dio., 51, 7, I, Zon., 10, 30, Plutarch, Antl., 69, Die Araber, I, S., 307.

2 Deities, P. 541, Ency., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Die Araber, I, S., 286.

3 Josephus, Antiq., XVI, VII, 6, The Jewish War, Book, I, XXVII, I, XXIII, 6.

4 واللجاة اسم للحرّة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة يشملها هذا الاسم ، البلدان (٣٢٣/٣) ، Josephus, Vol., 3, P. 186, Note : I, The Jewish War, Book, I, XXIV, 6, Antiq., XVI, IX, I-4.

ذهب (هيرودس) الى (رومة) ليرفع شكايته عن ابنه (اسكندر) الى القيصر،
 والتماسه من القيصر شمول ابنه الآخر (انتيباتر) بالعطف والحماية ، انتهز أهل
 اللجاة (Trachonites) فرصة غيابه فأعلنوا الثورة وهاجموا الحدود ، وعادوا
 الى الغزو ، وكان (هيرودس) قد منعهم منه ، وضرب على أيديهم بشدة .
 فلما تعقبهم وكلاء (هيرودس) وقتلوا خلقاً منهم ، هرب عدد من رؤسائهم
 الى النبط واحتتموا بهم . ولما عاد (هيرودس) أراد الانتقام منهم، فطلب الاذن
 من حكام سورية الرومان بتأديبهم والموافقة على ارسال قواته الى المقاطعة لمقاتلتهم.
 ورجا من (عبادة) ومن وزيره (صالح) اجلاء رؤساء أهل (اللجاة) عن
 أرض النبط وعدم حمايتهم . فلما رفضا ذلك ، طلب من (صالح) اعادة المال
 الذي اقترضه منه (عبادة) بوساطته . ولما لم تثمر المفاوضات شيئاً ، هجمت
 قوات (هيرودس) على المناطق التي التجأ اليها الهاربون من أهل (اللجاة) ،
 فاستولت على (Raipia) معقلهم وهدمته . فلما سمع النبط بذلك ، بادرت جماعة
 منهم برئاسة قائد يدعى (Nacebus) لمساعدتهم ، فاصطدمت بجنود (هيرودس)
 وسقط (Nacebus) مع زهاء عشرين رجلاً من أتباعه قتل في هذه المعركة .
 ثم أمر (هيرودس) بإسكان الأدوميين في (اللجاة) ، وكتب بذلك الى حاكم
 (فينيقية) يبين له الأسباب التي حملته على ارسال هذه الحملة على (التراخونيين)
 أهل اللجاة . ويدعي (يوسفوس) ان (Syllaeus) استغل فرصة وجوده في
 (رومة) وذهب الى القيصر شاكياً من العمل الذي قام به (هيرودس) ووشى
 به كثيراً ، فغضب عليه (أغسطس)^١ . غير ان القيصر بدّل رأيه في (صالح)
 حين أطلع على الخبر الصحيح ، ولما بلغته أخبار وفاة الملك (عبادة) وانتقال
 العرش الى (Aeneas) الذي غير اسمه حينما تولى الملك ودعا نفسه (Aretas) على
 عادة أكثر ملوك النبط دون أن يكتب ملك النبط اليه ويخبره بالحدث ، فغضب
 على (صالح) وأمر بمعاقبته^٢ . ويدعي (يوسفوس) ان الملك الجديد كان
 مبغضاً لـ (صالح) ، لأنه كان يعتقد انه كان نفسه يطمع في الملك لما كان له
 من نفوذ ومال ، وانه كتب الى (أغسطس) يخبره بأنه سمّ (عبادة) الملك

١ Josephus, Antiqu., XVI, IX, 1-4.

٢ Josephus, Antiqu., XVI, IX, 4, X, 8.

السابق ، وانه قتل عدداً من أشرف المملكة في (بطرا) ، من بينهم (Sohemus) السيد النبيل ، الذي يحترمه قومه ويجلونه، وانه قتل (Fabatus) خادم (أغسطس) وفعل أموراً أخرى منكراً تستوجب العقاب^١ .

أما (Nacebus) الذي قتل في معركة (Ralpta) ، وهو في موضع في العربية ، فكان صديقاً لـ (Syllaeus) ومن أبناء عشيرته . ويخيل إليّ أن كلمة (Nacebus) ليست علماً لقائد الحملة ، وإنما هي درجة ومنزلة ، وأن معناها (نقيب) ، وهي درجة من درجات الجيش ، ولكنني لا استبعد كونها إسماء حرف في اليونانية حتى صار على الشكل المذكور ، وأن الأصل هو (نقيب) أو (نسب) أو (نجيب) أو ما شاكل ذلك من أسماء . وأما (Sohemus) ، فهو اسم علم قد يكون (سخيماً) أو (سحيماً) أو (سهيماً) ، وكلها أسماء معروفة في الجاهلية .

وقد أشار (موسل) الى رواية ذكرها (أورانيوس) (Uranus) و(اصطيفان البيزنطي) عن تأسيس مدينة (Auara) في أيام الملك (عبادة) ، خلاصتها أن (حارثة) (Aretas) ابن الملك حلم أن والده سينشئ مدينة ، وأن هذه المدينة هي (Auara) من كلمة (حوراء) أي (البيضاء) . فلما قص (حارثة) حلمه على والده ، أخذ يفتش عن موضع أبيض ينشئ عليه المدينة ، وبينما كان يفتش عن هذا الموضع تراءى له شبح رجل أبيض على جمل أبيض استخفى فجأة . فلما دنا من مكان الشبح ، وجد بقايا شجرة ذات عروق ممتدة ، فأمر أن يكون موضع (حوراء) (Auara)^٢ .

ويرى (موسل) ان هذه المدينة هي (الحميمة)^٣ ، وهي أيضاً (Auara) التي ذكرها (بطلميوس) وتقع في (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) على الطريق بين (أيلة) و (بطرا)^٤ ، وأن الملك المقصود هو (عبادة الأول) . وأما الوقت ، فكان في حوالي سنة (٩٣) قبل الميلاد . وقد ذكرت أنه حكم على

Josephus, Antiq., XVII, IV, 2. ١

Musl. Hegaz, P. 59, Note 20, Uranus, Arabica. (Müller, Fragmenta), Vol., ٢

4, P. 523, Stephen of Byzantium, Ethnica, (Meineke), Vol., 1, P. 144.

البلدان (٣٤٦/٣) . ٣

Musl. Hegaz, P. 60, Tabula Paullingeriana, Sheet, 8, (Vienna), 1888. ٤

رأي أكثر الباحثين حوالي سنة (٩٠) قبل الميلاد . وأرى أن (Obadas) الذي ذكر (أورانيوس) و (اصطيغانوس البيزنطي) أنه كان صاحب ولد اسمه (حارثة) (Areta) ، هو (عبادة) الثالث ، فقد كان صاحب ولد اسمه (حارثة) وهو المعروف عندنا بـ (Aretas) الرابع . أما (عبادة) ، فالذي خلفه هو (رب ايل) ، لذلك يكون (عبادة) الثالث الذي نتحدث عنه أكثر ملائمة لرواية المؤرخين من (عبادة الأول) .

وحكم بعد (عبادة الثالث) الملك (الحارث) (حرث) (Aretas) المعروف بـ (الرابع) والملقب بـ (راحم عمه) (Philopatris) وبـ (ملك النبط)^١ . وقد حكم من حوالي سنة (٩) قبل الميلاد حتى حوالي سنة (٤٠) بعد الميلاد . وورد اسمه في عدد من الكتابات ، منها النصوص المرقمة بـ (CIS 11, 160) و (CIS II, 197-217) و (CIS II, 354) . أما الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 160) فقد أرخت بالعام الخامس من حكمه ، أي سنة (٤) قبل الميلاد^٢ ، وقد ورد فيها اسم الإله (دوشرا) أي (ذو الشرى)^٣ .

وأما النص الموسوم بـ (CIS 11, 197) ، فأرخ بشهر نيسان من السنة التاسعة من حكم (حرث) (الحارث) ، (بيرح نيسان شتت شتت لحرث ملك نبطو)^٤ ، أي في السنة الأولى للميلاد ، وورد فيه أسماء الآلهة : (دوشرا) (ذو الشرى) ، و (منوتو) (مناة) (Manutu) و (قيشح)^٥ . وقد ذكرت في هذا النص بعد جملة : (لحرث ملك نبطو) جملة (رحم عمه) ، أي (محب شعبه) ، وهي من النعوت التي ظهرت في الكتابات في هذا العهد .

وأرخ بأيام صاحبنا (حرث) (الحارث) النص المعروف بـ (CIS 11, 198) وهو أيضاً من النصوص التي عثر عليها في (الحجر)^٦ . ويعود عهده الى شهر

Ency. Relig., Vol., 9, P. 121. ١

Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., Provincia Arabla, I, S., 152. Die Araber, I, S., 304. ٢

CIS II, 160. M. A. Levy, In ZDMG., 1869, XXIII, P. 435. ٣

CIS II, I, II, PP. 223, CIS II, P. 194, 4, 197. ٤

CIS II, 197, 5, Huber, 29. Euting 2. ٥

CIS II, I, II, P. 224. Douthy 2, Euting 3. ٦

(طبت) من السنة التاسعة من حكم هذا الملك ، أي الى السنة الأولى للميلاد^١ .
وقد وردت فيه بعض الأسماء ، مثل (كمكم) (كمكام) و (ودلت)
و (ودلات) و (حرم) (حرام) و (كلبت) (كلبسة) (كليبت)
(كلبية) و (وهب اللات) و (عبد عبادة) . وأسماء الآلهة : (دوشرا)
و (هبلو) و (هبل) و (منوتو) (مناة) و (اللت) (اللات) .

أما النص (CIS 11, 199) ، فقد كتب في شهر (شباط) من السنة الثالثة
عشرة من سني حكم (الحارث) (حرثت) وهي السنة الرابعة بعد الميلاد^٢ .
وقد أرخت بقية النصوص من (CIS 11,200) حتى (CIS 11, 217) بسني (الحارث)
كذلك ، وهي تفيد مثل غيرها فائدة كبيرة من حيث تتبع تأريخ الأسماء، فوردت
فيها أسماء كثيرة مثل (كهلن) (كهلان) و (وعلن) (وعلان) و (سعد الله)
و (مرت) (مرة) و (سكينت) (سكينه) و (حميد) و (حوشب)
و (خلف) و (قين) و (جلهمة) و (تيم الله) و (عميرت) (عميرة)
و (وهب) وأمثالها مما كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام^٣ .

وذكرت في الكتابة (CIS 11, 354) مع اسم (الحارث) أسماء (شقيلت) (شقيقة)
ملكة النبط و (مالك) و (عبادت) (عبادة) و (رب ال) (رب ايل) .
وقد دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك ، وهي سنة عشرين بعد
الميلاد ، وذلك عند صنع صنم يوضع في معبد (بطمون) . ويلاحظ ان معظم
المقابر الكبيرة التي عثر عليها في (الحجر) هي من السنين الأخيرة من حكم
(الحارث)^٤ .

والى هذا الملك يرجع النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 54) ويرجع تأريخه الى
السنة الثالثة والأربعين من حكم (الحارث) ، وقد دعي فيه بـ (محب شعبه)
(رحم عمه) (رجم عمه) كما ذكر فيه اسم زوجته (شقيقة)^٥ . وكذلك

١ CIS II, I, II, P. 226.

٢ CIS II, 199, Huber 30, Euting 4, CIS II, I, 11, P. 227.

٣ CIS II, I, II, P. 229.

٤ CIS II, 354, Euting 47, Cooke, North-Semitic Inscriptions, PP. 244, Provincia

Arabia, I, S., 283.

٥ REP. EPIG., I, II, P. 44.

النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 1103) المكتوب في سنة (٤٠) من حكم (الحارث) ، أي سنة (٣١) للميلاد ، وهو من النصوص التي عثر عليها في (مدائن صالح)^١ .

وأرخ بحكم هذا الملك النص (REP. EPIG. 674) ، وهو شاهد قبر من مدينة (مأدبا) يرجع تأريخه الى سنة (٣٧) بعد الميلاد^٢ .

و (الحارث) (Aretas) الذي أمد القائد الروماني (واريوس) (فاروس) (Varus) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على (يهودا) ، هو (الحارث) الرابع الذي نتحدث عنه ، فعل ذلك كما يقول (يوسفوس) انتقاماً من (هيرودس) وتقرباً الى الرومان . وبعد أن استولى (فاروس) على مدن عدة وهو ذاهب الى القدس ، منها مدينة (عكا) (Ptolemais)^٣ (Acco) ، اتجه نحو (الجليل) (Galilee) ثم السامرة فالقدس . أما القوات العربية ، فقد سارت الى مدينة (Arus) فأحرقتها ثم سارت الى مدينة (Sampho) وهي مدينة محصنة جداً فاستولت عليها وأحرقتها ، واستولت على أماكن أخرى . حدث ذلك حوالي سنة (٤) قبل الميلاد^٤ .

واصطدم النبط باليهود في أيام القيصر (طيباريوس)^٥ و (هيرودس) ملك (يهوذا) المعروف بـ (هيرود انتيباس) (Herodes Antipas)^٦ ، وذلك في سنة (٣٦) بعد الميلاد^٧ ، بسبب زواج (هيرودس) من زوج أخيه على زوجه الأولى ، وهي ابنة (الحارث) (حرث) . وبسبب اختلافهما على حدود منطقة (Gamalites) ، فجرت حروب بين الطرفين انتهت بانتصار (الحارث) على خصمه انتصاراً كبيراً في (جلعاد) (Gilead) وبتشتيت شمل جيوشه ، فاستنجد (هيرودس) بسيدته وحاميه القيصر (طيباريوس) ، فغضب القيصر وكتب الى

REP. EPIG., II, III, P. 377. ١

REP. EPIG., II, I, P. 101, CIS, II, 196. ٢

Josephus, Antiq., Vol., 3, P. 253, (Bohn's Standard) Library), XVII, X, 9. ٣

Dubnow, II, S., 302. ٤

(طيباريوس بن اغوستوس) ، الطيزي (١ / ٧٤١ ، ٧٤٤) ، (طبعة ليدن) . ٥

Dubnow, II, S., 381, Josephus, 3, P. 283. ٦

Dubnow, II, S., 384, The Bible Dictionary, I, P 107. ٧

عامله على سورية (فيتليوس) (Vitellius) ان يسير فوراً بجيشه لمحاربة (الحارث) والقبض عليه حياً وارساله مكبلاً بالسلاسل الى (رومة) أو ارسال رأسه اليه إن قتل^١ . وبينما كان العامل بهم بالزحف على مملكة النبط وتنفيذ أمر القيصر ، جاءته الأخبار بوفاة (طيباريوس) سنة (٣٧) بعد الميلاد فتوقف عن الحرب ، وقرر الرجوع الى مكانه . وساء موقف (هيرودس) ثم نحاها الرومان عن عرشه ونفوه الى (اسبانية) ، حيث مات هناك^٢ .

ويظهر من رسالة (بولس) الرسول الثانية الى أهل (كورنتوس) ان (دمشق) كانت في أيدي ملك اسمه (الحارث) ، وانه همّ بالقبض عليه ، غير انه هرب ونجا منه . قال : « في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكن ، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »^٣ . ونرى (بولس الرسول) أيضاً في رسالته الى أهل (غلاطية) وفي حديثه عن نفسه وعن كيفية اعتدائه الى ديانة المسيح ، يقول : « ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت الى العربية ، ثم رجعت أيضاً الى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرّف ببطرس فكثت عنده خمسة عشر يوماً »^٤ . فهو يذكر هنا العربية وبعدها دمشق . فهل أراد بالعربية البادية ؟ أو أراد بها عربية النبط ، وانه من عربية النبط أو البادية عاد الى دمشق ؟ .

والرأي الراجح بين علماء العهد الجديد ، هو أن (الحارث) الذي قصده (بولس الرسول) هو هذا (الحارث) ، أي (الحارث) الرابع ، وأما الوقت الذي استولى فيه (الحارث) على دمشق ، فقد كان في حوالي سنة (٣٧) بعد الميلاد ، وذلك على أثر الحرب التي شنها على (هيرود انتيباس) ، وتدخل

١ انجيل مرقس ، الاصحاح السادس ، الاية ١٧ وما بعدها تاريخ يوسفوس

(ص ٢١٣) ، Josephus, Antiq., XVIII, V, I, 4.

٢ Josephus, Antiq., XVIII, V, I, Dubnow, II, 8., 384.

Josephus, Antiq., V, 3.

تاريخ يوسفوس ص (٢١٤ وما بعدها) .

٣ رسالة بولس الرسول الثانية الى أهل كورنتوس ، الاصحاح الحادي عشر ،

الاية ٣٢ وما بعدها .

٤ رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ وما بعدها ، N. Gluck, Delties and Dolphins, P. 542, The Story of the Nabataeans,

New York, 1965.

(طياربوس) في الموضوع^١. ويظهر أن تدخل الرومان هذا أثار غضب (الحارث) عليهم ، فسار بعد انتصاره على (يهوذا) الى (دمشق) فاستولى عليها وأعادها بذلك مدة لا نعلم طولها الى مملكة النبط . ويتخذ هؤلاء من وجود فجوة في النقود الرومانية الدمشقية ، تبدأ بسنة (٣٤) بعد الميلاد وتنتهي بسنة (٦٢ - ٦٣) بعد الميلاد دليلاً على صحة نظريتهم في أن المدينة تحررت في خلال هذه الفجوة من حكم الرومان ودخلت في حكم النبط ، ولهذا السبب حدثت هذه الفترة في ضرب النقود الرومانية في الشام^٢.

وفي أيام هذا الملك دُوِّنت الكتابة المعروفة بـ (REP. EPIG. 1108) ، وهي من الكتابات المدونة في (الحجر) (Hegra) ، أي (مدائن صالح) ، دُوِّنت في السنة (٣٨) للميلاد. وفي جملة الأسماء المذكورة في هذا النص اسم (عبدعدنون) أي (عبد عدنان)^٣.

وقد عثر على كتابة قبرية مؤرخة بالتقويم السلوقي من سنة (٤ - ٥) قبل الميلاد ، وهي أيام حكم (الحارث) الرابع ، صاحبها رجل اسمه (قصي بن تعجلة) ، ولم يشر في الكتابة الى حكم ملك النبط الذي في أيامه دونت هذه الكتابة . ويرى (ليمان) أن الذي حمل (قصي) على إغفال الإشارة الى اسم الملك هو أن القيصر (أغسطس) كان قد فوتض أمر (Trachonitis) و (Batanaea) (Auranitis) في عام (٢٣) قبل الميلاد الى ملك (يهوذا) (هيرودس) (Herodes) ، وقد كان صاحب الكتابة من سكان هذه الأرضين ، فلم يؤرخ بسني حكم ملك النبط الذي في أيامه أنشأ ذلك القبر^٤.

لقد كان الحارث الرابع من المتأثرين بالثقافة الهلينية وبالحياة الهلينية . ويظهر هذا الأثر في المباني العامة التي أقيمت في أيامه وفي الكتابات اليونانية من عهده . ولا يستبعد أن يكون قد أتقن اللغة اليونانية وأخذ يتكلم بها مع اللسان الإرمي والنبطي ، إذ كانت تلك اللغة هي لغة القوة والثقافة في تلك الأيام .

Hastings, P. 48, Ency. Bibl., PP. 206. ١

Hastings, P. 48. ٢

REP. EPIG., II, III, P. 381. ٣

Ephemeris, II, S., 259. ٤

N. Glueck, Rivers, P. 195. ٥

وحكم بعد (الحارث الرابع) ابنه الملك (ملكو) (مالك) المعروف بالثاني ، وذلك من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) أو (٧٥) بعد الميلاد^١ . ويظهر أن النص المعروف بـ (CIS 11, 195) لصاحبه (عبد ملكو بن عيشو) ، أي (عبد الملك ابن عيش) والمؤرخ بالسنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) ، قصد بـ (ملكو) (مالك الثاني) هذا^٢ ، ويرجع تأريخه الى سنة (٤١) بعد الميلاد . أما ناشر النص في (CIS 11) ، فقد ذهب الى أنه (مالك الثالث) ، وأنه كتب في حوالي سنة (٣٩) بعد الميلاد . ومعنى هذا ان (مالك الثالث) حكم في سنة (٣٨) بعد الميلاد ، وهو وهم . وقد عثر على هذا النص في موضع (أم الرصاص)^٣ .

وفي السنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) دوتت الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 218)^٤ . وقد ذكر ناشرها ان (ملكو) المقصود هو (ملكو) الثالث ، وأن تأريخها يرجع الى سنة (٣٩) بعد الميلاد^٥ ، وهو وهم . وأما النص (CIS 11, 182)^٦ ، فقد أرخ كذلك بأيام (ملكو) ، أرخ بشهر (اب) (آب) من السنة السابعة عشرة من حكم (ملكو ملك نبطو برحرت)^٧ ، أي من حكم الملك (مالك النبط بن حارثة) . ويصادف هذا التأريخ عام (٥٧) بعد الميلاد . أما ناشر النص ، فقد جعله أيضاً (ملكو) (مالك) ، وجعل تأريخ التدوين في حوالي سنة (٥٠) بعد الميلاد^٨ . وهو يناقض ما ذهب اليه كثير من الباحثين من أن حكم الملك (مالك الثاني) كان من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) بعد الميلاد . ثم إن ما ذهب اليه ناشر النص من أن تأريخه يوافق سنة (٥٠) بعد الميلاد ، هو وهم أيضاً ، اذ يجب أن يكون سنة (٥٧) للميلاد ، لأن ابتداء حكم هذا الملك

Ency., Vol., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Hill, P. XIX, Littmann, in Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905, Div., IV, Sect., A, P. 21, W. Glueck, Delties, P. 542.

CIS II, 195, CIS, II, I, II, P. 217.

CIS, II, I, II, P. 218.

CIS, II, 218, Euting 21, Doughty, I.

CIS, II, I, II, P. 256.

CIS, II, 182, Vogue, N. 6.

CIS, II, I, II, PP. 206.

CIS, II, I, II, P. 207.

كان سنة (٤٠) . ولما كان النص قد أُرِخ بالسنة السابعة عشرة من حكمه تكون السنة إذن سنة (٥٧) للميلاد .

لقد انتزعت (دمشق) من حكم (مالك الثاني) ، في زمن لا نعرفه ، إلا أن الأرضين في شرقها وفي جنوب شرقها بقيت جزءاً من مملكة النبط^١ .

وانتقل الحكم الى (رب ال) (رب ايل) (ربثيل) الثاني المعروف بـ (سوتر) (سوتر) (Soter) بعد وفاة (ملكو) (مالك) الثاني . وقد حكم من حوالي سنة (٧٠) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على رأي، ومن سنة (٧٥) حتى سنة (١٠١) على رأي آخر ، أو شيئاً آخر قريباً من ذلك أو بعيداً بعداً قليلاً ، بحسب تعدد أنظار الباحثين^٢ ، لعدم وجود تقاويم ثابتة لدينا أو كتابات تنص على تواريخ حكم كل ملك من هؤلاء الملوك .

والى عهد هذا الملك تعود الكتابة المعروفة بـ (CIS 11, 183) المؤرخة في السنة الخامسة والعشرين من سني حكم (رب ال) (رب ايل) . وصاحبها رجل اسمه (قصي بن ادينت) ، أي (قصي بن أذينة)^٣ . وتكون سنة تدوين هذه الكتابة اذن في سنة (٩٥) أو (١٠٠) بعد الميلاد . أما الكتابة (CIS 11, 161) ، فتعود الى أيامه كذلك ، وقد دونت في شهر (أيار) من السنة الرابعة والعشرين من حكم (رب ايل) ، وقد دون مع التاريخ النبطي ما يقابله بالتقويم المستعمل عند الرومان آنئذ وهو سنة (٤٠٥)^٤ .

والتقويم الروماني هو تقويم السلوقيين . وتقابل هذه السنة سنة (٩٤) للميلاد ويكون مبدأ حكم (رب ايل) اذن في سنة (٣٨١) من التقويم السلوقي ، أي سنة (٧٠) بعد الميلاد . ووردت في هذه الكتابة بعض الأسماء ، مثل : (هني) (هانيء) و (جدلت) (جدلة) و (بمرت) (بجرة) (بجرة) و (ادرم) و (عبد الملك) ، وهي من الأسماء المعروفة أيضاً عند عرب الحجاز ونجد^٥ .

Delties, P. 542.

Ency., III, P. 801, Ency. Religi., Vol., 9, P. 121.

CIS II, I, II, PP. 208, Levy, In ZDMG., 1868, I, XXII, S., 262, Vogue, Syrie Centr., Inscr. Semit., P. 112.

CIS II, I, II, P. 191, CIS 11, 161.

CIS II, I, II, P. 192.

والى عهد الملك (رب ايل) الثاني تعود كذلك الكتابة التي دوتها (منعت بن جديو) (منعة بن جدي) (بصرابشت ٢٣ لرب ايل ملكا ملك نبطو) ، أي بمدينة (بصرى) ، وذلك في السنة الثالثة والعشرين لحكم (رب ايل) ملك النبط . وقد دوت هذه الكتابة بمناسبة تقرب صاحبها الى الإله (دوشرى وأعرى) بتقديمه مذبحاً الى معبده في مدينة (بصرى)^١ . ويكون تأريخ تدوين هذه الكتابة سنة (٩٣) للميلاد . وكذلك الكتابة القبرية المؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكم (رب ايل) ، أي في سنة (٩٣) للميلاد^٢ . ولدينا كتابة أخرى سجلت في أيام هذا الملك صاحبها رجل اسمه (علدرو برجشمو) ، أي (عاذر بن جشم) (عذره بن جشم) (عذير بن جشم) (عذر بن جشم) ، ورد فيها اسم الإله (شيع القوم) دوتها في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك ، أي في حوالي سنة (٩٦) بعد الميلاد^٣ .

وترينا الكتابة الموسومة بـ (REP. EPIG. 1434) أن للملك شقيقين هما : (جميلت) أي (جميلة) و (هجرو) أي (هاجر) ، وقد نعتنا فيها بـ (ملكتي النبط) . ويظهر ان هنالك شقيقة ثالثة اسمها (فصائل) ، وربما كانت له شقيقة رابعة سقط اسمها من النص^٤ .

وقد ذكرت (شقيلت) (شقيلة) أم الملك (رب ايل) الثاني مع ابنها في نقود ، وذلك في أثناء عهد وصايتها عليه حين انتقل العرش اليه ، وكان على ما يظهر صغيراً . وكان للملك شقيق ساعدها في تحمل أعباء الحكم اسمه (انيشو) (Oneishu) لعله (أنيس) . ولما تزوج (رب ايل) من زوجه (جميلت) (جميلة) (Gamilath) أمر بضرب اسمها مع اسمه على النقود^٥ .

وقد ذكر بعض الباحثين ان بعض ملوك النبط ولا سيما المتأخرين منهم ، أقاموا في أكثر أوقاتهم في (بصرى) (Bostra) ، مما أدى الى اضعاف شأن

Mark Lidzbarski, Ephemeris Semitische Epigraphik, S., 330, (Giessen 1902), ١

Clermont-Ganneau, Recueil, P. 170, Rep. Epig. 83.

REP. EPIG. 83, I, II, P. 67. ٢

Ephemeris, II, I, S., 252, REP. EPIG. 468. ٣

Ephemeris, S., 332, Recueil, P. 173, REP. EPIG. 886.

REP. EPIG., III, I, P. 141. ٤

Hill, P. XX, 12-13, PL., II, 18-23. ٥

عاصمتهم القديمة (بتر) والى اضعاف ادارة أمور النبط^١ .

وأخر ملك نعرفه من ملوك النبط ، هو الملك (ملكو) (مالك) الثالث ، الذي حكم من سنة (١٠١) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على بعض الآراء . وفي أيامه قضى (تراجان) في سنة (١٠٦) بعد الميلاد على استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم (سورية) (كورنيليوس بالما) (Cornelius Palma) (٩٨ - ١١٧ م) ، وأطلق عليها اسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia)^٢ . وقد نقل مقر الحكم من (بتر) الى (بصرى) ، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت (بتر) مجرد موضع قليل الشأن^٣ .

لقد قضى الرومان على استقلال النبط في العربية الحجرية ، فأضافوا بلادهم الى جملة الأرضين التي استولوا عليها . وخسر النبط ملكهم ودولتهم ، ثم خسروا أرضهم فيما بعد . واضطروهم ضغط القبائل العربية الأخرى عليها الى الرحيل الى أماكن أخرى ، والهجرة الى مواطن جديدة طلباً للرزق . كما هاجر من قبلهم سكان الأرضين التي استولى النبط عليها في أيام عزهم وملكهم واندمج أكثرهم في القبائل الجديدة الفتية التي سادت على أرض النبط ، وتسموا باسمهم وانتسبوا اليهم حتى نسوا أصلهم القديم فزال النبط بزوال دولتهم ، وبقي اسمهم ، وبعض رسومهم التي يعود الفضل في إحيائها الى المستشرقين .

وقد بقي النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما يتبين من بعض الكتابات النبطية المؤرخة التي عثر عليها في (طور سيناء) وفي مصر . ومنها كتابة مؤرخة بسنة (١٦٠) من تقويم (بصرى) المقابلة لسنة (٢٦٦) بعد الميلاد . وقد تبين ان أكثر الكتابات التي عثر عليها في الأماكن المذكورة وفي أماكن أخرى هي كتابات وجددها العلماء والباحثون والسياح على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الأحمر ، وفي وجودها في هذه الأماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون بين مصر وجزيرة العرب

Delties, P. 543.

Die Araber, I, S., 304, Groag Stein, Prosopographia, 2, 346, NR : 1412,

1936, Schrader, KLT, S., 153.

N. Glueck, The Story of the Nabataeans, P. 543.

وموانئ ساحل البحر الأحمر ولا سيما ساحل النبط المقابل لبر مصر^١ .
ويظن جماعة من المستشرقين ان عرب (الحويطات) الساكنين في منطقة (حسمى)
في الأقسام الشمالية من الحجاز ، في المنطقة التي كانت تسكنها (جذام) ، هم
من بقايا النبط^٢ .

وتنسب (الحويطات) الى جدّ أعلى لهم اسمه (حويط) ، وهو على زعمهم
من أهل مصر ، جاء بيت الله الحرام حاجاً فأتى في (العقبة) ودفن في (حسمى).
وهم عشائر يتراوح عددها من عشر عشائر الى اثني عشرة عشيرة تسكن في
طور سيناء وفلسطين والحجاز^٣ ، وتجاور قبيلتي (بلى) و (جهينة)^٤ . وهم
في الجملة ميالون الى الحرب والغزو ، ولذلك كانوا يغزون العشائر المجاورة لهم ،
ويأخذون الأثاوة من القرى والمدن الواقعة في مناطق نفوذهم في أيام العثمانيين^٥ .

وتتألف (الحويطات) من ثلاثة بطون هي : (حويطات التهمة) و (حويطات
العلويون) (العلاوين) ويعرفون أيضاً بـ (حويطات ابن جاد) (حويطات
ابن جازى)^٦ . وتتألف (حويطات التهمة) (حويطات التهم) التي تقع
منازلها على ساحل البحر الأحمر حتى (الوجه) في الجنوب ، من عشائر عديدة
هي : (العمران)^٧ و (العميرات) و (المساعيد) والذبابين والزماهرة والطقيقات
والسليانيين والجرافين والعميات والمواصة والمشاهير والفرعان والجواهره والقييضات
والفحامين . وأما (حويطات العلويون) ، فتتألف من : (الصوياحين) و (المقابلة)

1 Whickler, Rock Drawing of South Upper Egypt, (1938), L.A. Tregena and Dr.
John Walker, Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad University, Vol., XI,
Part II, December, 1949, Enno Littmann, Nabataean Inscriptions from
Egypt, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Univer-
sity of London, 1953, PP. 1.

2 Ency., Vol., I, P. 368, III, P. 802.

3 Ency., II, P. 349, Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, London,
1831, P. 29, Doughty, Travels in Arabia Deserta, I, 16, 29, 45, 46, 137, 233,
390, II, 24, 323.

4 Ency., II, P. 349, Musil, Arabia Petraea, III, P. 48.

5 Euting, Tabuch. einer Reise in Inner-Arabien, II, S. 103, Ency., II, P. 349.

6 قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،

Musil, Hegaz, P. 6, Petraea, BD., BD. 3, S., 48, 51.

7 (حويطات التهم) قلب جزيرة العرب (ص ٧٢ ، ١٣١ ، ٤٢٥) ، (حويطات
التهمة) ، (عمران) . Ency., II, P. 349.

و (المحاميد) و (الخضريرات) و (السلامين) و (العزاجين) و (القدمان)
و (العواجة) و (السلامة) . ومن (حويطات ابن جازي) (المطالقة)
و (الدراوشة) و (العامرة) و (المرايع) و (الدمانية) و (العطون)
و (التواهة)^١ .

لقد عثر على كتابات مدونة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغات هي
النبطية والإرمية واليونانية ، بعضها من بعد ضم مملكة النبط الى (الكورة العربية) ،
أي بعد سقوطها في أيدي الرومان ، وقد تبين منها أن النبط بقوا أمدأ يكتبون
ويدونون بلغتهم ، وإن كانوا يستعملون معها اليونانية أو الإرمية أو كلتا اللغتين
في بعض الأحيان ، كما تبين أن اليهود دونوا بالنبطية أيضاً ، أولئك اليهود الذين
كانوا على اتصال بالنبط ، وكانت لهم صلات تجارية بهم . وقد دونوا بهذه
اللغة حتى بعد سقوط دولة النبط . وقد وصلت كتابات أصحابها يهود فيها عقود
بيع وشراء مع النبط ، كما وصلت كتابات نجد فيها خلاصات من عقود ومكاتبات
دونت باليونانية أو بالإرمية ، على حين دونت الخلاصات بالنبطية وبالعكس^٢ .

ولا نعرف شيئاً يذكر عن أصول تنظيم الدولة وكيفيةها عند النبط . والملك
بالطبع هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومة . وهو الذي يختار من
يوكل اليهم ادارة الأعمال وتسيير أمور الرعية . وللملك حاشية القربة عنده ، وكل
اليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة الى الملك ، ويقال للواحد منها
(اخ ملكا) ، أي (أخو الملك) . ويظهر أنها كانت طبقة خاصة من الطبقات
الأرستقراطية انحصرت فيها هذه الوظائف انحصار الملكية في الأسر المالكة^٣ .

ومما يلاحظ على النبط ان ملوكهم كانوا ينعتون أنفسهم بنعوت لا نجد لها في
الكتابات العربية الأخرى ، فجمالة : (ملك رحم عمه) ، أي (الملك الرحيم
بشعبه) ، أو (الملك المحب لشعبه) لا نجد لها مثيلاً في الكتابات الأخرى من
كتابات ما قبل الاسلام . لكنهم لم يتركوا الجمل التي تنعتهم أيضاً بـ (ملوك

١ وأسماء أخرى ، راجع : قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،

Ency., II, P. 349, Musll, Petraea, III, 48, 51, 407.

Delties, P. 8. ٢

REP. EPIG. 675, 1100, M. Lidzbarski, In Ephemeris, 3, (1909-1915), 89, 297, ٣

Die Araber, I, S., 287.

النبط) ، اذ نجدهم يكتبون بعد اسمهم : (ملك ملك نبطو) ، أي (الملك : ملك النبط) .

ويلاحظ انه قد كان للمرأة منزلة رفيعة عند النبط ، بدليل ما نجده في كتاباتهم وفي نقودهم من ذكر اسم الملكات مع الملوك . فقد كان من عاداتهم ورسومهم ذكر الملكات مع الملوك رسمياً ، فقد ورد مثلاً : (شقيلت أخته ، ملكت نبطو) . أي (شقيلة أخته ، ملكة النبط) . وورد : (شقيلت أمه ، ملكت نبطو) ، أي : (شقيلة أمه : ملكة النبط) ، وهكذا . ونجد النقود النبطية وقد أشارت الى اسم الملك الذي أمر بضرب ذلك النقد ، كما نجد اسم زوجته أو أمه معه . وقد ضربت صورة رأس الملك ورأس الملكة معه في النقود المضروبة باليونانية^١ .

وبالرغم من ظفر العلماء بنقود نبطية ويونانية ، لم يتمكنوا حتى الآن من الاتفاق على تثبيت أسماء ملوك النبط تثبيتاً زمنياً ، ولم يتمكنوا أيضاً من تعيين مدة حكم كل واحد منهم تعييناً مضبوطاً قاطعاً ، فما سنذكره عنهم لا يعني إذن انه شيء ثابت وأكد^٢ .

وقد تأثر النبط بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً . ويظهر هذا الأثر في نقودهم ، إذ قلدوا في ضربها النقود اليونانية ، بل ضربوها بكتابة يونانية في الغالب . وقد نعت (عبادة) الثالث نفسه بـ (الها) في نقد ضربه باسمه ، محاكاة للسوقيين الذين لقبوا أنفسهم بـ (ديوس) (Deos) ، أي (الإله) . كما يظهر هذا الأثر في ادارة الدولة وفي الحجارة المكتوبة ، إذ نجد أصحابها يكتبون بالنبطية وباليونانية ، بل نجد هذا الأثر على شواهد القبور وغير ذلك^٣ . ولعلمهم كانوا قد أخذوا من مناهل العلم اليوناني ، وتعلموا العلوم الشائعة في ذلك العهد من اليونان الذين سكنوا بين النبط ، ومن بلاد الشام حيث كانوا على اتصال دائم بها ، وفي بلاد الشام جاليات قوية من الرومان واليونان . ولهذا ظهر أثر اللاتينية واليونانية في الأنباط^٤ .

Deities, P. 11. ١

J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 6, R. Dussaud, Pénétration, 51, Die Araber, I, S., 289. ٢

Le Nabatéen, 2, (1932), P. 5, 6, 152, Die Araber, I, S., 288. ٣

N. Glueck, Rivers, P. 194. ٤

ويظهر أن النبط كانوا مولعين بالشراب وبالخمر ، ونجد لصور الكروم مكانة بارزة في فن النحت والنقش عندهم . وقد أظهروا براعة فائقة في حفر صور الكروم وعناقيدها على الألواح ، كما يظهر ذلك من آثارهم التي درسها الباحثون في النبطيات^١ .

مدن النبط :

و (بتر) (البتراء) (بطرا) (Petra) ، هي عاصمة النبط القديمة . ومعنى (Petra) (بطرا) في العربية (الصخر) . أما اسمها القديم فـ (ها - سلع) (ها - سلع) ، (Sela) = (Selah) ، ويعني أيضاً (الصخر) لغة الأدوميين . وهي على خمسين ميلاً تقريباً إلى الجنوب من البحر الميت . ولما افتتحها (أمصيا) (٨٣٧ - ٨٠٩ ق. م.) ، سماها (يفتثيل) أي (الخاضع لله)^٢ . وكانت عاصمة (أدوم) . وكانت من أشهر المدن في العالم القديم ، ثم صارت لمؤاب^٣ . وقد ذكرها (ياقوت الحموي) في مادة (سلع) ، فقال : « و سلع أيضاً حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »^٤ . وتقع آثار المدينة وبقاياها اليوم في وادي موسى ، ويسمى أيضاً (وادي السيق)^٥ . وقد عرف هذا الوادي بوادي موسى ، لما زعم أن موسى ضرب الصخر بعصاه فشقه فجري الماء من موضع العين إلى النهر ، فسميت لذلك بعين موسى . وكان السيق مبلطاً ، ولا تزال آثار التبليط باقية في بعض المواضع . وتجاه نهاية السيق هيكل منحوت في الصخر ، يسمى : (خزنة فرعون) ، وداخل باب الهيكل دار ، وعلى بعد (٦٠٠) قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لزهاء أربعة آلاف انسان .

١ Delties, P. 4.

٢ قاموس الكتاب المقدس ، (١ / ٥٢٨) ،

Die Araber, I, S., 283, Kennedy, PP. 78, Hasting, P. 835.

٣ قاموس الكتاب المقدس ، (١ / ٥٢٨) ،

٤ البلدان (١٠٧ / ٥) Ency. Bibl., P. 4344, Nöldeke, IN ZDMG., 55, S., 259

٥ قاموس الكتاب المقدس (١ / ٥٢٩ وما بعدها) ، (باب السيق)^{*} Provincia, I, S., 195, 215.

ومن آثارها المهمة ، الأثر المعروف باسم (خزنة فرعون)^١ ، وقوس النصر وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطي القديم ، وبعضها متأثرة بالفن المصري الآشوري أو اليوناني أو الروماني^٢ .

وتشاهد في (بطرا) كتابات كثيرة ، منها ما هو مؤرخ يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التي توضع على القبور ، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية . ووجدت كتابة باليونانية دوتها أسقف سكن معبداً من معابد المدينة القديمة التي تعود الى ما قبل الميلاد في حوالي سنة (٤٤٧) للميلاد . كما وجدت كتابة لاتينية على قبر بني على النمط (الروماني) صاحبها ضابط روماني اسمه (سكستوس فلورنتينوس) (Sextius Florentinus) لا يعلم زمانه على وجه الصحة ، ويرى بعضهم انه من أيام (هدريانوس) (Hadrianus) أو (أنطونيوس بيوس) (Antoninus Pius)^٣ .

وقد منحت (بطرا) درجة (Colonia) رومانية في أيام حكم الرومان كما يظهر ذلك من بعض النقود الرومانية التي عثر عليها . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في أيام حكم (Elagabalus) (٢١٨ - ٢٢٢) للميلاد^٤ . ولكن هنالك من يعارض هذا الرأي من الباحثين في علم النميات^٥ .

وقد وصف (سترابو) (بطرا) (بتر) بقوله : كانت (بطرا) عاصمة النبط ومقر حكمهم ودولتهم وهي لا تبعد الا أربعة أيام عن (أريحا) (Jericho) وخمسة أيام عن غابة النخيل (بوسيديون) (Poseidion) . وهي موضع غني بالماء كثير البساتين بالنسبة الى من يأتي اليها من البوادي القاحلة الجرد . وقد زارها (أثينودور) (Athenodor) صديق (سترابو) ، فوصفها له ، وذكر له انه وجد بها أجانب ، بينهم جمع من الروم . ويظهر من أخبار (سترابو) أن النبط

١ راجع وصف (خزنة فرعون) في الجزء ال (٢١) من السنة الثامنة من مجلة المشرق الصادر في ١ تشرين الثاني من سنة (١٩٠٥) (ص ٩٦٥ وما بعدها) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٩/١) وما بعدها .

٣ Kennedy, P. 76.

٤ Provincia, III, S., 291.

٥ Berytus, Vol., IX, Fasc., I, 1918, P. 40, « Petra, Colonia », By Stella Ben-Dor,

De Saulcy, Numisme de La Terre Sainte, 1874, PP. 292, 353.

كانوا قد بنوا بيوتاً لهم في هذه المدينة كذلك . وقد أبدت التنقيبات التي أجريت عند مدخل المدينة هذا الرأي^١ .

الحجر :

أما (الحجر) ، فمدينة من مدن النبط القديمة المهمة ، تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي (Egra) = (Hegra) التي أشار إليها (سترابو) في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس غالوس) و (Haegra) = (Hagra) التي ذكرها (بلينيوس) على أنها مقر القبيلة المسماة (ليانيتيه) (Laenitae)^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها (مدائن صالح)^٣ ، وذهب بعض آخر إلى أن (مدائن صالح) ، هي (العلا) لا (الحجر)^٤ . وفرق بعض آخر بين موضع مدائن صالح و (العلا)^٥ .

وقد ذكر (بطلميوس) المدينة أيضاً ، وذكرها المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) كذلك^٦ . وقد كانت من مواضع النبط المهمة ، وقد عثر على خمس كتابات في (مدائن صالح) خرج بعض الباحثين من دراستها إلى أن (الحجر) هي من الأماكن التي أنشأها (المعينيون) . وقد كان اسمها القديم (حجرا) (هجرا) أو (حمجرو) (هجرو) و (ال - حجرو) في الكتابات^٧ .

و (حجرو) و (ال - حجرو) هي (الحجر) في العربية . وقد ذكر هذا الموضع في المؤلفات العربية . وذكر (ابن حبيب) أن قوم ثمود نزلوا الحجر^٨ . وذكر علماء اللغة أن (الحجر) ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى ،

Die Araber, I, S., 285, Strabo, 16, 779, A. Kramer, Petra et la Nabatène, 1929, P. 510. ١

Musl, Hegaz, P. 291, 299. ٢

Arabien, S., 55, 59. ٣

Arabien, 4, 15. ٤

Arabien, S., 39, 40. ٥

Ptolemäus, VI, 7, 29, Stephanus Byzantius, I, 260, Arabien, S., 44. ٦

Jaussen-Savignac, I, 157, NR. 9, Arabien, S., 39. ٧

المحبر (ص ٣٨٤) . ٨

وهم قوم صالح النبي، وقد جاء ذكر الموضع في القرآن : (وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)^١ ، كما جاء ذكره في كتب الحديث^٢ . وقد تضاعل شأنها في الإسلام ، حتى صارت قرية صغيرة في القرن العاشر للميلاد ، ثم تركها أهلها ، وتقع خرائبها اليوم بين (جبل اثلت) و (قصر البنت) وخط سكة حديد الحجاز ، حيث تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة شمسية ، وعلى نقود يرجع عهدها الى (الحارث الرابع) . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة . أما الجدران ، فقد بني أكثرها باللبن . وتقع خرائب (العلا) الى الجنوب من (الحجر)^٣ .

وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور الحجر القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حذق ومهارة ، ولا سيما المقبرة التي هي من القرن الأول للميلاد ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) . وقد تألفت من غرف نحتت في الصخور ، ول بعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . وهي قبور لأسر ، ومن هذه المقابر الموضع المعروف بـ (قصر البنت) ، وقد نحت في داخل تل ، ويعد من أغنى تلك المقابر من الناحية الفنية ، وله مدخل خارجي ، ارتفاعه عشرون متراً . وقد زين بالزخارف والنقوش^٤ .

ويعدّ الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) . وقد عمل في (جبل اثلب) . وهو معبد يذكرنا بمعابد (بطرا) . وهو على قاعة ذات زوايا مربعة ، عرضها عشرة أمتار ، وعمقها اثنا عشر متراً ، وارتفاعها ثمانية أمتار ، ولها مدخل عرضه ثمانية أمتار و (٣٥) ستمتراً ، وارتفاعه سبعة أمتار وزهاء خمسة ستمترات ، على كل جانب منه عمود من حجر ، جعلت زواياه مربعة . أما الباب ، فقد تلف . ويوصل الى هذا المدخل مدرج . وهناك معبد آخر صغير يقع على مسافة (١٥٠) متراً الى الجنوب من (جبل اثلب)^٥ .

١ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٠ ، المفردات (١٠٧) ، تفسير القرطبي (١٠ / ٤٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٧٠ / ٤) .

٣ Arabien, S., 44.

٤ Arabien, S., 60, Jaussen-Savignac, Mission, I, 316.

٥ Arabien, S., 66, Jaussen-Savignac, Mission, I, 118, 405, Doughty, I, 118.

Musil, Arabia Petraea, (1907) 133, 146.

وقد وجدت في (القرية) بالحجاز وهي أطلال ، مدينة قديمة على خمسة وأربعين ميلاً الى الشمال الغربي من (تبوك) في أرض (حسمى) كتابات نبطية ويونانية ، كما عثر على معبد قريب منها في البادية دعاه (موسل) (غوافه) و (روافه) ، وجدت عليه كتابة نبطية يونانية طويلة ورد فيها اسم (مارقوس أورليوس انطونينوس) (Marcus Aurelius Antoninus) و (لوقيوس أورليوس فيروس) (Lucius Aurelius Verus)^١ . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في أيام النبط ، ولا سيما في أواخر أيام مملكتهم ، وان هذا المعبد كان قد ابتناه قوم ثمود في أوائل منتصف القرن الثاني للميلاد^٢ .

الكورة العربية :

ضمت (العربية النبطية) سنة (١٠٥) أو (١٠٦) بعد الميلاد الى الأملاك الرومانية وكون منها ومن أرضين أخرى ضمت اليها مقاطعة جديدة عرفت باسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia) (المقاطعة العربية) وجعلت تحت حكم حاكم بلاد الشام المدعو (كورنيليوس بالما) (A. Cornelius Palma)^٣ . ولا يعلم على وجه التحقيق أعيّن الرومان والياً على هذه الكورة حال تكوينها ، أم انها جعلت تحت ادارة حاكم (سورية) المباشرة ثم عيّن لها حاكم خاص . والمعروف ان أول والٍ (Legat) عيّن عليها انما عيّن في سنة (١١١) بعد الميلاد^٤ .

ولم تكن حدود (الكورة العربية) (المقاطعة العربية) ثابتة، بل كانت تتغير وتتبدل ، وتتقلص وتتوسع تبعاً لمراكز الحكام ومنازلهم . ففي سنة (١٩٥) بعد الميلاد مثلاً أضيف اليها بعض الأرضين الجنوبية من مقاطعة (سورية الفينيقية) (Syria Phoenice) ، ولكن هذه الحدود تغيرت مراراً قبل هذا التاريخ وبعده . وتساعدنا (السكة الرومانية) التي أنشأها (تراجان) ثم وسعت فيما بعد مساعدة

Musil, Hegaz, P. 185, 258. ١

Musil, Hegaz, P. 185, 258, The Geographical Journal, Vol., CXVII, Part, ٢
4, 1951, PP. 448, « The Ruins of Quralya », By H. ST. J. B. Philby.

Provincia, III, S., 250. ٣

Provincia, III, S., 250. ٤

كبيرة في تعيين حدود ومساحة هذه المقاطعة . وقد أنشئت هذه السكة لأغراض عسكرية لتيسر للجيوش الرومانية الوصول بسرعة الى المواضع المهمة من الوجهة العربية ، ولتتمكن بواسطتها من السيطرة على الوطنيين وضبط الأمن^١ .

ويمكن الاستدلال من أنصاب الأميال ، التي وضعها الحاكم (قلوديوس سيوروس) (قلوديوس سيفيروس) (Claudius Severus) على هذه الطرق للوقوف بواسطتها على الأبعاد والمسافات والاتجاه ، على معرفة طريقين مهمين : أولهما طريق جديد انتهى منه في سنة (١١١) للميلاد ، يمتد من الحدود الشمالية للمقاطعة العربية أي من بلاد الشام الى (بصرى) (Bostra) ثم الى (فيلادلفيا) (عمان) (Philadelphia) ، ومنها في اتجاه الجنوب ثم الغرب على طريق (بطرا) حتى البحر الأحمر . وثانيها الطريق الممتد من (فيلادلفيا) ماراً بـ (جرش) (Gerasa) وربما بـ (أذرح) (Adra) نحو (بصرى) (Bostra) . وقد كان هذا الطريق معروفاً قبل سنة (١٠٥) للميلاد ، غير انه أصحح وعمر ، وربما حوّل الى طريق عسكري في سنة (١١٢) للميلاد ، أي في أيام (تراجان)^٢ .

وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حاكم المقاطعة العربية من رومان وبيزنطيين، وردت أسمائهم مدونة على أنصاب الأميال وفي الكتابات الأخرى التي عثر عليها في مواضع متعددة من هذه المقاطعة . وأولهم (كورنيليوس بالما) . وقد تبين أن الألقاب الرسمية التي كان يتلقب بها حكام هذه المقاطعة في القرن الثاني بعد الميلاد كانت من درجة الألقاب الرفيعة التي تمنح عادة لحكام مقاطعة (قيصرية) مثل لقب : (Legatus Augusti Pro Praetore) أو (Augustorum) تضاف اليه جملة : (Consul Designatus) متى يكون الحاكم في درجة (قنصل) (Consul) ، وذلك يكون عادة بالنسبة الى حكام المقاطعات من درجة (Legatus Pro Praetore) وقد يقتصر اللقب على كلمة (Consulares) إذا كان صاحبه قنصلاً . غير أن هذه الألقاب الرسمية لم تكن ثابتة ، بل كانت تتغير بحسب أهمية الحاكم ومنزلته ، والوظيفة التي يشغلها ، والزمان الذي حكم فيه^٣ .

Provincia, III, S., 250, 264.

المشرق : السنة الثامنة ، العدد ١٠ ، ١٥ ايار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ وما بعدها .

Provincia, III, S., 264.

Provincia, III, S., 281.

وتفيدنا وثائق المجامع الكنسية التي انعقدت في أوقات مختلفة لمعالجة المشكلات التي جابهت الكنيسة ، وحضرها ممثلون عن كنائس (الكورة العربية) فائدة كبيرة في تعيين أسماء مدن هذه الكورة وتأريخها. ومن هذه المجالس مجلس (نيقية) (Nicaea) الذي انعقد في سنة (٣٢٥) بعد الميلاد^١، ومجمع (انطاكية) (Antiochia) المعقود في سنة (٣٤١) بعد الميلاد^٢ ، ومجمع (Sardica) الملتئم عام (٣٤٧) للميلاد^٣، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) بعد الميلاد ، ومجمع (أفسوس) (Ephesus) المجتمع عام (٤٣١) ، ومجمع (خلقدونية) (Chalcedon) الذي انعقد في عام (٤٥١) ، للميلاد ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد سنة (٥٣٦) للميلاد ، ومجمع (القدس) الملتئم عام (٥٣٦) بعد الميلاد ، وغيرها من المجالس والمجامع الدينية^٤.

وقد عثر على نقود ضربت في أيام الرومان والبيزنطيين في عدد من مدن (الكورة العربية)^٥. مثل (Adra) (أذراعات) و(بصرى) (Charachmoba) و (ديوم) (Dium) و (Eboda) و (Esbu) و (جرش) (ومأدبا) (Medaba) و (Moca) و (بطرا) و (فيلادلفيا) (Philadelphia) و (فيليب بوليس) (Philippolis) و (Rabbathmoba)^٦.

أما (Adra) ، فهي (أذراعات) المشهورة عند العرب في الجاهلية والإسلام^٧. وتعرف في الزمن الحاضر بـ (درعة) و (درعا) كذلك ، وهي (أذرعى) (Edrei) في التوراة ، بمعنى قوة أو حصن^٨. وهي من مدن (باشان)

1 Provincia, III, S., 253, Gelzer, Geographische Bemerkungen zu dem Verzeichnis der Väter von Nikaea, In der Festschrift für Heinrich Kalpert.

Berlin, 1898, S., 47-61.

2 Provincia, III, S., 253, Ency., I, P. 359.

3 Provincia, III, S., 253.

4 Provincia, III, S., 255.

5 Hill, P. XXII, Journal of Roman Studies, Vol., VI, (1961).

6 Hill, P. XXII — XXIV.

7 البلدان (١/١٦٢ وما بعدها) ، البكري (١/٨٣) ، المقدس (ص ١٦٢) ،
الاب ١٠ س. مرمجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ، مطبعة (جان

دارك) ، بيروت ، ١٩٤٨ م (ص ٤) .

8 Ency. Bibl., PP. 118, Hastings, P. 203.

العظيمة^١ . وقد اشتهرت (أذرعات) بخمرها عند العرب ، وقال عنها علماء اللغة لأنها موضع بالشأم تنسب اليه الخمور^٢ .

و (أذرعات) موطن (عوج) (Og) ملك (باشان) ، وكان جباراً قامة وبأساً^٣ ، من سلالة الرفائيين ، حاول أن يمنع مرور بني اسرائيل بأرضه ، فاصطدم بهم بأذرعات ، وتغلبوا عليه ، فقتل هو وبنوه ، وانقسمت مدنه الستون المحصنة بين (الرؤيين) و (الجاديين) ونصف سبط (مني)^٤ . وتقع (أذرعات) في وادي يكون القسم الجنوبي من وادي (حوران) وعلى مسافة ستة أميال الى الشرق من طريق الحج ، وفيها كهوف عديدة وصهاريج كبيرة ، وبها خرائب وآثار يقرب محيطها من ميلين يظهر أنها من عهد الرومان^٥ . ومن بقاياها (قناة فرعون) ، وهي تأخذ مياهها من بحيرة صغيرة قرب موضع (يابس) في حوران . ومسجد يشبه بناؤه (كاتدرائية) بصرى ، وآثار الشوارع والخوانيت التي كانت عليها ، وموضع سوق . وعثر في خرائبها على كتابات باليونانية كما عثر فيها على نقود ضربت فيها من سنة (٨٣) قبل الميلاد . وقد ألحقها (بومبيوس) (Pompeius) بمقاطعة سورية الرومانية، وألحقها (تراجان) بالمقاطعة العربية ، وذكر (أويسيوس) (Eusebius) و (جيروم) أنها من أشهر مدن (العربية) ، وكان بها أسقف حضر مع من حضر من الأساقفة في المجالس الكنسية التي انعقدت في (سلوقية) (Seleucia) و (القسطنطينية) و (خلقدونية) (Chalcedon) (٤٥ م)^٦ .

وفي المتحف البريطاني قطع من النقد المضروب في هذه المدينة ، وقد أشير في

١ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) ، التثنية ، الاصحاح الاول ، الاية (٤) ،

Ency. Bibl., PP. 1188, Hill, P. XXIII.

٢ اللسان (٩٧/٨) .

٣ التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ ، يشوع ، الاصحاح الثالث عشر ، الاية ١٢

٤ العدد ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، تثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ وما بعدها ، و ١٢ - ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) و Ency. Bibl., P. 1189.

٦ Ency. Bibl., P. 1189, Wetzstein, Ausgewählte Griechische und Lateinische Inschriften, gesammelt auf Reisen in den Trachonen des Haurangebirges, Reiseberichte über Hauran und Trachonen, 47, on Mast., 118, 4, 213, 379, Hastings, P. 203.

بعضها الى (دوشرى) (ذي الشرى) إله النبط . كما صور على بعضها صور
القيصرة الذين في أيامهم ضرب ذلك النقدا .

و (باشان) ، ومعناها (التربة الخفيفة) ، مقاطعة من أرض كتعان واقعة
شرقي الأردن بين جبلي حرمون و (جلعاد) ، وسميت (باشان) من جبل في
البلاد^٢ . وسكانها القدماء هم (الرفائيون) (Rephalite) ، ولهم مملكة ذكر
في التوراة من ملوكهم اسم الملك (عوج) الذي قتله الاسرائيليون ، وهو المعروف
بـ (عوج بن عوق) عند أهل الأخبار ، والمعروف بـ (عوج بن عوق) عند
العوام^٣ . وقد ذكر الأخباريون انه رجل (ذكر من عظم خلقه شناعة) ، وانه
كان ولد في منزل آدم فعاش الى زمن موسى ، وقد قتله موسى^٤ . وقد أخذوا
أخبارهم هذه عنه عن أهل الكتاب ، أو من وقوفهم على ما جاء في أسفار
(التثنية) و (يشوع) و (العدد) عنه . وكان قد حاول منع الاسرائيليين
من المرور بأرضه ، فقتلوه ، وجاء انه كان ينام على سرير من حديد طوله تسع
أذرع وعرضه أربع أذرع ، وذلك لبيان ضخامة جسمه . ونجد في الأسفار المذكورة
أخباره مع بني اسرائيل ومقاومته لهم^٥ .

وكانت باشان تشمل حوران والجولان واللجاة ، وكلها مؤلفة من صخور
وأترية بركانية ، وتربتها مخصبة ، وماؤها غزير ، ويحدها شمالاً أرض دمشق ،
وشرقاً بادية الشام ، وجنوباً أرض (جلعاد) ، وغرباً (غور الأردن) ،
ويحترق جانبها الشرقي جبل الدروز ، وهو جبل (باشان) القديم . ويمر بالجولان
سلسلة تلال من الشمال الى الجنوب . أما مقاطعة (اللجاة) ، فهي حقل من
(الالفا) أي الصخر البركاني ، سالت من (تل شيمحان) ، وهو فم بركان

١. Hill, P. XXIII, Dussaud, Notes de Mythologie Syrienne, PP. 167, De Sauley, Terre Sainte, PP. 373.

٢. قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) ، المزامير ، ٦٨ ، الاية ١٥ .

٣. اللسان (٣٣٥/٢) ، (٢٨١/١٠) .

٤. التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ وما بعدها .

٥. التثنية ، الاية ١ وما بعدها ، والاصحاح ٣ ، الاية ١ وما بعدها ، ويشوع ،
الاصحاح ١٣ ، الاية ١١ وما بعدها ، والعدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٣٤ ، و ٣٢ ،
الاية ٢ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

قديم بقرب شحبة^١ .

ومن أشهر مدن (باشان) (الجولان) (Golan) ، وهي من منطقة (الجولان) (Gaulanitis) ، وتعني الكامة (الدائرة) ، وأصلها مدينة (جولان) ، وبها سميت المقاطعة . وتقع في (باشان)^٢ و (عشتاروت) (عشتروت) (بعشتره) (Ashtaroth) = (Ashtoreth) = (Be-Eshterah) ، ويظهر أنها (تل عشترة) (تل أشعري) في الجولان^٣ . ومدينة (عشتاروت قرنايم) (Asther Karnaim) وهي (قرنيون) (Carnion) أو (قرنين) (Carnain) التي استولى عليها (يهوذا المكابي) (Judas Maccabaeus) سنة (١٦٤) قبل الميلاد على ما يظن . وهي من مدن (الرفاثيين) في (باشان)^٤ . وقد اختلف الباحثون في مكانها في هذا اليوم ، فذهب بعضهم الى أنها (الصنان) وذهب بعض آخر الى أنها (قنوات) وذهب آخرون الى أنها (تل عشترة)^٥ .

ويظهر أن كثيراً من (الباشانيين) كانوا يعيشون عيشة سكان المغاور والكهوف (Troglydtes) ، إذ تبين أن قسماً منهم سكن الكهوف والمغاور ، وسكن بعض منهم في أنفاق وكهوف تحت الأرض يبلغ طولها (١٥٠) قدماً ، وتتفرع منها أزقة تحت الأرض بجانبها بيوت تنفتح كواها في سقوفها ، فهي في الواقع مدن تحت الأرض . وفضل نفر آخر السكنى في بيوت منقورة في الصخر . وسكن بعض منهم في بيوت منفردة مبنية من الحجر^٦ .

وأما (بصرى) وتعرف بـ (Bostra) ، فقصة (حوران) ، ومن أشهر مدنها^٧ . وقد عرفت في أيام الرومان بـ (Nova Trajana Bostra)^٨ . وقد ألحقت بالمقاطعة العربية في مبدأ تأسيس هذه المقاطعة ، أي في أيام (تراجان) ،

١ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٥/١) ،

Hastings, P. 303, Schumacher, Across the Jordan, 92.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) ، Hastings, P. 57.

٤ التكوين ، الإصحاح الرابع عشر ، الآية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) ، Hastings, P. 57.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) ، Ency. Bibl., P. 4976.

٧ البلدان (٢٠٨/٢) ، المشترك (طبعة وستنفلد) (٥٧) ، بلدانية فلسطين (ص ٢٣ وما بعدها) ،

عيون الأخبار (٣٣١/٢) .

٨ Ency., I, P. 765, Hill, P. XXIV.

وصارت عاصمتها وقصبتها العظمى بعد أيام (ديوقليتيان) (Diocletian) (٢٨٦ - ٣٣٧) بعد الميلاد^١ ، ومركزاً من مراكز النصرانية المهمة . وفي القرن السادس للميلاد كانت أسقفية (Avara) ، وهي (الحميمة) على رأي (موسل) تراجع (بصرى)^٢ . ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة ، وإنما كانت في إدارة البيزنطيين . وقد تضررت مثل (أذرعات) في أثناء غزو الفرس لديار الشام عام (٦٤) للميلاد ضرراً بالغاً ، وفقدت مكانتها المهمة من ذلك الحين^٣ .

وقد ورد اسم (بصرى) في السيرة في قصة (بحيرا) الراهب ، كما ورد اسمها في خبر فتوح الشام . وكان أهلها من (قيس) من (بني مرة) . وذكر (أبو الفداء) أنها من ديار (بني فزارة) و (بني مرة)^٤ . وقد اشتهرت بصنع السيوف المعروفة بـ (السيوف البُصْرية)^٥ .

وعثر على نقود ضربت في مدينة (بصرى) ، منها ما يعود تاريخها الى أيام (انطونيوس بيوس) (Antonius Pius) ، ومنها ما يعود الى أيام (هدرانوس) (Hadrianus) ، وهي النقود التي ضرب على أحد أوجهها النصف الأعلى لانسان يظهر أنه يرمز الى (العربية) (Arabia) حاملاً جسمين يشيران ، على رأي بعض الباحثين ، الى كورة (Auranitis) أي (حوران) و (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) ومنها ما يعود الى آخرين ، وهم : (ديفا فاوستينا) (Diva Faustina) ، وقد صور النصف الأعلى من الجسم على أحد وجهي النقد ، (ومارقوس أورليوس قيصر) (Marcus Aurelius Caesar) و (كومودوس قيصر) (Commodus Caesar) و (كومودوس أوغسطس) (Commodus Augustus) و (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) و (يولية دومنا) (Julia Domina) و (ايلابالوس) (Elagabalus)^٦ .

ودعيت (بصرى) في النقود التي ضربت باسم (سويروس اسكندروس)

History of the World, Vol., VI, P. X, Ency., I, P. 765. ١

Musil, Hegaz, P. 60. ٢

Ency., I, P. 765. ٣

بلدانية فلسطين (ص ٢٣) ، ، Ency., I, P. 765. ٤

اللسان (٦٨/٤) ، (صادز) ، (بصد) . ٥

Hill, P. XXIV. ٦

(Severus Alexander) ، ب (مستعمرة بصرى) (Colonia Bostra) ^١ .
 ويعني هذا حدوث تغير في النظام الإداري لهذه المدينة في هذا العهد . ويرى بعض
 الباحثين أنها جعلت في درجة مستعمرة ، أي (Colonia) قبل أيام (سويروس) ،
 وبقيت في هذه المرتبة حتى عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus)
 غير أن (هل) وآخرين يعارضون هذا الرأي ويرفضونه ، ويرون أن ذلك
 كان في أيام (سويروس اسكندروس) ، لا قبله ، وانها لم تعرف
 ب (Colonia Bostra Nova Traiana Alexandriana) إلا في أيامه ^٢ . وأما في
 نقود (بولية مامية) (Julia Mamaea) ، فقد دعت ب (Colonia Bostra)
 كذلك ^٣ .

وأعيد النظر في مرتبتها في أيام (فيليب سنيور) (فيليب الأقدم)
 (Philip Senior) على ما يظهر، فجعلت في درجة (متروبوليس) (Metropolis) ،
 فدعت (Colonia Metropolis Bostra) . وحافظت على درجتها هذه في أيام
 (فيليب الأصغر) (Philip Junior) ^٤ . ولم يعثر على نقود ضربت في (بصرى)
 بعد أيام (تراجان دسيوس) (Trajan Decius) أو (تريبونيانوس غالوس)
 (Trebonianus Gallus) ^٥ .

وأما (Charachmoba) ، فإنها (قير موآب) (Kir Moab) في التوراة
 والتركوم . و (قير حاراش) (قير حراشات) (قير حارسة) من (موآب)
 وهي (الكرك) ^٦ . وقد عثر على نقد يعود الى عهد (Elagabalus) يظن انه
 من نقود هذه المدينة، وان الصورة المضروبة في الوجه المقابل لصورة (Elagabalus)
 ترمز الى الإله (دوشرى) ^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| Hill, PP. XXIV, Morey, In REV. Numes., P. 81, 1911, Berytus, Vol., IX, Fasc., | ١ |
| I, (1948), P. 43. | |
| Hill, P. XXV-XXVI. | ٢ |
| Hill, P. 22. | ٣ |
| Hill., P. 24, The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine | ٤ |
| Vol., No. 3, 1931, P. 135. | |
| Hill, P. XXVI. | ٥ |
| قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) ، | ٦ |
| Hill, P. XXX, XXXI, Ency., II, P. 855, Musil, Petraea, S., 45-62. | |
| Hill, XXX, XXXI, 27. | ٧ |

وتختلف وجهات نظر الباحثين في موضع مدينة (ديوم) (Dium) (ديون) (Dion) ، فمنهم يرى أنها (الحصن) (قلعة الحصن) على مقربة من (اربد) (Dila) عند (بطلميوس)^١ ومنهم من يرى أنها (كفر أبيل) ، وآخرون يرون أنها (تل الأشعري) ، وهكذا^٢ . وهي من مدن (Decapolis) ، ثم ألحقت بـ (المقاطعة العربية) في عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) على ما يظن^٣ . وقد عثر فيها على نقد ضرب باسم (Geta)^٤ ، وأرخ تأريخ الضرب بتقويم (بومبيوس) ، وأشار في أحد وجهي النقد الى الإله (هدد) الذي صورته بعض النقود المضروبة في بعض المدن السورية . وهو يقابل الإله (زيوس) (Zeus) عند اليونان^٥ .

ويراد بـ (Decapolis) الحلف المؤلف من عشر مدن ، تحالفت لدفع غزو القبائل لها . ويظهر أنه ظهر الى الوجود في القرن الأول للميلاد . والمدن المذكورة هي : (Pella) و (Scythopolis) و (Dion) و (Gerasa) و (Philodelfhia) و (Gadara) و (Raphana) و (Kanatha) و (Hippos) و (دمشق) . وقد انضمت اليه مدن أخرى بين حين وآخر . فلكون أرض هذا الحلف ممتدة من دمشق الى الجنوب الشرقي لبحر الجليل (Sea of Galilee)^٦ .

ومدينة (Eboda) ، هي (عبدة) (العبد) في (العربية الحجرية) (Arabia Petraea)^٧ . وقد أشار (بطلميوس) الى أن (Eboda) = (Oboda) و (Gerasa) و (Gypsaria) و (Lysa) هي من مدن (العربية الحجرية) ، وجعلها بعضهم من (النقب)^٨ . وتقع خرائب (عبدة) في جنوب (بئر السبع) (Beerscheba) وفي غرب (بطرا) وفي جنوبها سباح ، غير أن من المشكوك

-
- ١ عن (اربد) ، البلدان ، (١٧٠ / ٨) ، بلدانية فلسطين (ص ٥) ،
Provincia, III, S., 265, Hill, P. XXXI.
 - ٢ Hill, P. XXXI.
 - ٣ Hill, P. XXXI, Provincia, III, S., 264.
 - ٤ Hill, P. 28.
 - ٥ Hill, P. XXXI-XXXII, 28.
 - ٦ Hastings, P. 183.
 - ٧ Provincia, III, S., 268, Hill, P. XXXII.
 - ٨ Provincia, III, S., 268, REV. Bibl., 1904, PP. 403, 1905, PP. 74.

فيه أن تكون هذه السباخ موضع (Ge'ham Maleh) ، أي وادي الملح^١ . وأما صنم (Eboda) ، فقد عرف باسم (زيوس عبودة) (Zeus Oboda)^٢ .

وأما (Esbu) ، فإنها (حشبون) (Heshbon) في التوراة ، وتعرف اليوم بـ (حسان) ، وتقع بين (فيلادلفيا) (عمان) و (مأدبا) ، وعلى مسافة (٢٦) كيلومتراً من شرق النهاية الشمالية للبحر الميت في صعيد (موآب)^٣ . وهي من مدن العربية القديمة الشهيرة^٤ . وفي التوراة أنها كانت من مدن (الموآبيين) ثم استولى عليها الملك (سيحون) ملك (الأموريين) وجعلها عاصمة له ، ثم تغلب عليها الاسرائيليون ، ثم استعادها (الموآبيون)^٥ . والظاهر أنها كانت من مدن النبط ، ثم دخلت أخيراً في أملاك الرومان فالبيزنطيين . ولا تزال آثار المدينة القديمة باقية حتى الآن . وأما النقود التي ضربت فيها، فهي من أيام (Elagabalus) وبعضها من عهد (كركلا) (كاركلا) (Caracalla) . ويظهر من بعض النقود أنها كانت تعرف أيضاً بـ (Aurelia)^٦ . و (Gerasa) هي (جرش) في الزمن الحاضر ، ونسبها (ياقوت الحموي) الى رجل زعم أن اسمه هو (جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة)^٧ . وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة (عجلون) ، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق . ولم يرد اسمها في التوراة^٨ . وقد أشير إليها في كتب (الحديث)^٩ .

١ Musil, Hegaz, P. 253, 255.

٢ Hill, P. XXXII.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣٧٤/١) ،

Hill, P. XXXII, Reallexikon, VI, S., 613, Musil, Petraea, I, P. 383.

٤ Ency., Bibl., P. 2044.

٥ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢٥ وما بعدها ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٣٧ ، اشعيا ، الاصحاح ١٥ ، الاية ٤ ، والاصحاح ١٦ ، الاية ٨ وما بعدها ، وارميا ، الاصحاح ٤٨ ، الاية ٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، والاصحاح ٤٩ الاية ٣ .

٦ Hill, P. XXXIII, Hastings, P. 346.

٧ البلدان (٨٥/٣) ، بلدانية فلسطين (٥٢) .

٨ Ency., I, P. 1017, Hastings, P. 290.

٩ اللسان (٢٧٢/٦) .

ويظن بعض الباحثين أنها (راموت جلعاد) (Ramoth-Gilead) المذكورة في العهد العتيق^١ . ويظهر أنها من المدن التي عرفت بعد عهد (اسكندر الكبير) ، وقد استولى عليها (اسكندر ينيوس) (اسكندر جنيوس) ملك (يهوذا) ، ثم تحررت من اليهود في عهد (بومبيوس) ، وألحقت بكورة (سورية الرومانية) ، ثم أضافها (تراجان) في عام (١٠٦) بعد الميلاد الى (الكورة العربية) ، وضمت بعد ذلك الى كورة (فلسطين الثانية) (Palestina Secunda) أي الأردن^٢ .

وكانت (جرش) مركزاً لعبادة الإله (ارتيمس) (Artemis) ، وهو (ديانا) (Diana) عند الرومان ، وابنة (زيوس) (Zeus) و (ليتو) (Leto) عند الإغريق^٣ ، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام ، وتشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية لا تزال باقية حتى اليوم^٤ .

وأما (Medaba) = (Medeba) ، فهي (مآدبا) وهي (ميدبا) في التوراة . وهي من أقدم مدن (موآب) ، وقد ذكرت في سفر (العدد) مع (حشبون) و (ديبون)^٥ . وكانت في أيدي (العمونيين) في ملك (داود) . وفي أيام (أشعيا) عادت الى يد (موآب)^٦ . وفيها قتل (يوحنا مكابيوس) (يوحنا المكابي)^٧ . وسبق أن ذكرت أن (بني يمرى) (Bne-Imri) = (Bne-Amri) قتلة (يوحنا) كانوا من سكان (ميدبا) (مآدبا) ، وهم من العرب . وقد جعلها (بطلميوس) في جملة مدن (العربية الحجرية)^٨ . أما (أويسيوس) (Eusebius) و (جيروم) ، فذكراها في جملة مدن (العربية)^٩ . وتقع خرائب تلك المدينة القديمة على مسافة (١٤) ميلاً شرقي (بحر لوط) ، وهي مبنية على رأس تل وحوله ، وفيه آثار المدينة القديمة . وإلى الجهة الجنوبية منها

Hastings, P. 290. ١

Ency., I, 1017, Schürer: Geschichte des jüdischen Volkes, II, S., 182. ٢

Hastings, P. 290, Harvey, P. 52. ٣

Ency., I, P. 1017. ٤

عدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ٣٠ . ٥

اشعيا ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٢ . ٦

قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) . ٧

Ptolemy, V, 17, 6, VIII, 20, 20, Ency. Bibl., P. 3003. ٨

Eusebius, 138, 32, 279, 13, Ency. Bibl., P. 3003. ٩

بركة ، وإلى الشرق والشمال برك أخرى . وتوجد آثار هيكل كبير بينها عمودان واقفان^٢ . ومن أنفس ما عثر عليه في هذه المدينة القديمة خارطة من (الموزاييك) الفسيفساء (Mosaic) لفلسطين النصرانية ومصر^٣ ، كما عثر فيها على نقود من أيام الرومان واليونان^٤ . وقد ازدهرت بعد الميلاد : فصارت مركز (أسقف) ، ومثلث في مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)^٥ .

وأما (فيلادلفيا) (Philadelphia) ، فهي (ربة) و (ربة بني عمون) (Rabbath — Bene — Ammon) في التوراة . وهي في (جلعاد) بالقرب من مخرج نهر (ييوق) وعاصمة (بني عمون)^٥ . وذكر (اصطيغانوس البيزنطي) أنها كانت تعرف بـ (Astarty) . وقد يكون لهذا القول أصل ، فقد ورد في بعض الكتب ان من مدن (سورية) مدينة عرفت بـ (Asteria) ، وللتسميتين علاقة بالصنم (عشتروت) (Asteria)^٦ . وعلى أنقاض هذه المدينة القديمة تقع (عمان) عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وأما سبب تسميتها بـ (فيلادلفيا) ، فلتجديد بنائها وإعادة تعميرها في عهد (بطلميوس فيلادلفوس) (Ptolemy Philadelphus) (٢٨٥ — ٢٤٧) قبل الميلاد فعرفت به^٧ . وصارت من أشهر مدن (Decapolis)^٨ . وقد انتزعها (أنطيوخس أبيفانوس) (Antiochus Epiphanes) من (بطلميوس فيلوباتر) (بطلميوس فيلوباتر) (Ptolemy Philopater) في سنة (٢١٨) قبل الميلاد^٩ ، وكان يحكمها في أيام (هركانوس) ملك (يهوذا) (١٣٥ — ١٠٧) قبل الميلاد ، حاكم اسمه (زينو كوتيلوس) (Zeno Cotyles)^{١٠} .

- ١ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/٢) .
- ٢ Ency. Bibli., P. 3003, Hastings, P. 596, Clermont Ganneau, in: Recuell D'Archeol. Orient., XI, P. 161, 1897), A. Jacoby, Das geogr. Mosaik von Medaba, 1905, Musl, Petraea, I, PP. 113.
- ٣ Hill, I, XXXV, 33.
- ٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) ، Hastings, P. 596.
- ٥ قاموس الكتاب المقدس (٤٧٣/٢) .
- ٦ N. Glueck: The River Jordan, 1946, P. 839, 93, 189, Hill, P. XXXIX.
- ٧ Hastings, P. 780, Ency., Bibli., P. 3998.
- ٨ N. Glueck, P. 48, 89, 175, 189, Ency. Bibli. P. 3998.
- ٩ Polybius, (Polubios), 5, 17, Ency. Bibli., P. 3998
- ١٠ Josephus, Antiq., XIII, 8, I, 15, 3. Ency. Bibli., P. 3998.

وكانت بأيدي النبط في سنة (٦٥) قبل الميلاد^١.

وتنسب (فيليب بولس) (Philippopolis) ، وهي (شهبه) (شحبة) في الزمن الحاضر^٢ ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات شمال (القنات) الى (فيليب) (فيلفوس)^٣ المعروف بالعربي (M. Julius Philippus Arabus) (٢٤٤ - ٢٤٩ م)^٤ . وقد عرف بالعربي لأنه كان عربي المولد^٥ . وكان قد نشأ وترعرع في (بصرى) ، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه ، وأصبحت له مكانة كبيرة أوصلته الى أعلى مراتب الدولة ، وهي (قيصر)^٦ .

ويرى بعض الباحثين انه أنشأ هذه المدينة في سنة (٢٤٨) بعد الميلاد أو بن (٢٤٧) و (٢٤٨) بعد الميلاد . ويرى (كوبيجك) (Kubitschek) انه أسسها في عام (٢٤٤) ، أي قبل ذهابه الى (رومة)^٧ . وجعلها في درجة (مستعمرة) (Colonia) = (Kolonia) رومانية . ولا تزال أنقاض هذه المدينة باقية حيث تشاهد آثار معابدها وشوارعها وبعض أبنيتها ومسرح وغير ذلك مما جاء وصفه في كتاب : (Die Provincia Arabia)^٨ ، كما عثر فيها على كتابات ورد فيها اسم (القيصر) (فيليب)^٩ ، كما عثر فيها على نقود^{١٠} .

وأما (Rabbathmoba) ، وتعرف في اليونانية باسم (Areopolis) ، فلانها (ربة) (ربا) ، وهي مدينة بنيت في عهود الرومان المتأخرة على رأي بعض الباحثين^{١١} . وقد عثر فيها على نقود ضرب عليها اسم (سبتيميوس سويروس) وأسرته . ويظن أن الصورة الرمزية المضروبة على عدد من نقود (ربة) تشير إلى

-
- | | |
|--|----|
| Ency. Bibl., P. 3998. | ١ |
| Provincia, III, S., 145, 147. | ٢ |
| (فيلفوس) الطبري (٦٩٤/١ ، ٧١٩) ، فهرست تأريخ الطبري ، عمل (دي غويه) (ص ٤٥٤) . | ٣ |
| Hill, P. XXXIX, Die Araber, II, 4. | ٤ |
| The Historians' History of the World, Vol., VI, P. 412. | ٥ |
| Leopold von Ranke: Weltgeschichte, BD., 5, S., 163, | ٦ |
| Hill, P. XIII, Provincia, III, S., 305. | ٧ |
| Hill, P. XII, Provincia, III, S., 305. | ٨ |
| Hill, P. XIII. | ٩ |
| Provincia, III, S., 145. | ١٠ |
| Hill, XIII, Provincia, I, S., 55, Burckhardt, 377, H.B. Tristram: The Land of Israel, 110. | ١١ |

إلهه لعله الإله (Kemosh) أو الى معبده الخاص به ، على نحو ما رأينا في بعض النقود من ذكر (متاب) ، وهو معبد (دوشرى) ليرمز إلى الإله^١ . ويرى بعض الباحثين أن (Kemosh) هو إله الحرب^٢ .

ومن مدن الكورة العربية الأخرى : (Sodoma) ، ولعلها (الزوراء)^٣ ، و (السويداء) (Dionysias) ، و (Beretana) ، وقد وردت أسماءها في مجمع (نيقية) . وقد ألحقت (السويداء) بالكورة العربية في أيام (سويروس) و (Adrama) و (Constantine) و (Neapolis) ، وقد وردت أسماءها في جملة الأسماء المدونة في أعمال مجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) للميلاد^٤ . و (Ziza) و (Dia-fenis) و (Tricomia) و (Areopolis) و (Canotha) و (Nela) و (Zerabena) و (Anitha) و (Eutymia) و (Chrysopolis) و (Erra) و (Neve) و (Maximianopolis) و (Phaena) و (Aena) ، وقد وردت أسماءها في سجلات أعمال مجمع (خلقدون) (خلقيدون) (Chalcedon) (٤٥١ م)^٥ .

وذكر (بطلميوس) أسماء مواضع أخرى يقع بعضها في النقب (Negeb) = (Negev) غرب (العربية)^٦ . وسجلت في (Notitia Dignitatum) أسماء (Motha) ، وهي : (أمنان) (Speluncae) ، وهي (دير الكهف) ، (Mefa) و (Gadda) وهي (خو) ، و (Betthoro) و (Dia-Fenis) و (Auatha) و (Gomotha) و (Libona) و (Naarsafari) و (Thainatha) و (Adittha) وهي (الحديد) و (Asabaia) و (Ultha) و (Uade Afar) و (Castra) و (Arnonensia)^٧ ، على أنها من مواضع الكورة العربية . وهناك أماكن أخرى ذكرت أسماءها في كتاب : (Die Provincia Arabia) ، قد يخرجنا تعدادها عن

Hill., P. XIII.	١
Hill, XIII, Baethgen: Beiträge zur Semit. Religionsgeschichte, S., 14.	٢
Provincia, III, S., 253.	٣
Provincia, III, S., 252, 353.	٤
Provincia, III, S., 263, Harduin, Kritische Angabe der Unterschriften von Geltzer, Leipzig, 1893.	٥
Provincia, III, S., 256, Ptolmey, V, 16.	٦
Provincia, III, S., 256, Notitia Dignitatum. Ori., 37.	٧

أصل الموضوع^١ .

وقد أوكلت مهمة المحافظة على الأمن في (الكورة العربية) الى الكردوس (اللجيون) (Legion VI Ferrata) الروماني الذي كان معسكراً منذ أمد في (سورية) ، فصدر الأمر اليه في سنة (١٠٦) للميلاد على ما يظهر بنقل مقره من شمال سورية الى هذه الكورة الجديدة التي أنشأها (تراجان)^٢ . ثم نقل مقره في أيام (هدريانوس) (Hadrianus) الى (اللجون) (Caparconta) في (الجليل) (Galilee)^٣ . وفي أيام (هدريانوس) أيضاً وفي سنة (١٣٥) للميلاد وهي سنة استيلائه على القدس وإخماده الثورة التي قامت في (اليهودية) أمر بإنشاء (Aelia Capitolina) . لأغراض عسكرية على ما يظهر^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الكورة العربية قد قسمت في القرن الثالث للميلاد وفي (ديوقليطيان) (ديوقليطيانوس) (Diocletianus) = (Diocletian) الى كورتين : كورة شمالية عاصمتها (بصرى) وعرفت بـ (كورة بصرى) (Provincia Bostrom) ، وكورة جنوبية وعاصمتها (بطرا) وعرفت باسم (كورة بطرا) ، وبعبارة أصح (الكورة الحجرية) (Provincia Petrae) ، وتعرف بـ (العربية) أيضاً^٥ .

أما في القرن الرابع وفي حوالي سنة (٣٠٧) للميلاد تقريباً ، فقد اقتطعت منها بعض المدن ، مثل (أيلة) و (Phainon) ، وألحقت بفلسطين ، وبذلك تقلصت (Praeses Arabiae) وتوسعت رقعة فلسطين (Praeses Palaestinae) كثيراً . ويظهر أن الضرورات العسكرية هي التي دفعت الى أحداث هذه التغيرات^٦ .

وحدثت تغيرات أخرى في (الكورة العربية) في القرنين الخامس والسادس

-
- | | |
|--|---|
| Provincia, III, S., 253. | ١ |
| The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol., II, III, 121, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, I, 251, I, II, Plate 59. | ٢ |
| The Quarterly, II, III, P. 121, 1933. | ٣ |
| The Quarterly, II, III, P. 120. | ٤ |
| Provincia, III, 271, Mommsen: Verzeichnis der Römischen Provinzen, S., 501. | ٥ |
| Provincia, III, S., 275. | ٦ |

للميلاد، فانتزعت منها مدن أخرى ألحقت بـ (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) وتعرف أيضاً بـ (Palestina Salutaris)^١ .

أهل الكهف والرقم:

ولا بد لي وقد انتهيت من الحديث عن النبط وعن (الكورة العربية) من الكلام عن أهل الكهف والرقم ، الذين ذكروا في القرآن الكريم : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً »^٢ . إذ ذهب بعض علماء التفسير الى أن الرقم واد دون فلسطين فيه الكهف ، وهو قريب من (أيلة) . كان اليهود قد أوحوا الى المشركين من أهل مكة، أن يسألوا الرسول عنهم ، امتحاناً له . وكانوا يتداولون أخبارهم ، ويروون قصصاً عنهم ، كان شائعاً فاشياً اذ ذاك بين النصارى أيضاً ، فجاء الجواب عنهم في سورة (الكهف)^٣ .

وهناك من زعم أن (الرقم) على فرسخ من (عمان) ، أو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت ، أو أنها (البتراء) : وذلك بالإضافة الى روايات أخرى رجعت مكان (الكهف) الى (أفسس) (أفسوس) ، بالأناضول ، أو الى أماكن أخرى لا داعي الى ذكرها في هذا المكان ، لعدم وجود علاقة لها بهذا البحث . وقد بحث عنها المتخصصون ، كما قامت بعثات آثارية بالبحث عن كهف (أهل الكهف) في الأماكن المذكورة ، للتأكد عما جاء عنه في الموارد النصرانية والاسلامية ، فإليها أحيل من يريد التبسط في الكلام عنه^٤ .

Provincia, III, S., 280.

سورة الكهف ، الآية ٩ .

٣ تفسير الطبري (١٢٦/١٥ وما بعدها) ، (طبعة بولاق) ، تفسير النيسابوري (١١٦/١٥ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري ، طبعة بولاق) ، تفسير القرطبي (٣٥٦/١٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٧٣/٣) .

٤ راجع دائرة المعارف الاسلامية ، Encyclopedia of Islam ، ومجلة : Review de Qumran, Vol. 5, No. 18, 1965. وما كتبه (ماسنيون)

و (بارنيوس) Baronius و (تاليمونت) Talimont عن الكهف . واشكر دائرة الآثار بعمان في المملكة الاردنية الهاشمية لتفضلها علي بارسال صورة كتابة (بشر ام الرجوم) ، ومقال يقع في (٣) صفحات للسيد رفيق وفا الدجاني عنوانه : كهف ، أهل الكهف في الرقيب ، وذلك بكتابها المرقم بـ ١٤-١٩٥٨-١٩٥٨ والمؤرخ لـ (١٨-٨-١٩٦٦ م) .

ولقد تبين الآن ان الكتابات المدونة عند مدخل (الشق) في (البتراء) ، لا صلة لها بأهل الكهف ، وانما كتبت تخليداً لذكرى جماعة من اليونان البارزين جاءوا من (جرش) فوافاهم أجلهم بـ (البتراء) ، ماتوا قبل (أصحاب الكهف) بأمد . وقد شرح تلك الكتابات (ستاركي) (Starkey)^١ . وذهب الباحثون في (دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية) الى أن كهف (أهل الكهف) ، هو (كهف الرجيب) ، وهو على مقربة من قرية صغيرة تدعى (الرجيب) ، وجدت بداخله مدافن يرجع عهدها الى زمان القيصر (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosius II) (٤٠٨ - ٤٥٠ م) ، الذي في زمانه كان بعث أهل الكهف . وذهبوا الى ان اسم هذا الموضع في القديم هو (الرقيم) ، تحول الى (الرجيب) فيما بعد . وأيد هذا الرأي الأستاذ (هج نيلي) (Hugh Nilley) الذي زار الموضع ودرسه ، وكتب مقالاً عنه^٢ .

وذهب من رأى ان كهف الرجيب هو (كهف أهل الكهف) ، الى أن دخول الفتية الكهف ، كان في أيام الطاغية (تراجان) (٩١ - ١١٧ م) المشهور ، فاتح (الكورة العربية) ومؤسسها والآمر بإنشاء الممر الحربي المعروف باسم (طريق تراجان) وباني مدينة (أيلة) الرومانية وصاحب الملعب الروماني والآثار العديدة للمباني التي أقامها بعان وبمعدن أخرى من الأردن . وقد كان شديداً عاتياً قاسياً على النصارى ، عدّهم خونة مرقّة خارجون على الدولة والقانون لذلك أصدر أمره سنة (١١٢ م) بقتل كل نصراني لا يخلص للقيصر والدولة ، فخاف منه النصارى وتكتموا ، وكان من جملة من تكتم وانزوى (أصحاب الكهف)^٣ .

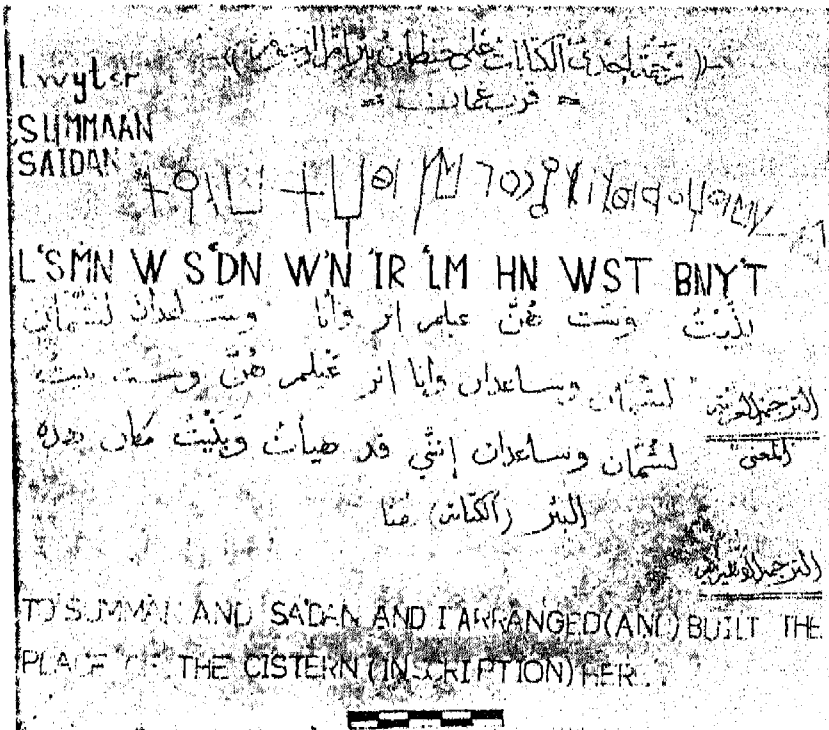
ووجدت البعثة الأميركية لمدرسة الأبحاث الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية في موضع (أم الرجوم) الواقع على بعد (١٥) كيلومتراً شمال (عمان)،

١ (ص ٢) من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل الي ، وهو يشير الى الجزء العاشر من حوليات دائرة الآثار .

٢ من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل لي بكتاب دائرة الآثار الاردنية المشار اليه ، وقد اشر الى مجلة . Review de Qumran, Vol., 5, No : 18, 1965.

٣ المصدر المذكور .

آثار بشر قديمة استدل من كتابة عثر عليها مدونة على جدارها أنها تعود الى ما قبل الميلاد . وأن الموضع المذكور هو حصن من الحصون التي كانت تدافع عن مدينة (ربة عمون) ، عاصمة مملكة (عمون) ، التي عاشت بين القرن الثالث عشر والقرن السادس قبل الميلاد . و (ربة عمون) ، هي (عمان) العاصمة



هذه صورة الكتابة التي دونها الباحثون لكتابة بشر ام الرجوم
أهدتها لي دائرة الآثار الأردنية بعمان ، فلها شكري

الآن . وقد كتبت الكتابة بخط مشتق من القلم العربي الجنوبي ، يظن البعض أنها من كتابات القرن السابع قبل الميلاد .

ويظهر من هذه الكتابة المهمة ، أن أصحابها كانوا يكتبون بقلم قريب من

القلم المسند ، وقريب من القلم اللحياني والشمودي والصفوي ، وأن لهجتهم كانت
لهجة عربية ، أي ان أصحابها من العرب . وقد كتبوها لمناسبة إقامة تلك البشر
التي حضرها وهياها (شتمان) و (ستمان) و (ساعدن) (سعد) (ساعد)
وهما أصحاب هذه الكتابة والبشر .

١ كتاب دائرة الآثار الاردنية المؤرخ لـ ١٨-٨-١٩٦٦ م والمرقم بـ (٢-١٤-٤-
١٩٥٨) .

الفصل الخامس والثلاثون

ملكة تدمر

ويتصل الحديث عن النبط بالحديث عن مكان آخر له علاقة بهم أيضاً ، هو (تدمر) المعروف بـ (Palmyra) عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية عن الرومان واليونان . وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglat-Pileser I) = (Tiglath-Pile) (١١١٧-١٠٨٠ ق.م.)^١ على رأي بعض الباحثين . وقد ورد اسم المدينة وهو (تدمر) في عدد من الكتابات كما ورد اسم علم للأشخاص .

وقد رأى بعض الباحثين ان (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخل) (نخلة) ، وان الاسكندر ذا القرنين لما تغلب عليها أطلق عليها (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة ، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم^٢ . غير ان هذا رأي يحتاج الى اثبات ، فليس لدينا دليل من عهد الاسكندر يؤيد هذا القول . وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخل في هذه المدينة اثباتاً يستوجب تسمية الموضع

1 Ency., Vol., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XIIIV, 547, Syria, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, Tome, VII, Paris, 1926, P. 77, Dhorme: Palmyre dans les Textes Assyriens, Revue Biblique, 1924, PP. 106, Ency. Brita., Vol., 17, P. 161, Reallex., I, IV, S., 280.

2 قاموس الكتاب المقدس (٢٨٢/١) ، Ency., III, P. 1020.

وهناك آراء متباينة في سبب تسمية (تدمر) بهذا الاسم ، هي موضع جدل ، وليس فيها رأي يمكن الاطمئنان الى صحته وترجيحه على غيره، لذلك أترك البحث عنه الى المراجع التي بحثته^٢ .

Hastings, P. 889, Johannes Oberdick: Die Römerfeindlichen Bewegungen im Orient, Berlin, 1869, S., 44.
 Ency., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, M. Hartmann, in ZDMG.,
 XXXLII, 128.
 حزقيال ، السفر ٤٧ ، الاية ١٩ ، والسفر ٢٨ ، قاموس الكتاب المقدس
 (٣٠٠ / ١)
 الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الاية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨٢ / ١)
 وما بعدها)
 Hastings, P. 892, Ency., III, P. 1020, The Universal Jewish Encyclopedia,
 Vol., 8, P. 381.
 Ency. Brita. Vol. 17, P. 161, Hastings, P. 889.
 Ency. Bibl., P. 4886, Hastings, P. 889.

وعلى كل حال ، فإن الذي نستنبطه من قصة إضافة (تدمر) الى المباني التي نسب بناؤها الى سليمان ، هو أن هذه المدينة كانت قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين أسفار (أخبار الأيام) وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين السنة (٣٠٠) و (٢٠٠) قبل الميلاد^١ .

ويجوز أن تكون الشهرة التي اكتسبتها مدينة (تدمر) (تدمر) في أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هي التي حملتهم على إضافتها الى أعمال (سليمان) ، لأنها (بمباني سليمان) أليق وأنسب من موضع صغير هو (تمار) ، فأضافوا هذه المدينة الشهيرة اليه ، لتدل على شهرته وعلى مدى بلوغ ملكه في أيامه . وقد أضيف الى ملك سليمان على هذا النحو من الإضافات ما لا تصح إضافته اليه ، وبولغ في ملكه وحكمه في الأيام القديمة التي تلت أيامه ، لأنه كان من أشهر ملوك (بني اسرائيل) ، حتى صارت أخباره من قبيل الأساطير .

وذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) هذا المذهب أيضاً، فنسب بناء (تدمر) الى (سليمان)^٢ . أخذ رأيه هذا من هذا الموضع من التوراة بالطبع ، ومن الروايات التي وصلت اليه وكانت قد ظهرت قبله ، للسبب المذكور .

أما الروايات العربية ، فهي لا تفيد علماً ولا تصلح أن تكون دليلاً ، فهي روايات متأخرة دخلت الى المسلمين من أهل الكتاب ، أشاعها وروجها أمثال (ابن الكلبي) بين الأخباريين ، فأخذوها بغير تحقيق ولا تدقيق . وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن قوماً يزعمون أنها مما بنته جن سليمان ، وأن أهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بزمان^٣ .

ولدينا أبيات نسبت الى (النابغة الذبياني) تتضمن أسطورة بناء جن سليمان لتدمر ، امثالاً لأمره الذي أصلره إليها ، فقد نسب اليه قوله :

^١ Hastings, P. 889, Die Araber, I, S., 344.

^٢ Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, Ency., III, P. 1020, P. Dhorme. Palmyre dans les Textes Assyriens, in: Revue Biblique, 1924, PP. 106.

^٣ البلدان (٣٦٩/٢) ، (ثم عاد الى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه) ، (ملك سليمان) ، الأخبار الطوال (٢٠) .

إلاّ سليمانَ إذ قال الإله له ، قم في البرية فأحدها عن الفند
وجيش الجنّ اني قد أمرتهم^١ يبنون تدمر بالصّفاح والعَمَد

ولا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء
(سليمان) لتدمر . فمن الجائز أن يكون النابغة أو غيره ، قد أخذ فكرته هذه
من أهل الكتاب ، ومن الجائز أن يكون هذا الشعر من وضع الوضّاعين نسبوه
إليه . وقد وضعت أشعار في الاسلام ونسبت إلى الجاهليين ، وإلى آدم وهاييل
وقايل والجن وابليس .

وبين الأخباريين من ينسب بناء (تدمر) إلى (تدمر بنت حسان بن أذينة
ابن السميدع بن يزيد بن عَمَلِق بن لاوذ بن سام بن نوح) . وذكروا قصة تفيد
عثورهم على قبر (تدمر بنت حسان)^٢ . وقد أعجبوا بينائها ووصف الشعراء
صورتين جميلتين من بقية صور كانت فيها . وقد حاصرها خالد بن الوليد ثم
ارتحل عنها فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضي به^٣ . أما قصة
العثور على قبر في تدمر ووجود جثة فيه ، فأمر ليس ببعيد ولا بغريب . وأما
قصة (تدمر بنت حسان) ونسبها والكتابة التي على قبرها ، فهي من وضع
الأخباريين والقصاص ولا شك^٤ .

وقد أشار (بلنيوس) (بلينيوس) إلى مدينة (Palmyra) ، وهو أول
كاتب (كلاسيكي) عرض لها ، فذكر أنها مدينة شهيرة ، ولها موقع ممتاز ،
أرضها خصبة ، وبها يتايع وعيون ، تحيط بحداثتها الرمال . وقد عزلتها الطبيعة
عن العالم ببادية واسعة الأطراف ، بعيدة المسافات ، وتقع بين انباطوريثين
عظيمتين انباطورية (رومة) ، وانباطورية (القرث) (Parthia) ، ولهذا

١ (وخيس الجن . اني قد أذنت لهم) ، اللسان (خ/ي/س) ، معجم ما استعجم
(١٩٤/١) ، (وستنفلد) ، البلدان (٣٦٩/٢) ، المشرق ، السنة الاولى
العدد ١١ ، حزيران ، ١٨٩٨ م (ص ٤٩٦) ، مروج الذهب (٢٤٤/٢) ،
(دار الاندلس) ، (ذكر الاخبار عن بيوت النيران ، وغيرها) .

٢ البلدان (٣٦٩/٢) ، معجم ما استعجم (١٩٤/١) .

٣ البلدان (٣٧١/٢) .

٤ Lidzbarski, Ephemeris, I, B., 207.

استرعت أنظار الدولتين^١ . وورد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعد (بلينيوس) مما يدل على ازدياد شهرة هذه المدينة بعد الميلاد^٢ .

ويعود الفضل في حصولنا على معارفنا التاريخية عن تدمير الى الكتابات التدمرية التي درسها المستشرقون وترجموها الى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهي بالإرمية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية ، نشرت في كتب خاصة وفي كتب الكتابات السامية وفي ثانيا المجلات^٣ ، والى كتب المؤلفين اليونان واللاتين والسرمان . من هذه الموارد الرئيسية استقى المؤرخون معارفهم عن تاريخ هذه المدينة ، تضاف اليها موارد ثانوية ذكرت (تدمر) عرضاً لوجود مناسبة دعت الى ذلك مثل سجلات المجامع الكنسية والتلمود .

أما تاريخ المدينة فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر يعود الى ما قبل الميلاد . وأكثر ما كتب عن مدينة (تدمر) يعود الى ما بعد الميلاد .

وكان غالبية أهل (تدمر) برغم كتابة أمورهم بالإرمية وبالقلم الإرمي من العرب على رأي أكثر الباحثين ، شأنهم في ذلك شأن نبط (بطرا)^٤ . وهم يرون ان القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الحصينة الواقعة في شرقي أرض (كنعان) ، بعد سقوط الدولة البابلية ، كتبوا بالإرمية، لأنها كانت لغة الكتابة

Pliny, Nat. Histo., V, XXI, 88, William Wright, An Account of Palmyra and Zenobia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, London,

Wright : 1896, P. 110. ويكون رمزه :

Ency. Bibl. P. 4886.

راجع الموارد الآتية فيما يتعلق بكتابات تدمر :

Répertoire d'Epigraphie Sémitique, Corpus Inscriptionum Latinarum, Corpus Inscriptionum Graecarum; Cantineau. Inventaire des Inscriptions de Palmyre, Beyrouth 1930; Littmann: Semitic Inscriptions, Part IV of «The Publications of an American Archeological Expedition to Syria in 1899-1900»; Sabernheim: Palmyrenische Inschriften, in: Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1905; De Vogue: Syrie Centrale — Inscriptions Sémitiques, 1868; J.B. Chabot: Notes d'Epigraphie d'Archéologie Orientales, in: Journal Asiatique, 1897-1901; Cooke: Textbook of North Semitic Inscriptions; Syria, Tome XIV, 1933, PP. 158, 169; Cantineau: Inscriptions Palmyrennes, Damas 1930; Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palmyrenischen Inschriften.

Fr. Rosenthal, Das Sprache der Palmyren Inschriften.

والثقافة في المنطقة الواسعة الواقعة غربي الفرات^١. وتظهر في بعض الكتابات بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصلية ، كما نجد فيها أسماء أصنام عربية مع أصنام لإرمية^٢. وبالجملة فإن في (تدمر) ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات : عربية وإرمية ويونانية ولايتينية، وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تأريخها سنة (٣٠٤) من التأريخ السلوقي ، أي سنة (٩) قبل الميلاد^٣.

كانت تدمر عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد تمر بها القوافل تحمل أثمن البضائع في ذلك الوقت . كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في إيران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط ولا سيما ديار الشام ومصر ، كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال إفريقية والعربية الجنوبية والهند . ان هذه التجارة هي التي أحيت تلك المدينة ، كما ان تغير طرق المواصلات بسبب تغير الأوضاع السياسية هو الذي شلّ جسم تلك المدينة فأقعدتها عن الحركة بالتدريج .

لقد كانت القوافل الذاهبة من العراق الى بلاد الشام ، أو القادمة من بلاد الشام الى العراق ، تمر بمدينة (تدمر) . وكان الموضع الذي تحط فيه قوافل (تدمر) هو موضع (Vologesias) = (Vologesokerta) على نهر الفرات . ومن هذا المكان تنقل التجارة الى الجهات المقصودة في العراق ، ومنه تحمل تجارة العراق بالبر الى (تدمر) فدمشق^٤.

ويظهر من كتابة عثر عليها في إحدى المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر في حوالي سنة مئة قبل الميلاد بمدينة (تدمر) في أثناء أسفارها بين مدينة (دورا) (Doura) والشام . وبين الطريق القديم وهذا الطريق ، تسكن قبائل عربية من سكان الخيام ، أي من النوع المعروف باسم (سكينيتيه) (Skenita) عند (الكلاسيكيين)^٥.

Ency. Brita, 17, P. 161.

Syria, XIV, 1933, Nöldeke: Über Orthographie und Sprache des Palmyrener,

in ZDMG., XXIV, 1870, S., 85.

Cooke: Northsemitic Inscriptions, No. 141, Vögue: Syrie Centrale, No. 30a,

Ency., Brita., 17, P. 162.

Die Araber, II, S., 61.

The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 599.

وقد اقتضت هذه الأعمال التجارية الواسعة تكوين علاقات سياسية واقتصادية مع الفرس والرومان والروم والقبائل العربية في البادية التي لم يكن من الممكن مرور قوافلها في أرضها بسلام ما لم يتفق مع سادتها على دفع إتاوة سنوية ، أو جعل معلوم . ولضمان سلامة قوافلها ، اضطرت كما اضطرت غيرها إلى إرسال حراس معها وإلى إنشاء مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة من البادية . ونجد في الأخبار أن التدمريين جمعوا فلول أهل المدينة الذين سرتحوا من الجيش الروماني أو الذين أجبرهم الاضطراب أو ضعف قادة الجيش الروماني أو عنجهيتهم على ترك الخدمة في جيش الرومان ، وألفوا منهم جيشاً درب تدريباً حسناً ، وصار قوة مقاتلة متفوقة على قوات الأعراب بما توفر عندها من حسن التدريب والطاعة والنظام ، واستطاعوا بهذه القوات من الهيمنة على أبناء البادية الجياع إلى الغزو والسلب ونهب القوافل ، ووضعوا لهم حاميات في المراكز الضرورية الحساسة . فقد ورد في الكتابات أنه كان لهذه المدينة حامية (Militia) في (عانة) (عاناتا) (Anatha) = (Anath) في عام (١٣٢) و (٢٢٥) بعد الميلاد ، وفي (الحيرة) (Hirtha) في سنة (١٣٢) بعد الميلاد وفي (دورا) (Doura) في سنة (١٦٨) و (١٧٠) للميلاد .

وقد عثر على مدافن بمقربة من القدس وجدت فيها كتابات تدمرية دوت عليها أسماء أصحاب تلك القبور ، ويظهر أنهم من جنود (تدمر) الذين التحقوا بالجيش الروماني ، وخدموا فيه ، وقد اشتركوا مع الرومان في محاصرة القدس . ويجوز أن يكون بعضهم من التجار جاؤوا إلى هذه المدينة ، فأقاموا بها للتجارة .

وقد كوّن الرومان فرقاً من الجنود التدمريين المرتزقة الذين التحقوا بالجيش الروماني ، فاستفادوا منهم في قتال القبائل الغازية بصورة خاصة وفي القتال في البوادي لخبرتهم بها ولقدرتهم على القتال في هذه المواضع وتمكنهم منها ، كما استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب . واشتهر التدمريون في فن الرماية ، فكانوا في أيامهم من خيرة الرماة بالسهم ، ولذلك استعان بهم الرومان وألفوا كتائب منهم اشتهرت في الحروب . ولما سقطت (تدمر) احتفظ

Byrtus, Vol., III, Fasc., I, 1943, P. 25, 55, CIS. II. 3973. A. Cantineau: Syria.

XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

الرومان بهم في جيوشهم ، فاستخدموهم في حروبهم في شمال إفريقيا . وقد عثر على كتابات أثبتت انهم كانوا في جملة القوات الرومانية التي كانت في بريطانيا^١. واشتهر التدمريون بفرسانهم كذلك ، فقد ألف (أذينة) قوة من القوات الراكبة لمحاربة أعدائه ، جهزها بأسلحة واقية من دروع ومن صفائح من المعدن يلبسها الفارس من أعلى رأسه الى أسفل قدمه ، فلا يستطيع عدوه أن يناله بأذى ، كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية ، على نحو ما كان يفعله الفرس في قوافلهم الراكبة في أثناء القتال . وقد اكتسبت هذه القوات شهرة واسعة في حروبها مع الفرس والرومان^٢ .

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين . أما أطرافها وحواليها ، فكانوا أعراباً ورعاة^٣ . وكانت مدينة يونانية ولكنها لم تكن مثل المدن الأخرى المتأثرة بالهيلينية في الشرق ، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية (Greek Polis) ، وكانت خاضعة للرومان وبها حامية رومانية ، ولكن خضوعها كان في الواقع صورياً ، كما أن الحامية لم تكن شيئاً تجاه أهل المدينة والقبائل المحيطة بها . كانت المدينة بالرغم من الطابع الهليني - الروماني الذي يبدو عليها ، مدينة شرقية ، الحكم فيها في يد الأسر ذات السلطان في البلدة تحكمها في السلم والحرب . لقد خلقت الاضطرابات السياسية التي حدثت في الشرق لضعف الحكومات الكبرى وانحلالها وانقسامها الى (ملوك طوائف) جماعة من الحكام السادات (Tyrannies) تزعموا القبائل أو المدن ، وشاركوا الحكومات في الحكم . ومن هؤلاء الأسرة التي حكمت (تدمر) . والأسرة التي حكمت (حمص) (Emesa) = (Hemesa)^٣ .

وكانت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ، أقامت فيها وفضلت السكنى فيها على المواضع الأخرى . أقامت بين أهل المدينة حتى صارت من سكان المدينة ، كما كانت فيها جاليات يهودية نزحت اليها في زمن لا نستطيع تعيينه بالضبط ، قد يكون قبل سقوط القدس في أيدي الرومان بأمد للتجارة ، قامت بأعمال التبشير بين

Enc. Brit. 17, P. 163, Cooke, NSI, PP. 250 312, Lidzbarski, Ephemeris.

II, S., 92.

Die Araber, II, S., 259.

Byrtus, Vol., III, I, 1943, P., 54, M. Rostovtzeff: Social and Economic

History of the Hellenistic World, Ch., VI, PP., 842, 852.

السكان ، فتهود أناس منهم ، ورحل قسم من هؤلاء المتهودين الى القدس ، وأقاموا فيها قبل خراب الهيكل بأمد^١ .

تمكنّت هذه المدينة الصحراوية من رفع منزلتها من منزل منعزل في البادية تنزل به القوافل الى مكانة مدينة من الدرجة الأولى ، ومركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج اليه أعراب البادية، وسوق للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها وتجمعت فيه رؤوس الأموال والذهب والفضة والجواهر ولا سيما بعد سقوط (بطرا) بأيدي الرومان ، وذهاب ملكهم ، فانتقلت أسواقهم الى أيدي التدمريين . وتولت قوافل (تدمر) نقل البضائع بين العراق والشأم مختربة البادية الى المرافئ العراقية على الفرات . وقد عادت هذه القوافل على المدينة بخير عميم من أجور الوساطة في البيع والشراء ومن الضرائب التي تجبها عن البضائع التي تمر بها أو تباع فيها ، والتي يحددها مجلس سادات المدينة . وتبين مظاهر هذه الثروة في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا الهياكل والأعمدة المرتفعة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصفوفة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير الى نهايته في مسافة لا تقل عن (١٢٤٠) ياردة^٢ .

ولما كانت (تدمر) مدينة حياتها الأساسية بالتجارة ، صار للتجار وأرباب القوافل ولزعماء القوافل شأن خطير في الحياة الاجتماعية للمدينة ، حتى أشير اليهم في الكتابات ، حيث كثر فيها ورود ذكر (زعيم القافلة) و (زعيم السوق)^٣ .

ومدينة مهمة لها مال وثروة وليس لها جيش ضخم قوي ولا مجال لتكوين هذا الجيش فيها ، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين . ولو كانت في بقعة منعزلة وفي بادية بعيدة . فقد كان لعاب الدول القوية يسيل عند سماعها بوجود شعوب صغيرة أو حكومات مدن أو مواضع ذات ثراء ومال ، فتكتب اليها إما باعطاء ما عندها اليها ، وإما بدفع جزية ترضيها،راضية مرضية، وإما أن تمتنع فتزحف جيوشها عليها عندئذ فيكون كل ما يصل اليه يدها حلالاً طيباً ، ويكون الناس لها عبيداً وخولاً ، لا نستثنى (تدمر) من هذا الولىع

The Universal Jewish Encyclopedia, 8, P., 381.

Ency. Brita., 17, P., 162, Syria, XXIV, 1933, P., 396, «Premières Restaurations

à l'Arc Monumental de Palmyre», by Robert Amy;

Cooke; North-Semitic, PP., 274, 279.

الانساني بالحصول على الثراء السهل بالطبع . لذلك طمع فيها الطامعون من شرقيين وغربيين . طمع فيها أهل العراق ، وطمع فيها الفرس ، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون . وكان أول طامع فيها وصل خبره اليان من الفاتحين الأقوياء هو الملك (تغلت فلاصر) (تغلات بليزر) (Tiglath — Pilezer) الأول ، تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك والتسلط في أرض الشرق الأدنى .

واذا عرفنا ان (تغلت فلاصر الأول) (١١١٧ — ١٠٨٠ ق. م.) ، كان قد استولى عليها ، فإن ذلك ينفي ما ورد في أخبار اليهود من بناء سليمان لتلك المدينة على نحو ما ذكرت . فقد جاء حكم (سليمان) بعد حكم هذا الملك الآشوري بنحو قرن ، وقد كانت المدينة قائمة قبل ذلك الملك بالطبع .

وقد صارت (تدمر) في جملة الأرضين التي أخضعها (الاسكندر) الكبير لحكمه . لحكم تلك الامبراطورية التي أراد أن يكوّنها في ذلك العالم ، ليوحد فيها الأجناس والأديان ، وليقيم مملكة واحدة على هذه الأرض . ومن عهد الاسكندر ظهر اسم (تدمر) الأجنبي ، أي (بالмира) (Palmyra) بين اليونان واللاتين^١ .

ولما انقسمت دولة (الاسكندر) قسمين ، صارت (تدمر) من نصيب (السلوقيين) على ما يظهر . ولكننا لا نعلم شيئاً عن عهد استيلائهم عليها ، ولا عن مدة بقائهم فيها . وقد حاولت (تدمر) أن تقف موقف الحياد بين (الفرث) والرومان ، وتمكنت من ذلك أمدأ ، اذ كان من مصالحة الدولتين المتنافستين وجود محل منغل محاييد، كي يتمكن تجار الدولتين من الاتجار فيه ومن التسوق منه^٢ .

وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم اليه الجنود المقدونيين في مدينة (تدمر) . فعل ذلك سنة (٢٨٠) قبل الميلاد . ولعلّ هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع المهمة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السياسية والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها^٣ .

ولا يعرف تأريخ خضوع تدمر للرومان معرفة أكيدة . وقد ورد في تأريخ (أفيانوس) أن (مرقس أنطونيوس) القائد الروماني بعد أن حارب الملوك

Agnes Carr Vaughan, P., 7, New York, 1967.

وسيكون رمزه : Vaughan

Vaughan, P., 8.

Freya Sterk: Rome on the Euphrates, P., 242, New York, 1967.

(الأرشكين) ، ودارت عليه الدوائر توجه الى الشام عائداً من ثم الى (رومة). فلما قرب من (تدمر) أوفد الى أهلها رسلاً يخبرونهم أنه قاصد مدينتهم ليريح فيها جنوده من أتعاب الحرب ومشقة الطريق . وكان يريد في نفسه الاستيلاء على المدينة وأخذ ما فيها من أموال ونفائس . فأحس التدمريون بالمكيدة ، وبادروا الى نقل أموالهم وما يملكون من أشياء ثمينة ، فتعقبهم الرومان حتى أدركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين^١ . أما المدينة نفسها فقد حل بها الخراب وأصبحت ركاماً ، وكان ذلك في حوالي سنة (٤١) قبل الميلاد^٢ .

وفي أيام القيصر (طيباريوس) (طبريوس) (Tiberius) (١٤ - ١٧ م) كانت (تدمر) في جملة الأراضين التابعة لحكم الرومان^٣ .

ونجد بين الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة قوائم (كمركية) تبين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية يعود تأريخها الى سنة (١٧) بعد الميلاد^٤ .

ويظهر من قائمة الضرائب التي وضعت في أيام (جرمانيكوس) (Germanicus) (١٧ - ١٩ م) لجبايتها عن البضائع التي ترد دوائر (كمارك) المدينة ، وفي أيام (دوميطيوس كوربواو) (Domitius Corbulo) (٥٧ - ٦٦ م) أن مدينة (تدمر) كانت في نفوذ وحكم (رومة) في العصر الأول للميلاد . وقد كانت تابعة للرومان في أيام الأنباطور (فيسبسيان) (Vespasian) (٦٠-٧٩م) . غير أن هذا لا يعني أنها كانت خاضعة للرومان خضوعاً تاماً ، وأن الاشراف على شؤون المدينة كان كله بأيدي موظفي (رومة) ، بل كان ذلك اشرافاً عاماً ، أما الادارة، فكانت بأيدي أهل المدينة^٥ . وأن الحكم الروماني لم يتدخل في أمورها تدخلاً فعلياً . حتى ان الرومان سمحوا للمدينة الاحتفاظ بحامياتها (Militia) التي

١ المشرق ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، ١ تموز ١٨٩٨ (ص ٥٨٨) ،

Appian: De Bello Civili, V, 9, Wright, P., 110.

٢ Oberdick: Syria, Tome, VII, S., 46, 1926, P., 77, Mommsen: Römische Geschichte, 1894, V.S., 243, Ency. Brita., 17, P., 162, Syria. XXII, 1941, PP., 170.

Vaughan, P., 8. ٣

Cooke, PP., 313-332, J. A. Chabot, II, 301. ٤

Ency. Brita., 17, P., 162, Jean Starcky: Palmyre, Paris, 1952, PP., 27. ٥

كانت لها في الخارج في مثل موضع (Vologasia) وفي مواضع أخرى^١.
وقد زارها الانباطور (هدريانوس) (Hadrianus) (١١٧ - ١٣٨ م)
سنة (١٣٠) بعد الميلاد، ومنحها لقب (هدريانا بالميرا) (Hadriana Palmyra)
و (هدريا نوبوليس) (Hadrianopolis)^٢، وعثر فيها على كتابة مدونة
بالإرمية واليونانية يرتقي تاريخها الى سنة (١٣٧) بعد الميلاد، أي الى أيام هذا
الانباطور، جاء فيها أشياء تخص الأحوال التجارية في هذه المدينة أصدرها مجلس
سادات المدينة لتنظيم التجارة، وتثبيت الضرائب، وكيفية الجباية وما الى ذلك
من أمور. وهي من الكتابات المهمة الطويلة التي ترينا ناحية خطيرة من نواحي
حياة تدمر^٣.

وقد بذل (هدريانوس) عناية كبيرة بـ (تدمر)، حتى قيل فيه انه مؤسس
المدينة الثاني. واعتنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر (الفرات)
الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد. فقد كان يقوم
بالمهمة التي عهدت الى (قناة السويس)، فيما بعد. ولأهمية هذا النهر الذي هو
الممر المائي الذي يوصل تجارة ذلك المحيط الغالية الى الموانئ الواقعة عليه، سعى
لتحسين صلاته بالفرس وبالمحافظة على الأمن في البادية، لتتمكن القوافل من
المروء منها بأمن وسلام. وأوصل حامياته الى شواطئ الفرات الغربية، بل يقال
انه أنشأ أسطولا فيه، وان التجار التدمريين أقاموا في مدينة (Vologasia) وأقاموا
لهم معبداً هناك، ليتعبدوا فيه لإلههم الذي منحهم الخير والرفاه^٤.

وقد منحت (تدمر) درجة مستعمرة رومانية عليا، فاكسبت بذلك حق
الامتلاك التام والاعفاء من الخراج، والحرية الكاملة في ادارة سياسة المدينة.
ونالت الحقوق الايطالية (Jus Italicum) (Italici Juris) (Colonia Juris Italici).

- ١ Freya Stark: Rome on the Euphrates, P., 244.
- ٢ (هدريانوس)، الطبري (٧٤٢/١)، (طبعة ليدن)، (٢٥/٢)، (طبعة
المطبعة الحسينية).
- ٣ المشرق، السنة الاولى، الجزء ١٢، ١٥ حزيران، ١٨٩٨، (ص ٥٣٨)،
Ency. Brita., 17, P., 162, Cooke, P., 322, Mommsen: Römische Geschichte,
V., S., 423, Wright, P., III.
- ٤ Mommsen: Provinces of the Roman Empire, II, P. 236, Rostovtzeff:
Caravan Cities, Oxford, 1932, P., 144, Leon Homo: Le Siècle d'Or de
l'Empire Romain, Paris, 1947, P., 224 Fr. Stark: Rome, P., 253.

منحت هذه الدرجة في أيام (هدريانوس) على رأي ، أو في أيام (سبتيميوس سيوروس) (Septimius Severus) (١٩٣ - ٢١١ م) على رأي آخر^١. وكانت تتمتع بهذه المنزلة في أيام (كراكلا) (Caracalla) (٢١١ - ٢١٧ م) كذلك^٢. ولكن منحها درجة (مستعمرة) لا يعني أنها صارت مقاطعة رومانية مئة بالمئة ، بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في ادارة شؤونها خاضعة خضوعاً شكلياً لحكم الرومان^٣.

وقد استفادت (تدمر) من سياسة (هدريانوس) المنظوية على الميل الى السلم ومجانبة الحرب ، ومن سياسة (انطونينوس بيوس) (Antoninus Pius) (١٣٨ - ١٦١ م) الذي نشر ألوية السلم والطمأنينة ، فوسعت تجارتها، وزادت في عدد قوافلها ، وحصلت على ثروة طائلة. وتعدّ المدة المنصرمة بين سنة (١٣٠) و (٢٧٠) بعد الميلاد من أحسن أيام هذه المدينة . فالى هذه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التي ما برحت تشاهد بقاياها في جملة ما يشاهد من أشلاء المدينة وجدنها المهشم بين الأتربة والصخور .

وقد كانت في تدمر حامية رومانية أيام (ماركوس أوريليوس) (ماركوس أوريليوس) (Marcus Aurelius) (١٦١ - ١٨٠ م) ، على طريقة من سبقه من الحكّام في وضع حامية رومانية في هذه المدينة .

ولسلطان (رومة) على تدمر ، استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فرقاً وكرايس لحماية الطرق ومصالحهم الممتدة في البوادي ، فأودعوا أمر

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٢ ، ١ تموز (ص ٥٨٩) ، Wright, P., 112. , Syria, Tome, XIV, 1933, P., 32, The Cambridge Ancient History, XII, 1, 2, P., 18.

٢ المشرق ، الجزء المذكور ، Syria, XIV, 1933, P., 32, Rowell: Inscriptions Grecques de Doura Europos, 1929-1930, PP., 265.

٣ Rostovtzeff: Social and Economic History of the Roman Empire, P., 532, Syme: Cambridge Ancient History, XI, P., XI, P., 139, Dessau: Geschichte der Römischen Kaiserzeit, II, S., 627; Kornemann - Volker: Staaten; Ency. Brit., 17, P., 163; Cooke, NSI, PP., 250, 312, Lidzbarski: Ephemeris; Manner, S., 99, III, Jonnes: Cities of the Eastern Roman Empire, P. 267, Février: Essai sur l'Histoire de Palmyre, P. 14.

الدفاع عن (دورا) (Doura) الى الكردوس التدمري العشرين (XXth Cohore Palmyrenorum)^١ . وتركوا مهمة حراسة (الفنادق) (Funduq) التي أقامها الرومان على الطريق الى كراديس الرماة التدمريين لحماية القوافل من لصوص الطرق والسالين^٢ .

وقد تأثرت (تدمر) بأصول اليونان والرومان وطرقهم في ادارة الحكم، فكان للمدينة مجلس (شيوخ) (Senatus) له سلطة سن القوانين والتشريع ، وله رئيس وكاتب وجملة أعضاء. ويشرف على السلطة الاجرائية شيخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية فينظر فيها بعض الوكلاء (Syndices) وغيرهم من العمال^٣ .

ويحمل موظفو المدينة عناوين يونانية تشير الى أثر التنظيم اليوناني فيها ، وإلى انها كانت تنفذ النظم الادارية اليونانية في أعمال الشعب. فالرئيس هو (Proedros) والكاتب أي (السكرتير) هو (Grammateus) ، وهناك عناوين وظائف أخرى هي : (Archontes) و (Syndicus) و (Dekaprotai) ، وهي المجالس المحلية التي يتألف كل مجلس منها من عشرة أعضاء . جرى هذا التنظيم على وفق نظام المدن اليونانية في حماية (الانبراطورية) الرومانية^٤ .

ودعيت السلطة التنفيذية ، المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ ، وكذلك الشعب بـ (Strategoi) وهي تعادل (Duumviri) (Dumviri) عند الرومان^٥ .

وتجمل التدمريون الذين حصلوا على حقوق (مواطن روماني) بأسماء رومانية مثل (سبتيميوس) (Septimius) و (يوليوس أوريليوس) (Julius Aurelius) وضعوها في مقدمة أسمائهم النبطية أو العربية^٦ . وقد فعل ذلك قبلهم العبرانيون ونبط (بطرا) وسكان بلاد الشام وغيرهم من الضعفاء الذين يظنون انهم سيكتسبون بهذه المحاكاة الاحترام والتقدير . والضعيف انما يشبه بالأقوياء ليخفي ضعفه .

١ Ancient Cambridge History, XI, 3, 4, P. 116.

٢ R. Dussaud: Pénétration des Arabes en Syrie, 73.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ ، حزيران ، ١٩٦٨ م (ص ٥٤٢) .

٤ Ency. Brita., 17, P. 161.

٥ Ency. Brita., 17, P. 162.

٦ Ency. Brita., 17, P. 162.

أسرة (أذينة) :

كان للانقلاب الذي وقع في مملكة الفرث أثر كبير في حياة مدينة تدمر ، وأعني بهذا الانقلاب ثورة (أردشير بن بابك بن ساسان) على الملك (أرتبان) الخامس ملك الفرث ، وتأسيسه حكومة جديدة هي دولة (الساسانيين) (٢٢٦م)^١ . فكان من نتائج ظهور الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس ووقوع معارك بين الدولتين .

وقد أحسنت أسرة عريقة من أسر (تدمر) الاستفادة من هذه الحروب ، وجرت المغنم اليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان . وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) من (بني السמידع) ، ينسبه (الطبري) الى (هوبر العمليقي) (العمليقي) من عائلة العماليق ، فهي من بقايا (العماليق) على رأي الأخباريين^٢ .

و (أذينة) من أسرة قديمة معروفة ، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها اليهم أن تكتسب ودّ القياصرة وعطفهم عليها والانعام على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيان ، وبالقوة والمعونة وهي غاية كل سيد قبيلة وأمنية كل رئيس في مجتمع قبلي يقوم النظام السياسي والاجتماعي فيه على مفهوم الحكم القبلي في كل زمان ومكان . ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة اذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام (رومة) ولا تصطدم بها . فتركهم يديرون شؤونها على وفق السياسة الرومانية واردة القياصرة وأوامرهم التي يصدرونها الى (المشيخة) ، فكانوا يعدونهم (Procuratores) لدى قياصرة الرومان^٣ .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال هذه الأسرة ، منهم (نصور) (Nasores) (Naswar) (نصر) (ناصور) ، وهو جدّ (أذينة) . واسمه يشير الى اسم عربي الأصل هو (نصور) أو (ناصر) أو (نصر) تحوّل

١ الطبري (٣٥٤/١ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ - ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ - ٨٢٥ ، ٨٣١ - ٨٣٣ ومواضع أخرى) ، (طبعة ليدن) ، مروج الذهب (٢٠٦/١) (طبعة دار الرجاء) .

٢ أذينة بن السמידع بن هوبر ، مروج الذهب (١٦/٢) ، الطبري (٣١/٢) .
٣ Zosim, I, 39, Oberdick, S. 22.

الى (نصرو) ليلاثم النطق النبطي . وهو والد (وهبلات) (وهب اللات) (Vaballathus) (Vahballatat) ، و (وهب اللات) ، هو والد ولد اسمه (خيران) (حيران) (Airanes) . و (حيران) (خيران) ، هو والد (أذينة)^١ .

و (نصور) اذن هو أقدم من وصل إلينا اسمه من أسماء الأسرة التي حكمت مدينة (تدمر) . وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً ما . وقد يكون من سادات القبائل في الأصل من جاء الى هذا المكان فاستقر فيه ، وتولى نسله أو هو الحكم فيه . وقد يكون لهذا الاسم صلة بـ (نصر) الذي ينسب أهل الأخبار ملوك الحيرة اليه ، فيقولون انهم من (آل نصر) .

وكان (سبتيميوس خيران) ، على رأس مجلس المدينة ، ولقبه الرسمي الذي عرف به عند أهل مدينته (رأس تدمر) (رش تدمور) إضافة الى لقبه الذي لقبه به الرومان^٢ . وقد تمكن من تثبيت حكم أسرته ومن الهيمنة على شؤون المدينة ومن توسيع تجارتها ، فاكسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمر ، وعند الرومان . ورافق (سبتيميوس سويروس) (١٩٣ - ٢١١ م) في حروبه مع الفرث وتقرب اليه ، ولقب نفسه بـ (سبتيميوس) ، فصار اسمه (سبتيميوس خيران) (سبتيميوس خيران)^٣ .

وقد عثر على كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها الى حوالي السنة (٢٣٥) للميلاد، أو بعد ذلك بشيء قليل ، ورد فيها اسم (أذينة بن خيران بن وهب اللات ابن نصور) . وقد لقب (أذينة) فيها بلقب (سقلطيك) (Skiltyk) . وقد كان يحمل لقب عضو في مجلس (الشيوخ) الروماني^٤ .

وقد نعت (سبتيميوس أذينة) بـ (سقلطيقا) (Skiltyka) في الكتابة التي دونت لتكون شاخصاً لأحد القبور . وقد حصل على لقب عضو مجلس الشيوخ ، ثم لقب نفسه بلقب (ملك) (Rex) ، وذلك في حوالي سنة (٢٥٠) للميلاد^٥ .

١ J. Cantinay: Inventaire des Inscriptions de Palmyra, 8, 1936, No. 55, Die Araber, II, S., 252; Oberdick, S., 152, Syria, Tome XII, 1931, J. Cantineau:

Palmyrenien Provenant du Temple de Bel, PP. 138.

٢ Cooke, NSI, No. 125, Die Araber II, S. 252.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م (ص ٥٩٠) .

٤ Die Araber, II, S., 252.

٥ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م ، (ص ٥٩٢) .

وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر الى (روفينوس) (Rufinus) باغتياله، فقتل وتخلص الرومان منه^١. ومن ولد (أذينة) ، (سبتيميوس خيران) (Septimius Hairan) تولى رئاسة تدمر بعد مقتل أبيه^٢. وقد ذكر اسمه في كتابة دونت سنة (٢٥١) للميلاد ، ولم يصطدم بالرومان . وقد كان مثل أبيه بدرجة (Senator) كما لقب أيضاً بلقب (رش تدمور) ، أي (رأس تدمر) (رئيس تدمر)^٣. ولقب بلقب (Exarchus) (Exarkus)^٤.

ولما مات (سبتيميوس خيران) ، خلفه (أذينة) (Odenatus) على شؤون المدينة . ولم يرد نسبه في النصوص، فلا ندري أكان ابناً أم شقيقاً لـ (سبتيميوس خيران)^٥. وقد ذهب بعضهم الى انه كان أخاه^٦. وكان شجاعاً فارساً ألف حياة البداوة جريئاً ، محباً للصيد ولا سيما صيد الذئب والفهود والأسود^٧. تولى قبل انتقال الحكم اليه قيادة الجيش والقوافل ورئاسة قبائل البادية، فكانت له مؤهلات خاصة وكفايات حسنة مكنته من رفع شأن (تدمر) في أعين الرومان ، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتزاحمتين .

وقد تبين من كتابة دونت سنة (٢٥٨) للميلاد ومن كتابتين أخريين انه كان يحمل درجة قنصل (Vir Consularis) في عهد القيصر (فاليريانوس) (Valerianus)^٨ كما كان يحمل لقب (مرن) ، أي (سيدنا) ، وهو اللقب الذي يستعمله أهل (تدمر) ، وهو يعادل لقب (Exarchos) (Exarkos) في اليونانية^٩.

-
- ١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.
 - ٢ يرى (Oberdick) أن (روفينوس) قتل (سبتيميوس خيران) الابن الأكبر لـ (أذينة) مع والده ، لذلك تولى (أذينة) الثاني الحكم بعد مقتل أبيه فوراً ، Oberdick S. 22.
 - ٣ Die Araber II, S. 252.
 - ٤ Die Araber, II, S., 252, Cantineau, 3, No. 16.
 - ٥ Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, No. 16.
 - ٦ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .
Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, 22.
 - ٧ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .
 - ٨ Die Araber, II S., 253, H. Seyrg, in: Annales Archéol. de la Syrie, 13, 1963, 159, 162, J. Cantineau, 3, No. 17, Ency. Brita., 17, P. 162, Cooke, NSI, No. 126.
 - ٩ Die Araber, II, S. 253.

وقد ذكر بعض المؤرخين ان (أذينة) الذي نتحدث عنه كان ابناً لـ (أذينة) ابن (خيران) ووالد (سبتيميوس خيران) ، وانه كان قد هرب الى الجبال وألّف حياة البداوة والرعى منذ صغره لينتقم من الرومان الذين اغتال قائدهم (روفينوس) (Rufinus) أباه^١ . فلما انتقل الحكم اليه ، عمل جهده على الأخذ بثأر أبيه ، فراجع (فاليريانوس) (والريانوس) شاكياً اليه ما فعله (روفينوس) بأبيه ، طالباً منه انزال العقاب به . أما القيصر ، فلم يأبه لهذه الشكوى ، ولم يحسب لها حساباً ، فغاض ذلك (أذينة) وأزعجه وحمله على التفكير في الاتصال بأعداء الرومان، وهم الفرس^٢ . فلما بلغه نبأ زحف (فاليريانوس) على الفرس في عام (٢٥٩) بعد الميلاد وخيانة قائده (مكريانوس) وسقوط القيصر أسيراً في أيدي الفرس على مقربة من (الرها) ، أرسل رسلاً الى (سابور) حملهم هدايا كثيرة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومحالفته . فلما بلغ الرسل معسكر الملك ، وطلبوا ملاقاته لابلأغه الرسالة ، استكبر عليهم وتجبر ، وأظهر عجبه من تجاسر (شيخ) على الكتابة اليه ، ومخاطبته مع أنه (ملك الملوك) ، وهو رئيس مدينة في بيداء قفرة لا قيمة لها ولا أهمية ! ومن يكون أذينة ؟ هذا الرجل الذي دفعته حماقته الى التجاسر على سيده بالكتابة اليه ؟ فإن كان له أمل في عقوبة خفيفة ، فليأت إليّ ويدها مغلولتان الى ظهره ! وإن لم يفعل ، فليعلم بأنني سأهلكه وأهلك أسرته وأنزل الدمار بمدينته ؟ ثم مرّق الرسالة ، ورمى بالهدايا تحت قدميه^٣ . فعاد الوفد كاسف البال خائفاً مما قد يقوم به هذا الملك المغرور الطائش من عمل تجاه مدينة خسرت الرومان ، ولم تحظ بالاتفاق مع الساسانيين .

ولما رجع الرسل الى تدمير وأعلموه بما جرى ، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغترس الطائش ، فجمع القبائل بظاهر تدمر وجعلها تحت امرة ابنه (هروديس) ، وضم اليها فرسان تدمر بقيادة (زبدا) كبير قواده، وقواسيها

Oberdick, S. 22, Wright, P. 115. ١

(والريانوس) ، (والريانوس) ، الطبري (٧٤٣/١) ، (ليدن) . ٢

أمر سابور برمي الهدايا في النهر ، ٣

Oberdick, S., 23, Wright, P. 118 Gibbon: The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol., I, P. 236.

بقيادة (زبّاي) ، وهما من (آل سبتيميوس) أي من أقرباء أذينة ، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية وفلول جند (والريانوس) وسار على رأس هذا الجيش قاصداً المدائن للانتقام من (سابور) الذي كان قد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية ، ولانقاذ القيصر من الأسر^١

وفي أثناء زحف (أذينة) على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القائد الروماني (كاليستوس) على الفرس ، وتشتت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع اليهم لملاقاتهم ، وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات، فالتحم بهم وتغلب عليهم، وولى (سابور) مع فلول جيشه مذعوراً تاركاً أمواله وحرمة غنيمة في أيدي التدمريين. ولم يتمكن الفرس من عبور نهر الفرات الا بعد تعب. ولما عبروه هنا بعضهم بعضاً على السلامة والنجاح^٢ . اما أذينة، المنتصر الظافر ، فكتب الى (غالينانوس ابن الريانوس) (كاليانوس بن الريانوس) يخبره بهزيمة الفرس ، وباخلاصه للامبراطورية ، ففرح القيصر بالطبع بخبر النصر فرحاً عظيماً ، وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع عساكر المشرق (Dux Romanorum) ، وحثه على مواصلة الحرب لانقاذ (والريانوس) والده من الأسر^٣ .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) (ملاليس) الى ملك دعاه (Enath) ، ذكر انه كان ملك العرب (السرسين) (Saracens) الأجلاف الغلاظ وحاكم (العربية) وحليف الرومان ، وذكر انه هاجم ملك الفرس (سابور) في ايام (والريانوس) وكان قد سار الى حدود الامبراطورية الساسانية، وتوغل فيها وأوقع خسائر بالفرس^٤. وقد قصد به الملك (أذينة) هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويظهر أن (أذينة) كان يتحجب الى الرومان ، فأنعموا عليه بالألقاب ، ومن ذلك لقب (Vir Consularis) الذي كان يحمله في عام (٢٥٨) للميلاد . وقد منح قبل هذه السنة على ما يظهر . ولعلّ ضغطه المتزايد على الفرس هو

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) .
Oberdick, S., 23, Wright, P. 118.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) ،
ويروى (بالستا) ، Wright, P. 118, 119, 120, Oberdick, S., 23, 24.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، (ص ٦٣٩) ، ١٨٩٨ م ،
Wright, P. 120, Ency. Brita., 23, P. 944.

٤ Malalas, XXIII, 5, 2, Musil, Palmyrena, P. 247.

الذي حملهم على ترك (دورا) (Dura) (Doura) ففسح بذلك المجال لعودة الحامية الرومانية الى هذه المدينة ، فرجع ذلك من شأنه في أعين الروسان^١ .

وتمكن (أذينة) من تحرير الجزيرة من الفرس، وفتح (نصيبين) (Nicibis) (Nisibis) و (حرّان) فاستقبل هو وجنوده استقبالا عظيماً . وكان الناس يذكرون بازدياء (غاليانوس) الذي تركهم فريسة للفرس^٢ . ثم سار بجيوشه الى (طيسفون) (Ktesiphon)^٣ (٢٦٤ م) ، فخاف (سابور) وأمر بجمع كل ما عنده من قوات للدفاع عن عاصمته ، غير انها لم تتمكن من وقف زحف التدمريين فوصل (أذينة) الى (المدائن) وحاصرها ، ونصب المجانيق وآلات الحصار لفتحها ، وكاد (سابور) يلتبس منه الأمان لولا حدوث حادث أكره أذينة على ترك الحصار والتراجع ، هو خروج (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) القائد السدي كان السبب في وقوع (والريانوس) في الأسر على القيصر (غاليانوس) وتنصيبه نفسه قيصراً على آسية الصغرى ومصر وفلسطين والشام . فاضطر هذا الانقلاب (أذينة) الى الرجوع الى مدينته بسرعة ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسي الجديد^٤ .

لم يكن (أذينة) مطمئناً الى (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) كان يكرهه ويخشى أن يستولي على ملكه ان تمكن واستأثر في الحكم ، فقرر منازلته قبل منزلة (مكريانوس) له . وبينما كان يهيم بالزحف على (حصص) (Emisa) (Emissa) جاء نبأ مقتل (مكريانوس) ، فأعلن السوريون ولاءهم لأذينة وخروجهم على (كياتوس بن مكريانوس) وساروا مع التدمريين لمحاصرة (كياتوس) في مدينة (حصص) . ولما اشتد الحصار على المدينة وطال ، قتل

١ Berytus, VIII, Fasc. I, P. 56.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، سنة (١٨٩٨ م) (ص ٦٤١) ،
Oberdick, S., 25. Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, 1934, P. 34, Zosim, I, 39, Trebell, Poll. Valer, VII, Rostovtzeff : Res Gestae divi Saporis; Dura, by Michael, I.

٣ (طيسفون) ، بفتح أوله وسكون ثانية وسين مهملة وفاء وآخره نون ، هي مدينة كسرى التي فيها الايوان • البلدان (٨٠/٦) •
٤ Syria, XVIII, 1937, P. 2, « Note sur Hérodien, Prince de Palmyre », by Henri Seyric, Oberdick, S., 25.

(كاليستوس) سيده (كياتوس) ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمي (أذينة) ثم فتح له أبواب المدينة والتمس منه الأمان ، فنحاه إياه ودخل المدينة في سنة (٢٦٢) للميلاد^١ .

ولم يكن استسلام أهل (حصص) للتدمريين أمراً سهلاً عليهم فقد كانت بين الفريقين شحنة وبغضاء . نظر أهل حصص إلى أهل تدمر نظرة ازدراء وغضاضة ، إذ كانوا يرونهم ناساً أجلاً ، ليس لهم حظ من حضارة وثقافة ، أهل بادية حفاة جفاة . وقد يكون لاتصال حدود (تدمر) بحدود حكومة (حصص) وغارات أعراب تدمر على أرض حصص يد في خلق هذا النزاع . وقد لاقت حصص من استيلاء أهل تدمر عليها عنفاً شديداً إذ حل بها دمار وخراب لرفضها الاستسلام لـ (برابرة تدمر)^٢ .

لقد سقطت حصص في أيدي التدمريين ، بالرغم من تضرع أهلها وتوسلهم بالإلهة (الشمس) لتنصرهم على أعدائهم وتنزل بهم خسائر فادحة . وقد كانوا من عبّادها المخلصين . ولكن أهل تدمر كانوا يتعبدون للشمس كذلك ، وقد توسلوا وتضرعوا إليها لتنصرهم على أعدائهم أهل حصص . لقد كان موقف (الشمس) موقفاً حرجاً . فالطرفان المتخاصمان ، من عبادها . وقد أقام كل منهما معبداً ضخماً فخماً لعبادتها ، زوقت أبوابه وذهبت قبابه ، وكل منهما يتوسل إليها ، فأى طرف تؤيد إذن ؟ والظاهر ان اختيارها وقع على تدمر إذ انتصروا على أهل حصص ، ودخلوا المدينة ظافرين^٣ .

وسرّ (أذينة) ولا شك من هذه النتيجة ، فقرر بعد استراحة جنوده بضعة أيام أن يسير نحو الشمال للقضاء على المنشقين . وبينما هو في طريقه ، تلقى أنباء تمرد (كاليستوس) وخروجه عليه وإعلان نفسه ملكاً ، فأمر نقرأ من رجاله بالذهاب إلى معسكر (كاليستوس) لاغتياله ، فذهبوا إليه ، وتمكن فارس من الدخول إلى خيمته وقتله^٤ . عندئذ تحسن موقفه ، فسار إلى الجزيرة ، وتعقب الفرس فقبض على عدد من (المرازبة) (Satrapen) وأرسلهم إلى (رومة) ، وأظهر

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، آب ١٨٩٨ م (ص ٦٨٧) .
٢ Petr. Patr. Fra., 167, Dio, Ed: Boiss, 3, 744, A. Alföldi in : Berytus, 5, 84, Die Araber, III, S., 251.
٣ Die Araber II, S., 250.
٤ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٧) ، Trebellius, Trig. Tyr., 17,

إخلاصه وطاعته لقيصر ، فرضي عنه واطمأن اليه ، وأعطاه منزلة رفيعة هي :
(Imperator Totius) (Dux Orientis) ودعاه انبراطوراً على جميع أنحاء المشرق ،
أي على الشام والجزيرة وآسية الصغرى عدا (بتيية) وبضع نواح شمالية ،
(٢٦٤ م)^١ . وضربت نقود باسمه صور عليها أذينة ووراءه بعض أسرى الفرس .
وجعل تحت امرته جميع القوات الرومانية المعسكرة في المشرق . وكلفه القضاء على
فلول جيش (مكريانوس) وتطهير المقاطعات الرومانية منهم^٢ .

واختار أذينة لنفسه لقباً آخر حبیباً الى نفوس الشرقيين هو لقب (ملك الملوك)
(ملك ملكا)^٣ ، لعله فعل ذلك محاكاة للملك الفرس . ومنح لقباً آخر هو
(أغسطس) (Augustus) لقب قياصرة الرومان^٤ . والانسان متى أبطرت النعمة
مال الى اتخاذ أمثال هذه الألقاب ! وفي رواية أن مجلس الشيوخ الروماني منحه
لقب (أغسطس) ، فصار مساوياً للقيصر ، وأنه أمر بوضع صورته مع صورة
الانبراطور على النقود التي أخذت غنيمة من الفرس^٥ .

وعرف (أذينة) بـ (متقنا دي مدنحا كله) ، (متقنا متقناوتا) ،
وتقابل معنى (Reparator Totius Orientis) أو (Correctores Italiae)
(Utriusque Italiae, Italiae Regionis Transpadanae)^٦ ، وتقابل درجة
(Correctores) منزلة (رئيس) (Praesides)^٧ ، أي رئيس مقاطعة من
المقاطعات .

وقام (أذينة) باصلاحات جمّة أظهر فيها أنه لم يكن قائداً قديراً فقط ، بل
كان الى ذلك رجل ادارة وسياسة وتسامح أيضاً . فنع تعصب الوثنيين على النصراني
واضطهادهم لهم ، ومنح كل طائفة حريتها في ممارسة شعائر دينها ، وخول

١ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31, Ency. Brita., 17 P. 162.

٢ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31.

٣ Die Araber, II, S., 253.

٤ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، السنة (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٨٨) ،
Gibbon, I, P. 241.

٥ Wright, P. 121.

٦ Die Araber, II, S., 253, Cambridge Ancient History, 12, 175.

٧ Die Araber, II, S. 253.

النصارى حق بناء الكنائس حيثما شاؤوا^١ . وتعقب اللصوص وقطاع الطرق من الجنود الهاربين والمسرحيين من الخدمة والصعاليك الذين وجدوا في الاعتداء على الآمنين ومهاجمة القوافل والقرى والمدن خير مصدر للحصول على الكسب والمغانم والمال ، وقتل (كاليستوس) زعيم الصعاليك الذي استمال من لا عمل له إلا الفتنة والاعتداء على الناس ، وبذلك أراح أذينة نفسه وأراح المقاطعات الرومانية من شر هؤلاء ، واطمأن الناس على أنفسهم ، وعادوا الى أماكنهم التي اضطروا الى تركهم لها بسبب تلك الاعتداءات التي قام بها من أطلق عليهم الكتاب اسم (الظالمون)^٢ .

وصمم (انبراطور الشرق) و (ملك الملوك) بعد هذه الأعمال على انتزاع القيصر (والريانوس) من أيدي الفرس ، ومحاربة خصمه المتغترس المتقلب بلقب (ملك الملوك) كذلك . قد يكون حياً في اذلال من استهان به فزق رسالته أمام أعين رسله ، وقد يكون تقريباً للرومان وتودداً الى القيصر (غالينوس) . والشرقيون مبالغون ويا للأسف في اكرام الغرباء ، متزلفون الى القوي منهم ، ولو كان في ذلك هلاك الوطن والرعية . عيّن ابنه البكر (سبتيميوس هيرودس) (Septimius Herodes) من زوجته الأولى نائباً عنه في ادارة شؤون الملك ، وأخذ هو جيشه وسار به لمحاربة الفرس في أوائل عام (٢٦٥) بعد الميلاد . سار به الى (طيسفون) عاصمة (سابور) فحاصرها أمدأ ، ويظهر ان (سابور) أظهر استعداداً لعقد صلح لولا اشتراط (أذينة) فك أسر (والريانوس) ، وهو شرط كان في نظر الفرس جداً عظيماً^٣ .

ووقع حادث مهم اضطّر (أذينة) الى تبديل خططه العسكرية وترك حصار (طيسفون) . ذلك هو انتهاء (القوط) فرصة محاصرة (أذينة) للمدائن وابتعاده عن آسية الصغرى وبلاد الشام ، فعبروا بحر (بنطس) (Pontus) أي البحر الأسود ونزلوا بميناء (هرقلية) (Heraclea) ثم زحفوا على (بتينة)

١ المشرق ، العدد المذكور (ص ٦٨٩) .

٢ (الظالمون الثلاثون) ، المشرق (ص ٦٨٩) ، Tribellus : Trig. Tyr., 14.

٣ Oberdick, S., 35, Hieronym. Cliron. XII, Gallien: « Odenatum Persas ita Cecidisse, ut Castra a Ctesiphontem Poneret », Zosim, I, 39, Trebellius, Poll., 2, Gall 10 « Ctesiphon ».

٤ (بنطس) ، البلدان (٦٦/٢ ، ٢٩٣) ، ويعرف أيضا ببحر (طرابزنده) ، البلدان (٦٦/٢) .

و (فريجية) و (غلاطية) و (قيادوقية) ، وكانوا يقصدون من وراء زحفهم هذا التوسع والاستيلاء على آسية الصغرى وبلاد الشام وكل ما يمكن الاستيلاء عليه من بلاد الشرق . فلما علم (القوط) بمجيء (أذينة) هربوا الى ميناء (هرقلية) مسرعين ، ومنه ركبوا الى بلادهم التي جاءوا منها . فقرر عندئذ الرجوع الى العراق لفتح (طيسفون) . وبينما كان (أذينة) في (حمص) لراحة الجند ، أعد وليمة كبيرة تذكراً ليوم ميلاده حضرها قواده وكبار القوم . فانهز (معنى) (Maeonius) ابن اخيه (خيران) هذه الفرصة ، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) (Herodus) ، لاغتصاب عمه منه ملكه الذي ورثه من أبيه . ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التي أنشأها وكوتها (أذينة) القتييل ، وبذلك استرجع حقه من المقتول . ولكن حياة القاتل كما يقول المثل الشرقي لا تطول ، وذلك قولهم : « بشر القاتل بالقتل » ، فما كاد يترجع على العرش اياماً حتى انتقمته منه سيوف (حمص) ، وألحقته بالعالم الواسع الذي ذهب اليه القتيلان (٢٦٦ - ٢٦٧ م)^٢ .

ما أعجب الحياة . في مدة قصيرة طفر فيها رجل (تدمر) من رئيس في مدينة صحراوية الى ملك على عرش مملكة ، فقاتل كبير في أعظم انبراطورية في عالم ذلك الزمن ، ومنافس للقيصر وملك على الشرق ، وفي لحظة واحدة انتقل فيها هذا القائد الملك من هذا العالم الى عالم القبر . انها الحياة لا بد لها من نهاية مهما بلغ الانسان من منزلة ومكانة ، لا تعرف قوة وضولة ولا فقرراً وضعفاً ، الجميع الى هذه النهاية منتهون ، وللفيلسوف أن يستخرج منها حكمة الحياة .

هل قتل (معنى) عمه لاغتصابه حقه الطبيعي في الملك ؟ أو قتله لأسباب أخرى ؟ وهل كان لأحد مثل المملكة (الزباء) ضلع في الحادث ؟ وهل كان للرومان يد في هذه الجريمة ؟ وهل كان للحزب الوطني التدمري الذي كان يكره اليونان والرومان وكل سيطرة غريبة يد في هذا الاغتيال ؟ لما عرف عن (أذينة)

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١) .
٢ راجع خبر مقتل (أذينة) والعداء الذي كان بينه وبين (معنى) والنزاع الذي حدث بينهما حين كانا في الصيد في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١ وما بعدها) .

Oberdick, S., 38, Zosim, I, 39, Treb. Poll., 30, Tyr. 15, Gibbon, I, P. 263,
Vaughan : Zenobia, P. 60.

من دفاعه عن الانباطورية الرومانية وحماسته في الدفاع عنها ؟ هذه أسئلة سألها المتعمقون في تاريخ (تندر) والباحثون فيه ، وأجابوا عنها أجوبة مختلفة . فمنهم من رأى ان الجريمة هي انتقام شخصي بسبب اغتصاب (أذينة) حق القاتل الذي ورثه من أبيه ، ومنهم من رأى انها مسألة مدبرة مدروسة وان للزباء يداً فيها . ومنهم من رأى انها بتدبير الرومان وعلمهم ، فعلوها للتخلص من رجل أخذوا يشكّون في إخلاصه ، ويرتابون منه . ومنهم من رأى عكس ذلك : رأى انها فاجعة للرومان وخسارة كبيرة لسياستهم في الشرق ، وانها من أعمال الوطنيين الذين رأوا في ملك تدمر أداة طيعة مسخرة في أيدي سادة (رومة) فقرروا لذلك الانتقام منه.

أما نحن فنرى أن من الصعب البت في سرّ قتل (أذينة) وابنه ، فالأخبار الواردة في هذا الموضوع غامضة ، والأدلة غير متوفرة ، ومبايعة الجيش وقوّاده للقاتل في سرعة ومن غير كلام أو قتال ، ثم قيام أهل حمص بقتل القاتل بعد أيام ، وتولى الملكة (الزباء) الحكم بعده وبسرعة هي قضايا فيها نظر . ولهذا تعددت الآراء ، ولن تتفق ما دامت الروايات المقدمة إلينا على هذا النحو من التعقّد والأمور^١ .

أظهر (أذينة) مقدرة فائقة جديرة بالاعجاب ، استطاع أن يكون جيشاً قوياً يخيف الفرس ويلحق بهم الخسائر ويكتسب تقدير الرومان واحترامهم في مدة قصيرة ، واستطاع أن يكون من القلعة الصغيرة المبنية في البادية مملكة كان لها أثر خطير في النزاع السياسي العسكري بين الرومان والفرس . لقد قام بعمل عسكري عظيم في محاولاته الحربية لانقاذ القيصر (والريانوس) محاولات لم يقم بها سيد (رومة) وابن القيصر الأسير ولا أتباعه الرومان . لقد (أرسلته الشمس أسداً خيفاً مرعباً)^٢ .

لقد وقعت في أيام (أذينة) أحداث خطيرة عظيمة في الشرق الأدنى بين المعسكرين : المعسكر الشرقي وهو معسكر الفرس ، والمعسكر الغربي وهو معسكر الرومان يساعدهم التدمريون . كانت انتصارات الفرس في سنة (٢٦٠) بعد الميلاد،

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩٣) ،

Oberdick, S., 40, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

٢ Oracula : Sibyllinus, VV, 169, Berytua, Vol., VIII, Fasc., I, 1943.

ثم أسر القيصر (والريانوس) ، وغزو بلاد الشام ، وقيام (أذينة) بالهجوم على الفرس ، وطردهم من الأرضين التي احتلوها من الأمور الخطيرة التي وقعت في ذلك العهد ، أفادت الرومان ولا شك كثيراً ، ولكنها لفتت أنظارهم في الوقت نفسه الى الخطر الجديد الذي أخذ يتهددهم من ظهور قوة (تدمر) ، وتسلطهم في بلاد الشام . وقد تنزعم الحركات الوطنية المعادية للرومان في الشرق ، فتكون كارثة على (رومة) . ونجد أخبار (أذينة) وأعماله خاصة بعد معركة (الرها) (Edessa) في تأريخ (سوزيموس) (Zosimus)^١ .

ولا بد لي في هذا الموضع ، وقد انتهيت من الحديث عن أذينة ، من الإشارة الى رجل كان له شأن وذكر في أيام (أذينة) ، وكان أقوى شخصية في تدمر الا وهو (ورود) (Worod) الذي ورد ذكره في عدد من الكتابات ، أقدمها الكتابة المدونة بشهر نيسان من سنة (٢٦٢) للميلاد وقد لقب فيها بـ (Procurator Ducenarius)^٢ . كما لقب بلقب (مرن) الذي تلقب به (أذينة) أيضاً ، أي (سيدنا) و (أميرنا) ، وبألقاب أخرى مثل (Cursus Honorum) و (قائد القافلة) و (شريف المستوطنة) وغير ذلك من نعوت حملها (أذينة) نفسه ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كان الرجل الثاني في تدمر بعد (أذينة) ، ومن الغريب ان اسمه اختفى مع اسم أذينة في السنة التي قتل فيها الملك نفسه ، فلم نعد نقرأه في الكتابات^٣ .

وكان (ورود) يقوم مقام (أذينة) بأعباء الحكم عند غياب (أذينة) عن عاصمته . ويرى بعض الباحثين ان اسمه الكامل هو (يوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (Julius Aurelius Septimius Worod) وانه كان من الطبقة (الأرستقراطية) ، وهو من أصل فارسي روماني. وقد نال أعلى الألقاب المعروفة في أيامه ، حتى ضاهت الألقاب التي لقب بها (أذينة) . والظاهر انه كان شخصاً كفواً حازماً لذلك نال مركزاً لم يبلغه أحد غير (أذينة) ، اذ كان الرجل الثاني في تدمر بعد الملك^٤ .

Oracula : Sibyllinus, XVIII, Zosimus, I, 27, I, 36, I, 39.

J. Cantineau, 3n. II, Die Araber, II, S., 255.

Die Araber, II, S., 255.

Vaughan, P. 58.

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن المكانة التي حصل عليها بعد مقتل (أذينة) وتولى (الزباء) أعباء الحكم نيابة عن ابنها (وهيلات) . والظاهر انه لم ينل عند الملكة المتزلة التي بلغها عند (أذينة) ، وان عيّنته الملكة نائباً عنها في بعض الأوقات ، وكل ما وصل اليه عندها هو منصب (مستشار) ، فقد كانت تستدعيه عند الحاجة لاستشارته في بعض الأمور الخطيرة . وقد كان لها جماعة مستشارين تستعين بآرائهم في ادارة الحكم وفي تنظيم الأمور المالية، ولا سيما الجباية من التجارة والتجار .

ولم بشر (الطبري) ولا غيره من المؤرخين المسلمين الى حروب (أذينة) مع (سابور) على أهميتها وبلوغ ملك (تدمر) فيها العاصمة (طيسفون) . وهذا أمر يدعو الى العجب، حقاً اذ كيف يهمل المؤرخون والأخباريون هذا الحدث الخطير ؟ فلا بد أن يكون هنالك سبب . ورأيت ان سببه الموارد الأصلية التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون واخذوا منها ، وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس ، أو موارد عراقية مائلة اليهم .

وقد أخذ المؤرخون المسلمون تأريخ الفرس من موارد فارسية ، أما تأريخ الرومان واليونان ، فقد أخذوه من موارد نصرانية سريانية في الغالب ، ولكنهم أخذوه بقدر ، ولم يتوسعوا في الطلب ، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس الى ما دون عن تأريخ الفرس . عبارة عن جريدة بأسماء القياصرة جافة في الغالب ، ونتف وقطع مبثوثة هنا وهناك في الفصول المدونة عن تأريخ الدول الفارسية ذكرت في المواضع التي تكون لها صلات بتأريخ الفرس ، ولذلك أيضاً أدمج أكثر ما دون عن تأريخ الغساسنة وعرب الشام في الأوراق التي دونت عن تأريخ الحيرة وعرب العراق . وقد انتزعت من موارد فارسية - عراقية ، ففيها تعصب للفرس وللعراق على الروم والرومان وبلاد الشام^١ .

واظن ان الموارد الأولى التي نقل منها الأخباريون والمؤرخون كلامهم عن تأريخ الفرس لم ترقها الإشارة الى انتصارات ملك كوت مملكة في البادية بنفسه ، على (سابور) صاحب انباطورية واسعة تتباهى بنفسها على الرومان ، فأهملت الكلام عنها بدافع العاطفة والنزعات القومية . فلما ترجمت تلك الموارد الى العربية أو نقل

١ مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الاول والجزء الثاني .

منها ، لم يجد الأخباريون والمؤرخون شيئاً يقولونه عن انتصارات (أذينة) على (سابور) ، وإلا ذكروه كما ذكروا حادث أسر (سابور) للقيصر (الريانوس) في أثناء كلامهم عن سابور . وقد ذكره الطبري فقال : (وانه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكية ، فأسره وحمله وجاعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور)^١ .

الزباء :

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) الى (وهبت) و (هبلات) (وهب اللات) ، وهو ابن (أذينة) من زوجه (الزباء) ويعرف في اليونانية بـ (اتينودورس) (Athenodorus) . وكان لوهبلات اخوة هم : (حيران) (خيران) و (تيم الله) من أذينة (أذينة) وامه (الزباء) . وكان قاصراً ، لذلك تولت الوصاية عليه وتأديبه بأدب الملوك حتى يبلغ سن الرشد ، فعلمته (اللاتينة) والفروسية ، وهياته ليكون ملكاً كبيراً كقيصرة الرومان أو أكاسرة الفرس وسعت هي لتهديب الدولة وتوسيعها وبسط نفوذها على أماكن واسعة لم تكن خاضعة لتدمر ، لذلك كان لا بد من حدوث احتكاك وتصادم بينها وبين الرومان .

وللأخباريين احاديث واقاصيص عن الزباء ، واسمها عندهم (نائلة بنت عمرو ابن الطرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العميلقي (العمليقي) من العماليق^٢ . و (الزباء بنت عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) على زعم^٣ ، و (ليلي) في زعم آخر . وزعموا ان لها اختاً اسمها (زيبية) بنت (الزباء) لها قصر حصين على شاطئ الفرات الغربي ، فكانت تشتو عند اختها وترجع يبطن النجار ، وتضير الى تدمر . كما كان لها جنود هم في نظرهم بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابن (حلوان بن عمران

١ الطبري (٦١/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٢ الطبري (٣١/٢) ، ابن خلدون (٢٦١/٢) ، حمزة (٦٥) .

٣ مروج (١٦/٢) .

ابن الحاف بن قضاة) ومن كان معهم من قبائل قضاة^١ . وذكر (ابن خلدون) ان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام كان لعمر بن الظرب، وكان جنود الزباء من بقايا العالقة من عاد الأولى ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هناك قصراً ، وترجع عند بطن المجاز ، وتصيف بتدمر ، أخذ قوله هذا من تأريخ الطبري وتصرف فيه بعض التصرف^٢ . أما الأصل ، فخبير من اخبار الأخباريين ، وأما النقل فحكمه حكم الأصل بالطبع . وأما ان جنود (الزباء) من بقايا (العالقة) ، فهو أمر مقبول في نظر اصحابنا الأخباريين ، ولم لا ؟ إن (الزباء) في رأيهم من بقايا العالقة ، اي من العرب الأولى فلم لا يكون جنودها اذن من اولئك القوم ؟

وزعم بعض الأخباريين ان (الزباء) من ذرية (السميدع بن هوثر) من (بني قطورا) اهل مكة ، وهي بنت (عمرو بن أذينة بن الظرب بن حسان) . وبين (حسان) و (السميدع) آباء . وزعم آخرون ان (عمرو بن الظرب) كان على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بين (الخابور) و (قرقيساء) ، ف وقعت بينه وبين (مالك بن فهم) حروب هلك (عمرو) في بعضها ، فقامت بملكه من بعده ابنته (الزباء) . وقد استمرت الحرب بين (مالك) و (الزباء) الى ان الجأها الى اطراف مملكتها . وكان (مالك) على ما يصفه الأخباريون رجلاً قديراً يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في ايديهم^٣ . وهو في نظرهم اول من ملك من (عرب الضاحية) . وكان منزله مما يلي (الأنبار) ، ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) . فلما هلك تولى من بعده (جذيمة الأبرش) الشهير في تأريخ الحيرة^٤ .

والذي حارب (عمرو بن الظرب) على رواية منسوبة الى (ابن الكلبي) ذكرها (الطبري) هو (جذيمة الأبرش) . وكان جذيمة على هذه الرواية قد جمع جموعاً من العرب سار بها يريد غزاة (عمرو) ، وأقبل (عمرو) بمجموعة

-
- ١ الطبري (٣٢/٢) .
 - ٢ ابن خلدون (٢٦١/٢) .
 - ٣ ابن خلدون (٢٥٩/٢) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٢٨/٢) .

من الشام فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل (عمرو بن الظرب) وانفضت جموعه . فأجمعت الزباء رأسها لغزو (جذيمة) للأخذ بثأر أبيها ، واستعدت لذلك . غير ان اختاً لها هي (زبيبة) ، وكانت ذات رأي ودهاء وأدب ، نصحتها بترك الحرب ، فإن عواقبها غير مضمونة ، فاستجابت لنصيحتها ، وعمدت الى طرق المكر والحيل فراسلته واستدرجته الى عاصمتها في قصة معروفة مشهورة لا حاجة بي الى اعادةها ، فغدرت به وقتلته^١ . وطلب (قصير بن سعد بن عمرو ابن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لحم) ، وكان أريباً حازماً أثراً عند (جذيمة بن الأبرش) من (عمرو بن عدي) خليفة (جذيمة) على الحيرة الخروج لقتال (الزباء) ، فأحجم فلما رأى ذلك منه ، صمم على أن يأخذ هو بالثأر ، فذهب اليها مدعياً انه مضطهد ممقوت لتهمة نسبت اليه هي انه ساهم في قتل (جذيمة) فوثقت به واطمأنت اليه وهي لا تعلم ما يخفي لها ، ثم طلب منها أن يعود الى بلده ليعود بأمواله ونفائس ما لديه فسمحت له وأعطته تجارة^٢ لتصريفها هناك ، فباعها وعاد بأرباح طائلة وبأموال كثيرة ، فرادت ثقتها به وتكرر الحال ، حتى اذا ما وثق من اطمئنانها اليه عاد في المرة الأخيرة برجال أشداء من بني قومه ومعهم (عمرو بن عدي) ، وضعهم في جوالق كبيرة فلما توسطوا في المدينة ، أنزلت الجوالق وخرج الرجال منها ، فوضعوا سيوفهم في رقاب أهلها ، فلما رأت الزباء ذلك ، أرادت الحرب من نفق حفرته لمثل هذه الأيام ، اطلع قصير عليه ، فوضع (عمرو بن عدي) على بابه . فلما رآته الزباء مصت خاتمها ، وكان فيه سم ، قائلة : (بيدي لا بيدك يا عمرو) ، وتلقاها عمرو بن عدي بالسيف فجعلها به وقتلها ، وغم كثيراً ، وانكفاً راجعاً الى العراق^٣ .

وهي قصة محشوة بالأمثال المنسوبة الى أبطالها : جذيمة وقصير والزباء وعمرو

١ حمزة (٦٥) .

٢ الطبري (٣٤/٢ وما بعدها) ، مروج (١٩/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، مروج الذهب (٦٩/٢ وما بعدها) ، (قصة جذيمة) . فلما نظرت الزباء الى مشي الجمال ، قالت :

ما للجمال مشيها وثيدا أجندلا يحملن أم حديدا ؟
أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا ؟

مروج (٧٢/٢) ، (دار الاندلس) .

ابن عدي ، وفيها على عادة الأخباريين في رواية أمثال هذا القصص شعر نسب بعضه الى هؤلاء الأبطال ، ونسب بعضه الآخر الى شعراء أقحمت أسماؤهم في القصة ليؤكد واضعوها ولا شك صدق حديثهم ، وليلوتوا كلامهم بعض التلوين . ونجد قصة الزباء وجذيمة وقصير المطالب بالثأر في شعر ينسب الى (عدي بن زيد العبادي) ، جاء فيه :

ألا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقية الأمراء يوماً جذيمة عصر ينجوهم ثبينا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً وكان يقول لو تبع اليقينا

ثم يستمر في نظم القصة شعراً حتى تنتهي . وقد ختمت بنصح الإنسان ليتعظ بالحوادث والمنايا ، التي لا تعرف أحداً مهما كانت درجته ومنزلته ، إلا أخذته ، ثم صيرته أثراً بعد عين^١ .

وذكر أهل الأخبار ان (الزباء) كانت تأتي الحصون ، فتتزل بها ، فلما نزلت بـ (مارد) ، حصن دومة الجندل ، وبالأبلى ، حصن تيماء ، قالت تمرد مارد وعز الأبلى ، فذهبت مثلاً^٢ .

ولم ييخل الأخباريون على الزباء ، فنحوها آياتاً زعموا انها قالتها ، وجعلوها أدبية في العربية بليغة الى اعلى درجات البلاغة . لها حكم وامثال بهذه العربية ، عربية القرآن الكريم . ولا غرابة في ذلك ، فالذي ينسب شعراً عربياً الى آدم وابليس ويرويه مشكلاً مضبوطاً على وفق قواعد النحو والصرف ، لا يعجز عن رواية شعر ينسب الى (عمرو بن الظرب) والى ابنته الزباء .

وذكر ان معاوية ذكر في أحد مجالسه (الزباء) وابنة (عفزر) ، فقال : « اني لأحب ان أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك يا امير المؤمنين ؟ فقال : بلى ، فقال : إن ماوية بنت عفزر ، كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت^٣ . »

١ الشعر والشعراء (١١٢ وما بعدها) ، (عدي بن زيد العبادي) ، وفي الكتب الاخرى اختلاف في الالفاظ والعبارات ، مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٢ مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٣ البيان والتبيين (٩/٣) ،

ويذكر اهل الأخبار ان (ابنة عفزر) قينة كانت في الدهر الأول، لا تدوم على عهد ، فصارت مثلاً . وقيل : قينة كانت في الحيرة ، وكان وفدُ النعمان اذا اتوه لها بها . وذكر ان (عفزر) اسم اعجمي ، ولذلك لم يصرفه (امرؤ القيس) في قوله :

أشميمُ بروق المزنِ أين مصائبُهُ ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا^١

ولم تشأ الكتابات التدمرية الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها على هذه الصورة : (بت زباي) اي (بنت زباي)^٢ . و (زباي) هو اسم والد الملكة ، حذفت كلمة (بت) وهي (بنت) في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الباء من كلمة (زباي) وصيّر همزة ، فصار (زباء) ، وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم (الزباء) .

وقد ذكر المؤرخ (فلافيوس فوبسكوس) (Flavius Vopiscus) ان والد (الزباء) رجل من تدمر اسمه (اخليو) (Achilleo)^٣ ، و (Achilleo) هو (انطيوخس) (Antiochus) في رواية اخرى^٤ .

وقد أننى عليها المؤرخ (تريبيليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ووصفها وصفاً جميلاً ، وأشار الى مقدرتها وقابليتها ، وذكر انها كانت تتكلم اليونانية وتحسن (اللاتينية) ، وتتنقن اللغة المصرية وتتحدث بها بكلطلاقة ، وتهتم بشؤون المملكة ، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها ، الى غير ذلك من كلام فيه ثناء واطراء على هذه الملكة^٥ .

وقد بلغتنا روايات تفيد ان الملكة ادعت انها من مصر ، من سلالات الملوك وانها من صلب الملكة الشهيرة (قليبطة)^٦ (كليوبطرة) (Cleopatra) ، وانها كانت نفسها تتكلم المصرية بطلاقة ، وانها ألقت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت

١ اللسان (٥٩١/٤) .

٢ المشرق ، السنة الاولى ، (١٨٩٨ م) ، آب ، الجزء ١٥ ، (ص ٦٩٣) .

٣ Flavius Vopiscus Aur., 31, Oberdick, S., 143.

٤ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 143.

٥ Trebellius Pollio : Hist. August., P. 192, 199, XXX, Tyrannl., C., 14.

٦ مروج (٢٥٩/١) (طبعة دار الرجاء) ، (٢٥٩/١) ، Oberdick, S., 47, Gibbon, I, P. 202.

فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية ولا سيما تأريخ مصر^١ ، وأنها استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها ، مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) (Cassius Longinus) (٢٢٠ - ٢٧٣ م) بعد الميلاد . وكان فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة ومن أصدقاء الفيلسوف (فرفوريس) (Phorphyrios) ، استقدمته الملكة الى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها ، فأخلص لها في مشورته، فكان ذلك سبباً في قتله . فقتله القيصر (أوريليانوس) (Aurelianus) ، لاتهامه انه كان يحرض الملكة على الرومان^٢ .

ومثل الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) ، و (لوبوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف ، و (بوسانياس) الدمشقي المؤرخ ، و (نيوكوماخس) (Nicomachus) من زمرة الكتاب المؤرخين، المتضلعين بالإغريقية، ومن الفلاسفة ، وقد تولى الكتابة باللغة الإغريقية ، وصار من مستشاريها كذلك^٣ . ولذلك أمر به القيصر (أورليانوس) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص، في الوقت الذي حوكت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) ، الذي قطع رأسه بعد ان مثل به^٤ . وفي حشد هذا النوع من الرجال دلالة على ميول الملكة الفلسفية الأدبية وثقافتها العالية ولا شك .

وملكة شأنها هذا ، لا بد ان تكون حرة الفكر، متساهلة مع اصحاب العقائد والآراء . وهذا ما كان . ففي مدينة (تدمر) الوثنية عاشت جالية كبيرة من اليهود تمتعت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التي كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت الى المدينة مهاجرة من فلسطين خاصة بعد خراب القدس على ايدي القيصر (طيطوس) (تيتوس) (Titus) في سنة (٧٠) بعد الميلاد^٥ . فاشتغلت فيها بالتجارة ، فحصلت على ارباح طائلة جداً ، وصار لها في المدينة اسم وشأن حتى ان مجلس المدينة والشعب اقام تمثالاً في سنة (٥٦٩)

1 Oberdick, S., 47, Vaughan, P. 79.

2 فقدت مؤلفات هذا الفيلسوف ولم يبق منها غير : (Le Sublime) أي كتاب الايغال ، المشرق، السنة الاولى الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢١)، Hervey, P. 245.

3 المشرق ، الجزء نفسه (٩٢١) ، Vaughan, P. 192.

4 Vaughan, P. 192.

5 المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٢٤) .

السلوقية المقابلة لسنة (٢٥٧) الميلادية ليهودي يدعى (يوليوس أورليوس شلميط)
(Julius Aurelius Schalmath) قائد القافلة ، لأنه ترأس القافلة ، وأنفق عليها
من ماله^١ .

وقد بالغ بعض المؤرخين في عدد اليهود الذين كانوا في (تدمر) أيام حكم الزباء
فزعم انه بلغ نصف عدد سكان المدينة ، وهو زعم يحتاج الى اثبات . وزعم
القديس (أثناسيوس) (St. Athanasius) ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية^٢
ولكنها مع تهودها لم تهب أبناء دينها الكنائس لتكون لهم مجامع ومحافل^٣ . وذهب
الى هذا الرأي المؤرخ (فوتيوس) (Photius)^٤ . وذكر (فيلاستريوس)
(Philastrius) ان الذي هوّد الملكة هو (بولس السميساطي) (Paulus Samosati)^٥
وهو أسقف كان مقرباً الى الزباء ، وله منزلة عالية لديها . ونسبت اليه آراء في
المسيح وفي بعض الأمور الدينية الأخرى دعت الى محاكمته في مجمع (انطاكية)
الذي انعقد في سنة (٢٦٤) للميلاد ، فوجد المجمع ان تعاليمه تشبه تعاليم
(أرتاماس) (أرتامون) الذي حكم عليه قبلاً ، فحرموا آراءه كذلك ، ثم
حكم عليه في (انطاكية) سنة (٢٦٩) بعزله عن الأسقفية ، ولم تتدخل (الزباء)
في القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة تجاه بولس ، كما انها لم تنفذ قراراتهم
بحقه ، بل أبقته في مركزه وتركته على ما كان عليه^٦ .

ويرى بعض المؤرخين أن خبر تهود الملكة خبر مختلق ، وضعه آباء الكنيسة
للإساءة الى سمعة (بولس السميساطي) والظعن فيه والخط من تعاليمه وللتأثير في
نفوس أتباعه^٧ . وقد لاقى (بولس) من خصومه عنتاً شديداً . ولا يعقل بالطبع
أن يعتمد رجل كنيسة الى تهويد شخص مهما كان مذهبه ورأيه في طبيعة المسيح

١ Oberdick, S., 65, Corpus, Insc. Grea., III, NR. 4486, Levy: Palmyr. Inscr. in ZDMG., VII, 1864, S. 88.

٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ ، (١٨٩٨ م) (ص ٩٢٤) ،
Oberdick, S., 71, Milman: History of the Jews, III, P. 175.

٣ المشرق ، الجزء ٢١ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٩٥) .

٤ Oberdick, S., 71, G. Moss: Jews and Judaism in Palmyra, in : Palestine
Exploration Fund Quarterly, Vol., 60, 1928, 100-107.

٥ المصدر نفسه .

٦ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢١ ، ١٨٩٨ م (ص ٩٩١ وما بعدها) .
Oberdick, S., 72.

واللاهوت ، بل المعقول أن يعمد للتأثير فيه وادخاله الى مذهبه . ولدينا خبر آخر أراه من جنس خبر (فيلاستريوس) ذكره (تيودوريت) (Theodoret) ، خلاصته : أن الأسقف (بولس) أخذ رأيه في (الثالث) من آراء الملكة المتأثرة باليهودية ، وأنه كان قد تأثر بالمرأة حتى سقط الى الحضيض^١ . ولا يخفى ما في هذا الخبر من طعن في عقيدة الرجل الذي أبدى رأياً في (الثالث) سبب غضب الآباء عليه .

ولم نجد في الآثار اليهودية التي بين أيدينا ما يفيد تهود (الزباء) ، نعم ورد في التلمود خبر يفيد حماية (الزباء) للأخبار^٢ ، غير أنه وردت أخبار أخرى تفيد أن اليهود كانوا ناقلين على (تدمر) حاقلين عليها يرجون من الله أن يطيل في عمرهم لسيروا نهايتها . هذا الخبر الكبير (يوحانان) (يوخانان) (Johanan) (Jochanan) رئيس (أكاديمية) (طبرية) والمعاصر لأذينة والزباء ، يقول : (مخلد وسعيد من يدرك نهاية أيام تدمر) . ولو كانت الملكة على دين يهود ، لما صدرت هذه الجملة من فم ذلك الحبر ولا شك . وفهم من بعض الروايات المروية عن فقهاء اليهود وأخبارهم في فلسطين في ذلك العهد ، أن الملكة اضطهدت اليهود وعذبتهم . وهي روايات لا يمكن التسليم بصحتها أيضاً ، ويجوز أنها ظهرت على أثر توسع الملكة في الأرضين التي كانت تحت سيطرة الرومان ومنها (اليهودية) غير أن هذا الاستيلاء لم يكن أمده طويلاً^٣ .

ووردت روايات أخرى تشير الى كراهية يهود منطقة الفرات لتدمر ، ورد ان الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تحدث عن تدمر ، فقال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، انه عيد هلاك ترمود (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت تمود (Tamud) . وقد هلكت » . وورد ان الحبر (آشة) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انها شيثان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الثاني مقامه »

Oberdick, S., 73.

Talmud Jeru. Ter., VIII, 46b, Ency. Brita., 23, P. 945.

Simon Dubnow: Weltgeschichte des jüdischen Volkes, III, S., 179, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 10, P. 639, Graetz: History of the Jews,

Vol., 2, PP. 528, 1927, Yer. Taan., VIII, 465.

ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)^١ . وقد اشترك عدد كبير من اليهود في صفوف أعداء الزباء ، واشتركوا مع الفرس في حروبهم مع تدمر كما اشتركوا مع الرومان . وقبض على عدد من الأحبار أحضروا الى الملكة كانوا يحرضون الناس على التدمرين^٢ .

أما (تمود) ، الذين هلكوا قبل هلاك (ترمود) ، فهم قوم ثمود . ويظهر أنهم حلت بهم نكبة أدت الى هلاكهم حتى صار هلاكهم مضرب الأمثال . ولم يشر الى زمن حلول تلك النكبة . ولكن ذلك كان قبل سقوط (تدمر) في أيدي الرومان على كل حال ، كما يفهم من كلام الخبر (يهودا) المتوفى سنة (٢٥٧) للميلاد^٣ .

أما أسباب هذا البغض ، فلم تذكر . ويظهر ان هنالك جملة عوامل دعت الى ظهوره ، منها آراء الملكة الفلسفية وآراء الفلاسفة والكتّاب الذين كانوا يحيطون بها ، وكانوا يبشونها في تدمر وفي البقاع التي استولى عليها التدمريون ، فنفتت نفاقاً كبيراً بين يهود (تدمر) ويهود (الكالوتات) على نهر الفرات ، فأثارت هذه الآراء (الاحادية) عند اليهود حقد الأحبار والمتدينين . ومنها الزواج المختلط الذي انتشر في تدمر بين اليهود وغير اليهود ، ونشوء جيل جديد من هذا الزواج أضاع الدين وتقاليد الإسرائيليين . وهو أمر نهى عنه اليهود . ومنها الحالة السياسية التي نشأت من أسر الفرس للقيصر (والريانوس) ، وهجوم أذينة على الفرس وما أعقب ذلك من حروب ألحقت ضرراً كبيراً بالجاليات اليهودية الكبيرة التي كانت تسكن شواطئ الفرات ، ومعظمها من التجار الذين كانوا يتاجرون مع الفرس والروم ، وبين العراق وديار الشام ، فأصبحت هذه (الكالوتات) اليهودية التي كانت تتمتع بشبه استقلال بأضرار كبيرة ، وفقدت استقلالها خلال مدة استيلاء التدمريين على شواطئ الفرات . فلهذه الأسباب كانت نقمة اليهود على التدمريين^٤ .

Oberdick, S., 80, Jebam 17b. ١

ذكر (Oberdick) أمثلة عديدة على ذلك في (ص ٨٠) وما بعدها من كتابه . راجع أيضاً : ٢

Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336, Levy, in ZDMG., XVIII, S., 97.

Jost: Geschichte des Judenthums und seiner Sekten, II, S., 156.

Oberdick, S., 79. ٣

Jost: Geschichte der Juden, 4, 14, 7, Oberdick, S., 78. ٤

وحرص بعض المؤرخين على ادخال الملكة في زمرة النصارى فزعموا انها كانت على دين المسيح . وتساهل آخرون بعض التساهل فقالوا انها لم تكن نصرانية أصيلة ولكنها كانت قريبة منها ميالة اليها ، وجحد حجج من قال بتهود الملكة وسخفها . وتوسط آخرون فقالوا انها لم تكن يهودية محضة ، ولا نصرانية خالصة ، إنما كان دينها وسطاً بين الدينين : كانت تعتقد بوجود الله ، وترى التوحيد، ولكنها لم تكن على اليهودية وعلى النصرانية ، بل رأت الخالق كما يراه الفيلسوف^١ .

وللمؤرخين آراء في أصل (الزباء) ونسبها وأسرتها ، فمنهم من ذهب الى أنها مصرية ، ومنهم من ذهب الى أنها من العماليق ومن هؤلاء المؤرخ (آيشهورن) (Eichhorn)^٢ . وقد أخذ هؤلاء آراءهم من الكتب العربية على ما يظهر . وذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz) (Grätz) الى أنها (ادومية) من نسل (هيرودس) وانها يهودية الدين^٣ . ورأى (رايت) (Wright) و(أوبردك) (Oberdick) وآخرون انها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم . والذي عليه أكثرهم أنها عربية الأصل^٤ .

وقد ذكر (المسعودي) ان بعض المؤرخين كانوا يزعمون انها (رومية) تتكلم العربية^٥ .

أظهرت (الزباء) مقدرة فائقة في ادارة شؤون الملك ، فخاف منها الرومان ، وعزم (غاليانوس) بتحريض من شيوخ (رومة) على القضاء عليها قبل استفحال أمرها ، فأرسل جيشاً الى الشرق تظاهر انه يريد من ارساله محاربة (سابور) غير انه كان يريد في الواقع مهاجمة تدمر واخضاع الملكة . فبلغ خبره مسامع (الزباء) فاستعدت لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلاً بكتائب الرومان، وانتصرت عليها انتصاراً باهراً ، وولت هاربة تاركة قائدها (هرقليانوس) (Heraclianus) قتيلاً في ساحة الحرب^٦ .

Oberdick, S., 72, 73.

Eichhorn, Fundgr. des Orients, II, S., 365, Oberdick, S., 47.

Graetz, Geschichte der Juden, IV, S., 335.

Wright, P. 131, Oberdick, S., 47.

مروج (١ : ٢٥٩) .

المشرق ، السنة الاولى ، ايلول ١٨٩٨ م ، ١٨ (ص ٨٢٤ وما بعدها) ،
Zosimus, I, 40, Oberdick, S., 43, Trebellius Pollio, Gall. 31, Trig. Tyr., 29, Hist.

August., P. 180, 181, Gibbon, I, P. 263.

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بتقوية حدود مملكتها ، فأمرت بإنشاء حصن (زنوبيا) (Zenobia) على نهر الفرات ، ليقف أمام الهجمات التي قد يوجهها الساسانيون عليها من الشرق^١ . ويقول (بروكوبيوس) انه سمي بهذا الاسم نسبة الى الملكة مؤسسته^٢ .

وقد اتبعت (الزباء) بعد مقتل زوجها سياسة عربية ، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد اليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب . وذلك بعد أن رأت ان الرومان هم أعداء تدمر ، وانهم لا يفكرون الا في مصالح الرومان الخاصة . وبهذه السياسة تقربت أيضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها ، وخاصة بعد أن أدركت ان الأعراب قوة لا يستهان بها ، وانهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً ، صاروا قوة بحسب لها كل حساب ، فأخذت تعمل لتكوين هذه القوة ، ولكن الرومان كانوا أسرع منها ، ففقدوا على مآربها قبل أن تتحقق ، فاستولوا على تدمر وأزالوا مملكة ملكة الشرق^٣ .

وجهت (الزباء) أنظارها الى مصر ، ووضعت الخطط للاستيلاء على هذا القطر ، بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه بإعلانها انها مصرية وانها من نسل الملكة (كليوبطرة) (قبطرة) فلها إذن فيه ما يسمح لها بالتدخل في شؤونه ، وأخذت تترقب الفرص وتتحين الأسباب ، فلما قتل القيصر (غاليانوس) سنة (٢٦٨) للميلاد ، وانتقل الحكم الى (أوريليوس فلوديوس) (Marcus Aurelius Claudius) (٢٦٨ - ٢٧٠ م) ، وجدت الجو صالحاً للتدخل ، كان الألمان (Alemannen) قد هاجموا حدود الإمبراطورية في مطلع هذا العام ، وكان (الغوط) (القوط) (Gothen) (Goths) قد أربكوا الدولة . وكان أثر الخسارة التي لحقتها الملكة في الجيش الروماني ، ومقتل (هرقليانوس) بالغاً في نفوس الرومان ، يتجلى في صياح أعضاء مجلس الشيوخ بصوت واحد سبع مرات في أثناء مبايعة القيصر الجديد : (ياقلوديوس أغسطس نجّنا من فكتوريا ومن زنوبيا ، ياقلوديوس

Oberdick, S., 43. ١

Procopius, History of the Wars, II, V, IV-VI, P. 295. ٢

Die Araber, II, S., 270, VI, S., 270. ٣

أغسطس أغثنا من التدمريين ^١ . وفي الرسالة المؤثرة التي وجهها القيصر الى مجلس الشيوخ ومدينة (رومة) وهو في طريقه لتأديب المهاجرين ، وفيها (ان جيبي ليندى خجلاً كلما تذكرت أن جميع الرماة بالقسي هم في خدمة زنوبية) ^٢ . فانتهزت الملكة هذه الفرصة المؤاتية وأرسلت جيشها لاحتلال مصر .

كان القيصر قد أمر عامله على مصر المدعو (بروبوس) (Probus) بالخروج على رأس اسطول الاسكندرية الى عرض البحر : لمطاردة (الغوط) (القوط) (Goths) ولمنعهم من الهرب عبر المضائق ، فخرج على رأس قوة كبيرة من الرومان لمطاردتهم ، فانتهز الوطنيون والمعارضون لحكم الرومان - وعلى رأسهم (تياجينيس) (Timagenes) ، وهو رجل يوناني الأصل مبغض للرومان - هذه الفرصة ، فكتبوا الى الملكة يحضونها على تحرير مصر من حكم (رومة) وتولى الحكم فيها . وأظهر (فيرموس) (Firmus) ، وهو رجل ثري جداً ، استعداداه لمساعدة الملكة بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت الاستيلاء على مصر . فأمرت (الزباء) قائدها (زبدا) بقصد مصر على رأس جيش قوامه سبعون ألف رجل . وقد قاتل الجيش الروماني الذي كان مؤلفاً من خمسين ألف مقاتل وتغلب عليه ، ثم قرر العودة الى تدمر تاركاً في مصر حامية صغيرة من خمسة آلاف رجل ، ويظهر انه تركها تحت إمرة (تياجينيس) الذي عين نائباً عن الملكة على مصر . فلما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان ، أسرع عائداً الى مصر ، فألف جيشاً من المصريين الموالين للرومان ، وزحف على الاسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين ، وأعمل فيهم السيف . فلما سمعت (الزباء) بذلك ، أمرت قائدها بالعودة ثانية الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أي (القسطنطينية) ، وكتب النصر لجيش الملكة في مصر ^٣ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٥) ،

Oberdick, 53, Trebellius Pollius, Claud., 4, Triq. Tyr., Vaughan, P. 83.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٦) ،

Oberdick, S., 54, Trebellius Pollius, Claud., 7.

٣ (بروباتوس) ، المشرق ، السنة الاولى ، أيلول ١٨٩٨ م ، الجزء ١٨ (ص ٨٢٦)،

Zosimus, I, 39, 44, Hist. August., P. 198, (Pollius, XXX, Tyrani, G. 29), Oberdick, S., 54, Vaughan, P. 84, 122, 130.

وقد ساعد عرب مصر من سكان الأقسام الشرقية من مصر ، جيش تدمر مساعدة كبيرة ، ولا سيما فيما جرى من قتال حول حصن (بابلون) (Babylon) الذي عرف بـ (القساط) فيما بعد . ويظن بعض الباحثين أن (تياجيس) (Timagenes) الذي وصفه المؤرخ (زوسيموس) (Zosimos) (Zosimus) بأنه مصري ، كان في الحقيقة عربياً ، واسمه عربي أخذ من (تيم اللات) ، أو من (تيم جن) ^١ . وكان من المبغضين للرومان .

ولم تتحدث الموارد التاريخية عن الحوادث التي جرت في مصر بعد هذا النصر ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذي وقع في منطقة خطيرة من مناطق الانبراطورية . ويظهر أن الملكة تراضت مع (رومة) وعقدت اتفاقية معها، وافقت (رومة) فيها على بقاء جيوش تدمر في مصر، مع اعتراف (تدمر) بسيادة الرومان على وادي النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية في أواخر أيام حكم (قلوديوس) . كما يتبين ذلك من خبر ذكره (تريبيوس بوليو) (Trebellius Pollio) مآله حلف المصريين بيمين الولاء والانخلاص للقيصر . وقد دام هذا الاتفاق في أوائل سني حكم القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) (٢٧٠ - ٢٧٥ م) أيضاً كالذي يتبين من نقد ضرب في الإسكندرية في سني (٢٧٠) و (٢٧١) للميلاد، وقد ضربت على أحد وجهي النقد صورة مزدوجة لوجه القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) حاملاً لقب (أغسطس) (Augustus) مع وجه (وهبلات)، وقد نعت بـ: (Vir Consularis Romanorum Imperator Dux Romanorum) ويشير إلى اللقب الذي تلقب به أيام حكمه . وأما ازدواج صورة القيصر مع صورة (وهبلات) ، فيشير إلى الحكم المزدوج على مصر ^٢ .

ولم يدم هذا الاتفاق بين الرومان وبين الملكة طويلاً ، فقد ضغط سادات

Die Araber, II, S., 272, G. Ryckmans: Les Noms Propres sud-sémitiques, 62, ١
H. Wuthnow: Die Semitischen Menschnennamen in griech. Inschriften und Papyri, 1930, 39.

Mattingly-Sydenham, V, I, 308, No : 381, H. Mattingly, in CAH, 12, 301, ٢
Ency. Brita., 17, P. 163, Oberdick, S., 61, Wright, P. 137, Die Araber, II, S., 254.

(رومة) على الإمبراطور بأن ينقذ الامبراطورية مما حاق بها من تصدع في أوروبا وفي الشرق . وفي جملة هذا التصدع ظهور ملكة (تدمر) وأطامعها في مصر وفي الأرضين الأخرى من بلاد الشام وآسية الصغرى . واضطر القيصر (أوريليانوس) بعد الانتهاء من فتنة (رومة) ومن تأديب الجرمان الى التدخل والعمل للقضاء على عصيان العصاة وطمع الطامعين . وبلغ سمع الملكة من أصدقائها ومخبريها في (رومة) عزمُ الإمبراطور على القضاء عليها ، فقررت القيام بعمل سريع قبل مباغطة القيصر لها ، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومان في أيام (قلوديوس) ، وأمرت بمحو صورة (ارريليانوس) من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر ، وعدم اعترافها بسيادة (رومة) الاسمية عليها ، وأمرت بضرب صورة (وهيلات) وحده ، مع اللقب (الإمبراطوري) المخصص بقياصرة (رومة) وذلك في السنة الخامسة من حكمه . وقد تلقت الزباء نفسها بهذا اللقب في النقود التي ضربت باسمها في الخارج . أما نقود (تدمر) ، فقد لقت فيها بلقب (ملكة)^١ ، ولقت في مصر هي وابنها بلقب (أغسطس) . وهو لقب القيصر (أوريليانوس). وفي هذا التحدي الصريح ، دليل واضح على ما حدث من نزاع شديد في العلاقات السياسية بين تدمر ورومة^٢ .

وتفاوضت الملكة (الزباء) على رواية مع الملكة (فيكتوريا) (فيكتورية) (Victoria) عاهلة لإقليم (الغال) ، لتوحيد الخطط في مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير الى (بيتينية) (Bithynia) فاستولت عليها ، وظلت تتقدم دون ملافاة معارضة تذكر حتى بلغت (خلقيدون) بازاء (القسطنطينية)^٣ . ويقال ان الملكة كانت قد أمرت بصنع عجلة فاخرة للدخول بها في موكب الظفر الى عاصمة الرومان^٤ .

واضطرت الملكة لتنفيذ خطتها هذه الى سحب القسم الأعظم من جيشها المعسكر في مصر معتمدة على دفاع المصريين انفسهم اذا هجم عليهم الرومان . فانتهاز

١ Cooke, NSI, No : 131, Wadd., 2628.

٢ Ency. Brita., 17, P. 163.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٣) ،

Oberdick, S., 84, Vaughan, P. 117, 130, 133.

٤ Oberdick, S., 83.

(أوريليانوس) هذه الفرصة فأرسل مدداً الى (برويس) ، وكان القائد (زبدا) قد وصل الى مصر لمساعدة (فيرموس) نائب الملكة على صد الرومان . فوقعت معارك بين الفريقين كاد يكون النصر فيها للتدمريين لولا استمالة (برويس) جماعة من المصريين ، فأزروه ودحروا جيش (زبدا) في سنة (٢٧١) للميلاد . واضطر التدمريون الى ترك مصر الى أعدائهم ، فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزباء^١ . ومنذ (٢٩) أغسطس من سنة (٢٧١ م) انقطع في الاسكندرية ضرب النقود التي تحمل صورة الزباء ووهلات^٢ .

ولا نعرف اليوم شيئاً من الموارد التاريخية عن الأثر الذي تركه انتصار (برويس) في مصر على التدمريين . ولكننا نستطيع أن نقول انه وقع وقعاً عظيماً على الملكة (الزباء) . فخسارة مصر على هذه الصورة ، كانت خسارة كبيرة عليها ، ولا بد أن تكون قد أثرت فيها ، فقد مكنت الرومان من القضاء على سلطان الملكة في تلك البقعة المهمة وجعلت في امكانهم تهديدها من الجنوب ، كما ان توقف جيشها عند (خلقيدون) ، وعدم تمكنها من الاستيلاء على (نيقية) وتوقف خططها العسكرية الهجومية ، ثم اتخاذها خطة الدفاع ثم التراجع ومحبي (أوريليانوس) بقوات كبيرة نحو الشرق ، كل ذلك قد يكون نتيجة من نتائج هذا الاندحار الذي مني به جيش الملكة وأحزابها الموالية لها بمصر ، فأضعف معنويات التدمريين ومن كان يواليهم وشدة من أزر الرومان ومن كان يناصرهم .

قاوم أهل (خلقيدون) التدمريين ، وأبوا التسليم لهم ، وأرسلوا الى القيصر لينجدهم ، ويظهر ان الملكة عرفت جراحة وضعها العسكري ، وعدم استطاعتها التقدم ، فقررت التراجع الى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها اذا هاجمها الرومان . وقد هاجمها الرومان فعلاً ، اذ عبر القيصر مضيق (البسفور) وفاجأ التدمريين في (بيشنية) في أواخر سنة (٢٧١ م) أو أوائل السنة التالية ، وأجلاهم عنها ، ثم سار الى (غلاطية) (Galatia) و (قفادوقية) (Cappadocia) حتى بلغ (أنقرة) (Ancyra) ، فسلمت له . وأخذ الرومان يتقدمون بسرعة الى بلاد الشام^٣ .

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٤) .

٢ Oberdick, S., 84.

٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٤) ، Oberdick, S., 87.

أفزع تقدم الرومان السريع الزباء ورجالها ولا شك ، وأخذت المدن التي كانت تساندها تشك في تمكن الملكة من الدفاع عن نفسها ، وشاعت بين الناس قصص عن نهاية تدمير وخرابها بأيدي الرومان وعن سقوطها لا محالة ، أثبتت مع وصول أنباء اعتزام القيصر القضاء على حكم الملكة واخضاع (تدمر) لحكم الرومان . ومن يدري ؟ فلعل الرومان وأنصارهم وأعوانهم وجواسيسهم هم الذين صنعوها وأذاعوها بين الناس لإمالة همة جيش الملكة وأعوانها ، والإيحاء اليه انه مغلوب لا محالة وان ارادة الآلهة قد قضت بذلك ولا راد لها . فكان من بين ما أشيع ان معبد (الزهرة) في (أفقة) (Aphaca) أنبا الحجاج التدمريين الذين حجوا قبل سنة من سقوط مدينتهم ، يستفتون (الزهرة) فيما سيحل بهم في السنة المقبلة بمصير سيء سيلحق بتدمر ، وان كارثة ستترل بهم ، أنبأهم بذلك على عادة المعبد في موسم الحج الذي يلي الموسم الذي سئل فيه السؤال^١ .

وكان من بين ما أشيع تخريصات زعم أنها صدرت من معبد (أبولو) (Apollo) تنبئ بزوال دولة التدمريين ومشية الآلهة بانتصار (أورليانوس) على الزباء ، وتخريصات تزعم أن الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تنبأ بها عن تدمر ، إذ كان قد قال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، إنه عيد هلال (ترمود) (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت (تمود) (Tamud) وقد هلكت » . وورد ان الحبر (أشه) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انها شيثان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الآخر مقامه » . ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)^٢ .

الى غير ذلك من تخريصات أوجت بها دعاية الرومان ، وأعداء الملكة من يهود ومن قوميات أخرى قهرتها (الزباء) فأذاعتها بين الناس ، لافهامهم أن من العبث مقاومة القيصر وجنوده ، وان من الخير ترك المقاومة والاستسلام ، وأن اليوم الذي ستحرر فيه تلك الشعوب من حكم الملكة آت قريب ، لأن ارادة الآلهة قضت ان يكون ذلك ، ولا راد لأمر الآلهة : نعم ، لم تصدق الملكة العاقلة

Zosimus, I, 54, 57, 58.

Oberdick, S., 80, Jebam, 17b.

الحكيمة بهذه الخرافات ، فحاربت . ولكن عقول العامة لم تكن على شاكلة عقل الملكة ، لقد أثرت فيها هذه الدعاية ، وقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها ، وما زال من طرازهم خلق كثير في القرن العشرين الميلادي هذا .

تهيأت الملكة (الزباء) للملاقاة (أورليانوس) عند مدينة (أنطاكية) (Antiochia) ، وكانت هي على رأس الجيش فارسة تحارب في الطليعة . أما القيادة ، فكانت لقائدها (زبدا) . وفي الوقعة الأولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية فشتوا شملها ، فأمر القيصر جنوده بالرجوع الى مسافات بعيدة ، ليوهم التدمريين أنه قد فرّ، فإذا ساروا في أثرهم وابتعدوا عن قواعدهم باغتهم بالهجوم ، فلا يتمكن فرسان تدمر من الهزيمة لثقل أسلحة الفرسان ومعداتهم وبطء خيلهم بالقياس الى خيل الرومان . وهو ما حدث . فقد خدع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة ، فتعقبوهم الى مسافات بعيدة ، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين ، وأطبقوا عليهم ، وأعملوا فيهم السيوف وانهزموا هزيمة منكرة الى مدينة (انطاكية) . وفي هذه المدينة قرّر رأي الملكة على ترك أنطاكية والارتحال عنها بسرعة لأسباب ، منها وجود جالية يونانية كبيرة فيها كانت تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين عليهم ، وقد كان لها النفوذ والكلمة في المدينة . ومنها نفرة النصارى من الملكة بسبب موقفها من (بولس السميساطي) الذي قرر مجمع (انطاكية) عزله من وظيفته ، فلم تنفذ الملكة قرار المجمع ، وتركته يتصرف في أموال الكنيسة، ولم تكتف بذلك بل عينته (Procurator Decenarius) على المدينة ، أي انها جعلته الرئيس الروحي والديني على الانطساكيين . أضف الى ذلك كره اليهود الذين في المدينة للتدمريين . وقد نفذت الملكة هذا القرار في اليوم الذي دخلت فيه جيوشها المدينة ، فأمرت قائدها بتركها والسير الى (حصص) فوراً . وفي اليوم الثاني دخل (أورليانوس) تلك المدينة وأعطاهما الأمان^١ .

وتعقب القيصر أثر الملكة ففتح جملة مدن حتى بلغ (حصص) (Emisa) ، وهناك وجدها على رأس جيش قوامه سبعون ألفاً في مفازة عريضة تقع شمالي المدينة.

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٥) ،
Oberdick, S., 92, Ritter, Erdkunde, 17, 2, S., 1160, 8, Zosimus, I, II; 50; 51;
PP. 44.

فاشتبك الرومان والتدمريون في معركة حامية ربح فيها التدمريون الجولة الأولى ، فولى الرومان مدبرين مذعورين تفتك فيهم سيوف تدمر . غير ان القيصر حزم رأيه ، وأدرك وجود ضعف في خطة قتال الملكة ، سببه ابتعاد فرسان تدمر عن مشاتهم في أثناء تعقب فرسان الروم ، فأمر جنوده بالهجوم على مشاة التدمريين ، ولم يكونوا في التدريب والقابلية مثل مشاة الرومان ، فزقوا مشاة الملكة كل ممزق وحلت هزيمة منكرة عامة بجيش الزباء اضطرتها الى ترك (حمص) وتفضيل الرجوع الى عاصمتها تدمر للدفاع عنها ، فلعل البادية تعصمها منه وتمنعه من الوصول اليها. ودخل القيصر مدينة (حمص) ، فتوجه بالشكر والحمد الى -إله (حمص) (الشمس) قاطعاً على نفسه عهداً ان يوسع المعبد ويجمّله ويزينه أحسن زينة، مقدماً له ندوراً هي أكثر ما غنمه من الغنائم من التدمريين^١ .

أدرك القيصر ان النصر الحقيقي لن يتم له الا بالقبض على (الزباء) وفتح (تدمر) ، وانه لن يدرك هذا الا اذا سار هو بنفسه على رأس جيشه لفتح تلك المدينة . لذلك قرر الزحف اليها بكل سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس وبالقبائل العربية الضاربة في البادية ، فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها . فسار مسرعاً حتى بلغ المدينة برغم الصعوبات والمشقات التي جابهت الكتائب (اللجيونات) الرومانية في أثناء قطعها الصحراء ، وألقى الحصار على (تدمر) القلعة الصحراوية الحصينة ، غير ان المدافعين عنها قابلوه بشدة وصرامة برمي الحجارة والسهام والنيران على جيشه وبالشتائم والسخرية والهزء ترسل اليه من أعالي السور . ويظهر ان (رومة) سمعت بذلك فسخرت من عجز القيصر عن احتلال مدينة صحراوية ، ومن التغلب على امرأة ، فساء (أورليانوس) ذلك كثيراً ، فكتب الى مجلس الشيوخ يقول : « قد يستضحك مني بعض الناس لمحاربتني امرأة فاعلموا ان الزباء (Zenobia) اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال »^٢ . وبعثت سخرية أهل تدمر وهزؤ أهل (رومة) منه في القيصر عزماً جديداً على فتح المدينة ودكها دكاً مهما كلفه الأمر ، ليمحو عنه هذه الوصمة

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) ،

Oberdick, S., 102, Zosimus, I, 53, Flav. Vop. Aur., 25, Gibbon, I, P. 256.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،

Oberdick, S., 108, Flav. Vospicus Aur., 26-27, Hist. August., P. 218, Wright, P. 167, Gibbon, I, P. 266.

المخجلة التي لحقت به . فكاتب الملكة طالباً منها التسليم والخضوع للرومان لتنال السلامة وتستحق العفو ، فيسمح لها بالاقامة مع أسرتها في مدينة يعينها مجلس الشيوخ لها . أما جواب الملكة ، فكان : « ان ما التمسته مني في كتابك لم يتجاسر أحد من قبلك أن يطلبه مني برسالة . أنسيت ان الغلبة بالشجاعة ، لا بتسويد الصفحات . إنك تريد أن أستسلم لك . أتجهل أن كليوبتره (كليوبطرة) قد آثرت الموت على حياة سبقها عار الدبرة . فها أنا ذي منتظرة عضد الفرس والأرمن والعرب (Saracens) لفل شبائك وكسر شوكتك . وإذا كان لصوص الشام قد تغلبوا عليك وهم منفردون ، فما يكون حالك إذا اجتمعتُ بحلفائي على مقاتلتك . لا شك أنك ستذل وتخنق لي فتجرد نفسك من كبريائها التي حملتك على طلب المحال كأنك مظفر منصور في كل أين وآن »^١ .

لم ينجد الفرس ملكة الشرق ، ولم يرسلوا اليها مدداً ما . فقد كانوا هم أنفسهم في شغل شاغل عنها . توفي (سابور) الأول في عام (٢٧١) للميلاد ، فتولى (هرمز) (Ormidus) الملك من بعده ، وكان رجلاً ضعيفاً خائراً القوي ، فعزل بعد سنة قضاها ملكاً . وظهرت فن داخلية بسبب ذلك لم تسمح للفرس وهم في هذه الحال أن يرسلوا قوة لمساعدة ملكة البادية عدوة (أورليانوس) قيصر الروم . وأما القبائل ، فأمرها معروف ، لأنها مع القوي ما دام قوياً ، فإذا ظهرت عليه علائم الضعف ، صارت مع غيره . تحرش قسم منها بجيوش الرومان المحاصرة للمدينة وهاجمتها ، غير أنها منيت بخسائر فادحة ، فتركت التحرش بالمحاصرين . ورأى قسم منها الاتفاق مع القيصر ، ففي الاتفاق الربح والسلامة . وما الذي يجنيه سادات القبائل من ملكة محاصرة ، لم يبق من ملكها غير مدينة في بادية وثروة سيستولي عليها الرومان . وإن بقيت لها فلن يصيبها منها ما يصيبهم من القيصر من مال كثير . ومن لقب وجاء يأتهم من حاكم مدني قوي . وقد عرف القيصر فيهم هذه الخصلة فاشترى أنفس الرؤساء بالمال . فأمن بذلك شر القبائل ، وسلم من عدو يحسب لعداوته ألف حساب^٢ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،

Oberdick, S., 109, Flav. Vop. Aur., 26, 27, Wright, P. 157, Vaughan, P. 173.

Oberdick, S., 108, III. ٢

ولما رأت الزباء ان ما كانت تأمله من مساعدة الفرس والقبائل والأرمن لم يتحقق ، وان ما كانت ترجوه من مساعدة الحظ لها بإطالة أمد الدفاع لأكراه عدوها على فك الحصار والرجوع لم يتحقق كذلك ، وان وضع القيصر قد تحسن بوصول مدد عظيم اليه من الشام وبوصول مواد غذائية اليه كافية لإطالة مدة الحصار ، قررت ترك عاصمتها للأقدار ، والتسلل منها ليلاً للوصول بنفسها الى الفرس عليهم يرسلون لها نجدة تغير الموقف وتبدل الحال . ودبرت أمر خطتها بكل تكتم وهربت من مدينتها من غير ان يشعر بخروجها الرومان ، وامتنعت ناقة واتجهت نحو الفرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول الى حصنها (زنوبية) ومنه الى الفرس^١ . على كل حال ، فقد حالقها الحظ في أول الأمر ، فأوصلها سالمة الى شاطئ النهر ، عند (الدير) (دير الزور) قريب من (زليبية)^٢ (Halebiya) ثم خانها خيانة فظيعة . فلما علم (أورليانوس) بنبأ هرب الملكة ، أيقن ان أتباعه ستذهب كلها سدى ان لم يتمكن من القبض عليها حية . لهذا أوعز الى خيرة فرسانه وأسرع رجاله باقتفاء أثر الملكة والقبض عليها معها كلفهم الأمر . وقال الحظ كلمته . انه سيكون في جانب القوي ما دام الناس في جانبه . نقل فرسان القيصر الى موضع وجود الملكة على الشاطئ ، في اللحظة الدقيقة الفاصلة الحاسمة بين الموت والهلاك والدمار وبين العز والسلطان واسترجاع ما ذهب من ملك . كانت الملكة تهم بوضع نفسها في زورق لينقلها الى الشاطئ الثاني من نهر الفرات. ولو عبرت لتغير اذن كل شيء . واذا بالفرسان ينقضون عليها ويأخذون (ملكة الشرق) معهم مسرعين الى معبد الشرق للرومان : (Recepto Orientis) ، وهو على رأس جنوده يحاصر هذه المدينة العنيدة التي أبت الخضوع لحكمه والتسليم له^٣.

من الباحثين من يرى ان الملكة هربت من نفق سري يصل معبد المدينة بالخارج يمر تحت السور له باب سري خارج الأسوار أعداً لمثل هذه المناسبات ، أو من أنفاق أخرى ، اذ يصعب تصور خروج الملكة ليلاً من مدينتها ولو بحفر نفق في السور دون أن يشعر بذلك الرومان . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا

Oberdick, S., III.

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨) م ،
Wright, P. 160, Freya Stark, Rome, P. 367.

٢ « Recepto Igitur Orientis », Flav. Vop. Aur., 25. ٣

بالسراديپ والقنوات التي ترى بقاياها تحت أسوار تدمر وقلاعها الى اليوم^١ .

أحضرت الزبباء أمام القيصر ، فقال لها : « صرت في قبضتنا يا زينب ، ألسنت أنت التي أدت بك الجسارة الى أن تستصغري شأن قيصر روماني » . فأجابت : « نعم ، لاني أقر لك الآن بكونك قيصراً ، وقد تغلبت عليّ . وأما غالينوس وأورليوس وغيرهما ، فلست أنظمهم في سلك القياصرة . وإنما بارتني فيكتورية في السلطنة والعز ، فلولا بعد الأوطان لعرضت عليها أن تشاركني في الملك^٢ » . فأثرت كلمات الملكة في نفس (اوريليانوس) ، ففتحها الأمان . وقد أثر أسرها في نفوس التدمريين المتحصنين في بلدتهم ، فرأى قسم منهم الاستمرار في الدفاع وعدم تسليم المدينة مهما كلف الأمر ، ورأى قسم آخر فتح الأبواب والتسليم ، وصاحوا من أعلى الأسوار في طلب الأمان ، وفتحوا له أبواب المدينة في بدء السنة (٢٧٣) للميلاد^٣ . فدخلها دخول الظافرين ، فقبض على حاشية الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يحرض على معارضة الرومان ، واستصفى أموال الملكة وجميع كنوزها ، وأخذ الزبباء ومن قبض عليهم معه وتوجه بهم الى (حصص)^٤ .

وتذكر بعض الروايات أن القيصر كان اول ما فعله عند دخوله الى المدينة أن توجه الى معبد الإله (بعل) (Bel) ، فشكر الإله وحده على توقيه له ونصره له على أهل تدمر . ثم اختار له قائداً نصبه على (تدمر) اسمه (Sandarion) على رواية و (Apsaeus) على رواية أخرى ، ليحافظ على الأمن ويحكم المدينة . وجعل في إمرته حامية فيها ستمائة من الرماة ، ثم غادر تدمر تاركاً أمرها الى هذا القائد^٥ .

١. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter: Erdunde, XVIII, 2, S., 1521.
٢. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., 112, Ritter, Erdunde, XVII, 2 Hist. August., P. 199, 218, Wright,
PP. 160, Vospicus Aurel., C. 28, Zosimus, I, I, C. 55, P. 50, Gibbon, I, P. 267,
Trebellius Poll., 30, Tyr., 29.
٣. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) ،
Leopold Von Ranke: BD., 5, S., 189.
٤. Zosimus, I, 56.
٥. Vaughan, P. 187.

وفي حصص كما زعم المؤرخ (زوسيموس) (Zosimus) حاكم القيصري الملكة وأصحابها (استحضروا القيصري سلطنة تدمر وأشياءها فلما مثلت بين يديه ، جعلت تعتذر إليه وتتصل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرفت كثيرين من أصحابها بأنهم أصلوها بسوء نصائحهم وورطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشت بهم عند القيصري (لونيچينوس) فحكم عليه القيصري من ساعته بالموت بعد أن مثل به . فكابد لونيچينوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى انه عند وفاته كان يعزى أصدقاءه وأقاربه . وكذلك نكل بكل من تجرمت زينب عليه)^١ .

وقد اختلف الباحثون في صحة رواية هذا المؤرخ ، فمنهم من شك فيها ومن هؤلاء (الأب سبستيان رتزال) الذي نقلت ترجمته العربية لرواية (زوسيموس) فقد استبعد صدور الوشاية والخيانة من ملكة كانت على جانب عظيم من سمو الأخلاق والثقافة^٢ . ومنهم من اعتقد بصحتها وسلم بها ولام الزباء على صدور مثل هذا العمل الشائن منها ، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني (مومزن) (Mommsen) الشهير في تأريخ الرومان^٣ .

وغادر (أورليانوس) مدينة حصص الى (رومة) ومعه (الزباء) وأبنائها وعدد من الأسرى أراد إلحاقهم بموكب النصر الذي سيقمه عند دخوله العاصمة ليتفرج عليهم الناس . وفي أثناء عبور (البسفور) غرق عدة من أصحاب (الزباء) في جملتهم (وهيلات) على رواية المؤرخ (زوسيموس)^٤ . وبينما كان القيصري في (تراقية) (Thrazien) اذ جاءت الأخبار تنبئ بثورة أهل تدمر على قائد المدينة (سنداريون) (Sandarion) الذي عينه القيصري حاكماً على تدمر ، وبظهور ثورة أخرى في مصر بطلها (فيرموس) (Firmus) الثري الشهير . وكان هدف الثورتين واحداً ، هو التحرر من حكم الرومان والحصول على الاستقلال ،

- ١ اخذت ترجمة رواية (زوسيموس) من مجلة المشرق السنة الاولى ، الجزء ٢٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ١٠٥٩) ، راجع الاصل في :
Zosimus, I, I, C. 56, P. 49, 51, Vopiscus: Hist. August., P. 219, (Aurel. C. 30)
- ٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) .
- ٣ Oberdick, S., 113, Georg Finaly: Griechenland unter Römern, 1861, Leipzig, S., 104, Mommsen, The Provinces of the Roman Empire, Vol., II, P. 748.
- ٤ Zosimus, I, 58, ZDMG., 1864, S., 748.
- ٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

فأنفق (فيرموس) وهو من كبار رجال المال في العالم في ذلك الحين أموالاً كبيرة على الجمعيات الوطنية المناهضة لرومة ، وألّف جيشاً تمكن به من الاستيلاء على الاسكندرية ، وجمع حوله أشياء (الزباء) في مصر ، ولقّب نفسه باللقاب القيصرية ، وأخذ يتفاوض مع التدمريين في توحيد الخطط والعمل بجهد في تفويض الانباطورية الرومانية في الشرق^١ .

وقرر القيصر الاسراع في العودة الى الشرق لمعالجة الحالة قبل فوات الوقت ، فوصل الى (تدمر) بسرعة كبيرة أذهلت المدينة الثائرة ، فلم تدبر ما تصنع . كانت قد قتلت القائد (سنداريون) (سوداريون) (Sandarion)^٢ ، وفتكت بالحامية الرومانية ، ورفعت راية العصيان في الشرق وتزعمت الحركة الوطنية المعادية للدخلاء وتبنتها ، فبأي وجه ستقابل (أورليانوس) القيصر المنتفطرس الجبار ؟ وماذا سيكون موقفه منها ؟ وهي في وضع حرج لا تأمل الحصول على مساعدة لا من الفرس ولا من المصريين . وتداعت المدينة بسرعة حينما مثل أمامها الرومان وسلمت نفسها للقيصر ، فسلمها هو غنيمة الى جنده يفعلون بها ما يشاءون بغير حساب .

عفا القيصر (أنطيوخس) عن أقارب الزباء ، وكان التدمريون أقاموه ملكاً عليهم . ولم يعف عن الرعيّة فتناولتهم سيوف الرعاع من جنود (رومة) وخناجرهم من غير تمييز في العمر أو تفريق في الجنس^٣ . وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدُكَّت الأسوار وهدمت الأبراج وقوضت الأبنية^٤ ، حتى ان القيصر نفسه رق قلبه على من تبقى حياً من المدينة ، فكتب الى (Cerronius Bassus) قائد المدينة أن يصفح عنهم ، وأن يعيد بناء هيكل الشمس الى ما كان عليه ، وكان جنود (اللجيون) الثالث قد نهبوه وخربوه ، وأمر بالانفاق عليه وبترتيبه وتجميله من الأموال التي استصفيت من خزائن (الزباء) . وطلب من مجلس الشيوخ في (رومة) ارسال كاهن ليدشن المعبد^٥ . وأرسل

Oberdick, S., 115.

(سوداريون) : المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

Oberdick, S., 116, Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336.

المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) . Vaughan, PP. 208.

Flavius Vopiscus Aur., C. 31, « Cerronius Bassus », Wright, P. 163, Flavius

Vopiscus: Hist. August., P. 21, Vaughan, P. 209.

بعض نفائس الهيكل الى عاصمته لتوضع في معبد الشمس الذي أقامه هناك ، ومنها أعمدة مصورة^١ . غير أن ما أفسده الدهر لا يصلحه العطار . ولم يتمكن القيصر من اصلاح ما أفسده الدهر على يديه . فلم يعد المعبد معبداً كما كان ، ولم تعد (تدمر) تدمر الزباء .

وقبل أن يرحل (اوريليانوس) عن أرض تدمر ، غزا الفرس . ويظهر أنه غزا قوة كانت قد أرسلت لمساعدة (تدمر) ، فأرجعها على أعقابها . ثم عين قائده المحنك (ساترنيوس) (Saturninus) بدرجة (Dux) قائداً على الحدود لحمايتها من الفرس^٢ ، وتوجه الى مصر للقضاء على ثورة (فيرموس) ، فكان الحظ فيها حليفه . احتل الإسكندرية وقبض على التاجر الحاكم ، الذي لقب نفسه قيصرأ ، فأمر بمعاقبته بعقاب السراق واللصوص ، أي بصلبه على الصليب^٣ . وبذلك أعاد معيد الشرق الى الرومان الشرق المنفصل منهم مرة أخرى الى الرومان .

بعد هذه الانتصارات وانتصارات أخرى أحرزها في غالبية ، عاد الى عاصمته في سنة (٢٧٤) للميلاد في موكب قيصري عظيم وصفه المؤرخ (Flavius Vopiscus) وصفاً رائعاً ، اشترك فيه (١٦٠٠) مصارع وعدد غفير من الأسرى من مختلف الأقوام ، ومن بينهم الملكة الزباء ومعها أحد أبنائها ، وقيل كلاهما ، وبعض رعاياها ، وثلاثة عجلات ملكية : عجلة (أذينة) زوج الزباء وهي مزينة بالذهب والجواهر ، وعجلة أهداها (هرمر بن سابور) الى القيصر ، وعجلة (الزباء) الخاصة التي أهدتها لتدخل فوقها منتصرة عاصمة الرومان . وتقدم الموكب عشرون فيلاً وعدة وحوش وحيوانات جيء بها من فلسطين وليبيا ومصر وأماكن أخرى. سار الى (الكابيتول) ثم الى قصر (الانبراطور) . واحتفل الشعب في اليوم الثاني احتفالاً خاصاً كانت فيه ألعاب مختلفة وكان فيه تمثيل وسباق مختلف الأنواع^٤ .

كان هذا الاحتفال نهاية فصل وبداية فصل جديد ، قضى على الملكة أن تقبع

Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 116.

Oberdick, S., 118.

Flavius Vopiscus, Aur., C. 32, 45, Firmus, C. 2, Hist. August., P. 219, Oberdick, S., 118, Gibbon, I, P. 268.

Oberdick, S., 119, Flavius Vopiscus Aur., C. 33, Hist. August., P. 220, Gibbon, I, P. 269.

منذ نهايته في بيت خصص بها في (تيبور) (Tibur) مع أولادها ، وأن تعتزل السياسة والشرق . عاشت في عزلة في هذه البقعة من ايطالية ، ولم يتحدث عنها مؤرخو عصر (أورليانوس) شيئاً بعد أن صارت من سواد الناس . ويظهر ان ما ذكره بعض المؤرخين اليونان عن زواج الزباء بعضو من أعضاء مجلس الشيوخ هو أسطورة من الأساطير العديدة التي راجت بعد ذلك عن حياة ملكة الشرق^١ . وأما أولاد الملكة ، فقد ذكرتُ قريباً ان بعض المؤرخين أشار الى غرق (وهبلات) في أثناء عبور القيصر مضيق (البسفور) . وأشار آخرون الى انه نقل مع أمه الى (رومة) . وأما (تيم الله) (Timolaus) ، فأسكن مع أمه أيضاً في (تيبور) . وزعم في رواية انه مات مع أخيه (خيران) (حيران) (Herennianus) في أثناء الاحتفال بموكب النصر . وزُعم أيضاً انه عاش وصار خطيباً مصقلاً من خطباء (اللاتين)^٢ . وروي أيضاً انها زوجت بناتها بأعيان من الرومان . وروي المؤرخ (تريبيوس بوليو) (Trebellius Pollio) ، وهو من رجال القرن الرابع للميلاد (حوالي سنة ٣٠٤ م) ، ان ذرية الزباء كانت في ايامه^٣ . وذكر ان الأسقف الشهير القديس (زنوبيوس) (Zenobius) أسقف مدينة (فلورنسة) ومعاصر القديس (أنبروسوس) (Ambrosius) كان من نسلها أيضاً^٤ .

ولم تكن تدمر في عهد (ديوقليطيانوس) (ديوكليتيانوس) (Diocletian) (٢٨٥ - ٣٠٥ م) سوى قرية صغيرة وقلعة من قلاع الحدود لحمايتها من هجمات القبائل وغزوها للمدن القريبة من البادية^٥ . ونحسبنا المؤرخ (ملالا) أن (ديوقليطيانوس) ابنتى (Castra) فيها ، وذلك بعد عقده الصلح مع الفرس^٦ ، ورم بعض ابنيتها . ويرى (الأب سبستيان رترفال) أنه اضطهد نصارى تدمر كما فعل في سائر الأقاليم^٧ .

-
- | | |
|--|---|
| Oberdick, S., 120. | ١ |
| المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) . | ٢ |
| Oberdick, S., 120, Trebellius Pollio, 20. | ٣ |
| المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، | ٤ |
| Oberdick, S., 120, Eutrop, 9, 13, Hieron, Chron., P. 758, Vol., Baronius, Ann., III, P. 146. | |
| Oberdick, S., 116 ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، | ٥ |
| Oberdick, S., 117, Malalas, S., 308. | ٦ |
| المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) . | ٧ |

وفي حوالي القرن الخامس للميلاد (٤٠٠ م) كانت تدمر مقاطعة تابعة لولاية (فينيقية) وقد عين (تاودوسيوس) (تيودوسيوس) (ثيودوسيوس) الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م) فرقة من الجند لحراسة (تدمر)^١ . والظاهر أن وظيفتها كانت حماية الحدود من هجمات رجال البادية . أما الكتيبة الرومانية التي عسكرت فيها في حوالي سنة (٤٠٠) بعد الميلاد ، فهي (اللجيون الألبيري) (Illyrian) الأول^٢ .

وذكر الراهب (إسكندر) (Alexander the Acoemete) المتوفى في حوالي سنة (٤٣٠) للميلاد أنه في أثناء سفره من القرات الى مصر قابله الجنود الرومان المعسكرون في القلاع بكل ترحاب وقدّموا له ومرافقيه كل المساعدات الممكنة ، وأنه وجد قلاعاً مقامة على طول حدود الفرس والروم على مسافات تتراوح من عشرة أميال الى عشرين ميلاً رومانياً . وقد قطع الحدود هذه حتى بلغ مدينة (سليان) ، ويقصد بها مدينة تدمر^٣ .

وأمر القيصر (يوستنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) في أوائل ثبوته الحكم (٥٢٧ م) (أرمنيوس) (Armenius) بالذهاب الى (تدمر) لترميم ما تهدم من المباني وإعادة المدينة الى ما كانت عليه . وأمدّه بالأموال اللازمة لهذا المشروع^٤ ، كما أمر بتقوية حامية المدينة ، وإن تكون مقر حاكم (Dux) مقاطعة (فينيقية لبنان) (Phoenice Libanesis) وذلك لحماية الحدود خاصة حدود الأرض المقدسة^٥ ، وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (Procopius) أن القيصر المذكور قوى أسوار المدينة وقلاعها وحصنها تحصيناً قوياً ، وحسن موارد

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ،

Oberdick, S., 117, Wright, P. 169, Notitia Dign. Orien., P. 84, 380, (Ed. Bocking).

٢ Ency. Brita., 17, P. 163, Notitia Dign., I, 85.

٣ Musll: Palmyrena, P. 248, De S. Alexandra Fundatore Acoemetorum, Constantinopli, in: Bolland «Acta Sanctorum» P. 1025, Edition, E. De Stoop: VII d'Alexandre Acémété, in: Patrologia Orientalis, P. 683.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ،

٥ Oberdick, S., 117, Procopius: De Aedif. Just., II, II, De Bello Persico, 2, I, P. 88, Theophanus, Chro., I, P. 267, (Ed. Bonn), Malalas, P. 426, Syria, VII, 1926, P. 77.

مياها . ولا تزال آثار هذا العهد باقية حتى الآن^١ .

وقد كانت مدينة (تدمر) على الحدود الداخلية (Limes Interior) للامبراطورية في أيام (يوسطينيانوس)^٢ . ويسكن في المناطق التي بين هذه الحدود وبين الحدود الخارجية (Limes Exterior) القبائل المحالفة للرومان . ومن هذه المنطقة تغزو القبائل الحدود^٣ . وقد كان سلطان الروم وقواتهم العسكرية أقوى في الحدود الداخلية منها على الحدود الخارجية التي كان يقوم بالدفاع عنها رجال القبائل الخليفة بالدرجة الأولى بأجور ومخصصات تدفعها الحكومة الى رؤسائها لضمان حماية تلك الحدود .

وقد كانت القبائل العربية قبل الميلاد وبعده تخلق راحة سكان الحدود وترزعج الحاميات الموكل اليها أمر سلامتها ، وتكون مصدر خطر دائم للحكومات . وكان من الصعب الاطمئنان اليها . ثم ان البادية كانت تصدر لهم بين حين وآخر بضاعة جديدة منها ، وموجة عنيفة ترزعج القبائل القديمة والحدود معاً ، فكان على تلك الحكومات مداراتها واكتساب ود القوية منها ، ويقال ان القيصر (دقيوس) (Decius) (٢٤٩ - ٢٥١ م) سثم في زمانه من هذا الوضع وبرم به ، ففكر في ادخال العرب في نفوس هذه القبائل وقهرها ، فجاء بأسود اصطاها من افريقية في البادية لتتاسل وتتوالد ولتكون مصدر خطر ورعب للأعراب^٤ .

وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمر منزلاً لهم ومحل اقامة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة (٦٣٤ م)^٥ . غير انها منذ تركتها الزباء لم ترجع الى ما كانت عليه . وقد أثر تحول الطرق التجارية في مركز هذه المدينة كثيراً ولا شك .

وانتهت الينا أسماء عدد من أساقفة مدينة (تدمر) مدونة في سجلات الأعمال الكنسية ، منهم : الأسقف (مارينوس) (Marinus) وقد حضر المجمع النيقاوي (Nicaea) (Nicaea) الذي انعقد سنة (٣٢٥) للميلاد^٦ ، والأسقف (يوحنا) (٣٥٧ م) وقد ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .
 ٢ Musil, Palmyrena, P. 248, Theophanes, Chronographia (Migne), Col : 404.
 ٣ Musil, Palmyrena, P. 248.
 ٤ Musil, Palmyrena, P. 247, The Chronicon Paschale, (Migne), Col : 669
 ٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٦٣) .
 ٦ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

المنعقد عام (٤٥١ م)^١ ، و (يوحنا) الثاني المشهور في أيام (انستاس)
 (أنسطاس) (نسطاس) القيصر (٤٩١ - ٥٨١ م) . وكان نفي في عهد
 (يوسطينوس) خليفته لدفاعه عن (المجمع الخلقيدوني) ولقوله بطبعين في
 المسيح سنة (٥١٨ م)^٢ . ويستدل من وجود أساقفة في تدمر على انتشار النصرانية
 في هذه المدينة .

وفي (تدمر) في الزمن الحاضر ثروة تاريخية مطمورة تحت الانقراض ستفيدنا
 ولا شك فائدة كبيرة في تدوين تاريخ المدينة وتاريخ صلاتها بالخارج . لقد عثر
 فيها على كتابات أفادتنا كثيراً في تدوين تاريخ المدينة . ولكن ما سيعثر عليه منها
 مما هو مطمور سيفيدنا أيضاً ، وقد يفيدنا أكثر في كتابة تاريخها . وقد قام علماء
 بالتنقيب في مواضع منها ، للكشف عن المواقع المهمة منها ، وكتبوا عنها^٣ .
 غير ان المدينة لا تزال في انتظار من يكشف عنها .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء اصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها
 زهاء اثنين وعشرين صنماً ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، وأسمائها
 أسماء عربية . ومنها ما هو لم يرمي ، وعلى رأس آلهة تدمر الإله (شمش) (شمس) .
 وقد اتصفت دياناتهم بمزايا النظام الشمسي الذي تركزت عليه ديانة عرب الشمال .
 ومن هذه الأصنام (بل) ، أي (بعل) ، و (يرح بل) (يرح بول)
 (يرح بعل) ، و (عجل بل) (عجل بول) و (عجل بعل) ، و (الت)
 أي (اللات) ، و (رحم) (رحيم) ، (اشتر) أي (عشتار) ، و (عثر)
 عند العرب الجنوبيين^٤ ، و (ملك بل) (ملك بعل)^٥ ، و (عزيزو) (عزيز)

١ Oberdick, S., 117.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

٣ Syria. Tome, VII, 1926, PP. 70, « Recherches Archéologiques a Palmyre »,
 by Albert Gabriel, PP. 128, Syria, Tome, XI, 1930, PP. 242, Tome, XVII, 1936,
 PP. 229, Bounni A, Les Annales Archéologiques de Syrie, Vol., 15, 1965.

٤ Ency. Brita., 17, P. 163, Syria, Tome, IX, 1928, PP. 101, Tome, XIII, 1932,
 PP. 139, Tome XIV, 1933, PP. 171, J. Février, La Religion des Palmyreniens,
 PP. 57.

٥ Syria, XIV, 1933, P. 182.

و (سعد) ، و (اب جل) ، و (اشر)^١ ، و (بل شمن) (بل شمين)
(بل شمين) ، أي (بل السماوات) (رب السماوات)^٢ و (جد) (جد بل) ،
وغيرها .

وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها
تذكر الأحياء عبّاد المال بالمصير المحتوم الذي سيواجه كل حي غني أو فقير أو
متوسط ، تضم رفات من تستقبلهم ثم لا تسمح لهم بالانتقال منها الى دار أخرى .
إنها دور الأبدية والاستقرار ، وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باطلاقهم (بيت
الأبدية) على القبر^٣ . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد :
بعضها على هيئة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيئة بيوت
ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوانبها أسماء ساكنيها
في الأبدية ورسمت صورهم عليها^٤ . هذه هي مدينة الأموات تشرف على مدينة
الأحياء وتضحك منها .

حصن (زنوبية) :

لم تفكر (الزباء) ، على ما يظهر ، في نقل عاصمتها الى موضع آخر ، وقد
عملت على تقوية (تدمر) وتحصينها وتجميلها ، ومعظم الآثار الباقية فيها هي من
أيامها . ولو ان كثيراً من الأبنية التي كانت فيها قبل أيام الملكة قد صيرت
باسمها ، غير انها عُنيت عناية فائقة بتحسين عاصمتها ولا شك . وابتنت مدينة على
نهر الفرات لحماية حدودها من الشرق عرفت بـ (زنوبية) وهو اسمها باليونانية .
ويظهر ان هذه المدينة هي التي أشار اليها (الطبري) بقوله : « وكانت للزباء
أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطئ الفرات الغربي »^٥ .

١ Syria, XV, 1934, PP. 173, Tome XVIII, 1937, P. 9, XVIII, 1937, 198, Baethgen,
Beiträge zur Semitischen Religionsgeschichte, S., 84.
٢ Syria, XVIII, 1937, P. 5, REP. EPIG., 30, Tome, I, I, P. 28.
٣ Ency. Brita., 17, P. 162, Syria, XXVI, 1949, PP. 87, « La Tour Funerale
de Palmyre », by Ernest Will, Wood, The Ruins of Palmyra, PL. 56.
٤ Ency. Brita., 17, P. 162.
٥ الطبري (٣٢/٢) .

فجعل المدينة قصراً ، وصيّر اسم المدينة وهو (زنبوية) (زبيبة) وجعله اسم أخت للزباء . وذكر (المسعودي) ان مدائن الزباء على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، (وكانت فيما ذكر قد سقطت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أنقاباً بين مدائنهما)^١ . وذكر أيضاً انها حفرت سرباً من تحت سريرها وبنته حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختها^٢ . وقد أشير الى هذا النفق في قصة مقتلها . وذكر (ابن الكلبي) ان أبا الزباء اتخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها داخل المدينة^٣ .

وذكر (البكري) ان المدينة التي بنتها الزباء على شاطئ الفرات هي (الخانوقة) ، وزعم ان (الزباء) (عمدت الى الفرات عند قلة مائه فسكر ، ثم بنت في بطنه ازجاء جعلت فيه نفقاً الى البرية وأجرت عليه الماء ، فكانت اذا خافت عدواً دخلت الى النفق وخرجت الى مدينة اختها الزبيبة)^٤ . وسمى (ياقوت الحموي) تلك المدينة (الزباء) ، قال : انها (سميت بالزباء صاحبة جذمة الأبرش)^٥ . ودعاها في موضع آخر (عزان)^٦ وقال : إن في مقابلها على الضفة الثانية من الفرات مدينة تدعى (عدان) ، وهي لأخت الزباء^٧ .

ويظهر ان هرب (الزباء) سرّاً من نفق سري ، يمر من داخل المدينة من معبدها او من قصر الملكة ومن تحت السور الى الخارج ، هو الذي أوحى الى أهل الأخبار قصة ذلك النفق الطويل الذي زعموا أن الملكة بنته تحت الأرض من قصرها الى نهر الفرات ، حيث مدينتها الثانية ، وهو نفق يجب أن يكون طوله مئات من الأميال . وقد عثر على بقايا سرايب وقنوات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير الى وجود أنفاق للهروب منها عند الاضطراب^٨ ، ولكنها لا يمكن أن تكون على شاكلة نفق أهل الأخبار بالطبع .

- ١ مروج (١٩/٢) .
- ٢ مروج (٢١/٢) .
- ٣ الطبري (٣٤/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .
- ٤ البكري ، معجم (٣٢٠/١) ، (طبعة وستنفلد) .
- ٥ البلدان (٣٧٢/٤) .
- ٦ البلدان (١٢٦/٦) .
- ٧ البلدان (١٢٦/٦) .
- ٨ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdieck, S., III, Ritter, Erdkunde, XVII, 2, S., 1521.

ولا يستبعد احتمال وجود نفق في حصن (زنوبية) على الفرات أيضاً، ساعد وجوده في تثبيت هذه القصة في رواية الأخباريين .

ويرى (هرتسفلد) (E. Herzfeld) أن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم باسم (الحلبية) ، ويقابله في الضفة الثانية من النهر موضع آخر يسمى (الزليبية) . وهو يعارض رأي من يدعى أن (الزليبية) هي المدينة التي بنتها الزبّاء . وينسب بناء موضع (حلبية) (الحلبية) الى (الزبّاء) كذلك^١ . ويرى بعض الباحثين احتمال كون (الحلبية) القصر الثاني الذي نسب بناؤه الى الزبّاء ، وذكر في الروايات العربية . وذهب بعض آخر الى أن (زنوبية) هي مدينة (السبخة) الحالية^٢ .

ويرى (موسل) أن (الحلبية) هي (دور كرباتي) (Dur Karpati) (Nibarti Aschur) التي بنيت بأمر (آشور نصربال الثالث) (Asurnazirpal) عام (٨٧٧) قبل الميلاد ، وأنها عرفت بـ (زنوبية) ثم (الزبّاء) فيما بعد^٣ . ويعزو (سبستيان رتزال) سبب بناء مدينة (زنوبية) الى عزم الملكة على اذلال مدينة (فولوغيسية) (Vologesia) (Vologesias) المعروفة في الكتابات التدمرية باسم (أليسيا) (Ologesia) (أليشيا) ، وهي في نظر بعض الباحثين (الكفل) على نهر الفرات في لواء الحلة بالعراق ، بناها (فلوغاس) (فلوكاس) من ملوك (الأرشكين) (بنو أرشك) حوالي سنة (٦٠) للميلاد . وذلك لاستغلال التجارات الواردة عن طريق نهر الفرات من أقاصي الهند والشام وآسية الصغرى^٤ . فرأت (الزبّاء) منافسة هذه المدينة ببناء مدينة جديدة تقع في منطقة نفوذها على نهر الفرات .

- ١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الـ ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢٠) ،
Friedrich Sarre und Ernst Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat und
Tigris-Gebiet, Berlin, 1911, I, S., 167, II, 365.
- ٢ المشرق ، السنة الاولى ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ،
Sarre — Herzfeld, Archäologische, I, S., 164.
- ٣ Musil, Euphrates, P. 331, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, (1861-1884),
Vol., I, PL. 24, Col., 3, II, 49, Budge and King, Annals, 1902, PP. 360.
- ٤ المشرق ، السنة الاولى (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ، سماها (الأب
رتزال) (الكفيل) ،
Rostovtzeff, Melange Gloz, 749, Seyrig, Syria, XIII, 1932, P. 272.

وكانت قوافل (تدمر) تتاجر مع هذه المدينة العراقية (الجاشيا) ، تحمل اليها بضائع الشام وسواحل البحر المتوسط ، وتنقل منها الى (تدمر) بضائع الهند و ايران والخليج والعراق . يقود هذه القوافل زعماء شجعان خبروا الطرق وعرفوها معرفة جيدة ، ولهم في المدينة مقام محترم . وطالما عمل لهم رجال القافلة والمساهمون في أموالها ، التائب ، التقديرآ لهم وتخليداً لأسمائهم وكتبوا شكرهم لهم على الحجارة ، ولدينا نماذج عديدة منها . من ذلك كتابة دوتها رجال قافلة لزعيمهم وقائدهم (يوليوس أورليوس زيب بن مقيم بن زيبدا عشثور ييدا) ، لأنه أحسن اليهم حين قاد قافلتهم وأوصلها سالمة الى (الجاشيا) في العراق . وكتابة أخرى دوتها جماعة قافلة تولى قيادتها زعيم اسمه (نسي بن حالا) لمناسبة توفيقه في حمايتهم وحماية أموالهم في أثناء ذهابهم وعودتهم الى (الفرات) والى (أليسيا) (Ologesia) وقد صنعوا لذلك تمثالاً له في شهر (نيسان) من سنة (١٤٢) للميلاد تخليداً لاسمه^١ .

وقد استولى (خسرو) الأول في حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد على (زنوبية) فدمرها . فلما استرجعها (يوسطينيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، أعاد بناء ما تهدم منها . وقد عثر على بقايا المباني التي تعود الى أيامه ، وبعضها من عمل معماريه (يوحنا البيزنطي) و (أزيدوروس الملطي) (Isidoros Miletus) حفيد البناء البيزنطي الشهير (أيا صوفيا) (Hagia Sophia) كلفها القيصر انشاء تلك العمارات^٢ . غير ان اصلاحات هذا القيصر لم تضيف الى حياة المدينة عمراً طويلاً ، لقد كانت نوعاً من أنواع الحقن المقوية ، تقوّم الجسم الى حين ولكنها لا تمنحه الأبدية . ففي سنة (٦١٠) للميلاد . وفي أيام القيصر (فوقاس) (Phokas) هاجمها (خسرو) الثاني وأنزل فيها الخراب والدمار^٣ . فقد عبر (شهربراز) (Shahrvaraz) نهر الفرات في اليوم السادس من شهر (أغسطس) من عام (٦١٠) للميلاد ، واستولى على مدينة (زنوبية) (Zenobia)^٤ . وأخذ نجمها منذ ذلك الحين في الأفول ، فلم يسمع

REP. EPIG., I, VI, P. 342. ١

Sarre-Herzfeld, Archäologische reise, I, S., 167, II, S., 365. ٢

Land, Anecdota Syriaca, I, 16. المصدر نفسه ، ٣

Musil, Euphrates, P. 332. ٤

عنها شيء ، حتى انها لم تذكر في أخبار الفتوح ، ويدل هذا على أنها لم تكن شيئاً يذكر في ذلك الحين^١ .

ويحدثنا المؤرخ (بروكوبيوس) أن الأيام أثرت في مدينة (زنوبية) (Zenobia) مدينة (الزباء) ، فأُنزلت فيها الخراب ، وتركها أهلها ، فانتَهز الفرس هذه الفرصة ودخلوها وتمكنوا بذلك من الولوج في الأرضين الخاضعة للروم دون أن يشعر الروم بذلك ، ولذلك أعاد (يوسطيانوس) بناء هذه المدينة وأحكم حصونها وجدد قلاعها وأنزل الناس فيها ، وأسكن فيها حامية قوية جعلها تحت إمرة قائد ، وأقام لها سدوداً من الحجارة لحمايتها من فيضان الفرات ، وقد كانت مياه الفيضان تصل إليها فتلحق بها أضراراً جسيمة^٢ .

وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن الفرس والروم ابتنوا قلاعاً بنيت جدرانها باللبن لحماية كورة (قوماجين) (Commagene) وهي الكورة التي كانت تعرف قبلاً باسم (كورة الفرات) (Euphratesia) ، وحماية حدود الانباطورية الفارسية الواسعة المشرفة على البادية من الغزو أيضاً . ومن جملة هذه الحصون ثلاثة حصون أمر القيصر (ديوقليانوس) (Diocletianus) (ديوقليتيانوس) ببنائها ، منها حصن (Mabri) (Mambri) الذي أصلحه القيصر (يوسطيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) ورمه . ويقع على مسافة خمسة أميال رومية من (زنوبية) (Zenobia) . و (Mambri) ، هو خرائب (شيخ مبارك) على مسافة سبعة كيلومترات من (الخليية)^٣ .

ولم يبق من آثار عهد (تدمر) في (الخليية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة . وهي على هيئة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن . وتشاهد بقايا قبور مشابهة لهذه القبور في المدن الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ، أي المنطقة التي خضعت لنفوذ حكومة (تدمر)^٤ .

Land. Anecdota Syriaca, I, 16, Sarre-Herzfeld, Arch., I, S., 167, II, S. 365. ١

Procopius, De Bello Persico, II, 5, 4-7, Musil, Euphrates, P. 332. ٢

Musil, Euphrates, P. 332, Procopius, De Aedificis, II, 8, 4-8. ٣

Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367. ٤

ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشام والعراق في العهد البيزنطي ، خاصة في (تدمر) وفي (حصص) و (الرها) (Edessa) وفي (الحضر) كذلك^١. بل وفي (بطرا) أيضاً حيث نجد شبيهاً كبيراً في أشكال القبور المنحوتة من الصخر على هيئة أبراج ذوات رؤوس تشبه الهرم في بعض الأحيان . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول أنها نمط خاص من أنماط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين^٢.

وذكر (بطليموس) أسماء عدد من المواضع جعلها في عداد أماكن (كورة تدمر) (Palmyrena)^٣. وهي : (Resapha) و (Cholle) و (Oriza) و (Putea) و (Adaba) و (Palmyra) و (Adacha) و (Danaba) و (Goaria) و (Aueria) و (Casama) و (Admana) و (Atera) و (Alalis) و (Sura) و (Alamatha)، وتقع هذه المواضع الثلاثة الأخيرة على نهر الفرات^٤.

أما (Palmyra) ، فهي (تدمر) العاصمة . وأما (Resapha) ، فهي (الرصافة) وهي مدينة قديمة ورد خبرها في النصوص المسارية فدعيت فيها بـ (Ra-sap-pa) ومن ذلك نص يعود الى سنة (٨٤٠) قبل الميلاد . وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) (St. Sergius) بها ، المقدس عند الغساسنة^٥.

وأما (Cholle) ، فهي (الحولة) (الخللة) . وأما (Oriza) ، فهي (الطية) ، وتقع هذه المواضع على السكة الرومانية الممتدة من الفرات الى (تدمر)^٦. ويرى (موسل) أن (Putea) ، هو (Beriarac) ، وهو موضع (بيار ججار) ، ويقع على السكة الرومانية المارة من (تدمر) الى موضع (Occaraba)^٧.

-
- | | |
|---|---|
| Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367, W. Andrae, Hatra, II, S., 76-106. | ١ |
| Sarre-herzfeld, Arch., II, S., 367, Elssfeldt, Tempel und Kulte Syrischer Städte in Hellenistisch-Römischer Zeit, 1941. | ٢ |
| Ptolemy, Geography, V, 14 : 19. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٤ |
| Winckler, Kellinschriftliches Textbuch, 1909, S., 75, Musil, Palmyrena, P. 262. | ٥ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٧ |

أما المستشرقان (ميلر) (Müller)^١ و (موريتس) (Moritz)^٢ ، فقد ذهبا الى أنه (أبو الفوارس) الواقع على مسافة سبعة كيلومترات في غرب جنوب غربي تدمر . وذهب (موريتس) أيضاً الى احتمال كونه (القطار) ، وهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من (تدمر)^٣ .

أما موضع (Adada) ، فكان حصناً رومانياً كذلك ، يعرف في الزمن الحاضر بـ (الحير) ، ويقع على أربعة عشر كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من (الطيبة) (Oriza) ، وعند الحافات الغربية لمرتفع (Adidi) ، وهو اسم قريب من (Adaba)^٤ وقد ذهب (ميلر) الى أنه الموضع المسمى بـ (خربة العاشقة) (خربة العاشقة) الواقع على الحافات الشمالية لهضبة تدمر^٥ .

ويرى (موسل) أن في كلمة (Adacha) بعض التحريف ، وأن الأصل الصحيح هو (Archa) و (Harac) ، وهو (أرك) (رك) الواقع على طريق تدمر وفي الشمال الشرقي من المدينة^٦ .

وأما (Danaba) ، فيقع على طريق (دمشق) (تدمر) ، وهو موضع خرائب (البصري) على رأي (موسل)^٧ .

وأشار المؤرخ (اصطيغانوس البيزنطي) الى (Goaria) كذلك ، ذكرها على هذا الشكل (Goareia)^٨ . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في تلك الأيام ، واذ أطلق اسمها على منطقة واسعة دعت باسم (Goarene) ، ويظن انها (البخراء) وهي في زمننا خرائب تقع على ستة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من (تدمر) . وقد عرفت بـ (Goareia) عند بني إرم (الآراميين)^٩ . وذهب (ميلر) و (بينتزنگر) (Benzinger) الى ان (Goaria) هو الموضع المسمى بـ (Cehere)

Müller, Ptolemy, Geography, P. 983. ١

Moritz, Palmyrena (1889), S., 8. ٢

Musil, Palmyrena, P. 233. ٣

Musil, Palmyrena, P. 233. ٤

Müller, Ptolemy, Geography, P. 984. ٥

Musil Palmyrena, P. 234. ٦

Musil Palmyrena, P. 234. ٧

Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 210. ٨

Musil, Palmyrena, P. 234. ٩

على الخارطة الرومانية لأيام الانبراطورية^١ . وهو رأي يعارضه (موسل) ، ويرى ان (Cehere) هو المكان المسمى بـ (خان عتيبة) الواقع على مسافة تزيد على مئة كيلومتر في جنوب غرب (البخراء)^٢ .

ويظهر ان (Aueria) (Aueira) (Aberia) ، هو موضع (Eumari) (Euhara) (Euarius) في مؤلفات أخرى ، وهو موضع (الخوارين)^٣ .
وأما (Casama) ، فهو على طريق دمشق المؤدي الى تدمر ، وهو خرائب خان (المنقورة) على رأي (موسل)^٤ . وأما (Admana) (Odmana) (Ogmana) ، فهو موضع (Ad-Amana) في الخارطات الرومانية للانبراطورية على ما يظهر ، وهو موضع (خان التراب) على رأي (موسل) كذلك^٥ .
وأما (Atera) ، فالظاهر انه موضع (Adarin) على الخارطة الرومانية ، وهو موضع (خان الشامات) (أبو الشامات) (خان أبو الشامات) على رأي (موسل) . أما (ميلر) فيرى انه موضع (دير عطية)^٦ ، وهو رأي لا يقره (موسل) عليه^٧ .

وموضع (Sura) هو (سورية) على رأي (موسل) . وأما (Alalis) فيقع في غرب (Sura) عند (بطلميوس) . ويظن (موسل) أنه يقع بين موضعي (Sura) و (Alamatha) في مقابل (طابوس)^٨ .

عانة :

ذكرت أن التدمريين كانوا قد وضعوا حاميات لهم في مدينة (Anatha) ، أي (عانة)^٩ . وهي لا تزال موضعاً معروفاً حياً على نهر الفرات في العراق .

-
- | | |
|---|---|
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 984, Müller, Palmyrena, S., 22, Pauly-Wisowa, Real-Lex., BD., 7, 1547, Peutingeriana Tabua Itineraria, Wien, 1888. | ١ |
| Musil, Palmyrena, P. 234. | ٢ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٤ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٥ |
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 985. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٧ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٨ |
| Beryus, Vol., VIII, Fasc., I, (1943), P., 25, 55, CIS, II, 3973, A. Cantineau Syria, XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234. | ٩ |

وعرفت (عانة) بـ (Anat) و (An-at) و (A-na-at) و (A-Na-Ti) في الكتابات المسمارية . وعرف موضعها بـ (خا - نا) (H-na) و (خا - نا - ت) (Ha-na-at) في النصوص البابلية القديمة . وقد تكونت مملكة صغيرة بهذا الاسم امتدت رقعتها الى الحابور، وعرفت المدينة بـ (Anatha) في مؤلفات (الكلاسيكيين)^١ . ويشك المستشرق (أدور ماير) (Eduard Meyer) في وجود صلة بين اسم الإله (Ana-tu) (Anat) ، واسم مدينة (An-at) ، أي (عانة)^٢ .

ومركز (عانة) الجزر الواقعة في النهر ، وهي خصيبة ، وفي مأمن من غارات الأعراب . وقد تمكن أصحابها بفضل موقعهم هذا من التحكم في القبائل المجاورة لها ومن أخذ الجزية منها . ولهذا السبب استعمل الآشوريون في الغالب رجالاً من أهلها لحكم منطقة (سوخي) (Suhi) . وفيها كان يقيم (ايلو ابني) (Ilu Ibni) حاكم (سوخي) الذي دفع الجزية الى الملك (توكلي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta) (٨٨٩ - ٨٨٤) قبل الميلاد^٣ .

وقد ذكر اسم (عانة) و (الحيرة) في الكتابة المرقمة برقم (6) (Littmann)^٤ . ويرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التأريخ السلوقي ، أي شهر (سبتمبر) من سنة (١٣٢) للميلاد ، وورد فيها اسم الإله (شيع القوم) حامي القوافل والتجارات . ويظهر ان المراد بـ (حيرتا) الحيرة الشهيرة في العراق^٥ . فإذا كان ذلك صحيحاً ، دل على ان نفوذ تدمر قد بلغ هذا المكان، وان للقصص الذي يرويه الأخباريون عن ملوك الحيرة والزباء أصلاً تطور على مرور الأيام

Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 313, Ency., I, P. 344-345, G. Bell, in Geogr. Journ., XXXVI, P. 535, ZDMG., IXI, 701, Pauly-Wissowa, Real-Lexl., I, S., 2069, I, II, S., 104.

Eduard Meyer, in ZDMG., 31, 1877, S., 716.

Musil, Euphrates, P. 345, Sheil, Annales, PL. 3, (1909), II, 69-73.

CIS, II, III, I, P. 156, 3973, Lidzbarski, Ephemeris für Semi Epigr., I, S., 345-346, REP. EPGR., 285, G. A. Cooke, NSI, NO : 140, Littmann, in Part IV, of the Publications of an American Archaeological Expedition to Syria in 1899-1900, Palmyrene Inscriptions, NO : 6, P. 70, Syria, Tome IV, 1923, P.

156, Hartwig Derenbourg, un dieu Nabatéen, 1902, PP. 124, REP.

EPIG. 285, I, IV, PP. 230.

CIS, II, III, I, P. 157.

والموارد المتقدمة ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٨١/٣) .

فتكونت منه قصة (جذيمة) والزباء .

وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (عبيدو بن غانمو بن سعدلات) ، من قبيلة (روهو) أي (روح) ، وكان فارساً في حامية مدينة (عنا) وهي (عانة) . وقد دوّن كتابته هذه بمناسبة تقديمه مذبحين الى الإله (شيع القوم) الذي لا يشرب خمرأ ، وهو حامي القوافل . ويلاحظ أن أكثر الكتابات تذكر جملة (الذي لا يشرب خمرأ) بعد اسم هذا الإله . وهي تعني أن هذا الإله كان يشرب الخمر ولا يحبها ، فعلى أتباعه تجنبها . ويظهر ان طائفة من الناس حرّمت عليها الخمرة ، ودعت الى مقاطعتها ، واتخذت (شيع القوم) حامياً لها . وهي على نقيض عباد الإله (دسره) (دشرة) (Dussares) أي (ذو الشرى) الذين كانوا يتقربون الى إلههم هذا بشرب الخمر^١ .

ولا نعرف متى استولى الرومان عليها . ولم يرد ذكرها في قائمة (ماريوس مكسيموس (Marius Maximus) التي عثر عليها في (Dura) والتي يعود تاريخها الى سنة (٢١١) للميلاد في ضمن المخافر الرومانية التي كانت في المناطق الوسطى لنهر الفرات . ويظهر منها أن (عانة) (Anath) كانت في ذلك الوقت في أيدي (الفرث) (Parthians) ، وأن الرومان دخلوها بعد ذلك . قد يكون في أثناء حملة (اسكندر سويرس) (Alexander Severus) كما ذهب (روستوفستزف) (Michael Rostovtzeff) الى ذلك، أو في أيدي (غورديانوس) (Gordianus) كما ذهب (أولستيد) (A. T. Olmstead) الى ذلك^٢ .

وقد ذكر (عانة) (Anatha) المؤرخ (أريان) في أثناء حديثه عن أسطول (تراجان) الذي مرّ بها . وورد اسمها (Anath) في خبر (معين) (Ma'ajin) أحد قواد الملك (سابور الثاني) (٣٠٩ — ٣٧٩ م) ، وكان قد اعتنق النصرانية وبنى جملة ديارات ، ونصب القس على (سنجار) (شجار) (Schiggar) ، ثم لم يكتف بذلك ، فذهب الى (عانة) ، فبنى على شاطئ الفرات وعلى مسافة ميلين منها ديراً استقر فيه سبع سنوات^٣ .

CIS, II, 182, Lidzbarski, Ephemeris, I, III, 1902, S., 345, REP. EPIG.,

I, IV, P. 232, Syria, Tome, IV, 1923, P. 156.

Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 25.

Musil, Palmyrena, P. 345.

وفي سنة (٣٦٣) للميلاد حاصرها الروم ، وألحقوا بها أضراراً كبيرة . وأجلوا السكان عنها . ولما أرسل (فاراموس) (Varamus) (Varafous) في عام (٥٩١) للميلاد قوة على (عانة) لمناوشة (كسرى) (Chosroes) وصدة عن الرجوع الى فارس ، قتل الجنود قائدهم ، وانضموا الى (كسرى) . وفي القرن السابع للميلاد ، كان مقر أسقف قبيلة (الثعلبية) في هذه المدينة .

الفصل السادس والثلاثون

الصفويون

والى هذا العهد تجب اضافة قوم من العرب أطلق المستشرقون عليهم لفظة (الصفويين) ، نسبة الى أرض (الصفاة)^١ . وهم أعراب ورعاة كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلباً للماء والكلأ . وقد دوتوا خواطرهم أحياناً على الأحجار ، وتركوها في مواضعها ، ومنها استطعنا الإلمام ببعض الشيء بأحوالهم وأخبارهم . وقوم تنتشر الكتابة بينهم على هذا النحو ، لا يمكن أن نتصورهم أعراباً على النحو المفهوم من الأعرابية ، بل لا بد أن نتصور انهم كانوا على شيء من الثقافة والإدراك .

واذا سألتني عن سبب اختيار المستشرقين لهذه التسمية واطلاقها على أصحاب هذه الكتابات ، فإنني أقول لك : انهم أخذوها من اسم أرض بركانية عرفت بالصفاء وبالصفاة ، تغطي قشرتها الخارجية حتى اليوم صخور سود تقول لك انها خرجت الى هذا المكان من باطن الأرض، وان براكين ثائرة مزججة غاضبة كانت قد قذفت بها الى ظهر الأرض فاستقرت في أمكنتها هذه ، ومن يدري ؟ فلعلها أصابت أقواماً كانت تعيش في هذه المواضع أو مارة بها فأهلكتها . وهي تسمية

E. Littmann, Thamud und Safa, In Abhandlung für die Kunde des Morgenlandes, (1940), 25, I, M. Hofner, Die Beduinen in den Vorislamischen Arabischen Inschriften, in L'antica Societa Beduina, (Studi Semitici 2), 1959, 53.

قديمة تعود الى ما قبل الاسلام ، بدليل انها وردت في نص يوناني على هذه الصورة : (Safathene)^١ وورود اسم لآله عرف به (زيوس الصفوي) (Zeus Safathenos) ، أي نسبة الى هذه الأرض^٢ .

أما (الصفوية) ، فتسمية ليست بتسمية عربية قديمة ، وليست علماً على قوم معينين أو على قبيلة معينة ، وإنما هي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان الى مكان طلباً للماء وللكلأ ، لرعي ماشيتها التي تكون ثروتها ورأس مالها ، تراها يوماً في أرض النبط ، ويوماً آخر في بلاد الشام حيث كان الرومان ثم البيزنطيون يسيطرون . فنحن في هذا الموضع لسنا أمام مملكة أو حكومة مدينة ، بل أمام قبائل عديدة حرفتها الرعي والغزو وكفى . ومن نسميهم بالصفويين إذن ليسوا بقبيلة واحدة ولا بجنس معين ، وإنما هم قبائل متنقلة ، كانت تنتقل في هذه الأرضين الواسعة ، في أزمنة مختلفة متباينة . ويعود الفضل الى الكتابات التي عثر الباحثون عليها في اعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة ، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان ينتسب اليها أصحاب تلك الكتابات .

وقد جمعت الكتابات الصفوية من أرضين واسعة ، تمتد من (حماه) في سورية الى نهر الفرات في العراق في الشرق ، وإلى فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية فأعالي الحجاز ، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة ، ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب بين الدول بتفصيل وتبسط ، ذلك لأن الكتابات الصفوية هي كما قلت كتابات أفراد كتبوها تعبيراً عن أمور شخصية لا غير ، ومثل هذه الكتابات لا تتعرض لما يبحث عنه المؤرخ الا بقليل ، وهو قدر لا يقدم في الغالب للمؤرخ ما يبحث عنه ، ولهذا انحصرت فوائدها في مسائل

١ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ٢٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٦٢) .

G. Ryckmans, Inscriptions Safaitiques, Extrait Du Museon, tome, 1-2, Louvain, 1951, Handbuch, S., 46, Ditlef Nielsen, Über die Nordarabischen Gotter, in Mittel. der Vorderas. Gesellsch., Bd., 21, 1916, E. Littmann, Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943, Annual Department of Antiquities of Jordan, Vol., I, 1951, P. 17.

وكذلك الاعداد التالية لهذه المجلة التي تصدرها مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية .

أخرى ، في مثل الدراسات اللغوية والدينية وتطور الخطوط ودراسة أسماء الأشخاص والقبائل وما شاكل ذلك .

وانتشار هذه الكتابات وتناثرها في أرضين صحراوية ، أمر يلفت النظر ويدعو الى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرأون ويكتبون مع أنهم أبناء بادية ، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمان طويل ، ثم إن خطها يلفت اليه النظر أيضاً ، فهو خط عربي ، ولد من الأم التي نسلت الخط العربي الجنوبي ، وهو قريب من الخط الثمودي والخط اللحياني ، ويعني هذا أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط أود أن أسميه بالقلم العربي الأول ، أو القلم العربي القديم منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد ، فوجد ما نسميه بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية ، وذلك لظروف كثيرة لا مجال للكلام عليها في هذا المكان . وهو يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الإرمية مع قربهم منها واتصالهم بها ، وطغيانها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام ، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم ، فكتبوا به ، ولم يستعملوا قلم بني لرم كما فعل (أهل المدر) المقيمين في مدن العراق والشام وقراها . وكتبوا بلهجاتهم أيضاً ولم يكتبوا بلغة بني لرم كما فعل غيرهم من العرب الحضّر .

وقد رأى (دوسو) (Dussaud) أن الصفويين كانوا يحاكون الجنود الرومان واليونان في تسجيلهم خواطرمهم وذكرياتهم على الحجارة ، فقد وجد الباحثون أحجاراً دوتن عليها أولئك الجنود في أثناء أدائهم واجباتهم العسكرية في بلاد الشام وعلى الطريق الرومانية ذكرياتهم وخواطرمهم ونزولهم في تلك الأمكنة . ولكن وجود كتابات صفوية عديدة من القرن الأول قبل الميلاد يثبت ان الصفويين كانوا يدونون خواطرمهم بهذا الأسلوب ، وذلك قبل شروع أولئك الجنود الرومان واليونان في تدوين خواطرمهم على هذا الأسلوب ، وانهم كانوا يدونون خواطرمهم هذه على الأحجار وبهذا الشكل لأن هذه الحجارة كانت هي ورق كتابة أهل البادية ، فكتبوا عليها كما يكتب أهل الحضّر على الرق والخشب والورق وغيرها من وسائل الكتابة ^١ .

ويرجع علماء الصفويات عمر أقدم الكتابات الصفوية الى القرن الأول قبل الميلاد.

أما آخر ما عثر عليه من كتابات ، فيرجع الى القرن الثالث بعد الميلاد ، على رأيهم أيضاً^١ . فما عثر عليه من الكتابات الصفوية ، هو من عهد تبلغ مدته زهاء أربعة قرون .

وقد أرخت بعض هذه الكتابات بحوادث محلية عرفت عند أصحابها ، الا انها مجهولة لدينا ، لذلك لم نستطع الاستفادة منها في تكوين رأي في زمن كتابتها . فقد أرخ بعضها بسنة وفاة قريب لصاحب الكتابة ، أو بوقت نزوله في المكان الذي كتب به الكتابة ، أو بوقت هربه من الرومان أو بعد كذا من الأيام أو من السنين من رؤية قريب له أو وفاته ، ومثل هذه الحوادث ، لا تفيد المتأخرين شيئاً ، ولا تساعدهم في تثبيت زمن تدوينها بوجه صحيح مضبوط . وأرخ بعضها بحوادث أعم ، الا انها ذكرت بأسلوب فوت علينا معرفة زمان وقوع الحادث بوجه مضبوط ، فقد أرخت كتابة منها بـ (سنت نرز اليهد) ، أي (سنة الخصام مع اليهود)^٢ . وهي سنة كان يعرفها صاحب الكتابة وأصحابه . أما نحن فلا نعلم من أمرها شيئاً ، فقد خاصم العرب اليهود كثيراً في تأريخهم . فأية خصومة من تلك الخصومات قصد صاحب الكتابة . فإذا كان قد قصد ثورة العرب أهل اللجة (Trachonitis) على (هيرود الكبير) الملك المكابي ، فهذه الثورة يجب أن تكون قد وقعت فيما بين السنة (٢٣ ق. م.) والسنة (١٤ ق. م.)^٣ . أما اذا كان صاحب النص قد قصد خصاماً آخر ، فإننا لا نستطيع التكهن عنه من نصه هذا ، لما قلناه من تعدد الخصومات بين العرب واليهود .

وأرخت كتابة أخرى بزمن تمرد صاحب الكتابة على الروم ، وذلك سنة مجيء (الميدين) الفرس الى (بصرى) ، (ومرد على رم سنت أتى همذى بصرى)^٤ وقصد بـ (همذى) (الماذوين) ، أي الميدين من الفرس . ولما كانت الأخبار لم تشر الى اكتساح الفرس لـ (بصرى) قبل سنة (٦١٤ م) ، ظن من عالج هذه الكتابة أن صاحبها قصد استيلاء الفرس عليها في ذلك الزمن ، أي في السنين الأولى من سني مبعث الرسول ، حيث غلبت الفرس على الروم ، كما أشار الى

Winnett, P. I. ١

Winnett, P. 95. ٢

Winnett, P. 95, Josephus, Antiq., XVI, IX. ٣

F. V. Winnett, Safaitic, P. 19, 323, M43, Harding 37, T31. ٤

ذلك القرآن الكريم . غير أن هذا الفريق عاد فأبدل رأيه ، لأنه وجد أن هذا الرأي لا ينسجم مع نوع الكتابة والأبحاث الأثرية التي دلت على ان الكتابة يجب أن تكون أقدم عهداً من سنة (٦١٤ م) ، ورأى لذلك أن استيلاء الفرس على (بصرى) يجب أن يكون قبل ذلك بكثير ، وقد يكون وقع في القرن الأول قبل الميلاد ، غير أننا لا نملك نصوصاً تاريخية تشير الى وصول الفرس الى هذا المكان ، واستيلائهم عليه في ذلك الزمن . وهكذا نجد أن تلك الكتابة المؤرخة قد أوجدت لنا مشكلة ، لم نتمكن من حلها بسبب الغموض الوارد فيها عن سنة استيلاء الفرس على بصرى^١ .

وطالما قرأنا في الكتابات أن أصحابها (نجوا من الروم) أو فروا من الروم ، أو تمردوا على الروم وأمثال ذلك من تعابير . وقد قصدوا بالروم بلاد الشام التي كانت في أيدي الرومان ، ثم انتقلت الى الروم ، وهم اليونان البيزنطيون . ولما كانت بلاد الشام تحت حكم المذكورين ، عبروا عنها ب (رم) (روم) أي (الروم) (وبلاد الروم) .

لقد كان الصفويون يحكم نزولهم في أطراف بلاد الشام على اتصال بالروم بل اضطروا الى الخضوع لحكمهم والاعتراف بسيادتهم عليهم . والتوغل شمالاً وجنوباً في بلاد الشام بحثاً عن الماء والكأ وعن القوت ، كما اضطروا الى مراجعة قرى بلاد الشام ومدنها للامتيار ولبيع ما عندهم من فائض من منتوج أيديهم ومن حاصل حيواناتهم . وهذا مما يدفعهم الى التخاصم أحياناً مع موظفي الأمن الروم وحراس الحدود ورجال الجباية و (الكمارك) ، في شأن أمور الأمن ، أو أخذ حقوق الحكومة منهم ، فيقبض الروم على من يقاوم منهم ، أو يتهرب من الأداء ، أو يقتل ، أو يقوم بأعمال مخالفة ، فيلقونه في السجن أو يقتلونه ، ولهذا نجد بعض الكتابات وقد سجلت حين هرب صاحبها من سجن الروم ، وعاد الى حريره . وهربه من الروم واستنشاقه نسيم الحرية ، معناه اللجوء الى البادية والاحتفاء بها حيث يصعب على الجنود الروم الوصول اليها للقبض عليهم والاقتصاص منهم . والبادية حصن أمين للأعراب .

Winnett, P. 3, 19, BASOAR, Num : 122, P. 50, Die Araber I, 8., 75, CIS 5,

4448, J. Pirenne I, 212.

ويظهر من هذه النصوص أن شأن الصفويين بالروم لم يكن يختلف عن شأن سائر العرب بهم وبأمثالهم من الدول الأجنبية مثل الفرس ، فهم مضطرون بحكم وضعهم الى التسليم لسلطان الدول الأجنبية ما داموا ضعفاء لا يستطيعون مقاومة الأعاجم ، فإذا تغيرت الأحوال ، وظهرت مواضع ضعف في الأجنبي ، اهتبل الأعراب الفرس ، فانقلبوا عليه حتى يرضيهم أو يظهر قوته . وهكذا كان الصفويون ينتهزون الفرص ، فتى وجدوا ثغرة في سلطان الروم وموضع ضعف في حراسة حدودهم ، هاجموهم منها حتى ينالوا ما يبتغون من مغم ، وقد ينقلب الحادث عليهم بالطبع ، لسوء تقدير في الموقف ، وهذا ما يحدث في كل غزو أو حرب ، وهو شيء طبيعي فقد ينتصر المحارب فيرجح ، وقد يندحر فيخسر كل شيء .

ويلاحظ من الكتابات الصفوية أن أصحابها كانوا ينزعون نزعة شديدة الى تخليد أنفسهم وابقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة ، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم ، حتى بحادث ولادة ماشيتهم ، أو مقتل أحدهم ، أو فرض غرامة مالية على أحدهم ، أو سفر أحد منهم وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة ، ولكنها مع ذلك وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتأريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه ، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأماكن التي نزلوا بها^١ . هذا وما زال الأعراب وأهل القرى عندنا يسجلون حوادثهم على النحو المذكور من تسجيل التواريخ .

وللطابع الشخصي الذي تحمله الكتابات الصفوية ، لم يتمكن من الاستفادة منها من الوجهة السياسية والعسكرية ، فلم نعر فيها على اسم ملك ، لا عربي ولا أجنبي ، ولم نعر فيها على موضوع سياسي يشير الى الحالة السياسية التي كانت في العراق أو في بلاد الشام أو في جزيرة العرب في تلك الأيام ، ولم يتمكن أيضاً من الخروج منها بأية فكرة عن نوع الحكم الذي كان يعيش فيه الصفويون : أكانوا في حكم ملوك ، على شاكلة عرب الغساسنة ؟ أم كانوا قبائل متنقلة خاضعة لسلطان الروم ، حين تكون في بلاد الشام ، وحررة طليقة حين ترد البادية ؟ وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء قبائل ، منها : (بدن) و (يعر)

١ راجع النصوص الصفوية .

و (تر) ، و (هجدل) (هكدل) ، و (جر) (كر) و (حزن)
و (حضى) ، و (حولت) (حواللة) ، و (دمصى) و (سلم) ،
و (صبح) ، و (ضف) ، و (عبد) ، و (عوذ) ، و (غر) ،
و (فرث) ، و (وقر) ، و (يحرب) ، و (همضر) ، و (املكث)^١ .
ومن القبائل الصفوية : (اشلل) ، و (بكس) ، و (جعبر) ، و (جوا) ،
و (حمد) ، و (حرم) ، و (حظى) (حضى) ، و (حمى) ، و (زد)
(زيد) ، و (زهر) ، و (عدل) ، و (عمرت) (عمرة) ، و (فضج) ،
و (مسكت) (ماسكة) ، و (معصى) (معيص) ، و (نمرت) (نمرة)
(نمار) (نميرة) ، و (هنر) (هذير) (هذار)^٢ ، و (نسمن) أي
(نسمان)^٣ ، و (حمد) (حماد) (حميد)^٤ .

وترد لفظة (ال) قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية ، وتؤدي
فيها معنى (آل) عندنا ، مثل : (ال تم) ، أي (آل تم)^٥ ، و (ال عوذ)
بمعنى (آل عوذ)^٦ و (ال ادم) (آل آدم)^٧ ، و (ال حد) (آل حد)^٨ .
وهي بمعنى ان المذكور أو المذكورين من القبيلة المسماة، أو من العشيرة المذكورة ،
أو من البيت المسمى .

وورد (ال) بهذا المعنى في النصوص الصفوية يدل على ان لغة هذه القبائل
وهي قبائل عربية شمالية تشارك لغة القرآن الكريم في هذه الخاصة .

وقبيلة (عوذ) ورد اسمها في عدد من الكتابات الصفوية . وقد ورد في احداها
ان حرباً كانت قد نشبت بينها وبين قبيلة أخرى ، اسمها (وعل) أو (ويل)
أو (وائل)^٩ . وقد يكون لاسم هذه القبيلة صلة باسم الإله (جد عوذ) .

Winnett, P. 4.	١
Jordan, II, PP. 14.	٢
Littmann, Safa, S., 53, 55.	٣
Safa, S., 62.	٤
Annual Report of the Department of Antiquities of Jordan Vol., I, P. 26.	٥
Jordan, I, P. 27.	٦
G. Ryckmans, Inscriptions Saffaitiques Au Britisch Museum et au Musée de Damas, Louvain, 1951, P. 88.	٧
Jordan, I, P. 24.	٨
Jordan, I, P. 27.	٩

وقد عثر على اسم قبيلة (نعمن) ، أي (نغان) في بعض الكتابات الصفوية التي عثر عليها في (وادي خوران) بالعراق . ويرد (نعمان) اسماً لأشخاص ، ومنهم بعض ملوك الحيرة^١ .

وقد ورد اسم قبيلة في إحدى الكتابات التي عثر عليها في العراق ، وهي قبيلة (ال صح) ، أي (آل صح) ، أو (آل صائح) ، أو (آل صيح) ، أو (الصائح)^٢ . وما زال اسم (الصائح) معروفاً في العراق ، وهو اسم عشيرة فقد يكون له صلة بهذه التسمية القديمة .

وقد أفادتنا هذه الكتابات من الناحية الجغرافية ، إذ قدمت لنا أسماء مواضع عديدة لا يزال بعضها يسمى بالأسماء الواردة في تلك الكتابات . وقد يمكن في المستقبل دراسة الأسماء الأخرى لتثبيت مواضعها وتعيينها على مصورات الأرض (الخارطات) .

ومن المواضع التي ورد اسمها في الكتابات الصفوية ، موضع (رجب) ، وهو (الرجة) . وقد ورد في نص سجله رجل اسمه (حن بن هعتق) ، (حنان ابن العاتق) ، أو (حنين بن العاتق) ، أو (حن بن العاتق) ، وذكر أنه (بن ال - رجب) ، أي (من الرجة) ، أو (من آل رجة) ، وأنه كتب كتابته هذه في السنة التي دار فيها قتال مع قبيلة (ال حمد) (الحمد) أو (آل حمد)^٣ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن (الرجة) هو اسم موضع . كما أن (الحمد) هو اسم موضع كذلك ، وأن الذين نزلوا في هذين المكانين وفي أمكنة أخرى نسبوا أنفسهم إليها فقالوا : (آل رجة) و (آل حمد) ، وذلك على نحو ما نجده في عربيتنا من ذكر (آل) في الانتساب ، وأن هذا معناه أن أولئك الأعراب الذين نزلوا في الموضعين انتسبوا إلى المكانين ، فاستعملوا لذلك لفظة (ال) ، أي (آل) ، قبل الموضع ، فظهر الاسم (ال رجب) (ال رجة) وكأنه اسم قبيلة^٤ .

١ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، ١٩٦٤ ، الجزء الأول والثاني (ص ٢٧) من القسم الانكليزي .

٢ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، السنة ١٩٦٤ ، الجزء الأول والثاني (ص ٢٧ ، ١٨) من القسم الانكليزي .

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .

٤ العرب في سوريا (ص ١٠٥ وما بعدها) .

ولهذا المظهر من التسميات والانتساب شأن كبير في موضوع دراسة أنساب القبائل ، إذ فيه برهان ودليل على أن الإقامة في موضع تكون سبباً للانتساب إليه ، ثم لتحويل ذلك النسب الى اسم جدّ ، وأن ما يرويه أهل الأخبار في هذا الباب مثل انتساب الغساسنة الى (غسان) ، وأن (غسان) اسم موضع ماء نزلوا عليه ، فدُعُوا به ، يجب أن ينظر اليه نظرة اعتبار ، لا رفض وازدراء . وفي أسماء القبائل العربية المدونة في كتاب الأنساب والأدب ، أو الواردة في الكتابات الجاهلية أمثلة عديدة من هذا القبيل .

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النصوص الصفوية : (بصرى) وقد ذكرت على هذه الصورة (بصر) ، و (هنمرت) ، (النمرت) ، أي (النمار) ، و (هشبكي) أي (الشبكي)^١ و (حجر)^٢ .

و (حجر) موضع قد يراد به (الحجر) المعروف في عربيتنا ، وهو (Hegra) و (Hegrae) عند اليونان واللاتين ، و (حجرا) و (حجرو) عند النبط^٣ .

وورد اسم مدينة (تيا) أي (تياء) في الكتابات الصفوية كذلك ، كالذي ورد في نص دونه رجل اسمه (نخل - ال بن شيب) أي (خليل - ايل ابن شبيب) ، وقد تذكر فيه رجلاً اسمه (أبرش) ، وهو من أهل (تياء)^٤ .

ولم يكن الصفويون كما يبدو بوضوح من كتاباتهم ومن صور الحيوانات التي نقشوها على الأحجار أعراباً معنيين في الأعرابية على نحو عرب البوادي البعيدين في البادية ، حيث يقضون حياتهم فيها ، فلا يختلطون بالحضر ، ولا يمتزجون بالحضارة ، وإنما كانوا أشباه أعراب وأشباه حضر ، وربما كان تعبير (رعاة) خير تعبير يمكن اطلاقه عليهم ليميزهم عن غيرهم . فقد كان الصفويون أصحاب ماشية ، لهم ابل ، يعيشون عليها ، ويتاجرن بها ، ولهم خيل يركبونها ، والخيل كما هو معروف لا تستطيع الحياة في البوادي القاحلة العميقة والرمال القليلة المياه ،

١ العرب في سوريا (١٠٦) .

٢ Jordan, II, P. 48.

٣ Jordan, II, P. 48.

٤ Enno Littmann, Zur Entzifferung der Saka — Inschriften, Leipzig, 1901, S., 51.

ولهم المعز والغنم والحمير والبقر، وهي من الحيوانات التي تحتاج الى رعي ومراعي^١. ولذلك يجب أن يكون أصحابها من طبقة الرعاة . وقد كانت حياتهم حياة رعي، نجدهم في الشتاء في مكان ، ثم نجدهم في الصيف في مواضع أخرى قريبة من الجبال حيث يكون الجو لطيفاً والمياه كثيرة ، ليكون في استطاعتهم الابتعاد من حر الحرار ومن تسموم الأرض القاحلة في الصيف ، ولتستمتع ماشيتهم بجو لطيف فيه ما يغريها من خضرة نضرة ومن ماء عذب زلال .

ان في بعض هذه الكتابات تعبيراً عميقاً عن ذكاء فطري يعبر عن طراز حياة الصفرين ، فكتابة مثل : (ورعى همعز وولد شهى) ، ومعناها : (ورعت المعز وولدت الشياه) ، أو (ورعى بقر هنخل) ، أي (ورعت البقر في هذا الوادي) ، أو (وقف على قبر فلان وحزن) ، هي تعابير، وإن بدت ساذجة مقتضبة لا يكتبها حضري ، غير أنها تمثل في الواقع ذكاءً فطرياً عميقاً ، ونوعاً من التعبير عن حس أهل البادية أو أهل الرعي ، وهو حس مرهف فيه بساطة وفيه اقتضاب نبتا من وحي الصحراء البسيطة الممتدة الى ما وراء البصر على نمط واحد ، وشكل لا تغيير فيه ولا تبديل . وكتابات يكتبها أناس يحيون بعيدين عن حضارة المدن ، ويعيشون بين أشعة الشمس وضوء القمر في بيوت وبر أو شعر معز لا تقى ولا تنفع الا بمقدار ، لا يمكن أن تكون الا على هذا النحو من البساطة ، ولكنها بساطة ذكي يحاول بذكائه التعبير عن حياته تلك .

ونجد هذا الذكاء الفطري في الصور المرسومة للحيوانات ، فقد أراد مصورها أن يعبروا عن غرائزهم الفنية بصورة محسوسة ترى ، فرسموا صور حيوانات ألفوها ورأوها ، بصورة بدائية ، ولكنها معبرة أخاذة . ورسموا بعض المناظر المؤثرة في حياتهم مثل الخروج للصيد ومعارك الصيد ، فترى على بعض الأحجار فارساً وقد حمل ربحاً طويلاً، ونرى مشاة وقد حملوا أقواساً وتروساً صغيرة مستديرة لوقاية أجسامهم من السهام أو من الحيوان ، ونرى رجالاً يطاردون غزالاً أو ضأناً ، ونرى أناساً فرساناً ومشاة يطاردون أسداً^٢ ، ونرى غير ذلك من صور بدائية من هذا القبيل ، مهما قيل فيها ، فلأنها صور رائعة لا يمكن أن يحفرها

١ العرب في سوريا (١٠٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الميلاد (ص ١٠٧ وما بعدها) .

فنان بأحسن من هذا الحفر ، وهو في مثل هذا المحيط ، وليست لديه من آلات الحفر غير هذه الآلات .

والصور المنقوشة على الأحجار التي ترينا الصفوي وقد ركب حصانه معتقلاً رماً طويلاً ، هي صورة المحارب الفارس عند الصفويين ، وهي في الواقع صورة الفرسان الأعراب ، سلاحهم الرئيسي الرماح ، يطعنون بها خصمهم . وما زال البدو في بعض البوادي من جزيرة العرب يحملون ذلك السلاح التقليدي القديم ، يحاربون به خصومهم في المعارك القبلية البدائية . وأما المحارب الماشي ، فإنه يحارب بالقوس وييده الترس كما يظهر من بعض الصور ، وهو لا بد أن يكون قد استعان بأسلحة أخرى بالطبع ، مثل السيوف والفؤوس والحجارة وكل ما تقع يده عليه مما يصلح أن يكون مادة للقتال والعراك^١ .

إن الصور التي تمثل الناس ، وهم يطاردون الغزلان أو بقر الوحش أو الأسد أو الحمار الوحشي ، هي صور مفيدة جداً تتحدث عن وجود تلك الحيوانات في تلك الأماكن وفي تلك الأوقات ، وعن طرقهم في صيدها . وقد كانت لحوم بعض تلك الحيوانات طعاماً شهياً لمن يصطادها ولآلهم وجاعاتهم ، كما أن لوجود صورة الحصان شأناً في اظهار أن الصفويين وغيرهم كانوا يعرفون الخيل في تلك الأزمنة ، وأن الحصان العربي كان موجوداً يومئذ^٢ .

وفي جملة ما عثر عليه من أسماء آلهة الصفويين اسم إله عرف بـ (إله هاجبل) (إلاه هاجبل) (إله الجبل) ، وهي تسمية تدل على أن عبده كانوا من سكان جبل أو أرض مرتفعة ، ولهذا نعتوا إلههم بـ (إله الجبل) أو أن عبده هؤلاء قد أخذوه من أناس كانوا قد خلقوا إلههم من ارتفاع أرضهم ، وصار إلهاً من آلهة الصفويين . وهو يقابل الإله المسمى بـ (الاجبل) (Elagabal) وهو كناية عن الشمس، وكان يعبد في (حمص) (Emesa) فإن لفظة (Elagabal) تعني (إله الجبل) . وقد رمز إليه بـ (حجر أسود) وعباد الحجر الأسود كانت معروفة عند الجاهليين . وقد كان أهل مكة يقدسون الحجر الأسود في مكة ويتقربون إليه^٣ .

١ العرب في سوريا (١٠٧ وما بعدها) .

٢ العرب في سوريا (ص ١٠٨) .

٣ F. Altheim, Aus Spätantike und Christentum, 1951, 28, Die Araber, I, S.,

ولا ندرى من حلّ في محل الصفويين فأخذ مواطنهم ، ولم تختف كتاباتهم بعد عهدهم هذا ؟ هل كان الذين أخذوا مكانهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكانت أيامهم صُمتاً بكمّاً ؟ الذين أخذوا مكانهم هم أعراب مثلهم ، كانوا أقوى منهم ، لذلك تغلبوا عليهم على وفق سنة البادية . هذا جواب لا شك فيه . ولكننا لا نستطيع تحديد هوية أولئك الأعراب وتعيين أسماء قبائلهم ، كما أننا لا نستطيع التحدث عن سبب سكوتهم وعدم ترك آثار كتابية لهم نتحدث عن أيامهم وعن قبورهم وأصدقائهم وما شاكل ذلك من أمور الى زمن مجيء الاسلام . إن الغساسة ، هم آخر من نعرف أنهم كانوا في هذه الأرضين وفيما جاورها وكذلك قبائل عربية أخرى مثل لحم وكلب ، ولكننا لا نعرف أنهم تركوا كتابات تتحدث عنهم .

وبين أسماء الأشخاص المدونة في النصوص الصفوية أسماء تشبه أسماء أهل مكة والعرب الشماليين شَبْهاً كبيراً ، ويحملنا هذا على تصور ان ثقافة الصفويين عربية شمالية . ونجد هذا التشابه في أمور ثقافية أخرى ، سأتحدث عنها في الأماكن المناسبة . ومن الأسماء الواردة في النصوص الصفوية : (قصيو) ، أي (قصي) . وقد ورد اسم (قصيو بن كلبو) ، أي (قصي بن كلاب) في أحد النصوص . وكان من رجال الدين . وورد (قصيو بن رحو) أي (قصي بن روح) . و (قصيو بن اذينت) ، أي (قصي بن أذينة)^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية الشمالية هاجروا من جزيرة العرب الى الشمال ، فسكنوا في منطقة (الصفاة) ، غير أنهم لم يكونوا قد اندمجوا في أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط ، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم . وتعتبر عن هذه الصلة بعض الخصائص اللغوية التي ترجع على رأيهم الى أصل عربي جنوبي ، غير أنهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم وبمن تجاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين ، ويظهر أثر هذا الاختلاط على رأيهم أيضاً في الأسماء والكلمات والتعابير الخاصة التي نقرأها في هذه النصوص^٢ .

١ رنيه ديسو ، العرب في سوريا ، (ص ١١٦) .
Handbuch, S., 48. ff., René Dussaud, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam,
٢ E. Littmann, Götting. Gelberte Angelger, 1908, S., 144.

قلت : إن كلمة (الصفويون) لا تعني شعباً معيناً أو قبيلة معينة ، وإنما هي اصطلاح أوجده (هاليقي) ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة من (اللجاة) و (حوران) ومواضع أخرى ، لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد أناساً تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد ، ليظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة فلاحين ورعاة لهم قرى ومزارع ، وربما كانت لهم تجارات أيضاً ، غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئاً كثيراً . فقد يكونون اذن من قبيلة واحدة ، وقد يكونون جملة قبائل ، وقد تكون لهم (امارة) لا نعرف من أمرها شيئاً ، وربما لا يكون لهم ذلك . وربما كانوا أتباعاً للسلطة القائمة في بلاد الشام تتحكم فيهم بنفسها أو بواسطة أمراء أو سادات قبائل .

وقد يكون الصفويون أناساً وصلت أسماءهم إلينا ، وكتب المؤرخون عنهم ، ولكننا لا نعرف أنهم هم الذين نبحث عنهم ، لأننا أمام اصطلاح جديد مبهم ، ظهر كما قلنا في القرن التاسع عشر ، ليست له حدود واضحة ولا معالم مرسومة ، فلا ندري نحن في الواقع ما نريد ، قد يكون هؤلاء أسلاف غساسنة الشام ، وقد يكونون غيرهم .

الفصل السابع والثلاثون

مملكة الحيرة

وللأخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان ، آراء في أصل اسم (الحيرة) ، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل عريض ، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي بَعُدَ عهدُها عنهم فحاروا فيها . وإيرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند إلى نصوص جاهلية ، ولا إلى سند جاهلي محفوظ . ومن أحب الوقوف عليها ، وتعرّف مذاهب القوم فيها ، فعليه بمراجعة تلك المظان^١ ، كما أن لبعض المحدثين آراء في هذا الباب^٢ .

ومعظم المستشرقين ، يرون أنها كلمة من كلمات بني إرم ، وأنها (حرتا) (Harta) (Hirta) (Hérta) (حيرتا) (حيرتو) السريانية الأصل ، ومعناها المخيم والعسكر وأنها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser)^٣ ، وإن (حيرتا) (حيرتو)

١ ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٣٧٥/٢) ، أبو تمام ، الحماسة (٨١١) ، البيت (٢) ، « والحيرة ٠٠٠٠ قرب الكوفة ، والنسبة حيري وحاري » ، القاموس (١٦/٢) ، البكري ، معجم (٤٧٨/٢) وما بعدها ، (طبعة السقا) ، المشرق ، السنة ، ١٩٠٨ ، (٧٧) ، (والحيرة ، بالكسر : بلد بجنب الكوفة ينزلها نصارى العباد ، والنسبة إليها حيري وحاري) ، اللسان : مادة (حير) .
٢ يوسف رزق الله غنيمية ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، بغداد ، سنة ١٩٣٦م ، (ص ١١) .

٣ Ency., II, P. 314, Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 12.

وسيكون رمزه : Rothstein

Fränkel, Aram. Fremdwörter in Arabisch, XV, XVIII,

Nöldeke, Sasa., S. 25.

في التواريخ السريانية تقابل (العسكر) عند الاسلاميين^١ وهي في معنى (الحضر) و (حاضر) و (الحاضرة) كذلك . ولهذا زعم بعض المستشرقين ان (الحضر) اسم المكان المعروف في العراق أخذ من هذا الأصل العربي، أي من (الحضر)^٢ . وقد عرفت (الحيرة) في مؤلفات بعض المؤرخين السريان ، فعرفت بـ (الحيرة مدينة العرب)^٣ ، (حيرتا دي طياية) ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل (النعمان) ، فورد (حيرتو د نعمان ديث بورسويي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)^٤ .

ويلاحظ ان تعبير (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمان) ، تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار (الحيرة) باسم (النعمان) سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

ويرى بعض علماء التلمود أن مدينة (حواطره) (حوطرا) التي ورد في التلمود أن بانيها هو (برعدى) (بن عدى) ، هي الحيرة^٥ . وقد حدث تحريف في الاسم ، بدليل أن التلمود يذكر أنها لا تبعد كثيراً عن (نهر دعه) (Nehardea) ، وأن مؤسسها هو (برعدى) ، ويقصد به (عمرو بن عدى)^٦ .

ويظن أن موضع (حرت دارجيز) (حارتا دار جيز) (حرتة دارجيز) ، الوارد في التلمود ، هو (الحميرة)^٧ . وقد ورد أن (ارجيز) وهو ساحر ، هو الذي بنى تلك المدينة . ويرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة بين هذا الساحر وبين قصة (سِنْهَار) باني (الخورنق)^٨ . وعرفت في التلمود بـ (حيرتا

Musil, Palmyrena, P. 289, Hoffmann, in ZDMG., 32, (1878), ١

753, F. Althelm, Geschichte der Hunnen, I, (1959), S. 130.

Die Araber, I, S., 275, Hoffmann, In ZDMG., 32, 1878, 753, F. Althelm, ٢
Geschichte der Hunnen, I, 1959, 130, Anm. 34, Brockelmann, Lexi.

Syriacum, 2, 1928, 228a, Die Araber, II, S. 225.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧) ٣

Rothstein, S. 13, John of Ephesus, 352, 10, 13, John of Ephesus, ٤

3, 216, Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

S. Funk, Die Juden in Babylonien, II, S. 154, Sabbat I, 14. ٥

S. Funk, Die Juden, II, S. 154. ٦

Sanhedrin 5b, Sabbat 19b, Erubin 63a. ٧

Die Juden, II, S. 155, J. Obermeyer, Babylonien, S. 234. ٨

دي طيبه) أيضاً ، أي (معسكر العرب) و (حيرة العرب)^١ .

وقد ذكر اسم الحيرة في تاريخ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) من مؤرخي القرن السادس الميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م) ، فقال : (حيرتود نعمان دببت بور سوبي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)^٢ ، كما ذكرها (يشوع العمودي) (Josua Stylites)^٣ . وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام (٤١٠ م) ، وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه (هوشع) (Hosha) اشترك فيه ووقع على القرارات باسم (هوشع) اسقف (حيرته) (حيرتا)^٤ .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن مملكة (تدمر) الى ورود اسم مدينتين هما (حيرتا) (الحيرة) و (عانانا) (عانة) في كتابة يرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (١٣٢) للميلاد^٥ . وقلت باحتمال أن تكون (حيرتا) هذه هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فإذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت إلينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم^٦ .

ومدينة (Eertha) التي أشار إليها (كلوكس) (Glaucus) و (اصطيفان البيزنطي) (Stephen of Byzantium)^٧، وذكر أنها مدينة (فرثية) (Parthian) تقع على الفرات ، هي هذه الحيرة على ما يظن^٨ .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عاقولا)^٩ ، وقد ذهب (ابن العبري) الى أنه (الكوفة)^{١٠} ،

J. Obermeyer, S. 234.

John of Ephesus, 352, 10, 13.

Rothstein, S. 13.

Musil, Palmyrena, P. 20, ZDMG., 43, S. 388.

راجع تاريخ العرب قبل الاسلام (٨١/٣) ، لجواد علي ، (٦/٤) .

Littmann, 6, CIS, II, III, P. 156, 3073.

Glaucus, Fragmenta, P. 409, (Muller), Stephen of Byzantium,

Ethnica, P. 276, (Meineke), Paulys - Wissowa Elfer Halbbend,

(1907), S. 552.

Musil, Euphrates, P. 102.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

Bar Hebraeus, PP. 94, 101.

وأشار (ياقوت) الى (عاقولاء) غير أنه لم يحدد موقع هذا المكان^١ .
وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قيل «يوم
وليلة بالحيرة خير من دواء سنة»^٢ . وقيل عنها انها « منزل بريء مريء صحيح
من الأدوية والأسقام »^٣ ، وهي على (سيف البادية)^٤ ليست بعيدة عن الماء ،
وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين، وهي لا تبعد كثيراً
عن (النجف) و (الكوفة)^٥ .

وقد ذكر (حمزة الأصفهاني) انه بسبب حسن هواء الحيرة وصحته لم يمت
بالحيرة من الملوك أحد ، الا قابوس بن المنذر . أما بقية الملوك ، فقد ماتوا في
غزواتهم ومتصيدهم وتغريبهم ، وانه بسبب ذلك قالت العرب : « لبيثة ليلة
بالحيرة أنفع من تناول شربة »^٦ .

وقد نعتت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها : (الحيرة الروحاء)^٧ ،
و (الحيرة البيضاء)^٨ ، أخذوا ذلك من شعر الشعراء . وزعم بعض أهل
الأخبار : ان وصفهم اياها بالبياض ، فلانما أرادوا أحسن العارة .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً
كان يصل بينها وبين الفرات . بل يظهر ان هذا النهر كان متشعباً فيها ، بحيث
كوتن جملة انهار فيها . اما نواحيها ، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى
شاطيء الفرات ، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على جرف

-
- | | |
|---|---|
| ١ | البلدان (٩٨/٦) . |
| ٢ | الاصطخري ، المسالك (٨٢) . |
| ٣ | الطبري (٨٥٠/١) . |
| ٤ | الاصطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٣٧٥/٢) . |
| ٥ | اليقوي ، البلدان (ص ٣٠٩) ، « طبعة دي غويه » ، رحلة ابن جبير (ص ٢١٠) ،
(دي غويه) ، الاصطخري (١٦٣) ، « دي غويه » . |
| ٦ | حمزة (٧٥) . |
| ٧ | قال عاصم بن عمرو :
صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً
ورجلاً فوق أتباج الكلاب |
| ٨ | البلدان (٣٧٦/٣) .
قال الشريف الرضي :
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت
شمم العباد عريضة الأعطان
ديوان الشريف الرضي (٨٨٥/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣) . |

البحر وشاطئ النهر^١ ومن أنهار الحيرة نهر كافر^٢ . ويرى بعض أهل الأخبار أنه هو نهر الحيرة^٣ .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام الى أفول نجم الحيرة ، اذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة ، وهذا مما ساعد على اندثار تأريخ تلك المدينة الجاهلية ولا شك . غير انها ظلت أمداً طويلاً تقاوم في الاسلام الهرم الى أن جاء أجلها فدخلت في عداد المدن المندثرة .

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لحم) وبـ (آل نصر) . كما عرفوا بـ (النعامنة) وبـ (المناذرة) ، وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم^٤ . وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

ماذا أوئل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إيراد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد^٥

وفي طليعة أهل الأخبار الذين عنوا بجمع أخبار الحيرة الأخباري الشهير ، بل رأس أهل الأخبار في أمور الجاهلية : (هشام بن الكلبي) . فله كتاب في (الحيرة) سماه (ابن النديم) كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين ، وكتاب ثان سماه (ابن النديم) (كتاب المنذر ملك العرب) ، وكتاب ثالث اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)^٦ . وهي مؤلفات لم تصل إلينا - ويا للأسف ! - نرجو أن تكون في عالم الوجود، ليتمكن من يأتي بعدنا من الظفر بشيء جديد فيها ، قد يفيد عشاق تأريخ الحيرة ويزيد في معارفهم .

- ١ تقويم البلدان ، لأبي الفداء (٢٩٩) .
- ٢ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (١٢٤) .
- ٣ (قال أبو عمرو : كافر نهر بالحيرة) ، الاغانى (١٢٥ / ٢١) ، (فخذ المتلمس صحيفته في نهر الحيرة) ، الاغانى (١٢٦ / ٢١) وما بعدها ، ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام (نواذر المخطوطات) ، (ص ٢١٣) .
- ٤ التنبيه (ص ١٥٨) .
- ٥ المعارف (ص ٢٨٢) .
- ٦ الفهرست (١٤٦ وما بعدها) ، (أخبار هشام الكلبي) .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت بعض البعثات الآثرية آثارها ، وعالجت مديرية الآثار القديمة في العراق بعض نواحٍ من تأريخها ، وقد توصل الحفّارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تُكسى به الجدر للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي^١ . غير انهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة السيئة الحظ .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدوّن أو كتابة مدوّنة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لها هو ما أشرت اليه ، غير ان ذلك لا يتخذ دليلاً على انها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ، اذ يجوز انها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم . ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالسماح لبطن الأرض بإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التأريخ .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام (بختنصر) . هم يقولون : إن (برخيا) لما قدم من (نجران) وأخبر (بختنصر) بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وان يظأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم به ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب (بختنصر) على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصّته ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم سائلين مستأمنين . فاستشار (بختنصر) فيهم (برخيا) ، فقال : إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن اليهم ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ،

D. Talbot Rice, The Oxford Excavation at Hira, In Ars. Islamica, Vol., I, Part, I, MCM, XXXIV, P. 51.

Ann Arbor University Press, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol., XIX, April, 1932, P. 254, Vol., Sept., 1932, P. 276.

فسمّوه (الأنبار) . ثم سار (بختنصر) لمقاتلة العرب ، فنظم (بختنصر) ما بين (أيلة) و (الأيلة) خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار (بختنصر) بجيشه حتى التقى بموضع (ذات عرق) بعدنان فهزمه ، وسار الى بلاد العرب حتى قدم الى (حضور) وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار (عربية) ، فخذق الفريقان ، ثم تصالح (بختنصر) و (عدنان) ، بعد أن أكلت السيوف العرب . وعاد (بختنصر) بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم (الأنبار) . وذهب قوم ممن أفلت قبل الهزيمة الى (ريسوب) وعليهم (عك) . وذهب الباقون الى (وبار) . ولما رجع (بختنصر) ، مات (عدنان) ، وبقيت بلاد العرب خراباً حياة (بختنصر) . فلما مات (بختنصر) خرج (معد بن عدنان) ومعه الأنبياء أنبياء بني اسرائيل حتى أتى (مكة) فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج حتى أتى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر (جرهم) ، ثم تزوج ابنة معانة ، فولدت له نزار بن معد^١ .

فؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو (بختنصر) . وهو مؤسس (الأنبار) في نظرهم أيضاً . وقد كان ذلك في أيام عدنان . وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولجنودها وأصولها في مواضع من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وفي بعض روايات الأخباريين أن (الأردوان) ملك النبط ، وكان معاصراً لـ (أردشير) ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن (بابا) خصم (الأردوان) هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب (الأنبار) . فالحيرة والأنبار إذن هما من عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط متخاصماً في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، ويمثلهم (الهمداني) ، رواية أخرى في بناء (الحيرة) ، فهم يرجعون بناءها الى (تبع)^٢ .

ويحدثنا (ابن الكلبي) بأن تبعاً المعروف بالرائد — وهو تبتان أسعد أبوكرب ابن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الراش بن قيس بن صيفي بن سبأ — لما سار في أيام (بشتاسب

١ الطبري (١ / ٢٩١ وما بعدها) .
٢ البلدان (٣ / ٣٧٧) .

وأردشير بهمن بن اسفنديار بن يشتاسب (متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه (الرائش) قبله ، خرج على جبلي طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة ليلاً ، تحير ، فأقام مكانه ، وسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولحم وجذام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به . ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وباهارث بن كعب وإياد . ثم توجه الى الأنبار^١ .

وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تبع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبدالله بن أحمد المروزي^٢ . هذه هي أقوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب الى العراق وفي سكنائهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكن فيها شيء كثير من الخطأ والضلal . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى العراق ، فهذا أمر ليس الى نكرانه من سبيل ، ولكننا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفية فتلك أمور لا يعرفها الأخباريون . كما أننا لا نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيراً عن الإسلام ، وبينهم أناس اخترعتهم مخيلة الأخباريين .

وتأريخ الحيرة مع سعته وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض يدفعنا أحياناً الى العجب من قول (ابن الكلبي) مثلاً : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »^٣ . وهو كما نعرف سند الأخباريين ومرجعهم الأول في تأريخ الحيرة . فرجل يدعي هذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث

-
- | | |
|---|-------------------|
| ١ | الطبري (٣/٢) . |
| ٢ | الطبري (٣/٢) . |
| ٣ | الطبري (٣٧/٢) . |

واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهاد فيما يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث في شكل ، ثم يرويه في شكل آخر يختلف عما رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص في أسماء الملوك وفي مدد حكمهم ، ويذكر أجمالاً ، ثم يناقض ما قاله تفضيلاً . غير أن علينا — ونحن أحياء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام — أن نكون حذرين في القول . فنحن لا نستند في حكمنا هذا الى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند الى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي وروت عنها . فما يدربنا لعل الخطأ في هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب في الموارد التي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي إذن هو حكاية لما وجدته هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه في هذا الشأن ولا تريب . ولسنا في هذا المكان قضية نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو نسحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا في هذا الموضوع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير الى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل إلينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره (الطبري) من أسماء ملوك لحم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عما ورد في تأريخ (حزة) مثلاً أو في (مروج الذهب) للمسعودي ، أو في المؤلفات الأخرى التي سترد أسماؤها في ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً الى المورد الذي استقت منه ، كابن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب (ابن الكلبي) مثلاً ، أو أنهم نقلوا من مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هذا الاختلاف على انه ، مع افتراض هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، اذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد فاهم للمادة هاضم لها ، له نقد وتفكير تأريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً بيناً عما كتبه في كتاب له آخر ، الا أن يكون قد عثر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تنسيقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، وتجد في تأريخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخر

دون أن يشير إليه أو يشير الى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن (ابن الأثير) الى ذلك فأشار الى انه ناقل ، وذاكر ما وجده وما قاله مختلف الأخباريين ليقف عليه القارئ . ثم لم يغفل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل من حكم (الحيرة) من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عاداتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن يقولوا : « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة الى مدة حكم من عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا : « منها كذا في حكم الملك الفلاني ، وكذا في حكم الملك الفلاني » ، وهكذا إن كان الملك قد أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت اذا فحصت ما ذكروه إجمالاً ، ثم ما ذكروه تفصيلاً وجمعته بعضه مع بعض تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد المذكور إجمالاً في بعض الأحيان . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جمة للباحثين في هذا التأريخ في تثبيت تواريخ الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا المدون عن تأريخ آل لحم وتأريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الديلمي وابن الأثير على ادماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم على ملك من ملوك الساسانيين صلات ذلك الملك بعرب الحيرة ، ويشيرون الى ملكها الذي كان يحكم في أيامه ، والى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ تأريخ الحيرة وتناثر في صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تأريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليعقوبي وحزرة والمسعودي على تدوين تأريخ الحيرة في باب مستقل بني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك في ذهن الكاتب ، مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكم ، أو من معاصرة الملوك الساسانيين أو من بناء أو ما شابه ذلك . وتجد في مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم يتطرق اليها أصحاب الطريقة الأخرى في بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه الناحية في زيادة علمنا بتأريخ الحيرة المستقي من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتأريخ وللمؤرخين الإسلاميين وللموارد التاريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لا بد

منها ، إذ بغيرها لا نتمكن من كتابة تأريخ بالمعنى العلمي للعرب قبل الاسلام . وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ، وبذلك تيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، وتمهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤسف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص والمقتبسات التي يعتمدون عليها ، ويجرون فيها بعض التغيير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فتظهر كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتطفات والمقتبسات في الموضع المناسب ، لكان في اشارتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية الى الموارد الأصلية التي يجب أن يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الحظ ان بين أيدينا جملة مؤلفات لاتينية ويونانية ، وردت في ثناياها اشارات الى (عرب الروم) و (عرب الفرس) ، أي عرب الشام من (آل جفنة) وعرب الحيرة من (آل لحم) . وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم ، واشتركوا هم أنفسهم في الحملات لكونهم مؤرخين رسميين يسيرون مع القيصر أو القواد لتدوين الحوادث والمشاهدات . وقد أفادتنا اشاراتهم هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جلّ اعتماد الباحثين في إيجاد مواضع ارتكاز يطمئن اليها في تعيين تواريخ (آل جفنة) أو (آل لحم) . وبها تمكنا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدمها - بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين - ولكون معظمها من عهد ما قبل الإسلام ، وكان لها حق التقديم بالطبع في نظر المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لا يدفع عنها مع ذلك مواطن النقد والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً في تدوين هذا التأريخ ، ولكنها ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانية واللاتينية في الدقة وفي النقد . ولما كان الكثير منها تواريخ كنسية ، تعرضت لتأريخ الحيرة أو عرب الشام أو العرب الآخرين بقدر ما هؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي على الجملة تمزج الأخبار بالمعجزات وبخوارق العادات وبرواية كرامات الآباء في هداية الملوك الوثنيين وسادات القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بها ذلك الزمن في النزاع المذهبي الذي منيت به النصرانية وفي محاولة الغرض من الطرف النصراني الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية واليعقوبية والملكية وأمثالها ، فلكل منها رواية بأسلوبها الخاص ، لذلك وجب علينا الانتباه لهذه الناحية حين الرجوع اليها ، وتخليص رواياتها من شوائب العصبية للمذهب ، ونقدتها لاستخلاص

العصر التاريخي منها في تدوين تأريخ صحيح لعرب العراق او عرب بلاد الشام
أو عرب جزيرة العرب .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ، والعباد،
والأحلاف^١ . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وفيها من
عدنان . وقد ذكروا ان في لهجة أهل الحيرة هجئة ، رجّعوا سببها الى اختلاط
هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجئون الى
هذا المكان^٢ . ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم (بني لارم) ،
شأنهم في ذلك شأن تدمير وأهل (بطرا) اذ استعملوا قلماً نبطياً متأخراً في الكتابات .

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظال والوبر غربي الفرات بين
الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح أهل الأخبار^٣ . ويظهر من وصفهم لتنوخ
أنهم قصدوا بهم من كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من
سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار . ولم يقصدوا قبيلة معينة^٤ .

وللأخباريين رأي خاص في تفسير أصل كلمة (تنوخ) خلاصته : انه لما
مات (مختنصر) ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار،
وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد
العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأخبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة
من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معد بن عدنان . فلما كثر أولاد معد بن
عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فتشتتوا . وأقبلت منهم
قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر (عمران
ابن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، وهو : (ماء السماء بن حارثة) ، وهو :
(الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاعة) ، و (مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله

١ حمزة (٦٦) .

Die Araber, I, S. 268, Nöldeke, Geschichte der Perser, (1879), S. 24.

٢ البلدان (٣/ ٣٨٠) ، Rothstein, S. 18.

٣ حمزة (٦٦) ، (وتنوخ : حي من اليمن) ، اللسان (نوخ) .

٤ Rothstein, S. 28, Nöldeke, Sassa., S. 24, Anm. 3.

ابن أسد بن وبرة) في جماعة من قومهم ، و (الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان) في (قنص) كلها . ولحق بهم (غطفان بن عمرو ابن الطمشان بن عوذ مناة بن يقدم بن أنصى بن دعى بن إياد بن نزار بن معد ابن عدنان) ، و (زهر بن الحارث بن الشلل بن زهير بن إياد) ، و (صنح ابن الحارث بن أفصى بن دعى بن إياد) . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنخ على تنوخ بطون من (نمارة بن لحم) ، ودعا (مالك بن زهير) (جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي) الى التنوخ معه ، وزوجه أخته (لميس) ابنة (زهير) . فتنخ (جذيمة بن سالك) وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزدي ، فصار (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم) والأزدي حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم ، فكان على حد قول (ابن الكلبي) في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرق البلدان بينهم عند قتله (دارا) ملك فارس الى أن ظهر (أردشير بن بابك) ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

وفي هذا العهد عهد ملوك الطوائف، تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا فيه، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمعوا على السير الى العراق . وكان أول من طلع منها (الحيقار بن الحيق) في جماعة قوميه واختلطوا من الناس ، فوجدوا الأرمانيين (بني إرم) ، وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين عرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين عرب الحيرة . ثم طلع (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم بن تيم الله) ، و (مالك بن زهير بن فهم بن تيم الله) ، و (غطفان ابن عمر بن الطمشان) ، و (زهر بن الحارث) ، و (صنح بن صنح) فيمن تنخ عليهم من عشائريهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمانيين ، فطلع (نمارة بن قيس بن نمارة) و (النجدة) ، وهم قبيلة من العماليق ، يدعون الى (كندة) و (ملكان بن كندة) و (مالك) و (عمرو) ابني (فهم)

ومن حالفهم ، وتنخ معهم على (نفر) على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير ، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة (نفر) على ذلك لا يدينون الأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو : (اسعد ابو كرب بن ملكيكر) في جيوشه فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه^١ .

وروى (ابن الكلبي) أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطفّ الفرات وغريبه الى ناحية الأنبار وما والاها . نزلوا في المظالم والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزاوجون أهلها . وكانوا يسمون (عرب الضاحية) . فكان اول من ملك منهم في زمان الطوائف (مالك بن فهم) ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه (عمرو بن فهم) . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده (جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي)^٢ .

وقد أخذ الطبري ما ذكره عن (تنوخ) من روايات ترجع الى (ابن الكلبي) والى (ابن اسحاق) ، وتختلف روايات (ابن اسحاق) التي اخذها (الطبري) عن شيخه (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) بعض الاختلاف عن روايات (ابن الكلبي) .

ولدينا رواية تذكر أن (بني زهير بن عمرو بن فهم) ، ومنهم (مالك ابن فهم) الذي تنخّ عليه تنوخ . هو ومالك بن فهم بن غنم الأزدي ، تنخوا بعين هجر ، وتحالفوا هناك ، فاجتمعت اليهم قبائل من العرب ، فنزلوا الحيرة ، فوثب (سليمه بن مالك بن فهم) على أبيه ، فرماه فقتله ، فقال أبوه :

أعلمه الرماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

ففرقت بنو مالك ، وكانوا عشرة ، ولحقوا بعمان ، وملك جذيمة بن مالك عشرين ومئة سنة . وذلك في أيام ملوك الطوائف . وهو أول من اتخذ داراً^٣ .

-
- ١ الطبري (٢٧/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الأثير (١٩٥/١ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣ وما بعدها) .
 - ٢ الطبري (٢٨/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الاشتقاق (٣١٧/٢ وما بعدها) .

أما ما زعمه أهل الأخبار في معنى تنوخ، فقد أشرت مراراً الى جنوح الأخباريين الى أمثال هذه التفسيرات ، حين ترسو سفينة علمهم على شاطئ الجهل بالاشياء . وما تنوخ في نظري الا (Tanueitae) (Thanuitae) القبيلة التي ذكرها (بطلميوس) في جملة القبائل التي كانت في أيامه^١ . وهي وإن كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير ان ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها الى الحيرة وبادية الشام واقامتها فيها ، وهو حادث مألوف ليس بغريب ، أو انها كانت في هذه المواضع في أيام (بطلميوس) كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها أو انه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن انها حيث وضعها من الأماكن ، وهو أمر ليس وقوعه من الكتاب في الزمن الحاضر بغريب ، فكيف بالنسبة الى تلك الأيام .

فتنوخ اذن على الوصف المتقدم ، هم أعراب الحيرة ، لا حضرها وأهل مدرها ، وكانوا يعيشون في اطرافها وحولها ، في بيوت الشعر والمظال ، على نقيض (العباديين) . وقد تبين من بعض الموارد ان بطوناً من تنوخ نزلت ارضين تابعة للروم^٢ .

واما العباد ، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها، فهم حضر مستقرون^٣ . ويقول معظم الأخباريين انهم كانوا على دين المسيح . ويقول بعضهم : انهم قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، والنسبة اليهم عبادي^٤ . وذهب بعض الى انهم بطن في جزيلة من لحم^٥ . وخالف فريق فذهبوا الى انهم كانوا من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهر الحيرة^٦ . وانهم دانوا لأردشير^٧ .

ونسبهم بعض أهل الأخبار الى (بني عبد القيس بن أفضى بن دهمي بن جديلة

١ Sprenger, Alte Geography, 341, Glaser, Skizze, II 283, Blau, In ZDMG.,

22, (1868), S. 660, Forster, II, P. 247.

Die Araber, II, S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 269. حمزة (٦٦) ،

٣ الاشتقاق (٧/٢) ، (طبعة وستنفلد) ، Rothstein, S. 19.

٤ العقد الفريد (٢٥٣/٢) .

٥ ابن القفطي : الحكماء (١٩٩) ، غنيمة (١٦) .

٦ الطبري (٤٣/٢) .

ابن أسد بن ربيعة) ، وذكروا أنهم من نسل أربعة ، هم : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل^١ . وأشار (السهيلي) الى ورود اسمهم في الحديث ، فقال : « وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام ، الروم ، والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصروا . وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد القيس »^٢ .

وللأخباريين أقوال في أصل كلمة (العباد) ، فمنهم من يقول أنهم انما سموا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماؤهم تبتدىء بكلمة عبد ، فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسموا العباد^٣ . ومنهم من يقول : لا ، انما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسموا بهذا الاسم^٤ . ومنهم من يرى أنهم سموا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، اتخذوا شعاراً لهم ، هو يا آل عباد ، فسموا العباد^٥ . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات.

واظن ان خير ما نفعله في هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه التسمية ، هو ان ندرس أسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من اسر ورجال ، مثل : اسرة عدي بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا في العباديين . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عدي ابن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لحم ، وكانت بقيلة من الأزد^٦ . فهم اذن من قبائل مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدل على ان هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، او بطناً ، وإنما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين ، ووحدة الوطن . لذلك لم يطلق إلا على النصارى العرب من اهل الحيرة . اما غيرهم من نصارى العرب ، فلم يشملهم اسم العباديين^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٢ | الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٣ | اللسان (٢٧٢/٣) ، (عبد) ، ابن قتيبة المعارف (٦٤٩) ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول (٢٥٠) . |
| ٤ | تاج العروس (٤١٠/٢) وما بعدها ، (عبد) ابن القفطي ، (١٧٣) وما بعدها ، اللسان (٢٧٢/٣) ، الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٥ | الآغانى (١٥٦/١١) . |
| ٦ | Rothstein, S. 20. |
| ٧ | Rothstein, S. 20. |

ويمكن ان نقول استناداً الى روايات الأخباريين في تحديد مدلول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة اطلقت في الأصل على من تنصر من اهل الحيرة ، ليميزوهم عن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن اولئك النصارى في بادىء امرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هذه التسمية جميع نصاراها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم ايضاً عن بقية النصارى العرب من غير اهل الحيرة فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتأخرون انه علم ، ثم حاروا في تعليله ، فأوجدوا على طريقتهم تلك التعليلات .

ولعل العباد والعباديين من كلمة (عبد) في الأصل ، أطلقتها منتصرة الحيرة الأولى على نفسها ، لأنها تعبدت لإله ، لتمييز نفسها عن الوثنيين . او ان اولئك الوثنيين اطلقوها على اولئك المنتصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ (عبد المسيح) علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع (عبدالله) بين المسلمين^١ .

ولا استبعد ان يكون العباد والعباديين ، هم بقية (اباديدي) (Abadidi) او (إباديدي) (Ibadidi) ، الذين تحدثت عنهم في اثناء كلامي عن الآشوريين . وقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ، حذق بعضهم الصناعات ودرس بعضهم العلوم ، وفاق بعض آخر في اللغات فحذق العربية وتعلم الفارسية ، وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة ، لأنها لغة الدين ، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة ، ولهذا السبب اختار الفرس تراجمتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء ، كالذي كان مع (زيد العبادي) والد (علي) .

وأما (الأحلاف) ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ، ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين دانوا لـ (أردشير)^٢ . وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط^٣ ، كما كانت بينهم جماعات من

Nöldeke, Sassa., S. 24, Rothstein, S. 21.

١ حمزة (٦٦)
٢ الأغاني (٦١/٨)

الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية برطانة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطانة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بني إرم وهي التي عرفت بلغة (النبط) عند المسلمين^١ .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : الآلات ، والعزى ، وسبد^٢ ، و (محرق) وبه تسمى بعض الرجال تبركاً وتقرباً إليه^٣ .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعته الفرس في بلادهم نكاية بالروم . غير ان هنالك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة ، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان . وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس الى مذاهبهم . وطبيعي ألا يجد مذهب الروم صدىً رجباً في الأرضين الخاضعة للفرس ، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين الى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك ، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (٤٢٤) ^٤ ، وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها على بعض الروايات^٥ .

ما ذكرته عن أهل الحيرة ، هو ما يخص أهل المدينة وما حولها من الحضر المستقرين . أما من كان قد خضع للملك الحيرة ، فكانوا قبائل يعيشون في ارضين واسعة ، كانت تنقلص سعتها وتتوسع بحسب قدرة (ملك الحيرة) ومكانته ، فقد حكم (امرؤ القيس) مثلاً (كُـلَّ العرب) على حد قول النص : (نص النارة) الذي وجد على قبره . ويقصد بذلك (كل الأعراب) ، وخص منهم (أسدأ) و (نزارأ) و (مذحجأ) وغيرها ، حتى بلغ حدود (نجران) ،

- ١ (عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا) ، أمالي المرتضى ، (١٧٧/١) .
- ٢ الاغانى (١٠٤/٢) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، (٢٠/٢) ، (ساسي) .
- ٣ Rothstein, S. 95, Nöldeke, in ZDMG., 1887, S. 712.
- ٤ الدبورة في مملكتي الفرس والعرب (١٠) .
- ٥ أوجين نسران ، خلاصة تاريخية للكنيسة السريانية « تعريب القس سليمان الصانع » ، الموصل ، ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

كما ملك (معداً)^١ . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أن مُلك ملوك الحيرة قد شمل القبائل المذكورة في كل الأوقات ، بل في كل أيام حكم (امرئ القيس) ، فقد تعودت القبائل الانتفاضة على من يفرض حكمه عليها عند أول فرصة يشعرون فيها بضعف الحاكم ، أو أن الأوضاع أخذت تسير عكس ما يريد ، فتتقلب عليه وتخرج على طاعته .

ونجد في رسالة (شمعون الارشامي) الحيرة أن في جملة من كان في معسكر (المنذر) الثالث ، (طيايه حنبة ومعداية) ، أي (طيء) ومعد . والأغلب أنه قصد بـ (طيايه) الأعراب ، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد . ولعله قصد بـ (حنبة) (حنفة) قبيلة (بني حنيفة) أو قبيلة أخرى اسمها قريب من هذا الاسم . ويلاحظ ان اسم (معد) كان معروفاً مشهوراً على انه من القبائل العربية الكبيرة التي تشمل منازلها أرضين واسعة . وقد ميّز بينها وبين (نزار) في (نص التماره) مما يدل على ان (نزاراً) كانت منفصلة عن (معد) ولها اسم خاص في القرن الرابع للميلاد . أما الأنباء التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المعروفة في أيام الساسانيين ، تلي شهرتها في العراق شهرة مدينة (طيسفون) (Ktesiphon) . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية أنها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير اننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بعث فيها الحياة وانشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني (سابور الثاني) (شابور) (Shapur II) (٣١٠ - ٣٧٩ م)^٢ ، أو سابور الأول في بعض الروايات^٣ . وقد حصّنت وقيوت وجعلت قلعة حربية لصدد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الانباطور (يولييانوس) (Julianus) على مملكة الساسانيين في سنة ٣٦٣ للميلاد ، اذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يولييانوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركاماً وتللاً من الرماد ، فأمر عندئذ ببناء (هيليوبوليس) (Heleopolis) . وقد وصف المؤرخ (أميانوس مرسلانوس) (Ammianus Mercellianus) الأنباء ،

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤلف هذا الكتاب (٣٣/٤ وما بعدها) ،
Die Araber, II, S. 313.

٢ Paulys - Wissowa, 64, Halbband, 1950, 1725, Ency., I, P. 348.

٣ Paulys - Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791, Musll, Euphrates, P. 354.

وذكر نلاعها الحصينة^١ .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقع نهر عيسى الذي يصل الفرات بدجلة ، وهو نهر قديم يرجع عهده الى ما قبل الاسلام ، عرف بـ (Naarsares) أو (Narsares)^٢ ويظن ان الملك سابور الثاني المذكور هو الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأناً خاصاً اذ صارت فرضة مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع المرسلّة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولاسم هذه المدينة، وهو الأنبار ، علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من (Ham-bara) الايرانية القديمة، ومعناها المخزن ، ومنها (أنبار) (Anbar) بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء المسلمون معنى الكلمة فذكروه^٣ . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون (Anbara) (Abbareny) (Abara) ، ويقصدون بها الأنبار^٤ .

وقد عرفت المدينة بـ (فيروز سابور) (فيروز شاپور) (Peroz Shapur) كذلك . ومعنى هذه الكلمة (سابور المنتصر) . ومنها جاء اسمها (بيريسابور) (Pirisaboora) (Bersabora) (Pirisaboras) المذكور في تأريخ (أميانوس مارسليانوس) و (زوزيموس) . وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانية . وكان عليها أسقف نسطوري^٥ .

ويظن ان موضع (أنكوباريتيس) (Ankobaritis) المذكور في جغرافية

١ Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725, Ammianus, XXIV, 2, 9, XXIV, 2, 18, Musil, Euphrates, PP. 234 236, 240, 354.

٢ (نهر صرصر) ، Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725.

٣ (وانما سميت الأنبار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الأهرام ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها ، الطبري (٢٨/٢) ، البلدان (٣٦٨/١) ، اللسان (١٩٠/٥) ، (صادر) ، (نبر) ،

Ency., I, P. 348, Fränkel, Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen, S. 136, Scheftelwitz, In ZDMG., IX, 699, Nöldeke, Grammatik der Neusyrischen Sprache, S. 403, Paulys-Wissowa, Zweiter Halbband, 1894. 1461.

٤ Ency., I, P. 348.

٥ Ammianus Marcellianus, XXIV, 29, 5, 3, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

(بطلميوس) يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان اسم هذه المدينة معروفاً اذن قبل أيام الساسانيين^١ .

ولم يذكر (ايزيدور الكركسي) (Isidorus of Charax) الذي ساح حوالي ميلاد المسيح في إنبراطورية الفرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسماً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام (ايزيدور) وربما في القرن الأول للميلاد ، وأنها أنشئت في بادئ الأمر لحزن المواد فيها وتموين الحاميات بما تحتاج اليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في اقليم بابل بعد طيسفون^٢ .

وفي رواية لـ (ثيوفيلكتس) (Theophylactus) أن (كسرى برويز الثاني) (Khusrave Abharvaz) (٥٩٠ - ٦٢٨ م تقريباً) ، حينما هرب من وجه (بهرام جوين) حوالي سنة ٥٩٠ للميلاد ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلة واخترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب الى عانة (Anatha) ، ومنها ذهب الى (قرقيساء) حيث اتصل بالروم^٣ .

وقد صارت (الأنبار) من أهم المواضع العلمية ليهود العراق في عهد (هرمز الرابع) (٥٧٨ - ٥٩١ م) أو (٥٧٩ - ٥٩٠ م) . فلما اضطهد هذا الملك اليهود ، وأمر بإغلاق مدارسهم الدينية التي كانت من أهم مدارس اليهود في ذلك العهد في مدينتي (سورا) (Surà) و (بومبيدثا) ، (فومبيدثه) (Pumbeditha) ، انتقل أحرار المدينتين الى مدينة (فيروز سابور) (Peroz Shapur) أي الأنبار . وكانت إذ ذاك في حكم ملوك الحيرة^٤ . وصارت منذ ذلك العهد مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في العراق .

وتقع (فومبيدثه) (Pumbeditha) بجوار الأنبار ، وتعني (فم البداة) ، وقد كانت من أهم المستوطنات اليهودية في العراق . ومن أهم المراكز العلمية التي أخرجت طائفة من كبار أحرار اليهود ، أسهموا في تدوين التلمود وفي جمع التراث اليهودي القديم . ومن علمائها (مار رابة الغاؤون) وآخرون . وقد قدم

Ptolemy, V, 18, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, S. 1791.

Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

Theophylactus, IV, 10, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1794.

Die Araber, I, S. 630, Th. Noldeke, Tabarl, 57, Anm., 5.

اليها اليهود من فلسطين هرباً من الرومان الذين لم يعطوا اليهود الحرية الدينية الكافية للانصراف الى ممارسة شعائهم الدينية والتعليم على وفق ديانتهم . فأسسوا مستوطنات مهجة في العراق ، منها : هذه المستوطنة ، ومستوطنة (نهر دعة) وغيرها ، وفي هذه المستوطنات دوّن التلمود البابلي الذي هو من أهم أركان كتب التشريع عند اليهود^١ .

وقد جاء في (بابا بئرا) أن العرب الذين أتوا الى (فومبيدته) ، استولوا على أرض اليهود . وقد جاء اليهود الى حبرهم (أبيه) (Abaya) ليكتب لهم نسختين من نسخ تملك الأرض ، حتى اذا استولى غريب على نسخة التملك تكون لديه نسخة ثانية . وكان ذلك على أثر هذا الحادث^٢ . وكان العرب عندما ينتزعون تلك الأرضين يأخذون سندات التملك أيضاً . ولهذا راجع اليهود هذا الحبر ليكتب لهم سندي تملك ، حتى اذا أخذت نسخة ، احتفظ صاحب الأرض بالنسخة الثانية فيكون في امكانه مقاضاة المغتصب^٣ .

ونجد في (ندّه) (Niddah) ، وهو (كتاب الحيض) من باب (كتاب الطهارة) (Seder Tohoroth) في الفقه العبراني ، قصة تاجر عربي كان في (فومبيدته) ، وكان يرتدي عباءة أو جبة سوداء حالكة السواد ، ولما كان السواد من الألوان المكروهة عند اليهود ، جاءه أحد زوار المدينة من اليهود ، فسأله عن هذا السواد ، فقال التاجر : وهل يوجد لون كهذا اللون ! فقام عليه اليهود ، وانتزعوا منه عباءته أو جبته ومزقوها ، ثم استرضوه بأن عوضوه بأربعمئة (زوز)^٤ .

ملوك الحيرة :

وقد عرف ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، وبـ (آل لحم) ، وبـ (آل محرق) ، وبـ (آل النعمان) ، وبـ (آل عدي) . وورد ان العرب كانت تسمي بني المنذر الملوك (الأشاهب) الجمالهم^٥ .

- | | |
|---|---|
| J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 215. | ١ |
| Baba Bathra 168b. | ٢ |
| The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735. | ٣ |
| Niddah 20a, The Babylonian Talmud, Seder, P. 131. | ٤ |
| الاشتقاق (ص ١١٦) . | ٥ |

ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، هي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمان طويل . فقد ورد في الأخبار عن (نهر دعة) (Nehardea) وهي مستوطنة من المستوطنات اليهودية القديمة الكبيرة التي تأسست في العراق ، وتقع عند فم نهر ملكا (Nehr Malka) ، أي نخرج نهر الملك من الفرات^١ ، انه في سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد ، جاء (بابا ابن نصر) الى مدينة (نهر دعة) وخرّبها ، فهرب بعض أجبّارها الى مواضع يهودية أخرى ، كانت ملجأ لليهود^٢ . ويظهر ان الأمير المهاجم ، وقد سمي في الخبر بـ (بابا) (Papa) ، كان من أبناء سيد قبيلة عربية اسمه (نصر) . وقد عرف بـ (برنصر) و (بن نصر) في التلمود^٣ . وقد ذهب الباحثون الى ان المراد به أحد أمراء الحيرة من (آل نصر)^٤ . أما (كريتز) (Grätz) ، وهو من المؤرخين اليهود المشهورين ، فقد ذهب الى انه (أذينة) زوج الملكة (زنوبيا) (الزباء) (Zenobias) ملكة تدمر^٥ . غير ان هناك أدلة تاريخية لا تؤيد هذا الرأي ، ثم ان الموارد العربية تنعت ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، ولم يشتهر ملوك تدمر فيها بـ (آل نصر) .

وقد تحدثت اليك برأي أهل الأخبار في أول من حكم الحيرة من الملوك، ورأينا أن (مالك بن فهم) هو أول ملك حكم هذا الموضع على زعم ، وهو في نظرهم من الأزد^٦ . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية الأخباريين^٧ .

وقد زعم (حمزة الإصفهاني) أن (مالك بن فهم) تملك تنوخ العراق في زمان ملوك الطوائف ، وان منزله كان بالأنبار ، وأنه بقي بها الى أن رماه ابنه (سليمة بن مالك بن فهم) رمية بالنبل ، وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة راميّه ، قال :

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 245.

٢ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 254.

٣ Kethuboth 51b.

٤ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 255.

٥ Grätz, Geschichte der Juden, IV, S. 295.

٦ الطبري (٢٧/٢) .

٧ اليعقوبي (١٦٩/١) ، المعارف (٢٨١) .

جزاني ، لا جزاه الله خيراً سليمة ، إنه شرأ جزاني
أعلمه الرمايسة كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاظن أي مات ، وهرب سليمة . هرب الى عمان^١ .
وحكم بعد (مالك بن فهم) أخوه (عمرو بن فهم) على رواية^٢ ، و(جذيمة
الأبرش) المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من أمر
(عمرو) هذا شيئاً يستحق الذكر .

وتزعم رواية أن الذي حكم بعد(مالك بن فهم) هو (جذيمة الأبرش) ، وقد
جعلته ابناً لمالك ، وجعلت نسبه على هذه الصورة : (جذيمة بن مالك بن فهم
ابن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن الغوث) . وقالت : إن والده(مالك)
هو أول من ملك الضاحية في حكم ملوك الطوائف^٣ .

أما حظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حظ الرجلين السابقين عند الأخباريين ،
فله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا اليه الغزوات ، وجاد
عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني (وبار
ابن أميم بن لوذ بن سام بن نوح) ، وصيروه (من أفضل ملوك العرب رأياً ،
وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزمًا . وأول من استجمع له الملك
بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش)^٤ ، وذكر (المسعودي)
أنه أول من ملك الحيرة^٥ .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه (كان به برص ، فكنتت العرب عنه ،
وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه اليه ، إعظاماً له . فقليل : جذيمة الوضاح
وجذيمة الأبرش)^٦ . وذكر (المسعودي) أن جذيمة هو صاحب النديمين اللذين

١ حمزة (٦٤) ، الاشتقاق (٣١٧) .

٢ الحيرة (١١٨) ،

٣ الطبري (٦١٢/١) ، (دار المعارف) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، مفاتيح العلوم ،
للخوارزمي (ص ٦٨) .

٤ الطبري (٢٩/٢) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، أسماء المفتالين ، لمحمد بن حبيب ،
(نوادر المخطوطات) ، (ص ١١٢) .

٥ مروج (١٦/٢) .

٦ الطبري (٢٩/٢) ، الكامل (١٣٦/١) ، الاشتقاق (٢٩١/٢) .

يضرب بهما المثل ، واستشهد على ذلك بشعر لـ (متمم بن نويرة اليربوعي) في
مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانيّ جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا^١

وقد ذكر ان النديمين المذكورين هما : مالك وعقيل ، وهما ابنا (فرج بن
مالك) من (بلقين) ، وكانا قد قدما من الشام ، يريدان جذيمة ، فوجدا فتى^٢
قد تلبد شعره ، وطالت أظافره ، وساءت حاله ، أسرع نحوهما يرجو الطعام
والرعاية ، فلما سألاه عن حاله ، وتبين لهما انه (عمرو بن عدي) ، سرّا به
كثيراً ، وعُنيا به ، وأخذاه معها الى (جذيمة) ، فلما رآه ، فرح به فرحاً
كثيراً ، لعودته اليه ، ونظر اليه ، ثم أعاد عليه الطوق ، وكان جذيمة قد صنعه
له قبلاً ، ثم قال : « كبر عمرو عن الطوق » . وكان الجن قد استطارته ،
أي خطفته . وقال جذيمة لمالك وعقيل : ما حكمكما ، أي ما طلبكما ! قالوا حكمنا
منادمتك . فأصبحا يضرب بهما المثل^٣ .

وذكر (المسعودي) ان كنية (جذيمة) التي عرف بها هي (أبو مالك) ،
وروى في ذلك شعراً ، زعم ان قائله هو سويد بن كاهل اليشكري :

ان أذق حنفي ، فقبلي ذاقه طسم وعاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القليل الذي قتلته بنت عمرو بالخدع^٣

وذكر الأخباريون ان جذيمة غزا طسماً وجديساً ، غزاهم في منازلهم من (جو)
وما حولهم . فأصاب (حسان بن تبع أسعد أبي كرب) ، وقد اغار على طسم
وجديس باليامة ، فانكفاً جذيمة راجعاً بمن معه ، وأتت خيول تبع على سريّة
لجذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال في ذلك شعراً دون منه الطبري

١ التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار (٢٧٤/١) ، الروض
الانف (٣٠٣/٢) .

٢ الكامل ، لابن الاثير (١٩٧/١) ، التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، (أنا شهدت
ندمانيّ جذيمة : مالكا وعقيلا ، وصباحتهما الخمر المشعشة لما وجدا عمرو بن
عدي ، فكنت اصرف الكأس عنه) ، رسالة الغفران (٢٧٨) .

٣ مروج (١٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

احد عشر بيتاً . وقد أراد ابن (الكلبي) ان يكون حذراً في هذه المرة ، أو ان يظهر نفسه في مظهر الحذر الناقد ، فقال : « ثلاثة ابيات منها حق ، والبقية باطل »^١ . وجميل صدور هذا الحذر من الطبري ، او من ابن الكلبي ، وقد عودانا سرد ابيات من الشعر العربي ، نسبها الى من هو اقدم عهداً من جذيمة ولم يذكر انه باطل ، او ان فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذيمة انه تكهن وتنبأ ، وانه اتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما بالحيرة في مكان معروف ، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما^٢ . فلم يقنع الأخباريون بالحديث عن ملك جذيمة وحده ، فأضافوا اليه التنبؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (جذيمة بن مالك بن فهم) وهو جذيمة الأبرش كان ينزل الأنبار ويأتي الحيرة ثم يرجع . وكان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وينادم الفرقدن . فإذا شرب قدحاً ، صب لهذا قدحاً ولهذا قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفع له الشمع^٣ . بقي على ذلك حتى نادمه مالك وعقيل^٤ ، الى غير ذلك من أقوال وروايات عنه . وهي تدل على انه كان قد ترك أثراً في المجتمع في ايامه غير أثر الملك ، مما حدا بالقوم أن يضعوا هذه الأقوال فيه .

واشتهر (جذيمة) عند أهل الأخبار بفرس له ، ذكر انها كانت من سوابق خيل العرب ، اسمها (العصا) . وفيها ورد في المثل : « إن العصا من العصية » . وقد نجا (قصير بن سعد اللخمي) على فرسه هذه ، فأخذ بثأره وقتل (الزباء) على زعم أهل الأخبار .

وهم يروون أن جذيمة كان يغازي لإياداً النازلين بـ (عين أباغ) ، فذكر له اسم غلام من نخم في أخواله من إياد ، هو عدي بن نصر ، له جمال وظرف ، فغزاهم . فبعثت إياد قوماً سقوا سدنة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا

-
- ١ الطبري (٢٩/٢) .
 - ٢ الطبري (٢٩/٢) ، اليعقوبي (١٦٩/١) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٦/١) .
 - ٣ المعارف (٢٨١) ، « ويذكر أيضاً أنه أول من أوقد الشمع » ، الروض الانسف (٣٠٣/٢) .
 - ٤ اللسان (٦٨/١٥) ، (عصا) ، الخيل لابن الكلبي (٣١) ، نوادر المخطوطات (١٩٩) .

في إيراد . فبعثت اليه تفاوضه على ارجاع الصنمين اليه على أن يكف عن غزوهم ، ولكنه اشترط عليهم اعطائه عدي بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا على ذلك . فانصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرابه . ويدعون انه تزوج اخته (رقاش) التي أحبته فيما بعد ، في قصه يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان (عمرو ابن عدي) ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك^١ .

وفي رواية من روايات الأخباريين ان جذيمة زوجت اخته من ابن عمه : (عدي ابن ربيعة بن نصر) ، فولدت له (عمرو بن عدي) الذي استطار به الجن^٢ . وفي جملة ما نسبته أهل الأخبار الى جذيمة من حروب حربه مع (عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملي) (العمليقي) من عاملة العماليق . وعمرو هذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعدا للقتال استعداداً كبيراً ، فجمعا كل ما امكنها جمعه . ولما اصطدما ، قتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعده سالماً . ولم يشتر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال . وملك من بعد (عمرو) ابنته الزباء^٣ .

أما ملك جذيمة ، فكان عل حد قول الأخباريين ما بين الحيرة والأنبار وبقعة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر الى الغير والقطقطانة وخفية وما والاها ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً انه ملك معداً وبعض اليمن^٤ . وكانت داره بالموضع المعروف بـ (المضيق) بالمصيرة بين الخانوقة وقرقيسيا^٥ .

- ١ الطبري (٣٠/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٦/١) ، ابن خلدون (القسم الاول) ، المجلد الثاني (٥٤٢ ، ٥٨٦ ، ٦٢٦) ، العقد الفريد (٢٦٠/٥) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، الهمداني ، صفة (١٧٨) ، مراصد الاطلاع (٩٧٦/٢) .
- ٢ الاخبار الطوال (٥٦) .
- ٣ الطبري (٣١/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٩/١) ، مروج (٩٠/٢) وما بعدها (، نوادر المخطوطات ، (أسماء المغتالين) (ص ١١٢ وما بعدها) ، الاغانى (٧١/١٤) .
- ٤ الطبري (٢٩/٢) ، بلوغ الارب (١٧٥/٢) ، محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ، (١١٢) .
- ٥ حمزة (٦٤) .
- ٦ البلدان (٣٧٨/٣) .

اما الأنبار ، فقد تحدثت عنها . وهي — على ما يظهر من روايات الأخباريين — من المواضع التي كان يخضع اعرابها في الغالب لحكم اللخمين . واما بقعة ، فتقع على الفرات بين هيت والأنبار . وأما هيت ، فهي من المواضع القديمة المعروفة قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في نص (توكلي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta II) الذي يعود عهده الى حوالى سنة ٨٨٥ قبل الميلاد^١ . وقد عرفت بـ (ايد) (Id) و (ايت) (It)^٢ . وهي (ايس) (اس) (Is)^٣ و (ايس بوليس) (اسبولسي) (Ispolis) (Ispoolis)^٤ و (ايديكاره) (Idikara)^٥ و (دياكيرة) (Diakira)^٦ في مؤلفات الكلاسيكيين . و (ايسي) (Ihi) و (ايبداكيرة) (Ihidakira) في مؤلفات عصر التلمود^٧ .

وفي بقعة استشار جذيمة قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزباء^٨ . وتقع بقعة على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت^٩ . وقد جعلها (اليقوبي) على شط الفرات بالقرب من الأنبار وفي ملك الزباء^{١٠} . وهي على الفرات بين الأنبار وهيت ، في رواية أكثر الأخباريين^{١١} .

وأما القطقطانة ، فوضع في البرية لا يبعد كثيراً عن الكوفة، وهو بالطف^{١٢} . وأما خفية ، فهي أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب إليها

-
- | | |
|---|----|
| Scheil and Gautier, Annales de Takulti Ninip II, Roi D'Assyrie, 889-884, Paris, 1910, P. 38, Ency., II, P. 322, Musil, Euphrates, P. 350. | ١ |
| Musil, Euphrates P. 350. | ٢ |
| Heradotus, I, 179. | ٣ |
| Isidore of Charax, Mansiones Parthiace, (Muller), P. 249 ^٤ | ٤ |
| (ايوبوليس) ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ١٠ ، (ص ٤٤٠) . | |
| Ptolemy, Geography, V. 19, 4. | ٥ |
| Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 15. | ٦ |
| Musil, Euphrates, P. 350. | ٧ |
| (بقعة خلفت الرأي) ، البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٧/٢) وما بعدها ، | ٨ |
| (كما لم يطع فيما أشار قصير) ، رسالة الغفران (٥٣٣) . | |
| البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٢/٢) . | ٩ |
| اليقوبي (١٦٩/١) . | ١٠ |
| البكري ، معجم (٢٦٤/١) وما بعدها ، مراصد الاطبلع (١٦٦/١) ، | ١١ |
| البلدان (٤٧٣/١) ، Musil, Euphrates, P. 160. | |
| البلدان (١٢٥/٧) . | ١٢ |

الأسود المعروفة بأسود خفية ، وهي غربي الرحبة، ومنها الى عين الرهيمة مغرباً .
وقيل أيضاً عين خفية ^١ .

وقد اشتهرت (عين التمر) القرية من (شفاثا) بالقصب والتمر، وهي على
طرف البادية . فتحها المسلمون على يد (خالد بن الوليد) في سنة ١٢ للهجرة
في ايام أبي بكر ^٢ .

وقد طال عمر جذيمة على حد قول (حمزة الأصبهاني) الى ان لحق ملك
(سابور بن أشك الأشغاني) (شابور بن أشك) ، وحكم على حد قوله أيضاً
ستين سنة . أما نهايته ، فكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معلومة ، رصعها
الأخباريون بشعر وأمثلة ^٣ ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الزباء . وجعل
بعضهم مدة حكمه مئة وثمانين سنة ، اذ ملك في زمن ملوك الطوائف خمساً
وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود ثلاثة وعشرين سنة ^٤ .
وملك يحكم هذه المدة لا بد أن تكون مدة حياته أطول من مدة حكمه .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ان جذيمة لم يزل ملكاً مقيماً بالخورنق ، حتى
دعته نفسه الى تزويج (مارية) ابنة الزباء الغسانية . وكانت ملكة الجزيرة ،
ملكته بعد عمها الضيزن الذي قتله (سابور) ، فقتلت جذيمة ، ثم قتلها قصير
مولاه ^٥ . فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزباء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك
أنقذ الزباء من تهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملكة ، وجعلها ملكة
على الجزيرة ، وجعل نسبها في غسان ، وغسان معادون منافسون لآل لخم ، ثم
أبى إلا أن يجعل لجذيمة قصرأ منيفاً ، فوقع اختياره على الخورنق ، وهو قصر
لائق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأي الأخباريين الذين ينسبون هذا
القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وقد جاء اسم (جذيمة) (جديمت) في نص نبطي ويوناني عثر عليه في

-
- ١ البلدان (٤٥٢/٣) .
 - ٢ البلدان (٢٥٣/٦) .
 - ٣ حمزة (٦٤ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٩/١)
الطبري (٤٤٨/١) .
 - ٤ مروج (٩٠/٢ وما بعدها) ، الروض الانف (٢٠/١) .
 - ٥ الاخبار الطوال (٥٦) .

(أم الجبال) ، جاء فيه : (هذا موضع أي قبر فهر بن شلي (سلي) مربي جديمت ملك تنوخ) . ولهذا النص على قصره أهمية بالغة ، لأنه يشير الى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام^١ . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك ! أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ! مهما يكن من شيء ، فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جديمة ملك (تنوخ) تنوخ .

ويلاحظ أن النص دوّن اسم (جديمة) بحرف (الدال) وكتب اسم (تنوخ) بحرف الحاء (تنوخ) بدلاً من الحاء . ويكون هذا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم (تنوخ) . ويرجع عهده الى حوالي السنة (٢٧٠) بعد الميلاد^٢ . وجعل (ابن دريد) لجديمة نسلاً^٣ ، سماهم (بني جهضم) ، وجعل لفظة (جهضم) من (التجهضم) ، ومعناها التكبير^٤ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) أنه لم يلد لجديمة غير (زينب بنت جديمة) ، وهي أم مرتع . واسمه (عمرو بن معاوية بن كندة) ، فغزا في آخر عمره الشام ، فقتل (عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة) ملك المالقة والد الزبّاء ، فانطوت له الزبّاء على طلب الثأر حتى قتله^٥ .

وانتقل الملك بعد وفاة جديمة الى ابن أخته (عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم)^٦ . أما أمه ، فهي أخت جديمة ، وهي : (رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدنان) على رواية من ينسب مالك بن فهم الى عدنان^٧ .

١ Rep. Epig., 1097, II, III, P. 373, Enno Littmann, Nabataish-Griechische
Bilinguen, In Le Florilegium Melchior de Vogue, P. 375, Die Araber, II,
S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 193, Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen,
I, S. 151, 154.

٣ الاشتقاق (٢٩٢/٢) .

٤ حمزة (٦٥) .

٥ الطبري (٣٠/٢) وما بعدها ، معجم الشعراء (٢٠٥) ، الاغاني (٧٢/١٤) ،
رسالة الغفران (٢٧٨) ، فرائد اللال (١٠٨/٢) .

٦ حمزة (٦٥) ، مروج (٩٢/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ،
التنبيه (١٥٨) ، نزهة الجليس (٥٩/٢) وما بعدها .

ويلاحظ أن (الطبري) لم يكن مستقراً في موضوع اسم (عدي) والد عمرو ، إذ يجعله (نصرأ) في موضع ، فيقول (عدي بن نصر بن ربيعة)^١ ، ويجعله (ربيعة) في موضع آخر ، فيقول : (عدي بن ربيعة بن نصر)^٢ . ويظهر أن ذلك إنما وقع له بسبب أخذه من روايات مختلفة ، وعدم تدقيقه ونقده لتلك الروايات .

وفهم من رواية يرجع (الطبري) سندها الى (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) أن زمان حكم (ربيعة بن نصر اللخمي) كان بين ملك (تبان أسعد ابو كرب) وملك ابنه (حسان بن تبان أسعد)^٣ . والرواية مضطربة مشوشة ، يفهم منها أن (ربيعة بن نصر) كان نفسه قد حكم اليمن في الفترة الواقعة بين (تبان أسعد) وبين حكم ابنه (حسان) ، وأن (حسان) هذا لم يتمكن من الحكم الا بعد هلاك (ربيعة بن نصر)^٤ . ويزيدها اضطراباً وتشويشاً ذكر (الطبري) رواية الرؤيا التي رآها (ربيعة بن نصر) وعرضها على (سطيح) و (شق) لتفسيرها له ، وما كان من جوابها له في تفسيرها ، حيث (وقع في نفسه أن الذي قال له كائن من أمر الحبيشة ، فجhez بنه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ربيعة بن نصر ، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة)^٥ . فيتبين منها أن (ربيعة بن نصر) كان مقيماً باليمن ، وقد أقام بها حياته ، وأن بنيه هم الذين ذهبوا الى العراق . ولكنها لم تشرح كيف وجد (ربيعة) في اليمن وكيف حكمها وهو من لحم ؟ وهي رواية شاذة ، دسها بعض المتعصبين لليمن — على ما يظهر — على (ابن اسحاق) ، فدوّنوها في أخباره . وقد دست أخبار وأشعار على ابن اسحاق ، فرواها وصدق بها من غير نقد ولا تحقيق . وللعلماء رأي فيه .

ويزعم بعض أهل الأخبار أن (سطيحاً) و (شقاً) أخبرا (ربيعة بن نصر)

-
- ١ الطبري (١ / ٦١٤ ، ٦٢٧) ، (دار المعارف) .
 - ٢ الطبري (٢ / ٦١ ، ١١٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ الطبري (٢ / ٦١ ، ١١١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
 - ٤ (فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان أسعد الطبري (٢ / ١١٢ ، ١١٥) .
 - ٥ الطبري (٢ / ١١٤) .

في تأويلها لرؤيا بما يكون من غلبة الحبش على أرض اليمن، وبغلبة الفرس بعدهم. فلما سمع بذلك ، أوجس في نفسه خيفة ، فأحب أن يخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليمن ، فوجه ابنه عمراً الى يزدجرد بن سابور، أو الى سابور ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بنيت ، فضم عمرو اليه اخوته وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل نحم الى الحيرة ، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً ، فلما مات خلفه من بعده ابنه (جذيمة بن عمرو)^١ .

وزعم (الدينوري) أن وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام (قباد بن فيروز) وأنه بوفاته رجع الملك الى حمير ، فملك ذو نواس من بعده ، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران نفسه . فأرجع أيام ربيعة الى قباد (قباد) ، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون^٢ . وجعل ذا نواس المالك من بعده ، وقد عاش ذو نواس بعد قباد أمداً ، فخالف في ذلك التاريخ وأقوال الأخباريين .

ووصف (الطبري) عمرو بن عدي، فقال عنه : (هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، واليه ينسبون ، وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبدّاً بأمره ، يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأطول ، لا يدين للملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس)^٣ .

وذكر الطبري أن الحيرة خربت بعد هلاك بختنصر ، لتحول الناس عنها الى الأنبار ، وبقيت خراباً الى أن عمرت في زمن عمرو بن عدي ، باتخاذها إياها منزلاً^٤ .

وتم رواية تنسب نصراً الى الساطرون ملك الحضرة ، وتجعل آل نصر من الجرامقة ، من (رستاق باجرمي)^٥ ، ورواية أخرى تجعل ملوك الحيرة من

- ١ الاخبار الطوال (٥٦) .
- ٢ الاخبار الطوال (٦٢ وما بعدها) .
- ٣ الطبري (٦٢٧/١) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٥) ، مفاتيح العلوم ، للخوارزمي (٦٨) .
- ٤ الطبري (٤٣/٢) ، (دار المعارف) .
- ٥ Rothstein, S. 42.
- ٦ (وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي) ، معجم الشعراء ، (٢٠٥) ، Rothstein, 42.

(أشلاء قنص بن معد) . فقد ذكر أن (عمرو بن الخطاب) لما أتى بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال : يا جبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد . وهو من ولد عجم بن قنص ، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم ، فجعلوا مكانه لحماً ، فقالوا هو من لحم ونسبوا إليه^١ . وكان جبير من أنسب العرب^٢ . والذي عليه أكثر أهل الأخبار أن (آل نصر) هم من اليمن ، كانوا قد تركوا اليمن وهاجروا حتى استقروا بالعراق ، ونزلوا الحيرة ، وأسسوا ملكهم بها^٣ .

ويذكر الأخباريون أن عمراً انتقم من الزباء لقتلها جذيمة ، ورووا في ذلك رواياتهم المرسعة بالشعر والأمثال^٤ . وهي روايات لا تستند إلى أسس تاريخية ، إذا قصدوا بذلك الزباء ملكة تدمر التي عرفنا تأريخها ونهايتها في مكان آخر من هذا الكتاب .

وجعل (الدينوري) مدة حكم (عمرو بن عدي) نيفاً وستين سنة^٥ .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه امرؤ القيس . ويقال له امرؤ القيس البدء وامرؤ القيس الأول . أما أمه ، فهي ماوية بنت عمرو اخت كعب بن عمرو الأزدي على رواية حمزة^٦ . وقد عاصر جملة من ملوك الفرس ، هم : سابور ابن أردشير (سابور بن أردشير)^٧ ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن بهرام ، ونرسی بن بهرام بن بهرام ، وهرمز بن نرسی ، وسابور ذو الأكتاف على رواية تجدها مدونة في تأريخ حمزة . وجعل مدة ملكه مئة وأربع عشرة سنة ، وهي مدة تتفق مع ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي .

-
- ١ الروض الانف (١٨/١) .
 - ٢ الجاحظ ، البيان (٣٠٣/١) .
 - ٣ مفاتيح العلوم (٦٨) .
 - ٤ الطبري (٣٥/٢) ، الكامل (١٣٧/١) ، الاغانى (٧٣/١٤) ، الامثال ، للميداني (١٥٨/١ ، ٢٤٦) ، ابن دريد ، المقصورة (١٧) ، مروج (١٧/٢) وما بعدها ، حمزة (٥٨) .
 - ٥ المعارف (٢٨٢) .
 - ٦ حمزة (٦٦) .
 - ٧ الطبري (٦٤/٢) ، حمزة (٦٧) .

غير اننا اذا ما وازنّا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك الفرس الذين حكم (امرؤ القيس) في ايامهم ، وفي مدة حكمه في عهد كل ملك من هؤلاء الملوك^١ . وبين ما ذكره حمزة نجد اختلافاً في العدد واختلافاً في المدة ، مما يدل على ان حمزة نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري^٢ .

وإذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكم تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يعينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين في نظر أصحاب تلك الروايات ، ولم لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة اطالة أعمار الملوك الأولين ، فلك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة .

غير اننا نلاحظ انهم بخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحوا هذه النعمة ، نعمة إطالة مدة الحكم او مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن اولئك الرواة ، بعيد عن ايام تدوين اخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما اعطوه من سبقهم من الملوك جملاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بـ (المحرق)^٣ ، ونعت ايضاً بـ (محرق الحرب)^٤ . ونصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد اطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة ايضاً^٥ . وهم يرون انها لقب ألحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا اعدائهم في اثناء غزوهم لهم بمحرق أماكنهم بالنار . ويرى (روتشتاين) انه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح في نظره انها اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ، ولذلك قيل (آل محرق) لا (آل المحرق)^٦ .

١ الطبري (٦٥/٢) .

٢ حمزة (٦٧) .

٣ المعارف (٢٨٢) .

٤ Rothstein, S. 64.

٥ (ومحرق أيضاً : لقب الحرث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة ، وانما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم ، فهم يدعون آل محرق) ، اللسان

(حرق) .

٦ Rothstein, S. 47.

وفي أصنام الجاهليين صنم يدعي محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع (سلمان)^١ . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق^٢ ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم ، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق أو أنه قدم قرباناً لهذا الإله أحرقه على مذبحه بالنار ، وكان يكثر من حرق القرابين للآلهة ، وتلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقبل له لذلك المحرق ؟ وإلى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين^٣ .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، وقد اقترن اسمه بالدروع . وورد (بردي محرق) كما اقترن اسمه بـ (نسيج داود) ، مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً في أساطير الجاهليين^٤ .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق^٥ ، وذلك يدل على أن (محرقاً) في هذا الموضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين^٦ .

ومما حكاه الأخباريون عن هذا الملك انه كان قد تنصر ، وانه لذلك أول من تنصر من آل نصر^٧ . وهو أمر يحتاج الى دليل ، كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً وانه كان عاملاً للفرس (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة)^٨ .

ويظن بعض الباحثين ان امرأ القيس ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص (النمرة) . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره إلينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨

J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.

Rothstein, S. 48.

Reste, S. 57.

Rothstein, S. 49.

الآغانسي (٦٥/٨) .

Rothstein, S. 49.

الطبري (٦٥/٢) ، ابن خلدون (٢٦٣/٢) .

الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (١٧١/٢) .

للميلاد ، المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم بصرى ، التقويم المعمول به في تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس^١ .

ويظهر من نص النارة ان امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائداً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد ونزار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) ، فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . وروايات فتوحات (شمر) ، هي روايات يمانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك . وقد سبق لي أن بينت ان المستشرقين يرون ان (شمرأ) المذكور في هذا النص أي صاحب (نجران) ، هو (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) . وقد ذكرته في باب (ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمت) . ومعنى هذا ان (نجران) كانت في ملكه يوم أغار (امرؤ القيس) عليها فوصل أسوارها ، ويظهر انه لم يتمكن منها وانه فرض سلطانه على القبائل الساكنة في البادية ، فاعترفت بسيادته عليها . ولهذا لقب في النص بلقب (ملك العرب كلهم الذي نال التاج) ، وختمت الكتابة بجملة « فلم يبلغ ملك مبلغه » ، وهي جملة تعبر عن اتساع ملكه وامتداده مسافات شاسعة .

ويظهر من ورود كلمة (التيج) أي التاج في هذا النص ان هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين في ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وانها وردت بالمعنى المفهوم منها في الزمن الحاضر، أي ما يوضع على الرأس تعبيراً عن الملك والحكم .

ويفهم من هذا النص أن (امرأ القيس) كان قد بسط سلطانه على كل العرب ، أي الأعراب ، فملكهم وملك خاصة (بني نزار) و (أسد) وقبائل (معد) ، وأنه نصب أولاده على القبائل ليضمن طاعتها وخضوعها له ، وأن

François Nau, Les Arabes Chrestiens, P. 32, René Dussaud, Arabes en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907, P. 35, REP. EPIG., I, (1900-1905), 361, NR. 483, R. Dussaud, Mission, 314, J. Cantineau, Le Nebatéen, 1932, 49, Die Araber, II, S. 313.

سلطانه بلغ بذلك حدود أرض اليمن . فامتد حكمه إذن من الحيرة وبلاد الشام الى نجد والحجاز ، حتى بلغ حدود مدينة (نجران) . وقد كانت منازل (معد) في الحجاز وفي ضمن أرضها (مكة) وتمتد الى (نجران)^١ .

ويظهر من دفن (امرؤ القيس) في موضع (النارة) من بلاد الشام أن (امراً القيس) كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله. ويرى بعض الباحثين أنه كان قد جاء الى بلاد الشام ، لأنه كان من حزب (بهرام) الثالث ومن مؤيديه ، فلما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) (٢٩٣ - ٣٠٢ م) (٢٩٣ - ٣٠٣) ، خرج امرؤ القيس من العراق ، وقصد بلاد الشام ، فأقام هناك . ومال الى الروم فأيدوه وأقروه على عرب بلاد الشام ، فيكون قد عمل للفرس وللروم معاً^٢ .

وكتابة (النارة) هي شاهد قبر ملك عربي يدعى (امرؤ القيس) ، عثر عليها في موضع (النارة) وهو في الحرة الشرقية من جبل السدروز ، ويرجع تأريخها الى اليوم السابع من شهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) من تقويم (بصري) أي في اليوم السابع من شهر كانون الأول من سنة (٣٢٨) بعد الميلاد^٣ . دوتت على ضريح الملك ، وهو بناء مربع ، لتكون دليلاً للناس يعرفون منها اسم صاحب القبر . وتتألف من خمسة أسطر ، هذا نصها :

- ١ - تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التيج .
- ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدي وجا .
- ٣ - بزجي في حيج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
- ٤ - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- ٥ - عكدي . هلك سنة ٢٢٣ يوم بكسلول بلسعد ذو ولده^٤ .

Die Araber II, S. 321.

٢ رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) .

Die Araber, II, S. 319.

٣ REP. EPIG., I, VII, P. 361, No. 483, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154.

٤ ولفنسون (١٩٠) ، زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٣) ،

Lidzbarski, Ephemeris, Zweiter Band, Erster Heft, S. 34, REP. EPIG.,

I, VI, P. 362, Dussaud, Nabatéo-Arabe D'An-Nemara in Rev. Arch.,

1902, II, 409-421, Halevy, In Rev. Sém., 1903, P. 58-62, Peiser Die

Arabische Inschrift Von En-Nemara in Orientalist. Literatur-Zeitung, VI,

15, Col. 277-281.

وإذا أردنا تقريب هذه الكتابة الى أفهامنا وتدوينها بلهجتنا العربية، لهجة القرآن الكريم ، كتبناها على هذا الشكل :

- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
- ٢ - وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم ، وهزم مذحجاً بقوته وقاد .
- ٣ - الظفر الى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معداً واستعمل أبناءه على
- ٤ - القبائل . ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول . ليسعد الذي ولده^١ .

وقد استدل المستشرقون من عبارة (ذو أسر التاج) (الذي نال التاج) على أن صاحب هذا التاج هو من الملوك الذين كان لهم اتصال بالفرس، وأن المقصود به ملك من ملوك الحيرة ، لوجود صلة لهم بالأنباطورية الفارسية^٢ . ودعواهم في ذلك ان هذه الجملة ، وكلمة (تج) (تاج) هما من الاصطلاحات المستعملة عند الفرس وعند من خالطهم من الملوك ، فلا بد أن يكون حاملها من الملوك المحالفين لهم . وكلمة (تاج) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، من أصل (تاك)^٣ . ولما كان هذا ملكاً عربياً ، فهو اذن امرؤ القيس ملك الحيرة^٤ .

-
- ١ - تختلف الترجمات بعضها عن بعض بعض الاختلاف ، بسبب اختلاف العلماء في القراءات ، راجع جواد علي : تأريخ العرب قبل الاسلام (٤٣٧/٣ وما بعدها) ، René Dussaud, Mission, 1903, P. 314-323, R. Dussaud, in Revue Archéologique, 1902, III, Tome 41, PP. 409-421, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam, P. 34 Hommel, Grundriss, I, S. 155, Clermont-Ganneau, Recueil D'Archéologie Orient, VI, P. 395, VII, P. 167.
 - ٢ - زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، تأريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٤٤١/٣) .
 - ٣ - غرائب اللغة (٢٢١) .
 - ٤ - Hommel, I, S. 155, De Lagarde, Armen. Stud., 834.

وكان من عمال (سابور بن أردشير) و (هرمز بن سابور) و (بهرام ابن سابور) (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة) في تأريخ الطبري^١ . وورد في تأريخ ابن خلدون نقلاً عن (السهيلي) : ان (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس على مذحج وربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز^٢ . ويظهر ان المورد الذي نقل منه (السهيلي) و (الطبري) يرجع الى منبع واحد ، هو (ابن الكلبي) . وما رواه (ابن الكلبي) يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص (النارة) من أمر ملك وفتوح (امرئ القيس) . و (شمر) صاحب مدينة (نجران) ، هو (شمر يهرعش) في رأي أكثر المستشرقين ، وينطبق زمانه على زمان (امرئ القيس)^٣ . واذا صح هذا الرأي نكون قد حصلنا على أول نص عربي جاهلي يشير الى حرب نشبت بين مملكة الحيرة ومملكة (سبأ) وذو ريدان وحضرموت وعمت (في عهد أول ملك من ملوكها وهو (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يهرعش) عند الاسلاميين .

وفي روايات الأخباريين ما يؤيد نشوب حرب بين عرب الحيرة وعرب اليمن في ايام (شمر يهرعش) ، غير انها تناقض هذا المدون في النص عن تغلب (امرئ القيس) على نجران مدينة (شمر) . ف (شمر) عندها بطل من الأبطال ، فتح الفتوح العظيمة ، وبلغ ملكه حداً لم يصل اليه ملك (اسكندر ذي القرنين) . وعندهم أيضاً انه هو باني مدينة (سمرقند) ، وهو الذي حير (الحيرة) . وهو تبع الأكبر وهو وهو ، على حين هو - في هذا النص - ملك مغلوب ، لم يتمكن من الوقوف أمام (امرئ القيس) الذي بلغت جيوشه مدينة (نجران) . فهل تجد تناقضاً أغرب من هذا التناقض ؟ على اننا لو فرضنا ان (شمر) صاحب نجران هو رجل آخر غير (شمر يهرعش) ، فهذا النص يهدم بنیان الأخباريين اليمانيين القائم على أساس المبالغة في المفاخرات والمباهاة بالأجداد نكايه بالعدنانيين الذين تعالوا عليهم في الاسلام بفضل النبي وشرف الاسلام ، فأحفظهم ذلك جداً . وقد سبق أن تحدثت عن عثور العلماء منذ عهد غير بعيد على نص أشار الى

-
- ١ الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) .
 - ٢ ابن خلدون (١٧١/٢ وما بعدها) ، (بولاق ١٢٨٤ هـ) .
 - ٣ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (١٤١/٣ وما بعدها) .
 - ٤ أغضبهم .

غزو غزاه قائد من قواد (شمس) على (ملك أسد) وأرض (تنوخ) التي تخص الفرس ، وذكرت أن (شمر) المذكور هو (شمر يهرعش) في رأي الباحثين^١ . وقد تحدث عنه حديثاً فيه الكفاية في موضعه ، وفي أثناء كلامي على (شمر يهرعش) ، فلا حاجة بي هنا لإعادة الكلام عليه .

ويرى بعض الباحثين أن (المشقي) الأثر الشهير المعروف الذي نقلت أحجار جدرانها المزخرفة الى متحف (قيصر فريدرش ويلهم) ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء (امرئ القيس) . وقد استدلوا على ذلك بطراز بنائه الذي يشبه الطراز (الحيري) على رأيهم ، وذهبوا الى أنه أقامه في هذا المكان بعد فراره من أرض الحيرة ومن الساسانيين سنة (٢٩٣ م) ، ليكون قصر له وحصناً يدافع به عن ملكه الجديد^٢ .

ويذكر الطبري ان وفاة (امرئ القيس) كانت في عهد (سابور) ، أي سابور ذي الأكتاف (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، وأنه كان عامل (سابور) على ضاحية مضر وريبعة ، وان سابور استعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس في مكان والده^٣ .

وحكم بعد امرئ القيس البدء ابنه عمرو . وامه هند بنت كعب بن عمرو على رواية^٤ ، و (مارية البرية) أخت (ثعلبة بن عمرو) من ملوك الغساسنة في رواية أخرى^٥ . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف (٣١٠-٣٧٩ م) وأخاه (أردشير بن هرمز بن نرسي) (٣٧٩ - ٣٨٣ م) وسابور بن سابور (سابور الثالث) (٣٨٣ - ٣٨٨ م)^٦ . وقد نعت بعض الأخباريين بموقد الحرب (مسعر حرب) . وذكروا انه حكم خمساً وعشرين سنة^٧ . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على انه كان محارباً، ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Die Araber, II, S. 258, 318, 320.

٣ الطبري (٦١/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ حمزة (ص ٦٧) .

٥ المروج (١٩٩/٣) ، (٢٣/٢) ، (طبعة دار الرجاء) .

٦ الطبري (٧٠/٢) .

٧ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسملة (ص ١٠٠) .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى ان مارية التي ضرب المثل بقرطها فقبل قرطا مارية ، هي مارية هذه ام عمرو^١ .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرىء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عمراً ابن امرىء القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً^٢ .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين في مدة حكمه أقوال عدة تراوح عندهم من ٢٥ سنة الى ٦٠ سنة^٣ . وقد ذكر الطبري ان عمراً (بقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أردشير بن هرمز بن نرسي ، وبعض أيام سابور بن سابور) ، ثم قال ان جميع مدة ملكه فيما ذكره ابن الكلبي ثلاثين سنة^٤ . واذا أخذنا برواية الطبري المذكورة ، تكون مدة حكمه حوالي الستين سنة ، ومعنى هذا ان عمراً كان قد عمّر أكثر من ستين سنة، وانه توفي بعد وفاة سابور ذي الأكتاف وبعد سنة (٣٨٣ م) ، لأن حكم (سابور بن سابور) المعروف عند المؤرخين بـ (سابور) الثالث كان في حوالي السنة (٣٨٣ م) . فقد تولى سابور هذا الحكم فيما بين (٣٨٣) حتى سنة (٣٨٧) أو (٣٨٨ م)^٥ . واذا أخذنا برواية من يقول انه حكم (٢٥) سنة ، أو (٣٠) ، وجب أن تكون وفاته في أيام (سابور ذي الأكتاف) .

وقد جعل الطبري في موضع آخر من تأريخه وفاة (عمرو) في عهد (سابور ابن سابور) ، أي (سابور) الثالث^٦ . وبذلك يكون قد أطال مدة حكمه وعمره .

ويذكر الطبري أن (سابور بن سابور) استخلف (على عمله أوس بن قلام في قول هشام) ، وذلك بعد مهلك (عمرو)^٧ . ولم يذكر الأسباب التي حلت سابور على هذا التعيين . ويظهر أنه كان من أسرة غريبة عن أسرة (آل لحم)

-
- ١ البسامة (ص ١٠١) .
 - ٢ اليعقوبي (١٧٠/١) .
 - ٣ الطبري (٧٠/٢) ، ابن الاثير (١٥٨/١) ، حمزة (٦٧) ، مروج (١٩٩/٣) .
 - ٤ الطبري (٦٢/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٥ Ency. 4, P. 178.
 - ٦ الطبري (٦٥/٢) .
 - ٧ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

الحاكمة . ويرجع ابن الكلبي نسبه الى العماليق ، فيقول إنه من (بني عمرو بن عمليق)^١ . وذكر حمزة نسبه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان العمليقي^٢ . وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق^٣ . ويتبين من خبر ورد في (الأغاني) أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم في الحيرة ، وهي من بني الحارث بن كعب^٤ . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه الأسرة ، ذكر انه بنى ديراً في الحيرة^٥ .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً، وكل ما نعرفه عنه انه حكم خمس سنوات^٦ . وان امرأاً اسمه (جحججن بن عتيك بن لحم) (جحجبا) ثار به فقتله على رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري^٧ . أما حمزة فذكر اسمه ونسبه على هذه الصورة ، (جحجنا بن عييل أحد بني فاران) . وقال : (قال ابن الكلبي : وهو فاران ابن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وجحجنا منهم . فقتل جحجنا أوساً ، فرجع الملك الى آل بني نصر)^٨ .

فنحن إذن أمام روايتين في أصل جحجبي (جحجبا) أو جحجنا : رواية ترجعه الى لحم ، ورواية أخرى ترجعه الى بني فاران ، وترجع بني فاران الى (عمرو بن عمليق) ، أي الى العشيرة التي رجع الأخباريون نسب أوس بن قلام اليها ، إذن فهو بموجبها من العماليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم هذا الثائر في جحجبا أو جحجنا ، وفي عتيك أو عييل ، فيمكن رجعه الى خطأ وقع في تدوين الروايات ، إما سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فن هذين نشأ لدينا هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت (جَحَجَبِي) على الثورة والمنافع

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٢ | حمزة (ص ٦٧) . |
| ٣ | ابن خلدون (٤٨/٢) . |
| ٤ | الأغاني (١٨/٢ ، ٢٦) . |
| ٥ | Rothstein, S. 64. |
| ٦ | الطبري (٧٢/٢) ، (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، حمزة (ص ٦٧) . |
| ٧ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٨ | حمزة (ص ٦٧) . |

التي جرت لها لنفسه منها . وكل ما ذكروه عنه انه ثار به جحجي فقتله ، وان هلاكه كان في عهد (بهرام بن سابور) (٣٨٨ - ٣٩٩ م) ، وان (بهرام) استخلف بعده في عمله (امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء) خمساً وعشرين سنة . وكان هلاكه في عهد يزيد جرد الأثيم^١ .
فيتين من ذلك ان (جحجبا) (جحجي) ، قاتل أوس ، لم يحكم الحيرة وان حكمها عاد فانقل الى آل نصر .

ولم يذكر اليعقوبي أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجبا (جحجي)، بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرئ القيس هو المنذر بن امرئ القيس ، ونعته بالمحرق ، نعته بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم، فسمي لذلك محرقاً، وجعل بعده النعمان^٢ .

ولم يذكر المسعودي كذلك أوس بن قلام ولا جحجبا (جحجي) ، بل ذكر النعمان بن امرئ القيس رأساً بعد عمرو بن امرئ القيس ، وقال انه قاتل الفرس خمساً وستين سنة ، وان أمه الهيجانه بنت سلول ، وكانت من مراد أو من إياد^٣ . وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدء^٤ . أما حمزة فلقبه بالبدن^٥ . وأظن ان مرد هذا الاختلاف خطأ وقع في الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من كلمة البدء أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير ان بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندي ، فبقي خمساً وعشرين سنة ، وهلك في أيام يزيد جرد الأثيم^٦ ، وازدادة الكندي الى امرئ القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو أحد من الأخباريين ان امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف ان ابن الأثير قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى ليتمكن أن يقال انه اختصره ، والعبارتان خلا زيادة كلمة (الكندي) متشابهتان، ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث هذه الزيادة في تأريخ ابن الأثير إما من النساخ وإما من ابن الأثير نفسه ، إذ

-
- ١ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
 - ٢ البهقي (١٧٠/١) .
 - ٣ مروج (٢٣/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) .
 - ٥ حمزة (ص ٦٧) ، (ثم امرؤ القيس البدن) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٦ ابن الأثير : الكامل (١٧٦/١) .

استعجل دون تفكير فأضاف كلمة الكندي الى نسب امرىء القيس، لشهرة امرىء القيس الكندي .

ولا نعرف من خبر امرىء القيس شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وأنه أول من عاقب بالنار . وفي روايته هذه انه حكم إحدى وعشرين سنة^١ . أما الطبري ، فذكر انه حكم خمساً وعشرين سنة^٢ .

وذكر الطبري أن (يزدجرد) المعروف بالأثيم (٣٩٩ - ٤٢٠ م) ، الذي في أيامه كان هلاك (امرىء القيس) استخلف مكان (امرىء القيس) ابنه (النعمان) . وهو فارس حليلة ، وصاحب الخورنق^٣ .

وهذا النعمان المعروف عند المؤرخين بالنعمان الأول ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، وهو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي . أما أمه ، فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان^٤ ، وهي أخت عمرو المزدلف .

وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح^٥ . وكان له شقيق من أمه شقيقة ، هو (حسان بن زهير)^٦ .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكاية في عدوه . غزا عرب الشام مراراً كثيرة فسبى منهم وغنم . وكان يغزو بكنيستين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها الفرس . يغزو بهما من لا يدين له من العرب^٧ . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطش من دوسر^٨ . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : الرهائن

١ حمزة (ص ٦٧) ، (وهو محرق الأول ، لانه أول من عاقب بالنار) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

٢ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) ، ابن الاثير (١٧٦/١) ابن خلدون (٤٨/٢) .

٥ حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

٦ حمزة (ص ٦٨) .

٧ الطبري (٧٣/٢) ، (٦٧/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) .

٨ الميداني : مجمع الامثال (٧٨/١) ، (ضربت دوسر فيه ضربة) ، اللسان (٢٨٥/٤) ، (صادر) ، مادة (دسر) .

والصنائع والأشاهب ، والكثيبتان المذكورتان . أما الرهائن ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلم خمسائة أخرى ، وينصرف أولئك الى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما الصنائع ، فهي : بنو قيس وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .

وذكر أنه كانت له كتيبة تسمى (الوضائع) ، وقوامها ألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة نجدة للملوك العرب ، وكانوا يقيمون سنة ، ثم يأتى بدلم ألف رجل ، وينصرف أولئك^١ .

وقيل إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يقدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، الى النعمان وبقيّة من تولى الملك بعده ، وقد صيّر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون آكلهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربع الغنمة في الحرب والغزو^٢ .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة النعمان بأنه فارس حليلة^٣ ، أي معركة حليلة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لا في أيام النعمان على روايات آخرين^٤ .

وإلى النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : انه بناه لبهرام جور بن يزدجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢٠ م) المعروف بالأثيم . وكان يزدجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدوية والأسقام ، فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب^٥ .

-
- ١ بلوغ العرب (١٧٦/٢) .
 - ٢ بلوغ العرب (١٧٦/٢) .
 - ٣ الطبري (٦٥/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٤ البلدان مادة حليلة ، الميداني : مجمع الامثال (٢٣١/١) ، (١٥٠/٢) .
 - ٥ الطبري (٧٣/٢) (٦٥/٢) (دار المعارف) الاغانى (١٤٤/٢) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

ورد في هذه الأبيات ان سنمار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميسد والسكب ، فلما كمل البناء وآض كمثل الطود ، وظن سنمار انه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقذفه من فوق برجه فيموت . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات ابن جفنة ، كما اشير الى (المرء حارث) ويقصد به الحارث الغساني^١ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية (سنمار) الى (أحيحة بن الجلاح) . فذكروا ان أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له (سنمار) . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له (سنمار) : « اني لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم ، فخر ميتاً^٢ .

وقد ذكر (جزاء سنمار) في شعر لأبي الطمحان القيني ، وآخر لسليط بن سعد وآخر ليزيد بن إياس النهشلي^٣ .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير^٤ .

ويتبين من روايات أهل الأخبار عن (الخورنق) و (السدير) ان القصر الأول لم يكن بعيداً عن الحيرة ، وانما كان على مقربة منها ، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة . أما (السدير) ، فكان على مسافة بعيدة ، وقد ورد انه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشام .

١ (ودعا ابنه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما الى قومه :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة يعلى عليه بالقراheid والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فاتهمه من بعد حرس وحقة وقد هره اهل المشارق والغرب
وظن سنمار به كل حيرة وفاز لديه بالمودة والقسرب
فقال : اقدفوا بالعلج من فوق برجه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب)

الطبري (٦٦/٢) وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ الميداني ، مجمع الأمثال (١٦٧/٢) .

٣ الطبري (٦٦/٢) (دار المعارف) .

٤ البلدان (السدير) ، حمزة (ص ٦٨) ، البكري (٧٢٩/٣) ، الروض الأنف

(٦٦/١) .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للسدير ، ومن انه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة^١ ، ومن وصفهم للخورنق ، ان السدير لم يكن في مثل ضخامة قصر الخورنق ، وان الخورنق كان قصراً كبيراً أعداً للسكنى وليكون حصناً يهيمن على مشارف البادية .

ويرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن من بناء (النعمان) ، وأنه انما بني قبل ذلك ، ويرى أن النعمان قد أسكن (بهرام) فيه^٢ .

وقد ورد ذكر الخورنق في شعر لحسان بن ثابت :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق^٣

وقد ذهب بعض شراح هذا البيت الى أن المراد بـ (ابن منذر) (عمرو ابن هند) ، وأن المراد من (أبي قابوس) ، (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عدي اللخمي) ، الذي لبس المسوح وساح في الأرض ، والذي نعته الشاعر عدي بن زيد العبادي بـ (رب الخورنق)^٤ . وهو تفسير ينسجم مع رأي المؤرخين في باني القصر ، إلا أنه يتعارض معهم في تسمية الملك ، فالمعروف عندهم أن (ابا قابوس) هو (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة ، وهو قاتل الشاعر (عدي بن زيد العبادي) لا (النعمان السائح)^٥ . ولا يوجد أحد غيره عرف عندهم بـ (أبي قابوس) . وقد حكم هذا بعد (عمرو بن هند) بأمد ، فيكون هو مراد الشاعر المذكور . غير ان هذا يدفعنا الى تخطئة (حسان) في نسبة الخورنق الى هذا الشاعر ، أو تخطئة المؤرخين في نسبتهم القصر الى (النعمان

١ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهدي أي ثلاث شعب أو ثلاث متداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية ، كأن أصله سادل أي قبة في ثلاث قباب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سدلي ، فأعربتة العرب ، فقالوا سدير . والسدير : النهر ، وقد غلب على بعض الانهار ، قال :

الابن امك ما بدا ولك الخورنق والسدير

التهذيب : (السدير نهر بالحيرة) ، اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، نهاية الأرب (٣٨٥/١) وما بعدها .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستين ، ترجمة يحيى الخشاب (ص ٢٦٠) .

٣ البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الخورنق (ص ٢٨٧) .

٥ المحبر (٣٥٨) وما بعدها .

السائح) . والذي اراه ان هذا التفسير ، لا يتعارض مع روايات المؤرخين في باني القصر ، وان مراد الشاعر من (ومثل أبي قابوس رب الخورنق) ، انه صاحب الخورنق ، اي مالكة والتازل فيه ، لا الباني له . وقد ذكره لشهرة القصر في ايامه وبذلك فلا يقع التعارض بين التفسيرين ، ويكون الملك المقصود هو (النعمان أبو قابوس) .

ومن اشار الى القصيرين : الخورنق والسدير في شعره من الشعراء الجاهليين ، المنخل ، قال :

واذا صحوت فساتني	رب الشريهة والبعير
واذا سكرت فلنني	رب الخورنق والسدير

وقد نشأ لقب (السائح) الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرويها الاخباريون عن هذا الملك ، وهي ان النعمان جلس في يوم من ايام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار ... فأعجبه ما رأى من الحضرة والنور والانهار ، فقال لوزيريه وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فيم ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضرُوا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما ابطأ الإذن عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجدوه ، وساح الملك منذ ذلك الحين في الارض ، فلم يره انسان ^١ .

ويلحق الاخباريون بهذه القصة ابياتاً ينسبونها لعدي بن زيد العبادي . ذكروا انه خاطب بها النعمان بن المنذر ، هي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وانما اكتفى الشاعر بذكر رب الخورنق ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الاخباريين ^٢ .

-
- ١ الطبري (٧٣/٢ وما بعدها) ، (٦٧/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، المعارف (ص ٢٨٢) .
 - ٢ الطبري (٦٧/٢ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٩) ، المعارف (ص ٢٨٢) ، نهاية الارب (٣٨٧/١) .

والأبيات المنسوبة الى عديّ بن زيد ، وهي :

وتذكّر ربّ الخورنق إذ فكّر يوماً ، وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى جهله ، فقال : وما غبطة حيّ الى المات بصير ؟

تشير الى النعمان السائح ، وتذكر قصة مفارقتة ملكه ، ولبسه المسوح واعراضه
عن الملك بعد ان كان ملكاً . ولم يقصد بالنعمان : النعمان بن ابي سلمى صاحبه ،
كما تصور بعض الناس^١ ويظهر انه نظمها للنعمان صاحبه على سبيل العظة والتذكير ،
ليدخله في النصرانية ، وذلك بعد ان كان يتعبد للأوثان . وقد تمكن من التأثير
فيه ، فأدخله فيها كما يذكر الاخباريون .

وقد ورد في بعض الروايات تنصر النعمان^٢ ، ونسب تنصره الى سلطان القديس
(سمعان العمودي) (Symeon Stylites) عليه ، وكان يقوم ، بالتبشير بين
أهل الحيرة^٣ . وذكر انه شفاه ببركته من مرض كان به ، فتنصر^٤ . وهي رواية
في حاجة الى دليل . فلم يثبت ان آل نحم كانوا قد تنصروا في هذا العهد .

وقد ذكر الطبري ان تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون، تبع
حمير ارسل حينما ولي الملك ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش
عظيم الى بلاد معد والحيرة وماوالاها ، فسار الى النعمان بن امرئ القيس ابن
الشقيقة ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته
المنذر بن النعمان الاكبر ، وامه مساء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل
النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون^٥ .

وقد استندرك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ،
قال : (وقال هشام : ملك بعد النعمان بن المنذر ابنه المنذر بن النعمان ، وأمه

١ رسالة الغفران (٥٥٥) ، (تحقيق الدكتور عائشة عبد الرحمن ، بنست الشاطيء) .

٢ ابن خلدون (٢٧١/٢) .

٣ شيخو : النصرانية (٨٢) .

٤ السمعاني (٢٤٧/١) ، الحيرة (١٥١) . Causin, 254.

٥ الطبري (٨٦/٢) ، (٨٩/٢ وما بعدها) (دار المعارف) .

هرّ ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني اربعاً واربعين سنة ^١ . وذلك يدل على ان هذه رواية اخرى منسوبة الى ابن الكلبي ايضاً ، ولكنه اخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الرواية السابقة ، وهي منسوبة ايضاً الى ابن الكلبي استهلها الطبري بقوله : (حدثت عن هشام بن محمد) ^٢ . وهو ابن الكلبي . وحديث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للنعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، يناقض ما رواه هو نفسه وما رواه غيره عن تنسك النعمان واعتزاله الملك وسياسته في الارض وعن اللقب الذي منحه الاخباريون لياه وهو (السائح) ، ويظهر ان ابن الكلبي وأضرابه رواة هذه الروايات كانوا قد اخذوا رواياتهم من مصادر عربية مختلفة ، غير مدونة ، فوقع هذا التناقض بين الروايتين .

وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في اثناء حديثه عن الاحداث التي وقعت بين العرب في ايام قباز ، فقال : (وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الاكبر وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قباز بن فيروز ملك الفرس الى الحارث بن عمرو الكندي : انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب ان ألقاك . وكان قباز زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ^٣ . فجعل الطبري والد النعمان في هذه الرواية المنذر بن امرئ القيس مع ان والد النعمان المقصود هو امرئ القيس . وقد ذكر الطبري ان ملك النعمان الى ان ترك ملكه وساح في الارض تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة ^٤ . واذا اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون ابتداء حكم الملك النعمان في سنة (٤٠٥ م) ، وتركه الملك واختياره في الارض وحياة الزهد في حوالى السنة (٤٣٤ م) . فقد حكم بهرام بن يزدجرد ، المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين فيما بين السنة (٤٢٠ م) والسنة (٤٣٨ م) ^٥ . وصار عرش الحيرة بعد النعمان الى ابنه المنذر ، وكانت أم المنذر من غسان .

١ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٩/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٩/٢) (٩٥/٢) (دار المعارف) .

٤ الطبري (٦٨/٢) (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

وهي هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغساني^١. اما المسعودي ، فذكر أنها :
هند بنت الهيجانة من آل بكر^٢ :

وقد ذكر الطبري ان يزدجرد لما ولد بهرام جور ، اختار لحضائه العرب ،
فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام ، فسار به المنذر ، واختار لرضاعته ثلاث
نسوة ذوات اجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة ، من بنات الأشراف ،
وهن عربيتان وعجمية ، فأرضعنه ثلاث سنين ، فلما بلغ خمس سنين ، احضر له
مؤدبين ، فعلموه الكتابة والرمي والفقه . وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس .
ثم احضر له معلمي الفروسية ، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من
أهمهر الناس . وظل هذا شأنه لدى المنذر حتى مات يزدجرد . ففرح الناس بوفاته
وقرر الاشراف والموبذان والمرازية صرف الملك عن اسرة يزدجرد ، لسوء سيرته
في الناس ، ونصبوا شخصاً آخر مكانه . فلما رأى بهرام ذلك ، طلب مساعدة
المنذر ، فأرسل المنذر قوة بقيادة ابنه النعمان ، وسار هو على رأس قوة اخرى
قوامها ثلاثون ألفاً من فرسان العرب ، ومعه بهرام ، وبعد مفاوضات وافق الفرس
على خلع من نصبوه كسرى عليهم ، وتعيين بهرام ، وبفضل هذه المساعدة
استعاد التاج^٣ .

وتناقض هذه الرواية كما نرى من الرواية السابقة التي دوتها الطبري نفسه في
تعليل سبب بناء الخورنق والتي تحدثت عنها قبل قليل . وقد فطن ابن الأثير الذي
نقل الروایتين ايضاً لهذا التناقض ، فقال : (هكذا ذكر أبو جعفر ، في اسم
بهرام جور ، ان اياه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد
الأثيم انه سلم بهرام الى النعمان بن امرئ القيس . ولا شك ان بعض العلماء قال
هذا وبعضهم قال ذاك ، الا انه لم ينسب كل قول الى قائله)^٤ . وأبو جعفر
هذا هو الطبري .

ولا نعم شيئاً من أمر النعمان بن المنذر الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده
بارسالها للتحرش بمملكة الفرس ، بعد ان رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم

١ حمزة (ص ٦٩) ، الطبري (٨٦/٢) ، (٦٨/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ مروج (٢٣/٢) .

٣ الطبري (٧٤/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، الاخبار الطوال (ص ٥٧ وما
بعدها) ، تحقيق (فلاديمير جرجاس) (طبعة ليدن) ،
Nöldeke, Aufsätze, S. 104.

٤ ابن الأثير : الكامل (١٦٢/١) .

على نحو ما رأيناه في رواية الطبري الثانية^١ . فقد سكت الطبري عنه كما سكت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليعقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي ان يزدجرد دفع بهرام جور الى النعمان ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » . وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقي الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً . وكتب الى الآفاق يبعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته^٢ . فلم تنكر هذه الرواية رواية من زعم ان يزدجرد سلم ابنه الى النعمان ، ولم تنكر صلة المنذر ببهرام جور ، ولكنها كما نرى لم تشر الى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء النعمان الأول الخورنق لبهرام من كون ابنه هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً الى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده وهو بين عرب الحيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين انه كانت للمنذر منزلة عند (يزدجرد) . ذكر الطبري ان يزدجرد (دعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام ، وشرّفه وأكرمه ، وملكه على العرب وجباه بمرتبتين سنيتين ، تدعى احدهما (رام أبزوذ يزدجرد) وتأويلها (زاد سرور يزدجرد) ، وتدعى الأخرى (بمهشت) وتأويلها (أعظم الخول) ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته ، وأمره أن يسير ببهرام الى بلاد العرب^٣ .

وتناقض هذه الرواية رواية الطبري المذكورة في قصة بناء الخورنق ، ورواية بقية أهل الأخبار عن قصة بناء ذلك القصر ، وتؤكد ان وفاة (النعمان) الأول

١ الطبري (٧٢/٢) (دار المعارف) .

٢ اليعقوبي (١٣٢/١) .

٣ الطبري (٦٨/٢) وما بعدها ، ، Rothstein S. 69.

كانت في أيام يزديجرد ، لا في أيام بهرام بن يزديجرد ، وتفيد ان انتقال الحكم الى المنذر كان في عهد يزديجرد .

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشام ساحة لهجومه . والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، فكلّف المنذر مهاجمة بلاد الشام . ليخفف من شدة ضغط الروم عليه . غير ان التوفيق لم يخالف المنذر في هجومه هذا ، ففني بخسارة كبيرة وهو يحاول مع جيشه عبور الفرات ، ففرق أكثرهم في النهر . وكان ذلك في سنة ٤٢١ م . ولحقت به خسارة أخرى في السنة نفسها ، أو في السنة التي تلتها حينما أعاد الكرة على الروم^١ . وقد ذكر المؤرخ (سقراط) (Socrates) المتوفى في حوالي سنة ٤٣٩ م غرق زهاء مئة ألف رجل من رجال المنذر في النهر ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وقد استند الطبري الى رواية يتصل سندها بابن الكلبي ، فجعل مدة حكم المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزديجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز ابن يزديجرد سبع عشرة سنة^٢. وهذه الرواية تناقض روايات ابن الكلبي السابقة عن تولي المنذر الحكم في أيام يزديجرد الأثيم والد بهرام جور ، كما مرّ معنا . وقد أغفلت أمر (هرمز) وهو ابن يزديجرد ابن بهرام جور ، المعروف بالثالث ، الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٧ حتى السنة ٤٥٩ للميلاد . فإذا فرضنا أن حكم المنذر كان ثماني سنين وتسعة أشهر من زمان بهرام جور الذي حكم من حوالي السنة ٤٢٠ للميلاد حتى السنة ٤٣٨ للميلاد ، صارت السنة ٤٢٩ هي السنة ٤٣٠ للميلاد التي يجب أن تكون سنة توليه الحكم ، وإذا أضفنا الى هذا الرقم أربعاً وأربعين سنة ، وهي مدة حكم المنذر ، الى هذه الرواية ، صارت السنة ٤٧٣ - ٤٧٤ للميلاد ، هي سنة انتهاء حكم المنذر بوفاة . وتكون سنة وفاته إذن في زمن (فيروز بن يزديجرد بن بهرام جور) الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٩ حتى السنة

Rothstein, S. 69, Socrates, VII, 18, Bar Hebraeus, Chron. Syriac., 75,

Caussin, Essai, II 63, Noldeke, Sas., 86, Paulys-Wissowa,

Erster Halbband, S. 1281.

٢ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٤٨٤ للميلاد . وبحسب هذه الرواية يكون المنذر قد عاصر بهرام جور المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين وعاش في زمن يزدجرد الثاني ، وهو ابن (بهرام جور) . وفي زمن (هرمز بن يزدجرد) ، ثم في زمن شقيقه فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور^١ .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرمز ابنة النعمان من بني الهيجانة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على رواية الطبري^٢ . ومن لحم على حد قول حمزة^٣ .

وأما (الدينوري) ، فذكر أن الذي ولي الملك بعد (النعمان بن امرئ القيس) الأعور والسائح ، أخوه (المنذر بن امرئ القيس) ، وكانت أمه من (النمر بن قاسط) ويقال لها : (ماء السماء) لجأها وحسنها ، وأبوها (عوف بن جشم) وقد ولاه (كسرى أنو شروان) العرش ، وزعم أنه تزوج (هنداً) ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المار ، وهي التي أولدته ثلاثة أولاد هم : عمرو بن هند المعروف بمضطرط الحجارة ، وقابوس المعروف بقينة العرس ، والمنذر بن المنذر . وذكر أنه بقي ملكاً على الحيرة إلى أن غزا (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، وهو الأعرج ، فقتله الأعرج بالحيار^٤ .

وجعل (الدينوري) (المنذر بن المنذر بن امرئ القيس) بعد (المنذر) المذكور ، وقال : إنه خرج يطلب دم أبيه ، فقتله الحارث أيضاً بعين أباغ ، ويقال : إن قاتله هو (مرة بن كلثوم التغلبي) ، أخو عمرو بن كلثوم ، ثم نصب من بعده شقيقه عمرو بن هند ، ثم النعمان بن المنذر أبا قابوس ، وبذلك أنهى قائمته الملوك الحيرة^٥ . وهي قائمة سقط منها عدد من الملوك .

ولا نعرف من أخبار الأسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز^٦ .

١ راجع ترتيب وسن ملك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.

٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ حمزة (ص ٦٩) .

٤ المعارف (ص ٢٨٣) .

٥ المعارف (ص ٢٨٣) ، عيون الاخبار (٣٣٠/١) .

٦ حمزة (ص ٦٩) .

وروى أنه حارب الغساسنة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع في إحدى معاركه في أيدي الغساسنة ، فقتله^١ . وذكر الطبري أن الفرس أسرت^٢ ، ولم يذكر سبب هذا الأمر . وأنه حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمان قباذ بن فيروز ، ست سنين^٣ .

وقد حكم (فيروز) من سنة (٤٥٩ م) حتى سنة (٤٨٤ م) ، ويكون حكم (الأسود) بحسب رواية الطبري المتقدمة في حوالي السنة (٤٧٤ م) تقريباً ، وقد حكم (بلاش) أربع سنين ، من سنة (٤٨٤ م) حتى سنة (٤٨٨ م) ، ثم حكم (قباذ الأول) ، وهو ابن فيروز من بعده . حكم من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد . ولما كان (الأسود) قد حكم ست سنين من زمان حكم (قباذ) ، تكون سنة وفاته في حوالي السنة (٤٩٤ م)^٤ .

وورد في رواية انه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرحبيل ، قتل ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند سنان بن أبي حارثة المري^٥ .

وكان سبب ذلك على ما تذكره الرواية ان (خالد بن جعفر بن كلاب) كان قدم على (الأسود بن المنذر) أخى النعمان ، ومعه (عروة بن عتبة بن جعفر) ، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر ، فجعل خالد يقول للحارث : يا حمار ، أما تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ؟ فقال : سأجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحارث ، قال الأسود لخالد : ما دعاك الى أن تتحوش بهذا الكلب ، وأنت ضيفي ؟ فقال : انما هو عبد من عبيدي ، ولو وجدني نائماً ما أيقظني . وانصرف خالد الى قبته ، فلامه عروة الرحال ، ثم ناما وأشرجت عليهما القبة ، فلما هدأت العيون ، انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ثم ولجها

١ الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .

٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٤ راجع أزمة حكم الملوك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.

٥ ابن الأثير . الكامل (٢٢٩/١) وما بعدها ، نهاية الأرب (٣٥٣/١٥) وما بعدها .

وقتلته . فنادى عروة : واجوار الملك ! فأقبل الناس ، وسمع الأسود الهتاف ، وقرر الانتقام ممن خرق جوار الملك . وهرب الحارث منه^١ .

ولما هرب الحارث تنقل في القبائل ، فلجأ الى صديق له من كندة . فطلبه الملك فشخص من عند الكندي ، وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بني عجل ابن لجيم ، فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيان ، فقالوا لعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ، فانه لا طاقة لنا بالشهباء والدوسر ، وأبت عجل ذلك عليهم . فلما رأى الحارث ذلك ، كره أن تقع الفتنة بينهما بسببه ، فارتحل من بني عجل الى جبلي طيء ، فأجاروه ، فكث عندهم حيناً . ثم ان الأسود لما أعجزه أمره ، أرسل الى جارات كنّ للحارث بن ظالم استاقهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الجبلين ، حتى علم مكان جاراته ، فأتاهن ، واستنقذهن ، واستاق ابلهن ، فألحقهن بقومهن . واندس الى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المري ، وهو أبو هرير بن سنان ممدوح زهير . وكان الأسود قد استرضع ابنه شرحبيل عند سنان ، ترضعه امرأته . فاستعار الحارث سرج سنان ، وهو في ناحية الشرية ، فأتى به سلمى امرأة سنان ، وقال لها : يقول لك بعلك ، ابغني شرحبيل مع الحارث ، وهذا سرجه لك آية . فدفعته اليه ، فأتى به من ناحية من الشرية فقتله ، وهرب من فوره ، وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان ، فقتل وسبي ، وأخذ الأموال وأغار على بني دودان رهط سلمى ، ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في جانب الشرية عند بني محارب بن خصفة ، فغزاهم وأسرههم وأحى لهم الصفا ، وقال : اني أحذيكم نعلاً ، فأمشاهم عليها ، فسقطت أقدامهم ، ثم ان سيار بن عمرو ابن جابر الغزاوي احتمل للأسود دية ابنه ألف بغير ، ورهته بها قوسه ، فوفاه بها . ثم هرب الحارث ، فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به ، فأجاره ، وكان من سببه وقعة رحرحان . ثم هرب حتى لحق بمكة ، ثم غادرها الى الشام ، فلحق بيزيد بن عمرو الغساني ، فأجاره وأكرمه . ومكث عنده . ثم افتقد بيزيد ناقه له ، ولم يعلم خبرها ، فأرسل الى الحيمس التغلبي ، وكان كاهناً ، فسأله عنها ،

١ نهاية الأرب (٣٤٨/١٥ وما بعدها) .

فأخبره ان الحارث صاحبها ، فهم به الملك ثم تذم من ذلك ، فأوجس الحارث في نفسه شراً ، فأتى الخمس التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك ، وأمر به ابن الخمس فقتله بأبيه . وأخذ ابن الخمس سيف الحارث ، فأتى سوق عكاظ في الأشهر الحرم ، فأراه قيس بن زهير العبسي ، فضربه به قيس فقتله^١ .

وذكر ان الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أربك وأوقع فيهم ، وانه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان . فانتقم منهم شر انتقام ، وانه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير ، (دية الملوك)^٢ .

وخبز هذه الغزوة هو جزء متمم لخبز قتل الحارث بن ظالم لابن الأسود ، كما جاء في رواية أخرى .

وروايات أهل الأخبار عن قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر بن كلاب ، وعن قتل ابن الملك ، روايات متناقضة مضطربة قلقة ، والتبس الأمر فيها على الرواة ، ولا سيما (ابن الكلبي) و (أبي عبيدة) اللذين هما مرجعا أكثر رواة تلك الروايات . يتداخل فيها اسم النعمان بن امرئ القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر ، وتنسب القصة مرة الى هذا الملك ، ومرة الى ذاك . وقد تتداخل ، فيذكر اسم الملك الأسود ، ثم يورد بعده اسم الملك النعمان .

يذكر الرواة رواية كالرواية السابقة ، جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود ، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود . ولكنهم جعلوه في هذه الرواية يسمع صراخ امرأة أخذ جمع الأسود صرمة من إبلها ، فتوجع لها ، ووعداها على إعادة إبلها فطلب منها أن تذهب الى موضع عينه لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت إبل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ يطلب له مجيراً فلم يجره أحد قائلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويختفي اسم المنذر فجأة في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن دون تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرؤ القيس^٣ .

١ نهاية الأرب (٣٥٣/١٥) ، (يوم الخريبة) ، العقد الفريد (٧/٦ وما بعدها) .
٢ الأغاني (٢٢/١٠ وما بعدها) .
٣ الكامل (٢٢٣/١ وما بعدها) .

ثم تستمر الرواية فتأخذ الحارث الى الشام ، ليستجبر يزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجيره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقة ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد لتحترق بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذي تكهن بعقر الحارث للناقة وبقتله للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلا قتل الحارث ، فأمر به فقتل^١ . وعلى هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخباريين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وأما الرواية التي تذكر أن ذلك الملك هو النعمان بن امرئ القيس فتقول إن النعمان بن امرئ القيس كان قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، وهو من السادة الأشراف ، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيه بعض أولاده ، فأرسل ابنه شأساً ، وكان أصغر ولده ، فأكرمه وحباه ، ورجع بهدايا والطف كثيرة . فلما بلغ ماء من مياه غني بن أعصر ، طمع به رباح بن الأشل ، فقتله ، واستلب ما كان معه . فلما سمع زهير بمقتل ولده ، جاء ديار غني ، وأخذ يغير عليها ، حتى قتل منها مقتلة عظيمة ، فاستجارت غني بحلفائهم بني عامر بن صعصعة ، فأنجدوها . وتوسعت الحرب ، فاشتركت بها هوازن ، وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسر بها خسفاً ويجيبها الإتاوة كل سنة بعكاظ ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنياً وبني عامر وهوازن ، فقتل زهيراً ، وعاد أبناؤه بجسده ليواروه التراب . وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به ، فأجاره ، وضرب له قبة وحماه . وبينما كان في مجلس النعمان ، قدم الحارث بن ظالم الى المجلس ، وجرى بينه وبين خالد كلام ، أغلظ فيه خالد على الحارث ، فحقق الحارث عليه وقرر الانتقام منه ، فاغتاله وهرب . فجعل النعمان يطلبه ليقبله بجاره ، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد . فلحق ببني دارم من تميم ، واستجار بهم ، فأجاروه على النعمان . فلما علم النعمان ذلك ، جهز جيشاً الى بني دارم ، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم ، استعدوا له ، وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض ، واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال . فلما التقوا بجيش النعمان ، قتل رئيس جيش النعمان ، وانهزم الجيش . وقيل : إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً ، واستاق لإبلاً

١ الكامل (٢٣٤/١) .

له كان قد استولى عليها النعمان ، وقتل أحد أبنائه ، وفر^١ .
وهناك رواية تجعل النعمان المذكور النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القتييل لابناً
لهذا النعمان . وجعلت رواية أخرى قتل الحارث لخالد في عهد الأسود ، ثم تذكر
أنه هرب منه . ثم إن رجلاً من بني زيد مناة كان بعض حشم النعمان قد أخذوا
إبله وأهله ، استجار بالحارث فركب الحارث حتى أتى النعمان ، فقال : أبيت
اللعن ! إنك أخذت نساء جاري ، وماله ، وأنا له جار . فذكره النعمان بقتله
خالداً ، وهو في جوار الأسود أخيه . ثم إن النعمان أوعد الحارث وعيداً شديداً .
فرضى الحارث ، وندم النعمان على تركه ، وطلبه ففاته ، وكان للنعمان ابن مسترضع
عند (سنان بن أبي حارثة) ، وكانت سلمى بنت ظالم تحت سنان ، فجاء
الحارث الى أخته على لسان سنان ، حتى أعطته ابن النعمان ، فضرب عنقه ولحق
بمكة . فجاور عبدالله بن جدعان^٢ .

وأما قتل (الحارث بن ظالم) ، فالروايات مختلفة فيه ، منها ما جعل قاتله :
(يزيد بن عمرو الغساني) على نحو ما رأيت . ومنها ما جعل قاتله ملكاً من
ملوك غسان تسميه النعمان . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، ما
جعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ، وتذكر قصة كيفية استدراج النعمان
للحارث ومراسلته له مصرحاً له أنه قد رضي عنه وعفا عما بدر منه حتى أمن
الحارث . فلما جاء الى النعمان ، وكان في قصر بني مقاتل ، أمر به فقتل . قتله
ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه^٣ .

وجاء في رواية أن (عمرو بن الخمس) هو الذي قتل الحارث ، قتله بأمر
الملك الأسود بن المنذر^٤ . وذكر (ابن دريد) أن قوماً زعموا أن النعمان قتل
(الحارث بن ظالم) ، وهذا وهم ، لأن الذي قتله إنما هو (المنذر بن المنذر
أبو النعمان)^٥ . وذكر (محمد بن حبيب) . أن (سيار بن عمرو الفزاري)
المعروف بـ (ذي القوس) ، كان قد رهن قوسه على ألف بغير في قتل الحارث
ابن ظالم من النعمان الأكبر^٦ .

- ١ الكامل (٢٢٩/١) وما بعدها .
- ٢ المحبر (١٩٣) وما بعدها .
- ٣ الأغاني (٢٧/١٠) وما بعدها .
- ٤ الاشتقاق (٢٠٣/٢) (طبعة أوربة) .
- ٥ الاشتقاق (١٧٥) .
- ٦ المحبر (٤٦١) .

ويظهر من (رسالة الغفران) ان (آل لحم) كانوا يعظمون (الأسود بن المنذر)^١ ، ولم يذكر سبب هذا التعظيم .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، وأمه هرّ ابنة النعمان . حكم على رواية لابن الكلبي سبع سنين^٢ ، وذلك في زمان قباذ بن فيروز^٣ . ولما كان حكم قباذ ، وهو (قباذ الأول) ويسمى بـ (قباذ بن فيروز) قد امتد من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد^٤ ، فيكون حكم المنذر اذن قد وقع في خلال هذه المدة .

واذا أخذنا بهذه الرواية ، وجب أن يكون ابتداء حكم المنذر بن المنذر في حوالي سنة (٤٩٤ م) ، وانتهاء حكمه في حوالي السنة (٥٠١ م) ، وذلك بحسب سني حكم ملوك الفرس عند المؤرخين^٥ . ولكننا نواجه روايات أخرى رواها ابن الكلبي أيضاً وغيره تخالف هذا التقدير .

وبعد المنذر انتقل الملك الى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي (أم الملك ابنة عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو الكندي)^٦ . اذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية لابن الكلبي أربع سنين^٧ ، وذلك في زمن قباذ^٨ .

يظهر من رواية لـ (ثيوفانس) ان النعمان هذا أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد (أوجينيوس) (Eugenius) عند موضع (بثرابسوس) (Bithrapsos) (البثر) على الفرات ، فأصيب بخسارة فادحة . ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمظنون انه كان حوالي سنة (٤٩٨ م)^٩ .

١ رسالة الغفران (١٣٣) .

٢ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) (دار المعارف) .

٣ حمزة (ص ٦٩) .

٤ Ency., 4, P. 278.

٥ Ency. 4, P. 178.

٦ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

٨ حمزة (ص ٦٩) .

٩ Rothstein S. 74, Theophanes, 217, Huart, I, S. 66,

J. Bury : History of the Later Roman Empire, London, 1931, Vol., I, P. 434.

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة (٥٠٢ للميلاد) ، اذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع (حران) (Carrhae)^١ واصطدم بالقائدين (أولمبيوس) (Olymplus) و (أوجينيوس) (Eugenius) فتغلبا عليه ، غير انه أعاد الكرة فتغلب عليها . وفي المعركة التي وقعت على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) على الخابور أصيب بجرح بليغ في رأسه فقضى عليه^٢ .

وفي أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهب العرب الذين في بلاد الروم الملقبون بـ (بني ثعلبة) (طايوس ديت رومين د متقربن ديت ثعلبة)^٣ هذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأخذوا كل ما أمكنهم أخذه ، فاضطر من كان قد تخلف في الحيرة من جيش النعمان الى الفرار الى البادية^٤ . ويخيل اليّ ان ذلك كان على أثر إصابة الملك بجرحه المميت .

وتولى الحكم رجل من (آل نحم) اسمه (أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربي بن نمارة بن نحم) ، بعد النعمان^٥ . فهو من (ذميل) و (ذميل) بطن من بطون نحم^٦ . ولم يتحدث أصحاب الأخبار عن علاقة هذا الرجل بالأسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والأسباب التي أدت الى اختياره لهذا المنصب ، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ، ثم انتقل الحكم من بعده الى المنذر بن امرئ القيس البدء ، وهو ذو القرنين ، وذلك في رواية للطبري عن ابن الكلبي^٧ .

أما حمزة الأصبهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس ابن النعمان بن امرئ القيس . قال : انه هو الذي غزا بكرأ يوم (أواره) في دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم . وكانت بكر قبله تقسم أود ملوك الحيرة وتعصدهم . ونسب اليه بناء حصن (الصنبر) زاعماً ان الذي بناه

١ Josua Stylites, 51, Rothstein, S. 74.

٢ Josua Stylites, 57, Rothstein, S. 74.

٣ Rothstein, S. 74.

٤ Rothstein, S. 74.

٥ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

٦ حمزة (ص ٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

له هو البناء الرومي الشهير سنمار ، وانه هو الذي قتل ذلك البناء . وجعل مدة حكمه سبع سنين^١ ، وذلك في زمن قباد^٢ . وقال (حمزة) : وفيه قال المتلمس :

جزاني أخو لحم على ذات بيننا جزاء(سنمار)وما كان ذا ذنب^٣

وذكر حمزة ان حصن صنبر المذكور ، وهو من عمل (سنمار) ، هو الذي قال فيه أحد الشعراء :

ليت شعري متى تحبّ به الناقة نحو العذيب والصنبر^٤

ويعرف المنذر هذا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرئ القيس بن النعمان وب (ذي القرنين) وب (المنذر بن ماء السماء) وب (ابن ماء السماء) . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مارية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دوتها الطبري^٥ . وذكر حمزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبري ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من مارية^٦ ، ولا أراه إلا خطأ من النساخ في كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين . وأما سبب تلقيبه بذئ القرنين ، فيقال إنه لقب بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بهما لذلك^٧ .

وتلقيب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبده هو خطأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامرئ القيس البدء المتوفي سنة ٣٢٨ للميلاد . ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام

-
- ١ حمزة (ص ٧٠) ، (وهو صاحب سنمار الذي قتله حين بنى له الحصن الذي يسمى الصنين) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٤ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٥ الطبري (٩٤/٢) ، الروض الأنف (٢٢/١) .
 - ٦ حمزة (ص ٧٠) (وكانت تسمى مارية) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
 - ٧ الطبري (٩٤/٢) .

بالبدء كذلك ، مع أنه مسبوق على حدّ قولهم بملك آخر اسمه هذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هذا بإذن بالبدء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امرئ القيس الآخر الذي زعم انه والد المنذر بالبدء أيضاً ، لأنه ثالث المراقسة في ترتيب اسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امرئ القيس والد المنذر ، فهم لم يشيروا إشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهل هو امرؤ القيس بن النعمان الذي جعله حمزة ملكاً بعد أبي يعفر ؟ لا يستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

وبلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاتين قد أطلقوا على المنذر (Alamoundaros O Sacicus) و (Alamundarus O Sacices) ، و (Alamundarus O Secicis) وغير ذلك^١ ، مما يفهم منه أنهم قصدوا بـ (Sacicus) و (Sicices) (Secticis) وأمثال ذلك كلمة (شقيقة) (الشقيقة) العربية ، وأنهم ارادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذي نتحدث عنه في رأي المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنذر هي (الشقيقة) (شقيقة) ، وذهب آخرون الى أنها لم تكن امه ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان من آل الشقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بأبن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر ببني ماء السماء^٢ .

أما الأخباريون فقد جعلوا شقيقة أمّاً للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشيروا الى ملك اسمه المنذر واسم امه شقيقة ، فأيهما المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاتين والسريان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون ان المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المزارع^٣ ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولى الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمانة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقتول بوادي القضيبة^٤ .

١ Rothstein, S. 76.

٢ Rothstein, S. 76.

٣ الروض الأنف (٢٢/١) .

٤ البلدان (١١٨/٧) ، (وهو ابن مامة) ، الروض الأنف (٢٢/١) .

ويرى بعض الباحثين ان حكم (المنذر) كان في حوالي السنة (٥٠٨ م) ،
أو قبل ذلك بقليل في حوالي السنة (٥٠٦ م) . وأما انتهاء ملكه فكان في حوالي
السنة (٥٥٤ م)^١ .

وكان قباذ قد عقد صلحاً في عام (٥٠٦) للميلاد مع الروم بعد الحرب التي
استمرت من سنة (٥٠٢) حتى سنة (٥٠٦ م) ، غير ان هذا الصلح لم يدم
طويلاً . ففي سنة (٥١٨) للميلاد تجدد الخلاف بين الفرس والروم ، وذلك على
أثر مطالبة قباذ القيصر (جستينوس) (يوستينوس) (Justinus) الأول بدفع
الأتاوة التي اتفق في صلح (٥٠٦ م) على دفعها للفرس . وبناء على تباطؤ القيصر
في دفعها حرّض قباذ المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها في
سنة (٥١٩ م)^٢ .

لقد تمكن المنذر في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين هما (ديموسترأتوس)
(تيموسترأتوس) (Timostratus) (Demostratus) ويوحنا (Johannes)^٣ .
وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلفاً بين الروم والمنذر ،
فأرسل - على ما يظهر - رسولاً خاصاً الى المنذر هو (ابراهيم) (Abraham)
والد الكاتب المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، ومعه (شمعون الأورشامي)
(Symeon of Beth Arsham) و (سرجيوس) (Sergius) أسقف الرصافة
(بيت رصافة) . وقد وصل الوفد الى المنذر في السنة السادسة (السنة السابعة)
من حكم (جستينوس) (يوستينوس) الموافقة لسنة (٨٣٥) من التقويم السلوقي
ولسنة (٥٢٤) للميلاد^٤ . وكان المنذر آتئذ في البادية في موضع اسمه (رمله)
(الرملة) . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و (سرجيوس) هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ،
أي شهداء نجران^٥ . وقد دونت في عهد أسقفية على الرصافة أسماء الشهداء على

J. B. Bury, II, P. 91. ١

Rothstein, S. 79. ٢

Rothstein, S. 80, Land, Anecd., III, 235. ٣

Kitab Al-Unvan, Histoire Universelle Ecrite, par Acapius ٤

(Mahbub), de Menbidj, Seconde Partie, II, P. 425. ٥

Musli : Palmyrena, P. 267, Guidi : La Lettera di Simeone Vescova

di Beth Arsham, P. 507.

الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس^١ .
وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذونواس
الملك الشهير المعروف بتعذيبه نصارى نجران الى المنذر ليفاوضه على تعذيب من في
مملكته من النصارى . وقد دون (شمعون الأرشامي) قصة التعذيب هذه مدعياً
انه نقلها من الكتاب الذي قريء على الملك ومن أقوال من عرفه من الحاضرين ،
دونها في صورة كتاب ليقرا في الكنائس ويطلع عليه المؤمنون . وقد نشر هذا
الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك^٢ .

وذكر ان القيصر (جستينوس) (يوستينوس) (Justinus) كتب الى المنذر
ابن النعمان طالباً منه اخراج من في أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة^٣ . وقد
جادلهم في مجلس عقده بحضرة المنذر (شيلا) الجاثليق . فلما سمع هؤلاء بذلك ،
هرب بعضهم الى نجران واقاموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس
الحيري صاحب المنذر .

يظهر ان امل القيصر في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنه
تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب
سنة (٥٢٨ م) بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر
خطير في هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشام ، وغنم منها غنائم كثيرة ،
ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كعادة سائر
الملوك بعد أن أشبع نفسه من غنائم الحرب^٤ .

ونجد المنذر يجدد هجومه على بلاد الشام ، بعد مدة قصيرة من هجمه الأول .
لقد هاجمها سنة (٥٢٩ م) وتوغل فيها حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق

١ Musil, Palmyrena, P. 265.

٢ Land : Anecd., 3, 235, Assemani : Bibl. Orient., I, 364.

٣ (يوستينيانس) ، (وفي هذه السنة وجه يوستينيانس وفدا الى المنذر ملك
العرب ليصالحه ، لأنه كان غزا الروم وخرب وسباً . وكان سبب الفتنة بين
العرب والروم اضطهاد الملك يوستينيانس الآباء ، القائلين بالطبيعة الواحدة ،
لأن النصارى العرب يؤمنون انما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير) .
ابن العبري . تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨) ، Histolre Nestorienne,
(Chronique de Seert), Seconde Partie, P. 143.

٤ Nöldeke : Sasa., II, Anm. 3, Malalas, II, 166, Rothstein, S. 81.

عدداً من المواضع ومنها موضع (خلقيدون) (خلقيدونية) (Chalcedon) .
وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعزى^١ ، وهي
دعوى تحتاج بالطبع الى درس .

وقد عرض ابن العبري لتوغل المنذر في أرض الروم ، واستيلائه على أرضين
واسعة شملت كل منطقة الحدود ، ومنها أرض الخابور ونصيبين ، حتى بلغ
(حمص) (Emessa) و (أباميا) (فامية) (Apamea) وأنطاكية (Antioch)
زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان ، وخرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكرًا
أنه اختار من بين الأسرى أربعمئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير انه لم يذكر أنه
قدمهن قرباناً الى العزى^٢ .

وقد اضطر هذا الغزو القيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) الذي خلف
(يوسطينوس) الى نصب الحارث الجفني (فيلارخا) (فيلاركا) (Phylarch) ،
أي عاملاً على عرب بلاد الشام لحماية الحدود من اعتداءات المنذرو عرب العراق^٣ .
وقد عوّض قباز الخسارة التي لحقت به عند موضع (دارا) بربح ناله بواسطة
المنذر. لقد قام المنذر وأحد القواد الفرس بمهاجمة منطقة الفرات (Euphratesia)
وهي منطقة (قوماجين) (Commagene) ، فلما تصدى لها القائد (بليزارايوس)
(Belisarius) تراجعاً ، ثم التقيا به عند الرقة (Callinikos) فانتصرا عليه. وقد
كان ذلك في السنة الرابعة من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) أي في سنة
(٥٣١ م)^٤ .

وقد اشترك الحارث بن جبلة في هذه الحرب مع الروم ، وأنيطت به حاية
الجانب الأيمن في القتال الذي اضطرم مع الفرس . أما المنذر وجيشه ، فكان يكون
الجنّاح الأيسر لجيش الفرس ، أي الجنّاح المقابل لعرب الروم^٥ .

١ Malalas II, 166, Nöldeke : Ghass., II, Theophanes, 273.
Land : Anecd. Syr., III, P. 247, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa,
Erster Band, 1893, S. 1281.
٢ Bar Hebraeus, 78, Nöldeke : Aufstätze, 112.
Rothstein, S. 81.
٣ Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81,
٤ Pauly-Wissowa, Erster Halbband, 1893, 1281.
٥ Musil : Palmyrena, P. 274, Procopius : De Bello, I, 17.

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام (٥٣٢ م) بين الفرس والروم ، لم ينقطع النزاع بين الحارث الجفني والمنذر بسبب اختلافهما على الاتاوة التي تجبى من أعراب الـ (Strata) ، أي المنطقة الواقعة في جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم (بروكوبيوس) أن كسرى ، حرّض المنذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وإيجاد سبب لتجديد الحرب ، وأن القيصر يوستينيانوس (Justinianus) كلف رجلين من ثقافته وهما (ستراتيغيوس) (Strategius) ، وهو من أصحاب الخبرة والحكمة في الشؤون الإدارية ، و (سوموس) (Summus) وهو من قادات الجيوش في فلسطين ومن السفراء الذين سبق أن كلفوا القيام بمهمات سياسية فأرسل رسولا إلى نجاشي الحبشة وإلى ملك حمير (Homeritae) دراسة النزاع وإيجاد حلٍّ للمشكلة . فأشار (سوموس) على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالإحتفاظ بالأرض ، أما (ستراتيغيوس) ، فقد رأى ان الموضوع تافه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . وقد مضى وقت طويل دون أن يجزم القيصر برأي .

وفي هذه الأثناء ادعى كسرى ان القيصر قد أخل بشروط الصلح باتصاله بالمنذر (Alamoundarus) وبمحاولته التأثير عليه وجرة اليه . وبارساله (سوموس) إلى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يمنيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم إلى الروم ، وبأمر أخرى اتخذها حجة لإعلان اخلال الروم بالصلح^١ . وصار ينتهياً لحرب جديدة حتى تهيأت له الأسباب ، وذلك في عام (٥٤٠ م)^٢ .

وبعد مراسلات بين الفرس والروم دون بعضها (بروكوبيوس) ، وهي مراسلات جميلة ترينا فن الدبلوماسية ومنطق الملوك في ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدرتهم^٣ ، وهاجم المنذر بلاد الشام فبلغ فينيقية ، وتوغل في مناطق واسعة من لبنان^٤ . وقد أشار الطبري إلى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ،

Procopius, II, I, Gibbon, II, P. 607, (The Modern Library).

Procopius, II, 12-15.

Procopius, II, V, Vol. I, P. 295, (Dewing).

Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20.

Procopius, II, XII, XIX, 32-46.

في أثناء كلامه على الحبشة في اليمن وعلى دخول الفرس إليها، كما أشار الى المودعة والهدنة التي عقدت بين كسرى أنو شروان والقيصر ، وقد سماه (نخطينانوس) ، أي (جستنيان) (جستنيانوس) (Justinianus) ، فقال : « وكان فيها ذكر بين كسرى أنو شروان وبين نخطينانوس ملك الروم مودعة وهدنة. فوقع بين رجل من العرب كان ملكه نخطينانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لحم كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان نائرة . فأغار خالد ابن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله فشكا ذلك المنذر الى كسرى وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد ، فكتب كسرى الى نخطينانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ويدفع اليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وان لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انتقاص ما بينهما من العهد والهدنة بسببه . وواتر الكتب الى نخطينانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد نخطينانوس في بضعة وتسعين الف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة انطاكية وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة فامية ومدينة حمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبي أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد »^١ .

ويظهر من سياق هذه الرواية ان الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد نقل روايته هذه من غير نقد ولا مناقشة . فالشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الحارث بن جبلة ، لا خالد بن جبلة . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه ، فظن انه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث انه اعتمد على كتاب من كتب التأريخ ، لعله من المؤلفات الفارسية أو السريانية، وقد نقل الدينوري منه أيضاً، فذكر خالد بن جبلة^٢ .

١ الطبري (١٢١/٢ وما بعدها) ، (١٤٩/٢) ، (دار المعارف) .

٢ الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) .

وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر ، فليس في الأخبار التي يرويها الأخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها ان نفوذ الفرس قد شمل هذه الأرضين الواسعة الممتدة من الحجاز الى ساحل الخليج . وليس فيها خبر واحد يفهم منه ان ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز . ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة أهل الأخبار شيئاً عنه ، اذ انه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي اتفق الفرس والروم على عقدها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة (٥٤٥ م)^١ . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل الفرس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مباغته أحد أبناء الحارث : وكان يكلب خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبيوس ضحية الى العزى (Aphrodite)^٢ . وبعد أن جمع كل واحد منهما كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبكا في حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً ، وقتل عدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى ما حل به ، فرّ هو ومن بقي حياً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر^٣.

وقد تكون غارة قيس بن سلمة بن الحارث الكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بال كندة من خسائر. ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطفة اضطرته الى الهزيمة والالتجاء الى الخورنق مع ابنه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الهزيمة ، انتقم المنذر لنفسه بغارة أغارها على كندة كلفت الكنديين اثني عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا في أسره في مكان يسمى ذات الشقوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم في الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه لهذه الحادثة جفر الأملاك ، وهو موضع (دير بني مرينا) الذي أشير اليه في الشعر المنسوب لامرئ القيس^٤.

ويذكر أهل الأخبار أن الشاعر (امرأ القيس الكندي) كان في جملة من

Procopius, II, 28, 9-11. ١

Procopius, II, 28, 12-14. ٢

Procopius, II, 28, 13-14. ٣

شعراء النصرانية (ص ٤) . ٤

وقع أسيراً ، الا أنه افلت من الأسر ونجا بنفسه ، فقال شعراً يرثي به من قتل ، منه :

ملوك من بني عمرو بن حجر يساقون العشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مريسا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرميتنا

فهو يتألم ويتأفف من سقوط قومه قتلى ، لا في حرب ولا في معركة ، ولكن في (ديار بني مريسا) ، فأية مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ ملوك أحرار شجعان يقتلون في مثل هذه الديار .

وفي رواية أن الذين قتلوا من بني حجر آكل المزار في جفر الأملاك هم تسعة واستشهدت على ذلك بشعر للحارث بن حلزة جاء فيه :

وفديناهم بتسعة أملا ك كرام أسلابهم أغلاء

وأشير في قصيدة هذا الشاعر الى الجون . وهو جون آل بني الأوس ، وهو في شرح الزواة ملك من ملوك كندة ، وهو ابن قيس بن معديكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المزار ، ومعه كتيبة خشناء ، فحاربه بكر ، فهزموه ، وأخذوا بني الجون ، فجاءوا بهم الى المنذر ، فقتلهم^١ .

وفي بعض الروايات أن المنذر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط ان أي رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما ، فينظر أقربهما اليه ، فتضمن ذلك القتل . وأخذ من الفريقين رهناً بأحداً منهم ، فتي التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن^٢ .

وفي عهد هذا الملك وقع (يوم طخفة) بحسب رواية بعض الأخباريين .

١ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دار صادر) (ص ١٦٦) .

٢ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب) ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع . (ص ١٦٥) (صادر) .

٣ الأغاني (٤٤/١١) (دار الكتب المصرية) .

ويذكر هؤلاء أنه وقع بسبب (الردافة) وقيل : (الرفادة) . فقد كانت ردافة ملوك الحيرة في (بني يربوع) ، وكانت لعتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع في عهد (المنذر بن ماء السماء) . فلما توفي ، صارت الى ابنه (قيس ابن عتاب) (عوف بن عتاب الرياحي) بحكم الوارثة ، وكان حديث السن ، فأشار (حاجب بن زرارة) على الملك أن يجعلها لرجل كهل له سن وعقل ، وأشار عليه باختيار (الحارث بن بيبة المجاشعي) (الحارث بن مرث بن سفيان ابن مجاشع)^١ ولما فاتح الملك (بني يربوع) برأيه هذا : غضبوا وأبوا ، وأصر الملك على رأيه ، والا حاربهم ، فأبوا واستعدوا للقتال ، وساروا الى موضع (طخفة) وتحصنوا به ، فأرسل المنذر في أثرهم جيشاً كبيراً من افناء الناس ، عليه حسان أخوه وقابوس ابنه وبعث معهم الصنائع والوضائع ، اشتبك مع (بني يربوع) في هذا المكان، وصبر بنو يربوع وثبتوا ، ثم أغاروا على جيش المنذر، فانهزم ووقع القتل فيه ، وانهزم قابوس ومن معه، وضرب طارق أبو عميرة (طارق ابن عميرة) فرس قابوس فعقره وأسره، وأراد أن يجز ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجز نواصيها ، وأسر حسناً بشر بن عمرو بن جوين^٢ ، فعاد المنهزمون الى المنذر، وكان المنذر قد احتبس (شهاب بن عبد (قيس) بن كياس اليربوعي) عنده. فلما رأى سوء العاقبة ، استدعاه ، فقال له : « يا شهاب ، أدرك ابني وأخي ، فان أدركتهما حين ، فلبي يربوع حكمهم ، وأردت عليهم ردافتهم ، وأترك لهم من قتلوا وما غنموا ، وأعطيهم ألفي بعير » ، فذهب الى قومه وأعادهما ، ووفى الملك بما قال . ونجد للأحوص وللفرزدق ولأم موسى الكلابية شعراً في هذا اليوم^٣ .

وفي عهد المنذر ، كان يوم (أواره الأول) على قول أهل الأخبار . وسببه

١ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) . (٢٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، الاشتقاق

(١٤٧) ، ومنه طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء) ، اللسان (٢١٣/٩) ، (دار صادر) (طخف) .

٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، (بشر بن عمرو والرياحي) ، العمدة لابن رشيق (٢٠١/٢) .

٣ البلدان (٣٢/٦) ، النقائص (٦٦/١ ، ٢٨٥) ، (٩٢٤/٢) ، الأغاني (١٧٦/٣) ، ابن الأثير (٣٩٦/١) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، أيام العرب (٩٤) .

أن تغلب لما أخرجت (سلمة بن الحارث) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل)
ولما بلغ بكرأ أذعنت له تغلب ودانت لحكمه ، وقالت له : « لا يملكنا غيرك »
فأرسل اليهم (المنذر) يدعوهم الى طاعته ، فلم يجيبوه ، فحلف المنذر ليسيرن
اليهم فان ظفر بهم ذبحهم على قلة جبل أواره حتى يبلغ الدم الحضيض ، وسار
اليهم بمجموعه ليبر بقسمه ، والتقى بهم بأواره ، فهزمت بكر ، وأسر (يزيد
ابن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل خلق كثير من بكر ،
وأمر المنذر بذبح الأسرى الرجال على قلة جبل أواره ، وباحراق النساء ، والى
ذلك أشار الأعشى بقوله :

سبايا بني شيان يوم أواره على النار إذ تجلى به فتياتها^١

وختم عام (٥٥٤ م) هذا النزاع العنيف الذي أعقب الحارث والمنذر فاستراح
الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان (مونذر بر نعمن) (ملك العرب)
صريعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمته ملكه ، ففي منطقة قنسرين
على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر
(يوستنيانوس) (جستنيان) (Justinianus) هاجم المنذر منطقة (Rhomaye)
التابعة لحكم الروم ، فنازله الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين
(غودايا) (Wdaja) في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء
الحارث ، فدفنه أبوه في قلعة هذا الموضع^٢ .

و (عودايا) ، هو (العذية) على رأي موسل ، وهو من مواضع منطقة
(بالميرينا) (Palmyrena) ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من
أعمال قنسرين^٣ .

١ الأغاني (١٢٢/١) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٥٩/١) ، العقد الفريد
(١٥٤/٣) ، العمدة لابن رشيقي (٢١٥/٢) وما بعدها ، المختصر في أخبار
البشر (١٠٠/١) ، مراصد ، (١٢٧/١) ، اللسان (٣٥/٤) ، البكري ،
معجم (٢٠٧/١) ، البلدان (٢٧٣/١) ، أيام العرب (٩٩) .

٢ أمراء غسان (ص ١٨) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76,

(The English Translation), London, 1932, Michael the Syrian,
Chronicle, Vol., 4, P. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, S. 83.

Musil, Palmyrena, P. 144. ٣

وقد فهم (أوليري) من رواية للمؤرخ (ثيوفانس) ان المنذر كان حياً حتى سنة (٥٦٢ م) ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي^١ .

وقد ذكر (هارتمن) (Hartmann) ان المنذر هذا خارب في صفوف الرومان في أيام القيصر (طيباريوس الثاني) (Tiberius II) ، غير انه خافهم وغدر بهم في احدى المعارك التي قادها (موريقيوس) (Mauricius) ، فلما صار (موريقيوس) قيصراً قبض عليه ، ونفى معه زوجته وبعض أبنائه الى جزيرة صقلية^٢ . ولم يقل هذا القول أحد ، وانما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو (ايواكريوس) (Evagrius) منذراً آخر غير المنذر الذي نتحدث عنه^٣ .

وسبق لأوليري ان ظن هذا الظن ، فذكر ان المنذر حُدس إن في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لديه الأمر، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في احدى المعارك أسيراً في أيدي الروم، نفاه القيصر موريقيوس سنة (٥٨٠ م) ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية^٤ . ومصدر وهما هو اعتمادهما على رواية للمؤرخين (ايواكريوس) (Evagrius) و (نيقيفورس كالستوس) (Nicephorus Callistus) من غير أن يحصاهما . فالمنذر المقصود في هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وانما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفى بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وانه كان السبب في اخفاق الحملة التي قادها (موريقيوس) يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انتقم منه بالنفي .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين فهو : ان قتل المنذر كان في عين أباغ في

١ O'Leary, P. 160, Theophanes, P. 203.

٢ Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٣ Evagrius Scholasticus, V, 20, VI, 2, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٤ O'Leary, P. 160, Evagrius, Hist. Eccl., 5, 60, 6, 2; Nicephorus Callistus, 18, 10.

المعركة التي عرفت بـ (يوم عين أباغ)^١ . وعين أباغ بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفة والرقعة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة^٢ . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ ، وأرسل الى الحارث الأعرج بن جبلة : إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي ، وإما أن تأذن بحرب . فأرسل اليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا . فجمع عساكره وسار نحو المنذر ، فلما التقى به في عين أباغ ، اقتتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القتيلين الى الحيرة ، فأهبطها وأحرقها ودفن ابنه بها ثم عاد^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (عين أباغ) كانت منازل (إباد) ، وأن (أباغ) رجل من العمالقة نزل ذلك المكان فنسب اليه . وقد اختلفت الأقوال في (عين أباغ) فمنهم من جعلها موضعاً بين الكوفة والرقعة ، ومنهم من جعلها عين ماء ، ومنهم من ينكر . أنها عين ماء ، ويرى أنها واد وراء الأنبار على طريق الفرات الى الشام . ومنهم من يجعلها في (ذات الخيار)^٤ .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركة ان من كان يرى أن اسم الملك الغساني الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحارث ابن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني ، أو هو رجل من الأزدي تغلب على غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث

١ حمزة (ص ٧٠) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٢٢/١) ، العقد الفريد (٣٧٤/٣) ، ديوان الحماسة (٣٤٦/٢) ، اللسان (٢٩٨/١٠) ، أيام العرب (٥١) .
٢ البلدان (٧٣/١) ، (٢٥١/٦) ، (٧٣/١) ، (طهران) ، البكري (٦٤/١) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٠٩) ، الأغاني (١٩٨/٢٧) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، اللسان (٤١٧/٨) .

Noldeke, Ghass., 18, Rothstein, B. 2, 38.

٣ ابن الأثير ، الكامل (٢٢٢/١ وما بعدها) ، (٣٢٠/١ وما بعدها) (المنيرية) . أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) ، ديوان النابغة (٧٤-) ، البلدان (٧٣/١) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (٣٢٠/١ وما بعدها) . أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) ، ديوان النابغة (٧٤) ، البلدان (٧٣/١) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (٣٢٠/١ وما بعدها) .

الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين^٢ . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سمو اسم ملك عرب الشام ، فدعوه (حارث برجابالا) أي الحارث بن جبلة (حارث بن جبل) . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة (ملك العرب) للمندر^٢ . كما استعملها غيره من المؤرخين .

ويرى (ابن الأثير) : أن (الحارث) لما بلغ (عين أباغ) أرسل إلى (المنذر) يقول : إنا شيخان هنا ، فلا تهلك جنودي وجنودك ، ولكن ليخرج رجل من ولدك ، وليخرج رجل من ولدي ، فمن قتل خرج عوضه . فإذا فني أولادك وأولادي خرجت أنا إليك ، ومن قتل صاحبه ذهب بالملك . فتعاهدا على ذلك . فعهد المنذر إلى رجل من شجعانه ، فأمره أن يخرج ، ويظهر أنه ابن المنذر . فلما خرج ، أخرج إليه الحارث ابنه (أبا بكر) . فلما رآه ، رجع إلى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده أو بعض شجعانه . فقال له الحارث : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ فعاد إليه وقاتله ، فقتله الفارس ، فألقى رأسه بين يدي المنذر . وعاد فأمر الحارث ابنه الآخر بقتاله والطلب بشأه أخيه ، فخرج إليه ، فشد عليه الفارس وقتله . فلما رأى ذلك (شمر بن عمرو الحنفي) ، وكانت أمه غسانية ، وهو مع المنذر ، غضب ، وقال للمندر . أيها الملك ، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بآبن عمك . فغضب المنذر . وهرب (شمر) إلى الحارث فأخبره . فلما كان الغد ، أرسل الحارث أصحابه ، وحرضهم ، وكانوا أربعين ألفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المنذر وهزمت جيوشه . فأمر الحارث بآبنيه القتيلين فحملا على بعير ، وسار إلى الحيرة فأنتهبها وأحرقها ، ودفن آبنيه بها ، وبني الغريين عليهما في قول بعضهم^٣ . والمعروف أن الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر فوق قبري نديمه .

وأشار حمزة أيضاً إلى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عين أباغ ،

١ ابن الأثير (٢٢٢/١) .

٢ مختصر تاريخ الدول (ص ١٤٨) ، (بيروت ١٨٩٠) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76.

٣ الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ،

فقال : وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهاب الجفني يوم عين اباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليلة بسر^١ . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليلة هو المنذر بن امرئ القيس . وكان يوم عين اباغ بعد يوم حليلة . والمقتول في يوم عين اباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم ابيه . فقتله الحارث الأعرج ايضاً . وقد سمعنا ان قاتله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي^١ .

وقد ذكر (ابن قتيبة) في (كتاب المعارف) ان الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، هو الذي قتل المنذر بن امرئ القيس ، قتله ب (الخيار^٢) . ويظهر من خبره هذا ان قتل المنذر انما كان ب (الخيار) ، لا في (يوم حليلة) ، وأن (الخيار) او (الخيار) موضع اقرب ما يكون الى الحيرة منه الى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء نجدها مدونة في الأغاني ، لم تشر الى عين اباغ ولا الى يوم حليلة ، او ذات الخيار ، خلاصتها . ان شمر ابن عمرو الحنفي احد بني سحيم هو الذي قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، فبعث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الامان على ان يخرج له عن ملكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر الى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره^٣ . وذكر (ابن دريد) ان قاتل المنذر الاكبر ، وهو جدّ النعمان بن المنذر ، يوم عين اباغ ، هو (شمر بن يزيد) ، وهو من (بني حنيفة) ، وكان في جند الملك الغساني^٤ .

وتحدث (ابن خلدون) عن (يوم عين اباغ) ، فقال : « كان جبلة بن النعمان صاحب يوم عين اباغ ، يوم كانت الهزيمة له على المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في ذلك اليوم »^٥ . ولكننا نجده يقول في موضع آخر : « عمرو بن

١ حمزة (ص ٧٠) .

٢ المعارف (ص ٢٨٣) (طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) .

٣ الأغاني (٤٦/١١) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٦٦/٢) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، البكري (٦٤/١) .

٤ الاشتقاق (٢٠٩/٢) .

٥ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، القسم الثالث (ص ٥٨٦) (بيروت) .

عمرو بن عبد الله بن عبد العزيز ؛ قاتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين اباغ^١ .
وذكر ان (عمراً) هذا هو ابن عم (علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزيز بن
سحيم بن مرة) وهو الذي توجه كسرى^٢ . وقد ذكر ان (جبلة بن النعمان) ،
صاحب يوم عين اباغ ، كان منزله بصفين .

وفي رواية اخرى ان (حليلة) كانت قد اخرجت خلوقاً ، فخلقت به الفتيان .
ولما خلقت احدهم ، واسمه (لييد بن عمرو) ، دنا منها فقبلها ، فلطمته وبكت ،
فأمسكها ابوها ، ثم ذهب من ذهب وفيهم (شمر بن عمرو الحنفي) وكانت امه
من غسان ، الى (المنذر) متظاهرين انهم جاؤوا اليه ليخبروه ان الحارث يدين
للمنذر ، وهو يريد ان يعطيه حاجته ، فتباشر اهل عسكر المنذر ، وغفلوا بعض
غفلة ، فحمل الغلمان على المنذر وقتلوه ، فقتل : (ليس يوم حليلة بسر) ،
فذهب مثلاً^٣ .

وذكر (ابن قتيبة) ان « الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الأعرج وجه
الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، فيهم الشاعر (لييد بن ربيعة) ، وأمره
عليهم ، فصاروا الى عسكر المنذر ، وأظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما
تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل اكثرهم ونجا لييد ، حتى اتى ملك غسان ،
فأخبره الخبر ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم . وهو يوم حليلة .
وكانت حليلة بنت ملك غسان . وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبستهم
الأكفان والدروع وبرانس الأضرع^٤ » .

وقد جعل بعض الاخباريين عين اباغ (ذات الحيار)^٥ ، ويفيد قولهم هذا
ان عين اباغ هو موضع يقع في منطقة تسمى ذات الحيار (الحيار) ، ويرى
(تولدكه) ان موضع (الحياران) الوارد في معلقة (الحارث) هو انضاً هذا

١ المصدر نفسه (ص ٦٢٦) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

٤ الشعر والشعراء (ص ١٤٨) ، (طبعة ليدن) .

٥ ابن الاثير (٢٢٢/١) .

المكان^١ . وللتثبت من هذا القول ، لا بد من الوقوف على موضع ذات الحيار (الحيار) و (الحياران) . وقد ذكر ياقوت الحموي ان الحيار صقع من بركة قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك اقطعه لتمعقاع بن خليلد بينه وبين حلب يومان^٢ . وهذا الوصف لموقع الحيار ينطبق على ما رواه المؤرخون "سريان عن موضع مقتل المنذر كما يوافق رأي من جعل عين اباغ ذات الحيار .

ومن ذهب هذا المذهب ، (ابو الفداء) ، فقال في حديثه عن (يوم عين اباغ) . « ومن ايام العرب يوم عين اباغ ، وكان بين غسان ولحم ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب أذراع امرئ القيس ، وقيل : غيره . وكان قائد لحم المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في هذا اليوم ، وانهمز لحم ، وتبعهم غسان الى الحيرة ، وأكثروا بينهم القتل . وعين اباغ في موضع يقال له . ذات الحيار »^٣ .

وذكر ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هـ ان القتل في يوم عين اباغ هو المنذر ابن ماء السماء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقبل النعمان بن المنذر ، الذي قربه (عدي بن زيد العبادي) الى كسرى . واما القاتل ، فهو الحارث الغساني^٤ . ومرد امثال هذا الاختلاف في اسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه الاسماء اذ يصعب على الرواة ، وهم يعتمدون في رواياتهم على الحفظ ، ان يميزوا بعد مدة بين امثال هذه الاسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

ونجد هذا الرأي عند (النويري) كذلك ، اذ جعله ايضاً والد (النعمان) الملك الاخير من ملوك الحيرة . والذي قتله كسرى كما سنرى فيما بعد^٥ . والنويري هو عيال على (ابن عبد ربه) في كثير من الاخبار ، ولا سيما اخبار الايام .

١ وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء .

المعلقة . البيت ٨٢ ، شرح الزوزني (ص ١٦٩) ،

٢ البلدان (٣٧٥/٣) .

٣ المختصر في تاريخ البشر (٩٧/١) (بيروت) .

٤ العقد الفريد (١١٠/٦) ، (٢٦٠/٥) (لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

١٩٤٦ م) .

٥ نهاية الأرب (٤٣٠/١) وما بعدها .

ويتبين من غربلة الأخبار الواردة عن (يوم أباغ) ، (يوم عين أباغ) ان من الأخباريين من يرى ان يوم عين أباغ ويوم حليلة ، هما يوم واحد، ولا فرق بينهما ، وقالوا انما عرف ذلك اليوم بـ (يوم حليلة) ، لبروز اسم (حليلة) فيه ، وهي بنت ملك غسان ، تخلق المحاربين وتحثهم على القتال . وان من الأخباريين من جعل (يوم حليلة) يوماً آخر مغايراً ليوم عين أباغ، ثم اختلفوا فيه ، فمنهم من جعله قبل يوم عين أباغ ، ومنهم من جعله بعده . وقد ذكروا انه كان يوماً عظيماً ، اشترك فيه عدد كبير من المقاتلين ، (وعظم الغبار حتى قيل : ان الشمس قد أُنحِبت وظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس)^١. وهذا مما يدل على اشتراك عدد كبير من المقاتلين فيه . ومن ذهب الى ان (يوم حليلة) هو يوم آخر (ابن الأثير) ، وقد جعله بعد (يوم عين أباغ) . وقال : انه وقع في موضع يعرف بـ (مرج حليلة) ، وسببه ان المنذر لما قتل أراد ابنه (الأسود) الأخذ بالثأر ، فسار في جيش لجب ، والتقى بجيش (الحارث) في (مرج حليلة) . ولما طال الحرب ، أمر الحارث ابنته (هند) بأن تخلق فتيان غسان ، ونادى فتيان غسان : من قتل ملك الحيرة زوجة ابنتي هند . فقال ليبد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أباي أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول ، ثم ركب فرسه ، وشد على الأسود ، فقتله ، وانهزمت لحم ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن ظفر في تفاصيل أخرى لا مجال لشرحها هنا^٢ .

فيتبين من خبر (ابن الأثير) هذا ان الموضع الذي وقع فيه القتال اسمه (مرج حليلة) ، وان اسم ابنة الحارث هو (هند) لا حليلة ، وان المقتول فيه هو (الأسود) لا المنذر ، وان هذا اليوم قد وقع بعد (يوم عين أباغ) .

وفي رواية ان الغساسنة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنذر من أسر أحد أبنائه وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام ، فقتلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقلوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون^٣ . وقد ذهب (كوسان دي برسفال) الى أن هذه الغارة كانت بقيادة أحد أبناء المنذر القليل ، وانها

-
- ١ البلدان (٣٢٥/٢ وما بعدها) ، أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) .
 - ٢ الكامل (٣٢٠/١) وما بعدها .
 - ٣ الأغاني (٤٨/١١) .

كانت غارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء^١ .
وقد أشار الحارث بن حنظلة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء

وقد زعم الشراح أن امرأ القيس هذا كان معروفاً بماء السماء^٢ أما الملك
الغساني القليل ، فلم يسيروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه
كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة (رب غسان) ،
هي من باب التفضيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر بعض الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أم قطام ،
غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كندة ، غير أن بكراً
التي كانت مع امرئ القيس قاتلته ، وقتلت جنوده^٣ .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليلة ،
قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليلة أن حليلة
ابنة الحارث كانت تخلق قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون
الى أنه موضع^٤ .

وفي رواية تنسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء ،
ولكنهم غلبوا على أمرهم ، فلحقوا بالشأم خوفاً منه . وبقوا هناك ، ففرّ بهم
عمرو بن أبي حجر الغساني في رواية ، أو الحارث بن أبي شمر الغساني في
رواية أخرى ، فلم يستقبلوه ، فانزعج من ذلك ، وتوعدهم ، وأن عمرو بن
كلثوم نهاه عن ذلك^٥ .

وقد روى بعض أهل الأخبار أبياتاً من الشعر ، زعموا أن ابنة المنذر قاتلتها
في رثاء والدها ، ففي جملتها :

Caussin, Essai, II, 116.

١ الأغاني (٤٨/١١ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .
٢ الأغاني (٤٩/١١) (دار الكتب المصرية) .
٣ البلدان (٣٢٠/٣) ، الكامل ، لابن الأثير (٣٢٦/١ وما بعدها) .
٤ الأغاني (٥٧/١١ وما بعدها) .

وقالوا : فارساً منكم قتلنا ، فقلنا : الرمح يكلف بالكريم
بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسم

وينسب الى المنذر بناء الغريين في بعض الروايات ، وكان السبب في ذلك كما
يقول الأخباريون أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة
(مضلل) (خالد بن المضلل) والآخر عمرو بن مسعود (عمرو بن مسعود
الأسدي) ، فتملا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران
فحضر لهما حفيرتان قدفنا حين . فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما ،
فغمه ذلك ، وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان .
فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري . لا يمر أحد من وفود العرب
إلا بينهما ، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح في يوم بؤسه كل
من يلقاه ويغرّي بدمه الطربالين ، ويحسن في نعيمه الى كل من يلقى من الناس
ويحملهم ويخلع عليهم . وقد ظل المنذر على عادته هذه الى أن حدث له حادث ،
أظهر فيه رجل ظهر يوم بؤسه وفاءً عظيماً ، فعفا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر .
وكان الرجل الذي برّ بوعده فحضر بعد عام ليأخذه سيف الجلال نصرانياً ، ولذلك
تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه اذا ظهر له
يوم بؤسه . فلما ظهر الشاعر الشهير عبيد بن الأبرص الأسدي ، لم ينجسه شعره
من مصير ذلك اليوم^١ . وذكروا أن الرجل كاد يسلمه سوء طالعه الى يد الجلال ،
هو حنظلة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابتنى ديراً له هو الدير المعروف بدير
حنظلة . وأما الذي كفّل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجل من أشراف
القوم هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حنظلة هذا هو عم أياس بن قبيصة
الطائي ملك الحيرة^٢ .

١ اللسان (٤١٧/٨) (بيروت) .

٢ البلدان (٢٨٣/٦ وما بعدها) ، الأغاني (٢١٣/٥) (دار الكتب المصرية) ،
البكري ، معجم (ص ٦٩٤) . (طبعة ليدن) ، ابن قتيبة . الشعر (ص ١٤٤) ،
الأغاني (٨٦/١٩) ، القالسي . الامالي (١٩٥/٣) ، (طبعة دار الكتب
المصرية) ، ابن هشام (٤٠١/١) ، شرح قصيدة ابن عبدون (١٣٢) ، شعراء
النصرانية (ص ٦٠٠) ، الحور العين ، للحميري (ص ٧٦) ، رسالة الغفران
(١٨٢) ، طبقات ابن سلام (٣١) .

٣ شعراء النصرانية (ص ٨٩) .

وورد في بعض الروايات أن (المنذر بن ماء السماء) ، خرج في يوم يؤسه ، وكان يوماً يركب فيه فلا يلقي أحداً إلا قتله ، فلقي في ذلك اليوم (جابر بن رآلان) أحد (بني ثعل) ومعه صاحبان ، فأخذتهم الخيل بالثوبة ، فأثنى المنذر فقال : اقترعوا ، فأبكم قرع ، خلعت سبيله ، وقلت الباقي . فاقترعوا ، ففرعهم جابر ، فخلت سبيله ، وقتل صاحبيه ، فلما رآهما يقادان ليقطلا ، قال عزّ بَرّ . ورووا في ذلك شعراً نسبوه إلى جابر^١ .

ومن الأخباريين من نسب بناء الغريين إلى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبهما إلى جذيمة ، وذهب آخرون إلى نسبة الغري إلى الحارث الغساني^٢ . ويرينا هذا الاختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغريين .

وقد ذكر (النويري) أن الغريين أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة ، بناهما (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) على جاريتين كانتا قيتين تغنيان بين يديه ، فأتتا ، فأمر بدفنهما ، وبني عليهما الغريين . وذكر أيضاً أن « المنذر غزا الحارث ابن أبي شمر الغساني ، وكان بينهما وقعة عين أباع ، وهي من أيام العرب المشهورة ، فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر ، وأهزمت جيوشه ، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير ، وجعل المنذر فوقهما ، وقال : ما العلاوة بدون العدلين ؟ فذهبت مثلاً ، ثم رحل إلى الحيرة ، فأنتهبها وحرقها ، ودفن ابنه بها ، وبني الغريين عليهما » . وقد ذكر أن (المنصور) أمر بهدم أحدهما ، لكن تروهم أنه تحتها ، فلم يجد شيئاً .

وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغريين ، هو من القصص الذي ألفناه ، وعوّدنا أصحاب الأخبار سماعه ، فلا قيمة تاريخية له في نظرنا ، وإن أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وإنه أمر مسلم به وشائع معروف ، وإن عبيداً لقي حتفه لظهوره يوم يؤس المنذر أو النعمان . وقد يكون ذلك مسلماً به عندهم ، غير أننا لسنا من السذاجة بحيث نصدق بأمثال هذا القصص لمجرد أنه شائع معروف ، فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

١ الفخر (ص ٧٣) .

٢ Rothstein, S. 140.

٣ نهاية الأرب (٣٨٧/١) .

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرانها أو نكران (الغري) من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذي يرويه الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف ، وهو أمر لم يتفرد به زمان دون زمان ، فزال الناس يتدعون قصصاً ثم يروونه ، ويتناقلونه على انه شائع صحيح ، مع ان تأريخ ابتداعه لا يبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحي بهذا القصص عارفون .

أما ان الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منهما رجل حي، لأنه عريد وسكر، وتحدث بكلام غاظ الملك ، وما أشبه ذلك من قصص ، فأمر لا نستطيع أن نقف منه موقفاً إيجابياً ، ولا نسلّم به . ففيه شيء من أثر الصنعة والتكلف . ولكننا نستطيع أن نقول ان الغري أو الغريين من المواضيع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز انهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرايين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلّى بها . وما الغريان الا نصبان من هذه الأنصاب . على ان الأخباريين أنفسهم قد ذكروا ان الغري نصب كان يذبح عليه العتائر ، كما ذكروا ان الغريين كانا طربالين ، والطربال صومعة على رأي ، وشيء مرتفع عند الأكثرين^١ . فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرايين للأصنام .

ويذكر أهل الأخبار أن (شريك بن مطر) ، وهو جد (معن بن زائدة) ، كان من أكبر الناس عند المنذر . وكان له ولد اسمه (الحارث) ويلقب بـ (الخوفزان) وهو من بني (شيبان)^٢ .

١ البلدان (٢٨٢/٦) .
٢ الاشتقاق (ص ٢١٥) .

الفصل الثامن والثلاثون

عمرو بن هند

والذي خلف المنذر على ملك الحيرة بعد وفاته، هو ابنه عمرو بن هند المعروف بـ (مضطرب الحجارة) ، وهو لقب يشير بالطبع الى قوة ابن هند وشدة بأسه، وقد عرف عمرو بأمه (هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار) ، فهو كندي من جهة أمه ، وعرف أيضاً بـ (محرق الثاني) على رواية حمزة^١ ، وبـ (المحرق) في رواية لغيره^٢ . وقد كان له من الأشقاء من أمه : قابوس والمنذر .

ويرى بعض الباحثين احتمال كون (هند) من (آل غسان) ، واليهما ينسب دير هند . ويرى أن حكم ابنها عمرو كان فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩ م)^٣ . وزعم ابن الأثير أن الذي تولى الملك بعد المنذر بن ماء السماء هو ابنه المنذر ابن المنذر بن ماء السماء المعروف بـ (الأسود) ، وأنه لما استقر الأسود وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه ، ونزل برج حليلة. ووصل الحارث الى هذا الموضع كذلك ، واقتتل الطرفان أياماً ولم ينتهيا الى

١ حمزة (ص ٧٢) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥ وما بعدها) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٦٣) .

نتيجة . فلما رأى الحارث طول الوقت، نادى في فتیان غسان : « يا فتیان غسان، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً » . فلما سمع ذلك ليبد بن عمرو الغساني، شدّ على الأسود فقتله ، وانهزم أصحابه ، فنزل ليبد واحترز رأس الأسود، وأقبل به الى الحارث ، فألقى الرأس بين يديه ، فوافق الحارث على اعطاء ليبد ابنته ، ثم إن ليبداً انصرف ليواسي أصحابه ، فرأى أخاً للأسود يقاتل الناس ، فتقدم ليبد فقاتل فقتل ، ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره . وانهزمت لحم ثانية ، وكثر فيها القتل . وذكر الأخباريون أن هذا اليوم هو من أيام العرب الكبرى إذ سار الأسود بجمع من عنده من عرب العراق ، وأقبل الحارث بجمع من كان عنده من عرب الشام . فجعلت هذه الرواية بعد المنذر ابنه المنذر الأسود وجعلته صاحب مرج حليلة^١ .

وتذكر رواية ان جيش الحارث الأعرج بن جبلة أسر كثيراً من كان مع المنذر من العرب ، وفيهم مئة من تميم ، فيهم شأس بن عبدة . ولما سمع أخوه علقمة ، وفد الى الحارث مستشفعاً وأنشده قصيدة مدح طويلة ، فنّ عليه، وأطلق له الأسرى من تميم ، وكساه وجباه^٢ .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن المنذر ، خلاصتها : ان الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج خطب الى المنذر ابنته هنداً ، وقصد انقطاع الحرب بين لحم وغسان فوافق المنذر على ذلك . غير ان هنداً أبت عليه ذلك ، فحقد الحارث على آل لحم . فلما خرج المنذر غازياً ، بعث الحارث جيشاً الى الحيرة ، فانتهبها وأحرقها ، فانصرف المنذر عن غزاته وسار يريد غسان . وبلغ الخبر الحارث ، فجمع أصحابه وقومه ، فسار بهم ، فتوافقوا في عين أباغ . فاصطفوا للقتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث وفيها ابنته ، فقتلوه وانهزمت الميسرة . وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر ، فانهزم من بها وقتل مقدمها (فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان) ، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه ، وانهزم أصحابه في كل وجه ، وقتل منهم خلق كثير ، منهم ناس من بني تميم ، ومن بني حنظلة ،

١ ابن الأثير (٢٢٣/١ وما بعدها ، ٢٢٥) ، البلدان (٣/٣٣٠) .

٢ أيام العرب (٥٥ وما بعدها) .

ووقع عددٌ في الأسر ، ومن هؤلاء الأسرى : (شأس بن عبدة) شقيق علقمة ابن عبدة من شعراء الجاهلية المعروفين . فالقتيل في هذه المعركة وعلى هذه الرواية اذن هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، لا المنذر بن ماء السماء .

وقد تشكى ابن الأثير كما تشكى قبله حمزة من اختلاف الأخباريين في الروايات ، ومن تضارب الروايات بعضها ببعض ، ومن تقديم الأيام وتأخيرها ، وفي الشخص المقتول ، فذكر ان من الأخباريين من يقول ان يوم حليلة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً ، فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء ، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة . وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما . وقد رجح ابن الأثير رواية القائلين ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء ، ورجح أيضاً رواية من يقول ان المنذر بن المنذر لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه^١ .

ويذكر أن (علقمة بن عبدة) الشاعر الجاهلي ، ذهب الى الحارث ، فدحه بقصيدة شهيرة ، رجاء استعطاف الملك ، ليمنّ عليه بالعفو عن أخيه ، فيفكه من أسره ، فاستحسن الملك شعره وفرح به ، ومنّ عليه بفك أسره ، وبفك أسر جميع من وقع من قومه في الأسر . فلما عادوا الى ديارهم ، أعطوا شأساً أموالاً وأكسية وإبلًا ، فحصل من ذلك له مال كثير^٢ .

وفي يوم (حليلة) ورد المثل . (ما يوم حليلة بسر)^٣ .

أعود بعد الكلام على (المنذر بن المنذر) الى الحديث عن عمرو بن هند شقيقه ، فأقول : يظهر من هذه الروايات المذكورة عنه ، ومن هذا الشعر الوارد اسمه فيه ، أنه كان رجلاً سريع الانفعال ، يتألم بسرعة مما يقال له ، ولذلك حدثت له مشكلات عديدة لم تكن لتحدث لولا هذا الحس المرهف عنده ، الذي جعله عرضةً لهجو الشعراء ، والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقصته مع طرفة بن العبد والمتلمس معروفة مشهورة^٤ .

-
- ١ ابن الأثير (٢٢٥/١) .
 - ٢ ابن الأثير (٣٢٦/١) وما بعدها .
 - ٣ مجمع الأمثال ، للميداني (٤٠٨/٢) .
 - ٤ (صحيفة المتلمس) ، الأغاني (١٩٤/٢١) ، خزانة الأدب (٤١٢/١) ، اليعقوبي (١٧٢/١) ، الفاخر (ص ٦٠) ، شعراء النصرانية (ص ٣٣٧) .

ويفصفه أهل الأخبار بالشدة والصرامة ، بل جعلوه شريراً ، وزعموا أنه كان له يوم يؤس ويوم نعيم ، فيوم يركب في صيده يقتل أول من لقي ، ويوم يقف الناس ببابه فإن انتهى حديث رجل أذن له ، فكان هذا دهره^١ . وقالوا : إنه كان لا يتسم ولا يضحك . وكانت العرب تسميه (مضط الحجارة) لشدة ملكه ، وكانوا يهابونه هيبة شديدة ، وكان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً ، لأنه حرق بني تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة^٢ .

وقد وصف الشاعر (الرهاب العجلي) الملك (عمرو بن هند) بأنه ملك (يعتدي ويجور) وذلك في معرض وصفه للسدير^٣ .

وقد أصبحت الحيرة موئل الشعراء في أيام عمرو بن هند ، فلأكثر مشاهير الشعراء الجاهليين خبر مع هذا الملك ، كانوا يحضرون اليه من أماكن نائية لانشاده شعرهم ولنيل جوائزه ، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض ، ومن نقد بعضهم شعر بعض ، كالذي حدث بين طرفة والمسيب بن علس على ما يذكره الأخباريون^٤ . وقد كانت لمثل هذه المنافسات أهمية كبيرة في مجتمع ذلك اليوم ، لما كان لها من أثر في نفوس القبائل ، وطالما أدت الى غضب القبائل وغضب الملك نفسه ، وغضب الشعراء على منافسيهم وعلى الملك ، لاعتقادهم بتحزبه لأحد الخصمين .

وذكر بعض الرواة أن سبب هجاء (طرفة) عمرو بن هند ان عمرو بن هند كان يتباطأ في مجلسه في استقبال الناس . فإذا جلس لشرابه ، أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى ينتهي من مجلس أنسه ، فيسمح عندئذ لذوي الحاجات بالدخول عليه ، كما كان يصرف وقته بالتلهي بالصيد والقتص ، مما جعل وقته

١ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١٢٢) ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، (ص ٣١٧) .

٢ خزنة الأدب (٤١٧/١) ، شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .

٣ أبي القلب أن يهوى السدير وأهله وان قيل : عيش بالسدير غرير فلا أنذر الحي الذي نزلوا به وان لم يأت له لنذير به البق والحمى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور الأغاني (٢٩٥/٢١) (القسم الثاني) ، بيروت (١٩٥٧) .

٤ شعراء النصرانية (ص ٣٠٤ ، ٣٥٠ وما بعدها) .

يضيق عن استقبال الناس ، فصاروا يتكالبون على بابه ليجدوا وقتاً يدخلون فيه عليه ، فاستاء طرفه من هذه المعاملة . وقال شعراً يهجو فيه ، كان في جملة ما جاء فيه .

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا نخور
لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي كذلك الحكم يقصد أو يجور

فبلغ الشعر (عمرو بن هند) ، أبلغه إياه (عبد عمرو) ، وكان من سادات الناس في زمانه ، وكان زوج أخت (طرفة) ، وقد هجاه (طرفة) أيضاً . فلما أنشد (عمرو بن هند) هجاء طرفة له على سبيل المزاح والاستخفاف بشأنه ، قال له (عبد عمرو) : آيت اللعن ! وما قال فيك أشد مما قال فيّ فأنشده الأبيات . فقال عمرو بن هند : أو قد بلغ من امره ان يقول فيّ مثل هذا الشعر . فكتب الى رجل من عبد القيس بالبحرين ، وهو المعلّ ليقطعه . فقال له بعض جلسائه : إنك إن قتلت طرفة ، هجأك التلمس وهو رجل من مجرب ، وكان حليف طرفة ، وكان من بني ضبيعة . فأرسل عمرو الى طرفة والتلمس فكتب لها الى عامله بالبحرين ليقتلها ، وأعطاهما هدية من عنده وحملها ، وقال : قد كتبت لكما بحباء ، فأقبلا حتى نزلا الحيرة ، وارتاب التلمس بأمر الصحيفة واستقبال عمرو لها ، ففك ختمها وعرضها على غلام من أهل الحيرة ، فقرأها ، فاذا فيها أمر بقتله ، فأخذ الصحيفة فقتلها في البحيرة وقال :

وألقيتها بالثني من جنب (كافر) كذلك ألقي كل رأي مضال

وأشار على طرفة بفك خاتم صحيفته أيضاً ليقراها له ، ولكنه أبى ، وذهب الى صاحب البحرين ، فوجد هناك نهايته في قصص منق محبّر يرويه أهل الأخبار^٢.

١ الشعر والشعراء (ص ٨٩ وما بعدها) ، (لندن) .

٢ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، الاغانى (١٢٥/٢١) ، ديوان طرفة بن العبد (ص ٩) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (١٠) ، الشعر والشعراء (ص ٨٥ وما بعدها) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن قبر طرفة بهجر ، وهو معروف هناك^١ .
 وللشاعر (طرفة بن العبد) شعر يعاتب به (عمرو بن هند) ، ويحرضه فيه
 على الطلب بحق أخيه (معبد) ، الذي أغير على إبل له ، وكانت في جوار
 (عمرو بن هند) فأنتهت . ويقول فيه : نحن في طاعتك ، ومضرب في طاعتك ،
 فما بالنأ أغير علينا ، وكلنا ندين لك^٢ .
 ولطرفة شعر في هجاء (قابوس) كذلك . ونرى بعض الأخباريين ينسبون
 إليه يومين : يوماً يصيد فيه ، ويوماً يشرب فيه ، فيقف الناس ببابه حتى يأذن
 لهم بالدخول إليه ، ولذلك سُم منهُ طرفة فهاجاه وهجا عمرو بن هند شقيقه معه^٣ .
 وينسب بعض أهل الأخبار هذه القصة إلى عمرو بن هند .
 ويتبين من حديث الأخباريين عن صحيفة المتلمس ، ومن قصة نهاية طرفة في
 البحرين ، أن البحرين كانت تابعة في ذلك العهد للملك الحيرة ، وأن حاكمها
 كان عاملاً لعمرو بن هند^٤ . وقد ورد في رواية أن اسم عامل عمرو بن هند هو
 (أبو كرب ربيعة بن الحرث) ، وهو من ذوي قرابة (طرفة) فلما علم بخبر
 (طرفة) لم يقتله ، وكتب إلى (عمرو بن هند) أنه لن يقتله ، وقد اعتزل
 عمله^٥ . فعين عمرو عاملاً آخر مكانه اسمه في بعض الروايات (عبد هند) .
 وتقول رواية أخرى أن قاتل طرفة هو (المكعب) عامل البحرين ، قتله بكتاب
 عمرو بن هند^٦ . وكان (المكعب) عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين على
 رواية هؤلاء الرواة^٧ . وتزعم رواية أخرى أن الذي قتله رجل من (الحوثر)

- ١ خزانة الأدب ، (٤١٦/١) ، مجمع الأمثال ، (٤١٢/١) ، الأغاني (٥٢٣/٢٣) وما بعدها (بيروت ١٩٥٥ م) ، أمالي المرتضى (١٨٣/١) وما بعدها .
- ٢ الشعر والشعراء (١٣١ وما بعدها) .
- ٣ لعمر ك ما كانت حمولة معبد على جدها حرباً لدينك من مضر المعاني الكبير (١١١٨/٢) ، شرح القصائد العشر (ص ١٨٢) .
- ٤ شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .
- ٥ البطلوسي . الاقتضاب (١٠٤) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢١ ، ٣٣٠ وما بعدها) ، شرح المعاني السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، (دار صادر) ، البلدان (٢٠٨/٧) .
- ٥ مجمع الأمثال (٤١٢/١ وما بعدها) .
- ٦ معجم الشعراء (ص ٢٠١) ، الأغاني (٥٢٤/٣) .
- ٧ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٩١) .

اسمه (التريبع بن حوثره) (أبو ريشة) (أبو رائشة الحوثرى) وكان، عمرو ابن هند) قد اختاره وعينه على البحرين : حين همت (بكر بن وائل) بعامل (عمرو بن هند) . وتزعم رواية أخرى ، أن قاتله هو (المعلى بن حنش العبدي) وان الذي تولى قتله بيده هو (معاوية بن مرة الأيفلي) من (حبي طسم وجديس)^١ .

وفرت المتلمس الى بلاد الشام حيث الغساسنة أعداء المناذرة ، وصار يمدحهم ويهجو عمرو بن هند ، واستقر بـ (بصرى) الى أن هلك . وقد خلف ولداً اسمه (عبد المنان) . وهناك قصص عن كيفية عودته الى زوجته ، وعن وصوله اليها ساعة عقد قرانها لرجل جديد في كنيسة ، لظن أهلها انه كان قد مات^٢ . وقد سخر (المتلمس) في أشعاره من (عمرو بن هند) ، وأقذع في هجائه حتى قال فيه :

ملك النهار فأنت الليل مومسة ماء الرجال على فخذيك كالقرس

ووصفه فقال : انه (أخنس الأنف) ، وان أضراسه كالعدس ، الى غير ذلك من هجاء مرّ شديد .

وأود أن أبيت ان من الرواة من ينسب هذا الهجاء الى شاعر آخر ، قالوا ان اسمه (عبد عمرو بن عمارة) ، وذكروا انه قاله في هجاء (الأبرد الغساني)^٣ . ويظهر من رسالة الغفران ، أن للناس أقاويل في مقتل (طرفة) ، ورد فيها :

١ ديوان طرفة بن العبد (ص ٥) (كرم البستاني) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٣٧ ، ١٤٤) .

٢ راجع عن طرفة . الأغاني (١٢٠/٢١ وما بعدها) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١١٥ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبزي (ص ٩٨) ، رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري (ص ٣٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتور بنت الشاطيء) ، طبقات ابن سلام (١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٨٨) ، شعراء النصرانية ، للويس شيخو ، (ص ٢٩٨ وما بعدها) ، شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ديوان طرفة . بيروت ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دمشق ١٩٦٣ م) ، خزانة الأدب ، للبغدادى (٤١٤/١) الحيوان (٦٦/٣) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٣٠١ وما بعدها) ، المؤلف والمختلف ، للأمدى (ص ١٤٦) ،

٣ قولاً لعمرو بن هند غير مثبت يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس الأغاني (١ من القسم الثاني ص ٢٩٣) ، الأغاني (٣٠/١٤) .

« ولقد كثرت في أمرك أقاويل الناس : فمنهم من يزعم أنك في ملك النعمان اعتقلت ، وقال قوم : بل الذي فعل به ما فعل عمرو بن هند »^١ .
وتطرق (الشريف المرتضى) في أماليه الى موضوع قتل (عمرو بن هند) لطرفة ، فذكر أن عامل البحرين يومئذ هو (المعلى بن حنش العبدى) وذهب الى احتمال كون قاتل (طرفة) هو (النعمان بن المنذر) ، استدلك على ذلك بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحيقتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

قال : « وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان »^٢ .

هذا وللمتلمس أشعار في هجاء (عمرو بن هند) ، وقد ظل يهجوهُ الى أن توفي وهو في الغربة في بلاد الشام . وفي جملة ما قاله فيه .

أطردني حذر الهجاء ولا والله والأنصاب لا تشيلُ

فهو يعيره بأنه إنما أبعد عنه وطرده ، لأنه كان يهجوهُ ، ولأنه كان يحذر هجاءه ويقول في أبيات أخرى .

ألك السدير وبارق ومرابض ، ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من سنداد والنخل المسبق

* * *

فلئن تعشقت فلتبلغن أرماحنا منك المُخَنَّق^٣

وللشاعر (سويد بن خدّاق) شعر في هجاء (عمرو بن هند) ، وهو أخو الشاعر (يزيد بن خدّاق) ، وهما من (عبد القيس) . وذكر أن (يزيد بن

-
- ١ رسالة الغفران (٣٣٨) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١٨٣/١ ، ١٨٥) مجمع الأمثال (٣٥٠/١ وما بعدها) ، ديوان المتلمس (١٧٢ وما بعدها) .
 - ٣ شعراء النصرانية (٣٣٩/٣) .

خذاق) ، كان أول من ذمّ الدنيا في شعرا . وفي جملة ما قاله (سويد) في هجاء (عمرو بن هند) ، قوله :

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله وإن قيل عيش بالسدير غزير
به البق والحُمى وأسد خَفِيَّة وعمرو بن هند يعتدي ويجور

و (المنخل الشكري) من معاصري (عمرو بن هند) كذلك . وكان يشبب بـ (هند) اخت (عمرو بن هند) ، واتهم بامرأة لعمرو بن هند ، فقتله على رواية ^٢ . وذكر انه اتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وانه كان ينادم النعمان، وهو الذي اوقع فيما بينه وبين النابغة لحقده عليه ، حتى سبب في فرار النابغة الى (آل غسان) ليخلص نفسه من غضب النعمان عليه ^٣ . ومعنى هذا ان (عمرو ابن هند) لم يقتله بل عاش الى ايام النعمان .
وقد مدح (المثقب العبدى) (عمرو بن هند) وكان في زمانه ، بقوله :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهى وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي
ونجب به من آل نصر سميع أغرّ كلون الهندواني رونق

ونعته بالحلم والرزانة (والحلم الرزين) ، وبالفعلات ^٤ .

وقد عدّ (ابن قتيبة) الشعراء الذين عاصروا (عمرو بن هند) من قدماء شعراء الجاهلية . فلما تحدّث عن الشاعرين (سويد) و (يزيد) ، قال : « وهما قديمان كانا في زمن عمرو بن هند » ^٥ . ولما تحدّث عن (المثقب العبدى) قال عنه : « وهو قديم جاهلي . كان في زمن عمرو بن هند » ^٦ . وعدّ (المنخل الشكري) من قدماء الشعراء الجاهليين ، فقال عنه : « وهو قديم جاهلي » ^٧ .

-
- ١ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٢ (وقتله عمرو بن هند . وقال قبيل قتله ٠٠) ، الشعر والشعراء (ص ٢٣٩) .
 - ٣ الشعر والشعراء (ص ٢٣٨) .
 - ٤ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
 - ٥ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٦ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
 - ٧ المصدر نفسه (ص ٢٣٨) .

ويجب أن نتذكر أن الشاعر (امرؤ القيس) كان أيضاً من معاصري (عمرو بن هند) ، وهو شاعر جاهلي قديم ، في نظر علماء الشعر . فيكون زمن أقدم شعر جاهلي ، وصل خبره إلينا ، هو النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في سنين لا تبتعد كثيراً عن زمن ميلاد الرسول ، كما سأتحدث عن ذلك في القسم الخاص بالناحية الثقافية للعرب قبل الاسلام .

وورد في إحدى قصائد الأعشى ما يفيد اتساع ملك عمرو بن هند وجباية كل ما بين عمان و (ملح) له^١ . ويذكر بعض الرواة ان المراد بـ (عمان) هنا (عمان) بلاد الشام ، واما (ملح) ففي اليمامة من بلاد بني جعدة^٢ .

ويذكر بعض الأخباريين ان عمرو بن هند كان على (بقعة) يدير أعمالها في أيام أبيه المنذر ، واليه لجأ امرؤ القيس الشاعر المعروف مستجيراً به لأنه كان ابن عمته ، فأجاره ، ومكث عنده زماناً . فلما سمع به المنذر ، وكان يتعقبه ، طلبه من ابنته ، فأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى حمير مستجيراً^٣ .

وقد نسب الى ابن هند غزوة غزا بها تغلب ، فقبل : طلب (عمرو) من بني تغلب ، حينما تولى الملك مساعدته على أخذ الثأر من بني غسان قتلة أبيه ، وكانوا انحازوا عنه ، وطلب منهم الرجوع الى طاعته والغزو معه ، فأبوا، وقالوا: مالنا نغزو معك . نحن رعاء لك فغضب عمرو بن هند ، وجمع الجموع . فلما تهيأت ، كان أول عمل قام به غزو تغلب ، فأوجعهم وآذاهم ، انتقاماً منهم ، لامتناعهم عن نصرته ومعاذته^٤ . وقد أشار الى هذا الحادث (الحارث بن حلزة الشكري)^٥ الشاعر الجاهلي احد اصحاب المعلقات .

ويذكر أهل الأخبار أن (الحارث بن حلزة) حضر مجلس (عمرو بن هند) ،

-
- ١ آنفا يجبي اليه خرجه كل ما بين عمان فملح ديوان الأعشى (القصيدة ٣٦ ، البيت ٩) .
 - ٢ ديوان الأعشى (ص ١٦٠) « طبعة كايير » (Geyer) ، (ص ٢٣٧) (طبعة الدكتور م. محمد حسيني) ، البلدان (١٤٧/٨) .
 - ٣ الأغاني (٦٧/٨) .
 - ٤ الأغاني (١٧٣/٩) (٤٧/١١) (ط ٠ دار الكتب المصرية) .
 - ٥ كتكليف قومنا ان دعنا المنذر : هل نحن لابن هند رعاء ؟ المعاني الكبير (١٠١٢/٢) ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٢) (طبعة صادر) .

وأنشده معلقته ، أنشده إياها من وراء سبعة ستور ، وذلك لبرص به . وكان الملك يأمر بعد خروج (الحارث) بغسل أثره بالماء ، كما يفعل بسائر البرص . فلما أنشده قصيدته هذه ، طرب لها الملك كثيراً ، فأمر برفع الستور من بينهما ، وأدناه منه ، وأطعمه في جفنته ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ، ثم جزّ نواصي البكرين السبعين الذين كانوا رهناً عنده وسلمها إليه ، تعظيماً لشأنه ، وتقديراً له ولقومه الإشكرين .

وقد حرص (الحارث) في قصيدته تلك الملك على التغليب ، وسرد حوادث تاريخية لها علاقة في هذا التعريض مما هاج الملك ، وراد في حدة غضبه عليهم . ذكره بالأرقام ، وهم بطون من تغلب ، وصورهم كأنهم أناس عزموا على الاعتداء على قومه انتقاماً منهم ، لوقائع وقعت بينهم وبين قومه ما بين (ملحمة فالصاقب) ، حيث ثار قومه بقتلهم . أما تغلب ، فلم تثار بقتلهم ، ثم ذكر التغلبين خصومه ، بأن قومه أناس أشداء في الحروب ، يعتمدون في القتال على أنفسهم ، ولا يركنون الى أحد . ساروا من البحرين سيراً شديداً ، حتى بلغوا (الأحساء) ، طووا المسيرة سيراً واغارة على القبائل ، ثم لم يكفوا بذلك ، فأغاروا على (تميم) فلما دخل الشهر الحرام ، كفوا عن القتال ، حرمة له ، وعندهم سبايا من بنات القبائل صرن إماء لهم . ثم ذكر الملك بامتناع (تغلب) من الانضمام اليه للحرب معه ، على حين نصره قومه ، وحاربوا معه . وكيف غلبوا على أمرهم ، غلبهم الملك . وكيف ذهبت دماء تغلب هدرأ ، لم يؤخذ بثأرها وهو لا يترك قومه دماؤهم هدرأ ، إذ يأخذون بالثأر من قتلة قتلهم . ثم انتقل الى يوم (الشقيقة) ، حيث جاءت (معد) ، ولكل حي منها لواء حول (قيس بن معد يكرب) من ملوك حمير . وبين كيف أن قومه تعرضوا لقيس ولمن معهم ، حتى ردّهم بطعن خرج به الدم من جروحهم خروج الماء من أفواه القرب . ثم انتقل الى وصف قتالهم مع (حجر بن أم قطام) ، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروع الكتيبة ، وجلا صدأها ، ثم حدث عن كيفية فكهم غل (امرئ القيس) من حبسه بعد أن طال حبسه ونال منه العناء^١.

١ شرح المعلقات للزوزني ، (ص ١٥٤) ، (دار صادر) . (بيروت ١٩٥٨ م) .
٢ ويرى بعض علماء الأدب أن المراد (فارسية خضراء) ، دروع وبيض فارسية ، ركبها الصدا ، شرح الزوزني (ص ١٦٥) (صادر) .

وتعرض لذكر (الجون : جون آل بني الأوس) ومعه كتيبة شديدة العناد ، ولت الأدبار بعد قتالها مع (بني يشكر) قومه . ثم تعرض لقتالهم مع الغساسنة انتقاماً منهم ، لقتلهم (المنذر) والد (عمرو بن هند) وأسروهم تسعة من الملوك ، وأخذهم أسلابهم منهم ، وأسلبهم غالبية الأثمان ، لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم . ثم انتقل الى ذكر يوم (ذي المجاز) وكيف جمع (عمرو بن هند) بني (بكر) و (تغلب) وأصلح بينهما ، وأخذ منها الوثائق والرهون . وكتب العهد بينهما بوجوب الوفاء بما اتفق عليه في هذا اليوم . ثم أخذ يعيرهم ويذكر هزائمهم التي ألحقها (كندة) و (إباد) و (تميم) و (بنو حنيفة) و (قضاة) وقبائل أخرى بهم ، ويتهمهم بخرق العهد والمواثيق وبالغدر . وقد جاءت هذه القصيدة معبرة عن حقد (عمرو) على التغليبيين وعن غضبه عليهم لمقاومتهم له . وغزا عمرو بن هند طيئاً ، بتمريض زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم الحنظلي إياه على غزوها ، ويقول أهل الأخبار ان عمرو بن هند امتنع في بادئ الأمر عن غزو طيء ، لوجود حلف بينه وبينهم ، غير ان زرارة ألح عليه بغزوهم ، فغزاهم وأخذ أسرى منهم^١ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان عمرو بن هند كان قد عاقد طيئاً ألا ينازعوا ولا يغزوا ولا يفاخروا . ثم غزا اليمامة ، فرجع منفصلاً ، فمرّ بطيء ، فحرضه زرارة عليهم ، ولم يزل به يحرضه ويغريه بالغنائم ، حتى غزا طيئاً ، وأسر من بني عدي رهط حاتم الطائي سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة . فلما بلغ عمرو بن هند الحيرة ، توسط (حاتم) لديه في فك الأسرى فوهبهم له^٢ .

وغزا (عمرو بن هند) تميمًا فقتل من (بني دارم) مئة نفس انتقاماً منهم لقتلهم أخاه سعداً أو ابنه مالكاً في رواية أخرى . وكان ذلك في يوم أواره الثاني^٣ (يوم أواره الأخير) . ويزعم الأخباريون انه ألقى بالقتلى في النار ، ولهذا السبب عرف بـ (المحرق) (محرق) (المحرق الثاني)^٤ . ولبعض الأخباريين تفاسير

- ١ الأغاني (١٢٧/١٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .
- ٢ أيام العرب (١٠٢) .
- ٣ حمزة (ص ٧٣) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥) ، البلدان (٣٩٢/١) ، الكامل (٢٥٩/١) ، العقد الفريد (١٥٤/٣) ، الأغاني (١٢٢/١) .
- ٤ الأغاني (١٢٩/١٩) ، الكامل (٢٢٨/١) ، الميداني (٢٦٦/١) ، اللسان (٤٢/١٠) .

أخرى في منشأ هذا اللقب^١ ، تحاول إيجاد مخرج لمعنى (محرق) التي ترد مقرونة بأسماء بعض ملوك (آل جفنة) و (آل لحم) .

وفي كتب الأمثال مثل^٢ هو : « إن الشقي وافد البراجم » ، زعم أصحاب الأخبار أن قائله هو الملك (عمرو بن هند) قاله يوم قتلت (البراجم) - وهم أحياء من (تميم) : عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم ، وهم (بنو حنظلة بن زيد مناة) تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع - شقيق (عمرو ابن هند) ، فسار اليهم وآلى أن يحرق منهم مئة ، فقتل تسعة وتسعين ، وأحرق القتلى بالنار ، فر رجل من البراجم وراح رائحة حريق القتلى ، فحسبه قتار الشواء ، فقال اليه ، فلما رآه عمرو قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم فقال : ان الشقي وافد البراجم . وأمر فقتل وألقي في النار ، فبرت به يمينه^٣ .

وورد أن عمرأ بقي ينتظر وافداً من البراجم ليلقي به في النار فيكمل بذلك العدد ، حتى إذا طال انتظاره قيل له : لو تحللت بامرأة منهم ، فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم اسمها الحمراء بنت ضمرة بن جابر ، فأمر بالقائها في النار . فكمل بذلك العدد^٤ .

وكان سبب قتل أسعد أو سعد أخى عمرو بن هند أو ابنه مالك ، أنه لما ترعرع مرت به ناقة كوماء سمينة ، فرمى ضرعها ، فشد عليه ربها سويد أحد بني عبدالله بن دارم فقتله ، ثم هرب سويد فلحق بمكة ، واستجار بأهلها . فبلغ الخبر عمرو بن هند ، وكان زرارة بن عدس التميمي عنده ، فاغتاز زرارة من هذا العمل ، إذ كان الملك قد وضع (سعداً) (أسعد) في بيته ، وانتهاز زعماء طيء هذه الفرصة وحرصوا عمرو بن هند على مهاجمة بني دارم قتلته للأخذ بثأرهم منه^٥ .

-
- ١ الإقتضاب (ص ٣٥٩) ، العملة (٢١٦/٢) .
 - ٢ البرقوقي (ص ٥٥) ، العملة ، لابن رشيق (٢٠٥/٢) ، الأمثال للميداني (٩٥/١) ، ابن الأثير (٣٣٤/١) ، النقاظ (٦٥٢ ، ١٠٨١) ، اللسان (٤٢/١٠) ، (حرق) .
 - ٣ أيام العرب (١٠٥) .
 - ٤ العملة (٢٠٥/٢) ، الأغاني (١٨٦/٢٢) ، (بيروت) ، المسعودي ، مروج (٢٣/١) ، اليعقوبي (١٧١/١) ، ابن خلدون (٥٦٦/٢) ، خزانة الأدب (١٤٠/٣) ، نهاية الأرب ، للنويري ، (١٨/٣) ، البكري ، معجم (٢٠٧/١) ، النقاظ (٦٥٢/٢) وما بعدها .

وهناك رواية أخرى تنفي تحريق عمرو بن هند للمذكورين من بني دارم والرجل الآخر من البراجم ، وترى انهم قتلوا ، قتلوا بأمر عمرو بن هند^١ .
وأوارة الموضع الذي أحرق فيه المذكورون من بني تميم ، أو قتلوا فيه ، هو اسم ماء أو جبل لبني تميم قيل انه بناحية البحرين^٢ .

وكان (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي أصاب (بني تميم) مع (عمرو ابن هند) يوم أوارة ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، وكان وفاداً الى الملوك^٣ .
والأعشى الشاعر ممن ذكر هذا اليوم في شعره . وعيّر الشاعر جريرُ الفرزدقَ بيوم أوارة^٤ .

وتذكر بعض الروايات عن يوم (أوارة) أن (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي حرص (عمرو بن هند) على غزو بني دارم ، وأنه شاركه في غزوهم . وقد أُشير الى ذلك في شعر للطرماح الطائي يفاخر به الفرزدق ، وهو شاعر من بني تميم^٥ . وسبب ذلك أن طيثاً كانت تطلب عثرات زرارة وبني أبيه ، لأنه كان قد حرص عمرو بن هند عليهم . فلما بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، أنشأ (عمرو ابن ملقط) شعراً ، بلغ عمرو بن هند ، فتأثر به ، وقرر السير على زرارة وقومه للانتقام منهم بقتلهم شقيقه^٦ .

ويفهم من بعض الرواة أن (يوم الشقيقة) كان قد وقع في عهد عمرو بن هند ، إذ تذكر أن قوماً من شيبان جاؤوا مع قيس بن معديكرب ومعهم جمع عظيم من أهل اليمن ، وقصدوا إبلًا لعمرو بن هند ، فردتهم بنو يشكر، وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى الإبل^٧ .

-
- ١ البلدان (٣٩٣/١) ، العمدة (٢٠٥/٢) . قال جرير :
أين الذين بسيف عمرو قتلوا أم أين اسعد فيكم المسترضع ؟
 - ٢ البلدان (٣٩٣/١) .
 - ٣ ذيل الامالي (٢٤) .
 - ٤ معجم ما استعجم (٢٠٧/١) (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ م) .
 - ٥ واسأل زرارة والمأمون ما فعلت قتلى أوارة من رعلان واللند ودارم قد قذفنا منهم مئة
في جاحم النار اذ يلقون في الخدد ديوان الطرماح (ص ١٤٥) .
 - ٦ أيام العرب (١٠٣) .
 - ٧ الأغاني (٤٨/١١) (دار الكتب المصرية) .

وقد رأى بعض أهل الأخبار ، استناداً الى قصيدة للنابغة مطلعها :

أثاركة تدللها قطام وضناً بالتحية والكلام

أن الذي قام بالغزو المذكور فيها هو (عمرو بن هند) . وأن غزوه بلغ حتى جبال حمى^١ . غير أن الأبيات تدل على أن صاحب تلك الغزوة كان قد دَوَّخَ العراق ، وأنه حارب قبائله ، ولهذا لا يعقل أن يكون صاحبها عمرو ابن هند ، بل لا بد أن يكون ملكاً من آل غسان غزا العراق وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق (نولدكه)^٢ .

وفي بعض الروايات أن عمراً توسط بين بكر وتغلب ابني وائل فأصلح بينهما بعد حرب البسوس، وأخذ رهائن من كل حي من الحين مئة غلام من أشrafهم، ليكف بعضهم عن بعض ، فكانوا يصحبونه في السلم والحرب^٣ . ويرى فريق آخر من الأخباريين أن الذي توسط لعقد الصلح بين القبيلتين هو المنذر بن ماء السماء^٤ .

وذكر أن أناساً من تغلب جاؤوا الى (بكر بن وائل) يستسقونهم، فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم ، فرجعوا عطاشاً ، فأتى سبعون منهم ، فاجتمع بنو تغلب واستعدوا لملاقاة بكر ومحاربتهم ، ثم خاف عقلاء الطرفين من عودة الحرب الى ما كانت عليه ، فتداعوا الى الصلح ، فتحاكموا الى الملك (عمرو بن هند) ، فطلب منهم سبعين رجلاً من أشraf وائل ليجعلهم في وثاق عنده ، فإن كان الحق لبني تغلب ، دفعوا اليهم ليأخذوا ثأرهم ، وإن لم يكن رجعوا سبيلهم، فجاءت تغلب وعلى رأسها عمرو بن كلثوم، وحل الخصومة عمرو بن هند^٥ . وفي رواية يذكرها (ابن دريد) : أن (بني الحارث بن مُرّة) قتلوا ابناً

١ شعراء النصرانية (ص ٧١٥) .

٢ الأغاني (١٢٧/١٩) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .

٣ الأغاني (٤٢/١١ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (ص ١٩٨ وما بعدها) .

٤ الأغاني (٤٤/١١ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، (١٧٢/٩) (مطبعة التقدم) .

٥ جهرة أشعار العرب (١٢٠) ، شرح القصائد السبع للزوزني (١٤٦ وما بعدها) .

لعمر بن هند ، فرهن (سيّار بن عمرو) قوسه بألف بعير ، وضمنها للملك من ملوك اليمن ، فعرف لذلك بـ (ذي القوس)^١ . أما (السكّري) ، فذكر أن سيّاراً ذا القوس، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث بن ظالم، من النعمان الأكبر^٢ .

وفيه من الموارد الأعجبية أن عمرأ كان قد أغار على بلاد الشام في سنة (٥٦٣ م) ، وكان على عربها الحارث بن جبلة^٣ . والظاهر أن الباعث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل اسكاتهم عن مهاجمة الحدود . فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة (٥٦٢ م) ، وهذأت الأحوال ، لم يدفعوا لابن هند ما تعودوا دفعه لوالده ، فأثر امتناعهم هذا في نفسه، وطلب من الفرس مساعدته في ذلك . فلما طالت الوساطة ، ولم تأت بنتيجة، هاجم تلك المنطقة ، ثم أعاد الغارة في سنة (٥٦٦ م) وسنة (٥٦٧ م) على التوالي . وقام بهاتين الغارتين أخوه قابوس بأمر أخيه .

ويعزو (مينندر) (Manander) أسباب الغارة الأخيرة الى سوء الأدب الذي أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذي ذهب الى القيصر (يوسطينوس) (Justinus) لمفاوضته على دفع المال^٤ . وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبل ذلك الى الفرس للبحث في هذا الموضوع ، أحدهما اسمه بطرس ، والآخر اسمه يوحنا ، غير أنهما أنكرا للفرس حق ملك الحيرة في أخذ إتاوة سنوية من الروم . فلما عومل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين^٥ .

وتذكر رواية من روايات أهل الأخبار أن (عمرو بن هند) جعل أخاه (قابوس بن المنذر) على البادية ، ولم يعط أخاه (عمرو بن أمامة) شيئاً ، وكان مغاضباً له ، فخرج (عمرو) الى اليمن ، فأطاعته مراد ، وأقبل بها يقودها نحو العراق ، ولكنها ثارت عليه ، ثار عليه المكشوح وهو (هبيرة بن يغوث) فلما أحيط به ضاربهم بسيفه حتى قتل^٦ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الاشتقاق (١٧٢/٢) . |
| ٢ | المحبر (٤٦١) . |
| ٣ | Rothstein, S. 96, Theophanes, 371, Noldeke, Sassa., 172, Ghassan., 20. |
| ٥ | Rothstein, S. 96, Menander, By Dindorf, Histo. Min., II, 45. |
| ٤ | Rothstein, S. 96. |
| ٦ | معجم الشعراء (ص ٢٠٦) . |

أما (أمامة) أم (عمرو بن أمامة) ، فإنها (أمامة بنت سلمة بن الحارث الكندي) عم امرئ القيس^١ .

ويفهم من بعض الروايات ان علي بن زيد العبادي كان من المقربين عند عمرو بن هند ، وكان يصحبه مع من يصحبه من الرؤساء في الصيد^٢ .

وانتهت حياة عمرو بن هند بالقتل ، وهو مسؤول عن قتل نفسه إن صحت القصة . وخلاصتها : ان الغرور أخذ مأخذه من صاحبنا عمرو . وأراد يوماً أن يظهر فخره أمام الناس ، فقال لجلسائه : هل تعلمون ان أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أُمي ؟ قالوا : ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فان أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت وأضمرها في نفسه . ثم بعث الى عمرو بن كلثوم يستريه ، ويأمره أن تزور أمه ليلي أم نفسه هند . فقدم عمرو مع أمه ، فأنزلهما منزلاً حسناً ، ثم أمر بالطعام فقدم للحاضرين . وكان عمرو قد قال لأمه : اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف ، فنحي خدمك عنك ، فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلي ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها . فصاحت ليلي عندئذ : وأذلاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، وثار الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق ، فأخذه وضرب به رأس مضطرب الحجارة ، ونادى في التغلبيين فأخذوا ما تمكنوا من أخذه ، وعادوا من حيث أتوا^٣ . وهكذا جنى عمرو بن هند حصاد ما زرعه إن صحت الرواية . ويروي الرواة في تأييدها هذا المثل :

١ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

٢ الأغاني (١٥٤/٢) .

٣ ابن الاثير (١٢٦/١) الأغاني (١٧٥/٩) ، (٥٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، ابن خلدون ، القسم الأول ، المجلد الثاني (٥٦٦) ، (بيروت ١٩٦٥ م) المحبر (٢٠٢) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٨٥) ، الأماشي ، للقيالي (١٩٣/١) .

« أفتك من عمرو بن كلثوم » . كما افتخر بها الشعراء التغلبيون^١ .
ويقال إن أخا عمرو بن كلثوم : (مِرَّة بن كلثوم) ، هو قاتل (المنذر
ابن النعمان بن المنذر) . وفي ذلك يقول الأخطل :

ابني كليب إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

يعني بعميه عمراً ومِرَّة ابني كلثوم^٢ .

وذكر الشاعر (أفنون) واسمه (صريم بن معشر) ، وهو من بني تغلب
(عمرو بن هند) في شعر رواه (ابن قتيبة) على هذا النحو :

لعمرك ما عمرو بن هند اذا دعا لتخدم أمي أمه بموفق^٣

وفي هذا البيت اشارة الى مقتل (عمرو بن هند) ، بسبب أم الملك . وقد
وقع فيه تحريف ولا شك ، صير الأم التي طلبت منها أم عمرو بن هند خدمتها ،
أم الشاعر المذكور ، بينما هي (ليلي) أم الشاعر (عمرو بن كلثوم) ، قاتل
عمرو بن هند . كما يرويه علماء الشعر على لسان (أفنون) أيضاً ، ولكن على
هذا الشكل :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلي أمه بموفق^٤

(وعمرو بن كلثوم ، هو القاتل :

ألا هبِّي بصحنك فاصبحينا

١ قانون أفنون التغلبي .

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلي أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا وأمسك من ندمانه بالخنق
وجلله عمرو على السراس ضربة بنني شطب صافي الحديد رونق

ابن الأثير (٢٢٦/) ، الاغاني (١٨٣/٩) ، شعراء النصرانية (٢٠٠) .
وقال الأخطل مفتخرا :

ابني كليب ، ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا
الاغاني (١٨٣/٩) ، ابن دريد . الاشتقاق (٢٠٤) ، خزانة الادب (٥٢٠/١) ،
حمزة (ص ٧٢) .

٢ الشعر والشعراء (ص ١١٩ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١١٩ ، ٢٤٩) .

٤ الاغاني (١٨٣/٩) ، ابن الأثير (٢٦٦/١) .

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب القديم واحدى السبع ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها ، قال بعض الشعراء :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة^١ قالها عمرو بن كلثوم
يفأخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤول^٢

والى هند أم الملك ينسب دير هند الكبرى من أديرة الحيرة ، وقد أرخ بناءؤه في عهد خسرو أنو شروان وفي عهد الأسقف مار افرام . وقد لقبت فيه بالملكة بنت الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر^٣ . واذا صحت قراءة الأخباريين هذه ، كان بناء هذا الدير في أيام ابنها عمرو .

وكان الملك من نصيب قابوس بن المنذر بعد وفاة عمرو بن هند أخيه (قابوس) وأمه هند . أما المسعودي فجعل امه بنت الحارث من آل معاوية بن معديكرب^٤ . وقد ملك على رواية حمزة أربع سنين في زمن أنو شروان^٥ . وذكر حمزة ان من الأخباريين من قال انه لم يملك . (وإنما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين) . وقد وصفه بالضعف وبالبلى ، ولذلك قيل له (فتنة العرس) و (قينة العرس) في بعض الروايات . وقد قتله رجل من يشكر ، وسلب ما كان عنده وعليه^٦ . وليس بصحيح ما زعمه حمزة نقلاً عن بعض الأخباريين من أن قابوساً لم يكن ملكاً ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه وأخاه كانا ملكين . فقد نعته (يوحنا الأفسوسي John of Ephesus) في تاريخه الكنسي بـ (ملكاً) أي ملك ، ويوحنا الأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس للميلاد . وقد توفي سنة (٥٨٥ م) تقريباً . ولم يكن لينعته بـ (ملكاً) لو لم يكن قابوس ملكاً على الحيرة حقاً^٦ .

- ١ الشعر والشعراء (ص ١٢٠) ، شرح التبريزي على المعلقات (٢٣٨) ، أمالي المرتضى (٥٧/١ ، ١٠٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ ، ٥٥٩) .
- ٢ الحيرة (ص ٤٧) .
- ٣ مروج (٢٤/٢) ، (دار الرجا) .
- ٤ حمزة (٧٣) ، المحبر (٣٥٩) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
- ٥ حمزة (٧٣) ، وجعل المسعودي مدة حكمه ثلاث سنين ، مروج (٢٤/٢) ، ابن الأثير (٢٠٠/١) ، المعاني الكبير (١١٨/٢) .
- ٦ John of Ephesus : Eccl. Histo., 354, II, 3, (Cureton ed.)
6, Rothstein, S. 102.

ويظهر أن الصورة التي رسمها الأخباريون لقابوس إنما حصلوا عليها من شعر الهجاء الذي قيل فيه، وأن ما أورده عنه من لين وضعف هو في حاجة الى دليل، إذ يظهر من الموارد الأخرى مثل التواريخ السريانية أنه كان على العكس^١. وقد يكون لتولية الحكم، وهو رجل متقدم في السن، أصل في ذلك الهجاء. فالذي يظهر من أخباره أنه ولي الحكم وهو شيخ كبير. وأما اللقب الذي لقب به، وهو قينة العرس، فقد انتزعه الأخباريون من شعر منسوب الى طرفة هجا فيه عمرو ابن هند وقابوساً، وهو قوله:

يأت الذي لا تخاف سبته عمرو وقابوس قينتا عرس^٢

وقد ذكر المؤرخ (مارسليانوس) (Marsillanus) رجلاً سماه (Chabus)، ذكره مع المنذر الثالث في حوادث سنة (٥٣٦ م)^٣. ويرى (روتشتاين) أن المراد به رجل آخر غير قابوس. فلو كان هو المقصود به كان قابوس إذن شيخاً هرمياً حين انتقل الملك اليه، ولكنه لا ينفي مع ذلك عدم جوازه^٤. وقد أشرت الى ارسال أخيه عمرو اليه في حملة انتقامية على عرب الشام، وذلك في سنة (٥٦٦) وسنة (٥٦٧ م).

ولما تولى قابوس الحكم، أغار على بلاد الشام، وكان يحكم عرب الشام المنذر ابن الحارث بن جبلة اذ ذاك. وقد ذكر (ابن العبري) أن المنذر بن الحارث (منذر برحرت) كان نصرانياً وان جنوده كانوا نصارى كذلك. ولم يشر الى نصرانية قابوس. ويفهم من جملة ابن العبري. (وقد أغار قابوس على العرب النصارية) ما يؤيد هذا الظن. وقد ظفر قابوس بغنائم عديدة أخذها وعاد بها غير ان المنذر جمع جيشه وسار يتعقبه. فلما التقى به، تغلب عليه، وأخذ منه أموالاً كثيرة وعدداً كبيراً من الجمال. ولما أعاد قابوس الكرة، انهزم، فذهب الى الفرس يلتمس منهم عوناً ومدداً^٥. ويظهر من رواية أخرى أن انتصار المنذر على قابوس كان في سنة (٨٨١) من التقويم السلوقي وهي توافق سنة (٥٧٠) للميلاد^٦.

Rothstein, S. 102, Caussin, Essai, II, 129. ١

اليقوي (١٧٢/١) ٢

Nöldeke : Sassa., 345, Rothstein, S. 102. ٣

Rothstein, S. 103. ٤

Bar Hebraeus, Vol., I, P. 79. ٥

Land : Anecd. Syr. I, 13. ٦

ويظهر من رواية لـ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) ان الملك قابوساً انتهز الفرصة عند وفاة الحارث بن جبلة ، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجيء في عقر دارهم ، فأسرع عندئذ المنذر بن الحارث وجمع جمعه ، وفاجأه بهجوم مقابل لم يتمكن قابوس من الثبات له ، فانهزم هزيمة منكرة بحيث لم ينسج من أصحابه الا القليل . وقد فر هو ومن سار معه من الناجين في اتجاه نهر الفرات تاركاً عدداً من الأمراء اللخميين أسرى في أيدي المنذر . غير ان المنذر سار في أثرهم حتى كان على ثلاث مراحل عن الحيرة^١ ، ويرى نولدكه ان هذه المعركة هي معركة عين أباغ^٢ .

وبعد قليل من هذه الهزيمة جرب قابوس حظه مرة أخرى، غير انه لم ينجح في جديده ، وكانت هذه الغارة حوالي سنة (٥٧٠ م)^٣ .

وجرب قابوس حظه مرة أخرى منتهزاً فرصة القطيعة بين المنذر والقيصر (يسطينوس) (Justinus) ، وهي قطيعة لا نعلم أسبابها على وجه التحقيق ، وانما يعزو ابن العبري سببها الى مطالبة المنذر للقيصر بدفع مال اليه ليتمكن به اعداد جيش قوي منظم يستطيع الوقوف به أمام الفرس^٤ . فأغار على حدود الروم وتوغل في الأرضين التابعة لهم حتى وصل أتباعه الى منطقة (انطاكية)^٥ . وقد دامت تخرشات (عرب الفرس) بحدود الروم ثلاث سنين هي مدة القطيعة، حيث كان المنذر قد ذهب مع أتباعه الى الصحراء فاحتوى فيها، ولم تنقطع هذه التخرشات الا بعد مصالحة الروم له في الرصافة . حينئذ جمع المنذر أتباعه وفاجأ المناذرة بهجوم خاطف كابدت منه الحيرة الأمرين ، وأطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم . وقد وقعت هذه المفاجأة حوالي سنة (٥٧٨ م) . ويظن (روتشتاين) انها وقعت بعد وفاة قابوس في عهد المنذر الرابع أخي (قابوس) وخليفته في الملك^٦ .

وقد ذكر (البكري) بيتاً من الشعر لأبني دؤاد وردت فيه اشارة الى غزوة

John of Ephesus, VI, 3, Rothstein, S. 103. ١

Rothstein, S. 103. ٢

Rothstein, S. 103. ٣

Bar Hebraeus, I, P. 79. ٤

John of Ephesus, P. 348, Rothstein, S. 104. ٥

Rothstein, S. 104. ٦

غزاها قابوس. عرفت به (يوم قحاد) . ويظهر ان خصوم قابوس أخذوا يثأرهم من هذا اليوم بغزوة قاموا بها على تنوخ^١ .

ويفاجئنا بعض الأخباريين بذكر رجل يقال له (فيشهرت) أو (السهراب) أو (السهراب) ، قالوا أنه هو الذي تولى الملك بعد قابوس^٢ . وقد جعل حمزة مدة حكمه سنة واحدة في أيام (كسرى أنو شروان)^٣ . ولم يشر الأخباريون الى الأسباب التي أدت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكاً على الحيرة دون سائر آل لخم ، ومنهم المنذر أخو عمرو بن هند وقابوس ، فلعل اضطراباً حدث في المملكة أو نزاعاً وقع بين اولاد قابوس أو بين آل لخم أدى الى تدخل الفرس فقررروا تعيين رجل غريب عن أهل الحيرة لأمد حتى تزول أسباب الخلاف ، فقررروا تعيين واحد منهم . فلما زالت تلك المواقع ، عين المنذر ملكاً على الحيرة وبذلك عاد الملك الى آل لخم .

ويلاحظ ان بعض الأخباريين لم يذكروا اسم فيشهرت أو السهراب، بل ذكروا ان الملك انتقل الى المنذر بعد وفاة اخيه قابوس^٤ . وذكر المسعودي في كتابه : مروج الذهب النعمان بن المنذر مباشرة بعد قابوس^٥ .

واذا صحت رواية حمزة من ان حكم المنذر كان ثمانية أشهر في عهد (كسرى أنو شروان) وثلاث سنين واربعة أشهر في أيام (هرمز بن كسرى) ، فيجب ان يكون حكمه قد امتد من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٨٣) للميلاد^٦ ، تقريباً لأن نهاية حكم (أنو شروان) كانت في سنة (٥٧٩) للميلاد على رأي المؤرخين ، وحكم (هرمز) من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٩٠) للميلاد^٧ .

ويظهر من شعر منسوب الى الشاعر (المرقش) ان (المنذر) كان ينقب عنه أي : يستقصي في طلبه ، ولم يذكر سبب ذلك ، ولعله كان قد هجاه ، أو ان

- ١ البكري . معجم (١٤٩/٣) (طبعة السقا) .
- ٢ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، الطبري (٢١٣/٢) (دار المعارف) .
- ٣ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (فيسهراب الفاروسي) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٤ اليعقوبي (١٧٢/١) .
- ٥ مروج (٢٤/٢) .
- ٦ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (ثم ولي بعده المنذر ابو النعمان اربع سنين) ، الطبري (٢١٣/٢) .
- ٧ Ency., 4, 178.

جماعة وشت به عنده ، فصار يبحث عنه للايقاع به . وقد طلب في شعره هذا من الملك المذكور أن يكف عن طلبه ويسكت عنه ، وتمنى لو أنه في (الزج) وهو موضع ، أو (بالشام ذات القرون) . وذلك لأن بلاد الشام بلاد كانت تحت حكم الروم ، فليس للمنذر حكم عليها ، فهو يكون بها في بلاد العدو بعيداً عن المنذر . وذكر (ابن قتيبة) أن معنى (ذات القرون) الروم ، وأراد قرون شعورهم^١ .

ويظهر من شعر لـ (سويد بن خدّاق) أن (قابوس بن هند) وأخاً من إخوته لم يذكر الشاعر اسمه ، غزوا قومه ، وهم من عبد القيس ، وانتصرا عليهم وانزلا بهم خسارة فادحة ، يوم العطيف : فقَرَقَا القبائل ، وكانت أحلافاً متحالفة ، وشتتا الشمل . ودعا (الله) أن يجزيهما شرّ الجزاء بما فعلا ، وأن يحبس لبن (لبون الملك) ، فلا تدر عليه ، جزاء وفاقاً لما قاما به نحو قومه^٢ . أما الذي خلفه على الحيرة ، فهو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس . وقد كنّاه بعض الشعراء بـ (أبي قبيس)^٣ . كما كنّاه بعضهم بـ (أبي منذر)^٤ . ويذكر أهل الأخبار أن الناس كانوا إذا دخلوا على النعمان أو كلموه ، قالوا له : (أبيت اللعن) . وذكر المسعودي : أنه (هو الذي يقال له : أبيت اللعن)^٥ . أما أم النعمان ، فهي (سلمى بنت وائل بن عطية بن كلب) . أو (سلمى بنت عطية)^٦ . وقد نسبها بعض الأخباريين إلى سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ . وقالوا إنها من فذلك ، وزادوا في ذلك أنها كانت أمة للحارث بن حصن بن ضمضم ابن عدي بن جناب من كلب من دومة الجندل^٧ . فهي بنت صائغ من فذلك على رواية بعض ، وأمة من دومة الجندل على رواية بعض آخر . وهي في كلتا الحالتين من طبقة وضيفة لا تليق بأسرة مالكة ، ولعلها من أصل يهودي^٨ ، إذ

- ١ المعاني الكبير (٧٩٧/٢) .
- ٢ الشعراء والشعراء (ص ٢٢٩) ، (ليدن) .
- ٣ في شعر النابغة ٣٠ ، ٧ ، ٣١ ، ١ ، علقمة ١٢ .
- ٤ Rothstein, S. 107.
- ٥ مروج (٢٤/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٦ مروج (٢٤/٢) ، الاغانى (١٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، الاغانى (١٠٦/٢) ، (القاهرة ١٩٢٨) .
- ٧ الطبري (١٤٧/٢) .
- ٨ Rothstein, S. 108.

كان أكثر أهل فدك من اليهود . وكانوا يحترقون الحرف ومنها الصياغة . وقد دُعي النعمان بأمه ، فقيل له ابن سلمى في شعر الهجاء ، وقصدهم من ذلك إهائته . وقد تولى النعمان الثالث ، وهو النعمان الذي نتحدث عنه ، الحكم في حوالي السنة (٥٨٠) أو السنة (٥٨١) للميلاد . ودام حكمه حتى السنة (٦٠٢ م)^١ .

والظاهر من وصف الأخباريين له أنه كان دميم الحلقة ، فقالوا : إنه كان أحمراً ، أبرشاً ، قصيراً^٢ . وهذا مما قوى جانب خصومه في التهم به ، يضاف إلى ذلك أصل أمه ، وقد أثر هذا النقص الذي لا يد له فيه ، في نفسية النعمان ، وفي سلوكه ، ولا شك ، فصره سريع الغضب ، أخذاً بالوشايات ، فوقع من أجل ذلك في مشكلات عديدة . وقد يكون تسرعه إلى تصديق ما قاله الواشون عن عدي بن زيد ، وتأثره بأقوالهم من غير تحقيق ولا امتحان وقتله له ، من جملة تلك العوامل التي أدت إلى هلاكه . وقد يكون اللقب الذي لقب به ، وهو (الصعب)^٣ ، وصفاً لتلك السجايا التي اتصف بها الملك ، والتي تعبر عن عقدة (مركب النقص) التي كانت ملازمة له .

وقد كان لقب النعمان ودمايته ولأصل أمه دخل ولا شك في تكوين الخلق العصبي فيه ، فصار يهيج ويتأثر به ، ويأخذ بأقوال الوشاة من غير تمحيص ولا تروي ، فتقمت منه الناس ، وهجاه بعض الشعراء . أما اخوته وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً عدا النعمان ، فقد اشتهروا بالجمال والهيبة والوسامة ، ولذلك نعتوا بالأشاهب ، فوصفهم الأعشى بقوله :

وبنو المنذر الأشاهب بالحق يرة يمشون غدوة بالسيوف^٤

وقد أثرت شهرة اخوته بالأشاهب وبالوسامة في طبع النعمان المذكور ، وزادت في عصبية وفي حدة طبعه وفي تأثره بأقوال الناس . ويظهر من وصف الشعراء وأهل الأخبار للنعمان أنه كان صاحب شراب ، يحب

Brockelmann : Die Araber, I, S. 10.

١ الطبري (١٤٧/٢) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

٢ المعاني الكبير (٨٧٨/٢ ، ١٠٢٧) .

٣ الطبري (١٩٤/٢) (دار المعارف) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

الخمر ويجالس ندماءه ليشرب معهم ، غير ان الخمر كانت تؤثر فيه وتستولي على عقله ، فتدفعه الى السكر والعريضة والتطاول على ندمائه، مما ازعج اصدقاءه وحوادثهم الى خصوم وأعداء بسبب اهانات لحقت بهم منه في اثناء فقدته وعيه وعدم تمكنه من حفظ اترانه^١ .

وقد عبّر الشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) عن النعمان بـ (الصعب ذي القرنين) في شعره ، مما يدل على ان لقب (الصعب) الذي لقبه به كان معروفاً شائعاً بين الناس^٢ . وقد يكون معبراً عن معنى آخر غير معنى الصعوبة في الملك، كأن يكون اطلاقهم له من قبيل اطلاقهم لفظة (تبع) على من ملك من حير . وأما (ذو القرنين) فقد قيل : إن القرنين هما الضفيرتان ، وإن القرن الضفيرة. وقد دعي بذلك لأنه كان قد ربى ضفيرتين^٣ .

وقد جاء في رواية اخرى ان (الصعب ذا القرنين) لم يكن النعمان المذكور كما ذهب اليه الرواية المتقدمة ، وانما هو (المنذر بن ماء السماء ، وانه هو ذو القرنين)^٤ .

ويظهر من بيت أنشعر الذي نتحدث عنه وهو :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث ، أميم ، مقيم

ان (الصعب ذا القرنين) كان قد ثوى في قبره ، فهو يرثيه ويذكره . وذهب الشراح الى ان (الحنو) اسم بلد ، ومعنى هذا ان الملك الذي يشير اليه (لبيد) قد دفن في هذا الموضع ، والذي نعرفه من بعض الروايات ان قبر (النعمان) كان بالحيرة ، وان ابنته هنداً قد دفنت الى جانبه .

ومن الشعراء الذين نسب اليهم هجاء النعمان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وله فيه وفي أمه هجاء مرّ . وقد وصف خاله بأنه ينفخ الكير ، ويصوغ القروط بيثر ب أي انه كان من صاغة تلك المدينة، وهو مما يؤيد روايات الأخباريين في أصل امه^٥.

-
- ١ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ٢٥٧) .
 - ٢ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٠٩) .
 - ٣ المصدر المذكور .
 - ٤ شرح ديوان لبيد (ص ١٠٩) .
 - ٥ الاغانى (٥٨/١١ وما بعدها) .

لم ينتقل الملك الى النعمان بسهولة ، فقد كان للمنذر جملة أولاد حين أتته المنية ، عدتهم ثلاثة عشر ولداً معظمهم طامع في الملك . والظاهر ان المنذر كان عارفاً بالخلاف الذي كان بين اولاده ، فلم يشأ ان يزيده بتعيين احد ابنائه . ولا ندري لم لم ينص على اكبرهم جرياً على السنة المتبعة في انتقال الملك . ولعله كان عارفاً بحاجة الموقف وضعف مركز ابنه الكبير ، وعدم تمكنه من فرض نفسه عليهم إذا عينه ونصبه ، لذلك وكل أمره كله إلى اياس بن قبيصة الطائي ، فتولاه أشهراً حتى انضجرت المشكلة على النحو التالي على حد رواية ابن الكلبي .

دعا كسرى بن هرمز عدي بن زيد العبادي ، فقال له : من بقي من بني المنذر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال عدي : بقيتهم في ولد هذا الميت ، المنذر بن المنذر ، وهم رجال . فبعث اليهم يمتحنهم . فلما وفدوا على كسرى ، أنزلهم على عدي بن زيد . فاحتال عدي على هؤلاء الأخوة كما يقول الأخباريون وتظاهر انه يفضلهم على ربيبه النعمان ، واوصاهم ان يجيبوا جواباً معيناً حين يسألهم كسرى ، وامر النعمان ان يجيب جواباً آخر يختلف عن جواب اخوته . وهو جواب يعتقد ان كسرى سيرضى عنه ويعينه . فلما ادخلوا على كسرى واجابوا بجواب واحد هو الجواب الذي لقنهم إياه عدي ، وهو : « إن سألكم الملك . أتكفونني العرب . فقالوا نكفيكمهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ان سألك الملك عن اخوتك فقل له : ان عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز » ، رضي كسرى بجواب النعمان وسر به ، فللكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب^١ . فانتصر بذلك النعمان على اخوته ، وسر عدي بن زيد بتولي ربيبه الملك .

وفي خبر لأبي الفرج الأصبهاني ان عدي بن زيد اخذ النعمان الى (جابر بن شمعون) ، وهو من (بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب) ، وكان أسقفاً على الحيرة ، فاقترضا منه مالا لتدبير امورهما به ، وذكر ان جابراً هو صاحب القصر الأبيض الذي بالحيرة^٢ ، وكان

١ الطبري (١٤٧/٢) ، (١٩٥/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، الاغانى (١٠٦/٢)

وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .

٢ الاغانى (١١٥/٢) (دار الكتب المصرية) .

ذا سلطان واسع في بني قومه ، ولذلك فقد يكون لأخذ عدي للنعمان اليه للحصول على تأييده أثر في نجاحه في تولي العرش .

ويروي المفضل الضبي ان عدي بن زيد العبادي لما قدم على النعمان صادفه لا مال عنده ولا اثاث ولا ما يصلح للملك ، وكان آدم اخوته منظرأ ، وكلهم أكثر مالا منه ، فقال له عدي : كيف اصنع بك ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلة الا ما تعرف انت ، فقال له : قم بنا نغضي الى ابن قردس - رجل من أهل الحيرة من دينه - فأتياه ليقترضا منه مالا ، فأبى ان يقرضها وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون ، وهو الأسقف وهو أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهر بن لحيان من بني الحارث بن كعب ، فاستقرضا منه مالا ، فأنزلها عنده ثلاثة ايام ، يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع ، قال لها : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امره عند كسرى ، فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم اعطاهم اياها ، فقال النعمان لجابر : لا جرم ، لا جرى لي درهم الا على يدك إن انا ملكتك^١ .

ولكن انتصار النعمان ادى الى هلاك عدي بن زيد على ما يقوله الأخباريون ، فقد كان لعدي ، كما لكل رجل كبير صار له نفوذ وجاه ومركز خطير ، اعداء في مقدمتهم رجل اسمه كاسمه ودينه مثل دينه ، هو (عدي بن اوس بن مرينا) ، وبنو مرينا اسرة لها مكانتها وخطرها في الحيرة . وكان لهذا الرجل شأن يذكر في ايام المنذر ، وكان يميل الى الأسود بن المنذر لأنه ربيب بني مرينا ، فنصحته ان يتجنب الأخذ برأي عدي بن زيد ، لأنه رجل لا ينصح . فلما اخفق الأسود في الامتحان ، وعجز عن نيل التساج ، صار يدبر المؤامرات لخصمه عدي ، ويشي به الى النعمان ، ويغري آخرين بالتظاهر بأنهم من محبي عدي ، ليقبّل النعمان بهم ، فإذا أمن بهم ، عادوا فوشوا بعديّ عنده ، ثم لم يكتف بذلك فوضع رسائل على لسان عدي الى قهرمان لعدي فيه مكر ومؤامرة بالنعمان ، ثم دس له حتى اخذ الكتاب ، فجاء به الى النعمان ، فلما قرأه صدق بما جاء فيه، وغضب على عديّ وقرر الانتقام منه^٢ .

١ الاغاني (١١٥/٢) وما بعدها .

٢ الطبري (١٤٧/٢) وما بعدها ، اليعقوبي (١٧٣/١) ، الاغاني (١٠٨/٢) وما

بعدها (دار الكتب المصرية) .

جرت كل هذه المؤامرات على ما يقوله الأخباريون ، وعديّ عند كسرى يقوم بوظيفته لا يدري بها . فلما كتب النعمان اليه : « عزمت عليك الا زرتني ، فلاني قد اشتقت الى رؤيتك » . صدّق كلامه ، واستأذن كسرى فأذن له . وسار الى منيته وهو لا يدري ما يحبته له القدر . فلما وصل الى من كان مشتاقاً الى رؤيته ، ألقاه في سجن منفرد لا يدخل عليه فيه أحد ، وهو لا يدري بمّ سجن . وفي السجن أخذ ينظم أشعاراً يتضرع فيها الى النعمان أن يفك أسره ، ويعظه فيها بالموت وبمن هلك قبله من الملوك الماضين ، وكاد يطلقه لولا وشاية أعدائه به . فلما طال سجنه ، كتب بشعر الى أخيه (ابي) وهو مع كسرى يستجير به للتوسط لدى كسرى أن يكتب الى النعمان يأمره بفك أسره . فلما كتب كسرى بذلك كتاباً أرسله مع شخص الى النعمان ، كتب خليفة النعمان عند كسرى اليه يبلغه بمجيء الرسول ، وعرف أعداء عديّ من (بني ببيعة) من غسان ، فقالوا للنعمان : اقتله الساعة قبل وصول الرسول اليك ، فان لم تفعل فسيذهب الى كسرى فلا يستبقي أحداً لا أنت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات في سجنه بالصنّين . ولما وصل الرسول ، رُشي بهدايا كثيرة نفيسة ، فعاد الى كسرى يخبره أن عدياً مات قبل وصوله بأيام^١ .

وقد أحس عديّ بن زيبد كما يقول الأخباريون بامتعاض خصمه عديّ بن أوس بن مرينا من الحيلة التي دبرها لنجاح النعمان وبمحاولته الغدر به ، فأراد مصالحته واسترضاه كما يقول الأخباريون فعمل له طعاماً دعا اليه من أحب عديّ ابن أوس بن مرينا حضوره ، وحلف بعد انتهاء الطعام في البيعة أنه لن يحقد عليه ، وأنه سيتناسى ما حدث ، ورجا من خصمه أن يفعل مثله . فقام عديّ ابن أوس الى البيعة ، فحلف مثل يمينه أن لا يزال يهجو أبداً ويغيه الغوائل ما بقي . وقد كان^٢ . وهم يروون شيئاً من هذا التهاجي الذي وقع بين الخصمين . ويذكر أهل الأخبار ان عدي بن مرينا صار يحرض الأسود ويحثه على الأخذ

١ الطبري (١٥٢/٢) ، اليعقوبي (١٧٣/١) ، مروج الذهب (٢٥/٢) وما بعدها (٢٨٦/١) ، الاغانى (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل لابن الاثير (٢٨٦/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) ، المعاني الكبير (١٢٦١/٣) وما بعدها .
٢ الطبري (١٤٧/٢) .

بثأره من عدي بن زيد ، فكان يقول له : « أما اذا لم تظفر ، فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرك ان معداً لا ينال كيدها »^١ . وعدي من تميم ، وتميم من معد .

وهناك روايات أخرى في أسباب غضب النعمان على عدي وحبه له في الصنين . لا تخرج في جملتها عن حدود هذه المنافسة التي دبرها عدي بن مرينا وخصوم عدي له ، ولكنها تجمع كلها على قتل النعمان لعدي^٢ .

وفي كتاب الأغاني رواية تذكر ان النعمان أرسل ذات يوم الى عدي بن زيد ان يأتيه ، فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب ، وأمر به فسحب من منزله حتى انتهى به اليه ، فحبسه في الصنين بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ، وبقي هناك حتى لاقى حتفه^٣ .

ويظهر من شعر ينسب الى عدي ، قاله لابنته يوم باتت عنده مع أمها في السجن ، وهي جويرية صغيرة ، ان النعمان كان قد أمر بوضع الغل في يديه^٤ . والقصة كما يرويها الأخباريون قصة طريفة تصلح أن تكون موضوعاً لشريط سينائي اختلط فيها التاريخ بالخيال ، والواقع بالابداع . أما نحن فلا يهنا من أمرها الا النتيجة ، وهي ان الفرس قبضوا على النعمان ملك الحيرة وسجنوه ، وان حادثاً وقع بعد ذلك كان وقعه عظيماً في نفوس العرب ، لا في العراق وحده ، انما دوى صداه الى جميع جزيرة العرب كلها ، هو حادث وقعة ذي قار ، وهي من الوقائع الفاصلة في تاريخ الجزيرة كان لها أثر في فتح الاسلام للعراق .

وندم النعمان كما يقول الأخباريون على ما صنع ، واجترأ أعداء عدي عليه ، وهابهم هيبة شديدة . وبينما كان يوماً في صيده ، اذ به يشاهد غلاماً ظريفاً ذكياً ففرح به فرحاً شديداً . فلما عرف انه زيد وانه ابن من أبناء عدي ، قرّبه وأعطاه وحباه ، ثم أرسله الى كسرى ، وكتب معه كتاب توصية رقيقة يشير فيسه الى منزلة عدي منه والى خسارته بوفاته والى عظم المصيبة ، ويوصي كسرى بالولد خيراً . فلما وصل زيد الى كسرى ، جعله مكان أبيه وصرف عمه الى عمل آخر ،

-
- ١ (الأغاني (١٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) .
 - ٢ شعراء النصرانية (ص ٤٥٠) .
 - ٣ (الأغاني (١١٥/٢) وما بعدها) .
 - ٤ مجالس العلماء (١٦٢) وما بعدها) .

فكان هو الذي يلي ما يكتب به الى أرض العرب وخاصة الملك . ولما مضى وقت على زيد في هذه الوظيفة ، وقع عند الملك بهذا الموقع مكاناً حسناً، وتعالى منزلته عنده . ولما اطمأن الى مركزه أخذ يدبر مكيدة الانتقام من النعمان قاتل أبيه حتى نجح في مسعاه ، اذ قبض عليه كسرى فبعث به الى سجن خائنين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه . وفي رواية انه مات بساباط^١ . وقد رجح الطبري رواية خائنين ، وانه مات بسحق القبيلة له . وفي رواية أخرى انه سجن في القطقطانة في البر^٢ . وهكذا نجد الرواة يذهبون جملة مذاهب في سجن النعمان والذين يروون ان حبس النعمان كان بساباط يستشهدون بشعر للأعشى جاء فيه :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق^٣

وقد ذكر المسعودي قصة حبس النعمان ووفاته فقال : « وأمر كسرى النعمان فجلس في مجلسه بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل القبيلة ، وقال بعضهم : بل مات في محبسه بساباط^٤ ، مما يدل على ان وفاته كانت في المدائن . وفي رواية سريانية ان كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده سقاهاهم سمّاً فماتوا ، وعصى عندئذ العرب الفرس وأخذوا يهاجمونهم . فأرسل كسرى قائداً سمته الرواية بـ (بولر) تولى أمر الحيرة ، ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها ، لشدة أهلها ، فانصرف عنها وترك أمرها لمرزبان اسمه (رزوبى

-
- ١ البلدان (١٢٥/٧) ، ابن الاثير (١٧٣/١) ، (هو ساباط كسرى بالمدائن ، اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
 - ٢ البلدان (١٢٥/٧) ، الاغانى (٢٨/٢) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة (٢٥١) .
 - ٣ الاغانى (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل ، لابن الاثير (١٨٥/١) وما بعدها ، مروج الذهب (١٠٠/٢) وما بعدها . (هو ساباط كسرى بالمدائن ، وبالعجمية بلاس آباد ، وبلاس اسم رجل ، ومنه قول الاعشى :
فأصبح لم يمنعه كيد وحيلة بساباط حتى مات وهو محرزق
يذكر النعمان بن المنذر وكان (أبرويز حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل القبيلة . وساباط : موضع ، قال الاعشى :
هنالك ما اغتشه عزة ملكه بساباط ، حتى مات وهو محرزق) ،
اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
 - ٤ مروج (٢٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (ثم النعمان بن المنذر . وهو الذي قتله أبرويز تحت أرجل القبيلة ، وهو آخر ملوك لخم) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

مرزوق) ، أقام في بركة الحيرة في حصن حفنة ، وأخذ يقاتل منه الأعراب^١ .
وفي رواية لـ (حمزة الأصفهاني) أن كسرى لما سخط على النعمان بن المنذر
واستدرجه اليه من وسط البادية ، رمى به الى أرجل الفيلة ، واستباح أمواله وأهله
وولده ، وأمر ان يباعوا بأوكس الأثمان^٢ .

وتذكر بعض الروايات سبب غضب (كسرى) على النعمان ، أن (زيد) ،
وهو ابن المقتول (عدي بن زيد) الذي نال مكانة عظيمة عند كسرى ، أو
عمه ، كانا قد دبّرا مكيّدة للإيقاع بالنعمان . فلما طلب (ابرويز) النساء، دخل
عليه (زيد) ، فكلّمه فيما دخل فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك كتب في
نسوة يطلبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك
النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال :
فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصة
أنهم يتكتمون عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً
من العجم من حرسك يفقه العربية ، حتى أبلغ ما تحبه . فبعث معه رجلاً جليداً
فخرج به زيد حتى بلغ (الحيرة) . فلما دخل على الملك النعمان ، قال : إنه
قد احتاج الى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث اليك . فشق
عليه ، فقال لزيد : أما في بقّر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا؟
فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ؛ ولو علم أنّ هذا يشق عليك ، لم يكتب
اليك به . وعادا . فلما دخلا على (كسرى) ، وقصّا عليه ما وقع وحدث ،
عرف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع . وسكت (كسرى) على
ذلك أشهراً ، ثم فعل ما فعل بالنعمان^٣ . وانتقم (زيد) بهذه المكيّدة من النعمان
قاتل والده .

وقد أشير الى مصرع النعمان في شعر عدد من الشعراء مثل سلامة بن جندل ،

Histoire Nestorienne, II^{me} Partie, pp. 539, 546. ١

٢ حمزة (ص ٤٢) .

٣ الطبري (٢/٢٠١ وما بعدها) ، نواذر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، رسالة
أبي غرسيه (ص ٢٥٠ - ٢٥١) ، رسالة أبي يحيى بن مسعدة (ص ٢٧٧) ،
رسالة لأبي الطيب بن من القروي (٣١٩ وما بعدها) .

وقد ورد فيه ذكر القاء كسرى للنعمان تحت أرجل القيلة^١ . ويتفق هذا الرأي مع رأي ابن الكلبي ويعارض رواية لحماد جاء فيها أنه مات بحبس في ساباط^٢ . وذكر أن هانيء بن مسعود الشيباني كان في جملة من رثى النعمان في شعر . وقد نعت به (ذي التاج) ، ويفهم من رثائه له أن موته كانت تحت أرجل القيلة ، حيث داست على رأسه . وورد في شعر شعراء آخرين أن (فيول الهند) تخبطته وداست عليه^٣ .

وهناك قصيدة نسبها بعضهم الى زهير بن أبي سلمى ، ونسبها آخرون الى صرمة الأنصاري . ذكر فيها كيف ذهب النعمان - قبل ذهابه الى كسرى - الى من كان يحسن اليهم ، ويغدق عليهم الألفاظ ، فلما غضب عليه كسرى لم يحجره هؤلاء ، ولم يساعده إلا ما كان من بني رواحة من عبس ، فشكروهم النعمان وودعهم وأثنى عليهم ، وقال لهم : لا طاقة لكم بجنود كسرى ، فانصرفوا عنه^٤ . وساباط : هو على ما يذكره أهل الأخبار ، موضع بالمدائن ، به كان حبس النعمان على رواية من صرح بأنه كان محبسه لا موضعاً آخر ، ثم ألقاه تحت أرجل القيلة . وذكر (ابن الكلبي) أنه إنما سمي بساباط نسبة الى (ساباط بن باما) أخي النخير جان الذي لقي المسلمين في أهل المدائن^٥ . ويظهر من شعر (للأعشى) أن (كسرى) أمر بالنعمان فحبس به (ساباط) ثم ألقاه تحت أرجل القيلة فوطئته حتى مات . يقول الأعشى :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه نحور الفيول بعد بيت مسردق^٦

ولليد بن ربيعة العامري قصيدة نظمها في رثاء النعمان . من أبياتها :

له الملك في ضاحي معد، وأسلمت اليه العباد كلها ما يحاول^٧

- ١ شعراء النصرانية (ص ٤٩١) .
- ٢ شعراء النصرانية (ص ٤٦٤) .
- ٣ مروج الذهب (١٠١/٢) .
- ٤ شعراء النصرانية (ص ٥٨٤) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٨٧/٦) (الطباعة المنيرية) ، مروج الذهب (١٠١/٢) .
- ٥ ديوان الأعشى ، قصيدة ٢٦ ، (ص ١٢٨) ، اللسان ، (٣٠٨/٧) بيروت ١٩٥٦ م ، البلدان (١٦٦/٣) ، دائرة المعارف الإسلامية ، لمحمد فريد وجدي (٢٤/٧) .
- ٦ المعارف (ص ٦٥٠) .

وضاحي معد ، بمعنى ظاهر معد، لا في معد نفسها ، لأن (ربّ معد) في أيامه هو (حذيفة بن بدر) . أما النعمان فهو ملك على ما وراء ديار معد . والعباد هنا هي القبائل النصرانية المعروفة من أهل الحيرة^١ .

وقد ذكر الأخباريون انه كان يتوقع ان يدبر له كسرى مكيدة ، فقرر أن ينجو بنفسه قبل حلولها به ، فلحق بجبلي طيء ، وكان متزوجاً اليهم ، فأراد النعمان ان يدخلوه الجليل ويمنعوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل (ذو قار) في بني شيبان سرّاً ، فلقي هانيء بن مسعود الشيباني ، وكان سيداً منيعاً ، فأودعه أهله وماله وسلاحه ، ثم توجه بعد ذلك الى كسرى ، حيث لقي مصرعه^٢ .

أما زوجة النعمان هذه ، فهي ابنة (سعد بن حارثة بن لأم الطائي) ، وهو من أشرف طيء البرص ، وكان (النعمان) قد جعل لبني لأم بن عمر ربيع الطريق طعمة لهم ، وذلك بسبب زواجه المذكور^٣ .

وذكر ان أحد أولاد (النعمان بن المنذر) كان شاعراً، وقد عرف بـ (المحرق) فلما سمع بقتل (كسرى) لأبيه ، قال شعراً يخاطبه فيه ، منه قوله :

قولا لكسرى ، والخطوب كثيرة : إن الملوك بهرمن لم تجبر^٤

ويروى ان النابغة الذبياني لما سمع بمقتل النعمان ، رثاه بأبيات . وهي إن صح انها من شعر النابغة حقاً ، تدل على ان هذا الشاعر قد عاش أيضاً بعد مقتل النعمان^٥ . وروي ، ان (زهير بن أبي سلمى) رثى النعمان كذلك^٦ .

ويروي أهل الأخبار شعراً زعموا أن (عدي بن زيد) قاله لأهل بيت النعمان ، هو :

-
- ١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٧) .
 - ٢ الكامل (١٧٣/١) .
 - ٣ المحبر (ص ٣٠١) ، الاغانى (حاتم الطائي) .
 - ٤ المؤتلف (ص ١٨٥) .
 - ٥ العقد الثمين ، (ص ١٦٤) ، شعراء النصرانية (ص ٨٢٠) ، النابغة الذبياني ، لعمر الدسوقي (ص ١٠٨) .
 - ٦ الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها) .

فلا يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر الماجد الزارا

وقد علق (ابن قتيبة الدينوري) عليه بقوله : « ذات الودع . صنم كان بالحيرة ، ويقال : بل هي الإبل التي تسير الى مكة ، يعلق عليها الودع، ويقال : إن مكة ، يقال لها : ذات الودع . وواجه قبر النعمان الزار ، وهي الأجمة ، أي : دُفِنَ حذاءها^١ .

إذن لبؤم بجمع لا كفاء له أوتاد ملك تليد ، جدّه بارا

قال : « أي لو مات لغزتم الجيوش ، فأقررتم ، أو رجعتم بجيش لا مثل له ، أوتاداً لملك قديم قد سقط جده ، أي : صرتم كذلك . وهو منصوب على الحال ، ولا يجوز أن يكون منصوباً على النداء ، لأنه لا يجوز أن يدعوهم بذلك ، والنعمان لم يمت^٢ .

وذكر أن ملك النعمان بلغ اثنتين وعشرين سنة . وعلى رأس ثلاث سنين وثمانية أشهر مضت من ملكه ، كان الفجار الأكبر ، فجار البراض ، وهو لتمام عشرين سنة من مولد الرسول ، ولثاني عشرة سنة وثمانية أشهر مضت من ملك النعمان بُنيت الكعبة . وذلك لاحدى عشرة سنة مضت من ملك أبرويز كسرى بن هرمز^٣ .

ولا نعلم عن أعمال النعمان الحربية في بلاد الشام شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه غزا (قرقيساء) (Circesium) ، ولكنه لم يعين تأريخ وقوعها ، ويقصد بذلك بالطبع غارة أغارها على أرض الروم^٤ . ولم ينسب غيره من المؤرخين العرب أو السريان اليه حروباً أخرى أجج نارها في بلاد الشام .

١ المعاني الكبير (٨٣٨/٢) ، (والودع : وثن . وذات الودع : وثن أيضا . وذات الودع : سفينة نوح ، عليه السلام ، كانت العرب تقسم بها فتقول : بذات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا ، يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر الماجد الزارا يريد سفينة نوح ، عليه السلام ، يحلف بها ويعني بالماجد النعمان . ابن المنذر ، والزار أراد الزارة بالجزيرة ، وكان النعمان مرض هناك . وقال أبو نصر : ذات الودع مكة لأنها كان يعلق عليها في ستورها الودع ، ويقال : أراد بذات الودع الاوثان) ، اللسان (٣٨٧/٨) .

٢ المعاني الكبير (٨٣٨/٢) .

٣ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٤) ، مروج الذهب (٢٤/٢) .

٤ حمزة (ص ٧٣) .

وقد ورد في حديث الطبري عن قصة سجن النعمان لعدي ما يفيد أن النعمان خرج يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وقد قيل : إن هذا الرجل هو (جفنة بن النعمان الجفني)^١ . ولعل هذه الغارة هي واحدة من جملة غارات قام بها الغساسنة على الحيرة . وفي شعر النابغة الذبياني اشارات الى أمثال هذه الغارات^٢ . ويفيد خبر رواه المؤرخ (ثيوفلكتس) (Theophylaktus) ان عرب الروم أغاروا على عرب الفرس حوالي سنة (٦٠٠ م) ، أي في أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس^٣ .

وقد ذكر (الطبري) ان هذه الغزوة كانت في أيام وجود عدي بن زيد في سجنه فلما سمع عدي بها قال :

سما صقر فأشعل جانبيها والهالك المروح والغريب^٤

وقد ورد اسم (السيلحون) في جملة المواضع التي كان يجيها النعمان ، وذلك في شعر لأعشى قيس^٥ . ويقع السيلحون في البرية بين الكوفة والقادسية ، كما ورد اسم هذا الموضع في شعر لهانئ بن مسعود الشيباني يرثي فيه النعمان ويذكر قتل كسرى اياه^٦ . ويظهر انه كان من جملة المسالحي التي تحمي الحدود من البادية . والمسالح هي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود والمسلحون لحماية الحدود من الأعداء^٧ .

ولم يكن النصر حليف النعمان في اليوم المعروف بيوم الطخفة (يوم طخفة) ، وهو يوم نسبته بعض الأخباريين أيضاً الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، كما نسبته

- ١ الطبري (١٤٨/٢) .
- ٢ ديوان النابغة (٢٧ ، ٣٥) (طبعة Ahlwardt ، Rothstein, S. 112)
- ٣ Theophylaktus, VIII, I, Nöldeke, Ghass., S. 39, Rothstein, S. 112.
- ٤ الطبري (١٩٨/٢) (دار المعارف) .
- ٥ ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطى القطوط ويأفق
وتجى اليه السيلحون ودونها صريفون في انهارها والخورنق
- شعراء النصرانية (ص ٣٨٣) ، البكري ، معجم (٧٧٢/٣) ، تاج العروس (٢٣١/٩) ، مراصد (٧٦٧/٢) .
- ٦ البلدان (١٩٦/٥) .
- ٧ البلدان (١٩٨/٥) وما بعدها .

بعض آخر الى المنذر بن ماء السماء . وخلاصة الحادث : ان حاجب بن زرارة الدارمي التميمي سأل النعمان أن يجعل الرداقة للحرث بن ببيعة بن قرط ابن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي . وكانت لبني يربوع ، يتوارثونها صغيراً عن كبير ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك . فلما سأل النعمان موافقتهم على نقل الرداقة منهم ، أبوا ذلك ، لما لها من منزلة ومكانة ، فبعث اليهم قابوساً ابنه وحسان أخاه على رأس جيش كثيف فيهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة ، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانهمزت جموع النعمان ، وأخذ قابوس وحسان أسيرين . فلما بلغ خبر هذه الهزيمة سمع النعمان طلب من أحد بني يربوع - وهو شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي - أن يذهب عاجلاً الى بني يربوع ليفك أسر ابنه وأخيه مقابل إعادة الرداقة اليهم وأداء دية الملوك وهي ألف بغير للرجل الواحد . وبذلك صالح مرغماً (بني يربوع) . وهذا اليوم من الأيام التي يفاخر بها أبناء يربوع . وقد ورد ذكره في شعر مالك بن نويرة^١ والأحوص^٢ وجريز^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) طلب (مالك بن نويرة) ، وكان قد أراد استرضاءه ، وهو من (بني يربوع) ، فأبى ، وهرب منه ، وقال فيه شعراً يهجو ، منه :

لن يذهب اللؤم تاج قد حُببت به من الزبرجد والياقوت والذهب^٤

ويدل ذلك على أن (النعمان) ، كان يتوج رأسه بتاج ، فيه ذهب وأحجار كريمة .

وكان (مالك بن نويرة اليربوعي) من (بني تميم) ، لأن (بني يربوع) منهم ، وقد لقب بـ (الجفول) . وهو شاعر شريف ، وأحد فرسان بني يربوع ورجلهم المعدودين في الجاهلية ، ومن أرداف الملوك ، أي ملوك الحيرة . وقد أدرك الرسول ، فأسلم ، وعينه على صدقات قومه فلما بلغه وفاة الرسول ، أمسك

-
- ١ ابن الاثير . الكامل (٢٧٢/٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (١٠٢/٣) .
 - ٢ البلدان (٥١٨/٣) .
 - ٣ البكري (٤٥٢/١) .
 - ٤ الجواليقي (ص ٣٥٦) .

الصدقة ، وفرقها في قومه ، وجفل إبل الصدقة ، فسمي الجفول . قتله (ضرار ابن الأسود الأسدي) بأمر خالد بن الوليد^١ .

وكان نصيب النعمان من يوم السلان كنصيبه من يوم الطخفة ، وسبب وقوع هذا اليوم هو أن بني عامر بن صعصعة، وكانوا حمساً لقاحاً متشددين في دينهم لا يدينون للملوك، تعرضوا للطيمة كان الملك النعمان بن المنذر يريد إرسالها الى عكاظ لبيعها في السوق . وكان من عادته ارسال لطيمة الى عكاظ كل عام لتباع هناك. فلما بلغ النعمان الخبر ، غضب فبعث الى أخيه لأمه ، وهو (وبرة بن رومانس الكلبي) ، وإلى صناعته وهم من مكان بصطنعه من العرب ليغزو بهم، والوضائع وهم الذين كانوا شبه سادة القبائل ، وأرسل الى بني ضبسة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيهم كلهم فوارس ومعه حبش بن دلف ، فاجتمعوا كلهم في جيش عظيم . وأرسل النعمان معهم تجارة ، وأمرهم ألا يتحرشوا ببني عامر الا بعد الانتهاء من عكاظ ومن الأشهر الحرم . فلما انتهوا من عكاظ ، أحست قريش بنيات جماعة النعمان، فأخبروا بني عامر وحذروهم فاستعدوا للقتال . فلما وصل أصحاب النعمان اليهم ، قاتلوهم عند موضع السلان ، وهو موضع قريب من منازل بني عامر ، وتغلبوا عليهم ، وأسروا وبرة بن رومانس الكلبي وعدداً من رؤساء القوم ، وانهمزمت جماعة النعمان ، ورضي عندئذ من حملته هذه بدفع دية أخيه وبرة ودية عدد من الرؤساء^٢ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان الذي أعلم (بني عامر) بعزم الملك النعمان على الانتقام منهم ، هو وجيه مكة وثريها : عبدالله بن جدعان^٣ .

١ معجم الشعراء (ص ٣٦٠) .

٢ صبح الاعشى (٣٤٠/١) ، جمهرة ، ابن حزم (٣٨١/١) ، ابن خلدون (٢٥٥/٢) ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، الاشتقاق (٢٣٧) ، (الطبعة الاولى بمصر) ، ابن الاثير (٢٦٨/١ وما بعدها) ، البلدان (١٠٤/٥) ، سبائك الذهب ، للسويدي (١١٧) ، المسعودي مروج (٥٤/٢) ، الطبري ، (١٤٧/٢) ، اليعقوبي (١٤٣/١) ، البكري ، معجم (٧٤٩/٣) ، (لجنة) المختصر ، لابي الفداء (١٠٢/١) (بيروت) ، الروض الانف ، للسهيلى (١٣٣/١) (الجمالية) نهاية الارب ، للنويري (٤١٢/١) ، ذيل الامالي للقالبي (١٤٧/٣) مراصد (٧٢٦/٢) ، العقد الفريد (٣٦٤/٣) .

٣ الكامل فى التاريخ لابن الاثير (٢٩٥/١) .

وكان الذي أسر وبرة (يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق) ، وقد أبقي (يزيد) (وبرة) لديه حتى افتدى نفسه منه ، أي من يزيد بن الصعق بألف بغير وفرس . فاستغنى يزيد . فلما أسر (وبرة) ، ثبت جيشه (ضرار بن عمرو الضبي) ، فقام بأمر الناس ، ولكنه وقع في الأسر ، ثم وقع رجل آخر من كبار الجيش في الأسر ، وهو (حبيش بن دلف) ، الذي افتدى نفسه بأربع مئة بغير ، وهزم جيش النعمان^١ .

وقد تعرضت لطيمة النعمان مرة أخرى الى النهب حينما وكل أمر حمايتها الى رجل من هوازن ، فقبض بها رجل خليع معروف اسمه (البراض بن قيس بن رافع) من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقتل حامي القافلة وساق الركاب^٢ . وكان من عادة النعمان أن يشتري بثمان اللطيمة الأدم والحريز والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشى والمسير والعدني من سوق عكاظ^٣ .

وذكرت إحدى الروايات ان الذي كان يجيز لطيمة النعمان له هو (سيد مضر)^٤ ولم تذكر اسم سيد مضر اذ ذاك .

وورد ان (البراض) وهو (رافع بن قيس) كان من فتاك الجاهلية المعروفين. وكان حالف بني سهم من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه بنو سهم ، ثم جاء الى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب الى اليمن ، ثم جاء مكة بعد سنة ، فاذا الهذليّون والخزاعيون يطلبونه وقد خلع ، فلحق بالحيرة ، فوافق وفود العرب بالحيرة عنده . فأقام يطلب الاذن معهم ، فلم يصل اليه حتى خرج النعمان فجلس للناس بالحيرة وكانت لطائمه التي توفي سوق الموسم اذا دخلت تهامة لم تهج ، حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس الكناني ، فجعل (بلعاء) يعترض لطائمه فينتهبها . فخاف النعمان على لطيمته ، فقال يومئذ : من يجير هذه العير ؟ فقلل البراض : أنا أجبرها لك . فقال الرجال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب : أنا . أيها الملك أجبرها لك من الحيين كليها ، وسخر من الرجال وازدراه . فدفع النعمان اللطيمة الى عروة

-
- ١ أيام العرب (١٠٨) ،
 - ٢ شرح ديوان لبيد (ص ٤٨) .
 - ٣ الاغانى (٧٥/١٩) .
 - ٤ الاغانى (٧٥/١٩) .

الرحال ، فتعقبها البراض ، حتى اذا انتهى عروة الى أهله دوين الجريب بماء يقال له (أواره) ، أنزل اللطيمة ودخل قبته فنام ، ووثب عليه البراض فقتله ، ثم أتى خيبر ، فكان بسببه حروب الفجاء بين كنانة وقيس^١ .

وقد عرف بعض العلماء اللطيمة بأنها (سوق المسك) أو العير التي كانت تحمل المسك ، ولكن اللطيمة قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة ، ولا سيما النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ خاصة لبيعها هناك ، وكانت تعود محملة بما تشتريه من تجارة اليمن والحجاز ، وما يأتي به العرب وسائر التجار الى السوق في أثناء الموسم . وهي تجارة ثمينة تعود على النعمان بأرباح طائلة وثروة كبيرة . ولوصولها سالمة الى السوق ثم لعودتها سالمة من السوق الى الحيرة ، كان لا بد من حمايتها بوضعها في جوار سادات أقوياء شجعان يتعهدون بامرارها بسلام في أرض قبائلهم ثم تسليمها الى سادات الأرض التي تليهم ، وهكذا الى السوق أو العكس . وقد يقوم مجير اللطيمة نفسه بتولي اللطيمة في الذهاب والأوبة ، لمقامه ولوجود عهود جوار بينه وبين سادات القبائل الأخرى ، وإلا تعرضت اللطيمة للسلب والنهب . وإذا ما أغضب الملك خُفراء اللطيمة ، أو انتزاع الخفارة منهم فأعطاهم لأناس آخرين ، أو أزجج بعض سادات القبائل التي تمر القافلة في أرضهم ، فلن ينفعه ملكه في حماية سلامة القافلة ، فتذهب فلا يقبض منها شيئاً ما ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن سلطانه لا يصل الى كل مكان^٢ .

وفي أيام النعمان كان يوم شعب جبلة ، وهو عامر وعبس على ذبيان وتميم . وهو من أيام العرب المشهورة في نظر الأخباريين . وقد اشترك النعمان فيه بمساعدته لقيط بن الجون الكلبي ملك هجر ، وإرساله أخاه لأمه حسان بن وبرة الكلبي لمعاونة لقيط . ويلاحظ أن الرواة قد لقبوا لقيطاً بلقب ملك ، وأشاروا الى اشتراك جملة ملوك في هذا اليوم^٣ .

وكان حسان بن وبرة شقيق النعمان لأمه رئيساً على ضبة . وقد أسره يزيد ابن الصعق في الغارة التي قامت بها بنو عامر على تميم وضبة ، وانهزمت فيها

١ المعبر (ص ١٩٦) .
٢ الكامل في التاريخ (٣٥٨/١) .
٣ العقد الفريد (١٠/٦) وما بعدها (طبعة العريان) .

نميم . وقد فادى حسان نفسه من يزيد بن الصعق بألف بعير هي فدية الملوكة . كما سبق أن ذكرت . وأغار يزيد بعد ذلك على عصافير النعمان وهي لابل معروفة شهيرة كانت اذ ذاك بمكان يسمى ذا ليّان^١ .

ويذكر أن (يوم العذيب) كان في عهد حكم (النعمان) . وكان (النعمان) قد بعث الى (الأصهب الجعفي) ينكر عليه بلوغ (سعد بن زيد مناة) و (عترة) العذيب ، فحشد (الأصهب) لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتله (الأحمر ابن جندل) ، وانهزمت البائية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي^٢ . وروى أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) لما توج واطمأن به سريرته ، دخل عليه الناس ، وفيهم أعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا سُسْتُ قوماً فاجعل الجود بينهم وبينك تأمّنْ كلَّ ما تتخوفُ
فإن كشفت عند الملّات عسرة كفاك لباس الجود ما يتكشف

فقال : مقبول منك نصحك ، ممن أنت ؟ قال : أنا رجل من جرم ، فأمر له بمئة ناقة ، وهي أول جائزة أجازها^٣ .

ويقال ان (المنذر) أحد أبناء النعمان بن المنذر سقط قتيلاً على يد رجل من تغلب يدعى مرة بن كلثوم ، وهو أخو عمرو بن كلثوم ، ويقال انه قتل أيضاً ابناً آخر من أبناء النعمان^٤ .

وكانت للنعمان كتائب يقاتل بها هي : الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب والدوسر . وقد اشتهرت هذه الكتيبة الأخيرة بالشدة وبقوة البطش ، فقليل في أمثالهم (أبطش من دوسر)^٥ .

أما الصنائع ، فقد ورد في بعض الروايات انهم جماعة كان يصطنعهم الملك من العرب ليحارب بهم ، وكان يأخذهم من (بني ثعلبة) خاصة ، يتخذهم كالحرس لا يبرحون بابهم . وأما الرضائع ، فألف رجل من الفرس ، يخدمون الملك ليقاتل بهم ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة .

١ . العقد الفريد (٤١/٦) وما بعدها .

٢ . العمدة (٢١٧/٢) .

٣ . الامالي للقالبي (٣٢٩/١) « بيروت » .

٤ . Rothstein, S. 112.

٥ . الميداني . مجمع الامثال (٧٨١) .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للنعمان بن المنذر أخ من الرضاعة يقال له (سعد القرقرة) من أهل (هجر) كان من أضحك الناس وأبطلهم ، وكان يضحك النعمان ويعجبه^١ . وذكر ان أناساً من البطالين المضحكين كانوا يأتونه لإضحائه ولنيل جوائزه . وذكروا منهم (العيسار بن عبدالله الضبي) . وكان بطلاً ، يقول الشعر ، ويضحك الملوك^٢ .

وقد كان النعمان بن المنذر مثل عمرو بن هند محباً للشعر والشعراء ، والخطب والخطباء ، وقد جعله الأخباريون من خير خطباء زمانه، كالذي يظهر من كلامه مع كسرى ، وقد ذكر انه قال له في مجلس كان حافلاً بوفود الروم والهند والصين ، اجتمعوا عند كسرى . كما نسب اليه وقد ضم أكثم بن صيفي وحاجب ابن زراراة التميمي ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكرين ، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معديكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المرتي ، وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام في تلك الأيام^٣ .

وروى الأخباريون شعراً من الشعر الذي قاله أصحابه في حضرة النعمان أو في مدحه وفي مدح آل لحم ، كما روي شعراً في هجائه ، ورووا بعض ما قيل في حضرته من حديث وبعض ما صادفه الشعراء حين كانوا يقصدونه لنيل ما يبتغون مثل حديث حسان بن ثابت الشاعر المخضرم المعروف فقد زاره ومدحه غير أن هواه كان الى الغساسة أكثر منه الى آل لحم . فقد كان يفتخر بهم ، ويسامي الناس بهم ، وينال جوائزهم حتى وإن لم يكن عندهم . يرسلونها اليه إن لم يكن في استطاعته أن يشخص اليه^٤ .

وقد جاء في شعر لـ (حسان بن ثابت) أنه زار (ابن سلمى) ، أي

-
- ١ الفاخر (ص ٥٦) .
 - ٢ وفد على النعمان بن المنذر فقال له :
ابيت اللعن واسعدك الهك سلخ التيس وذبحه مستهجن
 - ٣ الفاخر (ص ٥٦) .
العقد الفريد (٢٥٣/١ وما بعدها) (طبعة العريان) ، بلوغ الارب (١٤٧/٣ وما بعدها) .
 - ٤ العقد الفريد (٢٦٧/١) ، الاغانية (٢٧/١٥) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٢٢/٢) .
 - ٥ العقد الفريد (٢٢/٢) .

(النعمان بن المنذر) ، وأنه أكرمه وقدره وحباه ، وتكلم اليه في جماعة من قومه ، كانوا في سجنه مقيدين مكبلين بالسلاسل حتى صفح عنهم ، وأطلق لهم حريتهم ، وهم أبيي ونعمان وعمرو ووافد ، وهم جماعة من أهل يثرب ، كانوا قد حبسوا في سجن (النعمان) . فأما (أبيي) ، فهو (أبيي بن كعب بن قيس بن معاوية) من (بني النجار) . وأما (نعمان) ، فإنه (نعمان بن مالك بن قوئل ابن عوف بن عمرو) ، وأما (وافد) ، فإنه (وافد بن عمرو بن الاطنابة ابن عامر) من الخزرج . ولم يذكر (حسان) سبب حبس (النعمان) لهم ، ووضعهم في السجن مكبلين بالحديد ، مقفولاً عليهم^١ .

وقد ذهب (نولدكه) الى احتمال كون (ابن سلمى) أميراً من أمراء الغساسنة ، كما ذهب الى أن (أبياً) الذي كان في جملة المحكومين هو (أبي ابن ثابت) وهو شقيق حسان^٢ .

ويظهر من كلام أهل الأخبار أن النابغة الذبياني كان من أكثر الشعراء صلة بالنعمان . وفي الشعر الذي يرويه الأخباريون عنه وينسبون قوله اليه ، شيء كثير من المناسبات التي وقعت بين الملك وبين هذا الشاعر ، وقد استاء خصوم النابغة من قربه من النعمان ، ونيله جوائزه وألطافه ، فسعوا به اليه حتى غضب عليه ، وهمّ بقتله ، ولم ينجه من القتل إلا هربه من آل جفنه ملوك عرب الشام ، فبقي في كنفهم مدة ، ثم عاوده الحنين الى صاحبه وحاميه القديم النعمان ، فاعتذر اليه ، وتنصل من التهم التي ألصقها خصومه به ، وعاد يأخذ جوائزه ونعمه كما كان^٣ .

وذكر ان النعمان بن المنذر كان يكرم (النابغة) ويحبوه دوماً ، أمر له مرة بمائة ناقة بريشها من نوق عصفيرة ، المعروفة بهجائن النعمان ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا اذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ليعلم انها حباء الملك^٤ . ذكر (حسان بن ثابت) انه وفد على النعمان بن المنذر فمدحه

١ البرقوقى (ص ١١٤ ، ٣٧٧) ، ديوان حسان (D. 17) (هرشفلد) .

٢ غسان (ص ٤٧) .

٣ الاغانى (٢٧/١٥ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٦٤١ - ٦٤٩ وما بعدها) ، المعاني الكبير (١١٣٠/٢) ، امالي المرتضى (٢٦٤/١) .

٤ امالي المرتضى (٢٦٥/١ وما بعدها) .

وأجازه الملك على مدحه وأكرمه . وبينما هو جالس عنده ذات يوم ، اذا بالنايعة يدخل قبة الملك ، وكان يوم ترد فيه النعم السود ، ولم يكن بأرض العرب بعير أسود الا له ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فاحسدت أحداً حسدي النايعة ، لما رأيت من جزيل عطيته وسمعت من فضل شعره^١ .
ويذكر المسعودي ان النايعة دخل على النعمان يوماً ، وكان عنده نديمه خالد بن جعفر الكلابي ، وكان ممن يعطف على النايعة ، فمدح النعمان بشعر ، « فتهلل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشي فوه جوهرأ ، ثم قال : يمثل هذا فلتمدح الملوك »^٢ .

وتذكر رواية أخرى ان النايعة لما سألت حاجب النعمان الاستئذان للدخول عليه ، قال له الحاجب : الملك على شرايه . ولما سأله : من عنده ؟ قال : خالد بن جعفر بن كلاب ! فتوسل اليه بأن يبلغه تحية النايعة ، وأن يسهل له الدخول على الملك ، ففعل وأمر النعمان حاجبه بادخاله عليه . فلما دخل ، سلم عليه وحياه بتحية الملك ، وجلس وهو يقول : « أيها الملك . أيفاخرك صاحب غسان ؟ فوالله لفقاك أحسن من وجهه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولأملك خير من أبيه ولغلك أسعد من يومه . فضحك النعمان . ثم قال لخالد : من يلومني على حب النايعة ؟ ألك حاجة ؟ قال : نعم . فقضى حوائجه بأسرها ، وأحسن جائزته ، فانصرف داعياً له »^٣ .

ويذكر الأخباريون ان آخر مرة اتصل بها النايعة بالنعمان كانت في أثناء مرض الملك النعمان . وكان النايعة هارباً آنذاك على أثر الوشاية به . فلما سمع النايعة بمرضه أثر السفر اليه ، والاعتذار منه . فلما وصل الحيرة ، كان الملك لا زال مريضاً ، شديد المرض . وقد حمل سريريه على العادة المتبعة عند مرض الملوك مرضاً شديداً ،

١ الشعر والشعراء (ص ٧١ ، ٧٥) ، (النايعة الديباني) .

٢ مروج (٢٥/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٣ مجالس العلماء (٢٥٩ وما بعدها) (عبد السلام محمد هارون) ، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي .

يشرف فيه على الموت . فاستأذن للنابغة في الدخول عليه وانشاده ما نظمته في مدحه
فسمح له بالدخول . وأنعم النعمان بالنعيم عليه . وهناك روايات تذكر انه عاد اليه
قبل هذا الحادث ، فقبل عذره وعفا عنه^١ .

وفي جملة من كان له شرف الاتصال بالنعمان ، ونبيل هباته وجواثزه من
الشعراء : المنخل الشكري ، والمثقب العبدى ، والأسود بن يعفر ، وحاتم الطائي
وأمثال هؤلاء .

والأسود بن يعفر شعر معروف ، ذكر فيه (آل محرق) و (الخورنق)
و (السدير) . وله أشعار أخرى ذكرها الرواة . وكان قد أقام مدة عند النعمان
يناديه ويؤاكلة^٢ .

ويذكر أن المنخل الشكري كان ينادم النعمان وينشده القصائد ، وكان النعمان
يكرمه ويقربه اليه ، غير أنه يؤثر شعر النابغة على شعره ، وهذا مما غاظ المنخل
وجعله يسعى للإيقاع به^٣ . فأوغر صدر النعمان عليه ، حتى همّ بقتله ، فهرب
النابغة منه ، وخلا المنخل بمجالسة النعمان ، وأصبح من أقرب المقربين اليه . ولكن
الدنيا كما يقول الناس لا تدوم ، فابث مدة حتى انقلب الحظ على المنخل ،
فدفع به الى (عكب) صاحب سجن النعمان ، وهو من بني تغلب ، فسجنه
وعذّبه ثم قتله . وقيل بل دفن حياً أو أغرق . ومهما يكن من شيء ، فلم تكن
خاتمة هذا الواشي خاتمة حسنة ، وضرب بنهايته المثل كما ضرب بالقارظ العتري
وأشباهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خبر^٤ .

ويروى أن (يزيد بن خذاق) الشاعر ، وهو من (الهيصم) ، كان قد
هجا (النعمان بن المنذر) ، فبعث النعمان كتيبته التي يقال لها (دوسر) ، فاستباحث
قومه^٥ .

ويذكر أن (ليبد بن ربيعة) كان في وفد زار (النعمان بن المنذر) ، فيه

-
- ١ الاغاني (٢٨/١٥ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (ص ٧٧) .
 - ٢ الاغاني (١٢٨/١١ وما بعدها) ، مطبعة التقدم ، الشعر والشعراء (١٧٦) ،
المعارف (ص ٦٤٦ وما بعدها) ، ابن هشام ، سيرة (٩١/١) ، الامالي ،
للقالبي (٢٥/١ ، ٧١) .
 - ٣ شعراء النصرانية (ص ٦٤١ وما بعدها) .
 - ٤ شعراء النصرانية (ص ٤٢١ وما بعدها) .
 - ٥ الاشتقاق (٢٠٠/٢) .

أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ملاعب الأسنة ، وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ، لقضاء بعض حوائج لهم ، فوجدوا عنده (الربيع بن زياد العبسي) ، وكان يسمى الكامل ، يأكل مع النعمان تمرّاً مع زيد ، وكان ينادمه ومعه رجل من أهل الشام ، يقال له (سرجون بن توفل) (نوفل) ، وكان حريفاً للنعمان ، من (الربيع) ومعها (النطاسي) وهو طبيب كان له ، ومن ندمائه ، فنظم (لبيد) أبياتاً نابية منفرة في (الربيع بن زياد) ، جعلت (النعمان) يعاف من مؤاكلته فتركه^١ . ولما كتب (الربيع بن زياد) الى النعمان في ذلك ، كتب النعمان اليه : « إنك لست قادراً على ردّ ما تكلمت به الألسن ، فالحق بأهلك » ، ثم كتب اليه شعراً ، كان مما جاء فيه :

قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً فإعتذارك من قول إذا قيلاً^٢

ويقال إن (النعمان بن المنذر) ، نظر الى (شبق بن ضمرة) ، المعروف ب (ضمرة بن ضمرة) ، وهو من رجال (بني تميم) في الجاهلية ، وله لسان وبيان وكلام ، فقال (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) . فقال (ضمرة) . (أبيت اللعن ، إن الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بالميزان) . والبيان يجعل هذا للصقعب النهدي ، سيد بني نهد ، الذي أخذ مرباعهم دهرأ .

وللى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل عبيد بن الأبرص ، وذلك لظهوره في يوم يؤس النعمان^٣ . وقد عدّ يوم عبيد من أيام الشؤم ، وضرب به المثل ، فقبل (يوم عبيد) . وللى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل (عمرو بن مسعود) و (خالد بن نضلة) ، وقد استولوا عليه بشعر لبرة بن عمرو الأسدي^٤ .

-
- ١ الفاخر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٢/١٦) ، نزهة الجليس (٥٠٧/٢ وما بعدها) .
 - ٢ نزهة الجليس (٥٠٩/٢ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٨٩/١ وما بعدها) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٣) ، مجاني الادب (٣٠٩/٣) ، شعراء النصرانية (ص ٦٠٠)
 - ٤ قال ابو تمام :
من بعد ما ظن الاعادي أنه سيكون لي يوم كيوم عبيد
شعراء النصرانية (٦٠٢) ، اللسان (٢٦٧/٤) ، (خي ر) .

وقد نسب حمزة الى النعمان بناء الغريين وغريهما بدم من يقتله في يوم يؤسه^١ .
وقد رأينا فيما سلف ان الأخباريين من نسب بناءهما وقصة يومي البؤس والنعيم الى
المنذر بن ماء السماء .

وذكر الأخباريون انه كانت للنعمان عادات ، منها انه اذا غلب الرجل عنده
وفلج على خصمه ، زاده وسادة ، وأمر فلقم عشر لقمات من طعامه قبل أن
يأكل أحد^٢ .

وللنعمان حاجب ، اشتهر حتى خلد اسمه في الشعر وفي كتب الأدب . واسم
هذا الحاجب (عصام) ، وهو من رجال (جرم) ، وفيه قيل : « نفس
عصام سوّدت عصاماً » ، وكان النعمان اذا أراد أن يبعث بألف فارس ، بعث
بعصام . ونخطر مركزه ، ولأن في استطاعته ادخال من يريد الوصول الى النعمان
أو تأخيره أو منعه ، كان الناس يتوددون اليه ليوصلهم الى الملك . وقد أشار
(النابغة) ، اذ قال :

فلإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام^٣

وكان النعمان في أول عهده عابده وثن ، يتعبد للعزى، ويذبح الذبائح للأوثان،
ثم رأى رأياً فغيّر دينه ، ودخل في النصرانية . ولبعض مؤرخي الكنيسة ولبعض
الأخباريين قصص في كيفية اهتدائه الى النصرانية ، مرجعها قصص نصارى أهل
الحيرة على ما يظهر . يحدثنا أصحاب تواريخ الكنيسة ان النعمان ولع به الشيطان
وأصيب بلوثة ووسوسة ، فحاول الشفاء منها بالتجائه الى كهنة الأصنام .
فلما عجزوا من شفائه ، أشار عليه بالالتجاء الى آباء الكنيسة ، فلجأ الى شمعون
ابن جابر أسقف الحيرة ، وإلى (سبريشوع) أسقف (لاشوم) و (ايشوعزخا)
(ايشوع زخا) الراهب فانتفع بهم ، فغيّر دينه ، فتنصر واعتمد وحسن إيمانه ،
وطرد اليعاقبة من سائر أعماله وتقوت بذلك النسطورية . وكذلك تنصر ولده ،
ومنهم الحسن والمنذر . وكان الحسن أشد الجماعة تمسكاً بالنصرانية . وقد سبقته

١ حمزة (ص ٧٢) .
٢ شرح ديوان لبید (ص ٤٠٤) .
٣ الاشتقاق (٣١٨/٢) .

أختاه هند ومارية الى الدخول في هذا الدين . وهذه رواية النساطرة في كيفية تنصر النعمان^١

أما الأخباريون فينسبون تنصره الى تأثير عدي بن زيد عليه . وهم يروون أنه خرج ذات يوم ركباً ومعه عدي بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر ، فقال له عدي بن زيد : أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيها الركب المخبون على الأرض المجدون
مثل ما أنتم حيننا وكما نحن تكونون

ثم قال :

ربّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

فأثر هذا القول — على حد قول الأخباريين — في نفس النعمان ، وإرعوى ، وتنصر^٢ .

وقد كان تنصر (النعمان) في حوالي سنة (٥٩٣ م) تقريباً ، وصار يعد نفسه من حاة المذهب النسطوري الذي انتشر في العراق ، كما صارت الحيرة من معاقل هذا المذهب أيضاً لدخول أناس من أصحاب الجاه والسلطان فيه . ومن الحيرة خرج (سرجيوس) (Sergios) في أواسط القرن السادس ، فذهب الى اليمن ، الى نجران ، حيث قام بالتبشير هناك ، مدة ثلاث سنوات حتى وافته منيته بعد ثلاث سنين^٣ .

وينسب الى النعمان أبو قابوس دير اللج ، وقد دعي بـ (دير اللجينة) في (تأريخ سعرت) ، ونسبه الى اللجة ابنة النعمان . وذكر ان في هذا الدير قبر

١ Histoire Nestorienne, Seconde Partie, P. 468, 478, Evagrius, IV, 22, Pauly-Wissowa, 33, 1936, 1254, Die Araber, I, S. 198.

٢ حمزة (ص ٧٣ وما بعدها) ، ذكر صاحب الاغاني هذه الابيات مع شيء من الاختلاف ، الاغاني (٩٦/٢) (دار الكتب) ، معجم الشعراء (ص ٢٤٩) .

٣ Die Araber, I, S. 198.

(مار آبا الكبير) الجاثليق^١ .

وينسب أهل الأخبار (شقائق النعمان) الى (النعمان بن المنذر) فيقولون :
« وكان خرج الى الظهر وقد اعتم نبتة من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وإذا فيه
من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال : ما أحسنها ! احوها . فحموها فسميت :
شقائق النعمان »^٢ .

وذكر ان النعمان كان يعتني بتربية الخيل والإبل والماشية ، فكان يشتري خير
فصائلها ويحميها لنفسه ، ولا يسمح لأحد بالحصول عليها أو تلقيح نعمهم أو
خيولهم منها الا باذنه . وقد اشتهرت الحمام والدقوف من جملة خيوله^٣ .

وبينا نقرأ في شعر لملك بن نويرة اليربوعي ، ان تاج النعمان بن المنذر كان
من ذهب وزبرجد وياقوت^٤ ، نرى (المعري) يشير الى انه كان خرزات ،
ولم يكن كتاج المنذر^٥ . وخرزات الملك : جواهر تاجه^٦ .

ونجد في كتب الأخبار والأدب ، ان وفود العرب كانت تفد على (النعمان
ابن المنذر) ، فيكرمها ويحبوها ، ويقضي حوائجها . وكان يتخذ الوفود عند
انصرافها مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون . وقد يتفاخر رؤساء الوفود بعضهم
على بعض ، فيحكّمونه في أيهم أفضل . وقد تتحول تلك المفاخرات الى مخاصمات
ومهاثرات بسبب ترجيح الملك رئيساً على آخر^٧ .

ونسب حمزة الى النعمان أربع بنات . هن : هند ، وحرقة ، وحريقة ،
وعنقير^٨ . وهند هي البنت الوحيدة التي نعرف عنها شيئاً من بنات النعمان ، وقد

١ الحيرة (٢٠٣) ،

Histoire Nestorienne, (Chronique de Seert), Second Partie,

I, P. 155.

٢ المعارف (ص ٢٦٤) ، اللسان (١٠/١٨١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء
(ص ١٣٨) ، (ليدن) .

٣ ذيل الامالي والنوادر ، للقالبي (ص ١٨٥) .

٤ الجواليقي ، المغرب (٣٥٦) .

٥ رسالة الغفران (٤٧١) ، (بنت الشاطيء) .

٦ اللسان (٣٤٥/٥) .

٧ العمدة (٢/٢٢٠ وما بعدها) .

٨ حمزة (٧٤) .

ورد في بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت أخته^١ . وذكر أيضاً أن والدها النعمان زوّجها من عدي^٢ . وقد عاشت حتى أدركت الإسلام ، وكانت مترهبة ، فلم تقبل الدخول فيه . ولما ماتت دفنت في ديرها الى جانب قبر أبيها النعمان . وقد بقي الدير والقبران معروفين مدة طويلة في الإسلام .

ويذكر أن (الحرقه) (حرقه) رأت الدنيا كيف أدبرت عن أهلها، ونظرت في حالها بعد هلاك أبيها فقالت :

فبينما نسوس الناس ، والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نَتَنَصَّفُ
فأفّ الدنيا لا يدوم نعيمها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

و (السوقه) هم العامة وسواد الناس .

وقد ذكر المسعودي هذه الأبيات، وقال إنها قالتها لـ (سعد بن أبي وقاص) يوم أُنْتَه في جماعة من قومها ، وقد قال إنها كانت « اذا خرجت الى بيعتها ، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشي ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها . فلما هلك النعمان لفها الزمان فأنزّلها من الرفعة الى الذلة »^٣ . وقد سماها (خرقاء بنت النعمان بن المنذر) . ولعله قصد (خرقاء) أو (حُرْقَة) ، فحرف النساخ الكلمة وصيّرَها (خرقاء) .

وكانت للنعمان جملة نساء ، منهن : زينب بنت أوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وقد ولدت له ولداً وبنتاً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، وصار يتجول بين القبائل ليمنعوه^٤ . ومارية الكندية، وهي أم هند التي تزوجها عدي بن زيد^٥ .

ويذكر (ابن قتيبة) انه كانت للنعمان دار في الحيرة عرفت بـ (الزوراء) . وقد بقيت قائمة الى ايام أبي جعفر المنصور ، فأمر بهدمها ، ولم يذكر السبب

١ الاغانى (٣٤/١) ،

٢ Assemani, Bibl. Orient., III, 109, Rothstein, S. 125. Rothstein, S. 125.

٣ مروج (٢٧/٢) .

٤ الاغانى (١١٥/١) ، (دار الكتب المصرية) .

٥ الاغانى (١١٩/١) .

الذي حمله على ذلك . وقد ذكرها (النابغة) فقال :
بزوراء في أكنافها المسك كارع^١

وذكر ان في جملة وزراء النعمان عمرو بن ببيعة والد عبد المسيح، وهو صاحب قصر بني ببيعة بالحيرة . وكان عبد المسيح في جملة من اشترك في المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح وتسليم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة في موضع يقال له الجرعة عرف بـ (دير الجرعة) وبـ (دير عبد المسيح)^٢ .

وقد ورد ذكر زوجة من زوجات (النعمان بن المنذر) في كتب الأدب ، هي (المتجردة)^٣ . ويظهر أن (جلم بن عمرو) ، كان قد تعرض لها ، فبلغ أمره (النعمان) فحمله على أن يركب فرسه (اليعموم) ، فأرداه^٤ . وقد وصفها (النابغة) في (الدالية) المتسوبة اليه . وسمع (النعمان) بالقصيدة كما يذكر أهل الأخبار ، بدس^٥ حساد النابغة القصيدة والأشعار الأخرى الى النعمان ، فانزعج منها . ولما بلغ (النابغة) الخبر ، فرّ الى الغساسنة لينجو بنفسه من عقابه . وكان النعمان متيماً بـ (المتجردة) وللشعراء فيها قصائد مشهورات^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أن سيفاً من سيوف (النعمان بن المنذر) جيء به الى الخليفة (عمر) ، فأعطاه (جبير بن مطعم)^٦ .

أما عدي بن زيد ، فهو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة . وأما والده فهو زيد بن حماد (حماز) بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصىة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي الأصل^٧ . وكان لزيد ثلاثة أولاد هم : عدي هذا الذي تحدثنا عنه ، وعمار (حار) (حماد) واسمه أبسي

-
- ١ المعاني الكبير (٤٦٥/١) ، اللسان (٣٣٨/٤) ، (صادر) ، (زور) .
 - ٢ الاغانى (١١/١٥) ، السجستاني (٣٨) ، البلدان (٦٥١/١) ، ٦٧٧ ، شعراء النصرانية (١٥) .
 - ٣ اللسان (١١٦/٣) ، (صادر) ، (جرد) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٩٦) ، اللسان .
 - ٥ رسالة الغفران (١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧) ، الاغانى (٨١/١) ، الشعر والشعراء (٢٣٨ ، ٧٦) .
 - ٦ اللسان (٤٨٧/٢) .
 - ٧ الطبري (١٤٦/٢) ، الاغانى (٩٧/٢) (دار الكتب المصرية) ، معجم الشعراء للمرزباني (٢٤٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٤٣٩/١ وما بعدها) .

وكان مع كسرى وعمره واسمه سميّ ، ولهم أخ من أهمهم يدعى بن حنظلة، وهو من (طيء)^١ .

وكان أيوب جد عدي من أهل اليمامة على رواية الأخباريين ، كان يقيم في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، ولكنه اضطر الى ترك اليمامة والهجرة الى الحيرة لإصابته دماً ، فخاف على نفسه من القتل ، والتجأ الى أوس بن قلام ، وكان بينه وبين أوس نسب في النساء . فلما قدم أيوب الحيرة ، نزل في دار أوس ، وأقام عنده أمدأ . ثم أقام في دار أخرى بعد أن حباه أوس وأكرمه ، وصار له شأن في البلد ومقام . فاتصل بالملوك وتقرّب اليهم وغدا من عليّة القوم^٢ .

وصار لزيد بن أيوب شأن يذكر في البلد ، وتزوّج امرأة من آل قلام ولدت له ولداً دعاه حمّاداً . وبينما كان زيد يتصيد في البادية ، اصطاده رجل من بني امرئ القيس ، فقتله بسهم أخذاً لثأر قومه من أبيه أيوب . وعلم حمّاد (حمّاز) الكتابة والقراءة ، فكان أول من كتب من بني أيوب في رواية الأخباريين ، وغدا من أكتب الناس في الحيرة ، ولذلك اختير كاتباً للملك الحيرة ، واتصل بكبار الفرس ومنهم (فروخ ماهان) الذي تكفل زيد بن حمّاد بعد وفاته ، وربّاه مع أبنائه . ثم أوصله الى كسرى أنو شروان فجعله على البريد ، لما تبين له من ذكاء زيد وقدرته في العربية والفارسية . وهي وظيفة لم تكن تعطى لغير أبناء الفرس^٣ .

وتزوّج زيد امرأة من طيء ولدت له عدياً ، وقد ربي هذا تربية طيبة ، فأرسل الى الكتاب ، فلما حلق ومهر فنه بالعربية ، أرسل الى كتاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة ومنهم شاهان مرد الفارسية حتى صار من الحاذقين بها العارفين بفنونها ، ثم تعلم الرماية ولعب الصولجان ، واتصل بكبار الفرس . وقد ساعده مركزه هذا على التقرب من آل نخم . والى (زيد بن حمّاد) أوكل

-
- ١ الطبري (١٤٦/٢) ، الاغانى (١٠٥/٢) (دار الكتب المصرية) .
 - ٢ الاغانى (٩٨/٢) (دار الكتب) ، شعراء النصرانية (ص ٤٣٩) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، الشعر والشعراء (١١١) ، رسالة الغفران (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٦٠٦) .
 - ٣ الاغانى (٩٦/٢ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٤٤١/١) .

تدير شؤون ملك الحيرة بعد سياحة النعمان على رواية بعض الأخباريين الى أن انتقل الملك الى المنذر بن ماء السماء .

وقرب عدياً الى كسرى أنو شروان المرزبان فروخ ماهان ، فعهد اليه الكتابة بالعربية ، فتولاها وضار له شأن يذكر عند الفرس ، كما صار له مركز خطير في قصور آل لحم . ولما توفي كسرى أنو شروان ، وملك هرمز ابنه ، أرسل عدياً الى قيصر الروم (طيباريوس) (طبريوس) بمهمة سياسية ، فأظهر لباقة وحنكة وحكمة ، مما جعل القيصر يحترمه ، فأكرمه ، وجباه ، وأراه أطراف مملكته ، وذهب الى دمشق ، وأقام فيها أمداً ، وهو على صلوات حسنة بالروم ، وفي أثناء اقامته بالشام ، أراد أهل الحيرة قتل المنذر والخروج عليه ، لظلمه وأخذة أموالهم بغير حق . فلما علم بذلك المنذر ، طلب من زيد والسد عدي أن يتولى هو الأمر ، وفرح الناس على ما يذكره الرواة بهذا القرار ، فجاءوه بحبونه بتحية الملك ، ولكنه أبى أن يسمى ملكاً ، ورضي بالحكم بغير هذا الاسم ، وسر المنذر بهذا الحل ، ورضي به . وبقي في هذا المركز الى ان هلك ، وابنه بعيد عنه في دمشق .

فلما جاء عدي من الشام ، لم ينس المنذر فضل أبيه عليه ، وانقاذه الملك بهذا الحل ، وسلمه ما كان قد تركه أبوه ، واستقبله استقبالا عظيماً حينما قدم الحيرة قادماً من المدائن بعد زيارته لكسرى لتقديم هدية القيصر اليه . وأقام في الحيرة سنين يتصيد ويلهو ويلعب ، ويبدو في فصلي السنة ، فيقيم في حفير ، ويشنو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم . وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر^٢ .

١ الاغاني (١٠٠/٢) (دار الكتب المصرية) شعراء النصرانية (ص ٤٤٣) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) الشعر والشعراء (ص ١١٣ وما بعدها) (عدي بن زيد العبادي) .

٢ الاغاني (١٠٢/٢) وما بعدها (دار الكتب المصرية) ، المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ، ١٩٤٤ ، (ص ٤٦ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١ / ٤٣٩ وما بعدها) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) .

وأما (مارية الكندية) فهي من كندة من جهة الأم . ثم أمره (النعمان) بالافتراق منها وتطليقها بعد ما غضب عليه وألقاه في السجن .

وروى الأخباريون لعدي شعراً زعموا انه قال أكثره في حبسه وفي معاتبته للنعمان وفي توسله اليه بأن يطلقه من حبسه ، وفيه مواعظ تذكر النعمان بأن الدنيا زائلة ، وأنها دار فناء ، وأن الملك لا يدوم ، وأمثال ذلك . وهو شعر لم ينظر اليه علماء الشعر نظرهم الى شعر الشعراء الفحول ، وذلك لأنه كان قروياً ، أي من أهل الحضر ، ولذلك أيضاً لم يستشهد به علماء اللغة في ضبط قواعد اللغة^١ .

هذا ويذكر (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) ان في جملة مؤلفات (ابن الكلبي) الكثيرة مؤلفاً اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)^٢ ، وهو كتاب لم يصل إلينا حتى الآن . ولعله كان في جملة الموارد الرئيسية التي اعتمد عليها المؤرخون وأهل الأدب والأخبار في تدوينهم أخبار ذلك الشاعر السياسي الأديب .

ونجد في (رسالة الغفران) شعراً لعدي . وقد دعي بـ (السروي) في موضع منها ، حين تحدث مؤلفها (المعري) عن المنادمة وعن باطية الخمر^٣ . وكُنِّي بـ (أبي سودة) في موضع آخر^٤ .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان الى رجل غريب لم يكن من لحم ، اسمه إياس بن قبيصة الطائسي^٥ ، أو إياس بن قبيصة بن أبي عفراء ، أو إياس بن قبيصة بن النعمان بن حية بن سعة^٦ . وله خال اسمه حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان . ويقال انه كان نصرانياً . وقد ذكر له أخ اسمه قيس بن قبيصة كان نازلاً بعين التمر^٧ . وذكر ان والده كان من شعراء جرم، وجرم رهط من طيء^٨ .

-
- ١ الاغانية (١٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) ، الشعر والشعراء (ص ١١٤) ، (عدي بن زيد العبادي) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٤٧) .
 - ٣ رسالة الغفران (ص ١٨٥) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٣) .
 - ٥ حمزة (ص ٧٤) ، (إياس بن قبيصة بن أبي عفراء بن النعمان بن حية بن سعية بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سقر بن هني بن عمرو بن غوث بن طيء) ، شعراء النصرانية (ص ١٣٥) ، ديوان الاعشى (ص ١٦٢) (طبعة الدكتور م . محمد حسين) .
 - ٦ الاشتقاق (٢٣١) .
 - ٧ Rothstein, S. 119.
 - ٨ شعراء النصرانية (ص ٩٣) .

وآل قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق أن عهدت الى إياس ادارة مهيات الحكومة بعد وفاة المنذر ، فكث أشهراً ملكاً يدير أمور الملك الى أن أعطي التاج للنعمان أبي قابوس . ويظهر من روايات الأخباريين انه كان مقرباً من كسرى لأنه ساعده حينما هرب من بهرام ، وأهدى اليه فرساً وجزوراً ، ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم^١ . فلما فرّ أبناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك مدة ، تذكر كسرى فضل هذا الرجل عليه فعيّنه ملكاً على الحيرة ، وعيّن معه رجلاً فارسياً اختلفوا في اسمه ، فقالوا : (الهمرجان) و (البحرجان) و (النخرجان) و (التخرجان)^٢ . وهو اختلاف يسير ، يعود سببه على ما يظهر الى عدم تمكن النساخ أو الرواة من ضبط الكلمة . والظاهر انها وظيفة ومركز ، حسبها الرواة اسم علم ، فأطلقوها على شخص^٣ . وقد كان كسرى قد عيّن مدة أشهر على الحيرة ، وذلك قبل أن ينتقل الملك الى النعمان^٤ .

وذكر الأخباريون ان كسرى بن هرمز كان يتيمن بـ (إياس) ، ويفزع اليه في حروبه ويعجبه ، وانه استنجد به في حربه مع قيصر ، فتعقبه حتى أدركه في موضع (ساتيدما) فأثنى القتل في جنوده ، ونجا قيصر في خواص من أصحابه بصعوبة . وأصيب إياس بمرض في هذه السفرة ، أشار الأعشى في شعره اليه^٥ . وللأعشى قصائد في مدح إياس ، وكانت له صلة به ، وقد أغدق عليه نعمه^٦ .

وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصبهاني أن كسرى كان قد عين إياساً على عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات^٧ . ويظهر من هذه الرواية ومن رواية وفاته في عين التمر ووجود أخيه فيها أن عين التمر كانت من مناطق نفوذ هذه الأسرة حتى في أيام ملك آل لحم .

وذكر (الدينوري) أن كسرى ولي إياس بن قبيصة الطائي ثمانية أشهر ،

-
- ١ الطبري (١٥٢/٢) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٤) ، ابن الاثير (٢٠٠/١) شعراء النصرانية (١٣٧) .
 - ٣ Nöldeke, Sassa. 152, Rothstein, S. 120.
 - ٤ شعراء النصرانية (١٣٥) ، الطبري (١٩٤/٢) (دار المعارف) .
 - ٥ ديوان الاعشى (ص ١٥٩) (طبعة كاير) البلدان (٦/٥) (مادة ساتيدما) .
 - ٦ ديوان الاعشى ، القصائد ٢١٠ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٧٩ .
 - ٧ الاغانى (١٣٤/٢١) .

واضطرب أمر كسرى وجاء الاسلام ومات إياس بعين التمر ، وفيه يقول
زيد الخيل :

فان يكُ رب العين خلى مكانه فكل نعيم لا محالة زائل

وذكر بعض أهل الأخبار أن حكم إياس دام تسع سنين^١ .
ولا نعرف شيئاً مهماً قام به إياس في أثناء توليه الملك ، ويظهر أن حكمه
لم يكن يتجاوز هذه المنطقة التي أشار اليها الاخباريون ، ولم يشر الاخباريون الى
قيامه بغارات على عرب الشام . أما الشيء المهم الذي وقع في أثناء توليه الحكم ،
فهو يوم ذي قار .

ذو قار :

وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط^٢ . وبالقرب
منه مواضع منها حنو ذي قار وقرقر وجبابات ذي العجرم وجدوان وبطحاء
ذي قار^٣ . ويقع حنو ذي قار على ليلة من ذي قار^٤ .
يرجع الاخباريون سبب وقوع ذي قار الى مطالبة (كسرى ابرويز) هانئ
ابن قبيصة بن هانئ بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيان بتسليم الودائع
التي أودعها النعمان لديه اليه . فلما أبى هانئ تسليم ما أؤتمن عليه لغير أهله ،
غضب كسرى ، فبعث الى الهامرز التستري ، وهو مرزبان الكبير ، وكان مسلحه
في القطقطانة ، والى جلابزين وكان مسلحه في بارق ، كما كتب الى قيس بن
مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى استعمله على سفوان
بأن يرافقوا إياساً فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود
والفيلة عليها الأساورة ، فالتحموا بأرض ذي قار . فلما كان اليوم الأول ، استظهر
الفرس على العرب ، ثم جزعت الفرس في اليوم الثاني من العطش ، فصارت
الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وباقي العربان ، فعطش الأعاجم ، ومالوا الى بطحاء
ذي قار وبها اشتدت الحرب ، وانهزمت الفرس ، وكسرت كسرة هائلة ، وقتل

- ١ المعارف (ص ٢٨٤) ، المحبر (٣٥٩ وما بعدها) .
- ٢ البلدان (٨/٧) .
- ٣ Rothstein, S. 121.
- ٤ البلدان (٨/٧) .

أكثرهم وفيهم الهامرز وجلازين ، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً ،
وانتصفت فيه العرب من العجم^١ .

ويوم ذي قار لم يكن اذن يوماً واحداً ، أي معركة واحدة وقعت في ذي قار
وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس ، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم
ختمت بـ (ذي قار) ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك من ثم
الى هذا المكان . ومن هذه الأيام : يوم قُراقر ، ويوم الحنو . حنو ذي قار ،
ويوم حنو قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي العُجرم ، ويوم الغدوان ، ويوم
البطحاء : بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار^٢ .

أما متى وقع يوم ذي قار ، فالمؤرخون مختلفون في ذلك ، منهم من جعله في
يوم ولادة الرسول ، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى^٣ ،
ومنهم من جعله قبل الهجرة^٤ . وقد ذهب (روتشتاين) الى انه كان حوالي
سنة (٦٠٤ م) ، وذهب نولدكه الى انه بين (٦٠٤) و (٦١٠ م)^٥ . وأكثر
أهل الأخبار انه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثاً قالوا إن الرسول لما بلغه
من هزيمة ربيعة جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من
العجم ، وبني نصرُوا »^٦ .

والذي يستنتج من روايات أهل الأخبار عن معركة ذي قار ان (هانيء بن
مسعود الشيباني) ، لم يكن قائد بني شيبان ولا غيرها من العرب يوم ذي قار ،
بل تذهب بعض الروايات الى انه لم يدرك هذا اليوم ، لأنه هلك قبله ، وانما هو :

- ١ الطبري (١٥٢/٢ وما بعدها) (المعارف) (ص ٦٠٣) ، البلدان (٨/٧ وما
بعدها) شعراء النصرانية (ص ١٣٧) ، مجمع الامثال (٣٥٢/٢) ، العمدة ،
لابن رشيقي (١٦٩/٢) ، حمزة (ص ٩١) ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار
البشر ، (١٠١/١) ، (دار الكتاب اللبناني) ، مروج الذهب (٢٣٦/١) ،
(وكتب كسرى الى قيس بن خالد ، وكان عاملاً له على الطف) ، العمدة (٢١٨/٢)
(وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى) ، العمدة (٢١٨/٢) .
- ٢ الطبري (١٩٣/٢) وما بعدها .
- ٣ البلدان (٩/٧ وما بعدها) ، التنبيه والاشراف (ص ٢٤١) . (بيروت)
- ٤ المحبر (ص ٣١٠) .
- ٥ Rothstein, S. 123.
- ٦ الطبري (١٩٣/٢) (دار المعارف) ، التنبيه ص (٢٤١) (بيروت ١٩٦٥ م) ،
الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .

(هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود)^١ . وترى روايات أخرى أن (هانيء ابن مسعود) ، كان يخشى عاقبة هذه الحرب وانه لم يكن يريد مقابلة الفرس ، وكل ما كان يريده هو الاحتفاظ برهينة النعمان ، وأن الفرس عندما دنوا من العرب بمن معهم : « انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانثاً ، فقال له : أعط قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل . فقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانيء : « يا معشر بكر ، إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا القلابة . فتسارع الناس الى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا ، فلم ترد علي أن ألقيتنا في الهلكة ، فرد الناس وقطع وضنّ الموادج ، لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي مقطع الوضن - ، وهي حزم الرجال . ويقال : مقطع البطن ، والبطن حزم الأقتاب ، وضرب حنظلة على نفسه قبة يبطحاء ذي قار ، وآلى ألا يفر حتى تفر القبة . ففضى من مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماءً لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالحنسو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وعجل »^٢ ، « فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم ، فالوا الى بطحاء ذي قار ، فأرسلت إياد الى بكر سراً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أي الأمرين أعجب اليكم . أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل نقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم » . فلما التقى القوم في مكان من ذي قار يسمى (الجب) اجتلدوا والتحموا ، فانهزمت (إياد) كما وعدتهم ، وانهزم الفرس^٣ .

ويذكر (الطبري) في رواية من رواياته عن (ذي قار) أن الناس توامروا فلولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يتيمنون به ، فقال

-
- ١ الطبري (٢٠٦/٢) ، معجم (١٠٢٤/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
 - ٢ الطبري (٢٠٦/٢) ، معجم (١٠٤٢/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
 - ٣ الطبري (٢٠٨/٢) وما بعدها ، العقد الفريد (٣٨٣/٣) وما بعدها ، (٢١١/٥) ، الكامل ، (٢٨٥/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (٤٣١/١٥) وما بعدها ، صبح الاعشى ، (٣٩٢/١) (دار الكتب) .

لهم : لا أرى إلا القتال ، فتبعوا أمره ، وهو الذي تولى إدارة القتال ، فكان له شأن كبير فيه ، وقد قاد قومه من (بني عجل) في ذلك القتال ، فله النصيب الأكبر منه^١ . وقد احتل (حنظلة) مسيرة (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) رئيس بكر في القتال الذي جرى في ذي قار في موضع الجب^٢ .

وكان (هانيء بن قبيصة) رئيس بكر يشغل القلب في أثناء الهجوم على الفرس يوم الجب في ذي قار ، وكان على ميمنته (يزيد بن مسهر الشيباني) ، و (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي) على يسارته يحميه من كل هجوم جانبي يقع عليه من الميسرة ، كما ذكرت^٣ .

وكان (يزيد بن حمار السكوني) ، وهو حليف لبني شيبان ، قد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار هو الجب ، فلما جاء إياس بن قبيصة مع الفرس الى هذا المكان ، خرج مع كمينه ، فباغت إياساً ومن معه ، وولت إباد منهزمة ، فساعد بذلك كثيراً في هزيمة الفرس^٤ .

فهؤلاء المذكورون اذن هم الذين قادوا نصر العرب على الفرس . وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن الحرب الرئيسية دارت على بني شيبان ، ورئيس الحرب هو (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) . أما (حنظلة) فكان صاحب الرأي^٥ . ولكن الذي يظهر من دراسة مختلف الروايات ان شأن حنظلة في القتال كان أهم وأعظم من شأن هانيء فيه ، حتى لقد ذكرت بعض الروايات انه هو الذي ولي أمر القتال بعد هانيء ، وان القوم صيروا الأمر اليه بعد هانيء في معركة (جب ذي قار) وانه هو الذي قتل (جلابزين) ، وان كتيبته (كتيبة عجل) قامت بأمر عظيم في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة الفرس^٦ . وكان حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي من سادات قومه ، وهو صاحب قبة ،

١ الطبري (٢٠٧/٢ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٠٩/٢) .

٣ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٦٢٦/٢) (دار الكتب اللبنانية) .

٤ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) .

٥ الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها) .

٦ الطبري (٢١٠/٢) (دار المعارف) .

ضربت له يوم ذي قار ويوم فلج^١ ، ولا تضرب قبة الا الملك أو سيد . وكانت له بنت يقال لها (مارية) ، كانت معه في هذه المعركة ، وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أنجر . وأورد الطبري شعراً في يوم ذي قار نسبته الى (يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار) ، واذا كان يزيد هذا هو حفيد حنظلة كما يظهر من سياق النسب ، يكون حنظلة اذ ذاك كبيراً في السن . وقد نسب الطبري الى حنظلة شعراً ذكر انه قاله في يوم ذي قار^٢ .

وذكر ان (النعمان بن زرعة التغلبي) هو الذي أشار على كسرى بمهاجمة (هانيء بن مسعود الشيباني) في ذي قار ، وكان يحب هلاك بكر بن وائل ، وان إياداً وهي في الحرب اتفقت سراً مع بكر على الحرب ، فهربت حين كان إياس بن قبيصة والفرس يقاتلون بكراً ، فاضطرب صف العجم، وولوا الادبار ، فقتل منهم من قتل ، وأسر عدد كبير . وأسر (النعمان بن زرعة التغلبي)^٣ .

والروايات عن معركة ذي قار ، هي على شاكلة الروايات عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً، من حيث تأثرها بالعواطف القبلية وأخذها بالتحيز والتعزب . فترى فيها تحيزاً لبني شيبان يظهر في شعر (الأعشى) لهم، اذ يمدحهم خاصة ، مما أدى الى غضب غيرهم مثل (الالهازم)^٤ ، ونرى فيها اعطاء فخر لفلان وحبسه عن فلان . ولذلك يجب على الباحث عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزواتها أن يفتن لذلك .

وشعر الأعشى ، أعشى بكر ، في ذي قار ، ومدحه قومه (بني بكر) ، شعر مهم للوقوف على حوادث تلك المعركة وكيف جرت^٥ . ولبيكر : أصم بني الحارث ، شعر أيضاً يمدح فيه بني شيبان ويمجد عملهم وفعلهم في هذا اليوم^٦ . وقد هجا (أعشى بكر) في قصيدة له عن يوم ذي قار وعن مقام عشيرته

- ١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
- ٢ الطبري (٢٠٩/٢ وما بعدها) .
- ٣ ابن الاثير (١٧٣/١ وما بعدها) ، الطبري (٦١٢/١) ، الاغانى (١٢٧/٢) ، ابن خلدون ، القسم الاول ، المجلد الثاني (ص ٥٥٦) ، (منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر) بيروت ١٩٥٦ م . العمدة (٢١٨/٢) .
- ٤ الطبري (٢١١/٢) .
- ٥ الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .
- ٦ الطبري (٢١١/٢) (دار المعارف) الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها)

ومكانته فيه تميماً وقيسَ عيلان ، ثم تعرض لقبائل معد ، فقال :
لو أن كل معد كان شارَكنا في يوم ذي قار ، ما أخطاهم الشرف^١
ونجد شعراً للعديل بن الفرخ العجلي^٢ ، يفتخر فيه بقومه ويتباهى بانتصارهم
على الفرس في هذا اليوم ، فيقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا ، وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بندي قار
جئنا بأسلابهم والخيـل عابسة يوم استلبنا لكسرى كل أسوار^٣

وكان هانيء بن قبيصة ، من أشرف قومه ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام
فلم يسلم ، ومات بالكوفة^٤ . أما (قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي
الجدين) ، فكان سيد قومه في أيامه ، وذلك قبل الإسلام . وكان كسرى استعمله
على (طف سفوان)^٥ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن هناك يوماً آخر ، عرف بيوم (ذي قار) ،
وقد وقع أيضاً بين العرب والفرس ، فانتصر فيه العرب أيضاً ، وقد وقع قبل
اليوم المذكور ، فعرف لذلك بيوم ذي قار الأول ، وبيوم صيد ، وبيوم القبة .
وكان سبيه أن بكر بن وائل أصيبت بسنة (أي قحط) فخرجت حتى نزلت
بندي قار ، وأقبل حنظلة بن سيار العجلي ، حتى ضرب قبه بين ذي قار وعين
صيد ، وكان يقال له (حنظلة القياب) ، وكانت له قبة حمراء ، إذا رفعها
انضم إليه قومه ، فأثاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منه ، فأبوا ، فقاتلهم
فهزموه وانتصروا عليه^{*} .

وقد نسب الى (زيد الخيل) شعر^{*} ، زعم انه قاله يذكر لإياس بن قبيصة
الطائي هو :

-
- ١ الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (٤٣١/١٥ وما بعدها) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣٧٥/١) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢١٦) .
 - ٤ الطبري (٢٠٧/٢) (دار المعارف) .
 - ٥ البكري (١٠٤٢/٣) .

أفي كل عام سيد يفقدونه تحكك من وجد عليه الكلاكل ؟
ثم يكون العقل منكم صحيفة كما علقت على السلم الجلاجل ؟

وقد قال (ابن قتيبة الدينوري) في تفسيره : « كان كسرى أرسل الى مال إياس ليأخذه فنفرت عن ذلك طيء ، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم . فلما رأى ذلك كسرى ، كتب لهم كتاباً في أمان ، فقال زيد شعراً ، هذان البيتان فيه ، يحض قومه ، وينهاهم أن يقبلوا كتابه ، أو يطمثوا الى قوله^١ . وليس في هذا الشرح كما نرى تفسيراً للسبب الذي دفع كسرى الى المطالبة بمال إياس . هل كان ذلك بسبب اختلافه معه ، أو بسبب آخر . ولا يعقل أن تكون هذه المطالبة في حالة صلح وعلاقات طيبة بين الجهتين ، بل لا بد أن تكون عن ظروف سيئة لم يتطرق لها (ابن قتيبة) .

وعندي ان هذه الحادثة ان صحت روايتها ، وجب أن تكون قد وقعت بعد موت (إياس) ، وتركه ثروة وأملاكاً طائلة ، فأراد الفرس الاستحواذ عليها ، وأخذ ما جمعه من مال ، فحدث ما حدث .

وذكر الأخباريون بعد (إياس) رجلاً فارسياً قالوا انه هو الذي حكم (الخيرة) وملكها في زمن (أبرويز) ، وفي زمن شيرويه بن أبرويز ، وفي زمن أردشير ابن شيرويه ، وفي زمن بوران بنت أبرويز ، وذكروا ان مدة حكمه سبع عشرة سنة أو أقل من ذلك . وسموا هذا الرجل (أزادبه بن ماهيبان بن مهرا بنداد)^٢ أو (أزادبه بن يابيان بن مهر بنداد الهمداني)^٣ ، أو (آزادبه بن ماهان بن مهر بنداد الهمداني) أو (زادويه الفارسي) . حكم سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً^٤ . ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً ، فلا نعرف من أعماله أي شيء مع طول مدة حكمه ان صحت رواية الأخباريين .

١ المعاني الكبير (١٠٠٨/٢) .

٢ (زادبه بن ماهيبان بن مهرا بنداد الهمداني) ، حمزة (ص ٧٤) ، المجسر (٣٦٠) .

٣ الطبري (١٥٦/٢) .

٤ الطبري (٢١٣/٢) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

وأرى ان (دادويه الفارسي) الذي ذكر (حمزة الأصفهاني) انه كان قد ملك الحيرة ، هو (زادويه) المذكور ، وان النسخ قد أخطأوا في كتابة الاسم فصيروه على هذه الصورة ، او ان (حمزة) نفسه قد أخطأ في التسمية ، أو هو نقلها من كتابين مختلفين أو من مصدر واحد كتبها بصورتين ، فشابهه حمزة ولم ينتبه الى انه صيّر الاسم الواحد اسمين .

وذكر بعض أهل الأخبار ان الذي حكم بعد (آزاذبه) هو (المنذر بن النعمان ابن المنذر) المعروف بـ (الغرور) أو (المغرور) ، وهو المقتول بالبحرين يوم جوثا^١ ، « فكان ملكه وملك غيره الى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر »^٢ . وهو كلام مشكوك فيه . ففي الاخبار أن المنذر لم يحكم الحيرة ، وإنما حكم البحرين في أثناء الردة ، وذلك بأن ربيعة حينما ارتدت عن الاسلام قالت : نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر . فلما حارب المسلمون المرتدين ، منوا بهزيمة منكرة ، وسقط المنذر أسيراً في أيدي المسلمين . ويقال إنه أسلم على أثر ذلك ، وسمى نفسه (المغرور) بدلاً من (الغرور) ، وهو اللقب الذي كان يعرف به قبل اسلامه^٣ .

ويظهر أن النصرانية كانت هي المتفشية في البحرين وفي بني عبد القيس ، وقد كان المنذر الغرور مع المرتدين ، الذين تركوا الاسلام وعادوا الى النصرانية بعد دخولهم في الإسلام^٤ .

وقد ذكر (الطبري) في حديثه عن يوم المقر وفم فرات بادقلي : أن الذي كان يلي أمر الحيرة هو (الآزاذبه) ، وقال فيه : « كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى الى ذلك اليوم »^٥ . وقد كان من أشرف الفرس وسادتهم ، وذكر أيضاً : أن قيمة قلعته خمسون ألفاً ، وقيمة القلنسوة عند الفرس تدل على مكانة صاحبها وشأنه عند الساسانيين . وانه لما سمع بـ (خالد بن الوليد) من الحيرة تهباً لحربه ، وقدم ابنه ، ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسد الفرات ، ولكن خالداً فاجأه وأصاب جيشه فلما بلغ أباه خبر ما حل

-
- ١ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٥) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٢ الاغانى (٤٨ / ١٤) ، ابن الاثير ، الكامل (١٥٤ / ٢) .
 - ٣ الطبري (١٣٦ / ٣) وما بعدها (دار المعارف بمصر) .
 - ٤ الطبري (٣٥٩ / ٣) .
 - ٥ الطبري (٣٥٩ / ٣) .

به ، هرب من غير قتال ، وكان عسكره بين الغرين والقصر الأبيض ، وتمكن بذلك خالد بن الوليد من فتح الحيرة^١ .

فيهم من حديث الطبري عن فتح الحيرة أن المنذر بن النعمان لم يكن قد ولي حكمها ، وأن ما ذكره من توليه الحكم ثمانية أشهر ، يناقض ما ذكره هو فيما بعد عن فتح الحيرة وبقيّة أرض العراق ويخالف كذلك ما ورد في بقيّة كتب أهل الأخبار عن فتوح العراق .

وكان ملوك الحيرة مثل غيرهم من الملوك ، كالغساسنة والساسانيين والروم ، يراسلون مع القبائل وعماهم بالبريد . وكانت برد ملوك العرب في الجاهلية الخيل^٢ ، تنطلق في مراحل ، فإذا بلغ البريد المرحلة المعينة استراح ، وتولى البريد الثاني نقل الرسائل الى المكان المقصود ... وبذلك تمّ المراسلات .

ومن الأسر المعروفة في الحيرة ، العلسيون ، وهم من (كليب) ، وقد نسبوا الى أمهم على ما يذكره أهل الأخبار .

ومن سادات الحيرة وأشرفها (بنو الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير (جمهر) بن لحيان) ، وكان منهم (جابر بن شمعون) الأسقف من أساقفة الحيرة المعروفين ، وهو صاحب القصر الأبيض بالحيرة^٣ .

وقد اشتهرت الحيرة بسوقها ، إذ كان الأعراب وتجار جزيرة العرب يقصدون السوق لبيع تجارتهم وشراء ما فيها من سلع نفيسة مطلوبة في بلاد العرب . وقد اشتهرت بنوع خاص من السيوف ، قيل لها (السيوف الحاربية) ، كما عرفت بصناعة الأنماط^٤ .

واشتهرت الحيرة بقصرها المعروف بـ (الخورنق) . وهو قصر يقع على ثلاثة أميال منها ، ويقال إنه بني على نهر : بناه للنعمان المعروف بالأعور بناءً رومي اسمه (سمار) في عشرين سنة . وقد لقي البناء مصرعه بسبب هذا القصر ، في

١ الطبري (٣٥٩/٣) وما بعدها .

٢ قال امرؤ القيس الكندي :

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بريرا

الكامل ، للمبرد (٢٨٦/١) .

٣ الإغاني (١١٥/٢) .

٤ مروج الذهب (٩٠/٢) وما بعدها ، البلدان (٣٢٨/٢) ، فتوح البلدان (٢٤٥)

قصص يرويها عنه أهل الأخبار ، ويضربون به المثل في المكافأة على الفعل الحسن بالقيح^١ .

ولأهل الأخبار آراء في التسمية : منهم من يقول إنها عربية ومن أصل عربي ومنهم من يقول إنها فارسية ، وأن اللفظة معربة .

وارتبط باسم (الخورنق) اسم قصر آخر هو (السدير) . وقد بني في البرية ، فهو أبعد من الخورنق عن الحيرة^٢ . ولأهل الأخبار كعادتهم في تعليل الأسماء العادية مذاهب في التسمية . ويرجح المستشرقون أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية^٣ . وقد كان ذا قسب ثلاث ، ويتألف من ايوان ينتهي الى غرفه ، وعلى جانبيه غرفتان . ويظهر من روايات أهل الأخبار انه كان أقدم عهداً من الخورنق ، وإن ملوك آل نخم كانوا يقيمون فيه في قديم الزمان^٤ .
وذكر أن (السدير) نهر بالحيرة ، قال عدي :

سرّه حاله وكثرة ما يد سلك ، والبحر مُعْرِضاً ، والسدير^٥

وفي شعر ينسب الى الأسود بن يعفر ، ذكر للقصرين المذكورين ، رثى الشاعر فيه حال (آل محرق) ، وتألم وتوجع لما نزل وحل بهم ، كما توجع لإياد ، إذ قال :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إياد ؟
أرض الخورنق والسدير وبارق^٦ والقصر ذي الشرفات من سنداد^٧

١ القاموس (٢٢/٣) تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، (٧٩/١) ،
مراصد الاطلاع (٤٩٨/١) ، اللسان (٧٨/١) ، اليعقوبي (١٧٠/١) ، أمثال
العرب ، للمفضل الضبي (ص ٩٦) .

٢ الجوهري ، تاج اللغة (٣٣٠/١) ، البكري ، معجم (٧٢٩/١) ، ابن سيده ،
المخصص (١٢٦/٥) ، الديارات ، للشابشتي (١٥٢) ، مراصد الاطلاع
(٦٩٩/١) .

٣ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية شهد لي ، أي ثلاث شعب ، أو ثلاث
مداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية) ، اللسان (٣٥٥/٤) .

٤ الديارات (١٥٢) .

٥ اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، (سدر) .

٦ اللسان (١٨/١١) وما بعدها ، (صادر) ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء
(١١٦ وما بعدها) .

ويجب أن يكون هذا الشعر قد نظم بعد نكبات حلت ب (آل محرق) ،
حملتهم على ترك ديارهم وعلى زوال سلطانهم عنها ، أي بعد النكبة التي حلت
بالنعمان بن المنذر بعد زوال دولة المناذرة .

وبارق : اسم موضع على مقربة من الكوفة ، وموضع آخر في السّواد على
مبعدة من الكوفة^١ . أما (سنداد) فمن مواضع لباد .

ومن الأماكن التي تنسب إلى ملوك الحيرة موضع يعرف باسم (الدوسر) ،
قيل أنه من أبنية أحد أمراء الحيرة . وقد ملكه (جعبر بن مالك) ، وهو من
(بني قُشَير) ، فنسب إليه ، وعرف بـ (قلعة جعبر) . ويظن أنه موضع
(Dausara) الذي ذكره (اسطيغان البيزنطي) . ويقع على الشاطئ الأيسر لنهر
الفرات. ومن أسمائها عند اليونان (Dausas) و (دونه) (Daune) و (Dabanae)^٢ .

ومن المواضع القريبة من الحيرة موضع يعرف بـ (الخصوص) ، تنسب إليه
(الدنان) ، ذكر في (صادية) (عدي بن زيد العبادي)^٣ . وموضع (عمير
للخصوص) وهو قرية من قرى الحيرة . ودير قرة ، وهو بإزاء (دير الجاجم)
منسوب إلى (قرة) ، وهو رجل من لحم بناه على طرف البر أيام النعمان^٤ .

وقد تأثر فن بناء القصور في الحيرة وما والاها من قصور (آل لحم) بالفن الساساني
فصار في القصر رواق في الوسط هو مجلس الملك ، وهو الصدر ، وجناحان هما كُمان
يُكوّنان طرفي الرواق ، ميمنة وميسرة . وقد صار هذا الطراز من البناء سمة
من سمات بناء قصور الحيرة ، وكذلك تأثر تزويق جدران بيوت الحيرة ونقشها
بطريقة الفن الساساني في تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها . وقد أثرت طريقة
أهل الحيرة هذه في فن البناء في مدينة (سامراء)^٥ .

وفي كتاب (مروج الذهب) إشارة إلى قصر المتوكل المعروف بـ (الحيري)

١ اللسان (١٨/١١ وما بعدها) ، (صادر) ، البكري ، معجم (٢٢١/١) ، تاج
العروس (٢٨٥/٦) ، مراصد الاطلاع (١٥١/١) ، المعارف (٦٤٧) ، (ثروت
عكاشة) ، العقد الفريد (٣٨٤/٣) ، مقاييس اللغة (٢٢٧/١) .

٢ رحلة بنيامين ، (ص ١٢٣) .
٣ ابلغ خليلي عبد هند فلا زلت قريبا من سواد الخصوص

رسالة الغفران (١٨٦) .

٤ رسالة الغفران (١٨٧) .

٥ Die Araber, I, S., 607, Franz Altheim und Futh Stiehl, Asain und Rom,

Tübingen, 1952, S., 49.

والكَمِين ، قال فيه : « وأحدث المتوكل في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحييري والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض ستمّاره حدثه في بعض الليالي : أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة على صورة الحرب وهيأتها للهجته بها وميله نحوها لثلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك ، وهو الصدر ، والكمّان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكُمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منها خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحييري والكمين إضافة إلى الحيرة . واتبع الناس المتوكل في ذلك اثماً بفعله ، واشتهر إلى هذه الغاية »^١ . وفي هذا الوصف وصفه لذلك القصر الذي بناه أحد النعمانية . ولكن أي نعمان هو ؟ هل هو النعمان صاحب الخورنق أو هو نعمان آخر بنى قصراً آخر في عاصمته الحيرة .

وقد وجد بعض المؤرخين في هذا الوصف دلالة على احتمال كون القصر المعروف بـ (قصر المشتى) ، هو من بناء أحد ملوك الحيرة ، إذ وجد في خطة بنائه ، وفي هذا الوصف شبهاً حمله على القول باحتمال كونه من أبنيتهم^٢ .

قوائم ملوك الحيرة :

يصعب تصوّر حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة وعددهم ومددهم ، لدعواهم أنهم أخذوا علمهم بهم من كتب كانت مدونة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفرس ، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قوله : « ذكر هشام عن أبيه أنه لم يجد الحادث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب ، قال : وظنّني أنهم إنما تركوه لأنه توثب على الملك بغير إذن ملوك الفرس ، ولأنه كان بمنزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، وإنما كان سياراً في أرض العرب »^٣ . ومثل ملاحظة أخرى

١ مروج (٣٦٩/٢) . (القاهرة ١٣٤٦ هـ) (طبعة عبد الرحمن محمد) ، (٤/٤) وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
٢ Die Araber, I, S. 595.
٣ حمزة (ص ٧١ وما بعدها) .

لابن الكلبي أشرت إليها سابقاً، هي دعواه انه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها^١ . فدعاوى مثل هذه لا تصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة: ومبالغ أعمارهم وتأريخ سنيهم وأمثال ذلك ، مع إننا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وفي ترتيب توليهم الحكم ومقدار سنيهم وأمثال ذلك . والعجب أنهم يعتمدون على مورد أو موارد مشتركة قد يشيرون إليها ، ثم إذا بهم يختلفون في أمور ما كان ينبغي وقوع اختلاف ما فيها لأخذها من مورد مشترك أو موارد مشتركة .

وعدة ملوك الحيرة قد يزيد على العشرين ملكاً بقليل عند بعض الأخباريين ، وقد ينقص عن هذا العدد عند بعض آخر . وقد ذهب المسعودي الى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وأن مدة ملكهم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر^٢ ؛ وذهب حمزة الى أن مدة ما حكمه ملوك الحيرة منذ عهد عمرو بن عدي الذي اتخذها منزلاً الى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمسمائة وبضع وثلاثون سنة^٣ .

ونحن اذا فحصنا القوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة، وفحصنا ما ذكره من مدة حكم كل ملك لإجمالاً ، ثم قابلناه بما ذكره بالنسبة الى حكم ذلك مجزئاً على مدد حكمه بالقياس الى من حكم في زمانه من ملوك الفرس ، نجد اختلافاً بين ما ذكره لإجمالاً ثم ما ذكره تفصيلاً ، كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الاجالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها لحكم كل ملك أيضاً على وجه الاجال ، مما يدل على أنهم لم ينتبهوا الى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين .

ونجد قائمة (ابن الكلبي) لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ومقدار حكم كل ملك بالنسبة الى من عاصره من ملوك الفرس مدونة في تأريخ الطبري وفي تأريخ حمزة وفي تواريخ أخرى . ولاقتصار ابن الكلبي على ذكر مدد حكم ملوك

-
- ١ الطبري (٣٧/٢) .
 - ٢ مروج (٢٨/٢) .
 - ٣ حمزة (ص ٦٦) .

الحيرة إجمالاً ، ثم ذكرها تفصيلاً بما يقابل ذلك من سني حكم الأكاسرة دون الإشارة أبداً الى ما يقابل ذلك أيضاً بالقياس الى القياصرة ، نستطيع أن نقول إن ابن الكلبي لم يغرف من موارد تأريخية استندت الى تواريخ الروم أو السريان ، وإنما غرّف من مناهل تأريخية فارسية أو معتمدة على الموارد الفارسية، ومن موارد أهل الحيرة وهي موارد يظهر أنها لم تكن تعتمد على أصول قديمة مدونة لتواريخ الحيرة ، لأن أكثر ما رووه لا يختلف في طبيعته في الغالب عن النوع الذي ألفناه من أخبار الأخباريين .

وقد جزأ الطبري قائمة ابن الكلبي للملوك الحيرة ، فوضعها قطعاً قطعاً في ثنايا حديثه عن ملوك الفرس وفي المناسبات، ولم يذكرها جملة واحدة في مكان واحد ، أو في فصل مستقل خاص كما فعل غيره من المؤرخين ، وتبلغ جملة ملوك الحيرة عشرين ملكاً ، وقد ذكر مع كل ملك مقدار ما حكمه من سنين وأسماء من عاصروهم ذلك الملك من الأكاسرة .

أما هؤلاء الملوك فهم :

١ - عمرو بن عدي ، وقد عاش مئة وعشرين سنة وحكم على حد قول ابن الكلبي مئة سنة وثمانين سنة من ذلك في زمن (أردوان) و (ملوك الطوائف) خمس وتسعون سنة وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة . من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي زمن سابور بن أردشير ثمانين سنة وشهران .

٢ - امرؤ القيس البدء ، وقد عاش مملكاً في عمله مئة سنة وأربع عشرة سنة من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً، وفي زمن هرمز بن سابور ستة وعشرة أيام، وفي زمن بهرام بن هرمز بن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانين سنة . ولكنك اذا جمعت هذه المدد وقابلت حاصل الجمع ، وجدت فرقاً كبيراً بين ما زعمه ابن الكلبي من انه حكم ١١٤ سنة ، ثم ما زعمه هو نفسه من حكم هذا الملك مجزئاً بالنسبة الى ملوك الفرس .

٣ - عمرو بن امرؤ القيس ، وقد حكم على رواية ابن الكلبي أيضاً ثلاثين سنة . وعاصر من الملوك سابور وأردشير بن هرمز بن نرسي وبعض أيام سابور بن سابور .

٤ - أوس بن قلام ، وقد حكم خمس سنين في أيام سابور بن سابور وبعض أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف .

٥ - امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس ، وقد حكم خمساً وعشرين سنة . حكم في أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف ، وهلك في عهد يزدجرد الأنيم .

٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وقد ملك تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام بن يزدجرد أربع عشرة سنة . وينقص ذلك أربعة أشهر عن العدد الاجمالي الذي ذكره ابن الكلبي .

٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانين سنة وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانين سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ - الأسود بن المنذر ، وقد حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين .

٩ - المنذر بن المنذر بن النعمان وقد ملك سبع سنين .

١٠ - النعمان بن الأسود بن المنذر ، وكان ملكه سبع سنين .

١١ - أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل ، وكان ملكة ثلاث سنين .

١٢ - المنذر بن امرئ القيس البدء ، وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة .

١٣ - عمرو بن المنذر ، وكان جميع ملكه ست عشرة سنة .

١٤ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين : ثمانية أشهر منها في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان .

١٥ - السهرب .

١٦ - المنذر بن المنذر أبو النعمان ، وقد ملك أربع سنين .

١٧ - النعمان بن المنذر أبو قابوس ، وقد ملك اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في زمن هرمز بن أنو شروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

١٨ - إياس بن قبيصة الطائي ومعه النخير جان ، وقد ملك تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز .

١٩ - آراذبه بن بایان بن مهر بنداذ الهمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة : في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً .

٢٠ - المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك ثمانية أشهر .
هذه هي قائمة أسماء ملوك الحيرة كما رواها الطبري عن ابن الكلبي^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة) :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - جذيمة الأبرش .
- ٣ - عمرو بن عدي .
- ٤ - امرؤ القيس ، ويقال : بل ملك الحارث بن عمرو بن عدي .
- ٥ - النعمان بن امرئ القيس .
- ٦ - المنذر بن امرئ القيس .
- ٧ - المنذر بن المنذر بن امرئ القيس .
- ٨ - عمرو بن هند .
- ٩ - النعمان بن المنذر .
- ١٠ - إياس بن قبيصة^٢ .

أما (محمد بن حبيب) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :
(عمرو بن عدي بن نصر) و (امرؤ القيس البدء) وهو الأول ، فابنه (عمرو)
ف (أوس بن قلام بن بطينا بن حمير بن لحيان) ، و (امرؤ القيس) البدء ،

١ الطبري (٢/٢١٣ وما بعدها) ، (ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك
الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند) ، (دار المعارف) .
٢ المعارف (ص ٦٤٥ وما بعدها) .

وهو (محرق الأول) ، ف (النعمان بن امرئ القيس البدء) ، فابنه (المنذر) ، فابنه (الأسود) ، فأخوه (المنذر) ، فابن أخيه (النعمان بن الأسود) ، ف (أبو يعفر بن علقمة بن مالك) ، ف (المنذر بن امرئ القيس) ، ف (عمرو ابن المنذر بن امرئ القيس) ، ف (قابوس بن المنذر) ، ف (السهري) ، الفارسي ، ف (المنذر بن المنذر) ، ف (أبو قابوس النعمان بن المنذر) ، ف (إياس بن قبيصة الطائي) ، ف (آزاذبه) ، ف (الغرور المنذر بن النعمان ابن المنذر) ، وهو المقتول بالبحرين يوم (جواتا)^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية اليعقوبي :

- ١ - عمرو بن عدي ، وقد ملك خمساً وخمسين سنة .
- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو ، وقد ملك خمساً وثلاثين سنة .
- ٣ - الحارث بن عمرو ، وقد ملك سبعاً وثمانين سنة .
- ٤ - عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك أربعين سنة .
- ٥ - المنذر بن امرئ القيس .
- ٦ - النعمان .
- ٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٨ - عمرو بن المنذر .
- ٩ - عمرو بن المنذر الثاني .
- ١٠ - قابوس بن المنذر .
- ١١ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين .
- ١٢ - النعمان بن المنذر^٢ .

ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي :

- ١ - عمرو بن عدي ، وكان ملكه مئة سنة .

١ المحبر (ص ٣٥٨ وما بعدها) .
 ٢ اليعقوبي (١٦٩/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك ستين سنة .
- ٣ - عمرو بن امرئ القيس ، وقد ملك خمساً وعشرين سنة .
- ٤ - النعمان بن امرئ القيس ، وقد حكم خمساً وستين سنة .
- ٥ - المنذر بن النعمان ، وكان حكمه خمساً وثلاثين سنة .
- ٦ - المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك أربعاً وثلاثين سنة .
- ٧ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .
- ٨ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٩ - النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .
- ١٠ - لياس بن قبيصة الطائي ، وكان ملكه تسع سنين .

هذه هي أسماء ملوك الحيرة الذين ذكرهم المسعودي ، وقد نص هو على أن عدة ملوك الحيرة ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصير وغيرهم من العرب والفرس ، ومدة ملكهم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر^١ . ونص في كتابه (التنبيه) ، على أن « عدة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيفاً وعشرين ملكاً ، ملكوا خمس مئة سنة واثنتين وعشرين سنة وشهوراً »^٢ .

قائمة حمزة للملوك الحيرة :

- ١ - عمرو بن عدي ، وكان جميع ما ملكه مئة وثمانين عشرة سنة . ذلك في زمن ملوك الطوائف خمسة وتسعون سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ، منها في أيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي أيام شاپور بن أردشير ثمانين سنين وشهران .
- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك مئة وأربع عشرة سنة ، منها في زمن شاپور بن أردشير ثلاث وعشرين سنة ، وفي زمن هرمز بن شاپور ستة وعشرة أشهر ، وفي زمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر ، وفي زمن

١ مروج (١٦/٢ وما بعدها) .

٢ التنبيه (ص ١٥٨) .

بهرام بن بهرام ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ، وفي زمن نرسي بن بهرام بن بهرام تسع سنين ، وفي زمن هرمز بن نرسي ثلاث عشرة سنة ، وفي زمن شابور ذي الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر .

٣ - عمرو بن امرئ القيس ، وقد ملك ستين سنة ، من ذلك في زمان شابور ذي الأكتاف إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن أردشير أخي شابور خمس سنين ، وفي زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر .

٤ - أوس بن قلام ، وقد ملك خمس سنين في زمن أردشير أخي شابور .
٥ - امرؤ القيس ، وقد حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، من ذلك في زمن شابور بن شابور خمس سنين ، وفي زمن بهرام بن شابور إحدى عشرة سنة ، وفي زمن يزدجرد بن شابور خمس سنين وثلاثة أشهر .

٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، من ذلك في زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ - الأسود بن المنذر ، وقد ملك عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد ابن فيروز ست سنين .

٩ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٠ - النعمان بن الأسود ، وكان ملكه أربع سنين في زمن قباد .

١١ - أبو يعفر بن علقمة الذميلي : وكانت مدة حكمه ثلاث سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٢ - امرؤ القيس بن النعمان ، وكان ملكه سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٣ - المنذر بن امرئ القيس ، وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة ، من ذلك في زمن قباد بن فيروز ست سنين ، وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباد ستاً وعشرين سنة .

- ١٤ - الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .
- ١٥ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه ست عشرة سنة .
- ١٦ - قابوس بن المنذر ، وكان حكمه مدة أربع سنين في زمن أنو شروان .
- ١٧ - فيشهرت ، وقد حكم سنة في زمن أنو شروان .
- ١٨ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين ، منها ثمانية أشهر في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن كسرى أنو شروان .
- ١٩ - النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك سبع سنين وثمانية أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان ، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر في زمن كسرى بن هرمز .
- ٢٠ - إياس بن قبيصة ومعه (البحر جان) (النخر جان) ، وكان ملكه مدة سبع سنين في زمن أبرويز .
- ٢١ - زاديه بن ماسهبيان بن مهرا بندگان الهمداني ، وقد ملك سبع عشرة سنة ، من ذلك أربع عشرة سنة وثمانية أشهر في زمن أبرويز ، وثمانية أشهر في زمن شيرويه بن أبرويز ، وسنة وسبعة أشهر في زمن أردشير بن شيرويه ، وشهراً واحداً في زمن بوارن بنت أبرويز .
- ٢٢ - المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان ملكه وملك غيره الى أن ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر^١ .
- وقد ذكر حمزة أن جميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة خمسة وعشرون ملكاً حكموا في مدة سبائة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً . لكنه ذكر في مكان آخر أن الحيرة عمرت « خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة الى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الاسلام^٢ » .
- وقد استند حمزة في تأليف قائمته هذه على رواية ابن الكلبي في تاريخ الطبري ، وعلى رواية محمد بن حبيب وعلى ابن قتيبة ، ولذلك خالفت قائمته هذه بعض المخالفة قائمة الطبري في الأسماء وفي السنين .

١ حمزة (ص ٦٥ وما بعدها) ، (٧٥) .

٢ حمزة (ص ٦٥) .

ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي :

وأما (الخوارزمي) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - ثم ابنه جذيمة الأبرش .
- ٣ - ثم عمرو بن علي .
- ٤ - ثم امرؤ القيس البدء .
- ٥ - ثم ابنه عمرو ، وهو ابن هند .
- ٦ - ثم أوس بن قلام .
- ٧ - ثم امرؤ القيس البدن . وهو محرق الأول .
- ٨ - ثم ابنه النعمان الذي بنى الخورتق والسدير . وفارس حليلة، وهو السائح والأعور .
- ٩ - ثم ابنه المنذر .
- ١٠ - ثم ابنه الأسود .
- ١١ - ثم المنذر بن المنذر .
- ١٢ - ثم النعمان بن المنذر .
- ١٣ - ثم النعمان بن الأسود .
- ١٤ - ثم أبو يعفر بن علقمة .
- ١٥ - ثم امرؤ القيس بن النعمان . وهو صاحب سمار .
- ١٦ - ثم ابنه المنذر ، وهو ابن ماء السماء .
- ١٧ - ثم الحارث بن حجر الكندي ، آكل المزار .
- ١٨ - ثم المنذر بن ماء السماء .
- ١٩ - ثم ابنه عمرو بن هند ، وهو مضطرب الحجارة ومحرق الثاني .
- ٢٠ - ثم ابنه قابوس بن المنذر .
- ٢١ - ثم فيسهر بن الفارسي في زمن أنو شروان .
- ٢٢ - ثم المنذر بن المنذر ، وأخوه عمرو بن هند .

- ٢٣ - ثم النعمان بن المنذر . وهو آخر ملوك الحزم .
- ٢٤ - ثم إياس بن قبيصة الطائي .
- ٢٥ - ثم زادويه الفارسي .
- ٢٦ - ثم المنذر بن النعمان بن المنذر .

الفصل التاسع والثلاثون

ملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)^١ .
وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)^٢ ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان^٣ . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً^٤ .
و (كندة) هي (كدت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المسند ، مثل نص (أبرهة)^٥ . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

١ الاشتقاق (٢١٨/٢) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٥،٤/١٠) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ،
Enc. II, p. 1018.

٢ (كندة حمي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فأخبرني عن كندة ، قال : (ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٣٢٥/٢) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الطبري (١٣٩/٣) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S. 55, Gunnar

Ollnder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.

Ollnder : وسيكون رمزه :

اذ ورد في النص : (Jamme 635) ، المسدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كدت) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ربعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وانه كان ملكاً على (كدت) كندة وعلى (قحطن) أي (قحطان)^١ .

فنحن على هذا النص أمام مملكة كندية كانت قد تكونت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جارينا رأي (جامة) وسرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)^٢ . وقبل هذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكمنس) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ربعت ذا الثورم) أي (ربيعة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر انهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة او بيت او عشيرة من كندة ، فصبروه الجد الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

وبلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة) . ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصبروه جد العرب القحطانيين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم بـ (REP. EPIG., 4304) . هذا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)^٣ . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صانعه وضعه لغاية واضحة هي اثبات أن ما يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وانه وارد مذكور في المسند . وبين (صنعاء) و (زبيد) مدينة تعرف بـ (قحطان)^٤ .

١ السطر ٢٧ من النص : (Jamme 635).

٢ Mahram, P. 391.

٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.

٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كدت) مستقلة وعلى رأسها ملك، في أيام (الشرح يحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين المعادين للملك (الشرح يحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البر والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرت) ، في الأسر . وسيقوا الى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتى وافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذى ريدان) وعلى اعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذى ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على اعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأفرج بذلك عنهم^١ .

وقد فقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديده الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت) ، اذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) انها كانت تابعة اذ ذاك لحكم هذه الدولة . يخبر النص : (Jamme 660) ، ان كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شمر يهرعش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب اوم) (وهب اوم) (وهب اوم) ، وان ذلك الحاكم كان يدير بالاضافة الى كندة قبائل حضرموت ومنحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك انه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جملتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ^٢ .

ونخبرنا النص : (Jamme 665) ، ان رجلاً من (جدنم) (جدن) كان كبيراً (كبر) على (اعراب ملك سبأ) (اعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كدت) و (منحج) وعلى (حررم) (حريرم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) ، وعلى كل

١ Jamme 576, MaMb 212, Mahram, PP. 67, Geukens 3.
٢ السطر الثاني من النص : Jamme 660, MaMb 156, Mahram, P. 164.

أعراب سبأ (وكل اعراب سبأ) وعلى حير وحضرموت ويمنت^١ . وقد عيّنهُ بدرجة (كبر) أي (كبير) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر يهنم) وابنه (ذراً أمر أيمن) . ومعنى هذا ان كندة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئيين ، وان ذلك الكبير كان يدير منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامه) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشتم) (قشتم) (قشام) (القشتم) ، وذلك لأن النص : (Jamme 660) يضعها بين (حضرموت) و (ملحج) ، فيرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع^٢ . والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيين على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو (نونوسوس) ، وقد دعاها باسم (Kindynoi) أي (كندة) ، وذكر انها وقبيلة (ماديئوى) (Maddynoi) (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه (Kaisos) اي (قيس)^٣ .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تأريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتأريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة^٤ ، وابو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبة ، وأمثالهم ممن سترد اسمائهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي اخبار تمثل جملة نزعات واتجاهات تصور تحزب اولئك الأخباريين وميولهم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد اهل اليمن ، وبينها اخبار ترجح كفة (كندة) ، وبينها اخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها اخبار تؤيد بني اسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون من روايات عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بحذر شديد .

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .

٢ Mahram, P. 318, 372.

٣ Olinder, PP. 114.

٤ راجع ايضا مقدمة (أوليندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تأريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد ، الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة انه نقل اخبار ملوك كندة من (كتاب أخبار كندة)^١، وأظنه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت اليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي تفيدنا في تدوين تأريخ كندة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (الفضليات) و (الأغاني) و (النقائص) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

ويذكر الأخباريون أن مواطن (كندة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت^٢ . وقد أطلق (الهمداني) عليها (بلد كندة من أرض حضرموت)^٣ . وذكر ياقوت أن كندة بخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كندة^٤ ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تقيم في دهرها الأول في (غر ذي كندة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا من نسبهم في عدنان، وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كندة من قبائل عدنان^٥ ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كندة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأنساب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في (غر ذي كندة) وكيف وصلوا الى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم الى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث اليعقوبي عن حرب وقعت بين كندة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و (شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون ، وهؤلاء من كندة ، و (مسعر بن مستعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، وكان القتل قد كثر فيها ، فصارت كندة الى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

-
- ١ حمزة (ص ٩٢) ، (كندة) (السكون) (السكاسك) ، الفهرست (٩٨/١) ، طبعة فلوكل) .
 - ٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .
 - ٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .
 - ٤ البلدان (٢٨٤/٧) .
 - ٥ البلدان (٣٠٤/٦) ، الأغاني (١٦٠/١١) ، الفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور (فلك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور ، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المزار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة بالذئاب وتولى الملك^١ فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي ان « أول من أنسا الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك ان مالك بن كنانة نكح الى معاوية بن ثور الكندي ، وهو يومئذ في كندة ، وكانت النساء قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرداف المقاول^٢ » . وتدل هذه الرواية على ان هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة الى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع ان النساين يعدونها من قبائل قحطان . وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المزار)^٣ ، وهو ينسب الى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية^٤ ، والى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى^٥ .

- ١ (الذئاب) ، الصفة (ص ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) ، البلدان (١٩٧/٤ وما بعدها) ، اليعقوبي (١٧٦/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .
- ٢ الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١١٨/١) (المطبعة المأجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .
- ٣ المزار : عشب مر اذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها ، قيل سمي حجر آكل المزار لكثرة كان به ، وقيل لان ابنة له سبها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المزار ، تعني كاشرا عن أنيابه ، وقيل : انه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المزار حتى شبع ، فعرف بآكل المزار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١٧٧/١) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام (ص ٦) ، لحسن السندوبي ، اللسان (١٧١/٤) .
- ٤ حمزة (ص ٩٢) .
- ٥ ابن خلدون (٢٧٣/٢) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف^١. وذكر انه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه . فلما دوّخ (حسان) بلاد العرب ، وسار في الحجاز ، وهمّ بالانصراف ، ولّى أخاه (حجرأ) على (معد بن عدنان) كلها ، فدانوا له ، وسار فيهم أحسن سيرة^٢ .

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين ان التبابعة كانوا يصاهرون (بني معاوية ابن عترة) من كندة ، وكانوا يملكون في (دمون) ، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز ، فكان أول من ولي منهم (حجرأكل المزار) ، ولأه (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة ، وولى بعده ابنه (عمرو بن حجر)^٣ . فيفهم من هذه الرواية ان (بني معد) كانوا أتباعاً للتبابعة يعيّنون عليهم من يشاءون من الناس .

وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي ، مفادها ان تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً الى العراق نزل بأرض معد ، فاستعمل عليها (حجرأكل المزار) ، ومضى لوجهه . فلما هلك ، بقي حجرأ لحسن سيرته مطاعاً في مملكته . وملك الشام يومئذ (زياد بن الهولة السليحي) والملك الأعظم في بني جفنة ، وزياد كالمغلب على بعض الأطراف ، فقتله حجر . وقد بقي حجر حتى خرف ، وله من الولد : عمرو ومعاوية^٤ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان حجرأ كان معاصراً لـ (زياد بن الهولة السليحي) وهو ملك عرب الشام يومئذ ، ويذكر حمزة ان (حجرأ) قتله^٥ .

وفي رواية أخرى ان حجرأ هو أول ملوك كندة . وكانت كندة قبل أن يملك حجرأ عليها بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجرأ سدّد أموالها وساسها احسن سياسة ، وانتزع من اللخمين ما كان بأيديهم من أرض (بكر ابن وائل) . وبقي حجرأ كذلك حتى مات^٦ . فـ (حجرأ) على هذه الرواية

-
- ١ الاغانى (٨٢/١٥) .
 - ٢ ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٣٠٨) ،
 - ٣ ابن خلدون (٢٧٦/٢) .
 - ٤ حمزة (ص ٩٢) ، ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) المحبر (ص ٣٦٨ وما بعدها) .
 - ٥ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) (المطبعة الحسينية) .

أول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائها تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لحم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب) ، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كلي كرب بن تبع)^١ . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) الى أن (حسان تبع) هذا هو (شرحبيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه الى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد^٢ ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر^٣ ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقصه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخمين ، واستخلص أرض بكر منهم^٤ . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة^٥ .

ويحدثنا بعض الرواة أن حجراً بينا كان يغزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهم) (الأهم) بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقينة من أحب قياته اليه ، وانصرف ، فقال للقينة : « ما ظنك بحجر؟ » فقالت : « لا أعرفه ينام إلاّ وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل مراراً ، فان رأيت ان تنجو بنفسك فافعل » ، فلطمها الغساني فما لبثوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القينة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعد أن بلغه غارة الغساني : « لا غزو إلا بالتعقيب »^٦ وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هذه الرواية دون

١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .
٢ Handbuch, S. 104, Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.

٣ Olinder, P. 40.

٤ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .

٥ البلدان (٩٨/٦) ، Olinder, P. 42.

٦ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير الى اسم الغساني ، او اسم الموضع الذي كان حجر يغزو فيه^١. وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأهم (الأهم) بن الحارث الغساني^٢.

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن مندلة الضجعمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)^٣.

وفي رواية أخرى ان الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشام ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء اغارة حجر في كندة وربيعة على البحرين ، فأخذ الحريم والأموال ، وسب (هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وربيعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، و (عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمرأ ؟) ب (البردان) دون عين أباغ ، وقد أمن الطلب ، فنزل حجر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له (حفير) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين^٤. وتقول الرواية انه بعد ان انتقم وانتصر ، عاد الى الحيرة^٥. وقد عرفت هذه المعركة ب (يوم البردان)^٦.

ويلاحظ ان ابن الأثير اورد في روايته عمرأ بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشام كما هو مقتضى الكلام، وأورد في نهاية القصة هذه الجملة « ثم عاد الى الحيرة » وهي تشعر ان موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد انه كان فيها .

- ١ الصفة (ص ٨٦) .
- ٢ الأغاني (٦٣/١٣) ، Olinder, P. 44.
- ٣ Olinder, P. 45.
- ٤ ابن الأثير (٢٠٧/١) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة) ، Olinder, P. 43.
- ٥ ابن الأثير (٢٠٨/١) ، (البردان) ، تاج العروس (٣٠٠/٢) ، القاموس (٢٧٧/١) .
- ٦ ابن الأثير (٢٠٧/١) وما بعدها .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها ،
أو أنه خلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير إلى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء :
أن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرآ . وهذا غير صحيح ، لأن
ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى (قنسرين) ، والبلاد
للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للملوك الروم ، كما
كان ملوك الحيرة عمالاً للملوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقدم من حجر آكل المرار
بزمان طويل ، لأن حجرآ هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة
والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنو شروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو ثلاثين
ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة
سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعد سليج ،
ولم يكن زياد آخر ملوك سليج ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير ،
فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه ، وحيث طبقت
رواة العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن
زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف
الشام . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً أن حجرآ عاد إلى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من
ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فإنه استعمل
الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنوشروان ،
عزل الحارث ، وأعاد اللخمين . ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا
تعصياً ، والله أعلم .

أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ، ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج ، بل قال :
هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده إلى الحيرة ، فزال
هذا الوهم ^١ .

١ ابن الأثير (٢٠٨/١) وما بعدها .

وبهذا التعليق اراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام .
ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدد وما شاكل
ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا نعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي بـ (بطن عاقل)
وبه دفن^١ . ويرى (أوليندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث
حفيد (حجر) بسنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الضجاعة من
(بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد^٢ .

ويرى بعض الباحثين ان (حجرأ) هو (Ogarus) المذكور في بعض التقاويم
في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد. وقد ذكر معه اسم أخ له عرف
بـ (Badicharimus) أي (معديكرب) ، كما ذكر أحد احفاده وهو (Aretha)
اي الحارث^٣ .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم
ابن وهب بن الحارث بن معاوية) ، وتعرف بـ (هند الهنود) ، و (أم
أناس بنت عوف بن محم الشيباني) وهي ام (الحارث بن حجر)^٤ ، واما الثالثة
فن حمير^٥ .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابى خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها
(عمرو بن ام اناس) ، أو (ام أبياس)^٦ ، وهو من (كندة) . وام اناس
هي ابنة (عوف بن محم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : « لا حر
بوادي عوف » . وهو من بيت شرف قديم ، لهم قبة يقال لها (المعادة) من
لجأ اليها أعاذوه^٧ . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٩/١) .
 - ٢ Olinder, P. 46.
 - ٣ Provincia Arabia, III, S. 286.
 - ٤ الاغانى (١٥٩/٩) (٨٢/١٥) ، جمهرة ابن حزم (٣٢٣) ، الزوزني ، شرح
القصائد العشر (٧) .
 - ٥ Olinder, P. 42.
 - ٦ بالياء في ديوان بشر حسب تحقيق الناشر .
 - ٧ الاشتقاق (٢١٥) .

والمناجح المثة الهجان بأسرها تُزجي مطافها كجثة يثرب
ولرب زحف قد سموت بجمعه فلبسته رهواً بأرعن مُطنب
بالقوم مجتابي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شرب^١

ويستفاد من هذه القصيدة ان الممدوح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب
المئات من الإبل الهجان الطيبة الأعراق ، وانه كان صاحب جيش قوي . وينطبق
هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباقه على (عمرو بن الحارث)
جدّ (امرئ القيس) ، وذلك على رواية من زعم أنه كان للحارث جدّ
الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم أناس) ابنة (عوف
ابن محم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي
نزلت بمصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم .
فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع لسه جيش لجب .
خاصة وأن الرواة لم يذكروا اسمه في جملة أسماء أبناء الحارث الذين ملكهم على
القبائل في حياته او الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن
أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جدّ (عمرو بن
هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنته . وذكر أن (أم عمرو بن حجر)
هي (أم أناس بنت ذهل بن شيان بسن ثعلبة) ، وانه هو المذكور في شعر
الحارث بن حلزة ، اذ يقول :

وولدنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أتانا الحباء^٢

وقد اختلف أهل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حمل الناس على تلقيب
(حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء
حديثهم عنه^٣ .

-
- ١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها .
 - ٢ كتاب المعاني الكبير (٥٣١/١) وما بعدها .
 - ٣ الأغاني (٦٠/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص ٤) ،
الجاحظ ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
الكامل ، لابن الأثير (٣٠١/١) ، (الطباعة المنيرية) ، دائرة المعارف ، للبستاني
(١٢٢/١) ، الأغاني (٨٣/١٥) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد أبيه. ويقولون إنه إنما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك أبيه ، أو لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، وبذلك سمي المقصور^١.

وكان لـ (عمرو) كما يقول الأخباريون اخ اسمه (معاوية) ، ويعرف بـ (الجون)^٢ (الجوف)^٣ ، كان نصيبه (البامة) . ويظهر من هذا الخبر انه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر اهل الأخبار ان (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)^٤ . ويظهر من هذا النسب انها كانت من أسرة يمانية رفيعة ومن البيوتات التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية ان (عمراً) غزا الشام ومعه ربيعة ، فلقه الحارث بن أبي شمر الغساني فقتله . ولم يصف (يعقوبي) صاحب الرواية المذكورة الى هذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور^٥ . أما (حمزة) ، فلم يشر اليه بشيء^٦.

وفي رواية ان ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبيد ينكف الحميري) على ربيعة ، فأمدّه بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله^٧ . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول ان الحارث بن شمر الغساني هو الذي قتله .

واذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك على الرغم من المساعدة اليانية التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقيه بلقب : (المقصور) ومن

١ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، المحبر (ص ٣٦٩) ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٠/٨) .

٢ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، المحبر (ص ٣٦٩) .

٣ (الجوف) ، الاغانى (٦١/٨) ، وهو تصنيف ، والصحيح (الجون) ، (٧٩/٩) (طبعة دار الكتب) .

٤ الاغانى (٦٠/٨) .

٥ يعقوبي (١٧٧/١) ، الاغانى (٦٥/٨) .

٦ حمزة (ص ٩٢) .

٧ يوم القنان ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، البلدان (١٦٥/٧) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمرأ) لم يكن قوياً صاحب عزم وإرادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أبيه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان يخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقيه بلقب ملك ، بل قال : إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر أن (حسان بن تبع) حين سار إلى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) الذي عيّن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الأقرب) ، أي خال (الحارث) على بلاد معد^١ .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي أن الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (النعمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) أربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (أم الملك)^٢ . وانتقل الملك على رأي أكثر الأخباريين من عمرو إلى ابنه الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرّاب) على بعض الروايات^٣ . وقد ورد في شعر للشاعر (ليبد) هذا البيت :

والحارث الحرّاب خلّي عاقلاً داراً أقام بها ولم ينتقل

وقد ذهب الأصمعي إلى أن الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرّاب) الحارث الذي نتحدث عنه . وذلك لأن (عاقلاً) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرئ القيس)^٤ . وإذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا أن نفترض أنه كان قد أقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

١ الطبري (٨٦/٢) .

٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .

٣ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (ص ٥٥ ، ٢٧٥) .

٤ شرح ديوان ليبد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)^١ . وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا اللقب لـ (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)^٢، وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)^٣ او (ام اياس)^٤ بنت (عوف بن محم بن ذهل بن شيان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من تغلب^٥ .

وفي رواية اخرى ، ان (ام أناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أمّاً للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينهما . ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اذن شقيقاً لعمرو بن حجر^٦ .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عريباً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، يظن (أوليندر) انه (الحارث الكندي)^٧ ، ويرجح لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيان ، وشيان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة . الاستعمال عند العرب في بادية الشام وفي بلاد الشام ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبانية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي) ، بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان) . وقد ذكر كتبة اليونان والسرمان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

-
- ١ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .
 - ٣ الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٢/٨) .
 - ٤ Olinder, P. 48.
 - ٥ الفضليات (ص ٤٢٩) .
 - ٦ الاغانى (٨٣/١٥) .
 - ٧ Olinder, P. 48.

للروم . قورد (طايوي ربيث رومرين دبيث ثعلبة) ، أي (العرب الذين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد^١ .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت بـ (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل) ، و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف بـ (ثعالب طيء) . ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيان) من بطون (تميم)^٢ . وقد عرف (بنو شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة) بـ (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيان) كان (حارث بن عباد) سيد شيان في حرب البسوس . وقد عرفوا بـ (Thalabenes) عند الروم^٣ .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخيه بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون^٤ .

ولا نعرف من الأسماء المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) . ويرى (هارتمن) (Hartmann) أن الأخباريين ارادوا به (شرحبيل يكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف (المذكور اسمه في النص المؤرخ بسنة ٤٦٧)^٥ .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة ان الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً، وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) ، Rothstein, S. 74.

٢ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٢٧) . ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .

٣ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٣١ وما بعدها) ، (القسم الثاني : ٤٢٢/٢) .

٤ الطبري (٨٦/٢) .

٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت الى اعتماد الحارث على (تبع) في تولي الملك . ولو صحت هذه الرواية كان معناها انه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه الى الاستعانة بـ (تبع) او بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصرأ على كندة ومن في حلفها ، او لأنه لقي مقاومة من أشقائه واقربائه ، مما دفعه الى الاستعانة بالغرباء في تنصيب نفسه ملكاً على كندة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيما بعد .

ولدينا رواية أخرى ، تذكر ان الذي ساعد (الحارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب) ، وذلك ان معداً لما انتشرت تباعثت وتظلمت ، فبعثت الى صهبان تسأله ان يملك عليها رجلاً يأخذ لضعيفها من قوتها مخافة التعدي في الحروب ، فوجه اليها الحارث بن عمرو الكندي ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، امه امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فسار الحارث اليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولى ابنه حجر ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكنانة ، وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم ، وولى ابنه معدي كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكندي على ربيعة ، فكنوا كذلك الى أن مات الحارث ، فأقر صهبان كل واحد منهم في ملكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي ، والى ربيعة ليبيد بن النعمان الغساني ، وبعث برجل من حمير يسمى أوفي بن عنق الحية وأمره ان يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة ، استعدوا . فلما بلغ أوفي ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلقى بصهبان ، وبقي معدي كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة^١ .

اما صهبان ، فهو رجل لم يكن من اهل بيت الملك في حمير ، بل كان قد وثب على الملك واخذ عنة ، وذلك حينما تضعضع امر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) اخاه (حسان بن تبع) ، فانتهاز صهبان هذه الفرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر اليه^٢ .

١ الدينوري : الاخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية اخرى تذكر ان (صهبان بن محرث) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة ، سوى انها عينت اسم والد صهبان ، بأن نصت عليه ، فجعلته (محرثاً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي خرب) . و (ذي خرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فرى ان نملك علينا ملكاً نعطيهِ الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوي . ويرد على المظلوم من الظالم . ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيتنا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فلك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فتزل بطن عاقل^١ .

ويدرك من هذه الروايات انه كان للتبابعة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورهم ، وتحتكم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولى الحكم على كندة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كندة وبكر وعلى قبائل اخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أوليندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد^٢ .

وليس من السهل تعيين اسم (التب) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات اليمانية بالاستناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفي تهامة) المواضع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى مختارة طائفة الى الحارث تلتمس منه ان

١ نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، (طبعة العريان) .
٢ Ollender, P. 58.

يتفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنقض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امراءها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب الى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعرف برئاسة الحارث عليها ، وبتاجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا بعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيديه ، وهو منطق السياسة في الصحراء . وبهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو امارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت هذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تتجزأ الفقاعة وتذوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

ويذكر الأخباريون أن الحارث الكندي جمع الى ملكه ملك الحيرة وآل لخم ، وذلك في زمن قباذ . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وطرده للملكها الشرعي وتولى الحكم دونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤاتياً لـ (قباذ) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ في المملكة بيد الموابذة ، ولموبدان موبد الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللأقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباذ الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) الا ينازع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص ظل الموابذة والمتنفذين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين^١ . وكان مزدك وأصحابه يقولون ان الناس تظالموا في الأموال والأرزاق ، فاعتصبها بعضهم من بعض ، وان الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء ، وانهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترض السفلة ذلك ، واغتمموه ، وكانوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلي الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

Noldeke, Aufsätze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم^١ . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت مقوضة لرجال الدين والاقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباز المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبدان موبد) والعطاء على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، وعينوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة للملك قباز ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام (٤٨٨ م)^٢ . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م)^٣ . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباز الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباز بذلك ملكه^٤ . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

وتذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباز طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاغتاظ قباز وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابه ، فاستعمله على الحيرة . وطرده المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فلكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد^٥ . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجدة^٦ . فتربط هذه الرواية كما نرى بين زندقة قباز وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الحيرة ، بقبوله مذهب قباز. وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل نخم) ، وكان قد وجد ان (قباز) ضعيف الهمة فاتر العزم ، غير ميال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل نخم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وباغت سادة الحيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

١ الطبري (٨٨/٢) .

٢ Ency. Brita., Vol., 17, P. 574, Ency., 4, P. 178.

٣ Noldeke, Aufs., S. 109.

٤ الطبري (٨٧/٢) .

٥ ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٦٩) .

٦ حمزة (ص ٩٢) .

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وتبدل سياسة الحكومة بتولي (كسرى أنوشروان) الملك . فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه^١ .

وذكر (حمزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشراكها معه في مهاجمة (آل لخم) وانتزاع الحكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل (ربيعة) ، فينكي فيهم ، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الخطائر) فثارت به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن وهن أمر الملك (قباذ) ، فعندها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فلكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب^٢ .

وبهذه الكيفية شرح (حمزة) كيفية تولي (الحارث) عرش الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل لخم ، بغضاً دعاها الى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل لخم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكر « ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر ابي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إباد ، وترك ابنه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتنطلق ربيعة الى كنده . وكان الناس في الزمن الأول يقولون ان كنده من ربيعة . فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فلكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحق من ضمتني واكتفني ، وأنا متحول اليك . فحوّله اليه ، وزوجه

١ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

٢ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

ابنته هنداً . ففرق الحارث بن عمرو بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، وصار غلفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة أم لهم ينسبون إليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش ... »^١ .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوتها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب أن ألقاك .

وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج اليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الغيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف ، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا الفرات ، فيغيروا في السواد ، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال : هذا من تحت كنف ملكهم . ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يجب لقاءه ، فلقيه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيح . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيح ،

١ المفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) ، النقائض (ص ١٠٧٢ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) .

فاجمع الجنود ، وأقبل فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الى النجف ، وهو نهر الحيرة ، فترل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح الى قباد، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري » . وقد ترك ابن الكلبي الإشارة الى الحارث وطفر الى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته الى القسطنطينية ، ثم الى رومة (رومية) ، ثم الى عودة (تبع) وتهوده بتأثير أخبار يثرب ، ثم الى علم (كعب الأحبار) الذي استمده على حد قوله من بقية ما أورثت أخبار يهودا^١ .

ويرى (موسل) ان التقاء (الحارث) بـ (قباد) (٤٨٨ - ٥٣١ م) عند قنطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد^٢ . والفيوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)^٣ .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه ان الحارث التقى بملك الحيرة (النعمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (النعمان) وفرار المنذر ابنه ، وعن انتصار عرب الحارث على عرب الحيرة، واستيلاء الحارث على ما كان يملكه النعمان . فلما حدث هذا ووقع ، اضطر (قباد) الى ملاطفة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، أقطعه منه ستة طساسيح . فليس في هذه الرواية إشارة الى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا الى طرد النعمان من ملكه نتيجة لرفضه اتباعه في دينه ، انما هو ضعف قباد وعجزه عن مساعدة صاحبه النعمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك النعمان . أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كندة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، والى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة اليانيين .

يستنتج من كل هذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكندي اغتصب عرش الحيرة أمدأ ، اغتصبه من (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، أو

١ الطبري (٢ / ٨٩ وما بعدها) .
٢ Musil, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٦ / ٤١٤) .

(المنذر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبر ذو القرنين) ،
و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)^١ ، أو (النعمان
ابن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)^٢ ، وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس .
ويقصد ب (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على ما
جاء في الأخبار^٣ . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد^٤ .
ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من
حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك
(الأسود بن المنذر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المنذر بن المنذر ،
وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه ام الملك
بنت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين .
ثم أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان
ابن امرئ القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ
القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المنذر بن امرئ القيس المعروف بالمنذر بن
ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنتين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين
في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة
حكمه ، انما قال : « ذكر هشام عن ابيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب
أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني انهم انما تركوه لأنه توثب على
الملك بغير اذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار
المملكة ولم يعرف له مستقر وانما كان سيارة في أرض العرب »^٥ . ولم يذكر
حمزة مدة حكم (قباذ)^٦ .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)

١ المفضليات (ص ٤٢٧) .

٢ Ollender, P. 58.

٣ الطبري (٨٩/٢) .

٤ Ency., IV, P. 178.

٥ حمزة (ص ٦٩ - ٧٢) .

٦ حمزة (ص ٣٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أئو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أئو شروان) ، بعث الى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر^١ .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وناقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف اليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل الى (أئو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيعيده الى ملكه، وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فر ب (الثوية) ، فتبعه المنذر بالخيول من تغلب واياذ وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم ب (جفر الأميال)^٢ (جفر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دير بني هند والكوفة^٣ .

ترى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددتها ، حتى ان الراوية الواحد مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت ان قباذ طرد المنذر من مملكته، وأحل الحارث محله، ومنها ما زعمت ان المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوّله اليه ، وزوّجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت ان الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة ، وان المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وان الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الحيرة وان قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فإذا نستخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها ان الحارث استبد بملك آل لحم ، في أيام قباذ، وكان مركز هذا الملك صعباً بسبب ضعفه ، وبسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمداً : يظهر انه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

١ الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) .

٢ ابن الأثير (١٧٥/١) .

٣ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) .

تغيرت به الأحوال ، فعاد أصحاب البيت الى بيتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا نعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حمزة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دوّنها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنو شروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنو شروان)^١ . فأى ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم ، فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيساء) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القاتل هو (الحارث) ، أو تعمدوا نسبة القتل اليه للرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل^٢ ؟

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حدّ قول (يوشع العمودي) هم من أتباع الحارث ، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) أو أنهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، أو أنهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن ان (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

١ الطبري (٩٤/٢) .

٢ (قرقيساء) ، البلدان (٥٩/٧) ،

Olinder, P. 59, Ency., II, P. 765, Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون بـ (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانتهبوها ، وكانت حاميتها ضعيفة ففرت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر انها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وانها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه انسحاب عاجل لتأمين سلامة ما ينهبونه وايصاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات السّي ستأتي لمعاقتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وستة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران^١ . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، او على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يغتنمها من الروم ، ووجد بكرةً وتغلب قد زحفتا اذ ذاك من مواطنها القديمة في اليمامة ونجد نحو الشمال تريدان النزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل^٢ .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافسين أقوياء في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نياته وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف^٣ .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتودده الزائد الى قباذ ، وقد يكون لأسباب أخرى

Olinder, P. 65. ١

O. Blau, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG., Bd., 23, (1869), S. 579. ٢

حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65. ٣

مثل تردد ملك الفرس وضعفه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا الفتور الى استفادة الحارث منه واستغلاله ، فتقرب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباذ) وتولى (كسرى أنوشروان) الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه . وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد اغتصابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار^١ . وبينما يذكر (حمزة) ان الحارث حينما بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فنبعته خيل المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجده يقول في موضع آخر : « ان الحارث كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، انما كان سيرة في أرض العرب »^٢ . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة^٣ .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنوشروان) كان شراً على الحارث، وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنوشروان) مناقضة لسياسة قباذ بسبب المزدكية . وقد ظهر اختلافها هذا في السنين الأخيرة من سني حكم قباذ^٤ . وقد أدى هذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (ملالا) (John Malalas) ان سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على بلاد الشام^٥ . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية (ثيوفانس) (Theophanes)^٦ . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨) للميلاد^٧ . ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبل

- ١ اليقوبي (١٧٧/١) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الاغاني (٦٢/٨) (طبعة الساسي) .
- ٢ حمزة (ص ٧٢ ، ٩٣) ، Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88.
- ٣ الاغاني (٦٢/٨) .
- ٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 462, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Olinder, P. 65.
- ٥ John Malalas, Chronographia, Lib., XVIII, Col. 653, Olinder, P. 65.
- ٦ Olinder, P. 54, 65.
- ٧ Olinder, P. 54.

القضاء على المزدكية بمدة غير طويلة ، وان المنذر كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد
قد قام بغارته على بلاد الشام^١ .

ويستدل من اشارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة
(٥٢٨ م) ومن تلقيه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث
بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان
قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه على التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم
الروم ، فاتصل بهم وذلك في أيام (قباد) ، او في أيام (كسرى انوشروان)^٢ .

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له بنتيجة او بفائدة تذكر.
اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميديس)
(Diomedos) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، اي (الحارث) على
التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق، حيث
كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس)
(Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens)
الخاضعين لنفوذ الفرس ، هجم على الحارث فقتله ، وغنم امواله وما ملكه ، وأسر اهله .
فلما بلغ النبأ للقيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (فينيقية)
(Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنذر
ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام ، وفي جملتهم سيد
قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبلة
الغساني على ما يظهر^٣ .

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث)
ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه^٤ .

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي .
حدث صاحب (الأغاني) ان (أنوشروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

Olinder, P. 65. ١

Olinder, P. 66. ٢

Olinder, P. 53, Nöldeke, Sasaniden, S. 171. ٣

Olinder, P. 66. ٤

أي أتباع مزدك ، « فقتل منهم ما بين جازر^١ الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم »^٢ ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب « الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائه وماله وولده ، فمرّ بالثوية^٣ ، وتبعه المنذر بالخليل من تغلب وبهراء وإياد ، فلحق بأرض كليب ، فنجوا وانتهبوا ماله وهجائه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المزار ، فقدمت بهم على المنذر ، فضرب رقابهم ب (جفر الأملاك) (حفر الأملاك) في ديار بني مرينا العبادين بين دير هند والكوفة .. »^٤ . وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر ان (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجاءت بهما الى المنذر في (ديار بني مرينا) فقتلهما^٥ .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما اقبل « من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمرأ ، وقتلوا ابنه مالكاً بهيت ، وصار الحارث بمسحلان فقتلته كلب » . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه^٦ . وذكر (حمزة) الروايات المدونة في كتاب (الأغاني) بحذف بعض كلماتها^٧ . ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : « ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث . وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه^٨ . ويشعر على كل حال

- ١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من اعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوح الجازر ، البلدان (٣٦/٣) ، الأغاني (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، (١٩٣٦) ، الأغاني (٦٢/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها أغلاط عديدة .
- ٢ الأغاني (٦٢/٨) ، (مطبعة التقدم) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٣ الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها . وقيل انه كان سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله ، البلدان (٢٨/٣) .
- ٤ الأغاني (٦٢/٨) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٥ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، (جفر الاملاك) ، البلدان (١١٥/٣) ، ابن الأثير (٣٠٤/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) .
- ٦ الأغاني (٦٢/٨) ، Musil, Middle Euphrates, P. 350 .
- ٧ حمزة (ص ٩٣) ، (مسحلان) ، البلدان (٥١/٨) .
- ٨ اليعقوبي (١٧٨/١) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في أيام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتى توفي فيما بينهم حتف أنفه^١. وقد أضافت الرواية التي تنسب الى (أبي عبيدة) الى هذا الخبر انه دفن بـ (بطن عاقل)^٢ . والظاهر ان اضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فسيا بين (حجر) الذي زعم انه دفن بـ (بطن عاقل) وبين (الحارث)^٣ .

وجاء في رواية أن الحارث خرج يتصيد ، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدها عليها ، وانفرد منها حمار فتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار واطعم من كبده وهي حارة ؛ فمات^٤ .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصبغة . فكلب تدعي انها هي التي قتله ، وكندة تنكر ذلك مدعية انه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون انهم هم الذين قتلوه، قتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج الى الصيد فالظ بتيس من الظباء ، فأعجزه فألى أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأتى بعد ثلاثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده ، فأكلها حارة فمات »^٥ .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين : (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقته لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو ان مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته نرجح هذه الرواية على غيرها من الروايات.

-
- ١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه) ، الاغانى (٦٢/٨) ، أبو الفداء (٧٤/١) .
 - ٢ العقد الفريد (٧٧/٣) ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) وما بعدها (طبعة محمد سعيد العريان) ، Olinder, P. 68.
 - ٣ Olinder, P. 68.
 - ٤ أيام العرب (٤٦) .
 - ٥ الاغانى (٦٢/٨) ، ابن الاثير (٢١٠/١) .

ويظهر من غريلة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) أنها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، انه قتل وان قاتله هو (المنذر بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر انه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر انه هلك ، وانه لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه^١ . والذي أرجحه انه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب المنذر بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملوكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من انه وزّع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة ، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) انه حينما نزل ببيكر بن وائل ، أقام بـ (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة اللخمين ، وملوك الشام الغسانيين ، وفيه كانت نهايته^٢ .

وفهم من بيت في ديوان (امرئ القيس) ان ملك الحارث قد امتد من العراق الى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تتحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرياسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومنزله من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، انهدت كيانه ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والفخر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدوينهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المقتخرين .

ويحدثنا (ابن الكلبي) انه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي ان أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »^٣ . وزوجه بعض

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٠٨/٢) .

٢ نهاية الارب ٤٠٦/١٥ ، العقد الفريد (٧٨/٦) (طبعة العريان) .

٣ المفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخباريين بامرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والددة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن أم إياس)^١ . وفي رواية (ابن السكيت) ان (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عترة)^٢ .

وقد دون لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة، ومحرق ومالك وعمر^٣ . وأم (حجر) هي : (أم قطام)^٤ .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للحارث ابن ، حجّ ففقدته ، فاتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر منادياً فنادى من آوى أسدياً قدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصاً أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا الى تهامة ومع كل رجل منهم عصاً . فلم يزلوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسموا عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها^٥ .

ويذكر أهل الأخبار انه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والددة الملك (عمرو بن هند) وشقيقة (قابوس) وعمّة الشاعر امرئ القيس^٦ .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وفشا بينها الشر ، فجاء أشرافها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا اليه أن يملك عليهم أبناءه ، فللك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعلى

١ ابن الاثير (٢٠٧/١) .

٢ الاغانى (٦١/٨) .

٣ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، المفضليات (ص ٤٣٢) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ،

٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٧) .

٥ ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (ص ١٢٥ وما بعدها) ، مجمع الامثال ،

للميداني (١٩/٢ وما بعدها) .

٦ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (ص ٤٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بني تميم والرباب ،
وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف
من بني دارم بن حنظلة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع
الملوك من شذاذ العرب ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه
سلمه على قيس عيلان^١ . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائل
وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم
والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنو رقية ، وسلمة في بني
تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة^٢ .

وقد اكتفى (حمزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فلكهم على بكر وتميم وقيس
وتغلب وأسد »^٣ . وهناك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية
عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف^٤ ، سأشير إليها في أثناء البحث
عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها الى (أبي زياد الكلابي) ، خلاصتها
أن (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم ،
فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر)
ملك ، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا
ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى (بني آكل المرار) من كندة ، فلكت بنو عامر
شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وملك
بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف
هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت)
أيضاً ، هي ان سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ،
وأما (غلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس) ،

١ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، (٨٢/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان
(٤٧٢/٤) (كلاب) ، نقاض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (تحقيق بيفسان)
(ليدن ١٩٠٧) .

٢ المفضليات (ص ٤٢٨) ، Ency., II, P. 1018.

٣ حمزة (ص ٩٢) .

٤ خزانة الادب (٥٠٠/٢) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرئ القيس^١ .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرئ القيس) . وقد يعود الفضل الى هذا الشاعر في ذبوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هذه الأسرة من كندة . وهو أكبر أولاد الحارث ، واليه انتقلت عامة كندة بعد وفاة والده^٢ . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كندة^٣ .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع مواطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبلي طيء (أجاً) و (سلمى) ، ويسميان جبل شمر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير ان بطونها متفرعة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة الى نهر الفرات^٤ . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة^٥ . ويظن انها (استينوى) (Asatynoi) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطليموس^٦ . وتعدّ هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمه بن مدركة بن مضر) ، وهي شقيقة (الهون) و (كنانة)^٧ .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنسطاسيوس) (Anastasius) ، هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبيلتين ، هما : (جبلس) (Gabalas) (Jabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتاس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanys) ، ويظن أن (Gabalas) هو (جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

١ البلدان (٤٢٩/٣) .

٢ Olinder, P. 76.

٣ المفضليات (ص ٤٢٩) .

٤ O. Blau, Arabien Im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., BD., 23, S. 579,

٥ Olinder, P. 74.

٦ Olinder, P. 74, Ency., I, P. 474.

٧ Ency., I, P. 474.

٨ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الفساني . وأما (Ogaros) ، فبرى بعض المستشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكندي) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . ويرى (أوليندر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد^١. ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (معديكرب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنسطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فخيم الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية^٢. وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنسطاسيوس) أرسل جدّه الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (معديكرب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنسطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ^٣. وورد أن حجراً أغار على اللخمين في أيام امرئ القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً انما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، واعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه^٤ .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر انهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدث (ابن الكلبي) انه كان لحجر على بني أسد اتاوة في كل سنة مؤقتة . فلما كان بتهامة ، أرسل جايه الذي كان يجيبهم ، فنعوه ذلك ، وضربوا رسله وضرجوهم ضرباً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019. ١

Olinder, P. 51, 74. ٢

Olinder, P. 75. ٣

Olinder, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I, S. 80. ٤

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيرهم الى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثر ذلك في نفوس « بني أسد وأضمرؤا له الانتقام »^١ . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد ، فلما دنا منهم ، وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلمهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد الى (نوفل بن ربيعة) ، فهجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أجزر لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرّض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الحيمة التي احتبس حجر بها فطعنه طعنة أصابت مقتلًا^٢ .

ويزعم أهل الأخبار ان (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيد العصا) ، وقد أشير الى هذه التسمية في الشعر ، ويذكرون أيضاً ان (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم الى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجراً وسيستقمون منه ومن أهله ، فصدقوا بنبوءته وعادوا الى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشلدوا على هجائه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، انهم هجموا على عسكر حجر ودخلوا قبته ، فطعنه علباء بن الحرث الكاهلي ، فلما قتل ، استصلحت أسد كنانة وقيساً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجار (عمرو بن مسعود) عيال حجر . وقيل أجارهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة^٣ .

١ الاغانى (٦٣/٢) ، ابن خلدون (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢١٠/١) ، الاغانى (٨١/٩) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الاثير (٣٠٤/١) ، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٨/٢) (القاهرة ١٩٣٢) .

٢ أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .

٣ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤) ، الاغانى (٦/٨) (التقدم) ، البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، خزنة الادب (١٥٩/١ وما بعدها) .

وهناك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (الهيثم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في كيفية قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، فقضت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سببت وفاته^١ .

وتذكر رواية أن (حجراً) لما علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأبهم لم يجزع يدفع اليه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس^٢ .

ونجد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرئ القيس . وقد دعاه بـ (ابن ام قطام) في احدى قصائده ، وقال ان قومه علوه بالسيوف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية^٣ . ودعاه بـ (حجر) في قصيدة أخرى ، وافتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسياف مهندة رفاق^٤ . وذكر في قصيدة أخرى أن قومه ضربوا خيل حجر بجنب الرده . والرده موضع في ديار قيس ، والظاهر أنهم قتلوا حجراً بجنب الرده^٥ .

وأما (شرجيل) ، فقد ملكه ابوه علي (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر ، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين^٦ . وليس بين الذي

١ الكامل ، لابن الاثير (٣٠١/١ وما بعدها) ، الاغانى (٦٤/٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) ، (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Olinder, p. 82.

يروى الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كيفية مقتله وتهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الحارث بن عمرو تشتت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب المنذر الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ب بكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، فنزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحساد ، وحذروهما الحرب وعتراتها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يتزحزا ، وأبيا إلاّ التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت وثبت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منها وضع جائزة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنش) وهو عصم ابن النعمان بن مالك (عصم بن مالك الجشمي) ، فطعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنش) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنش اللبن اللبن ، فقال أبو حنش : قد هرقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش أملك بسوقه^٢ . وذلك ان دم الملوك

١ المفضليات (ص ٤٢٨ وما بعدها ، ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٢٧/١) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، البلدان (٣/٢٦٩ وما بعدها) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (٢٣١/١) (الطباعة المنيرية) ، البكري : معجم (١١٣٢/٤) ، اليعقوبي (١٨٣/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٢٢/٥) (لجنة) ، نقائض (١٠٧٣/٢) ، الكامل لابن الاثير (٣٧٩/١) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوق . وان الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن ان (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد^١ .

ويقول الرواة ان (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ الى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كندة . ان الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقيل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزاز)^٢ فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وهجمت مذحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة اليهم ، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، ان الذي أوقد النار على خزاز (خزاز) هو الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي ان أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له انه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر ان (كليباً) كان على نزار^٣ . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي ان (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاة) في يوم خزاز الى اليمن^٤ .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر^٥ .

Naval, P. 233.

- ١
- ٢ ويعرف أيضاً بيوم خزاز ، ويوم خزازي ، البلدان (٤٣٠/٣) النقائض (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١٠٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الاثير (٣١٠/١) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (العريان) ، نهاية الارب (٤٢٠/١٥) وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب) .
- ٣ البلدان (٤٣٠/٣) .
- ٤ المحبسر (ص ٢٤٩) .
- ٥ البلدان (٤٣٠/٣) .

ويعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى النزعات القبلية التي كان يحملها الرواة . ف (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما نرى لـ (بني كلاب) ، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواة ربيعة وينكرونه عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواة بين رواة ربيعة ورواة مضر حسماً للنزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات البين .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وانه اول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزال منذ هذا اليوم ممتنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام^١ .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان للمنذر بن ماء السماء ولبنى تغلب وقضاعة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وان المنذر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قيل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رهطه وهم من بني تغلب آبوا بالتهاب وبالسبايا وبالملوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك المأسورين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله : « وأبنا بالملوك مصفدينا » (بني آكل المرار)^٢ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي ان ذلك اليوم كان بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة أخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، انما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معدة ، ولا علاقة له بسلمة وبين آكل المرار أو المنذر بن ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معدة على اولاد قحطان^٣ .

١ البلدان (٣/٤٣٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (ص ٨٨٧) ، من بيت لعمر بن كلثوم :

وآبوا بالتهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

٣ ابن الاثير (١/٣١٠) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) ، نقائض جرير والفرزدق

(١٩٣/٢) ، البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز » .
وأما عمرو بن كلثوم ، هي ابنة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب
واثل)^١ . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في ابقاء اسمه في ذاكرة
الناس ، حتى دون خبره في الاسلام .

وليوم (أواره) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنذر
ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون ان تغلب لما
أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر
ابن وائل أذعنت له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا غيرك . فبعث اليهم
المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسرن اليهم ، فان ظفر
بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواره . وسار اليهم في جموعه ، فالتقوا بأواره ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل
الكندي) ، فأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر^٢ .

وأما (شراحيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعدة بن كعب بن ربيعة
ابن صعصعة)^٣ .

ويحدثنا (يعقوب بن السكيت) انه كان لحجر والد امرئ القيس جملة أولاد
أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرؤ القيس) ، وبين الأكبر والأصغر جملة
أولاد ، غير انه لم يذكر أسماءهم^٤ . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعر
لامرئ القيس^٥ .

وذكر (ياقوت) ولد لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : انه
أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي)
فهزمه ، حتى أدخله الخورنق ومعه ابنه قابوس وعمرو . فكث ذو القرنين حولاً ،
ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر
ابن عمرو وكانوا يتصيدون ، وأفلت منهم امرؤ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

١ البكري ، معجم (٤٩٦/٢) .

٢ ابن الأثف (٢٢٨/١) .

٣ البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها .

٤ الاغانسي (٦٥/٨) .

٥ الاغانسي (٦٥/٨) . Olinder, P. 94.

القوم فلم يقدروا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الجفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير الى مقتلهم في شعر لامرئ القيس^١ .

كندة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة ان ملك كندة لما انخرق، وهلك من هلك منهم ، قام « عمرو أقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كندة . إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت »^٢ .

ويذكر الرواة ان الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس ، وهو الذي اتى النبي في ستين او سبعين راكباً من اشراف كندة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كندة قد توجهت عليها^٣ .

ويذكر (حمزة) ، ان المنذر بن ماء السماء تتبع غابرههم ، فقتل عامتهم ، وصارت رئاسة كندة في (بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين) ، ثم في (معديكرب بن جبلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)^٤ .

وقد ذكر (ابن حبيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرّارين من اليمن^٥ . والجرّارون من كان يرأس ألفاً^٦ ولا يعد الرجل جرّاراً

١ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، (٦٤٨/٢) (طبعة وستنفلد) ، التاج (٢٥٣/٩) .

٢ المحبر (ص ٣٧٠) .

٣ الطبري (١٣٩/٣) ، الفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) ،

٤ حمزة (ص ٩٣) .

٥ المحبر (ص ٢٥١) .

٦ المحبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً^١ . وذكره في باب (أعرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر ب (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلاح ، فعزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي قلوص ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهلم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث ايضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي) ، انه كان من « أعرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد ولث^٢ الى أجل ، فعزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يحمل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد لمهرة صلحاً ، فعزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فلأوه حصي^٣ » .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الخاذق في الحرب وأمورها^٤ .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حلزة الشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلثمين بكبش قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشراح ان قيساً جاء على رأس جيش لجب ومعه راياته متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، قد لبسوا الدروع ، فردتهم (يشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يفد على (قيس بن معديكرب)

-
- ١ المحبر (ص ٢٥٣) .
 - ٢ المحبر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .
 - ٣ قيس أبو الاشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من اللسان (٢١/١٠) (طبعة بيروت) الاغاني (٧٨/٨) ، البيان والتبيين (١٨/١) ، الاغاني (١٢٦/١١) ، الامالي للقالبي (٩٢/١) .
 - ٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ، كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٣) .

من الشعراء . وقد روي له شعراً قاله لقيس^١ . في جملة قوله :

وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف^٢

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أسر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا رداقتهم في (بني سدوس)^٤ . وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد غلب على أهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً مملكتهم) . وذكر انه خاصمهم عند (عمر) في ايام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم^٥ .

امرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجرأ) لم يكن راضياً عن ابنه (امرؤ القيس) فطرده من عنده وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل . فإذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهاهم وغنته قبانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأناه خبر ابيه ومقتله وهو بـ (دمنون) من ارض اليمن ، أناه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أناه بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمنون دمنون ، إنا معشر يمانون
وانسا لأهلها محبتون

-
- ١ الاغانى (٧٨/٢) ، الامالى (٩٢/١) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٣) .
 - ٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
 - ٣ المحبر (ص ٢٥٢) .
 - ٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
 - ٥ اللسان (٤٩٣/١٠) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ، لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعا فلما صبحا آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خراً ولا يدهن بدهن
ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنبه حتى يدرك بثأره^١ .
وفي رواية أخرى انه طرد لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ،
فطلبها زماناً ، فلم يصل اليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة
جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) .
فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده^٢ . وهناك من يزعم انه
انما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء ابيه^٣ .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرئ القيس بن حجر الكندي)
الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)^٤ .
وللرواة أقوال في اسم (امرئ القيس) ، فقد سماه بعضهم (خندجاً) ،
ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو
معروف عندهم بالاجماع بـ (امرئ القيس) ، وهو لقبه^٥ . ويكنى بأبي وهب
وأبي زيد وأبي الحارث وذي القروح^٦ .
ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويظن (أوليندر) انه ولد حوالي

- ١ الاغاني (٦٥/٨) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزائن الادب (١٥٩/١ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٩) ، المحبر (ص ٣٥٢) ، نزهة الجليس (١٤٨/٢ وما بعدها) .
- ٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢) .
- ٣ Olinder, P. 96.
- ٤ الاغاني (٦١/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزائن ، للبغدادي (٤٣٢/٣) ، سرج العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيقي (٤١/١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الاغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠١) .
- ٥ الزهر (٢١٤/٣) ، الآمدي : المؤلف والمختلف (ص ٩) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٩) ، (القاهرة ١٩٢٦) ، طبقات فحول الشعراء : (دار المعارف) شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٣٤٩) الاشتقاق (٢٢٢/٢) ، القاموس المحيط (٥٤٦/١) ، (السندوبي (ص ٦ وما بعدها) .
- ٦ Olinder, P. 95.

سنة (٥٠٠) للميلاد^١. أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير، أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبيين^٢. وورد في بيت شعر ينسب الى هذا الشاعر : (امرئ القيس بن تملك)^٣. وقد استنتج بعض العلماء منه ان أمه هي (تملك) ورجعوا نسبها الى (عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معديكرب)، ويرى بعض المستشرقين انه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وانه يعود الى شاعر آخر اسمه (امرئ القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، ستة عشر شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)^٤. ويلاحظ أن من زعم من الرواة ان أم امرئ القيس هي (تملك) جعل نسبه (امرأ القيس بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كندة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر انه ولد ببلاد بني أسد ، وانه كان ينزل بالمشقر وهو موضع ذكر في شعره^٥. وروى (ابن قتيبة) ان (امرأ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد^٦. وقد تنقل هذا الشاعر في مواضع متعددة من الجزيرة ، ووصل الى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس بـ (دمّون) حينما جاء اليه نبأ مقتل والده على رواية^٧. ودمّون من قرى حضرموت للصدف في رواية^٨. وفي رواية أخرى مرجعها (الهيثم ابن عدي) ان امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

Olinder, P. 95.

١ ابن الاثير (٢١١/١) ، الاغاني (٦٠/٨) ، Ency., II, P. 477

٢ ألا هلّ أتاها والحوادث جمّة بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا

٣ ديوان امرئ القيس (٢٠ : ٣٧) ، الاغاني (٦١/٨) ، Olinder, P. 95.

٤ Ahlwardt, Bemerkungen über die echtheit der alten Arabischen Gedichte,

S. 73.

راجع أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام : تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ٦٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعرا ويسمى بـ (امرئ القيس) .

٥ الاغاني (٦١/٨) ، البلدان (٦٥/٨) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ،

Olinder, P. 95.

Maritm, Arabien, S. 53.

٧ الاغاني (٩٥/٨) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (٣٤٨/١) ، (وساكن دمّون هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٨٥/٤) .

حنظلة مقيماً ، لأن ظئره كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حينما بلغه النبأ ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنما
فقلت لعجلي بعيد مآبة ابن لي وبين لي الحديث المجمع
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلماً^١

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أنه به رجل اسمه (عجل) ويعرف بعامر الأعور^٢ .

أما صيلع ، فوضع من شق اليمن ، كثير الوحش والظباء . ورد اسمه في خبر مجيء وفد همدان الى الرسول^٣ . وقد صرح (ياقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر^٤ .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي عندهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب الى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وانه هرب على فرس له وتمكن من النجاة^٥ . ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكرة وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنذروا بالعيون ولجأوا الى بني كنانة ، ثم أدركوا ان امرأ القيس يتعقبهم ، ونصحهم (علياء بن الحارث) بالرحيل ليل ، وألا يعلموا بني كنانة ، ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا . فلما وصل امرؤ القيس الى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم ، نادى : يا لثارات الملك . يا لثارات الملك . فأخبروه انهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتلى حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

١ (أباحوا حمى حجر فأصبح مسلماً) ، السندوبي (١٨١) ، الاغانى (٦٦/٨) .
٢ الاغانى (٦٥/٨) .
٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
٥ Olinder, P. 96.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ،
وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير^١ .
ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على فرسه الشقراء ، لجأ ابن عمته (عمرو
ابن المنذر) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل
أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر
بـ (بقة) ، فدحه وذكر صهره ورحمه ، وانه قد تعلق بحباله ، ولجأ إليه فأرجاه
ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده ، وأنذره عمرو ، فهرب حتى
أتى حمير^٢ .

وفي رواية يرجعها الرواة الى (ابن الكلبي) و (الهيثم بن عدي) و (عمر
ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرؤ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر
ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد الى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن
ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقبيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن
الحميري) ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ، فأمدّه
بخمسمئة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرؤ القيس بهم ، وقام بالملكة
بعده رجل من حمير يقال له : قرمل بن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردد
امرؤ القيس ، وطول عليه حتى همّ بالانصراف ... فأنفذ له ذلك الجيش ،
وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجلاً ، فسار بهم الى بني
أسد ، ومرّ بـ (تبالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ،
فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر والناهي والمتربص ، فأجأها فخرج
الناهي ، ثم أجأها فخرج الناهي ، ثم أجأها فخرج الناهي ، فجمعها وكسرها
وضرب بها وجه الصنم ، وقال : مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ،
ثم خرج فظفر بـ (بني أسد)^٣ .

فلما ظفر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قولاً للدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

١ الاغاني (٦٧/٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٠٦/١ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٦٧/٨) .

٣ الاغاني (٦٧/٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٩/٢) .

ومن بني غم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل

* * *

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثمأ من الله ولا واغل

وهي أبيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غم بن دودان) ، وهي بطون من بني أسد، هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قرمل بن الحميم الحميري) وانه ألبسهم الدروع المحاة ، وكحلهم بالنار ، فبرّ يمينه ، وحل له شرب الخمر .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، والى ثعلبة هذا تنسب الثعلبية التي بين الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب^٢ .
والى (قرمل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)^٣ .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن رجلاً من قبائل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قدموا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه ، ليعتدروا اليه وليسوا قضية قتل والده ، فرفض إلا الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، واني لن أغتاض به جملأ أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد وفث العضد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبياً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقاً^٤ . وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاء دام ثلاثة أيام ، وهو في قباء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبلر اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتذراً ، طالباً الصفح عنهم ، ودفع الدية عن

١ السندوبي (ص ١٥١) ، الشعر والشعراء (٤٣ وما بعدها) . Olinder, P. 102.

٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ ، ٣٠٩) .

٤ الاغانى (٧٢/٨ وما بعدها) .

حجر ، أخبرهم ، أن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثأر ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة ، فيهجم عليهم^١ .
وهناك رواية أخرى تنسب الى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني اسد) اجتمعت « بعد قتلهم حجر بن عمرو الى ابنه امرئ القيس على أن يعطوه ألف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولاً » . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد إلي ألف من بني اسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤاً لحجر . وأما النظرة فلکم ، ثم ستعرفوني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى اشفي نفسي وأنال ثأري^٢ .

ولم تشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) الى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني اسد) ، ولكننا إذا ما اردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع ان نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرئ القيس) ب (بكر) و (تغلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني اسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم لـ (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً . وان نربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والهيثم بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحق بهذه الرواية ، والرواية القائلة بذهاب (امرئ القيس) الى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنونة) و (مرثد الخير بن ذي جلدن الحميري) بعد ان امتنعت بكر بن وائل وتغلب عن ملاحقة بني اسد . وقد أشار (ابن قتيبة) اشارة مختصرة الى هجوم (امرئ القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر انه اوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني اسد ، فقال :

يا لهف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
تالله لا يذهب شيخي بأطلا^٣

- ١ الاغاني (٧٢/٨ وما بعدها) .
- ٢ الاغاني (٨٥/١٩) .
- ٣ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢١٨/٢) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للأنباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرئ القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥٧٨/٥) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرؤ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها ، نزل بجمعه ذلك ، فدعر القطا ، فطار عن مجاثمه فرّ بني أسد ، فقالت بنت (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر . فقال علباء : « لو ترك القطا لغفا ونام » فأرسلها مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكثافته ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يالثرأت حجر ! فقالوا : والله ما نحن الا كنانة . فتركهم وهو يقول :

ألا ياللف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتتهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب^١

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرؤ القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع من كان معه عن الذهاب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : « ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة ، رفع عقيرته وقال :

سقيننا امرؤ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعود بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقرقر وأعياه ثأر كان يطلب في حجر
وذاك لعمرى كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أخا أهل الحجاز ، من قاتل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسة من مذحج ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقبائل معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعره :

قولا لدودان عبيد العصا : ما غركم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائل عن شأننا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأ القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك
الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبتة بنو
أسد وقبائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على
طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عاملاً
لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ،
فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء
مرة وفي جديلة مرة وفي نيهان مرة حتى صار الى (تيماء) فترل بالسموأل بن
عادياء فأودعه أذراعه وانصرف عنه الى قيصر^١ .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرأ القيس) سار صريحاً الى (بني بكر)
و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر
ابن امرئ القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرئ القيس) في (كنانة) ، فأئخن
فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بني أسد) الى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ،
ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جلدن) من ملوك
حير صريحاً بنصره بخمسمئة من حير ، ويجمع من العرب سواهم . وجمع المنذر
لامرئ القيس ومن معه ، وأمدته كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة، والتقوا ،
فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حير ومن كان معه ، ونجا بدمه ، وما زال يتنقل
في القبائل والمنذر في طلبه ، وسار الى قيصر صريحاً فأمدته ، ثم سعى به
(الطمّاح) عند قيصر انه يشبب بينه، فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه
ودفن بأنقرة^٢ .

و (أبو الفداء) من الذين نفوا كذلك خبر ايقاع (امرئ القيس) بـ (بني
أسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بني أسد) هربت حيناً علمت
بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تحاذلتا عن (امرئ

١ اليقوبسي (١٨٠/١) .

٢ ابن خلدون (٢٧٤/٢) وما بعدها .

القيس) ، وتركته . ولما عرفت جموع (امرئ القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقل من أناس الى أناس حتى قصد (السموأل بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار الى قيصر مستنجداً به^١ .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، خبر انتقام امرئ القيس من بني اسد ، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤسدة لبني اسد تنكر اخذ امرئ القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك أبياتاً تنسبها اسد الى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعره انه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

يا إذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً
أزعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا^٢

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابن الكلبي) وأضرابه انه قال أبياتاً يتوسل فيها الى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة الى موطنها . وكان قد امر باجلائها الى تهامة ، لأنها أبت دفع الاتاة الى جابي (حجر) ، وضربته ، وخرجته ضرباً شديداً . ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رقى على (بني اسد) ، فبعث في اثرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة^٣ . وهو قول فيه تحيز على بني أسد .
وفهم من هذه الأبيات :

كأنني إذ نزلت على الملقى نزلت على البواذخ من شمام
فأملك العراق على الملقى بمقتدر ولا الملك الشامي

-
- ١ أبو الفداء (٧٥/١) ، خزانة الادب ، (٥٣٢/٣) ، الكامل لابن الاثير (٣٠٨/١ وما بعدها) .
 - ٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١٥٨/١ وما بعدها) تاريخ يعقوبية (١٨٩/٢) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة ليدن) .
 - ٣ الاغانى (٦٣/٨) .

أصد نشاط ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام

أن امرأ القيس نزل على (الملقى) احد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه .
ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشام أي ملك الغساسنة ،
اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر الى الارتحال عنه ^١ . فذهب ونزل
عند (بني نبهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل بـ (عامر بن جوين الطائي)
وهو احد الخلاء والفنك ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فتغفله ،
وانتقل الى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوَقعت الحرب بين (عامر) وبين
(الثعلبي) ، فخرج ونزل برجل من (بني فزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن)
فأشار هذا عليه بالذهاب الى (السموأل بن عاديا) بتياء ، فوافق فأرسله في صحبة
رجل من (فزارة) اسمه (الربيع بن ضبع الفزاري) كان يأتي السموأل ، فيحمله ويعطيه .
فتزل عنده وأكرمه ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى (الحارث بن أبي شمر)
الغساني ، ليوصله الى قيصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله ، وأقام
ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج ^٢ . وكان السدي أشار
على (امرئ القيس) بالتوجه الى قيصر هو ذلك الرجل الفزاري ^٣ .

ويظهر من غربة كل هذه الروايات ، ان مطاردة (المنذر بن ماء السماء)
لامرئ القيس كانت أعنف شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته
وجعلته ينتقل من قوم الى قوم . فرّ عنه من انضم اليه من عصابة حمير ، ونجا في
جاعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة
ومعه أدراعه الخمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والحريق ، وام
الذبول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فقلما لبثوا عند الحارث بن
شهاب حتى بعث اليه المنذر مئة من أصحابه يوعدة بالحرب أن يسلم بني آكل
المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث
وبنته هند ، والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى الى أرض طيء

١ الاغانى (٦٨/٨) ، السندوبي (ص ١٧٩) . Olinder, P. 108.

٢ الاغانى (٧٠/٨) .

٣ الاغانى (٦٨/٨) وما بعدها .

ونزل عند المعلّي بن تيم الذي مدحه شاعرنا ، فأقام عنده ، واتخذ لإبلاً ، ثم خرج فنزل بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت^١ .

ويذكر الأخباريون ان (عمرو بن قميثة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره الى (القسطنطينية) . وقد أشير اليه في شعر (امرئ القيس) كذلك . ويذكرون انه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية « وانه أول من قال الشعر من نزار ، وهو أقدم من امرئ القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه ، فمات معه في طريقه . وسمته العرب : عمرأ الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب »^٢ . بل روى انه كان من أشعر الناس^٣ . وانه كان من خدم والد امرئ القيس ، وانه بكى وقال لامرئ القيس غورت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه^٤ .

أما خبر (امرئ القيس) مع الغساسنة في طريقه الى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً ، وليس في شعره ما يشير الى انه ذهب اليهم رجاء التوسط في الوصول اليه . ويظهر من شعر لامرئ القيس ، انه سلك طريق الشام في طريقه الى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)^٥ وبعليك وحمص وحماة وشيزر^٦ . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من امره شيئاً .

ويقول الرواة ان قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له منزلة عنده ، وأنه دخل معه الحمام ، وان ابنته نظرت اليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأنيه ، وانه

-
- ١ الاغانى (٦٨/٨) .
 - ٢ الاغانى (١٥٨/١٦) وما بعدها .
 - ٣ الاغانى (١٥٩/١٦) .
 - ٤ (ثم سار ومعه عمرو بن قميثة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه . فبكى ابن قميثة ، وقال : غرت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) ، امالي الشريف المرتضى (٦٢٩/١) .
 - ٥ فلما بدت حوران والأل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرها
سندوبي (ص ٧٠)
 - ٦ لقد أنكرتني بعليك وأهلها ولا بن جريج في قرى حمص انكرا
سندوبي (ص ٧٠) ،
(ابن جريج) ، Olinder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمتُ قيصر في ملكه فأوجهني وركبتُ البريدا^١

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمده بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطمّاح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرئ القيس، وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « ان العرب قوم غلر ولا نأمن ان يظفر بما يريد ، ثم يغزوك بمن بعثت معه » . وفي رواية لابن الكلبي انه ذهب الى قيصر ، وقال له : « ان امرأ القيس غوي عاهر ، وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يرسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكreme لك ، فلماذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من من مزل منزل . فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم ، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قولهم هذا بشعر امرئ القيس^٢ .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عاوده في ديار الروم ، وهو عائد الى دياره ، فلما وصل الى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فمات هناك . وانه رأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال في ذلك شعراً .

١ الاغانى (٧٠ / ٨) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٥٩١ / ١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Olinder, P. III, FR. Ruckert, Amrlikals der Dichter und König, Hannover, 1924.

الاغانى (٧٠ / ٨ وما بعدها) ، (الطمّاح بن قيس الاسدي) ، الشعر والشعراء (٥٠ / ١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) .
قوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيا لك نعمى قد تحول أبؤسا
الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات فدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرى القيس) الى (القيصر) (يوسطيانوس) كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد^٢ .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هذه الحوادث التي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرى القيس الى القسطنطينية ، وطلبه النجدة من القيصر وموته في انقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلّى) الطائي احد بني تيم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصاييح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عداد الوافين من العرب . قيل ان (المعلّى) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلّى وقد أجاره ، فركب حتى اتى (ابن المعلّى) . فعمد ابن المعلّى حتى انتهى الى القبة التي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلّى ولست واصلاً إليها » . ونادى في قومه ، فنعوه ، فقال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تيم) وذكر نعتهم (مصاييح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ولا الملك الشامي^٣

واما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امرؤ القيس عنده ، فهو من

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل ، فأقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبة مسحفره وطعنة متعنجره
وجعبة متحيره تدفن غدا بأنقره

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبه فخبّر بخبرها ، فقال :

اجارتنا ان المزار قريب واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) ، الاغاني (٧١/٨) ،

Ency., II, P. 477.

Ency., II, P. 477.

٢ المحبر (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(طيء) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبل عامر امرأة امرئ القيس ، فأعلمته بذلك ، فسار امرؤ القيس الى (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلبي) المعروف بـ (أبي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « انا أجبرك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل » . فرضي بذلك وتحول اليه . فلما قدم ابو حنبل رأى كثرة أموال امرئ القيس وأعلمه ابنه بما شرط له في الجوار . فاستشار في اكله نساءه . فكلهن أشرن عليه بذلك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه خالفهن بعد ان فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، فعقد له جواراً ثم ركب في اسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، فقال له : « قبل امرأته كما قبل امرأتك . افعل »^١ .

وذكر اهل الأخبار ان (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضغن على (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجار (امرأ القيس) ايام كان مقيماً بالجبلين ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هنالك لا أعطى مليكاً ظلامه ولا سوقه حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لحم . ودخل عليه ، أتبه على فعلته وهدده بغزو قومه ، وبانزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد ان قال له : « إن البغي اباد عمراً ، وصرع حجراً ، وكان أعز منك سلطاناً ، واعظم شأناً ، وان لقيتنا لم تلق انكاساً ولا أغساساً ، فهبتش وضائعتك وصنائعك ، وهلم اذا بدا لك ، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم اتى راحلته ، وانشأ يقول ابياتاً يتوعد فيها الملك^٢ .

ويشير اهل الأخبار الى ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (ابي جبر) . قالوا عنه ، انه كان ملكاً شديداً البأس ، خرج الى (كسرى) يستجيشه على قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا الى بلاد العرب قالوا : اين يمضي بنا هذا الرجل ، وعمدوا الى سم . دفعوه الى طبّاخه ،

١ المحبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فألقاه في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه،مرض وتوجع ، فجاء الأساورة اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم، فرجعوا وخفّ ما به ، فخرج الى (الطائف) الى (الحارث بن كلدة الثقفي) ، ليداويه فداواه وبرىء ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة اسمها (كبشة) فرثته^١ .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرئ القيس) الذي يعود اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرئ القيس وديوانه وصحيحه وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ، ولهم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فعلى مقالاتهم المعول في هذه الأمور .

يتبين للقارئ بعد غريبة الأخبار المتقدمة ، ان كندة كانت قد تمكنت من الهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها،بلغت أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد. الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزاؤه تتساقط ، وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البداية إلى الانفصال عنها وإلى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخسرت كندة ملكها الذي شمل نجداً ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجوئهم الى حضرموت ، ويقدر بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي ثلاثين الف رجل ، نزل اكثرهم في (دمون)^٢ .

السموأل :

ولا بد من الاشارة باختصار الى (سموأل) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا على (امرئ القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعر ،

١ نزهة الجليس (١ / ٤٨٤) .

٢ Beiträge, S. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مقره (الأبلق) ب (تماء) يعرف ب (السموأل بن عاديا) وب (السموأل بن غريض بن عاديا) (عاديا) اليهودي^١ . وب (السموأل بن حيان (حسان) ابن عاديا^٢) وب (السموأل بن عاديا بن حيا)^٣ ، وب (السموأل بن حيا ابن عاديا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٤ ، وب (السموأل بن أوفى بن عاديا)^٥ . ويظهر من بيتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار الهام له في جحفل كسواد الليل جرّار
جار ابن حيا لمن نالته ذمتسه أوفى وأمنع من جار ابن عمّار

أن المراد ب (ابن حيا) السموأل ، أي ان اسم والد السموأل هو (حيا) . واختلفوا في نسب (عاديا) (عاديا) ، فقالوا : (عاديا بن حباء) وقالوا (عاديا بن رفاعه بن جفنة) ، وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)^٦ ، وقالوا عن قبيلته إنه كان من (بني غسان)^٧ . ونسبه (دارم ابن عقال) الى (رفاعه بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من غسان »^٨ . ونسب السموأل الى الأزدي^٩ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

- ١ (عاديا) ، الاغانى (٩٨/١٩) ، ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Ency., IV, P. 133.
- ٢ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد ٣ اذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (١٧٦/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .
- ٣ المغرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .
- ٤ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .
- ٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١٣١/١) .
- ٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .
- ٨ الاغانى (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ٩ المغرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)^١ . ولم يذكر
الأخباريون اسم الولد الذي زعم ان (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن
ظالم) قتله لرفض (سموأل) دفع أدرع الكندي اليه ، على نحو ما يذكره
الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة
في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة انه قالها
مستجيراً بـ (شريح بن سموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله
الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسرّه ، وهو لا يعرفه ،
فتزل بشريح بن سموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه
القصيدة ، فجاء شريح الى (الكلبي) ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ،
فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) :
« إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة
ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلبي) ان الذي وهبه لشريح
(الأعشى) ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ،
فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه »^٢ .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة :
أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وحبسه ، واجتمع عند (الكلبي) شرب
فيهم (شريح بن عمرو الكلبي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلبي : من هذا ؟
فقال خشاش التقطته . قال : ما ترجو به ولا فداء له ! خلّ عنه . فخلّى
عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فأراد
استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تتركني بعد ما علقّت حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل اذ طاف الهام به في جحفل كhezيع الليل جرّار
بالأبلى الفرد من تباء منزله حصن حصين وجار غير غدار^٣

- ١ المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣ اذار ، (ص ١٦٣) .
- ٢ الاغانى (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (ص ١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق رودلف كاير) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م. محمد حسين) .
- ٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) ، (الاعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجير (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حيتا بن عاديا)^١ ، فصار (السموأل) جدّاً من أجداد (شريح) لا والدّاً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرئ القيس) إليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغساني)^٢ . وزعم بعض آخر أنه (الحارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأبلى ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجهّه بـ (الحارث بن ظالم) في خيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، وزعم انه (الأبرد) وهو الملك الغساني . وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر يعين أباغ ، وجه ابن عمّه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرئ القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع إليه ، فامتنع ، فذبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، انما ذكروا انه كان بعض ملوك الشام^٣ .

واذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع الى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تيماء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الدرس^٤ . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرتادون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة الى امرئ القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرئ القيس) ، ابتداءها :

طرقتك هند بعد طولٍ تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

- ١ ديوان الاعشى (١٢٥) ، (تحقيق كابر) .
- ٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الاغاني (٩٩/١٩) .
- ٣ الاغاني (٩٩/١٩) ، ديوان الاعشى (١٢٦) ، (كابر) ، المجير (٣٤٩) .
- ٤ البلدان (٤٤٢/٣) ، الحيوان للجاحظ (١٨٨/٦) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بيسن ، وما دوتها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا ... »^١ . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) ان قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرؤ القيس^٢ .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن امارة كندة، من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسبته أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بنجد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف تشتت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الحصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سيما (المنذر) لساداتها ، وانفضاض القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سيما حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فزححت اليها واستوطنت بها . وكونت لها امارة كندية بحضرموت .

١ الاغانسي (٧٠ / ٨) .

٢ H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mittel. der Vorder Asia. Gesel., 1901, S. 112. 6 Jahrgang.

وهذا القول يجب ألا يفسر على أن مجيء كندة الى العربية الجنوبية انما كان بعد سقوط حكومتهم وتشتت أمرهم ، فقد أشرت فيما سلف في مواضع الى وجود كندة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمان طويل ، وأشرت الى ورود اسمها في نصوص المسند وان الأدوار التي لعبتها في ايام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الاسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيما سلف ورود اسم (كندة) (كدت) في نص أمر بتدوينه الملك (معديكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاد وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)^١. وقد دون ووضع في موضع (مأسل الجمح)^٢ المناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع (كتا) لمحاربة (منر) أي (المنذر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحسير و (رحبت) (رحبة) وحضرموت و (يمنست) (اليمن) والأعراب و (كدت) أي (كندة) و (مَدَحَج) . واشترك مع المنذر (منر) بنو ثعلبة (بن ثعلبت) و (شبيع ؟) . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيصن) (ذو قيص) (ذو القيص) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد^٣ .

ويظهر من هذا النص أن (المنذر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدة ملكه ، وانه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمح) . ولعله كان يتعقب عشائر كندة ومن كان يؤازرها وبعادي ملك الحيرة ، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطأ أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة « سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والمنخفضات » . ولهذا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كندة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كدت) كندة مع مراد ومذحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) على الأحباش في مدينة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

١ كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمائل

٢ (بما سلم جمح)
Le Muséon, LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

٣

نص سجله القيل (شرح ايل يقبل بن شرح ايل يكمل) من (ال يزن)
(آل يزن) (آل يزأن) بالاشتراك مع (جدن) (جدنم) و (حيم) (حب)
و (نسا) (نسان) (نسن) و (جبا) (جبا) لهذه المناسبة .

ويتبين من هذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) هاجم
(ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلسن) (القليس) ، ثم
سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعين القيل على رأس جيش ،
ثم سار الى (نخون) (نخا) فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع
حصون (شمر) ومعقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) .
وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر الف قتيل ،
وأخذ تسعة آلاف وخمسة اسير ، واستولى على (٢٨٠) الف من الإبل والبقر
والمعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ايل يقبل) (شرح ال يقبل)
بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء
(بني أزأن) (آل يزأن) (بن يزن) وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج
وأعرابها . فتغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة
في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد
هناك من الأحابيش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحيعت برخم)
و (سميع أشوع) و (شرح ايل أسعد) . وقد دوّن هذا النص في شهر
(ذ قيصن) (ذو القيص) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري
الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد^١ .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية
في أيام استيلاء الحبش على العربية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخاص
المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فتبعهم أتباعهم ، كما
يرد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا اجمعهم ، وتكحلوا ، عليهم جيب الحيرة ، قد كفّفوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفتخر بجده (آكل المرار) ، وبـ « أن كندة كانت ملوكاً »^١ . وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وانما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آبائه إلا ملك أو رئيس . وكان كريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت^٢ .

وكان (نخوص) (نخوس) ومشرح وجمسد وأبضعة بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الاسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بواد ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي^٣ . وقتلوا في الردة^٤ .

ويرجع النسابون نسب كندة الى جدّ أعلى قالوا له (عفير بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة^٥ . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأشرس ، وامها هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن نزار^٦ . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تأريخها بها ، وتملكها عليها قبل الاسلام بزمان . وهو تملك جعل (كندة) تفتخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك) . ويذكر (الهمداني) ، ان الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفتخر ويقول :

لا ينكر الناس منا يوم تملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أربابا^٧

-
- ١ الطبري (١٣٨/٣ وما بعدها) ، (قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة) .
 - ٢ الأكليل (٩٠/١) .
 - ٣ ابن الأثير (١٥٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٢٩٤/٣) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، القسم الثاني : الوفود .
 - ٤ الاشتقاق (٢٢٠) .
 - ٥ الأكليل (١٤٦/١) .
 - ٦ الأكليل (١٤٥/١) .
 - ٧ الأكليل (١٤٥/١) .

وان (تبعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، عيّن حجراً آكل المزار على معد كلها ، فالملك على (معد) لكندة . وان (كندة) كانت تقول : « لم تزل لها نزار ومن نزل الحيرة والشأم من العرب طعمة ورعية » .

وقد نسب بعض النسابين (كندة) الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان^١ . ونسبه بعض آخر الى (كندة بن عفير بن الحارث) ، الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ، وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كندة^٢ .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة، ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان^٣ .

و (الأشرس بن مرتع)، هو أخو (كندة) ، وهو ابو السكون والسكاسك^٤. ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير)^٥. ومن السكون (نجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . ومنه تعلم أهل مكة الكتابة^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أن كندة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كندة ، نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تذكرت الأواصر والقرايات التي كانت تربطها بـ (الصدف) فصارت تحارب معها^٧، وجعل (الهمداني) أهل حضرموت من كندة والصدف وحير .

١ جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الأكليل (٤ / ١٠) ، الأنبياء (١١٤) ، الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧ / ٢) ، صبح الأعشى (٣٢٨ / ١) ، نهاية الأرب (٣٠٣ / ٢) ، الروض الأنف (٣٤٥ / ٢) ، تاج العروس (٤٣ / ١) ، (٢٨٧ / ٢) ، اللسان (٣٨٦ / ٤) .

٢ الأكليل (٥ / ١٠) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧ / ٢) .

٤ الأكليل (٣٥٨ / ١) .

٥ الأنبياء (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (١٤١ / ٧) ، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٨١ / ٤) .

٦ جمهرة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧ / ٢) .

٧ الأكليل (١٥ / ٢ فما بعدها) . Belträge, S. 133.

فلسطين الثالثة :

لقد ذهب (كوسان دى برسفال) (Caussin de Perceval) الى أن (كيسوس) (Kaisus) (Caisus) المذكور عند (بروكوبيوس) و (نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)^١ .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) ، أرسل رسولا هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Esimiphaeus) (السميفع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Caisus) على (معد) (Maddenin) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكة الفرس^٢ . وكان (كيسوس) هذا قد قتل أحد أقارب (Esimiphaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يبق أي منهما بالغزو ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كيسوس) هذا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباز) اي قبل سنة (٥٣١ م)^٣ . وفي الخبر اشارة الى شجاعة (قيس) وكفائه وحزمه ، لهذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) ان القيصر (يوستنيانوس) كلفه الذهاب في سفارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الحارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyoi) كندة و (معد) (Maadynoi) لمواجهة ودعوته للذهاب الى الانباطور اذا أمكنه ذلك . فذهب اليه ، ونفذ أوامر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنستاسيوس) (Anastasius) قد كلف جند (نونوسوس) أن يذهب الى الحارث ليعقد عهداً معه ، كما ان القيصر (يوستينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهيم) (ابراهيم) أن يذهب الى (المنذر) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه ، هما (تيموستراتوس)

Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Essai., II, P. 317. ١

Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13. ٢

Olinder, P. 114. ٣

و (يوحنا) . تم كلف مرة ثانية في عهد (يوستنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، لعقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد معه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Mauias) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوستنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (أومروس) (Aumros) (عمرو) ، ونال من الانباطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه^١ .

وقد ذكر (ملخوس الفيلاذلفي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sareceni) هو بطن (Nokhalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطالب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الخاضعة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الخاضعة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو الآية منها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجبيها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة الواقعة في العربية الحجرية وأعلى الحجاز^٢ .

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢١ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م ، (ص ١٠٠٥) ، شيخو ، النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٣٣ وما بعدها) ،

Migne, Patrol. Gree., Phot., Bibl. CIII, 46-47, Ollinder, P. 114.

Musl, Hegaz, P. 306. ٢

وأراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ،
الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين
خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف
(بطرس) أسقف قبيلته ، ليكون رسوله الى القيصر . وقد نجح هذا الأسقف
في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرؤ القيس) لزيارة القسطنطينية ، فلما وصل
اليها استقبل بها استقبالا لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيما بعد أن أعلن
دخوله في النصرانية ، فأُنعِم عليه القيصر بالهدايا والألطف وعينه (عاملاً)
(Phylaeachus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية .
ثم عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس
كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم النازحين من مناطق أحد الطرفين
في أرضين الطرف الثاني^١ .

ويحتمل على رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من
(الوديان) و (الحجيرة) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب
(العربية الحجرية) ، والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia)
ويتوسع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe)
المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم
الذي يربط ديار الشام بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ
عظيم^٢ .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطلميوس) ، أخذ
تسميته هذه من (حينو) (حايو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به
عند الأنباط^٣ . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت)
أن سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)^٤ .

ويحدثنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

١ Musll, Hegaz, P. 306.

٢ Musll, Hegaz, P. 306.

٣ Musll, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ Musll, Hegaz, P. 306. البلدان (٣٥٢/٢)

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديداً . وبدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرئ القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرئ القيس عليها . ولعلمهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهاز الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokalian) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام^٢ ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في ايام (يوسطينيانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعينه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب، ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هذا الرئيس ، يدعون بـ (Maddeni) أي (معد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون^٣ . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة لحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأكيد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين . وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قيساً) هو (امرؤ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انهما لمسمى واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قيساً) كان رئيساً على قبيلتي (كندة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كندة) أو انه كان حتماً (امرأ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307. ١

Blau, in ZDMG., 22, 1868, S. 578. • البلدان (٢٧٦/٨ وما بعدها) ٢

Procopius, De Bello Persico, I, 19, Musil, Hegaz, P. 307. ٣

الفصل الأربعون

ملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عربٌ عرفوا بـ (آل غسان) ، وبـ (آل جفنة) وبـ (الغساسنة) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشام، زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوه في العراق .

وقد نقلت كلمة (غَسَّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان) ، ببلاد (عك) بزييد وريبع ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، أخذوا اسمهم منه، فسموا (غسان)^١ ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان) . ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السد . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشام . وحادث تصدع السد لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الأزد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السد مراراً ورم

١ حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٣٠/٢) ، القاموس (٢٥٣/٤) ، أما سألت فأننا معشر نجب الأزد نسبنا والمساء غسان البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لابن سعيد السكري ، (ص ٣٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ديوان حسان (ص) (هرشفلد) .

مراراً . والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هذا التصديق كان قد وقع قبل الإسلام بزمان ، وقد بقيت ذكراه عالققة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّ أعلى يدعونه (جفنة بن عمرو مزريقاء بن عامر) على رأي^١ ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن^٢ . ويذكر (ابن دريد) ان (جفنة) إما من (الجفنة) المعروفة ، أو من (الجفن) ، وهو (الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر ان المثل المشهور بين الناس : « وعند جهينة الخبر اليقين » ، هو خطأ تقوله العامة ، وان صوابه : « وعند جفينة الخبر اليقين »^٣ .

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان في نصوص المسند ، كذلك لم نظفر به في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون ان الذي قاد الغساسنة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ (مزريقا) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث^٤ . ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات^٥ .

وروى (ابن قتيبة الدينوري) ان (عمرو بن عامر مزريقاء) لما خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم (سملقة) (سملقة) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام حتى يبعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم رواداً فأت عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده وروّاده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو، وان رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سملقة (سملقة)،

- ١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل شرح ديوان حسان بن ثابت ، (إخراج البرقوقى) ، (طبع المطبعة الرحمانية) ، القاهرة ١٩٢٩ م ، (ص ٣٠٩) شمس العلوم (١ ق ١ ص ٣٤٢) ، اللسان (٩١/١٣) ، (جفن) .
- ٢ شمس العلوم ، (١ ق ١ ص ٣٤٢) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، اللسان (٩١/١٣) ، (صادر) ، (جفن) .
- ٤ حمزة (ص ٧٧) .
- ٥ مروج (٣٠/٢) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلتك عك أبرح قتل وخرجوا هارين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاية البيت ، فترلوا بطن مرة وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلتهم جرهم ، فنصرت الأزد عليهم ، فأجلوهم عن مكة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار (قصي) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانه قيصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجعاً ، وأقامت الأزد زماناً^١.

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فلكوا بها . منهم (جذيمة بن مالك بن الأبرش) ومن تبعه. وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشام، فهم (آل جفنة) ملوك الشام . وصار جذع بن سنان قاتل سلمقة الى الشام أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قيصر قدم عليهم ليحببهم فطال بهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن نعطيك . فقال له العامل: اجعله في كذا وكذا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذع ما أعطاك ، فذهبت مثلاً^٢.

فضى كاتب العامل الى قيصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزد من أطاعه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وتقووا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولما صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، حالفوهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نقضت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزد^٣.

وللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزقياء . وقد ذكر (حزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وترعم الأزد أن عمراً سمي مزقياء لأنه كان يمزق كل يوم من سني ملكه حلتين لثلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزقياء . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزقياء ، لأن الأزد

١ المعارف (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

٢ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزدي عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ^١ . ومال (نولدكه) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور^٢ .

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدّهم (عمرو) واقتداره^٣ . وأما ما ذهب اليه (نولدكه) ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفريق الأزدي عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزع معهم من اليمن قومهم من الأزدي ، فترلى المدينة رهط « ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج، ونزل مكة رهط حارثة ابن عمرو بن عامر، وهم خزاعة، ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام، وهم الغساسنة ونزل لخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر^٤ . فوصل أهل الأخبار بذلك تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل لخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث (سيل العرم) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لنفر من الأنصار ، ورد فيه انتساب أهل يثرب الى (عمرو بن عامر) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر للشاعر الأنصاري المعروف (حسان بن ثابت) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقى^٥

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الأنصار هو :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدي أبوه عامر ماء السماء^٦

١ حمزة (ص ٧٧) ، (وهو مزيقياء . كان يمزق كل يوم حلة لثلا يلبسها احد بعده) ، الاشتقاق (ص ٢٥٨) .

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، نولدكه : أمراء غسان ، (ص ٣) ، ملحوظة ١ (الترجمة العربية) .

٣ أمراء غسان (ص ٣ وما بعدها) ، (ص ٥) من النص الألماني .

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

٥ البرقوقي (ص ٢٨٦) .

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

فالأنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الغساسنة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سيل العرم على نحو ما رأيت .

وافتنخار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لحم ، مع أنهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افترقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ونجد لحسان بن ثابت شعراً في الغساسنة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر أن لقرب الغساسنة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية ، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الغساسنة بيسر وسهولة ، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لغسان على آل لحم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « انه إنما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزرد مخمصة ، فأنهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا بدل ماء السماء »^١ . وقد عرف أشخاص آخرون بـ (ماء السماء) من غير غسان ، منهم (المنذر بن امرئ القيس اللخمي) و (ماء السماء بن عروة) من ملوك (الحيرة) على زعم (ابن الكلبي)^٢ . وقد نعت (حسان بن ثابت) الغساسنة الذين جاءوا من بعده بـ (أولاد ماء المزن) . و (المزن = المطر) . يريد بذلك (أولاد ماء السماء) ، أي : (بني ماء السماء) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصد الشاعر بذلك أن (آل غسان) ، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جدّ الغساسنة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنعت بهذا النعت السدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلازمتهم حتى اليوم^٣ .

ونسب آل غسان إلى جد آخر ، يعرف بـ (ثعلبة) . وقد أشير إلى (عرب الروم من آل ثعلبة)^٤ . وقد ذكر (محمد بن حبيب) ، أن رئيس غسان

- ١ حمزة (ص ٧٧) (ما نهم - أي احتمل مؤنتهم ، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب) البرقوقي (ص ٢٨٧) .
- ٢ المجسر (ص ٣٦٥) .
- ٣ كحفنة والقيقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق البرقوقي (ص ٢٨٧) .
- ٤ غسان (ص ٤) .

الذي قضى على (الضجاعة) ، وانتزع الملك من (سليح) ، هو (ثعلبة) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزدا . ومن نسله كان ملوك غسان ، فهو اذن (ثعلبة) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ (الضجاعة) ، وهم من (سليح ابن حلوان) ^٢ .

وبنو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى (سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة) ^٣ . وقد نسبهم (ابن دريد) الى (سليح بن عمران ابن الحاف) ، وجعل لـ (سليح) شقيقاً هو (يزيد) جدّ (التزديد) ^٤ . ونسبهم (السكري) الى (سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) ^٥ . ولكن اختلاف النسابين هذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في (قضاعة) حيث يتفق الكل أن (سليحاً) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستدرك على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة » ^٦ .

وقد ذكر أهل الأخبار ان (بني سليح) بقوا في بلاد الشام ، اذ ذكروهم في أخبار الفتوح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشام . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في (قنسرين) في أيام المهدي ^٧ .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهبولة ملك الشام، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المزار ، وذكروا انه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم، فأخذ الحريم والأموال وسبي منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية . فلما سمع

-
- ١ المحبر (ص ٣٧١) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) ، الأكليل (١٨٢/١) .
 - ٤ الاشتقاق (٣١٤/٢) .
 - ٥ المحبر (ص ٣٧٠) .
 - ٦ المعارف (ص ٢٧٨) ، (أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو من غسان ، ويقال من قضاعة) ، (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
 - ٧ فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ١٥٢) (طبعة القاهرة (١٩٠) .

حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محم بن ذهل بن شيان ، وعمرو بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ (البردان) دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر على أتباع (ابن الهبولة) ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل^١ .

وتذكر رواية ان (حجراً) أرسل (سدوس بن شيان) و (صليح بن عبد غنم) الى عسكر (زياد) يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً، فشد (سدوس) على زياد واعتنقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه (عمرو بن أبي ربيعة) حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيره ، وطالب بديته ، دية الملوک ، فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله^٢ .

ويقتضي على هذه الرواية ان يكون ملك (زياد بن الهبولة) في وقت متأخر اذ لا ينسجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من ان ملك (بني سليح) كان قبل الغساسنة^٣ . ولو أخذنا بالخبر المتقدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في ايام الغساسنة لا قبل ذلك .

وقد ذكر (ابن الأثير) أن (زياد بن هبولة) لم يكن ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلاص من قوله برأي توفيقى ، بأن افترض ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم او متغلباً على بعض أطراف الشام ، فهو غير ذلك الملك المذكور^٤ .

١ ابن الاثير (٢٠٨/١) ، حمزة (ص ٩٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، ايام العرب (٤٢) .

٢ ايام العرب (٤٥) .

٣ ابن الاثير (٢٠٨/١) .

٤ ايام العرب (٤٥) .

وقد تحدث (أبو عبيدة) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان^١ .

وقد تحدثت بعض الروايات عن (زياد بن هبولة) على هذا النحو : « منهم داوود اللثقي بن هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرق بالنار »^٢ . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه (هباله) ، وجعلت (داوود اللثقي) شقيقاً له . أما الروايات الشائعة ، فتجعل (داوود اللثقي) ابناً لـ (هباله) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف) ، فهبولة على هذا وهباله أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم^٣ . وأما ملوك (سليح) على رواية (ابن قتيبة الدينوري) ، فهم : (النعمان ابن عمرو بن مالك) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان دانوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم (عمرو) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد (عمرو) الى الغساسنة^٤ .

ونسب الأخباريون (الضجاعة) الى (بني ضجعم بن حاطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاة)^٥ . فهم على هذا النسب ، ومن (بني سليح) ومن قبائل قضاة ، وقد حكموا بعد حكم (بني سليح) . ونسب بعض الأخباريين (ضجعم) الى (سعد بن سليح) ، أي باسقاط اسم (حاطة) من النسب ، بأن جعلوا (سعد بن سليح) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم (داوود اللثقي بن هبولة بن عمرو) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان (داوود بن هبولة) هو شقيق (هباله بن عمرو ابن عوف بن ضجعم)^٦ .

-
- ١ أيام العرب (٤٥) .
 - ٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
 - ٣ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
 - ٤ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (ص ٦٤٠) ، (ثروت عكاشة) .
 - ٥ المحبر (ص ٣٧٠) ، الاشتقاق (٣١٩/٢) ، ابن خلدون (٢٧٩/٢) ، حمزة (٧٦) ، غسان (٦) ، الاكليل (١٨٢/١) .
 - ٦ الاشتقاق (٣١٩/٢) .

ويظهر ان (داوود اللث) كان قد اعتنق النصرانية ، وكان قد عمل للروم .
واليه ينسب (دير داوود) (دير الداوود)^١ .

ويظهر من بعض الروايات ان (زياد بن هبولة) الذي حارب (حجرآكل المرار) ، كان أخاً لـ (داوود) . ويظهر من روايات أخرى انه كان ابن عم له^٢ . واذا اخذنا برواية من زعم ان (زياداً) هذا حارب (حجرآكل المرار) ، فعنى هذا ان (جفنة) ، وهو مؤسس إمارة آل جفنة ، أي الغساسنة ، قد حكم بعد (زياد) . وقد زعم (حمزة) ان ملكاً من ملوك الروم اسمه (نسطورس) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام^٣ . وذهب بعض أهل الأخبار الى ان القيصر الذي عين (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنسطاسيوس) (Anastasius) الأول ، الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد . فتكون نهاية حكم الضجاعة وبداية حكومة (آل جفنة) في هذا العهد^٤ .

و (ضجعم) هو (Zocomus) أحد (العمال) (Phylarch) الذين نصبهم الروم على عرب بلاد الشام ، حرق اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره (ثيوفلكتوس) (Theophylactus) على هذه الصورة : (Zeokomos)^٥ ، وذكر انه هو وقبيلته دخلوا في النصرانية وان الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى^٦ .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا مثل سائر القبائل المستعربة المستنصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل) في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد، وكان رئيسهم اذذاك هو (ابن الحدرجان)^٧ .
لقد أشار المؤرخون اليونان والسريريان الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Mauia) (Mavia) ، حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشام، وهاجمت

١ Die Araber, II, S. 331.

٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) ، ابن الاثير (٣٧٢/١) ، ابن خلدون (٢٧٨/٢) .

٣ حمزة (ص ٧٧) .

٤ Die Araber, II, S. 332.

٥ Sozomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, S. 330.

٦ غسان (ص ٦) ، (ص ٨) من النص الالمانى ،
Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 30, Rufinius, II, 6, Theodoretus, 40, 21.

٧ الطبري (٣٧٨/٣) (خبر دومة الجندل) .

فلسطين و (فينيقية) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر (والنس) (Valens) (٣٦٤ - ٣٧٨ م) انطاكية وذلك سنة (٣٧٨ م)^١ . وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسَقَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشام ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هذا الراهب كاثوليكياً معارضاً لمذهب أريوس^٢ .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أنزلت الدمار والخراب بقرى ومدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و (الحدود العربية) (Arabici Limites) . وتذكر أن عربها كانوا من الـ (سارسين) (سرسين) (Saracene)^٣ .

وقد وليت (ماوية) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينها وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينهما ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم . ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترصيتها على نحو ما ذكرت^٤ .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم^٥ .

وقد حكم قبل (ماوية) (عامل) عربي أشار اليه المؤرخ (أميانوس) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من (السرسين) ، (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)^٦ ، وقد حكم

١ Provincia Arabla, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV, 36, Sozomenus, VI, 38, Eusebios, 2, 2.

٢ المشرق - السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، (ص ٥٢٤) ، Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

٣ Die Araber, II, S. 328.

٤ Die Araber, II, S. 328.

٥ Die Araber, II, S. 330.

٦ Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabla, III, S. 286.

في أيام (يولييان) (جوليان) (Julian) (٣٦١ - ٣٦٣ م) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ (اسانيتيه) (Assanitae) الغساسنة ، أي ان الكلمة من أصل (غسان)^١ .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة (ماوية) ، كان في أيام الغساسنة ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه (آل جفنة) على عرب بلاد الشام . وهذا ما لا تؤيده الموارد التاريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي (الغساسنة) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشام ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت (فينيقية) و (مصر) ، ولم يكن حكم الغساسنة متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشام يعود الى أيام (فالغ بن هور) (فالغ ابن يغور) . وقد صيّرته من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) (سومات) ، وهو (أيوب بن رزاح) . ثم انتقل ملك الشام على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاة من مالك بن حنبل أول من نزل الشام ، وانضافوا الى ملوك الروم، فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تتوخ بالشام . ثم ملك بعده عمرو ، ثم (الحواري بن النعمان) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان^٢ .

وقد كانت سليح - كما يذكر الأخباريون - يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشام حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم: إن أقررتم بالخرج، وإلا قاتلناكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجبونهم لكل رأس ديناراً، وديناراً ونصفاً، ودينارين في كل سنة على أقدارهم فلبثوا يجبونهم حتى قتل (جندع بن عمرو الغساني) جابي سليح، وهو سبيط بن المنذر بن عمرو

١ Musil, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج (٢٩/٢ وما بعدها) ، (٨٢/٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

ابن عوف بن ضجعم بن حماطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتقوا بموضع يقال له (المحفف) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل الى ثعلبة ، فقال : أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قتلتم هذا الحي ، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة ولاني جاعلكم مكانهم ، وكاتب بيني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين الف مقاتل من الروم بأداتهم ، وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة ، وكتب الكتاب بينهم . فلذلك ثعلبة وتوَّجه^١ . وكان ملك الروم يقال له (دقيوس)^٢ .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القاتل ، وهو منصوص عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبيط ، وقال آخرون : انه سبطة^٣ ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم^٤ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار، ان اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضبجاعة هو (يوم حليلة) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الضبجاعة والغساسنة للسبب الذي ذكرته ، وقالوا « خذ من جذع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها (حليلة) ، فأعطاهم خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغساسنة بذلك اليوم على الغساسنة . فقالوا : « ما يوم حليلة بسر »^٥ .

ونسب ابن خلدون (سبطة) القتيلى الى المنذر بن داوود^٦ ، ويظهر انه قصد (داوود اللثقي) . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يسدل على انه كان نصرانياً^٧ ، كما أشرت الى ذلك قبل قليل .

وعندي أن (سبطة) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

١ المحبر (ص ٣٧٠ وما بعدها) ، حمزة (ص ٧٦) .

٢ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٣ اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) .

٤ البلدان (٣٢٥/٢) وما بعدها (طهران ١٩٦٥ م) .

٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٦ غسان (ص ٧) ، الاصل الالمانى (ص ٨) .

الذي قيل إنه كان عاملاً (فيلارك) (Phylarch) عريباً من عمال الفرس ، فأغار على (الكورة العربية) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استولى عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها^١ .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم انه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكه على عرب الشام . فلما ملك ، قتل قضاة من سليح الذين يدعون الضجاعة ، ودانت له قضاة ومن بالشام من الروم ، وبني جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر^٢ .

وقد ابتدأ (حسان بن ثابت) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه^٣ . وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة (آل جفنة) ، كما سُمي خصومهم (المناذرة) بـ (آل لحم) . وإلى هذا الرأي ذهب (الأصمعي) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، واليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره »^٤ . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه أوصى بها بنينه في كيفية السير بالناس ، وتسير الملك^٥ .

وعند المسعودي ان اول من ملك من بني غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية

Provincia Arabia, III, S. 286, Euthymii Vita, Ed : Cotelarius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221.

٢ حمزة (ص ٧٦) ، (جفنة بن علي بن عمرو بن عامر) ، اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) (جفنة بن مزيقيا) ، ابن خلدون (٢٨١/٢) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، للبطلبيوسي (ص ٦) ، التنبيه (ص ١٥٨) .

٣ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى ، (ص ١٠٢) ، (محمد حسن آل ياسين) كجفنة والقمام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق .

البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى (ص ١٠٢) .

٥ المصدر نفسه (ص ١٠١) .

ذات القرنين^١ . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ (محرق) . وسمي بمحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر^٢ .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، (هو محرق ، وهو أول من عذب بالنار)^٣ . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذب وحرق الناس بالنار .

وذهب (محمد بن حبيب) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشام هو (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) ، وذلك بعد فلك (جذع) بالضعامة فعهد اليه ملك الروم (ديقوس) أمر تولي رئاسة عرب بلاد الشام ، وملكه وتوجسه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك غسان^٤ ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و (جفنة) الذي صيره حمزة أول من ملك من غسان ، هو (جفنة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرق ، وثعلبة وهو العنقاء (العنقاء) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعوف ، وذهل ، وواكل^٥ . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشام . وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند^٦ .

أما (الأصمعي) فقد أورد اسم (الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو) ، بعد اسم (جفنة) . وقال عنه (وهو الحارث الأكبر) ثم ذكر له وصية وصى

-
- ١ مروج (٢٩٨/١) (طبع المطبعة البهية) .
 - ٢ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
 - ٤ المحبر (ص ٣٧١ وما بعدها) .
 - ٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) ، الاشتقاق (٢٥٩) .
 - ٦ حمزة (ص ٧٧) .

بها ابنه (عمرو بن الحارث) وهي وصية نظمها شعراً . وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم^١ .

وأما (محمد بن حبيب) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة ، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنذر ابن الحارث ثم لجبلة بن الحارث^٢ .

وأما (ابن قتيبة) : الذي جعل (الحارث بن عمرو بن محرق) أول ملوك آل غسان ، فقد وضع (الحارث بن أبي شمر) من بعده . وقال : انه الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأمينهم طائراً ، وأبعدهم مغاراً . وكان غزا (خير) ، فسي من أهلها ، ثم أعتقهم بعد ما قدم الشام . وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئة ألف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فيهم ليبد الشاعر وهو غلام ، وأظهر انه انما بعث بهم لمصالحته ، فأحاطوا برواقه فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجوا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموه ، وكانت له بنت يقال لها (حليلة) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليلة بسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأناه النابغة ، فسأله اطلاقهم ، فأطلقهم ، وأناه علقمة ابن عبدة في أسارى من بني تميم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة^٣ .

وروى (ابن قتيبة) أيضاً ان (علقمة بن عبدة) قال في (الحارث بن أبي شمر) هذه الأبيات :

الى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيْنُ وجيبُ
وفي كل حيٍّ قد خَبِطت بنعمة فحقّ لشأس من نذاك ذُنُوب

فقال الحارث : نعم وأذنبه^٤ .

١ الاصمعي ، تاريخ (١٠٣ وما بعدها) .

٢ المحبر (ص ٣٧٢) .

٣ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .

٤ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (ثروت عكاشة) .

وزعم (ابن قتيبة) ان الذي ولي الملك بعد (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) ، هو ابنه (الحارث بن الحارث بن الحارث) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام
لحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان خرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك المني لو أننا نستطيعها^١

وقد وهم (ابن قتيبة) في (الحارث بن أبي شمر) إذ صيّرهُ الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنه (الحارث بن جبلة) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . وهم في (الحارث الأصغر) أيضاً حين صيّرهُ في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء^٢ . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة^٣ .

ثم تولى من بعده (الحارث) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبن شيئاً . ثم ذكر من بعده (جبلة بن الحارث) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين^٤ . وجعل (البطليوسي) مدة حكمه عشر سنين أيضاً^٥ .

-
- ١ المعارف (ص ٢٨٠) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٧) .
 - ٣ البطليوسي (ص ٦) .
 - ٤ حمزة (ص ٧٧) .
 - ٥ البطليوسي (ص ٦) .

وجيلة هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو (جيلس) (Jabalac) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد^١ . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطلوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالوا إنه حكم عشر سنين^٢ . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جيلة بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطامارية »^٣.

وجاء بعد (جيلة) ابنه (الحارث بن جيلة) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) (اريتاس) (Aretas) (Arethas) الذي ذكره المؤرخ السرياني (ملالا) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم^٤ . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً^٥ . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد^٦ . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هذا عند أهل الأخبار بـ (الحارث الأعرج) وبـ (الحارث الأكبر) .

وذكر حمزة والبطلوسي وآخرون أن والدة الحارث هي (مارية ذات القرطين ، بنت عمرو بن جفنة)^٧ . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها (مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) . واستدرك (محمد بن حبيب) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كندة »^٨ . وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وقد

- ١ غسان (ص ٨) ، Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
- ٢ حمزة (ص ٧٧) ، البطلوسي (ص ٦) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
- ٤ غسان (ص ٩) ، Malalas, (Malalas), 2, 166.
- ٥ Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
- ٦ Provincia Arabia, III, S. 352.
- ٧ حمزة (ص ٧٨) ، البطلوسي (ص ٦) .
- ٨ المعبر (ص ٣٧٢) .

ضرب المثل بحسنها ، فقيل : « خذوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيبها مثنا دينارا^١ .

وذكر البطليوسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى (الحفير) ومصنعة بين (دعجان) وقصر أبير ومعان^٢ . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة^٣ . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد^٤ .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبنية المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بنائه للقصر الأبيض في (الرحبة) . ولقصر الطوبة^٥ .

وجعل (ابن دزید) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والمنيذر وجبلة وأبا شمر ، ذكر أنهم ملوك كلهم^٦ .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية الغساني ، كان قد اجتبي أخوين من بني نهد اسمهما حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جنتاب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له انهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلها . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطلق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ما كان عليه^٧ . وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا ان الحارث بن جبلة حاربت (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة (٥٢٨ م)^٨ ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : (جنوفاس) (Jnophas) ،

- ١ المحبر (ص ٣٧٢) ، البرقوقي (ص ٣٠٩) .
- ٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) ، Provincia Arabia, II, S. 8.
- ٣ البطليوسي (ص ٧) ، حمزة (ص ٧٨) .
- ٤ Provincia Arabia, II, S. 174.
- ٥ Provincia Arabia, II, S. 174.
- ٦ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٧ الاغانى (١١٨/٥ وما بعدها) .
- ٨ غسان (ص ١٠) . Melalas, 2, 166.

و (نعمان) (Naaman) . ويرى (نولدكه) ان (جنوفاس) هو (جفنة) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين^١ .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، الا انه وهم في اسمه فصيره (خالد بن جبلة) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لحم ، كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النعمان نائراً ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى ، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى يخطيانوس^٢ ، الا انه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر (يخطيانوس) عندئذ الى عقد صلح معه ، والى ارضائه .

ويرى (نولدكه) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخذ ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة (٥٢٩)^٣ .

وقد ورد في تأريخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان المنذر ملك العرب (سركينوى) (Sarakynou) الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انباطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Dux) وسادات القباب من أرباب لقب (فيلارخ) (Phylarchus) المحالفين للروم عن صده والوقوف أمامه ، رأى القيصر (يسطانوس) (Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليقف بوجه (المنذر) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشام والعبث بها مدة طويلة من الزمن^٤ . وقد ذهب (نولدكه) الى أن هذه الحوادث

١ غسان (ص ١٠) .

٢ الطبري (١٤٩/٢) وما بعدها (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ غسان (ص ١٠) ، O'Leary, P. 164, Malalas, 2, 180.

٤ Procopius, I, XVII, 43-48, J. B. Bury, II, P. 91.

كانت في سنة (٥٢٩م) ^١.

وقد بلغ المنذر في هجومه على بلاد الشام أسوار (انطاكية) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به ^٢ . ويشك نولدكه في رواية بروكويوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم ^٣ . ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) ، فقد لُقبت بـ (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارخوس) (Phylarkos) (Phylarque) (Phylarcos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب (ملك) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي ^٤ . ولكن نولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لاثبات أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح إطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) (Patricius) ، ولقب (عامل) أو سيد قبيلة (فيلارخوس) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقرونأً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة (فلارخوس المنذر) ، و (المنذر البطريق الفائق المديح) ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة) ^٥ .

ولقب (البطريق) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يجذون الحصول على هذا اللقب من القيصر ^٦ . وقد منح القيصر

١ غسان (ص ١١) .

٢ J. B. Bury, I, P. 81.

٣ غسان (ص ١٢) ، المشرق . السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

٤ غسان (ص ١٢) .

٥ غسان (ص ١٢ وما بعدها) .

٦ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

(يسطنيانوس) (Justinianus) (الحارث) هذا اللقب ، وكذلك لقب (فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنع هذين اللقبين اللذين انتقلا منه الى أبنائه فيما بعد^١ .

ويلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة ما ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولا^٢ عنه الى مدينة مأرب ليهنئه بترميمه سد مأرب ، لم يدون كلمة (ملك) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر (ورسل حرثم بن جبلت) ، أي : (ورسل الحارث بن جبلة)^٣ . فلم يلقبه بلقب (ملك) ، ويدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقررأ دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥٤٢ م) .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة (٥٣١ م) ، وانتهت باندحار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)^٤ . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة (قائد) (Dux)^٥ .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة (٥٤١ م) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب^٦ . وهذا مما حمل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهم وإلحاقه الأذى بهم وانفاقه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنتذر حوالي سنة (٥٤٤ م) ، وانتهى

Provincia Arabia, II, S. 174. ١

Glaser 618. راجع النص الموسوم ٢

Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8. غسان ٣

Malalas, 2, 199.

Malalas, 2, 202. غسان (ص ١٨) ٤

Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18. غسان (ص ١٨) ٥

Musil, Palmyrena, 266.

بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة (٥٥٤ م) ، على مقربة من (قنسرين) بالقرب من الحيار . وهذه المعركة هي معركة يوم حلينة على رأي تولدكه^١ . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشام ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم (يوسطينانوس) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المنذر ، تنازعهما على ارض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشام وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشام . وقد ألف (جستنيان) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام على الفرس^٢ .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن (برحيرت) ، (Bar-Herath) أي (ابن الحارث) سقط قتيلاً في الحرب^٣ . وكان قد ذكر قبل كلمات ان المنذر بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله (الحارث بن جبلة) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قنسرين . ثم ذكر ان ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة^٤ .

ونجد في شعر (حسان بن ثابت) إشارة الى (زمين حلينة) أي زمن حلينة^٥ . كما نجد في الأمثال (ما يوم حلينة بسر)^٦ ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار (المونوفستيين) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال أنه سعى لدى الانباطورة (ثيودورة)

١ غسان (ص ٢٠)

٢ J. B. Bury, II, P. 92.

٣ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.

٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.

٥ البرقوقى (ص ١٤٦)

٦ كذلك (ص ١٤٦)

في تعيين (يعقوب البرادعي) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة (٥٤٢ - ٥٤٣ م) ، وبذلك وطد هذا المذهب في بلاده^١ .

ونسب المؤرخ السرياني (ميخائيل الكبير) الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق (افرام) (٥٢٦ - ٥٤٥ م) في السريانية أو اليونانية في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة (٥٧٨ م) . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلب بأدب ولطف على خصمه البطريق^٢ .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للأنطاكية عدّ الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوستنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر^٣ ، الا ان الحارث سعى جهد امكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيسيتين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشام^٤ .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية ، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر (يوستينوس) (Justinus) بعد خرفه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

Franois Nau, Les Arabes Chrestiens, PP. 52.

المشرق ، المجلد ٣٤ (السنة ١٩٣٦) ، الجزء الاول (ص ٦١ وما بعدها) .

E. Gibbon, Der Sleg, S. 66.

المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٦) .

غسان (ص ٢٠) .

J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huart, I, 60, Les Arabes Chrestiens,

PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة^١ .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكنسدي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثار حسب رواية الأخباريين . واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرئ القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرئ القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرئ القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم^٢ . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرئ القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر (الجهمجي) أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) هو الذي طلب الى (السموأل بن عاديا) أن يدفع اليه سلاح (امرئ القيس) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه^٣ . وقد ذكر (أبو زيد الطائي) أنه زاره ونعته بأنه (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام) . وقد كان (أبو زيد) هذا « من زوآر الملوك ، والملوك العجم خاصة . وكان عالماً بسيرها »^٤ .

وقد تعرض (ابن قتيبة) لموضوع (امرئ القيس) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأنني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المنذر بن امرئ القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة »^٥ . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من اهل بيته يقال له (الحارث بن مالك) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرئ القيس ووداعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

- ١ غسان (ص ٢٠) .
- ٢ الاغانى (٣٣١/٦ وما بعدها) .
- ٣ طبقات الشعراء (ص ٧٠) .
- ٤ طبقات الشعراء (ص ١٣٢) .
- ٥ الشعر والشعراء (ص ٥٠) .

الحارث ، وقال للسموأل : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلتك ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء^١ .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج - وهو في روايتهم هذه الحارث بن أبي شمر الغساني - غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هذا الغزو مروره بجاعات منها لم تهتم به كما كان يجب ان يكون . وقد نصحه الشاعر (عمرو بن كلثوم) - على حدّ قولهم - بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث^٢ .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافة الكبرى لا الملك يوسنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ (بروكويوس) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له في هذه المدينة، على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقديس (سرجيوس) المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى في نفوس نصارى عرب الشام^٣ .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حربها، ووقع بينها يوم الحمام حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق^٤ .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه (أبو كرب ابن جبلة) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص (أبرهة) ، حيث كان (أبو كرب) قد أرسل اليه رسولا^٥ لتهنئته بترميمه سد مأرب . والأمير (قيس) (Kaisus) وكان عاملاً على (فلسطين الثالثة) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث^٥ .

١ الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (طبعة ليدن) .

٢ ابن الاثير (٢٢٢/١) .

٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, S. 167.

٤ أيام العرب (٦٠) .

٥ غسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

وعثر في إحدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى (شرحيل بن ظالم) يرى نولدكه انه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كندة ويرجع تاريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة (٥٦٨ م) . وقد دُوِّنت عند تدشين هذا العامل بناءً اقامه للقديس يوحنا المعمدان ، فيكون (شرحيل) شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة^١ . ويستنتج نولدكه من ذلك ان عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتى بعد تألق نجم آل غسان. ويرى ان ذلك مما يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة امراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض^٢ .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبوه بـ (Talemus) وكان يحكم (اللجاة) ، فيظهر من ذلك ان إمارات كانت تنافس اماراة الغساسنة في هذا العهد^٣ .

وقد توفي الحارث في سنة (٥٦٩ م) او (٥٧٠ م) على رأي نولدكه ، استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها الى سنتي (٥٦٨ و ٥٦٩) ، والى ربيع سنة (٥٧٠ م) حيث حل اسم ابنه المنذر في محله ، فاستدل من هذا التغير على أنه توفي في هذا الزمن^٤ .

وقد حكم (المنذر) من سنة (٥٦٩ - ٥٧٠ م) حتى سنة (٥٨١ م) ، على تقدير بعض الباحثين^٥ .

وقد عرف المنذر بـ (Alamoundaros) (Alamundaros) عند اليونان والسريان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر ان عرب الحيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م^٦ .

١ غسان (ص ١٧) ،

Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 563, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان (ص ١٦) ، النص الالمانى (ص ١٦) .

٣ Provincia Arabia, III, S. 288, Waddington 2464, Nöldeke, S. 13, Anm : 2.

٤ غسان (ص ٢٥) .

٥ Die Araber, I, S. 10.

٦ غسان (ص ٢٥) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركة أخرى فيما بعد^١ . ويرى نولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ^٢ .

والمنذر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في إحدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما : يعقوب البرادعي وصاحبه^٣ .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر (يسطينوس) (Justinus) وبين المنذر تطور حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القصر قد دبّر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) (Marcianus) بأن يحتال عليه ليقنتله ، تمرّد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهاز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وابقاع الرعب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم على مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجو أرسلوا اليه البطريق (يوستينيانوس) ليجتمع به في مدينة الرصافة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله . وعند القبر المقدس عقد الصلح بينها في صيف سنة (٥٧٨ م) . فعاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام^٤ .

وقد أشار ابن العبري الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب (طياية) كانوا منقسمين الى جاعتين : جماعة المنذر بن الحارث (منذر برحيرت) (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الخسارة ، واستاق ما وجده أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بغنائم عديدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المنذر ، غير أنه مُني بهزيمة ثانية اضطرتّه الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتله ، لظنه

J. of Ephesus, 6, 3.

١ غسان (ص ٢٧ وما بعدها) ، Provincia Arabia, III, S. 355.

٢ غسان (ص ٢٧) ، Provincia Arabia, II, S. 174.

٣ ج. of Ephesus, 6, 3-46, Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان (ص ٢٦)

أنه كان السبب في غزو الفرس لـ (Rhomaye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة (نصيبين) (Nisibis) أن يترصد بالمنذر فيقبض عليه ، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة ، فأرسل الرسالة الخاصة بالطريق مرقيانوس الى المنذر ، وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى الطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف بما أراد القيصر أن يفعله به ، غضب غضباً شديداً ، وتصالح مع قابوس ، وصارا يهاجمان بلاد الشام . فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خانه ، وانه أخبر المنذر بالمؤامرة ، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ولما صار (طيباريوس) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطف سنيّة ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق^١ .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر (طيباريوس) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشام من قبل الا (الاكليل) ، ودرجته دون درجة (التاج)^٢ . وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وفضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما أنعم على ولديه بدرجات عسكرية^٣ .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب (الطبيعة الواحدة) والمدافعين عنه ، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة (٥٨٠ م) لمعاوضة هذا المذهب والدفاع عنه ، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطاركة رغبتهم في ذلك وعدم ممانعتهم فيه^٤ .

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 80, 82.

٢ J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271. غسان (ص ٢٦)

٣ J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

٤ غسان (ص ٢٧) ، المشرق ، السنة ٣٤ - ١ (ص ٦٤) ، السنة ١٩٣٦ ،
J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريج لايصال الماء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذي المكانة العظيمة عند عرب الشام . وظهر من كتابة عثر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدّد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي^١ .

ولم تمنع قدسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غزو المدينة^٢ ، وهدّمت أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولحابتها من الهجمات أحاطها القيصر (يوستينانوس) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم^٣ .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بناء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا اليه أحسن الممارين والبنّائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم (البرج). وقد عثر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء^٤ .

ولما حاول الروم غزو حدود الفرس في سنة (٥٨٠ م) ، وجدلوا الجسر المنسوب على نهر الفرات مهدّماً ، فاضطروا الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع الفرس ، وانه هو الذي أوعز بهلم الجسر ، ليكتب للحملة الاخفاق ، وقرروا القبض عليه والايقاع به ، انتقاماً منه للخيبة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً اياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم ، ورغبته في الخروج على طاعتهم، فقرروا الانتقام منه بقتله، فأصدروا الى حاكم بلاد الشام (ماكنوس) (Magnus) صديق

Kirchengeschichte., V, S. 315, H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrestiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264, 323.

٢ ديوان الاخطل (ص ٣٠٩) ، (طبعة الصالحاني) ، Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

٣ Musil, Palmyrena, P. 264, Rusafah, P. 12.

٤ Provincia Arabia, II, P. 175.

٥ Wetzstein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنذر أمراً سريعاً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بناء كنيسة في (حوارين) ، وقد عزم (مكنوس) على تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الإقامة فيها مع إحدى نساؤه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان بكرهه ويعاديه ، أمر بتفجها الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام^١ .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين ، ونسب اليه بناء (حربا) وموضع (زرقا) على مقربة من الغدير^٢ . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك المدة ، فقد حكم على رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد^٣ .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملمحين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد (مكنوس) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعد ليتولى مقام أخيه ، غير انه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلته ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه^٤ .

وكان موضع (حوارين) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال (مكنوس) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين، ثم عادوا بغنائم كثيرة الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم^٥ .

١ غسان (ص ٣٠ وما بعدها) .
Evagrius, 6, 2, Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82, J. J. of Ephesus, Eccl. His., III, PP. 40, 42, 54, Provincia Arabia, II, P. 175.
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطلبيوسي (ص ٧) .
Provincia Arabia, II, S. 174.
٣ غسان (ص ٢٢ وما بعدها) .
Evagrius, 6-2. Musil, Palmyrena, P. 38.
٤

وذكر ابن العبري ان النعمان لما بلغته رسالة القائد ماكنوس لم يذهب اليه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سأله : أنت النعمان ؟ فقال له : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدو الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين للقائد أنه لم يكن النعمان ، همّ بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير^١ .

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتلر اليه ، وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه (موريقيوس) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية (طيابة) هي على المذهب الحنيف (الأرثوذكس) (Orthodox) ، وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفل راجعاً ، قبض عليه ونفي^٢ .

لقد تصدّع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم ، وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو (٥٨٤ م) على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العبري الى أنهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث^٣ ، وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمتنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين على التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة^٤ .

Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82. ١

Bar Hebraeus, I, P. 82. ٢

غسان (ص ٣٣ ، ٣٥) . ٣

Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143. ٤

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر حزة ان الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة سنة وستة أشهر .

وزاد في ربك وضع الغساسنة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد الشام سنة (٦١٣ - ٦١٤ م) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشام ، وصار عرب بلاد الشام أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الغساسنة ومنافسيهم .

وقد تمكن الغساسنة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة (٦٢٩ م) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا عليها ومن إجلالهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار أثبت ان تبقّيتهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشام ، فأكرهتهم على فتح أبوابها للإسلام ، فتساقطت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الخريف . وصارت دمشق درة بلاد الشام من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الغساسنة ، فقد ولى ، ولم يبق للغسانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان ، فعُدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ، حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم وتنازعهم بينهم . أما الموارد الاسلامية ، فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى أيام الفتح الاسلامي . ومن هذه الموارد تأريخ حزة الاصفهاني ، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان حتى انتهى بآخرهم وهو جبلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ، لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من المؤرخين .

وأنا لا أستطيع أن اوافق حزة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

١ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

وفي ترتيبهم على النحو المدون في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً، وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تمسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخصمهم ، ولهذا كثرت أسمائهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مدّ حكمهم وانكمش فاقصر على البوادي، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكنائهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمزة ان أبيين رجل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ (الأصغر) ثم (عمرو بن الحارث) ، وهو الذي مدحه (النابعة) ، ثم (النعمان بن الحارث) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للنابعة الذياني ، ثم (شربيل بن عمرو الغساني) ، و (جبلة بن الأيهم) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فأننا نجاريه في ترتيبه لهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين (المنذر بن الحارث) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقبه بلقب (الأصغر) وكنّاه بـ (أبي شمر)^١ .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ (حارب) ونسب إليه بناء (قصر حارب) و (محارب) و (صنيعة) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب إليه بناء (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف)^٣ . ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحد

١ حمزة (ص ٧٨) ، المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .
٣ حمزة (ص ٨٧) .

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل
السدير ، وبني قصر (الفضا) (قصر الفضة) و (صفاء العجلات) و (قصر
منار)^١ .

وعمره هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني، وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة
أنشأ في دمشق وضواحيها - على حد قول أهل الأخبار - عدة قصور شائعات ،
منها : قصر الفضة ، وقصر (صفات العجلات) ، وقصر منار . وقد صور
في بعض هذه القصور مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته ، وأشكال صورته .
ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر
الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة^٢ .
ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مدح عمرو بن
الحارث ، قصيدته البائية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمرو نعمة^٣ بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وقد أوغل فيها في مدح الغساسنة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عيون شعره .
وقد قال هذا الشعر حينما اختلف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي
وصف به زوجة النعمان (المتجردة) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا به الى
النعمان ، فهرب منه ، وانحاز الى خصومه آل غسان . ولجأ الى زعيمهم في تلك
الأيام ، وهو (عمرو بن الحارث)^٣ .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني) ،
في جملتها أبيات يعتذر النابغة فيها اليه من وشاية أثارت حنق عمرو عليه ، فنظمها
في استرضائه ، وقد ذكر فيها انه اكرمه وجابه بمئة من الابل ، وانه يريش قوماً
ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم^٤ .
ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل بروضته نعى فذات الأجاول

١ حمزة (ص ٨٧) .

٢ البطليوسي (ص ٧) .

٣ ديوان النابغة الذبياني (ص ٩ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٢٩) .

٤ ديوان النابغة (ص ٤٦) (بيروت ١٩٢٩) .

خبر غزو قام به (عمرو بن الحارث) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها على ما يظهر من هذه القصيدة^١ .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد . وذكر أنه كان سيطرة جَوَّاباً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما^٣ .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً ، وإنما كان غازياً يغزو بها بالجيوش ، وكان ملكه سبعة وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء (السويداء) و (قصر حارب)^٤ .

وذكر حمزة ان (عمرو) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر انه ، أي النابغة (ذكر أباه المنذر بقوله)^٥ :

وقصر بصيذاء التي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه الى أن الشخص المدوح هو (النعمان بن عمرو) ، فان رواية هذا الشعر يذكرون ان الملك المدوح الذي قصده النابغة بمدححه ، هو (عمر بن الحارث بن أبي شمر) المتقدم ذكره ، وهو شقيق (النعمان بن الحارث ابن أبي شمر) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به^٦ .

١ ديوان النابغة (ص ٨٥) (بيروت ١٩٢٩ م) .

٢ حمزة (ص ٧٨) .

٣ حمزة (ص ٧٩) .

٤ حمزة (ص ٧٩) .

٥ حمزة (ص ٧٩) .

٦ ديوان النابغة (ص ٩ وما بعدها) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنه جبلة وزعم ان منزله ب (صفّين) ، وانه صاحب (عين أباغ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة^١ .

ثم ملك - بعد جبلة - النعمان بن الأيهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لحم خربها ، وكان ملكه ثمانى عشرة سنة^٢ .

ويرى (الويس موسل) ان النعمان هذا كان قد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦م) ، وانه قد احتفى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لحزن الماء^٣ .

وذكر حمزة اسم (المنذر بن النعمان) بعد النعمان بن الحارث ، وهو ابنه . قال : ولم يحدث شي في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة^٤ .

ثم صار الحكم من بعده - على رأي حمزة - الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر^٥ . ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعل حمزة ملكه اثني عشرة سنة . ثم صيّر الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة^٦ .

وصيّر حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر). وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً^٧ .

ثم صيّر حمزة الحكم الى (الحارث بن جبلة) ، وهو على رأيه ابن الملك المتوفى (جبلة بن الحارث) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً ب (الحارث بن أبي شمر) ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

- | | |
|---|---------------------------|
| ١ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٢ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٣ | Musl, Palmyrena, P. 287. |
| ٤ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٥ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٦ | حمزة (ص ٧٩ وما بعدها) . |
| ٧ | حمزة (ص ٨٠) . |

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر^١ . ويجب أن يكون هذا الحارث هو (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً إليه ، حمله إليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد (الحارث بن جبلة) ، هو ابنه (النعمان بن الحارث) ، وكنيته (أبو كرب) ، ولقبه (قطام) ، وهو الذي بنى ما أشرف على (الغور الأقصى) . وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر^٢ .

وقد أخطأ حمزة في إضافة لقب (قطام) الى النعمان بن الحارث ، ولا نعرف ان أحداً اضاف هذا اللقب إليه .

ونجد للنابغة الذبياني أشعاراً في مدح (النعمان) المذكور، وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعرابهم . وكان قومه (بنو ذبيان) وحلفاؤهم (بنو أسد) الى جانب عرب الحيرة ، وكانوا ينقمون على الغساسنة ويغيرون دوماً على أرضهم ، فيتدخل النابغة لدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل اليهم في فك أسرهم . ولما أغار قومه على وادي (ذي اقر) ، نهاهم النابغة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهولهم بكثرة ما لدى (النعمان بن الحارث) ، من جموع وحشود ، غير أنهم لم يهتموا بنصح النابغة ، ولم يحفلوا بتخفيفه لهم ، بل عدوا نصيحته هذه لهم من امارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب (النعمان) بقيادة (النعمان بن الجلاح الكلبي) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن (ابن الجلاح) سبي ستين أسيراً وأهداهم الى قيصر الروم^٣ . ولم يتطرقوا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة الى اهداء هؤلاء الأسرى الى الروم . وأعتقد ان اقحام (قيصر الروم) في هذا الاهداء ، هو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هذه المبالغات . إلا أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم (ابن الجلاح) الذي تعقبهم ، من وقع في أسره الى حاكم من حكام الروم لتأديبهم .

١ حمزة (ص ٨٠) .

٢ حمزة (ص ٨٠) .

٣ ديوان النابغة (ص ٥٤) (بيروت ١٩٢٩ م) .

وقد طلب (النابغة) في شعره في وصف هذه الغارة من (حصن بن حذيفة) سيد (ذبيان) ومن (ابن سيار) فك من وقع أسيراً من النساء دفعاً للخزي والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي العضايرط من الأتباع والأجراء .

ونجد النابغة يحذّر (النعمان) من غزو (بني حُن بن حرام) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعب . فلما أبى إلا قتالهم ، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمددوا بني حُن ، ففعلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حُن وبنو ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حُن بركة صادر
تجنب بني حُن فان لقاءهم كرية، وإن لم تلق إلا بصابر

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويفه إياه من عاقبة هذه الغارة^١ .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حُن بن حرام ، وهم من عذرة ، أنهم كانوا قد منعوا (وادي القرى) عن عدوهم ومن أهله وحومه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمنعوا بثمره ، وطرّدوا (بلياً) ، وهم من (بني القين) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفّوهم الى غير بلادهم ، وهم الذين ضربوا أنف الفزاري ، وهم الذين منعوها من قضاة كلها ومن (مضر الحمراء) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به (أبا جابر الجلاص ابن وهب بن قيس بن عبيد) ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون^٢ .

ويظهر من شعر للنابغة ان (النعمان) كان قد غزا تميمًا وقيس وائل ، وانه أوجعهم ، وقد غزاهم في الربيع^٣ . وللنابغة أشعار أخرى في مدح (النعمان) هذا ، منها أبيات استهلها بقوله :

-
- ١ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) (بيروت ١٩٢٩ م) .
 - ٢ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) .
 - ٣ ديوان النابغة (ص ٨٢) .

والله والله لنعم الفتى إذ أعرج ، لا النكس ولا الخامل^١

وقد أدرك النابغة أجل (النعمان بن الحارث بن أبي شمر) ، إذ مات مقتولاً فرثاه بقصيدة ، يظهر منها انه كان يكنى بـ (أبي حجر) ، وانه قبر في موضع يقع بين (بصرى) و (جاسم)^٢ .

وقد غزا (النعمان) العراق ، ولا يستبعد (نولدكه) أن يكون هو الذي قصده المؤرخ (ثيوفلكتوس) حين تحدث عن غزو قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة (٦٠٠ م)^٣ .

وقد مدح النابغة (النعمان بن الحارث الأصغر) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اننا نستطيعها^٤

ورثى (النابغة) النعمان في قصيدة جاء فيها ان شيان وذهلاً وقيس بني ثعلبة وتميماً سرّوا بوفاته ، لأنهم آمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم .
ويظهر من شعر النابغة فيه انه كان محارباً يغزو القبائل ، ولذلك هابته . وقد بكاه بقوله :

بكي حارث الجولان من فقدريه وجوران منه خاشع متفائل^٥

وذكر (ابن قتيبة) ان النابغة لما صار الى غسان ، انقطع الى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني)
والى أخيه (النعمان بن الحارث) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغم ذلك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه ان الذي قُذِف به عنده باطل ، فبعث اليه من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زبّان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين ، وقبل عذره ورحب به^٦ .

١ ديوان النابغة (ص ٩٠) .

٢ ديوان النابغة (ص ٨٤) .

٣ غسان (ص ٤٢) ، Theophylactus, Historiae, 8, I .

٤ البطليوسي (ص ٥٧) .

٥ البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .

٦ حمزة (ص ٨٠) .

٧ الشعر والشعراء (ص ٧٧) (النابغة الذبياني) .

ثم ملك بعده - على رأي حمزة - الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب (تدمر) و (قصر بركة) و (ذات أنمار) وغير ذلك^١.

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة^٢.

ثم صار الملك الى شقيقه (شراحيل بن جبلة) على رواية حمزة . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر^٣.

ثم انتقل الحكم الى (عمرو بن جبلة) بعد وفاة (شراحيل) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين^٤.

ثم حوّل حمزة الحكم الى (جبلة بن الحارث) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة) . وهو على رأيه ابن أخيه . وجعل حكمه أربع سنين^٥.

ثم صيّر حمزة الملك الى (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية) ، وهو على رأيه آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم ثم تنصر ، ولجأ الى الروم^٦ . وقد سرد المسعودي نسبه على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة)^٧ ، وسرده على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن) في مكان آخر^٨.

وذكره (ابن عبد ربه) على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني)^٩ . وذكر (الذهبي) أن الأصل هو (الأيهم) ، لا (الأيهم) ، وكنّاه بـ (أبي المنذر) ، وقال إنه كان يتزل (الجولان)^{١٠}.

-
- | | |
|----|---|
| ١ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٢ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٣ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٤ | حمزة (ص ٨٠) . |
| ٥ | حمزة (ص ٨١) . |
| ٦ | حمزة (ص ٨١) ، المحبر (ص ٣٧٢) ، لسان العرب (٩٦/١١) . |
| ٧ | التنبيه (ص ١٥٨) . |
| ٨ | مروج (١٠٨/٢) ، (٣٠/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) . |
| ٩ | العقد الفريد (١٨٧/١ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) . |
| ١٠ | تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) (نسخة دار الكتب المصرية) . |

وقد وُصِف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض^١ .

وقد ورد اسم (جبلة بن الأيهم) في أخبار الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام ، إذ ذكر في (فتوح البلدان) للبلاذري : أن (هرقل) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم (يوم اليرموك) ، بعث على مقدمته (جبلة بن الأيهم الغساني) في مستعربة الشام من لحم وجذام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن (جبلة) انحاز في القتال الى الأنصار قائلاً : « أنتم إخواننا وبنو أئينا ، وأظهر الإسلام »^٢ . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار الى (مرج الصفر) ، لقي عليه غسان ، وعليهم (الحارث بن الأيهم)^٣ . ولم يشر الى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقع للرواة ، فصار (جبلة) عند بعض ، وصار (الحارث) عند بعض آخر ، ولعل مرده الى سهو وقع من النساخ .

ولحسان بن ثابت شعر في مدح (جبلة بن الأيهم) ، وفي ذكر ملكه وملك (آل جفنة) ، يظهر منه شدة تعلقه بهم على بعده عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالاسلام^٤ . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها (جبلة ابن الأيهم) منها :

أشهرها فإن ملكك بالشام الى الروم فخر كل يمانى^٥

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار (جبلة ابن الأيهم) ، وعنده (النابغة) و (علقمة بن عبدة) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثمائة دينار وعشرة أقدسة لها جيب واحد ، في كل عام مثلها . وتذكر رواية أخرى ان الشخص الذي زاره (حسان) هو (عمرو بن الحارث الأعرج) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنانير^٦.

- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
- ٢ فتوح البلدان (١٤١ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٠١ م) .
- ٣ الطبري (٤١٠/٢) (دار المعارف بمصر) .
- ٤ مروج (١٣/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البرقوقى (٤١٤ وما بعدها) .
- ٥ مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٦ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) .

وذُكر ان (جبلة بن الأيهم) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حسناً قد صار مضروباً بالبصر كبير السن ، أرسل اليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية اليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغنهم آباؤهم باللؤم
لم ينسني بالشأم إذ هو ربها كلاً ولا متنصراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضها معه ومع بقية آل غسان^١. وقد اتفقت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جبلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب رده الى ان أعرابياً من فزارة وطىء فضل إزار جبلة وهو يسحبسه في الأرض بمكة ، فلطمه جبلة ، فتابذه الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعدّ جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففرّ الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتدّاً حتى وافته منيته^٢. ولكن رواية (ابن قتيبة) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام، اذ جعلته مدينة (دمشق) ، قالت : « وكان سبب تنصره انه مرّ في سوق دمشق ، فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه ، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة ان هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر الله بالقصاص ، فهي لكمة بلطمة . فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر »^٣.

ونجد خبر (ابن قتيبة) المذكور مدوناً في كتاب (الطبقات) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وكتب باسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب ،

١ البرقوقى (ص ٣٩١ وما بعدها) .
٢ مروج (٣١/٢) وما بعدها (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ابن خلدون (٥٨٦/٢) ، تاريخ الخميس (٦١/٢) ، الاغانى (٢/١٤) وما بعدها .
٣ المعارف (ص ٢٨١) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فليطمه ، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة ، قال : فليطمه ، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر الله ، تبارك وتعالى بالقود . قال جبيلة : أو ترون اني جاعل وجهي ندأ لوجه جدي جاء من عمق ! بنس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشق عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبيلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام اليه عمر بالدرة فضربه بها ^١ .

وذكر بعض أهل السير والأخبار ، ان الرسول كتب الى جبيلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه ^٢ . وذكر أن (شجاع بن وهب) انما بعثه رسول الله الى جبيلة ، فأسلم ^٣ ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجولان ^٤ .

وتزعم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة (عمر) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه . وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الاكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : انه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة ^٥ . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسمئة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه ^٦ .

وقد ذكر (البلاذري) أن (جبيلة بن الأيهم) حكم بعد (الحارث بن أبي شمر) . وروى أنه لما قدم (عمر) الشام سنة (١٧) للهجرة ، حدث أن لطم

-
- ١ طبقات (٢٦٥/١) .
 - ٢ تاريخ الخميس (٦١/٢) .
 - ٣ ابن خلدون (٢٨١/٢) .
 - ٤ تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) ، (نسخة دار الكتب المصرية) .
 - ٥ ابن خلدون (٢٨١/٢) .
 - ٦ العقد الفريد (١٨٧/١) وما بعدها (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(جبلة) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالاعتصام منه ، فقال : أو عينه مثل عيني ! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم^١ .

وتذكر رواية أن (جبلة بن الأيهم) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة^٢ .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق ، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبينه وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قط والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فإنها قريبة من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعده على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وإنما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشام معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد . وما هذا الذي روي عن اسلامه وعن زيارته ليثرب ولمكة إلا من قصص القصص وضعوه فيما بعد .

إنّ ما يذكره أهل الأخبار من ملك (جبلة) ، لا يخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال (هرقل) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشام منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكره من احتفال الروم في القسطنطينية ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

١ فتوح البلدان (ص ١٤٢ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٢٨١/٢) .

الى حين وفاته^١. بل لقد شك بعض المستشرقين مثل (نولدكه) حتى في موضوع تملكه وتولية الحكم له على عرب الشام^٢.

ونجد في خبر فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد ترعم قومه وجاء في (طواف من غسان وتنوخ) لنجدة أهل (دومة الجندل) . وقد دعاه (الطبري) ، (ابن الأيهم) . ولم يشر الى اسمه^٣.

ونجد في (العقد الفريد) وصفاً لمجلس (جيلة) ولمسكنه في القسطنطينية لا يخلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قد أرسله الى (هرقل) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الموند أن (هرقلاً) هو الذي أشار عليه بزيارة قصر (جيلة) فلما ذهب اليه ، وجد على بابه من القاهرة والحجاب وكثرة الجمع مثل الذي على باب (هرقل) ، ثم وصف مجلسه وأرائكه المرصعة بالجواهر ، وغناء الجواري في مجلسه بغناء حسان بن ثابت مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك الفارين^٤.

واسم الرسول المذكور هو (جثامة بن مساحق الكناني)^٥ . ويذكر بعض أهل الأخبار أن الخليفة معاوية أرسل (عبدالله بن مسعود الفزاري) الى ملك الروم فوجد عنده (جيلة بن الأيهم) ، فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملبس والمأكل والمسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوت في الكلام ، على نمط ما رأيناه في وصف (جثامة)^٦ . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرواة قد أخطأوا في هذا الخبر ، فنسبوه مرة الى رسول عمر ، ونسبوه مرة أخرى الى رسول معاوية.

ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكاً ، ملكوا ستمائة وست عشرة سنة^٧. أما (المسعودي) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً^٨.

- ١ العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٢ غسان (ص ٤٥) من النص الالماني ، Provincia Arabla II, S. 174 .
- ٣ الطبري (٣٧٨/٣) (خبر دومة الجندل) .
- ٤ راجع الوصف في العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٥ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) .
- ٦ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) ، البرقوقى (٢٣٤ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، الشعر (٢٢٣) .
- ٧ حمزة (ص ٨١) .
- ٨ مروج (٣٢/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، ابن خلدون (٢٨١/٢)

وقد رتّب المسعودي أسماء الملوك على هذا النحو : (الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم (النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) ، ثم (المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة) ، ثم (عوف بن أبي شمر) ، ثم (الحارث بن أبي شمر) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم^١ . والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الغساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وسبعمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير ، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة للملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة (ابن قتيبة الدينوري) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة (حمزة) وعن قائمة (المسعودي) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل (الحارث بن عمرو) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج ، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان ، وهو شقيق الحارث الأصغر . وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال ان فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من يغر الدهر أو يأمنه من قتيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى جانبي أيلة من عبد وحر^٢

وقال (ابن قتيبة الدينوري) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، الذي كان النابغة صار اليه حين فارق النعمان بن المنذر ، وفيه يقول النابغة :

١ مروج (٣٠/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (٨٣/٢ وما بعدها) .

(طبعة دار الاندلس) .

٢ المعارف (ص ٢٨١) .

عليّ لعمر ونعمة" بعد نعمة لوالده ليست بذات العقارب

قال : وكان يقال لعمر وأبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنذر بن الحارث ،
والأيهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان^١ .
وقد ذكر في كتب السير والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي
شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول إليه شجاع بن وهب ليطلب إليه الدخول
في الاسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشام ، وكان له قصر
منيف وحجّاب^٢ . وذكر الطبري أنه كان (صاحب دمشق)^٣ . وقد أدخله
(محمد بن حبيب) في جملة (العرجان الأشرف)^٤ . وقد عرف بـ (الحارث
الأصغر) في شعر حسان بن ثابت^٥ .
وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو (الحارث) معاصر (جبلة بن الأيهم)
الذي أشار حسان إليه .

وقد كان (حسان بن ثابت) زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان
النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن القرية ، لقد نبئت
أنك تفضل النعمان عليّ فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على
النعمان حتى سرّ الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله نثراً فيه في أبيات زادت
من سروره ، وحصل على جوائزه وعطاياه^٦ .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يفد على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة في
أهله . فقال : « لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإنّ له قرابة ورحماً
بصاحبي ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يشس مني أن أفد عليه لما يعرف
من انقطاعي الى جبلة » . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم
على الحارث ، وقد هياً له مدحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : « إن الملك
قد سرّ بقدمك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

-
- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
 - ٢ السيرة الحلبية (٢٥٥/٣) ، (طبعة مصر) ابن خلدون (٣٦/٢) .
 - ٣ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
 - ٤ المحبر (ص ٣٠٤) .
 - ٥ البرقوقي (ص ١٨٢) .
 - ٦ البرقوقي (ص ١٨١ وما بعدها) ، مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

فانما يريد أن يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره » . ثم نصحه بنصائح أخرى تم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته عنده وصار يدعوه ، ثم حباه وأعطاه خمسمئة دينار وكسي وألطافاً وعاد الى أهله^١ .

ولو صح هذا الخبر ، فانه يدل على ان أمر الغساسنة في هذا الوقت لم يكن واحداً ، وان حكمهم كان قد تبدد وتشتت . وان جبلة بن جبلة كان يحكم على جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بحلية الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً آخرين كانوا ينازعونها الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب (ملك) ، اللقب الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو (شيخ) عشيرة في اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا انه كان قائداً من قواد (الحارث بن أبي شمر) ، ودعوه بـ (النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي) ، وذكروا أنه أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبي سبياً من غطفان . وأخذ (عقرب) بنت النابغة الذبياني . فلما سألتها ، فانتسبت الى أبيها ، من عليها ثم أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة^٢ . وسبق أن تحدثت عن (النعمان بن الجلاح الكلبي) في أثناء كلامي على الملك (النعمان بن الحارث) حين أغار قوم النابغة على أعراب (النعمان بن الحارث) بوادي أقر، وكان النابغة قد نهى قومه وحذرهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه، فأوقع بهم (ابن الجلاح) خسائر فادحة .

وفي ديوان حسان قصيدة ، مطلعها :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لو كان للحارث الجفني أصحاب

يذكر شراحها أنه نظمها في رثاء (الحارث الجفني) ، وقالوا إن الحارث

١ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (٣١٦/٢) ، ديوان النابغة (ص ٣٢ ، ٤٠) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى بل يظهر من أبياتها أن العدو أوقع به فقتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن من معه لم يكونوا من (جذم غسان) وإنما كانوا من (مأشبة الناس) أي جماعة أوشاب الناس وأوباشهم أي الأخطا التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء لا تكرهم الهزيمة ، ولا يسألون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا عجب أن أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس^١ .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبي شمر ، كان قد توفي قبل (جبلة بن الأيهم) . وذلك لرتاء حسان له ولاجاء أهل الأخبار على أن جبلة عاش أمداً بعد ظهور الاسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيداً عن بلاد الشام وعن أرض آبائه وأجداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول أرسل شجاعاً بن وهب إلى رجل من غسان اسمه (المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني) . يدعوهم إلى الإسلام^٢ . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور . وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه (عدياً) ، وقالوا إنه ابن اخت الحارث بن أبي شمر الغساني ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقبته (بنو سعد ابن ثعلبة بن دودان) بالفرات ، ورئيسهم (ربيعة بن حذار الأسدي) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً^٣ . وقد سمي (محمد بن حبيب) هذا اليوم الذي وقع فيه القتال (يوم الفرات)^٤ .

وأشار الواقدي إلى ملك غساني اسمه (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، وذكر أنه قتل رسول رسول الله إلى ملك بصرى في مؤنة^٥ . ويشك (نولدكه) في نسبة هذا الأمير إلى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه (سدوس) و (بر) ، ونسبه في هذا الموضع إلى الأزدي . ثم انه لم يكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم^٦ .

-
- ١ البرقوقى (ص ٢٩) .
 - ٢ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
 - ٣ الاغانى (١٩٩/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٤٧) .
 - ٥ الواقدي (ص ٣٠٩) ، (طبعة ولهوزن) ، السيرة الحلبية (٦٦/٣) .
 - ٦ غسان (ص ٤٨) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك (غسان) قالوا له (قرص) ،
لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن (عدي) قالوا : انه ابن (أخي
قرص الغساني) ، وكان (عدي) هذا قد غزا (بني أسد) فقتلوه ، وأوردوا
في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عدي^١ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على عدي^٢ رماح الجن أوياتك حاراً

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال اليعقوبي والطبري
والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص) ،
هو (عدي) المتقدم ولا شك .

وقد وفد (حسان بن ثابت) على (عمرو بن الحارث) ، فاعتاص الوصول
اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلا هجوت
اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده (النابغة)
وهو جالس عن يمينه ، و (علقمة بن عبدة) وهو جالس عن يساره ، فقال
له (عمرو) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ،
فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فاني أخاف عليك هذين
السبعين : النابغة وعلقمة . أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي » ثم تلا عليه
شعراً مما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا ان يقول شعراً فيه ، وطلب من
الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال فيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل^٣ بين الجوابي فالبضيع فحومل^٤

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي (جابية
الجولان) ، و (البُضيع) أو (البُضيع) ، وهو جبل قصير أسود على تل
بأرض البلسة فيما بين (سيل) و (ذات الصنمين) و (حومل) و (مرج
الصفارين) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و (جاسم) ، وهي قرية بينها وبين
دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

١ ديوان حسان ، (ص ٢١٩) ، (البرقوقية) ، (ص ٧٩) (هرشفلد) .

٢ ديوان حسان (ص ٣٠٥) ، (البرقوقية) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها خربت ، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح^١ .

ثم تطرق الى ذكر من كان يناديهم بـ (جلق) ، وهو موضع قيل انه بقرب دمشق ، وقيل انه (دمشق) : كيف كانوا كرماء أجواداً يجودون على من يفد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الحلل القشبيسة المضاعف نسجها ، ويجيرون من يستجير بقبر أبيهم (ابن مارية الكرمي المفضل) ، فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلاهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنست بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من (البريص) ، ومن (بردا) ، وهما نهران بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكر (قصر دومة) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق منتطف، أي مقرط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه^٢ .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسنة ، ويظهر أن سلطان البيزنطيين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر ببساتينه وبكثرة أشجار الزيتون به ، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعر أبي نواس^٣ . وكان الغساسنة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار^٤ .

وقد ترك الروم ساقتهم بـ (ثنية جلق) ، وعليها صاحب الساقة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسنة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان^٥ .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونقشها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر،

١ ديوان حسان (ص ٣٠٧) ، (البرقوقي) ، (ص ٣٢) ، (مرشفلد) .

٢ البرقوقي (ص ٣٠٨ وما بعدها) .

٣ اللسان ، مادة (جلق) ، البلدان ، (جلق) .

٤ الموسوعة الاسلامية (٨٦/٧) ، الاغانى (٢/١٤) اللسان (٣٦/١٠) .

٥ الطبري (٣٩٢/٣) .

ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الغساسنة) ، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتله كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حلت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها^١ . ويظهر من سياق الشعر الذي رثى به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أفول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعلّه كان قد قتله بعد احتلال الفرس لبلاد الشام . فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المناوئين لهم ، ولذلك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار (أبو الفرج الأصبهاني) إلى أمير غساني سمّاه : (يزيد بن عمرو الغساني) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم^٢ . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث إلى (النعمان الغساني) ، على حين تنسبه روايات ثالثة إلى آل لحم ويرجح نولدكه الرأي الأخير^٣ .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ (سلامة بن روح بن زنباع الجذامي) ، وكان يلي العشور للروم . ولا بد أن يكون ذلك في أيام الغساسنة المتأخرين . وقد شبهه بـ (دمية في لوح باب) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معلقاً على لوح باب^٤ .

ومن الأماكن التي وردت في شعر (حسان بن ثابت) على أنها من مواضع الغساسنة (الجواء) و (عذراء) ، وهما موضعان بالشّام بأكتاف دمشق . وإلى (عذراء) هذه يضاف (مرج عذراء) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرها (حصان) في شعره^٥ . وذكر كذلك (بطن جلق) و (البلقاء) ، و (المحبس) و (السند) و (بُصْرَى) و (جبل الثلج)^٦ . أما ما يفهم من شعر (حسان) وغير حسان من شمول ملك الغساسنة مدينة

-
- ١ البرقوقي (ص ٣٨٧ وما بعدها) .
 - ٢ الاغانى (١٠ / ٢٨ وما بعدها) .
 - ٣ غسان (ص ٤٨) .
 - ٤ البرقوقي (ص ٢١٩) .
 - ٥ البرقوقي (ص ١ وما بعدها) .
 - ٦ البرقوقي (ص ١١٠) .

(دمشق) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن نحمله محل المجاز أو محمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تاريخي يقول باستيلاء الغساسنة على (دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التاريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشام ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأصلح لهم تركها إلى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة إليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأملاك اشترأها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في (دمشق) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي أوروبا يقيمون فيها بعض الوقت للتسلية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صورَّ الشام وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان (آل جفنة) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم . وقد أشير إلى رجل عرف بـ (أرطبان المرنى) ، قيل انه كان (شماشاً) في (بيعة غسان)^١ ، مما يدل على انها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى إلى الغساسنة ، وذلك بالإضافة إلى الأماكن التي سبق أن تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا ان منزل (جبل بن النعمان) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ^٢ . ومن الأماكن المنسوبة إلى الغساسنة موضع (حارب) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب إلى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر يخلق وقبر بصيداء التي عند حارب^٣

وورد (قصر حارب) . وقد نسبته (حمزة) إلى النعمان بن عمرو بن المنذر^٤ .

-
- ١ الإصابة (١٠٢/١) .
 - ٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الاول ، (ص ٥٨٦) .
 - ٣ البلدان (١٨٣/٢) ، البكري ، معجم (٤١٧/١) ، المعاني الكبير (١٠١٥/٢) .
 - ٤ حمزة (ص ٧٩) ، الهمداني ، صفة (ص ١٧٩) .

ويذكر أهل الأخبار (السويداء) في جملة الأماكن التابعة للغساسنة . وقد رجع (حمزة) بناءها الى (النعمان بن عمرو بن المنذر)^١ . وتقع في (حوران)^٢ . والرصافة من المواضع المهمة عند الغساسنة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الغساسنة ، وكانوا يتركون بزيارة قبره ، ويتقربون اليه بالهدايا والندور . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا باصلاح ما كان يتهدم منها ، فقام (النعمان بن الحارث بن الأيهم) باصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان (النعمان بن جبلة) فيمن أقام بها^٣ .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والامارات التي تكونت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزمًا . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق ، والى فلسطين الثانية و (الكورة العريضة) و (فلسطين الثالثة) و (فينيقية لبنان) . والى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير ، لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى (خليج العقبة)^٤ .

وتعدّ منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الإداري عند الروم ، وبها كان في الغالب مقر آل غسان^٥ . وقد اشتهرت (الجابية) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

-
- ١ حمزة (ص ٧٩) .
 - ٢ الحموي ، المشترك (ص ٣١١) ، مرصد الاطلاع (٧٠/٢ وما بعدها) .
 - ٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .
 - ٤ غسان (ص ٥١) .
 - ٥ المشرق ، السنة الاولى ، حزيران ١٨٩٨ م (٤٨٥) .
 - ٦ غسان (ص ٥١ وما بعدها) ، John of Ephesus, 4, 22.

كما عرفت أيضاً بجاية الجولان^١ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشقى الذي نقلت بعض أحجار جدران المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي (البرج) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار (المنذر) . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

أمراء غساسنة :

وذكر الأخباريون أميراً جفنيّاً دعوه (جفنة بن النعمان الجفني) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ عديّ بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقرٌ فأشعل جانيها وأهلك المروّح والغريب^٢

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) اسم رجل من غسان ، دعاه (خالد بن جبلة الغساني) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا مندرين ، ونُعمانين ، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمّال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة^٣ . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب (كسرى) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر^٤ » .

Ency., I, P. 1029.

١ الاغانى (١١٧/٢) وما بعدها ، (طبعة دار الكتب) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٦٨) .

٣ الاخبار الطوال (ص ٩١) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من (جبل الثلج) حتى جانبي (أيلة) ، وأنهما غزوا أرض فارس^١ . ويرى (نولدكه) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُنتي بأبي حجر^٢ .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عمراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر^٣ . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويقضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة (مشيخات) .

ويرى (ابن الأثير) أن : أبا جبيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وإنما كان من (بني غضب بن جشم بن الخزرج) ، ذهب الى غسان فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم ، واليه ذهب (مالك بن العجلان الخزرجي) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأنجده وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان^٤ . ولعل (أبا جبيلة الغساني) ، الذي ذهب اليه الشاعر الجاهلي (الرمق بن زيد ابن غنم)^٥ ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم في ديار الشام^٦ ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : « اليك ابن جفنة »^٧ ،

١ من يغر الدهر أو بأمنه
ملكها من جبل الثلج الى
الآغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، البرقوقى (ص ٢٠٥) .

٢ غسان (ص ٤٤) .

٣ الآغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

٤ الكامل ، لابن الأثير (٢٧٦/١) .

٥ البيان (٢٣٨/١) .

٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكاً
ديوان الأعشى (ص ٣١٥) ، (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، (ص ٢١١)
(طبعة كايير) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .

٧ اليك ابن جفنة من شقة
القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الأعشى (ص ٢٠٧) ، (طبعة م . محمد حسين) ، (١٣٩) ، (طبعة كايير) ، (Geyer) .

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل إلينا اسم أمير من غسان ، هو (الشيطان بن الحارث الغساني) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غيرة من القوم ، فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض ، حتى نزل بحي من (بهراء) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورحلاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدياً ، فأتى قبه ، وقصّ قصته ، فبعث إلى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم .

قوائم ملوك الغساسنة :

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الإشارة إلى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت إذا درست هذا الذي روي عنهم ، وحللتة تحليلاً علمياً لا تخرج منه إلا بنتائج تاريخية محدودة ضيقة تترك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم إلا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار وإعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت إذا راجعت التواريخ مثل تاريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التاريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك إلى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قيل فيها . فلولا ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحق القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً إلى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه إظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد

١ النوادر ، للقالبي (ص ١٧٩) ، (خبر الشيطان الغساني ونزوله بملك الشام مستجيراً) .

أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية (ابن الكلبي) ، غير أنهم كما يظهر من مدوّنتاتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى ، واستعان بعض آخر بما رواه (ابن الكلبي) وبما رواه غيره وأضافوا اليه مسا عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة (غسان) ، ولم يكونوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها، وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكمات وفي منطق التأريخ . وقد درس (نولدكّه) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها ، وقارن الحاصل بما وجدّه في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبو كرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر النعمان . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن النعمان .

؟ ؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورتب (ابن قتيبة الدينوري) ، أسماء ملوك الغساسنة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو (الحارث الأكبر) ، ويكنى (أباشمر) .

الحارث بن أبي شمر ، وهو (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) . وأمه

(مارية ذات القرطين) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج

ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأيهم بن الحارث . وهو أبو (جبلة ابن الأيهم) ، وجبلة آخر ملوك غسان^١ . وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملوك آل غسان أحد عشر ملكاً ، ذكر منهم :

- ١ - الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن ماس (مازن) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .
 - ٢ - الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .
 - ٣ - النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .
 - ٤ - المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .
 - ٥ - عوف بن أبي شمر .
 - ٦ - الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .
 - ٧ - جبلة بن الأيهم^٢ .
- وذكر المسعودي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً . ولم يذكرهم في قائمته كلهم^٣ .

أما ملوك (الغساسنة) ، على ما جاء في (كتاب المحبر) ، فإنهم على هذا النحو : (ثعلبة) ، فابنه (الحارث) ، فابنه (جبلة) ، فابنه (الحارث) وهو المعروف بـ (ابن مارية ذات القرطين) ، و (النعمان بن الحارث) ، و (المنذر) ابنه ، و (المنذر بن الحارث) ، و (جبلة بن الحارث) ، و (أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) ، و (الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

١ المعارف (٦٤٢ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .

٢ مروج (٨٢/٢ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .

٣ مروج (٨٦/٢) ، (دار الاندلس) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحساس (وهو (حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية ، فلم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم (جبلة بن الأيهم بن جبلة) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب^١ .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التي طبعها (هرشفلد) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو ، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالخارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الاسلام^٢ » .

قائمة حمزة :

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان، القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

- ١ - جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .
- ٢ - عمرو بن جفنة .
- ٣ - ثعلبة بن عمرو .
- ٤ - الحارث بن ثعلبة .
- ٥ - جبلة بن الحارث .
- ٦ - الحارث بن جبلة .
- ٧ - المنذر بن الحارث .
- ٨ - النعمان بن الحارث .
- ٩ - المنذر بن الحارث .
- ١٠ - جبلة بن الحارث .
- ١١ - الأيهم بن الحارث .

١ المحبر (ص ٣٧٢) .

٢ ديوان حسان (ص ٩٦) ، (هرشفلد) .

- ١٢ - عمرو بن الحارث .
 - ١٣ - جفنة بن المنذر الأكبر .
 - ١٤ - النعمان بن المنذر الأكبر .
 - ١٥ - النعمان بن عمرو .
 - ١٦ - جبلة بن النعمان .
 - ١٧ - النعمان بن الأيهم .
 - ١٨ - الحارث بن الأيهم .
 - ١٩ - النعمان بن الحارث .
 - ٢٠ - المنذر بن النعمان .
 - ٢١ - عمرو بن النعمان .
 - ٢٢ - حجر بن النعمان .
 - ٢٣ - الحارث بن حجر .
 - ٢٤ - جبلة بن الحارث .
 - ٢٥ - الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .
 - ٢٦ - النعمان بن الحارث (أبو كرب) .
 - ٢٧ - الأيهم بن جبلة بن الحارث .
 - ٢٨ - المنذر بن جبلة .
 - ٢٩ - شراحيل بن جبلة .
 - ٣٠ - عمرو بن جبلة .
 - ٣١ - جبلة بن الحارث .
 - ٣٢ - جبلة بن الأيهم .
- وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي^١ . وأكثر اعتماده في النقل على الطبري .

١ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبد التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليج . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة^١ .

وقد ناقش نولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكّن من الحصول عليها، وأظهر ما فيها من خلل ونقص في نهاية ذلك البحث^٢ .

١ ابن خلدون (٢٨٠/٢) .

٢ (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، (وصيغة ٥٣) من النص الألماني .

الفصل الحادي والأربعون

العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلوات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم ، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكوتونا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بآمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حبش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة^١ .

ويرون أيضاً ان (الجعر) أو (جعيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesani الذين وضع (بليبي) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي . هاجر الى الحبشة وكوتن مملكة هناك^٢ . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجعزية ، أي لغة الجعر^٣ .

Belträge, S. 75, 119, Conti Rossini, in Expeditions et Possessions
des Habasat en Arable, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Die Araber, I, S. 114,
E. Littmann, in : Handbuch der Orientalistik, III, 2-3, 350, 376.

Die Araber, II, S. 274. ٢

Die Araber, I, S. 114. ٣

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موتوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها، ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبثيون في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل (البطالمة) في البحر الأحمر، وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر. غير أنها لم تنقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة فيما بعد الميلاد أيضاً ، فترحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك^١ .

وقد تبين أن السبثيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) Ta'izziya من أرض (أريتريا) ونجد الحبشة ، وكونوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية^٢ . ولم يقطع هؤلاء السبثيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونهم وارسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعل ما جاء في أحد النصوص من (مصر) الحبشة ، قصده به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقيا^٣ .

وفي القرن السادس قبل الميلاد، كان الأوسانيون قد نزحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba ولـ (زنبار) Zanzibar وهي (عزانيا) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ، باسم Ausanteae ، وهو اسم يذكرنا بـ (أوسان) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) ، لحكام Mapharitis^٤ . ويريد بهم حكام دولة (سبأ وذو ريدان)^٥ .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

Die Araber, I, S. 128. ١

Arabien, S. 25. ٢

Glaser 1076, Arabien, S. 25. ٣

Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25. ٤

Arabien, S. 25. ٥

(أكسوم) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهة السبئية (ذت بعدن) (ذات بعدن) (ذات البعد) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (بحا) الواقع شمال شرقي (عدوة) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان ، كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإله (سن) (سين) . وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين^١ .

وعرف ملك الحبش بـ (النجاشي) عند العرب . واللفظة لقب تطلقه العربية على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة (قيصر) ، اللفظة التي يطلقها العرب على ملوك الروم ، و (كسرى) التي يطلقونها على من حكم الفرس ، و (تبع) التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لفظة (ملك) على من ملك الحبشة . وقد ورد (ملك اكسمن) ، أي (ملك اكسوم) وورد (ملك حبشت) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب اللفظة من الحبش . وهي في الحبشية بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً^٢ . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية اذ لقب به (جدرة) مثلاً^٣ .

ويظن ان مملكة (أكسوم) التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية ، قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكة ، دون بعض منها باليونانية مما يدل على تأثر ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك نشرت ثقافتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة (أكسوم) (اكسمن) نسبة الى عاصمتها مدينة (اكسم) (أكسوم)^٤ .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنتهم الى القرن الرابع أو ما بعد ذلك للميلاد . ويظن ان الملك (عزانا) Ezana وهو ابن الملك (الاعميدا) Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود الى عهده ، ترينا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وترينا الحديثة منها

Handbuch, I, S. 34.

Die Araber, II, S. 293.

Die Araber, I, S. 115, II, S. 295.

Die Araber, I, S. 114.

أنه كان نصرانياً ، مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه ، ثم اعتنق النصرانية ، فأدخل شعارها في مملكته ، وذلك بتأثير المبشرين عليه^١ .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتسديدين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والتحويلة التي تشير إلى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الأفريقيين بالثقافة العربية الجنوبية، أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الأفريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها إلى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قريبة من الساحل الأفريقي ومن الممكن للسفن الوصول إليها وانزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpitaie في جغرافية (بطليموس)^٢ .

ورود في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك (أكسوم) ، كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بإرساله قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) (الأرحب) (الأرحية) (أرحب)^٣ والـ Kinaidokolpitaie ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37.

44, Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

١ (أرحب : حي أو مكان . وفي المعجم : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان) ، (أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ) ، تاج العروس (٤٩٢/٢) ، (طبعة الكويت) ، (رحب) .

وفي البحر . ويرى بعض الباحثين أن المراد بـ (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaldokolpita ، هم (كنانة) . وأن السواحل التي استولى الأحباش عليها تمتد من موضع (لويكه كومه) Leuke Komé (القرية البيضاء) الى أرض السبئين^١ .

ويرى (فون وزمن) أن احتلال الحبش لأرض Kinaldokolpita ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية (بطليموس) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعسير من ينبع Iania في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال (وادي ييش) ، فشملت الأرض المذكورة والتهائم والساحل كله^٢ .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريترى) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الأفريقي المسمى بـ (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحميريين في ذلك الوقت^٣ . ومعنى ذلك ان ملك حمير استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمه الى ملكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان فيما بعد .

ووردت جملة (احزب حبشت) في النص الموسوم بـ (CIH 314+954) . وهي تشير الى وجود (أحزاب) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشية وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد^٤ . كما وردت في النص الموسوم بـ Ryckmans 535 الذي يتحدث عن حرب أعلنها (الشرح يحضب) على (احزب حبشت) ، و (ذى سهرتن) و (شمر ذى ريدان)^٥ .

وأشار (اصطيغان البيزنطي) الى قوم دعاهم Abasynoi ، يظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

١ Belträge, S. 119.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

٤ Die Araber, II, S. 275.

٥ Le Muséon, 1956, P. 154, Die Araber, II, S. 275.

يقيمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بالقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم^١ .

وورد في كتابات تعود الى أيام (علهان نهان) ، بأن هذا الملك كان قد تفاوض مع (جدرت) (جدرة) ملك (أكسوم) والحبيشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ، أي « وأقبال وسادات وقبائل ملك الحبشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبشة كان يحكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وإن الملك (علهان نهان) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحبش ولضمان مساعدتهم في حروبه مع منافسيه وخصوصه^٢ . ويرى (فون وزمن) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد عقد (علهان) حلفاً مع الحبش ، ويظهر أنه عقده بعد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حير . تلك الحرب التي اشترك الحبش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقد (علهان) الحلف مع الحبش ، كان ابنه (شعر أوتر) قد اشترك معه في الحكم^٤ .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين (علهان) وابنه (شعر أوتر) من جهة والحبش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شعر أوتر) وبين (الحبش) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم (شعر أوتر) . إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزحهم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربي من اليمن^٥ .

وقد جاء اسم (جدرت) (جدرة) على هذه الصورة : (جدر نجش اكسم) في النصوص . وورد على هذه الصورة : (جدرت ملك حبشت واكسمن) في النص الذي وسم بـ 631 Jamme^٦ . ومعنى الجملة الأولى (جدر نجاشي أكسوم) .

Die Araber, II, S. 275.

Nami 71 + 73, CIH 308.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47. 1.

CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الحملة الثانية (جلدرة ملك الحبشة وأكسوم) . وقد قدّر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد^١ .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (ظفار) عاصمة حير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام (لعز زيهنف يهصدق)^٢ . ولا ندري الى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما يظن . وكان هذا الملك على صلات حسنة بالرومان ، ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية النفيسة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو (زوسكالس) Zoskales وقد أدى هذا التغيير الى تبدل الحال ، اذ اضطّر الحبش الى التزوح من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين ان ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة) وأحلت (زوسكالس) محله . فانتفض أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم، وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolpitae ، ويراد بها ساحل الحجاز وعسير^٣ .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ، لفظة (وذب ه) (وذب) ثم ذكرت بعدها جملة : (ملك اكسمن) ، أي (ملك أكسوم) ، أو (ملك الأكسوميين) . وهو الملك الذي استعان به (شمر ذو ريدان) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (وذب) على هذه الصورة (عذبة) أو (وزبه) . وذهبوا الى أنه ملك الحبشة الذي استعان به (شمر ذو ريدان)^٤ ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد^٥ .

ويظهر من اللقب الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)، أي الحبشة Ethiopia وهو الملك (عيزانا) Ezana ، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

Le Muséon, 1958, 147, Die Araber, II, S. 285.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

Die Araber, II, S. 285.

Die Araber, II, S. 295.

الحكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : (ملك اكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحن) ، ويذكر بعد هذا اللقب أسماء ثلاثة مناطق افريقية كانت تحت حكمه ، ثم ختم هذا اللقب بتتمته ، وهي جملة : (ملك الملوك)^١ . و (سلحن) (سلحين) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك (عيزانا) (عزانا) ، قد دخل في النصرانية بتأثير المبشر (فرومتيوس) ، الذي أرسله اليه الملك (قسطنطين) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية^٢ .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعله هو الذي أدخلها في حكمه . إذ كان أبوه وهو (الاعميدا) Ella 'Amida ، قد لقب نفسه باللقب المذكور^٣ . ويرى بعض الباحثين أن حكم (عيزانا) لم يكن فيما بين السنة (٣٣٠) و (٣٥٠) بعد الميلاد أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل Kinaidokopitae ، هو الملك (سمبروتس) Sembruthes وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) ، وأن ذلك كان في حوالي السنة (٣٣٥ م) . وأن (ثيوفيلس) نصرّ عرب اليمن في حوالي السنة (٣٥٤ م) ، إذ أنشأ كنيسة في (ظفار) . وقد صار رئيس أساقفة (ظفار) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة (نجران) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبية الى الخليج^٥ .

وأعرف تدخل للحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمداً حتى ثار أهل اليمن

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

Handbuch, I, S. 35, 36.

Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.

Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.

Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن (شمر) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع (مخون) ، وهو (مخا) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد^١ .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل نجران قريباً من عشرين ألفاً ، أفلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه (جبار بن فيض) أو غير ذلك ، ففسر على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة ، وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل (ذو نواس) بنصاري نجران ، وأتاه بالانجيل قد أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن^٢ .

وفي رواية أخرى ان (دوس ذو ثعلبان) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على (ذي نواس) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا ، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بئارك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي ، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط ، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 438.

١
٢ الطبري (١٠٥/٢) ، المحبر (ص ٣٦٨) ، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٩) .

اختلاف وتفرق لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه ناوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرباط بمجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجهه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطيء (أرباط) اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلاث سباياها ، ثم أقام بها^١ .

ويظهر من دراسة هذا المروي، أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن (أصحاب الأخدود) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف^٢ . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »^٣ . وقال بعضهم : انهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة ، أخذهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه^٤ . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم (ذو نواس اليهودي) واسمه (زرعة بن تبان أسعد الحميري) ، واسمه أيضاً (يوسف) . وجعله بعضهم (يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري)^٥ . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه (عبدالله بن ثامر) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلازمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفائه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفائهم ، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران^٦ .

ولم يبين رواية الخبر المتقدم الأسباب التي دعت لنجاشي الحبشة الى الطلب من قائده (أرباط) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

١ الطبري (١٠٥/٢ وما بعدها) ، ابن قتيبة (ص ٣١١) ، الكشف للزمخشري (١٥٩٤/٢) . تفسير البضاوي (٣٩٥/٢) .

٢ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .

٣ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .

٤ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩) .

٥ تفسير القرطبي (٢٩٠/١٩) .

٦ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩ وما بعدها) .

ثلث النساء وأبناءهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخذوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .

وزعم (ابن الكلبي) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب إلى المقاتل يدعوهم إلى مظاهرتهم ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الابل ، وخرج حتى لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب (ذو نواس) إلى كل ناحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس : جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة إلى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقتمحمه ، فكان آخر العهد به^١ .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الاسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه إلى القرآن الكريم ، إذ أشار بإيجاز إليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٢ . فكانت اشارته هذه إلى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التأريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة^٣ .

ولم يرد إلينا شيء من هذا القصص السني رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المسند . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حمير وقتلوا ملكها وأقياله الحميريين والأرحبيين .

١ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف بمصر) ، المحبر (ص ٣٦٨)

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube » ,

in ZDMG., 1881, S. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة (٦٤٠) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد^١ .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص (حصن غراب) أن (ذا نواس) كان هو البادئ بالحرب ، وأن السميع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك ذي نواس في حملته على الحبشة ، غير انه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأسرع السميع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن (ماوية) للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وانما أكرهوا على الذهاب معه . وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فتفاهم معهم^٢ .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريخ الاسلامية عن ذي نواس وعن حادث تعذيب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعيد العهد عن الاسلام . فقد أشير اليه بإيجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٣ . فجمع المفسرون والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود - وهم طرف من أطراف هذا النزاع - عن حادث نجران فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل إلينا شيء مدون بقلم مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون - كما قلت - ما كان علق عن ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ، أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المدون في كتب أهل الأخبار والمنصوص على سنده هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه النصارى عنه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فإنه أطيب جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

١ REP. EPIGR., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132,

Mordtmann, in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

٢ Winckler, AOF., IV, 1896,

« Zur Alten Geschichte Yemens und Abessinien », S. 327.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

المواد الإسلامية واليهودية على منابع شفوية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوّقاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والمشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دون بعضها بعد وقوع الحادث بقيل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والعواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حماسية . ونقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوت لبث حمية النصارى على انقاذ أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهوده ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : (قزما) ، والمؤرخ (بروكوبوس) المتوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد^١ . ومن المتأخرين : المؤرخ (ملالا) Johannes Malala^٢ . وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين المتأخرين عنه ، مثل (ثيوفانس) Theophanes (٧٥٨ - ٨١٨)^٣ و (سدرينس) Georg Cedrenus ، و (نيقيفورس كالستي) Nicephorus Callisti^٤ .

وكان (قزما) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي (قزما بحار البحر الهندي) ، وصاحب كتاب (الطبوغرافية النصرانية) Christian Cosmography وكتاب (البحار الهندية) (بحار البحر الهندي) Indicopleutes في مدينة (أدولس) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي ينقل كتابة (بطليموس) Ptolemaeus اليونانية بأمر النجاشي (Elesboas) (Elesboan) في العهد الذي كان فيه النجاشي يتهيأ لغزو أرض حمير^٥ . فكتب في جملة ما كتبه

١ Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

٢ Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

٣ Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

٤ Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., Lib., XVII, Cap. 32,

2, Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

٥ ED : Montfaucon, P. 141, ZDMG., 1881, S. 5.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الاول ، ١٩٤٨ ، (ص ١٨ وما بعدها) .

قصة غزو الحبشة لليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه^١ . فلروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسميين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويفهم من رواية (قزما) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر (يسطينوس) Justinus (٥١٨ - ٥٢٧ م)^٢ . أما (ثيوفانس) Theophanes و (سدرينوس) Cedrenus ومن اعتمد عليهما ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الذي حل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حير لنصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك^٣ .

ويحدثنا (ثيوفانس) و (سدرينوس) عن غزو ثان قام به الحبش على حير لاعتداءاتهم على تجار الروم ، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوستنيانوس) Justinianus (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، وفي عهد النجاشي (أدد) Adad . أما ملك حير ، فاسمه (دميانوس) Damianus . وقد ذكر (ملالا) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي (أندس) Andas بدلاً من ادد ، وصيّر اسم ملك حير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (دميانوس) Damianus ، وذكر حملة (اندس) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام (اندس) . وذكر المؤرخان الآخران ان (أدد) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميرين^٤ .

وتحدثنا رواية سريانية ان النجاشي المسمى (ايدوك) Aidog حارب الملك (اكسينودون) Xenedon ملك الهنود . ثم حارب (دميون) Dimion ملك حير لاعتدائه على التجار الروم واستيلائه على أموالهم . فانتصر (ايدوك) على ملك حير ، ثم تنصر ، وعيّن على حير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323. ١

Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 68. ٢

ZDMG., 31, 1877, 68, Theophanes, I, 260. ٣

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes, ٤

I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذَّب خلفه نصارى نجران ، فغزا (ايدوك) حمير وانتصر عليها . وأقام عليها (ابرهام) (ابراهيم) Abraham ^١ . ولا يشك المستشرق (فيل) Fell في أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو النجاشي (كالب) ، وهو Elesbaas (كلب الا أصبحه) (كالب الا أصبحه) . وأما Dimion و Dimianus و Xenodon ، فيراد بها (ذو نواس) . وقد تحدث (فل) Fel باطناب عن مختلف الروايات الواردة عن النجاشي (كالب) (كلب الا أصبحه) و (الاعاميدة) (عيلاميده) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ، فإنه يرجع من يطلب المزيد ^٢ .

وفي المرويات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك (ذو نواس) Dunaas ملك حمير ، وإن ذلك كان في السنة الخامسة من حكم (يوسطينوس) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هو النجاشي Ela Atzbeha Elesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حمير ، فر Dunaas الى الجبال فتحصن فيها ، حتى إذا سنحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش النجاشي في اليمن واحتل مدينة (نجران) فقام عندئذ Elesbas بحملة ثانية فانتصر بها على (Dunaas) وعين Abrames في مكانه ^٣ .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحميريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف (ظفار) المسمى (كريكتيوس) Gregentius وبين Herban اليهودي ، والظاهر أنها من القصص الذي وضع في السريانية وليست لها قيمة تاريخية بالطبع ^٤ . وقد دون (يوحنا الأفسسي) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥) للميلاد في تاريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعذيب نصارى نجران ، هي رسالة وجهها (مار شمعون) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham المعاصر لهذا الحادث الى (رئيس دير جبلة) Abt von Gabula يصف فيها ما سمعه وما قصه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I, ١

359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19. ٢

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graeca, ٣

Vol., V, P. I, (Boissonade Ed.).

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327. ٤

وما لاقوه هناك من أصناف العذاب^١ . ومنه أخذها البطريق (ديونيسيوس) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تأريخه المؤلف بالسريانية . وقد نشرها (السمعاني) في مؤلفه (المكتبة الشرقية) . وتجده هذه الرسالة أيضاً في تأريخ (زكريا) Zacharias von Mitylene المتوفي في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسريانية أيضاً^٢ . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً^٣ .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهام) Abraham والد (نونوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوستينوس) Justinus الأول الى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التأريخ السلوقي ، وتقابل هذه السنة سنة (٥٢٤) للميلاد . فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به (شمعون) من كتاب وجته ملك حير الى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصاري مملكته ما فعله هو بنصاري نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه ، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال الى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين^٤ .

وقد وجه شمعون في نهاية الرسالة نداءً الى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه الفاجعة التي نزلت باخوانهم في الدين ، والى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجزء الاول السنة ١٩٤٨ (كتاب الشهداء الحميريين) ، لما راغناطيوس أفرام ، النصرانية (٦١/١) ،

Fell, « Die Christenverfolgung, in Südarabien und Himjarish Athiopischen Kriege nach Abessinischer Überlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364, Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية (٦١/١) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (ص ١٨) ، اللؤلؤ المنشور في تأريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، حمص سنة ١٩٤٣ ،

Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1881, S. 3.

Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zachariae Episcopi Mitylenes Allorumquae Scripta Historica Graeca Plerumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdota Syriaca, vol., 3, Leiden, 1890.

ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmenta Histori. Graega, IV, P. 177.

نجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجّه نداءه الى أحبار (طبرية)
للتأثير على ملك حمير ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب^١ .
وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها ، وهي في الجملة صحيحة
ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد
نصارى نجران. أما ما جاء فيها على لسان ملك حمير من جمل وعبارات استخلصت
على حد قول (شمعون) من الرسالة التي وجهها ملك حمير إلى المنذر، فسألة فيها
نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه
قد صدر منه . وما دوت فيها من عبارات بحق الشهيد (حارثة) (الحارث) Arethas
ونصارى نجران لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع
أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك إلى المنذر لحثه على اضطهاد
نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حمير اليه . ولا داعي يدعو إلى نكرانها
والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دوته
شمعون من جمل وعبارات على أنها من كلام ملك حمير ، هو من انشائه وكلامه ،
لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة أنها وثيقة مهمة ، ولها
قيمة تاريخية في الجملة بغض النظر عن التفصيلات الواردة فيها وعن عواطف كاتبها
وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ
صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها^٢ .
ومن الوثائق التاريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى (يعقوب
السروجي) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس)
Paulus Bishop of Eddessa أسقف (الرها) Eddassa = Edessa ومدحه
اياهم ، ونشيد كنسي سرياني لـ (يوحنا بسالطس) Johannes Psaltes رئيس
دير قنسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد^٣ ، وميمر ليعقوب الرهاوي^٤ .

١ ZDMG., 35, 1881, S. 3.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 4.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٨) ، اللؤلؤ المنشور في
تأريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ أكتوبر
٥٢٦ للميلاد راجع :

Bury, II, P. 324, ZDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV,
1881, S. 4.

٤ النصرانية (٦١/١) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في (كتاب الشهداء الحميريين)^١ وفي رسالة (شمعون الأرشامي) أن (يعقوب السروجي) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصري (يوسطين الأول) (يسطينوس) Justin I إلى الملك (المنذر) . و (الرصافة) Sergiopolis هي (متروبولية منطقة الفرات) Metropolis of Euphratensis بالنسبة إلى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عمّد وهو في (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمانا) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه (أفعو) Af'u ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن إلى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى (نجران)^٢ . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير ، السفارة عند ملك الحيرة . ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه^٣ .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير ، وقد دعاه (مسروقاً) Masruq ، إلى (المنذر بن الشقيقة) (منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqiqa وهو يخرضه فيه على النصارى^٤ . ولا بد من الإشارة إلى الأثر المهم المنشور باليونانية لـ (يوحنا بولند) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، وإلى أثر آخر نشره (بوسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات^٥ . فقد دوّنت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس (الحارث) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذي نواس . ودوّنت في الأثر الثاني مضامين رسالة (مار شمعون) . وقد بين (فينند فل) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة (بولند) Bolland^٦ .

١ Axel Moberg, The Book of the Himyarites, Lund, 1924,

Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٢ Shshid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon,

1963, 3-4, P. 354.

٣ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٤ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٥ النصرانية (٦١/١) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الاعمال : (أعمال البولنديين) ،

Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٦ ZDMG., 35, 1881, S. 5.

وللنصوص الحبشية ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حمير . لذا وجّه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير أنهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها. وما عثر عليه ليس بكثير . ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سابيتو) J. Sapeto أشير فيها باختصار إلى القديس الحارث (حبروت) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيها أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن، وأمر (ذو نواس) المسمى فيها بـ (فنجاس)، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس (أزقير) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حمير (شرحيل بن ينكف) مع (٣٨) آخرين^١ .

يتبين من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حمير قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حمير بسنين ، وأنهم انتصروا على ذي نواس ، فاضطر إلى التقهقر إلى الجبال للاختباء بها ، وأنهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الحبش فتمكن منهم ، وعذب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألا يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الحبش على غزو اليمن^٢ .

وورد في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الحبش بعد أن نزلوا أرض حمير ، عارضهم رجل اسمه (مسروق) وحاربهم وقاومهم ، وهاجم مدينة

١ النصرانية (٦١/١ وما بعدها) ، Sapeto, Viaggio e Missione e Cattolica , fra i Mensa i Bogos etc., Roma, 1857, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lencel, 1910, Ser., V, Vol., XIX, P. 705.
٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

(ظفار) عاصمة حير ، وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها ، ولما رأى (مسروق) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة (ظفار) ، أوفد اليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يعدهم فيه أنهم إن سلموا له (ظفار) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم الى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدقوه ، وخرجوا اليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد (أبابوت) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم إلى اليهود فقتلوه . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحميريين أمراً بقتل النصارى قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويتهودوا . وكتب إلى الحارث من أشرف مدينة نجران أن يأتيه مع من عنده من حملة السلاح لحاجته الشديدة اليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع إلى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، و طال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجالاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسيه من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة^١ .

فلما تمادى مسروق في غيه وفي قتل النصارى في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها ، سار سيد من سادات القوم اسمه (أمية) إلى الحبشة فأخبر مطرانها (أوبروبيوس) و (كالب) النجاشي بما حل بنصارى اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حير ، فغزتها وقضى على (مسروق) اليهودي ، وهو (ذو نواس) في كتب الإسلاميين^٢ .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion (دميانوس) Dimianos ، ملك حير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أسأوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة وإلى المناطق القريبة من حير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حير عروضاً لم يوافق عليها ، فوقع

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١١ وما بعدها) ،
Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

الحرب . وترجم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقبل له : إن كتب لك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر ، وانتقم من حمير . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته إلى القيصر يلتمس منه إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على *Johannes Paramonaris* من كنيسة القديس يوحنا ، فذهب مع عدد من الكهنة ، فعمّد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس إلى الدين الصحيح^١.

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم *Dimnus = Damian* و *Dimnus = Dimianos* (مسروق)^٢ . ونرى تشابهاً كبيراً بين *Dimnus* و *Damian* و *Damnus* وكلمة (ذو نواس) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعت (فنحاس) *Phin'has* ، وهو اسم من أسماء يهود^٣ .

أما النجاشي الذي حارب حمير وغزا أرضها ، فقد دعاه (بروكوبيوس) باسم *Hellestheaeus*^٤ . ودعاه غيره بأسماء قريبة منه مثل *Elesbowan = Elisbahaz* و *Ela-Atzbeha = Elesbaas = Elesboas* (ايلاصباح) أو *Ela-Asbah* (ايلاصباح) في الحبشية^٥ . ودعي أيضاً باسم آخر ، هو *Aldug* ، دعاه به (يوحنا الأفيسي) *Johannes von Ephesus*^٦ و (اندس) *Andas* وقد دعاه (ملالا) بذلك^٧ . و *Adad* ودعاه به (ثيوفانس) و (سدرينوس) *Cedrenus*^٨ . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي (كالب)

Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322.

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17,

1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233.

Procopius, History of the Wars, P. 189

ZDMG., 35, 1881, S. 18.

Galser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19,

Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser,

Die Abessinier, S. 176.

Theophanes, I, P. 346, Cedrenus, I, P. 656.

Kaleb^١ . فهو إذن (الا أصبحت كالب) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني (الا) Elle = Ella (ذو) أو من (آل) . وأما (أصبحت) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن (ذا نواس) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو (يوسف) . ويكون النجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو (كالب) من (آل أصبحت) أو (الا أصبحت كالب) كما عرف بذلك^٢ .

وقد تحول اسم النجاشي Ela Sebah = Elesbass إلى (أصبحت) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن (أبرهة ملك اليمن من قبل أصبحت النجاشي)^٣ ، ف (أصبحت) إذن هو النجاشي المذكور .

والنجاشي Ela Atybeba = Elesboas ، وهو ابن النجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا النجاشي^٤ ، النجاشي Andas الذي كان قد أقسم أنه إذا انتصر في الحرب يتنصر . فانتصر، فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بلقب (ملك اكسوم وحير Homer ويريدان وسبأ وسليح) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن^٤ .

وقد عثر في خرائب مدينة (مأرب) القديمة ، على نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدوّن بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لميناء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدوّن النص ، وقد كان في سفينة تبعها إحدى عشرة سفينة أخرى ، فنزل بذلك الميناء وتغلب عليه ونزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فأخذوا غنائم وأسرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

ZDMG., 35, 1881, S. 20. ١

Die Araber, III, S. 28. ٢

تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) . ٣

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Nöldeke, Tabari, S. 188, ٤

Bury, II, P. 223.

التي هاجموها ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل الميناء على الباطل وضد الشريعة الحقة فعوقبوا بالهزيمة^١ .

والنص المذكور - وإن كان خلواً من كل إشارة الى (ذي نواس) ، أو الى اسم (نجاشي) الحبشة ، أو الى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها - يشير الى غزو الحبش لليمن في حكم (ذي نواس) ، والى تغلب الحبش عليه . ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع (ادولس) (عدولس) (عدولي) Adulis على ما يظهر وكانت بإمرة (الا اصبيحة) ، فعبرت باب المندب ، حتى وصلت الى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء (نخا) موضعاً للتزول ، فنزلت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . وبذلك تم النصر للحبش . ولم يشر النص الى أسماء الموانئ التي تحرك منها الجيش ، أو الموانئ التي نزل بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aidug و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وهو (الا عاميدة) (علا عاميدة) Ela Amida ، المعاصر للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات . وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aidug بعد انتصاره على حمير ، كما أشرت الى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة قبل غزو اليمن هذا بكثير^٢ .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غلب على أمره ورأى مصيره السيء ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه^٣ .

Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. af. Semit. Stud., 9, ١
(1964), P. 56.
ZDMG., 35, 1881, S. 20. ٢
ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procopius, I, XX, I, Malala ٣
S. 433.

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدن زعم انه قائله ، هو :

أو ما سمعت بقتل حمير يوسفأ أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه (فون كريمير) على أن ذا نواس لم يغرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم^١ .

حكم السميع أشوع :

وذكر (بروكوبيوس) ان الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه *Esimiphalos = Esimiphaeus* اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقى من جنود الحبشة في أرض حمير ثاروا عليه وحصلوه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه (ابراهام) *Abraham* كان مملوكاً في مدينة (أدولس) (عدول) *Adulis* لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم إليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالثوار ، وقتلت ائدها وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب *Hellestheaeus* عندئذ غضباً نديداً، وسيّر اليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أتباع *Abram* فانهزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الهزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح *Abraham* خليفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعين نائباً عنه^٢ .

وذكر (بروكوبيوس) أيضاً أن القيصر (يوسطنيانوس) أرسل رسولا عنه إلى النجاشي *Hellestheaeus Ela Atzbeha* وإلى *Esimiphaeus* اسمه (جوليانوس) *Julianus* ليرجو منها اعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم ، لأنها والقيصر على دين واحد ، فعليها مساعدة أبناء دينهم الروم والاشترك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

^١ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, Sudarabische Sage, 92, 127.

^٢ Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 457.

وطلب من ملك حمير **Homeritae** خاصة أن يوافق على تعيين (قيس) **Kaisos** = **Caisus** (**Phylarch**) سيداً على قبيلة معد **Maddeni**، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض الفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل، وكان شجاعاً قديراً وكفوؤاً جداً وحازماً، قتل بعض ذوي قرابة **Esimiphaeus** فانهزم إلى البادية هائماً. وقد وعد الملك خيراً، غير أنه لم ينجز وعده، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب^١.

وقد وصل رسول (جستينيان) (يوسطنيان) **Justinian** سنة (٥٣١ م) إلى ميناء (ادولس) من البحر، ثم ذهب منه إلى (اكسوم) حيث وجد النجاشي **Ela Atybeba** واقفاً على عربة ذات أربع عجلات، وقد ربطت بها أربعة فيلة، وكان عارياً إلا من مئزر كتان مربوط بذهب، وقد ربط على بطنه وذراعيه حلياً من ذهب. وبعد أداء هذا الرسول رسالته، ثار (ابرام) **Abram** على **Esimiphios**، وقضى على حكمه^٢.

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين. غير أنهما لم يفعلوا شيئاً، ولم ينفذا شيئاً مما تعهدا به للسفير. فلم يغزوا الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً) على قبيلة معد. وقد تحرش **Abramos** = **Abram** بالفرس، غير أنه لم يستمر في تحرشه^٣. فما لبث أن كفَّ قواته عنهم^٣.

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة، له عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة. ولشخصيته ولمكانة أسرته، أرسل رسوله إلى (السميفع) لاقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه. وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خططه السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب، ومكافحة الساسانيين. وقد زار (ابرام) **Abram** والد (نونوسوس) **Nonnosus** الذي أرسله

Procopius, I, XX, 9-13. ١

Bury, II, P. 325. f. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

(جستنيان) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kaisos (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) ، وزاره (نونوسوس) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل (قيس) ابنه (معاوية) معه إلى القسطنطينية إلى (يوسطنيان) ، ثم استقال (قيس) ، وصار أخوه رئيساً على معد ، وزار القسطنطينية ، فعيّن (فيلارخاً) على فلسطين^١ .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ (بروكوبيوس) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى (النجاشي) وإلى (السميع) ، إبان حكم السميع لليمن ، أي قبل ثورة (أبرام) (أبرهة) عليه . ولهذا كلمه الرسول في أمر (قيس) ، ولكنه أخفق في اقناعه بالعفو عنه وبالاعتراف به رئيساً على معد ، فلم يعترف به إلى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية إلى النجاشي وإلى أبرهة وإلى (قيس) بمهمة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان (أبرهة) على عكس (السميع) على علاقة طيبة بـ (قيس) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) إلى خبر الرسول الذي أرسله القيصر إلى النجاشي لاقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر إلى بلاط (أكسوم) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حمير عيّن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين^٢ . وأما (يوحنا الأفسسي) ، فقد دعاه Abramios ، ودعاه (ثيوفانس) (الحارث) Arethas^٣ .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حمير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣٩٤/٤) ،
Bury, II, P. 326, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179,
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University
of London, Vol., XVI, Part : 3, P. 435.

٢ Malala, P. 456, Fell in ZDMG., 35, 1881, S. 34, ZDMG., 7, 473,
Bury, II, 324, Malala, XVIII, 457.

٣ Theophanes, I, P. 377, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser,
Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو (السمينع أشوع) ، صاحب النص الموسوم بـ CIH 621 بين العلماء . وقد دونه مع أولاده : (شرحيل) يكمل) و (معديكرب يعفر) ، وجاعة من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم (ملحمهم) ، وكبراء (كبور) قبائل محرج سيبان ذونف . وقد كان السمينع أشوع من (بني لحييت يرخم) ، وكان هو وأولاده سادة (الهت) على : (كلعن) (كلعان) أي الكلاع و (ذيزن) (ذى يزان) (ذى يزأن) و (ذى جدن) و (مثلن) (مثلان) (مطلقن) (مطلقان) و (شرفن) (شرفان) (شرقان) و (حب) (حيم) ويشعن (يشعان) و (يشر) يشرم ويزر ومكرب (مكريم) و (عقهت) (عقهة) و (بزاي) (بزايان) ويلجب (يلجم) وغيمن (غيمان) (جيان) ويسب وجيج وجدوى (جدويان) و (كزر) (كزران) و (رخيت) وجردان (الجرد) وقيل (قبلان) و شرحى (شرحا)^١ .

أما أبناء ملحم ، فقد كانوا على وحظت (وحظة) و (الهان) (الهن) و (سلقن) (سلقان) (السلف) ، و (ضيفتن) (ضيفت) (الضيفة) و (ريان) (رثاج) و (رياح) و (ريحن) و (ركب) (ركبن) و (مطلقن) (مطلقان) و (مطلقن) (مطلقان) و (ساكلن) (ساكلان) ، و (زکرد)^٢ .

وقد دوتوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم واصلاحهم أسوار ودروب ومنافذ وصهاريج حصن (مويت) (عرمويت) ، (ماويت) (ماوية) ، وتحصنهم فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأقواله الحميريين والأرجبيين ، وذلك في شهر (ذو حجت) (ذي الحجة) من سنة (٦٤٠) من

CIH 621, CIH, IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633,

REP. EPIG., V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII,

I, 1929, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

Glaser, Die Abessinier, 132.

التاريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد^١.

ويظهر أن (السميعع أشوع) ، كان من أهل (نصاب) ، وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده إلى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرّمويت) أي في (حصن ماوية) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويفتح أراضي جديدة ويتقدم نحو الأراضي التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبه النصرانية والحبش والروم العداء ، كلفه الحبش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات المادية من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنفيذ مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتى انتهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) ، فعيّن (السميعع) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، إلا أن ثورة وقعت فيها ، قضت على حكمه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد^٢.

و (شرحب ال لخمى عت يرخم) (شرحبيل لحييت يرخم) ، هو والد (السميعع أشوع) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من (أقول) الأقيال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمه ، وعدم نص ابنه (السميعع) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسميعع أشوع أبناء آخرون ، غير الولدين : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (معديكرب يعفر) المذكورين في النص^٣.

وفي متحف استانبول نص وسم ب Osma. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

١ (سطور ذن مزندن بعرن مويت) ، السطران السادس والسابع من النص ، (عرن) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الاسلام لزيدان (١٢٥) ، وقد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 367, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Caliphs, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

Beiträge, S. 92, 120.

Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 273.

البلجيكي (ريكمنس) G. Ryckmans في مجلة Le Muséon ، وردت في مطلع جملة : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبارة : « بسم رحمن وبنهو كرشتش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »^١ . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميفع أشوع كان ملكاً على سبا وأنه كان على دين النصراني . وقد استعمل النص كلمة (كرشتش) بمعنى المسيح ويستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أخذوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون (السميفع أشوع) نصرانياً ، ما ذكره المؤرخ (بروكوبيوس) من أن الحبشة عينت رجلاً نصرانياً من حمير اسمه Esimiphaeus ملكاً على حمير ، وذلك بعد قتل الملك الحميري الذي عذب النصراني في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن (السميفع أشوع) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة (أكسوم) . يفهم ذلك صراحة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه : (امراهو نجشت اكسمي برو وهوترن) ، أي (في أيام أميرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسسوا) . وجاء في السطر السادس : (املكن الابجة ملك حبشت) ، أي (الملك الابجة ملك الحبشة) ، ويقصد بـ (الابجة) نجاشي الحبشة (الا أصبحت) Elle 'Asbeha الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة (أكسوم)^٢ .

وتعني كلمة (نجشت) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقد أخذها العرب من الحبش ، وأطلقوها على ملوك الحبشة ، وهي (نجاشي) و (النجاشي) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة (قيصر) على أباطرة الروم^٣ .

وقد ذكرت في النص أسماء (ذويزان) (ذو يزن) و (حسن) (حسان) و (شرحبال) (شرحيل) قيل (ذو معفرن) ، أي قيل المعافر . و (اسودن) أي الأسود (وسميفع) قيل (ذو بعدان) (ذ بعدن) ، وزرعة قيل مرجم ، أي مرجب (المراحب) و (حارث) و (مرثد) أمراء (ثعبان) و (شرحيل)

Handbuch, S. 105, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EPIG.

3904, REP. EPIG., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Istanbul,

7600, Bis, Conti Rossini, Storia D'Etiopia, Milano, 1925, Vol., I, P. 180.

Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, P. 167.

Ency., III, P. 817.

يكمل (١) . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص (حصن غراب) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4069 ، وردت فيه جملة أسماء ، هي : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (شرحب ال يقبل) (شرحبيل يقبل) ، و (مرثد علن احسن) (مرثد علن أحسن) (مرثد علان أحسن) ، و (سميفع أشوع) أبناء (شرحب ال لحي عت يرخم) (شرحبيل لحيعت يرخم) أقيال (اقول) (ذو يزان) (ذو يزن) و (جدنم) (ذو جدن) و (يلجب) و (يصبر)^٢ . ويظن أن (السميفع أشوع) المذكور هنا ، هو الملك الذي نتحدث عنه^٣ . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء الذوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن ربّ السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهددها في النصوص الوثنية القديمة ، تظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء^٤ . غير أننا لا نستطيع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً^٥ . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : (ضيفتن) (ضيفت) (ضيفة) و (ريحم) (ريج) (رياح) و (مهرت) (مهرة) وقبيلة (سبين) (سبيان)^٦ . وقد تكون مهرت (مهرة) ، هي مهرة التي تنسب الى (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) في اصطلاح النسابين^٧ .

ويقع (عرمويت) ، أي حصن (مويت) (ماوية) في جزيرة بركانية

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 167, 171.

٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.

٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.

٤ السطر الحادي عشر من النص .

٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 273, 274.

٦ السطران الرابع والخامس من النص .

٧ منتخبات (١٠٠) .

تسمى (حصن الغراب) وهو الآن خراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وسمت بـ CIH 728 دوتها (صيد ابرد بن مشن) (صيد ابرد بن مشان) ، أحد أقيال (بدش) (باداش) . وورد فيها اسم (قنا) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع افريقية والهند . ولهذا اهتم (السميع أشوع) وأولاده بترميمه وبإصلاحه وتقويته^١ .

وأما ميناء (قنا) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ (بير علي) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانئ المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأً للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى (شبوة) ومواضع أخرى في شمال هذا الميناء^٢ .

ومما يلاحظ أن المواضع الأثرية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأبين^٣ وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف (ظفار) وحول (المكلا) و (الشحر) وساحل مهرة . مع أن السواحل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والمرفأء بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليهن السفن والناس . والظاهر أن وخامة الجو في هذه السواحل وصعوبة حماية الساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل^٣ .

وقد اشتهرت (ظفار) بأنها المرفأ المعد لتصدير اللبان والمر وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أما المواضع الأخرى ، فلم تكن مسورة في الغالب . وقد أشار (كرب ايل وتر) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينة (تفص) في (أبين) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسورة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيها

Belträge, S. 91. ١
Belträge, S. 93. ٢
Belträge, S. 87. ٣

حتى الآن . وصارت مدينة (عدن) ومدينة (قنا) من أهم المرافئ على الساحل الجنوبي^١ .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة الى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً . ويظن أنها تشير إلى استيلاء (الـا اصبحه) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على (ذي نواس)^٢ .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن: تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي السذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المندب ورسّت عند ساحل اليمن . وكانت سفينة النجاشي أول سفينة بلغت ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ، ولعلّه (نخا) . فوَقعت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طُمست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً، لا يفهم منه إلا إشارات^٣ .

أبرهة :

و Abraham و Abramios ، هما اسمان لمسمى واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها ، ولقب نفسه بألقاب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه (عزلى ملكن اجعزين) ، أي (نائب ملك الأجاعزة) على اليمن^٤ . وحكم اليمن أمداً ، وترك في نفوس اليانين اثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن (كالب ايلا أصبحت) ، كان قد أرسل حملة سنة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها اليها سفن بيزنطية ، نزلت في البلاد وتغلّبت على (ذي نواس) فهرب (ذو نواس) من (ظفار) ، ثم عاد فباغت

١ Beiträge, S. 88.

٢ Die Araber, III, S. 24.

٣ Die Araber, III, S. 24.

٤ راجع السطر الخامس من النص .

الحبش وأنزل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعذبهم . فحمل النجاشي على ارسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . اذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهاز (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من (السميع أشوع) ، الذي نصبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخولهم اليها وعينوا رجلين من الحبش يحكمان معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم^١ .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفية استئثار (أبرهة) بالحكم واغتصابه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبش (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه^٢ . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم^٣ . فلما ركب ذونواس فرسه واعترض البحر فاقتحمه وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه يجمعني وياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا » . فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فاتعدا موضعاً يلتقيان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنبده » ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحرته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه ، فسمي الأشرم ، ونهض أرنبده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله^٤ . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, S. 31.

٢ الطبري (١٢٥/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط (عتودة) الطبري (١٢٨/٢ ، ١٢٩) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرباط أباصم (ضخم) في أربعة آلاف الى اليمن ، فأدأخها وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبويكسوم ، فدعا الى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن^١ .

وتذكر رواية أن (أرباط) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبينون وغمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعراً الى (ذي جلدن) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة^٢ . ويظهر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت الى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرباط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ، ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك^٣ .

وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرباط ، وأنه حلف ألا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويحز ناصيته ، ويهرق دمه . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب الى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وثبته على عمله بأرض اليمن^٤ .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث الى (أبي مرة بن ذي يزن) ، فترع منه امرأته (ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) ، و (علقمة) هو ذو جلدن . وكانت ولدت لأبي مرة معديكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة . وهرب منه أبو مرة^٥ .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتاريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لنجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكروا أنهم حكموا اليمن .

١ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) ، أخبار مكة ، للزرقاني (١/٨١ وما بعدها) ،

(٨٨/١) ، (طبعة خياط) .

٢ الطبري (١٢٥/٢) ، (دار المعارف) .

٣ أخبار مكة ، للزرقاني (٨٧/١) ، (خياط) ، الطبري (١٢٨/٢) (سنين) ، (دار المعارف) .

٤ الطبري (١٢٨/٢ وما بعدها) (دار المعارف) .

٥ الطبري (١٣٠/٢) (دار المعارف) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم (أبرهة) .

فقد ذكروا اسم (أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) . وكان يقال له (الرائد)^١ . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر يرعش^٢ . وذكروا (أبرهة) آخر ، قالوا له : (أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة) . وسمى (الهمداني) جملة رجال (أبرهة) ، وأدخلهم في (الأصابع)^٣ . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ونعته في الحبشية أن الأخباريين أخذوها فصّروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب (لبيد بن ربيعة العامري) المثل ب (أبي يكسوم) وهو أبرهة في وجوب الاتعاض بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حيّ في الحياة مُخلداً في الدهر ألقاه أبو يكسوم^٤
والتبّعان كلاهما ومُحرّق وأبو قبيس فارس اليعموم^٥

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم بـ Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العريبات الجنوبية^٦ . وهي ثاني نص طويل يصل إلينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة^٧ . وتبحث عن ترميم سدّ مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

١ الطبري (٥٦٦/٢) (دار المعارف) ، (١١١/٢) .

٢ الاكليل (٥٣/٢) .

٣ الاكليل (١٤٣/٢) .

٤ ديوان لبيد (ص ١٠٨) ، (الكويت ١٩٦٢ م) .

٥ الاكليل (١٥٩/٢) .

٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, , 1897, S. 390, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 506, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Ethiopie Antique, 1962, 71, 1961, 65.

Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, ٧

Le Muséon, 66, 1953, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجديده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذو المذرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذومعان) (ذمعن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري ، أي في سنة (٥٤٣) من الميلاد^١ .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بنحيل وردا ورحمت رحمن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . ان ابره عزلى ملكن اجعزين ربحز زبيمن ملك سبأ وذو ريذن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت »^٢ أي « بنحو وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزين ربحز زبيمان ملك سبأ وذو ريذان وحضرموت وأعربها في النجاد وفي تهامة » . ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حبر قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان (عزلى ملكن اجعزين) ، أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ (ملك الجعز) حسب^٣ .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزد بن كبشت) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي (كدت) و (دا)^٤ ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر فيه النص ، وأعلن العصيان . وانضم اليه أقبال (أقول) سبأ و (اسحرون)، وهم : (ذو سحر) و (مرة) و (ثمت) (ثمامة) و (حنش) (حنشم) و (مرثد) و (حنف) (حنقم) (حنيف) و (ذخلل) (ذو خليل) و (ازانن) (الأزان) والقبيل (معديكرب بن سميغ) ، و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع (أبرهة) ، سار اليه جيشاً بقيادة (جرح فزبر) (جراح ذو زبنور) ، فلم يتمكن أن يفعل شيئاً ، وهزمه

١ F. Praetorius, 'Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom Dammbbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, 5, 15.

٢ السطور الاولى من النص : CIH 541, Glaser 818.

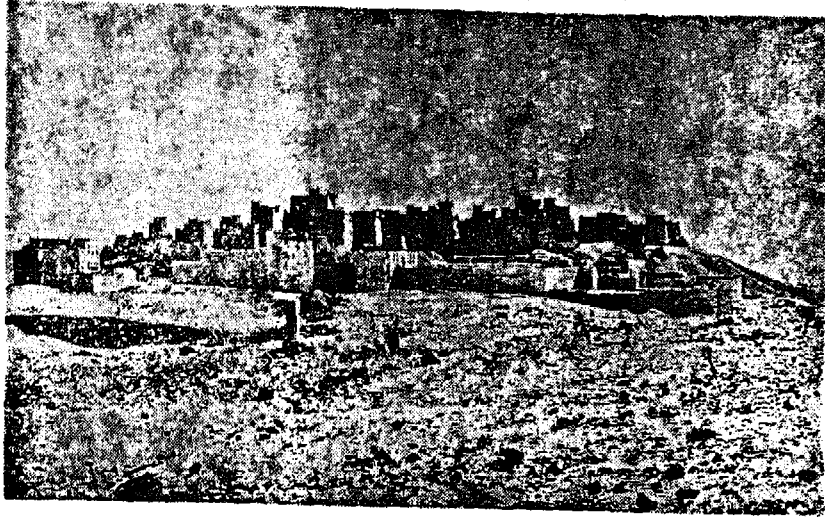
٣ Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ (خلفتهوذ ستخلفو على كدت ردا) ، السطر الحادي عشر من النص ، Glaser, Zwei, S. 401, 413, Seper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كلدر) (كدار) ، وجميع من أطاعه من (كدت) (كدة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بإرسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر (ذقيضن) (ذوقيض) (ذوقيسان) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجباً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية (سبأ) و (صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبرن) (عبران) (العبر) . وفي (نبط) جعل أهل (الو) (الوى) و (لبد) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين: (وطح) (وطاح) و (عوده) (ذو جدن) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كبشة) إذا به يظهر مع عدد من أتباعه أمام (أبرهة) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقيون، فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبو الحضوع والاستسلام.

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية اللاترين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد (مأرب) وتهدم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذمذرن) (ذو مذرن) (ذو المذرى) من سنة (٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك بشهر (ذصرين) (ذو الصرب) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السد لوضع أسسه وإقامته مستعيناً بحمير وبجنوده الحبش ، ولكنه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون إليه ، وليريحهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تدمير العشائر التي لم تتعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة . ورجع أبرهة في أثناءها إلى مأرب ، فعقد معاهدة مع أقيال سبأ وتحسنت الأحوال ، وأرسلت إليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت إليه جموع من الفعلة وأبناء العشائر ، فعاد إلى العمل بهمة وجد، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة وأربعين (أماً) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين (أماً) . أما عرضه ، فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حمر من (البلق) . وانجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقة به في (خبشم) (خبش) وفي (مفلم) (مفلل) (مفلول) .
وقد دوّن أبرهة في نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أموال، وما قدّمه
إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بدىء
فيه بالانشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر (ذو معن) (ذو معان) من سنة
(٦٥٨) الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .



مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Sheba)

ويظهر من النص أن ثورة (يزيد بن كبشة) (يزد بن كبشت) كانت
ثورة عنيفة قوية، وأنها شملت حضرموت و (حريب) و (ذو جدن) و (حباب)
عند (صرواح) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها
في النص^١ .

أما (يزيد بن كبشة) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً،
وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عيّنه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة
(كدت) (كدة) . وهي كندة على رأي أكثر العلماء^٢ .

١ Beiträge, S. 121.
٢ Glaser, Mitt., S. 434.

وأما الأقبال الذين انضموا إليه وساعدوه ، وهم : (ذو سحر) و (مرّة) و (ثمامة) و (حنش) و (مرثد) و (حنيف) وآل ذو خليل وذو يزان (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (معديكرب بن سميف) و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فهم يمثلون على الحملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أرخ بأسرة (ذي خليل) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبئيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون^١ . وذكر (الهمداني) اسم جماعة يقال لهم (البحرليون) ، قال : انهم من ولد ذي خليل من حمير^٢ .

وليس من السهل تشخيص (مرّة) و (ثمامة) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أشير إلى (ثمامة بن حجر) ملك (قصر الهدهاد) في (عمران)^٣ . وذكر الهمداني (بني ثمامة) وقال : إن جباً مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر^٤ ، فهل يكون هؤلاء صلة بـ (ثمامة) النص ؟

وذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه (مرثداً) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد (ذي نواس) ، فهل صاحب هذا الاسم هو (مرثد) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً ، فقد كان من عادة الأقبال والأذواء التلقب بلقب ملك^٥ .

وورد (ذو مرثد بن ذو سحر) ، في الموارد العربية^٦ ، فجمعت بين (مرثد) و (سحر) ، وورد اسم (سحر) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى (كلاسر) أن (ازان) ، هم (يزن) ، ومنهم (سيف بن

Glaser, Mitt., S. 456.	١
الصفة (١١٢) .	٢
Glaser, Mitt., S. 458.	٣
الصفة (٥٤) .	٤
Glaser, Mitt., S. 100.	٥
Glaser, Mitt., S. 100.	٦

ذى يزن) الذي ثار على الحبش، واستعان بالفرس لانقاذ بلاده من أيدي الأعداء،
وأما معديكرب بن سميغ ، فيرى الباحثون أنه ابن (السميغ أشوع)^٢.
جاء اسمه بن أسماء الأقيال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة (ابن كبشة) . فهو من الأقيال الحاقدين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك
والده . ولهذا انضم الى (يزين بن كبشة) سيد (كدت) (كندة) وح
معه الحبش^٣ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضي على عصيان الأقيال الذين انضموا
ثورة (يزيد) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه. وك
استسلمت قبيلة كدار (كيدار) (كدر)^٤ ، وتحسن موقفه بذلك كثير
وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أما الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه وآ
حواله ، فهم : ذو معاهر^٥ و (بن ملكن) ابن الملك^٦ ومرجرف وذو ذر
وعدل (عادل) و ذو فيش ، وذو شولمان (ذو الشولم)^٧ و (ذو شعبان
(ذو الشعب) وذو رعين (ذرعن) ، و (ذو همدان)^٨ و (ذو الكلاع)^٩
و (ذو مهلم) (ذو مهد) و (ذو ثت) (ذو ثت) (ذو ثات) و (ذو
و (ذو يزان) (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (ذو ذبين) (ذو ذبيلا
و (كبر حضرموت) كبير حضرموت ، وذو فرنة (ذ فرنة) . وقد ذ
النص أنهم كانوا الى جانب الملك ، وانهم كانوا على ود وصداقة معه . و
بالطبع من أسر عريقة ، ومن كبراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم
النصوص المدونة قبل الميلاد .

Glaser, Mitt., S. 101. ١

Handbuch, S. 106. ٢

Beiträge, S. 93. ٣

(كدر) في النص ، السطر ٣٤ من النص . ٤

(ذو معهر) في النص السطر ٨٢ . ٥

(بن ملكن) السطر ٨٣ . ٦

(ذو ذرنج) ، السطر ٨٣ من النص . ٧

(ذو شولمان) ، السطر ٨٤ من النص . ٨

(ذو شعبين) ، السطر ٨٤ من النص . ٩

(ذو همدان) ، السطر ٨٥ من النص . ١٠

(ذو كلعن) ، السطر ٨٥ من النص . ١١

ولم يذكر في هذا النص اسم (كبر حضرموت) ، أي كبير حضرموت الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهر من ذكره مع الرجال الذين حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له^١ .

وتدل جملة (بن ملكن) ، على أن المراد بها (ابن الملك) ، أي (ابن أبرهة) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض أنه كان يحكم (وعلان) (ذو ردمان) ، وأنه كان يلقب بـ (ذمهر) . (ذو معاهر) (ذو معهر) . وقد أشار (الهمداني) إلى (ذي المعاهر) . وذكر أنه قصر (وعلان) بـ (ردمان)^٢ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت إليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم (ملك رمن) ومن ملك الفرس (ملك فرسن) ، ورسل من (المنذر) (رسل منزن) ومن (الحارث بن جبلة) (رسل حرثم بن جبلة) ومن (أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلة) (رسل أبكرب بن جبلة) ومن رؤساء القبائل^٣ . ويلاحظ أن النص قد قدم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك الفرس ، ثم ذكر من بعد ملك الفرس اسم المنذر والحارث ابن جبلة وأبي كرب بن جبلة (أبكرب بن جبلة) . أما تقديم النجاشي على غيره فأمر لا بد منه ، وذلك لسيادة الحبشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي إرسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في إدارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسولهم ومن بينهم وفد من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على ملك الفرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن ، فللروم الأسبقية والأفضلية اذن على الفرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة (محشكت) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا إلى أبرهة من النجاشي ومن ملك الروم ، فكتب (محشكت نجشين)

Glaser, Mitt., S. 467. ١

Belträge, S. 39. ٢

السطر ٨٨ من النص ، وما بعده إلى السطر ٩٣ . ٣

و (محشكت ملك رمن) أي (رسل النجاشي) (سفراء النجاشي) (سفير النجاشي) و (رسل ملك الروم) . وتعني كلمة (محشكت) في اللغة السبئية (الزوجة) ، فعبر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى (سفير) (سفراء) و (رسل حكومة صديقة مقربة) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص^١ . أما بالنسبة الى رسل (ملك الفرس) ، فقد أطلق عليهم كلمة (تنبلت) ، فكتب (تنبلت ملك فرس) ، أي (وفد ملك الفرس) وذلك يشير الى أن لهذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى (محشكت) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتها .

ولقد أحدث مجيء مندوب النجاشي (ربحز زيمن) ومندوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس، ورسل المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبي كرب ابن جبلة ، أثراً كبيراً ولا شك في نفوس العرب الجنوبيين ، وفي نفوس الأقبال وقبائلهم ، فجاء هؤلاء الى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمر يسير ، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولمكانته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وفيه عند باب المندب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أثراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول الى عاصمة سبأ ذات الأثر الخالد في النفوس^٢ .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمر آخر أبعد من هذه وأهم ، هي جرّ أبرهة الى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخنق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك اما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، واما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكل طبّالون ومزمرّون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبّلون ويزمرون ، ويرضون أو يغضبون ، ويشبون أو يعاقبون لإرضاء

Glaser, Mitt., S. 408, Praetorius, in ZDMG., 48, S. 650.

Glaser, Mitt., S. 421.

للجهة التي هم فيها ، وزلفى اليها وتقرباً . لقد سخر الروم كل قواهم السياسية للهيمنة على جزيرة العرب ، أو ابعادها عن الفرس وعن الميالين اليهم على الأقل . وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل المعسكران بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسعى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرصوا الحبشة على نصرها ونشرها ، وسعى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والحبشة ولتأييد اليهودية أيضاً ، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغيض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض الروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه (ربحيز زيمان) (ربحيز زيمان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي (كالب ابلا أصبح) Kaleb Ela Asbeha الذي بأمره كان الفتح ، أم كان خلفاً لخليفته . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره (بروكوبيوس) وأهل الأخبار عن التوتر الذي كان بين نجاشي الحبشة وأبرهة ، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزية سنوية إليه . ويظهر أن أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسمياً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزية له ، وتحسنت العلاقات .

وأما (ملك رمن) ملك الروم ، فلم يذكر (أبرهة) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر (يوستينيانوس) Justinian الذي حكم من سنة (٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم (يسطين) السني ولي الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان (يوستينيانوس) (يوستينيان) قد وضع خطة للتحالف مع الحبش ومع حمير للإضرار بالفرس . وراسل (السميغ أشوع) Esimiphaeus للاتحاد معه ومحاربة الفرس . فلما تولى (أبرهة) الحكم عاد القيصر فاتصل به ، وتودد إليه لتنفيذ ما عرضه على (السميغ أشوع)

من مهاجمة الفرس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم ، غير أنه ترجع بسرعة^١ .

وأما (حرثم بن جبلت) ، فهو الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، وأما (ابكر بن جبلت) ، فإنه Abochorabus المذكور في تأريخ (بروكوبيوس) . وقد ذكر هذا المؤرخ أن القيصر (يوسطنيانوس) (يوسطنيان) Justinian كان عينه عاملاً (فيلارخا) Phylarch على عرب السرسين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عربها عرب آخرون يسمون (معديني) (معد) Maddeni هم أتباع لـ (حمير) Homeritae^٢ .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي إكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخل كثير ، عرفت عند الروم بـ Phoinikon (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) وهي أرض بعيدة ، لا تُبلغ إلا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً (فيلارخاً) على عرب فلسطين^٣ .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسية بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) Amorkesos الذي سبق ان تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddenoi ، وكانت معد كما يظهر من أقوال المؤرخ (بروكوبيوس) خاضعة في عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى (السميعف أشوع) ليوافق

ZDMG., 35, 1881, S. 36. ١

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ٢

Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African ٣

Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428,

Musil, Hegay, P. 307.

على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) ، فسير إليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة . أدبها بقوة سيرها إليها في شهر (ذو ثبث) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرو بن منر) عليها ، وتراجعت القوة عنها^١ .

و Maddenoi ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) John of Ephesus مع (طياية) Taiyaye في كتابه الذي وجهه إلى أسقف (بيت أرشام) Beth Arsham ، ويظهر من هذا الكتاب أن عشائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سيل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل^٢ . ولم يحدد المفسرون الوقت الذي تهدم فيه السد^٣ .

ول (أبرهة) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، لمناسبة غزوه (غزيو) (معداً) ، في شهر (ذو ثبث) (ذي ثبث) (ذي الثبث) (ذي الثبات) من شهور سنة (٦٦٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٤٧) أو (٥٣٥) للميلاد . وهذا النص عثرت عليه بعثة (ريكمنس) مدوناً على صخرة بالقرب من بشر (مريغان) . فوسم بـ Ryckmans 506 . وقد ترجمه (ريكمنس) G. Ryckmans الى الفرنسية ، ثم الى لغات أخرى^٤ .

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans, No. 506.

٢ سورة سبأ ، الآية ١٥ وما بعدها .

٣ تفسير الطبري (٥٢/٢٢ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٥٠/٢٢ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) تفسير الألوسي (١١٥/٢٢) .

٤ تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٩٦/٤ وما بعدها) ،
Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol., XVI, Part, 3, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 435, A. F. L. Beeston, Notes on the Muralghan Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 389.

وفي النص مواضع طمست فيها معالم بعض الحروف ، عزّ بذهابها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عاجله فهم المعنى فهماً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيّرَه وكأنه برقية من برقيات (التلغراف) ، ولكنه مع كل هذا ذو خطر بالغ ، لأنه يتحدث عن حوادث لم نكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير الى اتصال ملوك الحيرة بالحيش والى سلطان حكام اليمن على القبائل العربية ، مثل معدّ ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معدّ وأن تبابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكام على تلك القبائل .

وقد تلقب (أبرهة) في هذا النص كما تلقب في نص سدّ مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : (ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في النجاشد (طودم) وفي المنخفضات (تهمتم) ، (تهامة) ، كما افتتحه بجملة : (بخيل رحمن ومسحهو) ، أي (بحول الرحمن ومسيحه) ، وقد سبق لـ (أبرهة) أن افتتح نصه الذي دوتّه على (سد مأرب) بجملة : (بخيل ودا ورحمت رحمن ومسحهو ورح قدس) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس) ، والجملتان من الجمل السني ترد في نصوص اليمن لأول مرة ، وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحيش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف (أبرهة) في النصين بـ (ابره زيمن) ، أي (أبرهة زيمان) ، والفظة (زي ب م ن) (زيمن) من ألقاب الملك في لغة الأحباش .

واليك هذا النص كما دوتّه (ريكننس) عن النص الأصيل :

« بخيل رحمن ومسحهو ملكن ابره زيمن ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت سطورو ذن سطورن كغزيو معدم غزوتن ربتن بورخن ذ ثبتن كقسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ابجر بعم كدت وعل وبشرم بنحصنم بعمر سعدم وم . خ ض . و وضرو قديمي جيشن على بنيعمرم كدت وعلى ود . ع . ز . رن . مردم وسعدم بود بمنهج تربن وهرجو وازرو ومنمو ذعسم ونخص ملكن

حلبين ودنو كظل معدم ورهنو وبعدهو وزعهمو عسرم بن مذرن ورهنهمو بنهو
وستخلفهوا على معدم معدم وقفلو بن حلبن بخيل رحمن ورخهوا ذلثي وستي
وست ماتم^١ .

ونصه في عربيتنا :

« بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زبيان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويعنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) . سطورا
هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذئبن) (ذو الثبت) .
ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) . أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كدت)
كندة وقبيلة (عل) و (بشر بن حصن) (بشرم بن حصن) بقبيلة (سعد)
لحرب (بني عامر) فتحركا بسرعة^٢ وقدما جيشها نحو العدو : فحاربت (كدت)
كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومراداً ، وحاربت (سعد) بواد (بمنهج)
ينهج (يؤدي) إلى (ترين) (الترب) . فقتلوا من بني عامر وأسروا وكسبوا
غنائم^٣ . وأما الملك ، فحارب بـ (حلبن) (حلبان) ، وهزمت معد ، فرهنت
رهائن عنده .

وبعدئذ ، فاوض (عمرو بن المنذر) (عسرم بن مذرن) ، وقدّم رهائن
من أبنائه . فاستخلفه (اقره) على معد . وقفل (أبرهة) راجعاً من (حلبن)
(حلبان) . بحول الرحمن . بتاريخ اثنين وستين وست مئة » .

وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنه يشير الى حملة
أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار بـ (عام الفيل) وأشير
اليها في القرآن الكريم^٤ . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهة
تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة^٥ .

Le Muséon, 1953, 3-4, P. 277.

١ (ومخضو) ، (وفي الحديث : أنه من عليه بجنازة تمخض مخضاً ، اي تحرك

تحريكاً سريعاً) ، اللسان (٢٣١/٧) ، (صادر) ، (م/خ/ض) .

٢ (ذعسم) (العسسم : الاكتساب ، والاعتسام : الاكتساب) ، اللسان

(٤٠٣/١٢) ، (صادر) ، (ع/س/م) .

٣ سورة الفيل ، الآية ١ فما بعدها) ،

F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sasaniden, Berlin, 1954, S. 200-207,

Finanzgeschichte der Spätantike, S. 145, 353, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 428.

W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً^١ .

وذهب (بيستن) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قام بها (أبرهة) في (حلبان) : ومعركة كندة وسعد - مراد بموضع (ترين) (الترب) (تربة) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل^٢ .

ويظهر من النص ان (أبرهة) غزا بنفسه معداً في شهر (ذى ثين) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، والتقى بها في موضع (حلبن) (حلبان) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في (حلبان) بعد اتفاقه مع معد ، جاءه (عمرو بن المنذر) (عمرو ابن مذنر) ، وكان أبوه (المنذر) عينه أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر (معد) فقابله بـ (حلبان) ، وأظهر له استعداد أبيه (المنذر) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل (وقفلو) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوى بذلك خلافه مع معد . وصار (عمرو بن المنذر) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبثبيت (أبرهة) هذا التعيين^٣ .

و (حلبان) موضع في اليمن في أرض (حضور) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من (نجران) ، وانه موضع ماء في أرض (بني قُشَيْر) . وقد وعت ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمخبل السعدي يفخر بنصرة قومه (أبرهة بن الصباح) ملك اليمن^٤ . وكانت (خندف) حاشيته . ذكروا أنه قال :

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961,

PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426, BSOAS, 1954, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمعنى للنص .

٤ البكري ، معجم (٤٦١/٢) ، (حلبان) (حلبان من أرض الأخرى بين حضور وحدان) ، الأكليل (١٥٨/٢) ، (حاشية ١) .

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال^١

وأورد (الهمداني) أحياناً فيها اسم موضع (حلبان) واسم (أبي يكسوم) ،
وهي قوله :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر^٢ على حلبسان إذ تقضي محامله
فتحنا له باب الحضير وربّه عزيز يمشي بالسيوف أراجله

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر (المخبل المعدي) في هذا الشكل :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبسان إذ تقضي محامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله^٣

ويظهر من هذا الشعر أن (أبرهة) لما جاء بجيشه إلى موضع (حلبان) ،
وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن مقفلة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا
عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب (بني عامر) ، فلم يقم به (أبرهة) بنفسه ، بل قام به قائد
اسمه (الجبر) (أبو جبر) ، قاد قبيلتي (كدت) ، أي (كندة) و (عل) ،
وقائد آخر اسمه (بشرم بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، قاد قبيلة
(سعدم) ، أي (سعد) (بنو سعد) . وسار القائدان بجيشهما وتقدما بهما
إلى (بني عامر) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت (كندة) و (عل)
قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها، فبقي من أحدهما (ود.ع)
وبقي من الأخرى (زرن) (ز.رن) وقبيلة (مردم) ، أي (مراد) .
وحاربت (سعد) بواد يؤدي إلى (ترين) (الترب)^٤ ، فقتلوا وأسروا
(ازرو) وأصابوا غنائم^٥ . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي إلى (الترب) .

١ اللسان (٣٣٤/١) ، (صادر) ، تاج العروس (٣١٤/٢) ، (طبعة الكويت) ،
(ضربوا) بدلا من (صرموا) ، البكري (٤٦١/٢) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ (بود بمنهج ترين) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع (ترين) الذي يؤدي اليه الوادي الذي جرت فيه المعركة ، هو موضع (تربة) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف^١ . وذكر أنه واد بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السّراة ، وقيل انه واد ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفله بنجد وأعلاه بالسراة، وقيل : يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، وقيل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك^٢ .

و (عمر بن مذن) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة ، وكان أبوه (المنذر) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابراهة) اذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد ب (بنيعمرم) ، (بني عامر) . وهم (بنو عامر بن صعصعة) من (هوازن)^٣ .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها (غطيف) . وفي أيام الرسول وفد عليه (فروة بن مسيك المرادي) مفارقاً للملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتلى في مراد . وعرفت تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق^٤ .

وأما (سعدم) أي قبيلة (سعد) ، التي قادها (بشر بن حصن) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر (المخبّل السعدي) الذي افتخر به بنصرة قومه لأبرهة في يوم (حلبان) وبانضمامهم اليه ، ففي استطاعتنا أن نقول حينئذ : إن قومه هم (سعدم) أي (سعد) القبيلة المذكورة في النص .

و (ابجر) اسم قد يقرأ (أبو جبر) ، وقد يكون (أبو جابر) وقد

١ البكري (٣٠٩/١) ، (مادة تربة) ،
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of
London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس (٦٨/٢ وما بعدها) (طبعة الكويت) ، اللسان (٢٣١/١) ،
(صادر) .

٣ الاشتقاق (١٧٧/٢ ، ١٧٨) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الاثير (١٢٣/٢) .

يكون (أبجر) وقد يكون (أبو جبار) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب (كستر) (M. J. Kister) الى احتمال كونه (يزيد ابن شرحبيل الكندي) أو (أبو الجبر بن عمرو) ، وهو من كندة أيضاً^١ . وهو من (آل الجون) من بطون كندة^٢ .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى أمير من أمراء كندة عرف بـ (أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة (ابن دريد)^٣ . وروى أنه زار (كسرى) ليساعده على قومه ، فأعطاه جماعة من (الأساورة) أخذهم معه ليساعده ، فلما وصل إلى (كاظمة) سثموا منه ، وأرادوا التخلص منه فذسّوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يحملونه معهم الى (كسرى) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر الى (الطائف) ، فعالجه (الحارث بن كلدة الثقفي) ، حتى شفي ، فوهبه جارية كانت له اسمها (سمية) أهداها له (كسرى) ، ثم ذهب الى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه اليها فمات . وقد رأى (كستر) أنه هو (أبو جبر) المذكور في النص^٤ .

وأما (بشر بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، أو (بشر بن حصن) أو (بشار بن حصن) أو (بشار بن حصن) أو (بشر بن حصن) ، فقد ذهب (لُندن) (Ludin) ، الى أنه احد سادات (كندة)^٥ .

لقد أشرت الى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، والى ذهاب بعضهم الى انها كانت حملة الفيل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت الى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة الفيل ، أي حملة

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

مقصورة ابن دريد ، (ص ٨٢) (طبعة الجوائب) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، نزهة الجليس (١ / ٤٨٤) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Lundin, Yujnaya Arabla W VI

Weke Palestyniski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة^١ . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، اذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد^٢ . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قریش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام الفيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً اذا أخذنا برأي (ريكمسنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة (١٠٩) لا (١١٥) قبل الميلاد^٣ .

وأبرهة هذا هو (صاحب الفيل) الذي قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى (القُلَيْس) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، أنها كانت عجيبة في عظمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « لاني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبني العرب ولا العجم مثله »^٤ . أو « لاني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثله الملك كان قبلك »^٥ . ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقي) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بحجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها العمال والفعلة والمسحرون من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأخذوا حجروه وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينوا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

-
- ١ البدء والتأريخ (١٣١/٤ وما بعدها) ، تأريخ العرب في الاسلام (٩١/١) .
 - ٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.
 - ٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.
 - ٤ الأزرقي (٨٢/١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) .
 - ٥ ابن هشام (٤٣/١) ، ابن كثير ، البداية (١٦٩/٢) ، (١٧٠/٢) وما بعدها ، (مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م) ، (القاهرة ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها) ، (عيسى البابي الحلبي) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمود بالسياج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره ، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان إلى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرانها بالفسيفساء ، فيها صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغطي عين من ينظر إليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندهم الآبنوس ، مفصّد بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة^١ . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحوزي ، والأحوزي بلسانهم الحر^٢ .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل إلى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بناؤها وسر من رؤيتها ، فأصبحت بهجة للناظرين .

ونجد في وصف (الأزرق) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئاً من المبالغة ، ولكنه على الاجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته . لذلك جاء وصفاً حياً نابضاً بالحياة ، ينطبق على الكنائس الضخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطينية أو في القدس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة البياني القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

١ نهاية الأرب (٢٨٢/١) .

٢ الأزرق (٨٤/١ وما بعدها) ، (٩٠/١) ، (خياط) .

ويذكر (الأزرقى) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولى (العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي) (العباس بن الربيع بن عبد الله العامري) اليمن ، فذكر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالا كثيراً وكتراً فتاقت نفسه الى هدمه . ثم استشار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه ، وبين اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلي اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وخاف الناس من لمس الخشبة المنقوشة التي كانوا يتبركون بها ، ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها للدار له^١ . وخرّب القليس حتى عفى رسمه وانقطع خبره^٢ .

واذا كان ما يقوله الأزرقى نقلاً عن رواية أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بلقيس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوّض أثراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التي أقامها السبئيون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ (غرفة القليس) ، يظن أنه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حفير صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير^٣ .

وذكر (الهمداني) اسم قصر دعاه (القليس) نسب بناءه الى (القليس بن عمرو) ، وهو في زعمه من أبناء (شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب) . وقال : انه بناه بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن (عمرو بنأر ذو غمدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار) هو أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم^٤ .

١ الأزرقى (٨٦/١) ، نهاية الارب (٣٨٣/١) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها ، لابتدأه ، لابن كثير (١٧٠/٢) وما بعدها . (السعادة) .

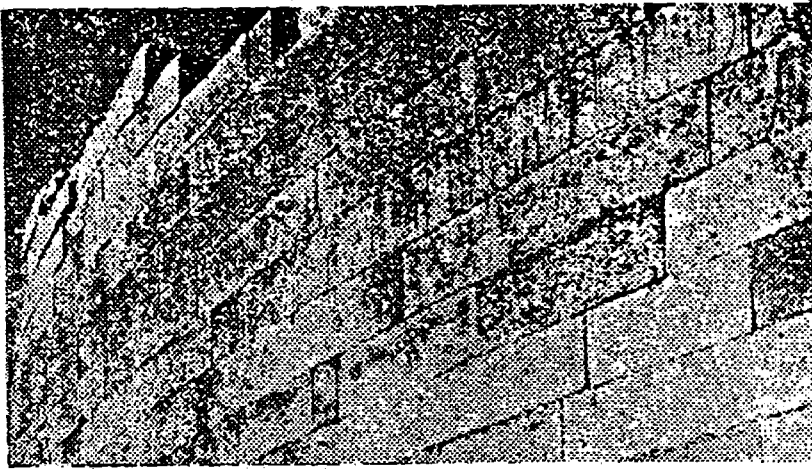
٢ البلدان (١٥٦/٧) (القليس) .

٣ الأكليل (٨٧/٢) ، حاشية لـ (لمحمد بن علي الاكوع الحوالي) ، رحلة في بلاد العرب .

٤ الأكليل (٨٦/٢ وما بعدها) .

السعيدة ، لنزيه مؤيد العظم ، (١٦٥/١) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٥/١) .

وقد أمر (أبرهة) ببناء كنيسة في (مأرب) أشار الى بنائها في نصه الشهير ، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من منتصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومعبد الكبير ، ذلك لأن حجارته منحوتة نحتاً جيداً ، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأخبار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .



جدار معبد (أوم) (أوم) بمأرب ، وهو معبد اله سبأ
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مُني به مشروع (أوليوس غالوس) . لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تمّ إذن لاتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما ، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان^١ .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية (أبرهة) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حملته أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله^٢ . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر الى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد (أبرهة) ، هو ابنه (يكسوم) . وبه كان أبرهة يكنى . فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة ، وعم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب^٣ . ويذكر (المسعودي) أن (يكسوم) كان سيء السيرة في أهل اليمن فعمر أذاه سائر الناس ، الى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم^٤ .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ، أن (النجاشي) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فكث على ذلك أربعين عاماً^٥ . أما ابنه (يكسوم) ، فكث على اليمن تسع عشرة سنة^٦ . وصير (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل (أرياطاً) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم (يكسوم) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثني عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة^٧ .

ويرى (كلاسر) أن أبرهة كان قد عين ابنه (أكسوم) (يكسوم) على أرض (معاهر) (معهرن) ، وكانت له (ذي معاهر) ، فعرف (يكسوم) بـ (ذي معاهر) . وفي معاهر (عر وعلان) ، أي حصن وعلان^٨ .

١ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa,

Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٣٩/٢) ، مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) ، المعارف (٢٧٨) .

٤ مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) .

٥ الاخبار الطوال (ص ٦٢) .

٦ المصدر نفسه (ص ٦٣) .

٧ حمزة (ص ٨٩) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 461.

وانتقل الحكم من بعد هلاك (يكسوم) الى شقيقه (مسروق) . وهو من أم عربية هي (ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) وهو (ذوجدن) . وكانت تحت (أبا مرة الفيّاض ذايزن) فانتزعها منه أبرهة ، وأولدها مسروقاً . ففرّ (ذويزن) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، وبطن (الطبري) بأنه (عمرو بن هند) وأقام هناك^١ . وقد كان أسوأ سيرة من (يكسوم) ، ويذكر (المسعودي) أنه حكم ثلاث سنين^٢ . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن^٣ .

وقد ذكر المؤرخ (ثيوفانس) ملكاً من ملوك حير قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة (٥٧٠) للميلاد ، دعاه باسم (سنطرق) (سنطرقس) Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاسر) تحريف (شناتر) ، والأصل (ذو شناتر) . و (شناتر) اسم موضع ، والمراد به (مسروق بن أبرهة) ، وكان والده قد عيّنه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن (ذا شناتر) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاسر) أن Sanaturces هو (مسروق)^٤ .

وبهلاك (مسروق) هلك حكم الحبش لليمن . اذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة^٥ .

وجاء في شعر للشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش ، اسمه (خير) ، أتاه فكلّمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن اليه ، وحمله على خيل ، (وبذرقه)^٦ ، أي : أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه (طرساً) ، أي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلس أي حبشياً^٧ . ولم يذكر كيف

-
- ١ الطبري (١٤٢/٢) .
 - ٢ مروج (٨/٢) (محيي الدين) .
 - ٣ الطبري (١٣٩/٢) .
 - ٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.
 - ٥ الطبري (١٣٩/٢) .
 - ٦ (بذرته : فارسي معرب) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .
 - ٧ (والأطلس : الحبشي) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .

وصل الى (خير) ، ولا في اي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي بجزيرة العرب إن صح انه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر وصدّقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل الى الحبش لفك أسر جماعة من قومه أو من أصحابه قد يكونون ذهبوا للتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من الأسباب واحتجزوا ، فذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون (خير) هذا احد الحكام أو الاقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب (الإشتقاق) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه (ابن شمر) إذ ذكر مؤلفه (ابن دريد) اسم رجل سماه (ابن شمر بن أبرهة بن الصباح) ، قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب) بصفين^١ . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة ولد اسمه (شمر) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفدة (أبرهة) .

وقد سعى الأحباش ، مدة مكثهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ، وبناء الكنائس . ويحدثنا (قزما الرحالة) Cosmas Indicopleustes في نحو سنة (٥٣٥ م) ، أي بعد اندحار (ذي نواس) ، عن كثرة الكنائس في العربية السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني جرم^٢ . وقد اشتهرت كنيسة (نجران) ، وكذلك كنيسة صنعاء ، وكنيسة (ظفار) التي بناها الحبش ، وقد أشرف عليها الأسقف (جرجنسيوس) صاحب (كتاب شرائع الحميريين) ، وكان مقرباً لدى النجاشي ومستشاره ومساعدته في تنصير الحميريين^٣ .

وورد أن القيصر (يوسطين) (جستين) كان قد أرسل (كريكتيوس) Gregentius of Ulpana من الاسكندرية الى (ظفار) ليكون (أسقفاً) على نصاراها . وقد تناظر مع (حبر) من أحبار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون الشريعة الى (أبرام) (Abram) ملك حمير^٤ .

١ الإشتقاق (٣٦١/٢) ، جمهرة أنساب العرب ، (لابن حزم) (٤٣٥) .
٢ النصرانية (٦٥/١) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.
٣ النصرانية (٦٤/١) ، الإغاني (٧٥/٢) ،
Migne, Patrolo. Gre., Vol., 86, col. 567-620.
٤ Bury, II, P. 327.

حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روعت قريشاً وأفزعتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور، حتى انه لما مات وذهب مع الذهبين لم تمت ذكراه كما ماتت ذكرى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عميقاً في ذاكرة أهل اليمن، انتقل منهم الى أهل الأخبار ، فرووا عنه أقاصيص ، ونسجوا حوله نسيجاً من أساطير وخرافات ، على عادتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى انهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سموهم (أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحير .

والرأي الغالب بين الناس ان حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف بـ (عام الفيل) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو (٥٧١ م) . وانما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا الى مكة ومعهم فيل سموه (محموداً) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وعبر عن الحبش في القرآن الكريم بـ (أصحاب الفيل)^١ .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك (هرمز ابن انوشروان) . ولما كان ابتداء حكم (هرمز بن أنوشروان) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لاستة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد

١ سورة الفيل ، الطبري (١٣٠/٢) وما بعدها (دار المعارف) ، الكامل (٢٦٠/٢) ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها ، مروج (٧١/٢) ، وقح المعاني (٢٣٣/٢٨) ، الطبرسي ، مجمع (١٩١/٣٠) ، الازرقعي (٨٢/١) وما بعدها ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٧٠/٢) ، تفسير الطبري (١٦٦/٣٠) ، (المطبعة اليمنية) ، دائرة المعارف الاسلامية (٦١/١) وما بعدها ، ترجمته الشنتاوي .

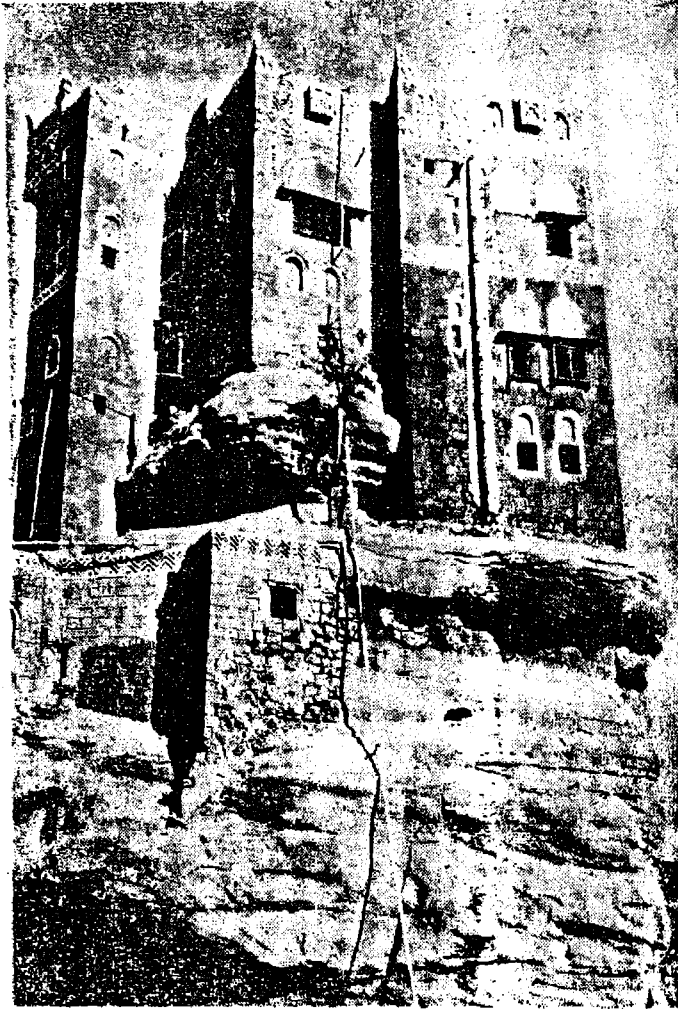
كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اخذنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام الفيل قد كان لاثنتين واربعين سنة من ملك (انو شروان) ، فيكون هذا العام قد وقع في حوالى السنة (٥٧٣) للميلاد^١ وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره اهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »^٢ ؟ وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريشاً سوف تخب وتحل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب الفيل ، واصحاب الفيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا شيء تجاههم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحش ، وما كان عهد الحش عنهم بعيد .

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجل من كنانة (القليس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة ، فسار معه جيش كبير من الحش واهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج اليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائباً مدحوراً^٣ .

ويذكر اهل الأخبار ان الرجل الذي دنس القليس ، هو من النساء أحد بني فقيم ، ثم احد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة ، ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب اليها ، ومن مبالغته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل^٤ .

-
- ١ تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) .
 - ٢ سورة الفيل ، الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، (بولاق) ، القرطبي (١٨٧/٢٠ وما بعدها) .
 - ٣ الروض الانف (٤٠/١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، الازرقعي (٩٠/١ وما بعدها) ، (خياط) .
 - ٤ الطبري (١٣٠/٢) ، تاج العروس (١٤/٩) ، الكشف (٢٣٣/٤) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٩٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .



أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليمني في البناء
من كتاب : (Günther Pawelke) (JEMEN)

وقيل ان الرجل المذكور كان من النساك ، من نساك بني فقيم ، غاظه ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج اى مكة، فأحدث في القليس للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قبلتها بحدثه ، فشاع خبره بين الناس ، وهزىء القوم من (قُليْس) حدث به ما حدث. وغضب أبرهة من عمله المشين هذا الموجه اليه والى كل الخبش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدهه ذلك الكنانى

ومن يحج إليه^١ .

وينسب أخباريون آخرون عزم (أبرهة) على ذلك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت إلى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم ، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به^٢ .

وذكر أن (أبرهة) بنى القليس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة ، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضباً وحنقاً ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالليل^٣ .

وذكر (السيوطي) سبباً آخر في قرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً ، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف إلى جده مغضباً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من خولان

١ الكامل (٢٦٠/١ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، الكشف (٢٨٨/٣) (بولاق) (٣٥٨/٣ وما بعدها) (١٩٤٨ م) .

٢ الكشف (٢٣٣/٤) ، روح المعاني (٢٣٣/٢٨) ، تفسير الفخر الرازي (٩٦/٣١) ، تفسير ابن كثير (٥٤٩/٤) ، تفسير أبي السعود (٢٨٥/٥) ، تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، وهو حاشية على تفسير الطبري (بولاق) ، التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه (ص ٣٠٣) ، حيدر آباد الدكن بالهند . تفسير الطبرسي ، مجمع (٥٣٩/١٠) ، (طهران) ، ابن هشام السيرة (٤٤/١ وما بعدها) ، روح المعاني ، للؤلؤسي (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) .

٣ تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠ وما بعدها) .

والأشعرين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتيمنت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنها هي قرية صغيرة ؟ ولكننا ندلك على بيت بمكة يعبد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ الغميس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مقلدة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يردّ عليه ابله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك . فقال عبد المطلب : افعل . فأدخله عليه ، فقال له : ان لي اليك حاجة . قال قضيت كل حاجة تطلبها ، ثم قصّ عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سأني كل شيء أحوزه ، أعطيته إياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لهدمها . وتوجه ألف شهر وأصحاب الفيل ، وقد اجمعوا ما اجمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدرجة كالبنادق ، فشذختهم ، ونزل الهلاك بهم فانصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت اعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون اليه .

ويتفق خبر (السيوطي) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت إلينا عن حملة (أبرهة) ، ولا يختلف عنها الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . اما السبب الذي اوردته السيوطي ، فهو غير معقول ، لسبب بسيط واضح ، هو ان ابن ابرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني ، والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها محجة الوثنيين ، وقد عزم جدّه ابرهة على صرف العرب من الحج إليها ، فكيف يحج إليها ابن ابنته ، وهو على دين جدّه ؟ واما ما زعمه من ان (شهر بن معقود) (مقصود) هو الذي سار على مكة لهدمها ، وذلك بأمر من ابرهة ، فإنه يخالف اجماع اهل الأخبار والمفسرين من ان ابرهة هو نفسه

١ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالماثور (٣٩٤/٦) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة (١٠٠ ربما بعدها) ، الكشف (٢٨٨/٣) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ الفيل او الفيلة معه، وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود (الملك) في الجيش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي، فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور .

وأورد (القرطبي) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب الفيل هو ما روى أن فتية من قريش خرجوا تجاراً الى ارض النجاشي ، فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى ، تسميها النصارى : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها وارتحلوا ، فهبت ريح عاصفة على النار فأضرمت البيعة ناراً واحترقت ، فأتي الصريخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأناه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم الفيل ، وقيل ثمانية فيلة ، ونزلوا بذى المجاز ، واستاقوا سرح مكة^١ . وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنيسة المحترقة بيعة في ارض النجاشي ، اي في ساحل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الأمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المنفذون لها ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأعرض له فيما بعد ، يذكره اهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حملت ابرهة على السير نحو مكة لتهديمها . وهو سبب ارجحه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالسياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة على

١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٨٧ ، ١٩٢ وما بعدهما) .

الطرق الموصلة الى الميساء الدافئة والى الأرضين المنتجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات اهل الأخبار ان أبرهة لما رتب كل شيء وجهاز نفسه للسير من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : (ذو نفر) وعرض له فقاتله ، فهزم (ذو نفر) واصحابه ، واخذ له ذو نفر اسيراً . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل اسيراً وخرج معه يدأه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعني اللات - انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجمت العرب قبره،فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس^١ .

وكان نفيل بن حبيب الخثعمي من سادات خثعم ، ولما أخذه أبرهة اسيراً واحتبسه عنده ، جعله دليلاً إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث تسلم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال^٢ . وذكر بعضهم أن (نفيل ابن حبيب) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف بـ (ذي اليدين)^٣ .

ولأهل الأخبار قصص عن (أبي رغال) ، صبره أسطورة ، حتى صبره بعضهم من رجال ثمود ومن رجال (صالح) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه (ثقيف) وهو قسي بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خير وضعه أناس من ثقيف ولا

-
- ١ الطبري (١٣١/٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، (١٩٤/٣٠) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) .
 - ٢ الاشتقاق (٣٠٦) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) (بولاق) .
 - ٣ وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال نواذر المخطوطات (القاب الشعراء) (ص ٣٢٧) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن (أبا رغال) منهم ، وقد جاءوا بشعر ، زعموا أن (أمية بن أبي الصلت) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضيئاً^١

فصبروا القاتل جدّ ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار (جرير بن الحطفي) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس قبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال^٢

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي في طريق العراق الى مكة . بين الثعلبية والهبيير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن سببه ، إذ أحال القارئ على مؤلفاته الأخرى^٣ .

وذكر (الهمداني) ان قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و (الزيمة) موضع معروف حتى هذا اليوم^٤ .

ولما نزل أبرهة المخمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى الى مكة : فساق اليه أموال أهل مكة من قریش وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قریش وسيدها ، فهمت قریش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا سيدهم (عبد المطلب) لمواجهة أبرهة والتحدث اليه ، فذهب وقابله ، وتذكر رواية أهل الأخبار ان أبرهة لما سأله عن حاجته وعما معه من أنباء ، قال له : حاجتي الى الملك أن يردّ علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جثت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الابل ، وان

١ مروج (٥٣/٢) .

٢ اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

مروج (٥٣/٢) ، (دار الاندلس) ، البداية (١٧٠/٢) وما بعدها .

٣ مروج (٥٤/٢) .

٤ الاكليل (٣٧٣/١) .

للبيت رباً سيمنعه^١ .

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرفة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة ، وتفشى الوباء فيه ، واضطر الى التراجع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن ، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث^٢ .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا انهم لا طاقة لهم به . بعث أبرهة (حنطة الحميري) إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرد حربي فائتني به ، فلما دخل حنطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقليل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمة ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر ، سأل عن (ذي نقر) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه ، فكلّمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق فيل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خيراً بعبد المطلب ، وكلّمه في إيصاله الى أبرهة ، وإن يتكلم فيه عند أبرهة بخير . ونفذ أنيس طلب (ذو نقر) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث^٣ .

وذكر الطبري : أن بعض اهل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حنطة الى أبرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

-
- ١ الطبري (١٣٢/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الاثير (٣٢١/١) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠) .
 - ٢ الطبري (١٣٧/٢ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٩٤/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠ وما بعدها) .

ابن نفثة بن عديّ بن الدثّل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وخويلد بن وائلة الهذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال اهل تهامة على ان يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم^١ .

ويذكر اهل الأخبار ان جيوش (ابرهة) حين دنت من مكة، توسل عبد المطلب الى ربه وناجاه بأن ينصر بيته ويسدل (آل الصليب) وأنه أخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يا ربّ لا أرجو لهم سواك يا ربّ فامنع منهم حياكا
إن عدوّ البيت من عاداك امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال :

لاهمّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم ومحالم عدوّ محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك^٢

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير انه لم يتمكن من دكتها ومن هدمها ، وخاب ظنه ، إذ تفشى المرض بجيشه وفتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر الى الإسراع في العودة ، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم الى اليمن . وذكرت بعض الروايات ان أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء الا بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله اليها^٣ .
وعلى هذه الصورة أنهى اهل الأخبار أخبار حملة ابرهة ، فقالوا انها انتهت

- ١ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) ، الطبري (١٣٤/٢) (دار المعارف) ، تفسير القرطبي (١٩٠/٢٠) .
- ٢ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) ، يرد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي (٢٨٣/١) ، تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) .
- ٣ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير البياضي (٢٦٩/١) ، مروج (٤٦/٢) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠) ، تفسير القرطبي ، (١٨٧/٢٠) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥٦٣/٤) ، تفسير الرازي (٩٦/٣١) ، البداية والنهاية (١٦٩/٢) ، ابن هشام (٢٨/١) ، الكامل (٢٥٤/١) ، الطبرسي (١٩١/٢٥) حمزة (٩٤،٨٩) .

باخفاق ذريع ، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير ، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصاب جلود أكثر جيشه ، فزقها ، وأصابها بقروح وقبوح في الأيدي خاصة ، وفي الأفخاذ ، أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري ، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملة وبعد شرحهم لمعنى (طير أبابيل) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : « ان أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام »^١ . وتفسير ذلك بعبارة أخرى ان ما اصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيما مضى ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آلافاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش الى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم ، وتعب ألم بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش ، ثم ما لبث ابرهة ان مات بعد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش بـ (رب البيت) وبأصنامها ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوتى من معنوياتها . ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل ، وهي من السور المكية القديمة : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول)^٢ .

وقصة تدنيس (القليس) ، قد تكون حقيقة وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير الى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه ، خطة ترمي الى ربط اليمن ببلاد الشام ، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية ، وبذلك يستفيد الروم والحبش

١ تفسير الطبري (١٩٦/٣٠) (بولاق) ، (وهو أول جدري ظهر في الارض) ، تفسير النيسابوري (١٦٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعي من مرازم الشجر : الحرمل والحنظل والعشر ، ذلك العام) ، (الأزرقى (٩٧/١) وما بعدها) ، (خياط) .

٢ السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختلفوا مذهباً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم ، إذ سترد اليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فتتخفص الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار .

وآية ذلك خبرٌ يرويه أهل الأخبار يقولون فيه إن (أبرهة) تَوَجَّج (محمد ابن خزاعي بن خزابة الذكواني) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفر من قومه ، مع أخ له ، يقال له (قيس بن خزاعي) ، يلتمسون فضله ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم اليه الى حج (القليس) ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلاحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمن البيت^١ .

فقتل (محمد بن خزاعي) ، هو الذي هاج أبرهة وحمله على ركوب ذلك المركب الخشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القتل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه وخالف سياسته ومراميه التوسعية القاضية بفرض ارادته واردة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقية كنانة ومضر ، وبتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع الى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، فتفعلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ فلعل الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانية ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً اقناع الحبش بتنفيذ

١ الطبري (١٣١/٢) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) ، (بولاق) ، الازرقعي (٨٦/١ وما بعدها) .

هذه الخطة والاشتراك في محاربة الفرس ، وهم الذين حرضوا الحبشة وساعدوهم بسفنههم وبمساعداً مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الذين أرسلوا رسولاً اسمه (جوليانوس) Julianus ، وذلك في أيام القيصر (يوسطنيان) Justinian لاقتناع النجاشي Hellestheaeus و (السميع أشوع) Esimiphaeus بالتحالف مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشتراك مع الروم في اعلان الحرب على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين^١ . وكان في جملة ما رجاه القيصر من (السميع أشوع) ، هو أن يوافق على تنصيب (قيس) Casius رئيساً على (Maddeni) معد^٢ .

وقد ذكر (المُسكَّرِي) ، أن (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب ابن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي) كان في جيش أبرهة مع الفيل ، أي انه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة^٣ .

وقد ورد في بعض الأخبار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائسه ، وكانا أعميين مقعدين يستطيعان . وقد رأتهما^٤ .

وقد كان من أشرف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، المطعم بن عدي ، وعمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقد صعدوا على حِراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة^٥ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلاناً من الحبش من جيش أبرهة وعفاء وبعض من ضمه العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعملون ويرعون لأهل مكة^٦ . وليس في كتب أهل الأخبار أسماء القبائل العربية التي جاءت مع (أبرهة) للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه انه كان قد ضم الى جيشه قوات عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير الى اشتراك خولان والأشعريين فيها ، وذكر أن (حنِدفاً) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة ، وكذلك (حميس بن أد)^٧ .

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ١

Procopius, I, XX, 9-12, P. 193. ٢

الحسين (١٣٠) . ٣

الكشاف (٢٣٣/٤) . ٤

تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها . ٥

الأزرقى (٩٧/١) ، وما بعدها ، (خياط) . ٦

Le Muséon, 1965, 3-4, P. 433. ٧

وقد اشير الى أبرهة الأشرم والى الفيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين واسلاميين . وقد ورد في شعر (عبدالله بن الزبيري) أنه كان مع (أمير الحبش) ستون ألف مقاتل^١ . وورد في شعر (امية بن ابي الصلت) ان الفيل ظل يحبو ب (المغمس) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صفور^٢ . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة . وذكر (عبدالله بن قيس الرقيّات) : ان (الأشرم) جاء بالفيل يريد الكيد للكعبة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمطرتهم الطير بالجنديل ، حتى صاروا وكأنهم مرجومون يمحطون بحصى الرجم^٣ .

وذكر ان (عمر بن الخطاب) كان في جملة من ذكر (أبا يكسوم أبرهة) في شعره ، واتخذة مثلاً على من يحاول التطاول على بيت الله وعلى (آل الله) سكان مكة . وذكر أهل الأخبار أنه قال ذلك الشعر في هجاء (زنباع بن روح ابن سلامة بن حداد بن حديدة) وكان عشيراً ، أساء الى (عمر بن الخطاب) وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه واخذ مكسه ، فهجاه عمر ، فبلغ ذلك الهجاء (زنباعاً) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر يتحده فيه بأن ينفذ تهديده ان كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكون مصيره مصير أبرهة الأشرم، وقد كف زنباع عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به^٤ .

لقد تركت حملة (الفيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم عندهم، فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل (في كتبهم وديونهم من سنة الفيل). فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفجار ، ثم أرخت بينان الكعبة^٥ .

لقد كان لأهل مكة صلوات باليمن متينة ، إذ كانت لهم تجارة معها، تقصدها قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة يساهم فيها أكثرهم ، واليها اشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

-
- ١ بلوغ الأرب (٢٥٨/١) ، روح المعاني (٢٢٣/٢٨) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٦١/١) وما بعدها ، الاشتقاق (٢٢٥) .
 - ٥ الأزرقى (١٠٢/١) .

قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ^١ . ولهذا فقد كان من سياستهم مدارة حكام اليمن وارضائهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو الحبش ممن قد يقصد مكة للتجارة أو للاستراحة بها في أثناء سيره الى بلاد الشام ، خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدهم على تجار من اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت عدة من وجوه قريش الى (أبي يكسوم) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة عنهم . وضماناً لوفائهم بما انفقوا عليه وضعوا (الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار) وغيره رهينة ، فكان (أبرهة) يكرمهم ويصلهم ، وكانوا ييضعون البضائع الى مكة لأنفسهم ^٢ .

وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم للحبش ولأن قد يقصد الطائف للتجارة من الحبش أو من أهل اليمن ^٣ .

طرد الحبشة :

لقد عجل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عنوة كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضجّ أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم الى تبديلهم بأناس أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، اذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وإن كان كلاهما شراً ، ولكن اذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونها هو الخيار ولا شك .

وهبّ اليمانيون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن ثوراتهم لم تفدهم شيئاً ، إذ أخذت ، وقتل القائمون بها . ومن أهم اسباب إخفاقها أنها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

١ الآية الأولى وما بعدها .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 432.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد خبير أو قادة متكاتفين خبراء بأمور الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش ، الانقضاض عليها واخادها ، أضف الى ذلك انها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد ، يعسر على محمد بن النيران اخادها ، او اخادها على الأقل بسهولة . ولتحاسد الأقيال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق ، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيمهم من وراء الحدود ، لتكره الحبش على ترك اليمن . وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه (سيف بن ذي يزن) ، من أبناء الأذواء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين البهانيين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد الهلالي وعنترة وغيرهما ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السمر والترفيه ، أو تقرأ للتسلية واللهو .

و (سيف بن ذي يزن) ، هو (معديكرب بن ابي مرة) ، وقد عرف ابوه ايضاً بـ (ابي مرة الفياض) ، وكان من أشرف حمير ، ومن الأذواء . وأمه (ربحانة ابنة علقمة) ، وهي من نسل (ذي جدن) على نحو ما ذكرت . يقال إن أبرهة لما انتزع ربحانة من بعلها (ابي مرة) ، فرّ زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة (عمرو بن هند) على ما يظن ، وبقي (معديكرب) مع امه في بيت (أبرهة) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه (مسروق) الذي ولي الملك بعد موت اخيه (يكسوم) فأثر ذلك في نفسه وحقد على (مسروق) ، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويليه هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يجسد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم اوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خاطره في قومه ، فأمدّه بثماني مئة محارب ، وبـ (وهرز) أمره عليهم ، وبثماني سفن جعل في كل سفينة مئة

١ الطبري (١٣٠/٢ ، ١٤٣) ، (معديكرب بن سيف) ، مروج (٥٥/٢) ، (دار الاندلس) .

رجل وما يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجوا في البحر غرقت من السفن سفينتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن ستمئة رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، نزلوا ارض اليمن ، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى (وهرز) مسروقاً بسهم ، فقتله ، وانهزمت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل (وهرز) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزية وخرج يؤديه في كل عام^١ .

وذكر (الطبري) في رواية له اخرى عن (سيف بن ذي يزن) وعن مساعدة الفرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنب كسرى لابطائه عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجده يحامي عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين ، فانكفاً راجعاً الى كسرى^٢ . فقابلته وحياته وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ اليماني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فا يبابك وحضرتك ، فلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق له كسرى ، وامر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل اليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت : قال : لاني لم آتكم للمال ، انما جئتكم للرجال ، ولتمنعي من الذل ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له الموبدان : إن لهذا الغلام حقاً بتزوجه وموت ابيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نبل وبأس ، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك يبعد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به^٣ .

-
- ١ الطبري (١٣٦/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٢/٦٣) ، المعارف (٢٧٨) ،
 - ٢ الاخبار الطوال (ص ٦٣ وما بعدها) ، مروج (٢/٥٥) ، (دار الاندلس) .
 - الطبري (١٤٤/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ الطبري (١٤٤/٢) ، (دار المعارف) .

ويظهر من هذه الرواية ، ان (ابا مرة) ، والد (معديكرب) ، كان قد فرّ من اليمن الى العراق ، وقد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري له لطرد ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسعى ويحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمدائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منها أيضاً ، ان سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابني مرة ، كان قد أيس هو من كسرى بعد ان رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، على أمل مساعدته ومعرفته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وان أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعدوه .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، ملك سيفاً على اليمن ، ف « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقرر النساء عما في بطونها ، حتى اذا أفناها الا بقايا ذليلة قليلة ، فاتخذهم خولاً » ، واتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بحراهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجأوه بالحرا حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، فقتل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما باغ ذلك كسرى بعث اليهم (وهرز) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره الا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجيئها الى كسرى حتى هلك^١ .

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أما القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد^٢ . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تأريخ الطبري وفي موارد اخرى ان حكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن ابرهة ، ثم مسروق ابن ابرهة^٣ . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا ان نهاية

١ الطبري (١٤٨/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٨) .

٢ W. Phillips, P. 223.

٣ الطبري (١٣٩/٢) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة (٥٧٥ م) . اما اخذنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان يثبت ان حكم (أرباط) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم (يكسوم) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثنتي عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموع (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرباط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد ، والمعروف من نص (ابرهة) المدون على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رُم السد وقوتى جدرانته سنة (٥٤٢) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرض (حمزة) لهذا البحث ، ولفت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخلّ من تأريخ الأقبال ملوك حير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »^١ . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن ، حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام . ويذكر (ابو حنيفة الدينوري) ، ان (وهرز) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها ، ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخاف السبيل ، فحبسه كسرى . ويقال له (وهرز بن الكاسجار) ، فسار بأصحابه الى (الأبله) فركب منها البحر . وذكر ان (كسرى) لما رده الى اليمن ، بعد وثوب الحبش بـ (سيف بن ذي يزن) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، قُبر في مكان سمي (مقبرة وهرز) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة^٢ ، ولعله قصد موضع (القليس) .

أما (المسعودي) ، فصير (وهرز) موظفاً كبيراً بدرجة (اصبهيد) ، ودعاه بـ (وهرز اصبهيد الديلم) . اي انه كان اصبهيداً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

١ حمزة (ص ٨٩) .
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٤) .

خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا (الأبله) ، فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له (مَثُوب) ، فخرجوا من السفن فأمرهم (وهرز) ان يحرقوا السفن ، ليعلموا انه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا ب (مسروق)^١ .

وذكر (المسعودي) ، ان (كسرى انوشروان) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله اليه . فتزوج (وهرز) معديكرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه إياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب الى (أنوشروان) بالفتح^٢ .

قال (المسعودي) ولما ثبت (معديكرب) في ملك اليمن ، أتمته الوفود من العرب تهنيئه بعود الملك اليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأمّية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العزى ، وابو زمعة جد أمّية بن ابي الصلت ، فدخلوا اليه ، وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهأوله ، وارتجل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد (ابو زمعة) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للفرس (بنو الأحرار) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على (سود الكلاب)^٣ .

واذا أخذنا برواية (المسعودي) عن وفد مكة ، وبما يذكره اهل الأخبار عن مدة حكم الحبش على اليمن ، وهي اثنتين وسبعين سنة ، وجب ان يكون ذهاب الوفد الى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة (عبد المطلب) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذذاك فتكون وفاة (عبد المطلب) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، اي في ايام وجود الحبش في اليمن ، وقبل طردهم من بلاد العرب . اما لو اخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحبش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، او قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) الى اليمن ، على نحو ما يرويه (المسعودي) .

١ مروج (٥٥/٢) وما بعدها .

٢ مروج (٥٦/٢) وما بعدها ، دار الاندلس .

٣ مروج (٥٨/٢) وما بعدها .

لم يذكر اهل الأخبار السنة التي تولى فيها (سيف بن ذي يزن) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين انها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وان حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بل جزءاً منها ، ويظهر ان الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، اذ نجد ان رجالاً منها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً، وكان احدهم بدرجة (ستراب) (سطراب) Satrapie^١ .

وذكر (ابن دريد) ان من ذرية (سيف بن ذي يزن) ، (عفير بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف) . وكان سيد حمير بالشأم في ايام عبد الملك بن مروان^٢ .

وروا ان (وهرز) كان يبعث العير الى كسرى بالطيوب والأموال فتمصر على طريق البحرين تارة وعلى طريق الحجاز اخرى، فعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيرة بطريق البحرين ، فكتب الى عامله بالانتقام منهم ، فصار عليهم وقتل منهم خلقاً ، وذلك يوم (الصفقة)^٣ . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة^٤ .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو (المرزبان بن وهرز) منصب ابيه ، لما توفي والده . فكان عليها الى ان هلك^٥ .

ثم امر كسرى (الينجان بن المرزبان) اي حفيد (وهرز) بتولي منصب ابيه حين داهمته منيته . فأمر كسرى بعده (خُرّخرّة بن الينجان) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه الى عاصمته ، فذهب اليها ، فخلعه كسرى وعين باذان (باذام) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول^٦ . وذكر بعض اهل الأخبار ان (خذ خسرو بن السبحان بن المرزبان) هو الذي

Belträge, S. 121, W. Phillips, P. 223.

١ الاشتقاق (٣٦٠/٢) .

٢ ابن خلدون (٦٥/٢) ، الاغانى (١٢١/١١) .

٣ ابن خلدون (٦٥/٢) ، اللسان (٣٥٤/٦) ، القاموس (١٠٨/٢) .

٤ الطبري (١٤٨/٢) ، صبح الأعشى (٢٥/٥) .

٥ الطبري (١٤٨/٢) .

حكم بعد (المرزبان بن وهرز) ، وهو الذي عزله كسرى ، وولى (باذان)
(باذام) بعده على اليمن^١ .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها
دخل (باذان) (باذام) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية
والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي^٢ .
ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الإسلام كان بين سنة (٦٢٨) و (٦٣٠)
للميلاد^٣ . ويذكر (الطبري) ، ان اسلام (باذان) ، كان بعد قتل (شيرويه)
لأبيه (كسرى أبرويز) ، وتولية الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شيرويه
اليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، أعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من
الفرس والأبناء^٤ . وقد ولى (شيرويه) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يدم
حكمه أكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف بـ (قباد)^٥ .

وقد ذكر ان (باذان) (باذام) كان من (الأبناء) ، أي من الفرس
الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه (شهر بن باذان) مكانه ،
أي بعد وفاة والده^٦ .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا بها واختلطوا
بأهلها ، عرفوا بـ (الأبناء) ، وبـ (بني الأحرار)^٧ .

ولما قتل (الأسود العنسي) (شهر بن باذام) (شهر بن باذان) ، واستبد
(العنسي) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل (العنسي)
ورجع عمال النبي الى اليمن ، استبد بصنعاء (قيس بن عبد يغوث المرادي) ،
وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة ابي بكر ، فولى على اليمن
(فيروز الديلمي)^٨ .

١ صبح الاعشى (٢٥/٥) .

٢ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها .

٣ W. Phillips, P. 223.

٤ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها ، (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

٦ الاصابة (١٧٠/١) .

٧ الاغانني (٧٣/١٦) .

٨ صبح الاعشى (٢٦/٥ ، ٤٦) .

وقد تطرق (ابن قتيبة) الى (ملوك الحبشة في اليمن) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم) ، ثم (يكسوم بن أبرهة) ، ثم (سيف بن ذي يزن) ، فقال عنه : انه (أتى كسرى أنو شروان بن قباذ) في آخر ايام ملكه - هكذا تقول الأعاجم في سيرها، وانا احسبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التأريخ-^١ مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفه بلفتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أعجمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن^٢ .

وكون الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم (وهر بن مَحْنَس) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن مُزِرَج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه^٣ .

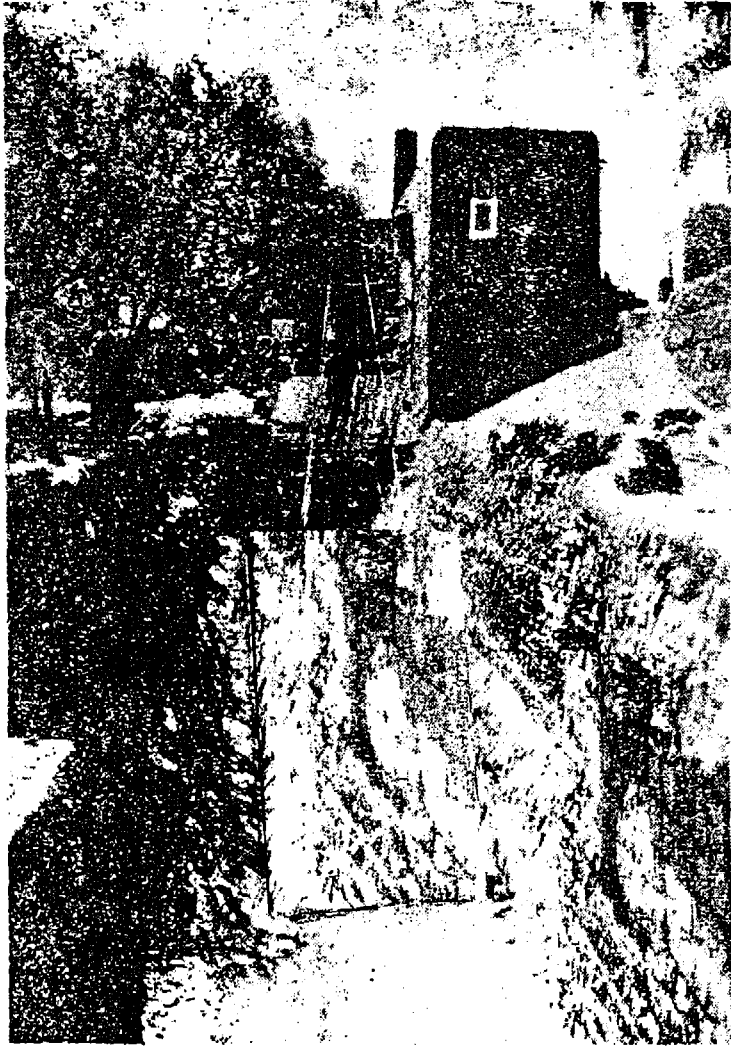
ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التاريخية ، اذ دون جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترك لنا كتابة ماء، لا بالمسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فنحن فيه معدمون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تأريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدر بثمن لمن يريد الوقوف على التطورات التاريخية التي مرت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

١ المعارف (ص ٦٣٨) ، (ثروت عكاشه) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الطبري (١٥٨/٣) .



بئر من آبار صنعاء

من كتاب : Jemen, das Verbotene Land

لمؤلفه : Günther Pawelke

هذا ولا بد لي من الإشارة الى أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً ، فلم يكن ولاتهم يحكمون اليمن كلها ، وإنما كان حكمهم حكماً اسمياً صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأقبال والأذواء . ذلك أن أهل كل

ناحية ملّكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا (ملوك الطوائف)^١ فكان على حمير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك، من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبل ذي رعين وهمدان ومعاقر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقفله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وبمفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق^٢ .

همدان وصنعاء ومأرب :

وكانت همدان عند مبعث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب^٣ .
ولقد صارت (صنعاء) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم ، أما (مأرب) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأقل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى (سام بن نوح) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر (غمدان) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه (الضحاك) على اسم الزهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام (عثمان) فهدمه ، فصار موضعه تلاً عظيماً^٤ .

- ١ المعارف (٢٧٨) .
- ٢ (قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم) ، الطبري (١٢٠/٣) (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (١٣٢/٣) ، (دار المعارف) .
- ٤ صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) ، (وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخبره عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً . ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد اتهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن) ، (وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أعلى البنيان بالليل واشتعلت الشموغ ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام) ، مروج (٢٢٩/٢ وما بعدها) ، (والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون: القصر ، وفيه معمل للخرطوش) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٤/١) .

وقد ورد اسم (صنعاء) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذوي ريدان) ، ودعيت فيه بـ (صنعو)^١ . وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ (ازال) وبـ (أوال)^٢ . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل (كعب الأخبار) ووهب بن منبه^٣ . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح) ، أو قصر (الشرح يحضب) (ليشرح يحضب)^٤ . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها (عاد)^٥ . ورووا قصصاً عن (غمدان) ، فزعم بعضهم أن بانيه (سليمان) أمر الشياطين ، فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور : غمدان وسلحين ويينون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : (ليشرح يحضب) أراد اتخاذ قصر بين صنعاء و (طيوه) ، فانتخب موضع (غمدان)^٦ . وقد وصف (الهمداني) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه^٧ .

نجران :

وأما (نجران) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرافها ، ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من (بني الحارث بن كعب) ، وهم من (مذحج) و (كهلان) ،

١ Glaser 424.

٢ (وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم) ، مختصر تأريخ اليمن المنقول عن كتاب العبر لابن خلدون ، (ص ١٢٥) ، تحقيق (H. C. Kay) (لندن

١٨٩٢ م ، Ency., IV, P. 144, Glaser, Skimme, II, S. 310, 424.

٣ الاكليل (ص ١٨) .

٤ الاكليل (ص ٤) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٥ مختصر تأريخ اليمن (١٢٥) .

٦ البلدان (٣٠١/٦ وما بعدها) ،

Ency., II, P. 166, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien, I, S. 418, 421.

٧ الاكليل (١٢/٨ وما بعدها) .

وكانوا نصارى . ومن أشرفهم (بنو عبد المدان بن الديان) ، أصحاب كعبة نجران^١ وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً ركباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم . العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرن إلا عن رأيهم ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأهم (وهب) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدّراسهم^٢ . ويذكر الأخباريون، أن أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفضة ليعينوا له الكنائس، لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوزين علقمة) . وقد أسلم مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة^٣ .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا على اتصال بنصارى اليمن ، وانهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويمولونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهبات . وقد أمدّوهم بالبنائين والفضة وبالمواد اللازمة لبناء الكنائس في نجران وفي غيرها من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهم . فبانتشارها يستطيعون تحقيق ما عجز عنه (أوليوس غالوس) حينما كلفه انبراطور روما اقتحام العرية السعيدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه . وقد عرفت

-
- ١ الطبري (١٣٢/٣) (دار المعارف) . صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) .
 - ٢ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير (١٢٢/٢) ، ابن خلدون (٥٧/٢) (الوفود) ، البلدان (٢٥٨/٨ وما بعدها) ، الطبري (١٣٩/٣) ، تاج العروس (٢٨٩/١) ، Raccolta, III, P. 128 .
 - ٣ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

تلك الكتب بـ (الوضائع) . وكانوا يهتمونها ، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختماً^١ . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع^٢ .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن اليمنية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها (سترابون) في جغرافيته ، وسمّاها Negrana = Negrani في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ (بلينيوس) في جملة المدن التي أصابها يد التخريب في هذه الحملة^٣ . كما ذكرها (بطلميوس) ، فسماها = Negara Metropolis = Nagera Mytropolis^٤ .

وفي ذكر (بطلميوس) لها على أنها (مدينة) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

وبعد النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام (المكربين) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص : (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك (كرب ايل وتر) آخر (مكربي) سبأ ، وأول من تلقب بلقب (ملك سبأ)^٥ . فورود اسم (نجران) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع النابذة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

١ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (٣٩٩/٨) ، (و/ض/ع) .

٣ Strabo, XVI, IV, 24, vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.

٤ Ptolemy, VI, 7, 37.

٥ Beiträge, S. 9.

حملة (أوليوس غالوس) على اليمن . وذكرها نص (الهارة) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك (شمر يهرعش) إذ ذاك على رأي أكثر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت) وأضاف إليها أرضين جديدة منها أرض (نجران)^١ ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ (نبطر) ، أي النبط^٢ .

وقد ذهب (ريتر) الى أن *Negara Mytropolis* ، هو الموضع المسمى بـ (القابل) على الضفة الغربية لوادي نجران^٣ . أما (هالفي) ، فذهب الى أنها الخرائب المسماة (الأخدود)^٤ . وذهب (كلاسر) الى أنها الأخدود أو (رجلة) ، أو موضع آخر في (وادي الدواسر)^٥ .

وقد ذكر (الهمداني) ان موضع (هجر نجران) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح خصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص *CIH 363* ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواضع ذكر أنها في (نجران) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجمت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) (رجمة) هي (رعمة) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيها سلف عن (رعمة) وعن انجار أهلها وتجار (شبا) *Sheba* مع (صور) *Tyrus*^٧ .

١ Beiträge, S. 11.

٢ Beiträge, S. 11.

٣ Paulys-Wissowa, 32ter Halbband, 1574.

٤ Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asiat., VI, XIX, 1872, 39, 90.

٥ Glaser, Skizze, II.

٦ Beiträge, S. 10.

٧ أخبار الانام ، الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٩ ، التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ ، Beiträge, S. 11.

ويذكر الأخباريون أن قوماً من (جرهم) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حير ، وصاروا ولاية للتبابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب (الأفعى) . ومنهم (أفعى نجران) واسمه (القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن متاب ابن زيد بن وائل بن حير) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قولهم بن أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبليقيس ، فبعثه الى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا انه ملك البحرين والمثلل . ثم استولى (بنو مذحج) على نجران . ثم (بنو الحارث بن كعب) ، وانتهت رياسة بني الحارث فيها الى بني الديان ، ثم صارت الى بني عبد المدان ، وكان منهم (يزيد) على عهد الرسول^١ .

ويرى بعض أهل الأخبار أن (السيد) والعاقب أسقفي* نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران^٢ . وقد سميت (نجران) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم^٣ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى (بني الحارث بن كعب) بنجران ، وأمره أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا اليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم الى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول (عمرو ابن حزم) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفي رسول الله^٤ .

ولما عاد خالد بن الوليد من نجران الى المدينة ، أقبل معه وفد (بلحارث بن

١ (مختصر تاريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (١٣٣ وما بعدها) ، مطبوع مع كتاب تاريخ اليمن لعلمارة اليمنى ، سنة ١٨٩٢ ، بلندن ، بعناية : Henry Cassels Kay. صبح الأعشى (٤٥/٥) .

٢ المحبر (١٣٢) .

٣ صبح الأعشى (٤٠/٥ وما بعدها) ، الاكليل (١٤/١) .

٤ الطبري (١٢٦ / ٣) وما بعدها (سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب واسلامهم) .

كعب) ، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزياتي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي . فلما رآهم الرسول ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمر (قيس بن الحصين) عليهم ، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر^١ .

وقد اشتهرت نجران بثيابها ، ولما توفي الرسول ، كُفِّنَ في ثلاثة أثواب نجرانية^٢ .

وقد زار (فلي) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها الى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع (كعبة نجران) . ووجد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من (أم خرق) ، وكتابات مدونة بالمسند . وعلى موضع يعرف بـ (قصر ابن ثامر) ، وضريح ينسب الى ذلك القديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى (فلي) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي (الأخدود) ، وأن الخرائب التي لا تزال تشاهد فيها اليوم تعود الى أيام المعينيين^٣ . ويقع (قصر الأخدود) الأثري بين (القابل) و (رجلة) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار^٤ . وقد تبسط (فلي) في وصف موضع الأخدود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآها في ذلك المكان^٥ .

ويتضح من مخطط (فلي) لمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة ، وعندها أبنية محصنة على هيئة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها ، وبها مساكن وملاجئ للاحتباء بها ولتمكين المدافعين من صد هجمات المهاجمين لها^٦ .

١ الطبري (١٢٨/٣) ، سيرة ابن هشام (٣٤٧/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٩٥/٥) ، (ن/ج/ر) .

٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.

٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (١٩٠) (القاهرة ١٩٥١ م) .

٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.

٦ Beiträge, S. 11. Beiträge, S. 17.

أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثير الحبش من ساسة واداريين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنيتهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ؛ لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وإنما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المنتصرة ، فأدخلتها الى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهم ، ومنهم انتقلت بالفتح وبالاتصال الى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمستشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا أنها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الاسلام ، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشية ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب الى الأحباش من كلم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة الى افريقية ، واستعمل هناك ، ظن انه حبشي الأصل ، وان العرب أخذوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك .

الفهرست

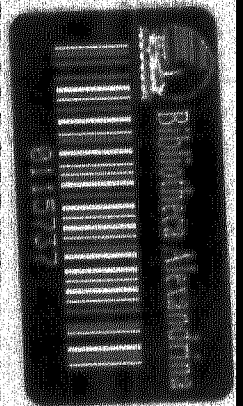
٥	٣٤. مملكة النبط
٥٣	مدن النبط
٥٥	الحجر
٥٧	الكورة العربية
٧٢	أهل الكهف والرقيم
٧٦	٣٥. مملكة تدمر
١٠٣	الزباء
١٣١	حصن (زنوية)
١٣٨	عانة
١٤٢	٣٦. الصفويون
١٥٥	٣٧. مملكة الحيرة
١٧٦	ملوك الحيرة
٢٣٩	٣٨. عمرو بن هند
٢٩٣	ذو قار
٣٠٤	قوائم ملوك الحيرة
٣٠٨	ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة)
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية يعقوبي
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي
٣١٠	قائمة حمزة للملوك الحيرة
٣١٣	ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي

٣١٥	٣٩. مملكة كندة
٣٥٧	كندة تلحق بحضرموت
٣٥٩	امرؤ القيس الشاعر
٣٧٤	السموأل
٣٧٨	كندة في العربية الجنوبية
٣٨٣	فلسطين الثالثة
٣٨٧	٤٠. مملكة الغساسنة
٤٤١	امراء غساسنة
٤٤٣	قوائم ملوك الغساسنة
٤٤٦	قائمة حمزة
٤٤٩	العرب والحيش
٤٧٢	حكم السميغع أشوع
٤٨٠	أبرهة
٥٠٧	حملة أبرهة
٥٢١	طرد الحبشة
٥٣١	همدان وصنعاء ومأرب
٥٣٢	نجران
٥٣٨	أثر الحبش في أهل اليمن

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّوادة عاي

الجزء الرابع



انفصیل
فے
تاریخ العرب قبل الاسلام

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّاد علي

سأعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الرابع

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الثاني والأربعون

مكة المكرمة

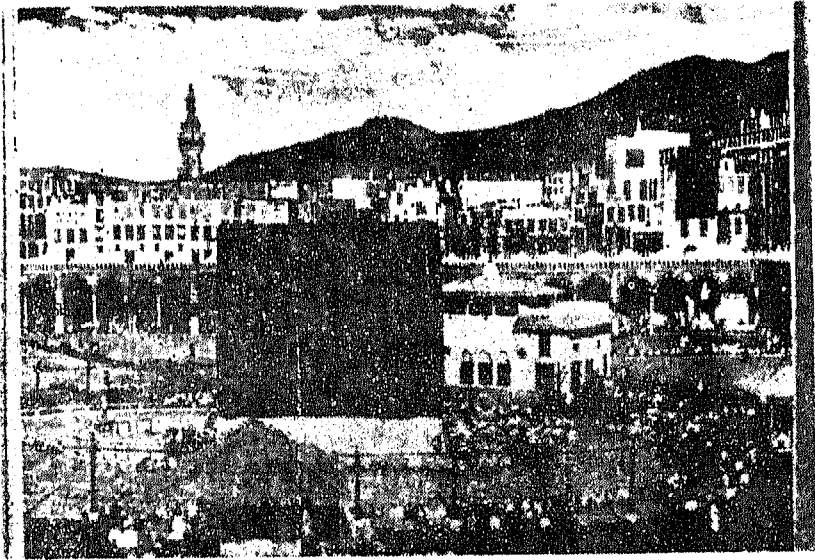
ومكة بلد في وادي غير ذي زرع ، تشرف عليها جبال جُرد ، فتزيد في قسوة مناخها . ليس بها ماء ، غير ماء زمزم ، وهي بئر محفورة ، وآبار أخرى حجة حفرها أصحاب البيوت ، أما مياه جارية وعيون غزيرة ، على ما نرى في أماكن أخرى ، فليس لها وجود بهذا المعنى هناك . وكل ما كان يحدث نزول سيول ، قد تكون ثقيلة قوية ، تهبط عليها من شعاب الهضاب والجبال ، فتنتزل بها أضراراً فادحة وخسائر كبيرة ، وقد تصل إلى الحرم فتؤثر فيه ، وقد تسقط البيوت ، فتكون السيول نقمة ، لا رحمة تسعف وتغيث أهل البيت الحرام^١ .

لذلك لم تصلح أرض مكة لأن تكون أرضاً ذات نخيل وزرع وحَب ، فاضطر سكانها إلى استيراد ما يحتاجون إليه من الأطراف والخارج ، وأن يكتفوا في حياتهم بالتعيش مما يكسبونه من الحجاج ، وأن يضيفوا إلى ذلك تجارة تسعفهم وتغنيهم ، وتضمن لهم معاشهم ، وأماناً وسلاماً يحفظ لهم حياتهم ، فلا يطمع فيهم طامع ، ولا ينغص عيشهم منغص . (ولذا قال إبراهيم : رب اجعل هذا بلداً آمناً ، وارزق أهله من الثمرات ...)^٢ .

١ تاريخ مكة ، للأزرقى (٣٨/١ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٦٥ وما بعدها) .

٢ البقرة ، الآية ١٢٦ .

ويعود الفضل في بقاء مكة وبقاء أهلها بها الى موقعها الجغرافي ، فهي عقدة تتجمع بها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية تريد بلاد الشام ، أو القادمة من بلاد الشام تريد العربية الجنوبية ، والتي كان لا بد من أن تستريح في هذا المكان ، لينفض رجالها عن أنفسهم غبار السفر ، وليتزودوا ما فيه من رزق . ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سرّ السفر وفائدته ، فسافروا أنفسهم على هيئة قوافل ، تتولى نقل التجارة لأهل مكة وللتجار الآخرين من



مكة المكرمة

أهل اليمن ومن أهل بلاد الشام . فلما كان القرن السادس للميلاد ، احتكر تجار مكة التجارة في العربية الغربية ، وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام والعراق^١ .

W.M. Watt, Muhammad at Mecca, P. 3.

ولبيت فضل كبير على أهل مكة ، وبفضله يقصدها الناس من كل أنحاء العالم حتى اليوم للحج إليه . وقد عرف البيت بـ (الكعبة) لأنه مكعب على خلقة الكعب . ويقال له : (البيت العتيق) و (قادس) و (بادر) ، وعرفت الكعبة بـ (القرية القديمة) كذلك ^١ .

وبمكة جبل يطل عليها ، يقال له جبل : (أبو قبيس) ، ذكر بعض أهل الأخبار أنه سُمِّيَ (أبا قبيس) برجل حداد لأنه أول من بنى فيه . وكان يسمى (الأمين) لأن الركن كان مستودعاً فيه ^٢ . وأمامه جبل آخر ؛ وبين الجبلين وادٍ ، فيه نمت مكة ونبتت . فصارت محصورة بين سلسلتين من مرتفعات .

وقد سكن الناس جبل (أبي قبيس) قبل سكنهم بطحاء مكة ، وذلك لأنه موضع مرتفع ولا خطر على من يسكنه من اغراق السيول له . وقد سكنته (بنو جرهم) ، ويذكر أهل الأخبار أنه إنما سُمِّيَ (قبيساً) بـ (قبيس بن شالخ) رجل من جرهم . كان في أيام (عمرو بن مضاض) ^٣ .

١ نهاية الأرب (٣١٣/١) .

٢ نزهة الجليس (٢٧/١) .

٣ اللسان (ق ب س) ، (وأبو قبيس مصغراً جبل بمكة . هذه عبارة الصحاح ، وفي التهذيب جبل مشرف على مسجد مكة ، سمي برجل من مذحج حداد ، لأنه أول من بنى فيه . وفي الروض للسهيلي : عرف أبو قبيس بقبيس بن شالخ ، رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنه عمه مية . فنذرت أن لا تكلمه . وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليفنلن قبيساً ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره ، فاما مات واما نردى منه ، فسمي الجبل أبا قبيس . قال : وله خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب . وكان أبو قبيس الجبل هذا يسمى الأمين ، لأن الركن أي الحجر الأسود كان مستودعاً فيه . كما ذكره أهل السير والمغازي) ، ناج العروس (٢١٢/٤) ، (قبيس) ، (والأخشبان : جبلا مكة ، وفي الحديث في ذكر مكة لا تزول مكة حتى يزول أخشباها ، أي جبلاها . . . الأخشبان الجبلان المطيفان بمكة ، وهما : أبو قبيس وفعيعةان ويسميان : الجيباب أيضاً . ويعال بل هما أبو قبيس والأحمر . وهو جبل مشرف وجهه على قيعقان . وقال ابن وهب : الأخشبان جبلا منى اللذان تحت العفة ، وكل خشن غليظ من الجبال ، فهو أخشب . وقال السيد العلوي : الأخشب الشرفي أبو قبيس والأخشب العربي وهو المعروف بجبل الخط . والخط من وادي إبراهيم عليه السلام . وقال الأصمعي :

ويظهر انه كان من المواضع المقدسة عند الجاهليين ، فقد كان نُسّاك مكة وزهادها ومن يتحنف ويتحنث ويترهب من أهلها في الجاهلية يصعبه ويعتكف فيه . ولعله كان مقام الطبقة المترفة الغنية من أهل مكة قبل نزوح (قريش) الى الوادي ، وسكنها المسجد الحرام المحيط بالبيت .

ويظهر من سكوت أهل الأخبار عن الإشارة الى وجود أطم أو حصون في مكة للدفاع عنها ، ان هذه المدينة الآمنة لم تكن ذات حصون وبروج ولا سور يقيها من احتمال غزو الأعراب أو أي عدو لها . ويظهر ان ذلك إنما كان بسبب ان مكة لم تكن قبل أيام (قصي) في هذا الوادي الذي يتركزه (البيت) ، بل كانت على المرتفعات المشرقة عليه .

اما الوادي ، فكان حرماً آمناً يغطيه الشجر الذي انبتته السيول ورعته الطبيعة بعنايتها ، ولم يكن ذا دور ولا سكن ثابت متصل بالأرض ؛ بل كان سكن من يأوي اليه بيوت الخيام . واما أهل المرتفعات فكانوا ، إذا داهمهم عدو أو جاءهم غزو ، اعتصموا برؤوس المرتفعات المشرقة على الدروب ، وقاوموا العدو والغزو منها ، وبذلك يصير من الصعب على من يطمع فيهم الوصول اليهم ، ويضطر عندئذ الى التراجع عنهم ، فحمتهم الطبيعة بنفسها ورعتهم بهذه الرؤوس الجبلية التي أقامتها على مشارف الأودية والطرق . فلما أسكن (قصي) أهل الوادي في بيوت ثابتة مبنية ، وجاء ببعض من كان يسكن الظواهر لتزول الوادي ، بقي من فضل السكن في ظواهر مكة ، أي على المرتفعات . يقوم مهمة

= الأخشبان أبو قبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا ، وهو ما بين حـسـرف أجياد الصغير المشرف على الصفا الى السوداء التي تلي الخندمة . وكان يسمى في الجاهلية الأمين ، والأخشب الآخر الجبل الذي يقال له الأحمر ، وكان يسمى في الجاهلية الأعراف ، وهو الجبل المشرف وجهه على فـعـبـقـعـان) ، تاج العروس (٢٣٤ / ١) ، (خشب) ، (فال الزبير بن بكار : الجبابج جبال مكة حرسها الله تعالى ، أو اسواقها أو منحـر . وقال البرقي : حـرـر بمنى كان يلقي به الكروش ، أي كروش الاضاحي في أيام الحج . أو كان يجمع فيها دم البدن والهدايا . والعرب تعظمها ونفخر بها) ، تاج العروس (١٧٤ / ١) ، (جيب) .

حماية نفسه وحماية أهل البطحاء من تلك المرتفعات ، وهم الذين عرفوا بقريش الظواهر . فلم تعد لأهل مكة سكان الوادي ثمة حاجة الى اتخاذ الأطم والحصون ، وبناء سور يحمي المدينة من الغزو ، لا سيما والمدينة نفسها حرم آمن وفي حماية البيت ورعايته . وقد أكد (قصي) على أهلها لزوم إقراء الضيف ورعاية الغريب والابتعاد عن القتال وحل المشكلات حلاً بالتي هي أحسن . كما نظم أمور الحج ، وجعل الحجاج يقدون الى مكة ، للحج وللإتجار . ثم أكد من جاء بعده من سادة قريش هذه السياسة التي افادت البلد الآمن ، وأمنت له رزقه رغداً .

ولم يرد اسم (مكة) في نص الملك (نبونيد) ملك بابل ، ذلك النص الذي سرد الملك فيه أسماء المواضع التي خضعت لجيوشه ، ووصل هو إليها في الحجاز فكانت (يثرب) آخر مكان وصل اليه حكمه في العريضة الغربية على ما يبدو من النص .

ولم يتمكن من الحصول على اسم (مكة) من الكتابات الجاهلية حتى الآن . اما الموارد التاريخية المكتوبة باللغات الأعجمية ، فقد جاء في كتاب منها اسم مدينة دعيت بـ (مكربة) (مكربا) (Macoraba) ، واسم هذا الكتاب هو (جغرافيا) (جغرافية) (للعالم اليوناني المعروف (بطليموس) (Ptolemy) الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد . وقد ذهب الباحثون الى ان المدينة المذكورة هي (مكة)¹ . وإذا كان هذا الرأي صحيحاً يكون (بطليموس) أول من أشار إليها من المؤلفين وأقدمهم بالنظر الى يومنا هذا . ولا أستبعد محيى يوم قد لا يكون بعيداً ، ربما يعثر فيه المنقبون على اسم المدينة مطموراً تحت سطح الأرض ، كما عثروا على أسماء مدن أخرى وأسماء قرى وقبائل وشعوب .

ولفظه (مكربة) (Macoraba) ، لفظة عربية أصابها بعض التحريف ليناسب النطق اليوناني ، أصلها (مكربة) أي (مقربة) من التقريب . وقد رأينا في أثناء كلامنا على حكومة (سبأ) القديمة ، ان حكامها كانوا كهاناً ،

Ptolemy, Geography, VI, 7, 32.

أي رجال دين ، حكموا الناس باسم آلهتهم . وقد كان الواحد منهم يلقب نفسه بلقب (مكرب) أي (مقرب) في لهجتنا . فهو أقرب الناس الى الآلهة ، وهو مقرب الناس الى آلهتهم ، وهو مقدس لنطقه باسم الآلهة ، وفي هذا المعنى جاء لفظة (مكربة) ، لأنها (مقربة) من الآلهة ، وهي تقرب الناس اليهم ، وهي أيضاً مقدسة و (حرام) ، فاللفظة ليست علماً لمكة ، وإنما هي نعت لها ، كما في (بيت المقدس) و (القدس) إذ هما نعت لها في الأصل . ثم صار النعت علماً للمدينة .

أما ما ذهب اليه بعض الباحثين من ان المعبد الشهير الذي ذكره (ديودوروس الصقلي) (Diodorus Siculus) في أرض قبيلة عربية دعاها (Bizomeni)^١ ، وقال إنه مكان مقدس له حرمة وشهرة بين جميع العرب ، هو مكة - فهو رأي لا يستند الى دليل مقبول معقول . فالموضع الذي يقع المعبد فيه ، هو موضع بعيد عن مكة بعداً كبيراً ، وهو يقع في (حسمى) في المكان المسمى (روافة) (غوافة) على رأي (موسل) . وقد كانت في هذه المنطقة وفي المحلات المجاورة لها معابد أخرى كثيرة أشار اليها الكتبة اليونان والرومان ، ولا تزال آثارها باقية ، وقد وصفها السياح الذين زاروا هذه الأمكنة^٢ .

وإذا صح رأينا في ان موضع (Macoraba) هو مكة ، دلّ على انها كانت قد اشتهرت بين العرب في القرن الثاني بعد الميلاد ، وانها كانت مدينة مقدسة يقصدها الناس من مواضع بعيدة من حضر ومن بادين . وبفضل هذه القدسية والمكانة بلغ اسمها مسامع هذا العالم الجغرافي اليوناني البعيد . ودلّ ايضاً على انها كانت موجودة ومعروفة قبل أيام (بطليموس) إذ لا يعقل ان يلمع اسمها وتنال هذه الشهرة بصورة مفاجئة بلغت مسامع ذلك العالم الساكن في موضع بعيد . ما لم يكن لها عهد سابق لهذا العهد .

١ C.H. Oldfather, Diodorus Siculus, Bibliotheca, Book, III, XXXI, Booth, The Historical Library of Diodorus The Sicilian, 105, Gerald De Gury, Rulers of Mecca, London, 1951, P. 12.

٢ تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٣٥٣) .

وقد عرفنا من الكتابات الثمودية أسماء رجال عرفوا بـ (مكى) . ولم تشر تلك الكتابات الى سبب تسمية اولئك الرجال بـ (مكى) . فلا ندرى اليوم إذا كان اولئك الرجال من (مكة) أو من موضع آخر ، أو من عشيرة عرفت بـ (مكت) (مكة) . لذلك لا نستطيع ان نقول ان لهذه التسمية صلة بمكة .

ولم يشر الأخباريون ولا من كتب في تأريخ مكة الى هذا الاسم الذي ذكره (بطليموس) ، ولا الى اسم آخر قريب منه ، وإنما أشار الى اسم آخر هو (بكة) . وقد ذكر هذا الاسم في القرآن^١ . قالوا إنه اسم مكة ، أبدلت فيه الميم باءً ، وقال بعض الأخباريين : إنه بطن مكة ، وتشدد بعضهم وترمت ، فقال : بكة موضع البيت ، ومكة ما وراءه ، وقال آخرون : لا . والصحيح البيت مكة وما والاها بكة ، واحتاجوا الى إيجاد اجوبة في معنى اسم مكة وبكة ، فأوجدوا للاسمين معاني وتفسير عديدة تجدها في كتب اللغة والبلدان وأخبار مكة^٢ .

وذكر أهل الأخبار ان مكة عرفت بأسماء أخرى ، منها : صلاح ، لأنها ، ورووا في ذلك شعراً لأبي سفيان بن حرب بن أمية^٣ ، ومنها أم رحم ، والباسة ، والناسة^٤ . والحاطمة . و (كوئي)^٥ . وذكرت في القرآن الكريم

-
- ١ آل عمران : الآية ٦٩ ، (وتسمى بكة ، نبك أعناق البغايا اذا بغوا فيها ، والجابرة) ، الطبري (٢٨٤/٢) ، نزهة الجليس (٢٧/١) .
 - ٢ المفردات ، للأصفهاني (ص ٥٦ وما بعدها) ، البلدان (٢٥٦/٢ وما بعدها) ، صبح الأعشى (٢٤٨/٤) ، تاج العروس (١٧٩/٧) ، الصحاح ، للجوهري (١٦٠٩/٤) ، القاموس (٣١٩/٣) ، أخبار مكة (١٨٨/١) ، ابن هشام ، سيرة (١٢٥/١) وما بعدها ، الطبرسي ، مجمع البيان (٤٧٧/٣ وما بعدها) ، البلدان (١٣٤/٨) ، نهاية الأرب (٣١٣/١) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٢٢٨/١) ، القاموس المحيط (٢٣٥/١) ، فنوح البلدان (٦٠/١) وما بعدها ، الأحكام السلطانية (١٥٧ وما بعدها) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٨٨/١) ، الطبري (٢٨٤/٢) ، أخبار مكة (١٨٩/١) وما بعدها ، صبح الأعشى (٢٤٨/٤) ، القاموس (٢٣٩/١) .
 - ٥ القاموس المحيط (٩٧/٣) ، صبح الأعشى (٢٤٨/٤) ، أخبار مكة (١٨٩/١) .

ب (أم القرى) ١ .

ولعلماء اللغة بعد ، تفاسير عديدة لمعنى (مكة) ٢ ، يظهر من غربلتها انها من هذا النوع المؤلف الوارد عنهم في تفسير الأسماء القديمة التي ليس لهم علم بها ، فليجئوا من ثم الى هذا التفسير والتأويل . ولا استبعد وجود صلة بين لفظة مكة ولفظة (مكربة) التي عرفنا معناها . ولا استبعد ان يكون سكان مكة القدامى هم من أصل يمانى في القديم ، فقد أسس أهل اليمن مستوطنات على الطريق الممتد من اليمن الى أعالي الحجاز ، حيث حكموا أعالي الحجاز وذلك قبل الميلاد . وقد سبق ان تحدثت عن ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، فلا يستبعد ان تكون مكة احداها . ثم انضم اليهم العرب العدنانيون ، ولأهل الأخبار روايات تؤيد هذا الرأي .

وقد ذهب (دوزي) الى ان تأريخ مكة يرتقي الى أيام (داوود) ففي أيامه — على رأيه أنشأ (الشمعونيون) (السمعونيون) ، الكعبة وهم (بنو جرهم) عند أهل الأخبار ٣ . وهو يخالف بذلك رأي (كيبن) (GIBBON) ، ورأي جماعة من المستشرقين رأيت ان مكة لم تعرف ولم تشتهر إلا في القرن الأول قبل الميلاد ، مستدلة على ذلك بما ورد في تأريخ (ديودورس الصقلي) من وجود معبد ، ذكر عنه انه كان محجة لجميع العرب ، وان الناس كانوا يحجون اليه من أماكن مختلفة . ولم يذكر (ديودورس) اسم المعبد ، ولكن هذه الجماعة من المستشرقين رأيت ان هذا الوصف ينطبق على الكعبة كل الانطباق ، وان (ديودورس) قصدها بالذات ٤ .

وقد ذكر بعض أهل الأخبار ان (العالقي) كانوا قد انتشروا في البلاد ، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز ، وعتوا عتوًّا كبيراً . فبحث اليهم موسى جنوداً

١ الأنعام ، السورة ، الرقم ٦ ، الآية ٩٢ ، الكشف (٢٥/٢) ، اليزاوي (١٨٤) ، تفسير ابن عباس (١٠٧) ، نهاية الأرب (٣١٣/١) .

٢ تاج العروس (١٧٩/٧) ، (مك) .

٣ R. Dozy, Die Israeliten zu Mekka, S., 15.

٤ Dozy, Die Israeliten, S., 13. Gibbon, History of the Decline and fall of the Roman Empire, Chn., 50. Cussin De Perceval, Essai sur L'Histoire des Arabes Avant L'Islamisme, I, P. 174.

فقتلهم بالحجاز . وجاء اليهود فاستوطنوا الحجاز بعد العالقي^١ . ويظهر أنهم أخذوا أخبارهم هذه من اليهود ، ففي التوراة ان العالقي (العالقة) ، هم أول الشعوب التي حاربت العبرانيين ، لما هموا بدخول فلسطين ، وقد حاربهم موسى ، فوسع يهود الحجاز هذه القصة ونقلوا حرب موسى مع العالقة الى الحجاز ليرجعوا زمان استيطانهم في الحجاز الى ذلك العهد .

ثم جاءت (جرهم) فترلت على قطورا ، وكان على (قطورا) يومئذ (السמידع بن هوثر) ، ثم لحق بجرهم بقية من قومهم باليمن وعليهم (مضاض ابن عمر بن الرقيب بن هاني بن نيت بن برهم) فترلوا بـ (قعقعان) . وكانت قطورا بأسفل مكة ، وكان (مضاض) يعشر من دخل مكة من أعلاها ، و (السמידع) من أسفلها . ثم حدث تنافس بين الزعيمين فاقتلا ، فتغلب (المضاض) وغلب (السמידع) .

وجرهم قوم من اليمن ، فهم قحطانيون إذن ، جدّهم هو ابن (يقطن بن عابر بن شالخ) : وهم بنو عم (يعرب) . كانوا باليمن وتكلموا بالعربية ، ثم غادروها فجاؤوا مكة^٢ .

والعالقة من الشعوب المذكورة في (التوراة) ، وقد عدّهم (بلعام) (أول الشعوب)^٣ . وقد كانوا يقيمون بين كنعان ومصر وفي (طور سيناء) ، أيام الخروج ، وبقوا في أماكنهم هذه الى أيام (شاؤول) (SAUL)^٤ . وقد تحدثت عنهم في الجزء الأول من هذا الكتاب^٥ .

ومن جرهم تزوج (إسماعيل بن ابراهيم) على رواية الأخباريين ، وبلغتهم تكلم . وكانت (هاجر) قد جاءت به الى (مكة) . فلما شبّ وكبر ، تعلم لغة جرهم ، وتكلم بها . وهم من (اليمن) في الأصل . وكانت لغتهم هي اللغة العربية^٦ . تزوج امرأة أولى قالوا إن اسمها (حرا) وهي بنت (سعد بن

١ ابن رسته ، الاعلاق (٦٠ وما بعدها) .

٢ مروج الذهب (٥٤/١) .

٣ العدد ، الاصحاح ٢٤ ، آية ٢٠ .

٤ فاموس الكتاب المقدس (١١٢/٢) وما بعدها) .

٥ (ص ٣٤٥ وما بعدها) .

٦ اللسان (٩٧/١٢) .

عوف بن هنيء بن نبت بن جرهم) ، ثم طلقها بناءً على وصية أبيه ابراهيم له ، فتزوج امرأة أخرى هي السيدة بنت (الحارث بن مضاض بن عمرو بن جرهم) . وعاش نسله في جرهم ، والأمر على البيت لجرهم الى ان تغلبت عليهم (بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر) ، وهم خزاعة في رأي بعض أهل الأخبار^١ .

وطبقت خزاعة على جرهم قانون الغالب ، فانتزعت منها الملك ، وزحزحتها عن مكة ، وأقامت عمرو بن لحي - وهو منها - ملكاً عليها ، وكان دخول خزاعة مكة على أثر خروجها من اليمن ، بسبب تنبؤ الكاهن بقرب انفجار السد ، في قصة يذكرها الأخباريون . وظلت خزاعة صاحبة مكة ، الى ان كانت أيام عمرو بن الحارث وهو (أبو غبشان) (غبشان) ، فانتزع قصي منه الملك ، وأخذ من خزاعة لقريش^٢ .

وكان (عمرو بن لحي) أول من نصب الأوثان وأدخل عبادة الأصنام الى العرب ، وغير دين التوحيد على زعم أهل الأخبار . ويظهر مما يرويه الأخباريون عنه انه كان كاهناً ، حكم قومه ووضع لهم سنن دينهم على طريقة حكم الكهان ، واستبد بأمر (مكة) وثبت ملك خزاعة بها . فهو مثل (قصي) الذي جاء بعده ، فأقام ملك (قريش) في هذه المدينة . ويظهر من بقاء خبره في ذاكرة أهل الأخبار ان أيامه لم تكن بعيدة عن الإسلام ، وان حكمه لم يكن بعيد عهد عن حكم (قصي) ، وان اليه يعود فضل تنحية (جرهم) عن مكة ، وانتزاع الحكم منهم ونقله الى قومه من (خزاعة) ، وذلك بمساعدة (بني اسماعيل) أسلاف (قريش) من (بني كنانة)^٣ .

وهو أول رجل يصل إلينا خبره من الرجال الذين كان لهم أثر في تكوين مكة وفي انشاء معبدها وتوسيع عبادته بين القبائل المجاورة لمكة . حتى صير لهذه

- ١ الطبري (٢٥١/١ وما بعدها) ، أخبار مكة (٤٢/١) ، ابن خلدون (٣٣١/٢) وما بعدها) ، الأحكام السلطانية (١٦٠) .
- ٢ ابن خلدون (٣٣٢/٢ وما بعدها) ، الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (٤٦/١ وما بعدها) ، طبعة المطبعة المأجدة بمكة المكرمة) ، (ص ٥١ وما بعدها) (طبعة وستنفلد) ، (لايبزك ١٨٥٨ م) .
- ٣ الأصنام (ص ٥) .

المدينة شأن عند القبائل المجاورة . وذلك باتيانها بأصنام نحتت نحتاً جيداً بأيدي فنية قديرة ، وعلى رأسها الصنم (هبل) ووضعها في البيت ، فجلب بذلك أنظار أهل مكة وأنظار القبائل المجاورة نحوها ، فصارت تقبل عليها ، وبذلك كَوّن للبيت شهرة بين الأعراب ، فصاروا يقدمون عليه للتقرب الى (هبل) وإلى بقية الأصنام التي جاء بها من الخارج فوضعها حوله وفي جوفه .

ومن بطون خزاعة : (بنو سلول) و (بنو حُبْشِيّة بن كعب) ، و (بنو حليل) ، و (بنو ضاطر) . وكان (حُطَيْل) سادن الكعبية ، فزوج ابنته (حبي) بقصي . و (بنو قير) ومن (بني قير) (الحجاج بن عامر بن أقوم) شريف ، و (حلحة بن عمرو بن كليب) : شريف ، و (قيس بن عمرو بن منقذ) الذي يقال له (ابن الحدادية) شاعر جاهلي^١ . و (المحترش) ، وهو (أبو عُبْشان) الذي يزعمون انه باع البيت من (قصي)^٢ . ومن خزاعة (بديل بن ورقاء بن عبد العزّي) ، شريف ، كتب اليه النبي يدعوه الى الإسلام ، وكان له قدر في الجاهلية بمكة^٣ .

(وكنانة) التي استعان بها (عمرو بن لحي) في تثبيت حكمه بمكة ، هي من القبائل العدنانية في عرف أهل الأنساب ، ومن مجموعة (مضر) . ولما استبد (عمرو بن لحي) ومن جاء بعده بأمر مكة ، وأخذوا بأيديهم أمر مكة ، تركوا الى (كنانة) أموراً تخص مناسك الحج وشعائره ، وهي الإجازة بالناس يوم (عرفة) والإضافة والنسي . وهي أمور سأتحدث عنها في أثناء كلامي عن الحج .

ويذكر أهل الأخبار أن (الإسكندر) الأكبر دخل مكة ، وذلك أنه بعد أن خرج من السودان قطع البحر فأنتهى الى ساحل (عدن) ، فخرج اليه (تبع الأقرون) ملك اليمن ، فأذعن له بالطاعة ، وأقرّ بالإتاوة ، وأدخله مدينة (صنعاء) ، فأنزله ، وألطف له من الطاف اليمن ، فأقام شهراً ، ثم سار الى (تهامة) ، وسكان مكة يومئذ خزاعة ، قد غلبوا عليها ، فدخل عليه (النضر بن كنانة) ،

١ الاشتقاق (ص ٢٧٦ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (ص ٢٧٧) .

٣ الاشتقاق (ص ٢٨٠) .

فعبج الإسكندر به وساعده ، فأخرج (خزاعة) عن مكة ، وأخلصها للنضر ،
ولبني أبيه ، وحج الإسكندر ، وفرق في ولد معد بن عدنان صلات وجواثر ،
ثم قطع البحر يؤم الغرب .^١

وإذا كان أهل الأخبار قد أدخلوا (الإسكندر) مكة ، وصيروه رجلاً
مؤمناً ، حاجاً من حجاج البيت الحرام ، فلا غرابة إذن إن جعلوا أسلاف الفرس
فيمن قصد البيت وطاف به وعظمه وأهدى له . بعد أن صيروا (إبراهيم) جداً
من أجدادهم وربطوا نسب الفرس بالعرب العدنانيين . فقالوا : وكان آخر من
حج منهم (ساسان بن بابك) ، وهو جدّ (أردشير) . فكان ساسان إذا أتى
البيت طاف به وزمزم على بئر إسماعيل ، فقبل إنما سميت زمزم لزمزته عليها ،
هو وغيره من فارس . واستدلوا على ذلك بشعر ، قالوا عنه : إنه من الشعر
القديم . وبه افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام ، وقالوا : وقد كان
(ساسان بن بابك) هذا ، أهدى غزالين من ذهب وجوهرأ وسيوفاً وذهباً
كثيراً ، فقلده ، فدفن في زمزم . وقد أنكروا أن يكون بنو جرهم قد دفنوا
ذلك المال في بئر زمزم ، لأن جرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها .^٢

ويزعم الأخباريون أن (حسان بن عبد كلال بن مثوب ذي حرث الحميري) ،
(أقبل من اليمن مع حير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة
من مكة الى اليمن ، ليجعل حج الناس عنده بيلاده ، فأقبل حتى نزل بنخلة
فأغار على سرح الناس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكة . فلما رأت ذلك
قريش وقبائل كنانة وأسد وجذام ومن كان معهم من أفناء مضر ، خرجوا اليه ،
ورئيس الناس يومئذ فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حير ،
وأسر حسان بن عبد كلال ملك حير ، أسره الحارث بن فهر ، وقتل في المعركة —
فيمن قتل من الناس — ابن ابنة قيس بن غالب بن فهر ، وكان حسان عندهم
بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتسدى منهم نفسه ، فخرج به ، فمات بين
مكة واليمن) .^٣

ويشير هذا الحادث إن صحّ وقوعه وصدق ما رواه أهل الأخبار عنه ، الى

١ الأخبار الطوال (٣٣ وما بعدها) .

٢ مروج (١/٢٦٥ وما بعدها) ، (ذكر ملوك الطوائف) .

٣ الطبري (٢/٢٦٢ وما بعدها) .

طمع الملك (حسان) والى خطة وضعها للاستيلاء عليها . وهو شيء مألوف ، فقد كانت قبائل اليمن تتجه دوماً نحو الشمال ، غير أن أهل مكة قاوموا الملك وتمكنوا من الصمود تجاهه ، بل من التمكن من جيشه ومن الحاق هزيمة به . ويذكر أهل الأخبار حادثاً آخر مشابهاً لهذا الحادث ، بل يظهر أنه الحادث نفسه وقد صيغ في صيغة أخرى ، خلاصته أن (الملوك الأربعة) الذين لعنهم النبي ، ولعن أختهم (أبضعة) ، ولم يذكروا أسماءهم ، لما هموا بتقل (الحجر الأسود) الى صنعاء ليقطعوا حج العرب عن البيت الحرام الى صنعاء ، وتوجهوا لذلك الى مكة ، فاجتمعت (كنانة) الى (فهر بن مالك بن النضر) ، فلقبهم ، فقاتلهم ، فقتل ابن لفهر ، يسمى الحارثة ، وقتل من الملوك الأربعة ثلاثة ، وأسر الرابع ، فلم يزل مأسوراً عند (فهر بن مالك) حتى مات . وأما (أبضعة) ، فهي التي يقال لها (العنقير) ، ملكت بعد اخوتها على زعم أهل الأخبار .^١

ويشير الأخباريون الى احترام التبابعة لمكة ، فيذكرون مثلاً أن التبع (أسعد أبو كرب) الحميري وضع الكسوة على البيت الحرام ، وصنع له باباً ، ومنذ ذلك الحين جرت العادة بكسوة البيت ،^٢ ويذكرون غير ذلك من أخبار تشير الى اهتمام التبابعة بمكة . أما نحن ، فلم يصل الى علمنا شيء من هذا الذي يرويه الأخباريون ، مدوناً بالمسند ، كما أننا لا نعلم أن أصنام أهل اليمن كانت في مكة حتى يتعبد لها التبابعة . ولنا الآن في وضع نتمكن فيه من إثبات هذا القصص الذي يرويه الأخباريون ، والذي قد يكون أوجد ، ليوحى أن ملوك اليمن كانوا يقدسون الكعبة ، وأن الكعبة هي كعبة جميع العرب قبل الإسلام .

ولا نملك اليوم أثراً جاهلياً استنبط منه علماء الآثار شيئاً عن تأريخ مكة قبل الإسلام ، ولذلك فكل ما ذكره عنها هو من أخبار أهل الأخبار ، وأخبارهم عنها متناقضة متضاربة ، لعبت العواطف دوراً بارزاً في ظهورها . ولا يمكن لأحد أن يكتب في هذا اليوم شيئاً موثقاً معقولاً ومقبولاً عن تأريخ هذه المدينة المقدسة في أيام الجاهلية القديمة ، لأنه لا يملك نصوصاً أثرية تعينه في التحدث عن ماضيها

١ الأخبار الطوال (ص ٣٩ وما بعدها) .

٢ وقد نسبوا الى الرسول أحاديث في هذا المعنى ، اعتقد أنها من الأحاديث الموضوعة ، راجع الأزرقبي ، أخبار مكة (١/١٦٥) .

القديم . وأملنا الوحيد هو في المستقبل ، فلعلّ المستقبل يكون خيراً من الحاضر والماضي ، فيجود على الباحثين بآثار تمكنهم من تدوين تأريخ تلك المدينة ، تدويناً علمياً يفرح نفوس الملايين من الناس الذين يحجون إليها من مختلف أنحاء العالم ، ولكنهم لا يعرفون عن تأريخها القديم ، غير هذا المدوّن عنها في كتب أهل الأخبار .

وإذا كنا في جهل من أمر تأريخ مكة قبل أيام (قصي) وقبل تمرّك قريش في مكة ، فإن جهلنا هذا لا يجوز لنا القول بأن تأريخها لم يبدأ إلا بظهور قريش فيها وبترعم قصي لها . وإن ما يروى من تأريخها عن قبل هذه المدة هو قصص لا يعاب به . لأن ما يورده أهل الأخبار من روايات تفيد عثور أهل مكة قبل أيام الرسول على قبور قديمة وعلى حليّ وكنوز مطمورة وكتابات غريبة عليهم ، يدل كل ذلك على أن المدينة كانت مأهولة قبل أيام قصي بزمان طويل ، وإن مكة كانت موجودة قبل هذا التاريخ . وإن تأريخها لذلك لم يبدأ بابتداء ظهور أمر قصي ونزول قريش مكة في عهده .

وتأريخ مكة حتى في أيام قصي وما بعدها إلى ظهور الإسلام لا يخلو مع ذلك من غموض ومن لبس وتناقض . شأنه في ذلك شأن أي تأريخ اعتمد على الروايات الشفوية ، واستمد مادته من أقوال الناس ومن ذكرياتهم عن الماضي البعيد . لذلك نجد الرواة يناقضون أنفسهم تناقضاً بيناً في أمر واحد ، ما كان في الإمكان الاختلاف فيه لو كانوا قد أخذوه من منبع قديم مكتوب . وسرى في مواضع من هذا الكتاب وفي الأجزاء التي قد تتلوه عن تأريخ العرب في الإسلام نماذج وأمثلة تشير إلى تباين روايات أهل الأخبار في أخبارهم عن مكة في تلك الأيام .

قريش :

و (قصي) من (قريش) . و (قريش) كلها من نسل رجل اسمه (فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) . فهي من القبائل العدنانية . أي من مجموعة العرب المستعربة في اصطلاح علماء النسب . ومن (فهر) فما بعده عرف اسم (قريش) في رأي أهل الأخبار . أما ما قبل (فهر) من آباء فلم يعرفوا بقريش . فقريش إذن هم (فهر)

وأبناءؤه ، من سكان مكة أو من سكان ظواهرها ، أي كل من انحدر من صلبه من أبناء .^١ وما كان فوق (فهر) فليس يقال له (قرشي) ، وإنما يقال له كناني .^٢

ومعارفنا عن (قريش) لا بأس بها بالنسبة الى معارفنا عن خزاعة وعن من تقدم عليها من قبائل ذَكَرَ أهل الأخبار أنها سكنت هذه المدينة . وتبدأ هذه المعرفة بها ، ابتداءً من (قُصَيِّ) زعيم قريش ومجمّعها ، والذي أخذ أمر مكة فوضعه في يديه ، ثم في أيدي أولاده من بعده ، فصارت (قريش) بذلك صاحبة مكة . وقد اشتهرت قريش بالتجارة ، وبها عرفت وذاع صيتها بين القبائل . وتمكن رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل من الاتصال بالدول الكبرى في ذلك العهد : الفرس والروم والحبشة ، وبمحكمة الحيرة والغساسنة ، وبسادات القبائل ، ومن تكوين علاقات طيبة معها ، مع تنافر هذه الدول وتباغضها . كما تمكنوا من عقد أحلاف مع سادات القبائل ، ضمنت لهم السر طوال أيام السنة بهدوء وطمأنينة في كل أنحاء جزيرة العرب . والطمأنينة ، أهم أمنية من أمانى التاجر . وبذلك آمنوا على تجارتهم ، ونشروا تجارتهم في كل أنحاء جزيرة العرب . حتي عرفوا بـ (قريش التجار) . جاء على لسان كاهنة من كهان اليمن قولها : (لَهِ دَرُّ الدِّيار ، لقريش التجار) .^٣

وليس لنا علم بتاريخ بدء اشتغال قريش بالتجارة واشتهارها بها . وروايات أهل الأخبار ، متضاربة في ذلك ، فبينما هي ترجع ظهور (قريش) بمكة الى أيام قصي ، ومعنى ذلك أن تجارة قريش إنما بدأت منذ ذلك الحين ، نراها ترجع تجارتها الى أيام النبي (هود) ، وتزعم أنه لما كان زمن (عمرو ذي الأذعار الحميري) ، كشفت الريح عن قبر هذا النبي ، فوجدوا صخرة على قبره كتب عليها بالمسند : (لمن ملك ذمار ؟ لحمير الأنخيار . لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الأشرار . لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار . لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار) .^٤ والرواية أسطورة موضوعة ، ولكنها تشير الى أن اشتغال قريش بالتجارة يرجع

- ١ البلاذري ، أنساب (٣٩/١) ، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (٩) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٥٥/١) .
- ٣ رسائل الجاحظ ، (جمع السندوبي) ، (ص ١٥٦) (المطبعة الرحمانية ، ١٩٥٨ م) .
- ٤ الأكليل ، الجزء السادس (خبر آخر عن قبر هود وقبر قضاة بن مالك بن حمير) .

الى عهد قديم ، عجز اصحاب هذه الرواية عن ادراك وقته ، فوضعوه في أيام هود .

ثم نرى روايات أخرى ترجع بدء اشتهار قريش التجارة الى أيام (هاشم) ، وهي تزعم ان تجارة قريش كانت منحصرة في مكة ، يتاجر اهلها بعضهم مع بعض ، فتقدم العجم عليهم بالسلع ، فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعونها لمن حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب (هاشم بن عبد مناف) فترل بقيصر ، وتعاهد معه على ان يسمح له ولتجار قريش بالانجار مع بلاد الشام ، فوافق على ذلك ، وأعطاه كتاباً بذلك . فلما عاد ، جعل كلما مرّ بجي من العرب بطريق الشام ، أخذ من أشرافهم إيلافاً ، اي عقد امان ، فضمن بذلك لقومه حرية الانجار بأمن وسلام . واشتهرت قريش بالتجارة منذ ذلك العهد .^١

وقد علّمت الأسفار سادة قريش اموراً كثيرة من امور الحضارة والثقافة . فقد أرثهم بلاداً غريبة ذات تقدم وحضارة ، وجعلتهم يحتكون بعرب العراق ويعرب بلاد الشام ، فتعلموا من (الحيرة) اصول كتابتهم ، وهذبوا لسانهم ، ودوتوا به امورهم . وذكر انهم كانوا من افصح العرب لساناً ، وقد شهد العرب لهم بفصاحة اللسان ، حتى ان الشعراء كانوا يعرضون عليهم شعرهم ، وذكر ان الشاعر (علقمة الفحل) عرض عليهم شعره ، فوصفوه بـ (سمط الدهر) .^٢

وقد علّمت الطبيعة أهل مكة انهم لا يتمكنون من كسب المال ومن تأمين رزقهم في هذا الوادي الجاف ، إلا إذا عاشوا هادئين مسالمين ، يدفعون الإساءة بالحسنة ، والشر بالصبر والحلم ، والكلام السيئ البذيء بالكلام الحسن المقنع المخجل . فتغلب حلمهم على جهل الجاهلية ، وجاءت نجاتهم في نصرة الغريب والذب عن المظلوم والدفاع عن حق المستجير بهم ، بأحسن النتائج لهم ، فصار التاجر والبائع والمشتري يفد على سوق مكة ، يبيع ويشترى بكل حرية ، لانه في بلد آمن ، أخذ سادته على أنفسهم عهداً ألا يتعدى أحد منهم على غريب ، لأن الإضرار به ، يبعد الغرباء عنهم ، وإذا ابتعد الغرباء عن مكة ، خسروا جميعاً مورداً من موارد رزقهم : يعيش عليه كل واحد منهم بلا استثناء . لذلك

١ ذبل الأمالي (ص ١٩٩) ، النعالي ، ثمار القلوب (١١٥ وما بعدها) .

٢ الأغاني (١١٢/٢١) .

كان الغريب إذا ظُليم ، نادى يا آل قريش ، أو يا آل مكة أو يا آل فلان . ثم يذكر ظلامته ، فيقوم سادة مكة أو من نودي باسمه بأخذ حقه من الظالم له . وقد اصطلحت قريش على ان تأخذ ممن يتزل عليها في الجاهلية حقاً . دعتة : (حقّ قريش) وفي جملة ما كانوا يأخذونه من الغريب القادم اليهم عن هذا الحق بعض ثيابه أو بعض بدنته التي ينحر . ويأتي أهل الأخبار بمثل على ذلك ، هو مثل : (ظويلم ويلقب مانع الحريم ، وإنما سُمّي بذلك لأنه خرج في الجاهلية يريد الحج ، فنزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي ، فأراد المغيرة ان يأخذ منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية ، وذلك سُمّي : الحريم . وكانوا يأخذون بعض ثيابه أو بعض بدنته التي ينحر ، فامتنع عليه ظويلم)^١ . وظويلم منع عمرو بن صرمة الإتاوة التي كان يأخذها من غطفان^٢ .

وقد جعلت طبيعة هذا الوادي أهل مكة يميلون الى السلم ، ولا يركنون الى الحرب والغزو إلا دفاعاً عن نفس . وهو شيء منطقي محترم ، فأهل مكة في وادٍ ضيق بين جبلين متقابلين ، وفي استطاعة الأعداء إنزال ضربات موجعة بهم من المرتفعات المسيطرة عليه ، ويسد منفذيه ، يحصر أهله فتقطع عنهم كل وسائل المعيشة من ماء وطعام . لذلك لم يجلوا أمامهم من سبيل سوى التجميل بالحلم والصبر واتباع خطة الدفاع عن النفس ، بالاعتماد على أنفسهم وعلى غيرهم من أحلافهم كالأحباش حلفائهم وقريش الظواهر . وقد أدت هذه الخطة الى اتهم قريش انها لا تحسن القتال ، وانها إن حاربت خسرت ، وانها كانت تنحسر في الحروب - فخسرت ثلاثة حروب من حروب الفجار الأربعة ، الى غير ذلك من تهمة . ولكن ذلك لا يعني ان في طبع رجال قريش جبناً ، وان من سجية قريش الخوف . وإنما هو حاصل طبيعة مكان ، واملاء ضرورات الحياة ، لتأمين الرزق . ولو ان أهل مكة عاشوا في موضع آخر ، لما صاروا أقل شجاعة وأقل اقبالاً في الاندفاع نحو الحرب والغزو من القبائل الأخرى .

وقد تمكنت مكة في نهاية القرن السادس وبفضل نشاط قريش المذكور من القيام بأعمال هامة ، صيرتها من أهم المراكز المرموقة في العربية الغربية في التجارة

١ الاشتقاق (ص ١٧١ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (١٧٢) .

وفي اقراض المال للمحتاج اليه . كما تمكنت من تنظيم أمورها الداخلية ومن تحسين شؤون المدينة ، واتخاذ بيوت مناسبة لائقة لان تكون بيوت أغنياء زاروا العالم الخارجي ورأوا ما في بيوت أغنيائه من ترف وبذخ وخدم واسراف .

وقد ذكر (الثعالبي) ان قريشاً صاروا (أدهى العرب ، وأعقل البرية ، وأحسن الناس بياناً) لاختلاطهم بغيرهم ولاتصالهم بكثير من القبائل فأخلطوا عن كل قوم شيئاً ، ثم انهم كانوا تجاراً (والتجار هم أصحاب الترييح والتكسب والتدنيق والتدقيق) ، وكانوا متشددين في دينهم حمساً ، (فركوا الغزو كراهة السبي واستحلال الأموال) الى غير ذلك من أمور جلبت لهم الشهرة والمكانة^١ . وقد أشيد ايضاً بصحة اجسامهم وبجبالهم حتى ضرب المثل بجبالهم فقيل : (جمال قريش)^٢ .

وقصي^٣ رئيس قريش ، هو الذي ثبت الملك في عقبه ، ونظم شؤون المدينة ، وقسم الوظائف والواجبات على أولاده حين شعر بدنو أجله . فلما أشرق الإسلام ، كانت أمور مكة في يد قريش ، ولها وحدها الهيمنة على هذه المدينة ، حتى عرف سكانها بـ (آل قصي) ، فكان أحدهم اذا استغاث او استنجد بأحد ، صاح : (يا لقصي) ، كناية عن انهم (آل قصي) . جامع قريش^٤ .

وهو أول رئيس من رؤساء مكة يمكن ان نقول ان حديثنا عنه ، هو حديث عن شخص عاش حقاً وعمل عملاً في هذه المدينة التي صارت قبلة الملايين من البشر فيما بعد . فهو إذن من الممهدين العاملين المكونين لهذه القبلة ، وهو أول رجل نتكلم عن بعض أعماله ونحن واثقون مما نكتبه عنه ونقوله . وهو أول شخص نقض البيوت المتقلة التي لم تكن تقي أصحابها شيئاً من برد ولا حر^٥ ، والتي كانت على أطراف الوادي وبين أشجار الحرم ، وكأنها تريد حراسة البيت ، وحوطها من خيام مهلهلة الى بيوت مستقرة ثابتة ذات أعمدة من خشب شجر الحرم ، وذات سقوف .

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١ وما بعدها) .

٢ الثعالبي ، ثمار القلوب (٢٩) .

٣ يال- قصي^٣ لمظالم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والتفر

الاحكام السلطانية (ص ٧٨ وما بعدها) .

ولم نعث حتى الآن على اسم قريش أهل مكة. في نص جاهلي . كذلك لم نعث عليه أو على اسم مقارب له في كتب اليونان أو اللاتين أو قدماء السريان ممن عاشوا قبل الإسلام . فليس في امكاننا ذكر زمن جاهلي نقول اننا عثرنا فيه على اسم قريش ، وانها كانت معروفة يومئذ فيه .

وقد وردت لفظة (قريش) اسماً لرجل عرف بـ (حبّشل قريش) . وذلك في نص حضرمي من أيام الملك (العز) ملك حضرموت ^١ .

هذا ، وان لأهل الأخبار كلاماً في سبب تسمية قريش بقريش ، (فقيل : سُميت بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، لأن عير بني النضر كانت اذا قدمت ، قالت العرب : قد جاءت عير قريش ، قالوا : وكان قريش هذا دليل النضر في أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرأ ، احتضر بدرأ ، قالوا فيه سميت البئر التي تدعى بدرأ ، بدرأ . وقال ابن الكلبي : انما قريش جاع نسب ، ليس بأب ولا بأم ولا حاضن ولا حاضنة ، وقال آخرون : انما سُمي بنو النضر من كنانة قريشاً ، لأن النضر بن كنانة خرج يوماً على نادي قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا الى النضر ، كأنه جمل قريش .

وقيل : انما سميت بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر ، تدعى القرش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة ^٢ .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس ، فيسدها بماله ، والقرش - فيما زعموا - التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما ييلغهم ^٣ . (وقيل إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً . وقيل : بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بني النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب ، فقيل لهم : قريش ، من أجل ان التجمع هو القرش ، فقالت العرب : تقرش

١ تاريخ العرب في الاسلام (٤١/١) .

٢ وقريش هي التي نسكن البحر بها سميت قريش قريشاً . تفسير الطبري (٢٥ / ١٩٩) .

٣ الطبري (٢٦٣/٢ وما بعدها) .

بنو النضر ، أي قد تجمعوا . وقيل : إنما قيل قريش من أجل أنها تفرشت
عن الغارات ^١ .

وذكر ان قريشاً كانت تدعى (النضر بن كنانة) ، وكانوا متفرقين في
(بني كنانة) ، فجمعهم (قصي بن كلاب) ، فسموا قريشاً ، التقرش
التجمع . وسمي قصي مجمعا . قال حذافة بن غانم بن عامر القرشي ثم العدوي :

قصي " أبوكم كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر ^٢

وذكر ان قريشاً إنما قيل لهم (قريش) لتجمعهم في الحرم من حوالي الكعبة
بعد تفرقهم في البلاد حين غلب عليها (قصي بن كلاب) . يقال تقرش القوم
إذا اجتمعوا . قالوا وبه سمي قصي مجمعا . أو لأنهم كانوا يتقرشون البيعات
فيشترونها ، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً ، فقالوا تقرش ، فغلب
عليه اللقب ، أو لأنه جاء الى قومه يوماً ، فقالوا كأنه جمل قريش أي شديد ،
فلُقب به ، أو لأن قصياً كان يقال له القرشي ، وهو الذي سَمَّاهم بهذا الاسم ،
أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلعتها ، فمن كان محتاجاً أغنوه ومن كان
عارياً كسوه ومن كان معدماً كسوه ومن كان طريداً آووه ، أو سموا بقريش بن
مخلد بن غالب بن فهر ، وكان صاحب عيرهم ، فكانوا يقولون : قدمت عير
قريش وخرجت عير قريش ، فلقبوه به . أو نسبة الى (قريش بن الحرث بن
يخلد بن النضر) ، والد (بدر) ، وكان دليلاً لبني (فهر بن مالك) في
الجاهلية ، فكانت عيرهم إذا وردت (بدرأ) ، يقال : قد جاءت عير قريش ،
يضيفونها الى الرجل حتى مات . أو لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب
ضرع وزرع . أو الى قريش بن بدر بن يخلد بن النضر . وكان دليل بني كنانة
في تجارتهم ، فكان يقال : قدمت عير قريش . فسميت قريش بذلك . وأبوه
بدر بن يخلد ، صاحب بدر ، الموضع المعروف ^٣ .

١ الطبري (٢٦٤/٢) ، ابن كبير ، البداية (٢٠١/٢) .

٢ العقد الفريد (٣١٢/٣) وما بعدها .

٣ تاج العروس (٣٣٧/٤) ، (قرش) ، كتاب نسب قريش ، للزبيدي (ص ١٢) .

ونعتت قریش بـ (آل الله) و (جيران الله) و (سكان حرم الله)^١ .
وبـ (أهل الله)^٢ .

الى غير ذلك من آراء حصرها بعضهم في عشرين قولاً في تفسير معنى لفظة (قریش) ومن أين جاء أصلها . تجدها في بطون الكتب التي أشرت إليها في الحواشي . وفي موارد أخرى . وهي كلها تدل على أن أهل الأخبار كانوا حيارى في أمر هذه التسمية ، ولما كان من شأنهم إيجاد أصل وفصل ونسب وسبب لكل اسم وتسمية ، كما فعلوا مع التسميات القديمة ، ومنها تسميات قديمة تعود الى ما قبل الميلاد ، أوجلوا على طريقتهم تلك التعليقات والتفسيرات لمعنى (قریش) . وقد نجد هذه التعليقات تروى وتنسب الى شخص واحد كابن الكلبي مثلاً ، وهو ينسب روايتها عادة الى رواة تقدموا عليه أو عاصروه ، وقد لا يرجعها الى أحد ، وربما كانت من وضعه وصنعه أو من اجتهاده الخاص في إيجاد علل للتسميات^٣ .
فهذا هو مجمل آراء أهل الأخبار في معنى اسم قریش .

أما رأيهم في أول زمن ظهرت فيه التسمية ، فقد اختلف في ذلك وتباين أيضاً . فذكر قوم (أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير : متى سميت قریش قریشاً ؟ قال : حين اجتمعت الى الحرم من تفرقها ، فذلك التجمع القرش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي ، ولم تسم قریش قبله) . وورد : (لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالاً جميلة ، فقبل له : القرشي ، فهو أول من سُمي به) . ورود أيضاً أن (النضر بن كنانة كان يسمى القرشي)^٤ .

وقد نسب الى عليّ وابن عباس قولها أن قریشاً حي من النبط من أهل كوثى^٥ . وإذا صح أن هذا القول هو منها حقاً ، فإن ذلك يدل على أنهما قصدا بالنبط (نبايوت) : وهو (ابن اسماعيل) في التوراة . واما (كوثى)

١ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .

٢ الثعالبی ، ثمار القلوب (١٠) .

٣ نهاية الأرب (١٦/١٦) ، ناج العروس (٤/٣٣٧) ، (قرش) .

٤ الطبري (٢/٢٦٤ وما بعدها) .

٥ البرفوفي (ص ٢٢٨) .

فقصدا بذلك موطن ابراهيم ، وهو من أهل العراق على رواية التواراة أيضاً .
ولعلها أخذنا هذا الرأي من أهل الكتاب في يثرب .

ويذكر أن جدّم قريش كلها (فهر بن مالك) فها دونه قريش وما فوقه
عرب ، مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر . وأما قبائل قريش ، فانما
تنتهي الى فهر بن مالك لا تتجاوزهُ^١ . ومن جاوز (فهر) ، فليس من قريش^٢ .
ومعنى هذا ان جدّم قريش من أيام (فهر بن مالك) فما فوقه ، كانت متبدية
تعيش عيشة أعرابية ، فلما كانت أيام (فهر) أخذت تميل الى الاستقرار
والاستيطان ، ولما استقرت وأقامت في مواضعها عرفت بـ (قريش) .

وذكر ان قريشاً قبيلة ، وأبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر ، فكل من كان من ولد (النضر) ، فهو (قرشي) دون ولد
كنانة ومن فوقه . وورد كل من لم يلبده (فهر) فليس بقرشي . وهو
المرجوع اليه^٣ .

وقد صيرت رابطة النسب هذه قريشاً قبيلة تامة تقيم مجتمعة في أرض محدودة ،
وبصورة مستقرة في بيوت ثابتة فيها بيوت من حجر ، بين أفرادها وأسرهم وبطونهم
عصبية ، وبينهم تعاون وتضامن . كما جعلت أهل مكة في تعاون وثيق فيما بينهم
في التجارة ، حتى كادوا يكونون وكأنهم شركاء مساهمون في شركة تجارية
عامة . يساهم فيها كل من يجد عنده شيئاً من مال ، وإن حصل عليه عن طريق
الاقتراض والربا ، ليكون له نصيب من الأرباح التي تأتي بها شركات مكة .

ويقسم أهل الأخبار قريشاً الى : قريش البطاح ، وقريش الظواهر . ويذكرون
ان قريش البطاح بيوت ، منهم : بنو عبد مناف ، وبنو عبد الدار ، وبنو
عبد العزى ، وبنو عبد بن قصي بن كلاب ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو
تيم بن مرة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم ، وبنو جمح ابنا عمرو
ابن هصيص بن كعب ، وبنو علي بن كعب ، وبنو حسيل بن عامر بن لؤي ،
وبنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وبنو هلال بن

١ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .

٢ نهاية الأرب (١٥/١٦) .

٣ تاج العروس (٤/٣٣٧) ، (قرش) .

مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر . وبنو عتيك بن عامر بن لؤي^١ . و (قصي) هو الذي أدخل البطون المذكورة الأبطح ، فسُمّوا البطاح^٢ . ودخل (بنو حسل ابن عامر) مكة بعد ، فصاروا مع قريش البطاح ، فأما من دخل في العرب من قريش فليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء^٣ .

ويذكر أهل الأخبار ان (قريش البطاح) ، الذين يتزلون أبطح مكة ويطحاءها . أو هم الذين يتزلون الشعب بين أخشي مكة . وأخشي مكة جبلها : أبو قيس والذي يقابله . ويقال لهم قريش الأباطح وقريش البطاح ، لأنهم صابئة قريش وصميمها الذين اختطوا بطحاء مكة ونزلوها^٤ . وهم أشرف وأكرم من قريش الظواهر . ذكروا ان سادة قريش نزول بيطن مكة ، ومن كان دونهم ، فهم نزول بظواهر جبالها ، أي قريش الظواهر^٥ .

اما قريش الظواهر : فهم : بنو معيص بن عامر بن لؤي ، وتيم الأدرم بن غالب بن فهر ، والحارث ابنا فهر ، إلا بني هلال بن أهيب بن ضبة ، وبني هلال بن مالك بن ضبة^٦ . وعامة بني عامر بن لؤي ، وغيره^٧ . عرفوا جميعاً بقريش الظواهر ، لأنهم لم يهبطوا مع قصي الأبطح . إلا ان رهط (أبي عبيدة ابن الجراح) ، وهم من (بني الحارث بن فهر) ، نزلوا الأبطح فهم مع المطيبين أهل البطاح^٨ . وورد ان (بني الأدرم من أعراب قريش ليس بمك منهم أحد)^٩ .

١ المحبر (ص ١٦٧ وما بعدها) ، العملة (١٩٣/٢) ، رسائل الجاحظ ، (ص ١٥٦ . (السننوبي) ، (المطبعة الرحمانية ١٩٣٣ م) ، مروج الذهب (٥٨/١ . (١٩٥٨ م) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٧١/١) .

٣ البلاذري ، أنساب (٤٠/١) .

٤ فلو شهدتنني من قريش عصاة قريش البطاح لا قريش الظواهر

٥ تاج العروس (١٢٥/٢) ، (بطح) .

٦ تاج العروس (٣٧٢/٣) ، (ظهر) .

٧ المحبر (١٦٨) ، البلاذري ، أنساب (٣٩/١) ، التعالبي ، ثمار القلوب (٩٧) .

٨ العملة (١٩٤/٢) .

٩ ابن سعد ، طبقات (٧١/١) .

٩ نهاية الأرب (١٧/١٦) .

ويبدو من وصف أهل الأخبار لقريش البطاح ، أنهم إنما سُموا بالبطاح لأنهم دخلوا مع قصي البطاح ، فأقاموا هناك^١ . فهم مستقرون حضر ، وقد أقاموا في بيوت مهمل كانت فلانها مستقرة ، وقد انصرفوا الى التجارة وخدمة البيت . فصاروا أصحاب مال وغنى ، وملكوا الأملاك في خارج مكة ، ولا سيما الطائف ، كما ملكوا الإبل ، وقد تركوا رعيها للأعراب . وعرفوا أيضاً بقريش الضب للزومهم الحرم^٢ .

وأما قريش الظواهر^٣ ، فهم الساكنون خارج مكة في أطرافها ، وكانوا على ما يبدو من وصف أهل الأخبار لهم أعراباً ، أي أنهم لم يبلغوا مبلغ قريش البطاح في الاستقرار وفي اتخاذ بيوت من مدر . وكانوا يفخرون على قريش مكة بأنهم أصحاب قتال ، وأنهم يقاتلون عنهم وعن البيت . ولكنهم كانوا دون (قريش البطاح) في التضر وفي الغنى والسيادة والجاه ، لأنهم أعراب فقراء ، لم يكن لهم عمل يعتاشون منه غير الرعي . وكانوا دونهم في مستوى المعيشة بكثير وفي الواجهة بين القبائل . ومع اشتراكهم وقريش البطاح في النسب ، ودفاعهم عنهم أيام الشدة والخطر ، إلا أنهم كانوا يحقدون على ذوي أرحامهم على ما أوتوا من غنى ومال وما نالوه من منزلة ، ويحسدونهم على ما حصلوا عليه من مكانة دون ان يعملوا على رفع مستواهم ، وترقية حالهم ، والاقتداء بذوي رحمهم أهل الوادي في اتخاذ الوسائل التي ضمنت لهم التفوق عليهم وفي جلب الغنى والمال لهم . كان شأنهم في ذلك شأن الحساد الذين يعيشون على حسدهم ، ولا يبحثون عن وسائل ترفعهم الى مصاف من يحسدونه . ولعل نظرهم الجاهلة الى أنفسهم من أنهم أعلى وأجل شأناً ممن يحسدونهم ، وإن كانوا دونهم في نظر الناس في المنزلة والمكانة ، حالت دون تحسين حالهم والتفوق على المحسود بالجد والعمل ، لا بالاكتماء بالحسد وبالتشدد بالقول والمباهاة .

ويذكر أهل الأخبار ان قسماً ثالثاً من قريش ، لم ينزل بمكة ولا بأطرافها ،

١ المعبر (١٦٨) .

٢ ابن الأثير (٨/٢) ، البلاذري ، أنساب (٣٩/١) .

٣ قريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب) ، ناج العروس (١٢٥/٢) ،

(بطح) ، البلاذري ، أنساب (٣٩/١) ، (كانوا يفخرون على قريش الظواهر

لظهورهم للعدو ، ولقائهم المناسر) ، البلاذري ، أنساب (٤٠/١) .

وانما هبط أماكن أخرى ، فاستقر بها ، وتحالف مع القبائل التي نزلت بينها . من هؤلاء : سامة بن لؤي ، وقع الى عمان ، فولده هناك حلفاء أزد عمان . والحارث ابن لؤي وقع الى عُمان ، فولده هناك حلفاء أزد عمان . والحارث بن لؤي ، وقع الى اليمامة ، فهم في بني هزان من عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار . والحارث ، هو جُشَم . وخزيمة بن لؤي ، وقعوا بالجزيرة الى بني الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان وسعد بن لؤي ، وبنو عوف بن لؤي ، وقعوا الى غطفان ولحقوا بهم ، ويقال لبني سعد بن لؤي بنانة ، وبنانة أمهم ، فأهل البادية منهم . وأهل الحاضرة ينتمون الى قريش . ويقال لبني خزيمة بن لؤي : عائلة قريش . وكان عثمان بن عفان ألحق هذه القبائل ، حين استخلف بقريش^١ .

ويلاحظ ان هذا الصنف من أصناف قريش ، هو من نسل (لؤي) ، أي : من نسل (لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) . وقد تباعدت مواطنهم عن قريش .

ومن قريش الظواهر : بنو الأدرم من نسل الأدرم ، وهو تيم بن غالب ، ومن رجالهم : عوف بن دهر بن تيم الشاعر ، وهو أحد شعراء قريش . وهلال ابن عبد الله بن عبد مناف ، وهو صاحب التمينتين اللتين كانتا تغنيان بهجاء النبي ، وهو ابن الخطل الذي كان يؤذي النبي وارتد فأهدر النبي دمه يوم الفتح ، قتله أبو برزة الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة ، أو سعد بن حريث المخزومي على رواية قريش^٢ . ومن قريش الظواهر أيضاً : بنو محارب ، والحارث بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي .

ولم يكن أهل مكة كلهم من قريش ، بل ساكنهم أيضاً من كان بها قبلهم ، مثل خزاعة وبنو كنانة . وقريش وإن كانت من (كنانة) ، إلا أنها ميزت نفسها عنها ، وفرقت بينها وبين كنانة . ولكنانة إخوة منهم : أسد وأسداه ، والوالدهم هو (خزيمة) وهو جدّ من أجداد قريش ، كما ان (كنانة) هو

١ المحبر (ص ١٦٨ وما بعدها) ، الطبري (٢/٢٦١) ، (وفي قريش من ليس بأبطحية ولا ظاهرية) ، تاج العروس (٢/١٢٥) ، (بطح) .

٢ الاشتقاق (ص ٦٦) .

جد من أجدادهم . وللأخباريين رأي في معنى كنانة^١ .

وقد عرفت قريش بن أهل الحجاز بسخينة . والسخينة طعام رقيق يتخذ من سمن ودقيق . وقيل دقيق وتمر - وهو دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء . وإنما لقيت قريش بسخينة لاتخاذها إياه ، أي لأنهم كانوا يكثرون من أكلها ولذا كانت تعبر به^٢ .

الأحايش :

ومن أهل مكة جماعة عرفت بـ (الأحايش) . ذكر أهل الأخبار أنهم حلفاء قريش ، وهم : بنو المصطلق ، والحياة بن سعد بن عمرو ، وبنو الهون ابن خزيمة . اجتمعوا بذنب حبشي - وهو جبل أسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سجا ليل وأوضح نهار ، وما أرسى حبشي مكانه . وقيل : إنما سُموا بذلك لاجتماعهم . والتحابش : هو التجمع في كلام العرب^٣ . وذكر أنهم اجتمعوا عند (حبشي) فحالفوا قريشاً . وقيل : أحياء من القارة انضموا إلى (بني ليث) في الحرب التي نشبت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ، فقال إبليس لقريش : إني جبارٌ لكم من بني ليث فواقعوا دماً ، سُموا بذلك لاسودادهم ، قال :

ليث ودليل وكعب والذي ظأرت جمع الأحايش ، لما احمرت الحدقُ

١ الاشتقاق (ص ١٨) ، الطبري (٢٦٦/٢) .

٢ (وفي الحديث أنه دخل على حمزة ، رضي الله تعالى عنه . فصنعت لهم سخينة فأكلوها منها . قال كعب بن مالك :

زعمت 'سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب
وفي حديث معاوية ، رضي الله تعالى عنه ، أنه مازح الأحنف بن قيس ، فقال : ما الشيء الملقب في البجاد ؟ فقال : هو السخينة يا أمر المؤمنين ! الملقب في البجاد : وطب اللبن يلف به لبحمي ويدرك . وكانت تميم نعب به . والسخينة الحساء المذكور يؤكل في الجذب ، وكانت قريش نعب بها . فلما مازحه معاوية بما نعب به قومه مازحه الأحنف بمثله) ، تاج العروس (٢٣٢/٩) .

٣ العمدة (١٩٤/٢) ، اللسان (٢٧٨/٦) ، (حبش) .

فلما سميت تلك الأحياء (الأحاييش) من قبل تجمعها ، صار التحيش في الكلام كالتجميع .^١

وورد ان (عبد مناف) و (عمرو بن هلال بن معيط الكناني) ، عقدا حلف الأحاييش . والأحاييش ، بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة ، وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة ، وكانوا مع قريش .^٢ وقيل ايضاً ان الأحاييش ، هم : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وعضل ، والديش من بني الهون بن خزيمة ، والمصطلق ، والحيا من خزاعة .^٣

وقد وصف (اليعقوبي) (حلف الأحاييش) بقوله : (ولما كبر عبد مناف ابن قصي جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، يسألونه الحلف ليعزوا به . ففقد بينهم الحلف الذي يقال له : حلف الأحاييش . وكان مُدبّر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف عمرو بن هلال (هلال) بن معيص ابن عامر . وكان تحالف الأحاييش على الركن . يقوم رجل من قريش والآخر من الأحاييش فيضعان ايديهما على الركن ، فيحلفان بالله القاتل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ، ما بلّ بحر صوفة ، وما قام حر او ثبير ، وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة . فسمي حلف الأحاييش) .^٤

وقد ذكر أن (المطلب بن عبد مناف بن قصي) ، قاد بني عبد مناف وأحلافها من الأحاييش ، وهم من ذكرت يوم ذات نكيف ، لحرب بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .^٥ كما ورد ان (الأحاييش) ، الذين ذكرت اسماءهم ، كانوا يحضرون مع من يحضر من طوائف العرب مثل قريش وهوازن ، وغطفان ،

١ اللسان (٢٧٨/٦) .

٢ قال الشاعر :

ان عمراً وان عبد مناف جعلوا الحلف بيننا أسبابا

البلاذري ، أنساب (١/٥٢ ، ٧٦) .

٣ المحبر (ص ٢٤٦) .

٤ اليعقوبي (١/٢١٢) ، (طبعة النجف ١٩٦٤ م) .

٥ المحبر (ص ٢٤٦) .

وأسلم ، و (طوائف من العرب) سوق عكاظ ، فيبيعون ويشترون .^١ كما ذكر أنهم كانوا مثل قريش يقدسون اسافاً ونائلة .^٢

وورد في بعض اخبار الأخباريين ، ان يوم (ذات نكيف) ، وقع بين قريش وبني كنانة . فهزمت قريش بني كنانة ، وعلى قريش عبد المطلب .^٣ وقد بقي (الأحابيش) بمكة ، الى ايام الأمويين . فذكر ان (عبد الله المتكبر) ، وكان من اشراف قريش في ايام (معاوية) ومن اغناها مالاً ، لما وفد على (معاوية) وكان خليفة إذ ذاك ، ككلمه في (قريش) ووجوب الاعتماد عليهم ثم في (الأحابيش) ، إذ قال له عنهم : (وحلفاؤك من الأحابيش) قد عرفت نصرهم ومؤازرتهم ، فاخلطهم نفسك وقومك) .^٤

وقد بحث (لامانس) في موضوع الأحابيش ، فرأى أنهم قوة عسكرية ألفت من العبيد السود المستوردين من افريقية ومن عرب مرتزقة ، كونتها مكة للدفاع عنها . وقد بحث مستشرقون آخرون في هذا الموضوع ، فمنهم من ايدته ، ومنهم من توسط في رأيه ، ومنهم من ايد الرواية العربية المتقدمة التي ذكرتها . وعندني رأي آخر ، قد يفسر لنا سبب تسمية (بني الحارث بن عبد مناة) من (كنانة) ومن ايدها من (بني المصطلق) و (بني الهون) بالأحابيش . هو ان من الممكن ان تكون هذه التسمية قد وردت اليهم من اجل خضوعهم لحكم الحبش ، وذلك قبل الإسلام بزمان طويل . فقد سبق ان ذكرت في الجزء الثالث من كتابي : (تأريخ العرب قبل الإسلام) ، وفي اثناء كلامي على (جغرافيا بطلميوس) ،^٥ ان الساحل الذي ذكره (بطلميوس) باسم : (Cinaedocolpita) اما هو ساحل (تهامة) وهو منازل (كنانة) . وقد بقي الحبش به وقتاً طويلاً . واختلطوا بسكانه . فيجوز ان تكون لفظة (الأحابيش) قد لحقت بعض (كنانة)

١ المحبر (ص ٢٦٧) .

٢ المحبر (٣١٨) .

٣ اللسان (٣٤٢/٩) ، (نكف) ، قال ابن سغلة الفهري :

فلله عينا من رأى من عصاة غوت غى بكر يوم ذات نكيف
أناخوا الى أبياتنا ونسانا فكانوا لنا ضيفا لشر مضيع

تاج العروس (٢٦١/٦) ، (نكف) .

٤ نسب قريش (٣٨٩) .

٥ (٣٩٣) .

من خضوعهم للحبش ، حتى صارت اللفظة لقباً لهم ، او علماً لكتانة ومن حالفها . ويجوز ان تكون قد لحقت الآخرين معهم لتمييزهم عن بقية (كتانة) ومن انضم اليهم من سكن خارج تهامة . او لتزوج قسم منهم من نساء حبشيات ، حتى ظهرت السمرة على سحنهم . ولهذا وصفوا بالأحاييش فليس من اللازم اذن ان يكون (الأحاييش) ، هم كلهم من حبش افريقية ، بل كانوا عرباً وقوماً من العبيد والمرترقة ممن امتلكهم اهل مكة . ومما يؤيد رأبي هذا هو ورود (من بني كتانة) مع اهل تهامة في اخبار معارك قريش مع الرسول . ففي معركة (أحد) ، نجد (الطبري) يقول : (فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين فعل ذلك ابو سفيان وأصحاب العير بأحاييشها ومن اطاعها من قبائل كتانة وأهل تهامة) .^١ ونجد مثل ذلك في اخبار معارك اخرى . مما يشير الى ان الأحاييش ، ليسوا عبيد افريقية حسب ، بل هم عرب وحبش ومرترقة . وأن اولئك الأحاييش هم من ساحل تهامة في الغالب من كتانة ، اي ممن اقام بذلك الساحل المستقر به من الحبش واندمج في العرب ، فصار من المستعربة الذين نسوا اصولهم وضاعت انسابهم ، واتخلوا لهم نسباً عربياً ،

وقد كان للأحاييش سادة يديرون امورهم ، منهم (ابن الدغنة) وهو (ربيعة بن رفيع بن حيان بن ثعلبة السلمي) الذي اجار (ابا بكر) . وشهد معركة حنين .^٢ ومن سادات الأحاييش (الحليس بن يزيد) . ويظهر انه كان يتمتع بميزة محترمة بمكة . وقد ذكر (محمد بن حبيب) (الحليس) على هذه الصورة : (الحليس بن يزيد) . وذكر انه من (بني الحارث بن عبد مناة بن كتانة) . وكان من رؤساء حرب الفجار من قريش .^٣ وذكره غيره على هذه الصورة : (وحليس بن علقمة الحارثي . سيد الأحاييش ورئيسهم يوم أحد . وهو من بني الحارث بن عبد مناة بن كتانة) .^٤

وقد حارب الأحاييش مع قريش يوم أحد ، وقد رأسهم (ابو عامر)

- ١ خبر (غزوة أحد) ، (فخرجت قريش بعدها وجندتها وأحاييشها ، ومن معها من بني كتانة وأهل تهامة) ، الطبري (٥٠١/١٢) .
- ٢ تاج العروس (٢٠٠/٩) ، (دغن) .
- ٣ المحبر (١٦٩ وما بعدها) .
- ٤ تاج العروس (١٣٠/٤) ، (حلس) .

المعروف بـ (الراهب) .^١ وقاتل بهم ، مع ان رئيسهم وسيدهم اذ ذاك هو (الحليس بن زبان) أخو (بني الحارث بن عبد مناة) . وهو يومئذ (سيد الأحابيش) . وقد مرّ بـ (ابي سفيان) ، وهو يضرب في شدة (حمزة) بزج الرمح ، فلامه على فعله وأنبه .^٢ ولعلّ هذا الحليس هو الحليس المتقدم ، كتب اسم والده بصور مختلفة بحذف اسم والده وإضافة جده او غيره اليه ، فصار وكأنه انسان آخر .

وقد ورد ذكر (الحليس) في خبر (الحديدية) . فقد ذكر الطبري ان قريشاً اوفدت (الحليس بن علقمة) او (ابن زبان) ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو احد (بلحارث بن عبد مناة بن كنانة) ، الى رسول الله ، فلما رآه الرسول ، قال : ان هذا من قوم يتأهلون ، فلما رأى الحليس هديّ المسلمين في قلائده ، وأحس ان الرسول انما جاء معتمراً لا يريد سوءاً لقريش ، قصّ عليهم ما رأى ، فقالوا له : اجلس ، فإنما انت رجل أعرابي لا علم لك . فغضب (الحليس) عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، ان تصدّوا عن بيت الله من جاءه معظماً له ، والذي نفس الحليس بيده لتخلّن بين محمد وبين ما جاء له او لأنقرن بالأحابيش نقرة رجل واحد ! فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نوصي به .^٣

وقد ساهم (الأحابيش) في الدفاع عن مكة عام الفتح . وكانوا قد تجمعوا مع (بني بكر) و (بني الحارث بن عبد مناة) ومن كان من الأحابيش ، اسفل مكة . كما امرتهم قريش بذلك . فأمر رسول الله خالد بن الوليد ان يسير عليهم ، فقاتلهم حتى هزموا . ولم يكن بمكة قتال غير ذلك .^٤ ولم يذكر (الطبري) اسم سيد الأحابيش في هذا اليوم .

ويتبين من دراسة اخبار اهل الأخبار عن الأحابيش ، ومن نقدها وغربلتها ، ان الأحابيش ، كانوا جماعة قائمة بذاتها ، مستقلة في ادارة شؤونها ، يدير امورها رؤساء منهم ، يعرف احدهم بـ (سيد الأحابيش) . وقد ذكرت اسماء

- ١ الطبري (٥١٢/٢) ، (غزوة أحد) .
- ٢ الطبري (٥٢٧/٢) ، (غزوة أحد) .
- ٣ الطبري (٦٢٧/٢ وما بعدها) ، (الحديدية) .
- ٤ الطبري (٥٦/٣) ، (فتح مكة) .

بعض منهم قبل قليل . وقد عاشوا عيشة اعرابية ، خارج مكة على ما يظهر من الروايات . وذلك بدليل قول قريش للحليس : (اجلس ، فإنما انت رجل اعرابي ، لا علم لك) . ^١ اي انهم كانوا اعراباً ويعيشون عيشة اعرابية . ويظهر من هذه الاخبار ايضاً ان (الحليس) (سيد الأحابيش) ، كان من (بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة) ، وأن (ابن الدغنة) ، كان من (بني سليم) . ولم ينص اهل الاخبار فيما اذا كانا عربيين صريحيين ام انهما كانا من (بني الحارث) ومن (بني سليم) بالولاء ، فنسبهما الى القبيلتين ، هو نسب ولاء . ويظهر من خبر (الحديبية) ، ومن قول النبي لما رأى (الحليس) قادماً اليه : (ان هذا من قوم يتألهون) ، ان الأحابيش لم يكونوا على دين مكة اي من عباد الاصنام بل كانوا مؤلهة ، يدينون بوجود إله . وقد يشير الرسول بذلك انهم كانوا نصارى ، اخذوا نصرانيتهم من الحبش . ولذلك كانوا من المؤلهة بالنسبة لقريش . وأنا لا استبعد ايضاً ان تكون تلك التسمية قد غلبت على هؤلاء لأنهم كانوا من الساحل الافريقي المقابل لجزيرة العرب . جاؤوا اليها بالفتوح وبالنخاسة ، وأقاموا في تهامة الى مكة ، وعاشوا عيشة اعرابية متبدية ، وتحالفوا مع القبائل العربية المذكورة ، وتخلقوا بأخلاق عربية حتى صاروا اعراباً في كل شيء . وقد لازمتهم التسمية التي تشير الى اصلهم ، وانما تحالفوا مع (بني الحارث) وبقية المذكورين ، عرف حلفهم بـ (حلف الأحابيش) ، ثم عرف المتحالفون بـ (الأحابيش) . وقد نسي الأصل وهو الأحابيش ، اي اسم الحبش الذين تحالفوا مع (بني الحارث) و (عضل) و (الديش) و (المصطلق) و (الحيا) . لسبب لا نعرفه ، قد يكون بسبب كونهم عبيداً سوداً ، وأطلق الحلف على المذكورين . غير ان روايات اهل الاخبار تشير الى كثير من الأحابيش في مثل قولها : (وخرجت قريش بأحابيشها) الى ان الأحابيش المذكورين كانوا في حكم قريش ، اي جماعة من الحبش من اهل افريقية ، كانت كما ذكرت تكون وحدة قائمة بذاتها ، ولكنها تدين بولائها لقريش ، ولها حلف مع بعض كنانة ومع قبائل اخرى . ولما كان عام الفتح امرتها قريش بالتعاون مع (بني بكر) و (بني الحارث بن عبد مناة) ، للدفاع عن مكة من جهة الجنوب . فامتثلت لأمر قريش ، وأخذت مواضعها هنالك ، حتى زلزلها (خالد بن الوليد) .

١ الطبرى (٦٢٧/٢) ، (الحديبية) .

وقد منح (لامانس) الأحابيش درجة مهمة في الدفاع عن قريش . حتى زعم ان قريشاً ركنت اليهم في دفاعهم عن مكة ، وعهدت اليهم دوراً خطيراً في حروبها مع الرسول . وقد استند في رأيه هذا الى ما رواه أهل الأخبار من اشتراكهم مع قريش في تلك الحروب . غير اننا نجد من دراسة أخبار الحروب المذكورة ، ان الأحابيش وان ساهموا فيها ، الا انهم لم يلعبوا دوراً خطيراً فيها . وانهم لم يكونوا في تلك الحروب سوى فرقة من الفرق التي ساعدت قريشاً ، مقابل مال ورزق ووعود . ولم يكن الأحباش وحدهم قد ساعدوا أهل مكة في حروبهم مع غيرهم ، فقد ساعدتهم ايضاً طوائف من الأعراب ، أي من البدو الفقراء الذين كانوا يقاتلون ويؤدون مختلف الخدمات في سبيل الحصول على خبز يعيشون عليه .

وقريش جاعة اسنقرت وتحضررت ، واشتغلت بالتجارة ، وحصلت منها على غنائم طيبة . ومن طبع التاجر الابتعاد عن الحصومات والمعارك والحروب . لأن التجارة لا يمكن ان تزدهر وتثمر إلا في محيط هادئ مستقر . لذلك ، صار من سياستها استرضاء الأعراب وعقد (حبال) مع ساداتهم ، لتأمين جانبهم ، ليسمحوا لقوافلها بالمرور بسلام . كما صار من اللازم عليها عقد أحلاف مع المجاورين لهم من الأعراب مثل (قريش الظواهر) و (الأحابيش) وأمثالهم للاستعانة بهم في الدفاع عن مكة والاشتراك معهم في حروبهم التي قد يجبرون على خوضها مع غيرهم . بالإضافة الى عييدهم (الحبش) الذين اشترؤهم لتمشية أمورهم وليكونوا حرساً وقوة أمن لهم .

ولم تكن قريش تعتمد على القوة في تمشية مصالحها التجارية ، بقدر اعتمادها على سياسة الحلم واللين والقول المعسول والكلام المرضي في الوصول الى غايتها وأهدافها ومصالحها التجارية . وهذه السياسة : سياسة اللين والمفاوضة والمسالمة ، كانت تبدأ بكل ما يقع لها من صعوبات مع الناس . ولم يكن من السهل عليها في الواقع إرضاء الأعراب واسكاتهم لولا هذه السياسة الحكيمة التي اختاروها لأنفسهم ، وهي سياسة أكثر سكان القرى العامرة الواقعة في البوادي بين أعراب جائفين ، سياسة الاسترضاء بالحكمة واللسان الجميل ، واداء المال رشوة لهم بأقل مقدار ممكن ، لأن الاكثار من السخاء يثير في الأعرابي شهوة طلب المزيد . وشهوته هذه متى ظهرت ؛ فسوف لا تنتهى عند حد . وأهل مكة بخبرتهم الطويلة في تجولهم بمختلف أنحاء جزيرة العرب أعرف من غيرهم بنفسية الأعراب .

وكان لأشرافها أحلاف مع سادات القبائل ، تحالفوا معهم لتمشية مصالحهم ولحماية تجارتهم . فكان (زرارة) التميمي مثلاً حليفاً لـ (بني عبد الدار) . وكان عامر بن هاشم بن عبد مناف ، قد تزوج (بنت النباش بن زرارة) ، وأولد منها (عكرمة بن عامر بن هاشم) الشاعر ، و (بغيض بن عامر) الذي كتب الصحيفة على (بني هاشم) في أمر مقاطعة قريش لبني هاشم^١ .

وقد عبرت قريش بأنها لا تحسن القتال ، وإنها تجاري وتساير من غلب ، وإنها لا تخرج إلا بخفارة خفير ، وبجلف حليف ، وبجبل من هذه الجبال التي عقدتها مع سادات القبائل . فلما سمع (النعمان بن قبيصة بن حية الطائي) ابن عم (قبيصة بن إياس بن حية الطائي) صاحب الحيرة ، بـ (سعد بن أبي وقاص) ، سأل عنه ، ف قيل : (رجل من قريش ، فقال : إما إذا كان قرشياً فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال . إنما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمنعون خفيراً ، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير)^٢ . ونجد أمثلة أخرى من هذا القبيل تشير الى ميل قريش الى السلم ، وعدم قدرتها على القتال .

وذكر الأخباريون انه كان لكثافة جملة أولاد ، ذكر ابن الكلبي منهم : النضر ، والنضير ، ومالكاً وملكاً ، وعامراً ، وعمراً ، والحارث ، وعروان (غزوان) ، وسعداً ، وعوقفاً ، وغنماً ، ومخرمة ، وجرولاً . وهم من زوجته (برة بنت مر) أخت (تميم بن مر) . ولهذا رأى التسابون وجود صلة بين أبناء هؤلاء الأولاد وقبيلة (تميم) . وأما (عبد مناة) ، فإنه ابن كنانة من زوجته الأخرى ، وهي (الذفراء بنت هانيء بن بلي) من قضاة . ولذلك عدّ أبناءه من قضاة .

ويذكر أهل الأخبار ان من أجداد (قصي) ، رجل كانت له منزلة في قومه اسمه (كعب بن لؤي) . كان يخطب للناس في الحج ، وكان رئيساً في (قريش) فلما توفي ، أرخت قريش بموته اعظاماً له ، الى ان كان عام الفيل فأرخوا به^٣ . وذكر بعض أهل الأخبار ان أم (كعب) هي من (القين بن

١ نسب قريش (٢٥٤) .

٢ الطبري (٥٧٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٣ البلاذري ، أنساب (٤١/١) .

جسر) من قضاة ، وان كعباً هذا أول من سمي يوم الجمعة الجمعة ، وكانت العرب تسمي يوم الجمعة : العروبة . وأول من قال : (أما بعد) ، فكان يقول : (اما بعد ، فاستمعوا وافهموا) ، وان بين موته والقبيل خمسمائة سنة وعشرون سنة^١ .

وفي قول أهل الأخبار عن وقت موت كعب مبالغة شديدة بالطبع ، فإن كعباً هو والد (مُرّة) و (مُرّة) هو والد (كلاب) و (كلاب) هو والد (قصي) . فلا يعقل إذن ان يكون بين موت (كعب) وبين القبيل هذا المقدار من السنين .

وهم يذكرون ايضاً ان والد (قصي) وهو (كلاب) كان قد تزوج (فاطمة بنت سعد بن سيل) ، فأنجبت له (قصيًّا) . وهي من الأزد ، من نسل (عامر الجادر) . وقد عرف بـ (الجادر) لانه بنى جدار الكعبة بعد ان وَهَنَ من سيل أتى في أيام ولاية جرهم البيت ، فسمي الجادر . وذكر ايضاً ان الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة ، يأخذون من طيبتها وحجارتها تبركاً بذلك ، وان عامراً هذا كان موكلًا باصلاح ما شعث من جدرانها فسمي الجادر . وذكر ان (سعد بن سيل) ، كان أول من حلى السيوف بالفضة والذهب . وكان أهدى الى (كلاب) مع ابنته (فاطمة) سيفين محليين ، فجعل في خزانة الكعبة^٢ . وذكر ان (كلاباً) ، هو أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة^٣ . وجاء ايضاً انه أول من جدر الكعبة^٤ .

و (قصي) رئيس قريش ، هو الذي ثبت الملك في عقبه ، ونظم شؤون المدينة ، وقسم الوظائف والواجبات على أولاده حين شعر بدنو أجله . فلما أشرق الإسلام ، كانت أمور مكة في يد قريش ، ولم يكن لغير قريش نفوذ يذكر على مكة . فهو الذي بعث الحياة الى قومه من قريش ، وجعل لهم مكانة في هذه القرية ونفوذاً وشهرة في الحجاز . وهو الذي أوجد لمكة مكانة ، وخلق

١ نهاية الأرب (١٨/١٦) .

٢ البلاذري ، أنساب (٤٨/١) ، (كلاب) ، الدميري ، حياة الحيوان (٢٧٨/٢) .

٣ نهاية الأرب (١٩/١٦) .

٤ نسب قريش ، للزبير (ص ١٤) .

لها نوعاً من التنظيم والإدارة . ومن عهده فما بعد نجد في أخبار مكة ما يمكن ان يركز ويطمأن اليه من أخبار .

وقد روى (ابن قتيبة) خبراً مفاده ان (قيصر) أعان (قصياً) على (خزاعة)^١ . واذا صح هذا الخبر ، فإن مساعدة (قيصر) له قد تكون عن طريق معاونة الغساسنة له ، وهم حلفاء الروم . وقد تكون قبيلة (بنو عذرة) وهي من القبائل المنتصرة التي عاشت على مقربة من حدود بلاد الشام ، هي التي توسطت فيما بين قصي والروم ، وقد كانت خاضعة لنفوذهم ، فأعانه أحد الحكام الروم — وقد يكون من ضباط الحدود ، أو من حكام المقاطعات الجنوبية مثل (بصرى) — بأن أمدّه بمساعدة مالية أو بإعاز منه الى الأعراب المحالفين للروم بمساعدته في التغلب على خزاعة^٢ . ولا أهمية كبيرة في هذا الخبر لكلمة (قيصر) . فقد جرت عادة أهل الأخبار على الإسراف في استعمالهم لهذه اللفظة . وقد ورثوا هذا الإسراف من الجاهليين ، فقد كان من عادتهم تسمية أي موظف بارز من موظفي الحدود الروم ، أو من حكام المقاطعات بـ (قيصر) . وفي روايات أهل الأخبار أمثلة عديدة من هذا القبيل .

ويذكر ان (عثمان بن الحويرث) ، وكان من الهجائين في قريش ومن العالمين بأخبار رجالها ، قد توسط فيما بعد لدى البيزنطيين لتنصيب نفسه ملكاً على مكة . وهو من (بني أسد بن عبد العزى) . ويظهر انه أدرك المראה التي أصيب بها البيزنطيون من خروج الحبش عن اليمن ومن دخول الفرس إليها ، وسيطرتهم بذلك على باب المندب ، مفتاح البحر الأحمر ، فتقرب الى الروم وتوسل اليهم لمساعدته بكل ما عندهم من وسائل لتنصيب نفسه ملكاً على مكة ، علماً منه ان هذا الطلب سيجد قبولاً لديهم ، وان في امكانهم في حالة عدم رغبتهم بمساعدته مساعدة عسكرية أو مالية ، الضغط على سادات مكة ضغطاً اقتصادياً ، بعرقلة تجارتهم مع بلاد الشام ، أو بمنع الاتجار مع مكة ، أو برفع مقدار الضرائب التي تؤخذ عن تجارتهم ، وبذلك يوافقون على الاعتراف به ملكاً

١ المعارف (ص ٦٤٠) ، (وأعانه قيصر عليها) ،

Lammens, Macque, P. 269.

W. M. Watt, Muhammad at Mecca, P. 13. ٢

عليه ، على نحو ما كان عليه الملوك الغساسنة . وكما سأحدث عن هذا الموضوع فيما بعد .

والظاهر ان مشروعه هذا لم يلاق نجاحاً ، لأن سادات مكة وفي جملتهم رجال من (بني أسد بن عبد العزى) ، مثل (الأسود بن المطلب) و (أبو زمعة) ، والأثرياء من الأسرة الأخرى عارضوه ، لأنهم كانوا تجاراً يتاجرون مع الفرس والروم ، وانحيازهم الى الروم ، معناه خروج مكة عن سياسة الحياد التي اتبعوها تجاه المعسكرين : الفرس والروم ، وسيؤدي هذا الانحياز الى عرقلة اتجارهم مع الفرس ومع الأرضين الخاضعة لنفوذهم ، وتؤدي هذه العرقلة الى خسارة فادحة تقع بتجارهم ، لا سيما وان الفرس كانوا قد استولوا على اليمن ، ولأهل مكة تجارة واسعة معها . ثم إن بين أهل مكة رجال لهم شأن ومكانة في قومهم ، وكانوا أرفع منزلة من (عثمان بن الحويرث) ، لذلك لم يكن من الممكن بالنسبة لهم الانصياع له حتى وإن أرسل الروم جيشاً قوياً منظماً على مكة ، لذلك لم يتحقق حلم (عثمان) في الرياسة ولو بمساعدة قوات أجنبية .

وزعم بعض أهل الأخبار ان (الحارث بن ظالم المري) ، ذكر (آل قصي) في شعره ، ودعاهم بـ (قرابين الإله) ، إذ قال :

وإن تعصّب بهم نسبي فمنهم قرابين الإله بنو قصي^١

وهو في عرف بعض النسابين : (قصي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن فهر)^٢ . و (قصي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) ، في شجرة نسبه التي توصله الى جده الأعلى (عدنان)^٣ . فأبوه هو كلاب . اما أمه ، فهي (فاطمة بنت سعد بن

١ الثعالبي ، ثمار (١٦) .

٢ ابن الأثير ، الكامل ، (٧/٢ وما بعدها) ، المعارف (٧٠ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٠) ،

ابن سعد ، طبقات (٦٨/١) .

٣ الطبري (٦٦١/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف بمصر) ، مروج (١٦٤/٢) ،

(طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، (١٨/١) ،

أبو الفداء ، المختصر (١١٢/١) .

سيل بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعشمه ابن يشكر) من أزد شنوءة حلفاء في (بني الدَّيْل)^١ . توفي أبوه وهو صغير ، وتزوجت أمه بعد وفاة (كلاب) أبيه من رجل من بني عذرة ، هو ربيعة بن حرام . ولصغر سن قصي ، أخذته أمه معها الى أرض زوجها في بني عذرة ، على مقربة من تبوك ، وتركت أخاه الأكبر (زهرة) في أهله بمكة . ولما شب قصي وترعرع ، وعرف من أمه أصله وعشيرته ، رجع الى قومه ، فنزل بمكة وأقام بها : ونظم أمر قريش^٢ .

ولم يكن اسم قصي قصياً يوم سُمي ، بل كان (زيداً) ، وانما سُمي قصياً بعد ذلك ، سُمي قصياً على ما يذكر أهل الأخبار ، لأنه قصي عن قومه ، فكان في بني عذرة ، فسمي قصياً لبعده عن دار قومه^٣ . وبينما قصي بأرض قضاة لا ينتمي إلا الى ربيعة بن حرام ، زوج أمه ، وهو من أشرف قومه ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاة شيء ، فأنبه القضاة بالغربة ، فرجع قصي الى أمه ، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة ، فسالها عما قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت ، والله ، يا بني أكرم منه نفساً وولداً . فأجمع قصي الخروج الى قومه والحق بهم ، فقالت له أمه : يا بني ، لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإنني أخشى عليك ان يصيبك بعض البأس ، فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاج قضاة ، فخرج فيهم حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج ، أقام بها ، واتخذها له مستقراً ومقاماً^٤ .

وتعرف قصي وهو بمكة على (حليل بن حبشية الخراعي) ، وكان يلي الكعبة وأمر مكة ، ثم خطب اليه ابنته ، وهي (حبي) ، فزوجه إياها ، وولدت

-
- ١ الطبري (٢٥٤/٢) ، (دار المعارف بمصر) ، (وسيل ، هو خير بن حمالة ، من الجذرة من أزد شنوءة) ، المحبر (٥٢) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٦٦/١) وما بعدها .
 - ٣ واسمه (زيد) وكنيته (أبو المغيرة) ، ابن الأثير ، الكامل (٧/٢) وما بعدها ، (فاطمة بنت سيل بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر) ، الاشتقاق (١٣) ، (٢٥) ، الطبري (٢٥٥/٢) ، (دار المعارف بمصر) ، الأزرق ، أخبار مكة (٥٧/١) ، السويدي ، سبائك (٦٧) .
 - ٤ الطبري (٢٥٥/٢) (دار المعارف بمصر) ، نهاية الأرب (٢٠/١٦) وما بعدها .

له ولده : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد قصي . وكثر ماله ، وعظم شرفه ، فلما توفي (حليل) رأى قصي انه أولى من خزاعة بولاية البيت ، وان قريشاً فرعة اسماعيل وابراهيم ، واستنفر رجال قريش ، ودعاهم الى اخراج خزاعة من مكة . وكتب الى أخيه من أمه ، وهو (رزاح بن ربيعة بن حرام العذري) يستنصره ، فأجابته ومعه قومه من بني عذرة من قضاة ، ووصلوا مكة ونصروه ، وغلبت قضاة وبني النضر خزاعة ، وزال ملكهم عن مكة ، وصار الامر الى قصي وقريش^١ .

وفي رواية أخرى انه اشترى ولاية البيت من (أبي غبشان) بزق خمر ويعود . وكان (حليل) كما يقول أصحاب هذه الرواية قد جعل ولاية البيت الى ابنته (حُجَي) ، فقالت : قد علمت اني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فاني أبجل الفتح والإغلاق الى رجل يقوم لك به ، فجعله الى (أبي غبشان) ، وهو (سليم بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفضى) ، فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر ويعود . فلما سمعت خزاعة ذلك ، تجمعت على قصي ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خزاعة وأصيب خراة بوباء العدسة ، حتى كادت تفنيهم . فلما رأت ذلك ، جلست عن مكة . ويذكرون ان العرب لما سمعت بقصة (أبي غبشان) ، قالت : (أخسر صفقة من أبي غبشان) ، فلذهب القول مثلاً^٢ .

وأبو غبشان ، هو (المحترش)^٣ . وقد ورد اسم رجل عرف بالحارث ، قيل عنه انه غبشان بن عبد عمرو ، وانه كان قد حجب البيت^٤ ، فلعل له علاقة بأبي غبشان المذكور ، كأن يكون ابنه .

وفي رواية ان القتال حينما اشتد بين قصي وخزاعة ، تداعوا الى الصلح ، على

١ الطبري (٢٥٥/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير (٧/٢ وما بعدها) ، الأزرقى (٥٥/١ وما بعدها) ، (طبعة الماجدية) ، (٦٥ وما بعدها) ، (طبعة وستنفلد) ، ابن سعد ، الطبقات (٦٨/١) (صادر) ، البلاذري ، أنساب (٤٧/١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٥٦/٢) (دار المعارف بمصر) ، ابن الأثير ، الكامل (٨/٢) ، السويدي ، سبائك (٦٧) ، المسعودي ، مروج (٥٨/٢ وما بعدها) .

٣ الاشنفاق (ص ٢٧٧) .

٤ الاشنفاق (ص ٢٨٢) .

ان يحكم بينهم (عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة) (يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث) ، فوافق . فكان حكمه ان قصياً أولى بالبيت ومكة من خزاعة ، وان كل دم أصابه من خزاعة موضوع ، فيشدخه تحت قدميه ، وان كل دم أصابت خزاعة وبنو بكر حلقاؤهم من قریش وبني كنانة ، ففي ذلك الدية مؤداة^١ . وبذلك انتصر قصي على خصومه . ويقولون إن (عمراً) سُمي منذ ذلك الحين الشداخ ، بما شدخ من الدماء^١ .

ولم يشر بعض أهل الأخبار الى ان شدخ الشداخ الدماء بين قریش وخزاعة ، كان في عهد قصي ، فأغفلوا اسم (قصي) ، بل اكتفوا بالإشارة الى شدخه الدماء واصلاح ما بين قریش وخزاعة ، وذكر بعضهم انه حكم في جملة ما حكم به على ألا يخرج خزاعة من مكة^٢ . وأكثر الرواة على ان اسمه (يعمر بن عوف ، لا (عمرو بن عوف) كما جاء في الرواية المتقدمة^٣ .

ولم تشر رواية أخرى ذكرها (ابن دريد) الى وقوع نزاع بين قصي وبين خزاعة ، بل قالت : إن حليلاً سادن الكعبة ، كان قد أوصى اليها أمر الكعبة واعطاها مفتاحها ، فأعطته زوجها قصياً ، فتحولت الحجابة من خزاعة الى بني قصي^٤ .

وترجع بعض الروايات نزاع خزاعة مع قصي الى عامل آخر غير ولاية البيت ، فتذكر ان خزاعة كانت قد سلمت لقصي بحقه في ولاية البيت ، وانها زعمت ان (حليلاً) أوصى بذلك قصياً ، وبقيت على ولائها له ، الى ان اختلف (قصي) مع (صوفة) . وكانت (صوفة) وهي من (جرهم) تتولى أمر الإجازة

-
- ١ ابن الأثير (٨/٢) ، (الشداخ : وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر) المحبر (ص ١٣٣) ، (يعمر بن عوف) ، ابن سعد ، الطبقات (٦٩/١) (صادر) ، نهاية الأرب (٣٨/١٦) .
 - ٢ المحبر (ص ١٣٣ وما بعدها) .
 - ٣ المحبر (ص ١٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٠٦) ، سيرة ابن هشام (٧٩/١ وما بعدها) ، الطبري (١٠٩٧) (طبعة لينن) ، (٢٥٨/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
 - ٤ الاشتقاق (ص ٢٧٦) .

بالناس من عَرَفة . فتجيزهم إذا نفروا من (مِني) تولت ذلك من عهد جرحهم وخزاعة . فلما كان قصي ، أتاها مع قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة ، فقالوا : نحن أولى بهذا منكم ، فناكروه ، فناكرهم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك ، وحال بينهم وبينه ، فانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب ، وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة ، فوقع من ثم ما وقع على نحو ما مر^١ .

غير ان الرواة يذكرون في مكان آخر ان قصياً أقر للعرب في شأن حجهم ما كانوا عليه ، وذلك انه كان يراه ديناً في نفسه ، لا ينبغي له تغييره ، وكانت صوفة على ما كانت عليه ، حتى انقرضت - فصار ذلك من أمرهم الى (آل صفوان بن الحارث بن شجنة) وراثته^٢ . فهذه الرواية تنافي ما ذكرته آنفاً من قولهم بقتال قصي لهم ، وغلبته عليهم . وبقي أمر (عدوان) والنساء ، ومرة ابن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم به ذلك كله^٣ .

ويذكر الأخباريون ان قصياً بعد ان تمت له الغلبة ، جمع قومه من الشعاب والأودية والجلال الى مكة ، فسُمّي لذلك مُجمّعاً ، وانه حكم منذ ذلك الحين فيهم ، وملك عليهم . فكان قصي أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً ، وأطاعه قومه به ، وأنه قسم مكة أرباعاً بين قومه ، فبنوا المساكن ، وان قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم ، فقطعها قصي بيده ، وأعانوه ، وانها تيمنت به ، فكانت لا تعقد أمراً ، ولا تفعل فعلاً إلا في داره ، فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي ، وما يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره ، ولا يعقلون لواءاً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقلها لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت ان تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها الى أهلها ، فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع ، لا يعمل بغيره تيمناً بأمره ومعرفته

١ الطبري (٢٥٧/٢ وما بعدها) ، ابن سعد ، الطبقات (٦٨/١) .

٢ الطبري (٢٥٩/٢) .

٣ نهاية الأرب (٢٩/١٦) .

بفضله وشرفه ، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها الى مسجد الكعبة ،
ففيها كانت قريش تقضي أمورها ^١ .

ويذكر الأخباريون ايضاً ، ان قريشاً كانوا إذا أرادوا إرسال غيرهم ، فلا
تخرج ولا يرحلون بها إلا من دار الندوة . ولا يقدمون إلا نزلوا فيها تشریفاً له
وتيمناً برأيه ومعرفة بفضله ، ولا يعلن لهم غلام إلا في دار الندوة . وكانت
اليه الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة وحكم مكة . وكان يعشر من دخل
مكة سوى أهلها ^٢ .

وقد وردت في الشعر لفظة (مجمع) :

أبونا قصي كان يدعي مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر ^٣
فيظهر من هذا البيت انه جمع قبائل فهر ، ووحدتها .

ويذكر الرواة ان (بني بكر بن عبد مناة) ، صاروا يبغضون قريشاً لما كان
من (قصي) حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة حين قسمها
رباعاً وخططاً بين قريش . فلما كانوا على عهد (المطلب) ، وهوا باخراج
قريش من الحرم وان يقاتلهم حتى يغلّبهم عليه ، وعدت (بنو بكر) على
نعم لبني الهون فأطردوها ، ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش واستعدت . وعقد
المطلب الحلف بين قريش والأحايش ، فلقوا بني بكر ومن انضم اليهم وعلى
الناس (المطلب) ، فاقتلوا بـ (ذات نكيف) ، فانهزم بنو بكر ، وقتلوا
قتلاً ذريعاً ، فلم يعودوا لحرب قريش .

وقتل يومئذ (عبيد بن السفاح القاري) من القارة : قتادة بن قيس أحمأ

١ الطبري (٢٥٨/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير ، الكامل (١٣/٢ وما بعدها) ، ابن
هشام ، سيرة (١٢٤/٢ وما بعدها) ، (طبعة مصطفى البابي) ، البلاذري ، أنساب
(٥٢/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٧٠/١) .

٣ الاشتقاق (٩٧) ، وفي رواية : (أبوكم قصي) ، الطبري (١٦/٢) (الاسنقامة) ،
اليعقوبي (٢١٠/١) ، المقدسي ، البدء والتاريخ (١٠٩/٤) ، ابن سعد ، طبقات
(٧١/١) (بيروت) ، السويدي ، سبائك (٦٧) ، البلاذري ، أنساب (٥٠/١) .

(بلعاء بن قيس) . والقارة من ولد (الهون بن خزيمة) ^١ .

ويظهر من هذه الروايات ان أرض حرم مكة كانت مشجرة ، وان تلك الأشجار كانت مقدسة ، وان بعض بيوت مكة كانت ذات أشجار ، ويظهر انها انتزعت من أرض الحرم ، ولذلك كانوا يهابون قطعها ولا يتجاسرون على إلحاق سوء بها . فلما جاء قصبي ، خالف عقيدة القوم فيها ، فقطعها . ولما وجد أهل مكة ان قطعها لم يلحق أي سوء بقصي ، وانه بقي سالماً معافى ، تجاسروا هم وفعلوا فعله في قطع الشجر ^٢ .

وذكر العلماء : ان (الحرم) ، أي حرم مكة ، مسا أطاف بمكة من جوانبها ، وحده من طريق المدينة دون (التنعيم) عند بيوت (بني نفار) على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال ، ومن طريق الجعرانة بشيعب (آل عبد الله بن خالد) على تسعة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة من بطن (نمرة) على سبعة أميال ، ومن طريق (جدة) منقطع العشائر على عشرة أميال ^٣ .

والحرم المذكور ، هو الأرض الحرام التي كانت مقدسة عند الجاهليين أيضاً ، وهي مكة وأطرافها الى حدودها التي اصطلاح عليها . وأما الحرم الذي أحاط بالكعبة فقد عرف بـ (المسجد) و (بالمسجد الحرام) و بـ (الحرم) . ولا نعرف حدوده في الجاهلية على وجه واضح معلوم . وقد كان الجاهليون قد وضعوا أنصاباً على الحدود ليعلم الناس مكان الحرم ، ولم يكن له جدار يحيط به . وذكر انه كان في عهد الرسول وأبي بكر فناء حول الكعبة للطائفتين ، ولم يكن له على عهدهما جدار يحيط به . فلما استخلف (عمر) وكثر الناس ، وسع المسجد ، واشترى دوراً هدمها وزادها فيه ، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة ، وكانت المصابيح توضع عليه . فكان عمر أول من اتخذ جداراً للمسجد .

- ١ البلاذري ، أنساب (٧٥/١ وما بعدها) ، المجبر (٦٤٦) ، نهاية الأرب (٣٥/١٦ وما بعدها) .
- ٢ البلاذري ، أنساب (٥٨/١) ، ابن سعد ، طبقات (٧١/١) ، (صادر) ، السيرة الحلبية (١٤/١) ، اليعقوبي (٢١٠/١) .
- ٣ الأحكام السلطانية (١٦٤ وما بعدها) .

ثم وسع المسجد (عثمان) ومن جاء بعده ، ثم صار كل من ولي من الخلفاء والسلطين يزيد في اتساع الحلي ، حتى صار على ما هو عليه الآن .^١

ودار الندوة اذن هي دار مشورة في أمور السلم والحرب ، ومجلس المدينة التي عرف رؤساؤها كيف يحصلون على الثروة وكيف يستعوضون عن فقر ارضهم بتجارة تدر عليهم ارباحاً عظيمة وبخدمة يقدمونها الى عابدي الأصنام ، جاءت اليهم بأموال وافرة من الحجيج . في هذه الدار يجتمع الرؤساء وأعيان البلاد للشاور في الأمور والبت فيها . وفي هذه الدار ايضاً تجري عقود الزواج ، وتعتد المعاملات ، فهي دار مشورة ودار حكومة في آن واحد ، يديرها (الملائ) ، وهم مثل اعضاء مجلس شيوخ (اثينا) الذين كانوا يجتمعون في (المجلس) (Ekklesia) للنظر في الأمور .^٢ يمثلون زعماء الأسر ، ورؤساء الأحياء ، وأصحاب الرأي والمشورة للبت فيما يعرض عليهم من مشكلات .^٣

وقد ذكر بعض اهل الاخبار ان دار الندوة لم يكن يدخلها الا ابن اربعين او ما زاد ، فدخلها ابو جهل ، وهو ابن ثلاثين لجودة رأيه .^٤ ودخلها غيره للسبب نفسه . فيظهر من ذلك ان المراد من دخول الدار ، هو حضورها للإسهام في ابداء رأي وتقديم مشورة .

ولما كانت سن الأربعين في نظر العرب هي سن النضج والكمال ، اخلوا بمبدأ تحديده باعتباره الحد الأصغر لسن من يسمح له بالاشتراك في الاجتماعات وابداء الرأي ، الا اذا وجدوا في رجل اصغر سناً جودةً في الرأي ، وحدة في الذكاء ، فيسمح له عندئذ بالاشتراك وابداء الرأي بصورة خاصة .

وذكر ايضاً ، انه لم يكن يدخل دار الندوة احد من قريش لمشورة حتى يبلغ اربعين سنة ، الا حكيم بن حزام ، فانه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة . وكان ولد في الكعبة ، وذلك ان أمه دخلت الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل به ، فضر بها المخاض في الكعبة ، وأعجلها عن الخروج ، فوضعت به بها . وجاء

١ الأحكام السلطانية (١٦٢) ، نزهة الجليس (٢٤/١) .

٢ Watt, p. 9.

٣ O'Leary, p. 183.

٤ الاشتقاق (ص ٩٧) .

الإسلام ودار الندوة بيد حكيم ، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم .^١
فدار الندوة اذن ، هي دار (ملأ) مكة . وهم سادتها ووجوهها وأشرفها
وأولو الأمر فيها . ولم تكن (برلماناً) او (مجلس شيوخ) على النحو المفهوم
من اللفظتين في المصطلح السياسي . وإنما كانت دار (أولي الشورى) و (الرأي) .
تتخذ رأياً عند ظهور حاجة او اخذ (الرأي) وعند وجوب حصول زعماء الملأ
على قرار في امر هام . ولم تكن قراراتها ملزمة ، بل قد يخالفها سيد ذو رأي
ومكانة ، فيفرد برأيه . ولا يحصل الاجماع الاً باتفاق . والغالب ألاً يحصل هذا
الاتفاق . ويتوقف تنفيذ رأي (الملأ) على شخصية المقررين وعلى كفاءتهم وعلى
ما يتخذونه من اجراء بحق المخالفين المعاندين من مقاطعة ومن مساومة ومن اقناع .
والغالب ان الملأ لا يتخذون رأياً الا بعد دراسة وتفكير ، ومفاوضات يراعى فيها
جانب المروءة والحلم والمروءة ، حتى لا يقع في البلد انشقاق قد يعرض الأمن
الى الاهتزاز .

وربما قام وجوه (الشعب) ، وهم سادة الأسر ، بدور هو اكثر فعالية
من دور (دار الندوة) في فضّ الخصومات . والعادة عندهم ان الخصومات الداخلية
للأسر ، تفض داخل الأسرة ، لأن (آل) الأسرة أقدر على حل خلافاتهم من تدخل
غيرهم في شؤونهم ، ثم انهم لا يقبلون بتدخل غريب عن الأسرة في شأن من
شؤون تلك الأسرة . لذلك كان (الملأ) لا ينظرون الا في الامور التي هي فوق
مستوى الاسر و (الشعاب) ، والتي تخص امور المدينة كلها ، والتي قد تعرض
أمنها الى الخطر ، او التي يتوقف على قراراتهم بصدها مستقبل المدينة .

والانسان بمكة بأسرته وبمقدرته وقابلياته وكفاءته . وقد يرفع الاشخاص من
مستوى اسرهم ، وقد يهبط مستوى الأسر ومكانتها بسبب هبوط مستوى رجالها
وعدم ظهور رجال اغنياء اقوياء فيها . ولما كانت مكة مدينة عمل وتجارة ومال ،
والمال ينتقل بين الناس حسب اجتهاد الافراد وجدهم في السعي وراءه ، لذلك
تجد من بين رجالها من يخمل ذكره بسبب خول اولاده وتبذيرهم لما ورثوه من
مال ، وعدم سعيهم لاضافة مال جديد اليه . ويستتبع ذلك تنقل النفوذ من بيت
الى بيت .

فالحكم في مكة اذن حكم لامركزي ، حكم رؤساء واصحاب جاه ونفوذ ومنزلة

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (٥١٨ وما بعدها) .

تطاع فيها الاحكام ، وتنفذ الاوامر ، لا لوجود حكومة قوية مركزية مهيمنة لها سلطة على اهل مكة ، بل لأن الاحكام والاوامر هي احكام ذوي الوجه والسن والرياسة والشرف ، واحكام هؤلاء مطاعة في عرف اهل مكة وفي عرف غيرهم من اهل جزيرة العرب . حكمت بذلك العادة وجرى عليه العرف ، ولا مخالفة للعرف والعادة . فالعرف قانون اهل جزيرة العرب حتى اليوم . وانتهاك احكامها معناه انتهاك سيادة القانون ، وتمرد على الهبة والنظام ، وتحقير الحاكمين واهانة لهم ولاتباعهم ، وليس لاحد الخروج على اوامر سادات القوم وذوي الحسب والشرف والسن والعقل .

ولم تكن في مكة حكومة مركزية بالمعنى المفهوم المعروف من الحكومة ، فلم يكن فيها ملك له تاج وعرش ، ولا رئيس واحد يحكمها على انه رئيس جمهورية او رئيس مدينة ، ولا مجلس رئاسة يحكم المدينة حكماً مشتركاً او حكماً بالتناوب ، ولا حاكم مدني عام او حاكم عسكري . ولم يتحدث اهل الاخبار عن وجود مدير عام فيها واجبه ضبط الامن . او مدير له سجن يزج فيه الخارجين عن الانظمة والقوانين او ما شابه ذلك من وظائف نجدها في الحكومات . وكل امرها انها قرية تتألف من شعاب . كل شعب لعشيرة . وأمر كل شعب لرؤسائه ، هم وحدهم اصحاب الحل والعقد والنهي والتأديب فيه . وليس في استطاعة متعرد مخالفة احكامهم . والاّ ادبه حية ، وملؤه اي اشرافه . هؤلاء الرؤساء هم الحكام الناصحون وهم عقلاء الشعب .

وقد اشير الى رؤساء مكة في القرآن الكريم في آية : (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) . ^١ فرؤساء مكة هم علماءها وساداتها ، وهم أعلى الناس منزلة ودرجة ومكانة فيها . و (عظماء) مكة او (عظماء الطائف) هم الطبقة (المختارة) والصفوة المترعة في الناس . واليها وحدها تكون الزعامة والرياسة والرجاحة في الرأي .

وقانون القوم ودستورهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) . ^٢ فهم محافظون حريصون على كل ما وصل اليهم ، لا يريدون له تغييراً ولا تبديلاً . مهما بدا لهم في الجديد من منطق وحق . (قال : أو لو

١ الزخرف ، الآية ٣١ .

٢ الزخرف ، الآية ٢٣ .

جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . قالوا انا بما أرسلتم به كافرون .^١ وفي القرآن الكريم آيات أخرى ترينا تمسك نخبة مكة ورجال الملائة بحقوقهم وبما ورثوه من عرف مكتنهم من الملائة ، وفي تمسكهم بها محافظة على حقوقهم الموروثة وعلى مصالحهم وعلى زعامتهم في الناس .

فلا مكة اناس محافظون لا يقبلون تجديداً ولا تطويراً ، سنتهم التعلق بالماضي ، وكره الثورة والخروج عن العرف والعادة مهما كانت . فالعرف جرى الناس عليه ، فلا خروج على العادة والعرف . اما المستهين بالعرف المخالف لسنة الآباء والاجداد ، فيعاقب حتى يعود الى رشده وصوابه . وهم باستماتهم في التمسك بالماضي كيف كان ، وبتطرفهم في المحافظة على العرف ، انما يراعون بذلك حقوقهم الموروثة ومكانتهم الاجتماعية ومصلحتهم الاقتصادية ، فالعرف جعلهم الطبقة الحاكمة بالتقاليد ، المحافظة على مصالحها ، استناداً الى العادات . هم يحكمون بهذا القانون الموروث غير المسجل ، وعلى الناس الطاعة والانقياد . (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله . قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) .^٢

وقد توارث بنو عبد الدار الندوة ، حتى باعها (عكرمة بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار) من معاوية ، فجعلها دار الامارة بمكة ، ثم ادخلت في الحرم^٣ . وورد في رواية أخرى ان (حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسلمي) وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد ، كان هو الذي باعها من معاوية وكانت بيده . باعها بمئة ألف درهم .^٤ وكان قد اشتراها من (منصور بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار) .^٥ ودار الندوة ، هي أول دار بنيت بمكة على حد قول الرواة . وكانت اشهر

١ الزخرف ، الآية ٢٤ .

٢ البقرة ، الآية ١٧٠ .

٣ ابن الاثير ، الكامل (١٤/٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٦٢/١٠ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٧٧/١) ، (وعكرمة بن عامر بن هشام بن عبد الدار بن قصي) ، الأحكام السلطانية (ص ١٦٤) ، البلاذري ، انساب (٥٣/١) .

٤ ديوان حسان (٦٩) ، (البرفوقي) .

٥ نسب قرش (٢٥٤) .

دار بمكة وانشرها في الناس خبراً. ^١ ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه .
ويذكر اهل الاخبار : ان مكة لم تكن ذات منازل ، وكانت قريش بعد جرحهم
والعالمقة يئلبجون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمة انتساباً الى الكعبة لاستيلائهم
عليها وتخصصاً بالحرم لخلولهم فيه . ولما كان (كعب بن لؤي بن غالب) ،
جمع قريشاً صار يخطب فيها في كل (جمعة) ، وكان يوم الجمعة يسمى في
الجاهلية (عروبة) فسماه كعب (الجمعة) . وبذلك ألف بين قريش حتى جاء
(قصي) ففعل ما فعل ^٢ .

ولدينا خبر آخر ، يذكر انه قد كان حول الحرم شجر ذو شوك ، نبت
من قديم الزمن وكون غوطه ، ففقطعها (عبد مناف بن قصي) ، وهو أول
من بني داراً بمكة ، ولم تُبن دار قبلها ، بل كان بها مضارب للعرب من
الشعر الاسود . ^٣

وزعم بعض اهل الاخبار ان اهل مكة كانوا ينون بيوتهم مَدَوْرَة تعظيماً
للكعبة ، وأول من بنى بيتاً مربعاً (حميد بن زهير) ، فقالت قريش : (ربيع
حميد بن زهير بيتاً) ، أما حياةً وأما موتاً . ^٤ و (الربيع) : المنزل ودار
الإقامة والمحلة . ^٥ وهو احد (بني أسد بن عبد العزى) . وان العرب تسمي
كل بيت مربع كعبة ، ومنه كعبة نجران . ^٦ وذكر ايضاً ان (حميد بن زهير
ابن الحارث بن اسد بن عبد العزى) ، هو اول من خالف سنة قريش وخرج
على عرف اهل مكة فبنى بيتاً مربعاً . وجعل له سقفاً . وفي عمله هذا قال الراجز :

اليوم ببني الحُمَيْدِ بيته أما حياته وأما موته ^٧

وورد في رواية اخرى ، ان ثاني دار بنيت بمكة بعد دار الندوة ، هي (دار

- ١ الأحكام السلطانية (ص ١٦٣ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٦٤) .
- ٢ الأحكام السلطانية (ص ١٦٢ وما بعدها) .
- ٣ نزهة الجليس (٢٤/١) .
- ٤ نهاية الأرب (٣١٣/١) .
- ٥ اللسان (١٠٢/٨) .
- ٦ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة (٥٨) .
- ٧ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٣) ، مؤرج السدوسي ، حذف من نسب قريش (٥٤) ،
الزبير بن بكار ، نسب قريش (٤٤٣/١) ،
Kister, p. 126

العجلة) ، وهي دار سعيد بن سعد بن سهم . وزعم (بنو سهم) أنها بنيت قبل (دار الندوة)^١ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن بيوت مكة أن بيوتها ، وهي بيوت أثريائها وساداتها ، بيوت كانت مقامة بالحجر ، وبها عدد من الغرف ، ولها بابان متقابلان باب يدخل منها الداخل وباب تقابلها يخرج منها الخارج ، ولعلها بنيت على هذا الوضع ليتمكن النساء من الخروج من الباب الأخرى عند وجود ضيوف في رحبة الدار عند الباب المقابلة . ومعنى هذا أن أمثال هذه الدور كانت واسعة نشرت على زقاقين . ولبعض الدور (حجر) عند باب البيت ، يجلس تحتها ليستظل به من أشعة الشمس ، وكان منزل (خديجة) ذو حجر من هذا الطراز^٢ .

ولو أخذنا بالرواية المتقدمة عن التغيير الذي طرأ على طراز العمارة في مكة ، فإن ذلك يحملنا على القول : إنه يجب أن يكون قد حدث في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد . في وقت ليس ببعيد عهد عن أيام النبي . لأننا نجد أن أحد أبناء (حميد) ، وهو عبد الله) ، كان قد حارب في معركة (أحد)^٣ .

ويتبين من غرابة روايات الأخباريين المتقدمة عن مدى سعة الحرم وعن زمان بناء الدور بمكة ، أن بطن مكة لم يعمر ولم تبني البيوت المستقرة فيه إلا منذ أيام (قصي) . أما ما قبل ذلك ، فقد كان الناس يسكنون (الظواهر) : ظواهر مكة ، أي أطرافها وهي مواضع مرتفعة تكون سفوح الجبال والمرتفعات المحيطة بالمدينة . أما باطن مكة ، وهو الوادي الذي فيه البيت ، فقد كان حرمًا آمنًا ، لا بيوت فيه ، أو أن بيوته كانت قليلة حصرت بسدنة البيت وبمن كانت له علاقة بخدمته . لذلك نبت فيه الشجر حتى غطي سطح الوادي ، من السيول التي كانت تسيل إليه من الجبال . ولم يكن في وسع أحد التطاول على ذلك الشجر ، لأنه شجر حرم آمن ، وبقي هذا شأنه يغطي الوادي ويكسو وجهه بغوطة ، حتى جاء (قصي) ، فتجاسر عليه بقطعه كما ذكرنا . وخاف الناس من فعله ، خشية

١ البلاذري ، فتوح (٦٤) .

٢ الطبري (٢٨٢/٢) ، (ذكر نزوح النبي) .

٣ Kister, P., 127

غضب رب البيت ، ونزول الأذى بهم إن قطعوه . فلما وجلوا ان الله لم يغضب عليهم ، وانه لم يتزل سوءاً بهم ، اقتفوا أثره ، فقطعوا الشجر ، واستحذوا على الأرض الحرام ، وظهرت البيوت فيه ، وأخذت تتجه نحو البيت حتى أحاطت به ، وصغرت مسجده ، ولم يكن له يومئذ جدار . وظلت البيوت تتقرب اليه حتى ضايقته وصغرت فناءه : مما اضطر الخليفة (عمر) ومن جاء بعده الى هدم البيوت التي لاصقته لتوسيع مسجده ، ثم الى بناء جدار ليحيط به حتى صار على نحو ما هو عليه في هذا اليوم .

ويتبين من خطبة الرسول عام الفتح ويوم دخوله البيت الحرام وقوله : (لا يُعْتَلَى خلا مكة ولا يعصده شجرها)^١ ، ان حرم مكة كان لا يزال ذا شجر . ولم يكن قد قطع تماماً منه في أيام الرسول .

وتذكر بعض الموارد ان قصيصاً أول من بنى الكعبة بعد بناء تبع ، وكان سمكها قصيراً ، فنقضه ورفعها^٢ . وإذا صحت الرواية ، يكون قصي من بناء الكعبة ومن مجدديها . وذكر انه كان أول من جدد بناء الكعبة من قريش ، وانه سقفاها بخشب الدوم وجريد النخل . وقد أشير الى هذا البناء في شعر ينسب الى الأعشى^٣ . وهذه الرواية تناقض بالطبع ما يرويه الأخباريون من ان الكعبة لم تكن مسقفة ، وانها سقفت لأول مرة عندما جدد بناؤها في أيام شباب الرسول . وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة^٤ .

والظاهر من روايات الأخباريين ، ان البيت كان في الأصل بيتاً مسقوفاً ، غير انه أصيب بكوارث عديدة ، فتساقط وتساقط سقفه مراراً بسبب السيول ، وبسبب حريق أصيب به ، فصار من غير سقف في أيام شباب الرسول . حتى اذا ما نقضت قريش البيت وأعادت بناءه سقفته ، وزوقت جدره الداخلية والخارجية بالأصنام والصور . وأعادت اليه خزائنه حتى كان يوم الفتح ، إذ أمر الرسول

١ فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ٥٥) .

٢ الاشتقاق (٩٧) ، ابن كثير ، البداية والنهاية (٢٠٧/٢) .

٣ بلوغ الأرب (٢٣٢/١) .

٤ حلفت بثوبي راهب الشام والتي
لئن شبَّ نيران العداوة بيننا
ليرتحلن منى على ظهر شيهم
الأحكام السلطانية (١٦٠) .

٤ الأحكام السلطانية (١٦٠) ، الطبري (٢٨٣/٢) ، (دار المعارف) .

بتحطيم الأصنام وبطمس الصور على نحو ما سأحدث عنه في تأريخ الكعبة وذلك في القسم الخاص بأديان الجاهليين .

وفي روايات أهل الأخبار عن البيت - كما سنرى فيما بعد حين أتكلم عنه في هذا القسم الخاص بأديان أهل الجاهلية - غموض وتناقض ، يجعل من الصعب تكوين رأي واضح عنه . فبينما هم يقولون إنه كان من غير سقف وان الطيور كانت تقف عليه ، وان الأتربة المحملة بالأهوية كانت تتساقط في أرض البيت ، نراهم يذكرون انه كان مسقفاً ، وانه سقف بالخشب في أيام قصي وانه احترق ، ثم يقولون إنه كان في داخله أصنام قريش ، مع ان الوصف الذي يقدمونه لنا عن الكعبة من انها (كانت ضمة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك ان نفرأ من قريش وغيرهم سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة)^١ ، لا يمكن ان يجعل البيت سوى غرفة بسيطة ساذجة من أحجار رصت بعضها فوق بعض .

وفي رواية : ان قصياً هو أول من أظهر (الحجر الأسود) ، وكانت (إياد) دفنته في جبال مكة ، فرأته امرأة حين دفنوه ، فلم يزل (قصي) يتلطف بتلك المرأة حتى دلته على مكانه ، فأخرجه من الجبل ، واستمر عند جماعة من قريش يتوارثون حتى بنت قريش الكعبة فوضعه بركن البيت ، بإزاء باب الكعبة في آخر الركن الشرقي^٢ .

ويذكر ان قصياً بعد ان تمكن من مكة ، حفر بها بئراً سماها (العجول) وهي أول بئر حفرتها قريش^٣ . وكانت قريش قبل قصي تشرب من بئر حفرها لؤي بن غالب خارج مكة تدعى (اليسيرة) ومن حياض ومصانع على رؤوس الجبال . ومن بئر حفرها (مُرّة بن كعب) مما يلي عَرَفة ، تدعى (الروى) ، ومن آبار حفرها (كلاب بن مرة) ، هي (خم) و (رم) و (الجفر)

١ الطبري (٢٨٣/٢) .

٢ نزهة الجليس (٢٦/١) ، البلاذري ، أنساب (٥١/١) ، نهاية الأرب (٣١/١٦) .

٣ ابن الأثير (٩/٢) ، البلاذري ، أنساب (٥١/١) .

بظاهر مكة^١ . فكانت (بئر العجول) أول بئر حفرتها قريش في مكة^٢ .
وازدادت حاجة أهل مكة ، بعد قصي وقد تزايد عددهم الى الماء ، ولم تعد
(العجول) تكفي لتموينهم به ، فافتنى أولاده أثره في حفر الآبار ، واعتبروا
حفرها منقبة ومعمدة ، لما للماء من أهمية لأهل هذا الوادي الجاف . وقد حازت
بئر زمزم على المقام الأول بين آبار مكة ، فهي بئر البيت وبئر الحجاج تمونهم
ما يحتاجون اليه من ماء^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان في جملة ما أحدثه قصي في أيامه وصار سنة لأهل
الجاهلية ، انه أحدث وقود النار بالمزدلفة : حيث وقف بها حتى يراها من دفع
من عرفه ، فلم تول توقف تلك النار تلك الليلة في الجاهلية^٤ . ويظهر ان قريشاً
حافظت على هذه السنة أمدأ في الإسلام . وكانت تلك النار توقد على عهد
رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان^٥ .

ويذكرون أيضاً ان في جملة ما أحدثه : (الرقادة) ، وهي إطعام الحجاج
في أيام موسم الحج حتى يرجعوا الى بلادهم . وقد فرضها على قريش إذ قال
لهم : (يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم ، وان الحاج
ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام
الحج ، حتى يصلروا عنكم) . ففعلت قريش ذلك ، فكانوا يخرجون في كل
عام من أموالهم خرجاً ، فيدفعونه الى قصي ، لكي يصنعه طعاماً للناس أيام منى
ومكة وقد بقيت هذه السنة في الإسلام^٦ . وذكر ان (الرقادة شيء كانت

-
- ١ البلاذري ، فتوح البلدان (ص ٦٠) ، (المكتبة التجارية) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٦٠) ، وفيها قال بعض رجّاز الحجاج :
تروى على العجول ثم تنطلق ان قصياً قد وفى وقد صدق
بالشيع للناس وري مغنبي
 - ٣ البلاذري ، أنساب (٥١/١) ، (دار المعارف) .
 - ٤ البلاذري ، فتوح البلدان (ص ٦٠ وما بعدها) .
 - ٥ الطبري (٢٦٥/٢) ، ابن الأثير ، البداية (٢٠٧/٢) ، السويدي ، سبائك الذهب
(١١٩) ، ابن سعد ، طبقات (٧٢/١) (بيروت) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٧٢/١) (صادر) .
 - ٦ ابن كثير ، البداية (٢٠٧/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٦٩٣/٢) (بيروت) ،
الطبري (١٩/٢) (الاستقامة) (٢٦٠/٢) (دار المعارف) ، ابن سعد ، الطبقات
(٧٣/١) .

تترافد به قريش في الجاهلية ، فيستخرج فيها بينها كل انسان مالاً يقدر طاقته وتشتري به للحاج طعاماً وزيبياً للنيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج^١ .

وكانت الى قصي أيضاً : الحجابة ، والسقاية واللواء . فحاز شرف قريش كله^٢ . وصار رئيسها الوحيد المطاع ، الناطق باسمها الأمر والنهي ، إذ لا أحد أحكم وأعقل وأحسن لإدارة الملك منه .

وذكر ان قصياً أول من أصاب الملك من قريش بعد ولد اسماعيل ، وذلك في أيام المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، وملك الفرس الساسانيين (بهرام جور)^٣ . وقد كان حكم (بهرام جور) من سنة (٤٢٠ م) حتى سنة (٤٣٨ م)^٤ ، أي في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد ، واذا أخذنا برواية من جعل قصياً من المعاصرين لهذا الملك ، يكون حكم قصي إذن في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد .

وقد نسب أهل الأخبار الى قصي أقوالاً وأمثالاً وحكماً وجعلوه غاية في الحكمة والمنطق . وروي (ان أمر قصي عند قريش ديناً يعملون به ولا يخالفونه)^٥ .

وقد ترك قصي أثراً كبيراً في أهل مكة ، وعدوه المؤسس الحقيقي لكيان قريش . وكانوا يذكرون اسمه دائماً بخير . وكانوا لا يطيقون سماع أحديستين بشأنه . فلما تناول الشاعر (عبد الله بن الزبعرى) ، على ما جاء في بعض الروايات ، وتجاوز حسده بذكر قصي بسوء في شعر له ، كتبه كما يقولون في أستار الكعبة ، غضب بنو عبد مناف ، واستعدوا عليه (بني سهم) ، لأنه كان من (بني سهم) ، فأسلموه اليهم ، فضربوه وحلقوا شعره وربطوه الى

١ . ناج العروس (٣٥٥/٢) ، (رفسد) .

٢ . ابن الأثير ، الكامل (١٣/٢) وما بعدها ، الأزرقى ، أخبار مكة (٦١/١) ، ابن كثير ، البداية والنهاية (٢٠٧/٢) .

٣ . بلوغ الأرب (٢٤٧/١) .

٤ . Ency., 4, P. 178.

٥ . أنساب الأشراف ، للبلاذري (٥٢/١) .

صخرة ، فاستغاث قومه ، فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيصاً ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف وأكرموه ، فلدحهم بأشعار كثيرة^١ .

ولم نعر في نصوص المسند على اسم رجل يُدعى قصيصاً ، وإنما ورد في النصوص النبطية اسم علم لأشخاص . وهذا الاسم هو اسم صنم في الأصل ، بدليل ورود عبد قصي^٢ . أما حديث الأخباريين عن أصله وفصله ، فهو مما لا قيمة له . وقد ابتدعته خيلتهم على الطريقة المألوفة في اختراع تفاسير لأسباب التسميات . والظاهر ان هذا الاسم من الأسماء التي كان يستعملها العرب النازلون في أعالي الحجاز ، وربما في بلاد الشام .

وفي جملة النصوص النبطية التي عثر عليها في (صلخد) اسم رجل عرف بـ (روح بن قصيو) (روح بن قصي) ، كما عثر على نص جاء فيه اسم (مليكو بن قصيو) (مالك بن قصي) ، وورد اسم (قصيو بن اكبو) ، أي (قصي بن كلاب) . وقد تبين من هذه الكتابات ان المذكورين هم من أسرة واحدة ، وقد كانوا كهاناً أو سدنة لمعبود من معابد (صلخد)^٣ . فقصي إذن من الأسماء الواردة عند النبط . والغريب أننا نرى بين قصي صلخد وقصي مكة اشتراكاً لا في الاسم وحده ، بل في المكانة ايضاً ، فلقصي صلخد مكانة دينية ، ولقصي مكة هذه المكانة ايضاً في مكة .

وبلاحظ ان الاسم الذي زعم الأخباريون انه اسم قصي الأصلي الذي سُمي به يوم ولد بمكة ، وهو (زيد) ، هو ايضاً اسم صنم . فقد نص أهل الأخبار على أن (زيداً) هو صنم من أصنام العرب^٤ .

ويذكر الأخباريون انه كان لقصي أربعة أولاد ، ورووا قولاً زعموا انه قاله . فقد ذكروا انه قال : (ولد لي أربعة ، فسميت اثنين بصنمي ، وواحداً بداري ، وواحداً بنفسي) . وكان يقال لعبد مناف : القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمه (حُبَي) دفعته الى مناف ، وكان أعظم أصنام مكة ، تدبناً

١ ابن هشام ، السيرة (١٤٣/١) .

٢ رينو دبسو : العرب في سوريا قبل الاسلام ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، (ص ١١٦) ، تاريخ العرب في الاسلام ، لجواد علي (٤٠/١) .

٣ الاشتقاق (١٣) .

بذلك ، فغلب عليه عبد مناف^١ . وأولاده هم : (عبد مناف) ، واسمه (المغيرة) ، وعبد الله ، وهو (عبد الدار) ، و (عبد العزى) ، و (عبد قصي) ، و (هند) بنت قصي ، تزوجها (عبد الله بن عمار الحضرمي)^٢ . ولما مات قصي ، دفن بالحجون ، وقد كانوا يزورون قبره ويعظمونه^٣ . والحجون جبل بأعلى مكة كان أهل مكة يدفنون موتاهم فيه^٤ . فعليه مقبرة جاهلية من مقابر مكة القديمة . وقد ذكر في شعر جاهلي^٥ .

وقد أنكر بعض المستشرقين وجود (قصي) ، وعدّوه شخصية خرافية من شخصيات الأساطير ، واستدلوا على ذلك بالأقاويل التي رواها ابن الكلبي وابن جريج عنه ، وهي ذات طابع قصصي^٦ . غير أن هذه المرويات لا يمكن أن تكون دليلاً قوياً وسنداً يستند إليه في إنكار وجود رجل اسمه قصي ، وإذا كان ما قيل عنه خرافة ، فلن تكون هذه الخرافة سبباً لإنكار وجود شخص قيلت عنه .

وقد ترك (قصي) جملة أولاد هم : عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف وعبد بن قصي . وقد تكلت أبناء هؤلاء الأولاد وتحزبوا ، وناقسوا بعضهم بعضاً ، فناقس بنو عبد مناف بني عبد الدار ، وكونوا حلفاً فيما بينهم كان جماعته وأنصاره بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم والحارث بن فهر . وتراص بنو عبد الدار وجمعوا شملهم وشمل من انضم إليهم ، وكونوا جماعة معارضة تألفت من بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي بن عامر بن لؤي ومحارب . وهم من (قريش الظواهر) . وقد عرف حلف (بني عبد مناف) بـ (حلف المطيين)

١ الطبري (٢٥٤/٢) ، نهاية الأرب (٣٢/١٦) .

٢ البلاذري ، أنساب (٥٢/١) .

٣ ابن الأثير (٩/٢) ، (١٤/٢) وما بعدها (المطبعة المنبرية) ، اليعقوبي (٢١٢/١) ،

ابن سعد ، الطبقات (٧٣/١) ، البلاذري ، أنساب (٥٢/١) ، نهاية الأرب

(٣١/١٦) ، تاج العروس (٢١١/١٠) ، (صفا) .

٤ البلدان (٢٢٥/٢) .

٥ قال (عمرو بن الحارث بن مضاض) ، أو الحارث الجرهمي :

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمّر بمكة سامر

اللسان (١٠٩/١٣) ، تاج العروس (١٧١/٩) ، (حجن) .

٦ Ency., Vol., II, pp. 1158.

و بـ (المطييون) ، وعرف بنو عبد الدار بـ (الاحلاف) .

ولما ظهر الاسلام ، كان هذا النزاع العائلي على رئاسة مكة قائماً ، وقد تمثل في تنافس الأسر على الرئاسة . اشتهر بعضها بالثراء والغنى ، واشتهر بعضها بالوجاهة الدينية أو بالمكانة الاجتماعية .

ويلاحظ ان هذا النزاع لم يكن نزاعاً عائلياً تماماً ، قام على النسب الى الأب والجد بل كان نزاعاً على الرئاسة والسيادة في الغالب ، فنجد جماعة من عائلة تنضم الى العائلة الأخرى المنافسة ، وتترك عشيرتها ، لأن مصلحتها الخاصة وتخاصمها مع أحد أقربائها دفعها على اتخاذ ذلك الموقف .

ولما أسن قصي ، جعل لابنه (عبد الدار) على حد رواية أهل الأخبار دار الندوة والحجبة أي حجابة الكعبة ، واللواء ، فكان يعقد لقريش ألويتهم ، والسقاية وهي سقاية الحاج ، و (الرفادة) ، وهي تخرج تخرجه قريش في كل موسم من أموالها الى قصي ليصنع به طعاماً للحاج يأكله الفقراء ، وكان قصي قد قال لقومه : (انكم جيران الله وأهل بيته ، وان الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام الحج ، حتى يصلروا عنكم) ، ففعلوا ، فكانوا يخرجون من أموالهم ، فيصنع به الطعام أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية ، حتى قام الإسلام^١ .

ويذكر الأخباريون في تعليل إعطاء عبد الدار هذه الامتيازات ان عبد الدار كان ضعيفاً ، وان عبد مناف شقيقه كان قد ساد في حياة أبيه ، وكثر ماله ، فأراد قصي بذلك تقويته بهذه الامتيازات^٢ .

وقد توارث بنو عبد الدار اللواء ، فلا يعقد لقريش لواء الحرب الا هم . وهي وظيفة مهمة جداً ، لما للواء من أثر خطير في الحروب والمعارك في تلك الأيام . ولهذا كانوا يتدافعون في الذبّ عن اللواء ، حتى لا يسقط على الأرض بسقوط حامله ، وسقوطه معناه نكسة معنوية كبيرة تصيب المحاربين تحت ظل

١ الطبري (٢/ ٢٥٩ وما بعدها) ، ابن الأثير (٢/ ١٠ وما بعدها) ، اللسان (٣/ ١٨١) ، تاج العروس (٢/ ٣٥٥) ، الأزرقى (١/ ٦١ وما بعدها) .

٢ ابن الأثير (٢/ ٩) ، سبب قريش ، للزبيدي (١٤) .

ذلك اللواء . ولما أسلم (بنو عبد الدار) ، قالوا : يا نبيّ الله ، اللواء الينا . فقال النبي : الإسلام أوسع من ذلك . فبطل اللواء^١ .

ويذكر الأخباريون ان قصيّا لما هلك ، قام (عبد مناف بن قصي) على أمر قصي بعده ، وأمر قريش اليه ، واختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان بني عبد مناف أجمعوا على ان يأخذوا من بني عبد الدار (الرقادة) و (السقاية) ، فأبى بنو عبد الدار ترك ما في أيديهم واصرروا على الاحتفاظ به ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد الدار ، وطائفة مع بني عبد مناف ، وتحالف كل قوم مؤكداً ، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فوضعوها عند الكعبة ، وتحالفوا ، وجعلوا أيديهم في الطيب ، فسموا المطيبين . وتعاهد بنو عبد الدار ومن معهم ، وتحالفوا ، فسموا الأحلاف ، وتعبأوا للقتال ، ثم تداعوا الى الصلح ، على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرقادة ، فرضوا بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، واقتنعوا عليها ، فصارت لهاشم بن عبد مناف^٣ .

وأما الذين كوّنوا حلف الاحلاف ولعقة الدم ، فهم : بنو مخزوم ، وبنو جمع ، وبنو سهم ، وبنو علي بن كعب^٤ .

وقد خرجت من ذلك (بنو عامر بن لؤي) و (بنو محارب بن فهر) . فلم يكونوا مع واحد من الفريقين^٥ .

-
- ١ البلاذري ، أنساب (٥٤/١) وما بعدها .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٤٧/١) ، نهاية الأرب (٣٢/١٦) .
 - ٣ ابن الأثير (٩/٢) (٢٦٧/١) (المنبرية) ، (١٨٣/١) ، الطبري (١١/٨) (طبعة لندن) اللسان (٤٠٠/١٠) ، ابن هشام (١٤٣/١) ، المعارف (٦٠٤) (دار الكتب) ، اليعقوبي (٢٨٧/١) (طبعة هوتسما) ، النبيل (١٨٠) ، (الصاوي) ، ابن كثير ، البداية (٢٠٩/٢) ، ابن خلدون ، (٦٩٤/٢) ، مروج (٥٩/٢) (السعادة) ، المحبر (١٦٦) ، ناج العروس (٧٥/٦) ، القاموس (٢٨٠/٣) ، ابن سعد ، طبقات (٧٧/١) .
 - ٤ البلاذري ، أنساب (٥٦/١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٧٧/١) .

وتذكر بعض الروايات ان (آل عبد مناف) قد كثروا ، وقلّ (آل عبد الدار) ، فأرادوا انتزاع الحجابة من (بني عبد الدار) ، فاختلفت في ذلك قريش ، فكانت طائفة مع (بني عبد الدار) وطائفة مع (بني عبد مناف) ، فأخرجت (أم حكيم البيضاء) توأمة ابي رسول الله ، جفنة فيها طيب ، فوضعتها في الحجر ، فقالت : من كان منّا فليدخل يده في هذا الطيب . فأدخلت عبد مناف ايديها ، وبني اسد بن عبد العزى ، وبني زهرة ، وبني تيم ، وبني الحارث بن فهر ، فسّموا المطيين . فعمدت بنو سهم بن عمرو ، فنحرت جزوراً ، وقالوا : من كان منّا ، فليدخل يده في هذه الجزور ، فأدخلت ايديها عبد الدار وسهم ، وجمح ، ونخزوم ، وعدي ، فسُميت الاحلاف . وقام الاسود بن حارثة بن نضلة ، فأدخل يده في الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنو عدي كلها بأيديها ، فسموا لعقة الدم .^١

وتذكر رواية ان (بني عبد مناف) اقرعوا على الرقادة والسقاية فصارتا الى (هاشم بن عبد مناف) ، ثم صارتا بعده الى (المطلب بن عبد مناف) بوصية ، ثم لعبد المطلب ، ثم للزبير بن عبد المطلب ، ثم لأبي طالب . ولم يكن له مال ، فاستدان من اخيه العباس بن عبد المطلب عشرة آلاف درهم ، فأنفقها ، فلما لم يتمكن من رد المبلغ تنازل عن الرقادة والسقاية الى (العباس) : وأبرأ ابا طالب مما له عليه .^٢

وتذكر رواية اخرى ، ان هاشماً وعبد شمس والمطلب ونوفل بني عبد مناف أجمعوا ان يأخذوا ما بأيدي (بني عبد الدار) مما كان قصي جعل الى (عبد الدار) من الحجابة واللواء والرقادة والسقاية والندوة ، ورأوا أنهم أحق بها منهم ، فأبى (بنو عبد الدار) ، فعقد كل قوم على امرهم حلفاً مؤكداً على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً . وعرف حلف (بني عبد مناف) بحلف المطيين وعرف حلف (بني عبد الدار) بحلف الاحلاف ولعقة الدم . ثم تداعوا الى الصلح ، على ان تكون الحجابة واللواء ودار الندوة الى بني عبد الدار ، وأن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرقادة .^٣ وولي هاشم بن عبد مناف السقاية

١ نسب قريش (٣٨٣) .

٢ البلاذري ، انساب (٥٧/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٧٧/١) .

والرفادة .^١ وتصرح بعض الروايات ، ان هاشما هو الذي قام بأمر بني عبد مناف ، ثم عامر بن هاشم .^٢

ومعنى هذا ان الحلفين المذكورين : حلف المطيين وحلف (الاحلاف) ، انما عقدا في حياة (هاشم بن عبد مناف) ، اي قبل ميلاد الرسول . وأن حلف (لعقة الدم) هو نفسه حلف الاحلاف ، او من حلف الاحلاف ، عرف بهذه التسمية ، لأن (بني علي بن كعب ، الذين حالفوا عبد الدار وانضموا اليهم ، لعقوا الدم ، فقليل لهم لعقة الدم ، تمييزاً لهم عن الذين لم يلحقوا الدم ، وهم الاحلاف .^٣ وذكر ان (بني عبد الدار) و (بني علي) ، أدخلوا جميعاً ايديهم في ذلك الدم في الجفنة ، فسموا كلهم (لعقة الدم) بذلك .^٤

ولكننا نصطلم بروايات اخرى ، ترجع تأريخ حلف (لعقة الدم) الى ايام بنيان الكعبة ، الذي كان قبل المبعث بخمس سنين ، وعمر الرسول يومئذ خمس وثلاثون سنة . فهي تذكر ان اهل مكة لما وصلوا الى موضع الركن اختصموا في وضع الحجر الاسود ، حتى تجاوزوا وتحالفوا وتواعدوا على القتال ، (فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماء ، ثم تعاقدوا هم وبنو علي بن كعب على الموت ، وأدخلوا ايديهم في ذلك الدم في الجفنة ، فسموا لعقة الدم بذلك) ،^٥ ثم اتفقوا على ان يجعلوا بينهم حكماً ، يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، على ان يكون اول من يدخل من باب المسجد ، فكان اول من دخل عليهم رسول الله . فحكم على نحو ما هو معروف .

كما نصطلم بروايات اخرى تذكر ان حلف المطيين ، انما عرف بذلك ، لان خمس قبائل هي : بنو عبد مناف ، وبنو اسد ، وبنو تيم ، وبنو زهرة ، وبنو الحارث بن فهر ، لما ارادت بنو عبد مناف اخذ ما في ايدي بني عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية وأبت بنو عبد الدار تسليمها اياهم - اجتمع المذكورون في دار عبد الله بن جدعان ، وعقد كل قوم على امرهم حلفاً

١ ابن سعد ، طبقات (٧٨/١) .

٢ نهاية الارب (٣٤/١٦) وما بعدها .

٣ البلاذري ، انساب (٥٦/١) .

٤ الطبري (٢٨٩/٢) وما بعدها .

٥ الطبري (٢٩٠/٢) .

مؤكداً على التناصر وأن لا يتخاذلوا ، ثم اخرج لهم بنو عبد مناف جفنة ثم خلطوا فيها اطياباً وغسوا ايديهم فيها وتعاقدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم تأكيداً فسمّوا المطيين . وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها وهم ست قبائل : عبد الدار وجمح ونخزوم وعدي وكعب وسهم حلفاً آخر مؤكداً ، فسمّوا بذلك الاحلاف .^١ وقيل بل قدم رجل من بني زيد لمكة معتمراً ومعه تجارة اشتراها منه رجل سهمي فأبى ان يقضيه حقه فناداهم من أعلى ابي قبيس ، فقاموا وتحالفوا على انصافه ، وكان النبي من المطيين لحضوره فيه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة وكذلك ابو بكر . وكان عمر احلافياً لحضوره معهم .^٢

وقد وهم بعض اهل الاخبار فجعلوا حلف المطيين هو حلف الفضول ، ويظهر انهم وقعوا في الخطأ من كون الذين دعوا الى عقد حلف الفضول وشهدوه هم من (المطيين) ، فاشتبه الامر عليهم ، وظنوا ان الحلفين حلف واحد . وقد ردّ عليهم بعض اهل الاخبار ايضاً ، اذ ذكروا ان الرسول لم يدرك حلف المطيين ، لانه كان وقع بين بني عبد مناف ، وهم هاشم واخوته ومن انضم اليهم ، وبين بني عمهم عبد الدار واحلافهم ، فقبل لهم الاحلاف ، قبل ان يولد الرسول .^٣ اما ان الحلفين قد عقدا في ايام (عبد الله بن جدعان) ، فخطأ ، فقد اجمع اهل الاخبار على ان بني عبد مناف كانوا يلون الرفاة والسقاية قبل هذا العهد ، وأن (هاشم) كان يليها في حياته ، وأما انها وقعا في ايام (هاشم) او في ايام ابنائه ، فان ذلك اقرب الى المنطق ، وذلك فيما اذا اخذنا برواية من يقول : ان (قصياً) اوصى بالرفاة والسقاية واللواء والحجابه ودار الندوة الى ابنه (عبد الدار) ، وحرّم بذلك ابنه (عبد مناف) من كل شيء ، بحجة انه كان غنياً ، وجيهاً وقد ساد في حياة ابيه ، فلا حاجة له به اليها ، فتأثر هاشم او ابناؤه من ذلك ، فأجمعوا على انتزاعها من ايدي (بني عبد الدار) وحدث ما حدث ، وتولى هاشم الرفاة والسقاية على النحو المذكور .^٤

- ١ تاج العروس (٣٥٩/١ وما بعدها) ، العملة (١٩٤/٢) ، البلاذري ، انساب (٥٦/١ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٧٧/١) .
- ٢ تاج العروس (٣٦٠/١) .
- ٣ السيرة الحلبية (١٥٦/١) .
- ٤ (ولما صارت الرفاة والسقاية لهاشم ، كان يخرج من ماله كل سنة للرفاة مالا عظيماً) ، البلاذري ، انساب (٦٠/١) .

وهناك رواية اخرى رواها (اليعقوبي) ، تفيد ان قصيصاً كان قد قسم السقاية والرفادة والرئاسة والدار بين ولده . فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف ، والدار لعبد الدار ، والرفادة لعبد العزى ، وحافة الوادي لعبد قصي^١ . وأخذ كل ابن ما اعطاه والده له .

ويتبين من دراسة الروايات المختلفة الواردة عن الحلفين المذكورين ، انهما قد عقدا لاغراض اخرى لا صلة لها بالسقاية والرفادة ، وربما كانا قد عقدا قبل ايام هاشم ، بسبب نزاع وقع بين بطون قريش على الزعامة ، فتحررت تلك البطون وانقسمت على نفسها الى (مطيين) و (احلاف) ، وربما كان حلف لعقة الدم حلفاً آخر عقده (بنو عدي) فيما بينهم ، وهم الذين انحازوا الى الاحلاف ، ودخلوا معهم في حلف . خاصة ونجد (اليعقوبي) يشير الى حلف عقده (عبد مناف) بعد وفاة والده (قصي) مع (خزاعة) و (بني عبد مناة ابن كنانة) ، عرف بحلف (الاحايش) . وكان مدبر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف (عمرو بن هلال بن معيص) .^٢ مما يشير اذا صح هذا الخبر الى ان (بني مناف) او الذين انضموا اليهم ، كما يقول ذلك (اليعقوبي) ارادوا تقوية انفسهم وتكوين قوة مهابة بتأليف ذلك الحلف . وربما كان هذا الحلف موجهاً ضد (بني عبد الدار) مما دفع (بني عبد الدار) على جمع صفوفهم وتأليف حلف يهم ، للدفاع عن مصالحهم .

واسم هاشم على رواية الاخباريين (عمرو) وهو اكبر اولاد عبد مناف . وانما قيل له هاشم ، لانه اول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه . ذكر ان قومه من قريش ، كانت اصابتهم لزمة وقحط ، فرحل الى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة ، فأمر به فخبز له ونحر جزوراً ، ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك.^٣ ويذكرون ان شاعراً من الشعراء ، هو مطرود بن كعب الخزاعي ،

١ اليعقوبي (٢١١/١) ، (طبعة النجف) .

٢ اليعقوبي (٢١٢/١) .

٣ الطبري (٢٥١/٢ وما بعدها) ، اللسان (٦١١/١٢) ، العاموس (١٩٠/٤) ، الكامل لابن الاثير (٩/٢) .

او ابن الزبيرى ، ذكر ذلك في شعره حيث قال :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنّتون عجاف^١

ويظهر من وصف الاخباريين لهاشم انه كان تاجراً ، له تجارة مع بلاد الشام ، وأنه جمع ثروة من تجارته هذه ، حتى زعموا انه هو اول من سن الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء والصيف .^٢

ويذكر اهل الاخبار ان هاشماً كان يُحِثُّ اهل مكة على اكرام الحجاج وادفائهم وتقديم كل معونة لهم ، لانهم يأتون يعظّمون بيت الله ، ويزورونه ، وهم جيران بيت الله ، وقد أكرموا به ، وشرفوا بالبيت على سائر العرب ، فعليهم تقديم كل معونة للحجاج البيت . وكان يطلب منهم مساعدته باخراج ما يتمكنون من اخراجه من اموالهم يضعونه في دار الندوة ، ليخدم به الحجاج ، لانه لا يتمكن وحده من اكرامهم وتقديم الطعام من ماله وحده اليهم .^٣ فكان هاشم يخرج في كل عام مالاً كثيراً ، وكان قوم من قريش اهل يسار يترافدون . وكان كل انسان يرسل بمئة مثقال هرفلية ، فيجمع هاشم ما يتجمع ويصنع به طعاماً للحجاج .^٤ ولشج . الماء في مكة ، واضطرار الناس الى جلبه من اماكن بعيدة ، فسل (هاشم) ما فعله قصي حين حفر بئراً على نحو ما ذكرت ، فحفر بئراً عرفت بـ (بذر) وهي البئر التي في حق (المقوم بن عبد المطلب) في ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة بالبطحاء في اصل المستنلر . وحفر بئراً اخرى ، وهي البئر التي يقال لها بئر (جبير بن مطعم) ، ودخلت في (دار القوارير .^٥ فيسر بذلك لمكة . الماء ، وساعد على اكثاره عندهم .

- ١ عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنون عجاف
الطبري (٢٥٢/٢) ، الاشتقاق (٩) ، أمالي المصنف (٢٦٩/٢) ، أخبار مكة ،
للأزرقي (٦٧/١) ، ابن سعد ، طبقات (٧٦/١) ، نهاية الأرب (٣٣/١٦) .
- ٢ الطبري (٢٥٢/٢) (دار المعارف بمصر) .
وهو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأصياف
البلاذري ، أنساب (٥٨/١) ، ابن سعد ، طبقات (٧٥/١) .
- ٣ النويري ، نهاية الأرب (٣٤/١٦) .
- ٤ ابن سعد ، الطبقات (٧٨/١) .
- ٥ ابن سعد ، الطبقات (٧٥/١) ، الأزرقي ، أخبار مكة (٦٧/١) ، ناج العروس
(٣٦/٣) ، (بدر) .

وأخذ (هاشم) عهداً على نفسه بأن يسقي الحجاج ويكفيهم بالماء ، "قريسة" الى رب (البيت) ما دام حياً . فكان إذا حضر الحج ، يأمر بجياض من آدم ، فتجعل في موضع (زمزم) ، ثم تملأ بالماء من الآبار التي بمكة ، فيشرب منها الحاج . وكان يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ، ويميني وعرفة ، وكان يرثد لهم الخبز واللحم ، والخبز والسمن والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، فيستقون بمني ، والماء يومئذ قليل في حياض الأدم الى ان يصلدوا من (منى) ، ثم تقطع الضيافة ، ويتفرق الناس الى بلادهم^١ .

وموضوع السقاية موضوع غامض . فبينما نجد أهل الأخبار يفسرون السقاية بإسقاء المحتاجين من الحجاج بالماء مجاناً ، نجدهم يتحدثون عن السقاية على انها إسقاء الحجاج من الزبيب المنبوذ بالماء . وذكر ان العباس كان يليها في الجاهلية والإسلام^٢ .

وتحدث أهل الأخبار عن (سقاية) عرفت بـ (سقاية عدي) ، زعموا انها كانت بالمشرعين بين الصفا والمروة ، وان مطرود الخزاعي ذكرها حين قال :

وما النيل يأتي بالسفين يكفه بأجود سيباً من عدي بن نوفل
وأنبطت بن المشرعين سقاية لحجاج بيت الله أفضل منهـل

وذكر ان هذه السقاية ، كانت بسقاية اللبن والعسل^٣ .

ويظهر من وصف الأخباريين لهاشم انه كان تاجراً ، له تجارة مع بلاد الشام ، وانه جمع ثروة من تجارته هذه ، حتى زعموا انه هو أول من سن الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء والصيف^٤ . وانه كان صاحب (إيلاف قريش)^٥ .

١ ابن سعد ، الطبقات (٧٨/١) النوبري ، نهاية الأرب (٣٥/١٦) .

٢ ناج العروس (١٨١/١٠) ، (سقي) .

٣ نسب قريش (١٩٧) .

٤ الطبري (٢٥٢/٢) ، (دار المعارف بمصر) .

وهو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الاضياف

البلاذري ، أنساب (٥٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (٧٥/١) ، تفسير القرطبي

(٢٠٥/٢٠) ، (سورة قريش) .

نهاية الأرب (٣٣/١٦) .

وذلك ان قريشاً كانوا تجاراً ، ولكن تجارتهم - كما يقول أهل الأخبار - لم تكن تتجاوز مكة ، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ، ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعونها على من حولهم من العرب . فكانوا كذلك حتى ركب هاشم ابن عبد مناف الى الشام ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون . وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر ، فدعا به فلما رآه وكلمه ، أعجب به . فكان يبعث اليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحادثه فلما رأى نفسه تمكن عنده ، قال له : أيها الملك : إن قومي تجار العرب ، فإن رأيت ان تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فتباع عندهم ، فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بحي من العرب بطريقه الى مكة ، عقد معهم عقداً على ان تقدم قريش اليهم ما يرضيهم من بضائع وهدايا تؤلف بينهم وبين قريش ، فكان الإيلاف . فلما وصل الى مكة ، كان هذا الإيلاف أعظم ما جاء به هاشم الى قريش . فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يحوزهم يوفيههم إيلافهم الذي أخذ من العرب حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم قراها . فكان ذلك بدء إيلاف قريش ^١ .

وذكر ان متجر (هاشم) كان الى بلاد الشام ^٢ ، ويصل بتجارته الى (غزة) وناحيتها ، وربما توغل نحو الشمال ، حتى زعم بعض أهل الأخبار انه كان ربما بلغ (أنقرة) (فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه) ^٣ . ويجب علينا ألا نتصور دائماً ان أي (قيصر) يرد ذكره في أخبار أهل الأخبار ، هو قيصر الروم حقاً ، بل هو أحد عماله في الغالب ، وأحد الموظفين الروم في بلاد الشام ، وربما كان أحد قادة الحدود . وربما أخطوا اسم (أنقرة) من قصة للشاعر امرؤ القيس ، فأدخلوها في قصة (هاشم) . فلم تكن (أنقرة) ، مقراً

١ القالي ، ذيل الآمال والنوادر (ص ١٩٩) ، النعالي ، ثمار القلوب ، (٨/١) وما بعدها ،

Caetani, Annali, I, 109, (90), M.J. Kister, p. 116

٢ المحبر (١٦٢) .

٣ ابن سعد ، الطبقات (٧٥/١ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٣/١٦) ، البلاذري ، أنساب (٥٨/١) .

للقياصرة إذ ذاك حتى يذهب هاشم إليها ليدخل على قيصر ويزوره فيها ، بل كانت (القسطنطينية) ، هي عاصمة البيزنطيين .

وقد فسر (الجاحظ) (الإيلاف) ، انه "جعل" فرضه هاشم على القبائل لحماية مكة من الصعاليك ومن المتطاولين ، إذ قال : (وقد فسّره قوم بغير ذلك . قالوا : ان هاشماً جعل على رؤوس القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة . فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الطوائل ، كانوا لا يؤمنون على الحرم ، لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً . مثل طيء وخثعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب)^١ . فيفهم من ذلك إذن ان الإيلاف ، هو نوع من تأليف قلوب سادات القبائل ، لصدهم عن التحرش بأهل مكة ومن التعرض بقوافلهم ، فألفهم هاشم وصاروا له مثل (المؤلفة قلوبهم) في الإسلام . لا سيما وان بين الإيلاف و (ألف) (ألف بينهم) و (المؤلفة) صلة . وان فيما قاله (الجاحظ) عن (هاشم) من قوله : (وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ... وجعل لهم معه ربحاً)^٢ ، وبين تأليف القبائل صلة تامة ، تجعل تفسير الإيلاف على انه عهود ومواثيق مع سادات القبائل في مقابل اسهامهم بأموالهم وبمحاييتهم لقوافل قريش في مقابل ضرائب معينة تدفع لهم ، وسهاماً من الأرباح تؤدي لهم ، مع اعطائهم رؤوس اموالهم وما ربحته في الأسواق هو تفسير منطقي معقول . وبذلك كسبت قريش حياد هذه القبائل ودفاعها عن مصالحها .

وقد تعرض (الثعالبي) لموضوع (إيلاف قريش) ، فقال : إيلاف قريش : كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها من مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ ، وفي الأشهر الحرام لا تبرح دارها ، ولا تجاوز حرمة ، للتحمس في دينهم ، والحب لحرمهم ، والإلف لبيتهم ، ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم ، وكانوا بواد غير ذي زرع ... فكان أول من خرج الى الشام ووفد الى الملوك وأبعد في السفر ومرّ بالأعداء ، وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله هاشم بن عبد مناف ، وكانت له رحلتان : رحلة في الشتاء نحو العباهلة من

١ رسائل الجاحظ (٧٠) ، (السندوبي) ، Kister, p. 143.

٢ رسائل (٧٠) ، (السندوبي) (٧٠) ، الثعالبي ، ثمار القلوب (١١٥) وما بعدها .

ملوك اليمن ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة ، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم . وكما يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين : إحداهما ان ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائف كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والخصلة الأخرى ان اناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدراً ، كبني طيء وخثعم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له . ومعنى الإيلاف انما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الریح ، ويحمل لهم متاعاً مع متاعه ، ويسوق اليهم إيلافاً مع إبله ليكفيهم مؤنة الأسفار ، ويكفي قريشاً مؤنة الأعداء ، فكان ذلك صلاحاً للفريقين ، إذ كان المقيم راجحاً ، والمسافر محفوظاً ، فأخصبت قريش ، وأثاها خير الشام واليمن والحبشة ، وحسنت حالها ، وطاب عيشها . ولما مات هاشم قام بذلك المطلب ، فلما مات المطلب قام بذلك عبد شمس ، فلما مات عبد شمس قام به نوفل ، وكان أصغرهم ^١ .

والى هذا الإيلاف أشير في شعر (مطرود الخزاعي) بقوله :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا حلت بآل عبد مناف
الآنسين العهد في إيلافهم والراحين برحلة الإيلاف^٢

وعمل قريش هذا هو عمل حكيم ، بدّل وغير أسلوب تجارة مكة ، بأن جعل لها قوافل ضخمة تمر بأمن وبسلام في مختلف أنحاء الجزيرة جاءت إليها نتيجة لذلك بأرباح كبيرة ، ما كان في امكانها الحصول عليها ، لو بقيت تتاجر وفقاً لطريقتها القديمة ، من ارسالها قوافل صغيرة للمتاجرة مع مختلف الأسواق ، فكانت القافلة منها اذا سلبت ، عادت بأفدح الأضرار المادية على صاحبها أو على الأسرة التي أرسلتها ، وربما أنزلت الإفلاس والفقر بأصحابها ، بينما توسعت القافلة وفقاً للطريقة الجديدة بأن ساهم بأموالها كل من أراد المساهمة ، من غني أو صعلوك أو متوسط حال ، ومن سادات قبائل . وبذلك توسع الربح ، وعمت فائدته عدداً كبيراً من أهل مكة ، فرفع بذلك من مستواها الاجتماعي ، كما ضمن لقوافلها الأمن والسلامة ، وصير مكة مكاناً مقصوداً للأعراب .

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١٥ وما بعدها) .

٢ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١٦) .

ويذكر أهل الاخبار أنه كان المطلب وهاشم وعبد شمس ، ولد عبد مناف من أمهم : (عاتكة بنت مرة السُّلمية) ، و (نوفل) من (واقدة) ، قد سادوا بعد أبيهم عبد مناف جميعاً ، وكان يقال لهم : (المجبرون) ، وصار لهم شأن وسلطان . فكانوا اول من أخذ لقريش (العِصَم) ^١ ، اي (الحبال) ، ويراد بها العهود . أخذ لهم هاشم جبلاً من ملوك الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس جبلاً من النجاشي الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب الى ارض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل جبلاً من الاكاسرة . فاختلفوا بذلك السبب الى ارض العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب جبلاً من ملوك حير ، فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن ، فجبُرَت بهم قريش ، فسمّوا المجبرين . ^٢ حتى ضرب بهم المثل ، فقليل : أقرش من المجبرين . والقرش الجمع والتجارة ، والتقرش التجمع . والمجبرون هم الاربعة المذكورون . ^٣

وفي رواية اخرى ان (المطلب) هو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها الى ارضه . وأن هاشم ، هو الذي عقد الحلف لقريش من (هرقل) لأن تختلف الى الشام آمنة . ولو اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون هاشم قد أدرك ايام (هرقل) (٦١٠ - ٦٤١) (Heracleous I) ، وهو امر غير ممكن . لأن معنى ذلك انه عاش في ايام الرسول وأدرك رسالته . ولا يهم ورود اسم (هرقل) في هذه الرواية ، فأهل الاخبار لا يميزون بين ملوك الروم ، ويذكرون اسم (هرقل) ، لانه حكم في ايام الرسول وفي ايام الخلفاء الراشدين الأول .

واذا صحت الرواية ، يكون (آل عبد مناف) ، قد احتكروا التجارة وصاروا من أعظم تجار مكة . وقد وزّعوا التجارة فيما بينهم ، وخصّصوا كل بيت من بيوتهم الكبيرة بالتجارة مع مكان من امكنة الاتجار المشهورة في ذلك العهد ، وأنهم تمكنوا بهذه السياسة من عقد عقود تجارية ومواثيق مع السلطات الاجنبية التي تاجروا معها لتبيل حظوة عندها ، ولتسهيل معاملاتها التجارية ، فجنّوا

-
- ١ العِصَم ، بكسر ففتح .
 - ٢ الطبري (٢٥٢/٢) ، السعوي (٢٠٠/١) ، ذيل الامالي (ص ١٩٩) ، امالي المرتضى (٢٦٨/٢) .
 - ٣ مجمع الامثال (٧٢/٢) ، البلاذري ، انساب (٥٩/١) .

من هذه التجارة ارباحاً كبيرة .

فما كان في استطاعة (قريش) ارسال (غيرها) الى بلاد الشام او العراق او اليمن او العربية الجنوبية ، بغير رضاء وموافقة سادات القبائل التي تمر قوافل قريش بأرضها ، ورضاء هؤلاء السادات بالنسبة لقريش هو أهم جداً من رضاء حكومات بلاد الشام او العراق او اليمن عن مجيء تجار مكة الى بلادها للتجارة في اسواقها ، فما الفائدة من موافقة حكومات تلك البلاد على مجيء تجار مكة للبيع والشراء في اسواقها ، ان لم يكن في وسع اولئك التجار تأمين وصول تجارتهم اليها ، او تأمين سلامة ما يشترونه من اسواقها لايصاله الى مكة او الى الاسواق الاخرى . لهذا كان من اهم ما فعله تجار مكة في هذا الباب ، هو عقدتهم (حبالاً) و (عصماً) وعهدوا مع رؤساء القبائل ، لترضيتهن بدفع جعالات معينة لهم او تقديم هدايا والطاق مناسبة مغرية لهم ، او اشتراكهم معهم في تجارتهم . يقول الجاحظ في باب (فضل هاشم على عبد شمس) ، (وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ... وجعل لهم معه ربح) .^١ وبهذه العقود المتنوعة سيطر تجار قريش على الاعراب ، وحافظوا على اموالهم ، وحدّوا من شره فقراء ابناء البادية الى الغنائم . وصار في امكانهم الخروج بكل حرية من مكة ومن الاسواق القريبة منها بتجارتهم نحو الاماكن المذكورة بكل أمن وسلام . ولما كان البحث في هذا الموضوع ، هو في تأريخ مكة بصورة عامة ، لذلك فسأترك الكلام عن (الايلاف) الى الموضوع المناسب الخاص به ، وهو التجارة والاتجار ، وعندئذ سأتكلم عنه بما يتمم هذا الكلام العام .

ويذكر اهل الاخبار ان عبد شمس وهاشمًا توأمان ، وقد وقع بينهما تحاسد ، وانتقل هذا التحاسد الى ولد الاخوين ، حتى في الاسلام . وذكروا ان (أمية بن عبد شمس) حسد عمته هاشمًا ، وكان أمية ذا مال ، فدعا عمته الى المنافرة ، فرضي عمته بذلك مكرهاً ، على ان يتحاكما الى الكاهن (الخزاعي) ، فنفر هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل التي نافر عليها من أمية ، فتحرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية الى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، بحسب حكم الكاهن ، وكان هاشم قد نافر على الجلاء عن مكة عشر سنين .

١ الجاحظ ، رسائل (٧٠) ، السنديوني ،

فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .^١
ويذكر اهل الاخبار ان أمية بن عبد شمس كان من جملة من ذهب من
رجال مكة الي (سيف بن ذي يزن) لتهنئته بانتصار اليمن على الحبش وطردهم
لهم . وقد دخل عليه مع وفد مكة في (قصر غمدان) . وكان مثل ابيه عبد شمس
حامل لواء قریش ، اي انه كان يحملها في الحرب .^٢

وكان هاشم اول من مات من ولد عبد مناف ، مات بغزة فعرفت به (غزة
هاشم) ، وكان قد وفد بتجارة اليها فأتها ، ومات عبد شمس بمكة ، فقبر
بأجباد ، ثم مات نوفل بسلطان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من
ارض اليمن .^٣ ويتبين من ذلك ان جميع هؤلاء الاخوة ، ما خلا عبد شمس ،
ماتوا في ارض غربية ، ماتوا تجاراً في تلك الديار .

وورد في رواية اخرى ، ان هاشماً خرج هو وعبد شمس الى الشام ، فأتا
جميعاً بغزة في عام واحد . وبقي مالهما الى ان جاء الاسلام .^٤

وأجباد جبل مكة على رأي ، وموضع مرتفع في النرا غربي (الصفا) كما
ورد ذلك في شعر للأعشى . ذكر ان (مضاضاً) ضرب في ذلك الموضع اجباد
مائة رجل من العالقة ، فسمي الموضع بذلك (اجباد) .^٥

ويذكر الاخباريون : ان هاشماً كان قد خرج في غير لقریش فيها تجارات ،
وكان طريقهم على المدينة ، فترلوا به (سوق النبط) ، فصادفوا سوقاً مقامة ،
فباعوا واشتروا ، ونظروا الى امرأة على موضع مشرف من السوق تأمر بما يشتري
ويباع لها . وهي حازمة جلدة مع جمال ، فسأل هاشم عنها : أأتم هي ، أم

١ الطبري (٢٥٢/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير ، الكامل (٩/٢) ، (الطباعة المنيرية) ،
ابن سعد ، طبقات (٧٦/١) ، نهاية الأرب (٣٤/١٦) ، انسان العيون (٤٠/١) ،
سيرة ابن دحلان (١٥/١ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (ص ١٠٣) ، دائرة المعارف الاسلاميه (٣٢٤/١) .
٣ الطبري (٢٥٤/٢) ، ابن الأثير (٧/٢) ، شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد
(٨٣/١) ، ذيل الأمالی (ص ١٩٩) ، البلاذري ، أنساب (٦٣/١) ، ابن سعد ،
طبقات (٧٩/١) .

٤ نهاية الأرب (٣٧/١٦) ، الكامل لابن الأثير (٤/٢ وما بعدها) ، الطبري
(١٧٦/٢) .

٥ ناح العروس (٣٣٠/٢) ، (الجيد) .

ذات زوج ؟ فقليل له : أتم ، كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها. حتى يشترطوا لها ان امرها بيدها : فاذا كرهت رجلاً ، فارقته ، وهي (سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خلدش بن عامر بن غنيم بن عدي بن النجار) ، وهو (تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج) ، فخطبها فزوجته نفسها ، ودخل بها ، وصنع طعاماً ، دعا اليه من كان معه من اهل مكة ، ودعا من الخزرج رجلاً . وأقام بأصحابه اياماً ، وعلقت (سلمى) بعبد المطلب .^١ وكانت (سلمى) ، قد تزوجت من (أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحججبا الأوسي) ، وهو من المعروفين في قومه كذلك .^٢

ويذكر اهل الاخبار ، ان عمر هاشم لما توفي ، كان عشرون سنة ، ويقال خمساً وعشرين .^٣ وهو عمر قصير اذا قيس بما يذكره اهل الاخبار ويوردونه عنه من اعمار وأعمال ، اعمال لا تتناسب مع تلك السن . ومن سادات مكة في هذه الايام (قيس بن عدي بن سهم) من بني هصيص ابن كعب) ، قد تكاثروا بمكة ، حتى كادوا يعدلون بعبد مناف . وهو الذي منع (عدي بن كعب) و (زهرة بن كلاب) من (بني عبد مناف) ، ومنع (بني عدي) ايضاً من (بني جمح) . وكان (عبد المطلب بن هاشم) ينفر ابنه (عبد المطلب) ، وهو صغير ، ويقول :

كأنه في العز قيس بن عدي في دار قيس يتنذى اهل الندى^٤

بما يدل ان صح ان هذا الشعر هو من شعر (عبد المطلب) حقاً ، على ان (عدياً) كان اعز رجال قريش في ايامه ، حتى ضربوا به المثل في العز . وأنه كان سيد قومه : بنو سهم بن هصيص بن كعب . ومن ولد هاشم (عبد المطلب) ، وأمه من اهل يثرب من بني النجار فهي

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات (٧٦/١) ، ابن هشام ، السيرة (١٤٤/١) ، نهاية الأرب (٣٦/١٦ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٩٨) ، الطبري (٢٤٦/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
 - ٢ المحبر (ص ٤٥٦) ، البلاذري ، أنساب (٦٤/١) .
 - ٣ البلاذري ، أنساب (٦٣/١) .
 - ٤ نسب قريش (٤٠٠) .

خزرجية تدعى (سلمى بنت عمرو بن زيد) على نحو ما ذكرت قبل قليل . تزوجها هاشم في اثناء رحلة من رحلاته التي كان يقوم بها الى الشام للتجارة . ولما مات هاشم بغزة ولدت سلمى (عبد المطلب) ، ومكث عند أخواله سبع سنين ، ثم عاد الى قومه بمكة ، عاد به عمه (المطلب) . ولما كبر تولى السقاية والرفادة وترعم قومه .

ويذكر أهل الأخبار ، ان هاشماً كان قد أوصى الى أخيه (المطلب) ، فبنو هاشم وبنو المطلب يد واحدة . وبنو عبد شمس وبنو نوفل يد^١ . ومعنى هذا ان نزاعاً كان قد وقع بين أبناء هاشم وأبناء إخوته ، جعلهم ينقسمون الى فرقتين . ويذكر أهل الأخبار ان اسم عبد المطلب ، هو (شيبة) . وقد عرف بين الناس بعبد المطلب ، لان عمه (المطلب) لما حمله من يثرب الى مكة ، كان يقول للناس ، هذا عبدي ، أو عبدي لي ، فسُمي من ثمَّ بعبد المطلب ، وشاعت بين قومه أهل مكة حتى طغت على اسمه . وقيل انه عرف بين أهل مكة بـ (شيبة الحمد) لكثرة حمد الناس له ، وكان يقال له (الفيّاض) لجودة ، و (مطعم طير السماء) و (مطعم الطير) لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال^٢ .

وقد كان (المطلب) عمّ (عبد المطلب) مثل سائر أفراد أسرته وأهل مكة تاجراً ، فخرج الى أرض اليمن تاجراً ، فهلك بـ (ردمان) من اليمن^٣ . وهم يروون انه كان متفرّج قريش في النواثب ، وملجأهم في الأمور ، وانه كان من حلماة قريش وحكائهما ، ومن حرم الخمر على نفسه ، وهو أول من

١ ابن سعد ، طبقات (٧٩/١) .

٢ وفيه يقول حذافة بن غانم :

بنو شيبية الحمد الذي كان وجهه يضئ ظلام الليل كالقمر البدر
(شيبية الحمد لنور وجهه ، وذلك انه كانت في ذوائنه شعرة بيضاء حين ولد ، فسمي شيبية الحمد) ، الثعالبي ، ثمار العلوب (٩٧) ، الطبري (٢٤٧/٢) وما بعدها (دار المعارف بمصر) ، الأصنام (٢٨) ، بلوغ الأرب (٣٢٤/١) ، ابن حزم ، جوامع السير (٢/٢) ، البداية ، لابن كثير (٢٥٢/٢) ، السيرة الحلبية (٢٢/١) وما بعدها ، شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد (٨١/١) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٣/١) .

٣ طبقات ابن سعد (٨٣/١) ، اليعقوبي (٢١٦/١) .

تحنث بغار حراء . والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد . وكان اذا دخل شهر رمضان ، صعبه وأطعم المساكين ، وكان صعوده للتخلي من الناس ، ليتفكر في جلال الله وعظمته ^١ . وكان يعظم الظلم بمكة ، ويكثر الطواف بالبيت ^٢ .

وذكر انه كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ، ويحثهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن ذنابات الأمور . وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه ، وان وراء هذه الدار ، داراً يجزى فيها المحسن باحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته . ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام ، ووحد الله . وروي : انه وضع سنناً جاء القرآن بأكثرها ، وجاءت السنة بها . منها : الوفاء بالنذر ، وتحريم الخمر والزنا ، وان لا يطوف بالبيت عريان ^٣ . وذكر انه كان أول من سنّ دية النفس مئة من الإبل ، وكانت الدية قبل ذلك عشراً من الإبل ، فجرت في قريش والعرب مئة من الإبل . وأقرها رسول الله على ما كانت عليه ^٤ .

ويذكرون ان قريشاً كانت اذا أصابها قحط شديد ، تأخذ بيد عبد المطلب ، فتخرج به الى جبل ثبير ، تستسقي المطر ^٥ .

وقد وقع خلاف بين عبد المطلب وعمه (نوفل) ، كان سببه ان نوفل بن عبد مناف ، وكان آخر من بقي من بني عبد مناف ، ظلم عبد المطلب على أركاح له ، وهي الساحات ، فلما أصر نوفل على انكاره حق عبد المطلب ، تدخل عقلاء قريش في الأمر على رواية أهل مكة ، أو أنحوال عبد المطلب ، وهم من أهل يثرب . فأكره (نوفل) على إنصاف عبد المطلب حتى عاد اليه حقه ^٦ .

ومن أهم أعمال (عبد المطلب) الخالدة الى اليوم (بئر زمزم) في المسجد الحرام ، على مقربة من البيت . وهي بئر يذكرون انها بئر اسماعيل ، وان جرهماً

١ السيرة الحلبية (٢٢/١ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، أنساب (٨٤/١) .

٣ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) .

٤ ابن أبي الحديد (٨٩/١) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٩/١) .

٥ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) .

٦ الطبري (٢٤٨/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

دفتها ، وانها تقع بين أساف ونائلة في موضع كانت قريش تنحر فيه . فلما حفرها (عبد المطلب) ، أقبل عليها الحجاج وتركوا سائر الآبار^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان عبد المطلب لما كشف عن بئر زمزم ، وجد فيها دفائن ، من ذلك غزالان من ذهب ، كانت جرحهم دفتها ، وأسياف قلعية ، وأدراع سوابغ ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب أحد الغزالين صفائح من ذهب ، وجعل المفتاح والقفل من ذهب فكان أول ذهب حُلِّيته الكعبة^٢ . وجعل الغزال الآخر في الجبّ الذي كان في الكعبة أمام هبل . وذكر ان قريشاً ارادت منعه من الحفر ، ولكنه أصر على ان يحفر حتى يصل الى موضع الماء ، وذلك بسبب رؤيا رآها ، عينت له المكان ، وأوحت اليه انه موضع بئر قدسية طمرت وعليه إعادة حفرها^٣ .

ويذكر الأخباريون ، ان عبد المطلب ، لما حلى بالمال الذي خرج من بئر زمزم الكعبة ، جعله صفائح من ذهب على باب الكعبة . فكان أول ذهب حُلِّيته الكعبة^٤ . وتذكر بعض الروايات ، ان ثلاثة نفر من قريش عدّوا على هذا الذهب وسرقوه^٥ . وتذكر رواياتهم انه ضرب الأسياف التي عثر عليها في البئر باباً للكعبة ، وضرب بالباب الغزالين من ذهب^٦ .

ويظهر من وصف أهل الأخبار لما فعله (عبد المطلب) من ضرب الغزالين صفائح في وجه الكعبة ، ومن جعل المفتاح والقفل من ذهب ، أو من ضرب أحد الغزالين صفائح على الباب ، وجعل الغزال الآخر في الجبّ الذي كان أمام (هبل) أي الغيب ، ان الكعبة لم تكن على نحو ما يصفها أهل الأخبار من البساطة والسذاجة . بغير سقف وذات جدر ضخمة بقدرقامة انسان . إذ لا يعقل

١ ابن الأثير (٥/٢ وما بعدها) ، الطبري (٢٤٧/٢) ، البلاذري ، أنساب (٧٨/١) .
٢ الطبري (٢٥١/٢) ، البداية (٢١٦/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥) ، أخبار مكة (٢٨٢/١) ، ابن الأثير (٧/٢ وما بعدها) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٥/١) ، البلاذري ، أنساب (٧٨/١) .

٣ أخبار مكة (٢٨٤ وما بعدها) .

٤ اليعقوبي (٢١٨/١) ، الطبري (٢٥١/٢) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٥/١) .

٥ ابن سعد ، الطبقات (٨٥/١) .

٦ سيرة ابن دحلان (٢٦/١) ، حاشية على السيرة الحلبية) .

ان يضرب وجه باب الكعبة بالذهب وتوضع في داخلها تلك النقائس وهي على تلك الحالة ، اللهم إلا اذا شككتنا في أمر هذه الروايات وذهبنا الى انها من نوع القصص الذي وضعه أهل الأخبار .

وقد طنى ماء (بثر زمزم) على مياه آبار مكة الأخرى . فهو أولاً ماء مقدس ، لانه في أرض مقدسة ، وفي المسجد الحرام ، ثم هو أغزر وأكثر كمية من مياه الآبار الأخرى ، وهو لا ينضب مهما استقى أصحاب الدلاء منه ، ثم انه ألطف مذاقاً من مياه آبار مكة الأخرى . وقد استفاد (عبد المطلب) من هذه البئر ، مادياً وأدبياً ، وصارت ملكاً خالصة له ، على الرغم من محاولات زعماء مكة والمنافسين له مساهمتهم له في حق هذه البئر ، لانها في أرض الحرم ، والحرم حرم الله ، وهو مشاع بين كل أهل مكة . وصار يسقي الحاج من هذه البئر ، وترك السقي من حياض الأدم التي كانت بمكة عند موضع بثر زمزم ، وصار يحمل الماء من زمزم الى عرقة فيسقي الحاج^١ .

وكان أبناء (قصي) قبل حفر بثر (زمزم) يأتون بالماء من خارج مكة — كما يقول أهل الأخبار — ثم يملأون بها حياضاً من أدم ويسقون الحاج ، جروا بذلك على سنة (قصي) ، فلما حفرت بثر زمزم ، تركوا السقي بالحياض من المياه المستوردة من خارج مكة ، وأخلوا يسقونهم من ماء زمزم^٢ .

وقد كان عبد المطلب يزور اليمن بين الحين والحين ، فكان اذا وردها نزل على عظيم من عظماء حبر . ويذكر أهل الأخبار ان أحد هؤلاء عكّم عبد المطلب صبغ الشعر ، وذلك بأن أمر به فحضب بحناء ، ثم عُلِيَّ بالوسمة ، وصار يصبغ شعره بمكة ، وخصب أهل مكة بالسواد^٣ . ويذكر أهل الأخبار ايضاً انه اتصل بملوك اليمن ، وأخذ منهم إيلافاً لقومه ، بالاتجار مع اليمن . وكانت قريش تنظم عيراً الى اليمن في كل سنة^٤ .

-
- ١ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٨٣/١) ، سيرة ابن هشام (٨٩/١) ، أخبار مكة (٢٨٥ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٣٧/١) ، الروض الأنف (٩٧/١) .
 - ٢ ابن سعد ، الطبقات (٨٣/١) .
 - ٣ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٨٦/١) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٦/١) .
 - ٤ ذيل الأمالي (ص ١٩٩) .

ويذكر (المسعودي) ان (معديكرب) حينما ولي الملك باليمن ، أتمه الوفود لتهنئته بالملك . وكان فيمن وفد عليه من زعماء العرب ، (عبد المطلب) ، و (خويلد بن أسد بن عبد العزى) وجد أمية بن أبي الصلت ، وقيل : أبو الصلت أبوه . فدخلوا عليه في قصره بمدينة صنعاء : قصر غمدان . ويذكر له ، كلاماً قاله عبد المطلب له ، وجواب (معد يكرب) عليه . ويذكر أيضاً ان (عبد المطلب) كان فيمن وفد على (سيف بن ذي يزن) لتهنئته بطرد الحبش^١ .

ولم يكن عبد المطلب أغنى رجل في قريش ، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع كما كان قصي ، إذ كان في مكة رجال كانوا أكثر منه مالاً وسلطاناً . انما كان وجيه قومه ، لانه كان يتولى السقاية والرفادة وبشر زمزم ، فهي وجهة ذات صلة بالبيت . وقد تكون صلته هذه ، هي التي جعلته يذهب الى أبرهة لمحدثته في شؤون مكة والبيت .

ويروي أهل الأخبار ان عبد المطلب كان قد نذر : لئن أكمل الله له عشرة ذكور حتى يراهم ان يذبح أحدهم . فلما تكاملوا عشرة ، همّ بذبح أحدهم ، فضرب بالقداح فخرج القداح على عبد الله ، ولكن القوم منعه ، ثم أشاروا عليه بأن يرضي الله بنحر إبل فدية عنه ، وكان كلما ضرب القداح يخرج على عبد الله حتى بلغ العدد مئة فخرج على الإبل . فنحراها بين الصفا والمروة . وختل بينها وبين كل من يريد لحمها من إنسي أو اسيع أو طائر ، لا يذب عنها أحداً ، ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده شيئاً^٢ . وكان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين^٣ . إذن فيكون ذلك حوالى سنة (٥٦٥) للميلاد .

وكان لعبد المطلب ماء بالطائف ، يقال له (ذو الهرم) وكان في أيدي ثقيف رداً ، ثم طلبه عبد المطلب منهم ، فأبوا عليه . وكان صاحب أمر

- ١ المسعودي ، مروج الذهب (١٠/٢ وما بعدها) ، (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد) .
- ٢ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٨٨/١ وما بعدها) ، ابن سعد ، الطبقات (٨٨/١ وما بعدها) .
- ٣ البلاذري ، أنساب (٧٩/١) .

ثقيف : (جندب بن الحارث) فأبى عليه وخاصمه فيه ، فدعاهما ذلك الى المنافسة الى الكاهن (العذري) ، وكان يقال له : (عزى سلمة) ، وكان ببلاد الشام ، وتنافرا على إبل ، وأتيا الكاهن ، فنقّر عبد المطلب عليه ، فأخذ عبد المطلب الإبل فنحرها .^١

وقد نادى (عبد المطلب) على عادة اهل مكة جاعة من أقرانه ، لقد كانت عادتهم ان يجتمعوا مساءً فيتحدثوا او يشربوا ويأكلوا او يستمعوا الى غناء ، حتى يحل وقت النوم ، وكان ممن نادىهم عبد المطلب (حرب بن أمية) ، ثم اختلف معه ، ونافره عند (نفيل بن عبد العزّي) جد (عمر بن الخطاب) ، فنفره على (حرب) ، فافترقا .^٢ وكان سبب افتراقه عنه ، لإغلاظ (حرب) القول على يهودي كان جوار عبد المطلب .^٣ وتذكر رواية اخرى ان عبد المطلب و (حرب) ، تنافرا اولاً الى النجاشي الحبشي ، ولكنه أبى ان ينفر بينهما ، فذهبا الى نفيل . وأن (حرب بن أمية) غضب حين نقر عبد المطلب عليه ، وقال له : ان من انتكاس الزمان ان جعلنك حكيماً ، وصار نديماً لعبد الله ابن جدعان .^٤

وذكر (ابن الأثير) ان سبب افتراق (عبد المطلب) عن (حرب) ، كان بسبب جوار عبد المطلب اليهودي ، واسمه (أذينة) ، وكان تاجراً وله مال كثير ، فغاظ ذلك (حرب بن أمية) ، فأغرى به فتیاناً من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله . فقتله (عامر بن عبد مناف) و (صخر بن عمرو بن كعب التميمي) ، فلم يعرف عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفها ، واذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأتى حرباً ولامه وطلبها منه ، فأخفاهما ، فتغالطا في القول حتى تنافرا الى النجاشي ملك الحبشة ، فلم يدخل بينهما ، وذهبا الى نفيل . وترك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادى عبد الله بن جدعان ، وأخذ من

١ ابن سعد، طبقات (١/٥١ وما بعدها)، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (١/٨٨)،

ابن سعد، طبقات (١/٨٨) ، (دار صادر) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٥١) وما بعدها ، (١/٨٧) ، (صادر) .

٣ السيرة الحلبية (١/٢٥) ، البلاذري ، أنساب (١/٧٤) .

٤ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (١/٨٧) ، ابن سعد ، الطبقات (١/٨٧) (صادر) .

حرب مئة ناقة ، فدفعها الى ابن عم اليهودي ، وارتجع ماله ، الا شيئاً هلك ، فغرمه من ماله .^١

وقد صاهر عبد المطلب ، رجال من أسر معروفة بمكة ، فصاهره (كُرَيْز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس) ، وكانت عنده (أم حكيم) ، وهي (البيضاء بنت عبد المطلب) . وصاهره (ابو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم) ، وكانت عنده (عاتكة بنت عبد المطلب) ، و (عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم) ، وكانت عنده (برة بنت عبد المطلب) . وناسبه (ابو رهم بن عبد العزى بن ابي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي) ، خلف على (برة) بعد عبد الأسد . وصاهره (جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة) ، وكانت عنده (اميمة بنت عبد المطلب) ، و (العوام ابن خويلد بن اسد بن عبد العزى) ، خلف على (صفية بعد عمير بن وهب) .^٢

ويذكر ان (عبد المطلب) ، كان يفرش له في ظل الكعبة ، ويجلس بنوه حول فراشه الى خروجه ، فاذا خرج ، قاموا على رأسه مع عبيده ، اجلالاً له .^٣ وكانت عادة سادة مكة . تمضية اوقاتهم في مسجد الكعبة ، حيث يجلسون في ظل الكعبة او في فنائها . يتحدثون ويتسامرون ، ثم يذهبون الى بيوتهم .

وفي ايام عبد المطلب كانت حملة (أبرهة) على مكة . وقد ارخت قريش بوقوعها ، وصيرت الحملة مبدءاً لتأريخ ، لأهميتها بالنسبة لمكة . وقد تركت اثراً كبيراً في نفوس قريش ، بدليل تذكير القرآن لهم بما حلّ بـ (اصحاب الفيل) ،^٤ على نحو ما تحدثت عنه في الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وقد رأينا ان (عبد المطلب) وقد اشار على قومه بالتحرز بشعاب الجبال ،

-
- ١ الكامل (٨/٢ وما بعدها) .
 - ٢ المحبر (ص ٦٢ وما بعدها) ، ابن سعد ، (٢٧/٨ وما بعدها) .
 - ٣ البلاذري ، أنساب (٨١/١) .
 - ٤ الفيل ، رقم ١٠٥ ، الآية ١ وما بعدها ، تفسر الطبري (٢٩٩/٣٠) ، تفسر ابن كثير (٥٤٩/٤) ، الأزرقي (٨٥/١) ، مروج الذهب (٧١/٢) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٦٠/١) ، البداية (١٧٠/٢ ، ١٤٥) ، الملل والنحل (٢٧٩/٣) .

وبترك البيت وشأنه لأن البيت ربّاً يحميه ، ويعسدم التحرش بالحيش وتركهم وشأنهم . والظاهر انه وجد ان عدد الاحباش كان كبيراً وان من غير الممكن مقاومتهم والذبّ عن مكة في الوادي . ثم انها حرم آمن ، لا يجوز القتال فيه ، وليس فيها حصون وآطام يُتَحَصَّن بها ، لهذا رأى الرحيل عن الوادي والاحتفاء برؤوس الجبال ، والاشراف منها على الدروب والطرق ، فذلك انفع واحمي للمال وللنفس . ثم ان من الممكن مباغطة الحيش منها ومهاجمتهم وانزال خسائر بهم حين يشاؤون ويقررون ، على حين تكون القوة والمنعة في ايدي الاحباش لو حصروا انفسهم بمكة ، اذ يكونون في منخفض بينا العدو على شرف يشرف عليهم ، وليس في امكانهم مقاومته ، وليس لهم حصون ولا مواضع دفاع . فتكون الغلبة لأبرهة حتماً ، وقد مجتحت فكرة عبد المطلب ، ولم يُصب اهل مكة بسوء .

وقد كان من عادة اهل مكة ، انهم اذا داهمهم الخطر توقّلوا الجبال واعتصموا بها ، ولما حاصرهم الرسول عام الفتح ، هرب اكثرهم واعتصموا برؤوس الجبال ، اذ ليس في امكانهم الحرب والصمود في البطحاء .^١

ومات (عبد المطلب) بعد ان جاوز الثمانين . مات في ملك (هرمز بن أنو شروان) ، وعلى الحيرة قابوس بن المنذر ، أخو (عمرو بن المنذر) على رواية ، وعمر الرسول ثمان سنين . ومعنى ذلك انه توفي في حوالي السنة (٥٧٨) للميلاد . ولما حمل على سريريه ، جزّت نساء (بني عبد مناف) شعورهن ، وشق بعض الاولاد قمصانهم حزناً على وفاته . ودفن بالحجون .^٢ وذكر انه لم يقم بمكة سوق اياماً كثيرة لوفاة عبد المطلب .^٣

وذكر ان عبد المطلب كان اول من تحنث بحراء ، وكان اذا أهلّ هلال شهر رمضان ، دنخل بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر ، ويطعم المساكين . وكان يعظّم الظلم بمكة ويكثر الطواف بالبيت .^٤

ومن ولد عبد المطلب : عبد الله وهو والد الرسول ، وأبو طالب ، واسمه

١ البلاذري ، انساب (٣٥٥/١) .

٢ البلاذري ، انساب (٨٤/١ وما بعدها) .

٣ البلاذري ، انساب (٨٧/١) .

٤ البلاذري ، انساب (٨٤/١) .

عبد مناف . والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرّة وأميمة ^١ وعدة ولده اثنا عشر رجلاً وست نسوة ^٢ .

ولم يكن ولد عبد المطلب من رجال مكة الأثرياء ، وكل ما كان عندهم ثراء روحي ، استمدوه من اسم (قصي) وهاشم . فكانوا من وجهاء مكة من هذه الناحية . اما من ناحية المادة والمال ، فلم يكونوا من السباقين فيه . لقد كانوا وسطا ، وربما كانوا دون اوساط تجار مكة . مات (عبد الله) ، ولم يخلف لأهله شيئاً ، ومات ابو طالب ، وحالته المالية ليست على ما يرام . لقد كانوا تجاراً يخرجون بتجارهم على عادة فيهم الى بلاد الشام ، او الى اليمن فيبيعون ويشتررون ، ولكنهم على ما يبدو من الاخبار لم يتمكنوا من جمع ثروة تغنيهم وتجعلهم من اغنياء مكة . وقد تُؤي (عبد الله) وهو في طريقه من (غزة) الى مكة ، وكان قد اقبل بتجارة له ، فترل بالمدينة وهو مريض ، وتوفي هناك ^٣ . وأن (عبد المطلب) بعث اليه (الزبير بن عبد المطلب) اخاه ، ودفن في دار النابتة ^٤ . وأنه ترك عند وفاته (أم أيمن) ، حاضنة الرسول ، وكان يُسميها : (أمي) ، فأعتقها وخمسة اجمال أوارك ، وقطعة غنم ، وسيفاً مأثوراً ، وورقا ^٥ .

وخرج (ابو طالب) بتجارة له في (غير قريش) ولكنه لم يتمكن من كسب شيء يربحه ويسعده من كل تجاراته . وآية ذلك ان الرسول اخذ منه ابنة (عليّاً) ، ليخفف عنه مشقة الاتفاق على ولده ، وأخذ (العباس) (جعفرأ) منه لينفق عليه . ووضع مثل هذا لا يدل على يسر ^٦ . وكانت له مع فقره هذا وجاهة عند اهله وقومه . قيل : (لم يسُد من قريش مِمِّ الا عتبة وأبو طالب ، فانهما سادا بغير مال) ^٧ . وقال (علي) في والده : (ابني ساد فقيراً وما

- ١ الطبري (٢٣٩/٢) (دار المعارف) ،
- ٢ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٨٩/١) .
- ٣ الطبري (٢٤٦/٢) (دار المعارف) ، البلاذري ، أنساب (٩٢/١) ، ويقال كان عبد المطلب بعثه الى المدينة يسار له نمرا . ويقال : بل أتاها زائراً لهم ، ويقال بل قلم من غزة بتجارة له .
- ٤ البلاذري ، أنساب (٩٢/١) ، ابن سعد ، طبقات (٩٩/١) .
- ٥ البلاذري ، أنساب (٩٦/١) .
- ٦ ابن الأثير . الكامل (٣٧/٢) (المنيرية) الطبري (٢١٣/٢) (الحسينية)
- ٧ السهيلي الروص الأنف (١٢١/١) .

ساد فقير غيره ^١ . وذكر ان عياله كانوا في ضيقة وخلة . لا يكادون يشبعون لقلة ما عندهم ^٢ .

وعتبة بن ربيعة ، هو أبو هند زوج (أبي سفيان) ، وهي أم معاوية . ويذكر أهل الأخبار أيضاً : (ساد عتبة بن أبي ربيعة وأبو طالب ، وكانا أفلس من أبي المزلق . وهو رجل من بني عبد شمس ، لم يكن يجد مؤنة ليلته ، وكذا أبوه وجدته وجدته كلهم يعرفون بالافلاس) ^٣ .

ويظهر ان (عبد شمس) و (نوفل) و (مخزوم) ، كانوا قد تمكنوا من منافسة (عبد المطلب) و (آل هاشم) على التجارة ، ومن انتزاع تجارة بلاد الشام منهم ، ومن مزاحمتهم في الاتجار مع اليمن والعراق ، حتى حصلوا على ثراء طائل ، صيرهم من أغنى رجال مكة ، وجعل لهم التفوق على البلد ، حتى صار رجال من (بني مخزوم) من أغنى رجال مكة . وكذلك رجال من (عبد شمس) . وتعدّ (أيام الفجار) من الحوادث المؤثرة في تاريخ مكة . وهي أفجرة . وانما سميت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم ، ومن أهمها (فجار البراض) ، نسبت الى (البراض بن قيس) الذي قتل (عروة الرحّال) (عروة بن عتبة الرحّال) ، الى جانب (فلك) بأرض يقال لها (أواره) ، فأهاج مقتله الحرب بين (قريش) ومن معها من (كنانة) وبين (قيس عيلان) ، وكانت الدبرة على (قيس) ^٤ . وذكر في رواية أخرى ، أن الفجارات الأربعة : فجار الرجل ، أو فجار بدر بن معشر الغفاري ، وهو الفجار الأول ، وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو فجار البراض ^٥ . وان يوم (البراض) أو يوم نخلة ، هو أعظم أيام الفجار ، وكان البراض قد قدم باللطيمة الى مكة ، فأكلها ، وهي لطيمة (النعمان بن المنذر) ، التي وضع (النعمان) زمامها بيد (عروة بن عتبة الرحّال) ، وكان تُسمي الرّحال لرحلته الى الملوك . فكان ذلك ممّا أهاج

- ١ البعقوبي (٩/٢) .
- ٢ البلاذري ، أنساب (٩٦/١) .
- ٣ السيرة الحلبية (١٥٣/١) .
- ٤ ناج العروس (٤٦٥/٣) ، (فجر) ، عن حروب الفجار ، العملة (٢١٨/٢) وما بعدها .
- ٥ المسعودي ، مروج (٢٧١/٢) ، ناج العروس (٤٦٥/٣) .

الحرب . وقد رأس قريش : حرب بن أمية ، وكان موضعه في القلب ، وعبد الله ابن جدعان في إحدى المجنبتين ، وهشام بن المغيرة في الأخرى ، فالتقوا بـ (نخلة) ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنَّ عليهم الليل . فكان اليوم لهوازن^١ .

وذكر ان هذا اليوم قد وقع بعد عشرين سنة من عام الفيل . وقد شهدته الرسول وعمره عشرون سنة .

ثم إن قريشاً وبني كنانة لقوا هوازن بشمطة . وعلى بني هاشم : الزبير بن عبد المطلب ، وعلى بني عبد شمس وأحلافها : حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار وحلفائها : عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد بن عبد العزى : خويلد بن أسد ، وعلى بني زهرة : مخزومة بن نوفل ، وعلى بني تيم : عبد الله بن جدعان ، وعلى بني مخزوم : هاشم بن المغيرة ، وعلى بني سهم : العاص بن وائل ، وعلى بني جمح : أمية بن خلف ، وعلى بني عدي : زيد بن عمرو بن نفيل ، وعلى بني عامر بن لؤي : عمرو بن شمس ، وعلى بني فهر : عبد الله بن الجراح ، وعلى بني بكر : بلعاء بن قيس ، وعلى الأحابيش : الحليس الكناني ، فالتقوا أول النهار على هوازن ، فصبروا . ثم استحر القتل في قريش ، وانهزم الناس^٢ .

وروي ان (البراض بن قيس) لقي (بشر بن أبي خازم) الأسدي الشاعر ، فأخبره الخبر ، وأمر ان يعلم ذلك (عبد الله بن جدعان) و (هشام ابن المغيرة) ، و (حرب بن أمية) و (نوفل بن معاوية الديلي) و (بلعاء ابن قيس) ، فوافي (عكاظ) ، فأخبرهم فخرجوا الى الحرم ، وبلغ (قيساً) الخبر ، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ، ولم تقم في تلك السنة (عكاظ) . ومكثت (قريش) وغيرها من (كنانة) و (أسد) بن خزيمة ومن لحق بهم من الأحابيش ، وهم الحارث بن عبد مناة وعضل والقارة وديش والمصطلق من خزاعة لحلفهم بالحارث بن عبد مناة ، سنة يتأهبون للحرب ، لاندثار (قيس) لها . وتأهبت (قيس عيلان) وسارت على (قريش) ، وكان فيها (أبو براء عامر بن مالك بن جعفر) ، و (سبيع بن ربيعة بن معاوية

١ البلاذري ، أنساب (٤٣/١ ، ١٠١ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (١٥٢/١) .

٢ البلاذري ، أنساب (١٠٢/١ وما بعدها) .

النصري) و (دريد بن الصمة) ، و (مسعود بن معتب الثقفي) و (أبو عروة بن مسعود) و (عوف بن أبي حارثة المرّي) و (عباس بن رعل السلمي) . واستعدت (قريش) ورؤساؤها (عبد الله بن جدعان) ، و (هشام ابن المغيرة) ، و (حرب بن أمية) و (أبو أحيحة سعيد بن العاص) ، و (عتبة بن ربيعة) ، و (العاص بن وائل) ، و (معمر بن حبيب الجمحي) ، و (عكرمة بن هاشم) ، وخرجوا متساندين . ويقال بل أمرهم الى عبد الله بن جدعان . فالتقوا فكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ومن ضوى اليهم ، ثم صارت الدبرة آخر النهر لقريش وكنانة على قيس ، فقتلهم قتلاً ذريعاً . فاصطلحوا على ان عَدّوا القتلى ، وودت قريش لقيس ما قتلت فضلاً عن قتلاهم ، وانتهت الحرب . وقد شهد الرسول هذه الفجار ، ورمى فيها بسهم ، فكان يوم حضر ابن عشرين سنة ، وكان الفجار بعد القيل بعشرين سنة^١ .

وأغلب حروب الفجار معارك ومناوشات ، ولم تكن حروباً بالمعنى المفهوم من كلمة (حرب) . اما أهميتها وسبب اشتهاها فلقوعها في شهور حرم ونخروج المتحاربين فيها على سنة قريش ودينهم في تحريم القتال في هذه الشهور . ولهذا السبب حفظ ذكرها وجاء خبرها في كتب أهل الأخبار . وقد كان النصر فيها على كنانة وقريش في الغالب . وهو شيء مفهوم معقول . فقد كانت (قيس عيلان) كما كانت (هوازن) قبائل محاربة تعيش على الغزو والقتال ، بينما كانت (قريش) قبيلة مستقرة اتخذت التجارة لها رزقاً ، كما عاشت على الأرباح التي تجنيها من مجيء الأعراب اليها في مواسم الحج أو أيام العمرة ومن الامتياز من أسواقها . وقوم هذا شأنهم في حياتهم وفي تعاملهم لا يمكن ان يميلوا الى الغزو والقتال ، بل كانوا يحبون حياة السلم والاستقرار ، يشترون السلم ولو عن طريق ترضية الأعراب بتقديم الأموال لهم والهدايا والهبات . لذلك لم يصر رجالها رجال حروب وقتال ، بل صاروا رجال سياسة ومساومة ومفاوضات تنتهي بنتائج طيبة بالنسبة لهم ، لا يمكن ان يحصلوا عليها من القتال .

وقد رأس (الزبير بن عبد المطلب) بني هاشم ، غير ان رئاسته هذه

١ ابن سعد ، طبقات (١/١٢٨) ، السيرة الحلبية (١/١٥٢) .

لم تكن متينة وقد كان في جملة من شهد (حلف الفضول) في دار (عبد الله ابن جدعان)^١ . كما رأس (بني هاشم) في حرب الفجار^٢ . وذكر انه كان نديماً للمالك بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار^٣ . وقد تاجر الزبير مع بلاد الشام إلا انه لم ينجح في تجارته على ما ظهر ، بدليل انه لم يكن موسراً . وذكر انه كان أحد حكام العرب الذين يتحاكمون اليهم^٤ .

وحلف الفضول من الأحداث المهمة التي يذكرها أهل السير والأخبار في تاريخ مكة . وإذا صح ما يذكرونه من انه عقد بعد الفجار بشهور ، وفي السنة التي وقع فيها الفجار الذي حضره الرسول ، ومن ان الرسول حضره وهو ابن عشرين سنة ، فيجب ان يكون عقد هذا الحلف قد تم في حوالي السنة (٥٩٠) للميلاد^٥ . ويذكر ان الذي دعا اليه هو الزبير بن عبد المطلب^٦ .

وقد شهد حلف الفضول بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم وذكروا انهم تعاهدوا على ان يكونوا مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه ، وفي التآسي في المعاش . وقد عقد منصرف قريش من الفجار وكان الفجار في شوال وعقد الحلف في ذي القعدة^٧ . وذكر ايضاً انهم (تحالفوا ألا يُظلم أحد بمكة إلا قاموا معه حتى ترد ظلامته) . وقد ذكره الشاعر (نبيه بن الحجاج السهمي)^٨ . وليس لأهل الأخبار رأي ثابت عن سبب تسمية هذا الحلف بحلف الفضول . فذكر بعضهم انه سُمي بذلك لانهم تحالفوا ان يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحداً إلا أخذوه له منه . وقيل : سُمي به تشبيهاً بحلف كان قديماً بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوي والغريب من القاطن . وسُمي حلف الفضول ، لانه قام به رجال

- ١ المحبر (ص ١٦٧) .
- ٢ المحبر (ص ١٦٩) .
- ٣ المحبر (ص ١٧٦) .
- ٤ البلاذري ، أنساب (٨٨/١) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (١٢٨/١) وما بعدها .
- ٦ السيرة الحلبية (١٥٣/١) وما بعدها .
- ٧ ابن سعد ، طبقات (١٢٨/١) وما بعدها .
- ٨ نسب قريش ، (٢٩١) ، الأغاني (٦٤/١٦) .

من جرهم كلهم يسمى الفضل ، فقليل حلف الفضول جمعاً لأسماء هؤلاء^١ . وذكر انه سُمِّي حلف الفضول ، لأن قريشاً قالت : هذا فضول من الحلف ، فسمي حلف الفضول^٢ . وقيل لأن قريشاً تعاهدوا فيما بينهم على (مواساة أهل الفاقة ممن ورد مكة بفضول أموالهم)^٣ . وهو في بعض الروايات تحالف ثلاثة من الفضلين على ألا يروا ظملاً بمكة إلا غيروه . وأسماءهم : الفضل بن شراة ، والفضل بن قضاة ، والفضل بن نضاعة . فسُمِّي من ثم باسمهم : حلف الفضول^٤ .

وذكر أكثر أهل الأخبار ، ان الغاية التي أريد بها منه ، هي إنصاف المظلومين من أهل مكة ، من الضعفاء والمساكين ومن لا يجد له عوناً ليحميه ويدافع عن حقوقه ، وإنصاف الغرباء الوافدين على مكة من حجاج أو تجار ، ممن يعتدي عليهم فيأخذ أموالهم أخذاً ويأكلها ولا يدفع لأصحابها عنها شيئاً . فذكر ان رجلاً من (زيد) من اليمن ، وكان باع سلعة له (العاص بن وائل السهمي) ، فظله الثمن حتى يئس ، فعلا بجبل (أبي قيس) ، وقريش في مجالسها حول الكعبة ، فنادى رافعاً صوته يشكو ظلامته ، ويطلب انصافه مستجيراً بقريش ، فشت قريش بعضها الى بعض ، وكان أول من سعى في ذلك (الزبير بن عبد المطلب) ، واجتمعت في (دار الندوة) ، وكان ممن اجتمع بها من (قريش) (بنو هاشم) و (بنو المطلب) و (زهرة) و (تميم) و (بنو الحارث) ، فاتفقوا على انهم ينصفون المظلوم من الظالم ، فساروا الى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا هنالك^٥ .

وذكر ان رجلاً من (بني أسد بن خزيمه) جاء بتجارة فاشترها رجل من (بني سهم) ، فأخذها السهمي وأبى ان يعطيه الثمن ، فكلم قريشاً وسألها اعانته على أخذ حقه ، فلم يأخذ له أحد بحقه ، فصعد الأسدي (أبا قيس) ،

١ تاج العروس (٦٣/٨) .

٢ اليعقوبي (١٤/٢) ، (طبعة النجف) .

٣ Kister, p. 124.

٤ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٠٤) .

٥ مروج الذهب (٢/٢٧٠ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (١/١٥٦ وما بعدها) ،

الثعالبي ، ثمار القلوب (١٤٠) .

وصرخ بشعر يشكو فيه ظلامته ، فتداعت قريش ، وعقدت حلف الفضول .
وقيل لم يكن من (بني أسد) ، ولكنه (قيس بن شية السلمي) ، باع
متاعاً من (أبي خلف الجمحي) وذهب بحقه ، فاستجار بـ (آل قصي) ،
فأجاروه ، فكان ذلك سبب عقد حلف الفضول^١ . وقيل : بل كان الرجل
من (بارق) ، فلما يئس من أخذ حقه من (أبي) ، صعد في الجبل ورفع
عقيرته بقوله :

يا للرجال المظلوم بضاعته بطن مكة نائي الدار والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فلما سمعه (الزبير بن عبد المطلب) ، أجابه :

حكفتُ لنعقدن حلفاً عليهم وإن كنّا جميعاً أهل دارٍ
نُسميه الفضول إذا عقدنا يقربه الغريب لذي الجوار

ثم قام وعبد الله بن جدعان ، فدعوا قريشاً الى التحالف والتناصر والأخذ
للمظلوم من الظالم ، فأجابوهما ، وتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان ، فهذا
حلف الفضول^٢ .

وذكر ان رجلاً من (خثعم) قدم مكة ومعه بنت وضيفة ، فاغتصبها منه
(نبيه بن الحجاج) ، فقبل له عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ،
ونادى : يا لحلف الفضول ، فاجتمعوا حوله ، واستردوا الجارية من نبيه . وقالوا
له : (ويحك . فقد علمت من نحن وما تعاهدنا عليه) فأعادها اليه^٣ .

ويظهر من هذا الخبر ان حلف الفضول كان قد عقد قبل هذه الحادثة ، وان
سجاعته كانت شديدة متراصة في دفع الحق الى أهله واسترجاعه ممن اغتصبه
كائناً ما كان .

ويظهر ان هذا الحلف استمر قائماً الى وقت ما في الإسلام ، ثم فقد

١ اليعقوبي (١٣/٢ وما بعدها) .

٢ الثعالبي ، ثمار العلوب (١٤١) ، السهيلي ، الروص الأنف (٩١/١) .

٣ السيرة الحلبية (١٥٧/١) .

قيمته ، فمات . فورد انه كان بين (الحسين بن عليّ بن أبي طالب) وبين (الوليد بن عتبة بن أبي سفيان) منازعة في مال متعلق بالحسين ، فاطله الوليد . (فقال الحسين للوليد : أحلف بالله لتصفني من حقي أو لأخذن سيفي ثم لأقومن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعون لحلف الفضول ، فلما بلغ ذاك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه)^١ .

وقد تفسر دعوة (الحسين) المذكورة ، بأن الحسين ، لم يقصد بقوله (لأدعون لحلف الفضول) ، الحلف القديم المعروف ، وإنما قصد لأدعون لحلف كحلف الفضول ، وهو نصرة المظلوم على ظالمه . وقد أيده على حقه جماعة ، منهم عبد الله بن الزبير ، مما دفع الوليد على ارجاع حق الحسين ، خشية وقوع فتنة وتدخل في هذه الخصومة^٢ . ومعنى هذا أننا لا نستطيع ان نستنتج من الخبر المتقدم ، ان حلف الفضول كان قد بقي الى ذلك العهد .

ويرجع حلف الفضول الى أحلاف سابقة على ما يتبين من أخبار أهل الأخبار . الى عهد (هاشم) والى ما قبل أيام هاشم . والظاهر ان أهل مكة ، بعد ان اجتمعوا وتكتلوا في وادي ضيق وفي أرض فقيرة ، وجدوا ان من العسير عليهم رؤية حفنة منهم وقد استأثرت بالمال والغنى ، بينما عاش الكثير بينهم في فقر وفاقة . وانهم ان أصموا آذانهم عن سماع نداء الإغاثة ، فإن حالة من الذعر ، ستسود مدينتهم . لذلك تواصلوا فيما بينهم على مواساة أهل الفاقة وجبر خاطر المحتاج ، وعلى تراحمهم فيما بينهم وتواصلهم . وكان مما فعلوه لرفع مستوى الفقير ، وللقضاء على الفوارق الكبيرة التي صارت فيما بين سادات مكة وسوادها ، ان حثوا كل مكّي على المساهمة في أموال القوافل ، حتى اذا ما عادت رابحة ، وزّعت أرباحها على هؤلاء ايضاً ، كل حسب مقدار ما ساهم به من مال في القافلة . وبذلك خفف أهل مكة من حدة التضاد الذي كان بين النقيضين . وأمنوا من تطاول الشباب الفقراء على الأغنياء . بأن فتح بعض الأغنياء أبواب بيوتهم

١ السيرة الحلبية (١٥٧/١) .

٢ السيرة الحلبية (١٥٧/١) .

للجوع ، فأوهم وساعدوهم على نحو ما جاء في شعر لطرود بن كعب الخزاعي
إذ يقول :

هبلتك أملك لو حلت بدارهم ضمنوك من جوع ومن اقراف^١

وقوله :

والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي^٢

والعطف على الفقراء ومواساة الضعفاء وذوي الحاجة من خلال الأشراف
السادات . لانهم إن لم يغيثوا الغااث ويرحموا المسكين فن يرحمهم إذن على وجه
هذه الأرض ! وقد مدح من يجلط الفقير بالغني فيساوي بينها ، وذم من يبيت
شبعاناً وجاره يبيت خامصاً لا شيء عنده يعتمد عليه^٣ .

وكان من أهم الأحداث التي وقعت في أيام الرسول ، يوم كان في الخامسة
والثلاثين ، بناء الكعبة . بسبب سيل ملاً ما بين الجليلين ، ودخل الكعبة حتى
تصدعت ، أو بسبب حريق أصاب أستار الكعبة ، فتصدعت ، فعزمت قريش
على بنائها ، فهدمتها وأعدت بناءها . وذكر ان قريشاً كانت قد أفردت ببناء
كل ربع من أرباع البيت قوماً ، وكان ذلك بقرعة بينهم . فلما انتهوا الى موضع
الحجر الأسود ، اختلفوا فيمن يضعه وتشاحوا عليه ، فرضوا بأول من يدخل
من الباب . فكان أول من دخل رسول الله ، فوضعه بيده ، بعد ان قال :
ليأت من كل ربع من قريش رجل ، وبذلك فض النزاع^٤ . ويجب ان يكون
حادث بناء البيت إذن في حوالي السنة (٦٠٥) للميلاد .

١ اليقوي (٢١٤/١) ، (طبعة النجف ١٩٦٤ م) .

٢ (فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير ، حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء
الاسلام وهم على هذا ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش ،
وهو قول شاعرهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله) ، تفسير القرطبي ، (٢٠٥/٢٠) ،
الطبرسي ، مجمع البيان (٥٤٦/١٠) ، (طبعة طهران) ، البلاذري ، أنساب
(٥٨/١) ، ابن العربي ، محاضرات الأبرار (١٩/٢) .

Klster, P. 123.

٣ القالي ، الأمالي (١٥٨/٢) .

٤ البلاذري ، أنساب (٩٩/١) ، ابن رسة ، الاغلاق النفيسة (وكان النبي صلى
الله عليه وسلم ، يومئذ قد ناهز الحلم) ، (ص ٢٩) .

وجهاء مكة :

وكان امر مكة الى وجهاء امرها ، مثل (بنو مخزوم) ، و (بنو عبد شمس) ، و (بنو زهرة) و (بنو سهم) و (بنو المطلب) و (بنو هاشم) و (بنو نوفل) و (بنو عدي) و (بنو كنانة) و (بنو اسد) و (بنو تميم) و (بنو جهم) و (بنو عبد الدار) و (بنو عامر بن لؤي) و (بنو محارب بن فهر) وذكر بعض اهل الاخبار ، ان الشرف والرياسة في قريش في الجاهلية في (بني قصي) ، لا ينافونهم ولا يفخرون عليهم فآخرو . فلم يزالوا ينقاد لهم ويرأسون . وكانت لقريش ست مآثر كلها لبني قصي دون سائر قريش . منها الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والرياسة . فلما هلك (حرب بن امية) ، وكان حرب رئيساً بعد المطلب ، تفرقت الرياسة والشرف في (بني عبد مناف) . فكان في بني هاشم : الزبير وأبو طالب وحزمة ، والعباس بن عبد المطلب . وفي بني امية : ابو احيحة ، وهو سعيد بن العاص بن امية ، وهو (ذو العمامة) ، كان لا يعتم احد بمكة بلون عمامته اعظماً له . وفي بني المطلب : عبد يزيد بن هاشم بن المطلب . و (عبد يزيد) هو (المحض لا قلى فيه) وفي (بني نوفل) : المطعم بن عدي بن نوفل . وفي بني اسد بن عبد العزى : خويلد ابن اسد ، وعثمان بن الحويرث بن اسد . وقد كانت النبوة والخلافة لبني عبد مناف ، ويشركهم في الشورى : زهرة وقيم وعدي وأسد .^١

وقد اختص (بنو كنانة) بالنسب . فكان نساء الشهور منهم . وهم (القلامسة) . وكانوا فقهاء العرب والمفتين لهم في دينهم .^٢ فكانت لهم اذن بين الناس هي مكانة روحية ، فييدهم الفقه والافتاء .

ومكة وان كانت مجتمعاً حضرياً ، اهلها اهل مدر في الغالب ، غير انها لم تكن حضرية تامة الحضارة بالمعنى الذي نفهمه اليوم ، لأن الحياة فيها كانت مبنية على اساس العصبية القبلية . المدينة مقسمة الى شعاب ، والشعاب هي وحدات اجتماعية مستقلة ، تحكمها الاسر ، وبين الاسر نزاع وتنافس على الجاه والنفوذ .

١ المحبر (ص ١٦٤ وما بعدها ، ١٦٩) .

٢ المحبر (ص ١٥٦) .

نزاع وان لم يقلق الأمن ويعبث بسلام المدينة ، الا انه اثر في حياتها الاجتماعية اثرأ خطيراً ، انتقلت عدواه الى ايام الاسلام .

لقد حاول بعض رؤسائها ووجوهها التحكم بأمر مكة ، واعلان نفسه ملكاً عليها يحلي رأسه بالتاج شأن الملوك المتوجين ، ولكنه لم يفلح ولم ينجح . حتى ذكر ان بعضهم التجأ الى الغرباء ، لمساعدتهم بنفوذهم السياسي والمادي والعسكري في تنصيب انفسهم ملوكاً عليها ، فلم ينجحوا ، كالذي ذكره عن (عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى) ، المعروف بـ (البطريق) ، من انه طمع في ملك مكة ، فلما عجز عن ذلك ، خرج الى قيصر ، فسأله ان يملكه على قریش ، وقال : احملهم على دينك ، فيدخلون في طاعتك ، ففعل ، وكتب له عهداً وختمه بالذهب ، فهابت قریش (قيصر) وهموا ان يدينوا له ، ثم قام الاسود بن المطلب ، ابو زمعة ، فصاح ، والناس في الطواف : ان قریشاً لقاح لا تملك ولا تملك ، وصاح الاسود بن اسد بن عبد العزى : الا ان مكة حي لقاح ، لا تدین للملك . فاتسعت قریش على كلامه ، ومنعوا عثمان مما جاء له ، ولم يتم له مراده ، فأت عند ابن جفنة . فاتهمت بنو اسد ابن جفنة بقتله .^١ وابن جفنة هو عمرو بن جفنة الغساني .^٢

ولم يكن عثمان بن الحويرث اول زعيم جاهلي فتن بالملك وبلقب ملك، الحبيب الى النفوس ، حتى حمله ذلك على استجداء هذا اللقب والحصول عليه بأية طريقة كانت ، ولو عن سبيل التودد الى الأقوياء الغرباء والتوسل اليهم ، لمساعدتهم في تنصيبهم ملوكاً على قومهم . ففي كتب اهل الاخبار والتواريخ اسماء نفر كانوا على شاكلته ، فتنهم الملك وأعماهم الطمع وحلهم ضعف الشخصية وفقر النفس حتى على التوسل الى الساسانيين والروم ، لتنصيبهم على قومهم ومنحهم اللقب الحبيب ، ووضع التاج على رأسهم ، في مقابل وضع انفسهم وقومهم في خدمة السادة المساعدين اصحاب المنة والفضل .

لقد استمات عثمان بن الحويرث في سبيل الحصول على ملك مكة ، حتى ذكر

١ نسب قریش (٢٠٩ وما بعدها) ، الروض الأنف (١٤٦/١) .

٢ جمهرة ابن حزم (١٩٠) ، الروض الأنف (١٤٦/١) ، نسب قریش (٢٠٩ وما بعدها) .

انه تنصر وتقرّب بذلك الى الروم ، وحسنت منزلته عندهم . ومن يلدي ؟ فلعلّه كان مدفوعاً مأموراً حرضه الروم ودفعوه للحصول على المدينة المقدسة ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة على الحجاز والوصول الى اليمن والسيطرة على العربية الغربية والعربية الجنوبية . واخضاع جزيرة العرب بذلك لنفوذهم . ولقد جمع القوم ورغبتهم وانذرهم وحلّهم بغضب الروم عليهم ان عارضوا مشروعه وقاوموا تنصيبه ملكاً عليهم . قائلاً لهم : (يا قوم ، ان قيصر قد علمتم امانكم بيلاده وما تصيبون من التجارة في كنفه . وقد ملكني عليكم ، وأنا ابن عمكم ، وأحدكم ، وانما آخذ منكم الجُرّاب من القرظ والعكة من السمن والأوهاب ، فأجمع ذلك ، ثم اذهب اليه . وأنا اخاف ان ايتم ذلك ان يمنع منكم الشام ، فلا تتجروا به ويتقطع مرفقكم منه) .^١

واذ صحّ ان هذا الكلام هو كلام (عثمان بن الحويرث) حقاً ، وانه خاطب به قومه لحثهم على الاعتراف به ملكاً على مكة ، فانه يكون كلام رجل عرف من اين يكلم قومه ، وكيف يأتيهم ! فقد هددهم بأن الروم سيمنعونهم من الاتجار مع الشام ان خالفوه ولم يبايعوه ولم يسلموا له بالملك ، وقد كلفه (قيصر) به . لأنه يعلم ان تجارة قریش مع بلاد الشام هي مصدر من اهم مصادر رزقهم . ولهذا ظن بأنهم سيخضعون له ويقبلون بما جاء به . ولكن أشرف مكة من اصحاب المال والنفوذ ، لم يحملوا هذا التهديد محمل الجد ، فالروم لا يهمهم امر (عثمان) كثيراً ، ثم ان تهديدهم بقطع تجارة قریش مع الشام ، تهديد لا يمكن تحقيقه ، وحدود الشام طويلة ومفتوحة ، ولعلّهم وجدوا ان كلام (عثمان) هو ادعاء لم يصدر عن الروم ، تفوه به ، من حيث لا يعلمون . فلم يقيموا له وزناً .

ولم يذكر اهل الاخبار شيئاً عن لقب (البطريق) الذي منحوه لـ (عثمان ابن الحويرث) .^٢ ولا اظن ان الروم قد منحوه له ، لأنهم لم يكونوا يمنحون هذا اللقب المهم الا لكبار العاملين في خدمتهم ، ممن ادى لهم خدمات جليلة ، ولا اظن انه يشير الى درجة دينية ، لأنه لم يشتهر بين النصارى شهرة كبيرة ولم ينل من العلم والمكانة ما يؤهله لأن يكون (بطريارخاً) على الكنيسة . وقد ذكر

١ الروض الأنف (١٤٦/١) .

٢ نسب قریش (٢٠٩ وما بعدها) ، الروض الأنف (١٤٦/١) .

علماء اللغة ان (البطرق) ، القائد ، معرب ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها ، وهو ذو منصب عند الروم^١ . فلا يعقل ان يكون (عثمان) ، قد نال هذه المنزلة عند البيزنطيين . وهي منزلة لم ينلها إلا بعض ملوك الغساسنة مع صلتهم القوية بهم .

ومما يذكره أهل الأخبار عن (عثمان) هذا ، انه كان في رؤساء حرب الفجار من قريش . وانه كان من (بني أسد بن عبد العزى) ، وانه كان أحد الهجائن^٢ .

ومن وجهاء مكة وساداتها المقدمين المعروفين : عبد الله بن جدعان ، وكان ثرياً واسع الثراء ، كما كان كريماً ، أسرف في أواخر عمره في إكرام الناس وبالنس في اعطائهم حتى حجر رهطه عليه لما أسن ، فكان اذا أعطى أحداً شيئاً ، رجعوا على المعطى فأخذوه منه . فكان اذا سأل سائل ، قال : (كن مني قريباً اذا جلست ، فإني سألطمك ، فلا ترض إلا بأن تلطمني بلطمتك ، أو تفتدى لطمتك بفداء رغيب ترضاه)^٣ . والى هذا الحادث أشار ابن قيس الرقيات :

والذي إن أشار نحوك لطماً تبع اللطم نائل وعطاء^٤

وينسبه النسابةون الى (بني تيم بن مُرّة) ، ويقولون في نسبه إنه (عبد الله ابن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة) . وهو ابن عم والد الخليفة (أبي بكر)^٥ ، ويذكرون (انه كان في ابتداء أمره صعلوكاً ترب

١ اللسان (٩/١٠) ، (بطرق) .

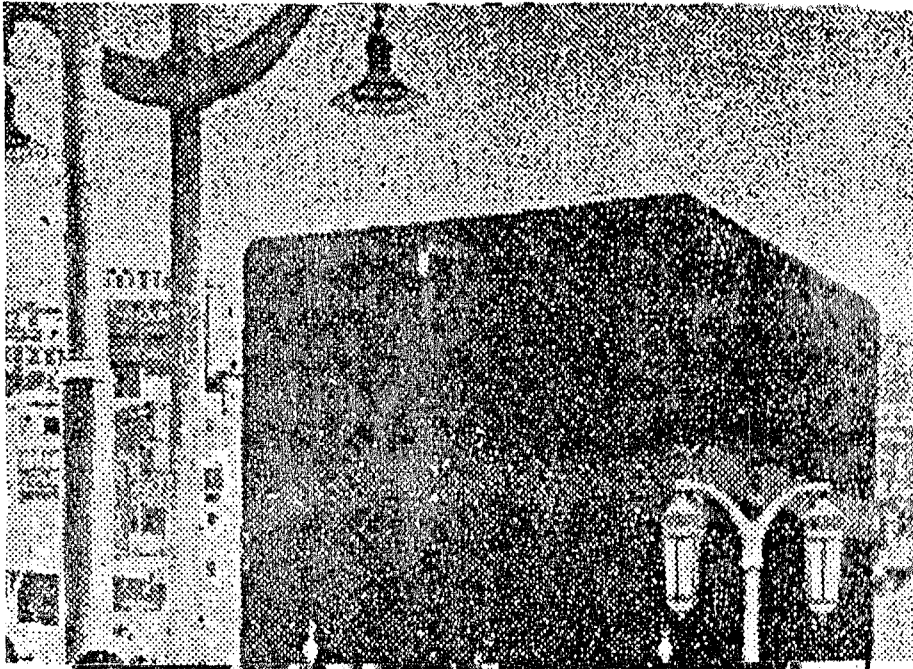
٢ الاشتقاق (٥٩) ، نسب قريش (٢١٠) ، المحبر (١٦٥ ، ١٧٠) .

٣ المحبر (ص ١٣٨) ، نسب قريش ، (٢٥٦) ، عيون الأخبار ، لابن قتيبة (٣٣٥/١) ، تاريخ الخببس (٢٥٦/١) ، سمط النجوم (٢٠١/١) وما بعدها .

٤ المحبر (ص ١٣٨) ، نسب قريش (٢٩٣) ، وهو من (بني تيم) ، وقد أخطأ المستشرق (ليفي بروفنسال) أو من أشرف نيابة عنه على طبع كتاب (نسب قريش) ، فصير (بنو تيم) (بنو تميم) ، راجع (ص ٢٩٢ س ١٠) ، و (ص ٢٩٣ س ١) . والخطأ خطأ مطبعي ولا شك ، ولاهميته أشرت اليه .

٥ ابن خلدون ، القسم الأول ، المجلد الثاني (ص ٦٧٤) (بيروت) ابن كثير ، البداية والنهاية (٢١٧/٢) (مطبعة السعادة) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (١٣٦) .

اليدين ، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً ، لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه ، وحلف ان لا يؤويه أبداً ، فخرج في شعاب مكة حائراً مائراً يتمنى الموت ان ينزل به ، فرأى شقاً في جبل ، فظن ان فيه حيّة ، فتعرض للشق يرجو ان يكون فيه ما يقتله فيستريح ، فلم يجد شيئاً ، فدخل فيه) ، فإذا به أمام غار هو مقبرة من مقابر ملوك (جرهم) ، وفيه كنوز وأموال من أموالهم ثمينة من بينها (ثعبان) مصنوع من ذهب ، له



الكعبة الشريفة

عينان من ياقوت . ووجد جثث الملوك على أسرة ، لم يرَ مثلها ، وعليها ثياب من وشي ، لا يُمسسُ منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان ، فأخذ من الغار حاجته ثم خرج ، وعلم الشق بعلامة ، وأغلق بابه بالحجارة ، وأرسل الى أبيه بالمال الذي خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته كلهم ، فسادهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ، ويطعم الناس ، ويفعل المعروف . وكان

كلما احتاج الى مال ذهب . فاستخرج ما يحتاج اليه من ذلك الكثر حتى صار من أغنى أغنياء مكة ^١ .

فقرأ (عبد الله بن جدعان) هو من هذا الكثر على زعم رواة هذه القصة التي يتصل سندها بـ (عبد الملك بن هشام) راوية (كتاب التيجان) ، وهو كتاب مليء بالأقاصيص والأساطير . وقد تكون القصة صحيحة . فعثور الناس على كنوز ودفائن من الأمور المألوفة ، وقد عثر غيره ممن جاؤوا قبله أو جاؤوا بعده على كنوز ، بل ما زال الناس حتى اليوم يعثرون عليها مصادفة أو في أثناء الحفر والتنقيب . والشيء الغريب فيها هو هذا التزيق والتنميق ، وهو أيضاً شيء مألوف بالنسبة إلينا ، وغير غريب وقد تعودنا قراءته ، فمن عادة القصاصين ورواة الأساطير والأباطيل الإغراب في كلامهم والكذب فيه لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، وعلى رأس هذه الطائفة (وهب بن منبه) ، صاحب (كتاب التيجان) .

وذكر انه لثرائه كان لا يشرب ولا يأكل إلا بآنية من الذهب والفضة ، فعرف لذلك بـ (حاسي الذهب) ^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان (عبد الله بن جدعان) كان نخاساً ، له جوار يساعين ، ويبيع أولادهن . فكانت جواريه تؤجر للرجال ، وما ينتج عن هذا السفاح من نسل ، يربى ، فيبقي منه عبد الله ما يشاء ويبيع منه ما يشاء ^٣ . ولكنه مع اتجاره بالرقيق ، وعلى النحو المتقدم ، كان كما يقولون يعتق الرقاب ويعين على النوائب ، ويساعد الناس ويقضي الحاجات ^٤ ، ولا سيما بعد تقدمه في السن .

١ البدايه والنهاية ، لابن كثير (٢١٧/٢ وما بعدها) ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) ،

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المالكي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، (١٩٩/١) ، ابن الأثير ، الكامل (٣٥٩/١) .

٢ أيام العرب (٢٤٨) .

٣ المسعودي ، مروج (١٥٤/٤) (طبعة باريس) ، النعالي ، لطائف المعارف

(١٢٨) (الأبياري) ، المعارف ، لابن فتيبة (٥٧٦) .

٤ البدايه ، لابن كثير (٢٢٩/٢) .

ولا يستبعد ان يكون ما ذكره أهل الأخبار عن (عبد الله بن جدعان) ، هو من صنع حساده ومبغضيه ، ممن حسدوه على ما بلغ اليه بمكة من مركز وجاه . ومثل هذا التشنيع على الناس شائع مألوف . لا سيما وقد كان في الأصل فقيراً غير موسر ، فغني بجده واجتهاده فتقوّل عليه حساده من أهل زمانه تلك الأقوال . وقد عرف (ابن جدعان) بإكرام الناس وبالإتفاق على أهل مدينته وروى أهل الأخبار أمثلة عديدة على جوده وسخائه . من ذلك ما رواه من انه كان قد وضع جفنة كبيرة مملأها طعاماً ليأكل منها الناس ، وكانت الجفنة على درجة كبيرة من السعة بحيث غرق فيها صبي كان قد سقط فيها . وذكروا ان الرسول قال : لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكّة عُمَيّ ، أي وقت الظهيرة ^١ . ووصفوا الجفنة فقالوا إنها (كانت لابن جدعان في الجاهلية . يطعم فيها الناس ، وكان يأكل منها القائم والراكب لعظمها) ^٢ . يأكل الراكب منها ، وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها ^٣ . وذكروا انه كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن ، حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان
البر يُلبّيكُ بالشهاد طعامهم لا ما يُعلّنا بنو جدعان

فبلغ ذلك عبد الله بن جدعان ، فوجه الى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالودج بالعسل ، فكان أول من أدخله بمكة . وجعل منادياً ينادي كل ليلة بمكة على ظهر الكعبة ان هلموا الى جفنة ابن جدعان . فقال أمية بن أبي الصلت :

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق كعبتها ينادي
الى رده من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد ^٤

١ ابن كثير ، البداية (٢١٧/٢) ، اللسان (٤٥٧/١٠) ، عيون الأخبار (٢٦٨/٣) (كتاب الطعام) .

٢ ابن كثير ، البداية (٢١٧/٢) ، سمط النجوم (١٩٩/١) ، اللسان (٤٥٧/١٠) .

٣ ابن كثير (٢٢٩/٢) .

٤ وفي رواية أخرى (فوق داره) بدلا من (فوق كعبتها) ، وهناك اختلافات أخرى في رواية هذه الابيات وغيرها .

٥ البداية (٢١٧/٢) ، ذيل الامالي والنوادر ، للغالي (٣٨) ، الاغانى (٣٢٩/٨) .

ويذكر اهل الاخبار ان (امية) كان قد أتى (بني الديان) فدخل على (عبد الممدان بن الديان) من بني الحارث بن كعب بنجران ، فاذا به على سريرته ، وكأن وجهه قر ، وبنيه حوله ، فدعا بالطعام ، فأتي بالفالودج ، فأكل طعاماً عجيباً ، ثم انصرف فقال في ذلك الشعر المذكور ، فلما بلغ شعره (ابن جدعان) ، ارسل ألفي بعير الى الشام تحمل اليه البر والشهد والسمن ، وجعل له مناديين يناديان : احدهما بأسفل مكة والآخر بأعلاها ، وكان احدهما سفيان بن عبد الاسود ، والآخر أبا قحافة ، وكان احدهما ينادي : ألا من اراد اللحم والشحم ، فليأت دار ابن جدعان ، وينادي الآخر : ان من اراد الفالودج فليأت الى دار ابن جدعان . وهو اول من اطعم الفالودج بمكة .^١

وذكر (الجاحظ) ان من اشرف ما عرفه اهل مكة من الطعام ، هو (الفالودج) ولم يطعم الناس منهم ذلك الطعام ، الا عبد الله بن جدعان .^٢

ولبعض اهل الاخبار رواية اخرى في كيفية وقوف (ابن جدعان) على الفالودج (الفالودج) وادخله الى مكة ، وترجع هذه الرواية مصدره الى الفرس ، فيقول : وفد (ابن جدعان) على كسرى ، فأكل عنده الفالودج ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا الفالودج . قال : وما الفالودج ؟ قالوا : لباب البر يلبك مع عسل النحل . فأعجبه ، فابتاع غلاماً يعرف صنعه ، ثم قدم به مكة معه ، ثم امره فصنع له الفالودج بمكة ، فوضع الموائد بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى مناديه : ألا من اراد الفالودج فليحضر ، فحضر الناس . فكان فيمن حضر أمية ابن أبي الصلت .^٣

وذكر انه كان يضع (الحيس) على انطاخ على الارض ليأكل منها القاعد والراكب . والحيس : الأقط مخلط بالتمر والسمن . وقد يجعل عوض الأقط الدقيق والفتيت . وقيل ، الحيس : التمر والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً حتى ينذر النوى منه نواة نواة ، ثم يسوى كالتريد . وهو الوطبة ايضاً ، الا ان الحيس ربما جعل فيه السويق ، واما الوطبة فلا .^٤

١ سمط النجوم (١٩٩/١) ، ذيل الامالي والنوادر (٣٨) .

٢ البخله (٢١٠) (طه الحاجر) .

٣ الاغانى (٣٢٩/٨) .

٤ الجاحظ ، الحيوان (٤٠٣/٣) ، لسان العرب (٦١/٦) .

ويروي اهل الاخبار ان اهل مكة كانوا يفلدون على مائدة (ابن جدعان) ،
وأن رسول الله كان فيمن حضر طعامه .^١

وروي ان الرسول لما امر بأن يستطلع خبر القتلى من قريش يوم بدر ، وأن
تلتبس بجثة (ابي جهل) في القتلى ، قال لهم : (انظروا ان خفي عليكم في
القتلى ، الى اثر جرح في ركبته ، فإني ازدحت يوماً انا وهو على مأدبة لعبد الله
ابن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت اشف منه ييسر ، فدفعته فوق ع على
ركبته) ، فخدشت ساقه وانهمشت ركبته ، فأثرها باقٍ في ركبته . فوجدوه كذلك .^٢

ويذكر اهل الاخبار ان (عبد الله بن جدعان) كان قد مثل قومه (بني تيم)
في الوقت الذي ارسلته قريش الى (سيف بن ذي يزن) ، واسمه (النعمان بن
قيس) ، لتهنته بظفره بالحيشة ، واخراجهم من وطنه . وكان هذا الوفد في
وفود من العرب جاءت لتهنته ، وفيها شعراء وأشراف وسادات قبائل . وقد كان
في وفد قريش : عبد المطلب بن هاشم ، وأمّية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ،
وهوب بن عبد مناف . وقد قدمت تلك الوفود الى صنعاء ، ودخلت قصره :
قصر عُمدان .^٣

ويروي ان عبد الله بن جدعان كان عقيماً ، لم يولد له ولد .^٤ فتبنى رجلاً
سمّاه (زهيراً) ، وكنّاه (ابا مليكة) ، فولده كلهم ينسبون الى (ابي مليكة) .
وفقد (ابو مليكة) فلم يرجع .^٥

وكانت له بئر بمكة تسمى (الثريا) . وقد ذكر ان (بني تيم) حفروها .^٦

١ اللسان (٤٥٧/١٠) ، أيام العرب (٣٢٩) .
٢ (٢١٧/٢) .

٣ ابن هشام (٢٨٨/٢) ، سمط النجوم (٢٠٢/٢) ، البداية ، لابن كثير
ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، (٣٦١/١) ، العقد الفريد (٢٣/٢) (لجنة
التأليف) ابن كثير ، البداية والنهاية (٣٢٨/٢) .

٤ المحبر (ص ٩٧) ، (ومن ولده : عبدالله بن عبيد الله بن عبدالله بن أبي مليكة
ابن عبدالله بن جدعان ٠٠٠ وعلي بن عبدالله بن أبي مليكة بن عبدالله بن جدعان) ،
نسب قريش (٢٩٣) .

٥ المعارف (ص ٤٧٥) ، المحبر (ص ٣٠٧) .

٦ الحموي ، المشترك (٨٧) ، البلدان (٧٧/٢) ، الأزرعي ، أخبار مكة (٤٤٠)
(لايزك) .

وذكر ان دار عبد الله بن جدعان كانت في (ربيع بني تيم) ، وكانت شارعة على الوادي .^١ وكانت داراً فخمة ، وبقيت مشهورة معروفة بمكة حتى بعد وفاته .

وبهذه الدار عقد (حلف الفضول) ، وذلك لشرفه ومكانته بين اهل مكة اذ ذاك . ولثرائه الضخم دخل كبير في ذلك ، ولا شك . وقد صنع للمدعوين طعاماً كثيراً قدمه اليهم ، ثم عقد الحلف . وكان الرسول ممن شهدته ، وهو ابن عشرين او خمس وعشرين . وكان يتذكره ويقول : (لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفاً ما أحب ان لي به حمر النعم . ولو دعي به في الاسلام لأجبت) .^٢ او (اما لو دعيت في الاسلام لأجبت ، وأحب ان لي به حمر النعم . واني نقصته وما يزيده الاسلام الا شدة) .^٣

وقد تكون حلف الفضول من هاشم ، و (المطلب) ، و (أسد) ، و (زهرة) ، و (تيم) ، وربما من (بني الحارث بن فهر) ايضاً . وهم الذين كونوا حلف المطيعين . ولذلك ذهب بعض الباحثين الى ان حلف الفضول ، هو استمرار للحلف المذكور ، اذ تألف من الأسر التي كانت ألفت ذلك الحلف ما خلا (بني عبد شمس) و (بني نوفل) . وكان قد وقع نزاع بين (نوفل) و (عبد المطلب ابن هاشم) ، فعلة كان السبب في عدم انضمام (نوفل) الى هذا الحلف . وقد تعاون (نوفل) و (عبد شمس) ، ووجدوا في استطاعتها التعاون بينهما من غير حاجة الى الدخول في حلف الفضول . ولهذا لم يكن حلف الفضول ، في نظر هؤلاء ، غير حلف من احلاف الأسر ، ولم يكن على رأيهم لنصرة الضعيف وانصاف المظلوم ، على نحو ما جاء في روايات اهل الاخبار .^٤

١ أخبار مكة (ص ٤٦٨) (لايبزك) .

٢ المقدسي ، البدء والتاريخ (١٣٧/٤) ، تاريخ الحميس (٢٦١/١) ، النويري ، نهاية الارب (٢٦٧/٦) ، البخلاء (١٢/٢) ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٢٠٣/١٥) ، طبقات ابن سعد (١٢٦/١ ، ١٢٨) ، مروج (١٢٢/٤) وما بعدها (باريس) .

٣ النويري ، نهاية الارب (٢٦٧/٦) ، سمط النجوم العوالي ، (١٩٠/١) ، ابن هشام (١٩٠/١) ، البداية (٢٩١/٢) وما بعدها ، ابن خلدون (القسم الاول ، المجلد الثاني ص ٧٠٦ وما بعدها) ابن الاثير ، الكامل (ذكر حلف الفضول) ، اللسان (٥٢٧/١١) .

Annal, I, 164, Watt, Muhammad at Mecca. p 6,

وروي انه لمكانة (عبد الله) التي بلغها عند قومه وعند العرب ، كانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها اليه حتى يفرغوا من اسواقهم وحجهم ، ثم يردوها عليهم اذا ظعنوا .

وكان يحافظ على الأمانات محافظة شديدة . فلما جاءه (حرب بن امية) ، صديقه ، وهو من وجهاء مكة وأثريائها كذلك ، قائلاً له : احتبس قبلك سلاح هوازن وذلك يوم نخلة من ايام الفجار الثاني ، اجابه ابن جدعان : أبالقدر تأمرني ، يا حرب ؟ والله لو اعلم انه لم يبق منها سيف الا ضربت به ، ولا رمح الا طعنت به ، ما امسكت منها شيئاً . ثم أبى الا تسليم السلاح اليهم .^١ وقد اسهم (ابن جدعان) في ايام الفجار ، وكان على (بني تيم) .^٢ وأمد قومه بالسلاح والمال ، فأعطى مئة رجل سلاحاً تاماً كاملاً ، وذلك (يوم شمطة) غير ما ألبس من بني قومه والأحاييش .^٣ وحمل مئة رجل على مئة بعير ، وقيل : ألف رجل على ألف بعير ، وذلك (يوم شرب) .^٤ او يوم عكاظ .^٥ وله أخ اسمه (كلدة بن جدعان) قتل في الفجار .^٦

وكان (ابن جدعان) يشرب الخمر على عادة الجاهليين في شربها ، بقي يشربها حتى كبر ، فعافها . ودخل فيمن عاف الخمر على كبره من سادات قريش وأشرافها . وكان من عادتهم اذا كبروا ولعب بهم العمر ، حرّموا شرب الخمر على انفسهم . (ما مات احد من كبراء قريش في الجاهلية الا ترك الخمر استحياءً مما فيها من الدنس . ولقد عابها ابن جدعان قبل موته) .^٧ ويروون في سبب تركه لها قصتين : قصة تقول انه عافها لأنه سكر مرة

- ١ أيام العرب (٣٢٩) .
- ٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٥٩/١ وما بعدها) ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) ، البدء والتاريخ (١٣٤/٤ وما بعدها) .
- ٣ ابن الاثير ، الكامل (٣٦١/١) ، الصحاح (٧٧٨/٢) ، نهاية الارب (٤٢٧/١٥ وما بعدها) أيام العرب (٣٣١) .
- ٤ سمط النجوم (١٩٦/١) ، نهاية الارب (٤٢٩/١٥) .
- ٥ أيام العرب (٣٣٤) .
- ٦ نسب قريش (٢٩١) .
- ٧ الاغانى (٣٣٢/٨) ، نسب قريش ، (٢٩٢ وما بعدها) .

ففقد رشده فاعتدى على أمية بأن لطم عينه ، فندم على ما فعل حين سمع بالخبر ، وقال : (وَبَلَغَ مِنِّي الشَّرَابُ مَا أَبْلَغَ مَعَهُ مِنْ جَلِيسِ هَذَا الْمُبْلَغِ ؟ فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : الْخَمْرُ عَلَيَّ حَرَامٌ ، أَلَا لَا أَذُوقُهَا أَبَدًا) ثم قال شعراً في ذم الخمر وفي وصف حاله اذ ذاك .^١

ومن الرقيق الذي كان في ملك (ابن جدعان) واكتسب شهرة في الاسلام (صهيب الرومي) . بيع في سوق النخاسة ، ثم وضع في شراء (ابن جدعان) ، وبقي في ملكه الى ان هلك سيده ، ويقال انه اعتقه وهو في حياته وأنه لازمه حتى مماته .^٢

وقد كان (ابن جدعان) يلتزم من يستجير به ، ويحمي من يأوي اليه . وكان (الحارث بن ظالم) قاتل (خالد بن جعفر بن كلاب) ، وهو في جوار ملك الحيرة في جملة من لجأ الى (ابن جدعان) حين طلبه ملك الحيرة ، وبقي في جواره وبمكة حتى أتاه ملك الحيرة . ويقال ان (الحارث بن ظالم) قدم على عبد الله بن جدعان بعكاظ ، وهم يريدون حرب قيس . فلذلك نكس رحمه ، ثم رفعه حين عرفوه وأمن . وكانوا اذا خافوا فوردوا على من يستجرون به ، او جاءوا لصلح ، نكسوا رماحهم . ويوم عكاظ من ايام الفجار .^٣

ورجل ثري وجيه له مكانة ومترلة عند بني قومه ، لا بد ان يصير مرجعاً للناس ، يرجعون اليه في المنازعات والخصومات ، ليحكم بينهم بما لديه من راحة عقل وسلطان ، لذلك كان في جملة حكام العرب ، الذين تحوكم اليهم .^٤

ولأمية بن ابي الصلت شعر في مدح (عبد الله بن جدعان) ، نجله في ديوان أمية وفي كتب الأدب . وقد كان من المقربين عند (أبي زهير) .^٥ ومن المكرمين له بسطاء . وكان يعطيه دائماً ، ونجد لأمية شعراً يطلب فيه من

١ نهاية الارب (٨٨/٤) .

٢ المعارف (٢٦٤) ، أنساب الاشراف (١٨٠/١) .

٣ أنساب الاشراف (٤٢/١) وما بعدها .

٤ البجلاء (ص ٢١٤) .

٥ الجاحظ البيان والتبيين (١٧/١) ، لا سي (٣٢٧٠٨) وما بعدها .

(ابن جدعان) اعطاه مالا^١ .

وكان هلاك (ابن جدعان) قبل سنوات من المبعث .^٢ وذكر (البلاذري)
ان هلاكه كان (قبل المبعث ببضع عشرة سنة .^٣ ولما مات دفن بمكة .^٤
وذكر في رواية اخرى انه دفن بموضع (برك الغداد) ، وراء مكة بخمسة ليال
بينها وبين اليمن مما يلي البحر او بين حلى وذهبان .
وفيه يقول الشاعر :

سقى الامطار قبر ابني زهير الى سقف الى برك الغداد^٥

ومن رجال مكة الأغنياء (الأسود بن المطلب) المعروف بـ (أبي زمعة) .
و (زمعة) ابنه ، قتل يوم (بدر) في جملة من قُتل من رجال قريش .
وكان يقال له : (زاد الركب)^٦ . وقد عرف ولده الأسود بـ (زاد الركب)
كذلك^٧ . وكان الأسود ممن ادرك ايام الرسول وعارضه ، وعدّه (ابن حبيب)
في جملة المستهزئين من قريش بالرسول ، ومن مات كافراً ، بعد ان اصابه العمر^٨ .

وكان (الأسود) نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري . وكانا من اعز
قريش في الجاهلية ، وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين . وكانا من
المستهزئين بالرسول^٩ . وذكر ان (الأسود بن عبد يغوث) كان اذا رأى
المسلمين ، قال لأصحابه : (قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى
وقيصر . ويقول للنبي ، صلى الله عليه وسلم : اما كلمت اليوم من السماء ، يا محمد ؟

١ اطلب حاجتي ؟ ام قد كفاني حياؤك ؟ ان شيمتك الحياء

ابن عساكر ، التاريخ الكبير (١٢٢/٣) .

٢ الإصابة (٢٧٩/٢) ، البداية (٢١٨/٢) ، تاريخ الخميس (٢٥٦/١) ، سمط
النجوم (٢٠٢/١) .

٣ أنساب الاشراف (١٨٠/١) .

٤ المعارف (ص ١٧٥) .

٥ تاج العروس (١٠٧/٧) ، (برك) .

٦ الاشتقاق (ص ٥٨) ، نسب فريش (٢١٨ وما بعدها) .

٧ المحبر (ص ١٣٧) .

٨ المحبر (ص ١٥٩) ، البلاذري ، أنساب (١٤٩/١ وما بعدها) .

٩ المحبر (١٧٤) .

وما اشبه هذا القول (. مات حين هاجر النبي ، ودفن بالحجون . ^١

وكان (زمعة بن الأسود) ، تاجراً ، متجراً الى الشام . وعرف بالدقة في العمل وفي وضع خطط سفره وتجارته . (فكان اذا خرج من عند ابيه في سفر ، قال : أسير كذا وكذا ، وآتي البلد يوم كذا وكذا ، ثم اخرج يوم كذا وكذا ، فلا يخرج مما يقول شيئاً) . ^٢

ومن سادات قريش : (يزيد بن زمعة بن الاسود) . وكانت اليه المشورة . وذلك ان رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على امر حتى يعرضوه عليه ، فان وافقه ، ولاهم عليه ، والا تخبر ، وكانوا له اعواناً . وقد اسلم ، واستشهد مع الرسول بالطائف . ^٣

ويعد حرب بن امية من وجهاء مكة وسيداً من سادات كنانة . وكان امر كنانة كلها اليه يوم شمطة . ^٤ واشترك يوم عكاظ ، وقيد نفسه ومعه سفيان وأبو سفيان بن امية بن عبد شمس ، وذلك كي يثبتوا في اماكنهم ، ويتقوى بذلك قومهم فيثبتوا في القتال . ^٥ وكان من اثرياء مكة المعروفين .

ومن سادات مكة : (هشام بن المغيرة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم) ، وكان له ولبنيسه صيت بمكة وذكر عالٍ . ^٦ وذكر انه كان سيد قريش في دهره . ولما مات صار يوم موته من ايام مكة المشهورة ، حتى انهم أرّخوا بموته . ^٧ ونادى منادي مكة في امثال هذه المناسبات : (اشهدوا جنازة ربكم) . وكان سيداً مطعماً . ^٨ وظل يوم وفاة (هشام) يوماً يؤرخ به سبع سنين الى ان

١ البلاذري ، أنساب (١٣١/١) وما بعدها .

٢ المحبر (ص ١٥٨ وما بعدها) .

٣ بلوغ العرب (٢٤٩/١) .

٤ ايام العرب (٣٣١) .

٥ ايام العرب (٣٣٤) .

٦ الاشتقاق (٦٠)

٧ واصبح بطن مكة مقشعرا كان الارض لبس بها هشام

الاشتقاق (٩٢) ، نسب قريش (٣٠١) .

٨ الاشتقاق (٦٣) ، المحبر (١٣٩) ، المعارف (٣٢) .

كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرخوا بها .^١ وهو من الرجال الذين نعتوا بين قومهم بـ (زاد الركب) ، لأنه كان يقري المسافرين الذين يسافرون معه .^٢ ومن أبناء (هشام بن المغيرة) المذكور (أبو جهل) و (الحارث بن هشام) . اما (الحارث بن هشام) ، فقد عرف بالكرم والجود . ذكر ان داره كانت مفتوحة للضيوف . يدخلون واذا جفان مملوءة خبزاً ولحماً . وهو جالس على سرير يحث الناس على الأكل . ويروى ان (ابا ذر) قدم مكة معتمراً ، فقال : (اما من مضيف ؟) قالوا : (بلى كثير وأقربهم منزلاً الحارث بن هشام) . فأثنى بابه ، فقال : (اما من قرى ؟) . فقالت له جارية : (بلى) . فأخرجت اليه زبيبا في يدها . فقال : (ولمَ لم تجعليه في طبق ؟) فعلم انه ضيف . وقالت : (ادخل) فدخل . فاذا بالحارث على كرسي وبين يديه جفان فيها خبز ولحم وأنطاع عليها زبيب . فقال : (أصب) . فأكل ثم قال : (هذا لك) . فأقام ثلاثاً ثم رجع الى المدينة ، فأخبر النبي خبره . فقال : (انه لسري ابن سري . وددت انه أسلم) .^٣ وكان نديماً للحكيم بن حزام بن خويلد ابن اسد .^٤

وأما (أبو الحكم : عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ابن مُرّة) . فكان من رجال (بني مخزوم) المعدودين ، ومن المعادين للإسلام ، بل كان على رأس أشد الناس عداوة للرسول . وقد كَتَّاه الرسول بـ (أبي جهل) لأنه كان يكنى قبل ذلك بـ (أبي الحكم) فاشتهر بهـ الكنية ، حتى لم يعد يعرف إلا بها في الإسلام .^٥ وكان من المقتسمين . وهم سبعة عشر رجلاً من قريش ، اقتسموا عقاب مكة . فكانوا اذا حضروا الموسم يصلون الناس عن رسول الله . وفيهم نزلت : (كما أنزلنا على المقتسمين)^٦ .

١ المحبر (١٣٩) ، الاغانى (١١ / ١٥) .

٢ الاشتقاق (٩٢) .

٣ المحبر (ص ١٣٩ وما بعدها) نسب قريش (٣٠١) .

٤ المحبر (ص ١٧٦) .

٥ المحبر (ص ١٣٩) ، البلاذري ، أنساب (١٢٥ / ١) .

٦ المحبر (١٦٠) .

وكان من المطعمين لحرب يوم بدر . نحر عشر^١ . وكان نديماً للحكم بن أبي العاص بن أمية . و (الحكم) هذا هو الطريد^٢ .

وأخبر (ابن الكلبي) ، ان اخوين من (بني سليم) ، دخلا مكة معتمرين فاجلدا بها شراءً ولا قرى . فبينما هما كذلك إذ رأيا قوماً يمشون ، فسألوا (أين هؤلاء القوم ؟) فقليل لهما : يريدان الطعام . فضيا في جملتهم حتى أتوا داراً فوجدوها . فإذا رجل آدم ، أحول ، على سرير وعليه حلة سوداء وإذا جفان مملوءة خبزاً ولحماً . ففعلوا فأكلوا . فشبع أحد الأخوين وقال لأخيه : (كم تأكل ؟ أما شبت ؟) . فقال الجالس على السرير : (كل فلانما جعل الطعام ليؤكل) . فلما فرغوا خرجوا من باب الدار غير الذي دخلوا منه . فإذا هم بإبل موقوفة . فقالوا : (ما هذه الإبل ؟) قيل : للطعام الذي رأيتم . وكان الرجل الجالس على السرير : صاحب الطعام . فإذا به أبو جهل بن هشام^٣ .

ويظهر انه كان قاسياً قسا حتى على النساء ، فعذب عدداً منهن بنفسه عذاباً أليماً . عذب (زينة) ، وكانت لبني مخزوم حتى عميت ، وعذب غيرها حتى هلكت ، ومن هلكن (سمية) أم عمار بن ياسر^٤ . وكان يأتي من يسلم ، فيكلمه ليفتنه عن دينه : يأتي الرجل الشريف ، ويقول له : أتترك دينك ودين أبيك ، وهو خير منك ؟ ويقبح رأيه وفعله ، ويسفه حلمه . وان كان تاجراً يقول له : ستكسد تجارتك ، ويهلك مالك . وان كان ضعيفاً ، أوصى بمن يعذبه ، حتى يترك دينه . جاء مرة دار أبي بكر ، فلما لم يجد له لطم خد أسماء ابنته لكمة طرح قرطها . وكان فاحشاً بلدياً^٥ .

ويذكر أهل الأخبار انه كان لا يبالي في أكل حقوق الغرباء القادمين الى

١ المحبر (١٦١) .

٢ المحبر (ص ١٧٦) .

٣ (فإذا هو أبو جهل بن هشام) ، هكذا في نهاية الخبر . بينما الخبر يخص (الحارث ابن هشام ، كما جاء في أوله ، راجع المحبة (ص ١٣٩) ، ويظهر أن مراده من الخبر الثاني الخاص بالأخوين : (أبا جهل) ، لانه كان أحولاً كما هو بهذا الخبر ، وقد كان أبو جهل من الحولان الاشراف ، المحبر (ص ٣٠٣) .

٤ ابن الاثير ، الكامل (٤٧/٢) وما بعدها .

٥ ابن الاثير ، الكامل (٤٧/٢) وما بعدها .

مكة ، فاطل مرة في أثمان إبل اشتراها من رجل من (أراش) ، وماطل مرة أخرى في إبل أخذها من رجل من (زبيد) ، ولم يدفع أثمانها ولم يعوض عنها إلا بالتجاء الرجلين الى النبي ، فأخذ حقها منه ، وانصف منه . ويظهر ان (أبا جهل) وان كان قاسياً بغيضاً للرسول مؤذياً له ، غير انه كان يخشاه اذا رآه ووقف أمامه ، وأما اينأوه له ، فكان بانتهاز غفلة يعتدي فيها على الرسول ، أو بتحريض غيره للتحرش به ^١ .

وعرف (عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية) بالجلود . وذكر انه كان معرقاً به . كان جوادا ابن جواد ابن جواد ^٢ .

وكان الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، من أشراف مكة وسادتها . وقد عرف بين قومه بـ (العدل) . وذكر انه إنما عرف بذلك ، لأنه كان يعدل قريش كلها ، فكانت قريش تكسو الكعبة جميعها ، ويكسوها الوليد وحده ، وذلك لثرائه وغناه . قيل انه كان له مال وزع بالطائف ، وكان يملك حديقة بها غرس فيها الأشجار والفواكه ^٣ . وقد كان لذلك متعالياً متغطرساً ، فلما أظهر الرسول الإسلام ، كان مثل بقية سراة مكة وأغنيائها من المعادين له ، لأنه أنف ان يتبع رجلاً هو دونه في المال والاسم والثراء . فكافح الإسلام ، واستهزأ بالرسول وبالإسلام ، وكان أحد (المستهزئين) الذين نزلت بحقهم آيات تعنفهم وتوبخهم وتصفهم بالكفر وبالغرور والاستكبار ، وانه كان يرى ان من الذلة الخضوع للرسول لأنه دونه مالا ونفراً ^٤ .

وقد كان (الوليد) الحُكَّام الذين تحوكم اليهم ، واليه تحاكم بنو عبد مناف في موضوع قتل (خدش) لإنساناً منهم ^٥ . وقد عرف بـ (ابن صخرة) نسبة الى أمه ^٦ . وذكر انه كان في جملة من حرّم في الجاهلية الخمر على نفسه

١ البلاذري ، أنساب (١٣٠/١) .

٢ المحبر (ص ١٤٠ وما بعدها) .

٣ Ency., IV, P. 111.

٤ تفسير الطبري (٣٦/٥) ، ابن هشام (٧٢/١ وما بعدها) .

٥ المحبر (ص ٣٣٧) .

٦ المحبر (ص ٣٣٧) .

وضرب فيها ابنه هشاماً على شربها^١ . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة زنادقة قريش ، وذكر انه وجماسته تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة^٢ ، ولم يفسر قصده من الزندقة .

ويلدكرون ان (الوليد) كان أسنّ قريش يوم حكم في قضية (خدّاش) ، وحكم فيها بـ (القسامة) ، فكان بذلك أول من سنّ (القسامة) في قريش^٣ . ومات الوليد بعد الهجرة بثلاثة أشهر أو نحوها ، ودفن بالحجون^٤ . وذكر (محمد بن حبيب) ان (أبا أحiche) كان نديماً للوليد بن المغيرة . على عادة القوم في اتخاذ الندماء^٥ .

وأبو (أحiche) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، المعروف بـ (ذي العمامة) ، لأنه كان لا يعم أحد بمكة بلون عمامته إعظاماً له^٦ . كما عرف بـ (ذي التاج) وذلك للسبب نفسه^٧ . وقد ذكره (أبو قبيس بن الأسلت) في شعر ينسب إليه^٨ . وكان مثل أكثر رجال قريش تاجراً . قدم مرة الشام في تجارة ، فحبسه (عمرو بن جفنة) ، حبسه مع هشام بن سعد العامري ، وبقي في محبسه حتى جاء بنو عبد شمس ، فافتلوه بمال كثير^٩ .

وكان أبو أحiche ممن أخذتهم العزة من أشراف مكة ، فلم يقبلوا الدخول في الإسلام . ومن أظهر عداوته للرسول ، خاصة بعد تحريض النضر بن الحارث والوليد بن المغيرة له على معاداته . وقد كان مثل سائر أشراف مكة يرى ان الأمر العظيم يجب ان يكون في العطاء . وهو من العصابة التي أشير إليها في هذه

-
- ١ المحبر (٢٣٧) .
 - ٢ المحبر (١٦١) .
 - ٣ المحبر (ص ٣٣٧) .
 - ٤ البلاذري ، أنساب (١٣٤/١) .
 - ٥ المحبر (١٧٤) ، البلاذري ، أنساب (١٣٤/١) .
 - ٦ المحبر (ص ١٦٥) ، الاشتقاق (ص ٤٩) .
 - ٧ الطبري (٣٩٨/٢) ، المحبر (١٦٥) ، البلاذري ، أنساب (١٤١/١) .
 - ٨ البيان والتبيين (٩٧/٣) ، البلاذري ، أنساب (١٤١/١) .
 - ٩ البيان والتبيين (٩٧/٣) ، الاصابة (٣٨٥٩) .

الآية : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم ، أهم يقسمون رحمة ربك ؟)^١ .

وقد مات أبو أحيحة بماله في الطائف في السنة الأولى ، أو في السنة الثانية من الهجرة . مات كافراً ، وقد بني له قبر مشرف . وقد رأى أبو بكر قبره ، فسبه ، فسبّ ابنه أبا قحافة ، فنهى النبي عن سبّ الأموات ، لما يثير ذلك من عداوة بين الأحياء ، ولما فيه من إهانة للأموات^٢ .

وقد ساهم (أبو أحيحة) بثلاثين ألف دينار في رأس مال القافلة التي تولى قيادتها أبو سفيان . ومبلغ مثل هذا ليس بشيء قليل بالنسبة الى الوضع المالي في تلك الأيام .

ومن سادة قريش : الأسود بن عامر بن السباق بن عبد الدار بن قصي^٣ .

ومن رجال بني فهر : ضيرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب . وكان فارس قريش في الجاهلية ، وأدرك الإسلام . وكان شاعراً فارسياً ، وقد أخذ مرباع بني فهر في الجاهلية^٤ .

ومن رجال بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس . كان فارس قريش في الجاهلية ، بل فارس كينانة . قتله علي بن أبي طالب^٥ . ومن (بني عبد ودّ) ، سهيل بن عمرو ، وكان من رجال قريش في الجاهلية ، ثم أسلم ، وهو الذي بعثته قريش يحكم الهدنة بينهم وبين النبي يوم الحديبية^٦ .

ومن سادات قريش : قيس بن عديّ بن سعد بن سهم . وقد ضرب به المثل في العز ، حتى قيل : (كأنه في العزّ قيس بن عديّ) . وكان يأتي الخمار وييده مفرعة ، فيعرض عليه خمره ، فإن كانت جيدة ، وإلا قال له : (أجد

١ الزخرف ، الرقم ٤٣ الآية ٣١ وما بعدها ، البلاذري ، أنساب (١٤١/١) .

٢ الطبري (٣٩٨/) ، أنساب الاشراف (١٤٢/١) .

٣ الاشتقاق (ص ١٠٠) .

٤ الاشتقاق (ص ٦٤) .

٥ الاشتقاق (ص ٦٨) .

٦ الاشتقاق (ص ٦٩) .

خمر ك ، م يقرع رأسه وينصرف)^١ . وذكر انه كانت له قيتان يجتمع اليها فتيان قريش : أبو هب وأشباهه ، وهو الذي أمرهم بسرقة الغزال من الكعبة ، ففعلوا ، فقسمه على قيانته ، وكان غزالاً من ذهب مدفوناً ، فقطعت قريش رجالاً من سرقة ، وأرادوا قطع يد أبي هب ، فحتمته أحواله من خزاعة^٢ . وذكر ان (مقيس بن عبد قيس بن قيس بن علي بن سعد بن سهم) ، هو صاحب قصة الغزال^٣ .

وكان (الحارث بن قيس بن علي بن سعد بن سهم) ، أحد المستهزئين المؤذين لرسول الله ، وهو (ابن الغيطلة) . وهو الذي نزلت فيه : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) . وكان يأخذ حجراً ، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن . وكان دهرياً يقول : (لقد غرّ محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم ان يحيا بعد الموت ، والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث)^٤ .

ومن اشتهر من بني عبد شمس : (عتبة بن ربيعة بن عبد شمس)^٥ ، وكان نديماً لمطعم بن علي بن نوفل بن عبد مناف^٦ .

اما أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن مناف ، ويكنى أيضاً بأبي حنظلة ، فكان مثل سائر رجال مكة تاجراً صاحب أسفار ، ثرياً ، جمع مالاً من تجارته . وكان صاحب (غير قريش) ، فهو المؤمن عليها ، وهو قائدها ، وهو رجل جد خبير بالطرق والمسالك . وقد نجح في كل أسفاره ، وأوصل تجارة مكة الى أماكنها سالمة مضمونة . فلم يتمكن المسلمون من مفاجاته وأخذ مع أموال قريش وتجارهم العظيمة التي تحت قيادته ، حينما كان قافلاً من

١ المحبر (ص ١٧٨) ، جمهرة النسب (١٥٦) .

٢ فلذلك يقول بعض شعرائها :

همو منعوا الشيخ المنافي بعدما رأى حمة الازميل فوق البراجم

الاشتقاق (٧٦) .

٣ شرح ديوان حسان (٤٧) ، (للبرقوقي) .

٤ البلاذري ، انساب (١٣٢/١) .

٥ المحبر (ص ١٦٠) ، ابن هشام ، السيرة (٢٦٢/٢) .

٦ المحبر (ص ١٧٥) .

بلاد الشام يريد مكة ، اذ أحسّ بالخطر ، فغير طريقه ، وسلك طريق الساحل ، وأفلت مع قافلته ورجالها ، وعدتهم سبعون ، ووصل الى مكة سالماً ، فنشبت على أثر ذلك معركة بدر^١ .

وكانت قيادة قريش في الحرب الى أبي سفيان أيضاً ، ورثها من أبيه^٢ . ورجل له فضل قيادة غير قريش ، وقيادة مكة في الحرب ، لا بد ان يكون في مقدمة سادات مكة وعلى رأس طبقتها المحافظة ذات العنجهية ، التي ترى ان لها حق الرئاسة والزعامة ، والكلمة والرأي .

وليس لأحد مكانة إلا اذا كان ذا مال وجاه وحسب . وعلى الباقي طاعة السادة ، ومراعاة سنن الآباء والأجداد ، والإخلاص لعبادة الآباء والأجداد ، والدفاع عن آلهة الكعبة التي كانت السبب في اعطاء قريش منزلة خاصة عند العرب .

وكان فضلاً عن هذا وذاك رجلاً صاحب لسان ، ينظم الشعر ويحيد الهجاء ، ويمسح النزول الى أسوأ مستوى يصل اليه السوقي والحوشة من الإقذاع في الكلام وإلحاق الأذى بالناس . وقد أظهر قابليته في ذلك في عناده ضد الإسلام وفي ايذائه الرسول وفي إلحاقه الأذى بالمسلمين . وقد هيا كل ما عنده من مواهب وكفايات وقدرات مالية لمقاومة الإسلام ولمحاربة الرسول وللقضاء على الدعوة التي جاءت مقوضة لديانة الآباء والأجداد من عبادة الأصنام ، ومن المحافظة على العرف ، ومن تحطيم الزعامة ، والخضوع لحكم الفقراء والرقيق . وفي القرآن الكريم آيات نزلت في حقه . وقد كان من المحرضين العاملين في معركة أحد^٣ . ويذكر انه ذهب الى الشام واتصل بـ (هرقل) وأخذ يحرضه على الرسول ، ولكن الروم لم يبالوا بتحريضه ، فعاد الى مكة^٤ .

١ الطبري (١٣١/٢) .

٢ اخبار مكة (٦٦/١) .

٣ البداية (٩/٤) ، (المطبعة السلفية) يعقوبي (٣٥/٢) ، الطبري (١٥٧/٢) (الاسنقمة) الطبرسي ، مجمع (سورة آل عمران ، الآية ١٧٢) .

٤ الاغانى (٣٢٩/٦) ، (بيروت ١٩٥٦ م) ، نهذيب ابن عساكر (٧٣) .

ويعُدّ (عبد العزّي بن عبد المطلب) من هذا الرعيل من وجهاء مكة الذين حاربوا الرسول ، ونصبوا له العداوة . كان موسراً ، جمع مالا طائلاً ، كما يفهم ذلك من (سورة المسد) : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وكان من التجار ، له تجارة مع بلاد الشام^١ . وكا من هؤلاء الذين أبوا التنكر لدين آبائهم وأجدادهم وإطاعة رجل فقير ، وهم أكثر منه مالا ، وأكبر سناً . روي ان رسول الله كان بسوق ذي المجاز يقول : (أيها الناس . قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا) وإذا برجل يأتي من خلفه ويرميه بحجارة ، أدمت ساقيه وعرقوبه ، وهو يقول للناس : انه كذاب لا تصدقوه^٢ .

ويعُدّ (أبو لهب) وهو (عبد العزّي) ويكنى ايضاً بـ (أبي عتبة) ، من هذه الطبقة الوجهية المعروفة من قريش . وهو عم الرسول^٣ ، وكان مع ذلك من الذين حلوا حقداً شديداً عليه . وكانت زوجته تحرضه على معاداته وايدائه ، وفي حقها نزلت سورة (تبت) . وهي السورة الحادية عشرة من السور التي نزلت بمكة على رأي أكثر العلماء .

وكان بيته في جوار بيت رسول الله . فذكر ان رسول الله قال : كنت بين شرّ جارين : بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ، ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحونها في بابي . وكان النبي يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يميّطه عن بابه^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان هنالك عشرة أبطن من بطون قريش انتهت اليهن الشرف في الجاهلية ، ووصل في الإسلام ، وهم ، أمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ونخزوم ، وعديّ ، وجمح ، وسهم^٥ .

١ حاشية الشهاب (٤٠٩/٨) .

٢ الطبرسي (٥٥٩/١٠) .

٣ ابن أبي الحديد (٨٩/١) .

٤ البلاذري ، أنساب (١٣١/١) .

٥ العقد الفريد (٣١٣/٣) وما بعدها .

كسب مكة :

ومكة كما ذكرت بلد في وادٍ غير ذي زرع ، لذلك كان عماد حياة أهلها التجارة ، والأموال التي تجبي من القوافل القادمة من الشام الى اليمن والصاعدة من اليمن الى الشام ، وما ينفقه الحجيج القادمون في المواسم المقدسة ، للتقرب الى الأصنام . وهناك مورد آخر درّ على أثرياء هذه المدينة المقدسة ربحاً كبيراً ، هو الربا الذي كانوا يتقاضونه من إيداع أموالهم الى المحتاجين اليها من تجار ورجال قبائل .

لقد استفادت مكة كثيراً من التدهور السياسي الذي حلّ باليمن ، ومن تقلص سلطان التبابعة ، وظهور ملوك وأمراء متنافسين ، إذ أبعد هذا الوضع خطر الحكومات اليمانية الكبيرة عنها ، وكانت تطمع فيها وفي الحجاز ، لأن الحجاز ، قنطرة بين بلاد الشام واليمن . ومن يستولي عليه يتصل ببلاد الشام ، وبموانئ البحر الأبيض المهمة . وأعطى تدهور الأوضاع في العربية الجنوبية أهل مكة فرصة ثمينة عرفوا الاستفادة منها . فصاروا الواسطة في نقل التجارة من العربية الجنوبية الى بلاد الشام ، وبالعكس . وسعى تجار مكة جهد إمكانهم لاتخاذ موقف حياد تجاه الروم والفرس والحبش ، فلم يتحزبوا لأحد ، ولم يتحاملوا على طرف ، وقوّوا مركزهم بعقد أحلاف بينهم وبين سادات القبائل ، وتوددوا اليهم بتقديم الألفاف والمال اليهم ، ليشتروا بذلك قلوبهم . وقد نجحوا في ذلك ، واستفادوا من هذه السياسة كثيراً .

وفي القرآن اشارة الى تجارة مكة ، والى نشاط أهلها ومتاجرتهم مع الشام ، واليمن : (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) .^١ قال المفسرون : ان رحلة الشتاء كانت الى اليمن ، اما رحلة الصيف فكانت الى بلاد الشام . وأنهم كانوا يجمعون ثروة طائلة من الرحلتين تدر على قريش خيراً كثيراً ، وتعوضهم عن فقر بلادهم .

ويظهر ان اهل هذه المدينة كانوا يسهمون جميعاً في الاتجار ، فيقدم المكي

١ سورة قريش ، الآية الاولى .

افريقية والعربية الجنوبية ، كما اخذ ملوك الحيرة يرسلون بـ (لطائهم) الى اليمن للبيع والشراء .

وقد اثر هذا الوضع في تجارة اهل مكة اثراً كبيراً ، اذ انتزع الفرس وملوك الحيرة من ايديهم قسماً من ارباحهم ، وربما لا يبعد ان يكون الهجوم الذي وقع على (لطيمة) (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة ، بتشجيع من اهل مكة ، ذلك الهجوم الذي عرف بـ (الفجار) ، وذلك للإضرار بالفرس وبملوك الحيرة ، ولتخويف القوافل التي صارت تسلك طريق (الطائف) ، ثم منها الى مواضع في البادية الى الحيرة متجنبة طريق مكة .^١

وكانت (الشعبية) ميناء مكة ، اليها ترد السفن قبل 'جدة' ، ثم أخذت 'جدة' موضعها في ايام الخليفة عثمان بن عفان .^٢

وقد قصدت ميناء (الشعبية) سفن الروم وسفن الحبش ، اذ كانت السفن القادمة من افريقية ، لبيع تجارتها لأهل مكة ، ترسو في هذا الميناء .

ويظهر من كتب اهل الاخبار ان تجار مكة لم يكونوا يملكون سفناً خاصة بهم ، لنقل تجارتهم الى موانئ افريقية ، او لنقل ما يشترونه من الموانئ الافريقية لتصريفه في اسواق العراق او اسواق بلاد الشام . فنحن لا نكاد نجد في هذه الكتب شيئاً يفيد ان اهل مكة كانوا يملكون سفناً يسيرها بحارة منهم . بل نجد انهم كانوا يركبون سفناً حبشية ، عند ذهابهم الى الحبشة . وهي سفن لم تكن شيئاً بالقياس الى سفن الروم في ذلك العهد .

ولمركز مكة ونشاطها في التجارة ، توافد عليها ايضاً تجار من الخارج من بلاد الشام ومن العراق ومن بلاد الروم والفرس وغيرهم . ساكنوا المكّين ، وتحالفوا مع أثريائهم ، ومنهم من اقام فيها في مقابل دفع جزية لحمايته ولحفظ امواله وتجارته . وكان تجار بلاد الشام خاصة يجلبون القمح والزيت والحمور الجيدة الى تجار مكة . وقد اتخلوا مستودعات فيها لتخزين بضاعتهم هذه ولتصرفها .

١ الازرقعي ، اخبار مكة (١٢٨) ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢) ، الاغاني

(٦٤/٦) ، (بيروت ١٩٥٦ م) ، صبح الاعشى (٤٠١/١ وما بعدها) .

Ency., III, p. 440.

٢ البلدان (٢٧٦/٥) ،

ولا يستبعد (أوليري) ان يكون من بين تجار الروم في مكة من كان عيناً للبيزنطيين على العرب ، يتجسس لهم ، ويتسقط اخبارهم ، ويكتب لهم عن صلاتهم بالفرس ، وعن انباء الفرس في جزيرة العرب واتصالهم بالقبائل ، لشدة حاجة الروم الى تلك الاخبار ، لافساد خطط الفرس وابعادهم عن بلاد العرب وعن البحار . والعالم يومئذ معسكران متخاصمان : معسكر للروم ، ومعسكر للفرس .^١

وقوم هم اصحاب تجارة واتصال بالعالم الخارجي بحكم اتجارهم معه ، وذهابهم اليه ، لا بد ان يكون لهم اهتمام بما كان يجري ويقع في السياسة الدولية . وكان لهم علم بما يحدث بين الفرس والروم ، وبين الحبش وأهل اليمن ، لأن لما يحدث علاقة كبيرة بتجاريتهم وبلاسواق التي كانوا يخرجون اليها للبيع والشراء .

ونجد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك . فلما وقعت الحرب بين الفرس والروم ، هذه الحرب التي استولى فيها الفرس على القدس ، وعلى (الصليب) المقدس عند النصراني ، كان اهتمام مكة بها كبيراً وانقسم اهل مكة فريقين : مؤيد للروم ، ومؤيد للفرس ، مما يدل على وقوف اهل مكة على ما كان يقع في الخارج ، وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم في سورة « الروم » .

وقد كان المكثون يهتمون اهتماماً خاصاً بما كان يقع في بلاد الشام وفي اليمن من احداث ، اذ كانت تجارتهم مرتبطة بهذه البلاد بالدرجة الاولى . فما يقع فيها يؤثر تأثيراً مباشراً في تجارتهم . ولذلك حاولوا جهد امكانهم انشاء صلات حسنة مع الحاكم على بلاد الشام والحاكم على اليمن ، كما كان من مصلحة الروم مصالحة حكام العربية الغربية وترضيتهن ، ليأمنوا بذلك على سلامة تجارتهم في البحر الأحمر وعلى وصول بضائع افريقية والبلاد العربية الجنوبية والهند اليهم عند تعسف الفرس بالتجارة البرية التي كانت تأتي من الهند ومن الصين لتباع في بلاد الروم ، وعند نشوب الحرب ، وهي متوالية كثيرة ، فيما بينها ، فتتقطع التجارة عندئذ بينها ، وترتفع الاسعار . اما التجارة عن طريق العربية الغربية ، فلم تكن تصاب بأذى الحروب وبالتراع بين الفرس والروم ، لأنها كانت بعيدة عن ساحة الحروب ، وهي في مأمن من الغارات .

ويظهر من روايات اهل الأخبار ان سادات مكة والمواضع الاخرى من الحجاز كانوا يتوددون الى الروم والى حكام اليمن ليتمكنوا من التحكم في شؤون مواطنيهم والسيادة عليهم . وقد روى (ابن قتيبة) ان (قُصَيّاً) استعان بـ (قيصر) في نزاعه مع خزاعة .^١ وقد تكون مساعدة قيصر له ، بإشارته على الغساسة حلفاء الروم لتقديم العون اليه . ويجوز ان يكون (بنو عذرة) وهم من العرب النصارى النازلين في اطراف بلاد الشام قد ساعدوه بطلب من الروم .^٢

ولا يستبعد ان يكون تجار اليمن في ايام قصي وبعد موته ، كانوا يأتون بتجارهم الى (مكة) ، ثم يقوم تجار مكة بنقلها الى بلاد الشام ، او بشرائها من تجار اليمن ، ثم يقومون هم ببيعها على حسابهم في (بَصْرَى) او غزة من بلاد الشام . وقد كان يقع اختلاف في بعض الاحيان بين تجار اليمن وتجار مكة ، وقد يقع اعتداء على تجار اليمن فيصادر بعض اهل مكة اموالهم ويغتصبونها ، كالذي حدث لتاجر من تجار اليمن ، مما حداه بالاستجارة بأشراف مكة وسادتها لإنصافه ، وأدى الحال الى عقد حلف الفضول :^٣

ولطبيعة اهل مكة المستقرين التجار ، لزم الابتعاد عن الحروب وعن خلق المشكلات ، وحل كل معضلة بالمفاوضات اولاً وبالسلم . كما سعت للاتفاق مع القبائل المجاورة على مخالفتها ومهادنتها . وقد افادت هذه السياسة قريشاً كثيراً ، فظهرت زعامة مكة على القبائل بعد تدهور ملك حمير في السياسة وفي الدين والاقتصاد . ولارتفاع مستوى مكة الثقافي بالنسبة الى الاعراب ، ولزعامتها الدينية على القبائل المجاورة لها ، ولاتصال سادتها بالعالم الخارجي ، ولوجود جاليات اجنبية فيها طورت حياتها الاقتصادية والصناعية مما جعل القبائل تعترف لها بالتفوق عليها ، وتسير في ركابها ، وتتبع تقويمها ، وتحضر في مواسمها ، حتى صارت مكة عند ظهور الاسلام القاعدة للغريبة العربية والزعيمة لها ، ولذلك كانت رمز مقاومة الاسلام ، والحصن العتيد المقاوم له . فلما دك هذا الحصن ، دكت المقاومة دكاً ، واستسلمت المواضع والقبائل للاسلام دون مقاومة تذكر .^٤

١ المعارف (ص ٣١٣) .

٢ Lammens, Mecque, 269, Watt, Muhammad at Mecca, P. 13.

٣ Watt, Muhammad at Mecca, P. 13.

٤ Wellhausen, Rest, S., 92.

وبلد مثل مكة فيه تجار وتجارة ورقيق وغنى وفقر وراحة وأصنام وعبادة وحجاج يأتون للتقرب الى الأصنام ، لا بد ان يضع اهله لهم وللقادمين اليه انظمة وقوانين لتنظيم الحياة ، وتأمين الأمن وحفظ الحقوق وحماية من ينفذ اليه من الأذى لدوام مجيء الحاج اليه على الأقل .

فالكعبة ، وهي بيت الأصنام ، ارض حرام ، لا يجوز البغي فيها ، ولا المعاصي واقتراف الآثام . والمدينة ، وهي في جوار البيت ذات حرمة وقديسية . ودار الندوة دار مشورة وحكم وزعامة . وسكان البلد الحرام هم في حى البيت وفي جواره ، ولا بد من انصافهم واحقاق حقهم . ولانصافهم ودفع الأذى عن فقيرهم ، عقد حلف الفضول ، وتعهّد سادات مكة بالدفاع عنم يستجير بهم ، ويتأديب من يتجاسر منهم على العرف والسنة ، وبذلك ، جعلوا مكة بلداً آمناً مستقراً في محيط تتعارك فيه الأمواج .

ولسياسة اهل مكة القائمة على المسالمة وحل الخلاف بالتشاور والتفاوض ، رميت قريش البواطن ، وهم غالبية اهل المدينة بعدم القدرة على القتال وبالاتكال على غيرهم في الدفاع عن بلدهم ، وباعتمادهم على الأحابيش وعلى قريش الظواهر وعلى القبائل المحالفة لهم في الدفاع عن مكة . ولم تكن مكة وحدها بدعاً في هذا الأمر ، اذ كان اهل يثرب وأهل الطائف وسائر اهل القرى والمدن مثل اهل مكة ، غير مبالين الى الغزو والقتال ، ولهم حبال وأحلاف مع القبائل الساكنة بجوارهم ، لمنع تعدياتهم عليهم ، ولمنع من يطمع فيهم من تنفيذ ما يريد .

الرقيق :

وقد كانت بمكة جالية كبيرة من اصل افريقي ، عرفت بـ (الأحابيش) وهم سود البشرة ، اشتراهم اثرياء مكة للعمل لهم في مختلف الأعمال ولخدمتهم . وقد كان هذا الرقيق ضرورة لازمة لاقتصاد مكة ولنظامها الاجتماعي في ذلك الزمن . فقد كان يقوم مقام الآلة في خدمة التاجر وصاحب العمل ، فكان مصدراً من مصادر الثروة ، وآلة مسخرة تخدم سيدها بأكل بطنها ، كما كان سلاحاً يستخدم

للدفاع عن السادة في ايام السلم وفي ايام الحرب .^١

وقد سبق ان أشرتُ الى وجود (احابيش) بين اهل مكة ، زعم الاخباريون انهم عرب ، وانهم انما عرفوا بالاحابيش ، لانهم تحابشوا ، اي تحالفوا وتعاهدوا على التناصر والتآزر عند جبل (حبشي) ، فهم على زعم هؤلاء الاخباريين احابيش آخرون لا صلة لهم بالاحابيش الذين اتحدث عنهم .

وقد اشار اهل الاخبار الى ان قوماً من اشراف مكة تزوجوا حبشيات فأولدن لهم اولاداً . ذكروا منهم (فضلة بن هاشم بن عبد مناف) و (نفيل بن عبد العزى) و (عمرو بن ربيعة) و (الخطاب بن نفيل) ، والد (عمر بن الخطاب) ، ويذكر ان (ثابت بن قيس بن شماس الانصاري) عيّر (عمر بن الخطاب) فقال له : يا ابن السوداء) ، فأنزل الله : (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ، عسى ان يكونوا خيراً منهم)^٢ و (عمرو بن العاص) وجاعةً آخرين .^٣

وقامت بخدمة قريش طائفة اخرى من الآلات الحية ، هي ادق عملاً وأحسن خدمة وأرقى في الانتاج من الطائفة الأولى : الاحابيش ، استوردت من الشمال من بلاد الشام والعراق ، هي الأسرى البيض الذين كانوا يقعون في ايدي الروم او الفرس او القبائل المغيرة على الحدود ، فيباعون في اسواق النخاسة ، ومنها ينقلون الى مختلف أنحاء جزيرة العرب للقيام بمختلف الاعمال . يضاف الى هؤلاء ، الرقيق المستورد من اسواق اوروبة ، لبيعه في اسواق الشرق . وأسعار هذه البضاعة وان كانت أغلى ثمناً من أسعار البضاعة المستوردة من افريقية ، الا ان الجودة في الانتاج والتفنن فيه ، والبراعة في الصناعات التي لا تعرفها بضاعة الجنوب تعوّض عن هذا الفرق .

١ راجع مقال الاب لامانس في مجلة المشرق ، السنة الرابعة والثلاثين (١٩٣٦) ، (ص ١ وما بعدها) ، (ص ٥٢٧ وما بعدها) ، وعنوانه (الاحابيش والنظام العسكري في مكة) .

٢ الحجرات ، الآية ١١ .

٣ المحبر (ص ٣٠٦) (أبناء الحبشيات) .

ومن جملة ما وُكِّلَ الى رقيق العراق وبلاد الشام والروم وغيرهم من ذوي البشرة البيضاء من أعمال ، ادارة المبيعات ، والقيام بالحرف التي تحتاج الى خبرة ومهارة وفن ، وهي من اختصاص أهل المدن والمستقرين : مثل أعمال البناء والتجارة والأعمال الدقيقة .

وهذه البضاعة التي استوردتها قريش الى مكة - وان كانت تابعة ، تؤمر فتفعل ، وتكلف فتستجيب - كانت بضاعة حيّة ، لها قلب نابض ، ودماغ يعمل ، ولحم ودم ، ولبعضها علم وفهم ومعركة تفوق معرفة أصحابها المالكين لها . قبضاعة هذا شأنها لا بد ان تترك أثراً في البيئة التي استوردت اليها . والأخباريون الذين هم مرجعنا الوحيد في رواية أيام الجاهلية قبيل الإسلام ، وان لم يحدثونا عن أمر هؤلاء القوم في نفوس ساداتهم والذين اختلطوا بهم ، نستطيع بالاعتماد على نقد بعض التنف من رواياتهم ان نصل الى هذه النتيجة التي هي شيء طبيعي وأمر ليس بغريب : نتيجة تقول ان هذه البضاعة تركت في نفوس أهل مكة وفي نفوس العرب الآخرين ممن كان لهم رقيق ، أثراً ليس الى إنكاره من سبيل ، وان بعض المصطلحات الفارسية والرومية والحبشية التي كانت معروفة عند العرب قبيل الإسلام ، والتي أكدوا هم أنفسهم انها لم تكن عربية ، ولا سيما ما كان يتعلق منها بالصناعات والأعمال التي يأنف العربي من الاشتغال بها ، انما دخلت لغتهم وشاعت بينهم من طريق هؤلاء ^١ .

وقد كان أغلب الرقيق الأبيض على النصرانية ، وقد ذكر الأخباريون أسماء لبعضهم من نزلاء مكة تشير بوضوح الى تنصرهم . وقد كان فيهم من يتقن العربية ، ويعبر عن أفكاره بها تعبيراً صحيحاً واضحاً ، وفيهم من لا يفقه هذه اللغة ، لانه حديث عهد بها ، فكان يتكلم بلسان أعجمي أو بعربية ركيكة . ومنهم من كان يتباحث في أمور الدين ويشرح لمن يجالسه ما جاء في ديانته وفي كتبه المقدسة . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في الآيات : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر^٢ . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي^٣ ، وهذا لسان عربي^٤)

١ صحيح مسلم : (١٨٩/٢) . أسد الغابة (٥٧٩/٥) ، المشرق ، السنة (٣٥)
٢ (٨٢) ، (١٩٣٧)
٣

مبين^١) . (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك^٢ افتراه وأعانه عليه قوم^٣ آخرون . فقد جاؤوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً)^٤ .

وقال (ابن هشام) في تفسير الآية : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر^٥ ، لسان الذي يلحون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) : (وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له جبر ، عبد لبيتي الحضرمي^٦ ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ولقد نعلم)^٧ . وهناك أشخاص آخرون كانوا موالي لا يحسنون العربية ولا يجدون النطق بها^٨ .

وروي عن (عبد الله بن مسلم الحضرمي) أنه (قال : كان لنا عبدان : أحدهما يقال له يسار ، والآخر يقال له جبر . وكانا صيقلين . فكانا يقرآن كتابهما ويعملان عملهما . وكان رسول الله يمرّ بهما فيسمع قراءتهما . فقالوا : إنما يتعلم منهما . فترلت : ولقد نعلم أنهم يقولون)^٩ .

وأشير إلى غلام آخر كان بمكة ، اسمه (بلعام) ، وكان قتيلاً ، ذكر أن الرسول كان يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا أنه كان يتعلم منه . وقيل : إن ذلك الرجل الذي قال أهل مكة أن الرسول كان يتعلم منه ، اسمه (أبو اليسر) ، وكان نصرانياً^{١٠} .

وفي جملة من أشار إليهم أهل اليسر من النصاري الذين كانوا بمكة ، رجل اسمه (نسطاس) ، وكان من موالي (صفوان بن أمية)^{١١} ، ونسطور الرومي ،

١ النحل ١٦ ، الآية ١٠٤ وما بعدها .

٢ الفرقان ، الآية ٥ وما بعدها .

٣ ابن هشام : السيرة (ص ٢٦٠) .

٤ الواحدني : أسباب النزول (٢١٢) ، أسد الغابة (١٣١/٣) ، (١٩٤/٥) ، (٤٦٢) .

٥ الاصابة (٢٢٢/١) .

٦ الاصابة (١٦٥/١) .

٧ الاغانبي (٤٢/٤) ، ابن هشام ، السيرة (٦٤٠) ، أسد الغابة (٢٤٠/٢) ، المشرق

السنة الخامسة والثلاثين ، (١٩٣٧) م ، (ص ٨٨) .

ويوحنا مولى صهيب الرومي^١ ، وصهيب الرومي نفسه ، وهو من الصحابة ، جاء من بلاد الشام ، ونزل بمكة ، وتشارك مع مري قريش عبد الله بن جدعان ، ثم استقل عنه ، وصار ثرياً من أثرياء مكة . ثم دخل في الإسلام^٢ . ومنهم مولى يوناني تزوج سمية أم بلال^٣ . وقد بقي نفر من النصاري محتفظين بدينهم بمكة في أيام الرسول^٤ .

وفي حديث الأخباريين عن بناء الكعبة ان قريشاً استعانت بعامل من الروم ، أو من الأقباط ، اسمه باقوم ، كان نجاراً مقيماً بمكة ، في تسقيف البيت . وفي حديث آخر لهم : ان هذا الرجل كان في سفينة جهزها قيصر الروم لبناء كنيسة ، وقد شحنها بالرخام والخشب والحديد ، فجنحت عند (الشعبة) فاستعانت قريش بما تبقى من أخشابها وبخبرة هذا الرومي في تسقيف البيت^٥ . وقد دعي بـ (بلقوم الرومي) أيضاً^٥ .

وفي كتب السير وكتب تراجم الصحابة أسماء جوار يونانيات أو من بلاد الشام أو من العراق ، وقد تزوجن في مكة وتسلن ذرية كانوا فيها قبل الإسلام . وقد كان منهن في مواضع أخرى من جزيرة العرب بالطبع .

ويعود قسط كبير من وجود الكلمات الحيشية والرومية والفارسية في العربية الى الرقيق الأسود والأبيض . وهذه الكلمات هي مسميات لأمر غريبة عن العربية لم يكن لأهل مكة ولا لغيرهم علم بها ، فاستعملوها كما وردت وأخذت ، أو صقلت حتى لامت اللسان العربي ، كما حدث ويحدث في اللغات الأخرى ، وعربت وصارت من ألفاظ العربية . وقد لاحق قسماً منها علماء اللغة ، فوضعوا

١ ابن هشام (٣٢١) .

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٩) .

٣ (ضرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على نصراني بمكة دينارا كل سنة) ، كتاب الخراج ليعحي بن آدم (٥٣) ، ابن سعد ، الطبقات (٣٩/١) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ٩٥) .

٤ الطبري (٢٠٠/٢) ، السيرة الحلبية (١٤٣/١) ، الاصابة (١٣٦/١) وما بعدها ،

Ency., III, P. 584.

٥ الاصابة (١٦٦/١) .

فيها كتباً بحثت في تلك المعربات ، وفي القرآن الكريم طائفة منها لم يغفل عنها أرباب اللغة والمفسرون ^١ .

أغنياء ومعدمون :

كان أهل مكة بين غني مُتَخَمٍّ وفقير معِدم . وبين الجاعتين طبقة نستطيع ان نقول انها كانت متوسطة . وأغنياء مكة ، هم أصحاب المال ، وقد تمكنوا من تكثيره بإعمال ما عندهم من مال بالاتجار وبقراضه للمحتاج اليه ، وإيعماله بالزراعة ، واستغلاله بكل الطرق المربحة التي يرون انها تنفعهم بالأرباح .

وقد تمكن هؤلاء الأغنياء من بسط سلطانهم على قبائل الحجاز ، ومن تكوين صلات وثيقة مع أصحاب المال في العربية الجنوبية وفي العراق وبلاد الشام ، بحيث كانوا يتصافقون في التجارة ويشاركونهم في الأعمال ، حتى صاروا من أشهر تجار جزيرة العرب في القرن السادس للميلاد .

ويظهر مما جاء في القرآن الكريم ان بعض هؤلاء الأغنياء كان قاسياً ، لم تدخل الرحمة ولا الشفقة قلبه . فكان يقسو على المحتاج ، فلا يقرضه المال إلا بربى فاحش وكان يشتط عليه . وكان بعضهم لا يتورعون من أكل أموال اليتيم والضعيف ، طمعاً في زيادة ثرائه . وكان يستغل رقيقه استغلالاً شنيعاً ، حتى انه كان يكره فتياته على البغاء ليستولي على ما يأتين به من مال . وفي ذلك نزل النهي عنه في الإسلام . (ولا تُكْرِهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ، لَتَبْتَنَّهُنَّ غَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ^٢ . قال (الطبري) : (كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا . يأخذون أجورهن . فقال الله ، لا تكْرِهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا . ومن يكرههن ، فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لهن . يعني إذا أكرهن) . وقال : (كانوا يأمرؤن ولائدهم يباغين ، يفعلن ذلك ، فيصبن فيأتينهم بكسبهن) . وروي ان هذه الآية نزلت في حق (عبد الله ابن أبي سلول) ^٣ .

١ العرب ، للجواليقي .

٢ النور ، الآية ٣٣

٣ تفسير الطبري (١٨/١٠٣ وما بعدها) ، سورة النور .

وكان من أغنياء مكة من يأكل بصحاف من ذهب وفضة ، ويشرب بآنية من ذهب وفضة ومن بلور ، ويأكل على طريقة الروم والفرس بسكاكين وشوكات مصنوعة من ذهب أو من فضة ، على حين كان أكثر أهل مكة فقراء لا يملكون شيئاً . وكانوا يلبسون الحرير ، ويتحلون بالخوازم المصنوعة من الذهب ، تزينها أحجار كريمة . ولعلّ هذا الإسراف والتبذير كانا في جملة العوامل التي أدت الى منع المسلمين من استعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة للأكل والشرب ، ومن صدور النهي من استعمال الحرير للرجال ^١ .

وقد حرص هؤلاء الأغنياء على اكثار أموالهم ، وعلى توسيع تجارتهم ، لذلك كانت هجرة الرسول الى يثرب وتحرش المسلمين بقوافلهم الداهية الآتية بين بلاد الشام ومكة لظمة كبيرة أصابتهم . لقد اجتمع ملأهم بعد وقعة بدر للتداول في أمرهم . فقال قائل منهم : (قد عوّز علينا محمد مستجبرنا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية : إن أقننا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا . قال زمعة بن الأسود : فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدية ، لو سلكها مغمض العينين لاهتدى . قال صفوان : من هو ؟ فحاجتنا الى الماء قليل . إنما نحن شاتون . قال : فرات بن حيان ، فدعواه فاستأجراه ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عرق ، ثم خرج بهم على (غمرة) . وانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم خبر العير وفيها مال كثير ، وآتية من فضة حملها صفوان بن أمية ، فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيان القوم ، فكان الخمس عشرين ألفاً ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسم الأربعة أخماس على السرية ، وأتى بفرات بن حيان العجلى أسيراً ، فقيل : إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم ، فأرسله ^٢ . وقد عرفت هذه الغزوة بـ (غزوة القردة) . وقد كانت في السنة الثالثة من الهجرة .

وقد أشير في ديوان (حسان بن ثابت) الى (فرات) هذا ، كما أشير

١ شمس العلوم (ج ١ قسم ٢ ص ٢٩٣) .

٢ الطبري (٤٩٢/٢) ، (دار المعارف) ، الاشتقاق (٢٠٨) ، البلاذري ، انساب (٣٧٤/١) .

الى رجل آخر هو (قيس بن امرئ القيس العجلي) ، استأجرته قريش كذلك ، ليكون لها دليلاً يهدي قوافلها الطريق ^١ .

وقد كانت قريش ، كما كان غير قريش ، ومنهم المسلمون يستعينون بالأدلاء لإرشادهم الطرق ، ولا سيما في أيام الخطر . وأيام جزيرة العرب كلها خطر دائم بالنسبة للتجار ، لما كانوا يحملونه معهم من أموال ، تسيل لعاب الطامعين في المال ، وتنسيهم كل عهد وموثق . لذلك كانوا يتحسسون جهلهم الطرق ، ولا يسبرون إلا في الطرق الآمنة التي يوثق من ذمم أصحابها ومن قدرة سادتها على ضبطها وعلى انزال أقصى العقوبة بالخلماء وبالخارجين على الطاعة والعرف . ويستأجرون الأدلاء أصحاب العلم والدراية العملية بالطرق وبمخارجها وبكيفية الخروج من مآزقها ومهالكها وأخطارها ، يتفقون معهم على إرشادهم ، على ان يكون لهم أجر حسن ان نجت القافلة من الخطر ووصلت سالمة الى مكانها المقصود .

وقد استغل تجار مكة أموالهم في الخارج ، وامتلكوا الصياع ، فامتلك (أبو سفيان ابن حرب) أيام تجارته الى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقبش ، فصارت لمعاوية وولده ^٢ .

ولم يبال رجال مكة من الاشتغال بالصناعات ، فقد اشتغل قوم منهم بالبزاة ، واشتغل بعض منهم بالخياطة ، فكان (العوام أبو الزبير خياطاً) و (كان الزبير جزّاراً ، وكان عمرو بن العاص جزّاراً ، وكان عامر بن كريز جزّاراً ، وكان الوليد بن المغيرة جزّاراً . وكان العاص بن هشام أخو أبو جهل حداداً ، وكان عقبة بن أبي معيط خماراً . وكان عثمان بن أبي طلحة الذي دفع اليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مفتاح البيت خياطاً ، وكان قيس بن مخزومة خياطاً ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بنجراً ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله ابن جدعان نخاساً ، له جوار يساعين ويبيع أولادهم ، وكان العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص يعالج الخيل والإبل ، وكان النضر بن الحارث بن كلفة

١ ديوان حسان (٢٩٥) ، (البرفوقي) ، (ص ٣٨) ، (هرشفلد) .

٢ البلاذري ، فتوح (١٢٥) .

يضرب بالعود ويتغنى ، وكان الحكم بن أبي العاص أبو مروان بن الحكم حجاجاً ، وكذلك حريث بن عمرو)^١ .

ولإذا صح ما ذكرته من كلام نقلته من (الأعلام النفيسة) لابن رسته ، فإن ذلك ينفي ما يذكره أهل الأخبار من عدم وجود (نجار) في مكة كالذي ذكروه من عدم وجود نجار بها يوم جددوا بناء الكعبة ، فحاروا في كيفية العثور على نجار يقوم بتسقيف البيت ، وبقوا في حيرتهم حتى اهتدوا الى رومي تحطمت سفينته عند الساحل ، فجأؤوا به وبخشب سفينته فسقف الرومي (باقوم) لهم عندئذ الكعبة . وتنفي رواية (ابن رسته) ما ذكره غيره من ترفع ذوي الأسر من قريش من الاشتغال بالحرف اليدوية لأنها حرف لم تخلق للأشراف . ويكون ذلك دليلاً على ان بعض ما يذكره أهل الأخبار عن أهل مكة بعيد عن الواقع وتناقض فيما يروونه ، لم يفتنوا اليه ، لأنهم كانوا ينقلون الأخبار ، ويأخذونها أنى جاءت ، وغايتهم الجمع ، وعلينا الآن واجب التمهيص بين تلك الروايات ونقدتها وغربلتها ، لاستخراج اللب من القشور .

وعندي ان الإسلام ، هو الذي صير قريشاً قريشاً المذكورة في الكتب . وهو الذي سوتها على العرب ، وجعل لها المكانة الأولى بين القبائل ، والخلافة فيها ، بفضل كون الرسول منها وظهور الإسلام في مكة . ولولا الإسلام ، لكانت مكة قرية من القرى ، لبعض أسرها ثراء حصلت عليه بفضل نشاطها وتقرب رجالها الى سادات القبائل وحكام العراق وبلاد الشام واليمن ، وبفضل دعوة رجال قريش القبائل المحيطة بمكة لحج البيت والتقرب الى الأصنام التي كدسوها فيه وحوله ، ومنها أصنام القبائل التي لها تعامل مع مكة ، فحصلت على ربح هو (حق قريش) من الغرباء وحق تعشير التجار وتعاطي البيع والشراء معهم .

ويبدو من أخبار الأخباريين عن البيت ؛ ان العناية لم توجه اليه إلا قبيل الإسلام ، وان الإسلام هو الذي رفع قواعده ، وعني بعمارتها ، وهو الذي فرش مسجده بالرخام ، وجعل له أشياء كثيرة لم تكن موجودة في أيام الجاهلية . وقد صرف عليه الخلفاء أموالاً طائلة وذلك قرينة لله رب البيت .

والواقع ان في كثير مما يذكره أهل الأخبار عن مكة ، ما يناقض بعضه

١ ابن رسته ، الأعلام (٢١٥) .

الفصل الثالث والأربعون

يثرب والطائف

وكان ليثرب مكان مهم عند ظهور الإسلام ، وفيها وفي أطرافها سكنت جاليات من يهود . وهي من المواضع التي يرجع تأريخها الى ما قبل الميلاد . وقد ذكرت في الكتابات المعينية ، وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات من معين ، ثم صارت الى السبئيين بعد زوال مملكة معين^١ . ولعلّ هذا السكن هو الذي حمل النسابة على ارجاع نسب أهل يثرب الى اليمن ، فقالوا لانهم من الأزد ، ولانهم من (قحطان) .

وللأخباريين كمعادتهم آراء في الاسم ، قالوا إنها سميت (يثرب) نسبة الى (يثرب بن قانية بن مهلائيل بن لارم بن عييل بن عوص بن لارم بن سام بن نوح) ، وكان أول من نزلها فلدعيت باسمه . وقالوا : بل قيل لها (يثرب) من الثريب ، وقالوا أشياء أخرى من هذا القبيل^٢ .

وزعم أهل الأخبار ان الرسول لما نزلها كره ان يسميها (يثرب) ، فدعاها (طيبة) و (طابة) . وذكروا لها تسعاً وعشرين اسماً ، منها : (جابرة)

١ Ency., III, P 83, Hartmann, Die Arabische Frage, S., 253, H. Winckler, Arabisch-Semittisch-Orientalisch, in Mitteilungen der Vorderasatischen Gesellschaft, (1901), S., 63.

٢ البلدان (٤٩٨/٨) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢) .

و (مسكينة) و (محبورة) و (ينذر الدار) و (دار الهجرة)^١ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن أقدم من سكن (يثرب) في سالف الزمان قوم يقال لهم (صعل) و (فالج) ، فغزاهم النبي (داود) وأخذ منهم أسرى ، وهلك أكثرهم وقبورهم بناحية (الجرف) . وسكنها (العماليق) ، فأرسل عليهم النبي (موسى) جيشاً انتصر عليهم ، وعلى من كان ساكناً منهم بـ (تيماء) ، فقتلوه ، وكان ذلك في عهد ملكهم الملك (الأرقم بن أبي الأرقم) . ولم يترك الاسرائيليون منهم أحداً ، وسكن اليهود في مواضعهم^٢ . ونزل عليهم بعض قبائل العرب ، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والآطام والمنازل . ومن هؤلاء (بنو أنثيف) ، وهم حيّ من (بليّ) ، ويقال إنهم بقية من العماليق ، و (بنو مُريد) مزيد (مرثد) ، حيّ من (بليّ) ، وبنو معاوية ابن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبنو الجذمي (الجذماء) حيّ من اليمن ، فعاشوا مع من كان يثرب وأطرافها من اليهود ، واتخذوا المنازل والآطام يتحصنون فيها من عدوهم إلى قدم الأوس والخزرج أيها^٣ .

وكان قدم (الأوس) و (الخزرج) على أثر حادث (سيل العرم) ، فأجمع (عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة) ، الخروج عن بلاده وباع ماله بمأرب ، وتهرق ولده ، فترلت الأوس والخزرج (يثرب) وارتحلت (غسان) إلى الشام ، وذهبت (الأزدي) إلى عمان وخزاعة إلى تهامة . وأقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام والنخل في أيدي اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم ، فكثروا معهم أمداً وعقدوا معهم حلفاً وجواراً يأمن به بعضهم بعضاً ويمتنعون به ممن سواهم ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، حتى نقضت اليهود عهد الحلف والجوار ، وتسلطها على يثرب ، فاستعان الأوس والخزرج

١ البلدان (٤٢٥/٧) ، (٤٩٨/٨) ، المقدسي : أحسن التقاسيم (ص ٣٠) ،

(الطبعة الثانية) (لندن ١٩٠٦ م) ، ابن رسته ، الأعلام (ص ٥٩) ، (للمدينة

في التوراة (التوريه) أحد عشر اسماً) ، ابن رسته (ص ٧٨) .

٢ ابن رسته ، الأعلام (٦٠ وما بعدها) ، ياقوت ، البلدان (٤٦١/٤ وما بعدها) ،

الأغاني (٩٤/١٩) .

٣ ابن رسته ، الأعلام (٦٢) .

بأقربائهم على اليهود ، فغلبوهم ، وصارت الغلبة للعرب على المدينة منذ ذلك العهد ، على نحو ما سأحدث عنه بعد قليل .^١

وأقدمُ موردٌ أُشيرَ فيه الى (يثرب) ، هو نص الملك (نبونيد) ملك بابل ، الذي سكن (تياء) امداً ، وذكر فيه انه بلغ هذه المدينة ، كما سلف ان تحدثت عن ذلك في اثناء حديثي عن صلوات العرب بالبابلين . وقد عرفت بـ (يثربه) (Jathripa) في جغرافيا (بطليموس) وعند (اصطيغان البيزنطي) .^٢ وعرفت بـ (المدينة) كذلك من كلمة (Medinta) (Medinto) الإرمية ، التي تعني (مدينة) في عربيتنا و (هكر) في العربية الجنوبية .^٣ وقد ورد اسمها في الكتابات المعينية .^٤

ويظهر انها عرفت بـ (مدينة يثرب) على نحو ما وجدنا في كتاب (اصطيغان البيزنطي) ، ثم اختصرت ، فقليل لها (مدينتا) ، اي (المدينة) . ولما نزل الرسول بها ، عرفت بـ (مدينة الرسول) في الاسلام .^٥

ولقد تم تأريخ (يثرب) ولورود اسمها في نص (نبونيد) ، الذي يدل على انها كانت معروفة اذ ذاك ، لا يستبعد احتمال عثور المتقنين في المستقبل على كتابات وآثار قد تكشف عن بعض تأريخ هذه المدينة في ايام ما قبل الاسلام .

ولم يشر اهل الاخبار الى وجود حرم او بيت يثرب ، كان يتعبد فيه الوثنيون ويتقربون اليه بالنذور ، مع انهم اشاروا الى بيت اللات في الطائف . ويثرب مدينة مثل الطائف ومثل مدن اخرى كانت ذات محجّات ومعابد . وقد كان اهل يثرب مثل غيرهم من العرب مشركين يتقربون الى الأصنام ، وكانوا يحفظون

١ ابن رسته ، الأعلام (٦٢ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٦٠/٢) ،

(مطبعة السعادة ، ١٩٣٢ م) .

٢ تأريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣٩٥/٣) ، (١٨١/٤) .

Ptolemy, VI, 7, 31.

٣ Blau, in ZDMG., 22, (1868), S. 668, Ency., III, P. 83. Paulys-Wissowa, 17 ter Halbband, 1914, 791.

٤ Ency., III, P. 83, Winckler, Arabisch — Semitisch, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1901, S., 63.

٥ Ency, III, P. 83.

اصناماً لهم في بيوتهم يتقربون اليها ، كما كانوا يحجون الى محجّات كانت على مسافة من يثرب . ولذلك يبدو غريباً سكوت اهل الأخبار عن ذكر بيت في هذه المدينة ، يحج له الأوس والخزرج ومن والاهم من قبائل وعشائر .

وعثر في مواضع لا تبعد كثيراً عن (يثرب) على كتابات جاهلية ، لم تعرف هويتها الآن ، لأن الباحثين لم يتمكنوا من فحص مواضعها ومن نقلها الى العلماء المختصين لقراءتها . كما أنهم لم يتمكنوا من تصويرها ولا من التنقيب في تلك الأماكن تنقيباً علمياً . وقد اشار (عثمان ورستم) الى وجود كتابات من هذا النوع على جبل (سلع) ، وعند موضع (بئر عروة) بوادي الحقيق وفي أماكن اخرى .^١ ارجو ان يصل اليها الباحثون للتنقيب فيها ولحل رموز هذه الكتابات .

وقد يعثر على كتابات اخرى مطمورة في تربة (يثرب) وفي الأماكن القريبة منها ، تكجف للقادمين من بعدنا اسرار هذه المدينة المقدسة .

ويثرب ، مثل مكة من شعاب ، تسكنها بطون الأوس والخزرج : الأوس في شعاب ، والخزرج في شعاب ، واليهود في شعاب . وفي الشعاب (حوائط) ، بساتين صغيرة ، وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب وللسقي وللغسل ،^٢ كما كانت فيها دور مبنية بالآجر ودور مبنية باللبن . وبعضها ذو طابقين . وقد احتفر اليهود آباراً ، كانوا يبيعون الماء منها بالدلاء ، مثل (بئر ارومة) ، وكانت ليهودي ، وقد امر الرسول بشرائها ، فاشتراها عثمان .^٣ ومن آبار المدينة (بئر ذروان) ، وهي البئر التي ذكر ان لبيد (ابن الأعصم) اليهودي سحر بها الرسول .^٤

ويثرب على شاكلة مكة ، بغير سور ولا حائط يحيط بها ، ولا خندق يقف حائلاً امام من يريد بالمدينة سوءاً . وقد كان عماد دفاع اهلها بالتحصن في بيوتهم وبسد منافذ الطرق في اثناء الخطر . والأغنياء الموسرون يعتمدون على آطامهم

١ Osman R. Rostem, Rok Inscriptions in the Hijaz, PP. 4.

٢ الطبري (٣٥٧/٢) (دار المعارف) ، اللسان (٢٧٩/٧) .

٣ المعارف (ص ٨٣) .

٤ نزهة الجليس (٦١/١) ، تفسير النيسابوري (٢١٥/٣٠) ، حاشية على تفسير الطبري .

وحصونهم وقصورهم ، يلجؤون اليها عند الشدة ومن معهم من اتباعهم يرمون اعداءهم من فوق السطوح بالسهام وبالحجارة ، اذ لا حائط يحيط بها على نحو ما كان لمدينة الطائف . وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام ، وأرخوا بتلك الحرب ، وصاروا يؤرخون به (عام الآطام) . وذكر ان اهل المدينة من الأوس والخزرج كانوا يمتنعون بها ، فأخربت في ايام عثمان .^١

ويظهر من وصف اهل الاخبار ليثرب ، انها كانت تشبه مدينة (الحيرة) بالعراق من حيث خلوتها من سور ومن تكوتها من (قصور) ، هي بيوت السادة ومعقل المدينة ومواضع دفاعها آثناء الشدة وأوقات الحروب . وقد عرفت به (أطم) و (آطام) عند اهل يثرب . وذكر ان (الأطم) كان حصن بُنيَّ بحجارة ، او كل بيت مربع مسطح . وورد ان (الأطوم) : القصور وحصون لأهل المدينة والأبنية المرتفعة كالحصون .^٢

والمدينة عند (وادي اضم) . يقال للقسم الذي هو عند المدينة منه (القناة) والذي هو أعلى منها عند السد : الشظاة ، اما ما كان اسفل ذلك ، فيسمى أضماً الى البحر . وذكر ان اضم واد يشق الحجاز حتى يُفرغ في البحر . وأعلى اضم القناة التي تمر دوين المدينة .^٣ وأن المدينة هي ما بين طرف قناة الى طرف الجرف ، وما بين الماء الذي يقال له (البوا) الى (زباله) .^٤

وجو (يثرب) على العموم خير من جو مكة ، فهو ألطف وأفرح . ولم يعانِ اهلها ما عانى اهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه ، حتى بعد حفر (بئر زمزم) . فالماء متوفر بعض الشيء في المدينة ، وهو غير بعيد عن سطح الأرض ، ومن الممكن الحصول عليه بسهولة بجحر آبار في البيوت . ولهذا صار في امكان اهلها زرع النخيل ، وانشاء البساتين والحدائق ، والتفسيح فيها ، والخروج الى اطراف المدينة للترهة ، فأثر ذلك في طباع اهلها فجعلهم ألين عريكة وأشرح صدرأ من اهل البيت الحرام .

-
- ١ الأغاني (١٤/١) (ساسي) التنبيه (ص ١٧٦) .
 - ٢ تاج العروس (١٨٧/٨) ، (اطم) ، اللسان (١٩/١٢) ، (اطم) .
 - ٣ تاج العروس (١٨٧/٨) ، (اضم) .
 - ٤ ابن رسته ، الأعلام (٦٢) .

وتأريخ المدينة مثل سائر تواريخ هذه الأماكن التي نتحدث عنها ، مجهول لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، وإنما ما يذكره الاخباريون عن وجود العاليق وجرحهم بها ^١ فأمر^٢ وان قالوه ، لا يستند الى دليل ، وحكمه حكم الأخبار الأخرى التي يروونها والتي عرفنا نوع أكثرها وطبيعته . ولكن الشيء الذي نعرفه يقيناً ان اهل المدينة كانوا ينتسبون عند ظهور الاسلام الى يمن ، وكانوا يقسمون انفسهم فرقتين : الأوس والخزرج . وبين الفرقتين صلة قرى على كل حال . ثم يذكرون انه كان بينهم يهود ، وهم على زعمهم من قداماء سكان يثرب .

ويلاحظ ان الأوس والخزرج لا يدعون انفسهم بأبناء حارثة ، وإنما يدعون انفسهم بـ (بني قيلة) وبـ (ابني قيلة) ويقصدون بها (قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة) ، او (قيلة بنت هالك بن عُذْرَة) من قضاعة ، او (قيلة بنت كامل بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف ابن قضاعة) . ^٣ ولا بد ان يكون لهذه المرأة التي ينتسبون اليها شهرة في الجاهلية حلتهم على الانتساب اليها . وقد ورد ان (قيلة) اسم ام الأوس والخزرج ، وهي قديمة . ^٤

وقد ذكر بعض اهل الاخبار ان الأوس والخزرج ابنا قيلة لم يؤدوا اناوة قط في الجاهلية الى احد من الملوك ، وكتب اليهم تُبَعَّ يدعوهم الى طاعته ، فغزاهم تبع ابو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهراً ويخرجون اليه العشاء ليلاً ، فلما طال مكوثه ورأى كرمهم رحل عنهم . ^٥

ويُرجع الاخباريون مجيء الأوس والخزرج الى المدينة الى حادث سيل العرم ، ويقولون انهم لما جاءوا الى يثرب وجدوا اليهود وقد تمكنوا منها ، فترلوا في ضنك وشدة ، ودخلوا في حكم ملوك يهود الى ايام ملكهم المسمى (القبطوان)

-
- ١ البلدان (٤٢٧/٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢ وما بعدها) .
 - ٢ البلدان (٤٢٨/٧) ، الكامل (٢٧٥/١) ، ابن حزم ، جمهرة (٢٣٢/٩) ، ابن خلدون ، المجلد الثاني ، القسم الأول (٥٩٦) ، (منشورات دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ م بيروت) .
 - ٣ اللسان (٥٨٠/١١) ، (صادر) ، (قيل) .
 - ٤ العقد الفريد (١٩٢/١ وما بعدها) ، الأصمعي ، ملوك العرب الاولى (٨٧ وما بعدها) .

أو (الفيطون) أو (الفيطيون) ، وكان رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الأوس والخزرج ، فقتله رجل منهم اسمه (مالك بن عجلان) وفرّ إلى الشام إلى ملك من ملوك الغساسنة اسمه (أبو جيلة) . وفي رواية أنه فرّ إلى (تبع الأصغر بن حسان) . وتذكر الرواية أن أبا جيلة سار إلى المدينة ونزل بندي حرض ، ثم كتب إلى اليهود يتوّد إليهم ، فلما جاؤوا إليه قتلهم ، فتغلّبت من يومئذ الأوس والخزرج ، وصار لهم الأموال والآطام . ثم رجع (أبو جيلة) إلى الشام . وصارت اليهود تلعن (مالك بن عجلان) . وهم يروون في ذلك أبحاثاً ينسبونها إلى شاعر اسمه (الرمق بن زيد الخزرجي)^١ . ويذكر الأخباريون أن اليهود صوّرت (مالك بن عجلان) في كنائسهم وبيعهم لبراه الناس فيلعنوه^٢ .

وذكر (ابن دريد) أن (الفيطون) ، اسم (عبراني) ، وكان تَمَسَكَ بيثرب ، وكان هذا أول اسم في الجاهلية الأولى . وقد شهد بعض ولد الفيطون بدمراً ، واستشهد بعضهم يوم اليمامة ، فن ولد (الفيطون) : أبو المقشعر ، واسمه أسيد بن عبد الله^٣ . ويذكر بعضهم أن اسم (الفيطون) ، هو (عامر ابن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق بن عمرو مزريقاء)^٤ . فهو من العرب على رأي هذا البعض ، ومن اليمن ، وليس من أصل عبراني .

وأبو جيلة عند بعض الأخباريين ، هو (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) ، أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج . فهو على هذه الرواية رجل من الخزرج ذهب إلى ديار الشام ، فملك على غسان . وذهب بعض آخر من الأخباريين إلى أنه لم يكن ملكاً ، وإنما كان عظيماً ومقرباً عند ملك غسان^٥ . ونسبه بعض

١ البلدان (٤٢٨/٧ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، الكامل (٢٧٥/١) ، البداية ، ابن كثير (١٦٠/٢) ، (مطبعة السعادة ، ١٩٣٢ م) .

٢ ابن خلدون (٢٨٧/٢) ، الاشتقاق (ص ٢٧٠) ، الأغاني (٩٥/١٩ وما بعدها) ، السهمودي خلاصة الوفاء (٨٢ وما بعدها) ، الطبري (٣٧١/٢) ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، إسرائيل ولفنسون (٥٦ وما بعدها) ،

Graetz, BD., 3, S., 91, 410.

٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٤ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .

٥ الكامل (٢٧٦/١) ، ابن خلدون (٢٨٦/٢ وما بعدها) .

أهل الأخبار الى (بني زريق) ، بطن من بطون الخزرج . ونعته بـ (أبي جيلة الملك الغساني)^١ .

ونحن إذا أخذنا هذه الرواية ، وجب علينا القول : ان أخذ الأوس والخزرج أمر المدينة بيدهم ، وزحزحة اليهود عنها ، يجب ان يكون قد وقع في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في زمن لا يبعد كثيراً عن الاسلام . لأننا نجد ان أحد أولاده وهو (عثمان بن مالك بن العجلان) في جملة من دخل في الاسلام وشهد بدرأ ، كما نجد جملة رجال من (بني العجلان) ، من أبناء أخوة (مالك) وقد شهدوا (بدرأ) ومشاهد أخرى^٢ ، وهذا مما يجعل زمن (مالك) لا يمكن ان يكون بعيداً عن الاسلام .

ويظهر من دراسة هذه الأخبار المروية عن اليهود وملوكهم (الفطيون) وعن الأوس والخزرج وما فعلوه باليهود ، ان عنصر الخيال قد لعب دوراً في هذا المروي في كتب أهل الأخبار عن الموضوع . ونجد في القصص المروي عن ملوك اليمن وعن ولعهم بالنساء وعملهم المنكر بهن ، ما يشبه هذا القصص الذي نسب الى (الفطيون) . ونجد للعلاقات الجنسية مكانة في هذا القصص الجاهلي الذي ابرويه أهل الأخبار عن ملوك الجاهلية . وما قصة (الفطيون) إلا قصة واحدة من هذا القصص الذي نجد للغرائز الجنسية مكانة بارزة فيه .

ويظهر ان كلمة (الأوس) هي اختصار لجملة (أوس مناة) . و (مناة) كما نعلم صنم من أصنام الجاهلية . و (الأوس) هو جدّ الأوس ، وهو في عرف النسّابين (أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن مريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد)^٣ .

١ الاشتقاق (ص ٢٧٢) .

٢ الاشتقاق (ص ٢٧١ ومواضع أخرى) .

٣ البلدان (٤٢٨/٧) ، (أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزريقاً بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطرقي بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٧٥/١ ح ، ابن خلدون (٢/٢٨٨) ، اللسان (١٨/٤ وما بعدها) ، تاج العروس (١٠٣/٤) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٣٢٢) ، العقد الفريد (٣/٣٦ ، ١٥٩) ، (لجنة) ، ابن هشام (٢/٣٤٧) ، دائرة المعارف الاسلامية (٣/١٥٠) .

وينقسم الأوس الى بطون ، منهم : عوف ، والنبيت ، وجشم ، ومرة ، وامرؤ القيس . وقد عرف (بنو مرة) بالجعادرة كذلك . واتفقت جشم ومرة وامرؤ القيس وكونت حلفاً عرف بـ (أوس اللاة) . وبـ (أوس) كذلك . وانقسمت هذه الكتلة الى أربعة أقسام ، هي : ختمة وهي (جشم) في الأصل ، وأمّية ، ووائل وهي مرة ، وواقف وهي امرؤ القيس . وانقسمت هذه البطون الى أفخاذ عديدة ، حدثت بينها منازعات وحروب^١ .

ويرجع أهل الأخبار نسب أهل (قباء) الى (عوف) ، ونسب (النبيت) الى (عمرو) ، ونسب (الجعادرة) الى (مرة) . وقيل انهم سمّوا بذلك لانهم كانوا يقولون للرجل اذا جاورهم (جعدراً حيث شئت ، فأنت آمن . أي اذهب حيث شئت) . ومنهم بنو كلفة وبنو حنش وبنو ضبيعة^٢ .

ومن الأوس (أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا) ، سيّد الأوس في الجاهلية شاعر . وكانت عنده (سلمى بنت عمرو النجارية) ، وأولاده منها لإخوة عبد المطلب . وهو من (بني جحجبا) . ومن ولده (المنذر بن عقبة ابن أحيحة بن الجلاح) ، شهد بدرأ وقتل يوم بئر معونة^٣ . وله أشعار ذكرها الرواة ، منها أبيات في رثاء ابن له^٤ .

وأما الخزرج ، فانهم إخوة الأوس في عرف النسابين . فالخزرج ، وهو جدّ الخزرج ، هو شقيق أوس . وهو (الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد) . وقد جاء نسله كما جاء نسل الأوس من اليمن بعد حادث سيل العرم ، وسكنوا يثرب والى الشمال منها حتى (خيبر) و (تيماء) . وتأريخهم مثل تأريخ الأوس في رأي الأخباريين بدأ بالاتصال باليهود وبالعيش معهم وبينهم الى ان تمكنوا منهم بعد الحادث الذي ذكرته وبعد مجيء أبي جبيعة لنصرهم^٥ .

- ١ الاشفاق (ص ٢٥٩) .
- ٢ الاشفاق (ص ٢٥٩ وما بعدها) .
- ٣ الاشفاق (ص ٣٦٢) .
- ٤ رسالة الغفران (٥٥٤ ، ٥٦٢) .
- ٥ البلدان (٤٢٨/٧) ، الكامل (٢٧٥/١) ، السوبيدي ، سبائك الذهب (٦٩) ، المعارف لابن قتيبة (٢٦٠) ، دائرة المعارف الاسلاميه ، (١٥٠/٣) ، السهيلي ، الروض الأنف (١٤/١) ، سيرة ابن هشام (٢٠٤/٢) ، (القاهرة ١٩٣٦ م) ، Ency., I, P. 523

ومن سادات الأوس عند ظهور الاسلام ، (سعد بن معاذ) ، الذي قتل يوم (الخندق) ، وأخوه (عمرو بن معاذ) ، وقتل يوم أحد . و (سمالك ابن عتيك) فارسهم في الجاهلية ، وابنه (حضير الكناثب) ، وكان سيد الأوس ورئيسهم يوم بعاث . وابنه (أسيد بن حضير) ، شهد بدر^١ . ومنهم (أبو الهيثم بن التيهان) ، وكان نقيباً ، شهد العقبة وبدر^٢ . و (قيس بن الخطيم بن علي) الشاعر^٣ . و (سعد بن خيثمة) ، وكان نقيباً ، وقتل يوم بدر ، وأبو قيس بن الأسلت الشاعر . و (شاس بن قيس بن عبادة) ، وكان من أشرف الأوس في الجاهلية^٤ .

والخزرج أيضاً بطون ، أشهرها : بنو النجار ويتسبون الى (تيم الله بن ثعلبة) والحارث ، وجشم ، وعوف ، وكعب^٥ . ويلاحظ ان جشماً وعوفاً هما اسماء بطنين أيضاً من بطون الأوس .

ومن الخزرج (أبو أيوب خالد بن زيد) ، نزل عليه النبي أيام قلم المدينة . و (نعيم بن عمرو) ، وكان النبي يستخف نعيماً ، لم يلقه قط إلا ضحك اليه . و (أسعد الخير بن زرارة بن عدس) ، شهد العقبة وكان نقيباً ، و (أبو أنس بن صرمة) الشاعر ، وهو جاهلي^٦ ، و (ثابت بن قيس بن شاس) ، خطيب رسول الله ، وعمرو بن الاطنابة الشاعر ، جاهلي وهو أحد فرسان الخزرج^٧ . و (سعد بن عبادة بن دليم) ، وابنه (قيس بن سعد بن عبادة) ، وكان نقيباً سيداً جواداً ، وابنه قيس أجود أهل دهره في أيام معاوية ، ومنهم (مالك بن العجلان) قاتل (الفطيون) ، وابنه (عثمان بن مالك بن العجلان) ، شهد (بدر^٨) ، و (خالد بن قيس بن العجلان) ، شهد بدر^٩ ، و (عمرو بن النعمان بن كلدة بن عمرو بن أمية بن عامر بن ياضة) .

١ الاشتقاق (ص ٢٦٣) .

٢ الاشتقاق (ص ٢٦٤) .

٣ الاشتقاق (ص ٢٦٥ وما بعدها) .

٤ الاشتقاق (ص ٢٦٦) .

٥ الاشتقاق (ص ٢٦٧) .

٦ الاشتقاق (٢٦٨) .

٧ الاشتقاق (٢٧٠ وما بعدها) .

رأس الخزرج يوم بُعث^١ . و (رافع بن مالك بن العجلان) ، وهو أول من أسلم من الأنصار ، و (النعمان بن العجلان)^٢ . و (مرداس بن مروان) ، شهد يوم الحديبية ، وباع تحت الشجرة ، وكان أمين النبي على سُهمان خيبر^٣ ، و (خشرم بن الحباب) ، وكان حارس النبي . و (البراء بن معمر) ، عقيّ وكان فقيهاً ، وهو أول من أوصى بثلاث ماله وأول من استقبل القبلة ، وأول من دفن عليها^٤ . و (أبو قتادة بن ربيعي) فارس النبي^٥ .

ويذكر الأخباريون انه كان للخزرج رئيس منهم ، هو (عمرو بن الأطنابة) ، وقد ملك الحجاز . وكان ملكه على رأيهم في أيام (النعمان بن المنذر) ، قتله الحارث بن ظالم قاتل خالد بن جعفر بن كلاب^٦ . وكانت بينه وبين (عمرو) خصومة . وذكر ان (عمرآ) ، قال شعراً يهزأ فيه بالحارث جاء فيه :

أبلغ الحارث بن ظالم الموعيدَ والنادر النذور علباً
إنما تقتل النيام ولا تقتل يقظان ذا سلاحٍ كميّاً

وكان عمرو شاعراً ومن الفرسان^٧ .

وبالرغم من صلة الرحم القريبة التي كانت بين الأوس والخزرج ، فقد وقعت بينهما حروب هلك فيها من الطرفين خلق كثير . وأول حرب وقعت بين الأوس والخزرج هي علي رواية الأخباريين حرب (سمير) (سميحة) . و (سمير) في روايتهم رجل من الأوس من بني عمرو ، شتم رجلاً اسمه كعب بن العجلان ، وهو من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان ، نزل على مالك بن العجلان رئيس الخزرج وحالفه وأقام معه ، ثم قتله . فثارت الثائرة بين الأوس بسبب هذا القتل وبسبب دفع دية القتيل ، ثم وقعت الحرب . ثم اتفقوا على ان يضعوا حكماً بينهم يفصل في الأمر ، فوقع اختيارهم على (المنذر بن حرام النجاري الخزرجي) . وهو

١ الاشتقاق (ص ٢٧١ وما بعدها)

٢ الاشتقاق (٢٧٢) .

٣ الاشتقاق (٢٧٣) .

٤ الاشتقاق (٢٧٣) .

٥ الاشتقاق (٢٧٥) .

٦ ابن خلدون (٢ / ٢٨٩) ، الاغانى (١١ / ١٢١ وما بعدها) .

٧ الاشتقاق (٢٦٨) .

جدّ حسان بن ثابت ، فحكم بينهم بأن يؤدوا لكعب دية الصريح ، ثم يعودوا الى سنتهم القديمة ، وهي دفع نصف الدية عن الخليف . فرضوا وتفرقوا ، ولكن بعد ان تمكنت العداوة والبغضاء في قلوب الطرفين ^١ .

واشتعلت نيران حرب أخرى بين الأوس والخزرج لسبب امرأة من (بني سالم) . وقد كانت الحرب في هذه المرة بين (بني جحجبا) من الأوس و (بني مازن بن النجار) من الخزرج . وقد وقعت في موضع (الرحابة) انهزمت فيه (بنو جحجبا) ^٢ .

ثم تجددت الحرب بين (عمرو بن عوف) من الأوس وبني الحارث من الخزرج بسبب مقتل رجل من بني عمرو . وقد عرفت هذه الحرب باسم : (يوم السرارة) . وقد كان على الأوس (حضير بن سمالك) . وهو والد (أسيد بن حضير) ، وكان على الخزرج (عبد الله بن سلول) (عبد الله بن أبي) المعروف في الاسلام بـ (رأس المنافقين) . وقد انتهت بانصراف الأوس الى دورها ، فعادت الخزرج ذلك نصراً لها ^٣ .

ووقعت حرب أخرى لأسباب تافهة كهذه الأسباب . وما كانت لتقع لولا هذه العصبية الضيقة يثيرها في الغالب أفراد لا منازل كبيرة لهم في المجتمع ، ومنهم من الصعاليك والمغمورين بأمور سخيفة ، فإذا وقع على أحدهم اعتداء نادى قومه للأخذ بثأره ، فتشور الحرب . ومن هذه الحروب ، حرب بني وائل ابن زيسد الأوسيين ، وبني مازن بن النجار الخزرجيين ، وحرب بني ظفر من الأوس وبني مالك من الخزرج ، وحرب فارح ، وحرب حاطب ، ويوم الربيع ، وحرب الفجار الأولى ، وهي غير حرب الفجار التي وقعت بين قيس وكنانة ، ثم حرب معبس ومضرس ، وحرب الفجار الثانية ، ثم يوم بعاث . وكان هذا

١ الكامل (٢٧٧/١) ، الأغاني (١٨/٣) وما بعدها (٢٤/٢٠) وما بعدها ،
المفضليات (ص ١٣٥) ، الاشتقاق (ص ٢٦٦) ، ابن رسته ، الأعلام (٦٤) ،
البلخي ، (البدء والتاريخ (١٣٠/٣) .

٢ الكامل (٢٧٧/١) .

٣ الكامل (٢٧٨/١) وما بعدها ، (فمن بني الحبلى : عبد الله بن أبي بن مالك ، الذي
يقال له ابن سلول . وسلول أمه . وكان رأس المنافقين . وكان أبنة عبد الله من
خيار المسلمين) ، الاشتقاق (٢٧١) .

اليوم آخر الأيام المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج^١ .

وكان رئيس الخزرج في يوم بعاث (عمر بن النعمان بن صلاء بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة) . أما رئيس الأوس ، فكان (حضير الكتائب بن سمالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل) . وقد ساعد الخزرج في هذا اليوم أشجع من غطفان ، وجهينة من قضاة . وساعد الأوس مزينة من أحياء طلحة بن لياس ، وقريضة والنضير . وقد قتل فيه (عمرو بن النعمان) رئيس الخزرج . فانهزم الخزرج ، وانتصرت الأوس^٢ .

وكان (حضير الكتائب بن سمالك) سيد الأوس ورئيسهم يوم بعاث . ركز الرمح في قلمه وقال : ترون أفرأ ؟ فقتل يومئذ . وابنه (أسيد بن حضير) من الصحابة الذين شهدوا العقبة وبلدراً^٣ .

وقد تخلل أخبار هذه الأيام كالعادة شعر ، ذكر ان شعراء الطرفين المتخاصمين قالوه على الطريقة المألوفة في الفخر ، وفي انتقاص الخصم ، وفي إثارة النخوة لتضطلم الحرب ويستमित أصحاب الشاعر في القتال . وقد كان المحلق في هذه الأيام حسان بن ثابت الشاعر المخضرم الشهير ، شاعر الرسول . وهو لسان الخزرج والمدافع عنهم ، و (قيس بن الخطيم) وهو من الأوس ، ثم جماعة ممن اشتركوا في المعارك ، مثل : عامر بن الاطنابة ، والربيع بن أبي الحقيق اليهودي ، وعبد الله بن رواحة وآخرون .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يثرب ان الأوس والخزرج ، لم يكونوا كأهل مكة من حيث الميل الى الهدوء والاستقرار ، بل كانوا أميل من أهل مكة الى حياة البداوة القائمة على الحصومة والقتال . وقد بقي الحيان يتخاصمان حتى جاء الرسول اليهما ، فأمرهما بالكف عنه ، ووجهها وجهة أخرى أنستهما الحصومة العنيفة التي كانت فيما بينهما . ويظهر من رواياتهم ايضاً ان الأوس والخزرج ، وإن

١ الكامل (٢٨٠/١) وما بعدها .

٢ ابن خلدون (٢٨٩/٢) وما بعدها ، ابن هشام (ص ٣٨٥) ، البرقوقي (ص ٢٧٨)

وما بعدها ، البلدان ، لياقوت (٤٥١/١) ، الميداني ، الأمثال (٢/١) ، اللسان

(١٨/٦) ، (أوس) ، تاج العروس (٦٠٤/١) ، البكري ، معجم (٢٦٠/١) .

٣ الاشتقاق (٣٦٣) .

كانوا قد تحضروا واستقروا ، غير أنهم لم يتمكنوا من التخلص من الروح الأعرابية تخلصاً تاماً ، بل بقوا محافظين على أكثر سجايها ، ومنها النزعة الى التضام والتفاني ، فألهتهم هذه النزعة عن الانصراف الى غرس الارض والاشتغال بالزراعة كما فعل اليهود ، وعن الاشتغال بالتجارة بمقياس كبير على نحو ما فعل أهل مكة . ونظراً لمساعدة أهل يثرب للرسول ومناصرتهم له وللمهاجرين ، عرف الأوس والخزرج بـ (الأنصار) في الاسلام . وصاروا يفتخرون بهذه التسمية ، حتى غلبت عليهم ، وصارت في منزلة النسب .

وكان أهل (يثرب) مثل غيرهم تجاراً ، يخرجون الى أسواق الشام فيتجرون بها . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء رجال منها تاجروا مع بلاد الشام . وكان (يهود) يثرب يتاجرون أيضاً ، ويأتون الى أهل (يثرب) بما يحتاجون اليه من تجارات . كما (كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ، وما يكون في الشام)^١ . وكانوا يتسقطون الاخبار وينقلونها الى الروم عند ظهور الاسلام . فقدم بعض الساقطة المدينة ، وأبو بكر ينفذ الجيوش ، وسمعوا كلام أبي بكر لعمر بن العاص ، وهو يقول : عليك بفلسطين وإيليا ، (فساروا بالخبر الى الملك هرقل)^٢ ، وتهيباً للالفة المسلمين .

ولم يذكر الرواة جنس هؤلاء (الساقطة) ، الذين كانوا يأتون بالتجارة من بلاد الشام الى المدينة ، هل كانوا روماً أم عرباً ، أم يهوداً ، أم كانوا خليطاً من كل هؤلاء . على كل كانوا تجاراً يأتون يثرب في الجاهلية لبيع ما يحملونه من تجارة ، ولشراء ما يجدونه هناك ، وبقوا شأنهم هذا الى الاسلام ، كما نرى من الخبر المتقدم .

هذا هو مجمل ما نعرفه عن تأريخ (يثرب) وهو شيء قليل ، لا يكفي المتعشش لمعرفة تأريخ هذه المدينة التي تعدّ من المواضع المقدسة في الاسلام . ولا

١ الواقدي ، فتوح (ص ١٦) ، (طبعة بيروت ١٩٦٦ م) .

٢ الواقدي ، فتوح (١٦ وما بعدها) .

بد وان يأتي يوم سنكتشف فيه الأفتنة عن تأريخ المدينة قبل الاسلام . وذلك حين يقوم المنقبون المتخصصون بالبحث في تربتها عن الماضي المستور الدفين .

الطائف :

والطائف على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من مكة . وهي على عكس مكة أرض مرتفعة ذات جوت طيب في الصيف فيه زرع وضرع ، وغنى جادت الطبيعة به على أهله . وقد كان وما زال مصيفاً طيباً يقصده أهل مكة فراراً من وهج الشمس .

وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان ، وهو أبعد مكان في الحجاز ، وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء ، وليس بالحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع . وبينها وبين مكة واد اسمه نعمان الأراك . وهي كثيرة الشجر والتمر ، وأكثر ثمارها الزبيب والرمان والموز والأعناب ، ولا سيما الصديفي ، وفواكه أخرى عديدة . وهي تموت مكة بالفواكه والبقول^١ . وتحيط بها الأودية . ومن مواضعها ، (الوهط) ، وهو واد ، أو مكان مطمئن من الأرض مستوي ، تنبت فيه العضاء والسمر والطلح والعرفط ، وقد اتخذ بستاناً ، صار لـ (عمرو ابن العاص) ، ثم لابنه . وقد عرف بكثرة كرمه وأنواع أعنابه^٢ .

والى الشرق من الطائف واد يقال له (ليّة) ، ذكر بعض أهل الأخبار ان أعلاه لثقيف وأسفله لـ (بني نصر بن معاوية) من هوازن^٣ .

وتأريخ مدينة الطائف تأريخ غامض ، لا نعرف من أمره شيئاً . إذ لم تمس تربتها أيدي علماء الآثار بعد ، كما ان السياح لم يجدوا في الطائف كتابات قديمة بعد . ولكن مكاناً مثل الطائف لا بد ان يكون له تأريخ قديم ، ولا يعقل ان يكون من الأمكنة التي ظهرت ونشأت قبيل الاسلام . وليس لنا من أمل في

١ تقويم البلدان (٩٥) ، صورة الأرض ، لابن حودل (٣٩) ، البكري ، معجم (٣١ / ٣ ، ٨٨٦) .

٢ تاج العروس (٢٤٣ / ٥) ، (وهط) .

٣ صفة (١٢٠) ، ، تاج العروس (٣٣٤ / ١٠) ، (لوى) .

الحصول على شيء من تأريخ الطائف إلا بقيام العلماء بمناجاة تربتها واستلراجها لتبوح لهم بما تكنه من كتابات مسجلة في الألواح يتحدث عن تأريخ هذا المكان المهم .

وقد عثر الباحثون فعلاً على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف الحديثة وفي مواضع غير بعيدة عنها . وقد تبين ان بعضاً منها بالنبطية وبعضاً آخر بالشمودية ، وان بعضاً بأبجدية أخرى ، وان بعضاً بأبجدية القرآن الكريم ، أي بقلم اسلامي . ولا يستبعد عثور العلماء في المستقبل على كتابات ستكشف عن تأريخ هذه البقعة ، وعن تأريخ من سكنها قبل الاسلام وقبل ثقيف . وُذكر ان بعض كتابات يشبه شكلها شكل الأبجدية اليونانية ، وكتابات أخرى يشبه خطها الخط الكوفي عثر عليها في (بستان شهار) على مسافة كيلومترين الى الجنوب من الطائف^١ . غير انها لم تدرس حتى الآن . ومكان مهم بالنسبة للطرق التجارية ولموقعه المعتدل الجميل ، لا بد وان يكون قد لفت أنظار سكان العربية الغربية قبل الميلاد فسكنوه ، ولا أستبعد امكانية تدوين تأريخ صحيح لهذه المدينة اذا ما قام المنقبون بالبحث فيها وفي الأماكن القريه منها لاستنطاقها ، لتحدث لهم عما عرفته من أخبار تلك الشعوب التي سكنت هذا الموضع قبل ثقيف .

ويزعم أهل الأخبار ان الطائف انما سميت طائفاً ، بحائطها المطيف بها . اما اسمها القديم ، فهو (وَجَجَ) . ولهم روايات عن كيفية قيام ذلك الحائط . وقد حاول بعض أهل الأخبار اعطاء الطائف مسحة دينية ، فزعموا بأنها من دعوات ابراهيم ، وانها قطعة من أرض ذات شجر كانت حول الكعبة ، ثم انتقلت من مكانها بدعوة ابراهيم ، فطافت حول البيت ، ثم استقرت في مكانها ، فسميت الطائف ، وزعمت ان جبريل اقتطعها من فلسطين ، وسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ، ثم أنزلها حول الطائف^٢ . وهكذا أكسبت هذه الروايات الطائف

١ Osman R. Rostem, Rock Inscriptions in the Hijaz, P. 11.

٢ البلدان (٣ / ٤٩٩ وما بعدها) ، المقدسي البدء والتاريخ (٢ / ١٠٩) ، الكامل ، لابن الاثير (١ / ٤٢٠ وما بعدها) ، (والطائف من بلاد ثقيف . قال أبو طالب بن عبد المطلب :

منعنا أرضنا من كل حي " كما امتنعت بطائفها ثقيف وهي في واد بالغور ، أول قراها : لقيم وآخرها الوهط . سُميت لانها طافت على =

قدمية ، وجعلت لها مكانة دينية . وهي روايات يظهر أنها وضعت بتأثير من سادات ثقيف المتعصبين لمدينتهم ، والذين كانوا يرون ان مدينتهم ليست بأقل شأناً من مكة أو يثرب . وقد كان بها سادات وأشراف كانوا أصحاب مال وثراء .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان الذي أقام حائط الطائف رجل من الصدف ، يقال له (الدمون بن عبد الملك) ، قتل ابن عمه له يقال له (عمرو) بحضرموت ، ثم فرّ هارباً ، ثم جاء الى (مسعود بن معتب الثقفي) ومعه مال كثير ، وكان تاجراً ، فقال : أريد ان أحالفكم على ان تزوجوني وأزوجكم

= الماء في الطوفان ، أو لأن جبريل عليه السلام طاف بها على البيت سبعة . نقله الميورقي عن الأزرقى . أو لأنها كانت قرية بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام اقتلاعاً من نخوم النرى بعيونها وثمارها ومزارعها وذلك لما قال: ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا . نقله أبو داود الأزرقى في تاريخ مكة وأبو حذيفة اسحاق بن بشر القرشي في كتاب المبتدأ وهو قول الزهري . وقال الفسطلاني في المواهب : ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة ، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف ، فسمي الموضع بها . وكانت أولا بنواحي صنعاء . واسم الأرض وج . وهي بلدة كبيرة على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعتاب والفواكه . وروى الحافظ بن عات في مجالسه ان هذه الجنة كانت بالطائف ، فاقتلعها جبريل وطاف بها البيت سبعة ثم ردها الى مكانها ثم وضعها مكانها اليوم . قال أبو العباس الميورقي : فتكون تلك البعثة من سائر بقع الطائف ، طيف بها بالبيت مرتين في وقتين ، أو لأن رجلاً من الصدف ، وهو ابن الدمون بن الصدف . واسم الصدف : مالك بن مرنع بن كندة من حضرموت أصاب دماً في قومه بحضرموت ففر الى وج ولحق بثقيف وأقام بها وحالف مسعود بن معتب الثقفي أحد من قيل فيه انه المراد من الآية : على رجل من القريتين عظيم . وكان له مال عظيم . فقال لهم : هل لكم ان ابني لكم طوفا عليكم يطيف ببلدكم يكون لكم رداء من العرب . فقالوا : نعم فبناه وهو الحائط المطيف المحدث به . وهذا القول نقله السهيلي في الروض عن البكري وأعرض عنه . وذكر ابن الكلبي ما يوافق هذا القول . وقد خصت الطائف بنصائيف . وذكروا هذا الخلاف الذي ساقه المصنف وبسطوا فيه ، أورد بعض ذلك الحافظ ابن فهد الهاشمي في تاريخ له خصه بذكر الطائف) ، تاج العروس (١٨٤ / ١) ، (طوف) .

وأبني لكم طَوْفاً عليكم مثل الحائط لا يصل اليكم أحد من العرب ، فوافقوا على ذلك ، وبني لهم طَوْفاً عليهم ، فسميت الطائف ، فزوجه^١ .

وقد كان لأهل الطائف معبد يحجّون إليه ، هو معبد (اللات) . وكانوا يعظّمونه ويتبركون به . ويذكر أهل الأخبار ان اللات كان صخرة مربعة يلتجئ إليها يهودي عندها السويق . وكان سدّته (بنو عتاب بن مالك) وهم من ثقيف . وقد بنوا له بناءً ضخماً . وكانت العرب ، ومنها قريش ، تعظمه ، وتُحجّ إليه وتطوف به . وقد هُدم في الإسلام ، عند فتح الطائف ودخول أهلها فيه . وقد هُدم الصنم : المغيرة بن شعبة ، وأحرقه بالنار . ويقع موضعه تحت منارة المسجد ، الذي بني على أنقاض ذلك المعبد ، وهو مسجد المدينة . فمسجد الطائف إذن هو معبد اللات القديم ، وهو في الطائف نفسها^٢ .

ويُرجع أهل الأخبار زمان الطائف الى العمالة ، ويقولون : انها اتما سميت (وَجّاً) بوجّ بن عبد الحيّ ، من العماليق ، وهو أخو (أجأ) الذي سُمي به جبل (طي) . ثم غلب عليها (بنو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مُضَر) ، ثم غلبهم (بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هَوازَن) ، وذلك بعد قتال شديد . ثم استغلت ثقيف الظروف ، فاستولت عليها ، وأخذتها من (بني عامر) ، فارتحل (بنو عامر) عنها ، ونزحوا الى تهامة ، وتحكم بها بنو ثقيف^٣ .

١ البلدان (١٠/٦) فما بعدها ،

٢ ابن الكلبي ، الأصنام (١٦ وما بعدها) ، القزويني ، آثار البلاد ، (٦٤ وما بعد

٣ الكامل ، لابن الأثير (٤٢٠/١ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، المعارف (٩١) ،

اسم واد بالطائف بالبادية (؟) سمي بوج بن عبد الحي من العمالة وقيل من خز

قال عمرو بن حزام :

أحقا يا حماسة بطن وج	بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن كيلى	أوصله وأنتك تهجعينا
وإني ان بكيت نكيت حقاً	ولكنني أمرت وتعلنينا
فنوحى با حماسة بطن وج	فقد هيجت مشتاقاً حزيناً

قرأت هذه الأبيات في الحماسة لأبي نمام . والذي ذكرت هنا رواية المعجم ، وبينه تفاوت قليل ، تاج العروس (١١٠/٢) ، (الوج) ، (وج موضع بالبادية وقيل : هي الطائف) ، (وفي الحديث صيد وج وعضائه حرام محرم ؛ قاله : هو =

ويذكر بعض أهل الأخبار أن أول من ملك الطائف (عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيّلان بن مضر) . فلما كثر (بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن) ، غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد^١ . وقد كانت مواطن (بني عامر) بنجد . وكانوا يصيفون بالطائف ، حتى غلبتهم ثقيف . فخرجوا إلى تهامة . وكان منهم (عامر بن الظرب العدواني) أحد الحكماء العرب^٢ .

وقد ورد في بعض الأخبار أن قوم ثمود هم الذين نزلوا بالطائف بعد العالقي ، فأخذوها منهم ، وذلك قبل ارتحالهم عنها إلى وادي القرى ، بسبب منازعة القبائل لهم ، ومن ثم ربط رواية هذه الأخبار نسب ثقيف بثمود . وقد صير بعض أهل الأخبار ثقيفاً مولى من موالي هوازن ، ونسبهم آخرون إلى إيراد^٣ .

وجاء في رواية أخرى أن أقدم سكان الطائف هم بنو مهلائيل بن قينان ، وهم الذين عمروها وغرسوها وأحيوا مواتها . وقد سكنها قبل الطوفان . فلما وقع الطوفان ، كانوا في جملة من هلك فيه من الأمم الباغية . فخلت الطائف منهم ، وسكنها بعدهم بنو هانيء بن هذلول بن هوذلة بن ثمود ، فأعادوا بناءها وعمروها حتى جاءهم قوم من الأزدي على عهد (عمرو بن عامر) ، فأخرجوهم عنها ، وأقاموا بها وأخذوا أماكنتهم ، ثم توالى عليها العرب حتى صارت في أيدي ثقيف^٤ .

وصير بعض أهل الأخبار ثقيفاً رجلاً متشرداً ، اتفق مع ابن خاله النخع على الهجرة في طلب الرزق والعيش ، فذهب النخع إلى اليمن ، فنزل بها ، وذهب (ثقيف) إلى وادي القرى ، فنزل على عجوز يهودية لا ولد لها ، واتخذها ثقيف أمّاً له . فلما حضرها الموت ، أوصت له بما كان عندها من دنائير وقضبان ، ثم دفنها وذهب نحو الطائف . فلما كان على مقربة منها ، وجد أمة

= موضع بناحية الطائف ويحتمل أن يكون حرمة في وقت معلوم ثم نسخ . وفي حديث كعب : أن وجا مقدس ، منه عرج الرب إلى السماء) ، اللسان (٣٩٧/٢) ، (وجج) .

١ الكامل ، لابن الأثير (٤٢٠/١) وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٦٣/٥) .

٣ ابن خلدون (٦٤١/٢) وما بعدها) .

٤ الهماني ، ص ٣١٢/١ وما بعدها) ، الماداني (٤٩٨/٣) وما بعدها) ، اللسان

(٢٢٥/٩) ، صورة الأرض (٣٩) .

حبشية ترعى غنماً ، فأراد قتلها ليستولي على ماشيتها ، فارتابت منه ، وأخبرته بأن يصعد الى الجبل . فيستجير بـ (عامر بن الظرب العدواني) فإنه سيجبره ويغنيه ، ويربح أكثر من ربحه من استيلائه على هذه الغنم . فذهب اليه ، وأجاره ، وأغناه ، وأنزله عنده ، وزوجه ابنة له ، وبقي مقيماً في الطائف ، وتكاثر ولده ، حتى زاحموا بني عامر ، وتلاحياً ثم اقتتلا ، فتغلبت ثقيف على بني عامر ، واستولت على الطائف ^١ .

ويذكر هؤلاء الرواة ان ثقيفاً اتفقوا مع (بني عامر) على ان يأخذوا الطائف لهم ويرحل بنو عامر عنها ، فيدفعوا لهم نصف ما يحصلون عليه من غلات . وقد بقوا على ذلك أمداً ، حتى ثبتت ثقيف نفسها في الطائف وقوت دفاعها وأحكمت مواضعها ، ثم امتنعت عن دفع أي شيء كان لبني عامر ، فوقع قتال بين الطرفين انتهى بانتصار ثقيف . وصارت بذلك سيدة الطائف بلا نزاع .

وقد حسدهم طوائف من العرب ، وقصدوهم لما صار لهم من مركز ومن رزق رغد وأثمار وجنان ، ولكنهم لم يتمكنوا من الظفر بطائل ، وتركوهم على حالهم ^٢ .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (عبد ضخم) كانوا فيمن سكن الطائف . وقد كانوا من عاد الأولى ، وهلكوا فيمن هلك من عاد ومن أقوام بائدة . وذكر انه كان بالطائف قوم من يهود ، طردوا من اليمن ومن يثرب ، فجاؤوا الى الطائف ، وسكنوا فيها ، ودفعوا الجزية لساداتها ، ومن بعضهم ابتاع (معاوية) أمواله بالطائف ^٣ .

وقد كان لوقوع الطائف على مرتفع ، ولحائطها المزود بأبراج واستحكامات

١ البلدان (٤٩٨/٣ وما بعدها) ، (وثقب كأمير ، أو قبيلة من هوزان ، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خضفة بن قيس عيلان . وقد يكون ثقيف اسماً للقبيلة والاول أكثر . قال سيبويه : وأما قولهم هذه ثقيف فعلى ارادة الجماعة . وانما فال ذلك لغلبة التذكير عليه . وهو مما لا يقال فيه من بني فلان) ، ناج العروس (٥١/٦) ، (ثقف) .

٢ البلدان (٤٩٨/٣ وما بعدها) .

٣ البلاذري ، فتوح (٦٨) .

الفضل بالطبع في صدّ الاعراب ومنعهم من نهبها وغزوها . والظاهر ان اهل الطائف كانوا قد اقتفوا اثر اليمن في الدفاع عن مدنهم وقراهم ، حيث كانوا يبنونها على المرتفعات في الغالب ، ثم يحيطون ما يبنونه بأسوار ذات أبراج لمنع العدو من الدنو منها ، ولا سيما الاعراب الذين لم يكونوا بحكم طبيعة معيشتهم في ارض منبسطة مكشوفة ، ولفقرهم وعدم وجود اسلحة حسنة لديهم يستطيعون مهاجمة مثل هذه التحصينات ، وأخذها على غرة حيث تقفل ابواب الأسوار وتغلق ليلاً ، وفي اوقات الخطر — فلا يكون في استطاعة احد ولو جهها ، لذلك صارت هذه التحصينات من اثقل الاعداء على قلوب الاعراب .

ولما همّ (أبرهة) بالسير الى مكة ، كانت الطائف في جملة المواضع التي نزل بها في طريقه اليها . وقد خرج اليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فأتوه بالطاعة ، وبعثوا معه (أبا رغال) دليلاً ، فانزله المغمّس بين الطائف ومكة ، فهلك (ابو رغال) هناك وقبره في ذلك الموضع .

وعند ظهور الاسلام كان أغلب سكان هذا الموضع ينتسبون الى قبيلة ثقيف . وترجع هذه القبيلة نسبها مثل القبائل الاخرى الى جدّ أعلى ، يقولون ان اسمه (قسي بن منبه) ، ويقول الأخباريون انما دعي قسيّاً لأنه قتل رجلاً ، فقبل قسا عليه ، وكان غليظاً قاسياً .^١

والنسابون يختلفون في نسبه ، فمنهم من ينسبه الى إيراد ، فيجعله قسيّ بن نبت ابن منبه بن منصور بن مقدم بن أقصى بن دُعَمِيّ بن إيراد بن معدّ ، ومنهم من يجعله من هوازن ، فيقول : قسيّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .^٢

ونحن اذا درسنا ما رواه اهل الاخبار عن نسب ثقيف ، وعن القبائل التي اتصلت بها ، نجد انها كانت ذات صلة وثيقة بقبائل (قيس عيلان) من مجموعة مضر . ومعنى هذا انها كانت على مقربة منها ، وانها كانت من قبائل مضر . كما نجد في الوقت نفسه انها كانت على صلات وثيقة مع بعض قبائل اليمن . وقد

١ الاشتقاق (١٨٣)

٢ ابن الأثير ، الكامل (٢٨٨/١) ، الأغاني (٧٤/٤) ، البلاذري ، أنساب الاشراف Ency., IV, P. 734.

(وما بعدها)

فسرت هذه الصلات بوجود نسب لثقيف باليمن . وهذا النسب المزدوج ، هو كناية عن الصلات التي كانت تربط بين (ثقيف) ومجموعة (مضر) ، وبينها وبين قبائل اليمن . وهو تعبير عن موضع الطائف المهم الوسط ، الذي يربط بين اليمن والحجاز والطرق المارة الى نجد . مما جعله وسطاً وموضعاً للاحتكاك بين قبائل هذه الأرضين .

وصيروا ثقيفاً في رواية أخرى ابناً لأبي رغال ، ثم رفعوا نسب الابن والأب الى قوم ثمود ، وجعله حماد الرواية ملكاً ظالماً على الطائف ، لا يرحم احداً ، مرت في سنة مجدية بامرأة ترضع صبيّاً يتيماً بلبن عترة لها ، فأخذها منها فبقى الصبي بلا مرضعة ، فمات ، فرماه الله بقارعة فأهلكه ، فرجمت العرب قبره ، وصار رجم قبره سنة للناس .^١ فهل تجد رجلاً ألام من هذا الرجل على هذا الوصف ؟ .

وقد قيل في (ابي رغال) انه كان رجلاً عشاراً في الزمن الأول ، جائراً ، وقيل كان عبداً لشعيب ، وقيل : اسمه (زيد بن مخلف) عبدٌ كان لصالح النبيؐ ، وأنه ارسله الى قوم ليس لهم لبن الا شاة واحدة ، ولهم صبي قد مات أمه يغذونه بلبن تلك الشاة ، فأبى ان يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحايي بها هذا الصبي ، فأبى ، (فيقال : انه نزلت به قارعة من السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة . فلما فقده صالح ، قام في الموسم ينشد الناس ، فأخبر بصنيعه ، فلعنّه ، فقبره بين مكة والطائف يرمجه الناس) .^٢

١ الاغانى (٧٤/٤) .

٢ (عن أنس . قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر ، فقال : هذا قبر ابي رغال ، وهو ابو ثقيف . وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته القمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه . الحديث . وأورده القسطلاني هكذا في المواهب في وفادة ثقيف . وبسطه الشراح . وقول الجوهري والصاغاني كذلك انه كان دليلاً للمحبشة حين توجهوا الى مكة حرسها الله تعالى ، فمات في الطريق بالمغس . قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر ابي رغال
غير جيد . وكذا قول ابن سيده كان عبداً لشعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وكان عشاراً جائراً فقبره بين مكة والطائف يرمجه اليوم . وقال ابن المكرم : ورايت في هامش الصحاح ما صورته: أبو رغال اسمه زيد بن مخلف عبد كان لصالح النبيؐ .

وفي رأيي ان معظم هذه الروايات التي يرويها الاخباريون عن ثقيف انما وضعت في الاسلام ، بغضاً للحجاج الذي عرف بقسوته وبشدته ، فصبروا ثقيفاً عبداً لأبي رغال ، وجعلوا اصله من قوم نجوا من نمود . وأبو رغال نفسه جاسوس خائن في نظر الاخباريين ، حاول إرشاد أبرهة الى مكة ، فكيف يكون اذن حال رجل من قوم فسقة كفرة ، ثم صار عبداً لجاسوس لثيم ! وقد رأيت ان من اهل الاخبار من صيّر (ثقيفاً) رجلاً مهاجراً ، هاجر في البلاد يلتمس العيش حتى جاء وادي القرى ، فتبنته عجوز يهودية ، وعطفت عليه ، حتى اذا ما ماتت اخذ مالها ، وهاجر الى الطائف ، وكان لثيماً فطمع في غنم لآمة حبشية ، وكاد يقتلها لولا اشارتها عليه باللجوء الى (عامر بن الظرب) ، الجواد الكريم وصاحب الطائف ، فأعطاه وجاه ، ولكن أبى لثوم ثقيف الا ان ينتقل الى ولده ، فتنكروا لثيماً عامر وأخرجوهم عن الطائف ، واستبدوا وحدهم بها .

وبنو ثقيف حزبان : الأحلاف ومنهم : (غيلان بن سلمة) و (كنانة بن عبد ياليل) و (الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب) ، و (ربيعة بن عبد ياليل) و (شرحبيل بن غيلان بن سلمة) و (عثمان بن أبي العاص) و (أوس بن عوف) و (نمير بن خرشة بن ربيعة) ، وقد ذهب هؤلاء الى الرسول وأسلموا ، فاستعمل عليهم (عثمان بن أبي العاص) . وأما القسم الثاني ، فعرف بـ (بني مالك) ، وقد ذهب نفر منهم مع هذا الوفد الى الرسول ، فضرب لهم قبة في المسجد . واما الاحلاف ، فتركوا ضيوفاً على (المغيرة بن شعبة) وهو من ثقيف .^١

= عليه السلام بعثه مصدقاً ، انه أبى قوما ليس لهم لبن الا شاة واحدة ولهم صبي قد ماتت أمه ، فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة ، يعني يغذونه ، فأبى أن يأخذ غيرها . فقالوا : دعها نحايي هذا الصبي ، فأبى . فيقال انه نزلت به فارعة من السماء . ويقال : بل قتله رب الشاة ، فلما فقده صالح عليه السلام ، فام في الموسم ينشد الناس ، فأخبر بصنيعه ، فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرحمه الناس) ، تاج العروس (٣٤٨/٧) ، (رغال) ، (والمغمس كمعظم ومحدث ، الأول هو المشهور عن أهل مكة والناهي نقله الصاغاني ، وقال لغة فيه بطريق الطائف بالقرب من مكة . فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة الحبشي الى مكة وبرجم الى الآن . قال أمية بن أبي الصلت :

حبس العيل بالمغمس حتى طل فيه كانه مغبور) ، تاج العروس

(٢٠٣/٤) ، (غمس) .

١ ابن سعد ، طبقات (١ / ٣١٢ وما بعدها) .

ومن الاخلاف في الاسلام : المختار بن أبي عبيد ، والحجاج بن يوسف .
ومن زعماء الاحلاف عند ظهور الاسلام : امية بن ابي الصلت ، والحارث
ابن كلدة ، ومعتب ، وعتاب ، وأبو عتبة ، وعتبان .^١

ويذكر اهل الاخبار ان حرباً وقعت بين (مالك) والاحلاف ، فخرجت
الاحلاف تطلب الحلف من اهل يثرب على (بني مالك) ، وعلى رأسها (مسعود
ابن معتب) رأس الاحلاف . فقدم على (احيحة بن الحلاج) ، احد بني
عمرو بن عوف من (الأوس) . فطلب منه الحلف . فأشار عليه (احيحة) ،
ان عليه ان يعود الى الطائف ويصالح اخوانه ، فان احداً لن ير له اذا حالقهم .
فانصرف (مسعود) عن (عتبة) بعد ان زوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاماً يني
الاسوار . فلما وصل ، أمر الغلام ببناء سور حول الطائف . فبناه له ، وأحيطت
الطائف بسور قوي حصين ، وأمنت بذلك على نفسها من غارات الاعراب .^٢

ويختلف اهل الطائف عن اهل مكة ، وعن الاعراب من حيث ميلهم الى
الزراعة واشتغالهم بها وعنايتهم بغرس الاشجار . وقد عرفت الطائف بكثرة زبيبها
وأعنابها واشتهرت بأثمارها . وقد كان اهلها يُعنون بزراعة الأشجار المثمرة ، ويسعون
الى تحسين انواعها وجلب انواع جديدة لها ، فقد استوردوا اشجاراً من بلاد
الشام ومن أماكن أخرى وغرسوها ، حتى صارت الطائف تَمَوَّن مكة وغيرها
بالأثمار والخضر .

وثقيف حضر مستقرون متقدمون بالقياس الى بقية اهل الحجاز . فاقوا غيرهم
في الزراعة اذ عنوا بها كما ذكرت ، واستفادوا من الماء فائدة كبيرة ، وأحاطوا
المدينة بيساتين مثمرة ، كما فاقوا في البناء فبيوتهم جيدة منظمة ، وكان لهم حلق
ومهارة في الأمور العسكرية . وقد تجلّى ذلك في دفاعهم عن مدينتهم يوم حاصرها
الرسول وتحصنهم بسورهم ، ورميهم المسلمين بالسهام وبالنار من فوق سورهم ،
يوم لم يكن لمكة ولا للمدينة سور ولا خنادق .

كذلك اختلف اهل الطائف عن غيرهم من أهل الحجاز في ميلهم الى الحرف

١ المعارف (٩١) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (١ / ٤٢٠ وما بعدها) .

اليديوية مثل الدباغة والتجارة والحدادة ، وهي حرف مستهجنة في نظر العربي ،
يأنف من الاشتغال بها . ولكن أهل الطائف احترفوها ، وربحوا منها ، وشغلوا
رقيقهم بها . وقد استفادوا من خبرة الرقيق ، فتعلموا منهم ما لم يكن معروفاً
عندهم من اساليب الزراعة وأعمال الحرف ، فجددوا وأضافوا الى خبرتهم
خبرة جديدة .

وقد عاش أهل الطائف في مستوى هو أرفع من مستوى عامة أهل الحجاز ،
فقد رزقوا فواكه أكلوا منها ، وجففوا بعضها منها مثل (الزبيب) ، وأكلوا
وصلدوا منه ما زاد عن حاجتهم ، كما اقتاتوا بالحبوب واللحوم . حتى حظ
فقراء الطائف ، هو أرفع وأحسن درجة من حظ فقراء المواضع الأخرى
من الحجاز .

وقد ذهب المفسرون الى أن كلمة القرين الواردة في القرآن الكريم ، تعني
مكة والطائف . (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .^١
وكان رؤساؤها من المثريين الكبار ، لهم حصون يدافعون بها عن انفسهم وعن
أموالهم ، ولهم علم بالحرب . ولحماية مدينتهم أقاموا حصوناً على مسافات منها ،
وحوّطوا مدينتهم بسور حصين عال ، يردّ من يحاول دخولها ، وجمعوا عندهم
كل وسائل المقاومة الممكنة التي كانت معروفة في ذلك العهد ، مثل أوتاد الحديد
التي تحمي بالنار لتلقى على الجنود المختفين بالدبابات ، وغير ذلك من وسائل
المقاومة والدفاع ، كما كانوا قد تعلّموا من أهل اليمن مثل مدينة « جرش » صناعة
العرايدات والمتجنيق والدبابات .^٢

وكان أغنياء (الطائف) ، كأغنياء مكة وأغنياء المواضع الأخرى من جزيرة
العرب أصحاب ربا ، ولما اسلموا اشترط عليهم الرسول أن لا يرابوا ، ولا
يشربوا الخمر . وكتب لهم كتاباً .^٣ وكانت لهم تجارة مع اليمن ، ولكننا لا نسمع

١ الزخرف ، الآية ٣١ ، الطبرسي ، مجمع (٤٦/٥) ، تفسير الطبري (٣٩/٢٥) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣١٢/١) (بروك ١٩٥٧ م) ، السيرة الحلبية (١٣١/٣) وما
بعدها .

٣ البلاذري ، فنوح (٦٧) .

شيئاً عن قوافل كبيرة كقوافل أهل مكة ، كانت تتاجر مع بلاد الشام أو العراق . ولعلمهم كانوا يساهمون مع تجار مكة في اتجارهم مع تلك الديار .

وقد اشتهرت الطائف بدباغة الجلود ، وذكر أن مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي ، فتنبعث منها روائح كريهة مؤذية .^١ واشتهرت بفواكهها وبعلسلها .^٢

وقد استغل أثرياء قريش أموالهم في الطائف ، فاشترؤا فيها الأرضين وغرسوها واستثمروها ، واشترؤا بعض المياه ، وبنوا لهم منازل في الطائف ليتخذوها مساكن لهم في الصيف ، وأسهموا مع رؤساء ثقيف في أعمال تجارية رابحة ، وربطوا حبالهم بحبالهم ، وحاولوا جهد امكانهم ربط الطائف بمكة في كل شيء .^٣

ولما فتحت مكة ، وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها ، حتى اذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكين ، وصارت أرض الطائف مخالفاً من مخاليف مكة .^٤

وقد كان بين أهل مكة وأهل الطائف تنافس وتحاسد ، وقد حاول أهل الطائف جلب القوافل اليهم ، وجعل مدينتهم مركزاً للتجار يستريحون فيه ، وقد نجحوا في مشروعهم هذا بعض النجاح يوم استولى القرس على اليمن ، وتمكنوا فيه من طرد الحبش عن العربية الجنوبية ، فصارت قوافل (كسرى) التجارية و (لَطائِم) ملوك الحيرة تذهب الى اليمن وتعود منها من طريق الطائف ، ونغصت بذلك عيش أهل مكة ، غير أن أهل مكة تمكنوا من التغلغل الى الطائف ومن بسط سلطانهم عليها ، باقراض ساداتها الأموال ، وبشراء الأرضين . فبسطوا بذلك سلطانهم عليها ، وأقاموا بها أعمالاً اقتصادية خاصة ومشتركة ، وهكذا استغل أذكىاء مكة هذا الموضع المهم ، وحوّلوه الى مكان صار في حكم التابع لسادات قريش .

ومن سادات الطائف : (عبد ياليل) وإخوته (حبيبا) و (مسعودا) و (ربيعة) و (كنانة) وهم (بنو عمرو بن عير بن عوف بن عقدة بن

١ البلدان (٦ / ١٠ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (٦٨ وما بعدها) .

٣ البلاذري ، فتوح (٦٨) .

٤ البلاذري ، فتوح (٦٨) .

غيرة الثقيفي) ، وكانوا أثرياء أجواداً يطعمون بالرياح^١ . وأمههم (قلابة بنت الحارث بن كلفة بن عمرو بن علاج) الثقيفي^٢ . وبيت (بني علاج) من البيوت القديمة المعروفة بالطائف^٣ .

وقد لقي الرسول مقاومة عنيفة من أهل الطائف حين حاصرها وأحاط بها ، فقد تحصن أهلها بمخائطهم وبمحصولهم ، وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم ، وصنعوا الصنائع للقتال . أما من كان حول الطائف من الناس ، فقد أسلموا كلهم . ولما ضيق المسلمون الحصار عليها ، وقربوا من الحائط ، دخل نفر من أصحاب رسول الله تحت ديبابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد حجة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً ، فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، كي يحملهم على فتح أبواب مدينتهم ومهادنة الرسول ، للإبقاء على أموالهم ، غير أنهم لم يبالوا بما رأوا من قطع أعنابهم وتخريب بساتينهم ، وبقوا على عنادهم ، مما حمل الرسول على ترك حصارهم والرحيل عنهم انتظاراً لفرصة أخرى^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ، ان (سلمان الفارسي) ، اتخذ منجنيقاً نصبه المسلمون على الطائف ، وان المسلمين كانت لهم ديبابة ، جاء بها (خالد بن سعيد بن العاص) من (جرش)^٥ .

ويذكر الطبري ان عروة بن مسعود ، وهو من وجوه الطائف ، كان قد تعلم مع غيلان بن سلمة صنعة الدبابات والضبّور والمجانيق من أهل جرش^٦ . وقد اشتهرت هذه المدينة بصنع آلات الحرب .

ولما انصرف الرسول عن الطائف ، اتبع أثره (عروة بن مسعود بن معتب) حتى أدركه قبل ان يصل الى المدينة ، فأسلم . فلما رجع الى الطائف على أمل

١ المحبر (٤٦٠) .

٢ المحبر (٤٦٠) .

٣ الاشتقاق (١٨٥) .

٤ الطبري (٨٢/٣) وما بعدها (غزوة الطائف) .

٥ البلاذري ، أنساب (٣٦٦/١) .

٦ الطبري (٨٢/٣) .

اقتاع أهلها بالدخول في الإسلام ، لمكانته فيهم ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . ثم أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهراً ، ثم انهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، فأرسلوا وفدأ الى المدينة لمفاوضة الرسول على الدخول في الإسلام . فلما دخلوا عليه أبوا ان يحمّوه إلا بتحية الجاهلية ، ثم سألوه ان يدع لهم (الطاغية) ، وهي اللات لا يهدمها الى أجل ، لأنهم أرادوا بذلك (فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهاتهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون ان يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلا ان يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلاة ، وان يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه . وأما الصلاة ، فلا خير في دين لا صلاة فيه . فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت ذنابة)^١ .

فلما وصل الوفد ومعه أبو سفيان والمغيرة بن شعبة ، الى الطائف ، وأرادا هدم الصنم ، (أراد المغيرة ان يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بلدي الهرم^٢ ، فلما دخل المغيرة بن شعبة ، علاها يضربها بالمعول ، وقام قوم دونه - بنو معتب - خشية ان يرمى أو يصاب ... وخرجن نساء ثقيف حسراً يبكين) (ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهأ لك . فلما هدمها المغيرة ، أخذ مالها وحليتها ، وأرسل الى أبي سفيان وحليتها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان ان يقضي من مال اللات دين عروة والأسود ابني مسعود ، فقضى منه دينها)^٣ .

وذكر عن (عروة بن مسعود الثقفي) انه كان من الرجال الذين كانوا عندهم عشر نسوة عند مجيء الاسلام^٤ ، وانه نادى على سطحه بالطائف بالأذان

١ الطبري (٩٩/٣ وما بعدها) .

٢ (الهدم) .

٣ الطبري (٩٩/٣ وما بعدها) .

٤ المحبر (ص ٣٥٧) .

أو التوحيد ، فرماه رجل من أهل الطائف فقتله ، وإن الرسول قال فيه : (مثله مثل صاحب ياسين)^١ . (ويقال إنه الذي ذكره الله عز وجل في التزييل من القرينين عظيم . وذكر بعض أهل العلم أن أربعة اتصل سؤدهم في الجاهلية والإسلام : عروة بن مسعود ، والجارود واسمه : بشر بن المعل ، وجريز بن عبد الله ، وسراقة بن جعشم المدلجي)^٢ .

وثقيف أقرب في الواقع إلى اليمن منهم إلى أهل الحجاز . وتكاد تكون ثقافتهم ثقافة يمانية ، وحياتهم الاجتماعية حياة اجتماعية من النوع المألوف في اليمن . حتى في الوثنية نجد لهم معبداً خاصاً بهم ، يتقربون إليه ويحجون له . ولعل هذه الاختلافات وغيرها هي من جملة العوامل التي صيّرت ثقيفاً مجتمعاً خاصاً معارضاً لمجتمع مكة ، وجعلت أهل الطائف يكرهون أهل مكة الذين امتلكوا أملاكاً في الطائف ، وكانوا يأتون إليها في الصيف هرباً من جو مكة المحرق .

ومن بطون ثقيف ، (بنو الحطيظ) و (بنو غاضرة) . ومن (بني الحطيظ) (مالك بن حطيظ) ، وكان من ساداتهم في الجاهلية ، ومن ثقيف الشاعر أمية بن أبي الصلت . (وكان بعض العلماء يقول لولا النبي صلى الله عليه وسلم ، لادعت ثقيف أن أمية نبي) ، لأنه قد دارس النصارى وقرأ معهم ودارس اليهود وكل الكتب قرأ . ولم يسلم ورثي قتلى بدر^٣ . ومن رجالهم (أبو محجن) ، كان شاعراً فارساً شجاعاً شهد يوم القادسية ، وكان له فيها بلاء عظيم ، وقد شهد يومئذ (عمرو بن معد يكرب) وغيره من فرسان العرب ، فلم يبل أحد بلاءه . و (الأخنس بن شريق) ، وتزعم ثقيف أنه أحد الرجلين اللذين ورد ذكرهما في القرآن ، على رجل من القرينين عظيم : (الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة . وقد كان حليفاً لبني زهرة . وقد خنس ببني زهرة يوم بدر^٤ .

ومن ثقيف (بنو علاج) ، ومنهم (الحارث بن كلدة) . (كان طيب

- ١ المحبر (ص ١٠٦) .
- ٢ الاشتقاق (١٨٦) .
- ٣ الاشتقاق (١٨٤) .
- ٤ الاشتقاق (١٨٥) .

العرب في زمانه وأسلم ومات في خلافة عمر ^١ . والمغيرة بن شعبة ^٢ .

ومن بني ثقيف عثمان والحكم ابن أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي ، كانا شريفين عظيمي القدر ، ولي (عمر) عثمان عمان والبحرين وأقطعه الموضع المعروف بالبصرة بـ (شط عثمان) . ومنهم (تميم بن خرشة بن ريعة) ، أحد وفد ثقيف الى رسول الله ، ومن فرسانهم في الجاهلية : (أوس بن حذيفة) وأدرك الإسلام ، و (ضبيس بن أبي عمرو) ، و (همام بن الأعقل) وآخرون ^٣ .

-
- ١ الاشتقاق (ص ١٨٥ وما بعدها) .
 - ٢ الاشتقاق (١٨٦) .
 - ٣ الاشتقاق (١٨٤) .

الفصل الرابع والأربعون

مجلد الحالة السياسية في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام

استعرضنا في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب حالة العرب السياسية قبل الاسلام على قدر ما أدت اليه بحثنا ، وساعتنا عليه الموارد . أما في هذا الفصل وهو خاتمة فصول القسم السياسي ، فنستعرض حالة العرب السياسية في القرن السادس للميلاد بوجه عام .

والقرن السادس للميلاد ، فترة من الفترات المهمة في تأريخ البشرية ، فيه ظهرت أمارات الشيخوخة على الانباطورية الساسانية التي شيدها (أردشير الأول) على أثر الثورة التي اندلعت عام (٢٢٤ م) أو (٢٢٦ م) ، ثم لم تلبث ان انهارت في القرن السابع للميلاد بسرعة عجيبة ، وبأيد لم يحسب لوجودها حساب ، ومن مكان لم يكن له قبل ظهور الاسلام أثر ما فعال في السياسة العالمية . وفي هذا القرن أيضاً برزت الأمراض العديدة التي آلت بالقيصرية ، والأملاك التي كانت خاضعة لها ، وهي أمراض لم تنج منها إلا بئر بعض أطرافها في القرن التالي له . فخرجت من ردهة العمليات تثن من فاجعة الألم الذي حل بها ، ومن هول ما أصيبت به بذلك البئر .

وفي النصف الثاني من هذا القرن وُلد الرسول ، وبميلاد الرسول ظهر حدث تأريخي خطير للبشرية في النصف الأول من القرن السابع للميلاد ، يكفي ان أثره

قائم حتى الآن ، وانه سيقوم الى ما شاء الله ، وانه أوجد مفاهيم خلقية جديدة للبشرية ، وانه بشر برسالة قائمة على ان الدين لله ، وان الناس أمامه سواء ، لا فرق بين فرد وآخر وجنس وجنس ، ولا تمييز للون على آخر ، ثم لم يلبث ان انتشر بسرعة عجيبة لم ينتشر بمثلها دين من الأديان ، ففضى على إحدى الانبساطورتين العظيمتين في عالم ذلك العهد ، واستأصل الأعضاء الثمينة من الانبساطورية الأخرى ، وأوجد من أشتات سكان جزيرة العرب أمة ، ومن قبائلها المتنازعة حكومة ذات سلطان ، وفاض على سداد الجزيرة ، وسقى ما وراءها من أرضين ، ثم وحد بين أقوام عديدين وجمعهم في صعيد دين الله .

وقد ابتلي هذا اقرن والنصف الأول من القرن التالي له بأوبشة وبآفات وبعجاعات زادت في مشكلاته الكثيرة التي ورثها من القرون السابقة له ، ففيه انتشرت أوبشة ابتلعت بضع مئات من البشر في كل يوم من أيام انتشارها ، كانت كالعواصف تتقل من مكان الى مكان مكتسحة من تجده أمامها من مساكن ، وتعود بين الحين والحين لتبتلع ما يسد حاجتها من البشر والحيوانات . وفيه مني العالم بزلازل وبنقص كبير في الغلات أوجد قحطاً وبعجاعة وفقرأ في كثير من الأقطار ، حتى اضطر كثير من الناس الى هجر الأماكن المنكوبة والارتحال عنها الى أماكن أخرى فيها النجاة والسلامة .

ولا ريب ان ظروفأ هذه حالتها ، لا بد ان تولد منها مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية للحكومات وللرعية ، فاختل الأمن خاصة في المناطق الواقعة تحت أقدام الجيوش ، فيوماً تكتسحها جيوش الفرس فتهدم كل ما تجده أمامها من قرى ومدن ، ويوماً تغزوها جيوش الروم فتستولي على ما تجده أمامها من حاصلات زراعية ومن أموال . وفي ظروف هذه شأنها لا بد ان يجد الخارجون على النظام والطامعون في الربح السهل الحرام فرصأ مواتية لا يفرط فيها للكسب والظفر بما يرغبون فيه ، فتأثرت بذلك حالة سكان هذه الأرضين ، كما تعرضت التجارة للأخطار ، واضطر التجار الى سلوك طرق نائية ليكونوا بآمن من شر قطاع الطرق وفسادهم . وترك أكثر الناس مزارعهم وقراهم فرارأ من هذا الوضع الى المدن الكبيرة البعيدة عن مواطن الغزو والأخطار ، فتحولت خيرة الأرضين الحصية الى أرضين مجلبة ، نتيجة لهذه الهجرة ، ولتراكم الأتربة في شبكات

الري . ولكن هذا القرن لم يعد مع ذلك 'حكماً' حاولوا جهد امكانهم إصلاح الخطأ ، وأناساً كان لهم حسن شعور بما وصلت اليه الحالة ، فنادوا بالإصلاح . ولكن صيحاتهم لم تكن ذات أثر خطير في قوم قلقين حائرين ، وليس في أيديهم زمام أمورهم ، وقد اعتراهم ذهول جعلهم لا يعرفون كيف يتصرفون . ثم ان الحمل كان ثقيلاً ، والأخطاء كثيرة ، والأمراض عديدة لا يقومها طبيب واحد أو أطباء معدودون .

لقد عزم (كسرى) الأول (٥٣١ - ٥٧٩ م) المعروف بـ (كسرى أنوشروان) ، على إصلاح الحال في مملكته ، فأمر بوضع دستور جديد للعجاية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل ، وأمر بإصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالإنصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعدل ، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحكم والأمثال والعظات الى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها ، كما ولى النواحي الروحية عنايته كذلك ، فأعاد الزردشتية القديمة ، وقاوم الحركة المزدكية التي قام بها (مزدك) في عهد والده (قباد الأول) (٤٨٣ - ٥٣١ م) (٤٨٨ - ٥٣١ م)^١ ، وهي حركة تدعو الى الغاء الملكية ، والى الإباحية ، والى القضاء على امتيازات النبلاء ورجال الدين على ما تقوله الموارد التاريخية العربية المستندة الى موارد (فهلوية) شجعها (قباد) لما وجد فيها من مبادئ توافق سياسته الرامية الى مقاومة تلك الطبقات المتفلسة التي عارضت في انتقال العرش اليه ، والتي اجتمعت كلمتها برئاسة (موبدان موبد) والعظماء على انزاله من عرشه ، لما بدا لهم من ازوراره عنهم ، وانحرافه عن الزردشتية الى تعاليم مزدك المناهضة للموابة ولعظماء المملكة الذين كانوا يتمتعون في المملكة بنفوذ واسع جداً من سلطان (شاهنشاه) .

ورسالة مزدك وتعاليمه ، غامضة ، لا نعلم من حقيقتها شيئاً ، فقد أبيدت كتبهم وطمست معالم دينهم في عهد (أنوشروان) ، ولم يبق منها إلا هذه التفت المدونة في الكتب العربية عن موارد (فهلوية) 'دونت' في أيام محنة المزدكية وبعدها . ويظهر من هذه التفت انها حركة دينية اجتماعية سياسية تدعو الى توزيع الثروات بين الناس بالتساوي . والى انتزاع الأموال والأرضين من الأغنياء لاعطائها

للمقلّين ، حتّى من كان عنده جملة نساء تؤخذ منه لتعطى لغيره من المحتاجين ، فهي على هذا التعريف فكرة اشتراكية متطرفة عارضت النظم الاجتماعية القائمة ، وهددت الدين القائم ، وجرّأت العامة على تلك الطبقات ، كان الملك في حاجة إليها للإنتقام ممن عارضه فأيدها ^١ .

هذا وحيث أننا قد تعلمنا من التجارب التي تجري في الوقت الحاضر ومن دراستنا للموارد التاريخية القديمة ، ان ما يكتب عن قوم غضب الحاكمون عليهم لا يمكن ان يكون مرآة صافية يعبر عن وجه أولئك القوم وعن ملاحظهم الحقيقية ، لذا فإننا لا نستطيع ان نقول ان ما وصل إلينا عن المزدكية يمثل رأيها وعقيدها تمام التمثيل ، إذ يجوز ان يكون منه ما هو مصنوع موضوع حمل عليهم ، وان رواة الأخبار قد غرّفوا منه ، ودوّنوه على نحو ما وصل إلينا في كتبهم . لذلك يجب الانتباه الى هذه الملاحظة .

وحمل عدل الملك الساساني وحلمه وتسامحه مع رعيته ومساعدته للخارجين على الكنيسة الرومية الرسمية (من الفلاسفة والمثقفين بالثقافة الإغريقية القديمة من كانوا هدفاً لهجمات الكنيسة الأرثوذكسية في الانبراطورية البيزنطية) على الهجرة الى المملكة الساسانية ، طامعين في عدل الملك وحمائته ، وفي بيأة تكون فيها الحرية الفكرية مكفولة مضمونة ، لا ضغط فيها ولا إكراه . ولكنهم ما لبثوا ان وجدوا ان الزردشتية التي نصرها وأيدها (كسرى أنوشروان) ، وهي ديانة المملكة غير ملائمة للفلسفة ، وانها ليست أرحب صدرأ من (الأرثوذكسية) ، وانهم لم يكونوا على صواب بمجيئهم الى هذه الأرض ، فرجوا من (ملك الملوك) الترفق بهم ، بالسباح لهم بالعودة الى بلادهم . فلما كانت الهدنة ، طلب (كسرى) من قيصر في سنة ٥٤٩ م إياحة العودة الى ديارهم والتلطف بهم والعفو عما بدر منهم من النهاب الى مملكته ^٢ .

١ الطبري (٨٧/٢ وما بعدها) ،

Nöldeke, Geschichte der Perser, S., 455, A. Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I et le Communisme Mazdakite In der Kongl. Danske, Viedenskabernes Selskab., Copenhagen, 1935.

H. G. Wells, The Outline of History, P. 564. ٢

وكان مما فعله (كسرى أنو شروان) أن هاجم الامبراطورية البيزنطية وقصرها في عهد (يوسطقيان) (يسطنيانوس) (جستنيان) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، واشتبك معها في جملة حروب ، ووسع حدوده في الشرق ، وساعد الاحزاب المعارضة للروم ، وأرسل حملة الى اليمن بناء على طلب الأمراء المعارضين لحكم الحبشة عليها ، ساعدتهم في وضع خطة لازاحة الحبشة عنها .^١ والجيش هم حلفاء البيزنطيين واخوانهم في الدين وهم الذين حثوا النجاشي على فتح اليمن بعد ان يشوا من الاستيلاء عليها ومن الاستيلاء على الحجاز وبقية جزيرة العرب .

واتبع (كسرى الثاني) (٥٩٠ - ٦٢٨ م) المعروف بـ (كسرى أبرويز) ، وهو ابن (هرمز بن كسرى أنو شروان) ، خطوات جده وأسلافه الملوك الماضين في الحرب مع البيزنطيين ، فبلغ (خلقيدونية) ثلاث مرات ، واستولى على بلاد الشام ، ودخلت جيوشه القدس في سنة (٦١٤ م) . ثم استولى على مصر في سنة (٦١٩ م) ودوّخ بفتوحاته الروم الى أن عاجله ابنه بخلعه ، فاستراح الروم منه ، ثم لم يلبثوا أن استردوا من الفرس أكثر ما أخذوه منهم في تلك الحروب . وقد اضعفت هذه الحروب المتوالية الحكومة الساسانية وأذت الشعوب التي خضعت لحكمها وأفقرتها ، وأثرت على الأمن الداخلي وعلى الأوضاع الاقتصادية والعمرائية تأثيراً كبيراً ولا سيما في البلاد التي صارت ساحة تعبئة وتلاحم جيوش ، وهي بلاد العراق . ولم يعد الانسان يأمن على حياته وعلى ماله ، وصار سواد الناس وكأنهم أبقار واجبها اعطاء الحليب وأداء الاعمال الأخرى للحكام ، والذبح للاستفادة من لحومها ومن جلودها وعظامها حينما تنتهي الحاجات الأخرى منها . وتأسد المرازبة وقادة الجيوش في الحكم ، حتى صار الحكم حكم عواطف وأهواء ومصالح ، و (اشاهنشاه) عاجز عن عمل كل شيء لأن (الشاهنشاهية) ، لم تعد متقيدة بالوراثة القديمة وبالآداب السلطانية ، بل صارت لمن يستعين بأصحاب العضلات وبمثيري الفتن والاضطرابات . أضف الى ذلك أن من بيده مفتاح الدفاع عن الدولة ، وهم الجنود ، والضباط الصغار ، شعروا أنهم يقاتلون لا في سبيل وطن ودين وعقيدة ، بل يقاتلون لأنهم يساقون الى القتال قسراً ، وهم في حالة سيئة ووراءهم عوائلهم لا تملك شيئاً ، وقد جيء بهم الى الجيش قسراً وعلى

١ الطبرى (٩٣/٢ وما بعدها) .

طريقة (السخرة) . وهم يحاربون ولا سلاح لهم ، لأن الحكومة لا تملك سلاحاً ، ولا نظام لهم ، لأنهم لم يلدربوا على القتال ولم يعلموا أصوله ، أجسامهم تقاقل ، وقلوبهم مشغولة في مصير أولادهم وزوجاتهم وبيوتهم ، وهم المعيلون لهم ، ليس لهم غيرهم من معين .

وحكومة هذا شأنها ، لا يمكن لها أن تحافظ على حدود طويلة مفتوحة سهلة تقيم عليها قبائل غازية ، ترقب الفرس لتجد فرصة تهتلها لتغير فيها على الخضر ، فتنتزع منهم ما قد تقع أيديهم عليه من أي شيء . فصار الاعراب يغيرون على الحدود من كل مكان فيه نفوذ وجنود للساسانيين ، ولا سيما بعد معركة (ذي قار) التي منحتهم قوة معنوية عالية ، وعلمتهم مواطن الضعف عند الساسانيين . فلما جاء الاسلام من جزيرة العرب صاروا عوناً له في تقويض تلك الدولة ، ودالة ساعدته في تفهم مواطن الضعف فيها ، ومنها نفذ الاسلام الى ما وراء البحار ، وقوض الحكومة الضخمة بسرعة عجيبة وبمحاربين لم يكونوا قد عرفوا من قبل أساليب القتال المنظم ، ولا المعارك الضخمة التي صادفوها لأول مرة في حروبهم مع الساسانيين والبيزنطيين .

وقد طمعت القبائل في حكومة الحيرة أيضاً ، هذه الحكومة التي ظهر عليها الوهن كذلك . فأخذت تغير عليها وتعرض بخدودها ، وتتحرش بقوافلها التي كان يرسلها ملوكها للإتجار في أسواق الحجاز واليمن . حتى صارت الطرق التي تسلكها خطيرة غير آمنة ، لا يتمكن رجالها من المرور بها بسلام . ولم يستطع الساسانيون من مساعدتها وحمايتها ، لأن أوضاعهم الداخلية ، كانت كما ذكرت على غير ما يرام . وهذا مما راد في تصميم القبائل على مهاجمة ماوك الحيرة وحدود الفرس في آن واحد . ولعل هذه الغارات ، كانت في جسيمة الأسباب التي حلت (كسرى) على القضاء على النعمان وعلى انتهاء حكم (آل نصر) ، اما بسبب ما رآه (كسرى) من عدم تمكن الملك (النعمان) من تأديب القبائل ومن ضبط الطرق والأمن ؛ فارتأى استبداله بعربي آخر أو برجل قوي من قادة الجيوش الفرس . واما لقلته أو لما وصل الى علمه من خبر يفيد بأن النعمان قد أخذ يقاوض سادة القبائل الكبار لارضائهم وضمهم اليه . وفي هذا العمل تهديد لمصالح الفرس ومحاولة للابتعاد عنهم . فأراد لذلك القضاء عليه وعلى الأسرة الحاكمة ، قبل أن

يتمكن من الحصول على تأييد أولئك السادة الذين أدركوا نواحي الضعف في حكومة الساسانيين .

وهناك روايات يشتمّ منها أن (النعمان) ، قال لسادات القبائل : (انما انا رجل منكم ، وانما ملكتُ وعززتُ بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ... ليعلم أن العرب على غير ما ظن وحدث) . ^١ وروايات تفيد أن (كسرى) انما قتل (النعمان) ، لأنه وسائر أسرته سايروا سادات القبائل وتواطؤوا معهم على الساسانيين . ^٢ ولعل عجز ملوك الحيرة عن حماية قوافل الفرس اللاهبة الى اليمن والآية منها ، وعن حماية الطرق البرية المهمة التي توصل العراق باليمن ، ثم عجز ملك الحيرة من منع الاعراب من الاغارة على حدود الساسانيين ، ثم اضطراب الملك (النعمان) على الاتصال بسادات القبائل لترضيتههم ولضمهم اليه لتأييده ولتقوية ملكه الضعيف ، الذي كان يهدده خصوم له . لعلّ هذه الأسباب وغيرها ، كانت في جملة العوامل التي حملت (كسرى) على القضاء على (النعمان) وعلى استبدال الأسرة الحاكمة بأسرة أخرى ، أو تسليم أمور الحيرة نهائياً الى قائد فارسي ، يحكمها حكماً عسكرياً . ^٣

وقد نصب الفرس حاكماً منهم على الحيرة ، لكنه لم يتمكن من سد أبواب الحدود الطويلة وغلقتها ، ومنع الاعراب من دخولها . لقد اجتازوها ثم جاوزوها الى مسافات بعيدة في الاسلام ، أوصلت العرب الى الصين والهند وتركستان الصينية . ذلك لأن الفرس كانوا منهوكي القوى في الداخل وفي الخارج ، وقد أتعبتهم الأوجاع ، بينما جاء العرب بايمان برسالة ، وبعزم وتصميم ، وباعتماد على النفس ، من أن النصر سيكون لهم حتماً . لقد بدأ هذا العزم قبل (ذي قار) ، ثم تجسم في (ذي قار) ، فكان نصر المعركة في هذا الموضع ، ناقوس النصر ، و (الهرمون)

١ ابن عبد ربه ، العقد (١٦٩/١) ،

M. J. Kister, In Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol., VIII, Part : II, November 1965, P. 114.

Rothstein, PP. 116, Kister, P. 115. ٢

Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 332, Rothstein, S., 116, Levi Della Vida, ٣
In The Arab Heritage, P. 50, Brockelmann, History of the Islamic People,
P. 8, Kister, P. 114.

الذي بعث الحيوية في جسم القبائل ، فجعلها تشعر أن في استطاعتها أن تفعل شيئاً ، لو وحدت نفسها ، وعملت عملاً إيجابياً منتظماً ، بعد دراسة وتفكير ، وباعدت نفسها عن الهياج والحماس والكلام الكثير ، الذي يذهب بعد تكلمه مع الهواء .

ولم تكن مشكلات الروم أقل خطورة أو عدداً من مشكلات الساسانيين . لقد تمكنت النصرانية ، بعد عنت واضطهاد ومقاومة ، أن تكون ديانة رسمية للحكومة والشعب . وكان المأمول أن تتوحد بذلك صفوف الأمة ، غير أن التصدع الذي أصاب هذه الديانة لم يحقق لها ذلك الأمل ، فتدخلت المذهبية في السياسة ، في المذهبيات . وتولدت من هذا التدخل مقاومة رسمية من الحكومة للمذاهب المعارضة ، واضطهاد لكل من يعارض مذهب القيصر . وظهرت كنيسة شرقية وكنيسة غربية ، وتجزأ النصارى الشرقيون الى شيوع وفرق 'عد' بعضها خارجاً على تعاليم الحق والايمان ، هي في نظر (الأرثوذكسية) مذاهب الحادية باطلة ، فعولمت كما عاملت وثنية روما النصرانية حين ظهورها ، فحوربت بغير هوادة واضطر الكثير من المخالفين الى التكم أو الهرب الى مواضع ليس للبيزنطيين عليها سلطان .

والحروب المتوالية التي شنها الفرس على البيزنطيين ، والبيزنطيون على الفرس ، وانقسام الإمبراطورية الى حكومتين : حكومة روما وحكومة القسطنطينية ، ثم مهاجمة الملوك والأقوام الساكنة في أوربة لهاتين الحكومتين من الشمال والغرب ، كل هذه انتجت مشكلات خطيرة للعالم الغربي عامة وللروم خاصة . وقد كان ازعاج الروم واقتلاهم ، مما يفيد بالطبع منافسيهم الفرس ويسرهم ، فكانوا يشجعون الثائرين ويتحالفون معهم لأن في ذلك قوة لهم ، كما كان الروم أنفسهم يشجعون الاحزاب المعارضة للفرس ويحرضونها على الثورة على الساسانيين والتمرد عليهم ، وعلى مهاجمة حدودهم نكاية بأعدائهم وللانتقام منهم حتى صارت الحروب بين الانبراطوريتين تقليداً موروثاً ، لا يتركها احد الطرفين الا اضطراراً ، ولا تعقد هدنة بينهما الا بدفع جزية تكون مقبولة لدى الطرف الغالب تغنيه عن المكاسب التي يتأملها من وراء الحرب . يدفعها المغلوب صاغراً بسبب الاحوال الحرجة التي هو فيها ، آملاً تحسن الموقف للانتقام من الخصم . فتأريخ الساسانيين والروم ، هو تأريخ هذين وحروب عادت الى بلاد الطرفين بأفدح الاضرار . وما الذي يكسبه الانسان من الحروب غير الضرر والدمار ؟

لقد وجد (كسرى أنوشروان) (٥٣١ - ٥٧٩ م) في انشغال (يوسطنيان) (جستنيان) (Justinian) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) بالحروب في الجبهات الغربية فرصة مواتية للتوسع في المناطق الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية ، فتحل من (الهدنة الأبدية) التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم ، وهاجم الإمبراطورية متحلاً أعداءاً واهية ، واشترك في قتال دموي مرّ بجيوش الروم . ولم يفلح مجيء القائد (بليزاريوس) (Belisarius) من الجبهات الإيطالية لايقاف تقدم الفرس ، فسقطت مدن الشام وبلغت جيوش الفرس سواحل البحر المتوسط ، وبعد مفاوضات ومساومات طويلة تمكن الروم من شراء هدنة من الفرس أمدها خمس سنوات بشروط صعبة عسيرة ، وبدفع أموال كثيرة . ثم مُدّدت هذه الهدنة على أثر مفاوضات شاقة مع الفرس خسين عاماً حيث عقد الصلح في سنة (٥٦١) أو (٥٦٢ م) . تعهد الروم لكسرى بدفع إتاوة سنوية عالية ، وتعهد الفرس في مقابل ذلك بعدم اضطهاد النصارى ، وبالسماح للروم في الإنجسار في ممتلكاتهم على شرط معاملة الروم لرعايا الفرس المعاملة التي يتلقاها تجار الروم في أرض الساسانيين^١ .

و (يوسطنيان) معاصر (كسرى أنوشروان) شخصية فذة مثل شخصية معاصره ، ذو آراء في السياسة وفي الملك ، من رأيه ان الملك يجب ان يكون دليلاً وقنوةً ونبراساً للناس ، وانه لا يكون عظيماً شهيراً لحروبه ولكثرة ما ملكه من سلاح وجند ، إنما يكون عظيماً بقوته وبقدرته وبالقوانين التي يسنها لشعبه للسير عليها ، تنظيماً للحياة . فالملك في نظره قائد في الحروب ومرشد في السلم ، حام للقوانين ، منتصر على أعدائه . وكان من رأيه ان الله قد جعل الأباطرة ولاته على الأرض ، وأدلة للناس ، قوامين على الشريعة . ولذلك فإن من واجب كل انبراطور ان يقوم بأداء ما فرضه الله عليه بسنّ القوانين وتشريع الشرائع ، ليسير الناس عليها . ولما كانت القوانين التي سارت عليها الانبراطورية الرومانية كثيرة جداً ، حتى صعب جمعها وحفظها ، تطرق اليها الخلل ، وتناقضت

A. A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, 1952, PP. 138, K. Guterbock, Byzants und Persien in ihren Diplomatischen Volkerrechtlichen Beziehungen im Zeitalter Justinians, S. 57, 105, Bury, Later Roman Empire, II, PP.

الأحكام . لذلك رأى ان من واجبه جمعها وتنسيقها وتهذيبها واصدارها في هيئة دستور انباطوري يسير عليه قضاة الانباطورية في تنفيذ الأحكام بين الناس ، وعهد بهذا العمل الشاق الى (تريونيان) (Tribonian) من المشرعين المعروفين في أيامه^١ . فجمع هذا المشرع البارع القوانين في مدونات ، ورتبها في كتب وأبواب ، وصان بتدوينه هذا بعض القوانين البيزنطية والرومانية من الضياع ، وأورث المشرعين ذخيرة ثمينة من ذخائر البشرية في التشريع .

ويعد هذا العمل من الأعمال العظيمة في تأريخ التشريع ، ولم يكن (يوسطنيان) أول من فكر في جميع القوانين السابقة في مدونة ، ولكنه كان أول من أقدم على تنسيقها وجمع ما تشتت منها وتيسيرها للمشرعين ، وقد وحّد بذلك قوانين الانباطورية ، فعُدَّ صنيعة هذا اصلاً كبيراً يبدل على شعور الملك وتقديره للعدالة في مملكته . وقد أدخل معاصره (كسرى أنو شروان) اصلاحات على قوانين الجباية ، فعد القرن السادس من القرون المهمة في تأريخ التشريع . ولكن الذي يؤسفنا اننا لا نملك موارد تفصل اصلاحات (كسرى) وهل هي نتيجة شعور بضرورة ملحة وحاجة ، أو هي صدى للعمل الذي قام به (يوسطنيان) ، ثم أي مدى بلغته تلك الإصلاحات ؟

وفكرة اخضاع الانباطورية لقانون واحد نابعة من أصل عام كان يدين به (يوسطنيان) ، يتلخص في دولة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة . كان يوسطنيان يرى ان الدولة المنظمة هي الدولة التي يخضع فيها كل أحد لأوامر القيصر ، وان الكنيسة إنما هي سلاح ماض يعين الحكومة في تحقيق أهدافها ، لذلك سعى لجعلها تحت نفوذ الحكومة وفي خدمة أغراضها ، فتقرب الى رجال الدين ، وساعد على انشاء كنائس جديدة ، واستدعى الى عاصمته رؤساء الكنيسة (المنوفيزيتية) (Monophysites) القائلين بالطبيعة الواحدة واليعاقبة وأتباع (آريوس) (Arius) وغيرهم من المعارضين لمباحثتهم ولعقد مناظرات بينهم وبين الكنيسة الرسمية للتقريب فيما بينهم وإيجاد نوع من الاتفاق يخدم أهداف الملك المذكور . ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، ومحاولات التوفيق لم تثمر ، ولتحقيق نظريته في الكنيسة الواحدة اضطهد أصحاب المذاهب المعارضة وكذلك اليهود .

واضطرب بعضهم الى ترك الانبراطورية والهجرة الى مملكة الساسانيين والى المحلات التي ليس للحكومة عليها سلطان^١ .

وزادت نظريته المذكورة في الدولة وفي الكنيسة في حدة المشكلات التي ورثها من أسلافه وجاءت بنتائج معاكسة لما كان يريد منها . فحاوله تقربه من (البابا) وتأيسده له ، اصطدمت بفكرة كانت مسيطرة عليه ، هي ان علمه باللاهوت لا يقل عن علم رجال الدين به ، وان من حقه التدخل في أمور الكنائس وفي تسير المجامع الكنيسية ، لتوحيد الكنائس واعادتها الى أصلها ، فأزعج بذلك (البابا) ، وصار من أصداده ، وأزعج أصدقاءه ومعارضوه من رجال المذاهب الأخرى ، لأنه خالفهم ، وجاء بتفسيرات لم ترضي أي مذهب منها . واضطرب أخيراً على الخضوع لعقيدته المهيمنة على عقله ، وهي ان ما يراه في الدين ، هو الصحيح ، وهو الحل الوسط للتزاع الكنسي ، وهو الأصلح للدولة . فخلق معارضين له . وأغلق (جامعة أثينا) ومدارس البحث ، وأصدر أمراً بمنع الوثنيين وكل من ليس نصرانياً من الاشتغال في الدولة . وهكذا ولدت نظريته في (أنا الدولة) مشكلات خطيرة لدولته وللدولة من جاء بعده من قياصرة .

وكانت لدى الروم مثل هذه المشكلة التي كانت عند الفرس : مشكلة تهرب كبار الملاكين والمتنفذين من دفع الضرائب ، وزيادة نفوذهم وسلطانهم في الدولة . فعزم (يوسطنيان) على الحد من سلطانهم ، والتشديد في استيفاء الضرائب لمعالجة الوضع الحربي الناتج من قلة المال اللازم للاتفاق على جيش كبير ، مما اضطرب الحكومة الى تقليص عدد الجنود . فأصدر أوامر عديدة بالتشديد في جمع الضرائب ، وباجراء الإصلاحات في الإدارة ، غير ان اصلاحاته هذه لم تنفذ ، إذ لم يكن في مقدور الحكومة تنفيذها لعدم وجود قوة لديها تمكنها من الحد من نفوذ المتنفذين ورجال أكفاء أقوياء يقومون بالتنفيذ .

واهتم (يوسطنيان) بأمر التجارة . والتجارة مورد رزق للدولة كبير ، ولا سيما مع الأقطار الشرقية ، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوربة ومطلوبة ، تجني الحكومة منها أرباحاً كثيرة ، وفي مطلع قائمة هذه البضائع النفيسة الأموال

Vasiliev, PP. 150, Knecht, Die Religions Politik Kaiser Justinianus, S. 36.

التي ترد الى الانبراطورية من الصين والهند ، فقد كانت تلاقى اقبالاً كبيراً من أثرياء الانبراطورية ومن أثرياء انبراطورية روما الغربية وبقية أنحاء أوربة .

وأثمن بضاعة في قائمة البضائع الواردة من الصين مادة الحرير ، ولثمن الحرير الباهض حرص الصينيون على ألا يسمحوا لأي غريب كان ان ينقل معه البيض أو الديدان التي تتولد منه الى الخارج ، خشية المزاحمة والمنافسة التي تلحق بهم أفدح الأضرار . وتلي هذه المادة البضائع النفيسة الأخرى مثل العطور والقطن الوارد من الهند والتوابل وأمثالها من المواد التي كان يعجب بها أصحاب الذوق في ذلك الزمن . كل هذه يشتريها تجار الروم ، وبعد ان تأخذ الدولة البيزنطية الضرائب المفروضة ، تسمح للتجار بالتصرف فيها وبيعها على بقية الأوربيين .

وأسعار هذه المواد عالية باهظة الى درجة كبيرة صارت مشكلة من مشكلات الدولة البيزنطية ، ولهذا كانت تتصل دوماً بالانبراطورية الساسانية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار ، وتعيين مقدار الضرائب ، وذلك بسبب ورود أكثرها من هذه الانبراطورية ، إذ كان التجار يأتون بالأموال من أسواق الصين تنقلها القوافل التي تجتاز أرض الدولة الساسانية لتسلمها الى حدود الانبراطورية البيزنطية ، ومنها الى العاصمة لتوزع في الأسواق الأوربية .

هذا طريق . وهناك طريق آخر هو طريق البحر . يحمل تجار الصين أموالهم على سفن توصلها الى جزيرة (تروبانة) (Taprobane) وهي جزيرة (سيلان) ثم تفرغ هناك ، فتُحمل في سفن تنقلها الى خليج البصرة ، ثم تحمل في سفن أخرى تمخر في دجلة والفرات الى حدود الروم .

ولما كانت علاقات الروم بالساسانيين غير مستقرة ، والحرب بين الانبراطوريتين متوالية صارت هذه التجارة معرضة للتوقف والإنقطاع طوال أيام الحروب ، وهي كثيرة ، فترفع أسعارها هناك ، كما ان الساسانيين كانوا يزدون في أسعار البيع وفي ضريبة المرور ، فتزيد هذه في سعر التكليف ، ولهذا فكر (يوسطنيان) في التحرر من تحكم الساسانيين في مورد مهم من موارد رزقهم ، وذلك باستيراد

بضائع عن طريق البحر الأحمر ، وهو بعيد عن رقابة الساسانيين^١ .

والخطة التي اختطها (يوسطنيان) لتحرير التجارة البيزنطية من سيطرة الساسانيين عليها ، هي الإتصال بالأسواق الرئيسية المصدرة ، ونقل المشتريات الى الانباطورية بالبحر الأحمر الذي كان يسيطر الروم على أعاليه . لقد كان ميناء (أيلة) في أيدي البيزنطيين ، وكان هذا الميناء موضعاً لتفريغ السفن الموسقة بالبضائع المرسله من الهند الى فلسطين وبلاد الشام ، كما كان ميناء (القلزم) (Clysmia) في أيديهم كذلك ، تقصده السفن التي تريد ارسال حولتها الى موانئ البحر المتوسط . أما جزيرة (أيوتابة) (Iotabe) وهي جزيرة (تاران) (تيران) ، فقد كانت مركزاً مهماً لجباية الضرائب من السفن القادمة من الهند ، وكانت في أيدي بعض سادات القبائل ، فأمر (يوسطنيان) باقامة موظفي الجباية البيزنطيين بها ، ليقوموا بالجباية . وأما ما بعد هذه المنطقة حتى مضيق المندب والمحيط الهندي فلم يكن للبيزنطيين عليه نفوذ^٢ .

ولتحقيق هذه الخطة ، كان عليه وجوب السيطرة على البحر الأحمر والدخول منه الى المحيط الهندي ، للوصول الى الهند وجزيرة (سيلان) . ولا يمكن تحقيق هذه الخطة إلا بعملين : عمل عسكري يعتمد على القوة ، وعمل سياسي يعتمد على التقرب الى الحبشة الذين كانوا قد استولوا على اليمن ، فصار مدخل البحر الأحمر : (مضيق باب المندب) بذلك في أيديهم . ثم بالتودد الى سادات القبائل العربية النازلة في العربية وفي بادية الشام ، لضمهم الى صفوف البيزنطيين ، ولتحريضهم على الفرس ، وبذلك يلحق البيزنطيون ضرراً بالغاً بالفرس ويكون في استطاعتهم نقل التجارة نحو الغرب عن جزيرة العرب والبحر الأحمر الى أسواقهم بكل حرية وأمان .

أما العمل العسكري ، فلم يكن في وسع البيزنطيين القيام به في ذلك الوقت ، لعدم وجود قوات برية كبيرة كافية . لتتمكن من اجتياز العربية الغربية للوصول

١ Vasillev, P. 163, Bulletin of the School of Oriental and African Studies University of London, Vol., XVI, Parts 3, 1954, P. 425.

٢ W. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, I, 10, 1885, (1935 2 end.), Vasillev, P. 167.

الى اليمن ، حيث الحبش هناك ، اخوان البيزنطيين في الدين . وقد علموا من التجارب السابقة ، أن الجوع والعطش يفتكان بالجيش فتكاً ، وان القبائل لا يمكن الاطمئنان اليها والوثوق بها أبداً ، لذلك تركوا هذا المشروع . فلم يبق أمامهم غير تنفيذه من ناحية البحر ، وقد وجدوا ان هذا التنفيذ غير ممكن أيضاً ، لأن أسطولهم في البحر الأحمر لم يكن قوياً ، ولم يكن في استطاعته السيطرة عليه سيطرة تامة . فتركوه ، ولو الى حين ، مفضلين عليه العمل السياسي .

أما العمل السياسي ، فقد تم بالاتصال بالحبش ، وقد كان ملكهم على النصرانية ، لذلك كان من الممكن جلبه الى البيزنطيين بالتودد اليه باسم الاخوة في الدين . كما تم بالتقرب الى سادات القبائل المنتصرين ، والتودد اليهم باسم الدين ايضاً . وتم بارسال المبشرين الى جزيرة العرب ، وبتشجيعهم على المعيشة بين الأعراب وفي البوادي لتنصير سادات القبائل ، وللتأثير عليهم بذلك . وباقامة الكنائس وارسال المال وعمال البناء لبنائها بأسلوب يؤثر في عقول الوثنيين ، فيجعلها تميل الى النصرانية ، ولتكون هذه المعابد معاهد تثقيف تثقف بالثقافة البيزنطية كما تفعل الدول الكبرى في هذه الأيام .

وأرسل (يوسطنيان) - كما سبق ان بينا ذلك ^١ - رسولا عنه يدعي (يوليانوس) (جوليانس) (Julianus) الى النجاشي والى (السميعع أشوع) (Esimphanus) حاكم اليمن في ذلك العهد ، ليتودد اليها ، وليطلب منها باسم (العقيدة المشتركة) التي تجمعهم ان يكونا مع الروم جهة واحدة في محاربة الساسانيين ، وان يقوموا مع من ينضم اليهم من قبائل العرب بمهاجمتهم ، وحل السفير الى (السميعع أشوع) رجاء آخر ، هو موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos أي (قيس) عاملاً (فيلارخ) (Phylarch) على قبيلة عربية تدعى (معدني) (Maddeni) ، أي قبيلة (معد) ، ليشترك معه ومع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة بمهاجمة الساسانيين .

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته ، معتمداً على الوعود التي أخذها من العاهلين . غير أنها لم يفعلوا شيئاً ، ولم ينقلوا شيئاً مما تعهدا به

١ الجزء الثاني والثالث من هذا الكتاب .

للسفير ، فلم يغزوا الفرس ، ولم يعين (السميّفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً)
عاملاً على قبيلة معدّ .

وورد أيضاً ان القيصر جدّد في أيام (ابراموس) (Abramios) الذي نصب
نفسه في مكان (Esimiphaeus) ، طلبه ورجائه في محاربة الفرس ، فوافق على
ذلك وأغار عليهم ، غير انه تراجع بسرعة^١ .

ويظهر ان اتصال البيزنطيين بـ (ابراموس) (Abramios) كان بعد القضاء
على (السميّفع أشوع) الذي لم يتمكن من مهاجمة الفرس إذ كان من الصعب
عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق بعيدة تمرّ بصحارى وقفار لمحاربة أناس
أقدر من رجاله على القتال^٢ . فلما تمكن (ابراموس) من التحكم في شؤون
اليمن ومن تنصيب نفسه حاكماً عاماً على اليمن وصارت الأمور بيديه تماماً ،
فكر البيزنطيون في الاستفادة منه بتحريضه على الساسانيين ، وذلك باسم الأخوة
في الدين .

وقد تحرش (ابراموس) بالفرس ، غير انه لم يستمر في تحرشه بهم . فإ
لبث ان كفّ قواته عنهم^٣ . ولم يذكر المؤرخ (بروكويوس) كيف هاجم
(ابراموس) الساسانيين ، ومن أين هاجمهم ومتى هاجمهم . لذلك أبقانا في
جهل بأخبار هذا الهجوم .

و (ابراموس) هو (أبرهة) الذي تحدثت عنه في أثناء كلامي عن اليمن .
أما ما أشار اليه (بروكويوس) من تحرشه بالفرس ومن تركه لهم بعد قليل ،
فقد قصد به حملته على (مكة) على الغالب ، وهي حملة قصد بها (أبرهة)
على ما يظهر الاتصال بالبيزنطيين عن طريق البر ، واخضاع العربية الغربية بذلك
الى حكمه وهو من المؤيدين البيزنطيين . وبذلك تؤمن حريّة الملاحة في البحر
الأحمر ، ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير به بكل حريّة . ولعلّه كان
يقصد بعد ذلك مهاجمة الفرس من البادية بتحريض القبائل المعادية للساسانيين
عليهم ، وبتأليف حلف من قبائل يؤثر عليها فيهاجم بها الفرس .

Procopius, I, XX, 1-13, ZDMG., (1881), S., 36 ١

Procopius, I, XX, 9-13. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

اما (Kaisos) (Calsus) ، فكان كما وصفه المؤرخ (بروكوبيوس) شجاعاً ذا شخصية قوية مؤثرة حازماً من أسرة سادت قبيلة (معدّ) . وقتل أحد ذوي قرابة (السميع أشوع) (Esimaphalos) (Esimiphaeus) ، فتعادى بذلك معه ، حتى اضطر الى ترك دياره والهرب الى مناطق صحراوية نائية .^١ فأراد القيصر الشفاعة له لدى (Esimaphalos) ، والرجاء منه الموافقة على اقامته رئيساً (Phylarch) على قبيلته قبيلة معدّ .

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع ، لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة ، لما عند قومها مكانة ومنزلة ، وعند القيصر أهمية وحظوة . ولشخصيته ومكانة أسرته أرسل رسوله الى حاكم اليمن لاقناعه بالموافقة على اقامته رئيساً على قومه . وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خططه السياسية الرامية الى بسط نفوذ الروم على العرب ، ومكافحة الساسانيين .

ونحن لا نعرف من أمر (قيس) هذا في روايات الاخباريين شيئاً غير أن هناك رواية لابن اسحاق جاء فيها أن أبرهة عين محمد بن خزاعي عاملاً له على مضر ، وأن (قيساً) كان يرافق أخاه محمداً حين كان في أرض كنانة . فلما قتل (محمد) ، قرأ الى (ابرهة) .^٢ وقد ورد نسب (محمد) على هذه الصورة : (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالح ابن ذكوان السلمي) في بعض الروايات ، وذكر أنه كان في جيش أبرهة مع القيل .^٣

فهل قيس هذا هو قيس الذي ذكره (بروكوبيوس) ؟ . اتصل مع اخيه محمد بأبرهة ، وصار من المقربين لديه ؟ أو هو رجل آخر لا علاقة له بـ (قيس) الذي يذكره (ابن اسحاق) ؟

وقد زار والد (نونوسوس) (Nonnosos) (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) وزاره (نونوسوس) نفسه في اثناء حكمه . وأرسل (قيس)

١ Procopius, I, XX, 9-13.

٢ Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, PP. 434.

٣ المحبر (١٣٠) .

ابنه (معاوية) الى (يوسطنيان) ، ثم أعطى أخاه ثم ابنه الامارة . وعينه القيصر عاملاً (Phylarch) على فلسطين .^١

وكانت للقيصر (يوسطنيان) صداقة مع رئيس آخر اسمه (أبو كرب) (Abochorabus) ، يقع ملكه في أعالي الحجاز وفي المناطق الجنوبية من فلسطين . عرف هذا الرئيس بالحزم والعزم فخافه الأعداء ، واحترمه الأتباع ، واتسع لذلك ملكه ، وتوسع سلطانه حتى شمل مناطق واسعة ، ودخلت في تبعيته قبائل عديدة أخرى على القانون الطبيعي في البادية الذي يحتم دخول القبائل طوعاً وكرهاً في تبعية الرئيس القوي .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي اكرامه له ، فترل له عن أرض ذات نخيل كثيرة ، عرفت عند الروم بـ (فوينيكون) (Phoinikon) (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) . وهي أرض بعيدة . لا تبلغ الا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، اذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا (الشيخ) عاملاً (فيلارخا) على عرب فلسطين .^٢

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسنة بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) (Amorkesos) وكان (Amorkesos) في الأصل من عرب المناطق الخاضعة للفرس ، ثم هجر دياره لسبب لا نعرفه الى الأراضين الخاضعة لنفوذ الرومان ، وأخذ يغزو الاعراب ، حتى هابته القوافل ، فتوسع نفوذه ، وامتد الى العربية الصحيرية ، واستولى على جزيرة (تاران) (Iotaba) وترك رجاله فيها يجوبون له الجباية من السفن القادمة من الهند ، حتى حصل على ثروة كبيرة ، وعزم في سنة (٤٧٣ م) على ارسال الأسقف (بطرس) أسقف الاعراب التابعين له الى القسطنطينية ، ليتصل بالقيصر ، وليتوسط لديه هناك أن يوافق على تعيينه عاملاً (Phylarch) على الاعراب المقيمين في العربية الحجرية

Bulletin, Vol., XVI, Part : 3, P. 435, Muller, Fragmenta Historicorum, ١
Graecorum IV, 179.

I'Procopius, I, XIX. 2-10, Bulletin, Vol., XVI, 1954, P. 428, Musil, Hegaz, ٢
P. 307.

والخاضعين لنفوذ الروم مقابل دخوله في حلف معهم ، فاستجاب القيصر (ليون) (Leo) الى طلب (بطرس) ، فأرسل دعوة الى (امرىء القيس) لزيارة القسطنطينية ، فذهب اليها بالرغم من وجود شرط في معاهدة الصلح التي كانت قد عقدت بين القرس والروم لا يسمح بوجبه لعربي ما من سكنة المناطق الخاضعة لنفوذ الانبراطورية الساسانية بالذهاب الى مناطق الروم . ولما وصل الى القسطنطينية ، رحب به البيزنطيون ترحيباً جميلاً واستقبلوه استقبالاً حسناً . فأعلن هناك دخوله في التمتعانية . وأغدق عليه القيصر الهدايا والألطف ، ومنحه لقب (فيلارخ) (Phylarch) ، وثبته على المواضع التي أرادها وعلى جزيرة (تاران) (Iotaba) .^١

و كان دخل البيزنطيون كبيراً من الضرائب التي يجيئها . وخلقوا الكمارك المقيمون في جزيرة (تاران) (Iotaba) . وكان هؤلاء الموظفين واجب آخر ، هو واجب ملاحة التهريب والقبض على كل مهرب يريد ادخال التجارة خلسة الى بلاد الشام أو مصر ، ومصادرة الاموال التي يحملها معه . ولهم حق مكافأة المخبين الذين يرشدونهم للقبض على المهربين .^٢

و (غابة الخيل) التي ذكرناها ، تجاور ارض قبيلة (معد) (Maddenol) ، كانت معد خاضعة لحكم حمر . وقد رأينا كيف أن القيصر (يوسطنيان) توسط لدى (السمينع أشوع) ليوافق على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) فسير اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة : أدبها بقوة ، سيرها اليها في شهر (ذو ثبث) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن نادبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرم بن ملدن) عليها ، ونراجعت القوة عنها .^٣

و (عمرم بن ملدن) ، أي (عمرو بن المنذر) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة . وقد كانت (معد) في حكم ملوك الحيرة . وعلى هذا تكون هذه الغزوة (عمرو بن) التي قام بها (أبرهة) على قبيلة (معد) موجهة الى (عمرو

Malchus of Philadelphia, (Muller Ed.), PP. 112, Musil, Hegaz P. 306

Bury, Later Roman Empire, Vol. II, P. 8, Runciman, P. 105

Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4 P. 277, Ruckmans, 506

١

٢

٣

ابن المنذر) حليف الفرس . بمعنى أنه تعرض لجماعة كانت في جانب الساسانيين .
فهل الغزاة التي أشار إليها المؤرخ (بروكوبيوس) هي هذه الغزاة ؟

و (Maddenoi) هي قبيلة (معداية) (Ma'addaye) التي ذكرها (يوحنا
الأنطوني) (John of Ephesus) مع (طياية) (طيايا) (طيايه) (Tayaye)
(Talyaya) في كتابه الذي وجهه الى أسقف (بيت أرشام) (Beth Arsham) ،
ويظهر من هذا الكتاب أنها كانت مقيمة في فلسطين .

وقد تحدثتُ سابقاً عن ورود اسم قبيلة (معدّ) في نص التمارة الذي يرجع
عهده الى سنة (٣٢٨ م) حيث ورد أن (امرئ القيس بن عمرو) ملك العرب
ملك على (معدّ) وعلى قبائل أخرى ذكرها النص ، منها أسد ونزار ومنحج .
ويربط الاخباريون في العادة بين ملوك الحيرة وقبيلة معدّ ، وطالما ذكروا أن ملوك
الحيرة غزوا بمعدّ ، مما يدل على وجود صلة تاريخية متينة بين الحيرة وهذه القبيلة
المتبدية التي كانت تمنع في سكنها مع البادية .

ويظهر من روايات اهل الاخبار أنه قد كان للتبابعة شأن في تنصيب سادات
على معدّ . فهي تذكر أنهم هم الذين كانوا يعينون أولئك السادة ، فينصبونهم
(ملوكاً) على معدّ . وذلك بسبب تنازع سادات معدّ فيما بينهم وتحاسدهم وعدم
تسليم بعضهم لبعض بالزعامة . ولهذا كانوا يلجأون الى التبابعة لتنصيب (ملوك)
عليهم . يضاف الى ذلك أن معدّ كانت قبائل متبدية : منتشرة في أرضين
واسعة تتصل باليمن ، وقد كان أهل اليمن المتحضرون أرقى منهم ، وجيوشهم
أقوى وأنظم نسبياً من محاربي معدّ ومقاتليهم الذين كانوا يقاتلون قتال بدو ،
لا يعرفون تنظيماً ولا تشكيلاً ولا توزيعاً للعمل . وكل ما عندهم هو كرم
وفرّ ، اذا وجدوا خصمهم أشطر منهم وأقدر على القتال هربوا منه .

وقد منيت الانباطورية البيزنطية بانتكاسات عديدة بعد وفاة (يوسطيان) ،
فاشتد الاضطهاد للمذاهب المخالفة للمذهب الارثوذكسي ، وعادت القوضى الى
الحكومة بعد أن سعى القيصر الراحل في القضاء عليها ، وتجددت الحروب بين
البيزنطيين والساسانيين ، وعاد الناس يقاسون الشدائد بعد فترة من الراحة لم تدم
طويلاً . وبعد حروب متتالية دخل الساسانيون بلاد الشام . وفي سنة (٦١٤ م) ،
احتل اتباع ديانة زرادشت عاصمة النصرانية القدس ، فأصبحت المدينة بخسائر كبيرة

في أنبيئها التاريخية وفي ثروتها الفنية التي لا تقدر بثمن . ثم أصيبت الانبراطورية
بنكبة عظيمة جداً هي استيلاء الفرس على مصر ، وبلوغ جيوش الساسانيين في
هذه الأثناء الساحل المقابل للقسطنطينية عاصمة الانبراطورية ^١ .

لقد وقعت هذه الأحداث ونزلت هذه الهزائم بالروم في وقت كان أمر الله
قد نزل فيه على الرسول بلزوم ابلاغ رسالته للناس . والرسول إذ ذاك بمكة ،
يدعو أهلها الى دين الله . فلما جاء الخبر بظهور فارس على الروم ، فرح
المشركون ، وكانوا يحبون ان يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل
أوثان . وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب .
فلقي المشركون أصحاب النبي ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ،
ونحن اميون . وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب ،
وانكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله : (ألم تغلب الروم . في أدنى
الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن
بعد . وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ؛ ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) ^٢ .
وفرح المسلمون بتزول هذه الآيات الموقية للعزيمة وأيقنوا ان النصر لا بد آت ،
وانهم سينتصرون على أهل مكة أيضاً ويغلبونهم باذن الله . وخرج أبو بكر الى
الكفار (فقال : أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا . فلا تفرحوا ولا يقرن
الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ، صلى الله عليه
وسلم ، فقام اليه أبي بن خلف . فقال : كذبت يا أبا فضل . فقال له
أبو بكر ، رضي الله عنه : أنت أكذب يا عدو الله . فقال أناحبك على عشر
قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن
ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر الى النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين
الثلاث الى التسع ، فزايدته في الخطر ومادته في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى
أييّا ، فقال : لعلاك ندمت ؟ فقال لا . فقال : أزايدك في الخطر وأمادك في

١ Vasillev, PP. 193.

٢ سورة الروم ، الآية ١ وما بعدها ، تفسر الطبري (١١/٢١ وما بعدها) ، تفسير
القرطبي (١/١٤ وما بعدها) .

الأجل ، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين . قال قد فعلت)^١ .

لقد وقعت هذه الهزائم الحربية الكبيرة في عهد القيصر (هرقل) (Heraclius) (٦١٠ - ٦٤١ م) . ففي عهده ، اقتطعت بلاد الشام ومصر من جسم الانبراطورية ، وهي أعضاء رئيسية في ذلك الجسم . غير ان طالع هذا القيصر لم يلبث ان تحسن بعد سنين من النحس ، فاستعاد تلك الأملاك في المعارك التي نشبت بين سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٨ م . في هذه الفترة نال هرقل أعظم نصر له في ثلاث معارك كبيرة . ولكن نصره الأكبر جاءه يوم قتل (كسرى أبرويز) صاحب هذه الفتوحات بيد ابنه (شيرويه)^٢ . فورد طائر السعد على القيصر بهذا الخبر المفرح ، ثم تحققت البشري بالصلح الذي عقد بين القيصر وبين (شيرويه) . وفيه نزل الفرس عن كل ما غنموه ، ورضوا بالرجوع الى حدودهم القديمة قبل الفتح . فعادت الشام وفلسطين ومصر الى البيزنطيين ، وأعيد الصليب المقدس الى موضعه في القدس في موكب حافل عظيم^٣ .

وسر المسلمون وهم بالمدينة بانتصار الروم على الفرس ، وزاد أملهم في قرب مجيء اليوم الذي ينتصر فيه المسلمون على المشركين ، وقويت عزيمتهم في التغلب على قريش . (وأسلم عند ذاك ناس كثير)^٤ . وتضعفت معنويات قريش ، وغلب (أبو بكر) أيتاً) على الرهان ، وكسبه ، أخذه من ورثته ، لأنه كان قد توفي من جرح أصيب به ، فلم يدرك زمن طرد من تعصب له من بلاد الشام وخسارته الإبل التي تراهن عليها .

وشاء ربك ألا يكون النصر في هذه المرة لا للروم ولا للفرس ، بل للمسلمين . وشاء ألا يبقى الروم في بلاد الشام إلا قليلاً ، إلا سنين ، إذ تهاوت مدن بلاد الشام ثم مصر فشمال إفريقيا ، الواحدة بعد الأخرى ، في أيدي أناس لم يخطر ببال الروم أبداً أنهم سيكونون شيئاً ذا خطر في هذا العالم ، أعني بهم أبناء مكة ويثرب ومن تبعهم من أهل جزيرة العرب . تهاوت بسرعة عجيبة لا تكاد

١ تفسير الطبري (١٣/٢١) ، تفسير القرطبي (١/١٤ وما بعدها) .

٢ الطبري (١٠٨/٢ وما بعدها) .

٣ Vasiliev, P. 198.

٤ تفسير القرطبي (٢/١٤) .

تصدق ، وبطريقة تشبه المعجزات . وقد بدأ هذا الانهيار بكتاب يذكر أهل السير والاختبار ان الرسول أرسله الى (هرقل عظيم الروم) ، يدعو فيه الى الاسلام ، فإن أبى وبقي على دينه فعليه تبعته ، فلما لم يسلم ، جاءه الانذار ، قوات صغيرة لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة الى جيوش الروم الضخمة ، أخذت تمهّد الطريق لنشر الايمان في بلاد رفض حكامها الدخول فيه . ظهرت الارض الموصلة الى الحدود من المخالفين ، ثم أخذت تتحرش ببلاد الشام ، ولم يأخذ الروم ذلك التحرش مأخذاً جدّياً ، اذ تصوّروه غزواً من غزو العرب المألوف يمكن القضاء عليه بتحريك عرب بلاد الشام من الغساسة ومن لفّ لفهم عليهم ، أو يرشاه رؤسائهم بالهدايا والمال وتنصيبهم ملوكاً على عرب بلاد الشام في موضع الغساسة كما كانوا يفعلون مع القبائل القوية الكبيرة التي كانت تتحرش بالحدود ، وينتهي بذلك الغزو وتصفو الأمور .

ولم يعلم البيزنطيون أن المسلمين يختلفون عن الجاهليين ، يختلفون عنهم في أن لهم عقيدة ورسالة ، وأن من يسقط منهم يسقط شهيداً في سبيل إعلاء كلمة ربه ، وله الجنة ، وأن من يعيش منهم وينجو فلن يركن الى الدعة والحياة الهادئة والرجوع الى البادية بل لا بد له من أحد أمرين : اما نصر حاسم ، واما موت شريف في سبيل الله ورسوله . وبقوا في جهلهم هذا الى أن نهبتهم الضربات العنيفة التي وقعت بينهم وبين العرب في (أجنادين) (Gabatha) وفي (اليرموك) (Hieromax) بأن المعارك التي وقعت ليست غزواً من الغزو المألوف ، بل خطة مهيأة لطرد الروم الذين لا يؤمنون برسالة الرسول من كل بلاد الشام وما ورائها من أرضين . وعندئذ جمعوا جموعهم ، وألقوا قلوب (العرب المستعربة ، أي العرب النصارى القاطنين في بلاد الشام ، بالمال وباسم الدين ، وجعلوهم معهم وتحت قيادتهم في جيوشهم الضخمة لمقابلة المسلمين الذين لم يعرفوا الحروب الكبيرة ، ذات العدد الضخم من المحاربين ، والاسلحة المتنوعة الحديثة ، بالنسبة الى اسلحتهم المكوّنة من سيوف وسهام ورماح وحجارة وخناجر . وهنا وقعت غلطة فنية حربية أخرى من الروم ، اذ قابلوا المسلمين بجيوش ضخمة ، يسيرها قوّاد كبار تعودوا الحرب بأساليبها النظامية وبالطرق المدرسية الموروثة عن الرومان ، وتزوّدوا بالخبرة الفنية العالية التي كسبوها من حروبهم مع الفرس ومع الاوربيين ، فظنوا ان الحرب مع

المسلمين شيئاً بسيطاً ، بل أبسط من البسيط ، حتى أن كبار القادة وجدوا أن من المهانة الاهتمام بأمر أولئك البدو الغزاة ، فتركوا الأمر لمن دونهم في الدرجات يديرونها مع العرب ، الذين أظهروا ذكاءاً فطرياً عظيماً في هذه الحروب ، بتجنبهم الالتحام بالجيوش ، إذ لا قبل لهم بمقاتلتها ، وباتخاذهم خطة المناوشات والكرّ والفرّ بقوات غير كبيرة العدد ، وبذلك تتوفر لهم السرعة في العمل ومباغطة الجيوش الضخمة من ورائها ومن مجنبتها ، وبغزو خاطف كالبرق يلقي الفزع في القلوب . وبذلك أفسدوا على الروم خططهم بالهجوم على العرب ، بجيوش نظامية كبيرة مُدَرَّبَة على القتال يكون في حكم المحال بالنسبة للعرب الوقوف أمامها لو أنهم حاربوهم حربهم ، ووقفوا أمامهم وجهاً لوجه . وبركون العرب الى هذه الخطة المبتكرة ، وبمعاملتهم من خضع لهم واستسلم لأمرهم معاملة حسنة ، وبتحريض (العرب المستعربة) ، (العرب المنتصرة) ، وسكان بلاد الشام من غير الروم ، بل ومن الروم على الانضمام اليهم ، غلبوا البيزنطيين ، وحصلوا ما حصلوا عليه من أرضين .

وعند ظهور الاسلام كانت اليمن في حكم الساسانيين كما رأينا ، غير أن حكمهم لم يكن في الواقع حكماً تاماً فعلياً ، بل كان حكماً شكلياً اسمياً ، محصوراً في صنعاء وما والاها . أما الاطراف والمدن الاخرى ، فكان الحكم فيها لسادات اليمن من حضر ومن أهل وبر . وهو حكم نسميه حكم (اصحاب الجاه والنفوذ) . وقد شاء بعض منهم أن يظهر نفسه بمظهر الملوك المنفردين بالحكم والسلطان والجاه ، فلقبوا أنفسهم بلقب (ملك) وحملوه افتخاراً واعتزازاً ، ولم يكن أولئك الملوك ملوكاً بالمعنى المفهوم ، انما كانوا سادات ارض وقبائل ، تجمّلوا أنفسهم باللقاب الملك :

فقد نعت كتب التواريخ والسير سادات حير في أيام الرسول : الحارث بن عبد كلال ، وشريح بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، و (النعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاقر) ، و (زرعة ذو يزن) (زرعة بن ذي يزن) بـ (ملوك حير) ، وذكرت أنهم أرسلوا الى الرسول رسولاً يحمل اليه كتاباً منهم يخبرونه فيه باسلامهم ، وقد وصل اليه مكفله من تبوك ، ولقيه بالمدينة ، فكتب الرسول اليهم جوابه ، شرح لهم فيه ما لهم وما عليهم ، وما يجب عليه

مراعاته من أحكام .^١ ويذكر (ابن سعد) أن هذا الرسول هو (مالك بن مُرارة الرهاوي) (مالك بن مرة الرهاوي) ، وقد وصل المدينة في شهر رمضان سنة تسع ، وذلك بعد رجوعه من أرض الروم .^٢

ودَوَّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول أرسله الى (الحارث) و (مسروح) و (نعيم) أبناء (عبد كلال) من حمير . حمله اليهم (عياش ابن أبي ربيعة المخزومي) . وأوصاه بوصايا ليوصي بها أبناء (عبد كلال) ان أسلموا . منها أنهم اذا رطنوا (فقل ترجموا) ، حتى يفقه كلامهم . واذا أسلموا ، فليأخذ (قضيب الثلاثة التي اذا حضروا بها سجدوا . وهي من الأثل قضيب ملع بياض وصفرة ، وقضيب ذو عجر كأنه خيزران ، والأسود البهيم كأنه من ساسم . ثم اخرجها فحرَّقها بسوقهم . فذهب اليهم ووجدتهم في دار . ذات ستور عظام على أبواب دور ثلاثة . فكشف الستر ودخل الباب الاوسط ، وانتهى الى قوم في قاعة الدار . ففعل بمثل ما أمره به الرسول .^٣

ويظهر من قوله : (فاذا رطنوا فقل ترجموا) ، أنهم لم يكونوا يحسنون عربية أهل مكة . وأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بلهجاتهم الخاصة بهم . وأن معنى تحريق القضيب الثلاثة ، هدم ما كان لهم من عزة وسلطان وتكبر على الرعية ، لأن الاسلام قد أمر باجثثات ذلك . وبأن يكون الحكم للرسول وحده . ولما كانت تلك القضيب رمزاً للحكم والسلطان ، وقد جعل الاسلام الحكم للرسول وحده ، لهذا أمر الرسول بكسر تلك القضيب ، وفي كسرها اشعار لهم بأن حكمهم القديم قد زال عنهم ، وأن الحكم الآن للرسول .

ويظهر من نص الكتاب الذي وجهه الرسول الى (زرعة بن ذي يزن) ، وفيه : (اما بعد ، فإن محمداً يشهد أن لا إله الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من اول حمير ، وقتلت

١ الطبري (١٢٠/٣ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الأثير (١٢١/٢) ، ابن خلدون (٥٢/٢) (القسم الثاني) (الوفود) ، الطبري (١٥٣/٣ ، ١٥٦) ، البلاذري ، فتوح (٨١) ، (اليمن) ، (وشرح بن عبد كلال) ، (ونعمان فيل ذي يزن) ، (وزرعة ذي رعين) ، ابن سعد ، طبقات (٢٦٤/١) ، نهاية الأرب (١١٨/١٨) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٥٦/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١) .

المشركين الخ) ، ^١ أن (زرعة) هذا كان رأس حمير ، والمطاع فيها ، ولهذا ارسل اليه رسولاً خاصاً به هو (مالك بن مرة الرهاوي) ، واستلم جواباً خاصاً من الرسول كتب باسمه ، ولم يذكر اسمه في الجواب الذي ارسله الى الباقيين بصورة مشتركة .

وذكر (ابن سعد) أن رسول الله كتب كتاباً الى (بني عمرو) من حمير ، ولم يذكر من هم (بنو عمرو) ، وأشار الى أن في الكتاب : (وكتب خالده ابن سعيد بن العاصي) ، ^٢ ما يدل على أنه كان كاتب ذلك الكتاب . ويشير (ابن سعد) ايضاً الى ان الرسول ارسل (جرير بن عبيد الله البجلي) الى (ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع) والى (ذي عمرو) ، يدعوها الى الاسلام ، فأسلما وأسلمت (ضريبة بنت ابرهة بن الصباح) امرأة (ذي الكلاع) . وتوفي رسول الله ، وجرير عندهم ، فأخبره (ذو عمر) بوفاة . ^٣

ويشير نسب (ذو الكلاع) المذكور الى انه من الأسرة التي كانت تحكم اليمن قبيل غزو الحبش لها . فهو من الأسر الشريفة الحميرية في اليمن . وقد عرف بـ (ذي الكلاع الأصغر) عند اهل الاخبار تمييزاً له عن (ذي الكلاع الأكبر) الذي هو في عرفهم (يزيد بن النعمان الحميري) من ولد (شهاب بن وحاطة بن سعد بن عوف بن علي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر) .

وأما صاحبنا (ذو الكلاع) الأصغر الذي راسله الرسول ، وأسلم . فهو أبو (شراحيل سميع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر) . قال اهل الاخبار : والتكلم الحلف (وبه سُمي ذو الكلاع الأصغر ، لأن حمير تكلموا على يده . أي تجمعوا ، الا قبيلتين : هوازن وحراز ، فانهما تكلمتا على ذي الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان) . ^٤

وذكر نسب (ذو الكلاع الاصغر) على هذا الشكل : (سميع بن ناكور

١ الطبري (١٢١/٣ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، نهاية الارب (١٦٨/١٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/٨ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٤٩٦/٥) ، (كلع) .

ابن عمرو بن يعفر بن يزيد بن النعمان الحميري) . و (يزيد) هذا هو (ذو الكلاع الأكبر) . وذكر ان (أبا شراحيل) هو الرئيس في قومه المطاع المتبوع ، أسلم في حياة النبي ، فكتب اليه النبي على يد جرير بن عبد الله البجلي كتاباً في التعاون على الأسود ومسيمة وطيحة . وكان القائم بأمر معاوية في حرب صفين ، وقتل قبل انقضاء الحرب ، ففرح معاوية بموته ، وذلك انه بلغه ان (ذا الكلاع) ثبت عنده ان علياً بريء من دم عثمان ، وان معاوية لبس عليهم ذلك ، فأراد التشيت عليه فعاجلته منيته بصفين وذلك سنة سبع وثلاثين^١ .

ويكون (ذو الكلاع) الأصغر ، قد تزوج بنتاً من بنات أبرهة هي (ضريبة)^٢ .

ونسب الى التابعة قوله :

أنا بالنجاشة مجليوها وكندة تحت راية ذي الكلاع

يريد تيمناً وأسداً وطياً اجلبوا الجيش على بني عامر مع أبي يكسوم وذو الكلاع كان معه أيضاً^٣ .

وذكر ان رسول الله كتب الى (معد يكرب بن أبرهة) ان له ما أسلم عليه من أرض خولان^٤ . ولم يشر (ابن سعد) الى بقية اسم أبرهة أو الى شهرته ، لذلك لا ندري إذا كان قصد (أبرهة) المعروف ، أم شخصاً آخر اسمه (أبرهة) . ولكننا نعرف اسم قيل عرف بـ (معد يكرب) اسم والده (أبو مرة الفياض) ذو وزن ، كان متزوجاً من (ربحانة) ابنة (ذي جلدن) ، فولدت له (معد يكرب) المذكور . ثم انتزعتها منه (الأشرم) ، ونشأ (معد يكرب) مع أمه (ربحانة) في حجر (أبرهة)^٥ ، فلعله نسب اليه ، لذلك قال له (ابن سعد) (معد يكرب بن أبرهة) .

وكان للفرس وللجيل الجديد الذي ظهر في اليمن من تزواجهم باليمنيين ، وهو

-
- ١ تاج العروس (٣٨٩/٥) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
 - ٣ تاج العروس (٤٩٦/٥) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
 - ٥ الطبري (١٤٢/٢) وما بعدها .

الجيل الذي عرف بـ (الأبناء) نفوذ كبير في اليمن ، وقد تحدثت عنه في الجزء السابق من هذا الكتاب . وإلى هذا الجيل أرسل الرسول (و بر بن يحنس) ، يدعو إلى الإسلام ، فتزل على بنات (النعمان بن بزرج) فأسلمن ، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه . وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه ^١ .

وقد كان الفرس الذين أقاموا باليمن مثل سائر الفرس على المجوسية ، ولما دخل أهل اليمن في الإسلام دخل بعض هؤلاء فيه . وأقام بعض آخر على دينه ، وفرض الرسول على من بقي على دينه جزية ^٢ . وقد نفر منهم بعض سادات اليمن من الأسر القديمة ، بسبب أنهم غرباء عن اليمن ، جاؤوا إلى اليمن فحكموها ، ولهذا انضم بعض منهم إلى (الأسود) في ردتهم . لأن (الأسود العنسي) ، كان كارهاً للأبناء ، حاقداً عليهم . يرى أنهم عصاة دخيلة ، استأثرت بحكم اليمن ^٣ . وقد شاءت الأقدار أن تكون نهايته بأيديهم . إذ كان قاتله منهم فكان قلبه كان يعلم بما سيفعلونه به ، ولهذا كرههم .

وكانت الأزدي من القبائل المعروفة في اليمن ، وقد جاء وفد منهم إلى الرسول على رأسه (صرد بن عبد الله) في بضعة عشر ، فأسلم ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، وكان أول ما فعله أنه حاصر (جرش) ، وكانت قد تحصنت وضوت إليها خثعم ، فلما وجد أن من العسير عليه فتحها بالقوة آوى إلى جبل (كشر) ، فظن أهل جرش ، أنه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً . ثم أسلم من نجا منهم . وحمل الرسول لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة ، وللمثيرة ثير الحرث ، فن رعاها من الناس سوى ذلك فإله سحت ^٤ .

وكتب الرسول كتاباً إلى (خالد بن ضهاد الأزدي) أن له ما أسلم عليه من

-
- ١ الطبري (١٥٨/٣) .
 - ٢ البلاذري ، فئوح (٨٣) .
 - ٣ البلاذري ، فئوح (١١٣ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (١٣٠/٣) وما بعدها ، (دار المعارف) ، ابن سعد ، طبقات (٣٣٧/١) وما بعدها ، نهاية الأرب (٩٦/١٨) وما بعدها .

أرضه ، وكان كاتب كتابه (أبيّ)^١ . وكتب مثل ذلك لجنادة الأزدي وقومه ، وكان كاتب هذا الكتاب (أبيّ) كذلك^٢ . وكتب الرسول الى (أبي ظبيان الأزدي) من (غامد) يدعوه ويدعو قومه الى الإسلام . فأجابه في نقر من قومه بمكة . وكانت لأبي ظبيان صحبة ، وأدرك عمر بن الخطاب^٣ .

وذكر ان (ضهاد بن ثعلبة) الأزدي ، كان صديقاً للرسول في الجاهلية ، وكان يتطبيب ويرقي من هذه الرياح ، ويطلب العلم ، فقدم مكة قبل الهجرة ، واجتمع بالرسول وكلمه ، ثم أسلم . وهو من (أزد شنوءة)^٤ .

ونجد (ابن سعد) يدون صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لبارق من الأزد . نظم فيه حقوقهم مثل ان لا تُنجد ثمارهم وان لا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق . وغير ذلك . وكتب الكتاب (أبيّ بن كعب) ، وشهد عليه أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان^٥ .

ويجاور الأزد من الشرق (خثعم) و (ملحج) و (مراد) و (همدان) و (بلحارث) ، ويجاورهم في غربهم (بنو كنانة) و (بنو عك) . وأما من الجنوب ، فتتصل ديارهم بديار (همدان) و (حمير) .

وتجمع بعد وفاة النبي قوم من الأزد وبجيلة وخثعم ، عليهم حمضة بن النعمان وذلك بـ (شنوءة) ، وعلى أهل الطائف (عثمان بن ربيعة) ، فبعث عليهم (عثمان بن أبي العاص) ، عامل النبي على الطائف بعثاً التقى بهم بشنوءة ، فهزموا تلك الجماع ، وفرقوا عن (حمضة) ، وهرب وفسدت ثورة هؤلاء المرتدين^٦ .

وتمرد قوم^{*} من (خثعم) على (أبي بكر) حينما بلغهم نبأ وفاة الرسول وخرجوا غضباً الى (ذي الخلصة) يريدون إعادته ، فأمر (أبو بكر) (جرير

١ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٧) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٧٠) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٠) .

٤ نهاية الأرب (١٨ / ٧ وما بعدها) .

٥ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٧) .

٦ الطبري (٣ / ٣٢٠) ، (دار المعارف) .

ابن عبد الله) ان يدعو من قومه من ثبت على أمر الله ، وان يستنفر (مقويهم) ، فيقاتل بهم خثعم ، فنفذ أمره فتبعهم وقتلهم وعاد الى الإسلام من تاب^١ . وكان الرسول قد بعث ستة تسع للهجرة (قطبة بن عامر بن حديبة) الى خثعم بناحية (تبالة) ، فتغلب عليهم^٢ .

وبقيت (همدان) قبيلة قوية من قبائل اليمن ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد ، أسلمت يوم مقدم (علي بن أبي طالب) الى اليمن على رأس سرية أمر الرسول بارسالها الى هناك . وقد فرح الرسول باسلامها ، وتتابع أهل اليمن على الاسلام^٣ .

وقد كانت همدان بطون عديدة ، من بطونها (بنو ناعط) ، ومن رجالهم (حمرة ذو المشعار بن أيفع) ، وكان شريفاً في الجاهلية ، والظاهر انه كان صاحب موضع (المشعار)^٤ . وهو (أبو ثور) . وقد وفد على الرسول ، ووفد معه (مالك بن نمط) و (مالك بن أيفع) ، و (ضمام بن مالك السلماني) ، و (عميرة بن مالك الحارفي) ، فلقوا رسول الله بعد مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحبرات والعائم المعدنية ، برحال الميئس على المهريّة والأرجحية^٥ .

ويذكر أهل الأخبار . ان الوفد لما وصل المدينة ، ارتجز (مالك بن نمط) رجزاً ، ثم خطب بين يدي الرسول ، ذاكراً له ان نصيبه ، أي اختياراً أشرافاً من همدان ، يريد رجال الوفد ، قدمت الى الرسول ، وهي (من كل حاضر وباد) أي من أهل الحضر ومن أهل البادية ، ومن أهل مخلاف خارف ويام وشاكر ، ومن أهل الإبل والخليل ، قدموا اليه ، بعد ان عافوا الأصنام واعتنقوا الإسلام . فأنشئ الرسول عليهم ، وشكرهم وكتب لهم كتاباً ، وجهه (إلى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدها ، ذي المشعار : مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه) ، ثم بين لهم ما عليهم وما لهم^٦ .

١ الطبري (٣٢٢/٣) .

٢ نهاية الأرب (٣٥٠/١٧) .

٣ الطبري (١٣١/٣) وما بعدها .

٤ الاشتقاق (ص ٢٥١) .

٥ نهاية الأرب (١٠/١٨) وما بعدها .

٦ نهاية الأرب (١١/١٨) وما بعدها .

وورد ان (قيس بن مالك بن سعد بن لؤي الأرحبي) قدم على رسول الله وهو بمكة ، فعرض رسول الله عليه الإسلام فأسلم ، ثم خرج الى قومه فأسلموا بإسلامه ، ثم عاد الى الرسول فأخبره بإسلامهم ، فكتب له عهداً على قومه (همدان) . وذكر ان رجلاً مرّ بالرسول ، وهو من (أرحب) من (همدان) ، اسمه (عبد الله بن قيس بن أم غزال) ، فعرض عليه الرسول الإسلام ، فأسلم ، فلما عاد الى قومه قتله رجل من (بني زُبَيْد)^١ ، وجاء وفد آخر من (همدان) الى الرسول فأسلم على يديه ، وكان فيه (حمزة بن مالك) من (ذي مشعار) ، وكان على الوفد مقطعات الخبزة مكففة بالدبياج ، فكتب الرسول لهم كتاباً ، وأوصاهم بقومهم من بقية بطون همدان^٢ .

وورد ان الرسول كتب لـ (قيس بن مالك بن سعد الأرحبي) ، عهداً ثبته فيه على قومه (همدان : أحورها وعربها وخلائطها ومواليها ان يسمعوا له ويطيعوا)^٣ . وذكر ان الأحور : قدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعة ، وأذواء همدان . وقيل : حمورها : أهل القرى . وأرى ان المراد بالأحور هم بقايا حمير الناطقون بالحميرية وهم سكان القرى والمدن . ذكرُوا وخصوا بالذكر ، لانهم اختلفوا عن غيرهم ممن كان يتكلم بلهجات أخرى ، ولهذا ميزوا عن (عربها) ، أي عرب همدان ، وهم الأعراب ، وعن الخلائط وهم الذين يكونون أخطاؤ الناس وعن الموالى . وذهب بعض الباحثين ، الى ان (عربها) بالغين ، أي (غربها) ويراد بهم : أرحب ، ونهم ، وشاكر ووداعة ، ويام ، وموهبة ، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وحجور^٤ .

وأما (بنو زُبَيْد) ، فكان على رأسهم (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) ، وكان قد قدم على الرسول في أناس من قومه ، ليعرض عليه الإسلام . فأسلم وأسلم من كان معه^٥ . وقد نعت بالشجاعة فدعي بـ (فارس العرب)^٦ ، وهو

١ ابن سعد ، طبقات (٣٤٠/١ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٩/١٨ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٠/١ وما بعدها) .

٣ نهاية الأرب (٩/١٨) .

٤ الطبري (١٣٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٥ الاشتقاق (ص ٢٤٥) .

٦ الطبري (١٣٤/٣ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٣٢٨/١) .

لقب يلقب به الشجعان الفرسان . وأقام في قومه من بني زُبَيْد . وعليهم (فروة بن مسيك المرادي) ، الذي كان قد استعمله الرسول على مراد وزبيد ومنحج كلها : فلما توفي رسول الله ارتد عمرو بن معديكرب . ووُثِبَ (قيس بن عبيد يغوث) على (فروة بن مسيك) ، وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله ^١ .

وكان (عمرو بن معديكرب) قد لقيَ (قيس بن مكشوح المرادي) حين انتهى إليه أمر رسول الله ، فعرض عليه ان يذهب معه الى رسول الله حتى يعلم علمه ، فإن كان نبيّاً ، فإنه لا يخفى أمره عليهم ، وإن كان غير ذلك علم علمه أيضاً وتركه ، فلم يأخذ (قيس) برأيه وسفته فكرته . ثم أوعد (قيس) (عمرو بن معد يكرب) يوم سمع بلهايه الى الرسول وباعثاته الإسلام . وقال : (خالفني وترك رأبي) ^٢ .

وكان (فروة بن مسيك المرادي) من (بني مُراد) ^٣ . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة الجرارين ، أي الذين قادوا الفأ ^٤ . وقد كان مفارقاً للملك كندة ، ومعانداً لهم . وقد شهد يوم الرزم ، وهو يوم كان بين مراد قوم فروة وبين همدان ، انتصرت فيه همدان على مراد . وقد نسبوا شعراً لفروة ذكروا انه قاله يعتذر فيه عن الهزيمة التي أصابت مراداً في ذلك اليوم ، وكان الذي قاد همدان فيه (مراد الأجدع بن مالك) ^٥ .

ولما وصل (فروة) المدينة ، نزل على (سعد بن عبادة) ، وقد أكرمه الرسول ، واستعمله على مراد وزبيد ومنحج ، وبعث معه (خالد بن سعيد بن العاص) على الصدقات ^٦ .

والى بني الحارث بن كعب أرسل الرسول خالد بن الوليد يدعوهم الى الاسلام ،

-
- ١ الطبري (١٨٥/٣) .
 - ٢ الطبري (١٣٢/٣) وما بعدها ، (قدوم وفد زبيد) ، نهاية الأرب (٨٥/١٨) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢٤٦) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٥٢) .
 - ٥ الطبري (١٣٤/٣) وما بعدها ، (دار المعارف) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٣٢٧/١) ، نهاية الأرب (٨٤/١٨) وما بعدها .

أو البقاء على دينهم وهو النصرانية مع دفع الجزية . فأسلم أكثرهم ، وذهب وفد منهم فيه (قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة) ، و (يزيد بن عبد المدان) ، و (يزيد بن المحجل) ، و (عبد الله بن قريظ الزياتي) ، و (شدّاد بن عبد الله القناني) ، و (عمرو بن عبد الله الضبابي) ، فقابل الرسول ، وكان السواد غالباً على لونهم ، فقال الرسول لما رأيهم : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال من الهند ؟ . قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث ابن كعب^١ . وأمر رسول الله (قيس بن الحصين) على (بني الحارث بن كعب) . كما زار الرسول (عبدة بن مسهر الحارثي) في المدينة ، وأسلم على يديه^٢ .

وكتب الرسول لبني الضباب من (بني الحارث بن كعب) ان لهم سارية ورافعها ، لا يُحَاقَتُهُمْ فيها أحد ما داموا مسلمين ، وكتب كتابهم هذا المغيرة^٣ . وكتب لبني قنان بن وعلة من بني الحارث كتاباً ان لهم محبساً وانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، كتبه له المغيرة ايضاً . وأمر الرسول كاتبه : الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، ان يكتب لعبد يغوث بن وعلة الحارثي ، ان له ما أسلم عليه من أرضها وأشياؤها ، أي نخلها ما دام يقوم بما يفرضه الاسلام عليه من واجبات . وكتب له (علي بن أبي طالب) ان لبني زياد بن الحارث جَمَاءً وأذنية . وأمر رسول الله المغيرة بن شعبة ان يكتب ليزيد بن المحجل الحارثي ، ان له ولقومه نمرة ومساقية ووادي الرحمان من بين غابتها . وانه على قومه من (بني مالك) و (عقبة) لا يغزون ولا يحشرون^٤ .

وأمر الرسول ان يكتب كتاباً لـ (قيس بن الحصين ذي الغصة) أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نهد حلفاء بني الحارث ، يؤمنهم على أموالهم ما داموا مسلمين . وكتب كتاباً يشهد بإسلام (بني قنان بن يزيد) الحارثيين ، ويؤمنهم فيه ايضاً ان لهم مَدُوداً وسواقيه . وكتب مثل ذلك لعاصم بن الحارث الحارثي ،

- ١ الطبري (١٢٦/٣) وما بعدها (دار المعارف بمصر) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٩ وما بعدها) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٠) .
- ٣ ابن سعد (١/٢٦٧) وما بعدها .
- ٤ ابن سعد (١/٢٦٨) .

ان له نجمة من راكس لا يُحاَقَّه فيها أحد^١ .

وكان (عوز بن سُريّر الغافقي) في جملة من وفد من (غافق) على الرسول ، كما كان فيهم (جليحة بن شجار بن صُحار الغافقي)^٢ .

وقد آلم ولا شك خروج الحبش من اليمن البيزنطيين كثيراً ، وأصيبوا بخروجهم منها بخسارة من الوجهة العسكرية والاقتصادية ، غير ان مما خفف من هذه المصيبة ان الفرس لم يكن لديهم آنذاك أسطول قوي يستطيع الهيمنة على مضيق المندب ، مدخل البحر الأحمر ، بل ولا سفن كافية يكون في وسعها حماية سواحل اليمن والعربية الجنوبية . لذلك لم يهدد دخولهم اليمن السواحل الافريقية المقابلة لسواحل جزيرة العرب وهي مهمة بالنسبة للروم ، ثم انهم عوّضوا عن خسارتهم الكبيرة الفادحة التي نزلت بهم باحتلال الفرس لبلاد الشام ، بطردهم الفرس واجلائهم عن كل الأرضين التي استولوا عليها وبإعادتهم (الصليب المقدس) الى مكانه . فرفعوا بذلك من معنوياتهم في الشرق الأوسط وفي افريقية .

وقد سُرّ اليهود من خروج الحبش من اليمن ومن استيلاء الفرس عليها . إذ صاروا في حكم حكومة لا تحقد عليهم ، حكومة لا يهمها أمر اليهود لعدم وجود علاقة لها بها . بل ربما ساعدتها لأنها تناهض الروم ، على عكس النصرانية التي كانت قد وجدت في الحبشة نصيراً ومساعداً ، لذلك قلّ أتباعها وانحسروا تدريجياً ، وبقيت متمركزة بمدينة نجران .

ولنجران وضع خاص . فقد تمتعت باستقلال ذاتي في الغالب . وقد تخرشتُ بتاريخها في مواضع متعددة من هذا الكتاب وبحسب المناسبات . ولما استولى الفرس على اليمن لم تدخل في طاعتهم ولم تخضع لحكم (عاملهم) ، بل أخذت تدبر شؤونها بنفسها وبمجلس تنفيذي حصر أمور البلد في أيدي سادات ثلاثة اختص أحدهم بالحكم المدني ، واختص ثانيهم بالنظر في أمور الدين ، واختص الثالث في شؤون الأمن والدفاع عن المدينة . وقد عرفوا بالعاقب والسيد والأسقف . وقد قدموا على الرسول وباهلوه ؛ وكتب لهم كتاب الصلح وذلك سنة عشر للهجرة .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٥٢/١) .

واشترط عليهم في جملة ما اشترطه فيه ، ان لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به^١
وكتب الكتاب : المغيرة^٢ .

وذكر ان الوفد الذي خرج الى الرسول من نجران كان مؤلفاً من أربعة عشر رجلاً من أشرفهم نصارى . فيهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، رجل من كندة ، وأبو الحارث بن علقمة ، رجل من بني ربيعة ، والسيد وأوس ابنا الحارث ، وزيد بن قيس ، وشيبة ، وخويلد ، ونخالد ، وعمرو ، وعبيد الله ، وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم ، والعاقب ، وهو أسقفهم وجبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ، والسيد ، وهو صاحب رحلهم . فتقدمهم (كرز) أخو (أبو الحارث) ، ثم قدم الوفد بعده ، فدخلوا المسجد عليهم ثياب الجبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير ، ثم كلموا الرسول ، وصالحهم على شروط ، ثم عادوا الى ديارهم ، ثم عاد السيد والعاقب الى المدينة فأسلما ، وبقي الآخرون على دينهم الى زمن (عمر) فأجلاهم ، لانهم أصابوا (الربا) وكثر بينهم . واشترى عقاراتهم وأموالهم ، ففترقوا ، فترل بعضهم الشام ونزل بعضهم (النجرانية) بناحية الكوفة^٣

وكان الحكم في نجران لـ (بني الأفعى) ، ثم تحول الى (بني الحارث بن كعب) ، فلما ظهر الاسلام كان حكامها من بني الحارث بن كعب . أما بنو الأفعى فكانوا كثرة فيها . غير ان الحكم لم يكن في أيديهم^٤ .

ولما توفي رسول الله ، كان عامله (عمرو بن حزم) بنجران^٥ . ولما قام (ذو الحجار عبهلة بن كعب) وهو (الأسود) ، بعامة ملحق على الاسلام في حياة الرسول وكان كاهناً شعباداً ، يرى الناس الأعاجيب ، ويسبي قلوب من سمع منطقه ، أخرج (عمرو بن حزم) من نجران ، واستولى عليها ثم سار

١ الطبري (١٣٩/٣) ، (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٧٥ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٥٨/١) وما بعدها ، البلاذري ، فتوح (٧٧ وما بعدها) ،

نهاية الأرب (١٢١/١٨) وما بعدها .

٤ الطبري (٣/٣٢١) وما بعدها .

٥ الطبري (١٣٠/٣) .

(عبهلة) الى صنعاء فأخذها ، وأخذ يدعو الناس اليه ، حتى قضى عليه .^١
وأرسل الرسول قبل وفاته بقليل (وبر بن مُحَنَس) الى (فيروز) و (جُشَيْش
الدليمي) و (داؤويه الاصطخري) ، و (جرير بن عبد الله) الى (ذي
الكلاع) و (ذي ظليم) ، و (الاقرع بن عبد الله الحميري) الى (ذي زود)
و (ذي مران) وذلك للقضاء على (الاسود) وعلى من استجاب اليه ، فقتل .
قتله : (فيروز الدليمي) و (قيس بن مكشوح المرادي) ، وعاد من ارتد
واتبعه الى الاسلام ، ولم يكن الرسول قد فارق الدنيا بعد .^٢

وكان النبي - حين وفاته قد نصب عمالاً على عمالات تمتد من مكة الى اليمن ،
فكان على مكة وأرضها (عتاب بن أسيد) و (الطاهر بن أبي هالة) . عتاب
على بني كنانة والطاهر على عك . وعلى (الطائف) وأرضها (عثمان بن أبي
العاص) و (مالك بن عوف النصري) . (عثمان) على اهل المدر ومالك على
أهل الوبر أعجاز هوازن . وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن
حرب . عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ،
وعلى ما بين (رمع) و (زبيد) الى حد (نجران) خالد بن سعيد بن العاص .
وعلى همدان كلها (عامر بن شهر) ، وعلى (صنعاء) فيروز الدليمي يسانده
داؤويه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلى بن أمية ، وعلى مأرب أبو موسى
الأشعري ، وعلى الأشعرين مع عك الطاهر بن أبي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلم
القوم ، يتنقل في عمل كل عامل . بقي الحال على هذا المنوال حتى نزا بهم
الأسود الكذاب .^٣

وورد في رواية أخرى ، ان رسول الله وجه (خالد بن سعيد بن العاص)
أميراً الى صنعاء وأرضها ، وذكر انه ولي (المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة
المخزومي) صنعاء ، فقبض وهو عليها . وقال آخرون انما ولي (المهاجر)
(أبو بكر) ، وولي (خالد بن سعيد) مخاليف اعلى اليمن . وذكر ايضاً ،
ان رسول الله ولي (المهاجر) كندة والصدف ، فلما قبض رسول الله ، كتب

١ الطبري (٣ / ١٨٥) ، (ثم دخلت سنة احدى عشرة) .

٢ الطبري (٣ / ١٨٧ ، ٢٢٧ وما بعدها) ، (بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي) .

٣ الطبري (٣ / ٣١٨ وما بعدها) .

ابو بكر الى (زياد بن لييد البياضي) من الانصار بولاية كندة والصدف الى ما كان يتولى من حضرموت . وولى المهاجر (صنعاء) . والذي عليه الاجماع ان رسول الله ولى (زياد بن لييد) حضرموت .^١

ولما ارتد (قيس بن عبد يغوث المكشوح) رده الثانية ، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش ، وكتب الى (ذي الكلاع) وأصحابه : (ان الأبناء نزع في بلادكم ، وثقلاء فيكم ، وأن تركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأي أن اقتل رؤوسهم ، وأخرجهم من بلادنا) ، كتب (ابو بكر) الى (عمير ذي مران) والى (سعيد ذو زود) والى (سميفع ذي الكلاع) والى (حوشب ذي ظلم) ، والى (شهر ذي يناف) ، يأمرهم بالتمسك بالاسلام ، وبمقاومة (قيس) والمرتين . فكتب (قيس) (تلك الفالة السيارة للحجبة ، وهم يصعدون في البلاد ويصوبون ، محاربين لجميع من خالفهم) (وأمرهم ان يتعجلوا اليه ، وليكون امره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الابناء من بلاد اليمن) ، فاستجابوا له ، ودنوا من صنعاء . وعمد الى الحيلة لقتل (فيروز) ، و (داذويه) ، و (جشيش) . وتمكن من (داذويه) ، فقتله . فأحس (فيروز) و (جشيش) بالمكيدة ، فهربا الى (خولان) ، وهم اخوال (فيروز) ، وامتنع (فيروز) بأخواله . فثار (قيس) بصنعاء ، وجمع (فيروز) من تمكن جمعه من الابناء ، وكتب الى (بني عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) والى (عك) يستنصرهم ويستمدهم على (قيس) . فساروا اليه ووئبت (عك) وعليهم (مسروق) ، وسار (فيروز) بهم نحو (قيس) ، فهرب في قومه والتحق بفلول (العنسي) التي تذبذبت بعد مقتله ، وسار فيما بين صنعاء ونجران . وانضم الى (عمرو بن معديكرب) . وكان (عمرو) قد فارق قومه (سعد العشيرة) في (بني زيد) وأحلافها وانضم الى (العنسي) .

ولما ارسل (ابو بكر) مدداً الى من ارسله الى اليمن ، انضم اليه قوم من (مهرة) وسعد زيد والأزد وناجية وعبد القيس وحُدبان من بني مالك ، وقوم من العنبر والنخع ، وحير ، واختلف (قيس) مع (عمرو بن معديكرب) ،

١ البلاذري ، فتوح (٨٠) .

ولانقل من كان معها وأخذوا أسيرين الى ابي بكر ، فعفى عنها . وانتهت بذلك ردة هذين المرتدين .^١

ومن (بني خُشَيْن) (ابو ثعلبة الخشني) ، وقد وفد على الرسول وأسلم ووفد عليه نفر من (خشين) فتزولوا عليه وأسلموا وبايعوه ورجعوا الى قومهم .^٢

وكان من جملة وفود اهل اليمن الى الرسول ، وفد (بهراء) ، جاؤوا الى المدينة فأسلموا ، وقد نزلوا على (المقداد بن عمرو) .^٣

ومن قبائل اليمن قبائل (مذحج) ، وتقع منازلها جنوب منازل (خثعم) وفي شمال ديار (فهد) . ومن بطونها (الرهاويون) ، وهم حي من مذحج ، قدم وفد منهم على الرسول سنة (عشر) للهجرة فأسلموا . وقدم رجل منهم اسمه (عمرو بن سبيع) على الرسول فأسلم ، فعقد له رسول الله لواء .^٤

وأرسل (النخع) رجلين منهم الى النبي : (ارطاة بن شراحيل بن كعب) من (بني حارثة بن مالك بن النخع) و (الجهيث) واسمه (الأرقم) من (بني بكر بن عوف بن النخع) فأسلما ، وعقد لأرطاة لواء على قومه ، وجاء وفد آخر من وفد النخع من اليمن سنة احدى عشرة ، وهم مائتا رجل ، وكان فيهم (زرارة بن عمرو) ، وقيل هو (زرارة بن قيس بن الحارث بن عداء) ، وكان نصرانياً ، فأسلموا ، وبايعوا الرسول ، وكانوا قد بايعوا (معاذ بن جبل) باليمن .^٥

وقدم (جرير بن عبد الله البجلي) سنة عشر المدينة على رأس وفد من قومه (بجيلة) ، فأسلموا وبايعوا الرسول . وقدم وفد آخر منهم فيه (قيس بن عزة الأحسي) فأسلموا وعادوا الى ديارهم .^٦

١ الطبري (٣٢٣/٣ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٢٩/١) ، نهاية الأرب (٢٣/١٨) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٤٤/١ وما بعدها) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٣١/١) .

• ابن سعد ، طبقات (٣٤٦/١) ، (زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي بن الحارث

ابن عوف) ، نهاية الأرب (١١٠/١٨) .

٦ ابن سعد ، طبقات (٣٤٧/١) .

وجاء وفد (خثعم) وفيه (عثث بن زحر) و (أنس بن ملرك) ، فأسلموا ، وكتب النبي لهم كتاباً .^١ وقد دَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لـ (خثعم) (من حاضر ييشة وباديتها) ، وأن الذي كتبه له وشهد عليه (جرير بن عبد الله) ومن حضر .^٢ ودَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب آخر ، أمر الرسول بكتابته لـ (مطرف بن الكاهن الباهلي) . جاء فيه : (هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن ييشة من باهلة) .^٣ ويظهر منه أن (مطرفا) المذكور وقومه من باهلة كانوا يقيمون اذ ذاك بـ (ييشة) . ودَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب آخر كتبه الرسول الى (نهشل بن مالك الوائلي) من (باهلة) .^٤ ولم يذكر الكتاب مواضع منازلهم .

وكان من رجال (جُعْفَى) الذين وفدوا على الرسول : (قيس بن سلمة ابن شراحيل) ، و (سلمة بن يزيد) ، فأسلما ، وأستأذنا الرسول بالعودة الى منازلها . فلما كانا في الطريق ، لقيا رجلاً من اصحاب رسول الله ، معه ابل من ابل الصدقة ، فطردا الابل ، واوثقا الراعي . ومن (جعفي) ، (ابو سبرة) ، وهو (يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي) وابناه (سبرة) و (عزيز) ، قدم بهما أبوهما على الرسول ، وأسلموا .^٥

وأما (تهامة) ، فكان بها عكّ والأشعر . وكانوا قد ارتدوا بعد سماعهم خبر وفاة الرسول ، ولكنهم غلبوا على امرهم ، وعادوا الى الاسلام .^٦ ولما توفي الرسول ، كان اول منتفض بعد النبي بتهامة عكّ والأشعر ، وذلك انهم حين بلغهم موت النبي ، تجمعوا واقاموا على الاعلاب طريق الساحل . فسار عليهم (الطاهر بن ابي هالة) ومعه (مسروق المكّي) ، فهزمهم وقتلهم كل قتلّة ، وعرفت الجموع من عكّ ومن تأشب اليهم : الأنخاب ، وُسُمتي

١ ابن سعد ، طبقات (٣٤٨/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .

٥ نهاية الأرب (٨٣/١٨) وما بعدها .

٦ الطبري (٣٢٠/٣) وما بعدها .

الطريق الذي تجمعوا به (طريق الأخابث) .^١
 وجاء وفد من الأشعرين ، فيه (أبو موسى الاشعري) ، ومعه رجلان من
 (عكّ) قدم في سفن في البحر ، ثم نزلوا الساحل وذهبوا برّاً الى المدينة ،
 فرأوا الرسول وبايعوه .^٢
 وأرسلت (جيشان) نقرأ الى المدينة فيهم (ابو وهب الجيشاني) ، فأسلموا .^٣
 وكان الحكم في حضرموت الى الاقيال كذلك . وفي أيام الرسول قدم عليه
 (وائل بن حجر) راغباً في الاسلام ، وكانت له مكانة كبيرة في بلده ، وقد
 نعته كتاب الرسول الذي كتبه اليه بـ (قيل حضرموت) .^٤ وقد كان لكثدة
 والسكاسك والسكون والصدف اثر كبير في تأريخ حضرموت في هذا العهد الذي
 نتحدث عنه .

وذكر (ابن سعد) ، ان الرسول كتب الى اقيال حضرموت ، وعظائهم ،
 كتب الى (زرعة) و (فهد) و (البسي) و (البحيري) و (عبد كلال)
 و (ربيعة) و (حجر) .^٥
 وكانت كندة هي القبيلة المتنفذة بحضرموت ، كان (الاشعث بن قيس بن
 معديكرب الكندي) من رؤساء هذه القبيلة البارزين ، وقد مدح الأعشى (قيس
 ابن معديكرب) بقوله :

وجلنساء في عُمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف^٦

وكان (الأشعث بن قيس) على رأس وفد كندة الذي وفد على الرسول سنة
 عشر ، فأسلم مع قومه على يديه .^٧ وقد كان رجال الوفد قد رجّلوا جميعهم
 واكتحلوا ، ولبسوا جباب الخبرة قد كَفَّوْها بالحرير ، وعليهم الديباج ظاهر
 مخصوص بالذهب ، فأمرهم الرسول بترك ذلك . فألقوه .^٨

- ١ الطبري (٣٢٠/٣) وما بعدها .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٨/١) ، نهاية الأرب (٢٣/١٨) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٣٥٩/١) .
- ٤ ابن خلدون (٥٦/٢) وما بعدها ، (القسم الثاني) ، (الوفود) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١) وما بعدها .
- ٦ ديوان الأعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
- ٧ الطبري (١٣٨/٣) وما بعدها ، (فلول الاشعث بن قيس في وفد كندة) ، نهايه
 الأرب (٨٧/١٨) وما بعدها .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٣٢٨/١) .

وذكر (أبو عبيدة) ، ان (الأشعث بن قيس) لم يكن كيندياً ، وإنما صار في كندة بالولاء . وزعم ان والد (قيس) وهو (معديكرب) كان عرجاً من أهل فارس إسكافاً اسمه (سبيخت بن ذكر) ، قطع البحر من توج الى حضرموت . وللفرزدق شعر في ذلك قاله في حق (عبد الرحمن) حين خالف عبد الملك بن مروان . كما زعم ان (وردة بنت معديكرب) عمّة الأشعث كانت عند رجل من اليهود ، فأتت ولم تخلف ولداً ، فأثنى الأشعث (عمر بن الخطاب) يطلب ميراثها ، فقال له عمر : لا ميراث لأهل ملتين^١ . وقد عرف ملوك كندة الذين راسلهم الرسول بـ (بني معاوية)^٢ ، وهم الذين عرفوا بـ (بني معاوية الأكرمين) ، في شعر ملحوا به .

وكان نخوص (نخوس) ومشرح وجمد (حمدة) وأبضعة بنو معديكرب ابن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من الرؤساء الملقين بلقب ملك ، لأن كل واحد منهم قد اختص بواد ملكه ، ولقب نفسه بلقب ملك^٣ . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من بني عمرو بن معاوية وقد لعنهم النبي^٤ . وعرفوا بـ (بني وليعة) ملوك حضرموت وقد جاؤوا الى الرسول مع وفد كندة فأسلموا^٥ .

ووفد رئيس آخر من رؤساء حضرموت على الرسول اسمه (وائل بن حجر) ، ويظهر انه كان ذا منزلة كبيرة عند قومه ، فلما وصل المدينة أمر الرسول (معاوية بن أبي سفيان) باستقباله وبإتزاله منزلاً خاصاً بـ (الحرة) ، وأمر بأن ينادى ليجتمع الناس : الصلاة جامعة ، سروراً بقدومه ، ولما أراد الشخصوص الى بلاده كتب له الرسول كتاباً دعاه فيه بـ (قيل حضرموت) ، وذكر فيه انه جعل له في يديه من الأرضين والحصون . ولما أمر الرسول معاوية بأن يتزل (وائلاً) بالحرة ، مشى معاوية معه وائل راكب ، فقال معاوية : التى لى

-
- ١ ابن رسته ، الأعلام (٢٠٥) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) .
 - ٣ البلدان (٢٩٤/٣) (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، (القسم الثاني) ، (الوفود) البلاذري ، فتوح (١٠٩) .
 - ٤ ابن الاثير (١٥٨/٢) وما بعدها .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١) .

نعلبك أتوقى بهما من الحرّ ، فقال له : لا يبلغ أهل اليمن ان سوقة لبس نعل ملك ، ولما قال له : فأردفني ، قال : لست من أرداف الملوك ، ولكن إن شئت قصرت عليك ناقتي فسرت في ظلها ، فأتى معاوية النبي ، فأنبأه بقوله ، فقال رسول الله : إن فيه لعبية من عبية الجاهلية ^١ .

وكان (الأشعث الكندي) وغيره من (كندة) نازعوا (وائل بن حجر) على وادٍ بحضرموت فادعوه عند رسول الله ، فكتب به رسول الله ، لوائيل ابن حجر . بعد ان شهد له أقبال حمير وأقبال حضرموت . فكتب له بذلك ، وأقره على ما في يده من الأرضين ^٢ .

ومن قرى حضرموت : تريم ومشطة والتنجير وتنعة وشبوة وذمار ^٣ .

وكان الرسول قد استعمل (المهاجر بن أبي أمية) على كندة والصدف و (زياد بن لبيد البياضي) من (بني بياضة) على حضرموت ، و (عكاشة ابن محصن) على (السكاسك) و (السكون) ^٤ . ولما توفي الرسول ، خرج (بنو عمرو بن معاوية) ، الى محاجرهم ، ونزل (الأشعث بن قيس الكندي) محجراً ، و (السمط بن الأسود) محجراً ، وطابقت (معاوية) كلها على منع الصدقة وأجمعوا على الردة ، إلا ما كان من (شرحبيل بن السمط) وابنه ، فإنهما خالفوهما في رأيهم ، فهجم المسلمون على المحاجر ، وقتلوا الملوك الأربعة . وساروا على (الأشعث) ومن انضم اليه من (كندة) ، والتقوا بمحجر الزرقان فهزمت كندة وعليهم الأشعث : فالتجأت الى حصن النجير ، ومعهم من استغروا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والتنجير ، فلحققتهم جيوش المسلمين ، ومنعت المدد عنهم ، وأخضعت من بقرى (بني هند) الى (برهوت) ، وأهل الساحل وأهل (مح) ، فخاف من بالحصن على نفسه ، واستسلم الأشعث وانتهت

١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٧/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١) وما بعدها .

٣ المحجر (ص ١٨٥) .

٤ المحجر (ص ١٨٦ وما بعدها) ، الطبري (٣٣٠/٣) ، (ذكر خبر حضرموت في ردتهم) .

فتنته^١ . وأخذ الى المدينة ، فحقن (أبو بكر) دمه ، وزوجه أخته ، ثم سار الى الشام والعراق غازياً ومات بالكوفة^٢ .

وكان (شرحبيل بن السمط) الكندي مقاوماً للأشعث بن قيس الكندي في الرئاسة ، وانتقل العداء الى الأولاد^٣ .

وينسب (الصدف) الى الصدف بن مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة (، فهم إذن من كندة .

وذكر ان من سادات حضرموت في هذا العهد : (ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي) . وقد كتب اليه الرسول كتاباً أقره فيه وأقر أعمامه وإخوته وكل (آل ذي مرحب) على أرضهم وأموالهم ونخلهم ورقيقهم وآبارهم ونخلهم وشجرهم ومياهم وسواقيهم ونبتهم وشراجعهم وان (أموالهم وأنفسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل الى آل قيس) هو لهم . وكتب الكتاب للرسول معاوية بن أبي سفيان^٤ .

وكان يتنازع على رئاسة مهرة رجлан منهم عند ظهور الاسلام ، أحدهما (شخریت) وهو من (بني شخراة) ، وكان بمكان من أرض مهرة يقال له : (جيتروت) الى (نضلون) . وأما الآخر فبالنجد . وقد انقادت مهرة جميعاً لصاحب هذا الجمع ، عليهم (المصباح) أحد بني محارب ، والناس كلهم معه ، إلا ما كان من شخریت ، فكانا مختلفين ، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر الى نفسه : وقد قتل (المصباح) في أثناء ردة مهرة ، أما شخریت الذي كان قد أسلم ثم ارتد ، فقد سلم على نفسه بعودته الى الاسلام ، وأرسل مع الأخماس الى (أبي بكر)^٥ .

ويذكر أهل الأخبار ان بعض رجال (مهرة) وفدوا على الرسول ، منهم (مَهْرِي بن الأبيض) ، وقد كتب له الرسول كتاباً ، و (زهير بن قَرْصَم

١ الطبري (٣٣٢/٣ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (١١٠) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٤٣) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .

٥ الطبري (٣١٦/٣ وما بعدها) ، (ذكر خبر مهرة بالنجد) .

ابن العُجَيل بن قباث بن قومي) ، وقد أسلم ، وكتب له الرسول كتاباً حين هم بالانصراف الى قومه^١ .

ومن مواضع (مهرة) (رياض الروضة) ، بأقضى أرض اليمن من مهرة ، و (جيروت) و (ظهور الشحر) و (الصبرات) و (ينعب) و (ذات الحيم)^٢ .

وأما عمان ، فكان المتنفذ والحاكم فيها (الجلندي بن المستكر) ، وكان قد نصب نفسه ملكاً عليها ، ويفعل في ذلك فعل الملوك ، فيُعَشِّرُ التجار في سوق (دبا) و (سوق صحار) . وكانت سوق دبا من الأسواق المقصودة المشهورة ، يأتي اليها البائعون والمشترون من جزيرة العرب ومن خارجها ، فيأتيها تجار من السند والهند والصين^٣ .

وورد في باب الرسل الذين أرسلهم رسول الله الى الملوك، انه أرسل (عمرو بن العاص) الى (جيفر بن جلندي) و (عباد بن جلندي) (عبيد) (جيفر بن جلندي بن عامر ابن جلندي) (عبد) (الأزديين صاحبي عمان)^٤ . مما يدل على انها كانا هما الحاكمين على عمان في هذا الوقت . وتعني لفظة (جلنداء) الواردة في شعر الأعشى في مدح (قيس بن معد يكرب) (الجلندي) صاحب عمان^٥ . وتذكر الروايات ان (جيفر) ، كان هو الملك منهما : وكان أسن من أخيه^٦ .

وكان يُسامي (الجلندي) (ذو التاج) (لقيط بن مالك الأزدي) ، وقد ارتد وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ : وغلب على عمان ، والتجأ (جيفر) و (عباد) الى الجبال . فأرسل (أبو بكر) اليها مدداً ، فتغلبا عليه وعلى من

١ ابن سعد ، طبقات (٣٥٥١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٣١٧/٣) .

٣ المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) ، البلاذري (٨٧) ، (عمان) .

٤ الطبري (٦٤٥/٣) ، المحبر (ص ٧٧) ، الطبري (٢٩/٣) (دار المعارف) .

٥ وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيع

ديوان الأعشى (٣١٢) (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، القصيدة ٦٣ ،

البيت ١٥ ، البلاذري ، فوح (٨٧) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٥٢/٢) ، تاج

العروس (٣٢٣/٢) ، (جلد) .

٦ نهاية الأرب (١٦٧/١٨ وما بعدها) .

التف حوله^١ . ويظهر ان (لقيطاً) كان ينافس (آل الجلندی بن المستكبر) على السلطان ، وقد اعتصم (آل الجلندی) بالاسلام . وانتصروا بفضل المسد الذي وصل اليهم عليه . وقد قتل (لقيط) وسُي أهل (دبا) .

وكلمة (الجلندي) على ما يظهر من روايات الأخباريين ليست اسماً لشخص ، وإنما هي لقب ، وقد تعني (لقباً) أو (قبلاً) أو (كاهناً) في لهجات أهل عمان . ويؤيد ذلك ما ورد من انه (ادعى به من كان نبياً)^٢ .

وارتدت طوائف من أهل (عمان) ، ولحقوا بالشجر ، وارتد جمع من (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) ، فجهز عليهم (أبو بكر) (عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي) و (حذيفة بن حصن الباري) من الأزد ، فتغلبا عليهم جميعاً ، وعادوا عن ردتهم الى الاسلام^٣ .

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لرجل من (مهرة) اسمه (مهري بن الأبيض) . كتبه له : (محمد بن مسلمة الأنصاري)^٤ .

وغالب أهل عمان من الأزد . وهم من (القحطانيين على رأي أهل الأنساب . من نسل (أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ) . وقد عرفوا بـ (أزد عمان) ، تمييزاً لهم عن أزد شنوءة وأزد السراة وعن أزد غسان . وذكر ان أصل كلمة (أزد) هي (أسد) ، وان (أسد) (أفصح من (أزد)^٥ . وان الأزد نزلت عمان بعد سيل العرم ، فغلبت على من كان بها من ناس^٦ . واما أزد (شنوءة) فقد اتجهوا نحو الشمال ، فذهب قوم منهم الى العراق ، ذكر انهم سُموا (شنوءة) لشأن ، أي تباغض وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم^٧ . وإذا أخذنا بهذا التفسير ، قلنا إنه يعني ان هذه الجماعة من الأزد ، كانت مستبدية أعرابية ، عاشت متباغضة يقاتل بعضها بعضاً ، وهذا ما دفع فلولها على الارتحال

-
- ١ الطبري (٢١٣/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، ابن الأثير (١٥٦/٢ ، ٢٥٢) .
 - ٢ الطبري (٣١٤/٣) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٨٧ وما بعدها) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) .
 - ٥ اللسان (٧١/٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٨٣) ، تاج العروس (٣٨٩/٢) .
 - ٦ السلمي ، تحفة الأعيان (٧/١) .
 - ٧ تاج العروس (٨٢/١) .

عن مواضعها الاصلية وعلى الانتشار والتفكك والذهاب الى أماكن بعيدة عن مواطنها شأن الأعراب المتقاتلين المتخاذلين .

ثم نراهم يذكرّون ان أول من لحق بعمان من الأزد : (مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله ابن مالك) وكان سبب خروجه عن قومه الى عمان : ان كان له جبار وكان لجاره كلبية ، وكان بنو أخيه (عمرو بن فهم بن غانم يسرحون ويروحون على طريق بيت ذلك الرجل ، وكانت الكلبة تعوي عليهم وتفرق غنمهم ، فرماها أحدهم بسهم فقتلها . فشكا جبار مالك اليه ما فعل بنو أخيه ، فغضب مالك وقال : لا أقيم في بلد ينال فيه هذا من جاري . ثم خرج مراغماً لأخيه عمرو ابن فهم . ثم لحقت به قبائل أخرى من الأزد)^١ .

ويذكر الأخباريون ان (عمان) نسبة الى رجل اسمه (عمان بن قحطان) : وكان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب ، وذكر أيضاً ان (عمان) اسم واد ، كان يتزل الأزد عليه حين كانوا بمأرب ، وان الفرس كانوا يسمون (عماناً) (مزون)^٢ . وذكر ان العرب كانت تسمي (عمان) المزون . وذكر ان (أردشير بابكان) جعل الأزد ملاحين بشحر عمان قبل الاسلام بستائة سنة . وقيل ان المزون ، قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم^٣ .

ونزل بعمان ناس من غير الأزد . منهم جمع من (بني تميم) ، ومنهم (آل جذيمة بن حازم) ، وقوم من (بني النبيت) من الأنصار ، ومنازلهم في قرية يقال لها (ضنك) من أعمال (السر) ، و (بنو قطن) من أهل يثرب كذلك ، ومنازلهم (عبرى) و (السليف) و (تنعم) من أرض السر ، وقوم من (بني الحارث بن كعب) ، وآخرون من (قضاعة) ، وفروع من (عبس)^٤ .

وكان في جملة من وفد من أزد عمان على الرسول ، (أسد بن يبرح

- ١ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .
- ٢ اللسان (٢٨٩/١٣) ، السالمي ، تحفة الأعيان (٧/١) .
- ٣ اللسان (٤٠٧/١٣) .
- ٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .

الطاحي ، خرج في وفد ، فبايعوا الرسول ، وطلبوا منه ان يرسل اليهم رجلاً يقيم أمرهم ، فأمر رسول الله (مخربة العبدى) ، واسمه (مدرك بن مخطوط) بأن يذهب اليهم ، ويعلمهم القرآن والأحكام . وجاء بعده وفد آخر فيه (سلمة ابن عياذ (عباد) الأزدي)^١ .

ومن عمان (صحار) ، وقد اشتهرت بسوقها . و (قلهاث) ، وهي فرضة عمان على البحر ، اليها ترفأ أكثر سفن الهند^٢ . و (دبا) (دما) و (مهرة)^٣ . ويعقد سوق صحار في أول يوم من رجب ، ولا يختفر فيها بخفير ، ثم يرتحلون الى سوق دبا ، فيعشرهم (آل الجلندى)^٤ .

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه الى وفد (ثماله) و (الحُدَّان) . جاء فيه (هذا كتاب من رسول الله لبداية الأسياف ونازلة الأجواف مما حازت صحار) ، ثم ورد بعدها ما وضع عليهم الرسول من حقوق . وقد كتب الصحيفة (ثابت بن قيس بن شماس) ، وشهد عليها : سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة .

وأما البحرين ، فجعل سكانها من (بني عبد القيس) وبكر بن وائل وتميم . وهم بين أهل شرك أو نصرانية وبين شراذم من يهود ومجوس . أما الوالي عليها في أيام ظهور الرسول ، فكان (المنذر بن ساوى)^٥ . وهو من بني عبد الله ابن زيد) من (بني تميم) . وكانوا ملوك المشقر بهجر ، وكانت ملوك الفرس قد استعملتهم عليها^٦ . و (عبد الله بن زيد) هذا هو (الأسبلي) ، نسبة الى قرية بـ (هجر) يقال لها (الأسبد) ، ويقال انه نسب الى (الأسبديين) ، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين^٧ .

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٥١/١) ، نهاية الأرب (١١٥/١٨) .
 - ٢ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) ، البكري ، معجم (١٠٩/٣) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٨٨) .
 - ٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) .
 - ٥ ابن الأثير (٨٩/٢) ، الطبري (١٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٧٤/٢) ، المحبر (ص ٢٦٥) .
 - ٦ المحبر (ص ٢٦٥) .
 - ٧ البلاذري ، فتوح (٨٩) ، تاج العروس (٥٦٤/٢) ، (السبذنة) .

و (المشقر) حصن آخر من حصون البحرين المعروفة ، وهو من الحصون العادية لذلك سب بعض أهل الأخبار بناءه الى (سليمان بن داود) على عادتهم في ارجاع سب الأبنية العادية اليه في الغالب عند عجزهم عن معرفة أصل الأبنية . وذكر بعض آخر انه من بناء (طسم) . وقد كان لعبد القيس ، ولهم حصن آخر يليه اسمه (الصفا) قبل مدينة (هجر) . وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له (العين) . ويذكر أهل الأخبار ان (بني عبد القيس) لما جاؤوا بها (لإياداً) ، فأخرجوهم عنها قهراً ، وأخذوا مكانهم . وان (كسرى) حبس (تميم) بهذا الحصن ، وفيه فتك (المكعب) والي (كسرى) ، بيني تميم . وعرف الموضع لذلك بـ (فج بني تميم)^١ .

وقد ورد اسم هذا الحصن في شعر (لبيد بن ربيعة العامري) ، إذ قال :

وأعوضن بالدومي من رأس حصنه وانزلن بالأسباب رب المشقر

وقد ذكر شارح الديوان ان الشاعر (لبيد) قصد بالدومي ملك دومة الجندل . وان المشقر حصن بالبحرين . (قال أبو عمرو : وكان ربّه رجلاً من الفرس)^٢ . وجاء في هامش التحقيق ان (المشقر : قصر بالبحرين بناه معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي ، وكانت منازلهم ضرية ، فانتقل أبوه الحارث الى الغمر ، وبني ابنه المشقر ، وقال ابن الأعرابي : المشقر بمدينة قديمة في وسطها قلعة ، وهي مدينة هجر)^٣ .

وتقع ديار (عبد القيس) الى الشمال من ديار (أزد عمان) ، وهي تشرف على الخليج ، وتمتد نحو الشمال حتى تصل الى منازل قبائل (بكر بن وائل) ، وقد خالطتها قبائل أخرى . وسكنت الى الغرب من ديار (عبد القيس) قبائل (تميم) ، التي تمتد ديارها موازية لديار (بني عبد القيس) الواقعة الى شرقها حتى تصل الى ديار (بكر بن وائل) وديار (أسد) التي تؤلف الحدود الشمالية الغربية لها . وأما القبائل النازلة الى الغرب من ديار تميم ، فهي : أسد وهوازن

١ وهناك مواضع أخرى عرفت باسم (المشقر) ، البلدان (٦١٥/٤) (طهران) ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (٧٣) ، مراصد الاطلاع (١٢٧٥/٣) ، البكري ، معجم (١٢٣٢/٣) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ٥٦) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ٥٦) ، هامش رقم (١) .

و (غني) و (باهلة) ، وأما القبائل النازلة الى الجنوب من بلاد تميم ، فهي (أزد عمان) و (عبد مناة) و (ضبّة) .

ويظهر من دراسة الروايات التي يرويها أهل الأخبار عن هجرة القبائل ، ان (بني عبد القيس) ، لما جاؤوا الى البحرين ، كانت البلاد إذ ذاك لإياد ، فجلت إياد من البحرين ونزحت نحو العراق ، فكان ما كان لها من مواقف هناك مع الفرس ^١ .

وسبب غدر (المكعب) ببني تميم ، هو وثوبهم على قافلة كانت محملة بالطرف والأموال أرسلها (وهرز) عامل كسرى على اليمن الى كسرى ، فاغتاظ (كسرى) من ذلك ، وأراد ارسال جيش عليهم ، فأخبر ان بلادهم بلاد سوء ، قليلة الماء ، وأشير اليه ان يرسل الى عامله بالبحرين ان يقتلهم ، وكانت تميم تصير الى هجر للميرة . فلجأ العامل الى الغدر بهم ، فأمر مناديه ان ينادي لا تطلق الميرة إلا لتميم ، فأقبل اليه خلق كثير ، فأمرهم بدخول المشقر وأخذ الميرة ، والخروج من باب آخر ، فدخل قوم منهم فقتلهم . ثم أجهز على الباقيين ، وبعث بلذاريهم في سفن الى فارس ^٢ .

وذكر ان (المكعب) واسمه (فيروز بن جشيش) ، تحصن بـ (الزارة) وانضم اليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف ، وامتنعوا عن أداء الجزية ، فحاصرها (العلاء) وفتحها في أول خلافة (عمر) . وفتح (العلاء) (السابون) و (دارين) في الساحل المقابل من الخليج ^٣ .

وتميم من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن عند ظهور الاسلام . وقد سكنت في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي العراق وبادية الشام . وكان من أشرافها عند ظهور الاسلام : عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، والأقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بسير ، وعمرو بن الأهتم ، وقيس بن عاصم ^٤ ،

١ الأغاني (٢٣/٢٠) ، البكري (٦٧/١ ، ٨٢) ، البلاذري ، أنساب (٢٥/١) ، الجاحظ ، البيان (١٢١/١) .

٢ آثار البلاد (ص ٧٣) .

٣ البلاذري ، فتوح (٩٥ وما بعدها) .

٤ الطبري (١١٥/٣) ، (قدوم بني تميم ونزول سورة الحجرات) ، نهاية الأرب (٣٢/١٨ وما بعدها) .

وربيعة بن رفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس^١ ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، ورباح بن الحارث^٢ . و (سفيان بن الحارث بن مصاد)^٣ .

وكان (الزبرقان بن بدر) على الرباب وعوف والأبناء ، وقيس بن عاصم على (مقاعس) والبطون ، و (صفوان بن صفوان) على (بهدي) ، و (سبرة بن عمرو) على (خضم) من (بني عمرو) . و (بهدي) و (خضم) قبيلتان من (بني تميم) . و (وكيع بن مالك) و (مالك بن نويرة) على (بني حنظلة) : (وكيع) على (بني مالك) و (مالك) على (بني يربوع) . ولما وقعت (الردة) ، ارتبك موقف زعماء (تميم) ، وكانوا متخاصمين غير متفقين فيما بينهم ، وبينهم تحاسد وتباغض ، منهم من أدى الصدقة ومنهم من امتنع ، وتخاصموا فيما بينهم بسبب ذلك . وزاد في ارتباكهم هذا قدوم (سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان) من الجزيرة ، وكانت ورهطها في (بني تغلب) تقود أفناء (ربعة) ، ومعها (الهذيل بن عمران) في (بني تغلب) و (عقة بن هلال) في النمر ، و (تاد) في إيراد ، و (السليل بن قيس) في (شيان) ، و حاروا في أمرهم ، منهم من انضم إليها ومنهم من خالفها وقاتلها ، ثم اتجهت نحو (مسيلمة) باليامة وانفقت معه ، ثم غادرته راجعة الى قومها^٤ .

ولما امتنع (مالك بن نويرة) عن دفع الصدقة ، سار عليه (خالد بن الوليد) الى (البطاح) ، وكان قد فرّق قومه ، وأمرهم بعدم التعرض والمقاومة ، ولكنه قتل . وانتهى بذلك أمر تميم^٥ .

وكان (الاقرع بن حابس بن عقال) المجاشعي الدارمي في جملة المؤلفات

-
- ١ الطبري (١٥٧/٣) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٩٣/١) وما بعدها .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/٣) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٢٦٧/٣) وما بعدها .
 - ٥ الطبري (٢٧٦/٣) وما بعدها ، (ذكر البطاح وخبره) ، الميداني ، مجمع الأمثال (١٣٩/٢) ، العقد الفريد (٢٦٤/٣) ، زهر الآداب (٧٦١/٣) ، تاريخ خليفة بن خياط (٧٠/١) .

قلوبهم .^١ وهو من سادات تميم . وذكر انه كان على دين المجوس .^٢

ولقبيلة تميم صلات بملوك الحيرة ، وقد كانت (الردافة) اليها . وهي مكانة ودرجة مهمة جداً ، لا تعطى الا للقبائل المتنفذة القويّة . ومع ذلك فقد وقعت بينها وبينهم خطوب ومعارك . لما في طبع القبائل من شق عصا الطاعة عند شعورها بوجود وهن في الحكم . وبأن في امكانها الانفراد بنفسها في الحكم . كما كانت لها صلات متينة برجال مكة التجار ، ولها معهم اعمال وتجارة وعهود وحبال . لحماية قوافل قريش ولتأمين وصولها سالمة الى الاماكن التي كانت تقصدها .

ونجد تميماً تحارب (بكر بن وائل) ومن يشد ازرها ويعاونها من (الاساورة) وذلك يوم (الصليب) . وقد انتصر (بنو عمرو) وهم من تميم على (بني بكر) ، وقتل (طريف) (رأس الاساورة) .^٣ وقد كانت (بكر بن وائل) من القبائل المؤيدة للساسانيين . وكان القرس يقومونهم ويجهزونهم . ويشرف على تجهيزهم عاملهم على (عين التمر) .^٤

وتظهر صلات (تميم) الطيبة بقريش من اخبار اهل الاخبار عن تجارة قريش وعن الطرق التي كان يسلكها تجارهم لوصولهم الى الاسواق ، مثل سوق دومة الجندل والمشقر والاسواق الاخرى . لقد كانت الطرق المؤدية الى تلك الاسواق تمر بأرضين هي لحياء من تميم . ولم تكن هذه الاحياء تتعرض لتجار مكة او للتجار المتحالفين معهم والذين يتاجرون باسمهم ، بأي سوء . على العكس كانت تحترمهم وتقدم لهم المعونة ، لوجود حبال وعهود عقدها ساداتهم مع سادات قريش . ونظراً الى ما كان من حلف بين (كلب) و (تميم) ، فقد صار في وسع تاجر مكة ومن هو في حلفه او يتاجر بحماية تجار مكة ، المرور في منازل (كلب) بأمن وسلام .^٥

ومن ديار تميم (الحزن) ، وهو لـ (بني يربوع) . وهو مرتع من مراتع

١ تاج العروس (٤٤/٦) ، (الف) .

٢ الأعلام النفيسة (٢١٧) .

٣ M. J. Kister, VIII, II, November, 1965, P. 114.

Kister, P. 114.

٤ النقائص (٥٨١) .

٥ Kister, P. 128.

العرب ، فيه رياض وقيعان . وقيل هو صقع واسع نجدي بين الكوفة وفيد .
وقيل : هو قف غليظ ، ومربع من مرابع العرب ، بعيد عن المياه ، فليس
ترعاه الشياه ولا الحمر . فليس فيها دمن ولا ارواث . ^١ وعرف بأنه بلاد بني
يربوع . وهناك حزن آخر ما بين زباله فما فوق ذلك مصعداً في بلاد نجد . وفيه
غلظ وارتفاع . وقد ورد ذكر (الحزن) في شعر للأعشى ، حيث يقول :

ما روضة من رياض الحزن ، معشبة نخضراء جاد عليها مُسبل هطل

وذكر انه موضع كانت ترعى فيه لابل الملوك ، وهو من ارض (بني اسد) . ^٢
وكانت قوافل قريش اذا قصدت (دومة الجندل) ، وسلكت السبل التي تمر
بـ (الحزن) ، فانها تكون آمنة مطمئنة ، لانها تمر ببلاد مضر . ولا يتحرش
مضري بمضري . وكانت اذا عادت وأرادت سلوك مواضع الماء ، مرت بديار
كلب ، فتكون عندئذ آمنة مطمئنة ، لأن لكلب حلفاً مع (تميم) و (تميم)
من مضر ولها صلات وعلاقات بمكة . واذا مرت بحزن اسد ، فانها تكون آمنة
كذلك ، لأن (بني اسد) من مضر . واذا دخلت ديار (طيء) ، صارت
آمنة ايضاً ، لأن لطيء حلفاً مع بني اسد . ^٣

ويظهر انه قد كانت لتمييم صلات بقريش وبمكة تعود الى ايام سابقة على
الاسلام . اذ نجد في روايات اهل الاخبار ان نقرأ منهم كانوا يذهبون الى مكة
ومنهم من كان يذهب اليها للتجارة . فقد ذكر ان تميمياً كان متجره بمكة ، وقد
اختلف مع (حرب) ، فاعتدى عليه (حرب) . فذهب التميمي الى (بني
هاشم) واستجار بهم ، فأجاره (الزبير بن عبد المطلب) ، رئيس (بني هاشم) ، ^٤
وذكر ان نقرأ من (بني دارم) كانوا في جوار رجال من (بني هاشم) . ^٥
بل يظهر انه قد كان لهذه القبيلة علاقة بمكة نفسها وبسوق عكاظ . وهو

١ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) .

٢ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩ وما بعدها) ، (حزن) .

٣ المرزوقي ، الأمكنة (١٦٢/٢) .

٤ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٤٦٥/٣) ، ابن عساكر ، تاريخ ، (٣٢٩/٧) ،

Klster, P. 130.

سيرة ابن دحلان (٢٢/١) .

Klster, P. 131.

سوق مهم تقصده قريش ، وكانت تتحكم في شؤونه . فلتميم صلة بـ (الإفاضة) ، ولما صلة بالحكومة في سوق عكاظ ، وقد ذكر اهل الاخبار اسماء عدد من حكام تميم حكموا بعكاظ . وكانت هي وقريش وكنانة ، تدبر مراسم الحج وتحافظ على شعائره . مما يدل على انها كانت ذات صلة قديمة بمكة ، ولا سيما بعض احياء منها ، مثل (بنو دارم) ، الذين ظهروا على أكثر احياء تميم . ولعل ابتعادها عن مكة وارتحال احيائها الى مواطن بعيدة عن مكة ، قد باعد فيما بينها وبين قريش ، وقلل من صلاتها بهم .

وتتجلى هذه العلاقة في تزوج قريش من (تميم) ، مع ما عرف عن قريش من الامتناع من التزوج من غير قريش . وقد روى اهل الاخبار اسماء جماعة من اشراف مكة ، كانت أمهاتهم من (تميم) . ونجد في مكة رجالاً من تميم تحالفوا مع رجال من مكة . فصاروا من حلفائهم .^١

وقيام (تميم) بمهمة (الحكومة) في سوق عكاظ ، وبـ (الإجازة) ، يدل على أهمية مركز هذه القبيلة بالنسبة لقريش . وما كانت قريش تعطي (الإجازة) لتميم ، لولا ما كان لها من نفوذ ومن علاقات طيبة بقريش . وقد افتخر (بنو تميم) ، بالحكومة في (عكاظ) وبالإجازة في الجاهلية وفي الاسلام .^٢

وكان (بنو عبد القيس) من قبائل البحرين المتفذة . وكانت غالبيتهم على النصرانية ، ومنهم كان (الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلي) ، الذي قدم في وفد عبد القيس الى الرسول ، فأسلم على يديه . وقد رفض الدخول فيما دخل فيه قومه من الردة عن الاسلام والعودة الى النصرانية وتأيد (الغرور) : المنذر ابن النعمان بن المنذر .^٣ وكان في جملة الوفد الذي قدم على الرسول عام الفتح : (عبد الله بن عوف الأشج) و (منقذ بن حيان) ، وهو ابن اخت الأشج ، فأسلما وعادا الى ديارهما .^٤

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول وجهه الى (الأكبر بن عبد القيس) . ولم يشر الى المراد من (الأكبر بن عبد القيس) . ومما جاء فيه

Kister, P. 157

١ المصعب الزبيري ، نسب قريش (٢٦٧) ،

٢ Wellhausen, Peste, S., 57, Ginebaum, Mohammadan Festivals, P. 32. F.,

Kister, P. 155.

٣ الطبري (١١٣٦/٣) ، (قدوم الجارود في وفد عبد القيس) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٤١/١) ، نهاية الأرب (٦٥/١٨) وما بعدها .

ان (العلاء بن الحضرمي) (امين رسول الله على برّها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها ، وأهل البحرين خفّاءه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم) : ١

وكان الرسول قد ارسل (العلاء بن الحضرمي) سنة ثمان قبل فتح مكة الى (المنذر بن ساوي العبدي) ، يدعوه الى الاسلام ، فأسلم ، فهلك بعد وفاة الرسول بشهر ، وارتد بعده أهل البحرين . ٢ واجتمعت (ربيعة) بالبحرين وارتدت ، وملكوا عليهم (المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور) ، وكان يعاونه (الغرور بن سويد) اخي النعمان بن المنذر ، ويسمى (المنذر بن سويد بن المنذر) ، ٣ وكان رأس اهل الردة (الحطيم بن ضُبَيْعَة) أخو بني قيس بن ثعلبة ، فجمع من اتبعه من بكر بن وائل ، حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخبط ومن فيها من الزط والسيابجة ، وبعث بعثاً الى (دارين) وبعث على (جواثي) فحصرهم . ٤ وكان قد منى (سويد بن المنذر) بأن يجعله كالنعمان بالحيرة ، غير انه فشل وغلب المسلمون اهل الردة ، وقتل (الحطيم) . ٥

وكان (المنذر بن النعمان) يسمى (الغرور) ، فلما ظهر المسلمون ، قال : لست بالغرور ولكني المغرور ، ولحق هو وفُلّ (ربيعة) بالخط ، فأناها (العلاء) ففتحها وقتل المنذر ومن معه . وذكر انه نجح فدخل الى (المشقر) ، ثم لحق بسليمة فقتل معه . وذكر انه قتل (يوم جواثا) ، وذكر انه استأمن ثم هرب فلحق فقتل . ٦ وقيل انه اسلم .

والمنذر بن ساوي هو رجل عربي من (بني تميم) من (بني دارم) على رأي اكثر أهل الاخبار . وقد ذهب بعضهم الى انه من (بني عبد القيس) . ولكن اكثرهم على انه (المنذر بن ساوي بن الاخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله ابن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي) . ٧ وكان هو المتولي على البحرين في ايام الرسول .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١) .

٢ الطبري (١٣٦/٣) وما بعدها ، (٣٠) ، البلاذري ، فتوح (٨٩) .

٣ الطبري (٣٠٩/٣٠٤٣) وما بعدها .

٤ وهو حصن بالبحرين ، البلاذري ، فتوح (٩٤) .

٥ الطبري (٣٠٤/٣) وما بعدها .

٦ البلاذري ، فتوح (٩٥) .

٧ أسد الغابة (٤١٧/٤) .

ونجد في طبقات ابن سعد صورة كتاب أرسله الرسول الى (المنذر بن ساوى) ، يذكر فيه ان رسل رسول الله قد (حدودك ، وانك مها تصلح أصلح اليك واثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله) ، كما نجد للرسول كتاباً آخر ، يخبر (المنذر) فيه انه قد بعث اليه (قدامة) و (أبا هريرة) ، و (فادفع اليها ما اجتمع عندك من جزية أرضك) . وأرسل كتاباً مثله الى (العلاء بن الحضرمي) يخبره فيه ، انه بعث الى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فعجله بها . وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور) . وكاتب الكتابين أبي^١ . وكتب المنذر كتاباً الى الرسول ، جاء فيه : (لاني قرأت كتابك على أهل هجر ، فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه)^٢ .

وفي طبقات ابن سعد ، كتاب من الرسول ، ذكر انه أرسله (الى الهلال صاحب البحرين) ، فيه دعوة لهلل الى الاسلام والى عبادة الله وحده والدخول في الجماعة فان ذلك خير له^٣ . ويظهر ان هلالاً هذا كان أحد سادات البحرين في هذا الوقت ، وانه كان قد تأخر عن (الجماعة) أي قومه في الدخول في الاسلام ، فكتب الرسول له ذلك الكتاب .

وأما (هجر) ، فكان عليها عند ظهور الاسلام مرزبان يدعى (سبيخت) وإليه ذهب أيضاً العلاء بن الحضرمي يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم^٤ . وأما أهل الأرض هناك من اليهود والنصارى والمجوس ، فقد صالحوا العلاء على الجزية^٥ . وهجر سوق من أسواق الجاهلية ، يؤمها (بنو محارب) من (عبد القيس)^٦ . ويظهر من كتاب أمر رسول الله بتدوينه اليه ، انه لما أسلم وصدق أرسل الى رسول الله رسولا يخبره بذلك اسمه (الأقرع) ، فكتب اليه الرسول كتاباً حملة اليه الأقرع صاحبه ، ويذكر رسول الله فيه انه

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .

٢ نهاية الأرب (١٦٧/١٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٥/١) .

٤ البلدان (٧٤/٢) ، البلاذري ، فتوح (٨٩ وما بعدها) .

٥ أسد الغابة (٧/٤) ، فتوح البلدان (٨٦) ، البلدان (٧٢/٢) .

٦ صفة (١٣٦ وما بعدها) (ابن بليهد ١٩٥٣ م) .

علم بما جاء في كتاب (سبيخت) اليه ، وانه يحثه ويدعوه الى القيام بشعائر الاسلام^١ .

وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى ان هجرآ كانت قاعدة البحرين ، وقال بعض آخر انها اسم لجميع أرض البحرين . وقد اشتهرت بالتمر ، فقليل في المثل : كمبُضيع التمر الى هجر ، كما عرفت بأوبشتها ، وقد روي ان الخليفة عمر قال : (عجبت لتاجر هجر وراكب البحر) ، كأنه أراد ذلك لكثرة وبائها ، فعجب من تاجر يذهب لذلك اليها ، كما عجب من راكب البحر ، لأنه سواء في الخطر . ويظهر انها كانت كثيرة المياه ذات مستنقعات ، لذلك تفشت بها الأوبئة . وذكر الأخباريون انها عرفت بـ (هجر) ، نسبة الى (هجر بنت المكلف) ، وكانت من العماليق ، أو من العرب المتعربة ؛ وكان زوجها : محلم ابن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين ، ويقال له : نهر محلم وهناك عين ماء عرفت بعين هجر وعين محلم^٢ .

وذكر أهل الأخبار ان (ملك هجر) ، ولم يشيروا الى اسمه ، كان قد سوّد (زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الخوية) ، ووقّده على النبي ، وانه كان في جيش (سعد بن أبي وقاص) الذي أرسله الى العراق ، فجعله (سعد) من (أمراء التعيية)^٣ . ولعلمهم قصدوا بذلك المرزبان (سبيخت) ، الذي ذهب اليه (العلاء بن الحضرمي) بأمر الرسول ليدعوه الى الاسلام ، فأسلم على يديه . ويعرف الساحل المقابل لجزيرة (أوال) من جزر البحرين ، بـ (السيف) سيف البحر . والسيف في اللغة ساحل البحر^٤ . ويليهِ (الستار) : (ستار البحرين)^٥ .

و (كاظمة) جوّ على سيف البحر ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب^٦ .

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٥/١) .
- ٢ تاج العروس (٦١٣/٣) وما بعدها ، البكري ، معجم (٣٤٦/٣) ، البلدان (٣٩٣/٥) ، المعاني الكبير ، لا بن فتيبة (٩٥٤/٢) .
- ٣ الطبري (٤٨٨/٣) .
- ٤ اللسان (١٦٧/٩) .
- ٥ صفة (١٣٦) وما بعدها ، (طبعة ابن بليهد) ، اللسان (٣٤٥/٤) .
- ٦ اللسان (٥٢١/١٢) وما بعدها .

وعرفت بـ (كاظمة البحور)^١ . وقد أكثر الشعراء من ذكرها^٢ . وهي موضع مجهول في الوقت الحاضر ، يظن ان مكانه على ساحل الجون المقابل لموضع (الجهرة) . ويعرف ذلك الموضع بـ (دوحة كاظمة)^٣ .

وكان على الأبله وما والاها (قيس بن مسعود بن خالد) ، فلما علم بما فعله كسرى بملك الحيرة ، تفاوض سرأ مع بكر ، واتفق معها على مساعدتها . فلما انتهت معركة (ذي قار) لم يجرأ كسرى ان يلحق به أذى ما هو في أرضه ، فعمد الى الحيلة للانتقام منه ، بأن كتب اليه يطلب منه المجيء لرؤيته . فلما ذهب اليه ، قبض عليه وحبسه في قصره بالأنبار أو بساباط^٤ . وقد عدّه أهل الأخبار في المعدودين من (أجواد الجاهلية) . ذكروا انه كانت له مائة ناقة مُعدّة للأضياف إذا نقصت أتمها . وقد مدحه لذلك الشعراء . وعدّه من (ذوي الآكال) . وذكر ان كسرى كان قد أطعمه (الأبله) وثمانين قريسة من قراها^٥ .

وكان على اليمامة (هوزة بن علي الحنفي) ، وكان ملكاً على دين النصرانية ، واليه أرسل رسول الله (سليط بن عمرو) (سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري) يدعوه الى الاسلام . فأرسل (هوزة) وفداً الى الرسول ليقول له : (إن جعل الأمر له من بعده أسلم ، وسار اليه ونصره ، وإلا قصد حربه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة)^٦ . ثم مات بعد قليل . وذكر انه كان شاعر قومه وخطيبهم ، وكانت له مكانة عند العرب^٧ .

وذكر انه كان من (قرآن) من مواضع اليمامة ، وأهلها أفصح بنو حنيفة .

- ١ صفة (١٣٦ وما بعدها) ، (ابن بليهد) .
- ٢ البلدان (٤٣١/٤) ، (بيروت ١٩٥٧ م) ، صبح الأعشى (٢٤٧/٣) ، تقويم البلدان (٥٦/٥) ، البكري (١١٠/٤) ، شرح مقامات الحويري (٣٥٩/٢) ، (الشريشي) .
- ٣ التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب ، لخليفة بن أحمد آل نبهان (٥٧/٨) .
- ٤ ديوان الأعشى (القصيدة ٢٦) ، (ص ١٢٨) ، (طبعة كاير) ، Geyer
- ٥ المعجر (ص ١٤٣ وما بعدها ، ٢٥٣) .
- ٦ ابن الأثير (٨٩/٢) ، البلاذري ، فتوح (٩٧) .
- ٧ سليط بن عمرو العامري ، نهاية الأرب (١٦٦/١٨) .

وانه كان من وجهاء قومه . وقد نسب على هذه الصورة : (هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو الخنفي) من بكر بن وائل^١ . وورد ان تميماً كانت قد قتلت والد (هوزة) ، وان هوزة كان يكره بني تميم كرهاً شديداً حتى ان كسرى حين سأله عنهم أجابه : (بيني وبينهم حساء الموت ، فهم الذين قتلوا أبي) . وورد ان كسرى سأل هوزة عن عيشه وعن ماله ، فقال : (أعيش عيشة رغيدة ، واغزو المغازي ، واحصل على الغنائم)^٢ . ولكن الظاهر انه لم يكن كفواً لبني تميم . وان ملكه لم يتجاوز حدود اليمامة .

وزعم أهل الأخبار ان (كسرى) تَوَجَّهَ الى اليمامة ، أو انه سمع بجوده وكرمه ، فاستدعاه اليه ، ولما وجد فيه عقلاً وسياسةً ورجاحة رأي تَوَجَّهَ بتاج من تيجانه ، ولذا لقب هوزة بـ (صاحب التاج) ، وأقطعهُ أموالاً بـ (هجر) ، وكان نصرانياً . وقيل إن كسرى دعا بعقد من الدُرِّ فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة ، فمن ثم سُمِّيَ هوزة ذا التاج . وذكر ان سبب استدعاء كسرى له ، انه أكرم رجال العير التي حملت الطاف وهدايا وأموال (وهرز) التي أرسلها من اليمن الى (كسرى) ، وكانوا قد انتهبوا حتى لم يبق عندهم شيء ، فصاروا الى (هوزة) ، فأكرم مثواهم وآواهم وكساهم : وزودهم وحامهم ، وسار معهم اليه ، فأكرمه كسرى على النحو المذكور^٣ . وقيل إنه لم يكن صاحب تاج ، وإنما كان يضع على رأسه إكليلاً رصعه بأحجار ثمينة كأنه التاج تشبهاً بالملوك^٤ .

ويروي أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى قال في حق هوزة :

له أكاليل بالياقوت فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

- ١ البكري ، معجم (ص ١٠٦٣) ، (وقران كرمان باليمامة . وهي وملهم لبني سحيم من بني حنيفة) ، تاج العروس (٣٠٩/٩) ، (قرن) .
- ٢ الكامل ، لابن الأثير (٣٧٨/١) ، المعارف ، لابن قتيبة (٩٧ وما بعدها) ، الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) .
- ٣ الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) ، العمدة ، لابن رشيقي (٢٠٦/٢) ، الطبري (١٦٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .
- ٤ العقد العريد (٢٤٣/٢) .

وذكر انه كان أول معدّي لبس التاج ، ولم يلبس التاج معدّي غيره ^١ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يوم الصفقة وعن يوم المشقر ، ان نفوذ (هوزة) لم يكن واسعاً بعيداً ، بل كان محدوداً بحدود قبيلته ، وانه لم يكن في مستوى ملوك الحيرة أو آل غسان ، بل كان سيد قومه إذ ذاك ، حتى انه لما طمع في الجعالة التي كان الفرس يعطونها لمن يتولى خفارة قوافلهم الآتية من اليمن الى العراق أو الذهاب من العراق الى اليمن ، ووافق الفرس على ان يعطوه ما أراد ، وسار مع القافلة خفيراً لها من (هجر) حتى (نطاع) ، وبلغ (بنو سعد) ما صنعه (هوزة) ، خرجوا عليه وأخذوا ما كان مع الأساورة والقافلة وما معه ، وأسروه ، حتى اشترى منهم نفسه بثلاثمائة بعير ، وقد عُيّر في ذلك ، وتغنى شاعر (بني سعد) بذلك اليوم ، الذي سبق فيه هوزة ، وهو مقرون باليدين الى النحر ، فلما استلم بنو سعد الإبل المذكورة جاؤوا به الى اليمامة فأطلقوه ^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان هوزة سار مع من تبقى من الأساورة وبقية فلول القافلة الى (كسرى) ، ليخبره بما حدث له ، وبما فعلت به بنو تميم ، ودخل على ملك الفرس فأكرمه ، وأمر بإسقاطه بكأس من ذهب ، ثم أعطاه إياه وكساه قباءً له ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وحياه ثم عاد الى بلاده . ولو كان هوزة قد جاء كسرى بخبر انتصاره واقتاذ للقافلة جاز لنا أخذ هذا الوصف على محمل الصدق ، أما وأن الرواية هي في موضوع هزيمة واندحار ، فإن من الصعب علينا التصديق بها ، ولا سيما وان ملوك الفرس كانوا أصحاب غطرسة وكانوا إذا جاءهم أحد بخبر هزيمة قابله بالازدراء والتبكيك ويأبزال اللعنات عليه في الغالب . وليس في هذا الموقف ما يدعو الى اسقاء هوزة بكأس من ذهب .

ويذكر أهل الأخبار ان اليمامة من نجد ، وقاعدتها (حجر) ، وكانت

١ وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة مجبوراً بذلك معا

له أكايل بالياقوت زينة صواغها ، لا ترى عيباً ولا طبعاً

الأمالي ، للمرئضي (١٧٢/٢) ، ديوان الأعشى (٨٦) .

٢ الأغاني (٨/٥) ، الطبري (٥٨١/١) .

تسمى (جسدا) في الأصل ، كما عرفت بـ (جو) . وذكروا أنها سميت (يمامة) نسبة الى (اليمامة بنت سهم بن طسم) ، وكانت منازل طسم وجديس في هذا المكان . وقد تناولتها الأيدي حتى صارت في أيدي (بني حنيفة) عند ظهور الاسلام في قصص من قصص أهل الأخبار^١ .

واليمامة من الأماكن الحصينة في جزيرة العرب . وبها (وادي حنيفة) . وبه مياه ومواضع كانت عامرة ثم خربت ، وهي اليوم خراب أو آثار . وقد اشتهرت قراها ومزارعها ، وكانت من أهم الأرضين الخاضعة لمملكة كندة . ويظهر ان سيلاً جارفاً أو سيولاً عامرة اكتسحت في الاسلام بعض قراها ، فهجرت إذ ترى في هذا اليوم آثار أسس بيوت مبنية من اللبن ومن الطين ، يظهر انها اكتسحت بالسيول وجاءت الرمال فغطتها بغطاء لتستر بقاياها عن رؤية النور^٢ . وقد ذكر أهل الأخبار ان اليمامة كانت من (أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً)^٣ . وبها مياه كثيرة . وقد عرف أهلها بالنشاط وبالتحضر ، وذلك بسبب وجود الماء بها ، إذ أغرى سحر الماء الناس على الإقامة عند مواضع المياه ، فنشأت مستوطنات كثيرة . ولا زال أهل اليمامة يعدّون من أنشط سكان المملكة العربية السعودية .

وحدود اليمامة من الشرق البحرين ومن الغرب تنتهي الى الحجاز ، وأما من الشمال فتتصل بوادٍ متصل بالعذيب والقصية والنباج وسائر حدود البصرة وجنوبها بلاد اليمن . هذا على تعريف (ابن رسته) . وتبعد (جو) وهي الخضارم من حجر يوماً وليلة^٤ . ومن مواضع اليمامة (منفوحة) ، وهي قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى ، وبها قبره . وهي لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة^٥ . ومن مواضع اليمامة الأخرى (المعلاة) من قرى (الخرج)^٦ .

١ البلدان (٤٤١/٥) ، فنوح البلدان (١١٨) ، البكري ، معجم (٨٣/١) ، المعاني الكبير لابن قتيبة (١٠٤١/٢) ، الهمداني ، صفة (١٤١) ، ناج العروس (١١٤/٩) وما بعدها (يعم) .

٢ Naval, R., 233.

٣ تاج العروس (١٥/٩) ، (يعم) .

٤ ابن رسته ، الأعلام (١٨٢) ، ناج العروس (١١٥/٩) ، (يعم) .

٥ ناج العروس (٢٤٢/٢) ، (نفج) .

٦ تاج العروس (٢٥٠/١٠) ، (علا) .

ومن أبرز قبائل اليمامة في أيام الرسول ، (بنو حنيفة) . و (حنيفة) لقب (أثال بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) . ويذكر أهل الأخبار ، ان (الأحوى بن عوف) المعروف بجذيمة ، لقي أثالاً فضربه فحنفه ، فلقب حنيفة . وضربه أثال فحنفه جذيمة . فقال جذيمة :

فلان تلك خنصري بانت فلاني بها حنفت حاملي أثال^١

وقد وفد وفد منهم ، فيه (مسيلمة بن حبيب) الذي عرف بـ (الكذاب) لادعائه النبوة ، وكان قد طلب من الرسول ان يشركه معه في الأمر . وادعى النبوة ، ثم قتل . وكان يسجع السجعات مضاهاة للقرآن^٢ . ومن كان في هذا الوفد : (رحال بن عنقوة) ، وقد شهد لمسيلمة ان رسول الله أشركه في الأمر فافتن الناس به ، و (سلمي بن حنظلة السحيمي) و (طلق بن علي بن قيس) و (حمران بن جابر بن شمر) و (علي بن سنان) و (الأقرس بن مسلمة) و (زيد بن عبد عمرو) ، وعلى الوفد (سلمي بن حنظلة)^٣ .

ويذكر ان (سجاحاً) ، وهي (سجاح بنت أوس بن العنبر بن يربوع) التميمية التي تكهنت وادعت النبوة ، أتت (مسيلمة الكذاب) ، وهو بـ (حجر) ، فتزوجته ، وجعلت دينها ودينه واحداً . وكان قد اتبعها قوم من (بني تميم) وقوم من أخوالها من (بني تغلب)^٤ .

ومن (بني حنيفة) ، (مُعَير) و (قُرَين) ابنا (سلمي) . وكان (مُعَير) أوفى العرب ، قتل أخاه (قرينا) بقتيل قتله من جيرانه^٥ . ومنهم (جماعة بن مرارة بن سلمي) ، وكان رسول الله قد أقطعه (الغورة) و (غرابية) و (الجبل) ، ثم أقطعه (أبو بكر) (الخضرمة) ثم أقطعه (عمر) (الرياء) ، ثم أقطعه (عثمان) قطيعة أخرى^٦ .

١ تاج العروس (٧٨/٦) ، (حنف) .

٢ الطبري (١٣٧/٣) وما بعدها ، (دار المعارف) ، (فدوم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣١٦) وما بعدها .

٤ البلاذري ، فتوح (١٠٨) .

٥ الاشتقاق (ص ٢٠٩) .

٦ البلاذري ، فتوح (٩٨ ، ١٠٢) وما بعدها .

ومن رجال اليمامة (محكم بن الطفيل بن سبيع) الذي يقال له (محكم اليمامة) ،
وقد ارتد وقتل مع من قتل من المرتدين ^١ .

ومن قبائل اليمامة : بنو باهلة بن أعصر ، وبنو نمير وأحياء من تميم .
واستقرت بطون من بكر وعزرة وضبيعة في القسم الشرقي من اليمامة حتى البحرين ،
واتصلت منازل بطون منها بالعراق ^٢ . كما كان بها (بنو هزان) ، وهم من
قطنة اليمامة القدامي : إذ نجد أهل الأخبار يرجعون تأريخهم بها الى أيام طسم ،
أي الى أيام العرب العاربة أو العرب البائدة الأولى . والظاهر ان أهل الأخبار قد
حاروا في أمر (هزان) . فجعلوهم من العرب البائدة ودعاهم الهمداني
بـ (هزان الأولى) ^٣ ، وجعلوهم من اليمن ونسبوهم الى (قحطان) وجعلوهم
من (معد) . وهم الذين بقوا في ديارهم اليمامة الى الاسلام وفي الاسلام ^٤ .
ويظهر من روايات أهل الأخبار ، انهم قصدوا قبائل مختلفة لا قبيلة واحدة هي
(هزان) التي ظلت باقية ولها بقية في اليمامة حتى اليوم . ولكننا نستبعد كون
القبائل الثلاث قبيلة واحدة في الأصل . بدليل ان أهل الأخبار يذكرون ان هزان
اليمانية الأصل كانت تقيم في اليمامة ، وان هزان (معد) هم من أهل اليمامة
أيضاً ، أي ان مواطن القبيلتين واحدة ، بل ان منهم من يرجع مواطن هزان الأولى
الى اليمامة كذلك . وهذا ما يحملنا على القول ان الهزانيين كلهم من قبيلة واحدة ،
بقيت فروعها في مواطنها القديمة اليمامة حتى اليوم . ولا قيمة لما يرويه أهل
الأنساب من سرد نسب كل قبيلة من القبائل الثلاث الى العرب البائدة أو الى
العرب العاربة أو الى العرب المستعربة .

والظاهر ان (بني حنيفة) ضغطوا على الهزانيين ، فاغتصبوا معظم أرضهم
باليمامة ، فقتل بذلك شأئهم ، وصاروا دون (بني حنيفة) في القوة . ومن
(بني هزان) تزوج الأعشى ، ثم أكرهوه على تطليقها ، فطلقها حين ضربوه ،
وأصروا عليه بلزوم تخليه عنها ففعل ، فقال في ذلك شعراً ، رواه الرواة .

١ البلاذري ، فتوح (٩٨) ، الاشنقاق (٢١٠) .

٢ البكري ، معجم (٨٥/٤) وما بعدها .

٣ الاكليل (٧٣/١) وما بعدها .

٤ العرب ، الجزء السابع ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٩م . الرياض .

ومنهم نفر أسروا (الحارث بن ظالم المرّي) ، ولم يكونوا يعرفونه ، وظنوه
صعلوكاً ، ثم باعوه الى نفر من القيسيين بزق خر وشاة ، وقيل من بني سعد .
ومنهم كان قاتل حيان بن عتبة بن جعفر بن كلاب . وهو المعروف بصاحب
الرداع^١ .

ومن مواطن (هزان) العلالة ، وهو جبل من جبال اليمامة ، وبرك ،
ونعام ، وشهوان ، وماوان ، والمجازة . ويلاحظ ان أخطأ من قبائل أخرى
جاورت (بني هزان) ، وسكنت معهم . منهم (بنو جرم) و (بنو جشم) ،
و (الحارث بن لؤي بن غالب بن فهر) من قريش ، و (ربيعة) وهم
من اليمن^٢ .

وأما منازل طيء عند ظهور الاسلام فجبلاً طيء : أجاً وسلمى . غير ان
هناك بطوناً من طيء كانت قد انتشرت في أماكن أخرى ، فترلت في العراق
وفي بلاد الشام وفي أماكن أخرى في جزيرة العرب .

وطيء من القبائل التي كان لها شأن كبير قبل الاسلام . ولعلها كانت من
أشهرها وأعرفها قبيل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد . بدليل اطلاق السريان
كلمة (طيايا) على كل العرب ، من أي قبيلة كانوا . أي انها استعملت
عندهم بمعنى (عرب) ، وأصلها من اسم القبيلة التي نتحدث عنها وهي
قبيلة (طيء) .

ولم تكن طيء متصافية فيما بينها متحابية ، ف وقعت بين عشائرها حروب ، حتى
تداخل (الحارث بن جبلة) الغساني فيما بينها ، فأصلح حالها ، فلما هلك عادت
الى حربها ، فالتقت جديلة وغوث بموضع تحاربت فيه ، قتل فيه قائد بني
جديلة ، وهو أسيع بن عمرو بن لأم ، وأخذ رجل من سنبس أذنيه فخصف
بهما نعليه ، فعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم ، وعزم على لقاء
الغوث بنفسه ، وحلف ألا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبلها أجاً وسلمى ،
وتجبي له أهلها ، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة ، لا هو ولا أحد من رؤساء
طيء ، كحاتم ، وزيد الخليل ، وغيرهم من الرؤساء . فلما اقبلت جديلة وعلى

١ الاشتقاق (٣٢١) ، العرب ، نيسان (١٩٦٩ م) (ص ٦٦٥ وما بعدها) .

٢ العرب ، نيسان ١٩٦٩ م (٢٦٢ وما بعدها) .

رأسها أوس بن حارثة بن لأم ، وبلغ الغوث جمع أوس لها ، اوقدت ناراً على ذروة أجأ ، وذلك في اول يوم توقد فيه النار ، فأقبلت قبائل الغوث ، كل قبيلة وعليها رئيسها ، ومنهم زيد الخيل ، وحاتم ، وتلاحمت بجديلة في يوم اليحامي ويعرف ايضاً بقارات حوق ، الذي انتهى بهزيمة منكرة حلت بجديلة ، فلم تبق لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب ، وحالفتهم وأقامت معهم ^١ .

وكان سيد طيء في ايام الرسول ، (زيد الخيل بن مهلهل الطائي) . ^٢ وهو ممن قدم على الرسول في وفد طيء . وقد قطع له الرسول فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، ولكنه توفي في موضع يقال له (فردة) من بلاد نجد من حمى علقت به اثناء اقامته يثرب ، فلما يبلغ مكانه . ^٣ وقد مدحه الرسول وأثنى عليه . ^٤ و (زيد الخيل) الذي سمّاه الرسول (زيد الخير) ، هو من (بني نبهان) من (طيء) . وكان في الوفد رجال آخرون منهم : (وزر بن جابر ابن سدوس) من (بني نبهان) ، و (قبيصة بن الاسود بن عامر) من (جرم طيء) ، و (مالك بن عبد الله بن خبيري) من (بني معن) ، و (قُعين ابن خليف بن جديلة) . ^٥

ومن (طيء) الرجل الذي ضرب بجوده المثل ، والذي لا زال الناس يذكرون اسمه على انه المثل الأعلى في الكرم ، وهو (حاتم الطائي) . مقرري الضيوف ومغيث الفقراء . فلحده لجوده الشعراء : عبيد بن الابرص والناطقة الديباني وبشر ابن ابي حازم وغيرهم . وكان مضربه ملجأ للمحتاجين ولمن يسلك الطريق يريد (الحيرة) . ونظراً لجوده وكرمه هابته العرب وصارت له دالة ومكانة عند ملوك الحيرة وعند آل غسان . ^٦ وذكر انه (اذا أسر اطلق . ومرّ في سفره على عترة وفيهم اسير ، فاستغاث به الأسير ، ولم يحضره فكأكسه فاشتراه من العتزين ،

- ١ ابن الأثير (٣٨٨/١) أيام العرب (٦٠) .
- ٢ المجير (ص ٢٣٣) .
- ٣ الطبري (١٤٥/٣) .
- ٤ الاشتقاق (٢٣٦) ، الطبري (١٤٥/٣) ، (قدوم زيد الخيل في وفد طيء) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٣٢١/١) وما بعدها .
- ٦ الأغاني (٩٣/١٦) وما بعدها ، ١٠٤ وما بعدها ، العقد المريد (٣٣٢/١) (طبعة اللجنة) .

وأقام مكانه في القدة حتى أدّى فداؤه .^١

وقد توفي (حاتم الطائي) قبل الاسلام ، وانتقلت رئاسة طيء منه الى ابنه (عدي بن حاتم طيء) ، وكان نصرانياً يسير في قومه بالمرباع ، وكان بمثابة الملك فيهم ، فلما جاءت خيل الرسول سنة تسع بلاد طيء ، قرر اللحق بأهل دينه من النصارى بالشام ، ثم ترك الشام ولحق بالمدينة فأسلم وأكرمه الرسول .^٢ وعينه الرسول على صدقة طيء وأسد .^٣

وذكر ان (عمرو بن المسيج بن كعب بن عمرو بن عصر بن غنم) ، الذي كان ارمى العرب ، وهو الذي ذكره (امرؤ القيس) في شعره وأشار اليه ، هو من (طيء) ، كان قد ادرك الرسول ، ووفد عليه .^٤

وقد وقع بين طيء نزاع ادى الى وقوع حروب وأيام بينها ، ومن بينها يوم عرف بـ (يوم اليحاميم) . وقد كان (الحارث بن جبلة الغساني) قد اصلح بين قبائلها ، فلما هلك عادت الى حروبها . فالتقت جديلة والغوث ، فقتل (اسبع ابن عمرو بن لأم) ، وهو من جديلة وقائدها ، قتل في موضع يقال له (غرثان) ، وأخذ رجل من (سنيس) اذنيه فخصف بهما نعليه ، فغضبت (بنو جديلة) ، واقسم (اوس بن خالد بن لأم) على الانتقام من (الغوث) ومنهم (بنو سنيس) ، وأخذ في حشد قومه (جديلة) ، وبلغ الغوث ذلك ، فأوقدت النار على (اجأ) ، فأقبلت قبائل الغوث ، وعلى رأسها ساداتها ومنهم (زيد الخيل) و (حاتم الطائي) ، ووقع القتال بين جديلة والغوث في موضع يقال له (قارات حوق) ، فانهزمت جديلة ، وقتل فيها ابرح القتل ، حتى لم تبقى لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب وحالفوا كلباً واقاموا معهم . وعرف هذا اليوم بـ (يوم اليحاميم) .^٥

وكتب الرسول كتباً الى جماعة من (طيء) . منهم (بنو معاوية بن جبرول) ،

-
- ١ الشعر والشعراء (ص ١٢٣) .
 - ٢ الطبري (١١٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، نهاية الأرب (٧٧/١٨ وما بعدها) .
 - ٣ الطبري (١٤٧/٣) ، (خروج الأمراء والعمال على الصدقات) ، ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١) (وفادات أهل اليمن : وفد طيء) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١ وما بعدها) .
 - ٥ ابن الأثير ، الكامل (٢٦٦/١) .

و (عامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي) ، وجاعة من (بني جوين) ،
و (لبني معن) الطائيين .^١

وتقع الى الشرق من ديار (طيء) منازل (اسد) . والى الشمال من ديار
اسد منازل (بكر) ، واما الى الجنوب من منازل (اسد) فديار (هوازن)
و (غطفان) . وتتأخم ديار اسد من الشرق قبائل (عبد القيس) و (تميم) .

ولما اخذت الوفود تترى على المدينة لمبايعة الرسول والدخول في الاسلام ، كان
وفد (اسد) في جملة الوفود التي بايعت الرسول ودخلت في الاسلام ، وذلك سنة
تسع للهجرة . وكان فيه (حضرمي بن عامر) و (ضرار بن الأزور) و (وابصة
ابن معبد) و (قتادة بن القايض) و (سلمة بن حبيش) و (طلحة بن خويلد)
و (نقادة بن عبد الله بن خلف) ، ومعهم قوم من (بني الزينة) وهم من
(مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن اسد) .^٢

وكتب رسول الله كتاباً الى (بني اسد) كتب له (خالد بن سعيد) ،
ورد فيه : (الا يقربن مياه طيء واراضهم فانه لا تحمل لهم مياههم ولا يلجن
ارضهم من اولجوا . وأمر عليهم) قضاعي بن عمرو (وهو من (بني عذر) ،
بأن جعله عاملاً عليهم .^٣ وكتب الرسول الى (حصين بن فضلة الأسدي)
(ان له اراما وكسة ، لا يحاقه فيها احد) .^٤

ومن ديار (بني اسد بن خزيمه) ، (قطن) ، وهو جبل بناحية (فيد)
به ماء . وأمر الرسول (ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي) بغزوه ، لما بلغه
ان (طليحة) و (سلمة) ابني (خويلد) قد سارا في قومها ومن اطاعها
يدعوانهم الى حرب الرسول ، فذهب الى (قطن) ، ثم عاد ، ومعه إبل وشاء .^٥

وتقع الى الشمال الغربي من ديار (طيء) ، ديار (بكر) ، وهي (بكر
ابن وائل) . وهي قبائل ضخمة ذات فروع عديدة ، سكنت في مواضع عديدة
اخرى غير هذه المواضع .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٩٢/١) وما بعدها ، نهاية الارب (٣١/١٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .

٥ نهاية الارب (١٢٧/١٧) وما بعدها .

وذكر في خبر فتوح السواد ، ان (المثنى بن حارثة الشيباني) كان يغير على السواد ، فبلغ (أبا بكر) خبره ، فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، وأثنى عليه . ثم ان المثنى قدم على (ابي بكر) ، فقال له : يا خليفة رسول الله ، استعملني على من اسلم من قومي اقاتل هذه الأعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل (خفان) ودعا فيه الى الاسلام فأسلموا . ثم ان ابا بكر امر (خالد بن الوليد) بالمسير الى العراق ، وكتب الى (المثنى بن حارثة) يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه . وكان (مذعور بن عدي العجلي) ، قد كتب الى ابي بكر يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال الفرس ، فكتب اليه يأمره ان ينضم الى خالد ويسمع له بالطاعة .^١

و (خفان)^٢ مأسدة وموضع أشب الغياض كثير الأسد ، أو اجمة قرب (الكوفة) .^٣

ونجد في موارد اخرى ان (المثنى بن حارثة الشيباني) و (سويد بن قطبة العجلي) ، وكلاهما من (بكر بن وائل) كانا يغيران على الدهاقين ، فيأخذان ما قدرا عليه . فاذا طلبا امناً في البرّ فلا يتبعها أحد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، و (سويد) من ناحية (الأبله) . فكتب الى (ابي بكر) ، يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ، ويسأله ان يمدّه بجيش ، فكتب اليه (ابو بكر) يخبره انه مرسل اليه (خالد بن الوليد) وان يكون في طاعته ، فكره (المثنى) ورود خالد عليه ، وكان ظن ان ابا بكر سيوليّه الأمر ، ولكنه لم يتمكن ان يفعل شيئاً فانضم الى خالد .^٤

ومن (بني عجل) (فرات بن حيّان للعجلي) ، كان دليل (ابي سفيان)

١ البلاذري ، فتوح (٢٤٢) .

٢ وخفان كعفان) بنشديد الغاء ، ناج العروس (٩٣/٦) ، (خف) .

٣ قال الأعشى :

وما مخدر ورد عليه مهابة أبو أشبل أضحى بخفان حاردا

ناج العروس (٩٣/٦) ، اللسان (٨١/٩) ، (خفف) .

٤ الأخبار الطوال (١١١ وما بعدها) .

الى الشام .^١ وذلك ان قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون الى الشام حين وقعة (بدر) ، فكانوا يسلكون طريق العراق ، فخرج بهم دليلهم (فرات) ، في السنة الثالثة من الهجرة ، ومعه ابو سفيان وصفوان بن امية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعبد الله بن ابي ربيعة ، ومعهم مال كثير ، فيه فضة كثيرة ، وهي اعظم تجارتهم ، فلما بلغوا موضع (القردة) ، وكان (فرات) قد سلك بهم على ذات عرق ، اعترض (زيد بن حارثة) القافلة ، وكان الرسول قد ارسله للتحرش بها ، يوم بلغه امر القافلة ، فهرب اعيانها واستولى زيد على العير ، وجاء بها الى الرسول . وأسر فرات ، فأسلم .^٢

ويذكر اهل الاخبار ان قبائل مضر كانت تنزع الى العراق ، وكان اهل اليمن يتزعون الى الشام . وانه لم يكن احد من العرب اجراً على فارس من ربيعة وقد قيل لها لذلك : ربيعة الأسد ، وكانت العرب في جاهليتها تسمى : فارسُ الأسد .^٣

وقد قدم وفد من (بكر بن وائل) على الرسول ، فيه (بشير بن الخصاصية) و (عبد الله بن مرثد) ، و (حسان بن حوط) ، (خوط) ، فأسلموا وعادوا الى ديارهم .^٤ وذهب (حريث بن حسان الشيباني) في وفد من (بكر بن وائل) الى الرسول ، فأسلم على يديه .^٥ وذكر ان (عبد الله بن اسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس) ، قدم مع الوفد المذكور ، وكان ينزل اليمامة ، فباع ما كان له من مال باليمامة واستقر بالمدينة .^٦

وذكر ان رسول الله كتب كتاباً الى (بكر بن وائل) ، فاجابوا رجلاً يقرؤه حتى جاءهم رجل من (بني صبيعة بن ربيعة) فقرأه . وكان الذي اتاهم بكتاب رسول الله : (ظبيان بن مرثد السدوسي) .^٧

وخرج (خالد) الى العراق ، فمرّ بـ (فيد) و (الثعلبية) وأماكن اخرى

-
- ١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
 - ٢ نهاية الأرب (٨٠/٩٧) .
 - ٣ الطبري (٤٨٧/٣) ، (دار المعارف) .
 - ٤ طبقات ابن سعد (٣١٥/١) .
 - ٥ طبقات ابن سعد (٣١٨/١) وما بعدها .
 - ٦ نهاية الأرب (٦٧/١٨) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٨١/١) ، وما بعدها .

منها (العذيب) و (خفان) ، ثم سار قاصداً (الحيرة) وهي اهم موضع للعرب في العراق . فخرج اليه ساداتها في هذا الوقت : (عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقبلة) ، وهو من الأزد ، وصاحب القصر الذي يقال له : (قصر بني بقبلة) بالحيرة . وهو من (بني سبين) . وكان من المعمرين .^١ و (هانيء بن قبيصة بن مسعود الشيباني) ، ويقال (فروة بن اياس) . وكان (اياس) عامل كسرى ابرويز على الحيرة ، بعد النعمان بن المنذر ، و (عدي ابن عدي بن زيد العبادي) ، وأخوه (عمرو بن عدي) ، و (عمرو بن عبد المسيح) و (جيري بن أكّال) ، وهم نقباء اهل الحيرة . فصالحوه على دفع الجزية وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس .^٢

وفيد موضع مهم بطريق مكة في نصفها من الكوفة ، به حصن عليه باب حديد ، وعليه سور دائر . كان الناس يودعون فيه فواضل ازوادهم وما ثقل من امتعتهم الى حين رجوعهم . وذكر ان فيداً فلاة في الارض بين أسد وطيء في الجاهلية . فلما قدم (زيد الخيل) الفارس المشهور على رسول الله اقطعه فيداً . وذكر اهل الاخبار ، ان فيداً ، انما سميت فيد بفيد بن حسام اول من نزلها . والظاهر انها من المواضع القديمة وقد ورد اسمها في الشعر الجاهلي والاسلامي .^٣

و (العذيب) ، اذ ذاك مسلحة كانت للفرس على طريق البادية ، ومن القادسية التي تبعد عن الكوفة (١٥) ميلاً الى العذيب (٦) اميال ، ويؤدي الطريق من العذيب الى البرية .^٤ وكان لبني تميم .^٥ وذكر اهل الاخبار ان (حلم بن سويط الضبي) أخا بني صباع ، قاد الرباب كلها . وهو الرئيس الأول : اول من سار في ارض مضر برئاسة ، وغزا العراق وبه كسرى حتى بلغ العذيب . فجعلت الإبل تتهيب خريير الماء . ويظهر من شعر لبعض الضبيين ان العذيب كان احساءً ، يخرج الماء فيه من باطن الارض ويندفع مكوثاً خريراً ،

- ١ الاشتقاق (٢٨٥) ، الطبري (٣/٣٤٥ ، ٣٦٤) ، (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٢٤٤) .
- ٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٤) ، الطبري (٣/٣٦٤) ، (دار المعارف) .
- ٣ تاج العروس (٢/٤٥٧) ، (فاد) .
- ٤ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) .
- ٥ تاج العروس (١/٣٧٠) ، (عنب) .

لذلك هابته الإبل ، فكانت تتخوف من الشرب منه .^١ وبعد العذيب ، نهاية
حدة نجد في الشمال .^٢

ويذكر (ابن رسته) ان (البطانية) ، هو (قبر العبادي)^٣ ، وسمّاه
بعضهم (بطن) . وذكر (اليعقوبي) ان هذا الموضع من ديار (بني اسد) .^٤
وكان للثعلبية شأن يذكر ، فقد ذكر انها كانت موضعاً معروفاً ، بل ذكر
انها مدينة عامرة عليها سور وفيها حمامات وسوق ، وهي على ثلث الطريق للقادم
من بغداد الى مكة . وقد صار لها شأن في صدر الاسلام فابعد ، لأنها تقع على
طريق التجارة والحاج . وهي على جادة مكة من الكوفة ، ومن منازل اسد
ابن خزيمة .^٥

وكان اهل الحيرة قد تحصنوا بقصورهم : في القصر الابيض ، وهو قصر
(النعمان بن المنذر) وقصر ابن بقلعة ، قصر العدسيين ، والعدسيون من (كلب)
نسبوا الى امهم ، وهي كلبية ايضاً .^٦ وذكر انه كان في طرف الحيرة ، لبني
عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي ، نسبوا الى
جدتهم (عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي) ، وهي (أم الرماح) و (المشظ)
ابني عامر المذم .^٧

وعدة قصور الحيرة ثلاثة على ما ورد في بعض الروايات . وهي عدة الحيرة
وملاجئها ايام الخطر ، فاذا سقطت ، سقطت الحيرة ، لأنها هي المكونة لها . وقد
صالح (خالد بن الوليد) لما وجدته ان ليس في استطاعتها الصمود امام المسلمين .^٨
ولم يكن لها على ما يظهر من روايات اهل الاخبار سور .
ومن مواضع الحيرة ، (ربيعة بني مازن) ، لقوم من الأزدي من بني عمرو

-
- ١ المحبر (٢٤٨) .
 - ٢ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (٨١) .
 - ٣ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) .
 - ٤ اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
 - ٥ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) ، اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
 - ٦ البلاذري ، فتوح (٢٤٥) .
 - ٧ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .
 - ٨ الاخبار الطوال (١١٢) ، ناج العروس (١٦٥ / ٣) (حارة) .

ابن مازن من الأزد ، وهم من غسان .^١ و (دير هند) ، لأم (عمرو بن هند بن ماء السماء) ، و (ربيعة بن عدي بن الذميل) من لحم .^٢

وقد هدمت قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر واستخدمت حجارتها وأنقاضها لبناء المسجد الجامع بالكوفة ولأبنية أخرى ، وقد عوض اصحاب القصور عنها . وفقاً لما جاء في (قراطيس هدم قصور الحيرة) .^٣ وقد هدم بعض الخلفاء العباسيين قصور الحيرة وأزالوا بذلك من معالمها . منهم الخليفة (ابو جعفر المنصور) ، فقد هدم (الزوراء) ، وهي دار بناها النعمان بن المنذر على ما يذكره اهل الاخبار .^٤

وذكر (يعقوبي) ان الحيرة (هي منازل آل ببيعة وغيرهم) ، وان عليّة اهل الحيرة نصارى ، منهم من قبائل العرب من بني تميم ومن (سليم) ومن (طيء) وغيرهم . وان (الخورنق) بالقرب منها مما يلي المشرق ، وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميال ، والسدير في بيرة .^٥

وكان الفرس يستعينون بعرب الحيرة في امر الترجمة فيما بينهم وبين العرب . ومن هؤلاء أسرة (عدي بن زيد العبادي) على نحو ما ذكرت . وترجمان كان يترجم له (رستم) اسمه (عبود) . وكان عربياً من اهل الحيرة .^٦ كما استخدم المسلمون ترجمة ، لترجموا ما كان يدور بينهم وبين الفرس من حوار ، او بينهم وبين من يقبضون عليه من اسرى الفرس ، من هؤلاء رجل اسمه (هلال الهجري) . واستخدموا كتيبة لكتابة الكتب والاحبار ، ذكروا منهم (زياد بن ابي سفيان) .^٧

وقد استعان الفرس ببعض (آل لحم) لمحاربة العرب ولاشغالهم ، في معارك

١ البلاذري ، فتوح (٢٨٠) .

٢ البلاذري ، فتوح (٢٨٢) .

٣ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .

٤ تاج العروس (٢٤٦/٣) ، (زار) .

٥ البلدان (٣٠٩) ، (مع ابن رسته) ، تاج العروس (٢٦١/٣) ، (سدر) .

(٣٣٢/٦) ،

٦ الطبري (٥٢٤/٣) .

٧ الطبري (٤٨٩/٣) .

صغيرة ، من هؤلاء (قابوس بن قابوس بن المنذر) ، وقد كلفه (الآزاذبة مرد بن الآزاذبة) بالذهاب الى (القادسية) لاشغال المسلمين ، وأن يكون للفرس كما كان آباؤه قبله من النصر والعون ، فترل القادسية ، وكاتب بكر بن وائل ، بمثل ما كان النعمان يكتبهم به ، فلما بلغ خبره المسلمون حاصروه .^١

والقادسية موضع مهم جداً من الوجهة العسكرية ، وقد قال عنه الخليفة (عمر) في كتابه الذي وجهه الى (سعد) بأنه (باب فارس) وأجمع ابوابهم لمادتهم .^٢ وقد وضعوا ما بعده الحصون والقناطر والانهار لحاية مواقعهم من وقوعها في ايدي من قد يأتي اليهم من البادية . وأهله من العرب ، وكان الفرس قد اقاموا فيه مسالح عبثت بجنود من فارس ، للدفاع عن خطوطهم الامامية ، ولمشاغلة الغزاة الى حين وصول المدد الكبير .

ومن ساعد الفرس ودافع عنهم (النعمان بن قبيصة) ، وهو ابن (حية الطائي) ابن عم (قبيصة بن اياس بن حية الطائي) صاحب الحيرة ، وكان مرابطاً في قصر (بني مقاتل) ، وكان منظره له . وقد قتله (سعد بن عبد الله بن سنان الأسدي) لما سمعه يستخف بقريش وبالقريشيين . فلما سأل عن (سعد بن ابي وقاص) ، وقيل له انه من قريش ، قال : (اما اذا كان قرشياً فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ، انما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمنعون خفياً ، ولا يخرجون من بلادهم الا بخفير) .^٣

ونجد في (فتوح الشام) للواقدي ، خبراً مفاده ان (سعد بن ابي وقاص) لما وجهه الخليفة (عمر) الى العراق قدم ارض (الرحبة) ، فاتصلت الاخبار بـ (اليعمور بن ميسرة العبسي) ، فكتب الى كسرى يخبره بمجيئه الى هذا المكان ، وان (سعداً) لما ارتحل من (الرحبة) الى (الحيرة البيضاء) في ثلاثين ألفاً من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واختلاط العرب ، وجد هناك جيش (النعمان بن المنذر) ، وقد ضرب خيامه والسرادات الى ظاهرها ، وهو في ثمانين ألفاً من جميع عرب العراق ، فكتب (النعمان) الى (كسرى) بمجيئهم

١ الطبري (٤٨٩/٣) .

٢ الطبري (٤٩١/٣) .

٣ الطبري (٥٧٢/٣) وما بعدها .

وَحَثَّ عَرَبَهُ عَلَى الصُّمُودِ وَعَلَى مَقَاوِمِهِ سَعْدٌ قَاتِلًا لَهُمْ : (إِنْ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ وَأَنْتُمْ عَرَبٌ وَهَلَاكُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ جَنْسِهِ) (وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فَخْرٌ يَفْتَخِرُونَ بِهِ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ نَحْنُ لَنَا الْفَخْرُ عَلَيْهِمْ . وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيهِمْ نَبِيًّا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا يُقَالُ لَهُ الْقُرْآنُ ، وَنَحْنُ لَنَا الْإِنْجِيلُ وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَجَمِيعُ الْخَوَارِيزِ ، وَلَنَا الْمَذْبَحُ ، وَلَنَا الْقُسُوسُ وَالرَّهْبَانُ وَالشَّامِسَةُ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ دِينُنَا عَتِيقٌ وَدِينُهُمْ مُحَدَّثٌ ، فَانْتَبِهُوا عِنْدَ الْلِقَاءِ وَكُونُوا عِنْدَ ظَنِّ الْمَلِكِ كَسْرَى بِكُمْ)^١ .

ويذكر رواية هذا الخبر أن عم (النعمان بن المنذر) ، وكان صاحب حرسه ، دخل إليه وقال له : إِنْ أَعْدَاءُنَا قَدْ أَنْفَلُوا إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَأَمْرٌ بِادْخَالِهِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الرَّسُولُ (سَعْدُ بْنُ أَبِي عَمِيْدٍ الْقَارِي) ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ النُّعْمَانِ صَاحَ بِهِ الْحِجَابُ وَالْغُلَامَانُ : قَبِّلِ الْأَرْضَ لِلْمَلِكِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : إِنْ اللَّهَ أَمَرَنَا أَنْ لَا يَسْجُدَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ . وَلَعَمْرِي إِنْ هَذِهِ كَانَتْ الْعَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ، فَلَمَّا بَعَثَ جَعَلَ تَحِيَّتَهُ السَّلَامَ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ . وَأَمَّا السَّلَامُ ، فَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تَحِيَّتُكُمْ هَذِهِ ، فَهِيَ تَحِيَّةُ جَبَابِرَةِ الْمُلُوكِ . فَقَالَ النُّعْمَانُ : لَسْنَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، بَلْ نَحْنُ أَجَلٌ مِنْكُمْ ، لِأَنْتُمْ تَوَحَّدُونَ فِي دِينِكُمْ وَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَتُجَاهِدُونَ وَلَدَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) . وَيَذْكُرُونَ أَنَّ (سَعْدًا) جَادَلَ (النُّعْمَانَ) فِي طَبِيعَةِ (الْمَسِيحِ) ، فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ . ثُمَّ كَلَّمَهُ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ دَفَعَ الْجُزْيَةَ ، فَغَضِبَ (النُّعْمَانُ) ، وَقَالَ لَهُ : (يَا وَبِيعَ قَوْمِكَ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا جَوَابٌ إِلَّا السِّيفُ)^٢ .

وتقدمت جيوش المسلمين حتى التحمت بجيش (النعمان) بظاهر الحيرة ، وإن (القعقاع بن عمرو التميمي) أو (بشر بن ربيعة التميمي) ، أحدهما التقى بالنعمان في كبكبة من الخيل والازدهارات على رأسه ، فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة ففرقها ، وعلى الكبكبة فَمَزَقَهَا وعلى النعمان بطعنة في صدره فقتل . فلما نظرت جيوش الحيرة إلى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس . وأخذ المسلمون أسرى وغنائم ، واحتوى (سعد) على قصر الخورنق والسدير ، وترك جمع ما أُنْذِرَ بِالْحِيرَةِ . وتحرك نحو القادسية . وكانت أخبار هزيمة النعمان

١ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٥/٢) وما بعدها) .

٢ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٦/٢) .

قد وصلت الفرس وهم بالقادسية ، وقد وصلت اليهم الفلول المنهزمة من جيش النعمان ، فوقع التشويش في عسكر الفرس ، وخارت قواهم ، مما أدى الى انتصار المسلمين عليهم في هذا المكان ^١ .

ولا نجد هذا الخبر في أيّ مورد آخر من موارد أهل الأخبار ، فقد نصت جميع الموارد الأخرى على ان النعمان كان قد لقي مصرعه على نحو ما تحدثت عنه في أثناء كلامي على مملكة الحيرة . فلعل (النعمان) هذا هو أحد أبناء (آل لحم) ، واستعان به الفرس للدفاع عن الحيرة ومنّوه في مقابل مساعدته لهم بالملك ، كما استعانوا به (قابوس بن قابوس) . وقد يكون خبره من صنع أهل الأخبار ، أقحموا اسمه إقحاماً ، وما فطنوا الى انه كان قد توفي قبل هذا الوقت بسنين ، على كل فقي الخبر كلام منمق وحوار وجدل يثبت لونه ان فيه تكلفاً وصنعة ، وان الخبر قد وضع وضعه أناس ، لغايات لا مجال للبحث عنها في هذا المكان . وسار (خالد) من (الحيرة) الى الأنبار ، فحاصرها ، وكان أصحاب النعمان وصنائعه يعطون أرزاقهم منها ، ثم صالحهم ، ثم أتى (خالد) بعد مواقع أخرى (عين التمر) ^٢ .

وكان على رأس العرب الذين عاونوا الفرس وانجازوا اليهم : (عقة بن أبي عقة) و (هلال بن عقة بن قيس بن البشر) الثمري ، على النمر بن قاسط بعين التمر ، و (عمرو بن الصعق) و (بجير) أحد بني عتبة بن ساعد بن زهير ، والمهذيل بن عمران ، ومعهم رجال من قبائلهم ^٣ . ولكنهم لم يتمكنوا من الوقوف أمام (خالد بن الوليد) ، إذ انهزم جندهم ، وأسر (عقة) و (عمرو بن الصعق) ، وكان (عقة) خفير القوم ، وسقط حصن عين التمر في الاسلام ^٤ . وورد في خبر آخر ان (خالد) قتل (هلال بن عقة) (هلال بن عقة) ، وصلبه . وكان من (النمر بن قاسط) ، وكان خفيراً بعين التمر ^٥ .

-
- ١ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٧/٢ وما بعدها) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٦ وما بعدها)
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٢٤٩) .
 - ٤ الطبري (٣٧٦/٣ وما بعدها) .
 - ٥ الاخبار الطوال (١١٢) .

وتعرف (عين التمر) بـ (شفاثا) (شفائي) وبـ (عين شفته) ، وقد اشتهرت بالقصب والتمر ، وكانت تصدرهما الى البادية والى أماكن أخرى ، ويقصدها الأعراب للامتيار . وبها حصن يتحصن به وعين ماء . ولما اقترب المسلمون منها ، كان بها (مهران بن بهرام جوين) في جمع عظيم من الفرس للدفاع عنها ومعه جمع عظيم من النمر وتغلب واياها ومن لاقهم ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، وفر الفرس ^١ . وكان بعين التمر مسلحة لأهل فارس ^٢ .

وقد وجد (خالد) في كنيسة (عين التمر) جماعة سباهم ، ووجد أولاداً كانوا يتعلمون الكتابة في الكنيسة ، وقد اشتهر وعرف عدد من هؤلاء الذين سبوا ، واشتهر أولادهم أيضاً . وقد كان من هؤلاء من كان من (بني النمر ابن قاسط) النازلين بعين التمر ^٣ .

وكانت قُرَيَات السواد وهي : بانقيا وباروسما وأليس خليط من العرب ومن النبط وسواد العراق ، وقد صالح أهلها (خالد بن الوليد) حينما ظهر أمامها ، صالحوه على الجزية ، وكان الذي صالحه عليها (ابن صلوبا السوادي) المعروف بـ (بصبري بن صلوبا) ، ومنزله بشاطئ الفرات . وقد ورد في كتاب الصلح الذي أعطاه (خالد بن الوليد) له ، (وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خربك وجزيرتك ومن كان في قرينك — بانقيا وباروسما — ألف درهم) ^٤ .

وذكر (البلاذري) ان الخليفة (عمر) وَجَّهَ (أبا عبيدة الثقفي) الى العراق ، فلما وصل الى هناك ، وهزم (جابان) بالعذيب ، ثم هزم الفرس في معارك أخرى ، حتى بلغ (باروسما) ، صالحه (ابن الأنذر زعر) (ابن الأنذر زعر) عن كل رأس على أربعة دراهم ^٥ . ولم يشر الى الصلة التي كانت بين (ابن صلوبا) و (ابن الأنذر) .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ (بانقيا) الى أيام (ابراهيم) ، فهم يذكرون

١ الطبري (٣٧٦/٣) ، (دار المعارف بمصر) .

٢ الاخبار الطوال (١١٢) .

٣ البلاذري ، فتوح (٢٤٩) ، تاريخ خليفة بن خياط (٨٦/١) .

٤ الطبري (٣٤٤/٣ ، ٣٤٦) .

٥ البلاذري ، فتوح (٢٥١) ، تاريخ خليفة (٩٢) .

انه كان يتزل بها . وان اليهود كانوا يدفنون موتاهم بها . ويذكرون انها أرض بالنجف دون الكوفة ، وان سكانها كانوا على النصرانية عند ظهور الاسلام . وان الساسانيين كانوا هم الذين يدافعون عنها ويتولون أمر إدارتها ، أما شؤونها المحلية فكان أمرها بيد ساداتها ورؤسائها^١ .

وكانت عشائر (إبياد) من العشائر التي نزلت الى العراق قبل الاسلام بوقت طويل . نزل بعضهم بـ (عين أباغ) ونزل بعض منهم بسنداد . فأمرؤا هناك ، وكثروا ، واتخذوا بسنداد بيتاً ذا شرفات تعبدوا له . ثم انتشروا ، وغلبوا على ما يلي الحيرة . وصار لهم (الخورتق) و (السدير) . فلهم (أقساس مالك) . وهو مالك بن قيس بن زهر بن إبياد . ولهم دير الأعور ، ودير السواء ، ودير قره ، ودير الجاجم . وإنما سُمي دير الجاجم لأنه كان بين إبياد وبهراء القين حرب ، فقتل فيها من إبياد خلق ، فلما انقضت الحرب ، دفنوا قتلاهم عند الدير . فكان الناس بعد ذلك يحفرون فتظهر جاجم . فسمي دير الجاجم^٢ . وقيل غير ذلك ؛ مما لا مجال لذكره في هذا الموضع .

وكانت إبياد تغير على السواد وتفسد . فجعل (سابور) ذو الأكتاب مسالحي بالأنبار وعين التمر وغير هاتين الناحيتين . لحاية الحدود منهم . ثم ان إبياداً أغارت على السواد في ملك كسرى أنوشروان ، فوجه اليهم جيوشاً كثيفة . فخرجوا هارين ، واتبعوا ، ففرق منهم بشر ، وأتى قتلهم (بني تغلب) ، فأقاموا معهم على النصرانية ، فأساءت (بني تغلب) جوارهم ، فصار قوم منهم الى الحيرة ، ودخل منهم في جند ملوك الحيرة ، ولحق جلهم بغسان بالشأم . فلما جاء الاسلام دخل بعضهم بلاد الروم ، ودخل منهم قوم في خثعم وفي تنوخ وفي قبائل أخرى .

ويقال إن مواطن إبياد قبل نزوحها الى العراق ، كانت بالبحرين ، واجتمعت عبد القيس والأزد على إبياد ، فأخرجوا عن الدار فأتى العراق^٣ .

-
- ١ البلدان (٣٣١/١) (طبعه بيروت) ، البكري ، معجم (٢٢١/١) (طبعة السعا) ،
اليقوي (١٣١/١) ، مرصد الاطلاع (١٢٣/١) .
 - ٢ البلاذري ، أنساب (٢٦/١) .
 - ٣ البلاذري ، أنساب (٢٩/١) .

وقد وصف (ابن قتيبة) إياداً على هذا النحو : (وكانت إياد أكثر نزار عدداً وأحسنهم وجوهاً وأمدهم وأشدهم ، وأمنعهم . وكانوا لقاحاً لا يؤدون خراجاً . وهم أول معدّي خراج من تهامة ، ونزلوا السواد وغلبوا على ما بين البحرين الى سنداد والخورنق) . فاصطدموا بالساسانيين لأنهم أغاروا على أموال فأخذوها ، فهزموهم الى الجزيرة ، ووجه اليهم (كسرى) ستين ألفاً فكتب اليهم (لقيط) يُنبههم . وانتصر عليهم كسرى ، وانقسموا ثلاث فرق . فرقة لحقت بالشام ، وفرقة أقامت بالجزيرة ، وفرقة رجعت الى السواد^١ .

ولما سار (خالد) من (عين التمر) أتى (صندوداء) وبها قوم من كندة وإياد والعجم . وتركها واتجه نحو جمع من (تغلب) كانوا بـ (المضيق) و (الحصيد) مرتدين عليهم ، (ربيعة بن بجير) ، فأتاهم فقاتلوه فهزمهم . ثم أغار (خالد) على (قراقر) ، وهو ماء لكلب ، ثم فوز منه الى (سوى) ، وهو ماء لكلب أيضاً . ومعهم فيه قوم من (بهراء) ، فقتل (حرقوص بن النعمان البهراني) ؛ من (قنصاعة) . وكان المسلمون لما انتهوا الى (سوى) وجدوا (حرقوصاً) وجاعة معه يشربون ويتغنون فهجموا عليهم وقتلوا (حرقوصاً) . وخرج خالد من (سوى) الى (الكواثل) ، ثم أتى (قرقيسيا) وانحاز الى البرّ ، وأتى (أركة) (أرك) ، فأغار على أهلها ، وفتحها ، وسار منها نحو (دومة الجندل)^٢ .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (نفاثة بن فروة بن الدثلي ملك السماوة)^٣ . ولم يشر الى موضع ملكه من بادية السماوة ومقداره في البادية .

وكانت (دومة الجندل) عند ظهور الاسلام في ملك (أكيدر بن عبد الملك الكندي السكوني) . والسكون من كندة ، فهو كندي النسب أيضاً . وكان ينتقل في البادية فيصل الى الحيرة والى أرض الغساسنة ، ويقال إنه ملك (دومة الحيرة) ونزل بها قبل جلّائه عن (دومة الجندل) أو بعده على رأي أهل الأخبار . وكان مثل أكثر رؤساء القبائل في العراق وفي البادية وبلاد الشام على

١ الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (١١٩) ، الواقدي ، فتوح الشام (٣٠ / ١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤ / ١) .

النصرانية ، وله عقود ومعاهدات مع القبائل العربية الشمالية الضاربة في البادية ، تأتي الى مقره في الموسم أيام افتتاح السوق لتمتار وبيع ما تحمله من تجارات . وكان لأكيكر بن عبد الملك أخ اسمه (بشر بن عبد الملك) ، يذكر أهل الأخبار انه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج (الصهباء بنت حرب) أخت أبي سفيان ^١ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى دومة الجندل ليفتنحها ، فصار خالد على رأس خيل الى (دومة) ، فلما بلغها وجد الأكيدر خارج حصنه يصطاد مع نفر من قومه فيهم أخ له يقال له : حسان ، فهجم رجال خالد على الأكيدر وأسروه ، وقتل حسان ، وأخذ خالد قباء (أكيدر) وكان من ديباج مخصوص بالذهب ، وبعث به الى الرسول ليقف عليه المسلمون ، فلما رأوه عجبوا منه وجعلوا (يلمسونه بأيديهم) ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتعجبون من هذا . فوالذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا ^٢ . وقد زاد عجبهم حين وصل خالد ومعه أسيره (أكيدر) ، فحقن له دمه ، وصالحه الرسول على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته ^٣ .

ويذكر الرواة ان الرسول استقبل خالداً ومعه أسيره (الأكيدر) في المدينة ، فعرض الرسول الاسلام على الأكيدر ، فقبله وحقن الرسول دمه وكتب له كتاباً ، وعاد الى (دومة) . فلما قبض النبي منع الصدقة وارتد الى النصرانية ديانتة الأولى . وخرج من دومة الجندل فلاحق بالحيرة وابتنى بها بناءً على مقربة من (عين التمر) سمّاه (دومة) أو (دومة الجندل) على اسم موضعه ، وسكن هناك . ثم عاد الى (دومة الجندل) ، وتحصن بها ، فأمر (أبو بكر) خالد بن الوليد بالتوجه اليه ، فصار اليه وقتله . أما أخوه (حريث بن عبد الملك) فقد أسلم ، وحقن دمه . وقد تزوج (يزيد بن معاوية) ابنة له ^٤ .

- ١ جمهرة (ص ٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .
- ٢ الطبري (١٠٨/٣ وما بعدها) (طبعة دار المعارف) ، ابن هشام (٣١٩/٢) ، البلاذري فتوح (٧٢ وما بعدها) .
- ٣ الطبري (١٠٨/٣) ، البكري ، معجم (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، فتوح البلدان (٢٢٣) الكامل (١٩٢/٢) (المنبرية) ، تاج العروس (٥١٨/٣) . (كبر) .
- ٤ فتوح البلدان (٢٢٣) ، البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٧٣) ، تاريخ خليفة بن خياط (٥٦/١) ، (نحفون أكرم ضياء العمري) .

وتذكر رواية أخرى ان (الأكيدر) بعد ان تقض الصلح وعاد الى نصرانيته ،
أجله (عمر) من (دومة) فيمن أجلى من مخالفى الاسلام الى الحيرة ، فأقام
في موضع قرب (عين التمر) ، ابتناه فسمّاه (دومة) وقيل (دوما) باسم
حصنه^١ . وهي رواية لا تتفق مع المشهور بين أهل الأخبار من ان خالداً قتل
(الأكيدر) في السنة الثانية عشرة أو السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، وذلك في
أيام (أبي بكر) بعد ان أمره الخليفة بالتوجه اليه . وهي رواية أقوى من الرواية
المتقدمة في نظر المؤرخين .

ويظهر ان أهل (دومة الجندل) كانوا قد سمعوا بنجر مسير (خالد اليهم ،
فأرسلوا الى حلفائهم وأحزابهم من بهراء وكتب وغسان وقبائل تنوخ والضجاعم
ليساعدوهم في الوقوف أمامه . فأتاهم (ودبة) في (كلب) وبهراء ، وسأله
(رومانس بن وبرة بن رومانس) الكلبي ، وجاءهم (ابن الحدرجان) في
الضجاعم ، و (جبلة بن الأيهم) في طوائف من غسان وتنوخ . وكذلك
(الجودي بن ربيعة الغساني) . وكان من المترعين في (دومة) ، وقد احتسب
أهل (دومة) بمصنهم وخلف أسوار المدينة ، والتفت حول السور من الخارج
نصارى العرب الذين جاؤوا لمساعدة أهلها . وقد تمكن (خالد) يساعده (عياض)
من الغلب على أهل المدينة وحلفائهم ، وقتل رؤساءهم ، ودخل المدينة متصراً ،
فغنم جيشه غنائم كثيرة وقُتِلَ من أهلها خلق كثير . وسبى ابنة (الجودي) .
وكان الأكيدر في جملة القتلى^٢ .

وكان الرسول قد غزا (دومة الجندل) بنفسه ، وذلك في شهر ربيع الأول
من السنة الخامسة من الهجرة ، وبلغها ، ولم يلق كيداً . كان سبب غزوه لها ،
ان رسول الله أراد ان يدنو الى أراضي الشام ، لأن ذلك مما يفرغ الروم ، ثم
ان أهل دومة الجندل كانوا يظلمون من يمر بهم ويتزل عندهم ، ومن يحمل
بسوقهم للبيع والشراء ، وقد كان الناس يذهبون اليها ويعودون الى المدينة ، فقرر
غزوها ، فلما وصل الرسول كان أهلها قد فرّوا وتركوا قريتهم ، فقتل بها

١ البلدان (٢/٦٢٥ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/٥٧٨ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٣٩ م) ، الكامل (٢/٢٧٠) ،
الطبري (٣/٣٧٨ ، ٣٨٥) (دار المعارف) ، السلاذري ، فتوح (٧٤) .

ولم يجد احداً ، فرجع عنها ، وذلك قبل غزو خالد لها .^١
 وورد في سبب غزو الرسول لها ، ان جمعاً من قضاة ومن غسان تجمعوا ،
 وهمّوا بغزو الحجاز . فسار في ألف انتخبهم ، فلما انتهى الى موضعهم ألفاهم قد
 تفرقوا أو هربوا ، لم يلق كيداً .^٢

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله (عيينة بن حصن) على ان يرعى بـ (تغلمين)
 وما والاها الى (المراض) .^٣

ويقول من حديث بعض اهل الاخبار عن (دومة الجندل) ، انها كانت قرية
 عادية ، الا ان الدهر كان قد لعب بها ، فخربت وقتل عدد من كان بها ،
 الى ان نزل بها (أكيدر) ، فأعاد اليها رواءها ، وغرس الزيتون بها ، فتوافد
 اليها الاعراب . ويذكر هؤلاء ان (أكيدر) ، كان ينزل مع اخوته قبل مجيئه
 الى (دومة) (دومة الحيرة) ، ولما جاء يزور اخواله من (كلب) ونزل
 بخرائب (دومة الجندل) أعجبه فتزل بها ، وأمر باعادة بناء ما تهدم من حائطها
 وبيعت الحياة بها حتى صارت قرية عامرة يقصدها الاعراب للبيع والشراء .^٤
 وصار (أكيدر) يتردد بينها وبين (دومة الحيرة) .^٥

ويحكي (دومة) سور قديم ، بني قبل (أكيدر) في زمان لا يحيط علم
 اهل الاخبار به . يقولون انه بني من (الجندل) ، وانه هو الذي جعل الناس
 يسمون الموضع بـ (دومة الجندل) . ويذكرون انه كان في داخل السور حصن
 منيع يقال له (مارد) ، وهو حصن (أكيدر بن عبد الملك بن الحلي بن أعيا
 ابن الحارث بن معاوية بن خلاد بن ايامه بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن
 السكون بن اشرس بن شور بن عفير ، وهو كندة) فهو سكوني كندي .^٦

- ١ الطبري (٥٦٤/٢) ، (دار المعارف) ابن عساكر ، التاريخ الكبير (١٧/١) ، ابن
 خلدون القسم الاول من المجلد الثاني (ص ٧٧٣) ، ابن هشام (٦٦٨/٢) (الطبعة
 الاوربية) ، شرح المواهب (٣٦٠/٣) ، الكامل (٢٧٠/٢) وما بعدها .
- ٢ البلاذري ، انساب (٣٤١/١) .
- ٣ نهاية الارب (١٦٣/١٧) ، (غزوة دومة الجندل) .
- ٤ البلاذري ، فتوح (ص ٢٢٣) (بيروت ١٩٥٧ م) .
- ٥ البلدان (٦٢٥/٢) وما بعدها (طهران ١٩٦٥ م) ، (١٠٦/٤) (طبعة ١٩٠٦) .
- ٦ البلدان (٦٢٥/٢) وما بعدها (طبعة طهران ١٩٦٥ م) .

وحصن (مارد) ، حصن شهير له ذكر بين اعراب الشمال بُني قبل ايام (اكيذر) . قال عنه بعض اهل الاخبار انه حصن عادي ، اي من الحصون الجاهلية القديمة . وقد رأينا فيما سلف ان (دومة) من المواضع المعروفة التي يعود عهدها الى ما قبل الميلاد . وذكر اهل الاخبار ، ان سكانها كانوا اصحاب نخل وزرع ، يسقون على التواضح ، وحولها عيون قليلة وزرعهم الشعير . وانها (دوما الجندل) ايضاً .^١

وكان اكثر سكان (دومة الجندل) من (بني كنانة) من (كلب) . ويعدّها بعض اهل الاخبار من (القرّيات) ويقصدون بمصطلح (القرّيات) : دومة وسكاكة وذو القارة .^٢ وتخيّط بدومة مستوطنات وقرى تحتمي بسلطان حاكم (دومة) . وكان (اكيذر) يلقب نفسه بلقب (ملك) على عادة ذلك الوقت في تلقيب سادات المواضع انفسهم بهذا اللقب ، وان كان لا يعني في الواقع اكثر مما يعنيه مصطلح (شيخ) في الوقت الحاضر .

وكان اهل (دومة) على النصرانية ، شأنهم في ذلك شأن اكثر اهل القرى في العراق وفي بادية الشام وبلاد الشام . وكان اهل (اكيذر) على هذه الديانة ايضاً . اذ ورد ان الرسول ارسل (عبد الرحمن بن عوف) على رأس جيش الى دومة ، فذهب اليها ودخلها ، وأسلم (الأصيبغ) ، وتزوج عبد الرحمن ابنته (تماضر) ، اذ كان الرسول قد كتب اليه ان يتزوج ابنة ملكها ، اي ملك (دومة) ، وهو (الأصيبغ) .^٣ فيظهر من هذا الخبر ، ان (الأصيبغ) كان يلقب نفسه بلقب (ملك) ايضاً ، وأنه كان يحكم (دومة) في ايام الرسول . في نفس الوقت الذي كان فيه (الأكيدر) يحكم (دومة) ، ويلقب نفسه بلقب (ملك) .

-
- ١ التاريخ الكبير ، لابن عساكر (٨٩/١ وما بعدها) (مطبعة روضة الشام) ، ناج العروس (٢٩٧/٨) ، (دوم) .^{*}
 - ٢ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) ، مراصد الاطلاع (٥٤٢/٢ وما بعدها) .^{*}
 - ٣ التاريخ الكبير ، لابن عساكر ، (٨٩/١ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ١٢٠) .^{*}

وذكر بعض الاخباريين ان اهل دومة الجندل كانوا من عباد الكوفة .^١ ويقصدون بذلك انهم كانوا نصارى ، فقد كانت عادتهم اطلاق لفظة (عباد) على النصارى العرب ، عرب الحيرة بصورة خاصة . وقصدوا بالكوفة ، الحيرة ، لأن الكوفة لم تكن موجودة في الجاهلية ، اذ بنيت في ايام الخليفة (عمر) .

ويظهر من اهل الاخبار ان (اكيدر السكوني) لم يتمكن من تثبيت ملكه على (دومة الجندل) بصورة دائمة ، اذ كان ينافس زعماء كلب الأقوياء . فقد ذكر (محمد بن حبيب) ان ملكها كان بين (اكيدر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي . فكان العباديون اذا غلبوا عليها وليها اكيدر ، واذا غلب الغسانيون ولّوها قنافة . وكانت غلبتهم ان الملكين كانا يتحاجيان فأما ملك غلب صاحبه باخراج ما يلقي عليه ، تركه والسوق فصنع فيها ما شاء . ولم يبع بها احد شيئاً الا باذنه حتى يبيع الملك كلما اراد يبعه مع ما يصل اليه من عشورها) .^٢ ويؤيد هذا الخبر ما ذكرته من وجود ملك آخر على دومة ، هو (الأصبغ) الكلبي المتقدم الذكر .

وهناك خبر آخر يفيد ان (الجودي بن ربيعة) ، كان مثل (الاكيدر) رئيساً على (دومة) ، وان الإثني كانا رئيسين عليها .^٣ وورد انه كان من غسان وأن اسمه (عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني) ، وأن (عبد الرحمن ابن ابي بكر) ، (كان يختلف الى الشام في تجارة قريش في الجاهلية ، فرأى هناك امرأة يقال لها : ابنة الجودي من غسان ، فكان يهذي بها ، ويذكرها كثيراً في شعره) ، (وأصيب حين غزو الروم ليلي ابنة الجودي ، فبعثوا بها الى عبد الرحمن بن ابي بكر لذكره اياها) .^٤ فهو اذن على هذه الرواية من غسان .

ويظهر من غلبة روايات الاخباريين ان هنالك موضعاً آخر عرف بـ (دومة) و (دوما) . يقع في العراق على مقربة من (عين التمر) ، ذكر الاخباريون

١ البلاذري ، فتوح (٧٤) .

٢ المحبر (ص ٢٦٣ وما بعدها) ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢ وما بعدها) .

٣ الكامل (٢٧٠/٢ وما بعدها) .

٤ نسب قريش (٢٧٦) .

ان اسمه (دومة) و (دوما) و (دومة الجندل) . ونسبوا كما ذكرت قبل قليل بناءه الى (الاكيلر) . وهو موضع لا نعرف من امر تأريخه شيئاً يذكر . وذكر ان (حارثة بن قطن) ، و (حمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل) ، وهما من (كلب) قدما الى رسول الله وأسلما ، فكتب رسول الله لحارثة كتاباً (لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن) ، ثم بين ما على المذكورين من حقوق وواجبات ، وما عليهم من احكام فرضها الاسلام على المسلمين .^١

وترك (خالد) (دومة الجندل) ، ثم اتى (قصم) ، فصالحه (بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، وكتب لهم اماناً . ثم اتى (تدمر) ، فأمنهم ، ثم اتى (القريتين) ، ثم (حوارين) من (سنير) ، ثم اتى (مرج راهط) ، فأغار على (غسان) .^٢ وكان (حاضر) (قنسرين) لتنوخ ، من اول ما تنخوا بالشام ، نزله وهم في خيم الشعر . ثم ابتنوا به المنازل . فدعاهم (ابو عبيدة) الى الاسلام ، فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية (بنو سليح) . وكان بهذا الحاضر قوم من (طيء) ، نزله بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجليلين . فلما ورد (ابو عبيدة) عليهم اسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم اسلموا بعد ذلك .^٣

وقضاعة قبائل عديدة ، منها (بنو جرم بن ربان) و (بنو سليح) و (تزيد) ابنا (عمران بن الحاف بن قضاعة) و (كلب بن وبرة) ، وهو قبيل عظيم . منهم (الأسيع) ، ومن قبائل قضاعة (علرة بن زيد اللآت) و (العبيد بن زيد اللآت) ، و (بنو كنانة) ، و (بنو جناب بن هبل) ، و (بنو عليم بن جناب) ، و (بنو مصاد) ، و (بنو حصن) ، و (بنو معقل) . ومن (بني جناب) (بحدل بن أتيث) ، جـ ، (يزيد بن معاوية) لأمه . ومن رجالهم (ابن الجلاح) ، وكان قائداً للحارث بن ابي شمر الجفني ،

١ نهاية الايوب (٩٣/١٨ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (١١٨ وما بعدها) ، الطبري (٤١٧/٣) ، تاريخ خليفة (٨٧/١) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

واسمه (النعمان) . وهو الذي اغار على (بني فزارة) و (بني ذبيان) ، فاستباحهم وسبي (عقرب) بنت النابغة ، ومن عليها ، فلدحه (النابغة) .^١

وقد انتشرت بطون (كلب) في ارضين واسعة ، شملت دومة الجندل وبادية السماوة والاقسام الشرقية من بلاد الشام . ولما أُخرج الروم عن ديار الشام ، لعبت بطون كلب دوراً بارزاً في السياسة ، اذ أيدت الامويين ، وتزوج (معاوية) (ميسون) أم (يزيد) وهي كلبية ، فصارت كلب في جانب الامويين .

ومن قبائل (قضاعة) ، (بنو عامر الاجدار) . ومن رجال (بني وبرة) غير كلب ، (بنو القيس بن جسر) ، و (بنو مصاد بن مذعور) و (بنو زهير بن عمرو بن فهم) . ومن قبائل (جرم بن ربان) : (بنو اعجب) و (بنو طرود) و (بنو شميم) . ومن بطون (جرم) : (بنو خشين) ، ومن رجالهم (رأس الحجر) ، وقد رأس في الجاهلية وأخذ المرباع . ومن رجال (جرم) ، (عصام بن شهبر) ، حاجب النعمان . وكان النعمان اذا اراد ان يبعث بألف فارس بعث بعصام .^٢

وقد ذهب وفد من (جرم) الى المدينة ، فيه (الاصقع بن شريح بن صريم) و (هوزة بن عمرو) ، فأسلما ، وكتب الرسول لهما كتاباً .^٣ وذهب وفد آخر ، اخبر الرسول باسلام حواء من جرم ، كان عليه (سلمة بن قيس الجرمي) ومعه ابنه (ابو زيد عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي) .^٤

وقد ساعد الغساسنة الروم في حروبهم مع المسلمين ، وكان على رأسهم (جبلة ابن الايهم الغساني) ، الذي حارب مع مقدمة جيش الروم في مستعربة الشام من غسان ولحم وجندام وغيرهم يوم اليرموك . ثم انحاز (جبلة) الى المسلمين ، وأظهر الاسلام ، ثم عاد ، ففرّ الى بلاد الروم ، واستقر بها ، وبها مات .^٥ وقد استمر (المستعربة) يناصرون الروم ، فلما تراجع قوادهم نحو الشمال لضغط

١ الاشتقاق (٣١٣) وما بعدها .

٢ (عصام بن شهبر الجرمي ، حاجب النعمان بن المنذر ملك العرب . ومنه قولهم : ما وراءك يا عصام ؟ يعنون به اياه) ، تاج العروس (٣٩٩/٨) ، (عصم) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٣٥/١) ، (الاسقع) ، نهاية الارب (٩٤/١٨) وما بعدها .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٣٦/١) وما بعدها .

٥ البلاذري ، فتوح (١٤٠) وما بعدها . (٢) البلاذري ، فتوح (١٦٩) .

المسلمين عليهم ، التحق بهم هؤلاء (المستعربة) من غسان وتوخ وإياد ، وقد التحموا بالمسلمين في (درب بغراس)^١ .

ويذكر الأخباريون ان (دمشق) كانت منازل ملوك غسان . وبها آثار لآل جفنة . والظاهر ، انهم كانوا قد اشتروا وابتنوا بها قصوراً ، عاشوا فيها ، ومنها كانوا يتصلون بكبار الموظفين الحاكمين البيزنطيين . فإذا أرادوا الاتصال بقومهم الغساسنة عادوا الى قصورهم بين قومهم . وكانت الغوطة : غوطة دمشق من المناطق التي سكن بها الغساسنة^٢ .

ويظهر من رواية يرجع سندها الى (محمد بن بكير الغساني) عن قومه (غسان) ان الغساسنة لم يقبلوا على الاسلام لإقبال غيرهم من العرب ، وانهم لم يسلموا إلا بعد فتوح الشام . ولما ذهب ثلاثة نفر منهم الى المدينة ، وأسلموا وبايعوا الرسول ، لم يستجب قومهم لهم في دعوتهم الى الاسلام ، فكتبوا أمرهم عنهم ، خوفاً من بطش قومهم بهم^٣ .

وورد في أخبار الرسل الذين أرسلهم الرسول الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، ان الرسول أرسل (شجاع بن وهب) الى (الحارث بن أبي شمر الغساني) من غسان ، وكان يقيم إذ ذاك بغوطة دمشق في قصر منيف ، ليدعوه الى الاسلام ، فلما دفع (شجاع) كتاب رسول الله الى (الحارث) رمى به ، ولم يدخل في الاسلام وبقي على النصرانية حتى توفي عام الفتح^٤ .

وكان (جبلة) مع الروم يوم (اليرموك) ومعه (المستعربة) من غسان وقضاة وذلك سنة (١٥) للهجرة ، وكان قد انضم الى المسلمين بعض لحسم وجذام ، فلما وجدوا جسد القتال فرّوا ونجوا الى ما كان قربهم من القرى وخذلوا المسلمين^٥ .

وقد كان (جبلة بن الأيهم) على رأس (العرب المنتصرة) يحارب مع

١ البلاذري ، فتوح (١٦٩) .

٢ ابن رسته ، الاعلاق (٣٢٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٣٨/١) وما بعدها .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦١/١) ، نهاية العرب (١٦٥/١٨) .

٥ الطبري (٥٧٠/٣) وما بعدها .

الروم ، لمنع المسلمين من التقدم نحو (قنسرين) ، ويذكر أهل الأخبار ان محاورات جرت بينه وبين المسلمين في موضوع اشتراكه مع الروم ، ومنها محاورات مع (خالد بن الوليد) صاغوها بأسلوب قصصي منمق ، وذكروا انه كان جالساً (على كرسي من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومي وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت)^١ . وكان ذلك بعد ارتداده عن الاسلام^٢ ، فلما غلب الروم ، (كان جبلة أول من انهزم والعرب المنتصرة أثره)^٣ .

ومن الغساسنة (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، الذي قتل رسول الله (الحارث بن عمار الأزدي) ، الذي كان الرسول قد بعثه الى ملك (بصرى) . فلما نزل (مؤتة) قتله (شرحبيل) . فأمر رسول الله بارسال حملة عليه ، ستة ثمان للهجرة جعل أميرها (زيد بن حارثة) . ولما سمع بها (شرحبيل) جمع جمعاً من قومه وتقدم نحوهم ، وكانوا قد نزلوا (معان) . وبلغ المسلمين ان (هرقل) كان قد نزل (مأب) من أرض البلقاء في جمع من بهراء ووائل وبكر ولحم وجندام والقيين ، عليهم (مالك بن رافلة) الاراشي من (بلي) ، فأنحازوا الى (مشارف) ، ولما دنا العدو انحازوا الى (مؤتة) ، وقتل فيها فيها (جعفر بن أبي طالب) ، و (عبد الله بن رواحة) و (ثابت بن رواحة) و (ثابت بن أرقم) ، ثم (زيد بن حارثة) ، ثم تراجعوا الى المدينة . وقتل من العرب الذين كانوا مع الروم (مالك بن رافلة) (زافلة)^٤ . واعتزل بعض (حدّس) وهم (بنو غنم) الحرب ، لاشارة كاهنتهم عليهم بذلك ، فأخذوا بقولها ، فاعتزلوا عن (بني لحم) وصلم الحرب بعض منهم ، وهم (بنو ثعلبة)^٥ .

وكان بقرب (حلب) حاضر ، عرف بـ (حاضر حلب) ، جمع أصنافاً من العرب من تنوخ ، فصالحهم (أبو عبيدة) على الجزية^٦ . ويرجع هذا

-
- ١ الواقدي ، فتوح الشام (١٠٦/١) ، (ذكر فتح قنسرين) .
 - ٢ الواقدي (١١٠/١) .
 - ٣ الواقدي (١١٤/١) .
 - ٤ نهاية الأرب (٢٧٧/١٧) ، (سرية مؤتة) .
 - ٥ الطبري (٤١/٣) ، ذكر الخبر عن غزوة مؤتة .
 - ٦ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

الحاضر الى أيام الجاهلية ، فقد كان العرب قد توغلوا الى هذه الديار قبل ظهور الاسلام ، وأقاموا في الحواضر بظواهر المدن يتعيشون من اتصالهم بأهل تلك المدن .

ولم تكن الرابطة الدينية التي ربطت بين أكثر عرب بلاد الشام والبيزنطيين ، هي العامل الوحيد الذي جعل أولئك العرب ينضمون الى صفوف الروم في الدفاع عنهم وفي مقاومة جيوش المسلمين ، بل كانت هناك عوامل أخرى ، مثل المنافع المادية التي كان يجنيها سادات الأعراب من البيزنطيين ، حيث كانوا يتلون هدايا ورواتب منهم في مقابل حماية الحدود والمحافظة عليها من غارات الأعراب وفي مقابل الغارات التي كان البيزنطيون يكلفونهم بها لغزو حدود العراق لازعاج أعدائهم الفرس وقت الحاجة والضرورة ، ومثل التسهيلات التي كانوا يتلونونها من البيزنطيين في الإتجار مع مدن الشام وفي معاملات البيع والشراء والرواتب السخية التي تدفع للأعراب إذا خدموا في صفوف العساكر المتطوعة ، وهي رواتب سخية إذا قيست بالنسبة لحالة أهل البادية المنخفضة من الناحية المادية كثيراً بالنسبة الى حالة سكان بلاد الشام .

وكان (الحيار) : (حيار بني القعقاع) بلداً معروفاً قبل الاسلام . وبه كان مقيل (المنذر بن ماء السماء) اللخمي ، ملك الحيرة . فترله (بنو القعقاع) من (عيس بن بغض)^١ .

وكانت اللقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لحم وجذام وبلقين وبهراء وبلي^٢ ، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم (المستعربة)^٣ . وكانوا على النصرانية في الغالب ، لذلك كان هواهم الى جانب الروم . فكانوا معهم في غزوة (مؤتة) يقاتلون مع (هرقل) ضد المسلمين وعليهم (مالك بن رافلة) وهو من (بلي) ثم أحد إراشنة . وكان المسلمون إذ ذاك في (معان) . وهي من أعمال اللقاء يستعدون للروم^٤ . وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلاً من (جذام) ، هو (فروة بن عمرو الجُدامي) . وكان عاملاً للروم على من

١ البلاذري ، فتوح (١٥١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٣٧/٣) (دار المعارف) .

٣ ابن الأثير (٩٧/٢) ، الطبري (١٠٨/٣) ، (غزوة مؤتة) ، البلدان (٩٣/٨) ، (معان) .

يليه من العرب ، ومتزله بمعان . فلما أرسل فروة رسولا عنه الى الرسول يبلغه بإسلامه ، قبض الروم عليه وجبسه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه^١ .

ومن (لحم) (بنو الدار بن هانيء) . وقد قدم وفد منهم على رسول الله منصرفه من (تبوك) ، فيه : (تميم بن أوس بن خارجة الداري) و (نعيم ابن أوس بن خارجة) ، و (يزيد بن قيس بن خارجة) ، و (الفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة) ، و (جبلة بن مالك بن صفارة) ، و (أبو هند) و (الطيب) إيتنا (ذر) . وهو (عبد الله بن رزين بن عيميت بن ربيعة درّاع) ، و (هانيء بن حبيب) و (عزيز) و (مُرّة) إيتنا (مالك بن سواد بن جذيمة) ، فأسلموا ، وأهدى (هانيء بن حبيب) لرسول الله ، رواية خر وأفراساً وقباءاً مخصوصاً بالذهب . فقبل الأفراس والقباء . وقال تميم : لنا جيرة من الروم لهم قرستان يقال لإحدهما (جبري) والأخرى (بيت عينون) ، فلن فتح الله عليك الشام فهبها لي . فوهبها رسول الله له . فلما توفي الرسول وقام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له كتاباً^٢ .

ولما أمر الرسول (أسامة بن زيد بن حارثة) ان يوطيء الخيل تحوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، تجهز معه المهاجرون الأولون ، ولكن وفاة الرسول لم تمكنه من السفر ، فكان أول ما فعله خليفته (أبو بكر) ان أمره بتنفيذ ما أمره به رسول الله^٣ . ولكنه لم يتقدم كثيراً ، بل بلغ الموضع الذي قتل أبوه زيد بن حارثة فيه ، وهو من أرض الشام فرجع ، لأن الرسول أمره في حياته بالمسير اليه^٤ .

و (الداروم) قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر . يجاورها عربان بني ثعلبة بن سلامان بن ثعل من بني طيء . وهم درماء وزريق^٥ .

١ ابن الاثير (١٢٤/٢) ، البكري (١٢٤٢/٤) (معان) ، ابن سعد ، طبقات (٢٦١/١) وما بعدها .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٣/١) وما بعدها .

٣ الطبري (١٨٤/٣) وما بعدها ، (لم دخلت سنة احدى عشرة) .

٤ الطبري (٢٤١/٣) ، نهاية الارب (٣٧٠/١٧) .

٥ تاج العروس (٢٨٨/٨) ، (درم) .

وكانت (جذام) نازلة في (حسمى) عند ظهور الإسلام . وهي من مواطن (ثمود) . و (جذام) من نسل (جذام) شقيق (عاملة) و (لحم) أبناء (عدي بن الحارث بن مرة بن كهلان) . واسم (جذام) الحقيقي في رأيهم (عمرو)^١ . وتقع أرض جذام في الأقسام الجنوبية من بلاد الشام ، وتصل الى (أيلة) ثم تمتد مع الساحل حتى تبلغ (ينبع)^٢ .

ويرجع بعض النسابين نسب جذام الى اليمن ، ويرجعها بعض آخر الى مضر ، وتوسط قوم فقالوا لانهم كانوا من مضر في الأصل ، ثم غادروا ديار مضر ، فذهبوا الى اليمن ، وعاشوا بين قبائل قحطان ، فنسوا أصلهم بتقادم العهد ، وعدّوا في القحطانيين . ويظهر ان هذا الرأي هو محاولة للتوفيق بين الرأيين السابقين . أما الذي عليه غالبية جذام ، فهو انها من قحطان^٣ .

وقد وفد رجال من (جذام) على رسول الله ، منهم (رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذامي) ثم أحد (بني الضبيب) ، فأسلم وكتب الرسول له كتاباً . أما (فروة بن عمرو بن النافرة) الجذامي ، فقد كان كما سبق ان ذكرت عاملاً الروم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله (معان) ومسا حوله أو على (عمان) ، فلما بلغهم انه كاتب الرسول وانه أسلم أخذوه فحبسوه ، ثم ضربوا عنقه^٤ . ويذكر أهل الأخبار ان (فروة) كتب الى الرسول كتاباً أرسله مع (مسعود بن سعد) ، وبعث اليه ببغلة وفرس وحمار ، وأثواب لين^٥ ، وقباء سندس مخصوص بالذهب^٥ . وان الرسول كتب الى فروة جواب كتابه . ويذكر أهل الأخبار ان الروم لما قبضوا على (فروة) ، قال شعراً يذكر فيه

١ البلدان (٢٧٦/٣) ، الاشتقاق (٢٢٥) ، المعارف (ص ٥٠) .

٢ صفحة (١٢٩) .

٣ (وجذام قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى ، وراء وادي القرى . وهو لعب عمرو ابن عدي بن الحرث بن مرة بن أد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وهو أخو لحم وعاملة وعفير . ويقال اسم جذام عوف وقيل عامر . والاول أصح . ونزع نساب مضر أنهم من معد بن عدنان) ، (وانما سمي جذام جذاما ، لان أخاه لحما وكان اسمه مالكا ، اقتتل وإياه ، فيجزم أصبح عمرو . فسمي جذاما . ولحم عمرو مالكا فسمي لحما) ، تاج العروس (٣٢٣/٨) ، (جزم) .

٤ طبقات ابن سعد (٣٥٤/١) وما بعدها .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨١/١) .

نفسه والرسول ، وقال مثل ذلك لما نقله الروم الى موضع يقع على ماء لهم بفلسطين اسمه (عفراء) ، فلما أرادوا ضرب عنقه ، قال بيتاً من الشعر في إسلامه وفي إيمانه ^١ .

وقد انتشرت النصرانية بين كلب ، كما انتشرت بين أكثر القبائل النازلة بديار الشام . والظاهر أنها كانت على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة (Monophysites) ^٢ .

وفي جوار (الحجر) وفي شرق (حرة ليل) ، أقامت بنو عنزة ، وهي من قبائل قضاعة ، وتنسب الى (عنزة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة) ^٣ . ولا نعلم من تأريخ هذه القبيلة في الجاهلية شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها كثيراً في الأيام ، والظاهر ان ذلك لقلة شعرائها ، فإن شعر الشعراء هو الذي خلّد أسماء القبائل عند الأخباريين . ويظن انها قبيلة (Adrait) (Adraet) التي ذكرها (بطلميوس) ^٤ .

أما ديار هذه القبيلة ، فكانت في وادي القرى وتبوك . ولكنها امتدت حتى بلغت قرب أيلة . ويذكر الأخباريون ان هذه القبيلة هاجرت مع من هاجر من قبائل قضاعة بعد حربها مع حمير ، فترلت في هذه الديار ^٥ . وتعاهدت مع قوم من يهود على مجاورتهم ، والا تتحرش بهم وببنخيلهم ويساتينهم . وتجاور ديار عنزة ديار قبائل أخرى من قضاعة مثل نهد وجهينة وبلي وكلب ، كما جاورت من الشمال قبيلة غطفان ^٦ .

ولعنزة حلف مع عدد من بطون سعد هذيم ، مثل بني ضنة ، وبعدهم النسابون بطناً من عنزة ، وكذلك مع بني سلامان . وقد عرفوا بصحار . وكان لهم حلف مع جهينة ، ويرجع الأخباريون عهد هذا الحلف الى أيام حرب قضاعة ، وهي الحرب المسماة بـ (حرب القريض) ^٧ .

١ نهاية الارب (٢٩/١٨) .

٢ Ency., II, P. 689.

٣ Ency., II, P. 989.

٤ Sprenger, Geographie, S. 205, 333.

٥ البكري (١٨ ، ٢٢ ، ٢٧) ، الاغانى (١٦١/١٦) .

٦ Ency., IV, P. 988.

٧ البلدان (٣/٣٦٨) ، وهم أبناء (صحار) ، الاشتقاق (٣٢٠) ،

Ency., IV, P. 988.

وهناك جملة قبائل ذكر الأخباريون أربعاً أو خمساً قالوا انها كانت تعرف بـ (عذرة)^١ . وقد سبب تعدد هذه الأسماء للنسابين بعض التشويش .

ويظهر من روايات الأخباريين انه كان لهذه القبيلة صلة بقريش ، فزعموا ان أم (قصي) تزوجت رجلاً من (بني عذرة) ، وان أخاه من أمه (رزاح ابن ربيعة بن حرام) اشترك مع قريش في الدفاع عن الكعبة وفي طرد خزاعة عنها . ورووا أيضاً انه كان لها صلة بالأوس والخزرج كذلك ، لأن أم القيلتين ، وهي (قيلة بنت كاهل أو بنت هالك) ، كانت من هذه القبيلة^٢ .

ولما قدم وفد (عذرة) على الرسول في صفر سنة تسع ، وفيه (حمزة بن النعمان العنزي) و (سليم) و (سعد) ابنا مالك ، و (مالك بن أبي رباح) ، سلموا على الرسول (بسلام أهل الجاهلية) وقالوا : نحن إخوة قصي لأمه ، ونحن الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر عن مكة ، ولنا قرابات وأرحام) . وكان من رجال عذرة الذين وفدوا على الرسول : (زميل بن عمرو العنزي)^٣ .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (عذرة) في (عسيب) ، وبعث به مع رجل من (بني عذرة) ، فعدا عليه (ورد بن مرداس) أحد (بني سعد هذيم) ، فكسر العسيب وأسلم واستشهد مع (زيد بن حارثة) في غزوة وادي القرى أو غزوة القردة^٤ .

وكانت مواطنها عند ظهور الاسلام في منطقة مهمة جداً تقع بين الحجاز وبلاد الشام ومصر ، فتمتد من منازل (كلب) في الشمال حتى منطقة المدينة . وكانت بطونها منتشرة في (وادي القرى) وحول (تبوك) وعند (أيلة) وفي طور سيناء . ولرور طريق القوافل منها ، تولى رجالها حراستها وجباية رسوم المرور منها . ولما رأى بعض المستشرقين انها تقطن منطقة كان يسكنها (أهل

١ محمد بن حبيب ، مختلف القبائل (ص ٣٧) ، (طبعة وستنفلد) ،

Ency., IV, P. 289.

٢ Ency., IV, P. 989, Wustenfeld, Genealo, I, 24.

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣١ وما بعدها) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .

مديسن) وكذلك النبط ، ذهبوا الى انها من نسل (مديسن) أو من بقايا (النبط)^١ .

ومن المستشرقين من يرى ان (بني النضير) هم فرع من جُذام ، دخلوا في دين يهود ، ودليلهم على ذلك انتشار اليهودية بين بعض بطون جذام التي تقع منازلها على مقربة من (يثرب) . وكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين جذام ، وذلك باتصالها ببلاد الشام ومصر . وقد كانت مع (المستعربة) أي النصراني العرب ، تحارب المسلمين مع الروم في حروب بلاد الشام^٢ .

وفي أرض جذام موضع يقال له (السلاسل) ، وقعت غزوة عرفت بـ (ذات السلاسل) . وقد قام بها (عمرو بن العاص) ، وكان الرسول قد بعثه الى أرض (بلي) و (عنزة) يستنفر الناس الى الشام^٣ .

ومن جذام (رفاعه بن زيد الجذامي) ثم (الضبيبي) ، وكان قد قدم الى الرسول فأسلم ، وكتب الرسول له كتاباً ، وذهب الى قومه ، ونزل الحرة : حرة الرجلاء^٤ . و (ضبيب) بطن من جُذام . ولما أغار (الهنيد بن عوص) ، وهو من (الضليح) ، بطن من جُذام على (دحية بن خليفة الكلبي) ، حين قدومه من بلاد الشام ، وكان رسول الله بعثه الى (قيصر) صاحب الروم ومعه تجارة له ، فأصاب كل شيء كان مع (دحية) نَقَرَ (رفاعه) وقومه ممن أسلم ، الى (الهنيد) ، فاستنقلوا ما كان في يده ، فردّوه على (دحية) . وكان المعتدون يقيمون بحسمى^٥ .

ومن (جذام) (زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة) ، وكان عَشَّاراً ، مرّ به (عمر بن الخطاب) في الجاهلية تاجراً الى الشام ، فأساء اليه في اجتيازه وأخذ مكسه ، فقال (عمر) فيه شعراً يتوعده ويهجوّه ، فبلغ ذلك (زنباعاً) فهجز جيشاً لغزو مكة ، فنهي عن ذلك وأشير عليه بعدم تمكنه منها ، فكفّ عنها^٦ .

١ Ency., I, P. 1058.

٢ Ency., I, P. 1058.

٣ الطبري (٣٢/٣) .

٤ الطبري (١٤٠/٣) ، (قدوم رفاعه بن زيد الجذامي) .

٥ نهاية الارب (٢٠٧/١٧) .

٦ بلوغ الارب (٣٦١/١) وما بعدها ، الاستقاق (٢٢٥) .

وكانت (أيلة) في أيام الرسول ، في ايدي (يوحنا بن رؤبة) (يحنة بن رؤبة) . ولا سمع (يوحنا) بمجيء الرسول مع جيش الى (تبوك) ، جاء اليه ، وصالحه على الجزية ، وصالحه اهل (جرباء) و (اذرح) على الجزية ايضاً . كما صالح اهل (مقنا) على ربيع كروعههم وغزولهم وحلقتهم وعلى ربيع ثمارهم ، وكانوا يهوداً .^١ وقد دَوَّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لـ (يحنة بن رؤبة) (يحنة بن رؤبة) وأهل ايلة (لسفنههم وسيارتهم في البر والبحر ... ولمن كان معهم من اهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر) .^٢

وأورد (ابن سعد) نص كتاب ارسله الرسول الى (يوحنا بن رؤبة) (يحنة ابن رؤبة) و (سَرَوات) اهل ايلة : جاء فيه ان رسول الله قد ارسل اليه رسلاً هم : (شرحيل) و (ابي) و (حرملة) ، و (حريث بن زيد الطائي) . و (أن حرملة) قد شفّع له ولأهل ايلة لدى الرسول وأن عليه ان يكسو (زيداً) كسوة حسنة . وأنه قد اوصى رسله بهم . ويظهر من هذا الكتاب ، ان حامله كان (زيداً) ، وجاء فيه (وجهزوا اهل مقنا الى ارضهم) .^٣

وكتب الرسول كتاباً الى اهل (اذرح) و (جربا) ولأهل مقنا ، وذكر ان اهل مقنا ، كانوا يهوداً على ساحل البحر . وأهل جربا واذرح يهود ايضاً .^٤ اما (كلب) التي كانت ديارها تتاخم ديار جذام ، فينسبها النسابون الى (كلب بن وبرة) ، وهي من القبائل التي كانت تنزل ديار الشام عند ظهور الاسلام . غير اننا لا نعرف من تأريخها شيئاً يذكر قبل الاسلام .^٥

وتتصل بديار كلب من الشرق ارض الحيرة وديار (بني بكر) ، ومن الجنوب ديار طيء ، ومن الغرب ديار (بنو بلي) و (جذام) ، ومن الشمال (بنو هراء) وقبائل غسان .

ويرجع نسب (كلب) في عرف النسابين الى قبائل (قضاعة) . ومن كلب

١ الطبري (١٠٨/٣) ، البلاذري ، فتوح (٧١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٩/١) ، نهاية الارب (٣٥٧/١٧) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٩/١) وما بعدها .

٥ Ency., II, P. 688.

الأسيع : وهي بطون ثعلب وفهد ودب والسيد والسرطان وبرك . ومن قبائلها :
ثور وكلب ورفيدة وعوذي وعرينة وقبائل أخرى يذكرها التسابون .^١

وينسب الى هذه القبيلة (زهير بن جناب الكلبي) ، وهو في جملة من
يذكرهم الاخباريون من المعمرين . ويذكرون انه كان رئيساً من رؤساء هذه القبيلة ،
وأنه كان شاعراً ، وأنه كان في أيام (كليب وائل) و (المهلهل بن ربيعة) ،
ومعنى ذلك انه عاش في القرن السادس للميلاد .^٢

وقد ذكر الاخباريون أسماء رجال برزوا في الجاهلية ، ينتمون الى بطون هذه
القبيلة ، منهم (هوزة بن عمرو) ، نعتوه بـ (رب الحجاز) ،^٣ وهذا النعت
يدل على منزلة الرجل ومكانته التي كان عليها قبل الاسلام . وهو من (حردش)
وقد مدحه (النابغة الذبياني) . وقد نسب الاخباريون هوزة الى (عص) او
(عيثر بن لبيد) ، وهو في زعمهم من المعمرين في الجاهلية .^٤

وقد وفد رجل من (كلب) على الرسول اسمه (عبد عمرو بن جبلة بن
وائل بن الجلاح الكلبي) ، ومعه (عاصم) ، من (بني وقاش) من (بني
عامر) ، فأسلما . ووفد (حارثة بن قطن بن زائر بن حصن بن كعب بن عليم
الكلبي) و (حل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم) ، فأسلما .
وكتب الحارثة بن قطن ، كتاباً ، لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب ،
دوّن فيه أوامره لهم ونواهيهم وشروطه ان ارادوا الدخول في الاسلام .^٥

وأورد (ابن سعد) صورة كتاب ، ذكر ان الرسول كتبه (لبني جناب)
من كلب وأحلافهم ومن ظاهريهم . وقد بين فيه الامور التي يجب عليهم مراعاتها
من حقوق وأحكام . وأشهد عليه فيه : سعد بن عباد ، وعبد الله بن انيس ،
ودحية الكلبي .^٦

١ الاشتقاق (ص ٣١٤ وما بعدها) .

Ency., IV, P. 1237.

٢ الاشتقاق (ص ٢٠٤) .

٣ الاشتقاق (٣٢٠) .

Ency., IV, P. 989.

٤ الاشتقاق (٣٢٠) .

٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٤ وما بعدها) .

٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) .

ولعلرة عدة بطون ، منها : بنو الجلحاء ، وبنو جلهمة ، وبنو زقرقة ، وبنو ضنة ، وبنو حردش ، وبنو حنّ ، وبنو مدلج .^١ ويظهر من ابيات للشاعر النابغة ان (النعمان بن حارث الغساني) لما هم بغزو (بني حنّ) في موضعهم ب (برقة صادر) ، نهاه عن ذلك ، غير انه لم ينته ، فاصيب غزوه بهزيمة .^٢ وحنّ ، هم الذين قتلوا (الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد) من طيء ، في الحاجر . وكان الجلاس ممن اجتمعت عليه جديلة طيء .^٣

وتبوك هي من جملة مواضع بني عُلرة ، وهي موضع (Thapaua) الذي ذكره (بطليموس) ،^٤ ولا نعرف من امرها قبل الاسلام شيئاً يذكر . وقد ذكرت في الفتوح ، اذ وصل الرسول اليها ، وصل الرسول ، وصالح اهلها على الجزية ، مما يدل على ان سكانها كانوا من اهل الكتاب .^٥

وكان غزو الرسول لها ستة تسع للهجرة ، اذ بلغه ان الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وانهم قد جمعوا اليهم جمعاً من لحم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء ، فأراد الرسول مباغتتهم قبل ان يباغتوه ، فلما وصل اليها ، وجد ان الروم بعيدون عنه فرجع .^٦

ويذكر اهل الاخبار ان (بني عُلرة) نصرروا قصياً وساعدوه ، لوجود صلة له بهم . ويظهر انه قد كان عند القدامى من (بني عُلرة) كتاب في اخبارهم كانوا يرجعون اليه اذا احتاجوا الى الوقوف على خبر يخص هذه القبيلة . فقد ذكر (ابو عمرو بن حريث العنزي) ، انه رجع الى كتاب من كتب آبائه في امر (وفد عُلرة) الذي ذهب الى الرسول .^٧

Ency., IV, P. 989

- ١ الاشتقاق (٣٢٠) ،
- ٢ الاشتقاق (٣٢٠) ، البلدان (١٤٣/٢) .
- ٣ البلدان (٧٤/٧) ، (قرى) .
- ٤ Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.
- ٥ البلدان (٨٢٤/١) ، ابن هشام (٩٠٢) ، الطبري (١٦٩٢/١) ، غزوة تبوك ، فتوح البلدان (٥٩) ، شمال الحجاز ، تأليف الويس موسل ، ترجمة : الدكتور عبد المحسن الحسيني ، سنة ١٩٥٢ م ، (ص ١٤٠ وما بعدها) .
- ٦ نهاية الارب (٣٥٢/١٧) وما بعدها .
- ٨ (عن أبي عمرو بن حريث العنزي قال : وجدت في كتاب آبائي ، قالوا :) ، ابن سعد ، طبقات (٣٣١/١) .

وتقع ديار (غطفان) جنوب (طيء) ، وشمال (هوازن) و (خيبر)
والى الغرب من بليّ وديار سعد . وهم من القبائل الكبيرة التي يرجع النسابون
نسبها الى (سعد بن قيس بن مضر) . فهي من القبائل المضرية في اصطلاح أهل
الأنساب . وهم قبائل : منهم : ريث وبغيض وأشجع ، ومن بغيض ذبيان ،
وهو والد عيس ، وانما أجداد قبائل كبيرة^١ . وتقع ديار أشجع على مقربة من
المدينة ، وأما ديار (بغيض) فتقع عند شربة والربذة ، وتجاورها (خصيفة بن
قيس عيلان) ، وسلم الذين تقع ديارهم في جنوبهم .

ومن رجال (أشجع) (مسعود بن ربيعة بن نويرة بن طريف) ، وقد
وفد على الرسول على رأس وفد قوامه مئة رجل ، وادّعوا رسول الله ، ثم
أسلموا^٢ .

وقد كانت بين (غطفان) وبين (بني عامر بن صعصعة) وهم بطن من
هوازن حوادث وأيام . من ذلك (يوم النفراوات) ، وفيه قتل خالد بن جعفر
ابن كلاب العامري زهير بن جذيمة سيد عيس . وكانت هوازن تخضع لزهير .
وتقدم له الإتاوة كل سنة في سوق عكاظ . فلما استبد بهم زهير ، ولم يرع لهم
حرمة ، ولم ينصفهم ، تقموا عليه . وأقسم جعفر ليقتلنه ، وقد وفى بقسمه في
يوم (النفراوات)^٣ .

وقد غزا الرسول قوماً من (غطفان) ، هم من (بني محارب) و (بني
ثعلبة) ، حتى نزل نخلًا فلقي جمعاً من (غطفان) ، ولم تقع بينهم حرب ،
وعرفت الغزوة بـ (غزوة ذات الرقاع)^٤ . وكانت هذه الغزوة في أول السنة
الثالثة من الهجرة . وعرفت أيضاً بـ (غزوة ذي أمر) ناحية (النخيل) .
وكان قد جمعهم رجل يقال له : (دعثور بن الحارث) من (بني محارب) ،
وهم من الأعراب ، فلما وصل الرسول اليهم ، هربوا في رؤوس الجبال ، ثم

١ الاشتقاق (١٦٤ وما بعدها) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٣٧ وما بعدها) ،
Ency., II, P. 144.

٢ نهاية الارب (٢٢/١٨) .

٣ العقد الفريد (٣٠٤/٣) ، الاغانى (١٠/١٠) .

٤ الطبري (٥٥٥/٢) وما بعدها ح .

أسلم (دعثور) ودعى قومه الى الاسلام^١ .

وقد تجمع جمع من غطفان بالجناب ، وأرادوا مباغثة المسلمين ، فوصلت الأنباء بذلك الى الرسول ، فأرسل سرية عليهم فلت ذلك الجمع^٢ .

وقد استجابت (غطفان) لدعوة سادات (بني النضير) أمثال : (سلام ابن أبي الحقيق) ، و (حيي بن أخطب) و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) ، ودعوة نفر من (بني وائل) ، فيهم (هوزة بن قيس الوائلي) و (أبو عمار الوائلي) ، ولزعماء مكة وعلى رأسهم (أبو سفيان) ، فخرجت وقائدهما (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري) في بني فزارة ، و (الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي) في (بني مُرة) و (مسعود) (مسعر) بن ربيعة بن نيرة بن طريف بن سحمة الأشجعي) فيمن تابعه من أشجع . واستجابت لهم (بنو سليم) ، يقودهم (سفيان بن عبد شمس) وهو أبو (أبي الأعور السلمي) ، وانضمت اليهم (بنو أسد) يقودهم (طليحة بن خويلد الأسدي) ، وكونوا الأحزاب . وساروا باتجاه المدينة ، فوجدوا المسلمين وقد حضروا خندقاً حولها ، حال بينهم وبين اقتحامها ، ووقعت مناوشات ، انتهت برجوع الأحزاب . ونجاح المسلمين في الدفاع عن أنفسهم^٣ .

ومن رجال (عبس) الذين وفدوا على الرسول : (ميسرة بن مسروق) و (الحارث بن ربيع) وهو الكامل ، و (قنان بن دارم) ، و (بشر بن الحارث بن عباد) و (هيدم بن مسعدة) ، و (سباع بن زيد) ، و (أبو الحصن بن لقمان) ، و (عبد الله بن مالك) ، و (فروة بن الحصين بن فضالة) . وذكر ان رسول الله سأل نقرأ من (عبس) عن (خالد بن سنان) ، فقالوا : لا عقب له ، فقال : نبي ضيعه قومه ، ثم أنشأ يحدث أصحابه حديث خالد^٤ .

١ نهاية الارب (٧٧/١٧ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٣/٣) .

٣ الطبري (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، (عزوة الخندق) ، نهاية الارب (١٦٦/١٧ وما بعدها) .

٤ طبقات ابن سعد (٢٩٥/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٧/١٨) .

وقد كتب الرسول الى (بني زهير بن أقيش) كتاباً ، أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم^١ . و (بنو أقيش) هم حيّ من (عكل) . و (عكل) من (الرباب) . وهم (تيم) و (عدي) و (عكل) و (مزينة) . وذكر ان الرسول كتب لبني أقيش في ركية بالبادية^٢ .

ومن ديار (هوازن) ، (تربة) ، وهي ناحية (العلاء) على طريق صنعاء ونجران . وتقع في (عجز هوازن) . وقد أرسل الرسول عليهم سرية بقيادة (عمر) وذلك سنة سبع للهجرة^٣ . وتقع ديار هوازن بغور تهامة الى الى بيشة والسراة وحنين وأوطاس^٤ .

وفي جنوب شرقي (حسمى) أقامت بطون (فزارة)^٥ ، وتنسب الى (فزارة بن ذبيان بن بغيص بن غيث بن غطفان) . وقد اشتركت في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وفي معارك أخرى ، وتعاونت مع يهود خيبر ضد الرسول^٦ . ومن رجال (فزارة) (خارجة بن حصن) ، وكان فيمن وفد على النبي من وفد (بني فزارة) سنة تسع للهجرة^٧ .

ومن (بني فزارة) في أيام الرسول (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر) ، أغار على لقاح رسول الله وهي ترعى بالغابة ، وهي على يريد من المدينة ، فوجه رسول الله جمعاً عليه ، قتل (مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري) و (حبيب بن عيينة) ، ثم لحقهم الرسول بـ (ذي قرد) ، فوجدهم قد مضوا^٨ . وقد نعت النبي (عيينة) بـ (الأحمق المطاع في قومه)^٩ . ومن بني فزارة الذين وفدوا الى الرسول بعد رجوعه من تبوك سنة تسع للهجرة ،

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .

٢ الاشتقاق (١١٣/١١١) .

٣ نهاية الأرب (٢٧٠/١٧) .

٤ البكري ، معجم (٨٨/١) .

٥ Musil, Hegaz, P. 315.

٦ Ency., II, P. 93.

٧ الطبري (١٢٢/٣) .

٨ البلاذري ، أنساب (٣٤٨/١) وما بعدها .

٩ الاشتقاق (١٧٣) .

(خارجة بن حصن) و (الحرّ بن قيس بن حصن ^١ . وذكر ان (عيينة بن حصن) كان من المؤلفة قلوبهم . شهد حنيناً والطائف . وكان أحق مطاعاً دخل على النبي بغير إذن وأساء الأدب ، فصبر النبي على جفوته وأعرابيته . وقد ارتد وآمن بطليحة ، ثم أسر ، فنّ عليه الصديق ، ثم لم يزل مظهراً للإسلام . وكان يتبعه عشرة آلاف قناة . وكان من الجرارة . واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه ^٢ .

ولما خرج (زيد بن حارثة) في تجارة له الى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ، وكان دون (وادي القرى) لقيه ناس من (فزارة) من (بني بلر) ، فضربوه وأخذوا ما كان معه ، فعاد (زيد) الى المدينة وأخبر الرسول بما حدث . فأعاده مع سرية لغزوهم ، فحاصروهم ، ولكنهم كانوا قد هربوا ، فأسر منهم (فاطمة بنت ربيعة بن بلر) وابنتها (جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بلر) ، وقتل (النعمان) و (عبد الله) ابنا (مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بلر) ^٣ .

وعلى السنة الجارية بين القبائل ، تشتت شمل عشائر غطفان بسبب الحروب التي نشبت بينها من جهة ، وبينها وبين بطون خصافة من جهة أخرى . ونعني بخصافة هوازن وسليماً . وقد استمر التنافس بين عشائر غطفان وعشائر خصافة الى ظهور الإسلام ، وتميز بحوادث الفتك والاعتقالات ، وبرز في هذا النزاع اسم (دريد بن الصمة) وهو من هوازن ، ومعاوية وصخر أخوي النساء وهما من سليم ^٤ .

ولما انتقل الرسول الى جوار ربه ، ارتد كثير من غطفان ، وأيد بعضهم طليحة ، ولم يرجعوا الى الإسلام إلا بعد انتصاره على المرتدين .

وكان من وجوه (بني عامر بن صعصعة) ، عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر ، (أربد بن ربيعة بن مالك بن جعفر) ، وجبار بن

١ ابن سعد ، طبقات (٢٩٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠١/١٧) وما بعدها ، (٤١/١٨) .

٢ تاج العروس (٤٥/٦) ، (ألف) و (عين) .

٣ نهاية الأرب (٢١٠/١٧) وما بعدها .

٤ Ency., II, P. 145.

سلمى بن مالك ، وكان هؤلاء رؤوس القوم وشياطينهم . وقد وفدوا على الرسول . ولم يسلم (عامر بن الطفيل) ، بل رجع كافراً ومات على الشرك^١ . وكان معجباً بنفسه ، جريئاً على الناس^٢ ، من الفرسان^٣ . طلب من الرسول ان يجعل الأمر له من بعده في مقابل إسلامه ، أو ان يقتسم معه الحكم على الناس مناصفة ، فيكون للرسول حكم أهل المدر ، وله حكم أهل الوبر . فلما قال له الرسول : « لا ، ولكني أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس » قال : أوليست لي ؟ لأملأها خيلاً ورجالاً . ثم ولى ، فلما كان في طريقه الى منازلهم مرض ومات^٤ .

وكان (أبو براء عامر بن مالك بن جعفر) المعروف بـ (ملاعب الأسنة الكلابي) ، بعث الى رسول الله ان ينقل اليهم قوماً يفقهونهم ويعرضون عليهم الإسلام وشرائعه ، فبعث اليهم قوماً من أصحابه . فعرض لهم (عامر بن الطفيل) يوم بئر معونة فقتلهم أجمعين . واغتم (أبو براء) لاختفار عامر بن الطفيل ذمته في أصحاب رسول الله ، ثم توفي بعد ذلك بقليل . وكان سيد (بني عامر ابن صعصعة) في أيامه^٥ . و (بئر معونة) ، أرض بين أرض (بني عامر) و (حرة بني سليم) ، وهي الى حرة بني سليم أقرب^٦ . وقد استصرخ (عامر بن الطفيل) بجاعة من (بني سليم) و (عصابة) و (رعلا) و (ذكران) فنفروا معه على المسلمين^٧ .

ولما أرسل (أبو بكر) (خالد بن الوليد) الى (بني عامر بن صعصعة) ، لم يقاتلوه ودفعوا الصدقة . وكان (قرة بن هيرة) القشيري امتنع من أداء الصدقة ، وأمد (طليحة الأسدي) ، فأخلده خالداً ، فحمله الى (أبي بكر) فحقن أبو بكر دمه^٨ .

- ١ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) .
- ٢ مروج (٣٢٨/٢) ، (دار الاندلس) .
- ٣ الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .
- ٤ نهاية الارب (٥١/١٨) وما بعدها .
- ٥ المحبر (٤٧٢) ، الطبري (٥٤٥/٣) ، (ذكر خبر بئر معونة) .
- ٦ الطبري (٥٤٦/٢) .
- ٧ نهاية الارب (١٣٠/١٧) وما بعدها .
- ٨ البلاذري ، فتوح (١٠٦) .

ومن بني (عامر بن صعصعة) ، بنو (رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) . ومنهم (عمرو بن مالك بن قيس) الذي وفد على الرسول فأسلم^١ . ومنهم (بنو البكاء) . ووفد وفد من (بني البكاء) على الرسول كان فيه (معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء) و (الفُجيج بن عبد الله بن جندح بن البكاء) و (عبد عمر البكائي) ، وهم الأصم^٢ .

وتقع ديار (بني عامر بن صعصعة) في الأقسام الغربية من نجد وتمتد الى الحجاز . وذكر أنهم كانوا يصيغون بالطائف لطيب هوائها ، فلما اشتدّ عود ثقيف وقوي أمرهم ، منعوهم منها ، واستقلوا بها وحدهم^٣ .

ويرجع نسب (بني سليم) الى (قيس عيلان) ، وتقع منازلها في موطن حرار ذات ميساه ومعادن عرفت بـ (معدن سليم) . وكانوا يجاورون عشائر غطفان وهوازن وهلال . ولخيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة ، صارت بنو سليم من القبائل الغنية . وكانت صلاتها حسنة بيهود يثرب ، كما كانت صلاتها وثيقة بقريش . وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة مع بني سليم ، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة في أرض سليم^٤ .

وقد قدم رجل من (بني سليم) اسمه (قيس بن نسيبة) ، على الرسول فأسلم ، ذكر انه كان على علم بلسان الروم وبهيممة الفرس ، وبأشعار العرب ، وانه كان ذا حظ بثقافة ذلك اليوم . فلما رجع الى قومه ، وكلمهم بالإسلام ، اقتنعوا بحديثه فأسلم منهم عدد كبير ، وذهب وفد عنهم الى الرسول ، فيه (العباس بن مرداس) و (أنس بن عياض بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، فأسلموا على يديه . وكان (راشد) يسكن صنماً لبني سليم . وكان اسمه (غاوي) ، وكان قد رأى ثعلبين يبولان على صنمه فشده عليه فكسره ، ثم جاء مع الوفد الى الرسول فأسلم ، وسمّاه الرسول (راشدا) على طريقته في تغييره

١ ابن سعد ، طبقات (٣٠٠/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٠٤/١) .

٣ البكري ، معجم (٧٧/١ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢٥٠/٢) ، (٩٤/٨) .

Ency., IV, P. 518.

أمثال هذه الأسماء . وأعطاه الرسول (رهاطاً) ، وفيها عين ماء .

ويذكر أهل الأخبار ، ان سيداً من سادات (بني سليم) ، اسمه (قدّر ابن عمار) ، كان قد قدم على النبي بالمدينة فأسلم ، وعاهده على ان يأتيه بألف من قومه ، فلما ذهب الى قومه ، وعاد ليأتي الى الرسول برجاله ، نزل به الموت ، فأوصى الى رهاط من (بني سليم) بالذهاب الى الرسول ، هم (عباس ابن مرداس) و (جبار بن الحكيم) و (الأخنس بن يزيد) وأمر كل واحد منهم على ثلاثمائة ، ليقدموا على الرسول ، ثم جاء من بعدهم (المنّع بن مالك ابن أمية) وهو على مائة رجل ، فصار عددهم ألفاً^١ .

وكتب الرسول الى (سلمة بن مالك بن أبي عامر) السلمي (من (بني حارثة) ، انه أعطاه مَدْفُوءاً لا يحاقه فيه أحد^٢ . وأعطى (العباس بن مرداس) (مَدْفُوءاً) ، لا يحاقه فيه أحد ، كتبه له العلاء بن عقبة ، وشهد عليه^٣ . ويظهر ان (سلمة بن مالك السلمي) ، الذي ذكر (ابن سعد) ان الرسول (أعطاه ما بين ذات الحناظي الى ذات الأساور)^٤ ، هو (سلمي بن مالك بن أبي عامر) المتقدم .

وكان العباس بن مرداس يهاجي (خفاف بن ندبة السلمي) أحد الشعراء المعروفين . ثم تبادى الأمر الى ان احتربا ، وكثرت القتلى بينهما ، ولما تباديا في هجائهما ، ولم يسمعا نصيحة (الضحّاك بن عبيد الله السلمي) ، وهو يومئذ صاحب أمر بني سليم ، ولجّبا في السفاهة ، خلعتهما بنو سليم . ثم أتاهما (دريد ابن الصمة) و (مالك بن عوف النصري) رأس هوازن ، وأصلحا بينهما . واستراح منها بنو سليم^٥ .

وأسلم (العباس بن مرداس) قبل فتح مكة وحضر مع النبي يوم الفتح في جمع من (بني سليم) بالقيظ والدروع على الخيل . وله ولد اسمه جلهمة ، روى

١ ابن سعد ، طبقات (٣٠٧/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (٢٤/١٨) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

٥ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (ص ٤٦٧ وما بعدها) .

عن النبي ^١ . ويروى ان العباس بن مرداس ، شهد حنيناً على فرسه العبيد ، فأعطاه النبي أربع قلايص ، فقال العباس : أتجعل نهي ونهب العبيد بين عينة والأقرع ، فقال النبي : (اقطعوا غني لسانه ، فاعطوه ثمانين أوقية فضة) ^٢ . وكان فيمن اشترك مع العباس بن مرداس من قومه في فتح مكة : (أنس بن عباس بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، وقد طلب العباس وقومه من الرسول ، ان يجعل لهم لواءً أحمر ، وشعاراً مقدماً ، ففعل ذلك بهم ^٣ . وكان للعباس أخ اسمه (عمرو بن مرداس) ، ويعبد مثل أخيه في جملة المؤلفين قلوبهم كذلك ^٤ .

وأعطى الرسول (هوزة بن نبيشة السلمي) من (بني عَصِيَّة) . (ما حوى الجفر كله) ^٥ . وكتب للأجيب رجل من (بني سليم) (انه أعطاه فالساً) ، وكتب كتابه وشهد عليه (الأرقم) ^٦ . وأعطى الرسول (راشد بن عبد السلمي) (غلوتين بسهم . وغلوة بحجر برهاط) (لا يحاقه فيها أحد) ^٧ . كما أعطى (حرام بن عبد عوف) من (بني سليم) (إذماً وما كان له من شواق) ^٨ . ومن (بني سليم) (نبيشة بن حبيب) ، قاتل (ربيعة بن مكدّم) الكنانى . وكان فارس كنانة ^٩ .

ويذكر ان الردة لما وقعت بوفاة الرسول ، جاءت (بنو سليم) الى (أبي بكر) ، فطلبوا منه ان يمدّهم بالسلاح لمقاتلة المرتدين ، فأمر لهم بسلاح ، فأقبلوا يقاتلون (أبا بكر) : فبعث أبو بكر خالد بن الوليد عليهم ، وجعلهم في حظائر ثم أضرم عليهم النيران ^{١٠} .

- ١ ابن قتيبة ، الشعر (ص ٤٦٧ وما بعدها) ، المعارف (٣٣٦) .
- ٢ الاشتقاق (١٨٨) .
- ٣ نهاية العرب (٢٤ / ١٨) .
- ٤ تاج العروس (٤٥ / ٦) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣ / ١) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣ / ١) وما بعدها .
- ٧ المصدر نفسه (٢٧٤ / ١) .
- ٨ المصدر المذكور .
- ٩ الاشتقاق (١٨٩) .
- ١٠ تاريخ خليفة بن خياط (٦٨ / ١) .

ومن ديار (بني سليم) معدن بني سليم ، وهو منزل كثير الأهل فيه اعراب بني سليم ، وماؤه من (البرك) ، وهي قرى قديمة .^١ وقد غزا الرسول على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره (قرقرة الكدر) (قراقرة الكدر) ، ناحية معدن (بني سليم) بينه وبين المدينة ثمانية بُرْد ، وذلك لما سمع ان بهذا الموضع جمعاً من (بني سليم) و (غطفان) ، فلما لم يجد احداً ، اخذ ما عثر عليه من جبال تعود اليهم ، كانت ترعى هناك ، ورجع الى المدينة .^٢ وغزا الرسول في السنة الثالثة من الهجرة موضعاً آخر من مواضع (بني سليم) اسمه : (بحران) من ناحية الفرع ، وهي قرية من ناحية المدينة ، لما بلغه ان بها جمعاً كثيراً من (بني سليم) .^٣

وكانت منازل عجز هوازن بموضع شربة .^٤ ومن رجال (هوازن) في ايام الرسول (مالك بن عوف النصري) احد بني نصر . وهو الذي جمع جموع هوازن وثقيف وأقبل عامداً الى النبي ، حتى وافاه بـ (حنين) ف وقعت غزوة حنين . وقد جمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان الا هؤلاء وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم (دريد بن الصمة) ، شيخ كبير ، ليس فيه شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب . وكان شيخاً كبيراً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم في الاحلاف : قارب بن الاسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال .^٥

وبنو سليم ايضاً قبائل ، منها : بنو ذكوان ، وبنو بهثة ، وبنو سمّال ، وبنو جهز ، وبنو مطرود ، وبنو الشريد ، وبنو قنفذ ، وبنو عصية ، وبنو ظفر .^٦ وقد نجلت هذه القبائل رجالاً عرفوا في الجاهلية والاسلام ، منهم : العباس بن مرداس الشاعر الشهير ، ممن شهدوا معركة حنين مع الرسول ، ومجاشع بن مسعود

١ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٩) .

٢ نهاية الارب (٧١ / ١٧) وما بعدها .

٣ نهاية الارب (٧٩ / ١٧) .

٤ الطبري (٢٢ / ٣) ، (دار المعارف) ، نهابة الارب (٣٢٣ / ١٧) وما بعدها .

٥ الطبري (٧٠ / ٣) وما بعدها .

٦ الاشتقاق (١٨٧) وما بعدها .

من قاذ الجيوش . وهو من المهاجرين ، والعباس بن انس الأصم من فرسان الجاهلية ، ورجال آخرون . ولسلم شقيق في عرف النسابين اسمه (مازن) . اما ابوهما فهو منصور .^١

و (جهينة) بطن مثل (يلي) و (بهراء) و (كلب) و (تنوخ) من بطون (قضاة) ، كانت ديارها في نجد ، ثم هاجرت الى الحجاز ، فسكنت على مقربة من يثرب في المنطقة التي بين البحر الأحمر ووادي القرى ، عند ظهور الاسلام . وقد دخلت في الاسلام في حياة الرسول ولم تشرك مع من اشترك في الردة بعد وفاته .^٢ ويتنسب النسابون جهينة الى صحار والد جهينة ، ومن بطونها بنو حميس .^٣

ومن ديار (جهينة) ، موضع (بواط) ، وهو من (جبال جهينة) من ناحية (رضوى) قريب من (ذي خشب) مما يلي طريق الشام . وبين (بواط) والمدينة نحو اربعة برد . ويمر به طريق الى بلاد الشام . ولما سمع الرسول ، وهو على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره ، ان قافلة لعير قريش : فيها امية بن خلف الجمحي ومئة من رجال قريش وألف وخمسة بعير ، تمر من هناك ، خرج في ميتين لاعتراضها ، ولكنها فرت ونجت ، فلم تقع في الأسر .^٤

وكان في جملة من وفد على الرسول من جهينة : (عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهني) من (بني الربعة بن رشدان بن قيس بن قيس بن جهينة) ، ومعه أخوه لأمه (أبو روعة) . وكان لهم واد اسمه (غوي) . ومن (بني جهينة) (بنو دهمان) ومنهم (عمرو بن مرة الجهني) ، وكان سادن صنمهم ، فأسلم وكسر الصنم ، وقدم المدينة ، واعلن اسلامه امام الرسول .^٥

وقد كتب الرسول كتاباً لبني زرعة وبني الربعة من جهينة ، أمنهم فيه على انفسهم وأموالهم .^٦ كما كتب لعنوة سجة بن حرملة الجهني من (ذي المروة) ،

١ الاشتقاق (١٨٩) ، الصفة (١٣٢ ، ١٥٤ ، ١٧٠) .

٢ Ency., I, P. 1060.

٣ الاشتقاق (ص ٣١٩ وما بعدها) .

٤ نهاية الأرب (١٧/٤ وما بعدها) .

٥ طبقات ابن سعد (٣٣/١ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/١٨ وما بعدها) .

٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .

وقد (أعطاه ما بين بلكثة الى المصنعة الى الجفلات الى الجدة جبل القبلة لا يحاقه أحد) ، وشهد على صحة الكتاب وكتبه (عقبة) ^١ كما كتب الرسول كتاباً لقوم آخرين من جُهينة ، هم من (بني شنخ) ، وقد (أعطاهم ما خطوا من صفيحة وما حرثوا) ، وكتب الكتاب وشهد عليه (العلاء بن عقبة) . ^٢ كما كتب الرسول كتاباً لبني الجرزم بن ربيعة ، وهم من (جهينة) ، كتبته المغيرة . ^٣ وكتب كتاباً لـ (عمرو بن معبد الجهني) و (بني الحرفة) من جهينة وبني الجرزم ، أهم ما جاء فيه (وما كان من الدين مدوثة لأحد من المسلمين قضى برأس المال وبطل الربا في الرهن . وأن الصدقة في الثمار العشر) . ^٤ ويظهر من ذلك أن هذا الكتاب قد دُوّن بعد نزول الأمر بتحريم الربا .

وبليّ من قبائل قضاعة كذلك ، وتنسب الى بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وتقع ديارها على مقربة من تباء بين ديار جهينة وديار (جذام) ، وهي مثل أكثر قبائل قضاعة ، لا نعرف من تأريخها في الجاهلية شيئاً يذكر . أما في أول ظهور الاسلام ، فقد اشتركت مع القبائل النصرانية في جانب الروم ضد المسلمين . ^٥ ومنهم (مالك بن رافلة) ، قاتل (زيد بن حارثة) يوم (مؤتة) . ^٦

وفي سنة ثمان من الهجرة ارسل الرسول (عمرو بن العاص) الى ارض (بلي) و (عنبرة) ، فلما بلغ موضع (السلاسل) خاف ، فبعث الى رسول الله يستمده ، فأمدّه بجاعة من المهاجرين الأولين ، فيهم (ابو عبيدة بن الجراح) و (ابو بكر) و (عمر) وقد عرفت تلك الغزوة بـ (ذات السلاسل) . ^٧ وقد دخل دين يهود فرع من بليّ ينسب الى (حشنة بن اكارمة) ، وسكن

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) وما بعدها .

٥ الطبري (١٦٠٤/١ ، ١٦١٠ وما بعدها) ، ابن هشام (٧٩٢) ، الاشتقاق (٣٢٢) ،

Ency., I, P. 618, Caussin de Perceval, Essai., III, 212, Blau, in ZDMG., XXII,

664, XXIII, 573.

٦ الاشتقاق (ص ٣٢٢) .

٧ الطبري (٣٢/٣) .

على مقربة من تباء مع يهود ، وظل في هذا الدين وفي هذه الديار الى ان امر
(عمر) باجلائهم عنها في الاسلام .^١

وقد وفد نفر من (بلي) على الرسول ، وكان (شيخ الوفد) (ابو الضباب)
(ابو الضبيب) فأسلم وأسلم من كان معه ، ثم عادوا الى ديارهم .^٢

وتقع الى الجنوب من ديار (بلي) ديار (مزينة) ، وهي في الشرق من
منازل (جُهيئة) والى الغرب من ديار (سعد) والى الشمال من بلاد (خزاعة) .
ويرجع نسب (مَزِينَة) الى (مضر) . وقد وفد قوم منهم الى الرسول فيهم
(خزاعي بن عبد نهم) فبايع الرسول على قومه مزينة ، وقدم معه جماعة من
اعيان مزينة منهم : (بلال بن الحارث) و (النعمان بن مقرن) و (عبيد الله
ابن بردة) ، و (عبد الله بن درة) ، و (بشر بن المحقر) . و (خزاعي)
هو الذي حمل لواء مزينة يوم الفتح ، وكانوا يومئذ ألف رجل ، وهو أخو المغفل
ابي عبد الله بن المغفل وأخو عبد الله ذي البجادين .^٣

وأما وادي القرى ، فهو وادٍ كُثرت قراه ، لذلك قيل له وادي القرى وأهله
عرب ويهود . وهو من المواضع المعروفة بالخصب في جزيرة العرب ، وبه عيون
وآبار .. لذلك اشتهر بالعمار منذ ايام ما قبل الميلاد . فتزلت به قبائل عديدة ، منها
قوم ثمود . وقد جلب خصب هذا الوادي انظار من نزح اليه من اليهود ، فحفروا
فيه الآبار وأساحوا العيون ، وزرعوا فيه النخيل والحبوب ، وعقدوا بينهم حلفاً
وعقداً . ودفعوا عنه قبائل بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وغيرهم من
القبائل .^٤ وعقدوا لهم احلفاً مع القبائل القوية ، لتحميمهم ولتدافع عنهم ،
مقابل جعل سنوي .

وقد غزا الرسول بعد فراغه من خيبر هذا الوادي ، فقاتله اهله ، ففتحـه

1 Ency., I, P. 618.

2 ابن سعد ، طبقات (٣٣٠ / ١) ، نهاية الأرب (٩٠ / ١٨) .

3 طبقات ابن سعد (٢٩١ / ١) وما بعدها ، (دار صادر) ، نهاية الأرب (١٩ / ١٨)
وما بعدها) .

4 البكري ، معجم (٤٥ / ١١) وما بعدها .

عنوة ، وترك الرسول النخل والارض في ايدي اليهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر .^١

وكانت (فلك) حكومة مستقلة كسائر الواحات والقرى في اعالي الحجاز ، اهلها من اليهود ، وعليهم في ايام الرسول (يوشع بن نون اليهودي) ، واليه بُعث (محيصة بن مسعود) لدعوته ولدعوة قومه الى الاسلام .^٢ وبها قوم من (بني مُرة) .^٣ وقوم من (بني سعد بن بكر) .^٤

وكان اهل خيبر من يهود كذلك . يتحكم فيهم رؤساء منهم ، ولهم حصون وآطام تحمي اموالهم ومساكنهم ، فتحت في ايام الرسول بسبب معاداة اهلها للاسلام واتفاقهم مع المشركين . وكان يظاهروهم (غطفان) . ومن حصونهم (حصن ناعم) و (حصن القموص) ، حصن (ابي الحقيق) ، و (الوطيح) و (السلام) ، وكان آخر حصون خيبر و (الشق) و (النظاة) .^٥

وكتب الرسول (بني غاديا) ، وهم قوم من يهود . وكتب كتاب رسول الله اليهم : (خالدة بن سعيد) .^٦ وكتب (خالد) كتاباً آخر الى (بني عريض) وهم ايضاً قوم من يهود ، حدد لهم الرسول ما فرضه عليهم ، يؤدونه لحينه في كل عام .^٧

وكان يهود (بنو قينقاع) ، قد تحالفوا مع الأوس والخزرج ، تحالفوا مع (عبد الله بن ابي سلول) ، كما تحالفوا مع (عبادة بن الصامت) ، وكانوا صاغرة ، ولهم سوق عرف بـ (سوق بني قينقاع) ، وكانوا أشجع يهود . فلما كانت وقعة (بدر) ، اظهروا ميلاً الى قريش ، فحاصروهم الرسول ، ثم غلبهم فأجلاهم عن ديارهم ولحقوا بأذرعات .^٨

- ١ البلدان (٢٧٥/٨) (وادي القرى) ، (٣٤٣/٥) (بروت ١٩٥٧) ، نارسخ الخميس (٥٨/٢) ، البلاذري ، فتوح (٤٧) .
- ٢ ابن الأثير (٩٣/٢) ، البلدان (٣٤٣/٦) وما بعدها .
- ٣ الطبري (٣٢/٣) ، (ذكر معاسم خيبر وأموالها) ، نهاية الأرب (٢٧٢/١٧) .
- ٤ نهاية الأرب (٢٠٩/١٧) .
- ٥ الطبري (٩/٣) وما بعدها .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
- ٧ المصدر نفسه .
- ٨ نهاية الأرب (٦٧/٦٧) ، (ذكر غزوة بني قينقاع) .

ومن منازل (بني لحيان) موضع (غُرَّان) ، وادٍ بين أُمجٍ وعُسفان الى بلد يقال له (ساية) . وهو موضع مرتفع غزاه الرسول غزوته التي عرفت بـ (غزوة بني لحيان) في سنة ست للهجرة^١ . وكان بنو لحيان ومن لافهم من غيرهم قد استجمعوا ، فلما بلغهم إقبال الرسول اليهم هربوا ، فلم يلق كيداً^٢ . واعتصموا في رؤوس الجبال ، فلم يقدر منهم على أحد . ولم تستطع السرايا ان تقبض على أحد منهم ، فرجع الرسول^٣ .

وأقام (القرطاء) ، وهم (بنو قرط) ، (قريظ) من (بني كلاب) ، بناحية (ضرية) ، فبعث رسول الله عليهم (محمد بن مسلمة) ، فاستاق إبلًا وغنماً منهم ، وهرب القرطاء^٤ . وقد أرسل الرسول (أبا بكر) لغزو (بني كلاب) بنجد ، وذلك سنة سبع للهجرة ، وذكر انه غزا (بني فزارة)^٥ . وأرسل عليهم سنة تسع (الضحَّاك بن سفيان الكلابي) ، ومعه (الأصيد بن سلمة بن قرط) ، فلقبهم (بالزج) موضع بنجد ، وتغلب على (القرط)^٦ . ولما غزا الرسول غزوة (الأبواء) ، وهي غزوة (ودَّان) ، وكانت أول غزوة غزاها الرسول ، وادعه (مخشي بن عمرو الضميري) ، وكان سيد (بني ضمير) (بني الضمير) في ذلك الوقت . والأبواء قرية من أعمال (الفرع) من المدينة ، بينها وبين (الجحفا) مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً^٧ .

وتقع ديار (بني مدلج) بناحية (ينبع) ، ومن أرضهم (ذو العشرة) ، وهو لبني مدلج . وقد غزاها الرسول غزوته المعروفة بـ (ذي العشرة) على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره ، فوادعهم ووادع حلفاءهم من (بني سمره)^٨ .

-
- ١ الطبري (٥٩٥/٢) .
 - ٢ البلاذري ، أنساب (٣٤٨/١) .
 - ٣ نهاية الأرب (٢٠٠/١٧) وما بعدها .
 - ٤ نهاية الأرب (٢٠٠/١٧) .
 - ٥ نهاية الأرب (٢٧١/١٧) .
 - ٦ نهاية الأرب (٣٥٠/١٧) وما بعدها .
 - ٧ نهاية الأرب (٤/١٧) .
 - ٨ نهاية الأرب (٦/١٧) .

ويظهر ان هذا الموضع إنما سمي بـ (ذي العشرة) ، نسبة الى الصنم (ذو العشرة) ، كان له معبد في هذا المكان ، فعرف به .

ومن القبائل التي أقامت على مقربة من مكة (خزاعة) ، ومن رجالهم عند ظهور الإسلام ، (عمرو بن الحمق) الكاهن ، صحب النبي وشهد المشاهد مع (عليّ) وقتله (معاوية) بالجزيرة . وكان رأسه أول رأس نصب في الاسلام^١ . و (عمرو بن سالم الخزاعي) ، الذي جاء الى الرسول يشكو تظاهر (بنو بكر ابن عبد مناة بن كنانة) وقريش على خزاعة ، ونكث قريش عهدهم الذي قطعوه للرسول ألا يظاهروا أحداً على خزاعة ، فكان ذلك من عوامل فتح مكة^٢ .

ومن رجال خزاعة (بديل بن ورقاء بن عبد العزّي) ، شريف كتب اليه النبي يدعوه الى الاسلام ، وكان له قدر في الجاهلية بمكة^٣ . ومن بطون خزاعة (بنو المصطلق) ، وعرفوا بـ (بلمصطلق) أيضاً ، وقد كانوا يتزلون بـ (المريسيع) ، وهو ماء لهم ، من ناحية (قديد) الى الساحل . وقد كان قائدهم وسيدهم (الحارث بن أبي ضرار) ، أبو (جويرية) ، التي تزوجها النبي بعد ان خرج اليهم في غزوة (بني المصطلق) من سنة ست . وهم من (خزاعة)^٤ . وكان (الحارث) قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم الى حرب الرسول . فلما وصل الرسول الى (المريسيع) ، تفرق من كان مع الحارث من العرب . وتغلب الرسول على (بني المصطلق) وأخذ منهم أسرى وغنائم ، وكانت (جويرية) في جملة من وقع في الأسر فتزوجها الرسول . ومن بطون خزاعة (بنو الملوّح) ، وكانوا بـ (الكديد)^٥ .

وكان في جملة من يقيم بتهامة (بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة) ، ومن مياهم (الغميصاء)^٦ . ولما توفي الرسول تجمعت بتهامة جموع من مدلج ،

١ الاشتقاق (٢٧٩) .

٢ الطبري (٤٢/٣) ، الاشتقاق (٢٨٠) ، البلاذري ، أنساب (٣٥٣/١) .

٣ الاشتقاق (٢٨٠) .

٤ الطبري (٦٠٤/٢) ، (دار المعارف) ، ارشاد الساري (٣٣٦/٦) .

٥ الطبري (٢٧/٣) وما بعدها ، الاشتقاق (٢٨٠) وما بعدها .

٦ الطبري (٦٦/٣) وما بعدها .

تأشب اليهم شذاذ من خزاعة وأفناء من كنانة ، عليهم جندب بن سلمي ، أحد (بني شتوق) ، من بني مدلج ، فحاربهم (خالد بن أسيد) وشتت شملهم ، وأفلت جندب ، ثم ندّم على ما صنع^١ .

وكتب الرسول لقوم من (أهل تهامة) : بدّل وبسر وسرّوات بني عمرو ، ذكر فيه انه لم يأتهم ما لهم ، ولم يضع في جنبهم ، ثم قال لهم : (وان أكرم أهل تهامة عليّ وأقربهم رحماً مني أنتم ومن تبعكم من المطيبين) . ثم أخبرهم ان (علقمة بن علاثة) قد أسلم . وأسلم (ابنا هوزة وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عكرمة)^٢ .

وينقل (ابن سعد) صورة كتاب كتبه (أبيّ بن كعب) وجهه (لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومزينة والحكم والنقارة ومن اتبعهم من العبيد) ، فلما ظهر رسول الله ، وقوي أمره ، وفد منهم وفد على النبي ، فكتب لهم كتاباً جاء فيه : (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء . انهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حرّ ومولاهم محمد . ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها . وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم . وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان)^٣ .

ويظهر من مضمون هذا الكتاب ، ومن بيان أهل الأخبار عن الذين كانوا قد اعتصموا في جبل تهامة ، انهم كانوا من الخارجين على الأعراف ، ومن الرقيق الآبق ، تجمعوا في هذا المكان المرتفع وتحصنوا وأخذوا يغتصبون منه المارة . وبقوا على ذلك حتى ظهر الرسول على أعدائه ، فوجدوا إذ ذاك انهم لن يتمكنوا بعد ظهور الرسول من الاستمرار في التحرش بالمارّة والتحرز بهذا الجبل ، وان ظروفًا جديدة قد ظهرت ، ستؤمن لهم سبل العيش ، وان الرسول سيعفو عنهم

١ الطبري (٦٧/٣) وما بعدها .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .

ويغفر لهم ما وقع منهم قبل الإسلام ، فجاؤوا اليه وأسلموا عنده . وكتب لهم كتاب أمان بذلك .

ومنازل (كنانة) بتهامة ، وهم فيها قبل الإسلام بأمدٍ طويل .

و (علقمة بن علاثة) : هو (علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب)^١ . وهو الذي نافر (عامر بن الطفيل) عند (هرم بن قطبة بن سنان)^٢ .

وأما (ابنا هوزة) فهما : العداء وعمر بن ابنا خالد بن هوزة من بني عمرو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة^٣ .

وأما (عكرمة) ، فعكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وذكر ان مراد الرسول بـ (ومن تبعكم من المطيين) ، (بنو هاشم) وبنو زهرة ، وبنو الحارث بن فهر ، وتيم بن مرة ، وأسد بن عبد العزى^٤ .

وكتب الرسول الى (العداء بن خالد بن هوزة) ، ومن تبعه من (عامر ابن عكرمة) ، انه (أعطاهم ما بين المصباعدة الى الزح ولوابة) . يعنى لوابة الحرار . وكتب لهم الكتاب : خالد بن سعيد^٥ .

ومن منازل (هذيل) (الرجيع) ، وهو ماء لهم^٦ . ويقع الى الشرق من (هذيل) ديار (ضبة) وديار (عبد مائة) ، وأما في جنوبها فتقع ديار (خثعم) وثقيف ، وتمتد ديارها في الشمال حتى تتصل بديار (بني سليم) ، ومن (هذيل) (سفيان بن خالد بن نبيح الهللي) ، وكان قد جمع جمعاً ليغزو به الرسول ، وكان قد نزل (نخلة) أو (عرنة) ، موضع بقرب عرقة ، أو قرية بوادي عرقة ، فأرسل رسول الله اليه (عبد الله بن أنيس)

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/١) .
- ٢ المحير (١٣٥) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٦ البلاذري ، أنساب (٣٧٥/١) .

فقتله^١ . ومن القبائل المجاورة لهذيل : (فهم) و (عدوان) وكانت ديارهم بالسراة^٢ .

ومن كتب اليهم الرسول ، ودَوَّان (ابن سعد) صور كتبه اليهم : (سعيد ابن سفيان الرعلي) ، وقد أعطاه الرسول (نخل السوارقية وقصرها ، لا يحاقه فيها أحد) . وكتب الكتاب وشهد عليه (خالد بن سعيد)^٣ . و (عتبة بن فرقد) ، وقد أعطاه الرسول موضع دار بمكة ، بينها مما يلي المروة^٤ .

على هذا النحو كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام وفي أوائل أيامه : قوى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها . وأذواء وأقيال في اليمن وحضرموت ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق تفوذ قبائلهم ، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على الرؤوس في السلم وفي الحرب ، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس ، لم تركهم الحصومة من الانصراف الى شؤون رعيتهم ، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف الى ذلك . فتدهورت الأحوال ، وظهر أفراد ينادون باصلاح الحال ، وبالفكر في تحسين الأوضاع وبالتعقل . وكان الصراع بين الفرس والروم ، قد جسر الأعراب على الدولتين . وأخذت النصرانية ترسل المبشرين الى العرب ، لنشر النصرانية بينهم . وتغلب القلم المتصل الحروف ، الذي صار قلم العرب والإسلام على القلم المنفصل الحروف . قلم العرب القديم ، القلم المسند . وانتشر في مكة ويثرب . ونادى الأحناف بنسب الوثنية والأوثان . ونزل الوحي على الرسول في أول العشر الثاني من القرن السابع للميلاد . وظهر الإسلام داعياً العرب وغيرهم الى الإيمان بإله واحد خالق لهذا الكون . وبرسالة رسوله وبما جاء به من أوامر وأحكام . فكان ظهوره نهاية للجاهلية ، وبداية لعهد جديد ، عهد الإسلام .

وبظهور الإسلام على أعدائه في جزيرة العرب ، وبقضائه على أهل الردة ، أوجد لجزيرة العرب وجهاً جديداً من وجوه الحياة ، لم تشهده في حياتها ولم

١ نهاية الأرب (١٢٨/١٧) وما بعدها .

٢ البكري ، معجم (٨٨/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

تعرفه . فقد أوجد الإسلام لأهلها موارد غنية من موارد الرزق ، وبسط لهم الأرض من الصين الى المحيط (الاطلانطي) وأخرج سكانها من ديارهم الفقيرة وأنزلهم في ديار غنية كثيرة السكان . وعرفوا بذلك نظاماً لم تكن مألوفة عندهم ، وأما لم يسمع أكثرهم بها ، وخرج المؤمنون الأولون والمؤلفة قلوبهم ومن دخل الإسلام وقلبه غير مطمئن به ، الى خارج جزيرة العرب يحكمون باسم الإسلام . حدث كل ذلك في مدة لا تعدّ طويلة بالنسبة الى ما وقع فيها من أحداث .

فالإسلام ، إذن نهاية حياة قديمة ، وبداية حياة جديدة ، تختلف عن الحياة الأولى كل الاختلاف .

الفصل الخامس والأربعون

المجتمع العربي

المجتمع العربي : بدو وحضر . أهل وبر وأهل مدر ، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال وعرب الجنوب وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب الأخرى .

وقسم بعضهم عرب الجاهلية الى ملوك وغير ملوك . وقسموا سائر الناس بعد الملوك الى طبقتين : أهل مدر وأهل وبر . فأما أهل المدر ، فهم الحواضر وسكان القرى ، وكانوا يعيشون من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة . وأما أهل الوبر ، فهم قطان الصحارى يعيشون من ألبان الإبل ولحومها ، منتجعين منابت الكلاً ، مرتادين لمواقع القطر ، فيخيمون هنالك ما ساعدتهم الخصب وأمكنهم الرعي ، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه ، فلا يزالون في حلّ وترحال^١ .

ويعرف الحضر ، وهم العرب المستقرون بـ (أهل المدر) ، عرفوا بذلك لأن أبنية الحضر إنما هي بالمدر . والمدر : قطع الطين اليابس . قال (عامر للنبي ، صلى الله عليه وسلم : لنا الوبر ولكم المدر) ، فغنى به المدن أو الحضر^٢ . ومن هنا قيل للحضر : بنو مدراء^٣ . وورد في حديث (الجساسة والدجال) :

١ ابن العبري ، مختصر البول ، (١٥٨ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٦٢/٥) ، (مدر) .

٣ اللسان (١٦٢/٥) ، (مدر) .

(تبعه أهل الحجر وأهل المدر ، يريد أهل البوادي الذين يسكنون مواضع الأحجار والرمال ، وأهل المدر ، أهل البادية)^١ . ويظهر من روايات أخرى ان (أهل المدر) هم أهل البادية . ولكن أكثرها ان (أهل المدر) ، هم الحضر ، لأن اتخاذ بيوت المدر لا يكون في البادية ، بل في الحضر .

وورد أن أهل البادية إنما قيل لهم (أهل الوبر) ، لأن لهم أخبية الوبر . تمييزاً لهم عن أهل الحضر الذين لهم مبان من المدر ، ومن هنا قيل للقرية (المدر) ، لأنها مبنية بالطين واللبن ، وذكر ان (المدر) القرية والمدينة الضخمة أيضاً ، لأن المدن تبنى بالمدر أيضاً . ومن هنا قيل للحضر عموماً : بنو مدرء^٢ .

ويذكر علماء اللغة ان الحضر والحاضرة والحضارة خلاف البادية والبدوة والبدو . والحضارة الإقامة في الحضر . والحاضر والحضر هي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار^٣ . وقد عرفوا بأهل القارية ، وذلك في مقابل أهل البادية ، لأهل البدو^٤ .

و (أهل القرار) ، هم الحضر ، لأنهم اختاروا القرار وأحبوا الاستقرار والإقامة في مكان واحد . ولأن الطبيعة حبتهم بكل شيء يغري على الارتباط بالأرض ، ولو ولد الأعرابي بين الحضر وتوفر لديه ما يؤمن له رزقه الدائم في مكانه الذي ولد فيه ، لما تنقل وارتحل ، ولصار حضرياً من دون شك مثل سائر أهل الحضر . ولكن الطبيعة حرمتهم من نعم الاستقرار ، فصار بدوياً يتتبع العشب والماء . فالطبيعة هي المسؤولة عن البدوة وعن انتشارها في جزيرة العرب .

ومن هنا قيل للحضري الذي لا يتتبع ويكون من أهل الأمصار (القراري) . ولما كان أكثر (أهل القرار) ، هم من الصناع ، قيل لكل صانع (قراري) .

١ اللسان (١٦٦/٤) ، (حجر) .

٢ تاج العروس (٥٣٥/٣) ، (مدر) .

٣ تاج العروس (١٤٦/٣) ، (حضر) .

٤ اللسان (١٧٨/١٥) ، (قرأ) .

وذكر بعض علماء اللغة ان (القراري) : الخياط . واستشهدوا على ذلك ببيت شعر للأعشى ، هو :

يشق الأمور ويحتاجها كشق القراري ثوب الرदन

وذكر بعض آخر انه القصباب . وقد تجوز الناس فيما بعد ، فقالوا : خياط قراري ، ونجار قراري^١ .

ويقال لسكن القرية القاري^٢ ، كما يقال لسكن البادية البادي . والقارية سكنة القرى أي خلاف البادية والأعراب . والقرية كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً . وتقع على المدن وغيرها^٣ . وسكانها من الحضر . ويذكر علماء اللغة ان (المدينة من مدّن ، بمعنى أقام بمكان . ويراد بها الحصن يبنى في اصطمة الأرض^٤ . وتقابلها لفظة (مدينتو) في الآرامية^٥ . و (هكرن) (هكر) (هجر) في العربية الجنوبية . وأما (البلدة) ، فذكر علماء اللغة انها كل موضع أو قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو عامرة ؛ خالية أو مسكونة^٦ . فالبلدة ، إذن من مواطن الحضر أيضاً .

وقد كان من الصعب التمييز عند الشعوب القديمة بين القرى والبلدان والمدن . وكل بلدة أو مدينة كانت قرية في الأصل ، أي مستوطنة صغيرة غير محصنة ، وعندما ازداد عدد سكانها ، وكثر عمرانها ومالها لأسباب عديدة ، توسعت وحصن أهلها أنفسهم بحصون وبأطم أو بسور وخندق يحيط به لمنع العدو من الدنو منها^٦ . وهذه التحصينات وبكثرة عدد السكان تميزت هذه المستوطنات السكنية بعضها عن بعض ، ولهذا كانت الشعوب القديمة لا تطلق لفظة (مدينة) إلا على القرى المحصنة المسورة ، وفي ضمن هذه الشعوب العرب .

وتطلق لفظة (عرب) على أهل المدر خاصة ، أي على الحضر و (الحاضر)

-
- ١ تاج العروس (٤٩٠/٣) ، (قرر) .
 - ٢ تاج العروس (٢٩٠/١٠) ، (قرى) .
 - ٣ تاج العروس (٣٤٢/٩) ، (مدن) .
 - ٤ غرائب اللغة (٢٠٥) .
 - ٥ تاج العروس (٣٠٥/٢) ، (بلد) .
 - ٦ قاموس الكتاب المقدس (٣٢١/٢) ، (مدينة) .

Hastings, P. 143, 944, 958.

و (الحاضرة) من العرب ، اما اهل البادية ، فعرفوا بـ (اعراب) . مع ان كلمة (العرب) قد أطلقت في لغتنا لتشمل العربين : عرب الحاضرة وعرب البادية .^١ ويظهر ان هذا الاطلاق انما وضع قبيل الاسلام . فقد سبق لي أن بينت في الجزء الاول من هذا الكتاب تأريخ كلمة (عرب) ، وبينت كيف تطورت اللفظة الى ظهور الاسلام ، وقد رأينا أنها كانت تعني اهل البادية ، أي الاعراب في الأصل . أما الحضرة فعرفوا بأسماء أماكنهم أو قبائلهم ، وآية ذلك أن التوراة والكتابات الآشورية والبابلية بل والجاهلية ، أي الكتابات العربية التي تعود الى ما قبل الاسلام ، كانت كلها اذا ذكرت الحضرة ، ذكروهم بأسمائهم ، ولم تطلق عليهم لفظة (عرب) ، أما اذا ذكرت اهل البادية ، فإنها تستعمل لفظة (عرب) و (عربي) ، أي أعراب وأعرابي مع أسمائهم ، وذلك مثل (جندب) ، وهو رئيس قبيلة ، وقد حارب الآشوريين ، فقد دعي في الكتابات الآشورية بـ (جندب العربي) ، أو (جندب الأعرابي) بتعبير أصبح ، ومثل (جشم) الذي نعت في سفر (نحميا) من أسفار التوراة بـ (جشم العربي) اشارة الى كونه من الاعراب ، لا من الحضرة ، وهو من الملوك كما سبق أن تحدثت عنه في الجزء الاول من هذا الكتاب .^٢ الى غير ذلك من أمثلة تحدثت عنها في أثناء حديثي عن لفظة عرب .

اما (يقطن) وهو (قحطان) : ونسله مثل : سبأ وحضرموت . واما (اسماعيل) ونسله ، وأما اهل (تيماء) و (مدين) وأمثالهم ، فلم تطلق التوراة عليهم لفظة (عرب) ، لأنهم لم يكونوا اعراباً ، بل كانوا حضراً ، ولهذا ذكروهم بأسمائهم ، فاستعمال (عرب) اذن بمعنى اهل الحضرة والحاضرة ، او اهل المدر ، هو استعمال متأخر ، ظهر بعد الميلاد .

لقد ذهب علماء العربية كما سبق ان بينت في الجزء الاول من هذا الكتاب ، الى ان العربية هي لغة (يعرب) ، وهو اول من اعرّب بلسانه على حدّ قولهم ، وذهبوا الى ان العدنانيين متعربون ، ولم يكونوا عرباً في الاصل ، ثم تعلموا

١ بلوغ الأرب (١٢/١) .

٢ (ص ٦٤٦ وما بعدها) .

واختلطوا بالعرب حتى صاروا طبقة خاصة منهم .^١ وذهبوا الى ان التبابعة كانوا عرباً ينظمون الشعر بالعربية التي نظم بها الشعراء الجاهليون شعرهم . ثم ذهبوا الى ان (حير) كانت تتكلم بلسان غريب عسلة بعض العلماء غير عربي .^٢ مع انها من لبّ العرب الصرحاء على حسب رأيهم ، ولم يبينوا كيف وقع ذلك عندهم ، الى آخر ما نراه عندهم من آراء ، لم تن على دراسات تاريخية اصلية ونصوص جاهلية .

ولو كان المذكورون احياء في هذا اليوم ، ولو كانوا قد وقفوا على النصوص الجاهلية المختلفة وقرواها ، لغَيروا رأيهم حتماً من غير ريب ، ولقالوا قولاً آخر غير قولهم المتقدم في العربية وفي سبب تسميتها . فعربية القرآن الكريم هي عربية اهل مكة وما والاها ، وهي عربية الاعراب ، اي عربية اهل البادية . اما عربية اهل اليمن ، وهم صلب القحطانية ، فعربية اخرى . وان اردت قولاً اصح تعبيراً وأدق تحديداً ، فقل : عربيات اخرى . فعربية يعرب ان تجاوزت وجاريت رأي اهل الانساب والاعراب وقلت قولهم في وجود جدّ وهو يعرب ، يجب ان تكون عربية اخرى ، بل عربيات مخالفة لعربية اهل مكة ، وذلك استناداً الى النصوص الجاهلية المدونة بأقلام ابنائه وحفدته والواصلة الينا . ولما كانت اللغة العربية ، هي عربية القرآن الكريم في رأي علماء اللغة ، وهي عندهم وحدها اللغة الفصحى ، وأشرف لغات العرب ، اذن فلغة يعرب على هذا القياس لغة اعجمية غير عربية ، او عربية من الدرجات الدنيا ان اردنا التساهل في القول . وعندئذ يكون يعرب هو العربي المتعرب ، ويكون نسله على وفق هذا المنطق ، هم العرب المستعربة ، لا العرب العدنانيين .

ويكون العدنانيون هم أصل العرب ولبّها والعرب العاربة الأولى ، أي عكس ما يراه ويزعمه اهل الاخبار . أحكي هذا القول بالطبع متجاوزاً أو مجازياً رأي اهل الاخبار ولا أحكيه لأنني أراه ، فأنا لست من المؤمنين بمثل هذه الاقاصيص التي يقصها علينا القصّاص ، ولا سيما قصّاص اهل اليمن من امثال وهب بن منبه وابن اخته ، أو ابن الكلبي ، وبعض القصّاص الذين هم من اصل يهودي

١ تاج العروس (٣٧١/١) ، (عرب) .

٢ الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٥/١ وما بعدها) .

مثل وهب المذكور ومحمد بن كعب القرظي . فرأسي أن كل لغات العرب الجاهلية هي لغات عربية ، وأنها كانت متباينة عديدة ، وبعضها لغات وصلت مرحلة التدوين مثل المعينية والسبئية والقنانية والحضرية وغيرها . ولغات تصل الى درجة التدوين عند المتكلمين بها ، لا يمكن أن تعد لغات سوقة ولهجات عامة .

وبعد فلست أرى أن بين (يعرب) المزعوم ، وبين لفظة (العربية) والعرب أية رابطة أو صلة ، وأن الصلة المزعومة المذكورة التي يذكرها أهل الاخبار في تفسير اللفظة ، هي صلة خلقت خلقاً وصنعت صنعاً ، لكي يجد صانعوها لهم مخرجاً في تفسيرها ، وليس تفسيرهم هذا هو أول تفسير أوجدوه ، فلدينا مئات من التفاسير المصنوعة ، لألفاظ أشكل أمرها على الرواة وأهل الاخبار ، فوضعوا لها تفسيرات على هذا النمط ، ليظهروا أنفسهم مظهر العالمين بكل شيء .

هذا وقد قلنا ان العربية هي بمعنى الاعرابية ، أي البداوة في لغة الأعاجم وفي لغات أهل جزيرة العرب أنفسهم ، وهي نسبة الى العرب ، والعرب هم الأعراب في البدو في لغات المذكورين . فتكون العربية اذن بمعنى عربية الاعراب : أي لغة أهل الوبر ، وقد نسبت اليها ، لا الى يعرب بن قحطان . وهي بالطبع لم تكن لهجة واحدة ، أي عربية واحدة ، بل كانت لهجات . قيل لها عربية ، لأن الاعراب وان كانوا قبائل ، تجمع بينهم رابطة واحدة ، هي رابطة البداوة ، فكانهم طبقة واحدة ، تقابلهم طبقة (أهل المدر) ، وهم الحضر . لذلك نعت لسانهم بلسان عربي . ولما كانت البداوة أعم من الحضارة في بادية الشام وفي طرفي الهلال الخصيب ونجد والحجاز والعربية الشرقية ، صار لسانها اللسان الغالب في هذه الأرضين ، ولبسانها نظم الشعراء شعرهم ، ولبسان عرب الحجاز نزل القرآن الكريم ، فصار لسانهم لسان الوحي والاسلام .

ومن ثم صار اعتماد اوائل علماء العربية في دراستهم لقواعد اللغة من نحو وصرف ومن استشهاد بشواهد على (العرب) ، أي أهل الوبر من ابناء البادية ، من الاعراب المعروفين بصدق لسانهم وبصحة اعرابيتهم وبدعم تأثير ألسنتهم بألسنة الحضر من أهل الحواضر ، بل لم يكتف اؤلئك العلماء بألسنة هؤلاء الاعراب القادمين عليهم من البوادي ، لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، فركبوا ابلهم وذهبوا بأنفسهم الى صميم البوادي البعيدة عن الحضر ، ليأخذوا اللغة صافية نقية من افواه رجالها الأصلاء الذين لم يتعلموا خدع أهل الحضارة وغشهم وكذبهم ، ولم تنحرف

أُستُهم عن ألسنة أجدادهم ، ولم تتأثر بأحرف الأعاجم المندسين في القرى والمدن والأرياف . فكان (سيويه) مثلاً اذا استشهد بشاهد أشار الى أنه من (العرب الذين ترضى عربيتهم) أو من (العرب الموثوق بعريتهم)^١ ، أو من (العرب الموثوق بهم) ، أو من (فصحاء العرب) . وكان يرى أن لسان اهل الحجاز هو (الأول والأقدم)^٢ . وكان علماء اللغة اذا اختلفوا في شيء من اللغة من ألفاظ أو قواعد ، حكّموا أهل البادية ، اي الأعراب فيما شجر بينهم من خلاف ، حتى وإن كان اولئك العلماء من اوثق الناس علماً بعلم العربية ، فحكموا الاعراب مثلاً في المناظرة اللغوية التي وقعت بين سيويه والكسائي والأخفش في حضرة (يحيى بن خالد) مع أنهم اعلم الناس بعلوم العربية^٣ . وقد اورد (ابن الديم) اسماء عدد من (الاعراب) كان علماء العربية يلجؤون اليهم في الملمات ، ويأخذون عنهم ، ويحكمونهم فيما يقع بينهم من خلاف . فهم (حُكّام) ذلك الزمن وقضاته ، يحكمون في منازعات الناس في اللغة .^٤

والحد الفاصل بين الحضارة والبادية ، هو طراز الحياة ونوعها ، فالحضر اهل قرار . والاعراب ينتجعون ويتبعون مساقط الغيث يرعون الكلأ والعشب اذا اعشبت البلاد ، ويشربون (الكرع) وهو ماء السماء ، فلا يزالون في النجع الى ان يهيج العشب من عام قابل وتنش الغدران ، فيرجعون الى محاضرهم على إعداد المياه .^٥ وحياتهم على الإبل فلا يعتنون بترية ماشية غيرها . ومن هنا اقترنت البداوة بالبادية وبترية الإبل ، التي تنفرد عن غيرها من الحيوانات بقابليتها على المعيشة في البادية وبقوة صبرها على تحمل الجوع والعطش اياماً ، بينما تقصر هم الحيوانات الاخرى عن مجاراتها في هذا الباب . ومن هنا تقصد بالاعراب : البدو الحقيقيين ابناء البادية وأصحاب الجمال الذين ينتجعون ويتبعون مساقط الغيث ويشربون الكرع ويكون تماسهم بالحضارة والحضر قليلاً .^٦

-
- ١ الكتاب (٩٣/١ ، ١٥٣ ، ٤٥١) ، (٢٦٤/٢ ، ٤٢٣ ، ٤٥١) .
 - ٢ الكتاب (٤١/٢ ، ٤٢٤) ، يوهان فك ، العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، (ص ٥٠ وما بعدها) ، (تعريب عبد الحليم النجار) .
 - ٣ الفهرست (٨٢ وما بعدها) .
 - ٤ الفهرست (ص ٧١ وما بعدها) .
 - ٥ تاج العروس (٥١٩/٥) ، (نجع) .
 - ٦ De Vaux, Ancient Israel, P. 3.

وما أقوله يخصُّ أعراب نجد وبادية الشام بالدرجة الأولى . أما أعراب العربية الجنوبية ، فإن وضعهم يختلف عن وضع هؤلاء الأعراب . فهم وإن عدوا أعراباً ونُص عليهم بـ (أعرب) (أعراب) في نصوص المسند . لكنهم لم يكونوا أعراباً نقلاً ، يعيشون على تربية الإبل والغارات وعلى بعض الزراعة وكره الاشتغال بالحرف ، بل كانوا شبه مستقرين سكنوا خارج المدن والقرى في مستوطنات متجمعة مؤلفة من بيوت وأكواخ وعشش من طين . ومارسوا تربية الإبل والماشية الأخرى ، واشتغلوا بالزراعة والحرف اليدوية لم يجدوا في ذلك بأساً . وكانوا يغيرون على الحضر إن وجدوا فرصة مؤاتية ولم يكونوا اقرباء بالنسبة إلى الحضر ، لوجود حكومات منظمة ، في استطاعتها ضربهم إن تحرشوا بأهل المدن والقرى . ولهذا لا نجد للأعراب ذكراً في نصوص المسند القديمة ولم يظهر اسمهم فيها كقوة ضاربة إلا بعد الميلاد وقبيل الإسلام . حين ارتبك الوضع السياسي في العربية الجنوبية ، وتدخل الحبش في شؤونها ، وولع بعض ملوكها مثل الملك (شهر يهرعش) في إثارة الحروب . مما أفسح المجال للأعراب فجزبوا حظهم بالدخول في لعب الحروب . فلما وجدوا لهم حظاً حسناً وربحاً طيباً ، مارسوها مع هذا الحاكم أو ذاك ، وظهر اسمهم عندئذ في المسند . بل دخل في اللقب الرسمي الذي حمله الملوك فصار اللقب : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في المضاب وفي التهائم) . وطمع أعراب نجد في الحصول على مغامرات في العربية الجنوبية فارتحلوا نحوها ، وزاد بذلك عدد الأعراب . ومن هؤلاء كندة الذين تركوا ديارهم بنجد بعد نكبتهم وانضموا إلى إخوانهم في العربية الجنوبية فصار لهم فيها شأن كبير ، حتى ذكروا في النصوص ، ومنها نصوص أبرهة .

ومعاش الحضر ، على الأرض يزرعونها ويعيشون عليها ، أو على التجارة أو على الحرف اليدوية ونحوها . ومن طبيعة أهل الحضر الاستقرار في أرض تكون وطناً ثابتاً لهم ، ومقاماً يقيمون فيه فيحبونه ويموتون في سبيله . أما أهل الوب ، فهم رحّل ، ينتقلون طلباً للماء والكأ والامتيار ، فوطنهم متنقل فلق غير مستقر . الأرض كلها وطنهم ، ولكنها الأرض التي يكونون فيها ، فإذا ما ارتحلوا عنها ، صارت الأرض الجديدة وطناً لهم جديداً . أما الأرض القديمة فتكون وطناً لمن يحل فيها من طاريء جديد أو طاريء قديم .

والمشهور عند العرب وعند الأعاجم ، أن العرب قوم يكرهون الزراعة والاشتغال

بالحرف والصناعات . ويستخفون بشأن من يشتغل بها ويزدرونه ، فلا يتزوجون منه ولا يزوجه منهم . وينطبق هذا القول على الاعراب وعلى بعض الحضرة الى حد ما . لكنه لم ينطبق على كل العرب . فالعرب الحضرة ، الذين وُجد الماء بغزارة عندهم ، غرسوا الأشجار أيضاً وزرعوا ، لم يجدوا في ذلك خسة ولا ذناء . والعرب الذين توفرت لهم مواد العمل وظروف العمل ، اشتغلوا بالحرف والصناعات ، كما هو شأن الطائف والعربية الجنوبية بل وبعض رجال مكة ايضاً . أما الذين ازدروها وكرهوها فهم الذين لم تتوفر لهم الاسباب التي تغريهم على الاشتغال بالحرف والصناعات ، ولم تتوفر لديهم المواد الأولية ولا الظروف المساعدة على قيام الحرف . لذلك كرهوها كره من يكره شيئاً لأنه لا يملكه ولا يئاله ، أو لأن يده لا تصل اليه ، ولو ملكه لغير حكمه عليه من غير شك .

وقد أشار (أمية بن خلف الهذلي) الى اشتغال أهل اليمن بالحرف ، بقوله :

يمانياً يظل يشدّ كبراً وينفخ دائماً لذب الشواظ^١

وقد أمدّ أهل اليمن الحجاز وأماكن أخرى من جزيرة العرب بالسيف وبمصنوعات المعادن وبالبرد والأنسجة الأخرى . كما عرفوا باتقانهم البناء والتجارة وغير ذلك من حرف الحضرة ، التي أشير إليها في الشعر الجاهلي .

وقد عيب على أهل اليمن اشتغالهم بالحرف : كالحداثة والحياكة والصياغة وما شاكل ذلك من حرف ، على نحو ما تحدثت عن ذلك في فصل : (طبيعة العقلية العربية) . ولكن من عابهم كان عالة عليهم وعلى غيرهم من أهل الحرف في أكثر الأمور التي كانت تخص شؤون حياتهم اليومية ، كالسيف والخناجر الجيدة مثلاً التي هي عماد المحافظة على حياة الإنسان في البادية . كما اعترف لهم بالتفوق على من كان يزدرى الصناعة والحرف . فكانوا يخافونهم في الحروب ، ويهابونهم عند القتال ، لامتلاكهم أسلحة لا يملكونها هم . وكانوا يلجئون اليهم لتنصيب رئيس منهم عليهم . تهابه القبائل لصعوبة انصياع القبائل لقيادة رئيس منها ، بسبب التحاسد القبلي ، كما كانوا يخضعون لحكم أهل اليمن بسبب تفوقهم عليهم في السلاح وفي الثقافة الى غير ذلك من أسباب ترجع في الواقع الى الطبيعة التي

١ تاج العروس (٣٧١/٩) ، (يمن) .

عظفت على الياباني وعلى العربي الجنوبي ، ففوقته على الاعراب .

ولما كانت طبيعة الجفاف هي الغالبة على جزيرة العرب ، كان لهذه الطبيعة أثراً في حياة العرب ، فغلبت البداوة على الاستقرار ، وأثرت في النظم والآراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحرية وفي سائر نواحي الحياة الأخرى . لقد حالت دون قيام المجتمعات الكبرى القائمة على الاستقرار والاستيطان واستغلال الأرض ، وجعلت من الصعب قيام الدول الكبيرة في هذه البلاد ، وتكوين حكومات تقوم على احترام حقوق جميع أبناء الحكومة دون نظر الى البيوتات والعشائر والقبائل والرئاسات .

وفي الأماكن التي توافرت فيها المياه ، المياه التابعة من الأرض او النازلة من السماء ، نشأت مجتمعات مستقرة ، وظهرت حكومات ، غير أنها حكومات تختلف طابعها وشكلها باختلاف المحيط الذي ظهرت فيه ، والأحوال الطبيعية التي ألت بها ، والقدرة المادية التي تيسرت لديها . فيها الحكومات الصغيرة التي قد تكون حكومات (قرية) ، أو رئاسات عشائر ، وفيها ما يمكن أن يعبر عنه بحكومات مدن ، إن جاز اطلاق مصطلح (المدن) عليها ، وفيها حكومات أكبر وأوسع مثل حكومات الحيرة والغساسنة ، وفيها حكومات مثل حكومات العرب الجنوبيين ، وهي حكومات كبيرة اذا قيست الى الحكومات التي كونها سادات القبائل في أنحاء أخرى من جزيرة العرب ، ولم تعمر طويلاً ، بل كانت مثل رغبة الصابون ، لا تكاد تنتفخ حتى تزول ، وذلك لأسباب وعوامل لا يتسع لها صدر هذا المكان .

فالتبيعة هي التي صيّرت العرب على هذا الحال ، وهي التي غلبت عليهم البداوة . إذ حرمتهم من الماء وجادت عليهم برمال تلفح الوحوه ، وبسموم مؤذية وبجراحة شديدة ، وبأرض متسعة تظهر وكأنها بحر من رمل لا حد له ، صيّرت من ولد فيها انساناً قلقاً هائماً على وجهه ، يتنقل من مكان الى مكان بحثاً عن ماء وأكل . خلا الأماكن السخية التي خرجت منها دموع جرت فوق الأرض بقدر وبمقدار ، أو مواضع قَرُبَ الماء فيها من سطح التربة فاستنبطه الانسان ، أو أماكن انهمرت من سمائها العاشقة للأرض دموع جبهها في مواسم من السنة فأصابها الأرض بطل ، فاستهوت الانسان ، واستقر بها وتحضر . وصار العرب من ثم بدواً وحضراً ، أهل بادية وأهل حاضرة .

ومن آيات ذلك ، أننا نجد قبيلة واحدة ، فيها بادية وفيها حاضرة ، استقرت وتحضرت وسكنت في بيوت ثابتة ، لا يهمل أكانت بيوتها من صخر أو من حجر أو من ملد أو من بيوت شعر ، إنما المهم أنها بيوت ثابتة ارتبطت بالأرض ، شعرُ قُطانها أن لهم صلة بهذه الأرض وأن لهم بها رابطة ، لا يحلّ عقدها إلا الموت أو الضرورات القصوى . فقريش حاضرة وبادية . وجهينة حضر ، أقاموا بينع وقرية (الصفراء) ، وأعراب هبطوا رضوى و (عزْوَرة)^١ . و (همدان) حاضرة وبادية . ونهد حضر ، وهم من سكن الصفراء منهم ، وأهل وبر ، وهم من سكن دون الملد في جبلي رضوى وعزْوَرة^٢ . وتنوخ حضر ، وتنوخ أهل بادية وتنقل . إلى غير ذلك من قبائل ، استقرت أحياء منها ، وتبدت أحياء أخرى منها .

ثم إننا نجد قرى متشرة في مواضع من العربية الغربية وفي نجد والعربية الشرقية أو العربية الجنوبية ، وقد سكنها قوم عرب حضر زرعوا وحفروا لهم الآبار وتعهدوا العيون بالرعاية ليستفيدوا من مياهها ، وجاءوا بأشجار من الخارج لزرعها هناك . وفي كتب (الهمداني) و (عرام) ، وكتب غيرهما من بحث عن جزيرة العرب أسماء قرى ومدن جاهلية ، كانت ذات مزارع وحدائق ، أما اليوم ، فبعضها أثر ، وبعض منها قد زال وذهب مع الذاهبين ، لم يترك له حتى بقية من أثر . وتلك المواضع هي دليل في حدّ ذاته على أن الماء إذا وُجد في مكان ما أكره سكانه على الاستقرار به ، وأجبر قسماً من أهله على الاشتغال بالزراعة . ولم ينضب الماء من تلقاء نفسه عن المواضع التي اندثرت وماتت وإنما وقعت أحداث لا مجال لي للبحث عنها في هذا المكان ، ومنها الهجرة إلى خارج جزيرة العرب بالفتح وتحول الطرق التجارية العامة وإعراض الحكومات عن الاهتمام بشؤون جزيرة العرب ونحوها ، فأكرهت السكان على الارتحال عنها ، فأهملت آبارها وترستها الرمال فجفت وذهب ماؤها عنها .

وفي تلك المواضع التي توفرت فيها المياه من مطر وعيون وآبار ومياه جوفية

١ بفتح العين وسكون الزاي وفتح الواو ، اللسان (٥٦٣/٤) ، (عزر) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (٨ ومه بعدها) .

٢ عرام (٧) .

قرية من سطح الأرض ظهرت الحضارة على شكل قرى ومستوطنات وأسواق موسمية ، كان لها كلها أثر خطير في حياة العرب عموماً من عرب وأعرب . لما كان يقع فيها من اتصال ومن تبادل آراء بين الحضرة والبدو ، وبين هؤلاء جميعاً وبين الأعاجم الذين كانوا يؤمنونها للتجار بها بصورة مؤقتة أو دائمة ، حيث كانوا يقيمون بها إقامة طويلة أو أبدية ، وبالأعاجم الذين كانوا يقيمون فيها رقيقاً مملوكاً لمن اشتراهم من الملاكين . وبذلك حدث نوع من التلقيح في الآراء والأفكار وفي شؤون الحياة : تلقيح مهما قيل فيه وفي درجته ، فإنه تلقيح على كل حال ^١ . وهذه المواضع هي التي كونت وخلقت تأريخ العرب فيما قبل الإسلام .

وقد نبّه (الجاحظ) الى الاختلاف بين البدوي والحضري ، والسهلي والجبلي ، فأشار الى اختلاف ما بين الطائي الجبلي والطائي السهلي ، والى اختلاف ما بين من نزل البطون وبين من نزل الحزون ، وبين من نزل النجود وبين من نزل الأغوار ، ثم الى ما ترك هذا الاختلاف في المواضع والمكان من أثر في اختلاف اللغة ، فتخالفت عليها تميم ، وسفلى قيس ، وعجز هوازن وفصحاء الحجاز في اللغة . وهي في أكثرها على خلاف لغة حمير ، وسكان مخاليف اليمن . (وكذلك في الصورة والشئائل والأخلاق . وكلهم مع ذلك عربي خالص) . وأشار الى ما تركه هذا السكن من أثر في أخلاق العرب ، حتى يقال : (إن هذيلاً أكراد العرب) ^٢ . بسبب طباعهم وصبرهم على تحمل القتال .

كما أشار (الجاحظ) الى ان هذا الاختلاف ظاهر في العرب جميعاً ، قحطانيين وعدنانيين . ومع ذلك فهم كلهم عرب ، لأنهم استقروا في التربة وفي اللغة والشئائل والهمة وفي الأنفة والحمية ، وفي الأخلاق والسجية ، فسبكوا سبكاً واحداً ، وأفرغوا أفرغاً واحداً ^٣ .

وكان من أثر اختلاف طبيعة الجو والأرض والضغط الجوية في أهل جزيرة العرب ، ان صار لأهل المدر مجتمع يختلف في شكله وتكوينه عن مجتمع أهل الوبر ، وان صار مجتمع أهل المدر جملة مجتمعات اختلفت في تكوينها باختلاف

^١ Hastings, Dictionary of the Bible I, P. 133.

^٢ رسائل الجاحظ (١٠/١ ، ٧١) ، (مناقب الترك) .

^٣ رسائل الجاحظ (١٠/١ وما بعدها) ، (مناقب الترك) .

الظروف المؤثرة التي تحدث عنها ، وباختلاف المؤثرات الخارجية المحيطة بها أو المجاورة لها والقرية منها في ظروف تلك المجتمعات . وصار من ثم مجتمع العرب الجنوبيين ، ولا سيما مجتمع اليمن ، مجتمعاً خاصاً له طبيعة خاصة وشخصية مستقلة متأثرة بظروف اليمن الكلية من طبيعة أرض وطبيعة جو ، وصار لأهل مكة وهم أشبه بأهل الحضر مجتمع خاص له طابع متميز ، وصار لأهل الحيرة طابع خاص م ، وصار لأهل يثرب كذلك مجتمع وطبيعة خاصة متميزة ، وهكذا قل عن بقية المجتمعات الحضرية .

فمجتمع اليمن مثلاً مجتمع خاص نجد فيه صفات المجتمع الحضري أكثر مما نراه في أي مجتمع حضري آخر في جزيرة العرب ، مجتمع يختلف حتى (عربه) أي بدوه وهم الطبقة الثانية من هذا المجتمع ، عن أعراب بقية جزيرة العرب . فهم بالقياس إلى بدو الجزيرة شبه أعراب ، ووسط بين البداوة والصرفة وبين أدنى درجات الحياة الحضرية الساذجة ، المستندة إلى الاستقرار والتعلق بالأرض . ومجتمع اليمن الحضري مجتمع استغل عقله ويده في سبيل تكييف حياته وإسعاد أيامه في الدنيا ، فاستغل الأرض وكيفها بحسب قدره واستعداداته في إنتاج الغلة الزراعية وفي إنتاج المعادن وفي تربية الحيوان ، وأقام له قصوراً وحصوناً ، واستورد آلات حية يستعملها وتيسر له ما يحتاج إليه - استوردها من كل الأنحاء من الشمال ومن العراق ومن بلاد الشام ، واستوردها من إفريقية . وسخرها في استغلال الأرض وفي إقامة الأبنية وفي أداء الأعمال اليدوية التي تحتاج إلى حلق ومهارة ، فتفوق هذا المجتمع من ثم ومزايا إقليمه من جو وأرض على المجتمعات العربية الأخرى ، وأنتج حضارة لا نجد لها مثيلاً في بقية أنحاء جزيرة العرب .

فعرف اليمن في جاهليته واشتهر بمهارته وبحذقه بحرف وبمنتجات بقي ذكرها خالداً إلى الإسلام ، وتميز عن غيره بحسن الذوق وبالبراعة في استعمال أنامله . وحين برع بقية عرب الجزيرة في التعبير عن أحاسيسهم بكلام منظوم ، نجد عرب اليمن وبقية العربية الجنوبية يعبرون عن أحاسيسهم بنقشها على المرمر وعلى بقية الأحجار وعلى المعادن والخشب ، ونجد السيوف اليازية ، ولها شهرة وخبر ، ونجد بسط اليمن وبرودهم واكسيتهم مشهورة لها صيت في كل مكان ، لا يدانيه صيت أي صنف مما ينتج في مكان آخر من أمكنة جزيرة العرب ، ونجد لهم ذكراً في الصياغة وفي سوق الأحجار الكريمة والعطور ، وغير ذلك من المنتجات التي تحتاج إلى يد وفكر .

ومجتمع اليمن المتحضر ، مجتمع طبقي ، تكون من طبقات : طبقات رفيعة ذات منزلة ومكانة عالية ، تتلوها طبقات أخرى أقل درجة ومنزلة حتى تنتهي بالطبقات الدنيا التي تكون قاعدة لهم هذا المجتمع وسواد الناس . وهي طبقات تكاد تكون مقفلة ، أو شبه مقفلة إن صح هذا التعبير ، ولا سيما بالقياس الى الطبقات الدنيا ، التي تجنبت الطبقات التي هي فوقها التصاهر معها والاتصال بها ، للفروق المترتبة التي تشعر بوجودها فيما بينها . ثم إن الناس فيها يرثون منازل آبائهم ودرجاتهم ، فابن النجار نجار ، وابن الحداد حداد في الغالب ، وابن التاجر يرث عمل والده ، ويستطيع تغيير حرفته وتحسين حاله ، إذ ليس لديهم قوانين الزامية تجبر الناس على البقاء في طبقتهم الى أبد الآبدين ، ولكن مثل هذا التغيير لا يقع إلا إذا كان الشخص ذا استعداد وكفاية وطموح ، فيشق طريقه بنفسه هاتكاً ستور الأعراف والعادات .

وما زالت الحياة الاجتماعية في العربية الجنوبية ، تستمد قوتها وحياتها من جذور الحياة الاجتماعية القديمة التي كانت عليها قبل الإسلام . فقد نشأت هذه الحياة ونبتت من حاصل ظروف ذلك المجتمع الذي تحدثت عنه ، وحافظ على خصائصه الى هذا اليوم ، لأنه عاش في عزلة عن العالم الخارجي ، أو في شبه عزلة ، ولهذا بقي يعيش على ما تغذيه به بقايا جذور تلك الأيام من غذاء .

والحضر ، وان استوطنوا واستقروا في أماكن ثابتة ، لم يكونوا حضراً بالمعنى المفهوم من اللفظة عندنا ، فلم يكونوا على شاكلة حضر الروم أو الفرس ، ولا على شاكلة حضر العراق أو حضر بلاد الشام من غير العرب . انهم حضر من ناحية السكنى والاستقرار ، أي من ناحية تعلقهم بالأرض ونزولهم بها واستيطانهم فيها ، وعدم ارتحالهم عنها على نحو ما يفعل الأعراب ، واتخاذهم مساكن دائمة في مكان ما . أما من ناحية التفكير وطرز المعيشة ونظم الحياة الاجتماعية : فقد بقوا مخلصين لمثل البوادي ولطبيعتها في الحياة . فهم في قراهم ومدنهم (بيوت) و (بطون) ، يقيمون في (شعاب) ولهم عصبية . وهم مثل الأعراب في أكثر مألوف حياتهم . وما زال هذا الطابع الأعرابي بادياً على حياة من نسميهم الحضر في جزيرة العرب وفي خارجها ، مؤثراً في حياتهم السياسية والاجتماعية بل

في عقلية من نسميهم (المثقفين) الدارسين من مدنيين وعسكريين ، ذلك لأن عقول هؤلاء المثقفين وإن حُشيت بالمعلومات وبالعلوم ، لم تتمكن مع ذاك من التخلص من إرث البداوة المستمدة من طبيعة الجو وأثرها في الناس ، في الماضي السحيق وفي الحاضر ، ومن طبيعة المجتمع الذي خلقتة هذه الطبيعة وجبلت الناس عليه . ومن أهم صفاته : العنجهية ، والتغني بذكرات الماضي : والابتعاد عن الواقع وعن مشكلات الحياة العلمية ، واللجوء الى العواطف والخيال ، والاسراف في تمجيد النفس الى حد أدى الى ازدياد كل ما هو غير عربي من إنسان ومن نتاج إنسان . أضف اليها (العصبية) بأنواعها : العصبية للأهل والعصبية للعشيرة ثم القبيلة فالخلف في حالة الأعرابية ، والعصبية للأهل والبيوت والشعاب ثم للقرية أو المدينة والقبيلة التي يرجع أهل القرى نسبهم اليها في الأخير ، وذلك بالنسبة الى أهل المدن . ثم الفردية المفرطة التي جعلت من الصعب على الفرد الانقياد لغیره والخضوع لأحد إلا اذا وجد نفسه أمام مصلحة خاصة أو أمام قوة ، ذلك لأنه يرى نفسه أشرف الناس ، وان من المذلة خضوعه لحكم أحد ، ولا سيما اذا كان من يحكمه من أناس هم دون أهله ، ومن عشيرة دون عشيرته . ثم ليس هو هو من أهل الجاه ولا من أهل المال ، فكيف يسلم أمره اليه ؟

الرعاة :

وندخل في الحضر الرعاة : رعاة الغنم والمعز والبقر ، ذلك لأنهم اضطروا بحكم طبيعة حياة حيواناتهم الى شيء من الاستقرار ، والى عدم التنقل لمسافات بعيدة طويلة في البوادي على نحو ما يفعل الأعراب . ثم انهم يعيشون على الآبار وبرك الماء وعلى مقربة من الحضر ، وفي وضع يجعلهم شبه مستقرين في أكثر أيام حياتهم . وهم (أعراب الضواحي) ، وعنصر مهم من عناصر تكون القرى والمستوطنات ، إذ ان قربهم من الحضر واعتماد حياتهم عليهم ، يحملانهم على التأثير بهم ، وعلى التقرب منهم ومن مستوطناتهم . فتصير (الخيمة) بيتاً مستقراً ، ثم تصير (كوخاً) من طين أو من أغصان شجر ، ثم تتحول بيتاً من بيوت قرية أو حي من أحياء مدينة ، لما في المدينة من وسائل معاشية تستهوي الناس ، لا تتوافر في الضواحي البعيدة ، فتحول الرعاة قطان مدن .

ولا يشترط في الرعاة الاقتصاد في حياتهم على تربية الغنم ، إذ فيهم من يربي الإبل أيضاً ، وهم (رعاة الإبل)^١ . والفرق الوحيد بينهم وبين الأعراب وهم رعاة الإبل ، ان الرعاة يلازمون أرضهم وإذا تنقلوا طلباً للماء والكلاء فلا يذهبون الى مسافات بعيدة ولا يمعنون في اختراق البوادي ، لأنهم لا يستطيعون الابتعاد عن الماء كثيراً ولا يستطيعون الاكتفاء بكلاء البادية لوجود ماشية أخرى عندهم لا تستطيع الصبر على الجوع طويلاً ، كما ان اتصالهم بالحضر أكثر من اتصال الأعراب بهم . ومنازلهم هي في الغالب خليط من بيوت مدر ومن بيوت وبر . ولكنها ثابتة على العموم وحياتهم وسط بين البداوة والحضارة . والأرض التي يقيمون بها تكون ذات آبار وعيون ومتجمعات أمطار ، وهم لا يتعدون عنها كثيراً ولا يفارقونها لارتباط معيشتهم بها . بينما تكون حياة الأعراب على الغيث في الغالب ، وعلى الآبار والتنقل .

وفي العربية لفظة (جسر) . ذكر علماء اللغة انها تعني القوم يبيتون مع الإبل في المرعى لا يأوون بيوتهم . والقوم يخرجون بدوابهم الى المرعى ويبستون مكانهم لا يأوون البيوت . والمال الذي يرعى في مكانه لا يرجع الى أهله بالليل . وان تخرج بجملك فترعاها أمام بيتك^٢ . الى آخر ذلك من معان تدل على ان الجسر رعاة يخرجون الى المجاشر ، أي المراعي لرعي إبلهم أو خيلهم بعض الوقت ، اذا شبت إبلهم واكتفت ، عادوا بها الى بيوتهم فأقاموا بها .

الأعراب :

أما أهل الوبر ، وهم الأعراب ، فحياتهم حياة تنقل وارتحال ، وعماد حياتهم (الإبل) ، ولولا هذا الحيوان الصبور لما تمكن الاعرابي أن يقهر البوادي ، وأن يوسع تنقله في أنحائها ، وأن يعيش في هذه الأرضين المقفرة الشحيحة التي يشح فيها سقوط المطر ، ويضطر الانسان فيها الى ضرب الأرض بأرجل جماله بحثاً عن الكلاء والماء . ولهذا صار (الجمل) (المال) الوحيد الذي يملكه

١ تاج العروس (١٥٢/١٠) ، (رعي) .

٢ اللسان (٢٠٧/٥) ، تاج العروس (١٠٠/٣) ، (جسر) .

الأعرابي ، به يقدر الأسعار ، وبه يقدر (الصِّداق) وثراء الإنسان .

وقد سبق لي أن تحدثت عن معنى (عرب) ، وعن المراد منها الى قبيل الاسلام ، فلا حاجة لي هنا الى اعادة الكلام عن شيء سبق ان تكلمت عنه . أما مصطلح (أهل الوبر) ، فعناه (عرب) ، أي أعراب بالمعنى الجاهلي القديم . وذلك لأن الأعراب قوم نقل ، ينتقلون من مكان الى مكان ، حاملين بيوتهم وما يملكونه معهم ، وبيوتهم هي الخيام ، وهي مصنوعة من (الوبر) : وبر الإبل في الغالب ، ولذلك عرفوا بها^١ . وعرفوا في الموارد اليونانية بـ (أهل الخيام) وبـ (سكنة الخيام) ، وقد استعمل أعراب العراق وبادية الشام وأعراب بلاد الشام الخيام المصنوعة من شعر الماعز ، وهي خيام لونها السواد ، وقد أشير إليها في التوراة وفي موارد تأريخية أخرى .

وذكر علماء اللغة ان العرب : سكان القرى والمدن أي الحضر، أهل الحاضرة . أما الأعراب ، فهم سكان البادية من هذا الجيل . ويقال للرجل أعرابياً اذا كان بدوياً همه البحث عن الكلأ وتتبع الغيث والرعي . وأما من يتزل الريف ويستوطن القرى والمدن ، فهو عربي ، وان كان دون الأعراب في الفصاحة وفي سلامة اللغة . ويقال للأعراب (الأعراب) ، وذلك جمع للأعراب . فالأعرابي البدوي ، وهو صاحب نجعة وانتواء وارتباد للكلأ ، وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو من مواليهم^٢ . ومن نزل البادية ، أو حاور البادين وظعن بظعنهم ، وانتوى بانتوائهم : فهم أعراب . ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي الى العرب : فهم عرب ، وان لم يكونوا فصحاء^٣ .

ويذكر علماء اللغة ان البادية من البروز والظهور . قيل للبرية لكونها ظاهرة بارزة . وان البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها ، وهي خلاف الحاضرة

- ١ تاج العروس (٥٩٤/٣) ، (وبر) .
- ٢ روح المعاني ، للألوسي (٤/١١) ، (المنيرية) ، اللسان (٥٨٦/١) ، (صادر) (عرب) .
- ٣ اللسان (٥٨٦/١) (صادر) ، (عرب) ، تاج العروس (٣٧١/١) ، (عرب) .

والحضارة . وقيل لسكان البادية البدو والبداءة^١ . ومن هذا الأصل جاءت لفظة (Bedouin) في الإنكليزية وفي عدد من اللغات الأوربية الأخرى ، بمعنى أعراب .

والأعرابي بالمعنى العلمي المفهوم من اللفظة ، هو — كما قلت قبل قليل — المتبدي ، أي الذي قطن البادية وعاش معظم حياته فيها وانقطع معظم حياته عن القرى والمدن . مكتشفياً باتخاذ الإبل شريكاً له في حياته هذه . قاطعاً البوادي الجافة التي يقل معدل سقوط الأمطار فيها عن (٤) عقد في السنة ، للبحث عن الكلأ والماء^٢ . قانعاً بحياته التي يحياها والتي أحبها وتعلق بها على ما فيها من قساوة وضراوة وققر وشح في العيش . حتى صار لا يفارقها لأنه ولد بها . فهو لا يعرف دنيا غيرها ، ولا يعرف ان في الدنيا مكاناً أطيب من وطنه الذي يعيش فيه . وكل مولود على ما يولد عليه .

وتعيش بين الحضر والبادية قبائل ، صيرتها اقامتها بين العالمين عالماً وسطاً ، لا هو مجتمع حضري ولا هو بدوي أصيل ، حافظ على خصائصه البدوية الموروثة من البادية ، واكتسب باحتكاكه بالحضر ما يلائم طبعه وما فرضه عليه محيطه الجديد من حياة أهل الحضر . فصار يزرع بعض الزرع ويرعى البقر والخيول والأغنام والماعز ويأتي الى القرى والمدن للامتياز ، ويستخدم مواد لا يستخدمها الأعراب لعدم وجود حاجة لهم بها ، ولققرهم الذي لا يسمح لهم بشرائها ، وأخذ يبيع لأهل الحضارة ما يفيض عن حاجته من الألبان والزبد والجلود والأصواف والحيوانات . فأهل هذا العالم إذن هم عالم وسط عالمين ، وقنطرة تربط بين العتبة الأولى من عتبات الحضارة والدرجة الأولى من درجات البداوة . وخير مثل على هؤلاء هم عرب مشارف الشام ، وعرب مشارف العراق . ويراد بالمشارف القرى والمستوطنات والمضارب القائمة على ما بين بلاد الريف وبين البوادي^٣ .

و (الريف) في رأي بعض علماء اللغة الخصب والسعة في المأكل والمشرب وما قارب الماء من الأرض . أو حيث يكون الحضر والمياه والزرع . ولهذا قيل : (تريف) اذا حضر القرى وهي المياه ، و (راف البدوي) يريف

١ De Vauk A 3:

٢ تاج العروس (٣٢/١٠) ، (بد) ٠

٣ تاج العروس (١٥٤/٦) ، (شرف) ٠

إذا أتى الريف . ومن هنا عرف البدوي بأنه جواب بيداء ، لا يأكل البقل ولا يريف^١ .

وورد في الحديث : (كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رَيْفٍ . أي إنا من أهل البادية لا من أهل المدن)^٢ . ولكن المفهوم من لفظة (ضرع) ، أنها لفظة تطلق على الماشية ذوات الظلف والخف ، أو للشاء والبقر^٣ ، ولهذا فيجب تفسيرها ، بإنا من أهل ذوات الظلف والخف ، أي من الرعاة لا أهل الزرع ، والرعاة هم قُطَّانُ المشارف ، القريبين من القرى والريف ، ولا يقيمون في البادية ، لأن الشاء والبقر وبقية الماشية باستثناء الإبل لا تعيش في البادية وإنما ترعى الأماكن الخصبة من الماء والريف .

والحاضرة خلاف البادية ، وهي القرى والمدن والريف ، سموا بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار . وذكر أن كل من نزل على ماء عدّ ولم يتحول عنه شتاءً ولا صيفاً ، فهو حاضر ، سواء نزلوا في القرى والأرياف وبيوت المدر أو بنوا الأخبية عند المياه فقرّوا بها ورعوا ما حوالها من الكلاء . ولهذا قالوا : الحاضر : القوم نزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه . وقد يكون ذلك في البوادي . إذ يقيمون حول بئر أو ماء دائم ، ولا يرحلون عنه . فهذا نوع من أنواع الحاضرة في جزيرة العرب^٤ . وهم بهذا حضر جزيرة العرب ، فهم سكان مستوطنات صغيرة ظهرت في مواضع الماء وعند مفترق الطرق ، في هذه البوادي الجافة الواسعة .

وفي هذه الحواضر التي أسعفها الحظ بالماء ، ظهرت مجتمعات متحضرة ، أي مستقرة ، استفادت من الماء فبنت بعض البيوت وزرعت بعض النخيل والأشجار . ومقياس هذه الحواضر ، هو الماء . فإذا وجد بغزارة أو كان قريباً من سطح الأرض توسعت به رقعة الحضارة ، بمقدار سعة الماء وسعد الناس بالعيش في بيوت

١ جواب بيداء بها غروف لا يأكل البقل ولا يريف

ولا يرى في بيته القليل

اللسان (١٢٨/٩ وما بعدها) ، (ريف) ، تاج العروس (١٢٣/٦) ، (تعريف) .

٢ اللسان (١٢٨/٩) ، (ريف) .

٣ اللسان (٢٣/٨) ، (ضرع) ، تاج العروس (٤٣٠/٥) ، (ضرع) .

٤ اللسان (١٩٧/٤ وما بعدها) ، (حضر) .

مستقرة دائمة ثابتة ، أما اذا كانت الارض ضشحيحة بخيلة ، لا تسعف من يعيش فوقها بماء ، فان الانسان يتحاشاها بالطبع ويتعد عنها خلال أيام الغيث . وحواضر البوادي هي المواضع التي يجب أن نوجه إليها أنظارنا للبحث فيها عما قد يكون الدهر قد خبأه فيها من كنوز وآثار . وهي منتشرة في مواضع عديدة من جزيرة العرب ، لا سيما عند الأودية وقرب الحسي والجعافر والعيون .

و (عرب الضاحية) أو (عرب الضواحي) ، هم العرب النازلون بظواهر الريف والحضارة و بظواهر البادية . و (الضاحية) الظاهرة الخارجة من الشيء التي لا حائل دونها ، و (الضامنة) ما أطاف بالشيء مثل سور المدينة ، أي ما كان داخل شيء . وضواحي الروم : ما ظهر من بلادهم وبرز .^١ ويراد بـ (عرب الضاحية) ، عرب مشارف العراق وعرب مشارف الشام ، لأنهم أقاموا ضواحي العراق وبلاد الشام ، وعلى تخوم البادية .^٢ وقد تأثر أكثر الاعراب الساكنين بأطراف الحضارة وبأخلاق الحضرة ، ودخلوا مثلهم في النصرانية ، بحكم تأثرهم بهم وبعوامل التبشير والسياسة ، الا أن نصرانيتهم كانت نصرانية أعرابية مكيفة بالعقيدة الوثنية الموروثة من السنين الماضية التي كونتها طبيعة البداوة في عقلية أهل الجاهلية .

وسوف نجد في بحثنا عن اللغة ، أن لغة (أهل المشارف) أو (أهل الضواحي) و (عرب الأرياف) ، قد تأثرت بلهجات (لرم) العراق وبلاد الشام ، فظهرت في لغتهم رطانة ، وبرزت فيها ألفاظ ارامية وأعجمية ، وانحازت في النطق بعض الانحياز عن عرييات أهل البوادي ، وكتبوا بقلم نبطي وبلهجات عربية ، لا تقرّها عربية القرآن الكريم ، التي صارت لسان الاسلام . ولهذا حذر علماء اللغة من الاستشهاد بشعر شعراء القرى والريف وأهل المشارف والضواحي ، لاعوجاج لسانهم بالنسبة الى لسان الاسلام .

فأعراب الضواحي ، أو عرب الضاحية ، هم أعراب أيضاً ، لكنهم لم يعزلوا أنفسهم عن العالم الخارجي ، وانما عاشوا على مقربة منه ومن مواطن الحضرة ، فصار حالهم أحسن من حال الاعراب الأقحاح ، وارتفع مستواهم العقلي عن اولئك

١ اللسان (٤٧٤/١٤) وما بعدها ، (ضحا) .

٢ تاريخ الطبري (٣/٣٥٣) ، (ذكر وقعة الولىجة) .

المعنيين في حياة الاعرابية . سبب اتصالهم بالأجانب وأخذهم عنهم واحتكاكهم بالحضر ، الذين هم ارقى من الاعراب بكثير . فأخذوا عنهم وتعلموا منهم أشياء كثيرة ، من مادية ومعنوية . سأحدث عنها في المواضع المناسبة من أجزاء هذا الكتاب .

وقد عرفت الارض التي تقع بين الفرات وبين برية العرب بـ (العبر) قال علماء اللغة : (والعبر بالكسر ما أخذ على غربي الفرات الى برية العرب) . لأنها المعبر الذي يعبر عليه للوصول الى البادية ، أو الدخول من البادية الى الفرات . وقد تكونت بها قرى عربية لعبت دوراً مهماً في تأريخ العراق لموقعها العسكري المهم ، ولأنها الخط الامامي الذي كان يواجه الاعراب الغزاة ومن كان يحكم بلاد الشام من حكام . ولكونه المنطلق الذي تنطلق منه الجيوش التي تريد غزو بلاد الشام ، أو صد القوات الزاحفة على العراق من الغرب .

والبسادة هي التي أمدت العراق وبلاد الشام وسائر جزيرة العرب بالحضر ، فقد كان الاعراب يأتون الحواضر وينبشون هناك ، ويستقرون ثم يتحولون الى حضر . لذلك تكون البادية المنبع الذي يغذي تلك الارضين بالعرب الحضر .

عيبه الجاهلية :

ولقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن العقلية العربية بصفة عامة : عقلية العرب أي الحضر وعقلية الاعراب . وأعود في هذا الموضع الى الحديث عن عقلية الاعراب وما رماهم به أهل الحضر من الغلظة والجفاء والجهالة والعنجهية والكبر الى غير ذلك من نعوت عرفت عند العلماء بـ (عيبه الجاهلية) . وذلك لما لهذه العيبة من صلة بهذا الموضوع في هذا المكان .

واذا اردت الوقوف على عنجهية الجاهلية وتكبر سادات القبائل وعلى نظرتهم الى من هم دونهم في ذلك الوقت ، فخذ ما روي من قصة وقعت لمعاوية بن أبي سفيان على ما يرويه أهل الاخبار . فقد روي أن الرسول أمر معاوية بانزال (وائل بن حجر) الحضرمي منزلاً بالحرة ، فشى معه ووائل راكب وكان

النهار حاراً شديداً الحرارة . فقال له معاوية : ألق اليّ نعلك ، قال : لا ، اني لم اكن لألبسها وقد لبستها . قال فأردفني ، قال : لست من أرداف الملوك . : قال : ان الرمضاء قد أحرقت قدمي ، قال : لا يبلغ اهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك . ولكن ان شئت قصرت عليك ناقتي فسرت في ظلها . فأثنى معاوية النبيّ ، فأنباه . فقال : (ان فيه لعُبيّة من عُبيّة الجاهلية) .^١

و (العُبيّة) الكبر والفخر . (وعُبيّة الجاهلية : نخوتها . وفي الحديث : ان الله وضع عنكم عُبيّة الجاهلية ، وتعظمها بآبائها ، يعني الكبر) . وقد وصفت (قريش) ونعتت بتكبرها حتى قيل : (هذه عُبيّة قريش) .^٢ ونجد في القرآن الكريم اشارات الى عيبة زعماء قريش وفخرهم على غيرهم بالآباء وبالأحساب وبأُمُور لا تستوجب فخر ومفاخر ، لانها لا تتناول عمل انسان ليحمد أو لينمّ عليه . وقد ذمها الاسلام ونهى المسلمين عن عيبة الجاهليين .

ونظراً الى ما للبدواة من فقر وقساوة وغلظ في المعاش ، ومن ضيق أفق في المدارك وقصر نظر في شؤون هذا العالم الخارجي وفي فهم الحياة - نظر العربي الى الاعرابي نظرة استجهال وازدراء ، ونظر الى نفسه نظرة فيها علو واستعلاء . فورد أن الاعرابي اذا قيل له : يا عربي . فرح بذلك وهشّ له ، والعربي اذا قيل له : يا اعرابي ا غضب له .^٣ لما بين الحياتين من فروق وتضاد . فقد جبلت البادية ابناءها على أن يكونوا غرباء عن العالم الحضري وعن عقلية أهل القرى والمدن . متغربين مغرورين على فقرهم وفقر من يحيط بهم . فخوريين بأنفسهم الى حدّ الزهو والاعجاب والخروج عن الحدّ ، فكانوا اذا تكلموا رفعوا اصوتهم ، وظهرت الخشونة في كلماتهم ، واذا تعاملوا مع غيرهم ظهر الحذر عليهم ، خشية الغدر بهم . ولهذا قال الحضري : (اعرابي جلف) ، أي جاف .^٤ وفي الحديث : (من بدا جفا) ، أي غلظ طبعه لقلة مخالطة الناس .^٥ وقالوا : (اعرابي قحّ) و (اعرابي قُحاح) ، وهو الذي لم يدخل الامصار ولم يختلط

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١ وما بعدها) ، (وفد حضرموت) .
 - ٢ تاج العروس (٥٧٤/١ وما بعدها) ، (عيب) .
 - ٣ اللسان (٥٨٦/١) ، (صادر) ، (عرب) .
 - ٤ تاج العروس (٦٠/٦) ، (جلف) .
 - ٥ تاج العروس (٧٤/٦) ، (جفا) .

بأهلها .^١ ولهذه الخشونة التي خلقتها طبيعة البادية في الاعرابي ، وهو لا دخل له بها بالطبع ، كما انه لا يشعر بها ولا يرى أن فيه شيئاً منها ، كان العرب اذا تحدثوا عن شخص فيه عنجهية وخبثونة ، قالوا عنه : فيه اعرابية . كالذي ذكروه مثلاً عن (عينة بن حصن الفزاري) ، من أنه كان أحق مطاعاً ، دخل على النبي من غير اذن وأساء الأدب فصبر النبي (على جفوته وأعرابيته) .^٢ الى غير ذلك من نعوت تصف الاعرابي بالغلظ والقسوة والانانية وما شاكل ذلك من نعوت تحدثت عنها في الجزء الاول من هذا الكتاب . وهي حاصل هذا المحيط الذي ولد فيه وعاش ، والظروف التي ألمت به ، فعزلته عن العالم الخارجي ، وأبعدته عن التحسس بتنوع مظاهر الطبيعة وبتغيرها ، فلم ير الثلج في حياته وهو يتساقط من السماء . ولم يتعود على رؤية الامطار وهي تتساقط عليه على نحو ما يقع في عالم أوربة أو في البلاد الحارة ذات الامطار الموسمية الواضحة ، حتى يستفيد منها في استغلال ارضه ، ولم تعطه الطبيعة انهاراً ومياهاً جارية ، الى غير ذلك من امور تحدثت عنها اثناء كلامي على العقلية العربية في الجزء الاول من هذا الكتاب .

ووصف الاعرابي بالجهل ، بل بالجهل المطبق . فهو وثني ولكنه لا يفهم شيئاً من امور الوثنية ، وهو نصراني ، لكنه نصراني بالاسم ، لا يعرف عن النصرانية في الغالب شيئاً ، وهو مسلم ولكنه لا يعرف عن الاسلام الا الاسم . ونجد في كتب اهل الاخبار والأدب قصصاً مضحكة يمثل هذا الجهل الذي رُمي به الاعراب في بعضه حق وفي بعضه باطل لأنه موضوع حمل عليهم حملاً للانتقاص منهم وليكون قصصاً وتفكهةً وتسليةً يتسل بها الحضر في مجالسهم في اثناء قتلهم للوقت .

وهو حقود ، لا يرى ان يخفر ذنب من اساء اليه . بل يظل في نفسه حاقداً عليه حتى يأخذ بثأره منه . (قيل لاعرابي : أيسرك أن تلخل الجنة ولا تسيء الى من أساء اليك ؟ فقال : بل يسرني أن أدرك الثأر وأدخل النار) .^٣

ويذكر ان الرسول كان يميز بين الاعراب وبين البادية ، وهم الذين كانوا

١ تاج العروس (٢٠٢/٢) ، (قح) .

٢ تاج العروس (٤٥/٦) ، (الف) .

٣ نهاية الأرب (٦٧/٦) .

يتزلون أطراف القارة (القارية) وحولهم . فلما أهدت (أم سنبله) الإسلامية لبناً الى بيت رسول الله ، أبت عائشة قبوله ، لأن الرسول قد نهى أهله عن قبول هدية اعرابي . وبينما كانت أم سنبله في بيته ، دخل رسول الله ، فقال : ما هذا ؟ قالت عائشة : يا رسول الله ، هذه أم سنبله أهدت لنا لبناً ، وكنت نهيئنا ان نقبل من أحد من الاعراب شيئاً . فقال رسول الله : خذوها ، فان أسلم ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا .^١ ويفهم من هذا الخبر ، ان الرسول فرق بين العرب البادية المقيمين حول (القارية) أهل الحاضرة ، الذين هم على اتصال دائم بالحضر ، وبين الاعراب ، وهم البادون البعيدون عن أهل الحواضر . وهم الذين نهى الرسول عن قبول هدية منهم . وذلك بسبب جفائهم على ما يظهر ولأنهم لا يهدون شيئاً الا طمعوا في ردّ ما هو أكثر منهم لغلظ معاشهم وضيق تفكيرهم . وآية ذلك ما ورد عنهم في القرآن الكريم .

فأهل البادية المجاورون للحضر أنحف على النفس من الاعراب ، لتأثرهم بحياة الحضر . ولعل منهم من شارك أهل الحضر في التعاطي والتعامل . ونرى أهل الاخبار يروون ان أهل القرى كانوا اصحاب زرع ونخيل وفواكه وخيل وشاء كثير ولابل ، يقيم حولهم أناس بادون . كالذي كان حول مكة ويثرب والطائف وقرى الحجاز واليمن وغير ذلك ، فان هؤلاء لم يكونوا اعراباً اي بدواً صرفاً ، هجروا الحواضر وأقاموا في البوادي البعيدة ، بل هم وسط بين الحضر وبين الاعراب . فأخلاقهم ألين من اخلاق الاعراب وطباعهم أرق . ويمكن الاعتماد عليهم نوعاً ما ، بينما لا يمكن الركون الى قول اعرابي .

وقد بلغ من استعلاء الحضر على أهل البادية ، ان الاعراب لما أرادوا التسمي بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا ، منعوا من ذلك ، فأعلموا ان لهم أسماء الاعراب لا أسماء المهاجرين ، وعليهم التسمي بها .^٢

والاعراب أهل منة ، اذا فعلوا معروفاً بقوا يتحدثون عنه ، ويمنّون بصنعه على من قلموه له . وهم يريدون منه صنع اضعاف ما صنعوه له . وهم خشنون اذا تكلموا رفعوا أصواتهم . وقد وتجنهم القرآن وأنبهم لفعلهم هذا . فجاء فيه :

١ ابن سعد ، الطبقات (٢١٥/٨) .

٢ تفسير الطبري (٩/٢٦) .

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي^١ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)^٢ . وأمر المسلمين بالتأدب بأدب الاسلام . فقال : (واقصد في مشيك واغضض من صوتك . ان انكر الاصوات لصوت الحمير .)^٣ وقد كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم ، فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك ، يقول تعالى ذكره (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله^٤ تتجهموا بالكلام وتغلظون له في الخطاب) .^٥

وكان من خشونتهم وأعرايتهم ان احدهم اذا جاء الرسول فوجده في حجرته نادى : يا محمد يا محمد ؟ وذكر ان وفداً من (تميم) وفد على رسول الله ، فوجده في حجرته ، ونادى مناديه : اخرج الينا يا محمد ؟ فان مدحنا زين وذمنا شين . او : يا محمد ا ان مدحي زين وان شتحي شين . فأنزل الله : (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم . والله غفور رحيم) .^٦

وقد اتهم الأعرابي بماديته المفرطة وبطمعه الفظيخ . فهو يحارب معك ، ثم ينقلب عليك ويصير مع خصمك ، اذا وجد ان في الجانب الثاني حلاوة ، وانه مستعد لاعطائه أكثر مما أعطيته . حاربوا مع الرسول ثم صاروا عليه وانتهبوا عسكره ، وجاؤوا اليه فعرضوا عليه الإسلام ، فلما أرادوا العودة الى بلادهم وهم مسلمون ، وجدوا رعاءً للرسول ، فانتهبوه وقتلوا حماه مع علمهم بأنه له ، وان انتهاب مال المسلم حرام ، فكيف بهم وهم ينتهبون مال رسول الله . وقد ندد القرآن الكريم بطمعهم في الآية : (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا) . فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي^٧ ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، طمعاً في الصدقات ، لا رغبة في الإسلام ، فسمّاهم الله تعالى

١ الحجرات ، الآية ٢ وما بعدها .

٢ لقمان ، الآية ١٩ .

٣ تفسير الطبري (٧٤/٢٦ وما بعدها) .

٤ الحجرات ، الآية ٤ ، تفسير الطبري (٧٦/٢٦ وما بعدها) .

الأعراب . ومثلهم الذين ذكرهم الله في سورة التوبة ، فقال : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً)^١ . وذكر عن (قتادة) قوله : (قالت الأعراب آمناً ، قل : لم تؤمنوا ، ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب . إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن إنما أنزلت في حي من أحياء الأعراب امتنوا باسلامهم على نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . فقال الله تعالى : لا تقولوا آمناً ولكن قولوا أسلمنا)^٢ . (وقال آخرون : قيل لهم ذلك لأنهم منّوا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، باسلامهم . فقال الله لنيّته ، صلى الله عليه وسلم ؛ قل لهم لم تؤمنوا ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل)^٣ .

ولا يعرف الأعرابي شيئاً غير القوة ولا يخضع إلا لسلطانها . وبموجب هذه النظرة بنى أصول الحق والعدل ، وما يتبعها من حقوق . كما سأحدث عن ذلك فيما بعد . وهو فخور بنفسه متباه بشجاعته ، لكنه لا يصبر اذا طال القتال وجد ، ولا يتحمل الوقوف طويلاً في ساحة المعركة ، لا سيما اذا شعر ان القتال غير متوازن ، وان أسلحة خصمه أمض وأقوى في القتال من أسلحته ، فيولي عندئذ الادبار ، ولا يرى في هروبه هذا من المعركة شيئاً ولا عيباً . وفي تأريخ معارك الجاهلية ولا سيما في معاركهم مع الأعاجم ومع القوات النظامية العربية أمثلة عديدة من هذا القبيل . ففي الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس أو الروم ، خذلت بعض القبائل المسلمين ، وتركتهم لما رأَت جد القتال وان لا فائدة مادية ستحصل عليها منه . (وقد كان انضم الى المسلمين حين ساروا الى الروم ناس من لحم وجزام ، فلما رأوا جد القتال فرّوا ونجّوا الى ما كان قريبهم من القرى ، وخذلوا المسلمين)^٤ . فروا وهربوا لأنهم وجدوا ان القتال قد طال وانه قتال جد ، ولا قبل للقبائل على القتال الطويل الشديد الجِد . فاختاروا الهروب دون ان يفكروا في عقدهم الذي عقدوه مع اخوانهم في الجنس على القتال معهم والاستمرار فيه حتى النهاية ، فإما نصر وإما هزيمة وموت وهلاك . ولكن طبيعة الأعراب لا تقيم

١ اللسان (٥٨٦/١) ، (عرب) .

٢ تفسير الطبري (٩٠/٢٦) .

٣ تفسير الطبري (٩٠/٢٦) .

٤ الطبري (٥٧١/٣) ، (دار المعارف) .

وزناً ولا تعطي أهمية للعقود في مثل هذه المواقف . إن رأت هواها في القتال قد تغير وتحول ، وإن الأمل في كسب مغنم قد تضاعف ، انسحبت منه بعذر قد يكون تافهاً وبغير عذر أيضاً . وقد لا تنسحب ، وإنما تبدل الجبهة ، بأن تذهب الى الجانب الآخر فتحارب معه ، وتقاتل عندئذ من كانت تقاتل معه . لأنها وجدت ان الربح من هذا الجانب مضمون ، وإن ما ستأله منه من فائدة أكثر . وذلك بعد مفاوضات سرية تجري بالطبع . وهذا ما أزعج الروم والفرس ، وجعلهم لا يطمثون الى قتال العرب معهم وفي صفوفهم ، فرمواهم بالغدر . فكانوا اذا كلفوهم بالحرب معهم عهدوا اليهم القيام فيها بأعمال حربية ثانوية ، أو الانفراد بحرب الأعراب الأعداء الذين هم من أنصار الجانب الآخر . فقد حدث مراراً ان هرب الأعراب من ساحة القتال حين سرعت نار الحرب ، وارتفع لهيبها ، فأحدث هروبهم هذا ارتباكاً في جانب من كان يقاتلون معه أدى الى هزيمته هزيمة منكرة ، لما أحدثه فرارهم هذا من فجوة في صفوف المقاتلين . وقد أشارت الى هذه الحوادث مؤلفات الكتاب اليونان واللاتين .

وهو صارم عبوس ، اذا ضحك ضحك بقدر ، وكأنه يدفع بصحكته هذه ضريبة فرضت عليه . يكره الدعابة ، ويرى فيها تبذلاً لا يليق صلوره من إنسان كريم . بقي هذا شأنه حتى في الإسلام . فلما وصف (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري) (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) قال عنه : (كان امرأ صالحاً ، وقد كانت فيه دعابة)^١ . حتى ان من العلماء من عدّ (الدعابة) من الشوائب التي تنقص المروءة ، وتؤثر في صاحبها ، وتطعن فيه ، فلا تجعله أهلاً لأن يؤخذ عنه الحديث . أي جعلوه شخصاً غير موثوق به .

وقد بحث (غوستاف ليون) و (رينان) و (الأب لامانس) في عقلية الاعرابي . وما رأوه فيه من وجود (فردية) متطرفة عنده ، الى درجة تجعله يقيس كل شيء بمقياس الفائدة التي يحصل عليها من ذلك الشيء . ثم ما وجدوه فيه في الوقت نفسه من خوفه من الامعان في القسوة ، ومن الامعان في القتل ، لما يدرکه من رد الفعل الذي سيحدث عند أعدائه ضده اذا تمكنوا منه ، ومن

١ نسب قريش (٢٧٨) .

نتائج الأخذ بالتأثر . كما بحثوا عن ميل الأعرابي الى المبالغة . المبالغة في كلامه والمبالغة في اعطائه اذا أعطى ، والمبالغة في مدح نفسه ، والتباهي بشجاعته وبكرمه وبشدة صبره الى غير ذلك ، مع وجود تناقض فيه بالنسبة الى دعاويه هذه . وهو يحب المديح كثيراً ، وهو على حدّ قولهم اذا أعطى ، صور ذلك غاية الجود ، وبالف فيه ، ويظل يذكره في كل وقت ومحّب ان يطرى عليه ، لا سيما اذا كان من شاعر وهو صحافي ومذيع ذلك الوقت^١ .

وللفوارق الموجودة بين العرب والأعراب ، بين الحضر وبين أهل البوادي رأى (الأزهرى) وجوب التفريق بين الاثنين . إذ قال : (والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي والأعرابي ، ربما تحامل على العرب ، بما يتأوله في هذه الآفة . وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز ان يقال للمهاجرين والأنصار أعراب ، إنما هم عرب ، لأنهم استوطنوا القرى العريضة ، وسكنوا المدن . سواء منهم الناشئ بالبلد ، ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ، ثم هاجر الى المدينة . فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعماً ورعوا مساقط الغيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة . قيل : قد تعربوا أي صاروا أعراباً بعد ما كانوا عرباً . وفي الحديث تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي . جعل المهاجر ضدّ الأعرابي . قال والأعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها إلا للحاجة . وقال أيضاً المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيأتهم وليسوا بصرحاء فيهم . وتعربوا مثل استعربوا^٢) . وقد ذهب هذا المذهب (ابن خلدون) ، إذ رأى ان الأعراب يختلفون عن العرب . ولذلك فإن ما أشار اليه (ابن خلدون) من ان العرب اذا دخلوا بلداً أسرع اليه الخراب إنما قصد به الأعراب . لا العرب الحضر .

ولكي نكون منصفين في الأحكام عادلين غير ظالمين علينا التفريق بين الأعراب وبين العرب . فإي يقال عن الأعراب يجب ألا يتخذ قاعدة عامة تطبق على العرب . لا بين العرب والأعراب من تباين في الحياة وفي النفسية والعقل . ثم علينا لكي

١ المشرق عدد (٢) سنة ١٩٣٢ (ص ١٠١ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣٧١ / ١) ، (عرب) .

نكون منصفين أيضاً ان نفرق بين عرب وعرب . لما أصاب عرب كل أرض من أرض العرب من أثر تركه الأجانب فيهم ، ومن امتزاج الأعاجم في العرب ودخلهم فيهم واندماجهم بهم حتى صاروا منهم تماماً . والامتزاج والاندماج يؤثران بالطبع في أخلاق أهل المنطقة التي وقعا فيها ، أضف الى ذلك عوامل البيئة والمحيط . ولهذا يرى المرء تبايناً بيناً بين عرب كل قطر ، تبايناً يللمسه حتى الغريب . فبين أهل العراق وأهل بلاد الشام العرب ، تباين وفروق في الملامح الجسمية وفي المظاهر العقلية والاجتماعية وغيرها ، مع انهم جميعاً عرب يفتخرون بانتسابهم الى العروبة . وبين عرب العربية الجنوبية وبين عرب عالية نجد فروق واضحة جلية . وهكذا قل عن بقية بلاد العرب . بل نجد هذا التباين أحياناً بين أجزاء قطر واحد . فاذا كان هذا هو ما نراه ونلمسه في الجاهلية وفي الإسلام ، فهل يجوز لأحد التحدث عن عقلية عامة جامعة تشمل كل العرب ؟

وقد أدرك المتقدمون علينا بالزمن اختلاف العرب في الصفات والشئائل ، فتحدثوا عن (حلم قريش) ، وعن لينها ورقة ذوقها وعن براعتها في التجارة ، وتحدثوا عن عمق تفكير أهل اليمن وعن اشتهاهم بالحكمة ، حتى قيل : الحكمة يمانية . وورد ان (علي بن أبي طالب) ، لما وافق على اختيار (أبي موسى الأشعري) ليكون ممثله في التحكيم ، قال له (أبو الأسود الدؤلي) : (يا أمير المؤمنين لا ترضَ بأبي موسى ، فإنني قد عجمت الرجل وبلوته ، فحطيت أشطره ، فوجدته قريب القعر ، مع انه يمان)^١ .

الحنين الى الأوطان :

ومع فقر البادية وغلظ معاشها وشحها ، فإن الأعرابي يحن اليها ، ولا يصبر عن فراقها حتى وان أخذ الى جنان الريف . قال الجاحظ : (وترى الأعراب تحن الى البلد الجلب ، والمحل القفر ، والحجر الصلد ، وتستوخم الريف)^٢ . (واعتل أعرابي في أرض غريبة ، فقيه له : ما تشتهي ؟ فقال : حسل

١ أمالي المرتضى (٢٩٢/١) .

٢ رسالة في الحنين الى الأوطان ، من (رسائل الجاحظ) (٣٨٨/٢) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .

فلاة ، وحسو قلات)^١ . ويروى ان (ميسون بنت بحدل) الكلبيّة ، زوجة معاوية ، كانت تحن الى وطنها ، وقد سمعها زوجها وهي تنشد أبياتاً فيها شوق وحنين الى البادية ، فخيمتها التي تلعب الأرياح بها ، خير عندها وأحب لها من العيش في قصر منيف ، ورجل من بني عمها نحيف أحب اليها من (عالج عليف) ، أي حضري سمين من كثرة الأكل^٢ . وانتقل أعرابي من البداوة الى الحضارة ، فرأى المكاء في الحضر ، فقال مخاطبه : فارق هذا المكان ، فإنه ليس لك فيه الشجر الذي تعشش عليه ، وأشفق من ان تمرض كما مرضت^٣ .

والعربي الذي ألف الحضارة وأمعن في الترف وتفنن في العيش بالمدن ، لا يفقه سحر البادية الذي يجلب اليه أهل البادية . لأنه يرى ان كل ما فيها ضيق وجوع وحرّ شمس وفقر . فيسخر من الأعرابي ويضحك عليه لحنينه الى باديته . ولما استظرف (الوليد بن عبد الملك) أعرابياً واستملحه ، فأبقاه عنده وسأله عن سبب حنينه الى وطنه أجابه جواباً خشناً ، مثّل جفاء الأعراب وصلفهم . فقال الوليد ، وهو يضحك : أعرابي مجنون^٤ . ولم يتأثر منه ، لأنه أعرابي ، والأعرابي في حكم المجانين . وقد سقط حكم القلم عنه .

ويروي أهل الأخبار حديثاً لكسرى أنوشروان مع وفد وفد عليه فيه بعض خطباء العرب . فسألهم عن سبب تفضيلهم السكن بالبادية وعن حياتهم بها وعن طبائعهم الى غير ذلك من أسئلة وأجوبة دَوّنوها على انها اسئلة كسرى وأجوبة العرب عليها^٥ . وفيها أمور مهمة عن حياة الأعراب . وقد يكون الخبر قصة موضوعة ، غير اننا لا ننظر اليها من جهة تأريخية ، إنما نأخذها مثلاً على ما كان يدور في خلد من صنعها عن نفسية الأعراب وعن نظرة الحضر الى أهل البوادي .

وللمسعودي كلام في اختيار العرب سكنى البادية وسبب ذلك ، كما تحدث

- ١ المصدر المذكور (٣٩٠/٢) .
- ٢ بلوغ الأرب (٤٢٦/٣) وما بعدها .
- ٣ بلوغ الأرب (٤٢٨/٣) .
- ٤ رسالة في الحنين الى الاوطان (٣٩٧/٢) .
- ٥ بلوغ الأرب (٤٣٣/٣) .

عن أثر البوادي في صحة أجسام العرب وفي تكوين أخلاقهم ، مما جعلهم يختلفون بذلك عن بقية الناس .

والعرب وإن عرفوا بالترحل والتنقل ، بسبب البداوة ، إلا أنهم يحنون الى أوطانهم ، ولا ينسون موطنهم القديم . يستوي في ذلك العربي والأعرابي . وهم يرون ان في الغربة كربة ، وان الانسان اذا صار في غير أهله ناله نصيب من العذل^١ . (وكانت العرب اذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع)^٢ . (وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية اذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً فيرفض عرقاً ، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ، ويجلس في فيته يكتال الريح ، فكأنه في ايوان كسرى)^٣ .

وجاء ان (الوليد بن عبد الملك) استظرف أعرابياً فاحتسبه عنده وحياه ، فرض فبعث اليه (الوليد) بالأطباء ، وعالجوه ، ورأى من الخليفة كل رعاية . لكن هواه بقي في وطنه ، ولم يطق على هذه المعيشة الراضية الطيبة صبراً ، فهلك بعد قليل^٤ . الى غير ذلك من قصص وشعر ورد في الحنين الى الأوطان ، وفي تفضيل الوطن على كل منزل آخر ، ولو كان آية في الجمال ومثلاً من الراحة والاطمئنان .

وهو يعجب من لغة اهل الحضرة ، ولا سيما حضر ريف العراق وريف بلاد الشام ومن الاكثرة الذين لا يفهم عنهم ولا يستطيع افهامهم ، فكان يجهد نفسه وكأنه في سجن مطبق ، يريد الخلاص منه . حدث ذلك حتى في الاسلام ، وقد ذكر (ابو عثمان الجاحظ) ، انه رأى اعرابياً ، وكان عبداً حبشياً لبني أسيد ، وقد صار (ناظوراً) ، وكأنه اصيب بمس من الجن ، فلما رآه ، قال له : لعن الله ارضاً ليس بها عرب^٥ .

- ١ رسالة في الحنين الى الأوطان (٣٩٠/٢ وما بعدها) .
- ٢ رسالة في الحنين الى الأوطان (٣٩٢/٢) .
- ٣ المصدر نفسه .
- ٤ رسالة في الحنين الى الأوطان (٣٩٧/٢ وما بعدها) .
- ٥ رسائل الجاحظ (٤٠٣/٢ وما بعدها) .

حياة الاعراب :

وحياة الاعراب حياة تكاد تكون حياة واحدة لا تغير فيها ولا تبدل ، فهي على وتيرة واحدة . على تعدد القبائل ، وابتعاد مواضع بعضها عن بعض . ذلك لأن الظروف المخيمية عليهم ، ظروف واحدة لا اختلاف فيها ولا تبدل . الا ما كان منها بالنسبة الى اعراب الضواحي والخواضر ، فان ظروفهم تختلف عن هؤلاء ، ومجال تفكيرهم اوسع من مجال تفكير الاعراب . بسبب نوع المعيشة المتغير ، المتصل بالارض ، وقربهم من الحضر . ولو درسنا حياة القبائل في الجاهلية ، وجمعنا دراستنا من المروي عنها في الكتب ، وجدنا ان بين الماضي البعيد وبين الحاضر شبيهاً في نمط الحياة ، وان ما ذكرته عن قبائل الجاهلية يكاد ينطبق على حياة قبائل البادية في وقتنا هذا ، ذلك لأن الظروف والمؤثرات بالنسبة الى حياة الاعراب المعنن في البادية لا تزال كما كانت عليه . ولكنها سوف لن تبقى على ما هي عليه والى ابد الآبدين بالطبع ، لأن التقدم الحضاري والاكتشافات المادية ، قد اخذت تغزو الاعراب وتضيق الحناق عليهم ، لتغير من حالهم . فبعد ان كان البدو قوم غزو ، أكرهتهم الحكومات القوية على الابتعاد عن الغزو ونبله ، حتى اضطروا الى توديعه الى الأبد او كادوا وصاروا مغزوين ، تغزوهم الحضارة الحديثة والآليات بما لا قبل لهم بمقاومته ، لتفوق الغزو الجديد عليهم . وهم سيكونون ولا شك بمرور الوقت على شاكلة النصف الآخر من العرب . أي اخوانهم الحضر . يوائمون انفسهم مع التطور الجديد . وسوف يبدل هذا من حياتهم ولا شك ، ومن اهم ما سيفعله فيهم ، تحويل حياتهم من حياة غير مرتبطة بالارض ، الى حياة ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، فتتحول البداوة عندئذ الى حضارة ، وسيشعر الاعرابي عندئذ انه مواطن له ارض ووطن وقوم هم إخوة له يشعرون بشعوره . وأن من يعزل نفسه عن العالم ، فلن يعزل بذلك الا نفسه ، ولن يُضر الا بصالحه . وان الانسان بغير عمل ولا انتاح ، انسان تافه لا قيمة له . وأن العنبريات والعبيّة الجاهلية من جملة مؤخرات الحياة في كل الأزمنة والأوقات .

ملامح العرب :

والعرب وان كانوا من الجنس السامي ، الا انهم يختلفون عن بقية (ابناء سام) في الملامح الجسدية وفي فصائل الدم ، وفي امور اخرى . ذلك لأن السامية ،

كما سبق ان قلت - جنسية ثقافية ، اما من الناحية (البيولوجية) وهي تتعلق بالملامح وبأمرور بيولوجية اخرى فليست بجنسية خاصة يمكن تمييزها من بين قبائل الاجناس البشرية ، لما نراه فيما بين شعوبها من تباين . ثم ان بين العرب انفسهم ، تبايناً واختلافاً في الملامح ، يسبب قرب العرب وبعدهم من الأعاجم ، وأثر فعل الرقيق والأسرى في امتزاج الدم بينهم ، ثم اثر فعل الطبيعة وعملها في الانسان ، وما تقدمه له من غذاء ونوع ماء وحرّ وبرد ومطر وضغط جويّ ونوع تربة .

واليهود هم من الجنس السامي ، جنس خليط كذلك في القديم وفي الحديث فقد دخل اليهود دم غريب ايضاً ، ونجد في التوراة وفي اسفار المكابيين والكتب العبرانية الاخرى ، اكراه اليهود للشعوب التي استولوا على ارضها على التهود . فدخلت في اليهودية ، وهي ليست من اصل يهودي ، وصارت من يهود وقد دخلت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث كعب وكندة ، وهم من العرب .^١ ودخل آخرون في اليهودية ، وصاروا يهوداً فاليهود مثل غيرهم ، فيهم اليهودي الخالص ، وفيهم اليهودي الغريب ، وفي ملاحظهم المتباينة ما هو دليل على وجود الاختلاط في الدم .

وأنا اذ اتكلم عن ملامح العربي ، فإنني لا ازعم ان لديّ او لدى الباحثين مقاييس خاصة ثابتة نستطيع ان نقيس بها ملامح العرب ، بحيث نحددها في حدود ونرسم لها رسوماً ، لا تتعداها ولا تتخطاها . فحدود مثل هذه لا يمكن ان توجد ولا يمكن ان ترسم ، لأن بين العرب تبايناً وتنازلاً في الصور وفي الملامح بحيث يكون من الصعب علينا وضع حدود ثابتة للملامح العرب ، يخضع لها كل العرب او اكثرهم . وسبب ذلك اتساع جزيرة العرب ، ووجود سواحل طويلة جداً تقابل قارتين : قارة سوداء هي افريقية ، وقارة اخرى هي آسية ، لون بشرة سكان سواحلها الجنوبية الشرقية السواد والسمرة الغامقة . وهي سواحل مفتوحة غدت جزيرة العرب بعناصر ملوثة اختلط دمها بالدم العربي حتى اثر ذلك اللون في سحن الناس هناك فبان السواد او اللون الداكن على السواحل العربية المقابلة لسيلان والهند . وظهرت الملامح الافريقية على سحن الساحل الغربي لجزيرة العرب من تهامة فيما بعد حتى ساحل عمان . وظهرت سحن وملامح اقوام بيض من روم

١ - الاغلاق النفية (٢١٧) .

ورومان وأهل فارس في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، بسبب سياسة الحكومات القاضية بالتهجير نكاية بالمهجرين ، او بسبب تنقلات الجيوش والحروب ، او التجارة ، او الخطط العسكرية القاضية بحماية المصالح الاقتصادية . وذلك بوضع حاميات عسكرية على سواحل الجزيرة لحماية السفن من غارات الاعراب ولصوص البحر . ثم يحدث ان تنقطع الاسباب ببرجال تلك الحاميات ، وتنقطع صلاتهم بالأم لعوامل عديدة ، فيستقرون في مواضعهم ويتعربون حتى صاروا عرباً . نسوا أصلهم وعدوا من خلص العرب . ولكن العرق دساس كما يقول الناس ، فبقي أثره بارزاً ظاهراً على الوجوه ، نراه حتى اليوم في تغاير وتمايز سحن سكان السواحل فيما بينها ، وفي تغايرها عن سحن أهل باطن جزيرة العرب تغيراً ملحوظاً . وقد أشرت في كتابي (تأريخ العرب قبل الاسلام) وفي الجزء الأول والثاني من هذا الكتاب الى أثر المستعمرات اليونانية في سحن العرب ، كما هو الحال في جزيرة (فيلكة) في الكويت والى أثر الرقيق والتجارة في باطن جزيرة العرب مما يجعلني في غنى عن اعادة الكلام عن ذلك مرة أخرى .

وقد ذكر اهل الاخبار ان الروم سكنت في الجاهلية جبل (ملكان) وهو جبل في بلاد طيء .^١ فلا يستبعد بقاء هؤلاء فيه وسكنهم فيه ، وتحولهم الى عرب بتعربهم كما تعرب غيرهم من اليونان ممن نزل المستوطنات اليونانية في بلاد العرب .

ونجد بمكة ويثرب وبمواضع أخرى من جزيرة العرب موالي اصلهم من الفرس او الروم برز منهم بعض الصحابة مثل : (سلمان الفارسي) و (رومان الرومي) ، وهو من موالي الرسول ،^٢ وغيرهم . وقد ترك هؤلاء الموالي اثراً في ملامح الناس ولا شك .

ثم يلاحظ ان اجسام سكان السواحل اقصر من اجسام ابناء الجبال والنجاد . وان اهل التهائم والسواحل الجنوبية لجزيرة العرب اقصر قامة من اهل نجد اليمن او اهل نجد . كما نجد اختلافاً بين ملامح القبائل لا زال بارزاً حتى اليوم . اختلافاً يتحدث عن طبيعة الامتزاج الذي وقع في الدم في ايام الجاهلية ايضاً ،

١ تاج العروس (١٨٤/٧) ، (ملك) .

٢ تاج العروس (٣٢٠/٨) ، (روم) .

لاختلاط الدماء وامتزاجها بالعوامل التي ذكرتها ، وان ذهب البعض الى ان جزيرة العرب كانت في عزلة عن العالم ، فهذه العزلة التي يتحدثون عنها ، هي عزلة لم تكن عامة ولا يمكن ان نسميها عزلة صحيحة الا بالنسبة للقبائل المتبدية التي عاشت في صميم البوادي ، غير ان تلك القبائل لم تتمكن مع ذلك من عزل نفسها عن الرقيق والأسرى الغرباء .

ثم نجد فروقاً بين العرب والاعراب ، سببه اختلاف المحيط والظروف والغذاء . فالعربي ممتلئ الجسم بالقياس الى الاعرابي الرشيق القليل اللحم ، الدقيق العظم . وتظهر هذه النحافة في وجه الاعرابي ايضاً ، فوجهه ممشوق قليل اللحم ، دقيق ممتد ذو ذقن بارز ، وأنف دقيق ، وعينان برأقتان . وتعد الرشاقة في جسم العربي من محاسنه لأنها تجعله معتدل القوام . خفيف الحركة . وقد مدح (امرؤ القيس) الغلام الخف ، اي الخفيف الجسم ، السريع الحركة الذي يتزل عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثل . اي الثقيل الجسم السمين . وقيل : الخفيف في الجسم والخفاف في التوقد والذكاء .^١ ويعد ثقل الجسم من المعيبات . ومن المجاز التخفيف ضد التثقل والخفيف ضد التثقل . وقد اعتبروا الثقل ذمّاً في الانسان . فقيل : هو ثقيل على جلسائه ، وهو ثقيل الظل ، ويقال مجالسة الثقيل تضني الروح ، حتى ألف بعض العلماء في اخبار الثقلاء .^٢

و (الريع) من الرجال ، اي المتوسط القامة ، النموذج الأوسط للانسان وحدث الكمال في الجسم عند العرب . ويقال له : (ربعة) و (مربوع) . وقد نعت رسول الله بأنه (ربعة) من الرجال ، وورد أنه كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب .^٣ والأوسط عند العرب هو بين الجيد والرديء . وأوسط الشيء افضله وخياره . ومنه الحديث : خيار الامور اوساطها .^٤ وقد هابت العرب اصحاب الطول في الجسم ، والكبر في الرأس ، واحترموا اصحاب الهيبة والتأثير في النفس ، وقد ذكر بعض منهم في كتب اهل الاخبار . وقد رموا القصير

١ ناج العروس (٩٢/٦ وما بعدها) ، (خفد) .

٢ (قال الراغب : البقيل في الانسان يستعمل نارة في الدم وهو أكثر في التمارد .

وتارة في المدح) ، ناج العروس (٢٤٥/٧) ، (ثقل) .

٣ تاج العروس (٣٣٨/٥) ، (ريع) .

٤ تاج العروس (٢٤٠/٥ وما بعدها) ، (وسط) .

بالمكر والخديعة ، ولكنهم اعتبروا القصر في الجسم من العيوب ، لا سيما اذا كان ذلك القصير غليظ البطن . وقد عرف الانسان الموصوف بهذه الصفة بالدحاح وباللداح وبالودوح وباللحداح^١ . والدودحة القصر مع السمن^٢ . وأما (الدرحية) ، فالرجل الكثير اللحم القصير السمين البطين ، اللثيم الخلقية . وعرف الرجل المسن الذي ذهب أسنانه بـ (الدرديح)^٣ .

واعتبر العرب طول العنق من سمات المدح . ولذلك وصف رؤساء العرب بطول العنق . وعُبر عن الرؤساء والكبراء والأشراف بـ (الأعناق) و (أعناق) . وعبر عن الجماعة الكثيرة بـ (الأعناق) كذلك^٤ . وذكر الشاعر (عروة بن الورد) عتق الآرام في شعر له في وصفه للناشئات الماشية بتبختر . إذ قال :

والناشئات الماشيات الخوزرى كعتق الآرام أوفى أو صرى^٥

والعرب مثل غيرهم لا يحبون الصلع . ويكثر ظهوره بين العجزة والمسنين والأشراف . وقد ذكر ان أكثر الأشراف من العرب كانوا من الصلع ، وتفسير ذلك ان أكثر الأشراف هم من ذوي الأسنان ، وان الإنسان إذا تقدمت به السن ، أخذ الصلع يجد له مكاناً في رأسه فيلعب فيه . ومن ذلك قول الناس يوم بدر : (ما قتلنا إلا عجائز صلعاً) أي مشايخ عجزة عن الحرب . وأنشد (ابن الاعرابي) : (يلوح في حافات قتلاه الصلع) أي يتجنب الأوغاد ولا يقتل إلا الأشراف^٦ .

وهم يفضلون (الأفرع) على الأصلع . والأفرع هو الكثير الشعر . وكان (أبو بكر) أفرع ، وكان عمر أصلع . وكان رسول الله أفرع ذا جمة^٧ . والصلع خير من (القرع) ، لأن القرع داء يصيب الرأس ، فيؤثر في منظره

- ١ تاج العروس (١٣٥/٢) ، (دح) .
- ٢ تاج العروس (١٣٦/٢) ، (دودحة) .
- ٣ تاج العروس (١٣٦/٢) ، (درديح) .
- ٤ تاج العروس (٢٦/٧) ، (عنق) .
- ٥ اللسان (٢٣٧/٤) ، (خزر) .
- ٦ تاج العروس (٤١٦/٥) ، (صلع) .
- ٧ تاج العروس (٤٤٩/٥) ، (فرع) .

ويسبب سقوط شعره وحدث أثر دائم فيه ، وقد تنبث رائحة كريهة منه ^١ .
وقد ذكر الأخباريون أسماء عدد من الأشراف عرفوا بقرعهم .

وقد اشتهر بعض العرب بطول القامة ، حتى زعم ان بعضاً منهم كان اذا ركب الفرس الجسم خبطت ابهاماه في الارض . وذكروا من هؤلاء : (جذيمة ابن عاقمة بن فراس) ، المعروف بـ (جذل الطعان) الكناني ، و (ربيعة بن عامر بن جذيمة بن علقمة بن فراس) ، وكان يماشي الظعينة فيقبلها ، فسُمي (مقبل الظعن) . و (زيد الخيل بن المهلهل الطائي) ، و (أبو زيد حرمة ابن النعمان الطائي) ، وعدي بن حاتم بن عبد الله الطائي ، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وأبوه سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ ، وعبد الله بن أبي ابن سلول ، وبشير بن سعد ، أخو بني الحارث بن الخزرج ، وجبلبة بن الأيهم الغساني ، وحمل بن مرداس النخعي ، ومالك الأشتر بن الحارث النخعي ، وعبد الله بن الحصين ذي الغصة الحارثي ، وعامر بن الطفيل الجعفري ، وقيس ابن سلمة بن شراحيل بن أصهب الجعفي ^٢ .

العرب أفخر الأمم :

يرى الجاحظ ان العرب أفخر الأمم ، وأرفعها وأحفظها لأيامها ، وينسب ذلك الى طبيعة بلادهم . إذ (كانوا سكان فياف وتربية العراء ، لا يعرفون الغمق ولا اللثى ، ولا البخار ولا الغلظ ولا العفن ، ولا التخم ، أذهان حداد ، ونفوس منكرة ، فحين حملوا حدهم ووجهوا قولهم لقول الشعر وبلاغة المنطق ، وتشقيق اللغة وتصارييف الكلام ، بعد قيافة الأثر وحفظ النسب ، والاهتداء بالنجوم ، والاستدلال بالآفاق ، وتعرف الأنواء ، والبصر بالخيال وآلة الحرب ، والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس ، وإحكام شأن المثالب والمناقب ، بلغوا في ذلك الغاية ، وحازوا كل أمانة . وبعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر ، وهمهم أرفع من جميع الأمم وأفخر ، ولأيامهم أحفظ وأذكر) ^٣ . وهم

١ تاج العروس (٤٦٣/٥) ، (قرع) .

٢ المجبر (ص ٢٣٣ وما بعدها) .

٣ مناقب الترك ، من رسائل الجاحظ (٧٠/١) .

لطبيعة الأرض التي ولدوا بها صاروا على هذه الحال ، ولم يصيروا كاليونان في الحكمة وفي العلوم ، ولا كالصين في السبك والصياغة والإفراغ والاذابة والأصباغ العجيبة ، وأصحاب الحرط والنحت والتصوير ، ولا كالفنود أو الفرس ^١ .

وقد وصف الأعرابي بالتفاخر والتباهي ، فهو فخور معجب بنفسه مترفع عن غيره حتى لكأنه النمر . مع انه من أفقر الناس . ولهذا صاروا اذا أرادوا وصف شخص متغطر متعجب مع انه لا يملك شيئاً يفوق به نفسه على غيره ، قالوا عنه : (نبطي في حيوته . أعرابي في نمرة ، أسد في تامورته) . ^٢

العجم :

ويطلق العرب على غيرهم ممن لا ينتمون الى العرب ، لفظة (أعاجم) . و (العجم) عندهم خلاف العرب . والرجل الواحد (أعجمي) . ولعلماء اللغة آراء في تفسير هذه اللفظة ^٣ . وهي من الألفاظ الجاهلية ، لورودها في القرآن الكريم . ففيه : (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي) ^٤ . و (أعجمي وعربي . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) ^٥ ، و (لو جعلناه قرآناً أعجمياً ، لقالوا لولا فصلت آياته) ^٦ ، و (لو نزلناه على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) ^٧ . ففي هذه الآيات دلالة واضحة على ان المراد من (أعجمي) خلاف العربي ، وان هذا المصطلح كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام .

ويطلق العرب على العجم (الحمراء) لبياضهم ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم . وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم : انهم الحمراء . والعرب اذا قالوا : فلان أبيض

١ مناقب الترك من رسائل الجاحظ (١/٦٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣/٥٨٥) ، (نمر) .

٣ تاج العروس (٨/٣٨٩ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/٢٢٩) .

٤ النحل ، الآية ١٠٣ .

٥ فصلت ، الآية ٤٤ .

٦ فصلت ، الآية ٤٤ .

٧ الشعراء ، الآية ١٩٨ .

وفلان ييضاء ، فعناه الكرم في الأخلاق لا لون الحلقة . وإذا قالوا : فلان أحمر وفلانة حمراء عنوا يياض اللون . والعرب تسمي الموالي : الحمراء^١ . جاء في الحديث : (بعثت الى الأحمر والأسود) ، أي الى العجم والعرب كافة^٢ .

وورد ان العرب تقول : جاء بغنمه حمر الكلى وجاء بها سود البطون ، معناهما المهازيل . وهو مجاز^٣ . ويدكرون ان معنى حمر الكلى الامتلاء والسمن ، والسود بمعنى الهزال والرشاقة . ولما كان الأعاجم يمثلني الجسم بالنظر الى العرب ، قالوا لهم (الحمراء) . وقد كان العرب يطلقون على الموالي (الحمراء) ، وإذا سبوا أحدهم قالوا ، (يا ابن حمراء العجان أي يا ابن الأمة . كلمة في السب والذم^٤) . ولعلتهم فعلوا ذلك بسبب امتلاء أجسام الموالي ولا سيما العجان ، الذين لا يتحركون ولا يتنقلون من أماكنهم ، ويأكلون الخبز فامتلات لذلك بطونهم وتكرشوا .

ولم يشرح علماء العربية الاسباب التي حملت العرب على تلقيب العجم بـ (رقاب المزود) (رقاب المزود)^٥ . وقد ذكر بعض العلماء ، ان العرب إنما لقبوا العجم بـ (رقاب المزود) ، لطول رقابهم أو لضخامتها كأنها ملأى^٦ .

ويكنى العرب بـ (السبط) عن العجمي وبـ (الجعد) عن العربي^٧ . وذلك لان سبوة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب . ولكنهم كانوا يفرقون بين جعودة شعر العرب وجعودة شعر الزنج والنوبة . لانهم ينظرون الى الزنج والسود على انهم دونهم في المنزلة والمكانة . ولهذا قالوا ان العرب تمدح الرجل إذ تقول رجل جعل ، أي كريم جواد كناية عن كونه عريياً سخياً ، لان العرب موصوفون بالجعودة ، وتلم الرجل أيضاً حين تقول : رجل جعل ، إذ يقصدون بذلك

١ اللسان (٢١٠/٤) ، (حمر) ، تاج العروس (١٥٤/٣) ، (حمر) .

٢ تاج العروس (١٥٤/٣) ، (حمر) .

٣ تاج العروس (١٥٨/٣) .

٤ تاج العروس (١٥٨/٣) .

٥ اللسان (ز/و/د) ، (١٩٨/٣) .

٦ تاج العروس (٣٦٦/٢) ، (زاد) .

٧ تاج العروس (١٤٩/٥) ، (سبط) .

رجلاً لثيماً لا يبيض حجره ، وقد يراد به رجل قصير متردد الخلق . فهو من الأضداد . لذلك فالجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً . وإذا قالوا رجل جعد السبوة فمدح ، إلا أن يكون قططاً مفلفل الشعر فهو حينئذ ذم^١ .

ومن المجاز قول العرب : الأعداء صهب السبال وسود الأكباد ، وإن لم يكونوا كذلك ، أي صهب السبال ، فكذلك يقال لهم . ورد في الشعر :

جاؤا يحرون الحديث جرّاً صهب السبال يتخون الشرّاً

وأما يريدون أن عداوتهم كعداوة الروم . والروم صهب السبال والشعر ، والا فهم عرب والوانهم الأدمة والسمرة والسواد^٢ .

ويذكر علماء اللغة أن العرب تصف ألوانها بالسواد ، وتصف ألوان العجم بالحمرة . وقد افتخر الشعراء بذلك في الجاهلية وفي الإسلام . من ذلك قول الفضل بن عباس بن عتبة اللهي :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

يقول : أنا خالص لأن ألوان العرب السمرة . ومن ذلك قول مسكين الدارمي :

أنا مسكين لمن يعرفني لونى السمرة ألوان العرب^٣

قال (الجاحظ) : (والعرب تفخر بسواد اللون .. وقد فخرت أخضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الأخضر) . ثم ذكر أمثلة من أشئلة افتخار بعض القبائل والأشخاص بكونهم (خضراً) . حتى قال : (وخضر غسان بنو جفنة الملوك ؟ قال الغساني :

إن الخضارمة الخضر الذين ودّوا أهل البريص ثمانى منهم الحكم

وقد ذكر حسان أو غيره الخضر من بني عُكيم ، حين قال :

ولست من بني هاشم في بيت مكرم ولا بني جمح الخضر الجلاعيد

١ تاج العروس (٢ / ٣٢٠ وما بعدها) ، (جعد) .

٢ تاج العروس (١ / ٣٤٢) ، (صهب) .

٣ تاج العروس (٣ / ١٧٩ وما بعدها) ، (خضر) ، رسائل الجاحظ ، كتاب فخر السودان على البيضان (١ / ٢٠٧) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .

قالوا : وكان ولد عبد المطلب العشرة السادة كُلماً ضخمأ ، نظر اليهم عامر ابن الطفيل يطوفون كأنهم جمال جون ، فقال : بهؤلاء تمنع السدانة .

وكان عبد الله بن عباس أدلم ضخماً ، وآل أبي طالب أشرف الخلق ، وهم سود وأدم ودلم)^١ .

واشتهر بعض سودان العرب بالشجاعة والاقدام ، منهم أربعة عرفوا بـ (أغربة العرب) وذؤبان العرب . منهم : عنترة وخفاف بن ندبة السلمي ، سرى فيه السواد من قبل أمه ، وهو من حرّة بني سليم . أدرك الذي ، وكان شاعراً شجاعاً ، وقل ما يجتمع الشعر والشجاعة في واحد . ومنهم السليك بن السلوك^٢ .

وهناك قبائل غلب على لونها السواد ، حتى عبر عنها بـ (دلم) . والدلم الرجل الشديد السواد^٣ . جاء إليها السواد ، لكون أصلها من افريقية على ما يظهر ، وكانت قد استقرت بجزيرة العرب وتعربت ، حتى عدت من العرب . أما الأسر والأفراد الدلم ، فقد ظهر السواد على لونها بالتزاوج من الملونين . فقد كان من عادة الأشراف الاتصال بالإماء السود ، فاذا ولدن منهم أولاداً نجباً شجعاناً ألحقهم آبائهم بهم ، ونسبوا اليهم كالذي كان من أمر عنترة العبسي . وقد مال قوم من قريش الى التزوج بالإماء السود ، وقد ظهرت هذه التزعة بين السادات والأشراف .

وقد ذكر (الجاحظ) في معرض حجج السودان على البيضان ، وعلى لسان الزنج قولهم للعرب : (من جهلكم أنكم رأيتمونا لكم أكفاء في الجاهلية في نسائكم ، فلما جاء عدل الإسلام رأيتم ذلك فاسداً ، وما بنا الرغبة عنكم . مع ان البادية منا ملأى ممن قد تزوج ورأس وساد ، ومنع الدمار ، وكنتفكم من العدو)^٤ . وفي هذا القول اشارة الى التزاوج الذي كان بين العرب والزنج ، أي السودان المجلوبين من افريقية ، في أيام الجاهلية . والى انصراف العرب عنه

١ فخر السودان ، للجاحظ (٢٠٧/١ وما بعدها) ، من (رسائل الجاحظ) ، تحقيق عبد السلام هارون) .

٢ النعالي ، ثمار (١٥٩ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٢٩٢/٨) ، (دلم) .

٤ من رسائل الجاحظ (١٩٧/١) .

في الإسلام ، ما خلا البادية ، وذلك بسبب اقبالهم على التزوج بالفارسيات والروميات وبغيرهن على ما يظهر ، بسبب الفتوح وتوسع أسواق النخاسة في هذا الوقت . وارتفاع مستوى الوضع الاقتصادي للعرب في الإسلام عنه في الجاهلية ، مما مكنهم من التزوج بالأجنبيات البيض الجميلات وتفضيلهن على السودانيات . وظهور نظرة الازدراء الى السودان في الإسلام ، بسبب الأعاجم المسلمين الذين كانوا يزددون العبيد وينظرون اليهم على أنهم دونهم في المتزلة ، فانتقلت هذه النظرة منهم الى العرب .

ويظهر من رسالة الجاحظ : (فخر السودان على البيضان) ، ان نزاعاً كان قد دبّ بين السودان والعرب في الإسلام ، بسبب نظرة الازدراء التي أخذ الفاتحون ينظرون بها اليهم فصاروا يترفعون عنهم ولا يخالطونهم . وهذا مما أغاضهم ، وحلهم على نبش الماضي ، والاتيان بالأخبار وبالأشعار عن دور الحبش في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وكيف أنهم كانوا قد ملكوا (بلاد العرب من لدن الحبشة الى مكة)^١ ، وهزموا ذا نواس ، وقتلوا أقيال حمير ، فلكوا العرب ولم يملكهم العرب^٢ . الى غير ذلك من دعاوي تجدها في قصيدة الشاعر الزنجي (الحيقطان) ، التي يفتخر فيها بالحبش على العرب ، على نحو فخر الشعوية بأصولهم على العرب . وهي قصيدة شهيرة ، قالها يوم سمع (جرير) يسخر منه بشعر قاله في وصفه . فرد عليه ردّاً شديداً بقصيدته هذه التي نظمها وهو باليامة^٣ .

وقد عُرفت بعض القبائل ببياض بشرتها ، واشتهرت نساؤها ببياض البشرة ، ورد (في الحديث انه لما خرج من مكة قال له رجل : إن كنت تريسد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج)^٤ . ويقال للمرأة التي يغلب على لونها البياض (الحمراء) ، وقد لقب الرسول زوجته (عائشة) بـ (الحمراء) ، لبياض لونها .

١ رسائل الجاحظ (١/١٩٣ وما بعدها) .

٢ المصدر نفسه .

٣ رسائل الجاحظ (١/١٨٠ ، ١٨٢ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٨/١٨١ وما بعدها) ، (آدم) .

القبيلة :

والقبيلة هي عماد الحياة في البادية ، بها يحمي الأعرابي في الدفاع عن نفسه وعن ماله ، حيث لا (شُرَط) في البوادي تؤدب المعتدين ، ولا سجون يُسجن فيها الخارجون على نظام المجتمع ، وكل ما هناك (عصبية) تأخذ بالحق و (أعراف) يجب ان تطاع .

والرابط الذي يربط شمل القبيلة ويجمع شتاتها هو (النسب) . ويفسر ذلك بارتباط أبناء القبيلة كلها بنسب واحد وبدم واحد وبصلب جدّ أعلى من صلبه انحدر أفراد القبيلة في اعتقادهم . ولهذا نجد أهل الأنساب يرجعون نسب كل قبيلة الى حدّ أعلى ، ثم يرجعون أنساب الجدود ، أي أجداد القبائل الى أجداد أقدم ، وهكذا ، حتى يصلوا الى الجدّين للعرب : قحطان وعدنان .

وقد حفظت الكتابات العربية الجنوبية أسماء عدد كبير من القبائل ، لم يعرف أسماء أكثرها أهل الأخبار . وهي تفيدنا من هذه الناحية فائدة كبيرة في الوقوف على هذه القبائل ، وبعضها كان قد هلك وانحلّ واختلط في القبائل الأخرى قبل الميلاد وبعضها بعد الميلاد وقبل الإسلام بأمد .

وتألّف القبيلة من بيوت ، يختلف عددها باختلاف حجم القبيلة ، وباختلاف المواسم . ففي مواسم الربيع ، تضطر أحياء القبيلة على الانتشار والابتعاد ، لتتمكن لبلها من الرعي ومن املاء بطونها بالعشب . فتتجمع على شكل مستوطنات يتراوح عدد بيوت كل مستوطنة منها ما بين الخمسين والمائة والخمسين بيتاً . أما في المواسم الأخرى ، حيث تنحبس الأمطار وتجف الأرض ، فتعود أحياء القبيلة الى تكتلها وتجمعها ، فتكون كل مجموعة حوالى (٥٠٠) بيت أو أكثر . تتجمع حذر وقوع غزو عليها ، وللتعاون فيما بينها عند الشدة والعسر^١ .

والقبيلة في عرف علماء اللغة جماعة من أب واحد ، والقبائل في نظرهم من قبائل الرأس لاجتماعها ، أو من قبائل الشجرة وهي أغصانها^٢ ، فهي إذن جماعة من الناس تضم طوائف أصغر منها ، وهي تنتمي كلها الى أصل واحد وجذر

١ W. Caskel, Die Bedeutung der Beduinen, S., 8.

٢ تاج العروس (٧٢/٨) ، (قبل) .

راسخ ، ولها نسب مشترك يتصل بأب واحد هو أبعد الآباء والجد الأكبر للقبيلة . فالرابط الذي يربط بين أبناء القبيلة ويجمع شملها ويوحد بين أفرادها هو (الدم) ، أي النسب . والنسب عندهم هو القومية ورمز المجتمع السياسي في البادية . والقبيلة هي الحكومة الوحيدة التي يفقهها الأعرابي ، حيث لا يشاهد حكومة أخرى فوقها . وما تقرر حكومته هذه من قرارات يطاع وينفذ ، وبها يستطيع ان يأخذ حقه من المعتدي عليه .

وهذه النظرة الخاصة بتعريف القبيلة ، هي التي حملت أهل الأنساب والأخبار على اطلاق لفظة (القبيلة) على الحضرة أيضاً . مع انهم استقروا وأقاموا . فقريش عندهم قبيلة ، والأوس ، والخزرج قبيلة ، وثقيف قبيلة . ذلك لأن هؤلاء الناس وان تحضروا واستقروا وأقاموا ، وتركوا الحياة الأعرابية ، إلا أنهم بقوا رغم ذلك على مذهب أهل الوبر ودينهم في التمسك بالانتساب الى جد أعلى وإلى أحياء وبطون . وفي اجابة النخوة والعصبية ، وما شابه ذلك من سجايا البداوة ، فعُدوا في القبائل ، وان صاروا حضراً وأهل قرار ، وقد طلقوا التنقل وانتجاع الكلاً .

وتشارك الشعوب السامية العرب في هذه النظرة . لأن نظامها الاجتماعي القديم هو كالنظام العربي قائم على القبيلة . والقبيلة عندها جماعة من بيوت ترى انها من أصل واحد ، وقد انحدرت كلها من صلب جد واحد . فهم جميعاً أبناء الجد الذي تتسمى به القبيلة . وهم مثل العرب في النداء وفي النسب . فقد يذكرون الاسم فقط ، فيقولون مثلاً : أدوم ومؤاب واسرائيل ويهوذا ، أو أبناء اسرائيل وأبناء يهوذا ، وبنو اسرائيل وبنو يهوذا . وقد يقولون : بيت اسرائيل وبيت يوسف وبيت خمرى وبيت ادني ، بمعنى أبناء المذكورين . تماماً كما نقول : غسان ، وآل غسان ، وأبناء غسان وأولاد غسان ومن غسان ، وغساني ، وما شاكل ذلك ، ويريدون بها شيئاً واحداً ، هو النسب . أي الانتماء الى جد واحد به تسمى القبيلة واليه يرجع نسبها .

وهم يشعرون كالعرب ان أبناء القبيلة هم إخوة وهم من دم واحد ، ومن لحم ودم ذلك الجد . وهم يخاطبون بعضهم بعضاً بقولهم : (أنت من لحمي ودمي) . وفي التوراة أمثلة عديدة من هذا القبيل . فلما ذهب (ابو مالك بن

يربعل) الى عشيرة أمه خاطب أبناءها بقوله : (أما خبير لكم ! أن يتسلط عليكم سبعون رجلاً جميع بني يربعل ، أم ان يتسلط عليكم رجل واحد . واذكروا أني أنا عظمكم ولحمكم)^١ . وقد اعتبر (داوود) جميع أبناء عشيرته إخوة له^٢ . وخاطب (شيوخ يهوذا) بقوله : (أنتم لإخوتي ، أنتم عظمي ولحمي)^٣ . فأبناء القبيلة هم إخوة من دم واحد . يسري في أجسامهم جميعاً ما دامت القبيلة حية باقية . ووحدة الدم هذه هي الرابط الذي يجمع شمل القبيلة . وهي صلة رحم ، وعصبية ، والحكومة الصحيحة التي يجب ان تطاع .

والعربي مثل بقية الساميين لم يفهم الدولة إلا انها دولة القبيلة . وهي دولة صلة الرحم التي تربط الأسرة بالقبيلة . دولة العظم واللحم ، دولة اللحم والدم ، أي : دولة النسب . فالنسب هو الذي يربط بين أفراد الدولة ويجمع شملهم . وهو دين الدولة عندهم وقانونها المقرر المعترف به . وعلى هذا القانون يعامل الإنسان . وبالعرف القبلي تسير الأمور . فالحكام من القبيلة ، وأحكامهم احكام تنفذ في القبيلة ، واذا كانت ملائمة لعقلية القبيلة والبيئة ، وهذا هو ما يحدث في الغالب ، نصير سنة للقبيلة ، نستطيع تسميتها بـ (سنة الأولين) . ووطن القبيلة هو بالطبع مضارب القبيلة حيث تكون ، وحيث يصل نفوذها اليه ، فهو يقتلص ويتوسع بتقلص ويتوسع نفوذ القبيلة .

وقد واجه المسلمون في أيام الفتوح صعوبة كبيرة في فتوحهم بسبب العقلية القبلية وضيق أفقها ، وعدم تمكنها من التخلص من مثلها الجاهلية بسهولة . فقد كان على القائد ان يقاتل عدوه بجيش يحارب على شكل كتل قبائل ، تتكون كل كتلة من مقاتلي قبيلة واحدة ، لا من جنود يتسمون الى أمة هي فوق الكتل والقبائل . وكان على رأس كل وحدة مقاتلة رؤساء من القبيلة التي ينتمي اليها الجنود . وقد واجه الإمام (علي) صعوبة حيناً حارب في معركة الجمل وفي معركة صفين وغيرها ، إذ اشترطت عليه القبائل المحاربة ، ألا تحارب إلا رجال قبيلتها الذين يكونون ضده ، فالهمدانيون الذين معه يحاربون الهمدانيين الذين يحاربون مع خصمه . وهكذا فعلت بقية القبائل ، للعصبية القبلية ، لأنهم لم يكونوا يستطيعون رؤية قبيلة غريبة تفتك

-
- ١ سفر القضاة ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢ .
 - ٢ صموئيل الاول ، الاصحاح ٢٠ ، الآية ٢٩ .
 - ٣ صموئيل الثاني ، الاصحاح التاسع عشر ، الآية ١٣ .

بإخوانهم من قبيلتهم ، وهم ينادون بشعار العصية ، شعار القبيلة . أما هم فإن قاتلوا لإخوانهم من قبيلتهم ، فإن قتالهم هذا يختلف عن قتال الإخوة حين يقتتلون قتالاً قد يكون أشد ضراوة من قتال الغرباء ، لا يلتفت فيه الى وجود دم واحد بين المتقاتلين ، والى أنهم من بيت أب وأم ، يحتم عليهم التكتل والتعصب ، إذ لا غريب هنا أمامهم في هذا القتال .

ولست بحاجة وأنا في هذا المكان ، لتكرار قول سبق ان قلته في الجزء الأول من هذا الكتاب - من ان أسماء القبائل لا تعني بالضرورة انها أسماء أجداد حقيقيين عاشوا وماتوا . فبينها كما سبق ان قلت أسماء مواضع ، مثل غسان ، وبينها أسماء أصنام مثل (بنو سعد العشرة) وبينها أسماء أحلاف مثل (تنوخ) وبينها نعوت وألقاب .. الى آخر ذلك من أسماء قبائل وصلت الى علم علماء الأنساب ، فأوجدوا لها معاني واعتبروها أسماء رجال حقيقيين تزوجوا ونسلوا ومنهم من كان عاقراً فلم ينسل ، فلذهب أثره ، ولم تبق له بقية^١ .

والمفهوم من لفظة (القبيلة) في العادة : القبائل التي تتألف من عوائل وما وراء العوائل من أقسام . فاذا ذكرت القبيلة انصرف الذهن الى آلاف من البيوت تجتمع تحت اسم تلك القبيلة . ولكن الناس يتجاوزون في الكلام وفي الكتابة أحياناً فيطلقونها على عدد قليل من الناس قد يبلغ ثلاثة نفر أو أربعة مثل : (بنو عبد الله ابن أفصى بن جديلة) ، و (بنو جساس بن عمرو بن خويّة بن لوزان) ، من (بني فزارة) ، و (كليب بن عديّ بن جناب بن هبل) ، و (بنو شقرة) من تميم . وقد يطلقونها على أكثر من ذلك ، ولكن على عدد قليل من الناس أيضاً ، كأن يكون خمسين رجلاً أو ستين^٢ . وهذا الاستعمال ، هو على سبيل التجوز لا الاصطلاح .

ويرى علماء العربية ان هناك تجمعات ، هي في نظرهم أكبر حجماً من القبيلة أطلقوا عليها (الشعوب) . فذكروا ان الشعوب فوق القبائل ، ومثاله : بنو قحطان ، وبنو عدنان ، فكل منها شعب . وما دونها قبائل . وذهب بعض منهم الى ان (الشعوب) للعجم ، فإن الشعوب بالنسبة لهم ، مثل القبائل

١ راجع الجزء الأول من كتابي (ص ٢٩٤ وما بعدها) .

٢ المحبر (ص ٢٥٦) ، (القبائل التي لا يزيد عددها) .

للعرب ، ومنه قيل للذي يتعصب للعجم (شعوبي) ، وقيل : بل هي للعرب وللعجم . والذي عليه أكثر علماء الأنساب ، ان الشعب أكبر من القبيلة ، وان الشعب أبو القبائل الذي يتسبون اليه ، أي يجمعهم ويضمهم^١ .

ويظهر ان مردّ هذا الاختلاف هو ما ورد في القرآن الكريم من قوله : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)^٢ . فقدم (الشعوب) على القبائل . فذهب أكثر المفسرين والعلماء الى ان هذا التقديم يعني ان الشعب أكبر من القبيلة ، وان الشعوب الجماع والقبائل البطون ، أو الشعوب الجمهور والقبائل الأفخاذ ، أو الشعوب : النسب البعيد ، والقبائل : دون ذلك ، كقولك فلان من بني فلان ، وفلان من بني فلان . وتأول بعض آخر هذا المعنى ، فذهبوا الى ان هذا التقديم أو التأخير ، لا علاقة له بالكبر ، أي بحجم الشعب أو القبيلة ، والآية لا تريد ذلك ، وانما تريد الأنساب ، وانها نزلت في بيان ان الإنسان لا ينسبه ، وانما يعمل به . وعلى هذا ، فإن الشعب ، في نظرهم دون القبيلة في الترتيب . والشعب بعد القبيلة في الدرجة^٣ .

وقد أخذ العلماء بالتأويل الأول للفظ (الشعب) ، حتى صار هذا المعنى هو المعنى المفهوم منها عند الناس في الإسلام . فهي انما تعني اليوم جنساً من أجناس البشر له خصائصه ومميزاته ، كالشعب العربي والشعب اليوناني والشعب التركي والشعب البريطاني والشعب الأميركي ، وهكذا . أو جزءاً كبيراً مستقلاً من أجزاء أمة واحدة ، كأن نقول : الشعب العراقي ، والشعب السوري ، والشعب السعودي ، والشعب المصري ، أي وحدة جغرافية سياسية ذات كيان .

ولفظ (الشعب) ، من الألفاظ الواردة في نصوص المسند . وهي فيها بمعنى قبيلة ، وتكتب (شعبن) ، بمعنى (الشعب) . وحرف النون في أواخر الأسماء أداة للتعريف في العرييات الجنوبية . فهي إذن مرادف (قبيلة) بالضبط . والجمع (اشعب) ، أي (شعوب) . ورد (سباواشعهمو) ، أي (سبا وشعوبهم) ،

- ١ تاج العروس (٣١٨/١) ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم (٧٤) .
- ٢ سورة الحجرات ، السورة رقم ٤٩ ، آية ١٣ ، تفسير الطبري (٨٨/٢٦) ، تفسير الألوسي (١٤٧/٢٦) .
- ٣ تفسير الطبري (٨٨/٢٦) .

أو (سبأ وقبائلهم) بتعبير أدق وأصح . وورد (شعبن معن) ، أي (قبيلة معين) ، و (شعبن همدان) ، أي (قبيلة همدان) . والظاهر ان أهل مكة ، وقفوا في الجاهلية على هذه اللفظة أيضاً فاستخدموها ، وان قبائل حجازية مجاورة لمكة ، كانت تستعمل لفظة (شعب) و (الشعب) ، بمعنى قبيلة ، ونظراً لورودها معاً في القرآن الكريم ، فرّق العلماء بين اللفظتين ، باعتبار ان ذكرهما معاً ، يعني وجود بعض الاختلاف في المراد منها . فوقع من ثمّ بين المسلمين هذا التمييز ، وصارت لفظة (الشعب) تدل على معنى يختلف عن معنى كلمة (قبيلة) و (القبيلة) .

ويلى الشعب في اصطلاح أهل النسب : القبيلة ، ثم العارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة . فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، والقبيلة مثل ربيعة ومضر ، والعاراة مثل قريش وكنانة ، والبطن مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ، ومثل بني هاشم ، وبني أميّة ، والفصيلة مثل بني أبي طالب وبني العباس^١ . وجعل (ابن الكلبي) مرتبة بين الفخذ والفصيلة هي مرتبة العشيرة ، وهي رهط الرجل^٢ .

وورد ان البطن دون القبيلة أو دون الفخذ وفوق العارة . وذكر بعضهم ان أول العشيرة : الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ، ثم العارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ^٣ . وذلك على رأي من جعل العشيرة : العامة . مثل : بني تميم وبني عمرو بن تميم . أي الجماعة العظيمة^٤ .

وزاد بعض العلماء الجذم قبل الشعب ، وبعد الفصيلة العشيرة ، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ، ثم العرة . ورتبها آخرون على هذه الصورة ، جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم عشيرة ،

- ١ اللسان (٥٧/١٤) ، (١٩٩/١٦) . بلوغ الأرب (١٨٧/٣) وما بعدها (، تاج العروس (٧٢/٨) ، السيرة الحلبية (٣٧/١) ، العمدة (١٩١/٢) ، (محمد محي الدين عبد الحميد) ، تاج العروس (١٤١/٩) ، (بطن) .
- ٢ العقد الفريد (٢٨٣/٣) فما بعدها (، المقرئ ، النزاع والنخاصم (٦٥) ، نهاية الأرب للنويري (٢٦٢/٢) وما بعدها .
- ٣ تاج العروس (١٤١/٩) ، (بطن) .
- ٤ تاج العروس (٤٠٣/٣) ، (عشر) .

ثم فصيلة ، ثم رهط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية . وزاد غيرهم في أثنائها ثلاثة هي : بيت ، وحي ، وجماع .^١ وذكر بعض علماء اللغة أن (الجذم) ، الأصل في كل شيء . فيقال : جذم القوم أهلهم وعشيرتهم . ومنه حديث حاطب ، لم يكن رجل من قريش الا له جذم بمكة .^٢

وذكر بعض العلماء ان العمارة الحية العظم يقوم بنفسه .^٣ وان الفرق بين الحية والقبيلة هو ان الحية لا يقال فيه بنو فلان نحو قريش وثقيف ومعد وجذام . والقبائل يقال فيها بنو فلان مثل بني نعيم وبني سلول .^٤ وذكر أيضاً ان العمارة الحية العظم الذي يقوم بنفسه ، ينفرد بطعننها واقامتها ونجعتها . وقيل هو اصغر من القبيلة . وفي الحديث : انه كتب لعائز كلب وأحلافها كتاباً . قال التغلبي :

لكل اناس من معدٍ عمارة عروض^٥ ، اليها يلجأون ، وجانب^٥

وقسم (النويري) النظام القبلي عند العرب الى عشر طبقات^٦ . وابتدأ بـ (الجذم) وهو الاصل : وهو قحطان وعدنان ، والطبقة الاولى . ثم الجماهير ، وهي الطبقة الثانية ، ثم الطبقة الثالثة : الشعوب ، والطبقة الرابعة القبيلة ، وهي التي دون الشعب تجمع العائز ، ثم الطبقة الخامسة : العائز ، وهي التي دون القبائل ، وتجمع البطون ، ثم الطبقة السادسة : البطون ، وهي التي تجمع الأفخاذ ، والطبقة السابعة : الأفخاذ . وهي اصغر من البطن . والفخذ تجمع العشائر . والطبقة الثامنة : العشائر ، واحدها عشيرة ، وهم الذين يتعاقلون الى اربعة آباء . والطبقة التاسعة : الفصائل ، واحدها فصيلة ، وهم اهل بيت الرجل وخاصته ، والطبقة العاشرة : الرهط ، وهم الرجل واسرته .^٧

- ١ اللسان (٢٣٥/١٨) ، نهاية الأرب ، للنويري (٢٦٢/٣) فما بعدها) ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم (٧٤) .
- ٢ تاج العروس (٢٢٢/٨) .
- ٣ المفضليات (ص ٤١٤) ، القاموس (٩٥/٢) .
- ٤ الخوارزمي ، مفاتيح (ص ٧٤) .
- ٥ اللسان (٦٠٦/٤) ، (عمر) .
- ٦ نهاية الأرب (٢٧٧/٢) ، (الباب الرابع من القسم الاول من الفن الثاني في الانساب) .
- ٧ نهاية الأرب (٢٨٤/٢) وما بعدها) .

ما ذكرته يمثل مجمل آراء علماء النسب عند العرب في موضوع كيان القبيلة وفروعها التي تنفرع منها درجة درجة ، حتى تصل الى البيت ، الذي يتكون من الأب والأم وأولادهما . وقد رأينا انهم قد اختلفوا فيما بينهم وتباينوا في الترتيب وفي العدد . منهم من يقدم ، ومنهم من يؤخر ، ومنهم من يزيد ، ومنهم من ينقص . واختلفهم هذا فيما بينهم ، هو دليل يشعروا ان التقسيم المذكور لم يكن تقسيماً ثابتاً عند كل القبائل وأنه لم يكن تقسيماً جاهلياً بل كان تقسيماً محلياً اختلف بين قبيلة وأخرى ، وأن اسماء اجزاء القبيلة ، لم تكن اسماء عامة متبعة عند الجميع ، أي اسماء مقررة عند كل قبيلة ، بل هي اسماء اخذها العلماء من هنا وهناك ، ولهذا وقع بينهم هذا الاختلاف ، ولو كان عند الجاهليين تقسيم واحد لاجزاء القبيلة فما كان من المعقول ان يقع علماء النسب واللغة فيما رأينا من تباين واختلاف ، ولوجب اتفاقهم في الترتيب وفي العدد . فالتقسيم المذكورة اذن ، هي من وضع وترتيب وجمع علماء النسب واللغة في الاسلام .

وأصغر وحدة من وحدات القبيلة هي : الأسرة ، اي (البيت) . فهي نواة القبيلة وبنيتها وجذورها ، ومن نموها ظهرت شجرة القبيلة — التي يختلف حجمها وتختلف كثرة اغصانها وفروعها باختلاف منبت الشجرة والظروف والعوامل التي أثرت في تكوينها . من بلرة جيدة ومن تربة صالحة وماء كاف . والبيت هو نواة القبيلة عند العرب ، وهو نواة القبيلة عند كل الشعوب القبلية . بل هو نواة المجتمع في كل مجتمع انساني .

القحطانية والعدنانية :

تحدثت في الجزء الاول من هذا الكتاب عن القحطانية والعدنانية بما فيه الكفاية^١ ، وأعود هنا فأقول ان ما ذكرته عن اهل المدر وأهل الوبر ، اي عن الحضر والبدو او الاعراب وهم اهل البادية ، لا يعني ان الحضر هم القحطانيون ، وان الاعراب هم العدنانيون . كما ذهب الى ذلك بعض المستشرقين باعتبار ان غالبية من نسميهم القحطانيين هم حضر ، او اقرب من غيرهم الى الحضر ، وأن غالبية العدنانية

١ (١/٤٩٣ وما بعدها) .

اعرابية متبذرة . والصواب عندي ان في القحطانيين عرباً واعراباً ، وفي العدنانيين حضراً وبادية ، وان غلبت البداوة على العدنانيين . لأن من وجد الماء الدائم تنخ عليه وتحضر ، قحطانياً كان النازل أم عدنانياً ، فالحضارة تنبت حيث يكون الماء ، والماء لا يعرف النسب والقبائل . من وجدته وظفر به وأقام عليه تحضر واستقر ، فصار حضرياً .

ولهذا نجد في حضر جزيرة العرب اقواماً يحشرهم اهل الانساب في قحطان ، ونجد في حضرها اقواماً يرجعون نسبهم الى عدنان .

ونحن اذا ما رسمنا خارطة لكيفية توزع الحضر والاعراب ، أو لكيفية انتشار القبائل ، فاننا نجد ان منازل القبائل متداخلة مشتبكة . ليست بينها حدود ولا اسوار حاجزة تحجز القبائل القحطانية عن القبائل العدنانية . الا في العربية الجنوبية حيث يرجع النسابون نسب اكثر قبائلها الى أصل قحطاني . أما في الاماكن الاخرى ، فان القبائل القحطانية وكذلك القبائل العدنانية منتشرة ، انتشاراً لا يدل على وجود تكتل وتحزب . بل نجد القحطانية تجاور العدنانية وتخالطها ونجد القحطانية في جوار القحطانية ، والعدنانية في جوار العدنانية ، مما يدل على ان هذا التوزيع لم يقم ولم يستند على عنصرية وحزبية وعلى هجرات منتظمة ، وانما قام على حق القوة وتحكم القوي في الضعيف ، مهما كان عنصر القوي وأصله . وأن التكتل قد حدث بدوافع سياسية عسكرية لعبت دوراً خطيراً في تكون النسب .

وظاهرة اخرى نراها عند القبائل ، تتجلى في ان القبائل وان تنقلت وارتحلت من مكان الى مكان ، سعيّاً وراء الماء والكلاء ، كما يذكر اهل الاخبار ، الا ان ذلك لا يعني ان هذه الحركة هي حركة دائمية مستمرة ، وان القبائل كانت تنتقل دوماً من مكان الى مكان . بحيث صار الرحل لها سنة دائمة لازمة . فلو ثبتنا منازل القبائل على (خريطة) صورة جزيرة العرب ، استناداً الى روايات اهل الاخبار عنها ، وجدنا ، ان منازل القبائل لم تتبدل الا للضرورات ولأسباب قاهرة تكره القبيلة على ترك ديارها والارتحال عنها الى منازل جديدة . كأن تغزوها قبائل كثيرة العدد أقوى منها او ينحبس عنها المطر سنين ، تهلك الضرع ، او تحاربها قوة نظامية أقوى منها ، كالذي وقع لـ (إياد) ، حيث ازاحها (بنو عبد القيس) عن مواطنها في البحرين ، ثم شتت الفرس شملها في العراق فعندئذ تضطر القبيلة وهي مكروهة مجبورة على ترك ديارها للبحث عن ديار اخرى

جديدة . وتكاد تكون أكثر اسباب هجرات القبائل وارتحالها من اماكنها الى اماكن اخرى هي الأسباب المذكورة .

وطراز حياة القبائل في جزيرة العرب باستثناء العربية الجنوبية ، متشابه ، بحيث يصعب ان نجد فروقاً واضحة ظاهرة بين القبائل التي ينسبها النسابون المسلمون الى قحطان او الى عدنان ، فهي متشابهة وعلى وتيرة واحدة . وأما اللغة ، فانسلا لا نجد فيها بين القبائل العدنانية والقحطانية اي خلاف يذكر على ما يظهر من روايات علماء اللغة . بل نجد ان لهجات القبائل القحطانية الشمالية هي لهجات عدنانية ، مخالفة للهجات اهل اليمن المعروفة التي كانت سائدة في اليمن الى ظهور الاسلام . فلهجات اهل اليمن من الحميرية وغيرها ، بعيدة عن لهجات القبائل القحطانية والعدنانية بعداً متساوياً ، حتى بالنسبة الى القبائل اليمنية التي غادرت اليمن في عهد متأخر ، كما سأبحث عن ذلك فيما بعد ، وفي القسم الخاص بلغات اهل الجاهلية . ولهذا الظاهرة اهمية كبيرة بالنسبة الى دراسة اللغة والنسب عند العرب الجاهليين .

وعندي أن ما يلزم اليه المستشرقون من تقسيم العرب الى عرب جنوبيين وعرب شماليين ، هو تقسيم لا يمكن اعتباره تقسيماً علمياً . فان ما نشاهده من فروق في الملامح والمظاهر بين اهل العربية الجنوبية من اهل اليمن وحضرموت ومسقط وعمان وبين اهل الحجاز ونجد ، والعرب الشماليين الآخرين ، وان كان واضحاً ظاهراً ولا مجال الى نكرانه ، الا ان هذه الفروق لا يمكن اعتبارها مع ذلك حداً فاصلاً يقسم العرب الى مجموعتين : مجموعة شمالية ومجموعة جنوبية ، لسبب بسيط جداً سبق ان بينته في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وتحدثت عنه في مواضع اخرى منه . وهو ان كل مجموعة من المجموعتين لا تكون في نفسها وحدة متناسقة متجانسة ، بل تتألف من مجموعات يختلف بعضها عن بعض في السحن وفي الملامح ، بسبب عوامل الاتصال بالعالم الخارجي ، وبسبب اختلاف الظروف الطبيعية التي يعيش بها افراد كل مجموعة . فأهل جبال اليمن والجبال المتصلة بها الممتدة الى عمان ، يختلفون اختلافاً بيناً عن اهل السواحل والارضين المنخفضة ، ليس في الملامح والسحن فحسب ، بل وفي العمل وفي النشاط وفي المداير ايضاً . وأهل السراة في العربية الغربية يختلفون عن اهل تهامة وبقية ساحل البحر الأحمر ، وأهل نجد يختلفون عن اهل ساحل الخليج . يختلفون عنهم في السحن واللامح كما

يختلفون عنهم في المدارك وفي حدة الذهن . وهذا الاختلاف هو شيء واقعي بين
العيون ، يراه كل انسان حين يزور بلاد العرب . وهو في حد ذاته شاهد على
فساد نظرية المستشرقين في تقسيم العرب الى مجموعتين .

وبعد ، فهذه الطبيعة طبيعة جزيرة العرب - من جو وأرض ، من انحباس
مطر ومن ارتفاع في درجات الحرارة . ومن يبوسة في الهواء ، وقلة في الرطوبة ؛
ومن اختلاف في ضغط الجو اختلافاً يحل بتوازنه فيشير فيه اعاصير وعواصف ،
تعتدي على حرمة التربة الهادئة الراقدة ، فترفع رمالها الى ارتفاعات متباينة ، وتلفح
الأوجه والأجسام بـ (سموم) وبما شاكله من اهوية مزعجة ، تثير الغضب وتلهب
العصب ، وتجعل الجو داكناً اظلم مغبراً ، اضيف الى ذلك ما نراه من نور ساطع
وأشعة لامعة تحمل أمواجاً غير مرئية تؤثر في خلايا البشرة وفي النفس ، ثم هذه
الرطوبة المفرطة المتحركة في التهائم ، وهذه الندرة في الانهار ، والاسراف في
ظهور البوادي والصحارى ، وتحكم الطبيعة تحكماً جائراً في توزيع النبات والحيوان
على اهل جزيرة العرب : كل هذه الامور وامثالها أثرت اثراً كبيراً في نفس
اهل جزيرة العرب ، وفي شكل اجسامهم ، وفي حالة معيشتهم ، فجعلتهم يختلفون
عن غيرهم بأمور ، ويتباينون فيما بينهم بأمور ، وذلك لاختلاف طبيعة اجزاء
الجزيرة نفسها . ونحن لن نستطيع فهم العرب فهماً صحيحاً دقيقاً ، الا اذا درسنا
هذه الامور المذكورة وأمثالها دراسة علمية دقيقة . وعندئذ فقط نستطيع فهم سبب
تفشي البداة بين العرب ، وسبب تطبع العرب بطباع خاصة ، واتسامهم بسمات
وعلامات خاصة وبعلامح ومظاهر جسمية متباينة ، وأمثال ذلك مما تعرضت له في
نحت الجنس والسامية وفي بحث طبيعة العقلية العربية وما قيل في حقها من اقوال ،
وما ورد في العرب من مدح او ذم ومن وصف صادق او كاذب .

اركان القبائل :

يرجع كل العرب من حيث النسب الى ركن من (اركان القبائل) . فقد
اصطلح علماء النسب على ان للنسب عند العرب بعد قحطان وعدنان أربعة أركان :

ربيعة ومضر ويمن وقضاة .^١ وذلك على رأي من جعل قضاة ركناً قائماً بذاته . ولا يمكن ان يخرج نسب عربي أصيل عن أصل من هذه الأصول .

وورد ان العرب في النسب على أربع طبقات : خندفي وقيسي ، ونزاري ، ويمني .^٢ ويمن هي قحطان . وكان العرب يتعززون بانتسابهم الى اليمن ، فكان من ينقلب على نسبه يتخذ لنفسه نسباً يمانياً . (وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نفسه الى اليمن ، لأجل أن الملوك كانت في اليمن : مثل آل النعمان بن المنذر من لحم ، وآل سليح من قضاة ، وآل محرق ، وآل العرنج ، وهو حمير الأكبر ابن سبأ كالتبابعة والأذواء وغيرهم . والعرب يطلبون العز ولو كان في شامخات الشواقي ، وبطون الامالق البوائقي ، فينتسبون الى الأعز لحماية الحمية واباءة الدنية ..)^٣

ورجع بعض النسابين المعروفين نسب العرب الى ثلاث جرائيم : نزار ، واليمن وقضاة .^٤ ويمثل رأيهم هذا رأي القائلين بالأركان الاربعة للقبائل بالضبط ، لأن نزاراً هو في عرفهم والد ربيعة ومضر ، وكل ما فعلوه هنا ، هو انهم حذفوا اسمي الولدين وأحلوا اسم والدهما في محلها .

ورجع (المأمون) الخليفة العباسي ، اصول العرب الى قيس ويمن وربيعة ومضر . فلما تعرض عربي بالمأمون وهو في زيارته لبلاد الشام ، ولامه في تقديم أهل خراسان على العرب ، بقوله : (يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان) ، أجابه الخليفة : (أكثرت عليّ يا أخا اهل الشام ، والله ما انزلت قيساً عن ظهور الخيل الا وأنا ارى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد . وأما اليمن فوالله ما احببتها ولا أحبني قط . وأما ربيعة فساخطة على ربها منذ بعث الله نبيّه من مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شارياً ، اعزب عني فعل الله بك ...)^٥

فأركان العرب في رأي المأمون اربعة : قيس ويمن وربيعة ومضر . وهي كتل

١ بلوغ الأرب (٢٠٣/٣) .

٢ نهاية الأرب (٢٧٨/٣) .

٣ نهاية الأرب (٢٨٣/٢) .

٤ الانباه (٦٣) .

٥ الاسلام والمشكلة العنصرية ، لعبد الحميد العبادي (ص ٩٠ بعدها) .

كانت على عادة العرب متنافسة متحاسدة متباغضة ، ترى كل واحدة منها نفسها وكأنها أمة دون سائر الأمم ، و (يمن) كناية عن العرب الجنوبيين من همدان وحير وكندة وأمثالها ، وأما قيس وربيعة ومضر ، فكناية عن تكتلات وتجمعات العرب من غير اليمن .

وذهب (ابن حزم) الى ان جميع العرب من أب واحد ، سوى ثلاث قبائل ، هي : تنوخ ، والعُتق ، وغسان ، فان كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون . وذلك ان تنوخاً اسم لعشر قبائل اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فسُموا تنوخاً ، والعُتق جمعُ اجتمعوا على النبي ، فظهر بهم فأعتقهم فسُموا بذلك ، وغسان عدة بطون نزلوا على ماء يسمى غسان فسُموا به .^١

ولما جاء (خالد بن الوليد) الى العراق كان جيشه من (ربيعة) و (مضر)^٢ ومن قبائل يمانية . ومعنى هذا وجود ثلاثة اركان قبائل محاربة . ولما قال (خالد ابن الوليد) لـ (عليّ بن عليّ بن زيد العبادي) : (ويحكم ! ما انتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ! فما تنقمون من الانصاف والعدل ! فقال عليّ : بل عرب عاربة واخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم نحاذونا وتكرهوا امرنا ؟ فقال له عليّ : ليدلك على ما نقوله انه ليس لنا لسان الا بالعربية ، فقال : صدقت)^٣ ولا تعني جملة (بل عرب عاربة واخرى متعربة) معنى : ان العرب عربان ، عرب عاربة وعرب متعربة ، على النحو المفهوم منها عند اهل الاخبار . بل هي تعبر عن واقع اصل اهل الحيرة . فقد كان اهلها بين عرب صرحاء وبين عرب متعربة اي جماعة لم تكن عربية في الأصل وانما كانت من اصل عراقي وفارسي اقامت في الحيرة ، وتأثرت بأهلها العرب فتكلمت العربية حتى صارت العربية لسانها ، فهي من العرب المتعربة . وقد كان كل عرب العراق على هذا النحو في ذلك الوقت . فهم بين عرب خلّص وبين عرب متعربة ، لم تكن اصولها من منبت عربيّ ، وانما دخلت في العرب فتطبعت بطباعهم وأخذت لسانهم حتى نسيت ألسنتها القديمة ، وصارت من العرب .

١ بلوغ الأرب (١٩١/٣) .

٢ الطبري (٣٤٧/٣) ، (مسير خالد الى العراق وصلح الحيرة) .

٣ الطبري (٣٦١/٣) .

وقد ذكر بعض المؤرخين ان العرب من (نزار) ملكتهم الفرس . وأن العرب من غسان ملكتهم الروم ^١ . فجعل (نزاراً) في مقابل غسان . ولم يكن كل عرب العراق من (نزار) . بذلك على ذلك ان ملوك الحيرة على رأي اهل الاخبار من قحطان . والذي يلاحظ من كيفية توزيع القبائل على حسب رواية اهل الاخبار ان معظم قبائل العراق ، هي من قبائل (نزار) او من (ربيعة) و (مضر) بتعبير آخر . اما معظم قبائل بلاد الشام فهي من (يمن) . اي على عكس الحال في العراق . فهل يمثل هذا التقسيم توزيعاً تاريخياً صحيحاً ؟ بمعنى ان اكثر قبائل العراق ، قد وردت العراق من العربية الشرقية والعربية الوسطى ، اي من سواحل الخليج ونجد ، وان عرب بلاد الشام انما جاؤوا الى هناك من اليمن ، عن طريق الحجاز ونجد . او انه تقسيم سياسي اصطلاحي ، نشأ قبل الاسلام بعهد طويل من المنافسة التي كانت بين العراق وبلاد الشام ، المنافسة التي ظلت باقية في الاسلام . فقد كان بين العراق وبين بلاد الشام عداً وتباغض ، لعوامل لا مجال للبحث فيها في هذا المكان . وقد استولت حكومات العراق من حكومات وطنية وأجنبية على بلاد الشام مراراً ، مما ولد مرارة وأوجد حقداً بين اهل العراق وأهل الشام ، فانتقل ذلك الى عرب القطرين ايضاً . فحارب عرب العراق عرب بلاد الشام ، حتى وصل هذا العدا الى دعوى وجود فرق بين اصل عرب العراق وأصل عرب بلاد الشام . فصارت اكثر قبائل العراق في عرف اهل الانساب من ربيعة ومضر ونزار ، وصار معظم بلاد الشام في عرفهم من اليمن . قياساً على ما كان عليه العرب عند ظهور الاسلام من انصار ومهاجرين ، او من يمن وعدنان ، او قحطان وعدنان وما شابه ذلك من اسماء . اما رأيي ، فان لأهل الاخبار يبدأ طولى في هذا التقسيم الذي ظهر وابتغى في الاسلام . وان الجاهلية لم تكن تخلو من تجمعات وتكتلات قبلية ، لكنها كانت تختلف عن التجمعات التي اثارها النعرة القبلية الجديدة التي برزت في الاسلام ، والتي اثرت على ظهورها عوامل عديدة الى ان ثبتت ودونت في كتب اهل الانساب والاخبار .

وجعل بعض اهل الاخبار العرب يمناً ونزاراً . وذكر ان اليمن اصحاب بحر وبني نزار اصحاب بر ^٢ . وقصدوا باليمن اصحاب الساحل ، الذين عركوا البحر

١ المعاني الكبير (٩٤١/٢ وما بعدها) .

٢ المعاني الكبير (٦٤٠/٢) .

ونجبروه . عكس (نزار) ، عرب البر ، وهم قوم لا علم لهم بالبحر ، انهم لم يتعودوا على ركوبه . اذ سكنوا البر ولم يعركوا البحر ، فخافوا منه وتجنبوه .

والآراء المتقدمة في تقسيم العرب الى اركان وكتل ، هي آراء عربية محضة أخذت من واقع الحال ، ولم تستمد من التقسيم المألوف للعرب الى قحطانيين وعدنانيين ، التقسيم المأخوذ من التوراة على نحو ما شرحت ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب . ذلك لأن الحياة في بلاد العرب هي حياة تكتل وتحزب ، فكان لا بد للقبائل من عقد ائتلاف فيما بينها للمحافظة على نفسها من افتراس القبائل الكبيرة لها ، ومن استدلالها وأخذ ما تملكه . وهذه الائتلاف حافظت القبائل الضعيفة على حياتها ، وحدثت من طمع القبائل الضخمة في القبائل الهزيلة ، وصار في الامكان السيطرة على الأمن والتقليل من حى غزو القبائل بعضها بعضاً .

وحاجة الاعراب الى الائتلاف أكثر وأشد من حاجة الحضر اليها ، وذلك بسبب ان الغزو في البادية ضرورة من ضرورات الحياة لفقر البادية وشحها ، لانبساط ارضها وعدم وجود حواجز طبيعية تعوق الغزو وتحمي المغزو منه . فاضطرت القبائل على خلق حماية طبيعية لها هي الائتلاف . والائتلاف هي لغاية حماية المال والنفس في الغالب ، ولكبح جماح المعتدين اذن . اما الائتلاف الهجومية التي تعقد لتحقيق اغراض هجومية مثل غزو حلف حلفاً آخر او قبيلة ضخمة قبيلة ضخمة اخرى ، فانها لا تعمر طويلاً كما تعمّر الائتلاف الدفاعية ، لأن اسباب انعقادها تزول بتنفيذ ما اتفق عليه ، وقد يتحطم الحلف بسبب ظهور اختلافات مصالح لم تكن في حسابان المتحالفين يوم عقدوا حلفهم ، فيتصدع بنيان الحلف ويتهدم ويزول الحلف ليظهر محله حلف آخر جديد .

اما الحضر ، فان لهم من حماية ارضهم لهم ، ومن طبيعة الحياة التي يحيونها ما يخفف من حاجتهم الى الحلف القبلي ، ويجعل ائتلافهم ائتلافاً من طراز آخر . فقد منحت الطبيعة الحضر حجراً صلباً بنوا به ابراجاً وحصوناً ومعاقل حوا بها مستوطناتهم ، من طمع الطامعين فيهم ، ولا سيما من الاعراب الذين لا يسهل عليهم اقتحام الحصون ولا تهديمها لعدم وجود اسلحة تؤثر فيها ؛ ومنحتهم تربة صار من الممكن عمل الاجر او اللبن منها لبناء المحافد والآطام وما شاكل ذلك من وسائل الدفاع ، كما امدتهم بمواد بناء مكنتهم من انشاء الحيطان والأسوار حولها ،

وهي مانع يصد الأعراب عن الحضر . وهم بالإضافة الى ذلك أقدر على الدفاع عن أنفسهم وعلى اللجوء الى الحيل للتخلص من الأعراب بسبب تحضرهم وتقديمهم في التفكير على عقلية الفطرة التي جبل البدو عليها . وغاية ما فعله الحضر من الأحلاف ، هو تحالفهم مع من أحاط بهم من الأعراب لضمان عدم تحرشهم بهم أو لمنع الأعراب الآخرين من التحرش بهم . وعقد حبال مع القبائل لمرور تجارهم من أرضها بأمن وسلام مقابل هدايا أو أرباح أو أموال تعين ، تدفع الى ساداتها تأليفاً لقلوبهم وضماناً منهم لهم بعدم تحرش أحد بهم .

ولما تقدم انحصرت الأحلاف الكبرى أو التكتلات القبلية الضخمة بالأرضين المكشوفة التي غلب عليها الطابع الصحراوي . وبين القبائل التي غلبت البداوة عليها . والأحلاف الكبرى ، هي في نظري كناية عن النسب الأكبر عند العرب . فريضة ومضر وإياد وأنمار وقضاة ، هي في الواقع تكتلات قبيلة تكونت من قبائل غلبت البداوة على طبعها ، وقد ظهرت خارج العرية الجنوبية ، أي خارج الأرضين التي غلب على سكانها طابع الارتباط بالأرض والقرار . اما القبائل القحطانية ، التي هي في التوراة كناية عن قبائل عربية جنوبية مستقرة ، فكتل أخذت أسماءها من الأرضين التي كانت تحكمها أو من اسم القبيلة التي سميت باسمها . وبين أسماء القبائل وأسماء الأرضين صلة متينة ، بحيث يصعب الحكم فيما اذا كانت الأرض قد أخذت اسمها من اسم القبيلة ، أو أن القبيلة أخذت اسمها من اسم الأرض .

وقد لعبت فكرة (قحطان) و (عدنان) دوراً مهماً في حصر الأنساب عند العرب في الإسلام . يذكر الجاحظ ان رجلاً اسمه (شويس الساسي التميمي العلوي) ، المعروف بـ (أبي فرعون) ، كان قد قدم البصرة ، فذهب الى رجل منها اسمه (كهمس) يلتمس العون منه ، فأعطاه رغبةً من الخبز الحواري ، ثم ذهب الى رجل آخر اسمه (عمر بن مهران) ، فلم يعطه ما كان يريد ، فضاق ذرعاً من هذا الرغيف ، وذهب الى حلقة (بني عدي) فوقف عليهم وهم مجتمعون ، وأخرج الرغيف من جرابه وألقاه في وسط المجلس ، وقال : يا بني عدي ، استفحلوا هذا الرغيف ، فإنه أنبل نتاج على وجه الأرض ! ثم قال شعراً سخر فيه من أهل البصرة ومن تشدقهم في الانتساب الى قحطان

أو عدنان ، وفحش بهما ومن انتساب الناس اليها ، بينا الناس هنالك ما بين
نبط أو خوزان^١ .

ومن أهم القبائل القحطانية التي كان لها شأن يذكر عند ظهور الإسلام ، وفي
الإسلام . حمير وكهلان . ومن مجموعة حمير قضاة ، في رأي من جعل قضاة
من اليمن . ومن قضاة كلب وأسد ومن أسد تنوخ . واما مجموعة كهلان ،
فتألف من الأزدي وهمدان ومنحج وطية ، ومن الأزدي : غسان والأوس والخزرج .

وربيعة من القبائل العربية الكبيرة العدد ، وقد سبق ان تحدثت عنها في مواضع
من الأجزاء السابقة من هذا الكتاب . وقد عرفت (ربعة) بـ (ربعة الفرس) .
ويعمل أهل الأخبار اشتهاها بذلك بقولهم : (وربعة الفرس . هو ابن نزار بن
معد بن عدنان ، أبو قبيلة . وإنما قيل له ربعة الفرس لأنه أعطي من ميراث أبيه
الخيـل ، وأعطى أخوه مضر الذهب . فسمي مضر الحمراء . وأعطى أنمار
أخوهما : الغنم ، فسمي أنمار الشاة^٢ . وذكروا أيضاً : ان نزاراً لما حضرته
الوفاة ، آثر إيداً بولاية الكعبة ، وأعطى مضر ناقة حمراء ، فسمي مضر الحمراء ،
وأعطى ربعة فرسه ، فسموا ربعة الفرس ، وأعطى أنمار جارية له تسمى :
بجيلة فحضنت بنيه ، فسمي بجيلة أنمار^٣ . وذكر أيضاً ان نزاراً لما حضرته
الوفاة قسم ماله بين بنيه ، (وهم أربعة : مضر وربعة وإياد وأنمار . وقال :
يا بني ، هذه القبة وهي من آدم حمراء وما أشبهها من المال لمضر ، وهذا الخباء
الأسود وما شبهه من المال لربيعة ، وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد ،
وهذه البلدة والمجلس لأنمار يجلس فيه) . ولما مات توجهوا الى (الأفعى بن
الأفعى الجرهمي) وكان ملك نجران ، وصادفوا في طريقهم أعرابياً ضل بعيده ،
فوصفوه له ، فقال لهم دلوني عليه ، ولما حلفوا له أنهم لم يروه وإنما وصفوه
من أثره ، لم يصدقهم بل أدخلهم الى (الأفعى) ليحلفوا أمامه أنهم لم يروه ،
فلما بلغوه قصصاً قصتهم مع الأعرابي ، وذكروا أنهم إنما وصفوه من أثره على
الارض . فحكم لهم (الأفعى) بأنهم صادقون ، وأنهم لم يشاهدوه ، ثم احتفل
بهم بعد ان عرفهم وجرب ذكاءهم ، وحكم بأن لمضر القبة الحمراء والدنانير

١ كتاب البغال ، من رسائل الجاحظ (٣١٤/٢ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣٤٣/٥) ، (ربح) .

٣ نهاية الأرب (١٠/١٦) .

والإبل ، وهي حمر فسميت : مضر الحمراء ، وان لربيعة الخباء الأسود من دابة ومال ، فصارت له الخيل ، وهي دهم ، فسميت ربيعة القرس . ثم قال : وما اشبه الخادم ، وكانت شمطاء ، فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الخيل وغيرها ، وقضى لأتمار بالدراهم والارض^١ .

و (مضر) من القبائل الكبيرة . وقد عرفت بـ (مضر الحمراء) كما ذكرت . وفسر علماء اللغة والنسب اشتها (مضر) على نحو ما ذكرت قبل قليل ، وفسره بعضهم بقوله ومضر الحمراء ، لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه . وأخوه ربيعة أعطى الخيل . فللقب بالقرس . أو لأن شعارهم في الحرب الرايات الحمراء^٢ . وقال بعض علماء اللغة ، وإنما سُمِّي مضر بمضر : (لولعه بشرب اللبن الماخر أو لبياض لونه) ، (والعرب تسمي الأبيض أحمر ، فلذلك قيل مضر الحمراء)^٣ . وذكر بعض أهل الاختيار ان مضر مضران : مضر الحمراء لسكنائها قباب الأدم ، ومضر السوداء لسكنائها المظال^٤ .

ويظهر من هذه التفسيرات ، ان (مضر) كانت قد نعتت بـ (الحمراء) قبل ظهور الاسلام . وان (ربيعة) كانت قد عرفت بـ (ربيعة القرس) ، ولعل هذا بسبب ، ان (مضر) كانت إذ ذاك قبائل ذات إبل وتجارة ومال ، ومنها (قريش) التي عرفت بتجارها وبما جمعتها من مال ، فقالوا (مضر الحمراء) . واما (ربيعة) ، فكانت قبائل متبدية غازية محاربة ، لها خيل وفرسان لهذا عرفت بـ (ربيعة القرس) .

وقد أشار الشاعر (لبيد) الى ربيعة ومضر في شعره حين تعرض للذكر الموت ، فقال :

تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^٥

- ١ الدميري ، حياة الحيوان (٣١/١) (الانفى) .
- ٢ تاج العروس (١٥٨/٣) ، (حمر) .
- ٣ تاج العروس (٥٤٤/٣) ، (مضر) .
- ٤ نهاية الأرب (٩١٦) .
- ٥ ديوان لبيد (٢٨/١) ، (١/٢) .

أراد : هل أنا إلا من أحد هذين الجنسين ، فسيلي ان أفنى كما فنيا^١ .
ونسب اليه قوله :

فإن لم تجد من دون عدنان والدأ ودون معد فلتزعك العواذل^٢

فأشار بذلك الى (عدنان) و (معد) .

ومن أشهر قبائل مضر (قريش) ، حتى ان الناس كانوا إذا قالوا : مضري
انصرف ذهنهم الى قرشي . على سبيل الشهرة ، لاشتهار قريش بالمضرية . فلما
رأى رجل (أبا سفيان) واقفاً بباب (عثمان بن عفان) ينتظر الإذن بالدخول
عليه . قال له : (يا أبا سفيان ، ما كنت أرى ، ان تقف بباب مضري ،
فيحجبك ! فقال أبو سفيان : لاعلمت من قومي من أف ببابه فيحجبني)^٣ .

القبائل القوية :

والقبائل مثل الدول ، أنماط ودرجات . منها قبائل قوية نشطة تعتمد على
نفسها في الدفاع عن كيانها ، ومنها قبائل أقل من هذه القبائل شأناً وقوة تحالف
مع غيرها في الدفاع عن نفسها ، لتكون من الحلف كتلة قبلية مهابة . وقبائل
صغيرة ليست لها قدرة على الدفاع عن حياضها لوحدها ، لذلك تركز الى التحالف
مع قبائل أخرى أقوى منها لتحافظ بذلك على وجودها .

والقبائل القوية هي القبائل الكثيرة العدد والموارد . وإذا ترأسها سادات ذوو
كفاءة وقدرة ، هابتها القبائل الأخرى ، وسادت على غيرها ، وكونت منها
ومن القبائل التي تستولي عليها مملكة ، كالتي فعلته كندة . ولم يورد العلماء
شروطاً في الحد الأدنى أو الحد الأكبر للقبيلة . وذلك من ناحية عدد العشائر
والبطون والأفخاذ ، فلم نعر على حد معين إذا بلغته جماعة من الناس وجب اطلاق
لفظة (قبيلة) عليها . بل نجد علماء النسب يطلقونها أحياناً على بطون وأفخاذ ،

١ أمالي المرتضخ (١٧١/١) ، (٥٥/٢) ، (تود ابنتاي) .

٢ أمالي المرتضى (١٧١/١) .

٣ نهاية الأرب (٨٨/٦) .

فيقولون : قبائل قريش ، ويذكرون أساءها ، بينما هي في الواقع (آل)
أو أرهاط وبطون .

ويقال للقبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها (الأرحى)^١ . وعرفت
القبيلة التي لا تنضم الى أحد بـ (الجمرة) . ذكر انها القبيلة تقاتل جماعة قبائل .
وكل قبيل انضموا فصاروا يداً واحدةً ولم يحالفوا غيرهم ، فهم جمرة . وقيل :
الجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون الى
أحد . تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل
قيس . ولما سأل (عمر) الحطيثة (عن عبس ومقاومتها قبائل قيس . قال :
(يا أمير المؤمنين كنا ألف فارس كأننا ذهبة حمراء ، لا نستجمر ولا نحالف ،
أي لا نسأل غيرنا ان يجتمعوا الينا لاستغنائهم عنهم) . والجمرة اجتماع القبيلة
الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل^٢ .

وذكر ان (الجمرة) ألف فارس ، أي القبيلة التي يكون فيها ذلك العدد
من الفرسان ؛ وقيل ثلاثمائة فارس أو نحوها . والذي يستنتج من آراء علماء اللغة
والنسب في تعريف (الجمرة) ، انها القبائل المقاتلة القوية التي تعتمد على نفسها
في القتال ، ولا تركز الى غيرها ، ولا تحالف غيرها لتستفيد من هذا الحلف
في قراع القبائل^٣ .

ومن مفاخر هذه القبائل كثرة ما عندها من فرسان ، والفرسان في ذلك اليوم
هم عماد حركة الجيوش ، ومن أسباب القوة والانتصار . وقد عدّوا القبيلة التي
يكون فيها ثلاثمائة فارس أو نحوها جمرة ، وقيل الجمرة : ألف فارس^٤ .

ومن جمرات العرب : ضبة بن اد ، وعيس بن بغيص ، والحارث بن
كعب ، ويربوع بن حنظلة^٥ . وذكر بعض العلماء ان جمرات العرب ثلاث

١ اللسان (٣١٤/١٤) ، (صادر) ، (رجا) ، تاج العروس (١٠/١٤٦) ،
(رجا) .

٢ اللسان (١٤٥/٤) ، (صادر) ، (جمر) ، الحصري ، زمر الآداب (١/٢٥) .

٣ تاج العروس (١٠٧/٣) ، (جمر) .

٤ اللسان (١٤٥/٤) ، (صادر) ، (جمر) .

٥ المعجب (ص ٢٣٤) .

جمرات : بنو ضبة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمر بن عامر . فطفئت منهم جمرتان . طفئت ضبة ، لأنها حالقت الرباب وطفئت بنو الحارث ، لأنها حالقت مذحج . وبقيت (نمر) لم تطفأ ، لأنها لم تحالف . وورد ان الجمرات : عيس بن ذبيان بن بغيض ، والحارث بن كعب ، وضبة بن اد ، وهم إخوة لأم . لأن أمهم امرأة من اليمن . تزوجها (كعب بن عبد المدآن يزيد بن قطن ، فولدت له : الحارث بن كعب ، وهم أشرف اليمن . ثم تزوجها (بغيض بن ريث بن غطفان) ، فولدت له عيساً وهم فرسان العرب ، ثم تزوجها (اد) فولدت له ضبة . فجمرتان في مضر ، وهما عيس وضبة وجمرة في اليمن ، وهم بنو الحارث بن كعب . وذكر بعض آخر ان الحارث ، هم بنو كعب بن علة بن جلد . ومنهم من عدّه تميمياً من الجمرات ^١ .

(قال الخليل : الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم ، لا يحالفون أحداً ، ولا ينضمون الى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لمقارعة القبائل كما صبرت عيس لقيس كلها) ^٢ .

واذا تأملت كلام العلماء في جمرات العرب ، تجده يصادم بعضه بعضاً حتى ان الواحد منهم يذكر عدداً ، ثم يذكر عدداً غيره في موضع آخر من كتابه . وقد اعتذر عن ذلك بعض العلماء إذ قال : (قلت فاذا تأملت كلامهم تجده مصادماً بعضه مع بعض) ، ثم ذكر أمثلة من أمثلة هذا التصادم ، ثم خلاص الى هذه النتيجة ، واعتذر عنهم بقوله : (واذا تأملت كلامهم علمت انه لا مخالفة ولا منافاة ، إلا ان البعض فصل والبعض أجمل) ^٣ .

وعندي ان للعواطف القبلية دخل في هذا الاضطراب ، فن النساء من تعصب لقبيلة ، فجعلها من الجمرات ، بسبب صلته بها ، ومنهم من تعصب لغيرها ، ومنهم من تعصب على هذه القبيلة أو تلك ، فأخرجها من الجمرات ، فن هنا وقع هذا الارتباك عند العلماء حين سألوا نسائي القبائل ورواة الأخبار عن أيام

١ تاج العروس (١٠٧/٣) .

٢ الثعالبي ، ثمار (١٦٠) .

٣ تاج العروس (١٠٧/٣) .

الجاهلية ، وعن الأنساب والقبائل ، وهي من أهم الأمور حساسية عند العرب ، فظهرت العصبية في مؤلفات أهل النسب والاختبار حين شرعوا بالتدوين .

وعرفت القبائل القوية الكبيرة التي تفرعت منها جملة قبائل بـ (أم القبائل) . ومن هذه القبائل (بكر بن وائل)^١ . وسبب ذلك ان القبيلة القوية تكبر بسبب انضمام القبائل الصغيرة ، فاذا توسعت وتضخم عددها صار من الصعب عليها البقاء في منازلها ، فتضطر عندئذ على التوسع والانتشار في أراضين جديدة . وقد تغادر أحياء منها منازلها لتجد لها منزلاً طيباً جديداً ، فتبتعد بذلك عن القبيلة الكبيرة التي جمعت تلك الأحياء . فتكون بمثابة الأم للقبائل النازحة . تربطها بها رابطة ذكرى الأمومة ، التي تتحول الى نسب تحفظه ذاكرة حفاظ الأنساب .

وعرفت أربع قبائل بشدتها وبأسها ، فقليل لها : (رضفات العرب) . وهي : (شيان وتغلب وهراء ولياد)^٢ .

وقيل لـ (كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان) من قضاة ، و (طيء ابن ادد) ، و (حنظلة بن مالك بن زيد مناة) من (تميم) ، و (عامر بن صعصعة بن معاوية) من (هوازن) ، (جهاجم العرب)^٣ . وذكر ان (الجهاجم) السادات والرؤساء ، وان القبائل المذكورة ، كانت من جهاجم القبائل ، أي من رؤسائها ، وقد دعيت بـ (جهاجم) ، لأنها بمتزلة بجمجمة الرأس بالنسبة للإنسان^٤ . أي ان هذه القبائل من القبائل الرئيسة عند الجاهليين .

وبين القبائل ، قبائل دعاها (ابن حبيب) (أثافي العرب) . وهي (سليم) و (هوازن) من (قيس عيلان) ، و (غطفان) ، و (أعصر) و (محارب ابن خصفة)^٥ . و (الإثنية) العدد الكثير والجماعة من الناس^٦ . والظاهر انها إنما عرفت بذلك لكثرة عددها .

- ١ المعارف (ص ٩٦) ، (بكر بن وائل) .
- ٢ تاج العروس (١١٩/٦) ، (رصف) ، المحبر (٢٣٤) .
- ٣ المحبر (ص ٢٣٤) .
- ٤ تاج العروس (٢٣٣/٨) .
- ٥ المحبر (٢٣٤) .
- ٦ تاج العروس (٣٧/٦) (اثف) ، الثعالبي ، ثمار (١٦١) .

ومن مفاخر القبائل اعتزالها القبائل الاخرى وعدم مخالطتها قبيلة ثانية . وتفخر
الاحياء بمجردها ايضاً . فيقال (حي حريد منفرد) ، ومعناه معتزل من جماعة
القبيلة لا يخالطهم في ارتحالهم وحلوله لعزته ، لأنه لا يتزل في قوم من ضعف وذلة
لما هو عليه من القوة والكثرة ^١ .

وذكر أن القوم الذين يكون امرهم واحداً يعرفون بـ (الخليط) . وذلك
انهم كانوا ينتجعون ايام الكلاء ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد ، فتقع
بينهم ألفسة ، ويكونون يداً واحدة . فاذا افرقوا ورجعوا الى اوطانهم ساءهم
ذلك وريعوا ^٢ .

وهناك قبائل ضعيفة ، لم تتمكن ان تعيش لوحدها ، لذلك تحالفت مع غيرها
من قبائل اقوى منها ، واندمجت بها . كما يندمج الاشخاص بالقبائل ، بالحلف أو
بالجسور او بالمواالات . وعند انضمام الاحياء والعشائر والقبائل الضعيفة الى الاقوى
منها ، بطريقة من الطرق ، يتم ذلك ، بطقوس دينية على نحو ما سأحدث عنه
في عقد الاحلاف . بسبب ان العقود في نظر العرب تستوجب البر بها والوفاء ،
ولهذا تعقد في ظروف خاصة امام الكهنة وفي المعابد .

القاب بعض القبائل :

ولقد لقبت بعض القبائل بألقاب . فقد قيل : مازن غسان ارباب الملوك ،
وحمر ارباب العرب ، وكندة كندة الملوك ، ومنحج الطعان ، وهمدان احلاس
الحيل ، والأزد اسد البأس ، والذهلان : احدهما ذهل شيان بن ثعلبة ويشكر ،
والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، واللهزمتان : احدهما عجل وتم اللآت ، والاخرى
قيس بن ثعلبة وعترة ، وكلهم من بكر بن وائل ، الا عترة بن ربيعة ^٣ .

١ وفي هذا المعنى قول جرير :

نبني على سنن العدو بيوتنا لا نستجير ولا نحل حريدا

تاج العروس (٣٣٣/٢) وما بعدها ، (حرد) .

٢ ديوان بشر بن أبي خازم (١٢٩) ، (تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) ،

نهاية الأرب (٩/١٨) .

٣ العملة (١٩٤/٢) .

وبعض هذه الألقاب ألقاب حسنة جميلة ، وبعضها ألقاب تشير الى قوة وبأس وشدة ، وبعض منها مقبول لا بأس به . وهي القاب كانت القبائل الملقبة بها تفاخر وتباهي بها ، او تقبلها ولا ترى فيها أي بأس . وهي على العموم اما ان تكون قد نبعت من القبيلة ، كأن ينعت سيد قبيلة قبيلته بنعت ، فتمسك به ، او ان ينعتها بذلك شاعر منها او شاعر من قبيلة اخرى ، فيذهب هذا النعت بين الناس ، ويصير سمة للقبيلة . غير ان في الألقاب بعض آخر يشير الى استصغار شأن القبيلة التي نعتت به ، مثل (القين)^١ و (الأجارب)^٢ و (الأقارع)^٣ ، و (قراد)^٤ ، وما شاكل ذلك من ألقاب ، تحولت الى مسميات . اي تحول اللقب فصار اسم علم . وهي نعوت يظهر ان مصدرها شعر المهجاء والقبائل المعادية المتنايزة بالألقاب . وقد شاعت وثبتت لأنها أثرت في القبائل المهجوة وآلتها ، فتمسك قائلوها بها ، وشاعت بين الناس حتى نسي سبب قولها ، وصارت اسم علم للقبيلة ، ولم ير من جاء بعد ذلك بأساً من الانتماء الى القبيلة المنبوزة به .

وقد رمت بعض القبائل قبيلة إياد بالفسو ، وعيرتها به ، حتى اذا كان أحد رجالها بعكاظ ، ومعه بردا حبرة ، قام فقال : من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين ؟ فقام عبد الله بن بيلدة احد (مَهْوَ) حي من عبد القيس ، فقال : هاأنا ، واشهدوا اني اشتريتُ عار الفسو من إياد لعبد القيس بالبردين . فلما أتى رحله وسئل عن البردين ، قال : اشتريت لكم بهما عار الدهر ، فوثبت عبد القيس ، وقالت :

ان الفساة قبلنا إياد ونحن لا نفسو ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياح عبد القيس عار الفسو . ثم ان هذا العار زال عن إياد ولصق بعبد القيس ، فهجوا به كثيراً . وضرب المثل ب (عبد الله بن بيلدة) ، فقليل : (شيخ مَهْوَ) ، ضرب به المثل في الخسران . وقيل : أخسر صفقة من شيخ مهو^٥ .

- ١ تاج العروس (٣١٦/٩) ، (قان) .
- ٢ تاج العروس (١٨١/١) ، (جرب) .
- ٣ تاج العروس (٤٦٦/٥) ، (قرع) .
- ٤ تاج العروس (٤٦٥/٢) ، (فرد) .
- ٥ الثعالبي ، ثمار (١٠٦)

وبعض هذه النعوت قيل في الاسلام، من ذلك رمي (تميم) بالبخل واللؤم ، بسبب هجاء الطرماح لها وقوله فيها :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت^١
ونجد لجرير وللفرزدق وللأحايش ولغيرهم ذمّاً في قبائل الشعراء المتهاجين.

ومن القبائل الملقبة : الأحايش ، وقد تحدثت عنهم ، والمطيون والأحلاف ، وهم من قريش ، وقد تحدثت عنهم ايضاً ، والأراقم ، وهم : جشم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن ثعلب ابن وائل^٢ . وهم احياء من ثعلب ، جعلهم بعضهم ستة . هم : جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن ثعلب بن وائل . وقال بعض علماء اللغة ، الأراقم : بطون من بني تغلب يجمعهم هذا الاسم . قيل سموا بذلك لأن ناظراً نظر اليهم تحت الدثار وهم صغار ، فقال : كأن أعينهم اعين الأراقم ، فلج عليهم اللقب^٣ .

وعرفت بعض القبائل بـ (البراجم) ، وهم خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ، والظلم ، وهو مرة . قيل انهم انما سموا بذلك ، لأنهم تبرجموا على اخوتهم يربوع وربيعة ومالك ، وكلهم ابوهم حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة^٤ . وذكر ايضاً انهم انما سمو البراجم ، وذلك لأن اباهم قبض اصابعه ، وقال كونوا كبراجم يدي هذه . اي لا تفرقوا ، وذلك اعز لكم . وقيل : لا ، وانما سموا بذلك ، لأنهم تحالفوا ان يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع^٥ .

وعرف (الثعلبات) بهذه التسمية ، لانهم بطون ، اسم كل بطن منهم (ثعلبة) . وهم : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن عدي

١ امالي المرتضى (٢٨٩/١) .

٢ العملة (١٩٤/٢) .

٣ تاج العروس (٣١٧/٨) ، (رقم) .

٤ العملة (١٩٥/٢) .

٥ تاج العروس (١٩٩/٨) ، (البرجمة) .

فزارة ، وأضاف اليهم قوم : ثعلبة بن يربوع ^١ . ويقال لهم (الثعالب) ايضاً .
 وهم قبائل شتى ، فثعلبة في (بني اسد) ، وثعلبة في تميم ، وثعلبة في ربيعة ،
 وثعلبة في قيس . ومنها الثعلبتان من طيء . وهما ثعلبة بن جذعاء بن ذهل بن
 رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة من طيء . وثعلبة بن رومان بن
 جندب المذكور . وذكر ان الثعالب في طيء يقال لهم مصاييح الظلام ، كالربائع
 في تميم . ^٢

وأما (الرباب) ، فهم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدي ، وعوف ،
 وهوعكل ، وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مائة بن أد بن طابخة ^٣ . قيل انهم
 انما سموا بذلك لتفرقهم ، وقيل : سمو رباباً لتراتبهم ، اي تعاودهم وتحالفهم
 على تميم . وقيل : سموا بذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رُبّ وتعاقدوا وتحالفوا
 عليه فصاروا يداً واحدة ^٤ .

وأما (الأجارب) ، فهم : خمس بطون من (بني سعد) ، وهم : ربيعة ،
 ومالك ، والحارث ، وعبد العزى ، وبنو حمار ^٥ . وورد الأجارب حي من بني
 سعد بن بكر من قيس عيلان ، واذا قيل : الأجربان ، فهما : عبس وذبيان ^٦ .
 و (الحرام) ، هم : بنو كعب بن سعد بن زيد مائة ^٧ . وذكر ان في
 العرب بطوناً ينسبون الى (آل حرام) . منهم بطن في تميم وبطن في جذام وبطن
 في بكر بن وائل . وهناك بطون اخرى عرفت بـ (حرام) ^٨ .

وأما (الضباب) ، فهم (بنو عمرو بن معاوية بن كلاب) ، قال بعض
 اهل الانساب انهم اربعة بطون من (بني كلاب) . وقال بعض آخر . انهم
 اكثر ، وأوصلوهم الى اربعة عشر بطناً ^٩ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | العملة (١٩٥/٢) . |
| ٢ | تاج العروس (١٦٥/١) ، (ثعلب) . |
| ٣ | العملة (١٩٥/٢) . |
| ٤ | تاج العروس (٢٦٤/١) ، (ربب) . |
| ٥ | العملة (١٩٥/٢) . |
| ٦ | تاج العروس (١٨١/٢) ، (جرب) . |
| ٧ | العملة (١٩٥/٢) . |
| ٨ | تاج العروس (٢٤٣/٨) ، (حرم) . |
| ٩ | العملة (١٩٥/٢) ، تاج العروس (٣٤٥/١) ، (ضبيب) . |

واشتهرت بعض القبائل والعشائر والبيوت بنعوت لازمتها في الجاهلية وامتدت الى الاسلام ، فقد عرف بنو مخزوم وبنو جعفر بن كلاب بالتبّه والكبر ، حتى قيل : (اربعة لن يكونوا ومحال ان يكونوا : زييديّ سخّيّ ، ومخزوميّ متواضع ، وهاشميّ شحيح ، وقريشيّ يحب آل محمد) ^١ .

واشتهرت (طيء) بالجلود . لكون حاتم وأوس بن حارثة بن لأم منهم ^٢ . وعرفت (باهلة) باللؤم ، حتى ضرب بها المثل في اللؤم ، فقليل : لؤم باهلة ^٣ . واشتهر (بنو ثعل) بالرمي ، وذكروا بذلك في شعر لامرئ القيس ^٤ . واكتسبت (مدلج) شهرة واسعة في القيافة ، اذ اختصت بها من بين سائر العرب ^٥ . وبرز (بنو لهب) في العيافة . فهم أزجر العرب وأعينهم ^٦ . وعرفت (إيراد) بخطاباتها ، وملوك غسان يريدهم ، الذي قيل له : (ثريدة غسان) ^٧ . وعرفت كندة بغلاء مهور بناتهم ^٨ ، وعرفت (خزاعة) بالجوع والأحاديث ، قيل لزهمان : ما تقول في خزاعة ؟ قال جوع وأحاديث ^٩ . اي فقر ودعاوى فارغة وأضغاث أحلام .

وعرفت بعض القبائل بـ (الضبيعات) . وهي (ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) ، أشرفهن . و (ضبيعة أضجم بن زبيعة بن نزار) ، و (ضبيعة بن عجل بن لجيم) ^{١٠} . وذكر أيضاً أن في العرب قبائل تنسب الى (ضبيعة) : (ضبيعة ابن ربيعة بن نزار) ، وهو المعروف بـ (الأضجم) ، و (ضبيعة بن اسد ابن ربيعة) ، قال بعضهم انما ضبيعة أضجم ، و (ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل) ، وهو ابو رقاش أم مالك وزيد مناة ابني شيبان ، وهم رهط الأعشى : ميمون بن قيس . و (ضبيعة بن عجل بن

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١٧) .

٢ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١٧) .

٣ المصدر نفسه (١١٩) .

٤ كذلك (١٢٠) .

٥ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٢٠ وما بعدها) .

٦ المصدر نفسه (١٢١) .

٧ كذلك (١٢٢ وما بعدها) .

٨ كذلك (١٢٣) .

٩ البيان (٩/١) ، (لجنة) .

١٠ المحبر (٣٣٥) .

لجيم بن صعب بن بكر بن وائل ، رهط الوصاف . و (ضبيعة بن فريد) .
بطن من الأوس من بني عوف بن عمرو ، وضبيعة بن الحارث العبسي ^١ .

ودكر (ابن حبيب) أسماء قبائل عرفت بـ (الربائع) . هي في (تميم) .
وهي : (ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة بن تميم) ، و (ربيعة بن حنظلة
ابن مالك بن زيد بن تميم) ، و (ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم) ، كل واحد منهم عم صاحبه . و (ربيعة بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة) ، وهم (الحباقي) ^٢ . وورد : في تميم ربيعتان : الكبرى وهي
ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وتدعى : ربيعة الجوع . والصغرى وهي :
ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ^٣ .

اسماء اجداد القبائل :

ولكل قبيلة - كما ذكرت - جد تنتمي اليه وتفاخر وتباهي به . وقد يكون
هذا الجسد جدّاً حقيقياً ، اي انساناً عاش ومات ، وساد القبيلة . وترك اثراً
كبيراً في قبيلته ، حتى نسبت القبيلة اليه . وقد يكون الجسد اسم حلف تكون ،
وتألف من قبائل عديدة ، حتى عرفت به ، ودعيت بذلك الحلف ، وصار وكأنه
اسم جد وانسان عاش . ومن هذا القبيل اسم (تنوخ) على حد زعم أهل
الاخبار ، فقد رووا ان تنوخ قبائل عديدة ، اجتمعت وتحالفت ، وأقامت
في مواضعها ^٤ .

وقد يكون اسم موضع ، اقامت قبيلة به ، فنسبت اليه . كما يذكر أهل
الاخبار من اسم (غسان) . وقد يكون اسم إله عبد ، فنسب عباده اليه مثل
(بنو سعد العشيرة) ، و (تالب ريام) جد قبيلة (همدان) ، وقد يكون
اسم حيوان أو نبات أو ما شابه ذلك ، مما يدخل في دراسة أصول الأسماء

-
- ١ ناح العروس (٤٢٧/٥) ، (ضبيع) .
 - ٢ المحبر (٢٣٥) .
 - ٣ ناح العروس (٣٤٢/٥) ، (ربع) .
 - ٤ تاج العروس (٢٥٤/٢) ، (تنوخ) .

ومصادرها واشتقاقها ، وهو شيء مألوف نراه عند غير العرب ايضاً ، فليس العرب بدعاً وحدهم في هذه الأمور .

وما يذكره ويرويه اهل الاخبار عن ازمنة اجداد القبائل ، فيه اغلاط وأوهام . فقد يرفعون زمان رجل فيبعدونه كثيراً عن الإسلام ، بينما هو من الرجال الذين عاشوا قبيل الإسلام . وقد يجعلون الرجل من الجاهلية القرية من الإسلام ، بينما يجب وضعه قبل الإسلام بقرون . ثم هناك أخطاء فاضحة في سرد سلاسل النسب ، وفي اسماء الاشخاص ، ولا سيما في الانساب القديمة ، بحيث يصعب على الباحث الأخذ بها والتأكد منها . اما بالنسبة الى الانساب القرية من الإسلام ، فان وضعها يختلف عن وضع الانساب المذكورة ، اذ يغلب عليها طابع الصحة والضبط .

وقد ذهب المستشرق (بلاشير) الى ان طريقة النسابين بالنسبة الى الارهاط ، هي طريقة ايجابية مقبولة ، ولكنها لا تستند الى اسس صحيحة بالنسبة للقبائل والاحلاف . بسبب ان تحالف القبائل وتكتلها ، راجع الى عوامل المصلحة الخاصة والمنافع السياسية ، وهي تتغير دوماً بتغير المصالح ، تتولد تبعاً لذلك احلاف لم تكن موجودة وتموت احلاف قديمة . وتظهر قبائل كبيرة وتموت غيرها . ولهذا التغير فعل قوي في تكوين الانساب وفي نشوئها اذ تتبدل وتتغير الانساب تبعاً لذلك التغير ، ومن ثم فلا يمكن الاعتماد على الانساب الكبرى ، التي دوتها علماء النسب وجمعوها في مجموعات ، وشجروها حفلة وآباء وأجداداً^١ .

والمصالح السياسية للقبائل لا تقيم وزناً للأخوة والنسب . فاذا اختلفت المصلحة ، فلا تجد القبائل عندئذ اي غضاضة في الانفصال عن قبيلة مؤاخية لها لتتحالف مع قبيلة غريبة عنها في النسب ، ومحاربة اختها التي انفصلت عنها . فعبس مثلاً تحالفت مع (بني عامر) في حرب البسوس على (ذبيان) ، وهي اختها ، وتحالفت ذبيان مع (تميم) على (عبس) ، مع ما بين (تميم) و (عبس) و (ذبيان) من عداء قديم . وقد وقعت ايام بين (تغلب) و (بكر) مع

١ بلاشير ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) تعريب الدكتور ابراهيم كيلاني (ص ٢٥ وما بعدها) .

صلة الرحم والقربة القوية التي ربطت بين القبيلتين الاختين^١ . وقع كل ذلك وحدث بسبب تغير المصالح التي كانت تربط فيما بين هذه القبائل .

ارض القبيلة :

ولكل قبيلة ارض تعيش عليها وتنزل بها وتعتبرها ملكاً لها ، تنتشر بها بطونها وعشائرها ، ولا تسمح لغريب النزول بها والمرور بها الا بموافقتها وبرضاها . وقد اختص كل بطن منها بناحيته فانفرد بها واعتبرها ارضاً خاصة به .

وتكون الارض التي تحمل القبيلة بها (متراً) لها ، و (منازل) لأبنائها الذين يتزلون بها . يضربون بها خيامهم . فتكون الارض مضارب لها . تستوطنها وتقيم بها وتصير وطناً لها ، اي دار اقامة ، ما دامت تقيم بها . وموضع بيوتها . لذلك يعبر عن الارض التي تقيم بها القبيلة بـ (بيوت القبيلة) و بـ (بيوت العشيرة) ، لأنها مضرب البيوت .

وتتد ارض القبيلة الى المواضع التي تصل بيوتها اليها . فما يقع الى الداخل فهو من موطن القبيلة ، وما وقع خارج حدود نفوذ القبيلة خرج عن موطنها . وتعين الحدود بالظواهر الطبيعية البارزة ، مثل تلال أو أودية أو رمال أو ما شاكل ذلك . ونظراً الى عدم تثبيت القبائل لحدودها على الارض برسم معالم بارزة لها ، صارت الحدود سبباً من اسباب النزاع المستمر والقتال الدائم بين القبائل .

وتكون مواضع الماء في ارض القبيلة قبلة ابنائها ، يستقون منها ما يحتاجون اليه من (اكسير الحياة) . وتكون هذه المواضع آباراً أو عيون ماء أو حسيماً وما شاكل ذلك . وتتفق القبيلة فيما بينها على حقوق السقي . ويؤدي الاخلال بحقوق السقي الى وقوع نزاع ، قد يؤدي الى قتال ، ولا سيما في ايام القَيْظِ وانحباس المطر ، حيث تشتد الحاجة الى الماء ، ويصير افتقاده سبباً لهلاك الانفس والمال . والقاعدة ان ماء القبيلة مشاع في القبيلة . اما المياه المحمية : المياه التي تحمي للسادة والرؤساء ، والمياه الخاصة ، كالأبار التي يحفرها اصحابها ، فتكون خاصة بهم . لا يجوز الاستقاء منها الا باذن .

١ بلاشير (٢٥) .

ولكل قبيلة حق حماية ارضها . شأنها في ذلك شأن الدول . واذا اراد غريب اجتياز ارضها فلا بد من ان يكون في حماية انسان منها . واذا كان المجتاز جماعة ، كأن يكون قافلة او قبيلة او حياً يريد التنقل الى ارض اخرى ، ولا بد له من المرور بأرض هذه القبيلة للوصول الى هدفه ، فعليه اخذ اذن من القبيلة يخوله جواز المرور بها ، والا تعرض للمنع والقتال . لذا كان لا بد للتجار من ترصية سادات القبائل للسماح لهم بالمرور ، بدفع حق المرور ، وهي اتاوات تعارفت القبائل آنذاك على اخذها من المارة .

سادات القبائل :

وسيد القبيلة بالنسبة للقبيلة ، مثل ملك مملكة بالنسبة لمملكته . فهو الرئيس والمرجع والمسؤول عن أتباعه في السلم والحرب . يقصده ذوو الحاجات من ابناء القبيلة ان احتاجوا الى حاجة . وقد يجمع هذا الرئيس شمل جملة قبائل ، ويرأسها ، وقد ينصب نفسه ملكاً عليها ، كالذي فعله ملوك كندة من بني (آل اكل المرار) وغيرهم من الملوك . وقد لا نخطيء اذا ما قلنا ان اكثر مؤسسي الأسر المالكة في بلاد العرب ، كانوا سادات قبائل في الأصل ، استغلوا مواهبهم وقابلياتهم ، وامكانية قبيلتهم ، وسخروها في سبيل الحصول على الملك ، وعلى التلقب بلقب (ملك) ، فنالوه .

ويقال للسيد : المسود . ويذكر علماء اللغة ان السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومحتمل أذى قومه والزوج والمقدم والرئيس . وسيد القبيلة هو رئيسها . تقول العرب : (فلان سيدنا) اي رئيسنا والذي نعظمه ، ونقول (ساد قومه) ^١ . وهي من الألفاظ المستعملة عند عرب الحجاز ونجد والعراق وبلاد الشام ، اما العربية الجنوبية ، فقد استخدمت ألفاظاً اخرى بدلاً عنها .

ويقال لسيد القبيلة (رئيس القبيلة) . والرئيس ، سيد القوم . والرياسة : السيادة . ويقال فلان رأس ورئيس القوم ^٢ . ورؤساء القبائل هم سادات القبائل

١ اللسان (٢٢٨/٣ وما بعدها) ، (سود) .

٢ اللسان (٩٢/٦) ، (رأس) .

والمثولون لامورها . كما يقال فلان : ساد قومه ، وهو سيد القوم وسيدهم . فاللفظتان مترادفتان وفي معنى واحد . ووردت لفظة (زعيم) بمعنى سيد القوم ورئيسهم والمتكلم عنهم . والجمع زعماء . كما وردت الزعامة ، الشرف والرياسة على القوم وحظ السيد من المغنم ^١ . غير ان استعمال (زعيم القبيلة) ، أقل في الكلام من استعمال (سيد) و (رئيس) .

وأنا حين استعمل (سيد قبيلة) ، اقصد بها الرئيس الفعلي لقبيلة ، المسؤول عنها ، والمدير لامورها والمرجع الاخير لها ، والذي يكون كالملك او الحاكم بالنسبة لقبيلته لأن هناك سادات آخرين سادوا في القبيلة وقد عرف خبرهم في كل مكان ، وربما اشتهر ذكرهم اكثر من اشتهار اسم سيد قبيلتهم ، ومع ذلك فانهم لا يعدون رأس تلك القبيلة . لأن الرأس المسؤول عن القبيلة رأس واحد ، الا ان العرف ان يسود الرؤساء في القبائل ، هو كما يترأس الاشراف امر مدينة ، بان يترأسوا عمائر القبيلة ثم فروعها الدنيا التي تلي العمائر ، فهم رؤساء في قبيلة بالمعنى المجازي ، الذي جوز اطلاق لفظة (القبيلة) حتى على الأفخاذ والبطون ، بل والبيوت . بأن ييزوا الرئيس بالخصال الحميدة ، التي تجلب لهم الشهرة والسيادة ، وتجعل اسمهم يعلو اسم رئيس القبيلة في كثير من الاحايين .

صفات الرئيس :

وعلى من يسود في قومه ان يتحلى بخلال حميدة وسجايا طيبة ، تجعل الناس يعترفون بسيادته عليهم ، كأن يتحمل أذى قومه ، ولذلك قيل للسيد (محتمل أذى قومه) ، وأن يكون شريفاً في افعاله حليماً كريماً ، يغض نظره عن اعمال الحمقى والجهلة ، وأن يتجاهل السفلة والسفهاء الجاهلين . فلا يغضب ولا يثور ، وأن يكظم غيظه . جاء في المثل : (احلم تسد) ^٢ . وان يحترم الناس مهما كانت منازلهم . وأن يؤلف بينهم ويكتسب محبتهم ، وأن يكون ملاذهم ، وأن يجعل

١ ناج العروس (٣٢٤/٨ وما بعدها) ، (زعم) ،
Goldziher, Muh. Stud., II, S., 52.

٢ بلوغ الأرب (٩٩/١ وما بعدها) .

بيته بيتاً للجميع ومضيفاً لكل من يفد اليه من كبير أو حقير أو صغير ، وأن يفتح قلبه للجميع ^١ .

وعلى الرئيس ان يكون في مقدمة القوم في الحروب والغزو ، وأن يكون شجاعاً لا يهاب الموت ، حتى يكسب النصر لنفسه ولقومه ، وعليه ان يكون قائد قبيلته وواضع خطط الحرب . لأنه رمز القبيلة ورمز النصر وباعث الهمم في نفوس ابنائه ، وهو أب القبيلة . واذا لا يكون قدوة لأبنائه في ساعات الشدة والخطر ، فترت هممُ أبناء القبيلة . ولا يثير القبائل الا الشعارات والنخوة وإلطاب المشاعر ، حتى تندفع اندفاعاً في القتال . والرئيس هو روح القبيلة وشعارها ، فاذا اصيب بمكرهه أو جبن في القتال ، واذا خرباً صريعاً في المعركة ، هربت قبيلته في الغالب ، وتراجعت القهقري ، الا اذا وجد في القبيلة من يؤجج فيها نار الحماسة ويث فيها العزيمة للوقوف والصمود . ويكون مثل هذا الرجل من الشجعان الأقوياء اصحاب الارادة القوية الذين يعرفون نفسية قبيلتهم ، والا فليس من السهل على رجل التأثير على قبيلة وهي في مثل هذا الوضع .

ولأثر الرئيس في مصير الحرب ، كان الفرسان يوجهون كل قوتهم نحو الرؤساء ، لأنهم على علم بأنهم ان تمكنوا من الرئيس فقتلوه ، غلبوا عدوهم في الغالب وقضوا عليه . فهو الروح المعنوية عند الاعراب . يليه حامل اللواء فاذا سقط حامل اللواء قتيلاً أسرع من عُن ليكون خليفته في النقاط الراية وحملها ، واذا سقط هذا ايضاً أسرع من يأتي بعده ، وهكذا . فان سقوط الراية معناه هزيمة منكرة ستحقيق بمن سقطت رايته ، ولهذا كانوا يختارون رجالاً شجعاناً يولونهم أمر اللواء ، بحيث اذا سقط احدهم اخذ من يليه مكانه ، وهكذا حتى النصر .

صعوبة انقياد القبائل :

وليست قيادة القبيلة بأمر سهل يسير ، لا سيما اذا كانت القبيلة قبيلة كبيرة ذات عشائر وأرهاب متشرة في مواضع متباعدة . فان رؤساء العشائر يستغلون فرصة ابتعادهم عن ارض الأم ، ويعلنون انفصالهم عنها ، وتوليهم امرهم بأنفسهم .

١ لامانس ، مجلة المشرق ، ١٩٣٢م عدد ٢ (١١٠) .

فيحدث الانقسام والانقسام ، وقد يعلن الرئيس حرباً على العشيرة العاقبة المنشقة ، ولهذا يعد سيد القبيلة الذي تجتمع له رئاسة قبيلة كبيرة من السادات المحظوظين . وحظه هو ثمرة ذكائه ومواهبه وقابلياته ولا شك . ومن هؤلاء المحظوظين الذين دون اهل الاخبار اسماءهم : (جهنبل بن ثعلبة الشكري) ، سيد (بكر بن وائل) ، فقد اجتمعت (بكر) حوله ، و (عمرو بن شيان بن ذهل) ، و (عمرو بن قيس الأصم) و (الكلح) و (بشر بن عمرو بن مسعود) ، و (همام بن مرة) و (الحارث بن عباد)^١ ، وقد اجتمعت حولهم (بكر ابن وائل) ، وانضوت تحت لوائهم ، وذلك في مناسبات أشار إليها اهل الأخبار ، مثل وقوع بعض الايام . ولولا هذه الايام ، وتلك المناسبات التي اضطرت القبيلة على التكتل والتجمع فيها حول زعيم واحد ، ليخلصها من المخاطر ، لما تجتمعت حوله ، لأن التجمع لا يلتئم مع طبع أهل البادية ، الذين جبلتهم الطبيعة على التشتت والتفرق .

وذكر اهل الاخبار ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، و (عروة الرحال ابن عتيبة بن جعفر) ، و (الأحوص بن جعفر) ، و (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، هم اربعة اجتمعت عليهم (هوازن) ، ولم تجتمع (هوازن) كلها في الجاهلية الا على هؤلاء الاربعة . وهم كلهم من (بني جعفر بن كلاب)^٢ . مما يدل على صعوبة انقياد عشائر (هوازن) لزعامة رجل واحد . وهذا مثل واحد من أمثلة صعوبة انقياد القبائل لرئاسة رئيس ، لأن الانقياد لرئيس واحد ، معناه في نظر رؤساء العشائر ، خضوعهم لغيرهم واستئلاهم له وتنازلهم عن حريتهم وعن استقلالهم في ادارة شؤون عشائرهم لغيرهم ولو كان هذا الرئيس منهم ، أضف الى ذلك الحسائر المادية التي قد يصابون بها من هذا الانقياد .

وقد عرفت قبائل (ربيعة) خاصة بتخاصمها وبتباغضها وبتحاسد رؤسائها ، لذلك لم تقبل في الغالب بتملك رئيس منها عليها . بل كان ساداتها يراجعون التبابعة على ما يقوله اهل الاخبار لتمليك سيد منهم عليهم . كانوا يراجعون اليمن كلما اختلفوا فيما بينهم على تمليك ملك عليهم . وقد ذكر اهل الاخبار ان من جملة

١ المحبر (ص ٢٥٤) .

٢ المحبر (٢٥٣ وما بعدها) .

اسباب تعيين والد الشاعر (امرئ القيس) الكندي ملكاً على بني اسد وتعيين أعمامه ملوكاً على القبائل الاخرى ، هو تناحر سادات ربيعة فيما بينهم ، وتباغضهم وتفرق كلمتهم ، حتى كان كل واحد منهم يرى انه أولى من غيره بالملك ، فذهب الخلاف بين القبائل ، وتطاول السفهاء على الاشراف وأهل البيوتات ، وعندئذ وجد سادات القبائل ان الأمن لا يرجع اليهم الا بذهابهم الى كتلة لتنصيب ملوك منها عليهم . فكان ما كان من تنصيب والد الشاعر على (بني اسد) وتنصيب أعمامه على القبائل الاخرى . الا ان الأمن لم يستتب ولم يستقر طويلاً بين هذه القبائل المتنازعة ، اذ قرر الرحيل عنها ، وعاد الحصار داء (ربيعة) الى وطنه . وعادت حليلة الى عاداتها القديمة على ما يقوله اهل الامثال .

وقد أشار اهل الاخبار الى رجال ذكروا انهم تمكنوا من حكم معدّ وربيعة . ومعنى ذلك انهم كانوا من ذوي الشخصيات القوية . وبذلك تمكنوا من فرض انفسهم على هذه القبائل المتباغضة . من هؤلاء : حذيفة بن بدر . وهو من سادات غطفان وبيتهم . وهو والد (حصن) ابو عيينة . وقد ادرك (عيينة) النبي ، فأسلم ثم ارتد وأسلم بعد ذلك على يد ابي بكر ^١ . وقد قاد (حذيفة) (بني فزارة) و (مرة) يوم النّسار ، ويوم الجفار ، وفي حرب داحس حتى قتل فيها يوم الهباءة . وقد عرف بـ (ربّ معدّ) ^٢ . وما كان ليعرف بذلك لو لم يكن من اصحاب القوة والمكانة حتى ساد قبائل معدّ .

ومن سادات (ربيعة) (الأفكل) ، و (عمرو بن جعيد) من (بني الدليل) . وكان ذا بغي ، فسارت اليه (بنو عَصَر) فقتلوه ^٣ . و (الحارث الأضجم بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن) ، من (بني دوفن) . قديم السؤدد فيهم كانت تجبى اليه اناوتهم ^٤ . و (عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم بن النمر بن قاسط) ، وكان سيد (النمر بن قاسط) في الجاهلية وصاحب مرباعهم ^٥ .

- ١ ابن دريد ، الاشتقاق (١٧٣) .
- ٢ المحبر (٢٤٩) ، (٤٦١) ، جمهرة (٢٤٣) .
- ٣ الاشتقاق (١٩٧) .
- ٤ الاشتقاق (١٩٣) ، جمهرة (٢٧٥) .
- ٥ الاشتقاق (٢٠٢) ، جمهرة (٢٨٣) .

وكان (القُدَّار بن الحارث) رئيس ربيعة في أول الإسلام^١ . وورد ان (القدار بن عمرو بن ضبيعة) ، كان رئيس ربيعة ، يلي العزَّ والشرف فيهم^٢ . ويمتاز سيد القبيلة عن سائر رجال قبيلته ببيتته الكبير ، المكوّن من خيمة ضخمة ، والتي قد تتكون من جملة قطع من النسيج خيطة بعضها الى بعض لتتكون منها خيمة كبيرة . تكون مضيفاً للرئيس ومجلساً للقوم ، يؤمه سادات القبيلة وأشرف الأحياء . وموثلاً لذوي الحاجات من الناس . وله خيام أخرى ، أعدت لحريمه ولأهله . فهي منازل رئيس القبيلة الخاصة به وبأفراد أسرته .

وامتاز الرئيس عن أفراد قبيلته بكثرة عسده نساؤه . فسيد القبيلة مزواج في الغالب ، عنده المال ، وعنده الجاه والرئاسة ، فلا يجد صعوبة في الحصول على زوجات صغرات السن لينجبن له أولاداً ، يكونون له حصناً حصيناً وأمناً له على ماله ، وعوناً له على القبيلة . فيحمي بهم نفسه ممن قد يطمع في الرئاسة وفي انتزاع السيادة منه بالقوة .

ومن واجب الرئيس الاشراف على تقسيم الغنائم ، ومن حقه المربع إن كان من ذوي المربع ، وله ان ينفق من جيبه على الضيوف ، وان يفتح بيته للقادمين اليه من مختلف الناس ، وان يستقبل ضيوف القبيلة بوجه فرح بشوش . وان يرعى شؤون قبيلته ، ويسأل عن أبنائها ، وعليه ان يسعى لفك من يقع من أبناء عشيرته أسيراً في أيدي قبيلة أخرى ، وان يشارك قومه في تحمل الديات ، حين يعجز رجال القبيلة عن حملها ، وعليه ان يعين أتباعه في كل جناية يجنونها ، فهي وان صدرت من غيره لكنها تقع في النهاية على رأس سيد القبيلة . فعليه وحده إيجاد حل لها ومخرج . ومن هنا كُنَّت العربُ عن سيد القبيلة بقولها (سيد معمم) ، يريدون ان كل جناية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه^٣ .

رئاسة القبائل :

لا نملك نصاً جاهلياً فيه شيء عن الشروط التي يجب ان تتوفر في الرجل كي

١ الاشتقاق (١٩٥) .

٢ تاج العروس (٤٨٣/٣) ، (قدر) .

٣ عيون الأخبار (٢٢٦/١) .

يكون رئيساً على قبيلة . ولا نجد في روايات أهل الأخبار أخباراً واضحة صريحة عن طريقة تولي الرئاسة عند الجاهليين . لذا لا نستطيع البت في موضوع شروط انتقال الرئاسة من رئيس قبيلة متوفى أو مخلوع الى رئيس جديد . وهل كانت الرئاسة وراثية على طريقة انتقال العروش في النظام الملكي ، أم كانت اختياراً وانتخاباً وشورى ، بمعنى ان اختيار الرئيس يكون برأي من رؤساء القبيلة ، وليس بسنة الارث . والذي ظهر لنا من دراسة أخبار أهل الأخبار في هذا الموضوع ان الجاهليين كانوا قد ساروا على سنة الارث في تولي الرئاسة كما ساروا على طريقة الاختيار .

أما انها كانت رئاسة وراثية ، فلأنها رئاسة مثل سائر الرئاسات عند العرب ، كرئاسة المكربين والملوك والأقيال والأذواء والأقيان وكل الرئاسات الجاهلية الأخرى . وقد كانت هذه الرئاسات رئاسات وراثية في الأغلب ، لذا كانت رئاسة القبيلة بالوراثة أيضاً . تنتقل الرئاسة من الأب الى الابن الأكبر . ويؤيد هذا الاستنتاج ما نجده في أكثر روايات القبائل ، وتولي الأبناء رئاستها بعد الآباء .

وأما انها بالنص والتعيين ، فكالذي ذكره من أمر اختيار (حصن بن حذيفة ابن بذر) ابنه (عيينة) لرئاسة قومه من بعده . ولم يكن عيينة أليق من غيره بأن يكون سيد قومه ، فاستدعى أولاده وقال لعيينة : أنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي . ثم قال لقومه (بني بذر) : لوائي ورياستي لعيينة ، ثم أوصاهم بما يجب ان يفعلوه على عادة السادات عند اشتداد المرض بهم وشعورهم بدنو أجلهم . من وجوب التكتل والتهيؤ للقتال وعدم التجرؤ على الملوك ، فان أيديهم أطول من أيدي الرعية . فسمعوا له وأطاعوا ، واختاروه رئيساً عليهم^١ .

وأما انها شورى ورأي ، فعند عدم وجود عقب للرئيس المتوفى ، أو عند وجود تنافس وتباغض بين أبناء الرئيس المتوفى بسبب كونهم من زوجات مختلفات فيما بينهم ، فيعشى عندئذ من انقسام القبيلة على نفسها ، ويحسم الخلاف باختيار أحزم الأبناء أو تنصيب رجل قريب أو بعيد عن الرئيس ، يجدونه أهلاً وكفوؤاً لتولي الرئاسة فيولونها إياه . وقد يلجأون الى الرأي في حالة تشتت شمل القبيلة ، بظهور رجال أشرف فيها ، لهم كفاءات وقابليات وشهرة تفوق شهرة أسرة

١ أمالي المرتضى (١ / ٥٣١) .

الرئيس المتوفى ، يطمعون في الرئاسة ، فينتخبون اكفأهم وأقواهم ليكون الرئيس الجديد .

وقد لا تجتمع كلمة المتنافسين على الرئاسة ، ولا تتفق على اختيار رئيس ، فلا يكون أمام القبيلة في مثل هذه الحالة سوى اللجوء الى الملوك في الغالب لتعيين رئيس عليهم يختارونه من جماعتهم وينصبونه سيّداً عليهم . وقد كان هذا شأن قبائل (معد) في الغالب ، إذ كانت قبائلها متبديسة متنافرة ، ذات رؤساء متحاسدين ، لا يقرون برئاسة واحد منهم ، لذلك كانوا يلجأون الى ملوك اليمن لتعيين رئيس من غيرهم عليهم ، وبذلك يحل الخلاف .

ونجد في شعر (عامر بن الطفيل) ، وهو أحد مشاهير فرسان العرب . تختيماً بفعاله وبشجاعته وبدفاعه عن قومه ، وتبجحاً بسيادته على قومه : واعتزازاً بأن سيادته هذه لم تأت اليه عن وراثة ، وإنما جاءته بفعاله وبدفاعه عن قومه وذبحه عن حماهم ، فسودوه لهذه الخلال عليهم ، ولم يسودوه لانه (ابن سيد عامر) ، وفي هذا الشعر دلالة على ان الرئاسة كانت بالوراثة ، وان والد (عامر) كان سيّداً ، فأراد (عامر) ان يتبجح بنفسه على غيره ، بأنه ليس من أولئك الرؤساء الذين يرثوا السيادة إرثاً ، فلا دخل لهم بمجيئها اليهم ، وإنما أخذها عن جدارة واستحقاق ، ولو لم يكن أبوه سيّداً ، لجاءته السيادة تركض اليه ، لما فيه من محامد ومكارم . فسيادته سيادة وراثة لانه ورثها عن أبيه ، وسيادة جدارة جاءته لما فيه من خصال السادة الأشراف^١ .

خصال السادة :

يذكر أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان وقالوا : قيل :

١ اني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثته أبي الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحصي حماها وأتقي اذاها وأرمي من رماها بمنكب
الشعر والشعراء (١٩٢) ، البلاذري ، أنساب (١٧٩/٢) ، ابن قتيبة ، عيون
الأخبار (٢٢٧/١) .

لقيس بن عاصم بم سدت قومك ؟ قال يبذل الندى وكفّ الأذى ونصرة المولى ،
وتعجيل القرى . وقد يسود الرجل بالعقل والعفة والأدب والعلم . ووصف بعضهم
السودد : بأنه اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة . وقد سئل أحد السادات بأي
شيء سدت قومك ؟ فقال : (لاني - والله - لأعفو عن سفيهم ، وأحلم عن
جاهلهم ، وأسعى في حوائجهم وأعطي سائلهم ، فن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن
فعل احسن من فعلي فهو أفضل مني ، ومن قصر عن فعلي فأنا خير منه)^١ .
وذكر أهل الأخبار أيضاً ، ان العرب كانت تسود على أشياء . فكانت مضر
تسود ذا رأيها . وأما ربيعة فن أطعم الطعام ، وأما اليمن فعلى التسبب^٢ .

والرئيس الناجح ، هو الرئيس الذكي الفطن الذي تكون له قدرة وقابلية على
التصرف بذكاء وبحذر وفقاً لعقلية القبائل . فيعرف كيف يعامل كل شخص يأتي
اليه المعاملة التي تلائمها وتليق به ، بحلم وصبر وأناة . وبقساوة وغلظة أحياناً من
أجل اخافة أتباعه ، لخوف القبائل من البطاش الظالم . على ألا يسرف في ظلمه
ويمعن في غيئه ، فيقع له ما وقع لكليب وائل ولأمثاله من الذين أسرفوا في الاعتماد
على أنفسهم وعلى قابلياتهم ، فأهلكوا أنفسهم . ولهذا كان من شأن عقلاء سادات
القبائل عرض المنازعات والخصومات القبلية للحكم فيها . وبذلك يخلصون أنفسهم
من مشكلات صعبة كانت ستقع تبعثها على أكتافهم فيما اذا انفردوا بالنظر بها
دون سائر الرؤساء .

ومن أعراف الحكم عند القبائل ، ان سيد القبيلة يستمد رأيه من رأي أشراف
قبيلته ووجهها في الامور الهامة التي تخص حياة القبيلة . ليستنير برأيهم ، وليعرف
رأي أتباعه في معالجتها . وتساعد هذه المشورة سادات القبائل مساعدة كبيرة في
التمكن من ادارة القبيلة ادارة حسنة ترضي الغالبية . وقد توصيل الرئيس الى
النجاح والنصر في الغزو . فيرتفع اسمه ويعلو نجمه . ولا زال سادات القبائل
يستمعون الى مشورة رؤساء القبيلة ، ويقىمون لرأيهم وزناً الى يومنا هذا . ورأيهم
هذا هو مجرد مشورة ونصح . بمعنى انه لا يلزم سيد القبيلة بوجوب العمل بموجبه .
فقد ينبذه ويعمل برأيه وبقراره ، لا سيما اذا كان قوي الشخصية متجبراً عنيداً .

١ بلوغ الأرب ١٨٧/٢ وما بعدها) .

٢ بلوغ الأرب (١٨٧/٢) .

وقد يكون النجاح حليفه ، فترداد بذلك هيئته على أتباعه ، وقد يبنى بنخسارة فادحة ، فتقضي عليه وعلى رئاسته وربما تقضي على حياته أيضاً . والنظام القبلي بعد ، هو نظام استشاري ، الرأي فيه لأصحاب الرأي فقط ، أما الأفراد أي أبناء القبيلة وسوادها ، فلا رأي لهم في تسير الأمور ، إلا اذا برز أحدهم وظهر في قبيلته بمواهب يعترف بها ، كالحكمة أو الشرف ، فقد يدخل في عداد أولي الرأي ، ويكون له عندئذ عندهم رأي مسموع .

وعلى الرغم من استبداد بعض السادة برأيهم ، وحكمهم بما يوحى اليه به حسهم وشعورهم ، وتصرفهم في الأمور تصرفاً كيفياً ، فانهم كانوا يقيمون مع كل ذلك وزناً للرأي ، وقد يكون هذا الرأي رأي رجل مغمو من عامة أبناء القبيلة ، أو رأي شاعر أو خطيب أو أي شخص آخر من أبناء القبيلة . فالحكم عند القبائل بهذا ، حكم فردي استشاري يتوقف الرأي فيه على شخصية وكفاءة رئيس القبيلة ، وعلى شخصية وكفاءة رؤساء البطون والأحياء .

وقد أدت غطرسة وعنجهية بعض سادات القبائل بهم الى الموت فقد لجأوا الى القسوة والقهر في الحكم واستبدوا برأيهم استبداداً فرق بينهم وبين رؤساء قبيلتهم ، مما دفع بعض فرسان القبيلة وشجعانها على قتلهم للتخلص منهم ، كالذي كان من أمر (كليب وائل) ، الذي تعسف في حكمه وتجر فاختار خيرة الأرضين الخصبية ، فجعلها حى له ، لا يحق لأحد الرعي بها ، إلا باذن منه . فأزعج عمله هذا من خضع لحكمه ، فكانت عاقبته القتل .

والحلم عند العرب من أهم الصفات التي تؤهل الإنسان لحكم الناس . وهو عندهم الأناة والعقل ، وقيل ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب^١ . ومعالجة الأمور بهدوء وضبط أعصاب . وهو أحزم سياسة تلائم طبع الحكم . وقد عدوه من خلال الحكماء .

ومن عرف واشتهر أكثر من غيره بالحلم : (الأحنف بن قيس) . حتى ضربت العرب به المثل . فقالت : هو أحلم من الأحنف . وقد نسب أهل الأخبار

١ تاج العروس (٢٥٦/٨) ، (حلم) .

له حكماً كثيرة وأمثالا^١ ، هي من الأمثال التي ينسبونها في العادة الى الحكماء^٢ .
 وذكروا من أمثلة حلمه انه كان قاعداً يوماً بفناء داره محتبياً بمجاثل سيفه يحدث
 قومه ، حتى أتى بمكتوف ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ،
 فما قطع كلامه حتى انتهى ، ثم كلم ابن أخيه وأنبه وعفى عنه ، ثم قال لابن
 آخر له : وار أخاك وحلّ كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها
 فإنها غريبة . الى قصص آخر من هذا القبيل^٣ .

النسب :

النسب هو جرثومة العصبية وأساسها ولهذا حرص العربي على حفظ نسبه ،
 ولا يزال يحرص عليه ، فيروي لك شجرة نسبه حفظاً ويرفعها الى جملة أجداد .
 وقد وجد السياح أعراباً سردوا لهم نسبهم سرداً من غير كتاب مكتوب الى
 عشرات من الأجداد ، وقد تأكدوا بعد فحوص واختبارات ان ما قيل لهم وسرد
 عليهم كان صحيحاً في الغالب .

واما أهل المدر ، فإن حرصهم على حفظ نسبهم ، وإن لم يكن حرص أهل
 الوبر ، غير ان فيهم من يحفظ شجرة نسبه ، وفيهم من يحتفظ بها مكتوبة ،
 وقد شهد على صحتها جماعة من النسابين . وفي جملة من يعتني بنسبه اعتناءً
 كبيراً ، ويأبى الزواج من غير الأسر الكفوء له ، السادة المسمون الى الرسول ،
 من ذوي الجاه والحسب والنسب ، والأشراف السادات من أهل الحضرة والوبر .

وحفظ النسب هذا هو استمرار لما كان عليه الجاهليون من حرص على حفظ
 أنسابهم . واذا كنّا لا نملك اليوم جرائد جاهلية في النسب ، فإن في بعض
 الكتابات الجاهلية تأييداً لما نقول . فبين أيدينا في هذا اليوم كتابات جاهلية ذكرت
 أسماء جملة أجداد لأشخاص دَوّنوا أسماءهم في تلك الكتابات . وقد دَوّن على
 شاهد قبر (معنو) (معن) ، اسم أبيه وجدّين من أجداده^٤ ، كما عثر على

١ العاخر (٢٤٢) ، المعالي ، ثمار (٩٢،٨٥،٤) .

٢ نهاية الأرب (٥٠/٦) وما بعدها .

٣ F. Altheim und R. Stiehl, Die Araber. I, S., 280

أسماء عشرة أجداد في بعض الكتابات الصفوية^١ . وهناك امثلة أخرى من هذا القبيل ، تثبت عناية العرب في الجاهلية بتدوين أنسابهم وحفظها . وهي من أهم المزايا التي حافظ عليها العرب الى هذا اليوم .

ويبدأ النسب بالأب في الغالب ، وب (الأم) في الأقل في حالات تتغلب فيها شهرة الأم على شهرة الأب ، ويكون (البيت) إذن جرثومة النسب . وحين ينسب إنسان يقول انه : (ابن فلان) . ويشمل نسب البيت الأب والأولاد والبنات والزوجة أو الزوجات ، وهم أكثر الناس التصاقاً بالأب . وقد يقال انه من (بيت فلان) تعبيراً عن الانتساب الى رئيس ذلك البيت . وقد عرف بعض علماء اللغة النسب : انه القرابة ، أو هو في الآباء خاصة ، وان النسب ان تذكر الرجل فتقول : هو فلان ابن فلان ، وذكر انه يكون من قبل الأم والأب^٢ .

والبيت هو بيت أب . ولما كان المجتمع مجتمع بيوت ، صار النظام فيه نظاماً أبوياً . السلطة العليا فيه للأب ، اليه يُنسب وهو المسؤول قانوناً عن العائلة . يتساوى في ذلك مجتمع الحضر ومجتمع أهل الوب .

ويذكر أهل الأخبار ان العرب تنسب ولد المرأة الى زوجها الذي يخلف عليها بعد أيهم . وذلك عنى حسان بن ثابت بقوله :

ضربوا علياً يوم بلدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار

أراد بني عليّ هؤلاء من كنانة . وهم بنو عبد مناة . وانما قيل لهم بنو عليّ عزوة الى عليّ بن مسعود الأزدي . وهو أخو عبد مناة لأمه ، فخلف على أم ولد عبد مناة . وهم : بكر وعامر ومرة وامهم : هند بنت بكر بن وائل التزارية فرباهم في حجره فنسبوا اليه^٣ .

واذا توفي والد وله مولود في بطن زوجته ، أو كان طفلاً رضيعاً وكان له

١ Littmann, Thamud und Safa, 1940. S, 98, Inschriften, 4, 5, S., 121, Die Araber, I. S, 280.

٢ ناج العروس (٢٦٠/٤ وما بعدها) (طبعة الكويت) ، (ن س ب) .

٣ ناج العروس (٢٥٣/١٠) ، (علو) .

أعمام ، تركه أعمامه عند أمه حتى يكبر ، ثم يأخذه أعمامه . وقد تأتي أمه معه . ولكن العادة ان الأم تبع أهلها أي عشيرتها ، فاذا توفي زوجها وهي من عشيرة أخرى ، تركت عشيرته لتعود الى عشيرتها ، فاذا كبر المولود خيّر بين البقاء مع أمه أو الالتحاق بأعمامه ، أي بعشيرة والده . والأغلب ان يختار الولد عشيرة الوالد ، لأن نسب الولد من نسب والده . فيلتحق المولود بعشيرة الأب . وتقدّم عشيرته على عشيرة الأم . إذ يشعر ان عشيرة أمه وان كانت قريبة منه ، إلا ان قربه منها ليس كقربه من عشيرة والده ، وقد يعبر باختياره عشيرة أمه عشيرة له . ولدينا أمثلة تشير الى تغيير الأولاد أولاداً آخرين ، لالتحاقهم بعشيرة أمهم وتركهم عشيرة والدهم ، كالذي كان ، من أمر عبد المطلب يوم كان طفلاً ، إذ عيره أطفال عشيرة أمه بلجوئه الى عشيرتهم ، إذ لا عشيرة له . ولو كانت له عشيرة للحق بها . مما حمله على ترك يثرب والرجوع الى أعمامه بمكة . فالعم في نظرهم بمنزلة الوالد . وهو أقرب الناس اليه ، وهو وريثه في العصابات . وهذه الحجة احتج العباسيون على العلويين في تقديمهم عليهم بحق الخلافة .

ومن هنا نجد العرب يوصون بأولاد العم خيراً ، والا يتهاثروا معهم ولا يختلفوا معها وقع بينهم من خلاف . وفي هذا المعنى يقول أبو الطمطحان :

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة فلا تسترّها سوف يبلو دفينها^١

واللخوالة مكانة كبيرة في العصبية عند العرب . قد تقوى على العمومة ، فاذا هلك انسان ، وكان لإخوته على خلاف مع زوجته أو كان حالهم ضعيفاً ، قامت اللخوالة مقام العمومة في رعاية الأولاد وحمايتهم ومدّهم بالعصبية . بل قد نجد ان عصبية اللخوالة أقوى عند العرب في الغالب من عصبية العمومة . وفي تاريخ الجاهلية والإسلام أمثلة كثيرة على ذلك .

ومن حسن حظ الإنسان في الجاهلية ان يكون له أعمام وأخوال كثيرون ، خاصة اذا كانوا أصحاب جاه وسيادة . لأنه سيعتز بهم ، ويفتخر بكثرتهم . وكان الجاهليون يقولون : رجل معم ورجل مخول وأخول ، اذا كان له أعمام

١ امالي المرتضى (٢٥٩/١) .

وأخوال . ويقال: كريم الأعمام والأخوال ، على سبيل المدح والتقدير^١ ومنه قول امرئ القيس : بجيدٍ معمٍ في العشرة نخول . وقول الشاعر :

تروح بالعشي بكمل خرق كريم الأعممين وكل خال^٢

والنسب ، نسب أهل ، ويقوم على الدم القريب ، ونسب قبيلة ، ويقوم على المعصية للدم الأبعد . دم جد القبيلة يجري في عروق المتسبين اليه .

والعرب من حيث النسب صرحاء . وحلفاء وجيران وموالي وشركاء يستلحقون بالنسب . أما الصريح ، فهو المحض من كل شيء ، والخالص النسب . ويقال جاء بنو فلان صريحة إذا لم يخالطهم غيرهم^٣ .

والنسب إذن ، نسب آباء ، وهو نسب الصرحاء الخالص من العرب المنحدرين من صلب جد القبيلة ، على حد تعبير أهل الأنساب ، ونسب حلف أو جوار ، أي نسب استلحاق . والغالب ان يتحول نسب الاستلحاق الى نسب صريح ، حين تطول اقامة الدخيل بين من دخل بينهم : فينسى أصله ، ويأخذ أحفاده نسب من دخل جدهم فيهم . ويشمل ذلك نسب القبائل أيضاً . ونجد في كتب أهل الأخبار أمثلة كثيرة من أمثلة تحول الأنساب ، حيث نجد لها تنص على دخول نسب فلان في نسب بني فلان ، ونسب قبيلة في نسب قبيلة أخرى .

ويقال للقوم الذين يتنسبون الى من ليسوا منهم (الدخل) . والدخيل هو الرجل الغريب الذي يتسبب الى قوم ليس هو بواحد منهم . وذكر أيضاً ان (الدخل) بمعنى الخاصة ، وأيضاً الحشوة الذين يدخلون في قوم وليسوا منهم ، أي في المعنى المتقدم^٤ .

وفي كتب أهل الأخبار أمثلة عديدة على تنقل الأنساب واثبات نسب قوم في قوم ليسوا منهم لغاية ومأرب . وقع ذلك في الجاهلية وفي الإسلام . قال (الكندي) : (كان أبو رجب الخولاني وفلان وفلان يتحرشون أهل الحرس

١ تاج العروس (٣١٢/٧) ، (خول) .

٢ تاج العروس (٤٠٩/٨ ح ، (عم) .

٣ اللسان (٥٠٩/٢) ، (صرح) ، بلوع الارب (١٩١/٣ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٣٢٠/٧ وما بعدها) ، (دخل) .

ويؤذونهم ، فشئ أهل الحرس الى زكريا بن يحيى كاتب العمري ، فقالوا له حتى متى تؤذى ويطعن في أنسابنا . فأشار عليهم زكريا بجمع مال يدفعونه الى العمري ليسجل لهم سجلاً باثبات أنسابهم ، فجمعوا له ستة آلاف دينار ، فلما صار المال الى العمري لم يحسر على ان يسجل لهم ، وقال : ارفعوا الى الرشيد في ذلك ، فخرج وفد منهم الى العراق وانفق مالا عظيماً هناك ، وادعى الوفد ان الفضل بن فضالة قد كان حكم لهم باثبات أنسابهم وأنهم بنو خوتكة بن الحاف ابن قضاة ، ثم عاد الوفد بكتاب محمد الأمين الى العمري بالتسجيل لهم ، فدعاهم العمري الى اقامة البينة عنده على أنسابهم فأتوا بأهل الجوف الشرقي وأهل الشرقية . وقدم جماعة من بادية الشام ، فشهدوا أنهم عرب فسجل لهم العمري . ثم تجدد نظر القضية فيما بعد وفسخ حكم القاضي العمري . ورد أهل الحرس الى أصلهم القبطي (١) .

وأشار أهل الأخبار الى قبائل كانت تنتقل من قوم الى قوم ، فتنتمي اليهم ، قالوا لها : (النواقل) . والنواقل من انتقل من قبيلة الى قبيلة أخرى فانتمى اليها (٢) . والتنقل دليل على ان النسب لم يكن من الصرامة والشدة على نحو ما يصوره لنا النسابون المتأخرون .

وفي الذي يذكره علماء النسب عن أنساب القبائل ، أمور لا يمكن لنا قبولها ، لا سيما ما يتعلق منها بالتعصب القبلي وبسرد الأنساب وتشجيرها وفي تفرعها . وأنساب القبائل موضوع لم يبحث بعد بحثاً علمياً ، وهو يحتاج الى تفرغ وتتبع وإلى مقارنة ما جاء عند العرب فيه بما جاء عند غيرهم من الساميين وغيرهم عنه . فقد لعبت الأنساب دوراً خطيراً عند البشرية ، لأنها كانت الحماية والوقاية للإنسان ، قبل ان تتولد الحكومات الكبيرة التي رعت الأمن وبسطت سلطانها ، وبذلك خففت من غلواء النسب والانتساب .

الاستلحاق :

والاستلحاق ، هو ان يستلحق انسان شخصاً فيلحقه بنسبه ، ويجعله في حمايته

١ كتاب فضة مصر (٣٩٧) ، العبادي ، الاسلام والمشكلة العنصرية (٨٨) .

٢ ناج العروس (١٤٣/٨) ، (نقل) .

ورعايته ، أي في عصيته . وقد يكون الرجل صريحاً معروف النسب ، وقد يكون أسيراً أو مولى أو عبداً ، فيسميه مولاة وينسبه إليه .

ومن هذا القبيل ما كان يفعله أهل الجاهلية من استلحاق أبناء الإماء البغايا بهم . وذلك انه كان لأهل الجاهلية إماء بغايا وكان سادتهن يلمّون بهن ، فاذا جاءت احداهن بولد ربما ادعاه السيد والزاني ، فيقع خلاف بينها على الولد . وقد وقع مثل هذا الخلاف في أيام الرسول ، في أول زمان الشريعة ، فقضى الرسول بالحاقه بالسيد ، لأن الأمة فراش كالخرة ، فان مات السيد ولم يستلحقه ثم استلحقه ورثته بعده لحق بأبيه . وفي ورثته خلاف ^١ .

الدعي :

ويقال للمستلحق (الدعي) . والدعي المنسوب الى غير أبيه . و (الدعوة) ^٢ في النسب ان ينتسب الانسان الى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش . ومن هذا القبيل المتبني الذي تبناه رجل فدعاه ابنه ونسبه الى غيره ، وكان النبي ، تبنى (زيد بن حارثة) ، ثم الحقه بنسبه ، بعد ان نزل الوحي عليه (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) ^٣ . وقال : (ما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم) ^٤ .

ويكون حكم الدعي من الناحية القانونية في حكم النسب الصحيح والبنوة الشرعية عند الجاهليين ، لذلك كان الجاهليون يورثونه كما يورثون الأبناء ^٥ .

ويقال للدعي ينتمي الى قوم : منوط مذبدب ، سمي مذبدباً لأنه لا يدري الى من ينتمي ^٦ . وقد يكون الرجل دعي أديعاء ، فيكون هو دعيّاً في رهطه ،

-
- ١ اللسان (٣٢٨/١٠) ، (صادر) ، (لحق) ، ناج العروس (٦٠/٧) ، (لحق) .
 - ٢ الدعوة بكسر الدال .
 - ٣ سورة الاحزاب ، الرقم ٣٣ الآية ٥ ، اللسان (٢٦١/١٤) .
 - ٤ سورة الاحزاب ، الرقم ٣٣ ، الآية ٤ ، اللسان (٢٦١/١٤) ، (صادر) ، (دعا) .
 - ٥ الاغانى (٩٤/١٧) .
 - ٦ اللسان (٤٢٠/٧) ، (صادر) ، (نوط) .

وربطه دعي في قبيلة مثل (ابن هرمة) ، فقد كان دعيّاً في الخليج وكان الخليج دعيّاً في قريش^١ . ويقال للدعي (ملصقا) ، والملصق ، هو المقيم في الحي وليس منهم بنسب^٢ .

وقد ورد في حديث (علي بن الحسين) : المستلاط لا يرث ، ويُدعى له ويدعى به ، المستلاط المستلحق في النسب ، ويدعى له ، أي ينسب إليه؛ فيقال : فلان بن فلان ، ويدعى به أي يكنى ، فيقال : هو أبو فلان ، وهو مع ذلك لا يرث لأنه ليس بولد حقيقي^٣ . ومن ذلك قولهم : (لاط القاضي فلانا بفلان ألحقه به) ، وورد ان أناساً في الجاهلية كانوا يلبطون الأولاد بآبائهم ، أي يلحقونهم^٤ . والظاهر ان استلحاق الأبناء بالآباء ، كان معروفاً بين الجاهليين بسبب الاتصال بالإماء وبعض الأعراف الأخرى التي حرمت في الإسلام .

ويقال للدعيّ : المخضرم . وقيل هو من لا يُعرف أبوه أو أبواه ورجل مخضرم أسود وأبوه أبيض ، أو هو من ولدته السراي . وذلك ذم في الانسان^٥ .

ويقال رجل (خلط ملط) ، بمعنى : مختلط النسب . وذكر ان الملط الذي لا يعرف له نسب ولا أب . وأما خلط ، فلما بمعنى المختلط النسب ، وإما بمعنى ولد الزنا . والخليط المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك . ومنه الحديث : الشريك أولى من الخليط ، والخليط أولى من الجار . والشريك المشارك في الشيوع . والخليط القوم الذين أمرهم واحد^٦ .

و (الأهل) أهل الرجال وأهل الدار ، وأهل الرجل أخص الناس به . وأهل الدار أهل البيت . و (آل الرجل) أهله . ويقال في النسب : هو من آل فلان^٧ .

١ الأغاني (٧٦/٣) .

٢ ناج العروس (٦١/٧) ، (لزق) ، (ألصق) .

٣ اللسان (٢٦٢/١٤) ، (دعا) .

٤ ناج العروس (٢١٨/٥) ، (لاط) ، اللسان (٣٩٥/٧) ، (لوط) .

٥ ناج العروس (٢٨١/٨) ، (الخضرم) .

٦ ناج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) ، (٢٢٦/٥) ، (ملط) .

٧ اللسان (٢٨/١١ وما بعدها) ، (صادر) (أهل) .

ويتهي النسب بمجد القبيلة الأكبر . فلكل قبيلة جد أكبر تنتمي إليه ، وتسمى به ، وله ابن يتنسب إليه أو أبناء يتسبون إليهم ، ويكون هذا الجد محور (النسب) و (العvisية) للقبيلة . ونجد هذا النوع من النسب معروفاً عند غير العرب أيضاً .. عند العبرانيين والآراميين وعند الإغريق والرومان مثلاً .

الجوار :

وللجوار صلة كبيرة بـ (النسب) وبالعvisية عند العرب ، فقد يتوثق الجوار ، وتتقوى أواصره فيصير نسباً ، فيدخل عندئذ نسب (المستجير) بنسب (المجير) ، ويصير وكأنه نسب واحد ، هو نسب (المجير) . وقد اندمجت بـ (الجوار) أنساب كثيرة من القبائل الصغيرة ، أو القبائل التي تشعر بخوف من قبيلة أخرى أكبر منها ، فتضطر إلى طلب (جوار) قبيلة أكبر منها ، لتدافع عنها ، ولتكون بذلك قوة رادعة تحمي حياتها وتحافظ على نفسها ومالها بهذا الجوار .

وهو من السنن التي حافظ عليها الجاهليون ، واعتدوها كالقوانين . فإذا استجار شخص بآخر ، أو استجارت قبيلة بأخرى ، اكتسب هذا الجواز صيغة قانونية ، ووجب على المجير المحافظة على حق الجوار . والا ، نزلت السبة بالمجير ، وازدراه الناس .

ويكتسب الجوار حكمه بإعلان الطرفين قبولهم له على الملأ ، في أماكن الاجتماع في الغالب ، في مثل المواسم من حج أو سوق . فإذا أعلن ذلك ، وعلم الناس الخبر ، صار المجار في ذمة المجير ، وترتب على المجير أن يكون مسؤولاً عن كل ما يقع على المجير وما يصدر منه .

وقد ورد في القرآن الكريم ، (والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل)^١ . والجار ذو القربى هو نسيك النازل معك في الحواء ، ويكون نازلاً في بلدة وأنت في أخرى ، فله حرمة جوار القرابة . والجار الجنب أن لا يكون له مناسب فيجيء إليه ويسأله أن يجيره ، أي يمنعته فيترل معه ،

١ النساء ، الآية ٣٦ .

فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومنعته وركونه الى أمانه وعهده .
لأنه جاوره وان كان نسبه في قوم آخرين ولا قرابة له به .

وكان سيد العشيرة إذا أجار عليها إنساناً لم يخفروه^١ . وإذا دخل قبتة
أو خبائه أو دار حول خيمته ، ونادى بالجوار والأمان صار آمناً . وقد وجب
على صاحب القبة أو الخباء أو الخيمة حمايته ، حتى وان كان من سائر
أبناء القبيلة .

والجار والمجير والمعيد واحد . ومن عاذ بشخص استجار به^٢ . ومن هذا
القبيل استجارة أهل الجاهلية بالجَين^٣ . (قيل : إن أهل الجاهلية كانوا اذا نزلت
رفقة منهم في وادٍ ، قالت : نعوذ بعزير هذا الوادي من مردة الجن وسفهاثهم .
أي نلوذ به ونستجير)^٤ .

والجوار حرمة كبيرة عند الجاهليين . فإذا استجار شخص بشخص آخر ،
وقبل ذلك الشخص ان يجعله جاراً ومستجيراً به ، وجبت عليه حمايته ، وحق
على المجار الدفاع عن مجيره : والدب عنه . وإلا عدّ ناقضاً للعهد ، ناكثاً
للوعد ، مخالفاً لحق الجوار . وعلى القبائل استجارة من يستجير بها . والدفاع عنه
دفاعها عن أبنائها . ويقال للذي يستجير بك (جار) . والجار الذي أجرته
من ان يظلمه ظالم . وجارك المستجير بك ، والمجير هو الذي يمنعك ويجيرك .
وأجاره : أنقذه من شيء يقع عليه^٤ .

وقد أوصوا بالجار خيراً ، ورجوا من الجار ان يكون كذلك قدوة حسنة في
جواره ، فلا يسيء الى جاره او الى جيرانه ، وعلى الجار ان يفض نظره عن
عيوب جاره ، وأن يكون يقظاً في حفظ حقوق جاره ، فطناً في الدفاع عنه .

١ اللسان (١٥٥/٤) ، (جور) .

٢ اللسان (١٥٥/٤) ، (جور) .

٣ اللسان (٥٠٠/٣) ، (عوذ) .

٤ اللسان (١٥٤/٤) وما بعدها ، (جور) .

ليس له أن يتملص من حقوق الجوار اذا استحقت ووجبت ، لأن للجار حقاً عليك .^١
وكان يقال في الجاهلية للرجل اذا استجار يثرب : قوئل في هذا الجبل ثم
قد أمنت . فاذا فعل أحد ذلك ، وجب على اهل يثرب قبول جواره والدفاع
عنه . وذكر ان (قوئل) رجل من الخزرج ، اسمه (غنم بن عوف بن عمرو
ابن عوف بن الخزرج) ، سمي به (لأنه كان اذا اتاه انسان يستجير به او
ييثرب قال له : قوئل في هذا الجبل ، وقد أمنت . أي ارتق) . وقيل :
(لانهم كانوا اذا أجاروا أحداً أعطوه سهماً . وقالوا : قوئل به حيث شئت .
أي سر به حيث شئت) . وذكروا ايضاً أن (القوئل) اسم أبي بطن من
الانصار ، اسمه ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج .
وقالوا : هو النعمان بن مالك بن ثعلبة .^٢

والغاية من الجوار طلب الحماية والمحافظة على النفس والأهل والمال ، لذلك
لا يطلبه في العادة الا المحتاج اليه . ولا يشترط في الجوار نزول الجار قرب المجير ،
أو في جواره أي أن يكون بيته ملتصقاً بيته . فقد يكون على البعد كذلك .
لأن الجوار حماية ورعاية ، وتكون الحماية حيث تصل سلطة المجير ، وتراعى فيه
حرمة وذمته . ويكون في امكانه الدفاع عن جاره . ولهذا كان على الجار أن
يعرف حدود (الجوار) ، وقد يعلقانه بأجل احترازاً وتحفظاً من الجوار المطلق ،
الذي لا يعلق بزمان وانما يكون عاماً .

ولا يجبر أحد انساناً الا اذا أحس ان في امكانه اداء امانة الجوار . والا عرض
نفسه وأهله وقيبلته للأذى والسبّة ، ان قبل شخص جوار أحد ، وهو في وضع
لا يمكنه من الوفاء بحقوق الجوار . ولا يطلب رجل مجاورة رجل آخر الا اذا
شعر أن من سيستجير به هو كفؤ لأن يجيره . والا فالفائدة من الاستجارة برجل
ضعيف قد يكون هو نفسه في حاجة الى الاستجارة بأحد .

ولا يشترط في الجوار أن يكون جوار أحياء . فقد يستجير انسان بقبر ، فيصير

١ قال قيس بن عاصم :

لا يفتنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن
المرزوقي ، شرح الحماسة (٥٨٤/٤) .

٢ المعارف (ص ٥٠) ، تاج العروس (٨٤/٨) ، (القوئل) .

في جواره وفي حرمة ذلك القبر . وعلى أصحاب ذلك القبر الذبّ عن هذا الجار والدفاع عنه . ومن هذا القبيل استجارة الناس بقبر (عامر بن الطفيل) . فقد ذكر أن قومه من (بني عامر) ، وضعوا حول قبره أنصاباً على مسافة منه ، إذا اجتازها اللاجئ ودخل (الحرم) المحيط بالقبر ، صار آمناً على ماله ونفسه ، لا يخشى خشية أحد ، يريد انزال سوء به . وقد منعوا دخول حيوان إليه أو مرور راكب به ، احتراماً لحرمة صاحب هذا القبر .^١ وكالذي كان من أمر قبر (تميم بن مرّة) جدّ قبيلة تميم في عرف النسابين .

وقد يستجير الانسان بمبعد أو بأي موضع مقدس ، فيكون في جوار وحرمة ذلك المكان . وعلى أصحابه اداء حقوق الجوار . ومن هذا القبيل جوار مكة . فمن دخل حرم (البيت) صار في جواره ، آمناً مطمئناً لا يجوز الاعتداء عليه ولا اخافته ، لانه في حرمة (البيت) وعلى قريش الذبّ عنه .

وقد كان لآل (محلم بن ذهل) قبة بوادي (عوف) عرفت بـ (قبة المعاذة) ، من لجأ إليها أعاذوه . و (آل عوف) من اشرافهم في الجاهلية ومن رجالهم (عوف) الذي يضرب به المثل : لا حرّ بوادي عوف .^٢ والعود اللتجاء . ولهذا عرفت بتلك التسمية . وهو (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) . وقد ضرب به المثل في الوفاء . فورد : (هو أوفى من عوف) . وذلك لأن عمرو ابن هند طلب منه مروان القرظ . وكان قد أجاره فثقه عوف وأبى أن يسلمه ، فقال عمرو : لا حرّ بوادي عوف . أي أنه يقهر من حل بواديه وكل من فيه كالعبيد له لطاعتهم إياه . وهو من أمثال العرب في الرجل العزيز المنيع الذي يعز به الدليل ويند به العزيز . وقيل ان كل من صار في ناحيته خضع له . أو قيل ذلك لأنه كان يقتل الأسارى .^٣ ولما توفي (عوف) دفن بواديه ، وأقاموا قبة على قبره صارت ملاذاً لمن يطلب الجوار .

ومن طرق الجوار ، أن يأتي رجل الى رجل ليستجير به فلا يجده ، فيعقد

١ الاغانى (١٨٤/٢) ، (١٤٩/١٥) .

٢ الاشتقاق (٢١٥) .

٣ ناج العروس (٢٠٦/٦) ، (نعوف) .

طرف ثوبه الى طنب البيت ، فاذا فعل ذلك عدّ جاراً ، ووجب على صاحب البيت أن يجيره .^١

والجوار جواران : جوار جماعة كجوار بيت أو فخذ أو بطن أو ظهر أو عشيرة أو قبيلة ، وجوار أفراد . وللجوارين حرمة وقلمسية ليس أحدهما دون الآخر في الحرمة والوفاء .

واذا نزل انسان على انسان آخر جاراً ، فإن من المتعارف عليه أن تكون حرمة جواره ثلاثة أيام ، : (وكانت خفرة الجار ثلاثاً)^٢ فاذا انتهت ، انتهت مدة الجوار . وعلى الجار الارتحال ، الا اذا جدد (المجير) جواره له ، وطلب منه البقاء في جواره . فيكون عندئذ لهذا الجوار حكم آخر ، اذ يبقى الجوار قائماً ما دام عقده باقياً . وقد استفاد من حق الجوار الغرباء والمسافرون ، والمحتاجون وأمثالهم . فقد آمنوا على راحتهم ورزقهم وهم في محيط صعب ، كما آمنوا على حياتهم ، حتى أن المجير ليغفر لجاره ما قد يبدل منه من سوء بسبب حكم الجوار . قال مجير لجاره : (لولا أنك جار لقتلناك)^٣ . ويشمل هذا الجوار المسافر والضيف .

ومن عاداتهم في الجوار ، أن أحدهم اذا خاف ، فورد على من يريد الاستجارة به ، نكس رمح ، فاذا عرفه المجير ، رفع رمح . فيصير في جواره . فلما هرب (الحارث بن ظالم المرتي) من ملك الحيرة ، وأخذ يتنقل بين القبائل حتى وصل عكاظ وبها (عبد الله بن جدعان) ، نكس رمح أمام مضرب (ابن جدعان) ، ثم رفعه حين عرفوه ، وأمن . وأقام بمكة ، حتى أتاه أمان ملك الحيرة .^٤

وقد يحدد الجوار بمحدوده . كأن يذكر من يطلب الاستجارة لمن يريد ان يستجير به ، ان استجارته به من قبيلة كذا أو من القبائل الفلانية أو من الشخص

١ الأغانى (١٨٤/٢) .

٢ الفاخر (٢٢٠) .

٣ الفاخر (٢٢٠) .

٤ البلاذري (٤٢/١) وما بعدها .

الفلاني . فاذا قبل المجير ذلك حدد جواره بما حدد في عقد الجوار . فاذا اعتدت على المستجير قبيلة أخرى لم تذكر في نص الجوار ، فلا ذمة للمستجير على المجير ، وليس من حقه طلب مساعدته له . كما قد يحدد الجوار بزمن ، كاقامة شخص في مكان ، أو ايصاله من موضع الى موضع ، أو تعيين أمد له .

والخفارة الخفرة : الأمان ، والخفير : المجير ، والخفارة : الذمة . ويقال : خفرت الرجل : أجزته وحفظته ، وتخفرت به اذا استجرت به . وأخفرت الرجل اذا تقضت عهده وذمامه .^١ بأن يعلن ذلك ليقف عليه الناس ، والا بقيت التبعة في عنق الخفير .

وعلى من أعطى خفارته لأحد ، الوفاء بما أعطى ، والوفاء بما ألزم نفسه به عليه ، والا عد ناكثاً للعهد حقيراً .^٢

المؤاخاة :

وتكون المؤاخاة بين الأفراد كما تكون بين الجماعات ، كالعشائر والقبائل . وهي تدعو الى العناصر والمؤازرة والمساعدة . وتؤدي الى الموارثة . وخير مثل على المؤاخاة ، ما فعله الرسول يوم مقدمه المدينة من مؤاخاته بين الأنصار والمهاجرين لتوحيد الكلمة وليساعد بعضهم بعضاً .^٣

ولا يشترط في المؤاخاة أن تكون بين أعراب وأعراب ، أو بين حضر وحضر ، اذ يجوز أن تعقد ايضاً بين العرب والأعراب ، اي بين الحضر والبدو . لأن المؤاخاة عقد ، والعقد يقع بين كل الناس ، كما قد تقع بين عربي وأعجمي ، فقد آخى الرسول بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء .

١ اللسان (٢٥٣/٤) وما بعدها .

٢ تاج العروس (١٨٦/٣) ، (خفر) .

٣ تاج العروس (١١/١٠) ، (آخا) .

الموالي :

والمولى : الولي والعصبة والخليف وابن العم والعم والأخ والابن وابن الأخت والعصبات كلهم والجار والشريك^١ . فللفظة إذن معان عديدة ، أهمها بالنسبة لنا ، ان المولى : العبد ، أي المملوك الذي يمنّ عليه صاحبه ، بأن يفك رقبته ، فيعتقه ، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه . وسوف نرى ان الموالي أنواع . وهم الذين تبحث عنهم في هذا المكان .

و (الموالي : العصبة . هم كانوا في الجاهلية الموالي ، فلما دخلت العجم على العرب لم يجدوا لهم اسماً ، فقال الله تبارك وتعالى : فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم . فسمّوا الموالي .. والمولى اليوم موليان : مولى يرث ويورث ، فهؤلاء ذوو الأرحام ، ومولى يورث ولا يرث . فهؤلاء العتاقة)^٢ .

والعرب تسمّي ابن العم المولى ، ومنه قول الشاعر :

ومولى رمينا حوله وهو مدغل بأعراضنا والندبات سرور

يعني بذلك وابن عمّ رمينا حوله . ومنه قول الفضل بن العباس :

مهلاً بني عمّنا ، مهلاً موالينا لا تظهرنّ لنا ما كان مدفوناً^٣

والموالي أنواع . موالي عتق وموالي عتاقة ، وهو الرقيق أو الأسير الذي تفك رقبته بعتقه . كأن يشتري رجل مملوكاً فيشتريه فيعتقه^٤ . وفي جملة ما كان يفعله الجاهليون في مقابل فك رقبة المملوك اشتراطهم على المملوك عمل عمل يعيّن له ، فإنّ قام به وأتمه ، اعتقت رقبته . ويصير مولى لعتقه إن شاء ، وله الخيار في ان يختار غير سيده مولى له ، إن اشترط ذلك على سيده ، أو اشترط

- ١ اللسان (٤٠٨/١٥ وما بعدها) ، (صادر) ، (ولي) . قال الشاعر :
هم المولى وإن جنفوا علينا وأنا من لقائهم لـرور
يعني بني العم . وقال اللهبي يخاطب بني أمية :
مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا أمشوا رويدا كما كنتم تكونونا
تاج العروس (٣٩٩/١٠) ، (ولي) .
- ٢ تفسير الطبري (٣٣/٥) .
- ٣ تفسير الطبري (٣٢/٥) .
- ٤ اللسان (٢٤٣/١٠) ، (عتق) .

سيده عليه ذلك الشرط . وقد يقع الاختيار على ذلك بعد وقوع العتق .

ومن الموالي : موالي مكاتبه (موالي المكاتبه) وذلك ، بأن يشترط في عقد البيع ، ان العبد يكاتب على نفسه بثمانه ، فإذا سعى وأداه عتق . وذكر أيضاً ان المكاتبه ، ان يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجماً ، فإذا أداه صار حرّاً . والعبد مكاتب . وقيل : المكاتبه : ان يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجّمه عليه ، ويكتب عليه انه اذا أدى نجومه في كل نجم كذا وكذا ، فهو حرّ ، فإذا أدى جميع ما كاتبه عليه ، فقد عتق ، وولاؤه لمولاه الذي كاتبه . وذلك ان مولاه سوغه كسبه الذي هو في الأصل لمولاه ، فالسيد مكاتب ، والعبد مكاتب اذا عقد عليه ما فارقه عليه من أداء المال . سميت مكاتبه لما يكتب للعبد عليه على السيد من العتق اذا أدى ما فورك عليه ، ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها في محلها ، وان له تعجيزه اذا عجز عن أداء نجوم محلّ عليه^١ .

والأصل في ولاء المكاتبه ، ان من أعتق عبداً كان ولاءه له ، فينسب اليه . واذا مات كان هو وارثه . وقد لا يتحول الولاء للولي ، اذا اشترطوا أولاً ألا يكون ولاءه لمعتقه ، بل لمن يؤدي ثمن المكاتبه مثلاً . وقد يعتق المملوك ولا يكون لأحد ولاء عليه . وتكون العتاقة عندئذ (سائبة) . و (السائبة) : العبد يعتق على ان لا ولاء له ، أي عليه . ويحق عندئذ ان يضع ماله حيث يشاء^٢ . ومن أسباب العتاقة : التدبير . وهو ان يعلق المالك عتق مملوكه على شرط ، هو بعد وفاته . كأن يقول له : أنت حرّ بعد موتي . فلا يرثه أهله^٣ .

واما مولى العقد ، ويقال له مولى حلف ومولى اصطناع ، فيكون بانتهاء رجل الى رجل آخر بعقد ، أو قبيلة الى قبيلة أخرى بحلف . وذلك بأن يتعاقد ضعيف مع قوي على ان يساعده ويعاضده ، ويقوم في مقابل ذلك بأداء ما اتفق عليه من شروط . ويتنسب المولى عندئذ الى سيده ، أي مولاه الذي قبل ولاءه . ومن هذا القبيل يهود يثرب ، فقد كانوا في ولاية الأوس والخزرج ، لجأ كل بطن

١ اللسان (٧٠٠/١) ، (كتب) .

٢ تاج العروس (٣٠٥/١) .

٣ تاج العروس (٢٠٠/٣) ، (دبر) .

منهم الى بطن من الأوس أو الخزرج يتعززون بهم، وصاروا موالي لهم. اذا وقع عليهم ضيم لجأوا الى من انتموا اليه بالولاء للدفاع عنه. ولما ظهر الإسلام كان من دخل في ولاء (عبد الله بن أبي) ، ومنهم من دخل في ولاء (سعد بن معاذ) ومنهم من كان في ولاء (عبادة بن الصامت) . وكان عليهم في مقابل ذلك ، العون والنصرة لمن دخلوا في ولائه أو ولائهم ، والدفاع عنهم ، وان يكونوا بمثابة العون لهم .

وكان من موالي الحلف ، قوم من اليهود والنصارى والمجوس . ولما ظهر الإسلام ، أبطل عن تولي أهل الكتاب ^١ . إذ جعلهم في ذمة المسلمين . ويدخل في هذا الولاء ولاء قبائل وعشائر صغيرة لقبائل أكبر منها . وذلك في سبيل الحصول على حمايتها لها ودفاعها عنها . فيتوجب عليها أداء ما شرط عليها من شروط عند طلبها الولاء ، من العصبية والعقل وما شاكل ذلك من حقوق .

أما مولى الرحم ، فيكتسب الولاء بالزواج من موالي بعض القبائل ، فينسب الى القبيلة التي تزوج من مواليها ^٢ .

وذكر بعض أهل الأخبار ان الموالي ثلاثة : مولى اليمين المحالف، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن العم والقراية . وقد ذكرت هذه الأنواع في هذا البيت :

نبئت حياً على نعمان أفرادهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب ^٣

وقد ذكر (الجاحظ) (ان الموالي أقرب الى العرب في كثير من المعاني ؟ لأنهم عرب في المدعى ، وفي العاقلة ، وفي الوراثة . وهذا تأويل لقوله : مولى القوم منهم ، ومولى القوم من أنفسهم . والولاء لحمه كلحمه النسب) ^٤ . ولهذا عد الموالي في نسب من دخلوا في ولائه . وتعصبوا وتحزبوا لولاء المولى .

والموالي مهما كانوا : عرباً أم عجماً ، كانوا أقل شأناً في مجتمعهم من

-
- ١ المائدة ، الآية ٥١ ، تفسير الطبري (١٧٧/٦) ، الألوسي ، تفسير (١٤٠/٦) .
 - ٢ تاريخ التمدن الاسلامي (٣١/٤) .
 - ٣ العملة (١٩٨/٢) .
 - ٤ مناقب الترك (١٢/١) ، من رسائل الجاحظ ، (تحقيق عبد السلام هارون) .

الأحرار . إذْ نظر اليهم على أنهم دون العرب الأحرار في المكانة . ولهذا فقلما زوج الأحرار بناتهم للموالي . حتى ضرب بهم المثل في القلة والذلة ولا سيما اذا كان الانسان مولى مولى مولى . فقيل : (مولى الموالي) ، قيل ذلك في الاسلام أيضاً . ورد في الشعر :

فلو كان عبد الله مولى هجوتة ولكن عبد الله مولى مواليا^١

وقد بقيت نظرة الازدراء المذكورة حتى في الاسلام . فمع مساواة الاسلام للعرب بغيرهم واثباته بمقياس جديد في تفضيل الخلق بعضهم على بعض هو مقياس العمل الصالح ، المتجسم في قوله : (أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى)^٢ . أو قوله : (الناس في الاسلام سواء ، الناس طف الصاع لآدم وحواء . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله) ، (لا تأتوني بأنسابكم وأتوني بأعمالكم ، فأقول للناس هكذا ولكم هكذا)^٣ ، نجد ان العرب بقيت في الاسلام أيضاً تأنف من تزويج بناتها الى الموالي بسبب شرط (الكفاءة) الذي كان سنة من سنن أهل الجاهلية في الزواج : كفاءة النسب والمنزلة والحرفة . واذا تزوج مولى بنتاً عربية ، عُبرت القبيلة به . وقد هجا الشاعر (أبو بجير) (عبد القيس) ، لتزويجهم بناتهم للموالي^٤ . وذهب البعض الى قاعدة : (الكفاءة في النسب والدين والصنعة والحرية ، ولا تزوج عربية بأعجمي ولا قرشية بغير قرشي ، ولا هاشمية بغير هاشمي ، ولا عفيفة بفاجر)^٥ . وان (قريشاً بعضهم أكفاء لبعض بطن بطن ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ، والموالي بعضهم أكفاء لبعض رجل برجل)^٦ .

- ١ النعالي ، ثمار (٦٩٠) .
- ٢ العبادي ، الاسلام والمشكلة العنصرية (٥٨) .
- ٣ اليعقوبي (١٠٠/٢) ، (حجة الوداع) ، وتروى الخطبة بصور مختلفة .
- ٤ العقد الفريد (٢٣٢/٣) .
- ٥ العبادي ، الاسلام والمشكلة العنصرية (٦٧) ، أبو اسحاق الشيرازي كتاب التنبيه في العقه على مذهب الامام الشافعي (٩٥) .
- ٦ العبادي ، الاسلام والمشكلة العنصرية (٦٦) .

أما كفاءة النسب ، فإراد بها النسب العربي ، أي ان الرجل لا يزوج بنتاً عربية إلا اذا كان عربياً . وأما المترلة ، فإراعى فيها الكفاءة في المكاة ، كأن يراعى في اختيار الزوجة ان تكون من عائلة ليست مترلتها دون مترلة الزوج ، وإلا عيّر بزواجه ، وأما الحرفة ، فان يتزوج الرجل بنتاً من بنات حرفته ، فلا يتزوج الرجل ابنة صائغ مثلاً وإلا عيّر ابنها به ، كالذي كان من أمر (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة ، فقد عيّرته الناس بأمه لأنها ابنة صائغ ، ثم لأنها يهودية . وكان هذا العرف صارماً في اليمن ، فحصروا الزواج بأصحاب الحرف على نحو ما سأتحدث عنه في باب الزواج .

ونظراً الى ازدياد العرب لشأن الموالي ، وما كان يجلبه الولاء من ازدياد العرب بعضهم بعضاً لهذا السبب ، بسبب ولاء العتق أو ولاء الموالاة ، فقد أمر الخليفة (عمر) بإبطال الولاء بين العرب ، وجوز بقاءه فيما بين العرب وغير العرب ^١ ، فاقصر الولاء على هذا النوع وحده في الاسلام .

الأحلاف :

وكان للأحلاف شأن خطير في حياة الجاهليين . والحلف في اصطلاح علماء اللغة العهد بين القوم ، والحلف والمخالفة : المعاهدة ، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ، ثم عيّر به عن كل يمين . والمخالفة ان يحلف كل للآخر ^٢ . فغنى الحلف في الأصل المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق . وتحالفوا بمعنى تعاھلوا وعقدوا اتفاقاً وعهداً ، وتأخوا على العمل بدأ واحدة ^٣ ، وقد حالف الرسول بين المهاجرين والأنصار ، أي آخى بينهم ^٤ .

وفي كلمة الحلف شيء من الدلالة على الشعائر والإيمان والمعاني الدينية ، ولذلك قيل للحلف اليمين ، لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيماهم إذا حلفوا

- ١ العبادي ، الاسلام والمشكلة العنصرية (٧٤) .
- ٢ المفردات (ص ١٢٨) ، اللسان (٥٣/٩) (بروت) ، تاج العروس (٧٥/٦) ، المخصص (١٠٩/١٣) ، (رو) المعاني (١٢٥/١٦) .
- ٣ تاج العروس (٧٥/٦) ، اللسان (٥٣/٩) ، الصحاح (٥١٢/١) ، اللسان (٤٠٣/١٢) ، الصحاح (١٣٤٦/٤) ، اساس البلاغة (١٩٣/١) .

وتحالفوا وتعاهدوا وتبايعوا^١ . وكانوا ينظرون إليها على ان لها قداسة خاصة وحرمة ، والحائث يمينه ينظر اليه بأشد أنواع التحقير والازدراء . ويُعد الحنث باليمين من الموبقات ومن الكبائر التي لا يغتفر صدورها من شخص في شريعة الجاهليين . وقد أمر الإسلام بالوفاء بالعهد^٢ .

و (العهد) بمعنى الحلف أيضاً وقيل : العهد كل ما عوهد عليه ، وكل ما بين الناس من المواثيق . وهو أيضاً الموثق واليمين . ولذلك ورد : (على عهد الله) و (أخذت عليه عهد الله) ، و (ولي العهد) ، لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة . وعلى من يعطي العهد الوفاء به : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم)^٣ . (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)^٤ ، أي من وفاء^٥ . ووردت لفظة (عاهدتم) بمعنى التحالف والتعاقد في مواضع من كتاب الله^٦ .

ويرد (الميثاق) بمعنى العهد . والمواثقة المعاهدة . وأما (التوافق) ، فالتحالف والتعاهد . وفي القرآن الكريم : (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق)^٧ (فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)^٨ ، (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)^٩ . وقد قال العلماء في الميثاق إنه : عقد مؤكد يمين

-
- ١ اللسان (٣٥٦/١٧) ، (٤٦٢/١٣) (بيروت) ، تاج العروس (٧٥/٦) .
 - ٢ تفسير ابن كثير (٥٠٩/٢) ، تفسير الرازي (١٤٧/٢) ، تفسير الطبري (١٨٢/١) ، جامع أحكام القرآن ، للقرطبي (٢٤٦/١) ، (٣٠٧/٩) ، تفسير ابن حبان الأندلسي : البحر المحيط (١٧٤/١) ، تفسير الطبرسي (٤٠/١) ، تفسير ابن مسعود (٧٦/١) ، تفسير الخازن (٦١/١) ، تفسير البيضاوي (٨٣/١) .
 - ٣ النحل ، الآية ٩١ ، الكشف (٤١/١) ، تفسير الطبري (٣١٩/٣) ، (١٨٢/١) ، تفسير الطبرسي (٣٧٩/٢) .
 - ٤ الأعراف ، الآية ١٠٤ .
 - ٥ اللسان (٣١١/٣) .
 - ٦ التوبة ، الآية ١ ، ٤ ، ٧ النحل ، ٩١ ، تفسير الرازي (٤٧/٥) ، شرح صحيح البخاري (٢٠٣/١١) ، النهاية لابن الأثير (١٥٩/٣) ، تفسير الخازن (٤٢٣/١) .
 - ٧ الرعد ، الآية ٢٠ .
 - ٨ الأنفال ، الآية ٧٢ .
 - ٩ الرعد ، الآية ٢٥ .

وعهد^١ . والحلف الذي نتحدث عنه هو (ميثاق) ، لأنه عهد يؤخذ بحلف مؤكد بيمين .

وتكون بين المتحالفين موثيق على الوفاء بالالتزامات التي نص عليها ، واتفق الطرفان المتعاقدان أو الأطراف المتعاقدة على الوفاء بها كاملة غير منقوصة .

ويكون الحلف بين الأفراد ، كما يكون بين الجماعات والحكومات ، فيتحالف الأفراد بعضهم مع بعض ، ويعلم ذلك الحلف ليكون معلوماً بين الناس ، وتتحالف القبائل بعضها مع بعض ، ويعلم حلفها هذا ليكون معلوماً عند أفرادها وعند القبائل الأخرى ، وتتحالف الحكومات : حكومات عربية مع حكومات عربية ، أو حكومات عربية مع حكومات أعجمية . وفي المسند أمثلة عديدة على مخالقات الحكومات العربية بعضها مع بعض ، أو مخالقتها لحكومة أجنبية مثل : الحبشة ، كما في الكتابات الآشورية وفي مؤلفات اليونان واللاتين ، وفي كتب أهل الأخبار أمثلة من مخالقات العرب مع غيرهم ، أو مخالقاتهم بعضهم مع بعض .

والفكرة التي حلت العرب على عقد الأحلاف ، هي نفس الفكرة التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم أو مع غيرهم . وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة ، أي نفس الفكرة التي تدفع الدول على التكتل والتحزب وعقد الأحلاف الدولية ، في هذا اليوم ، أو في المستقبل . وهناك أحلاف عقدت لأغراض هجومية ، وأحلاف عقدت لمصالح اقتصادية ، مثل أكثر أحلاف قريش مع القبائل . وأحلاف لتثبيت نظم وإقرار قوانين وأخذ حقوق وردع ظالم وإنصاف مظلوم .

وقد تعقد الأحلاف لأغراض معينة ، فتكون لها آجال محددة ، كأن تسعى قبيلة لعقد حلف مع قبيلة أخرى لمساعدتها في صدّ غزو سيقع عليها أو لمساعدتها في غزو قبيلة أخرى ، أو الوفوف موقف حياد تجاه الغزو . أو مساعدة قبيلة قبيلة أخرى للأخذ بثأر من قبيلة لها ثأر معها . ومثل هذه الأحلاف لا تعمر طويلاً ، إذ ينتهي أجلها بانتهاء الغاية التي من أجلها عقد الحلف .

١ المفردات (٥٢٢) ، اللسان (١٥٤/١٢) ، الصحاح (١٥٦٤/٤) ، الكشف (١٧/١) ، البيضاوي (١٦١/٧) ، تفسير الطبري (٣٢٩/٣) ، اللسان (٣٧٠/١٠) (بيروت) ، تفسير الطبرسي (١٥٧/٦) .

والغالب ان الضعيف هو الذي يبحث عن حليف يحالفه ، ليقوّي به هذا التحالف نفسه ، ويعزز به مكانه . قال البكري : (فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس في الماء والكلاء ، والتماسهم المعاش في المتسع ، وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش ، واستضعاف القوي للضعيف ، انضم الدليل منهم الى العزيز وحالف القليل منهم الكثير ، وتباين القوم في ديارهم ومحالّهم ، وانتشر كل قوم فيما يليهم)^١ .

لقد دفعت الضرورات قبائل جزيرة العرب الى تكوين الأحلاف ، للمحافظة على الأمن وللدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول . واذا دام الحلف أمداً ، وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة ، فإنّ هذه الرابطة تنتهي الى نسب يشعر معه أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جدّ واحد ، وقد يحدث ما يفسد هذه الرابطة ، أو ما يدعو الى انفصال بعض قبائل الحلف ، فتتضم القبائل المنفصلة الى أحلاف أخرى ، وهكذا نجد في الجزيرة أحلّافاً تتكون ، وأحلّافاً قديمة تنحل أو تضعف^٢ .

لم يكن في مقدور القبائل أو العشائر الصغيرة المحافظة على نفسها من غير حليف قوي يشدّ أزرها إذا هاجمتها قبيلة أخرى ، أو أرادت الأخذ بالتأثر منها . لقد كانت معظم القبائل داخلية في هذه الأحلاف ، إلا عدداً قليلاً من القبائل القوية الكثيرة العدد ، وكانت تتفاخر بنفسها ، لأنها لا تعتمد على حليف يدافع عنها ، بل كانت تأخذ بثأرها وتنال حقها بالسيف . ويشترك المتحالفون في الغالب في المواطن ، وقد تنزل القبائل على حلفائها ، وتكون الهيمنة بالطبع في هذه للقبائل الكبيرة^٣ .

وقد عرفت مثل هذه الأحلاف عند سائر الشعوب السامية كالعبرانيين مثلاً ، وطالما انتهت تلك الأحلاف كما انتهت عند العرب الى نسب ، فيشعر المتحالفون أنهم من أسرة واحدة يجمع بينهم نسب واحد^٤ . ويقال للحلف (تكلع)

١ معجم ما استعجم (٥٣/١) .

٢ Goldziher, Muh. Stud., I, S., 64.

٣ الأغاني (١١٨/١٢) ، ١٢٣ وما بعدها .

٤ Keunen, De Godsdienst van Israel, I, P. 113, Noldeke, in ZDMG., XI, S. 15.

عند البانين^١ . (وبه سمّي ذو الكلاع ، وهو ملك حيريّ من ملوك اليمن من الأذواء ، وسمّي ذا الكلاع ، لأنهم تكلموا على يديه أي تجمعوا ، وإذا اجتمعت القبائل وتناصرت فقد تكلمت)^٢ .

ولما كانت المصالح الخاصة هي العامل المؤثر في تأليف الأحلاف ، كان أمد الحلف يتوقف في الغالب على دوام تلك المصالح . وقد تعقد الأحلاف لتنفيذ شروط اتفق عليها ، كأن تعقد لغزو قبيلة ، أو للوقوف أمام غزو محتمل ، أو لأجل معين . ومتى نفذت أو تلكاً أحد الطرفين في التنفيذ ، انحل الحلف . وتعدّ هذه الناحية من النواحي الضعيفة في التاريخ العربي ، فإن تفكير القبائل لم يكن يتجاوز عند عقدهم هذه الأحلاف مصالح العشائر أو القبائل الخاصة ، لذلك نجدها تتألف للمسائل الداخلية التي تخص قبائل جزيرة العرب ، ولم تكن موجهة للدفاع عن بلاد العرب ولمقاومة أعداء العرب . ولا يمكن ان نطلب من نظام يقوم على العصبية القبلية ان يفعل غير ذلك . فإن وطن القبيلة ضيق بضيق الأرض التي تنزل فيها ، فاذا ارتحلت عنها ، ونزلت بأرض جديدة ، كانت الأرض الجديدة هي الوطن الجديد الذي تبالغ القبيلة في الدفاع عنه . ولما كانت هذه النزعة الفردية هي هدف سياسة سادات القبائل ، أصبحت حتى اليوم من أهم العوائق في تكوين الحكومات الكبيرة في جزيرة العرب ، ومن أبرز مظاهر الحياة السياسية للأعراب .

وخير مثال للقبائل التي اقتضت مصالحها التكتل والتحالف بينها ، هو الحلف الذي قيل له (تنوخ) . فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب ، وتحالفوا وتعاضدوا على العناصر والتساعد والتآزر فصاروا يداً واحدةً ، وضمهم اسم (تنوخ)^٣ . وحلف (فرسان) ، وهو حلف آخر قديم تكون من انضمام قبائل عديدة بعضها الى بعض للتناصر والتآزر^٤ . ولما لم يعرف أهل الأخبار واللغة شيئاً من تلك الأمور العادية ، أوجدوا تلك القصص والأخبار والأنساب المدونة

١ المخصص (١٠٩/٣) .

٢ اللسان (٣١٣/٨) ، (كلج) .

٣ تاريخ ابن الأثير (١٣٥/١) ، تاريخ الطبري (٧٤٦/١) (طبعة لندن) ، الاغانى (١٥٥/١١) .

Muh. Stud., I, S. 66.

٤ الاشفاق (ص ٨) ،

عن تنوخ وأمثال تنوخ^١ .

ومن هذا القبيل ، الحلف الذي قيل له : (البراجم) . وهو من عمرو وظليم وقيس وكلفة وغالب . زعم أهل الأخبار ، ان (حارثة بن عمرو بن حنظلة) ، قال لهم : أيتها القبائل التي قد ذهب عددها ، تعالوا فلنجتمع ولنكن كبراجم يدي هذه . فقبلوا ، فقيل لهم البراجم . وهم يد مع عبد الله بن دارم . فنحن أمام حلف من أحياء قلّ عددها وذهب أمرها ، ونخافت على نفسها ، فلم تجد أمامها من وسيلة للمحافظة على حياتها سوى التحالف ، فكان من ذلك حلف البراجم^٢ .

ونجد لفظة (الحليفان) للدلالة على تحالف قبيلتين ، أو (الأحلاف) تعبيراً عن حلف عقد بين قبيلتين أو أكثر ، تتردد في كتب أهل الأنساب والأخبار . وقد قصد بها أحلاف عديدة . فقد قيل لأسد وغطفان (الحليفان) ، لأنها تحالفاً وتعاقداً وعقداً حلفاً بينهما على التناصر والتآزر ، كما قيل لهما (الأحلاف) . والأحلاف أسد وغطفان^٣ . وقيل لقوم من ثقيف : (الأحلاف) . والظاهر أنهم كانوا في الأصل طوائف لم تتمكن من البقاء وحدها في وسط عالم لا يعيش فيه إلا القوي ، فتحالفت للدفاع عن نفسها ، ويقال لأسد وطيء (الحليفان) ولفزارة وأسد (حليفان) ، لأن خزاعة لما أجلت بني أسد عن الحرم ، خرجت فحالفت طيئاً ، ثم حالفت بني فزارة^٤ .

ولما تحالفت غطفان وبنو أسد وطيء ، قيل لهم : الأحاليف ، لعقدتهم حلفاً على التناصر والتآزر^٥ .

١ Muh. Stud., I. S., 66.

٢ خلق الانسان (٢٣٠ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/١٩٩) ، (البرجمة) .

٣ قال زهير :

فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان : هل أقسمتم كل مقسم ؟
وفي رواية (ألا بلغ الأحلاف عني رسالة) ، اللسان (١٠/٤٠٠) ، ديوان زهير (ص ١٨) ، اللسان (٩/٥٤) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٢١٩) ، الصحاح (٤/١٣٤٦) .

٤ اللسان (١٠/٤٠١) .

٥ فال ربيعة بن مقروم :

إذا حل أحياء الأحاليف حوله بني لجب هداته وصواهله
المفضليات (ص ٣٦٤) ، تاج العروس (٦/٧٥) ، شرح ديوان زهير (١٨) .

وقد ورد في معلقة (الحارث بن حلزة اليشكري) اسم (حلف ذي المجاز) الذي عقد بين بكر وتغلب بوساطة (عمرو بن هند) ، وقد أخذ فيه عمرو بن هند العهود والمواثيق والكفلاء من الطرفين حذر الجور والتعدي .^١

وتكون الهيمنة في الاحلاف التي تعقد بين قبائل غير متكافئة للقبائل القوية ، أي للقبائل التي لجأت اليها القبائل الضعيفة لعقد حلف معها . فتكون الكلمة عندئذ لسادات القبائل البارزة في هذا الحلف . وعلى القبائل الضعيفة دفع شيء للقبائل القوية في مقابل حمايتها لها وبسط سلطانها عليها ، ومنع ما قد يقع من اعتداء من قبائل اخرى عليها .

وقد كانت هذه الاحلاف تدوم ما دامت المصالح متشابهة ، فاذا اختلف التوازن بين المتحالفين ، أو وجد أحد الطرفين أن مصالحه تقتضي الانضمام الى حلف آخر ، فسخ ذلك العقد ، وعقد حلفاً آخر ، وحالف قبائل أخرى قد تكون معادية لقبائل الحلف السابق ، ويقال لفسخ الأحلاف (الخلع) .^٢

وهكذا كانت الحياة السياسية في الجاهلية : أحلاف تتكون وأخرى قديمة تنحل . ولا سيما اذا كانت قد تكونت من قبائل لا رابطة دموية بينها ولا اشتراك في المواطن ، وانما كانت عوامل مؤقتة وأحوال طارئة اقتضت تكتلها ، ثم اقتضت انحلالها لزوال تلك الأسباب .

وتعقد الاحلاف احياناً بين عشائر وبطون قبيلة واحدة ، تعقد على نمط الأحلاف التي تعقد بين القبائل . وقد يعقد الحلف بين عشائر وبطون قبيلة ، وبين عشائر وبطون قبائل غريبة . وذلك بسبب حدوث مشاحنات ومنافسات بين عشائر وبطون القبيلة ، فتتكتل العشائر والبطون وتنحزب وقد تتقاتل ، وتضطر عندئذ الى تأليف أحلاف بينها لتغلب بها على العشائر والبطون المنافسة . ومثل هذه الاحلاف تضعف القبيلة وتؤدي الى تصدعها ما لم يتدارك أمرها أصحاب الرأي والسداد فيتولوا

١ وادكروا حلف ذي المجاز وما حد م فيه العهود والكفلاء

شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٦) .

Muh. Stud., I. 8., 68. ٢

اصلاح ما قد وقع بين رجال القبيلة من فساد وتهدة الحال حفظاً لمصلحة القبيلة .
ونجد أمثلة من هذا القبيل عند أهل الاخبار .

ولم يكن من الواجب على كل أحياء قبيلة ، الاشتراك في الاحلاف التي تعقدها
غالبية أحياء تلك القبيلة . فقد اعتزلت (حنيفة) الحلف الذي عقدته قبائل
(بكر) في الجاهلية . لأنها كانت من أهل المدر ، وكان الحلف في أهل الوبر .
فلما جاء الاسلام ، دخلت في (عجل) ، وصارت لهزمة .^١

وكان في العرف الجاهلي أن الاحياء التي تتحضر من قبيلة ما ، لا تدخل في
الاحلاف التي تعقدها الاحياء المتبدية ، لاختلاف الحالة ، لا سيما اذا كانت المواطن
بعيدة . فالحضارة تبعد الاعراب عن يتحضر منهم . الا اذا وجدت مصالح
خاصة ، والمصالح اساس التعامل .

ونظراً الى ما للحلف من قدسية في النفوس ، أصبح من المعتاد عقده في مراسيم
مؤثرة ورد وصف بعضها في الاخبار ، مثل حلف (المطيبين) الذي عقد في
مكة بعد اختلاف بني عبد مناف وهاشم والمطلب ونوفل مع بني عبد الدار بن
قصي ، واجماعهم على أخذ ما في أيدي بني عبد الدار مما كان قصي قد
جعلهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً
مؤكداً ، على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً (ما بلكم بحر صوفة) ،
فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف
أخرجنها لهم ، فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم
فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسكوا الكعبة بأيديهم تأكيداً على
أنفسهم ، فسَمُوا المطيبين ، وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند
الكعبة حلفاً مؤكداً على ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسَمُوا الاحلاف .^٢

١ النفاض (٧٢٨) ، تاج العروس (٦٩/٩) ، (لهزم) .

٢ ابن هشام (١٤٣/١ وما بعدها) ، ابن الأثير ، الكامل (١٨٣/١) ، الطبري
(١١٣٨/١) (ليدن) ، اللسان (٤٠٠/١٠) ، المعارف (٢٠٤) (طبعة وستنفلد) ،
اليقوي (٢٨٧/١) (هوتسما) ، التنبيه (١٨٠) (طبعة الصاوي) ، تاج العروس
(٧٥/٦) ، (حلف) .

(والأحلاف ست قبائل : عيسد الدار ، وجمع ، ونخزوم ، وبنو عدي ، وكعب ، وسهم) .^١

ومن هذا القبيل حلف الفضول ، اذ تداعت قبائل من قريش الى حلف وتعاهدوا وتعاهدوا على ألا يجلدوا بمكة مظلوماً من اهلها ومن غيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .^٢ وهو من الاحلاف التي ظل الناس يحترمونها أحكامها حتى في الاسلام . وقد عقد على هذه الصورة : اجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان ، وصنع لهم طعاماً كثيراً ، ثم (عملوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ، ثم بعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشربوه) .^٣

وأضيف الى هذه الاحلاف ، حلف (الرباب) . وهو حلف عقد بين المتحالفين بادخال أيديهم في (رُبّ) وتحالفوا عليه ، أو لانهم جاؤوا برُبّ فأكلوا منه ، وغسوا أيديهم فيه ، وتحالفوا عليه . فصاروا يداً واحدة ، وقيل : لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة ، وهم : تيم وعدي وعُكُل ومُزَيْنَة وضَبَة ، أو : ضبة وثور ، وعُكُل ، وتيم ، وعدي .^٤

ومن تلك الاحلاف ، حلف لَحَقَة الدم . وقد عقد على أثر تخاصم القبائل من

١ اللسان (٥٤/٩) ، ابن هشام ، سيرة (٨٤/١) ، البداية والنهاية (٢٠٩/٢) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٦٧/١) ، المسعودي ، التنبيه (١٨٠) ، المروج (٥٩/٢) ، ابن خلدون (٦٩٤/٢) ، المحبر (١٦٦) ، تاج العروس (٧٥/٦) ، القاموس (٢٨٠/٣) ، النويري ، نهاية الأرب (٣٥/١٦) ، المعارف (ص ٢٠٤) (طبعة هوتسما) ، دائرة المعارف الاسلامية (٤٩/٨) (الترجمة العربية) ، لسان العرب (٥٤/٩) .
Caetani, Annali, Vol. I, Intro., 120, 2, I, Anno., 8, 20-21, Ency.; 2; P. 307.

٢ ابن هشام (١٤٥/١) ، الأغاني (٦٤/١٦) وما بعدها ، المعارف (٢٠٤) (طبعة هوتسما) ، الاشتقاق (١١١) (طبعة وسننفلد) ، العقد الفريد (٤١/٢) ، اللسان (٣٩٩/١٠) ، السيرة الحلبية (١٤٦/١) ، تاريخ الخميس (٢٦١/١) ، المحبر (١٦٧) ، عيون الأثر (٥٢/١) .

٣ الأغاني (٦٤/١٦) .

٤ الاشتقاق (١١١) ، الصحاح (١٣١/١) ، اللسان (٣٨٨/١) ، (٤٠٣) ، تاج العروس (٢٦٤/١) ، الأغاني (١٤/٩) ، العدد (٥٩/٢) .

قريش في وضع الحجر الأسود في موضعه . فلما استعدت للقتال (قريت بنسو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا (لَعَقَةَ الدم) .^١ ويظهر أن عقد الحلف بادخال الأيدي في الدم من المراسيم المعروفة . وقد عرف قوم من بني عامر بن عبد مناة بن كنانة بلعقة الدم . وكانوا ذوي بأس شديد .^٢ وجاء أن خُثَعَمًا إنما سُموا خُثَعَمًا لانهم غسوا أيديهم في دم جرّور .^٣

وتعتقد الاحلاف على النار كذلك ، وقد وصف (هيرودوتس) طريقة من طرق التحالف والمؤاخاة والمحافظة على العهود عند العرب ، فذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة ، لا يشاركهم في ذلك أحد من الأمم ، ولها قداسة خاصة عندهم ، حتى تكاد تكون من الامور الدينية المقدسة . واذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر ، أوقفا شخصاً ثالثاً بينها ليقوم باجراء المراسيم المطلوبة في عقد الحلف ، ليكتسب حكماً شرعياً ، فيأخذ ذلك الشخص حجراً له حافة حادة كالسكين يخلش به راحتي الشخصين قرب الإصبع الوسطى . ثم يقطع قطعة من ملابسها فيغمسها في دمي الراجتين ، ويلوث بها سبعة أحجار . ويكون مكان هذا الشخص الذي يقوم باجراء هذه الشعائر في الوسط ، يتلو أدعية وصلاة للإلهين (باخوس) (Bachus) و (اورانيا) (Urania) ، حتى اذا انتهوا منها قاد الحلف حليفه الى أهله وعشيرته لإخبارهم بذلك ، وللإعلان عنه ، فيصبح الحليف أخاً له وحليفاً ، أمرهما واحد بالوفاء .^٤

وما ذكره (هيرودوتس) عن عقد العرب احلافهم على النار ، هو صحيح على وجه عام . يؤيده ما ذكره اهل الاخبار عن (نار التحالف) . وقولهم : كان أهل الجاهلية اذا أرادوا أن يعقدوا حلفاً ، اوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم

١ ابن هشام (٢١٣/١) ، عيون الأثر ، لابن سيد الناس (٥٢/١) ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (١١٤/١) ، تاج العروس (٦٣/٧) ، القاموس (٢٨٠/٣) ، نسب قريش (٢٨٣) .

٢ الأغاني (٢٦/٧) .

٣ الفضليات (ص ٧٠٥) (واشتقاق خثعم فيما ذكر ابن الكلبي أنهم نحروا جزورا ، فتحثعموا عليه بالدم ، أي تطلوا به) ، الاشتقاق (٣٠٤/٢) .

٤ Harodotus, Vol., I, P. 213, (Rawlinson).

عندها ، ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ، ويحلّ العقد ، وكانوا يطرحون فيها الملح والكبريت ، فاذا استشاطت ، قالوا للحالف : هذه النار تهددتك ، يخوفونه بها حتى يحافظ على العهد والوعد ، ولا يحلف كذباً ، ويضمّر غير ما يظهر . ولذلك عرفت هذه النار بنار التحالف . وهي نار يقسم المتخاصمون عليها كذلك ، فان كان الحالف مبطلاً نكل ، وان بريئاً حلف ولهذا سمّوها أيضاً (نار المهوّل) و (الهولة)^١ . وذكر أنهم كانوا لا يعقدون حلفاً الا عليها . وقد أشار الى هذه النار (أوس بن حجر) ، اذ قال :

اذا استقبلته الشمس ، صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهوّل حالف
كما أشار اليها الكميت :

هو خوفوني بالعمى هوّة الردى كما شبّ نار الحالفين المهوّل^٢
وقد ذكر أهل الاخبار حلفاً سمّوه : (حلف المحرقين) ، وزعموا أن المتحالفين تحالفوا عند نار حتى أمحشوا أي احترقوا ، وأن (يزيد بن أبي حارثة ابن سنان ، وهو أخو هرم بن سنان الذي مدحه زهير ، يمحش المحاش ، وهم بنو خصيلة بن مرة وبنو نسيبة بن غيظ بن مرة على بني يربوع بن غيظ بن مرة رهط النابغة ، فتحالفوا على بني يربوع على النار ، فسّموا المحاش بتحالفهم على النار .^٣ وزعموا أن المحاش القوم يجتمعون من قبائل شتى ، فيتحالفون عند النار .^٤ وذكر علماء اللغة أن (المحاشن) : القوم يجتمعون من قبائل يحالفون غيرهم من الحلف عند النار . وكانوا يوقدون ناراً لدى الحلف ليكون أوكد . وقد أشير الى ذلك في شعر النابغة ، اذ يقول :

جمع محاشك يا يزيد ، فإنني أعددت يربوعاً لكم ، وتبما
قيل : يعني صرمة وسهماً ومالكاً بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وضبة بن سعد ، لانهم تحالفوا بالنار ، فسّموا المحاش .^٥

١ صبح الأعشى (٤٠٩/١) ، اللسان (٧٠٣/١١) ، سبائك الذهب ، للسودني (١١٩) ، بلوغ الأرب (١٦٢/١) .

٢ نهاية الأرب (١١١/١) .

٣ اللسان (٢٣٨/١٤) ، و (ورد غيظ) و (غيظ) .

٤ ناج العروس (٣٨٤/٤) .

٥ اللسان (٣٤٤/٦) وما بعدها ، (محش) ، ناج العروس (٣٤٨/٤) ، (محش) .

وقريب من هذا ما كانت تفعله قريش حين تعقد حلفاً ، فيأخذ الحليف حليفه الى الكعبة ، ثم يطوفان بالأصنام لإشهادها على ذلك ، ثم يعود الحليف بحليفه لاشهاد قريش ومن يكون في الكعبة آنئذ على صحة هذا الحلف ، وقبوله مخالفة الحليف ، اذ أصبح وله ما له وعليه ما عليه ، وعلى قومه حمايته حمايتهم له . وقد ذكرت كتب السيرة والاخبار والأدب طرفاً من اخبار المحالفات التي كانت تعقد بمكة وكيفيتها وبعض المراسم التي تمت فيها .

ولا تعرف صيغة واحدة معينة للتسم الذي يقسم به المحالفون . فمنهم من أقسم بالأصنام التي يعبدونها ويقفون عندها حين يعقدون الحلف . ومنهم ، وهم أغلب أهل مكة ، من كانوا يحلقون عند الركن من الكعبة ، فيضع المتحالفون أيديهم عليه ، فيحلفون . وقد ذكر أن قَسَمَ قريش والاحابيش عند الركن يوم تحالفوا وتعاقدوا ، حلفوا (بالله القاتل وحرمة البيت والمقام والركن والشهر الحرام على مصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وعلى التعاقد والتساعد على من عاداهم من الناس ما بلّ بحر صوفة) ، وما قام حراء وثبير ، وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة) .^١

ومنهم من أقسم بالآباء والاجداد ، لما لهم من مكانة ومقام في نفوسهم . ومنهم من حلف وعقد الحلف عند المشاهد العظيمة ، أو في معابد الاصنام ، أو عند قبور سادات القبائل المحترمين ، فيحلقون بصاحب هذا القبر ويذكرون اسمه على التعاقد والتآزر أو على ما يتفق المتحالفون عليه ، وعلى الوفاء بالعهد . وقد روي أن النبي أدرك (عُمَرَ) في رَكْبٍ وهو يحلف بأبيه ، فنادى رسول الله : (اما ان الله عز وجلّ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . من كان حالفاً ، فليحلف بالله ، أو يصمت) .^٢

وفي كتب أهل الاخبار والأدب أسماء قبائل يظهر أنها كانت أسماء أحلاف عقدت في مراسيم خاصة ، يمكن الوقوف عليها وتعيينها من دراستها والوقوف على معانيها ، مثل الرباب والمحاش وما شاكل ذلك من أسماء .

ومن عاداتهم في عقد الاحلاف ما ذكرته من التحالف على الطيب أو النار أو

١ اليقوي (٢١٢/١) .

٢ التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، للشيخ منصور على ناصف (٧٤/٣) .

القسم عند صنم . (وفي حديث الهجرة : وقد غمس حلقاً في آل العاص ، أي أخذ نصيباً من عقدهم وحلقهم يأمن به . وكان عاداتهم أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً ، فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد)^١ . وحلقوا بالملح وبالماء . (قال ابن الأعرابي) : (والعرب تحلف بالملح والماء تعظيماً لهما)^٢ . ومن المجاز (ملحه على ركبته) ، بمعنى قليل الوفاء .^٣ وحلقوا بالخبز والملح ، وعلى من يأكل خبز وملح شخص الوفاء لذلك الشخص . ولا يجوز الاعتداء على من أكل خبز وملح قبيلة . وعليها الدفاع عنه وأخذ حقه ممن ظلمه من أهل تلك القبيلة .

وتدونّ الاحلاف أحياناً لتوكيدها وتثبيتها ، وتحفظ عند المتعاقدين ، وقد تودع في العابد ، كالذي روي في خبر (صحيفة قريش) يوم تأمر المشركون وتحالفوا على مقاطعة (بني هاشم) في شعبهم ، اذ كتبوا صحيفة بما اتفقوا عليه ، ثم أودعوها كما يقول أهل الأخبار جوف الكعبة ، كالذي ورد من تحالف ذبيان وعبس وتدوينهم ما تحالفوا عليه في كتاب ، وتعاهدوا وأقسموا على اتباع ما كتب فيه ، والعمل به ، وإلى ذلك أشير في شعر قيس^٤ ونجد في شعر (زهير) :

الا أبلغ الاحلاف عني رسالة وذبيان : هل أقسمت كل مقسم ؟

إشارة إلى قسم أخذ من المتعاقدين ، ليلتزموا الوفاء بما تحالفوا عليه ، وهم (الاحلاف) . كما نجد في شعر الحارث بن حلزة الشكري :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قد م فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي ، وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

إشارة إلى العهود والرهائن التي أخذت من (بني تغلب) و (بني بكر) للوفاء بما توافقوا وتعاهدوا عليه ودوّنوه من شروط على (المهارق) ،

١ تاج العروس (٢٠٣/٤) ، اللسان ١٥٧/٦ ، (غمس) .

٢ تاج العروس (٢٣٠/٢) ، (ملح) .

٣ قال مسكين الدارمي :

لا تلهيها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

أي هذه قليلة الوفاء ، تاج العروس (٢٣٠/٢) ، ملح .

٤ لعمري لقد حالفت ذبيان كلها وعيسا على ما في الادم الممدد
شعر قيس (٢١) .

أي القراطيس ، توكيداً لما اتفقوا عليه مشافهة . وكان الملك (عمرو بن هند) ، قد أصلح بين الطرفين بحلف ، سمي حلف ذي المجاز ، فأخذ عليهم الموائيق والرهائن ^١ .

ويوثق ما اتفق عليه عن عهود وأحلاف وموائيق ، رؤساء الأطراف المتعاقدة ، بأن تدون أسماؤهم وتحتم بخواتيمهم ، لتكون شهادة بصحة ما اتفق عليه ، كما يفعل المتعاقدون على صحة العقد ، وعلى صحة الخواتيم ، وبأن ما اتفق عليه كان بحضورهم ، وبأنهم شهود على كل ذلك .

وفي أخبار أهل الأخبار شواهد تشهد بتدوين الجاهليين لعقود الأحلاف . ورد في شرح (التبريزي) على المعلقة قوله في معرض شرحه لمعلقة (الحارث بن حلزة اليشكري) : إن كانت أهواؤكم زينت لكم الغدر والحياة بعد ما تحالفنا وتعاقدنا ، فكيف تصنعون بما هو في الصحف مكتوب عليكم من العهود والموائيق والبيئات فيما علينا وعليكم ^٢ ؟ وورد أن أهل الجاهلية (كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان) ^٣ . وورد في شعر ينسب إلى (درهم بن زيد الأوسي) ، ما يفيد بوجود صحف مكتوبة بعهود عقدت بين الأوس والخزرج ^٤ . ووردت إشارة إلى (الصحف) : صحف العهود والموائيق في شعر للشاعر : قيس بن الخطيم ^٥ .

وروي أنه قد كان عند (عمر بن إبراهيم) من ولد (أبرهة بن الصباح) الحبشي المعروف ، كتاباً دون (الدينوري) صورته ، فيه حلف اليمن وربيعة في حكم الملك (تبع بن ملكيكرب) . وقد دون بشهر رجب الأصم ^٦ . وهو كتاب يظهر أنه دون في الإسلام ، وإن واضعه لم يكن له علم بأحوال اليمن في

- ١ شرح القصائد العشر ، للزوزني (٣٤٥) ، شرح الفصائد السبع (٢٠١) ، الحيوان ، للجاحظ (٦٩/١ وما بعدها) ، المعرب للجواليقي (٣٠٣) .
- ٢ شرح المعلقة (٢٦٨ وما بعدها) .
- ٣ الحيوان ، للجاحظ (٦٩/١ وما بعدها) .
- ٤ وإن ما بيننا وبينكم حين : يقال : الأرحام والصحف ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي (ص ٦٦) .
- ٥ ديوان قيس بن الخطيم (١٩) .
- ٦ الأخبار الطوال (٣٥٤) .

ذلك العهد . على كلّ ، فإنه يشير الى وجود تدوين العهود عند الجاهليين .
ولما تحالفت قريش على مقاطعة (بني هاشم) و (بني المطلب) كتبت كتاباً
بما اتفقت عليه ، كتبه (منصور بن عكرمة العبدي) ، وذكر انه حفظ عند
(أم الجلاس بنت مخزبة الحنظلية) خاله أبي جهل ، وذكر انه علق في
جوف الكعبة^١ .

وشهادات الشهود على صحة العقود أو الأوامر ، معروفة عند أهل اليمن ،
لذا وردت في الأوامر الملكية التي أصدرها ملوك اليمن وفي قوانينهم التي كانوا
يصدرونها لأتباعهم . وقد عرفت عند أهل مكة ، وهم قوم تجار وأصحاب
مصالح ، ولهم عقود ومواثيق ومعاهدات مع غيرهم من أهل القرى وسادات
القبائل . وفي القرآن الكريم ألفاظ لها صلة بالشهادة والشهود ، منها : (شهدتم) ،
و (شهدوا) ، و (أشهد) و (تشهد) ، و (تشهدون) ، و (شاهد) ،
و (الشهادة) ، وقد أمر بوجوب المحافظة على الشهادة وعدم كتمانها : (ولا
تكنتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)^٢ .

ولما كانت مراسيم الأحلاف من المراسيم المهمة ومن الأحداث الخطيرة ، افترنت
من أجل ذلك بتقديم الطعام للمتحالفين . فيجلس المتحالفون من جميع الفرقاء على
مائدة واحدة كالذي ذكرته من تقديم عبد الله بن جدعان الطعام للمتحالفين يوم
عقدوا (حلف الفضول) . وقد تكون الوليمة نفسها مظهراً من مظاهر مراسيم
عقد الأحلاف ، لما للخبز والملح من أثر عند العرب . فعلى من يأكل خبز رجل
وملحه ان يمرّ به ويوفي له ، ولهذا يعنف الإنسان الإنسان الغادر ويوبخه ، لأنه
لم يراع حرمة الخبز والملح ، وهي حرمة تكاد تصل الى حرمة الدم والرحم .

يتبين مما تقدم ان العرب كانت ترى توكيد الأحلاف بكسوتها بقدسية خاصة ،
وذلك بعقدتها مراسيم ذات صبغة دينية . وقد راعت في تلك المراسيم جهد إمكانها
إيلاج ما يوضع في تلك المراسيم الى أجسام المتحالفين ، وكأنهم أرادوا بذلك
ادخال القسم وما حلف عليه في جسم المتحالفين ، ولهذا كان الذين يغمسون
اصبعهم في جفنة الدم أو في دم الجزور ، يقطعون إصبعهم ، وكان الذين يغمسون

١ ابن سعد ، طبقات (٢٠٨/١) وما بعدها .

٢ البقرة ، الآية ٢٨٣ .

أصابهم في الطيب يلطعون أصابعهم أيضاً ، وكان الذين يقسمون على الماء المقدس يشربون من ذلك الماء ؛ وكان الذين يجرحون أيديهم ويعقدون الحلف يضعون راحتي المتحالفين اليمنى إحداهما فوق الأخرى ، الى آخر ذلك من مظاهر توحى ان المتحالفين لم يكونوا قد فعلوا ذلك عبثاً ومن غير هدف ولا قصد ، بل أرادوا من كل ذلك اثباتاً في المتحالفين وجعلهم يشعرون بأن حلفهم هذا أي قسمهم على التحالف لتنفيذ ما اتفق عليه قد صار جزءاً من جسمهم ، وقد حل في دمهم ، كما يحل الدم والخبز في دم الجسم .

وتعتقد الأحلاف الخطيرة المهمة أمام الأصنام وفي المعابد في الغالب ، وذلك كي تكتسب قدسية خاصة . ويشرف على عقدها سادن الصنم ، وقد يساعده مساعدون ، ليقوموا بمساعدته في إتمام المراسم .

ويكون بين قبائل الحلف سلم وود ، لذلك يستطيع أبناء القبائل المتحالفة المرور بمواطن هذه القبائل غير خائفين ، وتمر قوافلهم بأمان لا يُتعرض لها ، ولا تجبي إلا على وفق ما اتفق عليه وجرت عليه عادة المتحالفين . وعلى أبناء هذه القبائل حماية من يجتاز بأرضهم وتقديم المساعدات له وإضافته ودفع الأذى عنه ، وإذا وقع عليه اعتداء من قبائل غريبة فعليه مساعدته والذب عنه واستصراخ قومه لنجده ، لأنهم من حلف واحد . وعلى الإنسان ان يتعصب للحلف تعصبه لقبيلته .

ويلاحظ ان الأحلاف إذا طالت وتماسكت ، أحدثت اندماجاً بين قبائل الحلف ، قد يتحول الى النسب . بأن تربط القبائل والعشائر الضعيفة نسبها بنسب القبيلة البارزة المهيمنة على الحلف . وينتمي الأفراد الى سيد تلك القبيلة البارزة ، فتدخل أنسابها في نسب الأكبر . وفي كتب الأنساب والأدب أمثلة عديدة على تداخل الأنساب ، وانتفاء قبائل من أنسابها القديمة ودخولها في أنساب جديدة .

ويؤدي انحلال الحلف أو انحلال عقد عشائر القبيلة الذي هو في الواقع حلف سمي (قبيلة) الى انحلال الأنساب وظهور أنساب جديدة ، فان القبائل المنحلة تنضم الى حلف جديد ، فيحدث ما ذكرته آنفاً من تولد أنساب جديدة ، ومن تداخل قبائل في قبائل أخرى ، وأخذها نسبها . ومن هنا قال (كولد زهر) : إنه لفهم الأنساب عند العرب ، لا بد من معرفة الأحلاف والتحالف ، فإنها تكون القبائل ، لأن أكثر أسماء أجداد القبائل هي أسماء أحلاف ، ضمت عدداً

من القبائل توحدت مصالحها فاتفقت على عقد حلف فيما بينها على نحو ما مر^١ . وفي كتب الأنساب والأدب أدلة عديدة معروفة على أسماء أحلاف ، مشت بين الناس وفشت وشاعت حتى صارت كأنها نسب من الأنساب . من ذلك (الأحلاف) و (المطييون) . جاء (ابن صفوان) الى (عبد الله بن عباس) ، فقال له : (نعم الإمارة إمارة الأحلاف ، كانت لكم) فقال (ابن عباس) : (الذي كان قبلها خيراً منا . كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المطيين ، وكان عمر من الأحلاف) يعني (إمارة عمر)^٢ . وقيل لعمر : أحلافي ، لأنه عدوي . والأحلاف صار إسماء لهم كما صار الأنصار إسماء للأوس والخزرج^٣ .

وقد أشرت سابقاً الى اسم (تنوخ) . و (الأحاييش) ، حلف عقد عند جبل حبش بأسفل مكة ، فعرف المتحالفون به . وهم (بنو المصطلق ، والحيا ابن سعد بن عمرو ، وبنو الهون بن خزيمه) ، وذلك على حد قول أكثر أهل الأخبار^٤ .

و (الرباب) حلف أيضاً ، ضم خمس قبائل ، هي : تيم ، وعدي ، وعكّل ، ومزينة ، وضبة ، ولكنه سار بين الناس ومشى وكأنه اسم جماعة ترجع الى نسب واحد^٥ . وأما (الأحلاف) ، الذين ورد اسمهم في شعر (زهير ابن أبي سلمى) ، فهم (أسد) و (غطفان) ، ويقال لحلفها المذكور أيضاً (الحليقان)^٦ . و (الأحلاف) : كذلك قوم من (ثقيف)^٧ .

لقد تركت الأحلاف أثراً مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل

١ Muh. Stud., I, S., 64.

٢ اللسان (٥٤/٩) (بروت) ، (وفي حديث ابن عباس : وجدنا ولاية المطيبي خبراً من ولاية الأحلاف) يريد أبا بكر وعمر . يريد أن أبا بكر كان من المطيين ، وعمر من الأحلاف .

٣ اللسان (٥٤/٩) ، ناه العروس (٧٥/٦) ، المعارف (٦١٦) .

٤ اليعقوبي (٢١٢/١) ، البلدان (٢٢٥/٢) .

٥ الاشتقاق (ص ١١١) ، اللسان (٤٠٣/١) .

٦ شرح العوائد العشر ، للسبرنزي (٢١٩) ، شرح ديوان زهير ، لثعلب (١٥) ، اللسان (٥٤/٩) .

٧ اللسان (٥٥/٩) ، ناه العروس (٧٥/٦) ، الصحاح (١٣٤٦/٤) .

الإسلام وعند العرب في الإسلام كذلك ، على الرغم من الحديث المنسوب الى الرسول الذي يناهض الحلف : (لا حلف في الإسلام)^١ . وقد أدرك الرسول ، ولا شك ، ضررها بالمجتمع العربي إذ كانت من أسباب التفريق ، فحلّ الأحلاف وأحل الدولة مكانها ، وحتم على القبائل إطاعة الرسول أو من يقوم مقامه من المسلمين .

وأما ما رواه (قيس بن عاصم) من ان الرسول قال : (لا حلف في الإسلام ، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية) ، فالظاهر انه قصد بذلك الجوار^٢ . وقد أكد الإسلام احترام الجار ، ووجوب الدفاع عنه ، كما أيد الأحلاف الجاهلية التي تدعو الى الخير ونصرة الحق . أما الممنوع ، فما خالف حكم الاسلام ، ودعا الى الهلاك والضرر والفتن والقتال ، فذلك الذي ورد النهي عنه في الاسلام^٣ .

واستعمل الجاهليون لفظة (حبل) و (حبال) للعهود والمواثيق . فـ (الحبل) هو العهد والذمة والأمان ، وهو مثل الجوار . وكان من عادة العرب في الجاهلية ان يخيف بعضهم بعضاً ، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيّد كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة ، حتى ينتهي الى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضاً ، يريد به الأمان . فهذا حبل الجوار ، أي ما دام مجاوراً أرضه . وفي هذا المعنى جاء قول الأعشى :

واذا تجوّزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها

وجاء في الحديث : (بيننا وبين القوم حبال) ، أي عهود ومواثيق . وفي هذا المعنى ، أي العهد والذمة والأمان ، جاء :

ما زلت معتصماً بحبل منكم من حلّ ساحتكم بأسباب ، نجا^٤

١ تاج العروس (٧٥/٦) ، النهاية في غريب الحديث (٢٤٩/١) ، اللسان (٥٣/٩) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٦٧/١) .

٢ الاغانى (١٥١/١٢) .

٣ اللسان (٥٤/١) ، النهاية في غريب الحديث (١٤٣/٣) .

٤ اللسان (١٣٤/١١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٣٠/٤) ، روح المعاني ، للالوسي (١٧/٤) ، تفسير الرازي (١٧٣/٨) ، جامع احكام القرآن ، للقرطبي (١٥٨/٤) .

وقد استفادت قريش من (الحبال) التي عقدتها بينها وبين القبائل ، إذ أمنت بذلك على تجارتها ، وقد كانت واسعة تشمل كل جزيرة العرب ، وتتصل بالعراق وبلاد الشام ، فصارت قوافلها العامة والخاصة تمرّ بأمن وسلام من كل مكان بفضل حنكة سادة مكة وذكائهم في تأليف قلوب سادات القبائل وربطهم بهم بعهود ومواثيق . جعلت التحرش بقوافلهم من الأمور الصعبة ، وإذا طمع بها طامع أدبه سيد قبيلته الذي يخضع له .

ولقريش ولغيرها أحلاف مع أسر وأفراد . فقد كان لـ (بني دارم) من تميم حلف مع (بني عبد مناف) من قريش . وكان لـ (عكاشة بن محصن) حلف مع رجال من مكة . روي أن رسول الله قال : (منا خير فارس في العرب : عكاشة بن محصن . فقال ضرار بن الأزور الأسدي ذاك رجل منا يا رسول الله . قال : بل هو منا بالحلف . فجعل حليف القوم منهم . كما جعل ابن أخت القوم منهم)^١ . وكان للأخنس بن شريق ، وهو رجل من ثقيف ، وكذلك (يعلى بن منبه) ، وهو رجل من (بلعدوية) ، وكذلك (خالد ابن عرفطة) وهو رجل من عذرة حلف مع قريش ، فصاروا منها بالحلف . ذلك لأن (حليف القوم منهم ، وحكمه حكمهم)^٢ .

وقد يقع أسير في أسر أسر ، فلا يتمكن من فداء نفسه ، ثم يطلب من أسرته أن يكون حليفاً له ، فإذا قبل أسرته منه ذلك ، صار في حلفه وفي حلف قبيلته . أي يكون ذلك الشخص حليفاً لقبيلة أسرته . ويكون حكمه بالنسبة للإرث ، إنه يرث من القبيلة كما يرث الصريح من أبنائها . أما إذا قتل ، فديته نصف دية الصريح^٣ . وكان (معيقيب بن أبي فاطمة) حليفاً لبني أسد ، وكان يكتب مغنم الرسول^٤ .

التخالع :

وإذا أراد المتحالفون إنهاء حلفهم وعهدهم الذي تعاهدوا عليه بينهم ، أعلنوا

-
- ١ مناقب الترك ، من رسائل الجاحظ (١٣/١) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .
 - ٢ مناقب الترك (١٢/١) وما بعدها .
 - ٣ تاريخ التمدن الاسلامي (٢٣/٤) .
 - ٤ الجهشياري (١٢) ، (القاهرة ١٩٣٨) .

عن ذلك ، وكتبوا به كتاباً ، ليكون مشعراً بتخالعهم ، وانهم نقضوا الحلف الذي كان بينهم ، فتسقط بذلك كل مسؤولية تولدت عن الوفاء بذلك الحلف أو العهد ، فلا يطالب طرف الطرف الثاني بالوفاء به . ورد في كتب اللغة : وتخالعوا : نقضوا الحلف والعهد بينهم وتناكثوا^١ .

ويكون التخالع باتفاق الطرفين عليه ، وبرضاها عنده . أما إذا نكل طرف واحد بتنفيذ ما جاء في الحلف ، أو أعلن عن انسحابه منه ساعة الحاجة اليه ، كأن يتبرأ منه في وقت يكون فيه حليفه في شدة وضيق ، عد ذلك غدرًا وخيانة ، لتلكوه عن تنفيذ ما اتفق عليه . وليس الغدر من سجايا إنسان شريف .

وقد كان للحلف أثر مهم في تلاحم الأنساب وفي انفكاكها وتجزئتها ، وطالما نقرأ في الكتب عبارات تشير الى تلاحم الأنساب وتداخلها بسبب العوامل المتقدمة . مثل : (ومنهم سليم بن عباد . كان حليفاً لأبي طالب . وولده اليوم يدعون في آل أبي طالب)^٢ .

والأحلاف بنوعها أحلاف القبائل وأحلاف الأفراد قد لا تدوم أمداً طويلاً ، ولا سيما أحلاف القبائل ، فالقبائل في تنقل وحركة ، ومصالحها وضرورات الحياة عندها متغيرة غير ثابتة ، وهي قلقة غير مستقرة . وأحلاف تقوم على مثل هذه الأسس لا يمكن أن تدوم وتعمر ، ولا سيما إذا ما تشتت شمل الحلف ، وتنقلت قبائله ، وتحولت الى أماكن بعيدة . فتضعف الروابط والصلات التي تجمع بين شملها ، ثم ترخي وتزول ولا يبقى من الحلف غير الاسم . تزول بغير تخالع ولا تقاتل أو تباغض ، تزول لأن الظروف التي دعت الى عقدها ، تكون قد زالت وتغيرت ولأن التباعد قد برّد من نار الحب التي كانت قد قاربت بين القلوب فجعلها تنسى ذلك الحب ، ولا تذكره إلا عندما تذكره .

إخاء القبائل :

وإخاء القبائل ، هو إخاء اصطناعي ، وإن عدّه أهل الأنساب والأخبار إخاءً

١ اللسان (٧٦/٨ ح) ، (صادر) ، (خلع) ، تاج العروس (٣٢٢/٥) ، (خلع) .

٢ الاشتقاق (١٨٩) .

حقيقياً من اقتران والد بأم . فنحن نعلم في هذا اليوم ومن قراءتنا للكتابات الجاهلية ، ومن نقدنا وغربلتنا لأخبار أهل الأخبار ولروايات أهل الأنساب ، ان التأخي ، هو في الواقع جوار ، ونزول قبيلة بجوار قبيلة أخرى ، أو نتيجة حلف تأخت قبائله واتحدت ، فقد تأخيتها تأخياً بالمعنى المفهوم من الاخوة . أو حاصل تضخم قبيلة لم تعد أرضها يتسع صدرها لها ، فاضطرت عشائرها وبطونها على التنقل والارتحال الى مواطن جديدة ، وعدت نفسها لذلك من نسل تلك القبيلة التي كانت تعيش معها ، فعدت ذلك أهل الأنساب نسباً حقيقياً بالمعنى المفهوم من النسب عندنا .

وقد تضطر بعض القبائل على ترك مواطنها والارتحال عنها ، بسبب غزو قبيلة أقوى منها لها ، فتتزل بين قبيلة جديدة وتحالف معها ، أو تقهرها على النزول بأرضها . وفي كتب أهل الأنساب والأخبار أمثلة عديدة على ذلك . فتتداخل أنسابها ، ويتولد من ذلك نسب جديد . من ذلك ، ما يرويه أهل الأنساب عن (عك) وهو أخو (معد) على زعم أهل النسب ، فلما حارب (مختنصر) (عدنان) ، والد (معد) و (عك) ، هاجر أبناء (عك) نحو الجنوب فراراً من (مختنصر) وأقاموا في اليمن ، فدخل نسبهم في اليمن ، وعدتهم بعض أهل الأنساب من قحطان ، ومن ذلك قضاة وقبائل أخرى عديدة .

الهجين :

وتزوج العرب من الإماء ، وذلك ان من الإماء من كانت جميلة الصورة حلوة المنظر والكلام ، ولهذا تزوج ساداتهم منهن ، فولد لهم نسل ، قيل للواحد منه الهجين . والهجين : ولد العربي من غير العربية ، قيل له ذلك لأن الغالب على ألوان العرب الأدمة^١ ، ويقال للزواج الذي يقع بين عربي وأعجمية : (مهاجنة) . وقد عابته العرب وعدت الهجين دون العربي الصريح ، لوجود دم أعجمي فيه . والأعاجم هم ، مهما كانوا عليه من متزلة ، دون العرب في نظر العرب^٢ . ويظهر من تعريف علماء اللغة للفظ (الهجين) ، انها خصصت بمن يولد

١ اللسان (١/د/م) ، (١٣/٤٣١) .

٢ اللسان (١/د/م) ، (١٣/٤٣١) .

من أم أعجمية بيضاء ، كأن تكون الأم رومية أو فارسية . فقد ذكروا ان العرب أطلقت على أولادها من العجميات اللاتي يغلب على ألوانهن البياض ، المهجن والمهجناء ، لغلبة البياض على ألوانهم وإشباههم أمهاتهم ، فيجب ان تكون الأمهات الأعجميات إذن من ذوات البشرة البيضاء ، تمييزاً هن عن ذوات البشرة السوداء من الرقيق المستورد من إفريقية . ويذكر علماء اللغة أيضاً ان العرب قالت للعجم (الحمراء) و (رباب المزود) ، لغلبة البياض على ألوانهم ، ويقولون لمن علا لونه البياض : أحمر^١ . وقد هجا (حسان بن ثابت) (سعد بن أبي سرح) بأن اتهمه بأنه عبد هجين ، أحمر اللون فاقع ، موتر علباء القفا ، قَطَط^٢ ، جعد^٣ .

والمهجنة من الكلام : ما يعيبك^٤ . وقد جاء هذا المعنى من الفساد الذي قد يظهر في كلام المهجن ، بسبب عجمة الأمهات وعدم اتقانهم العربية . ولما كان الخطأ في اللغة عيباً ، عدت المهجنة من الأمور المعيبة .

ويطلق العرب لفظة (رجل مولد) على الرجل إذا كان عربياً غير محض . و (المولدة) الجارية المولودة بين العرب ، وقيل : تولد بين العرب وتنشأ مع أولادهم ويغذونها غذاء الولد ويعلمونها من الأدب مثل ما يعلمون أولادهم . و (التليد) التي ولدت ببلاد العجم وحملت فنشأت ببلاد العرب ، وقيل : هي التي تولد في ملك قوم وعندهم أبوها^٥ .

الجوار :

والجوار حرمة كبيرة عند الجاهليين . فإذا استجار شخص بشخص آخر ، وقبل ذلك الشخص ان يجعله جاراً ومستجيراً به ، وجبت عليه حمايته ، وحق على المجار الدفاع عن مجيره ، والذب عنه . وإلا عدّ ناقصاً للعهد ، ناكثاً للوعد ، مخالفاً

١ اللسان (٤٣١/١٣) ، الأغاني (٧٣/١٦) .

٢ أعبد هجين أحمر اللون فاقع موتر علباء القفا قطط جعد

دبوان حسان (ص ١٤٩) (البرقوقي) .

٣ اللسان (هـ/ج/ن) ، (٤٣١/١٣) .

٤ اللسان (ولد) ، (٤٦٧/٣) وما بعدها .

لحق الجوار . وعلى القبائل استجارة من يستجير بها ، والدفاع عنه دفاعها عن أبنائها . ويقال للذي يستجير بك (جار) . والجار الذي أجرته من ان يظلمه ظالم . وجارك المستجير بك ، والمجير هو الذي يمنحك ويحريك . وأجاره : أنقذه من شيء يقع عليه ^١ .

العصية :

وأساس النظام القبلي هو العصية ، العصية للأهل والعشيرة وسائر متفرعات الشعب أو الجذم أو القبيلة ، أو العشيرة . ومن شروطها ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته والتألب معهم على من يباؤتهم ، ظالمين كانوا أو مظلومين ، وليس له ان يتساءل : أهو ظالم أم مظلوم ^٢ ، وهي ضرورة للقبائل ، لأنها لا تستطيع ان تدافع عن نفسها إلا اذا كانت ذات عصبية ونسب ، وبذلك تشتد شوكتها ، ويخشى جانبها ، كما انه لا يمكن وقوع العدوان على أحد مع وجود العصية . وتقوم العصية على النسب ، وهي تختلف لذلك باختلاف درجات تقارب الأنساب ، ولذلك نجد عصيات مختلفة ^٣ . وتشمل العصية الصرحاء والموالي والجيران .

وتشمل العصية أهل المدر كذلك ، فأهل المدر وإن تحضروا واستقروا واقاموا في بيوت ثابتة ، إلا ان نظامهم الاجتماعي والسياسي بني على العصية أيضاً ، فتألفت المدن والقرى من (شعاب) ، وتكوّنت الشعاب من جماعات بينها روابط دم ووشائج قرابة . والشعب هو وحدة ، وهو الذي يأخذ بحق المظلوم من الظالم ، وبظلامة من تقع عليه ظلامة . وغالباً ما تكون بين الشعاب المتجاورة قرابة وصلة رحم ، وإذا حدث حادث لهذه الشعاب ، هبت للنظر فيه واتخاذ ما ينبغي اتخاذه من موقف ، ثم تكون عصبية الشعاب للمدينة أو للقريّة ثم إن سكان هذه المدن وإن تحضروا واستقروا كانوا يرجعون أنفسهم كأهل الوبر الى

١ اللسان (١٥٤/٤ وما بعدها) ، تاج العروس (١١١/٣ وما بعدها) ، (جار) .

٢ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ، الأمثال (٢٢) ، لسان العرب (٦٠٦/١) ، قاموس المحيط (١٤٠٥/٢) ، (للبسناني) .

٣ راجع بحث العصية في مقدمه ابن خلدون (ص ١٠٨ فما بعدها) ، الحيوان (١٦٦/١) .

قبائل وعشائر . فهم اذن أعراب من حيث التعصب والأخذ بالعصية ، واختلافهم عن الاعراب ، هو في استقرارهم وفي عيشهم في محيط ضيق محدود وفي خطط مثبتة مرسومة .

وفي المعنى المتقدم من العصية ، ورد قول الشاعر :

إذا أنا لم أنصر أخِي وهو ظالم على القوم ، لم أنصر أخِي حين يظلم
فالعصية : أن يدعو الرجل عصيته الى نصرته . وهي (النصره على ذوي القربى وأهل الارحام ، أن ينالهم ضم أو تصيبهم هلكة)^١ .

وفي هذا المعنى أيضاً ورد قول الشاعر ، قريظ بن أنيف ، حيث يقول :

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زُرُافات ووجدانا
لا يسألون أخسأهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا^٢

فهو يهيب إذا سمع نداء العصية حاملاً سيفه أو رمحاً أو أي سلاح يملكه ، وبغير سلاح ، لينصر أخاه : لا يسأله : لم ؟ فليس من العصية والاخوة القبلية أن تسأل أخاك عما وقع له ، بل عليك تلبية نداءه وتقديم العون له ، معتدياً كان أم معتدى عليه .

وللعصية صلة كبيرة بالمسؤولية وبالعقوبات . فعلى درجة العصية تقع المسؤولية . فأقرب الناس الى الجاني ، يكون أول من يتناوله الأخذ بالتأثر ، ثم الأبعد فالأبعد . ومن هنا كان الطالبون للتأثر يبدأون بالجاني أولاً . فان فاتهم أخذوا أقرب الناس رحماً به ، فان فاتهم أخذوا الذي يليه أو من هو في درجته وهكذا .

وكلماً بعدت العصية عن دم الأبوين ، خفت حدتها ، وطبيعي ألا تكون العصية الى القبيلة مثل العصية الى الاهل في الشدة . ولهذا فان العصية ترتبط بدرجة الدم والتحام النسب ارتباطاً طردياً . وهذا شيء طبيعي ، وهو حاصل هذه الحياة .

ولا تمنع العصية بطون القبيلة من محاصرة بعضها بعضاً ومن التقاتل فيما بينها ، بسبب تغلب المصالح الشخصية على عاطفة (العصية) . ومنى اصطدمت المصالح

١ اللسان (٦٠٦/١) ، (عصب) ، ابن خلدون ، مقدمة (١٣٨) .

٢ المرزوقي ، شرح الحماسة (٢٧/١ وما بعدها) .

بالعواطف ، تغلبت المصلحة عليها . فالمصلحة حاجة وواقع عمليّ ، والعصبية شعور ، والحاجة أقوى منها . ولهذا نجد المصلحة تدفع بطون القبيلة المتخاصمة على الاستعانة ببطون غريبة عنها ، أو بقبائل بعيدة عنها في النسب لمقارعتها أحواتها والتغلب عليها ، مدفوعة الى ذلك بدافع المصلحة وغريزة المحافظة على الحياة . فتقاتلت بطون من طيء وتجاربت فيما بينها ، وتقاتلت قبائل بكر ووائل مع وجود النسب والدم ، وتقاتل بنو جعفر والضباب .^١ تقاتلت لظهور مصالح تغلبت على العصبية وعلى الشعور بالاخوة . ومتى ظهرت المصالح المادية عجزت عاطفة النسب والعصبية من التغلب عليها .

وجرثومة العصبية ، العصبية للدم ، وأقرب دم الى انسان هو دم أسرته وعلى رأسها الأبوان والاخوة والاخوات ثم الأبعد فالأبعد ، حتى تصل الى العصبية للقبيلة . ولهذا تكون شدة العصبية وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب وبعدهما . فاذا ما حلّ حادث بإنسان ، فعلى أقرب الناس دماً اليه أن يهب لاسعافه والأخذ بالتأثر ممن ألحق الأذى بقريبه . ولهذا صارت درجات العصبية متفاوتة بحسب تفاوت الدم ومنازل النسب .

وأخر مرحلة من مراحل العصبية ، العصبية للقبيلة ، والعصبية للحلف ، أو العصبية للنسب الاكبر ، وذلك في حالة تكتل القبائل وتخاصمها كتلاً . وتكون العصبية للقبيلة أقوى من العصبية للحلف أو النسب الاكبر مثل معدّ أو نزار أو حمير أو ما شاكل ذلك ، وذلك لشعور أبناء القبيلة بأن الرابطة التي تربطهم هي رابطة الدم ، والدم أبرز وأظهر في القبيلة من رابطة الحلف أو رابطة النسب الاكبر ، ولا سيما رابطة الحلف ، فانها رابطة مصلحة في الغالب لا رابطة دم ، والشعور بروابط المصالح لا يكون مثل الشعور بروابط الدم .

وتدفع العصبية للحلف ، قبائل الحلف على التناصر والتآزر والتكتل ، والوفاء بالعهد ، والا لم تكن للمتحالفين فائدة ما من الحلف ، وعلى أفراد الحلف أن ينصر بعضهم بعضاً ، وعلى قبائل الحلف أن يتآزروا في دفع الديات أيضاً . وبالمطالبة بديات من يقتل من قبائل الحلف ، اذا عجز أهل القتل أو قبيلة القتال عن الأخذ بحقه .

١ ابن الأنثري (٣٨٨/١) ، البلدان (٢٥٠/٨) ، العملة (٢٠٠) وما بعدها .

وتشمل العصبية كل منتمٍ الى القبيلة ، تشمل أحرارها أي أبناءها الخلق الصرحاء ، وتشمل الموالي أي الرقيق وكل مملوك تابع لحر ، كما تشمل أهل الولاء والجوار . فالعصبية لا تعرف تفريقاً في هذه الناحية ، فعلى كل من ينتمي الى قبيلة ويحمل اسمها أن يتعصب لقبيلته ويذود عنها ، وان كان عبداً مملوكاً ، ذلك قانون وأمر محتوم ، لا جدال فيه ولا نقاش ، من حيث وجود حقوق أو عدم وجودها ، ومن حيث ان اصل هذا حر وأصل هذا عبد . لأن ما يصيب الحر يصيب المولى والجار ، وما يصيب المولى والجار يؤثر على الحر ، لأنه مسؤول عن مولاه وعن جاره بحكم التملك والجوار ، وعلى الرقيق والجار تبعة الدفاع عن الصريح وعن القبيلة التي ينتمي اليها الصريح .

وتلزم العصبية أبناء القبيلة بوجوب تحمل التبعة والقيام بواجبها وتلبية ندائها واجابة الصارخ بالعصبية ، ليس له ان يسأل عن السبب ، ولا ان يعنذر عن تلبية النداء ، وانما عليه ان يعمل بقول الشاعر :

لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا^١

واذا قُتل قتيل لزم الأخذ بثأره ، واذا كان القاتل سيد قبيلة وجب على القبيلة الأخذ بثأر سيدها ، وهيات ان تسكت عن قتله ، وعلى كل فرد من افراد تلك القبيلة واجب الأخذ بثأره ممن قتله .

ويفرض قانون العصبية على القبيلة تحمل التبعة ، اذ جعلها تبعة جماعية . فاذا جنى رجل جناية قتل ، تكون قبيلته مسؤولة عن جنايته ، وعليها تقع تبعة قتل القاتل اذا تعذر الأخذ بالتأثر منه او تعذر تسليم القبيلة له ، كما يقع على القبيلة دفع الدية اذا عجز القاتل او آله عن دفعها ، وذلك لتوزيعها على المتمكنين من افرادها ، او بقيام ساداتها او سيدها بدفعها كاملة او بدفع ما تبقى منها .

ومن هنا خضعت فردية الاعرابي المتطرفة لقانون الجماعة ، اي لسلطان العصبية فصار واجباً عليه ان يضع نفسه تحت إمرة القبيلة ، وذلك بتلبية ندائها حين يبلغه ذلك النداء ، وتقديم نفسه طائعاً مختاراً لإمرة القبيلة ليدافع عنها او ليشترك معها في الغزو ، ليس له ان يفرّ او يعتزل او يتلكأ ، فهذا واجب مفروض عليه ، اذا خالفه خالف جماعته وخسر حمايتها له ، وصار مسبباً من الناس .

١ حجة أبي تمام (١٦/١) .

الحمية :

ومن مظاهر العصبية : (الحمية) وهي الأنفة والغرة والغضب ، وذلك أن الشخص كان يأنف من عمل قبيح ، وتأخذ حميته من أن يفعل شيئاً يعاب ويعار عليه .^١ وهو يغضب وتأخذ حميته من أن يترك سنة آبائه وأجداده . وقد نهى الاسلام عن الحمية ، واعتبرها من أخلاق أهل الجاهلية والكفر . ونزل الوحي يندد بها : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية . فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) .^٢ وذلك حين جعل (سهيل بن عمرو) في قلبه الحمية فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين الرسول والمشركين بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن يكتب فيه محمد رسول الله ، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله مكة عامه ذلك .^٣ فوضع الاسلام (السكينة) في موضع حمية الجاهلية .

و (النعرة) ، وهي الصباح ومناداة القوم بشعارهم طلباً للغوث والاستعانة ، أو لإهانتهم ولتجمعهم في الحرب . ومن هنا ورد في الحديث (ما كانت فتنة الا نعر فيها فلان) . أي نهض فيها . وفي حديث الحسن : كلما نعر بهم ناعر اتبعوه ، أي ناهض يدعوههم الى الفتنة ويصبح بهم اليها .^٤ ولما كان العرب اصحاب حس مرهف ، وعاطفة ذات حساسية شديدة ، لذلك لعبت النعرات فيهم دوراً خطيراً في اثاره الفتن بينهم . وكانت سبباً لحدوث حوادث مؤسفة عند الحضر وعند الاعراب .

واذا أصيب شخص بضم ، او نزلت به اهانة أو نازلة ، نادى قومه بشعائر العصبية ، وعلى قومه تلييته ونصرته . وقد ينادي الانسان شخصاً طالباً منه العون والنصرة ، فتلزمه مساعدته كأن ينادي (يا لفلان) ، وهو شعار يستعمل عند التحزب والتعصب ، ينادي به بصوت عال مسموع ، عند بيت المنادى او في موضع عام او في مكان مرتفع^٥ ليصل الصوت الى ابعد مكان .^٥

١ تاج العروس (٩٩/١٠) ، (حمى) ، اللسان (٢١٦/١٨) وما بعدها ،

٢ سورة الفتح ، رقم ٤٨ ، الآية ٢٦ .

٣ تفسير الطبري (٦٥/٢٦) ، تفسير القرطبي (٢٨٨/١٦) وما بعدها .

٤ تاج العروس (٥٧٧/٣) ، (نعر) .

٥ الروض الأنف (٩٣/١) وما بعدها ، الأغاني (٧١/١٥) ، شرح ديوان الحماسة (١٦٨/١) .

وللقبائل شعار ينسبون به عند العصبية ، فاذا وقع على احد من اهل يثرب اعتداء وأراد المؤازرة والنصرة ، نادى : يا لآل قَيْلَة ، واذا كان من تميم نادى : يا لَتَمِيم ، وهكذا ، فيهرع من يكون حاضراً ساعة النداء لينصر صاحبه الذي هو من قومه وليؤازره . وتعد التلبية من اهم مفاخر الرجال والقبائل وواجباً من الواجبات .^١

ويتداعى الناس الى العصبية في القتال . واذا ارادوا اهاجة قومهم نادوا بالعصبية . وقد وقع خلاف بين المهاجرين والانصار في المدينة والرسول فيها . فقال قوم : يا لَلْانصار . وقال قوم يا لَلْمهاجرين . فسمع النبي تداعيمهم وصرائحهم ، فقال لهم : دعوها فإنها متنة . ودعاها ب (دعوى الجاهلية) . (وفي الحديث : ما بأل دعوى الجاهلية ؟ هو قولهم : يا لفلان كانوا يُدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الشديد) .^٢

الاسلام والعصبية :

وقد تركت (العصبية) اثرأ مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام . وقد كانت اذ ذاك ضرورة من الضرورات اللازمة بالنسبة الى الحياة في الجاهلية ، لأنها الحائل الذي يحول بين الفرد وبين الاعتداء عليه ، والرادع الذي يمنع الصعاليك والخلعاء والمستهترين بالسنن من التناول على حقوق الناس ، اذ لا حكومة قوية رادعة ولا هيئة حاكمة في استطاعتها الهيمنة على البوادي وعلى الإعراب المتقلين . بل هنالك قبائل متناحرة وامارات متنافرة ، اذ ارتكب انسان جرعة في ارضها ، وفرّ الى ارض اخرى ، نجا بنفسه وأمن على حياته هناك ، ولكنه كان يخشى من شيء واحد ، لم يكن لأحد فيه عليه سلطان ، هو (العصبية) ومسة (الأخذ بالتأثر) ، وهي العصبية في ثوبها العملي . كان يخشى من سلطان الأخذ بالتأثر ، حيث يتعقبه اهل التأثر ، فلا يتركون الجاني يهناً بالحياة ولو بعد مضي عشرات من السنين ، حتى يُقتل او يقتل اقرب الناس اليه . وبذلك صارت العصبية ضرورة من ضرورات الحياة ، بالنسبة لسكان جزيرة العرب ، لحمايتهم وصيانتهم من عبث العابثين .

١ اللسان (٨١/٦) ، ابن هشام (٢٨/٤) ، الأغاني (٧١/١٥) ، (يالطي) ،

شرح دنوان الحماسة (١٦٨/١) .

٢ اللسان (دعا) ، (٢٥٩/١٤) .

وقد أدرك الإسلام ما في العصبية من أخطار على المجتمع ، ولما في الأخذ بالتأثر من ضرر على الأمة ، إذ يحول المجتمع الى مجتمع ذئاب ، يأخذ كل ذئب بحقه من غريمه ، فمضى عنها ، وحول العصبية الجاهلية الى عصبية إسلامية . بأن يتعصب المسلم لأهل عصبته ، ولدينه ، فيدافع عنه ويقاوم في سبيله وفي سبيل رفع الظلم عن وقع الظلم عليه بمساعدة من بيدهم الأمور على إحقاق الحق وإظهار حق المظلوم لديهم . وحرّم العصبية الجاهلية المعروفة ، فورد في الحديث : (ليس منا من دعا الى عصبية أو قاتل عصبية)^١ . ومنع الأخذ بالتأثر ، إذ جعل حقه من حقوق أولي الأمر ، ومن بيده سلطان المسلمين ومن ينيونه عنهم للقضاء بين الناس .

من أعراف العرب :

وللأعراب بصورة خاصة أعراف أوجبت الطبيعة عليهم اطاعتها والعمل بها لأن في تنفيذها مصلحة الجميع ، وفي الخروج عليها ضرراً بالغاً . من ذلك وجوب الأخذ بالتأثر ، والبحث عن القاتل لقتله مهما طال الزمن ، لان (الدم لا يغسل إلا بالدم) . وقد أملت طبيعة المحيط الذي يعيش فيه العرب عليهم هذا العرف . فليس في البادية من يحول بين قتل الناس بعضهم بعضاً إلا الأخذ بالتأثر ، وقيام أهل القتل والعصبية بالأخذ بدمه . ولولا الخوف من الأخذ بالتأثر لعمّ القتل الحياة : فالحياة في البوادي وفي أكثر أنحاء جزيرة العرب شدة ومحنة وفقر وقسوة . وليس في البادية أي خير كان مما يستمتع به أهل الحواضر ، ولا سيما تلك التي امتازت بوفرة الماء فيها وبجسّ جوتها واعتداله . لذلك صارت حياة الأعراب ضنكاً في العيش وفقراً مُرّاً ، وصار كل شيء تقع عليه عين الاعرابي ذا قيمة وفائدة عنده مهما كان نافهاً ، فريد الاستيلاء عليه وسلبه من صاحبه ، لانه محتاج اليه وفقير ، ويرى ان من حقه ان يستولي على كل ما يراه عند من هو أضعف منه ، وان أدى ذلك الى ازهاق حياته . ولكن الطبيعة التي علمت

١ اللسان (٦٠٦/١) ، (عصب) .

ونوفد ناركم شرراً ويرفع لكم في كل مجمعة لواء
المفضليات (ص ٥٦) ، باج العروس (٤٤٠/٣) ، بلوغ الأرب (١٦٢/٢) .

الاعرابي هذا المنطق ودرسته هذا الدرس درسته في الوقت نفسه ان الاستهتار بالسلب والهب والقتل ، يؤذيه ويهلكه ، وانه لا بُدَّ له من الحدّ من غلوائه ومن أعدائه على غيره ، ووضعت له حدوداً وقيوداً من طبيعة هذه الحياة التي يحياها . منها عرف (العvisية) ، والأخذ بالتأّر ، وغير ذلك من أعراف أملتها الطبيعة على سكان هذه البوادي ، وصارت سنناً متبعة بعضها يتعلق بالأعراف التي تخص داخل القبيلة ، وبعضها يتعلق بالأعراف التي تتعلق بالقبائل المتحالفة ، ومنها ما يتعلق بالأعراف التي تكون بين القبائل المتعادية .

والقاعدة عند العرب ان الدم - كما سبق ان قلت - لا يغسل إلا بالدم ، وان تعويض الدم بمال يرضى عنه (آل) القتل ، منقصة وذلة لا يقبل بها إلا ضعاف النفوس . أما أهل البيوت والحمولة ، فلا يقبلون إلا بالقصاص وبأخذ التأّر ، ويقتل رجل كفاء يكافئ المقتول في المترلة والدرجة والمكانة ، فإذا كان القتل سيد قبيلة والقاتل من عامة الناس أو من عبيدهم ، أبوا الاكتفاء بقتله به اقتصاصاً منه ، إذ أنه دون القتل في المترلة والشرف والمكانة ، بل لا بد عندهم من قتل سيد من سادات القبيلة التي يكون منها القاتل ، على ان يكون مكافئاً للقتيل ، حتى يغسل الدم . وان كان ذلك السيد بعيداً عن القاتل ولا صلة له به . فالسيد سيد ولا يغسل دمه إلا بدم سيد مثله . ولعل الطبيعة وضعت لهم هذه السنة لتأديب سادات القبيلة أو غيرهم ، ممن قد يحرضون العبيد أو غيرهم من السوق على قتل خصومهم وأعدائهم ، فاذا عرفوا ان أهل القتل سيستقمون منهم بقتلهم ، حاربوا سفكة الدماء من أتباعهم ولاحقوهم ، وبذلك ينظفون المجتمع منهم ، ويخلصون الناس من سفاكي الدماء .

والأصل في القتل : القصاص ، وقتل القاتل بدل القتل . فيطالب أهل المقتول بالقود وهو قتل النفس بالنفس . وقد ورد ذكره في الحديث ، إذ جاء : (من قتل عمداً ، فهو قود)^١ . واذا لم يتم القود ، أو لم يحدث التراضي على الدية ، أو اذا فرّ القاتل ، فلا بد من الأخذ بالتأّر . ولا يستقر لأهل القتل قرار الا بعد الأخذ بتأّر القتل . وقد يتركون الخمر والطيبات ولا يقربون النساء طيلة طلبهم للتأّر . وقد يلبسون ألبسة الحزن ويجزّون شعورهم ، ولا يأكلون لحماً ،

١ تاج العروس (٤٧٨/٢) ، (مود) .

ولا يميلون الى ضحكك ولا سماع دعاية ولا الى الاستراحة ، حتى ينالوا منالهم من الأخذ بثأر القتل . كالذي روي في قصة طلب امرئ القيس الكندي ثأر أبيه من بني أسد . وقد آلى على نفسه ان لا يمس رأسه غسل ولا يشرب خمرأ حتى يثأر بأبيه . فلما ظفر ببني أسد قتلتته وأدرك ثأره حلّ له ما حرم على نفسه ^١ . وكالذي روي في قصة طلب قيس بن الخطيم ثأر أبيه ^٢ . أو عن (يوم الأقطانين) ، إذ أقسموا ألا يغسلوا أجسامهم حتى يأخذوا بثأرهم ^٣ .

وقد يستغرق طلب الأخذ بالثأر عشرات السنين ، لا يكلّ في خلال هذه المدة أصحاب القتل عن إدراك الثأر . وينظر الى الذين يتوانون عن ادراك الثأر نظرة ازدراء واحتقار ، وقد يلحق بهم وينسلهم العار من هذا الاهمال ، وقد يلحق ذلك العشيرة أو القبيلة برمتها ويكون لها سُبّة ، اذا كان القتل من أشرفها أو من سادتها . لهذا لا يتهاون أهل القتل عن تتبع آثار القاتل أو أقربائه أو أفراد قبيلته التي ينتمي اليها لغسل هذا العار ، فإن الدم لا يغسل الا بالدم . ومتى أدرك أهل الثأر ثأرهم ، ووجدوا المقتول كفؤاً لدم القاتل ورضوا عن ذلك ، قالوا لهذا النوع من الثأر (الثأر المنيم) ^٤ . وقد عرفه بعضهم : أنه الذي اذا أصابه الطالب رضي به فنام بعده . وقيل هو الذي يكون كفؤاً لدم وليك . ويقال أدرك فلان ثأراً منيماً ، اذا قتل نبيلاً فيه وفاءً لطلبته ، وكذلك أصاب الثأر المنيم . قال أبو جندب الهذلي :

دعوا مولى نفاثة ثم قالوا : لعلك لست بالثأر المنيم

أي لست بالذي ينيم صاحبه ، أي ان قتلتك لم أنم حتى أقتل غيرك ، أي لست بالكفؤ فأنام بعد قتلك ^٥ .

ومتى أخذ بثأر القتل بكته النساء . لأن من عادة نساء الجاهليين ألا يبيكين المقتول

١ حلت له من بعد تحريم لها أو أن يمس الرأس منه عسولا

شرح ديوان امرئ القيس (ص ١٥٦) .

٢ شعر قيس بن الخطيم (١ ، ١٥) ، بلوغ الأرب (٢٤/٣) .

٣ الفأخر (٢٥٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٧٠/١٧) .

٤ اللسان (١٦٧/٥) ، المعاني الكبير (١٠١٨/٢) .

٥ ناج العروس (٧٢/٣) ، (ثأر) .

إلا ان يدرّك بثأره ، واذا أدرك بثأره ، بكينه ^١ .

ويشبه الثأر ان يكون عقيدة من العقائد الدينية عند العرب . لما يكتنفه أحياناً من (حلف) و (قسم) بوجوب الأخذ بالثأر . ولما تحوط به من شعائر يحافظ عليها ، من أخذ على نفسه القسم بوجوب الأخذ بالثأر . وهي من شعائر الدين عند الجاهليين . ولا يتركها حتى يبر بقسمه ^٢ .

واذا عجز الإنسان عن أخذ ثأره بنفسه ، استغاث بغيره لينجده على ثأره . وعلى من قبل نداء الاستغاثة ووافق على النجدة ، مساعدة المستغيث في الأخذ بالثأر وعدم تركه حتى يأخذ بثأره من طلبته .

وقد لعب الأخذ بالثأر دوراً خطيراً في الاسلام كذلك . ولا سيما في الأحداث السياسية . فلما قتل (عثمان) ارتفع نداء : يا لثارات عثمان . قال حسان :

لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

ومن ذلك قولهم : (يا لثارات الحسين) ، و (يا لثارات زيد) الى غير ذلك ^٣ . وهو لا يزال يلعب دوراً خطيراً في الحياة العربية الى اليوم .

وقد عيّر أحد الشعراء (بني وهب) ، لانهم أخذوا دية قتيل ، فاشترؤا بها نخلاً ، فقال لهم :

الا أبلغ بني وهب رسولاً بأن التمر حلو في الشتاء

أي اقلعوا وكلوا التمر ولا تطلبوا بثأركم ^٤ .

وهناك رجال ضرب بهم المثل في ادراكهم الثأر . ويقال للواحد من هؤلاء : البهس ^٥ .

١ نهاية الأرب (١٢٢/٣) .

٢ حلفت فلم تائم يميني لاثارن عدياً ونعمان بن قيل وأيهما .

٣ ناج العروس (٧١/٣) ، (ثار) .

٤ المعاني الكبير (١٠١٩/٢) .

٥ ناج العروس (١١٣/٤) ، (البهس) .

الاستغاثة :

ومن مظاهر العصبية : الإستغاثة . وهي ان يصبح الإنسان واغوثاه . طلباً للعون والنصرة^١ وعلى من يسمع نداء الاستغاثة من أهل المستغيث أو من رجال قبيلته أو الحلف الذي تكون قبيلته فيد مدّ يد العون له ونصرته . ويعاب من يسمع الاستغاثة فلا يعمل على مساعدة المستغيث . وقد يهجو المستغيث قومه اذا تباطأوا في إغاثة المستغيث أو لم يستجيبوا لندائهم ، وقد يترأ منهم ويتركهم ليلحق بقوم آخرين .

ومن أخلاق الجاهلية المناداة بالنصرة^٢ . وقد ذكرت معناها في العصبية فهي أيضاً وجه من وجوها . ذكر ان الرسول قال : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ، وتفسيره ان يمنعه من الظلم ان وجده ظالماً . وان كان مظلوماً أعانه على ظالمه . والتناصر التعاون^٣ ، وقد حول الإسلام نصره الجاهلية الى تناصر ، أي تعاون وتعاقد لأن المسلمين إخوة . ويكون بالانتصار من الظالم وبالانتصاف حتى يؤخذ بحق المظلوم من الظالم^٤ .

الوفاء :

وعلى الانسان الوفاء لأهل عصبيته ، ليس له مخالفتهم ولا معاكستهم مهما كانت درجة الخلاف بينه وبينهم ، لانه واحد ، وهم جماعة ، ان أصابه ضيم فلا بد لجماعته من مواساته ومن الانتصار له مهما كانت أسباب الفرقة . وما يصيب جماعته سيصيبه ، وما سيصيبه ، سيؤثر في جماعته حتماً ، فيجعلها الى جانبه في الأخير .

وهل أنا من غَزِيَّةَ إن غوت غَوَيْتَ وإن تَرَشُدُ غَزِيَّةُ أُرشدُ^٥

وهي في الأخير كما يقول الشاعر (المثلّمس) لشخص ظن انه منتقل عنهم

١ اللسان (١٧٤/٢) ، (غوث) ، المعاني (١١٠٦/٢) .

٢ العقد الفريد (٥٨/١) .

٣ اللسان (٢١٠/٥) ، (نصره) .

٤ هذا البيت لدريد بن الصمة ، حماسة أبي نمام (٣٠٦/٢) ، شرح الماززي على

الحماسة (٨١٥/٢) ، الأصمعيات (١١٢) .

لخلاف وقع بينه وبينهم :

أمنتقلًا من نصر بهشة خيلتني ألا إنني منهم وإن كنت أيتها
ألا إنني منهم وعرضي عرضهم كذي الأنف يحمي أنفه أن يصلما^١

فإذا أعطى رجلٌ رجلاً عهداً ، فلا يسعه أن يغدر به ، ولا بد له من
المحافظة على العهد وما برح العرب يحافظون على عهودهم حتى اليوم . وقد
يضحى الإنسان بنفسه على أن يخلش سمعته فيوسم بالغدر . وكانوا في الجاهلية
إذا غدر الرجل رفعوا له في سوق عكاظ لواءً ليعرفوه الناس^٢ . وقد ورد :
(أن لكل غدره لواء) ونصب اللواء في المواضع العامة وفي المواسم للإشارة إلى
غدر شخص بشخص آخر من أشهر الأشياء عند العرب^٣ .

والى هذا اللواء أشار (الحادرة) ، (قطبة بن أوس) إذ قال :

أسمي^٤ ويحك هل سمعت بغدره رفع اللواء لها بها في مجمع^٥
وإذا غدر الرجل بجاره ، أوقدوا النار بمنى أيام الحج على أحد الأخشبين ،
ثم صاحوا : (هذه غدره فلان) ليحذر الناس^٥ . وقد قيل لهذه النار :
نار الغدر^٦ .

وربما جعلوا للمغادر مثلاً من طين ، ينصبونه ليراه الناس ، وكانوا
يقولون : ألا إن فلاناً قد غدر فآلعهوه . جاء في الشعر :

فلنقتلن بخالد سرّواتكم ولنجعلن لظالم^٧ تمثالا

فهذا التمثال ، هو تمثال الغدر والخيانة ، نصب ليقف الناس على خبر غدر
الشخص الذي نصب له^٧ .

-
- ١ نواذر أبي زيد (١٦٠) ، الأصمعيات (٢٨٦) .
 - ٢ (أن لكل غادر لواء) ، المفضليات (ص ٥٦) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٠٦/٩) .
 - ٤ المفضليات (٥٦) ، البيهقي ، حماسة (٢١٦) .
 - ٥ ونوفد ناركم شررا وبرقع لكم في كل مجمعة لواء
 - ٦ المفضليات (ص ٥٦) ، تاج العروس (٤٤٠/٣) ، بلوغ الأرب (١٦٢/٢) .
 - ٧ نهاية الأرب (١١١/١) .
 - ٧ بلوغ الأرب (٢٨/٣) .

وقد عاب الناس الغادر وعيّرُوا به فاذا شتموا شخصاً قالوا : يا غُدَر !
وقد جعلوا الذئب من الحيوانات الغادرة ، فقالوا : الذئب غادر ، أي لا عهد
له . كما قالوا : الذئب فاجر^١ .

أهل الغدر :

وقد حفظ أهل الأخبار أسماء رجال عرفوا بالغدر . وقد قال بعضهم : أعرف
الناس بالغدر (آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب) . وذكر أن الغدر ارت فيه
انتقل بهم الى الاسلام^٢ . وضربوا المثل بغدر الضيزن بأبيها صاحب الحصن^٣ .

ومن الوفاء : الوفاء بالعهود والمواثيق . فلا يجوز لمن أعطى عهداً وميثاقاً الغدر بها
والتنصل من الوفاء بها . والوفاء من أنبل الخصال الحميدة التي يتخلق بها انسان .
وهو من المثل العليا عند العرب ومن أخلاق (الإنسان الفاضل) عندهم . وقد
أوفى (حنظلة الطائي) بعهده الذي أعطاه للملك (النعمان) يوم يؤسه بأن يعود
اليه ، ليرى الملك رأيه في قتله . فعاد ، وهو يعلم ان الملك سيقتله ، لأنه أعطاه
قولاً بالعودة ، وجعل (شريكاً) نديم الملك ضامناً له بالعودة . فلما عاد ،
واستمع الملك الى قصة وفائه أبطل عادته في قتل أول من كان يظهر أمامه يوم
يؤسه ، اكراماً لعمله^٤ . ورأى (السموأل) ابنه وهو في أيدي أحد ملوك
الغساسنة أو ملوك كندة ، وهو يناديه بوجوب دفع ما عنده من دروع وأسلحة
مودعة عنده ، من دروع وأسلحة (امرئ القيس) فقال له : (ما كنت
لأنخضر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت) . فذبح ولده واحتسب السموأل
ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه ، ولم يسلم الوديعة إلا الى ورثة امرئ القيس^٥ .
وقد دوّن أهل الأخبار أسماء أناس عرفوا بالوفاء . منهم : (أوفى بن

١ اللسان (٨/٥) ، (غدر) .

٢ نهاية الأرب (٣/٣٦٥) .

٣ نهاية الأرب (٣/٣٦٦) .

٤ المستطرف في كل فن مستظرف (١/١٩٩ وما بعدها) ، (عبد الحميد أحمد
الحنفي) .

٥ المحبر (٣٤٨ وما بعدها) .

مطر المازني) ، جاوره رجل ومعه امرأة له ، فأعجبت قيساً أخاه ، فقتل زوجها غيلة ، فبلغ ذلك (أوفى) فقتل قيساً بجاره ^١ . و (الحارث بن عبّاد) ، وكان من وفائه انه أسر يوم (قضية) (عدي بن ربيعة أخا مهلهل) ، وهو لا يعرفه . فقال له : دلي على عدي . فقال له عدي : ان دلتك عليه فأنا آمن ؟ فأعطاه ذلك . فقال له : فأنا عدي . فخلّى سبيله ^٢ .

ومن أوفياء العرب (عوف بن محم الشيباني) ، وهو من مشاهير سادات العرب . وكان من وفائه ان (مروان بن زنباع العبسي) كان قد وتر (عمرو بن هند) ، فجعل على نفسه ألا يؤمنه حتى يضع يده في يده . وان (مروان) غزا (بكر بن وائل) فأسر ، ولم يكن أسره منيعاً ، فطلب من أم أسره ان توصله الى (عوف بن مسلم) ، ولها منه مئة بعير ، فحمل الى (عوف) ، ولأذ بقبته ، وبلغ (عمرو بن هند) مكانه ، فبعث يطلبه ، فأبى عوف ان يسلمه الا ان يؤمنه . ثم أخذه عوف الى (عمرو بن هند) ، وجعل يده بين يد عمرو ويد مروان ، وأصلح بينهما ، فعفا (عمرو) عنه وآمن مروان . فقال عمرو : (لا حر بوادي عوف) فذهبت مثلاً ^٣ .

وعدّ (مروان بن زنباع) من أوفياء العرب ، لأنه وفى بعهده الذي أعطاه لأم أسره ، وكان قد أعطاه عوداً التقطه من الأرض ليكون رمز وفائه ، على ان توصله الى (محم) فلما أوصلته دفع اليها المئة بعير ، كما تعهد لها بذلك ^٤ .

وضرب المثل بوفاء (عمير بن سلمى الحنفي) ، وله قصة في الوفاء تشبه قصة (أوفى بن مطر المازني) . ذكروا ان من وفائه ان رجلاً من (بني عامر بن كلاب) استجار بعمير وكانت معه امرأة جميلة . فرأها (قرين بن سلمى الحنفي) أخو عمير ، وصار يتحدث اليها حتى بلغ ذلك زوجها ، فنهاها . فخافته فانتهد . فلما رأى (قرين) ذلك وثب على زوجها ، فقتله . وعمير غائب ، فأتى أخو المقتول قبر (سلمى) فعاذ به . فقدم (عمير بن سلمى) ،

١ المحبر (٣٤٨) .

٢ المحبر (٣٤٨) .

٣ المحبر (٣٤٩ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢١٥) ، الامثال للميداني (٥٣١/٢) .

٤ المحبر (٣٥١) .

فأخذ أخاه . وبلغ وجوه (بني حنيفة) الخبر ، فأتوه فكلموه ، فأبى إلا أن يقتله أو يعفو عنه جاره ، وأبى أخو المقتول أخذ دية أخيه القتل ولو ضوعفت ، فأخذ عندئذ (عمر) أخاه وقتله لغدره بجاره ^١ .

ومن الأوفياء (أبو حنبل : جارية بن مرّ الطائي ثم الحنبلي) . وكان من وقائه أن (امرئ القيس بن حجر الكندي) ، كان جاراً (لعامر بن جوين الطائي) فقبّل (عامر) امرأة (امرئ القيس) ، فأعلمته ذلك فارتحل إلى (جارية) ليستجير به . فلم يجده ، ووجد ابناً له أجاره ، فلما جاء (جارية) ورأى كثرة أموال (امرئ القيس) طمع فيها ، وعزم علي الغدر بـ (امرئ القيس) ، ثم فكر في أمره ورأى أن الغدر عار ، فعقد له جواره ، ثم أخذه إلى (عامر بن جوين) ، فقال لامرئ القيس : قبل امرأتك كما قبل امرأتك . ففعل ^٢ .

ومنهم (المعلى الطائي) ، أحد (بني تيم) من جديلة . وهم (مصايح الظلام) . وكان (المنذر) يطلب امرئ القيس ، فلجأ إلى (المعلى) فأجاره ، وبلغ المنذر مكان (امرئ القيس) فركب حتى أتى منزل المعلى ، ولم يكن المعلى موجوداً ، وأبى ابنه تسليم امرئ القيس إلى المنذر ومنعوه ^٣ .

ومن الأوفياء (عصيمة بن خالد بن سنان بن منقر) ، وكان (النعمان) قد غضب على (بني عامر بن صعصعة) ، فقتل منهم ناساً وشردهم ، فالجأهم (عصيمة) وأجارهم . فبعث إليه النعمان : (ابعت اليّ بعبيدي) فأبى ونادى في قومه شعاره (كوثر) ، وأقبل (النعمان) فأهوى (عصيمة) بالرمح إلى معرفة فرسه ، ورجع الملك خائباً . ثم كسا (عصيمة) (بني عامر) وبلغهم مأمنهم ^٤ .

وقد عدّ الوفاء حمدة وواجباً ، ولأجل توكيد الوفاء وترسيخه ، كانوا يضعون رهناً ، قد يكون ثميناً مثل أبناء سادات القبائل ، يقدمونهم رهينة لدى

١ المحبر (ص ٣٥٢) .

٢ المحبر (٣٥٢ وما بعدها) .

٣ المحبر (٣٥٣ وما بعدها) .

٤ المحبر (٣٥٤) .

الملوك ضماناً لهم في مقابل وفائهم بما تعهدوا للملك وبما عاهدوه عليه من شروط ، وقد يكون شيئاً لا قيمة كبيرة له من الوجهة المادية ، مثل رهن قوس ، أو سهم ، أو التقاط عود من الأرض وايداعها رهناً بالوفاء ، كما مرّ معنا في قصة (مروان ابن زنباع العبسي) مع (عوف بن محلم الشيباني)^١ ، أو في مقابل اعطاء كلمة بالوفاء ، كما في قصة (الحارث بن عباد)^٢ ، أو الوفاء بسبب استجارة انسان بقر ، كما في قصة وفاء (عمير بن سلمى الحنفي)^٣ .

العرض :

وعرض الرجل نفسه وبدنه ، وقيل العرض : موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره . وقيل أيضاً : هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه وبخامي عنه ان ينتقص ويثلب . وذكر أيضاً ان العرض : عرض الانسان ، ذم أو مدح^٤ . ويجرّص الجاهليّ على ألاّ يمس بسوء . واذا تحرّش أحدهم به ، أو شعر ان شخصاً أراد الانتقاص منه . ولو بتلميح أو بإشارة أو بغمزٍ ثار وهاج مدافعاً عن نفسه وعرضه ، لأن عرض الانسان أشرف شيء بالنسبة له في هذه الحياة .

ومن العرض صيانة أعراض الناس ، لأن من ينتهك عرض غيره ، ينتهك الناس عرضه ويعرض نفسه وماله وأهله للتهلكة . فقد لا يصبر شخص أهينت كرامته على هذه الإهانة فينتقم ممن تعرض به شرّاً انتقام . ان لم يتمكن هو بنفسه ، ساعده في أخذ حقه أهل عصبته ورجال قبيلته ، حتى يثار لنفسه ممن تعرض لعرضه بسوء .

ونجد في الشعر الجاهلي تبجحاً بالنفس واشادة في الدفاع عن العرض ، وتهديداً ووعيداً لمن يحاول النيل منه بأي سوء . وهو كلام يحمل حساد المتبجح بنفسه على الردّ

١ المحبر (٣٤٩) .

٢ المحبر (٣٤٨) .

٣ المحبر (٣٥١) .

٤ اللسان (١٧١/٣) ، (عرض) .

عليه وعلى الطعن فيما قاله . وبذلك تتولد خصومة قد تطول وتكبر وتؤدي الى سقوط قتلى كانوا في غنى عنها لولا هذه الحمية الجاهلية القائمة على التفاخر والتباهي والزهو والحمق .

الحرية :

والعربي مجبول على الحرية ، وهو لا يطبق الخضوع لأحد غير قبيلته على ان لا يؤثر ذلك في حرته الشخصية ، وقد أعجب (هيرودوتس) وغيره من كتبة اليونان والرومان بحب العرب للحرية ولقاومتهم للاسترقاق ، فذكروا انهم كانوا الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس ، فلم يتمكن ملوك الفرس من استعبادهم ، وانما اضطروا الى معاملتهم معاملة اصدقاء حلفاء ، فقاموا لهم بخدمات جليلة سهلت لهم فتح مصر ، ولو كان العرب حرباً على الفرس لما تمكنوا قط من حملتهم على مصر .

والعربي من هذه الناحية شديد التعلق بالحرية ، والاعرابي يشعر ، وهو في الحضر بين سكان القرى او المدن ، انه في سجن لا يطاق ، لكثرة القيود التي تقتضيها عادات المتحضرين ، ويسعى للعودة الى وطنه حيث ينطلق حراً كما يشاء . والقبائل تشعر هذا الشعور نفسه ، فهي تعيش منمتعة بأعظم قسط من الحرية ، لا تضحي بها ، الا لمقتضيات المحافظة على الحياة حيث ترتبط بواجبات التحالف مع القبائل الاخرى للدفاع عن النفس وضمان ضروريات الحياة .

ولما كان لكل شيء حد ونهاية ، غدت هذه الحرية اناية شديدة ، وفردية مطلقة حالت دون تعاون الافراد ، ومنعت من مساعدة القبائل بعضها بعضاً مع وجود خطر اجنبي داهم ، وحالت دون تكون المجتمعات الكبرى وهي الحكومات ، واقتصرت التنظيمات السياسية على القبائل ، وأصبحت العصبية للقبيلة تعني القومية . وزاد في حدة هذه الانانية القبلية اعتقادهم بالرابطة الدموية التي تربط الأسر بالعشائر ، والعشائر بالقبائل ، وارجاع ذلك الى الانساب فلا تتعصب القبائل الا لتلك القبائل التي تعتقد انها واياها من شجرة واحدة وأصل واحد .

ان الحياة الصحراوية التي طبعت اصحابها بطابع الافراط في حب الحرية الفردية ، قد اثرت كثيراً في الحياة السياسية والتفكير السياسي في بلاد العرب ، فاقتصرت

الافعال السياسية على افعال القبيلة ، وتراجع الفرد بل الامل والعشيرة تجاه القبيلة ، وأثرت في اشكال الحكومات التي تكونت في الاماكن الحصبة وبين المتحضرين ، فجعلت منها اتحاداً مع قبائل جمعت بينها مصالح متشابهة ومنافع مشتركة . فاذا ما شعرت بزوال مصلحتها او ان من مصلحتها الانفصال عن هذا الاتحاد فلا تتوانى عن تنفيذ رغباتها وتحقيقها بالقوة . ولهذا نجد القبائل تهيج وتثور على الحكومات التي تخضع لها ، وتدين بالولاء لها ، لأسباب نافهة منبعها ومبعثها هذه الانانية الضيقة التي تدفع سادات القبائل الى الانفصال والخروج من عبودية الخضوع لحاكم ، عليهم تقديم واجب الاخلاص والطاعة له . حاكم يرون انه لا يمتاز عنهم بشيء ، بل يرى كل واحد منهم لأثانيته انه اولى منه بالحكم ويتسلم القيادة ، وان من حقه الخروج عن طاعته ان وجد ظرفاً ملائمة منهيته للانفصال عنه . فلما وجدت القبائل التي خضعت لحكم (ملوك كندة) ضعفاً في الاسرة الكندية الحاكمة ، ثارت عليها ، وقتلت منهم من قتلت ، وطردت من طردت ، وكوّن سادات القبائل امارات عديدة ، حلت محل مملكة كندة . ولما كان سادات القبائل يجدون ضعفاً في العلاقات بين ملوك الحيرة والفرس ، وبين ملوك الغساسنة وبين الروم ، كانوا يسارعون الى الاتصال بالفرس والروم لتنصيبهم مكان ملوك الحيرة وملوك الغساسنة ، لا يرون في هذا العمل اي شين او بأس .

ويصعب في الحقيقة التوفيق بين الفكرة القبلية الضيقة والفكرة القومية التي تسمو فوق القبائل ، فالفكرة القبلية لا تعترف بوجود قومية غير قومية القبيلة ، ولا ترى وجود وطن غير الوطن الذي تنزل فيه القبيلة . فاذا ارتحلت عنه ، وحلت في ارض اخرى اصبحت هذه الارض وطن القبيلة الجديد ، الذي يجب أن يدافع عنه . وأما الأوطان الاخرى ، ومنها وطن القبيلة السابق ، فليست بأوطانها . ومن هنا كان بون شاسع بين هذه الفكرة الوطنية الضيقة ، وبين الفكرة القومية التي تدين بعقيدة الايمان بالقوم اي الجنس الذي هو فوق القبائل والأمكنة ، وبالوطن العام الذي يشمل كل الارضين التي يستوطنها ذلك الجنس .

وقد جابهت الحكومات العربية في الجاهلية ثم في الاسلام متاعب كثيرة من الروح القبلية العنيفة ، ومن الفردية المتطرفة ، فكانت هذه من اهم عوامل هدم المجتمعات السياسية الكبرى في بلاد العرب ، وكانت من اعنف اعداء القومية العربية ، لا في الجاهلية حسب ، بل في الجاهلية وفي الاسلام كذلك .

وأهم ما يعوز العرب في الجاهلية الشعور بفكرة (الأمة) ، التي تسمو فوق القوميات القبلية ، وفوق الاقليميات الضيقة التي هي ايضاً صفحة من صفحات الانانية . والشعور بلزوم الحد من الفردية الجائحة التي لا تعترف بحريات الآخرين ، وبضرورة اطاعة المجتمع في سبيل المصلحة العامة ، واخضاع ارادة الحاكمين لمصلحة حكم الجماعة ، والتحديد من انانيتهم المفرطة ومن البت في امور الرعية ، وكأن الرعية سواد من ماشية ، عليها اطاعة سوط الحاكم وأوامره ، دون ان يكون لها حق في ابداء الرأي . فان غلطة الاستبداد بالرأي تؤدي الى أسوأ العواقب ، غير أن الحرية المفرطة ، أو الانانية الشديدة بتعبير أصح ، التي كادت تجعل المجتمع فوضى ، ضبطلتها من ناحية أخرى قوة كبحت جماعها ، وحدثت من حريتها ، وأجبرتها على التقيد بقيود ، وعدم التحرك الا بمحد و حدود . هي سنة وجوب اطاعة أوامر المجتمع ، والاستجابة لنداء الجماعة ، ولأحكام رؤساء الاحياء والبطون والافخاذ ، والصيحات التي تصرخها القبيلة أو فروعها لتنادي بنداء ، (العصبية) . والا عدّ الخارج على نداء الجماعة والمخالف لقرار رؤساء الأسرة او الحي أو القبيلة خارجاً على القانون وعلى العصبية فاستحق بذلك واجب خلعه من عصبية القبيلة له وطرده من قومه . وهو اشد عقاب يفرض على مخالف ما . عقاب : الخلع .

الخلع :

ويبقى الفرد متمتعاً بعطف قبيلته عليه ، وبمحايته له ما دام قائماً بواجباته المترتبة عليه ، شاعراً بعظم التبعية . فاذا أجرم ، أو عمل عملاً ينافي شرفه أو شرف قبيلته ، واستمر في غيّه لا يسمع نصائح أهله وعشيرته ، كاسراً اعراف آله وقبيلته ، فقد عصية اهله وقبيلته له ، وهام على وجهه طريداً يلتمس مجاورة رجل من عشيرة أو قبيلة اخرى قريبة من موطنه او بعيدة عنه . وتكون هذه الفترة من حياة الانسان شرّ فترة في حياته ، ولا يهدأ للطريد بال الا اذا وجد له حليفاً او جاراً يتعهد له بمحايته ويبدل (العصبية) له ، وبالدفاع عنه .

ويقال للرجل الذي تغضب عليه قبيلته وتحرمه عطفها وعصبيتها له (الخليع) ، ويقال ذلك لمن يخلعه اهله أيضاً . وقد يقال له (الرجل اللعين) و (اللعين) . واللعين هو المطرود ، ولذلك يقال له (الطريد) ، الى غيرها من مصطلحات .

وربما خلعوا الرجل من القبيلة ولو كان من صميمها ، ويسقط عن أهله وقبيلته كل واجب يترتب عليهم أو عليها اذا عمل عملاً يستوجب خلعه ، كما تسقط عن القبائل التي قد تتعرض للخليع بشرّ كل تبعة تقع عليها من الاعتداء عليه ، للخلع اهله او قبيلته له ، وتبرئهم او تبرئها منه ، فلا يطالبون بثأر .

ولا بد من اعلان خلع أهل (الخليع) او خلع قبيلته له وتبرئها منه ، ليكون ذلك معلوماً عند افراد قبيلته او القبائل الاخرى ، فتسقط العصبية عندئذ عن (الخليع) عند اعلان قرار الخليع ، والا بقيت في رقة أولياء امره وقبيلته ، وذلك كأن يعلن الأب في المواضع العامة وفي المواسم انه خلع ابنه ، بأن يقول : الا ، اني قد خلعت ابني هذا ، فان جرّ لم اضمن ، وان جر عليه لم اطلب . او يعلن قومه : انما خلعنا فلاناً ، فلا نأخذ احداً بمجناية تجنى عليه ، ولا نؤخذ بمجانياته التي بمجنيها .

وقد كان الحج من المواسم المناسبة لاعلان خلع الخلعاء ، وكذلك كانت مواسم الاسواق كسوق عكاظ . فهي مواسم تجمّع ، ينادي فيها المنادي بخلع من يراد خلعه . وكان أهل مكة يكلفون منادياً بالطواف بالاحياء ، ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع . وقد يكتبون كتاباً يحفظونه عندهم او يعلقونه في محل عام ليقف عليه الناس .^١

وقد عاش الخلعاء عيشة صعبة ، لا احد يساعدهم أو يؤويهم خشية ان يتزل بهم أذى ، او يترتب على قبول جوارهم تبعة تجاه من يقتص آثارهم طلباً للثأر منهم . ولذلك تكتل الصعاليك احياناً وكونوا عصابات تغزو وتغير وتقطع الطريق . وكان الشاعر (عروة بن الورد) وهو منهم يجمع حوله الصعاليك والفقراء في حظيرة ويغزو بهم ويرزقهم مما يغنمه ، ولذلك سمي (عروة الصعاليك) .^٢ ذكر أنه كان اذا شكا اليه فتى من فتيان قومه الفقير ، أعطاه فرساً ورحلاً ، وقال له : ان لم تستغن بهما فلا أغناك الله .^٣

١ الأغاني (٥٢/٨) .

٢ اللسان (٤٥٦/١٠) ، (صعلك) .

٣ النعاليبي ، ثمار القلوب (١٠٣) .

والصعلوك الفقير الذي لا مال له .^١ ومن الصعاليك (السليك بن سلكة) الشاعر العداء . وهو من العدائين الذين ضرب بهم المثل في العدو .^٢ وكان (حاجز بن عوف بن الحسرت) ، وهو شاعر جاهلي مقل ، احد الصعاليك العدائين . كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل . وكان يغير على قبائل العرب .^٣ وكان (قيس بن الخدادية) من الشعراء الصعاليك الفاتكين الشجعان . خلعتة خزاعة بسوق عكاظ ، وأشهدت على نفسها بخلعها اياه ، فلا تحتمل جريرة له ، ولا تطالب بجريرة يجرها احد عليه .^٤

ومن بقية الصعاليك (الشنفرى) و (تأبط شرآ) . غير ان اعرفهم وأشهرهم وحامل لواء الصعلكة فيهم ، هو (عروة بن الورد) ، الذي نصب نفسه سيّداً على الصعاليك . فكان يجمعهم وبشرهم فيما يغنمه ويرزقهم من رزقه . ويبدل جهده لمواساتهم . فاجتمع حوله صعاليك (عبس) ، وهو منهم واتخذ لهم حظائر آووا اليها ، ولهذا نعت بـ (عروة الصعاليك) . قال اهل الاخبار : انما قبل له عروة الصعاليك مع انه عروة بن الورد ، لانه كان يجمع الفقراء في حظيرة ، فيرزقهم مما يغنمه .^٥ فعروة لم يكن فقيراً محتاجاً معدماً ، كما يفهم من لفظة (صعلوك) . لقد كان في وسعه ان يجمع مالاً مما كان يغنمه من غاراته على العرب ، فيكون حسن الحال غنياً . لكنه فضّل الصعلكة على اكتناز المال ، ورجّح اشراك الفقراء فيما يغنمه على جمعه له واستثثاره له وحده ، لأن له مروءة تأبى عليه ان ينام شعباناً وجاره فقير جائع . فكان ينفق ما يغنمه على المحتاجين . فهو صاحب مذهب انساني أحسن بالألم ، وأدرك ما أصابه يوم خلعه اهله من شدة وضنك ، فأراد ان يخفف من آلام امثاله ممن خلعهم مجتمعهم لعدم وقوفه على اسباب خروجهم عليه . فصار بذلك نصير الصعاليك . ولقد ذكره (عبد الملك ابن مروان) ، فقال : (ما كنت أحب ان احسداً ولدني من العرب الا

١ اللسان (٤٥٥/١٠) وما بعدها ، (صعلك) .

٢ الأغاني (١٨/١٣٣) .

٣ الأغاني (٤٧/١٢) .

٤ الأغاني (٢/١٣) .

٥ ناح العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .

عروة بن الورد) . ^١ فعروة صعلوك فلسف الصعلكة ، بأن جعلها مثلاً من مثل الحياة ، بينما كانت تعني فقراً مدقعاً وجوعاً قتالاً وهياماً على وجه الارض للاستجداء .

وقد كوّن الصعاليك عصابات تنقلت من مكان الى مكان تسلب المارة وتغير على احياء العرب ، لترزق نفسها ومن يأوي اليها . ^٢ انضم اليها الصعاليك من مختلف القبائل . ولكون اكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على اعراف قومهم ، ومن الذين لا يبالون ولا يخشون احداً ، صاروا قوة خشي منها ، وحسب لها حساب . خاصة وفيها شعراء فحول ، يحسنون الهجاء ويتقنون فن ثلب الاعراض ، وفيها مقاتلون شجعان لا يعبأون بالموت ، يفتكون بمن يريدون القتل به . وخافهم الناس وامتنعوا جهد امكانهم من التحرش بهم ومعاداتهم ، ومنهم من قبل جوار الصعاليك وردّ عنهم وأحسن اليهم ، فاستفاد منهم واستفادوا منه .

وقد كان العرب ينفون الخلعاء الى اماكن معينة مثل (حصّوضى) ، وهو جبل في الجزيرة العربية كان الناس في الجاهلية ينفون اليه خلعاءها . ^٣ وقيل جبل في البحر او جزيرة فيه ، كانت العرب تنفي اليه خلعاءها . ^٤

- ١ الأغاني (٧٨/٣) ، دبوان عروة بن الورد (ص ١٣٨ وما بعدها) ، العقد الفريد (١٩١/١) .
- ٢ الأغاني (١١١/١٩) .
- ٣ البلدان (٢٩٦/٣) .
- ٤ ناج العروس (٢٠/٥) ، (حض) .

الفصل السادس والأربعون

أنساب القبائل

تحدثت في مواضع متعددة من هذا الكتاب عن تقسيم القبائل العربية المؤلف عند الأخباريين . أما الحديث في هذا الفصل ، فهو عن أثر القبائل العربية في الجاهلية المتصلة بالإسلام . وبعبارة أخرى القبائل العربية التي كانت في القرن السادس للميلاد . ويضيق بنا هذا الفصل لو أردنا الكلام على جميع القبائل وبطونها وأفخاذها وعماثرها ، لذلك سأكتفي في هذا الفصل بذكر القبائل الكبرى وبالإشارة إلى بطونها ان كانت مهمة . وفي كتب الأخباريين والمؤلفات المدونة في الأنساب الكفاية لمن طلب المزيد .

والتصنيف المؤلف للقبائل هو حاصل عرف جرى عليه النسّابون ، ولا نعرف تدويناً لأهل الجاهلية للأنساب ، انما نعرف ان أول تدوين رسمي كان هو التدوين الذي تم في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حيث ظهرت الحاجة الى التسجيل ، فسجلت . ولم تصل ويا للأسف سجلات ذلك الديوان اليينا ، ولم يصرح أحد من النسابين انه أخذ مادة أنسابه من تلك السجلات . وانما الذي بين أيدينا هو خلاصة وجهة نظر النسابين في أنساب القبائل ، وعلى هذا التقسيم اعتمد المعنيون بهذا الموضوع .

واذا غضضنا الطرف عن التصنيف المتبع في حصر أنساب العرب كلها في أصلين أساسيين قحطان وعدنان ، فاننا نرى القبائل كما يفهم من روايات الأخباريين كتلاً ، ترجع كل كتلة منها نسبها الى جد قديم تزعم ان قبائلها انحدرت من صلبه . وقد تحدثت مراراً عن طبيعة هؤلاء الأجداد .

ومن هذه الكتل التي كانت عند ظهور الإسلام ، كتلة حمير ، وكتلة كهلان ، وكتلة قضاة ، وكتلة مضر ، وكتلة ربيعة . وكل كتلة مجموعة قبائل كبيرة ، ترجع في عصبيتها الى تلك الكتلة .

أما حمير ، فقد تحدثت عنها سابقاً ، وأشارت الى ورود اسمها لدى بعض الكتبة الكلاسيكيين مثل (سترابون) والمؤرخ (بلينيوس) وذلك في أثناء كلامه على حملة (أوليوس غالوس) حيث عدّها من أشهر القبائل العربية التي كانت في اليمن إذ ذاك^١ ، كما أشارت الى ورود اسمها في نصوص المسند التي يعود تأريخها الى ما بعد الميلاد^٢ ، وهو اسم أرض معينة واسم شعب . أما الذي نفهمه من الأخباريين ، فهو ان حمير اسم واسع يشمل قبائل قحطان عند ظهور الاسلام^٣ . وقد يكون مرد ذلك الى ظهور هذه القبيلة في هذا الزمن وبيرونها في هذا العهد في اليمن ، فانتفى إليها كثير من القبائل على العادة الجارية في الانتهاء الى المشاهير .

ويرجع النسابون نسب حمير الى حمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب ، ويقولون ان اسمه (العرنج)^٤ (العرنجج)^٥ ، وهو في نظرهم والد جملة

١ Pliny, VI, 161

٢ تاريخ العرب قبل الاسلام (١٣٧/٣) .

٣ Rubin, Ancient West Arabian, P. 42

٤ منتخبات (ص ٢٨ ، ٧٠) ، المبرد ، نسب عدنان وقحطان (ص ١٨) ، (العرفج) شرح فصيحة ابن عبدون (ص ٨٤) .

٥ (والعرنجج ، اسم حمير بن سبأ . قاله السهيلي في الروض وابن هشام وابن اسحاق في سيرتهما) ، تاج العروس (٧٣/٢) ، لسان العرب (١٤٧/٣) ، (وحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أبو قبيلة . وذكر ابن الكلبي أنه كان يلبس حلاً حمراً . وليس ذلك بقوى . قال الجوهري : ومنهم كانت الملوك في الدهر الأول . واسم حمير العرنجج . قال الهمداني : حمير في قحطان ثلاثة : الأكبر والأصغر والأدنى . فالأدنى : حمير بن القوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة . وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن القوث بن حذار بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهيمس بن العرنجج وهو حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن يشجب) ، تاج العروس (١٥٨/٣) ، (وزرعة هو الأصغر) ، الاشتقاق (ص ٣١١ ، شاشية) .

أولاد ، جعلهم بعضهم تسعة ، هم : الهميسع ، ومالك ، وزيد ، وعريب ،
ووائل و (مشروح) مسروح^١ ، ومعد يكر ، وأوس ، ومرة^٢ . وجعلهم
بعض آخر أقل من ذلك ، أو أكثر عدداً^٣ .

وهم أنفسهم أجداد قبائل حير . ومن نسل هؤلاء : بنو مرة ، وهم في
حضر موت ، والأمالك ، وبنو خيران ، وذو رعين ، وبنو هوزن ، والأوزاع^٤ ،
وبنو شعبان^٥ ، وبنو عبد شمس ، وبنو شرعب ، وزيد الجمهور . وبنو الصوآر ،
وأكثر قبائل حير منهم . وقد كان الملك فيهم وبقي إلى مبعث الرسول . ومنهم
الحارث الرائش الذي غزا - على زعم الأخباريين - الأعاجم والروم . وعرف
بـ (ملك الأملاك) ، وحملت إليه الهدايا من أرض الصين وبلاد الترك والهند ،
وملك الأرض بأسرها ، وأدت إليه جميع الناس الخراج^٦ . وقد جعلوا مدة
حكمه خمساً وعشرين ومئة سنة ، وهي مدة لا أدري كيف اكتفى بها أصحاب
الأخبار الذين اعتادوا منح العمر الطويل للملك هم أقل شأنًا ودرجة بكثير من
هذا الملك المظفر السعيد .

ويظهر لنا من تدقيق منازل القبائل والبطون المنسوبة إلى حير ، أنها كانت
في العربية الجنوبية ، وأنها بقيت في مواضعها على الغالب في الإسلام . بينما نجد
قبائل (كهلان) وبطونها ، وهي فرع سبأ الثاني وقد سكنت في مواضع بعيدة
عن اليمن . وهي قبائل ضخمة . أضخم من قبائل حير . ثم أنها كانت تتكلم بلهجة
قريبة من لهجة القرآن الكريم في الإسلام . أما بطون حير ، فقد كانت تتكلم
بلغة ركيكة رديئة غير فصيحة بعيدة عن العربية على حدّ تعبير الأخباريين ،
ويظهر أن هذا التباين كان عاملاً مهماً في تمييز حير عن غيرها وفي حشر البطون
في جذم حير . فن حافظ على لهجته القديمة ، وبقي يستعملها ، عدّ في هذا

- ١ (مسروح) ابن حزم : حمهرة (ص ٤٠٦) (تحقيق ليفي بروفنسال) .
- ٢ ابن خلدون (٢٤٢/٢ وما بعدها) (والهميسع أحد قبيلي حير ، وهما الهميسع
ومالك ابن حير الأكبر) . مننجات (ص ١١٠) .
- ٣ سبائك الذهب ، (ص ١٨) .
- ٤ ابن حزم (ص ٤٠٦ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٤٢/٢ وما بعدها) .
- ٥ خلاصة الكلام (ص ٥٢) ، مسنجات (ص ٥٦) . سبائك الذهب ، (ص ١٨) .
- ٦ طرفة الأصحاب في معرفه الأنساب (ص ٤٣ وما بعدها) .

الخدم . ولم يحافظ على هذه اللهجات الا الذين بقوا في أماكنهم وفي مواضعهم ، ولم يخلطوا بالقبائل الأخرى التي تأثرت لهجتها بلهجة القرآن الكريم .

وحمير عند الأخباريين أبو الملوك التابعة والادواء والأقيال ، وهو شقيق كهلان أبي الملوك من الأزد من بني جفنة ومن لحم^١ . ويلاحظ أنهم قد حصروا حكم اليمن والقبائل القحطانية المقيمة بها في حمير ، على حين جعلوا الملك على عرب الشام وعرب العراق ويثرب في أيدي المنتسبين الى كهلان ، أي أنهم خصوا الحكم في خارج اليمن بأيدي إحوة حمير ، فوزعوا الملك في اليمن وفي خارجها بين الأخوين . وحمير في عرفهم هو الابن الأكبر لسبأ ، فلعل هذا الكبر هو الذي شفع له ان يكون الوارث لليمن ، والحاكم على قبائل قحطان وعدنان فيها . وأخذ مكانة الأب بعد موته والجلوس على عرشه ، ميزة لا يناها الا الابن البكر ، وقد ملك حمير بعد أبيه على حد قولهم أكثر من مئة عام^٢ .

ويذكر قوم من الأخباريين ان حكم حمير كان للملوك منها ، ثم للأقيال . والقيال هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، فيجلس في مكانه ، ويحكم فلا يرد حكمه . ومن هؤلاء الأقيال على زعمهم الثامنة ، (وهم ثمانية رجال كانوا من حمير ، وكانوا ملوكاً على قومهم ، وهم من تحت أيدي ملوك حمير ، وأولادهم قبائل من حمير ، ويسمون الثامنة . وكان من شأنهم لا يتملك ملك من حمير الا بارادتهم ، وان اجتمعوا على عزله عزله . وهم : يزن ، وسحر ، وثعلبان الأكبر ، ومرة ذو عنكلان . هؤلاء من أولاد سبأ الأصغر . ومقار بن مالك من أولاد حمير الأصغر ، وعلقمة ذو جلدن ، وذو صرواح)^٣ .

١ طرفه الأصحاب (ص ٤٣) .

٢ المصدر نفسه .

٣ طرفه الأصحاب (ص ٤٨ وما بعدها) ، (ثمانية أملاك من ولد حمير الأصغر بن سبأ الأصغر سميون الثامنة ، جعلوا ذلك اسماً لهم للفرق بينه وبين ثمانية العدد النكرة . قال رجل من العبيك بن أسلم بن يذكر بن عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، لرجل من بني يربوع :

تطول علي بالأنساب حتى	كانك من ثمانية الملوك
من آل مرائد أو ذي خليل	وذي جلدن بني القيل المليك
ودي صرواح أو ذي ثعلبان	ومن ذي حزفر عالي السموك
ومن ذي عنكلان وذي مقار	وي العلماء والجند العتيك .

ويلى الأقيال فى الحكم الأذواء ، وهم كثيرون منهم : ذو فيفان ، وذو يهر ، وذو يزن ، وذو أصبح ، وذو الشعبين ، وذو حوال ، وذو مناخ ، وذو يحضب ، وذو قينان ^١ .

ولما أعاد (عمر بن يوسف بن رسول) مؤلف كتاب (طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب) المتوفى سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وهو نفسه ملك من ملوك اليمن ، الحديث عن المئامنة ، ذكر انهم ثمانية أقيال استقاموا بعد سيف بن ذي يزن ، وهم : آل ذي مناخ ، وآل ذي يزن ، وآل ذي خليل ، وآل ذي مقار ، وآل ذي عثكلان ؛ وآل ذي ثعلبان ، وآل ذي معافر ، وآل ذي جدن . وأعظمهم آل ذي يزن لخوالة أسعد الكامل ^٢ . وهكذا نجده يرجع تأريخ ظهورهم الى ما بعد أيام سيف بن ذي يزن ، ثم يرجعها الى ما قبل ذلك ، ويغير فى الأسماء ويبدل . ولكن علينا ان نعلم ان الأخباريين لا يعرفون التواريخ على وجه صحيح مضبوط ، ثم انهم يخلقون من الرجل جملة رجال ، فخلقوا من أبرهة مثلاً ، وقد عرفنا زمانه ، جملة أبرهات ، وزعموا أيامها فى أزمان تبدأ عندهم قبل أيام سليمان بن داود وتنتهى بأبرهة الحقيقى حاكم اليمن بعد ميلاد . فلا غرابة إن ذكروا أكثر من سيف بن ذي يزن ورجعوا بتاريخ أيامه الى الوراء .

وكثير من أسماء البطون والقبائل التى يرجع النسابون سببها الى حمير ، هي أسماء وردت فى نصوص المسند ، ومنها أسماء قبائل وبطون حقاً ، ولكنها ليست بالطبع على الشكل الذى يراه الأخباريون ، ولا من حمير بالضرورة . هي أسماء أقوام ولكنها خالية من الآباء والأجداد . أما الآباء والأجداد ، فهي من مولدات

وأرباب الفخار بلا شريك

فما سبب الملوك الى العتيك
بصدق شهادتي لهم ألوكي
وعالى مفخر صعب السلوك
لهم كانت ردافات الملوك

= أولئك خير أملاك البرايا

فأجابه اليربوعي :

معاخرني بقوم لست منهم

شهدت بما شهدت به فابلغ

ولكن لي عليك قديم مجد

ببروع وغلب من بنييه

مسجات (ص ١٦) .

١ طرفة الأصحاب (ص ٥٠ وما بعدها) .

٢ طرفة الأصحاب (ص ٥٥) .

المتأخرين منهم ، وأغلب ظني أنها من المستحدثات التي ظهرت في الجاهلية المتصلة بالإسلام وفي الإسلام . وقد ذكر الأخباريون أسماء عدد كبير من البطون والقبائل المنتسبة الى حمير ، كان لها شأن كبير في تأريخ اليمن في الإسلام . أما في خارجها ، فقد أعطى الأخباريون الأدواء الكبرى لأبناء كهلان .

وأما (قضاة) فللنسابين في أصلها آراء ، منهم من أرجع نسبها الى حمير ، فجعل نسبها قضاة بن مالك بن عمرو بن 'مرة بن زيد بن حمير' . ومنهم من نسبها الى معد ، فجعل قضاة الابن البكر لمعد^٢ ، ومنهم من صيرها جذماً مستقلاً مثل جذم قحطان وعدنان . ومرد هذا الاختلاف الى عوامل سياسية أثرت تأثيراً كبيراً في تصنيف الأنساب ، ولا سيما في أيام معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لرؤساء قضاة في سبيل حملهم على الانتفاء من اليمن والانتساب الى معد ، لكونها قوة كبيرة في بلاد الشام في ذلك العهد ، ولا سيما ان منهم بني كلب ، فذكر ان رعماءها وافقوا تجاه هذه المغريات على الانتساب الى معد ، غير ان الأكثريه رفضت ذلك ، وأبت إلا الانتساب الى قحطان^٣ . ويرى بعض النسابين والمستشرقين ان انتساب قضاة الى يمن غير قديم^٤ . (قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : لم تزل قضاة في الجاهلية والإسلام ، تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم . فالت كلب يومئذ الى اليمن ، فانتتمت الى حمير ، استظهاراً منهم بهم الى قيس . وذكر ابن الأثير في الأنساب هذا الاختلاف ، ثم قال : ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سئل : أنزار أكثر أم اليمن ؟ فقال : إن تعددت قضاة ،

- ١ منجيات (ص ٨٧) ، ابن خلدون (٢٤٧/٢) ، المبرد (ص ٢٣) ، ابن حرم : جمهرة (ص ٤١١ وما بعدها) ، (عمرو بن مالك بن حمير) ، القاموس (٦٩/٣) ، الاشفاق (ص ٣١٣) ، خلاصة الكلام ، (ص ٤٩) ، سبائك الذهب (ص ١٩ ، ٢٣) .
- ٢ ابن عبد البر . الانباه على فبائل الرواة (ص ٥٩ ، ١٢١) ، (ونزعم نسب مضر ، انه قضاة بن معد بن عدنان ، والصواب هو الأول) باج العروس (٤٧٠/٥) ، اللسان (١٤٧/١٠) .
- ٣ منجيات (ص ٨٧) ، ويجد القصة في شكل آخر في كتاب : الانباه على فبائل الرواة لابن عبد البر (ص ٦٠ وما بعدها) . ولكنها لا تغفل العامل السياسي في هذا الباب . الجاحظ : كتاب الحيوان (١٠٧/٤) ، الأغاني (٧٧/٧) وما بعدها .

Wellhausen, Das Arabische Reich, S., 113, Ency, II, P. 1093

٤

فتزار أكثر ، وان تيمنت ، فاليمن ^١ . والظاهر ان اختلاط قبائل قضاة بقبائل قحطان وبقبائل عدنان هو الذي أحدث هذا الارتباك بين أهل الأنساب ، فجعلهم ينسبونها تارة الى قحطان ، وأخرى الى عدنان . تضاف الى ذلك العوامل السياسية التي يغفل عن ادراكها أهل الأخبار .

ولا استبعد كون قضاة كتلة من القبائل كانت قائمة بنفسها قبل الاسلام . ربما كانت حلقة كبرى في الأصل ، ثم تجزأت وتشتت ، فالتحق قسم منها بمعد ، وقسم منها باليمن .

وقد صرح بعض النسابين المعروفين ان العرب ثلاث جرائم : نزار ، واليمن وقضاة ^٢ . فجعل قضاة جنماً قائماً بذاته مما يشير الى أهميتها قبل الاسلام وفي الاسلام ، خاصة اذا ما تذكرنا مكانة القبائل المنتمة اليها وأثرها الكبير في السياسة في الجاهلية وبعدها . ولما للنسب من أثر خطير في الميزان السياسي لذلك العهد ، خاصة في أيام معاوية وفي دور الفتن التي وقعت في صدر دولة الأمويين ، ولثقل هذه الكتلة ، كان من المهم لمعاوية اجتذابها اليه ، وضمها الى معد وهو منها ، لتقوية هذا الحزب .

وكان قضاة جد القضاعيين الأكبر على رواية أهل الاخبار ، مثل سائر أبناء سبأ ، مقيماً في اليمن أرض آبائه وأجداده . ولكنه تشاجر مع وائل بن حمير ، وتخاصم معه وأثر الهجرة الى الشَّحْر ، فذهب اليها ، وأقام في هذه الأرض مع ابنائه ، وصار ملكاً عليها الى ان توفي بها ، فقبر هناك . فصار الملك لابنه (الحاف) (الحافي) ^٣ ، وهو في زعم الاخباريين والد ثلاثة أولاد ، هم : عمرو ، وعمران ، وأسلم . ومن نسل هؤلاء تفرعت قبائل قضاة ^٤ . وأما أمهم ، فبنت غافق بن الشاهد بن عك ^٥ . فكان من صلب عمرو : حيدان :

١ تاج العروس (٥/٤٧٠) .

٢ الانباه (ص ٦٣) .

٣ (والحافي بن قضاة والد عمران ، معروف) تاج العروس (١٠/٩٤) .

٤ ابن خلدون (٢/٢٤٧) ، طرفة الأصحاب (ص ٥٦) ، سبائك الذهب (ص ٢٣) ، (ولد الحاف رجلين : عمران بن الحاف ، وعمرو بن الحاف . هذا ما لم يختلف

فيه) ، الانباه (ص ١٢١) .

٥ ابن حزم ، جمهرة (ص ٤١٢) .

وبلي^٢ ، وبهراء . وكان من عمران ابنه حلوان^١ ، وأمه ضرية بنت ربيعة بن نزار بن معد^٣ . فولد حلوان : تغلب ، وربان^٢ ، ومزاحا وعمرا وهو سليح ، وعابداً وعائداً وقد دخلا في غسان ، وتزيد وقد دخل نسله في تنوخ^٣ . وكان من نسل أسلم : سعد هذيم ، وجهينة^٤ ، ونهد^٥ .

وجعل من رجّع نسب قضاة الى معد ، الارض التي أقام فيها قضاة وأبناؤه

- ١ (وحلوان بالضم بن عمران بن الحاف بن فضاعة) القاموس (٣١٩/٤) ، (وحلوان ابن عمران بن الحاف بن فضاعة من دريه الصحابيون . وهو بابي حلوان بالعراق) ، تاج العروس (٩٦/١٠) .
- ٢ (وربان ، ككتاب ، اسم شخص من جرم . وليس في العرب ربان بالراء غيره ومن سواه بالزاي قلت : الذي صرح به أئمة النسب : انه ربان ، كشداد . وهو : ابن حلوان . وهو والد جرم من فضاعة . ينسب اليه حماعه من الصحابة وغيرهم . وهكذا ضبطه الحافظ الذهبي وابن حجر وابن الجواني النسابة . وقوله : اسم شخص من جرم غلط ايضاً . فنامل) ، تاج العروس (٣١١/٩) ، القاموس (٢٢٦/٤) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٣١٤) ، ابن حزم ، جمهرة (٤٢١) ، (وتزيد بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن فضاعة . هكذا بالثناة العوفية . وفي نسخنا بالفوفية والنحوية . أبو قبيلة . ومنه البرود التزيدية . وقال غلظة :

رد القيان جمال الحي فاحتملوا
فكلها بالتزيديات معسكوم
وهي برود ، فيها خطوط حمراء . يشبه بها طرائق الدم . قال أبو ذؤيب :

يعثرن في حد الضبابة كأنما
كسيت برود بني تريب الأذرع

قال أبو سعيد السكري : العامة تقول بني تريب . ولم اسمعها . هكذا قال شيخنا . فيل وصوابه تزيد بن حيدان كما نبه عليه العسكري في التصحيح في لحن الخاصة . وفي كتاب الايناس للوزير المغربي في فضاعة : يزيد بن حلوان . وفي الأنصار : يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة . وسائر العرب غير هذين قباليه المنقوطة من أسفل . وقال السهيلي في الروض . ان في بني سلمى من الأنصار شاردة بن يزيد بن جشم بالفوقية . ولا يعرف في العرب الا هذا وتزيد بن الحاف ابن فضاعة . وهم الذين نسب اليهم النساب التزيدية) ، تاج العروس (٣٦٨/٢) .
- ٤ ابن خلدون (٢٤٧/٢) ، (وجهينة : قبيلة من فضاعة . وهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . فضاعة من ريف العراق . وبسبب نزول جهينة في الحجاز قرب المدينة ، مذكور في الروض .) تاج العروس (١٦٩/٩) .
- ٥ ابن حزم ، جمهرة (٤١٥) ، (ونهد) ، قبيلة باليمن . وهم : بنو نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وفي همدان : نهد بن مرهبة بن دعام بن مالك ابن معاوية بن صعب) ، تاج العروس (٥١٩/٢) ، (وفي فضاعة سعد هذيم) ، تاج العروس (٣٧٧/٢) .

جُدَّة وما دونها الى منتهى ذات عرق ، الى حيَّز الحرم ، من السهل والجبل .
وبجُدَّة ولدُ جُدَّة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة
وبها سُمِّي على قول أصحاب الأخبار ^١ .

أما حيدان ^٢ ، فتنسب الى حيدان بن عمرو بن الحاف ، والد مهرة في نظر
النسابين ^٣ ، فهو جدّ قبيلة عربية جنوبية على هذا الرأي ^٤ ، وما زال اسم مهرة
معروفاً حتى الآن . ولمهرة لغة خاصة ، عني بدراستها المستشرقون . وهم من
القبائل العربية القديمة التي ورد ذكرها في مؤلفات (الكلاسيكيين) ^٥ . وقد علل
بعض العلماء القدماء بعد لغة مهرة عن العربية بقوله : (مهرة انقطعوا بالشَّحر ،
فبقيت لغتهم الأولى الحميرية لهم ، يتكلمون بها الى هذا اليوم) ^٦ . وذكر ابن
حزم لحيدان أولاداً آخرين ، هم يزيد ، وعريب ، وعربد ، وجنادة ^٧ .

ويظهر من روايات النسابين ان بطون حيدان لم تكن كثيرة ، وان مواطنها
لم تتجاوز العربية الجنوبية ، وانها كانت تتكلم بلهجات العربية الجنوبية القديمة ،
وحافظت عليها في الاسلام . وهي مثل بطون حمير ، تختلف في لهجتها عن القبائل
الأخرى التي تكلمت بلهجة مقاربة من اللهجة العربية الفصحى . إذن فما الرابط
الذي جعل النسابين يرجعون نسب قبائل حيدان الى قضاعة مع هذا الاختلاف
البن في اللهجات ؟ ومع سكناها في محل قاصٍ بُنيَّ عند الساحل الجنوبي للجزيرة ؟

- ١ البكري (١٧/١) ، (وبجُدَّة ولد جده بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن
الحاف بن قضاعة ، فسمي جدّة باسم الموضع) البلدان (٦٧/٣) وما بعدها .
- ٢ (وبنو حيدان . قال ابن الكلبي : هو أبو مهرة بن حيدان) ، تاج العروس (٣٤٢/٢) .
(وحيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، أبو مهرة بن حيدان) ، منتخبات
(ص ٣٠) .
- ٣ منتخبات (ص ٣٠) ، ابن خلدون (٢٤٧/٢) . القاموس (١٣٧/٣) ، (ومهرة بن
حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بالفتح ، أبو قبيلة . وهم حي عظيم واليها
يرجع كل مهري) تاج العروس (٥٥١/٣) .
- ٤ منتخبات (ص ١٠٠) .
- ٥ Ency., III, P. 138
- ٦ الاشتقاق (٣٢٣) .
- ٧ جمهرة (ص ٤١٢) .

اللهم إلا ان تكون كل فروع قضاة على هذا الطراز من اللهجات ، وهذا أمر لم يتحدث عنه الأخباريون ولم يعرفوه .

وأما بلي^١ ، فقد كانت مواطنهم عند ظهور الاسلام على مقربة من تيماء بين مواطن جهينة وجندام ، أي في المنطقة التي كانت لثمود في جغرافية (بطلميوس) . ومن بلي^٢ ، بنو فرآن^٣ وهي^٤ .

ولم يذكر الأخباريون بطوناً ضخمة عديدة لبهراء^٥ ، ويظهر انها لم تكن من القبائل الكثيرة العدد . ومن بطونها : قاسط ، وعبد ، وأهود (أهوذ) ، ومبشر ، وبنو هنب بن القين^٦ ، وبنو فائش (بنو قاس) ، وشيب ابني دريم ، ومطروود ، وثمامة ، وعكرمة ، وثعلبة ، ودهر ، وسعد^٧ .

وأما عمران بن الحاف (الحافي) ، فولد حلوان ، وقد ولد هذا جملة أولاد هم : تغلب ، وربان وهو علاف ، ومزاح ، وعمرو ، وهو سليح^٨ ،

١ (بلي . فعبل) ، بلي قبيلة من اليمن من قضاة والنسبة اليهم بلوى . وهم ولد بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة . قال الملم بن فرط البلوى :
ألم تر أن الحى كانوا بغبطة بمأرب اذ كانوا يحلون بها معا
بلى وبهراء وحولان إخوة لعمر بن حاف فرع من فد نفرعا
منتخبات (ص ٩) .

٢ الاشفاق (ص ٣٢٢) ، القاموس (٤/٢٥٥) .

٣ ابن حزم ، الجمهرة (ص ٤٠١٣) .

٤ (بهراء : قبيلة من اليمن ، وهم ولد بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، والنسبة اليهم بهرائي بنون على غير قياس) منتخبات (ص ١٠) .

٥ ابن حزم . حمهرة (ص ٤١٢ وما بعدها) ، (وهب اسم رجل . وهو أبو قبيلة . وهو هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد . وهو أخو عبد العباس وأبو عمرو وقاسط . فالة ابن فتيبة . ولا عجب في تفسير المصنف . كما يوهمه شبخنا . وقبيلة أخرى ، يعرف بهنب بن القين بن أهوذ بن بهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاة . ذكره الصاعاني) . تاج العروس (١/٥١٨) .

٦ (بنو فائش) ، Wustenfeld Genea., Tab. 2 (بنو فاس) هكذا ضبطه لبقي بروفنسال وهو خطأ ، ابن حزم (ص ٤١٣) .

٧ (سليح كجريح) ، قبيلة باليمن . هو سليح بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة فلت : واسمه عمرو . وهو أبو قبيلة . وإخوته أربع قبائل : تغلب العلواء ، وغشم (عتم) ، وربان ، وبزيد بني حلوان بن عمرو) ، تاج العروس (٢/١٦٥) ، سبائك الذهب (ص ٢٣) .

وعابد ، وعائد ، وهم أجداد قبائل ، كما ذكرت ذلك آنفاً .

ومن بني سليح^١ : حاطة^٢ ، وهم ضيجم بن سعد بن سليح ، وهم الضجاعة الذين ملكوا بالشأم قبل غسان . وبنو سليح هم أسلاف الغساسنة كذلك ، وهم في نظر النسابين أبناء : سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف^٣ . ونسبت الى سليح بطون أخرى منها : أشجع وعمر و الأبر و العبيد^٤ .

ومن نسل (ريان) (زيان)^٥ ، قبيلة (جرم) ، ومن ولد جرم : قدامة ، وملككان ، وناجية ، و جدة^٦ . ومن جرم كان (عصام) حاجب النعمان^٧ . ومن بطون جرم الأخرى : بنو راسب ، وبنو شمع^٨ .

أما تغلب بن حلوان ، فولد وبرة ، وولد وبرة أسدأ ، والنمر وكلبأ . وهي قبائل ضخمة ، والبرك ، والثعلب ، وهما بطنان ضخمان^٩ . وولد أسد ، تيم الله وشيع اللآت . فولد تيم الله بن أسد : فهم ، وهم من تنوخ ، وقسم ، وهم بالجزيرة ، حلفاء لبني تغلب ، ومن فهم : مالك بن زهير بن عمرو بن فهم ابن تيم الله بن أسد بن وبرة . وعليه تنخت تنوخ وعلى عم أبيه مالك بن فهم ، فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم ، وهم هؤلاء . وبطن اسمه نزار ، وهم

١ (وعمر و ، وهو سليم) ، (وهؤلاء بنو سليم ، وهو عمرو بن حلوان) ، ابن حزم : جمهرة (ص ٤٢١) ، (تحقيق ليفي روفنسال) ، (بنو سليم) ، هكذا ضبط (ليفي روفنسال) الاسم ، وهو خطأ ، وصوابه : سليح ، سبائك الذهب (ص ٢٣) ، راجع . كسب الأنساب الأخرى ، Wustenfled Genea., Tab. 2

٢ جمهرة (ص ٤٢١) .

٣ الانبأه (ص ١٢٣) .

٤ سبائك الذهب (ص ٢٤) .

٥ الانبأه (ص ١٢١) ، منحبات (ص ٢٠) ، الاشتقاق (٣١٤ ، ٣١٨) ، (جرم بن زيان) ، تاج العروس (٢٢٦/٨) ، اللسان (٣٦٢/١٤) . راجع ملاحظة رقم (٣) من صفحة ٢٤٠ من كتابي . تأريخ العرب قبل الاسلام .

٦ ابن حزم . الجمهرة (٤٢١) .

٧ الاشتقاق (ص ٣١٨) ، ابن خلدون (٣٤٧/٢) ، (وجرم بن زيان بن حلوان بن عمران ابن الحاف ، بطن في فضاة) ، تاج العروس (٢٢٦/٨) ، (وجرم بطنان : بطن في فضاة . وهو حرم بن زيان ، والآخ في طي) ، اللسان (٣٦٢/٤) .

٨ ابن حزم . الجمهرة (ص ٤٢٢) .

٩ ابن حزم : الجمهرة (ص ٤٢٣) وما بعدها ، سبائك الذهب (ص ٢٤) .

لوث ، ليس نزار لهم يوالد ولا أم . ولكنهم من بطون قضاة كلها ، من بني العجلان بن الثعلب ، ومن بني تيم الله بن أسد بن وبرة ، ومن غيرهم ؛ ويطن ثالث يقال له الأحلاف ، وهم من جميع القبائل كلها ، ومن كندة ولحم وجذام وعبد القيس ^١ .

ومن نسل شيع اللات : بنو القين . وهو النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد بن وبرة ^٢ . ومن بطون بني القين ، جشم (جسم) ^٣ ، وزعزعة ، وأنس ، وثعلبة ، وفالج ، وبنو مالك بن كعب بن القين . وكعب وكنانة ، ومالك ومعاوية . ويطون أخرى ذكرها (وستفلد) ^٤ . وكان للقين جمع عظيم وثروة في أكتاف الشام ، فكانوا يناهضون كلب بن وبرة ، ثم ضعف أمرهم ووهن حتى ما يكاد ان يعرفوا ^٥ .

ومن نسل النمر بن وبرة بن تغلب : التيم ، وجعشمة ، وواثل وهو خُشَيْن ، وقتبة ، وغاضرة ، و (عاينة) عاتية ، ويطون أخرى دخلت في قبائل عديدة ، فعدت منها ^٦ ، مما يدل على أنها لم تكن ذات عدة وعدد ، لذلك كان لا بد

١ ابن حزم : الجمهرة (ص ٤٢٣) .

٢ ابن حزم ، الجمهرة (ص ٤٢٤) . (القين هذا الذي نسبوا اليه اسمه : النعمان بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ؟ (تغلب) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن شيع قضاة . وقال ابن الكلبي : النعمان حضنه عبد يقال له العين ، فغلب عليه . ووهم ابن التيم . فعال : بنو القين قبيلة من تميم) ، تاج العروس (٣١٦/٩) . (شيع الله) هكذا ضبطه (ليفني بروفنسال) ، والأصح (شيع اللات) الانباه (ص ١٢٣) (بنو العين بن جسر بن شيع اللات بن أسد بن وبرة) ، (العين بن جسر) ، الاشتقاق (ص ٣١٧) .

٣ (جشم) هكذا حققه (ليفني بروفنسال) ، جمهرة (ص ٤٢٤) ، والصحيح (جشم) ، Wustenfled Genea., Tab. 2

٤

٥ الانباه (ص ١٢١) .

٦ ابن حزم ، جمهرة (ص ٤٢٤) ، (وخشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان في قضاة . واسمه وائل بن النمر) ، تاج العروس (١٩١/٩) ، (وفي قضاة تيم بن النمر بن وبرة . منهم الأفلج الشاعر الفارس) ، تاج العروس (٢١١/٨) ، (وجعشمة بالضم ، اسم . وقال أبو نصر : حي من هذيل ، أو حي من أزد السراة . قاله الأزهري . وفي شرح الديوان من أزد شنوءة أو من اليمن) ، تاج العروس (٢٣٠/٨) .

لها من الدخول في القبائل الاخرى والاندماج فيها ، لحاية نفسها من تعديات القبائل والبطون القوية عليها .

وكلب من قبائل قضاة الشهيرة . وتنسب الى هذه المجموعة : تغلب بن حلوان فجدّها في عرف النساين كلب بن وبرة بن تغلب^١ بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكانوا يتزلون في الجاهلية دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام .^٢ وقد كانت لهم لهجة خاصة لم يستعملها احد من الشعراء الجاهليين .^٣ ولعل ذلك بسبب اتصال هذه القبيلة بالنبط ، اي ببقية بني ارم وبغيرهم ممن لم تكن لهم لهجة عربية نقية ، فتأثرت لهجتها بهذا الاختلاط .

واشتهر من رجال هذه القبيلة زهير بن جناب ، وهو ممن يدخله الاخباريون في المعمرين الجاهليين .^٤ وجعلوا عمره أربع مئة وعشرين سنة ، ونسبوا اليه مثنى وقعة ، وجعلوه سيد قومه وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطيبهم وكاينهم وفارسهم ، ونسبوا اليه الامثال والشعر ، وذكروا ان من شعره قوله :

ونادمت الملوك من آل عمرو وبعدهم بني ماء السماء^٥

وأنه قاله وقد بلغ من العمر مثنى عام ، فجعلوه بذلك معاصراً للمنادرة ملوك الحيرة ، فيكون على قولهم هذا قد عاش طويلاً في الاسلام . وقد ادرك هشام ابن الكلبي هذا التناقض في احدى رواياته ، فصحح عمر زهير واقتصر على مثنى عام .^٦ وهو عمر كاف ولا شك يشاق ان يبلغه كل انسان . ولكنه عمر استقله

١ الانباه (ص ١٢١) ، خلاصه الكلام (ص ٤٩) ، سبائك الذهب (ص ٣٠) ، ابن حرم : جمهرة (ص ٤٢٥) ، (وكلب وبنو كلب ، وبنو آكلب ، وبنو كلبه ، وبنو كلاب . فبائل من العرب . قال الحافظ ابن حجر في الاصابة : جيما أطلق الكلبي ، فهو من بني كلب بن وبرة . قال شيخنا : هو أخو نمر وبنوح ، كما في معارف ابن فتييه ، وقال العيني : في طي كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . وأما تغلب بن وائل فعدناني ، وهذا فحطاني^٥ ، ناج العروس (١/٤٦١) ، (وكلب : حي من قضاة) ، اللسان (٢/٢٢٢) .

٢ خلاصه الكلام (ص ٤٩) .

٣ Ency., II, P. 688.

٤ السجستاني . كتاب المعمرين (٢٧ وما بعدها) .

٥ السجستاني (ص ٢٨) .

٦ السجستاني (ص ٢٨) .

الأشياخ الكلييون الذين لا يرضيهم هذا التقيص في السن .

ولم يكن زهير رئيساً لكلب خاصة ، بل كان على رأي الرواة الكليين رئيساً على كل قضاة . ويذكر الاخباريون ان قضاة لم تجمع على اطاعة رئيس الا زهيراً والا رزاح بن ربيعة ، وهو من عذرة . وكان رزاح هذا اخا قصي بن كلاب لأمه .^١ وقد جعل الاخباريون زهيراً معاصراً لكليب بن وائل . ويفهم من شعر منسوب الى المسيب بن الرفل ، وهو من ولد زهير بن جناب قاله مفتخراً به : ان ابرهة كان قد اصطفى آل زهير ، وسودها على الناس ، وأعطاه الإمرة عليهم ، وجعله اميراً على حيي معدة وعلى ابني وائل حيث أهاهما وأذلها .^٢ ومعنى ذلك ان زهيراً كان في ايام ابرهة ، اي في النصف الاول من القرن السادس للميلاد ، وأنه على ذلك كان معاصراً لقصي زعيم قريش .

ولم يقنع الرواة الكلييون بكل ما ذكروه عن حياة زهير ، بل أرادوا ان تكون خاتمة زهير خاتمة غريبة كذلك كغرابية حياته ، فذكروا انه كبر حتى خرف وحتى استخضت به نساؤه ، وأنه لم يتمكن من الأكل بنفسه ، فصارت معزبته تطعمه بنفسها ، الى ان ملّ الحياة على هذا النمط ، فأخذ يشرب الخمر صرفاً اياماً حتى مات . وذكروا ان احداً من العرب لم يفعل هذا الفعل غير زهير وغير أبي براء عامر بن مالك بن جعفر ، والشاعر عمرو بن كلثوم .^٣

ومن حروب زهير حربه مع بكر وتغلب ابني وائل ، ويروي الاخباريون في ذلك ان ابرهة حين طلع على نجد اتاه زهير فأكرمه وفضله على من اتاه من العرب ، ثم أقره على بكر وتغلب ابني وائل ، فوليهما . وصار يجي لهم الخراج ، وحدث ان اصابتهما سنة شديدة لم يتمكنوا فيها من دفع ما عليهم اليه . فلما طالبهم بها ، اعتلوا عن الدفع ، فاشتد عليهم ، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلما رأى ذلك (ابن زياية) احد بني تيم الله ابن ثعلبة ، وكان فاتكاً معروفاً ، اتى زهيراً وهو نائم ، فاغمد السيف في بطنه ، ثم فرّ هارباً ظاناً انه قد أهلكه . ولما افاق زهير ، اخذه من كان معه من قومه

-
- ١ السجستاني (ص ٢٨) .
 - ٢ السجستاني (ص ٢٩) .
 - ٣ السجستاني (ص ٢٨) .

حتى وصلوا به الى قبيلته ، فجمع عندئذ جموعه ومن قدر عليه من اهل اليمن ، وغزا بهم بكرة وتغلب ، وقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت به بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، فانهزمت ايضاً ، وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة ، وأخذت الأموال ، وكثرت القتلى في بني تغلب ، وأسرت جماعة من فرسانهم ووجوهم ، وانتصر زهير نصراً عظيماً .^١

ونسبت اليه حرب اخرى مع غطفان ، قالوا ان سبيها ان بني ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرضت لهم صداة ، وهي قبيلة من مذحج ، فقاتلوهم ، وبني بغيض سائرون بأهلهم وأموالهم ، فقاتلوهم عن حريمهم فظفروا على صداة وقتكوا فيهم ، فعزت بغيض بذلك ، وأثرت ، وكثرت أموالها ، فلما رأت ذلك ، قالت : (والله لتتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائلته) ، فبنوا حرماً ، ووليه (بنو مرة بن عوف) فلما بلغ فعلهم وما اجمعوا عليه زهير بن جناب ، أبى ذلك ، وفرر منع غطفان من اتخاذ هذا الحرم ، فسار اليها بجموع كبيرة ، فظفر بها ، وأصاب حاجته منها ، وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله ، وعطل ذلك الحرم .^٢

وروى الاخباريون انه حارب بني القين بن جسر . وكانت له اخت متزوجة فيهم ، فأرسلت من اخبره بعزم بني القين على محاربته ، فاستعد لها ، فقاتلها ، وقتل رئيسها وانصرفت خائبة عنه .^٣

ويظهر من غريلة روايات الاخباريين عن زهير بن جناب ، ان بطل كلب هذا كان من رجال القرن السادس للميلاد ، وأنه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام ، وأنه كان معاصراً لأبرهة ، ولعله كان قد تحالف معه ، فترك حلفه معه اثرأ في ذاكرة الاخباريين . والظاهر انه كان ذا شخصية قوية ، محارباً ، حارب جملة قبائل فاختضعها ، وبذلك بسط نفوذه عليها ، ورفع اسم قبيلته على القبائل الاخرى . ولعل اتصاله بأبرهة وباليمن هو الذي أوجد رابطة نسب قبائل قضاعة بحمير . وقد سبق ان قلت ان المحالفات كانت تؤدي في الغالب الى الالتحام في الانساب .

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٥/١) .
 - ٢ ابن الأثير (٢٠٥/١) .
 - ٣ ابن الأثير (٢٠٦/١) .

اما ما أورده الاخباريون بشأن زمانه وعمره ، فهو مما لا قيمة له . فمن عادة القصاص ، رفع من كانوا يتحدثون عنهم من الشخصيات البارزة التي كانت لها شأن وخطر في القدم ، وازافة السنين الطويلة الى اعمارهم ، والمبالغات والاغراب الى قصصهم ليكون ذلك اوقع في نفوس السامعين وفي مخيلة المعجبين بهذا النوع من الحكايات . ولهذا الاغراب جعل بعض المستشرقين زهيراً شخصية خرافية ، وبطلاً خيالياً اوجدته على رأسهم مخيلة الاخباريين^١ ولكن الاغراب في القصص مها بولغ فيه لا يكون حُجَّة قاطعة في كون من قيل فيه شخصية خرافية لا وجود لها . فقد اغرب الاخباريون في ابرهة معاصر زهير ، وبالغوا في الذي روه عنه ، ورفعوا ايامه الى ايام داوود وأيام سليمان ، وجعلوا له اياماً اخرى . ولكن ابرهة فتد اقصيصهم عنه ويثبت في كتاباته التي دَوَّنَهَا على سد مأرب انه من رجال القرن السادس للميلاد .

ومعظم من روى عنهم الاخباريون هذا النوع من القصص ، هم رجال مثلنا ، عاشوا وماتوا ، وكانت ايامهم في الغالب في القرن السادس للميلاد ، أي في عهد لم يكن بعيداً جداً عن الاسلام لم تتمكن ذاكرة الرواة وحفظة الاخبار من حفظ شيء عنهم ، الا هذا النوع من القصص المحبوب ، المطلوب من الناس ، يقصه القصاصون في الليالي المقمرة الجميلة ويقصه المعمرون من رجال القبيلة ليكون فخراً لقبيلتهم . وهذا النوع من القصص هو نوع بدائي من انواع حفظ التاريخ ، وأكثر من حفظ وروى اخبار زهير بن جناب الشرقي بن القطامي ، وهشام بن الكلبي ، وأبوه محمد ، وجاعة آخرون من المشايخ الكلبيين .^٢ كانوا يروون هذا النوع من القصص عن رجال كلب ، حملهم على ذلك تعصبهم لقبيلتهم كلب .

وأكثر ما روي عن كلب ، هو من اخراج تلك الأيدي الكنيسة ، نشرته وأذاعته بين الناس ، ومن حسن حظ كلب ان شيوخ الاخباريين الذين ذكروهم كانوا منها ، فكان لقصصهم هذا صداه البعيد عند جمهرة الاخباريين .

Ency., II., P. 688 ١

Ency., II., P. 688. ٢

وكلب في حد ذاتها جملة قبائل وبطون ضخمة ، منها : ربيعة ، وعُريَنة ، وصحب ، وبنو كنانة ، وهي قبيلة ضخمة من بطونها : بنو عدي ، وبنو زهير ، وبنو عليم ، وبنو جناب .^١

وذكر بعض الاخباريين ان كلباً كانت تحكم دومة الجندل ، وأن اول من حكمها منهم هو دجاجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب . وذكروا ايضاً ان الملك على دومة الجندل وتبوك ، كان لهم الى ان ظهر الاسلام ، وانهم كانوا يتداولونه مع السكون من كندة . فلما ظهر الاسلام ، كان على دومة الجندل الأكيدر بن عبد الملك بن السكون .^٢

وأظهر قبائل مجموعة أسلم ، جهينة ، وسعد هذيم ، ونهد . ابناء زيد بن ليث ابن الأسود بن اسلم بن الحاف بن قضاة . اما جهينة ، فقد كانت منازلها في نجد في الأصل ، وعند ظهور الاسلام كانت تقيم في الحجاز على مقربة من المدينة بين ساحل البحر الاحمر ووادي القرى .^٣

ومن جهينة : قيس ومودة . فولد فيس : غطفان وغياث . ويعرفون برشدان كذلك . عرفوا في ايام الرسول .^٤

وأما نهد ، فقد سكنت اكبر بطونها في منطقة نجران . وقد دخلت بطون منها في قبائل اخرى واندمجت فيها . وأما سعد هذيم ،^٥ فأشهر قبائلها : بنو عنزة ، وبنو ضنة .^٦

١ الجهمرة (ص ٤٢٦) ، سبائك الذهب (ص ٢٩) .

٢ ابن خلدون (٢/٢٤٩) .

٣ Ency., I, P 1060, Caetani, Annali, II, 367.

٤ الجهمرة (ص ٤١٥ وما بعدها) ، الانباه (ص ١٢٣) .

٥ الجهمرة (ص ٤١٨ وما بعدها) . (وسعد ابن هذيم كزبر ، باثبات الألف بن سعد وهذيم ، أبو قبيلة . وهو ابن ريد بن ليث بن سود . لكن حصنه عبد حبشي أسود ، اسمه هذيم ، فغلة عليه . ونسب اليه . ومن سعد هذيم هذا ، بنو عنزة بن سعد اليه برجع كل عدري ، ما خلا ابن عنزة بن زيد اللآب في كتاب . قاله ابن الجوانى النسابة) ، ناح العروس (٩/١٠١) .

٦ (وضحة بالكسر . خمس قبائل من العرب . وقول الجوهري . و.له قصور . قال سديجنا : اذا قصد من قبيلة جس القبيلة ، فتعدى بكل قبيلة ، فلا قصور ، على أن

وتقع منازل بني عذرة في اعالي الحجاز في جوار عدد من القبائل المنتمية الى مجموعة قضاة ، وهي : نهد ، وجهينة ، وكلب ، وبلي . وتقع ارضها في جوار غطفان ، ومن مواضعها : وادي القرى ، وتبوك حتى ابلة . ويذكر الاخباريون ان بني عذرة حيا وفدوا الى وادي القرى من مواطنهم الاصلية على اثر الحروب التي وقعت بين قبائل قضاة وحميز ، وجلدوا اليهود في هذه الديار ، فتحالفوا معهم ، وعاشوا في هذا الوادي وفي المواضع المجاورة له .^١

وقد ذهب شبرنكر الى ان (عذرة) هي (ادريته Adrithae) القبيلة التي ذكرها (بطلميوس) .^٢ اما تأريخ (عذرة) البعيدة عن الاسلام فلا نعرف عنه شيئا يذكر . وما نعرفه منه يخص الايام القريبة من الاسلام . والى صلاتها الوثيقة وحلفها مع قبائل سعد هذيم ، خاصة بني ضنة وبني سلامان ، يعود نشوء هذا النسب الذي ربط فيما بين فروع هذه الكتلة ، وكذلك كتلة بني أسلم ومنها جهينة التي كانت ذات صلات حسنة ببني عذرة . ولهذا السبب أطلق التسابون على هذه الجماعة (صحار) .^٣

وكان لبني عذرة صلات بقبيلة قريش تتجلى في خبر الاخباريين عن مساعدة رزاح ، وهو منهم لأخيه من أمه قصي زعيم قريش في نزاعه مع خزاعة كما أشرت اليه في أثناء كلامي على مكة . كذلك كانت لهم صلات بالأوس والخزرج

الجوهري لم يلزم ذكر كل شيء كالمصنف حتى يلزمه الفصور . بل يلزمه أن يذكر ما بصرح عنده . ضنة بن سعد هذيم في قضاة ، وضنة بن عبد الله . كذا في السرخ . والصواب : ضنة بن عبد بن كبير في عذرة بن سعد هذيم ، فهم أشراهم الى اليوم . من ذريته : رزاح بن ربيعة بن حزام بن ضنة أخو قصي بن كلاب . وضنة ابن الحلاف في أسد بن خزيمة ، وضنة بن العاص بن عمرو في الأزد . وضنة بن الحرث في بني نمر بن عامر بن صعصعة . أحي خويلعة بن عبدالله بن الحرث بطن أيضا .) ، ناج العروس (٢٦٦/٩) .

١ الأغاني (١٦١/١٤) .

٢ Wustenfled, Die Wohnsitze und wanderungen der Arabischen Stamme, S., 25, 31, 37, 41, Ency., VI, P. 988.

٣ Sprenger, Die Alte Geographie Arabiens, S., 205

حيث يذكر الأخباريون ان والدته الأوس والخزرج كانت من تلك القبيلة ، فهي - في عرفهم - قَيْلَة بنت كاهل (هالك) بن عذرة . وهكذا نجد لبني عذرة علاقات بأهل المدينتين المتنافستين : يثرب ، ومكة^١ . والزواج بين القبائل من الأمور التي تقرب بينها وتصل أنسابها بعضها ببعض .

ومن بطون هذه القبيلة : بنو ضنة ، وبنو جلهمة ، وبنو زقرقة ، وبنو الجلحاء ، وبنو حردش ، وبنو حنّ ، وبنو مدلج على رأي بعض النسابين^٢ ، وبنو رفاعه ، وبنو كثر ، وبنو صرمة ، وبنو حرام ، وبنو نصر ، وبنو بطون أخرى يذكرها أهل الأنساب^٣ .

وتنسب قبائل كثيرة من اليمن الى كهلان بن سبأ ، وكهلان هو شقيق حمير ، فهناك إذن صلة بين قبائل حمير وقبائل كهلان . ويذكر النسابون ان بني كهلان وبني حمير كانوا يتداولون الملك في بادئ الأمر بينهم ، ثم انفرد به بنو حمير ، وبقيت بطون كهلان في حكمهم في اليمن . فلما تقلص ملك حمير ، صارت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان ، لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم . وهكذا نجد النسابين يقسمون أبناء سبأ الى قسمين : حضر ، وهم في رأيهم أبناء حمير ، وأهل وبر أو مترعمون لأهل الوبر وهم من نسل كهلان . والابن الذي ذكره الأخباريون لكهلان ، هو زيد ومن ظهره تسلسلت قبائل كهلان^٤ .

وقد تجلّ زيد ، على حد قول النسابين ، ولدين ، هما : مالك وعريب . وأضاف الهمداني الى هذين الولدين ولداً ثالثاً سمّاه غالباً . ومن صلب هؤلاء الأبناء انحدرت قبائل كهلان^٥ .

١ Ency., VI, P. 989

٢ الاشعاق (ص ٣٢٠) ، Ency., VI, P 989

٣ سبائك الذهب (ص ٢٨) .

٤ منحبات (ص ٩٤) ، الاكليل (١٠/١) وما بعدها) . الهمداني . مشبه (تحصى أوسكار لوفغرس Oscar Lofgren) (سنة ١٩٥٣) (ص ١٦) ، جمهرة النسب الكبر لاين الكلي . رواه محمد بن حبيب . مخطوطه المجمع العلمي العراقي مصورة (ورقه ٢٤٧) . وسيكون رمزها . جمهرة النسب .

٥ الاكليل (١٠/١) وما بعدها) . سبائك الذهب (ص ٣٢) وما بعدها) ، الاشعاق (ص ٢١٨) .

وَنَجَلَّ مَالِكٌ مِنَ الْوَلَدِ الْخِيَارِ وَنَبْتًا ، فَوَلَدَ نَبْتَ الْغَوْثِ - وَوَلَدَ الْغَوْثُ أَدَدَ ،
وَهُوَ الْأَزْدُ ، وَعَمَرًا . وَمَنْ وَلَدَ عَمْرُو خُثْعَمَ^١ وَبَجِيلَةَ^٢ . وَنَجَلَّ عَمْرًا وَقَدَارَ
وَمُقَطْعَانَ (مَقْطَعًا) عَلَى رِوَايَةِ لِلْهَمْدَانِيِّ^٣ .

أَمَّا الْخِيَارُ فَقَدْ وَلَدَ رِبْعَةَ ، وَوَلَدَ رِبْعَةُ أَوْسَلَةَ ، وَوَلَدَ أَوْسَلَةُ زَيْدُ بْنُ أَوْسَلَةَ ،
وَوَلَدَ زَيْدُ بْنُ أَوْسَلَةَ مَالِكًا وَسَبِيحًا وَسَاعًا الْأَكْبَرَ عَلَى رَأْيِ^٤ . وَمَالِكًا وَتَبَعَ ،
وَعَبْدًا ، عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ حَزْمٍ^٥ . وَقَدْ دَخَلَ تَبَعَ وَعَبْدٌ فِي هَمْدَانَ . وَوَلَدَ مَالِكُ
ابْنَ زَيْدٍ مِنَ الْوَلَدِ هَمْدَانَ^٦ وَالْهَانَ . وَقَدْ وَلَدَ هَمْدَانُ نَوْفًا (نَوْفَلُ^٧) ابْنِ هَمْدَانَ^٨
عَلَى رَأْيِ . وَجُمْلَةُ أَوْلَادِ آخَرِينَ عَلَى رِوَايَاتٍ أُخْرَى^٩ . وَمَنْ نَسَلَ نَوْفٌ^٩ تَفَرَّعَتْ

١ (وَخُثْعَمُ بْنُ أَنْمَارِ بْنِ أَرَأْسَ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْغَوْثِ مِنَ الْبَلَمَنْ . وَاسْمُهُ أَفْلٌ . أَبُو
مُبَيْلَةَ . وَخُثْعَمُ لَعْبَةٍ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ . وَبَعَالُ : هُمْ مِنْ مَعَدَ بْنِ عَدْنَانَ ، وَصَارُوا مِنْ
الْيَمَنِ . وَقِيلَ : خُثْعَمُ ، حَمَلٌ بَحْرَهُ ، فَسَمِيَ بِهِ أَبُو الْعَيْلَةِ) ، تَاجُ الْعُرُوسِ
(٢٦٨/٨) .

٢ ابْنُ حَزْمٍ ، جَمْعُهُ (ص ٣١٠ وَمَا بَعْدَهَا) . (وَبَجِيلَةُ ، كَسَفَبْنَةُ . حَيٌّ بِالْيَمَنِ مِنْ
مَعَدَ . وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ بِجَلِي . مُحَرَّكَةٌ . قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي جَمْعِهِ نَسَبُ بَجِيلَةَ : وَلَدَ
عَمْرُو بْنُ الْغَوْثِ بْنُ نَسَبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، أَرَأَشًا ، فَوَلَدَ أَرَأَشًا ، أَنْمَارًا ،
فَوَلَدَ أَنْمَارًا ، أَفْلًا ، وَهُوَ خُثْعَمُ . وَأُمُّهُ هَمْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْغَافِقِ بْنِ الشَّاهِدِ بْنِ
عَكٍّ . وَعَبْفَرًا ، وَالْغَوْثُ ، وَصَهْبَةُ ، وَحَرْبَةُ . دَخَلَ فِي الْأَزْدِ ، وَوَادَعَهُ . بَطْنٌ مَعَ
بَنِي عَمْرُو بْنِ يَشْكُرَ ، وَأَشْهَلُ وَشَهْلًا ، وَطَرِيفًا ، وَسَمِيَّةُ رَجُلٍ ، وَالْحَرْبُ ، وَخُدْعَةُ ،
وَأَهْمُهُمْ بِجِيلَةَ بَنَتْ صَعْبُ بْنُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ . بِهَا يَعْرِفُونَ . قَالَ . وَفَدَّ اخْتَلَفَ أُمَّةُ
النَّسَبِ فِي بَجِيلَةَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا مِنَ الْبَلَمَنِ . وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ الَّذِي يَقْدُمُ .
وَهُوَ الْأَكْثَرُ . وَفِيلٌ . هُمْ مِنْ نَزَارِ بْنِ مَعَدَ . فَالَهُ مَصْعَبُ بْنُ الرَّبِيرِ . كَانَ الْمُصَنِّفُ
جَمَعَ بَيْنَ الْعَوْلَيْنِ . وَفِيهِ نَظَرٌ لَا يَحْفِي) ، تَاجُ الْعُرُوسِ (٢٢٢/٧) .

٣ الْاَكْلِيلُ (٥/١٠) . (مَقْطَعًا) ، جَمْعُهُ النَّسَبُ (وَرَفَهُ ٢٤٧) .

٤ الْاَكْلِيلُ (٦/١٠) .

٥ جَمْعُهُ (ص ٣٦٩) .

٦ ابْنُ حَزْمٍ ، جَمْعُهُ (ص ٣٧٤ وَمَا بَعْدَهَا) ، سَبَائِكُ الذَّهَبِ (ص ٣٣) .

٧ (وَهَمْدَانُ . بَقِيعٌ فَسَكُونٌ . قَبِيلَةٌ بِالْبَلَمَنِ مِنْ حَمِيرٍ ، وَاسْمُهُ أَوْسَلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ رَبَدٍ
ابْنِ أَوْسَلَةَ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ الْخِيَارِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ) ، تَاجُ الْعُرُوسِ
(٥٤٧/٣) .

٨ الْاَكْلِيلُ (١١/١٠) ، سَبَائِكُ الذَّهَبِ (ص ٧٨) ، (وَلَدَ هَمْدَانُ ، نَوْفًا ، وَخِرَانَ ،
فَمِنْهُمْ بَنُو حَاشِدٍ ، وَبَنُو بَكْلٍ) ، الْاَشْتِقَاقُ (ص ٢٥٠) .

٩ (نَوْفَلٌ) هَكَذَا ضَبَطَهُ (لَيْفَى بَرُوقَنْسَالِ) ، جَمْعُهُ (ص ٣٦٩) ، وَهُوَ خَطَاٌ وَصَوَابُهُ .
نَوْفٌ ، ابْنُ حُلْدُونِ (٢٥٢/٢) ، الْاَشْتِقَاقُ (ص ٢٥٠) ، (فَأَوْلَدَ هَمْدَانُ بْنُ مَالِكٍ .
نَوْفًا وَفِيهِ الْعَدَدُ وَالْعِزُّ ، وَعَمَرًا وَفِيهِ الشَّرَفُ وَالْمَلِكُ . وَرَفَاشٌ زَوْجٌ عَدِيٌّ ابْنُ الْحَارِثِ) ،
الْاَكْلِيلُ (١١/١٠) . (وَبَنُو نَوْفٍ : بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ) ، الْعَامُوسُ (٢٠٣/٣) .

قبائل همدان : حاشد^١ ، وبكيل^٢ ابنا جشم بن خيران بن نوف .

أما عريب ، فولد يشجب على رواية ابن حزم^٣ ، وعمراً على رواية الهمداني^٤ ، فولد يشجب أو عمرو زيد بن يشجب أو زيد بن عمرو على اختلاف الروايتين . والهميسع وهو ذو القرنين السيار ويكنى بالصعب على رواية ذكرها الهمداني^٥ . ونَجَلْ زيد أدد بن زيد ، فولد أدد مرة ، ونبتاً ، وهو الأشعر ، وجلهمة وهو طيء ، ومالكاً ، وهو ملحج . وقد تفرعت من هؤلاء قبائل وبطون .

والأزد قبائل عديدة تنتمي كما قلت الى الأزد ، وهو الغوث . وينسب الأخباريون بيتاً من الشعر الى حسان بن ثابت ، يقولون : إنه قاله في نسب الأزد ، هو :

ونحن بنو الغوث بن ببت بن مالكِ بن زيد بن كهلانِ وأهل المفاخر^٦

يذكرون انه قاله مفتخراً بهذا النسب ، وهو منهم . وهو شعر قد يكون وضعه النسابون وأهل الأخبار على لسانه ، وهو ما أظنه ، ليكون دليلاً لهم على صحة دعواهم في نسب الأزد ، وهم يعلمون ما كان عليه الشاعر من تعصب لليمن . وقد ذكر الأخباريون أيضاً ان حمير تقول ان الأزد منهم ، وانه هو الأزد بن الغوث الأكبر بن الهميسع بن حمير الأكبر . ولم يكفهم ذلك ، بل أرادوا ان يثبتوا هذا القول ويؤيدوه بشعر . والشعر في نظرهم سند قوي لاثبات رأي ، ولا سيما اذا كان من شعر معمر أو ملك من الملوك القدماء . وقد قرأت في كتبهم ولا شك ما كتبوه من الأشعار على لسان آدم وهابيل وقابيل وعاد وثمود وأمثال ذلك من شعر زعموا انهم نظموا بهذه العريضة الجميلة التي نكتب اليوم بها ، فكيف لا يأتون بشعر لإثبات رأيهم في هذا الباب ينسب الى التبابعة ،

١ (وحاشد . حي من همدان . نذكر مع نكيل ، ومعظمهم في اليمن) ، تاج العروس (٣٣٦/٢) .

٢ (وبكيل : كامير حي من همدان . وهو : بكيل بن حشم بن خيران بن نوف بن همدان) ، تاج العروس (٢٣٢/٧) .

٣ ابن حزم . جمهرة (ص ٣٧٤) .

٤ الاكليل (١/١٠) .

٥ الاكليل (١/١٠) .

٦ مسخبات (ص ٣) .

وهم من خلص العرب وملوكها المعروفين البارزين ؟ فرووا شعراً للتبع أسعد تبع ، قالوا ، انه ذكر فيه الأزد ، وكانوا معه ، فهم من حمير لذن وهو :

ومعي مَقاولُ حمير وملوكها والأزدُ أزدُ شنوءة وعمسان^١

وهكذا أضافوا الى حمير الأزد بمجملتها .

وأسعد تبع^٢ من التبابعة الذين لهم حظ سعيد عند الأخباريين ، فهو مؤمن في نظرهم ، وهو ذو القرنين . وهو من أعظم التبابعة ، وأفصح شعراء العرب . ولم يكتفوا بما أغدقوا عليه من نعوت ، بل أرادوا أكثر من ذلك وأبعد ، فقالوا انه كان نبياً مرسلًا الى نفسه ، وانه تنبأ بظهور الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قبل ظهوره بسبع مئة سنة ، وانه قال شعراً في ذلك حفظه الناس هذه السنين الطويلة عنه ، وانه لذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سبته^٣ . فهو لذن من المؤمنين الصالحين ومن رجال الجلة ولا شك ، وهو قصص روجيه ولا شك الحميريون والقحطانيون المتعصبون في الاسلام ، ليسكتوا بذلك خصومهم السياسيين . وهم في نظرهم العدنانيون الذين شرفتهم النبوة ورفعت مقامهم في الاسلام ، فافتخروا بها على القحطانيين ، ولم يكن القحطانيون أقل باعاً في توليد القصص في الفخر من منافسيهم القحطانيين ، فأوجدوا هذه الحكايات عن تباعتهم ، وأوجدوا لهم الفتوحات العظيمة ، ثم لم يكفهم ذلك كله ، فقالوا : ان النبوة اذا كانت في العدنانيين ، فانها كانت أيضاً في القحطانيين ، بل هي أقدم عهداً فيهم منهم ، فنهم كان عدة أنبياء . وهكذا سدوا الثغرة التي كان يهاجم منها العدنانيون .

وقد ولد الأزد عدة أولاد ، منهم : مازن ، ونصر ، وعمرو ، وعبد الله ، ووقدان ، والأهوب^٤ . ومن ولد مازن عمرو ، وعدي ، وكعب ، وثعلبة . ومن ولد ثعلبة : عامر ، وامرؤ القيس ، وهو البطريق ، وكرز . فولد امرؤ القيس حارثة ، وهو الخطريف ، وولد حارثة هذا عامراً المعروف بمساء

١ مستخبات (ص ٣) .

٢ مستخبات (ص ١٢ وما بعدها) .

٣ جمهرة (ص ٣١١) ، تاج العروس (٢/ ٢٨٩) ، سبائك الذهب (ص ٤٥) ، جمهرة السبب (ورقه ٢٤٧) ،
Wustenfled, Genea, Tab. 10,

السماء ، والتوأم ، وهو عامر ، وعدياً .^١

وولد عامر ماء السماء عمران الكاهن ، وعمرأ مزيقياء (مزيقيا) ، فولد عمرو مزيقياء 'ذهل بن عمرو ؛ وهو وائل ، وقد سكن نسله بنجران ، وعمران بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، وجفنة بن عمرو ، وثعلبة العنقاء بن عمرو ، وأبا حارثة بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وكعب بن عمرو . وقد نزل بعض هؤلاء الولد على موضع ماء اسمه غسان ، فشربوا منه ، فسُمّوا به . وهم بنو الحارث ، وجفنة ، ومالك ، وكعب .^٢

ويظهر من فحص روايات الاخباريين عن الأزد انها كانت مجموعة ضخمة من القبائل ، ودليل ذلك عدّ النسايين اياها جرثومة من جرائم قحطان ، وقد ذكروا انها كانت سبعاً وعشرين قبيلة ،^٣ منها الأوس والخزرج . وهم من نسل حارثة ابن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ،^٤ وأمههم قبيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء .^٥

ومن ولد عديّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، سعد ، وهو بارق جد القبيلة المسماة بهذا الاسم^٦ . اما من ولد عمران بن عمرو مزيقياء ، فقد ولد الأزد والحجر^٧ ، وولد الأزد لعتيك وشهميلاً^٨ ، ومن ولد الحجر زهران

١ جمهرة (ص ٣١١) . Wustenfled, Tab. 11. جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) .

٢ جمهرة (ص ٣١٢) ، منتحبات (ص ٨٠) ، البلدان (٦/٢٩٢) .

٣ الانباه (ص ١٠٦) .

٤ (ومزيقياء : لعب عمرو بن عامر ماء السماء . أي حارثة الغطريف بن امرئ العيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن السبراح بن الأزد . ملك اليمن ، وهو جد الأنصار ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ومزفهما بالعنسي . يكره العود فيهما ، ويأنف أن يلبسها غيره . وقيل : انه كان يمزق كل يوم حلة ، فيخلعها على أصحابه . وقيل لأنه كان يلبس كل يوم توبا ، فادا أمسى مرفه ووهبه والأفوال مفاربة) ، ناج العروس (٧/٦٩) جمهرة النسب (ورقة ٢٤٧) .

٥ جمهرة (ص ٣١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٢٤٩) .

٦ منتحبات (ص ٦) ، جمهرة (ص ٣٤٧) .

٧ سبائك الذهب (ص ٦٥) .

٨ جمهرة (ص ٤٧) ، الاشتقاق (ص ٨) .

وزيد مناة ، وسود ومرحوم وعمرو .^١

وذكر ابن حزم ان الازد تدعي ان عمرو بن حجر هذا كان نبياً^٢ ، وبذلك يكون القحطانيون قد اضافوا اليهم نبياً آخر من الانبياء الذين نسبوهم الى قحطان .

وقد نزلت بارق في ارض تسمى بارقاً ، فنسبت اليها . وقيل وجاء في نسبها انها من نسل سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ، وهم اخوة الأوس والخزرج ، وليسوا من غسان . ولابن الكلبي اخبار عن بارق وعن القبيلة التي نزلت بها .^٣ وقد نزل مع سعد بن عديّ ابنا اخيه عمرو بن عدي بن حارثة ، وهما مالك وشيب فسمّوا بارقاً كذلك .^٤

ومن نسل جفنة بن عمرو مزقياء كان آل جفنة ملوك الشام ،^٥ ويقال ان اسم جفنة هو غلبة ، ولذلك عرف آلها بآل غلبة كذلك .^٦ وعرف ولد عمرو ابن مازن بن الازد ، وهم عديّ وزيد الله ولوذان ، وامرؤ القيس ، والحارث ، وحارثة ومالك وثلعة وسودة وعوف والعاصي وخالد والوجيه بغسان كذلك ، وكان منهم بنو شقران وهم بالشام ، وبنو زمّان بن تيم الله بن حقال ، وهو بالحيرة من العباد . واليهم نسبت بيعة ربيعة بن زمّان ، ومنهم ايضاً الحارث الاعرج ابن ابي شمر الغساني على رأي بعض النسابين ممن اخرجوه من آل جفنة وأدخله في نسل عمرو بن مازن ، ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن ببيعة وهم من آل ببيعة ، وكان نصرانياً ، وهو الذي صالح خالد بن الوليد عن اهل الحيرة ، ومنهم ثعلبة بن عمرو بن المجالد رئيس غسان ايام ساروا من بطن مرّ الى الشام وشقيق جذع ، وكذلك سطيج الكاهن على رأي ابن حزم . ومنهم

- ١ منتخبات (ص ٦) ، حمرة (ص ٣٥١) ، مع بعض الاختلاف في سبائك الذهب (ص ٦٥) .
- ٢ حمرة (ص ٣٥١ وما بعدها) .
- ٣ البلدان (٣٢/٢) وما بعدها .
- ٤ الانباء (ص ١١٢) .
- ٥ حمرة (٣٥١) ، منتخبات (ص ٢١) .
- ٦ طرفة الأصحاب (٦٩) .

بنو غافق ، وبنو صوفة ، وبنو تفلد . ويطون اخرى اشار اليها النسابون .^١

وولد عبد الله بن الازد عدناناً وقرناً ، وهما قبيلتان ، والحارث ، وعبد الله بنو عبد الله بن الازد . والى عدنان يرجع بعض النسابين نسب عك ، فيقولون : انه عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد.^٢ وكان من ولد عمرو بن الازد ماوية وعمران ، وهما بطنان بعمان ، وألمع وجدجنة وهما ازديون بالحجاز ، وسعد والضيق وقد دخلا في عبد القيس ، وربيعة وامرؤ القيس وهما من غسان .^٣

ومن ولد دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب ، منهب وغنم ، فولد غنم فهم ابن غنم ، وولد فهم مالك بن فهم وأكثرهم بعمان ، وسليم بن فهم ، وطريف بن فهم ، وهم بالحجاز . فولد مالك بن فهم ثوبة وولده بعمان ، وجدعة الوضاح ملك الحيرة ، وعوفاً وجهضماً وسلمة ، ومعناً وهناء وشبابة والحارث وعمرأ وثعلبة بني مالك بن فهم . وقد دخلت ثعلبة في تنوخ .^٤

ومن قبائل الازد المعروفة خزاعة .^٥ وتنسب الى عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو مزقياء ،^٦ او عمرو بن ربيعة ، وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن

١ جمهرة (ص ٣٥٤) ، الاشقاق (٢٨٥) .

٢ جمهرة (ص ٣٥٤) .

٣ جمهرة (ص ٣٥٤) .

٤ جمهرة (ص ٣٥٨) .

٥ العقد الفريد (٧٥/٢) ، فؤاد حمزة ، طب جزيرة العرب (ص ٢٣١ وما بعدها) ، البكري (٢٩٦/١) ، الهمداني . صفة (ص ١٢٠ ، ٢١١) ، الأغاني (٣/١٣) ، (٧٦/١٩) ، أبو الفداء (١٠٧/١) ، نهاية الأرب (٣٠١/٢ و ٣٢٥) ، كحالة ، Ency., II, P. 984. (٣٣٩/١) .

٦ خلاصة الكلام (ص ٥٣) ، (وخزاعة ، حي من الأزد . قال ابن الكلبي : ولد حارثة ابن عمرو مزقياء بن عامر ، وهو ماء السماء : ربيعة وهو لحي ، وأقصي ، وعديا ، وكعبا وهم خزاعة . وأهم بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . فولد : ربيعة عمرا . وهو الذي بحر الحجرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمي الحامي ، ودعا العرب الى عباده الأوثان . وهو حراة . وأمه فهرة بنت عامر بن الحارث بن مضاخ الجرهمي . ومنه نعرع خزاعة . وإنما صارت الحجابة الى عمرو بن ربيعة من قبل فهرة الجرهمية ، وكان أبوها آخر من حجب من جرهم . وقد حجب عمرو .) ، تاج العروس (٣١٧/٥) .

عامر ،^١ او خزاعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الغطريف ،^٢ ويذكر الاخباريون عن عمرو والد خزاعة انه اول من بحر البحيرة وسيب السايبة ووصل الوصيلة وحى الحامي .^٣ وانها سميت بخزاعة لأنها تنزع عن بقية قومها وهم الأزد ، اي تخلفت عنهم فلم تذهب معهم ، ثم أقامت بمكة .^٤ ويروي الاخباريون بيتاً ينسبونه الى الشاعر حسان بن ثابت هو :

ولما هبطنا بطن مر تنزع
خزاعة عنا في حلول كراكر^٥

وفيه من هذا البيت ان خزاعة انما تخلفت عن الارد بموضع (بطن مر) ، وهو موضع من نواحي مكة ، فأقامت به ، ولم تلحق ببقية ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من مأرب يريدون الشام ، وقد نسب (ياقوت الحموي) هذا البيت

١ المبرد . نسب عدنان وفحطان (ص ٢٢) ، (وسميت خزاعة بهذا الاسم ، لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب ، فانتهوا الى مكة ، بحرخوا عنهم ، فأقاموا وسار الآخرون الى الشام . وقال ابن الكلبي : إنما سُمُّوا خزاعة ، لأنهم ، انزعوا من قومهم حين أقبلوا من مأرب ، فنزلوا طهر مكة . وقبل خزاعة من الأزد . مشتق من ذلك لنحلتهم عن قومهم . وسُمُّوا بذلك لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد نحلت عنهم خزاعة وأقامت بها . قال حسان بن ثابت :

ولما هبطنا بطن مرّ فنزع
خزاعة عنا في حلول كراكر

وهم بنو عمرو بن ربيعة . وهو لحي بن حارثة . فإنه أول من بحر البحائر ، وغير دين ابراهيم . (، اللسان (٤٢٢/٩) .

٢ البلدان (٢١/٨) .

٣ الاشفاق (ص ٢٧٦) .

٤ منتخبات (ص ٣٢) ، (وهذه خزاعة . سُمُّوا بذلك ، لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب ، فانتهوا الى مكة ، بحرخوا عن قومهم وقاموا بمكة . وسار الآخرون الى الشام . وقال ابن الكلبي : لأنهم انزعوا عن قومهم حين أقبلوا من مأرب ، فنزلوا طهر مكة . وفي الصحاح ، لأن الأزد لما خرجت من مكة ، لسفر في البلاد ، نحلت عنهم خزاعة ، وأقامت بها . قال الشاعر :

ولما هبطنا بطن مرّ فنزع
خزاعة عنا في حلول كراكر

والبيت لحسان ، كما هو في هوامش الصحاح . وهكذا أنشده له الليث ، والصواب انه لعدي بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد بن غنم كما جمعه الصاغاني ، ناج العروس (٣١٧/٥) . منتخبات (ص ٣٣) ، الاشفاق (ص ٢٧٢) ، الأزرقي (٥٠/١) .

٥ البلدان (٢٠/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٣/٢) .

مع ابيات اخرى الى عون بن ايوب الانصاري الخزرجي .^١

ولبعض النسابين والاعباريين رأي في نسب خزاعة ، فهم يرون انها من معدة ، اي من العدنانية ، وانها من نسل خزاعة بن لحي بن قعدة بن الياس بن مضر .^٢ ولكن الاكثرية من النسابين ترى انها من الازد ، اي من قحطان .

وقد اختارت خزاعة بعد اعتزالها الازد الداهيين الى الشام الاقامة بمكة ، وكانت مكة بأيدي جرهم يومئذ اخذتها في ايام ملكها مضاض بن عمرو من العماليق اصحابها قبل جرهم ، وساعده في ذلك (السמידع) ملك قطورا ، وبقيت جرهم فيها الى ان أجلتهم خزاعة عنها اجلاهم رئيسها يومئذ ، وهو ثعلبة بن عمرو مزريقاء بعد حرب ، فانتقل الحكم الى الخزاعيين . وتولاها رجال منهم تلقبوا كسابقيهم بألقاب الملوك .

وانفرد زعيم خزاعة لحي بالحكم ، وتزوج فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي ملك جرهم ، فولدت له سمرأ ، وهو عمرو بن لحي على نحو ما ذكرت . ثم انتقل الحكم من بعده الى اولاده ، فكان مجموع ما حكموا خمس مئة عام ، وآخرهم حليل بن حبشية في ايام قصي .^٣

وللأخباريين روايات في كيفية استيلاء خزاعة على مكة ، وفي الذي استولى عليها من رؤساء خزاعة ، وهم يبالغون كثيراً في الزمن الذي استولت خزاعة فيه على مكة . وربما لا يتجاوز ذلك القرن الخامس للميلاد^٤ . اما تأريخ انتهاء حكمها على مكة وانتقاله الى قريش في أيام قصي ، فقد كان في النصف الأول من القرن السادس للميلاد . ولكن انتقال السلطة منها الى قريش لا يعني انها أصيبت بمسا أصيبت جرهم أو غير جرهم به من ضعف وانحلال ، فقد بقيت خزاعة معروفة مشهورة ذات بطون عديدة في الاسلام .

١ السلدان (٢١/٢) .

٢ الانباء (ص ٩٢) .

٣ الأزرق (١/٤٦ وما بعدها) .

٤ Ency., II, P. 984.

فمن جملة خزاعة كعب ومليح وسعد ، ومنهم بنو سلول بن عمرو ، وبنو حليل بن حبشية سادن الكعبة ، وبنو قهر ، وبنو المصطلق الذين غزاهم الرسول ^١ ، وبطون اخرى عديدة يذكرها النسابةون ^٢ .

وكانت خزاعة مخالفة للرسول في نزاعه مع قريش . ولما وقعت حرب بينها وبين بني بكر ، وأعان مشركو قريش حلفاءهم بني بكر ، ونقضوا بذلك العهد ، نصر الرسول خزاعة ، وأعلن الحرب على قريش ، فكان ذلك سبب فتح مكة ^٣ .

ويعد آل الجُلندي ، وهم ملوك عُمان ، من الأزد كذلك . والجُلندي لقب لكل من ملك منهم عُمان . وآخر من ملك منهم جيفرٌ وعبد ابن الجُلندي ، أسلما مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص ^٤ ، وقد كان (الجُلندي بن المستكر) يعثر من يقصد سوق (صحرار) ، ومن يقصد ميناء (دبا) من التجار القادمين من مختلف أنحاء الجزيرة أو من الهند والصين وأفريقية . ويفعل في ذلك فعل الملوك ^٥ . ويرجع نسب (المستكر) الى (بني نصر بن زهران بن كعب) . وهو في عرف النسابةين (المستكر بن مسعود بن الجرار بن عبد الله ابن مغولة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران) . أما جيفر ، فهو ابن الجُلندي بن كركر بن المستكر وكان أخوه عبد الله ، ملك عمان .

وقد جعل بعض علماء الأنساب الأزد ستاً وعشرين قبيلة يجمعها جميعها الأزد ،

- ١ خلاصة الكلام (ص ٥٢) .
- ٢ المبرد : نسب عدنان وفحطان (ص ٢٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٧٦ وما بعدها) .
- ٣ الإنباه (ص ٩٥) ، تاريخ أبي العلاء (١/١٠١ وما بعدها) .
- ٤ خلاصة الكلام (ص ٥٤) . (جيفر بن الجُلندي الأزدى ، ملك عمان ورئيسها ، أسلم هو وأخوه عبد الله على يد سيدنا عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، رضى الله عنه ، لما وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما ، وهما على عمان) ، ناج العروس (٣/١٠٥) ، (وخلنداء : بضم أوله وفتح ثانية وممدودة وبضم ثانية مقصورة اسم ملك عمان) ، (قال الأعشى :
- وخلنداء في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت المنيف)
- ٥ ناج العروس (٣٢٣٢) ، لسان العرب ٤/١٠١) .
- المحبر (٢٦٥ وما بعدها) .

وهي : جفنة ، وغسان والأوس والخزرج ، وخزاعة ، ومازن ، وبارق ، وألج ، والحجر ، والعتيق (العتيق) وراسب ، وغامسد ، ووالبة ، وثمالة ، ولهب ، وزهران ، ودهمان ، والحندان ، وشكر ، وعك ، ودوس ، وفهم ، والجهاضم ، والأشقر ، والقسامل والفراheid^١ . وهي أكثر من ذلك ، أو أقل عدداً على حسب مذاهب أهل الأنساب في ضبط أسماء البطون^٢ .

ويصنف النسابة قبائل الأزد جميعها في أربعة أصناف من الأزد ، هي : أزد عمان وأزد السراة وهم الذين أقاموا في سراة اليمن ، وأزد شنوءة أبناء كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وهم من سكة السراة كذلك ، وأزد غسان وهم من شرب من ماء غسان^٣ . ويلاحظ ان هذا التصنيف مبني على أسماء مواضع نزلت فيها قبائل الأزد .

ومواطن الأزد القديمة هي مثل مواطن بقية الفحطانيين في اليمن ، وقد تركتها على أثر حادث سيل العرم ، ففترقت مع من تفرق من الفحطانيين الى الأماكن المذكورة . وذكر ان أزد السراة حاربت قبيلة خثعم التي كانت نازلة في السراة ، فتغلبت عليها وانتزعت الأرض منها ، وان (أردشير) الاول أسكن الازد في عمان . فبقوا فيها تحت حكم الفرس^٤ .

وكان مائة وذو الخليفة من أصنام الأزد الرئيسية التي تعبدت لها ، كما تعبدت لصنم اسمه العائم كان في السراة^٥ . ولصنم آخر اسمه باجر ، كان للأزد ولن جاورهم من طيء^٦ .

وأما القبائل المتفرعة من عمرو بن الغوث ، فهي أنمار ، وتنسب الى أنمار بن

١ ابن خلدون (٢٥٣/٢) ، أبو العلاء (١٠٢/١) .

٢ راجع شجرة الأزد في كتاب سبائك الذهب (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩) ، المبرد : نسب عدنان (ص ٢١ وما بعدها) و Wustenfeld Genea, Tab., 10 ، نهايه

الأرب (٢٩٦/٢) .

٣ Ency, I, P. 529. ، صبح الأعشى (٣١٩/١) ، كحالة (١٥/١) وما بعدها) .

٤ Ency., P. 530

٥ في Ency., I, P. 530. ذو الحصة وهو خطأ مطبعي ولا شك :

Wellhausen, Reste, S., 45.

٦ العاموس (٣٦٢/١) ، لسان العرب (١٠٣/٥) . صبح الأعشى (٣٢٩/١) .

(أراش)^١ (إراش) (أراشة)^٢ ، وأراش هو ابن عمرو ، وقد نسب بعض النسابين أثماراً الى أثمار بن نزار بن معدّ بن عدنان ، فجعلوها من العدنانيين^٣ ، ويدلّ ذلك على اختلاط هذه القبيلة بالقبائل التي ترجع نسبها الى مجموعة معدّ .

وولد أثمار أفتل^٤ ، وهو خثعم ، وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد ابن عكّ ، فهي ذات صلة بعكّ من ناحية الأم . وولد أثمار أيضاً خزيمه وقد دخلت في الأزدي ، ووادة ، وعبقراً ، والغوث ، وصهيبه ، وأشل ، وشهلاً ، وطريقاً ، وسنية ، والحارث ، وخذعة . وأمههم كلهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشرة ، وكانوا كلهم متحالفين على ولد أخيه خثعم^٥ . ولهذا يرجع كثير من النسابين قبائل أثمار الى أصلين : خثعم وبجيلة^٦ .

١ حمهرة (ص ٣٦٥) ، الاشتقاق (ص ٣٠٢) ، (وإراشة بالكسر : أبو قبيلة من بلي وهو إراشة بن عامر بن عبيلة بن شميل بن فران بن عمرو بن بلي . وأريش كبر ، بطن . وقال ابن حبيب : من لحم جلدس بن أريش بن إراش بالكسر . وأراش هو ابن الحيان بن الغوث . وفيل . إراش هو ابن عمرو بن الغوث . وهو والد أثمار أبو بجيلة من خثعم . وإراشة بطن من خثعم ، وإراشة ، أيضاً من العماليق . وبالضم في أزد وفي فضاغة) ، ناج العروس (٤/٢٨٠) . أصبح الأعشى (١/٣٢٩) .

٢ الاكليل (٥/١٠) ، منتخبات (ص ٣١ ، ١٥٠) .

٣ (أنمار بن نزار . مصى الى اليمن ، فتناسل بنوه ، ثم حسبوا من العرب اليمنية .) ، ناربج ابن الورد (١/٩٢) ، ابن هشام : (ص ٤٩) (طبعة وستنفلد) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٥٠) ، البلخي : كتاب البدء والتاريخ (٤/١٠٧) (تحقيق كليمان هوار) . وسبكون رمزه : البلخي .

٤ (أقبل) حمهرة (أفتل) الاشتقاق (ص ٣٠٤) ، وهو الصحيح . ناج العروس (٣/٣٢١) . الصحاح للجوهري (٢/٢٨٠) ، النووي : تهذيب الأسماء (ص ٢٨٩) ، نهاية الأرب (٢/٣١٠) ، لسان العرب (٨/٢٩٥) ، (١٥/٥٦) ناج العروس (٦/٢١٦) ، لسان العرب (٨/٢٩٥) ، (١٥/٥٦) ناج العروس (٦/٢١٦) ، العائق للزمخشري (١/٦٦) ، كحالة (١/٢٣١ وما بعدها) . (أقبل) نسب فريش (ص ٧) .

٥ حمهرة (ص ٣٦٥) .

٦ البلخي (٤/١٠٧) ، ناربج ابن الورد (١/٩٠) .

وولد خثعم ولداً اسمه حلف أو خلف ، ويعود هذا الاختلاف الى غلط النسخ ، ومن نسله عفرس ، فولد عفرس ناهساً^١ وشهران^٢ وناهياً ونهشاً وكوداً وربيعة أبا اكلب^٣ . ومن بني (ناهش) ناهس حام بن (ناهس)^٤ ناهش^٥ ، وهم بطن ، وبنو أجرم وهم بطن أيضاً . ويُسمون ببني معاوية كذلك ، وأوس مناة بن ناهس ، وهو الحنيك ، وهم بطن ، وبنو عنة ، وبنو قحافة^٦ .

وكانت منازل خثعم في الهضبة الممتدة من الطائف الى نجران عند طريق القوافل الممتدة من اليمن الى الحجاز .

ولا تزال بطون خثعم معروفة حتى الآن . ومنها بطون في تهامة وفي عسير . منها ما هي بادية ، ومنها ما هي مستقرة تتكسب قوتها من الزرع^٧ .

وذهب (ليفي ديلافيدا) في (المعلمة الإسلامية) الى ان خثعماً ليست قبيلة في الأصل إنما هي حلف نألف من قبائل متعددة تحالفت بينها لمصالح مشتركة

- ١ (وناهس بن خلف ، بطن من خثعم) ، ناج العروس (٢٦٦/٤) . (عفرس ٠٠٠ أبو حي باليمن . وهو عفرس بن خلف بن أقبل ؟ وهو خثم ؟ بن أنمار) ، ناج العروس (١٩٣/٤) ، العقد الفرید (٧٨ / ٢) ، كحالة (٧٩٤/٢) ، ناهش بن عفرس) ، كحالة (١١٦٩/٣) . (شهران وربيعه وناهش أولاد عفرس بن خلف بن أفتل) نهاية الأرب (٢٩٤/٢) .
- ٢ جمهرة (ص ٣٦٩) ، (خثعم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغوث بن نيب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر . ويقال انما سمي خثعم بجمل له اسمه خثعم . فكان يقال ارتحل آل (خثعم) ، منتحبات (ص ٣١) ، الاشتقاق (ص ٣٠٤) وشهران ابن عفرس بن خلف بن أفتل) ، أبو قبيلة من خثعم . وأفتل هو خثعم) . ناج العروس (٣٢١/٣) ، نهاية الأرب (٢٩٣/٢) ، العقد الفرید (٧٨/٢) ، كحالة (٦١٧/٢) .
- ٣ الاكليل (٥/١٠) .
- ٤ جمهرة (٣٦٨) .
- ٥ Ency, II, P. 924
- ٦ الاشتقاق (ص ٣٠٥) ، (أجرم) القاموس (٨٩/٤) ، ناج العروس (٢٢٦/٨) ، كحاله (٥/١) . (بنو قحافة) ، لسان العرب (١٨٣/١١) ، القاموس ، (١٨٣/٣) ، كحالة (٩٣٩/٣) .
- ٧ فؤاد حمزة : في بلاد عسير (ص ٦٠) ، (القاهرة ١٩٥١) .

جمعت بينها ، كما يحدث في سائر الأحلاف^١ ، والذي أذاه الى هذا الفهم اختلاط هذه القبيلة في القبائل العدنانية واختلاف النسابين في نسب خثعم وتفسيرهم معنى كلمة خثعم .

وقد ورد ذكر خثعم في روايات الاخباريين عن حملة أبرهة على مكة ، إذ هم يذكرون انها عازمت على منعه من الوصول الى مكة ، وان ثقيف بن حبيب الخثعمي رئيس خثعم إذ ذاك ، خرج بقبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، وقتله حينما بلغ أرض خثعم ، غير ان أبرهة تغلب عليه ، وأسره ، وأبقاه حيّاً على ان يكون دليله في طريقه الى مكة ، وقد سار معه حتى أبلغه الطائف ، وهناك قام بوظيفة إرشاد الحبش الى مكة أبو رغال الثقفي ، وذلك بأمر من مسعود بن معتب رئيس ثقيف^٢ . ويقول الاخباريون ان العرب صارت ترجم قبر أبي رغال بالمخمس ، وصار سبّة للناس ، ولست أدري لم خص الاخباريون قبر أبي رغال بالرجم ، ولم يشركوا معه قبر مسعود بن معتب ، وهو الذي كلف - على حد قولهم - أبا رغال ان يرشد أبرهة الى مكة .

وقد اشتركت خثعم في المعركة المعروفة عند الاخباريين باسم يوم فيف الريح ، وهو يوم كان لِمَدْحِج على بني عامر بن صعصعة . اشتركت فيه عدة قبائل أخرى مع المتخاصمين^٣ . وقد كانت بطون من مدحج تسكن في جوار خثعم ، وعند ظهور الاسلام كانت خثعم في حلف مع مراد ، وقد اشتركت معها في حربها مع قيس^٤ .

وقد تعبدت خثعم مثل بجيلة ودوس وباهله والأزد للصنم المسمى بذي الخلصة الذي هدم في الاسلام ، هدمه عبد الله بن جرير البجلي^٥ . وكان لها بيت يدعى كعبة الهامة به الخلصة . تعبدت اليه^٦ .

١ Ency., II, P. 924

٢ الطبرى (١١١/٢) ، الاشتقاق (ص ٣٠٦) .

٣ ابن الأثير (٢٦٥/١) ، الأمثال : للميداني (٣٠٨/٢) ، البلدان (١٣/٦) ، الأغاني (٢١/٥) النقائض (ص ٤٦٩) العقد المرید (٣٥٩/٣) .

٤ Blau, in, ZDMG, 23, (1869), S., 562.

٥ Ency., II, P. 924.

٥ المحبر (ص ٣١٧) .

٦ كحالة (٣٣٢/١) .

أما بجيلة^١ ، فهم بطون عديدة متفرقة ، تفرقت في أحياء العرب منذ يوم حربها مع كلب بن وبرة بالفجار ، وقد أعاد شملها وجمعها جرير بن عبد الله ابن جابر البجلي ، وهو الشليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم ، صاحب رسول الله^٢ . ومن أشهر بطون بجيلة قسر ، وعلقمة ، وبنو أحمس^٣ . وقيس كبة ، وبنو عرينة بن نذير ، وبنو دهن بن معاوية . ومن قسر خالد بن عبد الله القسري^٤ .

وأعرف قبائل المجموعة الثانية من قبائل كهلان ، وهي المجموعة التي ترفع

١ منتخبات (ص ٥ وما بعدها) ، (بجيلة : امرأة . وهي ابنة صعب بن سعد العشيرة ، ولدت لأنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث . وعمرو بن الغوث ، أخو الأزد بن الغوث) ، الانباه (ص ١٠٠) ، (وبجيلة ، هو عقر بن أنمار بن أراش . ولد عقر ، والغوث وصهبة . أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، فزسوا إليها ، وعرفوا بها) ، الابناء (ص ١٠١) ، البلخي (١١٨/٤) ، الاشتقاق (ص ٣٠٢) ، الكري (٦٣/١) ، وبجيلة كسفية ، حي باليمن من معد والسببة إليه بجلى . محرقة . قال ابن الكلبي في جمهرة سبب بجيلة : ولد عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن ربد بن كهلان أراشا . فوالد أراش أنمارا ، فولد أنمار أفتل وهو خعم . وأمه هند بنت مالك بن العاقق بن الشاهد بن عك . وعبروا ، والغوث ، وصهبة ، وخزيمة . دخل في الأزد ، ووادعه بطن مع بن عمرو بن يشكر ، وأشهل وشهلا ، وطربعا ، وسومية رجل والحارث وخدعة . وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة . بها يعرفون . فلب وفد اخنلف أئمة السبب في بجيلة ، فمنهم من جعلها من البس ، وهو قول ابن الكلبي الذي تقدم وهو الأكثر . وقيل هم من نزار بن معد . قال مصعب بن الزبير ، كان المصعب جمع بين القولين . وفيه نظر لا يخفى) . تاج العروس (٢٢٢/٧) ، كحالة (٦٣/١) .

٢ جمهرة (ص ٣٦٥ وما بعدها) ، ابن الوردي (٩٠/١) .

٣ الاشتقاق (ص ٣٠٥) ، المبرد ، نسب عدنان (ص ٢٣) .

٤ المبرد : نسب عدنان وفحطان (ص ٢٣) ، وفي بجيلة ، أحمس بن الغوث بن أنمار ، وقيس كبة بن الغوث بن أنمار بن أراش . بطون . وفي بجيلة بطون عر هؤلاء . ومن بطون بجيلة : دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار وقد مضى دهن في عبد القيس . ومن بطون بجيلة : قسر بن عمرو بطن . وهو رهط خالد بن عبد الله القسري . وعرينة بن نذير بطن . ومنهم . النضر) . الانباه (ص ١٠٢) ، البلخي (١١٨/٤) . (وبنو دهن بالضم ، حي من بجيلة . وهم بنو دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث) . تاج العروس (٢٠٥/٩) لسان العرب (٢٠/١٧) ، الغاموس (٢٢٤/٤) .

تسبها الى الخيار بن زيد بن كهلان ، هي قبيلة همدان . وهي من القبائل المعروفة في الجاهلية والإسلام ، وكان لها شأن خطير في كلا العهدين .

وقد تحدثت في الجزء الثاني من كتاب : تأريخ العرب قبل الإسلام عن همدان استناداً الى كتابات المسند ، وأشارت الى صنمها وهو (تألب ريام) والى نمر من ملوكها ، والى منازل في الأرض التي عرفت ببلد همدان^١ . أما الأخباريون وأهل الأنساب ، فيروون ان هذه القبيلة من نسل جدّ أعلى هو (همدان) وكان يسمى (تلاد الملك)^٢ ، وهو في نظرهم والد نوف^٣ (نوفل)^٤ ، وعمرو ، ورقاش زوج عديّ بن الحارث^٥ . ويختلف التسابون بعض الاختلاف في سرد أسماء آباء همدان^٦ ، وهو اختلاف لا يهمنا نحن كثيراً أو قليلاً بعد ان وقفنا على طبيعة هذه الأنساب .

وأولد نوف بن همدان (حبران)^٧ (خيوان)^٨ (خيران)^٩ ، ويعود اختلاف هذا الاسم الى الخطأ الذي وقع فيه النُسّاخ ولا شك . وولد حبران (خيوان) ولداً اسمه 'جشم' ، وهو والد حاشد وبكيل . وهما قبيلة همدان

١ (٢١٤/٢ وما بعدها) ، صبح الأعشى (٣٢٨/١) ، كحالة (١٢٢٥/٣) وما بعدها .

٢ الاكليل (١٠/١٠) .

٣ الاكليل (١١/١٠) .

٤ (نوفلا) هكذا حققه (ليفي بروفنسال) ، جمهرة (ص ٣٦٩) . وهو خطأ . وصوابه (نوف) نهاية الأرب (٢٠٣/٢) .

٥ الاكليل (١١/١٠) .

٦ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب (ص ٢٩ وما بعدها) .

٧ (حبران) هكذا في طبعة الاكليل (٢٨/١٠) ، وفي منتخبات (ص ٢٧) .

٨ (خيوان) هكذا في طبعة جمهرة ابن حزم (ص ٣٦٩) ، (تحقيق ليفي بروفنسال) . (خيوان) ، سبائك الذهب (ص ٧٨) .

٩ (خيران) هكذا في الاشتقاق (ص ٢٥٠) . (خيران : هكذا ذكره ابن الجواني النسابة . ولد نوف بن همدان . وقال شيخ الشرف النسابة : هو خيوان بالواو ، فصحف) ، تاج العروس (١٩٥/٣) ، (وخيران ٠٠٠ والد نوف بن همدان) القاموس (٢٥/٣) .

العظيمان ، والحارث وقد غبر في قيس ، وزيد وقد دخل في حاشد^١ .

وأولد حاشد جشمأ ، وعوصأ وقد دخل في كلب . وولد جشم بن حاشد مالكا ومعد يكرب وعمراً وأسعد وعريباً وزيداً ومرثداً وضامأ ويريم الأكبر وعامراً وربيعة . وأولد يريم بن جشم حاشد الوحش ، وهم بطن بالوحش من أرض الكلاع بين السحول وزبيد ، وعمراً . وأولد عمرو زيداً وهو والد تباع جدّ التباعين ، وتقع منازلهم بالسحول من بلد الكلاع بعلقان ووادي النهي^٢ .

والى حاشد^٣ تنسب مرثد ، وهو مرثد بن جشم بن حاشد في عرف النسّابين . وقد سبق ان أشرتُ الى مرثد ، وهو والد ولد اسمه ربيعة . وهو ناعط ، وهو بطن ، وولد آخر اسمه الحارث وهم اسم بطن كذلك . وأولد ناعط مرثداً وشراحيل وعامراً وشرحيل ، فولد شرحيل أفلح ، وأولد أفلح عُمَيْراً ذا مرّان وكان معاصراً للنبي^٤ .

ومن هَمَدان بطون عديدة كان لها صيت في الجاهلية وفي الاسلام ، مثل بني عليان ، وبني حجور ، وبني قدم ، وبني فائش ، وبني شاحذ ، وبني جحدن ، وبني ابزن ، وبني شبام . وذوي جعران وذوي حدّان ، وبني ناعط . وهم في الواقع عدة بطون ،^٥ ومنهم آل ذي المشعار .^٦

ومن بطون بكيل^٧ بن جشم بن حبران آل ذي لعوة ، وبنو جدلان وثعلان ،

١ الاكليل (٢٨/١٠) ، (حاشد وبكيل فيبلا همدان بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان مالك زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ)
الهمداني : مشتبّه . (ص ٤٥) .

٢ الاكليل (٢٩/١٠) ، سبائك الذهب (٧٨) ، وفي قائمة الاسماء أوهام وأخطاء .

٣ (حاشد) الصفة (١١١) ، ناج العروس (٣٣٦/٢ ، ٥٤٧) ، كحالة (٢٣٥/١) ،

الاكليل (٣٠/١٠) .

٥ الاشتقاق (ص ٢٥٠ وما بعدها) ، الاكليل (٩٦/١٠ وما بعدها) .

٦ الاكليل (٣٦/١٠) .

٧ (بكيل) البلدان (٧٠٧/١) ، الاشتقاق (٢٥٠) ، ناج العروس (٢٣٢/٢ ،

٥٤٧) ، الصفة (١١٠ وما بعدها) ، الفاموس (٣٣٦/٣) ، لسان العرب

(٦٧/١٣) ، نهاية الأرب (٣٠٣/٢) .

وبنو دومان ، ومنهم الشقيون ، وبنو صعب بن دومان ، وبنو مرهبة من الصعب ، وبنو أرحب من الصعب كذلك ، وبطون أخرى ذكرها الهمداني في الجزء العاشر من الأكليل .^١ وهو الجزء الخاص بقبائل همدان .

ويظهر من روايات الاخباريين أن الهمدانيين كانوا يتعبدون للصنمين : يغوث ويعوق عند ظهور الاسلام .^٢ ومعنى ذلك ان تطوراً خطيراً كان قد طرأ على عبادة هذه القبيلة ، فابتعدت عن صنمها الخاص بها وحاميتها الذي كانت تلجأ اليه في الملأ ، وهو (تألب) الذي كان معبده بمدينة (ريام) ، ونسيته وتعبدت للصنمين المذكورين اللذين لم يرد اسمهما في كتابات المسند ، وهما من الاصنام التي استوردت الى الحجاز ونجد على ما يظن من الشمال .

وقد وقع بين مراد وحمدان والحارث بن كعب يوم عرف بيوم رزم (يوم الرزم) ، وهو موضع في بلاد مراد ،^٣ وقد اخذ فيه الصنم يغوث .^٤ اما قبائل مجموعة عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، فاشهرها الأشعر ، وطيء ، ومذحج ، وبنو مرة .

اما الاشعر ، فولد نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهم الأشعريون والأشعرون والأشاعرة ، وتقع منازلهم في ناحية الشمال من زبيد .^٥

-
- ١ (ص ١٠٨ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٥٦ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٧٨ وما بعدها) .
 - ٢ (وكان يعوق لهمدان ، وخولان ، وكان في أرحب ، المحبر (ص ٣١٦) .
 - ٣ (البلدان (٢٤٧/٤) .
 - ٤ Blau, in, ZDMG , 23, S. 562.
 - ٥ جمهرة (ص ٣٧٤) ، ابن خلدون (٢ / ٢٥٤) ، (الأشعرون . اخلف فيهم . فمنهم من يقول انهم من ولد الأشعر بن سبأ . ومنهم من يقول انهم من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ . واسم الأشعر : (نبت بن أدد) ، الانباه (ص ١١٥) ، طرفة الأصحاب (ص ١٠) ، البكري (٥٣/١) ، الصفة (١١٩، ٥٣) ، الصحاح (٣٤١/١) ، ناح العروس (٣٠٢/٣) ، لسان العرب (٨٤/٦) ، صبح الأعشى (٣٣٥/١) .

ومن بطون الأشعر : الجاهر ، وجدة والأنعم (الانعم) (الانعم) ، والأرغم ،
ووائل ، وكاهل . ومن بطونهم : غاسل ، وناجية ، والحنيك ، والركب^١ .

وأما طيء ، فأنها من ولد جلهمة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد
كهلان ، ويذكر الاخباريون أنها كانت باليمن ، ثم خرجت على اثر الازد الى
الحجاز ، ونزلوا سميماً وفيداً في جوار بني اسد ، ثم استولوا على اجأ وسلمى
وهما جبلان من بلاد اسد ، فأقاموا في الجبلين حتى عرفا بجبلي طيء^٢ .

وتفرقت طيء الى بطون عديدة ، يرجع اصولها النسابون كعادتهم الى آباء
وأجداد ، ومن هؤلاء جديلة ، وتيم الله (بنو تيم) وحيش والأسعد ، وقد جلا
هؤلاء عن الجبلين . وبجتر بن عتود ، وبنو نبهان ، وبنو هنيء ، وبنو ثعل
والثعالب . وهم بنو ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن
طيء ، وهم في طيء نظير الربائع في بني تميم . ومن بني ثعلبة بن جدعاء تيم بن
ثعلبة ، وعليهم نزل امرؤ القيس بن حجر ، وعمر بن ثعلبة بن غياث ، وكان
على مقدمة عمرو بن هند يوم اواراة^٣ ، وبنو لأم بن ثعلبة^٤ .

ويذكر الاخباريون ان طيئاً بعد ان بلغت جبلي اجأ وسلمى ، شاهدت هناك
شيخاً كان مع ابنته يمتلكان جبلي اجأ وسلمى ، وقد ذكرا لطيء انها من بقايا

١ طرفة الأصحاب (ص ١٠) ، الحمرة (ص ٣٧٤ وما بعدها) ،

Wustenfeld, Genea, Taf., 8. الاشتقاق (٢٤٨) ، كحالة (٣١/١) .

٢ ابن خلدون (٢٥٤/٢) ، (وعاش طيء بن أدد ٥٠٠ خمسمائة سنة . وذكر هشام
أنه سمع أسيافاً من طيء ، يدكرون ذلك ، وأنه حمل من حبله باليمن . وكان يقال
له طريب الى جبلي طيء . وأقام بهما حبناً . وفنل العادي الذي كان بالجبلين) ،
كتاب المعمرين من العرب (ص ٦٤) . أبو الفداء (١٠٢/١) ، العاموس (٦٥/١) ،
٦٤/٤ ، ٢٢٩ ، ٣٤٨ ، لسان العرب (١٥/١ ، ١٦٠) ، صبح الاعشى (٣٢٠/١) ،
الاشتقاق (٢٢٧ وما بعدها) ، ابن صاعد (٤٣) ، ناج العروس (٩٢/١ ، ٢/٥) ،
٣٦٢ ، ١٩٧/٦ ، ٢٨٧ ، ١٥٠/٧) ، الاعابي (٤٧/١٠ ، ١٩٣/١٨ ، ١٢٨/١٩) ،
الميداني الامال (١٩٤/١) البوبري ، بهذب الاسماء واللغات قسم أول (٢٨٩/٢) ،
كحالة (٦٩١/٢) .

٣ حمرة (ص ٣٧٥ وما بعدها) . الانبياء (ص ١١٦) ، (وبجتر من طيء) ،

الهمداني : مشبه (ص ٤٧) ، طرفة الأصحاب (ص ١٠) .

٤ ابن خلدون (٢٥٤/٢) .

صحار ، وذكروا ان لغة طيء هي لغة هذا الشيخ الصحاري .^١ وقد اوجد الاخباريون هذه القصة تفسيراً لبعض المميزات اللغوية التي امتازت بها لهجة طيء . وصحار اسم موضع واسم بطن من قضاة ايضاً . وقد اخذت بطون قضاة مواطن طيء في الشمال ، واختلطت بعض بطون طيء بقضاة . فهل عنى الاخباريون بصحار هذا البطن من قضاة ، ولا سيما اذا تذكرنا ان علماء اللغة يذكرون وجود التثنية في لغة طيء ، وقد نسبوا التثنية الى قضاة كذلك ؟ ولا يستبعد ان يكون لأسطورة الاخباريين عن الشيخ الصحاري ، شيء من الواقع ، كأن يشير ذلك الى صلة صحار بطيء .

ويذكر الاخباريون ان الرئاسة في الجاهلية على طيء كانت لبني هنيء بن عمرو ابن الغوث بن طيء ، وهم رمليون واخوتهم جليلون ، ويعنون بذلك انها كانت تنزل البوادي ، لا جلي طيء . ومن ولده اياس بن قبيصة بن ابي غفر بن النعمان بن حية بن سعة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سمر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء^٢ الذي ولي ملك الحيرة بأمر كسرى - كما سبق ان اشرت الى ذلك في الفصل الخاص بتاريخ الحيرة - وكان له شأن يذكر عند الفرس .

وكان لطيء جد هذه القبيلة من الولد : فطرة ، والغوث والحارث . فأما ولد الحارث فدخلوا في مهرة بن حيدان . وأما ولد فطرة^٣ ، فمنهم : جديلة ، وولد خارجة بن سعد بن فطرة ، وتيم الله ، وحيش ، والأسعد . ومن نسل هؤلاء تفرعت سائر بطون طيء^٤ .

ومن بني الغوث بن طيء بنو ثعل^٥ ، ومنهم سلامان وجرول^٦ . ومن بني

١ البلدان (١١٧/١) .

٢ الجهمرة (٣٧٧) .

٣ نهاية الارب (٢٩٨/٢) ، كحالة (٩٢٣/٣) .

٤ الجهمرة (ص ٣٧٥ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٢٨ وما بعدها) ، الانباء (ص ١١٦) .

٥ (بنو ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء) ، نهاية الارب (٢٩٩/٢) ، الاشتقاق (٢٣١) . لسان العرب (٨٩/١٣) ، كحالة (١٤٢/١) .

٦ (سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء) ، الاشتقاق (٢٣١) ، صبح الاعشى (٣٢١/١) ، كحالة (١٨٤/١) (٥٣١/٢) .

سلامان بجتر ، ومعن ، وهما بطنان ضحخان ، وجرول بن ثعل . ومن بني جرول ابن ثعل ربيعة بن جرول . وهم بطن ضخم ، ولوذان بن جرول بن ثعل . ومن بني ربيعة بن جرول اخزم والتجد . والأخزم بطون عديدة ، ومنها عدي بن اخزم ، ومن رجالها حاتم الطائي المعروف بجوده ^١ . وعمر بن الشيخ وكان أرمى الناس في زمانه ^٢ .

وفي استطاعتنا ان نقول عن طيء ، وان كنا لا نعرف شيئاً يذكر من تاريخها في الجاهلية ، انها كانت ذات مكانة خطيرة في تلك الايام ، بدليل اطلاق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان وعند يهود بابل ، على جميع العرب كما اشرت الى ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب . ولا يعقل اطلاق اسم هذه القبيلة على جميع العرب لو لم تكن لها منزلة ومكانة في تلك الايام ، ولو لم تكن قوية كثيرة العدد ممعنة في الغزو ومهاجمة الحدود ، حتى صار في روع السريان انها اقوى العرب ، فأطلقوا اسمها عليهم . وبدليل اختيار الفرس لإياس بن قبيصة ، وهو من طيء لتولي الحكم في الحيرة مرتين ، ولا بد ان يكون لمركز قبيلته سند قوي اسنده في الحكم . وليس بمستبعد ان تكون قبائل قضاة قد حلت محل طيء في الشمال مما اضطر الاخيرة الى الترحل من أماكنها والدخول في غيرها والاكتفاء بمنطقتهما في جنوب النفود . أي في جبلي طيء ^٣ .

وبالرغم من انتزاع طيء لجزء من أرض بني أسد ، وهم من مضر ، وسكانهم فيها ، فإن بني أسد وكذلك بني ضبة التي كانت قد تحولت عن بني تميم الى طيء ، انضموا الى طيء وساعدوها في الحرب التي وقعت بينها وبين بني يربوع ، وهم من تميم ، تساعدهم بنو سعد . وانتهت بهزيمة بني يربوع في

١ الجهمرة (ص ٣٧٨) .

٢ أبو الفداء (١٠٢/١) .

٣ ARABIN, ANCIENT WEST — Arabian, P 193

موضع « رحلة النيس »^١ . ولكن ذلك لا يعني ان العلاقات بين بطون طيء وأسد كانت حسنة دوماً ، وثيقة لم يعكر صفوها ما يقع عادة بين القبائل من حروب . فقد وقعت بين القبليتين حروب كذلك . منها : الحرب التي وقعت بالخص في العراق على مقربة من قادسية الكوفة . وقد انتهت هذه الحرب كما تنتهي الحروب الأخرى بتصفية حسابها بدفع الديات وب عقد صلح^٢ .

وقد وقعت بين عبس وطيء جملة غزوات . قضت احداها على حياة (عنتره ابن شداد) ، البطل الأسود الشهير^٣ . أغار عنتره مع قومه على بني نبهان من طيء ، وهو شيخ كبير ، قد عبث به يد الدهر ، فجعل يرتجز ، وهو يطرد طريدة لطيء . فانهزمت عبس . وأصيب عنتره بجرح قضى عليه^٤ . وهناك رواية أخرى في مقتل بطل عبس^٥ .

وفي رواية للأخباريين ان ابن هند ملك الحيرة أغار على إبل لطيء ، فحرض زرارمة بن عدس ، عمرو بن هند على طيء ، وقال له انهم يتوعدونك ، فغزاهم فوفعت بسبب ذلك جملة حوادث تسلسلت الى يوم أواره . وكان عمرو ابن هند كما يقول الأخباريون قد عاقد الحي الذي غزاه على ان لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، فلما غزا عمرو بن هند اليامة ، ورجع ، مرّ بطيء ، انتهز زرارمة بن عدس — وكان كارهاً لطيء مبغضاً لها — هذه الفرصة ، وأخذ يحرضه على غزوها ، ويشجعه عليه . وما زال به على ذلك ، حتى غزاها ، بعد ان بلغه هجاء الطائيين له ، لاصابته بعض النسوة من طيء . فتمكن منها وأخذ جملة أسرى ، من بطن (أخزم) ، وهم رهط حاتم الطائي^٦ .

وكانت صلة هذه القبيلة بالفرس حسنة ، ولما أراد الملك النعمان الالتجاء اليهم والدخول فيهم ليمنعوه من الفرس ، لمصاهرته لهم ، وأخذ زوجتين هما فرعة

١ Ency, IV, P. 623. (رحلة النيس) ، البلدان (٢٢٨/٤) ، البكري

(٦٤٠/٢) (تحقيق السقا) .

٢ الاغانى (١٦٣/١٨) ، (الخص : فربة قرب العادسية) ، البلدان (٤٤٤/٣) .

٣ الاغانى (٢٣٩/٨ ، ٢٣٥) (طبعة دار الكتب المصرية) .

٤ الاغانى (٣٤٥/٨) (طبعة دار الكتب) ، (١٤٥/٧) (طبعة الساسي) .

٥ المصدر نفسه .

٦ الاغانى (١٢٧/١٩ وما بعدها) .

بنت سعد بن حارثة بن لام وزينب بنت أوس بن حارثة بن لام منهم ، لم تقبل طيء جواره ولا مساعدته ، وقالت له : (لولا صهرك قاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى)^١ . وقد جعل كسرى لإياس بن قبيصة على الرجال من الفرس والعرب في حرب بكر بن وائل في معركة ذي قار .

ويظهر من روايات الأخباريين أن رؤساء طيء كانوا يحكمونها ، وكانوا يلقبون بملك . فقد ذكروا أن عدي بن حاتم الطائي كان رئيس طيء في أيام الرسول ، وكان مالكا عليهم يأخذ منها المرباع . فلما جاءت خيل الرسول إليه بقيادة علي بن أبي طالب ، فرّ إلى الشام ، ثم ترك الشام ، وذهب إلى الرسول فأسلم^٢ .

أما صنم طيء ، فكان (الفلّس) ، وكان بنجد ، قهرياً من فيد . وسدنته من بني بولان^٣ . هدمه علي بن أبي طالب بأمر النبي ، وكانت طيء قد قلدت الصنم سيفين يقال لأحدهما مخدّم وللآخر رسوب ، أهدهما إليه الحارث بن أبي شمر ، فأخذهما علي بن أبي طالب . وتعبدت طيء لصنم آخر هو (رضى)^٤ . كما تعبدت لصنم ثالث هو سهيل^٥ .

ومندحج من القبائل البانية الكبيرة ، وقد تفرعت منها قبائل كبيرة كذلك . وتنسب إلى جدّ أعلى لها ، هو مندحج . وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان ، وأبو عدة أولاد ، هم : جلد بن مندحج ، ومجاير . وهو مراد : وزيد . وهو عنس ، وسعد العشيرة^٦ ، ولويس بن مندحج .

١ الطبري (١٥١/٢ وما بعدها) .

٢ (ذكر غزوة طيء وإسلام عدي بن حاتم) ، ابن الأثير (١١٩/٢) .

٣ المجير (ص ٣١٦) .

٤ Ency., IV, P. 624

٥ كحالة (٦٩١/٢) .

٦ الجمهرة (ص ٣٨١) ، ابن خلدون (٢٥٥/٢) . الاشتقاق (ص ٢٣٧ وما بعدها) Wustenfled, Genea., Taf., 7, 8. (فولد بجابر مندحج . وولد مندحج مرادا ، وجلدا ، وعنسا ، وسعد العشيرة . وإنما سمي سعد العشيرة ، لأنه شهد الموسم ، ومعه بنون عشيرة ، ف قيل له من هؤلاء ؟ فقال : هم العشيرة . وولد سعد العشيرة جعفر بن سعد ، وجبيب بن سعد ، وصعب بن سعد ، وعائذ الله بن سعد) ، البلخي (١١٩/٤ وما بعدها) ، (وأما مندحج ، فكل من انتسب إلى مالك بن أدد =

وأهمهم كلهم سلمى بنت منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر^١ .
ومن بني عَنَس بن مذحج : عَمَّار بن ياسر الصحابي المعروف ، والأسود
العنسي المتنبي^٢ .

ولمذحج مثل القبائل الأخرى أيام . منها يوم فيف الريح^٣ ويوم السلان . وهو
لربيعة على مذحج^٤ . وسأحدث عن أيام مذحج في الفصل الخاص بأيام العرب
قبل الإسلام .

ويشير هذا النسب الذي يذكره النسابةون الى وجود صلات قديمة وثيقة بين
مراد وختعم ، وبين مجموعة القبائل المعروفة بمذحج . وهم أبناء أحوة على رأي
النسابةين^٥ .

ويذكر الأخباريون ان مواطن مراد القديمة هي في الجوف ، في منطقة رملية
جرداء . ويظهر انها كانت متبدية وكان معبودها الصنم يغوث^٦ ، الصنم الذي
تعبدت له مذحج كذلك^٧ . روي ان الصنم يغوث ، كان لمذحج كلها . وكان في

١ ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فهو مذحجي ومن لم ينسب
الى مالك بن أدد ، فليس بمذحجي . ومالك بن أدد ، هو جماع مذحج . وقال ابن
اسحاق : مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ولم ينبع ابن
اسحاق في ذلك) ، الانباء (ص ١١٦) ، ابن الوردي (٩٠/١) ، أبو الفداء
(١٠٢/١) ، العاموس (١٧١/١) ، لسان العرب (٤٨٠/٢) ، (١٠٣/٣) ،
الروص الانف (١٣٩/١) ، البكري (٢٩٨/١) ، كحالة (١٠٦٢/٣) وما بعدها .
الجمهرة (ص ٢٨١) .

٢ الاغابي (١٣٥/١٨) ، ابن الوردي (٩٠/١) ، (عس ابن مالك وهو مذحج) ،
الاشقاق (٢٤٧) ، نهاية الارب (٣٠١/٢) صبح الاعشى (٣٢٧/١) ، الصنفه
(١٠٤ ، ٥٤) ، كحالة (٨٤٧/٢) وما بعدها .

٣ نهاية الارب (٤١٤/١٥) ، العقد العرييد (٨٠/٢) ، الامالي للعالي (١٤٧/٣) ،
البكري (١٠٣٨/٣) (طبعة السعا) .

٤ بين معد ومذحج وكلب يومئذ معدون . وشهدها زهير بن جباب الكلبي . . فعال
شهدت الموقدين على خزاز وفي السلان جمعا ذا زهاء

البلدان (١٠٤/٥) .

Wustenfeld, Genca., I. ٥

Ency., III, P. 726 ٦

الاصنام (١٠) ٧

أنعم ، فقاتلتهم عليه غطيف من مراد ، حتى هربوا به الى نجران ، فأقروه عند بني النار من الضباب ، من بني كعب ، واجتمعوا عليه جميعاً^١ .

ويذكر الأخباريون ان المنذر بن ماء السماء حينما بغى على أخيه عمرو ، هرب عمرو الى مراد ، فاحتفلت به ، وعينته رئيساً عليها . غير انه اشتدّ عليها حينما تمكن وقوي أمره ، فغلرت به وقتلته . لذلك غزاها عمرو بن هند ، وقتل قتلة عمرو^٢ .

وكانت بين مراد وهمدان حرب ، وقعت في عهد لم يكن بعيداً عن الاسلام . عرفت بيوم الرزم ، انتصرت فيها همدان على مراد . وكان رئيس مراد أيام الرسول فروة بن مسيك المرادي . وقد استعمله الرسول على صدقات مراد وزيد ومنهج ، فاستاءت زيد ومنهج من ذلك . وارتد عمرو بن معديكرب في مرتدين من ريد ومنهج . فاستجاش فروة النبي^٣ ، فوجه اليهم جيشاً ، هزم المرتدين^٤ .

وقبل الإسلام كان هيرة بن المكشوح بن عبد يغوث رئيساً بارزاً على مراد ، وقد عدّه الأخباريون من (الجرارين) في اليمن ، ويقصد بالجرار من ترأس ألقاً في الجاهلية^٥ . وقد كان ابنه قيس من رؤساء مراد البارزين عند ظهور الاسلام^٦ . وهو الذي قتل الأسود العنسي^٧ . وكان هناك رئيس آخر على مراد عند ظهور الاسلام هو فروة بن مسيك المتقدم ذكره ، كان كذلك من الجرارين^٨ . وأشهر أولاد مجابر ، وهو مراد ، ناجية وزاهر^٩ . ومن ولد ناجية مفرج ، وكنانة ، وعبد الله ، ومالك ، ويشكر ، وردمان . وقد انتسب ردمان الى

١ المجبر (ص ٣١٧) .

٢ Ency., III, P. 726

٣ البكري (٢٤٩/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٢٥/١٥ وما بعدها) .

٤ المجبر (ص ٢٥٢) .

٥ Ency., III, P. 726

٦ الاشتقاق (ص ٢٤٧) .

٧ المجبر (ص ٢٥٢) .

٨ (ومجابر بن مالك ، وهو مراد ، واما سمي مرادا ، لانه أول من نمرد باليمن) ،

الاشتقاق (ص ٢٣٨ ، ٢٣٦) نهاية الارب (٢٨٥/٢) .

حمير . ومن ولد عبد الله غَطِيف^١ ، وهم بطن^١ . ومن نسل ردمان^٢ قرين وناية ، وهما بطنان . ومن بني زاهر قيس بن المكشوح ، وبنو الحصين والربض والصنايح وهما بطنان^٣ .

وأولاد سعد العشيرة كثيرون ، تفرعت منهم قبائل وبطون ، ويذكر الأخباريون ان سعد العشيرة كان رجلاً كثير الأولاد حتى انه كان اذا ركب ركب معه ثلاث مئة فارس من صلبه . والظاهر انها كانت من القبائل الكبيرة ، وأظن انها كانت تحتمي بصنم هو (سعد العشيرة) ، ثم نسبته فتصور أبنائها انه لإنسان ، وانهم من صلبه منحدرون ، وليس هذا بأمر غريب ، وقد ذكرت أمثلة من هذا القبيل ، ومنه (تالب) صنم همدان المذكور في المسند ، الذي صيره النسابيون جدّاً من أجداد همدان .

ومن أولاد سعد العشيرة : الحكم^٤ ، والصعب^٥ ، ونمرة ، وجعفي ، وعائد الله ، وأوهن الله ، وزيد الله ، وأنس الله ، والحرّ . ومن البطون المتفرعة من هؤلاء الدئل ، وهم من نسل الحكم ، وقد دخلوا في تغلب^٦ . وأسلم . ومن جعفي مرّان وحريم^٧ . أما بنو صعب فأشهرهم أود ومنه^٨ ، ويسمى أيضاً بزييد . ومن نسل زييد مازن ، وهم بطن^٩ . ومن قبيلة أود الأفوه الأودي الشاعر المعروف^{١٠} .

- ١ (عطيف بن عبدالله بن ناجيه بن مراد) ، ناج العروس (٢١٣/٦) ، العاموس (١٨١/٣) ، كحالة (٨٨٩/٣) .
- ٢ (ردمان بن ناجيه) ، الاشتقاق (ص ٢٤٧) ، ناج العروس (٣١٠/٨) .
- ٣ الجمهرة (ص ٣٨٢ وما بعدها) .
- ٤ تاج العروس (٢٥٥/٨) ، نهاية الارب (٣٠١/٢) ، لسان العرب (٣٤/١٥) ، كحالة (٢٨٧/١) .
- ٥ (الصعب بن سعد العشيرة بن مالك) ، نهاية الارب (٣٠١/٢) ، كحالة (١٤١/٣) .
- ٦ الجمهرة (ص ٣٨٣) .
- ٧ (جعفي بن سعد العشيرة) ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، نهاية الارب (٣٠١/٢) أبو الفداء (١٠٨/١) ، لسان العرب (٣٧١/١٠) .
- ٨ الكري (٥٧/١) ، ناج العروس (٢٩٧/٢) ، لسان العرب (٤١/٤) ، أبو الفداء (١٠٨/١) ، كحالة (٤١/١) .
- ٩ الجمهرة (ص ٣٨٥) ، الاشتقاق (ص ٢٤٥) ، نهاية الارب (٢٨٥/٢) .
- ١٠ ابن الورد (٩٠/١) ، الاعاني (٤٤/١١ وما بعدها) ، الجمهرة (ص ٣٨٦) .

وأبين بطون جلد بن مالك بن أدد ، أي جلد بن مذحج ، بنو علة بن جلد .
ومن أولاد علة : عمرو ، وعامر ، وحرب تفرعت جملة قبائل أظهرها :
النخع بن عمرو بن علة . وبنو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة . ورهاء
وهو ضبة بن الحارث بن علة ^١ ، وصداء وهم من نسل يزيد بن حرب
ابن علة ^٢ .

وقد تحالفت منبه والحارث والعلاء (العلى) وسيحان (سيحان) (سنجان)
وهفان وشران ، وهم ولد يزيد بن حرب بن علة بن جلد على بني أخيهم صداء
ابن يزيد بن حرب ، فسُموا جَنَبًا ، لأنهم جانبوا عمهم صداء ، وحالفوا
بني عمهم بني سعد العشيرة . ومن جنب ، معاوية الخير الجنبى ، صاحب لواء
مذحج في حرب بني وائل ، وكان مع تغلب ^٣ .

أما صداء ، فحالفت بني الحارث بن كعب . ومن بني منبه ، كان معاوية
ابن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد الذي تزوج بنت مهلهل بن
ربيعة التغلبي ^٤ .

وتنتسب قبيلة النخع الى النخع وهو جسر بن عمرو ^٥ بن علة بن جلد بن

-
- ١ (رهاء بن مبه بن حرب بن علة بن جلد بن مالك) ، ناح العروس (١٦١/١٠) ،
لسان العرب (٦٣/١٩) ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، نهاية الارب (٢٨٦/٢) ،
كحالة (٤٤٨/٢) .
 - ٢ الانباه (ص ١١٦ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٣٧ ، ٢٤٢) .
 - ٣ خلاصة الكلام (ص ٥٥) ، ابن الوردي (٩٠/١) ، الاشتقاق (ص ١٣٠) ، صبح
الاعشى (٣٢٦/١) ، كحالة (٢١٠/١) ، تاج العروس (١٩٢/١) ، أبو الفداء
(١٠٨/١) .
 - ٤ الجهمرة (ص ٣٨٨) ، الاشتقاق (ص ٢٤٢) ، تاج العروس (٨٨/١) ، القاموس
(٢٠/١) ، نهاية الارب (٢٨٦/٢) .
 - ٥ (ولد عمرو بن علة كعبا ، وعامرا ، وجسرا وهو النخع) ، الجهمرة (ص ٣٨٩) .
وبعد اسطر من هذا النسب ، وفي باب (وهؤلاء بنو جسر أخيه ، وهو النخع بن
عامر) جاءت هذه الاسطر (ولد النخع بن عامر بن علة ٠٠ الخ) ، فصار والد النخع
عامر في هذا الباب ، بينما هو (عمرو) . ولم يشر (ليفي بروفنسال) الى هذا
الساخس الناشئ من تحريف النساخ ، وفي تحفيقه هفوات من هذا القبيل .
الانباه (ص ١١٦) .

مالك ، وهو منجج^١ . ومن النخع الأشتر النخعي ، واسمه مالك بن الحارث ، صاحب رسول الله ، ثم علي بن أبي طالب . وللنخع بطون عديدة^٢ منها : صُهيبان ، ووهيبيل . وجسر ، وجذيمة ، وقيس ، وحارثة^٣ ، وصلاة ، ورزام ، والأرت ، ومن الأرت بنو عبد المدان وعبد الحجر بن المدان^٤ .

وولد مرة بن أدد رُهمًا ، والحارث . ومن رهم كان الأفغي الذي كان يتحاكم اليه بنجران على رواية ابن حزم^٥ ، أو من رهم ، من طيء على رواية ابن دريد^٦ . أما الحمداني ، فذهب الى انه من رهم بن مرة بن أدد ، أي على نحو ما ذهب ابن حزم اليه^٧ .

وبنو مرة بن أدد ، اخوة طيء ومنجج والأشعرين ، بطون كثيرة تنتهي كلها الى الحارث بن مرة ، مثل خولان ومعاقر ولحم وجذام وعاملة وكندة^٨ . أما خولان ، فيرجع نسبها الى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة ابن أدد . ويسمي النسابون خَوْلان فكلّا (أفكلّا) كذلك^٩ . والخوليون هؤلاء هم خولان أدد ، وعرفوا بخولان العالية أيضاً^{١٠} ، وهم غير خولان بن عمرو ابن الحاف (الحافي) بن قضاة ، أي خولان القضاة ، وهي قبيلة يمانية كذلك في نظر من جعل قضاة من اليانيين^{١١} . وأظن ان هناك صلة بين (فكل)

- ١ منتخبات (ص ١٠٢) ، الاشتقاق (ص ٢٣٧) ، ابن خلدون (٢/٢٥٥) ، نهاية
- الارب (٢/٣٠٢) ، أبو الفداء (١/١٠٨) ، لسان العرب (١٠/٢٢٦) ، القاموس (٣/٨٧) ، المصباح المير (٢/١١٤) ، كحالة (٣/١٨٧٦) .
- ٢ أبو الفداء (١/١٠٣) صبح الاعشى (١/٣٢٧) .
- ٣ جمهرة (ص ٣٨٩) .
- ٤ الاشتقاق (ص ٣٣٧) .
- ٥ جمهرة (ص ٣٩٢) .
- ٦ الاشتقاق (ص ٢١٨) .
- ٧ الاكلیل (٢/١٠) ، (مرهم) ، نهاية الارب (٢/٢٨٦) ، كحالة (٣/١٠٧٧) .
- ٨ ابن خلدون (٢/٢٥٦) ، نهاية الارب (٢/٢٨٦ وما بعدها) .
- ٩ جمهرة (ص ٣٩٢) ، الاشتقاق (ص ٢٢٧) ، ابن خلدون (٢/٢٥٦) ، نهاية الارب (٢/٢٨٧) ، تاج العروس (٦/٦٥٢ ، ٧/٣١٢) ، القاموس (٢/٢٣٢) ، لسان العرب (١٣/٢٤٠) ، صبح الاعشى (١/٣٢٥) ، القاموس (٣/٢٧٢) ، كحالة (١/٣٦٥ وما بعدها) .
- ١٠ الاكلیل (٢/٤٢) .
- ١١ منتخبات (ص ٣٥) ، الاكلیل (١٠/٢٩٣) ، الانباه (ص ١١٥ ، ١٢٠) .

و (أفكل) و (يكل) أو (ركل) المذكور عند بعض الأخباريين ، وقد زعم الهمداني انه شقيق خولان ، وابن الابن الآخر لعمر بن مالك . وقد نشأت هذه الصور للاسم من تحريف النُسخ ، ومن التبليل الذي يحدثه أمثاله للنسابين والباحثين في الأنساب . واما ان يكل أو فكل هو شقيق خولان ، أو انه خولان نفسه ، فأمر لا قيمة له .

ورجح نشوان بن سعيد الحميري كون المراد بـ (خولان العالية) خولان قضاة ، وقد ذكر الرأيين وناقش كل واحد منها ، ثم رجَّح ان خولان العالية هي خولان قضاة^١ .

واسم خولان من الأسماء التي ورد ذكرها في كتابات المسند . ورد اسماً لأرض ، كما ورد اسماً لقبيلة ، هي قبيلة خولان^٢ ويعود تأريخ هذه الكتابات الى ما قبل الميلاد . وتقع أرض خولان في نفس المكان الذي عرف في الإسلام بـ (عرّ خولان) وبأرض خولان^٣ . وقد ذهب (شرنكر) الى ان خولان هي (حولة) إحدى القبائل العربية المذكورة في التوراة^٤ .

وعند ظهور الاسلام ، كانت خولان تتعبد للصنم ، عم أنس (عميأنس) وللصنم يعوق .^٥ وفي السنة العاشرة للهجرة ، وصل وفد منها الى الرسول معلناً له الدخول في الاسلام . وقد اشتركت خولان مع من اشترك من القبائل العربية في الفتوح ، فلعبت دوراً هاماً فيها خاصة في فتوحات مصر .^٦

والى جعفر بن مالك بن الحارث بن مرة يرجع نسب المعافر .^٧ جدّ المعافرين ، ويسمى بالمعافر الأكبر تمييزاً له عن المعافر الأصغر ، وهو ابن حضرموت .^٨

١ منتخبات (ص ٣٥ وما بعدها) .

٢ Halevy 585, Glaser 1076, Glaser 119.

٣ Ency., II, P. 933.

٤ Ency., II, P. 933.

٥ الاصنام (٤٣) . كحاله (٣٦٦/١) .

٦ Ency., II, P. 933.

٧ جمهره (ص ٢٩٣) ، بهانه الارب (٢٨٧/٢) ، كحاله (١١١٥/٣) .

٨ الاكليل (٣/١٠) ، الاشفاق (ص ٢٢٨) ، ابن خلدون (٢٥٦/٢) ، الانباء

(ص ١١٨) .

وقد اشتهرت المعارف بنوع من الثياب سميت باسمهم .^١

ومن ولد عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب ، كان الحارث بن عديّ وهو عاملة ، وعمرو بن عديّ وهو جذام ، ومالك بن عديّ وهو لحم ، وعفير بن عدي وهو والد كندة .^٢ وكلها كما نرى قبائل معروفة شهيرة تنتسب الى القحطانيين . وأما أمهم ، فهي رقاش بنت همدان .^٣

وذكر ابن خلدون ان الحارث بن عديّ والد عاملة ، سمي عاملة باسم أمه عاملة ، وهي من قضاة . وذكر انها كانت في بادية الشام .^٤

وقد يستتج من هذه الصلة بين القبائل الثلاث ، انها كانت حلفاً في الأصل جمع بينها لمصالح مشتركة وظروف متشابهة ألقت بينها على نحو ما رأينا عند قبائل اخرى فصارت نسباً بمرور الايام .^٥ وقد كانت هذه الصلة قوية خاصة بين لحم وجذام ، حيث اقترن اسمها معاً في الغالب ، ولا سيما في الاسلام ، مما يدل على اشتراك المصالح بين القبيلتين .

وكانت عاملة حليفة لكلب ، (وغزت معها الى طيء ، فأسر رجل من عاملة ، اسمه قعيسيس ، عديّ بن حاتم ، فانتزعه منهم شعيب بن مسعود العلّيمي من كلب ، وقال له : ما أنت وأسر الاشراف ؟) ، وأطلقه بغير فداء .^٦ ومن عاملة الشاعر عديّ بن الرقاع .^٧

ويذكر الاخباريون ان بطوناً من عاملة كانت في الحيرة ، كما ان بعضاً منها كانت خاضعة للزباء .^٨ واذا صح زعم الاخباريين هذا ، فانه يدل على قدم

١ (المعارفة) منتخبات (ص ٧٣) .

٢ حمهرة (ص ٣٩٤) .

٣ الاكليل (٤/١٠) .

٤ ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، (عاملة) ، ناج العروس (٣٥/٨) ، الفاموس (٢٢/٤) ، نهاية الارب (٢٨٧/٢) ، صبح الاعشى (٣٣٥/١) وما بعدها .

٥ Ency., III. P. 11.

٦ حمهرة (ص ٣٩٤) .

٧ منتخبات (ص ٧٧) ، حمهرة (ص ٣٩٤) .

٨ Ency., I, P. 327.

وجود هذه القبيلة في بلاد الشام والعراق ، ولكننا لا نجد لها ذكراً مثل أكثر القبائل الأخرى في كتب (الكلاسيكيين) .

وكانت منازلها عند ظهور الاسلام في المنطقة الجنوبية الشرقية للبحر الميت . وقد اشتركت مع القبائل العربية الأخرى التي ساعدت الروم ، وانضمت الى جانب (هرقل) (Heraclius) ، ولكن اسمها لم يرد كثيراً في اخبار فتوح المسلمين لبلاد الشام ، وانما كان من الاسماء المعروفة في ايام الامويين . وتدل اقامتها في هذه البلاد منذ ايام الجاهلية على ان صلتها ببلاد الشام كانت اقوى وأمتن من صلتها بالعراق .

وصنم عاملة هو الأقيصر ، وكان في مشارف الشام ، يحجون اليه ، ويحلقون رؤوسهم عنده .^١

وولد جذام : وهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة^٢ والد قبيلة جذام الشهيرة من الولد حراما ، و (جُشَم) .^٣ ومن بني حرام غطفان وأقصى ، وهما ابنا (سعد بن اياس بن أقصى بن حرام بن جذام) . وذكر ابن حزم : ان روح بن زنباع ، وهو من بني أقصى ، اراد ان يرد نسب جذام الى مضر ، فيقال جذام بن أسدة اخي كنانة وأسد ابني خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فعارضه في ذلك نائل بن قيس .^٤

ومن بطون جذام : (بنو ضبيب ، وبنو مخزومة ، وبنو بعجة ، وبنو نفائة ، وديارهم حوالي ايلة من اول اعمال الحجاز الى ينبع من اطراف يثرب . وكانت لهم رئاسة في معان وما حولها من ارض الشام لبني النافرة من نفائة ، ثم لفروة ابن عمرو بن النافرة . وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب . وهو الذي بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه ، وأهدى

١ كحالة (٧١٤/٢) .

٢ منتخبات (ص ١٩) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) . ناج العروس (٣٢٣/٨) ، لسان العرب (٣٥٦/١٤) ، أبو الفداء (١٠٩/١) ، نهايه الارب (٣٠٣/٢) ، صبح الاعشى (٣٣٠/١) ، الصحاح (٢٦٩/٢) ، كحالة (١٧٤/١) .

٣ (جشم) ، جمهرة (ص ٣٩٥) ، وهو في الاشتقاق (ص ٢٢٥) (حشم) .

٤ جمهرة (ص ٣٩٥ وما بعدها) Ency., I, P. 1058

له بغلة بيضاء وسمع بذلك قيصر ، فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان ، فأخذه وصلبه بفلسطين)^١ .

أما لحم ، الأخ الآخر لعاملة وجذام ، فولد بجزيلة ونمارة ، وولد نمارة عدياً ، وهو عَمَمٌ وحبيب وجذيمة ، وهم العباد ، وغيرهم . وولد حبيب ، هانئاً ، ومن نسله تميم الداري صاحب رسول الله ، ومن نمارة عمرو بن رزين ابن لحسم ، ومن ولده قصير الوارد اسمه في قصة الزبَاء ، ومن نسل عَمَم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عَم بن نمارة ابن لحم ، رهط آل المنذر ملوك الحيرة^٢ .

ويظهر ان اللخمين كانوا أقدم جماعة في هذا الحلف ، وقد كانوا قبل الاسلام في بلاد الشام والعراق وفي البادية العاصلة بينها وفي مواضع متعددة من فلسطين . ومنهم كما رأينا كان آل لحم ملوك الحيرة . ولا يستبعد ان يكون ظهور هذه القبيلة على أثر تصدع حكومة تدمر . حيث مكن هذا التصدع رؤساء القبائل الكبرى من الظهور . وقد كان اللخميون على النصرانية مثل الغساسنة في الشام^٣ .

ويدل القصص المروي عن أصل لحم ، وانحدارها من صلب ابراهيم ، على قدم هذه القبيلة في نظر أهل الأخبار . ومما جاء في هذا القصص ان أحد بني لحم هو الذي أخرج يوسف من البئر^٤ . وقد لعب اللخميون دوراً هاماً كما رأينا في سياسة البادية وفي مقدرات عرب الشام والعراق .

وفي الاسلام صارت كلمة (لحسم) تطلق على جذام . ويدل ذلك على الصلات الوثيقة التي ربطت بين القبيلتين . ثم قل استعمال كلمة (لحسم) ولحمي ، بالعباس الى جذام . حتى صارت لحم تعني في الغالب الأمراء اللخمين .

١ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٢ حميرة (٣٩٦ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٢٥) ، صبح الاعشى (٣٣٤/١ وما بعدها)
لسان العرب (١٢/١٦) ، ناح العروس (١٢٦/٤) ، الصحاح (٣٣٣/٢) ، كحالة
(١٠١٢/٣) .

٣ Ency , III, P. 11.

٤ Ency., III, P. 11

وشقيق لحم هو غفير بن عديّ والد ثور ، وهو كندة جدّ قبيلة كندة الشهيرة . وولد كندة معاوية بن كندة ، وأشرس ، وأمها هي رملة بنت أسد ابن ربيعة بن نزار^١ . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معدّ . وقد نسب بعض النسابين كندة الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن غفير بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان^٢ ، وقد ولد هذا النسب من نسب آخر جعل اسم ولد غفير (كندي) ، ثم ساقوا النسب على هذا النحو الى ان وصلوا الى ثور بن مرتع ، فقالوا : إنه هو كندة وانه شقيق مالك وهو الصدف ، وقيس^٣ .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة ، ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر بن ثور بن مرتع بن معاوية^٤ أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان .

ومن ولد أشرس : السكون والسكاسك^٥ ، ومن السكون بنو عديّ وبنو سعد وأمها من منحج اسمها تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منحج ،

١ جمهرة (ص ٣٩٩) ، الاكلیل (٤/١٠) . (كندة ، واسمه ثور بن غفير بن عديّ ابن الحارث بن مرة بن أدد بن شجب بن عريب بن زيد كهلان بن سبأ . هذا قول ابن الكلبي . وقال ابن هشام : كندي ونفال كندة بن ثور بن مرتع . وقال ابن اسحاق : كندة هو ثور بن مرتع . وقال الزبير . ثور بن مرتع بن كندة من ولد معاوية الاصغر (الانباء (ص ١١٤) ، الاشتقاق (ص ٢١٨) ، تاريخ ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، تاج العروس (٤٣/١ ، ٢٨٧/٢) ، لسان العرب (٣٨٦/٣) ، صبح الاعشى (٣٢٨/١) ، نهاية الارب (٣٠٣/٢) ، الروض الانف (٣٤٥/٢) ، كحالة (٩٩٨/٣) وما بعدها .

٢ منتخبات (ص ٩٤) . (كندة بن غفر بن الحارث . من ولد زيد بن كهلان) ، خلاصة الكلام (ص ٥٥) وما بعدها .

٣ الاكلیل (٥/١٠) .

٤ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٥ الانباء (ص ١١٥) . (السكاسك . نسل حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عمر من بطونها : خدش ، صعب ، ضام ، والاحدر) ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (١٤١/٧) ، كحاله (٥٢٧/٢) .

ولذلك عرفوا بـ (نجيب)^١ .

وكان أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل في أيام الرسول من السكون ، وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون انه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان^٢ .

وأما الصدف ، فهو عقب مالك بن أشرس على رواية . وقد نسب الى كندة ، كما نسب الى حضرموت . ونسبه بعض النسابين الى حمير . فمن نسبه الى كندة ، قال : الصدف هو : عمرو بن مالك بن أشرس بن شبيب بن السكون ابن أشرس بن ثور وهو كندة^٣ ، أو عمرو بن مالك بن أشرس أخي السكون ابن أشرس . ومن نسبه الى حضرموت ، قال : الصدف ، هو الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر^٤ . وقد قال عنه بعض الأخباريين : انه مالك بن الصباح ، أخو أبرهة بن الصباح^٥ . وأبرهة بن الصباح هو عربي في نظر أكثر الأخباريين . ولم يعرفوا انهم يقصدون به أبرهة الحبشي ، صاحب حملة القيل . ومن نسبه الى حمير قال : الصدف هم من نسل : الصدف ابن عمرو بن ديسع بن السبب بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر^٦ . أو : الصدف بن سهلة بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن

١ (نجيب . قال الزبير وعيره : نجيب امرأة . وهي ابنة ثوبان بن سليم بن رها بن مذحج . نسب البها ولدها . وولدها عمر بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد . وعمر بن عدي ، هو عم خولان ، يجمعهم الحارث بن مرة بن أدد . ولدت نجيب في السكون من كندة ، فهم أشراف السكون) ، الانباء (ص ١١٥) . ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، نهاية الارب (٣٠٤/٢) ، الاشنقاق (٢٢١) ، كحالة (٥٢٨/٢) وما بعدها .

٢ جمهرة (ص ٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٣ كحاله (٦٣٧/٢) ، نهاية الارب (٣٠٤/٢) ، لسان العرب (٩٠/١١) .

٤ الجمهرة (ص ٤٣١) .

٥ الانباء (ص ١١٤) ، نهاية الارب (٣٠٤/٢) ، لسان العرب (٩٠/١١) ، كحاله (٦٣٧/٢) .

٦ منتخبات (ص ٥٩) ، (الصدف بن مرثع ، والصدف من حمير هذا قول الهمداني . وعمره نقول . جميع الصدف من حمير) ، الهمداني : مشبهه (ص ٤٠) ، (الصدف بالضم ابن عمرو بن الغوث بن حيدان . الصدف بن ديسع : الصدف بالفتح وهو مالك بن مريع أخو كندة في قول الهمداني . وفي قول غيره : الصدف من حمير) ، الهمداني : مشبهه (ص ٣٢) .

عبد شمس بن وائل بن الغوث بن هميسع بن حمير^١ .

واختلاف أهل الأنساب ، وأهل الأخبار في نسب الصدف ، دليل على اختلاط هذه القبيلة ببطون كندة وحمير وحضرموت . ودخول بطونها فيها ، وانتسابها الى البطون التي دخلت فيها ، ويؤدي ذلك في الغالب كما رأينا الى اختلاط الأنساب .

١ كحالة (٦٣٧/٢) .

الفصل السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

القبائل العدنانية

أوجزت الكلام في الفصل المتقدم على القبائل القحطانية ، أي القبائل التي يرجع نسبها الى اليمن ، وفي هذا الفصل سأحاول الكلام على قبائل القسم الثاني من العرب ، اي قبائل العدنانيين ، مقتصرأ في الغالب على ذكر القبائل الكبرى ، سالكأ ما سلكته في الفصل المتقدم من طريقة أهل الانساب في ترتيب القبائل .

وجدت قبائل هذا الفصل عدنان من سلسلة تنتهي باسماعيل بن ابراهيم الخليل ، جد الاسماعيليين . وهو مثل قحطان شخصية لا نعرف من امرها شيئاً ، ولا من خبرها غير هذا الذي يقصته علينا الاخباريون . وهو على حد قولهم من معاصري الملك مجتصر ملك بابل (٦٠٤ - ٥٦١ ق.م) الذي اوحى الله اليه على لسان (برخيا بن احنيا بن زريابل بن سلتيل) ان يغزو العرب في ايام ابنه معد بن عدنان على حد قول الاخباريين ^١ .

ويزعم الاخباريون انهم وجدوا في كتب (برخيا) هذا نسب عدنان ، وأنه كان معروفاً عند اهل الكتاب وعلمائهم ، مثبتاً في اسفارهم . واستشهدوا على نسبه بشعر لأمية بن ابى الصلت ^٢ . فمن ذرية عدنان اذن ، تفرعت هذه القبائل التي سأحدث عنها في هذا الفصل .

١ الطبرى (٢٩١/١) .

٢ الانباه (ص ٤٧) .

وقد بخل الاخباريون على عدنان ، فلم يمنحوه من الولد غير ولدين ، هما : معد ، والحارث وهو عك^١ . وأمها : منهاد بنت لهم بن جليد بن طسم .^٢ وقد بخلوا عليه بأسماء نسائه ايضاً على ما يظهر ، اذ لم يذكروا لنا اسم زوجة اخرى له . ولا ندري نحن ، وقد عشنا بعدهم بقرون ، سرّ هذا البخل الشنيع . ومن نسل هذين الولدين تفرعت قبائل عدنان ، فأولد معد نزاراً ،^٣ وأضاف بعض النسابين قضاة اليه . وأمها معانة بنت جوشم بن جهلمة بن عامر بن عوف ابن عديّ بن دُب بن جرهم .^٤ وقد اشرت الى اختلاف النسابين في نسب قضاة وارجاع بعضهم اياه الى معدّ وبعضهم الى قحطان ، والى محاولة كل فريق جرهم اليه ، لعوامل سياسية بحثة وان اكتسبت صبغة نسب وأصل وحسب ، فالموضوع هو تكتل وتحزب وتنافس . وقضاة كتلة من القبائل كبيرة ، لذلك كان لاجتماعها الى احد المعسكرين السياسيين المتطاحين اهمية عظيمة في سياسة ذلك العهد ، لذلك نجد نسباً في كل فريق يحاولون جهدهم اثبات نسب قضاة في فريقهم ، حريصين على نفي نسبتها الى الفريق المعارض ، واخراجها منها ، وتفنيد حجج الخصوم . هذا ابو عبد الله الزيري (١٥٦ - ٢٣٦ هـ) وهو قرشي ، ومعدود من مشاهير النسابين ، يذكر نسب قضاة فيقول : « وقد انتسبت قضاة الى حمير ، فقالوا : قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وأمه عُبَيرة ، امرأة من سبأ ، خلف عليها معد ، فولدت قضاة على فراش معدّ ، وزوّروا في ذلك شعراً فقالوا :

يا ايها الداعي ادعنا وأبشر ولكن قضاة لا تَنَزَّرْ
قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر

- ١ وقد منح ابن الكلبي خمسة أولاد . هم . (معد ، والدبت ، وأبى ، والعبي ، وعدبد . فولد الدبت : الحارث ، وهو عك . فولد عك بن الدبت : الساهد وصحارا . وهو غالب .) جمهرة النسب (ورقة ٣) .
- ٢ أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزيري : كتاب نسب قریش بحقيق (ليبي بروفسال) (ص ٥) . (وقد قل . عك بن الدبت بن عدنان) ، جمهره (ص ٨) ، وأمه مهد بنت اللهم بن حلهب من حدبس) ، جمهره النسب (ورقة ٣) .
- ٣ طرفه الاصحاب (ص ٥٧) ، سبائك الذهب (ص ٢٠) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) .
- ٤ نسب قریش (ص ٥) .

قال : وأشعار قضاة في الجاهلية ، وبعد الجاهلية ، تدلّ على ان نسبهم في معدّ ١ .

وجعل ابن حزم لمعدّ خمسة اولاد ، هم : نزار بن معدّ ، واياذ بن معدّ ، وقنص بن معدّ ، وعبيد الرماح بن معدّ ، والضحاك بن معدّ . وذكر ان من الاخباريين من يزعم ان ملوك الحيرة من الماذرة هم من ولد قنص ، وأن عبيد الرماح دخاوا في بني مالك بن كنانة ، وأن الضحاك بن معدّ هو الذي اغار على بني اسرائيل في اربعين من تهامة ٢ . ونسب ابن الكلبي لمعدّ جملة اولاد آخرين ٣ .

ويذكر بعض الاخباريين ان الامارة بعد معدّ على العرب كانت الى قنص بعد ابيه ، فأراد اخراج اخيه نزار من الحرم ، فأخرجه اهل مكة ، وقدّموا عليه نزاراً ٤ .

وقد ولد لنزار مضر واياذ ، وأمهما ، خبيّة بنت عك بن عدنان ، وربيعة وأثمار ، وأمهما حُدالة بنت وعلان بن جوشم بن جهلمة بن عامر بن عوف بن عديّ بن دُبّ بن جرهم ، فهما ليسا صريحيين في نظر التسابيين كمضر واياذ ، لأنهما ليسا مثلها من أب عدناناني وأم عدنانية . ومن التسابيين من قال : ان (ربيعة ومضر الصريحيان من ولد اسماعيل) ٥ ، فلم يجعل اياذاً بذلك من العدنانيين الصريحيين .

وفي رواية الاخباريين ان نزاراً حينما شعر بدنوّ اجله قسم ما عنده على اولاده ، فجعل لربيعة الفرس ، ولمضر القبة الحمراء ، ولأثمار الحمار ، ولإياذ الحلمة والعصا . ثم تخاصموا بعد ذلك ، واتفقوا على التحكيم ، فحكّم بينهما أفعى نجران ٦ .

١ نسب قريش (ص ٥) .

٢ جمهرة (ص ٨) .

٣ جمهره النسب (ورقة ٣ وما بعدها) .

٤ ابن خلدون (٣٠٠/٢) .

٥ نسب قريش (ص ٦) ، (ولد نزار بن معدّ مضر واياذا ، وأمهما سودة بنت عك ابن الديث بن عدنان . وربيعة ، وأثمارا ، وأمهما الحُدالة بنت وعلان بن جوشم بن جهلمة بن عمرو بن هلبنية بن دوة) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) ، سبائك الذهب (ص ٢٠) .

٦ ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، نهاية العرب (٣١٠/٢) .

ولم يجزم ابن حزم في نسبة انمار نزار ، فبعد أن ذكر مضر وريعة وايداً ، وهم ولد نزار ، قال : (وقيل : أنمار) ، ثم قال : (وذكروا أن خثعماً وبجيلة من ولد أنمار)^١ . أما ابو عبدالله المصعب بن عبدالله مصعب الزبيري ، فأثبت نسب أنمار في نزار ، وذكر ان من أنمار بجيلة (انتسبوا الى اليمن ، الا من كان منهم بالشام والمغرب ، فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار)^٢ .

ويظهر ان نسابي خثعم وبجيلة يأبون انتسابهم الى أنمار ، اذ ذكروا ذلك ، ويرون ان اراش بن عمرو تزوج ابنة أنمار ، وهي سلامة ، فولدت له ولداً سمي أنمار بن اراش . ويذكر النسابون انه لم يشتهر احد من ولد أنمار^٣ . ومعنى هذا ان هذه القبيلة ، كان قد ضعف حالها ودابت في غيرها ، لذلك لم يذكر لها النسابون شيئاً من البطون .

وقد نسب (الزبيري) خثعماً الى اقبل (اقل) بن أنمار بن نزار ، وذكر ان خثعماً هم اسم جبل تحالفوا عليه ، (فنسبوا اليه ، وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار بن نزار . واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين مضر حرب ، كانت خثعم مع اليمن على مضر) . كذلك نسب خزيمه ، وهو يشكر الى أنمار^٤ .

وكان ايداد على رواية الاخباريين اكبر اولاد معد^٥ ، واليه يرجع نسب كل ايادي . وأولد ايداد زهراً ودعياً ونغارة ، ومن نسلهم تفرعت سائر اياد^٦ .

وقد ارتحلت اياد عن منازلها الأصلية ، بسبب الحروب ، فذهب قسم كبير منها الى العراق حيث نزلوا في الانبار وفي عين أباغ وسنداد وتكريت وبطن اياد وباعجة وأماكن أخرى ، وذهب قسم آخر منهم الى البحرين حيث انضموا الى قضاعة ، كما سكن قسم منهم في بلاد الشام^٧ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | جمهرة (ص ٩) . |
| ٢ | نسب قريش (ص ٧) . |
| ٣ | سبائك الذهب (ص ٢٠) . |
| ٤ | نسب قريش (ص ٧) . |
| ٥ | خلاصه (ص ٥٨) . |
| ٦ | جمهره (ص ٣٠٨) ، بهانه الارب (٣١٠ / ٢) (طبعة الكتب المصرية) ، صبح الأعشى (٣٣٦ / ١) (طبعة دار الكتب المصرية) . |
| ٧ | الأغامي (٩٣ / ١٥) ، Ency., II, P. 565. |

ويروي الاخباريون ان اياداً الذين كانوا اختاروا الإقامة في البحرين وهجر بعد تركهم مواطنهم القديمة في تهامة اضطروا الى ترك مواطنهم الثانية والهجرة منها الى العراق على اثر قدوم بني عبيد القيس وشن بن اقصى ومن معهم مهاجرين من منازلهم الى هجر والبحرين ، فان هؤلاء القادمين الجدد لما بلغوا هجر والبحرين ضاموا من وجدوهم بها من اياد والازد ، ثم أجلت عبد القيس اياداً عن تلك البلاد ، فساروا نحو العراق ، وتبعتهن شن بن اقصى ، فعطفت عليهم اياد واقتلوا معهم حتى كاد القوم يتفانون ، وقد بادت بسبب ذلك قبائل من شن^١ .

اما منازل اياد القديمة ، فكانت تهامة مع ابناء انمار ما بين حد ارض مضر الى حد نجران وما والاها وصاحبها من البلاد^٢ . ثم فارقت انمار اخوتها ربيعة ومضر واياداً ، فكثرت اياد وزاد عددها وكثرت قبائلها ، فأخذت تعتدي على ابناء ربيعة ومضر ، فوقعت بينها وبينهم من جراء بغيتها هذا حروب ، واجتمعت مضر وربيعة عليها ، ثم تحاربوا في موضع من ديارهم يسمى (خانقاً) وهو لكثانة ، فغلبت اياد ، وطعنت من منازلها ، وافترقت عن اخوتها ، وتفرقت على رأي بعض الاخباريين ثلاث فرق : (فرقة مع اسد بن خزيمه بلذي طوى ، وفرقة لحقت بعين اباغ . وأقبل الجمهور حتى نزلوا بتاحية سنداد . ثم انفقوا ، فكانوا يعبدون ذا الكعبات : بيتا بسنداد - وعبدتها بكر بن وائل بعدهم - فانتشروا فيما بين سنداد وكاظمة ، والى بارق والخورنق وما يليها ، واستطالوا على القرات ، حتى خالطوا ارض الجزيرة ، فكان لهم موضع دير الأغور ودير الجاهم ودير ممرّة ، وكثر من بعين اباغ منهم ، حتى صاروا كالليل كثرة ، وبقيت هناك تعبر على من يليها من أهل البوادي ، وتغزو مع ملوك آل نصر المغازي)^٣ ، وحالها حسن معهم ومع الأكاسرة ، حتى حدث حادث افسد ما بينهم وبين الفرس ، يرجعه الاخباريون الى اعتداء نفر من اياد على نسوة من اشراف الأعاجم ، وذلك في ايام (انو شروان بن قباد) او (كسرى بن هرمز) ، فسار اليهم الفرس ، فالتحزت اياد الى القرات ، وجعلوا يعبرون ابلهم بالقراقر ، ويجوزون القرات . فتبعتهن الأعاجم ، وكان على اياد يومئذ (بياضة

- ١ البكري (١/٨٠ وما بعدها) .
- ٢ البكري (١/١٨) .
- ٣ البكري (١/٦٩ وما بعدها) .

ابن رباح بن طارق الايادي) . فلما انتفى الناس ، ارنجرت (هند بنت بياضة)
شعراً مشهوراً معروفاً ، اوله :

نحن بنات طارق نمشي على المفارق ^١

ثم هجمت اياد على الفرس ، وهزمنها آخر النهار ، وقتلت الجيش الذي كان
يتعقبها ، فلم يفلت منه الا الشريد ، وجمعوا جاجمهم ، فجعلوها كالكوم ،
فسمي ذلك الموضع دير الجاجم ^٢ .

هذه رواية من عدة روايات وردت عن الحرب التي وقعت بين الفرس واياد ،
وهي الرواية الوحيدة التي يرد فيها خبر انتصار اياد على الفرس . اما الروايات
الاخري ، فتقول بانتصار الفرس على اياد . فرواية ابي علي القالي مثلاً عن
رجاله تنص على غزو انوشروان لاياد على اثر اعتداء نفر من اياد على نسوة
الاعاجم ، وتعقيبه لهم ، وقتله خلقاً منهم ، حتى اضطرب بعضهم الى النزول
بتكريت ، وبعضهم ارض الموصل والجزيرة ، عندئذ بعث انوشروان ناساً من
بكر بن وائل مع الفرس ، فنفوهم عن تكريت والموصل الى قرية يقال لها
الحرجية . ثم انتقوا بهم ثانية في هذا الموضع ، فهزمهم الفرس ، وقتلت منهم
كثيراً ، ودفنت اجسادهم بها في مقبرة ذكر صاحب الرواية انها كانت معروفة
بها الى يومه . وسارت البقية حتى نزلت بقرى من ارض الروم ، وسار بعضهم
الى حمص وأطراف الشام . وكان الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان
فيمن سار اليهم من بكر بن وائل مع الأعاجم ، فأجار ناساً من اياد ، كان
فيهم : ابو دواد الايادي ^٣ .

وفي رواية اخري ان اياداً كانت مقربة عند الفرس ، حتى ان كسرى بن
هرمز كان قد اتخذ جماعة منهم امتازوا بحسن الرماية ، فجعلهم رماة عنده ،
وجعلهم مراصد على الطريق فيما بينه وبين القران لئلا يعبره احد عليهم ، الى
ان حدثت حادثة الاعتداء على النسوة ، فعضب كسرى على اياد ، وأرسل جيشاً

١ وهو من الرجز القديم ، نسب الى ساء آخرناب غير هند بنت بياضة ، البكري
(٧٠/١ حاشيه ٢) ، شرح الحماسة للسريزي (٣٥/٢) .

٢ البكري (٧٠/١) .

٣ (جار كجار أبي داود) ، البكري (٧١/١) .

عليهم ، لحقهم وقد عبروا دجلة ، فجتا الاياديون على الركب ، ورموا الفرس رشقاً واحداً . عندئذ امر كسرى بارسال الخيل عليهم ، وأمر (لقيط بن يعمر ابن خارجة بن عَوْبَثَانِ الايادي) ، وكان كاتبه بالعربية وترجمانه ، وكان محبوساً عنده ان يكتب الى من كان من شداد قومه ، فيما بينهم وبين الجزيرة ، ان يقبلوا الى قومهم ، فيجتمعوا ، ليغير على اياد كلهم ، فيقتلهم . فكتب لقيط الى قومه ينذرهم كسرى ، ويحذرهم آياه في جملة قصائد رواها الاخباريون ^١ ، فهربت اياد وأمر كسرى الخيل ، فأحدثت بهم وبالذين بقوا من خلف الفرات . ثم وضعوا فيهم السيوف ، ومن غرق منهم بللاء اكثر ممن قتل بالسيف . ولا بلغ كسرى شعر لقيط قتله ^٢ .

اما من هرب من اياد الى الشام ، ومن كان قد هاجر اليها ، فقد دان للغساسنة ، وتنصر كأكثر عرب الروم ، ولحق اكثرهم بلاد الروم فيمن دخلها مع جبلة بن الايهم من غسان وقضاة ولحم وجذام ^٣ .

ولدينا رواية اخرى في اسباب تسمية موضع دير الجاجم بهذا الاسم ، تشير الى حدوث معركة بين الفرس واياد ، وقتل اياد لقوم من الفرس ، ولكنها حادثة اخرى غير الحادثة المتقدمة على ما يظهر ، يرويها ابن الكلبي ، خلاصتها : ان رجلاً من اياد اسمه بلاد الرماح او بلال الرماح ، وهو انبت بن محرز الايادي ، قتل قوماً من الفرس ، ونصب رؤوسهم عند الدير ، فسمي دير الجاجم . ولم تذكر هذه الرواية زمن حدوث هذا القتل ، وهل كان قبل اجلاء اياد عن العراق او بعده كما جاء في الروايات السابقة ؟ وهل كان هذا انتقاماً من الفرس بعد ما فعلوه بإياد ؟ غير ان هناك رواية اخرى يرويها ابن الكلبي ايضاً تشير بوضوح الى ان فتك اياد بالفرس في موضع دير الجاجم انما كان بعد نقي كسرى اياهم الى الشام وقتكه بهم ، اي ان هذا الفتك كان عملاً انتقامياً من الفرس ، لما فعلوه بإياد . يقول ابن الكلبي : (كان كسرى قد قتل اياداً ، ونفاهم الى الشام ، فأقبلت ألف فارس منهم حتى نزلوا السواد ، فجاء رجل منهم وأخبر كسرى

١ منها :

سلام في الصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من إياد

البكري (٧٢/١) وما بعدها .

٢ البكري (٧٣/١) .

٣ البكري (٧٥/١) ، الأعاني (٢٣/٢) وما بعدها ، كحاله (٥٣/١) .

بخبرهم ، فأنفذ اليهم مقدار ألف وأربع مئة فارس ليقتلوهم ، فقال لهم ذلك الرجل الواشي : انزلوا قريباً حتى أعلم لكم علمهم . فرجع الى قومه وأخبرهم ، فأقبلوا حتى وقعوا بالأساورة ، فقتلوهم عن آخرهم ، وجعلوا جاجهم قبة . وبلغ كسرى خبرهم ، فخرج في اهليهم ليكون . فلما رأهم ، اغتم لهم ، وأمر ان يني عايهم دير سمي دير الجاجم)^١ . وهذه الرواية عن فتك اباد بالفرس ، هي اقرب الى المنطق من الرواية الاولى التي ذكرتها عن النزاع بين كسرى وايااد .

على ان هناك اخباراً اخرى ذكرها الاخباريون في تحليل اسم موضع (دير الجاجم) لا تشير اشارةً ما الى هذا الاصطدام بين الفرس وايااد ، انما اشار بعضها الى حرب وقعت بين ايااد وبين بني نهد في هذا المكان ، قتل فيها خلق من ايااد وقضاة ، ودفنوا هناك ، فسمي الموضع بهذا الاسم ، كما نسبت الحرب الى قبائل اخرى لم يرد بينها اسم ايااد^٢ .

وفي رواية الاخباريين عن فتك كسرى بإيااد ، ونفيه اياهم الى الشام ، مبالغة كبيرة ولا شك . فاننا نجدهم انفسهم يذكرون ايااداً مع الفرس تحارب في معركة (ذي قار) ، ثم يذكرون انها اتفقت سراً مع بكر على ان تتخذ الفرس يوم اللقاء . وقد خذلتهم بالفعل ، اذ ولت منهزمة ساعة اشتداد القتال فانهمزمت الفرس^٣ . ثم تراهم يذكرون ايااداً في اخبار الفتوح ، فيروون انها حاربت تحت امرة (بهران ابن بهران جوبين) المسلمين ، اي انها كانت تحارب مع الفرس في العراق^٤ . وأن صلاتهم كانت حسنة بهم . وهذا يناقض ما زعموه عن نفي الفرس لهم عن العراق . ولم تكن ايااد من القبائل العربية النصرانية التي مالت الى تأييد المسلمين ، ففي الفتوحات الاسلامية للعراق كانوا مع الفرس على المسلمين وإن ساعدهم قسم منهم بالاتفاق معهم سراً ، كما حدث في فتح تكريت . وفي الشام انضم قسم منهم الى (هرقل) (Heraclius) في محاولاته اليائسة التي قام بها للاحتفاظ ببلاد الشام ولاستخلاص ما استولى عليه المسلمون من تلك البقاع . ولما حلت الهزائم بالروم ، فضل قسم منهم الهجرة الى بلاد الروم والاقامة فيها . وقد كان ذلك عن عاطفة دينية ولا شك .^٥ غير ان هذا لا يعني ان جمهرة ايااد كانت كلها مع الروم .

١ البلدان (١٣١/٣) .

٢ البلدان (١٣١/٤) .

٣ الطبري (٢٥٣/٢) وما بعدها .

٤ Ency., II, P. 566.

٥ Ency., II, P. 566.

ذكرت ان من المواضع التي كانت لإياد في العراق ، موضع سنداد . ويفهم من روايات الأخباريين عنه ، انه قصر ونهر ومنازل نزلت بها إياد حين مجيئها الى العراق ، وانه كان في الأصل اسم حاكم فارسي كان قد عين على هذه المنطقة ، فأقام بها مدة طويلة ، وبنى أبنية كثيرة من جملتها القصر الذي ذكر في شعر ينسب الى الأسود بن يعفر النهشلي ، جاء فيه :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

وانه أيضاً اسم قصر كانت العرب تحجج اليه ^١ ، هو الذي قصده الهمداني بقوله : (وكانوا يعبدون بيتاً يسمى ذا الكعبات ، والكعبات حروف الترابيع) ^٢ . ويظهر من روايات الأخباريين عن هذا القصر انه كان من القصور الضخمة المعروفة . يظهر انه كان مربع الشكل ، أو ذا مربعات ولذلك عرف بـ (الكعبات) ، وبـ (ذي الكعبات) . وذكر أيضاً انه كان لربيعه ، وانها كانت تطوف حوله حيث قالوا : (الكعبات ، بيت كان لربيعه ، كانوا يطوفون به) ^٣ .

ويظهر من أقوال الأخباريين وجود عدة بيوت كانت على هيئة كعبات في جزيرة العرب لعبادة الأصنام ، تحجج القبائل اليها وتطوف حولها ، سأتحدث عنها في الجزء الخاص بالحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام ، ومنها بيت كان بـ (أحد) على رواية ، أو على مقربة من شداد (سنداد) على رواية ابن دريد ، أو على شاطئ الفرات على رواية تنسب الى ابن الكلبي عرف بـ (السعيدة) كانت ربيعة تحججه في الجاهلية ^٤ ، وأظنهم يقصدون هذا البيت بيت سنداد .

أما مضر ^٥ ، فولد الياس والناس ، ويعرف أيضاً بعيّلان ، وأمهما الخنفاء

- ١ البلدان ١٤٩/٥ وما بعدها ، (والبيت ذي الكعبات من سنداد) ، اللسان (٢١٣/٢) . ناج العروس (٤٥٧/١) ، الأصنام (ص ٤٥) .
- ٢ الصفة (ص ١٧١) (طبعة القاهرة ١٩٥٣ ، بعناية محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي) .
- ٣ ناج العروس (٤٥٧/١) ، اللسان (٢١٣/٢) ، (وكان لربيعه بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات وقيل ذا الكعبات) .
- ٤ ناج العروس (٣٧٨/٢) ، لسان العرب (١٩٩/٤) .
- ٥ تاج العروس (٥٤٤/٤) ، جمهرة (٩) ، صبح الأعشى (٣٣٩/١) ، منتخبات (ص ٣٥ ، ٥٥) .

ابنة إِيَاد بن معد^١ ، وسماها ابن حزم (أسمى بنت سود بن أسلم بن الحارث ابن قضاعة)^٢ ، فهي قضاعة على هذا الرأي . وجعل بعض النسابين أم الياس امرأة دعوها الرباب بنت إِيَاد المعدية^٣ ، فهي إذن على هذه النسبة من معد .

ومضر هو شعب في نظر أهل الأنساب ، والشعب في عرفهم أعظم من القبيلة^٤ ، فهو أكبر وحدة اجتماعية سياسية في اصطلاح النسابين . وهو من أعظم شعوب مجموعة عدنان ، ولم يعثر على هذا الاسم في الكتابات الجاهلية ، ولا في مؤلفات الكلاسيكيين . أما اسم معد^٥ ، فقد أشير إليه كما ذكرت سابقاً في بعض مؤلفات الكلاسيكيين . وأما اسم نزار فقد ورد في نص الهارة الذي يرجع عهده الى سنة ٣٢٨ للميلاد . وقد عرف مضر بـ (مصر الحمراء) عند النسابين ، ويقولون انه عرف بذلك (لأن أباه أوصى له من ماله بالذهب) . ويظهر انها كانت قبيلة عظيمة عند ظهور الاسلام ، ثم اندمجت في غيرها من قبائل هذه المجموعة : مجموعة عدنان . حتى تغلبت على مضر تسمية قيس ، أي تسمية أبناء قيس عيلان (قيس بن عيلان) (قيس عيلان) في الاسلام ، فصارت (قيس) تؤدي معنى العدنانية ، واستعملت في مقابل عرب اليمن قاطبة ، فيقال : قيس ويمن^٦ .

وولد لألياس مدركة واسمه عامر ، وعمرو وهو طابخة ، وقعة واسمه عمير ، وأمهم خندف ، واسمها ليلي بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وقد نسبوا الى أهمهم فقييل لهم خندف^٧ . وقد حصر بعض النسابين نسل خندف في مدركة وطابخة ، ولذلك حصروا قبائل مضر في أصلين خندف وقيس عيلان^٨ .

- ١ نسب قريش (ص ٧) ، سبائك الذهب (ص ٢١) .
- ٢ جمهرة (ص ٩) .
- ٣ نهاية الأرب (٢/٣٢٥) .
- ٤ منتخبات (ص ٥٥) .
- ٥ صبح الأعشى (١/٣٢٩) ، وهناك حملة تعاصر لـ (مصر الحمراء) ، نهاية الأرب (٢/٣١٠) .
- ٦ (خندف : فعل ، بكسر الهمزة واللام) منتخبات (ص ٥٥) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) ، وتجد في هذه الورقة تعسر ابن الكلبي على طريقته المألوفة في وضع العنصر عن معنى مدركة وطابخة وقمعه وخندف ، نهاية الأرب (٢/٣٣٠) ، اللسان (خندف) .
- ٧ سبب فريش (ص ٧) ، جمهرة (ص ٩) ، طرفة الأصحاب (ص ٥٧) ، ناج العروس (٣/٥٤٤) ، صبح الأعشى (١/٣٣٩) ، كحاله (٣/١١٠٧) ، منتخبات (ص ٥٥) =

أما مدركة^١ ، فولد له خزيمه ؛ وهذيل . وأمه سلمى بنت أسد بن ربيعة ابن نزار^٢ ، ونسب بعضهم له ولداً آخر هو غالب^٣ . وولد خزيمه كنانة ، وأمه عوانة بنت فيس بن عيلان^٤ ، وأسداً ، وأسدة ، والمهون ، وأمههم يرة بنت مر^٥ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن مضر بن نزار ، وهي أخت تميم ابن مر^٥ . وهذيل قبيلة متسعة ، لها بطون كثيرة^٦ .

وليس السابون على اتفاق بينهم في تعيين أولاد أسدة ، فجعلهم بعضهم جذاماً ولحماً وعاملة ، ونسب هؤلاء في اليمن كما أشرت الى ذلك في أنساب قبائل قحطان على رأي أكثر النسابين^٧ .

وأما نسل المهون^٨ فهم : عضل^٩ ، وديث^{١٠} ، ويعرفون

= قال العجاج :

لا فح إن لم نور سارا بهجر ذات سني يوقدها من افتحر
من شاهد الأمصار من حيي مضر

بغني فيسا وخندف . وقال جرير :

إذا أخذت فبس علك وخندف نأقطارها لم ندر من حيث تسرح
المبرد (ص ١ وما بعدها) .

- ١ صبح الأعشى (١/٣٤٨) ، ابن خلدون (٢/٣١٩) .
- ٢ نسب قرش (ص ٨) ، وهي (سلمى بنت أسلم بن الحاف بن فضاة) ، في جمهرة النسب (ورقة ٤) .
- ٣ جمهرة (ص ٩) ، وأضاف ابن الكلبي ، اليهم (غالبا) و (سعدا) و (فيسا) ، وأمههم (ليلى بنت السيد ؟ بن الحاف بن فضاة) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .
- ٤ (ويعال : هند بنت عمرو بن فيس عيلان) ، جمهرة النسب (ورقة ٤) .
- ٥ نسب قرش (ص ٨) ، جمهرة (ص ٩) ، (وعبد الله) ، جمهرة النسب (ورقة ٣) .
- ٦ صبح الأعشى (١/٣٤٩) .
- ٧ نسب قرش (ص ٨ وما بعدها) . (وأسدة . فجدام ، ننسب الى أسدة) ، جمهرة (ص ٩) جمهرة النسب (ورقة ٤) .
- ٨ (المهون بن حزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر) ، نهاية الأرب (٢/٣٩٤) ، صبح الأعشى (١/٣٤٩) ، لسان (١٧/٢٣١) ، كحالة (٣/١٢٣٥) ، أبو الفداء (١/١٠٧) .
- ٩ صبح الأعشى (١/٣٤٩) ، لسان العرب (١٣/٤٨٠) ، الصحاح للجوهري (٢/٢١٥) ، كحالة (٢/٧٨٧) .
- ١٠ (الديش بن مليح بن المهون) ، صبح الأعشى (١/٣٤٩) ، ناج العروس (٧/٣١٦) ، (الديش بن المهون . وهو أخو عضل . ويقال لهاتين العبلتين ، وهما : عضل والديش العارة) أبو العداء (١/١٠٧) .

بالقارة^١ ، وهم بنو بيشع بن مليح بن الهون^٢ . على حد قول بعض النسابين ويطنان من خزاعة هما الحيا والمصطلق ، حلفاء لبني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . ويعرفون على حد قولهم بالأحايش : أحايش قريش . لأن قريشاً حالفت بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة على بكر بن عبد مناة ، فهم حلفاء قريش^٣ .

وأولاد كنانة ، هم : النضر ، وهو أكبر أولاده وبه يكنى ، ومالك (مالكا) ، وملكان ، ومليك وغزوان ، وعمر ، وعامر ، وأهم برّة بنت مرّ أخت تميم بن مرّ^٤ ، وهي نفسها زوج خزيمة والد كنانة ، تزوجها كنانة بعد وفاة أبيه . وكانت العادة في الجاهلية ان يتزوج الولد البكر زوجة أبيه بعد وفاته إذا لم تكن أمه ، وان يرث خيار ماله ، وهو زواج معه الاسلام . ويعرف هذا الزواج بزواج المقت^٥ .

وكانت لكنانة زوج أخرى ، هي هالة بنت سويد بن الغطريف ، ويقصدون بالغطريف حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت ، وقد ولدت له 'حدال وسعداً وعوفاً ومجربة . وقد ترك هؤلاء الأولاد ذرية ، فكان من سل حدان جماعة أقامت بعدن أبين ، وكان من نسل مجربة بنو ساعدة^٦ .

أما زوج كنانة الثالثة ، فكانت الذفراء : واسمها فكيهة . وهي بنت هني ابن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قصاعة . وقد ولدت له : عبد ماة^٧ .

- ١ جمهرة (ص ١٧٩) ، ناج العروس (٣/٥١٠) ، لسان العرب (٦/٤٣٦) ، الاباء (ص ٧٣) ، كحالة (٣/٩٣٥) .
- ٢ جمهرة (١٧٩) .
- ٣ (فأما الهون بن خزيمة ، فهم عضل ، ودش ، والفارة ، بنو سنع بن الهون ، وهم ، ويطنان من خزاعة يقال لها الحيا والمصطلق ، حلفاء لبني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهم كلهم يقال لهم . الأحاشش أحايش قرش) ، نسب فرس (ص ٩) .
- ٤ نسب قريش (ص ١٠) ، (وبنو عبد ماة) ، الجمهرة (ص ٤٣٤) ، وأضاف ابن الكلبي اليهم أولادا آخرين ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
- ٥ نسب قريش (ص ١٠) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) ، بلوه الأرب (٢/٥٢ وما بعدها) .
- ٦ نسب قريش (ص ١٠) .
- ٧ نسب قريش (ص ١٠) .

وولد النضر ، وهو قريش على بعض الآراء^١ مالكا على رأي أكثر النسابين ، وأضاف بعضهم اليه ولدين آخرين ، هما : يخلد الصلت ، وأمهم عكرشة بنت عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلا^٢ . ومن يخلد قريش بن بدر بن يخلد بن النضر ، وكان دليل قريش في التجارة في الجاهلية ، وبه سميت قريش على رأي بعض النسابين ، وباسم بدر والده دعي بدر^٣ ، وإلى الصلت بن النضر ينسب بنو مليح^٤ (ملح)^٥ ، على رأي ، بينما يعدون من خزاعة في رأي آخر^٦ .

أما ولد مالك ، فهو فهر ، وهو قريش ، وأمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن عضاض بن جرهم^٧ ، فهي جرمية على هذا النسب . وبه سميت قريش قريشاً على رأي أكثرية أهل الأخبار . ولهذا يقال لهم بنو فهر^٨ . وللأخباريين روايات عديدة في معنى قريش^٩ .

وولد فهر غالباً والحارث ومحارباً وجندلة ، وأمهم ليلى بنت الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل بن مدركة^{١٠} ، وولد غالب بن فهر لؤياً وتمياً وهو الأدرم ، وأمهما عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة^{١١} ، وقيس بن غالب وقد انقرض نسله^{١٢} .

- ١ المبرد (ص ٢) .
- ٢ نسب قريش (ص ١١) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
- ٣ الجمهرة (ص ١٠) ، البلدان (٨٨/٢) ، البكري (٢٣١/١) . (تحقيق السقا) .
- ٤ نسب قريش (ص ١١) .
- ٥ الجمهرة (ص ١١) .
- ٦ الجمهرة (ص ١١) ، نسب قريش (ص ١١) .
- ٧ نسب قريش (ص ٢٢) ، الجمهرة (ص ١١) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
- ٨ قال الحطيفة :
- وإن النفي أعطيتهم أو معنهم لكالتمر أو أحلى لحلف بني فهر
- المبرد (ص ٢) .
- ٩ راجع كتب اللغة مادة (قريش) ، نهاية الأرب (٢/٣٣٣) ، القاموس (٢/٢٨٤) ، الصحاح (١/٤٩٥) .
- ١٠ نسب قريش (ص ١٢) وما بعدها ، وأضاف ابن الكلبي أولادا آخرين اليه ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
- ١١ نسب قريش (ص ١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٥) .
- ١٢ جمهرة (ص ١١) .

ومن ولد لؤي كعب وعامر ، وهما البطاح ، وسامة ومن نسله بنو ناجية ، وخزيمة وهم عائدة ، وقد نزلوا في بني أبي ربيعة من شيبان ، والحارث وهو جشم ، وهم في همدان ، وأمهم مارية بنت كعب بن القين بن جسر بن شيع الله ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وسعد ابن لؤي وهم بنانة ، وقد نزلوا في بني شيبان ، وأمه يسرة بنت غالب بن الهون بن خزيمة^١ ، وعوف بن لؤي وقد دخل نسله في بني ذبيان بن غطفان ابن قيس عيلان ، وهم بنو مرة بن عوف بن ذبيان رهط الحارث بن ظالم المري . وقد دخل أكثر هؤلاء الأبناء في غيرهم . ولذلك أدخلهم النسّابون فيمن دخلوا فيهم ، وعدلوا نسل كعب وعامر الصرحاء من ولد لؤي وحده^٢ .

وولد كعب مرة^٣ ، وهصيصاً^٤ ، وأمهما وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وعديّ وأمّه حبيبة بنت بحالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر^٥ ، وولد مرة كلاباً ، وأمّه هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، وسرير والد هند هو أول من نسا الشهور ، ثم نساها القلمس ابن أخيه من بعده واسمه عديّ بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة . ثم صار النسيء في ولده ، وكان آخرهم جنادة بن عوف . وولد أيضاً تيم بن مرة ويقظة بن مرة ، وأمهما بنت سعد ، وهو بارق بن حارثة بن عمرو بن عامر . جد قبيلة بازق^٦ ، ومن عديّ بن كعب عمر بن الخطاب وريد^٧ .

أما كلاب ، فكان له من الولد قصيّ وزهرة . ومن نسل قصي : عبد مناف وعبد الدار وعبد الغزي^٨ . وقد تحدثت سابقاً عن قصيّ منظم قريش .

- ١ سبب قرش (ص ١٣) ، ويجد في هذا الكتاب بعض الاختلاف عما ورد في جمهرة النسب (ورقة ٥ وما بعدها) .
- ٢ جمهرة (ص ١١) .
- ٣ ابن خلدون (٣٢٦/٢) ، صبح الأعشى (٣٥٤/١) ، العاموس (١٣٣/٢) ، لسان العرب (٣٢٦/٢) ، تاج العروس (٥٣٩/٣) .
- ٤ نهاية الأرب (٣٥٥/٢) ، كحالة (١٢١٩/٣) .
- ٥ نسب قريش (ص ١٣) ، الجمهرة (ص ١٢ وما بعدها) ، جمهرة النسب (ورقة ٦) .
- ٦ نسب قريش (ص ١٣ وما بعدها) .
- ٧ المبرد (ص ٣) .
- ٨ نسب قريش (ص ١٤) ، الجمهرة (ص ١٢) ، جمهرة النسب (ورقة ٦) .

فولد عبد مناف بن قصي^١ : عمراً وهو هاشم ، والمطلب وهو عبد شمس ونوفلاً^٢ . وأم هاشم وعبد شمس والمطلب عاتكة بنت مرة بن هلال بن قالح بن ذكوان السلمية ، وأم نوفل واقدة م بي مازن بن صعصعة السلمية ، خلف عليها هاشم بن عبد مناف بعد أبيه ، فولدت له ابنتين خالدة وضعينة^٣ . ومن بطون كلاب بنو رهرة^٤ ، ومن بطون نيم^٥ بن مرة أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان سيد قريش في الجاهلية ، ومن بطون يقظة بن مرة بنو مخزوم ، ومنهم خالد بن الوليد^٦ .

ومن نسل هصيص بن كعب ، بنو جمح . وهم ولد جمح بن عمرو بن هصيص^٧ ، وبو سهم بن عمرو بن هصيص^٨ . ومن بني سهم ، عمرو ابن العاص^٩ .

وقد وقعت حرب بين بني جمح وبني محارب بن فهر في موضع عرف بردم بني جمح بمكة ، قتلت فيه بنو محارب بني جمح أشد القتل ، فعرف ذلك الموضع بالردم ، بما ردم عليه من القتلى يومئذ^{١٠} . وكان أمية بن خلف على بني جمح في حرب الفجار^{١١} .

-
- ١ الجهمرة (ص ١٢) .
 - ٢ (بنو رهرة بن كلاب) ، ناج العروس (٢٤٨/٣) ، أبو العداء (١١٤/١) ، نهاية الأرب (٣٥٧/٢) ، حمهرة (١١٩ وما بعدها) .
 - ٣ (نيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر) ، نهاية الأرب (٣٥٧/٢) ، أبو العداء (١١٣/١) ، صبح الأعشى (٣٥٤/١) ، كحالة (١٣٨/١) .
 - ٤ المبرد (ص ٣) ، الاشتقاق (ص ٦١ ، ٨٨) ، (بنو بفظه بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر) ، نهاية الأرب (٣٥٦/٢) ، ابن خلدون (٣٢٦/٢) ، أبو العداء (١١٣/١) ، صبح الأعشى (٣٥٤/١ ، ٣٥٥) ، (بنو محروم بن بظفة) حمهرة (١٣١ وما بعدها) ، لسان العرب (٦٨/١٥) ، الاشتقاق (٦٠) ، تاج العروس (٢٦٣/٦) ، (٢٧٦/٨) ، الانباه (١٧) ، كحالة (١٠٥٨/٣) .
 - ٥ الجهمرة (ص ١٥٠) ، تاج العروس (١٣٣/٢) ، صبح الأعشى (٣٥٣/١) ، نهاية الأرب (٣٥٦/٢) ، الانباه (ص ٧١) ، كحالة (٢٠٢/١) وما بعدها) .
 - ٦ الجهمرة (ص ١٥٤ وما بعدها) .
 - ٧ المبرد (ص ٣) ، أبو العداء (١١٣/١) ، العاموس (١٣٤/٤) ، الانباه (٧١) ، نهاية الأرب (٣٥٦/٢) ، تاج العروس (٣٥٢/٨) ، كحالة (٥٦٠/٢) .
 - ٨ السكري (٦٤٩/٢) (تحقيق السفا) ، أبو العداء (١١٣/١) .
 - ٩ الأغاني (٧٧/١٩) .

أما نسل ربيعة بن نزار ، فهم أسد وضيعة^١ . ويضاف اليها أكلب^٢ على بعض الروايات . ومن نسل هؤلاء تفرعت قبائل ربيعة . فمن أسد كانت جدية وعترة وعمير^٣ . ومن بني عترة بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة . ومن بني جعلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة . ومن بني الحارث بن الدؤل بن صباح بن عتيك بن أسلم . كان إذا مصر ثوية مصرت عترة معه . وعرف من بني هزان آل ضور بن رزاح بن مالك بن سعد بن وائل بن هزان ، والحارث بن رزاح أخو ضور بن رزاح وهو الذي يقال انه الحارث بن لؤي بن غالب الذي يسمى بجشماً ، وجشم كان عبداً لأبيه ، حضنه فسمى به^٤ .

وتعد عترة^٥ من القبائل العربية الكبيرة ، وهي لا تزال من القبائل البارزة في الزمن الحاضر ، ولها بطون عديدة في الحجاز ونجد وبادية الشام والشام . أما تأريخها قبل الاسلام ، فهو مثل تواريخ القبائل الأخرى من حيث الغموض . وقد كانت تتعبد في الجاهلية لمحرق ولسعير^٦ .

وأما ولد ضيعة^٧ ، فهم أحس^٨ والحارث . ومن بني أحس الشاعر المسيب ، وهو زهير بن علس ، والحارث الأضجم بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن سيد

١ ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، نسب ربيعة بن مصر بن عدنان . وهو ربيعة بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان ، طرفة الأصحاب (ص ٦٢) ، سبائك الذهب (ص ٥٣) ، لسان العرب (٤٦٩/٩) ، صبح الأعشى (٣٣٧/١) ، (٣٣٩) ، نهاية الأرب (٣٢٨/٢) ، لسان العرب (٣٩/٤) ، الاشتقاق (١٩٤) ، كحالة (٢٢٤/١) ، (٦٦٣/٢) ، ناه العروس (٤٢٧/٥) .

٢ جمهرة (ص ٢٧٥) ، نهابة الأرب (٣١٠/٢) ، (٣٢٨) .

٣ نهاية الأرب (٣٢٨/٢) ، الاشتقاق (١٩٤) .

٤ جمهرة (ص ٢٧٦ وما بعدها) .

٥ ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، نهابة الأرب (٣٢٨/٢) ، الاشتقاق (ص ١٩٤ ، ٢٠٢) ، لسان العرب (٢٥١/٧) ، جمهرة (٢٧٧) ، ناه العروس (٦٢/٣) ، الغاموس (١٨٤/٢) ، كحالة (٨٤٦/٢) وما بعدها .

٦ Ency, I, P 346

٧ الاشتقاق (ص ١٩٠) ، ابن خلدون (٣٠٠/١) ، نهاية الأرب (٣٢٨/٢) صبح الأعشى (٣٣٩/١) ، ناه العروس (٤٢٧/٥) ، كحالة (٦٦٣/٢) .

٨ الاشتقاق (ص ١٩٠) ، كحالة (١٠/١) .

ربيعة الذي نشبت بسبب مقتله حرب بين بني ربيعة ، والمتلمس الشاعر . ومن بني أحمر أيضاً بنو الكلبة ، وهم أولاد مرة بن مازن بن أوس بن زيد بن أحمر بن صبيعة . ومنهم الحُلَيْس وابن المسيب^١ .

أما جديلة^٢ ، وهو جدّ جديلة ، فولد دُعميّا^٣ وجدياً^٤ . وقد دخل بنوه في بني شيان ، ودار (جدانا)^٥ ، وقد دخل نسله في بني زهير بن جشم من بني المر بن قاسط . وولد غير ذلك في بعض الروايات^٦ . وولد دُعمي أفصى^٧ ، وولد أفصى هنبساً وعبد القيس وجشماً ودخل بنوه في عبد القيس ، وناسما ، ودخل بنوه في بني تغلب^٨ .

ومن نسل عبد القيس بن أفصى ، شن^٩ ولكيز^{١٠} . ومن ولد لكيز وديعة وهو جدّ بطن ، وصباح ، وهم بطن كذلك ونكرة ، ومن بطون وديعة عمرو ، وغنم ، ودهن ، ومن عمرو بن وديعة مالك وثعلبة وعائدة وسعد وعوف والحارث ، ومن الحارث ، ابن أنمار بن عمرو بن وديعة الراجم ، وهم عبد شمس وعمرو وحيّ بني معاوية بن ثعلبة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن ربيعة ، وهؤلاء

-
- ١ حمرة (ص ٢٧٥ وما بعدها) .
 - ٢ الاشتقاق (١٩٦) ، ابن خلدون (٣٠٠/٢) ، نهاية الأرب (٣١١/٢) ، كحالة (١٧٣/١) ، (حدبله بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المنناة تحت وفتح اللام ، وهاء في الآخر ، والنسبة اليهم جدلي) ، صبح الأعشى (٣٢٧/١) .
 - ٣ (دُعمي) ، لسان العرب (٩٢/١٥) ، الفاموس (١١٢/٤) ، ناج العروس (٢٩١/٨) ، نهانه الأرب (٣١١/٢) .
 - ٤ حمرة (٢٧٨) .
 - ٥ (دار) حمرة (٢٧٨) ، (جدان بن حدبله بن أسد بن ربيعة) ، ناج العروس (٣١٦/٢ ، ١٦٠/٩) ، كحالة (١٧٠/١) ، حمرة (ص ٢٧٨) ، سبائك الذهب (ص ٥٣) ، المبرد (١٨) .
 - ٦ سبائك الذهب (ص ٥٣) .
 - ٧ نهاية الأرب (٣٢٩/٢) .
 - ٨ حمرة (ص ٢٧٨) ، سبائك الذهب (٥٣) .
 - ٩ (شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار) ، الاشتقاق (ص ١٩٦) ، ناج العروس (٢٥٦/٩) ، لسان العرب (١٧/١٠٩) ، الصحاح للجوهري (٣٨٧/٢) ، حمرة (٢٨٢) ، سبائك الذهب (ص ٥٤) .
 - ١٠ سبائك الذهب (ص ٥٤) ، الاشتقاق (١٩٦) ، لسان العرب (٢٧٢/٧) .

البراجم هم غير براجم تميم^١ ، والجارود وقد كانت له صحبة بالرسول وولى أولاده منازل رفيعة في الاسلام^٢ .

ومن نسل عجل بن عمرو بن وداعة بن لكيز . ذهل وذاهل ، ومن بني ذهل ليث وثعلبة ، وهما ابنا حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو . ومن ليت بن حداد ، بنو ذهل بن ليث ، ومنهم جيفر بن عبيد عمرو بن خولي^٣ ابن همام بن الفاتك^٤ ، ومن نسل عمرو بن وداعة بنو محارب^٥ ، ومنهم الحطم بن محارب ، واليه تنسب الدروع الحطمية ، وبني الدليل بن عمرو بن وداعة^٦ ، ومن نسل وداعة بن لكيز بنو دهن وبني غم . ومنهم الدليل ومازن^٧ .

واشتهر من ولد نكرة بن لكيز ، الشاعر المثقب ، والشاعر الآخر الممزق ، وهو شأس ، والمفضل بن معشر بن أسجم وهو شاعر كذلك^٨ .

أما شن بن أفصى ، فكان من نسله يزيد بن شن ، يذكر أهل الأخبار انه أول من ثقف القنا بالخط ، وعدي^٩ ، والدليل . ومنهم عمرو بن الجعيد بن صبرة بن الدليل بن شن بن أفصى بن عبد القيس ، وهو الذي ساق عبد القيس من تهامة الى البحرين ، وعرف بالأفكل^{١٠} ، وكان سيد ربيعة في الجاهلية ، وكان ذا بغى ، فسارت اليه بنو عصر ، فقتلوه . ومن بني عمرو رثاب بن البراء ، وكان على دين المسيح^{١١} .

ومواطن بني عبد القيس بتهامة في الأصل ، ثم ارتحلت عنها بسبب الحروب التي وقعت بين أبناء ربيعة ، فذهبت الى البحرين ، فتغلبت على من كان قد

-
- ١ الأغاني (٢٠٩/١) .
 - ٢ الجهمرة (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، المرد (١٨) ، الاصابة (١٠٤٢) ، الاشتقاق (١٩٧) ، المعارف (١١٥) .
 - ٣ جهمرة (ص ٢٨٠) .
 - ٤ الصفة (١٣٢) ، كحالة (١٠٤٣/٣) .
 - ٥ الصحاح (١٨٦/٢) ، لسان العرب (٢٤٩/١٣) .
 - ٦ جهمرة (ص ٢٨٠ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٥٤) .
 - ٧ جهمرة (٢٨٢) ، شيعو : شعراء النصرانية (القسم الثالث : فى شعراء نكر بن وائل من بني عدنان - ص ٤٠٠ وما بعدها) .
 - ٨ جهمرة (ص ٢٨٢) ، الاشتقاق (ص ١٩٧) .
 - ٩ الاشعاف (ص ١٩٧) .

سكن قبلهم بها من اباد ومن بكر بن وائل وتيم . واقتسمتها بينهم ، فترلت جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن اعمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز الخط وأفساءها ، ونزلت شن افضى طرفها وأدناها الى العراق ، ونزلت نكرة بن لكيز القطيف وما حوله والشفار والظهران الى الرمل وما بين هجر الى قطر وبينونة ، ونزلت عامر بن الحارث بن اعمار بن عمرو بن وديعة والعمور ، وهم بنو الدّيل ابن عمرو ، ومخارب بن عمرو ، وعجل بن عمرو الجوف والعيون والاحساء ، ودخلت قبائل منهم جوف عُمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم ^١ . وقد بقيت بنو عبد القيس في هذه المواضع محتفظة بها عند ظهور الاسلام .

ويظن ان (Aboukarun) ، وهو اسم قبيلة وموضع ذكر في جغرافية (بطليموس) هو (عبد القيس) ^٢ . ولم يتحدث (الكلاسيكيون) شأنهم في أكثر ما كتبه عن بلاد العرب بشيء عن هذه القبيلة . ولكن الاخباريين يروون ان عرب بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة غزوا السواحل المقابلة لهم من ارض ايران ، وذلك لضيق معاشهم ، وللضنك الذي حلّ بهم في عهد سابور ذي الاكتاف (سابور الثاني) متهزين فرصة اضطراب الأمن في تلك البلاد وضعف الحكومة بسبب صغر سن الملك . فلما كبر الملك واشتد ، جمع جموعه وسار بها على الغازين ، فقتل بهم ، وأسر منهم خلقاً كثيراً ، ثم عبر البحر (فورد الخط واستقرى بلاد البحرين ، يقتل اهلها ولا يقبل فداء . ولا يعرج عن غنيمة ، ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها ناس من اعراب تيم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأقشى فيهم القتل) (ثم عطف على بلاد عبد القيس ، فأباد اهلها) ثم سار الى اليمامة ، فقتل بها مقتلة كبيرة ، ولم يمر في طريقه بماء الا غوره ، ولا جب من جبابهم الا طمة ، حتى وصل قرب المدينة ، فقتل من وجد هناك من العرب ، وأسر . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبي وطمّ مياههم ، ثم أسكن من

١ البكري (١/٨٠ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣٠٠) ، نهاية الأرب (٢/٣٢٩) ،
الاشنفاق (ص ١٩٦) ، صبح الأعشى (١/٣٣٧) ، القاموس (٢/٢٤٤) ، (٣٨٧) ،
لسان العرب (٨/٧٢ ، ٣٩٨) ، الأغاني (١٣/٥٦ ، ١٤/٤٤ ، ١٠٣ وما بعدها) ،
كحاله (٢/٧٢٦ وما بعدها) .

بني تغلب من البحرين دارين واسمها هيج والخط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر ، ومن كان من بكر بن وائل كرمان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرميلة من بلاد الاهواز ^١ .

وهم يذكرون ايضاً ان عرب الشام قد تأثروا بما فعله سابور بهم ، فانفقوا مع الروم ، وانتقموا منه . ولكن سابور بعد انتصاره على الروم ، عاد فاتبع سياسة استرضاء العرب ، فاستصلحهم ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والاهواز ^٢ . وهذه الرواية الثانية هي ، ولا شك الجزء الاخير من حديثهم عن حملة سابور على بلاد العرب ، اخذها الطبري أو المورد الذي اعتمد عليه من مورد كان قد جزأ الكلام ، فصار الحديث الواحد حديثين اثنين . ونجد ذلك واضحاً وضوحاً تاماً في اتفاق العبارات بين الروایتين ، ثم ان الاسكان الاجباري في ارض ما ليس نوعاً من الاستصلاح والاسترضاء .

وفي حديث الاخباريين عن حملة سابور على بلاد العرب ووصوله الى مقربة من المدينة وعن تنكيله بالعرب وحرقة المدن وطمه المياه ، مبالغات كبيرة ولا شك ، اخذت من موارد فارسية بولغ فيها ، وليس في روايات المؤرخين الروم عن هذا الحادث ما يؤيد هذا الزعم .

وكان والي البحرين عند ظهور الاسلام ، المنذر بن ساوى ، وهو من بني تميم ، يحكمها باسم الفرس على حدّ رواية الاخباريين ، وقد ارسل اليه الرسول رسولاً عنه يدعوه وقومه من بني عبد القيس الى الاسلام . وكان رسول رسول الله هو العلاء بن الحضرمي . فلما اتاه العلاء يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام أو الجزية ، اسلم المنذر ، وأسلم جميع العرب بالبحرين ^٣ . وقد اوفدوا وفداً عنهم الى الرسول برئاسة المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر بن عمرو بن عوف بن جزيمة بن عوف بن اثمار بن عمرو بن وديعة بن بكر ، فاتصل بالرسول ، وصارت له صحبة ومكانة منه . ووفد منهم الى الرسول ايضاً الجارود وهو (بشر

١ الطبري (٢/٦٦ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/٧٠) .

٣ ابن الأثير (٢/٨٦ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢ بقية الجزء الثاني ص ٢٦) ، المحبر (ص ٢٦٥) .

ابن عمرو بن خناش) ، وثعلبة أخو عوف بن جذيمة ، وقيدا في بني عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوى . وكان نصرانياً فأسلم .

وكان بين بني عبد القيس وسكان البحرين والعربية الشرقية بصورة عامة جماعة على دين يهود ، وجماعة أخرى على دين المجوس ، وجماعة على دين النصارى . وقد صالح من قرر البقاء في دينه العلاء بن الحضرمي والمنذر بن ساوى على الجزية ^١ .

وينسب الى ابي عبيدة معمر بن المثنى كتاب في اخبار بني عبد القيس ، اسمه (كتاب خبر عبد القيس) والى علاء الشعبي كتاب اسمه (مشالب عبد القيس) ، كذلك ينسب الى المدائني كتاب اسمه (كتاب اشراف عبد القيس) ^٢ .

ومن ولد هنب بن أفصى ^٣ قاسط بن هنب ^٤ ، وهو والد وائل بن قاسط ^٥ ، والنمر ^٦ ومن بني النمر تيم الله وأوس مائة وعبد مائة وقاسط ، ومن بني تيم الله ابن النمر عامر الضحيان ، وقد ساد ربيعة اربعين عاماً وأخذ منها المربع وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط . وأبو حوط الحظائر ابن جابر ، والد جابر الخير ، اخو المنذر بن ماء السماء لأمه ^٧ .

ومن رجال بني النمر بن قاسط سنان بن مالك ، وكان على الأبله ، استعمله كسرى عليها . وهو والد صهيب من اصحاب الرسول . وقد عرف (صهيب) بصهيب الرومي . وذكر ابن خلدون انه ينسب الى الروم ^٨ ، فهل عني بذلك

١ ابن الأثير (٨٩/٢) .

٢ Ency. I, P. 46

٣ ناج العروس (٥١٨/١) ، لسان العرب (٢٨٧/٢) ، نهاية الأرب (٣٢٩/٢) ، ابن خلدون (٣٠١/١٢) ، كحالة (١٢٢٩/٣) .

٤ لسان العرب (٢٥٥/٩) ، الاشعاق (٢٠٢) .

٥ نهاية الأرب (٣٣٠/٢) ، الاشعاق (٢٠٢) ، لسان العرب (٢٤٥/١٤) ، العاموس (٦٣/٤) ، كحالة (١٢٤٤/٣) ، ابن خلدون (٣٠١/٢) .

٦ جمهرة (٢٨٣) ، القاموس (١٤٩/٢) ، لسان العرب (٩٥/٧) ، ناج العروس (٥٨٦/٣) ، صبح الأعشى (٣٣٨/١) ، كحالة (١١٩٣/٣) .

٧ جمهرة (ص ٢٨٣ وما بعدها) .

٨ جمهرة (ص ٢٨٣ وما بعدها) .

ان امه من الروم ، او ان اجداده من اصل رومي ، عدّوا من النمر بن قاسط ؟
ومن اشهر ديار النمر بن قاسط رأس العين (رأس)^١ .

وقد كانت النمر بن قاسط في جملة القبائل العدنانية الاخرى التي خضعت لحكم
كندة ، ويذكر الاخباريون في تعليل ذلك ان الحارث بن ابي شمر الغساني لما قتل
عمرو بن حجر (ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عوف بن محلم
ابن ذهل بن شيان . ونزل الحيرة . فلما تفاسدت القبائل من نزار ، أتاها اشرافهم ،
فقالوا : انا في دينك ، ونحن نخاف ان نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا
بنيك ، يتزلون فينا ، فيكفون بعضنا عن بعض . ففرق ولده في قبائل العرب ،
فهلك ابنه حُجراً على بني اسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب
على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرباب ،
وملك ابنه معديكرب ، وهو غلفاء ، على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن
زيد مناة وطوائف من بني دارم بن مالك بن حنظلة والصنائع ، وهو بو رُقِيّة
قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ،
وملك ابنه سلمى على قيس)^٢ . فكانت هذه القبيلة اذن في جملة القبائل العدنانية
التي جمع شتاتها تاج كندة . وليس في رواية الاخباريين هذه غرابة ، فقد رأينا
امراً القيس يحكم قبله قبائل عديدة ، ويفرض تاجه عليها ، ثم يوزّع ابنائه على
تلك القبائل . ولكن هذا التوحيد لا يدوم في العادة امدأ طويلاً ، انما يتوقف
على حكمة الحكام ، وعلى حسن تصرفهم ، وعلى قوتهم وقدرتهم ، وسلطة ذات
يدهم . فاذا ظهر ضعف على الحاكم او الحكام ، او حدث حادث ، يتبين منه
للقبائل الخاضعة ان من خضعت له لم يعد قوياً متمكناً ، ثارت عليه ثم لا يلبث
ذلك البناء ان ينهار .

اما نسل وائل بن قاسط ، فهم بكر ودار ، وهو تغلب ، وعبد الله ،
وهو عتر ، والشخص^٣ ، وقد دخل نسله في بني تغلب ، والحارث وقد دخل
في بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل . امهم كلهم همد

١ ابن خلدون (٣٠١/٢) .

٢ الأغانى (٨١/٩) وما بعدها) .

٣ الجهمرة (٢٨٥) .

بنت مُرّة بن طابخة بن الياس بن عامر^١

وولد تغلب بن وائل غنماً ، والأوس ، وعمران . ومن ولد غنم عمرو ووائل
ومن ولد وائل شيبان ولودان ، ومن ولد عمرو بن غنم بن تغلب حبيب ومعاوية
وزيد ، ومن نسل حبيب بكر وجشم ومالك ، ومن جشم بن بكر بن حبيب بن
عمرو بن غنم بن تغلب كان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وبنوه : عبد الله والأسود ،
وهما شاعران كذلك ، وعباد ، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس . وكان من
بني جشم مُرّة بن كلثوم ، وهو فارس من فرسان الجاهلية ، وكان أخاً لعمرو
ابن كلثوم ، وأبو حنس عاصم بن النعمان بن مالك بن عتاب وهو ابن عم عمرو
ابن كلثوم ، وعاصم هذا هو قاتل شرحبيل بن الحارث الملك آكل المرار
يوم الكلاب^٢ .

ومن بني الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، كليب ، ومهلل ،
وعديّ ، وسلمة بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ، ومن نسل مهلل
ليلي وهي أم عمرو بن كلثوم ، ومن نسل كليب هجرس بن كليب^٣ .

تغلب :

وتغلب من القبائل العربية الكبيرة التي ورد اسمها كثيراً في مؤلفات الاخباريين
والمؤرخين ولها ايام مع القبائل الاخرى ، وهي مثل سائر القبائل العدنانية الاخرى
مهاجرة على عرف النسابين ، تركت ديارها وارتحلت الى الشمال ، فسكنت في
العراق وفي بادية الشام ، واتصلت منازلها بالغساسنة والمناذرة والروم والفرس .
وكانت غاليتهما على النصرانية عند ظهور الاسلام .

١ الجهمرة (ص ٢٨٧) ، المبرد (١٧) .

٢ الجهمرة (ص ٢٨٧) .

٣ (تغلب بن وائل بن فاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة
ابن نزار) ، لسان العرب (١٤٥/٢) ، ناج العسروس (٢٣١/١) ، الاشعاع
(ص ٢٠٢) ، العاموس (١١٣/١) ، الصراح (٨٨/١) ، نهاية الأرب (٣١٦/٢) .

وينسب النسابون تغلب الى جدّ أعلى زعموا ان اسمه (تغلب) ، وهو (تغلب) ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار)^١ .

وقد عرفت هذه القبيلة بـ (الغلباء)^٢ . وهو نعت يدل على فخر القبيلة بنفسها وعلى تباهاها على غيرها من القبائل . وقد ذكر بعض أهل الأخبار عنها قوله : (لو أبطأ الاسلام قليلاً ، لأكل بنو تغلب الناس)^٣ . تعبيراً عن قوتها وكثرتها وأهميتها إذ ذاك بين القبائل .

وقيل في اسمها تغلب بنت وائل بالتأنيث ، ذهاباً الى القبيلة ، كما قالوا : تميم بنت مرّ . جاء في شعر الفرزدق :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل ورد العدو عليك كل مكان^٤

وقد كانت لرؤساء تغلب الرئاسة على قبائل ربيعة ، كما صار لها اللواء . أي رئاسة الحرب . فمن يحمل اللواء تكون له الرئاسة في الحرب^٥ .

ويرى أهل الأخبار ان قبيلة تغلب مثل سائر قبائل ربيعة كانت تسكن في الأصل في تهامة ، ثم انتشرت فترلت الحجاز ونجد والبحرين ، فلما تحاربت مع (بكر بن وائل) ، زحفت نحو الشمال حتى بلغت أطراف الجزيرة ، فسكن قوم منها جهات سنجار ونصيبين ، حتى عرفت تلك الديار بـ (ديار ربيعة)^٦ . وديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ونصيبين و (دنيسر) والخابور ، وما

١ لسان العرب (١٤٥/٢) ، ساج العروس (٢٣١/١) ، الاشعاق (ص ٢٠٢) ، العاموس (١١٣/١) ، الصحاح (٨٨/١) ، نهاية الأرب (٣١٦/٢) ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حرم (٢٨٦) .

٢ فلاند الجمان في التعريف بعبائل عرب الزمان ، للعلفشندي (ص ١٣٠) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للعلفشندي (ص ٢٨٧) .

٣ شرح العصائد العشر ، للبربري (ص ٢٨٣) (الهاجرة ١٩٦٢ م) ، الصراية (١٢٥) ، شرح السريري لمعلقة عمرو بن كلثوم (١٠٨) ، (طبعة لابل) ، الصراية (١٢٥) .

٤ العلفشندي ، نهاية الأرب (١٨٦) .

٥ اس الأثير ، الكامل (٣١٢/١) .

٦ نهاية الأرب (١٧٠) ، فلاند الجمان (١٣٢) ، سبائك الذهب (٥٢) .

بين هذه من المدن والقرى . وجمعت هذه الديار بين (ديار بكر) و (ديار ربيعة) وسميت كلها ب (ديار ربيعة)^١ . وقد انتشرت بطون تغلب في الثرثار ، بين سنجار وتكرت^٢ .

ويروي أهل الأخبار ان أول من نزل بطون تغلب في الجزيرة الفراتية هو : (علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر) وقد قاتل أهل الجزيرة حتى غلبهم ، وأنزل قومه بها . ويؤيدون رأيهم هذا بما جاء في معلقة (عمرو بن كلثوم) :

ورثنا مجدّ علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجدّ دينا^٣

وقد كان شريفاً رئيساً في الجاهلية^٤ .

وقد أدى اتصال تغلب بالروم وبنصارى العراق والجزيرة وبلاد الشام الى دخول قسم منهم في النصرانية كمعظم القبائل التي دخلت العراق وبلاد الشام . وهي من القبائل المنتصرة ومن سكان الحيام^٥ .

وقد تغلب الشاعر (جابر بن حنى التغلي) ، ويقال انه قال في شعر له مخاطباً بهراء :

وقد زعمت بهراء ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى الدم^٦

وهو بيت من قصيدة يفتخر فيها بقومه وبشجاعتهم : ومعنى هذا البيت إن صح ، ان النصارى لم يكونوا أشداء في الحروب ، وانهم لم يكونوا على شاكلة العرب الوثنيين في الطعن والضرب .

ومن ولد تغلب في رأي النسابين : غنم والأوس وعمران . ومن بطون غنم :

١ ابن خلدون (١٠٤/٢) ، صبح الأعشى (٣٣٧/١) ، البلدان (٤٩٤/٢) (بيروت ١٩٥٦م) .

٢ البلدان (٩٢١/١) (طهران) .

٣ جمهرة أشعار العرب (١٢٤) ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٢٩) ، شرح القصائد العشر ، للتبريري (ص ٤١١) .

٤ الاشتقاق (٢٠٣) .

٥ Raccolta, P 142

٦ النصرانية (١٢٦) ، شعراء النصرانية (١٩٠) .

(الأرقام) . وهم جشم ومالك وعمرو وثعلبة والحارث ومعاوية وهم بنو بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب^١ . ومنهم : عمرو بن الحنيس قاتل (الحارث بن ظالم) ، وكان (الأسود بن منذر) ملك الحيرة قد طلب ذلك منه . ومنهم (الهذيل بن هيرة) وكان قد رأس تغلب في الجاهلية^٢ . وكان جراراً للجيش ، أسره يزيد بن حذيفة السعدي^٣ .

ومن (بني تغلب) (السعاح بن خالد) ، واسمه (سلمة) . وكان جراراً للجيش في الجاهلية . وإنما سمي (السفاح) ، لأنه سفح المزاد يوم كاظمة ، وقال لأصحابه : قاتلوا فإنكم ان أهزمتُم مُّتم عطشاً^٤ .

ومن بني غنم : أبو جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . ومنهم الشاعر : عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم ، ومن ولده : عبد الله والأسود ، وهما شاعران سيدان . وعبداد ، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس^٥ .

ومنهم (أبو حنش) ، عاصم بن النعمان بن مالك بن عتاب ، وهو ابن عم عمرو بن كلثوم . وهو قاتل (شرحبيل بن الحارث) الكندي ، وذلك يوم الكلاب^٦ . ومنهم (الفدوكس) الذين منهم (الأنخل)^٧ .

ومن بني جشم بن بكر بن الحارث ، (كليب وائل) ، ذو الصيت الشهير في كتب أهل الأخبار شقيق (مهلهل) . و (كليب وائل) هو (وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير) . وقد ضرب به المثل في العز فقيل (أغز من

١ المبرد ، نسب عدنان وفضطان (ص ١٧) ، المعارف (٣٢) ، الاشتقاق (٢٠٣) ، ابن رشيقي ، العملة (١٥٧) .

٢ الاشتقاق (٣٣٩) .

٣ الاشتقاق (٢٠٣) .

٤ قال الشاعر :

وأخوهما السفاح ظمأ خبله حتى وردن جباء الكلاب بهالا
الاشتقاق (ص ٢٠٣) .

٥ المعارف ، لابن فنييه (ص ٤٣) ، شرح المعلقات ، للنبريزي (ص ٢٨٣) ، حمهرة ابن حرم (ص ٢٨٧) .

٦ ابن حزم ، حمهرة (ص ٢٨٧) .

٧ الاشتقاق (٢٠٤) .

كليب وائل (١) . وكان والده (ربيعة) ، قد قاد مضر وربيعة يوم السلآن الى أهل اليمن ، وأدخله (السكري) في جملة (الجرارين) (٢) .

أما السبب الذي حمل (ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي) على مقارعة قبائل اليمن وحروبها ، فهو شعور أبناء تغلب بوجوب التخلص من نفوذ اليمن عليها ، ومن حكم (زهير بن جباب الكلبي) عليها . فقد زعم أهل الأخبار ان (تغلب) كانت مثل سائر قبائل (معد) خاضعة لنفوذ حكام اليمن ، وقد سئمت من جوار الحكام الذين ينصبهم (التبابعة) عليها ، فظهر رجال فيها عزموا على التخلص من ذلك النفوذ ، وتكوين حلف قوي يكبح جماح اليمن يتألف من قبائل معد . وكان من بين أولئك الرجال (ربيعة بن الحارث ابن زهير) والد (كليب وائل) ، وكانت خطته ضرب اليمن للتخلص من حكم (زهير بن جباب) الذي كان حكام اليمن قد أقاموه على قبائل معد . وجمع قبائل مضر وربيعة تحت زعامة واحدة ، وبذلك تتخلص تلك القبائل من تحكم اليمن في شؤونها ومن دفع الاتاوة لها .

ويذكر أهل الأخبار ان (زهير بن جباب) الكلبي القضاعي ، كان قد ولي أمر (معد) بمساعدة حكام اليمن وتأييدهم له ، ويذكر بعض منهم ان (أبرهة) الحبشي هو الذي نصب زهيراً عليها وأيده وأعانه على معد . وذلك حينما غزا (أبرهة) نجداً وتوسع فيها ، فجاءه (زهير) ليتقرب اليه ، وليعيته على بعض قبائل معد (٣) .

وسار (زهير) في حكم معد ، حتى اشتط وبغى وقسا في جمع الاتاوة ، فضجر الناس منه ، وهاجمه (زبابة) من (بني تيم الله) ، وطعنه طعنة ظن انه قد قضى بها عليه . ولكن زهيراً نجى منها ، فجمع عندئذ قومه ومن كان معهم من قبائل قحطان وغزا بكرةً وتغلب ، فانهزمت بكر ثم تغلب ، وأمر كليب ومهلل ابنا ربيعة ، وجاعة من أشراف تغلب . فتأثرت قبائل ربيعة من هذه الهزيمة ، وعينت (ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي) رئيساً

١ الإشتقاق (٢٠٤) ، ابن الأثير ، الكامل (٢١٤/١) .

٢ المحبر (ص ٢٤٩) .

٣ ابن الأثير ، الكامل (٢٠٥/١) .

عليها ، فحمل ربيعة ومن انقاد اليه على زهير ، واسترجع الأسرى ولكن زهيراً لم يلبث ان عاد الى ما كان عليه من جمع الاتاوة من معدة^١ .

وكليب وائل ، كما يظهر من روايات الأخباريين ، رجل صلب قوي ، ارتفع بجمه بعد يوم (خزازي) (خزاز) الذي أظهر قوة معدة^٢ لما اجتمعت ، فانتخب رئيساً مطاعاً على هذه القبائل ، وأعطى الملك والتاج ، وبقي على ذلك دهرأ ، حتى دخله زهو شديد ، فأخذ يبغي على القبائل ويشط في أخذ الاتاوة منها وفي اتخاذ خيرة الأرض المخصبة ذات المياه الغزيرة مناطق حتى لا يجور لإبل غيره الرعي فيها ، وفي الاستيلاء على مواضع الماء ، حتى ضجرت الناس منه وشمت حكمه وودت لو تمكنت من التخلص من جورهِ وتوسعهُ^٣ .

قال (ابن الكلبي) : لم تجتمع معدة^٤ كلها إلا على ثلاثة من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث : والثاني ربيعة ابن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، وهو قائد معدة^٥ يوم السلان . وهو كما رأينا والد (كليب) . والثالث : كليب بن ربيعة^٦ . ويظهر من ذلك انه ورث رئاسة قومه ورئاسة معدة^٧ من والده ، وانه زاد في قومه وفي مكانته يوم قاوم قبائل اليمن ، وتغلب عليها في (يوم خزاز) ، وكانت معدة^٨ تهاب اليمن ، وتخضع للوكها ، لذلك كان يوم السلان ويوم خزاز ، نصراً معنوياً كبيراً لها ، جرأها على الوقوف أمام اليمن ، وعلى تحديها . وجعلها تشعر بأنها قوة وأن في امكانها صد اليمن لو اتحدت قبائل (معدة^٩) فيما بينها ، ووحدت كلمتها تحت رئاسة رئيس قوي قدير .

ويذكر أهل الأخبار ان معدة^{١٠} اجتمعت كلها تحت رايته ، وجعلت له قسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته ، فغير بذلك حيناً من الدهر ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ،

١ المحبر (ص ٢٤٩) ، العدد العرند (٩٧/٦) (العريان) ، نهاية الأرب (١٥/٤٢٠) وما بعدها) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (٢١٤/١) ، النعائص (٩٠٥ وما بعدها) المبدائي ، الأموال (٢٥٤/١) ، حزانة الأدب (٣٠١/١) وما بعدها) ، المحبر (٢٤٩) ، المعارف (٦٠٥ وما بعدها) (دار الكتب (سنة ١٩٦٠م) .

٣ نهاية الأرب (١٥/٣٩٦) وما بعدها) .

ويقول : وحش أرض كذا في جوارى ، فلا يهاج ، ولا تورد لإبل أحد مع إبله ولا توقد ناره . وكان اذا رأى أرضاً فأعجبه حماها ومنع الناس عنها ، وذلك بأن يطلق جرواً يعوي ، فيكون المكان الذي ينقطع فيه صوت العواء فلا يسمع ، هو حد تلك الأرض . قيل ولذلك عرف بـ (كليب)^١ .

وكان (كليب) قد تزوج (جلييلة بنت مرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة) ، وهي أخت (جسّاس بن مرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة)^٢ . وهي أيضاً من أشرف قومها ، و (ذهل بن شيان) من الأسر المعروفة التي نجسدها لها اسماً بين الجاهليين .

وقد أدت عنجهية (كليب) وخطرتة الى مقتله ، وسبب ذلك على ما يقوله أهل الأخبار ان ناقة كانت للبسوس خالة (جسّاس) ، أو الى (جلييلة أخت جسّاس) على رواية ، أو الى رجل اسمه (سعد الجرمي) واسم الناقة (السراب) كانت قد اختلطت بإبل (كليب) وأخذت ترعى معها ، فلما رآها كليب ، أنكرها واستعظم أمر دخولها المرعى مع إبله ، فرمى ضرعها بسهم فنفرت وهي ترغو . فلما رأت (البسوس) ، أو (جلييلة) أو رأى (سعد الجرمي) الناقة وقد أصيبت بسهم كليب ، عز على صاحبها ذلك ، أو على صاحبته حسب اختلاف الروايات ، وذهب أو ذهبت كل واحدة منها الى (جسّاس) ، صارخاً أو صارخة ، وكل منهم في جواره وعند فناء بيته ، فثار الدم في رأسه ، وأخذته الغزة ، وذهب غاضباً الى (كليب) ومعه (عمرو بن الحارث) فكلماه ، وأظهر جسّاس ما حلّ به من ذل وإهانة برمي (السراب) بالسهم ، فلم يبال بهما ، فطعنه (جسّاس) وضربه (عمرو بن الحارث) ، فقتل كليب^٣ .

وقد أثار مقتل (كليب وائل) هذا حرباً استمرت أربعين سنة على ما يذكره أهل الأخبار عرفت بـ (حرب البسوس) . وهي في الواقع معارك وغزوات

- ١ نهاية الارب (٣٩٦/٥١) ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (٦٥/١ وما بعدها) (طبعة بيروت) ، السويدي ، سبائك الذهب (١٠٥) .
- ٢ المحبر (ص ٣٠٠) .
- ٣ العقد الفريد (١٥٠/٥) ، التويري ، نهاية الأرب (٣٩٦/١٥) ، اللسان (٢٨/٦) ، (دار صادر) .

وقعت في أوقات متقطعة وقعت بين (تغلب) ومن حالفها وبين (بكر) .
أثارها وأشعل نارها (مهلهل) أخو (كليب) أخذاً بثأر أخيه من (بني بكر)
قوم (جسّاس) . وأعلنها دون اهتمام لتوسط عقلاء (بكر) بحل القضية حلاً
سليماً حقناً للدماء الطرفين . بتأدية دية الملوك ، وهي ألف ناقة سود المقل ، أو
ان يأخذوا أحد أبناء (مرة بن ذهل) والد جسّاس ، فيقتلوه بدم (كليب)^١ .

وأبت بعض قبائل بكر الدخول في حرب مع (تغلب) . واعتزلت عن
(بني شيان) قوم جسّاس ، ومن هؤلاء (بنو لجيم) و (بنو يشكر) .
وانسحبت (الحارث بن عباد) . وعشائر أخرى . وتولى (مرة بن ذهل)
قيادة قومه من (بني شيان) من بكر . فكانت معارك وملاحم ذكر أساءها
أهل الأخبار . منها (يوم النهي) ، وهو أول يوم من أيام حرب البسوس
على رواية ، ويوم عنيزة ، وهو أول يوم من هذه الأيام على رواية أخرى^٢ .
ثم وقعت أيام أخرى منها يوم الذنائب ، وهو يوم قتل فيه : (شراحيل بن
مرة بن همام) والحارث بن مرة ، وهمام بن مرة أخو جسّاس من أمه وأبيه .
وعمر بن سدوس بن شيان . وهو من بني ذهل بن ثعلبة ، وسعد بن ضبيعة ،
وهو من بني قيس بن ثعلبة وآخرون . وقد قيل إن منهم من قتل في أيام أخرى .

ومن بقية الأيام : يوم واردات ، ويوم عويرضات ، ويوم الحنو ويوم أنيق ،
ويوم ضربة ، ويوم القصيات ، ويوم العصيات ، ويوم قضة ، وهو يوم التحالقي ،
وفيه حلق رجال بكر لمتهم ، وذلك ليميز البكريون عن غيرهم ، إلى غير
ذلك من أيام تجد أساءها في كتب الأخبار والتأريخ والأدب .

وقد توسط رؤساء بكر عند (مهلهل) بأن يوقف القتال ، بعد ان سقط
القاتل وهو (جسّاس) فتلاً في معركة من هذه المعارك ، يقال انها معركة
(يوم واردات) لكنه لم يقبل وأبى إلا الاستمرار في القتال حتى يشفي نفسه من
(بني بكر) ، فتدخل (الحارث بن عباد) عندئذ واشترك مع البكرين ، وتولى
أمر (بني بكر) ، ووقعت أيام أخرى أثرت في (بني تغلب) . وقد وقع

١ نهاية الأرب (٣٩٦/١٥) - ابن الأثير ، الكامل (٣١٢/١) .

٢ أبو الفداء ، المحاصر (٩٥/١) وما بعدها (طبعة دروب) ، المعارف (٦٠٥ وما بعدها) ،
دار الكتب المصرية .

(مهلهل) في يوم (قصة) وهو يوم (تحلاق اللحم) أسيراً في أيدي (الحارث ابن عباد) ولم يكن يعرفه . فسأله الحارث عن مكان (مهلهل) قائلاً له : دلي على عدي بن ربيعة (وهو اسم مهلهل) وأخلي عنك . فقال له عدي : عليك العهود بذلك إن دلتك عليه ؟ قال . نعم . قال : فأنا عدي . فجزّ ناصيته وبركه . وقال فيه :

لهف نفسي على عديّ ولم أعرف عديّاً إذْ امكتني اليدان^١

وورد في بعض الأخبار أن الذي قتل (جسّاساً) هو (الهجرس) ، وهو ابن كليب ، وابن أخت جسّاس ، إذْ أن أمه هي (جلييلة) . وكان جسّاس قد سباه ، ثم روجه ابنته ولكنه أبى إلا أن يقتل خاله ، أخذاً منه بدم والده . ويقال أن جسّاساً لم يقتل وإنما مات حتف أمه^٢ .

وفي هذا الأسر وجز الناصية كانت نهاية زعامه (مهلهل) على قومه ، فقد ترك أهله ، وفرّ إلى (مذحج) ، حيث نزل بـ (بني جنب) ، فخطبوا إليه ابنته وقيل أخته فنعهم ، فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه جلوداً من آدم . وكان قد كبر وتقدم في السن وضعف حاله فجاءه أجله بعد مدة غير طويلة ، ويقال إن عبيدين من عبيده اشتراهما (مهلهل) ليغزوان معه ، سماً منه ، فلما كانا معه بموضع فقر أجمعا على قتله ، فقتلاه ، وبذلك انتهت حياته ، وحياة حرب البسوس^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن العرب صارت تضرب المثل في شؤم (البسوس) وفي شؤم (سراب) ، فقالت (أسأم من البسوس) و (أسأم من سراب)^٤ .

- ١ العقد العرند (٢١٣/٥) وما بعدها ، صبح الأعشى (٣٩١/١) .
- ٢ الكامل ، لابن الأسر (٣١٩/١) ، الأغاني (٢٩٤/٤) ، (٢٩٤/٥) (يروب) .
- ٣ النوبري ، نهاية الأرب (٣٩٦/١٥) ، ابن الأثير (٣١٢/١) ، صبح الأعشى (٣٩٩/١) ، العقد العرند (٢١٣/٥) ، سبائك الذهب ، الفصل الحادى عشر ، لسان العرب (٢٨/٦) .
- ٤ الميداني ، مجمع الأمال (٣٨٧/١) ، ابن الأثير ، الكامل (٣١٢/١) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، معامات الحريري (٢٦٠) ، (المكتبة التجارية) ، فرائد اللال في مجمع الأمثال (٣١٩/١) وما بعدها (المطبعة الكاثوليكية بروت) ، ابراهيم بن السيد على الأحمد الطرابلسي ، جمال الدين محمد بن محمد بن نبانه المصري ، سرح العيون =

وقد اقحم الرواة شعراً في قصصهم عن هذه الحرب ، وذلك على عادتهم في رواية اخبار الايام ، وهو لا يخلو من أثر الإثارة والعواطف القبلية . ونجد في الشعر المنسوب الى البسوس تحريضاً أثار حساساً حتى دفعه على قتل (كليب) دون أن يفكر في سوء عاقبة ذلك القتل . ويعرف هذا النوع من الشعر بـ (الموثبات) . وهو من شعر التحريض . ومن هذا النوع الشعر الذي تقوله النساء في ندب الموتى لإثارة شجون الحاضرين ^١ .

ويعد (مهلهل) في جملة فرسان العرب الشجعان المعروفين . كما يعدّ في جملة الشعراء المتقدمين . لقب بـ (مهلهل) ، لانه اول من رقق الشعر ، او لقوله :

لما توغل في الكراع هجينهم هلهات أثار مالكا أو صنبلا فتدبر ^٢

وقد كان لتغلب جملة رؤساء ، منهم رئيس يقال له الجرّار ادرك النبي ، وأبى الاسلام فبعث رسول الله زيد الخيل الشاعر المشهور وأحد الشجعان المشهورين ، ليطلب منه الدخول في الاسلام كما نقول احدى الروايات او القتال ، فأبى الاسلام وقاتل حتى قتل ^٣ .

ولاعتزاز تغلب بنفسها ، ولشعورها بعزتها ، امتنعت عن دفع الجزية المفروض اداؤها على اهل الكتاب ، وذهبت الى عمر بن الخطاب قائلة له : (نحن عرب لا نؤدي ما يؤدي العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض) . ورضيت بدفع ضعف ما يدفعه المسلمون صدقة أنفه من كلمة (جزية) ^٤ . وافتدت قبائل

= شرح رساله ابن خلدون (٢٨ وما بعدها) (مصطفى البابي) ، الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية ، القسم الثاني (١٦٤ وما بعدها) ، صبح الأعشى (٣٩١/١) .

- ١ دائرة المعارف الاسلاميه (٦٤٥/٣) (ترجمه ابراهيم شنتاوي وجماعته) .
- ٢ بلوغ الأرب (١٠٨/٣) ، الشعر والشعراء (٩٩) ، جمهره أشعار العرب (٢١٨) ، شرح البربري (٣١٠) ، الاشنعاى (٣٣٩) ، شرح العمون (٥٦) ، الكامل (٣١٦/١) .
- ٣ الاغانى (٥٢/١٦) (أخبار زيد الجحل) .
- ٤ السس الكبرى (٢١٦/٩) ، (باب بشارى يعلى بصعف عليهم الصدقه) ، (فصل في شأن بشارى يغلب وسائر أهل الدمه وما يعامون به) . كتاب الحراج (١٢٠ وما بعدها) ، (الفاهره ١٣٥٢ هـ) . الدلادري ، موج (١٨٥ وما بعدها) .

اخرى مثل تنوخ وهراب بتغلب ، فرضيت بدفع الصدقة التي يدفعها المسلمون مضاعفة مفضلين اياها على دفع الجزية ، لكي لا تكون في مصاف التبط ، ومن اف لفهم من غير العرب ، والمساواة فيها تعد اهانة لهم في نظرهم ، وان كان داعوها نصارى مثلهم ، وهم اخوانهم في الدين .

ودكر ان (عمر بن الخطاب) لما هم بفرض الجزية عليهم ، قطعوا الفرات وأرادوا اللحاق بأرض الروم ، فانطلق (النعمان بن زرعة) أو (زرعة بن النعمان) الى (عمر) ، فقال له : انشدك الله في بي تغلب ، فانهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يعن عدوك بهم . فأرسل عمر في طلبهم وأضعف عليهم الصدقة ^١ .

ومن مواضعها التي كانت تتبرك بها قبر القديس مارسرجيوس (مارسرجس) بالرصافة ^٢ .

وكانت تغلب ايضاً في جملة القبائل العدنانية التي خضعت لآل كندة ، حكم منهم عليها معديكرب المعروف بغلفاء ^٣ ، وخضعت ايضاً لحكم ملوك الحيرة الذين حاولوا اصلاح البين بين تغلب وبين بكر بن وائل ، فأخذوا رهائن من الطرفين ، ليمنعواهم بذلك من القتال ^٤ . وقد وقعت بين الحيين حروب طويلة ترد اخبارها في الايام ، كما وقعت بينها وبين يربوع وقبائل اخرى حروب سأتحدث عنها في الفصل الخاص بأيام العرب قبل الاسلام .

وقد ثار التغليون مراراً على ملوك الحيرة وحاربوهم ، والواقع ان خضوع تغلب والقبائل الكبيرة الاخرى للملوك الحيرة لم يكن الا خضوعاً اسماً ، يتمثل في حل الاناوات الى الملوك ما داموا اقوياء ، ولذلك كان ملوك الحيرة كما كان

١ البلاذرى ، فتوح (١٨٥) وما بعدها .

٢ من شعر الأختل :

لما رأونا ، والصلب طالعا
وأبصروا راياتنا لوامعا
ومار سرجس ، وسما ناعفا
خلوا لنا راذان والمزارعا

المشرق ١٩٣٦ (ص ٢٤٧) .

٣ الاغانى (٨٢/٩) .

٤ الاغانى (٤٢/١١) وما بعدها .

الأكاسرة والقياصرة يسترضون الرؤساء بالهبات والمال ، ومن جملة هؤلاء ، سادات
(مشايخ) هذه القبيلة .

وأما بكر بن وائل ، فكان من نسله علي^١ ، ويشكر ، وبدن . وقد دخل
بنو بدن في بني يشكر ، ومن بني يشكر الشاعر الحارث بن حلزة ، والريان
اليشكري ، سيد بني بكر في حربهم مع بني تغلب . وكان من نسل علي بن
بكر ، صعب بن علي^٢ ، وهو والد مالك ولجسيم وعكابة . ومن مالك بن صعب
سهل بن شيان بن زمان المعروف بالفد^١ . ومن بطون يشكر ، بنو غبر بن
غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر ، وبنو كنانة ، وبنو حرب بن يشكر ، وبنو
ذبيان بن كنانة بن يشكر^٢ .

وبكر بن وائل ، من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن معروف عند ظهور
الاسلام . وهي مثل القبائل العدنانية الاخرى من القبائل المهاجرة التي تركت ديارها
القديمة على حد قول الاخباريين ، وهي تهامة ، على اثر الحروب الكثيرة الممتدة
التي وقعت بين العدنانيين ، فهاجرت الى اليمامة ثم الى البحرين والعراق . ويذكر
انها اخذت تغزو مع تميم وعبد القيس حدود الفرس ، حتى اضطرت (سابور)
الثاني المعروف بـ (سابور ذي الاكتاف) حوالي سنة (٣٥٠ للميلاد) على
مهاجمة هذه القبائل ومحاربتها ، وتخريب المنازل التي كانت تنزل بها . فلما انتهى
من حروبه ، أمر بنقل كثير من الأسرى الى الأهوار وكرمان لإسكانهم هناك^٣ .

وفي القرن الخامس للميلاد ، كان الحكم على بكر وأكثر قبائل معدة على حد
رواية الاخباريين في ايدي التبابعة ، ثم في ايدي ملوك كندة ، نصبهم التبابعة
انفسهم ملوكاً على تلك القبائل . وكان أولهم حجر آكل المرار الذي انتزع من
اللخميين ما كان في ايديهم من ملك بكر بن وائل ، ووسّع ملكه . فلما توفي
حجر تولى الملك ابنه عمرو المعروف بالمقصور من بعده ، وبقيت بكر تابعة له ،
وكذلك لابنه الحارث مغتصب عرش الحيرة على نحو ما ذكرت . وكان الحارث

١ - جمهره (ص ٢٩١) ، (بنو رمان) ، الاشعاق (٢٠٧) ، المعارف (٣٢) .

٢ - المبرد (١٧) .

٣ - أبو العلاء (٤٨/١) ، الطبري (٦٦/٢) .

قد وَزَّعَ ابنائه على القبائل ، ليتولوا ادارة شؤونها فعين ابنه شراحيل او شرجيل او سلمة حاكماً على بكر . فلما اعاد انوار شروان عرش الحيرة الى اصحابه اللخمين ، وانتكس الأمر مع الحارث ، حتى اضطر الى الهرب الى ديار كلب او غيرها ، حيث لاقى مصيره بكييفية لم يتفق على وصفها الاخباريون ، وقعت النفرة بين اولاده ، ودب الخلاف بين ابنائه ، فاقْتَتَلُوا ، وتحزبت القبائل واقتتلت . ثم وجد رؤساؤها انها فرصة سانحة ، فاستقلوا عن كنده ، وعادت الى ما كانت عليه من الفرقة والاستقلال . وترأس كليب وائل تغلب وبكر وقبائل معد ، وقاتل جموع البدن ، وهزمهم ، وعظم شأنه ، وصار ملكاً زماناً من الدهر ، ثم داخله الزهو والعزور ، فبغى على اتباعه ، وحى اكثر الارصين ، فلم يسمح لأحد بالرعي فيها الا باذنه ، فقتله رجل من بكر اسمه (جساس) في قصة يرويها الاخباريون ، فثارت تغلب ، وطالب اخو كليب وهو (مهلهل) بالأخذ بالثأر من بكر . فجرت بين القبيلتين حروب طويلة استمرت على ما يذكر الاخباريون اربعين عاماً ، هلك فيها خلق كثير وانتهت بمقتل جساس ، وهلاك مهلهل في قصص مُنَمَّق من هذا القصص الذي يرويها اهل الاخبار .^١

وقد أضعفت هذه الحروب القبيلتين ولا شك ، وقد تدخل ملوك الحيرة في الأمر ، فأصلحوا بينهم : أصلح بينهم المنذر بن ماء السماء على رواية ، أو عمرو ابن هند في رواية اخرى^٢ ، وقد كانوا مع المنذر الثالث في غزوته التي غزا بها الغساسنة ، كما كانوا مع النعمان بن المنذر . وقد حاربوا الفرس مع بني شيان ، فانتصروا عليهم في معركة ذي قار . وكان يؤيد الفرس من العرب تغلب وطيء وايداء وبهراء وقضاة والعباد والنمر بن قاسط . وقد انفقت ايداء سرّاً مع بكر بن وائل ، فانهزمت حين اشتباك المعركة ، فانهزمت الفرس ومن ساعد الفرس من القبائل التي اشتركت معها تأييداً لإياد بن قبيصة ، او بغضاً لبكر كما هو شأن تغلب ، او طمعاً في ربح من الفرس او رغبة في التقرب اليهم . وقد كان لهذه المعركة اثر كبير في نفوس القبائل ، ومركزها مع الفرس .

١ أبو الفداء (١/٧٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٣٠١) .

٢ الاغانى (١١/٢٢ ، ٤٤ وما بعدها) .

ويظهر ان بكرّاً لم تخضع للفرس ، ولا لحكم الحيرة بعد معركة ذي قار . وفي السنة التاسعة من الهجرة دخل قسم منها في الإسلام ، فعين الرسول المنذر بن ساوى عليها وعلى بني عبد القيس . غير انها ارتدت عنها بعد وفاة الرسول ، فهاجمت مع قيس بن ثعلبة برئاسة الحطيم بن ضبيعة البحرين ، وعينت (الغرور) ملكاً على هذه الديار . عندئذ أرسل أبو بكر عليهم جيشاً بقيادة العلاء الحضرمي ومن بقي على الإسلام من بكر وشيبان ، تمكن منهم وراحهم إلى حظيرة الإسلام .

ومن لجسيم بن صعب ، بنو حنيفة ، وبنو عجل ، ابنا لجيم بن صعب بن عليّ ، وبنو حنيفة هم أهل اليامة^١ . ومن حنيفة الدثّل ، وتقع مواطهم في اليامة كذلك^٢ . ومن ولد الدثّل بن حنيفة بنو مرة وعبد الله وذهل وثلعة . ومن بني مرة هودة بن عليّ بن ثمامة الذي توجه إلى كسرى ، وعمرو بن عبد الله ابن عمرو بن عبد العزّي ، وهو قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ^٣ . ومن عديّ بن حنيفة مسيلمة الكذاب^٤ .

وأما ولد عكابة بن صعب^٥ . فهم : ثعلبة وهو الحضن ، وقيس وقد دخل بنوه في بني ذهل بن ثعلبة . فولد ثعلبة بن عكابة شيبان ، وذهل ، وقيساً ، والحارث . وقد دخل بنوه في بني أنمار بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان . وأمهم رقاش ، وهي البرشاء بنت الحارث بن العتيك بن غم بن تغلب . وولد ثعلبة أيضاً تيم الله بن ثعلبة . وأمه الجدماء بنت حلّ بن عديّ بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وأتيد ، وضنة . ودخل بنو ضنة في بني عنزة . ودخل بنو أتيد في بني هند من بني شيبان^٦ .

- ١ الجهمرة (٢٩١ ، ٤٣٩) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، الاشتقاق (٢٠٧) ، (لحيم) ، سبائك الذهب (٥٦) ، الانباه (ص ٩٧) .
- ٢ تاج العروس (٣٢٧/٧) ، لسان العرب (٢٤٩/١٣) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، بهانه الأرب (٢٣١/٢) ، ابن خلدون (٣٠٢/٢) .
- ٣ جهمرة (ص ٢٩٢) ، البربري ، شرح الحماسة (١٥/٤) .
- ٤ المرد (١٦ وما بعدها) .
- ٥ لسان العرب (١٨/٢) ، الاشتقاق (٢١٢) وما بعدها ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، ابن خلدون (٣٠٣/٢) ، كحاله (٨٠٣/٢) .
- ٦ حمهره (ص ٢٩٥ وما بعدها) ، سبائك الذهب (ص ٥٨) .

ومن ولد ثعلبة بن عكابة ، تيم الله^١ . ومن ولد تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، شيان^٢ ، ومهمم أوس بن محصن ، وهو الذي أطلق له السبي يوم أواره ، وصغير بن عامر وكان من فرسان بكر^٣ .

ومن بني ذهل بن ثعلبة بن عكابه ، بنو سدوس بن شيان بن ذهل بن ثعلبة ، وتقع مواطهم في اليمامة ، وكانوا أرداف ملوك كندة^٤ . وننو رقاش وهم الرقاشيون أبناء مالك (ملكان) وزيد (زيد مناة) ابني شيان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة . من زوجه رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة^٥ . وكان بنو شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابه من البطون الضخمة ، ورئيسهم في الجاهلية مرّة بن ذهل بن شيان ، ومن نسله جساس قاتل كليب^٦ .

ومن نسل قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ، ضبيعة ، وتيم ، وثلعة ، وسعد . ومن نسل ضبيعة الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المعروف ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وطرفة بن العبد ، وعمر بن قيثة ، وشعراء آخرون . وتعدّ هذه القبيلة في طليعه القبائل بكثرة من ظهر فيها من الشعراء^٧ . وتقع منازل قيس في اليمامة . وكانت صلاتهم وثيقة بالمتاخرة . ومنهم كتيبة الصنائع إحدى كتائب النعمان بن المنذر^٨ .

ومن بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، عمرو بن أبي ربيعة بالمرذلف ، وانه حارثة ذو التاج ، وكان على بني بكر يوم أواره ، وهانيء بن مسعود

- ١ ناج العروس (٢٠٣/٧) ، (٢١٦/٨) ، الاشعاف (٢١٢) ، ابن خلدون (٣٠٣/٢) .
- ٢ لسان العرب (٤٩٥/١) ، صبح الأعشى (٣٣٨/١) ، نهاية الأرب (٣٣٢/٢) ، ابن خلدون (٣٠٣/٢) ، الاشعاف (٢١٠) .
- ٣ حمرة (ص ٢٩٦) .
- ٤ لسان العرب (٤١٠/٧) ، الاشعاف (٢١١) .
- ٥ حمرة (ص ٢٩٨ وما بعدها) ، العاموس (٢٧٥/٢) ، لسان العرب (١٩٥/٨) ، ناج العروس (٨٤/٩) ، كحالة (٤٤٢/٢) .
- ٦ ابن خلدون (٣٠٣/٢) .
- ٧ حمرة (ص ٣٠٠) ، شيجو . شعراء الصرانيه : القسم الثالث في شعراء بكر بن وائل من بني عدنان (٢٦٤ وما بعدها) ، كحالة (٩٧١/٣) .
- ٨ ابن خلدون (٣٠٣/٢) ، ناج العروس (٢٤٢/٢) ، (٢٣٣/١٠) ، نهاية الأرب (٣٣٢/٢) ، حمرة (٣٠٠ وما بعدها) .

الشياني الذي هاج القتال بين بني بكر وبني تميم وضية والرباب يوم ذي قار ، ومفروق واسمه النعمان بن عمرو الأصم ، وهو من فرسان بكر وساداتهم ، وأعشى بني ربيعة ، وهو عبد الله بن حارجه بن حبيب بن قيس بن عمرو ابن أبي ربيعة الشاعر^١ .

ومن بني مرة بن ذهل بن شيان ، همام ، وجساس فائل كليب التغلبي ، والمثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل الشياني القائد الإسلامي الشهير فائل مهران^٢ .

وأما عك ، فهم من القبائل العربية القديمة ، وهم (أكيتة) (Akkitai) عند (بطليموس) ، ولا نعرف من أخبارها في نصوص المسند شيئاً . ويظهر من اختلاف النسابين في نسبها ، ومن جعلها من قحطان تارة ومن عدنان تارة أخرى ، أنها كانت على اتصال بالجماعين ، واختلطت بهما بالفعل ، ولهذا الاختلاط أثره في تكوين الأنساب ، كما أن لمخالفاتها لقبائل عدنان وقحطان أثره في النسب .

ولهذا نجد بعض النسابين يجعلون عكاً ابناً لعدنان ، فهو على حد قولهم شقيق معد ، ونجد بعضاً آخر يسميه الحارث ، ويجعل عكاً لقباً له ، ثم يصيره ابناً للديث بن عدنان فيقول : هو عك بن الديث بن عدنان ، أي انه حفيد عدنان . ثم نجد قسماً آخر يصيره من الأزد ، أي من قحطان ، فيجعله عك ابن عدنان بن عبد الله بن الأزد ، بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان^٣ . وأرى ان (عدنان) و (عدنان) كلمة واحدة . وقع فيها تحريف ، فصارت الكلمة الواحدة كلمتين ، وليس من المستغرب وقوع ذلك . فالكلمتان واحدة في الحروف ، ما عدا حرفي التاء والون اللذين يتشابهان في الرسم أيضاً فيما عدا عدد النقط .

- ١ جمهرة (ص ٣٠٥) .
- ٢ جمهرة (ص ٣٠٥ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٢/٣٣٣) ، الاشتقاق (١٥) ، كحالة (١٠٧١/٣) .
- ٣ جمهرة (ص ٣٠٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، طرفة الأصحاب (ص ٦٥ وما بعدها) ، ناج العروس (٧/١٦٤) ، لسان العرب (١٢/٣٥٧) ، الصحاح (٢/١٤١) ، الصفة (٥٤) .

وقد رجح نشوان بن سعيد الحميري ، وهو من اليمن من حبر ، رأي القائلين من النسابين برجوع نسب عكّ في الأزد ، فقال : (عكّ قبيلة من العرب يقال لهم ولد عكّ بن عدنان أخي معد ، ويقال لهم ولد عكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد ، وهو أصح القولين . وإنما سبب انتسابهم في معدّ أن غسان وقت خروج الأزد من مأرب نزلوا تهامة وبها عكّ ، فخيرتهم عكّ بين شرقي تهامة وغربيها ، فاختارت غسان الشرقي ، ومكثت به زماناً ، حتى قيل لهم إن عكّا أئخن منكم لبناً ، وأدسم منكم سمّاً ، لأن أموالكم إذا سرحت استقبلت الشمس ، وإذا راحت استقبلت الشمس ، فأحرّت الشمس رؤوسها ، وأموال عكّ تستدبر الشمس عند الطلوع والغروب ، فاستقالت غسان عكّا ، فلم تقلها ، فاقتلوا ، فقتلت غسان عكّا قتلاً ذريعاً وأجلتها عن كثير من أوطانها ، فن ثم انتف عكّ من اليمن ، وانتسبت الى معدّ)^١ .

وقد ذكر نشوان شعراً جاء فيه :

ألم ترَ عكّا هامة الأزد أصبحت مذبذبة الأنساب بين القبائل
وعقت أباهما الأزد واستبدلت به أباً لم يلدّها في القرون الأوائل ؟

ومن ولد عكّ علقمة ، ومن ولد علقمة الشاهد ، ومن ولد الشاهد غافق ، من نسل هؤلاء تفرعت سائر عكّ^٢ . ونجد بعض النسابين يغفلون علقمة ، ويجعلون الشاهد ولداً من أولاد عدنان ، ومنهم من جعل لعكّ ولدين ، هما : الشاهد ، وعبد الله ، وجعل للشاهد ولدين كذلك ، هما غافق ، وساعدة ، ولعبد الله بطنين كذلك ، هما : عبس وبولان . ومن بطون غافق ، القيانة ، والمقاصرة ، ودهنة . ومن بطون ساعدة : لام ، وصخر ، ودعج ، ونعج ، وزعل ، وقين ، وقاضية ، وعلاقة ، وهامل ، ووالبة- ، وقحر . ومن بطون عبس : زهير ، ومالك ، وطريف ، وزيد ، والعساق ، والحجيبة ، وغم ،

١ مننخبات (ص ٧٤) .

٢ سبائك الذهب (ص ٦٣) ، جمهرة (ص ٣٠٩) ، ابن خلدون (٢/٢٩٩) ، نهاية الأرب (٢/٣١٢) ، تاج العروس (٧/٣٧) ، أبو الفداء (١/١٠٧) ، كحالة (٣/٨٧٥) .

وتاج ، ومنسك ، ومن بطون بولان : الهليلي ، والحربي^١ . ويلاحظ ان معظم قبائل عكّ وبطونها ، هي في اليمن ، بينما هي قبائل عدنانية على رأي أكثرية النسابين . وقد علل بعض النسابين ذلك بقوله : (وإنما كثرت قبائل عكّ بن عدنان باليمن ، لأن عكّا تزوج بنت أشعر ، فأولد فيهم ، فكانت الدار واحدة لذلك السبب)^٢ .

وسمى النسابون ابن مضر عيلاناً كذلك^٣ ، وقال بعضهم (إن عيلاناً لم يكن بأب لقيس ولا ابن لمضر ، وإنما هو قيس بن مضر . وعيلان اسم فرس لقيس مشهور في خيل العرب مفضل ، وكان قيس بن مضر يسابق عايد . وكان رجل من بجيلة يقال له قيس كة الفرس له مشهورة أيضاً ، وكانا متجاورين في دار واحدة قبل ان تلحق بجيلة بأرض اليمن . وهذا على مذهب من جعل بجيلة ابناً لأنمار بن نزار . وكان فرسهما مشهورين المذكورين ، فكان الرجل إذا سأل عن قيس ، أو ذكر قيساً ، قيل له : أقيس عيلان نريد ، أم قيس كبة ؟ فصار قيس لا يعرف إلا بقيس عيلان ، وهو قيس بن مضر بن نزار .. وقد قيل إن قيساً سُمي عيلان بغلام كان له ، وقيل سُمي عيلان بكلب كان له يقال له عيلان)^٤ الى غير ذلك من تفاسير وتعليقات تشير الى اضطراب النسابين والاختلاف بين الناس وفي قيس عيلان^٥ .

وقد عرف المنتسبون الى قيس عيلان بـ (قيس) و (بقيس عيلان) و بـ (عيلان) و بـ (القيسين) و بـ (القيسية) كذلك^٦ ، وهي من الكتل القبائلية الضخمة . ومع ذلك لا نعرف من تأريخها قبل القرن السادس للميلاد شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) . وقد ذكر لها الاخباريون

١ طرفة الأصحاب (ص ٦٤ وما بعدها) .

٢ طرفة الأصحاب (ص ٦٦) .

٣ سبائك الذهب (ص ٢١) ، الصحاح للجوهري (٤٧٢/١) ، لسان العرب (٧١/٨) .
تاج العروس (٤٠/٨) ، العاموس (٢٤٤/٢) ، الاشنفاق (١٦٢) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، أبو الفداء (١١١/١) ، نهاية الأرب (٣٣٤/٢) وما بعدها) . كحاله (٩٧٢/٣) وما بعدها) .

٤ الانباه (ص ٨١ وما بعدها) .

٥ راجع التفاسير الأخرى لمعنى عيلان في : الاشنفاق (ص ١٦٢ وما بعدها) .

٦ Ency , II, P 652

أياماً عديدة . تشمل حروباً وقعت بين القبائل القيسية نفسها ، وحروباً وقعت بين قيس وقبائل أخرى من غير قيس . وقد خضعت قبائل قيس مثل أكثر القبائل العدنانية الأخرى لحكم مملكة كندة القصير^١ .

وقد ولد الناس أو عيلان قيساً ودهمان . وقد جعل بعض النسابين . قيساً ابناً لمضر ، وقالوا : انه عيلان ، وان عيلان عبد حضنه ، فنسب قيس اليه^٢ . وقد ولد قيس عدة اولاد ، هم : خصفة^٣ ، وسعد ، وعمرو^٤ . ومن ولد عمرو فهم ، والحارث وهو عدوان^٥ ، وأمها جديلة بنت مرّ بن أد ، فنسبوا اليها . وقيل : هي جديلة بنت مدركة بن الياس^٦ .

وكان لفهم عدة أولاد ، منهم : قَيْن ، وسعد ، وعامر ، وعائد ، ومن بني سعد تأبط شراً الشاعر^٧ . وكانت الطائف من مواطن فهم ، وعدوان ، ثم غلبتهم عليها ثقيف ، فخرجوا الى تهامة ونجد . ومن بني طرود ، وهم بطن من فهم ، كان بأرض نجد ، الأعشى^٨ .

أما أبناء عدوان بن عمرو ، فهم زيد ، ويشكر ، ودؤس . ويقال انهم دؤس التي في الأزد ، وكانت ديارهم بالطائف ، ثم تركوها بعد نزول ثقيف فيها وارتحلوا الى تهامة^٩ . ومن ولد زيد بن عدوان ، أبو سيطرة الذي كان يدفع

Ency., II, P. 654.

- ١
- ٢ جمهرة (ص ٢٣٢) ، الاشتقاق (ص ١٦٢) .
- ٣ ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، لسان العرب (٤٢١/١٠) الصحاح (٢٠/٢) ، كحالة (٣٤٥/١) .
- ٤ جمهرة (ص ٢٣٢) ، سبائك الذهب (ص ٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٢) ، المبرد (ص ١٠) .
- ٥ طرفة الأصحاب (ص ٦١) .
- ٦ جمهرة (ص ٢٣٢) ، لسان العرب (١١٢/١٣) ، الانشاء (٨٣) ، كحالة (١٧٣/١) .
- ٧ جمهرة (ص ٢٣٢) ، الاشتقاق (ص ١٦٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٤٣/٢) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، تاج العروس (١٦/٩) .
- ٨ الأغاني (٧٥/٤) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) .
- ٩ ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، نهاية الأرب (٣٤٣/٢) ، صبح الأعشى (٣٤٦/١) ، أبو الفداء (١١٢/١) ، لسان العرب (٢٧٠/١٩) ، القاموس (٣٦٠/٤) ، كحالة (٧٦٢/٢ وما بعدها) .

بالناس في المواسم . ومن بني يشكر بن عدوان ، عامر بن الظرب بن عمرو بن عبيّاذ بن يشكر بن عدوان ، وقد عرف عامر بن الظرب هذا بـ (حاكم العرب) في الجاهلية . وهو شقيق سعد ، وعمر ، وصعصعة ، وثعلبة . ومن بني ثعلبة بن الظرب ، ذو الأصبع العدواني من الشعراء المعروفين^١ . ومن بطون عدوان الأخرى ، بنو خارجة ، وبنو وابش ، وبنو رهم بن ناج^٢ .

ومن نسل سعد بن قيس عيلان ، غطفان ومنبه وهو أعصر^٣ . أما غطفان ، فقبيلة كبيرة معروفة ، وهناك قبيلة أخرى تسمى بـ (غطفان) كذلك ، وهي يمانية ، تنسب إلى غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام^٤ . أما هذه ، فعُدنانية في عرف النسابين ، وتقع منازل هذه القبيلة شرقي خيبر وحدود الحجاز إلى جبلي طيء^٥ .

وقد وقعت بين غطفان وبني عامر بن صعصعة عدة أيام ، منها : يوم الرقم ، ويوم القرنين ، ويوم طوالة ، ويوم قرن^٦ . وقد كانوا مع الأحزاب في محاربة الرسول . وكانوا يعبدون العزّى . شجرة بنخله عندها وثن تعبدوها غطفان ، سدننها من بني صرمة بن مرة ، وكانت قريش تعظمها ، وكانت غنى وباهلة تعبدوها معهم . هدمها خالد بن الوليد ، وهدم البيت وكسر الوثن . وكانوا يطوفون حول البيت ، بيت بساء تشبهاً بطواف القبائل الأخرى حول الكعبة بمكة ، ولهم صنم آخر موضعه في مشارف الشام يسمى الأقيصر^٧ .

ومن رؤساء غطفان الذين سادوا فيها ، زهير بن جذيمة العبسي ، وقد قاد غطفان كلها ، وعمرو بن جؤيّة بن لوذان الفزاري ، وقد قاد غطفان كلها إلى

١ جمهرة (ص ٢٣٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) .

٢ الاشتقاق (ص ١٦٣) .

٣ جمهرة (ص ٢٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) ، المرد (ص ١٠) .

٤ ابن خلدون (٢٥٦/٢) ، نهاية الأرب (٣٠٨/٢) ، كحالة (٨٨٩/٣) .

٥ Ency, II, P. 144.

٦ كحالة (٨٨٨/٣) .

٧ المعبر (ص ٣١) ، كحاله (٨٨٩/٣) .

يوم الخناتن الى بكر بن وائل ، وبلر بن عمرو ، وقد قاد غطفان لبني أسد ، وعينة بن حصن بن حذيفة ، قاد غطفان الى بني تغلب يوم الساجسي^١ .

ويبدأ تأريخ غطفان باستقلال قبائل معد^٢ ، وخروجها من حكم اليمن على ما يرويه الاخباريون . وكان رئيس قبائل غطفان في هذا العهد زهير بن جذيمة العبسي سيد عبس ، وعبس من غطفان . وقد تلقب بلقب ملك وجي الإنابة من هوازن ، ثم قتله خالد بن جعفر بن كلاب ، فترأس عبس ابنه قيس ، وترأس دبيان - وهي من قبائل غطفان كذلك - حذيفة بن الفزاري . وتمكن الحارث بن ظالم أحد القُتاتك في الجاهلية من قتل خالد بن جعفر ، وهو في جوار ملك الحيرة ، وقد أدت هذه الحوادث الى تشتيت قبائل غطفان ، والى نشوب حروب بينها خاصة بين عبس وذبيان^٣ .

وقد كانت قبائل غطفان في جملة القبائل التي قاومت الإسلام ، واشتركت مع القبائل الأخرى في محاربة الرسول ومهاجمة المدينة ، ثم أسلمت في السنة الثامنة للهجرة . وبعد وفاة الرسول عادت أكثرية غطفان ، فارتدت عن الإسلام ، وهاجمت المدينة . ولكن أبا بكر تمكن من صدّها ، ثم عادت كما عاد غيرها الى حظيرة الإسلام .

وولد غطفان ثلاثة أولاد ، هم : ريث ، وبغيض وأشجع على رواية^٤ ، وولد ريثاً وعبد العزّي على رواية أخرى . وقد بدل رسول الله اسم عبد العزّي فجعله عبد الله ، فعرف نسله بالاسم الجديد^٥ . وقد ولد ريث من الولد أهون ، ومازناً وأشجع وبغيضاً^٥ ، وذلك على رواية من جعل لغطفان ولدين ، هما : ريث وعبد العزّي .

١ المحرر (ص ١٩٢ ، ٢٤٨ وما بعدها) .

٢ المحرر (ص ١٩٢ وما بعدها) .

٣ الاشتقاق (ص ١٦٧) ، ناج العروس (٦٢٦/١) .

٤ جمهرة (ص ٢٣٧) .

٥ جمهرة (٢٣٨) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، ناج

Wustenfeld, Genea, Taf. H.

العروس (٦٢٦/١) .

ومن بطون أشجع^١ بكر وسبيع ، ومن سبيع حلاوة^٢ (خلاوة)^٣ ،
وهفان وفتيان ، وقنفذ ، وذبيان^٤ .

وتقع مواطن أشجع في الحجاز بضواحي يثرب ، وكانوا حلفاء للخزرج من
الأزد . وقد ساعدوهم في يوم بعاث^٥ . وقد كان بينهم وبين سليم بن منصور
يوم كان في موضع الجر^٦ .

ومن ولد بغيص^٧ : عبس ، وذبيان ويضاف إليها أثمار في بعض الروايات .
ومن نسل عبس قطيعة ، ووردة ، والحارث ، وورقة^٨ . ومن نسل قطيعة^٩
زهير بن جذيمة سيد بني عبس ، وجميع غطفان ، وفيس بن زهير بن جذيمة
صاحب حرب داحس والغبراء ، والربيع بن زياد ورير النعمان ، والحارث بن
زهير قتله كليب يوم عراعر ، وشأس بن رهير قتله فزارة^{١٠} ، ومن عبس
عنزة بن شداد البطل الجاهلي الشهير^{١١} .

وهناك جملة قبائل وبطون عرفت بعبس ، ففي أسد وحنيفة وهوارن وعمر

١ (أشجع) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، تاج العروس (٩٢/٣ ، ٣٩٣/٥) ، البكري
(٣٢٩/١ وما بعدها) ، لسان العرب (٤٠/١٠) ، نهابة الأرب (٣٢٣/٢) ،
صبح الأعشى (٣٤٤/١) .

٢ (حلاوة) جمهرة (ص ٢٣٨) ، (هكذا ضبط الاسم ليعي بروفيسال) .

٣ سبائك الذهب (ص ٥٠) ، تاج العروس (١١٩/١٠) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ،
Wustenfled, Genea, Taf H.

٤ سبائك الذهب (ص ٣٥) ، (نجد أخطاء عديده في الطبع) ، تاج العروس
(٢٧٦/١٠) ، Wustenfled, Genea, Taf H.

٥ الأغاني (١٥٢/١٥) .

٦ كحالة (٢٩/١) .

٧ نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، لسان العرب (٣٩٠/٨) ، كحالة (٨٦/١ وما بعدها) .

٨ جمهرة (ص ٢٣٩) ، أما أنس دريد فاكتفى بذكر ولد بن لعبس ، هما : قطيعة
وورقة . الاشتقاق (ص ١٦٩) ، نهابة الأرب (٣٢٣/٢) ،

Wustenfled, Genea, Taf II

٩ (قطيعة بن عبس) ، نهابة الأرب (٣٢٣/٢) .

١٠ جمهرة (ص ٢٣٩ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٦٩) ، نهابة الأرب (٣٢٣/٢) ،

ابن خلدون (٣٠٦/٢) .

١١ طرفة الأصحاب (ص ٦٢) .

ابن قيس عيلان وعكّ بطون عرفت بعبس ، وهي تسمية معروفة وردت في الكتابات الصفوية والتدمرية والتبضية^١ ، فهي من الأسماء القديمة المعروفة عند العرب الشماليين .

وتعد عبس جمرة من جمرات العرب ، وجمرات العرب هي : ضبة بن أد ، وعبس بن بغيض ، والحارث بن كعب ، ويربوع بن حنظلة ، وبنو نمير بن عامر أو أقل من ذلك على حسب تعدد الروايات^٢ . ويقصدون بالجمرة القبيلة التي لا تنضم الى أحد ، ولا تحالف غيرها ، وتصبر في قتال من يقاتلها من القبائل ، أو القبيلة التي يكون فيها ثلاث مئة فارس أو ألف فارس^٣ . وهو تعريف لا يمكن ان ينطبق على قبيلة ما من القبائل ، حتى على هذه القبائل التي قالوا عنها أنها الجمرات ، فلا بد في القتال بين القبائل من حلف ، ومن طلب مساعدة القبائل الأخرى . ولذلك نجد الاخباريين يذكرون ان بعض هذه القبائل طفت لأنها حالفت الفلانية . فذكروا ان ضبة طفت لأنها حالفت الرباب ، وان الحارث طفت لأنها حالفت مذحجاً ، وان عبساً طفت أيضاً لانتقالها الى بني عامر بن صعصعة يوم جيلة^٤ . وهكذا إذا استقيصت كلام الاخباريين الوارد في مناسبات أخرى عن هذه القبائل ، تجد انه يصادم ما قالوه من عدم تحالف القبائل المذكورة وانضمامها الى القبائل الأخرى . وظنني ان شهرة عبس في الشجاعة خاصة من دون القبائل الأخرى إنما وردت اليها من هذا القصص المروي عن عترة ابن شداد .

ومن ولد ذبيان^٥ فزارة وسعد^٦ ، وفي روايات أخرى ان والد سعد هو ثعلبة

Ency., I, P. 73.

٢ المحبر (ص ٢٣٤) .

٣ ناج العروس (١٠٧/٣) ، لسان العرب (٢١٥/٥) ، الفاموس (٣٩٣/١) .
٤ من شعر بنسب لأبي حية النميري :

لما جمرات ليس في الأرض مثلها كرام وفد جرين كل النجارب
نمير وعبس يقني بعنائها وصبة فوم بأسهم غير كاذب

٥ ناج العروس (١٠٧/٣) ، لسان العرب (٢١٥/٥) ، منتخبات (ص ٢٢) .
٦ ابن خلدون (٣٠٦/٢) ، ناج العروس (٢٨٧/٦ ، ١٣٥/١٠) ، الصحاح

(٤٧٧/٢) ، لسان العرب (٣٠٩/١٨) ، الاشتقاق (١٧١) .

٦ الاشتقاق (ص ١٧١) ، حمرة (ص ٢٤٠) .

ابن ذبيان^١ . وولد سعد عوفاً ، وهو والد مُرّة وثعلبة^٢ . ومن بني مُرّة بن عوف خزيمّة ، وغطفان ، وستان . ومن بني سان هَرَم بن سنان ، وبنو يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف ، ومنهم التابعة للذبياني ، والحارث بن ظالم ابن جذيمة بن يربوع بن غيظ من الفتاك ، ومن بني مرة بنو سهم بن مرة^٣ . ومن بني ثعلبة بن سعد ، بنو بجالة بن ثعلبة بن سعد ، وبنو عجب بن ثعلبة بن سعد ، وبنو رزام بن ثعلبة بن سعد^٤ .

وقد وقعت بين بني عبس وذبيان حروب عديدة ، سأحدث عنها في الايام ، والظاهر انه كانت بين القبيلتين منافسة شديدة .

اما فزارة ، فولد عدياً ، وظالمأ ، وماربأ ، وشمخأ^٥ (سمخا)^٦ (شمجا)^٨ ، ومُرّة . ومن بني عديّ : بغيض بن مالك بن سعد الذي اجتمعت عليه قيس في الجاهليّة ، وبنو بدر بن عمرو بن حويّة بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة ، وهم بيت فزارة وعددهم ، وبنوه حذيفة الذي يقال له ربّ معد ، وحمل ، المقتولان يوم الهبأة ، ومالك ، وعوف ، المقتولان في حرب داحس والعبراء ، والحارث ، وربيعة ، وقد سادوا كلهم^٩ . ومن بني ظالم ،

١ الاشتقاق (ص ١٧٤) ، كحالة (٥١٤/٢) .

٢ حمهرة (ص ٢٤٠) ، نهاية الأرب (٣٢٤/٢) .

٣ حمهرة (٢٤١) ، المحبر (١٩٢) .

٤ نهاية الأرب (٣٢٤/٢) .

٥ (فزارة بن ذبيان بن بغيض بن رث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر) ، نهاية الأرب (٣٢٤/٢) ، لسان العرب (٣٦١/٦) ، القاموس (٨٤/٢ ، ١٤٩) ، تاج العروس ، (٤٧٠/٣) (١١٧/٩) ، المبرد (١١) ، أبو الفداء (١١٢/١) .

٦ الاشتقاق (ص ١٧١) ، القاموس (٢٦٢/١) ، لسان العرب (١٣٣/٣) ، ابن خلدون (٣٠٦/٢) ، تاج العروس (٦٥/٢) ، المعرري . البيان (ص ٥٣) .

٧ (سمخ) هكذا ضبطه (لبقي بروفيسال) ، حمهرة (ص ٢٤٣) .

٨ (شمج) (شمج) ، كحالة (٦٠٨/٢) ، بنو شمج بن فزارة من ذبيان . قال ابن بري : قال الجوهري : بنو شمج من ذبيان بالجمع قال : والمعروف عند أهل النسب . بنو شمج بن فزارة بالخاء المعجمة ساكنة الميم ، لسان العرب (١٣٣/٣) .

٩ حمهرة (ص ٢٤٣ وما بعدها) .

نعامة الذي يتمثل به في ادراك الثأر ، وكان فيه هوج ، ورويت له امثال كثيرة^١ .
ومن بني تميم ، ظويلم المعروف بمنع الحريم ، ('سمي بذلك لأنه خرج في
الجاهلية يريد الحج ، فزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي ، فأراد ان يأخذ
منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية ، ولذلك 'سمي الحريم .
وكانوا يأخذون بعض ثيابه او بعض بدنته التي ينحر ، فامتنع عليه ظويلم ، وقال :

يا ربّ ، هل عندك من غفيره ان منى مانعه المغيرة
ومانع بعد منى ثبيره ومانعي ربّي أن أزوره

وظويلم الذي منع عمرو بن صرمة الإتاوة التي كان يأخذها من غطفان)^٢ .

وتقع مواطن فزارة بنجد وبوادي القرى^٣ ، وانتشروا بعد ذلك - وخاصة
في الفتوحات الاسلامية - في مواطن اخرى ، وذهبت بطون منهم الى شمال
افريقية . وكان لحذيفة بن بدر رئيس فزارة اثر خطير في حرب داحس التي
وقعت بين عبس وذبيان ، ولهم حروب وايام مع القائل الاخرى مثل حربها مع
عمرو بن تميم ومع التيم ومع هوازن ومع بني جشم بن بكر ومع بني عامر .
يذكرها اهل الاخبار في حديثهم عن الايام . وقد قاد حذيفة بن بدر فزارة ،
ومرة يوم النصار ، ويوم الجفار ، وفي حرب داحس حتى قتل فيها يوم الهبأة^٤ .
وقد عرف (حذيفة) هذا ب (ربّ معد)^٥ . وكان ابنه (حصن) من
سادات فزارة .

ومن بني مازن بن فزارة : بنو العشراء^٦ ، (وبنو سيار بن عمرو الذي

١ الاشتقاق (ص ١٧١) .

٢ الاشتقاق (١٧٢) .

٣ الهمداني : الصفة (١٧٤ ، ١٧٧ وما بعدها) ، البكري (٦٣/١ ، ١٦٠ ، ٢٢٣ ،
٢٥٦ ومواضع أخرى) ، لسان العرب (٣٦١/٦) .

٤ المحبر (ص ٤٦١) .

٥ المحبر (ص ٢٤٩) . Ency., II, P. 93.

٦ (بنو العشراء ، وهو عمرو بن جابر بن عميل بن هلال) ، الاشتقاق (ص ١٧٢) ،
القاموس (٩٠/٢) ، لسان العرب (٣٥١/٦) ، المحبر (ص ١٣٥) .

رهن قومه بألف بعير ، وضمنها للملك من ملوك اليمن ، وذلك ان بني حارث بن مرة ، قتلوا ابناً لعمر بن هند ، فزعم سيار قوسه ^١ . ومن ولد سيار ، زبّان ، وقطبة . ومن ولد قطبة هرم بن قطبة ، وهو من حكماء العرب ، واليه تحاكم عامر بن طفيل وعلقمة بن علاثة ، وكان ممن أدركوا الاسلام ^٢ .

وأما ولد أعصر بن سعد بن قيس عيلان ^٣ ، فهم : مالك ، ومن نسله باهلة ، وعمر بن وهو غني ، وأمها من همدان ، وثعلبة وعامر ومعاوية ، وأمهم الطفاوة بنت جرم بن (زبّان) ^٤ .

ومن ولد مالك ، سعد مائة ، وأمها باهلة بنت صعب بن سعد العشرة من مذحج ، وبها عرف سعد مائة ونسله . ومعن بن مالك وهو الذي خلف أباه على باهلة ، ومن نسله عمار بن عبد العزى ، قاتل عبد الدار بن قصي ^٥ . ومن بطون باهلة بنو قتيبة ، ومنهم بنو سهم ، وبنو أصمع ، ووائل بن معن ^٦ . وتقع منازل هذه القبيلة في اليمامة في الأصل ^٧ ، وبطن بعض المستشرقين انها قبيلة (Bahilitae) (Pachylitae) التي ذكرها (بلينيوس) ^٨ . وفييلة (Biliulaci) (الوارد اسمها في جغرافية (بطلميوس) ^٩ .

١ الاشتقاق (ص ١٧٢) ، (سيار ذو القوس الذي رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث بن ظالم ، من النعمان الأكبر) ، المحبر (ص ٤٦١) .

٢ الاشتقاق (ص ١٧٢) ، المحبر (١٣٥) .

٣ تاج العروس (٤٠٦/٣) ، الصحاح (٣٦٦/١) ، لسان العرب (١٤٦/٦) ، كحالة (٣٥/١) .

٤ لسان العرب (٢٣٤/١٩) ، نهاية الأرب (٣٣٤/٢) ، جمهرة (ص ٢٣٣) ، الاشتقاق (ص ١٦٤) ، المبرد (ص ١٠) ، (الطعارة) ، البليخي (١٢٣/٤) .

٥ جمهرة (ص ٢٣٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤٠٦/٣) ، وقد نسبت (باهلة) الى همدان كذلك ، الصحاح (١٥٩/٢) ، لسان العرب (٧٦/١٣) ، ابن خلدون (٣٠٥/٢) ، أبو الفداء (١١١/١) .

٦ المبرد (١٠) ، الاشتقاق (١٦٤ وما بعدها) ، منتخبان (ص ١٠) .

٧ (ديار باهلة) ، (أرض باهلة) ، مراصد (٣٠/١ ، ٤٩٦ ، ٢٦/٢) ، Ency., I, P 576, Blau, in ZDMG., 1869 (XXIII), S., 584.

٨ تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٢١/٣) ، Pliny, 6, 32, Glaser, Skizze, II, P. 145.

٩ تاريخ العرب قبل الاسلام (٤١٦/٣) ، Blau, in ZDMG., (1898), 22, S., 670, 1869, 23, S., 584.

وأما غنيّ ، فقبيلة كانت ديارها في جوار طيء وعند حمى ضريبة^١ . ومنها رباح بن الأشل ، وابن أخيه ثعلبة قاتل شأس بن زهيرة بن خزيمه العبيسي . وقيل : ان رباحاً هو قاتل شأس . وكانت لهم طاعنة ضحمة بالشام^٢ . ومن بطون غنيّ عبد ، وزبان ، وصريم ، وضينة^٣ ، وبنو عتريف^٤ . وكانت لهم حروب مع عيس ومع زيد الخيل . ومن اصنامهم التي عبدوها : الآلات ، ومناة ، والعزى^٥ . ومن شعرائهم طعيل بن عمرو الغنوي^٦ ، وكعب بن سعد الغنوي^٧ .

ومن ولد خصفة بن قيس عيلان . عكرمة ، وأمه اخت كلب بن وبرة لأبيه^٨ ، ومحارب^٩ . ومن محارب : عامر بن وهب بن مجاشع المعروف بذي الرحين ، وكان سيّد قومه ، وقد غزا باهلة وأوقع فيها ، وأسر منها ، وسبع الوارث ، وهو مالك بن عمرو بن حارثة بن عبد بن سلول الكيدبان ، واسمه عبد الله . القاتل لرسول الله : (جملي احب اليّ من ربك)^{١٠} ، والعقب من

١ نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، البكري (٨٦٦/٣) (تحقيق السفا) ، الصفة (ص ١٥٣) ، ١٧٠ ، ١٧٤) ، الأغاني (١٤٧/٧ ، ٩/١٠ وما بعدها) ، كحالة (٨٩٦/٣) ، Ency. II. P. 584.

٢ جمهرة (ص ٢٣٦) .

٣ وفيهم نقول لبيد :

ابني كلاب كف نفسي جعفر
الاشتقاق (١٦٥) ، المبرد (١٠) ،

Wustenfled, Genea., 2 Abt., Taf., Register, S, 170.

٤ المبرد (١٠) ، Register, S. 170

٥ Ency., II, P 140

٦ Ency., II, P 140

٧ شيخو : شعراء النصرانية (القسم الخامس في شعراء بجد والحجاز والعراق) (ص ٧٤٦) .

٨ لسان العرب (٣١٠/١٥) ، الفاموس (١٥٣/٤) ، حمرة (٢٤٧ وما بعدها) ، كحالة (٨٠٤/٢) .

٩ جمهرة (٢٤٧) ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، المبرد (١٢) ،

Wustenfled, Geagea, Taf., F.

١٠ جمهرة (ص ٢٤٨) .

محارب لصلبه في فخذين : طريف ، وجسر ^١ .

والفرع الثاني من فرعي خصفة ، فرع ضخم كبير بالقياس الى فرع محارب ، فهو يشتمل على ولد منصور بن عكرمة ، وهم : مارن ، وهوازن ، وسليم ، وسلامان ، وأبو مالك ^٢ . ومن بني هوازن : بكر بن هوازن ، ومن ولد بكر : معاوية ، ومنبه ، وسعد ، ويزيد . وقد قتل معاوية ، فجعل عامر بن الظرب العدواني ديته مئة من الإبل . ويقول الاخباريون ان هذه اول دية قضى فيها بذلك ، وان لقمان كان قد جعلها قبل ذلك مئة جدي ^٣ . وفي بني سعد بن بكر ابن هوازن استرضع الرسول . ومن بطون بكر الاخرى : جشم بن معاوية بن بكر ، ومنهم بنو جداعة ، رهط دريد بن الصمة ، وبنو سلول وهم بنو مرة ابن صعصعة بن معاوية بن بكر ، وعامر بن صعصعة ^٤ .

وهوازن من القبائل العربية الضخمة ، وقد تفرعت منها قبائل كبيرة معروفة كانت لها شهرة بين القبائل . سكنت في مواضع متعددة من نجد على حدود اليمن وفي الحجاز ^٥ . ويظهر من اتساب هذه القبائل المعروفة الكبيرة اليها ، ثم من اقتصار اسم هوازن على قبيلة واحدة فيما بعد ، واختصاصها به ، أنها كانت في الأصل حلفاً ضم جملة قبائل ، ثم انفصل لعوامل سياسية واقتصادية مختلفة ، فلم يبق من ذلك الحلف الا الرابطة التاريخية التي بقيت في ذاكرة نسابي القبائل ، وهي رابطة النسب . وقد وقعت بين القبائل التي ترجع نسبها الى هوازن وبين قبيلة هوازن حروب عديدة .

وقد كانت هوازن في جملة القبائل الخاضعة للتبابعة ، فلما استقلت قبائل معدة عن اليمن ، كانت هوازن في جملة من استقل من تلك القبائل . ولكنها أخذت تدفع الإتاوة لزهير بن جذيمة سيد عيس من غطفان . فلما قتل زهير ، استقلت من غطفان ، ولم تدفع الإتاوة اليها . ولما انتهت حرب عيس وذبيان ، وعقد الصلح بين القبيلتين المتنافستين ، وقعت حروب وأيام بين بطون غطفان

١ نهابة الأرب (٣٢٣/٢) .

٢ حمهرة (ص ٢٤٨) ، طرفه الأصحاب (ص ٦١) نهابة الأرب (٣٢٣/٢) .

٣ حمهرة (ص ٢٥٢) .

٤ المبرد (١٣) ، الاشعاع (ص ١٧٧) ، طرفه الأصحاب (ص ٦١) .

٥ Ency , II, P 293, Blau, in ZDMG . 1869, 23, S, 586

وهوازن ، منها : يوم الرقم ، ويوم النبا ، ويوم اللوى ، دارت الدائرة فيها على هوازن ، كما وقعت بينها وبين قبائل كنانة وقريش وثقيف أيام عديلة^١ .

وكانت هوازن في جملة انقبائل التي قاومت الاسلام . وقد غزاها الرسول ، بعد فتح مكة ، فتمكن منها ، ودخلت في الاسلام ثم ارتدت بعد وفاته ، ثم عادت مع التوآبين بعد ان غلبهم الخليفة أو بكر الصديق .

وكان لهوازن صنم يعظمونه في عكاظ اسمه جهار ، سدنته من آل عوف النصرين ، تشاركهم في عبادته محارب ، وكان في سفح أطحل^٢ .

ومن ولد مُنبّه بن بكر بن هوازن بن منصور ، قسيّ وهو ثقيف^٣ . وولد قسيّ جشمًا وعوفًا ودارسًا^٤ . وقد دخل ولده في الأزدي . ومن بني عوف بن ثقيف ، الحجاج بن يوسف الثقفي . ومن بني غيرة بن عوف بن ثقيف ، الشاعر أمية بن أبي الصلت . والأخنس بن شريق ، والحارث بن كلدة وأبو عبيد بن مسعود ، والد المختار^٥ . ومن بطون ثقيف الأخرى بنو عُقدة بن غيرة ، وبنو مُعتب ، وبنو حبيب ، وبنو اليسار بن مالك بن حطيظ^٦ . ومن بني مُعتب ، غيلان بن مسلمة بن معتب ، وكانت له وفادة على كسرى^٧ .

ولثقيف حروب يظهر انها كانت في الغالب دفاعاً عن النفس ، إذ نجد ثقيفًا تهاجم فيها في الطائف ، فتضطر عندئذ الى الدفاع عنها . وقد كان من أصنامها الآلات ، وله بيت بالطائف على صخرة يضاهاون به الكعبة بمكة . وكانوا يهدون

1 Ency., II, P., 293

2 المحبر (ص ٣١٥) ، (أطحل) ، البكري (١٦٧/١) (طبعة السعا) ، البلدان (٢٨٢/١ وما بعدها) ، Ency., II, P., 293.

3 ابن خلدون (٣٠٩/٢) ، الأعاني (٤٤/١٢) ، القاموس (١٢١/٣) ، لسان العرب (٣٦٣/١٠) ، الصحاح (١١/٢) ، الاشتقاق (١٨٣) .
4 جشم بن ثقيف ، لسان العرب (٣٦٧/١٤) ، تاج العروس (٢٣٩/٨) ، الصحاح (٢٧١/٢) ، (جهم بن ثقيف) ، ابن خلدون (٣٠٩/٢) ، كحاله (١٤٨/١) .

5 الجهمرة (ص ٥٢٦ وما بعدها) ، (غيرة بن عوف بن ثقيف) ، ابن خلدون (٣٠٩/٢) ، تاج العروس (٤٥٩/٣) ، الاشتقاق (١٨٥) ، كحاله (٩٠٢/٤) .

6 المبرد (ص ١٣) ، الاشتقاق (ص ١٨٥ وما بعدها) .

7 ابن خلدون (٣٠٩/٢) .

اليه الثياب لستره به ، ويطوفون حوله . وسدنته من آل أبي العاص بن أبي يسار بن مالك من ثقيف ^١ .

وولد سليم بن منصور ، بهثة ^٢ (بهثة) . ومن ولد بهثة الحارث ، وثلعة ، وامرؤ القيس ، وعوف ، ومعاوية . ومن بطون امرئ القيس ، بنو عصبية . ومن بني عصبية ، مالك ذو التاج ، وكرز ، وعمرو ، وهند ، وبنو خالد بن صخر بن الشريد . وقد توجت بنو سليم مالكا ملكا عليها ، وقتل مالكا وكرزا عبد الله بن جذل الطعان الكناني . وقد اشتهرت بلاد بني سليم بالمعدين الذي فيها ، ولذلك قيل لها معدن بني سليم ^٣ . ومن بني الحارث بن بهثة بنو ذكوان ^٤ . ومن بني عيس بن رفاعه بن الحارث ، العباس بن مرداس ^٥ ، وهم من القبائل التي لعنها الرسول ، لقتلها أهل بئر معونة . وقد لعن الرسول بني عصبية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة كذلك للسبب نفسه ^٦ . ومن بني ثلعة بن بهثة بن سليم حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص ، وكان بمكة في الجاهلية محتسبا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ^٧ .

وتعد قبيلة بني سليم من القبائل المهمة الساكنة في الحجاز في أرض اشتهرت بمعادنها وبخصبها ، وبها حيرار منها : حرة بني سليم ، وحررة ليلي ، وبها مياه

-
- ١ المحبر (ص ٣١٥) .
 - ٢ (بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصة بن فيس بن عيلان بن مضر) ، لسان العرب (٤٢٤/٢) ، الاشنقاق (١٩٢) ، الحماسة للتبريزي (٢٣١/١) صبح الأعشى (٣٤٥/١) .
 - ٣ جمهرة (ص ٢٤٩ ، / ٢٥١) ، الصفة (١٥٤) .
 - ٤ (ذكوان بن رفاعه بن الحارث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم) ، الاشنقاق (٢٨٧) لسان العرب (٣٠٧/١٣) ، تاج العروس (١٣٧/١٠) ، ابن خلدون (٣٠٧/٢) .
 - ٥ (بنو عيس بن رفاعه بن الحارث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم) ، ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، الأعيان (١٣٨/١١) ، الاشنقاق (١٨٨) .
 - ٦ جمهرة (ص ٢٥١) ، الاشنقاق (ص ١٨٧ وما بعدها) ، ابن خلدون (٣٠٨/٢) ، نهاية الأرب (٣٢٣/٢) ، لسان العرب (٢٩٨/١٩) ، كحالة (٧٨٦/٢) .
 - ٧ جمهرة (ص ٢٥١) .

استفادت منها القبيلة في الزرع . وتجاوزها من القبائل غطفان وهوازن وهلال .
وكانوا على صلوات حسنة باليهود ، كما كانوا على صلوات وثيقة بقريش . وقد
تحالف معهم أشراف مكة وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة^١ .

ويروى ان النعمان بن المنذر كان قد نقم على بني سليم لأمر أحدثوه ، فأرسل
عليهم جيشاً ، ولكنه لم يتمكن منهم ، وهزم الجيش^٢ . ولبنى سليم ككل
القبائل الأخرى أيام : منها : يوم دات الرّمم وهو لبني مازن على بني سليم ،
ويوم تثليت وهو بين مراد وبني سليم^٣ .

وكان لهم صنم يقال له (ضمار) كان عند مرداس والد العباس بن مرداس .
فلما توفي مرداس ، وضعه العباس في بيت يتعبد له . فلما ظهر الاسلام ، أسلم ،
وأحرق ذلك الصنم^٤ .

وولد معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور أولاداً ، هم : نصر ، وجشم ،
وصعصعة ، وعوف . ويسمون بنيه الوقعة^٥ . وقد دخلوا في بني عمرو بن
كلاب بن الحارث^٦ . ومن بني نصر معاوية ربيعة بن عثمان ، وهو أول عربي
قتل عجمياً في يوم القادسية . ومن بني جشم بن معاوية ، كريد بن الصمة من

Ency., IV, P. 518

١ صبح الأعشى (٣٤٥/١ وما بعدها) ،

٢ كحالة (٥٤٤/٢) . بعث النعمان بن المنذر جيشاً (الى بنى سليم لشيء كان
وجد عليهم من أحله . وكان مقدم الجيش عمرو بن فرننا ، فمر الجيش على
غطفان ، فاستنجاشوهم على بني سليم ، فهزمت بنو سليم جيش النعمان ، وأسروا
عمرو بن فرننا ، فأرسلت غطفان الى بنى سليم . وقالوا ننسلكم بالرحم النبي
بيننا الا ما أطلعنم عمرو بن قريسا . فقال أبو عامر هذه الأببات ، أي لا نسب بيننا
وبينكم ولا خله . أي ولا صداقة بعدما أعننم جيش النعمان ، ولم نراعوا حرمه
النسب بيننا وبينكم) ، لسان العرب (٤٢٨/٦) .

٣ كحالة (٥٤٤/٢) .

٤ الأعاني (٩٢/١٣) .

٥ (بنو عوف بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور) ، الاشناع (١٧٧) ، لسان
العرب (٢٩٠/١٠) ، الفاموس (٩٦/٢) ، كحالة (١٢٥١/٣) .

٦ جمهرة (ص ٢٥٧) ، الصفة (١٢١) ، ابن خلدون (٣١٠/٢) ، ماج العروس
(٣٠٠/٢ ، ١٠٥/٣٠ ، ٥٧٠ ، ١٣/٤) الاشناع (١٧٨) ، كحالة (١١٨١/٣) .

الفرسان المعروفين . ولهم حروب مع أسد وغطفان وعبس ، وكانت مواطنهم بالسروات ^١ .

اما ولد صعصعة بن معاوية ، فهم : عامر ، ومرة ويعرف أبنائه ببني سلول نسبوا الى أمهم ^٢ ، وغالب وأمه تماضر ، وقد نسب ولده الى أمهم . وربيعة وأمة عويصرة ، واليها نسب . وعبد الله ، والحارث : وأمهما عادية ^٣ ، واليها نسب ، وكبير ، وعمر ، وزبير وأمهم وائلة ، واليها نسبوا . وقيس ، وعوف ، ومساور ، وسيار ، ومشجور أمهم عدبة ، فنسبوا اليها ^٤ . ويلاحظ ان النساين قد جعلوا لصعصعة عدة نساء ، ونسبوا الى هؤلاء النسوة أولادهم ، فعلوا ذلك للتمييز بين هؤلاء الأولاد ولا شك .

وذهب بعض المستشرقين الى احتمال كون بني عامر هم : (Hamirei) ، (Hamirou) ، (Hamirinoei) المذكورين في تأريخ (بلينيوس) ^٥ . وتقع منازلهم بين منازل قبائل هوازن وسام وثقيف ، ولهم مع القبائل الأخرى مثل بني حنيفة وعبس وذبيان وفزارة وتميم وبني نهد وسعد والرباب حروب عديدة ، ترد أخبارها في الأيام .

ومن نسل عامر بن صعصعة : ربيعة ، وهلال ، ونمير ، وسواة . ومن بني ربيعة بن عامر بن صعصعة كلاب ، وعامر ، وكليب ^٦ . ومن بني عامر

١ جمهرة (ص ٢٥٨) ، ابن خلدون (٣١٠/٢) ، الاشعاق (١٧٧) ، ابو العلاء (١١١/١) ، لسان العرب (٣٦٨/١٤ ، ٢٨٧/١٥) ، تاج العروس (٥٢/٤) ، ٢٢٩/٨ ، ١٤٦/٩) ، القاموس (٣٢٧/٢ ، ٤٤/٤) ، الصحاح (٢٧١/٢) ، صبح الأعشى (٣٤٣/١) ، المحبر (٢١١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

٢ (وهي ابنة ذهل بن شيبان بن نعلته بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل) تاج العروس ، (٣٧٨/٧) ، لسان العرب (٣٦٥/١٣) ، الصحاح (١٩٩/٢) ، ابن خلدون (٣١٠/٢) ، القاموس (٣٩٧/٣) ، جمهرة (ص ٢٥٩) .

٣ تاج العروس (٢٣٨/١٠) ، كحالة (٧٠١/٢) .

٤ جمهرة (ص ٢٥٩) .

٥ Ency., I, 329

٦ جمهرة (ص ٢٦٣ وما بعدها) ، صبح الأعشى (٣٤٠/١) وما بعدها ، الاشعاق (١٧٨) ، ابن خلدون (٣١٠/٢) ، تاج العروس (٣٥٠/٧) ، القاموس (١٤١/٢) ، لسان العرب (٢٧٢/٣ ، ٢٨٦/٦) ، كحالة (٧٠٨/٢) وما بعدها .

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، معاوية ذو السهمين ، لأنه كان يأخذ سهمه من غزوات بني عامر ، أقام أو غزا^١ . وبنو عمرو بن عامر المعروف بـ (فارص الضحياء) ^٢ . ومن بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^٣ . وهم خالد الأصبح وربيعة الأحوص ، ومالك الطيّان ، أمهم بنت رياح بن الأشل الغنوي . وعتبة ، وعوف ، أمهما فاطمة بنت عبد مناف بن قصي بن كلاب . فولد الأحوص عوفاً ، وعمراً ، وشرحاً ، قاتل لقيط بن زراراة يوم جيلة ، وقد سادوا جميعاً . ومن عوف بن الأحوص علقمة بن علاثة الذي نافر عامر ابن الطفيل^٤ .

ومن نسل خالد بن جعفر بن كلاب أربد بن قيس بن جزء بن خالد ، وهو الذي أراد مع عامر بن الطفيل قتل رسول الله^٥ . ومن نسل مالك بن جعفر ابن كلاب ، عامر ، وهو أبو براء ربيعة ملاعب الأسنة ، والطفيل ، وهو والد عامر بن الطفيل ، وليد الشاعر^٦ . ومن نسل عتبة بن جعفر بن كلاب عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر الذي أجار لطيمة الحيرة ، فقتله البراءض الكناني ، ومن أجله كانت حرب الفجار . وابنته كبشة هي أم عامر بن الطفيل ، ولدته يوم جيلة^٧ .

ومن نسل عمرو بن كلاب الصعق ، وهو عمرو بن خويلد بن ثعلبة بن عمرو ابن كلاب . وكان سيداً يطعم بعكاظ ، ومن ولده الشاعر يزيد بن عمرو الصعق^٨ . ومن بني الضباب بن كلاب بن ربيعة كشمير بن ذي الجوشن قاتل

١ جمهرة (ص ٢٦٤ وما بعدها) .

٢ جمهرة (ص ٢٦٤) ، المحبر (ص ٤٥٨) .

٣ الأغاني (١٣٢/١١ ، ٥٢/١٥ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٥٣) ، جمهرة (٢٦٤ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٨٠) ، كحالة (١٩٥/١) .

٤ جمهرة (٢٦٧) ، وما بعدها .

٥ الأغاني (١٣٧/٥ وما بعدها) ، جمهرة (ص ٢٦٨) .

٦ الأغاني (٩٣/١٤) ، جمهرة (ص ٢٦٨) ، المحبر (٢٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣) .

٧ جمهرة (ص ٢٦٨ وما بعدها) .

٨ جمهرة (ص ٢٦٩) ، الاشتقاق (ص ١٨٠ وما بعدها) .

الحسين بن علي^١ . ومن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة جعدة ،
والحرّيش ، وعقيل ، وقشير ، وعبد الله ، وحيب . ومن ولد عبد الله لهم
والعجلان^٢ ، وهم قبيلة . ومن جعدة الشاعر النابعة الجعدي^٣ . ومن بني قشير
مالك ذو الرقية بن سلمة الخير الذي أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة . ومن
عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، المتفق بن عامر بن عقيل ،
وهم بطن ، وربيعة بن عامر ، ومنهم الحارث الأبرص قاتل زيد بن عمرو بن
عديس يوم جبلة ، وبني خفاجة بن عمرو بن عقيل .

وتقع منازل الضباب في أرض كلاب ، ومن بطونهم ضبّ وضبيب وحسل
وحسيل ، وقد وقعت بينهم وبين جعفر بن كلاب يوم عرف بيوم حرايب^٤ ،
ويوم آخر عرف بيوم هراميت^٥ .

وأما منازل جعدة ، فهي في الفلج من اليامة^٦ . وأما الحرّيش ، فكانت
منازلهم باليامة ، واشتركت في يوم الرحران^٧ . وكانت مساكن عقيل بالبحرين ،
وهاجروا الى العراق ، وكان لهم أثر ملحوظ في تأريخ العراق في الإسلام .

والفرع الثاني من فروع مضر ، هو من نسل الياس^٨ ، ويتكون هذا الفرع
من ثلاث كتل : طابخة ، وقعة ، ومدركة . ولكل كتلة من هذه الكتل
قبائل ويطون .

- ١ جمهرة (٢٧٠) ، المبداي (٢٦٩/٢) ، العمدة لابن رشتي (١٥٧/٢ ، ١٦٧) ،
كحالة (٦٦٠/٢) ، الاشتقاق (ص ١٨٠) .
- ٢ جمهرة (ص ٢٦٩ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٨١) .
- ٣ جمهرة (ص ٢٧٣) ، الاشتقاق (ص ١٨١) ، صبح الأعشى (٣٤١/١) وما
بعدها ، الأنساب للمقدسي (ص ١١٠) ، نهاية الأرب (٣٢٢/٢) ، كحاله
(٨٠١/٢) .
- ٤ كحاله (٦٦٠/٢) ، نهاية الأرب (٣٢١/٢) .
- ٥ (هراميت بالفصح وكسر الميم ثم ناء وناء مسافة) ، (يوم الهراميت) البلدان
(٤٥٠/٨) ، البكري (١٣٠٥/٤) وبهذا الموضع آبار بسببون حفرها الى لعمان
ابن عاد ، مما يدل على أنها من الآبار القديمة .
- ٦ Ency, I, P 991
- ٧ الاشتقاق (١٨٣) ، كحاله (٢٦٧/١) .
- ٨ صبح الأعشى (٣٤٦/١) ، سبائك الذهب (ص ٢١) ، جمهرة السب (ورفه ٤) .

أما طائخة ، واسمه عمرو (عامر)^١ ، فهو والد ولد يسميه النسّابون أداً ، وأد والد عدة أولاد هم : مرّ ، وضبة ، وعمرو وهو مزينة ، وعبد مناة ، وحميس (خميس) . وذكروا ان بني حميس ، شهدوا يوم القيل مع الحبشة ، فقتلوا ، فقلّ نسلهم^٢ .

أما ضبة بن أد ، فولد سعد بن ضبة ، وسعيد ولا عقب له ، قتله الحارث ابن كعب ، ثم قتل ضبة الحارث بن كعب ، وفي ذلك سارت الأمثال الثلاثة : (أسعد أم سعيد) و (الحديث ذو شجون) و (سبق السيف العذل) قالها كلها ضبة^٣ ، وباسل بن ضبة . ويذكر الأخباريون ان الديلم من نسله . وولد سعد ابن ضبة بكر بن سعد ، وثعلبة ، وصريم . ومن بكر بن سعد ضرار بن عمرو ابن مالك ، سيد بني ضبة . وقد شهد يوم القرنين ، والمفضل بن يعلى صاحب المفضليات ، وحميش بن دلف بن العون ، وكان ينازع ضرار بن عمرو الرياسة وحضر يوم القرنين ، وبني تيم بن ذهل^٤ .

وتعد ضبة جمرة من جمرات العرب التي أثرت اليها ، وتقع منازلها في اليمامة ، وفي خلال الحرب التي وقعت بين عيس وذييان دخلت عيس أرض ضبة ، ولكنها اضطرت الى مغادرتها بعد النزاع الذي حدث بين عيس وضبة . وجاورت بني عامر بن صعصعة . وفي يوم (جبلة) ، وهو من الأيام المشهورة التي وقعت بعد يوم رحرحان بعام ، ويصادف ذلك عام مولد النبي على رواية^٥ . أو قبل مولده بسبع عشرة سنة على رواية أخرى^٦ . كانت ضبة مع ذييان وتميم

١ (عامر) جمهرة النسب (ورفة ٤) ، ابن خلدون (٣١٥/٢) ، صبح الأعشى

(٣٤٧/١) ، جمهرة (١٨٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٢٥/٢) .

٢ (حميس) ، جمهرة (ص ١٨٧) ، ويختلف النسّابون فيما بينهم في عدد ولد

طابحه ، سبائك الذهب (ص ٢٥) ، نسب فريش (ص ٨) ، المبرد (ص ٦) ،

ابن خلدون (٣١٥/٢) ، (بنو خميس) نهاية الأرب (٣٢٥/٢) ،

Wustenfled, Genea., Taf., J.

٣ الميداني : مجمع الأمسال (٣٥٠/١ ، ٥٩٩ ، ٦٠١) .

٤ جمهرة (ص ١٩٢ وما بعدها) .

٥ البكري (٣٦٥/٢) (طبعة السقا) (مادة جبلة) ، نهاية الأرب (٣٥٠/١٥) وما

بعدها) .

٦ البلدان (٥٢/٣) .

وأسد والرباب وفزارة في مهاجمة بني عامر بن صعصعة^١ . وبالرغم من كثرة هذه القبائل ، تمكنت بنو عامر من الظفر به ومن إلحاق الهزيمة بتميم وبمن ضامها . وإلى مشورة قيس بن زهير العبيسي يعود الفضل في انتصار بني عامر . وفي رواية ان لقيطاً استنجد أيضاً بالنعمان بن المنذر ، فأنجده بأخيه لأمه حسان ابن وبرة الكلبي ، وبصاحب هجر وهو الجون الكندي ، فأنجده بابنيه معاوية وعمرو وغزا بني عامر^٢ . وقد أصيب تميم ومن كان معها من القبائل بخسائر ، وبوقوع عدد من الزعماء أسرى في أيدي بني عامر ، فقتل في هذا اليوم لقيط بن زرارة ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيصة ، وأسر سنان بن أبي حارثة المرثي وجزت ناصيته ، وأطلق إمعاناً في امتهانه ، وأسر عمرو بن عدس وجزت ناصيته كذلك ثم أخلي سبيله . وقتل معاوية بن الجون ، ومنقذ بن طريف الأسدي ، ومالك بن ربيعي بن جندل^٣ . ويعد حزن الناصية بعد الأسر خاصة من أشد درجات الامتهان ، ولا سيما حزن نواصي السادة والرؤساء .

وفي يوم النصار ، لحقت ضربة وعدي بأسد وطيء وغطفان في غزوهم لبني عامر ، وقد ألحقوا خسائر فادحة ببني عامر ، وهذا مما غاظ تميمًا ، فجعلها تلحق طيئاً وغطفان وحلفاءهم من ضربة وعدي يوم الفجار ، حتى قتلت من طيء أكثر مما قتلت طيء يوم النصار^٤ .

ومن ذرية عبد مناة بن أد : تيم^٥ ، وعدي ، وعوف ، وثور ، وأشيب . وهؤلاء هم الرباب ، لأنهم تحالفوا مع بني عمهم ضبة على بني عمهم تميم بن

١ Ency. I, P 884.

٢ البكري (٣٦٦/٢) .

٣ نهاية الأرب (٣٥٠/١٥) وما بعدها .

٤ (يوم الفجار) نهاية الأرب (٤٢١/١٥) ، (يوم الفجار) ، البكري (١٣٠٦/٤) (تحقيق السعدي ، مادة ، (النصار) ، (النصار ٠٠٠٠ جبال صغار كانت عندها وعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بن تميم ، فهرست هوازن ، فلما رأوا العلة ، سألوا ضبة أن شاطرهم أموالهم وسلاحهم وبحلوا عنهم) ، البلدان (٢٨٤/٨) .

٥ المبرد (ص ٦) ، الاشنقاق (ص ١١٤) ، نوح العروس (٣١٦/٨) ، كحالة (١٣٨/١) .

مرّ ، فغمسوا أيديهم في رُبّ^١ . ومن بني عوف بن عبد مناة بنو عكل .
ومن بني عمرو بن أد : مزينة ، نسبوا الى أمهم مُزينة بنت كلب بن وبرة^٢ .
وتقع ديار الرباب بالدهناء في جوار بني تميم^٣ .

ومن ولد أد بن طابخة مرّ بن أد^٤ فولد مرّ تميماً وثعلبة ، وهو ظاعنة ،
وبكر بن مرّ ، وهو الشعراء ، ومحارب بن مرّ ، وهو صوفة . ومن النساء
برة أم النضر ، وملك وملك بن كنانة . وهي أيضاً أم أسد بن خزيمه ، وهند
ابنة مرّ وقد ولدت بكرأ وتغلب وعتر بني وائل بن قاسط ، وتُكمة بنت مرّ
وقد ولدت غطفان بن سعد ، وسُلَيْمًا وسلامان بن منصور ، وجديلة بنت مرّ
وقد ولدت فهماً وعدوان ، واليها ينسبون ، وعاتكة بنت مرّ . وهي والدة عذرة
ابن سعد وإخوته^٥ .

وأما صوفة ، فانهم كانوا يجيزون بالحاج . وقد انقضوا عن آخرهم في
الجاهلية ، فورث ذلك آل صفوان بن شجنة (سجنة) (شحمة) ، من بني
سعد بن زيد مناة بن تميم^٦ . ومن هؤلاء على رواية كان عامر بن احيمر السعدي

١ جمهرة (ص ١٨٧) ، (فالرباب ، نيم ، وعدى ، وعكل ، ومزينة ، وضبة ، وانما
سموا الرباب لانهم حالفوا ، فعالوا اجتمعوا كاجتماع الربابة . وهي خرقة تجمع
فيها العداح . وقال قوم : بل غمسوا أيديهم في رب وتحالفوا . والقول الاول
أحسن) ، (الاشتقاق (ص ١١١) ، المبرد (ص ٦) ابن خلدون (٣١٨/٢) ،
لسان العرب (٣٨٨/١) (والرباب : ولد ييم بن عبد مناة وعدى بن عبد مناة
وعوف بن عبد مناة : سمو الرباب لانهم غمسوا أيديهم في رب ، اذ تحالفوا على
بني تميم . قال : ومن النسابين من يجعل الرباب بني تميم وعدى وثور وعكل وهم
بنو عبد مناة وضبة بن أد) ، نهاية الأرب (٣٢٩/٢) .

٢ جمهرة (ص ١٩٠) ، صبح الأعشى (٣٤٨/١) ، ابن خلدون (٣١٨/٢) ،
الاشتقاق (١١١) ، ابو العدا (١١٢/١) ، ناه العروس (٣٤٥/٩) ، لسان
العرب (٢٩٤/١٧) ، القاموس (٣٦٦/١) ، كحالة (١٠٨٣/٣) وما بعدها .
٣ ابن خلدون (٣١٨/٢) ، كحالة (٤١٥/٢) .

٤ المبرد (ص ٦) ، الصحاح (٣٩٨/١) ، نهاية الأرب (٣٢٥/٢) ، ابن خلدون
(٣١٥/٢) .

٥ جمهرة (ص ١٩٥ وما بعدها) ، (طابخة ، مر ، أد) ، سبائك الذهب (ص ٢٥) .
٦ القاموس (١٦٤/٣) ، (وبدو صوفة ، وهم ولد الغوث ، وهو الربيط بن مر) ،
نهاية الأرب (٣٢٥/٢) ، (شحمة) ، ابن خلدون (٣١٩/٢) ، (سجنة) ،
كحالة (٦٥٥/٢) الصحاح (٣٩/٢) ، اللسان (١٠٢/١١) ، جمهرة (١٩٦) .

الذي حصل على بردي "محوّق" من النعمان بن المنذر في مجلس مفاخر حضرته وفود العرب عقد بحضره النعمان بن المنذر في الحيرة. وقد برز عامر هذا الحاضرين في الفخر وفي الانتساب على الطريقة المألوفة. ولما سأله النعمان : بِمَ أنت أعز العرب ؟ قال : العز والعدد من العرب في معدّة ، ثم في نزار ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فن أنكر هذا من العرب فليتنافرني ؟ فلما لم يتافره أحد ، ذهب بالبردين ^١ .

وتيمم من القبائل العربية الكبيرة المعروفة ، وقد نعتهم ابن حزم بقوله : (وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب) ^٢ . وتعدّ في مقابل قيس وربيعة ، وهي المثلة لمجموعة مضر في بعض الأحيان . وهي أقرب جغرافياً وتاريخياً الى قيس وربيعة منها الى كنانة ^٣ . ومعارفنا عن تأريخها مستمدة مثل معارفنا عن القبائل الأخرى الماثلة من الروايات المدوّنة في كتب الأخباريين ^٤ .

ويزعم الأخباريون ان جدّ هذه القبيلة مدفون في موضع (مُرّان) ^٥ ، وهم يروون قصصاً عنه وعن ميلاد أولاده من هذا النوع الذي ألفنا وروده عن الأخباريين ^٦ .

ولا نستطيع في الوقت الحاضر ان نرتقي بتاريخ تميم عن القرن السادس للميلاد ، فليست لدينا موارد تاريخية يعتمد عليها ترفع تأريخ هذه القبيلة الى

١ وفيه يقول الفرزدق :

فما تمّ في مسعد ولا آل مالك علام اذا ما فيل لم يبهدل
لهم وهب النعمان بردي محرق بمحمد معد والعبد المحصل
وفي أهل هذا البيت من سعد بن مضاء ، يقول أوس بن مغراء السعدي :
ولا يريمون في التعريف موفهم حتى يقال أجزوا آل صعوا
العبد الفريد (٦٥/٢) ، (تحقيق محمد سعيد العريان) .

٢ جهمرة (ص ١٩٦) .

٣ Ency., IV, P. 643

٤ ابن قتيبة : المعارف (٣٧ وما بعدها) (طبعة وسنبلد) ، جهمرة السب (ورقة ٦٢ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ١٢٣ وما بعدها) ، الأغاني (٧/٤ وما بعدها) ، ٣٦/١٢ ، ٦٩/١٥ وما بعدها) ، ابن جلدون (٣١٥/٢) ، أبو العداء (١١٢/١) .

٥ البلدان (٧/٨) .

٦ Ency., IV, P. 644

ما قبل ذلك ، ولا يعني هذا اننا ننكر ان يكون لها تأريخ قديم ، اذ يجوز ان يكون لها عهد اقدم من هذا العهد الذي نتحدث عنه . ولكننا لا نملك الآن نصوصاً جاهلية او موارد اسلامية يُطمأن اليها ، ترجع تأريخ تميم الى ما قبل هذا القرن .

اما في القرن السادس ، فقد كانت تميم قبيلة بارزة ظاهرة ، بطونها منتشرة في العربية الشرقية ، وفي نجد وفي العراق ، وفي انحاء مختلفة من جزيرة العرب ، مجاورة لقبائل معروفة مثل اسد وغطفان وبني عبد القيس وتغلب ، متصلة بها . ومن بني دارم من تميم كان المنذر بن ساوى حاكم البحرين والذي أسلم في ايام الرسول ^١ .

وكانت لتمييم صلوات متينة بملوك الحيرة ، وكان من عاداتهم جعل الرداقة في بطن من بطونهم ، وهو بطن بني يربوع . وقد ثار هذا البطن وهاج ، لما حولت الرداقة الى بطن آخر من بطون تميم ، هو بطن بني دارم ، ولم يقبلوا الا برجوعها اليهم ، لما كان للرداقة من مكانة ومترلة في ذلك الوقت ^٢ .

ونجد في كتاب الاخباريين اسماء ايام عديدة وقعت بين تميم وغيرها من القبائل ، خاصة قبائل بكر بن وائل ، كما نجد اشارات الى حروب وقعت بينهم وبين بعض ملوك الحيرة . وقد اشرت الى القصص الذي يرويه اهل الاخبار عن غزو (سابور ذي الاكتاف) لجزيرة العرب والى ما زعموه من تنكيهه بالقبائل وانتزاعه اكتافهم ، ومن هذه القبائل قبيلة تميم ^٣ . ويذكر الاخباريون ايضاً ان (كسرى برويز) (كسرى أبرويز) (Khusrawparwez) ، كتب الى عامله على هجر ، وهو (المكعب) ، ان ينتقم من تميم ، لتعرضها لقافلة كانت محملة بالتجارات وبالهدايا مرسله اليه ، فقتل المكعب بالمشقر عدداً كبيراً منهم ^٤ .

ولتمييم صلوات متينة ببرجال مكة ، وقد كان لرجالهم ذكر وخبر في سوق

1 Ency., IV, P. 644.

2 Ency., IV, P. 945.

Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. VIII, 1965
PP. 113.

3 Noldeke, Geschichte der Perser und Araber, S., 56.

4 Ency., IV, P. 645

(عكاظ) . فمنهم كان حكّام الموسم . كما تولوا القيام ببعض مناسك الحج . وقد صايرهم بعض رجال مكة .

ويظهر من بعض روايات الاخباريين ان تميماً وبقية القبائل المنتمة الى (أد) كانت تتعبد لـ (شمس) . وكان لشمس بيت (تعبد به بنو أد كلها : ضبة ، وتميم ، وعدي ، وعُكُل ، وثور . وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن أبي هالة بن أسيد بن الحلال بن أوس بن مخاشن)^١ . وعبدت طائفة من تميم (الدبران) من النجوم ، ولهم قصة عن هذه النجوم^٢ .

وكان بعض تميم على النصرانية ، ومنهم علي بن زيد العبادي ، كما كان بعض منهم من دان بالمجوسية ، ومن هؤلاء زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب ابن زرارة والأقرع بن حابس^٣ .

وفي شواهد كتب النحو والصرف امثلة عديدة من لهجة تميم^٤ ، وهي تشير الى وجود فوارق ومميزات في تلك اللهجة تميزها عن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم . وقد اخرجت هذه القبيلة عدداً من الشعراء في الجاهلية والاسلام . وللاستشهاد بلهجة تميم ، ولوجود عدد من الشعراء الذين يعدون من كبار الشعراء عند علماء الشعر ، اهمية كبيرة ولا شك في دراسة اللهجات العربية ، وعلاقتها بلهجة القرآن الكريم^٥ .

وقد أدى تعدد بطون تميم وانتشارها الى نشوب حروب بينها ، والى تكتلها كتلاً وتكوين احلاف بينها ، كالحلف الذي كان بين بني يربوع وبني نهشل . وقد نسب لأبي اليقظان النسابة كتاب في احلاف تميم اسمه : (كتاب حلف تميم بعضها بعضاً)^٦ .

١ المحبر (ص ٣١٦) .

٢ بلوغ الأرب (٢٣٩/٢) .

٣ بلوغ الأرب (٢٣٣/٢) وما بعدها .

٤ ابن فارس : الصحاح (٢٤) . المزهر (٢١١/١) ، السيوطي : الاغان (ص ١٠٩) .

٥ Voller, Volkssprache und Schriftsprache in Alten Arabien, S. 8ff., Ency.,

IV, P. 645.

٦ العهرست (ص ٩٤) ، Ency, IV, P 644.

وبطون تميم عسديدة ، تفرعت على رأي النسابين من الحارث ، وعمرو ،
وريد مناة اولاد تميم ^١ . ومن ولد عمرو : العنبر ، والهجم ، وأسيد ، ومالك ،
والحارث ، وقلب ^٢ . والحرماز ، وكعب على رواية اخرى ^٣ . ومن بطون بني
كعب بنو فهد . وقد عرف نسل الحارث بالحبيطات ^٤ . ومن بطون بني مالك
ابن عمرو بن تميم : مازن ، والحرماز ، وغيلان ، وغسان ^٥ . ومن بني أسيد
ابن عمرو بن تميم بنو كاهل ، ومنهم أوس بن حجر الشاعر الجاهلي المعروف .
وكان شاعر مضر حتى أسقطه زهير ^٦ ، وبنو شريف ومنهم أكثم بن صيفي من
حكماء العرب في الجاهلية ، وحظلة بن ربيعة ، ابن اخي اكثم . وقد كتب للنبي
الوحي ^٧ . ومن بني مالك بن زيد مناة بن تميم البراجيم ، وبنو دارم ^٨ ، ومن
بني حظلة بنو يربوع ، ومن بني يربوع بنو ثعلبة ^٩ ، ومن بني الحارث بن
يربوع بنو سليط ، ومن نسل مالك بن حظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :
بنو فقيس ، وبنو نهشل ، وبنو مجاشع ^{١٠} ، وفي بني رياح بن يربوع كانت
ردافة قبل الاسلام ^{١١} ، ومن بني العنبر بن يربوع كانت سجاح ^{١٢} .

- ١ جمهرة (ص ١٩٦) ، (وبنو أسد بن عمرو بن تميم) ، هكذا في الصفحة (٤٣٥) ،
من الجمهرة ، (والحارث أبا شعرة ، وانما سمي أبا شعرة لبنت فالة :
وقد احضب الرمح الاصم كمويه به من دماء العوم كالشعرا
- المبرد (ص ٦) ، الانباه (٧٦) الاشتقاق (١٢٦) ، المعارف (٢٦) .
- ٢ جمهرة (ص ١٩٧) ، المبرد ص (٧) ، الاشتقاق (١٢٦) ، المعارف (٢٦) .
- ٣ الاشتقاق (ص ١٢٣ وما بعدها) ، المبرد (ص ٧) .
- ٤ المبرد (ص ٧) ، الاشتقاق (ص ١٢٤) ، العمد (٢٢٢/٢) .
- ٥ الاشتقاق (ص ١٢٤) ، جمهرة (ص ٢٠٠) .
- ٦ الاشتقاق (ص ١٢٧) .
- ٧ الاشتقاق (ص ١٢٧) ، جمهرة (ص ٢٠٠) .
- ٨ الانباه (ص ٧٦ وما بعدها) ، جمهرة (ص ٢١٢) ، المبرد (ص ٧) ، طرفة
الاصحاب (ص ٦٠) .
- ٩ جمهرة (٢١٣) ، الاشتقاق (ص ١٢٥) ، المبرد (ص ٧) .
- ١٠ جمهرة (ص ٢١٧ وما بعدها) ، المبرد (ص ٧) ، (وأما تميم بن مر ، فهي قبيلة
كبيرة ، ترجع الى طابخة بن الياس بن مضر ، فطوبها . دارم ومجاشع) ، طرفه
الاصحاب (ص ٦٠) الاعاني (٤٨/١٢) ، نهاية الأرب (٣٢٦/٢) وما بعدها .
- ١١ المبرد (ص ٨) ، الاشتقاق (١٣٥) ، العمد لابن رشيون (١٦٥/٢) ، ناج العروس
(٣٥٨/٥) ، لسان العرب (٢٩٥/٣) ، كحالة (٤٥٧/٢) .
- ١٢ المبرد (ص ٨) ، جمهرة (٢١٥) ، صبح الأعشى (٣٤٨/١) ، ابن خلدون
(٣١٧/٢) ، كحالة (٨٤٥/٢) .

وذكر (البلاذري) ان (بكر بن وائل) أغارت على (بني عمرو بن تميم) يوم (الصليب) ، ومعها ناس من الاساورة ، فهزمتهم بنو عمرو وقتلت (طريفا) رأس الأساورة^١ . وذكر ان (بكرأ) كانت تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يقوونهم ويجهزونهم . وكان يشرف عليهم عامل (عين التمر)^٢ . ويظهر ان (بني عمرو) ، كانوا قد اعتدوا على (عير كسرى) ، فجهز (بكر بن وائل) عليهم .

اما بنو قعدة بن الياس ، فهم من نسل عامر بن قعدة ، واسم قعدة عمير^٣ . وقد ولد عامر أفصى وريعة وهي لحي ، فولد لحي عامر بن لحي ، وولد عامر ابن لحي عمراً وهو عمرو بن لحي ، نسب الى جدّه ، فعرف بعمرو بن لحي . وهو على قول الاخباريين أول من غير دين اسماعيل ودعا العرب الى عبادة الأوثان^٤ .

وأشهر بطون قعدة أسلم ، وخزاعه في رأي بعض النسابين^٥ . ولم يشر الى عقب يذكر لقعدة بعض آخر من علماء الانساب^٦ . اما اسلم ، فهم بنو أفصى ابن عامر بن قعدة ، وأما خزاعة ، فهم بنو عمرو بن عامر بن لحي وهو ربيعة . وقد كانت مواطن خزاعة في انحاء مكة في مرّ الظهران وما يليه . وكانوا حلفاء لقريش . ودخلوا في عام الحديبية في عهد رسول الله ، وقد ذهب بعض النسابين كما اشرنا سابقاً الى ذلك ان خزاعة من غسان ، وانها من نسل حارثة بن عمرو (عامر) مزيقياء ، وانها اقامت بمرّ الظهران حين سارت غسان الى الشام ، وتخرّجوا عنهم ، فسّموا خزاعة . والى نسبة خزاعة الى غسان ذهب نسابو خزاعة^٧ .

١ M. J. Kister, in Journal of the Economic and Social History of the Orient, p 114.

٢ النقاتض (٥٨١) .

٣ نسب فريش (ص ٨) .

٤ الجمهرة (ص ٢٢٣) ، (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أول من سيب السائبة ، وبحر البحيرة ، وحمى الحامي ، عمرو بن لحي بن فمعة . رأبته في النار) بحر فضبة . وأشبه ولده به أكنم بن أبي الجون . فقال أكنم . أضرني ذلك يا رسول الله ؟ قال . أنت مؤمن ، وهو كافر) ، نسب فريش (ص ٨) .

٥ ابن خلدون (٣١٥/٢) ، جمهره (ص ٤٣٧) .

٦ صبح الأعشى (٣٤٨/١) .

٧ نسب فريش (ص ٨) .

ومن صلب عمرو بن لحي^٢ ، اي خزاعة ، بنو سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي^٢ ، ومنهم قير (قير) ، ومطروود ومازن وسعد وحليل ، وحُبشية وهم بطن ، وهو حاجب الكعبة^١ . ووالد حُبتي التي تزوجها قُصي^٢ بن كلاب . ومن نسل حليل ابو غبشان ، واسمه المحترش ، باع الكعبة بزق خر من قصي^٢ ابن كلاب . ومن ولد حبشية بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي : حرام ، وغاضرة^٢ . ومن نسل بني عوف بن عمرو بن عامر بن لحي^٢ : جفنة (بنو جهيئة) ، وهم عباد بالحيرة . ومن نسل سعد بن عمرو بن لحي بنو المصطلق . ومن بني اقصى بن عامر بن قعة بن عامر بن قعة : بنو اسلم ، وسلامان وهوازن ، وبنو ملكان بن اقصى بن عامر بن قعة وبنو مالك بن اقصى^٣ .

وقد تحدثت سابقاً عن رأي نسابي اليمن في خزاعة ، وعدّها من جماعة قحطان . ونظراً لعد بعض النسابين اياها من عدنان تحدثت عنها في هذا الباب .

اما فرع مدركة ، فيتكون من اصلين : خزيمية ، وهذيل . وأمهاسلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار^٤ . واضاف بعض النسابين ولداً آخر اليها اسمه غالب بن مدركة ، دخل نسله في بني الهون بن خزيمية بن مدركة^٥ .

اما ولد خزيمية ، فهم كنانة وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد ، وأسدة ، والهون ، وأمههم برّة بنت مر بن أد بن طابخة . اخت تميم بن مر^٦ . ويرى بعض النسابين ان جذاماً ونخلاً وعاملة هم نسل أسدة ، ولكنهم انتسبوا في اليمن ، فقالوا 'جذام بن عدي بن الحارث بن مِرّة بن أدَد' بن زيد بن يشجب بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان ، وأن هذا الانتساب كان لعوامل سياسية كما حدث لقبائل اخرى ، خاصة في ايام الامويين^٧ .

- ١ نهاية الارب (٣٠١/٢) ، الاشئفاق (ص ٢٧٦) ، جمهره (٢٢٣) .
- ٢ نهاية الارب (٣٠١/٢) ، جمهرة (٢٢٣) ، الاشئفاق (٢٧٨) ، كحالة (٨٧٤/٢) .
- ٣ نهاية الارب (٣٠١/٢) ، جمهرة (٢٢٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٣١٥/٢) .
- ٤ ابن خلدون (٣١٩/٢) ، جمهرة (٩) ، نسب قريش (ص ٨) ، سبائك الذهب (ص ٢٢ وما بعدها) ، مدركة ٠٠٠٠ وله فرع واحد على حاشية عمود النسب ، وهو هذيل) ، صبح الأعشى (٣٤٨/١) .
- ٥ جمهرة (ص ٩) .
- ٦ نسب قريش (ص ٨) ، الجمهرة (ص ٩) ، (فولد خزيمية بن مدركة كنانة وأسد والهون) ، طرفة الأصحاب (ص ٥٩) .
- ٨ نسب قريش (ص ٩) .

وكانت منازل كنانة عند ظهور الإسلام في أطراف مكة بين هذيل وأسد بن خزيمه ، وكان لها أثر مهم في تأريخ مكة على ما يفهم من روايات الأخباريين . وقد ساعدت قريشاً ، وقريش من كنانة في نزاعها على رئاسة مكة مع خزاعة ، ولها مع خزاعة جملة وقائع ، كما كان لها أثر خطير في حروب القجار^١ .

وتألف كنانة من بطون عديدة ، هي : النضر ، والنضير ، ومالك ، وملكان ، وعامر ، وعمرو ، والحارث ، وعروان (عزوان) ، وسعد ، وعوف ، وغنم ، ومخرمة ، وجروول . وفي رواية لابن الكلبي ان جميع هؤلاء الأبناء هم من أم واحدة هي برة بنت مرّ ، أخت تميم بن مرّ^٢ ، وهي أم أسد وأسدة والهون أبناء خزيمه في رواية أخرى . أما أم عبد مناة بن كنانة ، وذلك في رواية من جعله ابناً لكنانة ، فهي بنت هنيء بن بليّ من قضاة . ولهذا السبب نسبت الى قضاة عند بعض النسابين^٣ .

ومن بطون عبد مناة بن كنانة : بكر ، وعامر ، ومرة ، وغفار . وهي بطون . ومن بكر : ليث ، والدثيل وأمهها أم خارجة البجلية ، وضمرة ، وعريج . ومن ليث بن بكر : عامر وجندع ، وسعد . ومن الدثيل أبو الأسود الدؤلي . ومن بني مرة بن عبد مناة : بنو مدلج ، وقد اشتهروا بالقيافة^٤ . ومن بطون مالك بن كنانة : ربيعة بن مكدّم ، فارس بن كنانة ، وبنو فراس بن تميم ، وبنو فقيّم ، وهم الذين كانوا ينسأون الشهور في الجاهلية ،

١ نسب فريش (ص ١٠) ، الصفة (٥٤) ، الفاموس (٦٦/٢ ، ١٠/٣) ، تاج العروس (٢٤٠/٨ ، ١٧٨/١٠) ، لسان العرب (١٥٤/١٢ ، ٢٤٣/١٧) ، ابن خلدون (٣٢٠/٢) ، صبح الأعشى (٣٥٠/١) ، الانباه (٧٢) ، زيدان : العرب قبل الاسلام (٢٤١) ، كحالة (٩٩٦/٣) ، Ency., II, p. 1017.

٢ جمهرة النسب (ورفه ٤) ، الاشتقاق (١٠٥ وما بعدها) ، Wustenfeld, Genea., Taf., N

٣ Ency., II, p. 1018

٤ جمهره (ص ١٧٠ وما بعدها) ، (الدئل) ، الاشتقاق (١٠٥ وما بعدها) ، المعارف (٢٢ ، ١٥٠) المبرد (ص ٤) ، طرفة الأصحاب (ص ٥٩) ، صبح الأعشى (٣٥٠/١ وما بعدها) ، الأغانى (٧٧/١٩) ، تاج العروس (٣٢٣/٩) ، أبو العداء (١١٢/١) ، ابن خلدون (٣٢٠/٢) ، كحالة (٧٣٥/٢) ، (١٠٦١/٣) .

ثم أبطل ذلك في الاسلام^١ .

ومن نسل الهون : عضل^٢ ، وديش^٣ ، والقارة^٤ . وبنو يثع (يثع)^٥ (يثع)^٦ ، بن مليح بن الهون . وهم ، وبطنان من خزاعة هما : الحيسا والمصطلق ، حلفاء لبني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . ويقال لهم جميعاً الأحابيش ، أحابيش قريش ، لأن قريشاً حالفت بني الحارث بن عبد مناة على بكر بن عبد مناة ، فهم وأحلافهم حلفاء قريش^٧ .

أما نسل أسد بن خزيمه ، فهم : دودان^٨ ، وكاهل^٩ . وعمرو ، وصعب ، وحمة^{١٠} . ويقال لبني عمرو بنو نعامه^{١١} . وجعل بعض النسابة بني النعامه من نسل عبد الله بن صعب بن أسد ، وهم : بنو جعدة ، وبنو البحر بن عبد الله

١ صبح الأعشى (٣٥١/١) ، الانباه (٧٤) ، المعار (٢٢) ، المبرد (٥) ، الأغاني (٤٨/١٢) ، (فعيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة) ، كحالة (٩٢٦/٣) ، نهاية الأرب (٣٥١/٢) .

٢ لسان العرب (٤٨٠/١٣) ، الصحاح (٢١٥/٢) ، أبو العداء (١١٢/١) ، صبح الأعشى (٣٤٩/١) ، كحالة (٧٨٧/٢) .

٣ ناج العروس (٣١٦/٧) ، أبو العداء (١١٢/٢) ، صبح الأعشى (٣٤٩/١) .

٤ طرفة الأصحاب (ص ٦٠) ، الاشتقاق (ص ١١٠) ، وطلو بعض التسابيين العارة على عضل والديش مجتمعين ، ناج العروس (٥١٠/٣) ، لسان العرب (٤٣٦/٦) ، الصحاح (٣٩١/١) ، الانباه (ص ٧٣) ، كحالة (٩٣٥/٣) ، عضل والديش ابني بلع بن الهون وهم القارة ، سموا فاره لأن يعمر بن عوف بن الشدا (أحد بني لبث لما أراد أن يعرفهم في بطون كنانة قال رجل منهم :

دعونا فارة لا تنفرونا فنجفل مل افعال الطليم

فسموا فارة . وهم رماة العرب) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) .

Wustenfeld, Genea., Taf., N.

٥ نسب قريش (ص ٩) ،

٦ (يثع) جمهرة (ص ١٧٩) .

٧ نسب قريش (ص ٩) ، جمهرة (ص ١٧٩) .

٨ لسان العرب (١٤٧/٤) ، صبح الأعشى (٣٤٩/١) ، ناج العروس (٣٤٧/٢) ،

أبو الفداء (١١٢/١) ، نهاية الأرب (٣٢١/٢) .

٩ لسان العرب (١٢٤/١٤) ، الصحاح (٢٣٧/٢) ، أبو العداء (١١٢/١) ، ابن

خلدون (٣٢٠/٢) ، نهاية الأرب (٣٣١/٢) ، صبح الأعشى (٣٥٠/١) ، كحالة

(٩٧٦/٣) .

١٠ جمهرة (ص ١٧٩) ،

١١ الاشتقاق (ص ١١٠) ، المبرد (ص ٦) .

ابن مرة بن عبد الله بن صعب بن أسد^١ . وحصر بعض النسابين بطون أسد ابن خزيمه في كاهل ، وفقعس ، والقعين ، ودودان^٢ .

ومن نسل عمرو بن أسد بن خزيمه : القليب ، ومعرض واسمه سعد ، والمالك^٣ ، ومن نسل كاهل بن أسد بن خزيمه مازن بن كاهل ، ومنهم علياء ابن حارثة بن هلال الشاعر قاتل حجر بن عمرو الكندي والد الشاعر امرؤ القيس^٤ . وولد دودان بن أسد : ثعلبة ، وغنما^٥ . فولد غنم بن دودان كبيراً ، وعامراً ، ومالكاً . ومن بني غنم بنو بجحش^٦ . ومن بني ثعلبة^٧ بن دودان الشاعر عبيد بن الأبرص ، والكميت الشاعر . ومن بني سعد بن مالك بن ثعلبة ابن دودان عمرو بن مسعود الذي يقال إن النعمان بنى عليه الغري^٨ . ومن بني الحارث بن ثعلبة بن دودان : قعين ، ووالبة ، وسعد ، ومن بني قعين عامر ابن عبد الله بن طريف بن مالك بن نصر بن قعين ، صاحب لواء بني أسد في الجاهلية . ومن بني عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، طليحة ابن خويلد بن نوفل الذي ادعى النبوة^٩ . وأشهر بطون بني ثعلبة : بنو غاضرة ، وبنو مالك ، وبنو والبة ، وبنو نصر بن قعين ، وبنو الصيذاء ، وبنو فقعس ، وبنو دبير^٩ .

أما ولد هذيل بن ملركة ، فهم : سعد ، ولحيان . وولد لحيان طابخة ، ودابغة . ومن طابخة أبو قلابة الحارث بن صمصعة الشاعر . ومن سعد بن هذيل :

- ١ جمهرة (ص ١٨٠) .
- ٢ طرفة الأصحاب (٥٩) .
- ٣ جمهرة (ص ١٨٠) .
- ٤ جمهرة (ص ١٨٠) ، وفيه يقول امرؤ القيس :
أفليتهن علياء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب
المبرد (ص ٦) .
- ٥ تاج العروس (٨/٩) ، ابن خلدون (٣٢٠/٢) ، كحالة (٨٩٤/٣) .
- ٦ جمهرة (ص ١٨٠ وما بعدها) .
- ٧ ابن خلدون (٣٢٠/٢) ، تاج العروس (١٦٥/١) ، لسان العرب (٢٣١/١) ، كحالة (١٤٤/١) .
- ٨ جمهرة (ص ١٨٠ - ١٨٥) ، وهو من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، المبرد (ص ٥) ، الإصاغة (٤٢٩٠) .
- ٩ جمهرة (ص ٤٣٥) ، المبرد (ص ٥) .

الشاعر أبو كبير الهذلي ، وحوية . وقيل إن الحُطَيَّاة منهم . ومنهم خناعة وهم بطن ، ورهم ، وتميم ، والحارث ، ومعاوية ، وعوف . ومن سعد هذيل : عبد الله بن مسعود ، والمؤرخ المسعودي . وقد اشتهرت هذيل بكثرة من نبغ فيها من الشعراء ، حيث بلغ عددهم نيفاً وسبعين شاعراً^١ . ومن بطون هذيل الأخرى : بنو دهمان ، وبنو عادية ، وبنو صاهلة ، وبنو فلاءة^٢ ، وبنو مخزوم ، وبنو قُريم ، وبنو قرد بن معاوية^٣ .

وتعدّ هذيل من القبائل العربية الكبيرة التي كانت في القرن السادس للميلاد ، أما منازلهم في هذا الوقت ، ففي سراة هذيل بين مكة والمدينة وفي جوار بني سُليم وكنانة^٤ ، وهي مثل أكثر القبائل الأخرى لا نعرف من تأريخها قبل الإسلام شيئاً يذكر . ويذكر الأخباريون أنها كانت في جملة القبائل التي أرادت الدفاع عن مكة حينما عزم أبرهة على احتلالها . وكانت تتعبد للصنم سواع بـسَعْمَان ، وسدنته بنو صاهلة من هذيل ، وتعبدت له بنو كنانة وبنو مزينة وبنو عمرو بن قيس عيلان كذلك^٥ . وله معبد آخر بموضع (رهاط)^٦ ، كما تعبدت للصنم (مناة) ومعبد به بقديد^٧ .

إن ما ذكرته في هذين الفصلين ، هو خلاصة آراء علماء الأنساب في أنساب القبائل . وهي آراء لا نستطيع أن نذهب مذهبهم في أنها جاهلية قديمة ، وإنها على هذه الصيغة كانت معروفة قبل الإسلام ، وإن قالوا لأنهم توارثوها عن الجاهليين ، ونقلوها عن المستغلين بالنسب في الإسلام والجاهلية كابراً عن كابر ، ولا نستطيع أيضاً أن نزعّم أنها تمثل أنساب القبائل على نحو ما دوت وصنفت في الديوان بأمر الخليفة عمر بن الخطاب . فلم نجد في أقدم ما انتهى إلينا من

١ جمهرة (ص ١٨٥ وما بعدها) .

٢ طرفة الأصحاب (ص ٦٠) .

٣ جمهرة (ص ٤٣٥) ، المبرد (ص ٦) .

٤ الصفة (ص ١٧٣) ، ابن خلدون (٣١٩/٢) ، صبيح الأعشى (٣٤٨/١) ، نهاية

الأرب (٣٣٠/٢) ، كحالة (١٢١٣/٣) وما بعدها .

٥ المحجر (ص ٣١٦) .

٦ الكرى (٦٧٩/٢) (طبعة السفا) (مادة رهاط) ،

كتب النسب إشارة تفيد ان ما قصّوه علينا وما ذكروه في النسب ، منتزع من سجلات ديوان الخليفة . ثم اننا رأينا أمثلة عديدة ، لتنقل نسب القبائل في أيام الأمويين بين قحطان وعدنان لأسباب سياسية وعوامل ترجع الى هذا التعصب المزري الذي انتشر في ذلك العصر ، حتى جزأ العرب الى قيس وعين .

وهذه الخصومة السياسية العنيفة التي جزأت العرب ويا للأسف الى جزئين ، وأسالت الدماء بين الفريقين ، صارت سبباً لتثبيت أنساب القبائل وضمها في مجموعتين : إما الى قحطان ، وإما الى عدنان ، ولا وسط بين الكتلتين . وقد صادف هذا التحزب عصر بدء التدوين ، فكان النسب (لأهميته عند القبائل والناس وفي الحياة السياسية في ذلك العهد) في طليعة الأمور التي شملتها حركة التدوين ، فبدلاً من ان يعتمد السابون على الذاكرة والرواية سطرّوا تلك الروايات في الأوراق ، وضبطوا أنساب القبائل التي عاشت قبيل الاسلام وفي صدر الاسلام بهذا التدوين .

وقد أحدث عدم ضبط قواعد الخط في صدر الاسلام ، وعدم استعمال القبط في أول العهد بالتدوين بعض المشكلات للمتأخرين في ضبط الأعلام . فاختلاف النقط يحدث كما هو معروف اختلافاً في ضبط الأسماء ، وهذا ما حدث فعلاً . وإنك لتجد في كتب الأنساب المطبوعة والمحفوظة أمثلة عديدة من هذا القليل . كذلك أدى إهمال بعض النسابين ذكر الآباء أو الأجداد الى حدوث شيء من الارتباك في ضبط الأنساب . يضاف الى هذا تشابه أسماء بعض القبائل والبطون في قحطان وعدنان .

وقد أشار الهمداني الى العصبية التي كان لها أثر خطير في وضع الأنساب في عهد معاوية وغيره في الشام وفي العراق ، ثم الى تقصير نسابي العراقي والشامي في عدة آباء كهلال وحمير ، ليضاهوا بذلك على حد تعبير الهمداني عدة الآباء من ولد اسماعيل ، وذكر انه كانت عند أهل اليمن مثل حمير وهمدان والمرانيين وغيرهم رُبُرٌ مُدَوّنة فيها أنسابهم ، يتناقلها الناس ، وهي تختلف عن الأنساب التي يتداولها أهل النسب في العراق والحجاز والشام بعض الاختلاف ، وان بعضاً من أنساب عرب الحجاز دخل في أنساب الناس من أهل اليمن ، وذلك على رأيه لأسباب ، منها : فتك (تحت نصر) بأقيال اليمن في عهد أسعد تبّع ،

وفي أيام حسان بن أسعد وتخريبه حصونهم ، وقتل حسان لجديس التي أفتت طسماً^١ . وفي هذا الحديث على علاقته ما فيه من اعتراف صريح باضطراب النسابين في ضبط الأنساب .

ولا يخلو بعض هذه الأنساب من تحامل العصبية التي كانت في نفوس القبائل والبطون ، إذ خلقت هذه مثالب لصقتها بآباء القبائل المتباغضة وأجدادها حفظت على مرور الأيام ، ولازمت من قيلت فيهم ، ليس من الصعب الوقوف عليها ومعرفتها كما هو الحال في نسب ثقيف مثلاً . وقد أوجدت قسوة الحجاج بن يوسف ، وهو من ثقيف ، ذلك القصص الذي قيل في جدّ ثقيف ولا شك .

وقد أشرت فيما سبق الى أثر التوراة وأثر نفر من أهل الكتاب ممن ادعوا العلم بكتب الأولين في النسابين والأخباريين ووضعهم أسس النسب ، وارجاعها الى قحطان وعدنان ، وبناء نسب القبائل على هذين الأساسين . وقد وجدنا (يقطان) في التوراة أباً لشبا وحضر موت وبقية لإخوتها ، وهم من العرب الساكنين في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية . ويقطان هو قحطان . ثم وجدنا الإسماعيليين في التوراة كذلك ، والإسماعيليون هم الاسماعيليون أبناء اسماعيل جدّ العرب العدنانيين . ووجدنا نابت وقدار في التوراة كذلك وعند النسابين أيضاً ، ونابت هو (نابات) .

أما الذي يتجلى لنا من استعراض كل هذه الأنساب ودراستها ، سواء أكانت فحطانية أم عدنانية ، فهو ان الحياة السياسية للقبائل كانت حياة كتل ، وهي حياة اقتضتها ضرورات الحياة للدفاع عن النفس والمصالح ، كما هو شأن الدول في كل زمان ، حيث تعقد بينها المحالفات . فالخلف بين القبائل ، هو كالحلف بين الدول بكل ما للحلف من معنى . وقد رأينا نماذج من تلك الكتل الضخمة أشرت اليها في أثناء كلامي على القبائل . ويخيل إليّ ان فكرة رجوع العرب الى قحطان وعدنان ، فكرة تثبتت في الإسلام ، ساعد في ترسيخها وتثبيتها تلك العصبية التي أشرت اليها ، وتلك النظرية التي انتزعها ابن الكلبي وأضرابه من التوراة ومن أهل الكتاب بخصوص يقطان وقيدار .

١ الاكليل (٨ / ١٠٠ وما بعدها) (طبعة نبيه أمين فارس) ، (١٠ / ٣٠ وما بعدها) .

وفي الذي يذهب اليه أهل الأخبار والأنساب من ادعاء وجود خلاف بين القحطانيين والعدنانيين ، شيء من الصحة ، لا سبيل الى نكرانه ، غير انه ليس على النحو الذي ذهبوا اليه . والكتابات الجاهلية التي تحدثت عنها سابقاً ، وأسماء الأشخاص والأصنام ، شواهد على وجود هذا الاختلاف . ولكنه ليس اختلافاً بالمعنى الذي ذهب اليه الأخباريون . فبين العرب الذين يطلق الأخباريون عليهم (القحطانيون) اختلاف في اللهجة وفي الأسماء لا يقلّ عن الاختلاف بين القحطانيين والعدنانيين . كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين العدنانيين أنفسهم . وقد وجدنا نصّ الهارة لامرئ القيس ، وهو أصل قحطاني على حدّ تعبير الأخباريين وأهل الأنساب ، بلهجة قريية من لهجة القرآن الكريم بعيدة عن لهجات أهل اليمن . بلهجة نستطيع ان نقول إنها من الأم التي ولدت عربية القرآن الكريم . كذلك نجد الصوص الأخرى قريية من هذه العربية ، مع انها لأناس يحبّ عدّهم من قحطان إن سرنا مع السّابّين في مذهبهم في تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين . ثم ان الأخباريين لم يشيروا الى وجود فروق في اللسان بين القحطانيين والعدنانيين ، وإنما جعلوهم يتكلمون بعربية واحدة هي عربية القرآن الكريم ، ونسبوا اليهم أصناماً مشتركة . وشعراء الجاهلية هم في عرفهم من قحطان وعدنان . ولهذا قالوا عن اللهجات العربية الجنوبية التي ظلت حية في اليمن وفي حضرموت انها غير فصيحة وانها ليست بعربية ، وان لسان حمير ليس بلساننا ، الى غير ذلك مما أشرت اليه في أجزاء الكتاب السابقة مأخوذة من أقوال العلماء .

وقد ذكرت في كتابي : تأريخ العرب قبل الاسلام ، في أثناء كلامي على التبط ما كان من وجود أداة (ال) المستعملة في عربية القرآن الكريم ، في كتاباتهم ، وأشرت الى استعمالهم أسماء استعملتها قريش وغيرهم من العرب العدنانيين^١ . وهي أسماء لم نعرّ عليها في الكتابات العربية الجنوبية حتى الآن ، كما أشرت الى مشاركتهم العرب الشماليين في أسماء الآلهة التي تعبدوا لها ، وأوردت آراء بعض المستشرقين في أصلهم ، وفي انهم عرب مثل العرب الآخرين .

ولهذه الملاحظات اهمية كبيرة في الحديث عن العرب الشماليين ، وفي النواحي التي يختلفون فيها عن العرب القحطانيين . كما أن لنص الهارة ولتأريخ (بروكوبيوس)

اهمية خطيرة كذلك في هذا الموضوع لإشارتهما لأول مرة الى (معدّ) . فقد وردت كلمة (معدو) اي معدّ في السطر الثالث من النص ، ووردت كلمة (نزرؤ) اي (نزار) في السطر الثاني منه . يضاف الى ذلك ورود اسماء قبائل اخرى هي (الأسدين) ، اي قبيلة أسد ، ومذحج .

أما تأريخ (بروكوبيوس) ، فقد وضع (Maddeni) اي معدّاً في الاقسام الشمالية من الحجاز . وقد ذكر هذا المؤرخ ان القيصر (يوسطنيان) طلب من (السيفع أشوع) (Esimiphaius) أن يوافق على تعيين سيد قبيلة اسمه (قيس Kaisus) (Caisus) رئيساً على (معدّ) ^١ . وقد ذكرت ان هذا يدلّ ضمناً على خضوع معدّ لحميز ، ولو كان خضوعاً بالاسم . ولوجود معدّ في هذا الزمن ، أي في القرن السادس للميلاد ، في أرض كانت مأهولة بالنبت أهمية كبيرة ولا شك .

كما أشرت الى ورود كلمة (مضر) في نص يمني ، والى اشتراكها في حرب خاصتها سبأ وحميز ورجة وكلت ومضر وثعلبة ^٢ . وهي حرب يظهر انها كانت واسعة من الحروب التي وقعت قبيل الاسلام . ومضر في هذا النص قبيلة من هذه القبائل التي اشتركت في الحرب ، وليس اسماً عاماً لقبائل كثيرة ، أي على نحو ما يذهب اليه الاخباريون .

فيتبين من هذه النصوص ان معدّاً ونزاراً ومضر كانت قبائل تقيم في الأقسام الشمالية من جزيرة العرب وفي العربية الغربية . وقد لاحظنا ان نص الهارة قد فرق بين معدّ ونزار ، ولم يشر الى وجود رابطة بين القبيلتين ، بمعنى ان كلاً من نزار ومعدّ كان قبيلة مستقلة ، في حين يضع النسابون نسباً بينهما ويربطون بين القبيلتين . والظاهر ان هذا الارتباط الذي ذهب اليه الاخباريون وأهل الانساب إنما حدث في صدر الاسلام ، بعد تثبيت القبائل في الديوان .

وفي اثناء كلام الاخباريين على تأريخ الحيرة ، ذكروا ان معدّاً كانت خاضعة لها ، وأن ملوكها كانوا يحكمون معدّاً . ذكروهم في جملة من كان قد خضع

١ تأريخ العرب قبل الاسلام (٢٠٥/٣ وما بعدها) .

٢ تأريخ العرب قبل الاسلام (١٦٦/٣) .

لحكم أولئك الملوك . والذي يستنتج من كلامهم أن معداً كانوا بادين ، أي
اعراباً ، وأنهم كانوا يقطنون مناطق كانت في نفوذ ملوك الحيرة . فهل قصد
الاخباريون معداً الذين كانوا يسكنون في أعالي الحجاز كما ذكر ذلك (بروكويوس)
أم قصدوا جماعات منهم هاجرت الى بادية الشام ، وخضعوا لحكم أهل الحيرة ؟
ويلاحظ ان الاخباريين يتوسعون احياناً في ملك ملوك الحيرة فيبلغون به البحرين والحجاز .
اما كيف تطورت هذه الانساب ، وكيف توزعت ، وكيف حصرت في
جديين ومن قام بذلك ، وأمثال هذا ؟ فليس من السهل إيجاد جواب لأمثال هذه
الأسئلة ما دمنا لا نملك الاسباب التي تهيء لنا العلم الكافي للإجابة عنها .

الفصل السابع والأربعون

الناس منازل ودرجات

وأهل الجاهلية مثل غيرهم من شعوب ذلك الزمن : أحرار وعبيد ، يستوي في ذلك الأعرابي وأهل المدر . والحرّ تقيض العبد ، والحرّة تقيض الأمة^١ . والحرّ هو الذي يتصرف بأموره كما يشاء . وأما العبد فلا ، فأمره بيد مالكة ، فلا يجوز له ان يفعل شيئاً من غير رضا سيده ومالك رقبته . ويعبر عن الحر بلفظة (حرم) في المسند ، فيقال : (حرم) ، أي (حرّ) . والجمع (أحرر) ، أي (أحرار)^٢ .

والجاهليون وان بدوا (ديمقراطيين) شعبيين ، لا فرق عندهم بين حر وعبد ، كبير أو صغير . يخاطب الفقير ملكه أو سيد قبيلته بلهجة بسيطة ثم عن (ديمقراطية) عميقة أصيلة إلا أنهم في الواقع طبقيون يعاملون الناس حسب منازلهم ودرجاتهم ، ويعملون بمبدأ عدم التكافؤ بين الناس . وآية ذلك عرف جلوس الناس في مجالس الملوك والمجتمعات ، وعرف تقديم الطعام أو الشراب مبتدئين بالملك ثم بمن يجلس على جانبه الأيمن باعتبار انه أشرف القوم ثم بالجالس على الجانب الأيسر من الملك ، على ترتيب الناس في درجات جلوسهم أو حسب إشارة الملك الى الساقى أو مقدم الطعام . ثم في نظرهم الى (الحق) وإلى الأعراف الاجتماعية كالأخذ بالتأثر والزواج . فلهم في الأخذ بالتأثر مبدأ مقرر

١ اللسان (١٨١ / ٤) .

٢ Rep. Epig., VII, p. 416, Nu. 4912, Philby 84

معروف . هو ان القتل اذا كان شريفاً في قومه ، وكان قاتله وضعياً صعلوكاً ، أو عبداً فلا يقبل أهل القتل بـ (القود) ، بل بعرف تكافؤ الدم . فعندهم ان دم القتل الشريف ، لا يغسل إلا بدم شريف مثله ومن أهل مكانته ، ومعنى هذا ان قتل القاتل لا يكفي ، بل لا بد لأهل القتل في هذه الحالة من البحث عن شريف من قوم القاتل يكون مكافئاً للقتيل في المنزل والمكانة حتى يقتل به ، فيغسل عندئذ بقتله دمه . وينام الثأر . وقد يكون المقتول وهو ما يحدث في الغالب بريئاً ولا علاقة له بالقتيل ولا القاتل . ولكن العرف القائم على نظرية التكافؤ بين الطبقات ، لا يفهم براءة بريء ، وحتى قتل القاتل وحده ، بل يدين بعقيدة ان الدم لا يغسل إلا بدم موازٍ له ، فلا بد من قتل شريف بشريف إذن حتى ينال أهل القتل .

والى ما تقدم من الإسراف في القتل وقتل البريء بدم مقتول ، أشير في القرآن الكريم : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ومن قتل مظلوماً ، فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف في القتل)^١ . (وذلك ان أهل الجاهلية ، كانوا يفعلون ذلك ، اذا قتل رجل رجلاً عمداً ولي القتل الى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه ، وترك القاتل ، فنهى الله عز وجل عن ذلك عباده ، وقال لرسوله ، عليه السلام ، قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف ، فلا تقتل به غير قاتله . وان قتلت القاتل بالمقتول ، فلا تمثل به)^٢ .

وعلى هذه النظرية الطبيعية بنوا تقييم أثمان الديات ، أي ثمن الدم . فدية الملوك في الجاهلية أغلى ما دفع ثمناً عن دم . إذ جعلت دية الملك ألفاً من الإبل ، فعرفت لذلك بدية الملك . تليها في الثمن ديات الأشراف وسادات القوم حسب الشرف والمترلة حتى تصل الى ديات المغمورين المطمورين فتكون أقلها ثمناً . إذ تبلغ خمساً من الإبل ، وقد تنقص في ذلك . وعلى هذه النظرية القائمة على (الفوقية) و (التحتية) ، قدرت فدية الأسرى أيضاً . فدية الملوك الذين يقعون في أسر أسر ألف من الإبل ، وعرفت بـ (فدية الملوك) وفدية من هم دونهم أقل حتى تصل الى أبخس ثمن ، وهي فدية سواد الناس . ولهذا حرص

١ الاسراء ، الآية ٣٣ .

٢ معسر الطبري (٥٩/١٥) .

الأسير الشريف الذي لا يعرفه أسرته على إخفاء شخصيته وعلى التظاهر بالإملاق وبأنه من المغمورين ليجنب نفسه دفع فدية عالية قد يفرضها أسرته عليه ، فتوجهه وتؤله .

ومن هذه النظرة أيضاً ولد اعتقاد أهل الجاهلية ان دم الرئيس يشفي من عضه الكلب الكلب^١ . فإذا كلب إنسان أتوا رجلاً شريفاً فيقطر لهم من دم إصبعه فيسقون المكلوب فيبرأ . أو يسقونه من دم ملك فيشفى . جاء في المثل : دماء الملوك شفاء الكلب . ودماء الملوك أشفى من الكلب . قال أهل الأخبار عن الكلب : (وأجمعت العرب ان دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيسقاها) ، فيشفى بذلك من الكلب^٢ . ولو لم يكن للجاهليين رأي خاص في الملوك والأشراف ، وفي وجود تفوق لهم على سواد الناس ، لما اعتقدوا هذا الاعتقاد في اشفاء دماء الملوك والأشراف لمن يصاب بالكلب . وبعدم شفاء دم غيرهم لهؤلاء المرضى .

ومن هذه النظرة أيضاً ، تولد امتناعهم من تزويج بنات الأشراف والأسر من رجال هم دون البنت في المترلة . وهو عرف يراعونه ويحافظون عليه الى يومنا هذا . ويزدرون من شأن الخارج على (التكافؤ) بين البنت والولد في الزواج . وقد يرفضون تزويج رجل ثري مكنتر للمال ، من امرأة فقيرة شريفة الأصل ، اذا كان الرجل من أصل ذابل ، كأن يكون أبوه أوجده (صانعاً) أو (خضاراً) ، لأن الأصل في نظر العرب فوق المال . والشريفة يجب ألا تزوج إلا من شريف مثلها ، مراعاة منهم لمبدأ نقاوة الأصل وانجاب الأولاد النجباء . ومن هذه النظرة امتنع العرب من تزويج بناتهم من الأعاجم حتى لو كان ذلك الأعجمي ملكاً . وقد رأينا كيف ان (النعمان بن المنذر) ، رد طلب (كسرى) لما طلب منه تزويجه لإحدى بناته من أحد أبنائه . وشق ذلك عليه حتى انه لم يبالك من ضبط نفسه ، فقال للرسول : أما في عين السواد وفارس ما تبغون حاجتكم . ومراده من لفظة (عين) البقر . ومن اغتنام (زيد بن عدي بن زيد العبادي) هذه الفرصة ، وكان هو الذي اقترح على (كسرى) ان يزوج أحد ولده من بنات النعمان ، فقال لكسرى : (قد كنت أخبرتك بضئهم بنسائهم على غيرهم ،

١ بلوغ الأرب (٣١٩/٢) .

٢ ناج العروس (٤٦٠/١) ، (كلب) .

وان ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشيع والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه حتى انهم ليسمونها السجن) . ومن قوله له : (أيها الملك : إن شرَّ شيء في العرب وفي العمان انهم يتكرمون عن العجم)^١ . فكان ما كان من غضب (كسرى) على العمان ومن القضاء عليه على النحو الذي تحدّث عنه^٢ .

وقد جعل بعض العلماء تخوف العرب من القهر عليهم ومن طمع غير الأكفاء في بنائهم ، في جملة العوامل التي حملتهم على وأد البنات . (قال قتادة : كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء ، وأشدّهم في هذا تميم . رعموا خوف الفهر عليهم ، وطمع غير الأكفاء فيهن)^٣ . ومن شروط الكفاءة في الزواج عند الجاهليين ، التكافؤ في النسب والحسب والمكانة وفي الأصل .

وسبب امتناع العربي من تزويج ابنته الى أعجمي ، هو تكرم العرب عن الأعاجم واستعلاؤهم عليهم . ونظرتهم الى الأعاجم على انهم دونهم في المنزلة والكرامة . لذلك رأوا ان تزويج بنت عربية الى عجمي أعجمي ، خسة ما بعدها خسة ودناءة ما وراءها دناءة . حتى وان كان العربي فقيراً لا يملك شيئاً . بل عابوا العربي الذي يتزوج أعجمية بسبب النسل ، واستصغروا شأن المولود من أب عربي ومن أم أعجمية . فهو وان كان عريباً في عرف العرب من أجل ان النسب الى الأب ، ولكنه أعجمي من ناحية الأم ، فهو دون الأصيل في المرتبة .

وفي غنى العربية بالمصطلحات الكثيرة التي تطلق على السادة والأشراف وعلى الفقراء والمعلمين التربين وعلى الطبقات الأخرى ، دلالة ليس فوقها دلالة على وجود هذه الظرة الطبقية عندهم ، وعلى نظرتهم الى أنفسهم على انهم منازل ودرجات ، وانهم غير متكافئين . وان القيادة في المجتمع يجب ان تكون للبيوت .

١ (الطبري) ٢٠٢/٢ وما بعدها) ، (ذكر خبر يوم دى فار) .
٢ (وقد هجا عبد العيس بن حفاف البرحمي ، العمان بن المنذر ، في الجاهلية ، وذكر ولادة الصانع له ، فقال .

لعن الله من ثنى بلعن
بجمع الجيش ذا الالف ويعرو
اس دا الصانع ، الطلوم الجهول
بم لا برأ العدو فبلا)

الجبوان ، (٣٧٩/٤) ، (هارون) ، الاعاني (١٥٨/٩) .

٣ (العرطى ، الحامع (١١٧/١٠) ، (نفسر سورة النحل)) .

ثم ان الأحرار على منازل ودرجات . وهم متفاوتون من حيث الشرف والمال . ويظهر التفاوت بين أهل المدّر أكثر مما يظهر بين أهل الوبر ، ذلك لأن الأعرابي فخور بنفسه ، يرى انه « شريف » مثل غيره نبيل وان قل ماله وشح . ثم ان التفاوت بين الطبقات لا يمكن ان يظهر في البادية ظهوره بين الضواحي والقرى ، لأن طبيعة البادية لا تساعد على ظهور ذلك التباين ، حتى ان عبيد الأعراب لم يكونوا يكونون طبقة خاصة مضطهدة ، ينظر اليها نظرة أهل القرى بازدراء ، بل كانوا يعدون في البادية كأعضاء من أعضاء الأسرة^١ .

والتباين الطبقي هو على ما أوضح ما يكون في اليمن ، لأن الطبيعة قد حبت أرض اليمن خيرات وجوّاً لم تحب المناطق الأخرى من جزيرة العرب مثلها ، فكانت نتيجة ذلك ظهور الاقطاع فيها ، واشتدت الحاجة الى شراء الرقيق واستجلابه لاستغلال التربة واستثمار جيرات الأرض وتشغيله في المهن الوضيعة ، وظهر في اليمن أغنياء ومتوسطو حال وفقراء معدمون ، أي طبقات اجتماعية كونت ذلك المجتمع بشكل واضح لا نراه في المجتمعات العربية الأخرى ، أشير اليهم في الكتابات .

رجال الدين :

ورجال الدين طبقة في رأس طبقات المجتمع مكانة ومترلة ، ولها امتيازات خاصة ، لأنها ألسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض ، والآمرة والناهية باسمها ، وهي تقرب الناس الى الآلهة ، وتحرم وتحلل . وقد رأينا ان أوائل حكام العربية الجنوية هم « مكربون » ، أي رجال دين . ولرجال الدين أملاك وأموال ، ولهم على الناس حقوق ، يأخذونها منهم ، كما تأخذ الحكومة حقها من الشعب . وهم طبقة كبيرة ذات قوة وسلطان مصالحها مع مصالح الحكام بالرغم من الانفصام الذي وقع فيما بين الدولة والمعبد ، وإبعاد « المكرب » عن الحكم ، وحصر حق الحكم في الملك وحده ، وحصر حق ادارة المعبد في رجال الدين وحدهم ، وذلك لأن مصالح الملك ومصالح رجال الدين متشابهة ، وكل جهة من

1 Ancient Israel, p. 68.

الجهتين بها حاجة الى مساعدة الجهة الأخرى .

وكثيراً ما نقرأ في كتابات معين : ان الـ « شوع » او الـ « رشو » الفلاني قدّم قرباناً الى آلهة معين ، او بنى معبداً ، او أقام بناءً ، او عمل عملاً تقديماً لآلهة معين . ولفظنا « شوع » و « رشو » تعنيان الكاهن والسادن ، أي منزلة دينية ذات مركز سام ، وهي أعلى درجات الكهنوت في العربية الجنوبية .

السادة والأشراف :

ويعبر عن السادة والأشراف بتعابير التعظيم والتصميم ، ومنها لفظة « أبعل » « أبعل » ، ، أي سيد ورئيس . وهي لفظة استعملت للآلهة كذلك . استعملت بمعنى رب وإله . فورد « ود بعل ... » و « عشتار بعل ... » وهكذا . وقد استعملت في الصوص القديمة خاصة .

ويقال للسادة « أسود » « اسواد » في العربية الجنوبية ، وهم السادة الأشراف^١ . وتقابل اللفظة لفظة « سادات » في عربيتنا . وهم سادة القوم وأشرافهم وأصحاب المنزلة والمكانة في المجتمع .

ويعدّ أعضاء الأسرة المالكة في طليعة السادات ، وهم في السيادة على حسب قربهم او بعدهم من الملك ، ويقدمون على هذا الأساس عند حضورهم الى الملك وفي المواسم الرسمية . ولهم أرضون يستغلونها ، ورقيق يخدمهم .

ويعبر عن وجيهه القوم وذو المنزلة والمكانة بلفظة « كهثم » « كهث »^٢ وعكسها الوضع والحامل والصغير والحقير ، فقد ورد : « كل انسم كهثم وقطم » ، ومعناها : « كل إنسان : كبير وصغير » او « كل انسان وجيه ووضع » . وتطلق لفظة « القطين » وهي « قطم » و « قطن » في لغة المسند ، على الخدم والأتباع والإماء في لغة القرآن الكريم^٣ . فهي إذن في نفس

١ Arablen, S 128.

٢ Glaser 509, Rhodokanakis, Stu, I, S, 68

٣ راجع النص .

اللسان (٢٢٢/١٧) .

المعنى المراد من اللفظة في لغة المسند . وقد ذكر علماء اللغة ان القطين أتباع الملك وماليكه^١ .

ويقابل أهل الوجاهة والمترلة في المجتمع ، من يطلق عليهم « صغرم » « صغرم » ، أي صغير . ويراد بها سواد الناس ، ممن لا وجاهة لهم ولا مركز لدى الحكومة والمجتمع ، كما في هذه الجملة : « كبرم فاوصغرم » ، ومعناها : « كبير أو صغير »^٢ .

وفي الدرجات العليا من درجات المجتمع ، الأقبال وهم إقطاعيون كبار ، لهم أرضون واسعة وسلطان ، وقد يجد « القول » القليل قوة في نفسه ومنعة ، فينازع الملوك على الملك ، ويأخذ الحكم بيده .

وترد في الموارد الاسلامية درجة أخرى تذكر عادة مع الأقبال ، هي درجة « ذو » وتجمع أذواء . ويظهر انها من الدرجات الإقطاعية التي صار لها شأن في العهود المتأخرة القريبة من الاسلام . ويراد بها أصحاب الأرضين ورؤساء الإقطاعيات ، كما تطلق على رؤساء القبائل . وقد أخذت من (ذو) التي ترد في المسند ، ومعناها (ذو) في عربيتنا وهي بمعنى (صاحب) في العرييات الجنوبية .

الوجوه :

وسادة القوم هم وجوه المجتمع وسادات القبائل وقادة الجيوش . من (مقتوين) ومن أمراء حرب ، ومن المقربين الى الملوك وكبار موظفي الدولة . وهم أنفسهم من الطبقات العالية في الغالب . وقد ورثوا منازلهم إرثاً ، ولهم أرضون وثراء وفصور يقيمون فيها ، وبيوت مشيدة ، وخدم يخدمونهم ، وقد حصلنا على أسماء عدد منهم من الكتابات .

والتجارة من أشرف ما يشتغل به إنسان عند قريش وعند غيرهم من العرب .

١ اللسان (٢٢٢/١٧) .

Oslander 35

٢ راجع الفقرة السادسة من النص المرسوم ب :

وقد اشتغل بها أكثر أشرف مكة ، إذ كانوا تجاراً يتاجرون مع اليمن ومع بلاد الشام والعراق . وقد كانت الحرفة الوحيدة المربحة في جزيرة العرب . فالزراعة لا تدر عليهم ربحاً كبيراً ، لعدم توفر الماء الكافي لزراعة أراضين واسعة تأتي لأصحابها بغلات واسعة وبأموال طائلة ، والصناعة غير متيسرة ، لذلك عافوها وعابوها ، ولم تكن لديهم وسيلة مربحة أخرى غير التجارة .

ومن الألفاظ الدالة على الوجهة والمكانة عند العرب الجنوبيين ، لفظة « قرمن » ، أي « القرم »^١ . وهي في هذا المعنى في عربيتنا كذلك ، فيقال للسيد قرم . والقرم من الرجال السيد المعظم و (القرم) ، هو أيضاً السيد المعظم^٢ .

المحاربون :

ويكون المحاربون طبقة خاصة بهم ، وهم أناس احترفوا الخدمة العسكرية وعاشوا عليها ، وقد أشير اليهم في الكتابات وعرفوا بـ « قسم » « قسد » « قسد » . وقد ذكروا بعد أصحاب الأرض في إحدى الكتابات^٣ ، وقبل « التجار » « مكر » و « الكياليين » « سلا » في كتابة أخرى^٤ . وقد أشار اليهم « سترابو » إذ جعلهم في الطبقة الأولى من طبقات المجتمع في « العربية السعيدة » . وكان قد قسم هذا المجتمع ثلاث طبقات : المحاربين ، والمزارعين ، وأصحاب الحرف اليدوية^٥ .

ويظهر من دراسة بعض النصوص التي وردت فيها كلمة (قسدن) ، ان

١ Ryckmans 508.

٢ اللسان (٤٧٣/١٢) ، ناج العروس (قرم) .
قال أوس بن حجر :

إذا معرم منا زر أحد نابه نخمط مادرا ناب آخر مقرم
أمالى المرتضى (٢٥٨/١) .

٣ Glaser 1210, A. Grohmann, S., 123.

٤ Glaser 1571, Rhodokanakis, Bodenwirtschaft, S., 183.

Altsabäische Texte, I, 105, Kata Texte, I, 73.

٥ Handbuch, I, 123, A. Grohmann, S., 123

(القسود) ، ، كونوا طبقة كبيرة خاصة في دولة سبأ ، كانت منزلتها دون منزلة الاشراف واصحاب الاقطاع وفوق رقيق الارض ، المسمون بـ (ادومت) ، التابعين للأرض والذين يباعون معها عند بيع الأرض . وكانوا يستغلون الأرض التي تعطى لهم لاستغلالها في مقابل اداء الخدمة العسكرية والاشتراك في القتال عند وفوعه ، فهم عساكر وفلاحون في آن واحد . ويتببه حالهم حال العساكر الذين منحهم الخلفاء الراشدون ارضين زراعية لاستغلالها في مقابل هرعهم الى القتال مع المحاربين عند توجيه الدعوة لهم . وهو نظام كان عند الساسانيين والبيزنطيين .

وقد كان الاشراف واصحاب الاقطاع يستأجرون من لا ارض له ، باعطائه ارضاً لاستغلالها في مقابل الدفاع عنهم والقتال دونهم . ولذلك كان لكل اقطاعي (قسود) استطيع تسميتهم بالفلاحين المحاربين . يحاربون معه ويدافعون عنه . واذا مات سيدهم ، صارت السيادة الى من ينتقل الارث اليه .

ويعرف المحارب بـ « اسلم » « اسد » في العربيات الجنوبية ، اي جندي وعسكري في اصطلاحنا اليوم . وهم احرار وعبيد . وورد في بعض الكتابات حملة « اسد املكن » « اسد املكان » ، اي « جنود الملك » و « جنود الملوك » وذلك تعبيراً عن جماعة اختصت بالخدمة في جيش الملك . وقد اشير اليهم في كتابة بمناسبة انشاء طريق ^١ .

ويلحق هذه الطبقة طبقة الـ « اتمت » ويراد بها الجنود المرتقة ، او ما يعبر عنه بـ (العساكر) في الزمن الحاضر ^٢ ، وقد كَوّن « العساكر » أو « عساكر السلطان » كما عرفوا في بعض البلاد الاسلامية في ايام الخلافة طبقة خاصة ، اعتمدت على سلطانها وقوتها ، فلم تحفل بأحد وأخذت تعتدي على الاهلين . وقد كانوا خليطاً من الاحرار ومن الرقيق ، اعتمد عليهم الحكّام في الدفاع عنهم وفي القضاء على خصومهم ، فعاشوا على خدمة سادتهم ، وقد صارت حرفتهم وراثية ، فابن الـ « اتمت » ، يتسب الى الخدمة في المعسكر ايضاً حين بلوغه سن الخدمة ويعيش في خدمة سيده .

Rep Epig 4624, J Ryckmans, L'institution Monarchique, 147, Arabien, S. 123.

A Grohmann, S, 123

التجار وتوابعهم :

ويكوّن « التجار » طبقة خاصة من طبقات المجتمع العربي الجنوبي . ويقال لهم « مكر » في لغة المسند . وقد كانوا يتاجرون في البرّ والبحر ، ولهم فوافل وطبقات دنيا من رقيق وخدم تؤدي الواجبات التي يريدونها سادتهم منهم . وكان لهذه الطبقة شأن خطير في تأريخ العربية الجنوبية في القديم ، وأثر بليغ في اقتصاد البلاد ، وتزويد الحكومة بمصدر كبير من مصادر دخلها وهو الضرائب التي كانت تدفعها اليها .

وقد تعرض علماء العربية للفظّة (المكر) ، فقالوا : ان من معانيها السوق ، وفيها يقع المكر والخداع . وان (الماكر) العير تحمل الزيب ، والتمكير احتكار الحبوب في البيوت^١ . ولهذه المعاني صلة مباشرة بالتجارة وبالاتجار في البرّ والبحر . وفي العربية طبقة عرفت بـ « سلا » ، تعاطت تجارة الملح ، كانت تبيعه وتستورده وتصدره وتقوم بنقله من مواضعه الى الاسواق . وقد شبه « رودو كناكس » هذه الطبقة بـ « الكواليان » في الوقت الحاضر^٢

الطبقات الدنيا :

ومن الطبقات الدنيا عند العرب الجنوبيين : الـ (ادم) والـ (صغرم) (الصغرم) (الصغار) ، والأجراء (اجرم) ، والمتربون (غبر) ، والـ (ومي) (امي) .

الادم :

وترد في كتابات المسند كلمة هي « ادم » و « ادومت » . وتقابل لفظي « ادم » و « ادومت » و « آدمي » و « أوادم » في العراق ، بمعنى خدام وخدم^٣ . ووردت في صورة : « اديمت » « اديمت » و « ادوم » في الكتابات

١ ناج العروس (٥٤٩/٣) ، (مكر) .

٢ Glaser 1571, A Grohmann, S., 124

٣ راجع النصوص الموسومة بـ : ٦٨٩ ، ٦٩٧ ، ٧٠٤ ، ٧٠٧ ، ٧١٢ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٣٠ ، ٧٨٤ من كتاب :

Jamme, Southarabian Inscriptions, p 76, 77

راجع العفش رقم (١٦) ، ص ٢٣ ، من كتاب خليل يحيى نامي : نعوش خربه معين .

القتبانية المتأخرة^١. وتؤدي معنى التبعية. وأعني بالتبعية الاعتراف بسيادة رئيس على مرؤوس^٢. فقد كان اصحاب الارض يؤجرون الارض لمن لا ارض لهم، ومن لا مال لهم، فيقيمون فيها يشتغلون لأصحابها، ويكونون تبعاً لهم. ويعبرون عن هذه التبعية بتلك اللفظة المعبرة عنها. فهم في هذه الحالة اذن مزارعون يعيشون من كراء الارض^٣.

وقد وردت هذه اللفظة بهذا المعنى، خاصة في النصوص المتعلقة بقبيلة «سخيم»^٤. وهي ذات امالك واسعة وأرضين خصبة، وأجرتها لمن لا ارض له من الوافدين عليها من الاماكن الاخرى، لتستغل هذه الارضين وتعيش عليها، معترفة بذلك انها في حماية هذه القبيلة وفي خدمتها.

وهي فضلاً عن ذلك تعبر عن التبعية بكل اشكالها، فتعبر عن الانتماء الى شخص او قبيلة كذلك، بمعنى ان «الادم» تابع لذلك الشخص او القبيلة، منتمٍ اليه. ولذلك يذكر الـ «ادم» اسم سيده الذي ينتمي اليه ويحتمي به، كأن يذكر اسمه او اسم القبيلة التي ينتمي إليها. وقد يعبر باللفظة عن معنى (تابع) و (خادم) بالمعنى المجازي ايضاً، في مثل مصطلح «ادم ملكن» أي «خادم الملك» و «عبد الملك» و «آدم الملك»^٥. وذلك تعبيراً عن الاحترام للملك وعن الاقرار بتبعية الشخص المذكور له، وباخلاصه له اخلاص للعبد لسيده، وان كنا نجد ان للملك حاشية كبيرة هي حاشية (ادم) حقيقية، اي طبقة لا تملك ارضاً ولا ملكاً، ومعاشها من خدمة الملك، حيث يتولى القصر الانفاق عليها، كما كانت للأسرة الكبيرة جماعات من الـ «ادم» تخدمها وتؤدي لها مختلف الأعمال.

Glaser 1398, Handbuch, I, S., 122, Anm 4. ١

Rep Epig, VII, p. 296, 4651. ٢

Rep Epig, VII, p. Num 4651, 4662. ٣

Rep. Epig., VII, p 301, 4659, p 302, 4660, p. 303, 4662. ٤

SE 80, Rhodokanakis, Die Inschriften an der Mauer von Kohlan-Timna', ٥

25, A. Grohmann, S. 124.

قال « ادم » إذن وفي الغالب ، تعبير عن جماعة من الناس كانوا أحراراً ، إلا أنهم لم يكونوا من المتمكنين في حياتهم من حيازة أرض أو ملك ، لذلك جعلوا أنفسهم في خلة غيرهم ، بأن كروا الأرضين من أصحابها ، لاستغلالها في مقابل حق معلوم ، أو اتفقوا مع ثري على أداء عمل له في مقابل أجر يقدمونه إليه . وهم طبقة واسعة العدد . وهي لذلك أرقى منزلة وأحسن حالاً من حال العبيد المملوكين ، والرقيق المشتري من الأسواق .

وقد فسر بعض الباحثين كلمة (ادم) (ادوم) و (ادمت) ، و (ادمت) ، بمعنى عمال الأرض ، أو طبقة واطئة من المزارعين الذين لا يملكون أرضاً ، أحوالهم ضعيفة ، لأن ما يتتجونه لا يكفي لاعاشتهم . وذكروا ان كلمة « ضعيف » المستعملة في العربية الجنوبية تعبر عن ذلك المعنى المراد من تلك الكلمات ^١ .

وقد ورد في بعض النصوص لفظ (ا ج ر م) بمعنى (أجير) و (أجراء) ^٢ ، وهم الأشخاص الذين يشتغلون بأجر يدفعها لهم أصحاب الأرضين أو أصحاب المال أو أصحاب العمل . وقد كانوا طبقة من الطبقات الدنيا ، بدليل ذكرهم في هذه الجملة : « كل معتم حرم واجرم » ^٣ ، (كل معتم حرم وأجير) ، أي كل فرد من أبناء معين حر وأجير ، بتعبير أوضح . والأجراء هم أكثر حرية من العبيد ، لأنهم يشتغلون بأجر وبعقود يتفقون عليها . فإذا انتهى العقد ، أو حصل خلاف ، جاز للأجير الانتقال الى موضع آخر ، أو الى صاحب محل آخر للعمل لديه ، على حير لا يجوز للعبد فعل ذلك ، لأنه ملك معين . والأجراء أناس أحرار ، يستطيعون التنقل والتصرف بحرية ، ولكنهم فقراء معدمون لا يملكون شيئاً ، وعيشتهم من العمل الذي يقومون به لغيرهم مقابل الأجر الذي يقدمه رب العمل لهم .

وقد يكون الأجر الذي يدفع عن عمل مقطوع ، وقد يكون عن أمد محدد كأن يكون أجر يوم واحد أو أيام ، فإذا تم النهار دفع الأجر للأجير . وقد

١ A Grohmann, S, 124

٢ النعش رقم ٥٧٧ ، Jamme, Southerarabian Inscriptions.

٣ النعش رقم ٥ ، الفقرة ٣ من كتاب . نعش خربة معين (ص ٥) .

يكون الأجر لموسم كامل ، كموسم زرع . وقد كان الأجراء يشتغلون في الزراعة خاصة كحراث الأرض وزرعها او حصاد الزرع او قطف الثمر . ولضعف هذه الطبقة ، وعدم تمكنها من أخذ حقها بالقوة ، كان بعض من يؤجرهم يأكل حقوقهم ، ولا يدفع أجورهم ، او يأكل قسماً منها . ونجد هذه الطبقة في العراق حيث أشير إليها في شريعة « حمورابي » ، كما نجدها في أماكن أخرى من العالم ، وما زال العامل يستخدم في مقابل أجور يومية للقيام بمختلف الأعمال ^١ .

وقد ورد في الكتابات القبطية ذكر جماعةين : جماعة عرفت بـ « غبر » ، وجماعة عبر عنها بـ (ومي) ، او (امي) ^٢ . و « الغبر » في عربية القرآن الكريم هم الفقراء والصعاليك ، وفي العربية كلمة أخرى تؤدي هذا المعنى هي لفظة (غُبراء الناس) ، أي فقرائهم ، ومنه قيل للمحاييج بنو غُبراء ، كأنهم نسبوا الى الأرض والتراب . وبنو غُبراء الفقراء . وأما (الغُبراء) ، فهم الصُعاليك ^٣ . فالغبر ، إذن هم طبقة من الطبقات البائسة الدنيا التي كانت في قتيان وفي غير قتيان ، طبقة من الفقراء والصعاليك ، لا تملك شيئاً ، ليس لها في حياتها غير البؤس والتعاسة لأنها ولدت بائسة تاعسة فعاشت في تعاستها هذه في هذا العالم على صدقات الناس وعلى ما يحصلون عليه بالسرقة او بالاستجداء وبالقيام بالخدمات والأعمال المتعبة في سبيل الحصول على ما يقوتهم الى يوم خلاصهم من هذا العالم بالوفاة .

وبمعنى المحاييج والصُعاليك فُسر بيت (طرفة بن العبد) ، بقوله :

رأيت بني غُبراء لا ينكرونني ولا أهل هناك الطراف الممدد^٤

وعرف (بنو غُبراء) بـ (المدقعين) للصوقهم بالدقعاء ، وهي الأرض . كأنهم لا حائل بينهم وبينها ^٥ ، و (الدوقة الفقر والذل) و (جوع أدقع وديقوع شديد) ^٦ .

١ Ancient Israel, p. 76

٢ A Grohmann, S., 124.

٣ اللسان (٥/٥ وما بعدها) .

٤ ناج العروس (٤٣٧/٣) ، (غبر) .

٥ المصدر نفسه .

٦ ناج العروس (٣٣١/٥) ، (دفع) .

وأما (الومي) (امي ؟) ، فطبقة من الطبقات الدنيا كذلك ، من هذه الطبقات العاملة البائسة التاعسة التي لا تحصل على عيشها إلا بشق الأنفس . ولعلها الطبقة التي يقال لها « شفلوت » في العربية الجنوبية في هذه الأيام ^١ . ويجوز ان تكون للكلمة صلة بلفظة « امي » في عربيتنا التي تعني الجاهل والشخص الذي لا يقرأ ولا يكتب .

وفي العربية لفظة « الحشم » ، قيل انها تعني المالك والأتباع ، ممايلك كانوا او أحراراً ^٢ . وورد ان الحشم الأحرار ، والقطين : الممالك ^٣ .

رؤوس وأذنان :

ونجد التفاوت الاجتماعي في ذروته عند العرب الجنوبيين كما بينت ذلك من إيرادي للمصطلحات الاجتماعية المتقدمة . ويقع هذا التفاوت في الدولة وفي المجتمع عند الحضر وعند (اعرين) الأعراب . ويقع بين القبائل كما يقع في القبيلة الواحدة . فالقبائل أيضاً منازل ودرجات . وعلى رأس القبائل القبيلة التي يتسب لها المكربون او الملوك . مثل (معين) و (سبأ) و (قبان) و (حضرموت) و (أوسان) . ولهذا ذكرت مع الآلهة والحكام ونسبت اليها الحكومات . ثم ذكر بعدها القبائل الأخرى التي هي أقل أهمية منها . أما في القبيلة الواحدة ، فنجد تفاوتاً بين أبنائها ، وقد رتبوا وصنفوا في درجات ومنازل . أعلاها عند السبئيين مثلاً أعضاء الـ (مزود) و (حسود ؟) ، أصحاب المشورة والرأي والدين يستشيرهم الملوك ، وهم طبقة ممتازة كانت فوق القانون ، ذات امتيازات خاصة . يليها أصحاب الأملاك والأرض والمال المسمون بـ (مسحون) في السبئية ، و بـ (طبن) في القتبانية . ثم تليها طبقات أخرى تتدنى حتى تصل الى أسفل ، وهي طبقة (الادومت) (ادم) : طبقة (الاوادم) أي الخدم . ويعتدّ المكربون الى الملوك من أشراف الناس ومن أصحاب الخطوة والجاه .

١ A. Grohmann, S, 125

٢ اللسان (١٣٦/١٢) .

٣ اللسان (٣٤٣/١٣) .

وهذا شيء طبيعي ، بالنسبة لكل مكان وزمان ، فالذي يصل الى الملك او الحاكم لا بد وان يكون من ذوي الجاه والمترلة والمكانة . وقد عرف من اختص بالملوك بـ (أصفياء الملوك) وبـ (أحباء الملك) وبـ (ندماء الملوك) ، وهم من الخاصة بالطبع . ويعبر عنهم بـ (مودد ملكن) في العريبات الجنوبية .

وأدنى الطبقات مترلة في المجتمع ؛ هي طبقة العبيد ، هي طبقة تقوم بالخدمة وبسائر الأعمال التي يأنف الإنسان الحر من ممارستها . وقد يكون معظم أفرادها من الزوج المستوردين من افريقية . وأما الباقون فن الرقيق الأبيض المستورد من أسواق العراق ومن أسواق بلاد الشام . وقد كان العبيد ملكاً يباع ويشترى بيع الأموال المنقولة ، ويتصرف صاحب العبد به تصرفه بملكه الخاص ، ولم يخول القانون العبد حق ابداء رأيه في مستقبله في أي حال من الأحوال ، لأنه ملك وبضاعة مملوكة ، وكالماشية ، وان كان إنساناً حياً له ما لكل إنسان من روح وادراك وشعور .

ويعرف العبد بلفظة (عبلم) في الكتابات العربية الجنوبية ، أي (عبد) . وبلغة (عبدن) ، أي « العبد »^١ . وتشمل كل العبيد ، مهما اختلفت ألوان بشرتهم . وترد هذه اللفظة في عربية القرآن الكريم كذلك ، وفي سائر اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجة (الليمانية)^٢ ؛ كما ترد في لغة بني إدم (عبدو) وفي اللغة العبرانية^٣ . وتستعمل اللفظة للتعبير أيضاً عن العبودية المعنوية ، مثل نسبة عبودية الإنسان الى الآلهة أو للملوك أو الكبار وللأشراف والسادات .

وتؤدي لفظة (قن) معنى عبد ؛ أما (قنت) (قنيت) (قنية) ، فتؤدي معنى عبدة . وردت بهذا المعنى في الكتابات الصقوية^٤ . وتعبّر عن طبقة العبيد التي كانت منتشرة في كل أنحاء جزيرة العرب ، وفي كل أنحاء العالم إذ ذاك . إذ كانت القوانين الحكومية والقوانين الدولية تعدّ الاتجار ببيع الرقيق تجارة

Rep. Epig., VII, p. 148, Num 4217, p. 155, Num. 4230, Southarabian Inscriptions, P. 444.

Lihyan und Lihyanisch, S., 143

Hastings, p 864

Littmann, Safa., p. 139

مشروعة وتعدّ العبد ملك يمين لصاحبه ، متى أبق جاز لصاحبه ومالكة قتله .
وهو ملك مثل أي ملك ، وحق الملكية حق مقدس مصون .

و « القن » في عربية القرآن : العبد الذي ملك هو وأبواه . وعرف انه
العبد الذي ولد عندك ، ولا يستطيع ان يخرج عنك . وورد (لم نكن عبيد قن ،
إنما كنّا عبيد مملكة) . وفيل : عبد فن الذي كان أبوه مملوكاً لمواليه ، فإذا
لم يكن كذلك فهو عبد مملكة^١ . فالقن إذن هو عبد بالولادة ، وقد ورثه سيده ؛
فهو عبّد عبد ، أو عبدٌ عبيد .

و (القني الماوك ، فهو في ملك سيده . وقد اقتني وصار في مقتنيات مالكة ،
فهو من طبقة المملوكين . ومن هذه الطبقة المملوكة جماعة عرفت بـ (رب ملكن)
(ربب ملكن) (ريبب الملوك) (ريبب الملك) ، بمعنى (عبد الملك)
و (عبيد الملك)^٢ .

أبناء الحبش والأبناء :

وقد تولد من استيلاء الحبش على اليمن جيل جديد تعرب وكون طبقة
خاصة من طبقات مجتمع الين . وقد تكون هذا الجيل من عنصرين : حبش ولدوا
في اليمن من أبوين حبشين ، ثم بقوا في اليمن وعاش أبنائهم فيها ، وحبش
تزوجوا من اليمن ، فنشأ لهم نسل فيه دماء الحبش ودماء أهل اليمن . وقد
عاش الجيلان في اليمن وتعربا ونسيا أصلهما وصارا يتكلمان العربية واعتدّاهما لغتهما ،
ولكن ملامحها الأفريقية ، أو الملامح المختلطة دساسة ، لم تتمكن من الاختفاء
عن الجيلين ، بل بقيت تنطق بأصلهما وبصلتها القديمة بالأرض السوداء .

وعرف الجيل الذي ظهر في اليمن من تزوّج الفرس في العرب بـ « الأبناء » ،
وغلب عليهم الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم^٣ . وقد كتب اليهم النبي
يدعوهم الى الاسلام . وقد ساعدوا المسلمين ودافعوا عن الاسلام وفاوموا الردة ،

١ اللسان (٣٤٨/١٣) ، ناح العروس (٣١٤/٩) ، (فن) .

٢ Rep. Eplg 4145, Arablen, S, 125

٣ اللسان (٩١/١٤) ، (بنى) .

ومنهم وهب بن منبه بن سيج بن ذكبار ، وطاووس ، وذادويه ، وفيروز الديلمي^١ . وقد قيل عنهم : الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجد على الحبشة فنصره وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب ؛ فقبل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . وذكر أنهم عرفوا بـ (أبناوي) في لغة (بني سعد) و (بنوي) في لغة بعض العرب^٢ .

ويظهر من بعض الأخبار ان العرب توسعت في مفهوم الأبناء فأطلقتها على كل الفرس الذين اجتذبهم الحروب الى جزيرة العرب^٣ .

وعرف « الأبناء » بتسمية أخرى أيضاً هي (بنو الأحرار) . أما الذين ولدوا من آباء فرس وأمهات عربيات فقد عرفوا في الكوفة بالأحامرة ، وفي البصرة بالأساورة ، وفي جزيرة العرب بالخصارمة ، وفي الشام بالجرارمة^٤ .

وقد ذهبت بعض كتب التواريخ التي ألفها أهل اليمن ، (ان أبناء اليمن ينتسبون الى (هرمز) الفارسي الذي أرسله كسرى مع سيف بن ذي يزن . فاستوطن اليمن . وأولد ثلاثة ، بهلوان ودادوان وبانيان ؛ فأعقب بهلوان بهلول . والداديون يسعوان ، ومنهم بنو المتمر بصنعاء وصعدة وجراف الطاهر ونحر البون . والداديون خوارج . ومنهم غزا كراذمار وهم خلق كثير)^٥ .

وعرف العربيّ المولود من أمة بـ (الهجين) . وهو معيب . وقيل هو ابن الأمة الراعية ما لم تحصن ، فإذا حصنت فليس الولد بهجين . أو (من أبوة خير من أمه) . (قال المبرد : قيل لولد العربي من غير العربية هجين ، لأن الغالب على أولاد العرب الأدمة . وكانت تسمى العجم الحمراء ورقاب المزود ، لغلبة البياض على ألوانهم)^٦ .

- ١ الروض الأنف (٥٤/١) .
- ٢ تاج العروس (٤٨/١٠) ، (بنوي) .
- ٣ البيان (١١٤/٣) .
- ٤ الأغاني (٧٣/١٦) .
- ٥ تاج العروس (٤٨/١٠) ، (بنوي) .
- ٦ تاج العروس (٣٦٥/٩) ، (هجين) .

أما طبقات المجتمع الحضري بالنسبة الى العرب الآخرين وأسمائها ، فلا ذكر لها في النصوص الجاهلية ، وانما ذكرت في الموارد الاسلامية، وأكثره مما يخص عرب الحجاز ؛ لأن أكثر ما ورد عن الجاهلية القريبة من الاسلام هو مما يخص موطن الاسلام . فكل اعتمادنا فيه على هذه الموارد الاسلامية .

وفي العرية ألفاظ عديدة تعبر عن منازل الناس في الشرف والسيادة . هي في الواقع من النعوت التي اطلقها الناس على الاشراف مبالغة في مدحهم وتفضيهم . وأشرف القوم هم سادتهم من ارباب البيوت . ومجد في الموارد الاسلامية ذكر (اشراف قريش) . وهم كبار قريش وسادتها وأصحاب البيوت فيها . كما نجد تعبيراً يدل على الرئاسة والرعاية هو (رعى القوم) ، يقال لسيد القوم الذي يصدر عن رأيه ويتنهون الى أمره ^١ .

وقد عُيِّر السودان في الجاهلية وفي الاسلام . عيِّروا بسوادهم وملاح اجسامهم وبطريقة تكلمهم . هذا حسان يهجو احدهم بقوله :

وأَمَكَّ سوداء نوبيَّة كأن أناملها الخنظل ^٢

و (الخلاسي) الولد ^٣ بين أبوين أبيض وأسود ، ابيض وسوداء او اسود وببيضاء . فهو المضرب . وقال بعض علماء اللغة : تقول العرب للغلام اذا كانت امه سوداء وأبوه عربياً آدم فجاءت بولد بين لونها غلام خلاسي والأنثى خلاسية قال الجاحظ : (ورأينا الخلاسي من الناس ، وهو الذي يتخلق بين الحبشي والبيضاء ، والعادة من هذا التركيب انه يخرج اعظم من ابويه وأقوى من أصله ومثمره . ورأينا البيسري من الناس ، وهو الذي يتخلق من بين البيض والمهند ، لا يخرج ذلك التاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتها ، ولكنه يجيء أحسن وأملح) . ^٤

وقد شابت السنة هؤلاء (طمطانية) ، اي عجمة . قال عنتره :

تأوي له فلص النعام كما اوت خرق يمانية لأعجم طمطم ^٥

١ اللسان (٣١٤/١٤) ، (صادر) ، (رجا) .

٢ العملة (٣٠٠/١) .

٣ ناج العروس (١٣٨/٤) ، (خلس) .

٤ الحيوان (١٥٧/١) ، (هارون) .

٥ ناج العروس (٣٨١/٨) ، (طم) .

السادات :

وسادة القوم اشرافهم ورؤساؤهم ، وذكر ان السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والسمع ، المعطي ماله في حقوقه المعين بنفسه . وذكر ان السيد : الحليم لا يغلبه غضبه ^١ .

والسيادة مترلة ودرجة ، ولا تأتي احداً الا باعتراف قومه له بسيادته عليهم وبتنصيبهم له سيّداً عليهم . وكانوا اذا سؤدوا شخصاً عصّبوه ، والتعصيب التسويد ، ولهذا كانوا يسمون السيّد المطاع معصياً . وذكر ان العصابة العامة . وكانت عمائم سادة العرب هي العائم الحمر ^٢ .

وتعدّ الأسر الحاكمة التي ينشأ فيها عدد كبير من الملوك والحكام اسراً عريقة في الشرف ، وينظر اليها نظرة تقدير واحترام ، لأنهم ورثوا المجد عن آباءهم أباً بعد أب . وينطبق ذلك على سادات القبائل الذين يرثون سيادتهم قبائلهم أباً عن جد ، فانهم يفتخرون بذلك على غيرهم ، لأنهم ليسوا من اولئك الذين انتزعوا السيادة فصاروا سادة ، على حين كان آباؤهم او اجدادهم من الخاملين . وفصّد سادات القبائل وبعض الشعراء الكبار الملوك ، ورحلوا اليهم من منازلهم ، وتقربوا اليهم ، وتوسطوا لديهم لبعض الناس . وقد عرف هؤلاء بـ (الرحال) . ولهذا نجد في الكتب ، انها اذا تعرضت لمثل هؤلاء قالت عنهم انهم من (الرحال) . فقد عرف (عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب) بـ (عروة الرحال) ، (وانما سُمّي الرحال لرحلته الى الملوك) ^٣ . كما عرفوا بـ (زوّار الملوك) ، ومنهم (ابو زيد الطائي) .

وأشراف الناس ، هم الذين نالوا الشرف والسؤدد بين قومهم ، فسادوهم . والسيد هو الرئيس ، ويطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم وعلى من ساد قومه ، مثل سادات القبائل . وقد نعت رسول الله (سعد بن معاذ) بـ (سيّد الانصار) . وتقول العرب (هذا سيّدنا) و (فلان سيّدنا) ،

١ اللسان (٢٢٨/٣ وما بعدها) .

٢ ناج العروس (٣٨٦/٣) (طبعة الكويت) .

٣ البلاذري (١١٠/١) .

أي رئيسنا والذي نعظمه . وتقول (ساد قومه) ، اي صار سيدهم ورئيسهم ^١ . ونعت (قيس بن عدي) بـ (سيد قریش) ^٢ . وكان يوم وفاة (سعد بن معاذ) بالمدينة يوماً مشهوداً . حتى حضر الرسول جنازته وكبر عليه تسعاً ، كما كبر على حمزة ، تعظيماً لشأنه . وشهد دفنه ^٣ . وكان من عادة اهل مكة في الجاهلية انه اذا مات لهم سيد كبير اغلقوا اسواقهم اعظماً لموته ، وتعبيراً عن تقديرهم له ^٤ . فغلق الاسواق عند الجاهليين عند وفاة رجل خطير من امارات التقدير والتعظيم .

ومن امارات تكريم الميت الشريف ، تجمع الناس عند بيته ، احتفالاً به لنقله الى موضع دفنه . واذا كان الميت خطير الشأن كان الجمع اكبر . وهو يتناسب في كثرته مع مكانة ودرجة الميت في المجتمع . وقد ذكر انهم كانوا يقولون للرجل الشريف يقتل : (العقيرة) ^٥ .

والسادات هم الرؤوس ، رؤوس الناس . اما من دونهم فأذئاب . وعرفوا بـ (أذئاب الناس وذنباتهم) ، اي اتباعهم وسفلتهم ، والاتباع دون الرؤساء . يقال : جاء فلان بذنبه ، اي اتباعه . فال الحطيئة يمدح قوماً :

قوم هم الرأس والأذئاب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا ^٦

والسادات (مصاييح الظلام) ومشاعله ، ينورهم يهتدي الفقراء واصحاب الحاجة والفاقة ، فينالون منهم ما يخفف عن كربهم وفقيرهم . يطعمون الناس في الحضر والسفر ، فهم سادة الناس وملاذهم حين تغلق كل الابواب بأوجه الأذئاب التاعسين البائسين .

ويقال لأشراف قوم وللبارزين منهم وجوه القوم ووجهاء القوم ، فورد (وكان من وجوه القرشيين) ، و (كان من وجوه قریش) . وأما (سروات) مثل

١ اللسان (٢٢٩/٣ وما بعدها) ، (صادر) ، (سود) .

٢ نسب قریش (٤٠٠) .

٣ الثعالبي ، ثمار (٦٤) .

٤ البلاذري ، أنساب (٨٧/١) .

٥ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .

٦ تاج العروس (٢٥٤/١) ، (ذنب) .

(سروات الانصار) و (سروات قریش) ، ففي هذا المعنى ايضاً ، وجوه الانصار وأشرفهم ووجوه قریش وأشرفهم . و (السري) ، هو الرئيس ^١ . وتعني كلمة (النواصي) خيار العرب وأشرفهم . فيقال هو ناصية قومه ، وهو من ناصيتهم ونواصيتهم . و (النصية) من القوم الخيار الاشرف ^٢ .

ويعرف الاشرف المعرقون بـ « النجوم » ، وواحدهم « نجم » . وقد اشار اليهم « حسان » في شعره ، فذكر ان الذين يحملون « اللواء » اي « لواء الحرب » ، هم النجوم ^٣ . ويقال لسادة الناس (الجحاجح) كذلك ^٤ . ويقال لهم : (العرى) ، وهم سادات الناس الذين يعتصم بهم الضعفاء ، ويعيشون بعرفهم . شبهوا بعرى الشجر العاصمة الماشية في الجلب ^٥ .

وأما لفظة (رب) التي تعني بعلا ايضاً ، وإلهاً ، والتي تعبر عن معنى (إله) في الرمن الحاضر ، فقد اطلقت في لغة المسند على السيد والشريف ، لتعبر عن معاني التفضيم والاحترام ، وأطلقت في معنى (إله) ايضاً في النصوص المتأخرة في الغالب ، وهي من الألفاظ السامية القديمة التي وردت في معظم لغات الساميين .

وقد وردت في عربيتنا بمعنى المالك والسيد والمدبر ، وأطلقت بمعنى الملك كذلك . وقد كان اهل الجاهلية يطلقونها على الملك ، قال الحارث بن حليزة :
وهو الربّ والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء ^٦

هذا وللسنّ اهمية كبيرة عند العرب ، لأن الانسان اذا ما تقدم في السن ازدادت حكمته وتجاربه في الحياة ورجح عقله . لذلك يكون مرجعاً لمن هو دونه في العمر ، وملاذاً في المشورات ، ويعبر عنهم بـ (ذوي الاسنان) ^٧ . وهم الطبقة الذكية

١ تاج العروس (١٠ / ١٧٦) ، (سره) .

٢ تاج العروس (١٠ / ٣٧٠) ، (نصا) .

٣ لم ينطق حملته المواق منهم انما يحمل اللواء النجوم

البرفوفي (ص ٣٨٠) ، ديوان حسان (هرشعلد) (ص ١٩) .

٤ ديوان حسان (ص ٣٦) (هرشعلد) .

٥ اللسان (١٥ / ٤٦) ، (عرا) .

٦ تاج العروس (٢ / ٤٥٩) (الكوبت) ، (رب) (رب) .

٧ الاسنان (١٣ / ٢٢٢) ، (صادر) ، (سنن) .

الفطنة المجربة من ذوي المكانة في الناس بالطبع . ولهذا نجد القبائل تتمسك بأخذ الرأي والمشورة من ساداتها المستن ومن حكماؤها المعمرين ، لأنهم عركوا الحياة وخبروها وعرفوا ما فيها من مرّ وحلو . لذلك جعلوهم في الطبقات العليا من الناس .

و (الرب) الرئيس والمرجع ومن تكون اليه الطاعة . والارباب ، هم السادات (قال المنذر يوماً لخالد ، وهم على الشراب ، يا خالد ، من ربك ؟ فقال خالد : عمرو بن مسعود ربّي وربك . فأمسك عليها)^١ . و (المنذر) هو المنذر الأكبر اللخمي ، وخالد ، هو خالد بن فضلة . ولهذا كان يقول العبد لسيّده : ربّي . وتقول حاشية السيّد والمالك لسيدها وملكها : ربّنا .

قال الحارث بن حازة :

ربّنا وابنتنا وأفضل من يـ شي ومن دون ما لديه الثناء

وقال ليّد حين ذكر حذيفة بن بدر :

وأهلكن يوماً ربّ كنته وابنه وربّ معدّ بين خبّيتٍ وعرعر^٢

و (الخطر)^٣ الاشراف من الرجال العظيمو القدر والمنزلة . والخطير الواحد . ويقال للرجل الشريف ، هو عظيم الخطر . وقوم خطيرون : قوم اشراف^٤ . ويقال (العبقري) للكمال والسيد من الرجال . وهو سيد القوم وكبيرهم والذي ليس فوقه شيء والشديد القوي^٥ .

وقد عرف سادة قریش ووجوهها بـ (خضراء قریش) . ولما صعد الرسول (الصفا) ، عام الفتح ، وجاءت الانصار فأطافوا بالصفا وجاء (ابو سفيان) ، فقال : (يا رسول الله أُبِدت خضراء قریش ! لا قریش بعد اليوم)^٦ . يقصد

١ أسماء المغتالين ، (ص ١٣٣) ، (نواذر المخطوطات) ، (عبد السلام هارون) .

٢ الجبوان (١ / ٣٢٨ وما بعدها) ، (هارون) .

٣ بسم الحاء .

٤ ناج العروس (٣ / ١٨٤) ، (حطر) .

٥ ناج العروس (٣ / ٣٧٩) ، (عبقري) .

٦ صحيح مسلم (٥ / ١٧٢) ، (باب فتح مكة) .

نخبة قريش وخاصتها ، في مقابل (أوباش قريش) ، الذين قال عنهم الرسول
للأنصار : يا معشر الانصار ! هل ترون أوباش قريش ^١ .

والأخضر عند العرب الأسود . وقد افتخر (الفضل بن عباس بن عتبة اللهي)
بلونه ، اذ قال :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
يقول : أنا خالص لأن الوان العرب السمرة ، وأنه عربي محض لأن العرب
تصف ألوانها بالسواد ، وتصف الوان العجم بالحمرة ، والخضرة عند العرب
السواد ^٢ . وورد (خضر غسان) ، و (خضر محارب) . قال الشاعر :

ان الخضارمة الخضر الذين غلوا أهل البريص ثمانٍ منهم الحكم

والخضارمة جمع خضرم ، وهو السيد الحمل ^٣ .

ويقال لمن هم دون الاشراف وفوق الطبقات الدنيا ، (اوساط الناس) ،
و (الاوساط) ، و (اللاهزم) . يقال هو من لاهزم القبيلة ، اي من اوساطها
لا اشرافها ^٤ .

المستضعفون من الناس :

والمستضعفون من الناس ، كثيرون ، وقد نظر اليهم مجتمعهم نظرة ازدراء
واستهجان ، واعتدّهم من الطبقات الدنيا . إما لفقرهم وضيق ذات يدهم ، ومنهم
الفقراء والصعاليك والمحتاجون وأبناء السبيل ، وأما لطيشهم وخروجهم من مجتمعهم ،
ومنهم الطريد والضالّ والخليع ، وأما لانشغالهم بحرف يدوية ، وهي حرف لا تليق
بالرجل الكريم ، ولا سيما الحرف الدنيا مثل الحلاقة والحجامة والحالة وأمثالها ،
وأما من ناحية اصلهم ، مثل ان يكونوا عبيداً او عبيداً مملوكين .
ولا تستصغارهم شأن الحرف اليدوية ، لم يقبل عليها الاحرار وابناء البيوت ، الا

١ صحيح مسلم (١٧٠/٥ وما بعدها) ، (باب فتح مكة) .

٢ ناج العروس (١٧٩/٣ وما بعدها) ، (خضر) .

٣ الحيوان (٢٤٧/٣) ، (هارون) .

٤ ناج العروس (٦٩/٩) ، (لهزم) .

من اضطرتة الفاقة ووجد الا سبيل له الى العيش الا بالاشتغال بها ، فانصرف اليها صاغراً . ولهذا كان اكثر اصحاب الاعمال اليدوية من الرقيق والاعاجم واليهود . واذا اخذنا بروايات اهل الاخبار نجد ان عدد اصحاب الحرف اليدوية كان قليلاً جداً ، فلم يكن في مكة مثلاً احد من التجارين البارعين على ما يفهم من رواياتهم كروايتهم عن اعادة بناء الكعبة قبل التوبة بخمس سنين ، او كانوا قلة يعدون عدداً . وكذلك يقال عن بقية الحرف ، ويقال مثل ذلك عن يثرب . ولا استبعد ان تكون في روايات اهل الاخبار مبالغات ، ولكننا لا نستطيع نكران ازدياد العرب للحرف والصناعات .

وكانوا يعيرون من يتزوج من ابنة صائغ او حداد او نجار ، ويعيرون نسله ، ولا سيما اذا كان من بيت رفيع . وقد وجد اعداء (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة وحساده في أمه (سلمى) التي قيل انها ابنة قين او صائغ يهودي ، سبباً قوياً من اسباب استهزائهم به والاسنصغار لشأنه . اما الحرفي ، اي الذي يشتغل بالحرف اليدوية ، فلم يكن من السهل عليه التزوج من بنات الاحرار ، لما قد تتعرض له أسر البنات من تعيير وسبّة واهانة بين الناس ، بتزويجهم ابنة حرة لشخص وضعيف مستصغر .

وأدنى المتعشين بالحرف منزلة ، الحلاقون والحجامون والحمّالون ، ثم اولئك الذين يعيشون على تلهية الناس ، مثل سائس قرد ، وهو الشخص الذي يربي القردة ويعلمها القيام ببعض الالعب لتسلية المتفرجين واضحاكهم في مقابل صدقة يقدمونها لقردته وله ، ومثل اناس آخرون يربون حيوانات اخرى للغرض نفسه ، او يتخذون لهم مهنة اضحاك الناس عليهم لدر عطفهم والجود عليهم ، ومثلهم المختنون والمغنون المطربون .

وقد عرف المعلمون المتربون ، وهم الذين لا يملكون شيئاً بـ (بني غبراء) ، للزقههم بغبراء الارض ، ويقال لهم (الصعاليك) ايضاً ^١ ، وقد ذكرت قبل قليل

١ اللسان (٩٢/١٤) ، (بنى) ، (هم اللصوص والصعاليك المهتدون في مجاهل الارض ، والعالون بطرقها . وفيل : بل هم الغبراء اللاصفون بالعباء من سوء الحال ، على غير عطاء ولا وطاء ، فال طرفة بن العبد :
رأيت بنى عبءاء لا يكرونتني ولا اهل هناك الطراف الممدد
بقول : أنا معروف عند الاحبار والاشرار ، وعند اللثام والكرام) ، الثعالي ، ثمار (٢٧٠/١) .

ورود لفظة « غبر » في الكتابات القبطانية ، وإن لها صلة بـ (غبراء الناس) وبـ (بني غبراء) في عريتنا . وقد تكون لهذا المصطلح صلة بمصطلح اختلف علماء التوراة في المراد منه ، هو مصطلح (عسم هـ - ارز) ، أي (ناس الأرض) (أهل الأرض) ، فقد ذهب بعض العلماء الى أنها تعني طبقة وضعية من سواد الناس ، أو (الفلاحين) الذين يعيشون على استغلال الأرض .

ونعت الخادم الذي يخدم بطعام بطنه (بالعضروط) ، وهو الصعلوك ، والعضاريط الصعاليك . وتعهد الى العضروط مختلف الخدمات ، مثل العناية بالراحلة وأداء أي عمل آخر يقوم به في مقابل طعام بطنه ^١ . ويقال للعضروط : اللعموظ ، وهو الذي يخدم بطنه . و (العضاريط) الأجراء ^٢ .

و (الخول) العبد والخدم ، ويقال : القوم خول فلان ، أي أتباعه ، وهم حشم الرجل وأتباعه . ويقع على العبد والأمة ^٣ فهم إذن الأتباع المغلوبون على أمرهم الخاضعون لحكم المتحكمين في رقابهم من السادة .

والمملوك خلاف الحر ، والرقيق : المملوك واحد وجمع . والرقيق العبد ^٤ . ورقق صار في عبودية ^٥ . والعبد : المملوك خلاف الحر ^٦ . ونجد لعلماء اللغة تفاسير كثيرة لمعنى (العبد) ، والرقيق ، وفي مدى حرية كل واحد منها . وقد استعملت لفظة (العبد) للدلالة على معانٍ مجازية ، ومعانٍ حقيقية . فقد قصد بها الخضوع والتذلل ، ولهذا نهى عن استعمالها بهذا المعنى في الاسلام ، فورد : (لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي) ^٧ . وقصد بها أيضاً العبودية الحقيقية .

ولفظة (عبد) و (العبد) لفظة عامة في الأصل ، وقد وردت بهذا المعنى في أكثر اللغات السامية ، فاستعملت في معانٍ مجازية وفي معانٍ حقيقية ، ولم تكن

١ اللسان (٣٥١/٧) .

٢ اللسان (٣٥١/٧ ، ٤٦٠) .

٣ اللسان (٢٢٥/١١) ، (صادر) ، (حول) .

٤ اللسان (١٢٤/١٠) ، (صادر) ، (رقى) .

٥ اللسان (١٢٣/١٠) ، (صادر) ، (رقى) .

٦ اللسان (٢٧٠/٣) ، (عبد) .

٧ اللسان (٢٧١/٣) ، (عبد) .

تعني شخصاً مملوكاً بالمعنى الحقيقي من لفظة (مملوك) بالضرورة . وطالما نقرأ في كتب أهل الأخبار جملاً ، مثل : (ومن هو ؟ إنما هو عبد من عبيدي) ، و (أنت عبد من عبيدي) ، وذلك تعبيراً عن ازدراء شخص لشخص آخر ، واستصغاراً لشأنه ، لأنه جعله في منزلة خدمه وعبيده .

واستعملوا لفظة : (عبد) و (العبد) بالمعنى الحقيقي الخاص بالعبودية ، وقصدوا بها (مملوكاً) ، فقالوا : (كان عبداً رومياً) ، وقالوا : (كان عبداً حبشياً) ، فقصدوا بها (مملوكاً) كائناً ما كان لونه ، أو جنسه . والظاهر ان المتأخرين قد غلبوا استعمالها على العبيد والسود ، فأطلقوها عليهم من غير ذكر صفتهم ، وعنوا بها الرقيق الأسود حَسْبُ .

وقد ذكر بعض علماء اللغة ان (العبد) اذا مُلك ولم يملك أبواه ، أو الذي سبي ، ولم يملك أبواه . وقالوا : هم عبيد مملكة ، وهو ان يغلب عليهم ويستعبدوا وهم أحرار . وفي الحديث : « ان الأشعث بن قيس خاصم أهل نجران الى عمر في رقابهم ، وكان قد استعبدهم في الجاهلية ، فلما أسلموا ، أبوا عليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا انما كنا عبيد مملكة ولم نكن عبيد قن^١ . أي ان يغلب عليهم فيستعبدهم وهم في الأصل أحرار .

وذكر علماء العربية ان القن : العبد الذي مُلك هو وأبواه ، وان العبد القن الذي ولد عندك ولا يستطيع ان يخرج عنك . وعبد قن خالص العبودية^٢ . فالقن إذن ، هو العبد المملوك ، الذي تنقل اليه العبودية عن أبيه . وقد أسلفت ان هذه اللفظة وردت في لغة المسند ، وانها كانت تعني هذا المعنى عندهم أيضاً . ويشبه العبد القن ، العبد الذي يقال له (CERF) عند الرومان . و « القين » : العبد والجمع قيان^٣ .

ويجوز عن العبد بلفظة « مولى » أيضاً ، ويراد بها المعتق كذلك . وتؤدي معاني اجتماعية أخرى ذكرها علماء اللغة منها : الحليف ، والعقيد ، والرب

١ اللسان (٤٩٣/١٠) ، (ملك) .

٢ اللسان (٣٤٨/١٣) ، (فنن) .

٣ اللسان (ق/ي/ن) ، (٣٥١/١٣) .

والمالك ، والسيد . ويتبين معناها من الاستعمال ^١ . وقد كان بمكة وسائر الأمكنة الأخرى من جزيرة العرب عدد كبير من الموالى .

والعبيد هم حاصل الحروب . فإذا وقع انسان أسيراً في غزو او حرب صار ملكاً لآسره ، ان شاء مَنْ عليه ففك رقبتة ، وان شاء ملكه فصار عبداً له . يحتفظ به لنفسه ان أراد ، او أن يهديه لغيره فيصير في ملك من أهلي له ، او ان يبيعه ، فيقبض ثمنه ، فتنتقل ملكية العبد الى شاريه . فالسباء هو مصدر مهم من مصادر الرقيق .

ومورد آخر أمدّ الجاهليين بالعبيد ، هو التجارة : تجارة العبيد . وقد اختص بها قوم عرفوا بالنخاسين . يأتون بالرقيق من مختلف الأماكن ويبيعونه . وكانت تجارة رابحة .

ومن العبيد ، قوم كانوا مدينون فلم يتمكنوا من سداد ديونهم فبيعوا رقيقاً . ومنهم من صار رقيقاً لعدم تمكنه من دفع مال يجب عليه تأديته . كالذي روي من تقامر أبي لهب والعاص بن هشام ، على ان من قر صار عبداً لصاحبه ، ففمره أبو لهب فاسترقه واسترعاه ابله ^٢ .

ويكون عدد ما يملكه الانسان من الرقيق امانة على الغنى والمترلة والجاه والقوة . هم قوة لأنهم عُدّة لسيدهم في القتال وفي الدفاع عنه حتى وان كرهوه . وهم خدم له يؤدون له كل ما يطلبه منهم من أعمال ، ولا يخلو منهم بيت . وذكر ان بعض السادات كان يملك المئات من العبيد فلما وفد (ذو الكلاع ملك حمير) على أبي بكر (ومعه ألف عبد دون من كان معه من عشيرته وعليه التاج ، وما وصفنا من البرود والحلل) ^٣ .

وكان كثير من ملاك الرقيق ذوو قلوب غلاظ ، لا يرحمون عبيدهم ولا يرفقون بهم . واذا شهد العبد غزواً أو حرباً وغم فلا يعطى حقه له ، ويؤخذ

١ اللسان (و/ل/ي) ، (٤٠٩/١٥) .

٢ الأعاني (١٠٠/٣) .

٣ التنبيه (٢٩٩/٢) ، (باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق) .

سهمه ويعطى الى سيده . ولم يكونوا يثقون بأمانة رقيقهم^١ لذلك حقد العبيد على ساداتهم ، وانضموا الى أعدائهم ان وجدوا فرصة مؤاتية لهم أملاً منهم باصلاح الحال . ولا حاصر الرسول الطائف نادى مناديه : (أما عبيد نزل فهو حرّ وولاؤه لله ورسوله) فتزل جمع منهم وأسلموا وصاروا أحراراً^٢ .

ويذكر علماء اللغة طبقة سمّوها (القطين) ، وهم في عرفهم تباع الملك ومماليكه ، والخدم والأتباع . وقالوا أيضاً : ان القطين تبع الرجل ، ومماليكه ، وخلعه^٣ .

ويقال للرعية من الناس (السوقة) سمّوا بذلك لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم^٤ . وأما (سواد الناس) ، فعامتهم .

وكل من ذكرت من الطبقات الدنيا هم « سوقة » . و « عوام » ، و « سواد » .

ويقال للأخلاق والسفلة من الناس : الأوباش . وهم مثل الأوشاب^٥ . وأما الأشابة فأختلاط الناس تجتمع من كل أوب والتأشب التجمع . ويقال : أوباش من الناس وأوشاب . وهم الضروب المتفرقون^٦ .

ويذكر علماء اللغة ان أهل اليمن يطلقون على المستضعفين من الناس (مستخمرون) . و (المستخمرون) هم الجيران الضعفاء . من (أخره الشيء) ، بمعنى أعطاه إياه أو ملكه بلغة اليمن^٧ .

ويقال لأوغاد الناس وأرذالهم (الطغام) و (الطغامة) . وذكر ان (طغامة)

- ١ الأغاني (٣٢/١) ، (١٢٤١/١٤) .
- ٢ العقد الفريد (٢/٣) .
- ٣ اللسان (٣٤٣/١٣) ، (ططن) .
- ٤ ديوان بشر بن أبي خازم (ص ٢٠٠) .
- ٥ ناج العروس (٣٦١/٤) ، (وبش) .
- ٦ ناج العروس (١٤٨/٢) ، (أشب) ، (هل برون أوباش فربش) ، صحيح مسلم (١٧١/٥) ، (فتح مكة) .
- ٧ اللسان (٢٥٨/٤) ، (خمر) .

و (دغامّة) الأحمق . وورد (ياطاسة الأحلام) ، بمعنى من لا عقل له ولا معرفة ، وقيل : هم أوغاد الناس وأسافلهم^١ .

وعرف أوغاد الناس بـ (أولاد درزة) . وذكر ان أولاد درزة : السفلة والسقاط والغوغاء من الناس ، كذلك أولاد ترني . و (أولاد درزة) أيضاً الخياطون . ويقال : أولاد درزة هم الحاكة ، وهم من أسافل الناس ، كما صرح به المفسرون في قوله تعالى : واتبك الأرذلون . وابن درزة الدعي ، أو ابن أمة تُساعي ، فجاءت به من المساعدة ولا يعرف له أب^٢ .

أهل الوبر :

ما ذكرته عن المجتمع يتناول الحضر ، أما المجتمع البدوي ، أي مجتمع الأعراب ، فمجتمع ساذج ليس في تكوينه تعقيد ولا تعدد طبقات . صقلت البادية أهلها ، وبسطت لهم أسلوب الحياة ، وقلصت من الفروق الطبقية ، فلا تجد فيها ما نجده عند الحضر من اختلاف كبير في منازل الناس .

وكل ما هنالك من طبقات : سادات القبائل ، وهم رؤساء القبيلة وأشرافها ، وأحدهم (سيد القبيلة) أو رئيس القبيلة . ثم أشراف العشائر ومتفرعاتها . ولهم أموال ، ورقيق يخدمونهم . أما سواد القبيلة ، فهم متشرون في أرض القبيلة على هيئة مجتمعات صغيرة متفرقة مبعثرة ، لضيق العيش الذي لا يساعد على تجمع أفراد القبيلة تجمعاً كبيراً في محل واحد ، تظهر فيه الحرف وتنوع الأعمال التي تكون ضرورية لمجتمع الحضر .

ولسادات القبائل المال ، وهي : الإبل . يشربون من البانها ، ويأكلون لحومها ، وهم الذين في استطاعتهم الذهاب الى القرى والمدن ومواطن الحضارة للعيش فيها زمناً ، ولشراء ما يجدون في أسواقها مما يحتاجون اليه من سلع .

١ اللسان (٣٦٨/١٢) ، (صادر) ، (طغم) ، تاج العروس (٣٨٠/٨) ، (طغم) .
٢ تاج العروس (٣٥/٤) ، (درز) ، (أبناء درزة كناية عن السفلى والسقاط ، ويقال لهم : أولاد درزة . قال المبرد : هم خياطون من أهل الكوفة خرجوا مع زيد بن علي) ،
النيسابوري ، ثمار (٢٧١) .

وللتمتع بمنظر الحضارة . ولزيارة الملوك والحكام . والسكان منهم على مقربة من الحضر ، يخاطبهم وقد يشتري له ملكاً يعيش فيه بينهم . فاذا جاء الربيع ، وحده وقت البادية عاد الى وطنه ، ليرعى ماله ، ولينظر في شؤون قبيلته .

وقد استخدم الاعراب (العبيد) ايضاً ، ولكنهم لم يكثروا من استخدامه استخدام اهل الحضر له ، لعدم وجود حاجة كبيرة عندهم اليه . وقد كان عبيد الاعراب اكثر حرية وأحسن حالاً من عبيد اهل الحضر ، ذلك لأن البادية لا تعرف الاعمال المرهقة ، ولا الحرف الكثيرة التي فرضتها الحضارة على اهل الحضارة ، لذلك صارت الاعمال التي يقوم بها عبيد الاعراب اقل بكثير من الاعمال التي يقوم بها عبيد اهل القرى ، وصار العبد في البادية الصق بصاحبه من مثيله في القرية ، حتى صار وكأنه جزء من اهل البيت الذي اشتراه أو ورثه .

بيوت العرب :

لقد تبين لنا مما تقدم ان العرب وان بدوا وكأنهم سواسية كأسنان المشط ، الكل متساوون في المعاملة لا فرق عندهم بين غني وفقير ، كل معتر بنفسه فخور بفعاله ، الا انهم مع ذلك وفي الواقع . طبقون ، لكل طبقة عرف وتقاليدهم ، فبيوتهم تتفاوت عندهم في الشرف والمكانة ، هناك بيوت اشتهرت في القبيلة وحافظت على فعالها ومكانتها ، وكانت تتفاخر وتتباهى على غيرها فلا تزوج احداً من ابنائها او بناتها الا لمن كان كفواً لها .

وقد تحدث اهل الاخبار والانساب عن بيوت برزت في القبائل وتفاوتت على غيرها في ناحية من نواحي الفضل والفخر . فذكر ابن الكلبي : مثلاً ان العدد من تميم في بني سعد ، والبيت في بني دارم ، والفرسان في بني يربوع ، والبيت من قيس في غطفان ، ثم في بني فزارة ، والعدد في بني عامر ، والفرسان في بني سليم ، والعدد من ربيعة في بكر ، والبيت والفرسان في شيان ^١ .

وكان يقال : اذا كنت من تميم ففاخر بمنظلة ، وكاثر بسعد ، وحارب بعمر ،

واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكاثر بهوازن ، وحارب بسليم ، واذا كنت من بكر ففاخر بشييان ، وكاثر بشييان ، وحارب بشييان ^١ .

وقد اشتهرت ثلاثة بيوت شهرة خاصة في الجاهلية القرية من الاسلام ، وهي : بيت بني زرارة ، وهم من (بني عبد الله بن دارم) في تميم ، وبيت (بني بنذر) ، وهم من (بني فزارة) من (بني قيس) ، وبيت (ذي الجدين) ، وهم من (بني شييان) من (بكر بن وائل) ^٢ .

وجعل (أبو عبيدة) بيوت العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ، ومركزه بنو بنذر ، وبيت ربيعة بنو شييان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم بنو عبد الله ابن دارم ، ومركزه بنو زرارة ^٣ . وذكر انه قال : ليس في العرب اربعة اخوة انجب ولا أعدت ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة . وكان يقال له الأغر والحصن . وبنوه : شييان وذهل وقيس وتيم الله . وفارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها الحارث بن ظالم ، وحكمها هرم بن قطبة ، وجوادها هرم بن سنان المري ، وشاعرها النابغة الذبياني . وفارس بني تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب احد بني يربوع . وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العبدي . وفارس دارم عمرو بن عدس ، وفارس سعد فدكي بن المنقري ، وفارس الرباب زيد القوارس ابن حصين الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة بسطام ابن قيس ^٤ .

وقال ابو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد الى الزيرقان بن بدر من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن عمرو الرديم ، وبيت بني عدي بن عبد مناة آل شهاب من بني ملكان ، وبيت التيم آل النعمان ابن جساس ^٥ .

وزعم (ابن الكلبي) ان آل حصن الفزاريين ، وآل الجدين الشيبانيين ،

١ العملة (١٩٢/٢) ، بلوغ الأرب (١٨٩/٢) .

٢ الكامل (٣٥/١) .

٣ العملة (١٩٢/٢) .

٤ بلوغ الأرب (١٨٩/٢) .

٥ العملة (١٩٢/٢) وما بعدها .

وآل عبد المذنان الحارثيين . هم اعلى بيوت العرب . ويقال : بيت تميم في بني حنظلة ، اي شرفها ^١ . فهذه البيوت هي البيوت البارزة المسلم لها بالسيادة والشرف عند الجاهليين على رأي (ابن الكلبي) .

وذكر (الجمحي) : ان القروسية في اليمن في بني زبيد بن عمرو بن معديكرب . وان شاعر اليمن امرؤ القيس ، وأن بيتها في كنده : في الأشعث ابن قيس . لا يختلف في هذا وإنما اختلف في نزار . وقال اخباري : كان بيت قيس في آل عمرو بن الظرب العدواني ، ثم في غني في آل عمرو بن يربوع ، ثم تحول الى بني بلر . فجاء الاسلام وهو فيهم . وقال الانخفش : فرعا قريش هاشم وعبد شمس . وفرعا غطفان بلر بن عمرو بن لودان وسيار بن عمرو بن جابر . وفرعا حنظلة رياح وثعلبة ابنا يربوع . وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب . وفرعا فضاعة عذرة والحارث بن سعد ^٢ .

وقد ذكر (الجاحظ) ان هناك قبائل في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر شرف وضعة . (فن القبائل المتقدمة التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة ، وثعلبة ، ومثل عيس ، وعبد الله بن غطفان ، ثم غني وباهلة ، واليعسوب والطفافة . فالشرف والخطر في عيس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ، مثل باهلة وغني . ومن هذا الضرب تميم بن مرّة ، وثور وعكل ، وقيم ومزينة . ففي عكل وقيم ومزينة من الشرف والفضل ما ليس في ثور) ^٣ .

وذكر (الجاحظ) ان بعض الناس تكبروا على غيرهم ، لما وجدوا لأنفسهم من الجاه والراء والمكانة ، ومنهم : بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو جعفر بن كلاب ، وبنو زرارة بن عدس . فلم يكونوا كبنّي هاشم في تواضعهم ، وفي انصافهم لمن دونهم ^٤ .

الشرف :

وللشرف مقام كبير عند العرب . وادا دخل شريف قوم في مجتمع جلس في

١ ناج العروس (١ / ٥٣٠) ، (ست) .

٢ بلوغ الأرب (٢ / ١٩٠) .

٣ الحيوان (١ / ٣٥٩ وما بعدها) ، (هارون) .

٤ الحيوان (٦ / ٧٢) ، (هارون) .

المقام اللائق به . ويلعب هذا المقام دوراً كبيراً في مجالس الملوك وفي مجالس سادات القبائل وفي اندية الحضر . واذا لم يأخذ الشريف مكانه ، كأن يجلس في مجلس هو دون مجلسه اللائق بمقامه بالنسبة الى الحاضرين ، عدّ ذلك اهانة له ، ومعاملة سيئة متعمدة . قد تأتي بأوخم النتائج اذا كان الشريف من اصحاب الحول والطول . ولهذا كان الملوك خاصة وسادات القبائل يراعون حرمة المكان ، ويُعيّنون للقادم مكانه ، بأسلوب لطيف لا يثير مشاعر الجالسين ولا يشعرهم بأنهم فصلوا اهانتهم ان طلبوا من القادم التقدم على الحاضرين ، والجلوس على مقربة منهم . وذلك على حسب مكانته ومترلته ، والغالب أن ينص على المكان الذي سيجلس به .

والشرف في العرف الجاهلي ، هو الحسب بالآباء . والشرف والمجد عندهم لا يكونان الا بالآباء . اما الحسب والكرم فيكونان ، وان لم يكن له آباء لهم شرف^١ . ولهذا حرصوا على استمرار الشرف في الأسر الشريفة ، وعلى امدادها بالحوية والنشاط حتى يبقى الشرف متألقاً لامعاً فيها . ومن ذلك الزواج المكافئ والفعال الحميدة والمحافظة على سجايا الأسرة الطيبة ، والأعراف المثالية ، والتمسك بالنسب وعدم تلويثه بدم من هو دونهم في الشرف ، ورعاية ذلك النسب وحفظه ، ليكون نسب كل شريف بيتاً واضحاً ظاهراً للناس .

ومن الشرف : التخلق بالأخلاق الحميدة ، وعمل الامور المحببة المفيدة التي تخلد الذكر لصاحبها وتجعل الناس يلهجون باسمه من ذلك .

العرض :

والعرض في معنى الشرف ، ويتجلى في مظاهر متنوعة يراد بها صيانة السمعة وطرد سوء الظن وما يحدش شرف الانسان من سوء او مكروه . وهو لا يكتفي بالدفاع عن عرضه ، بل يلزم نفسه ايضاً بالدفاع عن عرض قبيلته وعن عرض من يدخل في جواره او في حلفه ، لأن اعراضهم عرضه . فهو يلزم نفسه بلوازم كثيرة ثقيلة ، يحاول مها كلفه الأمر الوفاء بها خشية العار . وهو في سبيل الوفاء بالترامات العرض يفعل ما يشاء ، ويدخل في ذلك القتل والعنف في سبيل الدفاع عن الالتزامات التي ألزم نفسه بها في سبيل حاية العرض^٢ .

١ اللسان (١٦٩/٩) ، (شرف) .

٢ بلاشير (ص ٣٨ وما بعدها) .

واذا مُسَّ عرض امرئ بأذى هاج وأهاج مَنْ هو من ذوي دمه ولحمه ،
للاقتصاص من دنس عرضه . وهو لا يهدأ حتى يأخذ بثأره ممن داس على عرضه .
فثأر العرض مثل ثأر القتل ، لا يهدأ صاحبه ولا يهجع الا اذا اخذ بثأره ممن
تجاوز على عرضه . والغالب في عفوبة هذا الثأر الذبح . اي بقطع الرأس عن الجسد .
يذبح حتى في حالة اذا كان قد توفي من طعنة بخنجر يقضي عليه ، فانه يذبحه
عندئذ . ويكون هذا غسلاً للعار الذي الحفه ذلك المتجاسر بعرض القاتل .

المروءة :

وتتمثل المثل الجاهلية العليا في (المروءة) ، وقد فسرت المروءة بأنها كمال
الرجولية . ومن المروءة : الحلم ، والصبر ، والعفو عند المقدرة ، وقرى الضيف ،
واغاثة الملهوف ، ونصرة الجار ، وحماية الضعيف . فاذا تمثلت امثال هذه السجايا
في رجل ، كان كاملاً ، عظيم الشأن في قومه . والمروءة عند الجاهليين كالدين
عند المسلم .

وقد ورد ان المروءة لا تفعل في السرّ امرأ وأنت تستحي ان تفعله جهراً^١
فهي اقصى ما تكون من اخلاق في الرجل الكامل الشجاع . وقد اقرها الاسلام
في جملة ما اقره من فضائل الجاهلية ، ورد : الدين ، المروءة ، ولا دين الا بالمروءة^٢ .
والشهادة هي من صفات السيّد الشريف النبيل . والشهم ، هو السيّد النجد ،
الذي اذا دُعي أنجد ، واذا طلب أجاب^٣ .

الكلمة :

وتحدث اهل الاخبار عن سجاسة من الجاهليين قالوا انهم عرفوا بين قومهم
بالكلمة . منهم (بنو زياد العبيسون) ، وهم أنس الحِفاظ ، ويقال له ايضاً
أنس الفوارس ، وعمارة الوهاب ، وربيع الكامل ، وقيس الجواد . وقيل : ربيع
الحِفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس ، امهم فاطمة بنت الخُرْشَب الانمارية^٤ .

١ اللسان (١٤٩/١) ، (١٥٤/١ وما بعدها) ، (صادر) ، (مرا) .

٢ Muh Stud , I, 8, 14

٣ ناج العروس (٣٦١/٨) ، (شهم) .

٤ العملة (١٩٧/٢) ، المحبر (٣٩٨) .

وكان (الربيع بن زياد العبسي) المعروف بالكامل ، ممن يتادم الملك النعمان ، ويكثر عنده ، ويتقدم على من سواه . ويتزله في قبسة يضربها له . حتى أفسد (لييد) الشاعر ، وكان إذ ذاك غلاماً ما كان بينهما من ودّ في خبر ترويه كتب الأدب والأخبار ^١ .

وعرف قوم بـ (الأكابر) ، قيل هم : شيان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ^٢ .

والإنسان الكامل عند الجاهليين وفي أول الاسلام ، هو الذي يكتب بالعربية ، ويحسن العوم والرمي . وقد لقب رجال عديلون بهذا اللقب ، منهم : (أوس ابن خولي) ، وهو من المخضرمين ^٣ . قال (ابن سعد) عنه : (وكان أوس ابن خوّلي من الكمّلة ، وكان الكامل عندهم في الجاهلية وأول الاسلام الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي) ^٤ .

من الخصال الحميدة :

ومن الخصال الحميدة عند العرب : النخوة . والنخوة في اللغة الافتخار والتعظيم ، والنخوة الكبر والعظمة . ومن صفات العرب أنها كانت تتنحى من الدنيا أي تستتكف ^٥ .

الكرم :

ومن الأعراف عرف إكرام الضيف ، وتقديم حق الضيافة له مهما كانت درجة تلك الضيافة ومنزلة المضيف . يقدم له ما يقدر عليه وما يتسع حاله له . والضيافة درس من الدروس التي لقيتها الطبيعة للإنسان أيضاً . لقيته ان الانسان مهما كان

١ المرتضى ، أمالي ١/ ١٨٩ وما بعدها ، المعارف (٨٢) .

٢ العملة (١٩٦/٢) .

٣ ابن سعد ، الطبقات (٥٤٢/٣) ، الاصابة (٩٥/١ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) .

٤ ابن سعد ، الطبقات (٥٤٢/٣) .

٥ ناج العروس (٣٦٢/١٠) ، (نخا) .

فقيراً ، عليه ان يقدم ما عنده لمن يأتيه من ضيف قريب أو غريب ليضيفه ، إنقاذاً لحياته من قحط البادية ومن شحها . فليس في البادية ملجأ يلجأ الفرد اليه غير الخيام المضروبة هنا وهناك ، ملاجئ مها قليل فيها ، لكنها قوارب النجاة أو جزر صغيرة في محيط واسع شاسع . لا يطعم الانسان منها إلا في الاستراحة وإمضاء أمور سفره الى الموضع الذي يريده ، واذا امتنع صاحب الخيمة عن أداء حق الضيافة ، عرض حياة ضيفه للخطر ، وعرض حياته نفسه الى ذلك الخطر ، فلا بد ان تتزل به في يوم ما حاجة ما ، ولا بد ان يقطع البادية مراراً في حياته بحثاً عن رزق ، فإذا نخل ولم يضيف غيره ، لم يستضيفه الآخرون فيقع في ضنك قد يكون به هلاكه وهلاك من معه .

والعرف ان الضيافة ثلاثة أيام وثلاث ليال ، فاذا انتهت المدة ، سقط حق الضيافة من رقة (المضيف) إلا اذا جددتها ، وزاد عليها . ويعبر عن منزلة المضيف عند المضيف بجمل وتعابير تعبر عن ترحيب المضيف بضيفه ، مثل جملة : (بيتي بيتك) ، وعلى المضيف بالطبع ان ينأدب بأدب الضيافة ، فيصون حرمة بيت مضيفه ، فلا يسرق منه ، ولا ينظر الى العائلة بسوء وألا يقوم بأي عمل يخل بعرف الضيافة ^١ .

ونظراً الى ما للمعابد من حرمت ، اعتبر الوافدون عليها لزيارتها والتقرب لأصنامها ضيوفاً لها ، وعدوا الذين يعتدون عليهم خارجين عن العرف مارقين بالنسبة لمجتمعهم . فن كان يفد الى مكة يقال له (ضيف الله) ، وقيل للحجاج (ضيوف الكعبة) ، فلا يجوز الاعتداء عليهم ، ومن وقع اعتداء عليه ، يحد حتماً من بين أهل مكة من يدافع عنه ^٢ .

والجود ، وهو السخاء صفحة أخرى من صفحات الكرم . وهو ان يطر الرجل غيره بمعرفه ، وان يجود على غيره بما هو عنده ^٣ . وقد بالغ بعضهم بجوده حتى ضرب به المثل . ومن هؤلاء حاتم الطائي . وهو (حاتم بن عبد الله ابن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم) من قبيلة طيء .

١ Smith, Kinship, P. 70.

٢ Smith, Kinship, P. 41, Hastings, P., 427

٣ اللسان ، العهد الفريد (٣٣٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠٨/٣) .

وقد ضرب به المثل في الجود والسخاء ، فقيل (أجود من حاتم) ، ورووا عنه قصصاً كثيراً في الجود والسخاء ، يرينا ان الجود فيه سجية ، نبت فيه "مذ" كان صغيراً ، فقد روي انه اختلف مع والده ، وهو صغير ، لأنه فرق إبله وغنمه وكان يرعى بها على قوم مروا به ، فيهم : عبيد بن الأبرص ، وبشر ابن أبي خازم ، والنابعة الديلمي ، فطرده أبوه ، وقال له : إذن لا أساكنك بعدها أبداً ولا آويك ، فقال حاتم : إذن لا أبالي ^١ .

ويذكر : انه كان إذا أهل شهر رجب نحر في كل يوم عشرة من الإبل ، وأطعم الناس ، وانه كان يقول لغلّامه يسار ، اذا اشتد البرد وكتب الشتاء : أوقد ناراً في يفاع من الأرض : لينظر اليها من أضل الطريق ليلاً فيقصد نحوه ^٢ . وكان يوقد نار القري ، ليقصدها من يريد الضيافة من الناس . وذكروا انه كانت لحاتم قدور عظام بفنائه لا تنزل عن الأثافي ، الى غير ذلك من أخبار في كرمه وسخائه ^٣ .

وذكر عنه انه قسّم ماله بضع عشرة مرّة ، وانه مرّ في سفر له على بني عزة ولهم أسير في القدّ ، فاستغاث به ، ولم يحضره فكأكه ، فقاده وخلاه ، وأقام مقامه في القدّ حتى أدي فداؤه . ورووا انه ذبح فرسه ، ووزع لحمها على جيرانه ، لأن امرأة كانت جارة له جاءت اليه مستغيثة به ، تقول له : أتيتك من صبية يتعاونون من الجوع ولم يكن لديه ما يعطيها ، فذبح فرسه ، مع انه وعائلته كانوا جوعاً مثل صبيته ، فلما مانعت زوجته في ذبح فرسه ، قال لها : إن هذا للؤم ان تأكلوا وأهل الحيّ جوعاً ^٤ .

وينسب أهل الأخبار اليه شعراً ، في جملته قصيدة تتعلق بالكرم وبمكارم الأخلاق وبالحكم ^٥ ، وقد جمعوا من شعره ديواناً ، وذكروا انه من الشعر

١ بلوغ الأرب (٧٢/١) وما بعدها .

٢ بلوغ الأرب (٧٣/١ ، ٧٧ وما بعدها) ، العقد المرند (٣٣٢/١) .

٣ ثمرات الأوراق للحموي (حاشية على المستطرف) ، (١٢٧/١) ، الشعر والسعراء (١٢٣) وما بعدها .

٤ النعالي ، ثمار العلوب (٩٧ وما بعدها) .

٥ بلوغ الأرب (٧٩/١) .

البلغ الجيد^١ .

وضرب المثل بجود (كعب بن مامة الإيادي) . ويذكر أهل الأخبار انه هلك بسبب جوده ، فقد مات عطشاً ، لأنه أعطى الماء غيره ، فمات هو من العطش^٢ . وقد فضله (الجاحظ) ورَّجَّحه على (حاتم الطائي) في الجود . ذلك لأن حاتماً كان يجود على غيره بماله ، أما (كعب) ، فقد بذل النفس حتى أعطبه الكرم ، وبذل المجهود في المال ، فساوى حاتماً من هذا الوجه وبأينه ببذل المهجة . فهو على رأيه فوقه في الكرم بمنازل ودرجات^٣ . وذكر ان من عادة (كعب بن مامة) انه اذا جاوره رجل قام له بكل ما يصلحه وعياله ، وحماه ممن يريد . وان هلك له بعير أو شاة أو شاة أو عبد أخلف عليه ، وان مات وداه ، فجاوره (أبو دواد الإيادي) الشاعر ، فكان يفعل به ذلك ويزيد في برّه ، فصارت العرب اذا حدثت جاراً بحسن جواره ، قالوا: كجار أبي دواد^٤ . وقد افتخرت به إياد . وعدّ من مفاخرها^٥ . وذكر (عبد الملك بن مروان) إياداً ، فقال : هم أخطب الناس لمكان قس ، وأسخى الناس لمكان كعب ، وأشعر الناس لمكان أبي دواد ، وأنكح الناس لمكان ابن الغز^٦ .

و (أوس بن حارثة بن لأم الطائي) . يذكرون ان (النعمان بن المنذر) حباه حلة نفيسة بحضور وفود العرب من كل حيّ ، وكانوا قد اجتمعوا عنده ، فقال لهم : (إني ملبس هذه الحلة أكرمكم) فألبسه النعمان الحلة^٧ . ويذكرون انه تمكن من الشاعر (بشر بن أبي خازم) ، وكان (أوس) قد نذر لئن

١ بلوغ الأرب (٧٥/١) ، تاريخ الادب العربي ، لـ (كارل بروكلمان) ، (١١١/١) ، ١١٢ ، ١١٣ .

٢ بلوغ الأرب (٨١/١) ، العهد الفريدي (٣٣٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠٨/٣) ، ثمرات الأوراق (١٢٧/١) ، (حاشية على المستطرف) .

٣ الثعالبى ، ثمار (١٢٦) .

٤ قال قيس بن زهير :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى جـار كـجار أبى دواد

الثعالبى ، ثمار (١٢٧) وما بعدها .

٥ الثعالبى ، ثمار (١٢٢) .

٦ الثعالبى ، ثمار (١٤٢) .

٧ الثعالبى ، ثمار (١١٨) .

ظفر به لِنَجْرِقَنَّهُ ، لأنه أُمِرَف في هِجائِهِ ، حتَّى تَجاسِرَ فهِجَا أُمَهُ (سَعْدِي) .
فلما ظفر به ، أشارت (سَعْدِي) على (أوس) بأن يَمُنَّ على بشر ، فعُذِلَ
سبيله وأُكْرِمَهُ وأَحْسَنَ كسوته وحمله على نَجْيِهِ وحباه ، فصار (بشر) يمدحه^١
ويذكر أهل الأخبار ، ان أوساً وحاماً وفذا على (عمرو بن هند) ، فأراد
امتحنهما ، والوقوف على رأي أحدهما في الآخر ، فما انتقص واحد منهما الآخر .
فقال عمرو : والله ما أدري أيكما أفضل ! وما منكما إلا سيد كريم^٢ .

و (هرم بن سنان المُرِّي) ، من أجواد الجاهلية أيضاً . وهو سيد غطفان .
وكان والده سيد غطفان كذلك . وقد مدحه الشاعر زهير بن أبي سلمى في
أبيات لا يزال الناس يحفظونها ويذكرونها عن هرم وقد كان هرم أعطاه مالا كثيراً
من خيل وإبل وثياب وغير ذلك مما أغناه ، وفيه ورد المثل : (أجود من
هرم) . وقد أدركت بنت له أيام عمر فسألها عن أبيها وعن صلته بزهير^٣ .

قال (أبو عبيدة) : (أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم
الطائي ، وكلاهما مُضْرَبُ به المثل ، وهرم بن سنان صاحب زهير)^٤ .

وقد صرب المثل بجود (عبد الله بن حبيب العبيري) ف قيل : (أقرى من
آكل الخبز) . ذكر انه سُمِّيَ آكل الخبز ، لأنه كان لا يأكل التمر ولا
يرغب في اللبن . وآكل الخبز ممدوح عند العرب . وهو عندهم من علامات
الغنى والمال . وعرف (ثور بن شحمة العبيري) بالجود كذلك ، وقد كان
قومه (بنو العبير) اذا افتخروا ، قالوا : (منّا آكل الخبز ، ومنّا مجير
الطير)^٥ . وقد عرف (ثور بن شحمة) بـ (مجير الطير) لأنه كان يشفق على
الطيور فيطعمها ويشبعها لجوده وكرمه .

واشتهر (عبد الله بن جُدعان) بجوده كذلك ، وقد كان يسمى بـ (حاسي
الذهب) ، لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وقيل : (أقرى من حاسي

١ بلوغ الأرب (٨٣/١) وما بعدها .

٢ الثعالبي ، ثمار (١١٨) .

٣ بلوغ الأرب (٨٤/١) وما بعدها ، ثمرات الأوراق (١٢٧/١) حاشية على المسطر ،
العقد العربي (٣٣٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠٨/٣) ، الشعر والشعراء (١٢٣) .

٤ الشعر والشعراء (١٢٣) .

٥ بلوغ الأرب (٨٧/١) .

الذهب) . وكان يجود على (أمية بن أبي الصلت) ، ويقرّي أهل مكة ومن يأتيها ، وله جفنة كبيرة يأكل منها الناس ، ويصنع لهم (الفالودج) ، ولم يكن معروفاً قبله بمكة ، فلما كان بالعراق ، أكله واستدوقه ، وجاء منه بطباخ ليطبخ له (الفالودج) . وهو من (بني تيم) . وكان ممن حرم الخمر على نفسه بعد أن كان بها مغرى ، لما رأى فيها من ضرر واسفاف يلحق بشاربها . وذكر أنه لما كَبُرَ وهيرم ، أراد قومه أن يمنعوه من تبذير ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمه خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشدْ لطمتك واطلب ديتها ، فإذا فعل ، أعطته بنو تيم من مال ابن جُدعان^١ . وقد ضرب المثل بفالودج ابن جُدعان في أطايب الأطعمة^٢ .

وقد عدّ في (مطعمي قريش) ، وهم سادات قريش وأشرفها ممن كان يطعم الناس ويفتح بيته للضيوف ، ولا يمنع جائعاً من دخول داره . كهاشم بن عبد مناف . وكانت له جفان يأكل منها القائم والراكب ، إذا وقع في أحداها صبي غرق . فجري بها المثل في العظم^٣ .

وللتعبير عن إسراف الأجواد في جودهم ، وفي قراهم الضيوف ، نعت أحدهم بـ (مطعم الطير) ، كناية عنكرمهم ، وعن كثرة طعامهم المهيأ ، حتى كانت الطيور تشارك الضيوف في أكل الزاد ، وهو كثير . وقد نعت (حسان ابن ثابت) عمه (خالد بن زيد) المعروف بـ (ابن هند) ، وهو من (بني النجار) ، بـ (مطعم الطير) ، كناية عن أنه كان ينحر الإبل للأضياف ، فياًكل منها الناس والطير^٤ . ونعت (ليلي بنت الخطيم بن عدي بن عمرو) ، وهي أخت الشاعر (قيس بن الخطيم) أباهاً بأنه (مطعم الطير ومباري الريح) ، وذلك أمام الرسول^٥ .

١ بلوغ الأرب (٨٧/١ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٢١٧/٣) ، مجمع الأمثال (٧٢/٢) ، النعالي ، نمار (٦٧٢) ، البسان والبيبين (١٢٤/٣) ، الأعاني (٣٣٤/٨) ، نسب قريش (٢٩١) .

٢ النعالي ، نمار (١٢٣) ، الحيوان ، للجاحظ (٤٠٣/٣) ، عيون الإخبار (٢٦٨/٣) .

٣ النعالي ، نمار (٦٠٩) ، البحلاء (٢١٠) ، سمط الجوم ، للعصامي (٢٠٠/١) .

٤ الرقومي (ص ١١٧) .

٥ المحبر (ص ٩٦) .

ومن الأجواد من كان يجود في أوقات الشدة والحاجة بصورة خاصة ، في مثل حلول الجذب . وقد عرف نفر من العرب بـ (مطاعيم الرياح) ، وذلك لأنهم كانوا يطعمون اذا هبت ريح الصبا ، لأنها لا تهب إلا في جذب ، فملحوا . ومن هؤلاء : (كنانة بن عبد ياليل الثقفي) عم أبي مِحْجَن^١ . وزعم (ابن الأعرابي) ان (مطاعيم الرياح) ، هم أربعة . منهم : كنانة ابن عبد ياليل الثقفي المذكور و (لبید بن ربيعة)^٢ .

ويقال للرجل الذي يهتز للمعروف والعطية (الأريحي) ، وهو السخي . و (الأريحية) السخاء^٣ .

وقد ضرب المثل بجماعة من الجاهليين عرفوا بجودهم وكرمهم ، حفظ العرب ذكرهم لجودهم ، وما زالوا يحتفظون به حتى اليوم ، يتذكرونه ويروونه في كتاباتهم وفي أنديةهم وفي كلامهم . من هؤلاء ثلاثة سُمُوا (زاد الراكب) و (أزواد الركب) ، لأنهم كانوا اذا سافروا مع قوم لم يتزودوا معهم . كانوا من أهل مكة هم : أبو عمرو بن أمية (مسافر بن أبي عمرو بن أمية) ، وأبو أمية بن المغيرة المخزومي ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى (زمعة بن الأسود بن المطلب) . وقد ضرب بهم المثل ، فقليل : أقرى من زاد الراكب^٤ .

وقد كان (عبد الله بن أبي أمية) ، المعروف بـ (زاد الركب) شديد الخلاف على المسلمين ، ثم خرج مهاجراً من مكة يريد النبي ، فلقه بـ (الصلوب) فوق العرج ، فأعرض عنه رسول الله ، ثم عفى عنه^٥ .

وفي معنى (زاد الركب) معنى (جفنة الركب) ، والجفنة : الرجل

- ١ بلوع الأرب (٩١/١) وما بعدها .
- ٢ باوغ الأرب (٩١/١) وما بعدها .
- ٣ اللسان (٤٦٠/٢) وما بعدها ، (صادر) ، (روح) .
- ٤ مجمع الأمثال (٧٢/٢) ، اللسان (١٩٨/٣) ، (صادر) ، (زود) ، المحبر (١٧٧ ، ٤٥٧) ، ناج العروس (٣٦٦/٢) ، (زاد) ، نسب فرش (٣٠٠ ، ٣١٥) .
- ٥ النعاليبي ، ثمار الصلوب (١٠٣) .
- نسب فرش (ص ٣١٥ وما بعدها) .

الكريم . قيل له : (جفنة الركب) ، لأنه كان مطعماً يضع جفنته ويطعم الناس فيها ، ومن يكون معه في ترحاله . فسمي باسمها ^١ .

وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم ، كأنه يزنهم بأوزانهم ويفصح عن مقاديرهم في الكرم واللؤم ^٢ . إذ يتبين الكريم من اللئيم في سفره . فاللئام إذا ما سافروا ضجروا ، لخوفهم من تقديم ما عندهم الى من هم دونهم من فقير ومحتاج ، أما الكريم ، فإنه لا يبالي في سفره فيعطي وينفق ويساعد من يسافر معه بما يجود به عليهم . فهو على عكس اللئيم فرحٌ بسفره هذا مستبشر .

وزعم الأخباريون ان (سويد بن هرمي بن عامر الحمصي) ، كان أول من وضع الأرائك وسقى اللبن والعسل بمكة ^٣ . ومعنى هذا انه أول من وضع الأرائك لراحة الناس في الجاهلية ، ولعلهم قصلوا أرائك وضعت في الحرم لجلوس الناس عليها . كما ذكروا ان (أبا أمية بن المغيرة المخزومي) و (أبا وادعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم) وكانا يسقيان العسل بمكة ، بعد سويد بن هرمي ^٤ . وقد كان (عدي بن نوفل) يسقي الحجيح اللبن والعسل على ما ذكره أهل الأخبار ^٥ . وقد عدت السقاية من مفاخر قریش .

وقد كان من عادة الأجواد ايقاد النار في الظلام ليراهم الغريب والمحتاج والجانح من مسافة بعيدة فيفد اليها ، فيجد له من يقره ويقدم له ما يحتاج اليه من طعام . ويقال لها (نار القرى) و (نار الضيافة) . وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة ، لتكون أشهر . حتى زعم ان منهم من كان يوقدها بالمندي الرطب ، ليهتدي اليها العميان ، بشم رائحة الطيب التي تفوح منها عند الاحتراق . وهي من أجل الأعمال عند العرب . وقد ذكرت في الشعر الجاهلي ^٦ .

١ اللسان (٩٠ / ١٣) وما بعدها ، (صادر) ، (جعن) .

٢ العالبي ، ثمار القلوب (٦٨٨) .

٣ المحبر (ص ١٧٦) وما بعدها .

٤ المحبر (١٧٧) .

٥ سبب قربش (١٩٧) .

٦ بلوغ الأرب (١٦١ / ٢) .

ويعدّ الشتاء محكاً للأجواد ولكرام الأنفس . فالشتاء عدوّ الفقير ، يؤلمه ببرده ويوجعه بفقره ويضيف آلاماً على آلامه . فخيمته الممزقة البالية ، لا تقيه من رياح ولا من مطر ولا من برد . والصيد يختفي ويقلّ ، والأعشاب تزول ، فلا يجد الفقير أمامه سوى ما ادخره من قوتٍ ليعيش عليه . فاذا أكله أو كان قليلاً ، فليس أمامه من ملجأ سوى الاستجارة بأهل الجود والسخاء . ممن كان إذا جاء الشتاء ادنوا اليهم الناس وأطعموهم ، فيقتلون بذلك جوع الشتاء . ولهذا عرف الواحد منهم بـ (قاتل الشتاء)^١ .

وغاية الجود أن يجد الإنسان بأعز ماله لغيره ، يقال : (انه لمنحار بوائكها ، اي ينحر سمان الإبل) ، وهو للمبالغة ، يوصف للجود^٢ . فهو ليس من أولئك الذين ييخلون بمالهم العزيز ، فينحرون الهزيل من الإبل ، حرصاً على العزيز ، بل يقدم أقصى ما عنده لضيفه .

ويعدّ العرب (إقراء الضيف) و (الرفادة) : (رفادة الحج) في جملة (ارث ابراهيم واسماعيل) . ويدخل أهل الأخبار في جملة هذا الإرث : تعظيم الحرم ومنعه من البغي فيه وقع الطالم ومنع المظلوم^٣ . فالكرم اذن من السنن القديمة الموروثة عن سنة ابراهيم على أهل الأخبار .

ولا يعدّ الكريم كريماً اذا وهب ماله في سبيل غرض . فمن وهب المال لطلب نفع أو دفع ضرر أو خلاص من ذم فليس بكريم^٤ .

ويقال للعطية الجزيلة (الدسيسة) . ويقال للجواد ، هو ضخّم الدسيسة ، اي كثير العطية . وقيل هي المائدة الكريمة والجفنة على سبيل المجاز^٥ ، لما عرف به الأجواد من تقديم الطعام للضياف . ويقال للجواد المعطاء السيد الحمول : (الحضرم) ، تشبيهاً بالبحر الحضرم وهو الكثير الماء^٦ .

-
- ١ ناج العروس (٧٦/٨) ، (قتل) .
 - ٢ ناج العروس (٥٥٨/٣) ، (بحر) .
 - ٣ الكلاعي ، الاكنفاء (١٥٠/١) .
 - ٤ ناج العروس (٤١/٩) ، (كرم) .
 - ٥ ناج العروس (٣٢٧/٥) ، (دسج) .
 - ٦ ناج العروس (٢٨٠/٨) وما بعدها ، (الحضرم) بكر الخاء .

وقد يعبر عن غاية الجود بقولهم : (هو جبان الكلب) ، اي نهاية في الكرم وكثرته ، لانه لكثرة تردد الضيفان اليه يأنس كلبه فلا يهر ابدأ . قال حسان ابن ثابت :

يُغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون من السواد المقبل^١

ومن الجود والكرم : الرفادة . والرفد : العطاء واعانة المحتاج . ومن ذلك ما فعلته قريش من (الرفادة) ، حيث اتفقت ان يخرج كل انسان مالاً بقدر طاقته ، يشترى به للحاج الجزر والطعام والزبيب للتبذير ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي ايام موسم الحج . وذكر ان (هاشم بن عبد مناف) ، كان اول من قام بالرفادة ، وأول من هشم الثريد ، وقد سُمي هاشماً لهشمه الثريد^٢ .

وذكر علماء اللغة ان السخاء مراتب ثلاث : سخاء وجود وإيثار . فالسخاء اعطاء الاقل وامساك الاكثر . والجود اعطاء الاكثر وامساك الاقل ، والايثار اعطاء الكل من غير امساك شيء . وهو اشرف درجات الكرم^٣ .

ويعبر عن السخاء بـ (الندى) . ويقال (هو ندي الكف) ، اذا كان سخياً^٤ . و (طلحة الندى)^٥ ، اي السخي الكريم .

من شيم السادة :

ويعد حمل ائقال الديات من شيم السادة ، اذ لم يكن من الممكن للأسر الفقيرة دفع دية القتلى حين توزع في العشيرة او القبيلة ؛ لذلك يحملها السادة عن الضعفاء . وقد مدح « حسان بن ثابت » « حكيم بن حزام بن خويلد » ، فكان مما مدحه به انه (انه حال ائقال الديات)^٦ .

١ ناج العروس (١٥٩/٩) ، (حبن) .

٢ اللسان (١٨١/٣) ، (صادر) (رقد) .

٣ نهاية الأرب (٢٠٤/٣) .

٤ ناج العروس (٣٦٣/١٠) ، (ندا) .

٥ نسب فريش (٢٣٧) .

٦ البرقوقي (ص ٧٠) .

وممن حمل الدماء ودفع أثمان دياتها : (عمرو بن عاصم) ، الذي حمل الدماء التي كانت بين (بني سدوس) و (بني عترة) في الجاهلية ^١ ، وهرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، اذ تحمل ديات قتلى الحرب التي وقعت بين عبس وذبيان ^٢ .

كما يعد حمل ثقل المولودة التي يراد وأدها من الشيم ومن الاعمال الحميدة التي يحمدها القائمون بها عليها . وقد ذكر اهل الاخبار اسماء جماعة دفعوا مالا لآباء كانوا قد هتموا بوأد بناتهم لإملاقهم ولضعف حالهم ، فأبقوا بذلك على حياتهن . وهو عمل يقدر حقاً ، لأنه عن حسن انساني ودافع خيرى نبيل .

فك الأسر :

ومن شيم الرجال المنّ على الاسرى بفك رقابهم واعطائهم حريتهم . وقد أبت مروّضة بعض السادات الا ان يقوموا بفك أسر الأسرى واعناق رقبتهم ، ولو بشراء أسرهم بثمن . وقد ذكر العلماء اسماء رجال منهم عاشوا في الجاهلية عرفوا بعلم رضاهم عن الأسر ، فكانوا يدفعون مالا في مقابل فك رقبتهم . من هؤلاء (سعد بن مشمّت بن المُخَيْل) ، وهو من رجال (بني المخيل) في الجاهلية . وكان آلى ان لا يرى اسيراً الا افتكه ^٣ .

ومن شيم الرجال العفو عند المقدرة والحلم والصفح عن المسيء ، وكان من عاداتهم في غفران الذنب ، حفر بئر ، ثم ينادي من يريد غفران الذنب والعفو عن المذنب : اشهدوا اني جعلت ذنبي في هذه البئر . ثم يرد فيها ترابها ، وبذلك يغفر الذنب ^٤ . وقد ضرب العرب المثل بحلم (قيس بن عاصم) ، وب (الأحنف ابن قيس) . و (قيس بن عاصم) ، هو من بني منقر من تميم . وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وذكر انه كان اول من وأد ، لأنه خشى ان يخلف على بناته من هو غير كفء لهن . وكان قد وأد ثمانى بنات ، ووفد في وفد

١ الاشتقاق (١٩٢) .

٢ الشعر والشعراء (٦١) ، (ليدن) .

٣ الاشتقاق (١٩٣) .

٤ شر ديوان حسان ، للبروفى (ص ١٠٧) .

(بني تميم) على الرسول فأسلم . وقد قال له الرسول لما دنا منه : (هذا سيد
اهل الوبر) ^١ .

وأما (الأحنف بن قيس) ، فهو تميمي كذلك . ادرك النبي ولم يجتمع به .
وكان يضرب بحلمه المثل . وله قصص مع الخلفاء . وسكن البصرة ، وبها مات
سنة سبع وستين ^٢ .

وقد رجّح الجاحظ (الاحنف) على كل من عرف عند العرب واشتهر
بينهم بالحلم ، حتى رجّحه على لقمان ولقيم وقيس بن عاصم ومعاوية بن ابي
سفيان . وله قصص مع معاوية ^٣ . ونسبوا له حكماً وشعراً ^٤ . وذكر انه هو
القاتل : (لا تزال العرب بخير ما لبست العائم ، وتقلدت السيوف ، وركبت
الحيل ، ولم تأخذها حية الأوغاد . قيل : وما حمية الأوغاد ؟ قال : ان يروا
الحلم ذلاً ، والتواهب ضيماً) ^٥ . وقيل للأحنف بن قيس : بماذا سدت ؟
فقال : بثلاث ، بذل الندى ، وكف الأذى ، ونصر المولى . وقال : انما تعلمت
الحلم من قيس بن عاصم : أتي بقاتل ابنه فقال : رعبم الفتى . وأقبل عليه فقال :
يا بني لقد نقصت عدوك ، واهنت ركنك ، وفتت في عضدك ، وأشمت عدوك ،
وأسأت بقومك ، خلوا سبيله ، وما حل حبوته ، ولا تغير وجهه ^٦ .

وللعرب كلمة تقولها عند طلب العفو والحلم وفي مواطن الغضب والتشاجر ،
هي : (اذا ملكك فاسجح) ، يقصد بها طلب العفو والحلم عند ثوران الغضب .
ولهم كلمات اخرى كثيرة في الحث على التحلي بالحلم والصبر ^٧ .
ومن خصال السادة : النخوة . وقد عرف بها العرب حتى ضرب بها المثل ،
فقال : نخوة العرب ، وورد : (لؤم النبط ونخوة العرب) . وهم ينتخون لمن

١ الاصابة (٢٤٢/٣) ، (رقم ٧١٩٦) ، أمالي المرنضى (١١٢/١) .

٢ الاصابة (١١٠/١) ، (رقم ٤٢٩) ، أمالي المرنضى (١١٢/١) .

٣ الثعالبى ، ثمار (٨٩) ، أمالي المرنضى (٢٧٣/١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨) .

٤ كتاب فصل ما بين العداوة والحسد ، من رسائل الجاحظ (١/٣٤٤ ، ٣٦١ ،

٣٨١) ، عيون الأخبار (٩/٤) ، أدب الدنيا والدين (١٣٥) .

٥ كتاب فصل ما بين العداوة (١/٣٦١) .

٦ أمالي المرنضى (١١٢/١) وما بعدها .

٧ بلوغ الأرب (١٠١/١) وما بعدها .

لمن ينتخبهم مع ترفع وتعزز^١ . فاذا نَحَى شخص ، فعلى من انتخى اجابة داعي النخوة والا عدّ جباناً وصار سبة للناس .

ولا يعني ان ما ذكرته كان يجب ان يتوفر حتماً في رجل ليستحق ان يكون سيداً . فقد رمي بعض الرؤساء بالبخل وبشدة الحرص وبامساك يدهم ، ووصف بعض السادات بالظلم وبالقسوة ، ومع ذلك ، فقد حكموا قبيلتهم وساد بعضهم وهم 'شبان' ، والعادة عند العرب ان الرئاسة للمسن^٢ ، وانما الذي ذكرته يمثل رأي دوي الرأي في الرئيس المثالي الذي يعرف كيف يحكم قومه وكيف يواجه قبيلته . وهي ليست بالضرورة مؤهلات وصفات يجب ان تكون لازمة في الرجل الذي سيسود قومه ، لقد ذكرت ان السيادة بالوراثة ، وأن هذه الخلال اذا تحلى بها انسان آخر من رجال القبيلة عدّ ايضاً سيداً من ساداتها ، بمعنى انه صار شريكاً مقدماً فيها ووجهاً من وجوهها . تماماً كما يكون لمدينة ما رئيس مدينة ، يحكمها بصفة رسمية ، ويكون لها في الوقت نفسه وجهاء وأشراف قد يكون من بينهم من هو اكثر ذكراً وأعلى مكانة وأشرف منزلة من رئيس المدينة ، ولكنه مع ذلك لا يمثل المدينة في الحفلات والمجتمعات ، لأنه ليس برئيسها العامل المعين . وهكذا هو شأن تلك الخصال ، خصال مثالية قد تتوفر في رئيس القبيلة ، وقد لا تتوفر فيه ، بل تتوفر في غيره من ابناء القبيلة ومن رؤساء فروعها ، ليكون لهم السيادة والشرف فيها ويشار اليهم على انهم سادة القبيلة ، ولكنهم لا يعنون بذلك رئاسة فعلية ، وانما رئاسة شرف ومكانة وتقدير في مجتمع . ومن هنا نجد اهل الاخبار يذكرون اسماء جملة سادات ، على انهم سادات قبيلة واحدة وفي وقت واحد ، فهم في الواقع سادات مجتمع وفروع قبيلة .

المدح والهجاء :

والمدح والهجاء شأن كبير عند الجاهليين اذ كان الجاهليون يقيمون وزناً كبيراً للقيم المعنوية . فربّ مدح يخلد الممدوح ويبقي ذكره ، ورب هجاء يغض من شأن المهجو ويحط من اسمه . ونحن هذا اليوم نقرأ ما ورد عندهم من المدح ، ونسمع اسماء الممدوحين وما حصلوا عليه من جاه وفخر بين الناس ، ونقرأ ما ورد في ذم أناس وما قيل فيهم من ذمّ وقذع . ولولا الاهمية التي اعطاها الماضون للمدح والهجاء لما بقي الذم والمدح حتى اليوم .

١ الثعالبي ، ثمار (١٦١) .

ومن أسباب المدح سخاء الممدوح أو شهرته ومجده وشجاعته وعفته وحلمه وصبره وتضحيته وما الى ذلك من صفات وخلال حميدة . فكان اذا جاءه ضيف يعرفه أو لا يعرفه قدم اليه واجب الضيافة ، وبالع في اكرامه وان كان فقيراً لا يملك شيئاً . ويقدمه على نفسه وعلى أهله ، لأن الضيافة حق وواجب ، وعلى من يقصد للضيافة أداء هذا الواجب .

وقد كان الملوك يهيون على المدح ويثييون المادح على قدر ما جاء في مدحهم لهم من تفنن في المدح ومن اطراء زائد ومبالغة في المدح . ولما دخل (النابغة الذبياني) على (النعمان بن المنذر) ، وحيّاه بتحية الملوك ، ثم مضى مسترسلاً في مدحه ، تهلل وجه النعمان سروراً ، وأمر ان يقدم له الدر ، و (كسبي أثواب الرضى . وكانت جُبيّات أطواقها الذهب بقصب الزمرد . ثم قال النعمان : هكذا فليمدح الملوك)^١ . وفي كتب الأدب والأخبار أشعار قيل عن كل شعر منها (انها أمدح بيت قالته العرب)^٢ . وفيها مبالغات وغلو في المدح ، تجعل الممدوح شمس والملوك كواكب ، اذا طلعت لم يسد منهن كوكب^٣ . وأمثال ذلك .

وهذا الشعر وشعر الفخر وأمثالهما ، يجب ان يكونا موضوعين لدراسات نفسية ، لأنهما يمثلان أعقق الأحاسيس النفسية للعرب ، ويتحدثان عن المواطن الرقيقة عند العرب ، التي تهتر أوتارها بسرعة عند سماعها هذا النوع من المدح . والنواحي العاطفية التي يمكن منها التأثير في العرب . ونحن لا نستطيع بالطبع ، ان نأخذ هذا الفخر أو ذاك المدح على انها يمثلان الواقع ويمثلان الممدوح تمام التمثيل . أو انها تعبير عن نفس صادقة مخلصة في كل ما قالته أو نظمته . فنحن نعلم ان من الشعراء من يمدح للعطاء ويهجو اذا حرم منه . وان الممدوح اذا قطع عطاءه عن الشاعر ، كف الشاعر عن مدحه ، وربما انقلب عليه فيغسل كل ما قاله في مدحه له ، بشعر يستمه فيه بأبشع أنواع الشتم وأمضه . فشر مثل هذا ، وان كنا نرويه ونتحدث عنه ونحفظه ، ولكننا نرويه ونستلذ بروايته ، لأنه لذيق من

١ نهاية الأرب (١٧٧/٣) .

٢ نهاية الأرب (١٨٢/٣) وما بعدها .

٣ نهاية الأرب (١٨٢/٣) .

ناحية الأدب ، ولأنه شعر قديم يمثل ضرباً من ضروب الحياة في ذلك الوقت .

وقد يمدح الشخص بنعته بنعوت مشرفة ، مثل (فلان أبيض) و (قوم أبيض) ، و (البيض المناجيد) وهم لا يريدون من اللفظة بياض البشرة ، وإنما يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض من الدنس والعيوب^١ . وقد ينعت قوم بالخضرة ، ويريدون بذلك ان المتعوتين قوم عرب خلص . والأخضر بمعنى الأسود ، والعرب تسمى الأسود أخضر ، يريدون بذلك سواد الجلد ، والمراد بسواد الجلد انهم عرب خلص^٢ .

ويعمدح المحافظون على الوفاء بالعهد والمتمسكون بالود ، والمحامون على عوراتهم الدابّون عنها . ويعبر عنهم بـ (أهل الحفاظ)^٣ .

التفاخر :

والتفاخر ، وهو التعظيم ، من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية عند أهل الجاهلية^٤ . وفي الكتب العربية أمثلة كثيرة من تفاخر الجاهليين بعضهم على بعض ، وتباهيهم بالأشياء الخارجة عن الانسان والتمدح بالخصال . وتكون المفاخر بالآباء والأجداد ، وبالسيادة والشر ، وبالكثرة ، وبالحسب والنسب ، حتى انهم انطلقوا في بعض الأوقات الى القبور فكانوا يشيرون الى القبر بعد القبر ، ويقولون : فيكم مثل فلان ومثل فلان ؟ وفي ذلك نزلت الآية : (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلاً سوف تعلمون ، ثم كلاً سوف تعلمون)^٥ . فذكر ان حين من قريش ، بني عدنان وبني سهم ، تكاثروا بالسيادة والأشراف ، فقال كل حي بهم : (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) . وقيل : ان قبيلتين من قبائل الأنصار ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت احدهما : فيكم مثل فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا الى القبور ، فجعلت احدى

١ البرقوقي (ص ١٣٤) .

٢ البرقوقي (ص ١٣٥) .

٣ اللسان (٤١٢/٧) ، (صادر) ، (حفظ) .

٤ اللسان (ف/خ/ر) ، (٤٨/٥ وما بعدها) .

٥ سورة التكاثر ١٠٢ ، الآية ١ فما بعدها ، بلوغ الأرب (٢٧٩/١) .

الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ، وقال الآخرون مثل ذلك .
فأنزلت : (ألهاكم التكاثر)^١ .

وتقع المفاخرات بحضور محكمين في الغالب ، أو طرف ثالث محترم ، وعلى الطرفين قبول الحكم واطاعته ، وسماع رأي الطرف الثالث في حجج وأقوال المتخاصمين المتناخرين . وتكون المفاخرة بإظهار كل طرف ما عنده من خصال يفاخر بها ، ومن مناقب يستأثر بها ، ومن مجده يرى انه انفرد به دون خصمه ، ثم يذكر ما امتاز به على خصمه ، بكلام منشور ومنظوم ، منسق ومنمق ، وما قام به من أعمال فريدة ، وما حصل عليه في حروبه مع الناس . وبعد ان يفرغ المتناخرون من إلقاء ما عندهم من حجج وبيان ، ينظر المحكمون في الحجج التي استمعوا اليها ، ليليدوا حكمهم بموجبها ويكون حكمهم أصعب شيء يواجهونه ، لا يتركه من أثر في نفوس المتخاصمين ، ولا سيكون له من تأثير في مكانة من سيخسر المفاخرة .

ويقال للمفاخرة (المنافرة) . و (المنافرة) المحاكمة في الحسب ، وان يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلاً ، كفعل (علقمة بن علاثة) مع (عامر بن طفيل) حين تنافرا الى (هرم بن فطبة الفزاري) ، وفيها يقول الأعشى يمدح (عامر بن الطفيل) ويحمل على (علقمة ابن علاثة) :

قد قلت شعري فضى فيكما واعترف المنفور للنافر

وقد نافر (أنيس) أخو (أبي ذر الغفاري) شاعراً على شعره ، إذ كان يرى انه أجود منه شعراً^٢ . وتكون المنافرة في كل شيء ، يرى انسان انه يفوق به غيره ، كالمنعة والعز والجاه والكرم وما شاكل ذلك من خصال . قال (ابن سيده) : (وكأنما جاءت المنافرة في أول ما استعملت انهم كانوا يسألون الحاكم : أينما أعز نفرأ ؟)^٣ .

و (التفار) ان يتنافروا الى حاكم يحكم بينهم . و (النفورة) الحكومة .

١ بلوع الأرب (٢٧٩/١) .

٢ اللسان (٢٢٦/٥) .

٣ اللسان (٢٢٦/٥) ، العاموس (١٢٦/٢) .

وورد (يوم نفورة) : أي يوم حكومة ، حكم فيه بالنفار ^١ .

ومن المفاحرات ، مفاخرةٌ وفود ربيعة ومضر ابني نزار عند النعمان بن المنذر . فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة (بسطام بن قيس) و (الحوفزان بن شريك) . وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان (عامر بن مالك) وعامر بن الطفيل . ومن تميم قيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس ^٢ . ومفاخرة (آل حذيفة بن بدر) و (آل الأشعث بن قيس الكندي) عند كسرى . وهم من أعرق الأسر في أيامهم ، وأشرفها . وقد عَجِبَ (كسرى) بذكائهم وبحدة أذهانهم ^٣ . ومفاخرات أخرى مدونة في الكتب .

ومن مفاخرات أهل الجاهلية ، منافرة (عامر بن الطفيل) مع (علقمة بن علاثة) ^٤ المذكورة ، ومنافرة (بني فزارة) و (بني هلال) ^٥ ، ومنافرة (الفقعسي) و (ضمرة) ^٦ ، ومنافرة (جرير البجلي) و (خالد بن أرطاة الكلبي) ^٧ ، ومنافرة (القعقاع بن زُرارة بن عدس) و (خالد بن مالك ابن ربيعة بن سلم بن جندل بن نهشل) ^٨ ومنافرة (هاشم بن عبد مناف) و (أمية بن عبد شمس) ^٩ .

ومن المنافرات ، منافرة (عامر بن أحيمر) عند (المنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء) . فقد ذكر ان (المنذر) أخرج بُردَيْن يوماً يبلو الوفود ، وقال : ليقيم أعز العرب قبيلة ، فليأخذها . فقام (عامر بن أحيمر) فأخذها واثتر باحدهما وارتنى بالآخر ، فقال له المنذر : أأنت أعز العرب قبيلة ؟ فقال : العز والعدد في معدّ ، ثم في نزار ، ثم في مضر ، ثم في خِندف ،

- ١ البيان والتبيين (١/٢٤٠ ، ٣٠٤ ، ٣٥١) .
- ٢ بلوغ الأرب (١/٢٨٠ وما بعدها) .
- ٣ بلوغ الأرب (١/٢٨١ وما بعدها) .
- ٤ بلوغ الأرب (١/٢٨٨) .
- ٥ بلوغ الأرب (١/٢٩٧) .
- ٦ بلوغ الأرب (١/٢٩٨ وما بعدها) .
- ٧ بلوغ الأرب (١/٣٠١) .
- ٨ بلوغ الأرب (١/٣٠٦) .
- ٩ بلوغ الأرب (١/٣٠٧ وما بعدها) .

ثم في تميم ؛ ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فليناقرني ، فسكت الناس ، فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة ، وأما أنا في نفسي ، فشاهد الغز شاهدي ، ثم وضع قدمه على الأرض ، فقال : من أزالها عن مكانها ، فله مئة من الإبل . فلم يقم إليه أحد من الحاضرين ، ففاز بالبردين ، وعرف بـ (ذي البردين)^١ . وطالما كانت تؤدي هذه المفاخرات الى وقوع حروب وسفك دماء ، ولذلك أبطلها الاسلام ، ونهى عنها ؟ وعدّها من شعار الجاهلية^٢ .

والمساجلة في معنى المفاخرة ، بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي . وتساجلوا بمعنى تفاخروا . ذكروا ان أصل المساجلة : ان يستقي ساقيان ، فيخرج كل منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر ؛ فأيهما نكل فقد غلب ، فضربته العرب مثلاً للمفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلاناً فمعناه انه يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب^٣ .

وتعرف (المفاخرة) بـ (المباهاة) أيضاً . فيقال : تباهوا اذا تفاخروا . وأما اذا صاحبه ، فيقال هاباه^٤ . وذلك بأن يذكر كل متباه مناقبه ومناقب قومه ، يتفاخر بها على خصمه . وطالما أدت المباهاة الى وقوع خصومات ومعارك . ومن مفاخر العرب التفاخر بمن برز عندهم في عمل فذّ وفي عمل خصال كريمة ، أو قام بفعل استحق الإعجاب . فكانت القبائل تتفاخر بذكر أسماء هؤلاء ، وتحفظ أسماءهم للتباهي بهم ، كما تفعل الدول في التباهي برجالها . ومن مفاخرهم : القروسية ، فعند (الحوفزان) مثلاً وهو (الحوفزان بن شريك) فارس بكر بن وائل .

- ١ بلوغ الأرب (٧٦/١) .
- ٢ سورة لقمان ، ٣١ ، الآية ١٨ ، سورة الحديد ، ٥٧ ، الآية ٢٣ ، سورة النساء ، ٤ ، الآية ٣٦ ، العهد العريد (١٠١/٦) ، (طبعة العربان) ، بلوغ الأرب (٢٧٨/١) .
- ٣ قال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :
من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب
اللسان (٣٢٦/١١) ، (صادر) ، (سجل) .
- ٤ اللسان (٩٩/١٤) ، (بها) .

وافتحروا بـ (الأصم عمرو بن قيس) ، ولقب عند المتأخرين به
بـ (صاحب رؤوس بني نعيم) ، وافتحروا بـ (مفروق بن عمرو) (حاضن
الأيتام) والظاهر انه كان يحن على الأيتام ويعطف عليهم ، لذلك لقب بهذا
اللقب ، وافتحر بـ (سنان بن مفروق) ، الذي عرف بـ (ضامن الدمن) .
كما افتخر بـ (عمران بن مرة) لأنه أسر (يزيد بن الصعق) مرتين^١ .

الخيلاء :

وقد عرف بعض الجاهليين بالخيلاء والزهو والتغطرس . وقد اعتبرها الاسلام من
سمات أهل الجاهلية . وقد اشتهر (سماك بن خرشة الأنصاري) بمشية خاصة
به ، فيها تبختر وخيلاء ؛ حتى عرفت بـ (مشية أبي دجاجة)^٢ . والتبختر
هي مشية العجب والخيلاء . وكانت من مشية بعض المغرورين المترفين من أصحاب
الجاه والمال .

الهجاء :

والهجاء عكس المدح ، وهو ذم الشخص والانتقاص منه وشتمه . وقد نبغ
فيه بعض الشعراء ، وتخصص به ، ويجب ان نقف منه موقف الحذر الشديد ، لما
للعواطف والهوى من أثر فيه . وقد يهجو شخص شخصاً أو قوماً لسبب تافه ،
أو بسبب حادث وقع له لا يستوجب صدور ذلك الهجاء منه . وهناك أشخاص
جبلوا على ازدراء الناس وشتمهم والانتقاص منهم ، فهجوا أكثرهم ، بل بلغ
بهم الهجاء حدّاً حملهم على هجو أقاربهم وأهلهم ، بل أنفسهم في بعض الأحيان .
ويستحق الهجاء من اتصف بسوء الخصال ، واتسم بأخلاق الأردال ،
والأنذال ، وجعل اللؤم جلبابه وشعاره ، والبخل وطاءه ودثاره . وقد حفظ
الرواة بعض الأشعار التي قيل فيها كانت من أهجى أشعار العرب في الجاهلية

١ العملة (٢٢١/٢) .

٢ الثعالبي ، ثمار (٨٧ وما بعدها) ، ناج العروس (١٩٦/٩) ، (دجن) .

وفي الاسلام . وذكر ان من شعر الهجاء المرّ القاسي قول الأعشى :

تبيتون في المشى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا^١

وقوله في الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي^٢

وقول الطرمّاح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلّت^٣

الى غير ذلك من شعر ، يجب ان تأخذه بحذر . وان نعالجه دائماً على انه يمثل العواطف الشخصية والانفعالات النفسية ، والتهميش الآني . وان شعراً من هذا القبيل لا يمكن ان يحمل حمل الصدق ، وان نقول عنه انه يعبر عن الواقع . بل تأخذه كما سبق ان ذكرت عن شعر المديح على انه تعبير عن نوع من أنواع الأدب في ذلك الوقت . وعلى انه باب يجب ان يدرس من الوجهة النفسية ، لأنه يفيد في الوقوف على النفسية العربية والعقلية الجاهلية في ذلك الوقت .

ولم يكن الهجاؤون يراعون الصدق في كلامهم ، وكيف يراعونه وهم يريدون هجو خصومهم والإساءة اليهم والى سمعتهم بأيّة طريقة ووسيلة كانت ، حتى وان علموا ان سامعي الهجاء لا يصدقونه . ومن هذا القبيل رمي بعض القبائل أو الأسر بأنها من أصل أعجمي ، وفي كتب الأخبار أمثلة عديدة على ذلك ، وقد يكون ذلك بسبب وجود دم أعجمي من أم أو من أب بعيد أو قريب ، وقد لا يكون أي أثر من ذلك . شتم (عمرو بن الأهتم) (قيس بن عاصم) ، فقال له ولقومه :

إن تبغضونا ، فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب^٤

وقد عير (حسان بن ثابت) (بني المغيرة) وسبهم بأنهم عبيد قيون ، أبوهم

- ١ نهاه الأرب (٢٧٢/٣) .
- ٢ نهاه الأرب (٢٧٥/٣) .
- ٣ نهاية الأرب (٢٧٦/٣) .
- ٤ ديوان حسان (ص ٤٤) (هرسفيلد) .

قن لدى (كيره) جاثم . يأخذون (الاهالة) ، وهو الدهن الذي يستخرج من اللحم ، ويبيعونه من الدبّاعين ^١ . فما ذكره فيهم هو من اعمال العجم والصعاليك ، لا العرب الأصلاء والأقحاح .

وذكر ان (الوليد) المعروف بـ (الوليد بن المغيرة) لم يكن عربياً ، وانما كان عبداً رومياً ، وكان اسمه (ديم) ، واسم ابيه (صقعب) ، فرغب فيه (المغيرة) ، فادّعاه ، والحق صقعباً بالشام ، فاشتاق اليه ، فصوره في الخائط . وقد هجاه (حسان بن ثابت) ، فقال له ان والدك (صقعباً) كان قيناً ، وأما امك فهي (حباشة) ، وهي عبدة سوداء . وقد تباهيت اذ صرت غنياً ، وانما صرت ثرياً بـكلبتك هذه ، وهي آلة من آلات الخدادين ، يشير بذلك الى انه كان خداداً ، يعرف ضرب النصال ، وحسن الرقع للبرم ، وهي القدور ^٢ . ويظهر من شعر حسان ومن شرح الشراح ان (الوليد) كان مصوراً ماهراً متمكناً من فنه ، حتى صور اياه ، ان صح هذا الادعاء من (حسان) .

وحسان بن ثابت هجاء شديد لثقيف ، قال في بعضه خلّوا (معداً) ولا متسبوا اليها ، واتركوا (حيندفاً) ، فما لكم من ولادة فيها ، وذلك على عادته وعادة الشعراء والناس عند هجاء قوم ، حيث يرمونهم بكل قبيح ، ويجردونهم من كل مكرمة ، الا انه لم يصرح في شعره بأنهم من ثمود ، اذ كانوا وقت هجاء (حسان) لياهم من (قيس) . وقد نسبهم بعضهم الى (القهود بن بني جاثر بن لرم ، اخوة ثمود) ، ونسبهم آخرون الى (وحاطة) بن حير ؛ وقال آخرون ان (ثقيفاً) ، هو عبد ^٣ . كل ذلك نكاية بثقيف .

وذكر اهل الاخبار ان (الازرق) ، وهو غلام رومي في الأصل كان للحارث ابن كلدة الثقفى . وقد ادعى نسله ان (الازرق) هو ابن (عمرو بن الحارث ابن ابي شمر الغساني) ، فهم من غسان . وذكر انهم ادعوا في اول امرهم انهم من تغلب ، ثم من بني عكب ؛ ثم افسدتهم خزاعة ، ودعوهم الى اليمن ، وزينوا لهم ذلك ، وقالوا : انتم لا يغسل عنكم ذكر الروم الا ان تدعوا انكم

١ البرقوقي (ص ٤٠٣) .

٢ البرقوقي (ص ٤٠٠ وما بعدها) .

٣ البرقوقي (ص ٣٤٦) .

من غسان . فانتصروا الى غسان بعد ١ .

وقد عَيَّرَت العرب وسبَّت من كان ذا أصل خامل ، كأن يكون قينا ، والقين العبد والحداد . ولعلها جمعت هذا المعنى من الترابط بين الحرفة والمترلة ، فقد كان القيون من العبيد . وقد عَيَّر (حسان بن ثابت) (بني عوف بن عوف) بأنهم منتسبون الى قريش ، ولكن نسبهم ليس منهم ، بل من جذع قين لثيم العروق عرقوب والده اصهب ٢ . فرماهم بأنهم ليسوا من قريش ، ولا من العرب ، بل من الروم ، ووالدهم اصهب به حمرة ، وليست الصهبية من لون العرب . وقال لهم : واذا اردتم الانتساب الى العرب ، فانتسبوا الى (تغلب) ، انهم شرّ جيل ، وليس لكم غيرهم مذهب ٣ . ويبحث قول « حسان » هذا في « تغلب » على الظن بأن أقواماً من الغرباء دخلوا في تغلب ، وصاروا منهم . ولعله قصد ان من تنصر ، دخل في تغلب ، حتى دخل فيهم من ليس من العرب بسبب نصرانيته ، حتى دخل فيهم قوم اصلهم من الروم .

وعَيَّر ب (اولاد درزة) ، ويراد بهم الغوغاء . وبنو درز : الخياطون والحاكّة ، والعرب تقول للدعيّ : هو ابن درزة وابن ترني . وذلك اذا كان ابن أمة تُساعي ، فجاءت به من المساعاة ، ولا يعرف له أب ، . وقال : هؤلاء أولاد درزة وأولاد فرثي للسفلة والسقاط ٤ .

والسب : الشتم ، والسباب : انشتائم والمشائمة . وأما (السبّة) فالعار ٥ . وكانوا يتشائمون جماعات وفردى ، ويعير بعضهم بعضاً وقد يقدعون في السب ، ولا سيما في الامور التي تتغلب فيها العواطف على العقل . ومن شتائم الجاهليين وسبابهم (عضضت بأير أبيك) ٦ ، ويا ابن الزانية ،

١ طبقات ابن سعد (٢٤٧/٣) (دار صادر) .

٢ الى جفم فبن لثيم العرو في عرقوب والده اصهب البرقوقي (ص ٦٣) .

٣ الى تغلب انهم شر حيل فليس لكم غيرهم مذهب البرقوقي (ص ٦٣) .

٤ اللسان (٣٤٨/٥) ، (صادر) ، (درز) .

٥ ناج العروس (٣٤/٣) وما بعدها) .

٦ البرقوقي (١٢١) وما بعدها) .

ويا ابن الفاعلة ، و (يا عاض اير اييه) ، و (يا مصفر أسته) ^١ ، و (يا ابن ملقي ارحل الركبان) ^٢ .

وعبرت العرب بالبخل . والبخل هو على تقيص الكرم . وقد ذمّ بعض الجاهليين لبخلهم ولحرصهم الشديد على مالهم وعدم مساعدتهم الفقراء والمحتاجين . وقد انتخبوا من بينهم رجلاً زعم انه ابخل الناس في الجاهلية اسمه (مادر) ، (ابخل مادر) و (ابخل من مادر) . وهو رجل من (بني هلال بن عامر) . ذكر انه كان اذا اتى ماءً روي وأروى مملأه مدرأ ضناً على غيره بوروده . وانه بلغ من بخله انه سقى ابله ، فبقي في الحوض ماء قليل ، فسلح فيه ومدر الحوض بالسلاح ، اي لطمه ^٣ . وورد في الامثال : (الأم من مادر) ^٤ .

وعبرت بالغدر . قال بشر :

رَضِيْعَةٌ صَفْحٌ بِالْجِيَاهِ مَلْمَةٌ لَهَا بَلَقٌ فَوْقَ الرُّؤُوسِ مَشْهَرٌ

وصفح رجل من (بني كلب بن وبرة) ، جاور قوماً من (بني عامر) ، فقتلوه غدرأ . يقول غدرتكم ب (زيد بن ضباء الاسدي) ، اخت غدرتكم بصفح الكابي ^٥ .

وعبرت من ينكر الصنيع الجميل والفعل الحميد ، فينسى احسان من احسن له . وعبرت من لا يفي ، ولا سيما من أكل الخبز والملح ، وهما من موجبات الوفاء ، فقالوا : (ملحه على ركبته) ، في عدم الوفاء ^٦ .

واذا سبت العرب احد الموالى ، قالت : يا ابن حمراء العجنان ، اي يا ابن الأمة . كلمة تقولها في السب والذم . والعرب تسمي الموالى : الحمراء ^٧ . وكانوا يعيرون (الأتاوي) ، وهو الغريب في غير موطنه ، ولا يعدلون احداً من

١ النعالي ، ثمار (٢١) .

٢ ناج العروس (٣٤٢/٧) ، (رحل) .

٣ النعالي ، ثمار (١٢٧) .

٤ ناج العروس (٥٣٦/٣) ، (مدر) .

٥ ناج العروس (١٨٠/٢) ، (صفح) ، اللسان (٥١٦/٢) ، (صفح) .

٦ ناج العروس (٢٣٠/٢) ، (ملح) .

٧ ناج العروس (١٥٨/٣) ، (حمر) .

الأتاوين بأصحاب المحلات . قال الشاعر :

لا تعدلن اتاوين قد نزلوا وسط الفلاة بأصحاب المحلات
وقالت امرأة من الكفتار ، وهي تحرض الأوس والخزرج ، حين نزل فيهم النبي :
أطعمم أتاوي من غيركم فلا من مراد ولا مذحج
ارادت ان تؤلب وتذكي العصبية ^١ .

وكانوا اذا ارادوا الاستهزاء برجل جاهل سفيه ، قالوا له : هذا من اشد
سباب العرب ، أي ان يقول الرجل لصاحبه اذا استجهله يا حليم ! اي انت عند
نفسك حليم وعند الناس سفيه ^٢ .

ويعبر الانسان بأبويه ، او بأحدهما ، اذا كان بهما او بأحدهما مثلية ومنقصة
يؤاخذ عليها ، كأن يكون ابن أمة او ابن سي يبع في السوق . وقد رأينا انهم
كانوا يزدرون المهجن ، ولا ينظرون اليه نظرهم الى اسنان صريح ، كما كانوا
يزدرون من أمه او ابوه من اصحاب الحرف . وقد عير (النعمان بن المنذر)
لأن امه (سلمى) كانت ابنة قيس ، على زعم بعض الرواة . وكانوا اذا شتموا
ابن أمة ، قالوا له : يا ابن استها ^٣ .

وقد كان للجاهلين اعراف في اهانات الناس ، من مثل سب الشخص على
ما ذكرت ، وتحريض الاطفال على العبث بمن يريدون اهانه ، ورميه بالحجارة
والركض خلفه ، وبأمثال ذلك ، او بتحريض السفهاء على التحرش بالشخص ،
او تحريض النسوة بسبه ، وبالاقذاع في كلامهم معه ، وبما شاكل ذلك من وسائل
دنيئة لا تم على قدرة المحرض ولا على جرأه عنده ، فيعمد الى امثال هذه الامور .
وأما المقتدرون المتمكنون ، فكانوا اذا ارادوا اهانة انسان اهانوه بأسلوب يدل
على قدرة المهين وتمكنه من مهانه وازدراؤه ، فكان احدهم اذا تمكن من عدوه ،

١ الحيوان (٩٧/٥) ، (هارون) .

٢ اللسان (١٢/١٤٦) ، (صادر) ، (حلم) .

٣ قال الأعشى :

أسفها أوعدت يا ابن أسفها لسب على الأعداء بالفادر
وفال حسان بن ثابت :
فما منك أعجب نا ابن استها ولكنني من أولسى أعجب
الرفوعي (ص ٦١) .

عمد الى اهانتته بنتف لحيته . وبتف اللحية من الاهانات الشديدة عند العرب ، لأن اللحية من سياء الرجولة ، فاذا نتفت عدت نفها انتقاصاً من شأن ذلك الرجل وازدراءً شديداً به .

وما يقال عن الالهة التي توجه الى الرجل بنتف لحيته ، ينطبق كذلك على (جز الناصية) . فجزّ الناصية من وسائل التحقير والازدراء ، وفيه دلالة على ازدراء مَنْ "جزّ" الناصية بمن "جزّت" ناصيته ، بعد ان تمكن منه . وقد كان في امكانه استرقاقه ، او المنّ عليه بفك أسرهِ ، او بفك رقبته بفدية ، ولكنه لم يفعل كل ذلك ، ولم يطمح في الفدية امعائاً في ازدراء خصمه بافهام الناس ان ذلك الشخص لا يساوي شيئاً ، وان المتمكن ارفع من ان يقبل فدية عن رجل وضيع خامل .

وكانوا اذا ذكروا خصومهم ، تمنوا لهم الشرّ والأذى ، واستعملوا جملاً فيها هذه المعاني . مثل : أحسن الله حظهُ ^١ ، وأبعد الله وقبحه ، او رضيع اللؤم ، او ابعد الله دار فلان ، وأوقد ناراً في أثره ^٢ ، وقد يذكرونهم بهزء وسخرية . ويكثر ذلك عند اهل الفرار .

ومن معاني الشتم لفظة (لحي) ، التي تعني (شتم) . يقال (لحي الله فلانا) ، اي قبحه ولعنه . و (الملاحاة) المنازعة . وفي المثل من لاحاك ، فقد عاداك ^٣ .

وكان من دعاء بعضهم على بعض قولهم : (جنباً وقداداً) . والجنب الاستسقاء ، والقداد ، وجع في البطن ^٤ .

وكان اذا دعا الرجل على صاحبه ، يقول : قطع الله مطلقاً . فيقول الآخر : بسلا بسلاً ، اي آمين آمين . وكان يلف الرجل ثم يقول بسل ، أي : آمين . وكان (عمر) يقول في دعائه : آمين وبسلاً ، اي إيجاباً وتحقيقاً . وهي في معنى الويل ، يقال : بسلاً له اي ويلاً له ^٥ .

١ ناج العروس (١٣٨/٤) ، (خمس)

٢ اللسان (٤٦٦/٣) ، (وقد) .

٣ ناج العروس (٣٢٣/١٠) وما بعدها ، (لحا) .

٤ ناج العروس (٤٦١/٢) ، (قد) .

٥ تاج العروس (٢٢٧/٧) ، (بسل) .

وكانوا اذا ما أرادوا التكنية عن الكذاب ، قالوا : (أبو بنات عبر) .
و (بنات عبر) الكذب والباطل ^١ .

الحسة والدناءة :

والحسة والدناءة ، والحسيس الدنيء والحقير ^٢ . والدنيئة القبيصة ^٣ . والدنيئة الخصلة المذمومة ^٤ . وهي من المثالب التي تكون في الانسان . فيزدري من شأنه ويحتقر بين قومه . ومنها الحسد واللؤم وعدم احترام العرض . والعرب تنتخى من الدنايا وتستكشف منها ^٥ .

والحسد من الصفات السيئة التي كرهها العرب . وقد كان الحسد إذ ذاك كثيراً ، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية وانتشار الفقر . فكان الفقير يحسد غيره على ما عنده ، مهما كان ما عنده قليلاً ، لأنه لا يملك حتى هذا القليل . وقد بحث (الجاحظ) في الحسد ، ووضع رسالة فيه دعاها : كتاب فصل ما بين العداوة والحسد . والحسد عنده شيء مألوف يقع لكل طبقة ولكل إنسان . ومن أسبابه : حب الرياسة ، ووجود النعمة ، وأمور أخرى ذكرها وتحدث عنها . كما تكلم عن مظاهر الحسد وأشكاله عند الجاهليين والاسلاميين ، وقد جعله فوق العداوة ، لأن العداوة تزول بزوال أسبابها ، أما الحسد ، فإنه دائم باق ^٦ .

و (الجبن) ، من الصفات التي يعبر (الجبان) بها . وهو الذي لا يحب القتال ولا يستعمل سيفه . ولما كانت الحياة عند العرب حياة قتال صارت الشجاعة في الانسان صفة من صفات التكريم والتعظيم والتقدير ، عكس (الجبن) ،

- ١ اذا ما جئت جاء بنات عبر وان وليت أسرعن الذهابا
تاج العروس (٣٧٧/٣) .
- ٢ تاج العروس (١٣٧/٤) ، (خس) .
- ٣ تاج العروس (٦٦/١) ، (دنا) .
- ٤ تاج العروس (١٣٢/١٠) ، (دبو) .
- ٥ تاج العروس (٣٦٢/١٠) ، (بنخا) .
- ٦ راجع رساله في رسائل الجاحظ (٣٢٥/١) وما بعدها ، نحفيق (عبدالسلام محمد هارون) .

وينظر الناس الى (الجبان) نظرتهم الى النساء ، بل هو عندهم دونهن شأنًا . لأن المرأة ولدت وفي طبعها اللين والاستسلام ، أما الرجل فقد خلق للعراك والقتال ، وقد حفظ أهل الأخبار قصصاً عن الجبناء وعن تحاييلهم في سبيل تخليص أنفسهم من القتال ومن استعمال السيف . وقد اتهموا بنهم . منها : انهم كانوا ينتابهم (الضراط) عند شعورهم بخوف وبأصوات السيوف . حتى استخفت النساء بهم من أجل ذلك . قيل في المثل : أجنب من المتزوف ضرطاً . ومن ذلك ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل ، فتزوجت احداهن رجلاً كان ينام الصبيحة ، فاذا أتيته بصبح ، قلن قسم فاصطبج ، فيقول : لو نهتني لعادية ، فلما رأين ذلك . قال بعضهن لبعض : إن صاحبنا لشجاع ، فتعالين حتى نجربه ، فأتيته كما يأتينه ، فأيقظته . فقال : لو لعادية نهتني . فقلن هذه تواضي الخيل . فجعل يقول : الخيل الخيل ويضرط ، حتى مات . الى غير ذلك من قصص يرويه الأخباريون ^١ .

الشرف والحمول في قبائل العرب :

والقبائل كالأفراد والأُسُر ، فيها التابه المذكور المهاب ، وفيها الخامل الهزيل الضعيف الذي لا ينظر اليه نظرة تقدير وتبجيل . والقبيل الكثير الذُرء والقرسان والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء في الأرحاء ، هو القبيل المقدر المعظم ، ذو الشأن بين القبائل ^٢ . وقد تقع أحداث وعوامل ، تؤدي الى خمول القبيل والى انقصام وحدته ، والى طمع غيره فيه ، فيهزل عندئذ ويخمل ، ويأخذ مكانه من هو أقوى منه . وقد ذكر (الملاحظ) ، ان القبيل الذرء والعدد ، والذي لا يكون فيه خير كثير ولا شر كثير ، يخمل ويدخل في غمار العرب ، ويغرق في معظم الناس ، وصار من المغمرين ومن المنسيين ، وسلم من ضروب الهجاء ومن أكثر ذلك ؛ وسلم من ان يُضرب به

١ ناج العروس (١٧٦/٥) ، (ضرط) .

٢ الحيوان (٣٥٧/١) وما بعدها ، (هارون) .

المثل في قلة ونذالة اذا لم يكن شرّ ، وكان محلّهم من القلوب محلّ من لا يغيظ الشعراء ، ولا يحسدّهم الأكفء ... واذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرء وكان فيهم خبير كثير وشرّ كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من ان يُهَجَّوا ويضرب بهم المثل ... وقد يكون القوم حلولا مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم ، وان تركوا شيئا من انصافهم اشتدّ ذلك عليهم ، وتعاضلوا بأكثر من قدره ، فدعاهم ذلك الى الخروج منهم الى أعدائهم . فإذا صاروا الى آخرين نهكهم وحلوا عليهم ، فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعوهم ذلك الى النَّدَم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حمية واتقاء ، ومخافة ان يعودوا لهم الى شيء مما كانوا عليه ، والى المقام في حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدة الصولة عليهم)^١ .

وقد ذكر (الجاحظ) ، ان مما تبئى به القبائل فيصيبها الحمول : الشعر ونبوغ الأقارب أو المنافسين . فالشعر عند العرب يرفع من قدر الناس ويحطّ من درجاتهم . فقد يقال بيت واحد يربطه الشاعر في قوم ليس لهم جاه ، فيرفع من شأنهم ، وقد يقال بيت واحد في قوم لهم النباهة والعدد والفعال ، فيغض من مكانتهم ، ويكون سبّة لهم . ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغِزار من وقع الهجاء ، كما بكى مخارق بن شهاب ، وكما بكى علقمة بن علاثة ، وكما بكى عبد الله بن جُدعان . والبليّة الأخرى : ان يكون القبيل متقادماً الميلاد ، قليل الذرء قليل السيادة ، وتبيّاً ان يصير في ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ، فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلّ من رآهم أو سمع بهم ، أضعاف الذي هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .

ومن شؤم الإخوة ان شرفهم ضعة لإخوتهم ، ومن يمن الأولاد ان شرفهم شرف من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم^٢ . ولذلك كانت القبائل تفخر بنبوغ الشعراء بها ، لانهم لسانها الذابّ عنها ، وسيفها المصلت على رقاب

١ الحيوان (٣٥٧/١) وما بعدها ، (هارون) .

٢ الحيوان (٣٦٥/١) .

الأعداء . وتباهي بما يقوم به ساداتها من فعال حميدة وأعمال مجيدة ترفع رأس أبناء القبيلة بين الناس .

ولأهمية الشعراء عند الجاهليين ، قال بعض العلماء : كلاب الحليّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبجون دونهم ، ويحمون أعراضهم . وفي هذا المعنى جاء قول عمرو بن كلثوم :

وقد هرتّ كلابُ الحليّ منا وشَدَّ بنا قتادة من يلينا^١

الاسلام والجاهلية :

وقد أبطل الاسلام كل سمة من سمات الجاهلية وعلامة من العلامات التي كانت تعدّ من صميم حياة الجاهليين . وفي جملتها المثل الأعرابية والحياة البدوية ، فاعتبر الأعرابية بعد الاسلام ردة . ونهى عن الهجرة من المدن الى البوادي ، فكان الأعرابي اذا دخل في الاسلام ، لزم الحضارة ، وكلف بواجب الجهاد في سبيل نشر الاسلام ، لما في التبدي والأعرابية من ابتعاد عن الجماعة وترك للواجب الملقى على المواطن في الدفاع عن الاسلام وفي العمل على انهاض المجتمع والانتاج في سبيل الخير العام . لذلك لام الناس (أبا ذر الغفاري) ، حين لجأ الى (الريلة) فأقام بها وتعزب بذلك عن الجماعة^٢ .

وفي جملة ما حاربه الاسلام من أمور الجاهلية الأصنام والأوثان ، فطمست وأزيلت معالمها ، بل غير أموراً أقلّ منها شأنًا وخطرًا ، مثل : خضمة النوق . وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم ، فلما جاء الاسلام أمروا ان يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية^٣ . وذلك منعاً من التشبه بالجاهليين ، وابعاداً للمسلمين عن تذكر أيام ما قبل الاسلام . ونهى عن تسنيم القبور وعن لبس بعض الملابس ، وعن أمور أخرى ، لأنها كانت من صميم أعمال الجاهليين .

١ الحيوان (٣٥١/١) ، (هارون) ، (كلاب الجن) ، النعالي ، ثمار (٦٩) .

٢ ناج العروس (٣٨٠/١) ، (عزب) .

٣ ناج العروس (٢٨١/٨) ، (الخضرم) .

وحارب الاسلام العصبية التي كانت من أهم سمات الجاهلية ، والتي بقيت مع ذلك كامنة في نفوس الناس . عصبية القبائل وعصبية القرى والمواضع . من ذلك ما كان بين يمن وأهل مكة من نزاع ، تحول الى نزاع قحطان وعدنان . فغير أهل مكة اليمن بأنهم قيون ، وأجابهم أهل اليمن بكلام غليظ شديد . هذا (أمية بن خلف) يهجو حسان بن ثابت بقوله :

أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات ، فسلاً في الحفاظ ؟
يمانياً يظلّ يشدّ كيراً وينفخ دائباً لب الشواظ^١
وهذا (حسان) يجيبه ويرد عليه في شعر مطلعته :

أتاني عن أمية زورُ قولٍ وما هو في المغيب بذى حفاظ^٢

وطالما ظهرت هذه العصبية في أيام الرسول ، بتنازع الأنصار وقريش وتفاخرهم بعضهم على بعض . وذكر ان في جملة أسباب تحريم الخمر ، ان رجلاً من الأنصار صنع طعاماً ، فدعا جمعاً من الأنصار وقريش ، وشربوا الخمر حتى انتشوا ، فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار : نحن أفضل منكم . وقالت قریش نحن أفضل منكم ، وتخاصموا ، فبلغ ذلك الرسول ، فترل الأمر بتحريم الخمر^٣ .

وفي جملة ما نهى الاسلام عنه (دعوى الجاهلية) من التفاخر بالأحساب والأنساب والتباهي بالمال والبنين والأموات ، وتحريم بعض الطعام والشراب والعادات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية على نحو ما رأينا فيما تقدم ، وما سنراه فيما بعد .

وقد ترك المسلمون أموراً كثيرة أخرى مما كان مستعملاً في الجاهلية ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحُمْلان والمكس . وكما تركوا : أنعم صباحاً ، وأنعم ظلاماً ، وصاروا يقولون : كيف أصبحتم ؟ وكيف أمسيتم ؟ كما تركوا ان يقولوا للملك أو السيد المطاع :

١ اللسان (٤٤٦/٧) ، (شوط) .

٢ ناج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .

٣ تفسير الطبري (٢٢/٧) .

أبىء اللعن ، وتركوا ان يقول العبد لسيدہ : ربىؑ ، وان تقول حاشية الملك
والسيد للملك وللسيد : ربنا . وكما تركوا ان يقولوا لقوام الملوك السدنسة ،
وقالوا : الحجة . كما تركوا أشياء أخرى مثل المربع والنشيطه والصفايا ،
الى غير ذلك ، مما كان مستعملاً في الجاهلية . فكره لذلك استعماله
في الاسلام^١ .

١ الحيوان ، للجاحظ (٣٢٧/١) ، (ما ترك الناس من الفاظ الجاهلية) .

الفصل الثامن والأربعون

الحياة اليومية

لا نستطيع ان نتصور وجود حياة يومية صاخبة أو متغيرة عند أهل الوبر ؛ فحياة البادية في غاية البساطة ساذجة الى أقصى حد من السذاجة . تذهب وتأتي على وتيرة واحدة ونمط واحد . فليس للرجل في البادية من عمل سوى رعي الإبل والإشراف عليها . وهو عمل لا يستوجب مجهوداً ولا يتطلب بذل طاقة ، لذلك يعهد به الى الأحداث في الغالب ، أما الرجال ، فليس لهم عمل مهم يذكر . لذلك يقضون معظم وقتهم جلوساً بغير عمل ، أو في التحدث بعضهم الى بعض . وحياة على هذا النحو تجبل الانسان على الكسل والخمول . فصار الأعرابي خاملاً كسولاً على صحة جسمه وتوقد ذهنه وذكاؤه . يحسن الكلام ويجيد تنميق الحديث ويتلاعب في كلامه وفي إيجاد معانٍ وحيلٍ ومخارج له ، ويسترسل في الخيال وفي التصور وفي شعوره الذي سبكه وصاغه في كلام موزون منظوم مقفى ، وفي كلام مسترسل غير مقفى ، وفي كل حرفة لسانية ، أو تعبير عن شعور ذاتي كالحب والبطولة وما شاكل ذلك مما لا يحتاج الى مجهود وعمل . أما النواحي العملية من الحياة ، النواحي التي تحتاج الى جهد وعمل ، فقد ترك أمرها لغيره ، بل ازدهرها وازدري شأن من يعمل بها ، واحتقر الحرف والصناعات ، لأنها من عمل الأعاجم والعبيد . ورأى ان من العار ان يصاهر أهل الصناعات والحرف والزراعة ، لأنهم دونه في المنزلة بكثير . وهو غير ملوم على نظرته هذه الى العمل اليدوي المجهد ، فالانسان عدو ما جهل معظم لما يكون عنده ، كاره لما لا يملكه ويكون عنده غيره . فقد حرمنه الطبيعة من كل

ما يحمله على بذل الجهد للاشتغال في صناعة او حرفة او زراعة ، ولم تهيء له البذور والمواد اللازمة لاقامتها ، لذلك جهلها فحاربها وازدراها وازدرى شأن من يشتغل بها . كما سأحدث عن ذلك في المواضيع المناسبة لهذا البحث .

والبادية ارضون واسعة شاسعة جرداء في اغلب ايام السنة ، خلا مواسم نزول الغيث وهي قليلة ، وقد تنحبس . اذا امطرت السماء ظهر (الربيع) ، فتفرح الارض وتكسى بحضرة تتخللها اوراد وأزهار وشقائق ، ويضحك عندئذ وجهها ، بعد ييوس وعبوس ، ضحكاً يفهم الانسان الحضري عندئذ سرّ تعلق الاعرابي بباديته . ففي البادية على ما فيها من شقاء وجفاف ويوسة ؛ سحر ينسي الانسان صعوبة الحياة ، وحلاوة تنسيه مرارة الايام القاسية التي يعبشها البدوي في باديته . بعيداً عن الحضر وعن المجتمع المتكثف في مستوطنة او قرية او مدينة ، بل بعيداً حتى عن ابناء عشيرته . فن طبيعة الصحراء ان قلبها لا يتقبل المجتمعات الكبيرة ، بل يفضل المجتمعات الصغيرة المتناثرة . فصارت البيوت فيها متباعدة منتشرة هنا وهناك انتشار النجوم في السماء . كل بيت مسؤول عن حماية نفسه وعن وقاية افراده من اذى الانسان والحيوان ، وعن حماية جاره وذوي رحمه وأبناء عشيرته . لأنه ان لم يفعل ذلك ، لم يجد من يدافع عنه ايام الشدة والعناء ، حتى صار الجار عنده بمنزلة الأهل والدار .

وحياة من هذا النوع هي حياة لا بد وأن تصبح بسيطة جداً ساذجة الى اقصى حدود السذاجة . احاديثها اليومية تكرر واعادة ، وأحاسيسها نسخة لأحاسيس اليوم الماضي والايام السابقة . وافق التفكير فيها محدود ضيق . اذ لا مجال فيها للتفكير ان يتفتق وأن يتفتح ويتوسع . ومن هنا طبعت الحياة العقلية والاجتماعية بطابع الفطرة والبساطة . وهي لا يمكن الا ان تكون كذلك . وكيف تريد منها ان تكون غير ذلك ، ومحيطها وظروفها هي على هذا النحو من الحدود والقيود !

وفي وسع الرجل بفضل ما أوتي من قوة ومن بسطة في الجسم ، قطع المسافات لزيارة الاقارب والجيران ، لقتل الوقت بالكلام معهم ، او للتحدث عن غزو سابق او عن شؤون سيد القبيلة او عن اشراف العشيرة او للخروج الى صيد لاصطياد ما قد يجده من حيوان مسكين ، حتّم عليه سوء طالع ان يولد في هذه الارض الفقيرة ، فهو مثل الانسان تائه بهذه الحياة في هذه البادية الواسعة المكشوفة الشحيحة ، يشكو الى خالقه من ظلم طبيعة أنبتته في هذه الارض الفقيرة ، على

حين زرعت غيره في غابات كثيفة ذات ظروف حياتية غنية ، فيها من المأكول أشكال وألوان . بينما هو لا يكاد يجد امامه شيئاً ، حتى اذا اشتد عوده واستوى ، وقع في قبضة اناس جائعين ، لا يقل جوعهم عن جوعه ، فلا يخرج من قبضتهم ابداً . يتلذذون في اكله شواءً ، ويتحدثون عن صيدهم ويفتخرون به . وقد يكون الصيد ظيماً او ضيماً او يربوعاً . ويفخرون بصيدهم لانهم محرومون من اللحم ، وكل ما تقع عليه عين المحروم من الأكل ، هو أكل لذيد دسم في نظر المحروم .

اما الاطفال فهم اطفال اينما وجدوا . لا يعرفون من اسرار الحياة وعنائها وشقائها شيئاً . همهم اللعب ، يلعب الذكور مع الاناث ، الأخوة مع الأخوات ، فهم اطفال البيوت . وقد يلعب معهم اطفال جيرانهم ، اذا كانت البيوت متقاربة . يلعبون العاباً هي من نتاج طبيعة ارضهم ومحيطهم . لا يعبأون بحرق ولا برد ، ولا بريح او بأشعة شمس محرقة ، وما الذي يفعلونه تجاه طبيعة قوية قهارة لم تعطهم امكانيات بناء بيوت من مدر يأوون اليها للحماية انفسهم من اشعة الشمس لهم على الأقل . وانما مكنت آباءهم من صنع بيوت من وبر او صوف او شعر معز قد تقيهم من الأشعة بعض الوقاية ، بأن تمنحهم شيئاً من ظل . ولكنها عاجزة عن حمايتهم من البرد ومن الحر ومن الغيث اذا نزل عليهم مدراراً . لا سيما اذا طال عهد هذه البيوت ولعب بها العمر ، وصارت مهلهلة بالية ، ذات جيوب وشقوق كالغرايل ، تعبت بها الرياح ساخرة من جهل هذا الانسان القانع الراضي بحياته هذه على ما فيها من شظف وعسر وفقر ، بينما هناك مجال واسع له لتحسين حاله ، لو حرك نفسه واستخدم عقله وذراعه لتسخير الطبيعة في خدمته ، لتحسين وضعه والترفيه عن نفسه ولو الى حد .

الرجل :

والرجل بحكم تفوق بنيته على بنية المرأة ، وبفضل قوة عضلاته ومقاومته للطبيعة وللأنظار سيد الأسرة و (رب العائلة) و (بعل المرأة) ، اي سيدها . منح نفسه حقوقاً لم يعطها للنساء . وبني مفاهيم العدل والحق على اساس ان العدل هو القوة ، فاغتصب حق المرأة والبنات والولد والرجل العاجز لقوته ولأنه مقاتل ، اما غيره

من المذكورين فعاجز عن القتال ، فحرّمهم من الحقوق . ومنها حقوق الإرث : وأباح لنفسه حق الاستمتاع بملاذ الحياة ، وفي جملتها الاستمتاع بالنساء وبالحمور وبقية الأطايب . فله ان يتزوج ما يتمكن من النساء ، وجعل بيده حق الطلاق ، وجوّز لنفسه الاتصال بأية امرأة شاء وان كان متزوجاً ، وله ان يتسرى ما يشاء ، وله غير ذلك من امتيازات وحقوق ، بسبب قوته وتفوقه على الجنس الآخر وعلى المستضعفين من المخلوقات ، لأن الحق للمخلوق القوي ، ولا حق عند القوي لإنسان ضعيف .

اللحية :

ومن الرجولة الشجاعة والاقدام وعدم المبالاة والمحافظة على مقومات الرجل وما محته الطبيعة اياه من ملامح ميزته عن المرأة ، وأهمها : اللحي . فاللحية عند العرب رمز الرجولة وزينتها وسياء تكريم الرجل وتقديره . واهانة اللحية عند العرب وعند الساميين هي من اعظم الاهانات التي لا تغتفر ، وتقبلها عندهم من علامات التدبير والاحترام والاجلال . ويعد نتف اللحية او جزها او حلقها اهانة كبيرة تنزل بصاحبها . يفعلها من يريد الازدراء بشأن الملتحي ، ويعد عدم الاكتراث بتسوية اللحية من سياء الحزن او الغيظ او المرض او الارتباك وتضعضع الحال . ونجد في التوراة ان في جملة الاهانات التي تلحق بالناس حلق انصاف لحاهم^١ . ويقسم باللحية ، ويعدّ القسم بها من الايمان المغلطة . يمسك بها الحالف بيده اليمنى فيحلف بحقها انه لا يكذب او انه سيفعل ، او ما شابه ذلك . ولكن العادة ان الحالف بها يكون بامساكها باليد ، واذا مدّ غريب يده على لحية رجل اكبر منه في المنزلة والدرجة وأقسم بها او استجار بها ، وجب على صاحبها الأخذ بنفسه والاهتمام بأمره ومساعدته . وقد يمسك غريب محتاج او مطارّد بلحية سيد قبيلة او شريف قوم ، ويبين له انه في حماه ومنعته ، وعلى الرجل بذل الحماية والمنعة له .

والعربي يكرم لحيته ، ولا يحلقها ، وتكون لحيته مدببة في الغالب على نمط

١ صموئيل الثاني ، الاصحاح العاشر ، الآلة ٤ ، ماموس الكتاب المقدس (٢٩١/٢) .

اللقى الفرنسية . ويصرف بعض الوقت لاصلاحها حتى لا تكون متناثرة بشعة ، وقد يعبر الانسان بلحيته ، فيقال : له لحية تيس . وتنسب عادة اكرام اللقى الى سنن ابراهيم . وقد تكون اللحية كثة كبيرة منتظمة . ويقال للرجل ذي اللحية الطويلة : (اللحياني) و (رجل لحيان) ^١ .

ويحلف العربي بشاربه ، فاذا اراد اعطاء عهد او جوار او اي عهد آخر واقسم بشاربه ، وجب عليه الوفاء بعهد . ومن عادة العرب تخفيف الشارب ، وقد تحف وتنسب هذه العادة الى سنن ابراهيم ، ومن السنن الاخرى تقليم الاظافر وحلق العانة ^٢ . وذكر ان الرسول كان يقص شاربه وأنه قال : قصوا الشوارب وأرخوا اللقى وخالفوا المجوس . وورد انه قال : (خالفوا المشركين ووفروا اللقى وأحفوا الشوارب) ^٣ .

ويعدّ قص الشارب من (الفطرة) . وهي عشرة او خمسة امور ^٤ . يذكرون انها من سنن ابراهيم ومن اتبعه من العرب . وفي جملتها الختان .

ويذكر العلماء ان الله ابتلى (ابراهيم) بسنن الفطرة ، وهي التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى : (وإذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) ^٥ ، وهي الكلمات العشر : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد . فأما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والفرق والسيواك . وأما التي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان . فلما جاء الاسلام ، قرّرها سنة من السنن ^٦ .

والعرب من أصحاب الشعور السوداء . وهم مثل غيرهم يفاخرون بشعر

- ١ ناج العروس (٣٢٤/١٠) ، (لحي) .
- ٢ العسطلاني ، ارشاد الساري (١٦١/٢) .
- ٣ راد المعاد (٤٥/١) وما بعدها .
- ٤ راد المعاد (٤٤/١) وما بعدها .
- ٥ البعره ، الآية ١٢٤ .
- ٦ بلوغ الأرب (٢٨٧/٢) .

رأسهم ، ويتركونه ينمو ولا يحلقونه على نحو ما كان يفعل اليهود والمصريون^١ . وكانوا يدهنونهم ؛ ويمشطونه بالمشط . ويتركونه يتدلى على المنكبين . وقد يصفرونه صفائر . ومنهم من يصفره صفيرتين يجعلهما تتدليان على جانبي الوجه . وذكر ان العرب تسمي الخصلة من الشعر أو الصفيرة قرناً . ولهذا عرف (المنذر ابن ماء السماء) جدّ (النعمان بن المنذر) بـ (ذي القرنين) لصفيرتين كانتا في قرني رأسه^٢ . والعرب تكني عن العربيّ بالجمعد وعن العجمي بالسبط^٣ . والجمعد من الشعر خلاف السبط ، أو هو القصير منه . وهم يعنون بذلك ان سبوبة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب . وكانوا اذا قالوا رجلاً جعداً عنوا رجلاً كريماً ، كناية عن كونه عربياً سخياً ، لأن العرب موصوفون بالجعودة . وقد يقصدون بذلك رجلاً بخيلاً لثيماً ، فهو من الأضداد . وذكر ان العرب تقول : رجلاً جعداً ، اذا كان قصيراً متردد الخلق . وإذا قالت جعد السبوبة ، فلها تريد بذلك المدح ، إلا ان يكون مفقلاً كشعر الزنج والنوبة ، فهو حينئذ ذم^٤ .

وكان الرسول يسدل شعره ، ثم فرقه . والفرق ان يجعل شعره فرقتين كل فرقة ذؤابة . والسدل ان يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين^٥ . وذكر انه كان يصفره غدائر ، والغدائر الصفائر . وكان إذا طال شعره جعله غدائر أربعاً . وكان يكثر دهن رأسه ولحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات . وكان يحب الترجل ، وكان يرجل نفسه تارة وترجله عائشة تارة^٦ . وترجيل الشعر تسريحه .

١ أشعياء ، الاصحاح السابع ، الآية ٢٠ ، حزقيال ، الاصحاح الخامس ، الآية الأولى ،

فاموس الكتاب المقدس (٦٨/١ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣٠٧/٤) ، (فرن) .

٣ تاج العروس (١٤٩/٥) ، (سبط) .

٤ تاج العروس (٣٢٠/٢ وما بعدها) ، (جعد)

٥ زاد المعاد (٤٤/١) .

٦ زاد المعاد (٤٥/١) .

وقد تقوم به المرأة^١ . ويكون ذلك بالمشط . قال امرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حنّاء بشيب مرجل^٢

وللعرب عادات بالنسبة الى شعرهم . فهم إذا غضبوا وأرادوا الأخذ بالتأثر ، لم يغسلوا شعورهم وتركوا تدهينها حتى يأخذوا بثأرهم . كالذي روه من قصة امرئ القيس ، حينما جاءه خبر مقتل والده . وهم إذا أرادوا إذلال رجل واهانته كإذلال سيد قبيلة أو شريف قوم سقط أسيراً ، وأرادوا الإمعان في إذلاله جزّوا ناصيته وتركوه يذهب فذلك عندهم شرّ إذلال . والناصية مقدم الرأس^٣ .

ويستوي الرجل والمرأة في دهن شعر الرأس . ولا زال الأعراب يدهنون شعورهم على الطريقة القديمة . ويستعمل أغنياؤهم الدهون الجيدة المستوردة من الخارج . مثل (الزيت) المطيب بالعمور وبأنواع الطيب ، يدهنون به شعورهم ولحاهم في أيام الأفراح بصورة خاصة وفي الأعياد . وكان الرومان واليونان يدهنون الجسم كله بالزيت . وبعد دهن شعر الرأس من علامات الفرح والسرور ، وتركه من علامات الغم والحزن^٤ . وقد كان الصحابة يطلون شعر رأسهم ولحياتهم بالدهن ليزيلوا شعث رؤوسهم ولحاهم به^٥ .

ويضفر شعر الأولاد والبنات ضفائر ، تتلى على جانبي الوجه ومؤخرة الرأس . وأما الرجال ، فكان منهم من يضفر شعر رأسه ضفيرتين يتركها تتدليان على جانبي وجهه ، ومنهم من يضفره جملة ضفائر ، قد تبلغ سبعا . وعادة يضفر شعر الرأس سبع ضفائر عادة معروفة عند غير العرب أيضاً . وكان شعر (شمشون) المشهور مضموراً في سبع خصل^٦ . ولا زال الأعراب يضفرون شعورهم . ويقال للضفيرة (الذؤابة) . والنؤابتان اللتان تسقطان على الصدر .

١ شرح النووي على صحيح مسلم ، المطبوع حاشيه على إرشاد الساري ، القسطلاني

(٣٣٨/٢) ، (باب حواش غسل الحائض رأس زوجها ورجله) .

٢ ناج العروس (٣٣٧/٧) ، (رجل) .

٣ ناج العروس (٣٦٩/١٠) ، بصا .

٤ مرايم ٥٠٢٣ ، متى ١٧٠٦ ، صموئيل الباني الاصحاح ١٤ ، الآلة ٢ ، فاموس

الكتاب المقدس (٥٢٢/١) .

٥ القسطلاني ، إرشاد الساري (١٦١/٢) .

٦ فاموس الكتاب المقدس (٦١٩/١) .

ويقال لها (غدירתان) . وكل عقيصة غديرة . قال امرؤ القيس :

غداثره مستشزرات الى العلى تضل العقاصي في مثنى ومرسل^١

ولما قدم (ضيمام بن ثعلبة) من (بني سعد) على الرسول ، كان رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين . فلما ولى قال رسول الله : إن صدق ذو العقيصتين^٢ . ويقال لها (القرنين) كذلك . والعرب تسمي الخصلة من الشعر القرن . والقرن الذؤابة عامة . ومنه : الروم ذات القرون ، لطول ذوائبهم^٣ .

وهم مثل غيرهم من الناس يعتبرون الشعر الأشيب أكليلاً مجد للشيخ ، والشعر الأبيض رمزاً للحكمة والجلالة^٤ . وذلك بسبب ان تقدم العمر بالإنسان يكسبه خبرة وحكمة ، لما يراه في حياته من تجارب وعظات . لذلك أقاموا للسن وزناً كبيراً في أخذ الرأي وفي التقدم في الدخول وفي الجلوس في المجالس .

ولم يكن شيوخ الجاهلية وشيبيها أقل عناية بمظهرهم وبمآثرهم من شيوخ هذا اليوم وشيبيه ، فحاولوا ما قدروا لإخفاء شيبهم واطفاء لعب الزمان بشعرهم وبأوجههم بمختلف الوسائل والسبل ، ومنها إخفاء الشيب بصبغته وباستعمال الخضاب ، وبعضه أسود ، كما خضبوا بالعظم وبالحناء^٥ . وصبغوا لحاهم . ولم يهملوا العيون ، فاكتحلوا لتظهر براقه مؤثرة . ولا تزال « الوسمة » ، وهي خضاب أسود معروف ، ويستعملها بعض الناس اليوم .

وذكر بعض علماء اللغة ان الخضاب ، إخفاء الشيب بالحناء ، وإذا كان بغير الحناء قيل : صبغ شعره ، ولا يقال خضبه . وذكر آخر ان أول من خضب بالسواد من العرب (عبد المطلب)^٦ . وقد تعلمه من أهل اليمن . إذ كان قد زارهم فوجد شيبهم يخضبون شعورهم بالسواد ، فأعطوه خضاباً ، فجاء الى مكة ، وعنه شاع الخضاب بين أهلها .

١ تاج العروس (٤٤١/٣) ، (عدر) .

٢ الطبري ١٢٤/٣ وما بعدها ، (قدم ضمام بن ثعلبة واعداد عن بني سعد) .

٣ تاج العروس (٣٠٧/٩) ، (قرن) .

٤ دانيال ، الاضطلاع السابع ، الآية ٩ ، فاموس الكتاب المقدس (٦١٩/١) .

٥ المعرب (ص ١٦) ، تاج العروس (٢٣٦/١) ، (خضب) .

٦ تاج العروس (٣٦٦/٢) ، (الكويت) ، (خضب) .

وقد استعملوا الزعفران في صبغ لحاهم وشعورهم . واستعملوا لون الزعفران في صبغ ثيابهم أيضاً . وذلك لغلاء ثمن (الزعفران) الطبيعي . كما استعمل (العصفور) في الصبغ ، وهو من نبات ينبت في جزيرة العرب ، اذا صبغ الثوب به قيل : عصفور الثوب به ^١ . كما استعملوا (الكتم) في تخضيب الشعر . وهو نبت يخلط بالحناء ويخضب بالشعر فيبقى لونه . وقد أشار اليه (أمية بن ابي الصلت) بقوله :

وسودت شمسهم اذا طلعت بالجلب هفاً كأنه كتم

والمكتومة : دهن من أدهان العرب أحمر . يجعل فيه الزعفران أو الكتم . وطبخوا الكتم بالماء واستخرجوا منه مداداً للكتابة ^٢ .

ويكون الخضاب بالحناء ، كما يكون بالحناء والكتم كما ذكرت ، وقد يكون بالحناء والوسمة . وتجعل الوسمة الشعر أسود فاحاً . وكل هذه من النباتات التي تنبت في الحجاز وفي اليمن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب . وقد استعملوا (السواد) ويكون بالوسمة في الغالب لتسويد شعر الجارية والمرأة الكبيرة والشيخ للغش والتدليس ، حتى اذا جاء سيّد لشراء جارية ظن أن شعرها على هذه الصورة من السواد ، أو جاء رجل يطلب المرأة الكبيرة ظن أنها أصغر من عمرها ، أو عرض الرجل الشيخ نفسه للزواج ، ظهر أصغر من عمره . ونظراً الى ما في هذا العمل من غش نهى عنه في الاسلام ^٣ .

وخوفاً من أن يقللوا لبثوا شعر رؤوسهم بالخطمي والصمغ . وقد عرف من يفعل ذلك بـ (الملبد) . وقيل : ان « الملبد » المحرم ، الذي لبد شعره حتى لا يقلل ، اذا دخله الغبار بعد العرق ^٤ . وقد كان القمل قد عشن في آباط كثير من الناس ، لا سيما الفقراء والاعراب منهم . وفي شعر رؤوسهم وفي المواضع المشعرة من أجسامهم ، نظراً لسوء وضعهم من الناحية الاقتصادية وفقرتهم : وعدم تمكنهم من غسل أجسامهم . وقد أشير الى القمل والتلبيد في الشعر . ذكر أن القمل

١ ناج العروس (٤٠٨/٣) ، (عصفور) .

٢ ناج العروس (٣٩/٩) ، (كتم) ، (٩٣/٩) ، (وسم) ، العبد المرند (٤٩/٣) .

٣ ابن فبم الحورية ، راد المعاد (١٨٣/٣) وما بعدها .

٤ المعاني الكبير (٤٢٦/١) ، ناج العروس (٤٩١/٢) ، (لبد) .

كان يتهافت من رأس (كعب بن عجرة بن عدي) على وجهه ، وكان محرماً ، فرآه الرسول ، فأمره أن يخلق رأسه وأن يطعم فرقاً بين ستة مساكين^١ . وذكر أن التلبيد ، أن يأخذ شيئاً من خطمي وآسٍ وسدر ، وشيئاً من صمغ ، فيجعله في أصول شعره وعلى رأسه ، كي يتلبد شعره ولا يعرق ويدخله الغبار ، فيختم^٢ ويقمل^٣ .

وتطيب الرجال بالطيب ، ودهنوا شعورهم بالدهن المطيب . وكانوا يتطيّبون اذا ذهبوا الى زيارة بيت ، وفي المجتمعات العامة كالمواسم والأفراح . وللرجال طيب يختلف عن طيب النساء .

وقد يرقن الرجل كما ترقن المرأة بالحناء وبالزعفران . يقال : أرقن الرجل لحيته ورقنها ، أي خضبها بالحناء وبالزعفران . قال الشاعر :

ومسمعة اذا ما شئت غنت مضمخة الترائب بالرقان^٤

والرقان والرقون الحناء والزعفران .

ويكثر العرب من حمل (العصا) معهم . اذ هي ضرورة بالنسبة لحياتهم . يستعينون بها في طرد الكلاب عنهم ، ورد الحيوانات المتوحشة التي قد تصادفهم ، كما يستعملونها في ضرب لابلهم حتى تطيع أوامرهم . حتى أنهم جعلوا العصا رمزاً لأمر عديدة . منها الطاعة والجماعة . ومنها (شق العصا) بمعنى مخالفة الجماعة . والعصا الجماعة . ومنها (القى المسافر عصاه) ، أي بلغ موضعه وأقام . وضرب مثلاً لكل من وافقه شيء فأقام عليه . ومنها (هو لين العصا) ، أي رقيق لين حسن السياسة ، و (هو ضعيف العصا) ، أي قليل ضرب الإبل . و (إن العصا من العvisية) ، يقال ذلك اذا شبه بأبيه ، أي : إن بعض الأمر من بعض^٥ .

كما حملوا القضب ، وهي من علائم السلطة والقوة والحكم والفوذ عندهم . وقد ورد في خبر ارسال رسول الله (عباس بن أبي ربيعة المخزومي) الى

١ الحيوان (٣٧٧/٥) ، (هارون) .

٢ المصدر نفسه .

٣ ناج العروس (٢١٨/٩) ، (رفن) .

٤ ناج العروس (٢٤٤/١٠) وما بعدها ، (عصا) .

(الحارث) و (مسروح) و (نعيم) بني عبد كلال من حمير ، انهم . كانوا يحملون قضياً معهم . وهي من الأثل : قضيب مملع بياض وصفرة وقضيب ذو عَجَرٍ وكأنه خيزران ، وقضيب أسود بهيم كأنه من ساسم^١ . وكان أحدهم اذا جلس وفكر في أمره ، أو أراد الاجابة على سؤال يحتاج الى عمل روية نَكَسَتْ الارض بالقضيب الذي يحمله بيده .

المرأة :

والمرأة في المحيط البدوي أنشط وأكثر عملاً من الرجل ؛ فعليها تهيئة الطعام وحلب النياق وغسل الملابس وغزل الصوف والوبر ، والعناية بالأطفال وتخضير مادة الوقود ، الى غير ذلك من أعمال لا يقوم بها الرجل ، لأنها من عمل المرأة ، ولا يليق بالرجل القيام بها .

ولم تقرأ في كتب اهل الاخبار ما يفيد سيادة النساء على القبائل ، في الجاهلية القرية من الاسلام . ولم تقرأ في المسند ما يفيد بوجود ملكات حكمين اليمن . بينما قرأنا في الكتابات الآشورية وجود ملكات عربيات حكمن قبائل عربية ، كانت تنزل البوادي من بادية الشام . ووقفنا أيضاً على حكم الملكة (الزباء) لتدمير وذلك بعد الميلاد . ولكننا تقرأ في أخبار أهل الاخبار أخبار كاهنات ، كانت لهن مراكز خطيرة عند القبائل . وكذلك أخبار حاكمات حكمين فيما بين الناس في الحصومات . وقد كان منهن من يقرأ ويكتب كما سنرى فيما بعد .

وللمرأة الشريفة ذات السؤدد حظ في المجتمع لا يدانيه حظ المرأة الحرة الفقيرة . فسؤددها حماية لها ودرع يصونها من الغض من منزلتها ومكانتها . وأسرتها قوة لها ، تمنع زوجها من اذلالها أو الحاق أي أذى بها ، وهي نفسها فخورة على غيرها لأنها من الأسر الكريمة . والعادة بالطبع أن الأسر الكريمة لا تزوج بناتها الا من أسر كريمة موازية لها في المنزلة والشرف . من ذلك قولهم : (استنكح العقائل ، اذا نكح النجيبات)^٢ .

حال المرأة في الجاهلية :

وقد اختلف حال المرأة في الجاهلية عن حالها في الاسلام ، بسبب تغير الأحوال

١ ابن سعد (٢٨٢/١ وما بعدها) .

٢ باج العروس (٤١/٩) ، (كرم) .

وتبدل الظروف . (فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولا لحظة الخلسة ، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة ، ويزدوجوا في المناسبة والمثافنة ، ويسمى المولع بذلك من الرجال الزَّير ، المشتق من الزيارة . وكل ذلك بأعين الأولياء وحضور الأزواج ، لا ينكرون ما ليس بمنكر اذا أمّنوا المكر) ^١ . (فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء ، في الجاهلية والاسلام ، حتى ضرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة) ^٢ . (ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً في الجاهلية ، ولا حراماً في الاسلام) ^٣ .

وما نراه اليوم من اعتكاف النساء في بيوتهن ومن عدم اختلاطهن بالرجال ومن التشدد في الحجاب وأمثال ذلك ، هو بين أهل الحضر خاصة . وقد كان هذا التحفظ معروفاً نوعاً ما عند أهل الحواضر والقرى في الجاهلية ، الا أن التزمّت والتشدّد في وجوب ابتعاد الرجل عن المرأة وانفصالها بعضها عن بعض انما نشأ في الاسلام ، بسبب تغير الظروف واختلاط العرب بالأعاجم ، وظهور حالات جعلت العوائل الكبيرة تحصر على حصر المرأة في بيتها . أما في البادية فإن المرأة لا تزال تشارك الرجل في أعماله وتجالس وتكلمه ولو كان غريباً عنها ، لأن محيط البادية محيط بعيد عن مواطن الريبة والشبهات ، وينشأ البنات والأولاد فيه سوية ، ويلعبون سوية ويشبّون سوية ، ولذلك لم تنشأ عندهم القيود والحدود التي تفصل بين المرأة والرجل . وقد كان حال المرأة الأعرابية على هذه الحال في الجاهلية .

وقد عرفت المرأة بالكيد بين الجاهليين . ونظروا اليها نظرهم الى الشيطان . وليست هذه النظرة العربية الى المرأة هي نظرة خاصة بالجاهليين ، بل هي نظرة عامة نجدها عند غيرهم أيضاً . بل هي وجهة نظر الرجل بالنسبة للمرأة في كل العالم في ذلك الوقت . وهي نظرة نجدها عند الحضر بدرجة خاصة ، لما لمحيط الحضر من خصائص التجمع والتكتل ، والتصاق البيوت بعضها ببعض ، ولما لهم من حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وقد تجبر المرأة على دس أنفها ، والاتصال بالغرباء ، فنشأ من ثمّ هذا الرأي بين أهل الحضر أكثر من الاغواب .

١ كتاب الفيان ، من رسائل الجاحظ (١٤٨/٢) ، (تحقيق عبد السلام هارون)

٢ كتاب الفيان (١٤٩/٢) .

٣ كتاب الفيان (١٤٩/٢) .

وعرفت المرأة عندهم بالمكر والخديعة . إذ كان في وسعها استدراج الرجل والمكر به . وهم يتمثلون بمكر (الزبّاء) . واستدراجها (جذعة الأبرش) اليها ، ثم فتكها به . على نحو ما ورد من قصص عنها في كتب أهل الأخبار . غير أنهم يروون في الوقت نفسه قصة (قصير) معها ، وكيف تمكن من الأخذ بثأره منها ، في حيلة ومكر ومكيدة ، حتى فتك بها في قصة من قصص المكر والخديعة ، ضرب بها المثل^١ . وُعدَّت المرأة كالحية في المكر .

ونظر الرجل الى رأي المرأة على ان فيه وهناً وضعفاً وانه دون رأيه بكثير ، وتصور ان مقاييس الحكم عندها ، دون مقاييسه في الدقة والضبط ، ولهذا رأى العرب ان من الحق الأخذ برأي المرأة . فكانوا اذا أرادوا ضرب المثل بضعف رأي وخطئه قالوا عنه : (رأي النساء)^٢ و (رأي نساء) وقالوا : شاوروهن وخالفوهن ، لما عرف عن المرأة من تأثر بأحكام العاطفة عندها . حتى ذهب البعض الى عدم وجود رأي للمرأة ، ولهذا قالوا : يقال للرجل (الفند) اذا خرف وخف عقله لهرم أو مرض ، وقد يستعمل في غير الكبر وأصله في الكبر . ولا يقال (عجوز مفندة) لأنها لم تكن في سببها ذات رأي أبداً ففندت في كبرها . وفي الكشف : ولذا لم يقل للمرأة مفندة لأنها لا رأي لها حتى يضعف . قال شيخنا : ولا وجه لقول السمين انه غريب ، فإنه منقول عن أهل اللغة . ثم قال : ولعل وجهه أن لها عقلاً وإن كان ناقصاً يشتد نقصه بكبر السن)^٣ .

ويكني العرب عن المرأة بـ (الدمية) . والدمية الصنم . وقيل : الصورة المنقشة : العاج ونحوه . وقيل هي الصورة . وفول الشاعر :

والبيض يرفلن في الدُمي والريبط والمذهب المصون
يعني ثياباً فيها تصاوير^٤ .

ويقال للمرأة البذيئة القليلة الحياء (العنفس) . وقال بعض علماء اللغة انها

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (٣١١) ، المبداءى (٢٧٢/٢) ، ناج العروس (٢٣٧/١) ، (خطب) .

٢ الثعالبي ، ثمار القلوب (٣٠٦) .

٣ ناج العروس (٤٥٤/٢) ، (فند) .

٤ اللسان (٢٧١/١٤) ، (دمي) .

المرأة القليلة الجسم الكثيرة الحركة . أو الداعرة الخبيثة . وقيل هي القصيرة المختالة المعجبة . أو المرأة الكثيرة الكلام ، وهي المنتنة الريح^١ . وقد ذمت المرأة (النامة) ، والبذينة التي تشتم الناس وتنطق بالبذاء . والسليطة اللسان التي تتناول على الناس ، ولا تبالي أحداً . وقد كان بعض الناس يحرضون أمثال هؤلاء النسوة لاهانة كرام الناس والتحرش بهم ، لما يعرفونه من ان في طبع الرجل الكريم عدم الرد على المرأة رداً قبيحاً والتعرض لها بسوء .

وتشائموا من بعض النسوة . وقالوا : (امرأة مشؤومة) ، و (عقرى حلقى) ، أي عقرها الله وحلقها ، بمعنى حلق شعرها أو أصابها بوجع في حلقها ، أو أنها تعقر قومها وتحلقهم بشؤمها وتستأصلهم^٢ . وقد كانوا يطلقونها إذا تشاءم الزوج أو أهله منها ، لاعتقادهم الشديد بالشؤم . وتشاءموا من الفرس الأشقر ومن عتبة الباب ، ومن أشياء أخرى سأتحدث عنها في موضوع التفاؤل والتشاؤم عند العرب . وجمال المرأة في حلاوة العينين ، وفي جمال الأنف ، والملاحة في الفم . قال الشاعر :

خزاعية الأطراف مربية الحشا فزارية العينين طائية الفم^٣

المرأة القبيحة :

وذكر بعض علماء اللغة ان العرب تصف بـ (السعلاة) العجائز والخييل . وقيل السعالي : النساء الصخابات البديئات ، والمرأة القبيحة الوجه السيئة الخلق . ومن ذلك قول الأعشى :

ونساء كأنهن السعالي^٤ .

والعرب تكفي عن المرأة بالعتبة والنعل والقارورة والبيت والدمية والغل والقيد والريحانة والقوصرة والشاة والنعجة^٥ .

١ تاج العروس (٤١٠/٤) ، (العنفص)

٢ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .

٣ الدينوري ، عيون الأخبار (٢٧/٤) ، (كتاب النساء) .

٤ تاج العروس (٣٧٦/٧) ، (سعل) .

٥ تاج العروس (٣٦٤/١) ، (عتب) .

وما قلته يمثل الفكرة العامة عن المرأة بين سواد الناس . غير ان هناك نسوة اشتهرن بالعقل والحكمة عند الجاهليين . وكنّ مرجعاً للرجال في أخذ الرأي . حتى إن منهن من تولين أمر الحكومات ، وقد سبق ان ذكرت فيما مضى ان قبائل بادية الشام كانت تحت حكم ملكات في أيام الآشوريين . ومنهن الملكات (شمس) و (زيبية) . كما أشرت الى الملكة (الزباء) . فلم يجد العرب قبل الميلاد ولا بعده غضاضة من تعيين النساء ملكات عليهم . وقد كن يصاحبن الرجال الى القتال لإثارة همهم عند اشتداد المعارك ولمداواة الجرحى ، وحمل الماء الى العطشى من المقاتلين . وقد كانت (رفيده) تدأوي جرحى المسلمين في مسجد الرسول بيثرب^١ . وكانت (زينب) طبيبة (بني أود) تعالج المرضى وحازت على شهرة بين العرب^٢ .

حتى الشعر ، برزت به شاعرات . مثل الخنساء ، وخرنق ، وجليدة ، وكبشة أخت عمرو بن معد يكرب ، وغيرهن . ومنهن من حكمن بين الشعراء المتنافسين في تفضيل شعر شاعر على شعر شاعر آخر . وكان من بينهن كاتبات ومتاجرات الى غير ذلك من حقول الأعمال التي تحتاج الى عقل وذكاء .

زينة المرأة :

والمرأة الحضرية أكثر تفتناً واعتناءً بنفسها من الأعرابية ، بسبب اختلاف المحيط والوضع الاقتصادي . ولها من أمور الزينة ما لا تعرفه الأعرابيات ، من وسائل تجميل وتحلية جسم وملبس . ولا سيما النساء الغنيات القرىيات من مواطن الأعاجم . فقد تأثرن بالأعجميات وأخذن منهن ما راق لهن من ملابس وزينة وطيب وحلية .

والعادة ان المرأة تضفر شعر رأسها صفائر وغدائر ، أما الرجال فيتخذون لهم صفيرتين ، تتدليان على طرفي الوجه الى المنكبين^٣ . ويقال للصفيرة :

١ نهاية الأرب (١٧/١٩١) .

٢ جرجي زبدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٤٠/١) ، (١٩٥٧ م) .

٣ نوح العروس (٣/٣٥٢) ، (صفر) .

العقيصة . وذكر ن (العقيصة) الذؤابة . وذكر بعض علماء اللغة ان كل عقيصة غديرة . والغديرتان الذؤابتان تسقطان على الصدر . وقيل الغدائر للنساء ، وهي المضفورة . والضفائر الرجال ^١ . وقيل العقص القتل ، أي قتل الشعر ، وهو ان يلقى الشعر حتى يبقى ليته ثم يرسل . وذكر بعض علماء اللغة ان العقص ان تأخذ المرأة كل خصلة من شعر فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، فكل خصلة عقيصة . وقد عرف (ضمام بن ثعلبة) أحد بني سعد بن بكر بـ (ذي العقيصتين) ، وكان أشعر ذا غديرتين . وكان خصل شعره عقيصتين وارخاهما من جانبيه . وهو من الصحابة ^٢ .

وبعد شعر المرأة من أئمن الأشياء عندها لذلك تستعز به وتحافظ عليه ، وتسعى لاثارته وتنشيطه ، وهي لا تحلقه إلا إذا نزلت بها نازلة ، مثل موت زوجها أو عزيز آخر عليها ، وبعد ذلك غاية في التضحية وفي اظهار حزنها على رجلها الراحل العزيز ^٣ . فإذا مات عزيز حلقت المرأة شعرها وذرت التراب أو الرماد على رأسها ، اظهاراً لشدة ألمها وحزنها على ميتها . ويقال لها (الحالقة) . وقد لعن الرسول من النساء الحالقة والصالقة والخارقة . والخالقة التي تحلق شعرها في المصيبة ^٤ . وقد ضرب بها المثل في الشؤم . لأن من عادة الناس في الجاهلية انهم إذا أصيبوا بمصيبة حلقت النساء شعورهن . والى ذلك أشير في شعر الخنساء :

ولكني رأيت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق

وأصل ذلك ان المرأة كانت إذا أصيب لها كريم حلقت رأسها وأخذت نعلين تضرب بهما رأسها وتعفره . وفي هذا المعنى جاء في الشعر :

ألا قومي أولو عقرى وحلقى لما لاقت سلامان بن غم

ولهذا السبب اعتبرت الحالقة علامة من علامات الشؤم ونذيراً من نذر الفرقة

١ قال امرؤ القيس :

غدائره مسشترات الى العلى بضل العقاص في منى ومرسل

تاج العروس (٤٤١/٣) ، (غدر) .

٢ تاج العروس (٤٠٨/٤) ، (عقص) .

٣ Hastings, A Dictionary of the Bible, II, p. 283

٤ تاج العروس (٣٢٠/٦) ، (حلق) .

بضرب بها المثل . وفي الحديث : (دبّ اليكم داء الأمم : البغضاء والحالقة) .
(هي قطيعة الرحم والتنظام والقول السيء) ^١ .

ويسرح الشعر بـ (المشط) . وقد عرفه الجاهليون ، وهو من آلات التجميل القديمة . . وقد أشير إليه في الحديث . كما أشير إليه في الشعر . ورد قول عبد الرحمن بن حسان :

قد كنت أغنى ذي غنى عنكم كما أغنى الرجال عن المشاطِ الأقرع ^٢
وتمشط شعر العرائس (الماشطة) ، فتقوم بترجيله وتجميله لخبرتها فيه ^٣ .
ويكون المشط من خشب في الغالب ، وقد يعمل من ذهب أو فضة أو من معدن آخر ، وقد يتخذ من (العاج) .

وتغسل المرأة رأسها بطينٍ وأشنانٍ وخطمي ونحوه لتنظيفه . وقد تغسل بالطيب ، وذلك بالنسبة للغنيات . وإذا انتهت من غسله استعملت (الغسلة) ^٤ ، وهو ما يجعله المرأة في شعرها عند الامتشاط من طيب وورق الآس يطرتى بأقاويه من الطيب ويمتشط به ^٥ . والطين أنواع ، يختلف باختلاف طبقات الأرض . واجوده الحرّ النقي الخالص بعد رسوب الماء ، ويستعمل في تنظيف الشعر .

وقد كانت القبائل إذا أرادت الصبر في القتال ، والوقوف في الحرب الى النهاية وحتى النصر ، حلقت نساؤها شعورهن ، لبث الشجاعة في نفوس المقاتلين وإذكاء نار الشجاعة فيهم . وذكر ان (يوم تحلاق اللحم) ، إماماً سمي بذلك ، لأن شعارهم كان الحلق . وكان لتغلب على بكر بن وائل ^٦ .

وتجملت المرأة الجاهلية وتزينت على قدر حالها وامكانها ، لتظهر بذلك جلالها وأنوثتها على سنة الطبيعة ، وعلى عادة المرأة بل والانسان : رجلاً كان أو امرأة

١ تاج العروس (٣٢٠/٦) ، (حلق) .

٢ قد كنت أحسبني عبداً عنكم ان الغني عن المشط الأقرع

تاج العروس (٢٢٣/٥) ، (مشط) . اللسان (٤٠٣/٧) .

٣ تاج العروس (٢٢٤/٥) ، (مشط)

٤ بالكسر

٥ ناح العروس (٤٥/٨) ، (غسل)

٦ تاج العروس (٣٢٠/٦) ، (حلق) .

في كل وقت وزمان ، من حبه في إظهار الزينة وحسن المظهر . جَمَلَتْ نفسها بالاعتناء بالنظافة وبالثياب وبالخلية ، كالخلخال والسوارين والخاتم والقُلْبَيْن والقلب والفتحة والمسكة والقرطين والقلائد الأخرى ، وبالتجميل بالكحل وبالمساحيق التي توضع على الوجه والدهن الذي يدهن به الشعر وخضاب الكف والقدم ، وبالوشم وما شاكل ذلك من أمور تجميل وتحلية كانت معروفة في ذلك العهد .

ومن وسائل الزينة : الوشم . غرز لإبرة ونحوها في عضو حتى يسيل الدم ثم يحشى بنؤور أو بالكحل أو بالنيلج أو نحوها فيزرق أثره أو ينحضر^١ . وكانوا يقصدون بذلك التزين فينقشون به غالب أبدانهم ، أنواعاً من النقوش من صور حيوانات أو نبات أو صور انسان وكذلك الشفاه ، فترى غالب شفاه نساءهم زرقاً . والأطفال منهم يوشمون في بعض المحال من وجوههم لقصد الزينة . وكذلك الرجال . وذكر ان الرسول قد نهى عن ذلك في حديث : لعن الله الواشمة . أو لعن الله الواشمة والمستوشمة^٢ .

وكانوا يعتنون بتجميل حواجبهم وإزالة الشعر من وجوههم بـ (الناص) وهو (المنقاش) . وعرفت مزينة النساء بـ (النامصة) . وهي مزينة بالنمص . وذكر ان النمص نتف الشعر . وان المشط ينمص الشعر وكذلك المحسنة لأن لها أسناناً كأسنان المشط . ويقال ان الناص مختص بإزالة الشعر من الحاجبين ليرققها أو ليسويهما . وفي الحديث : لعنت النامصة والمنمصصة^٣ .

وعنوا بالأسنان فاستعملوا المبرد لبرد ما بين الثنايا والرباعيات ، لتجميلها . وقد لعنت المتفلجات في الحديث . والمتفلجات جمع متفلجة التي تفلج بين الأسنان^٤ . وعنوا بتبييض الأسنان باستخدام (المسواك) ، وهو ما يدل ذلك به الفم . ويكون من عيدان بعض الأشجار ذات الرائحة الطيبة . وقد أشير إليه في الحديث^٥ .

- ١ ناج العروس (٩٤/٩) ، (وشم) .
- ٢ ناج العروس (٩٤/٩) ، (وشم) ، بلوغ الأرب (١٠/٣) وما بعدها .
- ٣ ناج العروس (٤٤٣/٤) ، (نمص) ، بلوغ الأرب (١١/٣) .
- ٤ بلوغ الأرب (١١/٣) .
- ٥ ناج العروس (١٤٦/٧) ، (سوك) .

ويقص الشعر والظفر بالمقص ، أي المقراض وهما مقصان^١ . يقص به الرجل شعره ، كما تقص به المرأة . وتتخذ المرأة (القصة) في مقدم رأسها تقص ناصيتها ما عدا جبينها^٢ .

وذكر ان من نساء الجاهلية من كنّ يقمحن لثتهن بـ (النور) ، حصة كلأمد تدق فتسفها اللثة . وكن يتسمن بـ (الثور) . وهو دخان الشحم أو دخان الفتيلة ، يتخذ كحلاً أو وشماً ، وخصصه بعضهم بالوشم^٣ .

ولم تنس المرأة الجاهلية زينتها ، فزينت نفسها بـ (الحلي) من ذهب وفضة ومعادن أخرى ومن أحجار كريمة وأحجار تلفت النظر وبالعظام أيضاً وبالخرز . ومن الحلي (الأساور) المصنوعة من الذهب ، بالنسبة الى المرأة الموسرة ، والحلي المطعمة بالؤلؤ . ومن الحلي ؛ ما يزين به الرأس والعنق ، ومنه ما يزين به الأيدي أو الأرجل^٤ . وسأتحدث عنها في القسم الخاص بالحرف . بشيء من التفصيل .

و (الكرم) : القلادة . وقيل هي القلادة من الذهب والفضة ، وقيل تكون من لؤلؤ أيضاً^٥ .

ويضفر شعر رأس الأطفال ذوائب ، أي ضفائر تتدلى على رأسه وعلى ناصيته . ومتى كبر الطفل وبلغ سنّ الرشد ، أو شعر برجولته ، ضفرت له ذؤابتان ، وهي علامة الشباب والرجولة عندهم . وقد كان الساميون يحتفلون بحلق الذوائب ، لأن هذا الحلق معناه إنتهاء مرحلة من الحياة ودخول الطفل مرحلة الرجولة ، وهي مرحلة الحياة الصحيحة . وكانوا يرمون الذوائب أمام الأصنام . والعادة أنهم يصفرون للأطفال سبع ضفائر . وهي عادة معروفة عند الجاهليين أيضاً ، ولا تزال متبعة عند الأعراب وأشباه الحضر . وقد يعلقون حلياً على

- ١ . تاج العروس (٤٢٢/٤) ، (فصوص)
- ٢ . تاج العروس (٤٢٣/٤٠) ، (فصوص) .
- ٣ . تاج العروس (٥٨٩/٣) ، (نور) .
- ٤ . تاج العروس (٩٧/١٠) ، (حلي) .
- ٥ . تاج العروس (٤٢/٩) ، (كرم) .

كل ضفيرة ، وذلك إمعاناً منهم في تدليل الطفل وفي إراءة جماله . فالزينة وتعليق
الخلي من مظاهر التدليل والتجميل .

نساء شهيرات :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء نساء ذكروا أنهن عشن في الجاهلية . منهن :
صحراء بنت لقمان بن عاد . وكان أبوها لقمان وأخوها لقيم خرجا مغيرين ، فأصابا
إبلًا كثيرة فسبق لقيم إلى منزله ، وعمدت صحراء إلى بعض ما جاء به لقيم ،
فصنعت منه طعاماً يكون معداً لأبيها لقمان إذا قدم ، وقد كان لقمان حسد لقيماً
في تربيته عليه ، فلما قدمت صحراء إليه الطعام وعلم أنه من غنيمة لقيم ، لطمها
لطمه قضت عليها ، فصارت عقوبتها مثلاً لكل من لا ذنب له ويعاقب^١
(فقيل : مالي ذنب إلا ذنب صحراء) ، ولم يكن لها ذنب^٢ .

وقد حصلت (الزبَاء) على شهرة بين العرب ، ووضعوا حولها القصص .
ذكروا أنها امرأة من العماليق ، وأمها من الروم . وكانت تغزو بالجيوش ، وهي
التي غزت مardاً والأبلى فاستعصيا عليها ، فقالت : تمرد مard وعز الأبلى ،
فذهبت مثلاً^٣ . ويروي أهل الأخبار لها أمثلة أخرى^٤ . ورموها بالغدر ،
فقالوا : (قال علي بن زيد يذكر قصة جذيمة الأبرش لخطبة الزبَاء :

لخطبي التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة لحينا
أي لخطبة زباء . وهي امرأة غدرت بجذيمة الأبرش حين خطبها فأجابته
وخاست بالعهد فقتلته^٥ .

واشتهرت (البسوس) بالبؤس والشؤم حتى قالوا (شؤم البسوس) . وهي
بنت منقذ التميمية ، زارت أختها أم جساس بن مرة ومع البسوس جار لها
من جرّم ، يقال له سعد بن شمس ، ومعه ناقة له ، فرماها كليب وائل لما رآها

١ الثعالبى ، ثمار القلوب (٣٠٧) .

٢ ناج العروس (٣٢٧/٣) ، (صحراء) .

٣ الثعالبى ، ثمار القلوب (٣١١) .

٤ ناج العروس (٢٢٧/١) ، (حطب) .

في مرعى قد حماه ، فأقبلت الناقة الى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً ، فلما رأى ما بها انطلق الى البسوس فأخبرها بالقصة ، فقالت : واذاً ! واغربناه ! وأنشأت تقول ألياناً تُسميها العرب آيات الفناء . فسمعها ابن اختها جساس فثار الدم في رأسه ، وخرج معقياً كلياً حتى وجده فطعنه طعنة قضت عليه . ووقعت الحرب بين بكر وتغلب ودامت أربعون سنة . وسار شؤم البسوس مثلاً ، ونسبت الحرب اليها لكونها سببها ، فقليل : حرب البسوس^١ . وهكذا فسر أهل الأخبار سبب وقوع حرب البسوس .

وقصّ أهل الأخبار قصة امرأة أخرى ، قالوا إن رغيغ خبز لها صار سبباً في وقوع شرّ بين حيتين ، وأدى الى وقوع قتلى . حتى قيل : أشأم من رغيغ الخولاء . والخولاء خبّارة في (بي سعد بن زيد مناة) ، فمرت وعلى رأسها كارة خبز ، فتناول رجل عن رأسها رغيغاً ، فاشتكت الى رجل كان جاراً لها . فثار وثار معه قومه الى الرجل الذي أخذ الرغيغ وقومه فقتل بينهم ألف نفس ، وسار رغيغ الخولاء مثلاً في الشيء اليسير يجلب الخطب الكبير^٢ .

وذكر أهل الأخبار اسم امرأة أخرى اشتهرت بعطرها ، حتى صرب به المثل ، فقليل : (عطر منشم) . ولهم أقوال في سبب ضرب هذا المثل . وخلصتها ان (منشم) امرأة عطارة تبع الطيب ، فكانوا إذا قصدوا حرباً غمّسوا أيديهم في طيبها ، وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في الحرب ولا يولوا أو يقتلوا ، فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : فد دقوا بينهم عطر منشم ، فلما كثر هذا القول صار مثلاً . فمن تمثّل به زهير حيث قال :

تداركنا عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم^٣

واختار أهل الأخبار من بين النساء امرأة جعلوها مثلاً للحق ، حتى قالوا : (حق دغه) . وهي دغة بنت منعج . روي لها حماقات كثيرة . وجعلوها مثلاً

- ١ العالبي ، ثمار القلوب (٣٠٧ وما بعدها) ، المبدائي ، الامثال (٣٧٢/١) .
- ٢ العالبي ، ثمار (٣١٠) .
- ٣ العالبي ، ثمار القلوب (٣٠٨ وما بعدها) ، ديوان زهير (١٥) ، اس فيبيه ، المعارف (٦١٣) .

سائراً بين الناس في الحمق^١ .

وضرب المثل بـ (أم خارجة) في السرعة ، فقال أسرع من نكاح أم خارجة . وهي (عمرة بنت سعد بن عبد الله بن بجيلة) . كان يأتيها الخاطب فيقول : خطب ، فتقول : نكح . ولدت أم خارجة في نيف وعشرين حياً من آباء متفرقين ، وكانت إذا تزوج منها الرجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها ، إن شاءت أفامت ، وإن شاءت ذهبت ، وكانت علامة ارتضاها للزوج ان تصنع له طعاماً كلما تصبح^٢ .

وضربوا المثل بـ (عز أم قرفة) ، فمن أمثالهم إذا أرادوا العزّ والمنعة قالوا : انه لأمنع من أم قرفة . وهي بنت (مالك بن حذيفة بن بدر) : وكان يحرس بيتها حمسون سيفاً بخمسين فارساً ، كلهم لها محرم^٣ .

كما ضربوا المثل بـ (برد العجوز) . ولهم قصص في سبب ضربه . وهم متفقون على أن المثل جاهلي ، وليس بإسلامي . ذكر بعضهم ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تجبر قومها برد يقع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، فسوء أثره على المواشي ، فقالوا : هذا برد العجوز ، يعني العجوز الذي أنفرت به . وذكر بعض آخر ؛ أن عجوزاً كانت بالجاهلية ولها ثمانية بنين فسألتهم ان يزوجوها ، وألحت عليهم ، فتآمروا بينهم ، وقالوا لها : إن كنت تزعمين أنك شابة فابري للهواء ثمان ليال ، فإننا نزوجك بعدها ، فوعدت بذلك ، وتعرضت تلك الليلة والزمان شتاء كلب ، وبرزت للهواء ، وبقيت تفعل ذلك سبع ليال ، ثم ماتت في الليلة السابعة . فضرب بها المثل : وقيل برد العجوز^٤ .

أهل الحضر :

وما ذكرته يتناول حياة الاعراب ، وحياتهم الاجتماعية هي حياة أخرى تختلف

١ الثعالبى ، ثمار القلوب (٣٠٩)

٢ الثعالبى ، ثمار (٣١١) وما بعدها) .

٣ الثعالبى ، ثمار (٣١٠) وما بعدها) .

٤ الثعالبى ، ثمار (٣١٣) وما بعدها) .

عن حياة أهل الحضارة . ففي حياة الحضرة تجمع وتكتل . وإذا تجمع الانسان وتكتل في موضع وكوّن جماعة ، ظهرت عنده خلال ، لا يمكن ظهورها عند الاعراب . تتسع وتكبر كلما بعدت الشقة بين البداوة والحضارة . لذا فان بين حياة أهل الحيرة أو يثرب أو مكة أو المستوطنات الحضرية الأخرى المنتشرة في جزيرة العرب وبين حياة أهل البادية فروقاً كبيرة ، تختلف في الدرجة والشدة ، بدرجة تكاثف السكّان في المستوطنة الحضرية ، وبدرجة قربها أو بعدها من الاعاجم ، وبدرجة اتصالها بالعالم الخارجي . فالمستوطنات التي تقع على سواحل البحر يكون لها اتصال خاص بالعالم الخارجي ، لا يمكن أن يتوفر لأهل الباطن ، ويؤدي هذا الاتصال الى التلاحم في الأفكار والى الاختلاط والامتزاج والى توسع أفق أهل الساحل بالنسبة الى من وراءهم في الباطن ، بسبب هذا الاختلاط في الموقع .

لقد تأثر أهل الحواضر من عرب العراق بأخلاق أهل النبط وغيرهم من أهل العراق ، حتى بان ذلك على لسانهم وعلى طراز معاشهم كما بان ذلك على عرب بلاد الشام لاختلاطهم بالروم وبأهل بلاد الشام . فعرفوا عنهم أكل الأعاجم وأحبوا غناء الفرس وغناء الروم . ودخل من دخل منهم في النصرانية . وقبّل ملوك الحيرة ملوك الفرس في بعض شؤون حياتهم ، وتشبه ملوك عرب الشام بملوك الروم ، حتى في أمور دينهم حيث اعتنقوا النصرانية ، وجاؤوا الى قصورهم بقيان يغنين بغناء الروم وبقيان يغنين بغناء الفرس . وزار سادات عرب العراق (المدائن) ، ووقفوا على حياتها ؛ وعاش سادات عرب الشام بدمشق وبمدين بلاد الشام الأخرى ، وجلبوا الى قصورهم وبيوتهم شيئاً مما أعجبهم ونال حبههم . فصارت حياتهم من ثم حياة تختلف عن حياة الاعراب من هذه النواحي .

وكان لأهل قرى العربية الشرقية اتصال دائم بالعراق وبسواحل الهند الغربية ، وبإيران وبالتجار الروم ، فأخذوا منهم وتأثروا بهم ، كالذي يظهر من الآثار التي عثر عليها ويعثر عليها المتقّبون في مواضع العاديات . وتأثر أهل العربية الغربية بأهل بلاد الشام والعراق لما كان لهم من اتصال تجاري دائم بهم . ولما كانوا يجلبونه من هذه البلاد من رقيق . كما كان لهم ولأهل العربية الجنوبية اتصال بأهل افريقية ، سكان السواحل المقابلة لبلاد العرب ، فأثروا فيهم وتأثروا بهم . ومن آيات هذا التأثير الملاحم الافريقية التي ظهرت في العربية الجنوبية بصورة خاصة ، لا سيما باستيلاء الأ-نباش مراراً على السواحل العربية المقابلة لافريقية ، وظهور جبل أخذ

من ملامح الجنسين ، نتيجة للاندواج الذي صار بين العرب والافريقيين .
ونجد أثر هذا الاختلاط في اللغة كما نجده في الغناء وفي آلات الطرب . اذ
يختلف غناء أهل سواحل جزيرة العرب عن غناء القبائل الساكنة في الباطن ، بعيدة
بعض البعد عن السواحل وعن التأثير بمؤثرات الأعاجم الذين يقصدون الموانئ
الساحلية للتجارة .

الزواج :

والزواج هو من أهم الافراح في حياة الانسان ، وهو ما زال وسيبقى من
أهم الافراح في حياته ، لما له من علاقة سعيدة به . ولهذا يحتفل الناس به عادة ،
بإقامة المآدب فيه وبدعوة ذوي القرابة والاصدقاء اليها لمشاركة الزوجين أفراحهما .
وقد صنف (روبرتسن سميث) زواج العرب ثلاثة أصناف : زواج يكون
في حدود القبيلة فلا يتعداه ، ولا يسمح لرجال القبيلة الا بالزواج من بنات
القبيلة نفسها ، وهو ما يسمى بـ (Endogamous) ، وزواج يفرض فيه على الرجل
أن يتزوج امرأته من قبيلة أخرى ، وهو ما يعرف بـ (Exogamous) أي
(زواج خارجي) . وزواج يجمع الطريقتين المذكورتين ، أي الزواج في داخل
القبيلة والرواج من خارجها ^١ .

ويظهر من دراسة كل ما ورد في كتب أهل الاخبار وفي كتب التفسير والحديث
عن الزواج والطلاق عند الجاهليين أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسرون على سنة
واحدة في عرف الزواج والطلاق ، ولكن كانوا يسرون على أعراف مختلفة اختلفت
 باختلاف الأماكن وباختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واتصالها بالخارج .
وقد وردت إلينا مسميات بعض تلك الأنواع ، مثل (الخلدن) و (المتعة)
و (البدل) و (الشغار) و (البعولة) وزواج ذوات الرايات وغير ذلك مما
ورد وصفه وشرحه ، ولكنه لم ينعت باسم معين .

وأنواع الزواج هذه ، ليست خاصة بالجاهليين ، وأما هي معروفة عند غيرهم
أيضاً ، ولا سيما عند الشعوب السامية ، وهي مراحل مرت بها جميع البشر ، ولا

١ Kinship and Marriage, p., 60.

يزال الكثير منها قائماً في أنحاء متعددة من العالم . وهي في الغالب مرآة صافية للظروف التي يعيش فيها الناس . وبعض هذه الأنواع رثاء معيب في عرفنا ، غير أننا يجب أن نفكر دائماً ان اولئك القوم كانت لهم مقاييس دينية وخلقية خاصة بهم ، وهي سليمة صحيحة بالقياس اليهم ، وأنهم عاشوا قبل الاسلام وفي ظروف تختلف عن ظروفنا ، وأن ما نسميه عيباً لم يكن عيباً بالقياس الى المراحل التي كانوا فيها والى عرف ذلك العهد .

ويقال للرجل العزب الذي لا زوج له (الخالي) ، قال امرؤ القيس :
أَلَمْ تُرَنِّي أَصْبِي ، عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِي^١
وللرجولة عند العرب أثر بارز ، لما في طبيعة بلادهم من الحرّ وعدم وجود أمور مسئلة لديهم تصرف ذهنهم عن التفكير فيه وتلهيهم بعض الشيء عن الغريزة الجنسية . ونجد في الأدب العربي شيئاً كثيراً مما يتعلق بهذا الموضوع . وللغلمة المفرطة صار العربي مزواجاً ، يتشبه بالنساء ويتعزل ، والنشيب من أمارات الرجولة عند الجاهليين .

ونجد في القصص المنسوب الى الجاهليين وفي شعرهم شيئاً كثيراً يتعلق بالحب :
حب الرجل للمرأة ، وليس العكس ، ذلك لأن في طبع الرجل التباهي والتفاخر بحبه للنساء . أما المرأة فإن في طبعها الخجل الذي يمنعها من اظهار حبها وتعلقها برجل ما ، ثم ان المجتمع لا يسمح لها بذلك ، وهو يردعها عن أن تبوح بحبها لرجل ما ، ويعد ذلك نوعاً من الخروج على الآداب العامة وجلب العار الى البنت والى الأسرة . ويعبر عن النسب بالنساء ، أي بذكرهن في ابتداء القصائد ، ب (التشبيب) . ويعد ابتداء القصيدة بالتشبيب من العرف الجاهلي ، ويقولون ان في ذلك ترفيقاً للشعر^٢ .

والسبب في الشعر ، التشبيب بالمرأة والتغزل بها ، وذلك في أول القصيدة ، اذا ذكرها في شعره ووصفها بالجمال والصبا ، ووصف أعضاء جسمها وغير ذلك . ثم يخرج الشاعر بعد ذلك الى المديح . ويدخل في السبب ، ووصف مراحب الأحباب ومنازلهم واشتياق المحب الى لقائهم ووصالهم وغير ذلك^٣ .

- ١ اللسان (٢٣٩/١٤) ، (خلا) ، نوح العروس (١١٨/١٠) ، (خلا)
- ٢ نوح العروس (٣٠٨/١) ، (شب) .
- ٣ نوح العروس (١٨٣/١) ، (نسب) .

والغزل في نظر بعض العلماء كالتشبيب والنسيب ، كلها بمعنى واحد . وهو وصف الأعضاء الظاهرة من المحبوب ، أو ذكر أيام الوصل والهجر أو نحو ذلك . وافرقت بعض آخر بينها ، بأن جعل التشبيب ذكر صفات المرأة وهو القسم الأول من النسيب ، فلا يطلق التشبيب على ذكر صفات الناسب ولا على غيره . والتغزل بمعنى النسيب ذكر الغزل . فالغزل غير التغزل ، والنسيب والغزل في رأي بعض آخر هو الأفعال والأقوال والأحوال الجارية بين المحب والمحبيب نفسها . وأما التشبيب فهو الاشارة بذكر المحبوب وصفاته واشهار ذلك والتصريح به . وأما النسيب فذكر حال الناسب والمنسوب به والأمور الجارية بينهما . وقال بعض : الغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ^١ . وإلى غير ذلك من آراء لا صلة لها بهذا الموضوع .

والعادة أن يتغزل الرجل بامرأة فيجعلها بطله غزله . يلف ويدور في غزله حولها ويلج ويلهج بذكرها . وقد يذكر اسمها وقد لا يذكره . وهي قد تكون امرأة حقاً ، رآها الشاعر فأعجب بها ، وقد لا تكون امرأة معينة خاصة ، وإنما امرأة تخيلها ذهن الشاعر ، فصار يتغزل بها ويلهج بذكرها ويلج في اظهار وصفها وصفاتها وما قالت له وما قال لها إلى غير ذلك . وسبب ذلك هو أدواق أهل ذلك العهد ، وعاداتهم في وجوب الابتداء بالقصيدة بهذا النوع من المقدمات ، حتى يكون شعراً رقيقاً مرموقاً ، وقد أدى تغزل بعض الشعراء بنساء رجال معروفين أو بيناتهم إلى وقوعهم في مهالك . ومن أمثلة ذلك ما زعم من تغزل (النابغة الذبياني) بالمتجردة زوج الملك (النعمان بن المنذر) ، وما كان من غضب الملك عليه وتهديده له بالقتل ، مما اضطر النابغة إلى الهرب إلى الغساسنة اعداء النعمان ، ليسلم بريثه من سيد الحيرة وما ورد في قصة الشاعر (طرفة بن العبد) .

والطابع العام في هذا الغزل البراءة والعفة ونقاء الألفاظ المؤدبة ، لا يتطرق فيه الشاعر إلى ما وراء اظهار الوجد والحب والتلهف إلى زيارة معشوقته له ، أو زيارته لها ، وذكر الأيام الجميلة وأحلام الحب الصافية الخالصة النقية ، وقلتها نجد في الشعر الجاهلي اقذاعاً وفحشاً . فالشاعر متأدب في شعره ، يعرف حدوده في الغزل فلا يتجاوزها ، لأنه يعلم حقاً انه اذا ذكر الفحش في شعره وتعرض بامرأة معينة ، فأصابها بسوء قول ، فإنها لن تسكت عنه ، واذا سكنت هي ، فلن يفلت من عقاب اسرتها وآلها له . وقد يكون ذلك العقاب القتل .

١ تاج العروس (٤٣/٨) ، (غزل) .

وقد ضرب العرب المثل ببعض الرجال في شدة النكاح وكثرته . ومن هؤلاء (حوثره) رجل من بني عبد القيس ، ضربت به العرب المثل في ذلك فقالت (أنكح من حوثره)^١ ، و (خوات بن جبير الأنصاري) ، وكان يأتي أحياء العرب يتطلب النساء ، فإذا سئل عن حاجته قال : قد شرد لي بعير فخرجت في طلبه . وأدرك الاسلام ، ورأى الرسول ، فقال له : ما فعل بعيرك الشروء ؟ فقال : أما منذ قيده الاسلام فلا^٢ . وكان يحسن العناء . وكان إذا رأى النساء لبس حلته وجلس اليهن . وذكر انه (صاحب ذات النجيين)^٣ .

ويقال : (اغتلم الرجل) إذا هاج من الشهوة ، وكذلك الجارية وفي الحديث : « خير النساء الغلِمةُ على زوجها » . والغلِمة : شهوة الضراب ، (وفسره جماعة بالشبق واشتهاء الغلمان)^٤ . و (الشبق) شدة الغلِمة وطلب النكاح ، يقال : رجل شبق ، وامرأة شبقه^٥ . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء رجال عرفوا بالشبق والغلِمة ، ومن هؤلاء (ابن الغز) . فذكر ان عبد الملك ابن مروان ذكر إياداً ، فقال : « هم أخطب الناس لمكان فس ، وأسعى الناس لمكان كعب ، وأشعر الناس لمكان أبي دؤاد ، وأنكح الناس لمكان ابن الغز »^٦ .

وفي المثل : « أنكح من ابن الغز » ، وهو من بني إياد ، واسمه سعد أو عروة أو الحارث بن أشيم . وذكروا أنه كان نكاحاً عظيم الأير ، زعموا ان عروسه زفت اليه ، فأصاب رأس أيره جنبها ، فقالت : أتهددني بالركبة^٧ .

وقد عرف من يحب محادثة النساء ومجالستهن ومخالطتهن بـ (الزير)^٨ ، ومن هنا قيل : (زير نساء) . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء نفر من المشهورين بذلك .

-
- ١ الثعالبي ، ثمار (١٤١) .
 - ٢ الثعالبي ، ثمار (١٤١) .
 - ٣ الاصابة (٤٥١/١) وما بعدها ، (٢٢٩٨) ،
 - ٤ اللسان (٤٣٩/١٢) ، (غلم) ، تاج العروس (٤/٩) ، (علم) .
 - ٥ اللسان (١٧١/١٠) ، (شبق) ، تاج العروس (٣٩٠/٦) ، (شبق)
 - ٦ الثعالبي ، ثمار (١٤٢) .
 - ٧ تاج العروس (٧٨/٤) ، (لغز) .
 - ٨ تاج العروس (٣٤٧/٣) ، (زير) .

ويقال لمن لا يأتي النساء عجزاً أو لا يريدهن (العنين) . كما يقال للمرأة التي لا تريد الرجال ولا تشتهيهم (العنينة) على بعض الآراء^١ . ويقال امرأة مساحقة . وامرأة سحاقة ، لمن تشتهي النساء . ويقال أنها لفظة مولدة^٢ .

وقد عرف (التبتل) عند بعض الجاهليين ، ممن تأثر بآراء الرهبان . ويراد به ترك النكاح والزهد فيه ، ويكون ذلك للرجال كما يكون للنساء . وتعرف المرأة المقطعة عن الرجال بـ (البتول) . وقد نهى الرسول (عثمان بن مظعون) عن التبتل . وورد في الحديث : (لا رهبانية ولا تبتل في الاسلام)^٣ . ويقال لمن لم يأت النساء ولم يتزوج (الصارور) . و (الصارورة) ، المتبتلة ، فلم تتزوج ولم تتصل برجل . ومن ذلك : (لا ضرورة في الاسلام)^٤ . و (الصارورة) عند الجاهليين أرفع الناس في مراتب العبادة ، وقد أطلقت على الراهب المتعبد ، كما جاء ذلك في شعر (ربيعة بن مقروم) الضبي ، من مخضرمي الجاهلية والاسلام :

لو أنها عَرَضَتْ لاشمط راهب عبد الإله ضرورة متبتل
لدنا لبهجتها وحسن حديثها ولهم من تآموره بتزل^٥

وقد عيب العازف عن اللهو والنساء ، والذي لا يطرب للهو ويبعد عنه . ولا يقرب النساء ، ولا يحدثهن ولا يريدن ولا يلهو . فإن مثل هذا الرجل هو كالخجر الصلد الجلود ، وفيه غفلة . ويقال له (العزاة)^٦ .

عدد الزوجات :

ومن حق الرجل في الجاهلية ان يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد ولا

- ١ ناج العروس (٢٨١/٩) ، (عن)
- ٢ ناج العروس (٣٧٨/٦) ، (سحق) .
- ٣ ناج العروس (٢٢٠/٧) ، (بتل) ، (رد النبي صلى الله عليه وسلم على عثمان ابن مظعون التبتل) ، الاصابة (٤٥٧/٢) ، (رقم ٥٤٥٥) .
- ٤ ناج العروس (٣٣١/٣) ، (صرر) .
- ٥ الحيوان (٣٤٧/١) ، (هارون) .
- ٦ اللسان (٥١٤/١٣) وما بعدها ، (عره) .

حصر . إذ لم تحدد شرائعهم للرجال عدد ما يتزوجونه من نسايتهم . فلما جاء الاسلام ، حدد العدد وجَوَزَ للرجل ان تكون له أربع زوجات في وقت واحد ، ومنعه من تجاوز العدد في حالة الجمع ، بمعنى انه لا يسمح له ان يجمع بين خمس زوجات أو أكثر من ذلك في وقت واحد بشرط العدالة بينهن ، فإن خاف الزوج ألا يعدل بينهن فواحدة .

ويذكر أهل الأخبار ان أهل الحرم أول من اتخذ الضرائر^١ ، والضرائر زوجات الرجل الواحد ، وكل منها ضرة للأخرى .

والغاية الأولى من الزواج هي النسل ، لذلك قالت العرب . من لا يلد لا ولد^٢ . وكرهت العاقر وعدتها شؤماً . واتخذ العقر من الأسباب الشرعية للطلاق ، إذ كان الرجل يأبى البقاء مع امرأة لا تلد . لذلك كان يطلقها في الغالب ، لانتفاء الفائدة منها مع اتفاقه عليها ، أو يتزوج عليها ليكون له عقب ، وعندهم ان المرأة الفيحة الولود ، خير من الحسنة العاقر ، وان (سوداء ولوداً خير من حسنة عاقر)^٣ . وليست هذه العادة من عادات العرب وحدهم ، ولكن يشاركون فيها أكثر الشعوب الأخرى ، ومنها الشعوب السامية .

ولسادات القبائل والأشراف والملوك غرض آخر من الزواج ، هو غرض كسب الألفة واجتذاب البعلاء ، والنصرة ، حتى يرجع المنافر موالياً ، وبصير العدو مؤلفاً ، فهو زواج (سياسي) . يتزوج الملك أو سيد قبيلة ابنة سيد قبيلة أخرى ، فيشد بزواجه هذا من أزر ملكه أو من قوة قبيلته . لا سيما اذا كانت البنت من قبيلة كبيرة . وقد عمل بهذا الزواج كثيراً في الجاهلية ، كما عمل به في الاسلام . فقد استفاد معاوية كثيراً من زواجه من قبيلة (كلب) ، إذ ساعدته وأيدته . وروعي هذا الزواج في المواضع التي تغلبت عليها الحياة القبلية بصورة خاصة للتغلب على طباع البداوة ، المائمة على الفرة من الخضوع لحكم حاكم غريب عنها . وبهذا الزواج تخف هذه النفرة ، فتشعر القبيلة انها من أصهار هذا الحاكم ، وعليها واجب مساعدته بحكم عصبية المصاهرة .

-
- ١ اللسان (١٢١/١٢) ، (حرم) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٩/٢) .
 - ٣ بلوغ الأرب (١٠/٢) .

وكثرة الاخوة عزة ، فمن كثرت اخوته استظهر بهم . فلا يتمكن أحد من النيل منه بسوء ، ولا من ابتزاز حق من حقوقه ، ولا من الاعتداء عليه ^١ .

وحظ الرجل العقيم خير من حظ المرأة العاقر . فهو يتزوج عدة زوجات فإن لم يلدن منه ، آمن عندئذ بعقمه . أما المرأة ، فتبقى قانعة راضية في بيت الزوجية ، إن أراد زوجها ذلك ، لأن من الصعب عليها الحصول على زوج آخر إن طلقت ، إذ كان الرجال يفضلون الأبكار على المطلقات ، وإذا طلقت المرأة العاقر ، بقيت بين أهلها من غير زواج في الغالب .

ويرغب العرب في التزوج بالأبكار ، ويفضلون الأبكار الصغار على الأبكار الكبار ، والبقارة من الشروط التي يجب توافرها في الزواج ، وإذا تبين أن البنت ليست بكرًا ، عُدَّ ذلك نكبة ^٢ وغير أهلها بها ، ولذلك يكون مصيرها القتل تخلصاً من عارها . أما الزواج بالثيب ، فلا يشترط فيه البقارة لأن المرأة كانت قد تزوجت من قبل ، ثم طلقها زوجها أو مات عنها ، فهي مما لا يتوافر فيها شروط البقارة ، وهو زواج يعزف عنه الشباب ويعبر به من يقدم عليه ، إذ يتهم بالوهن الجنسي وبالطمع في مال الزوجة ، فليس يحتمل بالشباب أن يتزوج امرأة أعطت بكارتها غيره . ومن صارت ثيباً من النساء ، صار نصيبها الثيب من الرجال في الغالب ، وإن كانت لا تزال شابة صغيرة السن .

ويكره العرب الجمال البارح ، لما يحدث عنه من شدة الإدلال ، ومن الخوف من شحنة الرغبة وبلوى المازعة وشدة الصبوة وسوء عواقب الفتنة ، لكنهم كانوا يراعون حسن الصورة وجمال الجسم وتناسق أعضائه . ولهم صفات ونعوت ذكروا أنها تمثل جمال المرأة ، تختلف باختلاف الأذواق ^٣ ، كما أن لهم رأياً في محاسن أخلاق المرأة وفي الخصال التي يجب أن تتحل بها في معاشرتها زوجها وفي العناية ببيتها وفي تربية أولادها ^٤ . من ذلك أن تكون حريصة على إرضاء زوجها وخدمة أولادها والعناية ببيتها .

١ النعالي ، ثمار (١٤٣) .

٢ تاج العروس ٥٦/٣ وما بعدها ، (بكر) .

٣ بلوغ الأرب (١٣/٢) وما بعدها .

٤ باوغ الأرب (١٤/٢) وما بعدها ، عمون الأخبار (١/٤) وما بعدها .

وللعرب نعوت رأوا أنها ان وجدت في المرأة عابيتها ، منها ان تكون بذينة اللسان ، نممة كذباً ، عابسة قطوباً ، كثيرة الانتباه والتدخل ، طويلة مهزولة ، ظاهرة العيوب ، سبابة وثوبة ان ائتمنها زوجها خاتته ، وان لان لها أهانتها ، وان أرضاها أغضبته ، وان أطاعها عصته ، الى غير ذلك من نعوت رروها عن الجاهليين في ذم المرأة المتخلقة بها^١ . وقد نعتت المرأة التي تلبس درعها مقلوباً ، وتكحل إحدى عينيها وتدع الأخرى بـ (القرث) ، وهي المرأة الجريرة القليلة الحياء البذينة الفاحشة^٢ .

ويرغ العرب في الزواج بالنساء الشقراوات البيض البشرة ، ورد ان بعض العرب قالوا لبعض الملوك : هل لكم في النساء الزهر ، والخيل الشقر ، والنوق الحمر^٣ .

والعادة ان أمر الزواج بيد الأبوين ، وليس للبنت معارضة وليها الشرعي في الزواج ، غير ان بعض بنات الأسر الشريفة لم يكن يقبلن بالزواج بأحد إلا بموافقتهن ، فإلى البنت يكون حق قبول الزوج أو رفضه^٤ . كما اشترطت بعض النسوة أنهن ان أصبحن عند زوجهن ، كان أمرهن اليهن ، ان شئن أقن معهم ، وان شئن تركتهم ، أي ان حق الطلاق بيدهن . وذلك لشرفهن وقدرهن . ومن هؤلاء (سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليلى بن خدش) ، وهي أم عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، و (فاطمة بنت الخرشب الأنمارية) ، وهي أم الكمكة من بني عباس ، وهم : الربيع الكامل ، وعماره الوهاب ، وقيس الحفاظ ، وأنس القوارس ، بنو زياد^٥ .

ومنهن (عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة) ، وهي أم هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب بن عبد مناف . و (السوا بنت

١ بلوغ الأرب (٢٢/٢ وما بعدها) .

٢ عيون الأخبار (٣/٤) .

٣ كتاب البغال من رسائل الحافظ (٣٤٢/٢) .

٤ ابن سعد ، طبقات ج ١ قسم ١ ص ٤١ ، ابن هشام ، سيرة (١٤٨/١) ، القالي ،

أمالى (١٩٨/١) .

٥ المحرر (٣٩٨) .

الأعيس) من عترة ، وكانت تحت خالد بن جعفر بن كلاب^١ . و (مارية بنت الجعيد بن صبرة بن الدليل بن شن بن أفصى) من لكيز^٢ .

وقد اشتهرت (أم خارجه) وهي - (عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد ابن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن انمار) من بجيلة - بأنها كانت قد اشترطت ان يكون طلاقها بيدها ، فكانت كما يقول أهل الأخبار تنزوج وتطلق . وقد أكثرت من الولد في العرب ، وبها ضرب المثل فقيل : « أسرع من نكاح أم خارجه »^٣ . كان يقال لها : خطب^٤ ، فتقول : نكح وخارجه ابنها ، ولا يعلم ممن هو^٥ . وولدت لـ (بكر بن عبد مناة) : الليث والدؤل ، وعربجاً ، وهي أم العبر . والمهجم ، وأسيّد . وولدت أيضاً في (بني القين) من اليمن ، قوم يقال لهم : بنو الحرة ، وولدت في بهراء^٥ . وللعداوات بين القبائل أنر بليغ في احتلاق أمثال هذا القصص ، كما لا يخفى .

وذكر أهل الأخبار أسماء نساء تزوجن ثلاثة أزواج فصاعداً . منهن (مارية بنت الجعيد) ، ذكر (ابن حبيب) أنها تزوجت من عشرة رجال . ونسوة أخر ذكر أسمائهن (محمد بن حبيب)^٦ .

تخفيف غلظة النساء :

وقد أمر بعض الجاهليين بختان النساء للحدّ من طغيان الشهوة ، فإن البظراء تجدّ من اللذة ما لا تجده المختونة ، وفي حديث : يا ابن مقطعة البظور . دعاه بذلك ، لأن أمه كانت تختن النساء . والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض اللّم ،

- ١ المحبر (٣٩٩) .
- ٢ المحبر (٣٩٨) .
- ٣ المحبر (٣٩٨) ، (وهي أم خارجه بنت قراد) ، الدينوري ، (المعارف) ، (ص ٦٠٩) .
- ٤ ناج العروس (٢٩/٢) ، (حرج) .
- ٥ الدينوري ، المعارف (٦٠٩ وما بعدها) .
- ٦ المحبر (٤٣٥) ، (أسماء من تزوج نلابة أزواج فصاعداً من النساء) .

وان لم تكن أم من يقال له هذا خاتنة^١ . وذكر ان الرسول قال لأم عطية الخاتنة : « أشميه ولا تنهكيه ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند البعل » . كأنه أراد انه ينقص من شهوتها بقلد ما يردّها الى الاعتدال ، فإن شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ، ونقص حب الأزواج ، وحب الزوج قيد دون الفجور^٢ .

وذكر ان العرب اتخذت بعض الطرق لتضييق فرج المرأة ، من ذلك استعمال عجم الزبيب . وذكروا ان نساء ثقيف فعلن ذلك ، ويظهر ان أعداء ثقيف في أيام الحجاج قد أشاعوا قصصاً من هذا النوع نكاية به . وينال لذلك التفریب^٣ والتفريم^٤ .

حق التقديم في الزواج :

ويقدم ابن العم على غيره في الزواج ، فإذا جاء رجل يريد خطبة ابنة رجل ، سئل ابن عمها ان كان لها ابن عم عن رأيه في ابنة عمه ، فإن أظهر رغبته في الاقتران بها قدم على غيره ، وزوجت منه ، وان أظهر انه غير راغب فيها زوجت من غيره . ذلك لأن ابن العم مقدم على كل أحد في الزواج من ابنة العم ، وقد يأبى ابن العم من تزويج ابنة عمه من غيره ويصر على ان تكون له ، ولكنه يأبى ان يحدد موعداً للزواج منها ، ويتركها أمداً طويلاً تنتظر حتى يرى رأيه ، وقد تأبى ابنة العم الزواج من ابن عمها ، ويأبى ابن عمها إلا الزواج منها ، فتشأ من ذلك منازعات وخصومات قد تصل الى اراقة الدم .

- ١ تاج العروس (٥٢/٣) ، (بطر) ، وهو حدث مافض لما عرف عن الرسول من علم النطق بمثل هذا الهجر . وفي تاج العروس احاديث ضعيفة او موضوعة ذكرها من غير روية ولا ثبوت .
- ٢ النعالي ، ثمار (٣٠٣/١) .
- ٣ (فرج المرأة تقریباً) ، (ضفت فلهما ، أى فرجها بالادوبة . وهي عجم الزبيب وما اشبه ذلك) ، تاج العروس (٤١٧/١) ، (فرج) .
- ٤ الفرام . ككتاب ٠٠٠ دواء بضيق به المرأة قبلها . فهي فرماء ومستفرمة . وقد استفرمت ، اذا احنشت بحب الزبيب وبحبه) ، تاج العروس (١١/٩) ، (فرم) .

ومع وجود عرف ان القريب أولى بالبيت من البعيد ، فإن العرب تراعي في الغالب إنكاح البعداء والأجانب . يرون ان ذلك أنجب للولد وأبهى للمخلقة ، وأحفظ لقوة النسل ؛ لأن إنكاح الأهل والأقارب يضر بالمولود ويسمه بالضعف والهزال ، ويزعمون ان تقارب الأنساب مدح في الإبل ، لأنه انما يكون في الكرائم يحمل بعضها على بعض حفظاً لنوعها ، ودم للناس لأنه فيهم سبب الضعف . وبهذا المعنى ورد الحديث : « اغتربوا ولا تضووا » أي ان تزوج القرائب يوقع الضوى في الولد ، والضوى : الضعف والهزال ^١ . وقد أوصى (حصن بن حذيفة بن بلر) قومه ان (ينكحوا الكفاء اللرب ، فإنه عز حادث ^٢ » . وقال (عمر) مخاطباً آل السائب : « يا بني السائب ، انكم قد أضويتم ، فانكحوا في الترائع » . أي تزوجوا في البعاد الأنساب ، لا في الأقارب ، لئلا تضوى أولادكم . والترائع جمع نزيعة ، وهي المرأة التي تزوج في غير عشيرتها . وأضوى : ولد له ولد ضاو أي ضعيف ^٣ .

وروي ان رجلاً قال : بنات العم أصبر والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن أعجمية ^٤ . وقد أدرکوا أثر العرق في الولد . قال رجل : لا أتزوج امرأة حتى أنظر الى ولدي منها ، قيل له : كيف ذلك ؟ قال : أنظر الى أبيها وأمها ، فإنها تجر بأحدهما ^٥ . وقال بعض الشعراء :

إذا كنت تبغي أيماً بجهالة من الناس فانظر من أبوها وخالها
فإنهما منها كما هي منها كقصدك نعلان ان أريد مثالها
فإن الذي ترجو من المال عندها سيأتي عليه شؤمها وخيالها ^٦

ويراعى التكافى في الزواج ، فالأشراف لا يتزوجون إلا من طبقة مكافئة لهم ، والسواد لا يتجاسرون على خطبة ابنة سيد قبيلة أو ابنة أحد الوجهاء ، ويعبر السيد الشريف ان تزوج بنتاً من سواد الناس ، ولا سيما اذا كانت ابنة

- ١ بلوغ الأرب (١٠/٢) .
- ٢ امالي المريضي (٥٣١/١) .
- ٣ الدينوري ، عيون (٣/٤) .
- ٤ عيون الأخبار (٣/٤) .
- ٥ عيون الأخبار (٣/٤) .
- ٦ عيون الأخبار (ص ٦) .

صائع أو نجار أو ابنة رجل يشتغل بحرفة من الحرف اليدوية لأنها من حرف العبيد . وقد عيّر (النعمان بن المنذر) بأمه ، لأنها كانت ابنة يهودي صائع ، على ما يزعمه أهل الأخبار . ولم يكن من المستساغ عرفاً تزويج ابنة رجل حرّ من عبد مملوك أو مفكوك الرقبة ، ولم يكن من الممكن تزويج البنت الأصلية الحرة من ابن عبد أو من حفيد عبد ، أو من حفيد حفيد عبد ، وهكذا لأن سمة العبودية والضّعة تلازم الأسر ، وإن تحررت وحسن حالها وصارت غنية ، وما زال هذا العرف قائماً في جزيرة العرب .

ويقدم العرب البيت على الجمال . فليت أثر في أخلاق المرأة وفي نجابة الأولاد ، وهو أثر دائم . والجمال صورة زائلة . فكانوا يهتمون بالبيت الطيب المجدب ، ليكون النسل نجيباً صحيح البنية والعقل^١ . لقد علمتهم الطبيعة ، وتبين من تجارب الحياة ان لبيت البنت أثراً كبيراً في مستقبل الأسرة وفي نجابة الأولاد وصحة أجسامهم وسلامتهم من المرض . لذلك فضلوها أصالة البيت على جمال المرأة . لا للأصالة من أثر في الوراثة التي تنتقل من الأبوين الى الأولاد . ونجد هذا المسلك عند غير العرب من الساميين أيضاً ، ورد في التلمود : « لا تحمل بجمال المرأة . وانظر الى أسرتها »^٢ . وروي ان رجلاً شاور حكيماً في الزواج ، فقال له : لمفعل ، وإياك والجمال الفائق ، فإنه مرعى أنيق . فقال : ما نهيتني إلا عما أطلب ، فقال : أما سمعت قول القائل :

ولن تصادفَ مرعىً مُمرِّعاً أبداً إلا وجدتَ به آثارَ منتجع^٣

وورد في الحديث : (إياكم وخضراء الدمن ، قيل : يا رسول الله ، وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء »^٤ . فللمنبت شأن كبير في الزواج وفي أخلاق الولد ، فلا قيمة للمرأة الحسناء اذا كانت من بيت سوء .

- ١ اذا تزوجت فكن حاذفا ٠٠٠ اسأل عن الغصن وعن منبته
وأول خبث الماء خبث درابه وأول خبث القوم خبث الماكح
(لا تسرّضوا الحفء ولا العمشاء ، فان اللبن بعدي) ، المستطرف (٢١٨/٢) .
- ٢ Taan, IV, 8, Everyman's Talmud, p. 175.
- ٣ عيون الأخبار (٩/٤) .
- ٤ ثمار القلوب (٣٠٢/١) وما بعدها .

المنالك الكريمة :

وقد روي عن (أكرم بن صيفي) قوله : « المنالك الكريمة مدارج الشرف »^١ . ولهذا حرصوا على تطبيق قاعدة التكافؤ في الزواج ، واختيار كرائم البنات لكرائم الرجال . وروي ان جملة ما أوصى به (الحارث بن كعب) سيد مدحج قومه ان « تزوجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيهن الماء ، وتجنبوا الحمقاء . فان ولدها الى أفن ما يكون ، إلا انه لا راحة لقاطع القرابة »^٢ . وقد عرفت هذه القاعدة بـ (الكفاءة في النكاح) . وهي ان يكون الزوج مساوياً للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك^٣ .

والمرأة في نظر العرب وعاء للولد . هذه نظرهم اليها في الجاهلية وفي الاسلام . قال (عروة بن الزبير) : « لعن الله فلانة ، ألفت بني فلان بيضاً طوالاً ، فقلبتهم سوداً قِصاراً » . وفي هذا المعنى جاء في الشعر :

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المنالك^٤

وللأم أثر خطير في الولد . وقد ذكر (الجاحظ) ان العرب تقول : « عرق الخال لا ينم » . وان كثيراً من العلماء يزعمون ان عرق الخال أنزع من عرق العم . ومن دلائل ذلك تباهي الناس بأخوالهم ، واعتبار الخال بمنزلة الوالد . وقول العرب : « لثم الخال » ، واحتماء الأولاد بأخوالهم ولجوؤهم اليهم أكثر من لجوئهم الى أعمامهم^٥ . ودعوتهم لهم عند العصية . وقول العرب « العرق دساس » و « عرق الخال » .

ولكننا لا نستطيع القطع برأي العرب في موضوع (دس العرق) . وفي ان أياً هو أكثر أثراً ووضوحاً في الولد : عرق الخال ، أم عرق العم ؟ فهناك أمثلة في التأريخ الجاهلي تظهر ان من الجاهليين من كان يقدم العم على الخال ،

- ١ ثمار العلوب (٦٩١) .
- ٢ أمالي المرتضى (٢٣٣/١) .
- ٣ ناج العروس (١٠٨/١) ، (كفا) .
- ٤ عيون الأخبار (٢/٤) وما بعدها .
- ٥ الثعالب ، ثمار (٣٤٣) وما بعدها .

ويرى ان العم مقام الوالد . ولما كان الوالد هو الأصل في النسب عند الجاهليين ، وهو الولي وصاحب الحق الشرعي الأول في ولده ، يكون هذا الحق في إخوته بعد وفاته . كما أننا نجد ان بعض الأولاد كانوا يتزعون الى أعمامهم أكثر من نزوعهم الى أخوالهم . وموضوع نزع العرق عند العرب ، اعتباري اصطلاحى بالطبع ، يمثل وجهة نظرهم في النسب ، ولا يقوم على أسس (بيولوجية) أي من ناحية أثر الدم وانتقال الخصائص الدموية من الوالد ، او من الأم الى الولد . وهو موضوع علمي ، يختلف عن هذه النظرة الاعتبارية ، من حيث انه يقوم على الدراسات العلمية ، ولا يأخذ بالاعتبارات والآراء الميينة على اعتبارات أهل النسب في خصائص الولد .

والظاهر ان الوثام لم يكن واقعاً دائماً بين أبناء العم ، إذ نجد ان الخصومات طالما كانت تحدث بينهم . ولعل ذلك بسبب ما ألقاه المجتمع على عاتق العم من تبعات أولاد إخوته حين وفاة الأخ ، فانه يكون بحسب العرف القبلي الوصي الشرعي على أولاد المتوفى ، وله حق في إرثه بحسب قانون (العصبية) عند وفاة الأخ عن بنات ومن غير أبناء ، أو لطمع الأعمام في أموال اليتامى ، الى غير ذلك من أمور سببت حدوث خصومات أحياناً بين الأعمام وبين أبناء الاخوة ، أو بين أبناء الأعمام . ولعل هذه الخصومات هي التي جعلت (الجاحظ) يتصور ان أبناء العم محسودون ^١ .

ونجد العرب يقولون : « عرق فيه أعمامه وأخواله » ^٢ ، فقدموا الأعمام على الأخوال ، واعترفوا بأثر عرق الاثنين في الولد ، من كرم أو لؤم ، إذ يكون دس العرق في اللؤم والكرم ^٣ .

ولاحظ العرب ان الأبوين قد يلدان ولداً يكون لونه مغايراً للونهما ، فيحدث نزاعاً بين الرجل وزوجته في هذه الولادة الغريبة ، وتتهم المرأة أحياناً باتصالها برجل غريب جاء منه هذا المولود ، إلا ان منهم من أدرك (دس العرق) في هذه الولادة ، واحتمال انتقال هذا اللون من آباء أحد الوالدين . وقد اختصم رجل

١ كتاب فصل ما بين العداوة والحسد ، من رسائل الجاحظ (١ / ٣٤٤) .

٢ ناج العروس (١٠ / ٧) ، (عرق) .

٣ المصدر نفسه .

مع زوجته في مولود ولد له ، فجاء الى رسول الله وقال له : ان امرأتي قد ولدت غلاماً أسود ، فقال له الرسول : « لعل عرقاً نزعته »^١ . فاعتقاد العرب ان الولد قد يتزعه عرق من الأب . وفي هذا المعنى أيضاً قول (ابن الزبير) : « لا يمنعكم من تزوج امرأة قصرها ، فإن الطويلة تلد القصير ، والقصيرة تلد الطويل ، وإياكم والمذكرة فإنها لا تنجب »^٢ . والمذكرة المشبهة بالذكر .

وقد حرص العرب لما تقدم على التزوج في الأسر الصحيحة السالمة من الأمراض والعيوب ، ليكون النسل صحيحاً نجيباً . قال أعرابي لصاحب له : (اذا تزوجت امرأة من العرب فانظر الى أخوالها ، وأعمامها ، وأخوتها ، فإنها لا تخطيء الشبه بواحد منهم)^٣ .

لبن الأم :

ولبن الأم شأن كبير عند العرب ، لما يتركه من أثر في طبيعة الولد ، ولذلك كانوا يرون ان تكون الأم مرضعة الولد ، إلا اذا تعذر ذلك لسبب ، فقرضه مرضعة قريبة من أهل المولود او من المرضعات السليمات من المرض ، ومن ذوات العرق الطيب . لأن اللبن دساس يؤثر في شاربته .

واهتم العرب باختيار المرضعات . لما يكون للبن الرضاع من أثر في الرضيع ، ولما يكون للرضعة ولييتها من أثر فيه ، كما اهتموا باختيار من يتأبط المولود ويحمله ، لتسليته وتلهيته ، لما يتركه ذلك من أثر في تربيته وخلقه . وفي حديث عمرو بن العاص : « ما تأبطني الإمام ولا حملني البغايا في غبرات المآلي » أراد انه لم تتول الإمام تربيته . وغبرات المآلي : بقايا خرق الحليص^٤ .

واذا أراد مدح انسان والثناء عليه ، ذكروا مرضعته وصفاء لبنه الذي رضعه ، فقالوا : « نعمت المرضعة » ، و « نعمت المرضعة مرضعته » . واذا أرادوا

١ الدمي ، حياة الحيوان (٤ / ١) .

٢ عيون الأخبار (٣ / ٤) .

٣ الحيوان (١٦٥ / ٣) ، (هارون) .

٤ ناج العروس (٤٣٦ / ٣) ، (غبر) .

ذمّ انسان قالوا : « بثت المرضعة مرضعته » ، كناية عن انها هي التي أرضعته ، فخرج رضيعها على شاكلتها . وفي الحديث حين ذكر الامارة ، فقال : « نعمت المرضعة وبثت الفاطمة » ، ضرب المرضعة مثلاً للامارة وما يوصله الى صاحبها من الأحلاب ، يعني المنافع ، والفاطمة مثلاً للموت الذي يهدم عليه لذاته ويقطع منافعها ^١ .

وتعدّ الرضاعة بمنزلة الأخوة بين المراضعين ، ويفتخر ويتعزز الواحد منهم بالآخر ، خاصة اذا كان من السادات والأشراف . والعرب تقول : « هذا رضيعك » أي أخوك من الرضاع ^٢ ، وتقول : « استرضع في بني فلان » ^٣ . ويصير كأنه واحد من القوم الذين استرضع فيهم . وتكون المراضع بمنزلة الأم للرضيع .

ويبدأ الزواج برغبة يديها الرجل لوالديه ، او برغبة من والديه ، أو من أحدهما تقدم الى الولد تطلب اليه ان يتزوج ، فإن حصلت الموافقة اختيرت له زوجة ، وقد يكون الرجل قد اختار خطيبته وعينها ، فاذا وافق أهله خطبوها الى وليّ أمرها ، واذا أبوا فعليه ان يختار أخرى زوجاً له ، واذا أبى أهل البنت عليه ذلك تركها ، وقد يصير على الزواج بها ، ويصر أهله أو أهلها على رفضهم ذلك ، وقد يزداد الرجل أو البنت إصراراً على الاقتران معاً حتى يتحول ذلك الى هرب من مكانها الى مكان آخر . وقد تقع بغضاء بين أهلي الرجل والبنت من وقوع هذا الزواج .

الخطبة :

واذا استقر الرأي على البنت ، يذهب ولي أمر الرجل او أقرب الناس اليه الى ولي أمر البنت ، كالأب أو الأخ أو العم أو بني عمها أو غيرهم ممن هم أقرب الناس اليها ، يخطب البنت بعد ان يكونوا قد مهدوا لذلك وحددوا الصداق .

-
- ١ باج العروس (٣٥٦/٥) ، (رضع) .
 - ٢ باج العروس (٣٥٦/٥) ، (رضع) .
 - ٣ المصدر نفسه (ص ٣٥٧) .

وكان الخاطب اذا دخل بيت أهل البنت حيّاهم ومن كان حاضراً بتحية أهل الجاهلية ، مثل : انعموا صباحاً ، او عموا صباحاً ، او أمثال ذلك ، فاذا استقر به المقام ، تكلم فيما جاء فيه ، كأن يقول : نحن اكفأؤكم ونظراؤكم ، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة واصبتمونا وكنا لصهركم حامدين ، وان رددتمونا لعله نعرفها رجعتا عاذرين . ثم يجيب ولي أمر البنت جواباً مناسباً يضمنه الرضى والقبول ، وبذلك تكون البنت قد خطبت لذلك الرجل ^١ .

ووصف بعض أهل الأخبار طريقة من طرق الخطبة عند بعض الجاهليين ، فقال : كان الرجل في الجاهلية يأتي الحي خاطباً ، فيقوم في ناديه ، فيقول : خطب ، أي جئت خاطباً . فيقال له : بعد الموافقة نكح ، أي قد انكحناك إياها ، ومن ذلك ما قدمت من خبر أم خارجة ان صح . وذكر ان (نكحاً) هي كلمة كانت العرب تتزوج بها ^٢ .

ويرتدي أهل الخاطب وأهل المخطوبة خير ما عندهم من ملابسهم ويزينون أنفسهم عند مجيء أهل الرجل الى بيت البنت لخطبتها . واذا تمت الخطبة ضمخ والد الخطيبة بالعبير وخلّق بالطيب ونُحر بعير او أكثر على حسب منزلة أهل البنت . والعادة عند العرب ان ينحروا بعيراً او شاة في المناسبات المفرحة المبهجة ، فلا بد لمثل هذه المناسبات من (ذبيحة) وإسالة دم . ولما خطب النبي (خديجة) واجابته ، استأذنت أباها في ان تزوجه وهو ثمل ، فأذن لها في ذلك ، وقال : هو الفحل لا يقرع أنفه . فنحرت بعيراً ، وخلّقت أباها بالعبير ، وكسته برداً أحمر ^٣ .

وكان الجاهليون يقولون للإبل تساق في الصداق : التوافج . وكانوا يقولون عند تقديمها : تهشك النافجة . على ان بعضهم من كان يكره ذلك . وقد بطل هذا القول في الاسلام ^٤ .

١ بلوغ الأرب (٣/٢) .

٢ ناج العروس (٢٣٧/١) ، (حطب) ، (٢٤٣/٢) ، (نكح) ، المحبر (٣٩٨) .

٣ ناج العروس (١١٨/٣) ، (حبر) .

٤ قال الشاعر :

وليس ملاذي من وراثة والدي ولا شان مالي مستفاد التوافج
الصاحبى (ص ٩٢)

وتلبس العروس ثوباً يجعل له ذيل تسجبه حين تمشي . لأنه يكون طويلاً ،
وقد أشير إليه في شعر لامرئ القيس . إذ قال :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر
كما أشير إليه في شعر لخداش بن زهير . إذ قال :

لها ذنب مثل ذيل الهديّ الى جؤجؤٍ أيسر الزافر^١
والهديّ : العروس التي تهدي الى زوجها .

واستعملت المرأة الغنية المسك والطيب في تطيب جسمها وثيابها . حتى كان
المسك يفوح من أردانها . قال قيس بن الخطيم :

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها^٢

و (الصّدّاق) هو مهر المرأة ، أي ما يدفعه الرجل الى أهل البنت عند
عقد الزواج ، ويقال له الصّدّقة والصّدّقة والصّدّقة والصّدّاق . وترادف هذه
الكلمة كلمة أخرى هي « مهر » ، وهي من المصطلحات الجاهلية كذلك^٣ .

وطريقة العرب من جاهليين وإسلاميين في دفع الرجل (المهر) للزوجة ،
تناقض المألوف عند اليونان والرومان ، حيث جرت عادتهم ان تقدم المرأة صداقها
الى زوجها نقوداً أو عيناً . وهي الطريقة المألوفة عند الغربيين حتى الآن . وكان
الرومان يستغربون طريقة الجاهليين هذه في دفع المهر^٤ .

ويروي (روبرتسن سميت) ان ترادف معنى (الصّدّاق) و (المهر) انما
حدث في الاسلام . أما في الجاهلية ، فقد كان هناك فرق بين مدلول الكلمتين .
فان المراد من كلمة الصّدّاق عند الجاهليين هو ما يقدم الى العروس . أما المهر ،
فهو ما يقدم الى الوالدين^٥ .

١ أمالي المربص (٩٤/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٧٧/١٣) ، (رذن) .

٣ اللسان (٦٥/١٢) ، النهايه (١٢٢/٤) ، جامع الاصول (٥٧٩/٧) ، عمدة

العارى (١٣٦/٢٠) ، ناح العروس (٥٥٠/٣) ، (مهر) .

٤ Ency Religl , 8, p 447.

٥ Kinship, p. 78, Ency., III, p 137.

والرجل إما ان يكون من ذوي قرابة البنت وإما ان يكون من الأباعد ، أي غريباً عنها . فان كان من ذوي قرابتها ، قال لها ولي أمرها اذا حلت اليه : أيسرت وأذكرت ولا اشت ، جعل الله منك عدداً وعزاً وخلداً . أحسنى خلقتك ، وأكرمي زوجك ، وليكن طيبك الماء ... ومثل ذلك من كلام . واذا زوّجت في غربة قال لها : لا أيسرت ، ولا ذكرت ، فانك تدنين البعداء ، أو تلدين الأعداء . أحسنى خلقتك ، وتنجبي الى أحائك ، فان لهم عيناً ناظرة اليك ، وأذنأ سامعة اليك ، وليكن طيبك الماء ^١ .

واذا كان العرس أولموا وليمة ، ودعوا اليها ذوي قرابة الزوجين وأصدقاءهم . وتتناسب الولائم مع مكانة العريس وأهلها ، للهو ، فإن كان غنياً كانت وليمته ضخمة ، وربما دعوا اليها أهل الطرب ، وقدّموا فيها المأكولات الشهية والخمور . ويقال للوليمة التي تقام « الملاك » ويقال « الإملاك » ، ويقال للطعام الذي يقدم في « الإملاك » « الشندخ » لأنه يقدم الدخول . واما ما يصنع للدخول بالمرأة ، فيقال له : « وليمة » و « وليمة العرس » ^٢ . وكانوا يعدون ولائم العرس من الأمور اللازمة ، ويفعل ذلك حتى الفقير الضعيف الحال . وقد حث الاسلام عليها ، فورد في الحديث ان الرسول قال لعبد الرحمن بن عوف : « أولم ولو بشاة » ^٣ .

وتزف العروس الى زوجها ، ومعها أصدقاؤها وأهلها : وقد يقترن ذلك بضرب الدفوف والغناء . وقد كان الأتصار يعجبهم اللهو ، ولهذا كانوا يهتبلون هذه المناسبات للهو فيها . ومما كان يقال في زف العروس :

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحيّاكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمحت عذارىكم ^٤

ويقال لليلة التي تزف فيها العروس الى زوجها ليلة الزفاف . ويعرف موكب

١ بلوغ الأرب (٣/٢) .

٢ بلوغ الأرب (٢٨٦/١) .

٣ البخلاء (٢٤٦) ، المنخصص (١٢٠/٤) .

٤ ارشاد الساري (٦٧/٨) .

الزفاف وب (الزفة) ويزف (العروس) الى بيته أيضاً ، فقد كان من عادة ذوي القرابة والأصدقاء إقامة وليمة له ، اذا انتهت رافق المدعوون العريس الى بيته في موكب يغنى فيه ويضرب بالدفوف . وقد يبقى المدعوون الى الصباح ، حيث يحبون ليلتهم ، وهي ليلة العرس ، بالشرب والغناء واللعب .

وتخلق العروس بالعبير بأنواع الطيب بحسب سعة حالها وأحوال أهلها المعاشية . وذكر ان (العبير) الزعفران وحده عند أهل الجاهلية . وذكر انه أخلاط من الطيب يجمع بالزعفران ، ، وورد ان العبير غير الزعفران . وقد اشتهر رداء العروس بطيب رائحته ، لما فيه من العبير . قال الأعشى :

وتَبَرَّدُ بِرَدِّ رداءِ العرو سِ في الصيف رَقَرَقَتْ فيه العبير^١

وتزف العروس الى زوجها ليلاً : تزف على قدر حال العروسين ، وقد تزف في النهار ، ويرافق العروس (موكب) موكب من نساء ورجال على الإبل المزينة يسير والنيران بين يدي العروس . وقد توضع الأنماط على هودج العروس وفي بيتها . وقد منع استعمال النيران في الاسلام ؛ لما في ذلك من التشبه بالمشركين ، كما نهي عن استعمال أنماط الحرير^٢ .

وقد تزف العروس في محفة يقال لها (المزفة) ، ومعها أصحاب (الزفة) . وذكر ان (الزفة) ، الزمرة . « ومنه الحديث : انه صلى الله عليه وسلم ، قال لبلال حين صنع طعاماً في تزويج فاطمة ، رضي الله عنها : « أدخل الناس عليّ زفةً زفةً » أي : فوجاً بعد فوج ؛ وطائفةً بعد طائفة^٣ .

وفي المثل : « لا عطر بعد عروس » أول من قال ذلك امرأة اسمها : أسماء بنت عبد الله العُدَريّة ، واسم زوجها - وكان من بني عَمَها - (عروس) . ثم مات عنها ، فتروجها رجل من قومها أعسر أنجر نخيل دَمِيم ، يقال له (نوفل) . فلما أراد ان يظعن بها ، قالت : لو أذنت لي ، رثيت ابن عمّي ، وبكيت عند رَمَسِه ؟ فقال : إفعلي . فقالت : أبكيك يا عرس الأعراس ،

١ ناج العروس (٣/٣٧٧) ، (عبر) ، اللسان (٤/٥٣١) ، (عر) .

٢ عمدة الغاري (٢٠/١٤٨ ، ١٥٨) .

٣ ناج العروس (٦/١٢٨ وما بعدها) ، (رف) .

يا ثعلباً في أهله ، وأسدأً عند الباس ، مع أشياء ليس يعلمها الناس ١ فقال : وما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان من الهمة غير نَعَّاس ، ويعمل السيف صبيحات الباس . ثم قالت : يا عروس الأغر الأزهر ، الطيب الخيم ، الكريم المحضر ، مع أشياء لا تذكر ! فقال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيوفاً للخنا والمكر ، طيب النهكة غير أبخر ، أيسر غير أعسر . فعرف الرجل أنها تعرض به . فلما رحل بها ، قال : ضمتي عطرك . وقد نظر الى قشوة عطرها مطروحة . فقالت : « لا عطر بعد عروس » فذهبت مثلاً . أو « لا نجياً لعطر بعد عروس » ١ .

وتحمل العروس معها أدوات زينتها وموادها الأخرى تضعها في قشوة : قفة من خوص يجعل فيها مواضعها للقوارير بجواجز بينها لعطر المرأة وقطنها ، قال الشاعر :

لها قشوة فيها ملابٌ وزنبقٌ إذا عذبٌ أسرى إليها تطيباً ٢

ويقال للبنت العذراء التي لم تفتض (البكر) ٣ . ويقال ذلك للرجل الذي لم يقرب امرأة بعد ٤ . وزوجها الأول هو الذي يفتض بكارتها . وإذا كانت لسلامة بكاره البنت مكانة عند العرب ، كانوا يعرضون دم البكاره على الأقارب ، ليكون شهادة على سلامة بكارتها . ويكنى عن البكاره والبنت البكر بـ (بنت سعد) ٥ .

والرواج حادث مهم في حياة الانسان ، ولذلك يعلن عنه بفرح وسرور ، ويقال لذلك (بشاشة العرس) ٦ . يعلن عنه بدعوة (وليمة) تولى لذوي القربى والأحباء والجيران والأصدقاء ، تقترن بالغناء وبالضرب على الدفوف أحياناً ، وبارتداء ملابس نظيفة مناسبة ، أو ملابس مصبوغة بصفرة ، والصفرة عند أهل

-
- ١ ناج العروس (١٨٨/٤) ، (عرس) .
 - ٢ ناج العروس (٢٩٤/١٠) ، (فشا) .
 - ٣ بالكسر .
 - ٤ ناج العروس (٥٧/٣) ، (بكر) .
 - ٥ ناج العروس (٣٧٩/٢) ، (سعد) .
 - ٦ عمدة الغارء (١٣٨/٢٠) وما بعدها .

الحجـاز في ذلك العهد علامة العرس والفرح والسرور ، كما كانوا يصبغون أيديهم ولحاهم بالزعفران ، ويكحلون عيونهم ، والكحل عندهم من الزينة أيضاً^١ . ويقال للطعام يصنع لعرس : (الوليمة) . وقد ذهب بعض علماء اللغة الى ان اسم الوليمة تختص بطعام العرس . وقد حث الاسلام عليها . ورد في الحديث قوله لعبد الرحمن بن عوف : أولم ولو بشاة^٢ .

ويقابل الزوج على تفضله بالدعوة الى الوليمة بكلمات فيها خير وشكر وتمنيات للحياة الزوجية الجديدة ، ويقال له عند الانتهاء والانصراف : على الطائر الميمون ، وبالرفاه والبنين . وقد كره في الاسلام القول : بالرفاه والبنين لأنه من أقوال الجاهلية ، ولما فيه من الإشارة الى بغض البنات ، لتخصيص البنين بالذكر^٣ ، وإحياء سنن الجاهلية^٤ .

المال والبنون :

واذا ولد مولود ذكر ، سُرَّ أهله بميلاده . والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة كانوا يفرحون بميلاد ولد ذكر ، ويغتيمون اذا ولدت لهم أنثى ، ويقيمون وليمة لميلاده ، وكثرة البنين من المفاخر التي يفتخر بها أهل الجاهلية . ان كثرتهم نعمة وعزة . والبنون والمال زينة الحياة الدنيا . بالبنين يدافع الرجل عن نفسه وعن بيته ، وبهم ينال المال والحق والأخذ بالتأثر ، فهم الحماية ورأس المال . وتقرأ في أخبار أهل الأخبار افتخار الآباء والأمهات بكثرة ما أنجبوا من أولاد ، ولا سيما اذا كان الأولاد حازوا شهرة بالجد أو بالشجاعة أو بأمثال ذلك ، أو سادوا قومهم ورأسوهم . ورد في القرآن : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)^٥ . صحيح ان اعالتهم مسألة صعبة عسيرة ، ولا سيما إعالة الفقراء أولادهم ، غير ان الحياة الاجتماعية في ذلك العهد لم تكن على مستوى عال من المعيشة تطلب مالا

١ عمدة القاري (١٤٣/٢٠) وما بعدها ، (٢٢/٢٢) .

٢ تاج العروس (٩٦/٩) . (أولم) .

٣ عمدة القاري (١٤٥/٢٠) وما بعدها .

٤ اللسان (٨١/١) ، (رفا) ، تاج العروس (٧١/١) ، (رفا) .

٥ الكهف ، الآية ٤٦ .

يضمن الوالد به عيش أولاده ، انما كانت المعيشة سهلة لا تتطلب حاجات كثيرة ، ولم تكن بالناس حاجة شديدة الى النقود ، فما يقوم به المرء من مجهود بدني هو أصيلة^١ كل انسان ، وبه يعيش ، وبه يحصل على ما يحتاج اليه من وسائل معيشة محدودة . فاذا كثر الأولاد ، ازدادت وسائل المعيشة ، وعاش الوالد عيشة ناعمة طيبة ، وحصل بفضلهم على قوة ومنعة .

وقد ذكر أهل الأخبار عدداً من الرجال عرفوا ببنين حصلوا على شهرة وذكر ، فكانوا يفتخرون بهم بين الناس . من هؤلاء (سعد العشيرة) ، قيل له (سعد العشيرة) لأنه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور ، فكأنه منهم في عشيرة ، فصار مثلاً للرجل يستكثر بأبنائه وعشيرته ويتعزز بهم^٢ . و (الحارث بن سدوس) . وكان له واحد وعشرون ولداً ذكراً^٣ .

ويكون الذكور فخراً للأمهات وقوة لهن ، ويقال للمرأة التي تلد الأولاد الكرماء الأشراف منجبة ومنجاب . (ولم تكن العرب تعد منجبة من لها أقل من ثلاثة بنين أشراف)^٤ . وتعرف بـ (أم البنين) كذلك . ومنهن (أم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ، و (عمرو بن عامر) هو (فارس) . ولدت (أبا براء) ملاعب الأستة ، و (طفيلاً) فارس قرزل و (ربيعة) ربيع المقترين ، و (معاوية) معوذ الحكماء ، (سلمى) نزال المضيق ، بني مالك بن جعفر بن كلاب^٥ .

وقد أشار القرآن الكريم الى نفرة العرب من البنات ، وما كان يصاب به الرجل من ضيق صدر ومن همّ اذا بلغ ان مولوده أنثى ، قال تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)^٦ . ويزداد كربسه اذا زاد عدد بناته ، وقد يعملون الى (الوأد) ، أي دفنهن أحياء للتخلص منهن .

١ الأصيلة : رأس المال

٢ ثمار القلوب (١٠٤)

٣ ثمار القلوب (١٤٢)

٤ المحبر (ص ٤٥٥) ، ناج العروس (١ / ٤٧٧) ، (نجب)

٥ المحبر (٤٥٨) ، ناج العروس (٣ / ٤٦٣) ، (عمر)

٦ النحل ، الآية ٥٨

قيل : « إنهم كانوا يقتلونهم خوف العار »^١ . وإلى ذلك أشار القرآن الكريم : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق . نحن نرزقهم وإياكم)^٢ ، (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقهم وإياكم)^٣ .

وقد افتخرت (بنو عبس) بـ (زهير بن جذيمة بن رواحة) العبسي ، لأنه كان أبا عشرة ، وعم عشرة ، وأخا عشرة ، وخال عشرة ، ورأس غطفان كلها في الجاهلية ولم يجمع على أحد قبله^٤ . فكثرة البنين من موجبات الفخر والاعتزاز والتباهي عند الجاهليين .

العقيقة :

وإذا كانت نهاية الإنسان عند الجاهليين مفترنة بالدم ، فإن مبدأ حياته مقترن عندهم بالدم كذلك . لقد كان من عاداتهم ذبح شاة عند ميلاد مولود وتعليق شيء من دمها برأس المولود ، ويقال لهذه الذبيحة « العقيقة » ، وهي كلمة جاهلية وردت في الشعر الجاهلي^٥ . وتذبح عادة في اليوم السابع من ميلاد المولود^٦ . وقد أقر الإسلام ذلك ، فوردت الكلمة في الحديث . ويذكر علماء اللغة ان معنى العقيقة هو شعر كل مولود يخرج على رأسه في بطن أمه ، وانه قيل للشاة المذبوحة للذبحها عند الاحتفال بحلق هذا الشعر . وقد كانوا يعيرون من لم تحلق عقيقته ، إذ يرون في ذلك منقصة لا تليق بالرجل الكامل^٧ .

ويستقبل المولود بذلك حنكه بالتمر المضغ ، أو الحلو مثل عسل النحل ،

١ المسطر (٧٧/٢) .

٢ الأسراء الآية ٣١ .

٣ الانعام ، الآية ١٥١ .

٤ الإصباح (٢٦٦/٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٣٥٢) .

٥ ناج العروس (١٥/٧) ، اللسان (١٢٩/١٢) .

٦ فهارس البحاري (ص ٣٣٣) .

٧ في شعر منسوب إلى امرئ القيس :

يا همد لا تنكحي بوهة عليه عقيقه احسبا

ناج العروس (١٥/٧) ، البحاري « كتاب العقيقة » حديث (١) ، عمدة العارء

(٨٢/٢١) .

وكل ما لم تمسه نار من الخلو^١ . وكان العبرانيون يفركون المولود بالملح . واستقبال المواليد يمثل هذه الأمور من العادات الشائعة عند كثير من الأمم القديمة ، وهي عادات وشعائر دينية أيضاً . فإن الشعوب القديمة لم تكن تفرق كثيراً بين العادات والشعائر بخلاف الحال في الزمن الحاضر^٢ . ولاستقبال المولود بذلك جسمه بالخلو أو بالملح أو بما شابه ذلك ، معنى التناول . فالخلو رمز السعادة والفرح . واما الملح ، فانه عنصر مهم من عناصر الحياة عند الأمم القديمة . والخبز والملح هما رمز الصداقة والمودة حتى اليوم .

ويسلى الأطفال باعطائهم العرائس والتماثيل الصغيرة يلعبون بها ويقضون وقتهم بالتسلي بها وبمكالمتها على نحو ما يفعل أطفال اليوم . كما يتسلون باللعب معاً بألعاب خاصة بالصبيان .

الختان :

ويعدّ الختان من العادات الجاهلية القديمة ، والعرب في ذلك كالعبرانيين . وهو أمر لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، انما ورد ذكره في الحديث . وترجع الكلمة الى أصل سامي شمالي قديم^٣ . والختان في الأصل نوع من أنواع العبادة الدموية التي كان يقدمها الانسان الى أربابه ، وتعدّ أهم جزء من العبادات في الديانات القديمة^٤ . فقطع جزء من البدن وإسالة الدم منه ، تضحية ذات شأن خطر في عرف أناس ذلك العهد ، كما كان حلق الشعر كله أو جزء منه نوعاً من أنواع التقرب الى الآلهة^٥ . والختان في الاسلام محدود من سنن الفطرة التي ابتلى الله ابراهيم بها ؛ وهي الكلمات العشر . وفي جملتها الختان^٦ .

وقد كان الجاهليون يسمون من لم يختن : أقلف وأغلف وأغرل ، ويعيونه ،

١ عمدة الفارسي (٨٣/٢١) ، اللسان (٢٩٨/١٢) ، « حنك » .

٢ Reate, S., 173.

٣ Shorter Ency, p., 254, Ancient Israel pp, 46

٤ Reate, S., 174.

٥ Smith, p., 328.

٦ بلوغ الأرب (٢٨٧/٢) ، الحيوان (٢٧/٧) ، (هارون) .

ويعدّونه ناقصاً^١. وذكر انتشار هذه العادة عند العرب بعض الكتبة « الكلاسيكيين » مثل : « يوسفوس » المؤرخ اليهودي و « أوسيوس » و « سوزومينوس » (Sozomenius)^٢ ويظهر انه كان معروفاً عند العرب الجنوبيين وعند الحبشة كذلك^٣. وقد طبق على النوعين الذكور والإناث. وكانت العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمراء قسحت قلفته فصار كالمختون ؛ قال امرؤ القيس وقد كان دخل مع قيصر الحمام فرآه أقلف ، على ما يزعمه أهل الأخبار :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لأنّ أقلف إلا ما جنى القمر^٤

وذكر « يوسفوس » ان العرب يختنون أولادهم عند بلوغهم عشرة من سنهم^٥. ومن الضعف قبول خبره ، ويظهر من موارد أخرى ان الجاهليين لم يعينوا عمراً معيناً للاختتان^٦ وأحسب ان هذا الكاتب اعتمد على ما جاء في التوراة عن اختتان اسمايل وهو في الثالثة عشرة من عمره ، أو انه اعتمد على ما سمعه من بعض القبائل الاسماعيلية الساكنة في المناطق الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، فظن ان الاختتان عند جميع العرب هو في هذه السن .

وقد ورد في بعض الأخبار ان الروم حاولوا منع العرب من الاختتان^٧.

والاختتان من المناسبات المفرحة المبهجة في حياة الأسرة ، لهذا كان من عادة العرب يدعون ذوي القرابة والأصدقاء الى الولائم ويلبسون الأطفال أحسن ما عندهم من لباس ابتهاجاً وفرحاً بذلك .

الرجولة :

واذا بلغ الطفل ، صار رجلاً ، وجاز له حيثنذ ان يفعل فعل الرجال .

١ Reste, S., 174.

٢ Josephus, Anti., I, XII, 2, Eusep., VI, II,

٣ Ency. Religl., 3, p 679.

٤ تاج العروس (٢٢٦/٦) ، (فلف) . Sozomen, Hist. Eccl., VI, 38.

٥ Josephus, Antiq., XX, II, 4.

٦ Ency Religl., 3, P. 679.

٧ Ancient Israel, p 47.

واحتفل أهله بذلك عند الصنم (Oratal) ، الذي يقابل الإله (باخوس) (Bacchus) عند اليونان ، ويبلغ الاحتفال غايته عند قصص الضفائر ورميها أمامه ، لأن ذلك معناه عندهم دخول الشاب في مرحلة الرجولة ، ودخوله في عبادة هذا الإله ^١ .

والبلوغ ادراك الغلام والجارية . وقد كان أهل مكة اذا بلغت عندهم الجارية أخذوها الى (دار الندوة) فذرعوها بها ، علامة على بلوغها .

ومن امثال العرب : (وللك من دمى عقيلك) ^٢ ، أي من نقيست به ، وصير عقيلك ملطخين بالدم ، فهو ابنك حقيقة ، لا من اخذته وتبنيته وهو من غيرك ^٣ . والابن الشرعي ، من ينسب الى ابيه بنسب صحيح ، وعزي الى والده . ويقال : انه لحسن العزوة ، اي صحيح النسب حسنه ^٤ .

والعادة عند اكثر الساميين نسبة الاولاد الى الآباء . ونجد اكثر اسماء الجاهليين على هذا النحو . وهناك اشخاص عرفوا بأسماء امهاتهم ، وللأخباريين في تفسيرها آراء ، الغالب انهم اشتهروا بأمهاتهم لما كان لأمهاتهم من كفايات وصفات خاصة جعلت لمن صيتها بعيداً طغى على اسم الرجال ، فنسب أبناؤهم اليهن لهذا السبب تمييزاً عن بقية الابناء الذين قد يكونون للرجل من زوجة اخرى . ومن هذا القبيل اشتهار (عمرو) ملك الحيرة بـ (عمرو بن هند) . واشتهار (المنذر) ، وهو احد الملوك بـ (المنذر بن ماء السماء) على رأي من جعل (ماء السماء) اسم والدة الملك .

ولم يكن للجاهليين قواعد ثابتة معينة في تسمية المواليد ، ففي بعض الروايات ان الاجداد او الآباء هم الذين كانوا يقومون بتسمية المولود ، وفي روايات اخرى ما يفيد قيام المرأة بهذه المهمة . والذي يتبين من غرابة الروايات ان الرجال هم يسمون الاولاد ، فيضعون لهم الاسماء . اما تسمية البنات فكانت في الغالب من اختصاص النساء . وقد ثبت اسم المولود ويحدد في اليوم السابع من مولده ، اي

Hastings, I, p. 283, Herodotus, III, 8.

١ محرقة وكصر الكاف فيهما بناء على انه خطاب للانثى .

٢ ناج العروس (٥٤٠/٢) ، (ولد) .

٣ ناج العروس (٢٤١/١٠) ، (عزا) .

في يوم (العقيقة) . وتذكر كتب السير ان (عبد المطلب) هو الذي سمي الرسول محمداً ، في يوم سابعه ، اخذه فدخل به الكعبة ، ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها ، وفي هذا اليوم عتق له على عادة العرب في ذلك العهد . وتذكر ايضاً ان قريشاً « قالوا لعبد المطلب ما سميت ابنك هذا ؟ قال سمّيته محمداً »^١

وتختلف التسميات في جزيرة العرب ، كما تختلف معانيها ، فالأسماء المشهورة عند العرب الجنوبيين والواردة في نصوص المسند لا ترد في قوائم اسماء الجاهليين الذين كانوا يعيشون قبيل الاسلام في نجد والحجاز . وأسماء أكثر ملوك العرب الجنوبيين ولا سيما الذين عاشوا منهم قبل الاسلام هي اسماء مركبة ، ولها صلة بالآلهة . اما اسماء الملوك الشماليين فأكثرها مفردة مثل المنذر والنعمان والحارث وعمره وأمثال ذلك . والأسماء الشمالية المركبة لها صلة بالأصنام ، ولكن بأصنام العرب الشماليين ، مثل عبد مناة ، وعبد العزى ، وامرئ القيس ، وعبد ود . وأما اسماء سواد الناس ، فتختلف كذلك في العربية الجنوبية عنها في الشمال ، وفي المواضع الاخرى من جزيرة العرب . وقد احدث الاسلام تغييراً كبيراً في الاسماء ، فاجتث منها كل ما له صلة بالوثنية والأوثان ، وجاء بتسميات لم تكن شائعة بين الجاهليين ، مثل : محمد وعلي وأمثال ذلك من اسماء لها صلة بالرسول وبالصحابة وبتاريخ الاسلام .

ما كان العرب يسمّون به اولادهم :

وقد بحث (الجاحظ) في علل التسميات عند العرب وفي اسبابها ، فقال : (والعرب انما كانت تسمّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والقمل ، فان سمع انساناً يقول حجراً ، او رأى حجراً ، سمى ابنه به وتفاءل فيه السدة والصلابة والبقاء والصبر ، وأنه يحطم ما بقي . وكذلك ان سمع انساناً يقول ذئباً او رأى ذئباً ، تأول فيه الفطنة والخيب والمكر والكسب . وان

١ الاشفاق (٦) ، المواهب (٢٤١) ، الحلبه (٩٤/١ وما بعدها) ، الروض الاسف (١٠٦/١ وما بعدها) ، ابن هشام ، سره (١٦٦/١ وما بعدها) ، تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢٣/٧ وما بعدها) ، تفسير روح المعاني (٧٣/٤) .

كان حاراً تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد . وان كان كلباً تأول فيه الحراسة واليقظة وبعْد الصوت والكسب وغير ذلك) . وجاء بآراء آخرين على هذه التسميات وعلى آرائهم فيها ^١ .

وتعرض (الجاحظ) الى اسماء الحيوان التي تسمّى بها الناس . فذكر منها : غراب ، وُصرد ، وفاختة ، وحامة ، ويمام ، ويمامة ، وعقاب ، وقطامي ، وحجل ، وصقر ، وصفير ، وطاووس ، وطويس ، وحيقطان ، والغرائق ، والغرنوق ^٢ .

المعمرون :

وقد عمر بعض اهل الجاهلية عمراً طويلاً ، فعُدّوا من المعمّرين في الجاهلية . وروى اهل الاخبار اخبارهم وألف بعضهم كتباً فيهم . فلأبي حاتم السجستاني مؤلف في المعمرين ^٣ . والعادة عند العرب ان المرء اذا شاخ وكبر بالغوا في تقدير عمره ، وزادوا في سني حياته . حتى جعلوا العمر من عاش فوق المئة عام . ولا يعد العمر معمرّاً عندهم الا اذا عاش مائة وعشرين سنة وصاعداً ^٤ . ولهذا ، فلا نستغرب ما يرويه اهل الاخبار عن بعضهم من انهم عاشوا فوق المئة بكثير .

ومن المعمرين : الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلّة بن خالد المنحجي . يزعمون انه عاش مائة وستين سنة . ورووا له وصية في الاخلاق والآداب والمواعظ والحكم . بيّن فيها انه على دين شعيب النبي ، وما عليه احد من العرب غيره ، وغير أسد بن خزيمه ، وتميم بن مُرّة . وأنه لم يصفاح غادراً ، ولم يتخلق بأخلاق فاجر ، ولا صبي بابنة عمّ له ولا كنة . ولا جاءته مومسة . وأوصى اولاده بالتجمع ، وبالموت في سبيل العز ، وبالخلد من الناس ، وبتروّج الكفاء وتجنب الزواج من المرأة الحمقاء ، لانتقال اللحم منهن الى من يلدن . وأوصى بوصل

١ الحيوان (٣٢٥/١ وما بعدها) ، (هارون) .

٢ الحيوان (٥٣/٧ وما بعدها) ، (هارون) .

٣ أخبار المعمرين .

٤ أمالي المرنفسي (٣٣٦/١) .

الرحم ، وبلزوم اطاعة الوالدين ، ونبذ الحقد والضغينة ^١ .

ومنهم : المستوغر : وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة .
ذكروا انه عاش ثلاثمائة وعشرين ، وأدرك الاسلام او كاد يدرك اوله . ونسبوا
له شعراً وحكماً ^٢ .

وحشروا في المعمرين : (دويد بن ريد) من قضاة . ذكروا انه عاش
اربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة ونسبوا له وصية فيها : (اوصيكم بالناس شراً ،
لا ترحموا لهم عبرة ، ولا تقيّلوا لهم عثرة) الى آخر ذلك من وصية فيها شدة
على الناس وحث لأهله على عدم الرحمة بهم ، وألا يرحموا احداً ، والا يهينوا ^٣ .
وهي تمثل وضعاً خاصاً ورأياً لواضع هذه الوصية ولراوينا من اناس زمانه ، فيها
سوء ظن ، ووجوب الحذر والاعتماد على النفس ، حيث لا يفتح الانسان في
حياته الا نفسه .

ومن المعمرين زهير بن جناب . عاش مائتي سنة وعشرين سنة . وأوقع مائتي
وقعة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه . فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره
من اهل زمانه ، كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وواهبهم
الى الملوك ، وطبيبهم ، وحازي قومه ، وكان فارس قومه وله البيت فيهم .
وقد نسبوا له وصية ، على عادتهم في نسبتهم الوصايا الى المعمرين . ذكروا انه
اوصى بنيه فيها بوجوب التجمع ومقاومة النوائب وترك التخادل والاتكال ، وبعدم
الغرور في هذه الدنيا ، فانما الانسان في هذه الدنيا عرّض " تعاورُهُ الرماة فمحصّر
دونه ، ومجاوز موضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد انه مصيبه . ورووا
له شعراً وحكماً .

وذكر انه كان على عهد (كليب وائل) ، ولم يكن في العرب انطق من
زهير ولا أوجه منه عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهماً ، ولم تجمع قضاة
لا عليه وعلى رزاح بن ربيعة ^٤ .

واختلف في عمر (ذو الأصبع العلواني) يوم مات . فذكر بعضهم انه

- ١ أمالي المرتضى (٢٣٢/١ وما بعدها) .
- ٢ أمالي المرتضى (٣٣٤/١ وما بعدها) .
- ٣ أمالي المرتضى (٢٣٦/١ وما بعدها) .
- ٤ أمالي المرتضى (٢٤٠/١ وما بعدها) .

عاش مائة وسبعين سنة . واستقل (أبو حاتم السجستاني) هذا المقدار ، فجعله ثلاثمائة سنة . وهو من (عدوان) . وأحد حکّام العرب في الجاهلية . ونسبوا له على عادتهم بالنسبة للمعمرين حکماً وشعراً^١ .

ومن المعمرين الذين ذكرهم أهل الأخبار (معد يكرب الحميري) ، من آل ذي رعين ، و (الربيع بن ضيع الفزاري) . ذكر انه عاش أكثر من مائتي سنة . وانه لما بلغ مائتين وأربعين سنة قال شعراً في ذلك . وقد عاش في الاسلام أيضاً وأدرك أيام معاوية^٢ .

وجعلوا عمر (أبو الطحان القيني) مائتي سنة ونسبوا له حکماً وشعراً^٣ . وأبى (الكلبي) ان يجعل عمر (عبد المسيح بن ببيعة الغساني) ، وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن ببيعة ، أقل من ثلاثمائة وخمسين سنة . وجاراه في ذلك (أبو مخنف) وآخرون . وذكروا انه عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام فلم يسلم ، ومات نصرانياً . وذكروا ان (خالد بن الوليد) لما نزل على الحيرة ، وتحص منه أهلها أرسلوا اليه (عبد المسيح بن ببيعة) ليكلّمه فسأله خالد أسئلة عديدة . منها : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال عبد المسيح : عرب استنبطنا ونبيط استعربنا . ثم سأله : كم أتى لك ؟ قال : ستون وثلاثمائة سنة . ثم عاد الى قومه فنصحبهم بمصالحة خالد . ورووا له شعراً في دخول المسلمين الحيرة ، وكيف صار أمر (آل المنذر) ، وقد تحسر فيه على الأيام الماضية ، التي ولت حتى آل الأمر بهم ان يؤدوا الخراج الى (معد) التي اقتسمتهم علانية كأقسام الجزور ، يؤدون لهم الخراج ، بعد خراج كسرى وخراج من قريظة والنضير . ثم خلص الى ان الدهر هو كذلك لا يدوم على حال . فيوم من مساء ويوم من سرور^٤ .

وذكر ان بعض سادات أهل الحيرة خرج الى ظاهرها يخطّ داراً ، فلما احتفر

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٤٤/١ وما بعدها) ، الأغاني (٩٤/٣ وما بعدها) ، الكامل ، للمبرد (٩٤/٥ وما بعدها) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٢٥٣/١ وما بعدها) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٢٥٧/١ وما بعدها) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٢٦١/١ وما بعدها) .

موضع الأساس ، وأمعن في الاحتقار أصاب كهيئة البيت ، فدخله فإذا رجلاً على سرير من رخام ، وعند رأسه كتابة : أنا عبد المسيح بن بقليلة .

حليت الدهر أشطره حياتي ونلت من المني بُلغَ الزيد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أحفل بمعضلة كئود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود^١

وأدخلوا (النابغة الجعدي) ، واسمه (قيس بن عبد الله بن عدس) في المعمرين . ولكنه لم ينل من أهل الأخبار عمراً يستحق الذكر . إذ منحوه أقصر ما يمكن من العمر بالنسبة للمعمرين . وهو عشرون ومائة سنة . وفضل (أبو حاتم السجستاني) عليه فنحه مائتي سنة^٢ . وأبو حاتم من الكرماء جداً بالنسبة لمنح الأعمار إلى المعمرين . وقد أدرك الإسلام فأسلم . ومدح الإسلام بشعر . ويذكر أنه جاء الرسول وأنشده من شعره^٣ .

وذكر (الجاحظ) نقلاً عن المتقدمين عليه ، أنهم (ذكروا أنهم وجدوا أطول أعمار الناس في ثلاثة مواضع : أولها سرو حير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإن في الأعراب لأعماراً أطول ، على أن لهم في ذلك كذباً كثيراً)^٤ .

أصحاب العاهات :

والعمى من العاهات المعروفة بين الجاهليين . منهم من ولد أعمى ، أو أصيب بالعمى في طفولته ، ومنهم من أصابه وهو على كبر . وذكروا أن من أشراف العميان (زهرة بن كلاب) و (عبد المطلب بن هاشم) و (العباس بن عبد المطلب) ، وغيرهم .

و (العَوْرُ) من العاهات التي كان الجاهليون يعيرون من أصيب به . وكانوا

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٦٣/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٢٦٣/١) وما بعدها ، جمهرة اشعار العرب (٣٠١ وما بعدها) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٢٦٥/١) وما بعدها ، أخبار المعمرين (٦٤ وما بعدها) ، ابن فنيبة ، الشعر والشعراء (٢٤٧ وما بعدها) ، الإصابة (٢١٨/٦) وما بعدها ، الأغاني (١٢٧/٤) وما بعدها .
 - ٤ الحيوان (١٥٧/١) ، (أطول الناس أعماراً) ، (عند السلام محمد هارون) .

يرمون العوران باللؤم والخبث . وقد أصيب به بعضهم في الحروب . (كأبو سفيان) فقد أصيب يوم الطائف بالعمور ، وأصيب غيره في معارك أخرى ^١ .

وأصيب بعض الناس بالبرص . وقد ذكر (السكري) أسماء جماعة من (البرص الأشراف) ^٢ ، ومن هؤلاء : (جذيمة الأبرش) ، الملقب بـ (الوضاح) ، وذكر ان (الوضع) كناية عن (البرص) ^٣ ، وكانت قریش تخاف البرص خشية العدوى . فأخرجت (أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب) عنها ، مخافة العدوى . فكان يكون بالليل في شُعَف الجبال ، وبالنهَار يستظل في الشجر ، وسقي بطنه ، فأخذ مدية فوجأ بها في معدته . فسأل ذلك الماء ، فبرأ برصه ، ورجع الى مكة ^٤ .

ومن العاهات (الفقم) ، وهو تقدم الثنايا العليا ، فلا تقع على السفلى ، اذا ضم الرجل فاه . ثم كثر حتى صار كل معوج أفقـم ^٥ و (العرج) ، ومن أشهر (العرجان الأشراف) (الحارث بن أبي شمر الغساني) ، و (عبد الله ابن جُدعان) ، و (الحوفزان بن شريك الشيباني) ، و (النابغة الذبياني) ، وغيرهم ^٦ .

ومن المعيبات في الانسان ، ألا يكون للرجل شعر في وجهه . ويقال لمن عرى وجهه من الشعر (الكوسج) . وذكر انه الذي عرى وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه ، كالأنث والثـط . والثـط هو القليل شعر اللحية والحاجبين . ويقال : رجل ثـط ^٧ ، وامرأة ثـطة الحاجبين ^٨ . ومن الثـط (الحارث بن أبي شمر الغساني) ، و (المنذر بن النعمان بن ماء السماء اللخمي) ، و (عبد الله ابن جُدعان) و (قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري) ^٩ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | المحبر (٣٠٢) ، (العوران الأشراف) . |
| ٢ | المحبر (٢٩٩) . |
| ٣ | ناج العروس (٢٤٧/٢) ، (وضع) . |
| ٤ | المحبر (٣٠١) . |
| ٥ | المحبر (٣٠٤) ، ناج العروس (١٤٧/٩) . |
| ٦ | المحبر (٣٠٤) . |
| ٧ | ناج العروس (٩١/٢) . |
| ٨ | المحبر (٣٠٥) . |

حياة الشبان :

ومن الشبان من كان يقضي وقته بالشراب ، وبمصاحبه القيان ، وهم أولاد اليسار والمجان . وكان منهم من يأوي الى منزل أحدهم فيعكفون على الالهو والشرب ، لا يعبأون ولا يكثرثون^١ ومنهم شباب مكة قبل الاسلام . وكان منهم قوم مستهترون لم يبالوا بحرمه ولا بأحد ، حتى ان شباباً من شباب مكة سرق من خزانة الكعبة لينفق مما سرقه على شربه وقيانه . وقد عرف هؤلاء بـ (الفتيان) . وكانوا يقضون أوقاتهم بالشراب ولبس الملابس النظيفة ، وبالسماح الى القيان كما عرفوا بالسخاء على من حولهم وعلى من يجتمع معهم من الفتيان . وكانوا شجعاناً ، يخرجون الى القنص والصيد . وقد أشار أهل الأخبار الى أسماء بعض هؤلاء الفتيان^٢ .

وشباب الجاهلية مثل شباب أهل كل زمان ، لا يختلفون عنهم بشيء ، في تأتق بعض منهم وفي محاولته اظهار شبابه تجاه البنات . فكان شباب القرى والمدن ولا سيما الوضيئون منهم وأهل الجمال يتسكعون في الأسواق وفي مواضع التجمع ، بل وحتى في المعابد ليعبثوا في كلامهم مع البنات وليتحدثوا اليهن ، شأن أي شاب في هذه الدنيا بالنسبة الى الشابات . وقد اضطر آباء وأقرباء بعض هؤلاء الشباب على تقريع أبنائهم لتجاسرهم على بنات الحي . حتى منع البعض من الشباب الجميل من التأتق في الملبس حتى لا يلتفتوا اليهم أنظار البنات ، فيثرن فيهم عاطفة الجموح نحو التشبيب والحب .

وذكر (محمد بن حبيب) أسماء رجال من مكة كانوا يتعمدون مخافة النساء على أنفسهم من جالهم^٣ . ويظهر انهم كانوا يرخون العائم حتى تنزل على الوجه فتخفي معالنه ، ولا يبدو عندئذ شيء من معالم جال ذلك الشخص . ولم يذكر فيما اذا كانوا قد فعلوا ذلك من أنفسهم ضيقاً للنفس من الوقوع في غوى الشيطان ، وتحت تأثير سحر العيون ، أم انهم أجبروا على ذلك إجباراً ، على

١ المحبر (١٧٣ وما بعدها) ، ناج العروس (٢٧٥/١٠ وما بعدها) ، (مى) ساح

العروس (٣٤١/٩) ، (مجن) .

٢ المحبر (١٧٣ وما بعدها) .

٣ المحبر (ص ٢٣٢)

نحو ما كان يفعله أهل مكة بالنسبة الى المستهترين من شبابهم ، ليكون التعميم أحد الحواجز التي تحول دون سقوط عين المرأة على الشاب الجميل أو الرجل الجميل . أو أنهم فعلوه هم ، على انه (موضحة) وذِيَّ من أزياء الشباب . ومن الرجال الذين ذكر (ابن حبيب) أنهم تععموا مخافة النساء ولم يكونوا من أهل مكة ، (امرؤ القيس بن حجر الكندي) ، و (قيس بن الخطيم) الأوسي ، و (ذو الكلاع الحميري) ، و (زيد الخيل بن مهلهل الطائي) . ولم يذكر السبب في اقحام مثل هذه الأسماء في موضوع التعميم بمكة . هل ذكرهم بمعنى أنهم كانوا اذا قدموا مكة تععموا ، خشية الوقوع في هوى النساء ، فيجلب عليهم صداعاً وصداماً مع أهل أولئك النسوة ، أو انه ذكرهم بمعنى أنهم كانوا يتعممون مثل أهل مكة حذر الوقوع في الحب ، فلرج أساءهم في هذا الموضع لهذه المناسبة .

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (الحضر) ، وهو أحد من كان يتعمم مخافة الوقوع في حب النساء ، لم يكتف بالتعمم ، بل تبرقع أيضاً^١ . ولعله فعل ذلك بتأثير ديني . أخذ ذلك عن الرهبان والمتزمتين بدينهم من أهل الجاهلية الذين حجبوا أنفسهم عن الناس وآووا الى الغار أو قم الجبال للتبصر والتأمل والابتعاد عن الملأ ، ولا سيما عن النساء .

الفتيان :

و'عرف شباب أبناء الأغنياء والجنه بـ (الفتيان) . وأحدهم (قى) . ويراد به الشاب . وقد تطلق على السخيّ الكريم ، وهو من (الفتوة)^٢ . وكثيراً ما نقرأ في كتب أهل الأخبار جملاً تشير الى (الفتوة) في الجاهلية ، مثل (وهو من فتيان قريش أيضاً)^٣ . يريدون بذلك جماعة من أبناء الأسر عاشت عيشة شباب وعبث ، تلهو وتشرب ، وتنق وتعطي ، وتغيث ،

١ المحبر (٢٣٢) .

٢ تاج العروس (٢٧٥ / ١٠) ، (قى) .

٣ المحبر (ص ١٧٦) .

وتتسابق ، وتقتل وقتها في اللذة والاستمتاع وفي الانفاق على الجسد ، على نحو ما يفعله أبناء الطبقة المترفة في كل وقت . وقد كانت لها نجدة وشهامة ، اذا استُنجد بأحدها هبّ لنجدة المستنجد ودافع عنه .

الأحامرة :

والحياة عند بعض الناس : خمر ولحم وخلوق . فهي متع الحياة عندهم . قال الأعشى :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي وكنت بها فدعاً مولعاً
الخمر واللحم السمين وأطلي بالزعفران فلن أزال مبقعاً^١

والحياة عند البعض خمرٌ ونساء . واهتمت المرأة بمحبها الحليّ والطيب . ورد : (أهلك النساء الأحمران . يعنون الذهب والزعفران ، أي أهلكهن حب الحليّ والطيب) . وورد (الأحمران : اللحم والخمر) . ويقال للذهب والزعفران : الأصفران ، وللماء واللبن الأبيضان ، وللتمر والماء الأسودان . وفي الحديث : أعطيت الكتزين الأحمر والأبيض . والأحمر الذهب والأبيض الفضة . والذهب كنوز الروم ، لأنها الغالب على نقودهم . وقيل أراد العرب والعجم . وقيل : الأحامرة : اللحم والخمر والخلوق . وورد الأحمران : الخمر والبرود^٢ .

الخمر :

وفي مجتمع الحياة فيه على وتيرة واحدة ، والفراغ فيه أكثر من العمل ، ومرافق اللهو والتسلية فيه قليلة أو معدومة ، والفقر فيه أكثر من الغنى ، وتشغيل الفكر فيه محدود ضيق - في مجتمع كهذا المجتمع لا بد وان يقبل الناس فيه على قتل فراغهم بالبحث عن شيء ينسيهم فراغهم وفقيرهم وشدة حاجتهم ، ويلهيهم عن قساوة الطبيعة عليهم ، ويبعث فيهم الأمل والطرب والنشوة ، والشعور بأنهم

١ ناح العروس (١٥٤/٣) ، (حمر) .

٢ ناح العروس (١٥٤/٣) ، (حمر) ، الجوان (٢٤٩/٣) ، (هارون) .

سادة ملكوا الدنيا ، وان كل واحد منهم هو (رب الخورنق والسدير)^١ ، فكان اقبالهم على الخمر شديداً ، حتى أفرطوا في شربه وآذى بعضهم نفسه من شدة إقباله عليه ، فصار آفة من الآفات ، حتى ضحى شاربه بمركزه وماله في سبيله ، فكان ذلك من عوامل تحريمه في الاسلام .

وقد كان الخمر من متع الحياة الثلاث بالنسبة للشباب . والمتع الثلاث : الخمر والقمار والنساء^٢ . فاذا أضيفت الشجاعة اليها صار الفتى من خيرة الفتيان ، لذلك كان الشباب يفتخرون اذا جمعوا بين هذه المتع ويتباهون على غيرهم بها . وربما ارتكبوا المعاصي والمخالفات في سبيل الحصول على المال للاتفاق على متعهم هذه وعلى ملذاتهم وملاهيهم في هذه الحياة .

ومن أسماء الخمر : العقار ، سُميت لعاقرتها أي لملازمتها الدن . والمعاقرة الإدمان ومعاقرة الخمر إدمان شربها . وقيل سُميت عقاراً لأن أصحابها يعاقرونها أي يلازمونها أو لعقرها شاربها عن المشي ، وقيل هي التي لا تلبث ان تُسكر^٣ .

والسكران نقيض الصاحي . والسكر حالة تعترض بين المرء وعقله . وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب المسكر . و (السكير) الكثير السكر^٤ . و (المدمن) هو الملازم للشراب وغيره ، لم يقلع عنه ، فهو يلزمه ولا يقلع عن شربه أو شرب الخمر^٥ .

وقد أدمن كثير من أهل الجاهلية على شرب الخمر ، وهلك قسم منهم بسببها . وقد حذر من ذلك الاسلام فررد : « ملعن الخمر كعابد الوثن »^٦ ، و « لا يدخل الجنة مدمن خمر »^٧ .

١ واذا سكرت فاني رب الخورنق والسدير واذا صحت فاني رب الشويهة والبعير وقال حسان بن ثابت :

ونشربها فتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنها اللقاء

٢ البريزي ، شرح القصائد العشر (٤٣) .

٣ تاج العروس (٤١٧/٣) ، (عقر) .

٤ تاج العروس (٢٧٣/٣) وما بعدها ، (سكر) .

٥ اللسان (١٥٩/١٣) ، (دمن) .

٦ اللسان (١٥٩/١٣) ، (دمن) .

٧ المسنطرف (٢٢٩/٢) .

وعرف علماء اللغة (الخمر) بما أسكر من عصير العنب ومن عصير كل شيء يُسكر . ولما نزل الأمر بتحريم الخمر ، كان شراهم بالمدينة يومئذ الفضيخ ، البُسْر والتمر في الغالب ^١ . غير ان الجاهليين كانوا يصنعون الخمر من أي شيء يقع في أيديهم مما يمكن تخميره للحصول على مادة مسكرة منه مثل الحبوب الأعشاب وغير ذلك ، بل كان منهم من يخمر اللبن ، ولا سيما البان الإبسل ، للانشاء بها . و (النشوة) السكر ^٢ .

وكان أهل المدينة يسقون ضيوفهم شراباً من الفضيخ . فاذا جاءهم ضيف سقوه منه . كانوا يضعونه في قلال وجِرار وهو خليط من بسر وتمر ، ومن تمر وزهوَ . والزهو ^٣ هو البسر الملون الذي ظهرت فيه الحمرة والصفرة ^٤ ، كما كانوا يصنعونها من خلط الزبيب والتمر ^٥ أيضاً . وكانوا يجلسون مجلسهم ، ويسقيهم أحد أبناء صاحب الدار أو خادم من خدمه : من قلال أو كؤوس يدور بها عليهم قليلاً قليلاً ^٦ .

واستخرج أهل اليمن من الشعير شراباً عرف عندهم باسم (المزر) ^٧ . وذكر ان (المزر) نبيذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب ، وقيل : نبيذ الذرة خاصة . وذكر أبو عبيد ان ابن عمر قَسَرَ الأنبذة ، فقال : البَيْع نبيذ العسل ، والجة نبيذ الشعير ، والمزر من الذرة ، والسكر من التمر ، والخمر من العنب ^٨ .

وورد ان أهل اليمن كانوا يتخذون شراباً مسكراً من القمح يستعينون به على برد بلادهم ويتقوّون به على عملهم . وقد منعوا عن ذلك في الاسلام حين نزل الأمر بتحريم الخمر ^٩ .

- ١ ناج العروس ١٨٦/٣ وما بعدها) ، (خمر) ، صحيح مسلم (٨٥/٦) ، (باب تحريم الخمر) .
- ٢ تاج العروس (٣٦٨/١٠) ، (نشي) .
- ٣ يفتح الزاي وسكون الهاء وبالواو ، وقد يضم الراي .
- ٤ صحيح مسلم (٨٧/٦ وما بعدها) .
- ٥ صحيح مسلم (٨٩/٦) .
- ٦ تاج العروس (٥٤١/٣) .
- ٧ صحيح مسلم (٩٩/٦) .
- ٨ ناج العروس (٥٤١/٣) ، (مر) ، الاصابة (٤٦٦/١) .
- ٩ الاصابة (٤٦٦/١) ، (رقم ٢٤٠٩) .

ومن الخمر نوع اشتهر في العراق باسم (الخمر الصريفية) نسبت الى قرية (صريفون) عند (عكراء) في العراق ، وإياها عنى الأعشى بقوله :
وتجى اليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق
ووصف الأعشى في شعر آخر الخمر الصريفية فقال :
تعاطي الضجيع اذا أقبلت بُعَيْدَ الرقاد وعند الوسن
صريفية طيب طعمها لها زبد بين كوب ودن
وذكر بعض العلماء انها إنما عرفت بصريفية ، لأنها أخذت من الدن ساعته
كاللبن الصريف^١ .

وكانوا يضعون خمرهم في زقٍ يحملونه معهم ، فأينما يكون الانسان يكون خمره معه . وقد كانوا يكثرون من استعماله كما يظهر ذلك من روايات أهل الأخبار مع فقر شاربها وعدم وجود طعام عنده . أما في المدن والقرى والخواضر ، فهناك خمرات ، جمعت الى الخمر وسائل المتع الأخرى ، يقصدها أهل المكان والغرباء للاستمتاع بها ، والترفيه عن خاطرهم . وقد هيأت بعض الخمرات المغنين فيها وجلبوا الى حاناتهم أنواع الخمر .

وكانت الخمرات منتشرة في كل مكان ، ولا سيما على الطرق . حيث يتزل بها المسافرين للاستراحة واستعادة النشاط بعد تعب ونصب . وكان بمكة وبساتر القرى خمرات كذلك . أصحابها نصارى ويهود في الغالب . ومعظمهم من غير العرب ، وفدوا من الخارج للتكسب والعيش فامتنعوا مهنة بيع الخمر وإسقاؤها للناس . وقد عرفت (الخمرات) بالخانوت . يذكر علماء اللغة ان (الخانوت دكان الخمر) . وقد أشير الى بالخانوت في الشعر الجاهلي . وكانت العرب تسمي بيوت الخمارين الخوانيت . وأهل العراق يسمونها المواخير . وورد ان الخليفة (عمر) أحرق بيت (رويشد الثقفي) ، وكان خانوتاً يعاقر فيه الخمر ويبيع^٢ . وعرفت (الخمرات) بالدكة أيضاً^٣ .

١ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .

٢ تاج العروس (٥٣٩/١) ، (خانوت) .

٣ تاج العروس (٢٠١/٩) ، (دكن) .

وقد يجتمع فتیان من مواضع شتی للشرب ، فيقال لهم (الأندرون) .
يتنادرون فيما بينهم بما شئت وخرج من الجمهور . وذكر ان قول عمرو بن كلثوم :
ألا هي بصحنك فاصبحنا ولا تبقي خمور الأندرينا
هو في هذا المعنى ^١ .

وقد تاجر اليهود بالخمير ، وفتحوا لهم الخارات في الأماكن التي أقاموا بها
من جزيرة العرب ، فقصدها الناس للشرب . ومن جملتهم الشاعر الأعشى الذي
كان كلفاً بشرب الخمر حريصاً على تعاطيها ، قيل انه عزم على الدخول في
الاسلام وأراد الذهاب الى الرسول لينشده ويعلن أمامه دخوله في الاسلام ، ونظم
شعراً في ملحه ، فأدرك (أبو سفيان) ما في شعر (الأعشى) في مدح الرسول
والاسلام من أثر في تصرفه وفي إضعاف فريش ، فلفيه وحادثه وكلمه وجاءه
من ناحية نقطة الضعف التي كانت فيه . وهي حبه للخمرة . فهيج أسجانه
فيها ، وأظهر له كيف ان الاسلام حرّمها على المسلمين ، وجعل في شربها الحد ،
فهو سيُحرّم من متعته الوحيدة التي بقيت له في حياته ان دخل في الاسلام . وأثار
فيه الحنين إليها ، ورغبه في الذهاب الى قومه والمكوث هناك سنة يشربها ، ثم
يرى رأيه بعد ذلك ، فلما ان يستمر على شربها ، واما ان يعافها ويدخل في
الاسلام ، على ان يأخذ مقابل ذلك مائة من الإبل . فأثر كلام (أبو سفيان)
فيه ، وأخذ الإبل وذهب بها الى قومه وأقام بـ (منفوحة) حتى مات بها
قبل الحول ^٢ .

وذكر (بلينيوس) ان العرب كانوا يصنعون الخمر من النخيل ، وذلك كما
يفعل سكان الهند ^٣ . ويقصد بذلك التمور بالطبع . وقد ذكر ذلك من باب التنويه
بالأمور الغريبة . فليس استخراج الخمر من التمور مألوفاً عند اليونان والرومان .

١ ناج العروس (٥٦٠/٣) ، (ندر) .

٢ جمهرة أشعار العرب (٥٦) ، الشعر والشعراء (١٣٥) ، الأعاني (٧٧/٨) ،
(١٤٣/١٠) ، (٥٢/١٥) ، (١٦٠/١٦) ، المحبر (٣٢١) .

٣ مجلة المحمم العلمى العرافى، المجلد الثالث ، الجزء الاول ، (ص ١٣٩) ، (١٩٥٤م) ،
(بلاد العرب : من نارنج بلينيوس) .

ولهذا السبب أشار اليه ، ليقف عليه قومه . غير ان العرب كانوا يستخرجون النبيذ من الكروم أيضاً ، وذلك في الأماكن التي توفرت فيها الكروم ، مثل الطائف واليمن . وقد أشار (سترابون) الى صنع الخمر من التمر^١ .

أما خمور العرب فن البتّ ، وهو نبيذ العسل ، وهو خمر أهل اليمن . ومن التمر ومن البرّ والشعير والزبيب . ولأهل اليمن شراب من الشعير ، يقال له المزر ، أشرت قبل قليل اليه^٢ .

وشرب الجاهليون أشربة استخرجوها من الذرة ومن مواد أخرى . فقد صنع أهل اليمن (المزر) من الذرة أيضاً . فلما أسلم قوم منهم سألوا الرسول عنه . فقال لهم : أله نشوة ؟ فلما قالوا له : نعم ، قال : فلا تشربوه^٣ .

وانتبدوا في (النقيز) : أصل النخلة ينقر فينبذ فيه ، فيشتدّ نبيذه . وذكر ان أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم يشدّون فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت^٤ وانتبدوا في (الحنم) : الجرار الخضر ، وفي (الدباء) ، اليقطين ، وفي (المزفت) أي ما طلي بالمزفت^٥ .

ومن الخمور (المقدى) . يتخذ من العسل على بعض الروايات . يقال انه من قرية تسمى (المقدة) بالأردن ، وقيل هي في طرف حوران قرب أذرعات^٦ .

وللخمر أسماء عديدة ، ذكرها علماء اللغة . منها ما هي معربة . عربت عن اليونانية ، أو الفارسية ، أو السريانية ، لأنها استوردت من بلاد الشام ، أو العراق^٧ .

ومن الخمور خمر يقال له : (الاسفط) . وهو المطيب من عصير العنب .

-
- ١ مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابى ، (١٩٥٢ م) ، (ص ٢٦٧) .
 - ٢ العقد الفريد (٣٥٦/٦) .
 - ٣ الاصابة (١٣٣/١) .
 - ٤ تاج العروس (٥٨١/٣) ، (نهر) .
 - ٥ القسطلاني ، ارشاد الساري (١١/٦) .
 - ٦ تاج العروس (٤٦٠/٢) وما بعدها ، (قد) .
 - ٧ راجع كتب اللغة والأدب .

وقيل هي خمر فيها أفاويه ، أو أعلى الخمر وصفوتها . وذكر ان اللفظة (رومية) . قال الأعشى :

وكان الخمر العتيق من الا سفنط ممزوجة بماء زلال
باكرتها الأغراب في سة النو م فتجرى خلال شوك السيال^١

واستعمل الجاهليون أواني الشرب المصنوعة من الزجاج والباور ومن الذهب والفضة ، واستعملوا أواني أخرى تتناسب مع منزلة الشارب ومكانته . وقد كان ملوك الحيرة وماوك الغساسنة يشربون بالآنية الغالية ، وبعضها منموش . وكذلك تفنن أغنياء مكة في الشرب ، فاستعمل عبد الله بن جُدعان الأواني المصنوعة من الذهب في شربه ، حتى ضرب به المثل ، فقليل : (أفرى من حاسي الذهب) ، وعرف به (حاسي الذهب) . وشرب غيره من أصحاب الثراء بأواني غالية استوردوها من الخارج ، على حين كان أكثر سكان مكة فقراء لا يملكون شيئاً . ولهذا ورد في الحديث النهي عن الشرب بآنية الذهب والفضة^٢ . وقد ذكر ان النابغة الذبياني ، وهو من شعراء الجاهلية الكبار ، كان لا يأكل ويشرب إلا في آنية الذهب والفضة ، من عطايا النعمان وأبيه وجدة ، ولا يستعمل غير ذلك^٣ .

وحرم قوم من الجاهليين الخمر على انفسهم ، وأكثرهم ممن يسمّون الأحناف ، ومنهم من كان يشربها ويقبل عليها ، ولكنه وجد نفسه وقد قام بأعمال لم يرتضيها ، جعلته يشعر بالتحجل منها ، فتركها وحرّمها على نفسه . ويذكر اهل الاخبار ان اول من حرّمها على نفسه وامتنع منها في الجاهلية ، هو (الوليد بن المغيرة) . وهو رجل ينسب اليه اهل الاخبار جملة امور ، منها انه اول من خلع نعليه للدخول الكعبة في الجاهلية ، فخلع الناس نعالهم في الاسلام ، وأول من قضى بالقسامة في الجاهلية فأقرها الاسلام ، وأول من قطع في السرقة في الجاهلية ، فأقرها

١ تاج العروس (١٥٤/٥) ، (الاسمط) .

٢ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٢٩٣) ، بلوغ الأرب (٨٧/١) .

٣ بلوغ الأرب (٢٢/٣) .

الاسلام . ويذكرون ان الجاهليين كانوا يقولون : « لا وَتَوْبِي الوليد ، الخلق منها والجديد » ^١ .

ومن ترك الخمر في الجاهلية (عبد الله بن جدعان) ، وسبب تركه لها انه شرب مع امية بن ابي الصلت الثقفي ، فلطم وجهه (امية) بعد ان ثمل ، فأصبحت عينه مخضرة فخاف عليها الذهاب ، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : انت اصبتها البارحة . قال : وبلغ مني الشراب ما ابلغ معه من جليسي هذا المبلغ ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال : الخمر علي حرام ، لا أذوقها ابداً ^٢ . وذكر ايضاً انه سكر فجعل يساور القمر . فلما اصبح أخبر بذلك ، فحرمها ^٣ . الى غير ذلك من قصص .

ومن حرمها في الجاهلية ، قيس بن عاصم المقري ، وعامر بن الظرب العدواني ، وصفوان بن أمية بن محرث الكناني ، وعفيف بن معديكرب الكندي ، والاسلوم ابن اليامي من همدان ، ومقيس بن عدي السهمي ، والعباس بن مرداس السلمي ، وسعيد بن ربيعة بن عبد شمس ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة . وأبوه امية بن المغيرة ، والحارث بن عبيد المخزومي ، وزيد بن عمر بن نفيل ، وعامر ابن جذيم الجمحي ، وأبو ذر الغفاري ، ويزيد بن جعونة الليثي ، وأبو واقد الحارث بن عوف الكناني ، وعمرو بن عَبَسَةَ ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وعبيد ابن الابرص ، وزهير بن ابي سلمى المزني ، والتابغتان الديباني والجعدي ، وحنظلة الراهب بن ابي عامر ، وقبيصة بن اياس الطائي ، واياس بن قبيصة بن ابي غفر ، وحاتم الطائي ، و (سويد بن عدي بن عمرو بن سلسلة الطائي) ^٤ . وذكر ان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية : (بشير الثقفي) . وكان نلر في الجاهلية الا يأكل الجزور ولا يشرب الخمر ^٥ .

-
- ١ المعارف (ص ٢٤٠) .
 - ٢ نهاية الأرب (٨٨/٤) .
 - ٣ المحبر (٢٣٧) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٣٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٨٨/٤ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (٢٩٤/٢ وما بعدها) ، الأمالي ، للقالبي (٢٠٤/١ وما بعدها) ، الأغاني (٩/٥) ، (بيروت) .
 - ٥ الاصابة (١٦٠/١) .

وروي ان (عفيف بن معديكرب الكندي) ، عم الأشعث بن قيس ، كان قد طلق الخمر وحرّمها على نفسه وحرّمَ معها القمار والزنى ، والثلاثة من اهم وسائل التلهي والتمتع بالحياة عند الجاهليين ^١ . وكان قيس بن عاصم يأتيه في الجاهلية تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد ما عنده . فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرأ قبيحاً ، فجذب ابنته وتناول ثوبها ، ورأى القمر فتكلم بشيء ثم نهب ماله ومال الخمار . فلما صبحا اخبرته ابنته بما صنع وما قال فألى لا يذوق الخمر ^٢ .

وبعض هؤلاء هم من الخنفاء ، وبعضهم من السادة الأشراف الذين لم يتذوقوها ، او انهم تعاطوها ثم رأوا ضررَها فتركوها وحرّموها على انفسهم . ويظهر ان بعضهم قد حرّمها على نفسه وعلى آله ايضاً ، فذكر مثلاً ان الوليد بن المغيرة ضرب فيها ابنه هشاماً على شربها ، ولعلّ منهم من كان يستعمل الخمر ، وهو الجزاء الذي قرره الاسلام على شاربي الخمر .

وقد اشار اهل الاخبار الى وقوع حوادث لأكثر من ذكرتهم دفعت بهم الى تحريم الخمر على انفسهم ، كالذي ذكرته من امر عبد الله بن جدعان ، وكالذي اشار اليه اهل الاخبار من تحرش بعضهم بمحارمهم تحرشاً لا يفعله انسان سوي ، او تخليطهم اثناء سكرهم وقيامهم بأعمال مضحكة صيرتهم سحرة للحاضرين ، فلما صبحوا وسمعوا بما فعلوا ندموا على ما بدا منهم ، وقرروا اجتنابها وتحريمها على انفسهم منذ ذلك اليوم ^٣ .

وكان الجاهليون يشتدون على النساء في شرب الخمر حتى لم يحفظ ان امرأة سكرت ^٤ .

المخدرات :

لم اعثر على نص جاهلي جاء فيه ذكر لاستعمال اهل الجاهلية للمخدرات ، ولم

-
- ١ بلوغ الأرب (٢٩٤/٢) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٩٧/٢) .
 - ٣ المحبر (ص ٢٣٧ وما بعدها) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٩٧/٢) وما بعدها .

اعثر في اخبار اهل الاخبار على خبر يفيد تعاظمي الجاهليين لها . ولكن هذا لا يعني نفي معرفة عرب الجاهلية بالمخدرات ، ويظهر ان إفراطهم في تناول الخمر ووجود الخمر الرخيصة لديهم ، وتحضيرهم لها بطرق بدائية رخيصة ، وتحذيرهم بها ، كانت من الأمور التي صرفتهم عن استعمال المخدرات الاخرى التي ربما زاد ثمنها على ثمن الخمر .

الانتحار بشرب الخمر :

وقد قتل بعض الجاهليين انفسهم بشرب الخمر صرفاً ، ذكر (السكّري) منهم (عمرو بن كلثوم الثعلبي) . وكانت الملوك تبعث اليه بجبائه وهو في منزله من غير ان يفد اليها . فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو ، بعث اليه بعض الملوك بجبائه كما بعث الى ابيه ، فغضب (عمرو) وقال : (ساواني بولدي) ، وحلف لا يذوق دسماً حتى يموت ، وجعل يشرب الخمر صرفاً على غير طعام ، فلم يزل يشرب حتى مات ^١ .

وأهلك (البرحُ بن مسهر الطائي) نفسه بشرب الخمر الصرف كذلك ، في قصة ذكرها (السكري) ^٢ .

و (زهير بن جباب بن هبل) ، هو ممن أتلّف نفسه بشرب الخمر ايضاً ، لما خالفه ابن اخيه عبدالله بن عليم بن جباب ، فانزعج من ذلك وغضب ، وأما نفسه بشرب الخمر . ذكر انه قال في ابن اخيه : (عدوّ الرجل ابن اخيه ، غير انه لا يدعُ قاتل عمه) ^٣ .

ودكر ان (ابا براء بن مالك بن جعفر) ، قتل نفسه بشرب الخمر ايضاً ، انتحر لمخالفة قومه امره . فدعا قيسنّين له ، فشرب ، وغنتاه ، ثم دعا بالشاعر (ليبد) ، وطلب منه ان يقول ما يقول فيه من المراثي ، فلما اثقله الشراب ، اتكأ على سيفه حتى مات ^٤ .

١ المحبر (٤٧١) .

٢ المحبر (٤٧١) .

٣ المحبر (٤٧١) ، الاصابة (٢٤٩/٢) ، (رجم ٤٤٢٣) .

٤ المحبر (٤٧٢ وما بعدها) ، الاصابة (٢٤٩/٢) ، (٤٤٢٣) .

الاغتيال :

الغيلة : هي الخديعة وايصال الشر او القتل الى انسان من حيث لا يعلم ولا يشعر^١ . وقد كان معروفاً بين الجاهليين ، شجع على ظهوره وانتشاره بينهم عرف الأخذ بالثأر ، والتنافس الذي كان بينهم على الرئاسة والوجاهة ، وقواعد مجتمع ذلك الوقت التي كانت تقيم وزناً كبيراً للكلمة ، وللمدح والهجاء ، ولتقديم شخص على شخص في الجلوس في مجلس من المجالس ، فكانت هذه الامور وأمثالها تدفع من يتعرض لها على الانتقام ممن اهانته والترصص به وتتبع آثاره حتى يتمكن من قتله او اغتياله .

وقد اتبع المقاتلون اساليب شتى في الاغتيال . منها الطعن بالرمح او بالخنجر او بالسكين ، ومنها الذبح ، والخنق ، ومنها اللجوء الى الحيلة بدس السم في الشراب او الطعام ، الى غير ذلك من اسباب الغيلة .

والغيلة غير الفتك . ذكر ان الفتك ان يقتل الرجل الرجل مجاهرة . وهو ان يأتي الرجل صاحبه وهو غار^٢ غافل حتى يشد عليه فيقتله ، وان لم يكن اعطاه اماناً قبل ذلك ، ولكن ينبغي له ان يعلمه ذلك .

قال المخيل السعدي :

وإذ فتك النعمان بالناس محرماً فن لي من عوف بن كعب سلاسله
وكان النعمان بعث الى (بني عوف بن كعب) جيشاً في الشهر الحرام ، وهم آمنون غارون فقتل فيهم وسباً^٣ .

ولمحمد بن حبيب السكري ، كتاب ذكر فيه اسماء المقاتلين من الأشراف في الجاهلية والاسلام ، وأسماء من قُتل من الشعراء^٤ . بدأ فيه بـ (جذيمة الأبرش)

١ ناج العروس (٥٣/٨) ، (غبل) .

٢ ناج العروس (١٦٦/٧) ، (فنك) .

٣ بوارد المخطوطات ، (القاهرة ١٩٥٤ م) ، المجموعة السادسة (تحقيق عبد السلام هارون) .

الذي غدرت به (الزباء) ملكة (تدمر) ، فأجلسته على نطع ، وسقته الخمر ، ثم أمرت بقطع رواهشه ، حتى مات . ثم ثنى بـ (حسان بن تيج) ، فزعم ان اخاه قتله غيلة وهو نائم على فراشه ، طمعاً في ملكه ، ثم تكلم عن (عمليق) ملك طسم ، وكانت منازلهم (عذرة) في موضع اليمامة ^١ . وذكر في جملة من ذكرهم اسم (عمرو بن مسعود) و (خالد بن فضلة) من بني (أسد) . وكانت أسد وغطفان حلفاء لا يديون ويغيرون عليهم ، فوفدا سنة من السنين ومعهما (سبرة بن عمير الفقعسي) الشاعر ، على (المنذر) الأكبر اللخمي ، فكلّمهما في أمر دخولهما في طاعته والذب عنه كما ذبت (تميم) و (ربيعة) ، فعلم أنهم لا يدينون له . فقرر الكيد بهما ، فأوماً الى الساقى فسقاها سماً ، فأتا ، ثم ندّم على ما فعل ، فأمر فحفر لها قبران ودفنا فيها ، ونى عليها منارتين ، وهما (الغريان) وعقر على كل قبر خمسين فرساً وخمسين بعيراً ، وغرّاهما بدمائهما ، وجعل يومَ نادمهما يوم نعيم ، ويوم دفنهما يوم يؤس ^٢ .

وقد كان خنق الأشخاص في جملة وسائل الاغتيال والتخلص من الأعداء ، وقد ذكر ان الملك (النعمان بن المنذر) ، أمر بخنق (عدي بن زيد العبادي) ، فأت منه . ويكون الخنق بالضغط الشديد على الرقبة باليد ، وباستعمال الحبل او قطع الفماش . ويقال للحبل الذي يخنق به (الخناق) ^٣ .

وذكر ان (الحكم بن الطفيل) ، لما انهزم في نقر من أصحابه يوم (الرقم) (حتى انتهوا الى ماء يقال له الموررات ، فقطع العطش أعناقهم فأتوا ، وخنق ابن الطفيل نفسه مخافة المثلة ، فقال في ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أعلنرا ^٤

الصيد :

والصيد في جزيرة العرب رغبة وحاجة . رغبة للملوك والرؤساء والاثرياء للأنفس

١ (ص ١١٧) .

٢ (ص ١٣٣ وما بعدها)

٣ باج العروس (٣٣٩/٦) ، (خنق) .

٤ ديوان عروة (١٣٥) ، نهاية الارب (٣٦٤/١٥) .

والترويح عن النفس ، وحاجة عند السواد وهم ققراء في الغالب لا يملكون شيئاً ،
فلحم الصيد نعمة كبرى لهم وغذاء طيب لا يصل اليهم دائماً .

اما اصطياد الرؤساء والاثرياء فيالاستعانة بالصقور في الغالب ، حتى اذا قيل
كُنْتُا نتصقر ، انصرف الذهن في الحال الى الصيد ، لاستعمال الطيور في الصيد ،
حيث تُدرَّب تدريباً خاصاً وتعلم تعليماً متقناً ، فاذا رأت الحيوان انقضت عليه ،
فلا تتركه يستطيع الحركة والهرب الى ان يصل الصياد الى الفريسة المسكينة . ويدعى
قيِّم الصقور ومعلمها « الصقَّار » . وتستعمل كلاب الصيد كذلك ، وهي كلاب
سريعة مدربة تدريباً خاصاً ، فاذا رأت الصقر فوق الفريسة عدت خلفها لتساعد
الصقر في القبض على الحيوان فلا يهرب ويولي . ومنها ما تفتش عن مواضع اختفاء
الحيوانات ، فاذا شعرت بوجود حيوان في كهف او مغارة تدخل اليها او تقوم
بمحركات تضطره الى الخروج فيصطاده الصياد . وقد تستعمل الخيل كذلك . وهي
لم تكن كثيرة في الجاهلية ، ولا يملكها الا المتمكنون .

وقد ذكر الصيد في آيات من القرآن الكريم ، مما يدل على اهميته ومكانته في
حياة العرب يومئذ . ويقال للصيَّاد القانص كذلك . وأما استئثاره الصيد واخراجه ،
فيعبَّر عن ذلك بلفظة « التَّجش » ، والمنجاش والنجاش هو المثير للصيد . ويقال :
هَبِص الكلب اذا حرص على الصيد وقلق نحوه ، ويقال ايضاً : غَرَبَّت الكلاب ،
اذا أمعت في طلب الصيد .

وكانت العرب تعيش في الغالب بلحوم الصيد ، وكانت خيلهم تسهل عليهم
نيل صيدهم ، وتعينهم على الوصول الى غايتهم . فكانت عندهم من اعز الأموال
وأثمن الأشياء يُعتنى بها اعتناء الرجل بنفسه ، ولولاها حُرِّم من لذة أكل اللحوم .
وكانت اذا اغارتها على صيد ، خضبوا نحر السابق بدم ما يمسكونه من الصيد ،
علامة على كونه السابق الذي لا يلزم في الغارات ^١ .

ولأهل الجاهلية عناية خاصة بـ (الصقور) . يربونها تربية خاصة . وذكر
علماء اللغة ان كل شيء يصيد من البزاة والشواهي ، صقر . وقد اشير الى صيد
(الصقور) في الحديث ^٢ .

١ بلوغ الأرب (١٨/٣) .

٢ ناج العروس (٣٣٩/٣) ، (صقر) .

وقد استعانوا بالكلاب السريعة الجري في الصيد كذلك . وقد عُنُوا بِتربية أنواع ذكية سريعة الجري منها لمطاردة الفريسة ، اذا ادركتها نهشتها او قبضت عليها ، فيأتي الصياد ، فيأخذها منها .

ويتحایل الصيادون في الاصطياد ، فيحفرون حفرة تلجف من جوانبها ، اي يجعل لها نواحي ، وتعرف عندهم بالقُرموص ، وذلك لتمويه على الحيوان . وقد يتخذ الصياد او اي شخص آخر موضعاً فوق اطراف الشجر والنخل خوفاً من الأسد ، فيقال لذلك « العرزال » . وأما « الزُيْسة » فحفرة تحفر للأسد ، وكذلك « الزونة » ، و « القُترة » حفرة يحفرها الصائد يكمن فيها حتى لا يشعر به الصيد . وقد يدخن الصائد في قترته لكيلا تجد الوحش ريحه ، ويقال لذلك « المُدْمَر » . و « الروق » موضع الصائد ، و « الدُجْية » قتره الصائد . وهناك ألفاظ أخرى من هذا القبيل يراد بها الحفر التي يستتر بها الصيادون في الصيد . ويستخدم الصيادون جملة ادوات في الاصطياد ، منها آلة تسمى « الجرة » ، وهي خشبة نحو الذراع يجعل في رأسها كفة وفي وسطها جبل ، فاذا نشب فيها الظبي ناوصها واضطرب ، فاذا غلبته استقر فيها . و « الحباله » الحبل الذي يصاد به . و « الأحبول » حباله الصائد . وأما « الشرك » فحبال الصائد والواحدة « شركة » و « المصلاة » شرك ينصب للصيد ، و « الكصيصه » حباله الظبي التي يصاد بها . وهناك آلة تشبه المنجل تشد بحباله الصائد ليختطف به الظبي يقال لها « الحاطوف » . وأما « الرداعة » فقتل البيت تجعل فيه لحمة يصيد الصياد به الضيع والذئب . ويتخذ الصيادون بيتاً بينونه من حجارة ، ثم يجعلون على بابه حجراً يقال له السهم . والمليسن يكون على الباب ، ويجعلون لحمة السبع في مؤخر البيت فاذا دخل السبع لتناول اللحمه ، سقط الحجر على الباب فسدّها ، وبذلك يحبس ، فلا يستطيع الخروج . ويقال لذلك البيت « الرواحه » . وأما « الجريئة » ، فانها بمعنى « الرداعة » . ولعرقه الحمير الوحشية تستعمل آلة خاصة تشبه الهلال يقال لها « هلال الصيد » .

وتستعمل الشباك في الصيد كذلك . تستعمل في صيد البحر والبر . ويغدف الصياد بالشبكة على الصيد ليأخذه . وأما القصبه التي تصاد بها العصافير ، فيقال لها الغاية . والغاية الراية كذلك . وأما « الرامق » و « الرامج » فيمعي الملوّاح الذي يصاد به البُرْاة والصقور ، وهو أن يؤتى بيومه فيُشدّ في رجلها شيء أسود ،

ويُخاط عيناها . ويشدّ في ساقها خيط طويل ، فاذا وقع عليها البازي صاده الصياد من قترته . ويقال انها لفظة عجمية . وقد تُعشى الطيور بالليل بالنار ليصيدها ، ويعبرون عن ذلك بجملة : قر القوم الطير .

و « المفقاس » عودان يشدّ طرفاهما بخيط ، كالذي في وسط الفخ ، ثم يُلوى أحدهما ، ثم يجعل بينها شيء يشدهما ، ثم يوضع فوقها الشركة ، فاذا اصابها شيء ، وثبت ، ثم اغلقت الشركة في الصيد . والعطوف والماطوف مصيدة فيها خشبة منعطفة الرأس ، والمقلّة والقلة عود يجعل في وسطه حبل ، ثم يدفن ، ويجعل للحبل كفة فيها عيدان ، فاذا وطئ الطير عليها عضت على اطراف اكارعه . وأما الدواحيل فخشبات على رؤوسها خرق ، كأنها طرّادات قصار ، تركّز في الارض لصيد حمر الوحش . وأما البُجة ، فأنها « الرداحة » . وأما « اللبجة » ، فأنها حديدة ذات شعب كأنها كفّ بأصابعه تنفّرج ، فيوضع في وسطها لحم ثم يُشدّ الى وتد ، فاذا قبض عليها الذئب ، التبجت في خطمه ، فقبضت عليه ، وصرعته . و « النّامية » مصيدة تربط فيها شاة للذئب .

وقد يستتر الصياد بحيوان او غيره ليخفي نفسه عن الصيد ، ويقال لذلك « اللريثة » ، وهذا المعنى « الذريعة » و « الرقية » و « السيفة » ، واذا استتر الانسان بالبعير من الصيد فيقال لذلك « المسوق » .

وفي جزيرة العرب حيوانات وحشية ، وقد قلّ فيها الأسد الآن . اما في الجاهلية ، فقد كان معروفاً في مواضع عديدة عُرفت عندهم بالأسد، جمع مأسدة^١ ، وقد كانوا يصطادونه بطريقة اسقاطه في حفر تغطى ، فاذا سار عليها الأسد سقط فيها ، وبطرق اخرى . وهناك الفهود والنسور وانضباع والذئاب ، وتكثر القردة في المناطق الجبلية وفي النجود ، وهي لا تزال موجودة في نجد الحجاز واليمن والعربية الجنوبية .

ويقال للمأوى الأسد في خيسه : (العريس) (والعريسة) . ويصعب صيده وهو في مكمنه ، وضرب المثل بذلك فقيل :

« كمبتغي الصيد في عريسة الأسد »

١ (وأرض مأسدة : كثره الأسود) ، الانسان (٧٢/٢) ، (أسد) .

وقال طرفة :

كليوث وسط عريس الأجم^١

ومن الحيوانات الوحشية المعروفة في جزيرة العرب الحمار الوحشي . ويظهر ان بعض الناس كانوا يأكلونه ، بدليل ما ورد في كتب الفقه من النهي عن أكل لحوم الحمر الوحشية . ويذكر علماء اللغة ان الحميريين كانوا يطلقون على الحمار لفظة « العُكسوم » و « الكسوم »^٢ .

ويكثر الظبي في جزيرة العرب ، ويطلع فيه الصيادون . وقد كان الجاهليون يلجأون الى حوره فيسدون ابوابها ويحفرون من موضع آخر للوصول اليه ، كما كانوا يضربون بحجر على الحجر ليفزع الظبي ، فاذا فزع تهايا للقتال ، وتهايا الصياد للقبض عليه ، ويتحایل عليه فيقبض عليه من ذيله . وهو ما زال كثيراً في مواضع عديدة من جزيرة العرب ، وقد استعملت السيارة في الزمن الحاضر في صيده وذلك في باب التجديد في الصيد^٣ .

والنعام من الحيوانات المعروفة في جزيرة العرب . وقد ذكر علماء اللغة ألفاظاً كثيرة قالوا ان العرب اطلقوها على النعام ، على ذكر النعامه وعلى انثاها وعلى صغار النعام . ومنها « الجعول » ويراد بها ولد النعام ، وهي يمانية . وكذلك لأصوات النعام وجعاعاتها^٤ . وورود هذه الألفاظ دليل على كثرة النعام في جزيرة العرب ووقوف العرب عليها .

وأما اهل السواحل ، فقد اضطرتهم طبيعة بلادهم على الاصطياد في البحر ، على اصطياد سمكه ، للاعتياش عليه ولبيع الفائض منه . او لتجفيف الزائد منه لأكله وقت الحاجة او لتقديمه علفاً لحيواناتهم . وقد اشتهر سكان الخليج في الجاهلية ايضاً بالغوص لاستخراج اللؤلؤ من الصدف الكامن على قاع البحر . وقد كان يؤتيهم ذلك ارباحاً طائلة . اما اهل باطن جزيرة العرب والأماكن البعيدة عن السواحل فقد قل علمهم بالسملك ، لعدم وجود انواع منه في البوادي . وعدم امكان ايصاله طرياً اليهم . فقلّت اسماء انواعه في لهجاتهم . بينما نجد له اسماء عديدة في لغات اهل السواحل لوجود انواع عديدة منه في البحار كانوا يصطادونها . فتكون القسم الغالب من اللحم عندهم .

١ اللسان (١٣٦/٦) ، (عرس) .

٢ المخصص (٤٧/٨) .

٣ فؤاد حمزة : في بلاد عسير (ص ٢٣) .

٤ المخصص (٥١/٨ وما بعدها) .

وذكر علماء اللغة ان (السمك) الخوت من خلق الماء^١ . وذكر ان الخوت ما عظم من السمك^٢ . ومن أنواع سمك البحر : (القرش)^٣ . وهو من الأسماك العظام .

ومن وسائل صيد السمك (العروك) ، خشب يلقي في البحر ، يركبون عليه ، ويلقون شباكهم ، يصيدون السمك^٤ . و (العركي) صياد السمك . ولهذا قيل للملاحين عرك ، لأنهم يصيدون السمك . (وفي الحديث في كتابه الى قوم من اليهود : ان عليكم ربيع ما أخرجت نخلكم ؛ وربع ما صادت عروكم ، وربع المغزل) . والعروك هم الذين يصيدون السمك^٥ .

ومن عادة ملوك الحيرة والغساسنة أنهم كانوا يتبدون في المواسم الطيبة من السنة ، بعد هطول الأمطار واكتساء البادية بسطّ الربيع ، وتعيد الطيور والماشية بالمناسبة السعيدة . كانوا يخرجون الى البوادي للاستمتاع بالمناظر الجميلة وللصيد والقتصص ، ومن الأماكن التي كان ملوك الحيرة يقصدونها منزل (ماوية) ، وهو منزل بين مكة والبصرة^٦ . ذكر ان الملك (النعمان) كان اذا أراد الاستئناس برؤية حلل الربيع والماء ، خرج الى (النجف) والى البادية ، فتنصب له ولأصحابه القباب ويمضي أياماً هناك يتصيد ويستمتع بمنظر الشقائق ذوات الألوان الأخاذة الجاذبة للقلوب ، حتى زعم ان (شقائق النعمان) انما سميت بذلك نسبة اليه . جاء الى موضع وقد اعتم نبتة من أصفر وأحمر واذا فيه من هذه الشقائق ما راقه ولم ير مثله ، فقال : ما أحسن هذه الشقائق ! إجموها ! وكان أول من حماها ، فسميت شقائق النعمان بذلك^٧ .

ويظهر من حديث جرى بين يدي (النعمان) ان من العرب من كان يسمّى الصياد ، ويفضل صاحب الإبل عليه . فقد روي ان (معاوية بن شكل) ذمّ

- ١ تاج العروس (١٤٤/٧) ، (سمك) .
- ٢ تاج العروس (٥٣٩/١) .
- ٣ تاج العروس (٣٣٧/٤) ، (قرش) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٧/١) .
- ٥ تاج العروس (١٦١/٧) ، (عرك) .
- ٦ الاشتقاق (١٩١) .
- ٧ تاج العروس (٣٩٨/٦) ، (شق) .

(حجل بن فضلة) بين يدي النعمان ، إذ قال فيه : « انه مقبل النملين ، متفخ الساقين ، قعو الأليتين مشاء بأقراء ، قتال نلباء ، يباع إمساء » . فقال له النعمان : « أردت ان تدعنه ، فدعته » ، وصفه بأنه صاحب صيد ، لا صاحب إبل^١ . ولعله قصد بذلك انه كان صياداً عتقاً ، اتخذ الصيد حرفة له . فقد كان بين الصيادين قوم اتخذوا الصيد لهم حرفة . فاذا اصطادوا باعوا صيدهم ، ولم يستفد منه ، فهو مثل الجزّار ، الذي يبيع اللحم ولا يطعم أهله منه ، ولذلك نظروا اليه نظرة استصغار .

سباق الخيل :

والتسابق على ظهور الخيل رياضة الأثرياء والفرسان القديمة . وهي لا تزال معروفة ، وان كانت قد أخذت تلفظ أنفاسها بسبب انبال الأثرياء على ركوب السيارات الفخمة التي لفتت أنظارهم وجرتهم اليها ، فلم يبق من يمارس تلك الرياضة القديمة إلا أولئك الذين لم تصل السيارات اليهم بكثرة ، لوعورة الطرق وامعائهم في البوادي وابتعادهم عن المواطن التي أخذت تعروها منتجبات العرب .

ويذكر أهل الأخبار ان أول من ركب الخيل (اسماعيل) ، ولذلك سميت بـ (العراب) ، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش . خرج الى موضع (أجياد) ، فنادى بالخيل ، فلم يبق علي وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته فأمكنته من نواصيها وتللت له . ولذلك قال النبي : (اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل)^٢ .

وراهن أهل الجاهلية على الخيل . فكانوا يخرجون الى السباق ويقال : يجتمع الناس للرهان ، ثم يتراهنون هنالك على الخيل المتجمعة و (السابق) من الخيل ، وهو الأول ، هو الذي يأخذ الجائزة الأولى ، ويتلوه « المصافي » وهو الفائز الثاني^٣ . و « الحلبة » الدفعة من الخيل في الرهان خاصة ، وقيل : خيل تتجمع

١ اللسان (١٧٩/١٥) ، (قرا) ، ناج العروس (٢٩٠/١٠) ، (فري) ، (١٠٠) .

وجدنا العرب يستذلون الصيد وبحفرون الصباد ، الحموان (٣٠٩/٣) ، (عمارون) .

٢ الديميري ، حياة الحيوان (٣١١/١) .

٣ العقد الفريد (٢٠٦/١) وما بعدها .

للسباق من كل أوب^١ . وجمع الخيل .

ويقال للحبل الذي يمدّ في صدر الخيل عند الإرسال الحلب . والمنصبية الخيل حين تنصب للإرسال . ويقال للسابق من الخيل : الأول ، والمصلي الثاني الذي يتلوه . وما سوى ذينك يقال له الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ثم السكيت . فما جاء بعد ذلك لا يعتدّ به . والغسكل الذي يجيء آخر الخيل . وذكر : ان : أسماء خيل الحلبة عشرة لأنهم كانوا يرسلونها عشرة عشرة ، وسمي كل واحد منها باسم . فالأول منها السابق . وهو المُجَلِّي لأنه كان يجلي عن صاحبه ، والثاني المُصلي لأنه يضع جحفته على صلا السابق ، والثالث المسلي ، والرابع والخامس المراتح ، والسادس العاطف ، والسابع المؤمل ، والثامن الحظي ، والتاسع اللطيم ، والعاشر السكيت ، والغسكل الذي يجيء آخر الخيل في الحلبة . ويقال للحبل الذي يجعل في صدور الخيل يوم الرهان المقبض والمقوس . وقيل في أسماء خيل الحلبة ان أولها المجلي ثم المصلي ثم المسلي ثم العاطف ثم المراتح ثم الحظي ثم المؤمل . هذه السبعة لها حظوظ ، ثم التي لا حظوظ لها . اللطيم ، ثم الوغد ، ثم السكيت^٢ .

وكانوا يضعون عند نهاية الحدّ الذي يقررونه للسباق قصبة فمن يصل إليها قبل غيره من المتسابقين ، يعد السابق لقصبة السبق ، ويكون قد أحرز القصب لأن الغاية التي يسبق إليها تُدرّج بالقصب . وتركز تلك القصبة عند منتهى الغاية ، فمن سبق إليها حازها واستحق الخطر^٣ .

و (الخطر) الذي يوضع بين أهل السباق ، وقيل الذي يوضع في النضال والرهان في الخيل فمن سبق أخذه . والسابق اذا تناول القصبة ، علم انه قد أحرز الخطر^٤ . وكانوا يقلدون السابق من الخيل ؛ ولا يقلّد من الخيل إلا سابق كريم . ويقولون للسابق من الخيل : المقلّد^٥ .

١ ناج العروس (٣١١/٢) ، (الكوت) .

٢ نهاية الأرب (٦٠٢/٢) وما بعدها ، ناج العروس (١٥١/٢) ، (روح) .

٣ اللسان (٦٧٧/١) ، (فصب) .

٤ اللسان (٢٥١/٤) ، (حطر) ، (١٥١/١٠) .

٥ ناج العروس (٤٧٥/٢) ، (قلد) .

وقد سبق الرسول بين الخيل التي قد ضُمَّرت من موضع « الحفياء » الى « ثنية الوداع » والمسافة بين الموضعين خمسة أميال أو ستة ، وقيل ستة أميال أو سبعة . وسابق بين الخيل التي لم تضمّر من « الثنية » الى مسجد « بني زريق » والمسافة ميل أو نحوه . وسابق بين الخيل على حلق أُنْتَه من اليمن ، فأعطى السابق ثلاث حلق والمصلي حلتين ، والثالث حلة ، والرابع ديناراً ، والخامس درهماً ، والسادس قصبة . وقد ساهمت خيله في السباق .

وراهن رسول الله على الخيل ، وذكر ان أول مسابقة كانت في الاسلام سنة ست من الهجرة . سابق رسول الله بين الخيل ، فسبق فرس لأبي بكر فأخذ السبق . والمسابقة مما كان في الجاهلية ، فأقرها الاسلام^١ .

وفي الحديث : أحاديث عن الرسول في السبق ، منها : لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر ، فالخف للإبل ، والحافر للخيل ، والنصل للرمي^٢ وبقية الأحاديث في كتب الحديث والفقه .

ولم يقتصر السباق عند الجاهليين على السباق بين الخيل ، بل سابقوا بين الإبل ، وجعلوا للسابق خطراً ، كما سابقوا بين الكلاب والحمير والحيوانات الأخرى .

ومن سباق أهل الجاهلية والاسلام ، السبق بالنصل ، أي المراماة بالسهم . وذلك بأن يوضع خطر ، ويذكر عدد الرمي والهدف ، فمن أصاب الهدف أكثر من غيره نال السبق . وقد عرف نفر من الجاهليين بإصابتهم الهدف ، وبقوة رميهم ، وجعلوا لقوة الرمي وشدة أو لرخاوته وللمكان من إصابته الهدف درجات هي : الخاضل ، والخازق ، والخاسق ، والحابي ، والمارق ، والخارم ، والمزدلف . والخاضل الذي يقرع الشن ولا يחדشه ، والخازق الذي يחדشه ولا يثقبه ، والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه ، والحابي ان يذني الرامي يسه من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض فيصيب الهدف ، والمارق الذي يمرق الشن

١ نهاية الأرب (٣٦٨/٩ وما بعدها) ، الفسطاطي ، ارشاد (٧٨/٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٥١/١٠) ، (سبق) .

أي يثقبه وينفذ فيه ، والخارم الذي يحرم طرف الشن أي يقطعه ، والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشن فيصيب الهدف^١ .

ومن السباق : المناضلة ، وهي المباراة في الرمي . والنضيل هو الذي يرامي ويسابق . والمناضلة المفاخرة والتسابق بالأشعار^٢ . وتكون المباراة في الرمي بثلاثة أنواع : مبادرة ، ومحاطة ، ومناضلة . فالمبادرة ان يشترطاً لإصابة عشرة من عشرين ، فيبتدر أحدهما الى العشرة فينضل صاحبه ، والمحاطة ان يقولوا نرمي عشرين رشقاً على ان من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله ، فإذا اشترطاً ذلك ، ورمى كل واحد منها عشرين رشقاً وأصاباً إصابات نظر ان استويا في الإصابة لم يحصل النضل ، وان تفاوتا في الإصابة حط الأقل أو الأكثر ، فإن بقي لصاحب الأكثر الخمس المشروطة فقد نضل صاحبه ، وان بقي له أقل من الخمس المشروطة لم يحصل النضل . والمناضلة ان يشترطاً عشرة من عشرين على ان يستوفيا جميعاً ، فبرميان معاً جميع ذلك ، فإن أصاب كل واحد منها عشرة أو فوقها أو دونها لم يحصل النضل ، وان أصاب واحد منها دون العشرة والآخر عشرة فما فوقها ، فقد نضل صاحبه^٣ .

وللعرب عناية خاصة بالخيال ، وما زالوا يعتنون بها الى اليوم ، حتى لقد حفظوا أنسابها حفظهم لأنساب الناس ، وألفوا الكتب فيها . وبجد في كتب الأدب واللغة أساء خيل اشتهرت في الجاهلية . وذكر (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) أساء كتب ألفت في الخيل ، ذهب أكثرها ، وبقي بعض منها . ونجد في (تاج العروس) أساء خيل اشتهر أمرها في الجاهلية ذكرت في مواضع متناثرة من أجزاء الكتاب^٤ . وذكر معها أساء أصحابها ، كما أشار الى مؤلفات رجع اليها في هذا الموضوع مثل كتاب الخيل لابن الكلبي^٥ ، وقد طبع ،

- ١ بلوغ الأرب (٣٥٤/٣) .
- ٢ تاج العروس (١٣٨/٨) ، (نضل) .
- ٣ بلوغ الأرب (٣٥٥/٣) .
- ٤ تاج العروس (٦٠/٩) ، (لطم) .
- ٥ وقد طبع ببولاق بمصر ، (أنساب الخيل) ، (لندن) .

وكتاب الخيل لأبي عبيدة وقد طبع كذلك ، ومؤلفات أخرى لم تطبع حتى الآن^١ .

ولائم العرب :

الوليمة كل طعام يصنع لعرس وغيره ويدعى اليه . وأما الدعوة : فهي أعم من الوليمة ، وأما المأدبة ، فكل طعام صنع لدعوة أو عرس . والآدب الداعي الى الطعام^٢ . ولوائم العرب ست عشرة وليمة . هي : وليمة العرس ، وهي ما يصنع للدخول بالزوجة ، و (الملاك) (الأملاك) وهي ما يصنع للخطبة ، و (الخُرس) وهي طعام يصنع للنساء لسلامة المرأة من الطلق ، وقيل : هي طعام الولادة . و (الحقيقة) وهي ما يصنع للطفل بعد ولادته وتخص باليوم السابع ، و (الأعذار) وهي ما يصنع للختان ، و (الشندخ) وهي أيضاً طعام الأملاك ، و (الوكيرة) وهي ما يصنع للبناء يعني للسكن المتجدد ، و (التحفة) وهي ما يصنع للزائر ، و (الشندخ) وهي طعام الأملاك كما ذكرت ، وما يصنع عند وجود الضالة ، و (النقيعة) وهي ما يصنع للقدوم من السفر ، وقيل : النقيعة التي يصنعها القادم والتي تصنع له تسمى (التحفة) ، و (القرى) وهي ما يصنع للضيف ، و (الوضيعة) وهي ما يصنع للميت ، أي لأهل المصيبة .

ويقال للدعوة التي نعم دعوتها (الجفلى) ، وأما (النقرى) فهي التي تخص دعوتها . قال طرفة :

نحن في المشتاق ندعو الجفلى لا ترى الآدبَ فينا ينشر

- ١ أسماء الخيل ، لابن الأعرابي ، وقد طبع ب (لندن) ، ولأبي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الأجدابي ، كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ على ألوان الخيل ، مطبوع ، نهاية الأرب (١٤/١٠) .
- ٢ اللسان (٢٠٦/١) ، (ادب) ، المخصص ، لابن سيده (١٨٨/٤ وما بعدها) ، البخلاء ، للجاحظ (٢٤٦) ، (دار بيروت ، بيروت ١٩٦٠) ، النهاية ، لابن الأثير (٣٤/٢) .

يفتخر بقومه وانهم اذا صنعوا مآدبة دعوا اليها عموماً لا خصوصاً ، وخصّ
أيام الشتاء لأنها أيام الشدة والضيق ^١ .

ويقال للطعام المستعجل ، وهو الذي يقدم للراكب : (العُجل) و (العجيل) ،
وهو من السوق والتمر في الغالب . واذا أكرم رجل رجلاً آخر بتقديم (اللبن)
اليه ، قيل لذلك الكرم (القفي) . ويقال لما يرفع للانسان من المرق (العفارة) .
وهناك أسماء تجدها في كتب اللغة لأنواع المأكول والأطعمة ^٢ .

١ بلوغ الأرب (٣٨٥/١) ، البخلاء ، للجاحظ (٢٤٦) ، المخصص (١٢٠/٤) .

٢ المخصص (١٢٠/٤) وما بعدها .

الفهرس

٥	٤٢. مكة المكرمة
١٢٨	٤٣. يثرب والطائف
١٥٨	٤٤. مجمل الحالة السياسية في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام . .
٢٧١	٤٥. المجتمع العربي
٤١٤	٤٦. أنساب القبائل
٤٦٧	٤٧. القبائل العدنانية
٥٤١	٤٨. الناس منازل ودرجات
٦٠٦	٤٩. الحياة اليومية

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

سأعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الخامس

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الخمسون

البيوت

ومساكن العرب متباينة مختلفة . منها : البيوت المتنقلة ، ومنها المباني المبنية بالمدر أو الحجر ، وهي أبنية أهل الحضر . وهي مختلفة أيضاً في طرازها المعماري وفي سعتها ومادتها ويكون اختلافها باختلاف مكانها وباختلاف مكانة صاحبها ، ومترلته من حيث الغنى والفقير .

والبيت لفظة تطلق على الصغير من البيوت وعلى الكبير منها . وقد جعل (ابن الكلبي) بيوت العرب ستة : قبة من آدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقنة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها . وذكر بعض علماء اللغة أن الخباء بيت صغير من صوف أو شعر ، فإذا كان أكبر من الخباء فهو بيت ، ثم مظلة إذا كبرت عن البيت . وهي تسمى بيتاً أيضاً إذا كان ضخماً مزوqاً . وذكر بعض آخر أن الخباء بيت يعمل من وبر أو صوف أو شعر . ويكون على عمودين أو ثلاثة . والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . وذكر أن الخباء هو البيت كيفما كان^١ .

وذكر علماء اللغة أن البناء المبنى ، ويراد به أيضاً البيت الذي يسكنه الأعراب في الصحراء . ومنه الطراف والخباء والبناء والقبة والمضرب^٢ . والطراف بيت من

١ تاج العروس (٥٢٩/١) ، (بات) .

٢ تاج العروس (٤٦/١٠) ، (بني) .

أدم ليس له كفاء ، وهو من بيوت الأعراب ذكر في شعر طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هناك الطراف الممدد^١

وقد اشتهر (بنو قيدار) بنعيمهم المصنوعة من شعر الماعز . وقد أشير إليها في التوراة . وهم رعاة في الغالب يعيشون على الرعي ، ولذا اتخذوا بيوتهم من شعر الماعز ، فصارت ذات لون أسود . وقد اشتهروا ببراعتهم في الرمي بالقوس^٢ . وأصحاب الخيام المصنوعة من شعر الماعز أو من الصوف ، هم من الأعراب أصحاب الماشية ، الذين يعيشون في مواضع تكثر فيها الأمطار وتكون غير بعيدة عن المدن والقرى ومواضع الماء ، ولذلك يعيشون في الغالب على الرعي .

وفي سعة الخيمة دلالة على منزلة صاحبها ومكانته وراثته . ولذلك يفتخر العزيز منهم بسعة بيته ، أي خيمته . وقد تقطع الخيمة بقاطع ، يقسمها الى قسمين : قسم للحريم ، أي للنساء والسكن ، لا يدخله غريب . وقسم يكون للرجال وللضيوف ، يجلسون ويأكلون فيه . ويكون نادياً ومضيفاً يخصص للقادمين وللضيوف صاحب ذلك البيت .

ولسيد القبيلة خيمة كبيرة تكون (مضرب القبيلة) ، ومقر السيد الرئيس ونادي القوم . يسمر فيها (رب القبيلة) ، ويأوي إليها الضيوف^٣ . واليهاء يلتجئ المحتاج ومن به حاجة الى الاقراء أو أية حاجة أخرى . ويفتخر سيد القبيلة بمضربه هذا ، ويتباهى به على أقرانه ، وتفتخر قبيلته به أيضاً ، لأنه يرفع رأسها بين القبائل . وورد المضرب : الفسطاط العظيم ، وهو فسطاط الملك^٤ .

وتضرب للسادات الأشراف والأغنياء قبب خاصة تكون من الأدم . فكان لرؤساء القبائل أصحاب العز قباب من أدم ، كما كان من عادة ملوك الحيرة ضرب قباب من الأدم لأصحاب الجاه وسادات القبائل الكبار الذين يقدون عليهم . وتعتبر هذه القباب من امارات التعظيم والتفخيم والامتياز والجاه عند الملوك . ولذلك

١ اللسان (٢١٩/٩) ، (طرف) ، تاج العروس (١٧٩/٦) ، (طرف) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) .

٣ تاج العروس (٢٤٧/٣) ، (الكويت) (ضرب) .

٤ تاج العروس (٣٤٨/١) ، (ضرب) .

يعامل من تضرب له القبة معاملة خاصة . وتعرف قبة الأدم بـ (قبة المبنأة) أيضاً^١ . وذكر بعض علماء اللغة أن القبة هي البناء من الأدم خاصة . وذكر بعض آخر أن القبة من الخباء بيت صغير مستدير ، وهو من بيوت العرب^٢ . وذكر (الطبري) في كلامه عن غزوة الخندق ، أن الرسول أدار المعركة (وهو ضارب عليه قبة تُركِيّة)^٣ . ولم يشر إلى شكل هذه القبة ولا إلى سبب تسميتها بذلك .

وقد اشتهرت (القباب الحُمْر) المصنوعة من أدم ، يأوي إليها أصحاب الجاه واليسار والمشهورون . وقد ذكر أن النابغة الذبياني كان يضرب له بسوق عكاظ قبة حمراء من أدم ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان ممن أنشده (حسان بن ثابت) . وقد انتقده النابغة بأدب ولطف^٤ . وقيل إن بيت الأدم ، قبة الملك ، يجتمع فيها كل ضرب ، يأكلون الطعام^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أن العرب تضرب الأخيية لأنفسها ، والمضارب للموكها ، والمضارب إنما ترتبط بالأوتاد^٦ . وذكر أن الخباء هو ما كان من وبر أو صوف ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . وقيل : الخباء من شعر أو صوف ، وهو دون المظلة . وهو من بيوت الأعراب^٧ . وذكر أن (المظلة) الكبير من الأخيية ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ، وربما كان لها كفاء وهو مؤخرها . قال بعض علماء اللغة أنها تكون من الشعر ، وقال بعض آخر لا تكون إلا من الثياب^٨ .

و (المضرب) الفسطاط العظيم ، وهو فسطاط الملك . وقد استعمل للملوك خاصة ، ولأصحاب الجاه والعز والمكانة . ولهذا كانوا إذا مدحوا إنساناً وأرادوا

-
- ١ البرقوقي (ص ١٥٦) ، اللسان (٩٥/١٤) ، (بني) .
 - ٢ تاج العروس (٤١٩/١) ، (قبيب) .
 - ٣ تاريخ الطبري (٥٦٨/٢) .
 - ٤ البرقوقي (ص ٣٧١ وما بعدها) .
 - ٥ المعاني الكبير (١٢٥٤/٣) .
 - ٦ مجمع الأمثال (٣٦٤/١) .
 - ٧ اللسان (٢٢٣/١٤) ، (خبي) ، (٩٥/١٤) ، (بني) ، تاج العروس (٥٩/١) وما بعدها ، (خبا) .
 - ٨ تاج العروس (٤٢٧/٧) ، (ظلل) .

الإشادة بمكانته وبمنصبه قالوا : (إنه لكریم المضرب شريف المنصب) ، وإذا أرادوا ذمَّ إنسان ، قالوا : (ما يعرف له مضرب عسلة)^١ ، و (لا منبض عسلة) ، أي من النسب والمال ، يقال ذلك إذا لم يكن له نسب معروف ولا يعرف اعراقه في نسبه^٢ . ولما كانت المضارب من بيوت الملوك ، وأهل الجاه وهم خيار الناس ونخبهم ، صارت المضارب كناية عن الجاه والشرف والمال .

و (السراق) ، كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء . وقيل : كل بيت من (كُرْسُفٌ) فهو سراق^٣ . وترد اللفظة في الفارسية بمعنى حائط أو حاجز من نسج غليظ حول خيمة^٤ .

وذكر أن (الفسطاط) ضرب من بيوت الشعر . والظاهر أنه البيت الكبير . وورد (الفسطاط العظيم) ، وهو (فسطاط الملك)^٥ . وذكر أن الفسطاط هو مجتمع الناس . وذكر أن الفسطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السراق وبه سميت المدينة : مدينة الفسطاط^٦ . ويظهر أن الكلمة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وهي في هذه اللغة بمعنى (خيمة)^٧ .

و (الطراف) خباء من آدم يتخذة الأغنياء^٨ . و (الطوارف) من الخباء ما رفعت من جوانبه ونواحيه للنظر الى خارج^٩ . قال عروة بن الورد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هناك الطراف الممدد^{١٠}

يعني ان الفقراء يعرفونني بإعطائي ، والأغنياء يعرفونني بفضلتي وجلالة قدرتي .

وتكون بيوت الأعراب المتناثرة ، وهي خيامها ، منازل القبيلة ومضاربها . وتحيط خيامها بنجم الرئيس . فتكون من ذلك مستوطنة بدوية . ومنها يتألف مجتمع

-
- ١ بفتح الميم وكسر الراء .
 - ٢ تاج العروس (٣٤٩/١) ، (ضرب) .
 - ٣ اللسان (١٥٧/١٠) وما بعدها .
 - ٤ غرائب اللغة (٢٣٣) .
 - ٥ تاج العروس (٢٤٧/٣) ، (الكويت) (ضرب) .
 - ٦ اللسان (٣٧١/٧) ، (فسط) ، تاج العروس (١٩٨/٥) وما بعدها ، (فسط) .
 - ٧ غرائب اللغة (٢٤٠) .
 - ٨ تاج العروس (٤٣٧/٣) ، (غير) .
 - ٩ تاج العروس (١٧٨/٦) ، (طرف) .
 - ١٠ تاج العروس (٤٣٧/٣) ، (غير) .

البوادي . ويرتبط حجم هذه المستوطنات ، بسعة ماء المكان وبعدد بيوت القبيلة النازلة به ، فإن كان الماء قليلاً ، قلّ عدد خيامها ، وإن كان غزيراً ، كثر عددها. واتسعت رقعة المضارب اتساعاً يتناسب مع كفاءة ذلك الماء وما على الأرض من رزق تعيش إبلهم عليه .

بيوت أهل المدر :

أما أهل القرى والمدن ، أي أهل المدر ، وهم المستقرون وشبه المستقرين ، فلمهم يقيمون في بيوت ثابتة أو شبه ثابتة . وهي تتفاوت بالطبع بتفاوت منازل ودرجات أصحابها . فربّ بيت يكون من خيمة أو من أغصان شجر وعيدان وجريد ، ويقال له (العنة) . وقد قيل إن العنة الخيمة تتخذ من أغصان الشجر^١ . وقيل البيت يعمل من الخشب^٢ . وربّ بيت يكون من طين ، ويستقف بجريد أو بأغصان أو بحصير يطين أيضاً . ويختلف حجم مثل هذا البيت باختلاف حجم العائلة . وقد يبنى البيت باللبن وهو الغالب ، وتكون حالة أصحابها أحسن من حالة أصحاب بيوت الطين .

وكنتيجة لتيسر مواد البناء في العربية الجنوبية ، ظهرت مدن لا نجد لها مثيلاً في أنحاء أخرى من جزيرة العرب . مدن كبيرة بيوتها ثابتة وبعضها ذو جملة طوابق ، تحاط بأسوار عالية وأبراج وحصون يأوي فيها المدافعون . وقد تمكن المنقبون من التنقيب في بعض خرائبها ومن وضع مخططات لبعض شعابها أو مخططات عامة مبدئية للمدينة كلها وللور الذي كان يحتضنها .

والقرية في نظر علماء العربية لفظة يمانية الأصل . يقولون إنها المصدر الجامع ، وكل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً . وتقع على المدن وغيرها^٣ . ولكن الأغلب أنها أصغر حجماً من المدن . وأنها تكون غير مسورة . فإذا أحاط بها (سور) صارت مدينة . وذلك على نحو ما نفهم من نصوص الجاهليين ومن

-
- ١ الاشتقاق (ص ٣١٢) .
 - ٢ المعاني الكبير (١١٢١/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٢٩٠/١٠) ، (قرى) .

المتعارف عليه بين الساميين من أن القرية أصغر حجماً من المدينة . وأن المدن هي القرى الكبيرة المسورة^١ . وقد فهم علماء العربية هذا المعنى بالنسبة للمدينة أيضاً . إذ قالوا مدينة : الحصن يبنى في اصطمة الأرض^٢ . وتقابل (مدنتو) Medinto في لغة بني إرم^٣ . وتقابل لفظة (هكر) (هجر) (هجرن) (هكرن) في لغة أهل اليمن . وهي لا تزال مستعملة في العربية الجنوبية لهذا اليوم . وذكر علماء اللغة أن (هجر) هي القرية بلغة حمير^٤ .

وورد أن العرب تسمي (القرى) مصانع ، واحداثها مصنعة . يقال هو من أهل المصانع ، أي القرى . و (المصانع) أيضاً المباني من القصور والحصون^٥ . ويطلق العرب على الرجل من أهل القرى مصطلح : (أخضر النواجد) ، يريدون أنه ممن يأكل الكُرَّات والبصل والبقول والخضر^٦ . ولا يتناول الأعراب هذه الخضر .

وفي العربية لفظة (الحير) بمعنى شبه الحظيرة والحمى ، و (الحيرة) بمعنى المعسكر والمقام ، و (الحائر)^٧ . وهي من مواطن الخضر ، أي من المستوطنات . وقد كانت مستعملة بين الجاهليين . ومثلها (الحاضرة) و (الحضرة) و (الخضر) ، وهي المدن والقرى والريف . وهي من مساكن الخضر وأهل القرار^٨ .

وتسمى المدن بأسماء . أما القرى والمستوطنات الصغيرة ، فقد تسمى بأسماء ، وقد تنسب إلى أصحابها المالكين لها أو إلى العشائر أو الأفخاذ أو الأسر النازلة بها . ولا تزال هذه العادة متبعة في مواضع من جزيرة العرب . أما بيوت كبار الناس وأغنيائهم ، فتستعمل فيها الحجارة والخشب وغير ذلك من مواد تجعل البناء يدوم أمداً ويعيش مدة طويلة ، وبفضل ذلك بقيت آثار بعض منها حتى الآن . ولا يزال الناس في مواضع من جزيرة العرب ، ولا سيما الأماكن المعزولة

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٣٢١/٢) ، Hastings, p. 143
 - ٢ تاج العروس (٣٤٣/٩) .
 - ٣ غرائب اللغة (٢٠٥) .
 - ٤ تاج العروس (٦١٤/٣) ، (هجر) .
 - ٥ تاج العروس (٤٢٢/٥) ، (صنع) .
 - ٦ الحيوان (٢٤٨/٣) ، (هارون) .
 - ٧ تاج العروس (١٦٤/٣) وما بعدها ، (حار) .
 - ٨ تاج العروس (١٤٦/٣) ، (حضر) .

القصية ، يتخذون بيوتاً تشبه بيوت العرب قبل الاسلام ، وخاصة بيوت سادات القبائل والرؤساء . وبعض ذلك قصور وحصون ذوات جدر وأسوار مرتفعة وتقوم في طرف من الأرض أبراج لها مزارق ومرايع للدفاع ، وأبراج مربعة . وقد تقع البيوت في عدة طبقات تحمي بمختلف وسائل الدفاع . وتستعمل الزينة من أصباغ محلية ومن حجارة طبيعية ذوات ألوان مختلفة . وأعتقد ان هذه الأبنية يجب أن يعنى بدراستها المهندسون المعماريون والآثاريون ، فإن دراستها تحل لنا مشكلات كثيرة للفن العربي الجاهلي ، وتوصلنا الى وضع مخططات عن بقايا الأبنية الجاهلية القديمة التي تهدمت غالبيتها، أو اعتدى عليها الانسان ويا للأسف فاستخدم حجارها في أبنيته الحديثة ، وقضى بذلك على معالمها في الغالب ، وتجاوز على حجارها المكتوبة فحطمها وأبادها ، وبذلك ألحق بتاريخ العرب قبل الاسلام ضرراً بليغاً .

وأعظم شيء في المدن هو هياكلها ، أي معابدها المسماة بأسماء الآلهة التي بنيت لها ، وقصور الملوك وسادات القوم وأشرافهم . فلهؤلاء مال مكنتهم من بناء قصور ضخمة ذات جملة طوابق ، بنوها بحجارة طبيعية اقتلعت من الصخور، وزخرفوا الوجوه البارزة منها، وأقنن فيها الفنانون على وفق أذواقهم وذوق طبيعة بلادهم ، ونشروا الرخام الأبيض والملون وشرحوه ألواناً رقيقة جعلوها في النوافذ بدلاً عن الزجاج . فهذه الأماكن اذن هي التي نتحدث لنا عن العمارة عند الجاهليين .

وقد استعين في بناء بعض المدن بحجارة اقتلعت من مواضع بعيدة بعض البعد عنها في بعض الأحيان . فقد بنيت (قنرو) (معين) ، بحجارة جلبت من موضع يبعد عشرين كيلومتراً تقريباً من شمال (معين) ، من (جبل اللوذ) أو من جنوب (جبل يام) . ويرى بعض الباحثين احتمال جلب بعض الصخور اليها من مواضع تبعد ثمانين كيلومتراً من المدينة . وبعض هذه الأحجار ثقيل يبلغ طول الواحدة منها خمسة أمتار^١ . وجاءوا بـ (المرمر) الى (شبوة) من موضع (مداث) و (كلوة) على مسافة خمسين كيلومتراً من المدينة^٢ .

وقد تبين من الدراسات العامة الأولية التي قام بها الباحثون لخرائب المدن الجاهلية أن بعضها قد بني على شكل مستطيل ، ويحيط به سور مستطيل الشكل أيضاً

١ محمد توفيق ، اثار معين (٧) ، Arabian. S. 140
٢ H. V. Wissmann, Geogr. Grundlagen, S. 78, Arabien, S. 140.

ذو أبراج ، وبعضها بُني على شكل إهليلجي أو قريب منه ، وبعضها على شكل دائري . وقد أحيطت بأسوار لحمايتها من غزو الغزاة والدفاع عن نفسها والثبات بوجه الأعداء . ولها أبواب تغلق ليلاً وتحرس حراسة شديدة حتى لا تفاجأ المدينة بعدواً يأخذ على حين غرة ، كما تغلق وتسدّ سداً محكماً أيام الحروب .

ويظن أن تخطيط المدن على شكل مستطيل كان هو الشكل الغالب ، إذ وجد المنقبون أكثر خرائب المدن قد بُني في الأصل على هذا النحو . ف (مارب) بنيت على شكل مستطيل على رأي بعض من درس آثارها . وكذلك خربة (غريون) في جنوب (المشهد) بوادي (حجرين) بحضرموت . وذهب بعض من زارها إلى أنها كانت مربعة الشكل^١ . وعلى هذا النحو كانت (شبوة) و (حريب)^٢ و (يلط) (يلبط)^٣ ، و (قرنو) التي هي معين في الجوف^٤ .

ومن المدن التي بنيت على شكل إهليلجي تقريباً مدينة (حاز) (حيزم) . وهي محاطة بسور يتراوح ارتفاعه من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار ، تحترقه خمسة أبواب . وبنيت مدينة (ييحان النقب) التي تقع على مسافة عشرة أميال إلى الشمال من (ييحان) على شكل إهليلجي كذلك^٥ .

وقد تبين أن أكثر المدن اليمنية القديمة قد بُني في بطون الأودية على مرتفعات طبيعية ، أو صناعية ، أي من عمل الإنسان . وقد يكون ذلك بسبب خصب الأودية وتوافر الماء فيها بسهولة ، بحفر الآبار أو من العيون أو بواسطة بناء السدود . غير أن هناك مدناً أقيمت على الهضاب والنجاد وعلى سفوح الجبال ، وذلك لستمع بحماية طبيعية وليكون من الصعب على الأعداء التغلب عليها . ومن المدن القديمة التي أقيمت في بطون الأودية مدينة (قرنو) (القرن) (معين) ، فقد بنيت على تل أقامه المعينيون أنفسهم ارتفاعه خمسة عشر متراً ، عن سطح أرض الوادي ، وذلك لحماية المدينة من طغيان ماء السيول في الوادي في موسم الأمطار^٦ .

١ Arabien, S. 140, Von Wissmann-M. Höfner, Beiträge, S. 27, (245), Le Muséon, 61, 1948, p. 221.

٢ وتسمى بـ « الساحل » في هذا اليوم .

٣ وتسمى بخربة سعود في هذا اليوم .

٤ محمد توفيق ، آثار معين ، ٤ ، Arabien, S. 141.

٥ Rathjens — H. V. Wissmann, Vorislamische Altertümer, S. 101, 102, Arabien, S. 141.

٦ Arabien, S. 141.

وتحمي المدن حصون وقلاع ، وقد تقام الأسوار وعلى مسافة من المدينة لتشغل العدو وتمنعه من الدنو منها ، ثم لتحمي مزارع المدينة وأموالها ، وتكون أبنيتهـا حصينة ذات جدر سمكة فيها منافذ ترمى منها السهام ، وفي أعلاها أبراج يرمى منها الرماة الحجارة والسهام على المهاجمين. كما تبنى في المدن نفسها خلف الأسوار، لحماية داخل المدينة من العدو عند تغلبه على الحصون والقلاع الخارجية ، وأسوار المدن . وبيوت الملوك والأشراف وسادات المدينة ، قلاع وحصون في حد ذاتها، فيها كل وسائل المقاومة والدفاع ومخازن لحفظ مواد الإعاشة ، وآبار .

ويكاد يكون لكل مدينة من المدن حصن يقيها ويحميها، وقد اشتهرت وعرفت به . فاحتمت (ظفار) مثلاً بحصنها (ذو ريدان) ، وأقيمت (شبام سخيم) عند حصن (عرّ ذو مرمر) ، و (شبام اقيان) عند (الوة) (كوكبان) ، و (ييحان) عند (ذي ريدان) ، و (برج اتوت) على (ميفع ظبيان) ، وأنشئت (غيان) على تل مرتفع يحمي المدينة من المهاجمين . وأقيم (ذو معاهر) ليحمي مدينة (وعلان) بـ (ردمان)^١ .

ويظهر من كتابات المسند ومن الآثار ان بعض مدن اليمن كانت مسورة ، يحيط بها سور للدفاع عنها . ويقال لمثل هذه المدن (هجرن) في العرييات الجنوبية ، أي (المدن) . مثل (هجرن قرو)^٢ ، بمعنى المدينة (قرو) وهي عاصمة معين . و (هجرن مرب) ، أي المدينة مأرب ، و (هجرن نجرن) أي المدينة نجران ، المدينة الشهيرة عاصمة مخلاف نجران والتي لا يزال اسمها حياً معروفاً في العربية السعودية في هذا اليوم .

وتختلف أطوال أسوار المدن وارتفاعاتها بحسب حجم المدن وبحسب مواقعها . فالمدن الكبيرة تكون أسوارها طويلة يتناسب طولها مع سعتها . والمدن التي تبنى فوق الجبال والهضاب والمحلات الحصينة تكون أسوارها أقل ارتفاعاً من أسوار المدن المبنية في السهول . وقد وجد سور مدينة (قرو) مستطيلاً ، وطوله زهاء أربع مئة متر ، وعرضه زهاء خمسين ومئتي متر ، وعلى كل زاوية من زوايا هذا المستطيل الأربع برج لمراقبة الأعداء ولرميهم بالحجارة والسهام وبوسائل الدفاع

Arabien, S. 275.

REP. EPIGR. Tome V, p. 124, NR. 2774.

الأخرى التي كانت ميسورة لهم^١ .

وقد وجدت أسس سور مدينة (حيزم) (حزم) ، وهي (حاز) ، مبنية بحجر بركاني ، أخذ من لابة قريبة من المكان^٢ . على حين بنيت أسس أسوار المدن الأخرى وجدرها من أحجار تقع مقالعها على مقربة من المدن المسورة ، ليكون في الإمكان نقلها بسهولة الى مواضع البناء .

وغالب مدن العريضة الجنوبية ، لها بابان متقابلان ، فإذا كان أحدهما في الجدار الشرقي للمدينة كان الثاني في الجدار الغربي . وقد وجد في بعض المدن أربعة أبواب أو خمسة . ف (شبوة) عاصمة حضرموت كان لها خمسة أبواب ، يقع الباب الرئيسي في الجهة الشمالية من المدينة . وتؤدي الأبواب الى أفنية تكون متجمع الناس^٣ ، تعلن على جدرانها الأوامر الحكومية ليقف عليها الغادي والرائح ، ويعلن المعلنون فيها أوامر الحكومة ، كما ينادي الدلالون بما عندهم من خبر أو بضاعة . وتكون هذه الساحات أسواقاً كذلك ، ومواضع لتنفيذ أحكام القتل أو العقوبات الأخرى ليعتبر بها الناس . وهكذا نجد أن أبواب المدن كانت من أهم الأماكن العامة للمدينة في تلك الأيام .

وقد وجد بعض الأبواب ، وهي الأبواب الرئيسية ، محصناً من الجهتين بينائين قوين ، للدفاع عن الباب ، فيها منافذ ومواضع يرمي منها المدافعون من يريد اقتحام المدينة . وبين البنائين أو الحصنين باب قوي يغلق في الليل وعند وقوع خطر ما . ويؤدي هذا الباب الى ساحة تحيط بها غرف ومواضع لإيواء الجنود ، ثم تنتهي هذه الساحة بمحاط قوي أو سور يخترقه باب آخر يغلق ويفتح ليؤدي الى المدينة . والغاية من وجود هذا الباب الثاني سدّ الطريق على الأعداء عند اقتحامهم الباب الاول وتغلبهم على الجواسيس ووصولهم الى الساحة التي يقيم فيها الجنود ، فيقابلهم عندئذ باب ثان يسدّ عليهم الطريق ولا يمكنهم من دخول المدينة إلاّ إذا تغلبوا على هذا الباب .

وقد عني العرب الجنوبيون بزخرفة الأبواب وبزخرفة الإطار الذي ترتكز عليه ،

Arablen, S. 143. ١

Arablen, S. 140. ٢

R. A. B. Hamilton, Six Weeks in Shabwa, in Geogr. Jour., (1942), 100, 112, ٣

Arablen, S. 145, Philby, The Land of Sheba, Geogr. Jour., (1938), 92, 110.

والجدار الذي يضم الإطار ، والأعمدة التي تبنى على جانبي الباب أحياناً والبنائين المحكمين اللذين يبنيان عند طرفي أبواب المدن والقصور والمعابد لحراستها .

وتتصل شوارع المدن والقرى بهذه الساحات. والشوارع الرئيسية مبلطة في الغالب ، ولا سيما الشوارع المؤدية الى قصور الملوك ودور الكبار والحكومة والمعابد، وتؤدي الى ساحات أمام هذه المواضع المهمة . ويكون تبليط الشوارع عندهم بتغطيتها بصخور عريضة مستطيلة أو مربعة نحتت بأطرافها بحيث يوضع طرف حجر فوق طرف الحجر الذي يليه ، فيظهرا كأنهما حجر واحد ، أو يوصل أطراف الحجر صقلاً جيداً ووضعه بجانب حجر مصقول آخر ولصقها لصقاً تاماً ، حتى يبدو كأنهما قطعة واحدة . ويظهر أنهم كانوا يعتنون عناية شديدة تامة بالتبليط . وقد تبين من دراسة بعض قطع شوارع مدينة (غيان) الباقية من أيام الجاهلية حتى اليوم أن أهل هذه المدينة لم يعتنوا بتبليط شوارعهم عناية أهل المدن الأخرى ، كما يتبين من طريقة رصف الحجر ومن وضعه بعضه الى بعض ومن دراسة المواد التي توضع تحت الأحجار وبينها ^١ .

وللمدن حدود ، ما كان بعدها عُدّ تابعاً للمدينة ، وما كان خارجها عُدّ منقطع الصلة بتلك المدينة . وقد ذهب (رودوكتاكس) الى أن لفظة (اود) التي ترد في بعض الكتابات تعني (الحد) كما في هذه الجملة (اود هجرن) ، أي (حد المدينة) ^٢ . وعندي أن المراد بها (السدود) وكل شيء بقي شيئاً . فإن الأياد في العربية ما أيد به من شيء ، وإياد كل شيء ما يقوى به من جانبيه ، والتراب يجعل حول الحوض والجباء يقوى به أو يمنع ماء المطر ^٣ . وعلى هذا فإن تفسير (اود) بسداد تحيط بمدينة أوفق في نظري من تفسيرها بـ (حد) وحدود .

والواقع أن من الصعب علينا في الزمن الحاضر أن نتحدث عن هندسة المدن وتخطيطها وعن طراز أبنيتها وارتفاعها ، وعن ساحاتها وأسواقها ، لقلة التنقيبات الأثرية العلمية واقتصارها على وجه الأرض وفي بقاع قليلة جداً من جزيرة العرب ، وانعدامها من أكثر الأنحاء مع وجود آثار كثيرة فيها لا تزال مطمورة تحت الرمال .

١ Arablén, S. 147.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 151.

٣ تاج العروس (٢٩٣/٢) ، (آد) .

ولو نهيات الجزيرة بعثات أثرية على شاكلة البعثات التي تقصد العراق أو بلاد الشام أو فلسطين أو مصر أو غيرها من أماكن ، لكان علمنا بأحوال المدن العربية الجاهلية وبأحوال الجاهليين غزيراً جديداً يختلف عن هذا التزير اليسير الذي نتحدث به عن أحوال العرب قبل الإسلام .

أما الحجاز ، فالظاهر أن الطائف منه ، كانت القرية أو المدينة الوحيدة المحاطة بجدار أو حائط ، يمكن أن نسميه سوراً . وكان يحيط بالمدينة وبه مواضع يتحصن فيها ، وفيها تحصنت ثقيف يوم قاومت الرسول في أثناء حصاره لها . وكانت له أبواب أغلقوها عليهم ، وامتنع على المسلمين عندئذ الدخول منها ، والاقتراب من الجدار . ولما اختفى المسلمون تحت دبابه ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ، أرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد بحماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجلاً من المسلمين . وأما مكة ، فيظهر من وصف أهل الأخبار لها أنها لم تكن مسورة . وإنما كانت ذات منافذ وطرق تؤدي الى داخل المدينة وتمر بالشعاب . وعلى كل شعب حماية حدّ شعبه من الأطراف عند دنو عدو من مكة . وأما المدينة ، فلم يكن لها سور كذلك . ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بقية قرى الحجاز .

ولا نجد في وصف أهل الأخبار لقرى أهل الحجاز وبيوتها ، ما يفيد بوجود أبنية ضخمة فيها على طراز أبنية اليمن . فلم يتحدث أهل الأخبار عن وجود قصور فيها تشبه (قصر غمدان) أو (قصر ذو ريدان) أو غير ذلك من القصور . حتى مكة وهي أم القرى لا يشير أهل الأخبار الى وجود بناء ضخم فيها على طراز أبنية اليمن ، ولا وجود بيت كبير فيها على طراز بيوت سراة اليمن . و (دار الندوة) ، وهي دار قصي ، مؤسس ملك قريش ، لم تكن داراً ضخمة ولا كبيرة على ما يظهر من روايات أهل الأخبار ويظهر أن أهل الأخبار لم يحفلوا كثيراً بالنواحي العمرانية من الجاهلية ، لذلك صارت معلوماتنا بسيطة جداً عنها من هذه الناحية . فلا نكاد نعرف شيئاً عن بيوت مكة أو غيرها قبل الإسلام . وقد كانت بيوت المتكئين من الناس وأصحاب اليسر والمال ، مشيدة بالحجارة وباللبن . ويذكر علماء اللغة أن كل بيت مربع مسطح ، فهو (أجسم) . ويظهر

١ الطبري (٨٣/٣ وما بعدها) .

من شعر ينسب الى امرئ القيس :

وتباء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجاً إلا مشيداً بجندل^١

أن آجام (تباء) ، كانت مشيدة بالجندل . والجندل الحجر ، وقيل الصخور ، وذكر أنها الصخرة كراس الإنسان^٢ . وقد استعين بتشيد السقوف بجذوع النخل . ويقال للآجام : القصور بلغة أهل الحجاز ، وعرفت بالآكام كذلك^٣ ، وهي بمثابة الحصون ، يتحصن بها أوقات الخطر . والقصر عند العرب كل بناء من حجر ، وذكر أن اللفظة (قرشية)^٤ . ووردت لفظة (قصر) و (قصور) في القرآن الكريم^٥ . وقد ذهب المفسرون الى أن معنى (مشيد) في الآية : (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبثر معطلة وقصر مشيد)^٦ ، المخصص . والجلس بالمدينة يسمى : المشيد^٧ . فالقصر ، البناء الضخم المبني بالجلس والحجارة ، وقد يكون منفرداً محصناً ، وقد يكون في قرية ، مع قصور أخرى ، ولكل قصر بثر ، يؤخذ منها الماء . وهي ضرورية جداً بالنسبة لبيوت ذلك الوقت .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن البيوت أن في بيوت يثرب بيوت تكوّنت من طابقين . طابق أرضي وطابق علوي . وكانوا يسكنون الطابقين . ولعلهم كانوا يودعون ماشيتهم ودوابهم الطابق الأرضي ، أو مواضع خاصة بها ملحقة بهذا الطابق . وكانت دار (أبو أيوب الأنصاري) التي نزل بها الرسول ذات طابقين نزل الرسول بطابق ، وسكن (أبو أيوب) بالطابق الثاني^٨ . وكان سادات القرى قد حلّوا مشكلة الدفاع عن أنفسهم وعن مواليتهم ببناء

١ تاج العروس (١٨٠/٨) ، (أجم) ، اللسان (٨/١٢) .

٢ تاج العروس (٢٦٦/٧) ، (الجندل) .

٣ النهاية ، لابن الأثير (٧٨/١) .

٤ تاج العروس (٤٩٤/٣) ، (قصر) .

٥ الحج ، الآية ٤٥ ، الاعراف ، الآية ٧٤ ، الفرقان ، الآية ١٠ .

٦ الحج ، الآية ٤٥ .

٧ تفسير الطبري (١٢٧/١٧) وما بعدها .

٨ الطبري (٣٩٦/٢) .

أبنية حصينة ذات جدران سمكة قالوا لها الحصون والآطام والواحد هو الأطم . فكان أهل المدينة من الأوس والخزرج يلجأون الى آطامهم وقت الخطر فيتحصنون بها ويمتنعون ، وكذلك كانت ليهود وادي القرى حصون وآطام . بها آبار ومواقع لتخزين ذخيرتهم وما عندهم من غلال وثمن ودخلوا حصونهم وآطامهم وأغلقوا عليهم الأبواب . وبذلك صارت القرية مجموعة حصون وآطام .

والأطم القصر وكل حصن بني بالحجارة . وقيل هو كل بيت مربع مسطح . وقد ورد أن (بلالاً الحبشي) كان يؤذن على أطم المدينة . وقد اشتهرت بها المدينة . وذكر أن الأطم الحصن . وأن (الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم) ، بنى أطمًا باليمن ، عرف باسمه : (أطم الأضبط) . وكان قد أغار على أهل صنعاء . وأشير في شعر (أوس) الى (آطام نجران) . حيث ذكر أن أحد الملوك بث الجنود في الأرض ، فأخذوا بقتل أعدائه ما بين بصرى وآطام نجران^١ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن قرى الحجاز ومدنها كانت شعاباً ، أي أحياء^٢ . تكونت على الطريقة البدوية . وذلك بإقامة كل عشيرة في حي معين من أحياء القرية أو المدينة . وتكون بين الحي عصبية مثل عصبية أفراد القبيلة للقبيلة . ويتنمي الحي الى القبيلة أو العشيرة التي يرجع اليها ، ويتعصب لها . ويشعر أن بين أفراد الحي قرابة ورابطة دم . ويعبر عن سكان الحي بـ (آل) . ويكون وجيه الشعب ، هو نقيبه وممثله وسيده .

وقد يقال للمنزل أو المحلة (الربع) والجمع (الرباع) . وذكر أن (الرباع) المنازل وجاعة الناس^٣ . فتتألف كل قرية أو مدينة من رباع .

وقد كانت (الحيرة) على هذه الشاكلة أيضاً . فقد كانت مؤلفة من مواضع حصينة بناها سادات المدينة وأشرف الأحياء ، عرفت عندهم بـ (القصور) والمفرد (قصر) . فإذا داهم المدينة خطر دخل أهل الحي قصر سيدهم وشريفهم وتحصنوا به .

١ تاج العروس (١٨٧/٨) وما بعدها ، (أطم) .

٢ اللسان (١٠٢/٨) ، (صادر) (ربيع) .

الأبراج :

وتؤلف الأبراج والحصون صفحة من صفحات كتاب الفن المعماري والحربي في التأريخ الجاهلي . فقد بنيت لتؤدي واجب الدفاع والحماية والوقوف بجبروت وتغنت في وجه من يريد الكيد بمن يحمي وراء تلك الحصون . وطبيعي أن تراعي في تصميمها وبنائها الأغراض التي من أجلها شيدت وبنيت والمكان الذي تقام عليه . ويراعى في جدران الحصون أن تكون سميكة وأن تبنى بمواد متماسكة تماسكاً شديداً حتى لا تنهار عند ضرب المهاجمين لها ومحاولتهم تهديمها لايجاد ثغر فيها يهجمون منها ، وتنشأ فيها مخازن لحزن الأسلحة ، ويُسَرَّ فيها الماء ومواد المعيشة التي يحتاج اليها المدافعون ، وتحدث منافذ في أعالي الأبراج لرمي المهاجمين منها . ويكون سمك الحائط عند القاعدة أكثر من سمكه في أعلاه . وأما الأبواب المؤدية الى الحصن ، فإن الطريق اليها لا يكون مستقيماً ممتداً ، بل يأخذ اتجاهات مختلفة ، ويمر بمرات وقاعات ، ليكون في امكان المدافعين الاحتباء بها حين يتمكن المهاجمون من اقتحام الباب الخارجي .

وتقام الأبراج فوق الأسوار والأبواب لحمايتها من المهاجمين . وتكون هندسة بنائها عندئذ متناسبة مع هندسة بناء السور أو أعلى الباب . وقد تنتهي بما يشبه الأسنان والأفاريز ، ليتمكن المدافع من إصابة المهاجمين بما عنده من مواد مؤذية فيمنعهم بذلك من اقتحام السور ومن إلحاق أي أذى به . وذكر علماء العربية أن (البرج) بيت يبنى على السور والحصن . وقد يسمى بيتاً . وذكروا أن برج الحصن ركنه^١ . ولم يذكر أولئك العلماء أصل الكلمة . وهو من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، إذ هو Pirghos فيها . بمعنى (بناء) وبرج فوق بناء يدافع به المدافعون ولصدّ المهاجمين من التقدم نحوه^٢ .

الطرق :

وتوجد آثار طرق جاهلية في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية مبلطة تبليطاً حسناً ،

١ تاج العروس (٧/٢ ح) ، (برج) ، الكشف (١٩٩/٤) ، تفسير الطبري (١٢٧/٣٠ وما بعدها) .
٢ غرائب اللغة (٢٥٤) .

وأخرى ممهدة تمهيداً فنياً . وقد انشئ بعضهما في أرض جبلية وفي أرضين وعرة ، وذلك باستعمال آلات بمهارة في قطع الصخور لإنشاء هذه الممرات . وأنشئ بعض آخر في الأودية وفي السهول برفق وعناية وقد كسيت ورصفت بالأحجار رصفاً متيناً قوياً كالذي يظهر من بقايا هذه الطرق التي لا تزال متماسكة شديدة ، تقاوم الأيام بالرغم من طول عمرها ومن عدم اهتمام الناس بها .

ومن الطرق الجاهلية التي وجدها السياح والباحثون ، طريق (مبلقة) (مبلقت)^١ في وادي بيجان . الذي يتراوح طوله من ثلاثة أميال إلى أربعة أميال ، ويرجع عهده إلى حوالي السنة (٣٢٥) قبل الميلاد في تقدير بعض الباحثين^٢ . وهو يؤدي إلى (حريب) . وقد رصف وجهه وكسي بصفاح ضخيم عريض . ونحت قسم منه طوله زهاء مئة قدم في الصخر نحتاً إلى عمق ثلاثين قدماً ، وذلك اختصاراً للمسافة . وهو عمل يقدر بالنسبة إلى ذلك الزمن^٣ .

ومن هذه الطرق طريق مدرج عمله الجاهليون في المرتفعات المؤدية إلى (وادي ذنه) على مقربة من مأرب . (مدرج ثقيل) (ثقيل مدرج) . وقد نحت في الصخر^٤ وطريق آخر عرضه زهاء أربعة أمتار يقع شمال (معبر) ، وطريق آخر يؤدي من هضبة (عقبة) إلى وادي عرمة ثم إلى (شبوة)^٥ . وطريق في جنوب حافة جبل اللوذ ، نحت نحتاً في الصخر حتى يؤدي بسالكه من (خربة السود) إلى (كعاب اللوذ)^٦ . ونجد طرقاً نحتت في صخور المرتفعات والهضاب والجبال لتؤدي إلى الحصون (العر) والمحافد والقصور والمدن مثل (عر ذو مرمر) و (عراتوت) (حصن أتوت) في أرحب ، و (قصر ريدان) (ذوريدان) (جبل ريدان في بيجان)^٧ . وأشار في النص : Glaser 824 إلى طريق جبلي ،

١ (مبلقت) في الكتابات .

٢ Arabien, S. 146.

٣ G. Ryckmans, In Le Muséon, 62, (1949), Num : 399, p. 74, 77, Arabien, S. 146.

٤ Arabien, S. 146.

٥ المصدر نفسه .

٦ كذلك .

٧ كذلك .

عمل على جبل (جحاف) في هضبة (الضالع)^١ .
ومن الطرق الجبلية المسماة (متقل) في المسند^٢ ، طريق في جبل (علان)
يؤدي الى (مأرب)^٣ . وقد ذكر علماء اللغة أن (المتقل : الطريق في الجبل)^٤ .
وقد وصفه (هاملتون) ، الطريق القديم الذي ربط عدن بالداخل^٥ . وهناك
طريق معروف مشهور اشتهر باسم (درب الفيل) ، ينسب الى (التبع أسعد
كامل) في حوالي السنة (٤٠٠) للميلاد ، ومنه بقايا بين (تربة) ومواضع
أخرى من أعالي اليمن^٦ .

وقد وجدت شوارع المدن وطرقها مبلطة مرصوفة رصفاً حسناً في بعض الأحيان
بحجارة وضع بعضها فوق بعض ، وربطت بينها مادة بناء مثل الجبس ، ذات
قوة وتماسك كقوة (السمنت) وتماسكه حين يجف . وقد رصف بعض آخر
بحجارة مربعة أو مستطيلة قدت من صخر ، وضع بعضها الى جانب بعض وضعاً
محكماً بحيث بدت وكأنها حجر واحد، ورصف بعض آخر بحجارة هذبت أوجهها
وصقلت وجعلت لها حواشي منخفضة ، وحواشي بارزة يكون سمكها سمك القسم
المنخفض من الحواشي المنخفضة حتى توضع فوقها فتغطيها ، فتكون الأحجار
متماسكة بذلك كقطعة واحدة^٧ . وقد وجد بعض الطرق مكسوياً بـ (الاسفلت) .
وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام ، وحجارة اليمن تضيء ما وراءها
كالزجاج^٨ . ولم يذكروا أن (مبلقة) بمعنى الطريق المهد .

وقد تبين من فحص البقية الباقية من الطريق القريب من (غيان) ، وعهده
أيام ما قبل الإسلام ، أن تبليطه ورصفه لم يكونا على جانب كبير من الدقة

١ Arablen, S. 147, G. U. R. Yule, A Rock-Cut Himyarite Inscription on Jabal
Jehaf in the Aden Hinterland, in PSBA, 27, (1905), 153-155, D. H. Müller,
The Himyaritic Inscription from Jabal Jehaf, PSBA, 28, (1906), 143.

٢ (نقل) في اللغة اليمنية .
٣ CIH 418, Arablen, S. 147.

٤ اللسان ، (نقل) ، تاج العروس (١٤٣/٨) ، (نقل) .
٥ R. A. B. Hamilton, Archaeological Sites in the Western Aden Protectorate,
GJ, 101, (1943), 113, Rathjens, Sabaelca, I, 94, 139.

٦ Arablen, S. 147, Philby, Arabian Highlands, 183, 259, 365.

٧ Arablen, S. 147, Rathjens, Sabaelca, I, 94, 139.

٨ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

والعناية . وهو بعرض أربعة أمتار تقريباً . ويؤدي الى (قصر غيمان) . وقد أقيم في موضع منه على سدّ ارتفاعه خمسة أمتار، وقد حفظ من الجانبين بمجدارين^١ . ويقال للطرق الضيقة التي يسلكها الإنسان للوصول الى أعلى البرج أو القلعة (محول) في اللهجة المعينية . وقد تكون مسقوفة ، وقد تكون بغير سقف ، كما تكون مدرجة أي ذات سلام، وربما لا تكون كذلك ، وقد تؤدي الى ارتفاع، وقد تكون ممراً مستوياً يخترقه الإنسان كالدلهيز^٢ .

واتخذ الجاهليون القناطر ، والقنطرة لغة في الجسر^٣ . ويراد بها القنطرة المعقودة المعروفة عند الناس . والعرب تسمي كل أزج قنطرة . وقد ورد ذكرها في شعر لطرفة بن العبد . وهي تعقد بالحجارة وتشاد بالحص أو بجياد وهو الكلس^٤ . ويعبر عليها الناس ووسائل النقل وقد عثر على آثار قناطر في مواضع متعددة من جزيرة العرب، ولا سيما في اليمن وبقية العربية الجنوبية حيث تكثر الأودية والسيول . وجاء في شعر لـ (طرفة بن العبد) ، هذا البيت :

كقنطرة الرومي اقسم ربّها لتكتفنن حتى تشاد بقرمد

وقد ذكر (الزوزني) ، أن صاحب القنطرة وهو رومي ، حلف ليحاطن بها حتى ترفع أو تجصص بالصاروج أو بالآجر . وأن القرمد : الآجر ، وقيل هو الصاروج ، والشيد الرفع والطي بالشيد وهو الحص . ولم يذكر الشارح موضع القنطرة المذكورة التي بناها صاحبها وهو رومي فنسبت اليه^٥ .

أثاث البيوت :

وليست لدينا صور واضحة دقيقة عن بيوت أغنياء المدن ، وعن محتوياتها وعمّا فيها من أثاث وأدوات . غير أن بعضاً منها يجب أن يكون واسعاً كبيراً حوى

١ Rathjans, Sabaelca, I, 77, 141, Arabien, S. 147.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 31.

٣ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٣٣) .

٤ الكامل ، (٥٩/١) .

٥ شرح المعلقات (للزوزني) (دار صادر) (ص ٥٢) .

كل وسائل الراحة المتوفرة بالقياس الى ذلك العهد . فرجل مثل (عبدالله بن جُدعان) كان ثرياً ثقیل الثراء ، يملك آتية من الذهب والفضة ، ويشرب بكؤوس غالية ، ويأكل أكالات غريبة ، ويتغن في مأكله ، وقد استحضر لذلك طبّاخين من الخارج من العراق مثلاً ، لطبخوا له طعاماً غريباً عجمياً ، أقول إن رجلاً مثل هذا لا بدّ أن يكون بيته بيتاً كبيراً يتناسب مع ثراء صاحبه وماله وقد بني بناءً محكمًا ، وأحصنت جدرانه وارتفعت حتى يكون في استطاعته التحصن فيه وقت الخطر والمحافظة على نفسه من السراق والطامعين في ماله في الليل والنهار . ولا بد أن يكون بيت عبدالله بن جُدعان هذا قد بني من أجنحة متعددة ، جناح لسكنائه مع نسائه ، وجناح لقيانه وخادmates وجناح لخدمته وعبيده ، وجناح لاستقبال أصحابه وندمائه وأصحاب الحاجات والأشغال ، فقد كان يجلس للأصدقاء يتسامر معهم ويسمع معهم غناء قيانه ، وعلى رأسهن (الجرادتان) ، وهما قيتاه المختارتان ، وكان لهما صوتان شجيان ، وقد اشتهرتا بمكة ، وخلد ذكرهما حتى الآن ، فلا يعقل أن يكون بيته صغيراً أو حقيراً أو بدائياً ، إذ لا يتناسب ذلك مع ما يذكره أهل الأخبار ويروونه عن ثرائه وبلخه وعن شربه بآتية من ذهب وفضة ، الى غير ذلك مما حملنا - لو صدقنا روايات الأخباريين - على أن بيته يجب أن يتناسب مع ثرائه .

وعاصر ابن جُدعان نفر آخر كانوا من أغنياء مكة ومن أصحاب المال والثراء ، لهم ذوق في الجمال وحب للشراب . وكان لهم خدم وحشم ، ورجال من هذا الطراز لا بد أن تكون بيوتهم حسنة ومن حجارة ، وفيها وسائل الراحة ، ولها مواضع خاصة بإقامة النساء ، وأماكن خاصة باستقبال الضيوف ، ومواضع لإقامة الخدم والعبيد . والحيوانات التي يرتبطها للركوب ، وحجر لحفظ الأطعمة والأشربة بمقادير كافية احتمالاً لحالات الطوارئ .

وعرفت الزرابي ، وهي (الطنافس) ، في بيوت أثرياء الجاهليين وقصور الأمراء . وقد ذكرت (الزرابي) و (النمارق) في القرآن الكريم^١ . وورد أن الزرابي ضرب من الثياب مخبر ، منسوب الى موضع^٢ ، وذكرت (الزرابي) في شعر (حسان)^٣ .

١ الغاشية ، الآية ١٦ .

٢ المفردات ، للأصفهاني (ص ٢١١) .

٣ ترى فوق أثناء الزرابي ساقطاً نعلاً وقسوباً وريطاً معضداً البرقوقي (ص ١٤٦) .

وعرف عند الجاهليين نوع خاص من الطنافس قيل له (الرحال) ، ذكر أنه من طنافس الحيرة . واليه أشار الأعشى بقوله :

ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليه برودها ورحالها^١

وقد استعملت الكراسي والأسرة في بيوت الأغنياء . والكرسي السرير . وأما السرير ، فهو ما يجلس عليه وينام فوقه أيضاً . وقد عبر به عن الملك والنعمة^٢ . والظاهر أن ذلك بسبب كونه من مظاهر الغنى والجاه . و (الخلب) الكرسي قوائمه من حديد^٣ .

ويقال للمجلس (الموثب) في لغة (حمير) . ويراد بها أسفل الشيء وما يستقر على الأرض . وهي قريبة في المعنى من لفظة (شت) و (اشدو)^٤ .

وقد استورد أهل مكة الأواني الغالية والأثاث الراقي من بلاد الشام ، لما عرفت به هذه البلاد من التقدم في الصنعة وحسن الذوق ، ولقربها من الحجاز ، كما استوردوها من العراق . ويمكن معرفة أصولها والأماكن التي وردت منها بدراسة أسماءها . فأكثر أسماء الأشياء المستوردة ، هي أسماء معربة . عربت من أصول أعجمية ، ويمكن الوقوف على أصلها بدراسة أصولها اللغوية التي جاءت منها .

وقد تبنى (دكك) عند باب البيت ، يجلس عليها الدرابنة ، أي (البوابون) ، لمنع الغرباء من الدخول داخل البيت ، ولحراسة الدار . وقد أشير إليها في شعر ينسب للمثقب العبدي :

فابقي باطلاي والجد منها كدكان الدرابنة المطين^٥

أما بيوت الفقراء ، فهي كما يظهر من روايات أهل الأخبار ، بيوت حقيرة إن جاز إطلاق لفظة (بيت) و (بيوت) عليها . وهي من طين ومن بيوت شعر ، لا تقي من برد ولا من حر^٦ ، لذلك فإن الطبقة الفقيرة عاشت عيشة

-
- ١ تاج العروس (٣٤٢/٧) ، (رحل) .
 - ٢ تاج العروس (٢٦٤/٣) وما بعدها ، (سرر) .
 - ٣ اللسان (٣٦٥/١) ، (خلب) .
 - ٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 37.
 - ٥ تاج العروس (١٣٠/٧) ، (دك) .

بؤس وشقاء . وليس في مثل هذه البيوت مرافق صحية ولا مغاسل ولا حمامات ، فكان أصحابها يقضون حاجاتهم في خسارج البيوت . وإذا كان من السهل على المذكور أداء هذا الواجب ، فإن ذلك كان من أصعب الأشياء بالنسبة للأثناث .

وسائل الركوب :

وكان السير على الأقدام للوصول الى المواضع المقصودة هو المألوف عند أكثر الناس ، بسبب فقرهم وعدم تمكنهم من امتلاك دابة ركوب . لقد كان أكثرهم يقطع مسافات طويلة مشياً على قدميه في ذهابه الى قبيلته أو للتنقل من مكان الى مكان . أما المتمكنون منهم ، فقد ركبوا الجمال في قطع المسافات البعيدة والأرضين الصحراوية ، وركبوا الخيل والبغال والحمير في القرى وفي الأرضين التي لا تغلب عليها الطبيعة الصحراوية .

ولحماية النفس أثناء النوم من (البعوض) والحشرات الأخرى استعملوا (الكلل) . و (الكلة) ستر رقيق يحاط كالبيت يتوقى به من الحشرات^١ . ومن هذه الحشرات والهام : البعوض ، وأكثر ما يكون في بيوت الحضر ، حيث تتوفر له وسائل النمو والمعيشة ، من أوساخ ورطوبة وماء . وفي المواضع التي يكثر وجود الماء بها ، مثل خيبر ، حيث عرفت بكثرة بعوضها الحامل للبرداء (الملاريا) . و (الناموس) ، و (البرغوث) الذي يزعج الإنسان ويقلقه ، فلا يجعله يستريح في نومه ، ثم اللباب .

آداب المجالس :

وللتقويم آداب في مجالسهم على الإنسان اتباعها ومراعاتها ، من ذلك أن لكل بيت منها كان حجمه أو مكانته حرمة . وأن على كل إنسان صيانة حرمة بيته وبيت غيره سواء بسواء . لأن بيوت الناس هي في الحرمة سواء . ومن يتنهنك حرمة بيت غيره يكون قد قام بإثم كبير وعرض نفسه لانتقام أهل البيت المنتهك

١ تاج العروس (١٠٢/٨) ، (كلل) .

منه . وقد يؤدي ذلك الى وقوع قتال ببدء العvisية وبتجمع أهل البيت للأخذ
بأثرهم من ثلب حرمة بيتهم وتناول عليه ، ودنس شرفه ، بالاساءة اليه . ولن
تغفر الاساءة ولا يغسل عارها إلا بالانتقام وبالانتقاص من شأن ذلك الإنسان الذي
انتهك حرمة بيت غيره .

ومن حرمة البيت عدم جواز دخوله إلا بإذن من صاحبه . فإن دخل اليه
دون إذن ، عنف الداخل وأنب ، وان ثبت أنه دخله عن غاية وتصميم عدو
معتدياً عليه متتهكاً لحرمة . ويكون جزاءه الانتقام منه . وعلى من يريد دخول
بيت الاستئذان من أصحابه حتى وإن كان البيت خيمة مهلهة تفروها الرياح .
لأن تلك الخيمة هي بيت ومأوى . ولا ينظر الناس الى نوع البيت والى جنسه بل
الى أهله ، فالبيت بأهله لا بكيفيته، وحرمة من حرمة أصحابه .

وقد كان بعض الجاهليين يخلون البيوت من غير استئذان ، ولا سيما الأعراب .
ومنهم من كان يقف عند الباب فينادي : يا فلان اخرج ، أو يا فلان أَدْخُلْ .
ونجد في كتب السير والأخبار أن من الأعراب من كان يقف أمام حجر النبي
وينادي : أخرج يا محمد ؟ ولهذا شدد على (الاستئذان) وعلى السلام في الإسلام^١ .
ولا يخاطب الرجل الرجل الأكبر منه سناً أو منزلة باسمه ، وإنما يخاطبه بكنيته .
كأن يقول يا أبا فلان ، وتكون الكنية باسم الابن الأكبر ، إلا إذا حدث ما
يستوجب عدم ذكر اسمه . فيكنى بغيره ممن يختارهم ذلك الرجل . وقد لا يكون
ولداً ، ولكنه يكنى مع ذلك بكنية يختارها هو ، أو تكون متعارفة عن الاسم
بين الناس . ولا تزال عادة التكنية مستعملة عند الحضر وعند الأعراب . وقد
عرف بعضهم الكنية بـ (اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص وأبي
حسن ، أو علامة عليه) . وتقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما
يعرف باسمه كأبي لهب عرف بكنيته . وأبو فلان كنيته^٢ .

التحية :

والعادة عند الجاهليين أن يحيي الصديق صديقه إذا رآه . والتحية : السلام .

١ ارشاد الساري (٩/١٣٠ ، ١٤٠) (باب الاستئذان) .
٢ تاج العروس (١٠/٣١٩) ، (كنى) .

ومن تحياتهم : حيّاك الله أو حيّاك ثم يذكر الصنم^١ . وإذا كان اللقاء صباحاً قالوا : أنعم صباحاً وعم صباحاً ، أما إذا كانوا جماعة فيقول عندئذ : أنعموا صباحاً ، وعموا صباحاً ، وإذا كان الوقت مساءً ، قال أنعم مساءً وعم مساءً وأنعموا مساءً إذا كانوا جماعة .

والمصافحة معروفة عند الجاهليين . وتكون باليد اليمنى . وقد يتصافحون باليدين^٢ . وقد يتعاقبون ، إذا كانوا قد جاؤوا من سفر أو من فراق^٣ . وقد أشير في الحديث الى المصافحة باليدين عند اللقاء^٤ .

وتكون إجابة الصغير للكبير بتلبية مؤدبة . فإذا سأل إنسان ذو منزلة إنساناً آخر أقل منزلة منه أجابه بجمل فيها أدب وتقدير مثل لييك وسعديك^٥ . أي لزوماً لطاعتك ، وأنا مقيم على طاعتك ، واجابة لك ، وأنا مقيم عندك ، واتجاهي اليك وقصدي لك وما شاكل ذلك من معان ذكرها علماء اللغة . ومن هنا قيل لقول الحجاج في الحج : لييك اللهم لييك، التلية^٦ . ويجاب بـ (نعم) وبـ (نعم وكرامة) . وقد يكون الجواب لطلب عمل عمل . كأن يطلب رجل من رجل آخر عمل عمل ، فيقول له : (نعم) ، و (نعم وكرامة) ، و (نعم عين ونعمة عين) ، و (نعم عين) ، و (نعم عين) ، و (نعم عين) . وتعدّ لفظة (بلى) من ألفاظ الإجابة كذلك .

ومن آداب البيت الامتناع عن قول الفحش بحضور النساء . وعدم النظر بسوء الى البنات والنساء ، وعدم تركيز النظر عليهن . لأن معنى ذلك توجيه إهانة الى رب البيت ، وإظهار أنه إنما قصد من دخول البيت التمتع برؤية النساء . وعليه السيطرة على نفسه وضبطها فلا يسمح لنفسه بإخراج الريح من جوفه ، لأن ذلك عند العرب عيب كبير . فالضراط والنساء إذا وقعا من إنسان محضرة غرباء عدواً

-
- ١ تاج العروس (١٠٦/١٠) وما بعدها ، (حبي) .
 - ٢ ارشاد الساري (١٥٤/٩) ، اللسان (٥١٤/٢) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٥٥/٩) .
 - ٤ تاج العروس (١٨١/٢) ، (صفح) .
 - ٥ ارشاد الساري (٢١٠/٨) .
 - ٦ تاج العروس (٤٦٥/١) ، (لبب) .
 - ٧ تاج العروس (٧٨/٩) ، (نعم) .

من المغامر التي قد يؤاخذونها على الرجل . لا سيما إذا كان الرجل معروفاً مشهوراً وله حساد .

ومن عاداتهم : تشميت العاطس ، لا سيما إذا كان كبيراً ذا جاه . كأن يدعى له بطول العمر . وقد أكدته الإسلام . فإذا عطس إنسان قال : الحمد لله فيجيبه الحضار بـ (يرحمك الله) . ويحمد العطاس عند العرب ، ما لم يكن من زكام ويذم التأثب^١ . وذكر أن كل دعاء بخير فهو تشميت^٢ .

ويقال للشاب إذا سعل : عمرأ وشباباً . أما إذا كان الساعل شيخاً أو رجلاً بغيضاً ، فيقال لها : ورياً وقحاباً . وللحيب إذا سعل : عمرأ وشباباً^٣ .

وكانت تحيتهم للملك أن يقولوا : آيت اللعن . وإذا قال أحدهم للآخر : أنعم صباحاً ، أو أنعم مساءً ، أو أنعم ظلاماً ، أجابه صاحبه : نعمت^٤ .

ثقال الناس :

ومن الناس من يُستثقل ظلمهم ويرجى انصرافهم بسرعة . لثقل طبعهم ووجود جفاوة فيهم ، أو تلبد في طبعهم يجعلهم لا يدركون طباع الناس . ويقال لأمثال هؤلاء : الثقلاء . وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته ويستثقله الناس . يقال : مجالسة الثقل تضيي الروح . ويقال : هو ثقل على جلسائه ، وما أنت إلا ثقل الظل بارد النسيم^٥ .

ومن الثقلاء من يطيل الجلوس في المجالس : أو يدخلها دون دعوة ، أو يتدخل فيما لا يعنيه أو فيما يجله ليظهر علمه وفهمه . أو يزور صديقاً في وقت لا تستحب زيارة أحد فيه ، أو يعود مريضاً ثم يطيل الجلوس عنده . وكانوا إذا وجدوا من الثقل بلادة ، فلربما أسمعوه كلاماً يشعر بثقلهم منه ، فإذا لم ينتبه أشعروه بصور أخرى تفهمه أنه ثقل الظل حتى يرحل عن المجلس .

-
- ١ ارشاد الساري (١٢٥/٩) ، (باب مشروعية تشميت العاطس) ، تاج العروس (١٩٢/٥) (عطس) .
 - ٢ تاج العروس (٥٥٩/١) ، (شمت) .
 - ٣ تاج العروس (٤٢١/١) وما بعدها .
 - ٤ الحيوان (٣٢٨/١) ، (هارون) .
 - ٥ تاج العروس (٢٤٥/٧) ، (ثقل) .

و (الظريف) على عكس (الثقيل) ، يستظرفه الناس ويستملحون كلامه ويحبون مجالسته . وهو البليغ الجيد الكلام ، أو هو حسن الوجه والهيئة ، كما يكون في اللسان . وقيل الظرف : البزاعة وذكاء القلب . والبزاعة هي الظرافة والملاحة والكياسة ^١ .

وقد يدعون بالشر على الأعداء والحساد والثقلاء ، فيقولون : رماه الله في الدوقة ، أي في الفقر والذل ^٢ ، و (أحسن الله حظه) ^٣ ، و (أبعد الله دار فلان ، وأوقد ناراً لإثره) . والمعنى لا رجعه الله ولا رده . و (أبعد الله وأسحقه وأوقد ناراً لإثره) ^٤ .

الصلف :

وأما (الصلف) ، فالتمدح بما ليس عندك . وقيل مجاوزة قدر الظرف والبراعة فوق ذلك تكبراً . وفي الحديث: آفة الظرف الصلف . وهو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبره . وهو مكروه ويستثقل صاحبه ويقل أصحابه .

المجالس :

والعادة عندهم أنهم إذا زاروا ملكاً أو سيد قبيلة أو عظيماً ، لبسوا أحسن ما عندهم من لباس ، وترينوا بأجمل زينة يعرفونها ومنها التكحل والترجيل ولبس جبب الخبرة المكففة بالحرير ، كالذي فعله سادات نجران^١ يوم وفدوا على الرسول . والتكحل عادة منتشرة عند جميع الجاهليين رجالاً ونساءً وفي كل جزيرة العرب . كما كانوا يتطيّبون بالطيب والعطر ^٢ .

-
- ١ تاج العروس (١٨٧/٦) ، (ظرف) .
 - ٢ تاج العروس (١٣١/٥) ، (دقع) .
 - ٣ تاج العروس (١٣٨/٤) ، (خس) .
 - ٤ اللسان (٤٦٦/٣) ، (وقد) .
 - ٥ تاج العروس (١٦٧/٦) ، (صلف) .
 - ٦ نهاية الارب (٨٧/١٨) وما بعدها .
 - ٧ نهاية الارب (٧٥/١٧) .

ومن آدابهم في مجالسهم قيام القاعد للقادم عند قدومه وتوجيهه التحية لهم . ولا سيما إذا كان القادم شريفاً وله منزلة عند قومه ومكانة . فيقف القوم على أرجلهم ويحيون المحيي على تحيته بتحية هي خير منها ، هذه سنة كانت معروفة عندهم ، ولا تزال . وقد تطرق (الجاحظ) الى هذه القاعدة ، ثم قال : (قالوا : ومن الأعاجيب أن الحارث بن كعب لا يقوم لحزم ، وحزم لا تقوم لكنة ، وكنة لا تقوم للحارث بن كعب) . ثم قال : (قالوا : ومثل ذلك من الأعاجيب في الحارث : أن العرب لا تقوم للترك ، والترك لا تقوم للروم ، والروم لا تقوم للعرب)^١ .

وتفرش أرض سيد القبيلة وذوي اليسار من الناس ، وكذلك غرف بيوتهم بالفرش ، كاليسط ، وتوضع الوسد في صدر المجلس ليتكىء عليها الجالسون . وليتوسدوها عند النوم^٢ . وبعد تقديم الوسادة الى الضيوف من اماراة التكريم والتقدير بالنسبة لمن قدمت له . ولا تزال هذه العادة متبعة عند الأعراب .

ويجلس العرب على الأرض وعلى الحصير والبساط . وقد يجلسون على وسادة وقد يستلقون ويضعون إحدى رجلهم على الأخرى ، وقد يتكئون على الوسادة ، وربما اتكأوا على اليمين وربما اتكأوا على اليسار^٣ . والحصير سقيفة تصنع من بردى وأسل ثم يفرش . سمي بذلك لأنه يلي وجه الأرض . وتصنع الحصير من خوص السعف أيضاً ، وتفرش على الأرض . يستعملها أهل القرى والمدن والأرياف ، وفي بيوت الفقراء . وذلك لعدم تمكن الفقير من شراء بساط منسوج ، ولا سرير يجلس عليه . قال شاعر :

فأضحى كالأمير على سرير وأمسى كالأسير على حصير^٤

وقد عدّ (السرير من امارات الغنى والرفاه والنعمة ، حتى عبروا عنه بالملك . فقالوا : (سرير الملك)^٥ .

-
- ١ مناقب الترك ، من رسائل الجاحظ (٨١/١ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٥٣٤/٢) ، (وسد) .
 - ٣ زاد المعاد (٤٣/١) .
 - ٤ تاج العروس (١٤٣/٣ وما بعدها) ، (حصر) .
 - ٥ ارشاد الساري (١٦١/٩) ، (باب حكم اتخاذ السرير) .

ويقال للحصير المنسوج من القصب (البارية) و (البوري) . وقد عرف أهل الحجاز (البارية) . وأشار إليها في الحديث^١ .

ويتناول الإنسان عند نهوضه من نومه (الصباح) . ويحيي أهله ومن هو حوله بتحية الصباح : عم صباحاً وعموا صباحاً إذا كانوا جماعة . وهي تحية الجاهلية . و (الصباح) كل ما أكل أو شرب من أكل أو لبن^٢ . وهم يستحبون الجلوس من النوم صباحاً ، لأن ذلك عندهم أنشط للجسم وأدعى للصحة ، ثم إن الغارات تقع في الصباح ، وإذا أغاروا صاحوا : يا صباحاه! ينذرون الحي أجمع بالنداء العالي ، ويسمون الغارة يوم الصباح . ولكن أكثرهم كانوا ينامون الصباح أي نوم الغداة ، ويسمون ذلك النوم (الضبعة) ولا ينهضون إلا متأخرين أو بعد حيل وازعاج لهم ، لا كراهم على النهوض . وقد كره الإسلام هذه النومة ، فجاء النهي عنها في حديث الرسول^٣ .

تنظيف الأجسام :

ولتنظيف الجسم من الأوساخ والأدران استعملت الحمامات . وذلك عند الحضر بالطبع . أما حمامات البدو ، فهي بيوتهم والعراء ، يسكبون الماء على أجسامهم ويغتسلون . وقد عرف أهل القرى والمدن الحمامات ولها مساخن تسخن لهم الماء ليغتسلوا بها . وكانوا يستعملون النورة في الحمامات لإزالة الشعر . وإذا خرج أحدهم من الحمام قيل له : طابت حمتك^٤ . وذكر أن من أسماء الحمام (الديماس) . وزعم بعضهم أن الديماس من الألفاظ المعربة . عربت من لغة الحبشة^٥ .

وكانت الحمامات العامة قليلة العدد وربما لم تكن معروفة ، إذ لم تكن شائعة بين الناس في الشرق الأدنى ، لأنهم كانوا يستحمون في بيوتهم في الغالب ، فجزيرة العرب حارة ومن الممكن الاغتسال في البيوت بكل سهولة . ولم يعرف

١ تاج العروس (٦٠/٣) وما بعدها ، (بور) .

٢ تاج العروس (١٧٥/٢) ، (صبح) .

٣ تاج العروس (١٧٥/٢) ، (صبح) ، (١٧٦/٥) ، (ضرط) .

٤ تاج العروس (٢٦٠/٨) ، (حم) ، المغرب ، للجواليقي (٣٤١) .

٥ تاج العروس (١٥٤/٤) ، (دمس) .

اليهود الحمامات العامة ، وإنما تعلموها من الروم والرومان . وكانوا يستحمون في المياه الجارية وفي البيوت^١ . وقد ورد أن الرسول لم يدخل حماماً قط ، ولم يصح في الحمام حديث^٢ . مما يدل على أن الحمام العام لم يكن شائعاً في أيامه . فكان الرسول يغسل جسمه في بيته . وإذا وجد الحمام العام فلم يكن الأغنياء وذوو اليسار وأهل البيوت يقصدونه ، إذ كانوا يرون أن في تعري الرجل من ملابسه أمام الغرباء زراية ومنقصة ، وأن في مخالطة الناس والاعتسال معهم في حمام ، مثلية ودلالة على نقص في البيت . فاستحموا في بيوتهم .

وقد قام السدر في الحجاز مقام الصابون في الاغتسال ، فكانوا إذا أرادوا تنظيف أجسامهم استعملوا ورق السدر مع الماء ، فيخرج له رغاء ابيض ، وذلك بعد طحن الورق او دقه . وقد جرت العادة بغسل الميت به . وذكر ان الرسول امر قيس بن عاصم بأن يغتسل بالماء والسدر^٣ .

وعندما تغتسل المرأة ، تغسل رأسها بالخطمي والطين الحرّ والأشنان ونحوه . ثم تمشط شعرها . وقد تستعمل المرأة المتمكنة ورق الآس يطرى بأفاويه من الطيب لتمشيط شعرها به^٤ .

ونظراً لقلة وجود الماء في البادية ، اقتصدوا في استعماله كثيراً ، حتى أنهم لم يكونوا يشربون منه إلا قليلاً وعند الضرورة ، وذلك خوفاً من الإسراف فيه ، فينفد ويهلكون عطشاً ، لذلك كان من الطبيعي بالنسبة لهم عدم غسل أجسامهم حتى صار عدم الاستحمام بالماء شبه عادة لهم . وقد أدى ذلك الى توسخ أجسامهم وظهور رائحة الوسخ منهم . ورد في حديث (عائشة) : (كان الناس يسكنون العالية فيحضرون الجمعة وبهم وسخ ، فإذا أصابهم الروح سطعت أرواحهم ، فيتأذى به الناس . فأمروا بالغسل)^٥ . وكان منهم الفقراء من اهل الحضر كذلك ، ممن لا يملكون بيتاً ولا يجدون لهم مكاناً يغسلون أجسادهم فيه . وكان من بينهم عدد من الصحابة الفقراء .

١ قاموس الكتاب المقدس (٣٨٨/١) . • Hastings, p. 86.

٢ زاد المعاد (٤٤/) . •

٣ الطبقات (٣٦/٧) . •

٤ تاج العروس (٤٥/٨) ، (غسل) . •

٥ تاج العروس (١٤٨/٢) ، (روح) . •

وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا (الخلاء) . وهو موضع قضاء الحاجة^١ . وتكون في بيوت الحضر . وقد تكون غرفة وقد تكون سترأ . ويستنجى بالماء إن وجد وبالحجارة . والنجو ما يخرج من البطن من ريح او غائط . وقيل العنزة نفسها . واستنجى مسح النجو او غسله^٢ . وكانوا إذا ذهبوا في سفرهم للحاجة انطلقوا الى موضع يتوارون فيه عن أصحابهم ، ليقضوا حاجتهم به . وربما تسروا بالهدف وبحشائش النخل وبشجر الوادي . ويقال للكنيف المشرف في أعلى السطح المتصل بقناة الى الأرض (الكرياس) . أما إذا كان أسفل فليس بكرياس . وقد تكون للغرف (مراحيض)^٣ . والكنيف المرحاض كأنه كنف في أستر النواحي^٤ .

وكانوا إذا أرادوا أن يبولوا ابتعدوا عن أصحابهم بعض الشيء ثم بالوا . وأكثر ما يبولون قعوداً . ولكنهم كانوا يبولون وقوفاً أيضاً ، وهو في الأقل . وإذا أرادوا قضاء حاجتهم أو التبول لم يرفعوا ثوبهم بل جعلوه يتدلى حتى يدنو من الأرض ، إلا من الأمام حيث يرتفع بعض الشيء ، ويبعد من الخلف أو يرفع قليلاً حتى لا يتأذى بالعنزة^٥ .

ويرى العرب أن ما بين السرة والركبة من الرجل عورة ، لذلك يجب ستره . والعورة السواة من الرجل والمرأة^٦ . وكانوا يرون ظهورها عاراً أي مذمة . لذا حرصوا على انزال ثيابهم الى الأرض لسترها قدر الامكان ، وذلك عند قضاء الحاجة .

الخدم والخصيان :

وتحتاج البيوت الكبيرة الى خدم ، لتحضير ما يحتاج البيت اليه من طعام وماء ولتنظيفه وللعناية بدوابه وبما يربط في مرابطه من حيوان . كما يوكل اليهم خدمة الضيوف وتقديم الشراب الى المتنادين . وكانوا يستخدمون (الخصي) لخدمة أهل

١ تاج العروس (١٢٠/١٠) ، (خلا) .

٢ تاج العروس (٣٥٨/١٠) ، (نجو) .

٣ تاج العروس (٢٣٢/٤) ، (كرس) .

٤ تاج العروس (٢٣٩/٦) ، (كنف) .

٥ زاد المعاد (٤٣/١) وما بعدها .

٦ تاج العروس (٤٢٩/٣) وما بعدها .

البيت من النساء ، لأنهن محرم ، ولا تصح خدمة الرجال لمحارم البيت ، ونظراً الى ضرورة استخدام الرجال في بعض أمور البيت ، استعاضوا عنهم باستخدام (الخصي) في هذه الأمور . وقد كان (مأبور) القبطي^١ الخصي ، الذي قدم مع (مارية القبطية) أم ولد الرسول من مصر يدخل عليها ويجلس في بيتها ، وكان خصياً^٢ .

الحياة الليلية :

والحياة الليلية حياة هادئة على وتيرة واحدة ، يأوي الناس الى بيوتهم مع غروب الشمس في الغالب ، أما وجهاء القوم ، فقد كانوا يتسامرون في بيوتهم وفي مضاربهم ، وذلك بأن يأتي أصدقاؤهم اليهم فيتحدثون معهم ويتذكرون الأيام الماضية وما يقع من أحداث الى ساعات من الليل ثم يعودون الى بيوتهم . ويكون السمر في الليل خاصة ، والسمر الظلمة . ولهذا كانوا يقسمون بالسمر والقمر . أي بالظلمة والقمر . ثم أطلق السمر على السمر عامة في الليل او في النهار^٣ .

وقد صار هذا (السمر) أساساً للقصص العربي وللأدب العربي والتأريخ الجاهلي . وعلى الرغم من أن طابع السمر ، أي القصص والتحدث والانصات الى المسامر ، لا يتفق مع الطابع التاريخي ، إلا أنه موثّق المؤرخين مع ذلك بشيء من أخبار أيامها ورجالها في صورة من الصور المعروفة عن القصص . والعادة أن الذين يبرزون ويظهرون في رواية القصص هم أصحاب الألسنة ، اللبقون الذين أوتوا مواهب خاصة ، والذين يجيدون معرفة نفسيات من يحيط بهم للاستماع الى قصصهم . فيحدثون السامعين اليهم بما سمعوه ممن تقدم عليهم أو من يعاصرهم من أخبار وحوادث مسلّية طريفة كان الجاهليون إذ ذاك يشوقون الى الاستماع اليها . ومن ذلك قصص الأيام والأبطال الشجعان الذين ساهموا فيها ، وقد يكون المتكلم نفسه ممن شهد الأيام وقاتل فيها . وهذا النوع من السمر ، لا يتقيد بالصدق وبالتعقل ، كما أن المستمعين لا يهمهم فيه إذا كان معقولاً أو غير معقول .

١ الاصابة (٣/ ٣١٥) ، (رقم ٧٥٨٣) .

٢ تاج العروس (٣/ ٢٧٧) ، (سمر) .

وكل ما يهيم منه هو التلذذ بسماع القصص أو الأشعار أو الأخبار وأمور الشجعان أو غير ذلك. ولما كان السمر يكون في كل بيت وفي كل مكان . وهو يتناسب مع عقلية القاص أو المتكلم وعقلية السامع وحالاته النفسية التي يكون عليها عند الاستماع الى السمر ، لهذا كان السمر ألواناً وأشكالاً ، منه ما يتناول أخبار العالم ، كما وصلت الى البادية ، ومنه ما يتناول أخبار الملوك وأخبار سادات القبائل، ومنه ما يتناول الشعر والمناسبات التي قيل الشعر فيها ، ومنها ما يتناول الجنّ والأساطير والخرافات وأمثال ذلك من غريب ، قد يبهز لبّ أذكى الناس ، ويلهب في السامعين نيران العواطف ، فيجعلهم يقبلون على الاستماع اليه بكل قلوبهم . على الاستماع الى هذا العنصر : عنصر التصنع في القصّ والإغراب ، لأن من طبع الإنسان البحث والتفتيش عن كل شيء غريب عجيب .

ويتخذ الملوك والأشراف وذوو اليسر لهم نداء ، يشربون معهم ويقضون وقتهم بالمنادمة . وهم من المقربين الى الملوك ومن ضيوفهم الذين تكون لهم عندهم مكانة خاصة ، وكان من عادة أهل القرى ، اتخاذ النداء ، والغالب أن المناذمة تكون على الشراب^١ . ونجد في أخبار (مكة) التي يذكرها أهل الأخبار ، أسماء جماعة من أشرافها ، اختصوا بمناذمة بعضهم بعضاً . يبقون في منادمتهم مدة طويلة وقد يقع سوء فهم بينها ، فيترك أحدهما منادمة صاحبه ، ليتادم غيره .

ويجلس الملك أو سيد القبيلة في صدر المجلس ، ودونه بقية الجالسين على حسب المنازل والدرجات ، وقد عطّر نفسه ، وتطيب ، وتضمخ بالعنبر وبالمسك . والظاهر أنهم كانوا يكثر من وضع المسك على رؤوسهم حتى كان يبدو واضحاً جلياً من مفارقهم . وقد أشير الى هذه العادة في الشعر والأخبار^٢ .

وكان من عادة سادة العرب استعمال الخلق والطيب في الدعة وفي جلوسهم مجالس أنسهم ، مثل مجالس السماع والغناء^٣ . وكان المتمكنون منهم وعلى رأسهم الملوك يضمخون أجسادهم ورؤوسهم بالطيب حتى كأنه يقطر منهم^٤ . فكانت

١ تاج العروس (٧٤/٩) (ندس) ، اللسان (ندس) .

٢ الكامل (٣٦/١) ، العقد الفريد (٢٣/٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٦٧/٢) ، (ضمخ) .

٣ الروض الانف (٦٧/٢) .

٤ تاج العروس (٢٦٧/٢) ، (ضمخ) .

تفوح منها رائحة الطيب . فضلاً عن البخور الذي يتبخر به .
وقد كان الأغنياء والمتمكنون من الناس يشترون العطور ويكثرون من التطيب بها . وقد تباهى (كعب بن الأشرف) بأنه كان يملك أطيب العطور المعروفة عند العرب^١ .

وتكون ملابسهم بالطبع من أحسن الملابس ، من اللدياج أو من الخبز أو من الكتان ، وتوشى بالذهب ، وتقصب به . وقد تكون للملك دور خاصة بنسيجه ، تنسج فيها حلله وما يجود به على ضيوفه وزائريه . ولديه ملابس كثيرة حاضرة ، إذ طالما كان يخلع ملابسه التي يرتديها في المجلس ليعطيها الى حاضر مدحه فأجاد في مدحه ، أو لشخص قال كلاماً ظريفاً استحسنته ، ومن يتاله هذا التكريم يفترخ به بين أقرانه ويتباهى ، فهي من المفارخ التي كان يتباهى بها في ذلك الزمان .

وعادة الخلع ، خلع اللؤلؤ والملابس التي يلبسها الملوك على السادة رؤساء القبائل والأشراف ، أمانة على التكريم والتقدير ، هي عادة معروفة في الجاهلية ، وطالما أثارت حسد الرؤساء وتباغضهم ، إذ عدّ خلع الملوك لملابسهم على السيد ، تفضلاً له وتقديماً على غيره من السادة رؤساء القبائل . وكان لهذه الرسوم والعادات التي لا نغيرها اهتماماً في زماننا ولا تقيم لها وزناً ، أهمية كبيرة في عرف ذلك العهد ، وقد عرفت هذه العادة في الإسلام أيضاً . وقد كان المسلمون يتباهون بالحصول على خلع من الرسول ، يخلعها عليهم من ملابس التي يلبسها ، فإن فيها تكريماً ، وفيها بركة لمن خلعت عليه ، لأنها من ملابس الرسول .

وقد عرفت هذه اللؤلؤ والخلع بـ (أثواب الرضى) ، لأنها لا تعطي إلاّ تعبيراً عن رضى الملك عن الشخص الذي أعطيت له . وكان جباب أطواقها الذهب بقصب الزمرد . وقد أغدق (النعمان) بها على مادحيه . وكان يقول : « هكذا فليمدح الملوك »^٢ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن أولئك الملوك اتخذوا نداء من الفرس والروم أيضاً ، فذكروا مثلاً أن الملك النعمان كان له نديمان ، يعرف أحدهما بـ (النطاسي) واسمه (سرجون) ، ويعرف الآخر بـ (توفيل) ، وكلاهما من الروم^٣ . وورد

١ تاج العروس (٤٠٩/٣) ، (عطر) .

٢ نهاية الارب (١٧٧/٣) .

٣ مجمع الامثال (٤٩/٢) وما بعدها .

في رواية أخرى : أن أحد النديمين هو (سرجون بن توفل) ، (توفيل) ، وكان رجلاً من أهل الشام تاجراً حريفاً للنعمان يبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة : فاستخفه النعمان . وكان إذا أراد أن يخلو عن شرابه بعث إليه وإلى (النطاسي) ، وهو رومي كذلك متطبب ، وهو النديم الآخر له^١ ، وكان طبيباً بارعاً ، ضرب به المثل عند العرب لبراعته بالطب .

وفي منادمة النعمان للنطاسي ولابن توفيل ، أشير في بيت شعر للشاعر الربيع ابن زياد المعروف بالكامل ، وهو :

أبرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن توفيلاً^٢

ومن ذكرهم أهل الأخبار من ندماء قريش عبد المطلب بن هاشم . كان نديماً لحرب بن أمية حتى تنافرا إلى (نفيل بن عبد العزى) . فلما نفر عبد المطلب افترقا . ونادم حرب عبد الله بن جدعان . ونادم حمزة عبد الله بن السائب المخزومي ، وكان أبو أحيدة سعيد بن العاص نديماً للوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان معمر بن حبيب الجمحي نديماً لأمية بن خلف بن وهب بن حذافة . وكان عقبة بن أبي معيط نديماً لأبي بن خلف . وكان الأسود بن المطلب بن أسد نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري . وكانا من أعز قريش في الجاهلية وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين . وكان أبو طالب نديماً لمسافر بن أبي عمرو ابن أمية . فنام أبو طالب بعده عمرو بن عبد ود بن نضر . وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس نديماً لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وكان أبو سفيان نديماً للعباس بن عبد المطلب . وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم نديماً لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . وكان زيد بن عمرو بن نفيل نديماً لورقة بن نوفل بن أسد . وكان شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس نديماً لعثمان بن الحويرث . وكان العاص بن سعيد بن العاص نديماً للعاص بن هشام بن المغيرة . وكان يدعيان أحقي قريش . وكان أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب نديماً للحارث بن عامر بن نوفل . وكان الوليد بن عتبة

١ الاغاني (٢٢/١٦) .

٢ الاغاني (٢٣/١٦) .

ابن ربيعة نديماً للعاص بن منبّه السهمي . وكان ضرار بن الخطّاب بن مرداس
 القهري الشاعر نديماً لطيرة بن أبي وهب المخزومي. وكان أبو جهل بن هشام، وهو
 عمرو بن هشام نديماً للحكم بن أبي العاص بن أمية . وكان الحارث بن هشام بن
 المغيرة نديماً لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد. وكان العاص بن وائل بن هشام
 ابن سعيد بن سهم ، نديماً لهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
 أبي جهل . وكان نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي نديماً للنضر بن الحارث .
 وكان عمارة بن الوليد بن المغيرة نديماً لحنظلة بن أبي سفيان بن حرب . وكان
 الزبير بن عبد المطلب ، وهو من فتيان قريش ، نديماً للمالك بن عمية بن السباق
 ابن عبد الدار. وكان الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبد مناف ، وهو من فتيان
 قريش أيضاً نديماً لسويد بن هرمي بن عامر الجمحي . وكان سويد أول من وضع
 الأرائك وسقى اللبن والعسل بمكة . وكان الحارث بن حرب بن أمية نديماً للحارث
 ابن عبد المطلب . فلما مات نادم العوام بن خويلد بن أسد . وكان الحارث بن
 أسد بن عبد العزّي نديماً لعبد العزّي بن عثمان بن عبد الدار . وكان أبو البخري
 العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد نديماً لطلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار .
 وكان منبّه بن الحجاج السهمي نديماً لطعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف .
 وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب نديماً لعمرو بن العاص بن وائل
 السهمي . وكان أبو أمية بن المغيرة المخزومي نديماً لأبي وداعة بن ضبيرة بن
 سعيد بن سعد بن سهم ، وكانا يسقيان العسل بمكة بعد سويد بن هرمي . وكان
 أبو قيس بن عبد مناف نديماً لسفيان بن أمية بن عبد شمس . وكان أبو العاص
 ابن أمية نديماً لقيس بن عدي بن سهم . وكان يأتي الخمار ويده مفرعة .
 فيعرض عليه خمره ، فإن كانت جيدة ، وإلاّ قال له : أجد خمرك ، ثم يقرع
 رأسه وينصرف^١ .

وقد يستدعي الملوك في مجالس أنسهم الخاصة من يضحكهم ويسليهم ويحلب
 لهم البهجة والسرور . من امثال القصاصين الذين يقصون لهم القصص، والمسامرون
 الذين يسامرون الملوك بأنواع قصص السمر والحكايات المضحكة الغريبة والأمور
 المثيرة ، والمضحكون الذين يأتون بالنكت وبالأفعال المضحكة لإضحاك الملك .

١ المعبر (ص ١٧٣ وما بعدها) .

وقد كان للملك (النعمان بن المنذر) مضحك اسمه (القرقرة) ، كان يضحك منه (النعمان) ، واسمه (سعد)^١ . والقرقرة : نوع من الضحك ، اختص بالضحك العالي منه . وقد أدخلوه في المستأكلين والمتطفلين . قالوا سأله أحد الأشخاص يوماً : ما رأيك إلا وأنت تزيد شحاً وتقطر دماً . فقال : لأنني لا آخذ ولا أعطي ، وأخطيء ولا ألام ، فأنا طول الدهر مسرور ضاحك^٢ .

وقد جلساء في شعر للشاعر (ليذ) وصف مجلس للنعمان ، وقد وقف فيه (الهبانيق) أي الوصفاء بأيديهم الأباريق ينتظرون إشارة من أحد جلساء النعمان ليصبوا له خيراً طيبة من خمر تلك الأباريق . فإذا طلب منهم ملء كأس ساروا إلى الطالب سراً فاتراً وبثوة ليملاؤوا له الكأس^٣ .

وكانت لهم عادات وتقاليد في مجالس الشرب وفي مجالس الطعام على نحو ما نفعل اليوم في المآدب الرسمية ، فكان من عسادة ملوك الفساسة والمناذرة إجلال السادة الرؤساء والمقررين اليهم على يمينهم وعلى مقربة منهم ، تعظيماً لشأنهم ، ودلالة على مكانة الشخص عندهم . فإذا قدم الشراب أو الطعام ، قدم إلى الملك أولاً ، فإذا شرب منه ، أو ذاقه ، أمر فقدم الشراب أو الطعام إلى من هو في يمينه . وقد اتبعت هذه العادة عند سائر الناس في الولاثم والدعوات . فكان (النعمان بن المنذر) مثلاً إذا همت الوفود التي تفد إليه بالانصراف ، أمر باتخاذ مجلس لهم ، يطعمون فيه معه ، ويشربون . وكان إذا وضع الشراب سقي النعمان ، فن بدأ به على أثره فهو أفضل الوفد . ويذكر أنه أقام مجلساً ذات يوم ضم فيه من وفود (ربيعة) (بسطام بن قيس) و (الحوفزان بن شريك) البكريتان . وفيمن قسّم عليه من وفد (مضر) من قيس عيلان : (عامر بن مالك) و (عامر بن الطفيل) ، ومن تميم (قيس بن عاصم) و (الأفرع بن حابس) ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحياهم ، وأمر (القينة) أن تسقي (بسطام بن قيس) ، المعروف بـ (ذي الجديين) أولاً ، ثم تسقي الآخرين . فانزعج بقية

١ اللسان (٨٩/٥) .

٢ الثعالبى ، ثمار (١٠٩) .

٣ المعاني الكبير (٤٦٦/١) وما بعدها . قال ليذ :

والهبانيق قيسام معهم كل محجوب اذا صب هم

ويروي كل ملثوم ، تاج العروس (٩٣/٧) ، (الهبنيق) .

سادات الوفود من هذه المعاملة التي اعتبروها إهانة متعمدة ألحقت بهم^١ .
ولإلى هذه العادة ، عادة تقديم الأيمن ، أشير في شعر عمرو بن كلثوم في
هذا البيت :

صَبَّنتِ الكأس عَنَّا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمين^٢

و (الردف) ، هو الذي يجلس على يمين الملك في قصور الحيرة . فإذا شرب
الملك ، شرب الردف قبل الناس . وإذا غزا الملك ، جلس الردف في مجلسه ،
وخلفه على الناس حتى يرجع من غزاته . وله المرباع ، فهي منزلة كبيرة ، ولهذا
شرف بالجلوس على يمين الملك ، والشرب من بعده . وقد اتخذت هذه المنزلة
لإرضاء سادات القبائل واسكاتهم ، ومنعهم بذلك من التحرش بعرب الحيرة . وقد
خصصت في (بني يربوع) ، وكانوا من القبائل القوية التي تكثر الغارات^٣ .
وقد تأثر رؤساء الحيرة وأصحاب الحل والعقد والجاه منهم ، والمتصلون
بالحكومة الساسانية ، بالعوادات والرسوم المتبعة عند الفرس ، فإذا هم يحاكمونهم
في مآكلهم وفي مجالس شربهم وأنسهم ، وفي طريقة معيشتهم . جاء ذلك اليهم
عن طريق اختلاطهم بهم بالطبع وشدة امتزاجهم بهم ، فرى عدي بن زيد
العبادي يذكر (النسق) في شعره .

وقد دخلت على الحسناء كلتها بعد الهدوء تضيء البيت كالصنم
ينصفها نسق تكاد تكرمهم عن النصافة كالغزلان في السلم

و (النسق) الخدم ، وهي من الألفاظ المعربة^٤ . و (الكلّة) ، هي السر
الرقيق ، ولا تزال تعرف بهذه التسمية في العراق ، توضع فوق الفراش وينام
تحتها ، فتكون كالقبة فوقها ، لتمنع البعوض والذباب والحشرات الأخرى من
الدخول إلى داخلها ومن ازعاج النائم . وهي (كلتو) Kelto في لغة بني إرم^٥ .

١ العمدة (٢٢٠/٢) وما بعدها .

٢ بلوغ الأرب (٣٩٤/١) ، تاج العروس (٢٥٨/٩) ، (صين) .

٣ اللسان (١١٦/٩) .

٤ الجواليقي (ص ٣٤٣) ، تاج العروس (٧٦/٧) ، (النسق) .

٥ غرائب اللغة (ص ٢٠٤) .

وكان المتمكنون من أهل الجاهلية يستعملون (الكلال) للتخلص من البعوض .
ينصبونها على سرير المنام وينامون تحتها^١ .

ولا بد في المجالس والأندية التي يقصدها الضيوف أو في البيوت من تكريم الرجل بتقديم طيب إليه أو تجميره . ويكون التجمير بمبخرة فيها نار ، يرمى عليها شيء من بخور أو مواد أخرى عطرة لتنبعث منها رائحة طيبة تنجيه نحو الشخص المراد تكريمه ، فيتبخر بها . والتجمير علامة بالطبع من علامات التقدير والتكريم . وهي ما زالت معروفة ، وإن أخذت شأن كثير من العادات والتقاليد القديمة بالانقراض . وقد كانوا يجمرون الميت كذلك ، إكراماً له ، وهو تبخيره بالطيب . لتكون رائحته طيبة . ورد في الحديث : إذا أجمرت الميت ، فجمروه ثلاثاً^٢ .

ونظراً الى شح البادية وفقر الحياة وصعوبتها في تلك الأيام ، صار الملوك ملاذاً للنوي العسر والحاجات ، ولا سبيل لأصحاب الألسنة من الشعراء الذين كان لسانهم خطر وأثر في نفوس المجتمع إذ ذاك ، فلمديح قيمة وللهجاء أثر في الناس يتقل بينهم من مكان الى مكان . فكان هؤلاء يتحايلون ويبحثون عن مختلف المناسبات للوصول الى الملوك لنيل عطائهم وألطفهم . وكانت مناسبات الشرب والأنس من خيرة المناسبات بالنسبة اليهم ، لجو السرور والمرح الذي كان ينجم فيه على الملوك ، فيعطون ويجودون ولا يبالون بما يعطون إذا كان صاحب الحاجة لبقاً لطيفاً حلوا المعشر ، يسيطر بلسانه على الملك ، وقد يجعله في عداد المقربين اليه .

ولما كانت الدنانير والدراهم ، قليلة إذ ذاك ، صارت أعطية الملوك لسادات القبائل مالا في الغالب ، والمال عندهم : الإبل . ويعطون الأكسية والأليسة والطعام لهم ولسواد الناس من الفقراء المحتاجين الذين يقفون عند أبواب الملك يلتمسون منهم الرحمة والشفقة والانتقاذ من الجوع .

والجائزة العظيمة . فكان الملوك يميزون من يطلب منهم الجوائز^٣ ومنها :
(القطوط) ، جمع (قط) ، وهي الصلك بالجائزة والصحيفة للإنسان بصلة يوصل بها . قال الأعشى :

-
- ١ تاج العروس (١٠٢/٨) ، (كلال) .
 - ٢ تاج العروس (١٠٩/٣) ، (جمر) .
 - ٣ اللسان (٣٢٧/٥) وما بعدها ، (صادر) ، (جوز) .

ولا الملك النعمان ، يوم لقينته بغبطته ، يعطي القطوطَ ويأفق^١

ولسادات القبائل أنديتهم أيضاً ، يقصدها أشراف القبيلة والناس . وكانوا إذا اجتمعوا تداولوا أمور قبيلتهم وما وقع بين القبائل ونظروا في أيامهم الماضية وقد يتناشدون الأشعار ويتفاخرون^٢ . ويذكر علماء اللغة أن « النادي المجلس يندون اليه من حواليه ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله . وإذا تفرقوا لم يكن نادياً . وفي التزليل العزيز: وتأتون في ناديك المنكر . قيل كانوا يحذفون الناس في المجالس ، فأعلم الله تعالى أن هذا من المنكر وأنه لا ينبغي أن يتعاشروا عليه ولا يجتمعوا على الهزء والتلهي وأن لا يجتمعوا إلا فيما قرب من الله وباعد من سخطه^٣ » . وقد كان ملاً مكة إذا اجتمعوا في نواديه تذاكروا أمور ساداتها فغض قوم من قوم ، وسخر بعض من بعض وروى بعض عن بعض قصصاً للغض من شأنهم ، شأن المجتمعات الفارغة التي لا لهُوَ فيها يلهي ولا عمل فيها يشغل . فكان هذا شأنهم حتى نزل التنديد بفعلهم في القرآن . كما نزل يندد في أمور أخرى كانت من هذا القبيل ، مثل (المشعة) ، العبث والاستهزاء والضحك بالناس والتفككه بهم . (وفي الحديث : من تتبج المشعة يشمع الله به ، أراد من كان شأنه العبث والاستهزاء والضحك بالناس والتفككه بهم جازاه الله جزاء ذلك . وقال الجوهري: أي من عبث بالناس أصاره الله الى حالة يعبث به فيها)^٤ .

وقد لجأ العرب الى اتخاذ وسائل للتخفيف من شدة وطأة الحرّ عليهم . إذ أن الجوّ حار في بلاد العرب بالصيف . وفي جملة ما استخدموه : (المراوح) . ورد أن الناس كانوا يستعملونها للترويح عن أنفسهم^٥ . وللريح أهمية كبيرة في جزيرة العرب وفي البلاد الحارة . إذ أن وقوفه يزعج الناس ويؤذيهم ، فلا غرابة إذا ما اعتبروا الرياح رحمة تقيت الناس وتفرج عن كربهم . وتغنّوا بها وسرّوا بهبوبها سروراً كبيراً . بهبوب الرياح المنعشة المرطبة التي تحمل المزن لهم . فتصيب الأرض وترويه بما تحمله معها من مزن . ولريح الصبا، ذكريات طيبة عند العرب .

-
- ١ اللسان (٣٨٢/٧) ، (صادر) ، (قطط) .
 - ٢ الاغاني (٥٢/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٣٦٣/١٠) ، (ندا) .
 - ٤ تاج العروس (٤٠٣/٥) ، (شمع) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٢/٢) ، (روح) .

ولها أثر خالد في الشعر ، حتى أنهم كانوا يطعمون عند هبوبها . وهي ريح معروفة تقابل الدبور . سميت بذلك لأنها تستقبل البيت وكأنها تحن إليه . قال ابن الأعرابي مهيها من مطلع الثريا الى بنات نعش .. وترعم العرب أن الدبور ترعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه ، فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا ، فوزعته بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، والجنوب تلحق روادفه به وتمده من المدد ، والشمال تمزق السحاب^١ .

ومن وسائل التلطيف من حدة الحر ، رش الأرض بالماء . أي قفح المكان بالماء^٢ . ورش الحصر المنسوجة من جريد النخل أو من الحلفاء أو من غيرها بالماء ، حتى تبرد فينام الإنسان عليها ، أو تعليقها ونضحها بالماء . فيبرد الهواء الذي يمر من مساماتها بعض الشيء^٣ . ورش ستر الكرباس والخيش بالماء ، ليبرد الهواء الذي يمتزق مساماتها ، فينعش الجالس أمامها .

وكان الوجوه وأشراف البلد إذا أرادوا الإنشراح شربوا وسمعوا القيان ، وكان لأكثرهم قيان امتلكوها للترفيه عنهم بالغناء . و (القينة) الأمة المغنية أو أعم . يذكر علماء اللغة ، أن اللفظة من (التقين) التزين ، لأنها كانت تزين . وذكر أن القينة الأمة والجارية تخدم حسب^٤ . و (المغنية) هي التي تغني للناس ، والتي اتخذت الغناء حرفة لها ، تعيش عليها .

ومنهم من يستدعي اليه أصحاب المجون والنوادر والفكاهات والملح للترفيه عنهم . وقد اشتهر بالمزاح رجل اسمه (نعيان) وكان من أصحاب رسول الله البدرين^٥ . والمجون ألا يسالي الإنسان بما صنع . والماجن عند العرب : الذي يرتكب المقايح المردية والفضائح المخزية ، ولا يمتصه عذل عاذله ولا تقرع من يقرعه^٦ ، ولا يبالي قولاً وفعلاً لقللة استحيائه^٧ .

١ تاج العروس (٢٠٦/١٠) ، (صبا) .

٢ تاج العروس (٣١٢/٤) ، (رش) .

٣ تاج العروس (١٤٤/٣) ، (حصر) .

٤ تاج العروس (٣١٦/٩) ، (قان) .

٥ نهاية الارب (٣/٤) .

٦ اللسان (٤٠٠/١٣) ، (صادر) (مجن) .

٧ تاج العروس (٣٤١/٩) ، (مجن) .

والمزاح : الدعابة ، والمزح تقيض الجدل^١ . وليس في طبع العربي ميل الى المزاح ، إذ يراه منقصة بحق الرجل واسفاً يعرضه الى التهمك والازدراء به . وذكر بعض علماء اللغة أن الدعابة المزاح مع لعب^٢ . وقيل يتكلم بما يستملح^٣ .

الخصومات :

ويقع النزاع بين الناس ، يقع بين الأهل كما يقع بين الجيران أو بين الأبعاد. وقد يتحول الى (عراك) والى وقوع معارك^٤ . والمشاجرة الخلاف والاشتباك . وقد تكون المشاجرة بسيطة بأن يشاتم ويسابب طرف طرفاً آخر . ويعبر عن ذلك بالحاء . ونظراً لجهل الناس في ذلك الوقت ، فشا السباب والتشاتم بينهم . بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء وبين الجنسين. وإذا طال واشتد تدخل الناس في الأمر لاصلاح ذات البين . وقد تتطور الخصومة البسيطة فتتحول الى خصومة كبيرة يساهم فيها آل المتخاصمين وأحيائهم ، وقد يقع بسبب ذلك عدد من القتلى. وقد حفظت كتب الأخبار والأدب أسماء معارك وأيام ، سقط فيها عدد من القتلى بسبب خصومات تافهة ، كان بالامكان غض النظر عنها ، لو استعمل أحد الجانبين الحكمة والعقل في معالجة الحادث .

قتل الوقت :

وقد أشرت الى أن (النعمان بن المنذر) كان يستخدم المضحكين، وعلى رأسهم (سعد القرقرة) لإضحائه . وقد عدّ في المستأكلين والمتطفلين . وقد استعان السادة والأشراف بالمضحكين أيضاً ليقصروا لهم القصص المضحك . والقرقرة الضحك إذا استغرب فيه . وقد لقب بها سعد هازل النعمان بن المنذر ملك الحيرة . كان يضحك منه^٥ . وكان من أهل هجر^٦ .

-
- ١ اللسان (٥٩٣/٢) ، (صادر) (مزح) ، تاج العروس (٢٢٢/٢) ، (مزح) .
 - ٢ تاج العروس (٤٠٧/٢) ، (الكويت) ، (دعب) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٧/١) ، (دعب) .
 - ٤ الحيوان (٩٦/٧) ، (عداوات الناس) ، (هارون) .
 - ٥ تاج العروس (٤٨٨/٣) وما بعدها ، (قرر) .
 - ٦ تاج العروس (١٣٦/٦) ، (سدف) .

والمختنون مادة من مواد التسلية والفكاهة والطرب . وقد خصي بعضهم ، وعادة الخصاء عادة قديمة معروفة عند مختلف الشعوب ، ذلك لأنهم كانوا يدخلون على النساء في البيوت ، فخصوا اتقاء حدوث اتصال بين هؤلاء والنساء . وكان في المدينة على عهد الرسول ثلاثة من المختنين : هيت ، وهرم ، وماتع ، فسار المثل من بينهم بهيت ، فقييل : أخنت من هيت^١ . ومن المختنين في الإسلام طويس ، ويقال له : إنه أول من غنى بالمدينة في الإسلام ، ونقر الدفّ المربع . وكان أخذ طرائف الغناء عن سبي فارس . وقد خصي مع غيره من المختنين . وكان مألوفاً خليعاً يضحك كل ثكلي^٢ .

وقد عبر العرب بالخنث ، والخنث من فيه انخناث وثن . وهو المسترخي . وهو جبان لا يطبق القتال . وتكون المرأة أشجع منه مع أنه رجل . ويقال للجمع (الخناث) . قال الشاعر :

لعمرك ما الخناث بنو قشير بنسوان يلدن ولا رجال^٣

والمحمقون مادة من مواد التسلية والترويح عن النفس . ومنهم من اتخذ التحمق وسيلة للوصول الى الملوك والسادات . ومنهم من كان محمقاً بطبعه . مثل هؤلاء يكونون وسيلة من وسائل السمر ، بما يظهر منهم طبعاً أو تصنعاً من حمق . وقد عرف (نعامه) ، واسمه (بيهس) ، بالتحمق ، فقييل (أحق من بيهس) . وهو من (بني ظالم بن فزارة)^٤ . وذكر أنه أحد الأخوة السبعة الذين قتلوا وترك هو لحمقه . وهو القاتل :

أليس لكل حالة لبوسها إما نعيمها واما بوسها^٥

واشتهرت بمكة امرأة عرفت بالحمق . قيل لها (خرقاء مكة) . ذكر أنها كانت إذا أبرمت غزلها تقضته . فاشتهر أمرها حتى ضرب بها المثل . واليها أشير

-
- ١ مجمع الامثال (٢٦٠/١) ، ارشاد الساري (٢٦/١٠) وما بعدها .
 - ٢ مجمع الامثال (٢٦٨/١) وما بعدها .
 - ٣ تاج العروس (٦١٩/١) وما بعدها ، خنت () .
 - ٤ المعارف (ص ٣٧) ، (٨٣) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
 - ٥ تاج العروس (٧٩/٩) ، (نعم) .

في القرآن في قوله : (ولا تكونوا كآتي نقضت غزلها من بعد قوة)^١ . (وقيل المراد امرأة معينة من قريش : ربيعة بنت سعد بن تيم . وكانت خرقاء . اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل اصبع . وهي الحديدية في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها . وكانت تغزل هي وجواربها من الغداة الى الظهر ، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن)^٢ . وذكر أن تلك المرأة هي : (ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة) ، وكانت امرأة حمقاء بمكة ، وكانت تفعل ذلك^٣ . والظاهر أن أهل مكة كانوا يتتلدرون بذكر حمقها ، فضرب القرآن بها المثل للتذكير قريش قومها بها ، لتلا يكونوا مثلها في الحمق .

وعرف الجاهليون لوناً آخر من ألوان الترويح عن النفس والترفيه عنها ، هو التتره في البساتين وفي مواطن الكلال والأماكن الجميلة من البادية في أيام الربيع حيث تكسي بيسط من الخضرة ، وحيث تظهر الأزهار البرية ، ذات الروائح الزكية . فكان ملوك وأهل الحيرة يقضون أياماً في المنتزهات القريبة منهم وفي مواطن في البادية يروحون عن أنفسهم ويتلهون بالصيد . وكان أهل يثرب يخرجون الى (العقيق) منتزههم للتسلية^٤ . وهكذا فعل غيرهم من سكان بلاد الشام وجزيرة العرب .

ومن ملوك الحيرة الذين ارتبط اسمهم باسم الأزهار التي تجود بها البوادي أيام الربيع الملك (النعمان بن المنذر) . فقد قيل للشقائق التي تنبت في البادية ، مثل أرض النجف ، (شقائق النعمان) . قيل أنها دعيت باسمه لأنه جاء الى موضع وقد اعتم نبتة من أصفر وأحمر ، وإذا فيه من هذه الشقائق ما راقه ولم ير مثله ، فجأها فسميت (شقائق النعمان) بذلك^٥ .

وكان من عادة أهل مكة الذهاب الى الطائف في أيام القيظ ، للتخلص من حر مكة الشديد ، لطيب هواء الطائف واعتداله ، ولوجود الماء البارد بها الخارج من العيون والآبار . ولوجود مختلف الأثمار والخضرة بها . وقد كان لأغنياء مكة

١ سورة النحل ، ١٦ ، الآية ٩٢ ، تفسير الطبري (١٤ / ١١١) .

٢ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (١٤ / ١١٣) .

٣ الجامع لاحكام القرآن (١٠ / ١٧١) .

٤ الاغانى (٢ / ١٦٧) (طبعة الساسي) .

٥ تاج العروس (٦ / ٣٩٨) .

أملاك بها وبساتين استغلوها. ومنهم من كان يذهب الى بلاد الشام للتجارة ولتمضية الصيف هناك .

وكان في جملة ما ابتكره الجاهليون لقطع الوقت (الغلوطات) ، وهي صعبات المسائل ، فيطرح سائل ما سؤالاً عويصاً على المستمعين ، ويطلب منهم أن يعملوا فكرهم لحلّه ، وقد ورد في الأخبار أن الرسول نهى عن (الأغلوطات) ^١ . وقيل (الغلوطات) . وهي الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به ^٢ .

وكان تناشد الشعر والتساجل فيه من جملة الأمور التي أمضوا أوقاتهم بها . فكان أحدهم يطرح صاحباً له أو جملة أصحاب له الشعر، وقد يجتمع الأصدقاء حولهم ليروا الفائز من المتبارين . والفائز هو من يبرز غيره في الحفظ ، إذ يبقى يطرح أصحابه ما يحفظ حتى يعجزهم ، فيغلبهم ويكسب الفوز . وقد يكون ذلك برهن يعطى للغالب ، وقد يكون بغير رهن . والمساجلة المباراة والمفاخرة في الأصل ، بأن يصنع كل من المتبارين صنعه في شيء فن بقي وبزَّ صاحبه غلبه. وهكذا تكون في الشعر ، فن يثبت يكسب المساجلة ^٣ .

اللباس :

جاء في بعض الأخبار : « كل ما شئت والبس ما شئت » ^٤ . ولكن الشائع بين الناس « كل ما شئت والبس ما يشتهي الناس » ، ذلك لأن اللباس مظهر ، وعلى الانسان أن يظهر في خير مظهر أمام الناس . وقد ورد أن العرب تلبس لكل حالة لبوسها ^٥ . وينطبق ذلك على السراة وذوي اليسار والثراء بالطبع ، أما سواد الناس ، فلم يكن من السهل عليهم الحصول على اللباس . إذ كان غالباً مرتفع الثمن بالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية . فكانوا يسترون أجسامهم بأسمال بالية وبكل ما يمكن أن يستر الجسم به . وكسوة العرب ، تختلف وتباين ، باختلاف الشخص وباختلاف الجماعة التي

١ العقد الفريد (٢٢٥/٢) ، تاج العروس (١٩٣/٥) ، (غلط) .

٢ اللسان (٣٦٣/٧) .

٣ تاج العروس (٣٧٠/٧) ، (سجل) .

٤ ارشاد الساري (٤١٧/٨) ، عيون الاخبار (٢٩٦/١) ، (باب اللباس) .

٥ اللسان (٢٠٢/٦) وما بعدها .

ينتسب اليها والمكان الذي يعيش فيه . فللأعراب ألبسة وذوق ، ولأهل المدر أذواق وأمزجة في اللباس ، تتباين فيما بينها ، بتباين المنزل والمكانة والحرفة . ولذوي اليسار والثراء ألبسة فاخرة ، يستوردونها من الخارج في بعض الأحيان ، فيها أناقة وفيها تصنع ، وهي من المواد الغالية الثمينة في الغالب ، لا يتاح لغير الموسرين الحصول عليها . ثم ان بعض الناس يفضلون لوناً يعافه بعض آخر ويتجنبه .

فكان الكاهن لا يلبس المصنغ ، والعراف لا يدع تذييل قيصه وسحب ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر ، ولحرائر النساء زيّ ، ولكل مملوك زيّ ، يتساوى في ذلك لباس الرأس ولباس البدن^١ .

وقد كان أثرياء مكة ويثرب والقرى والقبائل يلبسون الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرير ودقيق الكتان والخز ، وغير ذلك من الثياب الغالية الرقيقة ، المستوردة من دور النسيج المعروفة في جزيرة العرب ومن خارجها ، ويلبسون النعال الجيدة ، مثل النعل الحضرمية المشهورة بمكة ، ويتعطرون بعطور غالية ثمينة^٢ ، ويركبون الدواب الحسنة المطهّمة مبالغة في التباهي والتظاهر .

وتختلف كسوة الرأس عند العرب باختلاف منزلة الرجل ومكانته ووضعه وحاله . و (العمامة) هي فخرهم وعزهم وأفخر ملابس يضعونه على رؤوسهم . حتى قيل : (عمم الرجل : سود لأن تيجان العرب العمام ، فكما قيل في العجم توج من التاج ، قيل في العرب عمم) ، (والعرب تقول للرجل إذا سود : قد عمم ، وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء)^٣ . وورد عن عمر قوله : « العمام تيجان العرب » . وهي تعدّ عادة من عادات العرب^٤ . خاصة العرب أصحاب الجاه والمكانة والنفوذ من حضر وبادية ، فإنها تميزهم عن بقية الناس .

وقد جاء في الخبر : (ان العمام تيجان العرب) . (وكان يقال : اختصت

-
- ١ بلوغ الارب (٤٠٦/٣ وما بعدها) .
 - ٢ طبقات ابن سعد (١١٦/٣) (طبعة صادر) .
 - ٣ اللسان (٤٢٥/١٢) (صادر) .
 - ٤ البيان والتبيين (٨٨/٢) .
 - ٥ بلوغ الارب (٤١٠/٣) ، اللسان (٤٢٤/١٢) وما بعدها .

العرب من بين الأمم بأربع : العائم تيجانها ، والدروع حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها ^١ .

وتعدّ العمامة من لبس الطبقة العالية والمترفة ، وذلك لأن الطبقة الفقيرة والعمامة لم تكن تتمكن من اقتنائها ، وإنما توضع على رأسها أغطية أخرى ، أخف وزناً وثمناً من العمامة ، ولذلك كانوا إذا أرادوا التعبير عن رخاء شخص ، قالوا : (أرخى عمامته : أمن وترفه ، لأن الرجل انما يرخي عمامته عند الرخاء) ^٢ . وجاء في الحديث : انه كان يتعوذ من الحور بعد الكور ، أي من النقصان بعد الزيادة . وهو من تكوير العمامة ، لأن الكور تكوير العمامة ، والحور نقصها ، وتكوير العمامة دلالة على الرخاء وحسن الحال ، والحور يعني تغير الحال كما ينتقص كور العمامة بعد الشد ^٣ . ففي تكوير العائم ، دلالة على النعمة والرخاء . إذ لم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعم به رأسه على سنة الأغنياء . فكيف به يعم رأسه بعمامة كبيرة .

ولم يكن تكوير العمامة العلامة الوحيدة الدالة على الغنى والجاه ، بل كان الإسراف في اطالة الرदन والذيل في الثوب من علائم الغنى والجاه أيضاً . فقد كان السادات والأغنياء يطيلون الأردان وأذيال الثياب ، حتى تصبح تلامس الأرض ، للتعبير عن غناهم وكثرة ملهم وانهم لا يبالون بالمال ولا بالثياب فيتركونها تجر الأرض وراءهم من سعة عيشهم . بينما لم يكن في وسع الفقير اكساء جسمه حتى بالأسملة .

وللعمامة منزلة كبيرة عند العرب . فهي تعبر عن شرف الرجل وعن مكانته ، فإذا اعتدي عليها أو أهينت ، لحق الذل بصاحبها ، وطالب بإنصافه وبأخذ حقه . وإذا أهين شخص أو شعر بإهانة لحقت به ، ألقى بعمامته على الأرض ، ونادى بوجوب انصافه . وبعد اللوذ بعمامة رجل ، وذكرها من موجبات الوفاء والانصاف لمن لاذ بها . (وإذا قالوا سيد معمم ، فإنما يريدون أن كل جناية يجتنبها الجاني في تلك العشيرة ، فهي معصوبة برأسه) ^٤ . كما يريدون بذلك السيادة لأن تيجان العرب العائم ، فكما قيل في العجم توج من التاج قيل في العرب عمم . وكانوا

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٥٩) .

٢ اللسان (٤٢٥/١٢) .

٣ اللسان (١٥٥/٥ وما بعدها) ، (صادر) ، (كور) .

٤ بلوغ الارب (٤٠٩/٣) ، البيان والتبيين (٥٢/٣) .

إذا سودوا رجلاً عمومه عمامة حمراء . وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له المتوج^١ .

ويدلّ سيّء العمامة على مكانة حاملها ، فلقماش العمامة ولونها ولشكلها العام ، أي كيفية تكويرها ، دلالة على مكانة صاحبها ومثرتة في المجتمع . فعمامة المترفين المتمكنين هي من أقشة فاخرة ، نسجت بعناية ، منها عمامات الديباج والخز ، وذكر أن العمام المهرقة ، وهي الصفرة ، هي لباس سادة العرب^٢ . وأن بعض السادة مثل (الزبرقان بن بدر) كانوا يصبغون عمامتهم بصفرة ، ويعصفرونها بالعصفر وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله :

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سبب الزبرقان المعصفرا

والسبب : العمامة^٣ .

وورد في الحديث (كانت عمام العرب محنكة) أي طرف منها تحت الحنك^٤ . وقد جرت عادة العرب بإرخاء العذبات ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى^٥ .

ويذكر علماء اللغة أن (من أسماء العمامة : العصابة ، والمقطعة ، والمعجر ، والمشوذ ، والكواراة)^٦ . وقيل إن العصابة والعمامة سواء^٧ .

وقد كان السادات يتفنتون في لبس العمامة وفي اختيار ألوانها ، فكانوا يختارون لكل مناسبة لوناً ، فكان بعضهم إذا قاتل لبس عمامة حمراء ، ولبس بعضهم عمامة صفراء أو سوداء . يتبع ذلك مزاج لابسها وعمره ، ونظر إليها على أنها جمال الرجل ، ومظهره الذي يظهر به . ورد أن علي بن أبي طالب كان يقول :

-
- ١ تاج العروس (٤١٠/٨) ، (عم) .
 - ٢ بلوغ الارب (٤٠٨/٣) ، فقه اللغة ، للثعالبي ، (٢٤٢) ، (مطرف خز وعمامة خز وجبة خز) ، الطبقات ، لابن سعد (٣٧/٧) .
 - ٣ بلوغ الارب (٤٠٨/٢) ، شرح ديوان حسان (ص ٢٤٥) (للبرقوقي) ، نواج العروس (٢٩٢/١) ، (سب) .
 - ٤ بلوغ الارب (٤٠٨/٣) .
 - ٥ ارشاد الساري (٤٢٠/٨) .
 - ٦ بلوغ الارب (٤٠٨/٣) .
 - ٧ البيان والتبيين (٩٥/٣) .

جبال الرجل في عتمته ، وجبال المرأة في خفها ^١ .
وفي الأمثال : (أجمل من ذي عمامة) ، وهو مثل من أمثال مكة ، قيل :
انهم قالوه لسعيد بن العاص بن أمية ، المعروف عندهم بـ (ذي العمامة) .
وكان في الجاهلية إذا لبس عمامة ، لا تلبس قريش عمامة على لونها . وقيل :
انه كناية عن السيادة . وذلك لأن العرب تقول : فلان معمم ، يريدون ان كل
جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة ، فهي معصوبة برأسه . وإلى مثل
هذا ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ، ذا العمامة ، وذا العصاية ^٢ .
وربما جعلوا العمامة لواءً ، فيترع سيد القوم عمامته ، ويعقدها لواءً ، وفي
ذلك معنى التقدير والاحترام ، لأنها عمامة سيد القوم ، وربما شدوا بها أوساطهم
عند التعب والمجاهدة ^٣ .

وما يكون تحت الحنك من العمامة هو (الحنكة) . أما ما أرسل منها على
الظهر فهو الذؤابة . وأما (القفدة) فأعلى العمامة . والعمة العجاء ، هي العمّة
الضخمة . وفي العمامة الكور ، وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس ^٤ .
ولطريقة شد العمامة ووضعها على الرأس أسماء ، وضعت لكل شدة أو طريقة
من طرق وضعها فوق الرأس . ويختلف حجم العمامة وألوانها باختلاف العمر
أيضاً . فللشباب عمامات تميزهم عن الكهول والشيوخ . كما يختلفون عنهم في اختيار
ألوان الألبسة . وذكر ان الرسول كانت له عمامة تسمى السحاب ، وكان يلبسها
ويلبس تحتها (قلنسوة) . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة .
وكان اذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه . ولما دخل مكة، دخلها وعليه عمامة سوداء ^٥ .
ووضعت القلنسوة على الرأس كذلك ، فورد أن خالد بن الوليد كان يضع
قلنسوة على رأسه ^٦ . وقد لبسها الرسول . وكانت معروفة عند الجاهليين وأشير
إليها في الشعر . ولفظة (قلنسوة) من الألفاظ المعربة عن (اللاتينية) . عربت
من Calantica . ويراد بها ضرب من ملابس الرأس ^٧ .

- ١ البيان والتبيين (٨٨/٢) .
- ٢ مجمع الامثال (١٩٧/١) .
- ٣ البيان (١٠٥/٣) ، بلوغ الارب (٤١٢/٣) .
- ٤ بلوغ الارب (٤١٢/٣) .
- ٥ زاد المعاد (٣٤/١) وما بعدها ، (فصل في ملابسه) .
- ٦ الاغانى (١٢/١٥) .
- ٧ غرائب اللغة (٢٧٩) .

وقد كان الجاهليون يوفقون أيضاً بين نوع ملابسهم ، فكانوا يلبسون مثلاً عمامة خبز مع جبة خبز ومطرف خبز^١ . وذلك للتناسق في اللباس .

وجعلوا العمامة شعاراً للعرب ورمزاً لهم ، إذا زال زالت عربيتهم . (قال غيلان بن خرشة للأحنف : يا أبا بحر . ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمام ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حية الأوغاد)^٢ . وورد (في الخبر ، إن العمام تيجان العرب ، فإذا وضعوها وضع الله عزهم) . وقيل اختصت العرب : بالعمام تيجانها ، وبالدرع وبالسيوف وبالشعر^٣ .

وعرفت (المسائق) في الحجاز . وهي فراء طوال الأكمام ، واحدها (مستقة) . وذكر الجواليقي أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأنها (مشتة) في لغة الفرس . وروي أن الرسول كان يصلتي وعليه مستقة ، وأن مستقته من سندس مبطنه بالحرير ، أهديت إليه^٤ . ذكر أن ملك الروم أهداها إليه^٥ .

وأما الجبة ، فهي من البسة الموسرين كذلك ، لأنها غالية ، تكون من خبز ، وتكون من ديباج ومن أقشة أخرى . وقد ذكر أن الأكيدر أهدى الى الرسول جبة من ديباج منسوج فيها الذهب^٦ . وقد تكون واسعة الكمين ، كما تكون ضيقته . وقد لبس الرسول في السفر جبة ضيقة الكمين^٧ . وذكر أنه قد كانت عند (أسماء بنت أبي بكر) جبة لرسول الله ، (طيالية خسروانية لها لينة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج . فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يلبسها ، فنحن نغسلها للمريض نستشفى بها)^٨ .

وتعدّ الجلب من مقطعات الثياب . فقد اصطلح علماء اللغة على تقسيم الثياب الى مقطعات وغير مقطعات . والمقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قيص

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الطبقات (٢٣/٧) . |
| ٢ | بلوغ الارب (٤٠٩/٣) . |
| ٣ | الثعالبى ، ثمار (١٥٩) . |
| ٤ | الجواليقي (ص ٣٠٨) . |
| ٥ | زاد المعاد (٣٥/١) . |
| ٦ | الطبقات (٢٣/٧) ، الاصابة (١٢٦/١) . |
| ٧ | زاد المعاد (٣٥/١) . |
| ٨ | زاد المعاد (٣٥/١) ، مسند ابن حنبل (٣٠٧/٤) . |

وجباب وسراويلات وغيرها ، وما لا يقطع منها كالأردية والأزر والمطارف ،
والرياط التي لم تقطع ، وإنما يتعطف بها مرة ويتلفّع بها أخرى^١ .

والجيب مثل سائر الثياب ، لا تكون بلون واحد . فقد تكون بيضاء ، وقد
تكون سوداء ، وقد تكون حمراء ، وقد تكون خضراء ، ويختار لابسها اللون
الذي يلفت نظره . وقد تكون له جملة جيب بألوان مختلفة ، يلبس صاحبها
الجبة التي يلائم لونها المناسبة والمكان الذي يذهب إليه .

و (البرنس)^٢ : قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، ملتصق به ،
درّاعة كان أو جبة ، أو ممطراً . وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام^٣ .
واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، عربت من أصل (فيروس) Virros ،
بمعنى ثوب عريض الكمين ، غطاء الرأس ملتصق به ، أي هو جزء منه . ويلبس
عندهم فوق الثياب^٤ .

و (القميص) من الثياب المقطعة . ذكر بعض علماء اللغة انه لا يكون إلا
من قطن أو كتان ، وأما من الصوف فلا . والظاهر انهم خصصوه بالقطن أو
الكتان للغالب^٥ . وذكر ان الرسول لبس قميصاً من قطن ، وكان قصير الطول ،
قصير الكمين . والظاهر ان هذه الصفة كانت هي الصفة الغالبة على القمصان ،
ثم طولت فيما بعد ووسعت أكمائها^٦ .

و (الخميصة) من الألبسة القديمة . وهي ثياب من خزّ ثخان سود وحمروها
أعلام ثخان أيضاً . وذكر أن الخميصة كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن
معلماً ، فليس بخميصة . وذكر أنها قد تكون من خزّ أو صوف . والظاهر أنهم
كانوا لا يسمون الخميصة خميصة ، إلا إذا كانت ذات أعلام . وهي من ألبسة
الموسرين^٧ .

و (الرداء) ، الوشاح ، ويقع على المنكبين ويجمع العتق^٨ . وهو مسا يشمر

١ اللسان (٢٨٣/٨) ، (قطع) ، تاج العروس (١٧٢/١) ، (جيب) .

٢ بالضم .

٣ اللسان (٢٦/٦) ، (برنس) ، تاج العروس (١٠٨/٤) ، (البرنس) .

٤ غرائب اللغة (٢٥٥) .

٥ تاج العروس (٤٢٨/٤) ، (قمص) .

٦ زاد المعاد (٣٤/١) ، ابن سعد ، الطبقات (٣/قسم ١ ص ١٧) .

٧ تاج العروس (٣٩٠/٤) ، (خمص) .

٨ تاج العروس (١٤٨/١٠) ، (ردى) .

على النصف الأعلى من الجسم لتغطيته ، ويكون من قطعة واحدة من القماش ، يلف على هذا النصف . قد يكون طويلاً واسعاً ، وقد يكون قصيراً . وقد يلف على الجسم رأساً ، وهو الغالب ، وقد يلف فوق ألبسة أخرى .

و (الازار) الملحفة ، وما يستر أسفل البدن ، والرداء ما يستر به أعلاه ، وكلاهما غير مخيط . وقيل الازار ما تحت العاتق والظهر . ولا يكون مخيطاً . فهو قطعة قماش ، يلف به القسم الأسفل من البدن لستره^١ . يختلف طوله وعرضه حسب رغبة لابسها . ويلبس الازار مع الرداء في الغالب ، وقد تلبس معه ألبسة أخرى .

و (النمرة) شمله فيها خطوط بيض وسود ، وبردة مخططة من صوف تلبسها الأعراب . وذكر أن كل شملة مخططة من مآزر الأعراب ، فهي نمرة . وجمعها أنمار ونمار . كأنها أخذت من لون النمر ، لما فيها من السواد والبياض . وقد لبس النبي النار . وورد : نبطي في حبوته ، أعرابي في نمرة أسد في تامورته^٢ . والمطرف : رداء من خز مربع ، له أعلام . وهو من الأردية التي يلبسها الأغنياء وذوو اليسار . وذكر أن المطرف رداء في طرفيه علمان^٣ .

ولبس الجاهليون القباء . وقد كان كسرى قد أهدى (الأكيدر) قباء من ديباج منسوج بالذهب^٤ . وكان من عادة الأكاسرة أن يكسوا الرؤساء وسادات القبائل أقبية من الديباج ، للتلطف والاسترضاء .

واكتسبت البرد اليمانية شهرة كبيرة بين الجاهليين ، وبقيت شهرتها في الاسلام ، وهي ذات ألوان . وفي كتب الأخبار : ان وفد رؤساء مكة حينما ذهبوا الى سيف بن ذي يزن ، لتهنئته ، ودخلوا عليه في قصر غمدان ، وجدوه متضمخاً بالعنبر ، يلعب ويبيض المسك في مفرق رأسه ، وعليه بردان أخضران قد اثتر بأحدهما^٥ .

واشتهرت برود (تزيد) عند العرب كذلك وضرب بها المثل ، كما يضرب

-
- ١ تاج العروس (١١/٣) ، (أزر) .
 - ٢ تاج العروس (٥٨٥/٣) ، (نمر) .
 - ٣ فقه اللغة (٢٤٦) . الطبقات (٢٣/٧) ، البيان (٢٠٦/١) .
 - ٤ الاصابة (١٢٦/١) .
 - ٥ العقد الفريد (٢٣/٢) وما بعدها ، الثعالب ، ثمار القلوب (٥٩٨) .

برود اليمن . وذكر ان العرب تنسب البرود الفاخرة الى تزيد ، وتزعم انها قبيلة للجن^١ .

وليس الجاهليون الألبسة الحمراء مثل : المياثر الحمر والألبسة الحمراء البحتة القانية . وذكر ان الرسول نهى عن لبس الألبسة الحمراء الخالصة التي لا يخالط لونها هذا لون آخر . ولم ينه عن لبس الألبسة المخططة بحمرة مع لون آخر ، مثل الحلل اليمانية ، وهي إزار ورداء ، منسوجان بخطوط حمر مع الأسود . كما نهى الرجال من لبس الربط المضرجة بالعصفر ، لأنها من لبس الكفار^٢ .

ولبس العرب الثياب المصبغة ، وذكر أن ساداتهم كانوا يصبغون ثيابهم بالزعفران . وان من صبغ ثيابه به (ذو المجاسد)^٣ . وهو من حكام الجاهلية وفقهائهم . وذكر أن العرب كانت مصفقة على توريث البنين دون الأناث ، فورث ماله لولده في الجاهلية للذكر مثل حظ الانثيين . فوافق حكم الإسلام^٤ . وورد أن ملحقه رسول الله التي يلبس في أهله موضة حتى انها لتردع^٥ على جلده^٦ .

وقد كان الأغنياء والشباب يبالغون في ألبستهم ، فكان منهم من يشمر ثوبه ، ومنهم من يسبله ويتركه يجر الأرض ، ومنهم من يبالغ في ردائه خيلاء وتيهياً وتكبراً . ونظراً الى ما يتركه من أثر في نفوس الفقراء ، والى ما فيه من اسراف وتبذير في استعمال الأقمشة ، نهى عن فعل ذلك في الاسلام . وورد النهي عن ذلك في كتب الحديث^٧ . وورد النهي عن لبس القمصان ذات الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج ، لأنها من جنس الخيلاء^٨ .

ولبس العرب النعال في أرجلهم ، ويفضلونها على غيرها من ألبسة الرجل مثل الخف . وقد ورد ذكرها في شعر النابغة^٩ . وتصنع من الجلود المدبوغة ، ولا سيما

-
- ١ الثعالبي ، ثمار (٥٩٨) .
 - ٢ زاد المعاد (٣٥/١) .
 - ٣ تاج العروس (٣٢٠/٢) ، (جسد) .
 - ٤ المحبر (٢٣٦ ، ٣٢٤) .
 - ٥ تردع تنفض صبغها .
 - ٦ عيون الاخبار (٢٩٦/١) ، (باب اللباس) .
 - ٧ ارشاد الساري (٤١٦/٨) ، (كتاب اللباس) .
 - ٨ زاد المعاد (٣٥/١) .
 - ٩ رقاق النعال طيب حجاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب البيان (١٠٧/٣) .

جلود البقر^١ . ويذكر بعض أهل الأخبار أن أول من حذا النعال هو جذيمة الأبرش بن مالك^٢ .

وقد ضرب العرب المثل بموضع تجميع الأنعلة في الذلة والهوان . فقيل : هو في صف النعال ، لا في صف الرجال^٣ . دلالة على أن الرجل من الطبقة الدنيا . والخفاف ، جمع الخف ، هي في منزلة النعل عند العرب . لبسوها في أرجلهم ، وشاع استعمالها بين أهل المدر في الحجاز وفي الأمكنة الأخرى . وذكرت في كتب الفقه ، في باب الوضوء والصلاة ، حيث جواز الفقهاء المسح على الخفين . وورد النهي باستعمال الخفين للمحرم إلاّ عند عدم النعلين^٤ ، وذلك يدل على استعمال أهل الحجاز للخفاف قبيل الإسلام .

ومن الخفاف ، نوع يقال له (الموزج) ، ويذكر بعض علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وإن أصلها (موزه)^٥ . وهناك نوع آخر يسمى (الموق) ويجمع على (أمواق) ، وقد عرف بأنه خف غليظ يلبس فوق الخف . ويظهر من بيت للشاعر المخضرم النمر بن تولب ، أن العباديين كانوا يلبسون الأمواق ، إذ وصف مشية النعاج بمشي العباديين في الأمواق^٦ . وورد في الأخبار : أن العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف^٧ .

وورد أن النساء كن يلبسن الخفاف ، وقد ورد أن أصحاب رسول الله كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الخمسر والصفير . ويقولون : هو من زينة آل فرعون^٨ . ويعني هذا أن نساء الجاهلية كن يلبسن الخفاف الملونة ، فوجد المسلمون أن في ذلك تقليداً للأعاجم فأمرهن ببند الملون منها .

-
- ١ بلوغ الأرب (٤١٥/٣) .
 - ٢ المعارف (ص ٢٤١) .
 - ٣ الثعالبي ، ثمار (٦٠٧) .
 - ٤ شمس العلوم ، الجزء الأول ، القسم الأول (ص ١٤٩) .
 - ٥ الجواليقي (ص ٣١١) ،
 - ٦ فترى النعاج به تمشي خلفه مشي العباديين في الأمواق الجواليقي (ص ٣١١) ، جمهرة ابن دريد (١٦٦/٣) .
 - ٧ البيان (١٠٦/٣) .
 - ٨ بلوغ الأرب (٤١٣/٣) .

وقد ضرب العرب المثل بنحفي حنين عند اليأس من الحاجة والرجوع بالحيلة .
 فيقال : رجع بنحفي حنين . وكان حنين إسكافاً من أهل الحيرة ، فسأومه أعرابي
 بنحفين ، فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي ، وأراد حنين غيظ الأعرابي ، فلما ارتحل
 أخذ أحد خفيه ، فطرحه ، ثم ألقى الآخر في مكان آخر ، فلما مر الأعرابي
 بأحدهما قال : ما أشبه هذا الخف بنحفي حنين ولو معه الآخر لأخذته ، ومضى
 فلما انتهى الى الآخر ندّم على تركه الأول ، فأناخ راحلته ورجع في طلب الأول ،
 وقد كان حنين كمن له ، فعمد الى راحلته وما عليها فذهب بها ، وأقبل الأعرابي
 وليس معه إلا خفان . فقال له قومه : ماذا جئت به من سفرك ؟ قال جئتكم
 بنحفي حنين . فلهبت كلمته مثلاً^١ .

وحيث أنني سأتكلم عن ملابس الجاهليين بشيء من الأطناب في أثناء حديثي
 عن الحرف ، لذلك أكتفي بما ذكرته في هذا الموضع عن الملابس ، على أمل
 التحدث عنها في ذلك المكان .

ومن عادة أهل (نجد) الاستصباح بـ (الدايزن) . مناور من خشب الأرز
 ليستصبح بها . وهي بنجد من شجر المظ^٢ .

ومصاييح القوم من الفخار ، أي الطين المشوي بالنار ، يوضع في بطنه زيت
 الوقود تتصل به فتيلة تولع بالنار ، ليستضاء بها ، وذلك في الأماكن التي يندر
 فيها استعمال الحجر . أما في الأماكن الجبلية ذات الحجر ، فتستعمل كذلك المصاييح
 المستعملة من الحجر ، وخاصة في بيوت الكبار والموسرين . ويستعملون فيها زيت
 الزيتون . ولا يزال بعض الناس يستعملون هذه (الضواية) في الإنارة^٣ ، وتعرف
 بـ (المسرجة) كذلك . و (السراج) هو المصباح والنبراس . و (القراط)
 شعلة السراج ، و (الذبال) ما يحمل (السراج) . ويقال سَعَمَ المصباح ، أي
 مدّه بالزيت . والنسيلة الفتيلة في بعض اللغات . والمشاعل القناديل والزهلقي السراج في
 القنديل^٤ .

١ الشعالي ، ثمار (٦٠٦) .

٢ تاج العروس (١٩٨/٩) ، (ددن) ، اللسان (١٥٣/١٣) ، (دذن) .

٣ نزية مؤيد العظم (ص ٧٨) .

٤ المخصص (٣٨/١١) وما بعدها .

أما الأعراب ، فلم يكونوا يعرفون المصاييح ، ومصاييحهم نجوم السماء وضوء القمر يهتدون بها ويستلهمون منها معنى الحياة .

المأكل والمشرب :

يختلف أكل العرب عن أكل الأعراب . كما يختلف أكل أهل كل مكان عن أكل أهل مكان آخر من جزيرة العرب . وأكل الحضرة ، متنوع نوعاً ما بالنسبة الى مأكل أهل الوبر . لفقرهم ولشح باديتهم . ولذلك صار طعام الأعراب على العموم بسيطاً . وقد أثر اختلاف نوع الطعام على هيئة الإنسان ووزن جسمه . فصار جسم الأعرابي نحيفاً في الغالب ، لبساطة أكله ، وقلة المواد النشوية والدهنية فيه .

ومن عادات العرب أنهم يقلون من الأكل . ويقولون : البطنة تذهب الفطنة ، و (البطنة تأفن الفطنة) . وكانوا يعيرون الرجل الأكل الجشع . ويرون أن (الأزم) ، أي قلة الأكل أفضل دواء لصحة الأبدان . قيل للحارث بن كلدة ، طبيب العرب في الجاهلية : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . ولهم في ذلك أمثلة كثيرة في الأزم ، وضرر البطنة . رووا بعضاً منها على لسان لقمان ، ورووا بعضاً آخر على ألسنة الحكماء العرب . وهم يعالجون البطنة بالحمية . لأن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل داء^١ . وهم يرون أن الشبع والامتلاء يضعف الفطنة . أي الشبعان لا يكون فطناً^٢ لبيياً . فلأكل علاقة كبيرة بالفطنة والعقل والذكاء .

وللعرب مصطلحات عديدة في درجات الأكل . أي من حيث كيفية تناول الطعام ، ومن حيث الاقبال عليه الى حد التخمّة . ولما كان الاكثار من الأكل معيماً عندهم وضعوا ألفاظاً في هؤلاء الذين كانوا يسرفون في الأكل ، فإذا دعوا الى وليمة أسرفوا في الأكل ، وأقدموا عليه ، وكأنهم جاؤوا من سني قحط . وعابوهم ، ومدحوا من اعتدل في أكله وتوسط فيه ، وأظهر نظافة وأدباً في تعاطيه^٣ .

١ بلوغ الارب (٣٧٠/١) وما بعدها .
٢ اللسان (١٩/١٣) ، (آفن) .
٣ بلوغ الارب (٣٧٩/١) .

ومن عادات العرب ، انهم كانوا ييكررون في الغداء ، ويرون أن ذلك أقرب الى راحة البدن وصحته ، ويؤخرون العشاء^١ .

ومآكل الأعراب قليلة شحيحة مثل شح البادية ، خاصة إذا انحبس المطر وهلك الزرع . فإن رزقه يقل وقد يذهب ما معه من زاد فيهلك خلق من الأعراب من شدة الجوع . قيل لأعرابي ما طعامكم ؟ قال : (الهيد ، والضباب واليرابيع ، والقنفاذ والحيات ، وربما والله أكلنا القد ، واشترينا الجلد ، فلا نعلم والله أحداً أنحبب منا عيشاً)^٢ . و (الهيد) : حب الحنظل ، تنقعه الأعراب في الماء أياماً ، ثم يطبخ ويؤكل^٣ . وأما القد ، فجلد السخلة . (وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، كانوا يأكلون القد . يريد جلد السخلة)^٤ .

وكانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب ، يفعلونه أيام الجوع . كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه الى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدة الزمان ، اذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقويه ، ويشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها . و (الفصيد) دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه وتطعمه الضيف في الأزمة . وأما (الفصيدة) ، فتمر يعجن ويشاب بدم . وهو دواء يداوى به الصبيان^٥ .

ويقال للفصيد (البجة) كذلك . و (البجة) دم الفصيد ، يأكلونها في الأزمة . والبج الطعن غير النافذ ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير ويأخذون الدم يتبلقون به في السنة المجدية . جاء في الحديث : (إن الله قد أراحكم من الشجة والبجة) ، وورد (أراحكم الله من الجبة والسجة)^٦ . أي قد أنعم عليكم بالتخلص من مذلة الجاهلية وضيقاتها ووسع لكم الرزق وأفاء عليكم الأموال . وكان أحدهم إذا نال شربة من اللبن المملوق بالماء ، وخمس تمرات صغار ، ظن نفسه ملكاً ، ودب اليه نشاطه . قال الشاعر :

-
- ١ بلوغ الارب (٣٧١/١) .
 - ٢ رسالة في الحنين الى الاوطان (٣٩٤/٢) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ كذلك .
 - ٥ تاج العروس (٤٥٣/٢) ، (فصد) .
 - ٦ تاج العروس (٦/٢) ، (بـج) .

إذا ما أصبنا كل يوم مُدْبِقَةً وخمس تميرات صغار كنائر
فنحن ملوك الأرض خصباً ونعمة ونحن أسود الغاب عند المفراز
وكم متمنٍ عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حق فائزاً^١

وأكل الجراد معروف مشهور عند الأعراب . يأكلونه نيئاً ، وقد يطبخونه أو
يحمصونه ويلقون عليه شيئاً من الملح . وقد يأكلونه بالتمر . وبغيره ، وهو عندهم
طعام للذيذ . ويذكر بعضهم أن الإنسان قد يصاب بالشرى من أكله ، وقد يشكو
من بطنه قد تصيبه^٢ .

وغالب أكل الأعراب لحوم الصيد والسيوق والألبان . وكانوا لا يعافون شيئاً
من المأكول لقلتها عندهم . حتى أنهم كانوا يأكلون كل شيء تقع أيديهم عليه .
ولا نجد من كتب أهل الأخبار ما يفيد تحريم العرب لأكل بعض الحيوان . بل
نجد أن أغلبهم قد استباحوا أكلها جميعاً . مهما كان ذلك الحيوان صغيراً أو كبيراً
حسن المنظر أو قبيح ، من ذات الأظلاف أو من غيرها . حياً كان أم ميتاً^٣ .
وذلك لفقرهم ولشدة الجوع عندهم . فلما جاء الإسلام حرم أكل الميتة والدم ولحم
الخنزير والمختنقة وحدد الذبح وما يمكن أكله من الحيوان ، بسبب ما كان يصيب
الناس من أكل لحومها من أضرار .

وقد أكلوا لحوم الحمر الوحشية والحمر الأهلية ، فنهى الإسلام عن أكلها لما
في ذلك من ضرر . وتمنى أحد الرجّاز لو اصطاد ضباً سحجلاً سمياً ، ليفوز
بلحمه من شدة الفاقة والحاجة إلى اللحم^٤ .

نعم لقد ورد أن بعض القبائل عافت أكل لحوم بعض الحيوانات ، أو عابت
أكل بعض أجزائها ، إلا أن هذا لا يعتبر عاماً ، كما أنه من قبيل العرف والعادة
أو مما له علاقة بالعقائد عندهم . فقد ذكر أن قبيلة (جعفي) كانت تحرم أكل
(القلب)^٥ ، إلا أن هذا التحريم هو تحريم خاص بهذه القبيلة . أما القبائل الأخرى
فقد كانت تأكله ولا تبالي ، لأنه غير حرام عندها .

١ رسالة في الحنين إلى الاوطان (٣٩٤/٢) .

٢ تاج العروس (٣١٨/٢) وما بعدها ، (جرد) ، (٣١١/٨) ، (رزم) .

٣ بلوغ الأرب (٣٨٠/١) .

٤ تاج العروس (٣٥٢/٧) ، (رمل) .

٥ نهاية الأرب (٨٣/١٨) .

وفي أيام الشدة وفي الأيام الأخرى أيضاً يرسل الأعراب أولادهم لجمع الحنظل ، فإذا جمع ثَقِف ، لإخراج هيده ، أي حَبّه ، لطبخه ، أو تحميصه لأكله . وقد تفاخر (حسان بن ثابت) بالغساسة ، لأنهم كانوا في مجبوحة من العيش ، وليسوا بصعاليك يرسلون ولائدهم لنقف الحنظل^١ . وإلى ذلك أشار (امرؤ القيس) بقوله :

كأنّي غداة البين حين تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل^٢

وقد كانوا يقاسون من شدة الجوع والفقر في بعض السنين حتى يموت من يموت منهم من الجوع . قيل : (كانوا إذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً) ، (ولقي رجل جارية تبكي فقال لها : مالك ؟ فقالت نريد أن نعتد) ، (والاعتقاد أن يغلق الرجل بابَه على نفسه ، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً)^٣ . فالاعتقاد انتحار للتخلص من ألم الجوع .

قال بعض المدنين لبعض الأعراب : أتأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس ؟ فقال : تأكل كل شيء إلا ام حُبّين . فقال المدني : لتَهْنِ أم الحُبّين العافية^٤ . فالفقر كافر ، والجوع يدفع الإنسان إلى أكل كل شيء . والعرب تكني عن الجوع بـ (أبي مالك) . وتسمي الخبز جابراً وعاصماً وعامراً^٥ . وقد كنت عنه وعن الإفلاس بـ (أبي عمرة)^٦ .

وهو على فقره وفسادته وجوعه يهزأ بأكل الحضر ويسخر منه ، ويرى فيه طعاماً صعباً لا يهضم . وأكلاً لا يناسب مزاج العرب . إذا أكله أكل أصيب بمرض . وهو محق في ذلك ، فرجل ذو معدة فارغة ، لا يذوق إلا القليل من الأكل والماء ، لا تتمكن معدته من هضم طعام مها كان بسيطاً ، فإنه ثقيل بالنسبة

-
- ١ البرقوقي (ص ٣١٠) ، ديوان حسان (ص ٣٣) (هرشفلد) .
 - ٢ تاج العروس (٢٦٠/٦) ، (نقف) .
 - ٣ تاج العروس (٤٢٦/٢) ، (عغد) .
 - ٤ الحيوان (٥٢٦/٣) ، (هارون) .
 - ٥ الثعالبى ، ثمار (٢٤٩/٦) .
 - ٦ الثعالبى ، ثمار (٢٤٨/١) .

الى معلة الأعرابي . فإذا أقبل على أكل طعام أهل الحضر ، وهو طعام غير مألوف عنده أصيب ببطنة تجعله يكره أكل الحضر ، وطعام أهل القرى والمدن ، ويعجب كيف يأكله أولئك ثم لا يصابون بمكروه . قال أعرابي قدم الحضر فشيح فانخم :

أقول للقوم لما ساءني شعبي ألا سبيل الى أرض بها الجوع
الا حيل الى أرض يكون بها جوع يصدع منه الرأس ديقوع^١

وقد كان الجاهليون يأكلون كل ما وقع تحت أيديهم من حيوان مقتول أو ميت ، فزلت الحرمة عن ذلك في الآية: « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق »^٢ . وذكر أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها ، فإذا ماتت أكلوها . وأنهم كانوا يضربون الأنعام بالخشب لآلهم حتى يقتلوها فيأكلوها . وذكر أن الموقوذة : هي التي ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية . والوقذة شدة الضرب^٣ .

وأما المتردية ، فهي التي تتردى من العلو الى السفلى وتموت ، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه . وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها . وكانت الجاهلية تأكل المتردي ، ولم تكن تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يعرف . فأما هذه الأسباب ، فكانت عندها كالذكاة . فحصر الشرع الذكاة في صفة مخصوصة . وبقيت هذه كلها ميتة . وكذا النطيحة وأكيلة السبع التي فات نفسها بالنطح والأكل^٤ . وكانت الجاهلية تأكل النطيحة الميتة كما تأكل الشاة التي يأخذها السبع فتخلص منه ، وكذلك إن أكل بعضها^٥ .

وقد كان الجاهليون يستحلون أكل المحرمات المذكورة التي حرمت في الاسلام ، ويأكلون ما يذكي من الحيوان على الأنصاب للأصنام ، وما يذكي على غير

١ تاج العروس (٣٣١/٥) ، (دقع) .

٢ المائدة ، الآية ٣ .

٣ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٤٧/٦) وما بعدها .

٤ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٤٩/٦) .

٥ المصدر نفسه (ص ٥٠) .

الأنصاب على نحو ما يفعل القصاب . والذكاة في كلام العرب الذبح . فلما جاء الاسلام حدد الذبح ، على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة ، ولو بعض حياة . فأبطل ذكاة ما خد نفسه من حيوان^١ . وهو بهذا خالف الجاهليين ، إذ لم يشترطوا الشروط التي اشترطها الاسلام في الذبح .

وللأغنياء والحضر آداب في مآكلهم ، تبدأ بغسل الأيدي في الغالب ، لازالة ما قد يكون قد علق بها من أتربة وأوساخ ، فإذا انتهوا من غسل الأيدي ، أكلوا بها . إذ قلما كانوا يستعملون السكاكين و (الملاعق) و (الشوكات) في أكلهم على نحو ما كان يفعله أغنياء العجم . وإذا انتهوا من طعامهم غسلوا أيديهم كذلك لتنظيفها من الدسم ومن المواد الأخرى التي تكون قد علق بها من بقايا الطعام . والأكل باليد عادة شائعة بين الشعوب السامية ، يرون لها مزايا على الاستعانة بأدوات الأكل في الأكل ، حتى صارت في حكم العرف والعادات ، بل جعل الأكل باليد من السنن المحببة في الدين .

وتستعمل (الربطة) وهي المنديل و (القوطة) لمسح اليد وتنظيفها من الماء^٢ . وقد استعمل الملوك والأغنياء المناديل المصنوعة من الحرير أو من الكتان ، وهي غالية ثمينة . وذكر بعض علماء اللغة ان الربطة لا تكون إلا بيضاء^٣ . والمنديل الذي يتمسح به من أثر الماء وغيره^٤ . ويظهر أن (القوطة) و (القوط) من الألفاظ المعربة ، ذكر أنها من لغة سنديّة معربة (بوته) . وهي في الأصل ثياب تجلب من السند ، غلاظ قصار تكون مآزر ، أو هي مآزر مخططة يشترها الجمالون والأعراب والخدم وسفل الناس ، فيأترزون . ثم استعملت في معنى (منديل) و (مناديل) ، يضعها الإنسان على ركبتيه ليقبى بها ملابسه عند الطعام^٥ .

وقد استخدم الملوك والأغنياء الخدم في تقديم والأطعمة والأشربة ، وكما كان يفعل ملوك الفرس والروم وسمراتهما ، في كَسُو خدمهم أكسية خاصة نظيفة

١ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٥٠/٦ وما بعدها) .

٢ البرقوقى (ص ١٤٦) .

٣ تاج العروس (١٤٥/٥) ، (ريط) .

٤ تاج العروس (١٣٢/٨) ، (ندل) .

٥ تاج العروس (٢٠٠/٥) ، (فوط) .

والباسهم (سرايل) ، معتملة ، كذلك فعل ملوك العرب وسراهم ولا سيما عرب العراق وبلاد الشام ، يخدمهم ، وقد قرطوا آذانهم بالنطف أي الأقراط أحياناً مبالغة في تزيينهم ، حتى يعطى جوّ المآذب والضيافة لوناً شعرياً خاصاً . فإذا قدم شيئاً ، وضع المنديل أو اللباجة على كتفه ، ووضع تحت صحن الطعام شيئاً ، ثم يقدمه الى الضيوف^١ .

ويختلف الحضريّ عن الأعرابي في طريقة أكله . فإذا تناول الحضريّ لقمة صغرها وأكلها بأطراف الأسنان ، وحاول جهده ألاّ يملأ فيه بلقمة كبيرة ، فيبدو الفم منتفخاً منها . وهذا ما يخالف مألوف الأعرابي . (قدم أعرابي على ابن عم له بمكة ، فقال له : إنّ هذه بلاد مقضم وليست ببلاد نخضم) . والنخضم أكل بجميع الفم . والقضم دون ذلك^٢ . وقيل النخضم : ملء بالأكول^٣ .

ويعد أكل (اللحوم) من أطايب الحياة ، ومن المفارح التي يتباهى بها الناس على غيرهم ، إذ لم يكن في ميسور كل إنسان الحصول على اللحم ، ولا سيما (اللحم السمين) . وإذا أضيفت إليها الخمر والطيب ، والنساء ، تمت بذلك مباحج الحياة . وقد عبّر عن (الخمر واللحم والطيب) ، بالأحامرة الثلاثة . وكانت هذه تستترف المال ، لما يتفق الانسان في الحصول عليها من ماله . قال الأعشى :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي ، وكنت بها قديماً مولعا

وقال :

الخمر واللحم السمين ، وأطلي بالزعفران ، فلن أزال مولعا^٤

وكان من تنصر من العرب يأكلون لحم الخنزير . يأكلونه أشد الأكل ، ويرغبون في لحمه أشد الرغبة^٥ . وذكر أن غيرهم كانوا يأكلونه أيضاً . وزعم

١ وذا نطف يسعى ملصق خده بديباجة تكفافها قد تقددا

البرقوقي (ص ١٤٦) .

٢ تاج العروس (٢٩/٩) ، (قضم) .

٣ تاج العروس (٢٧٩/٨) ، (نخضم) .

٤ اللسان (٢٠٨/٤) وما بعدها .

٥ الحيوان (٤١/٤) وما بعدها ، (هارون) .

(أن العرب لم تكن تأكل القروء) ، وروي أنهم كانوا يأكلون كل شيء يقع بين أيديهم لشدة الفاقة والحاجة ، ولا سيما الأعراب^١ . فأكلو دم (الفصيد) ، وكانوا يحبونه ، ويرون أنه يورث القوة^٢ .

وورد في ألسنة الناس (أهلك الرجال الأحمران : اللحم والخمر) . وورد أيضاً (أهلك النساء : الأحمران ، الذهب والزعفران) . وذلك لما كان الرجال والنساء ينفقونه من مال للحصول على هذه الأشياء^٣ . وورد أيضاً : (الأحمران : الطيب والذهب)^٤ .

وتسربت الى أهل الحجاز وسائر جزيرة العرب مأكولات أعجمية أخرى ، حافظت بعضها على أصالتها وعلى عجمتها . فذكر أن أهل المدينة ، لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر، علقوا ببعض مأكولاتهم ، فسموا السميطة (الرزق) والمصوص المزور ، والبطيخ الحرير^٥ ، ومأكولات أخرى ، أدخلها هؤلاء الفرس وأمثالهم بحكم نزولهم على العرب قبل الاسلام .

والثريد ، هو طعام محبوب مشهور عند العرب . وهو طعام يتكون من فت الخبز وتهشيمه ثم بله بالمرق . والغالب أن يكون بالمرق واللحم . وقد اشتهر (هاشم بن عبد مناف) ، بتقديمه الثريد لقومه^٦ .

ومن أكالات العرب المعروفة (الحريقة) ، وهي أن ينثر الدقيق على ماء أو لبن حليب فيحترق ، وهي أغلظ من السخينة يبقى بها صاحب العيال على عياله وقت الشدة^٧ . و (الحيسة) وهي تمر وسمن وأقط ، وقد أهدت (أم سليم) حيسة الى الرسول وضعتها في (برمة) في قدر من حجر ، وأرسلتها اليه ، لمناسبة دخوله بـ (زينب)^٨ .

١ الحيوان (٤٤/٤ وما بعدها) ، (هارون) .

٢ الحيوان (٩٦/٤) ، (هارون) .

٣ تاج العروس (١٥٤/٣) ، (حمر) .

٤ اللسان (٤٠٨/٤) ، (حمر) .

٥ البيان (١٩/١) .

٦ وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

معجم الشعراء (ص ٢٠٠) .

٧ بلوغ الأرب (٣٨٣/١) .

٨ ارشاد الساري (٦٨/٨) .

وعند العرب أكالات تعبر بها من يأكلها ، منها (السخينة) ، وهي تتخذ من الدقيق ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وإنما يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال . والظاهر أنها كانت أكلة معروفة عند قريش خاصة ، لذلك عُبِّرَتْ بها . وقد عَيَّرَهَا (حسان بن ثابت) بها ، فدعاها (سخينة)^١ ، كما سمّاها بهذه التسمية كعب^٢ .

وقد مازح (معاوية) (الأحنف بن قيس) ، فقال : ما الشيء المُلَفَّفُ في البجاد ؟ قال : هو السخينة يا أمير المؤمنين^٣ . وإنما أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم	فسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن	أو الشيء المُلَفَّفُ في البجاد
تراه يطوف في الآفاق حِرْصاً	ليأكل رأس لقمان بن عاد

وكان الأحنف من تميم ، وإنما أراد الأحنف بالسخينة رمي قوم معاوية بالبخل ، لأنهم كانوا يقتصرون عليها عند غلاء السعر حتى صار هذا اللفظ لقباً لقريش^٤ . والشواء هو الطريقة الشائعة بين الأعراب وأهل الريف في طبخ اللحوم . فهو وطريقته سهلة : توقد نار ، ثم يوضع اللحم عليها ، ومتى نضج أكل . فكان أهل الوبر إذا اصطادوا أو ذبحوا لضيف ، أوقدوا ناراً ، واشتروا اللحم وأكلوه . ونجد في قصص أجواد العرب ، مثل حاتم ، أنهم كانوا ينحرون الإبل أو يذبحون فرساً ، ثم يوقدون ناراً فيشؤون اللحم عليها . ويدعى الناس إلى الأكل ، فإذا فرغوا منه ، مشّوا أيديهم بكل ما يكون أمامهم ، حتى أعراف الجياد . كما نجد ذلك في شعر لامرئ القيس^٥ .

وللعرب أواني استخدموها لتقديم الطعام بها إلى الضيوف . منها : الفيخة والصفحة ، وهي تشيع الرجل ، والمكتلة تشيع الرجلين والثلاثة ، والقصة تشيع

-
- | | | |
|---|--|---------------------------|
| ١ | زعمت سخينة أن ستغلب ربها | وليغلبن مغالب الغلاب |
| | اللسان (٢٠٦/١٣) ، (سخن) ، تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) ، ونسب هذا الشعر إلى (كعب بن مالك) ، بلوغ الأرب (٣٨٢/١) . | |
| ٢ | اللسان (٢٠٦/١٣) ، (سخن) ، تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) . | |
| ٣ | بلوغ الأرب (٣٨٢/١) . | |
| ٤ | نمش بأعراف الجياد أكفنا | إذا نحن قمنا عن شواء مضهب |
| ٥ | النعالبي ، ثمار (٢١٩) . | |

الأربعة والخمسة ، والجفنة تشيع ما زاد على ذلك ، والدسيسة وهي أكبر الأواني عندهم . وقيل أكبرها الجفنة التي ورد ذكرها في شعر الشعراء على سبيل الفخر والمدح^١ .

النبح :

والغالب على الجاهليين ذبح الحيوان ، لأخذ لحمه ، وذلك بقطع الحلقوم بسكين^٢ . يفعلون ذلك في الشياه والكباش والثيروس والطيور والدجاج . أما بالنسبة الى السمك وما يستخرج من البحر ، فإنهم يتركونه حتى يموت ، أو يشقون بطونها وقد يذبحونها أيضاً . ويأكلون الميت منه كذلك . وأما الإبل ، فإنهم ينحرونها ، ونحر البعير طعنه في منحره^٣ . وكانوا اذا أرادوا نحر البعير عقروه ، أي قطعوا أحد قوائمه ثم ينحروا ، يفعل ذلك به كيلا يشرد عند النحر^٤ .

هذا هو الأصل في الحصول على اللحم ، ولكنهم كانوا كما جاء في القرآن الكريم لا يعافون أكل الميتة والمختنقة والمتناطحة ، لفقرهم وجوعهم . مع ما كان ياحقهم من ضرر من أكلها بسبب فسادها . ولذلك حرم أكل لحومها في الإسلام.

والعادة عند العرب أن من العيب بيع شيء من طعام لمن هو في حاجة اليه . وهم يشعرون بالخجل وبالإهانة إذا طلب معسر طعاماً أو شرباً كلبن أو ماء ثم لا يجاب طلبه ، أو يطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ما قدم من طعام أو شراب . لأن القرى واجب على كل عربي ، ولا يكون القرى بثمان . فكيف يقف إنسان موقف بخل وإمساك أمام مرملة محتاجة^٥ .

ويقال لكل ما يؤكل (الطعام) ، فالطعام اسم جامع ، وجمعه أطعمة . وأشهر وجبات الطعام عند العرب الغداء والعشاء . فالغداء وقت الغدي ، والعشاء وقت العشي . أما الفطور ، وهو ما يتناوله الإنسان صباحاً ، أي عند نهوضه

- ١ تاج العروس (١٦٢/٩) ، (جفن) ، بلوغ العرب (٣٨٧/١) .
- ٢ اللسان (٤٣٦/٢) وما بعدها ، (ذبح) .
- ٣ تاج العروس (٥٥٧/٣) ، (نحر) .
- ٤ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .
- ٥ تاج العروس (٣٥١/٧) ، (رمل) .

من نومه ، فليس له عند غالبية العرب مقام كبير ، كمقام الغداء أو العشاء ولا سيما عند أهل الوبر ، وحظه مع ذلك عند أهل المدر أحسن حالاً وأكثر مكانة .
والطعمة : الدعوة إلى الطعام^١ .

ويعبر عن الطعام بـ (الزاد) كذلك . وورد أن الزاد : طعام السفر والحضر .
وورد : التزود بمعنى اتخاذ الزاد . وأما (العيش) ، فالزاد والطعام في لغة أهل اليمن^٢ .

الضيافة والأضياف :

وعرف الجاهليون بالقرى ، أي اطعام الأضياف . والجود خلة يتفاخر بها العرب ويتسامون ، حتى إن بعضهم أوقد ناراً ليراها الأضياف فيستدلون بها على المنزل ، وتسمى هذه النار : (نار القرى) ، أي نار الضيافة . وأقفر رجل عندهم يقوم قدر حاجته وامكانه بإكرام من يفد عليه . والبخل سجية مذمومة يعاب بها ، وتكون سبة بين الناس . وهو لؤم ، واللؤم قبيح بالعربي .

ولا يقتصر واجب المضيف على تقديم الطعام لضيفه والترحيب به ، بل عليه حمايته والدفاع عنه ما دام في بيته . فإذا اعتدى عليه ، كان الاعتداء كأنه وقع على المضيف ، وخزي وكسف اسمه بين الناس . يلحق العار به وبأسرته ، فلا بد له من حاية ضيفه والدفاع عنه مهما كان شأنه وحاله من ضعف وفقر ، فإن كان عاجزاً استدعى قومه للدفاع عن اسمه من المعتدين .

وخفرة الجار ثلاث ، فإذا انتهى الأجل ومضى اليوم الثالث ، انتهت خفرة الجوار ، وعلى الضيف الخروج . وفي أثناء الضيافة ونزول الضيف في خفرة مضيفه ، يكون في مأمن وفي حمى جاره ، فإن وقع عليه شيء ، طالب مضيفه بالانتصاف ممن أهان ضيفه ، لأنه في ضيافته، وتكون الإهانة كأنها قد لحقت به^٣ .

وورد في الأخبار أن العرب أصحاب حياض . وانهم كانوا يقرون في الحياض

١ المنخص ، لابن سيده (١١٨/٤) .
٢ المنخص (١١٩/٤) ، تاج العروس (٣٦٦/٢) ، (زاد) .
٣ الفاخر (٢٢٠) .

وينفون الأعداء عن الماء^١ ، وذلك لما للماء من أهمية في جزيرة العرب، فعليه تتوقف حياة الانسان . ولذلك عدت السقاية في مكة مفخرة من مفاخر قريش . وقد فسرت هذه السقاية بأنها وضع الماء في حياض داخل الحرم ليستقي منها الحاج ، والاستقاء مجاناً من ماء زمزم للفقراء والمعوزين . وقد يكون هذا هو الأصل من السقاية . غير ان أهل الأخبار يشيرون أيضاً الى نوع آخر من السقاية كان يليها الهاشميون في مكة وذلك بإسقاء الحاج الزبيب المنبوذ في الماء مجاناً لهم^٢ . وهو أغلى وأمن من الماء .

وذكر ان (بني أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر) ، وهم من بجيلة ، كانوا (لم يتزل بهم نازل قط إلا عمدوا الى ماله فحبسوه ودفعوه الى رجل يرضون أمانته ومانوه بأموالهم ما أقام بين أظهرهم . فإذا ظعن أدوا اليه ماله ورحلوا معه . فإن مات ودوه ، وإن قتل طلبوا بدمه ، وإن سلم ألحقوه بمأمنه . وفي ذلك يقول عمرو بن الخثارم :

ألا من كان مغرباً فإني لغربته على أفصى دليل
يعينون الغني على غناه ويثرو في جوارهم القليل^٣

وطبيعي أن يكون بينهم من يشذّ عن العرف ويخالف المألوف ، فيمسك يديه ويبخل . فقد روي أن ناساً سافروا من الأنصار فأرملوا فروا بحج من العرب فسألوهم القرى فلم يقرؤهم، وسألوهم الشراء فلم يبيعوهم ، فأصابوا منهم وتضبطوا . أي أخذوه على حبس وقهر^٤ .

ولاثم العرب :

وللعرب في المناسبات ولاثم يقيمونها يدعون اليها الأقرباء والجيران ومن لهم معرفة بهم ، لمشاطرتهم الأئس والفرح في تلك المناسبة . كما كانوا يدعون الناس

-
- ١ الميداني ، مجمع الامثال (٣٦٤/١) .
 - ٢ تاج العروس (١٨١/١٠) ، (سقى) .
 - ٣ المجبر (ص ٢٤٣) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٥/٥) ، (ضبط) .

الى الطعام في أوقات الأتراح أيضاً ، وذلك مثل وفاة عزيز ، أو مرور أمد على ذكره ، ولهم ولائم أيضاً في المناسبات الدينية . والغاية من كل ذلك هو مشاطرة من يدعون أصحاب الدعوة في مشاعرهم والاجتماع بهم . ويذكر علماء اللغة أن (الوليمة) طعام العرس ، أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها . وقد كانت العادة لإيلاء الولائم في الأعراس ، لذلك غلب اسم الوليمة على وليمة العرس . وذكر أن الرسول قال لعبد الرحمن بن عوف : أولم ولو بشاة . أي اصنع وليمة^١ .

والدعوة اسم لكل طعام دعيت اليه الجماعة . فهي تشمل كل أنواع الطعام والدعوات . وبهذا المعنى ترد لفظة:المأدبة . حيث يدعى الناس الى الطعام لمختلف المناسبات . وهي أعم من الوليمة^٢ .

وتندرج الذبائح في الولائم والمناسبات اكرام الضيوف . والمفرد (ذبيحة) . وان كانت تدل على أنثى ، غير أنها قد تكون حيواناً ذكراً . فلا يشترط فيها أن تكون شاة ، بل يجوز أن تكون خروفاً . وهي لا تختص بحيوان معين ، فقد تكون جمللاً وقد تكون ناقة . ويقال لما يهلّ للآلهة : (ذبائح) كذلك . وتكون الذبائح في مناسبات إكرام الضيف ، تبعاً لمنزلة الضيف . فإذا كان الضيف ملكاً مثلاً أو سيد قبيلته بولغ في عدد الذبائح التي تقدم له ، إكراماً لمنزلته ومكانته .

والوليمة هي طعام الإملاك ، وقد تطلق على الولائم عامة ، ولكن الناس يخصصونها في الغالب بمثل هذه الحالات . فيقولون وليمة العرس ، ووليمة الختان ، ونحو ذلك . والدعوة أعم من الوليمة . وأما (الخُرس) فطعام الولادة ، وقيل : الطعام الذي يصنع للنساء لسلامة المرأة من الطلق . و (العقيقة) ، وهي طعام سابع الولادة ، و (الاعذار) (العذيرة) الطعام يصنع للختان ، و (النقيعة) طعام الإملاك ، أي التزويج ، وقيل : وما يصنع للقدوم من السفر ، وقيل : النقيعة التي يصنعها القادم ، والتي تصنع له تسمى التحفة ، و (الملاك) ما يصنع للخطبة ، ويقال : (الاملاك) ، ودعي طعام (الاملاك) ب (الشندخ) كذلك^٣ .

١ تاج العروس (٩٦/٩) ، (أولم) .

٢ بلوغ الأرب (٣٨٦/١) .

٣ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، بلوغ الأرب (٣٨٦/١) ، الفاخر (ص ٩٨) .

وقيل إنما قيل لطعام الإملاك (الشندخ) ، لأن الشندخ هو الفرس الذي يتقدم بقية الخيل . وحيث أن طعام الإملاك هو طعام يتقدم العرس . أي هو طعام الزفاف ، أو ما يصنع للخطبة ، لذلك قيل له : الشندخ . وذكر بعض العلماء الشندخ^١ : الطعام يجعله الرجل إذا ابني داراً أو عمل بيتاً^٢ ، أو قدم من سفر أو وجد ضالته^٣ .

وقد أشير الى (النقيعة) على أنها الطعام الذي يصنع للقادم ، والناقة التي ينحرها القادم للطعام الذي يتخذه ، في شعر ينسب الى (مهلهل) هو :

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ضرب القدار نقيعة القدام^٤

وذكر أن النقيعة كل جزور جزرت للضيافة . ومنه قولهم : الناس نقائع الموت . وذهب بعضهم الى أن النقيعة طعام الرجل ليلة يملك^٥ .

وورد أيضاً أن (المنقع) ، طعام المآتم ، وأن النقيعة الذبيحة التي تذبح عند الوفاة ، والنقع ، رفع الصوت وشق الجيب^٦ . وهذا المعنى يخالف بالطبع المعنى المتقدم لذلك الطعام .

وإذا قام الانسان بعمل مفيد جديد ، فقد يصنع وليمة لهذه المناسبة . فإذا قام انسان ببناء بيت ، أو أي بناء آخر جديد ، أو استفاد الرجل شيئاً جديداً ، يتخذ طعاماً يدعو اليه اخوانه وأصدقائه ، ويسمون ذلك : العذار^٧ . وذكر أيضاً ان العذار طعام البناء وطعام الختان ، وأن تستفيد شيئاً جديداً فتتخذ طعاماً تدعو اليه اخوانك^٨ .

وأما (الوكيرة) ، فهي طعام يصنع عند تمام البيت بينه الرجل لنفسه ، مشتقة من (الوكر) ، وهو المأوى والمستقر . وعادتهم عند الانتهاء من بناء

-
- | | |
|---|--|
| ١ | المخصص (١٢٠/٤) . |
| ٢ | اللسان (٣١/٣) ، (شندخ) . |
| ٣ | تاج العروس (٢٦٥/٢) ، (شندخ) . |
| ٤ | الفاخر (ص ٩٨) ، اللسان (٣٦٢/٨) ، (نقع) . |
| ٥ | تاج العروس (٥٣٠/٥) ، (نقع) . |
| ٦ | القاموس (٢٨٩/٣) ، (النقع) ، المخصص (١٢٠/٤) . |
| ٧ | اللسان (٥٥١/٤) ، (عذر) . |
| ٨ | تاج العروس (٣٨٧/٣) ، (عذر) . |

بيت ، دعوة الأقرباء والأصدقاء الى وليمة لمشاركة صاحب البيت في أنسه وفرحه
بتمام البيت^١ .

و (الحقيقة) من الالائم التي يدعى الناس اليها ، لمناسبة المساهمة بفرح أهل
مولود ، حينما يحلقون شعر رأسه لأول مرة ، أي الشعر الذي ولد به^٢ . وقد
تكون الحقيقة في الأسبوع الأول من ولادة المولود . وعندئذ يعلن عن اسم المولود
الذي سيعرف به .

والختان من المناسبات المبهجة في حياة الأسر . لذلك يولم الناس ولائم لهذه
المناسبة يدعونها (العذيرة) ، والجمع الإعذار . والمعلنور هو المختن . وقد كان
الاختتان معروفاً بين الجاهليين . ويقال للعذيرة أيضاً : العذار والإعذار والعذير .
وكل ذلك في معنى طعام الختان . وفي الحديث : الوليمة في الاعذار حق . وورد
في الحديث أيضاً : كنا اعذار عام واحد ، أي ختنا في عام واحد . وكانوا
يختنون لسن معلومة فيما بين عشر سنين وخمس عشرة^٣ .

و (القِرَى) : ما يصنع للضيف ، و (المأدبة) : كل طعام يصنع لدعوة ،
و (الآدب) صاحب المأدبة^٤ .

واذا كانت الدعوة عامة مفتوحة للجميع ، قيل لها (الجفلى) ، أما اذا كانت
خاصة فيقال لها : (التقرى) . وفي هذا المعنى ورد في شعر طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الآدب منها ينتقر^٥

ويقال انتقر الرجل إذا دعا بعضاً دون بعض ، فكأنه اختارهم واختصهم من
بينهم^٦ .

-
- ١ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، بلوغ الارب (٣٨٦/١) ، الفاخر (ص ٩٨) ، البخلاء (٢٤٦) ، تاج العروس (٦٠٨/٣) ، (وكر) .
 - ٢ القاموس (٢٦٦/٣) ، شرح ابن عقيل (٢٢٣/١) ، البخلاء (٢٤٦) ، محيط المحيط (١٤٤٢/٢) .
 - ٣ البخلاء (٢٤٦) ، اللسان (٥٥١/٤) ، المخصص (١٢٠/٤) .
 - ٤ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، بلوغ الارب (٣٨٦/١) .
 - ٥ بلوغ الارب (٣٨٦/١) .
 - نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الادب فينا ينتقر
 - ٦ تاج العروس (٢٥٨/٧) ، (جفل) .
 - ٦ تاج العروس (٨٥٢/٣) ، (نقر) .

وورد أن الجفلى ، ويقال لطعامها الجفالة ، الوليمة ، التي ينادي الداعي فيها جميع القوم ، أي كل من حضر الى الطعام . ولا يستثنى أحداً ، فكل من حضر يحضر تلك الوليمة عكس التقرى ، حيث ينتشر الداعي ، أي صاحب الوليمة الأشخاص بأن يذكر أعيانهم ، ولا يدعى غير هؤلاء المنتقرين الى تلك الوليمة ، وهي لذلك مذمومة . يقال نقرت باسمه ، أي أسميته بين جماعة^١ .

وقد يقدم طعام يتعل به قبل الطعام ، يعرف عندهم بـ (السلفة) . وإذا أريد أن يكرم الرجل بطعامه عبّر عن ذلك بلفظة (القفي) . وأما ما يرفع من المرق للإنسان ، فيقال له (القفاوة)^٢ ، وذلك دلالة على التكريم والتقدير .

وإذا هلّ هلال شهر رجب، دعي بعض الناس الى وليمة يسمونها (العتيرة)^٣ . ولشهر رجب حرمة ومكانة ومترلة خاصة في نفوس الجاهليين. وقد كان الجاهليون ينثرون ، انهم اذا كثر ما لهم ، فانهم يذبحون منه ، ما يذكرون عدده في هذا الشهر . وكان منهم من يذبح من الإبل حين يبلغ الحد الذي ذكر في النثر ، ومنهم من يذبح الشاة . كما كانوا ينثرون بتقديم عتيرة في كل نذر آخر يريدون تحقيقه . فاذا أولوا لذلك وليمة أو وزّعوا لحم العتيرة أو طعامها على الناس فعملهم هذا عتيرة^٤ . وهناك عتيرة أخرى، هي الذبيحة التي كانت تذبح للاصنام ويصبّ دمه على رأسها ، فهذه عتيرة أيضاً^٥ .

المتطفلون :

وقد عاب أهل الجاهلية أهل التطفل ومن يتحين طعام الناس ، او يكثر من السؤال . وقالوا للحريص من الرجال (الفلحس) . وقالوا : أسأل من (فاحس) ، و (تفلحس الرجل) ، إذا تطفل . وذكر أهل الأخبار أن (الفلحس) رجل من بني شيبان ، زعموا أنه كان إذا أعطي سهمه من الغنيمة ، سأل سهماً لامرأته

-
- ١ البخلاء (٥٤٦) ، القاموس (٣/٣٤٩) ، البخلاء (٢٤٧) .
 - ٢ العقد الفريد (٦/٢٩٢) ، اللسان (٩/١٦١) ، (سلف) ، (١٠/١٩٢) وما بعدهما .
 - ٣ بلغ الارب (١/٣٨٦) .
 - ٤ اللسان (٤/٥٣٧) ، المخصص (١٣/٩٨) .
 - ٥ المصدر نفسه .

ثم لناقته ، وكان يسأل سهياً في الجيش ، وهو في بيته ، فيعطى لعزه وسؤدده ، فقالوا : (أسأل من فلحس)^١ . وذكر أنه كان حريصاً رغبياً وملحفاً ملحاً ، وكل طفيلي ، فهو عندهم فلحس^٢ .

والطفيلي الذي يدخل الولائم والمآدب بلا دعوة . وقد نسب التطفل الى رجل من أهل الكوفة ، زعموا ان اسمه (الطفيل بن زلال) ، وهو من (بني عبد الله ابن غطفان) ، كان يأتي الولائم بلا دعوة ، وكان يقول : وددت أن الكوفة مصهرجة ، فلا يخفى عليّ منها شيء . فنسب الطفيليون اليه^٣ .

المعاقرة :

العقر قطع قوائم الفرس أو الإبل أو الشاة بالسيف ، وهو قائم . يقال جعل عقير . بمعنى مقطوع القوائم وكذلك ناقة عقيرة ، أي قطعت إحدى قوائمها أو قوائمها . وكان الموسرون منهم يتعاقرون ، يفاخر بعضهم بعضاً ويتفاضلون في عقر الإبل ، ويتبارون في ذلك ليرى أيهم أعقر لها ، فيكون له الفضل والفخر على الغير . ومن ذلك معاقرة (غالب بن صعصعة) أبي الفرزدق و (سحيم ابن وثيل الرياحي) ، لما تعاقرا بـ (صوار) ، موضع من أرض (كلب) من طرف السماوة ، مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلي الشام^٤ . فعقر (سحيم) خمساً ثم بدا له ، وعقر غالب مائة^٥ . ذكر أنهم كانوا يفعلونه رياء وسمعة وتفاخراً ، ولا يقصدون به غير ذلك ، ولهذا نهى عنه في الإسلام ، لأنه لم يقصد به وجه الله . جاء في حديث ابن عباس : « لا تأكلوا من تعافر الإعراب ، فإنني لا آمن من أن يكون مما أهل به لغير الله . قال ابن الأثير : هو عقرهم الإبل . كان الرجلان يتباريان في الجود والسخاء ، فيعقر هذا وهذا حتى يعجز أحدهما الآخر ، وكانوا يفعلونه رياء وسمعة وتفاخراً ولا يقصدون به وجه الله تعالى فشبهه بما ذبح

١ تاج العروس (٢١٠/٤) ، (الفلحس) .

٢ الحيوان (٢٥٧/١) ، (هارون) .

٣ تاج العروس (٤١٨/٧) ، (طفل) ، الميداني ، أمتال (٣١٧/١) .

٤ تاج العروس (٣٢٢/٣) ، (صوار) .

٥ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .

لغير الله . وفي الحديث لا عقر في الإسلام . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أي ينحرونها ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافته بمثل صنيعه بعد وفاته . وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . وفي الحديث لا تعقرن شاة ولا بعيراً إلاّ للأكلة ، وإنما نهى عنه ، لأنه مثله وتعذيب للحيوان ^١ .

مبرات جاهلية :

وكانت للجاهليين مناقب ومبرات ومكرمات، فعلوها في جاهليتهم وقبل إسلامهم. لا ندرى إذا كانوا فعلوها عن دين وعقيدة في ثواب تضيئهم الآلهة عليها في هذه الدنيا أو في الدنيا الآخرة ، وذلك بالنسبة لمن آمن بوجود عالم ثان ، أم أنهم فعلوها عن مروءة وكرم نفس . فمنها (السقاية) : سقاية مكة، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وذلك في أيام الجاهلية. وكانت تعدّ مأثرة من مآثرهم ، أو إقامة البيوت في المواسم وعلى الطرق وفي المعابد تتخذ سقاية يستقي منها الناس بلا ثمن . وقد ورد في الحديث : انه كان يستعذب الماء من بيوت السقيا ^٢ .

ومن مبراتهم قبة عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم بن ذهل بن شيان، لا يدخلها جائع إلا أشبع ، ولا خائف إلا أمن ^٣ .

ومنها نخل ربيعة بن الأسود الشكري ، وكان جعلها لابن السيل وكل مقطوع وقبره فيها . فلما كانت حجة الوداع ، ووضع رسول الله كل دم ومكرمة في الجاهلية إلا السدانة والسقايا ، قام ابن ربيعة بن الأسود ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان وقف نخلاً له على أبناء السبيل أفهي مكرمة له ؟ فأمضها . فأمره النبي بإمضائها . وقد مدح أولاده ونسله فنتعتهم أحد الشعراء بـ (بني مورث

١ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .

٢ اللسان (١٤/٣٩٠ وما بعدها) ، (سقى) ، تاج العروس (١٠/١٧٩) .

٣ المحبر (٢٤١ وما بعدها) .

الأضياف من آل اسود) . وتذكرهم معاوية ، فقال : (وددت أن صاحب نخل ربيعة بن أسود مكان الخلافة لي)^١ .

مياه الشرب :

ولما كان الجفاف هو الغالب على طبع جزيرة العرب ، لذلك قلّ الماء فيها ، واضطر الناس الى قطع المئات من الأميال للوصول الى موضع ماء للتزود به . ولهذا صار عزيزاً عندهم ثميناً ، فقد تنقذ كمية قليلة منه حياة شخص . وتكثر الحاجة اليه بصورة خاصة في الصيف ، حيث تكثر الحرارة ، فيشتد العطش ، ويضطر الانسان الى الاكثار من شرب الماء لكسر حدة ذلك العطش . ولذلك يقترب الناس في موسم الصيف من مواضع الماء ، حتى اذا نفذ ما عندهم منه ، ذهبوا الى أقرب ماء اليهم ، للتزود به .

وألذّ المياه عند العرب ماء الغيث . أي ماء المطر ، فإذا جادت السماء به ، سال الى المواضع المنخفضة وتجمع بها ، فيأتي الأعراب اليها للاستقاء منها . ولهم أسماء ومصطلحات عديدة لأنواع المطر ولمواضع تساقطه ، نظراً لما لذلك من علاقة بحياتهم ، ولما لهم من حاجة شديدة الى الغيث .

والعيون والآبار والحسي ، هي من المنابع الأخرى التي أمدت العرب بالماء . والعين ، هي ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض . وقد تطلق على موضع تجمع مطر خمسة أو ستة ايام أو أكثر^٢ . والبئر ، هي القليب . قد تكون بئراً عادية ، وهي البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر ولا مالك ، وقد تكون بئراً يعرف صاحبها وحافرها ومالكها . وقد كان الجاهليون يحفرون الآبار لأنفسهم للاستقاء منها وللزراع بمائها ، كما كانوا يبيعون ماءها لغيرهم . وقد كانت لليهود آبار بالحجاز حصلوا منها على أموال بسبب بيع مائها للمحتاج اليه . واما (الحسي) ، فهي المواضع التي يظهر فيها الماء من جوف الأرض على وجه التربة . ومنها حسي الأحساء وأحساء خرشاف ، واحساء (بني وهب) على خمسة اميال من المرتقى ،

١ المحبر (ص ٢٤٢) .

٢ تاج العروس (٢٨٩/٩) .

فيه بركة وتسع آبار كبار وصغار بين القرعاء وواقصة على طريق الحاج، واحساء (غنى) وأحساء اليمامة ، أحساء جديدة^١ .

ويشرب الأعراب الماء بأيديهم، بأن يمدّوا أيديهم في عين الماء أو في مستجمعه ثم يغرفوا منه ، فيشربوه وهكذا حتى يرتووا . وقد ينبطح أحدهم على الأرض، ثم يمدّ فيه الى الماء فيشرب منه . أما بالنسبة الى الآبار والقرب ومخازن الماء ، فإنهم قد يشربون من أفواه الدلاء أو القرب ، وقد يستعملون أواني يشربون بها منها : الغمر ، وهو قدح صغير ، والقدح والتبن ، والصحن والقعب ، وغير ذلك من أسماء ذكرها علماء اللغة^٢ .

وقد يتجمع الماء في حفر ، فيكون بركاً . وذكر ان البركة مثل الخوض يحفر في الأرض لا يجعل له أعضاء فوق صعيد الأرض . وذكر ان العرب يسمّون الصهاريج التي سويت بالآجر وصرجت بالنورة في طريق مكة ومناهلها بركاً . وربّ بركة تكون ألف ذراع وأقل وأكثر . وأما الحياض التي تسوى بماء السماء ولا تطوى بالآجر ، فهي الأصناع^٣ .

وذكر علماء اللغة ان (الصنع) ، مصنعة الماء ، وهي خشبة يحبس بها الماء وتمسكه حيناً ، والجمع (أصناع) . وذكر ان (المصنعة) كالخوض أو شبه الصهريج يجمع فيها ماء المطر ، تحتفرها الناس فيملأونها ماء السماء يشربونها . وورد ان (الحبس) مثل المصنعة^٤ .

ولهم في سقي إبلهم عادات . وكانوا يسمّون كل سقية حسب يومها . فإذا سقوا الإبل كل يوم ، قالوا سقيناها رفهاً ، وإذا أوردوها يوماً وتركوها في المرعى يوماً ، قالوا : سقيناها غباً . وإذا أقاموها في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقيناها ربعاً ، وهكذا . وتنام ظمأ الإبل في الغالب ثمانية ايام فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه، وهو العاشر من الشرب الأول ، قالوا : سقيناها عِشراً بالكسر . الى غير ذلك مما تجده في كتب اللغة عن هذا الموضوع^٥ .

ومن أوعية الماء (المهراس) . حجر منقور ضخم لا يقله الرجال ولا يحركونه

- ١ تاج العروس (٩/١٠) ، (حسي) .
- ٢ بلوغ العرب (٣٩٣/١) وما بعدها .
- ٣ تاج العروس (١٠٦/٧) ، (برك) .
- ٤ تاج العروس (٤٢٢/٥) ، (صنع) .
- ٥ بلوغ العرب (٣٩٤/١) وما بعدها .

لثقله ، يسع ماءً كثيراً . يؤخذ منه الماء للشرب وللاستعمال ، وقد استعمل في الإسلام للوضوء منه^١ .

والحب ، معروف عند الجاهليين ، يخبزن فيه الماء للشرب ، يعمل به الكواز والفخار . والكوز إناء يشرب به ، ذكر أنه يكون بعروة ، أما إذا لم تكن به عروة فهو (كوب)^٢ . وهناك الأباريق وأوان أخرى استعملت في الشرب .

طرق معالجة الماء :

وللعرب طرق في معالجة المياه المالحة ، مثل ماء البحر ، وفي معالجة المياه الكدرة . من ذلك أنهم كانوا إذا اضطروا إلى شرب ماء البحر ، وضعوه في قدر ، وجعلوا فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد منقوش ، ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف ، فإذا كثر عصروه ، ولا يزالون على هذا الفعل حتى يجتمع لهم ما يريدون . فيكون ما استخرج من الماء من عصر الصوف ماء عذب ، ويبقى في القدر الزعاق^٣ .

وربما حفروا على ساحل البحر أو شاطئ مجتمع الماء المالح حفرة ، يرشح الماء من الماء المالح إليها ، ويحفرون حفرة أخرى على مسافة منها ، يرشح إليها الماء من الحفرة الأولى ، ثم يحفرون ثالثة ، وبذلك يتحلبون على ملوحة الماء ، حتى يعذب ، فيكون صالحاً للشرب^٤ .

ولهم في دفع كدرة الماء حيل . من ذلك أنهم كانوا إذا اضطروا إلى شرب الماء الكدر ، ألقوا فيه قطعة من خشب الساج أو جمراً ملتهباً يطفأ فيه ، أو طيناً أو سويق حنطة ، فإن كدورته ترسب إلى أسفل^٥ . وقد يضعون إناء تحت حبة الماء ، لتتجمع قطرات الماء الصافية فيه ، فيشربون منه ماءً صافياً لا كدرة فيه . وربما عرفوا استعمال (الشب) في إزالة كدرة الماء . وهو أنواع ، منه شب يماني^٦ .

-
- ١ اللسان (٢٤٨/٦) ، (هرس) .
 - ٢ تاج العروس (٧٦/٤) ، (كاز) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٣٩٦/١) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٣٩٦/١) .
 - ٥ بلوغ الأرب (٣٩٦/١) .
 - ٦ تاج العروس (٣٠٨/١) ، (شبب) .

الفصل الحادي والخمسون

فقر وغنى وأفراح وأتراح

وبين الجاهليين أناس عرفوا بالغنى وبالثراء وبكثرة المال ، كالذي ذكرته عن بعض رجال مكة . فقد كان بينهم رجال متخمون شبعون ، سكنوا بيوتاً حسنة ، زينوها بأثاث جيد وثير ، ولبسوا ملابس الحرير والألبسة الجليلة المستوردة من بلاد الشام واليمن ، وأكلوا أكالات الأعاجم وتفتتوا في الطبخ ، وشربوا بأنيسة من ذهب وفضة وبلور . وساهموا في قوافل تجارة مكة الجماعية . كما كانت لهم قوافل خاصة بهم ، تأتي اليهم بأرباح طيبة . ومنهم من استغل ماله بالربا وبامتلاك الأرض لاستغلالها ، كما فعلوا بالطائف ، الى غير ذلك من وسائل اتبعوها في جمع المال .

وكان منهم أناس ذوو حس وعاطفة ، فعطفوا على المحتاج وأطعموا الناس ، رقة بحالهم أو طلباً للشهرة والاسم . فهم جماعة محسنة على كل حال وكان بينهم من لم يكن له قلب ولا حس ، فلم يعرف محتاجاً أو فقيراً ولم يفهم معنى للإحسان على الفقير . فاشتط وأبى وقسى في رباه ، ولم يتساهل فيه . ومنهم من أكل أموال اليتامى ومنع الماعون . وإذا باع أنقص في المكيال ، ليزيد في ماله . وفي القرآن الكريم آيات في وصف حال هؤلاء الأغنياء ، وتقريع لهم وتوبيخ على ما فعلوه : (فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين)^١ . أي يدفع

١ . سورة الماعون . الآية ٢ ، وما بعدها .

اليتم عن حقه ، ويقهره ويظلمه . وانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ، ويقولون : (انما يحوز المال من يطعن بالسنان ، ويضرب بالحسام)^١ .

وكان منهم من يبخل بماله فلا ينفق منه على المحتاجين والمساكين . وكان منهم من يعتذر عن بخله وحرصه ، فيقول : (أنطعم من لو شاء الله أطعمه !) فترلت هذه الآية : (ولا يحض على طعام المسكين) فيهم ، (وتوجه الئدم اليهم . فيكون معنى الكلام : لا يفعلونه إن قدروا ، ولا يحثون عليه إن عسروا)^٢ .

وكان بين الجاهليين فقراء معدمون مدقعون لم يملكوا من حطام هذه الدنيا شيئاً . وكانت حالتهم مزرية مؤلمة . منهم من سأل الموسرين نوال إحسانهم ، ومنهم من تحامل على نفسه تكراً وتعففاً ، فلم يسأل غباً ولم يطلب من الموسرين حاجة ، محافظة على كرامته وعلى ماء وجهه ، مفضلاً الجوع على الشبع بالاستجداء . حتى ذكر ان منهم من كان يختار الموت على الدنية . والدنية ، أن يذهب الى رجل فيتوسل اليه بأن يجود عليه بمعروف . ومنهم من اعتفد . والاعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه ، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً . وكانوا يفعلون ذلك في الجذب . قيل : كانوا اذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً^٣ .

وكان بعض تجار مكة إذا أفلسوا أو ساءت حالتهم ، خرجوا الى البادية سرّاً ، وأقاموا هناك حتى يهلكوا جوعاً . خشية معرة وقوف رجال مكة على حالهم ، واشفاقاً على أنفسهم من التوسل بالأغنياء لمساعدتهم^٤ . فالموت على هذه الصورة أسهل عندهم من الإستجداء . روي (عن ابن عباس) في تفسير (لإيلاف قريش) ، قوله : (وذلك أن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم غمصة ، جرى هو وعياله الى موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم خباء فأتوا)^٥ .

وكان منهم من رضي وقنع بالدون من المعيشة ، فعاش في فقر مدقع. والدقع

١ القرطبي ، لجامع لاحكام القرآن (٢٠ / ٢١١) .

٢ القرطبي ، لجامع لاحكام القرآن (٢٠ / ٢١١) .

٣ تاج لeros (٢ / ٢٤٦) ، (عقد) .

٤ السيوطي ، الدر المنثور (٤ / ٣٩٧) .

٥ القرطبي ، لجامع لاحكام القرآن (٢٠ / ٢٠٤) ، تفسير سورة قريش .

الرضا بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر والصلوق بالأرض من الفقر والجوع . فهم ينامون على التراب ويلتحفون السماء . والدوقة الفقر والذل ، وجوع أدقع وديقوع شديد^١ . وهم مثل (بنو غبراء) في الفقر والحاجة ، أولئك الذين توسدوا الغبراء واتخذوا التربة فراشاً لهم ، لعدم وجود ملجأ لهم يأوون اليه ، ولا مكان يحتمون به .

ولم يكن في وسع كثير من الجاهليين الحصول على اللحم لفقرهم فكانوا يأتمدون (الصليب) وهو الودك . ودك العظام . يجمعون العظام ويكسرونها ويطبخونها ، ثم يجمعون الودك الذي يخرج منها ليأتمدوا به . وقد عرفوا بـ (أصحاب الصلب) . ولما قدم الرسول مكة (أتاه أصحاب الصلب الذين يجمعون العظام إذا حلب عنها لحماً فيطبخونها بالماء ويستخرجون ودكها ويأتمدون به)^٢ .

ولم يكن في استطاعة الفقراء أكل الخبز لغلاته بالنسبة لهم . لذلك عدّ أكله من علائم الغنى والمال^٣ . وكان الذي يطعم الخبز والتمر يعد من السادة الكرام . وكان أحدهم يفتخر بقوله (خبزتُ القومَ وتمرّتهم) ، بمعنى أطعمتهم الخبز والتمر^٤ . وقد افتخر (بنو العنبر) بسيدهم (عبدالله بن حبيب العنبري) ، لأنه كان لا يأكل التمر ولا يرغب في اللبن ، بل كان يأكل الخبز . فكانوا إذا افتخروا قالوا : منّا آكل الخبز . وكانوا يقولون (أقرى من آكل الخبز)^٥ لأنه كان جواداً . وذكر أن (كسرى) حين سأل (هوزة بن علي الحنفي) عن غذائه ببلده ، قال له هوزة : الخبز . (فقال كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر)^٦ .

وكان منهم من لا يستطيع شراء الملابس ليلبسها ، فيستر جسمه بالأسمال البالية وبالجلود ، ويعيش متضوراً جوعاً . وقد ذكر أن الفقراء من الصحابة كانوا لا يملكون شيئاً ، ويتضورون جوعاً ، وينامون في صفة المسجد ، يرزقهم الرسول

١ تاج العروس (٣٣٠/٥) ، (دقع) .

٢ تاج العروس (٣٣٧/١) ، (صلب) .

٣ بلوغ الارب (٨٧/١) .

٤ تاج العروس (٣٢/٤) ، (خبز) .

٥ بلوغ الارب (٨٧/١) .

٦ بلوغ الارب (٨٧/١) .

من رزقه ، تنبت منهم روائح كريهة ، من عدم الغسيل . ويلعب القمل شعرهم ، وينتقل على أجسامهم حيث يشاء .

ويظهر أن بعض زعماء مكة قد شعر بخطورة ظاهرة انتشار الفقر بمكة ، و ستركه الاعتقاد من أثر في مجتمعا ، فعمل على معالجة مشكلة الفقر والجوع والتسول ، حفظاً لمصالح الأغنياء على الأقل. فهم إن تركوا الفقر يتشر ويتفشى ولم يعملوا على معالجته ، تطاول الفقراء منهم على أموال الأغنياء ، وقاموا عليه وأرغمهم على أخذ أموالهم أو على أن يساهمهم فيه . أضف الى ذلك ما سيحدث اعتداء الفقراء على أموال الأغنياء من خوف ، ومن فزع في نفوس أهل المدينة المتاجرة ، لذلك سعوا لاقناع نجار المدينة على إنصاف الفقراء والمحتاجين ومساعدتهم للتخفيف من شدة الجوع والفقر .

ويظهر ان المخصصة ، كانت شديدة ، شدة حملت البعض على السطو أموال الناس وعلى سرقة ما يجدونه أمامهم . ففزع من ذلك أهل مكة ، و زعماءها على التفكير في اتخاذ أقصى العقوبات في حق السارق ، فكان أن (الوليد بن المغيرة) بقطع يد السارق ، ذكر انه كان أول من حكم بقطع السارق في الجاهلية^١ فصار القطع سنة عندهم .

وكان أن نادى (هاشم) ، وهو (عمرو بن عبد مناف) لإنصاف الفقراء والمحتاجين وتقديم المعونة لهم ، حتى يصير فقيرهم كالكافي، فاربح الغني آخر منه نصيباً ليكون للفقراء^٢ . وبذلك يخفف من حدة وطأة الفقر في هذه المد المتاجرة .

وذكر في تعليل دعوة (هاشم) الى إنصاف الفقراء ومساعدتهم ، انه سيداً في زمانه ، وله ابن يقال له : أسد ، وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه . فقال له : نحن غداً نعتقد . فدخل أسد على أمه يبكي وذكر ما قاله تربيته .. فأرسلت أم أسد الى أولئك بشحم ودقيق ، فعاشوا أياماً . ثم إن تربيته أتاها أيضاً ، فقال : نحن غداً نعتقد ، فدخل أسد على

١ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (١٦٠/٦) .
٢ والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (٢٠٥/٢٠) .

بيكي ، وخبره خبر تربه ، فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره ، فقال : انكم أحدثتم حدثاً ثقلون فيه وتكثر العرب ، وتذلون وتعزّ العرب ، وأنتم أهل حرم الله جل وعز ، وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع ، ويكاد هذا الاعتقاد يأتي عليكم . فقالوا : نحن لك تبع . قال : ابتدئوا بهذا الرجل . - يعني أبا تراب أسد - فأغنوه عن الاعتقاد ، ففعلوا . ثم انه نحر البدن ، وذبح الكباش والمعز ، ثم هشم الثريد ، وأطعم الناس ، فسمي هاشماً . وفيه قال الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

تم جمع كل بني أب على رحلتين : في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير ، حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الاسلام وهم على هذا ، فلم يكن في العرب بنو اب أكثر مالا ولا أعز من قريش ، وهو قول شاعرهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع) بصنيع هاشم (وآمنهم من خوف) أن تكثر العرب ويَقْلُوا ^١ .

وورد أن (حكيم بن حزام) كان يقاسم ربحه من تجارته الفقراء وأهل الحاجة والمحاويج^٢ . وذكر أن قريشاً كانت تراحم فيما بينها وتتواصل . وأن تفسير (لإيلاف قريش) ، هو (لتراحم قريش وتواصلهم) . فالإيلاف التراحم والتواصل .

١ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (٢٠٥/٢٠) ، وينسب البيت :
والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
الى مطرود بن كعب ، راجع البكري ، سمط (٥٤٧ وما بعدها) ، الفالي ، أمالي (٢٤١/١) ، الطبرسي ، مجمع البيان (٥٤٦/١٠) ، طبعة طهران) ، اليعقوبي ، (٢٠٢/١) ، البلاذري ، أنساب (٥٨/١) ، ابن العربي ، محاضرات الإبرار (١١٩٠/٢) ، تاريخ الخميس ، للديار بكري (١٥٦/١) ، المرتضى ، أمالي (١٧٨/١ وما بعدها) .
٢ الزبير بن بكار ، نسب قريش (٣٦٧/١) ، رقم (٦٤٤) .

وذكر أن قريشاً كانوا (يتفحصون عن حال الفقراء ويسدّون خلة المحاويع)^١ . ويظهر أن هذا إنما حدث بفعل (هاشم) بتنظيمه وجمعه وبدعوته تلك . فصار أصحاب القلوب الرقيقة يخرجون منذ يومئذ من دخلهم نصيباً يجمعونه ويوحدونه ، لينفقوا منه على من به حاجة من أهل مكة ومن الغرباء .

والإيلاف هو التطبيق العملي لدعوة (هاشم) إلى إنصاف الفقراء والمساكين والمحاويج . فبعقد (الإيلاف) وإجماع قريش على تلبية دعوة هاشم بإخراج نصيب من أموالهم يخصص لمساعدة المحتاج ، تمكن (هاشم) من تطبيق دعوته تطبيقاً عملياً ، ومن مساعدة المحتاجين . حتى صار عمله سنة لمن جاء بعده . فحسن حال المحتاجين ، ونعش فقراء مكة . يؤيد ذلك ما نجده من قول (ابن حبيب) : (أصحاب الإيلاف من قريش الذين رفع الله بهم قريشاً ونعش فقراءها)^٢ .

والرفادة والسقاية ، هما من ثمرات دعوة (هاشم) ، فالرفادة ، هي إقراء ضيوف مكة وإطعام المحتاجين من أهلها . والسقاية إسقاءهم الماء ، والنيذ واللبن . فلم تقتصر السقاية على تقديم الماء بلا ثمن إلى العطشان والمحتاج إلى الماء . بل اشتملت على تقديم اللبن والنيذ بل والعسل كذلك إلى المحتاج بلا ثمن . وقد ذكر أن (سويد بن هرمي بن عامر الجمحي) ، كان (أول من وضع الأرائك وسقى اللبن والعسل بمكة)^٣ . وأن (أبا أمية بن المغيرة المخزومي) : المعروف بـ (زاد الركب) ، و (أبا وادعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم) ، (كانا يسقيان العسل بمكة بعد سويد بن هرمي)^٤ . وكل هذه الأعمال ، هي من الأعمال الخيرية النافعة ، التي تدل على نفس طيبة ، تسعى للتخفيف عن مصاعب الناس ، وعن رغبة في مساعدة الفقراء والمحتاجين . فصار في وسع من يقصد البيت الجلوس على أرائك ليرتاح عليها ، كما صار في وسعه الحصول على ماء أو سقاء لبن أو ماء معسل ، أي محلى ، مجاناً إن لم يتمكن من دفع الثمن .

وفي حلف (انفضول) دعوة لـ (مواساة أهل الفاقة بمن ورد مكة بفضول أموالهم)^٥ ، وذلك لمنع الظالمين من أهل مكة من اغتصاب أموال أهل الفاقة

-
- ١ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (١٦٩/٣٠) ، (طبعة بولاق) .
 - ٢ المحبر (١٦٢) .
 - ٣ المحبر (١٧٦ وما بعدها) .
 - ٤ المحبر (١٧٧) .
 - ٥ ابن هشام (١٤١/١) .

والغريب ممن يرد الى المدينة وليس لهم من جار ومعين ، ومن أهل مكة كذلك .
فهو توثيق وتنمة لعمل (هاشم) .

ونجد هذه الدعوة الانسانية في مساعدة الجار والفقير في الشعر : في مثل قول
الشاعر :

يبيتون في المشى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خائفا^١

وهو بيت يمثل المثل الجاهلية العليا التي تجسدت في الجوار وفي المروءة والاحسان
والحمية وأمثال ذلك .

ونجد مثل هذه التزعة في قول الشاعر :

هنالك إن يُستجلبوا المال يُنجّلوا وإن يسألوا يُعطوا وإن ييسروا يُغفلوا
على مكثريهم رزق من يعثريهم وعند المُقِلّين السباحة والبذل

وفي قول (الخيرة بنت هفّان) ترثي زوجها (عمرو بن مرثد) وابنها
(علقمة بن عمرو) وأخويه حسان وشرحبيل ، حيث قالت في جملة ما قالته :

والخالطين نحييتهم بنصارهم وذوي الغنى منهم بلدي الفقير^٢

والنحييت الدخيل في القوم ، والنصار الخالص النسب^٣ . فهم قوم كرام ، لم
يفرقوا بين الدخيل والأصيل ، ولا بين الغني والفقير ، فقال الدخيل ما عند
الأصيل ، وشارك ذو الفقر والمدقعة الغني في ماله ، وهو أعز شيء
عند الانسان ، لأنه أبى أن يستأثر به ، وجاره فقير ليس عنده ما يسد حاجته .
فمجتمعهم مجتمع (خليط) ، و (الخليط : القوم الذين أمرهم واحد) ، والمشارك
الحقوق . وفي الحديث : الشريك أولى من الخليط . والخليط أولى من الجار .
وأراد بالشريك : المشارك في الشيوع^٤ .

ونجد فكرة مساعدة الفقير ، والاستهانة بالمال بانفاقه على المعوزين ، والإنعام
به على الفقراء ، في أبيات أخرى في مثل :

١ الامالي للقالبي (١٥٨/٢) .

٢ الامالي للقالبي (١٥٨/٢) .

٣ وبيروني لحاتم الطائي . ناج العروس (٥٩١/١) (نحت) .

٤ ناج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) .

والخالطين غنيهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير الرمل^١
وفي مثل قول الأعشى :

وأهان صالح ماله لفقيرها وآسى وأصلح بينها وسعى لها^٢
وقول الشاعر عمرو بن الاطنابة :

والخالطين حليفهم بصريحهم والباذلين عطاءهم للسائل^٣

وأرى أن في ورود لفظة (الخالطين) في هذه الآيات ، بمعنى خلط المال ،
وتخصيص الأغنياء نصيباً من أموالهم للفقراء ، دلالة على أن من الجاهليين الأغنياء
من كان قد وضع في ماله حقوقاً للمحتاجين ، بحيث صاروا كالمخالطين لهم في
ما لهم ، وفي منزلة الشركاء لهم في المال . من دون إرغام لهم ولا إكراه ، أو
طمع في ثواب دنيوي أو في عالم ما بعد الموت . وذلك غاية الجود والكرم .
وفي شعر للنعمان بن عجلان الأنصاري ، إشادة بعمل قومه الأنصار ، إذ
قسّموا أموالهم وديارهم بينهم وبين المهاجرين . فيقول :

وقلنا لقوم هاجروا : مرحباً لكم وأهلاً وسهلاً ، قد أمنتكم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أيسار الجزور على الشطر^٤

ويذكرنا شعره هذا الذي افتخر فيه بقومه الأنصار بالمؤاخاة ، إذ آخى رسول
الله بين المهاجرين والأنصار . بعد مقدمه بخمسة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر .
فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إراثاً مقدماً على القرابة . ثم نسخ
التوارث بالمؤاخاة بعد بدر^٥ . والمؤاخاة هي (المخالطة) الجاهلية في صورة أخرى .
وقد كان بين الجاهليين من حبس الحبوس ، لتكون وفقاً على الفقراء والمحتاجين

١ الخالديان ، الاشباه والنظائر (٢٠ / ١) ، ديوان حسان (٣٠٨) .

٢ ديوان الاعشى (٣٥ / ٣) .

٣ الحماسة ، لابن الشجري (٥٦) .

٤ الإصابة (٨٧٤٨) ، (٥٣٢ / ٣) ، (القاهرة ١٩٣٩ م) ، الاستيعاب (٢٩٨) ،
Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. VIII, Part II,
1965 p. 125.

٥ امتاع الاسماع (١ / ٤٩ وما بعدها) .

وأبناء السبيل . ومنهم من ساعد الفقراء والصعاليك بتقديم الخيل لهم للإغارة بها واكتساب الرزق عن طريق الغارات. كالذي روي عن (الريان بن حويص العبدى) من أنه كان قد جعل فرسه (هراوة) موقوفة على الأعزاب من قومه . فكانوا يغزون عليها ويستفيدون المال ليتزوجوا ، فإذا استفاد واحد منهم مسالاً وأهلاً دفعها الى آخر منهم ، فكانوا يتداولونها كذلك ، فضربت مثلاً ، فقيل : أعز من هراوة الأعزاب^١ . وذكر أنها جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة ، فتصدق بها على العزّاب ، يتكسبون عليها في السباق الغارات^٢ .

ومن تقاليد العرب مساعدة الضال والمنقطع والمغرب ، وهو الذي عزب عن أهله في إبله وانقطع عنهم . ومن ذلك ما ورد في الحديث : أنهم كانوا في سفرٍ مع النبي ، فسمع منادياً ، فقال : انظروا ستجدوه مغرباً أو مكشاً . والتعزب : الابتعاد عن الجماعات بسكنى البادية ، وقد نهى عن ذلك في الإسلام . كما أشير الى ذلك في حديث (ابن الأكوع) لما أقام بالزبدة (أبو ذر الغفاري) ، قال له الحمّاج ارتدّدت على عقبيك تعزبت^٣ .

ومنهم من جعل في ماله صدقة يؤديها الى الفقراء على وجه القرية الى الألهة أو عن دافع انساني أو عن حب للظهور والفخر . ويقال لمن يتصدق على غيره (المصدق) . وهو عمل تطوعي ، يقوم به الإنسان اختياراً وتطوعاً ، لمساعدة المعوز والمحتاج .

و (ابن السبيل) هو (ابن الطريق) ، الذي قطع عليه الطريق ، ولا يجد ما يتبلغ به . والضيف المنقطع به ، فيجب أن يعطى ما يتبلغ به الى وطنه^٤ . وقد تتعرض السابلة الى لصوص الطرق ، يسلبونهم ما معهم ، وقد يأخذون حتى ملابسهم ، فيتعرض مثل هؤلاء للهلاك والأخطار ، حتى يتهياً لهم من له شفقة ورحمة فيغيثهم بما يتمكن منه ، وقد يحملهم معه . وكان لفقر الكثير منهم ، يصعب عليهم دفع ديونهم ، ويماطلون في الأداء

-
- ١ تاج العروس (٣٨٠/١) ، (عزب) ، نهاية الارب (٤٤/١٠) وما بعدها ، ٤٦ ، العملة (٢٣٥/٢) .
 - ٢ العملة (٢٣٥/٢) وما بعدها .
 - ٣ تاج العروس (٣٨٠/١) ، (عزب) .
 - ٤ تاج العروس (٣٦٦/٧) ، (سبيل) .

حتى أنهم كانوا اذا رأوا الهلال ، قالوا : لا مرحباً بمحل الدين ومقرب الآجال^١.
وذلك لأنهم كانوا يتواعدون في دفع الديون على مطالع القمر^٢.

ومما زاد في فقر بعضهم ، شرب الخمر والمقامرة . فكان بعضهم يفني ماله في شرب الخمر ، (وكان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزياً سليباً ، ينظر الى ماله في يدي غيره ، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاً)^٣ .
فعلوا ذلك أملاً في التخلص من ألم الفقر والحرمان بالجوء الى الخمر لطمس ألم الفقر والذل ، والى القمار ، أملاً في الكسب والربح ، فزادوا بذلك فقرهم ، وعرضوا أنفسهم الى الخسارة .

الوَاد :

والوَاد من ذبول الفقر . وقد جاء ذكره في الآية : « وإذا المؤودة سُئِلَتْ : بأي ذنب قُتِلَتْ »^٤ . والوَاد على ما يذكر علماء التفسير وأهل الأخبار هو دفن البنات وهنَّ أحياء ، وذلك خوفاً من العار أو لوجود نقص فيها أو مرض أو قبح كأن تكون زرقاء أو شياء أو يرشاء أو كسحاء وأمثال ذلك ، وهي من الصفات التي كان يتشائم منها العرب^٥ ، أو خوفاً من الفقر والجوع ، أو مخافة العار والحاجة^٦ .

ورجع (القرطبي) أسباب الوَاد لخصلتين : (إحداهما ، كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به . الثانية ، إمّا مخافة الحاجة والإملاق وإمّا خوفاً من السبي والإسترقاق)^٧ . وذكر غيره أن سنين شديدة كانت تنزل بالناس تكون قاسية على أكثرهم ، ولا سيما على الفقراء ، فيأكلون (العليز)

-
- ١ تاج العروس (٢٨٦/٧) ، (حلل) .
 - ٢ تاج العروس (٧٢/٩) ، (نجم) .
 - ٣ تفسير الطبري (٢١/٧ وما بعدها) .
 - ٤ سورة التكوين ، الآية ٧ .
 - ٥ بلوغ العرب (٤٣/٣) ، اللسان (٤٤٢/٣) ، (وَاد) .
 - ٦ تاج العروس (٥٢٠/٢) ، (وَاد) . اللسان (٤٤٢/٣) .
 - ٧ القرطبي ، الجامع (٢٣٢/١٩) .

وهو الوبير بالدم، وذلك من شدة الجوع^١. فهذا الفقر وهذه الفاقة وذلك الإملاق، كل ذلك حملهم على وأد البنات حذر الوقوع في الغواية، فتلحق بالسببة بأهل البنت وبعشيرتها وقيلتها. وذكر أيضاً أن من جملة أسباب الواد وجود نقص في المؤودة أو مرض أو قبح، كأن تكون زرقاء أو شفاء أو برشاء أو كسحاء وأمثال ذلك، وهي من الصفات التي كان يتشاءم منها العرب^٢.

وذكر بعض أهل الأخبار، أن بعض العرب كانوا يتشاءمون من البنت الزرقاء أو الشفاء، أو الكسحاء، فكانوا يثدنون من البنات من كانت على هذه الصفة، ويمسكون من لم يكن على هذه الصفة. وذكروا أن والد (سودة بنت زهرة) الكاهنة، وهي عمّة (وهب)، والد (آمنة) أم الرسول، أرسل بها إلى (الحجون) لو أدها، للصفة المذكورة، ثم تركها في قصة يروونها، وصارت كاهنة شهيرة^٣. فسبب الواد عند هؤلاء، هو هذه العقيدة القائمة على التشاؤم من البنت الزرقاء والشفاء.

ويذكرون أنهم كانوا يحفرون حفرة، فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشأ أهلها الاحتفاظ بها رموا بها في الحفرة، أو أنهم كانوا يقولون للآثم بأن تهيء ابنتها للواد وذلك بتطبيبها وتزيينها. فإذا زينت وطببت، أدخلها أبوها إلى حفرة يكون قد احتفرها، فيدفعها فيها، ويهيل عليها التراب حتى تستوي الحفرة بالأرض. وذكر أيضاً، أن بعضهم كان يفرقها، أو يقوم بذبحها، ليتخلص بهذه الطرق منها^٤.

وذكر أن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنت، فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سادسية فيقول لأمها: طيبها وزينها حتى أذهب بها إحماها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البشر، فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب، حتى تستوي البشر بالأرض. وروي عن

-
- ١ الكامل (٢٨٨/١) .
 - ٢ نهاية العرب (١٢٦/٣) وما بعدها، بلوغ العرب (٤٣/٣) .
 - ٣ السيرة الحجابية (٥٠/١)، (مطبوعة الاستقامة)، (الفاخرة ١٩٦٢)، (٥٣/١)، (المكانة المجارية)، (الفاخرة)، (باب تزويج عبد الله) .
 - ٤ المساف (١٨٨/٤)، سورة الذكور، تاج العروس (٥٢٠/٢)، (واد)، بلوغ العرب (٤٢/٣) وما بعدها، (٥٢) .

ابن عباس انه قال : كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فحضت على رأس تلك الحفرة ، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وردّت التراب عليها ، واذا ولدت ولداً حبسته^١ . ومنه قول الراجز :

سميتها إذ ولدت : تموت والقبر صهر^٢ ضامن زميت^٣

الزمت الوقور^٤ .

وفاعل العمل هو (الوائد) والبنت المدفونة وهي حية (المؤودة) ، والعادة (الواد) .

ويرجع بعض أهل الأخبار تأريخ الواد الى ايام (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة ، فيقولون إن (بني تميم) منعوا الملك ضربية الاتاوة التي كانت عليهم ، فجرد الملك حملة عليهم كان أكثر رجالها من بني بكر بن وائل ، أوقعت بهم وسبت ذراريهم . فلما ارضوا الملك وكتبوه في الذراري ، (حكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء ، فأية امرأة اختارت زوجها، ردت عليه ، فاختلغن في الخيار. وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم المنقري، فاختارت سايها على زوجها، فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد في التراب ، فوآد بضع عشرة بنتاً. وبصنيع قيس بن عاصم وإيجاده هذه السنة نزل القرآن في ذم وآد البنات^٥ . ورجع بعض الأخباريين الواد الى قبيلة ربيعة . زعموا أن بنتاً لرئيسها وسيدها وقعت أسيرة في أيدي قبيلة أغارت عليها : فلما عقد الصلح ، لم تشأ البنت العودة الى بيتها ، فاختارت بيت آسرها ، فغضب رئيس ربيعة لذلك ، واستن هذه السنة ، وقلدته بقية العرب حتى فشت بين القبائل^٦ . وهي رواية قريبة في مضمونها وفي فكرتها

- ١ بلوغ العرب (٤٣/٢) ، تفسير البيضاوي (٦٧٠/١) ، تفسير القاسمي (١٧/٦٠٦٩ وما بعدها) ، تفسير الشربيني (٤٧١/٤ وما بعدها) ، روح المعاني (٣٠/٢٨ وما بعدها) .
- ٢ القرطبي ، الجامع (٢٣٣/١٩) ، الطبرسي ، مجمع البيان (٤٤٤/١٠) ، (طبعة طهران) ، (٤٥/١٣ وما بعدها) ، (بيروت) . الكشف (٣١٥/٣) ، تفسير الخازن (١١٩/٣) ، (٣٥٦/٤) .
- ٣ بلوغ العرب (٤٢/٣ وما بعدها) ، الاغانى (١٥٠/١٢) ، تفسير الطبري (٤٥/٣٠ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٤٠٤/١) ، (اختارت صاحبها وعمرو بن المشمرج) ، نهاية العرب (٩٢٧/٣) .
- ٤ بلوغ العرب (٤٣/٣) ، تفسير الخازن (١١٩/٣) .

من الرواية الأولى . والفرق بين الروایتين هو في تسمية القبيلة والأشخاص .
 وورد أن (قيس بن عاصم) التميمي ، جاء الى النبي ، فقال : إني وأدت
 ثمانى بنات في الجاهلية . قال فأعنتى عن كل واحدة منهن بدنة^١ . أو : فأعنتى
 عن كل واحدة منهن رقبة^٢ .

ويذكر الأخباريون أن (الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة ، فكان
 يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام ، وقد قل ذلك فيها إلا من بني تميم ،
 فإنهم ترايد فيهم ذلك قبيل الإسلام)^٣ . وقبيلة كندة وقيس وهذيل وأسد وبكر
 ابن وائل من القبائل التي عرف فيها الوأد ، وخزاعة ، وكنانة ، ومضر ، وأشدهم
 في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهم ، وطمع غير الاكفاء فيهم^٤ . وذكر بعض
 أهل الأخبار أن الوأد كان في تميم ، منهم انتقل الى غيرهم . وقيل : إنه كان
 في تميم ، وقيس ، وأسد ، وهذيل ، وبكر بن وائل ، وهم من مضر^٥ .
 فهي عادة تفشت في قبائل مضر خاصة . وقيل إنها كانت في غير مضر كذلك .
 وذكر أنها كانت في ربيعة ومضر^٦ ، أي في العرب الذين تغلبت الأعرابية على
 حياتهم .

وذكر (عكرمة) في تفسير الآية : (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً
 بغير علم) ، أنها نزلت فيمن يثد البنات من ربيعة ومضر . كان الرجل يشترط
 على امرأته ، ان تستحي جارية وتثد اخرى . فإذا كانت الجارية التي تؤاد غدا
 الرجل او راح من عند امرأته ، وقال لها : انت علي كظهر امي إن رجعت
 اليك ولم تثديها ، فتخذ لها في الأرض خدّاً وترسل الى نساها فيجتمعن عندها ،
 ثم يتداولنها حتى إذا ابصرته راجعاً دسها في حفرتها ثم سوت عليها التراب^٧ .
 اما ان اول من سنّ الوأد في العرب ، هو (قيس بن عاصم المنقري) ،

-
- ١ تفسير الطبري (٤٦/٣٠) ، (بلاق) .
 - ٢ القرطبي ، الجامع (٢٣٣/١٩) ، ابن كثير ، تفسير (٤٧٨/٤) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٤٢/٣) .
 - ٤ القرطبي ، الجامع (١١٦/١٠) وما بعدها ، نهاية الأرب (٨٣/١٨) ، الكامل
 (٢٨٨/١) .
 - ٥ الكامل (٢٨٨/١) .
 - ٦ تفسير الطبري (٣٨/٧) .
 - ٧ تفسير الطبري (٣٨/٨) .

للسبب المذكور ، فدعوى من الدعاوى المألوفة عن اهل الأخبار ، وقصة من القصص الذي كانوا يضعونه احياناً حين يقفون عند امر غريب عليهم ، ليس لهم علم به ، فكانوا يوجدون قصصاً في تفسيره وتعليقه ، وقفنا على كثير منه . والظاهر ان وأد (قيس) لبنات من بناته ، ووجوده في تميم خاصة بعد ان خفت عند بقية العرب ، حمل اصحاب الأخبار على ارجاع اصله واساسه الى (قيس) ، مع انهم يذكرون حوادث عن الوأد ، مثل ما ذكروه عن (سودة بنت زهرة) الكاهنة ، تتقدم في الزمن على (قيس) . والوَأَد عند العرب اقدم منه ، وربما يعود الى ما قبل الميلاد . وفي القرآن الكريم : (ولذا بُشِّرْ اِحدَهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ . اَمْسِكْهُ عَلَى هُونٍ اَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ؟ اَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) . وفي هذه الآية وصف للحالة النفسية التي كانت تعتور الأب عند إخباره بميلاد بنت له ، وشرح لبعض الأسباب التي كانت تحمل الآباء على وأد البنات . ويروى ان بعض الجاهلية يتوارى في حالة الطلق ، فإن أخبر بذكر ابتهج او بأنثى حزن ، وبقي متوارياً اياماً يدبر ما يصنع أتركه ويربيه على ذل ، ام يدسه في التراب ، بأن يثده ويدفنه حياً حتى يموت ، ام يهلكه بأمر آخر ، بأن يلقيه من شاطئ . روي ان رجلاً قال : يا رسول الله والسني بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت . وقد كانت لي في الجاهلية بنت وأمرت امرأتي ان تزينها وأخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر ألقيتها ، فقالت : يا ابت قتلتي ! فكلمنا ذكرت قولها لم ينفعني شيء . فقال الرسول : ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام ، وما في الاسلام يهدمه الاستغفار . وكان بعضهم يفرقها وبعضهم يذبجها^١ .

وقد ذكر العلماء في تفسيرهم : « وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا . وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، وحرّموا ما رزقهم الله إفتراءً على الله . قد ضلوا وما كانوا مهتدين »^٢ . أن الله (أخبر بخسرانهم لوأدهم البنات وتحريمهم البحيرة وغيرها بعقولهم ، فقتلوا أولادهم سفهاً

١ النحل ، الآية ٥٨ ، تفسير الطبري (٨٣/١٤ وما بعدها) .

٢ بلوغ الارب (٥١/٢ وما بعدها) .

خوف الإملاق ، وحجروا على أنفسهم في أموالهم ولم يخشوا الإملاق ، فأبان ذلك عن تناقض رأيهم ^٣ .

قال (القرطبي) : « إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق ، كما ذكر الله عز وجل في غير هذا الموضع . وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم ، وهم ربيعة ومضر ، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية . ومنهم من يقول : الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات بالبنات . وروي أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك تكون محزوناً ؟ فقال : يا رسول الله ، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت . فقال له : أخبرني عن ذنبك : فقال : يا رسول الله ، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت فتشفت إلي امرأتي ان اتركها فتركها حتى كبرت وادركت ، وصارت من اجمل النساء فخطبوها ، فدخلني الحمية ولم يحتمل قلبي ان ازوجهها او اتركها في البيت بغير زواج ، فقلت للمرأة : إني أريد ان اذهب الى قبيلة كذا وكذا في زيارة اقربائي فابعثها معي ، فسُرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي ، واخذت علي الموائيق بألأ اخونها ، فذهبت الى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية إني أريد ان ألقها في البئر فالترمتني ، وجعلت تبكي ، وتقول : يا ابت ايش تريد ان تفعل بي ؟ فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية ، ثم التزمتني وجعلت تقول : يا ابت لا تضيع امانة أُمي ! فجعلت مرة انظر في البئر ومرة انظر اليها فأرحها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة ، وهي تنادي في البئر : يا ابت ، قتلني . فكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت . فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وقال : لو امرت ان اعاقب احداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك ^٤ .

والفاقة والحمية واعتقاد بعض منهم ان الملائكة بنات الله ، فيجب إلحاق البنات بالبنات ، هي عوامل دفعت بالعرب الى الوأد . فهي بين عامل اقتصادي نص عليه في القرآن الكريم ، وعامل اجتماعي ، هو الحمية ، وخشية لحوق العار بالانسان

١ الانعام ، الآية ١٣٩ وما بعدها .
٢ القرطبي ، الجامع (٩٦/٧) ، تفسير الخازن (١٦٣/٣ ، ٣٥٦) .
٣ القرطبي ، الجامع (٩٧/٧) .

من السبي والغارات وعامل ديني ، يرجع الى رأي في دين . لقد تعرض (قتادة) الى قوله تعالى : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » ، فقال : « هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغزو كلبه . وقوله : وحرموا ما رزقهم الله ... الآية وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً تحكماً من الشياطين في أموالهم »^١ . ولكن أغلب الوأد هو عن العامل الأول ، وهو الخشية من العيلة والفقر والإملاق . وهو ما نصّ عليه في الآيات المتعلقة بالوأد وبقتل الأولاد^٢ . وورد أن الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن أحياء . خصوصاً كندة ، خوف العار ، أو خوف الفقر والإملاق^٣ .

ومن النساء من تكون خصبة في ولادة البنات ، فيجلب لها هذا الخصب هجر زوجها لها وفراره منها ومن رؤية بناته . محدثنا الأصمعي أن امرأة ولدت لرجل بنتاً سمّتها الذلفاء ، فكانت هذه البنت سبباً في هرب الرجل من البيت ، فقالت :

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا يظلّ في البيت الذي يلينا ؟
يُحِرد أن لا نلدَ البينا وإنما نأخذ ما يعطينا^٤

ومثل تلك المرأة المسكينة كثير من النساء هجرهن أزواجهن لكثرة ما كن يلدن لهم من البنات ، ولسان حالهن يكرر كلمات أم الذلفاء .
ومكة جبل يقال له (أبو دلامة) كانت قريش تئد فيه البنات^٥ . وذكر أن هذا الجبل يطل على (الحجون) . وقيل كان الحجون هو الذي يقال له :

- ١ تفسير الطبري (٣٨/٨) .
- ٢ تفسير الطبري (٥٧/١٥) ، القرطبي ، الجامع (٢٥٢/١٠) .
- ٣ السيرة الحلبية (٥٣/١) ، (باب تزويج عبد الله) .
- ٤ ونسبت هذه الابيات الى امرأة أبي حمزة الضبي ، الذي هجر زوجته ولجأ الى خيمة جيرانه يبيت فيها فراراً من زوجته التي ولدت له بنتاً ، وقد وردت على هذه الصورة :
ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلدَ البينا تالله ما ذلك في أيدينا
وانما تأخذ ما يعطينا ونحن كالارض لزراعينا
نبت ما قد زرعه فينا

بلوغ الارب (٥١/٣) ، البيان والتبيين (١٠٤/١) ، (١٨٦/١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، روح المعاني ، للالوسي (١٥٣/١٤) ، تفسير الطبري (٨٣/١٤) .
المستطرف (٧٧/٢) .

أبو دلالة^١ .

وورد في القرآن الكريم ما يشير الى قتل بعض الجاهليين أولادهم خشية الإملاق وخوف الفقر . وهم الفقراء من بعض قبائل العرب وفيهم نزلت الآيات : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً)^٢ . و (كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم . ولو شاء الله ، ما فعلوه ، فلرهم وما يفترون)^٣ . و (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، وحرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله ، قد ضلوا ، وما كانوا مهتدين)^٤ . و (قل : تعالوا اتل ما حرّم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم)^٥ . وظاهر لفظ الآيات النهي عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً مخافة الفقر والفاقة^٦ .

وذكر ان المراد من كلمة (أولادكم) البنات ، وان المقصود بذلك الوأد^٧ . أي وأد البنات ، لا قتل الأبناء . وذهب بعض العلماء الى ان المراد بها الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً . (فقد كان الرجل في الجاهلية يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاماً لينحرن احدهم ، كما فعله عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبدالله)^٨ . فنحن أمام هذه الآيات تجاه موضوعين : وأد البنات وقتل الأولاد الذكور عند الجاهليين . وأد البنات للأسباب المذكورة الواردة في كتب التفسير والحديث ، وقتل الأولاد للأسباب المذكورة في تلك الكتب أيضاً ، وفي كلتا الحالتين نتيجة واحدة ، هي القضاء على حياة انسان .

وقتل الأولاد الذكور عند الجاهليين هو أقل استعمالاً من وأد البنات بكثير . ويظهر انه كان عن عامل ديني في الأغلب ، كما يتبين ذلك من قصة إقدام

-
- ١ اللسان (٢٠٥/١٢) ، (صادر) ، (دلم) .
 - ٢ الاسراء ، الآية ٣١ ، تفسير الطبري (٥٧/١٥) .
 - ٣ الانعام ، الآية ١٣٧ .
 - ٤ الانعام ، الآية ١٤٠ .
 - ٥ الانعام ، الآية ١٥١ .
 - ٦ بلوغ الأرب (٤٤/٣) .
 - ٧ تفسير الطبري (٣٢/٨ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (٤٤/٣) .
 - ٨ القرطبي ، الجامع (٩١/٧) .

عبد المطلب على قتل ابنه عبدالله بسبب النذر الذي أخذه على نفسه على ما جاء في روايات اهل الأخبار^١ .

وهذا العامل هو الذي يفسر ما جاء في التوراة عن اقدام ابراهيم على ذبح ابنه ، ويشير الى وجود هذه العادة عند الإسرائيليين . وسبب قلة قتل الأولاد بالقياس إلى وأد البنات أن الولد عنصر مهم في الحياة الاقتصادية وفي الحياة الاجتماعية حيث يكون عُدّة لوالده ولأهله وعشيرته في الحروب ، ثم أن أسره في الحروب لا يعد شائناً مثل أسر البنات . والمرأة بالأسر تكون فريسة للأسرى . والمرأة ليست قادرة كالرجل على اعاشة نفسها وغيرها ولا على الغزو ، ولذلك صارت البنت هدفاً للوَأْد أكثر من الذكر^٢ .

وقد تأثر بعض ذوي القلوب الرقيقة من عادة (وأد البنات) ، وسعوا لإبطالها . وكان بعض المؤرخين منهم يفتدي البنات من القتل بدفع تعويض إلى أهلهن ، وأخذهن لتربيتهن . فكان (صمصمة بن ناجية) جدّ الفرزدق الشاعر المعروف ، ومن أشرف تميم ، يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بنتايتين عشراوين وجمل^٣ . فجاء الإسلام وعنده ثلاثون مؤودة^٤ . وذكر أنه فدى أربعائة جارية ، وقيل ثلاثمائة جارية من الجاهلية حتى مجيء الإسلام . وذكر على لسان الفرزدق أنه قال : (أحبا جدتي اثنتين وتسعين مؤودة)^٥ . وأنه منع الوثيد في الجاهلية فلم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك^٦ . وذكر أنه قال للرسول إنه اشترى (٢٨٠) مؤودة ، دفع عن كل واحدة منهن ناقتين عشراوين وجمل^٧ . وأنه كان لا يسمع بمؤودة يراد وأدّها ، وهو يتمكن من أحيائها ، الا جاء والده

- ١ القرطبي ، الجامع (٩١/٧) ، الماوردي ، اعلام النبوة (١٢٦) ، بلوغ الارب (٤٦/٣) وما بعدها ، السيرة الحلبية (٣٩/١) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٤٨/٢) وما بعدها .
- ٢ الامومة عند العرب (ص ٥٠) .
- ٣ المستطرف (٧٧/٢) ، القرطبي ، الجامع (١١٧/١٠) وضع لفظة (عمي) في موضع (جدي) في شعر (الفرزدق) ، و (صمصمة) جد الفرزدق ، لا عمه ، الاصابة (١٧٩/٢) ، (رقم ٤٠٦٨) .
- ٤ الاشتقاق (١٤٧/١) ، المرزباني ، معجم الشعراء (٤٨٦/٢) .
- ٥ أمالي المرتضى (٢٨٤/٢) وما بعدها ، الاغاني (٢/١٩) وما بعدها .
- ٦ أمالي المرتضى (٢٨٤/٢) ، الاغاني (٣/١٩) ، تيسير الوصول (١١٣/٣) .
- ٧ نهاية الارب (١٢٦/٣) وما بعدها .

فقداهما ، وأنه سأل قومه في ترك الواد ، فخفف بذلك منه . وعدّ ذلك مكرمة ما سبقه اليها أحد من العرب^١ .

والى (صمصمة بن ناجية) ، أشار الشاعر (الفرزدق) ، مفتخراً به في شعره ، إذ قال :

وجدتني الذي منع الوائد وأحيا الوئيد فلم يواد^٢

وله أشعار أخرى في هذا المعنى .

وكان (عمرو بن قنيل) يحكي المؤودة لأجل الإملاق . يقول للرجل إذا أراد ان يفعل ذلك : لا تفعل ! أنا أكفئك مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها^٣ .

وذكر (القرطبي) في تفسير الآية : (ويجعلون لله البنات ، سبحانه ولهم ما يشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم)^٤ . أنها (نزلت في خزاعة وكنانة ، فإنهم زعموا أنّ الملائكة بنات الله ، فكانوا يقولون ألحقوا البنات بالبنات)^٥ . فنسب فعلهم الواد الى هذه العقيدة .

ولست استبعد ما ذكره اهل الأخبار من وجود دافع ديني حمل الجاهليين على قتل الأولاد وعلى الواد ، بأن يكون ذلك من بقايا الشعائر الدينية التي كانت في القديم ، وتقديم الضحايا البشرية الى الآلهة لخير المجتمع وسلامته ، وإرضاء الآلهة هي شعيرة من الشعائر الدينية المعروفة . فليس بمستبعد ان الواد والقتل من بقايا تلك الشعائر ، والغريب في الواد انه يكون بالدفن ، بينما العادة في الضحايا التي تقدم الى الآلهة ان تكون بالذبح او بالطعن وبأمثال ذلك ، كي يسهل الدم من

-
- ١ الاغانى (١٩ ، القسم الاول ، ص ٣ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٤٤٢/٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٥٢٠/٢ وما بعدها) ، (واد) . وقال :
ومنا من أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاملون ودافع
تفسير الطبري (٤٦/٣٠) .
 - ٣ ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع
السيرة الحلبية (٥٣/١) .
 - ٤ النحل ، الآية ٥٧ وما بعدها .
 - ٥ القرطبي ، الجامع (١١٦/١٠) ، تفسير الخازن (١١٩/٣) ، في تفسير سورة النحل .

الضحية ، والدم هو الغاية من كل ضحية، لأنه الجزء المهم من الضحايا المخصص بالآلهة . وعلى الجملة إن الوأد هو نوع أيضاً من القتل ، وذبح الأولاد وتقديمهم قرابين الى الآلهة Infantcide ، عبادة معروفة عند امم اخرى كانت تمارسها لترضي بذلك الآلهة وتنجيب مطالبها ^١ .

وعدة من الوأد (العزل) ، وهو ان يعتزل الرجل امرأته لثلا تنجب له اولاداً . وقد عرف في الاسلام بـ (الوأد الخفي) وبـ (الوأد الأصغر) . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : ذلك (الوأد الخفي) ، وفي حديث آخر (تلك المؤودة الصغرى) ^٢ . وقد بحث عنه في كتب الفقه والتفسير . وروي ان رسول الله قال في ناس : (لقد هممت ان أنهي عن الغيلة ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون اولادهم ، ولا يضر اولادهم ذلك شيئاً . ثم سألوهم عن العزل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك الوأد الخفي وهو المؤودة سئلت ^٣ . والغيلة إذا اتيت المرأة وهي ترضع ولدها ، وكذلك إذا حملت امه وهي ترضعه ^٤ . وقد جعل الحديث (العزل) عن المرأة بمنزلة الوأد إلا انه خفي ، لأن من يعتزل عن امرأته انما يعزل هرباً من الولد . ولذلك سمّاها المؤودة الصغرى ، لأن وأد البنات الأحياء المؤودة الكبرى ^٥ .

ولم ينفرد العرب بقتل الأولاد وبوأد البنات ، بل نجد ذلك عند غيرهم من الشعوب كذلك ، مثل المصريين واليونان والرومان وشعوب استرالية . أما العوامل التي حملت تلك الشعوب عليها فهي عديدة ، منها عوامل دينية مثل الاعتقاد بحلول الأرواح ، ومنها اقتصادية كالحشية من الفقر ، ومنها ما يتعلق بالصحة كأن يكون المولود ضعيفاً فيقضي عليه الوالدان ^٦ .

ومن ذبول الفقر وسوء الأوضاع الاقتصادية ، انتشار اللصوصية والاعتداء على أموال الناس ، وابتزازها وقطع الطرق وسلب الناس . وما الذي يفعله الفقير

1. Ency. Relig I, p. 669, Smith, Kinship, p. 370.

2. بلوغ الارب (٥٣/٣) ، النهاية في غريب الحديث (١٨٩/٤) ، اللسان (٤٤٢/٣) وما بعدهما ، (وأد) .

3. تفسير ابن كثير (٤٧٧/٤) .

4. تاج العروس (٥٣/٨) ، (غيل) .

5. اللسان (٤٤٣/٣) ، (وأد) .

6. Ency. Brita., 12, p. 322.

والمحتاج ومن له متعة في الجسم وضعف شديد في الجيب لاعاشة نفسه وأهله غير اللجوء الى هذه الطرق في الحصول على لقمة العيش ، إن لم يجد له وسيلة كسب أخرى ؟

واللص ، هو السارق . وذكر أن اللفظة من لغة طيء وبعض الأنصار^١ . وتقابل Listis في اليونانية ، بمعنى السارق . لذلك ذهب البعض الى أنها من هذا الأصل^٢ .

ونظراً لتستر اللص في حرفته ، وممارسته لما يتكتم وحذر خوفاً من الفضيحة والقبض عليه . مارس عمله بالليل في الغالب ، حيث يرقد الناس . مارسه بخفة ومهارة ، فكفى عنه بكفى . منها : (ابن الليل) ، و (ابن الطريق) ، لأنه يمارس اللصوصية بالليل وعلى الطرق^٣ .

ويقال لمن يسرق الدراهم بين أصابعه (القفاف) . يقال : (قف الصبرني قفراً) ، بمعنى سرق الدراهم بين أصابعه^٤ . وأظن أن هذا الاستعمال استعمال مولد ، ولد في الإسلام .

ويعبر عن السطو والاستيلاء عنوة وعن سرقة أموال الناس ، بتعابير أخرى في اللغات العربية الجنوبية ، منها (خرط)^٥ ، بمعنى سرق ، و (حلص)^٦ ، بمعنى سرق ونهب وسلب ، وكل ما يؤخذ حيلة وسرقة .

وتعدّ السرقة عيباً عند العرب ، لأنها تكون دون علم صاحب المرووق وبمغافلة . والمغافلة والاستيلاء على شيء من دون علم صاحبه عيب عندهم ، — وفيه جبن ونذالة . أما الاستيلاء على شيء عنوة وباستخدام القوة ، فلا يعدّ نقصاً عندهم ولا شيئاً ولا يعدّ سرقة ، لأن السالب قد استعمل حق القوة ، فأخذته بيده من صاحب المال المسلوب . فليس في عمله جبن ولا غدر ولا خيانة . ولذلك فرقوا بين لفظة (سرق) وبين الألفاظ الأخرى التي تعني أخذ مال الغير ، ولكن من

١ تاج العروس (٤ / ٤٣٢) ، (لص) .

٢ غرائب اللغة (٢٦٨) .

٣ اللسان (يني) ، (٩٢ / ١٤) .

٤ تاج العروس (٦ / ٢٢٤) ، (قف) .

٥ South Arabian Inscriptions, p. 436.

٦ المصدر نفسه .

غير تستر ولا تحايل . فقالوا : « السارق عند العرب من جاء مستتراً الى حرز ، فأخذ مالاً لغيره . فإن أخذه من ظاهر ، فهو مختلس ومستلب ومتهب ومحترس ، فإن منع ما في يده ، فهو غاصب »^١ .

ولم تعد (الغارة) سرقة ولا عملاً مشيناً يلحق الشين والسبة بمن يقوم به . بل افتخر بالغارات وعدّ المكثّر منها (مغواراً) . لما فيها من جرأة وشجاعة وإقدام وتكون الغارة بالخليل في الغالب ، ولذلك قال علماء اللغة : « أغار على القوم غارة وإغارة دفع عليهم الخيل »^٢ . وقد عاش قوم على الغارات ، كانوا يغيرون على أحياء العرب ، ويأخذون ما تقع أيديهم عليه ، ومن هؤلاء (عروة بن الورد) ، إذ كان يغير بمن معه على أحياء العرب ، فيأخذ ما يجده أمامه ، ليرزق به نفسه وأصحابه . بعد أن انقطعت بهم سبل المعيشة ، وضاعت بهم الدنيا . فاختراروا الغارات والتعرض للقوافل سبباً من أسباب المعيشة والرزق . وذكر أهل الأخبار أسماء رجال عاشوا على الغارات وعلى التريص للمسافرين لسلب ما يحملونه معهم من مال ومتاع .

الأفراح :

الأفراح ، عامة او خاصة . فن الأفراح العامة ، الأعياد والمناسبات الماثلة ، مثل انتصار في حرب وغزو او تولي ملكٍ عرشاً او سيد رئاسة قبيلة . ومن الخاصة ، الزواج والبرء من مرض ، والعود من سفر ، وأمثال ذلك . ولما كان العرب في جاهليتهم قبائل وشيعاً وكان الاتصال بينهم صعباً ، صارت أعيادهم كثيرة غير متفقة في زمان او مكان ، ذات صفة محلية ، لا يشترك فيها كل عرب جزيرة العرب . وهي مرتبطة بالأصنام في الغالب وبالمواسم التجارية التي تتجلى في انعقاد الأسواق .

ولذلك ، فأنا حين أتحدث عن اعياد اهل الجاهلية فلن أستطيع أن آتي باسم عيد واحد ، أقول إن جميع العرب كانوا يعيدون ويفرحون جميعهم به ، لما ذكرته من انقسام الجاهليين الى قبائل وشيع وعدم وجود دين واحد لهم ، يجمع

١ تاج العروس (٣٧٩/٦) ، (سرق) .

٢ تاج العروس (٤٥٨/٣) ، (غور) .

شملهم . والدين من اهم العوامل المساعدة لظهور الأعياد وجمع شمل المؤمنين به للاحتفال بها . ولذلك فأعياد الجاهليين هي اعياد موضعية تعيد قبيلة او مدينة او مملكة بعيد ، ولا يعرف عنه بقية العرب اي شيء . أما اعياد اليهود والنصارى والعرب فأمرها أمر آخر ، لأن اليهودية والنصرانية قد حددتا تاريخاً ثابتاً للأعياد فيها ، فصارت معروفة عند أتباع الديانتين يحتفلون بها في الأجل الموقوت .

وكان الحج الى مكة من أهم مواسم العرب في الحجاز ، وهو عيد ، يجتمع فيه الناس من مختلف القبائل ومختلف الأماكن للتقرب الى الأصنام وللتلاقي في ظروف أمن وسلام لا يحلّ فيها قتال ولا اعتداء ولا لغو ولا فحش . ويقوم اهل مكة بخدمة الوافدين الضيوف ، ضيوف (البيت) ، وتمر ايام خالية من غدر واعتداء وقتل وأخذ بثأر يلبس فيها الناس خير ما عندهم من لباس ويتجلون بأحسن صورة . فإذا انتهت الأيام عادوا الى ديارهم .

وذكر انه كان لأهل (يثرب) يومان يعيدون فيهما ، يلعبون فيهما ويستأنسون ، هما : النيروز ، والمهرجان . فلما قدم الرسول المدينة أبلههما بيوم الفطر والأضحى^١ . والظاهر ان اليربيين أخذوا عيديهما المذكورين من الفرس^٢ ، (النيروز) عيد شهير من اعياد الفرس من اصل (نو) بمعنى جديد و (روز) بمعنى يوم ، أي أول يوم من السنة الإيرانية الشمسية . وأما (المهرجان) ، فإنه عيد من أعياد الفرس كذلك ، يعيد به في الشهر السابع من شهورهم الشمسية ، وهو شهر (مهر) (مهرماه) ، ويدعى العيد (مهرگان) . وقد بقي الفرس يحتفلون به في الإسلام ، حتى زماننا هذا ، وورد ذكره في الأشعار^٣ .

ولم يذكر أهل الأخبار كيف عيّد أهل (يثرب) بهذين العيدين اللذين هما من أعياد الفرس . ولا ما هي صلتهم بهما .

وذكر أهل الأخبار عيداً سموه (يوم السبع) ، قالوا إنه عيد كان لهم في

١ جامع الاصول (١٠٠/١٦٦) ، عن العيد ، راجع المخصص (١٣/١٠٢) ، اللسان (٣/٣١٨ وما بعدها) ، تاج العروس (٢/٤٣٨) ، المحكم والمحيط الاعظم (٢/٢٣٢) ، معجم مقاييس اللغة (٤/١٨١ ، ١٨٢) ، القاموس (١/٣١٩) ، مقدمة الصحاح (١/٥١٢) .

٢ بلوغ الارب (١/٣٤٧) ، اللسان (٥/٤١٦) .

٣ بلوغ الارب (١/٣٥٢ وما بعدها) . غرائب اللغة (ص ٢٤٦) .

الجاهلية ، يشتغلون فيه بلهوهم وعيدهم من كل شيء^١ . ولم يتحدثوا بشيء مفصل عنه ، ولم يذكروا أنه عيد من^٢ .

وورد في بيت شعر للنابغة اسم عيد دعاه (السباسب) ، وقد ذكر أهل الأخبار أنه كان عيداً لقوم من العرب في الجاهلية وكانوا يحْيُون فيه بالريحان .

رقاق النعال ، طيبٌ حُجْراتهم يحْيُون بالريحان يوم السَّبَاسِبِ^٣

وهو في الواقع عيد من أعياد النصارى ، كما أشار الى ذلك أهل الأخبار . إذ ذكروا أنه (عيد للنصارى ويسمونه يوم الشعانين)^٤ .

وقد كان هذا العيد معروفاً في الحجاز أيضاً ، ورد في الحديث « إن الله تعالى أبدلكم بيوم السباسب يوم العيد »^٥ . وإذا صح ورود هذا الحديث عن الرسول ، كان ذلك دليلاً على أن أهل مكة كانوا قد عرفوا هذا العيد وعيّدوه وربما كانوا أخذوه عن النصرانية .

ولم ترد في نصوص المسند إشارات الى أعياد العرب الجنوبيين ولم ترد إشارات الى الأعياد في النصوص الثمودية أو اللحيانية أو الصفوية . لذلك لا أستطيع أن أتحدث عن العيد عند العرب الجنوبيين أو اللحيانيين أو الصفويين أو قوم ثمود . وقد اشار بعض الكتبة (الكلاسيكيين) الى تعييد النبط وعرب اعالي الحجاز واحتفائهم فيها بأصنامهم وحثهم الى معابدهم ، إلا أنهم لم يُسمّوا تلك الأعياد بأسمائها .

وقد عيّد يهود جزيرة العرب بأعيادهم ايضاً . وكانوا يحافظون عليها ، لأنها في عقيدتهم عمل من الأعمال الدينية . ولم يكونوا يشتغلون فيها^٦ ، إذ يرون في

١ تاج العروس (٣٧٢/٥) ، (نسب) ، بلوغ العرب (٣٤٧/١) ، اللسان (١٤٨/٨) .

٢ بلوغ العرب (٣٤٧/١) ، تاج العروس (٤١/٣) ، (الكويت) (سبب) اللسان (سبب) ، ديوان النابغة (٤٥) .

٣ تاج العروس (٢٩٤/١) ، (سبب) .

٤ تاج العروس (٤١/٣) ، (طبعة الكويت) ، (سبب) ، (٢٩٤/١) ، (المطبعة الخيرية) .

٥ صبح الاعشى (٤٢٦/٢) وما بعدها .

الخروج عليها خروجاً على الدين الذي منعهم من الاشتغال في أيام السبت والأعياد وحثهم عليهم وجوب مراعاة حرمة تلك الأيام مراعاة تامة .

ومن اعياد اليهود التي عرفها الجاهليون عيد رأس السنة ، وعيد الصوم الكبير (الكبور) ، و (عيد المظال) و اعياد اخرى .

أما العرب النصارى ، فقد عتدوا بأعيادهم الدينية ، واحتفلوا بها ، وفي المواضع التي كانت فيها جماعة كبيرة منهم كانت احتفالاتهم بها اوضح وأفرح . وفي الحيرة ، حيث نفشت النصرانية وانتشرت ، كان الناس يتزينون ويتجملون ويلبسون أحسن ما عندهم من حلل في أيام أعيادهم ، مثل (عيد السعائين) (عيد الشعائين) ، ويحتفلون في البيع والكنائس والأديرة فرحاً بذكرى العيد ، ويخرجون بصلبانهم^١ .

وذكر ان (يوم السعائين) (يوم الشعائين) ، هو (يوم السباسب) ، العيد الذي مرّ ذكره ، وقد كان من أعياد النصارى^٢ . وقد اشتقت كلمة (السعائين) (الشعائين) من العبرانية ، أخذت من لفظة (هوشعنا) ، التي كان يتהלّل بها اليهود أمام المسيح . و (السباسب) : الأغصان ، يريدون منها سعف النخيل الذي قطعه اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخوله أورشليم^٣ .

وذكر أن (المهترمز) ، و (المهترمن) ، و (الهيزمن) ، كلها : عيد من أعياد النصارى أو سائر العجم ، وهي أعجمية . قال الأعشى :

إذا كان هترمن ورُحْتُ مَحْشَمًا^٤

واشتهر (عيد الفصح) ، وهو عيد فطر النصارى ، إذا أفطروا وأكلوا اللحم . وقد أشار إليه الأعشى بقوله :

-
- ١ الاغاني (٣٠/٢) ، (طبعة ساسي) ، صبح الاعشى (٤١٥/٢) وما بعدها ، اللسان (٢٠٩/١٣) .
 - ٢ اللسان (٤٦٠/١) ، (صادر) ، (سبب) ، المخصص (١٠٢/١٣) تاج لعروس (٢٩٤/٤) ، نهاية الارب (١٩١/١) وما بعدها ، تاج العروس (٢٣٥/٩) .
 - ٣ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٥) ، المخصص (١٠٢/١٣) ، ديوان النابغة (ص ١٥) .
 - ٤ المخصص (١٠٢/١٣) ، الاثار الباقية (٢٩٢) ، اللسان (٢٦٧/٥) ، (هنزمر) ، تاج العروس (٦٢٣/٣) ، (هنزمر) .

بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الإله بما سدى وما صنعا^١

وذكر العلماء اسم عيد آخر من أعياد النصارى دعوه (السلاق) ، ذكروا أنه مشتق من تسلق المسيح الى السماء^٢ . والكلمة من أصل إرمي ، هو Souloqo بمعنى صعود . وقصد به عيد صعود المسيح الى السماء^٣ . وللنصارى عيد آخر اسمه (خيس الفصح) ، وعرف أيضاً بـ (خيس العهد) . وقد احتفل به نصارى الحيرة^٤ . وذكر علماء اللغة أن للنصارى عيداً من أعيادهم اسمه (دنح) ، وتكلمت به العرب^٥ . وهو من أصل إرمي هو (دنحو) ، بمعنى اشراق وظهور . ويراد به (عيد الغطاس)^٦ .

وتضاف اليها الأعياد المحلية ، التي كان يحتفل فيها بأيام القديسين . فقد كان الغساسنة يحتفلون مثلاً في الرصافة بعيد (القديس سرجيوس) . وكان لنصارى العراق أعيادهم الخاصة بهم حسب مذاهبهم . يكرسونها تخليداً لذكرى قديسيهم . وقد اشتهر النصارى بين الجاهليين وفي الإسلام بمحافظتهم على أعيادهم حتى ضربوا المثل بأعياد النصارى . فقال العجاج :

واعتاد أرباضاً لها آري^٧ كما يعود العيد نصراني^٨

والعادة – كما هو شأن كل الأمم – أن يترين في أيام الأعياد بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل المنيمة والبرود المعجبة ، وأن يظهر الشبان مقسدرتهم وبراعتهم في التسابق على الخيل وفي الألعاب وفي الظهور أمام النساء ، ويلعب الصبيان أنواعاً من الملاعب ، وان يتغنى وبزمر بالدفوف والمزاهر وأمثال ذلك ،

- ١ ديوان الاعشى (القصيدة ١٣ ، سطر ٦٩) ، اللسان (٥٤٥/٢) ، القاموس (٢٤٠/١) ، مقاييس اللغة (٥٠٧/٤) ، مقدمة الصحاح (٣٩١/١) .
- ٢ اللسان (١٦٣/١٠) ، (صادر) ، (سلق) .
- ٣ غرائب اللغة (ص ١٨٨) .
- ٤ الاغانى (٣٢/٣) ، النصرانية ، القسم الثاني الجزء الثاني القسم الاول (ص ٢١٦) ، نهاية الارب (١٩١/١ وما بعدها) .
- ٥ اللسان (٤٣٦/٢) ، (دنح) ، تاج العروس (١٣٦/٢) ، (دنح) ، المخصص (١٠٢/١٣) .
- ٦ غرائب اللغة (١٨١) ، نهاية الارب (١٩١/١ وما بعدها) ، الاثار الباقية (٢٩٢ وما بعدها) .
- ٧ تاج العروس (٤٣٨/٢) ، (عود) .

لتكسب الأيام بهجتها وروعها . وكان من عادة أشرف الحيرة اللعب على الخيل بالصوالجة ، وذلك على طريقة العجم^١ .

وقد يخضب الرجال والنساء أيديهم بالخضاب ، ولا سيما (الحناء) . ولكن هذا النوع من إظهار الفرح والسرور ، غالب في الأعراس وفي الختان ، حيث تولم الولاثم وتقام الأفراح ، ويخضب بالحناء .

اللعب في العيد :

وما كان يتلهى به المعيدون ويتسلون به ، الغناء ، واللعب بمختلف أنواعه . وفي جملته استخدام السودان للعب بلعبتهم الشهيرة لعبة الدرق والحراب^٢ . وقد برع في الغناء نساء ورجال . وذكر ان أهل (يثرب) كانوا اهل طرب وكانوا يحبون الغناء^٣ ، وانهم استخدموا (الحبش) للضرب على الدف والغناء في أيام الأعياد . وقد كانوا يلعبون في المسجد بالدرق والحراب ولم ينههم الرسول عن ذلك ، لأن اللعب كان في أيام العيد^٤ . وقد غنت جاريثان لـ (عائشة) بإنشاد العرب بغناء بعثت ، كما أذن الرسول للسودان باللعب في مسجده في الحراب والدرق ، ونشطهم بقوله : (يا بني أرفدة)^٥ .

الغناء :

وطرب الأعراب ، طرب ساذج يتناسب مع طبيعة بيئاتهم ، وكذلك كان غناؤهم غير معقد ولا متنوع . أما طرب أهل الحضر ، فكان أكثر تعقيداً وتفناً ولا سيما طرب أهل الحضر الساكنين في ريف العراق وفي بلاد الشام ، وعند أهل

-
- ١ الاغاني (١٩/٢) ، (طبعة ساسي) .
 - ٢ نهاية الارب (١٣٨/٤) .
 - ٣ نهاية الارب (١٣٩/٤) وما بعدها ، (أما كان معكن لهو ، فان الانصار يعجبهم اللهو) ، نهاية الارب (١٤٨/٤) .
 - ٤ القسطلاني ، ارشاد الساري (٢٠/٦) .
 - ٥ القسطلاني ، ارشاد (٢٠٤/٢) وما بعدها ، (باب اباحة الحراب والدرق يوم العيد) .

اليمن ، فاستعملوا آلات طرب متعددة ، أدخلوا بعضها من الأعاجم الذين اتصلوا بهم ، كما أدخلوا من أولئك الأقوام ألواناً من ألوان الغناء وفنونه . هذا الاختلاف لا بد أن يقع ، لاختلاف أهل الوبر وأهل المدر في البيئات ، وفي الطبائع والعادات .

وللشعر علاقة كبيرة بالغناء . فالغناء هو التغني بالشعر . ولذلك قالوا : تغنى بالشعر ، وفلان يتغنى بفلانة إذا صنع فيها شعراً . وله علاقة بالحداء أيضاً . قالوا : حدا به ، إذا عمل فيه شعراً^١ . فالغناء نغم ووزن ويكون لذلك بكلام موزون . وهو الشعر الذي يناسب نغم الغناء . أما النثر ، فلا يناسب طبعه طبع الغناء . ويكون بينها جفاء . إذ لا يستقيم النثر العربي مع الوزن دائماً . لذلك فلا يمكن للتغني أن يغني به . قال (الجاحظ) : العرب تقطع الألحان الموزونة والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في الوزن اللحن ، فتضع موزوناً على غير موزون^٢ . وذكر أن الغناء من الصوت ما طرب به^٣ .

وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يستمعون إلى القيان . وأن فارس كانت تعدّ الغناء أدباً والروم فلسفة . وأن الملوك العرب كانوا يملكون القيان أيضاً . ومنهم أشرف مكة وعلى رأسهم (عبدالله بن جدعان)^٤ . وقد عرف غناء أهل البادية بـ (غناء الأعراب) ، وذلك لاختلافه عن غناء الحضر^٥ .

فكان لأهل الحيرة مزاج في الغناء يختلف عن مزاج أهل البادية ، بل حتى عن مزاج غيرهم من الحضر . وذلك للظروف الخاصة التي تحيط بهم ، مثل اختلاطهم بالفرس ، ووجود النصرانية والمؤثرات اليونانية فيما بينهم . وقد كان في كنائس العباديين نصارى الحيرة ، تراتيل وترانيم ، وهي بالطبع نوع من الغناء الروحي ، وقد كان عندهم خمر تبعث على الانشراح والانبساط ، وأديرة مزدانة بالخضرة والرياحين والأزهار ، وفيها ماء طيب وغناء رهبان وراهبات ،

-
- ١ بلوغ الأرب (٣٦٩/١) ، تاج العروس (٢٧٢/١٠) ، (غنى) ، اللسان (١٣٥/١٥) ، (غنى) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٣٦٩/١) .
 - ٣ تاج العروس (٢٧٢/١٠) ، (غنى) .
 - ٤ رسائل الجاحظ (١٥٨/٢) .
 - ٥ نهاية الأرب (١٩٣/٤) .

فلا عجب إن طرب سكانها وتفتنوا في غنائهم، وتميزوا به عن بقية الغناء العربي ، حتى قيل له : غناء أهل الحيرة ، وقد ذكر : انه بين الهزج والنصب ، وهو الى النصب أقرب ، كما كانت لهم لغة امتازت عن لغات العرب الآخرين غنوا بها ، فأكسب غناؤهم طابعاً حريزاً خاصاً^١ .

ومن مرادفات الغناء (السمود) بلغة حمير . وقيل السمود اللهو وبصورة خاصة الغناء^٢ .

وللفقهاء في الاسلام آراء في قراءة القرآن . منهم من جوز قراءته بالألحان ، ومنهم من جوز قراءته بالترجيع ، وغير ذلك^٣ . والترجيع ترديد الصوت في الحلق في قراءة أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به . وقيل الترجيع هو تقارب ضروب الحركات في الصوت^٤ .

وأما (العزف) ، فالملاهي ، واللعب بالمعازف ، وهي الدفوف وغيرها مما يضرب . والمعازف للاعب بها والمغني . وعزف الدف صوته . والمعزف ، ضرب من الطنابير يتخذها أهل اليمن وغيرهم ، ويجعل العود معزفاً^٥ .

ويعبر عن الاستماع الى الغناء والإنصات لصوت المغني بـ (السماع) . ويحدث السماع طرباً في النفس . وقد صار للكلمة معنى خاص في الاسلام ، إذ تحولت الى سماع الترانيم الدينية في الغالب ، لذلك لم ينظر اليه نظرة الناس الى الغناء^٦ .

وتغنى أهل الجاهلية في كل المناسبات المبهجة ، وضربوا على آلات الطرب . ومن هذه المناسبات الزواج والعودة من الأسفار ، كما كانوا ينثرون أنه إن تحقق مطلب لهم فإنهم يقيمون مجلس طرب يتغنى فيه : كمناسبة شفاء من مرض أو عودة من حرب^٧. وكان شبان مكة يذهبون الى السمر ويلهون بسماع الغناء وبالضرب على الدفوف والاستماع الى ترمير الزمار^٨ . كما استعمل الغناء في الغزو ، وذلك

-
- ١ الاغاني (١٢١/٢) (طبعة ساسي) .
 - ٢ اللسان (٢١٩/٣) ، نهاية الارب (١٣٤/٤) .
 - ٣ ابن قيم الجوزية (١٣٤/١) ، (في هدية صلى الله عليه وسلم ، في قراءة القرآن)
 - ٤ تاج العروس (٣٥١/٥) ، (رجع) .
 - ٥ اللسان (٢٤٤/٩) ، المخصص (١٢/١٣) ، تاج العروس (١٩٧/٦) ، (عزف) .
 - ٦ نهاية الارب (١٦١/٤) وما بعدها .
 - ٧ نهاية الارب (١٤٠/٤) وما بعدها .
 - ٨ نهاية الارب (١٤٥/٤) وما بعدها .

لتنشيط الغازين وتحريضهم على القتال . ومن هذا القبيل ما يرتجز به الشجعان عند اللقاء في الحرب . واستعمل في الختان وفي العقيدة والولائم^١ .

آلات الطرب :

وآلات الطرب عند العرب ثلاثة : آلات ذات أوتار كالعود وآلات نفخ ، وآلات ضرب كالصنوج والطبل والدف^٢ .

والطرب : الفرح والحزن وهو ضد ، أو هو خفة تلحقك سواء تسرك أو تحزنك . فهي تعترى عند شدة الفرح أو الحزن أو الغم . والتطريب التغمي . ويقال طرب فلان في غنائه تطريباً إذا رجع صوته وزينه^٣ .

والدف^٤ من آلات الطرب القديمة المشهورة . يستعمل . للتعبير عن العواطف في الفرح والسرور . وهو معروف عند الساميين ويسمى (توف) (تف) Toph عند العبرانيين . وقد ورد ذكره في التوراة . وتنقر به النساء أيضاً^٥ . وقد كان شائعاً عند العرب ، ينقرون به في أفراحهم . ولما وصل الرسول الى يثرب ، استقبل بفرح عظيم وبالغناء وينقر الدفوف . وأكثر ما استعمله العرب في المناسبات المفرحة ، كالنكاح . ورافقوا الضرب به أصوات الغناء^٦ .

وقد وردت في الشعر الجاهلي أسماء آلات طرب عرفت في ذلك العهد ، فورد في شعر الأعشى : الناي ، والبربط ، والصنج ، وهي آلات عرفت عند الفرس . وقد دعي (الناي) بـ (ناي نرم) .

والناي نرم وبربط ذي بُحْة والصنج يبكي شجوة^٧ أن يوضعا^٨

وقد ذكر الجواليقي ان البربط معرب ، وهو من ملاحى العجم ، شبهه بصدر

-
- ١ نهاية الارب (١٦٨/٤) وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (٣٥٤/١) ، (طرب) .
 - ٣ Smith, Diction., Vol. III, p. 1502, Hastings, p. 638, A Reilg. Ency. Vol. III, p. 1599.
 - ٤ تاج العروس (١٠٨/٦) ، (دف) .
 - ٥ المغرب (ص ٧٢ ، ٢١٤ ، ٣٤٠) ، العقد الفريد (٢٣/٦) .

البط . والصدر بالفارسية (بر) ، فليل بربط^١ . وقد ورد في العقد الفريد :
(العود الكرآن . والمزهر أيضاً هو العود ، وهو البربط)^٢ . والبربط من آلات
الملاهي المشهورة عند الروم .

وعرف الجواليقي (الصنج) فقال : « والصنج الذي تعرفه العرب هو الذي
يتخذ من صفر ، يضرب أحدهما بالآخر ... فأما الصنج ذو الأوتار ، فتختص
به العجم ، وهما معربان . وسموا الأعشى (صناجة العرب) لجودة شعره^٣ .
وذكر أن اللاعب بالصنج هو (الصناج) و (الصناجة)^٤ .
وجاء الأعشى باسم آلة طرب أخرى من آلات الملاهي عند العجم ، دعاها
(الوّن) :

بالجُلَّسان وطيب أردانه بالوّن يضرب لي يكرُّ الإصبع^٥

ويظهر من هذا البيت أن الوّن آلة طرب ذات أوتار، يضرب عليها بالأصابع.
وقد ذكر بعض العلماء أن الوّن : (الصنج الذي يضرب بالأصابع وهو الونج ،
كلاهما دخيل مشتق من كلام العجم)^٦ . وعرف بعضهم (الونج) بأنه « المعزف
أو العود ، فارسي معرب . وأصله بالفارسية وَتَهْ . وقد تكلمت به العرب »^٧ .
ومنهم من جعل (الوّن) و (الونج) شيئاً واحداً .

ويذكر علماء اللغة أن (العَرَطَبَة) هي اسم للعود ، وقيل : الطبل ، وقيل :
الطنبور : وقد ورد ذكرها في الحديث مع اسم آلة أخرى من آلات الملاهي ،
هي (كوبة)^٨ . ويرى العلماء أن (الكوبة) ، الطبل الصغير، وهي (الرد) ،
بلغة اليمن^٩ . وذكر أن (المرطبة) طبل الحبشة خاصة^{١٠} ، وأن (الكوبة)

- ١ . المغرب (ص ٧١) ، ابن خلكان ، الوفيات (٤٠٠/٢) ، تاج لعروس (١٠٥/٥) .
- ٢ . (٢٧/٢) ، تاج العروس (١٠٤/٥ وما بعدها) ، (البربط) .
- ٣ . المغرب (ص ٢١٤) ، الاغانى (٧٥/٨) . قال الأعشى
ومستجيباً تخال الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل
اللسان (٣١١/٢) ، (صنج) ، تاج العروس (٦٧/٢) .
- ٤ . تاج العروس (٦٧/٢) ، (صنج) .
- ٥ . المغرب (ص ٣٤٤) ، تاج العروس (٣٦٣/٩) ، (الوّن) .
- ٦ . المغرب ، الحاشية ، تاج العروس (٣٦٣/٩) ، (الوّن) .
- ٧ . المغرب (ص ٣٤٤) ، تاج العروس (٣٦٣/٩) ، (الوّن) .
- ٨ . المغرب (ص ٢٣٤) ، تاج العروس (٣٧٧/١) ، القاموس (١٠٣/١) .
- ٩ . المغرب (ص ٢٩٥) ، تاج العروس (٤٦٤/١) .
- ١٠ . تاج العروس (٣٧٧/١) ، (عرطبة) .

الربيط والشطرنج والطلب الصغير^١ .

وذكر أهل الأخبار أن (النضر بن الحارث بن كلدة) كان يغني بالعود^٢ .
والعود من جملة آلات الطرب القديمة . وهو (عوديت) عند العبرانيين . وقد
أشير إليه في جملة آلات الموسيقى المستعملة في أيام داوود ، وذلك في المزامير^٣ .
وذكر أن من أسماء العود (الكران) ، وأن (الكرينة) المغنية الضاربة بالعود
أو الصنج^٤ .

ويعرف الوتر بـ (البم) ، ويقال هو الوتر الغليظ من أوتار المزهر^٥ .
و (الناي) من آلات الطرب ، ينفخ فيه، يصنع من الخشب ومن القصب^٦ .
وذكر أن الناي من أسماء (المزمار) ، وهو من آلات النفخ كذلك . و (القصاب) ،
وهو الذي ينفخ في القصب المزمار^٧ .

وأما (الهيرعة) ، فالقصبه ، التي يزمر فيها الراعي^٨ .

وذكر أن (القنين) طنبور الحبشة . (وفي الحديث : إن الله حرّم الخمر
والكوبة والنين) . والنين الضرب بالنينين . وذكر أن الكوبة : الطبل^٩ .
وأما (الكبر) ، فهو الطبل ، وقيل طبل له وجه واحد . وقيل هو الطبل
ذو الرأسين^{١٠} . ويقال للطنبور (طبن) كذلك^{١١} .

و (المزمار) و (الزمارة) : ما يزمر فيه . ويقال للقصبه التي يزمر

١ تاج العروس (٤٦٤/١) ، (كوب) .

٢ المعارف (ص ٢٥٠) .

٣ Smith, A Diction III, p. 1304.

٤ قال ليبيد :

صعل كسافلة القناة وظرفه وكان جوجوه صفيح كران

٥ تاج العروس (٣٢٠/٩) ، (كرن) ، اللسان (٣٥٧/١٣) ، (كرن) .

٦ شمس العلوم (ج ١ ص ١١٨) ، الاغانى (١٢٠/٢) (ساسي) اللسان
(٣٦/٣) .

٧ العقد الفريد (٢٣/٦) .

٨ المخصص (١٥/١٣) .

٩ المخصص (١٤/١٣) ، تاج العروس (٥٥٦/٥) ، (هرع) .

١٠ اللسان (٣٤٩/١٣) ، تاج العروس (٣١٥/٩) .

١١ اللسان (١٣٠/٥) ، تفسير الطبري (٦٦/٢٨) .

اللسان (٢٦٤/١٣) .

بها زمارة^١ . وأما (الرباب) ، فن آلات اللهو كذلك^٢ . وقد اشتهر الغناء بالزمار عند العرب ، وأجادوا فيه .

وقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الساميين يستخدمون الغناء في عباداتهم ، وربما استخدموا معه بعض آلات الطرب . وذلك تعبيراً عن بهجتهم وسرورهم بتعبدهم للآلهة وتقرباً إليها بهذا الغناء الذي يدخل السرور الى قفوسها . وقد ذكر المفسرون أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت يصفرون ويصفقون^٣ . وإذا صح قولهم هذا ، فإنه يعني استعمال نوع من الطرب في حجّهم وطوافهم بالبيت .

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع الغناء العربي وما يختلف به ويمتاز عن غناء الأعاجم ، فقال : « العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون »^٤ .

واللحن : الغناء . (وفي الحديث : اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل العشق)^٥ . ويراد به التطريب وترجييع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء . وقد كان اليهود والنصارى يقرأون كتبهم نحوه من ذلك^٦ .

أصول الغناء الجاهلي :

ويرجع أهل الأخبار غناء الجاهليين إلى ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والهجج . فأما النصب ، فغناء الركبان وغناء الفتيان والقيينات ، ويغني به في المراثي كذلك . وقد دعاه إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، الغناء الجنابي نسبة إلى رجل من كلب يقال له : جناب بن عبدالله بن هبل . وهو الذي يقال له (المراثي) ، ومنه كان أصل الحداء ، وكله يخرج من الطويل في العروض . وأما السناد ، فالثقل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات . وأما الهجج ، فالحفيف الذي يرقص عليه

-
- ١ اللسان (٣٢٧/٤) .
 - ٢ تاج العروس (٤٧٢/٢) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٥٧/٩) وما بعدها .
 - ٤ العمدة (٣١٤) .
 - ٥ اللسان (٣٨٣/١٣) ، (صادر) ، (لحن) .
 - ٦ المصدر نفسه .

ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم^١ .
ويذكر أهل الأخبار أن الأنواع المذكورة كانت غناء العرب ، حتى جاء
الاسلام وفتحت العراق ، وجلب الغناء والرقيق من فارس والروم ، فغنّوا الغناء
المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنّوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعاذف
والمزامير^٢ . وذكر أيضاً أن الغناء قديم في الفرس والروم ، ولم يكن للعرب قبل
ذلك إلا الحدااء والتشيد ، وكانوا يسمّونه (الركباني) (الركبانية)^٣ . والتشيد
رفع الصوت ، ومن المجاز الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً^٤ .
وذكر (المسعودي) أن غناء العرب النصب ، ثلاثة أجناس : الركباني ،
والسناد الثقيل ، والهجج الخفيف^٥ .

ويرى بعض أهل الأخبار أن أصل الغناء ومعدنه إنما كان في أمهات القرى
من بلاد العرب ، حيث فشا بها ، وانتشر . ومن هذه مكة والمدينة والطائف
وخبر ووادي القرى ودومة الجندل واليامة ، وهذه القرى مجامع أسواق العرب .
وروا أن أول من غنى في العرب قيتان لعاد ، يقال لهما الجرادتان^٦ . وهما قيتا
(معاوية بن بكر الجرهمي) (معاوية بن بكر العملي) غنّتا لوفد (عاد) بمكة ،
فشغلوا عن الطواف بالبيت وسؤال الله فيما قصدوا ، فهلكت عاد وهم سامدون .
فلما رأى الجرهمي ، وهو معاوية بن بكر ، أحد العالقي ، ذلك قال : هلك
أخوالي (عاد) ، ولو قامت لضيوفي شيئاً ، ظنوا بي البخل ، فألقى إلى الجرادتين
شعراً يذكر بمحنة (عاد) ، فأنشدته الضيوف . وكان الجرهمي سيد مكة حين
وفدت عاد تستقي في قحطها . وكان (قيل ابن عتر) أحد الرؤوس الثلاثة لوفد
عاد ، حين ذهبوا في القحط إلى مكة يستسقون لقومهم^٧ .

-
- ١ العقد الفريد (٢٧/٦) ، بلوغ الأرب (٣٦٩/١ وما بعدها) ، اللسان (٣٩٠/٢ وما بعدها) ، العملة (٣١٣) ، اللهو والملاهي ، لان خرداذبه (ص ١٨) .
 - ٢ العملة (٣١٤) .
 - ٣ نهاية الأرب (٢٣٩/٤) .
 - ٤ تاج العروس (٥١٤/٢) ، (نشد) .
 - ٥ مروج (١٣٣/٤) ، (دار الاندلس) .
 - ٦ العقد لفريد (٢٧/٦) .
 - ٧ الامثال للميداني (٨٧/١) ، رسالة الغفران (٢٤٣) ، مروج (١٣٣/٤) ، (دار الاندلس) .

وورد أيضاً أن الجرادتين كانتا مغنيتين للنعمان . كما ورد ذكر الجرادتين وغناءهما لأبي رغال . وورد أنه كان بمكة في الجاهلية قيتان يقال لهما الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت^١ . وقيل إن الجرادتين كانتا أمتين تتغنيان في الجاهلية وكانتا لعبدهما ابن جُدعان^٢ .

وقد ذكر (أبو العلاء المعري) ، أن العرب تُسمي كل قينة جرادة ، حملاً على أن قينة في الدهر الأول كانت تدعى الجرادة . واستشهد بهذا البيت :

تغنينا الجراد ونحن نشرب نعل الراح خالطها المشور^٣

وذكر بعض العلماء أن (جذيمة الخزاعي بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر) ، المعروف بـ (المصطلق) ، كان من أحسن الناس صوتاً ، وقد غنى بعد (الجرادتين) ، غنى غناء النصب^٤ . وذكر أنه أول من غنى في خزاعة^٥ . ثم غنى بعده (ربيعة) ، وهو (ضبيس بن حزام بن حيشة بن سلول ابن كعب بن عمرو بن عامر) الخزاعي ، ثم غنى بعده (زمام بن خطام الكلبي) ، وقد ذكره (الصمة القشيري) ، بقوله :

دعوت زماماً للهوى فأجابني وأي فني للهو بعد زمام^٦

وذكر (السعودي) ، أن غناء أهل اليمن بالمعازف وإيقاعها جنس واحد ، وغناؤهم جنسان : حنفي ، وحميري . والحنفي أحسنهما^٧ ، فهذا هو غناء أهل اليمن . ورجع بعض أهل الأخبار غناء أهل اليمن إلى (علس بن زيد ذي جدن) ، زعموا أنه أول من تغنى باليمن^٨ . وزعموا أنه كان من ملوك اليمن ، لقب بذي جدن ، لجمال صوته . فالجدن الصوت عند أهل اليمن^٩ .

- ١ اللسان (١١٨/٣) ، (صادر) ، (جرد) ، تاج العروس (٣١٨/٢) (جرد) .
- ٢ الاغانى (٢/٨) (طبعة ساسني) .
- ٣ رسالة الغفران (٢٤٤) .
- ٤ كتاب الله والملاهي (١٨) .
- ٥ تاج العروس (٤١٢/٦) .
- ٦ كتاب الله والملاهي (١٨) .
- ٧ مروج (١٣٤/٤) .
- ٨ الاغانى (٣٧/٤) .
- ٩ اللهو والملاهي (٢٠) .

وذكر ان قريشاً لم تكن تعرف من الغناء ، إلا النصب ، حتى قدم (النضر ابن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي) العراق ، فتعلم ضرب العود وغناء العباديين ، فقدم مكة ، فعلم أهلها ، فاتخذوا القيان^١ . ويظهر من غربة ما ورد في الأخبار عن الغناء ، أن المراد به ، تلحين ما يراد التغني به وتطريبه ، حتى يثير الطرب في نفوس السامعين ، لا سيما إذا اقترن بآلة من آلات الطرب . ونادراً ما يكون غناء دون (موسيقى) . فالموسيقى تصاحب الغناء . والغناء : تلحين ما يراد التغني به بتقطيعه قطعاً موزونة تكون نغمة ، يوقع على كل صوت منها بإيقاع يناسبه ، فيزيده لذة في السماع^٢ .

وذهب (المسعودي) الى أن أول من اتخذ القيان من العرب ، أهل يثرب . أخذوا ذلك من بقايا عاد^٣ . بينما يذكر الأخباريون ، أن أول من غنى من العرب العاربة الجرادتان ، وكانتا قيتين على عهد عاد ، لمعاوية بن بكر العمليقي^٤ . وفي جملة من قال ذلك (ابن خرداذبه) ، الذي اعتمد (المسعودي) عليه في موضوع الغناء ، ونقل من كتابه (اللهو والملاهي) بالنص^٥ .

والقينة عند علماء اللغة : الأمة المغنية ، وذكروا أنها كلمة هذلية . وقال بعض آخر : مغنية كانت أو غير مغنية . وإنما قيل للمغنية قينة ، إذا كان الغناء صناعة لها ، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر^٦ . والظاهر أنها من الألفاظ المعربة ، فالغناء في لغة (بني إرم) هو (قنتو) Qinto والمغنية (قينة) من الغناء (قنتو)^٧ .

وذكر أن من أسماء (القينة) (الزمارة) و (الزامرة) ، وقيل للمغني (الزمار) ، وذلك من التزمير بالزمار^٨ .

-
- ١ كتاب اللهو والملاهي . (١٩) ، مروج الذهب (١٣٤ / ٤) ، المخصص (١٤٢ / ٢) وما بعدها ، (٥٤ / ٤) .
 - ٢ مقدمة ابن خلدون (٧٥٨) ، (دار الكتب - بيروت ١٩٦١ م) ، اللسان (١٣٥ / ١٥)
 - ٣ مروج الذهب (١٣٤ / ٤) ، كتاب اللهو والملاهي (١٩) .
 - ٤ كتاب اللهو والملاهي (١٨) .
 - ٥ راجع كتاب اللهو والملاهي وقارنه بكتاب مروج الذهب ، للمسعودي (١٣١ / ٤) وما بعدها .
 - ٦ اللسان (٣٥١ / ١٣) وما بعدها .
 - ٧ غرائب اللغة (٢٠٢) .
 - ٨ اللسان (٣٢٧ / ٤) ، (ذكر) .

ويقال للمغنية (الكريئة) أيضاً ^١ . وقد وردت اللفظة في شعر لبيد :

بصبوح صافية وجذب كريئة بموتر تَأْتَالِه إِهَامِهَا ^٢

وذكر أن (الكريئة) المغنية الضارية بالعود أو الصنج ، والضاربة بـ (الكران) .
و (الكران) هو العود ^٣ .

وذهب أهل الأخبار الى أن الغناء حدث في العرب ، أخذ من (الحداء) .
وكان الحداء في العرب قبل الغناء . وكان أول السماع والرجيع في العرب ، ثم
اشتق الغناء من الحداء . اشتقه (حباب بن عبد الله الكلبي) ، فغنى النصب ^٤ .

وقد أشير الى غناء النصب في كلام ينسب الى عبدالله بن عمر بن الخطاب ،
فذكر أنه قال : مرّاً بنا ابن الخطاب ، وأنا وعاصم بن عمر فغنى غناء النصب ،
فقال : أعيدا عليّ ^٥ . وورد أن أنس بن مالك سمع أخاه البراء بن مالك يغني ،
فقال : ما هذا ؟ قال : أبيات عربية أنصبتها نصباً ^٦ . مما يدلّ على أن غناء
النصب إنما ورد من هذا المعنى . كذلك أشير الى الحداء في خبر ينسب الى ابن جريج ،
قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ^٧ . وقد أخرج هذا
الخبر الحداء من الغناء .

وعرف بعض العلماء النصب : أنه غناء الرُكبان . وعرف أنه (العفيرة) ،
يقال : رفع عفירתه إذا غنى النصب . وعرف أنه ضرب من أغاني العرب . (وفي
حديث نائل ، مولى عثمان : فقلنا لرباج بن المغترف : لو نصبت لنا نصب العرب
أي لو تغنيت ، وفي الصباح : لو غنيت لنا غناء العرب .) وكان رباح بن
المغترف يحسن غناء النصب ، وهو ضرب من أغاني العرب ، شبه الحداء ، وقيل :

-
- ١ العقد الفريد (٢٧/٦) ، كتاب اللهو والملاهي (ص ١٦) .
 - ٢ شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٢١٤ وما بعدها) ، (٢٩٥) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٣ العقد الفريد (٢٧/٦) .
 - ٤ اللهو والملاهي (١٨) .
 - ٥ العقد الفريد (٨/٦) .
 - ٦ المصدر نفسه .
 - ٧ العقد الفريد (٩/٦) ، تاج العروس (٤٨٥/١) .

هو الذي أحكم من التشيد ، وأقيم لحنه ووزنه ^١ . وعرف النصب : انه ضرب من مغاني العرب أرق من الحداء ^٢ .

وقد أشار أهل الأخبار إلى أن العرب كانت (تتغنى بالركباني ، إذا ركبت الإبل ، وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يكون هجّيراًهم بالقرآن مكان التغني بالركباني ، وأول من قرأ بالأحان عبيد الله بن أبي بكرة ، فورثه عند عبيد الله بن عمر ، ولذلك يقال قرأت العمري ، وأخذ ذلك عنه سعيد العلاف الإباضي ^٣ . وذكر أن (عمر) سمع (عبد الرحمن بن عوف) وهو يتغنى وينشد بالركبانية ، وهو غناء يحدى به الركاب ^٤ .

والحدا ، هو من أقدم أنواع الغناء عند العرب ، يغنى به في الأسفار خاصة ، ولا زال على مكانته ومقامه في البادية حتى اليوم . ويتغنى به في المناسبات المحزنة أيضاً للملاءمة نغمته مع الحزن . وقد كان للرسول حادي هو (البراء بن مالك بن النضر الأنصاري) وكان حداءً للرجال ^٥ . وكان له حداء آخر ، يقال له (أنجشة الحادي) وكان جميل الصوت أسود ، وكان يحدو للنساء ^٦ ، نساء النبي ، وكان غلاماً للرسول ^٧ . وذكر أن النبي (قال لقوم من بني غفار) سمع حادهم بطريق مكة ليلاً ، فقال لهم : إن أباكم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فعطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء ^٨ .

وذكر بعض أهل الأخبار « أن أول من أخذ في ترجيعه الحداء (مضر بن نزار) ^٩ »

-
- ١ اللسان (٧٦٢/١) ، (نصب) .
 - ٢ تاج العروس (٤٨٦/١) ، (نصب) .
 - ٣ اللسان (١٣٧/١٥) .
 - ٤ الروض (٢١٩/٢) .
 - ٥ الاصابة (١٤٣/١) ، اللسان (١٦٨/١٤) .
 - ٦ الاصابة (٦٧/١) ، الاستيعاب (١١٧/١) (حاشية على الاصابة) .
 - ٧ ارشاد الساري (٩٢/٩) .
 - ٨ العمدة (٣١٤ وما بعدها) ، المعارف (٢٤١) ، الروض الانف (٦٠/١) ، العقد الفريد (٢٧/٦) ، ارشاد الساري (٨٨/٩) .
 - ٩ مروج الذهب (١٥٩/٤) .

فإنه سقط عن جمل فانكسرت يده ، فحملوه وهو يقول : وايداه وايداه، وكان أحسن الله جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل اليه وجدّت في السير ، فجعلت العرب مثلاً لقوله هايدا هايدا يحملون به الإبل ^١ . وللأخباريين كلام آخر من هذا النوع عن الحداء ^٢ . يتفق كله في أن هذا النوع من الغناء كان من خصائص غناء مضر ^٣ .

وكان (عامر بن سنان الأكوخ بن عبدالله بن قشير الأسلمي) المعروف ب (ابن الأكوخ) رجلاً شاعراً ورائجاً ، وكان يحسن الحداء ، فطلب منه أصحاب الرسول أثناء سيرهم الى خيبر أن يحدو بهم . فسمع الرسول حداءه ^٤ . وهناك أخبار أخرى يفهم منها أن العرب لم تدخل الحداء في الغناء ، وإنما ذكرته معه ، على أنه باب خاص ^٥ . والعادة أن يحمل المسافرون معهم حادياً أو جملة حداء يحدون بهم في السفر . وكان أبو هريرة أحد الصحابة المحدثين عن رسول الله ، يحدو لركب بسرة بنت غزوان ^٦ .

والحداء إذن ضرب مخصوص من الغناء ، ويكون بالرجز غالباً لأن طبيعة الرجز تلائم هذا النوع من الغناء ^٧ . ويذكر (المسعودي) أن الحداء كان في العرب قبل الغناء . وكان أول السماع والترجيع في العرب ، ثم اشتق الغناء من الحداء ^٨ . فالحداء متقدم على الغناء إذن، وهو الباب الذي ولج العرب منه الى الغناء. والحداء ، هو في الواقع غناء أهل البادية ، وفي ارجاع أهل الأخبار أصله الى (مضر) أو غيره من الرجال صحة ، إذا اعتبرنا ان (مضر) أو غيره كناية عن الأعراب . لأن هذا النوع من الغناء مما يتناسب مع لحن البوادي ونغمها الحزينة البسيطة التي تطرب بها طبيعة البداوة نفس الأعراب . ولا زال غناء أهل البادية متأثراً بهذه الضربات من العزف ، التي تعزفها البادية للتخفيف عن كآبة

-
- ١ العمدة (٣١٤) .
 - ٢ المعارف (٢٤١) ، ، العمدة (٣١٤) .
 - ٣ العقد الفرید (٢٧/٦) ، الروض (٦٠/١) ، باوغ الارب (٣٦٩/١) وما بعدها .
 - ٤ ارشاد الساري (٩٠/٩) وما بعدها .
 - ٥ المعارف (ص ٢٣٢) ، اللسان (١٦٨/١٤) .
 - ٦ المعارف (ص ١٢٠) ، نهاية الارب (١٦٤/٤) .
 - ٧ ارشاد الساري (٨٨/٩) .
 - ٨ مروج (١٣٣/٢) ، (دار الاندلس) .

الطبيعة والتعبير عن الروح الحزينة التي تحملها هذه الطبيعة من نشوئها ونموها في هذه الفياقي الساحقة الشاسعة التي لا ترى حدودها العين ، والتي ترشق الأوجه برشقات من الرمال ، تسدّ العين ، حتى لا تتجاسر فتمدّ بصرها لتسرق سرّ هذه المحيطات ذات الأمواج المتفاوتة في الإرتفاع من تموجات الرمال .

وقد تخصص أناس من رجال ونساء بالغناء ، واتخذوه حرفة لهم يتكسبون بها . والمغنون المحترفون هم من سواد الناس ، ومن الرقيق . لأن من طبع الشريف والحرّ الابتعاد عنه . وقد احترف هؤلاء الغناء وتعيشوا عليه . فكانوا يدعون الى إحياء الحفلات في مقابل أجر يدفع لهم . وقد كان من بينهم من يغني بلغته كالرومية والحبشية ، ولهذا فلم يكن من المستبعد سماع غناء أجنبي في موضع مثل مكة أو يثرب لوجود رقيق فيه .

وقد تغني بشعر بعض الشعراء الجاهليين ، ومن هؤلاء شعر الشاعر (مرّة ابن الرواغ) . ويذكر أهل الأخبار أن (امرئ القيس بن حجر) ، كان يأمر قياناً أن يغني بشعره . وأن قيان الملوك كن يغني به أيضاً^١ ، وقد كان النخاسون في الجاهلية يعلمون المغنيات الشعر ، للتغني به .

وقد كان أغنياء مكة والقرى الأخرى يملكون القيان ، ومنهم من كان يملك عدداً منهم . مثل (عبدالله بن جُدعان) . وكان (لمقيس بن عبد قيس بن قيس بن عدي) ، قيتان تغنيان ، وكان بيته مألفاً لشباب قريش ينفقون عنده ويشربون ويتهانكون يبقون على ذلك ليالي وأياماً^٢ .

ومن القيان : (هريرة) التي شبيب بها (الأعشى) . وهي أمة سوداء ، لحسان ابن عمرو بن مرثد . ولها أخت اسمها (خليدة) : كانت قينة كذلك . وقد ورد في رواية أخرى ، أنها كانتا قيتين لـ (بشر بن عمرو بن مرثد) ، وكانتا تغنيانه النصب . وقدم بهما البامة ، لما هرب من (النعمان)^٣ . وذكر انه كان لـ (عائشة) جاريتان تغنيان بغناء بعث ، أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعث^٤ .

-
- ١ الامدي ، المؤلف (ص ١٢٧) ، معجم الشعراء (ص ٣٨٢) .
 - ٢ شرح ديوان حسان (٤٧) (البرقوق) .
 - ٣ الاغانى (١١٣/٩) .
 - ٤ اللسان (١٣٧/١٥) .

ومن أهل الحذاء حاد يقال له (أنجشة) أشرت إليه قبل قليل ، وكان حسن الصوت . وهو من الصحابة . (وفي الحديث : أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لأنجشة وهو يحدو بالنساء ، رفقا بالقوارير ... وكان أنجشة يحدو بهن ركابهن ويرتجز بنسيب الشعر والرجز وراءهن)^١ . وهو من أصل حبشي ، يكنى (أبامارية)^٢ . وكان يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال^٣ . وربما كان على النصرانية قبل دخوله في الاسلام .

وكان (البراء بن مالك بن النضر الأنصاري) ، حسن الصوت كذلك . وكان يرتجز لرسول الله في بعض أسفاره ، كما أشرت إلى ذلك قبل قليل . وذكر انه كان حادي الرجال . وكان يتغنى بالشعر . وقد شهد المشاهد مع رسول الله إلا بدرأ ، وله يوم اليمامة أخبار . واستشهد في أيام عمر^٤ . وكان من الشجعان^٥ .

وما يلفت النظر ان الأخباريين حين يتحدثون عن مجلس طرب وشرب وغناء ، يذكرون أن صاحب المجلس أمر قيتين له بأن تغنيا له أولهم ، وذلك في الغالب ، ولم يذكروا قينة أو أكثر إلا في الأقل ، حتى يشعر القارئ أن العرف في ذلك الوقت أن تكون للسادة وللأشراف قيتين تغنيان تكونان في البيت بصورة دائمة . فلما اغتاظ (أبو براء عامر بن مالك بن جعفر) مما قيل عنه ، وأراد الترفيه عن نفسه قبل أن يقتل نفسه (دعا قيتين له فشرب وغتاه)^٦ . وكان (عبد الله ابن جُدعان) إذا أراد سماع الغناء أمر قيتين له تسميان (الجرادتين) بالغناء^٧ .

ولا يستبعد استخدام الجاهليين آلات الطرب والغناء في معابدهم وفي أعيادهم . فقد كان الساميون كالعبرانيين يستعملون أنواع آلات الموسيقى في معابدهم وفي أعيادهم تقرباً إلى آلهتهم^٨ . وقد وصلت إلينا أسماء بعض آلات الطرب التي استعملها الجاهليون ولكن معارفنا لا تزال مع ذلك قليلة ضعيفة . وستزيد ولا شك

- ١ اللسان (٨٧/٥ وما بعدها) .
- ٢ الإصابة (٨٠/١) ، (رقم ٢٦١) .
- ٣ الاستيعاب (١٢١/١ وما بعدها) ، (حاشية على الإصابة) .
- ٤ الإصابة (١٤٧/١) ، (رقم ٦٢٠) .
- ٥ الاستيعاب (١٤١/١ وما بعدها) .
- ٦ شرح ديوان لبيد (ص ٦١) .
- ٧ الاغانى (٢/٨) ، البيان والتبيين (١٧/١) (لجنة) .
- ٨ A Relig. Ency., Vol. III, p. 1598.

متى قام الآثاريون بالتنقيب تنقيباً علمياً عميقاً في مواضع الآثار في مختلف الأنحاء . أما العرب في العراق وفي بلاد الشام ، فقد تأثروا بالغناء الأعجمي ، واستعملوا آلات الطرب المعروفة عند الفرس واليونان ، وسمعوا الغناء بالفارسية والرومية واستحسنوه ، بل استحسنه أناس من عرب الحجاز أيضاً . سمع حسان بن ثابت غناء (راققة) ، فلما عاد الى بيته ، تذكر ليلة قضائها في الجاهلية مع (جيلة ابن الأيهم) ، لم ينسها قط ، قال : « لقد رأيت عشر قيان : خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة وأهداهن اليه اياس بن قبيصة . وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها . وكان إذا جلس للشرب ، فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، وأتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندى إن كان شاتياً، وإن كان صائفاً بطن بالثلج ، واتى هو واصحابه بكساء صيفية ينفصل هو واصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء بفراء الفسك وما اشبهه ، ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلاّ وخلع عليّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غري من جلسائه ، هذا مع حلم عمن جهل ، وضحك وبذل من غير مسألة »^١ .

وإذا كان الغناء للطرب بوجه عام ، فإن هنالك نوعاً آخر من الغناء هو (الترنيمة) ، وهو تطريب الصوت ، ويستخدم في الغالب في التلاوة ، أي تلاوة الأدعية والتراتيل الدينية. فقد كان الجاهليون يرتلون أغانيهم الدينية أمام أصنامهم ، كما فعل ذلك اليهود والنصارى ويترنمون بها . وتصحب هذه التراني آلات موسيقية لتعزف الألحان المناسبة الموافقة لها .

وذكر علماء العربية أن (الرنم) المغنّيات المجيدات ، والرنم الصوت . والرنيم والترنيمة ترجيع الصوت وتطريبه^٢ . وعرف (الترجيع) بـ (ترديد الصوت في الحلق في قراءة أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به) . وقيل : (الترجيع هو تقارب ضروب الحركات في الصوت)^٣ . وقد كان الجاهليون يرجعون الشعر ، بأن يقرأونه على الألحان والتطريب والايقاع ليؤثر في السامعين .

-
- ١ الاغاني (١٦ / ١٤) .
 - ٢ تاج العروس (٣٢٠ / ٨) ، (رنم) ، ارشاد الساري ، القطلاني (٧ / ٤٨٠ وما بعدها) اللسان (٢٥٦ / ١٢) .
 - ٣ تاج العروس (٣٥١ / ٥) ، (رجع) .

أما المناسبات المحزنة كالموت والكتابة ، فقد كانوا يستعملون فيها نغمات حزينة وهادئة للتخفيف من شدة الحزن والكتابة والألم . وقد كانت لهم في ذلك ألحان وأوزان ونغم .

وأما (الهزج) ، فالخفيف الذي يرقص عليه ، ويمشي بالدفّ والمزمار ، فيطرب ويستخف الحليم^١ . وذكر أن الهزج من الأغاني ما فيه ترنم ، وصوت مطرب ، وقيل : هو صوت فيه بحج ، وصوت دقيق مع ارتفاع . وكل كلام متدارك متقارب في خفة هزج^٢ . فهو الخفيف المطرب من الغناء .

وكانت المناسبات المفرحة مثل الزواج تقترن بالعزف والغناء. روي أن رسول الله لما كان غلاماً يرعى غنماً ومعه غلام من قريش يرعى معه كذلك قال له : « لو أنك أبصرت غنمي حتى أدخل مكة ، فأسمر بها كما يسمر الشباب ، قال : أفعل . فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دارٍ من ديار مكة ، سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير . فقلت ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوّج فلانة بنت فلان . فجلست أنظر إليهم^٣ . وذكر أن من عادة أهل مكة أن يفعلوا ذلك عند الزواج. وفعل أهل يثرب ذلك أيضاً في مثل هذه المناسبات وفي مناسبات الفرح الأخرى^٤ .

الرقص :

والرقص وجه آخر من وجوه التسلية والتفريج عن النفس . يرقصون في المناسبات ، مثل الأعراس والأفراح الأخرى . وهو في الغالب ارتفاع وانخفاض ، وقد يكون ذلك هو الذي حمل علماء اللغة على تفسير الرقص أنه ارتفاع وانخفاض^٥ . والراقصون هم من الشباب في الغالب ، أما الشيوخ ، فكانوا لا يرقصون ، لعدم ملائمة الرقص مع جلال السن .

-
- ١ العملة (٣١٤/٢) ، كتاب اللهو والملاهي ، لابن خرداذبه (ص ١٦ وما بعدها) ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت) .
 - ٢ تاج العروس (١١٦/٢) ، (هزج) .
 - ٣ نهاية الارب (١٤٥/٤) .
 - ٤ رغبة الآمل من كتاب الكامل (٩٠٨/٦) ، (للمرصفي) .
 - ٥ اللسان (٤٢/٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٩٩/٤) ، (رقص) .

وذكر علماء اللغة أن من الرقص نوع يقال له (الدرقلة) . وذكر بعض آخر أن (الدرقلة) الرقص . « قال محمد بن إسحاق : قدم فتية من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرقلون ، أي يرقصون » . وقيل : الدرقلة : لعبة للعجم معربة ^١ . وهي من الحبشة على بعض آراء علماء اللغة . ونطقت بـ (الدركلة) كذلك . وذكروا أن الرسول (مرّ على أصحاب الدركلة فقال : جدّوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة) ^٢ . قيل إن الدركلة ضرب من الرقص ولعبة للعجم معربة .

وقد عرف الحبش بحبهم للرقص . وكان أهل مكة وغيرهم من أهل الحجاز إذا أرادوا الاحتفال بعرس أو ختان أو أية مناسبة مفرحة أخرى أحضروا الحبش للرقص والغناء على طريقتهم الخاصة . وورد في الحديث أنه قال للحبشة دونكم يا بني أرفدة . وقيل هم جنس من الحبشة يرقصون . وقيل (أرفده) لقب لهم . هو اسم أبيهم الأقدم يعرفون به ^٣ .

وقد كان الرقص عند الشعوب السامية نوعاً من أنواع التعبير عن الفرح والشكر تجاه آلهتهم ^٤ . ويدخل في جملة الشعائر الدينية . ولا يستبعد أن يكون الجاهليون مثل غيرهم قد رقصوا لآلهتهم في المناسبات الدينية ، تعبيراً عن شكرهم للآلهة . ولكن معارفنا عن ذلك قليلة جداً ، فلا نجد في الكتابات الجاهلية أية إشارة إليه ، أما أخبار أهل الأخبار عن الرقص عند الجاهليين ، فهي قليلة . ولا أستبعد أن يكون السعي بين الصفا والمروة كان رقصاً في الأصل فكان الساعون يرقصون ويغنون أغاني دينية ، في تمجيد رب البيت والتقرب إليه . كما كانوا يرقصون في المعابد الأخرى .

ويعدّ يوم وصول الملوك والأمراء والسادات إلى مكان ما ، يوماً مشهوداً يجلب الفرح والسرور إلى قلوب الناس ، ويعطي ذلك اليوم بهجة وسروراً . وكانوا يستقبلون كبار الوافدين عند قدومهم بأصناف اللهو . ويخرج (المقلسون) بالسيوف والريحان وبالدفوف والغناء . ولذلك قيل (القلس) و (التقليل) : الضرب

١ اللسان (٢٤٤/١١) .

٢ اللسان (٢٤٤/١١) .

٣ اللسان (١٨٣/٣) ، (رقد) ، تاج العروس (٣٥٦/٢) ، (رقد) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٤٨٩/١) ، (رقص) .

بالدف والغناء . و (القلس) : الذي يلعب بين يدي الأمير . ولما قدم (عمر)
الشأم لقيه القلسون بالسيوف والريحان . والقلس : الرقص في غناء ، وقيل هو
الغناء الجيد^١ .

العب مسلية :

وقطع الجاهليون وقتهم ببعض الألعاب المسلية ، مثل (الرد) وقد أشير
إليه في الحديث بـ (الردش) وبـ (الرد) . وذكر بعض العلماء أن (الرد)
هو (الكوبة) ، بلغة أهل اليمن^٢ . وأشير إليه في حديث أهل الأخبار عن
(امرئ القيس الكندي) وعن الناعمي الذي أوصل الخبر إليه ، فقالوا : « فوجده
مع نديم له يشرب الخمر ، ويلعبه بالرد ، فقال له : قتل حجر ، فلم يلتفت
إلى قوله ، وأمسك نديمه ، فقال له امرؤ القيس : اضرب ، فضرب ، حتى
إذا فرغ ، قال : ما كنت لأفسد عليك دستك^٣ ، والدمت مصطلح فارسي ،
أي ما كنت لأفسد عليك لعبك .

وكان في الجاهلية إذا خاب قدح أحدهم ولم ينل مراده قيل تم عليه الدم . وقيل
الدمت : هو دم القمار ، كان في اصطلاح الجاهلية . وفلان حسن الدم :
شطرنجي حاذق^٤ .

واللعب اللهو والتسلية ، وهو أنواع . كما أن لكل عمر نوع من اللعب يليق
به . و (التلابة) و (التلعب) الكثير اللعب ، والكثير المزح والمداعبة .
و (الشطرنج) لعبة ، والرد لعبة كذلك ، وكل ملعوب به فهو لعبة . و (اللعبة)
الأمت الذي يسخر به ويلعب ويطرد عليه^٥ .

ويعبر عن اللهو واللعب بلفظة (الديدن) ، و (الددن) ، و (الدد) ،

-
- ١ اللسان (١٨٠/٦) ، (صادر) ، (قلس) ، تاج العروس (٢٢١/٤) وما بعدها .
• (قلس) .
 - ٢ صحيح مسلم (١٩٩/٢) ، الجواليقي (ص ٣٣١) ، تنوير الحوالك ، (٢٣٧/٢) ،
اللسان (٤٢١/٣) .
 - ٣ الاغانى (٦٥/٨) (طبعة ساسي) غرائب اللغة (ص ٢٢٧) .
 - ٤ تاج العروس (٥٤٣/١) ، (دست) .
 - ٥ تاج العروس (٤٧١/١) ، (لعب) .

و (الددا) ، و (ديد) ، و (ديدان) ، و (الديدبون) . وفي الحديث :
(ما أنا من دد ولا الددُ مني) . أي ما أنا في شيء من اللهو واللعب . وورد
لعديّ بن زيد العبّاديّ :

أيها القلب تعلل بددن إن همّي في سماع وأذن

وذكر أن الدد : هو الضرب بالأصابع في اللعب ، وأن الديدبون : اللهو .

وللأطفال ألعاب تتناسب مع سنهم ، منها : (الجمّاح) ، وهي سهم يلعب
به ، يجعلون مكان زجّه طيناً^٢ ، و (البقيري)^٣ ، ولعبة (الغراب) ، وقد
ذكر أن صبياناً كانوا يلعبونها ليلاً^٤ . و (الكعاب) و (الفيال) ، وهي
لعبة كانوا يلعبون بها ، يجمعون تراباً ويخبثون فيها خبثاً ، ويقولون لصاحبه في
أي الجانبين هو^٥ ؟ .

ومن ألعاب الصبيان لعبة يقال لها (الدخرجاء) و (الدحيرجاء) ، وفيها
قال الشاعر :

عليك الدحيرجاء فاتبع صاحبها سيكفيك زين الحرب أروع ماجداً

ومن ألعاب الصبيان ، لعبة (عظم وضاح) (عظيم وضاح) ، أن يأخذ
بالليل عظماً أبيض ، فيرمونه في ظلمة الليل ، ثم يتفرقون في طلبه ، فن وجدّه
فله القمر . وذكر أن من وجدّه يركب الفريق الآخر من الموضع الذي وجدّه
فيه إلى الموضع الذي رموا به منه . وورد في الحديث أن النبي لعب وهو صغير
بعظم وضاح^٦ .

و (البُقَيْرِي) : أن يجمع يديه على التراب في الأرض إلى أسفله ، ثم

-
- ١ اللسان (١٣/١٥١ وما بعدها) ، (ددن) ، تاج العروس (٩/١٩٨) ، (الددن) .
 - ٢ الاغانى (٨/٧٥) (طبعة ساسي) .
 - ٣ شمس العلوم الجزء الاول ، القسم الاول (ص ١٨٠) .
 - ٤ المعارف (ص ١٢١) .
 - ٥ شرح ديوان ليبيد (ص ٨٠) .
 - ٦ الاشتقاق (٢/٣٠٦) .
 - ٧ الحيوان (٦/١٤٥) ، (هارون) .

يقول لصاحبه : اشته في نفسك ، فيصيب ويخطيء . وذكر أنهم يأتون الى موضع قد خبيء لهم فيه شيء ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه^١ .

والخطرة ، أن يعملوا غرقاً ، ثم يرمى به واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخذه رموا به اليهم ، فإن أخذوه ركبوهم^٢ . وأما (الدارة) ، ويقال لها (الحراج) ، أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي . و (الشعمة) ، أنه يمضي واحد من أحد الفريقين بغلام فيتنحون ناحية ثم يقبلون ، ويستقبلهم الآخرون ، فإن منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوه عليه ، ويدفع الغلام اليهم ، وإن لم يمنعوه ركبوهم ، وهذا كله يكون في ليالي الصيف ، عن غب ربيع نخب^٣ .

وسابق الأطفال والشبان بعضهم بعضاً . سابقوا على الخيل وسابقوا على الأقدام فكان السابق يفخر على المسبوقين ، وربما خاطروا في السباق ، فيأخذ السابق (الخطر) ، وهو ما جعلوه رهناً للسابق . وصارعوا . واعتبروا المصارعة رياضة وفخراً . فالقوي يصارع الضعيف . ولهذا كان المصارع الذي لا يصارع يتباهى ويفخر بنفسه على غيره . وقد سابق رسول الله بنفسه على الأقدام^٤ . ويقال للمصارعة (المراوغة) ، لما فيها من مراوغة الواحد منها للآخر ، للتغلب عليه^٥ . وقد صارع النبي (ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب) ، فصرعه مرتين . (وكان شديداً . يحكى أنه كان يقف على جلد بعير لين جديد حين سلخه ، فيجذبه من تحته عشرة فيتمزق الجلد ولا يترحزح هو عن مكانه)^٦ .

ومن ألعاب الصبيان (الطين) ، وهو خط مستدير يلعب به الصبيان^٧ . و (الشعارير) وهي من لعب الصبيان^٨ . وأما البنات فالتأثيل الصغار التي يلعب

-
- ١ الحيوان (١٤٥/٦) ، (هارون) .
 - ٢ الحيوان (١٤٥/٦) وما بعدها ، (هارون) .
 - ٣ الحيوان (١٤٦/٦) ، (هارون) .
 - ٤ زاد المعاد (٤١/١) .
 - ٥ تاج العروس (١٤/٦) ، (روغ) .
 - ٦ تاج العروس (٢١٩/٩) ، (ركن) .
 - ٧ اللسان (٢٦٣/١٣) ، تاج العروس (٢٦٧/٩) ، (طين) .
 - ٨ اللسان (٤١٦/٤) ، تاج العروس (٣٠٥/٣) ، (شعر) .

بها . وفي حديث عائشة : كنت ألعب مع الجوارى بالبينات^١ . و (الدحندح) لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها ، فن أخطأها قام على رجل وحجل سبع مرات^٢ . ومن ألعاب الغلمان (الحكمة) ، وهي لعبة لهم يأخذون عظماً فيحكونه حتى يبيض ثم يرمونه بعيداً فن أخذه فهو الغالب^٣ . واللعبة التمثال يلعب به الصبيان . و (الملعبة) ثوب بلا كم يلعب فيه الصبي^٤ .

وعرفت ألعاب الشدة والقوة عند الجاهليين . ومن هذه لعبة (الربيع) ، وهي رفع الحجر باليد وشيله امتحاناً للقوة . وفي الحديث انه مرّ بقوم يربعون حجراً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا الاشداء^٥ .

القمار :

و (القمار) من الألعاب المتفشية كثيراً بين الجاهليين ، ولم يكن الباعث عليه التسلية واللهو في الغالب ، وإنما كان طمعاً في الربح . ويسمى (الميسر) في العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وقد أشير اليه في الشعر الجاهلي . وقد حرمه الاسلام ، ونزل الأمر بالنهي عنه في القرآن الكريم . ويذكر أهل الأخبار أن أول من حرّم القمار في الجاهلية (الأقرع بن حابس التميمي) ، ثم جاء الاسلام بتقريره^٦ .

وذكر أن كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز . وعرف الميسر : انه القمار بالقداح في كل شيء^٧ . وقامر الرجل راهنه^٨ . وذكر أن الياسرين : الذين يلون قسمة الجوز ، والميسر الجوز نفسه ، سُمّي ميسراً لأنه يجرأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة ، وهذا الأصل في الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح

-
- ١ تاج العروس (٤٨/١٠) ، (بنى) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٥/٢) ، (دح) .
 - ٣ تاج العروس (١٢٢/٧) ، (حك) .
 - ٤ تاج العروس (٤٧١/١) ، (لعب) .
 - ٥ تاج العروس (٣٣٨/٥) ، (ربع) .
 - ٦ صبح الاعشى (٤٣٥/١) .
 - ٧ اللسان (٢٩٨/٥) .
 - ٨ اللسان (١١٥/٥) .

والمقامرين على الجزور : الأيسار^١ . وذكر أن اشتقاق (الميسر) إما من اليسر لأنه أخذ مال الرجل ييسر وسهولة من غير كدٍ ولا تعب ، أو من اليسار لأنه سلب يساره^٢ .

وقد ألّف بعض العلماء كتباً في الميسر، منها كتاب ألفه (ابن قتيبة الدينوري) وكتاب ألفه (الزبيدي) دعاه (نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقдах)^٣ .

وآراء العلماء متباينة في الميسر وفي المراد منه ، وفي طريقته . ويظهر أن قسماً ممن كان يلعب الميسر لم يكن يلعبه ابتغاء الكسب ، وإنما كان يلعبه للتسلية والترفيه عن الآخرين ، وذلك باعطائه ما يكسبه للمحتاجين والفقراء ، ولذلك افتخروا بعملهم هذا وعدّوه مفخرة من مفاخر العرب ، لأنهم كانوا يفعلونه في أيام الشدة وعدم اللبن وأيام الشتاء^٤ . فيعطون اللحم للمحتاج اليه ، إذ عيب من كان يأخذ لنفسه ، وعدّوه عاراً^٥ . وقد افتخروا به في شعرهم^٦ ، وملحوا من يأخذ القдах وعابت من لا ييسر ودعته (البرم)^٧ ، وذلك لبعظه وظنه بماله من أن يذهب إلى غيره ، مع أن الناس في حاجة شديدة اليه .

وللعب الموسرين الأيسار في الشتاء لمساعدة ذوي الحاجة ، أشار طرفة في شعره إذ قال :

وهم أيسار لقمان إذا أغلت الشتوة أبداء الجزور^٨

وأما القسم الآخر ممن كان ييسر ، فكان ينبغي الكسب والمال ، لذلك كان يقامر بكل ما يملك في سبيل الحصول على المال للمياسرة . روي عن (ابن عباس) أنه (كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله) في سبيل

-
- ١ اللسان (٢٩٨/٥) وما بعدها .
 - ٢ بلوغ الارب (٥٣/٣) .
 - ٣ بلوغ الارب (٦٤/٣) ، تاج العروس (١/ج١) (الكويت) .
 - ٤ بلوغ الارب (٥٤/٣) وما بعدها .
 - ٥ بلوغ الارب (٦٠/٣) .
 - ٦ بلوغ الارب (٥٧/٣) .
 - ٧ بلوغ الارب (٦٥/٣) .
 - ٨ اللسان (٢٩٨/٥) ، بلوغ الارب (٦٠/٣) .

المياسرة^١ . وكان يلجأ إلى الغش والخداع والسرقة واضاعة العيال ، ولأضراره هذه حرمة الاسلام^٢ .

وقد يسرون على الأسرى ، فقد وقع (سحيم بن وثيل اليربوعي) في سباء ، فضرب عليه بالسهم ، فقال في ذلك :

أقول لهم بالشعب إذ يسروني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم^٣

وصفة الميسر : أن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم ، فيفصلونها على عشرة أجزاء يؤتى بالخرصة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحماً عندهم قط بثمان ، ويؤتى بالقдах وهو أحد عشر قدحاً ، سبعة منها لها حظ إن فازت ، وعلى أهلها غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظ إن فازت ، وأربعة ينقل بها القдах ، لا حظ لها إن فازت ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها الفذ في صدره حز واحد ، فإن خرج أخذ نصيباً ، وإن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب ، ثم التوام ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين إن خاب ، ثم الضريب ، وله ثلاثة أنصباء ، ثم المجلس وله أربعة ، ثم النافيس وله خمسة ، ثم المسبل ، وله ستة ، ثم المعلتي وله سبعة . والمسبل يسمى : المصفح ، والضريب يقال له : الرقيب .

وأما الأربعة التي يفصل بها القдах ، فهي : السفيح ، والمنيح ، والمضعف ، والوغد .

وقيل : إن للمنيح موضعين : أحدهما لا حظ له ، والثاني له حظ ؛ فكأنه الذي يمنح الحظ ، واستدلوا على ذلك بقول عمرو بن قبيصة :

بأيديهم مقرومة ومغالق يعود بأرزاق العيال منيحها^٤

فيؤتى بالقдах كلها وقد عرف كل ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار إلا

-
- ١ بلوغ الارب (٥٣/٣) وما بعدها .
 - ٢ بلوغ الارب (٦٥/٣) ، اللسان (٣٠٠/٥) ، اليعقوبي (٣٠٠/١) (طبعة هوتسما) .
 - ٣ اللسان (٢٩٨/٥) ، بلوغ الارب (٥٤/٣) .
 - ٤ نهاية الارب (١١٧/٣) وما بعدها .

سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن تقصوا رجلاً أو رجلين ، فأحب الباقون ان يأخذوا ما فضل من القداح ، فيأخذ الرجل القدح والقدحين فيأخذ فوزهما إن فازا ، ويغرم عنها إن خابا ويدعى ذلك ، التميم . قال النابغة :

اني أتمم أيساري وأمنعهم من الأيادي واكسوا الجفنة الأدما

فيعمدون إلى القداح ، فتشد مجموعة في قطعة جلد ، ثم يعمدون إلى الخريضة فيلف على يده اليمنى ثوباً لثلاً يجد مس قدح له في صاحبه هوى ، فيحاييه في اخراجه ، ثم يؤتى بثوب أبيض يدعى المجول ، فيسط بين يدي الخريضة ، ثم يقوم على رأسه رجل يدعى الرقيب ، ويدفع ربابة^١ القداح إلى الخريضة وهو محوّل الوجه عنها ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكسر القداح بشماله ، فإذا نهد منها قدح تناوله فدفعه إلى الرقيب فإن كان مما لا حظ له ردّه إلى الربابة ، فإن خرج بعده المسبل ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما نحروا عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئاً ، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحل للخائنين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئاً ، فإن فاز قدح للرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خطار فعلوا ذلك به^٢ .

و (الخريضة) ، الذي يضرب للأيسار بالقداح لا يكون إلا ساقطاً ، يدعونه بذلك لردّائه ، وعرف انه من المقامرین ، ومن شأنه المعروف له انه الرجل الذي لا يشتري اللحم ولا يأكله بشمن إلا أن يجده عند غيره أو يهدي له الأيسار^٣ . ويظهر من هذا الوصف ومن أوصاف أهل الأخبار له ، ومن قول للطرماح في وصف حمار ، فتعرض بهذه المناسبة لذكر الخريضة :

ويظلّ المليء يوفى على القرّ ن عنوباً كالخريضة المستفاض^٤

١ الربابة : ما يجمع فيها القداح .

٢ نهاية الارب (١١٨/٣) وما بعدها .

٣ اللسان (١٣٦/٧) ، بلوغ الارب (٦١/٣) ، صبح الاعشى (٤٠٠/١) وما بعدها .

٤ اللسان (١٣٥/٧) .

ان الناس كانوا ينظرون إلى (الحرضة) نظرة استصغار وازدراء ويعرف أيضاً بـ (الضريب) .

ويسمى (الرقيب) (رابىء الضرباء) يقعد خلف ضارب قداح الميسر يرتبي لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه ، ثم يجلس الأيسار حوله دائرين به . ثم يفيض الضريب بالقداح ، فإذا نشز منها قدح استسله الحرضة من غير أن ينظر اليه ، ثم ناوله الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعه إلى صاحبه ، فيأخذ من أجزاء الجزور على قدر نصيب القدح منها وذلك هو الفوز . فإن شاء بعد ذلك أمسك ، وإن شاء أعاد السهم على (خطار) آخر ، وهو سبق يراهن عليه ، وهو ما يوضع بين أهل السباق . وإعادة السهم تسمى الثانية^١ . وقد وصفت (القداح) بأنها عيدان من نبع ، قد نحتت وملست وجعلت سواء في الطول . وهي عشرة من رواية أخرى غير الرواية المقدمة . هي : الفذ والتوأم والرقيب والجلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد . وللأول سهم إن فاز ، وفوزه خروجه وعليه عزم سهم إن خاب ، وكذلك باقيها على الترتيب فيما له وعليه إلى المعلى ، وهو السابع ، وله سبعة وعليه سبعة يفرض في كل سهم منها بحسب ماله ، وعليه حز وتكثر هذه السهام بثلاثة آخر أغفال ليس فيها خروز ولا لها علامات ليكون ذلك أنقى للثمة وأبعد من المحاباة . وهي : المنيح والسفيح والوغد، وتسمى القداح مغالق ، لأنها تغلق الرهن إذا ضربوا بها^٢ . وإذا حضرت القداح وحضر الأيسار أخذ كل منهم من القداح على قدره وطاقته ورياسته ، فمنهم من لا يبلغ حاله أكثر من الفذ فأخذه له ، فإن خاب غرم سهماً ، وإن فاز أخذ سهماً ، ومنهم من يأخذ المعلى ولا يبالي بالغرم إن خاب وينال النصيب الأوفر إن فاز . ومنهم من يأخذ المعلى وسهماً إن لم يحضر من يتمم السهام ، فيأخذ ما فضل من القداح ، ويقول للأيسار قد تمتكم^٣ . ويقع الغرم أي ثمن الجزور على من لم يخرج سهمه وهم أربعة : أصحاب الرقيب والجلس والنافس والمسبل . ولجملة هذه القداح ثمانية عشر سهماً ، فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً . ويلزم كل صاحب قدح من هذه القداح مثل ما كان

-
- ١ بلوغ الأرب (٦١/٣) وما بعدها .
 - ٢ بلوغ الأرب (٥٨/٣) وما بعدها .
 - ٣ بلوغ الأرب (٥٩/٣) .

نصيبه من اللحم لو فاز قلدحه ، فإن لم يخرج القذ ولا التوأم وخرج الرقيب أخذ صاحبه ثلاثة أجزاء ، ثم ضربوا ثانية فخرج المولى ، أخذ صاحبه السبعة الأجزاء الباقية ، وهي تنمة الجزور ، وكانت الغرامة على من لم يخرج قلدحه ، وهم أصحاب القداح الخمسة التي خابت . وقد ينحرون جزوراً آخر لأن في القداح التي خابت نصيباً يزيد على نصيب ما بقي من اللحم . وإن فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لأهل الوبد من العشيرة ، وهم أهل الضعف وسوء الحال^١ .

الأسفار :

ومن أيام الفرح والسرور عندهم يوم العودة من السفر ومن حقهم أن يفرحوا به . فقد كان السفر شاقاً خطراً في تلك الأيام ، ولا سيما إذا طال . فقد يتعرض المسافر فيه للهلاك والموت جوعاً أو عطشاً ، عدا ما يتعرض له من السلب والنهب . لذلك كانوا يحاولون جهدهم أن يسافروا جماعة وقوافل يتعاونون ويشد بعضهم أزر بعض . وكانوا إذا عادوا فرح أهلهم بعودتهم سالمين ، وتلقوهم بالبشر والتهنئة ، وذبحوا الذبائح ووزعوا لحومها بين الأصدقاء والفقراء ، وأولموا الولائم للمهتسين والجيران . وكان أول ما يفعله المسافر إلى مكة عند عودته إلى مدينته الذهاب إلى (البيت) للطواف به ولشكر رب البيت على حمايته له واغداقه نعمته عليه بالعودة سالماً .

وقد عثر السياح والمقربون عن الآثار في جزيرة العرب على كتابات جاهلية توصل فيها أصحابها إلى آلهتهم لترعاهم في سفرهم ، وتحفظهم من لصوص الدارق ومن كل شرّ وسوء . وقد تعهدوا فيها بتقديم نذور لمعابدها بعد عودتهم سالمين غانمين . كما عثر على كتابات فيها حمد وشكر لتلك الآلهة لأنها أجابت دعوة أصحاب الكتابات ، فحمتهم ورحمتهم في سفرهم ويسرت لهم العودة سالمين .

وكانوا إذا أرادوا السفر عمدوا إلى فعل الجاهلية في زجر الطير والاستقسام بالأزلام لاختيار الطالع ، فإذا خرج سهم (الأمر) فسروه بالأمر بالسفر ، وإذا

١ بلوغ العرب (٦٢/٣ وما بعدها) .

خرج (النهي) (الناهي) ، انتهوا عنه^١ .

وكانوا إذا خرجوا الى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ، ولم يوقدوا بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع اليه^٢ .

وللمهثئين بسلامة العودة ، تعابير خاصة يقولونها للمسافرين حين السفر وحين العودة . وفي جملة ما كانوا يقولونه للإياب من السفر : (سفر رجيع) . وسفر رجيع : مرجوع فيه مراراً^٣ .

ومن مناسبات الفرح والسرور ، الإبلال من مرض والشفاء منه . فالشفاء من المرض عودة الى الحياة وولادة من جديد ، وعمر يضاف الى عمر المريض . لذلك كان المرضى يتوسلون الى آلهتهم أن تمنّ عليهم بالصحة والشفاء والعافية مما ابتلوا به ، ويعدهون بتقديم نذر إن أعادت اليهم صحتهم وعافيتهم . وقد حصل المتقبون على ألواح كثيرة كتب فيها شكر وحمد وثناء على الآلهة لأنها أجابت دعوة صاحب الكتابة ، فعافته من مرضه ، ومنّت عليه بالصحة والعافية ، وأبرأته مما أصيب به من أمراض أو جروح في معارك ، فهو يوفي بوغده لها ويقدم لها نذره ويحمدها على نعمها عليه . وقد يولون وليمة يقولون لها (البلة) ، و (البلة) العافية من المرض^٤ .

ويعود أهل الجاهلية مرضاهم ، الإعراب لهم عن تمنياتهم لهم بالشفاء العاجل والابلال من المرض ، كما يعودونهم بعد الشفاء لتهنئتهم على عودة الصحة اليهم ، وشفاؤهم مما ابتلوا به من مرض . ويقع (العود) من الرجال والنساء^٥ . ويقال لمن حسنت حاله بعد الهزال ، ولمن شفي من مرض (يلّ الرجل) ، من مرضه و (يلّ من مرضه) ، و (أبلّ)^٦ .

١ ابن قيم الجوزية ، كتاب الهدى النبوي (٣١/٢) ، (في هديه صلى الله عليه وسلم في اذكار السفر وآدابه) .

٢ بلوغ الارب (٣٢٤/٢) .

٣ تاج العروس (٣٥١/٥) ، (رجع) .

٤ تاج العروس (٢٣٣/٧) ، (بلل) .

٥ تاج العروس (٤٣٦/٢) ، (عود) .

٦ تاج العروس (٢٣٣/٧) ، (بلل) .

مواسم الربيع :

والربيع مكانة خاصة في نفوس العرب ، حتى صار في مترلة العيد عندهم . ففيه يطيب الجو ، ويرق الهواء ، وتكسى الأرض بأكسية خضراء ويبسط منمقة مزركشة ، تسحر مناظرها الألباب ، تسير عليها الإبل بفخر وإعجاب ، تقضم ما تجده فوقها من طعام . فتشبع وتسمن بعد فقر وجوع وضنك . وفيه يكثر مال العرب ، ومال العرب لإبلهم ، وتكثر مواشي الحضر ، من غنم وبقر . وتكون سنة الربيع للعربي سنة يمن وبركة . وسنة انحباس الغيث وانقطاع المطر ، سنة يؤس وشقاء .

ولا يفرح العربي بشيء فرحه بالغيث ويظهر الربيع ، أي موسم اخضرار الأرض واكتسائها ببساط سندسي يبهز العين ويؤثر في النفس فيجعلها فرحة مستبشرة ، فيخرج السادات إلى المرباع ، يتلذذون هناك بمنظر الربيع وبرؤية أموالهم وهي فرحة مستبشرة ترعى فيه ، فيزيد بذلك مالهم ويكثر لبن نوقهم وتنشط لإبلهم في انجاب الولد . ويتوجه سادات القبائل إلى المرباع الجيدة ، التي يوجد فيها الربيع ، وليس في بلاد العرب مربع كالدهناء^١ . ويترك الملوك قصورهم على ما فيها من وسائل الراحة ، للنهاب إلى البادية ، للاستمتاع بما خلقتة الطبيعة هناك ، وبما أوجدته من صنعة متقنة وفن عجيب لا يضاهى . ييقون هناك أياماً وأسابيع ، يجددون فيها عهدهم بالبوادي وبما فيها من هواء صحيح سليم ، يعطي الجسم نشاطاً ، ويبعث فيه (اكسير) الحياة .

البغاء :

البغاء الفجور . و (البغي^٢) الأمة فاجرة كانت أو غير فاجرة ، والجمع البغايا . والزنا هو الفجور ، وهو عيب كبير عند العرب ، فلا تقر به الحرة . أما الرجال ، فلا يرونه عيباً ، بل قد يتجسس بعضهم به ، لأنه من أمارات الرجولة . وقد كانوا يذهبون اليهن ويتصلون بهن في مقابل أجر ، وكن من الإماء ،

١ تاج العروس (٢٠٥/٩) ، (دهن) .

لأن المرء في الحياة لبطنه وفرجه . ومنه المثل : « المرء يسعى لغاريته » أي يكسب لبطنه وفرجه^١ .

وعرفت (البغي) ب (القحبة) . قيل لها قحبة لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها ، وهو سعالها^٢ . فقد كان من عادة (قحبة) الجاهلية أن تسعل أو تتنحج ، تراود بذلك عن نفسها ، وتشعر الرجل أنها حاضرة للفجور إن أراد ذلك ، فيفتق معها .

و (المسافحة) ، المزانة لأن الماء يصب ضائعاً . و (السفاح) أن تقسم امرأة مع رجل على الفجور من غير تزويج صحيح ، وفي الحديث : « أوله سفاح وآخره نكاح » . وهي المرأة تسافح رجلاً مدة فيكون بينها اجتماع على فجور ، ثم يتزوجها بعد ذلك . وكان أهل الجاهلية إذا خطب الرجل المرأة قال : أنكحيني ، فإذا أراد الزنا ، قال : سافحيني^٣ .

ويقال للزنا : الفاحشة ، والفاحشة الزانية وكل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي وكل ما نهى عنه ، وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال^٤ . فاللفظة عامة تتناول الفحش الذي هو الزنا كما تتناول غيره من الأعمال والخصال القبيحة . ويقال للبغي وللأمة (تزني) . ويقال لابنها (ابن تزني) و (ابن درزة)^٥ .

ولما نزلت الآية : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف ، فبائعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم »^٦ ، وفرغ رسول الله من بيعه الرجال بمكة واجتمع إليه نساء من قريش فيهن : (هند بنت عتبة) وأخذن يبائعن الرسول ، فلما وصل إلى قوله تعالى : (ولا يزنين) ، فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة^٧ ؟

-
- ١ تاج العروس (١٧٧/١٠) ، (سعى) .
 - ٢ تاج العروس (٤٢١/١) ، (قحب) .
 - ٣ تاج العروس (١٦٤/٢) ، (سفح) ، تفسير الطبري (١٤/٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣١/٤) ، (فحش) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٣/٩) ، (ترن) .
 - ٦ سورة الممتحنة ، الآية ١٢ .
 - ٧ تاريخ الطبري (٦٢/٣) ، (فتح مكة) ، تفسير الطبري (٥٠/٢٨) .

وفي القرآن الكريم آيات ذكرت الزنا في الجاهلية ، من ذلك آية سورة النور :
 « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك » ،
 وحرّم ذلك على المؤمنين ^١ . قال المفسرون : قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم
 فقراء ليست لهم أموال ، وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن ، وهن
 يومئذ أخصب أهل المدينة ، فرغب في كسبهن ناس من فقراء المهاجرين ، فقالوا :
 لو إنا تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى أن يغنيننا الله تعالى عنهن . فاستأذنوا النبي
 صلى الله عليه وسلم ، في ذلك ، فنزلت هذه الآية وحرّم فيها نكاح الزانية صيانة
 للمؤمنين عن ذلك . وقال عكرمة : نزلت الآية في نساء بغايا متعالمات بمكة
 والمدينة ، وكن كثيرات ، ومنهن تسع صواحب رايات ، لهن رايات كرايات
 البيطار يعرفونها : أم مهدون (أم مهزول) جارية السائب بن أبي السائب
 المخزومي ، و (أم غليظ) (أم غليظ) جارية صفوان بن أمية ، و (حبة
 القبطية) (حنة القبطية) جارية العاص بن وائل ، و (مرية) جارية مالك بن
 عميلة (عملة) بن السباق بن عبد الدار ، و (حلالة) (جلالة) جارية
 سهيل بن عمرو ، و (أم سويد) جارية عمرو بن عثمان المخزومي ، و (شريفة)
 (سريفة) جارية زمعة بن الأسود ، و (قرينة) (قرسة) جارية هشام بن
 ربيعة بن حبيب بن حليفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي ، و (فرثا)
 (قريبا) جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر . وكانت
 بيوتهن تسمى في الجاهلية (المواخير) لا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زان من
 أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ليتخذوهن
 مأكلة ، فأنزل الله تعالى ، هذه الآية ، ونهى المؤمنين عن ذلك ، وحرّمه
 عليهم ^٢ .

وورد أن امرأة يقال لها أم مهدون (أم مهزول) كانت تسافح وكانت
 تشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة . وأن رجلاً من المسلمين أراد أن يتزوجها ،
 فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « الزانية لا ينكحها
 إلا زان » ^٣ . وكان لمرثد صديقة في الجاهلية ، يقال لها عناق ، وكان مرثد

١ سورة النور ، الآية ٣ .

٢ أسباب النزول (٢٣٦ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٨ / ٥٥ وما بعدها) .

٣ أسباب النزول (٢٣٦) .

رجلاً شديداً ، وكان يقال له : دلدل ، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلقي صديقه ، فدعته إلى نفسها ، فقال : إن الله قد حرم الزنا ، فقالت : اني تبرز . فخشى أن تشيع عليه ، فرجع الى المدينة فأتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية ، فهل ترى لي نكاحها ؟ قال : فأنزل الله : « الزانية لا ينكحها إلا زان ... »^١ . وذكر أنهم كنّ بغايا متعاملات كنّ في الجاهلية ، بغى آل فلان وبغى آل فلان ، فأنزل الله : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين » فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام^٢ . وورد : كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها ، يتخذها مأكلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة ، فنهوا عن ذلك^٣ .

وفي القرآن الكريم : « ولا تُكْرِهوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ، إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ، لَتَبْتَغُوا عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ »^٤ . قال المفسرون : نزلت في معاذة ومسيكة جاريي عبد الله بن أبي المنافق ، كان يكرهها على الزنا لضريبة يأخذها منها . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم . فلما جاء الإسلام ، قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين ، فإن يك خيراً فقد استكثرتنا منه ، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مقاتل : نزلت في ست جوارٍ لعبد الله بن أبي كان يكرههن على الزنا ويأخذ أجورهن ، وهن : معاذة ، ومسيكة ، وأميمة ، وعمرة ، وأروى ، وقتيلة ، فجاءت إحداهن ذات يوم بدينار ، وجاءت أخرى بدونه ، فقال لهما : إرجعا فازنيا . فقالتا : والله لا نفعل ، قد جاءنا الله بالإسلام وحرم الزنا . فأتيا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وشكتا اليه . فأنزل الله تعالى هذه الآية^٥ . وذكر أن رجلاً من قريش

١ تفسير الطبري (٥٦/١٨) .

٢ تفسير الطبري (٥٧/١٨) ، ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد (٧/٤) .

٣ تفسير الطبري (٥٨/١٨) .

سورة النور ، الآية ٢٣ .

٤ أسباب النزول (٢٤٥ وما بعدها) ، (مصر ١٣١ هـ) ، تفسير الطبري (١٨/١٠٣)

وما بعدها) .

أو بين البنت الحرة والرجل العزب أو الذي لم يتزوج ، أي الزنا مع غير الإماماء . أما الزنا مع الإماماء ، فلم يكن الجاهليون يعيبون الإنسان عليه كما بينت ذلك . ويظهر من بعض الأخبار الواردة عن الزنا أن من الجاهليين من كان يأخذ الفدية عنه . فقد روي أن رجلاً من الأعراب قام فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله واثلث لي . فقال رسول الله : قل : قال : إن ابني كان عسيفاً على هذا (وأشار الى أعرابي كان جالساً الى جانبه) فزني بامرأته فافتديت منه بمئة شاة وخادم ثم سألت رجلاً من أهل العلم ، فأخبروني أن على ابني جلد مئة وتغريب عام ، وعلى امرأته الرجم لإحصانها . فقال النبي : والذي نفسي بيده لأفصين بينكما بكتاب الله جلّ ذكره : المئة شاة والخادم ردّ عليك ، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام . وأغدُ يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها . فعنّا عليها فاعترفت فرجمها^١ . وقد كان هذا الحادث بعد نزول الأمر بالرجم . فيظهر منه أن من جملة عقوبات الزنا عند الجاهليين كان أخذ فدية ، أو أخذ فدية وتغريب .

واختلاف وجهة نظر الجاهليين الى الزنا ، هو بسبب اختلاف عاداتهم وعرفهم وتعدد قبائلهم ، وعدم وجود دين واحد لهم يخضعون جميعاً لحكمه . فلما جاء الاسلام وجعل الزنا من المحرمات ، تغير حكمهم عليه ، وصار شرعهم في ذلك هو شرع الاسلام .

و (المواخير) ، بيوت أهل الفسق ومجالس الخمارين ، ومواضع الريبة . والمناخور : بيت الريبة ومن يسلي ذلك البيت ويقود اليه^٢ . واللفظة من الألفاظ المعربة . يرى بعض علماء اللغة أنها معربة عن أصل فارسي (مبخور) (ميخور) ، أي شارب الخمر ، وذهب بعض آخر الى أنها من أصل عربي^٣ . ولكن الصحيح أنها فارسية معربة . وقد كانت المواخير في الجاهلية موجودة في القرى والمدن وعلى طرق التجارة . حيث يأوي التجار وأصحاب الأسفار للراحة ، فيجدون أمامهم تلك المواخير . ذكر عن (ابن عباس) في تفسير قوله تعالى : « الزاني

١ ارشاد الساري (١٧/١٠) .

٢ اللسان (١٦١/٥) ، تاج العروس (٥٣٤/٣) ، (منخر) .

٣ اللسان (١٦١/٥) ، تاج العروس (٥٣٤/٣) ، غرائب اللغة (٢٤٥) .

لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ^١ أنه قال : « كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن » ، وكانت بيوتاً معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتينهن إلا زان ^٢ .

وكان من الرجال من يتهم أزواجه بالزنا ويرميهن بالفاحشة ، لأسباب عديدة، منها الرغبة في التخلص منهن أو انتقاماً من أهلن أو عضلاً لهن ، فلا يتزوجن ويحبسن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ، وقد حدثت مثل هذه الحوادث في الإسلام ، فترل الحكم فيها في القرآن الكريم ^٣ .

صواحب الرايات :

وهن البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فن أرادهن دخل عليهن ، وتفاوض معهن على أجورهن في مقابل دخوله بهن ^٤ . وذكر أن تلك الرايات كانت رايات حمراء ^٥ . وروي انه (كان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها . فأذهب الاسلام ذلك ، وأسقطه فيما أسقط) ^٦ . وقد وجد بعض الناس صعوبة في تقبل حكم الاسلام في تحريم الزنا والخمر . (وفي حديث عليّ كرم الله وجهه ، لما طلب اليه أهل الطائف أن يكتب لهم الأمان على تحليل الزنا والخمر ، فامتنع ، قاموا ولهم تَعَدُّ مَرٌّ وَبَرَّةٌ) ^٧ ، من شدة غضبهم ونفورهم من هذا التحريم .

وأما اليهود ، فقد ساروا على وفق ما جاء في التوراة في أمر الزنا . وهو من الخطايا المنهي عنها في الوصية السابعة من الوصايا العشر . ويقاص الرجل الذي يضاجع امرأة غيره بالموت ، وتعاقب المرأة بالعقوبة نفسها ^٨ . وإذا ضاجع رجل

١ النور ، الآية ٤ .

٢ تفسير الطبري (٥٧/١٨) .

٣ النساء ، الآية ١٥ ، تفسير الطبري (١٩٧/٤) .

٤ تفسير الطبري (١٨ ، ٥٧ وما بعدها ، ١٠٣ وما بعدها) .

٥ تفسير المنار (٢٢/٥) .

٦ المحبر (٣٤٠) .

٧ تاج العروس (٣٨/٣) ، (بر) ، اللسان (٥٦/٤) ، (بر) .

٨ اللاويون ، الاصحاح ٢٠ الآية ١٠ ، تننية ، الاصحاح ١١ ، الآية ٢٢ .

لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين^١ أنه قال : « كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، وكانوا يؤجرون فيها فتياتهن^٢ ، وكانت بيوتاً معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زان^٣ . »

وكان من الرجال من يتهم أزواجه بالزنا ويرميهن بالفاحشة ، لأسباب عديدة ، منها الرغبة في التخلص منهن أو انتقاماً من أهلهن أو عضلاً لهن ، فلا يتزوجن وينسبن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ، وقد حدثت مثل هذه الحوادث في الاسلام ، فترل الحكم فيها في القرآن الكريم^٤ .

صواحب الرايات :

وهن البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، وتفاوض معهن على أجورهن في مقابل دخوله بهن^٥ . وذكر أن تلك الرايات كانت رايات حمراء^٦ . وروي انه (كان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها . فأذهب الاسلام ذلك ، وأسقطه فيما أسقط^٧) . وقد وجد بعض الناس صعوبة في تقبل حكم الاسلام في تحريم الزنا والخمر . (وفي حديث عليّ كرم الله وجهه ، لما طلب اليه أهل الطائف أن يكتب لهم الأمان على تحليل الزنا والخمر ، فامتنع ، قاموا ولطم تغلثم^٨ وبربرة^٩) ، من شدة غضبهم ونفورهم من هذا التحريم .

وأما اليهود ، فقد ساروا على وفق ما جاء في التوراة في أمر الزنا . وهو من الخطايا المنهي عنها في الوصية السابعة من الوصايا العشر . ويقاص الرجل الذي يضاجع امرأة غيره بالموت ، وتعاقب المرأة بالعقوبة نفسها^{١٠} . وإذا ضاجع رجل

-
- ١ النور ، الآية ٤ .
 - ٢ تفسير الطبري (٥٧/١٨) .
 - ٣ النساء ، الآية ١٥ ، تفسير الطبري (١٩٧/٤) .
 - ٤ تفسير الطبري (١٨ ، ٥٧ وما بعدها ، ١٠٣ وما بعدها) .
 - ٥ تفسير المنار (٢٢/٥) .
 - ٦ المعبر (٣٤٠) .
 - ٧ تاج العروس (٣٨/٣) ، (بر) ، اللسان (٥٦/٤) ، (بر) .
 - ٨ اللاويون ، الاصحاح ٢٠ الآية ١٠ ، تننية ، الاصحاح ١١ ، الآية ٢٢ .

ابنة مخطوبة ولم تصرخ الابنة رجم الاثنان ، وإذا صرخت رجم هو فقط^١ . وإذا ضاجع رجل ابنة حرة غير مخطوبة ، فوجدا ، لزم عليه اعطاء والدها خمسين شاقلاً من الفضة ، ويلتزم أن يأخذها له امرأة^٢ . وإذا كانت الابنة غير حرة ، كان يقدم الرجل مقدمة حظيته^٣ . وقد نُصَّ في سفر (العدد) على طريقة إظهار زنا المرأة المتهمة ومعاقبها^٤ .

ويظهر من كتب السير والحديث أن يهود المدينة في أيام الرسول ، كانوا قد تساهلوا في تطبيق أحكام التوراة بشأن الزنا، وابتدعوا طرقاً أخرى غير طرق العرف والعادة . فقد روي انه أتى رسول الله بيهودي ويهودية ، وقد أحدثا جميعاً ، أي زنيا . فقال رسول الله لليهود : ما تجدون في كتابكم ؟ قالوا : إن أجبنا أحدثوا تميم الوجه والتجبية . أي الإركاب معكوساً ، وقيل أن يحمل الزانيان على حمار مخالفاً بين وجهيهما . قال عبدالله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتى بها ، وقرأ موضع الرجم ، فرجما^٥ .

وعرفت (القيادة) عند الجاهليين . قالت « عائشة رضي الله عنها : ليست الواصلة بالتي تعنون ، وما بأس^٦ إذا كانت المرأة زعراء أن تصل شعرها ، ولكن الواصلة أن تكون بغياً في شبيبته ، فإذا أسنت وصلته بالقيادة^٧ » . والقوادة هي التي تجلب البغايا للرجال ، وأما القواد ، فالذي يقوم بالقيادة . و (التسديث) القيادة . و (الديوث) القواد على أهله والذي لا يغار على أهله . وقيل الديوث والديوب الذي يدخل الرجال على حرمة بحيث يراهم ، كأنه لين نفسه على ذلك . وقيل هو الذي تؤتى أهله وهو يعلم^٨ .

-
- ١ التثنية ، ٢٢ الآية ٢٣ وما بعدها .
 - ٢ التثنية ، ٢٢ ، الآية ٢٨ وما بعدها .
 - ٣ اللاويون ، ١٩ ، الآية ٢٠ وما بعدها .
 - ٤ العدد ، الاصحاح ٥ ، الآية ١١ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١ / ٥٢٠) .
 - ٥ ارشاد الساري (١٠ / ١١ وما بعدها ، ٣٠) زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية (٣ / ٢٠٧ وما بعدها) .
 - ٦ عيون الاخبار ، للدينوري (٤ / ١٠٢) ، (باب القيادة) ، اللسان (١١ / ٧٢٧) ، (وصل) .
 - ٧ اللسان (٢ / ١٥٠) ، (ديث) ، تاج العروس (١ / ٦٢٢) ، (ديث) ، (٢ / ٤٧٨) (قود) .

وضرب المثل بـ (ظلمة) في القيادة . وكانت (صبيّة في الكتاب ، فكانت تضرب دويّ الصبيان وأقلامهم ، فلما شبت زنت ، فلما أسنّت قادت ، فلما قعدت اشترت تيساً تنزيه على العتر)^١ . وذكر أنها كانت فاجرة هذلية . فضرب بها المثل فقيلاً (أقود من ظلمة) و (أفجر من ظلمة)^٢ .

المخادنة :

وهناك نوع آخر من العلاقات يكون بين الرجل والمرأة بغير عقد ولا نكاح يكون الرجل خدناً للمرأة أي صديقاً لها ، وتكون هي خدنه له ، أي صديقة له^٣ ، ولذلك عبر عن هؤلاء النسوة المتخادئات بـ (ذوات الأخدان) و (متخذات أخدان) . جاء ذكر هذه المخادنة في الآية الكريمة : « فانكحوهن بإذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان »^٤ . أي أصدقاء على السفاح . وقد ذكر أن ذلك قيل كذلك ، لأن الزواني كنّ في الجاهلية المعلنات بالزنا والمتخذات الأخدان اللواتي قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور بها سرّاً دون إعلان بذلك . وقد ذكر أن متخذات الأخدان ذوات الخليل الواحد . قالوا : كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي ، يقولون : أما ما ظهر منه فهو لؤم ، وأما ما خفي فلا بأس بذلك . فأنزل الله تبارك وتعالى : (ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)^٥ . فذات الخدن ، المرأة ذات الخليل الواحد المستسرة به . وقد يقيم معها وتقيم معه وقد عد صداقة ومودة ، لذلك اختلفت وجهة نظر أهل الجاهلية إليه عن وجهة نظرهم إلى الزنا ، فلم يعدّوه من الزنا الشائن .

المضامدة :

والمضامدة قرينة من المخادنة . والضّمّد أن تخالّ المرأة ذات الزوج رجلاً

-
- ١ عيون الاخبار ، للدينوري (١٠٣/٤) .
 - ٢ الميداني ، الامثال (٦٠/٢) ، (بولاق) ، تاج العروس (٣٨٦/٨) ، (ظلم) .
 - ٣ تاج العروس (١٩٠/٩) (خدن) .
 - ٤ النساء ، الآية ٢٥ .
 - ٥ تفسير الطبري (١٣/٥) وما بعدها .
 - ٦ المصدر نفسه .

غير زوجها أو رجلين . والضهاد أن تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة في القحط لتأكل عند هذا وهذا لتشبع . و (الضمد) الحل^١ .

الشلوذ الجنسي :

والشلوذ الجنسي معروف عند الجاهليين أيضاً كما هو عند جميع الأمم منذ القدم ، وليس من المعقول استثناء الجاهليين من ذلك ، بدليل ورود النهي عنه والتحذير منه في القرآن الكريم وفي الحديث . ومن الشلوذ الجنسي ، الشلوذ المعروف ، وهو ذهاب الرجل مع الرجل ومزاولته عمل الجنس معه ، أو اتصال المرأة بالمرأة اتصالاً جنسياً ، أو اتیان الرجل المرأة من دبر ، كما كان الحال عند أهل مكة فقد ذكر أن منهم من كان يأتي النساء من أدبارهن ، وقد منع ذلك في الاسلام^٢ . وقد عرف إتيان المرأة في دبرها بـ (التحميص) . ويقال للتفخيز في الجماع (التحميص) أيضاً^٣ . وذكروا في تفسير الآية : (نساؤكم حرث لكم)^٤ : (انما كان هذا الحي من الأنصار ، وهم أهل وثن ، مع هذا الحي من يهود ، وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف ، وذلك أستر ما تكون المرأة ، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم ، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات . فلما قدم المهاجرون المدينة ، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه ، وقالت : انما كنا نؤتى على حرف ! فاصنع ذلك ، وإلا فاجتنبني ، حتى شرى أمرهما فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : فأتوا حرثكم أنى شئتم ، أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، يعني بذلك موضع الولد^٥ . وذكر أن

- ١ اللسان (٢٦٦/٢) ، (ضمد) ، تاج العروس (٤٠٦/٢) ، (ضمد) .
- ٢ تفسير الطبري (٢٣٠/٢) وما بعدها ، القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٩١/٣) ، في تفسير الآية ، (نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم) ، الآية ٢٢٣ من سورة البقرة .
- ٣ تاج العروس (٢٣/٥) ، (حمض) .
- ٤ سورة البقرة ، الآية ٢٢٣ .
- ٥ تفسير الطبري (٢٣٤/٢) ، القرطبي ، الجامع (٩٢/٣) وما بعدها ، تاج العروس (٦٦/١٠) .

أهل مكة كانوا يجبون النساء ، وكانت الأنصار لا تجبي وتنكر فعل ذلك ، وإنما يؤتين على جنوبهن . فوقع خلاف بين أهل مكة ممن تزوج من أهل المدينة وبين من تزوجوا في كيفية إتيانهم ، فنزلت الآية في شرح ذلك ، وأنه يكون على أي شكل كان ، ما دام في موضع الحرث . والإجباء : أن تكون المرأة منكبة على وجهها كهيئة السجود ، فيأتيها الرجل على هذه الهيئة . وذكر ان يهود يثرب ، كانت تقول : إذا نكح الرجل امرأته محبة جاء الولد أحول^١ .

وتستعمل لفظة (اللواط) للتعبير عن إتيان الذكران في أدبارهم^٢ وأرى أن هذا المعنى إنما وقع في الإسلام . أخذ مما جاء في القرآن الكريم عن عمل قوم لوط : (إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر)^٣ ، (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم تجهلون)^٤ . و (لوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون)^٥ ، فنسب فعل إتيان الرجال بعضهم بعضاً إلى قوم (لوط) ، واشتق الفعل من اسمه . ونرى ان الآيات قد استعملت : (لتأتون الرجال) ، للتعبير عن هذا الفعل . واستعمل المفسرون هذا التعبير وتعبير (المجامعة) للتعبير عنه . وقد استعمل الجاهليون (لاط) في معانٍ أخرى لا صلة لها بالمعنى المذكور . وفي ذلك دلالة واضحة على أن استعمال (اللواط) إنما وقع في الإسلام . والمأبون الذي تفعل به الفاحشة ، وهي الأبهة^٦ . ومن المجاز برقع لحيتته ، أي صار مأبوناً ، تزياً بزي من لبس البرقع ، ومنه قول الشاعر :

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل^٧

-
- ١ تاج العروس (٦٦/١٠) ، (جبي) .
 - ٢ تفسير الطبري (١/٢٠) .
 - ٣ العنكبوت ، الآية ٢٨ وما بعدها .
 - ٤ النمل ، الآية ٥٤ .
 - ٥ الاعراف الآية ٨٠ وما بعدها ، تفسير الطبري (١٦٤/٨) وما بعدها .
 - ٦ تاج العروس (١١٦/٩) ، (ابن) .
 - ٧ تاج العروس (٢٧٤/٥) ، (برقع) .

وذكر (ابن قيم الجوزية) أن هذا الفعل لم يكن معروفاً بين العرب ولم يرفع إلى الرسول في أيامه حادث به^١ .

وتعير (السحاق) و (المساحقة) و (امرأة سحاقة) من التعابير التي انتشرت في الإسلام وقال الأزهرى : ومساحقة النساء لفظة مولدة^٢ . ومن علماء اللغة من يرجع عهدها إلى الجاهلية ، ويجعلها من الألفاظ العربية الأصيلة . واللفظة عربية ولا شك ، ولكن استعمالها في المعنى المذكور مجازي ، وقول الأزهرى إنها مولدة غير صحيح .

وكان منهم من يضرب جاريته على ظهرها ثم يجمعها^٣ . كأنهم كانوا لا يشعرون بشهوة الجنس على ما يظهر إلاّ بعد ضرب الجارية ، ويعبرون عن ذلك بقولهم (صلق جاريته) ، ويعرف هذا بين الغربيين في العصر الحاضر بالسادية Sadism نسبة إلى (الكونت دي ساد) . كناية عن الابتهاج بالقسوة . وعن انحراف جنسي يتلذذ فيه المرء بإنزال أصناف العذاب بمحبوبه .

ومن الشذوذ أيضاً إتيان الحيوان . فقد ذكر أن (بني كليب) كانوا يرمون بإتيان الضأن ، وكذلك بنو الأعرج وسُلَيم . وأشجع تُرمى بإتيان المعز . ونجد ذلك واضحاً مذكوراً في شعر الشعراء كالنجاحشي والفرزدق^٤ . ورميت (بنودارم) بإتيان الأتن^٥ . وتعرض (الجاحظ) في أثناء حديثه عن زواج الانس بالجن لهذا الموضوع فقال : ونحن نجد الأعرابي والشاب الشبق ، ينيكان الناقة والبقرة والعنز والنعجة ، وأجناساً كثيرة ، فيفرغون نطفهم في أفواه أرحامها ، ولم نرَ ولا سمعنا على طول الدهر ، وكثرة هذا العمل الذي يكون من السفهاء ، القح منها

١ زاد المعاد (٢٠٩/٣) .

٢ تاج العروس (٣٧٨/٦) ، (سحق) .

٣ تاج العروس (٤١١/٦) ، (صلق) .

٤ الست كليباً وأمك نعجة لكم في سمان الضأن عار ومفخر

وقال النجاحشي :

ولو شتمتني من قريش قبيلة سوى ناقة المعزى سليم وأشجع

فخر السودان على البيضان ، من رسائل الجاحظ (١٨٩/١) .

٥ إذا أحببت أن تغلي أتاناً فدل الدارمي على شراها

يقبل ظهرها ويكاد لولا قحول الظهر يدنو من قفاها

وود الدارمي لو أن فاه إذا نال الحمارة نال فاه

فخر السودان ، من رسائل الجاحظ (١٨٩/١) .

شيء من هذه الأجناس، والأجناس على حالهم من لحم ودم، ومن النطف خلقوا^١.
ورميت (بنو فزارة) بإيتيان الإبل . رماها بذلك (بنو هلال بن عامر بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن) في ملاحاة كانت بين الحيين . والعادة
أن القبائل إذا تخاصمت رمت بعضها بعضاً بالتهمة ، وذلك في الجاهلية وفي الإسلام .
فلما رمى (بنو هلال) (بني فزارة) بأكل أير الحمار ، وإيتيان الإبل ، قالت
بنو فزارة : أليس منكم يا بني هلال من قرا في حوضه فسقى إبله ، فلما رويت
سلح فيه ومدره بخلاً أن يشرب من فضله^٢ .

الأتراح والأحزان :

وإذ كنت قد تحدثت عن الأفراح في حياة الانسان ، وما كان يفعله أهل
الجاهلية فيها ، فلا بد لي من التحدث هنا عن الأتراح والأحزان عندهم ، وما
كانوا يفعلونه عند نزول مصيبة بهم أو وقوع حادث مخزن مفرج لهم ، فأقول :
يلعب الحزن دوراً كبيراً في حياة الشرقيين ، بل نستطيع أن نقول إن الحزن
أظهر في حياتهم من الفرح ، وأن المبالغة في إظهاره عندهم هي من المظاهر البارزة
في مجتمعاتهم . وطالما يلجأ الحزين إلى المبالغة في حزنه ، ليظهر نفسه وكأنه كان
أكثر الناس تحملاً للمصائب والأهوال والنكبات ، وما قصة (أيوب) الواردة
في التوراة إلا نوعاً من هذا القصص : قصص الحزن وتحمل الصبر من شدة البلاء.

١ كتاب البغال ، من رسائل الجاحظ (٣٧١/٢) .
٢ قال الكميت بن ثعلبة :

نشدتك يا فزار وأنت شيخ	إذا خيرت تخطيء في الخيار
أصيحانية أدمت بسمن	أحب اليك أم أبر الحمار ؟
بلي أبر الحمار وخصيتاه	أحب الى فزارة من فزار
وفال سالم بن دارة :	
لا تأمن فزارياً خلوت به	على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنه ولا تأمن بوائقه	بعد الذي أمتك أير العير في النار
فقال الشاعر :	
لقد جللت خزيًا هلال بن عامر	بني عامر طرا بسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها	بني عامر أنتم شرار المعاشر
ناج العروس (٥٣٦/٣) ، (مدر) .	

وفقدان المال بعد ثراء وغنى وبجاه والعلل والأسقام التي تنزل بالإنسان ، والكوارث والموت وأمثال ذلك ، هي مما يثير الحزن والأشجان في النفس ، فتجعل الإنسان يحزن على ما أصابه ويظهر جزعه أو تحمّله للآلام أمام الناس ، وذلك بمختلف أساليب التعبير عن الحزن الذي نزل بالحزين .

والحزن : "هم" . وقيل : خلاف السرور . وقد فرّق بعضهم بين "هم" والحزن . وقال بعض علماء اللغة : الحزن : الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي ويزاده الفرح . وقد سمى رسول الله العام الذي ماتت فيه (خديجة) وعمّه (أبو طالب) (عام الحزن) ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، لما أصابه فيه من همّ وغم^١ .

وللعرب كما لغيرهم من الشعوب مصطلحات وتعابير خاصة ، يعبرون بها عن آلامهم وأحزانهم وما يجيش في صدورهم من أحزان . منها تعابير يستخدمها المحزون نفسه تعبيراً عن حزنه وآلامه الشديدة ، ومنها تعابير يستعملها المحزون في الرد على من يتفضل عليه بمواساته للتخفيف عن آلامه ، بأن يدعو لهم ويشكرهم على تكليف أنفسهم مشقة المجيء إليه لمواساته أو مشاركتهم له في حزنه . ومنها تعابير يقولها المؤاسون للشخص المحزون للتخفيف عن مصابه وللترجيع عنه وإظهار حزنهم له ومشاركتهم له في أحزانه .

كما أن لهم كما لغيرهم علامات وشعارات يظهرونها للناس لإشعارهم بأنهم مصابون بالآلام وأحزان ، ومجلول نكبات وكوارث بهم . وذلك مثل لبس ألبسة خاصة تكون شعاراً خاصاً بالحزن ، وذرّ الرماد أو التراب على الرأس أو تلطيخ الرأس والوجه بالطين ، وترك الشعر ينمو دون حلق ولا إجراء تعديل فيه أو ترك دهنه مدة معينة لإظهاراً للحزن على ميت ، وما إلى ذلك من علامات ، هي ضرورية ولازمة جداً ، بالنسبة للمحزون أو للمحزونين والمفجوعين ولأصدقائهم ، إذ أن إهمالها وتركها هو في نظرهم عيب ومنقصة على المفجوع وعلى أصدقائه وعلى آله على حدّ سواء . ثم هي تقاليد لا بد من مراعاتها والمحافظة عليها .

ومن ذلك أيضاً : النداء . وذلك بإعلان شخص عن المصيبة بصوت عال يسمع حتى يشاركه الناس مصيبته أو ليحصل منهم على ما يرجوه من مساعدة .

١ تاج العروس (٧٤/٩) ، (حزن) .

مثل واسوء صباحاه : في المصيبة التي تقع في آخر الليل وأول النهار . أو أن يعلن عن وفاة كبير وذلك بأن يتنادي بصوت عال في الأحياء وفي الأماكن العامة عن موت ذلك الكبير بعبارات مؤثرة وبصوت رخيم . ليكون ذلك معلوماً لأهل المكان ، فيتجمعون حول المفجوع ويشاطرونه حزنه ويشتركون في تشييع الجنازة . ويعبر عن الكوارث والآفات والمصائب بلفظة (لمت) ، في بعض اللهجات العربية الجنوبية ، كما في هذه الجملة : (كل لمت لمت) ، ومعناها من كل ملة أمت ، أو من كل نازلة نزلت^١ . وفي هذا المعنى أيضاً جملة : (بعد حدثت حدثت)^٢ أي بعد حادثة حدثت ، أو بعد الحادثة التي حدثت ، أو بعد الفاجعة التي حدثت .

ويقال لما يصيب الناس من عظيم نوب الدهر : (دواهي الدهر) . وإذا نزلت بشخص مصيبة قالوا : (دهنه داهية) ، وقد يقولون (داهية دهياء) على سبيل التوكيد والمبالغة . ويقول الشخص : دهيت . وتقول ما دهاك ؟ أي ما أصابك. وكل ما أصابك من منكر من وجه المأمن فقد دهاك دهيأ . والدهيأ : الداهية من شذائد الأمر .

أخو محافظة ، إذا نزلت به دهيأ داهية من الأزم^٣

والاصطلاح الشائع عن هلاك الإنسان وفقده الحياة هو (الموت)^٤ . وقد وردت هذه اللفظة في لهجات عربية أخرى ، مثل اللهجة الصفوية والحيانية^٥ وهناك ألفاظ أخرى تؤدي معنى الموت والهلاك . مثل الهلاك والمنايا والأحداث والحسام والأجل والختف والقدر والمنون والزمان والسأم والنحب وغير ذلك^٦ . وهي مصطلحات جاهلية ، بعضها من المصطلحات القديمة ، لها معانٍ أوسع من مصطلحات الموت . ولكن ربط بينها وبين هذا المصطلح لما لها من صلة بهلاك الإنسان وبمبصره ، فجعلت تؤدي معنى الموت .

١ راجع السطر السادس من النص : Glaser 131, CIH 99.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 160.

٣ اللسان (٢٧٥/١٤) ، (دها) .

٤ المخصص (١١٩/٦) (أسماء الموت) .

٥ W. Caskel, Lihyan und Lihyanisch, S. 149.

٦ اللسان (١٦١/٢٠) ، تاج العروس (٣٤٧/١٠) .

وهلك بمعنى مات ، معروف عند أهل اللغة ^١ . وقد وردت اللفظة بهذا المعنى في نص التماره الذي يعود تأريخه الى سنة ٣٢٨ م. وأما المنيّة ، فالموت كذلك في نظر علماء اللغة ، لأن المني القدر والموت قدر علينا ^٢ . وأما الحتف ، فهو الموت أيضاً ، وجمعه حتوف . وهو معنى مجازي جاهلي متأخر . ورد في المثل : (مات حتف أنفه) . أي على فراشه من غير ضرب ولا قتل ولا غرق ولا حرق ، وخص الأنف لأنهم كانوا يتخيلون أن روح الرجل تخرج من أنفه ، فإن جرح خرجت من جراحته . وهناك مثل آخر يشبهه وهو (مات حتم فيه) لأن الفم مجرى النفس كذلك ^٣ .

وترادف لفظة (الميت) و (ميت) لفظة (جتر) في العربيات الجنوبية^٤ . وذكر علماء العربية ان الجنائزة الميت^٥ ، فهي في معنى لفظة (جتر) الواردة في المسند .

وقريب من معنى (مات حتف نفسه) ، ما ورد في بعض النصوص الصفوية من تعبير (رغم مني)^٦ ، فإنه يريد ان الشخص لم يمِت قتلاً ، وانما مات رغماً منه ، مات بمنيته وبأجله .

ويعبر مصطلح (مات بحمد السيف) أو (مات صبراً) ، عن معنى ان الوفاة لم تكن طبيعية ، وانما كانت قتلاً ، إما بضرب عنقه ، وإما بوسائل أخرى من وسائل التعذيب ، صبر عليها ذلك الشخص ، حتى مات .

وورد : (الموت الأبيض) و (الموت الأحمر) . الأبيض الفجأة ، أي ما يأتي فجأة ، ولم يكن قبله مرض يغير لونه . والأحمر الموت بالقتل لأجل الدم^٧ . والانتحار ، أي قتل الانسان نفسه ، معروف عند الشعوب القديمة ، ويكون إما بإزهاق الانسان روحه باستعمال آلة حادة ، مثل سكين أو خنجر وما شابه ذلك ، وإما برمي الشخص نفسه من محل مرتفع ، أو بإغراق نفسه ، أو بإحراق

-
- ١ اللسان (٣٩٤/١٢) ، تاج العروس (١٩٤/٧) .
 - ٢ اللسان (١٦١/٢٠) ، تاج العروس (٣٤٧/١٠) .
 - ٣ اللسان (٣٨٢/١٠) ، تاج العروس (٦٤/٦) ، القاموس (حتف) .
 - ٤ South Arabian Inscriptions, P. 430.
 - ٥ تاج العروس (١٨/٤) ، (جتر) .
 - ٦ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, II, 1953, p. 20.
 - ٧ تاج العروس (١٠/٥) ، (بيض) .

نفسه بنار ، وما إلى ذلك . ويعد من الأعمال الشريرة في الأديان . ويعبر في العربية بـ (قتل نفسه) عن (الانتحار) .

ومن الألفاظ التي تعني الموت : القشم . يقال : قشم الرجل قشماً ، أي مات^١ . وأم قشعم ، فإنها تعني المنية ، كما تعني الحرب والداھية^٢ . والحيام ، لأنه قضاء الموت وقدره^٣ . و (أم اللھم) : ويراد بها (الحمى) ، ويكنى بها عن الموت ، لأنها تلتهم كل أحد . وقيل : هي (المنية) ، وكنية الموت ، لأنها تلتهم كل أحد^٤ .

ويعبر عن الحالات التي يكون فيها المرض قد اشتد بالمریض حتى صار يشرف على الموت بتعابير خاصة مثل : (سكرات الموت) و (الحشجة) ، ويراد بها تردد النفس^٥ .

ويعبر عن القتل المعجل بالقصاص ، فيقال مات فلان قصصاً ، إذ أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه . ويقال ضربه فأقصصه ، أي قتله في مكانه^٦ .

والدهر والحدثان والزمان والقدر ، صلات قوية بالموت ، إذ تنسب إليها إماتة الانسان . والدهر على الأخص مسؤول في نظر أهل الجاهلية عن قوارع الزمان وحوادثه التي تنزل بالانسان . انه هو الميّد ، وهو المهلك ، وهو المفقّر ، فهو اذن بالنسبة إلى الجاهلين رأس كل بلاء . ولكنهم بدلاً من التقرب اليه والتودد له ليعتد عنهم ، وليرأف بحالهم كانوا لا يستطيعون ضبط أعصابهم عند نزول الشدائد بهم ، فيسبّونه ، لذلك ورد ان الرسول نهى عن سب الدهر فقال : « لا تسبوا الدهر » ، فإن الله هو الدهر . وجعل الدهر في الاسلام من أسماء الله الحسنى ، وذكر انه ورد في الحديث القدسي : « يؤذيني ابن آدم ، يسبّ الدهر ، وإنما أنا الدهر »^٧ .

والموت في نظر الجاهلين مفارقة الروح للجسد لسبب من الأسباب التي تؤول

-
- ١ اللسان (٤٨٤/١٢) ، (صادر) .
 - ٢ اللسان (٤٨٥/١٢) ، (صادر) ، قاموس المحيط (١٦٥/٤) ، (١٩٣٥ م) .
 - ٣ تاج العروس (٢٥٨/٨) .
 - ٤ اللسان (٥٥٤/١٢) .
 - ٥ تاج العروس (٢٢/٢) .
 - ٦ اللسان (٧٨/٧) ، (صادر) ، تاج العروس (٤٢٤/٤) .
 - ٧ تاج العروس (٢١٨/٣) ، اللسان (٤٣٧/٢) ، (٣٨٢/٦) .

إلى هلاكه . تخرج الروح من الأنف أو من القسم وذلك في الموت الطبيعي وفي موت الفجأة . أما إذا كان الموت بسبب جرح ، فإن الروح تخرج على ما ذكره الأخباريون من الجرح^١ . والروح قد تتحول وتصير طائراً يرفرف فوق قبر الميت يسمى (الهامة) في حالة كون الميت قتيلًا .

واعتقد بعض الجاهليين ان الموت أجل مثبت وأمر معين محتم ، وهو لا يأتي إلا في حينه . فإذا جاء الأجل كان حذر الانسان وجبهه غير دافع عنه المنية إذا حلت به . وذكر ان أول من قال ذلك (عمرو بن مامة) في شعره . وفي حديث عامر بن فهيرة :

والمرء يأتي حتفه من فوقه

ولحنش بن مالك بيت في الختوف ، إذ يقول :

فنفسك احرز فإن الختو ف ينبان بالمرء في كل واد^٢

وكأمة (الروح) من الكلمات المعروفة عند الجاهليين . وقد صورتها بعض الأخبار الإسلامية حفظة على الملائكة ، وجعلت لها وجهاً كوجه الإنسان وجسداً كجسد الملائكة، ولا يمكن رؤيتها كما لا يمكن رؤية الملائكة^٣ . بها يعيش الإنسان وبها حياة الأنفس . وقد سأل الجاهليون الرسول على ماهية الروح، فترلت الآية : « يسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »^٤ . ويذكر المفسرون أن سائليه هم اليهود^٥ أو ان اليهود علموا المشركين أن يسألوه عن الروح محاولين بذلك إثارة مشكلة للرسول كانت مهمة في أعين الناس يومئذ ، مما يدل على أهمية هذه القضية في ذلك العهد .

ويظهر من تمحيص الأخبار الواردة عن الموت والقبر وأشباه ذلك أن عقيدة الجاهليين ان الروح متصلة بالجسد ملازمة له في أثناء الحياة ، فإذا وقع الموت انفصلت عن الجسد وفارقتة . ثم اختلفوا فيما بينهم في مصير الروح ، فمنهم من

-
- ١ اللسان (٢٨٢/١٠) ، تاج العروس (٦٤/٦) .
 - ٢ اللسان (٢٨/٩) ، (حتف) ، تاج العروس (٦٤/٦) ، (حتف) .
 - ٣ تاج العروس (١٤٧/٢) ، اللسان (٢٨١/٣) وما بعدها .
 - ٤ الاسراء ، الآية ٨٥ .
 - د الجلالين (٢٢٠/١) ، الروض الانف (١٩٦/١) وما بعدها .

تصورها وهي ملازمة (قبر صاحبها لا تفارقه ، وكأنها لا تريد أن تفارق الجسد الذي كانت مستقرة فيه) . فصارت المقابر موضع تجمع الأرواح ، ومنهم من ذهب الى هلاكها بهلاك الجسد أو تحولها أرواحاً تسبح في عالم الأرواح . ونجد في حديث (مجاهد) أن (الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك)^١ . تفسيراً لرأي بعض الجاهليين في مدة بقاء الروح حول القبر . وهناك أحاديث أخرى يظهر منها ان الروح تلازم القبور فلا تفارقهم .

وهناك كلمة أخرى لها صلة وعلاقة متينة بهذه الكلمة . هي لفظة (النفس) . وهي من الكلمات الجاهلية القديمة التي وردت في النصوص ، معناها الروح والشخص والذات والجسد . وقد ذكر لها علماء اللغة جملة معان استعملت في الأكثر على سبيل المجاز . ولم يفرق بعض هؤلاء بين الروح والنفس^٢ . ويظهر من بعض التعابير والجمل التي كان يستعملها الجاهليون مثل (خرجت نفس فلان) و (فاضت نفسه) (فاضت نفسه) أن المراد بالنفس الروح^٣ . وقد تصور بعضهم أن النفس الدم ، وإنما سمي الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه . وفي الحديث : « ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه » . ولبعضهم آراء في التفريق بين الاثنين نشأت في العهد الإسلامي . ولا سيما من ورود استعمال الكلمتين في معان متعددة في القرآن الكريم وفي الحديث .

ويُعدّ (المرض) من جملة الآثام التي تنزلها الآلهة بالإنسان ، لخروجه على أوامرها ولعدم أداء ما عليه من واجبات وفروض تجاهها ، ومنها الحقوق التي فرضتها عليه ، وفي رأسها النذور والصدقات والزكاة التي امرت الآلهة بتقديمها

١ كتاب الروح : لابن قيم الجوزية (ص ١١٥) .

٢ المخصص (٦٢/٢) ، الروض الأنف (١٩٦/١) وما بعدها .

٣ (وكذلك فاضت نفسه ، أي خرجت روحه . نقله الجوهري . عن أبي عبيدة والعراء ، قال : وهي لغة في نميم . وأبو زيد مثله . قال : وقال الاصمعي : لا يقال فاض الرجل ولا فاضت نفسه ، وإنما بفيض الدمع والماء . زاد في العباب : ولكن ، معال فاض . بالخلاء إذا مات ، ولا يقال بالفساد البنية) . ناج العروس (٧١/٥) ، (فاض) ، قال الجوهري : وكذلك فاضت نفسه ، أي خرجت روحه . عن أبي عبيدة والكسائي وعن أبي زيد مثله . وقال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : لا يقال فاضت نفسه ، ولكن معال فاض إذا مات) . ناج العروس (٢٥٨/٥) . (فيظن)

الإنسان (٢٣٣/٦) وما بعدها .

الى معابدها . ولهذا نجد المريض يتوسل بآلهته لكي تصفح عنه وتغفر عن تقصيره تجاهها ، وأن تعيد اليه ما اخذته منه من صحة وعافية في مقابل تقديم نذر لها ووفائه بقيامه بكل ما أمرت به من واجبات تجاهها . وفي المتاحف الخاصة والعامة مئات من الكتابات الجاهلية في هذا المعنى ، ومئات أخرى ، كتبت شكراً وحمداً للآلهة ، إذ سمعت توسلات عبيدها بأن تمن عليهم بالصحة والعافية ، فنت عليهم ولهذا فإنهم كتبوا كتاباتهم تلك للتعبير عن شكرهم لها ، ولمناسبة تقديمهم النذر الذي نذروه لمعابد الآلهة .

نعي الميت :

ويكون الاعلان عن موت شخص بالبكاء والنحي ، ويتوقف نعي الميت والبكاء عليه على قدر منزلة الميت ودرجة أهله ومكانتهم الاجتماعية . ويعسد نعي الميت وشق الجيوب عليه من وسائل التقدير والإكرام وتبجيل الميت ، ولذلك كانوا يوصون قبل موتهم بنعيهم للناس نعيًا يليق بهم ، ويقوم بذلك ناع أو جملة نعاة . يركب الناعي فرساً ويسير ينعي الميت بذكر اسمه وتمجيده ليسمع بذلك القوم ، قائلاً : (نعاء فلان ...) وترد كلمة (الناعي) و (النعاة) كثيراً في الشعر وفي النثر^١ . وقد كان الجاهليون يستغلون نعي القتلى للتحريض على القتال والأخذ بالثأر ، ويقال لذلك : (الناعي)^٢ .

وقد 'نهي في الاسلام عن (نعي الجاهلية) ، وذلك لما كانوا يبالغون من النداء بموت الشخص وذكر مآثره ومفاخره ورثاءه رثاء يتجاوز الحد^٣ .

والولولة والنياحة على الميت من التقاليد التي تشدد فيها أهل الجاهلية ، وكانت عندهم سمة من سمات التقديس . ولهذا كان أهل الجاه والغنى والأشراف يستأجرون النائحات للنياحة على الميت في بيته وخلف نعشه إلى القبر وفي مأتمه ، ويبالغون في ذلك تبعاً لمنزلة المتوفي . وتلك عادة متبعة عند غيرهم أيضاً، فقد كان العبرانيون

١ أقول لما أثنائي الناعيان به : لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل

بلوغ الارب (١٣/٣) ، تاج العروس (١٠/٣٧٣) ، (نعي) .

٢ تاج العروس (١٠/٣٧٣) ، (نعي) .

٣ القسطلاني ، ارشاد (٢/٣٧٨) ، (باب الرجل ينعي الى أهل الميت نفسه) .

يستأجرون النادبات ليندبن الموتى^١ . كما كان الرومان يتبعون هذه السنة .
وكلمة (الرثاء) من الكلمات الجاهلية وهي تعني بكاء الميت وتعدد محاسنه
ونظم الشعر فيه ، ويقال للمرأة النواحة ، والتي ترثي بعلها أو غيره من الأقارب
والأعزاء ممن يكرم عندها (الرثاء) و (الرثاية)^٢ . وأما (المناحة) ، فهي
اجتماع النساء في مناحسة لظاهر حزنهن على الميت . ويقال للاجتماع (نياحة)
أيضاً . والكلمة من الكلمات الجاهلية كذلك^٣ . ويفهم كثير من الناس من كلمة
(مآثم) المصيبة واطهار الحزن والنوح والبكاء ، وليس هو كذلك ، وإنما (المآثم)
في عرف أهل اللغة المجتمع مجتمع فيه النساء في حزن أو فرح في خير أو شر ،
ويطلق على اجتماعات الرجال والنساء^٤ .

وفي الشعر الجاهلي أبيات بحث فيها الشعراء أهلهم ويوصونهم بالبكاء والنوح
عليهم إذا مساتوا . فقد ذكروا أن طرفة بن العبد خاطب ابنة أخيه معبد بهذا
البيت :

فإن متُ فأنعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

وذكروا أن الشاعر حازم بن أبي طرفة الحارث بن قيس الشدّاخ الكناني ،
وهو شاعر جاهلي أوصى ابنته لما شعر بدنو أجله بأن تبكي والدها وأن تنديه
وتذكر محامده وفعاله ، وذلك في هذين البيتين :

بينة إنّ الموت لا بد لاحق بشيخك ماضي الأنسام المودّع
فإن قت تبكي فقول أبي الندى ومأوى رجال بائسين وجوع^٥

أما الشاعر لبيد ، فقد أوصى ابنته بهذه الوصية لما حضرته الوفاة :
تمني ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ريبة أو مضر ؟

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٠/٢) .
 - ٢ تاج العروس (١٤٤/١٠) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٣/٢) ، (نوح) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٩/٨) .
 - ٥ بلوغ الأرب (١٠١/٣) .
 - ٦ الامدي المؤتلف (ص ١٠٠) .

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا : هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان الأمين ولا غدر^١

وهي وصية فيها تعقل واقتصاد بالنسبة الى طلبات غيره ممن كان يرى البكاء والنياحة وخمش الوجوه وحلق الشعور وإظهار أكثر ما يمكن من مظاهر الحزن والتوجع والتألم وأمثال ذلك ، هي سياء من سياء التقدير والتعظيم والاحترام للميت بل للاحياء من آله وأقربائه أيضاً ، لأنها دلالة على شدة تألمهم لذهاب فقيدهم ، وعلى انهم لا يبالون في الإنفاق في شيء حتى في إيلام أنفسهم وتوجيع أجسامهم وهلاكهم في سبيله ، وانهم كرماء لا يبالون في البذل في سبيل من يستقدونه .

وما كان ليد ، ليقنع بهذا المأثم لو كان على رأي أهل الجاهلية . فمأثم هذا مأثم بارد لا يليق بمقام رجل جاهلي ، ولكنه كان مسلماً ، دفعه لإسلامه على القناعة في مأثمه وعلى الاكتفاء بهذا القليل . فقد ورد في الحديث : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله » ، وأن الرسول قال : « ليس منّا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ، وانه « بريء من الصالقة والحالقة والشاقة » ، وانه قال : « اثنتان في الناس هما بهما كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » إلى غير ذلك من أحاديث تنهى عن هذه المظاهر ، التي هي في نظر الاسلام من سياء أهل الجاهلية^٢ .

ويصحب البكاء شق الجيب وتعفير الرأس بالتراب واجتماع النسوة ايّاماً لنسب الميت وذكر مناقبه . تقوم بذلك نادبات ممتحنات أو غيرهن ممن رزقن موهبة القول في مثل هذه الأحوال من أفراد الأسرة أو القبيلة أو الحي أو القرية . وفي بيت لـ (طرفة بن العبد) نجده يوصي بنعيه بما يستحقه وبشق الجيب عليه^٣ . وقد يمتد نعي الميت ورتاؤه حولاً كاملاً ، وهي مدة عزاء أهل الجاهلية^٤ . فإذا انتهى

١ بلوغ الارب (١١/٣) .

٢ بلوغ الارب (١٢/٣) وما بعدها ، (من الجاهلية النياحة على الميت) البخاري : التاريخ الكبير (٢٣٢/١) ، (ثلاث من فعل الجاهلية لا يدعهن أهل الاسلام : استسقاء بالكواكب وطعن في النسب ، والنياحة على الميت) ، الاصابة (٢٤٧/١) القسطلاني ارشاد الساري (٤٠٤/٢) ، (باب ما يكره من النياحة على الميت) .

٣ فان مت فأنعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد بلوغ الارب (١١/٣) .

٤ تاج العروس (٣٢٠/٦) ، بلوغ الارب (١٢/٣) .

الحول وقد بكوه البكاء الذي استحقه الميت عذر أقرباؤه عن الإستمرار في بكائه إلا في المناسبات . قال ليبد لابنتيه لما حضرته الوفاة :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يلك حولا كاملا فقد اعتذر^١

وتعرف التي ترفع صوتها بالنياحة بـ (الصالقة) . وأما التي تحلق شعرها عند نزول المصيبة فيقال لها (الحالقة) . وأما التي تشق جيبها ، فيقال لها (الشاقة) . ويقال لتعدد النادبة بأعلى صوتها محاسن الميت النادبة ولعملها الندب^٢ . والظاهر أن الندب كان خاصاً بالنساء ، وإن وردت كلمة (نادب) عند اللغويين^٣ .

وقد نهى الإسلام عن (الصلق) ، ورد في الحديث : « ليس منا من صلق أو حلق أو خرق » . أي ليس منا من رفع صوته عند المصيبة وعند الموت . ويدخل فيه النوح أيضاً^٤ . و (السالقة) ، هي بمعنى (الصالقة) ، وهي لهجة ولا شك من لهجات القبائل ، وقد وردت في رواية أخرى للحديث المذكور أيضاً^٥ .. ولطم الخدود وخشها وشق الجيوب وذر التراب أو الرماد أو وضع الطين على الرأس والخدود عادة لا يتفرد بها العرب وحدهم ، بل هي موجودة عند غيرهم من الأمم أيضاً . وفي التوراة آيات تشير إليها كلها وتعدّها من دلائل الحزن والأسى الشديد والتوجع على الميت . وهي كلها مذكورة فيها من البكاء والنحيب على الميت الى ذر الرماد والتراب أو وضع الطين على الرأس الى شق الجيوب ولطم الصدر والخدود .

وليست عادة استتجار النادبات بعادة خاصة بالعرب الجاهليين ، فقد كان العبرانيون يستأجرون النادبات كذلك ليندبن الميت ، وقد أشير الى ذلك في التوراة^٦ ، ولعلها من العادات السامية القديمة المعروفة عند بقية الساميين .

-
- ١ بلوغ الارب (١٢/٣) .
 - ٢ بلوغ الارب (١٣/٣) .
 - ٣ تاج العروس (٤٨١/١) . « ندب » .
 - ٤ « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، برىء من الصالقة والخالقة والشاقة » ، صحيح مسلم (٧٠/١ وما بعدها) ، « باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية » تاج العروس (٤١١/٦) .
 - ٥ تاج العروس (٣٢٠/٦ وما بعدها ، ٣٨٢) .
 - ٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٠/٢) .

ويقال لمدّ الصوت بالنحيب (النقع) ، وأما مدّ اللسان بالولولة ونحوها ، فيقال له (اللققة)^١ .

ويحترم الجاهليون الموت والميت فكانوا يقومون إذا مرت بهم جنازة ، ويقولون إذا رأوها : (كنت في أهلك مائتاً مرتين) . أما أهل الميت وأقرباؤه وأصدقاؤه فكانوا يسرون أمام الجنازة وخلفها الى المقبرة^٢ .

وتعفر النساء رؤوسهن بالتراب وبالرماد وبالطين ويلطمن خدودهن بأيديهن ، كما كنّ يلطخن رؤوسهن بالطين ويسرن مع الجنازة لإظهاراً للحزن والجزع على الفقيد . وترافقهن النادبات والمولولات ، يندبن الميت ويولولن عليه ، يسرن حافيات مبالغة في إظهار الحزن .

وكانت العرب لا تندب قتلاها ولا تبكي عليها حتى يثأر بها ، فإذا قتل قاتل القاتل ، بكت عليه وناحت^٣ .

ويتبين من حديث (عمرو بن العاص) ان من عادات الجاهليين حمل النار مع الجنازة تصطبجها اصطحاب النائحة لها . وقد أباح (عمرو) لأهله نحس جزور عند قبره لتوزيع لحمها على المحتاجين ، وأن يقيموا حول قبره حتى يستأنس بهم ، وينظر ماذا يراجع به رسل ربه^٤ . ونجد مثل ذلك في خبر يذكر ان (أبا موسى الأشعري) لما حضره الموت دعا ابنه ، فقال : « أنظروا اذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحداً ولا يتبعني صوت ولا نار »^٥ . ويدل ذلك على ان عادة حمل النار مع الجنازة بقيت زمناً في الاسلام .

ويؤخذ من شعر للأفوه الأودي ان الجاهليين كانوا يغسلون موتاهم قبل دفنهم^٦ . وذكر (اليعقوبي) ، انه لما مات عبد المطلب (أعظمت قريش موته وغسل بالماء والسدر . وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر ، ولف في حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على

-
- ١ الاغانى (١٢/١٥) .
 - ٢ عمدة القاري (٢٩٣/١٦) .
 - ٣ نهاية الارب (١٣٢/٣) .
 - ٤ صحيح مسلم (٧٨/١) ، « كتاب الايمان » كتاب الروح ، لابن القيم الجوزيه (ص ١٠) « الطبعة الثالثة » حيدر اباد ١٣٥٧ هـ .
 - ٥ طبقات ابن سعد (١١٥/٤) ، « صادر » .
 - ٦ الطبري (٢٨٨/٢) ، بلوغ الارب (٢٨٨/٢) .

أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب ^١ .
وغسل الجاهليون موتاهم بالخطمي والأشتان ^٢ ، وما شابه ذلك من مواد لإزالة
الأوساخ عن جسم الميت وتطهيره . كما وضعوا الطيب مع الكفن ليطيب الميت
فيذهب مطيباً الى قبره .

ويحمل سرير الميت الذي وضع عليه على الأكتاف لا يصاله الى قبره ، ويقال
له (النعش) كذلك . وقد يحمل في محفة ، وقد يحمل على الإبل لا يصاله الى
قبره اذا كان القبر بعيداً . ويتبارى الأقرباء والأصدقاء في حمل نعش الميت احتراماً
له وتقديراً لشأنه . وورد أن (السرير النعش قبل أن يحمل عليه الميت ، فإذا حمل
عليه فهو جنازة) ^٣ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن النعش لم يكن معروفاً عند العرب ، وأن أول
من عمل له النعش (زينب بنت جحش) زوج النبي ، أو فاطمة الزهراء ،
أي في الإسلام . وقد قلد في ذلك أهل الحبشة الذين كانوا يصنعون نعوشاً لموتاهم ^٤ .
وذكر أن (النعش) في الأصل الذكر الحسن . (إذا مات الرجل ، فهم ينعشونه ،
أي يذكرونه ويرفعون ذكره) . و (النعش شبه محفة كان يحمل عليها الملك
إذا مرض وليس ينعش الميت . وأنشد للناطقة الديباني :

ألم تر خير الناس أصبح نعشه على فتية قد جاوزوا الحي سائرا
ونحن لديه نسأل الله خلوده يرد لنا ملكاً وللأرض عامرا

قال : فهذا يدل على أنه ليس بميت . وقيل هذا هو الأصل ثم كثر في
كلامهم حتى سمي سرير الميت نعشاً . وإنما سمي لارتفاعه ، فإذا لم يكن عليه
ميت محمول فهو سرير ^٥ .

وقد كنى (الأسود بن يعفر النهشلي) عن النعش ، أي سرير الميت بـ (ذي

-
- ١ اليقوي (١٠/٢) « النجف » .
 - ٢ تاج العروس (٤٤/٨) ، (غسل) .
 - ٣ تاج العروس (٢٦٥/٣) ، (سرر) .
 - ٤ المعارف (ص ٢٤١) .
 - ٥ تاج العروس (٣٥٧/٣) ، (نعش) ، المخصص ، لابن سيده ، (١٣٠/٦) وما بعدها .

الأعواد) . وسبب ذلك على ما يقوله علماء اللغة أن البوادي لا جناثر لهم ، فهم يضمون عوداً الى عود ويحملون الميت عليها الى القبر وذكر انه أراد بقوله :

ولقد علمت سوى الذي نبأني أن السبيل سبيل ذي الأعواد

لو أغفل الموت احداً لأغفل ذا الأعواد ، وأنا ميت مثله . وذو الأعواد الذي قرعت له العصا ، (غويّ بن سلامة الأسدي) ، أو هو (ربيعة بن مخاشن الأسدي) ، أو هو (سلامة بن غوي) على اختلاف في ذلك . قيل كان له خرج على مضر يؤديه اليه كل عام فشاخ حتى كان يحمل على سرير يطاف به في مياه العرب فيجيبها . وفي اللسان : قيل هو رجل آمن ، فكان يحمل على محفة من عود ، أو هو جدّ لأكرم بن صيفي المختلف في صحبته . وهو من بني أسيد بن عمرو بن تميم . وكان أعز أهل زمانه ، فانتخذه له قبة على سرير ، ولم يكن يأتي سريره خائف إلاّ آمن ، ولا ذليل إلاّ عزّ ولا جائع إلاّ شبع وهو قول أبي عبيدة . وبه فسر قول الأسود بن يعفر النهشلي^١ .

ويحمل الموتى على (الحرج) أيضاً . والحرج خشب يشدّ بعضه الى بعض ثم يحمل فيه الموتى^٢ .

وللعلماء آراء في الجنازة . ذكر بعض منهم ان الجنازة من الجنز بمعنى السر ، وذكر بعض آخر ان اللفظة من ألقاظ النبط ، وتعني جنز في لغتهم الإخفاء ، ويقصدون بالنبطية لغة بني إرم^٣ . معنى جملة (جنز الميت) عندهم ، وضع الميت على السرير وصلاة الكاهن عليه^٤ . وذكر بعض العلماء ان الجنازة بالكسر ، الميت وبالفتح السرير ، وذكر بعض آخر العكس . وذهب فريق آخر الى ان الجنازة الميت نفسه ، لذلك لا تكون جنازة حتى يكون ميت ، وإلا ، فهو سرير أو نعش . فالجنازة على هذا الرأي ، الميت محمولاً على سرير أو نقش ، أو تابوت في الاصطلاح الحديث^٥ . وبهذا المعنى يعبر عن الجنازة في الوقت الحاضر .

-
- ١ تاج العروس (٢ / ٤٤٠) ، (عود) .
 - ٢ المخصص (٦ / ١٣٠) وما بعدها .
 - ٣ تاج العروس (٤ / ١٨) .
 - ٤ غرائب اللغة (١٧٧) .
 - ٥ تاج العروس (٤ / ١٨) ، (جنز) .

وصلاة الجنائز ، هي الصلاة التي تقام على جنازة الميت ، أي الميت وهو في تابوته ، ليرسل الى القبر ، وهي صلاة أقرها الاسلام ، وقد أفرد لها باب في كتب الحديث والفقه يعرف به (كتاب الجنائز)^١ .

والعادة عند أكثر الساميين السير بسرعة في الجنازة . فيسرع المشيعون الذين يسرون مع الجنازة الى موضع القبر في مشيهم للوصول بالجنازة بسرعة اليه . وقد أشير الى هذه العادة في كتب الحديث^٢ . والظاهر ان لطبيعة الجو دخل في ظهور هذه العادة .

ويقال لتهيئة الميت ودفنه في القبر (تجهيز الميت) . ويقوم الأبناء والأقرباء بوضعه في لحده . واذا كان الميت عزيزاً كريماً في قومه سيداً رئيساً اشترك الرؤساء في إدخاله القبر ، وقد يتنافسون في نيل هذا الشرف ، وقد يؤدي هذا التنافس الى وقوع الشر بين المتنافسين ، لأن تجهيز الميت ووضعه في لحده من علامات تقدير الميت وتعظيمه ، ومن دلائل قرب من دخل القبر من الميت واتصالهم الوثيق به^٣ .

ويقال للميت عند وضعه في قبره : (لا تبعد)^٤ ، أي انه وان ذهب عنهم سيكون دائماً معهم وفي قلوبهم . ولعل هذا التفكير هو الذي حملهم على إخراج حصته مما كانوا يأكلونه ويشربونه يسمونها باسم الميت ، وعلى زيارة قبور الموتى والجلوس عندهم وضرب الخيام حولها ، وعلى مناجاة صاحب القبر بذكر اسمه وتحيته ، لأن روح الميت في رأيهم حية لا تموت . ولهذا السبب أيضاً كانوا يسقونها بصب شيء من الماء على القبر ، كما كانوا ينضحونه بالدم . وبهذا المعنى يفسر ما ورد في الشعر وفي النثر من سقي الغمام للقبر ، ونزوله عليه ، وما ورد من شرب الخمر على القبر وسكب بعضه عليه . وقد كان العبرانيون يخرجون

١ صحيح مسلم (٢١٩/٦) .

٢ ارشاد الساري (٤٢٠/٢) وما بعدها .

٣ Hasting, Vol. II, P. 731.

٤ وفي هذا المعنى ورد في شعر مالك بن الريب المزني :

يقولون : لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد الا مكانيا

بلوغ الارب (١٤/٣) وما بعدها (الامالي ، للقالبي (١٣٧/٣) .

حصه مما يأكلونه لتكون من نصيب الموتى^١ . ويذكر أهل الأخبار ان الناس كانوا يسكبون الحمر على قبر (الأعشى) بـ (منفوحة) اليمامة ، وذلك لولعه بها وتقديراً لذكراه .

ويدفن بعض العرب الميت بملابسه ، ويغطي رأسه . ويكفن بعضهم موتاهم ويدفنونهم مكفين . ويذكر علماء اللغة ان من أسماء الكفن الجن ، واستشهدوا على ذلك بيت للأعشى^٢ . وفي الحديث : (ان ثمود لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا بالأنطاع وتحنطوا بالصبر ، لثلا يجفوا ويتنوا . يضعون الحنوط في أكفان الميت)^٣ . كما وردت كلمة (أكفاني) في بيت لامرئ القيس^٤ ، مما يدل على معرفة الجاهليين للكفن . وقد كان قدماء العبرانيين يدفنون موتاهم بملابسهم التي كانوا يستعملونها ، أي كما كان يفعل قدماء الجاهليين ، ثم كفّن المتأخرون منهم موتاهم بكفن مكوّن من قاش أبيض مصنوع على الأكثر من الكتان على هيئة البرد اليابني يلفّ على جسم الميت ، وربطوا الرأس بمنديل ، كما ربطوا يدي الميت وقدميه برباط خاص ، على النسق الذي أقر في الاسلام^٥ .

ويظهر من الأخبار الواردة عن تكفين رسول الله ، ان أهل مكة أو الحجاز عامة كانوا يفضلون الأكفان السحولية ، وهي أثواب بيض سحولية من كرسف، اي من قطن . وقد نسجت في (سحول) ، وهي قرية باليمن منها هذه الثياب . وقد كره الإسلام تكفين الموتى بالمصيّغات ونحوها من ثياب الزينة ، كما كره التكفين بالحرير ، بل حرم بعض العلماء التكفين فيه^٦ . وقد كان أغنياء الجاهلية يكفنون موتاهم بالألبسة الغالية ، مبالغة منهم في تقديرهم لمتزلة ميتهم عندهم .

Reste, S. 183. ١

٢ وهالك أهل يجنونه كآخر في أهله لم يجن
اللسان (٢٤٥/١٦) ، تاج العروس (٣٢١/٩) . المطبعة الخيرية »
المحبر (ص ٣١٩ وما بعدها) .

٣ اللسان (١٤٨/٩) ، صحاح الجوهري ، (٢١٨٨/٦) المخصص لابن سيده
(١٣٠/٦) وما بعدها .

٤ اللسان (٢٣٩/١٧) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (١٩٩/٢) وما بعدها .

Ency. Relig., 4, p. 498, Hastings, A Dictionary of Christ. and Gospels,

Vol. I, p. 241.

٦ صحيح مسلم (٢/٧) .

وقد ذكر (يعقوبي) ، أن (عبد المطلب) لفّ في حلتين يمانيتين ثميتين^١ وكانت البرود اليمانية مفضلة على غيرها في التكفين . وذكر أنه كان من المستحسن عندهم الإحسان في الكفن . ورويت أحاديث في تحسين الكفن . منها : « إذا كفّن أحدكم أخاه ، فليحسن كفنه »^٢.

وذكر أن (التحصيب) ، بمعنى التكفين وإن لفظة (محسب) بمعنى مكفن . وذكر أيضاً أن التحصيب دفن الميت بالحجارة^٣ .

عند وضع الميت في قبره يقوم من يذكر محاسنه وأعماله ، ثم يظهر حزنه وحزن الناس لفراقه ، ويقال لذلك (الصلاة) . وقد أطلق الإسلام على هذه وعلى التندب والأعمال الأخرى (دعوى الجاهلية) ، ونهى عنها^٤ .

ويؤارى الميت في حفرة ثم يمال التراب عليه . وإذا كان الميت من أصحاب الاسم والجاه فقد يخصص قبره ويبنى عليه ، ويكتب على قبره اسم صاحبه وما يناسب المقام^٥ . وتكثر ما نسمع بنحر الإبل أو عقرها على القبور لتبتل بدماء الإبل^٦ . ولا سيما إذا كان الهالك من سادات القبائل والأجواد . وإذا حلقت النساء شعورهن حزناً على الميت ، وضعن شعورهن على القبر^٧ .

وقد اختلف العلماء في سبب عقيرهم للإبل على القبور ، فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الإبل في حياته وينحره للأضياف^٨ . وقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك اعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام . وزعم بعض آخر أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك ، لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم فيها . وقيل إن الإبل أنفست أموالهم ، فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليه لعظم المصيبة ، وقد نهى الإسلام ذلك بحديث : « لا عقّر في الإسلام »^٩ .

-
- ١ يعقوبي (١٠/٢) ، « النجف » .
 - ٢ اللسان (٣٥٨/١٣) ، « صادر » ، تاج العروس (٣٢١/٩) ، اللسان (٢٤٦/١) .
 - ٣ تاج العروس (٢١٣/١) ، (حسب) .
 - ٤ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، للقسطلاني (٤٠٦/٢) .
 - ٥ شمس العلوم الجزء الأول ، القسم الثاني (ص ٢٩١) .
 - ٦ الاغانى (٨٨/١٩) .
 - ٧ الاغانى (١٢/١٥) .
 - ٨ وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح
 - ٩ بلوغ الارب (٣١٠/٢) .
 - بلوغ الارب (٣١١/٢) .

واذا وضع الميت في لحده ، أهالوا التراب عليه . وقد ينظم الشعراء شعراً لهذه المناسبة ينشدونه على القبر اظهاراً لحزنهم ولحزن الناس على فراقه .

وطريقة دفن الميت هي العادة الشائعة المعروفة بين الجاهليين ، غير أن هناك من كان يوصي بحرق جثته وذراً رماده في الهواء ، أو بدفن الرماد في الأرض^١ . وطريقة حرق الموتى ليست من العادات السامية أي من العادات المنتشرة بين الساميين اذ يرون أنها تنافي حرمة الميت وأحكام الآلهة . وكانوا اذا سبّوا شخصاً أو أرادوا به سوءاً دعوا له بالحرق ، أو قالوا له يا ابن المحروق .

وقد وجد من فحص القبور التي عثر عليها خارج سور (مأرب) أن من الموتى من دفن على هيئة انسان نائم أي وضع متمدداً في لحده ، كما نفعل في موتانا وأن بعضهم لم يدفن على وفق هذه الطريقة ، ولكن دفن قائماً . وقد عثر في بعض هذه القبور على كتابات قصيرة ، كما عثر فيها على رؤوس منحوتة دفنت مع الميت ، لعلها ترمز الى رمز ديني ، او عقيدة من عقائدهم في الموت ، او تمثل الميت نفسه لتكون شاهداً عليه^٢ .

ولم نعرث على جثث في جزيرة العرب محنطة على طريقة المصريين، والذي نعرفه الآن ان الجاهليين كانوا يضعون الخنوط في أكفان الميت وملابسه ليطيب به جسمه وليحفظه مدة طويلة^٣ . ويظهر من التفسير الذي يرويه علماء اللغة لجملة (عطر منشم) الواردة في شعر (زهير بن أبي سلمى) ، ان (خزاعة) وربما غيرها كانت تشتري (الكافور) لموتها^٤ . وقد كانت قريش تضع الكافور مع الميت ، وهي عادة استمرت في الاسلام أيضاً .

ويقال : إن منشماً امرأة كانت تبيع الخنوط في الجاهلية ، ف قيل للقوم اذا تجاربوا : دقوا بينهم عطر منشم ، يراد طيب الموتى^٥ ، مما يدل على ان تطيب الميت عادة جاهلية قديمة ، ويقال لطيب الموتى الخنوط . وقد طرح المسك على

١ النهاية (١١٥/٢) .

٢ BEITRAGE, S. 28.

٣ اللسان (١٤٨/٩) الصحاح ، للجوهري (١١٢٠/٣) .

٤ شرح ديوان زهير لنعلب (١٥) ، (دار الكتب المصرية) .

(١٩٤٤ م) ، ديوان زهير (١١٠) ، (طبعة كرم البستاني) .

٥ المعارف (ص ٢٦٥) .

عبد المطلب لتطيبه^١ ، (وكل ما يطيب به الميت من ذريرة أو مسك أو عنبر أو كافور من قصب هندي أو صندل مدقوق ، فهو كله حنوط)^٢ .

وقيل ان منشأ ، هي ابنة (الوجه) العطاراة بمكة من حمير ، وقيل من همدان ، وقيل من خزاعة وقيل من جرهم . وكانت خزاعة وجرهم اذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبيها كثرت القتل فيا بينهم . وذكر انهم كانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبيها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في الحرب ولا يولوا أو يقتلوا . وقال (الكلبي) : « جرهمية . وكانت جرهم اذا خرجت لقتال خزاعة خرجت معهم فطيبتهم فلا يتطيب بطيبيها أحد إلا قاتل حتى يقتل أو يجرح . وقيل امرأة كانت صنعت طيباً تطيب به زوجها ، ثم انها صادقت رجلاً وطيبته بطيبيها ، فلقبه زوجها قشم ربح طيبيها عليه فقتله . فاققتل الحيان من أجله . قال الكلبي : ومن قال منشم بفتح الشين فهي امرأة كانت تتبجج العرب تبيعهم عطرها فأغار عليها قوم من العرب فأخلوا عطرها ، فبلغ ذلك قومها فاستأصلوا كل من شموا عليه ربح عطرها . وقد ضرب بها المثل في الشر ، فقالوا : أشأم من عطر منشم »^٣ .

وورد أن (المنشم) عطر شاق اللدق او شيء يكون في قرون السنبل ، يسميه العطارون (روقا) . وهو سم سوعة . وقيل : ثمرة سوداء منتنة الريح ، أو حبّ البلسان^٤ .

ويجعل الحنوط في مرافق الميت وفي بطنه وفي مربع رجله ومأبضه ورُفْغِيَه وعينه وأنفه وأذنيه . يجعل يابساً .

ونظراً لوجود لفظة (حنط) في العربية في المعنى الذي نفهمه من التحنيط ، أي حفظ الجسد ، ولاستعمال الجاهليين (الحنوط) في تجهيز موتاهم ، وهي مواد عطرة ذات رائحة طيبة ولورود اللفظة في العبرانية وفي السريانية (حنوطو) ، نرى أن نوعاً من التحنيط كان معروفاً عند الساميين^٥ . وان لم يكن بالشكل الذي

١ اليقوبي (١٠/٢) ، « النجف » .

٢ اللسان (٢٧٩/٧) ، « صادر » .

٣ تاج العروس (٧٦/٩) ، (نشم) .

٤ تاج العروس (٧٦/٩) ، (نشم) .

٥ غرائب اللغة (ص ١٧٩) .

J. W. Gibbs, A Hebrew and English Lexicon, London, 1827, p. 201, Smith,

A Dictionary of Bible, Vol., I, p. 545.

كان عند المضرين . ولا يستبعد أن يكون اهل الجاهلية قد مارسوا التحنيط ايضاً ، وذلك بالنسبة الى أغنيائهم واصحاب الثراء منهم . ويؤيد هذا الاحتمال ما رواه اهل الأخبار من عثور الجاهليين وبعض الإسلاميين على جثث عادية كانت محفوظة على هيأتها حتى انها تبدو وكأنها دفنت بالأمس ، وما روه من عثورهم على نقائس وأواني وكتابات ، الى جانب تلك الجثث . مما يبعث على الظن بأن تلك الجثث كانت محنطة بطريقة ما .

ولم تستعمل التوابيت المصنوعة من الحجارة في نجد والحجاز . أما في بطرا وتدمر فقد اتخذت التوابيت المصنوعة من الحجر والتواويس^١ .

والتابوت ، هو الصندوق الذي يوضع فيه الميت . ويصنع من الخشب والحجر . أو من مواد أخرى . وهو (تبا) في العبرانية . وقد ذكر بعض علماء اللغة ، ان (التابوه) لغة في التابوت^٢ . والتابوت في الأصل (صندوق من الخشب وقد أشير اليه في القرآن الكريم^٣) .

وقد عرف العرب لفظة أخرى استعمالوها في معنى (التابوت) هي لفظة (إران)، ويراد بها صندوق من خشب يوضع الميت فيه^٤ . وقد ذكر بعض علماء اللغة ان إران تابوت يضع النصارى فيه أمواتهم ويدفنونه مع الميت . واللفظة عبرانية، وقد وردت جملة (حمل على الإران) ، أي حمل في التابوت^٥ . وذكر علماء اللغة ان (الإران) الجنائزة ، وخشب يشدّ بعضه الى بعض تحمل فيه الموتى ، وسرير الموتى ، وتابوت الموتى^٦ .

والعادة ان تذكر مناقب الميت عند قبره في أثناء الاحتفال بدفنه اذا كان عظيماً سيداً ، وأن يعجل بدفنه في مقبرة القبيلة أو القرية أو في بيته . وقد كان من

Reste, S. 178. ١

٢ تاج العروس (٣٨١/٩) .

٣ البقرة الآية ٢٤٨ ، طه الآية ٣٩ ، اللسان (١٧/٢) « طبعة صادر » .

٤ غرائب اللغة (ص ٢١١) .

٥ المخصص ، (١٣٠/٦) وما بعدها .

٦ قال الاعشى :

أنرت في جناجن كاران ال ميت عولين فوق عوج رسال
وقال طرفة :

أمون كالواج الاران نسأتها على لاحب ، كأنه ظهر برجد
اللسان (١٤/١٣) وما بعدها ، (أرن) .

عادتهم دفن الميت في البيوت أو على مقربة منها . أما الأعراب، فقد كانوا يدفنون موتاهم في المنازل التي يكونون فيها ، وإذا كانوا في أثناء رحيلهم دفنوهم على قارعة الطريق ولا سيما على المرتفعات المشرقة عليها .

ويعجل العرب بدفن موتاهم . والتعجيل بدفن الميت من الضرورات التي اقتضتها طبيعة الجو . فجو جزيرة العرب لا يساعد على بقاء جسد الميت مدة طويلة ، وإلا تعرض للفساد ، ولحق الأذى به ولهذا صار من الاستحباب التعجيل بدفن الميت ليس في العرف حسب ، بل من الناحية الدينية كذلك .

ويحلق بعض الجاهليين شعر الرأس كله أو بعضه ويرمونه على القبر . وحلق شعر الرأس أو جزء الناصية أو حلقها أو حلق الصغيرتين من التقاليد القديمة . وكانوا يقومون بذلك إكراماً وتعظيماً لشأن الأرباب ، وعند الحج إلى بيوت الآلهة، فريمون بالشعر أمام الأصنام تعظيماً لها وبياناً عن مقدار احترامهم لها حتى ضحكوا بأعز رمز لديهم في سبيلها ، ولهذا كان لرمي صفائر شعر الرأس عند القبر أهمية خاصة في نظر الجاهليين^١ .

وكان في روع الأمم القديمة أن الشعر للفرد قوة وحياة ، فحلقه أو جزء جزء منه . معناه تضحية كبيرة وصلة تربط الميت بالحى^٢ .

القبر:

ويدفن الموتى عادة في حفر تحفر يقال لها : قبر ، وجدث ، ومقبر، ووجر ، ورمس ، وجن^٣ . أما في (بطرا) ، وفي بعض المناطق الجبلية والصخرية ، فقد نثرت المقابر في الصخور ، فصنعت على هيئة حجر وضعت جثث الأموات فيها . كما استعملت المقابر المرتفعة في مدينة (تدمر) ، وذلك بتشيد مبانٍ وضعت فيها جثث الموتى في حجر صغيرة تعمل في تلك الأبنية . واستعملت الكهوف مقابر كذلك . ففي المناطق الصخرية توجد كهوف طبيعية

Muh. Stud. I, S. 247.

١

Ency. Relig., VI, p. 476.

٢

جنن ، ويجمع على أجنان ، اللسان (٢٤٥/١٦) ، Littmann, Safa, p. 69.

٣

سكنها الإنسان ، واتخذها مقبرة له . وذلك بدفن الأموات فيها وسدّها بابها . وقد عثر الباحثون والسياح على عدد منها .

والقبر هو التسمية المعروفة الشائعة في أغلب أنحاء جزيرة العرب ، وقد وردت في نص التّجارة ، وجمعها القبور . ذكر علماء اللغة ان (القبر) ممدّن الإنسان وان (المقبر) موضع القبر . وأما (المقبرة) ، فهي موضع القبور^١ . وقد وردت لفظة (مقبر) و (مقبرت) أي مقبرة ، و (مقبرتم) أي (مقبرة) في حالة التنكير في نصوص المسند^٢ .

وأما (الجدف) فالقبر ، والمجمع أجداث وأجدث ، وهو قلة . وورد (الجدف) في بعض الروايات^٣ .

وأما الوجر ، فهو كالكهف عند علماء اللغة^٤ . فهو يؤدي معنى قبر على سبيل المجاز . وقد ورد في نص ملوّن بالمسند يعود الى القرن السادس للميلاد ، عثر عليه في العربية الشرقية . وهو شاهد قبر رجل اسمه (ايليا) .

ويذكر علماء اللغة ، ان الجنين : القبر ، سُمّي بذلك لسره الميت ، وأيضاً الميت لكونه مستوراً فيه ، وأيضاً (الكفن) لأنه يحن الميت ، أي يستره ، فالأصل في الكلمة السّر^٥ ، ويجمع على أجنان^٦ .

وقد وردت لفظة (ضرح) ، أي (ضريح) بمعنى قبر في اللغة الصفوية^٧ . ولكن من الجائز أن تكون قد وردت فيها بالمعنى المفهوم من الكلمة في عربيتنا . كما وردت فيها ألفاظ أخرى بمعنى قبر ، مثل : (نفست) أي ، (نفس) ، و (مقل) ، بمعنى (مقيل) ، أي موطن الراحة ومحلها : و (نيت) . ويظهر ان لفظة (نفست) قد أخذت من أصل إرمي هو (نفا) (نفشا) ،

١ اللسان (٢٧٦/٦) ، المخصص (١٣٠/٦) وما بعدها .
MM8, REP. EPIGR. 3974, CIH 20, 21, F.V. Winnett, « A Monotheistic Hilm-
jarite Inscription », in BASOOR, NUM: 83, 1961, p. 24.

٢ تاج العروس (٥٩٩/٣) .

٣ اللسان (٤٣٣/٣) ، تاج العروس (٦٠٩/١) « المطبعة الخيرية » .

٤ تاج العروس (٥٩٩/٣) ، (وجر) .

٥ تاج العروس (١٦٣/٩) ، المخصص (١٣٠/٦) وما بعدها .

٦ اللسان (٢٤٥/١٦) .

٧ E. Littmann, in Salfatic Inscriptions, Leyden, 1943, p. X.

وقد وردت لفظة (نقش) و (نفس) في النصوص النبطية والحِثانية والسبئية وفي نصوص 'دونت بلهجات عريية أخرى' . ولعل لفظة (نيت) ، علاقة بـ (منوت) و (منايا) و (منون) ، وهي تعني في الصفوية : المسافر والسفر أي في معنى أدبي لطيف ، له صلة بالموت ، باعتبار ان الميت مسافر من هذا العالم الى عالم آخر ، وان القبر هو مستقر ذلك السفر .

ويلحد أهل الحجاز لحداً في القبر لوضع الميت فيه . ويقال للميت الذي يلحد القبر ويضع الميت فيه (اللحد) . ويقال للميت الذي يعمل الضريح (الضارح)^١ .

وكان من عادة الجاهليين رجم القبور أي وضع أحجار فوقها ، وذلك على سبيل التقدير والتعظيم للميت . فإذا زار قريب أو صديق قبر قريب أو صديق له رجمه ، أي وضع أحجاراً فوقه . والرجام الحجارة . والرجمة أحجار القبر ثم يعبر بها عن القبر وجمعها رجام ورجم . وقد ورد في كتب الحديث ان الرسول قال : لا ترجموا قبوري^٢ ، وان (عبدالله بن مغفل المرني) قال : (لا ترجموا قبوري ، أي لا تجعلوا عليه الرجم . وأراد بذلك تسوية القبر بالأرض)^٣ ، وعدم نصب أحجار فوقه ليظهر واضحاً شاخصاً .

وتؤدي لفظة (رجم) و (رجمت) و (هرجم) أي (الرجم) ، معنى قبر أيضاً . وترد بكثرة في الكتابات الصفوية . ويراد بها الأحجار التي تكوم فوق قبر^٤ . والعادة عندهم أن الشخص الذي يمر على قبر ما ، أو يزور قبر قريب له ، يضع حجراً أو أحجاراً فوق القبر ، تكريماً لصاحبه وتخليداً لذكوره ، حتى وان لم يعرفه ، لأن ذلك من باب احترام الموت والميت . فالرجام اذن ، هي قبور غطيت بأحجار .

وقد عثر على عدد من الرجام المكتوب الذي اتخذ شواخص للقبور فيه اسم الميت ودعاء على من يحاول نقل الرجمة من محلها أو على من يحاول تغيير معالم

-
- ١ المصدر نفسه .
 - ٢ تاج العروس (٤٩٢/٢) . (لحد) .
 - ٣ المفردات ، للصفهاني (ص ١٨٩) .
 - ٤ اللسان (٢٢٦/١٢) ، (صادر) ، (رجم) تاج العروس (٣٠٤/٨) ، (رجم) ، قاموس المحيط (١١٧/٤) .
 - ٥ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol. II, 1953, p. 15, 20, 23.

القبر وازالته أو على من يريد اتخاذ قبراً له أو لأحد أفراد أسرته أو يدفن أي أحد فيه . وقد أفادتنا هذه الشواهد في معرفة لهجة القوم وفي بعض الأمور التي لها صلة بالأصنام وبالدين .

وقد استعملت الحياينة لفظة (قبر) ومنها (هتقبر) ، أي (القبر) ، للتعبير عن القبر ، كما استعملت لفظة أخرى هي (مثير) (م ث ب ر) ومنها (هثير) ، أي (المثير) في معنى قبر^١ . وللثبور بالطبع صلة بالموت . وتعبّر لفظة (كهف) في هذه اللهجة عن هذا المعنى أيضاً^٢ .

ويقال للقبر المُسوَّى مع الأرض (رمس) فإذا كان مرفوعاً عن الأرض فهو قبر مسنم^٣ . ويظهر أن الجاهليين كانوا يسمون قبورهم . وقد ورد في حديث (ابن مغفل) : (ارمسوا قبوري رمساً)^٤ . أي سووه بالأرض ولا تجعلوه مسنماً . والرمس تراب القبر والمرمس موضع القبر^٥ .

ووردت لفظة (مقبر) في الكتابات الصفوية ، بمعنى (القبر) ، أي الموضع الذي يقبر به . وهم يرصفون القبر ، ويعبّرون عن ذلك بكلمة (ارضف) . كما يرجمونها بالرجم ويعتبرون ذلك من امارات التقدير والاحترام^٦ .

وعرفت مقابر النصارى بـ (الناووس) . وقد شك بعض علماء اللغة في أصلها ، فذهب إلى احتمال كونها من أصل أعجمي^٧ ، وهي من أصل يوناني ، ومعناها فيها : حجر منقور لدفن ميت ، كما أطلقت على مقبرة النصارى وعلى المعبد والكنيسة ، لأن كثيراً ما كان النصارى القدامى يقبرون موتاهم في الكنائس^٨ .

وقد حارب الاسلام عادة أهل الجاهلية في تسنيم القبور ورفعها عن سطح الأرض ، وشدد على ذلك في الحديث ، وجعلت القبور المسنمة في حكم

١ W. Caskel, Lihyan und Lihjanisch, S. 84.

٢ راجع النصوص : ١ ، ٢ ، ٣٦ ، ٩٣ في المصدر المذكور .

٣ اللسان (٤٠٥/٧) ، (١٩٩/١٥) .

٤ اللسان (٤٠٥/٧) ، تاج العروس (١٦٣/٤) ، النهاية (١٠٩/٢) .

٥ بوزن المذهب ، مختار الصحاح (١٩٨) ، الصحاح ، للجوهري (٩٣٣/٢) .

٦ Littmann, Saf. p. 55, 69.

٧ تاج العروس (٢٦٥/٤) ، (نوس) .

٨ غرائب اللغة (٢٧٠) .

الأوثان^١ . ولا بد أن يكون لهذا التشديد سبب ، إذ لا يعقل ورود تلك الأحاديث في موضوع طمسها بغير داع ولا أساس . وسبب ذلك هو تقديس أهل الجاهلية لتلك القبور تقديسهم الأوثان وتقربهم إليها ، وهو ما لا يتفق ومبادئ التوحيد في الإسلام .

ونهى الإسلام عن تكليل القبور . (أي رفعها تبنى مثل الكلل . وهي الصوامع والقباب التي تبنى على القبور . وقيل : هو ضرب الكلة عليها . وهي ستر مربع يضرب على القبور)^٢ . وقد كانوا يبنون البيوت والأبنية فوق القبور . وقد نادى الشاعر (لبید) باني قبر عزيز له بأن يضعف من سمك القبر وأن يرفع الحائط أو السقف ، حتى يكون هناك متسع من فضاء فوق القبر^٣ . وذكر أنه كانت على قبر (أبي أحيحة) قبة مشرفة^٤ .

وقد ورد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) ما يفيد بناء أضرحة فوق القبور ، ورفع القبر عن الأرض حتى يكون كسنام الجمل بارزاً ظاهراً . وقد عبر عن بناء القبر ورفع عن الأرض وبناء ضريح عليه بـ (ارتفد الضريح)^٥ والضريح في تعريف علماء اللغة ، الشق في وسط القبر ، وقيل القبر كله أو قبر بلا لحد . وذلك لأنهم يجعلون اللحد في جانب القبر^٦ .

ويظهر أن يهود الحجاز ونصاراه كانوا قد بالغوا في ضرب القباب والأضرحة على قبور موتاهم وفي تعظيم قبور أحبارهم وقسهم ، حتى تحولت قبورهم إلى أضرحة ومزارات . تزار في المناسبات وقد دفنهم في المعابد . لذلك نهى عن التشبه بفعلهم في الإسلام . وأشار إلى عملهم هذا في القرآن الكريم وفي كتب

-
- ١ « عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » ، صحيح مسلم (٦١/٣) « باب الأمر بتسوية القبر » .
 - ٢ تاج العروس (١٠٣/٨) ، (كلل) .
 - ٣ شرح ديوان لبید (ص ٢٩٢) .
 - ٤ أنساب الأشراف (١٤٢/١) .
 - ٥ سنما يرفع الإحلاس عنه إلى سند كما ارتفد الضريح ديوان بشر (ص ٥٠) .
 - ٦ اللسان (٥٢٦/٢) . مختار الصحاح (٧٣) ، تاج العروس (١٨٧/٣) ، اللسان (٥٢٦/٢) ، المخصص (١٣٠/٦) وما بعدها .

الحديث . وقد وضع اليهود والنصارى شعار اليهود والنصارى على قبورهم لتمييزها عن مقابر الوثنيين^١ .

ويقال للحائر الذي يحيط بالقبر (الودع) . وقيل : الودع القبر ، أو الحظيرة حوله ، أو المدفن يحير به حائر^٢ .

وتعرف علامات القبر ومعالم حدوده بـ (الآيات) ، والآية هي العلامة^٣ . وقيل للرجات التي وضعت على القبر الأحجار والأطباق والصفائح والصفائح^٤ . ويراد بالصفائح الحجارة العريضة التي توضع على القبر لتغطيته^٥ .

وكان منهم من يضع الجريد على القبر ، ومنهم من يضعه داخل القبر^٦ . وقد تغرز الجريدة في القبر فيكون رأسها بارزاً فتكون علامة تشير الى القبر. وذكر أن رسول الله أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة^٧ . ولا زال الناس يتبعون هذه العادة . وقد استعملوا الأذخر والحشيش في قبورهم كذلك . كانوا يضعون الأذخر في الفرج التي تكون بين اللبنتان، ويضعون الحشيش تحت الميت وفوقه^٨ .

وعثر في مواضع من جزيرة العرب على مقابر دعاها الباحثون : (تمولي) Tamuli لأنها على شكل تلال أو هضاب . وقد اتخذت مدافن . منها (تمولي) البحرين . وسأحدث عنها في أثناء حديثي عن الفن والحارة عند الجاهليين .

وقد عثر المتقنون على مقابر جاهلية عامة ، على نحو ما نجده من المقابر العامة في هذا الوقت . وقد نبش عدد منها في الاسلام ، لاتخاذها أملاكاً أو مساجد ، كما حوّل بعضاً منها الى مقابر اسلامية، دفن فيها المسلمون بعد أن أزيلت ونبشت قبور الجاهليين. وأشار إليها في كتب الحديث. ويظهر ان بعضاً منها كان ذا أضرحة وقبور مرتفعة عن الأرض^٩ .

-
- ١ ارشاد الساري (٤٢٩/١) .
 - ٢ تاج العروس (٥٣٧/٥) ، (ودع) .
 - ٣ تاج العروس (٢٦/١٠) ، Muh. Stud. I, S. 233, Noldeke, Beiträge, S. 99.
 - ٤ Muh. Stud. I, S. 233.
 - ٥ تاج العروس (١٨١/٢) .
 - ٦ ارشاد الساري ، للقسطلاني (٤٥٢/٢) وما بعدها .
 - ٧ المصدر نفسه .
 - ٨ ارشاد الساري (٤٤٢/٢) وما بعدها .
 - ٩ ارشاد الساري (٤٢٩/١) ، (٤٣٧/٢) .

ولا يدفن في المقابر إلا أفراد العائلة التي تمتلكها ، أو من يؤذن بدفنه فيها .
ويعد الإذن بدفن غريب في مقبرة خاصة من علامات التقدير والاحترام بالنسبة
للمتوفى الغريب . وقد تحجز مناطق من مقبرة عامة لتكون مقبرة خاصة ، فلا يسمح
لأحد بالدفن فيها إلا للمالكها . وقد تسور ويعمل لها باب ، وقد يقام ضريح أو
بناء ضخمة ، مع ان المقبرة هي جزء من مقبرة عامة . ولا تزال هذه العادة متبعة
وقد تشتري الأرض ممن يتولى أمر المقبرة العامة . ويحافظ أهل المقابر الخاصة على
مقابر أسرهم فيتعهدونها بالرعاية والعناية ويادامتها على خير وجه . وهي تزار في
المناسبات تقرباً الى أصحاب القبور ، لثلا تنقطع صلتهم بموتاهم . وورد ان بعضاً
من الجاهليين كان يضرب قبة على قبر عزيز له مدة سنة (للاستمتاع بقربه وتعليلاً
للنفس وتخفيفاً باستصحاب المألوف من الأانس ومكابرة للحسن . كما يتعلل بالوقوف
على الأطلال الباقية ويخاطب المنازل الخالية)^١ .

وتراعى القرابة والمترلة في دفن الموتى في المقابر فتدفن الزوجة على مقربة من
زوجها في الغالب والابن على مقربة من أبيه ، وهكذا فكأنهم يريدون بذلك جمع
شمل العائلة ، وإعادتها الى ما كانت عليه يوم كانوا أحياء . وإذا كان المتوفى
عظيماً وإذا مكانة ومترلة حرص أقرب الناس اليه من أصحابه على نيل شرف الدفن
على مقربة منه عند دنو أجلهم . وقد تتحول أمثال هذه المقابر الى مزارات ،
خاصة اذا كانت مقابر كهنة وسدنة ورجال دين .

أما قبور الأعراب والفقراء والسواد ، فهي بسيطة ، حفرة تحفر في الأرض
يوارى فيها الميت ، ثم يمال عليه التراب أو الرمال أو الحجارة حسب طبيعة الأرض
فتكون قبر ذلك الميت . وقد يسوى القبر بالأرض فلا تظهر آثاره ولا تبرز معالمه
عن معالم القشرة ، وقد يرفع التراب بعض الشيء ليكون علامة عليه . وقد توضع
عصي أو أحجار فوقه لتكون إشارة تشير الى مكانه . وليس في إمكان الأعراب
النازليين في البوادي البعيدة عن الحضر ، فعل غير ذلك ، ولا سيما اذا كان الموت
قد وقع في حين نزول القبيلة في أرض جاءت اليها في الموسم لترعى العشب أو في
أثناء تنقل فإنها لا تستطيع أن تصنع قبراً لميتها غير هذا القبر .
ومدة العزاء عند الجاهليين حول^٢ ، أي سنة لا يترك أهل الميت فيها ذكرى

١ ارشاد الساري (٢/٤٢٩ وما بعدها) .

فقيدهم ، فيندبونه في أوقات معينة ويكون عليه عند قدوم قادم اليهم ، وينحرون لذكره ويكرمون من يأتي اليهم لتعزيتهم^١ . وقد كانت مدة العزاء حولاً عند العبرانيين أيضاً وعند غيرهم من الساميين والشعوب الأخرى ، يقوم فيها أبناء الميت أو بناته بتلاوة صلوات خاصة في خلالها على الميت ليرحمه الله وليغفر له وليسعد روحه^٢ . وتكاد هذه المدة تكون أمداً للعزاء ولذكرى الميت عند كل الشعوب الى هذا اليوم .

وأما مدة المناحة فهي في العادة سبعة أيام . فلما مات (زيد الخيل) ، الشاعر الفارس ، وهو في طريقه الى دياره ، أقام (قبيصة بن الأسود) المناحة سبعة أيام^٣ . ولا تزال هذه المدة مرعية في العراق ، حيث تنوح وتبكي النسوة فيها موتاهن ، ويكون اليوم السابع هو ختام العزاء . أما الرجال ، فيقيمون العزاء ثلاثة أيام ، ويسمونهم (الفاتحة) في الإسلام بالعراق في هذه الأيام . ويجلس أقرباء الميت وأهله عند العبرانيين سبعة أيام في البيت حزناً عليه وتقبلاً لتعازي الناس . وقد ورد أن مدة النياحة قد تستمر عند الجاهليين فتكون حولاً^٤ .

ملابس الحزن :

ويلبس أهل الميت وأقرباؤه ملابس الحزن مدة العزاء أو حولاً كاملاً. واللون الأبيض والأسود هما اللونان اللذان تتخذ منها الملابس في الحزن ، فقد لبسوا الملابس البيض ، ولبسوا الملابس السود ، وما زال اللونان شعاريّ الحزن حتى الآن . فاللون الأبيض هو شعار الحزن في الحجاز والشأم ، أما الأسود ، فهو شعار الحزن في العراق .

وحداد المرأة على زوجها حداد صعب عسير ، عليها في هذه المدة الإمتناع عن الزينة والطيب امتناعاً تاماً ، ويقال لها في هذه الأثناء (الحادة) لأنها حدت على زوجها، وفي خلال الحداد يمتنع الخطاب من خطبتها والطمع فيها حتى تنتهي منه^٥.

١ بلوغ الارب (١٢/٣) .

٢ Isidore Epstein, Judaism, p. 178.

٣ الاغانى (٤٨/١٦) .

٤ اللسان (٢١٦/٣) .

٥ أعمدة القاري (٢/٢١ وما بعدها) .

وفيه من بعض روايات الأخباريين أن من عادة الجاهليين حجز المرأة عند وفاة زوجها في بيت صغير ، قد يكون خيمة أو بناء يسمونه (الحفش) ، لتقضي فيه مدة العدة . فإذا كانت في هذا البيت ، لبست شرّاً ثيابها ، وامتنعت عن الطيب وعن تزيين نفسها مدة عام^١ . فإذا انتهت المدة افتضت عديتها (بمس الطيب أو بغيره كقلم الظفر أو نتف الشعر من الوجه أو دلكت جسدها بدابة أو طير ، ليكون ذلك خروجاً عن العدة . أو كان من عادتهم أن تمسح قبيلتها بطائر ، وتنبله فلا يكاد يعيش)^٢ .

وتصف رواية أخرى دخول المرأة الحفش وخروجها منه على هذه الصورة : « كانت إذا توفي زوجها دخلت حفشاً ولبست شرّاً ثيابها حتى تمرّ بها سنة ثم تؤتي بدابة ، شاة أو طير فتفتض بها ، فقلماً تفتض بشيء إلا مات . ثم تخرج فتعطي بكرة ترمى بها ... » . وجاء : « كانت لا تغتسل ولا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تنتف من وجهها شعراً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض بطائر تمسح به قبلها وتنبله فلا يكاد يعيش »^٣ .

ومن عادات بعض الجاهليين ضرب القباب على قبور موتاهم أياماً أو أشهراً قد تبلغ عاماً ، يقيم فيها نساء الميت أو ذوو قرابته ، ليجاوروا الميت ، وليستقبلوا فيه من يفد لزيارة القبر^٤ . واعتقادهم بإحساس روح الميت بوجودهم هناك وبمجيئهم إلى القبر لمؤانستهم له هو الذي حملهم ، ولا شك ، على ضرب هذه القباب وعلى مجاورتهم لتلك الأجداث . ومن هذه القباب المؤقتة ظهرت الأضرحة الثابتة ذات القباب السامقة الشاغخة ، كما أن من المعابد المثقلة ، أي الخيام المقدسة ، نشأت المعابد الثابتة عند العبرانيين وعند الجاهليين وعند غيرهم من الشعوب .

ومن عادة الجاهليين إسالة دم الذبائح على القبر أو تضريحه بتلك الدماء . فيعقر على قبور الموتى ، وعند إهالة التراب على الميت ، وقد يعقر على القبر كل عام وفي أثناء المناسبات إذا كان الميت من السادة المشهورين المعروفين بالخصال الحميدة كالشجاعة والكرم . وفي الشعر الجاهلي والأخبار أسماء أناس كانوا من المشاهير في

١ تاج العروس (٣٠٠/٤) ، اللسان (١٧٤/٨) وما بعدها .

٢ تاج العروس (٧٠/٥) ، صبح الاعشى (٤٠٣/١) .

٣ تاج العروس (٧٠/٥) ، نهاية الارب (١٢٠/٣) .

٤ Muh. Stud., I, 8. 257.

ايامهم ، جرت العادة بأن تذبح الذبائح عند قبورهم إكراماً لهم . وقد بقيت هذه العادة الجاهلية خالدة حتى اليوم مع إبطال الاسلام لها بحديث : « لا عقر في الاسلام »^١ . وليس من الضروري أن يكون أصحاب العقائر من ذوي قرابة صاحب القبر أو من قبيلته . ومن هذه القبور قبر (ربيعة بن مكدم) من (بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة)^٢ . وكان الناس يعقرون على قبره . ويظهر من شعر الحسن بن ثابت قاله لما مرّ بقبره ، أن قبره كان قبراً مبنياً بني من حجارة حرة^٣ .

والعادة في العقر ، عقر قوائم الدابة ، وقد تعقر الدابة ثم تذبح ، والغالب ان تكون الدابة جملاً أو ناقة ، ولكن بعضهم كان يعقر شاة كذلك ، وذلك اذا كان أهل الميت من طبقة ضعيفة ، يصعب عليها عقر جمل أو ناقة . وقد ورد النهي عن ذلك في حديث آخر هو : « لا تعقرن شاة أو بعيراً إلا للأكله »^٤ . وقوم كان يحبسون ناقة الرجل وذلك بأن يشدّوا الناقة الى قبر الرجل ، ويعكسوا رأسها الى ذنبها ، ويغطوا رأسها بوليّة ، وهي البردعة ، وتربط برباط وثيق حتى لا تهرب ، فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ، واذا بقيت على القبر ، فإنها تبقى في حفرة لا تعلف ولا تسقى حتى تموت عطشاً وجوعاً ، ويقال لهذه الناقة السيئة الحظ البليّة . ويزعمون أنهم انما يفعلون ذلك ، ليركبتها صاحبها في المعاد ، ليحشر عليها فلا يحتاج أن يمشي . قال أبو زيد :

كالبلايا رؤوسها في الولايا مانحات السموم حرّ الخلود^٥

ووجدت في قبور الجاهليين أشياء مما يستعمله الإنسان في حياته مما يدل على أنهم كانوا كغيرهم يدفنون مع الموتى ما يشعرون ان الميت قد يحتاج في حياته الأخرى اليه^٦ . أما الأعراب فلا تتصور أنهم كانوا يدفنون مع الموتى أشياء ثمينة

١ « لا فرع ولا عتيرة » الحديث رقم ٦ ، ٧ . من أحاديث كتاب العقيدة ، صحيح البخاري .

٢ بلوغ الأرب (١٢٥/٢) وما بعدها . Muh. Stud. I, S. 241.

٣ نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب بلوغ الأرب (١٢٥/٢) .

٤ اللسان (٥٩٢/٤) .

٥ النهاية ، لابن الأثير (٩٥/١) ، نهاية الأرب (١٢١/٣) .

٦ Reste, S. 180.

لفقرهم وبساطة معيشتهم . وقد عُثِرَ في مقابر أهل العربية الجنوبية مثل اليمن وحضرموت على حليّ وأحجار نفيسة وأمثال ذلك مما دفنه أهل تلك البلاد مع موتاهم ، ليتزينوا بها في العالم الثاني .

وتؤيد روايات أهل الأخبار عن فتح القبور في الإسلام بحثاً عن الغنى والمال ، ما ذكرته من احتمال وجود رأي عند عرب ما قبل الإسلام ، بأن الميت سيحتاج إلى هذه الأشياء التي دفنت معه ، وأنه سيستفيد منها في عالمه الثاني الذي رحل إليه . ولكني لا أستبعد احتمالاً آخر ، قد يكون أهل الجاهلية قصدوه من دفن الذهب والفضة من حليّ أو سبائك أو صفائح مكتوبة مع الميت ، هو رغبة أهل الميت في اظهار شعور الود والمحبة نحو ذلك الميت ، بدفن تلك النفائس العزيزة معه ، لاطهار أنفسهم لا يبالون بها بعد فقدهم عزيزهم الميت ، وأنهم يريدون دفن كنوزه معه ، تعففاً عنها وإزدراء بها . وقد ورد في بعض الأخبار أن امرأة ماتت ، فدفنوها مع متاعها^١ .

ولصيانة القبر وبقاؤه على حاله أهمية كبيرة عند الجاهليين ، تتجلى في الجمل التي دَوَّنوها على شواخص قبورهم ، هذه الشواخص التي عُثِرَ عليها السياح والباحثون في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، وهي تطلب إلى الآلهة بأن تنزل الآلام والأمراض والعاهات بمن يتجاسر فيقتل شاخص القبر من مكانه ، أو يكسره ويأخذه ليستعمله ، أو ما شاكل ذلك^٢ . وجملة (عور لذ عور سفر) أي (عور للذي يعور الشاخص) ، أو جملة (وعور دشر وخبل) ، أي عى وجنون (خبل) من الإله (ذو الشرى) ، على من يحوّر هذا الشاخص ويغيره أو يأخذه ويغيره لغرض ما^٣ ، وأمثالها ، هي من العبارات المألوفة التي نقرأها بكثرة على شواخص القبور .

ومن الطبيعي أن نجد هذه العبارات وعبارات أخرى أشد منها مدونة على تلك الشواخص ، راجية من الآلهة أن تنزل عقابها على من يحاول التطاول على حرمة

١ اللسان (٤٨٤/١٢) ، « صادر » ، (قسم) .

٢ South Arabian Inscriptions, p. 53. Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol. II, 1953, p. 33.

٣ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol. I, 1951, p. 27.

القبر يدفن غريب فيه. ويظهر من هذه العبارات ان من الجاهليين من كان يتناول على القبور ، ولا سيما القبور المنحوتة والقبور الجيدة المبنية على شكل غرف ، وأضرحة ، فيدفنون موتاهم فيها ، وبذلك تدخل جثث غريبة في تلك القبور ، أو يحولوا تلك المقبرة القديمة الى مقبرة جديدة . وقد يزيلون معالمها تماماً ، أو يدفنون أمواتاً فوق أموات على نحو ما تفعل اليوم في المقابر القديمة المشهورة المقامة حول الأولياء ، حيث تتحول المقابر القريبة من الولي الى مقبرة قد ترتفع من كثرة ما يدفن عليها ، حتى تكون مرتفعاً عن ظاهر الأرض .

وتزار قبور السادات والأشراف ، وخاصة قبور كبار سادات القبائل ، ويذبح عندها ، ويحلف بها ، ويلجأ إليها طلباً للأمان والسلامة ، فلا يستطيع أحد التحرش بمن التجأ الى صاحب القبر ولا ذويه . وقد هجا (بشر بن أبي خازم الأسدي) (أوس بن حارثة) من (آل لأم) ، فكان في جملة ما قاله في هجائه :

جعلتم قبر حارثة بن لأم إلهاً تخلفون به فجوراً

وحارثة بن لأم صاحب القبر ، هو أبو أوس المهجور .

وقد أشار أهل الأخبار الى قبور سادات جاهليين كان الناس يقدون إليها ، ويعظمونها ، ويلوذون بها ، ويطوفون حولها ، منها قبر (تميم) بموضع (مر الظهران) ، وقبر (عامر بن الطفيل) ، وقد وضعوا الأنصاب حول القبر لتكون علامة له ، فلا يدخل الساحة التي يكون فيها القبر الى موضع الأنصاب حيوان أو راكب ولا يهلك حرمتها انسان . كذلك كان الناس يحلقون شعورهم عند مثل هذه القبور ، كالذي كانوا يفعلونه عند الأصنام^١ .

وقد حجت قبائل قضاعة الى قبر كان على مرتفع من الشحر ، زعم أنه قبر جد قبائل قضاعة^٢ . وكانت أمثال هذه القبور ملاذاً يلوذ بها أصحاب الحاجات ، كما قصدها الشعراء لانشاد قصائدهم في مدح صاحب القبر والتغني بمجده وبمجد

١ ديوان بشر (ص ٩١) .

٢ Reste, S. 184, Muh. Stud. I, S. 231, Smith, Dictionary p. 19.

٣ Muh. Stud., I, S. 231, 235.

قبيلته . ولها حى حكمه حكم الحمى الذي يحيط ببيوت الأصنام . ويقسم بهذه القبور
ويحق أصحابها ، كما يقسم بالأجداد ، ويعد هذا النوع من القسم يمينا لا يجوز
الكذب فيه ، وهو كالإيمان المغلظة التي يحلف بها الناس ويذكرون فيها الآلهة
وأسماء الأصنام .

وفي كتب الحديث أن النبي نهى عن الحلف بالآباء والأجداد وبتربهم ، لأن
ذلك من عمل أهل الجاهلية . وقد كانت قريش تحلف بأبائهم وبأجدادهم فتقول :
«أبي أفعل هذا ، أو وأبي لا أفعل وحق أبي أو تربة أبي أو وتربة جدك ،
ونحو ذلك . وهي إيمان من إيمان الجاهلية نهى النبي عنها^١ .

الفصل الثاني والخمسون

الدولة

أقصد بالدولة الشعب والحزب أو الجماعة الحاكمة له في أرضه وتحت سلطانه وفي حيازته وملكه . لذلك لا أشترط في هذه الدولة أن تكون دولة كبيرة كالدولة الرومانية أو اليونانية أو الساسانية ، فقد تكون الدولة حكومة قَرْيَةٍ مثل يثرب أو مكة ، وقد تكون حكومة قبيلة ، وقد تكون أكبر من ذلك وأوسع مثل دولة الحيرة ودولة الغساسنة ودول اليمن. فلا علاقة اذن لكبر أو لصغر الحكومة بمفهوم الدولة في نظري ، فكل حكومة جاهلية مستقلة، هي عندي مع شعبها أي التابعين لها دولة صغرت أم كبرت .

والشعب في الجاهلية وعند الجاهليين ، هو القبيلة . فالقبيلة هي أصل الدولة ونواتها ، وتقوم على رابطة الدم ، أي على فكرة ان القبيلة هي من صلب رجل عاش حقاً ومات ، وان أفرادها من هنا يرتبطون بينهم برابط الدم، أي ان بينهم قرابة وصلة رحم . أما وطن القبيلة ، فالأرض التي نشأت فيها ، ثم الأرض التي هي عليها . فن القبيلة ومن أرضها ، تكونت دولتها ، وعلى رأسها سيد القبيلة . هذا بالنسبة الى الأعراب ، أما بالنسبة الى الحضر ، فإن فكرة الدولة عندهم تختلت باختلاف درجة أولئك الحضر . فالدولة في العربية الجنوبية ، تجمع شمل قبائل عديدة كما تضم طوائف وفئات رُسمت لها حدود معينة وحددت بمحدود وقيود، فلا تتجاوزها . وقد حدد المجتمع مكانتها ومقراتها بحيث جعل من المجتمع العربي الجنوبي مجتمعاً طبقياً . يتمتع فيه الملوك ومن يأتي بعدهم من حكام

وأصحاب معبد وأرض بأعلى المنازل ، ثم تليهم بقية الطبقات حسب قوتها ومكانتها الى أن تصل الى سواد الناس ، وأقلهم منزلة الرقيق وأصحاب الحرف المبتذلة . وهو نظام بقيت روحه وجذوره قائمة في اليمن الى الوقت الحاضر ، ولكنه بدأ يتأثر بمقاومة روح العصر وتقدم البشرية ، فأخذ يتهدم بعض التهدم حسب مواطن الانحسار في البناء . وأما في الأماكن الحضارية الأخرى ، مثل العربية الشرقية وفي الحجاز ، أو نجد ، فإن درجة فهم الناس فيها للدولة ، تختلف فيها ، باختلاف تقدم ذلك المكان في الحضارة وبتصاله بالعالم الخارجي .

وبفضل عثور الباحثين على كتابات تعود الى عهود مختلفة من تأريخ العربية الجنوبية ، استطعنا الاطلاع بعض الاطلاع بشيء من نظم الدولة في تلك الأراضين . وفي جملتها طرق الحكم فيها ونفوذ رجال الدين وأصحاب الأرض والحياة الاقتصادية التي جعلت العربية الجنوبية مجتمعاً مكوناً من طبقات ، يسيّر الحكام ورجال الدين وأصحاب المال والأرض . أما بالنسبة الى المواضيع الأخرى ، فإن علمنا عن هذه الأمور هو دون علمنا عن العربية الجنوبية بكثير ، بسبب عدم عثور الباحثين على كتابات جاهلية فيها ، نستطيع أن نستلهم منها وحينا عن الماضي البعيد . ولذلك هممنا عنها ضحلاً ، استمد أكثره من أخبار اهل الأخبار ، وهي فجأة أو مصنوعة ، أو مخرفة حرفها مرور الزمن ، أو ملسوسة عمداء من اخباري أراد اظهار علمه للناس ، أو من متعصب لقبيلة أراد بدسه الأخبار التفريغ عن عاطفة التعصب الكامنة في نفسه .

ويجوز عن سكان القرى والمدن بـ (أهل) وبـ (آل) . فيقال (أهل مكة) و (أهل يثرب) ، ويراد بهم قطان مكة وسكان يثرب ، و (شعب) في التعبير الحديث ، على اعتبار أن كل مدينة مستقلة بشؤونها قائمة بإدارة أمورها وهي حكومة ذاتية يدير حكمها سادات المدينة . على نحو ما كان عليه الوضع في القرى الأخرى من الحجاز وفي نواحي عديسة من جزيرة العرب . وإذا أصيب احداهم بضميم ، أو أراد شيئاً يتطلب العون والمساعدة نادى : (يا أهل مكة) . (يا آل مكة) ، فيلبي ساداتها نداءه ويمضون في معالجة أمره ، والغريب عند (أهل مكة) ، له حق النخوة والإستجارة ، فإذا نادى بشعارهما حصل عني من يدافع عنه ويأخذ حقه ممن ظلمه .

ويشعر سكان المدن والقرى انهم كالقبيلة من اصل واحد ، وأن لهم جسداً

أعلى ، يرجع نسبهم اليه ، او جدة إن انتمى اهل المدينة الى امرأة . وذلك ، لاعتقادهم أنهم من قبيلة واحدة في الأصل ، هاجرت الى هذا المكان فسكنت فيه . فرجع نسب مكة الى (قريش) ، ونهاية نسب اهل يثرب من الأوس والخزرج الى (قبيلة) جدتهم ، ونسب أهل الطائف الى ثقيف . فنحن إذن وإن كنا امام مدن وقرى ، اي أمام عرب حضر ، لكننا نجد انفسنا امام نظم تقوم على أسس قباية وعقلية قبلية . فالقرية في الواقع قبيلة مستقرة تركزت في مكان واحد . وقد تمسكت بنظم تفرع القبيلة وبالعصية ، وبما الى ذلك من عرف مجتمع أهل البادية . وقد بقيت رابطة النسب وصلة الدم بها قوية . ذلك لأن تلك القرى ، وإن جلبت اليها الأجانب والغرباء ، غير انها بقيت مجتمعات منعزلة ، لأن وسائل الاختلاط لم تكن متهيئة لها في ذلك الوقت ، حتى تجبرها على الخروج عن العزلة ، والاختلاط بالغير ، اختلاطاً شديداً على نحو ما يحدث للحضر في الأمكنة المتحضرة الممتزجة بالسكان .

وجدت القبيلة ، هو مصدر إلهامها ، ورابطها الروحي الذي يربط بينها . باسمه تتنادى في الغزوات والحروب ، لتبعث حرارة الاندفاع والحماسة في القتال ، وبه يدعو للنخوة أبنائها ومن يلتجئ الى القبيلة من مولى أو جار ، وبقبره يلاذ إن كان له قبر ، وباسمه يحلف كما يحلف بأسماء الآلهة .

والقبائل مصدر إلهام روحي آخر ، هو أصنامها . فكان (المله) صنم سبأ ، وكان (ودّ) صنم (معين) ، وكان للقبائل العربية الشمالية التي حاربت الآشوريين أصنام يحملونها معهم في سلم وفي حرب . ويستمدون منها المدد والعون في الغزوات والحروب . ويعد سقوط الصنم في أيدي الأعداء نكسة للقبيلة وعاراً على أبنائها ، لذلك كانوا لا يهدأ لهم بال حتى تعاد اليهم أصنامهم . وكان من أهم ما يدعو القبائل العربية الى التهادن مع الآشوريين رغبتهم في استعادة أصنامهم وضمان عودتها من المنفى والأسر الى الحرية .

ولما ظهر الاسلام كانت القبائل ما تزال تحتفي بأصنامها وتدعوها لتنصرها في الحرب ، حتى من تخضر منها واستقر ، مثل أهل مكة الذين كانوا ينادون : (أَعْلُ هُبْلُ . أَعْلُ هُبْلُ) في حربهم مع المسلمين . أما الذين غيروا دينهم وتنكروا لعبادة الأصنام فقد احتموا بشفعاء جدد ، أخذوهم من النصرانية التي دخلوا فيها ، فكان لهم قديسون يلوذون بهم في أثناء القتال .

ويعبر عن القبيلة بلفظة (شعب) في العرييات الجنوبية^١ . فالقبيلة والشعب إذن لفظان مترادفان على معنى واحد . الشعب بمعنى قبيلة في عربية القرآن الكريم ، والقبيلة بمعنى شعب في العرييات الجنوبية . ولكن علماء العربية يفرقون بين اللفظتين ، فيجعلون الشعب أكبر من القبيلة . والظاهر ان هذا التفريق قد وقع في الجاهلية القريبة من الاسلام ، ونجده في القرآن الكريم في آية الحُجرات : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »^٢ . فذكر المفسرون ان الشعب أكبر من القبيلة . غير ان كثيراً من علماء العربية يرون أن الشعب والقبيلة في معنى واحد^٣ .

وقد وردت كلمة (شعب) في الكتابات السبئية بمعنى قبيلة كما ذكرت ، فورد : (شعب سبا) ، بمعنى قبيلة سبا . وورد (سبا وأشعبهمو) بمعنى (سبا وأشعبهم) ، أي السبئيون وقبائلهم ، ويراد بقبائلهم القبائل الأخرى الخاضعة لهم^٤ .

ويرى بعض الباحثين في العرييات الجنوبية ، ان لفظة (شعب) لا تعني عند العرب الجنوبيين معنى (قبيلة) بالمعنى المفهوم من اللفظة عندنا ، بل تعني جماعة ترتبط بالدولة وبالآلهة : آلهة الدولة ارتباطاً ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً . فإذا قلنا شعب سبا (شعبن سبا) ، فإننا لا نقصد قبيلة سبا ، بل أمة سبا ، أو شعب سبا بالاصطلاح الحديث . أي رابطة مواطنة تجمع شمل جميع المواطنين بالدولة جمعاً روحياً ومادياً ، أي ان أمة سبا تجمع السبئيين وغيرهم من الغرباء من أتباع حكومة سبا ، الخاضعين لحكم هذه الحكومة ، ويدنون بالولاء لها ولأنظمتها ولقوانينها الروحية والمادية^٥ .

ونجد في النصوص العربية الجنوبية لإشارات الى وجود ثلث أو ربع أو نصف قبيلة . فورد : (ثلثن سمعي) ، أي (ثلث سمعي) . ومعنى هذا ان جزءاً

Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 448. ١

الحجرات ، الآية ١٣ . ٢

تاج العروس (١٣٤/٣) ، (شعب) . ٣

يراجع السطر التاسع من النص في : REP. EPIG. V, 2726 ٤

Grohmann, S. 122, Rhodokanakis, Der Grundsatz der Öffentlichkeit in Südarabischen Urkunden, S. 42, (1945), Bodenwirtschaft, 181, 183, Handbuch I, S. 119. ٥

من قبيلة ما تعاون مع سكان منطقة ما لاستغلال أرض والاستفادة من غلاتها .
فيذكر عندئذ رقم الجزء الذي نزل في هذا المكان . ولا يعني هذا بالضرورة
ثلاث أبناء القبيلة أو ربعها أو نصفها أو خمسها على الوجه المفهوم من القبيلة عندنا .
بل يعني ذلك توزيع الأعمال والشغل على المجتمعين الذين تجاوزوا ورضوا بالعمل
معاً حسب الأجزاء المذكورة ، التي تمثل نسب اشتراك المشتركين في العمل .

وفي العرييات الجنوية مصطلح ، له صلة بمعنى (المواتنة) والمواطن بالمعنى
الحديث . وهو مصطلح : (خمس) ويجمع على (أخمس) (أخمس) ، ويراد
به مواطنو مملكة أو إمارة . فهو بمعنى المواتنة أو الرعاية في الاصطلاح الحديث .
فكل من يعيش في حكومة ما في أي مكان كان ، من قرية أو مدينة ، فهو
(خمس) ، أي مواطن ومن رعايا تلك الحكومة ، كما نرى في هذه الفقرة في
نص (معيني) : (ركل الال لمعن ويثل وكل الال ذا خمس واشعيم) ،
ومعناها : (وكل آلهة معين ويثل وكل آلهة المواطنين والقبائل) . ويراد بـ (اشعيم)
هنا القبائل ، أي الأعراب . واما (أخمس) ، فيظهر أن المراد بها الرعايا
الخاصة المستقرون . وورد في نص سبتي : (خمسيهو وحيرم) ، أي (مواطنو
سبأ وحير) .

وترد لفظة (جوم) (كوم) في النصوص السبئية القديمة بوجه خاص ،
مثل هذه الجملة (هوصت كل جوم)^١ . ويرى بعض الباحثين أن (هوصت)
بمعنى (ملّة) . و (الملة) ، في الإسلام ، يراد بها نظام ديني واقتصادي واجتماعي ،
ارتبط أفرادها بمجتمع واحد ، يربط الأمور المذكورة^٢ . اما لفظة (جوم)
(كوم) ، فتترادف لفظة (قوم) في عربيتنا . وقد يكون القوم عدداً صغيراً ،
وقد يكون كبيراً . ويرتبط القوم برباط متين يربط أفرادها ، هو الإله الذي ينتمي
القوم إليه . فورد (جوم عثر) و (كوم ود) ، أي (قوم عثر) (وقوم
ود) . فالقوم إذن جماعة وإخوان في دين ، تؤمن بإله يجمع شمل المؤمنين به ،
ويربط بينهم برباط العقيدة والإيمان به ، لا برباط النسب وصلة الرحم والدم .
هذا ، ويذكر علماء اللغة أن (الملة) ، الشريعة والدين ، كملّة الإسلام

١ : يراجع النص : Glaser 484.

٢ : Rhodokanakis, Stud. II, S. 8, WZKM. 28, 110, Note : 2.

والنصرانية واليهودية . وهي في اللغة السنة والطريقة ^١ . وقد وردت في خمسة عشر موضعاً من القرآن الكريم ^٢ . استعملت في ثمانية مواضع منها للتعبير بها عن دين إبراهيم : (ملّة إبراهيم) . وللمستشرقين آراء متضاربة في أصل الكلمة ^٣ .

والمواطنون هم أبناء (القبيلة) ، التي هي نواة الحكومة وجراثومتها ، والتي بقوتها تكونت تلك الحكومة ، والقبائل المتحالفة معها ، أو التي خضعت لحكمها فتبعتها . ولهذا تذكر القبيلة ويشار إليها ، باعتبار ان الحكومة هي حكومتها في الأصل ثم يشار الى القبائل الخاضعة لها للدلالة على انها في حكم تلك الحكومة . فقد ورد في الكتابات السبئية (سبا واشعبيهم) ، بمعنى سبا والقبائل التابعة لها ^٤ . وورد : (ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في المرتفعات وفي التهائم) ، وهو لقب ملوك سبا بعد توسع رقعة سبا واستيلاء السبئيين على غيرهم وضمهم ارضهم الى ارض دولتهم . فلو أن اسم سبا أولاً ، باعتبار ان السبئيين هم العنصر الحاكم المكون الأول للدولة ، ثم اشار الى من تبعهم وانضم اليهم سلماً او حرباً .

وبين (الشعب) وإلهه رابطة مقدسة وصلة متينة لا انفصام لها . وفي استطاعتنا ان نقول ان مجتمعات العرب الجنوبيين كانت مجتمعات دينية . فالشعب عبيد الإله ، والإله بالنسبة لأتباعه أب غفور رحيم ، شفيق قدير . (الجوم) (الكوم) أي ألقوم ابنائوه واولاده . فالسبئيون هم ولد (الملقه) ، اي اولاد الملقه ، إله سبا ، والمعنيون هم (ولد ود) ، وقد خاطبوا إلههم (ودآ) بعبارة : (ودم ايم) اي (ودآ أب) و (ودآ الأب) . وقال القتيبانين عن انفسهم (ولد عم) و (اولد عم) ، اي ولد الإله (عم) واولاد الإله (عم) . وفي هذه الجمل أجمل تعبير عن وجهة نظر المجتمع الى ربه . إن رب القبيلة ، هو الرابط المقدس الذي يربط شملها ويجمع بين أبنائه ، وبه يعتصم الناس ، وإليه يلاذ في الخير وفي الشر . وقد عبّر عن هذه الرابطة بلفظة جميلة هي (حبل) في بعض

١ اللسان (٦٣١/١٣) ، المفردات (٤٨٨) .

٢ Dictionary of Islam, p. 348.

٣ Shorter Ency. of Islam, p. 380.

٤ يراجع السطر التاسع من النص المنشور في : REP. EPIG. V, 2726.

الكتابات^١ . والحبل يربط ويجمع ويجعل من المتفرق وحدة . وهو مصطلح يذكرنا بالآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله »^٢ ، وبآية : « أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس »^٣ . فلفظة (ولد) اذن بمعنى قوم وأبناء صنم أو موضع . فهي في معنى أبناء في اصطلاحنا الحديث ، تستعمل قبل اسم الصنم أو الموضع أو القبيلة ، لتدل على معنى المواطنة . ولا يشترط فيها أن تكون مواطنة نسب أي صلة رحم . وقراءة دم ، بل مواطنة دينية ورابطة سياسية واجتماعية واقتصادية .

والإله حامي شعبه والذاب عنه ، والمؤيد له في السلم وفي الحرب . لذلك نعت بـ (شيم) (شري م) أي (شيم) ، وتعني اللفظة معنى حام وحافظ ومدافع . ونجد الناس وهم ينتعون آلهتهم بهذا النعت في كتاباتهم طالبين منهم العون لشفائهم من أمراضهم ولحمايتهم من الأسوأ .

وفي جملة (اهل عثر) وامثالها التي ترد في مختلف كتابات المسند ، تعبير عن هذه الرابطة الثينة التي تربط القوم يلهمهم . تعبير عن صلة ملّة عثر برهبها . الجاعة المؤمنة بالإله عثر . وتعبر عن جماعات انتمت الى آلهة اخرى ، وقالت عن نفسها : (اهل) . ويشبه هذا التعبير تعبير (اهل الله) الوارد في الإسلام ويراد بهم المؤمنون بالله المنقطعون له وحده العابدون القانتون الزاهدون .

وهكذا نجد شعوب حكومات العربية الجنوبية ، مؤلفة من وحدات سياسية دينية . لكل وحدة رابطة روحية تربط أفرادها ، جعلت (المؤمنين لإخوة) ، في عقيدتهم وفي تمسكهم واعتقادهم بإله قبيلتهم الخاص ، هو إله القبيلة .

ونحن إذ نقرأ لفظة (شعب) في الكتابات العربية الجنوبية ، يجب ان لا نفهم منها ما نفهمه من لفظة (قبيلة) في نظر الأعراب ، وعند العرب الشماليين ، أي رابطة دموية تجمع أبناء القبيلة ، ترجع بهم الى جد واحد أعلى . بل يجب علينا ان نفهمها على وجه آخر . يجب ان نفهمها بمفهوم (الملّة) أو (الأمة) في المصطلح الاسلامي ، وعلى النحو الذي فهمه المسلمون الأول من مصطلح (أمة) و (ملّة) ، أي رابطة تجمع بين شمل جماعات شعرت بوجود روابط دينية

١ Glaser 484, Skyye I. S. 68.

٢ ال عمران ، الآية ١٠٣

٣ السورة نفسها ، الآية ١١٢ .

وفكرية واقتصادية واجتماعية بينها ، وبوجود إخوة في العقيدة والرأي . على نحو ما نفهمه من آية الحجرات : « إنما المؤمنون إخوة »^١ . وذلك كما سبق أن تحدثت عن ذلك قبل قليل .

وترد لفظة (عم) بمعنى شعب في الكتابات النبطية ، وترد بهذا المعنى في لهجات عربية أخرى^٢ . وقد نعت ملوك النبط أنفسهم بـ (رحم عمه) (راحم عمه) ، أي (رحيم شعبه) أو (راحم شعبه) ، بمعنى أنه محب لشعبه رحيم به^٣ . وإن ملوك النبط رحماء بشعبهم محبون له .

والذي يجمع شمل الدولة ويقويتها ويأخذ بها إلى الحكم ثلاثة أركان: إله أو آلهة، يدافع أو تدافع عن الحاكم وعن رعيته ، وحاكم قد يكون (كاهناً) وقد يكون ملكاً ، وقد يكون أميراً ، وقد يكون سيد قبيلة ، واجبه حكم رعيته وارشادهم وقيادتهم في السلم والحرب ، ثم رعية طيعة طائعة تدين بالولاء للآلهة وللحكام ، ليس لها الاعتراض على (حق الحكم) ، لأنه حق إلهي مقرر ، ولا اعتراض على قدر الآلهة ومقدراتها : ومن يخالف أوامر السلطان ، كان كمن يخالف أمر ربه ، عاصياً خارجاً عن سواء السبيل ، فيجب تأديبه ، ولو بالقتل ، لأن جزاء من يخرج على أمر الآلهة القتل .

ومن سبأ الاخلاص للدولة ذكر أسماء الآلهة التي يتعبد لها الحكام ، أي آلهة الشعب الحاكم ، تيمناً بها ، وتقرباً إليها ، وذكر أسماء الحكام في الكتابات في المناسبات تعبيراً عن ولاء صاحب الكتابة وإخلاصه للحاكم . وذكر اسم القبيلة الحاكمة مع اسم القبيلة التي ينتمي إليها صاحب الكتابة ، ليكون ذكرها تعبيراً عن الاعتراف بسيادتها عليه وعلى قبيلته .

أصول الحكم :

المجتمع العربي الجاهلي : بدو وحضر ، أهل وبر وأهل مدر ، يتساوى ذلك عرب العراق وعرب بلاد الشام وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب .

١ الحجرات ، الآية ١٠ .

٢ GIS, II, 197, 5, Huber 29, Euting 2.

٣ GIS, II, 197, 5, Huber 29, Euting 2.

وفي كل مجتمع من هذين المجتمعين تكون نظام من أنظمة الحكم يتناسب مع المحيط ، لأنه نبات ذلك المحيط ، وحاصله ، وما ينبت في مكان ينبت وقد اكتسب خصائص التربة وخصائص الجو ، وما يحيط بالنبات من مؤثرات طبيعية أو بشرية .

ومن هنا صارت (الرئاسة) قاعدة الحكم عند أهل الوبر ، و (الملكية) و (رئاسة القرى والمدن) ، أداة الحكم عند أهل المدر .

ولا ينال الحكم في المجتمعات البدوية وفي المجتمعات الصغيرة التي لم تبلغ مرحلة متقدمة من الحضارة ، والتي لم تنل حظاً من الغنى والمهارة في العمل وفي كثرة الانتاج وتنويعه ، إلا من كان ذا قابلية عالية وذو شخصية قوية ، وذو أسرة متجانسة متألفة متماسكة كثيرة العدد ، وذا عشيرة أو قبيلة تندفع في تأييده لمزاياه المذكورة أو لخوفها منه ، أضف الى ذلك : العصبية والرغبة في كسب المال عن طريق الاندفاع معه في غزو القبائل الأخرى . فمجتمع من هذا النوع تكون قيادته بيد (سادته) ، وقد يفرض أحدهم نفسه على الآخرين ، طوعاً أو كرهاً فيكون حكومة تنسب في الغالب اليه ، قد يطول أجلها اذا جاء من بعده حكام أكفاء لهم قابلية وشخصية ، وقد تموت بموته ، لعدم كفاءة من يخلفه ، ولأنه كون دولته بشخصيته ، وليس عن دوافع أخرى مثل ايمان بعقيدة واخلاص لها ، أو وجود وعي مشترك وحس بوجوب التكاتف والتآزر ، لتأليف مجتمع متكاتف يعيش فيه المواطنون عيشة مؤاخاة ومواطنة بالعدل والانصاف ، حتى يطول عمر تلك الحكومة ، ولما كانت تلك الدولة قد تكونت إما عن مصلحة أو عن خوف وقهر أو عن طمع ، وقد زالت هذه بموت صاحبها ، لذلك يصيبها التفكك وانحسار البناء . وما يؤيد ذلك ردة من ارتد بعد وفاة الرسول عن الاسلام ، فقد كانت حجتهم في ردتهم أنهم انما بايعوا الرسول وآمنوا به ، ولم يبايعوا غيره . وبوفاته انتهى حكم البيعة ، فلن يخضعوا لغيره ولن يدفعوا صدقة ولا زكاة ولن يطيعوا أحداً . ولو لم يؤدبهم (أبو بكر) ، بأدب القوة ، لما عادوا ثانية الى الاسلام .

وللحكم الملكي صلة كبيرة بحياة الاستقرار والاستيطان ، فهو لا ينمو ولا يظهر إلا في المجتمعات المستقرة وفي المواضع الغنية بالماء وفي القرى والمدن . فرى ان حكام قرى فلسطين ومدنها كانوا قد لقبوا أنفسهم بلقب (ملك) في ايام (ابراهيم) مع أنهم لم يكونوا إلا رؤساء قرى أو مدن . وقد كان أكثرهم كهنة في الأصل ،

أي حكاماً حكموا رعيتهم باسم الآلهة ، فكان لهم الحكم في الدين وفي تدبير أمور الرعية من الناحية الدنيوية ، ثم عافوا هذا المركز وتركوا المعبد، وخصصوا أنفسهم بالنظر في الأمور الدنيوية .

ولما تقدمت وسائل الحروب وتفنن الإنسان في صنع الأسلحة ، وفي استئلال الحيوان وتسخيرها لنقل محاربيه وأسلحتهم ومواد اعاشتهم ، توسعت سلطة كبار الملوك ، وتضخمت حدود ممالكهم ، فظهرت الملكيات الكبيرة : ظهرت على أنقاض (ممالك القرى) و (ممالك المدن) . حيث حكم التاريخ بتسلط الممالك القوية على الممالك الصغيرة، وبأكل القوي منها الضعيف ، لأن الحق للأقوى والبقاء للقوي المكافح المناضل المكالب في هذه الحياة تكالب الكلاب فيما بينها ، لمجرد شعور كلب قوي بتفوقه على كلب آخر غريب أو كلاب غريبة عنه .

ولعب (المال) دوراً خطيراً في ظهور (الملوك الكبار) وفي تكوين (الحكومات الملكية الكبيرة) ، ونضيف إليه شخصية صاحب المال والطبيعة التي عاش بها ، من برودة وحرارة وتبدل في الضغط الجوي ، ومن تربة ومعدن ونبات وماء . فالمال وحده لا يكفي لخلق دول كبرى ، وهو لا يدوم إذا لم يقرن بعقل فطن خلاق يعمل على الإيجاد والتكوين وتسخير الطبيعة في خدمته وخلق قوة تكون سنداً له وسداً منيعاً يقف حائلاً منيعاً أمام المعتدين . والاستفادة من المال بتشغيله بحكمة وبعلم ، وبإيجاد موارد جديدة تحل محل الموارد القديمة إن نفقت .

وقد كان ظهور الحكومات الملكية الكبيرة في الأرضين الغنية بخيراتها ذات الماء الغزير والجوّ المساعد على العمل . فوسعت رقعتها وطمعت في غيرها فابتلعتها وقوّت نفسها بخيراتها وعبأت كل قواها لخدمتها ، وأخذت تكتسح غيرها وتتوسع وكونت الممالك الكبيرة المشهورة في التاريخ. وقد سمح بعض ملوك الحكومات الكبيرة للملوك الممالك الصغيرة بالاحتفاظ بحمل لقب (ملك) ، على أن يكون ذلك مقروناً باعتراف أولئك الملوك بحماية الملوك الكبار لهم، وبوجوب عدم الخروج على طاعتهم وبلزوم الاشتراك معهم في الحروب إن طلب منهم الاشتراك فيها ، وبدفع جزية مرضية لهم . فلم تتمكن الحكومات الصغيرة التي عاشت على التجارة والاتجار من العيش بأمن وسلام ، إذ طمعت فيها الدول القوية ، فأرسلت إليها من يخيرها بين الاستسلام والطاعة أو الهلاك واحراق الدور وإنزال الدمار . وقد رأينا أمثلة عديدة على ذلك فيما سلف من هذا الكتاب . من ذلك تهديد حكومات العراق

لحكومات مدن الخليج، وتهديد الرومان واليونان للنبط . وحملة (أوليوس غالوس) على اليمن ، لضم أصدقاء أغنياء الى انبراطورية الرومان ، يؤدون لها الخراج ويقدمون لها ما عندهم من ذهب ابريز ، وإلا فالنار والحراب والدمار والقتل . فلا مجال للحكومات الغنية الصغيرة من العيش بأمن وسلام . وليس عندها سوى الإختيار بين أمر من أمرين . فإما دفع جزية ثقيلة ترضي القوي ، واما الاستسلام وإنزال النار بها والدمار .

أما البوادي والأرضين القفرة الفقيرة القليلة الماء ، فلا يمكن أن تنبت بها (ممالك) كبيرة، لعدم توفر مستلزمات المعيشة والتجمع الكبير فيها ، لهذا صارت حكوماتها حكومات (رئاسات) رئاسة قبيلة أو أحلاف . وقد يحلو للرئيس أن يختار له (ملك) ، لقب لا يعني في الواقع العملي أكثر من سيد قبيلة . وحكومات باطن جزيرة العرب هي من هذا النوع في الأكثر . أما الملكيات فقامت في مواضع الحضارة ، حيث التربة الصالحة الخصبة المساعدة على حياة التجمع والاستقرار . ووجود حضر ، يقبلون بالطاعة والخضوع لحكم حاكم ، ومال يجبي من الناس ليستعين به الحاكم على الاتفاق على نفسه وعلى جيشه وعلى من ينصبهم لإدارة الأمور ، قامت تلك الملكيات في العراق وفي بلاد الشام وفي أطراف جزيرة العرب وفي مواضع الماء من نجد كالليمة . وقد تكلمت عنها في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

أما الرئاسة ، فهي درجات تبدأ برئاسة بيت ، وتنتهي برئاسة قبيلة . ولكل رئيس سلطان على أتباعه وحقوق وواجبات . وعليه أيضاً حقوق وواجبات يجب أن يوفي بها لأتباعه ومن هم في عنقه ويمينه . والرئيس هو (بعل) و (رب) و (سيد) جماعته والمسؤول الشرعي عن أتباعه ، وهو ممثلهم ولسانهم الناطق باسمهم وحاميهم في الملمات .

وقد عرف (هشام بن المغيرة) بـ (رب قريش) ونسبت قريش اليه في الجاهلية ، فقال الشاعر :

أحاديث شاعت من معدٍ وحير وخبرها الركبان حيّ هشام
وذلك تعظيماً له واحتراماً لشأنه^١ .

١ الاشتقاق (ص ٩٤) .

ويعرف رئيس القبيلة بـ (سيد القبيلة) ، وسادات القبائل هم رؤساء القبائل . وقد ينعت رجل بـ (سيد العرب) وبـ (سيد مضر) وبـ (سيد أهل الوبر) ، وذلك للتعبير عن سلطانه وعن مكانته وعن حكمه لقبائل كثيرة عديدة . فقد نعت (الأفكل) ، وهو (عمرو بن جعيل) بـ (سيد ربيعة) لرئاسته على ربيعة^١ . وعرف (حذيفة بن بدر) بـ (سيد غطفان) ، وكان يقال له : (رب معد)^٢ .

وعرف (قيس بن عاصم بن سنان المِثقري) بـ (سيد أهل الوبر) ، فلما وفد على رسول الله في وفد (تميم) ، قال رسول الله : « هذا سيد أهل الوبر » . وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، لأنه سكر فعبث بذئ شرم له^٣ .

وعرف حاكم (تدمر) بـ (رش تدمور) ، أي (رأس تدمر) و(رئيس تدمر) ، في الكتابات التدمرية القديمة . ثم عرف بـ (ملك) ، في الكتابات المتأخرة المدونة ومارس اللقب الرسمي لحكام (تدمر) في أيام (الزباء) فابعد ، إلى احتلال الرومان لتدمر وإغاثتهم الحكم التدمري^٤ .

ولقب (أذينة) ملك (تدمر) نفسه بـ (ملك ملكا) أي (ملك الملوك)^٥ . أيضاً ، تشبهاً بملوك الفرس وعلوك حكموا قبلهم مثل الملوك الآشوريين ، واتخذ لنفسه ألقاباً يونانية لاتينية تقليداً للرومان . ولم نعتز في النصوص العربية الجنوبية على لقب (ملك الماوك) . ويظهر ان الملوك العرب لم يتلقبوا بهذا اللقب الأعجمي .

المكربون :

ونرىنا أقدم الكتابات العربية ان العربية الجنوبية حكمها قبل الملوك أناس حكموا حكماً مزدوجاً ، أي حكماً دينياً ودينيّاً ، على نحو ما حدث في العراق وفي

١ الاشعري (ص ١٩٧) .
٢ المعارف (ص ٢٨) .
٣ معجم الشعراء (ص ٣٢٤) .
٤ المشرق ، السنة الاولى ، معوز ١٨٩٨ م . (ص ٥٩٠) .
٥ Die Araber II, 3 254

مصر وفي أماكن أخرى من الشرق ، قبل أن ينتقل الحكم الى الملوك ، ويتحول الى حكم زمني ، ينصرف فيه الملك الى الأمور الزمنية لرعيته ، تاركاً الشؤون الدينية لرجال الدين ، حكموا الأرض باسم السماء، وحكموا حكم الساسة والحكام ، ونطقوا باسم الآلهة ، فحكمهم حكم إلهي مقدس ، على أتباعهم ومن يؤمن بهم لإطاعتهم ، لأنهم ألسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض^١ .

ويعرف هذا الكاهن الملك بـ (مكرب) ، أي (مقرب) . وقد حصلنا من كتابات المسند على أسماء عدد من (المكربين) ، غير ان تلك الكتابات خرساء، لم تبج لنا بشيء ما عن أصول حكمهم للمعابد ولإدارة الدولة ولا عن كيفية تلقيهم الأوامر الإلهية التي يطلبون من أتباعهم تنفيذها ، هل كانت وحيًا من الآلهة ، يحملها اليهم ملائكة مقربون ، أو إلهاماً يتجلى في نفوسهم فينطق به المكربون ويبلغونه للناس، أو صوتاً يخرج من رثيبي أو صنم أو ما شاكل ذلك يسمعه (المكرب) فيفسره للناس على طريقة الكهان ؟

وليس في نصوص المسند تحليل ما للدوافع والأسباب التي حلت آخر (مكرب) في كل دولة من الدول العربية الجنوبية على تغيير لقبه القديم ، الموروث عن آباءه ، واتخاذ لقب له جديد ، لقب (ملك) ، وهو لقب يشير الى الحكم الديني فقط ، والى ابتعاد الملك عن الحكم الديني وتركه لغيره . غير اننا نستطيع أن نقول باحتمال تأثر هؤلاء (المكربين) بالمظاهر الخارجية التي كانت عند الدول المعاصرة التي لقبت بحكامها بلقب ملك ، وهي دول كبيرة ذات جاه واسم وسلطان فأراد أولئك الحكام ، حكام حكومات اليمن ، التشبه بهم ، ومحاكاةهم في المظهر ، فغيروا لقبهم ، ليظهروا أنفسهم انهم مثلهم ، وانهم ليسوا أقل شأنًا من أقرانهم الملوك .

ولا يظن أن التغيير الذي حدث فأدى إلى إبدال حكم (المكربين) بحكم الملوك كان تغييراً قسرياً ، أي نتيجة انقلاب عسكري أو ثورة ، ذلك لأننا نعلم أن آخر مكرب من مكربي سبأ كان هو المكرب (كرب ال وتر) (كرب ايل وتر) . وقد كان هذا المكرب أول من افتتح العهد الملكي في سبأ ، وأول من حمل لقب (ملك) وذلك يدل على أنه هو الذي اختار اللقب الجديد ، واستبدله باللقب القديم .

ولم يكن (المكرب) رجل دين بالمعنى المفهوم من الجملة ، أي عالماً بأمور الدين فقيهاً بها كرس وقته لها ، ومتولياً لإمامة الناس في صلواتهم وفي أداء الشعائر الدينية للأرباب في معابدها ، مقدماً القرابين بنفسه إليها ، بل يرى بعض الباحثين أنه مجرد منصب له صبغته الدينية ، وأنه يشبه منصب (الخليفة) في الإسلام ، حيث كان الخليفة يعد (أمير المؤمنين) ورئيس المسلمين . ولم يكن مع ذلك أعلم المسلمين بأمور الدين ولا أفقههم بالأحكام ، وإنما هو (خليفة الله) في أرضه . وكذلك كان المكربون خلفاء الآلهة على الأرض^١ .

وقد استتبع انتقال الحكم من (المكربين) الى الملوك ، حدوث تغيير في أصول الحكم . فانقطعت صلة الملك بالمعبد ، ولم يعد الرئيس المباشر له ولرجال الدين ، وإن بقي الملك حامي الدين والمعبد . لما للمعبد من ارتباط بالدولة ولما للآتين من مصالح مشتركة مترابطة ، إذا اختلت أصاب الأذى للجهتين . وانصرف رئيس المعبد الى ادارة المعبد وأملاكه الكثيرة الواسعة ، والى جباية الضرائب الدينية ، أي حقوق الآلهة على الناس . وهي حقوق واجبة مفروضة . وانصرف الملك الى ادارة الدولة ، وجباية حقوقه على شعبه . وادارة أملاكه الخاصة وأملاك الدولة ، التي هي أملاك الملك أيضاً . حيث لم يفرق الملوك بين جبيهم الخاص وبين جيب الدولة . لأن الدولة الملك ، والملوك الدولة . وبيت المال هو بيت مال واحد ، للملك أن يتصرف به كيف شاء .

الملك :

وأما (الملك) ، فهو الرئيس الأكبر والإنسان الأعلى في مجتمعه . ولفظة (ملك) من الألفاظ العربية القديمة التي ترد في جميع اللهجات العربية^٢ ، وهي أيضاً من الألفاظ التي ترد في أغلب اللغات السامية . وقد تلقب بها ملوك العربية الجنوبية ، وتلقب بها ملوك الحيرة وملوك آل غسان وملوك كندة ، بل طمع في هذا اللقب أمراء وسادات قبائل ، أعجبهم فلقبوا أنفسهم به .

A. Grohmann, S. 122.

١
٢ اللسان (٣٨١/١٢) . (ملك) ، تاج العروس (١٨٠/٧ وما بعدها) ، (ملك) ، مقدمة ابن خلدون (١٤٣) ، تفسير الطبري (٥٩٥/٢) ، روح المعاني (٢٢٣/١٣) (٩/١٦) .

ولا يعني هذا أن حكم الملك كان دائماً حكماً شاملاً واسعاً بالمعنى المفهوم من هذا اللقب، فقد كان سلطان الملك في بعض الأحيان لا يتجاوز سلطان سيد قبيلة ، أو سلطان صاحب قرية أو أرض . وعلى ذلك نجد في العربية الجنوبية وفي أنحاء أخرى من جزيرة العرب عشرات من أمثال هؤلاء الملوك يحكمون قبائلهم أو أرضهم بهذه النعوت والصفات المغربية المحببة إلى النفوس والقلوب ، ذلك لأنهم أحبوا هذا اللقب ، فلقبوا أنفسهم به ، وصاروا ملوكاً ، وهم في الواقع سادة قبائل أو أرض صغيرة . ونجد في كتب السير والتواريخ أسماء جملة (ملوك) عاشوا قبيل الإسلام وعند ظهوره ، لم يكونوا في الواقع سوى سادات (شيوخ) قبائل أو قرى ، ولم يكن لهم على من حولهم نفوذ أو سلطان .

ومعنى (ملك) ، الرأي والمشورة والنصيحة . و (مَلِكٌ) ، بمعنى قدّم رأياً أو نصيحةً أو مشورة ، وذلك في بعض اللغات السامية . وتعني كلمة (شارو) (شرو) ، (الملك) في الآشورية ، وهي في معنى (الحكيم) في الأصل ، أي في المعنى المتقدم . وتعني كلمة (مليخ) (ملخ) ، أي (ملك) في العبرانية ، الحكيم الذي يقدم رأياً وحكمة ومشورة ، فهي في معنى Adviser و Counsellor في الانكليزية^١ . إذ كان الملوك بمنزلة الحكماء القضاة في شعوبهم ، ثم تخصصت بالحاكم الذي يحكم شعبه على النحو المفهوم من اللفظة عندنا .

وقد وردت لفظة (ملك) في نصوص المسند . وردت على هذه الصورة : (ملكن) ، أي (الملك) ، و (ملكم) ، أي (ملك) . ووردت على هذه الصورة : (ملك) في النصوص الثمودية واللحيانية والصفوية . و (ملكو) في النصوص النبطية . أما في النصوص العربية الشمالية ، فإن أقدم نص وردت فيه هذه اللفظة ، هو نص (أم الجبال) ، الذي يعود عهده إلى سنة (٢٥٠) أو (٢٧٠) بعد الميلاد^٢ . وهو شاهد قبر رجل اسمه (فهر بن سلى مربي جديعة ملك تنوخ) ونص (البارة) الذي هو شاهد قبر الملك (امرؤ القيس) ، وقد دُوّن سنة (٣٢٨) للميلاد^٣ .

١ Hastings, p. 515.

٢ السامية (١٣٩) ، خليل يعقوب نامي ، أصل الخط العربي وتطوره إلى ما قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٣٥ م ، (سنة ٢٧٠ م) ،
De Vogue, Syrie Centrale, p. 1, 15, II.

٣ Littmann, Nabataen Inscriptions from the Southern Hauran, p. 37,
Cantineau, Nabatéen et Arabe, p. 27.

ولا نعرف في الزمن الحاضر مكانة درجة من يحمل لقب (اخ ملكا) أي (أخني الملك) الوارد في النصوص النبطية . فلسنا ندري أكانت تعني (وصاية) او (وزارة) او مقرباً من الملك ، ام تعني ان حامله من الأسرة المالكة ^١ . ونطلق لفظة (تبع) ، والجمع (التبابعة) ، على ملوك حمير ، بل تطلقها الموارد الإسلامية في بعض الأحيان على كل ملوك اليمن . فهي في معنى (ملك) . ولا يطلقونها على غيرهم ، أي على الملوك الآخرين من ملوك العرب . فهي إذن اصطلاح خاص بأولئك الملوك . كما اصطلاحوا على تسمية كل من ملك الحبشة (النجاشي) ، وكل من ملك الروم (قيصر) ، وكل من ملك الفرس (كسرى) . وقد ذكر علماء اللغة في تفسيرها : (وتبع كانوا رؤساء ، سمّوا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرئاسة والسياسة . وقيل تبع ملك يتبعه قومه والجمع التبابعة) ^٢ . وورد في القرآن الكريم : (وقوم تبع) في جملة الأقوام التي كذبت فحق عليها وعيد ^٣ . وذكر بعض أهل الأخبار (أن العرب لم تكن تسمي أحداً تبعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ، وقيل : حتى يتبعه بنو جُشَم بن عبد شمس) . فإن لم يكن كذلك سمي ملكاً . وأول من لقب منهم بذلك (الحارث بن ذي شمر) وهو الرائيش . ولم يزل هذا اللقب ملازماً للوكنهم الى أن زالت مملكتهم بملك الحبش اليمني ^٤ .

وذكر أن العرب كانت تسمي الملك (الحصير) كذلك . لأنه محبوب عن الناس ، أو لكونه حاصراً ، أي مانعاً لمن أراد الوصول اليه . قال لييد .

وقاقم غلب الرقاب كأنهم جنّ على باب الحصير قيام

والمراد به النعمان بن المنذر . وروي لدى طرف الحصير قيام . أي عند طرف بساط النعمان ^٥ .

Die Araber I, S. 288.

- ١ المفردات (ص ٧١) ، اللسان (٣١/٨) ، تاج العروس (٢٨٧/٥) ، المحكم (٤٤/٢) ، صبح الاعشى (٢٣/٥) ، مجمع البيان ، للطبرسي (٦٦/٩) ، العبر (١١٢/٢) .
- ٢ الدفان ، ٤٤ ، الآية ٣٧ ، سورة ق ، رقم ٥٠ ، الآية ١٤ ، روح المعاني (١١٦/١٥) وما بعدها) ، الطبري (٤٠٤/١) ، ابن الاثير ، الكامل (١٥٦/١) وما بعدها) .
- ٣ صبح الاعشى (٤٨٠/٥) ، ابن خلدون ، العبر (القسم الاول من المجلد الثاني) ، (ص ٩٢ وما بعدها) مروج الذهب (٨٨/٢) .
- ٤ تاج العروس (١٤٤/٣) ، (حصر) .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (حمير) تسمى الحاكم (الفتح) بلغتها^١ .
والعادة ان الملكية وراثية ، تنتقل من الآباء الى الأبناء ، ويتولاها الابن الأكبر
في الغالب . فإذا حكم هذا وتوفي ، انتقلت الى ابنه الأكبر ، وهكذا . وبذلك
يحرم لإخوته الآخرون ، إلا إذا نص الأب الملك على خلاف ذلك ، كأن يذكر
اسم الذي سيخلفه ، أو يعين جملة أبناء أو أشخاص يحكمون من بعده على التوالي ،
فإذا توفي الابن الأكبر مثلاً ، انتقل الحكم الى اخيه الذي يليه ، وهكذا الى نهاية
الوصية . وقد يوصي المتوفى لأخيه من بعده ، أو لإخوته ، بدلاً من ابنه أو
اولاده ، فنظام الحكم اذن نظام وراثي في العادة ، ينتقل طبيعة الى الابن الأكبر
للكاظم المتوفى ، إلا إذا حدث خلاف ذلك ، لوصية يوصيها المتوفى ولرأي يراه ،
أو لأحوال قاهرة كأن يكون الشخص المتوفى عقيماً لا عقب له ، ففي مثل هذه
الحالة ينتقل الحكم الى أقرب الناس اليه ، بحسب وراثة الدم ، أو بحسب رأي
الأسرة التي ينتمي اليها المتوفى . فيكون عندئذ لها وللمسنين والوجهاء الرأي والاختيار^٢ .

والعادة ان الحكم يكون في الأسر الكبيرة الرفيعة ، ينتقل إما من أب الى ابن
على حسب العمر ، وإما الى أخ أو غيره من افراد الأسرة . وقد ينشب خصام
بين افراد هذه الأسرة في موضوع تولي العرش ، ولا سيما في اليهود القديمة ،
حيث لم يكن العرف قد استقر على ضرورة انتقال الحكم من الأب الى ابنه الأكبر .
فتنقسم الأسرة ، وقد يطول انقسامها ، عند تكافؤ المتخاصمين واستعانة كل فريق
على الآخر بمؤيدين اقوياء ، فيدعي حق الحكم له ، ويلقب زعيمه بلقب (ملك) .
وتفتح هذه الخصومات الأبواب لزعماء الأسر الكبيرة الأخرى ، لمنافسة الأسر الحاكمة
على الحكم ، فتدعيه ايضاً لنفسها وقد تنجح مدة وقد تنجح في انتزاعه من الأسر
الحاكمة وابتزازه لنفسها .

وقد يقارع تلك الأسر شخصاً من سواد الناس من المغمورين ، ويتزعزع الحكم
من أصحابه ، وذلك بفضل كفاية فيه ، وقوة شخصية دفعته للتزعزع وللطموح .
وفي تاريخ الحكم في العربية الجنوبية أمثلة عديدة على ذلك . وقد يصير هذا الشخص
مؤسس أسرة حاكمة جديدة ، إذ ينتقل الحكم منه الى أبنائه أو أعضاء أسرته

١ تاج العروس (١٩٥/٢) ، (فتح) .
٢ Grohmann, S. 128, Ryckmans, L'institution, p. 39, 41.

بعد وفاته ، وقد يقتصر الحكم عليه ، فإذا توزع وقتل او مات ، قتل حكمه بقتله ، ومات اغتصابه له بموته .

وقد أرتنا بعض كتابات المسند أن العرب الجنوبيين ، لم يجدوا غضاضة في تلقب أب وابنه او اب وأبنائه او أخ وإخوته بلقب (ملك) في وقت واحد ، فقد انتهت الينا كتابات عديدة ، وفيها أب يحمل لقب ملك ، ومعه أبنائه يحملون هذا اللقب كذلك ، كما انتهت الينا كتابات يحمل فيها أخ وإخوته لقب (ملك) . وقد يدل ذلك على اشتراك المذكورين في الكتابة إشتراكاً فعلياً في الحكم ، غير ان ذلك لا يعني الحتمية ، فقد يجوز أن يكون (الملك) مجرد لقب يمنح لذلك الشخص او لأولئك الأشخاص ليشير الى صلة الشخص أو الأشخاص به ، او الى منزلته ومنزلتهم بين الناس .

وقد يكون ذلك للتخفيف عن أعمال الملك بسبب من كثرة عمله او من عدم تمكنه من القيام بأعمال الملك كلها لضعف شخصيته وقابلياته ، او لمرض ألمّ به ، او لأن الملك أراد بذكرهم معه تدرييهم على أعمال الحكم ، حتى يكونوا قد خبروا أمور الملك إذا انتقل الحكم اليهم ، مع بقاء الملك الأصل في عرشه ومكانه ، يمارس أعماله على نحو ما يريد .

ولم يصل الينا نص ما من العربية الجنوبية يشير الى وجود اسم ملكة على عرش إحدى الحكومات التي تكونت هناك . اما خارج العربية الجنوبية ، وخارج جزيرة العرب ، فقد وردت في الكتابات الآشورية وفي كتابات غيرها أسماء ملكات عربيات ، وكل ذلك دليل على ان العرب الشماليين لم يجدوا ما يمنعهم من تعيين ملكات عليهم ، وان ملكات ولبن حكومات .

وقد كان ذلك قبل الإسلام بزمان طويل . أما في الأيام القريبة من الإسلام ، فلم نعث على اسم ملكة حكمت فيها ، لا في الكتابات ولا في القصص الذي يرويها الاخباريون عن تلك الأيام .

ولا نعرف في جزيرة العرب نظاماً انتخابياً عاماً ينتخب الشعب فيه ملكة على النحو الذي نفهمه في الزمن الحاضر ، او على النحو الذي كان معروفاً عند الرومان او اليونان في زمن من الأزمان ، انتخاباً لأمد محدود معين بسنين او لأمد طويل محد بحياة الانسان ، فلم يرد نص " ما فيه شيء من ذلك ، ولم يرد في قصص الأخباريين ما يشير الى وجود مثل هذا الانتخاب .

ولا نعرف أيضاً ان المزاول وهي المجالس او طبقة قادة الجيش او سادة المدن والقبائل كان لها رأي في تعيين الملوك ، او لإقرارهم على نحو ما كان يجري في الدولة البيزنطية . ولا نعرف كذلك أكان لأحد حق اقالة الملوك وتنحيهم عن عرشهم اذا تبين انه غير صالح لتولي الحكم لسبب من الأسباب ، فإننا لم نعر حتى الآن على نصوص تتحدث عن مثل هذه الأمور . وأما قيام شخص من الأسرة المالكة او من غيرها بمنافسة الملك او بالثورة عليه وانتزاع الملك منه ، فإن ذلك شيء آخر ، يعود الى استعمال القوة والخروج عن الطاعة ، وهما بالطبع من الأمور المخالفة في كل عهد وزمان .

لقد تحدث (الهمداني) عن طريقة من طرق تعيين الملك عند (حمير)، فقال : « وبأسفل المعافر قصرٌ ذي شبر ، ويدخلون في قباله حمير ، وكانت أقوالها تكون في كل عصر ثمانين قبلاً من وجوه حمير وكهلان ، فإذا حدث بالملك حدث ، كانوا الذين يقيمون القائم من بعده ويعقدون له العهد . وكان قيام الملك من قدماء حمير عن إجماع رأي كهلان ، وفي الحديث عن رأي اقوال حمير فقط ، وكانوا اذا لم يرتضوا بخلف الملك ، تراضوا لخيرهم ، وأدخلوا مكانه رجلاً ممن يلحق بدرجة الأقوال ، فيتم الثمانين قبلاً ، ولم يكن هذا في حمير إلا مرات يسيرة لأن الملك لم يكن يعدو آل الرائش ، إلا ان يُتوفى الملك وأولاده صغار ، او يكل^١ ، فيفعل ذلك حتى يتدبر في سواه من آل الرائش »^٢ .

وما ذكرته عن حكاية (الهمداني) عن كيفية تعيين الملوك في حمير ، يؤيد كون الملكية في اليمن ملكية وراثية تنتقل في الأصل بالإرث من الأب الى الابن ، إلا في الحالات الطارئة ، مثل موت ملك فجأة وأولاده صغار ، او موته وهو عقيم لا خلف له ، ولم يوص لأحد بالحكم من بعده ، فيكون الرأي لسادات المملكة الذين جعل (الهمداني) عدة مجلسهم ثمانين قبلاً ، فيختارون للملك من يرون أنه أكفأ الناس للملك ، وينصبونه ملكاً . وقد رأينا انه نص في حديثه هذا على أن ما ذكره يتناول حالات خاصة ، وقد وقع في مرات يسيرة ، لأن الملك لم يكن يعدو الإرث المعهود عنهم الذي ينتقل في الأسرة المالكة .

١ اي يموت عقيماً لا أولاد له .

٢ الأكليل (١١٤/٢) .

ولعلّ هذه الظروف الطارئة هي التي حملت الملك على تنصيب ابن له أو ابنين أو أخ له ملكاً معه يلقب بلقب الحكم في أثناء حياته ، ويذكر ويذكرون بعده في الكتابات . وغايته من هذا النص هو أن الشخص المذكور اسمه بعد اسم الملك ، هو الذي يرث الملك بعد وفاة الملك لسبب من الأسباب ، فلا يقع حينئذ خلاف ما في تعيين الشخص الذي سيلي الملك . ولعل ذلك كان يحدث عند مرض الملك أو عند تقدمه في السن وشعوره بالعجز والكلال ، أو لكونه محارباً فهو يخشى أن يقتل في المعارك ، وما أشبه هذا ، فكان يحتاط لذلك بالنص على اسم من يليه وتعيينه معه ليعينه في تحمل أعباء الحكم ، حتى إذا حدث له حادث يكون قد تدرب على إدارة الملك .

وذكر بعض اهل الأخبار انه لم يكن للملوك اليمن نظام ، وانما كان الرئيس منهم يكون ملكاً على مخالفه لا يتجاوزهم . وإن تجاوز بعضهم عن مخالفه بمسافة يسيرة من غير ان يرث ذلك الملك عن آباءه فلا يرثه أبناؤه عنه ، وانما هو شأن شذاذ المتلصصة ، يغيرون على النواحي باستغلال اهلها ، فإذا قصدتهم الطلب لم يكن لهم ثبات . وكذلك كان امر ملوك اليمن ، يخرج احدهم من مخالفه بعض الأحيان ، ويبدو في الغزو والإغارة ، فيصيب ما يمر به ، ثم يرجع عنه ، عند خوف الطلب ، زاحفاً الى مكانه من غير ان يدين له احد من غير مخالفه بالطاعة أو يؤدي اليه خراجاً^١ .

وقد اخذوا وصفهم هذا للملوك من الحالة السياسية التي كانت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية ، ايام تدهور الأوضاع بعد الميلاد ، ولا سيما في أوائل القرن السادس للميلاد الى دخول العربية الجنوبية في الاسلام . فقد استبد الحكام وأصحاب الاقطاع بالمخالفين ، ولقبوا أنفسهم باللقاب الملك ، وأخذ بعضهم يغير على بعض ، ويغزو ارض جاره على طريقة الأعراب .

والسيادة على القبيلة ، هي كالملكية تنتقل الى مستحقها بالوراثة في الغالب . فإذا توفي سيد قبيلة ، انتقلت سيادتها الى ابنه الأكبر . هذا عامر بن الطفيل ، وهو ابن سيد قبيلة ، وقد صار سيدها بعد وفاة والده ، يفتخر بنفسه ، ويذكر

١ ابن خلدون ، العبر - القسم الاول من المجلد الثاني (ص ١١١ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٥٦ م) .

انه ورث السيادة من وراثته ، إذ أتته من والده ، هذا صحيح ، وليس في ذلك من شك ، لكن قومه لم يسودوه ولم يعينوه مكان ابيه ، لهذا السبب ، وانما سودوه لأنه كان يحمي حى قبيلته ويذب عنها، ولأن فيه شروط السيادة وحقوقها ، فهو سيد قومه ، قبل ان تأتي السيادة اليه من والده :

ولاني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر من وراثته أبى الله أن أسمو بأب ولا أب
ولكنني أحسي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب^١

وهذا (بشامة بن الغدير) ، خال (أبي سلمى) والد زهير ، يقول في شعر له :

وجدت أبي فيهم وجدتي كليها يطاع ويؤتى أمره وهو مُحْتَبِي
فلم أتعلم للسيادة فيهم ولكن أتنى طائعاً غير متعب^٢

فهو رئيس ابن رئيس قبيلة،أنته السيادة من أبيه طائفة ، لفضل فيه واستحقاق لها ، دون ان يعمل وان يركض للحصول عليها . فالسيادة اذن عند العرب ، تتبع نظام الارث في الغالب ، إلا اذا حدث حادث يجعل أهل بيت السيادة ، يعرضون عن الإبن الأكبر الى غيره ، كأن يكون الابن الأكبر معتوهاً او سقيهاً او ضعيفاً ، واخوته او أقرباؤه أقوى منه .

الأمراء :

والأمير ذو الأمر ، اي الأمر . وأولو الأمر : الرؤساء واهل العلم . وذكر ان الأمير الملك لنفاذ أمره ، والجمع امراء ، وهو يأمر إمارة^٣ . ولما كان

١ الحيوان (٩٥/٢) ، (هارون) .

٢ الحيوان (٩٦/٢) ، (هارون) .

٣ اللسان (٢٧/٤) وما بعدها ، (أمر) ، تاج العروس (١٨/٣) وما بعدها ، (أمر) ، القاموس (١٣٦/١) ، تفسير الطبري (١٤٨/٥) ، ابن الاثير ، النهاية (٤١/١) ، (١٨٩/٢) وما بعدها .

الخلافة في الإسلام اميراً على المسلمين ، نعت بـ (أمير المؤمنين) . ولم ترد اللفظة في النصوص الجاهلية بمعنى (ملك) . ويظهر أنها كانت تعني عند أهل الحجاز الرئيس الأمر . وقد ورد في كتب التاريخ أن الانتصار لما اختلفوا مع المهاجرين بعد وفاة الرسول على (الإمارة) واجتمعوا في (سقيفة بني ساعدة) قالوا : « مينا أمير ومنكم أمير »^١ . وفي استعمال الانتصار لهذه اللفظة ، دلالة على وجودها عند الجاهليين واستعمال أهل الحجاز لها بهذا المعنى في أيام الجاهلية .

ويظهر من الموارد (البيزنطية) ومن روايات أهل الأخبار ، أن الملوك الغساسنة والملوك من (آل نصر) ، أي ملوك الحيرة ، لم يكونوا ملوكاً بالمعنى العلمي الصحيح المفهوم من الكلمة ، وإنما كانوا (عمالاً) ، إذا كاتبهم الروم أو الفرس ، لقبوهم بـ (عامل) . إذ عينوهم عمالاً على الأعراب ولم يعينوهم (ملوكاً) . فلقب (ملك) من الألقاب الخاصة بملوك الروم لم يمنحوه لغيرهم^٢ . وكذلك كان الشأن عند الفرس . نعم لقد ذكر المؤرخ (بروكوبيوس) Procopius أن القيصر (يسطينيانوس) Justinianus منح (الحارث بن جبلة) لقب (ملك) ولقب بعض الكتبة اليونان سادات غسان باللقب المذكور . غير أن هذا التلقب لا يمكن أن يكون دليلاً على أن الدولة البيزنطية كانت تطلقه عليهم بصفة رسمية وأنه كان لقبهم الرسمي المعترف به عند الدول الأجنبية . ومن هنا شك المستشرق (نولدكه) في صحة رواية (بروكوبيوس) بشأن منح الحارث لقب (ملك) ، ذلك لأن لقب (ملك) كان خاصاً كما ذكرت بقياصرة البيزنطيين ، فلا يمنح لغيرهم ، ولأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم^٣ . ثم إن نص أبرهة الشهير الذي تحدثت عنه أثناء حديثي عن (أبرهة) ، لم يلقب (المنذر) ولا (الحارث بن جبلة) بلقب (ملك) ، بل لم يلقبها بأي لقب ، بما في ذلك لقب (عامل) . وهذا مما يدل على أن (آل نصر) و (آل غسان) وإن لقبوا أنفسهم بلقب (ملك) أو لقبهم العرب به ، إلا أن ذلك التلقب لم يكن

١ الطبري (٢١٨/٣) ، (ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والانتصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة) .

٢ غسان (ص ١٢) ، المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ م ، (ص ٤٨٥) ، جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢٩/٤) .

٣ غسان (ص ١٢) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢٩/٤) .

بصفة دولية رسمية ، وانما كان بصورة غير رسمية وعلى سبيل التجميل بهذا اللقب والتشبه بالملوك الأجانب ، استعمله الناس من باب التزلف والتقرب الى اولئك الحكام ، او انهم نظروا اليهم من وجهة نظرهم الخاصة ، فدعوههم ملوكاً لأنهم كانوا رعيبتهم وكانوا هم مالكي رقبتهم . ومن هنا اعترفوا بهم ملوكاً ، أما الدول الأجنبية فقد اعتبرتهم مجرد عمال وسادات قبائل .

والذي صح اطلاقه على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) Patricius ، و لقب (عامل) أو رئيس قبيلة Phylarcos = Phylarkos = Phylarchus مقروناً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة (فلايبوس المنذر البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة) ، و (المنذر البطريق الفائق المديح ، ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)^١ .

ولقب (البطريق) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومترلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يجذبون الحصول على هذا اللقب من القيصر ، ويفضلونه على غيره من الألقاب^٢ .

ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا لقب (ملك) على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) فقد لقبوها بـ (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارك) (فيلارخ) (فيلاركس) (فيلاركوس) التي تعني (العامل) أو (سيد قبيلة) . والظاهر انهم نهجوا في ذلك نهج الكتبة (السريان) ، فقد لقبوا سادات القبائل العربية بلقب (ملك) على نحو ما نجده في الشعر العربي^٣ . ويظهر ان عرب العراق كانوا قد لقبوا حكام (الحيرة) بلقب (ملك) و (ملوك) ، وأن عرب بلاد الشام لقبوا حكامهم الغساسنة بلقب (ملك) كذلك ، وذلك على سبيل التفضيم والتعظيم كما ذكرت ، وباعتبار انهم حكامهم ومالكو أمرهم . كما لقب من خضع لـ (آل آكل المرار) حكامهم من هذه العائلة بلقب (ملك) . وكما

١ غسان (ص ١٢) .

٢ المشرق : السنة الاولى : الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ م (ص ٤٨٥) .

٣ غسان (ص ١٢) ، المشرق : السنة الاولى : الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ م (ص ٤٨٥) .

لقب بعض سادات القبائل أنفسهم بلقب (ملك) ، ولم يكونوا ملوكاً ، بل كانوا سادات قبائل و (أمراء) .

ومما يؤيد أن حكّام الحيرة و غسان ، لم يكونوا (ملوكاً) في نظر الدول الأجنبية بل عمالاً ، ما نجده من اطلاق أهل الأخبار عليهم لقب (عامل) ولقب (ملك) أيضاً . فكانوا إذا تحدّثوا عن صلاتهم بالفرس ، أو نقلوا من موارد فارسية قالوا لهم (عمالاً) ، وقالوا عنهم جملاً مثل : « كان يلي ذلك من قبل ملوك الفرس من آل نصر ... وقدر ولاية كل من ولي منهم » . وأمثال ذلك من جمل تشعر أنهم كانوا عمالاً وولاء . أما إذا تحدّثوا عنهم من ناحية حكمهم للحيرة والعرب وعن صلاتهم بالشعراء وتمدّد حكمهم لقبوهم بـ (ملك) وقالوا : (وقد ملك) ، وسبب ذلك أنهم أدخلوا أخبارهم من منبعين : منبع أجنبي يوناني وفارسي ، وهو منبع وثائقه مدوّنة ومورده من الموارد الرسمية التي تتعتهم بـ (عمال) . ومنبع عربي يلقبهم بـ (ملوك) ، استند على العرف العربي أي على ما كان يخاطب به العرب أولئك الملوك ، فوقع من ثم هذا الالتباس .

السادات :

وسادة القوم أشرافهم ورؤساؤهم ، وذكر ان السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع ، المعطى ماله في حقوقه المعين بنفسه . وذكر ان السيد الخليم الذي لا يغلبه غضبه^١ .

والسيادة منزلة ودرجة ، ولا تأتي أحداً إلا باعتراف قومه له بسيادته عليهم وبتنصيبهم له سياداً عليهم . إذا سؤدوا شخصاً ، عصبوه . والتعصيب التسويد . ولهذا كانوا يسمّون السيد المطاع معصباً . وذكر ان العصاية العامة . وكانت عمائم

١ الطبري (٢/ ٨٩، ٢١٣ ومواضع أخرى) ، (في سياقة تواريخ اللخمين من ملوك عرب العراق) ، (في سياقة تواريخ غسان ملوك عرب الشام) ، (كان ال جفنة عمال القياصرة على عرب الشام ، كما كان ال نصر عمال الاكاسرة على عرب العراق) حمزة (٦٣ وما بعدها ، ٧٦) .

٢ تاج العروس (٢/ ٣٨٤) ، (سود) .

سادة العرب هي العرائم الحمراء^١ .

وتعد الأسر الحاكمة التي ينشأ فيها عدد كبير من الملوك والحكام أسراً عريقة في الشرف . وينظر إليها نظرة تقدير واحترام ، لأنهم ورثوا المجد عن آبائهم أباً بعد أب . وينطبق ذلك على سادات القبائل الذين يرثون سيادتهم على قبائلهم أباً عن جد ، فلأنهم يفتخرون بذلك على غيرهم ، لأنهم ليسوا من أولئك الذين انتزعوا السيادة فصاروا سادة ، على حين كان آبائهم أو أجدادهم من الخاملين .

ويجبر عن السادة والأشراف بتعابير التعظيم والتفخيم ، ومنها لفظة (أبعل) (أبعل) ، أي سيد ورئيس . وهي لفظة استعملت للألوهة كذلك . استعملت بمعنى رب وإله . فورد (ود بعل ...) ، و (عثر بعل ...) ، وهكذا . وقد استعملت في النصوص القديمة خاصة .

ويقال للسادة (أسود) (أسود) في العربية الجنوبية ، وهم السادة الأشراف^٢ . وتقابل اللفظة لفظة سادات في عريتنا . وهم سادة القوم وأشرافهم وأصحاب المنازل والمكاتب في المجتمع .

ويعد أعضاء الأسر المالكة في طليعة السادات ، وهم في السيادة على حسب قربهم أو بعدهم من الملك ، ويقدمون على هذا الأساس عند حضورهم إلى الملك وفي المواسم الرسمية . ولهم أرضون يستغلونها ، ورقيق يخدمهم . وكانوا يقولون : (هذا سيدنا) ، و (انظروا إلى سيدكم) ، و (جاء

١ ومنه قول المخبل الزبرقان :

رايتك هريت العمامة بعدما أراك زمانا حاسرا لم تعصب
وهو مأخوذ من العصاة ، وهي العمامة . وكانت التيجان للملوك والعمائم
الحمراء للعرب . ورجل معصب ومعصم ، أي مسود . قال عمرو بن كلثوم :
وسيد معشر قد عصبوه بتاج الملك يحمي المحجرين
فجعل الملك معصبا أيضا ، لأن التاج أحاط برأسه كالعصابة التي عصببت برأس
لابسها . ويقال : اعتصب التاج على رأسه ، إذا استكف به . ومنه قول ابن قيس
الرقيات :

يعتصب التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
وكانوا يسمون السيد المطاع معصبا ، لأنه يعصب بالتاج ، أو يعصب به أمور
الناس ، أي ترد إليه وتدار به . والعمائم تيجان العرب ، تاج العروس (٣٨٥/١)
(عصب) ، اللسان (٢٢٨/٣) وما بعدها) ، (سود) ، تاج العروس (٣٨٤/٢) ،
روح المعاني (١٣٠/٣) وما بعدها) ، تفسير الطبري (٧٢/٣) ، ٢٥٤ وما بعدها) .
٢ راجع النصوص .

سيدنا) ، تعبيراً عن السيادة والرئاسة . وقد كره الرسول أن يقال له : (أنت سيد قريش) ، و (أنت سيدنا) ، كما كانوا يدعون رؤساءهم^١ .

علامات الملك :

وللك الملك علامات ومميزات تميزه عن غيره من الناس . منها (التاج) والعرش والرمح أو الحربة وعربة الملك والحرس الخاص ووجود محل خاص مخصص له في المعبد وتقد يضرب عليه اسمه وشعاره وصورته . و (قصر) له يحكم منه ، أو قبة كبيرة يتخذها قراراً له ومجلساً حين يتبدى أو يخرج للصيد الى غير ذلك من علامات ، تكون سياءً للملك ، وعلامة فارقة تميزه عن رعيته وعن سواد مملكته.

وقد وصلت الينا بعض الآثار التي تشير الى شعار الملوك وعلامتهم ومنها النقود. فلدى العلماء وفي المتاحف العامة والخاصة اليوم ، نقود ضربت في العرية الجنوبية ، منها نقود معينة وقبانية وحميرية . وقد ضرب عليها أسماء الملوك أصحابها . ومن ذلك فقد ظهر الملك (اب يثع) (اب يثع) (اب يثع) فيه وهو جالس على كرسي ، لعله يرمز الى كرسي العرش . أما رأسه ، فهو مكشوف بغير غطاء . مما يدل على أنه لم يستعمل (التاج) . ولا نجد التاج على رؤوس بقية الملوك ممن ضربت صورهم على النقود . ولا على التماثيل التي عثر عليها لبعض ملوك أوسان .

ولما كنا لا نملك في الوقت الحاضر ، صور ملوك جاهليين ، ولا تماثيل كافية او كتابات تشير الى شعار الملوك وعلاماتهم ونوع ملابسهم وأمثال ذلك مما يميز الملوك عن الرعية ، لذلك صار الحديث في هذا الموضوع من اختصاص الأجيال القادمة ، فلعلها تعثر على آثار هي الآن في باطن الأرض ، فيها حديث شيق عنه ، فتقدمه لهم لنشره للناس .

ومن علامات الملك (العمارة) : رقعة مزينة تخاط في المظلة علامة للرياسة . و (العمار) : ما يضعه الرئيس على رأسه عمارة لرياسته وحفظاً لها ، ريجاناً كان أو عمامة . وكانوا اذا استقبلوا ملكاً أو رئيساً ، استقبلوه بالريجان ، يرفعونه له ،

١ ابن الاثير ، النهاية (١٨٩/٢ وما بعدها) .

وكانوا اذا جلسوا مجالس شربهم ، زينوها بالريحان ، فإذا دخل عليهم داخل ، رفعوا شيئاً منه بأيديهم وحيوه به . كما كانوا يضعون أكاليل الريحان على رؤوسهم كما تفعل العجم^١ . واذا سار الملك بين الناس ، استقبلوه برمي الریحان عليه ، وينثر الورود عليهم ، تحية للملوك .

وذكر ان من علائم الملك ، أن يقال للملك أو السيد المطاع : (أبيت اللعن). وقد زعموا أن (حذيفة بن بدر) كان يحیی بتحية الملوك ويقال له : أبيت اللعن. وقد ترك ذلك في الاسلام^٢ .

مظاهر التتويج :

وكان من عادة الملوك الاعلان عن تتويجهم للناس ، والاحتفال بيوم التتويج والإفصاح عنه ، وعندئذ يتلقب الملك بلقب يختاره لنفسه ، فيعرف به (هملقب) . وكان من عادة ملوك حضرموت مثلاً الاحتفال بحمل اللقب في (محمد أنود) (محمد انودم) . وقد انتهت البنا جملة كتابات تشير الى هذا المحفد . وقد اختتمت بكلمة (هملقب) أي (ليتلقب) ، واستعملت فيها بعض التعابير والكلمات التي لها صلة بهذه المناسبة ، مثل (مثل) ، ومعناها (يتن) و (شهر) وأظهر ، و (علن) ، ومعناها أعلن ، ليكون ذلك معروفاً بين الناس^٣ .

وقد يدعى الى هذه الاحتفالات رجال من حكومات أخرى ، لمشاركة الملك وحكومته في الأفراح والمسرّات ، فيأتي رجال من قتيان أو من حضرموت أو من حكومات أخرى الى سبأ مثلاً ، لتهنئة ملكها وحكومتها ، يحملون اليه الهدايا والألطف التي تقدم في أمثال هذه المناسبات . ولا يستبعد استدعاء مندوبين من خارج العربية الجنوبية لحضور هذه المناسبات ، غير أننا لم نظفر ، ويا للأسف ، بنص يفيد ورود رسل أجانب أو زيارات ملوك الى اليمن وبقية العربية الجنوبية لهذه المناسبات ، ان لمناسبات أخرى مثل الدعوة الى زيارة العربية الجنوبية ومشاهدتها في الأعياد أو في سائر الأيام ، إلا ما رأيته في عهد (أبرهة) الحبشي .

١ تاج العروس (٤٢٢/٣) ، (عمر) .

٢ الحيوان (٢٢٨/١) ، (هارون) .

٣ REP. EPIG., VII, p. 418, NUM. 4914, 4915, 4916.

وقد حافظ ملوك العربية الجنوبية ، على اختلاف حكوماتهم ، على عادة اتخاذ الألقاب الملكية حين تولي العرش . فالرجل الذي يُملك لا بد له من اتخاذ لقب له ، يعرف به . وقد بقوا يحافظون على هذه العادة الى ما بعد الميلاد . ثم أخذوا يتساهلون في حمل هذه الألقاب ولا سيما بعد تدخل الحبش في شؤون العربية الجنوبية ودخول اليهودية والنصرانية إليها . وقد كان فراعنة مصر يتخذون لهم لقباً ملكياً عند توليهم العرش . ونجد هذه العادة ، عادة اتخاذ ألقاب ملكية خاصة ، عند ملوك آشور وعند غيرهم من الملوك ، ليميزوا بذلك عن أسماء الناس^١ . ولهذا الألقاب صلة بالآلهة التي كانوا يعبدون .

ومعارفنا في (مراسيم التتويج) مع ذلك ضئيلة جداً ، ولا سيما ما يخص العرب الشماليين ، فلا نعرف اليوم شيئاً يستحق الذكر عن كيفية التتويج وعن المراسيم والحفلات التي كانت تقام عندهم في هذه المناسبات . ولم نعر حتى اليوم على نص جاهلي يصف أسلوب التتويج وكيفية اجراء المراسيم الخاصة بالتتويج عند الجاهليين عامة . فلا ندري أكانت تلك المراسيم تتم في المعابد وبرئاسة رجال الدين كما كانت الحال عند الآشوريين وعند غيرهم مثلاً ، حيث يقوم رجل الدين الأكبر بإجراء الطقوس الدينية وبتلاوة الصلوات والأدعية ، ثم يقوم بعد ذلك بوضع التاج على رأس الملك ، وأمام تمثال الإله : (آشور) . أم كانت تلك المراسيم تتم في القصور الملكية ، أم كانت تجري بسداجة وبغير تكلف ، بأن يأتي سادات القوم لتهنئة الملك ، ثم تقام المآدب .

ويظهر من أخبار أهل الأخبار ان عادة اتخاذ الألقاب الملكية لم تكن معروفة عند ملوك الحيرة والغساسنة وملوك كندة وأمثالهم ممن وعت أسماءهم ذاكرتهم ، بدليل ورود أسمائهم ساذجة لا تختلف عن تسميات الناس بشيء ليس فيها نعوت ولا صلة بالآلهة على نحو ما نجده في العربية الجنوبية عند المعينيين والسبئيين والقبتانيين، وغيرهم من حكومات ظهرت هناك .

ولم تصل إلينا أخبار في وصف كيفية احتفال ملوك الحيرة أو الغساسنة عند تتويجهم ، أو عند وفاة ملوكهم وكيفية دفنهم ، ثم كيفية تنصيب خلفائهم من بعدهم . ولا بد بالطبع من أن تكون تلك الحكومات قد احتفلت في هذه المناسبات،

Roland de Vaux, Ancient Israel, p. 107.

وأن يكون ملوكها قد جلسوا لتقبل التهاني من المهتئين ، وأن يكونوا قد أولوا الولائم لكبار الوافدين عليهم . ونجد في أخبار (مكة) أن سادتها مثل (عبد المطلب) ، كانوا يقصدون ملوك اليمن عند انتقال العرش اليهم لتهنئتهم ولتقديم التبريكات لهم . ثم يمضون أياماً هناك حتى تنتهي أيام التهنئة ، فيغدق الملك عليهم بالالطاف والظرف ، لمناسبة عودتهم الى ديارهم . وتكون هذه الالطاف من دواعي الفخر عندهم .

ولا نعرف شيئاً عن رسوم (البيعة) عند الجاهليين . وأعني بالبيعة كيفية مبايعة الملوك عند انتقال الملك اليهم . ولكن المألوف بين العرب ان كبار الناس يبايعون الملوك ، بوضع أيديهم اليمنى على يد الملك اليمنى ، ثم يبايعونه على الاخلاص له والسمع والطاعة وما شاكل ذلك من جمل وعبارات . وقد يقسمون له يمين الطاعة والولاء . وقد ورد في بيعة الناس لرسول الله يوم فتح مكة ، ما قد يشرح لنا أصول البيعة في الحجاز . فقد ذكر ان الناس اجتمعوا ، فجلس لهم رسول الله على الصفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله ، أسفل من مجلسه يأخذ على الناس . فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعتهم لمن بايع رسول الله من الناس على الاسلام . فلما فرغ رسول الله من بيعة الرجال بايع النساء ، واجتمع اليه نساء من نساء قريش ، وكانوا قد وضعوا إناء^١ فيه ماء بين يدي رسول الله ، فإذا أخذ عليهن العهد وأعطيتهن غمس يده في الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساء أيديهن فيه . وكان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطيتهن ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يزيد على ذلك . وتكون هذه البيعة بغير ماء^٢ .

وتكون المبايعة بمبايعة السادات والأشراف للملك أو لسيد القبيلة . والمبايعة هي المعاهدة والمعاهدة على الطاعة . وبايعه عليه مبايعة عاهده . كأن كل واحد منهما باع ما عنده لصاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره^٣ . ويبدأ أقرب الناس من الملك بمبايعته ثم الأبعد فالأبعد حسب الوجاهة والمكانة . ولا بد وأن يكون للشعراء والخطباء المكان الأول في (البيعة) ، فالبيعة هي من المناسبات التي

١ الطبري (٣ / ٦١ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٥ / ٢٨٥) ، (باع) .

يبحث عنها لسن الناس ، لإظهار أنفسهم وللحصول على نوال وعطايا المُبَايعين ، ولا تحدث هذه المناسبات إلا في الفترات ، لهذا كانوا يتلهفون لسماع أخبارها ، لعرض ما عندهم من فنون القول ، ولتيل ما عند الملوك من الكرم والبذل . وكان ملوك الجاهلية يأخذون الوضائع والودائع من السادات والوجوه ، لتكون رهائن عندهم بالوفاء بعهود البيعة ، لخشيتهم من خيسهم بعهدهم وتنصلهم منه . وقد فعل (الأكاسرة) مثل ذلك بسادات القبائل ، فأخذوا (الوضائع) منهم ، وجعلوها رهناً عندهم . وقد عرفت بـ (وضائع كسرى)^١ . ووضائع كسرى : هم الرهائن كان يرتبهم ويترلم بعض بلاده ، حتى يصيروا بها وضيفة . وهم الشحن والمسالح^٢ . وقد بعث رسول الله ، الى وضائع كسرى بهجر ، فلم يسلموا ، فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل منهم^٣ . وكانت (وضائع كسرى) من أبناء أشراف العجم ، ومن خضع لحكمه من عجم وعرب .

التيجان :

ويضع الملوك شيئاً فوق رؤوسهم ، يتوجون به أنفسهم ليميزهم بذلك عن الرعية ، يسمى (التاج) في عربيتنا . ولا نعرف في الزمن الحاضر اسم (التاج) في العربيات الجنوبية . لعدم وروده في نصوص المسند . اما أهل الحيرة والغساسنة وعرب نجد والعربية الشرقية ، فقد عرفوه واستعملوه ، فورد في نص السامرة من سنة (٣٢٨ م) حيث ورد (ذو اسر التج) أي (الذي حاز التاج)^٤ . وهذا النص هو أقدم نص تأريخي مدون وردت فيه هذه الكلمة . وقد وردت الكلمة في الشعر ، إذ جاء (تاج آل محرق)^٥ وفي أخبار (النعمان) حيث عرف (بندي التاج)^٦ . وذكر علماء اللغة أن التيجان للملوك^٧.

١ تاج العروس (٥٤٥/٥) ، (وضع) ، فتوح ، البلاذري (٩٢) .

٢ تاج العروس (٥٤٥/٥) ، (وضع) .

٣ البلاذري ، فتوح (٩٢) ، (البحرين) .

٤ Lidzbarski, Ephemeris II, S. 34, Peiser, Die Arabische Inschrift von En — Nemara, in Orient Literatur Zeitung, VI, 15, 1905, 277-281.

٥ شعراء النصرانية (ص ٣٢٩) .

٦ Rothstein, S. 128.

٧ تاج العروس (٣٨٦/٣) (طبعة الكويت) .

وقد رصع ملوك الحيرة تيجانهم بالأحجار الكريمة على طريقة الفرس . وقد ورد في بيت شعر للمالك بن نويرة اليربوعي ان تاج النعمان بن المنذر كان من الزبرجد والياقوت والذهب^١ .

ونحن اذا جهلنا اليوم التاج أو أي شعار آخر يشير الى الملك والحكم كان يصنعه ملوك العربية الجنوبية على رؤوسهم ليكون سمة لهم تميزهم عن الرعية وعمن هم دونهم ، فإن ذلك لا يعني اننا ننكر وجوداً لشعار الملك عندهم ، بل لاني أرى انه لا بد أن يكون لأولئك الملوك من تاج ومن شعارات أخرى ، كانوا يتخذونها لتمييزهم عن غيرهم ولتشعرهم بأنهم أصحاب السلطان . واذا كان للملوك الرومان والروم والحبشة والفرس تيجان ، فلم لا يكون للملوك العربية الجنوبية تيجان ، وقد كانوا يحاكون ملوك زمانهم في رسوم الملك وأسلوب الحكم ؟ وفي عربيتنا لفظة أخرى استعملت لتمييز شخص عن بقية الناس في المتزلة والدرجات ، هي لفظة (الإكليل) . فلمن يضع الإكليل على رأسه متزلة رفيعة ، إلا انها لا تبلغ درجة (ملك) ولا تؤدي معنى (تاج) . فالتاج لا يكون إلا للملوك . وأما (الإكليل) فلمن دونهم . وقد كان شيئاً يضعه الشخص فوق مفرق رأسه ، قد يعلق به خرز وأحجار وقد لا يعلق . وقد ورد في بعض الأخبار أن (هودة بن علي الحنفي) ، صاحب الهامة ، كان يضع إكليلاً على رأسه ، واليه أشار الأعشى في شعره :

له أكاليل بالياقوت ، فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

وقد عرف (الإكليل) انه شبه عصاية مزينة بالجواهر، ويسمى التاج إكليلاً^٢ . وقيل : إن الإكليل يجعل كالحلقة ، ويوضع على أعلى الرأس^٣ . وقد ورد في روايات أخرى ان كسرى أعطى (هودة) قلنسوة فيها جوهر، فكان يلبسها ، فسمي ذا التاج^٣ . غير ان أكثر الروايات تعارض في حصول

١ لن يذهب اللؤلؤ تاج قد حببت به من الزبرجد والياقوت والذهب
وقد قاله لما عرض عليه الرداة ، فأبى ، فطلبه ، فهرب منه . ومالك بن نويرة
شاعر شريف ، وأحد فرسان بني يربوع ، قتله ضرار بن الازور الاسدي بأمر خالد
ابن الوليد ، ابن قتيبة ، الشعر (ص ١٩٢ وما بعدها) ، الاغانى (٦٣/١٤ وما
بعدها) ، الجواليقي (ص ٣٥٦) ، المرزباني (ص ٣٦٠) .
٢ اللسان (٥٩٥/١١ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٠٩ ح ، اللسان (١٨١/٦) ، (قلنسوة) .

(هودة) على التاج ، وفي بلوغه مترلة ملك . وترى ان تلقية بـ (ذي التاج) هو على سبيل المجاز ، وان الذي كان يضعه على رأسه هو إكليل ، لا تاج من التيجان .

وذكر بعض الأخباريين أن التيجان كانت لليمن ، وذكر أن غيرهم كانوا يتوجون أنفسهم بخزرات تنظم لهم . ويقال إن الملك كان إذا ملك سنة زيد في تاجه وقلادته خرزة ، ليعلم عدد السنين التي ملك فيها . وذلك كالذي ورد في بيت شعر من قصيدة قالها لبيد في رثاء النعمان بن المنذر ، وهو قوله :

رعى خزرات الملك عشرين حجة^١ وعشرين، حتى فادَ والشيبُ شامل^٢

وقد ورد في شعر أعشى بكر في هودة بن علي الحنفي الذي كان يميز لطيفة كسرى في كل عام :

من يرَ هودة يسجدُ غير مُتَّعِبٍ إذا تعصَّب فوق التاج أو وضعها
له أكاليل بالياقوت فصلَّها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

ويتبين من ذلك أن هودة كان من أصحاب التيجان . غير أن بعض العلماء ينكرون وجود التيجان عند غير أهل اليمن ، ويقولون كما ورد عن أبي عبيدة عن أبي عمرو : « لم يتوج معدّي قط ، وإنما كانت التيجان لليمن . ولما سئل عن هودة بن علي الحنفي ، قال : إنما كانت خزرات تنظم له^٣ .

وذكر ان عادة نظم الخرز في عقد يوضع على الرأس ، ليكون شعاراً للملك والحكم ، عادة كانت معروفة في الحجاز . وقد ورد ان (عبدالله بن أبي بن سلول) كان رجلاً شريفاً في يثرب لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان ، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم . فما راعه إلا محيي الإسلام الى يثرب وقلود الرسول اليها ، فانصرف قومه عنه ، فضغن على الإسلام ،

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٦٦) ، اللسان (٣٤٥/٥) ، (حرز) ، الثعالبي ، ثمار

القلوب (١٨٣) .

٢ العقد الفريد (٢٤٤/٢) .

ورأى أن الرسول قد استلبه ملكه^١ .

وورد في الحديث أن الرسول : (شكّا الى سعد بن عبادَة ، عبد الله بن أبيّ ، فقال اعف عنه ، يا رسول الله ، فقد كان اصطَلح أهل البُحيرة ، على أن يعصبوه العصابة . فلما جاء الله بالاسلام ، شَرِقَ لذلك) . ويعصبونه : معناه يسوّدونه ويملكونه ، وكانوا يسمّون السيد المطاع معصباً ، لأنه يعصب بالتاج . وفي ذلك قال عمرو بن كلثوم :

وسيد معشرٍ قد عصّبوه بتاج الملكِ ، يحمي المُحَجَّرِينا

فجعل الملك معصباً أيضاً ، لأن التاج أحاط برأسه كالعصابة التي عصبت برأس لابسها . ويقال : اعتصب التاج على رأسه ، اذا استكفّ به ، ومنه قول قيس الرُّقَيّات :

يعتصب التاجُ فوق مفرقه على جبينٍ كأنه الذهب^٢

ولا تؤدي لفظة (سموط) معنى (تاج) ، بل ولا تبلغ في المنزلة منزلة (إكليل) . و (السمط) : الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه . وقد استعملت كلمة سموط في مقام التاج ، للتعبير عن تاج ملوك الحيرة^٣ ، غير أنني أرى أن ذلك على سبيل التجوز ، لا التخصيص . وقد ذكر علماء اللغة أن السمط يشدّ في العنق والجمع سموط^٤ .

ومن مظاهر الملك (السرير) ، ويقال له (العرش) كذلك . ويعبر بالسرير عن الملك والنعمة^٥ . ويذكر أهل الأخبار أن أول من جلس على السرير من ملوك العرب (جذيمة الأبرش) ، وهو أول من وقعت له السمعة من ملوك العرب ، وأول من لبس الطوق^٦ . وقد أشير في القرآن الى عرش ملكة سبأ ،

١ نهاية الأرب (١٦ / ٣٥٦ وما بعدها) .

٢ اللسان (٦٠٦ / ١) ، (عصب) .

٣ Rothstein, S. 129.

٤ الاشتقاق (٣٠٤ / ٢) ، اللسان (٣٢٢ / ٧) ، (سمط) .

٥ الاشتقاق (٣٠٤ / ٢) ، اللسان (٣٢٢ / ٧) ، (سمط) .

٦ صبح الأعشى (٤١٦ / ١) .

ويكنى به عن العزّ والسلطان والمملكة . ولذلك يقال : (عرش فلان) و (عرش المملكة) و (ثل عرشه) ، و (أصحاب العروش) أي الملوك^١ .

وذكر أهل الأخبار أن (السرير) : الوِثاب . وقيل : السرير الذي لا يبرح الملك عليه ، واسم الملك (مُوثبان) . والموثبان بلغة حمير : الملك الذي يقعد ، ويلزم السرير . والوِثاب المقاعد . قال أمية بن أبي الصلت:

يأذن الله ، فاشتدت قواهم على مَلَكِين ، وهي لهم وِثاب^٢

وقد كان الملوك يلبسون قلائد عرفت بـ (قلائد الملك) . تكون من الذهب والأحجار الكريمة . وربما كان (السمط) قلادة تنظم من اللؤلؤ والأحجار الكريمة ، يتقلدها الملك للزينة ولتكون شعاراً للملك .

وذكر علماء اللغة أن كل ما يضعه الملوك والرؤساء على رؤوسهم من تاج أو عمامة أو قلنسوة أو غيره ، فهو (عمامة) . و (العمامة) ، رقعة مزينة تخاط في المظلة علامة الرياسة ، وهي (التحية) أيضاً^٣ .

ومن عادة الملوك استخدامهم الحراس يمشون معهم إذا ركبوا ، دلالة على الملك ، ولحراستهم . يمشون معهم ، وقد تقلدوا سلاحهم ولبسوا ألبسة خاصة تشعر أنهم من حرس السلطان . ويذكر أهل الأخبار أن أول من مشى الرجال معه ، وهو راكب ، (الأشعث بن قيس الكندي) . كانت (بنو عمرو بن معاوية) ملكوه عليهم وتوجه^٤ . وكان من عادة الأشراف والسادات حتى في الإسلام ، أن تسير مع ركبهم حاشية يتناسب عدد أفرادها مع منزلة الشريف ومكانته وغناه . فكان (كريب بن أبرهة) سيد حمير في زمانه ، إذا سار بالشأم خرج وتحت ركابه خمسمائة نفر من حمير يسعون^٥ .

١ المفردات (٣٣٢) .

٢ اللسان (٧٩٢/١) ، (وثب) .

٣ تاج العروس (٤٢٢/٣) ، (عمر) .

٤ صبح الأعشى (٤١٦/١) .

٥ الإصابة (٢٩٦/٣) ، رقم (٧٤٩٠) ، (كريب بن أبرهة بن الصباح) .

القصور :

وقد عرفت البيوت التي كان يقطن فيها المكربون وملوك العربية الجنوبية بالقصور ، مثل (قصر غندن) أي (قصر غمدان) و (قصر سلحن) ، أي (قصر سلحين) . ولفظة (قصر) من الألفاظ الواردة في العربيات الجنوبية . وقد أشار علماء اللغة والأخبار الى (قصور اليمن) ، وذلك يدل على اختصاص اليمن بها . وذكر علماء اللغة أن القصر : المنزل ، وقيل : كل بيت من حجر^١ . وترد في لغة بني إرم على هذه الصورة : (قصرو)^٢ .

ويقطن القصور حرم الملوك ، أي أزواجه . وقد يكون للملك زوج واحدة ، وقد تكون له جملة أزواج ، إذ كانت العادة أن يتزوج الملوك بجملة نساء ، ليتمتع بهن ، وقد يتزوج لعوامل سياسية ، فيأخذ الملك ابنة سيد قبيلة كبير ، أو ابنة رجل من أصحاب الجاه والسلطان ليقوي مركزه وليحصل على مؤازرة أصحاب البنت له .

وربما لا يكتفي الملك أو سيد القبيلة بالزوجة أو الزوجات ، فيضيف إليها أو اليهن عدداً من (الجواري) والسراري ، ممن وقعن في الأسر وعرفن بالجمال وبحسن الذوق ، ممن يشتريه من سوق النخاسة ، وإذا ولد لهن مولود عدّ المولود من أبناء الملك أو سيد القبيلة إن قرر الملك أو سيد القبيلة ذلك ، ويعامل معاملة أبناء الأسرة المالكة ، غير أن الناس لم يكونوا ينكرون عليه نظرهم الى ابن ملك ولد من أم من بنات الأسر المالكة أو من أسرة شريفة معروفة .

وللوك الحيرة قصور ذكر أهل الأخبار أسماء بعض منها . مثل : الخورنق والسدير ، كما كان للملوك الغساسنة قصور في مواضع مختلفة من مملكتهم وقصور في دمشق ، يمضون فيها اياماً عند زيارتهم لها ، وعند وجود مراجعات لهم مع حكامها من الروم . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء بعض القصور التي بناها الغساسنة في مواضع متفرقة من الأرضين التي خضعت لحكمهم ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الغساسنة في الجزء الثالث من هذا الكتاب : كما تحدثت عن قصور ملوك الحيرة في الجزء نفسه .

١ اللسان (١٠٠/٥) ، (قصر) .

٢ غرائب اللغة (٢٠١) .

وكان للملك (النعمان) قصر بالحيرة عرف بـ (القصر الأبيض) ، لبياضه، يظهر ان جدرانه كانت مخصصة ، فظهرت بيضاء . ويذكر أهل الأخبار ان النعمان ، كان عنده دواوين شعر فيها ما مدح به ، أو ما مدح به آله . ثم أمر فدفنها في قصره هذا ، فلما كان (المختار) قيل له : إن تحت القصر كترأ فأمر به فحفر ، فاستخرج الكثر ثم صار الى آل مروان أو ما صار منه . وكان هذا القصر دار ملكه ومقره في الحيرة ، اذ لم يذكروا له قصرأ آخر له فيها .

وكان للأكاسرة القصر الأبيض بالمدائن ، ذكر انه كان من العجائب، ولم يزل قائماً الى ان تقضه (المكشي بالله) العباسي في حدود سنة ٢٩٠ هـ . وبني بشرفاته أساس التاج الذي بدار الخلافة وبأساسه شرفاته . وقد ذكره البحري^١ .

وذكر (الزبيدي) ، اسم قصر دعاه (لحيان)^٢ ، زعم أنه (قصر النعمان بن المنذر بن ساوى) بالحيرة^٣ . فهل قصد بذلك شخصاً آخر من أهل الحيرة ؟ أم إنه وهم من أوهام عبيدة نجدهم في (تاج العروس) في أمور تاريخية ، قد يكون المسؤول عنها نسأخ الكتاب في بعض الأحيان .

ونسب بعض أهل الأخبار الى (النعمان بن المنذر) ، دارأ ، قالوا لها : (الزوراء) ، ذكروا أن (أبا جعفر المنصور) هدمها^٤ .

الحكم وأخذ الرأي :

ولم يكن الملوك في العربية الجنوبية أو في العربية الغربية ملوكاً مطلقين لهم سلطان مطلق وحق إلهي في ادارة الدولة على نحو ما يريدون ، ولكن كانوا ملوكاً يستشيرون الأقبال والأدواء وسادات القبائل والناس وكبار رجال الدين فيما يريدون عمله ، واتخاذ قرار بشأنه . وهو نظام تقديمي فيه شيء من الرأي والمشورة وحكم الشعب (الديمقراطية) بالقياس الى حكم الملوك المطلقين الذين حكموا آشور وبابل ومصر وايران^٥ .

١ تاج العروس (١٠/٥) ، (بيض) .

٢ بالفتح .

٣ تاج العروس (٣٢٤/١٠) ، (لحي) .

٤ تاج العروس (٢٤٦/٣) ، (زور) .

٥ A. Grohmann, S. 128.

أما الطبقات الضعيفة وبقية السواد من السوق والفلاحين وما شاكلهم ، فليس لهم رأي في تسيير الأمور ، ولا يستشارون في البت في أي شيء حتى في المسائل العسيمة المتعلقة بمصيرهم ، ولم يكن عالم ذلك اليوم يحفل بسواد الناس، أي بالغالبية، لأن الرأي لأصحاب الوجاهة والسيادة والسلطان إذ ذاك ، وفي كل مكان من أمكنة العالم .

وترينا الكتابات المعنية ان ملوك معين كانوا مقيدين في حالات معينة بأخذ رأي (المزود) عند اتخاذ قرار خطير ، ولذلك يذكر (المزود) عند صدور التشريعات والقرارات الخطيرة في نص القوانين والقرارات ، للتعبير عن موافقته عليها وعلى انها صدرت بعد وقوفه عليها وأخذ الملك رأيه فيها^١ . ويؤخذ رأي المعبد أيضاً، فقد ذكر في قرار بشأن الضرائب ، وذلك يدل على ان المعبد كان يستشار في المسائل الخطيرة أيضاً^٢ .

وقد تبين من بعض الكتابات ان ملوك العربية الجنوبية ، قد أخذوا برأي الجمعيات وأصحاب الحرف والعمل ، حتى لا يبرموا أمراً يظهر بعد تنفيذه انه غير واقعي ولا عملي ، وانه سيلقى معارضة من بعض الفئات والطبقات . كما أخذوا برأي المستشارين وأصحاب الرأي من جماعة ال (فقضت) وال (بتل) و (طبن) (الطبن) ، وهم الملاكون ، عند وضع القوانين^٣ .

وقد تبين من النص : Rep. Epigr. 2771 ان ملك معين استشار (المزود) في فرض ضريبة . وتبين من النص : Rep. Epigr. 2774 انه استشاره في فرض ضرائب خصصت بالمعبد . ولكننا نجد في نصوص أخرى ، مثل النص : Rep. Epigr. 3699 أن الملك لم يستشر (المزود) حين أصدر أمره في موضوع زواج المعينين بأهل (ددن) (ددان) (ديدان) . ولعله فعل ذلك لأن موضوع الزواج موضوع اداري ولا علاقة له بالسياسة العامة أو بفرض الضرائب أو بالمسائل الداخلية الخطيرة، وهي الأمور التي يأخذ فيها الملك رأي المجلس . كما نجد الملك يصدر قانوناً باسم (معين) (معين) أي شعب (معين) دون أن يذكر اسم (المزود)^٤ .

١ A. Grohmann, S. 128, REP. EPIGR. 2771.

٢ REP. EPIGR. 2774, 2458, A. Grohmann, S. 128.

٣ Glaser 1606, Grohmann, S. 126. ff.

٤ REP. EPIGR. 2952, Grohmann, S. 128.

وقد تبين من بعض الكتابات أن ملوك معين أصدروا تشريعات في أمور لم يأخذوا فيها رأي المزود ، لعدم ورود إشارة فيها اليه . فلدينا قرار في تنظيم أمور الزواج بين المعينين وأهل (ددن) (ديدان) ، لم يرد فيه ذكر للمزود^١ . ولدينا قرار آخر لم يذكر فيه اسم المزود أيضاً ، غير أنه يشير الى أنه صدر باسم شعب معين^٢ ، مما قد يبعث على الظن بأن الملوك لم يكونوا ملزمين دائماً بالرجوع الى رأي المزود ووجب أخذ موافقته في كل قضية، بل في القضايا العامة الخطيرة التي تخص مصير الشعب .

ويتبين من الكتابات السبئية أن ملوك سبأ ولا سيما قداماؤهم كانوا يتبعون سنة (معين) في الرجوع الى رأي المزود في القضايا الخطيرة للدولة واصدار القوانين . فكان الملك إذا أراد اصدار تشريع ، أحاله على المزود ليبدى رأيه فيه ، وفي طليعة هذه المسائل القوانين الخاصة بالأرضين وبالزراع وبمخصص الحكومة من الضرائب لما لها من صلة بمصالح رجال المزود . ومتى وافق المزود على القانون أحيل على الملك لتصديقه وإعلانه .

وهناك شبه كبير في موضوع التشريع بين القوانين القتبانية والقوانين السبئية العامة ، الصادرة في سبأ ، ولا سيما في أيام حكم قداماء الملوك ، حتى ذهب بعض الباحثين الى وجود ما يشبه حد الاتفاق بين قوانين الملكيين ، إلا في القوانين الخاصة التي تتعلق بالتشريعات المحلية للمخالفين والمدن ، فإنها شرعت على وفق الأحوال الملازمة لتلك الأمكنة^٣ .

وقد يشار في التشريعات الى قصور الملوك ، مثل (قصر سلحن) (قصر سلحن) (قصر سلحن) ، كما أشير اليها في كتابات مختلفة ، تتعلق بأخبار الحروب والجباية ، وذلك كناية عن مقر الحكم ، على نحو ما يستعمل في الزمن الحاضر من قولهم : (صدر من قصرنا العامر) أو (صدر من قصر) . وذلك رمز الى مقر الحكم وكناية عن الملك الذي يقيم في ذلك القصر . ومن تلك القصور : (قصر غمدن) أي (قصر غمدان) و (قصر وعلان) (قصر وعلان) و (قصر ريذن)

REP. EPIG. 3699, A. Grohmann, S. 128.

REP. EPIGG. 2952, A. Grohmann, S. 128.

Handbuch I, S. 128, Bodenvirtschaft, S. 180, A. Grohmann, S. 129.

أي (قصر ريدان) . ومن هذه القصور تصدر الأوامر بالموافقة على القوانين والمراسيم ، وفيها يوقع على ما يراد نشره ليكتسب صبغة رسمية مقررّة .

في أخلاق الحكام :

ليس لدينا وثائق جاهلية في أخلاق الحكام والصفات التي يجب أن يتصف بها الحاكم ، ليتمكن بها من حكم الناس ومن الحكم بينهم . وكل ما لدينا ، نفث ومقتبسات في أصول الحكم تنسب الى الجاهليين ، مدونة في المؤلفات الاسلامية ، يظهر ان بعضها أخذ من حكم الفرس ومن آداب اليونان في السياسة ، فنسب الى الجاهليين ، وبعضه اسلامي خالص وضع ليكون وعظاً وإرشاداً وإشارة هادية الى الخلفاء والحكام في كيفية حكم الرعية وفي تنبيههم الى واجباتهم وابعادهم عن الظلم والاتعاظ بمصير الحكام الطغاة الماضين حتى لا يكون مصيرهم مصير أولئك الملوك .

وفي كتاب (تأريخ ملوك العرب الأولية من بني هود وغيرهم) ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي ، وصايا وعظات في أصول الملك والحكم ، نسبها الى ملوك العرب الماضين قبل الاسلام ، دوتها للخليفة (المأمون) لتكون له هادياً ومرشداً في كيفية الحكم . وقد استهله بوصية نسبها الى (قحطان بن هود) أوصى بها بنيه أن يتعظوا بما نزل بقرم عاد حين عتوا على ربهم ، وعصوا أمر نبيهم ، فحثهم على التآلف والتعاقد والتناصر وعلى الطاعة للحكام ، ثم حث ابنه (يعرب) كبير أولاده على العمل بسيرته ومنهجه ، وان يصل ذوي القربى ، وان يحفظ لسانه ويصونه ، وان يكون كاظماً للغيب ، يقطاً من الأعداء ، حليماً ، لأن الذين سادوا لم يسودوا إلا بالعلم ، وان يكون كريماً ، لأن البخل يبعد الأتباع من الحاكم^١ .

وذكر (الأصمعي) ان يعرب أوصى أبناءه بنخصال وبما وصاه به أبوه . أوصى بأن يتعلم العلم ويعمل به ، وان يترك الحسد ، وان يتجنب الشر وأهله ، وان ينصف الناس ، وان يتعد عن الكبرياء ، لأن الكبرياء تبعد قلوب الرجال عن

١ تأريخ ملوك العرب ، (ط . الشيخ محمد حسن آل بسين) ، سنة ١٩٥٩ م ببغداد (ص ٣ وما بعدها) .

المتكبر ، وأوصى بالتواضع ، فإنه يقرب المتواضع من الناس ويحببه إليهم ، وان يصفح عن المسيء ، وان يحسن الى الجار ، ولأن يسوء حال أحدهم ، خير له من أن يسوء حال جاره ، وان يوصي بالمولى ، لأن المولى منكم واليكم ، وان يخلص بالاستشارة والنصيحة ، وان يتمسك الانسان باصطناع الرجال^١ .

ونجد في الوصايا التي ذكرها (الأصمعي) وصايا بوجوب التعاضد والتآزر ، والابتعاد عن الفرقة ، والطاعة من غير خوف^٢ ، والعدل في الرعية ، والتجاوز عن المسيء ، والكف عن أذى العشيرة^٣ ، والأخذ بالرأي لأنه لا بد للملك ممن يعينه في الرأي والأمر والنهي ، ولا بد له من مشير يحمل عنه بعض ما يثقله من ذلك^٤ . والمالك صانع ، فإن قام الصانع حتى قيامه على صنعته ، استجاد الناس له ، فكسب المال والجاه ؛ وان استهان بها ، ذهبت الصنعة من يده ، وكسب الندم والحرمان^٥ .

واستمر (الأصمعي) يذكر الوصايا التي ذكر أن ملوك العرب الماضين وضعوها في كيفية الحكم حذر الزلل ، ولتجنب الوقوع في الخطأ ، وهي نثر وشعر ، قد تكون من وضعه وصنعه ، صنعها للخليفة ليتعظ بها في الحكم على نسق ما كان يفعله أدياء الفرس والهند في وضع الوصايا والمواعظ والقصص على ألسنة الملوك الماضين والحكماء ليتعظ بها الحكام في أثناء حكمهم للناس . ونجد أمثلة كثيرة من هذا النوع دجت في كتب السياسة والأدب ، على ألسنة أرسطو أو الاسكندر أو أكاسرة الفرس^٦ .

ونجد في شعر ينسب الى (لقيط الإيادي) ، أن الحاكم الذي يقلد الأمر يجب أن يكون رحب النوازع ، مضطرباً بأمر الحرب، لا مترفاً ولا إذا عض به مكروه خشع وخضع ، يجلب دَرَّ الدهر ، يكون مُتَّبِعاً طوراً ومُتَّبِعاً ، مستحصد الرأي لا قهراً ولا ضرعاً^٧ .

-
- ١ (ص ٩ وما بعدها) .
 - ٢ (ص ١٧ وما بعدها) .
 - ٣ (ص ٢٠ وما بعدها) .
 - ٤ (ص ٢٥) .
 - ٥ (ص ٣٣ وما بعدها) .
 - ٦ نهاية الأرب (١٦/٦) (في وصايا الملوك) .
 - ٧ نهاية الأرب (١٧/٦) .

وكان الملوك على استبدادهم أحياناً بآرائهم يستشيرون من يرون فيه الأصالة في الرأي ، ولا سيما المتقدمون في السن ، فقد « كانت العرب تحمد آراء الشيوخ لتقديمها في السن ، ولأنها لا تُتبع حسناتها بالأذى والمنّ ، ولما مرّ عليها من التجارب التي عرفت بها عواقب الأمور ، حتى كأنها تنظرها عياناً ، وطراً عليها من الحوادث التي أوضحت لها طريق الصواب وبيته تبياناً ، ولما منحته من أصالة رأيها ، واستفادته بحمّل سعيها »^١ .

ويظهر أن الملوك الغساسنة والمناذرة كانوا قد تطبعوا بطباع الروم والفرس ، وأخلوا عنهم أبهة الحكم ، فحجبوا أنفسهم عن رعيّتهم ، مخالفين بذلك العرف العربي ، وحصروا أنفسهم في قصورهم وفي قباهم ، حتى أن من كان يريد الوصول إليهم من ذوي الحاجات كان عليه أن يقف أياماً أمام باب الملك ، حتى يأتيه الأذن بالدخول عليه ، وهذا ما أزعج الوافدين عليهم كثيراً ، وسبب إلى تجاسر الشعراء وذوي الألسنة الحادة عليهم . وكان على أكثر الوافدين التقرب إلى (الحاجب) والتذلل إليه ورشوته ليعجّل لهم بالدخول على الملوك ، ومنهم من كان يتعهد له بأن يجعل له نصيباً فيما قد يناله من جوائز الملك وهدايا ، فيسرع الحاجب عندئذ إلى الملك ، لطلب أخذ الأذن منه بدخول ذلك الوافد عليه .

وتوصف أخلاق الملوك بالتلون والتغير ، لأن الملوك لهم بدّوات . حتى ضرب بتلون أخلاقهم المثل . فقيل :

ويوم كأخلاق الملوك ملونٍ فشمسٌ ودجنٌ ثم طلٌّ ووايلٌ^٢

ولهذا حذر أصحاب المكاينة والجاه من الوصول إليهم في أيام غضبهم وبؤسهم . خشية صلور شيء منهم قد يزعجهم فيغضبوا عليهم ، أو يتفوهوا بعبارات قد تخدش من كرامتهم ، وتسبب لهم الألم والأذى . وقد ورد في الحكم : اتقوا غضب الملوك ومدّ البحر^٣ . وقد ضرب المثل بيومي البؤس والنعم .

وقد وردت في الكتابات الجاهلية مصطلحات تعبّر عن تقدير الناس للملوكهم ،

١ نهاية الأرب (٧٤/٦) .

٢ النعالي ، ثمار القلوب (١٨٤) ، (أخلاق الملوك . رقم ٢٦٣) .

٣ النعالي ، ثمار القلوب (١٨٦) .

مثل مصطلح (أمرهم) ، أي (آمرهم) و (أميرهم) أو سيدهم ، ونجد الكتابات العربية الجنوبية تطلق لفظة (مراهمو) و (مراسهمو) بمعنى (آمرهم) أو (أميرهم) و (سيدهم) على من هو فوقهم ، كالمملك أو الأقيال أو السادات ، احتراماً لهم واعترافاً بسيادتهم عليهم .

أما في كتابات (تدمر) ، فقد وردت لفظة (مرن) ، أي (سيدنا) . وقد أطلقت على الملوك ، كما استعملت للأشخاص الكبار من أصحاب السلطان . وتقابل هذه اللفظة كلمة Exarkos في اليونانية^١ .

وفي الشعر ذمّ للحكام وشعر في هجاء السادة ، لظلمهم وتنمرهم في حق رعيّتهم ، حتى ذهب الظن بهم أن كل مطاعٍ يظلم ، وإن المسودّ ظالم غشوم^٢ .

الراعي والرعية :

الراعي هو الوالي ، أي الذي يلي أمور قوم ويرعى شؤونهم ، فهو بمنزلة الراعي للماشية المرعية . أما القوم فهم الرعية ، أي العامة^٣ . والمالك هو راعي مملكته ، وراعي رعيّته ، وهم من هم دونه ، يتبعونه ويخضعون لرأيه وحكمه . ويعبر عن الرعية بالسوقة كذلك . سموا سوقاً لأن الملوك يسوقونهم فيساقون لهم ، والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان . والسوقة خلاف الملك . قال نهشل بن حرّثي^٤ :

ولم ترَ عيني سوقاً مثل مالك ولا ملكاً تجي إليه مرازبه

وفي البيت المنسوب إلى (بنت النعمان بن المنذر) ، وهو :

فينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف^٥

تعبير عن فكرة التعالي والترفع التي كانت عند أهل الحكم والمالك بالنسبة إلى

Die Araber II, S. 255.

١ الحيوان (٨٠/٣) ، هارون)
٢ اللسان (٣٢٧/١٤) ، (رعى)
٣ اللسان (س / و / ق) ، (١٧٠/١٠)
٤

المحكومين . وفي حديث المرأة الجَوْنِيَّة التي أراد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يدخل بها ، فقال لها : هي لي نفسك ، فقالت : هل سَهَبُ الملكة نفسها للسوق^١ ؟ ما ينم عن هذه الروح .

ويعبر عن السواد الأعظم بـ (سواد الناس) وبـ (سواد القوم) أي عوامهم وكل عدد كثير . وهو مصطلح يقرب معناه من معنى (السوق) . والسواد الأعظم من الناس ، هم الجمهور الأعظم والعدد الكثير^٢ وهم (الغوغاء) الذين لا يفقهون شيئاً من أمور دنياهم وإنما هم تبع وغنم يتبعون أي راع . وقد برزت أهميتهم في صدر الاسلام ، إذ عرفت الفائدة منهم فيما لو وجهوا توجيهاً حسناً . قال الخليفة (عمر) : « استوصوا بالغوغاء خيراً ، فإنهم يطفشون الحريق ، ويسدون البثوق »^٣ .

وقد عرف الجاهليون قيمة وأهمية السواد ، لأنه الكثرة والرماح التي يعتمد عليها ذور السؤدد في سؤددهم ، والجماعة التي تدافع عن سيدها وتحمي حماه . وقد استطاع (أبو سلمى) ان يعبر عن أهمية العوام وأصحاب الحناجر القوية من غوغاء الناس في جلب السؤدد الى الأشخاص في هذا الرجز :

لا بد للسؤدد من رماحٍ ومن عديد يتقي بالراح
ومن كلاب جمة النباح^٤

وعلى الرعية حق الطاعة ، طاعة من بيده الحكم والسلطان . وليس عليها الخروج على أوامره وأحكامه ، لأن من حق الراعي تأديب رعيته اذا خرجت عن طاعته . فإذا خرجت الرعية على حكم الملك ، حق عليه تأديب رعيته بالصورة التي يراها . ولا يتمكن من الخروج على طاعة السلطان إلا الأشراف وسادات القبائل ، ففي استطاعة هؤلاء بما لهم من أتباع ورعية ، تهديد الملوك ، أو من ينوب عنهم في الحكم . ولهذا كانت لهذه الطبقة مكانة وكلمة عند الملوك .

١ اللسان (س / و / ق) ، (١٧٠ / ١٠) .

٢ اللسان (٢٢٤ / ٣) ، (سود) .

٣ رسائل الجاحظ (٣٦٦ / ١) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .

٤ رسائل الجاحظ (٣٦٦ / ١) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) ، (ارماع) ،

الحيوان (٣٥١ / ١) ، (٧٩ / ٣) ، (هارون) .

ولم يكن من السهل على أبناء القبائل تقديم واجب الطاعة للملوك إذا كانوا من غير قبيلتهم ، فالملوك الغرباء وإن كانوا عرباً مثلهم ، لكنهم في نظرهم غرباء عنهم ، ومن قبيلة بعيدة عنهم . والعربي بحكم طبيعة ظروفه ومحيطه القبلي ، لا يرى الخضوع إلا لمن تربطه به رابطة العصبية . ومعنى هذا أنه لا يخضع إلا لسيد قبيلته ، أو لمن يخضع سيد قبيلته لحكمه أو للملك إذا كان من قبيلته . وسيد القبيلة لا يخضع هو نفسه لأحد إلا إذا أكرهه على ذلك ، إكراهاً ، أو وجد في خضوعه لحكم حاكم آخر منفعة ما تأتية من هذا الحكم . فإن زالت القوة التي أكرهته على الخضوع لغيره ، أو ذهبت المنفعة التي كان يحصل عليها ، أعلن انفصاله واستقلاله بشؤون قبيلته أو انضمامه الى حاكم قوي آخر ليصير حليفاً له . لذا صار تأريخ القبائل صراعاً ونزاعاً بين قبائل طامعة في حكم قبائل أصغر منها ، وقبائل أخرى تريد أن تعيش لوحدها مستقلة بإدارة أمورها ، أو منافسة غيرها في حكم قبائل أخرى ، لتكوين حكومة كبيرة منها ومن القبائل التي استسلمت لها . فالملالك التي تكونت والتي تحدثت عنها ، لم تكن إذن ممالك مكونة من مواطنين آمنوا بمبدأ المواطنة واعتقدوا بعقيدة طاعة سلطان الدولة . بل كانت مملكة قبائل اتخذت طوعاً أو كرهاً ، وكونت حلفاً كبيراً ترأسه ملك . يظل قائماً ما دامت هنالك قوة قائمة ومصلحة وفائدة ، فإن انتفت المصلحة ، عادت طبيعة الأنانية القبلية الى لعب دورها في الانفصال . وهي عقلية تعرقل وتقاوم تكون الدول الكبرى . ولهذا قاومها الإسلام ، لأنه جاء بمبدأ (الجماعة) ، وعقيدة (الأمة) و (الملة) ، فورد في الحديث : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية »^١ .

وللشعراء وأهل البيان كلام في أصول سياسة الحكم وإدارة أمور الرعية . قال (الجاحظ) : « ومتى أحب السيد الجامع ، والرئيس الكامل قومه أشد الحب وحاطهم على حسب حبه لهم ، كان بغض أعدائهم له على حسب حب قومه له . هذا إذا لم يتوثب اليه ولم يعترض عليه من بني عمه وأخوته من قد أطمعته الحال بالحقاق به . وحسد الأقارب أشد ، وعداوتهم على حسب حسدهم .

وقد قال الأولون : رضا الناس شيء لا ينال .

١ نهاية الأرب (١٢/٦ وما بعدها) .

وقد قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال الذي اذا أقبل هبناه ، واذا أدبر اغتبناه .

وقد قال الأول : بغضاء السُّوق موصولة بالملوك والسادة وتجري في الحاشية مجرى الملوك .

وليس في الأرض عمل أكدّ لأهله من سياسة العوام^١ .

وقد دفعت الروح الفردية والنزعة القبلية سادات القبائل وقادة الجيش على الثورة بملوكهم وبحكامهم ، فامتلاً تأريخ الجاهلية بها وبالمكايد والانتفاضات . وقد أثرت أثراً خطيراً في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وصارت في جملة عوامل تدهور الحضارة في اليمن . ونقرأ في كتابات المسند بعض الألفاظ المعبرة عن الفوضى وعدم الاستقرار بسبب حركات العصيان . منها لفظة (كيد) ، وتؤدي معنى ثورة وعصيان^٢ . و (ثبر) و (مثير) بمعنى (ثبور) ، ويراد بها ثورة ايضاً^٣ . و (نزع) وتؤدي معنى ثورة كذلك^٤ . و (نقم) وتؤدي معنى (نقمة) وعدم رضى عن الأوضاع . و (قسدت) و (قسد) بمعنى ثورة وثار . فالثورة هي (قسدت) في العربية الجنوبية . و (قرن) وهي في المعنى نفسه^٥ . و (تحسبن) بمعنى عنف واستخدام العنف^٦ . ولفظة (هرج) بمعنى الفوضى والقتل والمهرج^٧ . و (مخر) بمعنى مخالفة وقتال^٨ .

ونجد في كتابات المسند ألفاظاً أخرى ، لها صلة وعلاقة بالأوضاع المذكورة . مثل لفظة (هبل) في معنى الاعتراف بسيادة قوم على قوم . وبالتسليم بسيادة الرؤساء بعد ان ثاروا عليهم وحاولوا التخلص منهم . ولفظة (هوبل) في معنى النجاح في المطاردة والتوفيق في القضاء على العصيان ، وعودة الأمر الى ما كان عليه . ولفظة (همسر) بمعنى احبط وكسر . و (هسحت) ، بمعنى تحطيم والقضاء على شيء ، كحركة عصيان . و (هضرع) بمعنى أخضع و (حلقى)

١ الحيوان (٩٤/٢ وما بعدها) ، (هارون) .

٢ South Arabian Inscriptions, p. 437.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٤١) .

٤ (ص ٤٤٢) من المصدر المذكور .

٥ (ص ٤٤٧) من المصدر المذكور .

٦ (ص ٤٥٠) من المصدر نفسه .

٧ (ص ٤٣٣) من المصدر نفسه .

٨ (ص ٤٣٩) من المصدر المذكور .

بمعنى ضغط واستعمل العنف . و (حف) بمعنى أحاط . و (خرط) بمعنى الاستيلاء على شيء . و (نحت) بمعنى ضرب . و (نكس) في معنى قاسى وكابد من الألم والعذاب . و (تقيذ) بمعنى استولى على مكان وفتح . و (سبط) بمعنى أحبط وقضى على ثورة . و (سحت) في معنى هزيمة . و (قع) في المعنى المعروف منها في لهجتنا . و (رتضح) بمعنى ذبح . و (توشع) في معنى هزيمة . و (تشكر) في معنى هزيمة ايضاً . فلكل هذه الكلمات ولغيرها مما في معناها صلة بالأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في ذلك العهد . وهي دليل على سوء الحال .

تحية الملك :

وكانت للملوك الحيرة وملوك الغساسنة وغيرهم من ملوك الجاهلية تحيات تختلف عن تحيات سائر الناس . لأن الملك يحيا بتحية الملك المعروفة للملوك التي يباينون فيها غيرهم . ومن تحياتهم : أبيت اللعن ، وأسلم وانعم ، وانعم صباحاً ، وعش ألف سنة . (وكانت تحية ملوك العجم نحواً من تحية ملوك العرب ، كان يقال للملكهم : زه هزار سال ؛ المعنى : عش سالماً ألف عام)^١ .

وذكر بعض علماء اللغة أن (أبيت اللعن : كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية ، تقول للملك : أبيت اللعن ، معناه أبيت ايها الملك ان تأتي ما تلعن عليه . واللعن : الإبعاد والطرده من الخير)^٢ . وذكروا ان أول من حيي بتحية الملوك : (أبيت اللعن) و (أنعم صباحاً) يعرب بن قحطان^٣ . وقد وردت تحية (أبيت اللعن) في شعر للناطقة الديباني ، يعتذر فيه للنعمان بن المنذر :

أتاني - أبيت اللعن - انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع^٤

وذكر أيضاً ان اول من قيل له ذلك قحطان . وقيل : اول من حيي بها يعرب بن قحطان^٥ .

١ اللسان (٢١٧/١٤) ، (حيا) .

٢ اللسان (٣٨٧/١٣) ، (لعن) .

٣ العمدة (٢٢٥/٢) .

٤ الصاحبى (ص ٩١) .

٥ تاج العروس (٣٣٥/٩) ، (لعن) .

وذكر ان تحية الناس فيما بينهم : (أنعم صباحاً) او (انعم مساء) او (انعم ظلاماً) ، و (عموا صباحاً) و (عموا مساء) ، وذلك حسب المناسبات . أما إذا حيوا الملك ، قالوا له : (انعم صباحاً ايها الملك) ، لهيئة الملك ولتعظيمه^١ .

وقد ابطال الإسلام تلك التحية : بأن أحل السلام محلها . فلما دنا (عمير بن وهب) من رسول الله قال : (انعموا صباحاً) ، فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ؛ بالسلام تحية اهل الجنة »^٢ . وقد صار السلام من العلامات الفارقة بين الشرك والإسلام .

وذكر ان التحية الملك . وفي هذا المعنى قولهم : حيّاك الله وبيّاك ، اي اعتمدك بالملك . وفي هذا المعنى قول زهير بن جناب الكلبي :

ولكل ما نال الفتي قد نلته إلا التحية

أي إلا الملك ، وذكر ان المراد بها هنا البقاء ، لأنه كان ملكاً في قومه^٣ . والتحية في قول (عمرو بن معديكرب) :

أسير به الى النعمان ، حتى أنيخ على تحيته بجندي

تعني ملكه . فالتحية الملك^٤ .

ويظهر ان بعض الجاهليين كانوا يحيون بتحية (حيّاك وبيّاك) ، او (حيّاك الله) ، او (حيّاك الله وبيّاك)^٥ . ولا استبعد استعمالهم اسم صنم من الأصنام في موضع (الله) عند عبادة ذلك الصنم ، كأن يقولون : (حيّاك هبل) ، وقد بقيت هذه التحية الى الاسلام ، ثم صارت : (حيّاك الله) . وقد يخاطبون بها الملوك فيقولون : (حيا الله الملك) . وذكر ان تحيات اهل الشام للوكهم :

-
- ١ الصاحبى (٩١) .
 - ٢ الطبري (٤٧٣/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ اللسان (٢١٦/١٤) ، (صادر) ، (حيا) ، تاج العروس (١٠٦/١٠) وما بعدها ، (حيا) .
 - ٤ المصدر نفسه ، بلوغ الارب (٢٠٣/٣) .
 - ٥ تاج العروس (١٠٧/١٠) ، (حيا) .

(يا خير الفتيان)^١ .

والمعروف عن العرب أنهم لم يكونوا يسجدون للملوك ولساداتهم كما كان يفعل العجم . غير ان رواية وردت في (كتاب فتوح الشام) للواقدي تذكر ان (الياس) ، وهو عم ملك الحيرة وصاحب حرسه ، لما أدخل (سعد بن أبي عبيد القاري) ، على الملك (النعمان بن المنذر) ، (صاح به الحجاب والغلمان قبّل الأرض للملك ، فلم يلتفت اليهم)^٢ . وفي هذا الخبر دلالة على ان أهل الحيرة كانوا إذا دخلوا على الملوك سجدوا لهم : كما كان يفعل ذلك غيرهم من الغرباء من يدخل على الملوك ولا سيما الفرس . وتتحدث هذه الرواية المنسوبة الى الواقدي ، بأن الملك النعمان ، كان له كلام وجدل في موضوع الدين ورسالة الإسلام مع (سعد بن أبي عبيد القاري) رسول (سعد بن أبي وقاص) اليه . وأنه لما طرد الرسول ، قال (سعد بن أبي وقاص) :

سأحمل فيهم حملة عريية ولا أنثني والله عنهم بعسكري
فإما أرى النعمان في القيد موثقاً وإما طريحاً في الدماء المغفر

ثم أمر سعد بن أبي وقاص جمعه بالمسير نحو النعمان ، فالتقى القعقاع بن عمرو التميمي أو بشر بن ربيعة التميمي بالنعمان في كبكبة من الخيل ، فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة أو الكتيبة فزقها ، ورمى النعمان بطعنة في صدره ، فلما رأت جيوش الحيرة الملك مجندلاً ، ولت الأبار تريد القادسية نحو جيش الفرس^٣ .

والذي أجمع عليه المؤرخون واهل الأخبار ، ان المنذر كان قد ذهب الى العالم الثاني قبل الفتح ، بزم على نحو ما تحدثت عنه في الجزء الثالث من هذا الكتاب . وقد ذكرت ما قيل في موته من شعر نظمه شعراء معاصرون له ، وما وقع من اصطدام بين العرب والفرس بسبب مطالبة (كسرى) بتركته على ما يذكره أهل الأخبار . لذلك لا يمكن التصديق بهذه الرواية مع وجود ذلك الاجماع ، ثم ان فيها معالم الصنعة والتزييق ، ولا سيما في موضوع الحوار بين النعمان وبين رسول (سعد) اليه في موضوع الاسلام ، مما يحملنا على القول بأن هذا الخبر قد أدخل فيما بعد

١ أيام العرب (ص ٤٢) .

٢ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٥/٢ وما بعدها) .

٣ فتوح الشام (١٨٧/٢ وما بعدها) .

في هذا الكتاب المنسوب الى الواقدي ، وهو لمؤلف متأخر عنه ، جمع مؤلفه من روايات أخذها من (فتوح الواقدي) ومن كتب أخرى ومن روايات متأخرة ، فألف منها هذا الكتاب .

ومن قواعد ملوك الحيرة في مخاطبة من هم دونهم من أصحاب المنازل قولهم لهم : (يا عام) ، وقولهم (انك هابل)^١ .

وللملوك عادات في مكالمة الناس ومخاطبتهم . وهم يراعون بصورة عامة منزلة ودرجة من يتحدثون معه . فإذا كان المخاطب من ذوي المكانة كأن يكون سيد قبيلة ووجيه قوم ، كلموه بما يليق به ، وإن كان من سواد الناس القادمين للحصول على صدقة وحسنة ، أو على انصافه ومساعدته كلموه بأسلوب آخر . ثم انهم كانوا يستعملون الكلام الغليظ الشديد مع مخاطبتهم ، اذا أزعجهم أو اذا كانوا غاضبين عليه . وهكذا يكون لكل موقف كلام .

ويظهر من شعر للأعشى ، هو :

فلما أئانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

ان العرب ، أو بعضاً منهم ، كانوا يسجدون للملوكهم . و (العمار) ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله : عمرك الله . وقيل : هي رفع الصوت بالتعظيم ، أي بالدعاء . وقولهم : عمرك الله . وروي : ووضعنا العمارا ، والعمار العمامة ، أي وضعناها من رؤوسنا إعظاماً له . ومن العمار قولهم : عش ألف سنة لعمرك^٢ . والذين فعلوا ذلك هم عرب الحاضرة ، تأثروا بما فعله الأعاجم بالنسبة للملوكهم ، فعملوا بهذه المراسيم .

دور الندوة :

وللدول العربية الجنوبية مجالس استشارية تسمى (مزوداً)^٣ ، من واجبتها النظر

١ النوادر (ص ١٧٧ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٤٢٢/٣) ، (عمر) .

٣ الحرف الثاني لا وجود له في أبجديتنا ، وهو بين الزاي والسين ، وقد عبرت عنه بحرف الزاي لأنه أقرب الحروف نطقاً إليه .

في المشكلات التي تتعرض لها الدولة ، والبت في القضايا المهمة وفي موضوع فرض الضرائب . وقد عرف هذا المجلس في دولة معين بـ (مزودن معن) (مزود معن)^١ . وكان للسبتيين مجالسهم الخاصة بهم ، تنظر في المسائل التي يحتاج ملوك سبياً الى اخذ الرأي فيها والوقوف على رأي عقلاء الأمة للاستشارة برأيهم عند اتخاذ رأي وإقرار قرار .

ولا يعني وجود هذه المجالس ان النظام هناك كان نظاماً نيابياً انتخابياً، يجتمع الأحرار والوجهاء فينتخبون من يريدون ان يمثلهم او يتكلم باسمهم انتخاباً على النحو المفهوم من الانتخاب في الزمن الحاضر . وإنما كانت عضوية المجالس بالوجهة والمترلة والمكانة ، وتلك قضايا اعتبارية للعرف فيها الرأي والقرار ، وأعضاء المجلس هم اعضاء فيه ، لأنهم من رجال الدين او سادات قبائل او من كبار الموظفين ، او من اصحاب الأرض والمال ، فهم في عرف ذلك اليوم الصفوة والخيرة ، وعندهم العقل والرأي والسداد . وعمل هذا النحو من التمثيل تكون المزاود ، اي مجالس الأمة .

وقد عرف أعضاء المزود بـ (اسود) ، اي (أسود) (اسباد) ، بمعنى سادة ، وهم بالطبع من علية القوم وسادتهم . وفي ضمن هؤلاء الـ (منوت) (منوات)^٢ .

وكما تطلق الشعوب في الزمن الحاضر نعوت التفخيم والاحترام على مجالسهم التمثيلية ، كذلك اطلقت الشعوب الماضية مثل هذه النعوت على مجالسهم . فأطلق العرب الجنوبيون لفظة (متعن) مثلاً على المزود ، فورد : (مزود متعن) في بعض الكتابات ، بمعنى (المزود المنيع)^٣ . وربما أطلقت اللفظة على العضو في هذا المجلس كذلك^٤ . ولكننا لا نعرف ذلك في هذا اليوم معرفة أكيدة ، وربما كانوا يطلقون نعوت تفخيم وتعظيم أخرى على أعضاء هذا المجلس .

وحصلنا من الكتابات على اسم مجلس يسمى بـ (طبنن) ، وذلك في الكتابات

١ REP. EPIG. 2771, 3458, Grohmann, S. 128.

٢ REP. EPIG. 3562, A. Grohmann, S. 128.

٣ Glaser 1150, Halevy, 192, 199.

٤ RHODOKANAKIS, Stud., II, S. 66. ff.

القتبانية . وقد رأى بعض الباحثين انه مجلس كبار الملاكين^١ . ورأى آخرون انه بمنزلة (المزود) بالنسبة الى القبيلة ، وانه مجلس أصحاب الأملاك، ورؤساء أفخاذ القبيلة المالكين ، وانه يأتي بعد (المزود) في الأهمية عند القتبانيين^٢ ، وانه كان ينظر في المسائل الخاصة بالملك والأرض وفي الضرائب التي تجبى عن الزراعة وفي تأجير الأرض ، وما شاكل ذلك من موضوعات تخص الأرض والزرع . ويقول علماء اللغة إن (الطبن) ، هو الرجل الفطن الحاذق العالم بكل شيء^٣ ، ولعلمهم أخذوا هذا التفسير من العرب الجنوبيين . فـ (طبن) ، هو مجلس عقلاء القوم وحذاقهم والمتكلمين باسم القوم .

ولم يكن لسواد الناس ولا للطبقات الوسطى منهم، رأي ولا تمثيل في (الطبن) ذلك لأن هذا المجلس هو مجلس كبار الملاكين للأرض فقط . وكانوا يشتركون في الـ (المزود) . ونجد ذكر هذا المجلس في كتابات يرى بعض الباحثين انها من أواسط القرن الخامس قبل الميلاد^٤ .

ويقابل مجلس الملاكين (طبن) القتباني مجلس عرف بـ (مسخن) (المسخن) في اللهجة السبئية . وقد أشير اليه في الكتابات السبئية القديمة وفي كتابات عهد (ملوك سبأ وذوي ريدان)^٥ . وأعضاؤه من الوجهاء وكبار الملاكين الذين ورثوا ملكهم من عقار وأرض^٦ .

وترد في الكتابات السبئية لفظة لها علاقة بمجلس يمثل طبقة خاصة في سبأ . عرف بـ (عهرو) (عهر) . ونجد هذا الاسم في الكتابات التي هي من القرن الثاني قبل الميلاد فما بعده . ويظهر أنه كان مجلس الأشراف من اهل الحسب والنسب من امثال الأشراف والنبلاء الذين عاشوا في اوروبة في القرون الوسطى . ولا يشترط في الطبقة المسماة بهذه التسمية ان تكون من كبار الملاكين وأصحاب العقار . والى

١ A. Grohmann, S. 128.

٢ راجع السطر الرابع من النص : Glaser 1606.

٣ اللسان (١٣٢/١٧) ، القاموس (٢٤٤/٤) .

٤ A. Grohmann, S. 127, Rhodokanakis, Grundsatz, 33, Handbuch, I, S. 125,

Glaser 1606.

٥ CIS, 60, Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiet, I, 95, Handbuch, I, S. 122.

٦ Handbuch, I, S. 122.

هؤلاء يضاف من يقال لهم (ذاعلر) (ذو أعلر) . وهم طبقة من اشراف لا يربط بينهم دم ، ولا تجمع بينهم وبين القبيلة التي يتولون بينها او بين الناس الذين يعيشون بينهم ، صلة رحم . ولا يملكون أرضاً ، وإنما هم حلفاء وجيران ، نزلوا بين قوم فصاروا مثلهم ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، يؤدّون ما يؤدّيه حليفهم من القبيلة من واجب وعمل ، وعلى حليفهم مراعاتهم ، لأنهم في جواره وفي حلفه^١ .

هؤلاء هم أصحاب الرأي والاستشارة في الحكومات العربية الجنوبية ، والمجالس المذكورة تنظر في مصالح المتعين اليها وكلهم كما رأينا من أصحاب الجاه والسيادة والسلطان .

وإذا أقر (المزود) موضوعاً ووافق عليه ، رفع القرار الى الملك لإصدار أمره بتنفيذ ما توصل اليه ، وتصدر القرارات بصورة مراسيم تشريعية ملكية تعلن للناس وتبلغ للقبائل لإقرارها وتنفيذها ، وقد حفظت الكتابات جملة قرارات من هذا النوع^٢ . وتوقع المحاضر في الغالب بلفظة (مثبت) من أصل (ثبت) ، وذلك دلالة على الموافقة والتأييد بصحة صدور القرار^٣ . وأن القرار قد ثبت وصار أمراً إلزامياً واجب التنفيذ .

واصطفى الملوك لهم حاشية من ذوي الرأي والعقل والتجربة ، جعلوها هيئة استشارية ، تقدم الرأي لهم ، وقد عرفت ب (فقضت) ، وب (بتل)^٤ .

فنحن في اليمن إذن بإزاء نظام يمكن أن نسميه نظاماً تمثيلاً ، وإن لم يكن يمثل رأي الشعب تمثيلاً تاماً ، فلم تكن للأغلبية المكوّنة للأمة إرادة في اختيار ممثليهم للمجالس ، كما هو المفروض والمطلوب من المجالس ، فمن هنا لم يكن نظام الحكم في هذه البلاد نظاماً تمثيلاً صحيحاً ، ولكنه كان تمثيلاً من ناحية ضمه أصحاب الرأي والجاه والسلطان في الدولة ، لمجالس (المزود) وإبدائها رأيها لحاكم البلاد ، ولا سيما في المسائل الكبرى التي يتوقف عليها المصير ، مثل إعلان حرب ، أو عقد صلح ، أو إقرار ضرائب . نظام نستطيع أن نسميه نظام الأخذ بمبدأ استشارة ذوي الرأي

A. Grohmann, S. 125, Handbuch, I, S. 124, 133.

Handbuch, I, S. 122.

Rhodokanakis, Stud., II, S. 85.

Glaser 1606, Grohmann, S. 128.

والوجهة والسلطان في المسائل الخطيرة التي تخص الدولة أو المجتمع وحدهم ، فهو نظام شورويّ بالنسبة لأهل الرأي والمشورة ، وهؤلاء وحدهم هم الذين يشاورون في الأمور . أما السواد ، فلا رأي له . ومع ذلك ، فهو أفضل من الحكم المطلق الذي يكون الملك فيه هو الكل في الكل ، يفعل ما يشاء من غير حساب . وهو بالقياس إلى نظم الحكم عند الآشوريين أو البابليين أو الفراعنة ، نظام فيه (ديمقراطية) لا نجدها في قواعد حكم الشعوب المذكورة .

ولكن الدنيا لا تدوم على حال واحد ، فأخذ حكم المزاود يتقلص ، وصار عدد من يأخذ بالرأي والمشورة من الملوك يقل حتى إذا جاءت الأيام المتأخرة من حكومة سبأ ، صار الأمر للأقيال والأذواء وسادات القبائل ، واضطر الملوك إلى التزول عن حقهم في الأرضين إلى أصحاب السلطان في مقابل اتفاقيات تحدد الواجبات والحقوق التي يترتب على هؤلاء الأقوياء الذين اغتصبوا الأرض اغتصاباً أداؤها للدولة . ويقوم صاحب السلطان الملاك بإيجار الأرض لأتباعه من آلِه أو من أهل قبيلته ، مقابل أجر يدفعونه له ، وهؤلاء يؤجرونها أيضاً لمن هم دونهم في المتلة والدرجة . فتحوّلت الملكية بذلك إلى دولة اقطاع ، أرباحها وحاصلها ونتاجها وقف على طبقة ذوي الجاه والسلطان .

وقد (المزود) مكانته ، إذ انتزع الأقيال (اقول) منه السلطان ، حتى قدموا أسماءهم في النصوص على اسم المزاود . فنجد أقيال (سمعى) (اقول سمعى) يقدمون اسمهم على اسم المزود ، دلالة على خطر شأنهم وقوتهم ، وعلى أن حكم (المزود) صار في الدرجة الثانية من خطر الشأن في هذه الأيام .

وقد تضاعف حكم (المزود) ، بل زال من الوجود منذ القرن الثالث للميلاد فما بعده ، فلا نكاد نجد له حكماً أو ذكراً في الكتابات ، إذ انفرد الملوك والاقطاعيون الكبار بالحكم ، وصار رأيهم هو الرأي الحق المقبول ، وبيئة ينفرد فيها الأفراد بالحكم ، وينتزع فيها من الأشخاص حق التعبير عن الرأي ، هي بيئة لا يمكن أن يعمر فيها (المزود) أو أي مجلس كان من قبيله يقوم بالتعبير عن رأي الناس ، وإن كان بصورة رمزية شكلية . لذلك نستطيع أن نقول إن العربية الجنوبية فقدت أهم نعمة كانت عندها ، نعمة التعبير عن الرأي ، والنظم اللامركزية

بعد الميلاد . وزاد في تقليص حكم تلك المجالس تدخل الحبش بصورة مستمرة في شؤون العربية الجنوبية ، وانتزاعهم الحكم بالقوة من أصحابه الشرعيين وانفراد حكامهم وحدهم بالحكم ، ثم اضطراب الملوك والأقوال والأقواء إلى مقاومة الحبش الغزاة وحشد كل الطاقات البشرية لطرد الحبش من بلادهم ، وأحوال مثل هذه لا تسمح بابداء رأي ، فكان فيها موت تلك المجالس التي لم تكن كما قلت تمثل الشعب ، لأنها لا تمثل السواد الأكبر، وإنما كانت تمثل أصحاب الوجاهة والسلطان ولكن وجود شيء فيه وقوف إزاء الملوك وتحدٍ لسلطانهم إن أرادوا توسيعه ، هو مهما كان نوعه خير من لا شيء ومن انفراد الملوك بالأمر دون خوف ولا رهبة من اعتراض أحد ومن نقد ناقد .

هذا ، ولم نعر على نص بالمستند ، ورد فيه ذكر لععدد أعضاء المزاود أو المجالس التمثيلية الأخرى . أما ما ذكره (الهمداني) من انه كان لحمير مجلس ينظر في أمور الملك واختيار الملك إذا مات الملك ولم يترك من يرثه ، وإن عدد أعضاء ذلك المجلس ثمانون قبيلاً ، لا ينقص ولا يزيد ، وانهم إذا انتخبوا قبيلاً منهم ليكون ملكاً عند عدم وجود من يخلف الملك ، أو عدم رضائهم عن الملك لسبب من الأسباب ، فإنهم كانوا ينتخبون قبيلاً جديداً ليكمل العدد المقرر ، فإننا لا ندرى أكان ذلك حكاية عن وضع الحكم في اليمن في قبيل الاسلام ، أم كان مجرد رواية من هذه الروايات الواردة عن الجاهلية ، مما يرويه أهل الأخبار. وقد نحمل روايته محمل الصدق بالنسبة إلى مجمل الخبر . أما بالنسبة إلى ثبات العدد فأمر لا نستطيع أن نأخذ به ونقطع بصحة ما ورد فيه .

وظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد فما بعده ظاهرة جديدة أخرى ، قد تدلّ على ضعف شخصية الملوك ، وتقلص سلطانهم ، هي ظاهرة ذكر اسم ولي العهد مع اسم الملك ، وتلقيبه بلقب ملك تماماً كما يلقب الملوك . فجاء اسم نهقان مع ابنه (شعرم أوتر) (شعر أوتر) ، دلالة على أنها حكماً حكماً مشتركاً ، وجاء اسم ملك ، وجاء اسم ملك وجاء مع اسمه اسم أخيه يحكم معه ويحمل لقب الملك ، وجاء اسم ملك ومعه اسم ابنين أو ثلاثة أبناء ، يشاركونه في اللقب

وفي الحكم ، بل ورد اسم ملك ومعه حفدته يحملون لقب الملك^١ .
 وظاهرة أخرى نراها تظهر ، فيها دلالة أيضاً على تناحر الأسر وتقاتلها على الجاه والحكم والسلطان ، تتجلى في حكم أسرتين مختلفتين ، إحداهما من (حاشد) وأخرى من (بكيل) ، وكلتاهما من همدان ، وقد حمل كل واحد من رجلي الأسرتين اللقب الرسمي للملك سبأ . فقد حكم (علهان نهان) وابنه (شعر أوتر) وهما من (حاشد) ، وحكم في الوقت نفسه (فرع ينهب) ، وابنه ، وهما من (بكيل) ، وكان كل واحد منهما يلقب نفسه بألقاب ملوك سبأ . ثم نجد من ذبول هذه الظاهرة منافسة (ظفار) للأرب ، ومبارزة قصر ملوك (ظفار) وهو (ذو ريدان) لقصر ملوك سبأ القديم وهو (سلحن) (سلحين) . وفي هذه المنافسة دلالة على تنافس أسرتين على الحكم ، كل أسرة تدعي أنها حاکمة سبأ ومالكة مملكة سبأ^٢ .

وكان من نتائج هذا التطور ظهور حكم لا أودّ تسميته بـ (حكم لامركزي) ، ولكن أرى تسميته : حكماً إقطاعياً ، أو حكم (أمراء الطوائف) ، أو حكم رؤوس الطوائف . فقد صار الأمر والنهي للأقيال وللأذواء ، وللسادات وقادة الجيش ، حتى تكاثر عددهم ، وحتى صارت لهم كلمة في اختيار الملوك وفي إسقاطهم . ونجد في الكتابات المتأخرة أسماء عدد كبير من هؤلاء الإقطاعيين ، دلالة على مكانتها ، وخطر شأنها في السياسة العامة ، ولم تختف هذه الظاهرة حتى بعد احتلال الحبش لليمن ، وحتى بعد طرد الحبش عنها ودخولها في حكم الفرس إلى أيام الإسلام^٣ .

وكان مما قوى سلطان الإقطاعيين الحروب التي أعلنها الملك (شمر يهرعش) على جيرانه . لقد تمكن من توسيع رقعة سبأ ومن إضافة أراضين جديدة واسعة لها ، ومن إحاطتها بهالة من العظمة ، ولكنه اضطّر من ناحية أخرى إلى إرضاء الإقطاعيين الذين ساعدوه وخدموه في حروبه وأدوا له خدمات كبيرة ، فوسع سلطانهم ، وقوّى مركزهم ، وصيرهم قوة ذات شأن لها سلطان في الدولة ،

Ryckmans, L'Institution, 207, Grohmann, S. 130, CIH 314, 398, 934, Ryckmans, 203. ١

Ryckmans, L'Institution, p. 207, Grohmann, S. 129. ٢

Grohmann, S. 130. ٣

فأضعف بعمله مركز الحكومة ، ووضع من جاء بعده من الملوك في مركز حرج أمام كبار الإقطاعيين الذين أخذوا يتدخلون في أمور الدولة، وينافسونها في سلطتها. وهكذا زالت معالم الحكم (الاستشاري) للأقيال ، وحل محله حكم الملوك المستند الى تأييد عدد من كبار رجال الإقطاع وسادات القبائل ، وهو حكم راعى بالطبع مصالح هؤلاء ، ولم يهتم بمصالح سواد الناس ، بل حتى مصالح الإقطاعيين الذين لم يكن لهم سلطان كبير ، فأصيبوا بضرر بالغ من هذا التغيير الدستوري في أصول الحكم .

وقد كان ملوك العربية الغربية ، مثل ملوك العربية الجنوبية ، يأخذون بالرأي ويعملون بمشورة المجالس . ويعرف مجلس الشورى في الكتابات اللحيانية بـ (هجبل) (الجبل) و (جبل)^١ . وقد نعت المجلس بجملة (العالي الشأن) في إحدى الكتابات^٢ ، تعظيماً له ، وتقديراً لشأنه . وبما يؤيد أخذ الملوك برأي المجلس (جبل) هو ورود لفظة (براى) ، أي (برأى) في الكتابات ، دلالة على أخذ الملوك برأي المجلس^٣ .

بل ذهب بعض الباحثين الى احتمال وجود أحزاب سياسية في مملكة لحيان^٤ . غير أننا لم نتمكن من الحصول على كتابات لحيانية فيها شيء عن الحزبية والأحزاب في ذلك العهد .

أما أصول الحكم عند (آل نحم) ، فإننا لا نملك نصوصاً لها مدونة ، كذلك لا نملك نصوصاً فيها شيء عن أصول الحكم عند الغساسنة . ولم يشر أهل الأخبار الى وجود مجالس على نمط (المزود) أو (دار الندوة) عند المناذرة أو الغساسنة ، لذلك لا نستطيع أن نتحدث بأي حديث عن الشورى وأخذ الرأي عند اللخمين ، أو عند آل غسان .

بل يستنبط من بعض روايات أهل الأخبار ، ان ملوك (آل نصر) و (آل غسان) و (آل آكل المزار) ، كانوا ملوكاً غلب على حكمهم

Caskel, Lihyanisch, No. 71, 77, 87, 91. ١

JS41, Caskel, Lihyanisch, S. 109. ٢

Arabien, S. 50. ٣

Euting 51, Grohmann, S. 50, Caskel, Lihyanisch, 40, 42, Jaussen-Savignag, ٤

Mission, II, 371.

الاستبداد بالرأي ، إذ لم يعملوا برأي أحد ، ولم يأخذوا بمشورة مستشار إلا إذا كانت المشورة موافقة لهواههم ومن شخص قريب منهم ، وله أثر فعلي عليهم . كما يستنبط منها ايضاً ان المقربين من الملوك ، لم يكونوا مخلصين لهم في تقديم النصيحة ، بل كانوا يبتغون من ورائها الحصول على منفعة وفائدة ، أو ضرراً يلحق بأعدائهم ، وبالقبايل المعادية لقبائلهم في كثير من الأحيان . وان بعض الملوك ، ولا سيما المتأخرون منهم ، كانوا قد تأثروا بأرائهم فعملوا بها، فأوجدت لهم مشكلات خطيرة، كان الملوك في غنى عنها، لو انهم كوتفوا مجالس استشارية ، وأخلوا برأيها في تسيير النابه من أمور المملكة .

أما القرى والمدن إن جازت هذه التسمية ، فقد حكمها وجهاتها وساداتها رؤساء الشعاب والبيوتات الكبيرة . فإذا حدث حادث في شِعب حلّه رؤساء ذلك الشِعب ، وإن عرض للقرية أو للمدينة عارض اجتمع ساداتها للنظر فيه وحلّه ، واليهم يكون تسيير أمور القرية او المدينة . يجتمعون في (نادي) القرية او المدينة، وهو مجتمعها للنظر في الأمر والبت فيما يرون اتخاذه من قرارات . وقد ورد في القرآن الكريم : « وتأتون في ناديك المنكر »^١ . والنادي هنا المجلس ، ومجتمع القوم ، وموضع اتخاذ القرارات والبت في الأمور .

وكان لأهل (تلمر) (مجلس) على غرار مجلس (الشيوخ) في (رومة) مؤلف من سادات المدينة من أصحاب الجاه والسلطان له سلطة من القوانين والتشريع، وله رئيس وكاتب .

دار الندوة :

وقد تحدث اهل الأخبار عن دار قالوا انها كانت بمكة سموها (دار الندوة) ونسبوا إلى جد قريش ومجمعها (قصي) ، قالوا : إن قريشاً كانت إذا همت بأمر أو أرادت رأياً ، أو قررت اتخاذ قرار ، اجتمعت فيها ، ونظرت في أمرها واتخذت فيها قرارها . فهي إذن مجلس يشبه (المجالس) التي كانت في مدن اليونان ، وقد كوتوها لتكون حكومة المدينة المشرقة على شؤونها المدبرة لأموورها الناظرة فيما يقع فيها من خصومات وخلاف .

١ العنكبوت ، السورة رقم ٢٩ ، الآية ٢٩ .

وذكر بعض اهل الأخبار، انه لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي^١ إلا ابن أربعين سنة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصي^٢ كلهم أجمعون وحلفاؤهم^٣ والظاهر ان هذا كان خاصاً بالمشورة وأخذ الرأي . لما كان قد قرّ في نفوس أكثر الناس من أهميه السن في تقديم الرأي ، ومن أن النضوج العقلي يبدأ في الأربعين من العمر . وإذا صحت الرواية ، نكون أمام شرط مهم فيمن يحق له حضور دار الندوة لابتداء المشورة والرأي . لكننا نسمع من رواة الأخبار أيضاً ، أنهم يذكرون أن قريشاً كانت تتساهل في موضوع السن أحياناً ، فكانت تتساهل في قبول دخول من هو دون الأربعين من العمر إذا كان الشخص سديد الرأي . فقد « تحاكم العرب في الجاهلية في النفورة، وفي غير ذلك من المخايرة والمشاورة، الى أبي جهل ابن هشام في أيام حدائته وفتائه ، ولذلك أدخلوه دار الندوة ، ودفع مع ذوي الأسنان والحنكة من بين جميع الشبان ، ومن بين جميع الفتيان . ولذلك قال قطبة بن سيار حكيم فرارة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة ابن علاثة : عليكم بالحديد الدهن ، الحديث السن يعني أبا جهل »^٤ .

الملأ :

وفي القرآن الكريم لفظة (ملأ) بمعنى جماعة يجتمعون على رأي^١ . وتعبّر هذه اللفظة عن الغالبية ، أي عن الرأي العام الغالب لكان ما ، أو لجماعة من الجماعات . ومعنى ذلك اتخاذ (أهل الحل والعقد) من الملأ رأياً يكون ملزماً للآخرين . وأهل الرأي والحل والعقد ، هم السادة أصحاب الجاه والعقل والسن ، ولذلك كانوا يفضلون في أخذ الرأي ، أخذ رأي أصحاب العقل والخبرة ، وهم المتقدمون في السن في الغالب، ففي صغر السن طيش وتسرع ، والبت في الأمور يحتاج الى نضج وصبر وأناة وحلم . لهذا كان أكثر رجال (دار الندوة) من البالغين المتقدمين في السن^٢ .

-
- ١ الأزرقي (٦٥/١) .
 - ٢ رسائل الجاحظ (٣٠٠/١) ، (رسائل في نفي التشبيه) .
 - ٣ المفردات ، للاصفهاني (ص ٤٩٠) .
 - ٤ الأزرقي (٦١/١) .

وعرف علماء العربية (الملائ) أنه الرؤساء والجماعة وأشرف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم ، « يروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، سمع رجلاً من الأنصار وقد رجعوا من غزوة بدر ، يقول : ما قتلنا إلا عجائز صلماً ، فقال عليه السلام : أولئك الملائ من قريش ، لو حضرت فعالمهم ، لاحترقت فحكك » أي : اشرف قريش . فالملائ إنما هم القوم ذوو الشارة والتجمع للإدارة^١ .

وورد ان (الملائ) التشاور والعيلة . ويظهر من المواضع العديدة التي وردت فيها هذه الكلمة في القرآن الكريم ، ان المراد بها في أكثر تلك المواضع ، عيلة القوم من ذوي الرأي والمكانة ، والأشرف من القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرجع إلى قولهم . وذكر ان (الملائ) : التشاور . تشاور الأشرف والجماعة في أمر ما^٢ .

فرؤساء مكة إذن ، هم حكومتها وحكامها ، وليس هناك ملك أو حاكم انفرد بالحكم والسلطان . فالحكم فيها إذن ، حكم مدينة ، لا حكم ملك أو فرد ، وقد كان الحكم في الطائف وفي يثرب وفي نجران ، وفي وادي القرى على مثل هذه الطريقة ، غير ان الأخباريين لم يتحدثوا عن مجلس يشبه دار الندوة في هذه المدن . وفي القرآن الكريم : « فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر »^٣ ، و « أمرهم شورى بينهم »^٤ . وفي هاتين الآيتين دلالة على الأخذ بمبدأ المشورة ، وان الحكم شورى . وحكم قريش في مكة ، هو حكم المشاورة وأخذ الرأي ، لهذا كانوا يتشاورون فيما بينهم حينما كانوا يعتزمون اتخاذ قرار تجاه الرسول . وقد بينت ان أصحاب الرأي والمشورة هم (الملائ) وعيلة القوم ومن عرف بجودة الحكم والفتنة والذكاء .

وكانت القرى الأخرى تستشير ذوي الحل والعقد . وكذلك فعلت القبائل . فقد كان سيد القبيلة يطلب من وجوه قبيلته ابداء رأيهم في القضايا المهمة من أمور الحرب والسلم . وكان سادات القبيلة ، يجتمعون للنظر في امر اختيار رئيس ،

١ اللسان (م / ل / ا) ، (١٥٩ / ١) .
٢ تاج العروس (١١٩ / ١) ، (ملا) ، تفسير الطبري (٣٧٣ / ٢) .
٣ آل عمران ، الرقم ٢٣ ، الآية ١٥٩ .
٤ الشورى ، الرقم ٤٢ ، الآية ٣٨ .

إذا مات رئيس وليس له وريث ، أو وقع خلاف فيما بين أعضاء بيت الرئيس على الرئاسة . وقد حث العرب على الأخذ بالرأي والمشورة ، حتى لا يقع المرء في الخطأ والتهلكة . والرأي : النظر والتدبير والتفكير^١ . وقد قدمه العرب على الشجاعة ، فجعلوه قبلها ، لأن الشجاعة لا تنجح ما لم يكن للشجاع رأي ونظر في كيفية التغلب على خصمه .

المشاورة :

وقد كرهت العرب والحكام مشاورة من اعترته الشواغل ، وأملت به النوازل ، مع وفور عقله وحزمه ، فقال (قس بن ساعدة الإيادي لابنه : لا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً ، ولا جائعاً وإن كان فهِماً ، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً ، فإلهم يُعْقِلَ العقل فلا يتولد منه رأي ولا تصدق به روية) . و (قال الأحنف بن قيس : لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يطلق ، ولا المقلّ حتى يجد ، ولا الراغب حتى ينجح)^٢ .

وكانت العرب تحمد الأناة في الرأي ، واجالة الفكرة فيه وعدم التسرع . (وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول : دعوا الرأي يغب حتى يختمر ، وإياكم والرأي القطير)^٣ .

واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكرم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم يوم الكلاب ، فقال : إن وهن الكبر قد فشا في بدني ، وليس معي من حدة الدهن ما أبتدىء به الرأي ، ولكن اجتمعوا وقولوا ، فإني إذا مرت بي الصواب عرفته)^٤ .

حكم سادات القبائل :

وحكم سيد القبيلة حكماً يتوقف على شخصيته ومكانته ، فإذا كان السيد قوياً

-
- ١ تاج العروس (١٤٠/١٠) ، (رأي) .
 - ٢ نهاية الأرب (٧٦/٦) .
 - ٣ نهاية الأرب (٧٧/٦) .
 - ٤ نهاية الأرب (٨٠/٦) .

حازماً مهيباً رفع مكانة القبيلة ، وصير لها منزلة بين القبائل ، وقد يفرض ارادتها على القبائل الأخرى . أما إذا كان ضعيفاً فاتر الهمة بارداً بليداً ، طمع فيه الطامعون ، وقد يكون سبباً في تشتت كلمة القبيلة وفي تجزئتها وهبوط مكانتها بين القبائل . فالرئيس هو الذي يخلق القبيلة ويعز مكانتها ، وهذا هو سر ظهور قبائل كبيرة بصورة مفاجئة ، ثم اختفاء أمرها وهبوط منزلتها بعد أمد . وسر ذلك ان الذي يرفع من شأن القبائل أو يخفض من منزلتها هو (سيد القبيلة) ، فهو روحها ، وهو الذي يمنحها إكسير الحياة .

وليس حكم سيد القبيلة ، حكماً مطلقاً ، لا مشورة فيه ولا أخذ رأي ، بل الحكم في القبائل حكماً مستمداً من رأي وجهاء القبائل وعقلائها وفرسانها وألستها المتينة ، فهو حكم (ملاً القبيلة) . وقد يكون بيت رئيس القبيلة ، هو مجلسها وموضع حكمها . وإذا حدث حادث اجتمع عقلاء القوم في مجلس الرئيس وتباحثوا في الأمر . ويقال لمجلس القبيلة (عهرو) (ع ه ر و) في اللهجة القتبانية^١ ، يعتقد للنظر فيما يقع للقبيلة من أمر جليل ، مثل فرض ضرائب أو زيادتها ، أو إعلان حرب ، أو ما شاكل ذلك من أمور .

ونجد مثل هذه المجالس عند جميع القبائل . فإذا حدث للقبيلة حادث ، تجمع ساداتها للتباحث في الأمر ، ولاتخاذ ما يرون اتخاذه من رأي . ولما كانت القبيلة متشعبة لا تستقر في واحد ، صارت مضارب سادات الأحياء اندية تلك الأحياء ، يجتمع فيها وجوه المضرب للسمر وللبت فيما قد يقع بين الحي من خلاف . وبهذه الطريقة يفصل في الخصومات وفي كل ما يحدث للحي من أمر .

ويروي أهل الأخبار شعراً زعموا أن (لقيطاً الإيادي) ، قاله في كيفية الحكم وسياسة الرعية ، فيه هذه الأبيات :

فقلّـدوا أمركم لله دركم رحب النراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب درّ الدهر أشطره يكون متّبعاً طوراً ومتّبعاً
حتى استمرت على شزر مريرته مستحصداً الرأي لا قحاً ولا ضرعاً^٢

١ Katab. Texte. I, S. 78, Anm. 3, S. 79, Handb., I, S. 122

٢ نهاية الأرب (١٧/٦) .

حكم الملوك :

وتتلخص نظرة الجاهلية بالنسبة الى حكم الملوك فيما يأتي : الملك مالك والتابع مملوك ، واجبه تقديم حقوق الملك للملوك وحق الملك الطاعة وفي ضمن الطاعة : الإخلاص له ، والعمل بما يفرضه على التابع من حقوق وواجبات . وليس للرعية الإمتناع عن دفع ما في عنقها من حقوق الملوكها او ساداتها : سادات القبائل . وليس لأحد حق مطالبة ملكه بدفع مال له ، لا بصورة ثابتة معينة مقررة ، ولا بصور أخرى . إنما الملوك والسادات احرار ، لهم ان يعطوا ولهم ان يمسكوا ، وما يدخل خزانتههم وما يأتيهم من ربح من تجارة او مغنم من حروب او من عشور ومكوس وضرائب اخرى ، هو من حقهم وهو من ملكهم الخاص بهم . وكل ما يعود للحكومة ، هو لهم . لأنهم هم الحكومة ، والحكومة الرؤساء . وفي الحديث : « ومأكل حير من آكلها ؛ المأكل : الرعية ، الآكلون الملوك جعلوا أموال الرعية لهم مأكلة ، اراد ان عوام اهل اليمن خير من ملوكهم »^١ . و (الآكال : مآكل الملوك . وآكال الملوك : مأكلهم وطعمهم : والأكل : ما يجعله الملوك مأكلة)^٢ . والمأكلون إذن هم الرعية ، يأكلهم ملوكهم ، بما يأخذونه منهم من حقوق وبما يفرضونه عليهم من واجبات ، والآكلون هم الملوك ، لأنهم يأكلون ولا يعطون .

والحاكم ملك كان او سيد قبيلة ، هو حاصل المحيط الذي نشأ فيه والبيئة التي عاش بين اهلها ، لذلك نراه مستبدأ الى آخر حد من جهة ، ونراه عطوفاً غافراً للذنوب من جهة اخرى . وهو القانون والسلطة التنفيذية والتشريعية ولا راد لحكمه وقضائه ، إلا التوسلات والوساطات وشفاعة الشفاع ، فإن تأثر بالشفاعة غير رأيه وإن اصر على رأيه فلا راد لحكمه . وحكم هذا شأنه يكون خاضعاً لمزاج الحاكم ولدرجة هدوء أعصابه واتزانه ، فإن كان الملك عاطفياً متفعلاً سريع التأثر ، صار عهده عهد مشاكل ومؤامرات يكون قتل الأشخاص فيه من الأمور البسيطة . وما يومي البؤس والنعيم ، إلا مثل على عقلية الحكم في ذلك الوقت . وفي حكم كهذا تكثر فيسه بالطبع الوشايات والمؤامرات ، اذ يستغله الحساد وأصحاب الذكاء في

١ اللسان (٢١ / ١١) ، (آكل) .

٢ اللسان (٢١ / ١١) ، (آكل) .

الايقاع بخصومهم ، كالذي فعلوه من الايقاع بين النعان والشاعر النابغة صديقه والمقرب اليه ، وكالذي فعلوه من الايقاع بين (عمرو بن هند) وهو ملك متهور قلى ، وبين سادات القبائل مما سبب الى غزوهم والى استهتار بعض القبائل بحكمه وخروجه على طاعته .

وقتل الأشخاص من أبسط الأمور بالنسبة الى أولئك الحكام ، فإذا أزعجهم شخص او هجاهم شاعر او انتقصهم احد ، فقد يكون القتل جزاءً له في الغالب . وإذا امر الملك بقتل إنسان ، قتل ، ما لم يشفع له شفيع قوي مؤثر . وإذا كان امر الملك بقتل الشخص في الحال ، قتل دون تأخير . ولا راداً لحكمه . فهو الحاكم وهو المنفذ للأحكام . ولا اعتبار لمتزلة الشخص الذي سيقتل ، والشيء الذي يؤجل الموت او يبعده عن شخص ما ، هو هروبه الى رجل منافس لهذا الحاكم كاره له ، او له دالة عليه ، فينقذ لجوؤه الى ذلك الشخص رقبة من سيف الجلاء .

وللملك إحراق من يشاء إذا أراد ، والتمثيل بجسم عدوة . وقد رأينا جملة ملوك من ملوك (آل نحم) و (آل غسان) وقد عرفوا (بمحرق) لأنهم حرقوا أعداءهم بالنار . لم يحرقوا ييوتاً ، بل بشرأ ، وقد رأينا بعض الروايات ، وهي تنسب الى (المنذر بن ماء السماء) قتل راهبات وقعن في الأسر من غسان ليكنّ قرابين قربهن الى العزى . ورأينا امر (عمرو بن هند) بذبح تسعة وتسعين رجلاً من تميم على قفة (أواره) ، لأنه حلف يميناً ليستقمن منهم بقتل مائة رجل منهم ، واحرقهم بالنار . فقليل له المحرق . وضرب بفعله المثل في قصة يروونها عن هذا المثل : إن الشقي وافد البراجم^١ .

وقد اشتهر (الجلندي) ملك (عمان) بظلمه ، حتى ضرب به المثل . فقليل (أظلم من الجلندي) و (ظلم الجلندي) . وقيل انه هو الذي ذكره الله في كتابه ، فقال : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً »^٢ .

١ ثمار القلوب ، للثعالبي (١٠٧ وما بعدها) ، (وهو أول من عاقب بالنار) ، حمزة (٦٧) .

٢ سورة الكهف ، الآية ٧٩ ، الثعالبي ، ثمار القلوب (١٨٣) ، الكشف (٥٧٨/٢) .

ويذكر أهل الأخبار ان الملوك إذا ارادت قتل شخص ، لبست جلود النمر وجلست تتفرج على من يراد قتله . ويعبر عن ذلك بالتنمر^١ .

اصول التشريع وسن القوانين :

لا نملك اليوم نصوصاً في أصول التشريع وقواعده عند الجاهليين . إذ لم يعثر على نص خاص بهذا الموضوع . غير ان في بعض النصوص اشارات عابرة ، يمكن ان نستنبط منها شيئاً عن قواعد التشريع عند العرب قبل الاسلام . وفي جملة هذه النصوص بعض النصوص القتبانية ، ومنها النص الموسوم بـ Glaser 1606 .
والعرب من الشعوب التي تميل إلى الأخذ بالرأي ، واستشارة ذوي الرأي والخبرة والسن . فنجد سيد القبيلة يستشير سادات القبيلة ووجوهها في الأمور الخطيرة التي تقع لقييلته . كما نجد المدن والقرى تستنير برأي أولي الأمر في المشكلات التي تقع لها ، لحلها وفقاً لما يستقر عليه رأي ساداتها . وفي العربية الجنوبية نجد للقبائل مجالسها كذلك ، حيث يجتمع اصحاب الرأي في القبيلة ، للنظر فيما يقع لقييلتهم من امر نابه وقضايا خطيرة يجب أخذ الرأي فيها . وكان للملوك مستشارون يستشارون في القضايا التي يعرضها الملك عليهم ، بالاضافة الى (المزاود) والمجالس الأخرى .

وقد استشار الملوك اصحاب الأرض من طبقة (طبن) (الطن) . والمستشارين الذين عرفوا بـ (فقضت) و (بتل)^٢ ، كانوا يجمعونهم لأخذ رأيهم في امور الأرض وفي مسائل اخرى . كما استشاروا كبار رجال المعابد من درجة (رشو) و (شوع)^٣ . وكان لرأي هؤلاء أهمية كبيرة بالنسبة للملوك ، لما كان لهم من نفوذ وكلمة في المجتمع .

ولم يكتف الملوك بأخذ رأي الطبقات المذكورة عند إقرار قانون ، بل كانوا يرسلون آرائها ووجهة نظرها إلى مجالس القبائل وإلى سادات ووجوه المدن والقرى والمستوطنات للوقوف عليها وليبان رأيهم فيها ، وذلك في القضايا العامة التي تشمل

١ . تاج العروس (٥٨٧/٣) ، (نمر) .

٢ . Glaser 1606, Arabien, S. 128.

٣ . Arabien, S. 127.

كل الدولة ، مثل تنظيم امور استثمار الأرض وفرض الضرائب والقوانين التجارية ، لتدرس وتعالج على ضوء مصالح كل المتنفذين من ذوي الرأي والجاه في المملكة ، على قدر الامكان ، وليكون في الامكان تطبيقها وتنفيذها دون كبير اعتراض . ومتى جاء رأيهم ووقف الملك على كل الآراء وأحاط علماً بها ، عمل برأيه فيها واتخذ قراراً باتناً بموجبها . ويعبر عن اتخاذ قراره هذا بلفظة (جزم) أي (الجزم) . جزم الملك برأيه وامضائه لاصدار ذلك القانون . ويأمر عندئذ بتدوينه ، ويعبر عن ذلك بجملة (سطرن ذت يذن) ، أي (وقد كتب القرار بيده) ، كناية عن انه أمر بنفسه بتدوينه ونشره ، فكان يده ذاتها قد سطرته . وقد تدوّن جملٌ اخرى في هذا المعنى ، مثل (تعلمه ذت يذن) و (تعلمه يذن) أي ووقعه بيده ، بمعنى أمضاه وختمه بختمه ، وذلك على ما يفعل رؤساء الدول من التوقيع تحت نص القوانين والأوامر ، لأكسابها صبغة رسمية . وتذكر بعد اسم الملك أسماء بعض رجال الحاشية وكبار السادات وأعضاء المزاود ، ممن يكونون قد ساهموا في إصدار القانون ، ولهم قوة تنفيذية في المملكة . على نحو ما تفعل من ذكر اسم رئيس الوزراء والوزراء المختصين ممن لهم علاقة بتنفيذ القانون بعد اسم رئيس الدولة ، دلالة على موافقتهم عليها ، وإقرارهم لها .

وبعد الانتهاء من موافقة الملك عليه بتثبيت اسمه عليه يدون وتحفظ نسخاً منه في خزائن الحكومة للرجوع اليها ، ويقرأ القانون على الناس للاطلاع عليه . ثم يكتب على أحجار تثبت في جدران الساحات الكبيرة التي يتجمع فيها ، لا سيما ساحات أبواب المدن والقرى التي تكون عند المداخل ، وهي ساحات الاعلان^١ ويكون القانون بذلك ملزماً واجب التنفيذ ، وعلى موظفي الحكومة والرعية العمل بما جاء فيه .

وفي حالات سن القوانين التي تخص قبيلة واحدة أو مكاناً معيناً ، يجتمع المجلس الاستشاري (المزاود) لتلك القبيلة أو المكان ، ثم يتداول في الأمر . وقد يحضره الملك بنفسه . وقد يحضره ممثل أو ممثلون عنه . وإذا اتخذ المجلس قراراً في أمرٍ ما ، فله الحق بإصداره باسم الملك ، كما ان له الحق بإصداره باسمه ، أي باسم المجلس الاستشاري الذي اتخذ القرار . وإذا صدر باسم الملك

دلّ ذلك على أنه قانون رسمي وافقت الدولة عليه ، أما في حالة اغفال الإشارة الى اسم الملك في القرار ، فلإن ذلك يدلّ على انه قانون خاص خصص بالموضع الذي أصدر المجلس قراره فيه . وتطبق احكامه عليه وحده .

ومن حق المجالس اقرار القوانين القديمة وتثبيتها ، كما ان لها حق الغائها او تعديلها ، ويصدر قرارها بقانون . ومن حقها ايضاً العفو عن المحكوم عليهم ، عفواً كلياً او جزئياً . وتنظيم حقوق الأرض بقوانين يصدرها عند الحاجة وحسب مقتضيات الأحوال^١ .

ومن الصعب علينا في الوقت الحاضر تثبيت اسماء الهيئات المشرفة في العربية الجنوبية ، اي الهيئات التي كان من حقها سن القوانين ووضع الأنظمة . لأننا نجد في نصوص المسند اسماء مؤسسات سنت قوانين ووضعت أنظمة في جباية الضرائب وفي تنظيم معاملات البيع والشراء والأرض . مثل (ذو عهرو) (عهرو) في قبيلة (فيشن) (فيشان) من قبائل سبأ و (مسخن) (مسخنان) في سبأ كذلك . ومؤسسات اخرى لا نعرف الآن من أمرها شيئاً يذكر . يظهر أنها كانت مجالس ومؤسسات ذات طابع محلي تشمل صلاحيتها الموضع الذي تكون فيه وكان من حقها تشريع ما ترى ضرورياً بالنسبة الى تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذلك المكان^٢ .

ويستتبط من تعدد المجالس والجمعيات ومن الأعمال التي قامت بها ، أن الحكم في العربية الجنوبية قبل الميلاد كان حكماً قريباً من الحكم (الديمقراطي) الشعبي . وان سلطات الملوك كانت مقيدة ببعض القيود ، فلم يكن الملك يصدر أمراً إلا بعد أخذ رأي المجالس المختصة واستشارتها وأخذ موافقتها . والمجالس المذكورة وإن كانت في الواقع مجالس كبار اصحاب الأرض واصحاب الجاه والنفوذ ، ولا رأي لسواد الناس فيها ، وكان للملوك نفوذ عليها ودخل في قراراتها ، ولا سيما الملوك الكبار اصحاب الشخصية ، إلا ان وجودها على تلك الصورة وعلى هذا النحو من الحكم ، هو خير بكثير من عدم وجودها ومن حكم لا يستند على أي مجلس ولا على أية استشارة أو رأي ، كما كان الوضع عند

Handbuch I, S. 125. ١

Handbuch, I, S. 128. ٢

بعض الشعوب التي حكمها حكام مستبدون ، حكموا شعوبهم حكماً فردياً تعسفياً ، لم يستند على رأي ، لا رأي النخبة من الأمة ، ولا رأي الشعب .
ودام الحال على هذا المنوال إلى القرن الثاني للميلاد تقريباً ، ثم تبدل وتغير . فلما جاء القرن الثالث تقلص ظل حكم الأخذ بالشورى والرأي ، حتى زال هذا الحكم ، واختفى ذكر (المزاود) ، ولم نسمع بعد ذلك لها خبراً . ويظهر أن العربية الجنوبية قد سارت على الطريق التي سلكها ملوك اليونان وقيصرية (رومة) من التنكر للحكم (الديمقراطية) والابتعاد عنه ، للاخذ بمبدأ حكم (الفرد) ، وهيمنة الحاكم الأعلى على كل شيء . فلما بسط ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت سلطانهم على أرضين واسعة ، وكوتوا لهم جيشاً كبير العدد غزوا به امارات والمخاليف ، ازداد بذلك ملكهم ، واتسع ما لهم ، وقضوا على من كان له رأي ونفوذ في المجالس حتى زالت المعارضة وصار الأمر بأيديهم ، وبأيدي من يرضون عنهم ممن ياتمر بأمرهم . ويزوال قوة أصحاب المجالس ، زال حكم الرأي والشورى الذي كان يحد بعض التحديد من سلطان الملوك ، ويمنعهم من وضع القوانين من دون أخذ رأيهم ، وصار الحكم إلى رأي الملوك وإلى رأي الأقوياء من كبار أصحاب (المخاليف) .

ومما ساعد على زوال حكم الأخذ بالمشورة والرأي واستبداد الملوك وكبار رجال الاقطاع بالحكم ، هو تدفق الأعراب من الحجاز ونجد وسواحل الخليج إلى العربية الجنوبية وازدياد عددهم فيها ، ولا سيما بعد انهيار حكم مملكة كندة وارتحالهم من منازلهم إلى العربية الجنوبية ، فازداد بذلك نفوذ الأعراب واستغلهم الملوك للقضاء على نفوذ الأقبال والأدواء وذوي الاقطاع والنفوذ والجاء ، حتى صار لهم نفوذ واسع في المملكة ، وغدوا قوة اعترف الملوك بها ، فأشاروا اليها في لقبهم الرسمي الذي صار على هذا النحو : ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في الأطواد والتهائم .

وقد استغل سادة الأعراب حاجة أهل الحكم والمتنافسون عليه اليهم ، ببراعة ودهاء . فصاروا يؤيدون من يغدق عليهم بالمال ، ومن يفسح لهم المجال للغزو والسلب والنهب ، ومن يزيد على غيره في اعطاء المال لهم . وأخذوا يتقلون من جهة الى أخرى . يعيشون بالأمن في وقت كان الأمن فيه مضطرباً قلقاً . يهاجمون المدن والقرى والحكومات . وهذا ما أقلق بال الحكومات والرعية ، وجعل الناس

يخشون على حياتهم ومالهم ، ويعيشون بقلق ، في ظل حكومات صغيرة عديدة ، لا همَّ لها سوى مخاصمة بعضها بعضاً والتناحر ، على عادة الحكومات المتنافسة الصغيرة في التكالب فيما بينها تكالب الكلاب .

وقد امتاز هذا العهد بكثرة حروبه وبكثرة ظهور الثورات فيه . وباضطرار الملوك الى قضاء معظم أوقات حكمهم في مكافحة تلك الثورات وفي محاربة الاقطاعيين الذين أراد الملوك تقليص نفوذهم . وهذا مما جسر الحبش على العربية الجنوبية ، فدخلوا قوة فاتحة فيها . ووضع مثل هذا لا يساعد على قيام حكم (ديمقراطي) ولو بشكل هزيل . وقد أثرت هذه الحروب والاضطرابات على وضع العربية الجنوبية ، فأخرتها كثيراً ، وقضت على ما كان فيها من حضارة ، وجعلت البلاد بلاد حكومات : حكومات قبائل قرى ومخالف وعشائر . ولو ان الحكم هو للملوك أو للاجباش أو للفرس . وبقي الحال على هذا المتوال حتى ظهر الاسلام ، ففضى على الحكم الأجنبي في العربية الجنوبية .

ولم يتمكن الحبش من حكم العربية الجنوبية كلها . ولم يكن من السهل عليهم حكمها لطبيعة أرضها وتركز الاقطاع فيها ، وهو نظام لازم تأريخها من قبل ظهور الحكم المركزي المنظم فيها ، حتى صار من تراث تلك البلاد المميز لها في التأريخ . لقد اقتصر حكم الحبش في اليمن على مدن رئيسية معينة ، كوتت منطقة متصلة ، أما خارجها فكان الحكم فيها بيد (الأقيال) الذين ركزوا حكمهم وقواه بتآزرهم وتعاونهم . وبقي الحال على هذا المتوال ايام الفرس أيضاً . بل أستطيع ان أقول ان حكم الفرس كان حكماً شكلياً ، مقتصرأ على بعض المواضع ، أما الحكم الواقعي فكان للأقيال . ولا عبرة لما تقرأه في الموارد الاسلامية من استيلاء الفرس على اليمن ، لأن هذه الموارد تناقض نفسها حين تذكر أسماء الأقيال الذين كانوا يحكمون مقاطعات واسعة في ايام حكم الفرس لليمن ، وكان منهم من لقب نفسه بلقب ملك ، وكان له القول والفعل في أرضه ، ولا سلطان للعامل الفارسي عليه .

حكومات مدن :

استعملت لفظة (حكومة) بالمعنى المجازي ، فلم يكن للمدن حكومات بالمعنى

المفهوم من الحكومة في الزمن الحاضر ، أي رئيس مفروض على المدينة بحكم الوراثة أو بحكم القوة ، أو رئيس منتخب ينتخبه أبناء المدينة أو ساداتها وأشرافها لأجل معلوم أو لأجل غير معلوم .

ولم يكن لهذه المدن موظفون نيطة بهم أعمال معينة وواجبات محددة عليهم القيام بها ، في مقابل أجور تدفع لهم . ولم يكن فيها مؤسسات ثابتة مثل المحاكم والشرطة لضبط الأمن والضرب على أيدي من يخلّون بالأمن ويخرجون على أوامر المجتمع وقوانينه ، ولم يكن فيها ما يشبه أعمال الحكومة المعروفة عندنا ، لأن مجتمع ذلك العهد يختلف عن مجتمعنا الحديث .

فكرة مثلاً ، وقد كانت من أبرز مدن الحجاز في القرن السادس للميلاد ، لم تكن ذات حكومة . لم يكن يحكمها ملك ، ولم يحكمها رئيس ، وكذلك كان أمر (يثرب) و (الطائف) وسائر قرى العريية الغربية . لم يكن فيها أي شيء من هذه المؤسسات الثابتة التي تكون الحكومة ، والتي تتعاون لتدبير أمور الناس . وكل ما كان في مكة ، أسر ، يعبر عنها بـ (آل) و (بني) ، فيقال : (آل عبد المطلب) و (آل عبد شمس) و (آل هاشم) ، و (بنو عبد المطلب) و (بنو عبد شمس) و (بنو هاشم) ، وهكذا ، تستوطن شعاباً خصصت بها . وكل (شعب) مجتمع قائم بنفسه ، له سادته وأشرافه ، وهم وجوه الشعب ، وأصحاب الحل والعقد في هذا المجتمع .

ويقوم وجوه الشعب بفض ما يحدث بين أبناء الشعب من خلاف ، وبالنظر في أمر المخالفين لأعراف الشعب وعاداته ، وأحكامهم غير إلزامية ولا تسندها قوة تنفيذية ، بل تنفذ بحكم الأعراف والأصول المرعية ، وبحكم وجاهة هؤلاء الرؤساء ومكانتهم عند الشعب .

أما إذا حدث حادث تجاوز مداه حدود (الشعب) ، فشمّل شعباً آخر أو عدة (شعاب) ، فيكون أمر النظر فيه لسادات (الشعاب) التي يعينها الأمر ، فيجتمعون عندئذ للنظر في الأمر وللبت فيه بحكمة وبأناة قدر الإمكان ، مراعاة للجوار ، وإقراراً للسلم . وإذا أخفق المجتمعون في اتخاذ قرار ، توسط بينهم وسطاء محايدون لفض ذلك النزاع بالتّي هي أحسن .

وقد ينشب خلاف بين الأحياء على أمور تمس المصالح الكبيرة الخاصة بالأسر ،

فتفعل هذه الأحياء عندئذ ما تفعله القبائل ، تلجأ الى حلفائها ، أو تجدد أحلافها ، أو تعقد حلفاً جديداً لتدافع به عن مصالحها، كالذي كان من أمر (حلف المطيعين) وما كان من أمر (الاحلاف) ، أو من (حلف الفضول) .

أما ما يتعلق بأمر المدينة كلها ، كأمر مكة مثلاً، من أمور تتعلق بأحوال السلم أو الحرب ، فيترك النظر في ذلك الى (الملائ) (ملأ مكة) مثلاً . وهم وجوه مكة وسادتها من كل الأسر ، فيجتمعون في (دار الندوة) أو في دور الرؤساء للنظر في القضايا والبت فيها . فيبين الرؤساء آراءهم ويتناقشون فيها، فإذا اتفقوا على شيء ألزموا أنفسهم تنفيذه، وإن لم يتفقوا على شيء ، وكان النزاع بين المجتمعين حاداً، حاول كل فريق تأليف جبهة قوية لمقابلة الجبهة المعارضة ، ولمنعها من الاعتداء عليها ، وقد يعمد المتخاصمون إلى مقاطعة بعضهم بعضاً، مقاطعة اقتصادية واجتماعية، كالذي حدث من مقاطعة أغلب قريش لآل هاشم وآل المطلب ، بسبب تمسك أبي طالب بابن أخيه الرسول ودفاعه عنه . فما كان من بقية قريش إلا أن قررت مقاطعة (أبي طالب) ومن آزره وانضم اليه .

ونجد في مكة نوعاً من التخصص في الأمور . والظاهر ان ذلك انما كان عن استئثار بعض الرجال البارزين بعمل من الأعمال ، ثم انتقل ذلك منه إلى ورثتهم بالإرث أو بالاتفاق أو بالنص ، ثم صار سنة اتفق عليها ، كالذي ورد من أمر (الرفادة) وهي ما كانت تخرجه قريش من أموالها وترفد به منقطع الحاج^١ . وقد عرفت (الرفادة) انها شيء كانت قريش ترافد به في الجاهلية ، فيخرج كل انسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وكانت الرفادة لبني هاشم . وذكر ان أول من قام بالرفادة (هاشم بن عبد مناف) وسمي هاشماً لهشمه الثريد^٢ .

وكالذي ورد من أمر (السقاية) ، سقاية الحاج . وقد عرفت انها مأثرة من مأثر قريش في الجاهلية . وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها (العباس بن عبد المطلب) في الجاهلية والاسلام^٣ .

١ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .

٢ اللسان (ث/ر/د) ، (١٨١/٣) ، تاج العروس (٢/٣٥٥) ، (ر/د) .

٣ اللسان (س/ق/ي) ، (٣٩٢/١٤) ، تاج العروس (١٠/١٨١) ، (س/ق) .

وكالذي جاء من أمر (السدانة) مع (الحجابة) . والسادن : خادم الكعبة وبيت الأصنام . وكانت السدانة في الجاهلية لبني عبد الدار ، فأقرها النبي لهم في الاسلام . والسدنة هم الذين يتولون فتح باب الكعبة واغلاقها وخدمتها^١ .
وأما (الحُجَّاب) فهم سدنة البيت أيضاً . وذكر ان الفرق بين السادن والحاجب ان الحاجب يحجب واذنه لغيره ، والسادن يحجب واذنه لنفسه^٢ والحجابة هم حجة البيت . ورد في الحديث : « قالت بنو قصي فينا الحجابة ، يعنون حجابة الكعبة ، وهي سدانتها ، وتولي حفظها ، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها »^٣ .
وكالذي ذكر من أمر (الندوة) ، والندوة التجمع والجماعة . و (دار الندوة) : دار الجماعة ، سميت من النادي . وكانوا إذا خَرَّبَهم أمر ، ندوا اليها ، فاجتمعوا للشاور^٤ .

وكالذي روي من أمر (المشورة) . وذلك أن رؤساء قريش كانوا إذا أرادوا أمراً استشاروا ذوي الرأي والعقل والحكمة ، ومن هؤلاء (يزيد بن زمعة بن الأسود) ، وهو من (بني أسد) . فكانوا إذا أرادوا أمراً ذهبوا اليه ، وعرضوه عليه . فإن وافقه والاهم عليه وإلا تخير . وكانوا له أعواناً . وقد أسلم ، واستشهد بالطائف^٥ .

ومن الأعمال التي كانت في مكة (الأشناق) . وهي الديات والمغرم . وكانت لأبي بكر ، وهو من (بني تيم) فكان إذا احتل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه . وإن احتملها غيره خذلوه^٦ . ويدل هذا على أن تقدير الأشناق لم يكن ثابتاً ، بل كان يعود إلى تقدير صاحب الاشناق . كما يدل أن غيره قد قام به .

ومن أعمال مكة (السفارة) ، وذلك أن أهل مكة كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوا سفيراً ، وإن نافرهم حيّ لمفاخرة جعلوا لهم منافراً لينافرهم .

-
- ١ اللسان (س/د/ن) ، (٢٠٧/١٣) .
 - ٢ اللسان (س/د/ن) ، (٢٠٧/١٣) .
 - ٣ اللسان (ح/ج/ب) ، (٢٩٨/١) ، تاج العروس (٢٣٩/٢) ، (طبعة الكويت) .
 - ٤ اللسان (ن/د/١) ، (٣١٧/١٥) .
 - ٥ العقد الفريد (٣١٣/٣) وما بعدها ، المحبر (ص ١٠٢) .
 - ٦ العقد الفريد (٣١٣/٣) وما بعدها ، تاج العروس (٤٠٠/٦) ، (شنق) ، الاستيعاب (٢٣٧/٢) .

وكانت السفارة والمناقرة في (بني عدي) عند ظهور الإسلام . وكان الذي يتولاها
إذ ذاك (عمر بن الخطاب)^١ .

وذكر أهل الأخبار أن (بني سهم) (الحارث بن قيس) ، وكانت إليه
الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهم^٢، والتي كانوا يخصصونها من مغانمهم
في السلم وفي الحرب .

ومن أعمالهم (الأيسار) ، وهي (الأزلام) ، وقد ذكر أهل الأخبار أنها
كانت في (بني جمح) ، ويتولاها منهم (صفوان بن أمية) . فكان لا يسبق
بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه^٣ .

ومن الأعمال الأخرى التي ذكرها أهل الأخبار (العارة) . وكان الذي يتولاها
عند ظهور الإسلام (العباس) . وكان ينهى الناس من أن يتكلم احدهم في المسجد
الحرام بهجر ولا رفث ولا أن يرفع صوته^٤ .

وأشار أهل الأخبار الى ما يسمى بـ (حلوان النفر) وقالوا إن العرب لم تكن
تملك عليها في الجاهلية أحداً ، فإن كانت حرب اقرعوا بين أهل الرئاسة ، فمن
خرجت عليه القرعة أحضروه صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار ،
اقرعوا بين بني هاشم ، فخرج منهم العباس ، وهو صغير ، فأجلسوه على المجن^٥ .
وقد كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بني هاشم^٦ .

واهتم أهل مكة بأمر الحروب والدفاع عن مدينتهم . ويقتضي ذلك وجود
أناس لهم خبرة وتجربة في الحرب ، ولهم رأي في أحوالها وأصولها وحيلها وخدعها.
فال حرب خدعة ، ولا بد للقائد من اللجوء الى الخدع والحيل الحربية للتغلب على
خصمه . ونظراً لضرورة التهيؤ للحرب في أيام السلم ، أوجد أهل مكة بعض
الأعمال وعهدوا الى أصحابها القيام بها . منها القبة والأعنة وخزن الأسلحة وحمل
اللواء والقيادة .

-
- ١ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٢ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٣ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٤ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٥ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٦ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .

أما (القبة) فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به قريشاً .
وأما (الأعتة) ، فيكون صاحبها على خيل قريش في الحرب^١ . وكانت إلى
(خالد بن الوليد) وهو من (بني مخزوم) عند ظهور الاسلام .
وذكر ان قريشاً كانوا يحفظون الأسلحة عند (عبدالله بن جدعان) ، فإذا
احتاجوا إلى السلاح وزعه فيهم^٢ . فبيته مخزن قريش للأسلحة . ويذكر ان القبائل
كانت إذا حضرت المواسم أودعت سلاحها (عبدالله بن جدعان) ، فإذا انتهى
الموسم وقررت العودة استعادته منه ، وذلك لأمانته ولشرفه ولوثوق الناس به .
ومن الأعمال التي لها علاقة بالحرب : (اللواء) . وذكر ان (عثمان بن طلحة)
وهو من (بني عبد الدار) كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال :
والندوة أيضاً . وكانت هذه في (بني عبد الدار) . وورد في خبر آخر ان راية
(العقاب) وهي راية قريش ، كانت عند (أبي سفيان) وهو من (بني أمية)^٣ .
و (العقاب) راية للنبي ، كما ورد في الحديث . وذكر ان العقاب علم ضخم ،
يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر^٤ .

والقيادة : قيادة جيش مكة . وقد كانت إلى بني أمية في الغالب^٥ . ولكن
العادة ان يتولى سادات مكة قيادة أحيائهم في القتال . فيقود سيد كل شعب أبناء
شعبه ويوجههم حيث يرى في المعركة . أما التنسيق بين خطط المقاتلين لانجاح
المعركة فيكون أمره إلى من تسلمه قريش قيادتها العامة في الحرب من الرجال المحاربين
أصحاب الرأي في الحروب . وكان (حرب بن أمية) قائد قريش في الفجار وفي ذات نكيف .
ويجب ان نضيف الى ما تقدم قيادة قوافل قريش ، وقد كان أمر (عير قريش)
إلى (أبي سفيان) عند ظهور الاسلام^٦ . و (عير قريش) قافلتها . وقد
كانت رئاسة القوافل من الأعمال الهامة في أيام الجاهلية . وعندما تعود القافلة سالمة
غانمة يستقبل قائدها استقبال الأبطال . وقد أشير في الكتابات اللحيانية والتدمرية
إلى (رئيس القافلة) ، على انه من الشخصيات المهمة البارزة في تدمير وعند اللحيانيين .

-
- ١ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) ، ابن الأثير ، اسد الغابة (١٠١/٢) .
 - ٢ أيام العرب (ص ٣٢٩) .
 - ٣ العقد الفريد (٣/٣١٣ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (١/٣٩٣) ، (عقب) .
 - ٥ الأزرقي (١/٦٣ وما بعدها ، ٦٦) .
 - ٦ الطبري (٢/١٣٢) .

وكذلك كان أمر قائد قافلة قريش ولا شك . وورد في الكتابات النبطية لقب آخر غير لقب : (زعيم القافلة) هو (زعيم السوق) ، سأحدث عنه فيما بعد^١ . وذكر ان من أعمال قريش في الجاهلية ، عمل يقال له (العمارة) . وكان إلى (العباس بن عبد المطلب) ، بالإضافة إلى السقاية^٢ . وقد خرجت عليه القرعة يوم الفجار ، فنصب رئيساً على (بني هاشم) . وكان من عادة قريش والعرب - كما يزعم أهل الأخبار - انهم لم يكونوا يملكون أحداً عليهم . فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرئاسة ، فن خرجت عليه القرعة أحضره ، صغيراً كان أو كبيراً . فلما خرجت القرعة على العباس ، وهو صغير ، جاءوا به ، فأجلسوه على المجن . و (العمارة) عمارة البيت . وقد عدت من مفاخر قريش . وقد أشير إليها في القرآن : « أجمعتم سقاية الحج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر »^٣ . وقد ورد ان ممن تولاهما (العباس بن عبد المطلب)^٤ و (شيبه بن عثمان)^٥ . وذكر ان (المشركين قالوا : عمارة البيت وقيام على السقاية خيرٌ ممن آمن وجاهد . وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل لانهم أهله وعمارة . فذكر الله استكبارهم واعراضهم)^٦ .

أما بخصوص نظام الحكم في يثرب ، فإنه لا يختلف عن طريقة نظام الحكم في مكة ، فلم يكن لأهل يثرب عند ظهور الإسلام رئيس وقد حاول بعض ساداتها من الأوس والخزرج تنصيب أنفسهم ملوكاً على المدينة ، غير أنهم لم يفلحوا في مسعاهم فلم ينصبوا ملوكاً عليها . والظاهر أن المنافسة الشديدة العنيفة التي كانت بين الأوس والخزرج على الزعامة والرئاسة بدأ في عدم تمكين أي أحد من سادة يثرب من الانفراد بزعامة المدينة وبالسيادة عليها . وقد يكون لوجود اليهود يثرب يد في تعميق الخلاف بين (أولاد قيلة) ، إذ لم يكن من مصلحتهم اتفاقهم واجماعهم على اختيار رئيس واحد قوي . فالرئيس القوي سيسيطر نفوذه من غير شك على يهود يثرب أيضاً ، ويستغلهم ويجعلهم أتباعاً له . أما في حالة نشأت

Cooke, North-Semitic, p. 274, 279.

١ الإصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) .

٢ التوبة ، الآية ١٩ .

٣ تفسير الطبري (٦٧/١٠) ، الإصابة (٢٦٣/٢) .

٤ تفسير الطبري (٦٨/١٠) .

٥ تفسير الطبري (٦٧/١٠) .

كلمتهم وتشاحنهم فستكون لليهود إمكانية إثارة فريق على فريق ، والاستفادة من سياسة فرق تسد . وبذلك يكون أمرهم ونهيمهم في أيديهم بدلاً من أن يكون في أيدي (صاحب يثرب) .

وقد حاول أهل يثرب من الأوس والخزرج حل مشكلة الحكم في مدينتهم حلاً وسطاً ، على قاعدة: أن من الأوس أمير ومن الخزرج أمير . بمحكان حكماً مشتركاً ، أو على التوالي ، كأن يحكم سيد الأوس سنة ، ثم يترك الحكم لسيد الخزرج ليحكم السنة التالية ، ثم يعود فينسحب ليتولى الحكم سيد الأوس وهكذا ، غير أن الحل لم ينجح أيضاً ، وبقيت المشكلة : (مشكلة الحكم) مستعصية غير محلولة حتى دخل الرسول يثرب ، فحلها حلاً أزعج بعض من كان طامعاً في الحكم وكان يرغب أن يكون سيد يثرب .

هذا ولم نعر في الأخبار الواردة إلينا عن يثرب ، على خبر يفيد وجود (ناد) في هذه المدينة على شاكلة (دار الندوة) أو نوادي الملاء . والظاهر أنه قد كان للنزعة الشديدة التي كانت بين الحيين : الأوس والخزرج يد في عدم ظهور مجلس حكم موحد في هذه المدينة . فبغض كل حيّ الحيّ جعل الاتفاق فيما بينهما على تكوين مجلس واحد من (ملاء) المدينة أمراً صعباً ، على حين كان ذلك ممكناً بالنسبة لأهل مكة ، لأنهم كانوا كتلة واحدة ، ومصالحتهم في حكم مشترك هي مصلحة عامة . ولم تكن المنافسات عندهم بين الأسر شديدة حادة ، لذلك كان من الممكن اجتماع سادات الأسر في مجلس واحد ، لا سيما وهم تجار ، ومن مصلحة التاجر تمشية الأمور وتصريفها بالطرق السلمية ، وحلها بغير تعنت ولا تشدد وغلطسة .

وكان أمر (الطائف) في أيدي (ملاء المدينة) . يديرون شؤونها في أيام السلم والحرب ، ولم يرد في الأخبار أن أهل الطائف توجهوا رجلاً عليهم ، فجعلوه ملكاً ، ولم يرد فيها أيضاً أنهم رأسوا رئيساً عليهم ، بل كانت الرئاسة في عدد من الرؤساء ، هم سادات البطون والأحياء . ولكل رئيس كلمته في حيّه الذي يقيم فيه .

الفصل الثالث والخمسون

حقوق الملوك وحقوق سادات القبائل

وبعد أن تكلمت على أصول الحكم عند الجاهليين وعلى الأشخاص الذين كانوا يتولون إدارة الحكم وتصريفها ، وجب أن أتكلم على حقوق الملوك وحقوق سادات القبائل على أتباعهم، أي الواجبات التي يجب أن يؤديها الأتباع إلى سادتهم وحكامهم من طاعة ومن مال ، فأقول :

حقوق الملوك :

والملك هو السلطة العليا في المملكة وهو الموجه والمدير المدبر لأمرها . وله على أتباعه حقوق ، منها : حق التسليم والخضوع والطاعة . فطاعة الملك طاعة واجبة . وله حق جباية الشعب ، أي أخذ الضرائب منه : ضرائب على الزراعة، وضرائب على التجارة ، وحق إعلان النفي والحرب ، والامتناع عن دفع حقوق الملوك المتفق عليها ، والخروج على أمره هو خروج على الحق والقانون .

هذا وإننا نأسف إذ نقول اننا لا نملك كتابات جاهلية تتحدث عن حقوق الملوك وعن الواجبات التي على الشعب القيام بها تجاههم ، فإنا نتحدث به عن هذا الموضوع مستمد من بعض الأوامر والإرادات التي أصدرها ملوك من العربية الجنوبية ، في تنظيم الأعمال وفي كيفية التجارة والاتجار أو في الضرائب التي على

التاجر أو المزارع أداؤها للملوك ، وبعض آخر أخذ من كتب أهل الأخبار والتواريخ وكتب الشعر والنثر ، وفيها نفث وردت عرضاً عن بعض حقوق الملوك وسادات القبائل في الجاهلية الملاصقة للإسلام .

والملك هو قائد شعبه أيام السلم وأيام الحرب ، يرأس جيشه في القتال ويختار من يشاء لقيادة الجيش . وهو القاضي الأعلى والحاكم فيما يقع بينهم من خلاف . وهو الرئيس الروحي لأمنته وكاهنها في الأصل . غير أن الملوك تركوا هذه القيادة الروحية ، أي الزعامة الدينية لغيرهم ، وهم رؤساء الدين ، واحتفظوا بالسلطة الزمنية التي تشمل سلطة القيادة والحكم .

بيت المال :

والملك هو صاحب أرض الدولة والقيّم عليها. وله حق منح الأرض لمن يشاء وانتزاعها ممن يشاء ، أو تأجيرها لمن يرى . والأرض عند العرب الجنوبيين هي ملك الآلهة ، وليس على وجه الأرض ملك لإنسان . غير أن هذا لا يعني أن الأرض ومن عليها ملك لرجال الدين باعتبار أنهم ألسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض والممثلون لهم في هذا العالم ، فهم وحدهم إذن لهم حق إدارة الأرض واستغلالها ، وذلك لأن الملوك سلبوهم هذا الحق واستبدوا به ومارسوه ونصبوا أنفسهم خلفاء على الأرض ، وصاروا أوصياء الآلهة على أموالها . وهكذا فسرت قاعدة (المال مال الآلهة) تفسيراً يجعل حق الأشراف على (مال الآلهة) في هذه الأرض للملوك ولأصحاب السلطان الفعلي الحاكمين حكماً بقانون القوة ، أما رجال الدين الذين يجب أن يكونوا هم خلفاء الآلهة على الأرض والمنفذين لأوامرها ، فقد خضعوا لحكم الواقع ، ورضوا بما حصلوا عليه من حقوق وامتيازات ، وصاروا إلى جانب الملوك في الغالب ، لتشابه المصلحتين ، وحصل التراضي على إعطائهم حقوقاً وامتيازات واسعة ، واستقلالاً في إدارة أموال المعابد ، بحيث لا يكون للحكومة أي سلطان عليها ، وهي مستثناة من دفع الضرائب التي يجب على سائر الناس دفعها إلى الحكومة ، فصار المعبد من ثم سلطة ذات ثراء وسلطان تلي سلطة الحكومة ولها ضرائب يدفعها المؤمنون المتقون ^١ .

Grohmann, Arabien, S. 125.

والملوك هم من كبار أصحاب الملك في الدولة ، فإلى جانب حقهم المتقدم في اعتبارهم خلفاء الآلهة على الأرض في إدارة ملكها ، نجدهم يمتلكون أرضين واسعة وأملاكاً شاسعة ويتاجرون باسمهم ، فيرسلون القوافل للتجارة . والأرض التي يمتلكها الملوك ، هي أرضون خاضعة لهم مباشرة ، لأنها ملكهم الخاص . ومعنى ذلك ان منفعتها تكون خاصة بهم . فلا يصرف منها على المصلحة العامة ، إلا إذا أراد الملك ان يتبرع بذلك رضاءً ، وله بالطبع أن يهدي منها ما يشاء الى من يشاء ، كما يفعل أي مالك ، وهو يؤجر أرضه لمن يريد . ويقال لما يدفع له في مقابل ذلك (نخلت)^١ .

والأرضون المفتوحة عنوة هي من حق الدولة ، تضاف إلى أملاكها وتسجل باسمها ، وتعدّ من (بيت المال) ، ويكون حق النظر في أمرها والإشراف عليها واستغلالها للملك ، لأنه رئيس الدولة وحاكمها ، وله الخيار في كيفية التصرف بها . له أن يعطيها للأقوال في مقابل ضريبة حربية يقدّمونها له تسمى (ساولت) أو في مقابل إيجار يتفق عليه يقال له (ثوبت) ، وله أيضاً أن يبيعها متى شاء ، ويعبّر عن ذلك بـ (شامت) أي بيع^٢ .

ويراد بضريبة (ساولت) أي الضريبة الحربية ، تعهد أصحاب الأرض بتقديم المحاربين إلى الدولة ، ويتفق على العدد وعلى وقت التقديم ، ويسجل ذلك في عقد الاتفاق . ويقوم أصحاب العقد بالاتفاق عليهم وبتقديم كل ما يحتاج المحارب اليه من عدة وسلاح . والغالب ان يقوم بذلك المحارب نفسه ، لأنه رجل مسخر مأمور ، فهو من أتباع صاحب الأرض ، ينتزعه سيده من أرضه ، ويرسله إلى الخدمة وقت الحاجة اليه .

ولما فتح (كرب ايل وتر) ملك سبأ أرض أوسان ودهس ، وفتح عنوة كل أرض (عبدان) ومدنها وقراها وأوديتها وحصونها ومراعيها ، صارت كل هذه الأرضين وما عليها من محاربين ومن مدنيين أحرار وعبيد ملكاً للدولة سبأ وسجلت في جملة مقتنياتها . ويلاحظ ان سلطنة العواتق العليا عدت (وادي عبدان) الذي هو في جنوب (نصاب) من (أرض الدولة) أي من أملاك السلطان ومن

Oslander 35, Arablen, S. 126.

Arablen, S. 126.

أرض (ربيت المال) ورقبتها بيد (سلطان العواتق)^١ .

وبالإضافة إلى الأرضين المفتوحة عنوة، ضم ملوك سبأ إلى أملاك الدولة أرضين اشتروها شراءً ، واشتروا كل ما كان عليها من ناس وحيوان وزرع . فقد كان المشتغلون بالأرض يعدون تابعين لها فيباعون معها وهم ملك لها . وهم طبقة خاصة من طبقات عبيد الأرض .

ولم تتحدث الكتابات عن حقوق الملك وعن مدى صلاحياته في الحكم ، ولكننا نستطيع ان نقول قولاً عاماً إن سلطات الملك كانت كسلطات الملوك الآخرين في الأقطار الأخرى ، تتوقف على شخصية الملك وسلطانه وقدرته ، فهو ملك ذو سلطان واسع مطلق ، أوامرهم قوانين ، وإرادته مطاعة ، يحد سلطان المتنفذين ويخضعهم لحكمه إن كان الملك صاحب شخصية قوية وعزم ، وهو مغلوب على أمره يحكم اسماً إن كان ضعيفاً خائر العزم ، وتحكم المملكة العناصر القوية صاحبة السلطان من أبناء الأسرة المالكة ، أو من سادات القبائل أو رجال الدين ، فعلى هذه الأحوال إذن كانت تتوقف سلطات الملك وأعماله في المملكة .

وللملوك حق يسمى (حق الإحماء) . فإذا اعجب الملك بأرض أو بعشب ، أعلن حمايته لتلك الأرض ، أو لذلك العشب ، فلا يسمح عندئذ لأحد بدخول (الحمى) أي المكان المحمي دون إذن الملك أو الشخص المخول من الملك بهذا الحق . ويدخل في هذا الحق حق حماية الحيوان أو النبات . وكان ملوك الحيرة يحمون الأرضين والحيوانات، كالإبل والخيل والكماباش ، فتكون لهم ، لا يسمحون لغيرهم بالانتفاع منها . ولما وثب (علباء بن أرقم اليشكري) على كبش للنعمان ابن المنذر ، كان من أحماه ، أي جعله حمى ، فذبحه ، حمل إلى النعمان ، فاعتذر إليه وعفا عنه^٢ .

وكان (النعمان بن المنذر) يحمي مواضع عديدة قرب الحيرة وعلى مبعدة منها . ترعى فيها إبله وهائمه ، منها أرض (سحيل) . أرض بين الكوفة والشأم^٣ .

١ Beiträge, S. 56.

٢ معجم الشعراء (٣٠٤) .

٣ تاج العروس (٣٧٣/٧) ، (سحيل) .

أموال الدولة :

ذكرت ان الأرض هي ملك الآلهة في نظر العرب الجنوبيين ، وان (المكرين) والملوك هم خلفاء الآلهة على الأرض ، وهم المسؤولون عن الأرض وعن الملك وعن تطبيق أوامر الآلهة ونواهيها بين الناس . وهم حماة الملكية . وكل أرض الدولة هي ملك الحاكم من حيث المبدأ، والحاكم هو الذي يقر الملكية ويثبتها لأتباعه ويحافظ عليها^١ .

والملكية بصورة عامة ، إما أن تكون ملكية الدولة ، وإما أن تكون ملكية الملك أو الحكام ، أي أملاكهم الخاصة بهم المسجلة باسمهم ، وإما ان تكون من أملاك المعابد ، من أوقاف وغيرها وإما أن تكون من ملكية أشخاص وهي : أملاك ثابتة ، أي غير منقولة ، مثل أرض وبشر وحدائق وبساتين، وأموال منقولة مثل : بهائم وأثاث وغير ذلك مما يمكن نقله من مكان إلى مكان .

وأعني بأرض الدولة ، أرض الفتح . وهي كل أرض تفتح عنوة ، فتعد مالا من أموال الدولة ، وتسجل باسم الدولة ، كأن تسجل باسم شعب معين أو شعب سبأ ، وتفيد عند تسجيلها باسم آلهة ذلك الشعب ، باعتبار أنها هي المالك الحقيقي الشرعي . وتقوم الحكومة بإدارتها وبالإشراف عليها وباستغلالها واستثمارها إما مباشرة ، أي بتعيين موظفين لإدارتها ، وإما بإعطائها اقطاعاً أو كراءاً إلى غير ذلك من طرق الاستثمار . ويسجل وارد هذه الأملاك باسم الدولة ويدخل في خزائنها ، وينفق منه على المشاريع العامة ، وفي ضمنها رواتب الموظفين وأجور المشتغلين في إدارة هذه الأملاك .

ويمكن تسمية أرض الدولة بأرض السلطان أو أرض (ميرى) أو (أرض سنّية) في المصطلح الحديث .

ومن أملاك الدولة : الصوافي . وهي الأرضين التي استولي عليها وكانت تابعة لحكومة سابقة . فتكون حقاً من حقوق الدولة المنتصرة وغنيمة لها . وتدخل فيها الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها . فقد كان الملوك يستصفون الأرضين التي يستولون عليها بالقوة ويجعلونها ملكاً لهم . وهي غير

١ معجم الشعراء (ص ٣٠٤) .

(الصفايا) ، أي ما يختاره الرئيس من المغنم ويصطفيه لنفسه قبل القسمة من فرس او سيف او غيره^١ .

والصوافي في الاسلام: الأملاك والأرض التي جلا عنها أهلها او ماتوا ولا وارث لها . والضيايع التي يستخلصها السلطان لخاصته . وكانت (صفية) بنت (حيي) من الصفايا ، اصطفاها الرسول لنفسه من غنيمة (خير)^٢ .

أموال الملوك :

والى جانب أموال الدولة ، توجد اموال الملوك . وهي اموالهم الخاصة بهم والمسجلة بأسمائهم لأنها ملك لهم . يتصرفون بها تصرفاً مباشراً ، او يؤجرونها لأتباعهم في مقابل أجر يقال له (نخلت) . والعادة ان الذي يستأجرها هم كبار الناس وسادات المجتمع يأخذونها منهم بشروط سهلة ، ثم يؤجرونها لمن هم دونهم بشروط صعبة ، للاستفادة من الفرق بين سعري الإيجارين . وقد يؤجرها الملوك الى قبيلة ، وتكون القبيلة مسؤولة كلها امامه عن الأرض . فيذكر في العقد اسم القبيلة المستأجرة باعتبار أنها هي التي أجرت ذلك الملك . إلا أن الغالب هو أن سادات القبائل ، هم الذين يتصرفون بالأرض المستأجرة ، فيؤجرونها الى اتباعهم بشروط ثقيلة . ليربحوا من الفرق . ويكونون هم المسؤولين عن تقديم الـ (نخلت) أي بدل الإيجار الى الملوك^٣ .

ويحدث في كثير من الأوقات ان كبار الاقطاعيين وكبار سادات القبائل ، يستأثرون بأملاك الدولة وبأملاك الملوك ، ويتصرفون بها تصرفاً اعتباطياً، ولا تتمكن الحكومة من عمل شيء تجاههم لأنهم أقوياء ، لذلك تضطر الدولة الى مداراتهم ومسايستهم ، بأن تأخذ منهم (نخلت) (نخلت) ، أي أجراً رمزياً ، يكون بمثابة اعتراف منهم بأن الأرض التي استأثروا بها هي ملك للدولة وللملوك. ويقومون هم باستغلالها وبالتصرف بها كيف يشاؤون . ولا يزال هذا الوضع معروفاً حتى

١ اللسان (٤٦٢/١٤) ، (صفا) .

٢ اللسان (٤٦٣/١٤) ، (صفا) .

٣ Oslander 35, SD 15, Arablen, S. 126.

اليوم ، فقد كان سادات القبائل قد وضعوا أيديهم على أرضين (حكومية) اي (ميري) ، وتصرفوا بها وكأنها ارض تملك (طابو) في مقابل اجر رمزي زهيد ، ومنهم من استولى عليها وسجلها باسمه ، فصارت ملكاً صرفاً له . بعد بذله مبلغاً زهيداً اعتبر ثمناً لتلك الأرض .

الأوقاف :

وقد كانت للمعابد اوقاف حبست عليها ، ولها موظفون لجباية غلتها ، وهي أوقاف قديمة سجلت باسم المعابد منذ كان الكهان (المكربون) يتولون أمور الحكم. وأوقاف كان يحبسها الأغنياء الأتقياء في حياتهم او بعد وفاتهم على المعابد ، قربة الى الآلهة . وهي معفوة من الضرائب ، فلا تدفع للحكومة اي ضريبة . لأنها أملاك المعبد . ويدفع المستغلون للأوقاف حق التصرف بالاوقاف الى المعبد ، لأنه هو المالك الشرعي للوقف . كما سأحدث عن ذلك بالقسم الخاص بالمعبد .

وكان أهل الجاهلية يحبسون السوائب والبحائر والحوامي وما أشبهها ، فلا يعتدي عليها ولا يستغلها احد . فلما جاء الإسلام ، نزل القرآن بإحلال ما كانوا يحرمون منها وإطلاق ما حبسوا . وعرف ذلك بـ (الحبس)^١ . وكانوا في الجاهلية يحبسون مال الميت ونسائه . كانوا إذا كرهوا النساء لقبح أو قلة مال حبسوهن عن الأزواج لأن أولياء الميت كانوا اولى بهن عندهم . « وفي حديث ابن عباس : لما نزلت آية الفرائض قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا حبس بعد سورة النساء ، أي لا يوقف مال ولا يزوى عن وارثه » ، إشارة إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حبس مال الميت ونسائه^٢ .

وكانوا يحبسون الأرض والنخل والكروم وغير ذلك على أصنامهم ، ويجعل بعضهم غلتها على ابناء السبيل . وذكر ان (الحبس) يقع على كل شيء وقفه صاحبه وفقاً لمحرماً لا يورث ولا يباع من ارض ونخل وكروم ومستغل .

١ جمع حبس

٢ اللسان (٤٥/٦) ، (حبس) .

سمات الملك :

وكانوا يسمون إبل الملوك وماشيتهم بسمّة خاصة ، لتكون علامة على انها من ملك الملوك والدولة . كما كان الأشخاص يسمون إبلهم وماشيتهم بسمات خاصة بهم ، لتكون دلالة على تبعيتها لصاحب (الميسم) . والوسم أثر الكي . والميسم : هو الحديد التي يكوى بها ، واسم للآلة التي يوسم بها . والأصل في الوسم أن يكون بكي ، ثم أطلقوه على كل علامة ، مثل قطع في أذن أو قرمة تكون علامة ، أو ضروب الصور . وكان الرسول يسم إبل الصدقة بميسم ، أي يعلم عليها بالكّي^١ .

ووضعوا الريش علامة وسمّة للجاهل ، ليعرف من يراها انها من إبل الملوك ، فلا يقترب منها^٢ . وكانوا إذا أرادوا تشريف أحد ، حملوه على هذه الإبل أو أهده منها . (ومن المجاز : أعطاه ، أي النعمان النابتة مائة من عصفيره بريشها ، أي بلباسها وأحلاسها . وذلك لأن الرحال لها كالريش ، أو لأن الملوك كانت إذا حبت حباء جعلوا من أسنمة الإبل ريشاً ، وقيل ريش النعامة ، ليعرف انه من حباء الملك)^٣ . وذكر ان الملوك كانوا يضعون الريش في أسنمة الإبل وتغرز فيها ، وكانت تجعل الريش علامة لحباء الملك ؛ تحميها بذلك وتشرف صاحبها^٤ .

وقد عرفت إبل الملك (النعمان بن المنذر) بأصالتها وبجودة جنسها وبنعاجبتها . وذكر ان أكرم فحل كان للعرب من الإبل كان يسمى عصفوراً ، وتسمى أولاده عصفير النعمان . وكان إذا وهب منها لأحد عدّ ذلك تقديراً وتعظيماً له . حتى كانوا يقولون : (حباه بكذا وكذا من عصفيره) ، و (وهب له مائة من عصفيره) . وذكر ان من فحول إبل (النعمان) الأخرى (داعر) و (شاغر) و (ذو الكبيلين)^٥ .

ولأهمية السمات في ذلك الوقت ، وضعوا لها أسماء ، ذكرت في كتب اللغة

-
- ١ تاج العروس (٩٢/٩ وما بعدها) ، (وسم) .
 - ٢ حياة الحيوان ، للدميري (١٧٣/٢) ، الحيوان ، للجاحظ (٤١٧/٣) .
 - ٣ تاج العروس (٣١٦/٤) ، (الريش) .
 - ٤ الحيوان (٤١٧/٣ وما بعدها) .
 - ٥ الحيوان (٢٣٣/٥) ، ولذلك قالوا في الحديث : فرجع النابتة من عند النعمان ، وقد وهب له مائة من عصفيره بريشها ، الحيوان (٤١٨/٣) .

والأخبار . منها : السطاع ، والرقعة ، والخباط ، والكشاح ، والعلاط ، وقيد
الفرس ، والشعب ، والمشيطفة ، والمعفاة ، والقرمة ، والجرقة ، والخطاف ،
والدلو ، والمشط ، والقرتاج ، والتثؤثر ، والدماغ ، والصداع ، واللجام ،
والهلال ، والخراش ، والعراض ، واللعاظ ، والتلحيط ، والتجين ، والصقاع ،
والدمع^١ .

اتجار الملوك وسادات القبائل :

ولم تكن الموارد المذكورة لتسدّ حاجة الملوك ، وسادات القبائل ، لذلك عمدوا
الى موارد أخرى لاستنباط المال منها ، فعمدوا الى التجارة وتربية الأنعام وإلى
إقامة بعض المصانع وتنمية أرض التناج وزراعتها لبيع حاصلها وساهموا في البيع
والشراء في الأسواق ، فكان لهم وكلاء يتقلون أموال الملوك إلى الأسواق لبيعها
فيها ، ولشراء ما يحتاج اليه الملك من تجارة أخرى يستطيع تصريفها في أسواق
أخرى ، تكون هذه البضائع عزيزة ثمينة فيها ، ولم يكن الاتجار بالأسواق أمراً
خاصاً بالملوك العرب ، وإنما كان ذلك عرفاً متبعاً عند غيرهم من الملوك ، مثل
الأكاسرة والقياصرة وملوك العبرانيين .

فن ذلك ما روي من أنه كان للنعان بن المنذر وغيره لطائم ، غير تحمل
الطيب والمسك وبز التجارة ، تذهب الى الأسواق لبيعها فيها ، ولتأتي بتجارة
جديدة . وقد ذكر أن (اللطيمة) وعاء الطيب أو سوقه ، وقيل كل سوق يجلب
اليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة : لطيمة . والميرة لما يؤكل.
واللطائم هي الأسواق التي تباع فيها العطريات . وفي جملة ما يباع فيها (بالات)
المسك ، أي أوعية المسك^٢ .

ويظهر من نصوص المسند أن الملوك كانوا قد أسسوا دوراً للنسيج ، يباع ما
تنتجه في الأسواق . وقد اشتهرت اليمن بأنسجتها المختلفة المتعددة . فكانت دور
النسيج من جملة الموارد التي تأتي بالمال الى أولئك الملوك .

١ تاج العروس (٩٢/٩ وما بعدها) ، (وسم) .

٢ تاج العروس (٦٠/٩ وما بعدها) ، (لطم) .

غنائم الحروب :

وللملوك مورد آخر من موارد دخلهم ، هو غنائم الحروب . فإن ما يغمته جيشهم من مال وأشياء ثمينة وأسرى يكون ملكاً للملوك، وإذا فاض عدد الأسرى عن حاجة الملوك باعواهم في أسواق النخاسة ، للاستفادة من ثمن بيعهم . أما إذا قرر الملك الاحتفاظ بالأسرى ، فإنهم يستخدمون في أعمال كثيرة ، مثل الخدمة في الجيش ، أو الاشتغال بشق الطرق وإنشاء الأبنية والعمل في الأرض ، إلى غير ذلك من أعمال يشغلون بها باعتبار أنهم رقيق . وقد يهدي منهم الملوك إلى المقربين اليهم ، ولا سيما بعد انتهاء الحرب أو الغزو وإحصاء الأسرى ، فقد يختار الملك لنفسه أجمل الأسيرات . وقد يعطيهم هدايا إلى من يشاء من قواد جيشه ومن كبار موظفيه والمقربين إليه .

وتشمل غنائم الحرب كل ما يقع في أيدي المنتصر من غنيمة ، لا فرق عنده إن كانت من أموال الحكومة الخاسرة أو من أموال سيد القبيلة المغلوب ، أو من أموال الأتباع والرعية . فقانونهم في الحرب أن كل ما يقع في أيدي الغالب هو ملك له ، إن كانت الغنيمة من أموال الحكومة أو من أموال الرعية فالرعية ملك للملك ، وملكها ملك للغالب بحق القوة ، وهي نفسها ملك له يتصرف بها كيف يشاء . لذلك تكون غنائم الحروب مورداً حسناً بالنسبة للغالب ، لا سيما إذا كان المغلوب من أصحاب الثراء والمال ومن الحضرة .

وكان الأمير في الجاهلية يأخذ الربع من الغنيمة ، وجاء الإسلام فجعله الخمس وجعل له مصارف . ومنه قول : عدي بن حاتم الطائي : ربت في الجاهلية وخست في الإسلام . أي قدمت الجيش في الحالين^١ .

الاقطاع والاقطاعيون :

والاقطاع معروف بين الجاهليين ، وخاصة بين أهل العربية الجنوبية . وقد كان اقطاعاً للأرض لتستغل زراعة ، واطقطاعاً لاستغلال ما فيها من ماء أو معدن

١ تاج العروس (١٣٩/٤) ، (خمس) .

مثل الملح . وكان الملوك يقطعون أملاك الدولة لمن شاءوا ، كما فعل المعبد ذلك ، إذ كان يقطع الأرض المحبوسة باسمه لمن يشاء من الناس .

وقد كانت العادة في اليمن جارية بإقطاع المعادن والمياه لأصحاب السلطان ، كأن يقطع (الملح) لشخص ليستغله ، فيشغل من يريد في استخراجهِ وبيعه . وقد وردت في الكتابات الجاهلية إشارات الى استغلال معادن الملح ، والى إقطاعها الأشخاص يستخرجون الملح منها في مقابل أجر يدفع عن ذلك الإقطاع . وقد بقيت هذه العادة إلى الإسلام ، فقد ورد في كتب الحديث : أن (الأيضي بن حمال) استقطع رسول الله ملح مأرب ، فأقطعه^١ . ولما ذكر (الأقرع بن حابس) للرسول أنه قد ورد ذلك الملح ورآه ، وأنه مثل الماء العذب بالأرض ، من ورده أخذه ، وإن إقطاعه له يمنع الناس من ورودهِ ، فاعتدَّه الرسول صدقة ، وجعله مثل الماء العذب^٢ .

والإقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك . فإذا كان تمليكاً ، صار له ليس لأحد حق مزاحمته عليه ولا استثماره ، ويكون عندئذ ملكه . وله حق تأجيرهِ لغيرهِ أو إعطائه في مقابل حق يعينه في الحاصل والناتج . وقد كان الملوك في العربية الجنوبية يقطعون أصحاب الجاه والسلطان وسادات القبائل الإقطاعات ، فتولد من هذا الإقطاع كبار أصحاب الأرض ، وصار لهم سلطان واسع بحكم ما حصلوا عليه من مال وقوة وجاه . حتى صاروا يتدخلون في شؤون الدولة الداخلية .

وأما الإقطاع الثاني ، وهو إقطاع من غير تمليك فإنه إقطاع لأمد قد يحدد بزمان ، وقد لا يحدد بزمان ، وذلك بشروط تثبت وتحدد في عقد الاتفاق ، كأن يتفق على أن يقدم من يقطع له الإقطاع ثلث الحاصل أو الغلة أو الربع أو ما شابه ذلك ، أو أن يقدم مبلغاً مقطوعاً أو عيناً يذكر ويثبت مقداره ، أو خدمة معينة للدولة أو للمعبد الإقطاعي صاحب الملك ، مثل تقديم عدد معين من المحاربين وقت الطلب ومقدار معين من مال أو عين .

وقد لا يستغل الإقطاعي أقطاعاته ، وإنما يقوم بإقطاعها للإقطاعيين الصغار ، أو يؤجرها لمن هم دونهم في المكانة ليقوموا هم باستغلال ما استأجروه ، وقد

١ الأحكام السلطانية (١٩٧) ، اللسان (٢٨١/٨) .

٢ الأحكام السلطانية (ص ١٩٧) .

يعطيها للفلاحين للاشتغال بها بشروط يتفق عليها معهم . ويكون الإقطاعي قد استفاد من إقطاعه من غير تعبٍ أو جهد .

وفي الكتابات الجاهلية ان سادات القبائل كانوا يملكون اقطاعيات واسعة يديرونها باسم قبائلهم ، وقد تزيد اقطاعياتهم عن حاجات القبيلة ، لذلك يؤجرونها لقبائل أخرى تكون في حاجة إلى الأرض في مقابل خدمات تؤديها للقبيلة المؤجرة صاحبة الأرض وفي مقابل حقوق عينية تثبت وتعين وتدفع عند حلول الآجال المعينة في العقد . وتعتبر القبيلة التي تستغل الأرض نفسها تابعة للقبيلة التي تملك الأرض .

وللفقهاء آراء في الاقطاع في الاسلام ، بأنواعه : اقطاع التملك ، واقطاع الإرفاق ، واقطاع الموات^١ .

وقد عاش الاقطاعيون على استغلالهم لخيرات الأرضين الواسعة التي امتلكوها ، والتي درّت عليهم أموالاً طائلة ، خلقت لهم قوة مهابة في البلاد ، صيرت بعضهم حكومة في داخل حكومة . عاشوا في قلاع وقصور حصينة حمتها حصون متينة ، لهم أتباعهم وحرسهم ، وصارت لهم سطوة لا تقل عن سطوة كبار رجال الدين ، بل زادت على سطوتهم فيما بعد الميلاد ، حيث صاروا ينافسون الملوك ويتحدّون لإرادتهم في كثير من الأحيان ، مما أقلق الوضع السياسي ، وهزّ صرح الحكومات . وأوجد مجالاً لتدخل الأحباش في شؤون اليمن .

حقوق سادات القبائل وامتيازاتها :

ولسادات القبائل بحكم منازلهم ومكانتهم في قومهم امتيازات وحقوق ، ولهم في مقابلها واجبات عليهم أدبياً تبعة القيام بها لرعيّتهم ، وهم أفراد القبيلة .

وفي جملة حقوق سيد القبيلة حق (المرباع) وهو حقه في أخذ ربع الغنائم إذا وقع الغزو^٢ . وأخذ (المرباع) هو من أمارات الفخر والجاه والرئاسة عند العرب ولذلك كان يتباهى به من له هذا الحق ، ويفتخر أهله بهذا الحق ، لأنه من سيما

١ اللسان (٢٨١/٨) .

٢ اللسان (٤٥٧/٩) ، تاج العروس (٣٣٢/٥) وما بعدها ، المعاني الكبير (٩٤٨/٢) ، النهاية (٦٢/٢) ، الصحابي (ص ٩٠) .

الرئاسة والشرف . وقد افتخر (الزبرقان بن بدر التميمي) أمام الرسول بأنه من حي كرام ، فلا حي يعادلهم منهم الملوك وفيهم يقسم الربع ، أي أنهم كانوا يأخذون ربع الغنيمة خالصاً ، وهو المربع^١ . وكان (عدي بن حاتم) ممن يأكل (المربع)^٢ . ويروى ان الرسول قال له : « انك لتأكل المربع وهو لا يحل لك في دينك »^٣ .

وقد عرف سادات القبائل الذين يأخذون المربع بـ (ذوي الآكال)^٤ ، ولهم مقام عندهم بالطبع ، ولهذا منحوا امتيازات في الفنائم ، فوَقَّتهم على سائر الناس . وقد ذكرهم (ابن حبيب السُّكْرِي) ، فقال عنهم : « ذوو الآكال من وائل . وهم أشرف كانت الملوك تقطعهم القطائع . فأما مضر ، فكانوا لقاحاً لا يدينون للملوك إلا بعض تميم ممن كان بالهامة وما صاقبها . فدو الآكال : قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله ذي الجدين بن عمرو بن الحارث ابن همام بن مُرَّة بن ذهل بن شيان . وكان كسرى أطعمه الأبله وثمانين قرية من قراها ، ويزيد بن مسهر بن أصرم بن ثعلبة بن أسعد بن همام بن مُرَّة بن ذهل بن شيان ، والحارث بن وعله بن المجالد بن يربعي بن الزبَّان بن الحارث ابن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة »^٥ .

وذو الآكال ، سادة الأحياء الآخذين للمربع وغيره . قال الأعشى :

حولي ذوو الآكال من وائل كالليل من بادٍ ومن حاضر^٦

والمربع حتى قديم نجده عند أكثر القبائل ، وظلَّ إلى مجيء الاسلام ، لا ينازعها عليه منازع من القبيلة ، فكان آل الحارث بن عبدالله بن بكر بن يشكر المعروفون بالخطاريف يأخذون ربع ما يغنم الأزدي جميعاً ، لأن الرئاسة في

١ نحن الكرام فلا حي يعادلنا
شرح ديوان حسان (ص ٢٤٥) (للبرقوقي) ، اللسان (١٠١/٨) ، النهاية (٦٢/٢) .

٢ معجم الشعراء (٢٥٠) .

٣ النهاية (٦٢/٢) ، اللسان (١٠١/٨) (صادر) .

٤ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ٨٩) .

٥ المعجم (٢٥٣) .

٦ تاج العروس (٢١٠/٧) ، (أكل) .

الأزد كانت لهم^١ .

ومن أكل (المربع) (عامر الضحيان) ، وكان سيّد (النمر بن قاسط) في الجاهلية وصاحب مرباعهم^٢ .

ومن (المربع) جاءت (الرباعة) ، بمعنى الرئاسة . يقال هو على رباعة قومه ، أي سيّدهم . ويقال : ما في بني فلان من يضبط رباعته غير فلان ، أي أمره وشأنه الذي عليه . ويقال : لا يقيم رباعة القوم غير فلان . و(الرباعة)^٣ ، الحال والطريقة والإستقامة . وفي كتاب الرسول للمهاجرين والأنصار : انهم أمة واحدة على رباعتهم . أي على استقامتهم . وأمرهم الذي كانوا عليه^٤ .

ولسيد القبيلة حق آخر مقروض على قبيلته ، هو حق (الصفايا) ، وهو ما يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة من فرس وسلاح أو جارية وغير ذلك من الأموال قبل القسمة . وكانت (صفيّة بنت حيي) في جملة الصفايا التي اصطفاها الرسول لنفسه يوم خيبر ، ومنه قيل للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته (الصواني)^٥ . وقيل : الصفايا ما يصطفيه الرئيس لنفسه دون أصحابه مثل الفرس ، وما لا يستقيم أن يقسم على الجيش لقلته وكثرة الجيش . وقيل أيضاً الصفي أن يصطفى الرئيس لنفسه بعد الربع شيئاً كالناقة والفرس والجارية.والصفي في الإسلام على تلك الحالة^٦ .

ثم له حق (النشيطة) ، وهو ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير الى مجتمع الحي . وقيل : النشيطة من الغنيمة ، ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصير الى بيضة القوم . وقيل : ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغهم المواضع التي قصدوها ، أو ما أنشط من الغنائم ولم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب^٧ .

وأما الفضول ، وهو حق آخر من حقوق الرئيس ، فهو ما عجز أن يقسم

١ الأغاني (٤٨/١٢) وما بعدها .

٢ الاشتاق (٢٠٢) .

٣ بالفتح وتكسر .

٤ تاج العروس (٣٤٢/٥) وما بعدها ، (بعد) .

٥ اللسان (٤٥٧/٩) ، تاج العروس (٢٣٢/٥) ، المعاني الكبير (٩٤٨/٢) ، النهاية (٢٩٢/٢) ، الخراج (٢٢) وما بعدها ، الصاحبي (ص ٩٠) ، النهاية (٢٦٨/٢) .

٦ تاج العروس (٢١١/١٠) ، (صفا) . (٧) المعاني الكبير (٩٤٩/٢) ، اللسان (٤١٤/٧) ، تاج العروس (٢٣١/٥) ، الصاحبي (٩٠) .

لقلته وما فضل عن القسم فيخصص به ، كالبعير والفرس ونحوهما^١ .
وقد أشير الى حقوق سيد القبيلة المذكورة في هذا البيت من الشعر المنسوب الى
عبدالله بن عنمة الضبتي ، أو الى الأفوه الأودي :

لك المربع منّا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول^٢

الحمى :

ولسيد القبيلة حق (الحمى) ، وهو من أمارات عزه وشرفه وسيادته . فكان
إذا مرَّ سيد قبيلة برمضة أعجبتة ، أو بغدير أعجبه ، أعلن حمايته عليها أو عليه
الى حد يعينه ويثبتة ، فلا يقترب أحد من ذلك الحد ، وهو في ذلك مثل الملوك
في هذا الحق . ولهذا لم يتمتع بهذا الحق إلا سادات القبائل الكبار أصحاب العز
والجاه وكثرة العدد ، مثل (كليب وائل) سيد ربيعة ، وكانت رئاسة مضر
وربيعة له في أيامه ، وكان من عزه انه اذا مر بمكان أعجبه كنس كليباً له ثم
رمى به هناك ، فلا يسمع عواء ذلك الكليب أحد ، فيقرب ذلك الموضع . فكان
يقال : (أعز من كليب وائل)^٣ .

وقد تفرد العزيز من سادات القبائل بالحمى، وعدّوه من أمارات العز والمنعة ،
فلا يناله إلا كبار سادات القبائل . وذكر ان (كليب وائل) كان متغطرساً ،
حتى كانت غطرسته هذه سبب قتله . والى ظلمه وتعسفه ، وأخذ الحمى ، أشار
(العباس بن مرداس) بقوله :

كما كان يبغيها كليب بظلمه من العز حتى طاح وهو قتيلا
على وائل إذ يترك الكلب نابجاً وإذ يمنع الأقناء منها حلولها^٤

-
- ١ اللسان (٤١٤/٧) ، (٥٢٥/١١ وما بعدها) ، تاج العروس (٦٣/٨) ، الصاحبى (ص ٩٠) .
 - ٢ المعاني الكبير (٩٤٨/٢) ، الأصمعيات (ص ٢٨) ، الصاحبى (ص ٩٠) ، تاج العروس (٢١٠/١٠) ، (صفا) .
قال عبدالله بن غنمة يخاطب بسطام بن قيس :
لك المربع فيها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
اللسان (٤٦٢/١٤) ، (صفا) .
 - ٣ الفاخر (ص ٧٥ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٢٠٤) .
 - ٤ الأحكام السلطانية (ص ١٨٦) .

والحمى الأرض التي تحمى من الناس فلا يرعى فيها إلا بموافقة من حماها . وقد جعله بعضهم : (موضع فيه كلاً يحمى من الناس أن يرعى) . وذكروا أنه « كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بليداً في عشيرته استعوى كلباً فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد . وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله »^١ .

ويظهر من غربة ما ورد في الأخبار عن (الحمى) ، أنه كان على نوعين : حمى دائم أو طويل الأجل ، وهو الأرض المخصصة الجيدة المنبتة التي تتوفر فيها المياه ، أو تكون المياه فيها قريبة من سطح الأرض ، فيسقيها كبار سادات القبائل ويجعلونها حمى دائماً لهم ولأسرتهم ، وقد يحولونه الى ملك لهم ، يتوارث توارث الإرث ، ويكون لمن هو من الأسرة التي حمته ، أو لمن خصص الحمى باسمه . ومن هذا القبيل (حمى ضرية) ، مرعى لإبل الملوك^٢ ، ومراعي الملوك الأخرى .

وحمى آخر ، يكون قصير الأجل بالنسبة للحمى الأول . فقد يحمى لموسم وقد يحمى لمواسم ، فأجله مرتبط بأجل الغيث الذي ينزل عليه . فإذا جاد ووصل الأرض وأنبثها نباتاً حسناً وكساها بساطاً أخضر ، بقي حامي الحمى به ، وإن انحبس المطر عنه ، وجفَّ كل شيء به ، ورفع ذلك البساط عنه ، وظهرت عبوسة الرمال والتربة المتهدمة من تحته ، فقد يهرب حاميه منه ليفتش عن أرض أخرى يعيش عليها ، فيصير الحمى عندئذ بلا حام ، إلا إذا عاد الغيث إليه ، وعاد صاحبه ليجدد عهده به ، وليثبت حتى حمايته عليه ، وإلا ، فقد يصير في حاية شخص آخر قد ينزل به قبله ، ويكون لديه من القوة والمنعة ما لا يستطيع أحد من زعرعته عنه .

ولا بد وان تحدد حدود الحمى وان تثبت له أنصاب وعلامات ، حتى يكون الناس على بينة من حدوده فلا يدخلونه . ونجد في الكتب التي دوتها الرسول للوفود التي زارته ، والتي حمى لها أحمية ، حدوداً ومعالم دوت أسمائها فيها ، وقد تثبتت مساحتها في بعض الكتب ، مما يدل على ان ما يرويه أهل الأخبار من

١ اللسان (١٩٩/١٤) ، (حما) ، تاج العروس (٩٩/١٠) وما بعدها (حما) ،
الأم ، للشافعي (٢٧٠/٣) ، السهمودي ، وفاء (٢٢٤/٢) .
٢ اللسان (١٩٩/١٤) ، (حما) ، تاج العروس (١٠٠/١٠) ، (حما) .

قصة تعيين حدود الحمى بعواء كلب أو بركضة فرس أسطورة من أساطير أهل الأخبار .

ومن أشهر مواضع الحمى في جزيرة العرب : حمى ضرية . وقد عرف في أيام ملوك كندة بـ (الشرف) وهو (كبد نجد) ، وكانت به منازل الملوك من بني آكل المرار . ثم عرف بـ (ضرية) في وقت لا نستطيع تحديده تماماً ، ويذكر علماء اللغة ان (ضرية) امرأة سمي الموضع بها ، وهو بأرض نجد ، وبه بئر . ويظهر ان اسم (ضرية) كان معروفاً في أيام ملوك كندة من بني آكل المرار ، ولكنه كان اسم موضع من مواضع الشرف ، ثم اشتهر ، فسمي به هذا الحمى : حمى ضرية^١ . وذكر بعض أهل الأخبار ان (ضرية) أكبر الأحماء ، وقد سمي بـ (ضرية بنت ربيعة بن نزار)^٢ . قال (ابن السكيت) : « الشرف كبد نجد وكان من منازل الملوك من بني آكل المرار من كندة . وفي الشرف حمى ضرية وضرية بئر . وفي الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن . وفي الحديث ان عمر حمى الشرف والربذة »^٣ . ويظهر من هذا الوصف ان (الشرف) أرض واسعة بنجد . منها الربذة وهو الحمى الأيمن لمن يتجه الى الجنوب فيوجه وجهه نحو البحر العربي ويجعل قفاه الى العراق وبادية الشام وبلاد الشام ، ومنها حمى (ضرية) الشهير .

وذكر ان أول من حمى (ضرية) في الاسلام (عمر) حماها ، لإبل الصدقة وظهر الغزاة ، وكان ستة أميال من كل ناحية من نواحي ضرية وضرية في وسطها^٤ . و (ضرية) من مياه (الضباب) في الجاهلية ، وكانت للنبي الجوشن الضبابي ، والد شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين^٥ . وورد أنها كانت حمى (كليب بن وائل) ، وأن في ناحية منه قبره ، وكان الناس يقصدونه^٦ .

ومن الحمى ، حمى فيد . قرب أجأ وسلمى جبلي طيء ، على طريق حاج العراق الى مكة . وذكر أن فيداً فلاة في الأرض بين أسد وطيء في الجاهلية ،

-
- ١ اللسان (٤٨٤/١٤) ، (ضرا)^{*}
 - ٢ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضرى)^{*}
 - ٣ تاج العروس (١٥٢/٦) ، (شرف)^{*}
 - ٤ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضرى)^{*}
 - ٥ وفاء الوفاء (٢٢١/٢) ، الاشتقاق (١٨٠)^{*}
 - ٦ وفاء الوفاء (٢٢٩/٢)^{*}

فلما قدم (زيد الخيل) على رسول الله أقطعه (فيد) . وبها قرية (فيد) ، سميت بـ (فيد بن حام) أول من نزلها . وهي من القرى الجاهلية ^١ .

وقد أشار (ياقوت) الى أحماء أخرى . منها حمى الربذة وحمى النسير وحمى ذو الشرى وحمى النقيع ^٢ . وذكر أن بـ (النير) قبر كليب وائل ^٣ . وأن الخليفة (عمر) حمى (النقيع) لخيل المجاهدين ولنعم النبيء ، فلا يرعاها غيرها ^٤ .

ولا يعقل أن يكون (كليب وائل) أول من حمى الحمى في الجاهلية . والظاهر ان شطط (كليب) وتعسف (في الإكثار من الحمى ، وشدة منعه الناس الغرباء من الرعي في احمائه ، جعل أهل الأخبار ينسبون مبدأ الإحماء اليه . وقد تكون لفظة (كليب) التي صارت وكأنها اسم كليب مع أنها لقب في الأصل ، هي التي أوحى الى ذهب أهل الأخبار ، بابتكار قصة استنباح (كليب) جرأاً ، ليكون مدى انقطاع سماع نبأحه وعوائه نهاية الحمى ، أي حدوده . ونجد بعض أهل الأخبار يجعلون حدود الحمى المواضع التي تصل اليها الخيل وهي جارية ، فتقف عندها من التعب . فيكون الحمى بهذه الطريقة أكبر وأوسع من الحمى المحدد بنباح كلب .

وفي أرض (بني أسد) (حزن) ، كانت ترعى فيه إبل الملوك . وهو قف غليظ بعيد من المياه ، فليس ترعاه الشياه ولا الحمر ، وليس فيه دمن ولا روث . اليه أشير في قول الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليه مسيل هطل^٥

ويتبين من دراسة ما أورده أهل الأخبار عن الحمى ، أن الأحماء لم تكن أرضين صغيرة حدودها ضيقة بحدود مدى سماع عواء الكلب ، بل انها كانت أكثر من ذلك بكثير . كانت مقاطعة كبيرة تضم آباراً وعيوناً وقرى في بعض الأحيان . وقد حصل عليها أصحابها من الحروب والغزو في الأصل . فعندما يغزو سيد قبيلة

-
- ١ تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) .
 - ٢ ياقوت ، البلدان (٣٤٢/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٥٩٣/٣) ، (نير) .
 - ٤ تاج العروس (٥٣٠/٥) ، (نقيع) .
 - ٥ تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) .

قبيلة أخرى ، كان يختار لنفسه خبرة الأرضين فيجعلها في حماه . فنشأ الحمى في الأصل هو من الحروب والغزو ، أي من الغنائم التي تقع في أيدي المنتصر، ومن الهبات التي يعطيها ملك لأشراف شعبه ولقاداته في السلم أو في الحروب . فتحصى لهم ولا يدخلها أحد غيرهم ، إذ صار حكمها حكم الملك .
وذكر أن الملوك إذا جاءتها الخرائط بالظفر ، غرزت فيها قوادم ريش أسود^١ .

دواوين الدولة :

ولا بد وأن يكون لكل حكومة مها كان حجمها وشأنها دواوين ودوائر لتنفيذ ما تقرر من أوامر وأحكام ، ولجباية ما تفرضه من حقوق على رعيها، ولاحقاق الحق بين الرعية والدفاع عن حدودها ولضبط الأمن في أرضها ، ولا يمكن تصور وجود حكومة ، بدون وجود ما ذكرته .

وقد سبق لي أن ذكرت ان قصور الملوك في العريية الجنوبية كانت موضع حكمهم ومقر عملهم ، ولهذا السبب ذكرت أسماءها في القوانين، لتكنى بذلك عن صدورها بأمر من الملك وبموافقته عليها . والمفروض ان أولئك الملوك كانوا قد خصصوا جناحاً أو أجنحة فيها لجلوسهم مع مستشاريهم وكبار موظفيهم للنظر في شؤون الحكم ، أو لاستقبال الرسل والوفود الذين يقصدونهم من الخارج أو من داخل المملكة لمقابلتهم ولعرض ما جاؤوا به من رسائل أو طلبات عليهم ، وأن هنالك مواضع يجلس فيها الملوك للاستماع الى شكاوي الناس وظلاماتهم ، ومواضع لجلوس الكتاب وموظفي القصر ، ومواضع لتخزين السجلات والوثائق . فقصور الملوك ، اذن هي بهذا المعنى ، دار الحكم الأولى في تلك الحكومات ، والمرجع الأول للرعية في علاقتها وصلتها بصاحب المملكة .

ذلك ما كان بالنسبة الى عواصم الملوك ، أما بالنسبة الى بقية أجزاء المملكة ، فإن الحكم فيها هو الى ولاية وعمال ثم الى من هم دونهم في المترلة والدرجة . وبيوتهم هي دور حكمهم يجلس العامل أو الوالي أو (الكبير) في جناح من

١ الحيوان (٤١٨/٣) ، (هارون) .

بيته ، ليأتيه من يريد مقابلته من موظفين وكتبة ليقصوا عليه ما عندهم من أخبار وطلبات ، وليلمي عليهم ما يراه من أحكام وأوامر . وفي هذا البيت أيضاً يستقبل الضيوف وأعيان البلد وأصحاب الشكاوي والمراجعات . وفيها يقيم مع عائلته . فبيوت الحكام اذن ، هي دور اقامة ودور حكم وقضاء بين الناس في آن واحد . وأما ما ورد في روايات أهل الأخبار من أن ملوك الحيرة كانوا قد اتخذوا قصورهم مكاناً للنظر في أمور رعيتهم ، ولاستقبال الرسل والوفود ، وللإستماع الى ظلمات الناس وشكاويهم ، وانهم كانوا قد أوكلوا أمر ادخال الرعية عليهم إلى حجاب معينين ، لا يسمحون لأحد بالدخول على الملك إلا بعد أخذ اذن منه بذلك ، فإنه يدل على أن ملوك الحيرة كانوا مثل ملوك العربية الجنوبية ومثل ملوك ذلك الوقت قد اتخذوا بيوتهم داراً للحكم وداراً للإقامة . وان قصر الملك هو أيضاً دار الحكم بين الناس ، والمشروع للأحكام .

وإذا أخذنا بما ورد في كتب أهل الأخبار من أن (دار الندوة) كانت مرجع أهل مكة في كل أمر من أمورهم صغر أم كبير ، حتى أن (الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة ، ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها ثم درعها إياه وانقلب بها الى أهلها فحجبها . وكان عامر بن هاشم بن عبد مناف عبد الدار يسمى محيضاً ^١ ، جاز لنا القول إن تلك الدار كانت دار حكومة . اليها يرجع أهل مكة في منازعاتهم وفي خصوماتهم وفي أمور سلمهم وحربهم . وأن أبناء قصي كانوا قد وزعوا أعمالها بينهم على نحو ما سطره أهل الأخبار .

ولفظه (ديوان) من الألفاظ المستعملة في الجاهلية عند عرب العراق ، ويذكر علماء اللغة أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ^٢ . وقد كان للفرس دواوين في جملتها ديوان خاص للنظر في أمور العرب ، واجبه النظر في صلوات (كسرى) مع ملوك الحيرة وسادات القبائل . وليه (زيد) والد (عدي بن زيد العبادي) ، فلما توفي (زيد) وليه ابنه من بعده ، ثم وليه (زيد بن عدي بن زيد) ، بعد مقتل والده على يد (النعمان بن المنذر) . ولا أستبعد وجود الدواوين في حكومة الحيرة . فقد كان لها كتاب تولوا أمور ديوان المراسلة بين ملوك الحيرة

١ الأزرقي (٦٦/١) ، (ما جاء في ولاية قصي بن كلاب البيت الحرام) .
٢ اللسان (١٦٦/١٣) وما بعدها ، (دون) ، تاج العروس (٢٠٤/٩) ، (دون) ،
غرائب اللغة (٢٢٩) .

والفرس ، وأمور المراسلة فيما بين ملوك الحيرة وبين عمالهم على الأرضين التابعة لهم وبينهم وبين سادات القبائل . أما ما ورد في أخبار أهل الأخبار من أن الخليفة (عمر بن الخطاب) ، هو أول من أمر بتدوين الدواوين ، فإنهم قصدوا بذلك موضوع تأسيس ديوان العطاء وموضوع تدوين الدواوين في الإسلام . مما لا مجال للبحث عنه في هذا المكان . وورد اسم (الديوان) في الحديث . ذكر أن الرسول قال : « إنَّ لله حراساً ، فحراسه في السماء الملائكة ، وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان »^١ .

صاحب السر :

وذكر علماء اللغة أن الملوك كانوا يسمون أمورهم إلى من يثقون به من رجالهم المقربين إليهم . وقد عرف صاحب سر الملك بـ (الناموس) ، وذكر بعضهم أن (الناموس) هو صاحب سر الخير ، وأن (الجالوس) هو صاحب سر الشر^٢ .

الموظفون :

ودون الملك أناس يختلفون في المترلة والمكانة، عهدت إليهم أمور إدارة الحكومة والشعب . وهم نوعان : موظفون مدنيون ، واجبههم النظر في الأمور المدنية . وموظفون عسكريون ، واجبههم إعداد الجيش والدفاع عن حدود الدولة والقضاء على الفتن والاضطرابات ، وتوسيع رقعة أرض الدولة عند الطلب .

وإني آسف إذ أقول إن من غير الممكن في الزمن الحاضر تثبيت درجات الوظائف ، وتعيين سلالها من أدنى درجة إلى أعلى درجة ، لعدم وصول كتابات جاهلية إلينا فيها حصر تلك الدرجات وعدّها وترتيبها ، لهذا سأحاول ترتيبها على حسب ما وصل إلينا من شأنها من مختلف الكتابات ، وعلى وفق ما ورد من أسماء

١ الدينوري ، عيون الأخبار (٢/١) ، (كتاب السلطان) ، (٥٠/١) ، (إنما قيل ديوان لموضع الكتبة والحساب ، لأنه يقال : للكتاب بالفارسية ديوان أي شياطين لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمي موضعهم باسمهم) .

٢ تاج العروس (٢٦٤/٤) .

بعضها في المسند أو في روايات أهل الأخبار ، وعلى حسب اجتهاد الباحثين الذي توصلوا اليه باستنادهم الى المرجعين المذكورين .

وإذا سألتني عن المصدر الذي استقيت منه أسماء الوظائف والدرجات التي أذكرها هنا ، فلاني أقول : لقد حصلت عليها من ورودها في الكتابات التي عثر عليها المنقبون في مواضع من العربية الجنوبية وفي أعالي الحجاز وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب أخذتها من هذه الكتابات ، وعينت درجتها ومكانتها بالاستناد الى المعنى المستنبط من النصوص . وبالقياص أحياناً الى المفردات الواردة في معاجم اللغة أو في اللغات السامية الأخرى حيث يرد ما يماثلها في تلك اللغات علماً لوظائف معروفة ، بقيت أسماء بعض منها معروفة أو متداولة الى يومنا هذا .

ونستطيع أن نقول بالقياس الى ما هو مألوف في قصور الملوك المعاصرين للملك الجاهلية أن كبار متولي أمور قصور الملوك وكبار قادة الجيش ، كانوا من أقرب الناس الى الملوك، ومن أكثر الناس تأثيراً فيهم ، وذلك بحكم اتصالهم بهم والتصاقهم بالعرش . فكانت لهم كلمة مسموعة عندهم . فهم من الصنف الممتاز من أصناف الموظفين ، ولهم أثر خطير في تأريخ تلك الحكومات .

وتختلف درجات المشرفين على أمور القصور الملكية ، فمنهم الحرس الخاص الذي يتولى حراسة القصر ، ومنهم الخدم والطباخون ، ومنهم من اختص بخدمة الملك وحده ، كأن يقوم بتقديم الطعام اليه ، ومنهم من اختص بتقديم الشراب اليه ، أو يتولى أمر الحجابة له ، ومنهم من كان يكتب له ، أو يخدم زوجاته وذريته ، الى غير ذلك من أعمال اقتضتها طبيعة تلك القصور ودرجة الملك ومنزلته وقد عرف كل هؤلاء بـ (عبيد الملك) عند بعض الشعوب^١ .

والطبقة المذكورة ، وإن كانت من الطبقات الدنيا بالنسبة لطبقات المجتمع ، وظيفتها الطبخ وتقديم الأشرية والأطعمة والسهرة على راحة الملك وضيوفه ، إلا أن رهطاً منها تمكن مع ذلك من لعب دور خطير في أمور المملكة ، وفي مقدرات الناس ، بفضل استخدام ذكائهم وقربهم من الملك ووجودهم بمحضرة بصورة دائمة ، من التأثير على سيدهم وتوجيهه الوجهة التي يريدونها . كما تمكنوا من الحصول على مكانة كبيرة عند قومهم ، باتصالهم بحكم مراكزهم بأعيان الناس . وبنوال

جوائزهم وهباتهم ، ليفتحوا بذلك لهم الباب للوصول الى الملك في كل وقت .
ثم يايصلهم أخبار المجتمع ولاسيا سادته الى الملك وبأخبارهم هذه صار في امكانهم
ابعاد شخص أو تقريبه من الملك ، واهلاك شخص أو اسعاده برضاء ملكه عنه .

الكبراء :

وأعلى مناصب الدولة ودرجاتها الإدارية هي درجة (كبر) أي كبير . ويجب
أن أكون حذراً جداً في التعبير . فكلمة (كبر) (كبير) ، ليست منصّباً
أو وظيفة أو درجة بالمعنى المفهوم من هذه الألفاظ الاصطلاحية في الزمن الحاضر ،
ولكنها لفظة عامة قد تعني ممثل ملك على مقاطعة ، مثل (كبرددن) أي (كبير)
أرض (ديدان) في حكومة (معين) وتقع في أعالي الحجاز ، وهي (العلا)^١
وقد تعني موظفاً كبيراً من رجال الملك المقربين اليه ، عينه الملك واختاره
لتنفيذ أوامره وأحكامه ، أو للإشراف على إدارة أملاكه وأمواله وتبدير شؤون
قصره^٢ ، أو لاعداد ما يلزم من اعاشة جيش وتقديم ما يحتاجه اليه^٣ . وقد تعني
درجة عليا من درجات رجال الدين ، أو كبيراً من كبارهم تناط به شؤون إدارة
أملاك المعابد وأموالها . وقد تعني سيد قبيلة ، أو رجلاً كبيراً عينه الملك مندوباً
عنه ليشرف على تصريف أمور الحكم على قبيلة . وقد تعني (الكبير) المسؤول عن
تصريف أمور المدن . فقد كان الذي يسيّر أمور مدينة (تمنع) مثلاً مسؤولاً
درجته درجة (كبر) (كبير) واتضح من بعض الكتابات ان مدينة (ميفعة)
(ميفعت) الحضرمية كانت تحت حكم (كبير)^٤ .

وقد أشير الى وجود (كبر) (كبير) في سبأ ، كان يتولى درجة دينية .
إذ كان من كبار رجال الدين . وورد اسم (كبير) آخر كان عمله ادارة بساتين
الملك ومزارعه والإشراف عليها^٥ . وورد اسم (كبير) كان عمله الإشراف على
أعمال الصرف والاتفاق على الجيوش^٦ . وورد اسم (كبير) آخر كان يتولى رئاسة

Rhodokanakis, Kat. Texte, I, S. 75, Glaser 1155, Halévy 535, 578.

Rep. EPIGR. 4054.

Rep. EPIGR. 3951, Arabien, S. 130.

Arabien, S. 130.

Rep. EPIGR. 4054, Grohmann, S. 130, Glaser 1571.

Rep. EPIGR. 3951, Grohmann, S. 130.

قبيلة^١، فيستنتج من هذه الأمثلة ان لفظة (كبر) لا يقصد بها درجة معينة من كبار الموظفين ، بل أريد بها عليّة قوم وأعيانهم وكبارهم ، ولهذا أطلقت على من ذكرت أعيان سباً وعلى المنازل الكبيرة التي كان على رأسها كبير من كبار الناس من رجال دين ومن عسكريين ومن موظفين أو مدنيين غير موظفين . والكبراء بالطبع هم من أصحاب الجاه العريض والوجاهة والمرتلة والثراء ، وهم كبار الأحرار في الأرض ، ولأهميتهم ومكانتهم أرخ الناس حوادثهم وما وقع لهم بأبيامهم ، وقد حلت الكتابات أسماء طائفة منهم ، دلالة على ما كان لهم من اسم وسلطان في ذلك العهد^٢ .

ومن أشهر الكبراء (كبر خليل) ، أي كبير خليل . و خليل عشيرة قديمة . وقد ذكر كبيرها في الكتابات السبئية القديمة، كما ذكر في الكتابات المتأخرة كذلك. وقد أرخ بهؤلاء الكبراء عدد من الكتابات السبئية . ويظهر أن (كبر خليل) (كبير خليل) كان كاهناً ، أي رجل دين في الأصل ، يشرف على معبد (عثر ذ ذبن) (عثر ذو ذبن) . ويقدم الذبائح الى هذا المعبد ، ويدعو الآلهة لإنزال الغيث^٣ ، ودعوته آلفته لإنزال المطر ، هي بمثابة صلاة الاستسقاء . وقد كان يحكم حضرموت في النصف الأول من القرن السادس للميلاد (كبير)، (كبر حضرموت) ، وقد ذكر في نص (أبرهة) في جملة من وفد على أبرهة بعد اتمامه سد (مأرب)^٤ .

الأقيان :

جمع (قين) ، وتتألف طبقتهم من الأمراء ومن ممثلي الملك في المدن ، ومن

١ Grohmann, S. 130.

٢ Grohmann, S. 130, J. Ryckmans, L'Ist., 25, 34, 122.

٣ Handbuch I, S. 130, Katab. Texte, S. 53, 67.

٤ راجع السطرين ٨٦ ، ٨٧ ، من نص أبرهة : Glaser 618 و CIH 241 ، المنشور في الجزء الأول من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٥٦ (ص ١٨٦ وما بعدها) ، و

Glaser, Zwei Inschriften Über dem Dammbbruch von Marib, S. 68,

CIH., IV, II, III, p. 278.

الموظفين ومن رجال الدين من درجة (رشو)^١ . وقد ذهب (ويدر) Weber الى أن (القين) والـ (رشو) هما شيء واحد^٢ . أما (هارتمن) Hartmann فيرى أن القين غير الرشو، فهو وظيفة دينية ومركز حكومي . أما (الرشو) فإنه منزلة دينية ، فهو (كاهن) إله ما وتعني رئاسة دينية . وقد يستعمل (قين) لأداء المعنيين. أما (رشو) ، فإنه لا يستعمل إلا في الأمور الدينية وفي التعبير عن منزلة كهنوتية^٣. وذهب بعض الباحثين الى ان (القين) (رشو) أيضاً، أي رجل دين، ولكنه تخصص بالأمور الادارية والمالية للمعابد . وقد يتولى قيادة الناس في الحروب أيضاً^٤ .

وقد ورد في نص عثر عليه في (حرم بلقيس) اسم كاهن عرف بـ (تبع كرب) (تبع كرب) ، كان رجل دين أي (رشو) و (قينا) في الوقت نفسه على (سحر) . ويدل ذلك على ان رجل الدين هذا كان يجمع بين سلطتين : سلطة دينية هي درجة (رشو) ، وسلطة زمنية هي درجة (قين)^٥ .

وفهم من بعض نصوص المسند ان (القين) كان يساعد الملك في ادارة بعض الأعمال ، كما كان ينوب عنه في ادارة المدينة أو المعبد. وفهم من نصوص أخرى انه كان يدير أملاك المعابد، وانه كان يتولى قيادة الجيش أو تهيئة ما يحتاج اليه^٦ . واستدل من تعداد هذه الأعمال المدونة في النصوص ، ان عمل (القين) لم يكن عملاً معيناً محدوداً بمحدود وقيود ، وانما كان يشمل كل عمل وشغل كان الملك يعهد به الى أحد الأقيان . أي ان القين لم يكن موظفاً يشغل وظيفة معينة محددة، بل كان من كبار رجال الدولة ومن السادات ، له مواهب وكفاءات وله قرب وحظوة عند الملك ، فإذا احتاج الملك الى انجاز عمل ما ، كلف أحد أقيانه القيام به .

والقين دون الكبير في الدرجة ، فقد جاء في بعض الكتابات ان الأقيان كانوا يخضعون للكبراء^٧ ، كما يتبين ذلك من كتابات عثر عليها في (شبام اقيان)

Handbuch I, S. 131. ١

Weber, Studien, III, S. 43. ٢

Hartmann, Arab. Frage, S. 181. ٣

Grohmann, S. 130. ٤

راجع الفقرة الأولى من النص الموسوم بـ : : 481 Glaser ٥

Grohmann, S. 130. Rhodokanakis, Stud., II, S. 15. ٦

Halevy 150, Handbuch, I, S. 131, Grohmann, S. 130. ٧

(شيم اقين) ، ومن كتابات أخرى عثر عليها في (عمران) من (مرثد) من قبيلة (بكيل)^١ .

وقد كان الأقيان طبقة خاصة من طبقات أهل الخطوة والنفوذ (الارستقراطية) في الدولة وفي المجتمع ، لها رأي مسموع بين الناس وكلمة نافذة عند الملك . وهم من جماعة أصحاب الأملاك والاقطاع ، قد يعطون أرضهم لغيرهم لاستغلالها مقابل أجر (اثوبت) ، أي كراء . وقد يستغلون أرضهم بأنفسهم ، بتشغيل فلاحهم وخدمهم ورقيقهم بها ، فيكون حاصلها لهم ، لا ينازعهم فيه منازع .

الأقيال :

والأقيال هم طبقة من كبار الإقطاعيين من أصحاب الأرضين الواسعة ، ومن رؤساء القبائل كذلك والسادات الكبار . وكانوا يتمتعون بسلطان واسع ، ويقال للواحد منهم : (قول) في المستند ، و (قيل) في عريبتنا . والجمع (اقول) ، أي أقيال .

وقد جاء في كتابات المستند ذكر أقيال عديدين ، مثل أقيال (سمعي) ، وأقيال (بكيل) من (آل مرثد) . وقد كان على مدينة (صرواح) حاكم درجته درجة قبيل . وورد ذكر (أقيال حير) في (حصن غراب) ، وذكر الأقيال في نص (أبرهة) ، كما ورد في نصوص عديدة أخرى .

و (القول) في الأصل المتحدث باسم قوم أو جماعة من فروع قبيلة . كأن يكون رئيس حي أو عشيرة أو ما شاكل ذلك من القبيلة، ثم توسع نفوذه وازداد شأنه حتى صار في منزلة (كبر) كبير ، بل حل محله . وعند ظهور الإسلام ، كان للأقيال النفوذ الأوسع في العربية الجنوبية ، حتى حكموا المَخَاليف ، كالذي يظهر لنا بجلاء من وصف أهل الأخبار لنظام الحكم في اليمن عند ظهور الإسلام^٢ . وقد لقب أكثرهم نفسه بلقب (ملك) ، مع أنه دون الملك في الحكم وفي امتلاك

Handbuch, I, S. 132, Hartmann, Arab. Frage, S. 231, ١

Rhodokanakis, Stud., II, S. 149, Halévy 147, Hommel, Grundriss, S. 687.

Grohmann, S. 130. ٢

الأرض بكثير . بل كان حكم بعضهم أقل من حكم سيد قبيلة .
 وذكر علماء اللغة أن (المقول) : المقليل بلغة أهل اليمن ، وهو دون الملك
 الأعلى ، والجمع (أقوال) و (أقيال) . وذكر بعضهم : أن القيل هو الملك
 النافذ القول والأمر ، وقيل : الأقيال ، ملوك اليمن دون الملك الأعظم ، واحد
 قَيْل ، يكون ملكاً على قومه وخلافه ومجبره . وقد سمي قَيْلاً لأنه إذا قال
 قولاً نفذ قوله . وعرف أنه الملك من ملوك حِمير يقول ما شاء . وقد كتب
 الرسول إلى (واثل بن حجر) ولقومه : « من محمد رسول الله إلى الأقوال
 العَبَاهلة ، وفي رواية إلى الأقيال العَبَاهلة »^١ .

وذكر علماء اللغة أن العَبَاهلة ، هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه ،
 وعَبَاهلة اليمن ملوكهم الذين أقروا على ملكهم^٢ .
 ووردت في النصوص السبئية لفظة (قبت) ، يظن أنها بمعنى (نائب الملك)
 (نائب ملك)^٣ .

وجاء في بعض النصوص المعينية ذكر منصب ، عنوانه (حفيه نفس)
 (ح ف ي ه ن ف س) (حفي نفس)^٤ (حافي نفس) ، يظهر أن صاحبه
 كان مكلفاً أن يعمل أعمالاً خاصة ، مثل النظر في شؤون الماء ، أي في توزيعه ،
 وفي الحصومات التي قد تقوض أجله ، ومثل القيام بالاشراف على الأبنية والأعمال
 العامة وافتتاحها باسم الملك^٥ .

ويظهر من بعض النصوص المعينية أيضاً أنه كان يعاون هذا الموظف القضائي
 موظفان ، وضعا تحت إمرته ، يقال لمنصبها (ربقهى معن)^٦ ، ربما كانا بمثابة
 كاتبين عنده .

ويظهر أن حكومة (معين) كانت قد كلفت جماعة أخرى النظر في شؤون
 الري عرفت بـ (اهل طبنم) وبـ (اطبتو)^٧ . وإذا علمنا ما للمياه من شأن

-
- | | |
|---|--|
| ١ | اللسان (٥٧٥/١١ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٨٢) . |
| ٢ | اللسان (٤٢٢/١١) ، تاج العروس (٤/٨) (عبهل) . |
| ٣ | Mahram, p. 120. |
| ٤ | Rep. EPIGR. 2813, 2829, 3562. |
| ٥ | Grohmann, S. 131. |
| ٦ | Rep. EPIGR. 3310, Grohmann, S. 131. |
| ٧ | Halevy 174, 520, 521, Grohmann, S. 131, J. Ryckmans, L'Inst. 23. |

في بلاد العرب ، عرفنا السبب الذي جعل ملوك (معين) يعتنون عناية خاصة بشؤون الري حتى جعلوا لها موظفين خاصين واجبههم رعاية هذه الشؤون^١ .

ويرد في الكتابات ذكر منصب ، يقال له : (مقتوي) ، والجمع (مقتت)^٢ . ويعبر عنه بـ (مقتوى ملكن) ، أي (مقتوي الملك) . ويظن بعض الباحثين ان المقتوي ، أو (مقتوي الملك) ، هو ضابط كبير ، أو هو تعبير عن قائد أو مشاور عسكري ، اختصاصه تقديم الرأي الى الملك في الأمور الحربية وقيادته للجيش^٣ ، فهو معتمد الملك في هذه الأمور . وقد تؤدي اللفظة معنى (أمير) في العرف الاسلامي في صدر الاسلام . وهو من تسند اليه قيادة الجيش وإدارة الادارة التي توكل اليه وتحدد له حدود (جندله) .

وقد أظهرت نصوص المسند وجود (مقتوت) أيضاً ، أي نساء مقتويات . وقد فسرها الباحثون بـ (كاهنة)^٤ .

وعرف من يقوم بإدارة وحدة من الوحدات الإدارية بـ (سمخض) ومعناها (مدير) ، فيكون المعنى : مدير أرض ، ويكون واجبه الإشراف على الأرض التي وُكِّلَ أمر إدارتها اليه ، فواجبه إذن هو واجب سياسي وإداري ، وأما وظيفته ، فيقال لها (سمخضت أرض) ، أو (سمخضت) (سمخضة) ، ومعناها إدارة أرض ، أو (إدارة) .

وبغني مصطلح (امنهت) (امنهات) (اهل امنهات) المعني ، منصباً دينياً مختصاً بالإشراف على معامل المعابد، تتولاه امرأة ، ويقابل (امنهت ذ عثر) (امنهت ذ عثر) في القتبانية . وقد ورد معه مصطلح (منوت) (منوات) في بعض الكتابات^٥ .

ومن الوظائف وظيفة (ملوطن ملك) (ملوطن) ، وقد تعني وظيفة إدارية تنظر في شؤون أملاك الملك . وقد ورد ذكرها في النصوص السبئية المتأخرة^٦ .

Handbuch I, S. 87, 92, 133. ١

Grohmann, S. 131. ٢

Grohmann, S. 131, CIH 405, Rep. EPIGR. 4861, 4876, 4892. ٣

Nami 4, Glaser A. 778, Grohmann, S. 131. ٤

Arabien, S. 131, Rhodokanakis, Stud. I, S. 62, Rep. EPIGR. 2912. ٥

Philby 124, Grohmann, S. 131, Rep. EPIGR 3951. ٦

وأما مصطلح (اذن قى) الذي ورد في أحد النصوص : (اذن قى ملك حضرت) ، (اذن قى ملك حضرموت)^١ فقد يعني المأذون بإدارة مقتنيات ملك حضرموت ، أي وظيفة الإشراف على أملاك الملك وأمواله .

وأما (حشرو) ، فقد تعني جماعة واجبههم جمع الحشر للدولة^٢ . وقد يكون لهذه اللفظة علاقة مع ما ورد في الموارد الإسلامية عن (الحشر) و (الحشور) . فقد جاء في الحديث : « إن وفد ثقيف اشترطوا أن لا يعشروا ولا يحشروا » ، « أي لا يتدبون الى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث ، وقيل : لا يحشرون الى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم ، بل يأخذها في أماكنهم ، ومنه حديث صلح أهل نجران: على أن لا يحشروا ، وحديث النساء : لا يعشرون ولا يحشرون يعني للغزاة ، فإن الغزو لا يجب عليهن »^٣ . فالحشر إذن قد يكون موظفاً خصص بجباية الضرائب ، أو بجمع الحشور أي الناس الذين يحشرون ويجمعون للحروب أو للقيام بأعمال اجبارية ، فهم مثل (السخرة) الذين يجمعون جمعاً لأداء أعمال من غير أجر . وهو (الحاشر) في لغتنا .

وأما الذي يتولى جباية الضرائب والإشراف على الموظفين الذين توكل أعمال الجباية اليهم ، فيقال له : (نحل) ويقال لوظيفته (نخلت)^٤ . ويذكر علماء اللغة ان (النحلة) بمعنى العطية، وان النحل اعطاؤك الانسان شيئاً بلا استعاضة ، وعمّ به بعضهم جميع أنواع العطاء^٥ . ويظهر من هذا التفسير ان له بعض الصلة بمعنى اللفظة في المسند ، وان المراد منها في اللغات العربية الجنوبية أخذ المال من الناس . فقد كان الملوك يعطون الأرض لأتباعهم والمقربين لديهم ممن يخدمونهم لاستغلالها ، وذلك في مقابل دفع تعويض عام ، فيقوم هؤلاء باستغلال ما أعطي لهم بأنفسهم ، أو بتأجير الأرض قطعاً الى من هم في خدمتهم ، فيأخذون الربح لهم ، ويقدمون ما اتفق عليه مع الملك الى خزانته .

ويعرف الموظفون الذين يجمعون حصة الحكومة المخصصة باسم الجيش من الحبوب بـ (ساوالت) (س ا و ل ت) . وهي ضريبة عسكرية يؤديها المزارعون

١ Rep. EPIGR. 2693, Grohmann, S. 131.

٢ Rep. EPIGR. 3951, Grohmann, S. 131.

٣ اللسان (١٩٢/٤) .

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 67, Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 442.

٥ اللسان (٦٥٠/١١) .

من الحضر والأعراب الى الحكومة ، لتموين الجيش ببعض ما يحتاج اليه من طعام. وتعرف هذه الضريبة العسكرية بتلك التسمية كذلك. فهي ضريبة من ضرائب غلات الأرض^١ .

ويظهر من بعض الكتابات ان بعض الاقطاعات كانت في ادارة مجلس يتألف من ثمانية أشخاص عرفوا بـ (ثمنيتين) أي (الثمانية)^٢ ، فهم بمثابة مجلس مديري شركة يدير أمور تلك المقاطعة ، أو بمثابة مشروع زراعي تعاوني ، يتعاون فيه الأشخاص بإدارة ذلك المشروع ، وقد تكون هنالك اقطاعات بإدارة أناس يزيد عددهم على هذا العدد أو ينقص عنه .

وقد ذهب (رودوكناكس) Rhodokanakis الى احتمال وجود طبقة خاصة من الموظفين عرفت بـ (ابل سير) ، كانت تحكم الى جانب الطبقة المثمنة المؤلفة من الأشخاص الثمانية^٣ .

وظهر من النصوص القبطانية وجود جماعة من الموظفين نيطت بهم مهمة الإشراف على إدارة المعابد وتمشية شؤون الأوقاف المحبوسة على المعبد . يقال لها (اربى) ، والواحد هو (ربي) . ومهمته أيضاً جمع الأعشار والنذور التي تقدم الى المعابد^٤ . فهم كهنات (الأوقاف) في البلاد العربية والإسلامية في الوقت الحاضر .

وذكر علماء اللغة (المحاجر) ، وقالوا عنهم : إنهم أقبال اليمن ، وهم الإحماء، كان لكل واحد منهم حى لا يرعاه غيره . وأن المحجر ما حول القرية^٥. ويظهر أنهم قصدوا بهم أصحاب الإحماء، أي الإقطاع ، الذين استقطعوا الأرضين واستخلصوها لأنفسهم ، ولم يسمحوا لأحد بالدخول اليها للرعي أو للاستفادة منها بغير اذن منهم. فهم أصحاب الإقطاع والإحماء . فحجروا بذلك على خيرة الأرضين المحيطة بالقرى ، وجعلوها خاصة بهم لا يرعاها غيرهم ، لما كان لهم من نفوذ وسلطان .

١ Handbuch I, S. 128.

٢ راجع النص الموسوم بـ : Halevy 147.

Rhodokanakis, Stud.. I, S. 56, Hartmann, Arab. Frage, S. 208, 401.

٣ Rhodokanakis, Stud., I, S. 57, Glaser 147.

٤ Grohmann, S. 214.

٥ اللسان (١٧١/٤) ، (حجر) ، تاج العروس (١٢٦/٣) ، (حجر) .

هذا ما عرفناه من أصول الحكم عند العرب الجنوبيين . أما بالنسبة الى العرب الشماليين ، فإن معارفنا بنظام الحكم عندهم نزر يسير ، لعدم ورود شيء ما عن نظام الحكم في (الحيرة) أو في مملكة الغساسنة في كتابة جاهلية . أما أخبار أهل الأخبار ، فإنها قليلة في هذا الموضوع ، وهي لا تنص على نظم الحكم عندها نصاً ، وإنما تشير اليها إشارة ، وتسمى إيماءً ، ولذلك لا تقدم إلينا رأياً واضحاً صحيحاً في أصول الحكم عند العرب الشماليين .

ويظهر من أخبار الأخباريين عن ملوك الحيرة ان أولئك الملوك لم يكونوا مثل ملوك اليمن من حيث استشارة المجالس وتوزيع أعمال الحكومة . وطبيعي أن يكون هنالك فرق بين أصول الحكم في العربية الجنوبية ، وأصول الحكم في الحيرة ، لما بين طبعتي الحكومتين من اختلاف في نواح عديدة ، تجعل وجود الاختلاف في نظم الحكم أمراً لا بد منه . فإدارة الحكم في (الحيرة) متأثرة بالنظم السياسية الساسانية ، وظروف البادية والبدواة وهي الغالبة على سواد التابعين للملوك الحيرة ، ولا يمكن تطبيق ما يطبق في المجتمع الحضري على المجتمع البدوي .

وإذا أخذنا (الرداقة) على أنها منصب أو مترلة ودرجة خاصة في حكومة (الحيرة) ، فإننا نستطيع أن نقول إنها أسمى وظائف تلك الحكومة أو أسمى درجاتها ، وأنها من المنازل العليا عند ملوكهم . فقد ذكر أهل الأخبار أن الردف هو الذي يجلس على عيمن الملك . فإذا شرب الملك ، شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك ، قعد الردف في موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك ، أخذ الردف ربع الغنيمة^١ . وكان للردف أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم ، فينظر بين الناس بعده . وذكر : ان هناك رداقة أخرى ، ولكنها دون الرداقة المتقدمة ، وهي أن يردف الملك الردف على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأتس ، ولكن الأولى أنبل^٢ .

وقد عرف (عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب) بـ (رديف الملوك) ، ومعنى هذا انه عاش وخالط عدداً من ملوك أيامه ، وذكر انه كان رحالاً اليهم .

١ بلوغ الأرب (١٨٤/٢ وما بعدها) ، اللسان (١٠٣/٥) ، (صادر) ، (ر/د/ف) .

٢ الأغاني (٦٣/١٤) .

ولذلك عرف بـ (عروة الرحّال)^١ . وذكر ان (ردافة الملوك : كانت من العرب في بني عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ، فورثها بنوهم كإبراً عن كابر حتى قام الاسلام ، وهي أن يثنى بصاحبها في الشراب ، وإن غاب الملك خلفه في المجلس ، ويقال : إن أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الاسلام ، والردافة كالوزارة . قال ليبد من قصيدة :

وشهدت أنجبة الأفافة عالياً كعبي وأرداف الملوك شهود)^٢

وكان (سدوس بن شيان) رديفاً ، (فكانت له ردافة آكل المزار)^٣ . وقد كانت الردافة معروفة عند (ملوك كندة) أيضاً . وقد روى أن (أباحنش عصم بن النعمان التغلبي) ، كان رديفاً للملك (شرحبيل بن الحارث بن عمرو الملك المقصور بن آكل المزار الكندي)^٤ . وقد احتفظ (بنو سدوس) بهذا الحق : حتى ردافة ملوك كندة^٥ .

ولا يوجد نظام خاص في (الردافة) ، ولكن نظراً لما للردافة من مكانة ومنزلة ، جرت العادة ألا تعطى إلا للرجال الذين لهم مكانة عند الناس ولهم عقل وشخصية ، وقد تنتقل من الأب الى الابن ، وقد تنحصر في قبيلة واحدة ، فإذا أراد الملك نقلها الى قبيلة أخرى ، ولم يأخذ رأي تلك القبيلة في نقلها منها، زعلت القبيلة وثارَت إن كانت قوية ووقع الشر بينها وبين الملك ، أو بينها وبين القبيلة الأخرى التي نازعتها على الردافة .

وللرديف ، بحكم اتصاله بالملك وبقربه منه وبتقديمه الرأي له ، أثر في توجيه الملك وفي اتخاذ القرارات ، لا سيما إذا كان الملك ضعيفاً فاتر الهممة ، ليس له رأي . والرديف بهذا المعنى المستشار والوزير . وقد ذكر أن الردافة بهذا المعنى عرفت في الإسلام أيضاً . روي أن (عثمان) كان يُدعى (رديفاً) في إمارة عمر^٦ . وذكر علماء اللغة أن (الأرداف : الملوك في الجاهلية ، والاسم منه الردافة) .

-
- ١ البيان والتبيين (١٣٢/١) ، المحبر (٢٥٤) .
 - ٢ الثعالبى ، ثمار القلوب (١٨٤) .
 - ٣ المعارف (ص ٤٥) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٠٤) .
 - ٥ الاشتقاق (٢٦١) .
 - ٦ الطبري (٤٨٠/٣) ، (ذكر ابتداء أمر القادسية) .

وكانت الرداقة في الجاهلية لبني يربوع^١ . خصصها ملوك الحيرة بهم ولم يعطوها لأحد غيرهم ، حتى ان كانوا مثل بني يربوع من تميم . ولا بد وأن يكون لهذا التخصيص سبب إذ لا يعقل أن يكون جاء (بني يربوع) عفواً . فهو فضل وتفضيل ، وقضية التفضيل والتقديم ، قضية حساسة جداً وبحسب لها ألف حساب عند العرب . لما لها من مسّ بالنازل وبكرامة القبائل والسادات ، وقد ذهبت أرواح بسبب تقديم ملك سيد قبيلة على سيد آخر في موضع جلوسه منه أن جعله أقرب اليه منه وفي جهته اليمنى لأن في هذا التقديم على عرفهم إثارة لمن قدم وتفضيل له على بقية الحضور . فهل يعقل إذن أن يكون ملوك الحيرة قد أعطوا (الرداقة) لبني يربوع عفواً ومن غير أسباب حلتهم على تخصيصها فيهم . لقد حاول بعض ملوكهم تحويلها من أصحابها الى قوم آخرين ، ومنهم قوم مثل (بني يربوع) من تميم . لكنهم هاجوا وماجوا وهددوا ، فاضطر أولئك على إبقاء الحال على ما كان عليه .

ويمكن اعتبار (الحجابة) وصاحبها (الحاجب) من الدرجات المهمة في (الحيرة) . فقد كان (الحاجب) هو الذي يتولى إدخال الناس والاذن لهم بالدخول على الملوك . وكان في إمكانه التعجيل بإدخال من يريد على الملك ، وتأخير من ينفر منه من الدخول عليه ، وربما منعه من الوصول اليه . لذلك كان الذين يقصدون الملوك يتقربون إليه ويتوددون له ليكون شفيعاً لهم عندهم وواسطة في التقرب اليهم . وطالما تعرض الحاجب لنم شاعر وهجائه ، إذا أخره عن الدخول على الملوك ، أو حال بينه وبين الوصول اليه ، أو كان سبباً في إثارة غضب الملك على الشاعر^٢ .

وقد ذكر علماء اللغة انه لما كان الملك محجوباً عن الناس ، فلا يصلون اليه إلا بإذن من الحاجب ، لذلك حصر ، أي حبس عن رعيته ، ف قيل له الحصير^٣ . وقد كان للنعمان بن المنذر (ملك العرب) حاجب ورد اسمه في شعر للناطقة ، هو (عصام بن شهر) من رجال (جرم) ، ذكر انه قد كانت له منزلة عند

١ اللسان (١٠٣/٥) ، (صادر) ، (ردف) .

٢ تاج العروس (٣٠٣/١) ، (حجب) .

٣ تاج العروس (١٤٤/٣) ، (حصر) .

النعمان . حتى انه اذا أراد أن يبعث بألف فارس بعث بعصام^١ ، مما يدل على انه كان يوكل اليه أمر قيادة جيشه أيضاً. وقد ضرب به المثل ، ورد : (ماوراءك يا عصام) ، يعنون به إياه . وورد : (كن عصامياً ولا تكن عظامياً يريدون به قوله :

نفس عصام سودت عصاما وصيرته ملكاً هماما
وعلمته الكراً والإقداما

وقوله ولا تكن عظامياً ، أي ممن يفتخر بالعظام النخرة)^٢ .

وقد ورد في أخبار الرسل الذين أوفدهم رسول الله الى الملوك ، ان (شجاع ابن وهب) رسول رسول الله الى (الحارث بن أبي شمر الغساني) ليدعوه الى الاسلام ، اتصل بحاجبه ، وانتظر حتى جاء له الاذن بمقابلته فدخل عليه^٣ .

وبقيت (الحجابة) من المنازل الرفيعة في مكة وفي الأماكن المقدسة الأخرى. فيد (الحاجب) تكون مفاتيح الكعبة ومفاتيح الخزانة الخاصة بالمعبد وهي درجة ترزق صاحبها رزقاً حسناً وربحاً مادياً ، فضلاً عن الربح المعنوي باعتبار انه صاحب الصنم أو الأصنام ويده أمر المعبد. لذلك قالت بنو قصي : " فينا الحجابة " . تفتخر على غيرها . ويظهر من الحديث : " ثلاث " من كن فيه من الولاة اضطلع بأمانته وأمره : اذا عدل في حكمه ، ولم يحتجب دون غيره ، وأقام كتاب الله في القريب والبعيد^٤ ، ومن اشترط (عمر) على كل من كان يعينه عاملاً ، ألا يتخذ حاجباً ، ومن تحذيره لمعاوية وغيره من اتخاذ الحاجب^٥ . ان الحاجب، أي احتجاب الحكام في الجاهلية عن الناس وعدم دخول أحد عليهم بغير اذن منه ، كان معروفاً فاشياً ، وان أصحاب الحاجات والمراجعين من الناس كانوا يلاقون صعوبات جمّة في الوصول الى حكاهم ، وقد يقفون اياماً ثم يسمح لهم بالدخول عليهم ، وقد لا يسمح لهم بذلك . ونظراً لما في ذلك من تعسف بحق

١ اشتقاق (٣١٨) .

٢ تاج العروس (٣٩٩/٨) ، (عصم)

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦١/١) .

٤ تاج العروس (٣٠٣/١) ، (حجب) .

٥ كتاب الحجاب من رسائل الجاحظ (٣٠/٢) .

٦ كتاب الحجاب من رسائل الجاحظ (٣١/٢) .

الرعية نهى الاسلام عنه ، وأمر الحكام بوجوب فتح أبواب بيوتهم للناس ليستمعوا الى ظلاماتهم والى ما هم عليه من حال .

وفي كتب أهل الأخبار تأييد لهذا الرأي، إذ نجدها تذكر ان الشعراء وغيرهم كانوا يقفون اياماً بأبواب ملوك الحيرة أو الغساسنة يلتمسون الاذن بالدخول على الملوك ، ولا يأذن الحاجب لهم بالدخول عليهم ، حتى اضطر البعض منهم على التعهد للحاجب بإعطائه نصيباً مما سيعطيه الملك له إن يَسَّرَ له أمر الدخول عليه^١. ومنهم من كان يقدم للحاجب هدية ترضيه حتى يسمح له بالدخول دون إبطاء ، مما اضطر بعض الشعراء على نظم الأشعار في هجاء الحاجب والملك السلي يراود الوصول اليه . ونجد مثل هذه الشكاوي عن حجاب ملوك اليمن .

ويظهر ان ملوك الحيرة كانوا يستوزرون الوزراء ليستشيروهم في الأمور ، فقد ورد ان (زرارة بن عدس) كان من عمرو بن هند كالوزير له^٢. وقد وردت كلمة (وزير) في القرآن الكريم^٣ بمعنى المؤازر الذي يشد أزر صاحبه فيحمل عنه ما حمله من الأثقال ، والذي يلتجئ الأمير الى رأيه وتديره ، فهو ملجأ له ومفرج . وجاء في حديث (السَّقِيفَة) : « نحن الأمراء وأنتم الوزراء »^٤ ، مما يدل على ان الوزارة كانت معروفة عند الجاهليين .

وورد أن (التأمور) وزير الملك لتفوذ أمره^٥ . ولم يذكر علماء اللغة الموضع الذي استعملت فيه هذه اللفظة .

وقد كان للملك الحيرة 'عمّالاً' يديرون بالنيابة عنهم أمور الأرضين التابعة لهم . ف (العامل) هو نائب الملك على تلك الأرض . وقد ذكر أنه كان للملك الحيرة (عمال) على البحرين كالذي روه في قصة مقتل الشاعر (عبيد بن الأبرص) . وقد عرف علماء اللغة العامل بأنه هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة (عامل) ، وللساعي الذي يستخرج الصدقات من أربابها (العامل) والعامل هو الخليفة عن الشخص^٦ .

-
- ١ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٥٩ وما بعدها) .
 - ٢ العمدة (٢١٦/٢) ، (محمد محيي الدين) .
 - ٣ سورة طه ، الآية ٢٩ ، الفرقان ، الآية ٣٥ .
 - ٤ اللسان (٢٨٣/٥) ، (صادر) ، (وزر) .
 - ٥ تاج العروس (٢٠/٣) ، (أمر) .
 - ٦ اللسان (٤٧٤/١١) ، (عمل) .

وقد استعمل المسلمون لفظة (العامل) وبقوا يستعملونها أمداً . وعين الرسول
 'عمالاً' على الصدقات^١ . واستعملت بمعنى أوسع أيضاً ، شمل الضرائب والإدارة .
 وأطلق (الطبري) لفظة (العامل) على ملوك الحيرة ، فنجد في كتابه جملة :
 (من عمال ..) ، وورد أن (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس ، وكان يحكم
 الحجاز^٢ .

ويذكر علماء اللغة أن (العمالة) : رزق العامل الذي جعل له على ما قلد
 من العمل .

والولاية بمنزلة الإمارة ، والولي هو الذي يتولى إدارة شؤون الولاية^٣ . وقد
 استعملت في الإدارة الإسلامية . واستعملت لفظة (الأمير) في معنى من يتولى
 إمارة الجيش ، ف قيل (امراء الجيش) وهم كبار القادة الذين توكل اليهم مهمة
 تسيير الجيش وإدارته في السلم وفي الحرب .

وتؤدي لفظة (الوكيل) معنى العامل أيضاً . جاء في نص (العامة) (ووكلهن
 فرسولروم) ، أي (ووكل لفارس وللروم)^٤ . ولكنني لا أستطيع أن أجزم
 بأن لفظة (الوكيل) كانت مستعملة اصطلاحاً مقررأ مثل لفظة (عامل) في ذلك
 العهد ، أي سنة (٣٢٨) للميلاد ، وهي سنة تدوين النص .

ومن الدرجات المهمة من الوجهة العسكرية والإدارية (الخفارة) ، بمعنى الحراسة
 والمراقبة . والخفير هو المجير والحارس والحامي والأمان^٥ . وكان ملوك الحيرة قد
 عينوا (الخفراء) على المواضع الحساسة لحمايتها والدفاع عنها . وقد كان الساسانيون
 قد عينوا خفراء منهم ومن العرب لحماية الحدود ، ولما حاصر (خالد بن الوليد)
 (عين التمر) وتغلب عليها قتل (هلال بن عقبة) ، وكان خفيراً بها^٦ .

١ تاج العروس ، (٣٧/٨) ، (ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل) .
 Die Araber, II, S. 318, 321, /56, Annali, I, 833.

٢ اللسان (٤٧٦/١١) (عمل) ، (صادر) .

٣ اللسان (٤٠٧/١٥) ، (ولي) .

٤ J. Cantineau, Le Nabatéen, 2, (1932), 49, Dussaud,

Mission, 314, REP. EPIGR., I, 361, NR. 483, Die Araber, II, S. 313.

اشكر المكتبة القادرية ومتولي الوقف القادري السيد يوسف الكيلاني ، على
 تفضلهما بإعارتي الجزء الثاني من كتاب : Die Araber

٥ تاج العروس (١٨٦/٣) ، (خفر) .

٦ الأخبار الطوال (١١٢) .

وقد أشير إليها في كتب الرسول ، إذ ذكر أنه أخضر (سعي بن العداء الفريحي) أحد المواضع^١ .

ويظهر من أخبار أهل الأخبار أن ملوك الحيرة ، كانوا قد اتخذوا لهم أمناء ، فقد لقب (هانيء بن قبيصة) بـ (أمين النعمان بن المنذر)^٢ . و (الأمين) المؤمن الحافظ ، فعلتهم قصدوا أنه كان المؤمن على أسرارهم والمستشار له ، يستشيره في مسائله والحفاظ لها ، أو أنه كان الأمين على أمواله وما يأتيه من جباية وخراج ، أو الكاتم لأسرارهم والمدون لرسائله ، فهو كاتب الدولة في ذلك العهد . وعرف (قبيصة بن مسعود) بـ (وafd المنذر)^٣ . ويظهر أن المنذر كان يكلفه بالوفادات ، أي بالذهاب موفداً عنه في مهمات وأعمال يحتاج قضاؤها إلى ذهاب موفد ليتكلم عن الملك وباسمه . و (الوafd) هو السابق والارسال ، ويقال : هم على أوفاد أي على سفر . وقد يقال إن (قبيصة) إنما عرف بـ (وafd المنذر) ، لأنه كان ممن يكثر الوفاة عليه ، فيجد له ترحيباً وأبواباً مفتوحة ، فعرف بذلك . فيكون بهذا المعنى من الرجال المقربين إلى الملك . ولا علاقة له بمهمة الإيفاد إلى الملوك وسادات القبائل بمهمات سياسية ، أي بمهمة رسول وسفير . وقد استعمل عرب العراق الألفاظ الفارسية المستعملة في إدارة الحكومة الساسانية لأنها هي المصطلحات الرسمية والألقاب التي يحملها الموظفون وتشير إلى منازلهم ودرجاتهم ، ومنها درجة (قهرمان) (القهرمان) . والكلمة فارسية ، وقد دخلت العربية وعُربت . ذكر علماء اللغة أنها تعني المسيطر الحفيظ على من تحت يديه والقائم بأمر الرجل ومن أمناء الملك وخاصته . وفي الحديث : كتب إلى قهرمانه^٤ . وقد ورد أن (علي بن أبي طالب) قال لدهقان من أهل (عين التمر) ، وكان قد أسلم : « أما جزية رأسك فسنرفعها ، وأما أرضك فللمسلمين . فإن شئت فرضنا لك ، وإن شئت جعلناك قهرماناً لنا »^٥ .

و (دهقان) من الألفاظ التي عرفها عرب العراق كذلك . وذكر بعض علماء

-
- ١ الإصابة (٥١/٢) ، (رقم ٣٢٠٠) .
 - ٢ العمدة ، لابن رشيقي (٢٢١/٢) ، (مفاخرة عند معاوية بين عامري وشيباني) .
 - ٣ العمدة ، لابن رشيقي (٢٢٢/٢) .
 - ٤ اللسان (٤٩٦/١٢) ، (صادر) ، (قهرم) .
 - ٥ الجزية والاسلام ، تأليف دانييل دينيت تعريب الدكتور فوزي فهمي جاد الله (ص ٦٦) .

اللغة ان الدهقان التاجر^١ . ويراد بدهقان حاكم ضيعة أو بلدة . وهي من (ده) بمعنى (ضيعة) و (قان) (خان) بمعنى رئيس قبيلة في الفارسية القديمة^٢ . قالدهقان هو رئيس موضع . وقد كان الساسانيون قد نصبوا الدهقانيين على العراق وعلى قرى غالب أهلها من العرب ، فكانوا يخاطبونهم باسم منصبهم : دهقان . وأشير الى وجود وظيفة (كاتب) عند الفرس ، واجبه تولي أمور المراسلة بالعربية والفارسية فيما بين العرب والفرس . وقد ذكر (الطبري) ان (كسرى) جعل ابن (عدي بن زيد العبادي) في مكان أبيه ، فكان هو الذي يلي ما كتب به الى أرض العرب ، وخاصة الملك ، وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة : مهران أشقران والكمأة الرطبة في حينها واليابسة ، والأقسط والأدم وسائر تجارات العرب ، فكان زيد بن عدي بن زيد يلي ذلك ، وكان هذا عمل عدي^٣ . وقد أشار الى وجود كتاب عند ملوك الحيرة تولوا لهم أمر تدوين المراسلات وما يأمر به الملوك . ولا يعقل ألا يكون لهم ديوان خاص بالمراسلة على نمط ما كان عند الساسانيين ، وظيفته تولي ما يكتب به ملوك الحيرة الى الملوك الساسانيين ، وترجمة ما يرد من الساسانيين اليهم من كتب . وتولي أمور المراسلة بين ملوك الحيرة وبين سادات القبائل . فقد كانت الرسائل تترى بين أولئك الملوك وسادات القبائل ، كما يظهر ذلك من كتب أهل الأخبار .

وكان للملوك خاتم عرف بـ (خاتم الملك) يكون في أيديهم . يظهر أنهم استخدموه للتوقيع على الكتب . وقد عرف بـ (الخاق) كذلك . وعرف (الخلق) بـ (خاتم الملك الذي يكون في يده)^٤ . وكان من شأنهم ، أنهم إذا أمروا بكتابة كتاب ، ختموا عليه بـ (الختام) ، وهو الطين أو الشمع ، حتى لا يفتح ولا يمكن لأحد فتحه ، وإلا كسر الخاتم ، وعرف أن الكتاب قد فتح ، وأن سره عرف^٥ .

والمعروف أن (الشرطة) ، لم تكن معروفة عند الجاهليين، وأنها من المستحدثات

١ اللسان (د / هـ / ق) ، (١٦٤ / ١٣) ، (١٠٧ / ١٠) ، (صادر) .

٢ غرائب اللغة (ص ٢٢٩) .

٣ الطبري (٢٠١ / ٢) ، (ذكر خبر يوم ذي قار) .

٤ وأعطى منا الخلق أبيض ماجد رديف ملوك ما تغب نوافله

تاج العروس (٣٢١ / ٦) ، (خلق) .

٥ تاج العروس (٣٦٦ / ٨) ، (ختم) .

الإدارية التي ظهرت في الإسلام . ولكن أهل الأخبار يروون حديثاً نسبوه الى الرسول هو : (الشرط كلاب النار)^١ . وهو حديث لو صح أنه من قول الرسول ، فإنه يدل على وقوف أهل الحجاز على (الشرطة) ، ويذكر علماء اللغة أن الشرطة سمّوا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها . وذكروا أن واحد الشرط هو الشرطي ، واستدلوا على ذلك بقول الدهناء امرأة العجاج :

والله لولا خشية الأمير وخشية الشرطي والتور
أعوذ بالله وبالأمر من عامل الشرطة والأثرو^٢

وقد ذهب (ابن قتيبة) الى وجود (الشرطة) في أيام الجاهلية ، إذ قال في أثناء حديثه عن المثل (على يدي عدل) : (هو : عدل بن فلان . من سعد العشيرة ، وكان على شرطة تبع ، فإذا غضب على رجل دفعه اليه . فقال الناس لكل شيء يخاف هلاكه . هو على يدي عدل)^٣. واختلف في اسم والده ، فقليل هو جزء (جر) . وقيل لكل ما يش منه : وضع على يدي عدل^٤ .

وقد عرف الحراس في اليمن . منهم من كان يتولى أمر حراسة الملوك ، إذا ذهبوا الى مكان ، أو خرجوا لصيد، ومنهم من كان يتولى أمر حراسة قصورهم، ومنهم من تولى أمر حراسة أبواب المدن والأسوار حتى لا يدخل المدينة عدو ولا يهرب منها سارق أو مجرم ، وكان للملك الحيرة والغساسة وسادات القبائل حراس يسرون معهم لمنع من يريد إلحاق الأذى بهم . وإذا تجولوا استتبعهم الحراس والخدم . وذكر ان (خشرم بن الحباب) كان من حراس الرسول^٥ .

ويقال لمن يطوف بالليل لحراسة الناس (العس) و (العسس) . فهم نوع من أنواع الحرس ، تخصص بالحراسة ليلاً .

وأما (الدراينة) ، فهم البوابون ، أي الذين يقفون على الباب، لمنع الغرباء ومن فيه ريبة من الدخول الى البيوت . واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية،

-
- ١ تاج العروس (١٦٧/٥) ، (شرط) .
 - ٢ تاج العروس (١٦٧/٥) ، (شرط) .
 - ٣ ابن قتيبة ، المعارف (٦١٩) .
 - ٤ تاج العروس (١٠/٨) ، (عدل) .
 - ٥ القسطلاني ، ارشاد (٣٩٩/٢) ، الاشتقاق (٢٧٣) .

وقد ذكرت في شعر نسب الى المثقب العبدى :

فأبقى باطلاي والجدّ منها كدكان الدرابنة المطين^١

ويقال لمن يطوف بالليل لحراسة الناس (العس) و (العسس) ، فهم نوع من أنواع الشرطة ، أو من المحافظين على الأمن ، تخصصوا بالحراسة ليلاً . وذكر علماء اللغة ان من مرادفات (الشرطي) (الجلواز) . و (الجلواز) : الثورور (الثورور) ، وقيل هو الشرطي . وجلوزته : خفته بين يدي العامل في ذهابه وإيابه^٢ . وذكروا ان (الثورور : العوّن يكون مع السلطان بلا رزق ، وقيل : هو الجلواز)^٣ . وذكر (عكرمة) في تفسير (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . (الجلوازة يحفظون الأمراء)^٤ . وقد اتخذ حكام العربية الجنوبية السجون لتأديب خصومهم بسجنهم بها . واستعملت لسجن الخصوم السياسيين والأعداء في الغالب . لذلك كانوا يتشدّدون في حراستها وفي عزلها عن الناس حتى لا يتمكن أحد من الهروب منها . وقد يجعلونها في قلاعهم وحصونهم ، زيادة في الحذر وفي مراقبة المساجين . وقد يتوفى السجين في سجنه من سوء حالة السجن ومن الجوع والعطش . ويقال لحارس السجن (حصق) في اللغة العربية الجنوبية^٥ .

وذكر بعض علماء اللغة ان النبط تسمى (المحبوس) : (المهرزق) ، و (الحبس) (المهرزوقي)^٦ . ولا يستبعد أن يكون عرب العراق قد عرفوا هذا المصطلح . إذ ذكروا ان (المهرزق : المحبوس ، نبطية تكلمت بها العرب ، وكذلك المهرزق) . وان (المهرزق) (الحبس) . وقال بعض العلماء : « المهرزق والمهرزق يقالان معاً . كما وردا في بيت الأعشى :

هنالك ما أنجاه عزة ملكه بساباط حتى مات وهو مهرزق »^٧

-
- ١ تاج العروس (٢٤٩/١) ، (١٩٩/٩) ، (الدرابنة) .
 - ٢ اللسان (٣٢٢/٥) ، (جلز) ، تاج العروس (١٦/٤) ، (جلز) .
 - ٣ قاله لولا خشية الأمير وخشية الشرطي والثورور (الثورور) و (الثورور) ، اللسان (٨٨/٤) .
 - ٤ الديتوري ، عيون الأخبار (٣/١) .
 - ٥ راجع الصفحة (٤٣٦) من كتاب : South Arabian Inscriptions
 - ٦ تاج العروس (٣١٣/٦) ، (حزرقي) ، (٩٦/٧) ، (هزروقي) ، (هزرق) .
 - ٧ تاج العروس (٩٦/٧) ، (هزروقي) ، (هزرق) .

وترد لفظة (عوق) بمعنى المحبوس في النصوص الصفوية^١. وقد كان الروم يقبضون على من يغير على أرضهم من الصفويين وغيرهم ويودعونهم السجون. ومنهم من كان يفر منها، ويكتب ذكرى هروبه من سجن الروم على الحجارة. وقد كان ملوك الحيرة (سجون)، منها سجن (الصنّين) وقد أشير إليه في الشعر الجاهلي^٢. ولا بد أن يكون لهم موظفون أودعوا اليهم مهمة المحافظة على السجون ومراقبة المساجين حتى لا يهربوا، ووكّلوا اليهم أمر تعذيبهم وقتلهم أو سمهم عند صدور أمر الملك بذلك. كما فعلوا بعديّ بن زيد العبادي. ويقال للسجن: الحصر، لأنه يحصر الناس ويمنعهم من الخروج^٣، و (الحبس)^٤. ويقال للذي يتولى أمر القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم، وينقل إلى الملك أحوال الناس (العريف). وكان للملوك (عرفاء)، هم بمثابة عيونهم على القبائل. ويظهر من بعض الأخبار أن العرافة كانت نوعاً من الرئاسة والزعامة والدرجة. فقد ورد في كتب الحديث: أن شيخاً كان صاحب ماء جعل لقومه مئة من الإبل على أن يسلموا، فأسلموا، وقسم الإبل بينهم. وبدا له أن يرتجعها منهم، فأرسل ابنه إلى النبي، وأوصاه بأن يقول له: «أبي شيخ كبير، وهو عريف الماء، وإنه يسألك أن تجعل لي العرافة بعده». فلما قص الخبر على الرسول، قال الرسول له: «إن بدا له أن يسلمها اليهم، فليسلمها، وإن بدا له أن يرتجعها منهم، فهو أحق بها منهم. فإن أسلموا، فلهم إسلامهم، وإن لم يسلموا، قوتلوا على الإسلام». فقال: «إن أبي شيخ كبير، وهو عريف الماء، وإنه يسألك أن تجعل لي العرافة بعده». فقال الرسول: «إن العرافة حق، ولا بد للناس من عرفاء. ولكن العرفاء في النار»^٥.

وورد أن العريف: النقيب، وهو دون الرئيس، وإن عريف القوم سيدهم، والعريف: القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، ولتدبيره أمر تابعيه. وعرفوا (النقيب) بهذا التعريف أيضاً^٦، فقالوا إنه العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم

١ Littmann, Safa, p. 42.

٢ تاج العروس (٢٦١/٩)، (صن) .

٣ تاج العروس (١٤٤/٣)، (حصر) .

٤ اللسان (٤٤/٦)، (حبس) .

٥ اللسان (٢٣٨/٩)، بلوغ الأرب (١٨٦/٢) .

٦ اللسان (ع/ر/ف)، (٢٣٨/٩) .

والمقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم^١ .

و (العريف) من المصطلحات العسكرية أيضاً ، المستعملة في تنظيمات الجيش . وقد أقر الرسول ما كان متبعاً من أمر تقسيم الجيش الى وحدات . فعرف على كل عشرة رجلاً وأمر على الأعشار رجلاً من الناس لهم وسائل في الإسلام . هم العرفاء^٢ .

و (النقيب) ، شاهد القوم ، وهو ضميرهم وعريفهم ورأسهم ، لأنه يفتش أحوالهم ويعرفها . وفي التنزيل : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً »^٣ . ولما بايع الأنصار رسول الله ، جعل عليهم اثني عشر نقيباً ، ليتولوا أمر المسلمين يثرب وليكونوا شهوده عليهم ، وليقوموا بالدعوة فيها الى الاسلام . ويظهر ان لهذه اللفظة صلة بلفظة Nacebus التي وردت في بعض المؤلفات اليونانية في حديثها عن العرب . ونجد في العهد المنسوب الى (خالد بن الوليد) المعطى الى أهل الحيرة والمدون في تأريخ الطبري ، جملة : (وهم نقباء أهل الحيرة) ، وقصد الشارح بها رؤساء الحيرة الذين صالحوا (خالد) على أداء الجزية ، وهم : عدي وعمر بن أبناء عدي بن زيد العبادي ، وعمر بن عبد المسبح : وإياس بن قبيصة وحبري (جبري) بن آكال^٤ .

وفي ورود اللفظة في القرآن الكريم ، واختيار الرسول لنقباء أمرهم على مسلمي يثرب قبل هجرته اليها ، وفي ورودها في عهد (خالد) مع أهل الحيرة ، دلالة على انها كانت شائعة معروفة في الحجاز ، بمعنى رئيس وسيد قوم والمسؤول عن جماعة .

أما (الرائد) ، فهو الذي يتقدم الناس لطلب الماء والكلأ للتزول عليه^٥ . وقد نصب (عمر) (سلمان الفارسي) رائداً وداعية على الجيش الذي أرسله الى العراق^٦ .

١ اللسان (ن / ق / ب) ، (٧٦٩ / ١) .

٢ الطبري (٤٨٨ / ٣) .

٣ المائدة ، سورة رقم ٥ ، الآية ١٢ ، ناج العروس (١ : ٤٩٢) ، (نقب) .

٤ تاريخ الطبري (٣٦٣ / ٣) وما بعدها ، (حديث يوم المرقوم فوات بادقلى) .

٥ بلوغ الأرب (١٨٥ / ٢) ، ناج العروس (٣٥٩ / ٢) ، (راد) .

٦ الطبري (٤٨٩ / ٣) .

ولا بد وان يكون للملوك خزان يتولون خزن أموال الملك والاشراف على مدخولاته ومصروفاته . وكلمة (خزانة) من الألفاظ المعروفة في العربية ^١ . وقد كان الناس يخزنون أموالهم في خزائن . ومنها أوعية يجمعون فيها المال المخزون . وقد كان لهؤلاء الملوك جباة يجبون لهم حقوق الملك على الرعية ، من أعشار التجارة ، ومن غلات الأرض .

وهناك طبقة من السادة كانت لهم منزلة ومكانة في أهلهم ودرجة محترمة عند الملوك ، فقربوهم اليهم وأذنوهم منهم . وقد عرفوا بـ (قرابين الملك) واحدهم قربان . يجلسون مع الملك على سريرته لنفاستهم وجلالتهم ^٢ . وذكر ان (القربان) : جلس الملك الخاص ، أي المختص به . و (قرابين الملك) وزراؤه وجلساؤه وخاصة ^٣ .

وقد عرفنا من كتابات (تدمر) أسماء بعض الوظائف التي كان يتولاها الموظفون في القيام بإدارة الأعمال العامة للمدينة . وقد أشرت إليها في حديثي عن تلك المدينة ، وكانت (تدمر) قد سارت على خطة المدن اليونانية في ادارة شؤونها ، وهي خطة عمل بها الرومان أيضاً مع بعض التغيير الذي يناسب جو (الانباطورية) الرومانية . ويلاحظ ان أهل (تدمر) استعملوا المصطلحات اليونانية أيضاً في تسمية الوظائف .

ويمكن أن نقول إن عرب بلاد الشام كانوا قد ساروا على وفق النظم اليونانية — الرومانية في إدارة الحكم ، لوجود جاليات يونانية كبيرة العدد من مدن الشام وقراها ، ولاتصال عرب هذه الديار باليونان والرومان ، مما جعلهم يختارون نظم اليونان والرومان في إدارة الحكم وفي إدارة الجيش ، ونجد أثر هذا التأثير حتى في لغة أهل الحجاز ، فنجد فيها ألفاظاً عديدة دخلت العربية قبل الإسلام بزمن طویل ، فعربت . وذلك في الأمور التي اختص بها اليونان والرومان ولم تكن معروفة عند العرب .

بطانة الملك :

والبطانة السريرة يسرها الرجل ، والصاحب للسر الذي يشاور في الأحوال .

- ١ تاج العروس (١٩١/٩) ، (خزن) .
- ٢ اللسان (١٠٣/٥) ، (صادر) ، (ردف) .
- ٣ تاج العروس ، (قرب) .

وقد أُشير إليها في الحديث . ويقال لها الوليعة ، وهو الذي يختص بالولوج والاطلاع على باطن الأمر . وذكرت (البطانة) في القرآن . بمعنى مختصين بقوم ، ويستبطن بهم الأمور^١ . فهم النخبة الخاصة التي يركن إليها في السراء والضراء وفي أخذ الرأي .

ول « سقا » الملوك حظوة عند الملوك بحكم قربهم منهم واتصالهم بهم ، ولا سيما وقت شربهم ، ويسمعون من أفواههم وبخاصة في أوقات الشرب أموراً لا يبيحون بها في وقت صحوهم وشعورهم . وقد كانت (السقاية) منزلة رسمية كبيرة عند الفرس والآشوريين والعبرانيين^٢ . وقد استعمل اللخميون والغساسنة السقا ، لإسقائهم الشراب ولإسقاء ضيوفهم أيضاً .

ولا يستبعد وجود (الخصيان) في قصور الملوك والأشراف . فقد كان من عادة الناس في ذلك الوقت استخدامهم في البيوت . فكانوا يدخلون على مخدرات الملوك والسادات ، ويتصلون بهم ، لخدمة البيت . ولهذا لجأ الملوك الى شراء الخصيان ، أو اخضاء مماليكهم حتى يكونوا بمأمن من اتصالهم بالقصر ودخولهم على نساءهم .

ادارة المملكة :

لا نستطيع أن نتكلم بوجه صحيح مضبوط عن كيفية إدارة المملكة عند الجاهليين وعن طرق توزيع الأعمال وتقسيم المملكة الى وحدات إدارية يديرها الموظفون ، وعن أسماء تلك الوحدات . إذ لم يصل أي شيء عن ذلك إلينا في كتابات المسند او الكتابات الجاهلية الأخرى . كما لم يصل إلينا أي شيء عن النظم الإدارية الجاهلية في كتب أهل الأخبار والتواريخ .

وفي كتب اللغة والأدب مصطلحات ذات معان إدارية مثل (الطسوج) و (الكور) وردت فيها عرضاً ، غير أن ما أورده علماء اللغة عنها لا يبين لنا بوضوح استعمالها ولا الأزمنة التي استعملت فيها ، ولا المراد منها . فهم يقولون

١ تاج العروس (١٤١/٩) ، (بطن) .
٢ Hastings, p. 271, Hastings, A Dictionary of the Bible, I. p. 533.

عن (الطسوج) ، الطسوج : الناحية وربع الدائق . وقيل مقدار من الوزن ، وقيل معرب واحد من طساسيج السواد . فتحن إذن أمام معان ثلاثة : هي جزء من دائق أو درهم ، ومقدار من الوزن وجزء من أرض^١ . والمعنى الثالث هو المعنى الملازم لبحثنا ، لأنه يدل على وحدة إدارية ، كانت مستعملة في العراق بتأثير الحكم الفارسي .

وأما (الكور) فجمع (كورة) . قال علماء اللغة إنها المدينة والصقع ، والمخلاف . وهي القرية من قرى اليمن^٢ والكلمة من أصل يوناني، هو (خورة) Khora . بمعنى ناحية من بلد ، أي مصر . ولم يشر علماء اللغة إلى أنها كانت مستعملة في جزيرة العرب . ولعل العربية أخذتها من التقسيمات الإدارية لبلاد الشام . وجاء في أثناء حديث (الطبري) عن فتح (أمغيشيا) وعن سير خالد بن الوليد إليها ، أنها كانت مصرأ كالحيرة^٣ . وورد في كتب اللغة والأخبار أن (عمر) كان قد مصر الأمصار منها البصرة والكوفة . وذكر علماء اللغة أن المصر الحد^٤ . ويظهر من ذلك أن (أمغيشيا) كانت مصرأ ، أي من إمارات الحدود، التي أقيمت على الحدود المغربية للدولة الساسانية لحمايتها من الروم ومن غارات الأعراب وغزوهم . وكان أهلها على النصرانية . وإن لفظة (مصر) كانت تؤدي هذا المعنى عند ظهور الإسلام .

ولا تظهر التقسيمات الإدارية إلا في حكومة كبيرة تحكم مساحة واسعة نوعاً ما . لذا نستطيع أن نتحدث باطمئنان عن وجود تقسيمات إدارية في العربية الجنوبية، لأن حكوماتها كانت قد حكمت أراضي متسعة نوعاً ما ، وجعلت البلاد في حكم موظفين تولوا إدارتها . وقسموها إلى وحدات إدارية . أما في الحجاز ، فلما كان الغالب عليها عند ظهور الإسلام نظام حكم القرى والمدن ، لذلك ، فلا يمكن أن نجد فيه شيئاً من هذا التقسيم . وأما ملوك الحيرة ، فقد عينوا عمالاً على الأقاليم التي حكموها. ولكن أهل الأخبار لم يذكروا شيئاً عن أنواع العمالات وعن درجات حكمائها . لذلك لا نستطيع التحدث عنها بشيء .

-
- ١ تاج العروس (٧٠/٢) ، (الطسوج) .
 - ٢ اللسان (١٥٦/٥) ، (كور) .
 - ٣ تاريخ الطبري (٣٥٨/٣) ، حديث أمغيشيا) ، (مغش) (أمغيشيا) ، تاج العروس (٣٥١/٤) ، (مغش) .
 - ٤ تاج العروس (٥٤٤/٣) ، (مصر) .

ولقد سبق لي أن ذكرت أسماء بعض الوظائف والمناصب في الممالك العربية الجنوبية. فقلت مثلاً إن درجة (كبر) أي (كبير) هي من المناصب العالية عند العرب الجنوبيين ، و (الكبير) هو في مقام (محافظ) و (متصرف) و (عامل) في مصطلحات الدول العربية في يومنا هذا . ولا أستبعد أن تكون تلك الدول قد أطلقت لفظة (كبر) على الوحدة الادارية التي كانت تحت حكم الكبير . و (المخلاف) ، هي الكلمة التي ترد في كتب علماء اللغة والأخبار عن التسميات الادارية الجغرافية لليمن ، إذ يذكرون ان (المخلاف) مثل (الكورة) بالنسبة لأهل اليمن ، وان اليمن كانت مقسمة الى مخاليف^١ . ويعبر عن القرى بالأعراض ، والواحد عرض . جاء في بعض كتب عبد الملك بن مروان لعماله : « وليتك المدينة وأعراضها » ، أي قراها ونواحيها^٢ . وللقري والمدن حدود ومعالم . خارجها ضاحيتها . وأما داخلها فجوفها ، وهو من شعاب ، ومن (ربعات) . والربع و (الربعة) المحلة والشعب وجماعة الناس^٣ . وقد أشير الى (الرابع) في الكتاب الذي أمر الرسول بتدوينه بين (قريش) وأهل يثرب .

ويظهر ان الجاهليين قد عرفوا لفظة (الدسكرة) ، بدليل ورودها في الحديث . وقد ذكر بعض علماء اللغة انها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم . وخصصه بعضهم بالملوك . وقال قوم : القرية^٤ . ويظهر انهم أخذوها من الفارسية ، فهي فيها مدينة وضبعة كبيرة .

و (الضواحي) النواحي ، وضواحي الروم ما ظهر من بلادهم . وضواحي مدينة أو قرية، ما كان خارج السور أو خارج حدود المدينة أو القرية . وضواحي قريش ، النازلون بظواهر مكة ، ولذلك قيل لقريش النازلة بظواهر مكة ، قريش الظواهر . وأهل الضاحية ، أو أهل الضواحي ، هم أهل البادية ، والساكنون على سيف الحضارة وحدودها^٥ . وكانت الحكومات تحسب لهم حساباً ، وتراقب أحوالهم ، خشية مهاجمتهم الخضر .

-
- ١ اللسان (١٥٦/٥) ، (خلف) .
 - ٢ شرح ديوان لبيد (ص ٩٢) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٨/٥) ، (ربع) .
 - ٤ تاج العروس (٢٠٧/٣) ، (دسكرة) .
 - ٥ تاج العروس (٢١٧/١٠) وما بعدها ، (ضحى) ، اللسان (٤٨١/١٤) ، (ضحى) .

موارد الدولة :

ولا بد لكل دولة من موارد تستعين بها في ادارة امورها وفي الانفاق على التابعين لها المكلفين القيام بأعمالها من موظفين ومستخدمين مدنيين وعسكريين ويدخل في هذه الموارد كل ما يحصل عليه الملك أو سيد القبيلة من أرباح ودخل يرد من استغلال الأرض والأموال الخاصة ، ومن الاتجار ، ومن الضرائب التي تفرض على التجار والمواطنين والزراع ، ومن الغنائم ، الى غير ذلك من واردات تجمع وتقدم الى الحكام ملوكاً كانوا أو سادات قبائل أو رؤساء مدن . أضف الى ذلك (الجزية) التي كانت الحكومات تفرضها على من تحاربه أو تغزوه فتتصر عليه ، ثم تسحب من أرضه على ان يدفع (جزية) يقررها المنتصر تناسب مع حال المغلوب .

ولم يكن من المعتاد في تلك الأيام التفريق بين (الخزينة الخاصة) و (الخزينة العامة) ، او بين الوارد الخاص بالملك ، مما يجبي عن أملاكه وعن تجاره وبين الوارد الذي يجب ان يصرف وينفق على الأعمال العامة التي تمس الشعب كله ، مثل انشاء الطرق والحصون وادامة الجيش واغاثة المحتاج وما شابه ذلك ، فإن الحاكم في ذلك الزمن كان يرى ان كل ما يجبي يعود اليه ، لا فرق عنده بين الخزينة الخاصة والخزينة العامة ، وان الاتفاق يتوقف على رأيه ، إن شاء وهب هذا مالاً وأقطع هذا أرضاً ، وان شاء صادر مال شخص وضمه اليه ، ولا حق لأحد ان يعترض عليه . فأموال الدولة هي امواله والخزينة هي خزينته، وهو الذي يأمر بالإنفاق . وما يعطيه للشعراء ثواباً على مدحهم له ، او ما يقدمه من أموال للمنافع العامة وللنفقات الخاصة بالجيش وبمرافق الدولة، يكون كله بأمره وبموافقته ، يتصرف كما يتصرف اي مالك كان بملكه .

وقد اختار الملوك لهم رجالاً وكلوا لهم امر ادارة أملاكهم واستأجرها ، كما وكلوا لآخرين أمر الاتجار بأموالهم ، إذ كان الملوك يتاجرون ايضاً في الداخل وفي الخارج ، كما وكلوا للموظفين امر جباية الضرائب واستحصاها من الزراع ومن التجار، فكانوا يذهبون الى المزارع لتقدير حصص الحكومة كما كانوا يتفنون في الأسواق لأخذ العشر من المبيعات . وهناك موظفون يقيمون عند الحدود وعند ملتقى الطرق لأخذ حق المرور من القوافل .

وقد وجدت بعض الحكومات مثل حكومة (رومة) ان طريقة تعيين الجباية لجباية الضرائب ، هي طريقة تكلف الدولة اموالاً تزيد على الأموال التي تردّها من الجباية ، لأن الجباية كانوا يسرقون اموال الجباية ، ويسيثون الاستعمال ، وان الشدة معهم لم تنفع شيئاً ، لذلك عمدت الى وضع الجباية في (المزايدة العلنية) بأن يعلن عنها ، فيتقدم من يرغب في أخذها ، فيزيد على غيره ممن ينافسه ، وهكذا حتى ترسو على آخر المترايدين ، فيتولى هو جمع الجباية عن طريق تعيينه موظفين يقومون بجباية الضرائب المقررة ، فيقدم هو للحكومة المبلغ الذي رسا عليه ، ويأخذ الفضل لنفسه . وقد تألفت في (رومة) شركات كبيرة خصصت نفسها بأمور جباية الضرائب من المقاطعات الواسعة التابعة لانيباطورية (رومة) وكانت تتزايد فيما بينها حينما تعرض الحكومة جباية الضرائب في (المزاد) .

وقد فعلت هذه الشركات كل ما أمكنها فعله لجمع أكثر ما يمكن جمعه من أموال من المكلفين لتغطية مبلغ التعهد الذي أعطته للحكومة وللحصول على أرباح مفرطة لها ، بأن أرهقت كاهل المكلف بأخذ أضعاف ما حدد من مقدار الضريبة ، ولم تنفع الرقابة الحكومية التي وضعتها الحكومة على هذه الشركات وعلى الجباية ، ذلك لأن (الحكام) حكام الولايات ومن ييدهم أمر الرقابة المالية ومن كان ييسده أمر النظر في عرض الجباية على المترايدين كانوا مرتشين ، فكانوا يغضون الطرف عن تعسف الجباة ولا ينصفون المشتكين من الناس منهم . وقد ضج الناس من أصحاب المكس ، وأشير الى ظلمهم في الإنجيل ، وعدّوا من أصحاب الإثم أهل الخطيئة Sinners فكانوا من المبغضين^١ . وقد ندد بهم وبظلمهم في كتب الحديث . وقد عين (الأباطرة) أحياناً عمالاً procurator على المقاطعات للإشراف على جمع الجباية ، وعينوا موظفين في الموانئ والثغور لجباية الضرائب عن الأموال المصدرة التي تصدر الى الخارج ، وعن الأموال التي تستورد الى الانباطورية ، ومن التجار الرومان ، أو التجار الأجانب .

وقد وردت في النصوص العربية الجنوبية مصطلحات لها علاقة بالضرائب وبالأرباح ، منها مصطلح (نعمت) ، أي (نعمة) ، وتعني هنا ما أنعم به على الانسان ، أي ما يحصل عليه من السوق ، وما يربحه من تجارته . فهي

بمعنى الربح . والحكومة او القبيلة او لأصحاب السوق حق أخذ نصيب مقرر من هذه (النعم) ، اي الأرباح . ويعبر عن النصيب الذي تأخذه الحكومة من الأرباح بـ (زعرتم) (زعرت) (زعرة) ، من أصل (زعر) . وتعني (زعر) قلّ وتفرّق^١ ، فكأن العرب الجنوبيين عبّروا عن نصيب الحكومة بهذه اللفظة ، لأن ما يدفع للحكومة هو مما يقلل من المبلغ ويصغره ، فالربح إذن هو (نعمتم) ، (نعمة) ، (نعمت) ، وهو كل ربح يصيب أحداً . وأما ما يؤخذ عن الأرباح ويدفع للحكومة : فهو (زعرتم) (زعرت) (زعرة)^٢ ، أي ضريبة .

وترد لفظة (همد) بمعنى الضريبة في العرييات الجنوبية ، أي ما يفرز ويعطى للحكومة أو للمعبد او للسادات سادات القبائل والأرضين التي يهيمنون عليها . و (الحميد) في عربية القرآن الكريم (المال المكتوب عليك في الديوان) و (المال المكتوب على الرجل في الديوان) فيقال : هاتوا صدقته ، وقد ذهب المال و (الصدقة)^٣ . وهذا التفسير قريب من المعنى المقصود من اللفظة في العرييات الجنوبية .

وقد أخذت حكومات العريية الجنوبية بطريقة تعيين موظفين خاصين بجمع الضرائب وبالإشراف على الجباة وعلى كيفية الجباة ، كما أخذت بطريقة ابداع الجباة الى الإقطاعيين وسادات القبائل ، فهم الذين يجمعون الحقوق من أتباعهم ، ويقدمونها الى الحكومة . وذلك بالالتزام . وللحكومة موظفون واجبههم التحقق من أن هؤلاء الملتزمين لا يأكلون حق الحكومة ، ويأخذون من أموال الجباة النصيب الأكبر ، ولا يقدمون للدولة الا شيئاً قليلاً من استحقاقها .

وفي كل الحالات المذكورة كان المكلف يرهق بدفع الضرائب ارهاقاً ، ويجبر على دفع ضرائب تزيد على طاقته خاصة ، وقد كانت الضرائب متنوعة عديدة . ضرائب للحكومة ، وضرائب للمعبد ، وضرائب للسيد صاحب الأرض أو سيد القبيلة ، ثم عليه السخرة أي العمل الإجباري دون مقابل وعليه الانخراط في سلك

١ تاج العروس (٢٣٧/٣) ، (ز/ع/ر) .

٢ REP. EPIGR. 4337, Jastrow, A Dictionary of the Targum, p. 407, (1886).

٣ تاج العروس (٥٤٧/٢) ، اللسان (٤٣٧/٣) ، (همد) ،

REP. EPIGR. 4337, p. 203.

المحاربين حين الطلب ، فأثر كل ذلك في الوضع الاقتصادي ، وفي المجتمع العام تأثيراً كبيراً ، ونهك السواد الأعظم من الناس ، مما جعلهم يتذمرون من الحكام والحكومة والسادات، ولا يؤدون ما عليهم من واجبات وخدمات عامة المكرهين. ولعل هذا الارهاق الذي نزل بالرعية في دفع الضرائب ، هو الذي حملها على اطلاق (الآكل) و (الآكال) و (آكال الملوك) و (مآكل الملوك) على ما يجعله الملوك مأكلة لهم ، لأنهم جعلوا أموال الرعية لهم مأكلة ، واما (المأكول)، فهو الرعية ، لأن الملوك تأكل أموالهم^١. فالملوك تأخذ ولا تعطي ، والرعية تعطي ولا تأخذ ولا تستفيد مما تدفعه لملوكها من ضرائب أية فائدة .

والضريبة في تعريف علماء اللغة : ما تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها ، مثل ما يؤديه العبد الى سيده من الخراج المقرر عليه، ومن الضرائب : ضرائب الأرضين وهي ضرائب الخراج عليها ، وضرائب الإتاوة التي تؤخذ من الناس^٢ . وعرف علماء اللغة الإتاوة : أنها الرشوة والخراج ، وقال بعضهم : كل ما أخذ بكره ، أو قسم على موضع الجباية وغيرها ، فهو اتاوة . وفي ذلك قال (حُنيّ بن جابر التغلبي) :

فقي كل أسواق العراق إتاوة^٣ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم^٤

وذكر (ابن فارس) أن (الإتاوة) من الألفاظ التي زالت بزوال معانيها ، فهجرت لذلك^٥ .

ويقال للإتاوة : الأريان . والاريان بمعنى الخراج أيضاً^٥ . وقد ذكرت اللفظة في شعر (الحيقطان) ، شاعر الهلالية، وكان قد قال قصيدة يرد فيها على الشاعر (جرير) ، فهجا بها قريشاً ، وكان مما قال فيها :

وقلم لقاح لا تؤدى إتاوة فاعطاء اريان من القر^٦ أيسر^٦

-
- | | |
|---|---|
| ١ | اللسان (٢١/١١) ، (صادر) ، (اكل) . |
| ٢ | اللسان (٥٥٠/١) ، (ضرب) ، تاج العروس (٣٤٩/١) ، (ضرب) . |
| ٣ | اللسان (١٧/١٤) ، (اتى) . |
| ٤ | الصاحبي (ص ٩٠) . |
| ٥ | اللسان (٣١/١٤) ، (أري) |
| ٦ | فخر السودان من رسائل الجاحظ (١٨٤/١ وما بعدها) . |

فقال : قلم إنا لقاح ولسنا نؤدي الخراج والاريان، فإعطاء الخراج ، أهون من الفرار واسلام الدار للأحاييش ، وأنتم مثل عدد من جاءكم المزارع الكثيرة^١ . ويقصدون باللقاح الحي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصيبهم في الجاهلية سباً^٢ . والإتاوة في الأصل الجباية عامة ، أي جباية كل شيء . وهي كلمة عامة تشمل أخذ كل عطاء ، أي كل ما يؤخذ طوعاً أو كرهاً عن شيء ، فتشمل الخراج والجزية والجباية والرشوة ، وما يفرض تعتاً وزوراً ، والمكوس. والخراج اِتاوة . يقال أدى اِتاوة أرضه ، أي خراجها ، والجباية اِتاوة . يقال ضربت عليهم الاِتاوة ، أي الجباية ، وهي بمعنى الرشوة . يقال شكّم فاه بالِاِتاوة ، أي الرشوة . وتدخل فيها الرشوة على الماء . وجاء في قول الجعدي :

موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطناً يسألون الاِتاويا
أي هم خديم يسألون الخراج^٣ .

وقد ذكر (الجاحظ) الإتاوة في جملة ما ترك الناس في الاسلام من ألقاظ الجاهلية ، إذ تركوها ، وأحلوا لفظة (الخراج) محلها^٤ . وكانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية شيئاً . كانت تأخذ بعض ثيابه أو بعض بدنته التي ينحر ، إتاوة . ولما خرج (ظويلم) الملقب بـ (مانع الحريم) في الجاهلية يريد الحج ، فقتل على المغيرة بن عبد الله المخزومي ، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل عليها في الجاهلية ، امتنع عليه (ظويلم) وقال :

يا رب هل عندك من غيره إن مني مانعه المغيرة
ومانع بعد مني ثبيره ومانعي ربّي أن أزوره

وذلك سُمّي (الحريم) . وظويلم الذي منع (عمرو بن صرمة) الإتاوة التي كان يأخذها من غطفان^٥ .

١ المصدر نفسه (١٨٧) .

٢ أنشد ابن الأعرابي :

أبوادين الملوك ، فهم لقاح
اللسان (٥٨٣/٢) ، (لقيح) .

٣ تاج العروس (٧/١٠) ، (أتو) .

٤ الحيوان (٣٢٧/١) ، (هارون) .

٥ الاشتقاق (١٧١ وما بعدها) .

ويعبر في عربية القرآن الكريم عن الشيء الذي يخرج القوم في السنة من ما لهم بقدر معلوم بـ (الخرج) وبـ (الخراج) ، فهو إتاوة تؤخذ من أموال الناس^١ . و (الخرج) كما يقول علماء اللغة أعم من الخراج ، وجعل الخرج بإزاء الدخل . والخراج مختص في الغالب بالضريبة على الأرض . وقيل : العبد يؤدي خرجه ، أي غلته ، والرعية تؤدي إلى الأمير الخراج^٢ . وقد خصصت لفظة (الخراج) في الاسلام بما وضع على رقاب الأرض ، وخصصت الجزية بما يدفع عن الرأس . و (الخرج) بما يدفعه الرقيق إلى سيده وماله عن خراجه^٣ . وقيل : هو الأجرة ، وإن الخرج من الرقاب ، والخراج من الأرض . وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر في الملك والحكم^٤ .

ويقابل (الخراج) بالمصطلح الاسلامي لفظة Phoros في اليونانية ، فهي ضريبة الأرض عند اليونان^٥ . وقد كان البيزنطيون قد فرضوا (الخراج) على غلة الأرض يدفعها كل من خضع لهم . وكان يدفعها عرب الشام لهم أيضاً ، لأنهم كانوا في حكمهم . وأما عرب العراق ، فقد دفعوا (الخراج) إلى الفرس^٦ . ويقال للخراج (خرجا) في لغة بني إرم ، ووردت في (التلمود) بلفظ : (خرجه) و (خرجا) . وهي عند الساسانيين خراج الأرض ، أي الضريبة الخاصة بحاصل الأرض . ولكن الفرس القدماء لم يكونوا في القديم يفرقون بين الخراج والجزية ، أي ضريبة الرأس ، بل كانوا يطلقونها على الضريبتين . وقد وردت لفظة (خرجا) في التلمود بمعنى ضريبة الرأس^٧ . وأطلق (التلمود) على ضريبة الأرض اسم (طسقه) (طسقا) Taska

- ١ اللسان (٢٥١/٢) ، القاموس للفيروزابادي (١٨٤/١) ، تابع العروس (٢٨/٢) ، (خرج) .
- ٢ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ١٤٥) .
- ٣ اللسان (٢٥١/٢) ، القاموس (١٨٤/١) ، الطبرسي ، مجمع (٤٩٢/٦) وما بعدها ، تفسير الطبري (١٧/١٦) ، البيضاوي (٢٩٧) ، الكشف (٢٧١/٢) ، ٣٦٦ ، روح المعاني (٣٧/١٦) ، (٤٨/١٨) ، الاحكام السلطانية (ص ١٤٢ ، ١٤٦ وما بعدها) ، كتاب الخراج ، لابي يوسف (ص ٣٩) ، النهاية ، لابن الاثير (١٩٠/١) .
- ٤ الاحكام السلطانية (١٤٦ وما بعدها) .
- ٥ Hastings, p. 948.
- ٦ دائرة المعارف الاسلامية (٢٨٠/٨) ، (الخراج) .
- ٧ J. Obermyer, Die Landschaft Babylonien, S. 221.

(ط س ق) . وهي بهذا المعنى عند الفرس^١ . وقد أخذ العبرانيون اللفظة من الفرس . وقد كتب (عمر) الى (عثمان بن حنيف) في رجلين من أهل الذمة أسماً : (إرفع الجزية عن رؤوسها ، وخذ الطسق من أرضيهما) . وعرف علماء العربية (الطسق) بأنه شبه الخراج ، له مقدار معلوم ، وما يوضع من الوظيفة على الجريان من الخراج المقرر على الأرض . وقد ذكروا أن اللفظة فارسية معربة^٢ .

وقد وردت لفظة (الخرج) و (الخراج) في القرآن الكريم^٣ ، مما يدل على أن اللفظتين كانتا معروفين عند أهل الحجاز قبل نزول الوحي على الرسول ، وأنهما كانتا من الألفاظ المستعملة عندهم في الأمور المالية المتعلقة بدفع الضرائب إلى الحكومات وإلى ذوي السلطان . ويرى بعض المستشرقين أن الجاهليين أخذوا اللفظة من (بني لرم) ، وأنهم وقفوا على (خرجة) ، (خرج) و (خرجا) ، وحولوها إلى (خرج) و (خراج) .

ولما فتح المسلمون العراق والشام ، أبقوا النظم المالية والإدارية على ما كانت عليه في أول الأمر ، لأنها نظم قديمة ، لم يكن من السهل تغييرها وتبديلها ، فكان (الخراج) في جملة ما أبقى من النظم المالية . وقد دفع عيناً أي غلة ، فكان محتسب الخراج ، يذهب إلى القرى عند دنو أجل دفع الخراج ، فيأخذه من المزارعين عيناً ، كأن يدفع بُراً أو شعيراً ، أو مالاً ، أي تقدماً بالدنانير أو الدراهم . ثم غلب الدفع تقدماً على الدفع عيناً ، وصار هذا النقد مورداً مهماً من موارد بيت المال^٤ .

والجزية من الألفاظ المستعملة عند الجاهليين كذلك ، بدليل ورودها في القرآن الكريم^٥ . وقد خصصت في الإسلام بما يؤخذ من أهل الذمة على رقابهم^٦ .

١ J. Obermyer, Die Landschaft, S. 221-222, Baba M. 73b.

٢ اللسان (ط / س / ق) ، (٢٢٥ / ١٠) ، غرائب اللغة (٢٣٨) .

٣ سورة المؤمنون ، الآية ٧٢ ، سورة الكهف ، آية ٩٣ ، كتاب الخراج ، لابن يوسف (٣٩) .

٤ دائرة المعارف الإسلامية (٢٨٠ / ٨) .

٥ التوبة ، الآية ٢٨ وما بعدها .

٦ المفردات للأصفهاني (ص ٩١) ، اللسان (١٤٦ / ١٤) وما بعدها ، القاموس

(٣١٢ / ٤) (دار المأمون) ، تاج العروس (٧٣ / ١٠) ، دائرة المعارف الإسلامية

(٤٥٤ / ٦) ، الكشف (٣٥ / ٢) ، الطبري (٢١ / ١٠) ، روح المعاني (٧٠ / ١٠) ،

تفسير البضاوي (١٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٣٧) .

وقد كان الجاهليون يأخذون الجزية من المغلوبين ، وكانت عندهم الضريبة التي تؤخذ عن رؤوس المغلوبين ، يدفعونها الى الغالب . فدفعتها القبائل المغلوبة للقبائل الغالبة ، على أساس الرؤوس .

والظاهر أن المسلمين في صدر الاسلام لم يكونوا يفرقون بين الخراج والجزية ، فقد استعملوا الخراج عن الرؤوس وعن الأرض ، كما استعملوا لفظة (الجزية) بمعنى خراج الأرض^١ ، ورد في الحديث : « من أخذ أرضاً بجزيتها »^٢ .

وأشار الطبري الى أن (المثنى) ، وضع على أهل الحيرة بعد كفرهم وارتدادهم (أربعمائة ألف سوى الحرزة)^٣ . ويذكر علماء اللغة أن (الحرزة) خيار المال لأن صاحبها يحرزها ويصونها . والحرائر من الإبل التي لا تباع نقاسة بها^٤ . وجعلها بعضهم (الحرزة) . وقالوا انها نوع من جزية الرؤوس ، كانت معروفة في زمن الأكاسرة ، يؤديها كل من لم يدخل في جند الحكومة^٥ .

و (المكس) ، دراهم تؤخذ من بائع السلع في أسواق الجاهلية . ويقال للجابي المكس : صاحب المكس ، والمالكس والمكّاس^٦ . والمكس الجباية . و (الماكس) الذي يتولى المكس . قال العبدى^٧ في الجارود :

أيا ابن الملعى خلطنا أم حسبتنا صراري نعطي الماكسين مكوسا^٨

وكان (الماكس) ، ويقال له العشّار ، يشتط في كثير من الأحيان ، ويظلم الناس في الجباية ، إذ يزيد عليهم في المقدار ، فكانوا لذلك مكروهين ، حتى لقد ورد في الحديث : « لا يدخل صاحب مكس الجنة »^٩ . وقد أشير الى المكس والى الإتاوة التي تؤخذ من أسواق العراق في شعر (جابر ابن سُحَيِّ) :

- ١ (والجزية : خراج الاض) اللسان (١٤ / ١٤٦ وما بعدها) (جزى) ، دائرة المعارف الاسلامية (٨ / ٢٨٠) ، تاج العروس (١٠ / ٧٣) ، (جزى) ، النهاية (١ / ١٩٠) .
- ٢ اللسان (١٤ / ١٤٦) ، النهاية (١ / ١٩٠) تاج العروس (١٠ / ٧٣) ، (جزى) .
- ٣ الطبري (٣ / ٣٦٤) .
- ٤ تاج العروس (٤ / ٢٤) ، (حرز) .
- ٥ الطبري (٣ / ٣٦٤) ، ملحوظة (٦) ، الوثائق السياسية (٤٢٢) .
- ٦ تاج العروس (٤ / ٢٤٩) ، (مكس) ، الصاحبى (ص ٩٠) ، المخصص (١٢ / ٢٥٣) .
- ٧ الحيوان (١ / ٣٢٧) ، (هارون) .
- ٨ اللسان (٦ / ٢٢٠) ، (مكس) ، الصحاح (١ / ٤٧٧) .

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس^١ درهم^٢

فإن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر ، وفي أسواقهم ،
المكس ، وكانوا يظلمونهم في ذلك . ولذلك قال جابر بن حني^٣ ، وهو يشكو
ذاك في الجاهلية ويتوعد ، وهو قوله :

ألا تستحي منّا ملوك وتنتي محارمنا لا يسوو الدم بالدم
وفي كسل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم^٤

ولهذا زعم الأعراب أن الله لم يدع ماكساً إلا أنزل به بليّة ، وأنه مسح
منهم اثنين ضيعاً وذنباً . فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا ، وإن اختلفا في سوى ذلك.
فن ولدهما السمع والحسبار . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

مَسَحَ الماكسين ضيعاً وذنباً فلهذا تناجلا أم عمرو

وضريبة (العشر) هي ضريبة معروفة بين الجاهليين ، فقد كانت الحكومات
تتقاضى عشر ما يحصل عليه التاجر من ربح في البيع والشراء ، وكان المتولون
أموال الأسواق يتقاضون العشر كذلك . وقد أشير إليها في كتابة قتبانية ، حيث
كانت حكومة قتبان تتقاضى هذه الضريبة من المتعاملين في البيع والشراء، إذ كانت
تأخذ عشر الأموال^٥ ، وتوسعت في ذلك حتى عمت هذه الضريبة على كل ربح
أو وارد يصيبه الرجل سواء أكان ذلك من البيع والشراء أم من الإجازة والإرث^٦.

وقد كانت هذه الضريبة مقررة في كل جزيرة العرب وفي خارجها، ففي كل
سوق من الأسواق عشارون يجبون العشر ممن يبيع ويشترى، بأمر المشرف على السوق
ومن في أرضه تقام ، ويقدم ما يجمع إليه . ومن أخذ العشر من التاجر ، قيل

١ الحيوان (٣٢٧/١) ، (هارون) .

وفي كل أسواق العراق اتامة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

الحيوان (١٤٨/٦) ، (هارون) .

٢ الحيوان (١٤٨/٦ وما بعدها) ، (هارون) .

٣ Glaser 1601, Rhodokanakis, Kat. Texte, I, S. 7.

٤ Glaser 1601, Rhodokanakis, Kat. Texte, I, S. 7.

لجايه : العشار والمعاشر ، وهو الذي يعشر الناس^١ .

وقد كان التجار العرب الذين يقصدون بلاد الشام للتجار في أسواقها يدفعون العشر الى العشارين ، فقهي (بَصْرِي) وغزّة ، وهما أشهر الأسواق في تلك البلاد بالنسبة الى العرب ، كان تجار العرب يؤدون ضريبة العشر الى الجباة الذين عينهم الروم ، كذلك كان يعشر أصحاب الأسواق من يفد عليها من التجار .

ويؤخذ العشر عيناً أو نقداً بحسب الثمن . ولما كان النقد قليلاً إذ ذاك كان الدفع عيناً هو الغالب في أداء هذه الضريبة . وقد أبطل الاسلام هذه الضريبة ، وعدّها من سيئاء أهل الجاهلية ، وجعل رفعها من التخفيف الذي جاء به دين الله . وقد ذكر المحدثون أحاديث في إبطالها وفي ذم من يعشر الناس . بل ورد في بعضها جواز قتل العشار^٢ . ويظهر ان أهل الجاهلية كانوا يشتطون في أخذها ويسرفون في ظلم التجار وأصحاب السوق في أخذها ، فذموا العشار وهجوه . ودعوا عليه . وقد ذكر بعض أهل الأخبار ان (سهيلاً) كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً ، فسخره الله كوكباً^٣ .

وكان مما يفعله العشارون وضع (المآصر) على مفترقات وملتقيات الطرق وعلى المواضع المهمة من الأنهار ليؤصروا السابلة وأصحاب السفن ، ولتؤخذ منهم العشور^٤ .

وقد عرف من كان يقوم بالتقدير والحرص بـ (الحازر) و (الحارص) . لأنه كان يحزر المسال ويقدر ما يجب أخذه منه ومن غلة الزرع بالحدس والتقدير . وكان الحازر يشتد في أخذ الحزرة ويتعسف على الناس . وقد نهى النبي عن ذلك والحازر مثل العشار والحارص من المكروهين عند الجاهليين^٥ . و (الحارص) المقدر والمختمن ، ومنه حرص النخل والتمر ، لأن الحارص ، إنما هو تقدير بطن لا احاطة . وما يدفع عن الأرض والنخل الحارص . يقال : كم حرص أرضك ،

-
- ١ تاج العروس (٤٠٠/٣) ، اللسان (٥٦٧/٤) ، النهاية (١١٠/٣) ، القاموس (٨٩/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٤٠٠/٣) ، (عشر) ، اللسان (٥٦٧/٤) ، (عشر) ، النهاية (١١٠/٣) ، القاموس (٨٩/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٣٨٤/٧) ، (سهل) .
 - ٤ اللسان (٢٤/٤) ، (أصر) .
 - ٥ تاج العروس (١٣٨/٣) ، (حزر) .

وكم خرص نخلك ، وفاعل ذلك الخارص . وكان النبي يبعث الخراص لخرص
فخيل خيبر عند ادراك ثمرها ، فيحزرونه رطباً كذا وثراً كذا^١ .
وكان أهل الحجاز وبقية جزيرة العرب ، يدفعون العشر عن غلات أرضهم .
فلما جاء الاسلام ، أقر ذلك ، وجعل أرض العرب أرض عشر . ولم يدخلها
الخلفاء في أرض الخراج^٢ .

ويعبر عن الضريبة التي تقابل ضريبة (الكمارك) في مصطلحنا، بلفظة Telos،
وبـ Telonion عن (الكمرك) ، أي الموضع الذي تؤخذ به الضرائب (الكمركية)
من التجار^٣ . وكان الرومان واليونان قد أقاموا (كمارك) على حدودهم مع البلاد
العربية وضعوا فيها جباة لجباية العرب القادمين من جزيرة العرب للتجار .

ولما كان من الصعب على الروم جباية العشور والحقوق الأخرى من العرب ،
وكلوا أمر الجباية الى سادات القبائل والأمراء في الغالب ، ممن يعتمدون عليهم
ومن لهم قبيلة قوية تخشاهم القبائل الأخرى ، وقد كان أمد هذا الايكال يتوقف
على أهمية الشخص ومكانته ومنزلة قبيلته ، فإذا مات وترك خلفاً ضعيفاً، أو فقدت
قبيلته سلطانها ، حتى طمعت فيها قبائل أخرى أقوى منها ، ووجدوا ألا أمل لهم
في هذا الشخص ، فإنهم يبنونونه ويعطون الجباية الى شخص آخر . وقد كان
(سلامة بن روح بن زباع الجذامي) ، أحد من أولى اليهم الروم العشور ،
وقد هجاه (حسان بن ثابت) فوصفه بأنه (دمية) في لوح باب ، وانه بشس
الخفير ، وانه غادر خداع ، ولا يتفك أي جذامي يغدر ويخدع ما دام (ابن
روح) حياً^٤ .

وقد أقر العشر في الاسلام ، ولكن بأسلوب آخر ، فأخذ من (خنعم) ،
كما أخذ من أهل (دومة الجندل) . وأخذ أيضاً من حير ، فقد جاء في كتاب
الرسول الى رؤسائهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل
ذي رعين ومعافر وهمدان : (وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول
وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار ، عشر ما سقت العين

١ تاج العروس (٢٨٥ / ٤) ، (خرص) .

٢ الخراج (٥٨) ، النهاية (١٩٠ / ١) .

٣ Hastings, p. 948.

٤ البرقوقي (ص ٢١٩) .

وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب^١ نصف العشر . وإن في الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ...^٢ . وعقد مثل ذلك مع بني الحارث بن كعب^٣ .

والكلام على العشر في الاسلام ، وعلى الأرضين التي كانت تدفع العشر ، يخرجنا من بحثنا هذا ، وللفقهاء كلام طويل مسهب في هذا الموضوع ، فعلى كتب الخراج مثل كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي ، وكتب الفقه والأحكام أحيل القارئ الراغب في الوقوف على العشر في الاسلام .

والعشر من الضرائب القديمة المعروفة عند الشعوب القديمة من ساميين وغيرهم ، وتكاد تكون من أقدم الضرائب المعروفة في التاريخ ، وهي (اشرو) Ish-ru - u في النصوص الآشورية^٤ و (معشير) Ma'asher في العبرانية^٥ . وقد كان الآشوريون يتقاضون العشر من التمر والحبوب عيناً ، كما كانوا يتقاضونه ذهباً^٦ .

وقد كانت معظم الشعوب الهندو جرمانية والسامية وغيرها تعشر أموالها : تعشر الماشية ، والأثمار ، وكل ما تملكه وما تغنمه في الحرب ، وتخصمه باسم آلهتها . فالعشر زكاة قديمة أدتها الشعوب الى آلهتها تقريباً اليها وتطهيراً لأموالها ، فهي من أقدم الضرائب عند الانسان^٧ .

وقد خصص العشر بـ (يهوه) إله اسرائيل وحده ، يجمعها اللاويون باسمه ، ولكننا نجد أن العبرانيين دفعوا العشر في بعض الأحيان الى الملوك كذلك^٨ .

ويمكن رد الأسباب التي دعت العبرانيين الى تخصيص العشر بالله (يهوه) الى اعتقاد العبرانيين أن الله هو مالك كل شيء ، وأن الأرض والعالم كله له ، وأنه

-
- ١ الغرب : الدلو .
 - ٢ ابن هشام (٢٣٦/٤) : (قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم) .
 - ٣ ابن هشام (٢٤٠/٤) : (اسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار اليهم) .
 - ٤ Shrader, Keilinschrift Bibliothek, IV, 192, 205.
 - ٥ Shrader, Keilinschrift. Bibliothek, IV, 102, 205.
 - ٦ التكوين : الاصحاح الرابع عشر ، الآية ٢٠ ، الاصحاح ٢٨ اذية ٢٢ .
 - ٧ Hastings, p. 940.
 - ٨ قاموس الكتاب المقدس (١٠٣/٢) ، Hastings, p. 940.

مانح الخصب والحياة ، وأنه الكائن الأعلى ، ولهذا خصصوا عشر ما ينتجه العبراني لله ، ثم لسبب آخر نشأ فيما بعد ، هو تقرب العبرانيين إلى إلههم بهذا العشر ، عبادة له وتقرباً إليه . وذلك كما يفهم من الآيات الواردة عن العشر في التوراة^١ .

وتدفع القبائل الضعيفة إتاوة إلى القبائل الكبيرة أو إلى الملوك ، تكون بمثابة حق الحماية والاعتراف بالسيادة . ولهذا كانت القبائل التي لا تدفع إتاوة تتباهى وتفتخر لأن ذلك يدل على عزتها ومنعتها ويقال : إن الأوس والخزرج ابني قيلة ، لم يؤدوا إتاوة قسط في الجاهلية إلى أحد من الملوك . فلما كتب إليهم تبع يدعوهم إلى طاعته ويتوعدهم ، لم يجيبوه ، وتحارب معهم ، ثم ارتحل عنهم^٢ . وكانت للغطاريف على دوس إتاوة يأخذونها كل ستة ، حتى إن الرجل منهم كان يأتي بيت الدوسي ، فيضع سهمه أو نعله على الباب ثم يدخل^٣ .

ويقال للقوم الذين قهروا على أمرهم ، واضطروا إلى أداء ضريبة لمن قهرهم ، (النخعة) ، وصاروا (نخعة) له^٤ .

ولا بد لي من الإشارة هنا إلى جباية كانت الحكومات تأخذها عيناً عن الحبوب والزراعة ، للإنتفاع منها على إعاشة الجيش . وقد عرفت بـ (ساولت) ، (ساولت) . ذكرت في النصوص السبئية والفتبانية . فهي ضريبة عينية تؤخذ من الزراعة ، يجيئها موظفون يعرفون بـ (ساولت)^٥ ، فهم جماع هذه الضريبة.

وكان ملوك الجاهلية قد وضعوا (الوضائع) على رعيتهم ، من الزكوات والمغنم في الحروب ، يستأثرون به . وقد أشير إليها في الحديث . ورد في حديث (طهفة بن زهير النهدي) ، أن الرسول قال : « لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك . أي ما وضع عليهم في ملكهم من الزكوات . أي لكم الوظائف التي نوظفها على المسلمين لا نزيد عليكم فيها شيئاً . وقيل معناه : ما كان من ملوك الجاهلية يوظفون على رعيتهم ويستأثرون به في الحروب وغيرها من المغنم . أي

Hastings, p. 940. ١

العقد الفريد (١٩٢/٢) وما بعدها) . ٢

الآغانى (٥٣/١٢) . ٣

اللسان (ن/خ/خ) ، (٦٠/٣) . ٤

Handbuch, I. S. 128. ٥

لا نأخذ منكم ما كان ملوككم وظفوه^١ عليكم ، بل هو لكم^١ .
 والوضائع : أثقال القوم . وأما الوضائع الذين وضعهم كسرى ، فهم شبه
 الرهائن ، كان يرتبهم وينزلهم بعض بلاده . وقيل : الوضائع قوم كان كسرى
 ينقلهم من أرضهم فيسكنهم أرضاً أخرى ، حتى يصيروا بها وضعية أبداً . وهم
 الشحن والمسالخ^٢ .

والودائع : العهود والمواثيق . ويحتمل أن تكون كل ما يستودع من رهائن ،
 من مال وبنين ، ليكون رهينة على الوفاء بالعهد والموعد^٣ .
 وذكر (الجاحظ) أن في جملة ما ترك من ألفاظ الجاهلية التي لها صلة بالجبابة
 والمال (الحُمْلان) ، ويراد بها الرشوة وما يؤخذ للسلطان^٤ . والحُمْلان ما يحمل
 على الشيء من أجر ، و (الحِمالة) الدية أو الغرامة التي يحملها قوم عن قوم^٥ .
 ويظهر من شعر العبدى^٦ :

أيا ابن الملقى خلطنا أم حسبنا صراري نعطي الماكسين^٧ مُكوسا
 أن أصحاب السفن وهم (الصراريون) ، كانوا يعطون المكس عن البضائع
 التي تحملها سفنهم ، حين وصولها إلى الموانئ^٨ .

الأشناق والأوقاص :

ودفع الجاهليون ضرائب أخرى ، منها : (الأشناق) و (الأوقاص) . وقد
 خص بعض العلماء (الأشناق) بالإبل : فإذا كانت من البقر ، فهي (الأوقاص)^٩ .
 وقد تحدث العلماء عن حدود الأشناق والأوقاص في الإسلام . وفي كتب الفقه
 أبواب خاصة بهما .

- ١ تاج العروس (٥ / ٥٤٥) ، (وضع) ، (ومنه كتاب النبي ، صلى الله عليه وسلم :
 لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع المال) ، تاج العروس (٥ / ٥٣٥) ، (ودع) .
- ٢ تاج العروس (٥ / ٥٤٥) ، (وضع) .
- ٣ تاج العروس (٥ / ٥٣٥) ، (ودع) .
- ٤ الحيوان (١ / ٣٢٧) ، (هارون) .
- ٥ تاج العروس (٧ / ٢٨٩) وما بعدها ، (حمل) .
- ٦ الحيوان (١ / ٣٢٧) ، (هارون) ، تاج العروس (٣ / ٣٣٠) وما بعدها ، (صرد) .
- ٧ تاج العروس (٤ / ٤٤٦) ، (وقص) ، (٦ / ٤٠٠) وما بعدها ، (شفق) .

وكان منهم من تحايل في سبيل التخلص من أداء ما عليه من الأشناق والأوقاص .
وقد كتب الرسول الى (وائل بن حجر) : لا خلط ، ولا وراط ، ولا شناق ، ولا شغار . وعيّن الرسول الحدود فيها . والوراط : الخديعة والغش^١ .

وليس في استطاعتنا تعيين الضرائب المجبأة ، وتحديدتها تحديداً مضبوطاً ، فقد كانت تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة . ثم إن العادة أن تؤخذ الضريبة من القبيلة او العشيرة مجتمعة ، أي ان رئيس القبيلة او العشيرة هو الذي يتولى تقديم ما على القبيلة من ضرائب الى الحكومة ، ويختلف ذلك أيضاً بحسب صلة الرئيس بالحكومة ، وبحسب قوته ومركزه السياسي لدى المسؤولين . والرئيس هو الذي يعين نصيب أفراد القبيلة من الضرائب ، وذلك بعد اتفاه مع الحكومة على ما هو مفروض على القبيلة دفعه لها ، وبعد موافقة مجلس القبيلة على ما فرض على القبيلة دفعه الى الحكومة .

هذه هي الضرائب التي كانت تدفع عن التعامل والإتجار . وهناك ضرائب أخرى أوجب دفعها الى سادات القبائل في مقابل حماية القوافل وضمان مرور التجارة في أرضهم بأمان وسلام ، وهي ضرائب حق المرور . وإلا تعرضت التجارة للنهب والسلب ، وتعرض أصحاب القافلة للخطر والهلاك . ولحماية التجارة يتفق التجار عادة مع سادات القبائل التي تمر القوافل في أرضهم على دفع جعالة في مقابل تقديم الحماية لها والمحافظة على سلامتها ، وبذلك تمر بأمن وسلام .

وفي (قتيان) نجد نفوذ المعبد على الأهليين كبيراً . وللمعبد أرضون واسعة تدرّ عليه دخلاً كبيراً ، وله ضرائب تبلغ عشر الدخل والميراث والمشتريات . بالإضافة الى النذور والعطايا التي يتبرع بها الأغنياء له . وقد حفظت النصوص القتيانية وثائق عديدة تتعلق بما كان يتقاضاه المعبد من الناس من زكاة وأموال تركية لأعمالهم ولأنفسهم ، باسم الآلهة التي لها سلطان كبير على الناس .

ولما كانت النقود قليلة إذ ذاك ، كان دفع الضرائب عيناً في الغالب . ويعبر عن ذلك بـ (دعم) . أما إذا كان الدفع نقداً ، فيعبر عن ذلك بـ (ورقم) . أي (ورق) .

١ تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) ، (٢٣٧/٥) ، (ورط) .

وقد كانت الحكومة تضع يدها على المحصول أحياناً أو على البضاعة المهربة أو البضاعة التي يمتنع أصحابها عن دفع الضريبة عنها ويعبر عن ذلك بـ (رزم) .

تقدير الغلات الزراعية :

وكان تقدير حصة الحكومة من الغلات الزراعية ، بواسطة خبراء الحكومة وموظفيها المسؤولين عن جمع الضرائب ، وذلك لأنهم كانوا يذهبون الى المزارع والبساتين لإبان إدراك النبات وقبل حصاده أو جنيته ، ثم يَحْمَنُونَه ويقدرُون مقدار ما يجب دفعه للحكومة . وطالما أدت هذه الطريقة الى الأضرار بالفلاح ، إذ يجوز أن يتعرض الزرع لآفات زراعية والتلف والضرر ، فيقل الحاصل كثيراً ، ولا يستطيع تحمل دفع ما قدر عليه ، ولكن جباة الضرائب يأخذون حصة الحكومة منه كما قدروها دون نقص ، فإذا امتنع المكلف ، أخذ حاصله حتى يستوفى منه ما قدره عليه .

ولم يكن من حق الفلاح حصاد زرعه وحمله الى مخزنه أو جني ثمر زرعه ونقله الى الأسواق والتصرف به ما لم يره جباة الضرائب لأخذ حصة الحكومة العينية . وقد استتبع هذا النظام تعيين عدد كبير من جباة الضرائب ، وإنشاء مخازن لنقل حصص الحكومة اليها . وتستهلك الحكومة جزءاً من هذا الحاصل ، وتدفع قسماً منه الى موظفيها فالمدفعون لهم ، هو مرتباتهم وأجر عملهم . أما الباقي فيباع في الأسواق ، أو يُصدَّر لبيعه في البلدان الخارجية ، ولا سيما الحاصل المهم الثمين. ويتقاضى المعبد في (معين) جملة ضرائب من الرؤساء وسائر الناس . لكل ضريبة اسم ، مثل (كبودت) و (اكرب) و (عشر) و (فرع) . وبعض هذه الضرائب تجبي عن حاصل الأرض وغلتها ، وبعضها عن التجارة والأعمال الأخرى مثل الصناعات . ولم يشترط دفعها كلها عيناً أو نقداً ، بل كانت تدفع عملاً أحياناً ، أي أن المكلفين بدفع الضرائب وجمعها من أتباعهم يقدمون الفعلة والصناع وعمال البناء أحياناً الى الحكومة ، او الى المعبد ، للقيام بالأشغال العامة بالمجان بدلاً من تقديم الضرائب نقداً أو عيناً . وذلك متى وافق المعبد على ذلك واعتبر الآلة راضية عن انشاء ذلك العمل^١ .

Rhodokanakis, Stud., II, 58, f.

وكانت الحكومات العربية الجنوبية تتقاضى ضرائب عن المغازل ودور النسيج .
ويظهر ان أهل الحجاز كانوا يعرفون هذه الضريبة أيضاً . وقد ورد ان الرسول
فرض في كتاب لقوم من اليهود ربع المغزل ، أي ربع ما غزل^١ .

الركاز :

أغلب العلماء في الاسلام ان الركاز دفن اهل الجاهلية ، أي الكثر الجاهلي .
وقال بعض الفقهاء الركاز المعادن كلها . فن استخرج منها شيئاً فلمستخرجها
أربعة أخماسه وليت المال الخمس . وكذلك المال العادي يوجد مدفوناً ، هو مثل
المعدن سواء ، فحكم الركاز تأدية خمسة لبيت المال^٢ . أما بالنسبة الى الجاهليين ،
فلا توجد عندنا نصوص جاهلية في بيان نصيب الحكومات منه . ويظهر من مطالبة
سادات أهل مكة (عبد المطلب) بنصيبهم من الكثر الذي عثر عليه عند حفرة
بئر زمزم ، ان حجتهم في المطالبة لم تكن تستند على قانون سابق ، بل ارتكزت
على ان الكثر لم يعثر عليه في أرض ملك ، رقيتها لعبد المطلب ، حتى يستأثر به ،
وانما عثر عليه في أرض مقلصة مشاعة ، تخص البيت الحرام واهل مكة كلهم ،
لذلك وجب إشراك غيره به ومعنى هذا ان من يعثر على كثر في ملك له ، يكون
من حقه ونصيبه ، لا تشاركه قريش فيه . وقد وجد (عبدالله بن جدعان)
كثراً ، سبق ان أشرت اليه ، فلم يعط سادة قريش منه شيئاً ، وكان من عادة
اهل مكة نبش المواضع العادية بحثاً عن الكنوز ، ولم نجد في الأخبار المروية عن
ذلك ما يفيد بمشاطرة قريش لمن يعثر على كثر ، بمعنى ان من يستخرج شيئاً من
الدفائن يكون ما يستخرجه من نصيبه ، لا تأخذ مكة منه نصيباً . وكيف تتمكن
من ذلك ، لأن من يعثر على كثر لا يظهره للناس ، خشية اغتصابهم له . وان
من شاهد أحداً يستخرج كثراً استعمل حق القوة في الاستحواذ عليه أو على
نصيب منه .

١ تاج العروس (٤٢/٨) ، (غزل) .
٢ تاج العروس (٣٩/٤) ، (ركز) ، صحيح البخاري (١٥٩/٢ وما بعدها) ، (باب
الركاز) ، شرح اللمعة الدمشقية ، للشهيد العاملي (١٥/١ وما بعدها) .
اللسان (صق) ، (١٩٦/١٠ وما بعدها) .

النذور والصدقات :

وما تحدث عنه هو الضرائب المفروضة التي يجب على من تشمله دفعها . أما النذور والصدقات ، فهي هبة يقدمها المتمكن طوعاً للتقرب الى آلهته أو شعوراً بمسؤولية أدبية يقتضيه واجب المروءة تجاه الضعفاء . والصدقة : ما تصدقت به على الفقراء وقد أشير اليها في القرآن الكريم . وقد تؤدي معنى (الزكاة) . ووردت في معنى (المهر) أيضاً اي الصداق الذي يقدم الى المرأة^١ . ويظهر أن الجاهليين كانوا يستعملونها في معنى التصدق على المحتاج والسائل .

وأما الزكاة ، فهي ما يخرج من المال لتطهيره ، فهي تركيبة اختيارية للمال وطهارة له . وقد جعلها الاسلام فريضة على المسلم المتمكن بحسب الأنصبة المقررة في الشرع . وهي (زكوتو) Zakutu عند البابليين . وقد نص عليها في العهد القديم^٢ . وهي أن يقدم أصحاب الزرع من أول ثمرهم الى الكاهن ليقدمه الى الرب ، وأن يسمح للفقراء بالتقاط ما يجذونه على الأرض مهملاً من بقايا الزرع ، وأن يعطى الكهنة واليتامى والفقراء والغرباء والأرامل والمحتاجين عشر محاصيل الأرض . وقد كثرت الإشارة اليها في العهد الجديد^٣ .

وإذا اعتدنا العشر الذي كان يقدمه العرب الجنوبيون الى المعبد من حاصل عملهم ، لصرفه على المعبد وفي الأعمال الخيرية زكاة ، ففي استطاعتنا أن نقول إنها كانت مفروضة على المتمكن فرضاً ، أي على نحو ما نجده في الاسلام . غير أن من الجاهليين من كان يقدم زكاة المال من ماشية وإبل وزرع طوعاً واختياراً تقريباً الى الآلهة ، يقدمها الى المعابد تخصيصاً باسم الأصنام . ومن هذا القبيل السائبة والحامي الوصيلة ونحو ذلك ، مما خصصه الجاهليون لأنفسهم تطوعاً ، وذلك تركيبة لأموالهم وأملاً في نماء أموالهم الجديدة وحدث البركة فيها .

السخرة :

وكان من حق الدولة وسادات الأرض والقبائل تسخير الناس في الأعمال التي

١ اللسان (صدق) ، (١٠ / ١٩٦ وما بعدها) .

٢ Reallexikon der Assyriologie, I, Band, I. Lieferung, S. 7.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣ / ٢) .

يريدون القيام بها بلا عوض ولا أجر ولا دفع مقابل عن العمل الذي يؤمرون القيام به . ونظام السخرة شائع معروف عند جميع الأمم . وقد كان معمولاً به عند بعض الشعوب الى عهد قريب. فكان من حق الحكومة إكراه أتباعها وأخذهم بالقوة وسوقهم للقيام بأداء اي عمل تريده . وفي ضمن ذلك المباني العامة والقصور. وبها تم انشاء معظم المباني الفخمة مثل الأهرام والمعابد ، حيث لا يكلف العمل بهذه الطريقة الحكومة كثيراً ، فالعمال مسخرون لا يدفع لهم شيء ، وعليهم أداء عملهم بسرعة وحمل أكثر مما يمكن حمله ، وإلا انتهالت عليهم سياط المراقبين .

ويدخل في هذه السخرة ، السخرة العسكرية ، أي القبض على أي شخص عند الحاجة وسوقه الى القتال ، وذلك من غير مقابل أيضاً . وقد كابد سواد الناس منها عنتاً شديداً لفقرهم ولعدم وجود شيء عندهم تعتمد أسرهم عليه في معيشتها اذا غاب المعيل أو مات ، ولهذا لم يحارب المحاربون إلا قسراً وخشية ورهبة ، وكانوا يهربون من هذه (السخرة) بالرغم مما قد يتعرض له المحارب من عقوبة شديدة قد تصل الى القتل .

واجبات الدولة :

واجبات الدولة كثيرة ، فإن عليها ان تحفظ الأمن في الداخل، وتحمي الحدود من مهاجمة الأعداء لها ، وتصد كل غزو يقع عليها ، وعليها ان تحقق العدالة، وتفتص من الجناة وتعاقب المجرمين ، وعليها أن تقيم الأبنية العامة وتفتح الطرق، الى غير ذلك من الواجبات التي نعرفها عن الغاية من نشوء الحكومات .

ونحن لا نستطيع ان نتحدث في الزمن الحاضر عن جهاز حفظ الأمن الداخلي، اي جهاز (الشرطة) الذي تناط به مهمة القبض على المجرمين وتعقب اللصوص والقتلة وما الى ذلك من شؤون لعدم ورود شيء عن هذا الموضوع في الكتابات . ولكننا لا نستطيع نفي وجود علم للجاهليين الحضر بالشرطة . فلا بد وان يكون لهم علم بأجهزة الأمن المخصصة بالقبض على المجرمين وتعقب آثارهم ، أي الشرطة . وقد كان لهم اتصال بالعراق وبلاد الشام . ويظهر من كتب اللغة ان لفظة (الشرطي) و (شرطة) كانت معروفة بين الناس . عند ظهور الاسلام . (وفي حديث ابن مسعود : وتشرط شرطة للموت لا يرجعون إلا

غالين . وهم أول طائفة من الجيش تشهد الواقعة ، وقيل : بل صاحب الشرطة في حرب بعينها ^١ .

وقد كان للملك الحيرة سجون يسجون بها من يتجاسر عليهم ومن يخالف أمرهم ويعارضهم ويخرج على العرف . ومن سجونهم (الصنّين) . وفيه سجن (عدي بن زيد العبادي) . وقد ذكر انه كان موضعاً بظاهر الكوفة ^٢ . وذكر بعضهم انه بلد ، ذكره الشاعر بقوله :

لبتَ شعري ! متى تحبّ بي النا قة بين العذّيب فالصنّين

ولم يعين موضعه ^٣ . ويظهر انه لم يكن بعيداً عن الحيرة . ولعله كان حصناً حصيناً منعزلاً عن الناس ، به حرس كثيرون يحرسونه ، لهذا اتخذ سجناً ومحبساً . ويظهر من شعر لعدي بن زيد العبادي ، ان ملك الحيرة ، كانوا قد نظموا لهم حرماً يحرسونه ويحرسون مؤسسات الحكومة المهمة مثل (السجون)، والأشخاص المسؤولين عن الأمن والأخبار ، ليرسلوا ما قد يحدث من أمور الى الملك والحكام .

وقد عرف (العسس) عند الجاهليين أيضاً ، وهم المسؤولون عن حفظ الناس من أهل الرية والكشف عنهم . والعسس : نفّض الليل عن أهل الرية . وكان الخليفة (عمر) يعس بالمدينة ، أي يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الرية ^٤ .

البريد :

وقد عرف (البريد) بين الجاهليين . ويذكر علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأن أصلها (بريده دم) ، أي محذوف الذنب ، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سُمي الرسول الذي يركبه

١ اللسان ٣٣٠/٤ ، (صادر) ، شرط) .

٢ الإغاني (١١٥/٢) .

٣ اللسان (صنن) ، (٢٥٠/١٣) .

٤ اللسان (١٣٩/٦) ، (عسس) ، تاج العروس (١٩٠/٤) ، (عس) .

بريداً ، والمسافة التي بين السكتين بريداً . والسكة موضع كان يسكنه (الفَيُوج) المرتبون من بيت أو قبة أو رباط ، وكان يرتب في كل سكة بغال ، وبعد ما بين السكتين فرسخان ، وقيل أربعة ^١ . فالبريد إذن بمعنى رسول، وموضع البريد، والشيء الذي يرسل مع البريد ، أي الرسول حامل البريد ، ودابة البريد . قال الشاعر :

لاني أنص العيس حتى كأني عليها بأجواز الفلاة ، بريدًا ^٢

ومن أعمال صاحب البريد إرسال الأخبار الى من عينهم في هذا المنصب، فهم موظفون مخبرون ، من أعمالهم اطلاع كبار الموظفين والأمراء والملوك على الأحوال العامة للمكان الذي يقع في ضمن عملهم واختصاصهم ، وأخبار الجهات المسؤولة عن الأعمال المشبوهة التي قد تدبر ضد الدولة ، وعن تصرفات كبار الموظفين ، خشية انفرادهم في الحكم واعلانهم العصيان على الدولة .

ونسب (الجاحظ) الى (امرئ القيس) قوله :

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريد
إذا ما ازدحنا على سكة سبقت القرائق سيقاً بعيداً ^٣

وقد نسب غيره الى (امرئ القيس) أيضاً قوله :

على كل مقصوص الذنابي معاودٍ بريد الشرى بالليل ، من خيل بربرا ^٤

ومعنى هذا ، إن صح بالطبع أن الشعر المذكور هو لامرئ القيس حقاً ، أنه عرف البريد واستعمله ، وقد رأى خيل البريد . وهي تقص ذنابها ليكون ذلك علامة على أنها من خيل البريد .

وقد أشير الى البريد في الحديث : جاء « لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة

-
- ١ اللسان (٨٦/٣ وما بعدها) ، (صادر) ، (برد)
 - ٢ اللسان (٨٦/٣) ، (صادر) ، (برد)
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٧) ، ديوان امرئ القيس (٢٦٢) ، كتاب البغال ، من رسائل الجاحظ (٢٧٥/٢ ، ٢٩١)
 - ٤ الكامل ، للمبرد (٢٨٦/١) ، اللسان (٨٦/٣) ، (صادر) (برد)

برد ، ، وهي ستة عشر فرسخاً ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع . وورد في الحديث أيضاً « لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد » ، اي لا احبس الرسل الواردين علي^١ . وورد إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم . وعرفت الطرق التي يسير بها رسل البريد بـ (سكك البريد) . كل سكة منها اثني عشر ميلاً^٢ .

وقد أشير الى البريد في شعر ينسب الى (ورقة بن نوفل) ، يقال انه قاله حينما مات (عثمان بن الحويرث) عند (ابن جفنة الغساني) ، فاتهمت بنتو أسد (ابن جفنة) بقتله^٣ . وعرف (أبو قيس) بـ (راكب البريد)^٤ .

وتحدث (الجاحظ) عن (البريد) في أيام الساسانيين ، فقال : « وكانت البرد منظومة الى كسرى ، من أقصى بلاد اليمن الى بابه ، أيام وهرز ، وأيام قتل مسروق عظيم الحبشة »^٥ . (وكذلك كانت برد كسرى الى الحيرة : الى النعمان والى آبائه . وكذلك كانت برده الى البحرين : الى المكعب مرزبان الزارة ، والى مشكاب ، والى المنذر بن ساوى ، وكذلك كانت برده الى عمان ، والى الجلندي بن المستكبر . فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين ببرده ، إلا ما كان من ناحية الشام ؛ فإن تلك الناحية من مملكة خثعم وغسان الروم ، إلا أيام غلبت فارس على الروم ، ولذلك صرنا نرى النواويس بالشامات الى القسطنطينية .

وهل كانت برد كسرى الى وهرز ، وبازام ، وفيروز بن الديلمي والى اليمن ، والى المكعب مرزبان الزارة ، والى النعمان بالحيرة ، إلا البغال ؟ وهل وجدوا شيئاً لذلك أصلح منها)^٦ .

فالبغال هي وسيلة نقل البريد في ذلك الوقت . تتوقف في محطات البريد لتبديل البغال التعبية ببغال أخرى ، وليبديل حملة البريد كذلك . وهكذا الى آخر محطة . فهي سكك تمتد مسافات طويلة . ولما كان من الصعب على البغل اختراق الصحارى

١ اللسان (٨٦/٣) ، (صادر) ، (برد) .

٢ اللسان (٨٦/٣) .

٣ ركب البريد مخاطراً عن نفسه ميت المظنة للبريد المقصد

نسب قريش (٢١٠) .

نسب قريش (٢٦١)

٥ من رسائل الجاحظ ، كتاب البغال (٢٩٠/٢) .

٦ من رسائل الجاحظ ، كتاب البغال (٢٩١/٢) وما بعدها .

ذات الرمال البعيدة الغور والتي تقل فيها المياه ، لزم أن تكون طريق البريد ممتدة في الأرضين التي يكثر وجود الماء فيها ، وتتوفر فيها الآبار ، وفي مواضع مأمونة قليلة الرمال .

ويظهر أن الجاهليين قد أخذوا نظم يريداهم من الفرس ، وأن ملوك الحيرة وغيرهم استخدموها في إدارتهم لدولتهم ، بدليل ما يذكره علماء اللغة من أن لفظة (البريد) كلمة فارسية عربت فصارت على هذا النحو . وأصلها (بريداهم) ، أي مخدوف الذنب ، لأن بغال البريد كانت مخدوفة الأذنان كالعلامة لها ، فأعربت وخففت ، ثم سُمِّيَ الرسول الذي يركبه بريداً . والمسافة التي بين السكتين بريداً ، والسكة موضع كان يسكنه الفيوج المرتبون من بيت أو قبة أو رباط ، وكان يرتب في كل سكة بغال ، وبعد ما بين السكتين فرسخان ، وقيل أربعة^١ ولعل ما ورد في شعر امرئ القيس من (على كل مقصوص الذنابي) ، إشارة إلى تفسير كلمة (بريداهم) .

وقد ذكر علماء اللغة أن (الفيح) رسول السلطان على رجله ، فارسي معرب . وقيل هو السدي يسعى بالكتب . والجمع (فيوج) . وأشاروا إلى ورودها في شعر لعدي بن زيد ، زعموا أنه قاله هو :

أم كيف جزت فيوجاً، حولهم حرس^{*} ومريضاً ، يابه بالشك صرّار ؟

قيل : الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون يحرسون^٢ .

ويظهر أنهم فرّقوا هنا بين (البريد) ، أي الرسول الراكب ، الذي ينقل البريد إلى مسافات ، وبين (الفيح) الرسول الذي يسير على رجله ، وهو لا يمكن بالطبع أن يقطع أميالاً كثيرة . فهو بريد محلي ، ينقل الأخبار إلى مسافات غير بعيدة . وقد يكون مخبراً ، ينقل ما يحدث ويقع بسرعة إلى المراجع العالية . فالفيوج ، لصوص الأخبار ويريد ما سار ينقل الكتب إلى الجهات المختصة في الوقت نفسه . ويظهر من شعر (عدي) المذكور ، أن (الفيوج) كانوا يقفون للناس بالمرصاد ، يراقبون الحركات ويدرسون السككات حولهم حرس متبّه ،

١ اللسان (٨٦/٣) ، (برد) ، ناج العروس (٢٩٨/٢) .

٢ اللسان (٣٥٠/٢) ، (فيح) .

يحرصونهم من احتمال محاولة أعداء الحكومة إيقاع أي أذى بهم ، أو الدخول أو الخروج الى الأماكن الحساسة التي كانوا يلزمونها ، ويسترقون أخبارها وأخبار من يدخل ويخرج منها .

وأما الأبنية العامة، مثل المباني الحكومية ، فقد كانت الحكومات العربية الجنوية تقوم مستقلة بإنشائها ، وتنفق عليها أموالها ومن مواردها الخاصة . وتقوم بإنشائها بالاتفاق مع السلطات الدينية في أحيان أخرى . بأن تسهم تلك السلطات في تحمل نفقات البناء كلها أو جزء منها وقد يكون ذلك في مقابل نزول الحكومة عن بعض الحقوق الى المعبد . وقد تقوم الحكومة بإنشائها بالاتفاق مع كبار الممولين، أصحاب الأرض والثراء .

وتقوم المدن والقبائل والحكومات بالاستدانة من أموال المعبد ومن الضرائب التي تدفع اليها ، للاتفاق منها على إقامة الأبنية العامة والمشروعات الأخرى ، على أن تعاد تلك الديون الى المعبد . ولم ترد في الكتابات اشارات الى موقف المعابد من هذه الديون : أكانت تتقاضى أرباحاً عليها أي ربا ، أم كانت تعطىها قرضاً حسناً من غير فائض . ويعبر عن ضرائب المعبد التي تجبي من الناس بلفظة (كبودت) . وأما الدين ، فيعبر عنه بـ (دينم) (دين) كذلك ، كما جاء في هذه الجملة : (بكبودت دين عشر)^١ ، أي (بالضرائب التي دأبناها أقرضها الإله عشر) .

حماية الحدود :

ومن واجبات الدولة تثبيت حدودها والمحافظة عليها من كل اعتداء ، وذلك بمراقبة الحدود ووضع حاميات عسكرية عليها ، من (مسالح) و (مناظر) وبناء قلاع في الثغور لحمايتها من المغيرين وصددهم . وتبنى هذه التحصينات في الخطوط الأمامية وعلى مبعدة من الأماكن الكبيرة المأهولة حتى يكون في وسعها صد المغيرين ، أو وقفهم حتى تأتي نجيدات كبيرة من الجيوش لمحاربة الغزاة ، ويكون في وسع أهل القرى والمدن الهرب بأنفسهم وأموالهم الى مواضع آمنة .

Glaser 1150, Halevy 192, Rhodokanakis, Stud. Lex., II. S. 54.

و (المسالحي) مواضع المخافة . والمسليحة كالشعر والمرقب يكون فيها أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غرة ، فإذا رآوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له . ومسليحة الجندي خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق ، ويتجسسون خبر العدو ويعلمون علمهم ، لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلادهم . وذكر انه كان أدنى مسالحي فارس الى العرب (العديب)^١ . فالمساليح اذن ، هي الخطوط الأمامية من خطوط الدفاع عن بلدا ، وتقاط الأمان فيها ، ومحل جمع المعلومات عن تحركات ونيات العدو . بها حاميات مقيمة وظيفتها الأولى الاستطلاع واخبار الجيش بقدوم عدو ما ، ومشاغلة الى وصول القوات المدافعة الكبيرة .

و (المنظرة) (موضع الريئة) وهي المراقبة ، وتكون في مواضع مشرفة مثل رأس تل أو جبل يبنى عليه بناء يجعل فيه رقباء ينظرون العدو ويحرسونه ، ليتوقوا غدره وشره . فإذا أراد الغارة ، أرسلت (النظرية) (النظرية) رسالة تحذير للتهيو لصد العدو . والظاهر ان اتخاذ المناظر في المواضع العالية المشرفة ، هو الذي جعل علماء اللغة يفسرون المناظر بأنها أشراف الأرض لأنه ينظر منها^٢ . و (المراقب) و (المراقبة) الموضع المشرف ، يرتفع عليه الرقيب ، و (الرقيب) الحارس الحافظ ، و (رقيب القوم) : حارسهم ، وهو الذي يشرف على مراقبة ليحرسهم . وذكر علماء اللغة ان المراقبة هي النظر في رأس جبل أو حصن^٣ ، فهي في المعاني المتقدمة .

و (الثغر) الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين الحكومتين . وهو موضع المخافة من أطراف البلاد . و (الثغرة) : الثلثة ، وكل فرجة في جبل أو بطن أو طريق مسلوكة . ويظهر من هذا التعريف ان الثغور هي المواضع الخطيرة من الحدود ، لأنها تكون بمثابة الفرجة أو الثلثة فيها يتسنى للعدو منها التسلل بسهولة الى أرض عدوه ، ولهذا يجب حراستها والعناية بها ، بوضع حاميات بها لتشغل العدو ولتصد من الولوج اليها .

-
- ١ اللسان (٤٨٧/٢) ، (سلع) ، تاج العروس (١٦٥/٢) ، (سلع) ، مقدمة الصحاح (٣٧٥/١) ، محيط المحيط (٩٧٧/١) وما بعدها .
 - ٢ اللسان (ن/ظ/ر) ، (٢١٨/٥) .
 - ٣ اللسان (ر/ق/ب) ، (٤٢٥/١) .
 - ٤ اللسان (ت/غ/ر) ، (١٠٣/٤) .

وقد أقام الفرس والروم (مناظر) على حدودهم ، على أبعاد لا يكون ما بينها بعيداً حتى يكون في وسع حماة (المناظر) أن يتعاونوا ، ويقدموا العون للمنظرة التي تهدد بالخطر . وأقام الروم (طرقاً) ممهدة بين هذه المناظر ، ليسهل على القوات السير عليها بسرعة لنجدة المناظر وحماية الحدود .

وتلجأ الحكومات الى اقامة استحكامات أخرى لوقاية الحدود من مهاجمة عدو لها ، مثل اقامة الخنادق في بعض المواضع الخطيرة المهددة من الحدود لمنع المغيرين من عبورها ، كالذي يذكره أهل الأخبار عن (خندق سابور) الذي أقامه لمنع الأعراب من العبور بقصد الغزو ، ومثل اقامة بعض الحواجز والأسوار في الممرات والأودية ، وربايا في المواضع المشرقة ، لمراقبة حركات الأعداء وصدهم من المرور من هذه الأماكن .

ضرب النقود :

ذكرت فيما سلف أن ملوك العرب الجنوبيين ، ضربوا النقود ، وأن في المتاحف وفي الخزائن الخاصة ببعض الناس نقوداً تعود الى أولئك الملوك . أما بالنسبة الى الأماكن الأخرى مثل مكة أو يثرب ، فإننا لا نستطيع ان نتحدث بأي شيء عن ضرب النقود عندهم ، لعدم عثور العلماء على نقد ضرب في هذه الأماكن، ولعدم ورود إشارة الى وجود ذلك في موارد أهل الأخبار . والذي يستخلص من هذه الموارد ان أهل تلك المواضع ، كانوا يتعاملون بعملة الروم والفرس . وهي الدنانير والدراهم . كما سأتحدث عن ذلك في الموضع المناسب عندما سأتحدث عن الأحوال الاقتصادية . ولم أجد في روايات أهل الأخبار ما يشير الى تعامل أهل مكة أو يثرب بنقود حبشية او بنقود ضربت في العربية الجنوبية ، ولم أجد فيها ولا في كتب السير والتواريخ أن المسلمين ضربوا النقد في أيام الرسول .

ولم أسمع بضرب ملوك الحيرة او الغساسنة للنقود ، ولم يعثر الباحثون - كما أعلم - على نقد ضرب في عهود هؤلاء الملوك . والظاهر أنهم كانوا يتعاملون بالعملات الفارسية والرومية . وربما كان الفرس والروم قد منعوا أولئك الملوك من ضرب النقود ، لبواعث سياسية واقتصادية . ولكني لا أريد ان أجزم بأن (آل لحم) و (آل غسان) لم يضربوا النقد بتاتاً ، استناداً الى عدم وصول

نقد ضرب في أيامهم الينا حتى هذه الأيام ، أو الى عدم اشارة أهل الأخبار الى وجوده عندهم ، فقد يعثر في المستقبل على نقود تعود الى أيامهم ، هي الآن في مخابئها ، مدفونة تحت الأتربة . ثم إن أهل الأخبار لم يتحدثوا عن كل شيء ، حتى نتخذ سكوتهم عن ضرب ملوك الحيرة والغساسنة للنقود حجة على عدم وجود ضرب السكة عندهم .

والسكة : حديدة منقوشة كتب عليها يضرب عليها الدراهم^١ . والضرب الطبع ، يقال : ضرب الدرهم ، أي طبعه ، على سبيل المجاز . و « اضرب ، بمعنى سأل ان يضرب له . وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم ، اضرب خاتماً من حديد . أي سأل ان يضرب له ويصاغ^٢ . والنقد تمييز الدراهم واخراج الزيف منها^٣ . وأما الطبع فالسك . يقال طبع السكك الدرهم أي سكه^٤ . وهناك مصطلحات أخرى لها صلة بالنقد ، ترد في كتب الحديث واللغة يظهر منها ، أنه قد كان للجاهليين ولأهل مكة بصورة خاصة وقوف على النقد ، وانهم كانوا يتعاملون بها ، ولهم علم بكيفية صنعها .

قواعد السلوك :

وللجاهليين آداب اصطلاحوا عليها بالنسبة لتعاملهم مع الملوك وسادات القبائل ، فن قواعدهم المقررة : ان الملوك لا تجز نواصيها^٥ . وذلك لأن جزّ النواصي بالنسبة للعرب تعبير عن الازدراء بالشخص الذي جزّت ناصيته ، ولما كان للملوك حرمة ، فلا تجزّ نواصيهم ، ولا تجزّ نواصي سادات القبائل كذلك . وقد حدث ان جزّت نواصي بعض الملوك ، أو اخوتهم ، أو أبنائهم ، أو سادات القبائل ، إلا ان هذا العمل هو عمل شاذ ، لا يقدم عليه ، إلا لأن العداوة بين الملك وبين من قبضوا عليه أو على أقربائه أو سادات القبائل ، كانت عداوة شديدة عميقة ، بحيث تجاوزت حد العرف فخضعت لأحكام العواطف والأهواء .

-
- ١ تاج العروس (١٤٣/٧) ، (سكك) .
 - ٢ تاج العروس (١ : ٣٤) ، (ضرب) .
 - ٣ تاج العروس (٥١٦/٢) ، (نقد) .
 - ٤ تاج العروس (٤٣٨/٥) ، (طبع) .
 - ٥ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) .

ومن قواعد آداب السلوك التي يجب على الملوك وسادات القبائل بل على كل انسان التأدب بها والتمسك بقواعدها ، تجنب الغدرا^١ وإذا كان الغدر عيباً بالنسبة للسوقة والسواد ، فكم يكون الغدر معيباً بالنسبة للملوك ولسادات القبائل ولكرام الناس !

العلاقات الخارجية :

لم تصل البناء حتى الآن نصوص في أصول آداب السلوك بالنسبة للعلاقات الخارجية بين الدول ، أي علاقات ما بين حكومات الدول العربية والدول الأجنبية . ولا نعرف لذلك طرق العرف السياسي الذي كان متبعاً عندهم في استقبال (الرسل) و (الوفود) الذين كانوا يفدون على قصور الملوك بأمر من ساداتهم ملوك الحكومات الأجنبية من أعاجم وعرب . ولكننا نستطيع ان نقول قياساً على المألوف عند العرب ، انهم كانوا يبالغون في إكرامهم وفي ضيافتهم ، وفقاً للتقاليد العربية ولظروفهم وامكانياتهم المحلية . وكانوا يستمعون بإنصات الى كلامهم ، ثم يردون عليهم رداً جميلاً ، إن حاز كلامهم موقعاً حسناً في نفوس الملوك ، ورداً يناسب ما جاء في خطاب الرسل من تهديد أو وعد ووعد ، إن استعملوا التهديد والوعيد في خطبهم . ومتى عادوا اكرموا إكراماً خاصاً ، ومنحوا أطافاً وهدايا على الطريقة المتبعة في ذلك العهد ، وقد يحملون أولئك الرسل هدايا خاصة لمن أوفدهم اليهم ، يرفقونها بكتب جوازية في بعض الأحيان ، أو برسائل شفوية تبلغ للرسل ليلغوها هم لساناً أو كتابة الى موفديهم .

و (الوفد) ، القوم القادمون للقاء العطاء ، وجاعة مختارة للتقدم في لقاء العطاء . ويقال وفده الأمير الى الأمير الذي فوقه ، أي ورد رسولا^٢ . وقد كان سادات القبائل يرسلون وفوداً عنهم الى الملوك أو الى سادات قبائل أخرى في مهام مختلفة ، مثل عقد حلف أو تفاوض أو تهديد بإعلان حرب أو لتهنئة أو لتعزية أو لبيعة وما شاكل ذلك من أمور . وقد أخذت الوفود تترى على الرسول يثرب لما استحكم واشتد أمر الاسلام .

١ ابن الأثير (٣٢٠/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣٧٤/٣) .
٢ اللسان (٤٦٤/٣ وما بعدها) ، (وفد) ، تاج العروس (٥٣٨/٢ وما بعدها) ، (وفد) .

وقد يكون الرسول المرسل الى بلاد العرب لا يعرف العريسة ، فيكون من الضروري لإرسال مترجم معه يتقن العريية ، ليقوم بأعمال الترجمة . وقد دوت الموارد اليونانية أسماء بعض الرسل الذين أرسلهم ملوك البيزنطيين الى اليمن أو الى الغساسنة أو المناذرة ، للقيام بمهمات خاصة ، ولأجراء مفاوضات في أمور تتعلق بالمصالح اليونانية العريية، وقد نصوا أيضاً على أسماء بعض المترجمين الذين رافقوهم الى ملوك العرب او الى سادات القبائل . ويظهر أنهم كانوا يختارونهم من رجال الدين النصارى الذين كانت لهم صلات وعلاقات وثيقة بالعرب ، ومنهم من كان من أصل عربي .

وكان من عادة سادات القبائل والملوك العرب ، أنهم اذا أرادوا ارسال ممثل عنهم الى الحكام الأجانب ، لمفاوضاتهم في أمور تخصهم ، اختاروا من عرف بالذكاء والشيطنة من أتباعهم للقيام بهذه المهات التي تحتاج الى ذكاء ولباقة وحسن تصرف . وهم في هذا الباب مثل غيرهم يراعون أن يكون رسولهم ممن يتقنون لغة من سيرسل اليه ، وان يكون من خواصهم ومن أتباعهم ، حتى لا ييوح بأسرار مهمته لأعدائهم . وأما اذا تعذر هذا الشرط ، فكانوا يختارون مترجمين ثقات عرباً أو عجماً لمرافقة الرسول ، وللتكلم بلسانه ، ولتقل ما يقوله الأعاجم للرسول . ونجد في الموارد اليونانية ان عرب بلاد الشام ، أرسلوا رجال دين عنهم الى حكام بلاد الشام او الى القسطنطينية لمفاوضة الروم في المهات التي كانوا يكلفون بها . ويظهر أنهم إنما لجأوا الى هؤلاء ، لأنهم كانوا يتقنون اليونانية ولأنهم نصارى ، والروم نصارى كذلك ، ول بعضهم صلات برجال الكنيسة في القسطنطينية ، فيساعد الدين في تسهيل حل المشكلات .

وقد يذهب ملك عربي أو سيد قبيلة لزيارة الحكام الأعاجم في مواضع حكمهم، أو في أماكن أخرى يتفقون عليها . فإذا لم يكن متقناً ذلك الملك أو سيد القبيلة للغة الحاكم الذي سيورره أخذ مترجماً معه ، ليكون لسانه الناطق باسمه واذنه التي تفسر له أقوال الحكام والأجانب. ويظهر من الموارد اليونانية أن من الملوك الغساسنة من كان يتقن اليونانية ، فلما زار بعض منهم القسطنطينية ، تكلم بها وتباحث مع رجال الدين البيزنطيين في أمور اللاهوت بهذه اللغة .

والقاعدة العامة في العرف السياسي عند الجاهليين ، أن الموفد لا يهان ولا يعتدى عليه ولا يقتل . وكذلك كان هذا العرف سارياً على رسل الملوك الى سادات القبائل،

وعلى الوفود التي ترسلها القبائل الى الملوك او الرسل الذين يرسلهم سادات القبائل بعضهم الى بعض . وطالما تقرأ في كتب اهل الأخبار جملاً مثل : « لولا أنك رسول لقتلناك » ، تشير الى احترام العرب لرسالة الرسل والموفدين . وقد كان بعض الرسل يسيئون الأدب او لا يحسنون التصرف مع من أرسلوا اليه، فيشرونهم، ومع ذلك ، فإن من يهاج منهم يحاول جهد إمكانه ضبط نفسه ، والتحكم في أعصابه ، حتى لا يتهور على الرسول ، فيتهم بسوء الأدب بإهانتته ضعيفاً، او يتهم بالغدر . وإذا كان بعضهم قد غدر بالرسول، فإن هذا الغدر لا يمثل العرف العام، وإنما هو غدر ، والغدر لؤم ، وقد يقع اللؤم من لئيم .

ولفظ (رسول) والجمع (رسل) هي من الألفاظ العربية القديمة المستعملة في عالم السياسة عند العرب . وردت في نص (أبرهة) ، الذي أشار فيه الى وفود أتت اليه من مأرب لتهنئته بمناسبة اتمامه سد (مأرب) ، فكان من بينهم رسل النجاشي وملك الروم وملك الفرس وملك الحيرة (المنذر) وملك الغساسنة (الحارث بن جبلة) و (أبو كرب بن جبلة) ^١ . وفي هذا النص ملاحظة مهمة جداً جديرة بالعناية إذ أطلق هذا النص على مندوب النجاشي وملك الروم لفظة (محشكت) أما رسل الملوك العرب المذكورين فقد أطلق عليهم اللفظة العربية (رسل) . أي أنه استعمل ثلاثة مصطلحات سياسية في هذا النص لمفهوم واحد ، هو رسل أرسلوا من ساداتهم لحضور ذلك الاحتفال .

وقد يذهب الظن الى ان النص إنما استعمل تلك المصطلحات الثلاثة ، لأنها مصطلحات للغات أولئك الموفدين ، فاستعمل لفظة (محشكت) لأن الحبش كانوا يطلقونها على معنى (رسول) في لغتهم وهذا كلام معقول ، ولكن ما باله أطلق تلك اللفظة على رسول ملك الروم ايضاً مع انها كلمة غريبة عن اليونانية لم يستعملها اليونان ، ولم يستعمل النص المصطلح الرسمي اليوناني المستعمل في اليونانية للسفير ؟ ثم ما بال النص يطلق لفظة (تنبلت) على رسول ملك الفرس ، واللفظة أيضاً غير فارسية وغير مستعملة عند الساسانيين ؟ أفلا يدل ذلك على أن النص لم يأخذ بالمصطلحات السياسية المقررة عند الحبش والروم والفرس للسفير ، وإنما اخذ بشيء

Glaser 618, CIH 541, Glaser, Zwei Inschriften, S. 390.

كتابي : تاريخ العرب قبل الاسلام (١٩٧/٣) .

آخر ، هو اهم من ذلك بكثير ، لا صلة له بما ذهب هذا الظن اليه ، بل لسبب سياسي مهم ، هو ان مندوب ملك النجاشي في نظر ابرهة ، اهم وأقدم في المترلة من اي مندوب آخر من المندوبين الذين وصلوا اليه ، لذلك قدّمه في الذكر على بقية المندوبين ، وأطلق عليه لفظه (محشكت) ، لأنها في معنى رسول ذي أهمية كبيرة ، وله ميزات على الرسل الآخرين ، فهو رسول ملك له صلة خاصة قوية به ، ثم ثنى بذكر رسول ملك الروم ، لأن الروم أصدقاء وحلفاء الجيش وأبرهة ولهم صلات قوية به ، ثم ان ملك الروم مثل ملك الحبشة وأبرهة على النصرانية ، فينبه وبين الروم رابطة الاخوة بالدين ، فذكر لذلك مندوبهم بعد مندوب النجاشي واستعمل لفظه (محشكت) ، لما لهذه الكلمة من معنى خاص في معجم ألفاظ السياسة . وذكر مندوب ملك القرس بعد مندوب ملك الروم ، لأن صلة القرس بالحيش ، لم تكن على درجة صلة الروم بهم ، ثم انهم يختلفون عنهم في الدين ويعارضونهم في السياسة ، لذلك أخره عن مندوب الروم ، وأطلق عليه لفظه تشير الى أنها دون لفظه (محشكت) في الدرجة والتقدير . ولكنها فوق لفظه (رسل) (رسول) (رسل) في الأهمية والدرجة والمكانة على كل حال . لأن ملوك القرس أكبر شأنًا في عالم السياسة من المنذر ومن الحارث ومن أبي كرب لذلك استعمل هذه اللفظة لرسول ملك فارس واستعمل كلمة (رسل) لمندوبي الملوك العرب .

وفي العربية لفظه أخرى تؤدي معنى (رسول) ، هي لفظه (سفير) . ويذكر علماء العربية أن السفير : الرسول والمصلح بين القوم^١ . وكان أهل مكة إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب أو خصومة ، بعثوا سفيراً . وكانت السفارة في (بني عدي)^٢ .

ويقال للرسول (اسي) في العربيات الجنوبية ، تعبيراً عن رسول يرسل بمهمة خاصة^٣ .

وجلس رجال الوفود عند الملوك وسادات القبائل أهمية كبيرة عند العرب ، فالقدم على الناس يكون أيمن الملك او أيمن سيد القبيلة ، وهكذا . وجلسه هذا

١ اللسان (٣٧٠/٤) ، (سفر) .

٢ العقد الفريد (٣١٣/٣) وما بعدها .

٣ South Arabian Inscriptions, p. 427.

على هذا النحو وعلى هذا العرف، هو علامة تفضيل له على غيره . ويقوم الحجاب او من اليه امر استقبال الوفود بتطبيق هذه القاعدة مراعاة شديدة ، وقد يتولى الملك ذلك بنفسه ، فيطلب من كبير القوم او ممن يريد تشريفه وتفضيله على غيره الجلوس إلى جانبه الأيمن ، ويفتخر عندئذ من ناداه الملك بالجلوس الى أيمنه فخراً شديداً ، ويتباهى بهذا التقديم على غيره ، وتعتر قبيلته به ، فتقدم الرجال عند الملوك والسادات من امارات الشرف والعز . وقد يخلق مثل هذا التقديم للملك مشكلات خطيرة ، إذ يزعل الباقون من هذا التفضيل ، خاصة إذا كانت بينهم وبين من قدم عليهم عداوة أو منافسة ، فيرون في هذا التقديم ازدراء بهم وإهانة متعمدة قد وجهت اليهم . وقد يتركون مجلس الملك ، ويقع ما يقع بين الملك وبين المترعجين ، أو بين من قدم ومن قدم عليهم .

ومن آيات تكريم رئيس الوفد ، ان الملك كان إذا وضع الشراب، بدأ بالشرب أولاً ، فإذا انتهى اسقى من كأسه من يراه أفضل القوم، وهو رئيسهم ، او انه يأمر السقاة او يشير اليهم اشارة واضحة او خفية بتقديم من يراه أهلاً للتقديم ، ومعنى هذا انه أفضل الوفد . وقد أثار هذا التقديم مشكلات خطيرة للوفود المتنافسة التي كانت تفد على الملوك ، وإلى الملوك أنفسهم ، ولا سيما الملوك الذين تحكمت اعصابهم بهم ، مثل (عمرو بن هند) و (النعمان بن المنذر) . وقد قتل (عمرو بن هند) ، كما سبق ان تحدثت عن ذلك بسبب تهوره وانسياقه لعواطفه إذ دعا الشاعر (عمرو بن هند) وامه لزيارته ، وكان ينوي الاساءة اليه ، لأنه كان فخوراً متعزراً بنفسه ، فأمر الملك أمه بأن تكلف أم الشاعر بخدمتها ، وهي من أعز النساء في قومها ولأنها من بيت رئاسة ، فلما صرخت (واذلاه) ، وسمع ابنها الصرخة ، ثار على الملك فقتله .

وكان من عادة ملوك الحيرة ، انهم يتخذون للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه ضيوفهم ، ويسقونهم الخمر ، وقد تغنى فيه القيان^١ ، ثم يعطي الملوك الخلع والهدايا لأعضاء الوفود ، وقد يخلعون عليهم الخلع الملكية ، يعطونها لخاصة من حضر دلالة على زيادة تقديرهم لهم . ويتباهى من يناله هذا الحظ السعيد بتلك الملابس ويحفظ بها للاعتزاز .

١ العمدة (٢٢٠/٢)

وقد جرت العادة بإنزال الوفود في دار الضيافة ، ليعتنى بالضيوف الوافدين ولينالوا حريتهم وراحتهم بها . ويظهر ان من عادة العرب إذ ذاك ان الوفد منهم إذا انتهت مهمته وقرر الرجوع إلى اهله ، عملت له وليمة في آخر يومه، وقدمت له هدية ، وتسلم له رسالة ان احتيج إلى ذلك . وقد اتبعت هذه العادة في يثرب حينما أخذت الوفود ترى على الرسول لمبايعته بالاسلام . فقد اتخذ الرسول داراً خاصة بيثرب لتكون داراً تنزل بها الوفود ، عرفت بـ (دار ملة بنت الحارث) امرأة من بني النجار . ويظهر انها كانت داراً واسعة ، بدليل ما ورد من ان الرسول حبس بها (بنو قريظة) لما نزلوا إلى حكمه^١ . ولا يمكن إنزال عشرات من الناس بها لو لم تكن داراً واسعة كبيرة . كما كان الرسول يأمر المكلف بأمر الوفود بإعطائهم جوائز يعينها له، فيعطى مقدار ما يأمره به الرسول ، وما يكتبه لهم من اقطاع^٢ .

صكوك المسافرين :

هي جواز السفر في اصطلاح هذا اليوم . كان على المسافر حمله معه لئلا يتعرض به أحد^٣ . بمنحها الملوك وسادات القبائل، وتحتّم بنحمتها ، فلا يتحرش أحد بحاملها. ويؤمن على سلامته. وإذا اعتدى عليه معتد طالب صاحب الجواز بحقه من المعتدي عليه. وتعطى مثل هذه الصكوك للوفود وللناهبين من الناس من أصحاب المكاة والجاه. وقد يكون الجواز شيئاً غير مكتوب . فقد كان (جواز) أهل مكة ومن كان في حلقهم لحاء شجر الحرم ، يعقدونه في أعناقهم او في أعناق ابلهم ، ليكون علامة على أنهم من (قريش) او من قوم لهم عهد وعقد معهم فلا يتجاسر أحد على التحرش بهم . للعهود المعقودة بين قريش وبين سادات القبائل ، بعدم تحرش احد برجل من اهل مكة او بمن يكون في جوارهم ومن له عقد معهم . وقد يكون الجواز شيئاً بسيطاً : عصا أو سهم أو اي شيء آخر . يعطيه شخص شخصاً آخر ليكون له جواز أمن وسلام ، إذا ابرزه لم يتحرش أحد به. ويكون محرماً ، اي مسالماً لا يجوز لأحد الاعتداء عليه ، لأنه في حرمة صاحب

١ نهاية الأرب (١٧/١٩٠ وما بعدها) ، (١٨/٩١ وما بعدها) .

٢ نهاية الأرب (١٨/٩١) .

٣ تاج العروس (٤/١٩) ، (جاز) .

الجواز ، ولا تهتك لصاحبه حرمة . ولما جاء الاسلام ، جعل المسلمين محرماً .
جاء في الحديث : « كل مسلم عن مسلم محرم » ، و « كل مسلم عن مسلم
محرم ، اخوان نصيران » . معناه ان المسلم ممسك عن مال المسلم وعرضه ودمه .
وانه معتصم بالاسلام ممتنع بجرمته ممن أراده وأراد ماله^١ . فكل واحد هو في
الاسلام آمن .

ومن عادة ملوك الخيرة إعطاء (القطوط) للناس ، وهي صكوك الجوائز ، اي
كتب تخرج للناس فيها جوائز الملك ، فيقبضون مقدار ما كتب فيها . وقد ذكرها
الأعشى في قوله :

ولا الملك النعمان يوم لقيته يغبطه يعطي (القطوط) ويأفق
وذكر ان القط : الصكّ بالجائزة والكتاب ، وقيل : هو كتاب المحاسبة ،
وفي ذلك يقول أمية بن ابي الصلت :
قوم لهم ساحة العرا ق جميعاً ، والقط والقلم^٢

١ اللسان (١٢/١٢٤ وما بعدها) ، (حرم) .
٢ اللسان (٧/٣٨٢) ، (قطط) ، (أراد بالقطوط : كتب الجوائز) ، اللسان
(٦/١٠) ، (أفق) .

الفصل الرابع والخمسون

الغزو وأيام العرب

الغزو :

والغزو في تعريف علماء اللغة : الطلب . وهو مورد من أهم موارد الرزق عند الأعرب ، لا سيما في سني انحباس السماء وانقطاع الغيث وغضب السماء على الأرض ونفورها منها ، حيث تقطع غرامها بها ، فتحبس عنها دموعها المعبرة عن شوق السماء الى الأرض وعن مكانهم المنكوب الى مكان آخر فيه ماء : بشر أو ماء جار ، أو عين دائمة والاستيلاء عليه عنوة وقهراً ، أو صلحاً بغير قتال ، وذلك إذا وجد أصحاب الماء أن من غير الممكن لهم ، مقاومة الغزاة ، وأن خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم ، هو ترضية الغازين والتودد اليهم ، وارضائهم من غير حرب ولا قتال ، وفي ذلك توفيق بين مصلحة الغازين والقارين .

وقد يقع الغزو لأسباب أخرى لا علاقة لها بانحباس المطر ، بل بسبب طمع القبائل بعضها في بعض ، ولا سيما القبائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى . والعادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق . فتغزوها لتستولي على ما طمعت به ، وقد تنجح وقد تفشل وتخسر . والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة ، تطمع في الحضرة لما عندهم من رزق حرمت منه ، من رزق وافر ومن ماء ومن وسائل عيش رغيدة ، فتغزوهم ولهذا صار من اللازم على الحضرة تعزيز أنفسهم ، بناء حصون وآطام ومناظر لمراقبة

الغزاة ، وبشراء سلاح لا يتوفر عند الأعراب من سيوف ماضية صلبة حادة ، ومن اتخاذ حرس من الرقيق والمرترقة ليساعدهم في الدفاع عن حاضريهم ، أضف الى ذلك شراء سادات القبائل الضارين حولهم بالمال وبالهدايا وباللطف ، لمنع أعرابهم من التحرش بهم ، ول منع الأعراب الغرباء الذين قد يطمعون فيهم من الدنو منهم .

أضف الى ما تقدم من أسباب وقوع الغزو: أثر العلاقات الشخصية بين سادات القبائل ، من زواج وطلاق ، ومن حسد وتنافس ، ومن كلمة نايصة قد تثير حرباً بين قبلي شخصين متنافرين ، ومن عمل سفیه جاهل يثير غزواً وحرباً بسبب عصبية قومه له ، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيره . الى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل نافهة سخيفة تجدها مع ذلك مكانة في القلوب فتثير غزواً وتسبب نكبة لأناس مساكين فقراء ، لا دخل لهم في كل خصومة ، وكل ما لهم أنهم من قوم غضب عليهم قوم آخرون ، فزادوا في تعاسة إخوانهم المغزوين. والغازي والمغزو مع ذلك معدم محروم من النعم التي وهبتها الطبيعة لغيرهم من البشر ، بأن جعلتهم في أرضين خصبة ذات ماء وخيرات وجو حسن ، أما هؤلاء التعساء أبناء البادية ، فلم يجدوا أمامهم من رزق متيسر سهل سوى الرزق عن طريق هذا الغزو .

فالغزو إذن هو حاصل ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية ، أملت بالأعراب وأجبرتهم على ركوب هذا المركب الحشن . كارهين أم مختارين فليس للأعرابي للمحافظة على حياته ولتأمين رزقه غير هذا الغزو . وقد بقي يغزو حتى في الاسلام ، مع منع الاسلام له لا يجد فيه مع ذلك غضاضة ولا بأساً . وهو إن امتنع اليوم منه وطلقه ، فإنه لم يتركه عن إرادة واختيار وطيب خاطر ، وإنما امتنع منه لأنه يعلم انه إن قام به ، فإن هنالك حكومات أقوى منه ، لها أسلحة لا يملكها ولا يستطيع التغلب عليها ، وعلى رأسها الطائرات ، ستفتك به فتكاً ذريعاً ، وتكرهه على الخضوع لأحكامها ، وعلى الاستسلام لها ، وعلى تجريده مما يملكه ومما يستولي عليه لذلك خنس وسكت عن الغزو .

ومن هذا الغزو ، غزو وقع في الجاهلية بين قبائل صغيرة ، لذلك لم ينل من أهل الأخبار حظاً من الذكر والرعاية والعناية ، ولم يجد له مكاناً بارزاً في صفحات كتب الأخبار ، وغزو كبير خلد الشعر الجاهلي ذكره ، فأخذ رواة الشعر يتسقطون

أخباره ، ويجمعون ما وعته ذاكرة رواة الأخبار من أمره ، فوجد له مكاناً فسيحاً رجباً في شروح الشعر الجاهلي وفي كتب الأخبار والأدب وقد عرف مثل هذا الغزو الخالد بـ (أيام العرب) وبـ (أيام القبائل) . وقد ذكر صاحب كتاب (الفهرست) أسماء جماعة من علماء الأخبار ألقوا فيها ، وشغلوا أنفسهم بجمع أخبارها ، دونوها في كتب وفي جملتها مدونات عن أخبار أيام وقعت بين بطون قبيلة واحدة .

وقد تداول الجاهليون أخبار الغزو ، وصيرت القبائل المنتصرة الأيام التي انتصرت فيها ملاحم ، تعيد قصتها في مجالسها وأنديتها ، وقد زخرت قصصها بأخبار الشجعان الذين برزوا فيها ، وبالغت في أخبار شجاعتهم حتى طغت على أخبار الغزو نفسه ، وصار البطل رمزاً للقبيلة ، تستمد منه الشجاعة والإقدام في النصر وفي الهزائم والخسائر . فالنصر كما نعلم لا يدوم لأحد . وربّ قبيلة وكر عليها طير السعد فسعدوا الحظ بالنصر ، ثم طار عنها ، لأن الأيام الحلوة لا تدوم أبداً . وقد تصاب القبيلة المنتصرة بنكسة ، فتعوض عن ذكرى خسارتها ، بذكرها انتصارها في الماضي ، فيكون الماضي خير مسل لها عن مرارة الهزيمة ، وأحسن مشجع وباعث على النصر في غزو المستقبل .

وقد أمدتنا أخبار الغزو بأسماء عدد من أبطال الجاهلية عرفوا بالشجاعة ، لا تزال أخبار بعضهم تروى وتقص على الناس . وتقرأ قصتهم في المجالس مثل قصة (عنبرة) التي حصلت على النصيب الأوفر من الشهرة والذكر من بين القصص المروي عن أبطال الجاهلية ، وهو قصص ، مهما قيل عنه ، وعما ورد فيه من مبالغات ، فإنه لا يصل إلى درجة القصص المروي عن أبطال الفرس القدماء أو اليونان أو الرومان أو العبرانيين في المبالغة بشجاعتهم وبقوة أجسامهم الخارقة .

لقد فرضت الطبيعة على العربي أن يكون محارباً غازياً ، فقد حرّمته من خيرات هذه الدنيا ومن طيبات ما تنبت الأرض . حرّمته من وجود حكومة تحميه وتدافع عنه وحرّمته حتى من وسائل الدفاع عن النفس . فجعلته لا يملك شيئاً يكنّ إليه في البوادي ليحمي به نفسه من الرياح السوموم ومن أشعة الشمس القاسية ومن الحيوانات الوحشية ، وجعلته يقابل المرض بمفرده ، إذ ليس في البادية طبيب حاذق دارس . فلم يكن أمامه والحالة هذه إلا أن يعلم نفسه الصبر ، وإن يصير محارباً غازياً لا يبالي بالنصر أو بالخسارة ، بالحياة أو بالموت . إن خسر هذه

المرة ، حاول تعويض الخسارة بجولة جديدة وهكذا . لأنه إن يثس وجلس واستسلم للزمان ، أكله جار له يطمع في ماله مهما كان،فهو لا بد له من استعداد لغزو جديد .

وقدر البادية قد حدد في الوقت نفسه من غرام الأعراب في الغزو . إذ جعل أسلحتهم محدودة وامكانياتهم في القتال دون امكانيات الحضر بكثير . لذا صار غزوهم للحضر كـ " سريع وفرّ " بأقصى ما يكون من السرعة ، للنجاة بما حصلوا عليه من سلب ، أو للنجاة بأنفسهم من القتل في حالة الخسارة والهزيمة . ولهذا كانوا يحسبون ألف حساب حين يريدون غزو حدود الحكومات الكبيرة ، ولا يقدمون عليه إلا بعد درس وتأمل ووقوف على مواطن الضعف والثغرات في خطوط الدفاع لتلك الحكومات . أما غزوهم بعضهم بعضاً ، فإن أسلحتهم فيه متساوية متكافئة . سيوف ورماح ورمي بالسهم . والذي يكسب النصر فيه ، من له عدد وافر كثير وخيل وفرسان شجعان ، يأخذون الخصم بمباغتة ومفاجأة .

الخيل :

وللخيل نصيب كبير ولا شك في الغزو وفي اكثاره في جزيرة العرب إذ صارت سبباً من أسباب توسيع رقعة الغزو والحروب . فالقبيلة التي تمتلك عدداً كبيراً من الخيل يكون لها النصر في الغالب ، لأن الخيل سريعة الحركة وهي تمكن الفارس من مقارعة خصمه بسرعة،ومن ملاحقة الراجل والوصول اليه بسهولة ، فلا يكون أمامه عندئذ سوى المقاومة أو القتل أو الوقوع في الأسر . وبفضل الخيل ظهر الأبطال الفرسان ، الذين نقرأ أسماءهم في أخبار الأيام . والحصان مثل البطل ، يجب عده من أبطال معارك تلك الأيام . فقد مكّن القبائل الغنية من بسط نفوذها على القبائل الضعيفة . فالجمل ثقيل الحركة بطيء السير بالنسبة الى الفرس ، وفي امكان من لديه عدد كبير من الخيل غزو القبائل التي لا تمتلك مثل هذا العدد من الخيل ، حتى وإن امتلكت عدداً كبيراً من الإبل والرجال . لما ذكرته من سرعة حركة الخيل ومن مرونتها في القتال وفي الكر وفي الفر ، ثم لصبرها ولتحمل أعصابها على ضبط نفسها في القتال بالنسبة الى الجمل الذي يهيج بسرعة فتثور أعصابه ، فيولي لا يبالي الى حيث يوجهه هياجه، ملقياً براكبه عن ظهره في بعض الأحيان،

أو يذهب طائشاً مسرعاً ، لا يخضع لتوجيه راحته له . والجمل إذا هاج صار من الصعب عل صاحبه الامساك بزمامه وتوجيهه حيث يريد .
وقد اشتهر بعض الناس بالعدو ، من هؤلاء : (سليك بن السلكتة) المعروف بـ (سليك المقانب) . وكانت أمه سوداء . وهو أحد أغربة العرب ، وأعدى الناس ، لا يشق غباره ، وقد أشير اليه في الشعر^١ . وقد استفيد منهم في الغزو ، فكان منهم المخبرون المتلصصون لأخبار الغزاة أو المغزوين . وكان منهم من يباغت ويفر ، فلا يلحق به ماش . فإذا لحقه أحد أتبعه في عدوه ، حتى إذا تعب انقض عليه .

الجمل :

وقد أكون مقصراً هنا إذا أهملت الحديث عن صديق جزيرة العرب وأليفها الحبيب : الجمل . لقد تحدثت عنه في الجزء الأول من هذا الكتاب في أثناء تحدثي عن جزيرة العرب وعن ثرواتها بما فيه الكفاية ، ولكنني لا زلت بحاجة إلى التحدث عنه بشيء لم أذكره في ذلك المكان^٢ ، وسأذكره هنا لما له من صلة بهذا الموضوع .

والإبل هي المال عند العرب . وبها كانوا يقدرون أثمان الأشياء ويتعاملون في تجارتهم وفي أسواقهم . فالجمل عندهم هو وحدة قياسية في البيع وفي الشراء وفي تقدير الحقوق كالديات والفدية والمهور والاراشة وما شاكل ذلك . وبمقدار ما يملك الانسان من جمال تقلد ثروته وينظر إلى غناه، لأنه الحيوان الوحيد الذي في إمكانه قطع البوادي بجيلاء ، رافع الرأس ، غير عابىء بما يكون تحت أخفاف أرجله من رمال ، هازيء بالعطش إذ هو صبور عليه ، لمدة لا يمكن أن يباريه في طولها حيوان آخر . ثم هو يحمل الانسان ويحمل متاعه . وهو طعام الانسان إن مضه الجوع ، أو جاءه ضيف كبير . وهو يشرب حليب النوق ويجد فيه شفاءً وعافية وتعويضاً عن الماء والطعام . فلا عجب إذن إن اتخذ الأعرابي الجمل مقياساً للثروة والمال .

١ الثعالبي ، ثمار (١٠٥) .

٢ (ص ١٩٧) .

والإبل على منازل ودرجات فيها الجمل الأصيل المقدر وفيها الجمل الحرود المتبذل . وخير الإبل عندهم : الإبل الحمراء ، لأنها أصبر من غيرها على الهواجر ، والعرب تفتخر بعدد ما عندها من الجمال الحمر ، لغلاء ثمنها بالنسبة إلى الجمال الأخرى ومن هنا ضرب العرب بها المثل حين قالوا : « ما أحب أن لي بمعاريض الكلم حمر النعم »^١ . فالمراد بحمر النعم : الإبل الحمراء .

والإبل الصهباء من الإبل الجيدة الشريفة في نظر العرب . (قال ابن الأعرابي : تقول قريش : الإبل صهباء وأدمها ، يذهبون في ذلك إلى تشریفها على سائر الإبل . وقد أوضحوا ذلك بقولهم : خير الإبل : صهباء وحرها . فجعلوها خير الإبل)^٢ . وقيل الأصهب من الإبل الذي يخالط بياضه حمرة . وهو أن يحمر أعلى الوبر ويبيض أجوافه . وقد عرفت هذه الإبل بسرعتها . والصهباء الناقة الصهباءة . وفي الحديث : كان يرمي الجمار على ناقة صهباء . وإبل صهباءة منسوبة إلى فحل اسمه (صهاب) ، أولد الإبل الصهباءة^٣ .

وعدت الإبل الرمكاء ، من أبهى إبل العرب . وأما النوق الخور ، فهي النوق التي تمتاز عن غيرها بكثرة ألبانها ، وتكون ألوانها بين الغبرة والحمرة وفي جلودها رقة . وقد عدت من الجمال الرقيقة الحسنة . قالت العرب : الحمر من الإبل أطهرها جلداً والورق أطيبها لحماً والخور أغزرها لبناً . وقد قال بعض العرب : « الرمكاء بهاء والحمراء صبراء والخوارة غزراء »^٤ .

ويقسم أهل الأخبار الإبل ثلاثة أصناف : يمانى ، وعرابى ، وبختى . فاليماني هو النجيب وينزل بمرتلة العتيق من الخليل . والعرابى كالبرذون . والبختى كالبعزل . وذكر أن في الإبل ما هو وحشي وأنها تسكن أرض وبار ، وهي غير مسكونة بالناس . وتسمى الإبل الوحشية (الحوشي) . ويذكرون أنها من بقايا إبل (عاد) وثمود . والمهريه منسوبة الى (مهرة) ، وهي سريعة العدو ، ويعلفونها من قديد

١ تاج العروس (١٥٨/٣) .

٢ تاج العروس (٣٤١/١) ، (صهب) .

٣ قال طرفة :

صهباءة العثنون موضدة القرا بعيدة وخذ الرجل مواراة اليد

تاج العروس (٣٤٢/١) ، (صهب) .

٤ تاج العروس (١٩٢/٣) وما بعدها ، (خور) ، (١٣٧/٧) ، (رمك) .

سمك يصطاد من بحر 'عمان'. وذكروا أن (الحوشي) الوحشي من الإبل وغيرها. منسوب إلى بلاد الجن من وراء رمل (بيرين) ، لا يمر بها أحد من الناس . وقيل هم من بني الجن . وقيل هي فحول جن ، تزعم العرب أنها ضربت في نعم بني مهرة بن حيدان فتنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية، فنسبت إليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب^٢ .

ولتحمل الإبل الجوع والعطش ولصلاحها على المشي في البوادي صارت خير أليف للعرب . وقد اشتهر بعض منها ، لاشتراكه في الغزو والحروب . وكانوا يسابقون بين الإبل . وسابق الرسول بين الإبل ، وكانت ناقته القصواء سريعة الجري فسبقت مراراً . وتعدّ لحوم الإبل من اللحوم الطيبة عند الجاهليين . أما اليهود ، فكانوا يحرمون عليهم أكل لحومها . وذكر (التويري) أن من الناس من قال : « إن العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجبال ومدامتها »^٣ ، لأنهم الجمل بالحق والظلم ، وبعدم نسيانه الإمامة .

والجمل من الحيوانات القانعة الصابرة . وهو الحيوان الوحيد الذي رضي بمرافقة الأعراب ومصادقتهم منذ آلاف السنين . ولولا هذا الجمل لما كان في استطاعة العرب اختراق جزيرتهم ، والتنقل فيها من مكان إلى مكان . وبفضله اتصلت عرب جزيرة العرب بعضهم ببعض وقامت المستوطنات في مواضع نائية منعزلة من بلاد العرب وقهر العربي ظهر باديته . وتكونت فيها تجارة برية . وطرق برية طويلة يترقها الجمل بغير كلل ولا ملل ، صابراً على العطش حتى يصل إلى مرحلة بعيدة فيها يكون فيها ماء وفي استطاعة الجمل تحمل العطش مدة أربعة أو خمسة أيام في الصيف ، ومدة خمسة وعشرين يوماً في الشتاء . لأنه يختزن الماء في جوفه ويعيش عليه . حتى صار هذا الماء المخزون في جوف البعير سنداً للأعراب وأملهم الوحيد في انقضاء حياتهم عند اشتداد العطش بهم ، وانقطاع الماء عنهم . ولما عبر خالد بن الوليد البادية لفتح بلاد الشام اختزن الماء في أجواف الإبل ، لقلّة الماء في البادية ، فلما اشتد العطش بجيشه ، ذبح بعض الإبل وأسقى من الماء المخزون في أجوافها ، وبفضله تمكن الجيش من الصمود أمام أهوال العطش ومن الوصول

١ نهاية الأرب (١٠/١٠٩ وما بعدها)
٢ تاج العروس (٤/٣٠٢) ، (حاش)
٣ نهاية الأرب (١٠/١١٠)

الى بلاد الشام بسلام . وهكذا ساهم هذا الحيوان في انتصار خالد على جيش الروم . ولا زال الجمل عماد الأعراب في حياتهم . ولا يمكن أن نتصور وجود أعرابية بغير جمل وقد أناط إنسان القرن العشرين به أعمالاً جديدة لم يكن يعرفها ، فعهده إليه تقل الآلات الحديثة ومنتجات حضارة هذا القرن في البوادي فنجح في أدائها أحسن نجاح . ومع ذلك ، فإن الزمن ضده ، فالجمل بطيء لا تتناسب سرعته وسرعة عصور السرعة وطفرة التطور الحديث ، ولا بد وأن يأتي عليه يوم سيحال فيه على التقاعد عن العمل ، فيقل بذلك وجوده ، ويصير مكانه في حداق الحيوان . ولتمييز الإبل وتعيين أصحابها ، وُسِّمت بسمات وعلمت بعلامات عرفت عندهم بـ (سمة) و (سمات) ، توسم في الخد والعنق والفخذ ، على صور شتى ، مثل المشط والدلو والخطاف ، أي على صورة هذه الأشياء^١ . ويكون وسم الإبل بالميسم : حليلة تحمى فيكوى بها ، فتترك أثراً على الموضع الذي كوي . وذكر أن الوسم أثر ، أثر كية ، يقال : موسوم ، أي قد وسم بسمة يعرف بها ، إما كية ، وإما قطع اذن ، أو قرمة تكون علامة له . والوسام والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور . وفي الحديث انه كان يسم لإبل الصدقة ، أي يعلم عليها بالكى^٢ .

وسمات الإبل : السطاع ، والرقعة ، والخباط ، والكشاح ، والعلاط ، وقيد الفرس ، والشعب ، والمشيطة ، والمعفاة ، والقرمة ، والجرفة ، والخطاف ، والدلو ، والمشط ، والفرتاج ، والتؤثور ، والدماغ ، والصداع ، واللجام ، والمهلال ، والخراش ، والعراض ، واللحاط ، والتلحيط ، والتحجين ، والصقاع ، والدمع^٣ .

ويقع الغزو في وجه الصباح في الغالب ، ولذلك يقال : (صبحوا ب ...) أي أتوا صباحاً . وقد يقال : (صبحه بكذا) ، أي بعدد يذكر من رجال الغزو . ومن ذلك قول بجير بن زهير المزني :

صبحناهم بألف من سليم وسبع من بني عثمان وافي

أي أتيناهم صباحاً بألف رجل من (بني سليم)^٣ .

- | | |
|---|--|
| ١ | تاج العروس (٢٢٤/٥) ، (مشط) . |
| ٢ | تاج العروس (٩٢/٩) ، (وسم) . |
| ٣ | تاج العروس (١٧٤/٢) وما بعدها ، (صبح) . |

أيام العرب :

عرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض ، أو بين ملوك اليمن والقبائل أو بين الفرس والعرب أو بين الملوك العرب والقبائل بـ (الأيام) وبـ (أيام العرب) ^١ . وهذه الأيام تُولف - في الواقع - القسط الأكبر من علم الأخباريين بتاريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عن شهدوها ، وحفظوه في صدورهم ، إلى أن كان التدوين فدوّن . وهو مادة محبوبة تناولها الناس في الجاهلية والاسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر الجاهلي من أهم المجالس . (قيل لبعض أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتكم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، وتحدث بأخبار جاهليتنا) ^٢ ، وأهم أخبار الجاهلية هي هذه الأيام .

ومادة هذه الأيام عربية خالصة ، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه . والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام ، وصيانتها من النسيان ، لاضطرار الراوي والسامع إلى الاطلاع على المناسبة التي قيلت فيها تلك الأشعار . وعلى هذه المادة العربية اعتماد المؤرخ في تدوين تاريخ العرب في الجاهلية ، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الاسلام .

وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الاسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام . فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجرة بعضهم لبعض آثار تلك الأيام ، فدونت في شعر الهجاء والتباهي والتفاخر ، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه إليها . وموضوع كموضوع الأيام ، لا بد أن يقبل العلماء عليه اقبالاً كبيراً ، وهذا ما وقع ، فألف فيه جماعة ، منهم (أبو عبيدة) المتوفى سنة (٢١٠) أو (٢١١) للهجرة ، وأدخله قوم في مؤلفاتهم ، فأفردوا له باباً أو أبواباً ، ولكننا لا نملك حتى اليوم كتاباً قديماً قائماً بذاته في الأيام . وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة

١ اللسان (١٣٩/١٦) .

٢ العقد الفريد (٣/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٥/٣٣٨) ،

ENCY. I, p. 218.

في بطون كتب الأدب في الغالب وفي بعض كتب التاريخ والجغرافيا ، سأشير إليها في أثناء حديثي عن الشهر من هذه الأيام^١ .

وقد أشار (ابن النديم) وغيره الى أسماء مؤلفين ألفوا كتباً في أيام العرب^٢ . منهم من ألف عنها كلها ، ومنهم من ألف عن بعضها . ومنهم من ألف في أيام قبائل معينة . لكنها لم تطبع ، ولعل من بينها من قد يطبع في المستقبل . وقد ورد أن (أبا الفرج الأصبهاني) قد استقصى أيام العرب في كتاب أفردته لذلك ، فكانت أيامة ألفاً وسبعائة يوم^٣ .

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف ، ولا ميوّسة على حسب ترتيب الوقوع ، وتسلسل الزمن . ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه في تصنيف هذه الأيام ، وتنظيمها على أساس تأريخي ، مع أنها مادة المؤرخ الذي يريد كتابة تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام ودراسة التطور السياسي فيها . وقد حاول المستشرقون تنسيقها وترتيبها على أساس تواريخ الوقوع ، فلم يفلحوا إلى الآن في الوصول إلى نتيجة مرضية . ولو كانت لدينا معارف عن أحوال من أسهم فيها وأجّج نارها ومن قال شعراً فيها^٤ ، تير لنا السبيل لتثبيت التأريخ وضبط السنين ، لصار في امكاننا ضبطها وتعين تواريخها استناداً إلى هذا المروي عن أولئك . ولكن ما نعرفه عن هؤلاء الرجال ، وهم أبطالها وأصحابها ، لا يقل غموضاً وإهاماً من حيث التواريخ والسنين عن غموض تواريخ تلك الأيام وإهامها ، ولذلك فكل ما يقال عن تواريخ الأيام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها ، هو حدس وتخمين . وسيبقى الحال على ذلك ، حتى تهيباً مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد أخرى قد تتعرض لتلك الأيام بتأريخها أو بتأريخ من اشترك فيها على وجه مضبوط صحيح . وعندئذ يكون في الامكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبيل الاسلام .

ولوجود مجال واسع للعب العاطفة في أخبار الأيام ، تجب دراسة الروايات على حذر ، والتفتيش — على قدر الامكان — عن روايات متعددة عن اليوم الواحد ،

-
- ١ الفهرست (٨٥) ، العمدة (٢٠٠/٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٣٩٣/١) .
 - ٢ الفهرست (١٤٨) ، (أخبار هشام الكلبي) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٦٨/٢) .
 - ٤ العمدة (٢٠٠/٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٣٩٣/١) ، الفهرست (٨٥) .

للمقارنة والمقابلة والغريزة. وليس هذا بأمر ميسور، لأن الروايات والأخبار محدودة، وهي ترجع بأخرة إلى نقر تستطيع حصرهم. فهذه الأبواب، وإن كانت متعددة مثورة بين مؤلفات، دوتها مؤلفون مختلفون، إلا أنها أخذت من ذلك النقر، فهي لم تأت لهذا السبب في ثناياها بشيء جديد.

وفي هذا النقر المذكور، نقر منحاز متحيز، يشايح قومه، ويريد نسبة الغلب والتفوق لهم، والغرض جهد إمكانه من خصوم قومه ومن الأطراف التي خاصمت قومه واشتبكت معها في قتال، وهو مكثّر بالنسبة للجماعته، مبالغ يسند مبالغاته بكلام مثنو ومنظوم، ليثبت صحة قوله. ولهذا وجب الانتباه لهذه الناحية والحذر من تصديق كل رواية وإن نسبت إلى خيرة من نثق بعلمهم من الرواة. وهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب، فإن منها ما هو مجرد مناوشات أو مهاجمات وغزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص، ومنها أيام وقعت في عدة سنين كانت تثار فيها الحرب حيناً تتجدد المناسبات، وتنتهي بتسوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى وإنهاء المشكلات التي كانت السبب في إثارة تلك الحرب، فإذا ما انتهت، بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها وبأيامها، وبأسماء أبطالها الذين رفعوا اسمها فيها. وطالما جرى التباهي والتفاخر القبائل إلى حرب جديدة، بسبب جواب قد يصدر من سفيه عايب لا يرضيه سماع ذلك الفخر، أو من قبيلة مغلوبة لم يكن من السهل عليها أو على أفرادها سماع هذا الكلام.

والناب من هذه الأيام، معلود عند بعض العلماء محدود. وقد حصرها (أبو عبيدة) في الأيام الكبيرة العظيمة، التي ساهم فيها عدد كبير من الفرسان. وجعلها: يوم الكلاب، ويوم ربيعة، ويوم جيلة، ويوم ذي قار^١.

وأكثر أسباب هذه الأيام، هو عسف حكام القبائل القوية في القبائل الضعيفة الخاضعة لهم، بسبب الإتاوة التي كانوا يلحون في جبايتها غير مفكرين في الظروف والأوقات، أو بسبب نزاع على ماء ومرعى، أو أخذ بثأر، أو محاولة للتخلص من حكم القبائل على القبيلة بظهور شخصية قوية فيها، وأمثال هذه من أسباب، قد يكون بينها سبب تافه سخيف، يؤدي إلى إزعاج المتخاصمين بسبب التزعزعات العاطفية التي تغلب عند القبائل في غالب الأحوال على العقول.

١ الأغاني (١١/١٣١) .

والعادة أن يُعَنَّون اليوم باسم الموضع الذي حدثت فيه المعركة ، أو بالشيء البارز في تلك الحرب ، أو باسم القبائل التي اشتركت فيه . ومن هذه الأيام ما وقع بين قبائل قحطانية ، ومنها ما وقع بين قبائل عدنانية ، ومنها ما وقع بين قبائل قحطانية وقبائل يرجع النسبون نسبها الى مضر وربيعة ، وإلى معدّ ، وإلى عدنان ، فهي أيام وقعت إذن بين جاعتين هما في عرف النسابين من جدّين ، هما : قحطان وعدنان . وهما جدّا كل العرب الأحياء .

ومن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية : يوم البردان ، ويوم الكلاب الأول وعين أباغ ويوم حليلة ويوم اليحامي ، وأيام الأوس والخزرج . وأما أيام القحطانيين والعدنانيين ، فنمّا : يوم البيضاء ، ويوم طخفة ، ويوم أواراة الأول ، ويوم أواراة الثاني ، ويوم السلان ، ويوم خزار ويوم حجر ، ويوم الكلاب الثاني ، ويوم فبف الرياح ، ويوم ظهر الدهناء^١ .

وأما الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية ، فنمّا ما وقع بين قبائل ربيعة فيما بينها ، ومنها ما وقع بين ربيعة وتميم ، ومنها ما وقع بين قبائل قيس فيما بينها ، ومنها ما وقع بين قيس وكنانة ، ومنها ما وقع بين قيس وتميم ، ومنها أيام ضبة وغيرهم^٢ .

وهناك أيام وقعت بين العرب والفرس مثل يوم الصفقة ويوم ذي قار .

وقد تحدثت عن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وعن الأيام التي وقعت بين العرب والفرس في الأماكن المناسبة الخاصة بها . فلست أجد حاجة هنا إلى الكلام عليها مرة ثانية ، وسأقتصر هنا على الأيام الأخرى^٣ .

والأيام بين ما يسمى بالقبائل العدنانية أكثر بكثير من الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وسبب ذلك هو أنها أكثر بداءة وأعرابية من القبائل الثانية ، وأن من طبع البداءة : الفردية والخصومة والتنازع والتحاسد ، بسبب ضيق العيش وقلة المال وتحوّل القبائل من مكان إلى مكان وراء الماء والكأ . لذلك قلّ اجتماع العدنانيين تحت رئاسة رئيس واحد ، وتقاتلوا وتخاصموا ، وفضلوا الخضوع لحكم

١ أيام العرب (ج وما بعدها) .
٢ أيام العرب (د وما بعدها) .
٣ المحبر (٢٤٦) .

رئيس بعيد عنهم على الخضوع لرئيس منهم ، لأن النفسية الأعرايية ترى في خضوع أعراي لأعراي من جنسه استكانة ومذلة. أما خضوعها لحكم غريب عنها ، فليس فيه شيء من ذلك ، ولهذا خضعت للملوك المناذرة أو الغساسنة أو لكندة أو للتبابعة ، ونفرت من الخضوع لرئيس عدناني لعقدة التنافس والتناحر بين ذوي القربى .

والقبائل العدنانية ، قبائل خشنة شديدة المراس ، القتال عندها طبيعة ، ولو اتحدت وجمعت كلمتها ووحدت أمرها ، لكانت قوة لا تغلب ، ولكنها ، وهي على هذه الصفة من التخاذل والتنافر ، صارت خاضعة لحكم القحطانيين ، وأخصتهم التبابعة على ما يذكره الرواة . فكانوا يعينون عليهم حكاماً وينصبون عليهم أمراء منهم ، بل يذكر أهل الأخبار أن العدنانيين كانوا يذهبون هم أنفسهم إلى أولئك التبابعة أحياناً يطلبون منهم تنصيب شخص منهم ، أو تعيين أمير عليهم من أصحاب المنزلة والمكانة ، لأنهم سئموا من القتال والتشاحن ، بقوا على ذلك دهرأ حتى سئموا حكم التبابعة والقحطانيين لهم ، فثاروا عليهم كما يذكر أهل الأخبار .

وسأقتصر في هذا الفصل على الأيام المهمة التي كان لها في شؤون السياسة القبلية شأن وخطر . أما الأيام الصغيرة التي لم يكن لها شأن يذكر ، فأدع الحديث عنها إلا بقدره . وأما الحامل منها ، فسأترك أمره إلى كتب الأخبار والأدب ، لعدم وجود مكان لها في حديثنا العام عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

ومن أمهات الأيام التي وقعت بين القحطانيين والعدنانيين : يوم طخفة ، ويوم أواره الأول ، ويوم أواره الثاني ، ويوم السلان ، ويوم خزاز ، ويوم حجر ، ويوم الكلاب الثاني ، ويوم فيف الريح ، ويوم ظهر الدهناء . وقد تحدثت عن بعضها في أثناء كلامي على ملوك الحيرة أو الغساسنة ، وسأتحدث عما لم أتناوله من قبل .

ومن الأيام التي وقعت بين قبائل قحطانية وقبائل عدنانية ، يوم يسمى بـ (يوم البيضاء) (البيضاء) وكان سببه مجيء ملجج ، وهي قبيلة قحطانية من اليمن ، قاصدة متسعة من الأرض وموطناً جديداً صالحاً ، فاصطدمت بقبائل معد النازلة بتهامة ، وتهامة هي موطن معد القديم في عرف أهل الأخبار ، فبرزت لها قبيلة

عدوان ورئيسها يومئذ عامر بن الظرب العدواني . جمع عامر هذا من كان في تهامة من قبائل معد، وهاجم مدحجاً فغلبها في موضع (البيضاء) . ويقول الأخباريون إن هذا اليوم هو أول يوم اجتمعت فيه معد تحت راية واحدة ، هي راية عامر ابن الظرب . وقد اجتمعت بعدها مرتين تحت راية واحدة : مرة تحت راية ربيعة ابن الحارث في قضاة ، ومرة أخرى تحت راية كليب بن ربيعة^١ . فهذه المعركة هي من المعارك القديمة التي وقعت بين العدنانيين والقحطانيين على رأي الأخباريين . وعامر بن الظرب هذا ، رجل يعدّه الأخباريون من قدماء حكماء العرب وأئمتهم الذين تحاكم اليهم الناس ، وصارت أحكامهم سنة يتبعونها . وقد ذكر أهل الأخبار أنه أول من قرعت له العصا . ويرون في تفسير ذلك أنه كان قد كبر وهرم ، وكان الناس يأتون مع ذلك اليه ليحكموه فيما يقع بينهم من خلاف . فقال له أحد أولاده : « إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك » ، فقال عامر : « فاجعلوا لي أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت الى الصواب » : فجعلوا قرع العصا أمانة يتبهنه بها . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فيرجع الى الصواب^٢ .

ولأهل الأخبار قصص عن عامر ، فقد ذكروا أنه كان أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم ، ولجلوسه على منبر، سمّوه ذا الأعواد ، ونسبوا اليه أحكاماً وحكماً وأقوالاً وعمراً طويلاً ، وعدّوه من الفصحاء البلغاء ، وجعلوا أقواله مضرباً للأمثال^٣ .

وأخذ رؤساء معدّ على عاتقهم الخروج على طاعة حكام اليمن ، أو من عينه هؤلاء الحكام عليهم، وذلك بعد ما تبين لهم من ضعف الحكم في اليمن ومن تقاتل المتنفذين فيها بعضهم مع بعض ، ومن تدهور الأحوال هناك . وكانت اليمن قد ولت (زهير بن جناب) زعيم كلب على قبائل معد . وكتب من قبائل قضاة ، فوافقت معدّ على تعيينه وخضعت لحكمه ، وأخذت تؤدي الإتاوة له . وكان يخرج في حاشية لجمع الإتاوة ، فأصاب معداً ضيق شديد ، وأجذبت أرضهم ، فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير وألحّ في مطالبتهم ، فشكوا عجزهم، وطلبوا

١ ابن الأثير (٢٩٥/١) ، جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٢٤) .
٢ ابن الأثير (٢٢٧/١) ، الأغاني (٣/٣ وما بعدها) .
٣ المحبر (٢٣٧ وما بعدها) .

لإمهاهم والتخفيف عنهم . فإكان منه إلا أن منعهم النجعة والمرعى ، فنقموا منه ، وأصابهم من ذلك بلاء ، فغضب عليه رجل منهم من بني (تيم الله) ، اسمه زياة ، واندس اليه وهو نائم فطعنه ، وظن أنه قتله ، ورجع الى قومه فأخبرهم بخبره ، ولكن (زهيراً) لم يصب بسوء ، ونجا من الطعنة ، وكان قد أخذ أنفاسه ولم يتحرك حتى يوههم (زياة) أنه قتله ومات ، ثم أوعز الى حاشيته أن يعلنوا أنه مات ، وشاع خبر موته بين الناس ولكنه كان قد قرّر مع حاشيته الى قومه ، حيث جمع جمعهم ، ثم هجم بهم على بكر وتغلب، وقتلهم قتالاً شديداً أدى الى هزيمة بكر ، ثم الى هزيمة تغلب من بعدها، وأسر (كلياً) و (مهلهلاً) ابني ربيعة ، وجماعة من أشراف تغلب . فتأثرت قبائل ربيعة من هذه الهزيمة ، وعينت (ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي) ، والد (كليب) و (مهلهل) رئيساً عليها ، فحمل ربيعة ومن انقاد اليه على زهير ، واسترجع الأسرى، ولكن زهيراً لم يلبث أن عاد إلى ما كان عليه من جمع الإتاوة من معد^١ .

وإذا أخذنا برأي الأخباريين القائلين إن تعيين زهير بن جناب على بكر وتغلب ابني وائل كان بأمر أبرهة الذي غزا نجداً ، وتوسع فيها ، فجاءه زهير ليتقرب اليه ، وليعينه على بعض القبائل ، يكون حكم زهير على هذا القول في القرن السادس للميلاد^٢ .

وفي عهد رئاسة (كليب بن ربيعة) ، جددت قبائل ربيعة محاولاتها للتخلص من حكم اليمن ، وكان (كليب) شخصية قوية ، فاخترته قبائل معد رئيساً عليها ، واجتمعت تحت لوائه ، والتقت باليمن في (يوم خزاز) ، فانتصرت معد فيه ، وعدت من أيامها الكبرى قبل الاسلام^٣ . ونظرت معد إلى كليب نظرة تجلة واحترام ، وجعلت له قسم الملك وتاجه وطاعته ، لأنه وحدهم وأنقذهم من

١ المحبر (٢٤٩) ، ابن الأثير (٢٣٨/١) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (٢٠٥/١) .

٣ (خزاز) ورد أيضاً (خزاري) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (تحقيق الريان) ابن رشيق ، العمدة (٢١٢/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، تحت (باب ذكر الوقائع والأيام) .

تعسف اليمن بهم^١ .

وقد داخل (كليب بن ربيعة) زهو شديد بعد هذا النصر ، وبعد سيادته بني معد ، فبغى على قومه ، وصار يتعسف في احماء الحمى ، فلا يرعى حماه أحد ، ولا يصاد فيه ولا تَرَدُّ لابل مع لبله ، ولا توقد نار مع ناره ، وبقي كذلك حتى قتله (جساس بن مرة الوائلي) ، فتوالت الحروب بين تغلب وبكر وائل بسبب ذلك^٢ .

وقد اختلف الأخباريون في هذا اليوم ، واختلفوا في اسم قائد قبائل معد فيه ، واختلفوا في اسم ملك اليمن الذي في عهده وقع ، واختلفوا في زمن وقوعه ، وفي سببه ، فقالوا : إن رئيس معد فيه هو (كليب بن ربيعة) ، وقالوا : بل هو زُرارة بن عدس ، وقالوا : لا ، وإنما هو ربيعة بن الأحوص بن جعفر . ويذكر بعضهم أنه وقع بعقب يوم السلان ، وأنه كان لجموع ربيعة ومضر وقضاعة على منحج وغيرهم من اليمن^٣ .

وذكر جماعة من أهل الأخبار ، أن (الأحوص بن جعفر بن كلاب) ، كان على نزار كلها يوم خزاز ، ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر أن كليياً كان على نزار . وتوسط جماعة بين الرأيين ، فقالت : كان كليب على ربيعة ، وكان الأحوص على مضر^٤ .

وسبب اختلافهم في ذلك هو دور العصيات القبلية ، والتزعزعات العاطفية عند الرواة . ذكر أهل الأخبار ان جماعة من وجوه أهل البصرة ، كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاحرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فتعصب كل قوم لرئيس من الرؤساء الذين ذكروا . وقد تحاكموا إلى (عمر بن العلاء) وكانوا في مجلسه ، فقال : ما شهدا عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ، ولا جُشَم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك . ولقد سألت عنه ، فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك^٥ . وقد أنكسر بعضهم أن يكون لكليب بن ربيعة دور

١ ابن الأثير (٢٣٨/١) ، صبح الأعشى (٣٩/١) .

٢ صبح الأعشى (٣٩١/١) .

٣ العمدة (٢١٢/٢) ، المحبر (ص ٢٤٩) ، العقد الفريد (٩٨/٦) (طبعة العربان) .

٤ البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها ، العمدة (٢١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٥ العقد الفريد (٩٧/٦) وما بعدها ، نهاية الأرب (٤٢٠/١٥) .

بارز فيه . والظاهر أن روايات الرواة عن هذا اليوم ، وهي شفوية بالطبع ، كانت متضاربة تضارباً كبيراً بسبب بعد عهد ذكرتهم عنه ، كما كانت متنافرة بسبب العواطف والنزعات القبلية ، وتعصب كل راوٍ لقييلته . فلما جاء مدوّنو الأخبار لجمع ما في حافظة رواة القبائل عن هذا اليوم ، وجدوا اختلافاً كبيراً ، حاولوا جهد امكانهم التوفيق بينه ، واستخراج قصة موحدة عنه ، فجاءوا بهذا الذي جاؤوا به .

وترجع رواية من روايات أخبار هذا اليوم ، سبب وقوعه الى جباية أهل اليمن لقبائل معدّ . (كان الرجل منهم يأتي ، ومعه كاتب وطفنسة يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ما شاء ، كعمال صدقاتهم اليوم ، وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك : ملوك حير)^١ . فلما ضجرت نزار وبقيّة قبائل معد من هذه الجباية القاسية ، ومن هذا التعسف ، هاجت على اليمن ، وأعلنت عصيانها على القحطانيين ، فوقع هذا اليوم . أوقدت ناراً على خزاز ثلاث ليال ، ودخنت ثلاثة أيام . فلما أحست مدّحج باجتماع (معد) ، سارت على نزار ومن انضم اليها من معد ، فوقع يوم خزاز .

وجاء في رواية أخرى ، ان سبب هذا اليوم هو احتباس ملك من ملوك اليمن أسرى من مضر وربيعة وقُضاعة ، وامتناعه عن فك أسرهم ، وذلك في عهد (كليب) . فجاءه وفد من بني معد فيهم : سدّوس بن شيان بن ذهل ، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيان ، وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة ، وجشم بن ذهل بن هلال . فلقبهم رجل من بهراء يسمى عبيد بن قُرَاد ، وكان في الأسر وكان شاعراً ، فسألهم أن يدخلوه في عدّة من يسألون . فكلّموا الملك فيه وفي الأسرى ، فوهبهم لهم ، وأبقى الملك بعض أفراد الوفد رهائن حتى يأتي الباقيون برؤساء قومهم ليأخذ عليهم موثيق الطاعة . فرجع الباقي إلى قومهم وأخبروهم الخبر ، فاجتمعت ربيعة ومعد تحت راية (كليب بن ربيعة) (كليب وائل) ، فسار معه (السفاح التغلبي) وهو سلمة بن خالد بن كعب ابن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب ، وقد جعله (كليب) على مقدمة معد ، وأمر (كليب) أن توقد النار على خزاز ، ليهتدوا

١ العقد الفريد (٩٧/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٤٢٠/١٥ وما بعدها) .

بها . فلما سمعت مذبح باجتماع ربيعة ، استعدت هي ومن يليها من قبائل اليمن للقتال ، وساروا اليهم . فلما سمع أهل تهامة بذلك انضموا الى ربيعة ، وساروا كلهم الى خزاز . فلما التقى الطرفان ، اقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت مذبح شر هزيمة فيه^١ .

ولياقوت الحموي رواية أخرى في سبب وقوع هذا اليوم ، فهو يقول إن مضر وربيعة اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم، فكل أراد أن يكون منهم، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ومن مضر ملك، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا أن يتخذوا ملكاً من اليمن ، فطلبوا ذلك الى بني آكل المرار من كندة ، فلكوا أولاد الحارث بن حجر الكندي عليهم ، ثم ما لبثوا أن ثاروا عليهم وقتلوه ، فكان حديث يوم الكلاب . ولم يبق من ولد الحارث غير سلمة ، فجمع جموع اليمن وسار ليقبض نزاراً ، وبلغ ذلك نزاراً فاجتمع بنو عامر وبنو وائل ، وتغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، فكان يوم خزاز، وقد انتصر بنو نزار فيه على القبائل اليمانية^٢ . وهذه الرواية قريبة جداً من رواية (اليعقوبي) عن هذا اليوم^٣ .

وقد أشار (عمرو بن كلثوم التغلبي) الى هذا اليوم ، وافتخر به ، كما افتخر بـ (كليب وائل) ، وذكر أن قومه أعانوا نزاراً في محاربتهم اليمن في ذلك اليوم^٤ . وذكر بعض أهل الأخبار أنه (لولا عمرو بن كلثوم ما عُرِف يوم خزاز)^٥ . وذلك لذكره له في شعره .

وقد ذكر هذا اليوم عدد آخر من الشعراء منهم (زهير)^٦ .

- ١ ابن الأثير الكامل (٢٤٣/١) (٣١٢/١) ، النقائض (١٠٩٣) (بيفان) ، العقد الفريد (٢٤٥/٥) ، ابن الأثير (٣١٠/١) (المنيرية) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢) ، الجمحي ، الطبقات (٣١) ، العقد الفريد (٣٦٤/٣) ، أيام العرب (١٠٩) .
- ٢ البلدان (٤٢٨/٣) وما بعدها ، أيام العرب (١٠٩ وما بعدها) .
- ٣ اليعقوبي (١٨٤/١) .
- ٤ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٣٠) ابن الأثير الكامل (٣١٢/١) .
- ٥ البكري ، معجم ما استعجم (٤٩٦/٢) (باب حرف الخاء) العقد الفريد (٩٧/٦) وما بعدها .
- ٦ شهدت الواقدين على خزاز وبالسلان جمع ذا ثواء البكري ومعجم (٤٩٦/٢) .

والسفاح التغلبي ، وهو سلمة بن خالد من الجرارين للجيش ، وقد قاد قومه يوم كاظمة ، وقيل له السفاح لأنه سفح المزاد أي صبها في ذلك اليوم حتى يقاتل قومه قتال المستميت ، وكان من خطباء حرب بكر وتغلب^١ .

وذهب بعض أهل الأخبار الى أن يوم خزاز هو (أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية)^٢ . وهو رأي يعبر عن وجهة نظر العدنانيين بالطبع . ففي هذا اليوم انتصرت نزار ومن انضم اليها من قبائل مَلَحَج ومن انضاف اليها من قبائل اليمن ولم يسبق لقبائل نزار، وهي مضر وربيعة وبقية معدّ أن تغلبت على القبائل الكبرى المنظمة المنتمة الى اليمن . فكان يوم نصرها هذا من أعظم الأيام عندها ، بعث فيها روح المقاومة والاعتماد على النفس في مقاومة القبائل القوية التي تنسب نفسها الى اليمن .

واذا أخذنا برأي القائلين إن يوم خزاز كان عقب يوم السلان ، يكون هذا اليوم قد وقع أيام النعمان بن المنذر ، أي في أواخر أيام المناذرة وفي النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، إذ يذكر الأخباريون أن سبب وقوع يوم السلان هو ان بني عامر بن صعصعة كانوا قوماً حمساً ، أي متشددين في دينهم ، لقاها لا يدينون للملوك . وكان من عادة النعمان بن المنذر أن يجhez كل عام لطيمة لتباع بعكاظ ، فتعرض لها بنو عامر ، فغضب النعمان ، وبعث عليهم وبرة الكلي أخاه لأمه ومعه الصنائع والوضائع وجاعة من بني ضبة بن أد والرباب وتميم ، وانضم اليهم ضرار بن عمرو وأولاده ، وهم فرسان شجعان ، وحيش ابن دلف ، وطلب منهم أن يذهبوا الى عكاظ فإذا فرغوا من البيع ، وانسلخت الأشهر الحرم ، قصدوا بني عامر بنواحي السلان .

فلما فرغوا من عكاظ ، علمت بخطتهم قريش ، وأرسل عبدالله بن جُدعان قاصداً أخبر بني عامر بغرض القوم ، فحذروا وتهاؤا للحرب ، وتحزوا ووضعوا العيون ، وسلموا قيادتهم لفارس شهير معروف هو عامر بن مالك المعروف بملاعب الأستة . فلما التقوا تغلبوا على قوة النعمان وهزموها ، وأخذوا وبرة أسيراً . ولم يفكوه من أسره إلا بألف بعير وفرس^٣ .

١ الاشتقاق (ص ٢٠٣) ، المحبر (ص ٣٠٠) .

٢ البلدان (٤٢٨/٣) وما بعدها .

٣ البلدان (١٠٤/٥) ، (يوم السلان) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٦٨/١) .

ويدخل يوم الكلاب الثاني في عداد هذه الأيام . وقد وقع عقب يوم الصفقة ، وقع بين تميم وبني سعد والرباب وبين منحج ومن التف حولها من قبائل اليمن . فلما بلغ منحج ما حل بتميم بالمشقر وبهجر بعد الصفقة ، وما سمعته من تخوفهم من انتقام كسرى مرة ثانية منهم ومن دوران العرب عليهم ، مشى رجال منحج بعضهم الى بعض ، وقالوا : اغتصموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاة ، ثم سألت منحج كاهنها المأمور (الحارثي) في أمر هذا الهجوم فتهاها ، ولكنها لم تأخذ برأيه ، بل سارت طامعة في تميم ، وقد جمعت اثني عشر ألف مقاتل ، من منحج وهمدان وكندة : وهو أعظم جيش أخرجه العرب كما يقول علماء الأخبار^١ . وكان من رجالهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد ابن المخرم ، ويزيد بن الكيشم (الكيسم) (اليكسم) بن المأمور (المأموم) ، ويزيد بن هوبر . وهم كلهم حارثيون ، ومعهم عبد يغوث الحارثي ، وأقبلت بنو سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جساس ورئيس سعد بن قيس بن عاصم ، والتقت في أوائل الناس بمجموع منحج وهمدان وكندة ، واختلطوا واقتتلوا قتالاً شديداً انتهى في آخر النهار بمقتل (النعمان بن جساس) . وقد دفع مقتله بني تميم على الثبات والوقوف للأخذ بالتأثر ، حتى تمكنت من الانتقام لنفسها ، بأن انتصرت على اليمن . فأسر (عبد يغوث بن وقاص الحارثي) ، (عبد يغوث ابن صلاة الحارثي) سيد (بني الحارث) ، وقتل خمسة من أشرف اليمن ، وأخذت الرباب (عبد يغوث) وقتلته بقتل (النعمان بن جساس) . وهكذا انتهى هذا اليوم بفوز بني تميم . وكان رئيسها في هذا القتال : قيس بن عاصم . ويسمى الكلاب الثاني : يوم جز الدواب^٢ . ودعاه (ابن رشيقي القيرواني) بـ (يوم الشعبية)^٣ .

ونعت بعض أهل الأخبار اليزيديين الأربعة المذكورين وهم قادة القوم : يزيد ابن هوبر ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المأموم ، ويزيد بن المخرم ،

-
- ١ (فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه) ، العقد الفريد (٧٨/٦ وما بعدها) .
 - ٢ النقائض (٤٥٢/١ وما بعدها) (بيفان) العقد الفريد (٧٨/٦ وما بعدها) ، البكري ، معجم ما استعجم (١١٣٢/٤) ، النقائض (١٠٧٥/٢) ، ابن الأثير الكامل (٣٧٩/١) ، العقد الفريد (٢٢٥/٥) ، نهاية الأرب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) .
 - ٣ العمدة (٢٠٦/٢) .

ب (أربعة أملاك)^١ . ويدل ذلك على أنهم كانوا يلقبون بلقب ملك ، وأن (بني الحارث) كانوا قد نصبوهم عليهم ، وإن كان لقب (ملك) لا يتجاوز في الواقع لقب (شيخ) في عرف هذا اليوم .

وكان من أبرز رجال تميم في هذا اليوم سبعة من رؤسائهم ، هم : أكم بن صيفي ، والأحيمر (الأعيمر) بن يزيد بن مُرّة المازني ، وقيس بن عاصم المُنقري ، وأبير بن عصمة التيمي ، والنعمان بن جساس (الحسحاس) التيمي ، وأبين بن عمرو السعدي ، والزبرقان بن بدر السعدي^٢ . وبرز فيه اسم (مصاد بن ربيعة بن الحارث) و (عصمة بن أبير التيمي) وهو الذي أسر (عبد يغوث) و (قبيصة بن ضرار الضبي) ، وهو الذي شدّ على (ضمرة بن لبيد الحامسي الكاهن) فطعنه وخرّ صريعاً، فقال له قبيصة : ألا أنباك تابعدك بمصرعك اليوم^٣ .

وأما (الكلاب الأول) ، فكان لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور، ومعه : بنو تغلب والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد مائة والصنائع ، على أخيه (شرحبيل ابن الحارث بن عمرو) ، ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك ، وبنو أسد، وطوائف من بني عمرو بن تميم ، والرباب . فقتل (شرحبيل) ، قتله (أبو حنشل عاصم بن النعمان الجشمي) ، ويقال : بل قتله (ذو النينة حبيب ابن عُتبة الجشمي)^٤ .

ومن هذه الأيام يوم (فيف الريح) ، وهو موضع بأعلى نجد ، وقع بين مذحج وعامر . وسببه أن (بني عامر) كانوا يطلبون (بني الحارث بن كعب) بأوتار كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي ، وكان يغزو بمن تبعه من قبائل مذحج وأقبل في بني الحارث وجُعُفي ، وزيد ، ومراد ، وقبائل سعد العشرة ، ومراد ، وصداء ، ونهد ، واستعانوا بقبائل خثعم وعليهم أنس بن مدرّك ، فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرّك ، وأقبلوا يريدون بني عامر ، وهم متجعّون (فيف الريح) ، ومع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرّوا ، إمّا ظفروا وإمّا ماتوا جميعاً . فاجتمعت بنو عامر كلها الى

١ نهاية الأرب (٤٠٨/١٥) .

٢ نهاية الأرب (٤٠٧/١٥) ، أيام العرب (١٢٤) .

٣ نهاية الأرب (٤١٠/١٥) .

٤ العمدة (٢٠٦/٢) (ط٠ محمد محيي الدين عبد الحميد) .

عامر بن الطفيل (عامر بن مالك ملاعب الأسنة) ، والتقى الجمعان في قتال لم يعط نصراً ينياً لأحد الطرفين ، إذ وقع القتل في الفريقين ، ولم يستقل بعضهم عن بعض غنيمة ، وكان الصبر والشرف لبني عامر . ومن قتل أو جرح فيه : الصمّيل بن الأعور الكلابي ، وحسيل بن عمرو الكلابي ، وخليف بن عبد العزى النهدي ، وكعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء ، وعامر بن الطفيل^١ .

ومن أيام القحطانيين مع العدنانيين (يوم ظهر الدهناء) . كان أوس بن حارثة بن لأم سيداً في قومه طيء ، مطاعاً فيهم ، جواداً معروفاً . حباه النعمان ابن المنذر حلة على العادة المتبعة عند ملوك الحيرة في تكريم الرؤساء الذين يفدون عليهم ، وفضله على غيره ، بأن طلبه وكان غائباً دون قوم من السادة الأشراف ، فاغتاظ حساده من ذلك وأوعزوا الى بعض الشعراء بهجائه ، فهجاه بشر بن أبي خازم وهو من بني أسد ، وأسرف في هجائه ، فاغتاظ أوس من ذلك ، وجمع قومه من طيء ، وأوقع بيني أسد بظهر الدهناء ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، فانهزمت منه ، وهرب بشر ، فجعل لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارته على أوس الى ان التجأ الى أم أوس ، فأجارته ، وأجاره أوس عندئذ ، وعفا عنه ، ومنّ عليه وأعطاه وجباه ، فانقلب مادحاً له^٢ .

والأيام التي ذكرها الأخباريون عن حروب العدنانيين مع ملوك اليمن للحصول على استقلالهم ، قليلة . ولا يعني حكم اليمن للعدنانيين أن تبابعة اليمن كانوا يحكمون تلك القبائل حكماً مباشراً ، وانما هو في الواقع وكما يظهر من غرابة هذه الروايات حكم كان يتسع ويتقلص تبعاً لقدرة الحكام وشخصياتهم ، ولاتفاقاتهم مع سادات تلك القبائل ، ولأن القبائل العدنانية هي قبائل بدوية في الغالب لا تستقر على حال ، ومن طبع البداوة التنازع والتخاصم . ثم إن سادات القبائل كانوا كما هو شأنهم في كل وقت متنافسين متخاصمين ، لذلك وجد ملوك اليمن ، وهم ملوك

١ الميداني (٣٠٨/٢) ، الأغاني (٢١/٥) ، البلدان (٤١٣/٦) ، النقاظ (٤٦٩) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، ذيل الامالي (١٤٦) ، أيام العرب (١٣٢) ، نهاية الأرب (٤١٤/١٥) العملة (٤١٣/٢) .
٢ راجع ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ابن الاثير الكامل (٢٦٢/١) ، بلوغ الأرب (٨٤/١) ، ابن الاثير (٢٨٢/١) ، الشعر والشعراء (٨٦) ، أيام العرب (١٣٧) وما بعدها .

شعب أكثره مستقرة ، من السهل عليهم التدخل في شؤون تلك القبائل بتأييد هذا الرئيس على منافسه ، وبتعيين رئيس من رؤساء القبائل الكبيرة على قبيلة أو جملة قبائل أخرى ضعيفة أو متخاصمة ، لتهيئة الحال وقرار الأمن . فصار من العادة بين القبائل العدنانية ، بل بين القبائل القحطانية كذلك ، أو بين كبار سادات القبائل ، أن يلجأوا الى التبابعة للتدخل في الخصومات وقرار الأمن بالحكم بين المتخاصمين ، أو بتعيين رجل محترم كبير من اليمن أو من غير اليمن عليهم . ونجد بين روايات الأخباريين روايات تؤيد هذا الرأي .

ويدخل الأخباريون في أيام العدنانيين مع القحطانيين الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية وبين ملوك الحيرة لاعتدادهم من قحطان . وكذلك يدخل أهل الأخبار في أيام القحطانية مع العدنانية الأيام التي وقعت بين ملوك بني سليح والغساسنة من بعدهم وبين القبائل العدنانية ، والأيام التي وقعت بين كندة وبين القبائل العدنانية .

وإذا أسلفت الكلام على أيام تلك الحكومات مع القبائل العدنانية في المواضع المناسبة ، فلاني أكفي بالإشارة إليها ، على أمل الرجوع الى تلك الأماكن لمن يريد الوقوف عليها .

أما أشهر أيام القحطانيين ، فالأيام التي وقعت بين المناذرة والغساسنة ، والأيام التي وقعت بين هؤلاء الملوك وملوك كندة وأمرائها ، ثم الأيام التي وقعت بين القبائل المنتسبة الى اليمن ، مثل الأيام التي وقعت بين الأوس والخزرج ، والأيام التي وقعت بين قبائل طيء ، وأمثال ذلك . ولما كنت قد تحدثت عن معظم هذه الأيام ، فسأكتفي بما تحدثت عنها ، وأتحدث عن النابه من بقية الأيام فقط مما لم أتحدث عنه سابقاً .

وتؤلف الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية الجزء الأكبر من أيام العرب ، وهي أهمها وأغناها بالشعر والأمثال والقصص . وكان لتميم وبكر وتغلب أثر خطير فيها . وأشهر هذه الحروب ، الحرب المسماة بحرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ودامت أربعين عاماً على ما يذكره الأخباريون .

وتغلب وبكر هما من قبائل ربيعة ، لذلك تكون حرب البسوس من الحروب التي وقعت بين قبائل ربيعة ، لأن أيام العدنانيين هي أيام وقعت بين قبائل ربيعة وحدها ، وأيام وقعت بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر ، وأيام وقعت بين

قبائل مضر^١ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن أشهر أيام بكر وتغلب ، خمسة أيام مشاهير .
أولها يوم عزيمة وتكافأوا فيه ، والثاني يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر .
والثالث يوم الحنو ، وكان لبكر على تغلب . والرابع يسوم القصصيات ، وكان
لتغلب على بكر . والخامس يوم قِصة ، وهو آخر أيامهم ، وكان لبكر . وفيه
أسر مهلهل بن ربيعة^٢ .

وتولد من هذه الحرب قصص وشعر ، نسب الى أبطال الأيام التي وقعت
فيها ، وأمثلة ذكر أنها قيلت في المناسبات ، صارت على العادة أمثلة شائعة بين
الناس^٣ .

وليست حرب البسوس في الواقع حرباً واحدة ، إنما هي حروب عدة وقعت
في تلك المدة المذكورة وفي أوقات متقطعة الى أن انقطعت بوساطة المنذر بن ماء
السياء وتدخله بين الفريقين .

والذي أثار نيران هذه الحرب هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيان أخو
(جلييلة) امرأة كليب بن ربيعة سيد قبيلة تغلب ، وذلك بقتله كليياً ، لأنه أدمى
ضرع ناقة للبسوس خالة جساس ، إذ كانت ترعى في أرض حماها كليب ومنع
الرعي فيها إلا لإبله . وقد أثار عمل كليب هذا غضب جساس ، فقتله ، وثار
بذلك الحرب بين تغلب وبكر قوم جساس .

وكليب بن ربيعة ، أو (كليب وائل) كما يعرف عند بعض أهل الأخبار ،
هو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو

١ المعارف (٦٠٥ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٥/١ وما
بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢١٣/٥ وما بعدها) ،
سبائك الذهب (١٠٥) ، مقامات الحريري (٢٦٠) ، الاغانى (١٣٩/٤ وما بعدها) ،
فرائد اللال في مجمع الامثال ، لابراهيم بن السيد علي الاحمد الطرابلسي ،
(٣١٩/١ وما بعدها) ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت) ، صبح الاعشى (٣٩١/١)
وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣١٢/١) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٦) .

٣ الاغانى (١٤٠/٤ وما بعدها) ، أبو تمام ، الحماسة (٤٢٠ وما بعدها) ، مجمع
الامثال (٣٤٢/١) ، النقااض (٧٧٣) ، شيخو : شعراء النصرانية (١٥١ ، ١٦٠ ،
٢٤٦ ، ٢٧٠) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢٤١/١ وما
بعدها) .

ENCY. I, p. 674.

ابن غنم بن تغلب^١ . رجل صلب قوي ، تمكن بمواهبه وبقدرته من السيطرة على قبائل ليست السيطرة عليها بأمر سهل يسير ، ومن إقامة نفسه ملكاً عليها ، ومن أخذ الإتاوة من القبائل ، ومن الانتصار على قبائل اليمن في يوم خزاز . وبقي على ذلك دهرأ ، حتى داخله زهو شديد ، فأخذ يبغي على القبائل ويشط في أخذ الإتاوة منها وفي اتخاذ خيرة الأرضين المخصصة أحماء لا يجوز لإبل غيره الرعي فيها ، ولا الاستيلاء على مواضع الماء ، حتى ضجرت الناس منه ، فكانت نتيجته ما تقدم^٢ .

وأخذ المهلهل (واسمه علي بن ربيعة) ، وهو أخو كليب على نفسه عهداً بأن يترك النساء ، والغزل ، والقمار ، والشراب ، حتى يثأر بقتل أخيه ، وجمع قومه ، ووقعت حروب . ومهلهل هذا هو أول من حلل الشعر ، أي أرقه على حد رواية أهل الأخبار^٣ .

وقد أقام أصحاب (كليب) قبة رفيعة على قبره ، تكريماً له^٤ . شأن الجاهليين في ذلك الزمن من إقامة القباب على قبور الكبار .

وفي جملة الأيام التي يدخلها أهل الأخبار في حرب البسوس : يوم النهي ، ويوم الذنائب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، ويوم القصصيات ، ويوم تحلاق اللمم^٥ .

وكما كان كليب سيد تغلب ، كذلك كان زهير بن جذيمة العبسي سيد قيس عيلان . وقيس عيلان قبائل كبرى عديدة ، كان لها شأن بين القبائل وخطر ، ترأس غطفان ، وقادها كلها وساد على عبس وذبيان ، ولمكانته هذه ولسؤده تزوج إليه النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة ، فتوسع بذلك نفوذه وعظمت منزلته عند القبائل ، ولا سيما القبائل المتصلة به والقبائل الخاضعة للملك الحيرة .

-
- ١ للاخباريين أقوال في سبب تسميته بكليب ، راجع عن ذلك : الكامل ، لابن الاثير (٢١٤/١) ، الاشتقاق (ص ٣٠٤) .
 - ٢ ابن الاثير (٢١٤/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (راجع فصل أيام العرب) ، النقائض (٩٠٥ وما بعدها) ، الميداني (٢٥٤/١) ، خزانة الادب (٣٠١/١ وما بعدها) .
 - ٣ نهاية الارب (٣٩٨/١٥ وما بعدها) .
 - ٤ أيام العرب (١٦٥) .
 - ٥ ابن الاثير (١٨٣/١) ، العقد الفريد (٣٤٨/٣) ، البلدان (١٣٩/١) ، الاغاني (٣٢/٥) ، مجمع الامثال (٣٤٢/١) ، خزانة الادب (٤٢٥/١) ، أيام العرب (١٤٢) .

واتفق ان أحد أولاد زهير - واسمه شأس - كان عائداً من زيارته للنعمان
ومعه هدايا ثمينة والطفاف فاخرة حباه بها النعمان ، فطمع به رجل من غنيّ اسمه
(رباح بن الأسك الغنوي) وقتله بموضع منعج . فلما علم بذلك أبوه ، أخذ يقتل
كل من وقعت عليه يده من غنيّ . وغزت بنو عيس غنيّاً ومعها الحصين بن
زهير آخر شأس ، فطلبت غنيّ من رباح ترك أرضها والارتحال عنها ، وصار
هذا القتل سبباً لإثارة البغضاء بين عيس وغنيّ لما أوقعه زهير بغنيّ من القتل^١ .
ويوم منعج ويسمى أيضاً بـ (يوم الردمة)^٢ ، من الأيام التي وقعت بسين
قبائل قيس . ومن هذه الأيام : يوم التفراوات (التفرات) ، ويوم بطن عاقل
وداحس والغبراء ، والرقم ، والتناة ، وحوزة الأول ، وحوزة الثاني ، واللى^٣ .
وكان زهير يأخذ الإتاوة من هوازن كرهاً ، تدفعها اليه كل عام بسوق عكاظ
وهي مكرهة . وكانت هوازن تعترف بسيادته عليها وتعتبره رباً ، وهي يومئذ
لا خير فيها ، وإنما هي رعاة الشاء في الجبال . فإذا كانت أيام عكاظ أتاهما
زهير ، ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي عليهم ، فيأتونهم
بالسمن والأقط والغنم ، ثم اذا تفرق الناس نزل بالتفراوات . فلما كان الدفع ،
ذهب زهير على عادته لأخذ الإتاوة ، انتهز (خالد بن جعفر بن كلاب) هذه
الفرصة ، فذهب الى هوازن ، وحرصها على زهير . فلما بلغ زهير أطراف بلاد
هوازن ، باغته خالد بن جعفر ومعه جمع من هوازن ، فقتل زهير ، ورجع
به أبناؤه الى بلادهم ليدفنوه . وقد عرف اليوم الذي قتل فيه زهير بيوم
التفراوات^٤ .

وعزمت غطفان على الأخذ بثأر زهير من خالد ، فخاف خالد على نفسه منها ،
وفرّ الى الحيرة ليستجير بالنعمان في رواية ، أو بالأسود بن المنذر في رواية أخرى .
عندئذ تعهد الحارث بن ظالم المريّ . وهو فاتك معروف ، لبني زهير بقتل خالد
إذا كفت غطفان عن هوازن . وقد برّ بوعده ، إذ اغتاله وهو في قبة كان

-
- ١ الاغانى (٨/١٠) ، مجمع الامثال (٢٦٨/٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٣٧/١) ،
نهاية الارب (٣٤٤/١٥) وما بعدها .
 - ٢ نهاية الارب (٣٤٤/١٥) وما بعدها .
 - ٣ أيام العرب (٢٢٩) .
 - ٤ « التفرات » « التفراوات » ، نهاية الارب (٣٤٦/١٥) ، الاغانى (٨٤/١١) وما
بعدها ، (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٥/٦) وما بعدها .

النعمان قد أمر بتصبها له . وذلك بيطن عاقل ، فعرف اليوم به^١ . فلما علم بذلك النعمان ، أمر بطلبه ليقته بجاره ، وأخذت هوازن تطالب به لتقتله بسيدھا خالد . فقرر الحارث الى بني دارم من تميم ، واستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن ، فأجاره ضمرة على النعمان وهوازن ، فكان ذلك سبباً لتجهيز النعمان جيشاً على بني دارم انتقاماً منها لتجاسرها على ايواء من يطلب قتله .

وورد في رواية أخرى أن لجوء (الحارث بن ظالم) كان الى (معبد بن زرارة) ، وأن بني تميم استاءت من لجوئه إليه ، لأنه أوى هذا المشؤوم الأتكد ، وأغرى بهم الأسود ملك الحيرة ، وخذلوه غير بني ماوية وبني عبدالله بن دارم^٢ .

وجاء في خبر أن (الحارث بن ظالم) كان عند (حاجب بن زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم) . وقد وعده النصرة والمنعة . وبلغ الأحوص بن جعفر الكلابي أخو خالد بن جعفر ، مكان الحارث بن ظالم ، فسار على تميم ، حتى أدركها بـ (حرحان) ، فاقتلوا اقتتالاً شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب . فوفد لقيط بن زرارة في فدائه ، وعرض عليها مثنى بعير في فدائه ، فامتنعا قائلين : أنت سيد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا تقبل فيه إلا دية ملك . فأبى أن يزيدهم ، ورحل لقيط عن القوم ومنع بنو عامر معبداً عن الماء وضاروه حتى مات هزلاً^٣ . وورد في رواية انه أبى أن يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات هزلاً^٣ .

وأمر النعمان جيشه بالتوجه الى بني دارم ، وانضم اليه الأحوص بن جعفر أخو خالد ، ومعه جمع بني عامر ، للانتقام من الحارث قاتل خالد . فعلمت بنو دارم بمجيء الجيش ، واستعدوا للقتال ، فلما التقى الجمعان ، قتلت بنو مالك ابن حنظلة (ابن الخمس التغلبي) رئيس جيش النعمان ، وصبرت بنو دارم ، وأقبل قبس بن زهير فيمن معه ، فانهزمت بنو عامر ، وانهزم جيش النعمان ، وعادوا الى ديارهم ، وكان رئيس بني دارم زرارة بن عدس سيد بني تميم .

١ نهاية الارب (٣٤٨/١٥) .

٢ نهاية الارب (٣٤٩/١٥) .

٣ العقد الفريد (٣٦٠/٣) ، الاغانى (٣٠/١٠) ، ابن الاثير (٣٤١/١) ، النقاظ (٢١٤/١) ، نهاية الارب (٣٤٩/١٥) وما بعدها .

وهناك روايات أخرى عن هذا الحادث وعن الحارث ذكرتها في الفصول السابقة^١.

وصارت الرئاسة الى قيس بعد مقتل والده (زهير بن جذيمة العبسي) ، ويصفه الأخباريون بمجودة الرأي وبحسن التجارب، ويقولون إنه لذلك عرف بـ (قيس الرأي) ، ويذكرون له في ذلك أقوالاً وحكماً ونصائح ، ويروون طائفة من ذلك ، ولا سيما مما قاله في مناسبات حرب داحس والغبراء .

ويذكر أهل الأخبار أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، كان قد سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر ، والأخذ بثأر أبيه ، فأتى (أحيحة بن الجلاح) ليشتري منه درعاً موضونة ، فقال له : لا أبيعها ، ولولا أن تلمني بنو عامر لوهبته منك ، ولكن خذها بابت لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع ، ووهبه أحيحة أدراعاً ، وعاد قيس الى قومه ، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي ، فدعاه الى مساعدته على الأخذ بثأره ، فأجابه الى ذلك . فلما أراد فراقه، نظر الى عييته فقال : ما في حقيقتك ؟ قال : متاع عجيب، لو أبصرته لراعك، وأناخ راحلته ، وأخرج الدرع ، فأخذها ومنعها من قيس ، ولم يعطه إياها ، وترددت الرسل بينهما . فلما طالت الأيام على ذلك ، سیر قيس أهله الى مكة ، فأغار قيس على نعم الربيع ، واستاق منها أربع مئة بعير ، وسار بها الى مكة وباعها من عبدالله ابن جدعان واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء^٢ .

وقد اقترن اسم قيس بهذه الحرب الشهيرة التي يتناقل الناس قصصها الطريفة حتى اليوم ، وهي حرب ثارت بين عبس وذبيان بسبب اختلاف على سباق خيل كان قد تراهن عليه حذيفة بن بدر بن فزارة سيد ذبيان وقيس بن زهير ، اشتركت فيه خيار خيل قيس وحذيفة وفي مقدمتها داحس والغبراء والخطار والحنفاء . وقد ادعى كل واحد من المتنافسين أن فرسه كان السابق ، وأنه هو الكاسب للرهان في قصص طويل يتخلله شعر وكلام وجواب . وانتهى النزاع الى ما ينتهي اليه

١ ابن الاثير (٢٢٩/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٠/٨) ، مجمع الامثال (٢٦٨/٢) ،
المعقد الفريد (٧/٦ وما بعدها) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٤٣/١ وما بعدها) .

كل نزاع من هذا القبيل ، وهي الحرب^١ .

وهي حرب استمرت سنين ، قتل فيها حذيفة بن بدر وعدة رؤساء، واشتركت فيها شيبان وضبة وأسد وغطفان وقبائل أخرى ، كما ساهم فيها ملك هجر ، وامتدت الى أن اتصلت بالاسلام . وللشاعر زهير بن أبي سلمى ذكر فيها . ولم تنته إلا بتوسط الرؤساء حيث سوّيت بدفع الديات ، وبإنهاء تلك الحرب التي شغلت تلك القبائل وأقلقّت الأمن لذلك السبب التافه على زعم قول الرواة^٢ .

وفي جملة حروب داحس والغبراء ، يوم العذق ، وهو ماء ، انهزمت فيه فزارة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وأسر حذيفة ، فاجتمعت غطفان وسعت للصلح . فاصطلحوا على أن يهدم دم بدر بن حذيفة بدم مالك أخي قيس ، وتساووا فيما بقي ، فأطلق حذيفة من أسره .

ثم وقعت حرب أخرى ، مثل يوم (البوار) ، وكان الفوز فيه لعبس على فزارة وأسد وغطفان ، ويوم الهبابة ، ويوم الجراجر ، الى غير ذلك من أيام^٣ . ولامتداد هذه الحرب سنين عديدة ، وانتشارها خارج نطاق حدود قبيلتي عبس وذبيان ، شملت أرضين واسعة ، وتخللتها جملة أيام لها أسماؤها . وهي بالطبع كلها من أيام هذه الحرب : حرب داحس والغبراء .

وإذا قرأت قصة داحس والغبراء ، قرأت قصص شجاعة بطل مغوار أظهر

١ الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) (دار الكتب) (٢٤/١٦ وما بعدها) (١٢٣/١٧) (دار الثقافة ، بيروت) ، العقد الفريد (١٥١/٥) ، البلدان (٢٠٥/١) (بيروت) ، البكري معجم (١٣٩٦/٣) ، المعارف (٦٠٦) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٤٣/١) (الطباعة المنيرية) ، الاغاني (١٢٣/١٧) (دار الثقافة بيروت) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٧/١) (دار الكتاب اللبناني) ، البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٥٥/٣) ابن خلدون المجلد الثاني (٦٣٢) ، العقد الفريد (١٥٠/٥) (لجنة التأليف) ، اللسان (٧٧/٦) (بيروت ١٩٥٦ م) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها) .

٢ ديوان عنتر بن شداد (ص ١٥١) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٢٩٧/١) ، المعلقات السبع ، للزوزني (٨٩) ، الامثال (٥١/٢) ، العقد الفريد (٣١٣/٣) ، ابن هشام (١٨٢/١) ، ابن الاثير (٣٤٣/١ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥) ، شرح ديوان عنتر (٨٣ وما بعدها) (عبد المنعم) شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٢١٣) (مطبعة السعادة ١٩٦٤) ، ديوان زهير ابن أبي سلمى ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها ، الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) النقائض (٢٩٩/١) .

٣ ابن الاثير (٢٥٨/١ وما بعدها) .

شجاعة فائقة في هذه الحرب ، وكان له فيها شعر ، هو عترة بن شدّاد العبسي . وقصص شجاعة عترة معروفة حتى اليوم، مشهورة ، يسميها الناس بشوق ورغبة ، وهي عندهم أشهر من قصص داحس والغبراء : هذه الحرب التي خلد اسمها هذا الشعر وأمثاله .

وفي يوم الرقم ، غزت بنو عامر غطفان وعليهم عامر بن الطفيل شاباً لم يرأس بعد ، فخرجت اليهم بنو مُرة بن عوف ، وأشجع ، وناس من فزارة، وكلهم من غطفان ، فقاتلوا بني عامر ، وتغلبوا عليهم . وفرّ عامر بن الطفيل، وشتى الحكم بن الطفيل نفسه ، ليتخلص بذلك من الأسر . ويروي الأخباريون لعروة ابن الورد وللناطقة الليثاني ولعامر بن الطفيل شعراً ذكروا أنهم قالوه في هذا اليوم^١ .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم التناءة ، وكانت قد خرجت الى غطفان تريد الأخذ بثأرها من هزيمة يوم الرقم ، فأغارَت على نعم بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها ، فتعقبها عبس وأشجع وفزارة حيناً عادوا بالغنائم ، والتحموا بها ، وأوقعوا بها هزيمة كبيرة ، وقتلت كثيراً منهم ، ونجا عامر بن الطفيل بفرسه المشهور المسمى الورد^٢ .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم شواخط الذي وقع بين بني عامر وبني محارب بن خصفة ، وذلك حيناً أغارت جماعة من بني عامر على بلاد غسان^٣ .

ويعدّ عامر بن الطفيل من فرسان العرب المشاهير . وهو من المعاصرين للرسول ، وقد تعرّض لنفر من أصحاب رسول الله كان الرسول قد أرسلهم بناءً على رغبة (أبي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ملاعب الأسنة . وكان سيد بني عامر بن صعصعة، وذلك ليعلموا أهل نجد الاسلام ويفقهوهم في الدين . وقد تعهد للرسول بأن يحميهم ، وأن يكونوا في جواره . فلما بلغ النفر (بشر معونة)

١ خزانة الادب (٧٠/٣) ، المفضليات (ص ٣٠) ، العقد الفريد (٢٥/٦) ، (يوم الرقم) ، سبائك الذهب (١١٧) ، نهاية الارب (٣٦٤/١٥) .

٢ ابن الاثير (٣٩٥/١) ، الاغاني (٣١٣/١٠) ، العقد الفريد (٢٦/٦) ، نهاية الارب (٣٦٤/١٥) .

٣ العقد الفريد (٢٧/٦) ، نهاية الارب (٣٦٥/١٥) .

عدا عليهم (عامر بن الطفيل) فقتلهم ، واستاء من ذلك أبو يراء^١ .
 ووقعت بين سُليم وغطفان حرب بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد
 السلمي ، يوم حَوْزَة الأول . وكان سبب هذا اليوم تأثر معاوية من كلام امرأة
 من بني مُرة كانت جميلة وسيمة دعاها لنفسه ، وقد رآها بعكاظ ، فامتنعت ،
 فغزا لذلك بني مُرة . فلما علمت بنو مرة بقدومه عليهم ، تجهزوا له وقتلوه^٢ .
 فقرر صخر بن عمرو الشريد السلمي الانتقام من قتلة أخيه ، فأغار على بني مرة
 في يوم حوزة الثاني ، وقتل دريد بن حرملة أخا هاشم بن حرملة رئيس بني مرة .
 ثم قتل رجل من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي هاشم بن حرملة ، فاستراحت
 بذلك بنو سُليم ، وسرت النساء بمقتل هاشم ، ولها شعر كثير في رثاء أخيها
 معاوية وصخر^٣ .

وقد توفي صخر على أثر إصابته بجرح ظل يفتك به مدة طويلة ، أصيب به
 في غزوة غزا بها بني أسد بن خزيمه . فتعقبته بنو أسد لتخلص لإبلها منه ، وكان
 قد اكتسحها منهم في هذا الغزو ، فلما كان في موضع ذات الأثل ، لحقت به
 وجرحته فقتل هذا الجرح عليه^٤ .

ومن أيام هوازن وغطفان يوم اللوى ، وقد قتل فيه عبدالله بن الصمة أخو
 دريد بن الصمة . وكان عبدالله قد غزا مع بني جشم وبني نصر أبناء معاوية بن
 بكر بن هوازن وغطفان ، فظفر بهم وساق أموالهم . وبينما كان عائداً بغنائمه ،
 فاجأته عيس وفزارة وأشجع في موضع اللوى ، فقتلوه واستعادوا ما كان قد غنمه
 منهم ، وجرح دريد أخوه . فلما شفي دريد من جرحه ، أغار على غطفان ليستقم
 منها لمقتل أخيه ، وقتل رجالاً منهم ، واستاق جملة أسرى . وقد عرف هذا
 اليوم بيوم الغدير^٥ .

-
- ١ الطبري (٢٤٥/٢ وما بعدها) ، (خبر بشر معونة) ، المجبر (٢٣٤ ، ٤٧٢) ،
 الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .
 - ٢ العقد الفريد (٢٨/٦) ، الاغانى (٣٢٩/٢) ، (٤٨/١٠) ، (١٣٠-١٣٤/١٣) ، شرح
 الحماسة للتبريزي (١١٠/٣) ، نهاية الارب (٣٦٥/١٥) .
 - ٣ العقد الفريد (٢٩/٦ وما بعدها) ، الاغانى (١٤٠/١٣) ، المبرد (٢٨١/٢) ،
 نهاية الارب (٣٦٧/١٥) .
 - ٤ العقد الفريد (٣١/٦) ، نهاية الارب (٣٦٨/١٥) .
 - ٥ الاغانى (٦/١٠) ، شرح التبريزي على الحماسة (ص ٣٠٥) ، جمهرة أشعار
 العرب (ص ٢٢٦) . العقد الفريد (٣٢/٦ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٦٩/١٥) .

ويذكر أهل الأخبار أنه قد كان بين (دريد بن الصمة) و (ربيعة بن مكرم) يوم ، عرف بـ (يوم الطعينة) . وكان دريد قد خرج في فوارس من (بني جُشم) حتى إذا كان في وادٍ يقال له : (الأحزم) وهم يريدون الغارة على بني كنانة، رفع له رجل في ناحية الوادي ومعه طعينة ، فأرسل فرساناً من فرسانه ليأتوا اليه بنجبره ، فلم يعودوا ، فذهب (دريد) بنفسه اليه ليراه ، فأخذ الرجل منه رمحه وخطي ، ثم انصرف دريد الى أصحابه ، ثم لم تلبث (بنو كنانة) أن أغارت على بني جُشم ، فقتلوا وأسروا (دريد بن الصمة) ، وكان الرجل الذي أخذ رمح دريد يوم الطعينة ، هو (ربيعة بن مكرم) ، فلما سأل (دريد) وهو في الأسر عنه ، قيل له : (قتلته بنو سليم) ، ثم أطلق ، وجهز ، ولحق بقومه . فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك ^١ .

ولدريد يوم مع غطفان عرف بـ (يوم الصلعاء) . وقد انتصرت فيه هوازن على غطفان ، وقتل فيه دريد^٢ ذؤاب بن زيد بن قارب^٣ .

ودريد بن الصمة من الفرسان المعروفين كذلك ، وقد ترأس قومه في عدة غزوات . ويعدله الأخباريون في جملة البرص الأشراف، وهو ممن أدرك الإسلام^٤ .

و (ربيعة بن مكرم) فارس مشهور ، وهو فارس بني كنانة ، وبنو كنانة من أنجد العرب ، عرفوا بالشجاعة حتى قيل إن الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وصادف أن قتلت (بنو فراس) رجلين من بني سُليم ، فحققت بنو سليم عليهم . فلما كان ظعن من بني كنانة بـ (الكديد) ، وفيهم ربيعة بن مكرم ، تلقاهم قوم من (بني سُليم) ، فاقتتلوا معهم ، وقتل ربيعة في ذلك اليوم . ولما دفن عقر على قبره . وكان (يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره)^٥ .

ولما قتلت بنو سليم (ربيعة بن مكرم) ، غزا (مالك بن خالد بن صخر ابن الشريد) سيد (بني سُليم) (بني كنانة) . وكان بنو سُليم قد توجّأوا

-
- ١ نهاية الارب (٣٧٠/١٥ وما بعدها) .
 - ٢ نهاية الارب (٣٧٣/١٥) .
 - ٣ المحبر (٢٩٨ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٧٧ وما بعدها) .
 - ٤ الكديد ، بفتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهملة ، موضع بين مكة والمدينة ، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير ، نهاية الارب (٣٧٣/١٥) ، الاغانى (١٢٩/١٤) ، الامالى (٢٧١/٢) ، العقد الفريد (٣٢٤/٣) .

مالكاً وأمره عليهم ، حتى عرف بـ (ذي التاج) . فأغار (ذو التاج) على (بني فراس) وهم من (بني كنانة) بـ (بزة) . وكان رئيس بني فراس (عبدالله بن جدل) ، فدعا (عبدالله) (ذا التاج) إلى البراز ، فشد عليه وقتله^١ . وعرف هذا اليوم بـ (يوم فرارة) وبـ (يوم بزة)^٢ .

ثم إن بني الشريد حرّموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من كنانة فأغار (عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد) بقومه على بني فراس ، فقتل منهم نقرأ ، وسبي سبياً فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم^٣ .

وتيم من القبائل التي يرد اسمها في الأيام . ومن هذه الأيام عدة أيام وقعت بينها وبين قبائل ربيعة وأيام أخرى وقعت بينها وبين قيس . ومن أيامها مع قبائل ربيعة : يوم الوقيط ويوم ثبتل (نبتل) ، ويوم جدود ، ويوم زرود ، ويوم ذي طلوح ، ويوم الغبيط ، ويوم قشاوة ، ويوم زباله ، ويوم مبايض ، ويوم الزورين ، ويوم عاقل .

أما يوم الوقيط، فكان بين الهازم من ربيعة وبين تميم^٤ . وأما (ثبتل)^٥ (نبتل)^٦ فيذكر مع يوم النباج أيضاً ، وهما يومان متقاربان وقعا في موضعين متقاربين . وقد وقعا بسبب خروج قيس بن عاصم المتقري رئيس مقاعس بجاعته ومعه سلامة ابن ظرب رئيس الأجارب لغزو بكر بن وائل . فلما وصلا إلى النباج وثبتل ، وجدا الهازم وبني ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعتره بن أسد بهذين الموضعين ، فأغار قيس على أهل النباج واقتتل معهم ، فانهزمت بكر . فعاد قيس بغنائم عديدة فوجد سلامة ، وهو في موضعه لم يغر بعد على من بثبتل من ناس ، فأغار قيس

-
- ١ نهاية الارب (٣٧٤/١٥) .
 - ٢ « بزة » ، نهاية الارب (٣٧٤/١٥) ، « بزة » « بزر » ، العقد الفريد (٣٢٦/٣) ، أيام العرب (٣١٩) .
 - ٣ نهاية الارب (٣٧٥/١٥) .
 - ٤ العقد الفريد (٤٤/٦) (١٨٢/٥) وما بعدها (لجنة) ، (٣٣٠/٣) ، النقائص (ص ٣٠٥) ، نهاية الارب (٣٧٩/١٥) وما بعدها ، (دار الكتب) ، أيام العرب (١٧٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٨٥/١) ، الامالي (٦/١) ، العملة (٢٥١/٢) ، مرصد (٢٩٥/١) .
 - ٥ البلدان (٣٠/٣) ، مادة ثبتل ، ابن الاثير (٣٩٧/١) .
 - ٦ (نبتل) هكذا في طبعة (العريان) للعقد الفريد (٤٧/٦) ، وصوابه (ثبتل) . وأما (نبتل) ، فموضع اخر لا علاقة له بهذا المكان .

عليهم ، وسلم ما غنمه الى سلامة ^١ .

ووقع يوم جلود بسبب عزم الحارث بن شريك على غزو بني سليط بن يربوع .
جمع الحارث بني شيبان وذهلاً والهازم ثم سار بهم إلى أرض بني يربوع راجياً
مباغتتهم . ولكنه ما كاد يصل إلى بلادهم حتى شعروا به ، وهاجوا عليه . فلم
يتمكن من غزوهم ، فتركهم وذهب نحو بني ربيع بن الحارث بجلود ، فأغار
عليهم ، وأصاب سيئاً ونعماً . فبعث بنو ربيع صريحاً إلى بني كليب بن يربوع
يطلب العون ، فلم يجيبوهم ، فذهب الصريح إلى بني منقر بن عبيد ، فركبوا
في الطلب ، ولحقوا بكر بن وائل واصطدموا بهم وانتصروا عليهم فرجعوا بأموال
وغنائم وبما كانت بكر بن وائل سلبته من بني ربيع بن الحارث . وكان رئيس
بني يربوع في هذا اليوم : قيس بن عاصم المنقري ^٢ .

وبعد الحارث بن شريك من الجرارين في ربيعة ، ويعرف بالحوقران ^٣ . وفي
يوم ذي طلوح وقع أسيراً في أيدي بني يربوع . فلما غزا مع قومه بني يربوع في
هذا اليوم ، كانت يربوع يقظة عارفة بعزم بكر . فأخذوا بكراً على غرة ، وسقط
الحوقران أسيراً فجزت ناصيته ، ودفع مثنين من الإبل حتى فدى نفسه من الأسر ^٤ .
وأما قيس بن عاصم المنقري ، فهو من سادات (منقر) من تميم ، وبعد من
سادات أهل الوبر ، ومن حلفاء بني تميم ، ومن حرم الخمر على نفسه في
الجاهلية ^٥ .

ولما أغار خزيمية (خزيمية) بن طارق التغلبي على بني يربوع ، وهم بزرود ،
واستاق إبلهم ، كانت نتيجة غزوته هذه أن تعقب بنو يربوع أثره وأسروه ،

-
- ١ النقائض (١٠٢٣) ، العقد الفريد (٤٧/٦) ، ابن الاثير (٣٩٧/١) ، البلدان (٣٠/٣) ، (٢٤٣/٨) ، البكري (١٢٩١/٤) ، (طبعة السقا) ، مادة (النبا) و (ثيتل) ، نهاية الارب (٣٨١/١٥) وما بعدها ، أيام العرب (١٧٥) وما بعدها .
 - ٢ النقائض (١٢٤ ، ٣٣٦) ، ابن الاثير (٣٧٢/١) ، العقد (٥٨/٦) ، البلدان (٦٧/٣) ، سبائك الذهب (١١٥) ، نهاية الارب (٣٨٩/١٥) ، شرح الفضليات ، لابن الانباري (٧٤٠) .
 - ٣ المحبر (٢٥٠ ، ٣٠٤) .
 - ٤ النقائض (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٥٠/٦) ، ابن الاثير (٣٨٩/١) ، البكري (٨٩٣/٣) ، (مادة ذي طلوح) ، نهاية الارب (٣٨٣/١٥) .
 - ٥ الاشتقاق (١٥٤) .

واستقلوا ما كان قد أخذ ، ثم أسروه ولم ينج إلا بعد جز ناصيته ودفع مئة من الإبل^١ .

وكان يوم (ذي طُلُوح) وهو موضع في حَزْن بني يربوع بين الكوفة وقَيْد ، لبني يربوع من تميم على بكر من ربيعة . وقد أخذ (الحارث بن شريك) أسيراً ، أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثقيلاً في بني بشر ، فاختصم عبدالله بن الحارث ، وعبد عمرو بن سنان في الحارث ، فحكم الحارث في أمر نفسه ، فأعطى كل واحد منها مئة من الإبل ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر^٢ .

وانتصرت بنو يربوع على بكر في يوم الإياد كذلك ، وكانت بكر قد أقبلت من عند عامل عين التمر قاصدة بني يربوع ، ومعها من الرؤساء بسطام بن قيس فارس بكر وهانيء بن قبيصة ومفروق بن عمرو ، فأحست بنو يربوع بمجيء بكر ، وقتلهم في موضع الإياد ، وقتلت جماعة من فرسان بكر ، وأسرت قوماً منهم : هانيء بن قبيصة الذي فدى نفسه ، فنجوا^٣ .

وقد كان بسطام بن قيس مع الحارث بن شريك - الحوفزان - ومفروق بن عمرو في يوم الغبيط ، وفيه غزت بنو شيان بلاد تميم ، غزوا بني ثعلبة بن يربوع وثلعة بن سعد بن ضبة ، وثلعة بن عدي بن فزارة ، وثلعة بن سعد بن ذبيان ، وكانوا متجاورين بصحراء فُلَج ، فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم ، واستاقوا إبلًا من نعمهم . ثم ساروا في أرض بني مالك بن زيد مائة من تميم ، فاكتسحوا إبلهم ، فركبت عليهم بنو مالك ، وعليهم عتيبة بن الحارث اليربوعي ، والأحيمر ابن عبدالله ، وأسيد بن حباءة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي ، وربيعة والحليس وعمارة بنو عتيبة بن الحارث ، ومالك بن نويرة وغيرهم ، فأدركوهم بغبيط المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا ما كانوا استاقوا من إبلهم ، وقتلت بنو شيان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث وألح عتيبة بن الحارث ، وأسيد ابن حباءة ، والأحيمر بن عبدالله على بسطام بن قيس حتى وقع بسطام في أسر

١ المفضليات (٣) ، العقد الفريد (٤٩/٦) ، خزانة الادب (٣٥٤/١) ، (خزيمة) ، نهاية الارب (٣٨٣/١٥) ، (فحكم بناصية خزيمة للانيف ، على أن لاسيد مائة من الابل . قال : ففدى خزيمة نفسه بمائتي بعير وفرس) ، نهاية الارب (٣٨٣/١٥) .
٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٨٩/١) ، النقاظ (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٤٣٣/٣) .
٣ النقاظ (٨٥٠) ، شعراء النصرانية (٢٥٩ وما بعدها) ، ابن الاثير (٣٧٣/١) .

عتية . وقد وافق بسطام على دفع دية هي ثلاث مئة بعير وأن تجز ناصيته وعلى أن يعاهد بعدم غزو بني شيان ، فأفرج عنه^١ .

وغزا بسطام بن قيس رئيس بني شيان بني يربوع في يوم قشاوة ، (يوم نعف قشاوة) وقد انتصر فيه على جماعة من بني يربوع ، وعاد مع بعض الغنائم^٢ . وبعد هذا اليوم من وقعات بسطام المعدودة . قال ابن الأنباري : « كان لبسطام أربع وقعات : أسر يوم الصحراء ، وظفر يوم قشاوة ، وانهزم يوم العظالي ، وقتل يوم النقاء »^٣ .

وقد استحر القتل في تغلب ومن كان معهم من تميم ، وذلك في يوم بارق . وكان سببه أن بني تغلب والنمر بن قاسط وأناساً من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق من أرض السواد ، وأرسلوا وفسداً منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح ، فاجتمعت شيان ومن معهم ، وقرروا الاستفادة من هذه الفرصة ، وعزموا على مباغنة القوم ، فقال : زيد بن شريك الشيباني إني أجرت أخوالي وهم النمر بن قاسط ، فأمضوا بجواره ، وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، لم تصب تغلب بمثلها ، واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيام عليهم^٤ .

وقد اصطدمت بنو شيان ببعض بطون تميم في يوم زباله كذلك . وقد حضر هذا اليوم الأقرع بن حابس ، وأخوه فراس ، وهما من تميم ، وكانت تميم هي البائدة بغزو بكر بن وائل . اصطدمت بهم في موضع زباله ، فترلت الهزيمة بتميم ، وأسر الأقرع وفراس أخو الأقرع ، أسرها بنو تميم الله وهم من بكر . ثم لقي بنو تميم الله بني شيان وهم من بكر أيضاً ومعهم بنو رباب ، فانترع بسطام بن قيس رئيس بني شيان الأقرع وأخاه منهم ، وصاروا أسيرين لبسطام . ثم اقتدى الأقرع وأخوه أنفسهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما

-
- ١ النقائض (٧٥ ، ١١٣٢) ، ويقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ويوم الثعالب ، والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له : يوم صحراء فلج ، العقد الفريد (٥٥/٦) ، ابن الأثير (٣٦٥/١) ، سبائك الذهب (١١٤) ، نهاية الارب (٣٨٨/١٥) .
 - ٢ النقائض (ص ١٩) ، ابن الأثير (٣٦٤/١) ، البكري (١٠٧٥/٣) « طبعة السقاء » ، مادة « قشاوة » ، البلدان (٩٢/٧) « مادة قشاوة » العمدة (١٩١/٢) .
 - ٣ البكري (١٠٧٥/٣) .
 - ٤ الكامل (٢٩٩/١) « المطبعة الازهرية » .

ولكنها لم يرسلها له القداء^١.

والأقرع بن حابس، فارس مشهور من فرسان تميم . ويعد من حكام العرب . وقد اتصل حكمه في عكاظ إلى الاسلام . ويعد أيضاً من السادة الجرارين ، ومن المؤلفة قلوبهم من تميم^٢ .

وكان يوم مبايض من الأيام المهمة التي وقعت بين بني شيان من بكر، وبين بني تميم . وقد دارت الدائرة فيه على تميم . وألحقت بها خسائر فادحة . وسبب هذا اليوم أن فارساً من فرسان تميم يدعى طريف بن تميم العنبري كان قد وافى عكاظ في الشهر الحرام ، وكان قد قتل رجلاً من بني شيان ، فتعقبه ابن ذلك الرجل ، ليأخذ بثأر أبيه منه . وصادف أن وقع نزاع بين بني مرة بن ذهل بن شيان وبين بني ربيعة بن ذهل بن شيان كاد يؤدي بينها إلى حرب ، فقرر هانيء ابن مسعود رئيس بني ربيعة - حقناً للدماء - الارتحال بقومه ، والتزول على ماء مبايض . فلما سمع طريف العنبري بتزول ربيعة على هذا الماء ، نادى قومه للإغارة على ربيعة ، ما دامت منفردة ، وليس لها في هذا الموضع نصير ، لإضعاف بكر ابن وائل وللإنتقام منها . فعلمت ربيعة بذلك ، فاستعدت للقتال . فلما هاجمت تميم ربيعة ، كان بنو شيان على استعداد ، فألحقوا بتميم خسارة لم تصب بمثلها ، فلم يفلت منهم إلا القليل . وانهزم طريف فتعقبه ابن الشيباني الذي قتله طريف ، فقتله . فكان هذا اليوم من أهم الأيام التي وقعت بين بني شيان وتميم^٣ . واسم قاتل (طريف) ، هو (حصيصة الشيباني) ، (حصيصة بن شراحيل)^٤ .

وكان سادة تميم الذين قادوهم في هذا اليوم ثلاثة رؤساء ، هم : أبو الجدعاء الطهوي علي بن حنظلة ، وابن فدكي المنقري علي بن سعد ، وطريف بن عمرو علي بن عمرو بن تميم^٥ .

وكان يوم الزورين من أيام بكر على تميم كذلك . وكانت بكر تتجع أرض

١ التقائض (٦٨٠) ، ابن الاثير (٣٦٦/١) ، شعراء النصرانية (٢٩٨) ، أيام العرب (٢٠٦) .

٢ الاشتقاق (١٤٦) ، المحبر (١٣٤ ، ١٨٢ وما بعدها ، ٢٤٧ ، ٣٤٧) .

٣ ابن الاثير (٣٦٨/١) ، العقد الفريد (٦٥/٦) ، معاهد التنصيص (٧١/١) ، نهاية الارب (٣٩٤/١٥) ، أيام العرب (٢٠٨ وما بعدها) .

٤ الاشتقاق (١٣١) ، أيام العرب (٢٠٨) .

٥ أيام العرب (٢٠٩) .

تميم ، ترعى بها اذا أجذبوا. فإذا أرادوا الرجوع ، أخذوا كل ما وجدوه أمامهم واستاقوه معهم . فلما كثر اعتداء بكر على تميم ، تفاقم الشر بينهما وعظم حتى صار لا يلقى بكري تميمياً إلا قتله ، ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله . ثم عازمت تميم على التخلص من أذى بكر ومنعها من الرعي في أرضها ، فحشدت واستعدت لقتال بكر ، واستعدت بكر لقتال تميم . فلما اصطدم الجمعان تغلبت بكر على تميم ، وقتلت منهم مقتلة عظيمة^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان سبب تسمية يوم الزورين بهذه التسمية ، هو ان بني تميم كانوا قد وضعوا بكريين مجللين مقيدين ، بين الصفيين ، وقالوا : هذان زورانا ، أي إلهانا ، فلا نفرّ حتى يفرّا ، وجعلوا عندهما من يحفظهما . فلما أبصر البكريون الزورين هجموا على حراسهما وأخذوا البعيرين وذبحوهما ، أو ذبحوا أحدهما وتركوا الآخر يضرب في شولهم . فارتبكت تميم وانهزمت شر هزيمة^٢ . وكان المقدم على بكر (عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني) ، المشهور بـ (أبي مفروق) ، قدمته (بكر) عليهم ، فحسده سائر ربيعة ، وأرادوا ازاحته عن الرئاسة ، إذ كانوا يريدون أن يجعلوا على كل حي رجلاً منهم ، وأن يكون كل حي على حياله ، فأصر ابنه (مفروق) عليه بمخالفتهم ، وبقي رئيساً عليهم كلهم : فلما كان القتال ، برك بين الصفيين ، وقال أنا زوركم ، فقاتلوا عني ، ولا نفرّوا حتى أفرّ . ولم يكن الخوفزان بن شريك يومئذ في القتال ، فقد كان في أناس من بني ذهل بن شيان غازياً في بني دارهم . ومن اشترك فيه : حنظلة بن سيار العجلي ، وحمدان بن عبد عمرو العبيسي ، وأبو عمرو ابن ربيعة بن ذهل بن شيان . وقتل فيه من بني تميم أبو الرئيس النهشلي ، وهو من ساداتهم^٣ .

وقد أكثر الشعراء في ذكر هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلي ، وذكره الأعشى أيضاً^٤ .

-
- ١ نهاية الارب (٣٩١/١٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٦٨/١ وما بعدها) ، اللسان (٣٣٧/٤) ، العقد الفريد (٦٥/٦ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٣٣٧/٤ وما بعدها) « صادر » ، العقد الفريد (٢٠٥/٥ وما بعدها) ، أيام العرب (٢١٢) .
 - ٣ العقد الفريد (٢٠٥/٥ وما بعدها) ، الكامل (٣٦٨/١ وما بعدها) .
 - ٤ الكامل (٣٦٨/١ وما بعدها) .

وكان سبب يوم عاقل ان (الصمة بن الحارث الجشمي) أغار على بني حنظلة بعامل ، فأسره الجعدين الشماخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة ، وهزم جيشه ، وأبطأ الصمة في فدائه فجزّ الجعد ناصيته وأغلظ في الكلام عليه ، فضرب الصمة عنقه . فكث الصمة زماناً ، ثم غزا بني حنظلة ، فأسره الحارث ابن بيبة المجاشعي (الحارث بن نبيه المجاشعي) وهزم جيشه ثم أجاره الحارث من إساره ذلك ، وخرج الحارث بالصمة الى بني يربوع من بني حنظلة ليشتري الصمة أسراء قومه . فلما رأى (أبو مرحب) ، وهو ثعلبة بن الحارث ، الصمة ، وكان يعرف انه غدر بالجعد ، خنس عنه ، وأخذ سيفه ثم جاء فضرب به بطن الصمة فأنقله^١ .

وأما أشهر الأيام التي وقعت بين قيس وتميم ، فيوم الرحرخان ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذي نجب ، ويوم الصرائم ، ويوم الرغام ، ويوم جزع ظلال ، ويوم المروت .

أما يوم رحرخان ، فقد أشرت اليه سابقاً ، وهو يوم وقع في أعقاب قتل الحارث بن ظالم المري خالد بن جعفر الكلابي ، وكان سببه أن قوم الحارث ابن ظالم أنكروا عليه فعله . ولاموه على عمله فتجنبهم وهرب منهم ، ولحق بتميم فأجاروه ، فاستاءت بنو عامر من ذلك ، وطلبت من بني تميم تسليم الحارث اليهم . فلما أبوا ، جاءت بنو عامر تريد مباغتة تميم ، وكانت تميم قد علمت بمسيرها اليهم ، فأرسلوا بما عندهم من أثقال وأهل الى بلاد بني بغيض . ولما كانوا في موضع رحرخان ، التقوا بيني عامر ورئيسهم الأحوص ، فدارت الدائرة على بني تميم ، وأسر منهم معبد بن زرارة : أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب^٢ . وشاركها في أسره رجل من غني يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب ، وكان أخا طفيل من الرضاعة ، وفي أسره مات معبد . شدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستنقذوه^٣ .

-
- ١ النقائض (١٠١٩) ، أيام العرب (٢١٧ وما بعدها) ، العمدة (٢٠٧/٢) .
 - ٢ العقد الفريد (٨/٦ وما بعدها) ، النقائض (٢١٤/١) ، الاغانى (٣٠/١٠) ، ابن الاثير (٣٤١/١) ، الميداني (٣٩٨/٢) ، (الباب التاسع والعشرون : فسي أسماء أيام العرب) العمدة (١٩٨/٢ وما بعدها) .
 - ٣ العمدة (٢٠٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

وأخذ لقيط بن زرارة يستعد ويجمع العدة ، لينتقم من بني عامر ، وليأخذ منهم بثأر أخيه معبد الذي أسر في يوم رحرحان ، ثم هلك لمنع بني عامر الماء عنه^١ . فذهب الى النعمان بن المنذر وأطعمه في الغنائم ، فأجابه . ثم ذهب الى الجون الكلبي ملك هجر^٢ ، فأجابه أيضاً . ثم توجه الى كل من عرف بعذائه لبني عامر وعبس ، فأوغر صدره عليهم ، ومنّاه بالغنيمة والنصر ، فانضمت اليه بنو ذبيان لعذائهما لعبس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد للحلف الذي كان بينهم وبين بني ذبيان . فلما مضى الحول على يوم رحرحان ، انهالت الجيوش على لقيط ، فوصل جيش الجون الكلبي وعليه عمرو ومعاوية ابنه ، ووصل جيش النعمان وعليه أخوه لأمه حسّان بن وبرة الكلبي ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار في جمع من بني كندة .

وسار سادات تميم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ، ومعهم أحلافهم ومن انضم اليهم ، يقصدون بني عامر ، ففتج عن ذلك جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه .

وعرفت بنو عامر بمجيء الجمع ، فاستعدت له وتحصنت في شعب جبلة . أخبرها بذلك كرب بن صفوان السعدي ، وكان شريفاً من أشراف قومه لم يخرج مع الجمع ، فخافوا من تحلفه عنهم ، وعرفوا انه دبّر في ذلك أمراً ، وانه يقصد إختبار بني عامر . فأخذوا عليه العهد بالألا يفشي سر مسيرهم هذا لبني عامر . وقد سار كرب بن صفوان الى بني عامر ، وأظهر لهم علائق هجوم بني تميم عليهم ، دون أن يقول لهم شيئاً عنه لئلا يخلف وعده . فعرفوا به ، واستعدوا له . وبينما كان القوم على وشك الوصول الى ديار بني عامر ، عادت بنو أسد فغيرت رأيها من الاشتراك في هذا الهجوم ، ورجعت عنهم ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفر يسير .

ولما وصل بنو تميم وأحلافهم الى شعب جبلة ، كان بنو عامر على أتم استعداد للقاء . وقد احتموا في مواضع منيعة حصينة من الشعب . ولما دخلوه يريدون

١ الاشتقاق (ص ١٤٥) .

٢ (الكندي) ، نهاية الارب (٣٥١ / ١٥) .

الفتك بيني عامر وعيس ، باغتهم هؤلاء بهجوم مفاجئ أفسد عليهم خطط قتالهم فارتدوا مذعورين تتبعهم سيوف بني عامر . فكانت هزيمة فادحة نزلت بتميم وعن كان معهم من الأخلاف كلفت لقيطاً حياته ، وأوقعت حاجباً في الأسر ، وأوقعت غيره في الأسر كذلك^١ .

وقد وقع هذا اليوم في عام مولد النبي على بعض الروايات ، أي سنة ٥٧٠ للميلاد ، وبعد عام من يوم الرحران^٢ . وقد أشار بعض الرواة الى اشتراك عمرو بن الجون ومعاوية بن الجون في هذا اليوم ، والى عقد معاوية بن الجون الأولوية ، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون . وكان بنو عمرو ابن تميم مع لواء حاجب بن زرارة ، وكان لواء الرباب مع حسان بن همام، وعقد لجماعة من بطون تميم مع لقيط بن زرارة ، وكان عمرو بن الجون أول من قتل في هذا اليوم . وأسر أخوه معاوية بن الجون ، كما أسر عمرو بن عمرو بن عدس وحاجب بن زرارة . وقد حمل عترة على لقيط ، فضربه بسيفه . ثم فدى حاجب بن زرارة بخمسة مئة من الإبل ، وفدى عمرو بن عمر بمئتين^٣ .

وقد كان يوم جبلة في عام واحد مع يوم رحران على رواية ، ويتصلون بهذا اليوم يوم رحران الثاني تمييزاً له عن يوم رحران الأول الذي غزا فيه يثربي ابن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن عامر بن صعصعة . وفي يوم رحران الثاني على هذه الرواية ، كان أسر معبد بن زرارة : وقد نقل الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستقلوه^٤ .

وبعد مرور عام على يوم جبلة طمعت بنو عامر في غزو بني تميم والإيقاع بها ، فذهبت الى حسان بن كبشة الكندي ، وعلى رأسها ملاعب الأسنة عامر ابن مسالك بن جعفر وطفيل بن مالك بن جعفر وعمرو بن الأحوص بن جعفر

- ١ الاغاني (٣٣/١٠) ، العقد الفريد (٩/٦ وما بعدها) ، ابن الاثير (٣٥٥/١) ، النقايش (١١٥/٢) ، الميداني (٣٩٨/٢) ، (الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب) ، البكري (٣٦٥/٢) (جبلة) ، سبائك الذهب (١١٠ وما بعدها) ، أبام العرب (١٤٩ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٥٠/١٥) ، الاغاني (١٣١/١١) ، (١٦١) ، البلدان (٤/٣) .
- ٢ البكري (٣٦٥/٢ وما بعدها) ، (جبلة) ، العقد الفريد (٩/٦ وما بعدها) .
- ٣ ابن الاثير (٢٤٣/١) ، ولا بن اسحاق رواية أخرى عن هذا اليوم .
- ٤ العمدة (١٩٨/٢ وما بعدها) .

وزيد بن الصعق وقدامة بن سلمة بن قشير وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، تطمعه في الغنيمة وفي الأموال الوافرة والسبي إن انضم إليها وساعدها في الغزو ، فغلبه طمعه ووافق على السير معهم الى بني حنظلة بن مالك بن تميم .
وبلغ الخبر بني حنظلة ، فتركوا ديارهم برأي عمرو بن عمرو بن عدس ، وكانت في أعلى ذو نجب . وأما في أسفله، فكان بنو يربوع، وهم من تميم كذلك. فلما بلغ حسان ومن معه من الجيش الموضع ، اقتتلوا مع بني يربوع ، فشدة (حشيش بن نمران الرياحي) على حسان وضرب بالسيف على رأسه فقتل، وانهزم أصحابه ، وأسر يزيد بن الصعق ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة، فكان النصر فيه لبني تميم^١ .

وفي رواية أن بني عامر استنجدت بمعاوية بن الجون الكندي ، فأنجدهم بابنيه عمرو وحسان وبجيشه ، فقتل في ذلك اليوم عمرو بن معاوية الكندي ، وأسر حسان ابن معاوية الكندي ، وقتل عامة الكنديين^٢ .

وفي رواية أخرى ان حسان بن معاوية آكل المزار ، هو الذي اشترك في هذا اليوم ، وقد قتل فيه : قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع . وفي رواية أخرى انه كان في جملة من وقع في الأسر ، وان المقتول رجل آخر هو عمرو بن معاوية . وقد قتل في هذا اليوم عمرو بن الأحوص رئيس بني عامر يومئذ. قتله خالد بن مالك النهشلي^٣ .

وفي يوم الصرائم ، وهو يوم يسمى أيضاً بيوم بني جذيمة ويوم ذات الجرف، أغارت فيه بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى (الصريخ) بني يربوع، فركبوا في طلب بني عبس ، فأدركوهم بذات الجرف، فقتلوا منهم جملة قتلى ، وأسروا بعض الرؤساء^٤ .

وكان لبني تميم يوم آخر على بني عبس وعامر ، وهو يوم مأزق (ملزق) ويسمى أيضاً بيوم السوبان . وذلك بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إياد وبلحارث بن كعب ، وكلب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب

-
- ١ ابن الاثير (٣٦٣/١) ، النقااض (٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩) ، البكري (١٢٩٧/٤) ، (ذو نجب) ، العملة (٢٠١/٢) .
 - ٢ البكري (١٢٩٧/٤) (ذو نجب) ، الاغانى (١٣٦/١١) .
 - ٣ العملة (٢٠١/٢) ، أيام العرب (٣٦٦) .
 - ٤ النقااض (٢٤٨ ، ٣٣٦) ، العملة (٢٠٠/٢) .

وأسد ، وآخر من أتاها بنو عيس وبنو عامر^١ . ويظهر ان تميماً حاربت هذه القبائل للتخلص منها ، وكانت تنزل في ديارها للانتجاع في أرضها، وهي أرضون خصبة واسعة ، فكلفها ذلك عدة حروب .

وقد انتصرت تميم على عامر في يوم المروت . وكان سببه نزاع بسيط وقع بين (قنعب بن الحارث بن عمرو بن همام اليربوعي) وبين (بجير بن عبد الله العامري) بسبب نسب فرس ، أدى الى غزو بجير لبني العنبر من تميم ، ثم الى ملاحقة بني يربوع لبجير وجماعته من بني عامر ، والى سقوط عدد من القتلى من بني عامر واسترداد ما كان بنو عامر قد غنموه . وقد ضرب (قنعب بن عتاب) رأس (بجير) فأطاره^٢ .

وانتصرت بنو يربوع على بني كلاب من قيس في يوم الرغام^٣ . وذلك أن (عتيبة بن الحارث بن شهاب) أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب . وكان أنس بن عباس الأصم أخو بني رعل مجاوراً في بني كلاب وكان بين بني ثعلبة بن يربوع ، وبين بني رعل عهد^٤ ألا يسفك دم ، ولا يؤكل مال . فجاء الكلابيون الى أنس بن عباس الأصم راجين منه أن يذهب الى بني (ثعلبة) ليحبسهم عنهم حتى يتدبروا أمرهم ويستعدوا للقتال . فذهب أنس اليهم وقابل حنظلة بن الحارث شقيق عتيبة بن الحارث ، وكلّمه في أمر ما بينه وبين بني ثعلبة من عهد ، فأجيب الى طلبه ، وتباطأ في أخذ ما سلبه منه بنو ثعلبة من إبل حتى جاءت فوارس بني كلاب ، فحمل (الحوثر بن قيس) وهو من فرسان بني كلاب على (حنظلة بن الحارث) فقتله ، فحمل فرسان من بني ثعلبة بن يربوع على الحوثر ، فأسروه ، ودفعوه الى عتيبة فقتله ، وهزم الكلابيون . ومضى بنو ثعلبة بالإبل والغنائم ، واتبعهم (أنس بن عباس) رجاء أن يصيب منهم غرة^٥ ، فيأخذ منهم ما يريد . ولما مرّ بالطريق ، تغفله (عتيبة) وأسرته ، وأتى به أصحابه ، وأراد أصحاب عتيبة قتله ، ولكنه أبى أن يفعل بل قبل من

-
- ١ العمدة (٢٠٢/٢) ، (ملزق) ، العمدة (٢١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٢ النقائص (٧٠) ، ابن الاثير (٣٨٦/١) ، العمدة (١٩٢/٢) ، سبائك الذهب (١١٢) . أيام العرب (٣٧٥) .
 - ٣ النقائص (٤١٠) ، العمدة (٢٠٤/٢) .

أنس الفداء ففدى نفسه بمثني بعير^١ .

وأما يوم جَزَعِ ظلال (ظلال) ، فكان النصر فيه لفزارة ، وهم من قيس كذلك على بني تميم . وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري قد أغار بقومه فزارة ، ومعه مالك بن حمار الشمخي من بني شمع بن فزارة ، على التيم وعدي وثور أطحل من بني عبد مناة ، فأصاب غنائم كثيرة ، ورجع بأسرى عديدين أطلقهم فيما بعد . فلما مضت مدة ، بلغه أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم ، وهم سادة تيم ، وابن المخيط وهو سيد بني عدي تيم ، انطلقوا الى بني سعد بن زيد مناة وضبة يستمدونهم ويسألونهم النصر ، فركب عيينة بن حصن مع قومه ، وأغار على التيم ، فقتلوا منهم قتلاً شديداً وأخذوا سبياً كثيراً . واحتفلوا بانتصارهم هذا بشرب الخمر . وكان نساء تيم ومن كان معهم من رجالهم يتقلون زقاق الخمر اليهم . ولم يسقوا تيماً محقرة لهم . ثم مضى زمن فردّ بنو فزارة السبي الى تيم ، وأطلقوا الرجال بغير فداء^٢ . ومن أيام ضبة وغيرهم : يوم النصار ، ويوم الشقيقة ، ويوم بزاخته ، ودارة مأسل ، والنقعة .

وكان سبب يوم النصار جذب حلّ بأرض مضر ، وخصب أصاب بلاد بني سعد والرياب ، مع غيث غامر . فلما وقع ذلك الغيث ، أقبلت عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن الى بني سعد ، وكانوا يواصلونهم بالنسب ، فسألوهم أن يرعوهم ومن معهم من هوازن ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرياب وهوازن ومن معها ، قال بعضهم لبعض : انه ما اجتمع مثل عدتنا قط إلا كانت بينهم أحداث ، فليضمن كل حي ضامن ، فكان الضامن لما كان في سعد والرياب الأهم ، وهو سنان بن سميّ بن خالد ، وكان الضامن على هوازن قرّة بن هبيرة بن عامر بن صعصعة . فرعوا ذلك الغيث حيناً ، حتى وقع شر ، سببه أن (الختف) وهو رجل من بني ضبة قتل رجلاً من بني قشير ، فوقع الشر ووقعت الحرب ، واجتمع بنو سعد مع بني عامر ، واستمدوا بني أسد فأمدوهم ، والتقوا مع (بني ضبة) بالنصار فاقتلوا ، فصبرت

١ أيام العرب (٣٧٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (٣٠٢ ، ١٠٦) ، « جزع ظلال » ، العمدة (٢٠٤ / ٢) ، أيام العرب (٣٧٣ وما بعدها) .

عامر ، واستحرق بهم القتل ، وانقضت بنو سعد وهربت ، ثم هرب بنو عامر . وقتل في هذا اليوم : شريح بن مالك القشيري ، رأس بني عامر ، ووقع سبي منهم في أيدي خصومهم^١ .

وقد وقع يوم النصار بعد يوم جيلة ، وذلك لأن الأحاليف ، وهم غطفان وبنو أسد وطيء شهدوا يوم النصار بعدما تحالفت الأحاليف ، وحضره حصن بن حذيفة ، وكان حصن رئيس الأحاليف ، كما جاء ذلك في شعر لزهير بن أبي سلمى^٢ . هذا ما يراه الرواة وأهل الأخبار من علماء قيس وبنو أسد ، ويؤيده أبو عبيدة^٣ . أما الرباب ورواة ضبة ، فترى أن يوم النصار كان قبل يوم جيلة ويفند أبو عبيدة رأي الرباب^٤ . ويقول أبو عبيدة : كان حاجب بن زرارة على بني تميم يوم النصار ويوم الجفار ، وأن « لقيطاً قتل يوم جيلة ، ولو كان حياً ما تقدمه فيه حاجب بن زرارة . وإنما نبه أبو عكرمة بعد أبي نهشل ، وكانا قبل مبعث النبي بسبع وعشرين سنة . وكان عام جيلة مولد النبي »^٥ .

وذكر (المسعودي) أن (بني عامر بن صعصعة) كانوا يؤرخون بيوم شعب جيلة . وكان قبل الإسلام بنيف وأربعين سنة^٦ .

وقد كان يوم شعب جيلة بين بني عامر وأحلافها من عبس وبين من سار اليهم من تميم ، وعليهم حاجب ولقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله ابن دارم ، ومن عاضدهما من اليمن مع ابني^٧ الجون الكنديين .

وما في رواية أبي عبيدة أو غيره من أن مولد النبي كان في عام جيلة ، وهم . فالرجال الذين أسهموا في ذلك اليوم ، كانوا قد هلكوا قبل ذلك بأمد ، ولم يدركوا أيام الرسول . وقد ذكر أن يوم جيلة كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة^٨ .

- ١ النقائض (٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤) ، العقد الفريد (٩٩/٦) ، ابن الاثير (٣٧٦/١) ، الميداني (٣٩٦/٢) ، العمدة (١٩٩/٥) ، شرح المفضليات (٣٦٣) ، أيام العرب (٣٧٨ وما بعدها) ، نهاية الارب (٤٢١/١٥) .
- ٢ نقائض جرير والفرزدق (٢٣٨/١) وما بعدها ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٣ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٤ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٥ ديوان جرير والفرزدق (٧٩٠/٢) ، العمدة (٢٠٠/٢) .
- ٦ التنبيه (١٧٥) .
- ٧ التنبيه (١٧٥) .
- ٨ بلوغ الارب (٧١/٢) .

وقد غضبت بنو تميم وخجلت مما نزل ببني عامر من عار بسبب هذا اليوم ، وحلف (ضمرة بن ضمرة النهشلي) ، وهو من سادات بني تميم على أن يترك الحمر ويحرمه عليه حتى يأخذ بثأره من بني أسد ، فهياً نفسه وعباً قومه لقتالهم ، والتقى بهم في يوم ذات الشقوق ، وانتصر فيه عليهم ، وفرح بهذه النتيجة ، وأباح لنفسه عندئذ شرب الحمر^١ .

ولما كان على رأس الحول من يوم النصار اجتمع من العرب من كان شهد النصار . وكان رؤساؤهم بالجفار ، الرؤساء الذين كانوا يوم النصار ، إلا أن بني عامر تقول كان رئيسهم بالجفار (عبدالله بن جعدة بن كعب بن ربيعة) ، فالتقوا بالجفار ، واقتتلوا ، وصبرت تميم ، فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو ابن تميم . وكان يوم الجفار يسمى (الصيلم) لكثرة من قتل به^٢ .

وفي يوم الجفار التقت بكر بتميم على رواية^٣ ، والتقى الأحاليف في ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطيء على بني عمرو بن تميم في رواية أخرى ، واستحر القتل يومئذ في بني عمرو بن تميم على هذه الرواية ، فكان النصر فيها للأحاليف^٤ .

وفي يوم السِيتار ، وهو يوم كان بين بكر بن وائل وبني تميم ، قتل قيس بن عاصم وقتادة بن سلمة (مسلمة) الحنفي فارس بكر^٥ ، وكان قتادة من الجرارين في ربيعة^٦ .

ولضبة نصر آخر ، كان في يوم الشقيقة على بني شيان . وقد قتل فيه بسطام بن قيس سيد بني شيان . وكان ذلك بسبب قيام بسطام بغارة على بني ضبة وطعمه في إبل مالك بن المنتفق الضبّي . فلما رأت ضبة بسطاماً ، وهو يغير على

١ البكري ، معجم (١٣٠٦/٤) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٧٩) ، مراصد الاطلاع (٢٠٩/٣) وما بعدها ، تاج العروس (٥٦٤/٣) ، العقد الفريد (٣٧٥/٣) ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) ، البلدان (٧٧٨/٤) ، العمدة ، لابن رشييق (٩٩/٢) وما بعدها . النقائض (٢٣٨ وما بعدها) (١٠٦٤/٢) ، نهاية الارب للنويري (٤٢١/١٥) ، اللسان (٢٠٥/٥) « صادر » تاج العروس (٥٦٩/٣) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) . العقد الفريد (٣٧٥/٣) .

٣ الميداني (٣٩٦) .

٤ العمدة (٢٠٨/٢) .

٥ الميداني (٣٩٦/٢) .

٦ المحبر (٢٥٠) .

الإبل ، هاجمته فوق قتيلاً ، فولت بنو شيان مهزومة تاركة ما استولت عليه وعدداً من رجالها بين قتل وأسير^١ . ويعرف هذا اليوم باسم آخر هو : (نقا الحسن)^٢ .

وانتصرت ضبة على إباد في يوم يسمى يوم بزاختة . وقد كان بسبب إغارة محرق الغساني وأخوه في إباد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضبة بـ (بزاختة) فاقتلوا قتلاً شديداً حمل فيه (زيد الفوارس) على محرق فأسره ، وأسرت بنو ضبة أخا حبيش بن دلف السدي ، فقتلتها وهزم من كان معها ، وأصيب ناس منهم فيه^٣ .

وفي بعض الروايات أن يوم بزاختة هو يوم لصنم . وهو يوم كان لبني عائذة ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مزيقيا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيه قتل ابن مزيقيا ، فانهزم أصحابه هزيمة منكرة . وفي رواية أخرى أن هذا اليوم كان مع عبد الحارث من ولد مزيقيا^٤ .

وأما يوم (دارة مأسل) ، فكان لضبة على بني عامر ، غزا (عتبة بن شئير بن خالد الكلابي) بني ضبة ، فاستاق نعمهم . وقتل (زيد الفوارس) (حصن بن ضرار الضبي) ، وكان يومئذ حدثاً لم يذكر . فجمع أبوه ضرار قومه ، وخرج نائراً على بني عمرو بن كلاب ، فأقلت منه (عتبة بن شئير) وأسر أباه (شئير بن خالد) فأمر ضرار ابنه (أدهم) أن يقتله^٥ .

وانتصرت ضبة على بني عبس في يوم النقيعة ، ويسمى أيضاً يوم أعيار . وقد كان بنو عبس قد أغاروا فيه برئاسة عمارة بن العبيسي على إبل لبني ضبة ، ومعه جيش من بني عبس ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم بنو ضبة ، فأدركوهم في المرعى ، فحمل (شرحاف بن المثلث بن المشخرة العائذي الضبي) على عمارة فقتله ، واستنقذت بنو ضبة فيه إبلها من (بني عبس) . ويعرف عمارة بـ (عمارة

-
- ١ النقااض (١٩٠ ، ٢٣٣) ، ابن الاثير (٢٧٦/١) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٥٢/٣) ، سبائك الذهب (١١٢) ، أيام العرب (٣٨٢ وما بعدها) .
 - ٢ العملة (١٩٨/٢) .
 - ٣ العملة (١٩٧/٢) ، النقااض (١٩٥) ، أيام العرب (٣٨٨) .
 - ٤ العملة (١٩٨/٢) .
 - ٥ العقد الفريد (٤٣/٦) ، أيام العرب (٣٩٠) ، نهاية الارب (٣٧٨/١٥) .

الوهاب (١) .

ومن الأيام التي وقعت بين (قيس) و (كنانة) : يوم الكديد ، ويوم
برزة وحروب الفجار . أما يوم الكديد ويوم برزة ، فقد تحدثت عنها قبل قليل .
وأما حروب الفجار فلذلك ما جاء عنها .

العادة في الجاهلية ألا قتال في الأشهر الحرم لقدسيتهما ومكانتها ، فهي أشهر حرم
يستريح فيها الأفراد والقبائل من القتال ، ويكون الإنسان فيها آمناً على نفسه وماله ،
فيظهر فيها الفرسان المعروفون بسفكهم الدماء دون خوف وإن كانوا يتقنعون بقناع
حين حضورهم الأسواق مثل عكاظ خوفاً من وقوف طلاب الثأر على حقيقتهم ،
فيتعقبون خطاهم ، فيفتكون بهم بعد انتهاء الأشهر الحرم . ويذهب في هذه الأشهر
الناس إلى الأسواق للامتيار ، وإلى الكعبات للحج إلى الأصنام ، ثم يعودون إلى
منازلهم مع انتهاء الأيام الحرم خشية حلول الأشهر الأخرى فيتعرضون لطمع الطامعين
وغزو الغازين .

ومع ما لهذه الأشهر من الحرم ، فقد وقعت فيها حروب عرفت بحروب
الفجار وبأيام الفجار ، لأن من اشترك فيها كان قد فجر فيها بانتهاكه قدسية هذه
الأشهر الحرم^١ . ولكنها على ما يظهر من وصف الأخباريين لها لم تكن حروباً
كبيرة واسعة ، إنما كانت مناوشات ومهاترات وقعت لأسباب تافهة بسيطة . ففي
الفجار الأول لم يرق فيه دم ، وإنما محاورات وخصومة كلامية بين كنانة وهوازن
بسبب حادث بسيط لا يستوجب في الواقع خصومة ولا اشتباكات . فقد تناول
(بدر بن معشر الغفاري) (بدر بن معسر الغفاري) على الناس ، بأن جلس
بعكاظ في الموسم والعرب مجتمعة فيه ، ثم مدّ رجله وقال : أنا أعز العرب ،
فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف . فوثب رجل من (بني نصر بن معاوية)
اسمه (الأحمر بن هوازن) فضربه بالسيف على ركبته فقطعها ، فتحاور الحيّان :
أهل المضروب مع أهل الضارب عند ذلك . حتى كاد أن يكون بينهما الدماء ، ثم

١ النقائص (١٩٣) ، ابن الأثير (٣٩٤/١) ، العمدة (١٩٨/٢) ، أيام العرب (٣٩١)
وما بعدها .

٢ العقد الفريد (١٠١/٦ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢٧٥/٢) ، اللسان (٤٨/٥) ،
(فجر) ، تاج العروس (٤٦٥/٣) ، (فجر) .

تراجعوا ورأوا ان الخطب يسير^١ .

وفي الفجار الثانية وقعت بينهم دماء يسيرة . وكان سببه عبث شباب من قريش وكنانة بامرأة من بني عامر بن صعصعة وكانت وضيئة حسنة رأوها بسوق عكاظ ، فأرادوا منها أن تكشف لهم عن برقعها ، فثارت ونادت : (يا آل عامر) ، ونادى الشباب قومهم ، فالتحموا في قتال لم يكن هذا الحادث ليوجبه ، ثم انتهى بتوسط (حرب بن أمية) (الحارث بن أمية) باحتمال دماء القوم^٢ .

أما الفجار الثالث ، فكان بسبب دين كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن على رجل من كنانة ، فلواه به ، ولم يعطه شيئاً منه . فلما أعياه ، وافاه في سوق عكاظ بقرد ، وجعل ينادي : « من يبيعي مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكناني . من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني رافعاً صوته بذلك ، فلما أكثر من ندائه ، مرّ به رجل من بني كنانة ، فقتل القرد ، فهتف الجُشمي : (يا آل هوازن) ، وهتف الكناني : (يا آل كنانة) وتجمع الحيّان حتى تهاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : « أفي رباح تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ؟ » وأصلح عبدالله بن جُدعان بينهما^٣ .

وقع الفجار الآخر بسبب رجل خليع سكير فاسق ، أتعب قومه فخلعوه وتبرأوا منه فخرج منهم ، وصار يتنقل من قبيلة الى قبيلة ومن سيد الى سيد يطلب الحاية والجوار . فلما لفظه الجميع ، وتعبوا منه ، ذهب الى مكة مستجيراً بحرب بن أمية ، فحالفه ، وأحسن جواره . ثم شرب بمكة ، وعاد إلى سيرته الأولى ، فهم حرب بخلعه ، فخرج من مكة ، وذهب عنه الى الحيرة . فلما كان هناك ،

١ العقد الفريد (١٠١/٦) ، الاغانى (٣٦٨/٣) ، ابن الاثير (٣٥٩/١) ، العمدة (٢٠٧/٢) ، سرح العيون (٥٨) ، أيام العرب (٣٢٢) ، العمدة (٢١٨/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (٧٣/١٩) ، (مطبعة التقدم ١٩٣٢ م) ، تاريخ الخميس ، للديار بكري (٢٥٥/١) .

٢ العمدة (٢١٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (٧٤/١٩) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٥٩/١) ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) ، السيرة الحلبية (١٤١/١) .

٣ العمدة (٢٠٧/٢) ، أيام العرب (٣٢٥) ، (كان بسبب دين بني نصر على أحد بني كنانة) العمدة (٢١٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (١٩/٧٤) ، السيرة الحلبية (١٤١/١) ، الكامل في التاريخ (٣٥٨/١) وما بعدها ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) .

عرض على النعمان بن المنذر أن يتولى له حاية لطيمته، ويجيزها له على أهل الحجاز. وسمع بذلك عروة الرحال ، وهو يومئذ رجل هوازن ، فاحتقر أمر هذا الخليع : (البراض بن قيس الكناني) ، فقال للملك : أكلب خليع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن ، أنا أجزها لك على أهل الشيخ والقيصوم في أهل نجد وتهامة . فدفعها النعمان اليه ، وخرج عروة بها ، والبراض بن قيس يتعقبه . فلما كان بأوارة غافله البراض ، فقتله ، واستاق اللطيمة الى خيبر . ولما بلغ خبر مقتل عروة كنانة وهوازن ، هاج الطرفان ، واشتبكا في قتال وقع بموضع نخلة ، فاقتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل فكفّوا .

وجرّ عمل هذا الخليع الى وقوع جملة أيام أخرى ، أدت الى اضطراب الأمن في مواسم أمن ما كان يحدث فيها قتال . فبعد عام من يوم نخلة ، تجمعت قريش وكنانة بأسرها والأحايش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمه ، للملاقاة سليم وهوازن، ووزع عبدالله بن جُدعان السلاح على الشجعان الفرسان المعروفين بالشجاعة والصبر ، وسلّح يومئذ مئة كميّ بأداة كاملة، سوى من سلّح من قومه واجتمعوا بموضع شحطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول^١ .

وترأس المتقاتلين المتواعدين سادات ذلك الوقت المعروفون . وعلى كنانة كلها حرب بن أمية ، ومعه عبدالله بن جُدعان وهشام بن المغيرة وهما على الميمنة والميسرة ، وعلى هوازن وسليم كلها مسعود بن معتب الثقفي . وفي بني عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وفي بني نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع ، وفي بني جشم الصمة والد دريد وفي غطفان عوف بن أبي حارثة ، وفي بني سليم عباس ابن زغل ، وفي فهم وعدوان كدام بن عمرو .

وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت ، وانكشفت كنانة فاستحر القتل فيهم ، فقتل منهم تحت رايتهم مئة رجل ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة وقريش^٢ .

١ (شحطة) ، نهاية الارب (٤٢٧/١٥) ، الاغانى (٧٥/١٩) ، سيرة ابن هشام (١٩٦/١) ، السيرة الحلبية (١٤٢/١) ، العقد الفريد (٢٥٢/٥) .
٢ نهاية الارب (٤٢٧/١٥) وما بعدها ، العقد الفريد (١٠٦/٦) وما بعدها ، ابن الاثير (٢٤٦/١) وما بعدها .

وقد وقع الفجار الثاني بعد الفيل بعشرين سنة ، وبعد موت عبد المطلب باثني عشرة سنة على رواية . ويعد من أيام العرب المشهورة ، وهو أشهر من يوم جيلة النبي وقع قبله في بعض الروايات ^١ .

وعادت هوازن وكنانة الى الحرب ، والتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ ، واقتلوا وكانت الهزيمة على كنانة . وقد عرف هذا اليوم بيوم العباء ^٢ .

وقد تأثرت كنانة من الهزيمة التي لحقتها في يومي شمطة والعباء ، وأخذت تستعد للانتقام من هوازن ، فتكتل رؤساؤها واشتروا الأسلحة ، وحمل عبدالله بن جدعان مثيري قريش وغنيها يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير . وتولى قيادة كل بطن رئيسه ثم سارت على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عكاظ قاصدة هوازن ، فالتقت بها واشتبكت معها في قتال كاد يهرب فيه بنو كنانة ، لولا صبر بني مخزوم وبلاؤها بلاء حسناً . وخشيت قريش أن يجري عليها ماجرى يوم العباء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا أو نظفر واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه حتى انهزمت ، وانتصرت بذلك كنانة وقريش على بني هوازن . وعرف هذا اليوم بيوم عكاظ ^٣ .

ولما انهزمت قيس ، دخلوا خباء (سبيعة بنت عبد شمس) امرأة (مسعود ابن معتب الثقفي) مستعجرين بها ، فأجار (حرب بن أمية) جيرانها، واستدارت قيس بنجائها حتى كثروا ، فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بنجائها ، فقبل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس ^٤ .

وقد التقت كنانة وقريش بقيس في يوم آخر يسمى يوم الحرية ، وكان على بني بكر بن عبد مناة ، رئيسهم جثامة بن قيس أخو بلعاء بن قيس وذلك لوفاة بلعاء . أما الرؤساء الآخرون ، فبقوا كما كانوا في اليوم الماضي . وبعد قتال اتفقوا

١ ابن الاثير (٢٤٦/١) .

٢ العباء : علم على صخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، العقد الفريد (١٠٧/٦) .

٣ أيام العرب (٣٣٤ وما بعدها) .

٤ أيام العرب (٣٣٥) .

على الصلح وتسوية الديات ، وانصرف الناس من الحرب^١ .

هذه أيام من أيام عديدة أخرى ترد أسماءها في كتب الأخبار والتواريخ^٢ ، نرى أن أسبابها طبيعة البداوة ، وفقر البادية ، وحاجة الناس الى الماء والمرعى والاعتبارات الاجتماعية وما شاكل ذلك من أسباب أدت الى وقوع تلك الأيام . وقد علقت ذكراها بأذهان الرواة ، لأنها وقعت في عهد لم يكن بعيداً جداً عن الاسلام ، وقد وقعت بالطبع ماثت من هذه الأيام ، بحيث أخبارها من ذاكرة حفظة الأخبار ورواتها ، لأنها وقعت في عهد بعيد عن الاسلام أو في أمكنة بعيدة لم يصل مداها الى جماع الأخبار في الاسلام ، فلم يضبطوها في جملة هذا الذي ضبطوه .

والذي نجده من قراءة أسماء الأيام المذكورة ومن أخبارها ، ان معظمها مما كان قد وقع في الحجاز أو في نجد أو العراق والبادية وبلاد الشام والبحرين . أما الأيام التي وقعت في العربية الجنوبية فقلما نجد لها ذكراً عند الأخباريين ، خاصة أيام حضرموت وعمان ، مما يدل على عدم وصول أخبار هذه الأرضين الى علم الأخباريين . والواقع ان علم أهل الأخبار والتاريخ بهذه البلاد ضعيف جداً ، حتى في باب علمهم عنها في الاسلام ، وهو أمر يؤسف عليه .

وتتخلل هذه الأيام أسماء الرجال المشهورين ممن كان لهم أثر خطير فيها ، وهم قادتها ومساير نيرانها ومكونو تاريخ الجزيرة قبل الإسلام . وشأن هؤلاء الرجال من حيث بعدهم وقربهم عن الإسلام ، شأن أيامهم ، فأكثرهم من أهل القرن السادس للميلاد ، ومن ماتوا في عهد لم يكن بعيداً عن الإسلام ، أي في النصف الثاني من هذا القرن . لقد صنع القصاصون ومحبو المبالغات من رواة القبائل ، على عادتهم ، هالة من الأقاصيص والأساطير لأولئك الرجال ، حملت بعض المستشرقين على الشك في حقيقة بعضهم . ولكن وجود القصص الخرافي لا يمنع من الاعتراف بوجود شخص كان قد عاش ومات ، وكان له أثر ظاهر في قومه وأعمال أثرت

١ أيام العرب (٣٣٧) ، الاغانى (٧٩/١٩ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٦٣) ، السيرة الحلبية (١٤٣/١) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٨٩/٢) ، (١٩٣٢ م) ، (مطبعة السعادة) .

٢ هناك أسماء أيام أخرى ذكرها أهل الاخبار ، لا يمكننا التوسع فيها اذ يقتضي ذلك جملة مجلدات ، راجع العمدة (٢٠٠/٢) وما بعدها .

في مواطنيه ، وجعلتهم يوسعونها ويكبرونها الى أن صنعوها بقصصهم بهذا الشكل الذي وصل الى الأخباريين، بنقلهم الرجال من عالم الحقيقة الى عالم الخرافة والخيال. لقد خلدت تلك الأيام أسماء رجال أثروا تأثيراً مهماً في الحياة السياسية البدوية. لقد أنجز بعضهم أعمالاً لم تنجزها قبائلهم ، فتمكنوا من بسط نفوذهم على كثير من القبائل ومن جمعها تحت رئاسته بفضل زعامته وشخصيته . فهذا زهير بن جناب الكلبي تجتمع عليه قضاة وتنضوي تحت لوائه ، ويفرض الإتاوة على قبائل أخرى من غير قضاة ، ومحارب غطفان وبكرأ وتغلب وبني القين بن جسر ، وهي من القبائل الكبيرة المعدودة ، ثم يتنصر عليها^١ . وهذا كليب بن وائل وهو من معاصري زهير بن جناب ومن المنافسين له ، ومن رجال الصف الأول من القرن السادس للميلاد ، يجمع شمل قبائل ربيعة - وهي قبائل متنافرة متخاصمة - تحت رايته ، ثم يجمع شمل معد ويضمها كلها اليه ، فتكون له الرئاسة على كل قبائلها ، وهو بذلك أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد^٢ .

ومن النفر الذين اجتمعت معد عليهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر ابن يشكر بن الحارث - وهو عدوان بن قيس عيلان - وربيعه بن مرة بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب ، وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن^٣ .

ولم في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكان سيدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد^٤ ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام ، هي : يوم النصار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها في يوم الهبابة^٥ .

وقد رأينا عدة رجال آخرين يترعمون قومهم في هذه الأيام ، مثل بسطام بن قيس رئيس بني شيان، وهو من مشاهير الفرسان، وأحد الفرسان الثلاثة المعدودين ، وهم : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث وبسطام ، وربيعه بن مرة بن

١ ابن الاثير (٢٠٥/١ وما بعدها) ، الاغانى (٩٣/٢١ وما بعدها) ، المفضليات (١١٧) ، Ency., IV, p. 1237.

٢ ابن الاثير (٢١٣/١) .

٣ ابن الاثير (٢١٤/١) .

٤ العمدة (١٩٣/٢) « باب ذكر الوقائع والايام » ، المحبر (٤٦١) .

٥ المحبر (٢٤٩) .

الحارث التغلبي ، والهذيل بن هبيرة التغلبي من ثعلبة بن بكر ، والحوفزان ، وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن الشيباني ، والحارث بن وعلة الدّهلي ، وأبجر بن جابر العجلي ، وقيس بن حسان بن عمرو بن مرثد أخو بني قيس بن ثعلبة ، وقتادة بن مسلمة الحنفي ، وأثال بن حجرين النعمان بن مسلمة الحنفي ، والهذيل ابن عمران التغلبي .

وقد دوت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان في هذه الأيام . ويظهر أنها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميمًا وغيرها في يوم شويحط إلى عذرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميمًا كلها إلا بني سعد بن زيد مناة إلى بني عامر بن صعصعة يوم جيلة ، والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول ، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين في أخبار الأيام .

وطبيعي أن يكون للفرسان وللقتاك وللشعراء المقام الأول بين أسماء الرجال الذين ترد أسماؤهم في هذه الأيام . وإن لم يكونوا من بيوتات شهيرة معروفة ، لها في الرئاسة ذكر ومقام ، فأعمال المرء كافية لتخليد اسمه بين المشاهير . وإذا كان للشاعر عمل التشجيع والحث على الاقدام ، وإلهاب نار الحماسة في النفوس ، فإن للفراس والقاتك واجباً مهماً في هذه الأيام، فإنهم يقررون في الغالب مصير الحروب ولا سيما الفرسان القتاك الذين يختارون كبش القوم ، فينقضون عليهم ويفتكون بهم ، وبعملهم هذا تنتهي الحرب في الغالب بهزيمة تحمل في الجبهة التي تتضعض بسقوط الرئيس . فإن لسقوط الرئيس صريعاً شائعاً كبيراً عند القبائل . فالرئيس هو الرمز المعنوي للقبيلة ، فتي سقط الرئيس انهارت معنوياتها وخارت قواها ، ولا تستطيع عندئذ الثبات في الميدان ، فيهرب أفرادها في غالب الأحوال، ويكون النصر للجانب الذي أسعده الحظ بوجود فارس عنده قتل رئيس خصمه .

وإذ كان للخيل أثر في حروب تلك الأيام ، في الهجوم والدفاع وفي الكر والفر ، فإن القبيلة التي كانت تملك فرساناً وعدداً وافراً من الخيل ، هي القبيلة المنتصرة الراجحة التي يخشى بأسها ، فلا يطمع فيها الطامعون ، ولا يهاجمها مهاجم بسهولة ، ولها يكون الفخر على القبائل بكثرة ما لديها من خيل ومن فرسان ،

لأن للفارس والفارس شأنًا كبيراً في سرعة كسب الحرب ، وتفتيت جبهة العدو ، واحداث ثُغَر في صفوفه ، تؤدي الى تشتيت شمله وبُعْثْته ثم هزيمته هزيمة منكرة. وهي لقوتها هذه لم تكن تعتمد على غيرها في الحروب والغزو ، إلا إذا قابلت بالطبع قوة كبيرة من القبائل لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون مع القبائل الأخرى فعندئذ تضطر الى البحث عن حليف .

الفروسية :

والفارس فخر القبيلة ، لأنه المدافع عنها في الحروب والمهاجم الكاسر للأعداء . وهو أهم من الراجل في القتال ، لما له من أثر في كسب النصر وفي ايقاع الرعب والفوضى في صفوف العدو . ولهذا فخرت القبائل بفارسائها ، وفي كثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها وقوتها . نظراً لغلاء ثمن الفرس ، ولأهميته في تطوير الحرب وفي توجيهها . وانهايتها في صالح من له أكبر عدد من الفرسان .

ومن حسن حظ القبيلة أن يكون بها عدد وافر من الفرسان ، وعدد من الشعراء . فالفارس فنان القبيلة في الحرب وفارسها في الطعان وحامي الدمار والعرض ، والشاعر فارس الكلام ، يؤجج نيران العواطف ويلهب جنوة الحواس في النفوس ، ويدفع الفارس إلى الإقدام ، وبذلك يساعد في كسب النصر لقييلته ، وفي الدفاع عن عرض القبيلة بسلاحه الموزون المقفى .

وقد حفظت ذاكرة أهل الأخبار أسماء جماعة من فرسان الجاهلية ، دوت في كتبهم ، فوصلت بفضل تدوينهم لها الينا . وعلى رأس من دوتوا أسماءهم في الشهرة وبعد الصيت : (عترة بن شداد العبسي) الذي لا يزال الناس يضربون به المثل في الشجاعة . وهو أحد (أغربة العرب) وهم ثلاثة : أولهم هو ، وثانيهم (خفاف) واسم أمه (نديبة) ، وثالثهم (السليك) واسم أمه (السلكة) ، وأم الثلاثة إماء سود . كانت أم (عترة) أمة سوداء ، اسمها (زبيبة) ، فلما كبر أغار بعض أحياء العرب على قوم من (عبس) ، فأصابوا منهم . فتبعهم العبيسون ، فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عترة . فقال له أبوه (كر يا عترة) ، فقال : « العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر » ، وذلك ان العرب في الجاهلية كانت اذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده ، فعدّ (عترة) من العبيد .

فقال له : كر وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، واسمه (عمرو بن شداد) . فنسب إليه .

وقد برز اسمه في حرب (داحس والغبراء) . وقد قتل فيها ضمضاً المري ، أبا الحصين بن ضمضم . وقد كان مصيره القتل كذلك . وتزعم (طيء) أن قاتله منها . ويزعمون أن الذي قتله (الأسد الرهيف)^١ .

ومن مشاهير الفرسان (ربيعة بن مكدم) وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة . وقد عرف (بنو فراس) بالشجاعة والنجدة . وقد كان يعقر على قبره تعظيماً له وتقديراً . مر على قبره (حسان بن ثابت) ، فقال فيه شعراً^٢ .

و (ملاعب الأسنة) ، وهو (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، (أبو براء) . وهو ممن اشتهر بالفروسية كذلك . وكان سيداً في قومه . ذكر أنه أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية . وفي ذلك دلالة على ما كان له من مقام في قومه . قيل أنه سمي (ملاعب الأسنة) بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع^٣

وقد عرف بـ (ملاعب الرماح) كذلك^٤ . وقد لقب بهذا اللقب في شعر الشاعر (ليلى)^٥ .

وذكر (السكري) . (عامر بن مالك) في جملة من اجتمعت عليه هوازن . ولم تجتمع هوازن كلها في الجاهلية إلا على أربعة نفر من (بني جعفر ابن كلاب) وهم : (خالد بن جعفر بن كلاب) بعد قتله (زهير بن جذيمة ابن رواحة) و (عروة الرحال بن عتيبة بن جعفر) و (الأحوص بن جعفر)

-
- ١ بلوغ العرب (١٢٦/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، عيون الاخبار (١٢٥/١) .
 - ٢ بلوغ العرب (١٢٥/٢) .
 - ٣ بلوغ العرب (١٢٧/٢) ، تاج العروس (٤٢٣/٣) ، (عمر) ، (ومن رجال بني جعفر بن كلاب : عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وابن أخيه عامر بن الطفيل) ، الاشتقاق (١٨٠/٢) ، الاصابة (٢٤٩/٢) ، (رقم ٤٤٢٤) .
 - ٤ الثعالبى ، ثمار (١٠١ ، ١٠٢) .
 - ٥ الثعالبى ، ثمار (١٠١) .

و (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب)^١ .

و (عامر بن الطفيل بن مالك بن كلاب العامري) ، من فرسان الجاهلية المعروفين أيضاً ، وهو ابن أخي (عامر بن مالك ملاعب الأسته) ، وقد أدرك الاسلام فكان في جملة من وفد مع قومه في سنة تسع من الهجرة على الرسول . وكان قد أضمر الغدر برسول الله . ولكنه لم يتمكن منه . ثم قال لرسول الله : أنجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأرض بعدك فأسلم ؟ فأبى عليه رسول الله . فانصرف عامر وقال : والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً . وكان متعجرفاً متغطرساً ، لما ناله من مكانة عند قومه . حتى زعم أهل الأخبار ان اسمه كان قد طار الى خارج جزيرة العرب ، حتى بلغ (قيصر) ، فكان (قيصر) إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ حتى وفد عليه (علقمة ابن علاثة) فانتسب له ، فقال : ابن عم عامر بن الطفيل ، فغضب علقمة^٢ . ورجع ونافر (عامر بن الطفيل) في قصص من هذا القصص المألوف وروده عن أهل الأخبار .

وروى بعض أهل الأخبار ، أن (عامر بن الطفيل) لما مات نصبت بنو عامر نصاباً ميلاً في حمي على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش . تعظيماً لقبره واحتراماً لذكراه^٣ .

وذكر (أبو عبيدة) ، أن (عامر بن الطفيل) ، أحد فرسان العرب المعروفين و (فرسان العرب ثلاثة : فارس نعيم : عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وكان يقال له صياد الفوارس وسم الفوارس ، وفارس ربيعة : بسطام بن قيس ابن مسعود ، وفارس قيس : عامر بن الطفيل ملاعب الأسته . فأما ملاعب الرماح فأبو براء عامر بن مالك بن جعفر)^٤ . وذكر أن (عامر بن مالك بن جعفر) ، (أبو براء) ، بعث الى رسول الله يسأله أن يوجه اليه قوماً يفقهونهم في الدين ،

١ المحبر (٢٥٣ وما بعدها) ، أسد الغابة (٨٤/٣) .

٢ بلوغ الأرب (١٢٩/٢) ، الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) ، الاغانى (١٥٠/١٥) ، (١٣١) .

٣ بلوغ الأرب (١٣١/٢) ، العقد الفريد (١٧٢/١) .

٤ الثعالبى ، ثمار (١٠١) ، وبسطام اسم فارسي . وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا) ، الاشتقاق (٢٢٥/٢) .

فبعث اليهم قوماً من أصحابه ، فعرض لهم (عامر بن الطفيل) ، فقتلهم يوم (بشر معونة) فاعتم أبو براء لذلك ، وقلق لاغفار عامر بن الطفيل بقتلهم ذمته . ومات (عامر بن الطفيل) ، وهو منصرف من عند رسول الله ، ودعا (أبو براء) قيتتين له ، واستدعى (لييداً) ، وأخذ يشرب حتى أثقله الشراب ، فاتكأ على سيفه حتى فاضت نفسه ، فرثاه (لييد) ، ودعاه بـ (ملاعب الرماح)^١ .

وقد عدّه أهل الأخبار في جملة (من كان يركب الفرس الجسام فتخط إبهاماه في الأرض)^٢ ، وفي جملة (العوارن الأشراف)^٣ . وقد نافر (عامر ابن الطفيل) (علقمة بن علاثة) عند (هرم بن قطبة بن سنان)^٤ .

وزعم انه كان في جملة من أوفدهم (النعمان بن المنذر) الى (كسرى) ليبينوا له مكارم العرب . وفي الوفد : أكثم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة ، والحرث بن عباد البكري ، وعمرو بن الشريد السلمي ، وخالد بن جعفر الكلابي ، وعلقمة بن علاثة . فتكلم في جملة من تكلم منهم . ودون أهل الأخبار كلامهم وأجوبة كسرى عليه ، وكانهم كانوا كتاب محضر ، دونوه بالنص^٥ ! وله منافرة مع (علقمة بن علاثة) ، كان حكمها (هرم بن قطبة بن سنان) الفزاري . وقد سجل أهل الأخبار حديثها بالنص كذلك^٦ .

ويعدّ (زيد الخيل) من مشاهير فرسان العرب كذلك ، واسمه (زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي) . وهو من سادات (طيء) ومن الشعراء . وكان بينه وبين (كعب بن زهير) هجاء ، لأن كعباً اتهمه بأخذ فرس له . قدم في وفد طيء ، وهو سيدهم على الرسول . فلما انتهوا اليه كلموه . وعرض عليهم الاسلام فأسلموا . ثم بدل الرسول اسمه فسماه زيد الخير . وكلمه فأعجبه فلما ولى عائداً من عنده الى وطنه قال الرسول : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل ، فإنه لم

١ الثعالبى ، ثمر (١٠١ وما بعدها) ، المحبر (١١٨) .

٢ المحبر (٢٣٤) .

٣ المحبر (٣٠٣) .

٤ المحبر (١٣٥) .

٥ البيان والتبيين (٤٥/١) .

٦ بلوغ العرب (٢٨٨/١ وما بعدها) .

يبلغ فيه كل ما فيه ، ، وقطع له (فيداً) وأرضين معه . وكتب له بذلك . فلما عاد من المدينة وانتهى الى ماء من مياه نجد يقال له : (قردة) أصابته الحمى ، حتى يثرب الشهيرة المكتاة عندهم بـ (أم ملدم) ، فات بها ^١ .

وكان كما يصفه أهل الأخبار طويلاً جسيماً وسيماً يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنه راكب حماراً . أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته ^٢ . (قيل له زيد الخيل لطول طراذه بها وقيادته لها) ^٣ . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة المتعممين مخافة النساء على أنفسهم للجأهم ^٤ .

ومن الفرسان (عمرو بن معديكرب) ، وهو ممن وفد على رسول الله في قومه من (زبيد) . فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول ^٥ . فلما سير الخليفة (أبو بكر) جيشاً على المرتدين انهزم (عمرو بن ود) ، ثم أخذ أسيراً الى الخليفة ، فأنبه فعاد الى الاسلام واشترك في معركة (اليرموك) ثم في معركة (القادسية) وتوفي سنة (٢١) من الهجرة ^٦ . ويعد (فارس اليمن) ^٧ . وقعته (ابن حبيب) بـ (فارس العرب) ^٨ .

ومنهم : (دريد بن الصمة) ، وهو من (بني جشم) . وله أخبار مع (بني كنانة) ، وقد أسرته بنو فراس من (بني كنانة) ، فلما عرفته امرأة منهم وهي امرأة (ربيعة بن مكدم) ، توسلت الى قومها بفك أسره ، لمساعدته لها في وقت شدة وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه ، ثم جهزته ولحق بقومه ^٩ . وقد عدّه (ابن حبيب) من (أشراف العميان) و (البرص الأشراف) ^{١٠} .

-
- ١ الطبري (١٤٥/٣) وما بعدها ، (وكان شاعراً ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه زيد الخير ، وقال له : يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا كان دون الصفة ليسك . يريد غيرك) ، الثعالبي ، ثمار (١٠١) .
 - ٢ بلوغ الارب (١٣٨/٢) .
 - ٣ الثعالبي ، ثمار (١٠١) .
 - ٤ المحبر (٢٣٢) وما بعدها .
 - ٥ الطبري (١٣٢/٣) وما بعدها .
 - ٦ بلوغ الارب (١٣١/٢) وما بعدها ، الثعالبي ، ثمار (٤٣٩ ، ٥٣٥ ، ٦٢١) ، وفقئت عينه يوم اليرموك ، المحبر (٢٦١ ، ٣٠٣) .
 - ٧ الثعالبي ، ثمار ٦٢١ وما بعدها .
 - ٨ المحبر (٢٤٥/٢) .
 - ٩ بلوغ الارب (١٣٤/٢) وما بعدها ، الثعالبي ، ثمار (٣٩٧) ، (فمن بني غزية دريد بن الصمة) ، الاشتقاق (١٧٧) .
 - ١٠ المحبر (٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وزيد الفوارس من هذا الرعيل الشهير من فرسان الجاهلية . وكان الرؤساء في قومه . وشهد يوم (القرنين) ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه . وهو من سادات (بكر بن سعد بن ضبة) . وهو (زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي) . وقد طالت رياسته^١ .

ومنهم (عمرو بن كلثوم) الشاعر الشهير قاتل (عمرو بن هند) ملك الحيرة وصاحب المعلقة . وينتهي نسبه الى (تغلب) ، وهو أحد فتاك العرب وأخوه (مرة) هو الذي قتل (المنذر بن النعمان) ، وأمه (أسماء بنت مهلهل بن ربيعة) . وقد ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومات وهو ابن مائة وخسين سنة^٢ . ومن الفرسان الشجعان (أمية بن حرثان الكناني) ، وكان من سادات قومه ، وقد أدرك النبي وأسلم ، وله ولد اسمه (كلاب بن أمية) دخل في الإسلام كذلك^٣ .

ومن الفرسان (الشنفرى الحارثي) وهو من الشعراء وأحد العدائين. والعداؤون من العرب : السليك ، والشنفرى ، والمتشر بن وهب ، وأوفى بن مطر . ولكن المثل سار من بينهم بالسليك . والعرب تضرب به المثل ، وتزعم انه والشنفرى أعدى من رئي . ويزعمون انها كانا يسبقان الأفراس ، ويصيدان الظباء عدواً^٤ . وقد عرف السليك بـ (سليك المقانب) ومقانب أمه ، وكانت أمه سوداء ، وسليك أيضاً أسود ، وهو أحد أغربة العرب^٥ .

ولم في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكانا سيدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد^٦ ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام هي : يوم التمار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها

-
- ١ بلوغ الارب (١٣٧/٢ وما بعدها) ، (قال الفرزدق :
زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الاول
وزيد الفوارس بن حسين بن ضرار . واشتقاق قبيصة من قولهم قبصت قبصة ،
أي أخذت بثلاث أصابعي شيئاً) ، الاشتقاق (١٢٠) .
 - ٢ بلوغ الارب (١٤١/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الاشتقاق (١٠٧) ، بلوغ الارب (١٣٨/٢) .
 - ٤ النعالي ، تمار (١٣٥) .
 - ٥ الاغانى (١٣٣/١٨ وما بعدها) ، النعالي ، تمار (١٠٥) .
 - ٦ العدة (١٩٣/٢) (باب ذكر الوقائع والايام) المحبر (٤٦١) .

يوم الهبأة^١ .

وقد دونت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان خطير في هذه الأيام . ويظهر أنها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميماً وغيرها في يوم شويحط إلى عنبرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميماً كلها إلا بني سعد بن زيد مناة إلى بني عامر بن صعصعة يوم جيلة، والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول، عدا أسماء آخرين تجدهم المذكورين في أخبار الأيام .

الخيـل :

وللخيـل أهمية كبيرة في جزيرة العرب ، لأنها سيارة ذلك اليوم ، بل ربما كانت أهم منها عند العربي : يركبها ويحارب عليها بسهولة وبسرعة لا تتوفر في الجمل ويستطيع أن يسابق بها الإبل ، ويفر من يريد اللحاق به لشرّ ينويه تجاهه. ولذلك كانت للخيـل مكانة كبيرة عند الجاهليين في السلم وفي الحرب ، حتى كان الرجل منهم يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده . فالخيـل وقاية للنفس، والمعقل التي يأوي إليها ، والخير عندهم معلق بنواصي الخيـل^٢ .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ ركوب الخيـل إلى (اسماعيل بن ابراهيم) ، يزعمون أنه أول من ركبها، وكانت الخيـل وحوشاً لا تتركب . فذهب إلى موضع (أجياد)، وهو موضع بمكة يلي الصفا ، وكان موطناً له ، فركب ظهور الجياد . وركب الناس منذ ذلك العهد الخيـل . فاسماعيل على زعمهم هو أول راكب للخيـل^٣ . ويلاحظ أن راوي هذا الخبر أراد اقناع السائل بصحة جوابه ، فربط بين ركوب ظهور الجياد وبين موضع أجياد ، ليبدو الجواب منطقياً مقبولاً .

وقد مدحت العرب الخيـل العرباب . أي الخيول العربية الأصيلة، التي لم تهجن،

١ المحبر (٢٤٩) .

٢ بلوغ العرب (٧٧/٢ وما بعدها) .

٣ نهاية الإرب (٣٤٥/٩ وما بعدها) .

ولم يختلط في دمها دم غريب^١ . وقد مدحت الخيل الشقر ، وذلك لسرعتها ، ومدحت بعدها الحصان الأدهم الأرثم المحجل الطلق اليد اليمنى^٢ . وقيل للخيل الكريمة الأصيلة (العتاق من الخيل) و (الخيل العتاق)^٣ .

وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب . والفريق الذي يملك أكبر عدد من الخيل في المعركة يكسب الحرب . وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف جيش العدو . ولهذا عدّ بعض الباحثين دخول الخيل الى جزيرة العرب تطوراً خطيراً في أسلوب القتال عند العرب ، أحدث تغييراً خطيراً في طرق القتال وصار عاملاً مهماً من العوامل التي أدت الى انتشار القتال والغزو في بلاد العرب . وصار في امكان القبيلة التي تملك خيلاً جيدة كثيرة أن تتفوق على غيرها في الغزو ، حتى إذا كانت القبيلة كبيرة ، لأن العدد الكثير وان كان ذا أهمية في النصر، ولكنه لا يستطيع أن يقف أمام الفرسان، ان كان المحاربون من المشاة أو كان أكثرهم منهم . إذ لا يستطيع الثبات أمام صولات وجولات الفرسان الذين يشتتون شمل الصفوف ويمزقون الجمع ، ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة الانقضاض على القارين المنهزمين .

ولأهمية الخيل عند العرب ألف كثير من العلماء كتباً فيها ، تجد ذكرهم في (الفهرست) لابن النديم . ومن هؤلاء (ابن الكلبي) صاحب كتاب (أنساب الخيل)^٤ و (ابن الأعرابي) صاحب كتاب (أسماء الخيل)^٥ .

ووضعوا جرائد ومشجرات في أنساب الخيل . حرصاً منهم على المحافظة على أصالتها وبقاء جنس ما عندهم نقياً نظيفاً . ومنعوا الفحول الجيدة منها من الاتصال بالأفراس الرديئة أو الأفراس المجهولة التي ليس لها نسب معروف . حتى لا يتولد من هذا الاتصال نسل رديء هجين . بل حرص صاحب الحصان الجيد على ألا يعطيه لأحد ليتصل بفرسه حتى وإن كانت غاية في النجابة ، وذلك خشية أن ينسل نسلًا فاحراً لغيره ولا يكون له منه شيء . ولا تزال هذه العادة معروفة

١ تاج العروس (٣/٣٣٥ وما بعدها) .

٢ نهاية الارب (٩/٣٦٢ وما بعدها) .

٣ اللسان (١٠/٢٣٦) .

٤ طبع بمدينة « لايدن » وبالقاهرة بمطبعة بولاق .

٥ طبع بمدينة « لايدن » .

عند العرب حتى الآن ، فهم يحفظون أنساب خيولهم حفظاً عجيباً ، من غير رجوع الى جريدة نسب أو شجرة من شجرات النسب . كما يحفظون على النسل الجيد من الخيول العربية ، ويعتنون به عناية فائقة ، إذ يرون أنه زينة وبهجة للمرء ، ومن ملذات الحياة في هذه الدنيا .

ومن دلائل عناية الجاهليين بالخيول ما نجده في اللغة من ألفاظ وكلمات كثيرة تخص الخيل . تخص أسماءها وأسماء أعضائها وجسمها وحركاتها وسكناتها وأوصافها وألوانها ، حتى أنهم لم يتركوا شيئاً له علاقة بها إلا ذكروه . فلا عجب إذن إذا ما ألفوا فيها الرسائل والكتب وتحدثوا عنها حديثاً طويلاً في الجاهلية وفي الاسلام .

وقد اشتهرت بعض الجياد في الجاهلية بشدة عدوها فلا تدانها في العدو خيول أخرى ، وفي مقدمتها فرس عرف بـ (زاد الركب) (زاد الراكب) ، قالوا إن أصل فحول العرب من نتاجه . وقد زعم ابن الكلبي أنه من بقية جياد سليمان ابن داود ، وأن وفدأ من (الأزدي) ، وكانوا أصهاره ، وفدوا عليه ، فلما فرغوا من حوائجهم سألوه أن يعطيهم فرساً من تلك الخيل ، فأعطاهم فرساً كانوا لا يترلون متزلاً إلا ركبته أحدهم للقصص ، فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار ، إلى أن قدموا بلادهم فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب ، فأصل فحول العرب من نتاجه^١ .

واشتهر فرس آخر بسرعه وبشدة عدوه اسمه (أعوج) ، زعم انه من نسل (زاد الراكب) . قيل : انه كان سريعاً جداً لا يداني في العدو . وكان فحلاً لغني بن أعصر . وقد عرف بـ (أعوج الأكبر)^٢ .

وكان (أعوج) الأصغر أولاً لكنده ، ثم أخذته (سليم) وصار لبني عامر ثم لبني هلال . وأمه (سبل) لغني ، وأم (سبل) (سودة) (البشامة) ، وأم (سودة) (القسامة) ، وكانت لجعدة . وكان أعوج طويل القوائم سريع العدو . ولهم أيضاً (الفيض)^٣ . وقد اشتهر نسله ، واكتسب شهرة في العتاق من

١ العقد الفريد (١٨٤/١) ، نهاية الارب (٣٩/١٠) ، أسماء الخيل ، لابن الاعرابي (ص ٥٠) ، « زاد الركب » .

٢ العقد الفريد (١٨٥/١) ، نهاية الارب (٣٩/١٠) ، بلوغ الارب (١٠٤/٢) .

٣ نهاية الارب (٤٠/١٠) ، العملة (٢٣٤/٢) ، « وأمه سبل كانت لغني ، وأم سبل البشامة ، كانت لجعدة » ، العملة (٢٣٤/٢) ، « القاهرة ١٩٦٤ » ، المكتبة التجارية .

الخيل^١ .

ومن خيل العرب المشهورة : (الغراب) و (الوجيه) و (لاحق) و (المذهب) و (مكتوم) ، كانت كلها لغني^٢ . وذكر ان (الوجيه) و (لاحق) لبني أسد^٣ ، وقيل لبني سعد^٤ . و (الأعق) فحل من خيل العرب ، أنجب سلالة نسبت اليه عرفت بـ (بنات أعق)^٥ .

ومن خيل العرب الشهيرة الأخرى : (قيد) و (حلاب) لبني تغلب . و(الصريح) لبني نهشل ، وزعم انه كان لآل المنذر ، و (جلوى) لبني ثعلبة بن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو (داحس) . وكان (داحس) و (الغبراء) لبني زهير . والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه . و (ذو العقال) و (قرزل) و (الخطار) و (الحنفاء) لحذيفة بن بدر . والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه . و (قرزل) آخر للطفيل بن مالك^٦ .

و (حذفة) لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضاً لصخر بن عمرو بن الشريد . و (الشقراء) لزهير بن جذيمة العبسي و (الزعفران) لبسطام بن قيس ، و (الوريعة) (الوديعة) و (نصاب) و (ذو الحمار) لمالك بن نويرة ، و (الشقراء) أخرى لأسيد بن حنافة السليطي ، و (الشيظ) لأنيف بن جبلة الضبي ، و (الوجيف) (الوجيف) لعامر بن الطفيل ، و (الكلب) و (المزنوق) والورد له أيضاً ، و (الخنثي) (خنثي) لعمر بن عمرو بن عدس ، و (المداج) فرس الريب بن شريق السعدي ، و (جزة) فرس يزيد بن سنان المرثي فارس غطفان ، و (النعام) للحارث بن عباد^٧ .

و (ابن النعام) لعنرة ، و (النعام) فرس (السليكة بن السليك السعدي) و (العصا) فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، و (الهراوة) لعبد القيس بن أفصى

-
- ١ نجى حكيم يوم بدر ركضه كنجاء مهر من بنات الاعوج بلوغ الارب (١٠٥/٢) ، شرح ديوان حسان (٦٩) ، (للبرقوقي) .
 - ٢ نهاية الارب (٤٠/١٠) .
 - ٣ نهاية الارب (٤٠/١٠) .
 - ٤ العمدة (٢٣٤/٢) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦/٧) ، (عنق) .
 - ٦ نهاية الارب (٤١/١٠) ، العمدة (٢٣٥/٢) .
 - ٧ نهاية الارب (٤١/١٠) وما بعدها . العمدة (٢٣٥/٢) ، أنساب الخيل ، (ص ٦٦ وما بعدها) ، أسماء الخيل (ص ٦٤ وما بعدها) .

و (اليحموم) فرس النعمان بن المنذر ، و (كامل) فرس زيد الخيل ، و (الزبد) (الريد) (الريد) فرس الخوفزان ، وهو أبو (الزعفران) فرس بسطام ، و (العراة) (الحالة) فرس الكلجة اليربوعي^١ .

و (القطيب) و (البطين) فرسان كانا للعرب ، و (اللاعب) (العباية) فرسا حريّ بن ضمرة ، و (المدعاس) فرس النواس بن عامر المجاشعي ، و (صهبي) فرس النمر بن تولب ، و (حافل) فرس مشهور ، ذكره (حرب بن ضرار) و (العسجدي) لبني أسد ، و (الشموس) فرس زيد ابن خذّاق (خذّاق) العبدي ، و (الضيف) لبني تغلب ، و (هراة الغراب) فرس الريّان بن حويص العبدي ، جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة ، فتصدق بها على العُزّاب يتكسبون عليها في السباق والغارات ، و (الحرون) فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد (أسيد الباهلي) ، و (الزليف) فرس مشهور ، وهو من نسل (الحرون) و (مناهب) فرس تنسب إليه الخيل أيضاً ، و (العلهان) فرس أبي مليل (ملك) عبدالله بن الحارث اليربوعي^٢ .

وذكر أن أفراس العرب الشهيرة أفراس عرفت بـ (الكامل) منها : فرس لميمون بن موسى المري ، وقال بعضهم يل كان لامرئ القيس . وفرس لرفاد ابن المنذر الضبي ، وفرس الملقام الكلبي ، وفرس الخوفزان بن شريك الشيباني ، وفرس سنان بن أبي حارثة المري ، وفرس زيد الفوارس الضبي ، وفرس شيان النهدي ، وفرس زيد الخيل الطائي^٣ .

ومن أفراس العرب : فرس عرفت بـ (الكاملة) ، وهي بنت البعيث ، فرس عمرو بن معديكرب . وفرس ليزيد بن قنان الحارثي^٤ .

وكان للرسول تسع عشرة فرساً ، اشترى بعضها منها ، وتقبل بعضها منها هدية . وقد اشترى (الضرس) من أعرابي بعشر أوراق ، وسمّاه النبي (السكب) وهو فرسه يوم أحد ، ليس مع المسلمين فرس غيره^٥ . واشترى (المرتجز)

- ١ العمدة (٢٣٥/٢) ، نهاية الارب (٤٣/١٠) وما بعدها .
- ٢ العمدة (٢٣٥/٢) وما بعدها ، نهاية الارب (٤٦/١٠) وما بعدها ، وكذلك أنساب الخيل ، وأسماء الخيل .
- ٣ تاج العروس (١٠٤/٨) ، (كمل) .
- ٤ تاج العروس (١٠٤/٨) ، (كمل) .
- ٥ نهاية الارب (٣٣/١٠) وما بعدها ، العمدة (٢٣٤/٢) ، المعارف (٦٥) .

و (البحر) ، وقد اشتراه من تجار قدموا من اليمن ، فسبق عليه مرات^١ .
واشترى (سبعة) من أعرابي من (جهينة) بعشرة من الإبل .

ومن الخيل التي أهديت للرسول : (اللخيف) (اللخيف) (النخيف) ،
أهداه له : (فروة بن عمرو) من أرض البلقاء ، وقيل أهداه له : (ريعة بن
أبي البراء) و (الظرب) ، أهداه له (فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي) ،
و (الورد) ، أهداه له (تميم الداري) ، و (المرواح) أهداه له وقد من
الرهاويين ، و (اللزاز) أهداه له (المقوقس)^٢ .

ويدفعنا الكلام في تعداد أسماء خيول العرب الشهيرة في الجاهلية الى ذكر جريدة
طويلة بأسمائها . ترد في كتب الخيل وفي كتب المعجمات والأدب^٣ ، ولما كان
هذا الموضوع معروفاً ومدوناً ولا صلة له بالعقلية وبالحياة الجاهلية لذلك اكتفيت
بما أوردته عنها في هذا المكان ، ولن أراود المريد الرجوع الى الموارد المذكورة .

١ نهاية الارب (٣٥/١٠) ، المعارف (٦٥) .
٢ « ذكر أسماء خيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، نهاية الارب (٣٣/١٠) وما
بعدها ، العمدة (٢٣٤/٢) « باب العتاق من الخيل ومذكوراتها » ، المعارف
(ص ٦٥) .
٣ بلوغ الارب (١٠٤/٢) وما بعدهما ، (خيل العرب المشهورة) .

الفصل الخامس والخمسون

الحروب

ترك المصريون والآشوريون والبابليون واليونان والرومان وغيرهم آثاراً كثيرة ، فيها صور معارك وأسلحة ومعدات وجنود مقاتلين أو مستأسرين أو متصهرين ، أفادت الآثاريين والعلماء في تكوين رأي في حروب تلك الأمم والآلات التي استعانت بها في قتالها . أما الجاهليون فلم يتركوا ، ويا للأسف ، إلا نزرأ يسيراً من الآثار فيه صور حروب أو جنود أو معدات قتال ، لهذا صار علمنا بالحروب عندهم مستمداً من تلك النصوص القليلة ومن نصوص معدودة وردت في الآثار الآشورية أو البابلية وفيها إشارات إلى العرب ، ومن موارد أعجبية مكتوبة تحدثت عن حروب وقعت مع العرب ، ومن الموارد الإسلامية .

ولفظه (الحرب) ، وتجمع على حروب ، هي اللفظة الشائعة المعروفة عند الجاهليين للخروج لمحاربة العدو والاصطدام به . وترادفها لفظة (ضر) وتجمع على (اضرو) في اللهجات البادية^١ . وهناك لفظة أخرى هي (غزو) وتعني الخروج لمحاربة العدو^٢ . فهي في معنى الحرب والغزو . وترد في اللهجات العربية الجنوبية أيضاً^٣ . ويراد بـ (غزت) ، غزوات في عريتنا ، أي في حالة

١ تاج العروس (٢٠٥/١) ، اللسان (٣٠٢/١) ، راجع السطر الخامس من النص الموسوم

Halevy 149, REP. EPIGR. 4624, II, p. 276, Jamme 576, 577, Mahram, p. 447.

٢ الاصفهاني : المفردات (ص ٣٦٦) .

Jamme 586, Mahram, p. 445. ٣

الجمع^١ . وب (غزوي) غزوتين اثنتين^٢ . وأما لفظة (هغرو) فتعني أغاروا على قوم ، والغارة هي (هغر) في العربية الجنوبية^٣ .

وترد لفظة (حرب) (ح ر ب ت) بمعنى معركة ، وحرباً واحدة في اللغة السبئية . وأما (حريب) فتعني الحروب والمعارك ، أي جمع (حرب)^٤ . وأما (حرب) فتعني المحاربة وحارب والحرب^٥ .

وتطلق لفظة (ضبا) في السبئية بمعنى الحرب ، وبمعنى إعلان الحرب أيضاً . ووردت لفظة (ضبات) ، بمعنى مقاتلين ومحاربين^٦ . وترد لفظة (تادم) ، بمعنى الشروع في قتال والاستعداد للحرب^٧ .

ويقال للحرب (ضرر) في اللحيانية . أما لفظة (الحرب) ، فتعني السطو والسرقة ، بالإضافة الى معنى الحرب التي تعني الحصار والقتال^٨ .

ويعبر عن لفظة قاتل بلفظي (سبا) و (جنب) في السبئية^٩ . وتؤدي لفظة (حرب) هذا المعنى أيضاً ، إذ أنها تعني حارب^{١٠} . و (جنب) ، بمعنى قتال وتعارك وتحارب .

ويقال للحرب (حرب) في اللهجة الصفوية ، أي على نحو ما نجده في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم .

ويعبر عن الحملة أو الغزوة بلفظة (برث) في السبئية^{١١} . ويقال لها (خرجت) أيضاً . ويراد بـ (خرجت) ثورة كذلك^{١٢} . ويعبر عن الحملة والغزوة بلفظة

١ Jamme 586, Mahram, p. 445.

٢ Jamme 577, Mahram, p. 445.

٣ Mahram, p. 433.

٤ Jamme 575, 577, 650, 658, 665, Mahram, p. 436.

٥ Mahram, p. 436.

٦ Jamme 555, 577, 579, 581, 635, 636, 658, Mahram, p. 446.

٧ Jamme 644, Mahram, p. 447.

٨ راجع النص ٤١ و ٨٤ من كتاب : W. Caskel, 97, 118.

٩ Jamme 597, Mahram, p. 430.

١٠ Mahram, p. 436.

١١ Jamme 561 bis, 578, 635, Mahram, p. 430.

١٢ Jamme 665, 712, Mahram, p. 437.

(منشا) في بعض الأحيان^١ . ويعبر عنها بلفظة (مسبا) (مسبا) كذلك^٢ . كما يقال (مقرر) أيضاً^٣ .

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني^٤ . وتصيب أناساً لا علاقة لهم بها ولا صلة ، فهي لا تعرف التفريق بين الجاني ومن لا ذنب له^٥ .

وقد عرف علماء اللغة الجيش بأنه الجند ، أو جماعة الناس في الحرب ، والجمع جيوش^٦ . وقالوا الجيش : العسكر^٧ . فالمراد بالجيش اذن الجماعة المقاتلة التي تخرج للقتال . وترد لفظة (جيش) في العرييات الجنوبية كذلك . وتجمع على (اجيش) (أجيش) فيها ، أي في مقابل (جيوش) و (الجيوش) في عربيتنا^٨ .

ويذكر علماء اللغة ان الجيش واحد الجيوش ، ويراد به جماعة الناس في الحرب^٩ .

وترد لفظة (خمس) (خيس) في العرييات الجنوبية بمعنى الجيش^{١٠} . وترد في عربية القرآن الكريم كذلك . فقد ورد أن الخميس الجيش ، أو الجيش الجرار ، أو الجيش الحشن . وذكر بعض علماء اللغة ان العرب سمت الجيش خيساً لأنه مكون من خمس فرق : المقدم والقلب والميمنة والميسرة والساقة^{١١} . وقالوا : بل سمي الجيش خيساً لأنه يخمس فيه الغنائم^{١٢} . والظاهر ان الأصل في (الخميس) الجيش المنظم الكبير الذي يحارب بإمرة وبنظام . وتجمع لفظة (خمس) أي (جيش)

١ Jamme 643, 644, Mahram, p. 440.

٢ Jamme 665, 750, Mahram, p. 440.

٣ Jamme 578, 586, Mahram, p. 441.

٤ العقد الفريد (١١٠/١) (لجنة) .

٥ الدينوري ، عيون الاخبار (١٢٧/١) .

٦ لسان العرب (٢٧٧/٦) ، تاج العروس (٢٩١/٤) .

٧ لسان العرب (٥٦٨/٤) .

٨ Jamme 616, 635, 649, 665, 577, Mahram, p. 430.

٩ اللسان (٢٧٧/٦) ، تاج العروس (٢٩١/٤) .

١٠ Naml 71, 72, 73, Le Muséon, 1967, 3-4, p. 470, Mahram, p. 437.

١١ اللسان (٧٠/٦) ، تاج العروس (١٤٠/٤) .

١٢ اللسان (٧٠/٦) ، تاج العروس (١٤٠/٤) .

في العربية الجنوبية على (اخمس) أي جيوش^١ .
ويعبر عن الجيش بلفظة أخرى هي : عسكر و (العسكر) . وأما الموضع
الذي يعسكر فيه فهو (المعسكر)^٢ .

ويطلق الجاهليون على الجيش الكثير الذي لا يسير إلا زحفاً من كثرتة (الجرار)
ويطلقون على الجيش العظيم (الجمفل)^٣ . ويقولون (جيش الجيش) و (جيش
فلان الجيوش) للتعبير عن التعبئة وتحضير المحاربين لقتال العدو^٤ .

والعرب آداب وقواعد في الحرب، يطلبون من المحاربين اتباعها لكسب الحرب .
قيل لأكم بن صيفي : صف لنا العمل في الحرب ، قال : أفلوا الخلاف على
أمرائكم ، فلا جاعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ،
فتثبتوا ، فإن أحزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تعقب ريثاً ، وادرعوا الليل،
فإنه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات^٥ . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لما رأى
عسكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أما ترونهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون
تلمظ الحيات^٦ .

و (المعسكر) هو موضع تجمع العسكر وموضع نزولهم فيه . ويقال له (حيرة)
(حيرة) في السبية^٧ .

وتقول العرب : إن الشجاعة وقاية والجبن مقتلة . واعتبر من ذلك أن من
يقتل مُدبراً أكثر ممن يقتل مقبلاً^٨ . وتقول أيضاً : الشجاع موقى ، والجبان
مُلقي^٩ . فاستقبال الموت عندهم، خير من استدباره . ولم يكونوا يهتمون بالكثرة
قد اهتمامهم بالألفة بين المحاربين ، وبالعامل يداً واحدة وكأنهم بنية مرصوصة .
قيل لعنرة : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : كنا مئة ، لم نكثر فتكل ، ولم

١ Mahram, p. 437, Jamme 576, 635.

٢ اللسان (٥٦٨/٤) .

٣ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٠٣) .

٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٧٦ وما بعدها) .

٥ العقد الفريد (١١٣/١) ، الدينوري ، عيون الاخبار (١٠٨/١) .

٦ المصدر نفسه

٧ Jamme 576, 631, Mahram, p. 436.

٨ العقد الفريد (١١٦/١) .

٩ المصدر نفسه

نقل فنذل^١ .

والحرب عند الجاهليين أسباب عديدة ، يدخل في ضمنها ضنك العيش في البادية مما يحمل القبائل على التناحر والتقاتل فيما بينها للحصول على الماء والكلأ ، وهما عماد الحياة في البادية ، أو الحصول على غنيمة^٢ . ويعبر عن هذه الحروب بـ (الغزو) . والواحدة (غزو) . وهي تعتمد على مبدأ المباغته في الغالب . أما الحروب ، فإنها الحروب الكبيرة التي تقع بين دول وحكومات . كما أن الغارة ، هي غزو مفاجيء يفاجيء به العدو عدوه ، ليأخذ على غرة ، ولينتزع منه ما يجده عنده من مال .

وقد كانت القبائل تغير بعضها على بعض ، ثم تراجع حاملة ما حصلت عليه من غنائم وأسلاب ، وقد ترجع ، وهي مسلوقة مهزومة ، في حالة تمكن من أريد إيقاع الغارة به من الدفاع عن نفسه ، ومن تغلبه على المغير ورده خائباً على الأعقاب .

وتكون الغارات في وجه الصبح في الغالب ، حتى يؤخذ من يراد الإغارة عليه بغرة ويفاجأ بالغارة مفاجأة . وقد يقصد في الليل من غير أن يعلم ، فيؤخذ بغتة ، والاسم (البيات) . و (بيت القوم والعدو : أوقع بهم ليلاً)^٣ . وقد أشير إلى (البيات) في الحديث . فقد كان المسلمون يصيبون في البيات من ذراري المشركين ، فسألوا الرسول حكمه فيهم . فكان حكمه : (هم منهم) و (هم من آبائهم)^٤ .

والغارة دفع الخيل على من يراد الإغارة عليهم . يقال أغار على القوم غارة واغارة ، دفع عليهم الخيل . فتكون الغارة بالخيل في الأخص . ويقال أغار لإغارة الثعلب ، إذا أسرع ودفع في عدوه^٥ . فالغارة غير الغزو والحرب ، تكون سريعة في الغالب ، يعقبها رجوع سريع .

١ المصدر نفسه (١٢١/١) .

٢ كتاب الفاخر (ص ٤٩) ، (ليدن ١٩١٥ م) .

٣ اللسان (١٦/٢) ، (بيت) ، تاج العروس (٥٣١/١) ، (بيت) .

٤ صحيح مسلم (١٤٤/٥) وما بعدها ، (باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد) .

٥ تاج العروس (٤٥٨/٣) ، (غور) .

ويعبر عن الغارة بلفظة (تادم) في العرييات الجنوبية . وتطلق على كل حملة عسكرية أيضاً^١ .

ولا تقتصر الغارات على غارات قطعات الجيش على العصاة والثوار ، بل قد تقوم بها قبيلة على قبيلة ، وقد يقوم بها أفراد ، لأسباب مختلفة . وقد يقوم بها اللصوص والصعاليك ، يغيرون على أحياء العرب وعلى السابلة للحصول على مغانم . وكان بعض أصحاب الغارات يمعنون في الغارة فيبتعدون عن منازلهم . ويعدون (بُعد الغارة) نوعاً من أنواع الشجاعة والفروسية ، لما تكتنف المغير من أخطار ومهالك . وكان (مروان بن زنباع) ، ويقال له : (مروان القرظ) من (مشهوري أهل الجاهلية في بُعد الغارة)^٢ .

وكانت الغارات والغزوات من أهم وسائل الإغاشة والحصول على مغانم بالنسبة للقبائل النازلة على حدود الحضارة أو على مقربة منها . مثل حدود العراق أو حدود بلاد الشام . وتكثر الغارات في سني الجذب والقحط وانحباس المطر . فلا يبق أمام تلك القبائل للبقاء على حياتها سوى التزوح الى أماكن أخرى مخصصة معشبة ، ويؤدي ذلك إلى التقاتل مع القبائل الأخرى النازلة في تلك الأرضين ، أو مع قوات الحدود التي تحاول رد تلك القبائل خشية غزوها للحضر أو لمن يقيم وراء الحدود من أعراب . لذلك استعملت حكومات العراق وبلاد الشام جملة وسائل لكبح جماح الأعراب الغزاة في جعلتها حماية الحدود بـ (مسالح) بنيت في أطراف البوادي وفي نهايات الطرق التي توصل إلى الحضر ، تضع بها قوات مقاتلة نظامية وغير نظامية من الأعراب أصحاب الإبل لمقاتلة الأعراب ، وتقديم الأطعمة والميرة من المستودعات المقامة في (المسالح) و (القصور) إلى سادات القبائل لسد ما عندها من نقص في الطعام ، وبإقامة إمارات عربية ، تودع إليها أمور تأمين الأمن في البادية وحماية الحدود من غارات الأعراب .

المحاربون :

والمحاربون على نوعين : أحرار وعبيد . ولذلك نجد بعض الكتابات العربية

South Arabian Inscriptions, p. 449. ١

الاشتقاق (١٦٩/٢) . ٢

الجنوبية تشير إلى هذين النوعين من المقاتلين ، مما يدل على كثرة عدد العبيد الذين يؤمرون بالقتال في ذلك الزمن . جاء في نص (كرب ايل وتر) الموسوم بـ Glaser I000A (وجيش عبدان من أحرار ورقتي) . وورد هذا التعبير في نصوص أخرى تعبيراً عن وجود عدد كبير وربما أفواج من المقاتلين العبيد في جيوش ذلك الزمن .

والسخرة هي الطريقة الغالبة في التجنيد ، فإذا وقع خطر ، طلب الملك من الأقبال والرؤساء تسخير من يتمكنون تسخيرهم للقتال . ويبقى المسخر في الخدمة حتى تنتهي الحرب . ولما كان المسخرون قد أجبروا على القتال إجباراً ، وهم من الطبقات الدنيا في الغالب ، وليس لهم ما يقتاتون به ، لذلك ، كثرت حوادث التهرب من الجيش ، والفرار منه في أثناء القتال . ووضع مثل هذا يؤثر على مصير الحرب بالطبع .

ويتولى الحرب والجيش أناس مدربون على أسلوب القتال لهم خبرة بالحروب ، أو سادات قوم عليهم واجب قيادة قومهم عند ظهور غزو أو خطر أو حرب ، ويعرف مثل هؤلاء بقيادة ، والواحد (قائد)^١ .

وكان بعض قادة الجيش عند العرب الجنوبيين يحملون درجة (مقتوي) ، وهي منزلة خاصة في درجات القيادة العسكرية وورد (مقتوي ملكن) ، أي (مقتوي الملك) ، بمعنى (قائد الملك)^٢ . والظاهر أن هذه الدرجة كانت خاصة بمن يختارهم الملوك لقيادة الجيوش . فإذا اختار الملك شخصاً من الجيش أو من سادات القبائل أو من أصحاب الأرض لأمر يراه فيه ، وعينه لقيادة الجيش ، عبر عن مكانته هذه بـ (مقتوي) وبـ (مقتوي الملك) . وقد عرف علماء اللغة هذه اللفظة ، غير أنهم عبروا عنها بلفظة (مغالب) . ولم يبينوا ما المراد من (مغالب)^٣ . ويقال للضابط الذي يقود الجيش ، أو قطعة منه (اسود) ، وذلك في اللغة السبئية^٤ .

وقد كان لطبقة قواد الجيش شأن كبير ، وسلطان واسع ، ويعرف القائد

١ اللسان (٣٧٠/٣) ، تاج العروس (٤٧٧/٢) .
٢ REP. EPIGR. 4861, 4876, 4892, CIH 405, Grohmann, 131.
٣ اللسان (مادة قوي) تاج العروس (٣٠٧/١٠) .
٤ Jamme 665.

ب (ق س دن) (قس دن) ، أي (القاسد) أيضاً ^١ . وقد ظل هذا الاستعمال معروفاً في العهد الحبشي كذلك ، لوروده في نصّ (أبرهة) . ولكن هذا لا يعني أن (القاسد) كان عسكرياً محترفاً ، مختصاً بقيادة الجيش ، فقد كان القواد من رؤساء العشائر ومن الوجهاء والكبراء يقودون أتباعهم في أثناء الحروب . أما في أثناء السلم ، فيعودون الى أعمالهم الاعتيادية ، كإدارة الأرض أو القبيلة. ولهذا ففي استطاعتنا أن نقول إن من بين قواد الجيش أناساً لم يكونوا من المتخصصين بالقيادة وبشؤون الحرب ، وإنما هم قواد متطوعون وسادات قبائل تضطربهم مراكزهم الى قيادة أتباعهم في أمثال هذه المناسبات .

وقد فهم بعض الباحثين أنها تعني المحاربين من النوعين : الأشراف والقادة من أصحاب الدرجات الرفيعة العالية ، والمحاربين المحترفين للحرب ، حتى صارت الجندي حرفة لهم ، يعيشون منها . فهم طبقة عسكرية خاصة محترفة على نحو ما كان عند (البطالة) بمصر وعند غير البطالة من جيوش ودول ^٢ . ولكن أكثر الباحثين يرون أن الـ (قسد) هم الطبقة الرفيعة من الأشراف وقادة الجيوش .

وعرف المكلف بإدارة موقع من المواقع العسكرية ، والذي يتولى أمر إدارة حمايته بـ (امر) ^٣ . أي (آمر) (الأمر) ، وربما الأمير . وعرف الضابط الذي يتولى قيادة جماعة من الجيش بـ (اسود) ^٤ . وأما (قدم) ، فإنه المقدم ، الذي يقود قطعة من الجيش ^٥ . وربما قصد به من يتولى أمر قيادة مقدمة الجيش . ويعبر بلفظة (ققدم) عن تأمير الـ (قدم) وتنصيبه في وظيفته ^٦ . أي أمراً على قطعة الجيش . ويعبر عن التقدم للهجوم على العدو ، أي على الهدف المقصود من الحملة ، بلفظة (تقدم) ^٧ .

١ (القسود : كقتول : الغليظ الرقية القوي) اللسان (٣٥٢/٤) ، القاموس (٣٢٧/١) .

٢ Grohmann, S. 122.

٣ South Arabian Inscriptions, p. 427. النص ٥٧٦ .

٤ South Arabian Inscriptions, p. 427.

٥ South Arabian Inscriptions, p. 446.

٦ المصدر نفسه (ص ٤٤٧) .

٧ المصدر نفسه (ص ٤٥٠) .

وقد عرف القادة الذين قادوا ألف رجل فما فوق بـ (الجرّارين) . ذكر (محمد بن حبيب السكري) ، ان العرب لم تكن تسمي الرجل جرّاراً ، حتى يرأس ألفاً . ومن هؤلاء (المطلب بن عبد مناف بن قصي) قاد (بني عبد مناف) وأحلافها من الأحابيش يوم (ذات نكيف) . و (بلعاء بن قيس الكناني) قاد (بني عبد مناة) يوم (ذات نكيف) ويوم المشلل ويوم الفجار . و (أبو سفيان : صخر بن حرب) قاد قريشاً وكثانة يوم أحد ويوم الخندق . و (عامر بن الظرب العدواني) قاد ربيعة ومضر وقضاعة كلها يوم اليبداء . و (مالك بن عوف النصري) ، و (عوف بن عبدالله بن عامر بن جذيمة) و (ربيعة بن حذار الأسدي) و (زرارة بن عدس) التميمي ، و (لقيط ابن زرارة) و (الأقرع بن حابس) ، و (النعمان بن مجاشع) الدارمي ، و (النمر بن حنّان) السعدي ، و (الأضبط بن قريع بن عوف) السعدي ، و (محلم بن سويط الضبي) ، وذكر انه الرئيس الأول : أول من سار في أرض مضر برئاسته ، وغزا العراق وبه كسرى ، حتى بلغ العذيب^١ .

ومن بقية الجرّارين في مضر : (قيس بن عاصم السعدي) و (وزهير بن جذيمة العبسي) و (عمرو بن جؤية بن لوذان الفزاري) و (بدر بن عمرو) و (حذيفة بن بدر) و (عيينة بن حصن) و (خالد بن جعفر بن كلاب) و (الأحوص بن جعفر) العامري^٢ .

والجرّارون من ربيعة : (ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي) ، وابنه (كليب وائل) و (الهذيل بن هبيرة) و (الحوفزان) وهو (الحارث ابن شريك) و (بسطام بن قيس) و (الحارث بن وعلة الدهلي) و (أبجر ابن جابر العجلي) و (قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد) و (قتادة بن مسلمة الحنفي) و (أثال بن حجر بن النعمان بن مسلمة الحنفي) و (الهذيل ابن عمران التغلبي)^٣ .

والجرّارون من قضاعة : (زياد بن هبولة) ، (زياد بن هبولة) ، و (داوود اللثقي بن هباله) ، و (زهير بن جناب) ، و (رزاح بن ربيعة

١ المحبر (٢٤٦ - ٢٤٨)
٢ المحبر (٢٤٨ - ٢٤٩)
٣ المحبر (٢٤٩ - ٢٥٠)

ابن حرام) ، وهو أخو (قصي بن كلاب) لأمه ، و (عميرة بن أوس ابن ثعلبة بن عوف بن كعب بن ذهل) ، وكان يدعي الملك ، و (الأشل بن عمرو) ، و (الثعليل)^١ .

والجرارون من اليمن : (كرز بن عبدالله بن عامر) من بجيلة ، و (عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي) من مذحج ، و (الأشعث بن قيس الكندي) ، و (شراحيل بن أصهب الجعفي) ، و (يزيد بن أنس بن الديان الحارثي) ، و (ذو الفصة الحارثي) ، و (مخرم بن حزن بن يزيد الحارثي) ، و (العباب الحارثي) ، و (حجر بن يزيد بن سلمة الكندي) و (قيس ابن سلمة الكندي) و (الزوير : علقمة بن سلمة بن مالك الكندي) ، و (حسان ابن عمرو بن الجون الكندي) ، و (معاوية بن شرحبيل بن أنضر الكندي) ، و (حديج بن جفنة بن قتيبة السكوني) ، و (هيرة بن المكشوح بن عبد يغوث المرادي) و (فروة بن مسيك المرادي)^٢ .

وسار قادة الجيوش ومتولو ادارة المعارك على قاعدة (الحرب خدعة)^٣ . ومعناها خدع العدو وإيهامه للتغلب عليه ، كأن يشيع قائد الجيش أنه سيسلك الطريق الفلاني ، فيرسل بالفعل قوة صغيرة ، وهو يضمّر خطة أخرى ، بأن يأمر القوة الكبرى بسلوك طريق آخر ، فيفاجيء العدو وهو غير متأهب ، أو يؤخذ على غرة وهو لا يدري باحتمال قدوم الجيش من هذا المكان .

ولما كانت (المباغنة) من أهم وسائل كسب الحرب والحصول على الربح ، كان من أهم أسباب نجاحها التكتّم والتستر ومعرفة قوة العدو ومواقع ضعفه ، عمد الجاهليون إلى استخدام العيون للتجسس على العدو، يرسلونهم في صور شتى ، في صورة تجار أو مسافرين أو على هيئة سرايا صغيرة تقتص آثار العدو وتسأل من يرون من المسافرين عن علمهم بأحوال العدو : أو تقبض ربايا العدو ليحققوا معهم وليحصلوا منهم عن معلومات تفيدهم في إعداد خطة الحرب أو الغزو . وفي ضوء هذه المعلومات يرتب القادة طريقة مباغنة العدو ومحاربته لانزال الضربة القاصمة به .

١ المحبر (٢٥٠ - ٢٥١) .

٢ المحبر (٢٥١ - ٢٥٢) .

٣ الدينوري - عيون (١٩٤ / ١) ، (باب الحيل في الحروب وغيرها) .

وإذا أحس انسان بوجود غارة ، أو رأى قوماً يتقدمون لمفاجأة قومه بغارة ، فعليه الاسراع لابلاغ قومه بها قبل أن يفاجئهم العدو بغارته وهم على غير استعداد لها ، وكان من عادتهم أن الرجل إذا رأى الغارة قد فاجأهم وأراد إنذار قومه تجرد من ثيابه وأشار بها ليعلم ان قد فاجأهم أمر . ويقال لذلك الرجل (النذير العريان) ، ثم صار مثلاً لكل أمر يخاف من مفاجأته^١ .

ويقال للشخص الذي ينذر قومه بدنو عدو منهم ، ويزحف مغير عليهم ، (الصريخ)^٢ . يسرع (الصريخ) إلى قومه قدر إمكانه ليلغهم بخبر ذلك العدو قبل مباغتته لهم . ونظراً إلى ما للصريخ من أهمية بالنسبة إلى نتائج الغزو ، يتخذ المغيرون كل وسائل الخنر والتكتم والبحث عن النذر والصريخين لكيلا يقتلوا منهم فيذهبوا إلى قومهم وهم هدف الغزو أو إلى غيرهم ممن قصدوا بالغزو فيمحذرونهم منهم، ويكونوا عندئذ في حالة تأهب واستعداد لمقابلة المغيرين ، أو لمباغتتهم بهجوم معاكس عليهم ، أو بنصب كائن لهم قد تلحق أذى بهم ، وقد تؤدي إلى عكس ما قصد من ذلك الغزو .

ويعبر عن المباغتة والمفاجأة وأخذ العدو على حين غرة بحيث لا يشعر إلا والعدو يهاجمه بلفظة (بحض) في السبئية^٣ .

ويقال لمن ينذر قومه بقرب وقوع غزو وبدنو عدو منهم : (القاصد) . و (القاصد) ، هو من يقصد أحداً طلباً لحاجة أو تسهلاً لأمر ، أو لإجراء وساطة .

وكانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبل أو أي مرتفع من الأرض ناراً ، ليلغ الخبر أصحابهم . وإذا جدوا في جمع عشائرتهم أوقدوا نارين . وقد عرفت هذه النار بنار الحرب^٤ .

وقد استعانت الحكومات بحماية حدودها بوضع قوات عسكرية في المواضع العسكرية الخطيرة التي تكون لها أهمية كبيرة من الوجهة (السوقية) في تعبئة الجيش للحرب . وعرفت مثل هذه المواضع بـ (المناظر) . وهي مواضع تقيم بها حاميات تراقب

١ الفاخر (ص ٧٠) ، تاج العروس (٣٤١/١٠) ، (عرى) .
٢ اللسان (٣٣/٣) وما بعدها ، (صرخ) ، نهاية العرب (١٢٦/١٧) .
٣ Jamme 576, Mahram, p. 428.
٤ الحيوان (٤٧٤/٤) ، (هارون) .

منها حركات الأعداء وتحركات الأعراب . وتكون الحاجز الأول الذي يمنع العدو من التقدم .

ونحن لا نكاد نعلم شيئاً عن أسس تنظيم الجيش في الحكومات الجاهلية ، لعدم ورود نصوص واضحة في ذلك . ولصلة ملوك الحيرة بالفرس ولصلة ملوك الغساسنة بالروم ، لا استبعد تدريب الفرس لجيش الحيرة وتقسيمه واعداده وفقّ نظم الجيوش الفارسية وأساليبها على القتال ، وتدريب الروم لجيش الغساسنة وفقّ أنظمتهم وقوانينهم العسكرية . وقد ذكر أهل الأخبار أن النعمان بن المنذر ، ملك خمس كتائب ، يحارب بها ، هي : (الوضائع) وقوامها قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومدداً ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لحم . فإذا كان في رأس الحول ردهم الى أهلهم ، وبعث بمثلهم . وكتيبة يقال لها (الشهباء) وهي أهل بيت الملك ، وكانوا يبيض الوجوه ، يسمون الأشاهب . وكتيبة ثالثة ، يقال لها (الصنائع) ، وهم صنائع الملك ، أكثرهم من بكر بن وائل . وكتيبة رابعة ، يقال لها (الرهائن) ، وهم قوم كان يأخذها من كل قبيلة ، فيكونون رهناً عنده ، ثم يوضع مكانهم مثلهم . والخامسة (دوسر) ، وهي كتيبة ثقيلة تجمع فرساناً وشجعاناً من كل قبيلة^١ .

ويظهر من بعض تفاسير علماء اللغة للفظ (الوضائع) ، أن (الوضيعة) جماعة من الجند تجعل في كورة لا يغزون منها^٢ ، أي حامية . وأما الصنائع ، فطوائف من الناس يصطنعهم الملك ، ويكونون عوناً له وجنداً يحارب بهم . فهم من المرتزقة . وقد تستعين القبائل بطوائف من قبائل أخرى للقتال معها^٣ . وقد استعان (سلمة بن الحارث بن عمرو المقصور) بـ (بني تغلب) و (النمر بن قاسط) و (سعد بن زيد مناة) وبـ (الصنائع) على أخيه (شرحبيل) ، وذلك يوم (الكلاب) الأول^٤ .

وقد أشار (الزبيدي) الى كتيبة دعاها (الملحاء) ، قال عنها : (والملحاء) : كتيبة كانت لآل المنذر من ملوك الشام . وهما كتيبتان ، إحداهما هذه والثانية

-
- ١ الكامل ، للمبرد (٢٨٨/١) .
 - ٢ تاج العروس (٥٤٥/٥) ، (وضع) .
 - ٣ العمدة (٢٠٦/٢) .
 - ٤ العمدة (٢٠٥/٢) .

الشهباء . قال عمرو بن شأس الأسدي :

يفلقن رأس الكوكب الضخم بعدما تدور رحي الملحاء في الأمر ذي البزل^١

وقد أخطأ (الزبيدي) في جعل (آل المنذر) من ملوك الشام . وقصد
بـ (الملحاء) (الدوسر) . بدليل قوله في موضع آخر : (والدوسر : اسم
كتيبة للنعمان بن المنذر ملك العرب)^٢ . وقد تعرض في مكان آخر من كتابه الى
كتيبة الشهباء فقال : (والأشاهب بنو المنذر بلجالمهم . قال الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالحـ رة يمشون غدوة بالسيوف

قلت : وهم إحدى كتائب النعمان بن المنذر . وهم بنو عمه وإخوانه وأخواتهم .
سمّوا بذلك لبياض وجوههم)^٣ .

ويظهر من شعر للمثقب العبدي ، قاله يمدح عمر بن هند :

ضربت دوسر فيه ضربة أثبتت أولاد ملك فاستقر^٤

ان هذه الكتيبة كانت موجودة في أيام الملك (عمرو بن هند) . وذكر بعض
علماء اللغة ان (دوسر : اسم كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ، وأنشد للمثقب
العبدي يمدح عمرو بن هند . وكان نصرهم على كتيبة النعمان)^٥ . ولا بد وأن
يكون في هذه الكلمات خطأ أو نقص : إذ لا يعقل أن يكون (عمرو بن هند)
قد حكم أيام (النعمان بن المنذر) . وقد يكون قصد أحد ملوك الغساسنة ، أو
ان الأخباريين أقحموا اسم أحد الملكين خطأ في هذا الشرح .

والكتيبة عشر (اللجيون) عند الرومان . ولذلك كان عددها يختلف حسب
اختلاف عدد اللجيون . وعلى الأغلب كانت ما بين (٤٠٠) الى (٦٠٠)

١ تاج العروس (٢٣٠/٢) ، (ملح) .

٢ المصدر نفسه (٢٠٦/٣) ، (دسر) .

٣ تاج العروس (٣٢٧/١) ، (شهب) .

٤ تاج العروس (٢٠٦/٣) ، (دسر) .

٥ اللسان (٢٨٥/٤) ، (دسر) .

جندي^١ . وقد كان عدد اللجيون (٦) آلاف جندي في أيام الانبراطورية ، من الفرسان وبقية الأصناف المساندة . ويقسم (اللجيون) المكوّن من الفرسان الى عشر كتائب ، عدد كل كتيبة من (٦٠٠) فارس . تعرف بـ Coforts . وتقسم كل كتيبة Cohort الى عشرة أقسام^٢ . ويسير النظام العسكري عند الرومان وفقاً للطريقة العشرية في تكون الجيش . وقد يتألف (اللجيون) من (٧٠٠٠) جندي ، (٦٢٠٠) منهم من المشاة و (٧٣٠) من الفرسان ومن بقية التبع^٣ .

وحكومات اليمن والحيرة والغساسنة، تكاد تكون الحكومات الوحيدة التي ملكت جيوشاً مدربة نظامية ، أي جيوشاً مستعدة في كل وقت للدخول في الحروب . فلكل حكومة من هذه الحكومات كتائب مدربة في استطاعتها القتال . وهي كتائب من الفرسان وكتائب من المشاة ، ولها رؤساء يشرفون على تدريبها وتسييرها وقت القتال . وهي بإشراف ضباط يتولون قيادتها بأمر من الملك .

أما أهل القرى والمدن ، فكان لهم قوادهم وحملة رايتهم في الحرب ، غير أننا لم نسمع بوجود جيش نظامي مدرب عندهم ، ولم نسمع بوجود كتائب مقاتلة مستعدة للقتال أو للدفاع حين صدور الأمر إليها . بل كل ما وجدناه في كتب أهل الأخبار أن أسراً معروفة عهد إليها بحماية الراية والمحافظة عليها ، فإذا وقع خطر ، أخرج حفظتها تلك الراية ليرفعوها في القتال فتكون عندئذ شعاراً لهم وروحاً معنوية ذات أهمية ، فإذا سقط حاملها أخذها غيره وهكذا كانوا يتناوبون في حملها . وسقوط الراية له أثر كبير في معنوية المحاربين .

ويظهر من دراسة ما أورده علماء اللغة والأخبار عن تشكيلات الجيش عند بقية الجاهليين ، أن الجاهليين لم يكونوا يسيرون على نظام معين في تكوين الجيش وفي عدد وحداته ، بل كانوا يتركون أمر ذلك الى الظروف والى رأي القادة الذين توكل اليهم أمور ادارة المعارك . وذلك لأنهم لم يكونوا يملكون جيوشاً نظامية ثابتة ، فقد كانت القبائل تقاتل حين تدعى الى القتال أو حين يقع غزو عليها ، فيهب كل فرد منها للدفاع عن قبيلته ، أو في المساهمة في الغزو ، يشترك في ذلك النساء والصغار أيضاً ، ولا سيما في حالات الدفاع عن النفس . حتى المدن

١ قاموس الكتاب المقدس (٢٥٣/٢) .

٢ Hastings, p. 540.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٦/١) .

والقرى لم يكن لها جيش ثابت ، ولا قادة يدربون المقاتلين على أساليب القتال ، ولا وحدات ثابتة تقيم في ثكنات ومعسكرات . بل كان شأنها شأن القبائل ، إذا هوجمت ، هب أفرادها رجالاً ونساءً كهولاً وصغاراً في الدفاع عن مدينتهم ، يقوم كل واحد منهم بدوره حسب طاقته وقدرته . وكذلك كان الحال في حالات الهجوم ، أي حين تهاجم المدينة عدواً لها ، يشترك في هجومها كل متمكن من القتال ، قياماً بواجبه الأدبي المفروض عليه . وليس لهذا الجيش المحارب تدريب عسكري سابق ، ولا وحدات معينة ، إنما تكون امرة سوقه وتسييره ، بأيدي الشجعان الأذكياء : ومن سبق له أن برز في قتال سابق ، وأبرز مكانه فيه .

وحتى في أيام الرسول لم يكن للمسلمين جيش ثابت منظم ، له وحدات على شكل فرق وكتائب وأفواج وسرايا ، وكنكات ومعسكرات ، وضباط . يعرف كل ضابط منهم وحدته وعدده جنوده . إنما كان المسلمون كلهم جنوداً ، إذا دعاهم الرسول الى القتال لبوا نداءه . وقد يكون فيهم الكهل والشاب والتاجر والمزارع ومن لا عمل له . الفارس بفروسه ، والراكب على جملة ، والراجل ماشياً ، كل يحارب في سبيل الله . والرسول هو القائد الأعلى ، وهو الذي يعين الأهداف والخطط ، وهو الذي يختار القادة ومسيري المعركة إذ لا قادة ثابتون . وكان يستشير ذوي الرأي والخبرة في المواضع التي يقصدها وفي إدارة الحرب مع العدو . وإذا كانت المعركة معركة مبارزة ، نظر الرسول الى من معه ، واختار منهم من يصلح للمبارزة . وكان إذا أراد ارسال سراياه ، اختار للسرية رجالاً من أصحابه فأمره عليها . وأرسل معه من يختارهم ليكونوا له جنوداً . ولم يكن عدد أفراد السرية ثابتاً ، بل كان مختلفاً . ويتوقف العدد على حسب تقدير الرسول للموقف .

ويظهر من الشعر الجاهلي ان الأعراب كانوا يهابون من الالتحام بالجيش النظامية ، لعدم قدرتهم وكفاءتهم في مقابلتها ، لما لها من تنظيم وتدريب وسلاح . وقد تركت (الدوسر) و (الشهباء) أثراً في ذاكرتهم ، نجده في شعرهم ، مع ان الكتيبتين لم تكونا على مستوى عالٍ من التدريب والتسليح . وقد كانوا يخشون من الالتحام بالجيش الآشورية والبابلية والرومية ، لتفوق تلك الجيوش عليهم ، فإذا تعقبتهم هربوا الى البادية ، حيث يجدون لهم عندئذ المأوى الصالح الأمين المناسب لهم ، للوقوف أمام الجيش النظامي . ويكون وقوفهم أمامه على هيئة كرت

وفرّ ، وهجوم من جوانب مختلفة . فإن وجدوا جلدأ من ذلك الجيش وقوة ضاربة ، هربوا إلى قلب البادية .

ويظهر مما ذكره (سترابو) عن الجيوش العربية الجنوبية ، انها لم تكن مدربة على القتال ، ولم تكن مجهزة بأسلحة حسنة حديثة بالنسبة الى أسلحة الرومان في ذلك الوقت . ولم تكن منظمة ومقسمة الى وحدات محاربة يسيّر أمورها ويوجهها في القتال ضباط لهم خبرة وعلم بأساليب القتال . ولهذا تقدم الجيش الروماني بكل سهولة نحو اليمن ، دون أن يجد أمامه مقاومة تذكر ، مع ان جيشهم لم يكن من الجيوش الحسنة التنظيم ، المدربة تدريباً حسناً ، لمقاومة الجيوش النظامية^١ . ونجد في تغلب (الحبش) ودخولهم العربية الجنوبية وتحكمهم بها مراراً ، ما يؤيد أن العربية الجنوبية لم تكن تملك جيشاً منظماً مدرباً على مقاتلة الجيوش النظامية ، وانما كانت تملك (عساكر) تعرف قتال الأعراب وأهل القوى ، بأسلحة لم تحاول الحكومات تحسينها وتجديدها وفقاً لتطور السلاح في العالم . مع العلم ان الحبش أنفسهم لم يكونوا أصحاب جيوش منظمة ولا مدربة تدريباً حسناً ، ولا مزودة بأسلحة جيدة حديثة على طراز أسلحة اليونان والرومان والفرس . وقد تحكموا مع ذلك في اليمن حتى جاءهم الفرس ، فأخرجوهم منها قبيل الاسلام، مع ان الذين أخرجوهم كانوا من قطاع الطرق ومن المتصعلكة ، وقد جاؤوهم بسفن قديمة ، ولم يكونوا من المحاربين النظاميين المدربين على القتال .

ويظهر أن حكّام العربية الجنوبية، كانوا يعتنون بجمع العساكر وتكوين الجيوش للقضاء على خصومهم، ولكنهم لم يحفلوا بأمر تنظيم الجيش وتدريبه وتجديده وتحسين سلاحه . مع أن أمر التنظيم والتدريب والتسلح وكيفية استخدام الجندي لسلاحه ، من أهم أمور التغلب في الحروب والإنتصار على الأعداء . ولهذا كانوا يتغلبون على خصومهم في العربية الجنوبية وعلى القبائل ، لأنهم دونهم بكثير في المستوى وفي الإمكانيات . ولما كانت حروبهم حروباً داخلية ، لم تتجاوز حدود جزيرة العرب ، وإذا تجاوزتها ، كان اتجاهها سواحل إفريقيا ، وهي بلاد غير متقدمة ولا تملك جيوشاً نظامية مدربة ، لذلك لم يحفل أولئك الحكام بأمر الانفاق على الجيش لتنظيمه وتدريبه وتحسين سلاحه ومستواه ووضع في ثكنات صحية وتجهيزه

١ راجع الصفحة (٤٢ وما بعدها) من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

بالعربات وبالخيل ، لتعطي السرعة للجيش في القتال والحماية اللازمة للمشاة . وبقوا يسرون على الطريقة التقليدية التي أملتها طبيعة أرضهم عليهم من الاعتماد على عساكر (اسد) الملك وعلى عساكر الاقطاعيين وعلى المرتقة وعلى الحشور الذين يجمعون جمعاً عند وقوع حرب .

ولم يعتنِ العرب الجنوبيون بتحسين السفن وتجديدها وتحصينها للمحافظة بها على سواحلهم الطويلة . فلما ظهر الرومان والبيزنطيون في البحر الأحمر ، لم يتمكنوا من الوقوف أمامهم . فانتزعوا منهم السيادة على هذا البحر بسهولة ، واتصلوا بالسواحل الإفريقية وبلغوا (سيلان) وسواحل الهند . وفقد العرب ما كان لهم من ممتلكات في السواحل الإفريقية المقابلة . بل صارت سواحلهم عرضة لهجمات سكان تلك السواحل ، ولتدخل الحبش مراراً في بلادهم . مع أن الحبش أنفسهم لم يكونوا أصحاب سفن جيدة كبيرة ، ولا اسطول قوي ، حتى أن الروم ساعدوهم بأسطولهم في نقل قواتهم لاحتلال اليمن . ولم يرد في روايات أهل الأخبار ولا في أخبار الموارد اليونانية ما يفيد بتصدي السفن العربية الجنوبية للمغيرين الأقباش ، ولا بوقوع أية معركة بحرية بين العرب والحبش أو غيرهم في البحر . وبدل نزول الحبش على السواحل العربية بيسر وسهولة على عدم وجود تحصينات بحرية على السواحل ، وعلى ضعف الجيش في ذلك العهد .

ولطبيعة بلاد العرب أثر كبير بالطبع في ظهور هذا التخلف الملحوظ في بناء القوة العسكرية . فعظم أرض جزيرة العرب أرضون سهلة منبسطة لا يجد فيها أصحابها مواضع طبيعية يتحصنون بها في حالي الدفاع والهجوم . لذلك صار القتال فيها وجهاً لوجه ، والتغلب فيه للمحارب الذي يملك وسائل الحرب السريعة من إبل وخيل وعدة . ثم إن الفقر العام الذي ساد جزيرة العرب آنذاك وفقرها من ناحية الموارد الطبيعية وتغلب الجفاف والحرارة عليها ، جعلت العرب كتلاً ، أي شعوباً وقبائل ، مشتتة مبعثرة ، تعيش حول ما تجده من ماء ومن مورد رزق ، وكأنها أمم متباينة ، لضيق أفق المعيشة فيها ، ولتقاتلها فيما بينها على الماء وموارد الرزق الشحيحة . وأوضاع مثل هذه لا تساعد على التجمع وعلى تكوين دولة قوية كبيرة ، تجمع جيشاً قوياً مدرباً ذا عدة وعدد ، يستطيع الصمود أمام الجيوش النظامية المدربة التي تملكها الحكومات الغنية مثل حكومات البيزنطيين والفرس ، التي غدت جيوشها بالمال وبالجند المحترفين المدربين على القتال وبالضبط

المتخصصين بشؤون الحرب وبالعدد والعدة المتطورة وبالمال . ولهذا لم تتمكن (عساكر) الجاهليين من الوقوف أمام الجيوش النظامية ، لتفوق هذه الجيوش عليها في التنظيم وفي التدريب وفي السلاح وفي كيفية استعمال الأسلحة : واستغلال المواقف وتطبيق العلم على الأرض التي يقع فيها القتال ، وفي التغذية والعناية بأحوال الجندي . ولهذا تخاصمت الاشتباك مع الجيوش النظامية في خارج حدود بلادها ، وجمدت قتلها وحصرته في الغزو وفي القتال الداخلي ، أي في قتال العرب بعضهم بعضاً ، وهو قتال لم يستوجب تطوير الأسلحة وتحسينها ، كما يستوجب قتال الجيوش النظامية الكبيرة ، وقد اعتمد على شجاعة الفرد ، وعلى الحماس وعلى ذكاء السادة في الاستفادة من المواقف ومن توجيه فرسان الحرب .

أما المقاتلون فهم متطوعون ، تطوعوا للقتال للدفاع عن مواطنهم ، ومجبرون ، عليهم الخروج للقتال لأنهم تبع ، وقد أمروا به أمراً ، ومن هؤلاء الرقيق . ولما كان القتال بسيطاً لذلك كان واجب المقاتل متوقفاً على قابليته العقلية والجسمية . ولا نجد في كتب أهل الأخبار ما يفيد بوجود تدريب للفريقين أثناء السلم ولا في أثناء الحرب ، بل يدخل المحارب الحرب كما يدخل المتشاجرون أي شجار ، وهناك يستعمل ذكاه في اختيار الدور الذي يناسبه ، فقد يظهر مهارة وحنكة وشجاعة فيرتفع اسمه بين قومه ، وقد يقوم بدور المشجع بالكلام ، وقد يقوم بأدوار بسيطة ساذجة . فإذا انتهى القتال عاد الناس إلى حياتهم الأولى ، عادوا إلى بيوتهم وهي ثكناتهم الوحيدة التي جاؤوا منها .

وترد لفظة (كتيبة) والجمع (كتائب) في الشعر الجاهلي ، تعبيراً عن تنظيم وتكتل في صفوف الجيش . فقد ورد أن (حجر بن أم قطام) قاد كتيبة (فارسية) على رواية ، أو أنه كان نظم كتيبة مسلحة بأسلحة من دروع وبيض من صنع الفرس^١ . ووردت أخبار أخرى تتحدث عن وجود كتائب عند سادات قبائل قوية ، دلالة على أخذ القبائل القوية بنظام تكتيل الجيش وتصنيفه وتقسيمه إلى كتائب في القتال لتلقي الرعب في نفوس الأعداء ، ولا سيما في نفوس الأعراب الذين لم تساعدهم ظروفهم على إنشاء مثل هذه التنظيمات العسكرية . ويعبر عن (الكتائب) بلفظ (المقائب) أيضاً^٢ . وإذا كان الجيش ما بين

١ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٥) .

٢ واحداً (مقنّب) .

الثلاثين إلى الأربعين أو قدر أربعين رجلاً^١ أو خمسين ، قيل له (المنسر)^٢ .
ويذكر علماء اللغة ان الكتيبة انما سميت كتيبة ، لاجتماعها وانضمام بعضها الى
بعض^٣ ، فهي اذن كتلة كبيرة من الجيش . وعرفوها بأنها القطعة العظيمة من
الجيش ، والجمع : كتائب . وعرف بعض علماء اللغة الكتيبة بأنها جماعة الخيل
إذا أغارت مكونة من المئة الى الألف^٤ .

وعرفت الكتيبة بـ (جأواء) كذلك . وقيل : الجأواء كتيبة كثيرة الدروع.
وذكر بعض علماء اللغة أن المنسر ما بين ثلاثين فارساً الى أربعين^٥ . بينما جعله
بعض آخر ، ما زاد على خمسمائة حتى يبلغ الثمانمائة ، فيكون حبشياً^٦ .

ويظهر من تفاسير علماء اللغة للفظـة (المقنب) ، أن المقنب تكون في الخيل
خاصة . قالوا : « والمقنب من الخيل جماعة منه ومن الفرسان . وقيل ما بين
الثلاثين الى الأربعين أو زهاء ثلثمائة ... وقيل دون المائة » . وورد : المقنب
جماعة من الخيل تجتمع للغارة . قال لييد :

وإذا تواكلت المقانب لم يزل بالثغر منا منسر معلوم^٧

والسرية في تعريف علماء اللغة قطعة من الجيش ، تسري في خفية ليلاً ، لثلاث
يندر بهم العدو فيحلبوا . وهي من خمس أنفس إلى ثلثمائة ، أو يبلغ أقصاها
أربعمائة . وقيل هي من مائة الى خمسمائة ، فما زاد فنسر ، فإن زاد على ثمانمائة
فجيش ، فإن زاد على أربعة آلاف فجيش جرّار ، وإن كانت من الخيل ،
فتكون نحواً من أربعمائة . وقيل سمّوا سرية لأنهم يكوّنون خلاصة العسكر وخيارهم
من الشيء السري ، وهو النفيس^٨ .

وقد اختلف في عدد رجال (الخضيره) . فقيل : الخضيره الأربعة والخمسة

١ شرح ديوان لييد (ص ١٣٧) ، تاج العروس (٥٦٤/٣) ، (نسر) .

٢ الكامل (٥٧/١) ، شرح ديوان لييد (ص ١٣٤) .

٣ اللسان (٧١٠/١) ، تاج العروس (٤٤٥/١) ، (كتب) .

٤ تاج العروس (٤٤٠/١) ، (قنب) .

٥ تاج العروس (١٧٤/١٠) ، (سرى) .

٦ تاج العروس (٤٤٠/١) ، (قنب) .

٧ تاج العروس (١٧٤/١٠) ، (سرى) .

يغزون . وقيل : السبعة والثمانية . وقيل : العشرة فمن دونهم^١ . وذكر ان (الحضيرة) مقدمة الجيش^٢ .

وأما (النفيضة) ، فالجماعة يبعثون ليكشفوا هل ثمَّ عدو أو خوف . وذكر ان (النفيضة) الذين يتقدمون الخيل ، وهم الثلاث^٣ .

وتؤدي لفظة (مصر) معنى القطعة من الجيش ، والحملة وذلك في السبئية^٤ . ويقال لقائد الكتيبة (كبش الكتيبة) . وكبش القوم رئيسهم وسيدهم . فهو سيد الكتيبة وقائدها^٥ .

ويعبر عن المحارب والمقاتل بلفظة (جندي) وبـ (اسد) (أسد) في العربيات الجنوبية والجمع (اسدم) أي جنود^٦ . وقد يكون الجندي حراً وقد يكون عبداً أي رقيقاً ومولى ، وقد وردت جملة (اسد املكن) أي (أسود الملوك) بمعنى (جنود الملك) و (عسكر الملوك)^٧ ، وذلك تمييزاً لهم عن الجنود الآخرين الذين كان يجندهم الأقبال والأذواء وسادات القبائل .

ويقصد بـ (اسد) أي جندي ، الجندي النظامي أي المحارب الذي اتخذ الجندية عملاً له . ولهذا نجد النصوص لا تستعملها إلا في هذا المعنى ، وذلك للتمييز بينه وبين المحاربين الآخرين المتطوعين أو المكربين على الدخول في القتال أو المؤجرين أو المحاربين من أهل القبائل أو من أهل المدن الذين يهتدون للقتال عند دنو خطر على أهلهم أو قراهم . وتكون اعاشة هؤلاء الجنود على من يأمرهم بالخدمة في جيشه بالطبع ، من ملك أو مكرب أو مدينة أو قرية أو سيد أرض.

وأما إذا كان المحارب رقيقاً كائناً ما كان جنسه أو لونه ، وأشرك في القتال ، فيعبر عنه بـ (ادومت) (ادمت) ، أي (ادم) و (أوادم) ، بمعنى الخلم

- ١ اللسان (١٩٩/٤) ، (حضر) .
- ٢ تاج العروس (١٤٧/٣) ، (حضر) .
- ٣ اللسان (١٩٩/٤) ، (حضر) ، تاج العروس (١٤٧/٣) ، (حضر) ، (٩٢/٥) وما بعدها ، (نفص) .
- ٤ Mahram, p. 440.
- ٥ اللسان (٣٣٨/٦) .
- ٦ راجع النص المرسوم بـ : Glaser 1571
- ٧ Kat. Texte, I, 73, anm. 3, REP. EPIGR. 4624, J. Ryckmans, L'Institution Monarchique, 147, Grohmann, S. 123.

المملوكين . فليسيد القبيلة ولكبار أصحاب الأرض والملاكين والأغنياء (آدم) أي خديم ، يخدمونهم ويقاتلون عنهم في الغزو وفي الحرب وفي الدفاع عن النفس^١ . ولم يكن هؤلاء (آدم) من العسكريين المحترفين^٢ .

وأما إذا كان المحارب أجيراً يؤجر نفسه لمن هو فوقه لخدمته أو للقتال عنه، فإذا وقع قتال طلب منه الدخول فيه ، للقتال في سبيل صاحبه قيل له : (اجر) أي (أجير) والجمع (اجر) و (اجرم) ، أي أجراء^٣ .

وليس لدينا أخبار عن معامل تعمل فيها (الشكبة) ، أي السلاح كله للحكومات أو للقبائل في الجاهلية^٤ . غير أنني لا استبعد وجودها في اليمن . فقد كانت حكومات اليمن ، حكومات منظمة تُعنى بمثل هذه الأمور التي هي من ضرورات الدولة . أما القبائل ، فقد كان المحاربون فيها هم الذين يجهزون أنفسهم بالسلاح : وقد يكون ذلك السلاح عصياً يقاتلون بها ، وقد لا يكون لدى المحارب أي شيء منه سوى الحجارة التي يجدها أمامه ، فيتراشق بها مع الأعداء . أما سادات القبائل والأغنياء ، فقد كانوا يشترون أسلحتهم ويخزنونها الى وقت الحاجة . فإذا ظهرت وزعوها في أولادهم وخدامهم ومواليهم للقتال .

وإذا عزمت قبيلة على غزو قبيلة أخرى وجب على كل بالغ سليم الغزو معها، كما أن على كل فرد من القبيلة المهاجمة أن يقوم بواجبه في الدفاع عنها ، وهذا واجب كل رجل في القرى والمدن أيضاً . فقد كان على رجال كل قرية أو مدينة الدفاع عن أنفسهم ، ورد غزوات الغازين . لاستقلال كل قرية أو مدينة في أمورها وشؤونها ، ووقوع كاهل الدفاع عن نفسها على عاتقها . وعلى كل مواطن لذلك ، بدوي أو حضري أن يهيء نفسه في أيام الحروب والغزوات للدفاع عن نفسه وعن مواطنيه ، وأن يقوم بعمل الجندي في هذه الأيام .

وقد يقعد بعض الرجال من الأغنياء ، أو من المسنين عن المساهمة في الحرب أو الغزو ، فيدفعون جعلاً في مقابل ذلك لرجال محاربون عنهم ، فيكون الجعل لهم ، ويكون ما قد يقع في أيديهم من غنائم لهم أيضاً . وقد يتفق على ذلك

Grohmann, S. 122, Rhodokanakis, Bodenwirtschaft, S. 183. ١

Grohmann, S. 124. ٢

Jamme 577. ٣

الإغاني (١٣٢/٢٠) ، (الشكبة : السلام) ، كتاب المعاني (١٠٧/١) . ٤

بأن يجعل المقيم للغازي شيئاً . وقد كرهت الجعائل في الإسلام^١ . وفي الحديث أنها سحت . وهي ما تجعل للغازي إذا غزا عنك بجعائل . قال سليك بن شقيق الأسدي :

فأعطيتُ الجِعْـالَةَ مستميّاً خفيفَ الحاذِرِ من فِتْنانِ جَرَمٍ^٢

وإذا قامت قبيلة بغزو قبيلة ما ، قام رجالها من ذوي الرأي والمعرفة بالمعارك بإعداد خطط غزو العدو ومهاجمته ومباغتته وترؤسه وعلى شجعانها قيادة الغازين المحاربين . أما القبيلة التي تتعرض للغزو ، فيقوم ذوو الرأي والخبرة العسكرية فيها بإعداد الخطط للدفاع عن نفسها ، وردّ الاعتداء عنها . وفي حالة الأحلاف يعد ذوو الرأي والخبرة العسكرية في الحلف خطط الهجوم أو الدفاع ، ويشترك الحلف في إعداد المحاربين وقيادتهم .

والغالب أن الذي يقوم بقيادة المحاربين وتوجيههم في المعارك هم من أسر توارثت ذلك ، وصارت القيادة وكأنها حق لها . فإذا وقع غزو ، أو أرادت قبيلة ما غزو قبيلة أخرى ، نهض رجال الرأي في الحرب بإعداد الخطة والتشاور في الرأي لكسب المعركة . وقد كانت قريش قد وكلت أمر حربها وقيادة محاربيها إلى (آل حرب) . ولكن ذلك لا يعني عدم تغيير القادة وإبدالهم ، وتعيين قادة جدد من أسر أخرى ، فقد كانوا يفعلون ذلك أيضاً عند الضرورات .

ولم تكن قوات القبائل في مستوى القوات النظامية من حيث التسليح والقابلية في القتال . فأسلحة رجال القبائل بسيطة وبدائية في الغالب لفقرها وعوزها وهي غير منتظمة ولا مدربة على القتال تدريباً فنياً ، وإنما يقوم فيها على الإغارة والمباغتة ، فإذا وجدت مقاومة ما فرت وولت ، لأنها لا تتحمل المقاومة والوقوف في وجه العدو مدة طويلة ، ولا تستطيع الصبر على ذلك . وهي من هذه الناحية قادرة على إلحاق الأذى بالقوات النظامية في حروب الصحارى ، فتقوم بمباغتة العدو وأخذه بالمفاجأة ، فإذا وجدت مقاومة منه أو أخذت ما كانت تصبو إليه من غنيمة ، عادت مسرعة إلى معقلها ، لتحتمي به ، وتوزع ما غنمته وفق العادة والعرف .

١ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٣٨) .

٢ اللسان (١١١/١١) ، (جعل) ، تاج العروس (٢٥٧/٧) ، (جعل) .

والغزو مصدر مهم من مصادر الإعاشة بالنسبة إلى الأعراب ، يلجأون اليه في أيام الشدة والمحنة لغناء أهل القرى والمدن بالنسبة إلى أهل البادية ، صارت هذه المواضع هدفاً مقصوداً للأعراب ، ومصدراً من مصادر الرزق عندهم ، ولا سيما المواضع الواقعة على حدود الأرضين الغنية بالخصبة ، كالعراق وبلاد الشام . وقد أدركت الدول الحاكمة في العراق وفي بلاد الشام هذه الحاجة ، فاستغلتها ، فأخذ الروم يشترون رؤساء القبائل ، يدفعون لهم رشاً وهدايا ومنحاً ومرتبات لحماية حدودهم من تحرش رجالهم بها ، ولمهاجمة حدود أعدائهم الفرس ، ولمقاومة القبائل التي يرسلها الساسانيون لمهاجمة بلاد الشام . وفعل الفرس مثل ذلك ، فدفعوا المنح والمرتبات والهدايا لرؤساء قبائلهم، ودفعوهم على مهاجمة حدود بلاد الشام . وقد اضطرت القرى والمدن في جزيرة العرب الى مهادة القبائل القوية النازلة بقربها ، والى مخالفتها بدفع إتاوات لها في مقابل عدم التحرش بها وحمايتها من تحرش القبائل الأخرى الطامعة بها ، وفي مقابل مرور قوافلها في أرضها . وبذلك أمنت على سلامتها وعلى أموالها بعقد هذه العهود والمواثيق .

ولضرورة الدفاع عن النفس ، وللوقوف أمام طمع القبائل القوية في القبائل الضعيفة ، اضطرت أكثر القبائل الى التحالف والتكتل لمنع الغزو فيما بينها ، والى مقاومة أي غزو يقع عليها . وقد أطلق العرب على كل قبيلة تحارب وحدها دون محالفة قبيلة أخرى (الجمرة) . وذكر أن (الجمرة) ، هي القبيلة التي لا يقل عدد فرسانها عن ثلاثمائة فارس ، وهو عدد يدل على قوة القبيلة وشدة البأس . وذكر الأخباريون أن (جمرات العرب) ثلاث : بنو ضبة بن أد ، وبنو نمر ابن عامر ، وبنو الحارث بن كعب . فطقت جمرتان ، وبقيت جمرة واحدة : طقت بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وطقت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نمر لأنها لم تحالف^١ .

والغالب على أسلوب القتال عند الجاهليين : الكرّ والفرّ ، وذلك بأن يهاجم المحاربون عدوهم ثم يتراجعون بسرعة وكأنهم قد فروا خوفاً منه ، ثم يعودون

١ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٥٣) ، الحصري ، زهر الاداب ، (٢٠ / ١) .

فيكرونها عليه . يضعونها مكاناً يكون مركز ثقلهم والملاجأ لهم ، يلتجئون إليه ، ثم ينطلقون منه للكر على العدو . وقد اتبعوا أيضاً أسلوب القتال صفوفياً ، بأن يقف المحاربون صفوفاً ، محاربون دون كر ولا فر^١ .

ولا يد للمحارب من أسلحة يحارب بها ويدافع بها عن نفسه . ويستعمل العرب لفظة سلاح وعدة المحارب في مقابل Arms = Armour في الانكليزية و(ملديم) Malddim و (كليم) Kelim و (حليضة) Hallizah في العبرانية^٢ . ويراد بها كل ما يستعمله ويحمله الجندي من وسائل الحرب من هجوم ودفاع .

والسيف هو السلاح الرئيسي في القتال . استعمل في الهجوم وفي الدفاع عن النفس . ويطلق العبرانيون عليه وعلى الخنجر لفظة (خ ر ب) (خريب)^٣ . وقد يكون السيف قصيراً أيضاً . وهو ذو حد واحد وذو حدين . وقد يكون رأسه مديباً حاداً يستعمل للطنن . أما الضرب فيكون بحمد السيف . والسيوف الجيدة هي السيوف المصنوعة من الفولاذ ومن الحديد النقي الجيد . وقد اشتهرت سيوف اليمن ، وبعض السيوف المستوردة من الخارج . ويقال لحديدة السيف (النصل) ، وتقابل هذه اللفظة لفظة (لهب) (لهيب) في العبرانية ، من أصل (لهب) ، وذلك للمعان السيف الذي يشبه اللهب عند عرضه في الشمس^٤ .

وللسيف أسماء كثيرة ترد في كتب اللغة ، بعضها أسماء وبعضها نعوت وصفات صارت في مترلة الأسماء للسيف . ومن أسماء السيف : (الجنئي) والجمع : (الجنئية) ، يقال انها إنما سميت جنئية نسبة إلى الجنئي ، وهو الحداد^٥ . ويعرف الحداد بالقيين عند الجاهليين . أما السذي يقوم بصقل السيف ، فهو (الصيقل)^٦ .

وقد اشتهرت أنواع من السيوف عند العرب ، تفاخروا بها ، لجودتها

١ بلوغ الارب (٥٦/٢ وما بعدها) ، اللسان (١٣٥/٥) ، تاج العروس (٤٦٧/٣) ، ٥١٩ .

٢ Hastings, Dictionary, I, p. 154.

٣ لسان العرب (١٦٦/٩) ، تاج العروس (١٤٩/٦) ، المفضليات (ص ٩٨) (أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون) ، شرح المعلفات السبع ، للزوزني (٧٠ وما بعدها) (الطبعة الثالثة) .

٤ Smith, Dictionary. Vol. I, p. 110, The Bible Dictionary Vol. I, p. III.

٥ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٦٢) ، المعاني (١٠٣٠/٢) .

٦ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٦٢) .

وشدة وقعها في العدو . ومن هذه السيوف المشهورة : (السيوف المشرفية) .
 قيل : أنها سميت بذلك نسبة إلى (المشارف) جمع مشرف ، ويراد بها قرى
 للعرب تدنو من الريف . وقيل : لأنها من مشارف الشام . وقيل : نسبة إلى
 موضع من اليمن . وقيل بل نسبة إلى (مشرف) رجل من ثقيف^١ .

ورد^٢ (ابن رشيح القيرواني) قول من نسب السيوف المشرفية إلى مشارف
 الشام أو مشارف الريف ، وذهب إلى أنها نسبة إلى (مشرف) ، من قرى
 اليمن^٣ .

وعرفت سيوف (بصرى) بالجودة كذلك ، ويقال للسيف المنسوب إليها
 (بُصرى)^٤ . وقد مدحها (الحصين بن الحُمام المُرتضى) ، وأثنى على القيون
 الذين أخرجوا (صفائح بُصرى) ، أي السيوف^٥ .

واشتهرت السيوف السهابة بـ (السريجية) بمجودتها كذلك ، ويقال : إنها نسبة
 إلى (سُريج) رجل من بني أسد . وهو أحد بني معرّض بن عمرو بن أسد
 ابن خزيمعة وكانوا قيوناً^٦ .

واشتهرت سيوف اليمن كذلك ، ف قيل للسيف (يمان) و (يمانى) ، إذا صنع
 باليمن . والظاهر أنها لمائة بيض ، ولذلك قيل (بيض يمانية) يمدحون تلك
 السيوف .

واشتهرت بعض السيوف في الجاهلية ، بقيت شهرتها خالدة في الإسلام . ومن
 هذه السيوف : سيف عرف بـ (الصمصامة) ، وهو سيف عمرو بن معديكرب^٧ .
 وسيف عرف بـ (ذي الفقار) ارتبط اسمه باسم علي بن أبي طالب ، وكان
 قد استولى عليه في معركة (بدر) ، أخذه من العاصي بن منه^٨ .

-
- ١ بلوغ الأرب (٦٢/٢ وما بعدها) ، ديوان ابن مقبل (ص ٧) ، اللسان (١٧٤/٩) .
 - ٢ العمدة (٢٣٢/٢) .
 - ٣ الممانى الكبير (٩٩٣/٢) .
 - ٤ الفضليات (ص ١٩ وما بعدها) ، (السندوبي) .
 - ٥ بلوغ الأرب (٦٣/٢ وما بعدها) ، العمدة (٢٣٢/٢) .
 - ٦ المعقد الفريد (٢٠٩/١) ، (٣٧٠/٣) ، تاج العروس (٣٧٠/٨) ، (صمم) .
 - ٧ المعقد الفريد (٣١٨/٣) ، (وذو الفقار بالفتح وبالكسر أيضا سيف سليمان) ،
 أهدته بلقيس مع ستة أسياف ، ثم وصل إلى العاص بن منه ، تاج العروس
 (٤٧٤/٣) ، (فقر) .

وكان في أصحاب رسول الله صحابي^١ اشتغل بعمل السيوف في الجاهلية هو (نخباب بن الأرت) . وكن من المسلمين الأولين الذين أعلنوا إسلامهم ، وعذبوا فيه^١ .

ويتبين من دراسة وتقصي مصادر السيوف عند العرب الجاهليين ، أن العرب كانوا آنذاك يستوردونها من أماكن مختلفة ، وأن استيرادها كان تجارة مربحة . وأن تجارها كانوا يفتشون في كل مكان من أسواق العالم المعروفة بصنع وبيع الأسلحة لشراء الأسلحة منها . فاستورد بعضهم أنواعاً من السيوف المصنوعة من الهند . وقد عرف السيف الجيسد المصنوع بالهند ب (المهند)^٢ . واشتهر الروم بصنع السيوف الجيدة ، وكذلك الفرس .

وقد نفن في تزويق السيوف وفي اكسائها بماء الذهب أو الفضة ، وقد اشتهرت الروم بإكساء السيوف ماء الذهب ، ويقال لذلك (الدجال)^٣ .

والخنجر أقصر من السيف ، ويستعمل في المباغنة في الغالب وفي الهجوم وفي الدفاع عن النفس . وهو مثل السيف أيضاً ذو حـد وذو حدين ، ويوضع في قراب يحمل في وسط الجسم . وهو لا يزال كثير الاستعمال لسهولة استعماله وإخفائه على حين قل استعمال السيوف ، أو مات ، لعدم ملأته للقتال الحديث . ولرخص الخنجر ، بالنسبة إلى السيوف ، كانت كثيرة الاستعمال حملها معظم الناس حتى الفقراء لحماية أنفسهم من أذى الإنسان والحيوان . وقد استعملت في أثناء الانتحار بالحروب ، حيث يشترك المحاربون بعضهم ببعض ، فيكون الخنجر من الأسلحة الملائمة للفتك بالعدو .

والرمح : سلاح يستعمل لظعن العدو ، يستعمله الفارس في الغالب . له رأس منبل حاد ، يظعن به . وقد يكون له رأس آخر : يثبت به في الأرض . وهو يختلف طولاً ووزناً . وهو من الأسلحة القديمة ، ولا يزال معروفاً ، تستعمله بعض القبائل والشعوب البدائية . يصنع من حديد أو من معدن آخر ، كما يكون من أعواد الأشجار القوية أو القصب القوي . وأجود الرماح عند العرب ، (الرماح الآزنية) ، أو (الرماح اليزنية) : يقال أنها نسبت إلى

١ الإصابة (٤١٦/١) .

٢ المعاني الكبير (١١٠٣/٢) .

٣ المعاني الكبير (١٠٧١/٢) .

(ذي وزن)^١ الملك . وهو على رأي بعض الأخباريين أول من اتخذ أسنة الحديد ، فنسبت إليه وانما كانت أسنة العرب قرون البقر^٢ .

وعرفت الرماح ذوات السنان بالأسنة . وهي ايضاً أنواع ، منها نوع يسمى (الأسنة القعصية) نسبة إلى رجل اسمه (قعصب) من (قشِير) . ونوع يسمى (الأسنة الشرعية) ، ينسب إلى (شرعب) . وإلى هذه الأسنة أشار (الأعشى) في هذا البيت :

ولدن من الخطي فيهما أسنة^٣ ذخائر مما سنّ أبزى وشرعب^٤

ويذكر أهل الأخبار ان الرماح الشرعية ، منسوبة إلى بطن من بطون حمير يقال لهم (شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد قيس)^٥ .

والرماح (الخطية) ، من الرماح الجيدة المعروفة وتنسب إلى (الخط)^٥ . والخط هو خط هجر ، تحمل إليه الرماح من بلاد الهند ، فتقوم به . فنسبت إليه^٦ . و (الرماح الردينية) وهي من الرماح الجيدة المشهورة أيضاً ، يقال إنها نسبة إلى (ردينة) امرأة كانت تعمل الرماح^٧ .

ويقال للرمح (المنجل) أيضاً^٨ . واشتهر نوع آخر من الرماح عرف به (الرمح السميري) والجمع : (الرماح السميرية) . ذكروا أنها منسوبة إلى (سمير) ، وكان صنعا يصنع الرماح ، وكانت امرأته (ردينة) تبيعها^٩ .

-
- ١ بلوغ العرب (٦٤/٢) ، العقد الفريد (٣٧٠/٣) ، اللسان (٤٥٢/٢) ، ناسخ العروس (١٤٥/٢) ، الروض الانف (٩/١) .
 - ٢ قال الشاعر :
يهزهم صعدة جرداء فيها نقيع السم أو قرن محيق
الاشتقاق (٣١٠/٢) .
 - ٣ بلوغ العرب (٦٤/٢) ، الاشتقاق (ص ٣٠٧) ، العمدة (٢٣١/٢) .
 - ٤ العقد الفريد (٣٦٩/٣) .
 - ٥ بلوغ العرب (٦٤/٢) .
 - ٦ (الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرماح . قال الاصمعي : ليست تنسب الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع ، ف قيل للرماح : خطية) ، العمدة (٢٣٣/٢) .
 - ٧ بلوغ العرب (٦٤/٢) .
 - ٨ الاشتقاق (٣١٢/٢) .
 - ٩ الروض الانف (٢١٢/٢) ، العمدة (٢٣١/٢) .

ويستعمل القنا في القتال أيضاً. ويظهر أنها نوع من أنواع القصب القوي الذي لا ينثني ولا ينكسر ، يكسى رأس القناة برأس من معدن مدبب حاد ليطعن به. ويستعمل القناة الفارس والراجل .

ويقال للقنا ، (قانه) Kanah في العبرانية و Kanna = Canna في اليونانية ويراد بها القصب ، وهو ينبت في مواضع كثيرة من مصر ، وفي الأرضين التي تكثر فيها الرطوبة والمياه^١ ، وقد اشتهرت بعض أنواع القصب بالمتانة والقوة . ولهذا استخدمت سلاحاً من أسلحة الطعان .

واستعملت الحراب في الطعن وفي زرق العدو بها . وقد ذكر أهل الأخبار أن الحشمة كانت تحسن الطعن بها ، وأن العبيد المجلوبين منها والذين كانوا بمكة ، كانوا قد اشتهروا بالطعن في الحراب ، ومنهم (وحشي) قاتل حمزة . وهو عبد حبشي زرق حربته ورمى بها حمزة فأصابه .

وكما تعتمد الجيوش الحديثة على اسلحة الرمي ، اعتمد الجاهليون على اسلحة هي بمنزلة البنادق والرشاشات في اسلحة هذه الأيام ، هي القسي والسهام. والقوس هي الآلة التي تمسك باليد ، ويشد وترها شداً قوياً ، ليرمي السهم الى العدو المراد رميه . وكلما كان الشد قوياً ، صارت الرمية بعيدة مؤثرة . وقد يكون السهم من غصن أو من خشب ، وقد يكون من معدن مثل حديد أو نحاس^٢ . ويتخذ الوتر من مادة قابلة للتوتر وللشد ، حتى يكون في قدرته رمي السهم . او مسافة بعيدة وبقوة . أما السهم ، فقد يكون من شجر ، وقد يكون من معدن . ويكون له رأس مدبب ليصيب به الهدف . وقد يسم رأس السهم ، فينقد السم منه إلى الجرح ، فيصيب به الجريح إصابة قاتلة .

وقد عدت الرماية من جملة الخصال العالية في الشخص المكمل للانسان . وقد اشتهر في الجاهلية قوم بدقة رميتهم ، وبصحة اصابتهم الأهداف ، إذا أرادوا رمي أحد اخرجو النبل ، فرموه بها ، وقلما يخطئون . وإذا ارادوا وصف رجل بدقة الرمي . قالوا فيه : (كان من أرمى الناس)^٣ . وكانت الرماية دراسة

The Bible Dictionary, II, p 355

Hastings, I. p 413 .

٢ - الاغامي ١٨/٢٠

يتعلمها الرامي من رماة ماهرين . فكان أهل الحيرة والفرس يعلمون أولادهم الرمي بالنشاب ، ليكونوا من الرماة المهرة . يستعملون فنههم هذا في قهر أعدائهم وفي الصيد وفي الحروب^١ . وقد كانت الجيوش تضم فرقاً من الرماة ، تكون لهم أهمية كبيرة جداً في تقرير نهاية الحرب ، لأنهم عنصر فعال قوي في التأثير في المحاربين .

وقد استعان الفرس والروم والرومان بالرماة الماهرين من العرب، فكوّنوا منهم فرقاً خاصة في جيوشهم ، وظيقتها المهجوم على العدو ورميه بالسهم للقتل به . فكانت السهام تقوم مقام نار البنادق والرشاشات في أسلحة هذا اليوم . وقد أشار الكتبة (الكلاسيكيون) إلى كتائب الرماة العرب التي كوّنوها الروم والرومان . وقد عرف بعض الرماة بدقة إصابتهم الهدف، فكانوا يصيبون بسهامهم ونبالهم أدق الأهداف . وقد اشتهر هؤلاء بـ (رماة الخلق) ، أي المهرة في الرمي ، فلا يخطئون الخلق . وفي كتب الأخبار قصص عن دقة إصابة هؤلاء الرماة^٢ . ولخطورة الرمي في القتال ، ولأهمية هذا السلاح في مصير الحروب ونتائجها ، أعطاه الإسلام أهمية كبيرة . وقد ورد في الحديث : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي »^٣ . وورد أيضاً : أن الرسول كان يحث أصحابه على تعلم الرماية واتقانها^٤ . وقد كان في صفوف قريش والوثنيين جماعة من الرماة المهرة الذين يصيبون الأهداف .

واشتهرت أنواع من القسي ، منها : (القسي الماسخية) ، نسبة إلى رجل من بني نصر بن الأزد اسمه (ماسخة)^٥ ، وقيل : (نبيشة بن الحسارث) . ذكر أنه أول من عملها . وتنسب القسي أيضاً إلى (زارة) وهي امرأة (ماسخة)^٦ . وفي هذه القسي قال الشاعر :

شرعت قسي الماسخي رجالنا بسهام يثرب أو سهام الوادي^٧

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الآغاني (١٩/٢) . |
| ٢ | العقد الفريد (٢١٨/١) وما بعدها . |
| ٣ | العقد الفريد (٢٢٢/١) . |
| ٤ | المصدر نفسه . |
| ٥ | بلوغ الأرب (٦٥/٢) ، العمدة (٢٣٣/٢) . |
| ٦ | الروض الأنف (٢١٢/٢) . |
| ٧ | الاشتقاق (ص ٢٨٨) . |

وذكر أهل الأخبار نوعاً من الخشب سموه (الشريان*) ، ذكروا أنه خشب تتخذ منه القسي العربية^١ .

وأجود السهام التي وصفتها العرب ، (سهام بلاد) ، (سهام بلام) ، و (سهام يثرب) ، وهما قربتان من حجر اليامة . وقد ذكرها الأعشى في شعره^٢ . ومن (النبل) الجيد نبل يقال له (رقيبات) ، وقد نسبت الى (الرقم) ، وهو موضع دون المدينة ، ويقال سهام مرقومة^٣ .

وتريش النبال بريش الطيور ، وتوضع عليها ريش نسر أحياناً^٤ . وتحفظ السهام والنبال في محفظة ، يقال لها : (الكنانة) . وأشهرها الكنائن المعروفة بـ (الكنائن الزغرية) ، وهي منسوبة الى (زغر) ، موضع بالشأم ، تعمل كنائن حمر مذهبة . وقد ذكرها أبو دؤاد الإيادي في شعره :

ككنانة الزُّغرى زينها من الذهب اللامص^٥

ومن مشاهير الرماة عمرو بن عبد المسيح الطائي ، وكان أرمى العرب . وفد إلى النبي ، وفيه يقول امرؤ القيس :

ربّ رامٍ من بني ثعلٍ مخرج كفيه من ستره^٦

واشتهر (القارة) بالرمي ، ف قيل : لمنهم أرمى حي في العرب ، ولهم يقال : « قد أنصف القارة من رامها »^٧ .

والقسي هي سلاح الصياد في الجاهلية ، فهي بمثابة (البندقية) في هذا اليوم ، يأخذها الصياد معه وفي كنانته ، ثم ينتظر ، فإذا شاهد صيداً رماه^٨ . ولهذا نجد المولعين بالصيد يذكرونها في شعرهم وفي وصفهم لمطاردة الحيوانات .

-
- ١ الاشتقاق (٢٩٥/٢) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٦٥/٢) ، (بلام) العمدة (٢٣٢/٢) .
 - ٣ شرح ديوان لبيد (ص ١٩٥) .
 - ٤ شرح ديوان لبيد (ص ١٩٥) .
 - ٥ بلوغ الأرب (٦٥/٢) .
 - ٦ المعارف (ص ١٣٦) ، وفي بعض الأصول (قتره) ، العقد الفريد (٤٠٠/٣) .
 - ٧ العقد الفريد (٣٤١/٣) .
 - ٨ بلوغ الأرب (٦٥/٢) .

ومن القسي الجيدة التي تركت أثراً في ذاكرة الشعراء (العتل) واحدها (عتلة) وقد عرفت بأنها القسي الفارسية^١ .

واستعمل الصعاليك واللصوص السهام سلاحاً فتاكاً في ابتزاز المال وسلب المسافرين. والرامي الجيد الرماية ، متغلب على خصومه ، لأنه يرمي وهو على بعد ممن يرميه ، فلا يصيبه سيف أو رمح . وبذلك صعب على من لا يحسن الرماية التغلب على الرماة .

والرمي بالحجارة والحصى ، سلاح مهم مؤثر في العدو في ذلك الزمان . فقد كان المحاربون يرمون عدوهم بآلة ما زال الأطفال والفلاحون يستعملونها، يطلقون عليها لفظة (معجان) في العراق . وهي عبارة عن قطعة من جلد أو قماش تشد من طرفيها بحبلين أو خيطين . فإذا أراد الرامي الرمي ، وضع حجراً صغيراً أو حصاة في الجلد أو القماش ، وأمسك بطرفي الحبلين غير المشدودين بالقاعدة، وأخذ يحركها تحريكاً دائرياً بشدة ، ثم يطلق أحد الحبلين بسرعة لينطلق الحجر الى الهدف المراد ، فيصيبه . ويطلق على هذه لفظة (قلع) في العبرانية ، وهي أبسط أنواع آلات الرمي بالحجارة . ويستعملها الفلاحون والرعاة أيضاً لطرد الطيور والحيوانات^٢ . ويسمونها في بلاد الشام (المقلاع) .

وقد كان على المحارب التدريب على الرمي وعلى الطعن، ليكون محارباً ناجحاً ، ذا خبرة في القتال ، فلا يتمكن منه عدو بسهولة . وفي جملة الوسائل التي كان يتدرب عليها : (الدريشة) ، وهي حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي . قال عمرو ابن معديكرب :

ظللت كأني للرماح دريشة أقاتل عن أبناء جرم وفرت^٣

ولا بد للمحاربين من أسلحة واقية ، يتقنون بها ضربات أعدائهم . وما يرمونهم به من حجارة وسهام . والترس من أقدم الأسلحة الواقية ، يعلقه المحارب على ظهره أو على كتفه ، فإذا احتاج إليه ، أمسكه بإحدى يديه ، ليتقي به ضربات

١ المعاني الكبير (١٠٥٣/٢) .

٢ Encyclopaedia Biblica I, p. 249.

٣ تاج العروس (٢٢٣/١) (الكويت) .

نخصمه . ويصنع من الحديد في الغالب ، ولا ارتفاع ثمنه ، لم يستعمله إلا المحاربون الشجعان المعروفون والمحاربون الموسرون . واستعمل الترس المصنوع من الخشب ومن الجلود الثخينة ، مثل جلود الجمال والبقر وبعض أنواع الأسماك والحيوانات الوحشية ذوات الجلود الغليظة .

وبعض الأتراس، دائرية على هيئة قرص ، ومعظم أنواع الأتراس عند الجاهليين وعند العرب الإسلاميين هي من هذا النوع، وبعضها على هيئة مستطيل أو مستطيل ذي رأس مدور أو ثابت أو غير ذلك ، وفي ظهر الترس حلقة أو موضع يدخل المحارب يده فيه ليمسك به الترس ، ويتصل به حبل أو سلسلة ليعلق المحارب به أو بها الترس على جسمه . ويعرف الترس بالدرقة وبالمجن كذلك^١ . وقد ذكر امرؤ القيس المجن فقال :

لها جبهة كسراة المِجَنِّ حلقه الصانع المقتدر^٢

ويقال له : (العنبر) كذلك^٣ .

ويقال للمجن (ماكين) (ماجن) Magen في العبرانية . وهو قرص دائري الشكل خفيف يحمله المحارب بيده ليدافع به عن نفسه وللالتقاء به من ضربات العدو . ويقال له (كليوس) Clypeus عند الرومان^٤ .

والدروع هي من أسلحة الوقاية ، يتدرع بها المحارب ، ليقى بها نفسه من ضربات خصمه . وقد تكون للظهر وللصدر ، فتحمي ظهر المحارب وصدره ، وقد تكون للصدر فقط، فيقي المحارب بالدرع ضربات المحارب من رمح أو سيف ، فلا ينال به صدره^٥ . ويعرف أهل الأخبار الدرع بأنها القميص المتخذ من الزرد . وتعرف الدروع عند العبرانيين بـ (شريون) Shiryon . ويلبس الدرع كالثوب فيقي الجسم من الضربات^٦ .

- ١ اللسان (٣٢/٦) ، تاج العروس (١٢٩/٤) .
- ٢ شمس العلوم ، الجزء الأول ، القسم الأول (ص ٥٨) .
- ٣ الاشتقاق (ص ١٢٩) .
- ٤ Hasting, p. 51, The Bible Dictionary, I, p. III.
- ٥ العقد الفريد (٢٠٩/١) (لجنة) ، لسان العرب (٨١/٨) ، تاج العروس (مادة درع) .
- ٦ The Bible Dictionary, I, p. III.

وقيل للدروع (الخرصان) كذلك ، والواحد خرص ، وقد سموا السدرع خرصاً لأنه حاكى ، كما سموا الحلقة التي في الأذن خرصاً . وقيل للدروع سابغة أيضاً^١ . وقيل للرماح الخرصان كذلك^٢ .

ومن الدروع المعروفة : (الدروع الحطمية) نسبة الى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة . وقيل : نسبة الى (حطم) أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة . و (الدروع السلوقية) ، هي نوع آخر من الدروع المشهورة ، يقال : أنها نسبة الى (سلوق) وهي قرية باليمن عرفت بلدوعها^٣ . وقد ذكر النابغة الدروع السلوقية في شعره^٤ . وأشار (ابن مقبل) الى نوع من أنواع الدروع دعاها (المشرفية) من صنعة مشرف ، ومشرف جاهلي ، وهم يدعون الى ثقيف^٥ . كما عرف نوع آخر من الدروع اشتهر باسم (القردماني) ، وذكر بأنه فارسي ، وان أصله بالفارسية (كردماند)^٦ .

وقد نسبت الدروع الجيدة الممتازة الى (داوود) و (سليمان) فورد في شعر للحطية :

فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء مبهمة من نسج سلام^٧

وورد في شعر للنابغة :

وكل صموت ثلثة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل^٨

ويلاحظ ان البيت المنسوب الى (الحطية) ينتهي بلفظة (داوود) بدلاً من (سلام) وهو (سليمان) في بعض الروايات . والمعروف ان (داوود) هو الذي

١ المعاني الكبير (١٠٣٥/٢) وما بعدها .

٢ المعاني الكبير (١٠٣٦/٢) .

٣ بلوغ الأرب (٦٦/٢) .

٤ يقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقد في الصفاح نار الحياجب

العقد الفريد (٢١٥/١) ، بلوغ الأرب (٦٦/٢) .

٥ المعاني الكبير (١٠٣٥/٢) وما بعدها .

٦ المعاني الكبير (١٠٣٠/٢) .

٧ المعاني الكبير (١٠٣٥/٢) .

٨ المعاني الكبير (١٠٣٦/٢) .

اشتهر بعمل (الدروع) لا (سليمان) على حد قول أهل الأخبار^١ . وقد أشير إلى صنع (داوود) للدروع في بيت شعر (لبشامة بن عمرو) ، وقد وصف دروعه بأنها (موضونة) ، أي مضاعفة ثخينة ، تسمع للقواضب فيها صليلاً^٢ ، كما أشير إلى ذلك في بيت شعر ينسب إلى (الحصين بن الحُمام المري) ، حيث نسب نسج الدروع إلى (داوود) . والغالب عند الجاهليين نسبة إلى الدروع إلى (داوود)^٣ .

وأما لفظة (سليم) الواردة في بيت (النابغة) ، فتعني (سليمان) أيضاً^٤ . ونحن لا يهمننا في هذا المكان أمر صانع هذه الدروع ، إنما الذي يهمننا هنا هو أثر القصص اليهودي والدعاية الإسرائيلية في نفوس الجاهليين ، مما يدل على أن اليهود المهاجرين إلى جزيرة العرب كانوا قد غرسوا بذور الدعاية اليهودية بين الجاهليين حتى تؤثر فيهم ، فكان من أثره مثل هذا القصص الذي نجده في شعر الجاهليين وفي قصصهم المدون في الإسلام .

ولا يستبعد أن يكون في اتجار يهود الحجاز بالأسلحة واستيرادهم إياها من بلاد الشام لبيعها للعرب أو للاحتفاظ بها لتهديد من يطمع فيهم ولقاومته ، أثر في ظهور مثل هذا القصص ، وفي نسبة الأسلحة الجيدة إلى (داوود) أو (سليمان) .

وعرفت الدروع المصنوعة باليمن بالجودة كذلك. وقد نسبت بعضها إلى التبابعة ، فقليل (ثلثة تبعية) يريدون بلفظة (ثلثة) درع . وقليل (مسفوحة تبعية) أي (درع تبعية) منسوبة إلى (تبع)^٥ .

و (التسبغة) هي : زرد مشبك الخلق متصل بالبيضة يطرح على الظهر ليستر العتق ، فلا تؤثر فيه الضربات والطعن^٦ .

ومن الأدوات التي استخدمها المحاربون (البيضة) ، وهي غطاء يوضع على

-
- ١ المعاني الكبير (١٠٣٥/٢) .
 - ٢ المفضليات ، (إخراج حسن السندوبي) ، القاهرة (١٩٢٦) ، (ص ١٦) .
 - ٣ المفضليات ، (إخراج السندوبي) (ص ٢٠) .
 - ٤ المعاني الكبير (١٠٣٢/٢) .
 - ٥ المعاني الكبير (١٠٣٦/٢) ، المفضليات (ص ٣٥) (حسن السندوبي) ، العمدة (٢٣/٢) وما بعدها .
 - ٦ المفضليات (ص ٣٦) (السندوبي) .

الرأس لحمايته من السيوف والحجارة والعصي وما شابه ذلك^١ . وهي لا بد أن تكون مصنوعة من مواد واقية تحفظ الرأس من الأخطار ، كأن تكون مصنوعة من الحديد أو المواد المعدنية الأخرى أو من الجلود الثخينة .

وقد عرفت (البيضة) المستديرة بـ (تركة) . وورد في شعر (مزرد بن ضرار الديباني) (تركة حميرية) ، أي منسوبة إلى حمير ، مما يشير إلى اشتهاار هذا النوع من آلة وقاية الرأس^٢ .

والعائم خوذ المحاربين عند الجاهليين . فإذا خاض المحارب معركة ما اعتم بعمامة ، وقد يضع عليها ريشة ، وقد يتحنك بذؤابتها ، ولم تكن عمام الحرب ذوات لون واحد ، بل كانت ذوات ألوان ، قد يدخل المحارب الحرب وعلى رأسه عمامة مختلف لونها عن لون العمامة التي لبسها قبلاً . وقد تحدث أهل الأخبار عن أنواع العائم التي لبسها المحاربون في القتال .

ولكن هذا لا يعني ان الجاهليين كانوا لا يستعملون الخوذ في حروبهم . لقد كان عرب العراق وعرب بلاد الشام واليمن يستعملونها أيضاً ، وإذا كانت الخوذ قليلة الاستعمال في معظم أنحاء جزيرة العرب ، فإنما يعود سبب ذلك إلى غلاء ثمنها ، لأنها من المعدن في الغالب ، ولعدم وجود حاجات ملحة إليها هناك . وقد لبس الرومان واليونان خوداً مصنوعة من النحاس ومن البرنز . واستعملت الخوذ المعمولة من الخشب ومن الجلود والكتان واللياد وبعض المواد الأخرى . وقد تفنن صانعوها في زخرفتها وفي أشكالها، وعلى هذه الزخرفة والمواد المصنوعة منها يتوقف سعر الخوذ بالطبع .

وأما (المجن) و (الترس) و (الدرقه) ، فبمعنى واحد ، وهي لوقاية الجسم من ضربات السيوف . ويصنعها العرب من الجلود في الغالب^٣ . ويقال للزرد الذي ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة (المغفر)^٤ .

-
- ١ الطبري (٣٧٩/٢) ، بلوغ الارب (٦٧/٢) ، (البيضة والبيض ما يحمي الرأس من سلاح) ، المعاني (١٠٣٢/٢) .
 - ٢ وتسبيغة في تركة حميرية دلامصة ترفض منها الجنادل المفضليات (السندوبي) (ص ٣٦) .
 - ٣ بلوغ الارب (٢٧/٢) .
 - ٤ اللسان (٢٦/٥) ، تاج العروس (٤٥٠/٣) .

وقد لبس محاربو اليونان والساسانيون ألبسة واقية خاصة لتقي جسمهم من ضربات السيوف وطعن الرماح ومن تساقط السهام عليهم ، كما حمو أرجلهم وأفراسهم أيضاً بأوقية خاصة . بعضها من جلد وبعضها من أقشة أو من معدن . وقد استخدموا ملابس خاصة صنعت من الزرد أي من حلقات معدنية ، وتدرعوا بألواح من معدن حمو بها أجسامهم ، وبألواح من الجلود الثخينة المدبوغة دبغاً خاصاً لتقاوم الضربات ، وغطوا بها أجسام خيولهم في بعض الأحيان لثلاث تصاب ، فيسقط بسقوطها الفارس ، ويعجز عن القتال .

وقد اشتهرت (ترسة الروم) بكبرها وبشدتها ، وقد أشير إليها في شعر (ابن مقبل)^١ .

ومن عادات العرب في الحروب انذار من يريدون محاربتهم . كأن يقولون لمن يريدون محاربته : إنا فنذكرك بحرب . وهم يفتخرون بذلك ، إذ يرون أن الإنذار بالحرب من سياء القوة والشجاعة ، ومن علامات عدم المبالاة بالعدو . وأن المباغطة من علامات الجبن والضعف . وقد ينذرون عدوهم ويتواعدون معه على الالتقاء في زمن معين وفي مكان معين للحرب . فإذا جاء الأجل التقوا في المكان المعين وتحاربوا فيه .

وتبدأ الحرب عادة بإعلان حالة النفير : أي حالة التجمع والتهيؤ للقتال أو الذهاب الى الحرب . ويكون ذلك بالتبويق ، أي بالنفخ بيق من معدن أو قرن حيوان أو آلة من خشب ، أو بدق الطبول والدفوف أو بضرب أعواد من خشب ، أو بالصياح لإعلام الناس بدنو عدو أو ظهور خطر أو استعداد للقيام بغزو ما ، فيتجمع عندئذ كل قادر على القتال متمكن منه ، حاملاً معه كل ما يحتاج اليه من معدات للقتال ، راكباً أو راجلاً ، لأخذ دوره فيه : والقيام بالعمل الذي يوكل به اليه . وقد يلحق النساء بالمقاتلين ، فيقمن بإعداد الطعام لهم وما يحتاجونه اليه من خدمات وليس لهؤلاء المقاتلين من أجور ومرتبات غير الغنائم التي تصيبهم والأسلاب التي تقع في أيديهم ، فتكون ملكاً لهم ، لأن القتال واجب على كل مواطن متمكن يحتم عليه ، والامتناع منه جبن ومخالفة لقوانين المجتمع وأعرافه .

وللجيوش ألوية ورايات يحملها أشجع المقاتلين والمعروفون بصبرهم على القتال .

١ ديوان ابن مقبل (ص ٢٧٧) (تحقيق الدكتور عزة حمن) .

ولإذا قتل حامل الراية ، قام آخر من الشجعان بحملها . ويستमित المقاتلون في الدفاع عن رايتهم ، فسقوط الراية على الأرض أو في يد العدو ، معناه هزيمة أصحابها ، وعجزهم عن القتال ، وخور عزيمة المقاتلين عن القتال في النهاية ، وتلك أمارات الهزيمة والفرار .

ولا يشترط في الأعلام واليارق والرايات أن تكون قديمة متوارثة . فقد تعقد عند بدء الحرب ، يعقدها الرؤساء ، ويسلمونها الى أشجع الناس لتكون سنداً للمحاربين ورمزاً يستمدون منه العون والقوة . وتسمى بأسماء قد يتصاحبون بها عند احتدام القتال . وذلك لإثارة النفوس ، وبعث الحمية فيها على القتال . أما أمر لون الراية وطولها وعرضها ، فذلك من شأن الرؤساء والمشايخ وزعماء القوم . وبما يدل على أهمية الراية عند العرب وعلى مكانتها عندهم ، أنهم كانوا يسمون (لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش أماً)^١ . وكانوا يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو .

ولما تحدث (الحرث بن حلزة اليشكري) عن (يوم الشقيقة) وعن مجيء (معد) مع (قيس بن معديكرب) ، ذكر ان أحياء (معد) التي اشتركت معه ، كانت تحمل معها ألويتها ، ولكل (حي) لواء^٢ .

وكانت لقريش راية يحتفظون بها ويحاربون تحتها تسمى (العقاب) وهي راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد ، أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد أخذها صاحبها فقدموه^٣ . ولم تكن قريش بدعاً في ذلك ، فقد كانت للقبائل وللحكومات رايات أخرى ، يتوارثونها ويحافظون على تسميتها ، وتحفظ بها أسر خاصة أو سادات قبائل ، تعتر بذلك ، وتعدّها من أعظم درجات الفخر والتكريم .

ولأهمية القائد في المعارك ، كانوا يحيطونه بحرس ، ويجعلون أكثر ثقلهم حوله . ويكون موضعه في القلب في الغالب ، ليشرف على القتال ، تحميه المؤخرة من الخلف والمقدمة من الأمام ، ويوضع اللواء عنده ، ويحمل بين يديه . وكان

١ تفسير الطبري (٣٦/١) وما بعدها .

٢ شرح المعلقات المسبح ، للزوزني (ص ١٦٤) .

٣ العقد الفريد (٣١٤/٣) .

المسلمون يحملون (العنزة) بين يدي الرسول ، وربما جعلوها قبلة ^١ .
وقد كان القادة يستعينون قبل الدخول في القتال بمخبرين يرسلونهم إلى العدو
للحصول على معلومات عن قوائهم وعن مواقعهم وعن مدى استعدادهم للحرب .
وكذلك كان للقبائل ولأهل المدن مخبرون يرسلونهم لاستطلاع الأحوال ولتحذيرهم
من احتمال وقوع غزو مفاجيء عليهم ، أو لتقدير مقدار الغازين أو المحاربين
للاستعداد والتهيؤ . فهم (جواسيس) إذن ، يذهبون للتجسس ولاستراق الأخبار
حتى يكون من أرسله على حذر ويئنه من أمره ، ويقال للواحد منهم (منذر)
في السبئية ، لأنه ينذر قومه وينبههم بقرب وقوع حادث عليهم ^٢ .

ويقال للشخص الذي يتسقط أخبار العدو ويبحث عن مواضع ضعفه وعن
حركاته وسكناته : (العين) و (الربىء) و (الجاسوس) . وقد كانوا يتنكرون
ويسترون كي يخفوا هويتهم ويحصلوا على ما يحتاجون الحصول إليه من معلومات
ليرتبوا بموجبها خططهم الحربية . روي أن (عمرو بن سفيان الكلابي) ، جاء
بني خزاعة في زي رجل من بني هلال ، وأظهر أنه جاء يريد جبرتهم ، وكانوا
قد غزوا قومه وساقوا لإبلهم ، فقبلوا إيواؤه ، وبقي عندهم أمداً ، حتى جمع
كل ما احتاج إليه من معلومات عنهم ، ثم خرج منهم وعاد إلى قومه فاستفادوا
بما كان قد جمعه عن بني خزاعة ، وغزوههم وانتصروا عليهم ^٣ .

وذكر أنه كان لكليب وائل عينا في تغلب ، كان يتجسس له ويرسل له
الأخبار عن هذه القبيلة ^٤ . وأن (عمرو بن ربيعة) أرسل سدوس بن شيبان
وصليح بن عبد غم إلى معسكر (زياد) ملك الشام ، ليتجسسا عليه ويأتيا له
بالأخبار ^٥ . وهناك امثلة كثيرة من هذا النوع تتحدث عن عيون كانت القبائل
ترسلهم إلى القبائل المعادية لها لتأتي لها بالأخبار عنها وبنواياها العدوانية وعن
خطتها في الغزو .

وقد يكون الرجل بين قوم ، فيسمع بخبر عزمهم على غزو قومه ، فيرسل

١ البيان والتبيين (٩٥/٣) .

٢ Jamme 643, Mahram, p. 440.

٣ الاغانى (٧/٩) .

٤ ابن الأثير ، الكامل (٣٠٢/١) ، (٣١٣/٣) وما بعدها .

٥ الاغانى (٣٦/١٠) وما بعدها ، الدينوري ، عيون (١٩٥/١) .

رسالة رمزية في الغالب أو شفوية ليحذر قومه منه . وقد يكون المنذر أسيراً في أيدي القوم ، فلا يستطيع الهروب من مؤسريه ليخبر أهله بعزم أسريه على غزوهم فيعمد إلى (الشيفرة) وإلى الرموز والكنايات والتعابير التي تفهم القوم بمراده من الرسالة ، فيحتاطوا للأمر ويستعدوا للقتال .

وفي يوم (شعب جبلة) كان (كرب بن كعب بن زيد مناة) ، وهو من بني تميم ، قد علم بخطط أعداء قومه ، وكانوا قد أخذوا عليه عهداً وميثاقاً ألا يتكلم ولا يخبر قومه عن عزمهم فعمد إلى الرمز والاشارة ، بأن وضع تراباً في صرة ، وشوكاً قد كسرت رؤوسه ، وحفظه موضوعة ووطب معلق فيه لبن ، فلما رأى القوم ذلك ، علموا انه يقول لهم : إن القوم كالتراب عدداً لكن شوكتهم قليلة ، وانهم قريبون منهم ، فعليهم أن يحتاطوا للأمر ، فاحتاطوا منه ، واستعدوا للأمر .

وكان الأعور ، وهو ناشب بن بشامة العنبري أسيراً في قيس بن ثعلبة ، فلما سمع بأن اللهازم تجمعت وهم : قيس وتيم اللات ومعها عجل بن لجيم وعتره بن أسد ، تريد غزو بني تميم ، قال لآسريه اعطوني رجلاً أرسله الى أهلي أوصيهم ببعض حاجتي . فقالوا له : ترسله ونحن حضور . قال نعم . فأتوه بغلام مولد . فقال انيتموني بأحمق . فقال الغلام : والله ما أنا بأحمق . فقال : إني أراك مجنوناً . قال : والله ما أنا بمجنون . ثم صار يكلمه ويسأله ، ثم أوصاه بأمر لا يفهم منها أن فيها إشارات ورموز ، ووافق القوم على ذهاب الغلام الى قوم ناشب ، فلما كلمهم بما قاله ناشب للغلام لم يدروا ما أراد : فأحضروا (الحارث) ، فقص عليه الغلام قصة ما جرى له مع ناشب ، ففهم المراد . ثم قال للغلام : أبلغه التحية ، وابلغه انا سنوصي بما أوصى به . ثم قال لبني العنبر إنه يحذركم من غزو قريب فاستعدوا وارتحلوا عن ديارهم وبذلك نجوا من خطر الغزو .

وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ، حذر بها أناس من رجال ونساء قومهم من غزو سمعوا به ، فخلصوا قومهم منه . أو جعلهم يستعدون له . وقد استعمل المحذرون التراب أو الرمل . للدلالة على كثرة العدو . واستعملوا الشوك للدلالة على القوة وعلى شوكه العدو ، وعبروا بالشوك الذي تكسر رؤوسه ، بشوكه

العدو ، إلا أنه عدو لا يخشى جانبه ، لأنه غير متحد ولا متفق . وقد استمدت القبائل هذه الرموز من محيطها الذي عاشت فيه ، فاتخذتها أدوات للتحذير والإنذار .

ويستعين القادة بأدلاء ليقدموا لهم المعلومات عن الطرق الموصلة الى المواضع التي يريدون مقاتلة أصحابها بها ، أو للسير في مقدمة قافلة الجيش للوصول الى المكان المطلوب . وللدليل أهمية كبيرة في القتال ولذلك استعان بهم المحاربون . ويقال للدليل (دال) في العربية الجنوبية ، والأغلب أنهم كانوا ينطقونها على نحو ما نطقها بها في عربيتنا . وأما الجمع ف (دلول) ، أي أدلاء^١ .

وكان لا بد لكل قائد من الاستعانة بدليل إذا ما أراد التفويض ، فقد يهلك الجيش من العطش والجوع ويخطئ هدفه أو يصير فريسة في مخالب من يقصده ، إن لم يستعن بدليل خريّت مجرب ، له علم بالبادية علمه بيته . وكان للقبائل أدلاء عركوا المفاوز وخبروها وعرفوا معالمها ومواضع الماء فيها ، وكان لهؤلاء فضل على قبائلهم ، لا يقل عن فضل الفرسان عليها ، لأنهم من أسباب النصر . ولما كتب (أبو بكر) إلى (خالد بن الوليد) يأمره بالمسير إلى بلاد الشام ، دلّ على (رافع بن عميرة الطائي) وكان دليلاً خريّتاً ، وبفضل علمه بالطريق وبنصحه القيم لخالد في كيفية عبور المفازة ، وصل الجيش سالماً إلى بلاد الشام^٢ .

وقد فعل الجاهليون ما تفعله القوى المتحاربة في كل وقت من اللجوء إلى التأثير في خصومهم باستخدام (الحرب النفسية) . أي التأثير في نفوس الخصوم حتى يشعر انه دون خصمه ، كأن يتظاهر بأن عدده أقوى وأكثر عدداً من عدد خصمه ، بتوسيع رقعة معسكره وإيقاد النيران الكثيرة وإحداث أصوات مرتفعة ، تشعر المتلصص للأخبار ان الجيش جرار ، وان عدده كبير . وبذلك يخافه خصمه وترتعب نفسه . ولما نزل المسلمون (حمراء الأسد) ، (كانوا يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه ، فكبت الله تعالى عدوهم)^٣ .

ويعمد الجيش أو القسم منه إلى التستر والتخفي لمباغطة العدو ومفاجأته ، كأن

١ Jamme 575, Mahram, p. 430.

٢ الدينوري ، عيون الاخبار (١٤٢/١) ، (التفويض) .

٣ نهاية الارب (١٢٧/١٧) ، (ذكر حمراء الاسد) .

يختفي في موضع حصين لا يرى على طرف أو طرفي وادٍ أو ممر جبل ، فإذا مرّ الجيش من ذلك الوادي انقض المختفون عليه ويعبر عن المخبأ بـ (مغون) في السبئية ^١ .

ويقال للعين الذي يذهب يرباً أهله (الريثة) و (الطليعة) . وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو ، وذكر علماء اللغة ان الريثة لا تكون إلا على مرباً من الأرض ، أي على جبل أو شرف ينظر منه ^٢ .

ويبذل القائد كل ذكائه وفنه في خداع خصمه في الحرب ، للتغلب به عليه . وفي الحديث : (الحرب خدعة) ^٣ . وذلك بأن يتظاهر القائد بعمل شيء ، بينما هو ينوي شيئاً آخر . وقد كان الجاهليون يتفنون في خداع أعدائهم للتغلب عليهم . كما كانوا يستشيرون الناس في إدارة الحرب ، يستشيرون الشجعان المتمرسون بالحرب ، كما كانوا يستشيرون من عرف بالجبين ، ثم يخلصون بين الرأيين ، وذلك لما للرأيين من أهمية في إدارة الحرب ^٤ .

ولقريش عادات في الحرب . فلها (القبة) ، وكانت تضربها ، وتجمع إليها ما يجهزون به الجيش . ولها (الأعنة) ، ويكون صاحبها على خيل قريش في الحرب . ولها (السفارة) ، وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوا سفيراً عنهم ليتفاوضوا . وكان (خالد بن الوليد) متولي (القبة) و (الأعنة) و (السفارة) عند ظهور الاسلام . وكان لها ما يسمى بـ (حلوان النفر) ، فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً . فإن كانت حرب ، أقرعوا بين أهل الرئاسة ، فمن خرجت عليه القرعة ، أحضره صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار ، أقرعوا بين بني هاشم ، فخرج سهم العباس ، وهو صغير ، فأجلسوه على المجن ^٥ .

ويتصايح المحاربون بشعاراتهم ، إذ كان لكل قبيلة شعار يتادون به ، ويحافظون

Jamme 577, Mahram, p. 440.

- ١
- ٢ اللسان (٨٢/١) ، تاج العروس (٢٢٦/١ وما بعدها) ، (طبعة الكويت) .
- ٣ العقد الفريد (١٢٢/١) ، صحيح مسلم (١٤٣/٥) ، (باب جواز الخداع في الحرب) .
- ٤ العقد الفريد (٩٥/١) .
- ٥ العقد الفريد (٣١٤/٣) .
- ٦ العقد الفريد (٣١٥/٣) .

عليه . فإذا وقعت حرب ، أو حدث غزو ، نادوا بذلك الشعار لابقاظ الحمم ، وإذكاء النيران في القلوب . وقد كان شعار (بني عامر) في الحرب شعاراً واحداً ، هو : (يا جعد الوبر)^١ . ويعد هز الراية إشارة للهجوم^٢ ، فيهجم المحاربون ، ويقع الاشتباك .

وأكثر ما يغزو العرب عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح . وسبب ذلك أن الناس يكونون مستغرقين في هذا الوقت في نوم لذيذ ، لذلك تكون الغارة فيه مفاجأة مفزعة لهم . والعرب تقول إذا نذرت بغارة من الخيل تفجؤ صباحاً : يا صباحاه ! يتفرون الحي أجمع بالنداء العالي . ويقولون : صبحتهم الخيل : بمعنى جاءتهم صبحاً . وقى الصباح ، أي قى الغارة ، تعبيراً عن شجاعته وبطولته^٣ .

ويشير سادات القبائل وقادتها في الحرب هم المحاربين بخطب حماسية يلقونها عليهم ، يحرضونهم فيها على القتال وعلى التعاون فيما بينهم وعلى إطاعة أوامر قادتهم وعدم مخالفتها بتاتاً وعلى اظهار الشجاعة لأنها من سجايا الرجال وعلى عدم المبالاة بالموت والصبر ، لأن من صبر ظفر . الى غير ذلك من خطب في الحث على الإسماتة نجد بعضها مدوناً في كتب أهل الأخبار^٤ .

وكانت العرب إذا تواقفت للحرب تفاخرت قبل الوقعة فرفع أيديها وتشير بها فتقول : فعل أبي كذا وكذا ، وقام بأمر كذا وكذا ، ويفعل الطرف الثاني مثل ذلك ويبدأ القتال^٥ .

وتبدأ المعركة في الغالب بالمبارزة ، بأن يخرج من كل جانب محارب أو أكثر ، يتبخرون تباهياً بأنفسهم ، وقد يتحلقون ويتعطرون ، وينشدون شعراً يفاخرون فيه بأنفسهم وبأهلهم ، وبقبائلهم وبأحسابهم وأنسابهم ، وقد يسأل المبارز مبارزه فإذا وجد أنه غير كفء له انتقصه ورفض مبارزته . أما إذا وجد أنه كفؤ له ، بارزه وضاربه ، فيكر أحدهما على الآخر ، وهكذا تستمر المعركة مبارزة بين محاربين أو أكثر ، حتى تنتهي بالتحام قد يؤدي الى هزيمة أحد الطرفين ، أو لا يؤدي

-
- ١ شرح ديوان لبيد (ص ٧) .
 - ٢ العقد الفريد (١١٤/١) (لجنة) .
 - ٣ اللسان ٧/٢ وما بعدها .
 - ٤ الاغانى (٧١/١٦) ، الامالى (١٦٧/١) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٨٠/١) .
 - ٥ اللسان (٦٢٥/١١) .

الى أية هزيمة بالمعنى المفهوم ، إنما ينسحب أحد الطرفين ويتراجع الى مكانه فتنتهي بذلك تلك الحرب .

وإذا برز المبارز ، فيعلم على رأسه في الغالب ، بأن يلبس سامة خاصة أو عصاة أو يضع ريشة يتباهى بها ، وقد يستعملون الخوذ ، إلا أنها كانت قليلة الاستعمال لدى الأعراب ، لغلاء ثمنها عندهم . وقد كان (أبو دجاجة) يمتثل عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم رأسه بعصاة له حمراء ، علم الناس أنه سيقاقل^١ .

ويقسم المحاربون قواتهم الى مجنبة وقلب : مجنبة بمعنى تهاجم أو تحمي الجانب الأيمن ، ومجنبة يسرى تحارب وتدافع عن الجانب الأيسر من المحاربين . أما القلب ، فيكون واجبه المهجوم أو الدفاع من الوسط ، أي وسط الجيش . وقد تقوم المجنبتان بالمهجوم لتطويق العدو وحصره في دائرة ، تضيق عليه . وفي معركة (يوم نخلة) من أيام الفجار ، كان حرب بن أمية في القلب ، وعبدالله بن جعدان وهشام بن المغيرة في المجنبتين^٢ .

وتوضع أمام الجيش أو المحاربين مقدمة ، تتقدم المقاتلين ، يكون واجبها حماية القسم الأكبر من الجيش الذي يكون وراءها ، وارسال المعلومات عن العدو واشغاله بالقتال إن وقع حتى يأتي المحاربون . ويقال للمقدمة (مقدمة) ، أي (مقدمة) في السبئية^٣ . وللذي يتولى أمرها ويقودها : (قدم)^٤ .

ويقال لطليعة الجيش ، وهي التي تتقدم الجيش ، للقاء العدو وللوقوف على أمره وخبره (نذيرة الجيش)^٥ .

ولما نذب رسول الله المسلمين لفتح مكة ، قسم الجيش إلى مجنبتين ، وهما : الميمنة والميسرة ، والقلب بينهما . وكان ترتيب الجيش إذ ذاك على خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . ولهذا كان يسمى خيساً . وجعل رسول

١ الاغانى (١٦/١٤) .

٢ الاغانى (٧٤/١٩ وما بعدها) ، قال عمرو بن كلثوم :
وكنا الايمنين اذا التقينا وكان الايسرون بنو أبينا
المعلقة

٣ Jamme 576, 665, Mahram, p. 440.

٤ Jamme 681, 816, Mahram, p. 447.

٥ اللسان (٢٠١/٥) .

الله على (الحسر) ، وهم الذين لا دروع عليهم (أبا عبيدة) . ويقال لهم (البياذقة) ، وهم الرجالة ، واللفظة فارسية معربة ، سمّوا بذلك لخفة حركتهم وأنهم ليس معهم ما يثقلهم . وقد كانت اللفظة معروفة في أيام الرسول . وهم رجالة لا دروع عليهم ، أي حسراً^١ .

وقد استخدمت هذه التعبئة الخيالية في اللقاءات الكبيرة ، أي في الاشتباكات الضخمة ، التي يمكن أن نسميها (حروباً) . أما في الغارات وفي الغزو فكانوا يتبعون طريقة المباغتة والمهجوم من كل جانب يمكن الهجوم منه .

ويقال للقطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكبير (منسرت) (منسرة) في السبئية ، ويراد بها (المنسر) في عربيتنا . ورد في النص : Jamme 631 (ومنسرت خمس) ، أي (ومنسرة الجيش) ، أو (ومنسر الجيش) بتعبير أفصح^٢ .

ويذكر علماء اللغة ان (الكرديوس) القطعة من الخيل العظمية . والكراديس الفرق منها^٣ . فالكرديوس إذن حسب هذا التعريف القطعة من القوات الراكبة المحاربة .

وقد كان النظام العشري في تنظيم الجيش ، هو النظام المتبع في الأرضين التابعة للإمبراطورية اليونانية وفي الأرضين المتأثرة بثقافتها ، فلا يستبعد أن يكون تأليف الجيش في اليمن في أيام احتلال الحبش لها على هذا الأساس أيضاً . وأصغر وحدة عسكرية وفق هذا التقسيم ، هي الوحدة المكونة من خمسة جنود ، تليها وحدة مؤلفة من عشرة ثم من مضاعفات العشرة . ويحكم كل وحدة ضابط يدير شؤونها ويقوم بتدريبها وبالإشراف على سيرها وإدارتها في أثناء السلم وفي أثناء القتال .

وقد يكون القتال صفوفاً ، بأن يتقدم المحاربون فيحاربون صفّاً صفّاً ، وذلك إذا كان المحاربون كثيرين . وإلى هذا النظام أشير في القرآن الكريم : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص » . وقد اتبع علي بن أبي طالب هذه الطريقة في يوم صفين . وأشار إليها في خطبته في أصحابه

١ صحيح مسلم (١٧٠/٥ وما بعدها) ، (باب فتح مكة) ، تاج العروس (٢٨٤/٦) (الباذق) .

٢ Jamme 631, Mahram, p. 132.

٣ اللسان (١٩٥/٦) ، الروض الانف (٦٩/١) .

يعلمهم كيفية القتال^١ .

أما في حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً ، فتكون المباغنة هي الأساس في الحرب ، وتقوم على مهاجمة العدو بغتة ومفاجأة وهو في عقر داره أو في الموضع المتجمع فيه . وتتوقف المباغنة على حساب القائد وعلى حنكته في تقديره موقف عدوه . ويكون للماء الفضل الأكبر في النصر وكسب الحرب ، لما له من شأن خاص في البوادي . لذلك كان يحسب له سادات القبائل الذين يقودون قبائلهم في القتال والغزو حساباً كبيراً ، فيحملون معهم مقادير كبيرة منه تكفيهم المدة التي يقدرونها للقتال ، أو يحاولون استباق عدوهم الى مواضع الماء للسيطرة عليها ، فإذا جاء العدو حرم الماء واضطر إلى استهلاك ما يحمله منه . وقد يؤدي نفاذه إلى هزيمته وفراره . ويقال للمباغنة ولأخذ العدو بصورة مفاجئة (بحض) في لغة المسند^٢ .

وبعبر عن الحملة ، أي عن الجماعة من الجيش ترحف على عدو بـ (برث) في المسند^٣ .

وقد عرف قادة الجيوش أهمية طبيعة الأرض في كسب النصر وفي الدفاع . لذلك كانوا إذا تحاربوا تسابقوا الى مواضع الماء لتكون في مؤخرتهم حتى يستقوا منها ويمنعوا العدو من الشرب منها ، كما كانوا يضعون الشمس عند ظهوره حتى لا تؤثر على أعينهم ، ويرتقون المرتفعات حتى يصعب على العدو الارتقاء اليهم بفعل الحجارة أو النبال التي ترمى عليه . فلما كان يوم شعب بجيلة صعدت بنو عامر الى الشعب ، ووضعت نساءها وما معها من الإبل والمؤن عليه . وكانت قد أعطشت إبلها وعقلتها ، وصارت هي دونها . فلما وقع القتال واشتد عمدت بنو عامر الى الحيلة والى تنفيذ خطة كانت قد وضعتها فأخذت تراجع وترحف نحو أعلى الشعب ، وصار العدو يتعقبها حتى بلغوا وسط الجبل . فقال الأحوص قائد بني عامر ، حلوا عتل الإبل ثم احذروها ، واتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة ففعلوا ، ثم صاحوا بها فلم يفجأ الناس إلا الإبل تريد الماء والرعي وجعلوا يرمونها بالحجارة والنبال وأقبلت الإبل تحطم كل

١ بلوغ العرب (٦١/٢) .

٢ South Arabian Inscriptions, p. 428.

٣ South Arabian Inscriptions, p. 430.

شيء مرت به . فانحط العدو منهزماً ، فلما بلغ السهل لم يكن لأحد منه همة إلا أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر تقتلهم وتصرعهم بالسيف فانهمز عدوهم شر هزيمة^١ .

ولتقوية معنويات المحاربين في أوقات العسر والخطر، ولبعث الحمية في نفوسهم يقيّد الرؤساء أنفسهم بقيود ، مجتمعين أو فرادى ، ثم يعلنون أنهم لا يبرحون مكانهم هذا حتى يهلكوا أو يربحوا^٢ . وقد كان العجم ، يضعون السلاسل في أرجل المحاربين لمنعهم من الفرار ، ولإجبارهم على الاستماتة في القتال .

وقد كان كثير من المحاربين يأخذون زوجاتهم وذرايعهم معهم في المعارك ، ينقلونهم معهم وكأنهم ذاهبون الى سفر أو رحيل الى بلاد جديدة . وحكمتهم من ذلك أن الرجل منهم إذا رأى خلفه أهله وماله ، قاتل عنهم^٣ . ولعلهم كانوا يستعينون بهم في جمع الغنائم والأسلاب وحراسة ما يقع في يد المحارب من أسرى . وكانوا يضعون أسرارهم وإبلهم ومؤنهم واطعانتهم في مؤخرة الجيش ، وذلك حتى تكون في مأمن من العدو بعيدة عنه ، وتكون بذلك مدعاة للنصر^٤ .

وقد استعانوا بالنساء في حروبهم، وأوكلوا اليهن أعمال الاسعاف وضرب العدو ومقاتلته في أوقات الشدة . فلما قاتلت (بكر بن وائل) (بني تغلب) ، قال (الحارث بن عباد) للحارث بن همام بن مرة ، وكان على (بكر بن وائل) : « إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم فقاتلهم بالنساء ! قال له الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كل امرأة إداوة من ماء وأعطاها هراوة واجعل جمعهن من ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهداداً وعلموا بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأنت عليه فأطاعوه . وحلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها استبسلاً للموت وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم ، واقتتل الفرسان قتالاً شديداً ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظعن بقية

١ الاغاني (٣٧/١٠) .

٢ الاغاني (٧٨/١٩) وما بعدها .

٣ للعقد الفريد (١٥٧/١) .

٤ مقدمة ابن خلدون (ص ٢٧١ وما بعدها) .

يومها وليلتها واتبعهم سرعان بكر بن وائل^١ .

وقد أشركوا أصنامهم معهم في الحروب ، أشركوها معهم لثمن^٢ عليهم بالنصر والتأييد . وقد سقطت أصنام اتقبائل العربية أسيرة بأيدي الآشوريين ، وكانوا قد حلوها معهم للتبرك بها ولاكتساب النصر ، فأسرها الآشوريون . واضطر الأعراب على مراجعتهم لأعادتها اليهم . وفي يوم (الزورين) ، وهو لبكر على تميم ، أخذت تميم بعيرين مجللين ، فعقلوهما ، وقالوا : هذان زورانا ، أي إلهانا لن نفر حتى يفرا ، وهزمت تميم ذلك اليوم . وأخذ البكران ، فنحر أحدهما وترك الآخر يضرب في شولهم^٣ . وذكر ان (الزور) كل ما يعبد من دون الله ، كالزور . والزور الصنم^٤ .

والفرسان هم آلة الحرب الحاسمة للحروب ، وعليهم يقع معظم ثقل المعارك . وقد كانت معظم معارك الجاهلية معارك فرسان ، يكون المحاربون الآخرون فيها وكأنهم متفرجون ، يساهمون في المعركة بأصوات التشجيع والحث على الاستماتة في القتال . وقد يدخل القائد نفسه المعركة ليقاقل خصمه . وللفارس بالطبع منزلة كبيرة في قوم قومه ، لأنه هو المدافع والمهاجم والآخذ بالتأثر .

وقد حفظت كتب الأخبار أسماء جماعة من فرسان الجاهلية وشجعانها ممن كان لهم شأن يذكر في الشجاعة في تلك الأيام ، من هؤلاء : ربيعة بن مكرم من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان كما يقول أهل الأخبار يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره^٥ . فعلوا ذلك تكريماً لشأنه وتعظيماً له . وقد ذكر قبره وعقر الناس عليه في شعر بعض الشعراء^٥ .

ومن بقية فرسان العرب في الجاهلية : عترة الفوارس ، وعتيبة بن الحارث ابن شهاب ، وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسته ، وزيد الخيل ، وبسطام ابن قيس ، واحيمر السعدي ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن عبد ود ، وعمرو

١ بلوغ العرب (١٤٨/٢) .

٢ تاج العروس (٢٤٥/٣) ، (زاد) ، (بكرين مجللين) .

٣ المصدر نفسه ، (٢٢٩/٩) ، (زور) .

٤ العقد الفريد (١٣٦/١) .

٥ المصدر نفسه ، بلوغ العرب (١٢٥/٢) .

ابن معديكرب^١ ، وبسطام بن مسعود الشيباني سيد شيان ، قتله عاصم بن خليفة الضبيّ يوم الشقيقة^٢ .

ويقال للفارس ، أي لراكب الفرس (فرس) في العربية الجنوبية ، ولما كانت الكتابة العربية الجنوبية لا تشكل الحروف ولا تضبط كيفية النطق بها ، لذلك فن الجائر أن العرب الجنوبيين كانوا ينطقون بها على نحو ما تنطق بها في عريبتنا أي (فارس) . وأما الجمع في تلك اللهجة ، فهو (افرس) (أفرس) ، أي (فرسان)^٣ .

وقد كانت لسرعة الفرسان أهمية كبيرة في نتائج القتال . إذ كانوا ينتفضون على المحاربين المشاة وعلى المدن أو القبائل انتفاض الصواعق ، ويربكوا الخصم فيمهدوا بذلك لمشاتهم من التغلب على العدو . ويظهر من الكتابات التي يعود عهدها الى ما قبل الميلاد أن عدد الفرسان في الجيوش العربية الجنوبية المحاربة لم يكن كبيراً ، وأن أكبر عدد منها لم يتجاوز عن بضع مئات . وسبب ذلك على ما يظهر قلة وجود الخيل إذ ذاك . ولا يستبعد أن يكون استيراد الخيل الى هناك من عهد غير بعيد بعداً كبيراً عن الميلاد .

أما الذين يقاتلون وهم على ظهور حيوانات أخرى ، كالجمال وهو في الغالب ، فيقال لهم (ركب) (ركب) ، أي (راكب)^٤ . وقد عرف العرب بقتالهم وهم على ظهور الجمال . وفي الكتابات الآشورية وكتابات المسند صور عرب وهم يحاربون من على ظهور جمالهم ، وذلك لقلة وجود الخيل عندهم في ذلك الوقت .

وللجاهليين آراء في كيفية الاستفادة من الخيل في القتال ، فكان خالد بن الوليد لا يقاتل إلا على أنثى ، لأنها أقل صهيلاً من الفحل ، وكانوا يستحبون أنثى الخيل في الغارات وفي (البيات) أي الإغارة على العدو ليلاً ولما خفي من أمور الحرب . وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير والعسكر ولما ظهر من أمور الحرب ، وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع ،

١ العقد الفريد (١٣٧/١)

٢ البيان (٢١/١) (لجنة) .

٣ (وافرسمو) الفقرة (١٥) من النص :

Jamme 576, Mamb 212, Mahram, p. 67, 446, Jamme 577, 584, 635, 644.

Jamme 560, 576, 644, 649, 665, Mahram, p. 448. ٤

لأنها أصبر وأبقى في الجهد^١.

ويعبر عن الجرح بـ (زسخت) (زخنة) ، وبـ (زسخن) عن فعل
يجرح ، وذلك في العربية الجنوبية^٢.

التحصينات :

وتدافع بعض المستوطنات، مثل قرى الريف والمدن ، عن نفسها بإنشاء تحصينات
تقيها من هجمات العدو^٣ ما . وتشمل هذه التحصينات حفر خندق، وإقامة أسوار ،
وانشاء أبراج وحصون وآطام وأمثال ذلك . وقد كانت مدينة الطائف ذات سور
حصين ، تغلق أبوابه أثناء الليل وأيام الخطر، وقد تحصنت به ثقيف يوم حاصرهم
الرسول . وقد عثر على آثار أسوار في خرائب مدن اليمن ، تدل على ان تلك
المدن كانت مسورة محصنة ، وقد عثر على آثار قلاع وحصون وأبراج في تلك
الأسوار على مسافات وأبعاد معينة تشير إلى انها كانت لتحصين السور وللدفاع عنه
ولضرب الأعداء عند محاولتهم الدنو منه .

وتعرف أبراج السور المقامة لحمايته ولتقويته ولضرب العدو منه بـ (فنوت)
في العربيات الجنوبية ، ويطلق العبرانيون هذه اللفظة على مثل هذا البرج أيضاً^٤ .
ويقال للحصن والبرج (مكدل) (مجدل) في العبرانية^٥ . وبهذا المعنى ترد
اللفظة في عربيتنا كذلك . وقد ذكر علماء اللغة ان الاجتدال : البنيان ، وجاء في
شعر للأعشى :

في مجدل سدّ بنيانه يزل عنه ظفر الطائر^٥

وتستعين القرى بالمجادل في الدفاع عن نفسها ، وتكون أبراج مراقبة أيضاً ،
يراقب منها العدو ، وتكون مواضع دفاع لأهل القرى ، أو العاشر، حيث لا أسوار

١ نهاية الارب (٣٦٥/٩ وما بعدها) -

٢ Jamme 649, 687, Mahram, p. 435.

٣ Smith, Dictionary of the Bible, I, p. 334, 615.

٤ Ency. Bibl., I, p. 834, Hastings, I, p. 358.

٥ في الصحاح (شيد) ، اللسان (١٠٥/١١) (صادر) ، (حصون المدينة) ،
الطبري (٥٧٣/٢) -

تحمي ولا خنادق تعيق العدو من التقدم^١ .
ويعبر عن تحصين المواضع وتقويتها لتتمكن من الدفاع عن نفسها بلفظة (تمنع)
في السبئية ، أي اكساب الموضع مناعة^٢ .

ولم يكن في وسع الحكومات أو الإمارات والمشيوخ تحصين كل المستوطنات والقرى لما يتطلب ذلك من جهد ومال . ولقلة عدد سكان هذه الأماكن قلة تجعل من الصعب عليهم أن يقوموا وحدهم بإنشاء حصون وإقامة تحصينات وبناء أسوار وحفر خنادق . ولذلك احتفى سكان أمثال هذه المستوطنات بحصون الإقطاعيين الذين أقاموها لحماية ممتلكاتهم وأموالهم وأهليهم وذريتهم ، وبوسائل دفاع أخرى لا تكلفهم كثيراً لضمان سلامتهم وسلامة أموالهم ومقتنياتهم في السلم والحرب .

أما المستوطنات الكبيرة ، من درجة مدينة ، فإنها تحاط في الغالب بأسوار لها أبواب تغلق في الليل ، فلا يسمح بالدخول أو الخروج منها ، ويحافظ عليها ، ولا سيما في أثناء الخطر ، حراس يسهرون عليها لمنع أي عدو طامع في المدينة من الوصول إليها . ويقال لهذه المدن (هكر) (هجر) في العربيات الجنوبية . فحيث ترد لفظة (هكر) في المسند فإنما تعني مدينة ذات أحياء وسكان كثيرين ، ولها أسوار في الغالب تحميها من هجمات الأعداء .

وتعبر العبرانية عن المدينة المحصنة المحاطة بسور ، بلفظة (عر) ، وذلك لتمييزها عن المدن المحصنة بحصون ، والتي يقال لها (عر مبصر) Ir Mibsar ، وعن القرية التي يقال لها (حصر) (حصور) و (قره) (قريت) ، وتكون غير مسورة^٣ . أما (عر) في العريسة الجنوبية فبمعنى (حصن) ، وموضع حصن . وتطلق اللفظة على المواضع المحصنة بعمر ، أي حصن ، أي في معنى قريب من المعنى الوارد في العبرانية^٤ . وتذكر كتب اللغة أن العرار : القتال ، وأن العرة الشدة في الحرب^٥ . فاللفظة صلة بالقتال إذن . ويوجد موضع يقع في

Smith, Dictionary. I, p. 615. ١

Jamme 643, Mahram, p. 450. ٢

Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 229, Smith, Dictionary, I, 333. ٣

South Arabian Inscription, p. 445. ٤

اللسان (٥٥٦/٤) ، (صادر) ٥

ملتقى طرق يقع في (وادي مسيلة) يسمى (حصن العرّ بني علي مرتفع صخري بارز كان حصناً مهماً لحماية الأرضين المحيطة به والحماية القوافل التي تمر بهذا الوادي المهم^١. ولا تزال بقايا هذا الحصن باقية، وقد أقيمت جدره من حجارة صلبة نضدت بعضها فوق بعض تنظيماً جيداً ، وقد صقلت الأحجار صقلاً يدل على مهارة ، وقد تألف الحصن من غرف كثيرة ، ويبلغ طوله (٩٠) متراً . وبه آثار معبد ، وآبار لاستخراج الماء منها للشرب وللاستعمال^٢ .

ويعبر عن المانع الذي يحول بين العدو وبين الدنو من المكان الذي يريده بـ (حيل) في العبرانية^٣ . أي (الحائل) ويراد به الخندق^٤ . وقد ورد في كتب اللغة ان (الحيل) الماء المستنقع في بطن واد^٥ . و (الحائل) هو المانع ، أي الحاجز الذي يحجز أهل الموضع الذي تحصن الناس به عن عدوهم ، وهو سور أو خندق أو أي شيء آخر يتخذ للدفاع عن النفس .

ومن بين الحوائل والموانع التي استعملها الجاهليون لصد العدو من الزحف على بلادهم أو التسلل إلى أرضهم سد الممرات الجبلية والأودية ومفارق الطرق المهمة، ببناء جدر وأسوار لتحويل بين المرور والتسلل إلا بأمر وتحويل ، ويكون المرور عندئذ من الأبواب المخصصة للعبور فقط . ومن أمثلة ذلك سد (أبنة) (لبنة) الذي أقيم في وادي (أبنة) ليسد الطريق على القادمين أو الزاهبين من (شبة) إلى ميناء (قنا) (قنى) (قانة) Cane المهم^٦ . وقد بني عند مضيق يبلغ عرضه (١٨٠) متراً ، أما ارتفاعه فجعل حوالي خمسة أمتار ، فأما ثخنه فحوالي المترين . وقد بني بحجارة مصقولة صقلاً جيداً ورصفت رصفاً حسناً وربط بينها ملاط قوي شد الأحجار شداً . وقد جعل له باب عرضه خمسة أمتار يمكن غلقها بإحكام ، ولزيادة مقاومتها توضع صفوف من الأحجار الثقيلة خلفها أيام الخطر ، فتسد بها وتكون وكأنها قد سدت بجدار قوي سميك . وهناك آثار جدر أخرى

١ Grohmann, S. 154.

٢ V. Wissmann, Hadramout, p. 152, Grohmann, S. 154.

٣ Ency. Bibl., I, p. 615.

٤ Smith, Dictionary, I, p. 615.

٥ اللسان (١٩٦/١١) .

٦ (على ساحل بحر الهند مما يلي بلاد انعرب قرب ميفع) ، تاج العروس (٣٠٥/١٠) (قنى) .

أقيمت لغايات مماثلة تقع في (وادي العروس) (وادي عروس) وفي (عنصاص) ويرجع تأريخها إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد^١.

وتختلف الأسوار من حيث الماتنة والتحصينات والمواد التي تبنى بها باختلاف قدرة المدن المالية ، فبعضها ذات أسوار ثخينة متينة ، لها تحصينات قوية ، يحمي بها المدافعون لمقاومة المهاجمين ولرميهم بمعدات المقاومة ، لها مزاغل وفتحات ينظر منها المدافعون إلى أعدائهم ، فإذا اقتربوا من السور ، رموهم بالسهام وبالحجارة وبال مواد المشتعلة ، وسكبوا عليهم الماء الحار أو الزيت المغلي إذا أرادوا إحداث ثغرة فيه أو قلع الأبواب وكسرها .

وعند أبواب المدن أو أبواب المعابد أو المباني العامة أو الشعاب ، تكون رحاب ، يتخذها سكان المدن مواضع يبيعون فيها ويشتررون وأماكن للتجمع . وتعرف الواحدة بـ (رحبة) وتسمى (رحبوت) و (رحب) في العبرانية^٢ . وفيها تعقد الاجتماعات العامة ، ويتجمع الناس لسماع الأخبار ، وفيها تنفذ الأحكام العامة ، مثل تنفيذ أحكام الاعدام والاعلان بالمجرمين . وتكون مرابذ تعقد فيها الأسواق أيام الأسبوع ، أو في أيام خاصة منه ، أو في السنة .

وأبواب المدنة المسورة ، هي المنافذ الوحيدة التي يدخل منها الناس ويخرجون . وتختلف في السعة ، فلبعضها أبواب واسعة في كل منها مصراعان ، ولبعضها مصراع واحد . وتكون ثخينة متينة ، وقد تقوى بكسوتها بطبقة من حديد أو من معدن آخر ، ليكون في إمكانها مقاومة المهاجمين ، فلا تنحطم وتنهار بسرعة ، ولا تأكلها النار . وتغلق بمغاليق متينة . تقوى بحجارة وبأخشاب متينة عند حدوث خطر ما . وأما المجازات التي تلي الأبواب وتؤدي إلى الرحاب ، فهي مختلفة الأشكال . ويحمي بها المدافعون أيام الخطر ، لسدها ، ولشد أزر الأبواب على الوقوف صامدة أمام المهاجمين . وقد يواجه الباب ، جدار متين ، يحل المجاز على هيئة غرفة ، يخرج الناس ويدخاون في ركن من أركانها يربط بين المجاز والرحبة المؤدية إلى الشعاب . وذلك ليكون من العسير على المهاجمين الولوج في المدينة عند تمكنهم من تحطيم الأبواب . وقد يقوى الباب ببرج يبنى فوقه ، يكمن فيه المقاومون ، لرمي العدو وإلحاق الأذى به إذا ما حاول مهاجمة الباب .

Grohmann, S. 155.

Smith, Ency. Bibl., I, p. 335.

وتسد منافذ شعاب المدن بأبواب كذلك ، لتقي من في الشعاب من أخطار الأشرار والمعتدين . وتعلق هذه الأبواب في الليالي . وقد تحاط الشعاب بسور يمنع الناس من الدخول الى الشعب إلا من الباب المؤدي اليه . وفي المدن الملكية ، تحاط قصور الملوك ومخازنهم ومدائيرهم بأسوار قوية تحميهم من المعتدين . وقد تبنى قلاع في مواضع مرتفعة من المدن ، أو على تلال صناعية ليقاوم منها الناس عند انهيار المقاومة الخارجية ، فتكون بذلك آخر وسائل المقاومة قبل الاستسلام .

أما القرى ، فيدافع عنها بحصون وآطام وبمجادل وذلك لفقر أهلها وعدم تمكنهم من إقامة سور قوي يحمي القرية . وقد كان يهود الحجاز الساكنون في شمال المدينة ، قد حصنوا قراهم بآطام يلجأون إليها ويحتمون بها أيام الخطر . وقد عرفت هذه الحصون عندهم بـ (آطام) وواحدها (أطم) . وأما القرية ، فهي (قرية) في العبرانية ، وتسمى بـ (كيريتا Keritha) في لغة بني إرم^١ . ويقال للحصن (الأجم) والجمع (آجام) ، وقد ورد ذكر الأجم في شعر لامرئ القيس :

وتباء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجماً إلا مشيداً بجندل^٢

ويقال للحصن (الأطم) كذلك ، والجمع آطام . ولا تزال آثار آطام جاهلية باقية في الحجاز وفي نجد وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب وفي (وادي الحفر) بنجد ، ويعرف بـ (حضر بني حسين) ، آثار قصور وآطام جاهلية وآبار كثيرة^٣ .

وذكر بعض علماء اللغة ان الآطام : القصور والحصون ، وخصصها بعض آخر بالدور المسطحة السقوف . وقد اشتهر (الأبلق) ، وهو حصن (السمؤال ابن عدياء) في التأريخ ، وهو في تباء . وورد اسمه في شعر للأعشى مدح به السمؤال^٤ . وكانت الأوس والخزرج تتمتع بالآطام ، وتحارب عليها ، وقد أرخت بحرب وقعت فيما بينهم بها ، فقالوا : (عام الآطام) ، وقد أخربت في أيام

Smith, Dictionary, I, p. 333, Ency. Bibl., I, p. 833.

١
٢ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ٥٨) .
٣ صحيح الاخبار (١٣٢/١) .
٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ١٨٦) .

عثمان^١ . ويقال للأطم : الأجم أيضاً^٢ .

فكانت الآطام هي وسائل الدفاع عند أهل يثرب ، إذ لم يكن حولها سور يحميها من غزو الأعداء . فكانوا إذا حوصروا أو وقع غزو عليهم ، لجأوا إلى آطامهم يتحصنون بها ويقذفون من أعاليها بما عندهم من وسائل دفاع لمنع العدو من الدنو منهم ولإلحاق الأذى به . وهي جملة آطام تملكها البيوتات العريقة وسادات الشعب المكونة ليثرب والقائمة على أساس التقسيم العشائري^٣ .

والآطام بيوت السادات ورؤساء القوم ، يلجأ إليها الناس للدفاع عن أنفسهم وعنهما وقت الخطر . ويظهر من شعر أوس بن مغراء السعدي :

بَثَّ الجنود لهم في الأرض يقتلهم ما بين بصرى إلى آطام نجران^٤

أن نجران كانت ذات آطام كذلك .

وذكر أن باليمن حصن يعرف بأطم الأضيظ ، وهو الأضيظ بن قريع بن عوف بن سعد بن زيد مناة . كان أغار على أهل صنعاء وبنى بها أطمأ . ونسبوا له شعراً ، من هذا الشعر الذي يحمل طابع العصبية القبلية ، والحقده على اليمن . يذكر فيه أنه شفى نفسه من (ذوي يمن) ، بالطنن في اللبات والضرب ، وأباح بلدتهم ، وأقام حولاً كاملاً يسبي ، وبنى أطمأ في بلادهم ليثبت تغلبه عليهم ، وليكون أمانة على قهره لهم^٥ .

وقد اشتهر أطم (الضاحي) بالمدينة . وهو أطم بنائه (أحيحة بن الجلاح) من سادات يثرب بـ (العصبية) في أرضه التي يقال لها (القنانة)^٦ .

وكان دفاع أهل الحيرة عن مدينتهم وفق هذه الخطة أيضاً . فقد كانت المدينة (قصوراً) كل قصر لعائلة كبيرة ، هو مسكن لها ، وهو مخزن ومستودع

١ التنبيه والاشراف (١٧٦) .

٢ الطبري (٥٦٨/٢) .

٣ الطبري (٥٧٥/٢) ، تاج العروس (١٨٧/٨) ، (أطم) .

٤ اللسان (١٩/١٢) ، (أطم) .

٥ اللسان (١٩/١٢) ، (أطم) ، وفي الشعر ضعف وتكلف ، وهو من الموضوعات . وضعه المتعصبون على اليمن ، وفي أغلب هذا النوع من الشعر ، ضعف وتكلف ، وطابع الصنعة ظاهر عليه .

٦ تاج العروس (٢١٧/١٠) ، (ضحى) .

وحصن تتحصن به عند وقوع خطر على المدينة . وبه مواضع في أعلى القصر لرمي الأعداء ، ويلجأ أتباع أصحاب القصور الى هذه القصور أيضاً للمساهمة في الدفاع عنها وفي حماية أنفسهم من الأذى . ولما حاصر المسلمون الحيرة ، كان حصارهم لها هو حصار قصورها ، فكانوا يحاربون القصور حتى غلب المسلمون أهلها فاستسلمت عندهم لهم .

ولحماية السور ولمنع العدو من الوصول اليه والدنو منه ، يحفر خندق حوله ، ليمنع الغزاة والمحاربين من الوصول اليه . يحفر عميقاً وعريضاً جهداً الامكان ، فعلى عرضه ومقاومته تتوقف مقاومته للعدو . ولما حاصر المشركون المدينة ، أمر الرسول بمحفر خندق حولها ، ليمنع المشركين من الوصول اليها . وقد ذكر : أن سلمان الفارسي ، هو الذي أشار على الرسول بمحفر الخندق ، بعد أن تباحث مع أصحابه في الوسائل التي يجب اتخاذها لحماية المدينة . وزعم أهل الأخبار : أن أهل الحجاز لم يكن لهم علم بالخنادق ، وأن المسلمين كانوا في قلق شديد وخوف من تغلب قريش عليهم ، فذكر سلمان لهم طريقة أهل بلاده في الدفاع عن مدنها ، فأخذوا برأيه . فلما رأت قريش الخندق ، عجزت عن اقتحامه ، ونجت يثرب منهم به . وزعموا أيضاً : أن لفظة الخندق ، هي لفظة معربة عن الفارسية . وإذا أخذنا برأي هؤلاء أصحاب الأخبار ، وجب اعتبار تأريخ دخولها الى العربية منذ هذا الحادث إذن . ويطلق العبرانيون لفظة (حيل) ، أي حائل ، على الخندق^١ .

وأنا أشك كثيراً في موضوع جهل أهل مكة والمدينة بأمور الخنادق ، وفي قصة أن (سلمان الفارسي) كان أول من علم المسلمين حفر الخنادق ، وذلك لأن أهل اليمن كانوا قد أحاطوا بمدنها بالخنادق لتعوق المهاجمين عن بلوغ الأسوار ، كما أن أهل فلسطين كانوا يحيطون بمدنها بالخنادق أيضاً ، وقد كان لأهل الحجاز اتصال وعلاقات بالمكانيين وبالعراق أيضاً ، وقد زاروا مدناً أحيطت بالخنادق ، فلا يعقل أن يكونوا على غفلة من أمرها . والظاهر أن الرسول كان قد جمع أصحابه حين داهمه المشركون ليستشيرهم بصورة عاجلة في كيفية الدفاع عن (يثرب) بعد أن هددها الكفار ، فبين كل صحابي رأيه ، وكان من رأي (سلمان)

Smith, Dictionary, I, p. 615.

حفر خندق ليحول بينهم وبين دخول المدينة ، فأخذوا الرسول برأيه ، وحفر الخندق ، وبه سميت المعركة (معركة الخندق) . فصور (سلمان الفارسي) ، وكأنه أول من علم أهل الحجاز حفر الخنادق .

ويظن أن لفظة (خيزت) التي ترد في النصوص المعينية وغيرها إنما تعني (خنادق) ومنخفضات صنعت للحماية الأسوار والماريس والقلاع حتى تمنع العدو والمهاجمين من الدنو^١ منها .

وتؤدي لفظة (صحفت) معنى خندق أيضاً^٢ . وربما تؤدي معنى حاجز مائي يملأ بالماء حتى يمنع المهاجمين من الدنو الى الموضع المحصن .

وقد كان الأغنياء وأهل القرى والمدن يستخدمون رقيقهم في الدفاع عنهم . وقد كان أهل مكة مثلاً قد جعلوا من أحاييهم قوة عسكرية تحارب معهم وتقاتل عنهم بأسلحتهم وبطريقة قتالهم التي ألفوها في بلادهم ، مثل القتال بالحراب ، أو الرمي بالشباب . وقد عرف هؤلاء بالأحاييش . ولعلهم استخدموا الرقيق الأبيض المجلوب من بلاد الروم ومن أماكن أخرى في تنظيم أمور الدفاع وإدارة القتال لخبرتهم ودرايتهم في أساليب القتال المدنية ، كالذي فعله الرسول من استشارته سلمان الفارسي في أمر الدفاع عن المدينة يوم حاصرتها قريش ، فكان أن أشار عليه بحفر خندق حولها يعوق تقدم قريش من المدينة ، ففعل كما يشير الى ذلك أهل السير والأخبار .

والمصانع الأبنية وقد وردت (مصانع) في الآية الكريمة : « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون »^٣ . بمعنى الحصون المنيعة . و (مصنع) (مصنعة) في الحميرية بمعنى حصن . وذلك كما في هذه الجملة المقتبسة من نص (أبرهة) المدون على سد مأرب : (مصنعت كدر) ، أي (حصن كدر)^٤ . ولا تزال لفظة (مصنعة) مستعملة حتى اليوم في العربية الجنوبية في معنى قلعة وحصن^٥ . وقد اشتهرت حبر بمصانعها .

١ نقوش خربة معين (ص ٢) .

٢ نقوش خربة معين (ص ٥) .

٣ الشعراء ، الآية ١٢٩ .

٤ راجع السطر (٢١) من النص ، والجمع (مصنع) ، أي (مصانع) في السبئية :

Jamme 578, 629, Mahram, p. 440.

Hadramaut, p. 63. ٥

والمصانع: القرى^١. ويظهر أنها إنما دُعيت بذلك لوجود المصانع بها. واحداً منها: مصنعة. أي حصن. يدافع به عن المتجمعين حوله.

و (القلعة) على ما يظهر من أقوال علماء اللغة، الحصن على الجبل، والحصن الممتنع في جبل، والحصن المشرف^٢. تبنى في المواضع المرتفعة لتشرف على ما تحتها، ولتراقب العدو، وتكون بها حامية، وقد يتحصن بها أهل الموضع عند دنو خطر عليهم، فيصعب على العدو الوصول إليهم، لوعورة الأرض وامتناع القلعة، وتسلط من فيها على من يريد بلوغهم، بما يعطرونه به من أسلحة الدفاع.

و (الحصن) ما يتحصن به. يتخذ في مواضع حصينة، مثل المرتفعات وعلى الأنهار وعند الآجام، لزيادة حصانته، وقد يتخذ في مواضع خطيرة مكشوفة ليدافع عنها. فيحصن بتحصينات قوية من سور متين وجدر سميك ومتاريس وأبراج، لتصد من يريد مهاجمته. وتكون الحصون برية وبحرية^٣. ولا تزال آثار حصون جاهلية قائمة في مواضع من جزيرة العرب، صنع بعض منها من (البن) والطين، وذلك في البوادي وفي المواضع التي لا تتوفر بها الحجارة، والمواضع الفقيرة التي صعب على أهلها بناء حصونهم من الآجر.

و (البرج) الحصن، وقيل: بروج سور المدينة والحصن: بيوت تبنى على السور؛ وقد تسمى بيوت تبنى على نواحي أركان القصر بروجاً^٤. وتكون البروج مرتفعة. وقد تبنى منفردة، ولكن الأغلب بناؤها على الأسوار. والكلمة من الألفاظ المعربة عن اليونانية^٥.

-
- ١ اللسان (٢١١/٨)، (صنع) قال ابن مقبل: أصوات نسوان أنباط بمصنعة يجدن للنوح واجتنب التباينا
 - ٢ اللسان (٢٨٠/٨) وما بعدها، (قلع)، تاج العروس (٤٨٠/٥)، (قلع)، (اللسان) (١٢٧١/٣).
 - ٣ تاج العروس (١٧٩/٩)، (حصن)، اللسان (١١٩/١٣)، (حصن)، (اللسان) (٢١٤/٤)، جمهرة اللغة، للزدي (١٦٥/٢).
 - ٤ اللسان (٢١٢/٢) وما بعدها، تاج العروس (٧/٢)، (برج)، القاموس (١٨٥/١)، الصحاح (٢٩٩/١).
 - ٥ غرائب اللغة (٢٥٤).

وكان يهود الحجاز قد ابنتوا الحصون والآطام ، للدفاع عن أنفسهم وأموالهم في السلم والحرب . فكانوا يخزنون فيها أموالهم وحصادهم وثمرهم وكل غال ثمين عندهم ، وكانوا يدخلون اليها عند الظلام ، فينامون فيها ، خشية غزو أحد لهم ، واعتداء غريب عليهم . فلإذا طلع الصبح ، خرجوا الى مزارعهم ومواضع عملهم للاشتغال فيها الى وقت المغيب . وكانوا يدخلون اليها حيواناتهم كذلك خشية سلبها ونهبها . أما في الغزو وفي القتال ، فكانوا يعتصمون بها ويقذفون مهاجمهم بالصخور والحجارة وبوسائل الدفاع الأخرى من أعالي الحصون ومن الأبراج المشيدة فوقها . وقد وردت في كتب السير والتأريخ أسماء عدد من حصون اليهود في خيبر وفي أماكن أخرى وذلك في غزوات الرسول ليهود^١ .

ويعبر عن الحراس الذين يحرسون شيئاً ويدافعون عنه ، مثل حراس الحصون والقلاع وأبواب المدن أو حرس الضباط والكبار بلفظة (مسجت) (مسكت) (مسكة) في السبئية . أي في معنى (الماسكة) ، وأما المفرد ف (مسج) (مسك) ، أي الماسك^٢ .

وقد استعمل الجاهليون آلات القذف والرمي وآلات الهدم الثقيلة في حروبهم كما يفعل الناس لهذا العهد . وهي آلات تبدو بسيطة مضحكة بالنسبة إلى آلات الخراب والتدمير المستعملة في الزمن الحاضر . قد ينجل الانسان من التحدث عنها لأبناء هذا الزمان ، ولكننا حين نتحدث عن الماضي وعن الأتاس الماضين ، فإننا لا نتحدث عنهم كما نتحدث عن أناس زماننا ولا نقيس انتاجهم على انتاجنا ، وذلك لوجود فارق دقيق هو فارق الزمن . وهذا الفارق هو التطور الكبير الذي يقع للانسان كلما تقدم به الزمان ومرت عليه التجارب والاختبارات التي يطور الإنسان بها نفسه دوماً ويزيد في علمه علماً جديداً لم يكن معروفاً عند القدماء . وسيأتي زمان تكون فيه اختراعات القرن العشرين ، الاختراعات التي تفخر بها اليوم ، الأعياب أطفال بالنسبة الى اختراعات ذلك الوقت ، واختراعات ذلك الزمان الأعياب أطفال بالنسبة الى من يأتي بعدهم ، وهكذا إلى آخر الزمان . ولهذا لا نستطيع قياس الماضي على الحاضر بما أوجده من اكتشافات واختراعات على هذا

١ السيرة الحلبية (٤١/٢) .

٢ Jamme 649, Mahram, p. 440.

النحو . وإنما نتحدث عن الماضي على أنه مرحلة من مراحل التطور البشري، ودور مستمر لهذا التاريخ الذي لا نعرف مبدأه ولا منتهاه .

وفي جملة هذه الآلات ، الدبابة . وهي عبارة عن خشبة ثقيلة تعلق من وسطها برج من خشب مقام على عجلات ليتمكن تحريكه نحو الهدف المراد هدمه أو سحبه منه أو نقله الى أي مكان آخر . وقد غطى رأس الخشبة المتجه نحو الخارج ، أي الرأس المتخذ للهدم ، بغطاء من الحديد ، ليكون سريعاً فعالاً في هدم المكان الذي يوجه اليه . ويقوم أشخاص يكمنون في الدبابة بتحريك الخشبة نحو الهدف ، وذلك بتحريكها نحو الأمام والخلف بقوة ، لتحدث ثغرة فيه ويخفي هؤلاء تحت ستار مثل سقف من خشب أو من جلود ، ليحميهم من الحجارة أو السهام أو النيران أو المواد الساخنة التي يرميها المدافعون عليهم ، لمنعهم من الاقتراب من السور ، ومن هدمه . وقد أشير الى هذه الدبابات في فتح المسلمين لخيبر وفي حصار الطائف ، فذكر أن اليهود كانوا قد اختزنوا في حصن الصعب من حصون النظاة في بيت فيه تحت الأرض منجنيق ودبابات^١ . وذكر أن المسلمين لما كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر منهم تحت دبابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليعرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد عمدة بالنار، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً^٢ .

وقد يكفي المحاربون بسحب خشبة ضخمة نحو السور تحمل بعد ذلك على الاكتاف ، فيضرب بها السور ، ثم يتراجع حاملوها قليلاً ثم يتقدمون ليضربوا بها السور ، وهكذا الى أن يتمكنوا من أحداث ثغرة فيه . و (القفح) ، ضبر تتخذ من خشب يمشي بها الرجال الى الحصون في الحرب . وقيل هي الدبابات التي يقاتل تحتها^٣ .

واستخدم (الكبش) في القتال، استخدم في اليمن بصورة خاصة ، استخدم سلاحاً من الأسلحة الثقيلة في قتال المدن والجيش النظامية، وهو من خشب مكسو

-
- ١ السيرة الحلبية (٤١/٣) ، نهاية الارب (٥٩/١٨) ، تاج العروس (٢٩٥/٢) ، (الكويت) ، اللسان (٣٧١/١) .
 - ٢ ابن هشام (١٢٧/٤) وما بعدها .
 - ٣ اللسان (٢٨٩/٨) ، (قفح) .

يجلود البقر مدبوغة بالقرظ ، أو من جلود الإبل . يحمي به المحاربون المشاة في هجومهم على الأعداء المتحصنين .

وقد وردت لفظة (كبش) في قول الشاعر (الحارث بن حنظلة الشكري) :

حول قيس مستلثمين بكبش قرظي كأنه عبلاء

وفسرت لفظة (الكبش) المذكورة بـ (السيد)^١ وهو تفسير أرى أن فيه تكلفاً واضحاً وبعداً من المعنى ، وأن الصواب هو أنها الآلة الحربية المذكورة ، وأن الشاعر أراد بيته المذكور وصف جماعة (قيس بن معديكرب) الذين كانوا ملثمين حوله ، مستلثمين بكبش من جلود سمكة غليظة مدبوغة بالقرظ ، مرتفع عال حتى عباء ، أي هضبة من ارتفاعه . والكبش بالنسبة للأعراب من الأسلحة التي يقل استعمالها عندهم ، وهي من الأسلحة المانعة المؤثرة ، ولذلك ذكرها الشاعر في شعره . وقد جاء بها (قيس) من اليمن ولا شك^٢ .

ومن آلات القذف والرمي إلى مسافات ، المنجنيق . ويوضع فوق الأسوار لاستخدامه في رمي العدو المتقدم نحو الحصن ، أو في السفن لرمي سفن الأعداء ، أو في الأبراج أو في الخطوط الأمامية لرمي الأعداء المهاجمين . فهو في مقام المدفعية لعهدها . وقد ورد في أخبار حصار المسلمين للطائف أن الرسول رمى أهل الطائف بالمنجنيق ، وكان أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق على إحدى روايات أهل الأخبار^٣. وورد أن اليهود كانوا يستعملون المنجنيق في الدفاع عن حصونهم^٤ . ويرجع بعض أهل الأخبار تأريخ استعمال المنجنيق في الجاهلية إلى (جذيمة الأبرش) ، فهم يذكرون أنه أول من رمى بالمنجنيق^٥ .

والعرادة من آلات الحرب كذلك ، وهي صغيرة شبه المنجنيق^٦ .

١ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (دار صادر) ، تاج العروس (٤ / ٣٤١) ، (كبش) ، اللسان (٦ / ٣٣٨) ، (كبش) ، الصحاح (٣ / ١٠١٧) .

٢ المعاني الكبير (٧٩ / ٤) .

٣ ابن هشام (٤ / ١٢٨) ، نهاية الأرب (١٨ / ٥٩) .

٤ السيرة الحلبية (٣ / ٤١) .

٥ الروض الأنف (٢ / ٣٠٣) .

٦ اللسان (٣ / ٢٨٨) ، نهاية الأرب (١٨ / ٥٩) .

وقد عرف السور بالحائط كذلك . والحائط هو ما يحيط بالشيء . وقد دعي سور الطائف بحائط الطائف في بعض كتب السير ، وذلك لأنه يحيط بالمدينة . وقد كانت به أبواب تغلق في الليل . ولما اقترب منه المسلمون رماهم المدافعون عنه بالسهم ، وكانوا يكمنون فوقه فقتل أناس من المسلمين^١ . ويكون أعلى الجدار الخارجي عالماً وبه فجوات صغيرة ليكمن وراءه المدافعون ولينظروا من خلال هذه الفجوات الأعداء ، وليرموهم منها . ويبنى السور سميكا في أسفله ، ثم يقل سمكه في أعلاه وذلك ليكون من الصعب على المهاجمين إحداث فتحة فيه أو هدمه . ويكون عرضه في أعلاه كافياً لاختباء المدافعين ولمرورهم بسهولة . وتبنى أبراج في العادة فوقه للمراقبة ولرمي الأعداء ، يختلف عددها باختلاف المدن ، وباختلاف استطاعة البلدة وما تتخذ من وسائل لحماية نفسها من الأعداء .

ولحمل أهل المدن والقرى المحصنة على الاستسلام يتخذ المهاجمون أساليب الحيل ووسائل مختلفة للتضييق عليهم ، وفي جملة ذلك قطع المياه عن المكان المحاصر إن كان الماء في خارجه . وذلك بسدّ المجرى وتخريب الآبار والإحاطة بالماء لمنع الناس من الدنو منه ، وبحرق المزارع والبساتين الواقعة في خارج المكان المحاصر ، أو بقطع أشجارها ، وبأخذ الغلات ، وبقطع كل اتصال للمكان بالخارج ، وبالتشدد في ذلك حتى يضطر المحاصرون إلى الاستسلام أو عقد صلح مع المهاجمين . وقد كانت خطة حرق المزارع والبساتين من أهم العوامل المؤثرة على المحاصرين . وذلك نظراً للخسائر المادية التي تلحقهم والتي لا يمكن تعويضها إلا بجهود وبأتعاب السنين^٢ .

ولجأ المحاربون الجاهليون إلى سياسة حبس الميرة عن القبائل أو القرى والمدن لاختضاعهم واجبارهم على ترك المقاومة والاستسلام^٣ . يفعلون ذلك كما تفعل الدول الحديثة في مقاطعة بعض الحكومات في الحرب وفي السلم لاجبارها على ترك سياستها أو على الاستسلام . وقد قاطعت قريش بني هاشم حينما دخلوا في الشعب لاجبارهم على ترك الرسول وخذلانه على نحو ما هو معروف .

١ ابن هشام (١٢٧/٤) ، اللسان (٢٧٩/٧) ، القاموس (١٨٥/٢) .

٢ Smith, Dictionary. I, p. 1724.

٣ الاغانى (٧٦/١٦) .

كما وجهوا خططهم السوقية نحو النقاط الضعيفة من مواضع الدفاع للمكان الذي يراد الاستيلاء عليه ، مثل الأبواب والثلج التي قد تكون في الأسوار أو الحصون للاستفادة منها في مهاجمته . والأبواب ، هي من أهم الأهداف بالنسبة للمهاجم ، لذلك ، تتخذ مختلف الوسائل للتغلب عليها ، برميها بالنار ، أو بالحجارة ، أو بضربها بالدبابات والأقفاص . أو باستخدام السلام أو الحبال لارتفاع المواضع المنخفضة من السور ، كما يركن الى حفر الأنفاق تحت السور ، للدخول منها الى الموضع المحاصر ، وقد يعتمد الى صنع تل من تراب ، أو الى تكويم أحجار بعضها فوق بعض ، أو بناء مرتفع يصل الى علو السور أو أعلى منه ، ليرمي منه الأحجار والقذائف على المحاصرين ، فيكون في امكان المهاجمين ، مهاجمة السور من الأرض بارتفاعه من الموضع المقابل للمرتفع ، او بعمل ثقب فيه ، يدخل المهاجمون منه الى الداخل ، وبذلك ينقل المهاجم الحرب الى داخل الموضع المحاصر ويتمكن من التغلب عليه .

أما النظم العسكرية عند أهل اليمن ، فكانت على هذا النحو : الملك ، هو القائد الأعلى للجيش ، والرئيس الأعلى له ، يعلن الحرب ، ويأمر بعقد الصلح ، ويعين القادة الذين يتولون إدارة القتال ، لضمان النصر ، وهو الذي يأمر القبائل بتقديم الجنود ، على مقدار ما اتفق عليه .

وقد يقوم الملك نفسه بقيادة الجيوش واجراء العمليات الحربية ، وقد يترك ذلك الى قواده ، يقومون بها ويديرونها بحسب علمهم وخبرتهم بالحروب . والقائد هو (قسد) أي (قاسد) في لغتهم . وقد يعبر عنه بـ (اسد) في بعض الأحيان ، إلا أن هذه اللفظة تعني (الجندي) و (الجنود) في الغالب .

وكان على المحارب أن يهيء له سلاحه ، فإذا لم يكن لديه هذا السلاح منح مالا لشراؤه به ، يتعهد بإعادته فيما بعد . وكان على القبيلة أن تهيء المقاتلين اللازمين للقتال ، وترسلهم الى جبهات القتال للقتال مع الجنود الآخرين .

ولسنا نعلم كيف كان يقاتل العرب الجنوبيون ، وكيف كانوا يضعون خططهم الحربية في التغلب على العدو ، لعدم تعرض كتابات المسند لذلك ، فلم يرد إلينا نص ما في هذا الموضوع .

ويعبر عن الصلح بلفظة (سلم) ، وهي في معنى (سلم) في عريبتنا . فالسلم هو الصلح الذي يلي الحرب بعد الانتهاء منها ، كما انه السلم في الأوقات الأخرى أي الأوقات الاعتيادية ^١ .

ويعبر عن الحذر من العدو بلفظة (حذر) ، وهي تؤدي معنى الدفاع كذلك ، ف (حذر) تعني دافع ضد العدو ^٢ . وإذا سار شخص ما خلف زعيم أو قائد ، يقال لذلك (تبع) و (تبعو) ^٣ بمعنى سار مع القائد وساروا في حرب مثلاً ، وتقدم أو تقدموا نحو العدو .

ويعبر عن التراجع والانسحاب بلفظة (ضويم) (ضوى) ، وتعني الهزيمة كذلك ^٤ . وهي تقيض معنى (متسك) التي تعني التمسك بالشئ والاستيلاء عليه . و (امتسك بـ) ^٥ . ويعبر عن الهزيمة بلفظة (سحت) كذلك ^٦ . كما يعبر عنها بلفظة (تشوع) ^٧ .

وقد يتبع المحاربون طريقة حرب العصابات ، وذلك بأن ينقسم الجيش الى أحزاب وفلول مستقلة تنتشر في أماكن متباعدة ، وتقاتل بمفردها أو تتعاون فيما بينها عند الحاجة ، وهي تحمي نفسها بالالتجاء الى المواضع الطبيعية الحصينة مثل المستنقعات والأدغال والجبال وأطراف الممرات الوعرة ، وذلك لكي تخفي نفسها عن العدو فلا يراها إلا وهي مباغتة له . ويقال للعصابة هذه : (حزب) في السبئية ، وأما الجمع ف (احزب) ^٨ .

وتتبع الطريقة المذكورة عندما يواجه عدو عدواً يرى انه لا يستطيع الوقوف أمامه ومحاربتة ، أو في حالة التريث والانتظار إلى ساعة مجيء مدد وعون ، أو في

-
- ١ راجع النص الموسوم بـ
Glaser 481, Rhodokanakis, Stud. II, S. 15, 55, Jamme 556, 557, 576, 577, 643,
652, Mahram, p. 443.
 - ٢ راجع الجملة الثالثة من نص أبنة .
Mahram, p. 436, Jamme 649, 720.
 - ٣ Mahram, p. 436, Jamme 649, 720.
 - ٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 53.
 - ٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 52.
 - ٦ Jamme 578, 643, Mahram, p. 443.
 - ٧ Jamme 649, Mahram, p. 450.
 - ٨ Jamme 574, 576, 577, 585, Mahram, p. 436.

حالات الهزيمة . فتشتت القوات المغلوبة قواتها إلى (أحزاب) وتشغل جيش العدو المتفوق عليها بمجبهات عديدة لغاية إرباكه وإضعاف قوته ، وتبقى تحارب حرب عصابات حتى ترى رأيها الأخير ، فتقرر الصلح أو الاستسلام وقد تجمع فلولها ثانية وتظهر مرة أخرى في ميدان قتال جديد ، ففي كتابات المسند أمثلة كثيرة من هذا القبيل .

وقد وردت في النصوص المعنية لفظة (غزتس) بمعنى غزوة ، كما في هذه الجملة : (غزتس عم مسبا)^١ ، بمعنى (في غزوته مع المسبين) . ويظهر أن هذا النص قد دوّن في غزاة قام بها صاحب النص ، وقد أخذوا معهم جماعة من السبي . وهذا النص هو من النصوص المعنية التي عثر عليها في مدائن صالح . ويقال الحواجز التي يضعها المحاربون في شوارع المدينة أو في الطرق أو التي يقيمونها في ساحات المعارك لإعاقة حركات العدو (حجزت) ، أي (حاجزة)^٢ . ولا تقتصر عمل هذه الحواجز على الأغراض العسكرية وحدها بالطبع ، بل تقام لأغراض عديدة أخرى ، مثل الحواجز التي تقام لحجز المواشي والحيوانات وما شابه ذلك .

ولا يشترط بالطبع في الحواجز أن تكون عالية مرتفعة أو قائمة عريضة ، فقد تكون منخفضة وعندئذ تكون على هيئة موانع لإعاقة الإنسان أو الحيوان من المرور . وقد تكون خندقاً يحفر حول المدينة أو حول مكان يراد حمايته ومحافظته من التطاول عليه . فيقف هذا الخندق حاجزاً مانعاً يمنع الجنود والجيوش من التقدم نحو الهدف أو المدينة أو الموضع الذي يراد الاستيلاء عليه . ويقال له عندئذ (خبزت) وبهذا المعنى عرف في كتب اللغة ، فقد ورد في القاموس المحيط (خ ب ز) : (خبز) الرهل والمكان المنخفض المطمئن من الأرض^٣ .

وقد بنى اليابانيون حصونهم في الهضاب والمرتفعات والجبال ، ليكون من السهل الدفاع عنها . وحول هذه الحصون وبجائتها بنى الناس بيوتهم ، فتحولت هذه الأماكن المحاة بالقلع والحصون إلى مواضع حصينة تدافع عن نفسها وترمي من

١ REP. EPIGR. 3604.

٢ راجع الفقرة الثانية من النص : Glaser 1150, Halevy 192, 199

٣ تاج العروس (٣٢/٤) ، (خبز) ، اللسان (خ/ب/ز) ، خليل يحيى نامي : نقوش خربة معين (الصفحة ٢) .

يحاول الوصول اليها بالسهم وبوسائل الدفاع الأخرى ، فيتكبد المهاجم خسائر ، ويلاقي صعوبات كبيرة في الوصول اليها. ويقال لمثل هذه الحصون والقلاع (محفدن) و (محفدم) والأولى معرفة والثانية منكرة ^١ .

وترود الحصون بكل وسائل الدفاع وما يحتاج اليه أصحابها والمدافعون عنها من ماء وزاد ووسائل دفاع . ولهذا نجد في الحصون آباراً ومخازن للمياه، ليستفيد منها المدافعون ^٢ ، ولا يتمكن المهاجمون من منع الماء عنهم . أما الزاد ، فيخزن في العادة في مخازن خاصة لهذه الغاية أيضاً . وأما وسائل الدفاع فتكون بإنشاء أبراج فوق أسوار الحصن ، يكمن فيها المدافعون لرمي العدو منها ، وبناء فتحات صغيرة رفيعة لمراقبة العدو منها ، ولرميه بالسهم .

ومن وسائل الدفاع التي لجأ اليها أهل العربية الجنوبية لإعاقة المحاربين من التقدم نحو هدفهم ، إنشاء حواجز على هيئة جدر تبنى في المضيقات والممرات ، بحيث اذا وصل اليها العدو لم يتمكن من الاستمرار في سيره نحو عدوه ، فينهال عليه حمة تلك الحواجز بالحجارة والسهم وما شاكل ذلك من أسلحة .

وترى بقايا مثل هذه الجدار في مواضع عديدة من اليمن وحضرموت حتى اليوم . ومن جملة ما عثر عليه بقايا جدار أقيم في وادي (لبنا) شمال ميناء حضرموت القديم (قنا) (قانه) (قني) . أقامه حكام حضرموت المكربون قبل القرن الرابع قبل الميلاد ، وذلك لحماية حضرموت من غزوات الحميريين وغيرهم . وعثر على بقايا جدار في القسم الجنوبي من (وادي يبحان) ، وعلى بقايا جدار آخر يقع في (وادي أنصاص) جنوب (شبوة) ، وذلك لحمايتها من الغارات ^٣ .

والنصر ضد الهزيمة . وترادفها لفظة (شرح) في اللهجات العربية الجنوبية ، كما في هذه الجملة (يوم شرح سبا) ، أي (يوم نصر سبا) ^٤ .

وبعد انتهاء الحرب توزع الغنائم بين المحاربين المنتصرين ، ويعطى الرئيس إذا

١ (تعل محفدن يهر) ، أي (تعلية حصن يهر) ، خربة معين ، النقش ٤ .

٢ ابن الجدر : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (١٧٣/٢) .

Belträge, S. 44, 46.

٣ REP. EPIGR., VII, II, p. 276, NU: 4624.

٤

غنم الجيش معه (المربع) أي ربع الغنيمة ^١ . وقد رده الإسلام خساً ، بنزول الأمر بالخمس في القرآن الكريم ^٢ .

واذا وقع أحد في أيدي العدو وأسر فيقال له عندئذ (أسير) . ويعبر عنه بـ (اخذ) في السبئية في حالة المفرد ، وبـ (اخذتم) (أخذت) (اخذت) في حالة الجمع ^٣ . وتطلق هذه اللفظة على الأسرى الذين يقعون في الأسر من دون قتال ، وذلك عند اكتساح جيش أو غزاة جيش العدو أو مكان ما ، فيؤخذ من فيه من ناس من غير قتال ولا مقاومة . فهم مثل الغنائم التي تقع في أيدي الغزاة والمحاربين يؤخذون دون قتال . أما الذين يؤخذون بعد مقاومة وبقتال ، فيقال لهم : (سبي) أي (سبي) ، بمعنى (مسبي) . وأما الجمع فـ (اسبي) أي سبايا . وأما الإساءة فيعبر عنه بـ (يسيو) ، وتعني (يسي) و (يسبون) ^٤ . وكانوا يكتلون أيدي الأسرى والسبي بـ (الكبل) . القيد من أي شيء كان ، وذلك لاحتباسهم حتى لا يهربوا . وقد ذكر بعض علماء العربية (أن الكبل غير عربي .. وقد صرح به أقوام) ^٥ . ولفظة (كبل) هي (كبلو) Keblo و (كيبل) Kēbel في لغة بني إرم وفي العبرانية ، أي (القيد) ^٦ . وقد كانوا يكتفونهم بالحبال وبكل شيء يكون عندهم يشد به وثاق الأسير ، فلا يفلت من أسرهِ . و (الكتاف) الحبل ^٧ . و (الوثاق) ما يشد به كالحبل وغيره ^٨ . كما كانوا يكتفون الأسرى بالقيد . والقيد السير الذي يقيد من بجلد ، فتشد به أطراف الأسير شداً شديداً حتى لا يتمكن من الهروب .

ولما بعث رسول الله خيلاً قبل نجد ، فجاءت بـ (ثمامة بن أثال الحنفي) سيد أهل اليمامة مأسوراً ، أمر به رسول الله ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ثم من عليه فأطلقوه وأسلم ، لأنه لم يكن في زمن الرسول سجن . فكانوا يحبسون

١ شرح ديوان لبيد (ص ٣٠) ، العقد الفريد (٣/٣٤٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٩/٥) ، (ربع) .

٢ Jamme 576, 578, 635, Mahram, p. 427, South Arabian Inscriptions, 649, 665, 649.

٣ Mahram, p. 443.

٤ تاج العروس (٩٣/٨) ، (كبل) .

٥ غرائب اللغة (٢٠٣) ، Hastings, A Dictionary of the Bible, II, p. 5.

٦ تاج العروس (٢٢٩/٦) ، (كتف) .

٧ تاج العروس (٧٣/٧) ، (وثق) .

الأسير في المسجد أو في الدهليز حيث أمكن . فلما كان زمن (علي بن أبي طالب) أحدث السجن بالكوفة ، وكان أول من أحدثه في الاسلام^١ . وذكر ان (ثمامة) كان عرض لرسول الله ، فأراد قتله ، فلما قبض عليه أسلم ، فلما أسلم قدم مكة معتمراً ، فقال : « والذي نفسي بيده لا تأتیکم حبة من الیامة ، وكانت ریف أهل مكة ، حتی يأذن رسول الله » . ورجع إلى الیامة ومنع المرة عن قریش . وقد ثبت على إسلامه ، لما ارتد أهل الیامة ، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه ، فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي ، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ، فلما ظفروا اشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم فرأها عليه ناس من (بني قيس بن ثعلبة) ، فظنوا انه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه^٢ . وكان له عم اسمه (عامر بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة الحنفي) . وقد دخل في الاسلام^٣ .

ويسبق المبشرون الجيش المنتصر يزف خبر النصر للحكام وللناس . يسرعون بأقصى ما يمكنهم من السرعة لنقل النبأ ، ولنيل جوائز البشرى . وهي (البشارة) ما يعطاه المبشر^٤ . ويعبر عن البشرى بـ (تبشرت) في العربية الجنوبية ، أي (التبشرة) . ويقوم الـ (هبشر) ، أي المبشر بإبلاغ البشرى لمن يراد إيصالها اليه .

ويعبر عما يقع في أيدي المغيرين أو المحاربين أو الغزاة أو المنتصرين من أموال بـ (مهرج) ، أي غنيمة حرب ، وذلك للمفرد وبـ (مهرجت) (مهرجة) في حالة الجمع ، أي غنائم^٥ .

وتطلق هذه اللفظة على الغنائم التي تؤخذ بقتال وبعد مقاومة ، أما الغنائم التي يحصل عليها المحاربون بعد القتال وبعد الهزيمة التي تنزل بالمغلوب ، فيقال لها (غنم) و (غنم) وذلك في المفرد ، أي للغنيمة الواحدة ، وأما في حالة التعبير عن الجمع فيقال (غنمت) : أي غنائم^٦ .

ونظراً الى ما للمترلة الاجتماعية من أهمية كبيرة في المجتمع العربي ، لذلك كان

- ١ صحيح مسلم (١٥٨/٥) .
- ٢ الإصابة (٢٠٤/١) ، (رقم ٩٦١) .
- ٣ الإصابة (٢٤١/٢) ، (رقم ٤٣٩٠) .
- ٤ تاج العروس (٤٤/٣) ، (بشر) .
- ٥ Mahram, p. 439.
- ٦ Mahram, p. 445

الشريف يسأل من يريد أسره عن اسمه ونسبه ، حتى إذا وجد أنه من العبيد والموالي أبى الاستسلام له، لأن في استسلام الرجل لمن هو دونه في الميزة والمكانة مذلة كبرى وإهانة ، ولهذا كان الرجل الذي يشعر أنه في وضع حرج وأنه مأسور لا محالة يبقى يراوغ خصمه ويحاول الإفلات منه ومن أسره جهد امكانه حتى آخر نفس له ، وقد يسأل شخصاً آخر يرى عليه اشارة الوجاهة والشرف بأن يأسره خشية الفضيحة والعار من وقوعه أسيراً في يد عبد جلّف ، أو صعلوك لا مكانة له في المجتمع . ومن ذلك ما وقع لحاجب بن زرارة ، إذ أدركه الزهدهمان ، فقالا له : استأسر وقد قدرنا عليه ، فقال : ومن أنا ؟ قالوا ، الزهدهمان . فقال : لا أستأسر اليوم لموليين . وبينما هم كذلك ، إذ أدركهم مالك ذو الرقية ابن سلمة من قشير ، فقال لحاجب : استأسر ، فقال : ومن أنت ؟ قال أنا مالك ذو الرقية فقال : أفعل فلعمري ما أدركني حتى كدت أكون عبداً . فألقى اليه رمحه واعتنقه زهدم عن فرسه فصاح حاجب واغوثاه ، ثم تخاصم مالك والزهدهمان في شأن أسر حاجب ، واجتمع القوم وحكموا حاجباً في أمر من أسره ، فاختار مالك ، وحكم له ، وذلك لأنه كان حراً شريفاً . ثم فك أسره ، بأن أعطى فدية عن نفسه للمالك وفديتين أصغر منها الى الزهدين^١ .

ولم تكن (المثلة) بقتيل الحرب أو بالأسير محرمة في قوانين ذلك اليوم . فقد كانوا يمثلون بقتلى الحرب وبالأسرى بتقطيع أجزاء جسمهم ، وتشويه الجسم . يفعلون ذلك بالأسير حتى يموت ، وهو يشاهد أعضائه تقطع قطعاً من جسمه . وفي (يوم الرقم) انهزم الحكم بن الطفيل في نهر من أصحابه ، فيهم (خوات ابن كعب) حتى انتهوا الى ماء يقال له : الموررات ، فقطع العطش أعناقهم فأتوا ، وخنق الحكم بن الطفيل نفسه مخافة المثلة ، فقال في ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا^٢

والقاعدة في الغزو والحروب والغارات ، أن القاتل يأخذ سلب المقتول . يأخذ ما يجده عنده ، وقد أقر ذلك في الإسلام ، فجعل السلب للقاتل لا ينازعه في

١ الأغاني (٣٧/١٠) .

٢ نهاية الأرب (٣٦٤/١٥) ، (يوم الرقم) .

ذلك منازع ، إن ثبت أنه هو القاتل^١ .

والحروب من أهم الموارد الممونة للرقيق عند الشعوب القديمة ، وفي جملتهم الجاهليين . فقد كان المنتصر يتخذ من يقع في يده رقيقاً له ، وإذا لم يمنّ عليه بالعتق ، أو لم يتمكن المأسور من دفع فدية عن نفسه ، صار عبداً مملوكاً لمن وقع في يده ، إن شاء باعه ، وإن شاء احتفظ به رقيقاً ، يخدمه ما دام عبداً . وقد عمد المحاربون إلى إحراق المغلوبين في بعض الأحيان . فقد جمع المنذر ابن امرئ القيس أسرى في الحظائر ليحرقهم ، فسمي أبا حوط الحظائر^٢ .

وقد عرف بعض ملوك الحيرة بحرق من وقع في أيديهم من المغلوبين ، أو بحرق مواضعهم وهم فيها لذلك عرفوا بـ (محرق) . وعقوبة الحرق من العقوبات المعروفة عند الأمم القديمة مثل الرومان والعبرانيين ، يتلونها في المحاربين جزاءً لهم ، وإخافة لغيرهم ودعاية لهم ، حتى لا يتجاسر أحد فيعلن الثورة على المحرقين ، فيحل عندئذ بهم عذاب التحريق^٣ .

وكان بعض الأشخاص يقومون بالغارات بمفردهم أو بجمع من الناس ، فيفاجئون الناس الآمنين أو رجال القوافل ، ومن هؤلاء : شراحيل بن الأصهب ، وكان كما يقول أهل الأخبار أبعد العرب غارة^٤ ، كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء في مئة فارس من بني أبيه ، فقتله بنو جعدة . وكان قد أزعج قبائل معد وغيرها كما يظهر ذلك من شعر نابغة بني جعدة :

أرحنا معداً من شراحيل بعدما أراها مع السبع الكواكب مظهرها
وعلقمة الحراب أدرك ركضنا بذئ الرمث إذا صام النهار وهجرا^٥

وقد يعمد المنتصر إلى أخذ رهائن من المغلوب لتكون رهناً لديه بالطاعة والخضوع . فإذا خاس بهمه ، تعرضت الرهينة للتهلكة . وتؤخذ الرهائن في أيام السلم أيضاً . يأخذها الملوك ممن يخشونهم ومن السادات لتكون ضماناً لديهم بالطاعة وبعدم مسهم بمصالحهم . وقد عرف (الحارث بن علقمة بن كلدة بن

١ صحيح مسلم (١٤٩/٥ وما بعدها) .

٢ المعارف (ص ٤٢) .

٣ Beeton, Dictionary of Religion, Philosophy and Law, p. 108.

٤ العقد الفريد (٣٩٤/٣)

عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (ب (الرهين) ، (وإنما لقب به لأنه كان رهينة قريش عند أبي يكسوم الحبشي . وولده النضر بن الحارث من مسلمة الفتح . وأخوه النضر بن الحارث قتله عليّ ، رضي الله تعالى عنه ، بالصفراء بعد رجوعهم من بدر بأمر من النبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبنته قتيلة رثت أباها بالأبيات القافية ، وليس فيها ما يدل على إسلامها)^١ .

والطيرة أثر كبير في نظر الجاهليين في كسب الحرب وخسارتها ، فقد رسخ في عقولهم أن لها تأثيراً مباشراً في الغزو والحروب . وان كلمة طيبة تسمع ساعة الاستعداد للغزو ، أو عطسة يعطسها إنسان ، أو نعيب غراب ينبع ساعة الهجوم أو ما شاكل ذلك من علامات يتفاعل أو يتشائم منها ، تؤثر في مصير الغزو وتحدث للغازين عن مصير ما سيقومون به . لذلك فقد كانوا ربما نبذوا الغزو إذا ظهر أمامهم ما يتطير منه ، وكانوا ربما أسرعوا بالهجوم إن ظهر أمامهم ما يفسرونه بأنه يمن وتفاؤل وحث على الإقدام في العمل . ولم يكن هذا الاعتقاد من عقائد العرب وحدهم ، فقد كانت الشعوب الأخرى تتطير كذلك . وتحسب للطيرة حساباً عند شروعها بحرب. ونجد في الكتب القديمة قصصاً عن الطيرة وأثرها في الحروب عند اليونان والرومان والفراعنة والفرس .

ورسخ في عقول أهل الجاهلية ان في وسع الكهنة التنبؤ عن نتائج الغزو أو الحروب ، لما للكهنة من اتصال بالأرباب والأرواح المخبرة عن المغيبات وعما سيقع في المستقبل . فكانوا لذلك يسألونهم في كثير من الأحيان عن رأيهم في غزو يريدون القيام به قبل الشروع به ، حتى اذا باركه الكاهن قاموا به ، وإلا تركوه^٢ . ونجد في كتب الأدب وأهل الأخبار أخباراً ترجع سبب هزيمة قوم أو سبب انتصارهم إلى مخالفة أولئك القوم لرأي كاهنهم ، فكانت الهزيمة : والى العمل برأيه ، فوقع من ثم لهم النصر ، لأن للكهنة علم بالمغيبات .

١ تاج العروس (٢٢٢/٩) ، (رهن) .

٢ الدينوري ، عيون الأخبار (١٤٤/١) ، (كتاب الحرب) ، (في الطيرة والغال) .

الفصل السادس والخمسون

في الفقه الجاهلي

عرفت (مدونة جستنيان) Institutes de justinien (الفقه) بأنه (معرفة الأمور الإلهية والأمور البشرية ، والعلم بما هو حق شرعاً وبما هو غير حق)^١ . و (الفقه) في اصطلاح المسلمين هو : استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، أو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، أو العلم بأحكام الشريعة^٢ ، وهو اصطلاح ظهر بالطبع في الاسلام . أما بالنسبة الى الجاهليين فإننا لا نستطيع أن نأتي بتحديد علمي ثابت له ، لعدم وصول شيء منهم في هذا المعنى إلينا . وقد وردت اللفظة لغة بمعنى العلم والتبحر في الشيء والإحاطة به . ووردت في سورة التوبة كلمة : ليتفقهوا « فلولا نقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين »^٣ . ومن هذا المعنى جاءت لفظة (الفقه) في الاسلام .

وأنا أقصد بمصطلح (الفقه) هنا الأحكام التي نظمت العلاقات بين الجاهليين ، وبيّنت الحلال في عرفهم من الحرام . وأقصد بالحلال كل مباح أباحه أهل الجاهلية لأنفسهم ، وبالحرام كل ما حرموه عليها . فللجاهليين شرائعهم الخاصة بهم . وأنا هنا أريد أن أبحث عن شرائعهم التي ثبتت الأحكام بحسب اجتهادهم

١ مدونة جوستنيان في الفقه الروماني ، تعريب عبد العزيز فهمي ، دار الكاتب المصري

القاهرة ١٩٤٦ (ص ٥) .

٢ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٣٩١) .

٣ التوبة ، الآية ١٢٢ .

وعرفهم وستههم ، وأريد بالأحكام (قوانينهم) التي وضعوها وساروا عليها في تثبيت المحظور أو المباح ، أي الحرام والحلال .

وكلامنا في الفقه الجاهلي هو كلام لم نستبطه من (قوانين) أو من مدونات قانونية Codex Juris أو من كتب في فقه الجاهليين ، أو من تعليمات جاهلية مدونة، وإنما أخذناه في الغالب من الألفاظ الفقهية التي تعبر عن آراء قانونية وردت في كتب الفقه والحديث والتفسير، وما شاكل ذلك من موارد إسلامية ، ومن أقوال وأحكام نسبها أهل الاسلام إلى رجال من أهل الجاهلية، فيها قواعد فقهية. ومن بعض أوامر وأحكام أصدرها ملوك العرب الجنوبيون قبل الاسلام في تنظيم التجارة وفي كيفية جباية الأموال . وسبب عدم أخذنا من موارد فقهية جاهلية هو عدم وصول مدونات قانونية النسا حتى الآن ، فليست لدينا ويا للأسف - مدونات مثل (قوانين حمورابي) أو (مدونة جستنيان) ، أو مثل ما كتبه (ديودورس) في الشريعة المصرية^١ . فما نكتبه في التشريع الجاهلي ، مستمد مما ذكرته ومن أوامر وإرادات ملكية وأحكام وردت في المسند في نواح خاصة من نواحي التشريع مثل كيفية جباية الضرائب عن الأرض أو التجارة ، أو نواح معينة من البيوع والقتل وغير ذلك . فهي خاصة بحالة معينة من حالات التشريع ، لا قوانين عامة على نحو ما نفهمه من القوانين .

ولما كانت القوانين وليدة الظروف والحاجات اختلف التشريع في أيام الجاهلية باختلاف القبائل والأماكن ، وطبيعة البيئة . فأهل اليمن بنظام حكمهم المستقر ، وبحكوماتهم التي كانت تهيمن على مناطق واسعة كانوا يختلفون في أصول تشريعهم عن أهل مكة أو أهل يثرب . وكل من هؤلاء هم قُطَّان مدن ، وحكمهم هو حكم مدن قائم على أساس آراء رؤساء الأحياء والشعاب . ثم إن حكم هؤلاء ، يختلف أيضاً عن حكم القبيلة والعشيرة ، أعني حكم الأعراب .

ولعدم وجود حكومات منظمة قوية في معظم أنحاء جزيرة العرب ، لا يمكن تصور وجود هيئات قضائية ومؤسسات حكومية ذوات قوانين مدونة ، للفصل في الخصومات ، وإنزال العقوبات الجزائية الرادعة في المخالفين ، على نحو ما نراه في حكومات هذا اليوم . كما أننا في شك من وجود نصوص قانونية مدونة في

Grohmann, Arabien, S. 132.

مثل هذه الأماكن على مثال قوانين (جستنيان) مثلاً ، أو القوانين التي سنّها الأكاسرة . فمثل هذه القوانين والأنظمة الدقيقة المنظمة المبوبة لا يمكن أن تظهر إلا في المجتمعات السياسية المنظمة المعقدة التي تهيمن عليها حكومة ذات مجتمع منظم يشعر بحاجته الى حكم منظم يعين حقوق الحكام وحقوق المواطنين .

غير أن هذا لا يعني عدم وجود أحكام لردع المخالفين والزائغين ، وعدم وجود أحكام لتنظيم العلاقات في المجتمع ، وتعيين حقوق الحكام والمحكومين ، وعدم وجود أناس لهم علم يعرف البلاد. فلكل مجتمع مهما كانت حالته من السذاجة قوانين وأناس لهم علم بتطبيق تلك القوانين على المخالفين . والقوانين في المجتمعات الصغيرة البسيطة ، هي العرف والعادة المتوارثة عن الآباء والأجداد . وإذا كانت مثل هذه المجتمعات لا تملك محاكم دائمة ذات موظفين وسجلات وقوانين ثابتة مكتوبة على نمط المحاكم لهذا العهد ، فإنها تملك في الواقع محاكم ، وتملك حكاماً. ففي المدن مثل مكة ويثرب ، وهي مدن تحكم نفسها بنفسها ، ونستطيع أن نسمي حكوماتها بحكومات مدن ، يحكم الرؤساء والأشراف المدينة ، ويفضون المنازعات وفق العرف والعادة . يجتمعون في مكان معين ، مثل (دار الندوة) ، أو في المعبد ، أو في بيوت الوجهاء ، للنظر في الخصومات وفي المشكلات التي تقع في البلد . ويتولى رؤساء الشعب ، أي الحارة والمحلة قض المنازعات التي تنشأ بين أفراد الشعب في الغالب . أما إذا وقعت الخصومات بين أبناء شعاب مختلفة ، فقد يتفق رؤساء المحلات على فض الخصومة بينهم بالجوء الى محكمين يختارونهم من غيرهم ممن يرضى عنهم المتخاصمون ويكونون في نظرهم محايدين لا علاقة لهم بهذا النزاع . وقد يحال النزاع على رؤساء البلد أو الحي للنظر فيه . ويشترط بالطبع على المتخاصمين كلهم الإذعان لقضاء الحكام ، والتسليم بما يحكمونه من حكم .

ولسذاجة الحياة وعدم تعقدها في معظم أنحاء جزيرة العرب ، كانت طبيعة التشريع عند الجاهليين ساذجة غير معقدة والقوانين قليلة تتناسب مع طبيعة حياة ذلك العهد ، تقتصر على المشكلات التي تحدث في مثل تلك البيئة وفي ظروف تشبه تلك الظروف . فلا نرى لذلك قوانين معقدة عديدة في معالجة مشكلات الأرض ومشكلات الصناعة والاقتصاد وتنظيات المدن الكبيرة : وما يتكون ويتولد فيها من اجرام ومخالفات .

ولما كانت الطبيعة الأعراية ، هي الطبيعة التي تغلبت على حياة أكثر سكان

جزيرة العرب ، نبع مفهوم الحق عند الأعراب ومفهوم كيفية استحصاله وأخذه من المحيط الذي عاش الأعرابي فيه . فصار الحق في نظره القدرة او القوة . فالقوي القادر على حمل السلاح هو صاحب الحق ، لأن في استطاعته انتزاع حقه والدفاع عن نفسه متى تعرض للظلم . وهو بقوة لا يخشى ظلم ظالم . وعلى هذا المبدأ بنيت أكثر أحكام الجاهلية في تقويم الحق وتقديره في مثل دفع الديات، وفي حقوق الإرث وفي مفهوم السرقة ، كما سأحدث عن ذلك فيما بعد . فالقدرة هي سبب من أهم اسباب تحقيق الحق ، وأخذ الحق وانتزاعه من المغتصبين، ثم عامل آخر ، هو العصية بأنواعها من ابسط درجة فيها الى اعلاها ، فإنها عامل آخر من عوامل الدفاع عن الحق وعن استحصاله ، لعدم وجود حكومة نظامية تقوم بتحقيق الحق ، فقامت العصية مقامها في استحصال الحق وفي تأديب الخارج على العرف ، الذي هو القانون .

واما النواحي القانونية والتشريع في العربية الجنوبية وسائر الأنحاء الأخرى من جزيرة العرب، فلم ترد إلينا كتابات وبحوث فيها . فلتكوين رأي فيها اذن ، لا بد لنا من اللجوء الى الكتابات التي لها علاقة بهذه النواحي ، مثل الكتابات التي تحمل طابع الأوامر والنواهي وعقود التملك من بيع وشراء، والقبوريات اي الكتابات التي تخص تملك القبور، فتمنع الغرباء من الدفن فيها والتجاوز عليها والتطاول عليها بإحداث تغيير وتبديل في شكل القبر وفي هيأته ، ومن كتابات مماثلة أخرى . فقد وردت في هذه مصطلحات وتعابير قانونية ، يمكن ان نستنتج شيئاً منها ، وان نكون رأياً قانونياً بدراستها ومقارنتها بالتشريعات الواردة عند الشعوب الأخرى او عند القبائل الساكنة في مختلف أنحاء بلاد العرب ، وبالتشريع الاسلامي .

ومن هذه المصطلحات الحقوقية لفظة (احلى) و (احل) بمعنى (أحلّ) في عربيتنا ، وهي تشير الى لفظة (الحلال) التي هي ضد الحرام المعروفة في القوانين وفي الفقه . وقد وردت في النص الموسوم بـ Me 36 هذه العبارة : « هن بخطات نكرح وود احلى ذ ينقل قبرن عمر خرقن وارخن » ، ومعناها : هذا بخطية نكرح وود لمن يحل وينقل اي يغير القبر . عمر السنين والأزمان ، وتعني لفظة (عمر) الدوام والتأييد . وأما (خطأت) (الخطيئة) فإنها بالمعنى

المفهوم منها عند النصارى تقريباً ، فهي بمعنى التعدي على الشريعة ، وعدم الامثال لها ، والإثم^١ ، وبمعنى (اللعنة) في الإسلام . فيكون المعنى للجملة المتقدمة على هذه الصورة : « هذا بلعنة الإلهين نكرح وودّ لمن يحلّ ، أي يجوز تغيير القبر ، أبد السنين والأيام » . وتعني لفظة (نقل) التغيير والتبديل .

وهناك لفظتان تردان في الكتابات القبرورية والإعلانية في بعض الأحيان ، هما (مسرس)^٢ و (سنكرس)^٣ . وتعني اللفظة الأولى : يبعد وينقل . أما الثانية فتعني يغير ويزيل معالم الشيء ، وقد ترد بعد الكلمة هذه العبارة (يومي أرضم)^٤ أي أيام الارض ، بمعنى ما دامت الأرض .

ووردت لفظة (خطات) في نص قتباني ، هو أمر ملكي أصدره الملك : (شهر هلال بن ذراً كرب) . وقد جاء في هذا الأمر أن الملك سيتزل عقوبات بالمخالفين لهذا الأمر . واستخدمت هذه اللفظة في أداء هذا المعنى^٥ .

وفي السبئية لفظة (حجك) (حكك) ، وتعني القانون^٦ . وربما تؤدي معنى (حك) أي (حق) . أي ما كان ضد الباطل .

وقد فسر (رودوكتاكس) لفظة (حلّم) ، (حلك) الواردة في نص قتبانيّ عرف بكتابة (كحلان) ب (قانون) وب (نظام) . وفسر لفظة أخرى وردت معها هي (سحر) بمعنى أمر به . وأما لفظة (حرج) ، فقد فسرهما بمعنى أصدره وأخرجه^٧ . وقد وردت الألفاظ الثلاثة في ابتداء قانون أصدره (شهر هلال) ملك قتيان لتنظيم أمور الزراعة والملك في بلاده^٨ .

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٤١٣/١) .
 - ٢ الحرف الثاني من الكلمة هو حرف لا مقابل له في أبجديتنا وهو بين حرفي الزاي والسين .
 - ٣ راجع النص :
 - Glaser 1089, 1660, Halevy 208, Rhodohanakis, Stud. Lexi., II, S. 26 Glaser 1150, Halevy 192, 199.
 - ٤ السطر الأخير من النص : Glaser 1150.
 - ٥ راجع الفقرة التاسعة من النص :
 - Glaser 1396, 1610, Se 83, Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 4.
 - ٦ Mahram, p. 436.
 - ٧ راجع النص الموسوم بـ Glaser 1396, 1610, Se 83.
 - ٨ Rhodokanakis, Kalaba. Texte, II, S. 5.

ووردت لفظة (نذر) بعد لفظة (تنخيو) في بعض الكتابات^١ . وقد ذهب بعض العلماء الى ان لفظة (تنخيو) التي تعني الإعلان والإشهار ، ليكون ذلك معلوماً لدى الناس ، انما يراد بها التنبيه على شيء قد تتولد منه نتائج غير طيبة ، فهي بمثابة انذار وتخويف وتحذير . وبهذا المعنى ايضاً لفظة (نذر) بمعنى انذار ونذر^٢ .

وقد اختتمت بعض الأوامر والإرادات الملكية القبطانية بهذه الجملة : (قدمن وتعلمي يد)^٣ ، ومعناها : (أمام . وعلمته يد) ، اي ووقعت يد . ويراد بها ان الارادة الملكية قد كتبت أمامه ، وان يد الملك قد وقعت ، فهو أمر صدر بإرادته وأمره .

فنحن هنا أمام نص قانوني ، صدر باسم ملك من الملوك ، امر هو بإصداره ، ودون أمامه ، وشهد هو بنفسه عليه ، ووقعت يده ، دلالة على شهادته بصحته وبأنه نص شرعي ملكي معترف به . فعلى أتباعه السير وفقاً لأحكامه ولما جاء فيه . وفي كتابة مثل هذه العبارات القانونية دلالة على وجود فهم للقانون وإدراك له عند العرب الجنوبيين .

وتطلق لفظة (بسل) على المباح بلغة حمير^٤ . وأما (البسل) ، فهي من الألفاظ التي تدخل في باب الأضداد ، فهي تعني الحرام كما تعني الحلال^٥ .

وفي شريعة أهل الجاهلية حلال وحرام ، مباح ومحظور ، ويراد بالحلال كل ما أباحه العرف ، مما لم يتعارض مع تقاليدهم ومألوفهم . أما ما تعارض منه معه ، فهو حرام محظور ، ويعاقب المخالف المرتكب للمحرمات ولما حرّمته شريعتهم . ومعنى الحلال والحرام الاصطلاحي هو المعنى الوارد في القرآن الكريم نفسه . غير أن الاسلام حدد الحرام والحلال وفق قواعد الشرع ، أي أن الاسلام ندب المصطلحين وحددهما وفق قواعده . أما الجاهلية ، فحددتها وفق عرفها .

١ راجع السطر الأول من النص : Halevy 149.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 59.

٣ الفقرة الأخيرة من النص : Glaser 1396, 1610, Se 83.

٤ شمس العلوم ، الجزء الأول ، القسم الأول (ص ١٢٠) .

٥ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ١٥٨) .

ومن المصطلحات التي لها علاقة بالحياة الاجتماعية لفظة (ثوب) أي (ثوب) ،
و (أجر) . ترد بهذا المعنى في الكتابات ذات الصبغة الدينية . ولفظة (تعمن)
وتعني (النعم) و (نعمة)^١ .

وعثر في الكتابات الثمودية وفي اللحيانية على نصوص تتعلق بحق الملكية . فعثر
على نص ثمودي يشير الى ملكية بشر^٢ . وعثر في اللحيانية على وثائق تتعلق بملكية
أرض وعقار كما عثر على وثيقة ، وجد أنها وصل أي اعتراف بتسلم مال . كما
عثر على وثائق تتعلق بالقانون الجنائي . منها وثائق تتعلق بقتل ، ووثائق تتعلق
بعقوبات القتل وبالدية ، ووثائق تتحدث عن ازدياد الجرائم والخروج على القوانين
في (ديدان)^٣ .

وتدل هذه الوثائق على وجود أصول القانون والمحافظة على الحقوق عند عرب
أعالي الحجاز . وإن كنا لا نستطيع في الوقت الحاضر تقديم أي رأي عن أصول
التشريع عندهم أو التحدث عن وجود قوانين مثبتة مدونة في معالجة الحق العام
والحق الخاص أو الجرائم أو أصول المرافعات على نحو ما نجده عند الأمم المعاصرة
لهم ، أو الشعوب التي عاشت قبلهم ، فوضعت شرائع وصلت نصوص بعضها
الينا مثل شريعة حمورابي المعروفة .

وقد عثر الباحثون على نصوص تشريعية، أصدرها ملوك العربية الجنوبية وأمروا
بإعلانها على الملأ ، للعمل بموجبها وهي حتى الآن قليلة العدد . ومع ذلك ، فقد
أعطتنا فكرة مجملة عن أصول التشريع عند العرب الجنوبيين . وقد صدرت هذه
التشريعات باسم الملوك . فهم الذين أمروا بسنها وبتشريعها وتنفيذ ما جاء فيها .
ويعبر عن القانون ، أو سن القوانين بلفظة (سن) وتقابل كلمة Law أي قانون
في الانكليزية^٤ . و (الستة) في عربيتنا : الطريقة . وهي من القواعد الأساسية
الأربع في الفقه الاسلامي^٥ . فاللفظة صلة اذن بلفظة (سن) في العربية الجنوبية .

١ راجع النص الموسوم بـ :

Halevy 147, Rhodokanakis, Stud. Lexl, I, S. 57.

٢ Jaussen-Savignac, Mission, II, 427, 587, W. Caskel, 61, Arablén, S. 50.

٣ Arablén, S. 50.

٤ Jammé, Southern Arab. Inscriptions, p. 449.

٥ اللسان (١٣ / ٢٢٥ وما بعدها) ، تاج العروس (٩ / ٢٤٤) ، (سنن) .

ويظهر من الأوامر والأحكام الملكية المدونة بالمسد ، ان الحكومات العربية الجنوبية كانت حكومات مشرعة ، نظمت أعمالها وأعمال مواطنيها بتشريعات عيّنت بموجبها حقوق الحكومة على الناس وحقوق الناس مع بعضهم وواجباتهم تجاه حكومتهم ، وذلك بحسب امكانية المجتمع لذلك العهد ، وقد أدركت شأن نشر القوانين والأحكام ووجوب إبلاغها للناس ، فأمرت بتدوينها على الحجر ، أي بحفرها فيها ، ووضع الأحجار المدونة في مواضع بارزة ليقف عليها الناس ويفقهوا ما ورد فيها من أحكام وأوامر ، فلا يقبل عندئذ عذر لمعتذر اذا خالفها، كذلك نجد الناس يعبرون عن حقهم في الشيء بتدوين ذلك الحق وإعلانه ، فعند شراء رجل بيتاً أو أرضاً ، أو عند بنائه بيتاً ، كان يكتب ذلك على الحجر ويضع الحجر في محل بارز من جدار البيت الخارجي ليطلع الناس على تملك صاحب الملك له . ويدل هذا الاعلان على وجود فكرة التقنين والتشريع وادراك الحق عند العرب الجنوبيين .

وإذا أبرمت الحكومات العربية الجنوبية قانوناً ، وإذا أصدرت أمراً أو نظاماً ، أمرت بتدوين نسخ من القانون أو الأمر أو النظام ، لحفظها في ديوان الوثائق ، لتكون مرجعاً يرجع اليه . وتعلن نسخاً منها على الناس . ليقف الجمهور على ما جاء فيها ^٢ .

وتعدّ الساحات المنشأة أمام أبواب المدن المكان المختار لنشر الأوامر والقوانين على الناس ، نظراً الى كونها محلات عامة يتجمع فيها أهل المدينة في الغالب، وقد تعقد فيها المحاكمات والاجتماعات العامة . فإذا صدر أمر حكومي أو قانون كتب على الحجر ، ثم يبنى على جدار المدينة عند الباب ليقف عليه الناس . وقد عثر المتقبون على قانونين قتيانيين في تحديد عقوبة القتل ، وقد بنيا في الجهة اليسرى من باب مدينة (تمنخ) العاصمة ليقف عليهما من يحضر هذا المكان من سكان العاصمة أو القادمين إليها ^٣ ، كما عثر المتقبون على أسماء جماعة من رجال مدينة (مرمت) (مرمة) وقد دوت على حجر بني على جدار باب المدينة ليقف عليها الناس ^٤ ،

Grohmann, Arabien, S. 132, Rhodokanakis, Etud. Lexl., I, S. 67. ١

Grohmann, Arabien, S. 137. ٢

Grohmann, Arabien, S. 132. ٣

المصدر نفسه . ٤

لأنهم قاموا بغزو رجعوا منه بغنائم كثيرة ، أعطوا منها نصيباً كبيراً ، فلكي يقف أهل المدينة على كيفية توزيع الغنائم وكمياتها دونت تلك الكتابة .

وتلعب أبواب المدن دوراً خطيراً في أصول التشريع عند الساميين . فقد كانت موضع اعلان القوانين ، وعمل ابلاغها للناس . فهي بمثابة (الجرائد الرسمية) المخصصة بنشر القوانين في عرف هذا اليوم . وهي مواضع المحاكمة أيضاً ، حيث يجلس الحكام للنظر في خصومات المتخاصمين . وهي مواضع عقد العقود أيضاً ، من بيع وشراء . ويصف الاصحاح الرابع من سفر (راعوت) لنا ، كيف ان (بو عز) جلس عند باب المدينة وأمر عشرة من شيوخ المدينة ليكونوا شهوداً لاجراء عملية بيع وشراء^١ .

ومما يلاحظ على القانون القتياني انه أخذ بمبدأ ان تنفيذ القوانين هو حق من حقوق (الملك) ، أو من يخوله حق التنفيذ . ويراد ب (الملك) الدولة ، أو ما يسمى ب (السلطان) في الفقه الاسلامي . فلا يجوز لأي أحد غير مخول تخوياً قانونياً من الملك أي الدولة تنفيذ قانون أو أخذ أي حق مدعي بدون اذن رسمي من مرجع قضائي وسلطة مخولة . فالدولة وحدها هي التي تنظر في أمرا الخصومات وفيما يقع بين الناس من خلاف . وهي وجهة نظر كل حكومة متحضرة ، تريد إشاعة العدل والأمن في حدودها والقضاء على الفوضى والفتن التي قد تقع فيما لو قام كل انسان بأخذ ما يلعبه من حق لنفسه بنفسه ، وبدون مراجعة حكومة وسلطان .

وأنا إذ أستعمل لفظة الفقه الجاهلي ، فلا أعني ان الجاهليين عامة ، كانوا كلهم يسرون وفق فقه واحد وأحكام واحدة تطبق على جميعهم ، تطبيق الأحكام العامة في الدولة الواحدة . فكلام مثل هذا لا يمكن أن يقال بالنسبة الى الجاهلية . فقد كان الجاهليون قبائل في الغالب ، وهم أهل الوبر . وللقبائل أعراف وأحكام تتباين بتباين الأمكنة ، من انعزال في البادية أو قرب من الحضرة أو اتصال بالأعاجم . وأما أهل المدر ، فمنهم من كان يعيش في قرية والحكم فيها لا يتجاوز حدود القرية . ومنهم من عاش في ممالك أو إمارات ، والحكم فيها لم يبلغ كل جزيرة العرب بأي حال من الأحوال . وقد انحصرت أحكامها لذلك في الحدود

١ راعوت ، الاصحاح الرابع ، الآية الاولى وما بعدها .

التي بلغت قوتهم ووصل إليها سلطانهم الفعلي لا غير .
 وإذا أردنا أن نتحدث بلغة هذا العصر عن أصول التشريع الجاهلي ، أي عن
 منابع التي أمدّت فقه الجاهلية بالأحكام ، فإننا نرى أنها استمدت من العرف ،
 ومن الدين ، ومن أوامر أولي الأمر ومن أحكام ذوي الرأي .
 أما (العرف) ، فهو ما استقر في النفوس وتلقاه المحيط بالرضى والقبول ،
 وسلم به وسار عليه في بعض الأحيان ^١ . وذلك لأخذه طابع القانون من حيث
 لزوم التنفيذ والإطاعة . وهو معروف عند أكثر الشعوب ، وقد اكتسبت بعض
 الأعراف درجة القوانين عند كثير من الأمم لمرور زمن طويل على استعمالها ،
 ولتعارف الناس عليها ، ولكونها معقولة منطقية لا تتعارض مع روح الزمن وعدالة
 التشريع .

وقد أشير إلى العرف في القرآن الكريم : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
 عن الجاهلين » ^٢ . وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد من (العرف) هنا :
 الإحسان ^٣ . وقد ألقى الإسلام بعض العرف الجاهلي ، وأقرّ بعضاً منه ، لعدم
 تعارضه مع قواعد الدين .

ولا تزال القبائل تطبق (العرف العشائري) حتى اليوم في قُصّ ما يقع بين
 أفرادها وبينها من خلاف وخصومات. وهي تتجنب بجهد إمكانها مراجعة الحكومات
 لأنها تنفر من تطبيق القوانين عليها ، بالرغم من إلغاء (العرف العشائري) أو
 (القضاء العشائري) كما يعرف في بعض البلاد العربية ، وعدم اعتراف تلك
 الحكومات به . وذلك لرسوخ هذا العرف في نفوسها ، وظهوره من تربتها ،
 ولكونه موروثاً من الآباء والأجداد ، فهو أقرب إليهم وإلى نفوسهم من القوانين
 الحديثة ، وإن كانت أقرب إلى الحق والعقل من العرف .

ولا تزال بعض مصطلحات العرف الجاهلي باقية حيّة تستعملها القبائل حتى
 اليوم في الأغراض والمعاني التي كانت عند الجاهليين . وحذا لو عني علماء القانون
 عندنا بضبط العرف المستعمل في بلاد العرب في الزمن الحاضر ودراسته دراسة

١ التعريفات ، للجرجاني (ص ١٥٤) (طبعة فلوكل) .
 ٢ سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ .
 ٣ المفردات ، الراغب الاصفهاني (ص ٤٢٥) (طبعة الباني) .

علمية تحليلية ، فإن لهذه الدراسة شأنًا كبيراً في دراسة التشريع العربي في الجاهلية .
وللسنة أهمية كبيرة في الفقه الجاهلي . والمراد بها الطريقة ، وترد في القرآن
(سنة الأولين)^١ و (سنة الله)^٢ .

وترد لفظة (السنن) في الموارد الإسلامية ، وكذلك (السنة) التي هي المورد
الثاني في الفقه الإسلامي تستنبط منه الأحكام بعد القرآن . ولا بد أن تكون لها
نفس المكانة عند الجاهليين^٣ . وقد ورد في القرآن الكريم : « وما منع الناس أن
يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين »^٤ ، دالة
على مكانة سنة الآباء في عقلية الجاهليين . فما ورد في سنتهم هو قانون يعمل به .
وورودها بهذا المعنى يدل على أنها كانت تؤدي معنًى خاصاً عند الجاهليين . ولعلها
كانت مصطلحاً من مصطلحات الفقه عندهم .

وسنة الجاهليين هي طريقتهم في الحياة وما ورثوه عن آبائهم من عرف
وأحكام، وما قرروا السير عليه من قوانين القبيلة في تنظيم حقوق القبيلة والأفراد ،
وما يقرره عقلاؤهم من قرارات لا تغير ولا تبدل إلا للضرورة وبقرار يصدره
أصحاب العقل والبصيرة والرأي والسن فيها . ولا يزال العمل بها حتى اليوم .
ويقال لها (السانية) في اصطلاح قبائل العراق .

وأقصد بـ (الدين) ما كان يدين به أكثر الجاهليين من شريعة التعبد للأوثان
والتقرب للأصنام، فقد وضع سدنة المعابد والكهنة أحكاماً لأتباعهم على أنها أحكام
ملزمة يكون مخالفتها في حكم المخالف للعرف . وهي بالطبع أقوى وأظهر عند أهل
الحضر ، لمساعدة محيطهم على ظهور الشعور الديني الجماعي فيه ، عكس محيط
البداءة الذي تباعد فيه أهله ، وتبعثرت بيوته ، فلم يساعد على ظهور هذا الشعور
الديني الجماعي فيه .

وبين الجاهليين يهود ونصارى ، مهما قيل في يهوديتهم أو نصرانيتهم من العمق
أو الضخامة ، فإنه لا بد أن يكون لدياناتهم دخل في تنظيم حياتهم وفي أحكام
مجتمعاتهم ولا سيما فيما يخص قوانين الأحوال الشخصية المقررة في الديانتين .

١ الأنفال ، ٣٨ ، الحجج ١٢ ، فاطر ، ٤٣ ، الكهف ٥٥ .
٢ الأحزاب ، ٣٨ ، ٦٢ ، فاطر ٤٣ .
٣ Law in the Middle East, p. 35.
٤ الكهف ٥٥ .

وأقصد بأوامر أولى الأمر ، أوامر أصحاب الحلّ والعقد من ملوك وسادات قبائل ورؤساء (الملأ) و (الندوة) . فقد كانت أوامرهم أحكاماً تتبع في زمني السلم والحرب . وهم مشرعون ومتفقدون ، وقد صارت قوانين متبعة ، وأشير إلى بعض منها في الموارد الإسلامية .

وقد وصلت إلينا أوامر ملكية قتبانية في تنظيم الجباية والتجارة ، كما وصلت كتابات فيها تشريعات تخص النواحي القانونية سأحدث عنها في المواضع المناسبة . أما أحكام ذوي الرأي فأريد بها أحكام فقهاء الجاهلية الذين عرفوا بالأصالة في الرأي وبالمقدرة في استنباط الأحكام المناسبة في فض المنازعات والخصومات . ولا أريد بتعبير (فقهاء الجاهلية) ، طبقة خاصة من علماء الفقه أي القانون ، على نمط علماء الفقه عند الرومان أو اليونان أو فقهاء الإسلام، تخصصت بالفقه وبشرائع الجاهليين ، وإنما أقصد بهم أولئك الذين طلب اليهم أن يكونوا حكماً بين الناس ، لوجود صفات خاصة بهم جعلتهم أهلاً للقضاء والحكم فيما يشجر بينهم من خلاف وهم سادات القبائل وأشرفها والكهّان .

وفي فقه الجاهلية أحكام كثيرة ، وضعها مشرعون محترمون عند قومهم ، وجرت عندهم مجرى القوانين . وقد نص أهل الأخبار عليها كما نصوا على أسماء قائلها . وقد ذكروا بين تلك الأحكام أحكاماً أقرها وثبتها الإسلام . من ذلك حكمهم في (الخنثى) ، وهو حكم حكم به (عامر بن الظرب العدواني) ، و (ذرب بن حوط بن عبدالله بن أبي حارثة بن حي الطائي) ، وقد أقر الإسلام حكمهما^١ ، ومثل حكم (ذي المجاسد) وهو (عامر بن جشم بن غنم ابن حبيب) في توريث البنات . فقد كانت العرب مصفقة على توريث البنين دون البنات ، فورث ذو المجاسد ، وهو الذي قرر أن للذكر مثل حظ الأنثيين . وقد وافق حكمه حكم الإسلام^٢ .

إننا لم نسمع حتى الآن بوجود مفتين ، أي فقهاء كلفوا إبداء آراء في معضلات تقع فتعرض عليهم لايجاد حلول ومخارج قانونية لها . ولم نسمع أيضاً بوجود حكام كلفوا رسمياً من الدولة القضاء بين الناس ، ولا أستبعد العثور في المستقبل على

١ المحبر (ص ٢٣٦) .

٢ المحبر (ص ٢٣٦) .

كتابات في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية قد تكشف النقاب عن وجود مثل هذه الوظائف هناك ، وذلك لأن الحكومات التي ظهرت فيها كانت حكومات منظمة ، لها شرائع ، ولها صلات مع العالم الخارجي ، فلا يستبعد تعيينها أناساً عرفوا بالكماسة وبالرأي السديد وبالعلم في الفقه للحكم بين الناس ولوضع القوانين التي تحتاج إليها الحكومة .

إن عدم تدوين الجاهليين لفقهمهم ، أو عدم وصول شيء مدون منه إلينا ، لا يكون دليلاً على عدم وجود فقه لديهم أو على عدم وجود منطق فقهي لديهم أو يكون دليلاً على سذاجة فقهمهم وبداءته ، فإن انعدام التدوين لا يكون دليلاً على عدم وجود رأي فقهي عند قوم ، فقد كان أهل (لقدمونيا) مثلاً وهم من اليونان (يميلون إلى الاعتماد على ذاكرتهم يستحفظونها من الأنظمة ما يعتدونه قوانين واجبة المراجعة)^١ ، عكس أهل (أثينة) الذين كانوا ضدهم ، فإنهم كانوا يدوتون القوانين ويكتبونها للرجوع إليها^٢ . وقد أخذت أحكام (لقدمونيا) الشفوية في التشريع بنظر الاعتبار واعتبرت في المدونات القانونية .

ولا بد أن يكون بين الجاهليين (تعامل) و (عرف) متبع في أمور عديدة من أمور الحياة التي عاشوا فيها في مثل حقوق مرور القوافل من مناطق تقود القبائل ، وحقوق الجباية عن الأموال المستوردة أو المصدرة وفي موضوع العقوبات وما شاكل ذلك .

وقد ذكرت بأن العلماء قد عثروا على بعض كتابات هي أوامر ملكية في الجباية ، فلا يستبعد عثورهم في المستقبل على ألواح ومدونات في الفقه .

ومكان مثل مكة اشتهر أهله بالخلق في التجارة وبثراء بعضهم ثراءً كبيراً ، وبتعاملهم مع الشرق والغرب، مع الساسانيين ومع البيزنطيين ومع اليمن ، وباحتيازهم الذهب والفضة ، وبعقدتهم العقود وبوجود الكتاب بينهم ، وبوجود الرقيق الأبيض عندهم ، من ذلك النوع الذي يقرأ ويكتب والذي له وقوف على كتب الأولين، إن مكاناً مثل هذا لا يمكن أن يكون بلا فقه وبلا قوانين ومحاكم يتحاكمون بها . وكيف يكون ذلك وقد خاطب الله رسوله بقوله : « يستفتونك في النساء ، قل :

١ مدونة جوستينيان (ص ١٠) .

٢ المصدر نفسه .

اللهُ يفتيكم فيهن^١ ، و « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »^٢ و « لا تستفت فيهم منهم أحداً »^٣ ، وغير ذلك من مواضع فيها معنى الإفتاء . وقد ذكر العلماء أن (الكلالة) اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة ، وأن رسول الله سئل عن الكلالة فقال : من مات وليس له ولد ولا والد . وأن بعض العلماء فسر الكلالة بأنها مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً^٤ . وقوم يستفتون في الموارث ويستفتون في النساء هل يعقل ألا يكون لهم فقه وقوانين ؟

وفي القرآن آيات مثل : « وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون »^٥ ، و « فاقض ما أنت قاض »^٦ ، و « لولا كلمة الفصل لقضى بينهم »^٧ ، و « فإذا جاء رسوهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون »^٨ ، وآيات أخرى تشير الى وجود فكرة القضاء بين الناس ، والى الحكم بينهم بالقسط . فهل كان الله يخاطب قوماً بهذه الآيات لو كان المخاطبون قوماً يجهلون العدل ، ولا يفقهون شيئاً عن القضاء ؟ اللهم لا .

وفي القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه . وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً . فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليته بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا ولا تشموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن

-
- ١ النساء ، الآية ١٢٧ .
 - ٢ النساء ، الآية ١٧٦ .
 - ٣ الكهف ، الآية ٢٢ .
 - ٤ المفردات (ص ٤٥٢) .
 - ٥ الزمر ، الآية ٦٩ .
 - ٦ طه ، الآية ٧٢ .
 - ٧ الشورى ، الآية ٢١ .
 - ٨ يونس ، الآية ٤٧ .

تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن آمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أوتى أمانته وليتق الله ربه ولا تكتنوا الشهادة ومن يكتنمها فإنه آثم قبله والله بما تعملون عليم^١ . وهي في تنظيم الدين والتداين وفي الشهادة على الدين وفي شادات الشهود . في الرهان وهي كلها من صميم عمل قريش . ولا بد وأن يكون لقريش أحكام في تنظيم الأعمال التجارية من بيع وشراء وعقود مشاركات وأمثال ذلك ولو بمقياس يناسب تجارة مكة في ذلك العهد .

ولا أستبعد أن تكون لأهل يثرب أحكام وقوانين في تنظيم الزراعة وفي كيفية التعامل فيما بينهم وفي الربا وبينهم قوم من يهود . وقد كانوا يتاجرون ويشغلون بالحرف وبالربا ، لأن مجتمعا مجتمع منظم لا بد أن تكون له قوانين وفقه ضابط للمعاملات .

وقد ذهب المستشرق (كولدزير) الى أن الإسلام قد أقر بعض فقه الجاهليين وأحكامهم ، مما لم يتعارض مع مبادئ الإسلام . فأخذ — على رأيه — من قوانين أهل مكة أحكامها وأخذ من فقه أهل المدينة ، وهو في نظره أقل تطوراً من فقه أهل مكة ، ولذلك فإن فقه أهل الحجاز كان من جملة منابع التي عرف منها الفقه الاسلامي .

وأنا لا أتوقع احتمال عثور العلماء على شريعة أو شرائع في القانون عم تطبيقها بلاد العرب كلها ، ولا أومل عثورهم على مدونة تشبه (مدونة جوستينيان) في القوانين ، وضعت لتطبق على كل الجاهليين ، ذلك لأن ظهور قوانين عامة منظمة ومركزة ومبوبة ، يستدعي وجود حكومة منظمة ذات سلطان مطاع ، يشمل سلطانها كل بلاد العرب ، ووجود شعب واحد يشعر بتبعيته تجاه حكومته ، أو وجود شعور بخوف تجاه تلك السلطة يضطر الناس الى العمل وفق أحكامها وما تصدره من أوامر ، وذلك على نحو ما نراه في الانبراطورية الرومانية والانبراطورية البيزنطية ونحوهما . وإذا كان ما تحدثنا عنه غير موجود ولا معروف في بلاد العرب ، لم تظهر قوانين عامة تشمل أحكامها كل العرب . وكل ما ظهر إنما هو قوانين خاصة طبقت في حدود مناطق الدولة أو القبيلة أو القرية أو الحلف .

١ البقرة ، الآية ٢٨٢ وما بعدها .

ولما كانت القوانين والشرائع من نبات المحيط ، ومحيط جزيرة العرب محيط قبائلي مجتمعاته صغيرة متناثرة متباعدة ومشكلاته محصورة في ضمن إطار حياتهم ، فإن العضلات القانونية عندهم تكاد تكون محدودة نابعة من ظروف جزيرة العرب في الغالب ، ومعالجاتها وأحكامها نابعة أيضاً من هذه الظروف نفسها ، فهي وفق معيشة الجاهليين وأحوالهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية ، ولا يمكن أن نجد فيها ما نراه في قوانين اليونان والرومان من تصنيف وتبويب وتعقيد لاختلاف الحياة وتباين المحيط ونوع الحكم .

العدل :

الغاية من وضع الأحكام وأمر المجتمع بتطبيق ما جاء فيها ، هي ضبط ذلك المجتمع ومنع أفراده من تجاوز بعضهم على حقوق بعض آخر وسلبهم ما يملكون ، وذلك لاشاعة (العدل) ورفع الاعتداء الذي هو (الظلم) وهو تقيض العدل . فمن أجل تحقيق (العدالة) سنت الشرائع والأحكام . والعدالة هي المساواة وعدم الانحياز .

وقد نصت شرائع الجاهليين على وجوب تحقيق العدالة بإعطاء كل ذي حق حقه وانصافه . غير ان فكرة (العدالة) تختلف بين البشر باختلاف الأوضاع والأزمنة . فقد يكون حكمٌ عدلاً عند قوم ، ويكون باطلاً أي ظالماً عند قوم آخرين . وقد يكون عدلاً في زمان ويكون باطلاً في زمان آخر ، لأن الظروف التي استوجبت اعتبار الحق حقاً والعدل عدلاً ، تغيرت فتبدلت ، فأبطلته أو صار ظالماً في نظر الناس . ومن هنا أبطل الاسلام بعض أحكام الجاهلية ، وهذب بعضاً منها ، وأقر بعضاً آخر ، وذلك لتغير الظروف بمجسيء الاسلام وتغير النظر الى اصول العدالة .

لقد صيرت المعيشة القبلية التي عاش فيها أكثر العرب في الجاهلية مفهوم (العدل) أو (الحق) عندهم بصورة تختلف عن مفهومنا نحن للحق والعدل ، فالعدالة عندهم لم تكن تتحقق وتؤخذ إلا بالقوة ، لذلك أثرت (القوة) تأثيراً كبيراً في تحديد مفهوم (العدل) و (الحق) ، فلكي ينال الانسان حقه كان عليه ان يجاهد بنفسه وبدوي قرابته وعشيرته للحصول على ما يذنيه من حق

ويثبتة . وهو لا يحصل عليه في الغالب إلا بتهديد ووعيد وبوساطة او باستعمال القوة . وضخامة البيت او العشيرة او القبيلة ، هي من جملة مسببات الحصول على الحق بفرضه فرضاً ، لذلك صارت القوة هي معيار الحق والعدل ، وصار القوي المنيع هو صاحب الحق في الغالب .

ولما كان الرجل أقوى من المرأة ، وقد منح نفسه حقاً سن الأحكام ، صار الحق في الجاهلية في جانبه ، فرفع نفسه عنها في أكثر الأحكام ، وحرّمها الميراث حتى لا يسّذهب الإرث الى غريب ، وقايضها بديونه او بمجناية تقع منه كما في (فصل الدم) وفي زواج البدل وفي منع المرأة من الزواج إلا من قريبها لوجود حق الدم عليها ، وفي منع زواج زوجات الآباء إلا برضى أبناء الأب وذوي قرابته ، لأنهم أحقّ بالزواج منها ، وغير ذلك من أمور ، جعل المرأة عرضاً وملكاً ، حتى حرم الإسلام كثيراً من هذه السنن الجاهلية التي لم يكن الجاهليون يرون أنها تنافي مبدأ العدالة ، لأن ظروفهم الاجتماعية لم تكن توحى اليهم أن اعتبار المرأة دون الرجل في الحقوق شيئاً منافياً للحق والعدل ، فقد وجدوا أن الطبيعة خلقتها دونهم في القوة ، فجعلوها من ثمّ دونهم في الحقوق ، ولم يكن امامها بالطبع غير الاستسلام .

فالحق هو القوة ، والعدل هو القوة ، ولن ينال امرؤ حقه إلا إذا كان مالكاً لذلك الحق ، وهو القوة على تحصيل الحق . وهذا الحكم للحق ، حرم المرأة من ميراثها كما ذكرت ، كما حرم من هو دون سن البلوغ ، ومن لا يستطيع القتال من هذا الحق أيضاً . فلم يحرم القانون الجاهلي المرأة وحدها ودون غيرها من الإرث ، لمجرد أنها امرأة ، بل حرم الأولاد منه ايضاً ما داموا دون سن القتال . فقد وجد المشرع الجاهلي ان من الحيف اعطاء الطفل إرثاً ، وهو طفل لا يستطيع الطعن بالرمح ولا الضرب بالسيف ، لذلك حرمه منه ما دام طفلاً ، وحرّم الكبار منه ما داموا لا يستطيعون الطعن ولا الضرب بالسيف والسذب عن الحق . ولا سيما عن حق الأهل والقبيلة، الذي هو الحق العام . لذلك حرم المعتوه ايضاً من حق الإرث ، لأنه معتوه لا يستطيع حمل السيف والدفاع عن الحق .

ومن هذه النظرة اخذوا مبدأ تفاوت الحقوق ، بأن جعلوا تقدير الحق على اساس درجات الإنسان ومكانته ، ومترلة القبيلة ومكانتها ، فدية الملك مثلاً أعلى من دية سيد القبيلة ، ودية سيد القبيلة فوق ديات الآخرين ، وهكذا على حسب

الدرجات . ودية سيد قبيلة قوية هي أكثر من دية سيد قبيلة ضعيفة ، ودية رجل من سواد قبيلة قوية هي ضعف دية رجل من درجته ومترلته في قبيلة ضعيفة . وسبب هذا التباين في الحق هو أن مفهوم الحق عند الجاهليين كان يقوم على أساس الاعتبارين المذكورين : مكانة المرء ودرجة القبيلة .

ولا يقتصر اصل تفاوت الحق هذا على (الديات) اي على التعويض عن الضرر فقط ، بل اقر التشريع الجاهلي رأي (التفاوت في الحق) في كل الحقوق الأخرى ، مثل حقوق الغنائم التي يحصل عليها المنتصرون من الغزو او الحرب . فأعطت الملك حقوقاً خاصة في الغنائم ، ووضعت لسادات القبائل أنصبه معينة فيما يقع في ايدي افراد القبيلة من غنائم ، بأن جعلت لهم : النسيطة وهي ما اصيب من الغنيمة قبل ان يصير الى مجتمع الحي ، والصفايا وهي ما يصطفيه الرئيس ، والفضول وهو ما عجز ان يقسم لقلته فيخصص بسيد القبيلة ، والمرباع وهو حق سيد القبيلة في أخذ ربع الغنائم . وقد جمعت هذه الحقوق في هذا البيت :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنسيطة والفضول^١

وأعطى التشريع الجاهلي الملوك وسادات القبائل والأشراف حق (الحمى) ، لا يشاركهم فيه مشارك ولا يرعاه احد غيرهم . بل يكون صاحب الحمى شريك القوم في سائر المراتع حوله^٢ .

واخذت شرائع الجاهليين بمبدأ ان الانسان : إما حر وإما عبد اي رقيق مملوك ، والرقيق هو ملك سيده ، ولذلك ، فإن ما يكون له او ما يكون عليه يختلف في القوانين عما يكون للاحرار من حقوق وأحكام .

وهو مبدأ لم يكن خاصاً بالجاهليين وحدهم ، ولكن كان عاماً في ذلك الزمن اخذت به جميع الأمم . وقد نُصَّ عليه في القوانين الرومانية واليونانية وفي الشريعة اليهودية . والعبد ، هو كما قلت ملك صاحبه ، وهو (ملك يمين) ، إلا ان يمنّ عليه بالحرية ، فيكون حراً . أما اذا بقي عبداً في ملك صاحبه ، فإن نسله يكونون عبيداً بالولادة ايضاً . والعبد ، اي المملوكة تكون ملكاً لسيدها، يتصرف

١ لسان العرب (٤٥٧/٩) ، تاج العروس (٢٣٢/٥) .

٢ تاج العروس (٩٩/١٠) .

بها كما يشاء . ومن حقه الاتصال بها دون حاجة إلى عقد زواج ، لأنها ملك ، والمالك يتصرف بملكه على نحو ما يحب .

ويعبر عن (الحر) بـ (حرم) اي (حر) في اللهجات العربية الجنوبية ، أما الرقيق ، فقد عبر عنهم بـ (ادم) ، او (اوادم) بالمصطلح العراقي ، وبـ (عديم) ، اي (عبد) . ويقال للعبدة (امت) ، اي (أمة) . فالأمة هي الأنثى المملوكة في تلك اللهجات^١ .

وقد اشير الى هذا التقسيم الطبقي في النصوص التشريعية التي اصدرها حكام العربية الجنوبية ، وذلك بأن نص فيها على ان تلك الأحكام تطبق على الأحرار وعلى العبيد ، او على الأحرار دون العبيد ، او على العبيد دون الأحرار ، والنص على ذلك فيها امر ضروري لتوضيح الحقوق والالتزامات بالنسبة الى مجتمع ذلك الوقت ، ولتعرف بذلك الواجبات المفروضة على كل فرد من أفرادها .

والعبودية حسب القوانين وراثية ، فابن العبد عبد ، وابنة العبد عبدة، وهكذا تنتقل العبودية بالوراثة في الأجيال دون انقطاع ، ولن يقطعها ويقضي عليها إلا تنازل مالك العبد عن عبده وعن يتبعه من نسله تنازلاً شرعياً بإعلان يعلن عن ذلك وبكتاب يكتب في بعض الأحيان . وسبب ذلك ان العبد ملك يمين ، وملك اليمين مثل كل ملك . والمالك حق مقدس للفرد لا يجوز الاعتداء عليه .

والحر قد يصير عبداً ، ولو ولد حر الرقة . فإذا أفلس رجل ، ولم يتمكن من الوفاء بما عليه من دين عليه تأديته لدائنيه ، وإذا وقع في سباء أو أسر ، صار عبداً . إلا إذا قبل الدائن اعفائه من ديونه ، أو من أسرته عليه ، فردّه الى اهله أو دفع فدية عن نفسه ، كما سأحدث عن ذلك فيما بعد .

وأخذ التشريع الجاهلي بمبدأ ان ما يطبق على افراد القبيلة من قوانين واحكام يكون خاصاً بالقبيلة. اما ما يطبق على الأشخاص الذين يكونون من قبيلتين مختلفتين او من قبائل عديدة فإنه يكون خاضعاً للعرف المقرر بين القبائل ، فهو قريب مما يسمى بالقوانين الدولية في الزمن الحاضر . اما القوانين التي تطبق في القبيلة، فإنها تشبه قوانين الدولة الواحدة . فالشخص إذا ما ارتكب عملاً مخالفاً داخل حدود قبيلته اي مع افراد القبيلة ، عومل وفق أحكام القبيلة . أما إذا ارتكبها مع شخص من قبيلة أخرى ، عومل وفق العرف القبلي ، لا وفق عرف القبيلة .

Jamme, Southern, p. 427.

المسؤولية (التبعة) : الأصل في المسؤولية وفي الحق هو : كل امرئ وما عمله ، اي إن الفاعل الذي يقع منه فعل يكون هو المسؤول عن فعله . هذا هو الأصل في المسؤولية إلا أن التشريع الجاهلي أخذ أيضاً بمبدأ انتقال المسؤولية من الفاعل الى ذوي قرابته الأدين ، ثم الأبعدين ، فالعشيرة أو القبيلة في حالة عدم التمكن من القصاص ، أي من اخذ الحق من الفاعل . وذلك بقانون العصية . فالجماعة التي هي (القبيلة) تكون مسؤولة بعرف العصية في النهاية عن كل عمل يقوم به احد أفرادها لارتباطها بـ (العصية) وعلى كل افرادها تحمل مسؤولية أي فرد من افرادها وضمان أداء ما يقع عليه من حق في حالة امتناعه ، او عدم تمكنه هو او ذوي قرابته من تنفيذ أداء الحق .

فالقائل مثلاً إذا لم يسلم للاقتصاص منه بقتله ، أو لم يتمكن اهل القتل من قتله ، انتقل حق اهل القتل الى قتل اقرب الناس اليه ثم الأبعد وهكذا ، أخذاً بثأر القتل . ويؤدي ذلك الى التوسع في القتل في الغالب ، مع عدم سقوط حق ذوي القتل في البحث عن القاتل لقتله ، لأن الأصل في كل جريمة هو الفاعل الأصل . وفي الديات ، تؤخذ من اهل القاتل في الأصل ، فلن لم يتمكنوا فن ذوي قرابته الأدين ثم الأقرباء الأبعدين على العصابات حتى تصل الى حدود العشيرة او القبيلة بقانون العصية ، فيوزع مقدار الدية على أفراد القبيلة كل على حسب مركزه ، وهي تعقل بذلك عن أبنائها ، ويحمل أفرادها بقدر ما يطيقون . ويقال لذلك (المعاقله)^١ .

وقد ذكر ان العقل : الدية ، سميت عقلاً لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إيلاً لأنها كانت أموالهم ، فسميت الدية عقلاً ، لأن القاتل كان يكلف ان يسوق الدية الى فناء ورثة المقتول ، فيعقلها بالعقل ، ويسلمها الى أوليائه .

وقد جرت عادة الجاهليين ان اهل القرية لا يعقلون عن اهل البادية ولا اهل البادية عن اهل القرية ، فكل طبقة ملزمة بالعقل عن طبقتها^٢ .

وقد ورد في نص قانوني مدون بالمسند ان الجماعة تكون مسؤولة عن أية جريمة تقع في حماها اذا لم يعرف الجاني ، او اذا لم يسلم اني الحاكم . ومعنى هذا لزوم

١ لسان العرب (٤٦٠ / ١١) ، (عقل) .

٢ لسان العرب (٤٦١ / ١١) وما بعدها .

إسهام (الجماعة) في البحث عن المجرمين للاقتصاص منهم، وإلا اعتبرت مسؤولة عن الضرر الذي وقع بفعل الجاني . فإذا وقع قتل في مكان ما ولم يعرف القاتل أو لم يسلم الى الحاكم ، أمهله اهله أربعة ايام للبحث عنه وتسليمه ، فإن لم يسلم يصادر حصاد الجماعة أو يصادر ما عندهم من مال ، ويودع في خزانة الحكومة أو المعبد رهناً ، الى صدور حكم الملك أو الحاكم بالقضية ^١ .

وغاية المشرع من وضع هذا القانون هو إشراك الجماعة مع الحكومة في تعقب المجرمين والقبض عليهم ، ثم التعويض على أهل القتل بدفع الدية ، اي ثمن الضرر الذي لحق بهم في حالة عدم التمكن من الوصول الى القاتل لأخذ حق الدم منه .

وتكون الطوائف مسؤولة كذلك عما يلحق أفرادها من أضرار ، فإذا مات شخص في اثناء قيامه بعمل كلف إياه أو أصيب بضرر في اثناء أدائه ذلك العمل، وكان ذلك الرجل معدياً ، فعلى طائفته دفع تعويض عما أصابه يوضع في خزانة المعبد ^٢ .

سقوط المسؤولية :

ولا تسقط مسؤولية الأهل عن جرائم ابنائهم ، ولا مسؤولية القبيلة عن افعال افرادها إلا إذا اسقطت (العصية) عنهم . على ان يعلن عن إسقاطها في الأماكن العامة وبصورة صحيحة شرعية . ليكون ذلك معروفاً بين الناس . وإلا بقيت المسؤولية قائمة في رقبة من تقع عليهم . ومتى (خلع) الخلع واشهد الشهود على خلعه صار أقرباؤه واهل قبيلته في حل منه ، ليس لهم تلبية نداءه واستغاثة وإلا تحملوا وزره من جديد .

ومتى خلع الإنسان سقطت عندئذ مسؤوليات عمله عن اهله واقربائه، وحصرت به وحده . وعليه ان يحمي نفسه بنفسه ، وان يدافع عن جرائمه بيده . ويقال لهذا الإنسان (الخلع) . فإذا قَتَلَ لا يسأل اي احد من قومه عن عمله . وإذا

١ Grohmann, Arablen, S. 134.

٢ Glaser 1210, Rhodokanakis, Alt Sab. Texte, II, WZKM, 1932, S. 186,

Grohmann, Arablen, S. 134.

قُتِلَ ذَهَبَ دمه هدراً . ولهذا قاسى الخليج حياة قاسية شديدة تنتهي بهلاكه في الغالب نتيجة خروجه على أنظمة قومه وقوانينهم . اللهم إلا إذا تاب ورجع عن غيئه ووجد من يؤويه ويحميه . من اهله او غيرهم، يحتمل ما قد يقع في المستقبل منه ، ويدفع فداء ما وقع منه واصلاح ما احدثه من أضرار .

وإذا وجد (الخليج) من يكفله وينعم عليه بحق الجوار انتقلت مسؤولية عمله الى مَنْ مَنَّْ عليه بجواره ، وعلى المجير عندئذ تحمل كل تبعة تصدر من ذلك الخليج ، ما دام يتحمل حق الدفاع عنه وحمايته .

إزالة الضرر :

إزالة الضرر ، حق عام من حقوق الحقوق في القانون يشمل إزالة كل ضرر يلحق بشخص من تعدّ يقع على ملكه او ظلم يلحق به ، او من اعتداء حيوان يصير عليه او على ملكه . الى غير ذلك من أضرار متعمدة او غير متعمدة تلحق بمضروب . وقد قررت سنة الجاهليين إزالة الضرر وتعويض المتضرر . كما قررت ذلك كل القوانين والأديان للشعوب الأخرى . لأن الضرر ظلم ، والظلم يجب أن يزال .

والضرر المتعمد ، هو الضرر الذي يقع من شخص مسؤول عن تصرفاته ، اي من انسان عاقل مالك لزمان نفسه ، تعمد إلحاق ضرر بشخص آخر ، أما الضرر الغير المتعمد ، فهو الضرر الذي يقع من مثل هذا الشخص من دون تعمد ولا قصد او غاية . فضرره أخف من الضرر الأول ، لأن عنصر الجريمة غير موجودة فيه . ويدخل في الضرر العمد ، كل ضرر يأمر به انسان حر أتباعه من امثال النساء والأطفال والرقيق والحيوان إلحاقه عمداً بشخص آخر ، فعنصر الجريمة متوفر في أفعال هؤلاء . ولما كان هؤلاء تبع ، فتقع مسؤولية فعلهم على سيدهم بالدرجة الأولى ، لأنه هو المسؤول شرعاً عنهم ، بحكم ولايته لهم ، وتبعيتهم له . كما يكون مسؤولاً أيضاً عن كل ضرر يقع عنهم من غير عمد للسبب المذكور . ولا تسقط العقوبة عن التبع ايضاً . فتند فرضت شرائع الجاهليين عقوبات على التبع لما يقع منه من ضرر متعمد او عن خطأ .

ومن قبيل الضرر الخطأ ، إهمال السيطرة على الماء كاغفال أمر السدود ، فإذا سال الماء الى أرض أخرى فألحق ضرراً بها وجب على صاحبه دفع تعويض عن الضرر الذي ألحقه الماء بالمالك صاحب الأرض المتضررة . ومن هذا القبيل أيضاً سقوط بناء أو حائط على شخص ، وسقوط عامل يشتغل أجيراً لصاحب بناء ، فيجب في مثل هذه الأحوال إزالة الأضرار التي تقع بدفع تعويض لمن وقع الضرر عليه أو لمن يعيله أو يرثه في حالة الوفاة .

ويزال الضرر الذي قد يقع في البيوع وفي الشراء بسبب غش وخداع أو مخالفة لوصف . فإذا باع بائع شيئاً ثم تبين أن في المبيع عيباً لم ينبئه البائع المشتري عليه ولم يخبره به مع علمه به ، فن حق المشتري ارجاع المبيع إن أراد ، لوجود ذلك العيب فيه ، وللمشتري حق المطالبة بإزالة الضرر عنه بتعويضه عن ضرره إن شاء ذلك . ومن هذا القبيل إزالة الضرر عن الجار إذا وقع تعدّ عليه بالتجاوز على أرضه أو بإيلدائه أو بالانتفاع بملكه بصورة تؤذي ملك جاره أو تقلق راحته : فيجب في مثل هذه الأحوال إزالة الضرر وتعويضه عن الخسائر التي نجمت عنه .

الولاية :

والولي هو من يتولى أمر غيره ، ويكون ولياً شرعياً عليه . فالأب هو ولي أمر أبنائه ، لأنه هو المسؤول الطبيعي عنهم . والجدّ هو ولي أمر أحفاده في حالة وفاة ابنه أو غيابه . والأعمام أولياء أمور أولاد الاخوة في حالة غيابهم أو وفاتهم ، والأخ الأكبر البالغ هو ولي أمر أخوته القصر . وهكذا حسب العصبية . وتعطى الولاية للولي حق الاشراف على شؤون المولى عليهم . وللأب حق مطلق في الولاية على أبنائه . له أن يتصرف بهم كيف يشاء . حتى في حق الحياة ، فيقدم ابنه قرباناً للآلهة إن نذر ذلك . والوآد مثل على ذلك . وكان من حق الأب رهن أولاده في مقابل دين له أو تنفيذ عهد عليه . ومن حقه تأديب أولاده على النحو الذي يريده . ويدخل في ضمن ذلك الضرب والطرْد والخلع والحرمان من الإرث ، وحق اختيار الزوج للبت وأخذ مهر ابنته . وتلك حقوق أقرتها شرائع أكثر الأمم في ذلك العهد .

الملك : والملك حق مقدس معترف به في الجاهلية . فمن يملك شيئاً ، امتنع

على غيره التصرف به ، إلا باذن من مالكة وبتحويل منه ، وإلا عدّ المتجاوز مختصباً أو سارقاً . ويعبر عن الملك والتملك بلفظة (قن) و (قنى) في العربية الجنوبية . وتؤدي لفظة (هقنى) و (سقنى) معنى (قنى) في عريتنا ، أي فعل ماض يؤدي معنى (امتلك) . وأما (اقنى) ، فتعني الأملاك^١ . وتعني لفظة (قنيت) ، المقتنيات والأملاك في كتابات الصنفوين . وقد عُبرَ بها عن معنى (رقيق) أي عبد ، وذلك لأن العبد هو في حكم ملك يمين^٢ . وهناك لفظة أخرى في هذا المعنى أيضاً ، وهي لفظة (عسى) ، فهي تعني امتلك وملك واقتنى^٣ .

وإذا اشترى أحدهم ملكاً : أرضاً أو عقاراً أشار اليه وأعلن عنه وعن حدوده وعن أوصافه . وقد وصلت إلينا كتابات عربية جنوبية عديدة هي عبارة عن وثائق تملك ، أي (سندات تملك) (سندات طابو) في اصطلاح أهل العراق في الزمن الحاضر ، حددت وأشارت الى معاملته ومحتوياته بدقة . وقد استعملت بعض الألفاظ الدالة على الإعلان والإخبار للناس ليقفوا على ذلك ، مثل لفظة (علم) ومعناها (أعلم) و (أعلن) ، ليكون ذلك مفهوماً ، فلا يعذر من يريد التناول على الملك ، ولا يحتاج بأنه لا يعلم عن مخالفته ، لما جاء في الوثيقة المكتوبة التي توضع في محل بارز وفي واجهة الملك ليقراها المارة^٤ .

ويعبر في بعض اللهجات العربية الجنوبية عن الأرض المستغلة للزراعة بلفظة (أرضت) ، أي (أرض)^٥ ، ولفظة أخرى هي : (صربت) وذلك في اللهجة القتبانية ، والجمع (صروب)^٦ ، وتؤدي معنى أرض زراعية مملوكة^٧ .

والأموال هي ملك لصاحبها ، وتقسم الى أموال منقولة . وهي التي يمكن نقلها بتنقل الملك من صاحب المال ، وأموال غير منقولة . وهي الأموال الثابتة .

-
- | | |
|---|---|
| Rhodokanakis Stud. Lexl., II, S. 27, Winckler, Alt. Forsch., I, S. 185. | ١ |
| Littmann, Saf., p. 139. | ٢ |
| Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 27, Winckler, I, S. 185. | ٣ |
| Glaser 509, Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 69. : راجع النص | ٤ |
| Glaser 1396. : راجع الجملة الخامسة من النص | ٥ |
| Glaser 1396, 1610, Se 83. : راجع الفقرة الثانية والثالثة من النص | ٦ |
| Rhodokanakis, Katab Texte ,II, S. 4. | ٧ |

وهي مثل الأرض والدور وغير ذلك . وأما الأموال المنقولة ، فمثل الإبل والخيل والمواشي والثياب وأدوات البيت . والغالب في المال عند الأعراب هو الإبل ، ولذلك نجد أن تعاملهم كان بها . وإذا ذكر المال ، انصرف الذهن الى الإبل ، لأنها أعز ما يملكون . ولهذا قيم بها القيم ، وعليها وضعت مقادير الديات والأفدية والمهور .

ولدينا اليوم نصوص تتعلق بتملك الأرض وبكيفية توزيعها وإيجارها واستثمارها ، وأوامر ملكية في تأييد وتثبيت قوانين سابقة بخصوص حقوق التملك ، ومعنى ذلك اقرارها على ما كانت عليه . وهي تفيدنا - على قلتها - فائدة كبيرة في تكوين رأي عن حقوق الملك والتملك عند العرب الجنوبيين^١ .

وكل إنسان حرّ عاقل ، هو إنسان مالك لنفسه حرّ في تصرفه وفي التصرف في ماله ، ولكنه معرض الى فقدان حريته في الوقت نفسه ، بموجب سلطان القانون . فالقانون الذي قدس الحرية الشخصية وحق الملكية وفي مقدمتها حق أن كل إنسان حرّ ، هو إنسان حرّ ، أجاز في الوقت نفسه حق سلب هذا الحق وإبطاله ، وتحويل الإنسان من إنسان حرّ الى إنسان مملوك ، أي رقيق . فإذا وقع إنسان حرّ في سبي إنسان آخر ، صار ملكاً لمن سباه ، وعلى المسي ارضاء سايه للمنّ عليه بفك أسره ومنحه الحرية . وذلك إما بالمنّ عليه منّا دون مقابل وثمن ، واما بشراء نفسه بقداء يقدمه الى سايه يرضيه ويطعمه حتى يفك أسره ، وإلا صار في ملكه وفي عداد مواليه ، إلا إذا هرب ، وفلت من تعقب أسره له ، وتمكن من الوصول الى وطنه . فيكون حرّاً اذ ذاك . ولأسر الأسير بالطبع حق يبعه وحق استخدامه ، لأنه إنسان رقيق . وقد أجاز ذلك القانون بيع المدين أيضاً إذا لم يتمكن المدين من الوفاء بدينه ، كما أجاز له حق بيع نفسه أو بيع من هم في رعايته وتربيته متى شاء . ومتى بيع الشخص فقد حريته، وصار في عداد الرقيق.

الملك ملك الآلهة :

والملك ملك الآلهة وكل شيء على هذه الأرض من مال وعقار هو ملك للآلهة.

Arablen, S. 132, REP. EPIGR., 3951. CIH 599.

للإنسان حق الانتفاع به وانماثه لخيره في مقابل شكره لها وتأدية الفرائض التي فرضتها الآلهة عليه . ومنها دفع ضريبة حق الانتفاع عن هذا التملك الى الجهات المسؤولة عن رعاية حقوق الآلهة ، وهي المعابد ومن يتكلم باسمها وهم رجال الدين . وهذه النظرة الى الملك التي نجدها عند العرب الجنوبيين ، قريبة جداً من النظرة الاسلامية التي تلخص في ان المال مال الله ، وان الملك ملك الله ، وان الأرض ومن عليها أرض الله وان الناس عبيده^١ .

أما ملك الإنسان فهو بتفويض من الآلهة وبتحويل شرعي منها . وذلك بالحق الشرعي الذي أمرت به . وبحق الانتقال الشرعي الذي أمرت الآلهة به ، بالإرث أو بالشراء أو بتنازل جهة مخولة شرعية عن حقها في ملكية ذلك الشيء اليه ، وبما أشبه ذلك . فالملك عندئذ يكون ملكه ، وهو حق مقدس له ، لا يجوز لأحد منازعته عليه ومطالبته به بغير حق ولا وجه شرعي . هو في ملكه وفي حيازته وله حق الانتفاع به . وتؤدي لفظة (جول) معنى ملك وتملك وحيازة وحق الانتفاع المطلق بالملك^٢ . فالملك هو ملك الإنسان من حيث الحيازة والتصرف والحق ، أي من الناحية العملية ، ولكنه ملك الآلهة ، مالكة كل شيء من حيث الوجهة النظرية والأصل^٣ .

والملك حق مقدس أبدي ، لا ينتقل من مالكة الى غيره إلا بطرق شرعية وبموافقة واختيار مثل بيعه أو اهدائه أو التنازل عنه وبما شابه ذلك ، وهو ينتقل بطريق الإرث الشرعي الى الورثة . لأن الآلهة أمرت بالإرث ، وجعلت حماية حق الملك في رعايتها وحماها . ومن هذا القبيل ملكية المقابر . حيث يعدّ القبر ملكاً خاصاً بصاحبه وبمن أمر ونص على دفنه معه وهو في حياته فلا يجوز تغيير ملكيته ولا دفن أي غريب فيه ما لم يأذن أحد من المالكين بدفنه فيه . ولهذا وضعت تحت حماية الآلهة ، وطلب منها أن تنزل العمى والعور والمرضى وكل أنواع الأذى عن يتناول على حرمة المقابر ، فيقبر غريباً فيها أو يغير من معالمها أو يزيل شاخص القبر المثبت فوق القبور . فالقبر أرض وقف حبست على أصحابه الشرعيين . وكما

Arabien, S. 125, Handbuch, I, S. 124. ١

Arabien, S. 137, Rhodokanakis, Dingliche Rechte, in WZKM, 37, (1930), 160 ٢

Glaser 1064, Hofm. NUM: 17.

Arabien S. 138. ٣

أن للوقف حرمة في الإسلام ، فلا يجوز التطاول عليه ، كذلك هو شأن القبر عند العرب الجاهليين من جنوبيين ومن نبط وصفويين ومن قوم ثمود ولحيانين وغيرهم ، لا يجوز مسّه بأي سوء ولا أحداث أي تغيير في معالنه ولا ازالته لأنه ملك حبس على من أقامه وبنائه واشترى أرضه أو أقامه في ملكه ^١ .

الحكام : ويعرف من يحكم بين الناس فيما يشجر بينهم من خلاف وخصومة ب (الحكم) وب (الحاكم) ، لأنه يحكم بالشئ ، أي يقضي بأنه كذا ، سواء أُلزم أحداً به ، أو لم يلزمه . والجمع (حكام) ^٢ . وما يصدره الحاكم من رأي وقرار هو (حكم) ، لأنه يقضي بشئ على شيء ^٣ . والمتنازعون (محكمون) الحاكم ، ليحكم بينهم . فهو (محكم) والجمع (محكمون) وإذا عرضت قضية على حاكم ، فإنه (يحكم) فيها بما يراه . وإذا فرغ من النظر فيها وعمل رأيه ، أصدر (حكمه) فيها .

وقد جاء في القرآن الكريم في موضوع التحكيم وحلوث الشقاق : « وان خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ^٤ . والعادة عند الجاهلية وفي العرف القبلي حتى اليوم ، انتخاب كل طرف من الطرفين المتخاصمين (حكماً) أو (جملة محكمين) يرضى الطرفان عنهم ويثقان بتراهمم وبعلمهم وبعلم انحيازهم الى أحد الطرفين ، فتعرض عليهم القضية للفصل فيها . ويقال لذلك (التحكيم) ، ولئن ينظرون فيه (المحكمون) ، وتقابل كلمة (حكم) لفظة Arbitrator في الانكليزية .

وقد نعت الله ب (خير الحاكمين) ^٥ وب (أحكم الحاكمين) ^٦ في القرآن . ورأى بعض العلماء وجود فرق بين (حكم) و (حاكم) . فقال : « ويقال حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس » . قال الله تعالى : « وتدلوا بها الى الحكام » والحكم المتخصص بذلك ، فهو أبلغ . قال الله تعالى : « أفغير الله ابتغى حكماً » ،

Arabien, S. 138, Rhodokanakis, Dingliche Rechte, 138, 167, Glaser 1379.

- ١ المفردات (ص ١٢٦) ، اللسان (١٢ / ١٤٠) وما بعدها ، (حكم) .
- ٢ المفردات (ص ١٢٦) .
- ٣ سورة النساء ، الآية ٣٥ .
- ٤ الأعراف ، الآية ٨٧ ، يونس ، الآية ١٠٩ .
- ٥ هود ، الآية ٤٥ ، التين ، الآية ٨ .

وقال عز وجل : « فابحثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » . وإنما قال حكماً ولم يقل حاكماً تنبيهاً أن من شرط الحكيم أن يتوليا الحكم عليهم ولهم بحسب ما يستصوبانه من غير مراجعة لهم في تفضيل ذلك ^١ .

ومنهم من جعل (الحكم) الشخص الذي ينظر في العرف، و (الحاكم) الشخص الذي ينظر في القوانين ، أي في مقابل (A just Ruler) في الانكليزية ، ولكن هذا المفهوم متأخر ^٢ ، وليس من المؤكد إذا كان الجاهليون قد فرقوا بين الشخصين. ويذكر علماء اللغة ان الحاكم انما سمي حاكماً ، لأنه يحكم بين الناس ويمنع الظالم من الظلم . وأصل الحكومة رد الرجل عن الظلم . والحكم القضاء بالعدل . وفي هذا المعنى قال التاج :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت الى حمام سراع وارد الشمس

والمحاكمة المخاصمة الى الحاكم ^٣ . والحكمة : القضاة ، لأنهم يقضون بين الناس ويفصلون في الأمر ، ولذلك يقال : قضى الحاكم بكذا ، أو قضى القاضي بكذا . وقد ورد : (القضاء عسر) في معنى الحكم ^٤ . وقد استعملت لفظة (القضاء) في الاسلام في معنى (الحكم) بين الناس ، واستعملت كلمة (القاضي) في مكان (الحاكم) ، اذا أخذت (الحاكم) معنى خاصاً في الاسلام . وليست لدينا فكرة واضحة عن مدى استعمال لفظي (القضاء) و (القاضي) في الناحية الفقهية عند الجاهليين . غير اننا نجد في القرآن الكريم : (فاقض ما أنت قاضٍ) ^٥ ، كما نجد أهل الأخبار يذكرون ان (عامر بن الظرب العدواني) اشتهر بين الجاهليين بـ (حاكم العرب) ^٦ وبـ (قاضي العرب) ^٧ . واذا صح ان الجاهليين أطلقوا حقاً عليه اللقب الثاني ، فتكون كلمة (قاضي) في معنى (حاكم) عندهم، وانها كانت مستعملة عندهم بهذا المعنى .

١ المفردات (ص ١٢٦) .

٢ Al Dictionary of Islam, p. 160.

٣ اللسان (١٤٢/١٢) ، (حكم) .

٤ المفردات (ص ٤١٦) .

٥ طه ، الآية ٧٢ .

٦ المعارف (ص ٣٦) .

٧ الأغاني (٧٠/١٥) .

ورب العائلة وسيدها هو القاضي بينها والحاكم الذي له حق الحكم فيما يقع بين أفراد العائلة التابعين له من خلاف . فإذا وقع خلاف بين عائلة ما، هرع المتخاصمون الى وجيهم وسيدهم المطاع فيهم ، يعرضون عليه ما وقع بينهم ، ويرجون منه ان يكون حكماً بينهم ، يحسم ما حدث . وبعد أن يستمع الى حجج الطرفين ويسمع بنفسه ما قد يقوله الناس في الموضوع ، يكون رأيه ، ويصدر حكمه في الموضوع . وعلى المتخاصمين إطاعة قراره ، لأن الخروج عليه وعدم الامثال له ، معناه إهانته والغض من شأنه ، ولهذا فهو لن يسكت عن ذلك ، ولن يرضى أتباعه ومن أقر له بالرياسة والزعامة بوقوع مثل هذه الإهانة .

واذا وقع خلاف بين عوائل من عشيرة واحدة أو من قبيلة واحدة ، اجتمع وجوه هذه العوائل لحلّه وإصدار حكمهم بشأنه . وقد يتفقون على تعيين حكم غريب محايد لا صلة له بالطرفين المتخاصمين ، وذلك فيما اذا كان الخلاف حاداً أو كان مما يتناول أموراً تلعب العواطف والعوامل النفسية دوراً فيها . وينطبق ذلك على الخصومات التي تقع بين القبائل القريبة أو البعيدة ، حيث يترك أمر النظر في الخصومات الى المحكمين المختارين من الأطراف المتنازعة نفسها ، أو من فريق محايد آخر لا علاقة له ولا صلة بذلك الخلاف . ويكون اختيار المحكمين بموافقة الفريقين المتنازعين عليهم وبرضاء تام منهم به وبحكمه . فإذا وافق الطرفان المتخاصمان على اختيار الحاكم أو المحكم ووافق الحاكم أو المحكمون على النظر في الدعوى ، عينوا موضعاً ووقتاً للنظر في القضية ولسماع البيّنات ، ثم لإصدار الحكم بعد الوقوف على حجج الخصماء .

وقد أسهم (الكهان) وهم رجال الدين عند الجاهليين في تطوير التشريع الجاهلي وفي القضاء بين الناس ، فقد كانوا حكاماً يحكمون ويقضون فيما يقع بين الناس من خصومات . وقد ساعدت منازلهم ولا شك في القضاء ، نظراً لسمو منزلتهم ، ولكونهم ألسنة الآلهة على الأرض . وقد كان سلطانهم بين أهل القرى أوسع وأقوى منه بين أهل الدير . ولا يستبعد لذلك أن يكون حكمهم بين أهل الحضر أكثر وأقوى من حكمهم بين أهل البادية ، ففي البادية كان الحكم في أيدي سادات القبائل وأشرافها في الغالب . ولما كانت المعابد هي مواضع تجمع الكهان وممارستهم أعمالهم ، فإن من الجائز لنا ان نعدّ تلك المعابد محاكم من محاكم الجاهليين إذ ذاك .

وتذكر كتب أهل الأخبار أن أحكام بعض هؤلاء الحكام خلّدت بين الناس وصارت متبعة عندهم، كالقوانين، وأن قومهم ساروا عليها إلى أن جاء الإسلام. وذلك يدل على مكانة الحكم في نفوس الجاهليين ومدى احترامهم له، وأن الحكم كانوا عند الجاهليين بمثابة سلطة تشريعية تضع للناس الأحكام والقوانين. وقد ذكرت أمثلة من بعض تلك الأحكام التي صارت قانوناً للناس ساروا عليه. ونحن نأسف على أنها لم تأت بأمثلة كثيرة منها تقفنا على نواحي التشريع ومنطقه وفلسفته عند الجاهليين.

ولم يقتصر حكم هؤلاء وغيرهم على الفصل في الخصومات والمنازعات بسبب حوادث قتل أو سلب ونهب واعتداء على عرض أو سرقة أو ما شابه ذلك، بل شمل حكم التحكيم في أمور أخرى مهمة كان خطرها في ذلك العهد أعظم وأشد من خطر هذه الأمور المذكورة، مثل الحكم في التفاخر بالأنساب والآباء والأجداد والحكم في شعر الشعراء، وفي الاعتداء على الجوار والمناورات، وأمثال ذلك من قضايا كان لها وزن كبير في المجتمع.

ومن أشهر المناورات التي ذكرها أهل الأخبار، المناورة المعروفة بـ (منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة) عند هرم بن قطبة بن سنان الفزاري، ومنافرة بني هلال وبني فزارة، ومنافرة الفقعي وضمرة، ومنافرة جرير البجلي وخالد بن أرتطاة الكلبي، وغيرها^١. وقد أثارت بعض المناورات حروباً بين المتنافرين كما كان بين الحكام أناس عقلاء تمكنوا بحكمتهم وبعقولهم من تهدئة الحال وإحلال السلم بين المتخاصمين.

ولم يفرق الجاهليون بين الرجل والمرأة في الاحتكام، بل كانوا يحتكمون إلى المرأة أيضاً. يقبلون حكمها قبولهم لحكم الحكم الرجل. وقد ذكرت كتب الأخبار أسماء بعض حكايات العرب مثل: ابنة الحس، وجمعة بنت حابس الإيادي، وصحر بنت لقمان، وخصيلة بنت عامر بن الظرب العدواني، وحذام بنت الريان^٢. وفي كتب أهل الأخبار أقوال منسوبة إلى هؤلاء، مسجعة على طريقة سجع الكهان، ذكر أن أكثرها صارت مثلاً، ولا يزال بعضها حياً، وبعضه من

١ بلوغ الأرب (٢٧٨/١ وما بعدها) .

٢ بلوغ الأرب (٣٣٨/١ وما بعدها) .

نوع الكلام المروي عن الحكماء . وهو يمثل الحكمة وتجارب الحياة في بساطة وبأسلوب يلائم الطبيعة السهلة التي عاش فيها الناس في ذلك العهد وفي ظروف في مثل ظروف جزيرة العرب .

قرع العصا :

ونجد في كتب أهل الأخبار خبراً طريفاً رَوَاهُ بمناسبة كلامهم عن (عامرين الظرب العدواني) وعن (عمرو بن حمزة الدوسي) ، فقالوا عن كل واحد منهما : (وضربت به العرب المثل في قرع العصا) ، وقالوا أيضاً : وهو (أول من قرعت له العصا)^١. وحاولوا إيجاد تفسير لذلك ، فقالوا : وإنما قالت العرب ذلك ، لأن كل واحد منهما كبر في السن وصار يذهل ، فاتخذ له من يوقظه فيقرع العصا ، فيرجع إليه فهمه^٢ . وهو تفسير مقبول عند أهل الأخبار معقول في نظرهم ، لكنه في الواقع من هذه التفسيرات المألوفة التي يكثر ورودها عن أهل الأخبار ، حين يسألهم سائل عن اسم قديم أو خبر قديم ، فيصنعون له هذه المصنوعات .

والذي أراه أن هذه الأشعار التي أشارت إلى (قرع العصا) إن صح أنها من نظم أولئك الجاهليين ، إنما تشير إلى عادة كانت عند سادات القبائل والملوك والحكام من حمل (الصولجان) ، والعصي دلالة على الحكم والسيادة . فالعصي تشير إلى الحكم والتأديب وكان الحكام يحملونها أو يحملها مساعدهم عند قيامهم بالحكم بين الناس لإشارة إلى سلطة الحاكم . فكان الحاكم إذا أراد إصدار حكمه أو ردع من يتناول بالكلام في حضرة الحاكم أو يحدث ضوضاء وجلبة أثناء المحاكمة يقرع بعصاه الأرض أو أي شيء آخر ، أو يأمر تابعه بقرع العصا ، كما يفعل حكام هذا اليوم إذ يقرعون كرسي القضاء بقرعة حين يريدون تنبيه الحضار إلى أمر مهم ، أو إسكات المتكلمين المتطاولين أو من يعيث بنظام المحكمة ، فينبه إلى مخالفته هذه بقرع المقرعة كما كان يفعل حكام الجاهلية من قرعهم الأرض أو أي شيء آخر بالعصا .

١ بلوغ الأرب (٣١٧/١) .

٢ بلوغ الأرب (٣٣٢/١) .

ملابس الحكام :

ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر أن نتحدث عن لباس حكام العرب أثناء حكمهم بين المتخاصمين ، لأن مواردنا ضئيلة جداً بأخبارها في هذا الباب . ولأننا لا نملك نصوصاً جاهلية فيها أخبار عن آداب وطريقة لبس الحكام ، أو رسوم وصور الحكام ، حتى نستنبط منها صورة عن ملابسهم وعن كيفية جلوسهم عند الحكم بين الناس . غير أن في بطون كتب أهل الأخبار بعض إشارات تفيد أن الحكام كانوا لا يفارقون الوبر ، وذلك جرياً على عادة العرب في أن يتخذوا لكل حالة لبوسها ، وفي أن يتخذ السادات والبارزون في المجتمع لهم ألبسة تميزهم عن سواد الناس^١ .

و (العدل) من أول الصفات التي يجب أن تتوفر في (الحاكم) . وقد ورد في القرآن الكريم : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »^٢ . وأشير إلى لزومه ولزوم العدالة في مواضع عديدة أخرى . وكذلك كان شأن الجاهليين في لزوم توفر العدل عند الحكام حتى يصلح للحكم وفي مراعاة العدالة عند إصدار الأحكام . ووردت في القرآن الكريم لفظة (اقسطوا) بمعنى اعدلوا ، وقيل : (القسط) هو النصيب بالعدل كالنصف والنصفه ، و (القسطاس) الميزان ، ويعبر به عن العدالة كما يعبر عنها بالميزان^٣ . « وزنوا بالقسطاس المستقيم »^٤ .

إنصاف المظلوم :

وقد كان في جملة العوامل التي حملت أهل مكة أو (قصي) كما يقول أهل الأخبار على تأسيس (دار الندوة) ، النظر في الخصومات والبت فيها ، وإنصاف المظلومين الذين لا نصير لهم ولا شفيع من ظلم المتنفيين الظالمين ، أي أنها كانت بمثابة محكمة تقضي بين الناس ، وتلزم الظالمين والمعتدين والمخالفين والخارجين على النظام العام بإطاعة المجتمع وعدم الخروج عليه ، كما كانت دار تشريع وسن

١ بلوغ الأرب (٤٠٧/٣) .

٢ النساء ، ٥٨ .

٣ المفردات (ص ٤١٢) .

٤ الإسراء ، الآية ٣٥ ، الشعراء ، الآية ١٨٢ .

قوانين . ومعنى هذا أن أهل مكة ، وهم حضر مستقرون شعروا بالحاجة الى وجود قوانين وأنظمة ومحكمة دائمة لتفصل في الخصومات ، وتنصف الناس ، وتقر العدل والأمن والطمأنينة بينهم ، وقد وجدوا أن هذه الحاجة لا تتم ولا تنهض إلا بتثبيت العرف والعادة واختيار محل يجتمع فيه فقهاء هذا العرف وعرفاءه ، للفصل فيما بين الناس على وفقه ، والاجتهاد في سن قوانين تحفظ العدل بين الناس ، وتأخذ بحقوق الضعفاء من الأقرباء .

وما حلف الفضول الذي عقد في دار ثري مكة ووجهها (عبدالله بن جدعان) لنصرة المظلوم ومساعدته على الأخذ بحقه ، واتخذ قرار فيه يلجأ الرؤساء « ليكونن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بلّ بحر صوفة » ، وفي التآسي في المعاش « ، إلا تعبير واضح ، وحركة اصلاحية ، وتعبير عملي عن شعور المدينة بوجوب تحقيق العدل وانصاف الضعفاء المظلومين والأخذ بمبدأ العدالة في المجتمع . وهو من أخطر المبادئ ولا شك ومن أهم الأعمال التي كانت في مكة في هذا العهد . وقد أثر هذا الحلف في الرسول أثراً كبيراً ، على حداثة سنه ، وكان كلما تذكره يعدّه من أهم الأحداث والأعمال في تلك الأيام ، وقد عاشت روح الحلف وظهرت في مبدأ تحقيق العدالة في الإسلام ' .

إن هذا الشعور بوجوب تحقيق العدالة ونشرها ، هو دليل عن دافع نشأ عند أهل مكة بوجوب تأسيس ادارة مدنية ، وحكومة تنظم شؤون المدينة وتديرها بأسلوب مدني استشاري يشترك فيه رؤساء مكة وملؤها ، محل في محل الفوضى التي عمت المدينة من استغلال كل قوي لتفوزة للحكم والتحكم في الناس كيف يشاء .

وقد ذكر بعض أهل الأخبار ان الذي حمل أهل مكة على التحالف في دار (عبدالله بن جدعان) ، أن قريشاً (في الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرئاسة وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان ، عقدوا حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم) . وكان سببه (ان رجلاً من اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمراً ببضاعة ، فاشتراها منه رجل من بني سهم ،

١ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذاكرا للحال : لقد شهدت في دار عبدالله ابن جدعان حلف الفضول ، ما لو دعيت اليه لاجبت ، وما أحب ان لي به حمر النعم) ، الاحكام السلطانية (٧٩) ، ابن سعد ، الطبقات (١٢٨/١) وما بعدها) .

وقيل انه العاص بن وائل فلولى الرجل بحقه ، فسأله ماله أو متاعه ، فامتنع عليه
فقام على الحِجَرِ وأنشد بأعلى صوته :

يَا لَ قَصِيَّ الْمَظْلُومِ بِضَاعَتِهِ يَبْطِنُ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَأَشْعَثَ مُحْرَمٍ لَمْ تَقْضِ حَرَمَتَهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ الْحِجَرِ وَالْحَجَرِ
أَقَاتِمُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ أَوْ ذَاهِبٍ فِي ضَلَالٍ مَالٍ مُعْتَمِرٍ

ثم قيس بن شيبه السلمي باع متاعاً على أبيّ بن خلف فلواه وذهب بحقه ،
فاستجار برجل من بني جمح فلم يحجره ، فقال قيس :

يَا لَ قَصِيَّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَحَرَمَةِ الْبَيْتِ وَأَحْلَافِ الْكُرَمِ
أُظْلِمَ لَا يَمْنَعُ عَنِّي مِنْ ظَلَمٍ

فقام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب فردّا عليه ماله ، واجتمعت بطون
قريش ، فتحالفوا في دار عبدالله بن جدعان على رد المظالم بمكة وان لا يظلم أحد
إلا منعه وأدخلوا للمظلوم حقه^١ .

وهكذا نجد ان الاستغاثة بالأسر وبذوي الجاه والنفوذ ، من جملة العوامل التي
تعيد الحق الى من أخذ منه وتنصف المظلوم . وقد كان من العار على شخص
يستنجد بهم أو بسيد من ساداتهم ، ثم لا يغاث ، لأن (المروءة) وهي من دين
الجاهلية تقضي على الرجل الحر ، إجابة اغاثة المظلوم ونصرته بالأخذ بحقه . حتى
إذا لم يكن من قبيلة ذلك الرجل . ومن صرخ باسمه في ناد أو في محل عام ،
استغاثة واستنجاداً ، ثم لا يجيب نداء الصارخ ، يكون قد قام في نظر قومه بعمل
قبيح يجعله سبة للناس ومعيرة ، لذلك كان لا بد لمن يستغاث به من إجابة طلب
المستغيث .

حكام العرب :

ولكل قبيلة حكام يتحاكمون اليهم . ولأهل القرى والريف حكامهم أيضاً ،

١ الاحكام السلطانية (٧٨ وما بعدها) .

وهم من شعاب القرية ، أي أحيائها . فإذا تخاصم أهل الشعب ، تدخل حكاهم ، أو حكام شعاب القرية الأخرى للفصل في الخصومة ولفض النزاع . ووجهاء الشعاب هم نواب الشعاب وألسنتها الناطقة والمحامون عن الناس . وهم الذين ينظرون في الخصومات بناءً على طلب المتخاصمين ، وبفضل تدخلهم هذا تفض المنازعات وتؤخذ الحقوق ويصان العدل والأمن . وقد تعرض (اليعقوبي) لموضوع (حكام العرب) ، فقال : « وكان للعرب حكام ترجع إليها في أمورها وتتحاكم في منافراتها وموارثها وميادها ودمايتها . لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه ، فيحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والمجد والتجربة »^١ .

ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم : العدل ، لأن الحاكم إذا لم يحكم بالعدل صار جائراً وصار حكمه حكماً ظالماً ، فيخرج بذلك عن جادة العدالة . ولهذا عرف بعض العلماء (الحكم) بـ (القضاء بالعدل) ، فأخرجوا الحكم الجائر من مفهوم الحكم^٢ .

وربط أهل الأخبار (الحكم) بـ (الحكمة) ، وجعلوا بينهما سبباً ونسباً . وقالوا : (الحكمة : العدل في القضاء كالحكم . والحكمة : العلم بمقتضى الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها)^٣ . وجعلوا (الحكام) (حكام) ، لهم أقوال وأمثلة في الحكم وفي تهذيب النفس والعقل ، حتى أنهم إذا ذكروا الحكام ، قصدوا بهم حكام العرب في الجاهلية ، وإذا تحدثوا عن الحكماء ، عنوا من اشتهر وعرف وورد اسمه لنا من حكام الجاهلية . وذلك لأنهم ربطوا بين الحكم والحكمة . ورأوا في الحاكم الرجل العادل البصير الحكيم الذي ينفذ إلى أسرار الأمور ويعمل بمقتضى الأشياء ، فحكمه حكمة ، وقوله مثل " يعمل به " ، لما فيه من عمق وتبصر ونفاذ إلى داخل الأشياء ، لأنه صادر عن حكيم حليم راجع العقل ، عقله فوق مستوى العقول . فهو حاكم وحكيم و (فيلسوف) (فيلسف) المعضل المشكل ، والأمر المتنازع عليه المشتبه فيه ، ويستنبط من كل ذلك نتائج منطقية تكون رأيه في الأمور وحكمه وحكمته ، حفظ بعضها أهلها الأخبار فدوتوها في كتبهم ، وبفضل تدوينهم هذا وقفنا على هذه الأحكام .

١ اليعقوبي (٢٢٧/١) ، (حكام العرب) .

٢ ناج العروس (٢٥٢/٨) ، (حكم) .

٣ ناج العروس (٢٥٣/٨) ، (حكم) .

ونجد في العربية جملة تؤدي معنى الحكم بين الناس ، هي جملة : (القضاء بين الناس) . فالقضاء بين الناس ، هو الحكم بينهم ، ويقال لمن يقضي بينهم : (القاضي) . والقاضي هو القاطع للأمور المحكم لها ، وهو الحاكم . و (القضاء) (الحكم)^١ . و (قضاة العرب) هم (حكام العرب) على هذا التفسير .

وقد أقرّ الاسلام بعض الأحكام الجاهلية ، وهذب بعضاً آخر ، ونسخ بعضاً وحرمه ويفيدنا هذا الإقرار أو التهذيب أو التحريم والمنع في الوقوف على التواحي القانونية عند الجاهليين ، ومعرفة معاملاتهم . ومن هذه الأمور المذكورة ما يدخل في باب العقوبات والجزاء ، ومنها ما يقع في المعاملات المدنية بين الناس ، كما تفيدنا المصطلحات الفقهية القديمة كثيراً في تكوين رأي في أصول التشريع عند الجاهليين .

أقدم حكام العرب :

وقد جعل (يعقوبي) (الأفعى الجرهمي) ، أقدم حاكم حكم بين العرب وقضى بينهم . فقال : « وكان أول من استقضى إليه فحكم ، الأفعى بن الأفعى الجرهمي . وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم »^٢ . وهو كذلك من أقدم حكام العرب في أغلب روايات أهل الأخبار . وذكر (يعقوبي) بعده : (سليمان بن نوفل ، ثم معاوية بن عروة ، ثم صخر بن يعمر بن نفاعة بن عدي ابن الدئل ، ثم الشداخ وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وسويد بن ربيعة بن حذار بن مرة بن الحارث ابن سعد ، ونخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب ، فسمي ذا الأعواد ، وأكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن نخاشن ، وعامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر ابن عدوان بن عمرو بن قيس ، وهرم بن قطبة بن سيار الفزاري ، وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفي ، وستان بن أبي حارثة المري ، والحارث بن عباد بن

١ تاج العروس (٢٩٦/١٠) ، (قضى) .

٢ اليعقوبي (٢٢٧/١) وما بعدها ، (حكام العرب) .

ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن الضحيان بن الضحاك بن النمر بن قاسط ،
والجعد بن صبرة الشيباني ، ووكيح بن سلمة بن زهير الإيادي ، وهو صاحب
الصرح بالحزورة ، وقس بن ساعدة الإيادي، وحنظلة بن نهد القضاعي، وعمرو بن
حمزة الدوسي . وكان في قريش حكام منهم : عبد المطلب ، وحرب بن أمية ،
والزبير بن عبد المطلب ، وعبدالله بن جدعان والوليد بن المغيرة المخزومي ^١ .

والذين ذكرهم (اليعقوبي) وغيره من أهل الأخبار من الحكام ، هم من
اشتهر وعرف بالقضاء وبالإفتاء في الجاهلية القريبة من الاسلام . ومن تمكنت
ذاكرة أهل الأخبار من اصطيادهم . وهناك ولا شك حكام آخرون عاشوا في
العربية الجنوبية وفي العربية الشرقية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، لم يصل
خبرهم الى علم أهل الأخبار ، فصرنا نحن من ثم في جهل من أمرهم .

وبين الحكام الذين ذكرت أسماءهم ، حكام اشتهر ذكرهم ، وذاع اسمهم بين
قبائل عديدة ، لما عرف عنهم من شدة ذكاء وعلم ونباهة في الحكم ، وفي كيفية
الفصل في الخصومات ، ولما اشتهروا به وعرفوا من التزاهة في القضاء ومن علم
التعيز في اعطاء الأحكام . ولهذا حكمتهم قبائل بعيدة عنهم . من هؤلاء :
(عامر بن الظرب العدواني) الذي قيل عنه انه (كان من حكماء العرب ، لا تعدل
بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً) . ومثل (أكرم بن صيفي) ، الذي قيل عنه
(انه كان قاضي العرب يومئذ) . ومثل (الأفعى الجرهمي) الذي تخصص اليه
المتخاصمون من قبائل مختلفة ومن مواضع بعيدة عن نجران .

هؤلاء الحكام لم يكونوا يحكمون بقانون مدون ، ولا بشريعة مكتوبة ، ولا
بموجب كتب سماوية ، انما يرجعون الى عرفهم وتجاربهم وفراستهم في الأمور ،
وما يستنبطه اجتهادهم من القياس على الأشياء برد الأمور الى مشابهاها . فكانت
أحكامهم أحكام طبع وسليقة ، أتت من غير تكلف ولا تعنت . ولهذا قبلت
لموافقتها للطبع ، وصارت سنة متبعة وعرفاً من الأعراف . وبينها أحكام ثبتها
الاسلام .

١ اليعقوبي (٢٢٧/١) وما بعدها ، (حكام العرب) .

المحاكم :

وفي الأمثال العربية : (في بيته يؤتى الحكم)^١ . فبيت الحاكم هو محكمته ، إذ ليست في مواطن القبيلة محكمة ثابتة يجلس فيها الحكام للنظر في الخصومات . ولا يمكن أن تنشأ في منازل الأعراب محاكم من هذا النوع . وكل منازلها بيوت من وبر ، متاثرة هنا وهناك . وما يحدث بينها محلّ في الغالب بتوسط الجيران وأهل البيوت ، إلا في الخصومات الكبيرة وهي قليلة في الغالب ، وتعرض على عقلاء القوم ، وسادات القبيلة للنظر فيها . فإذا حدث حدث ما يأتي الخصوم أو (أهل الخير) و (الوساطة) إلى بيت (حكم) يطلبون منه التوسط لإصدار حكم في ذلك الخلاف . فبيته هو المحكمة ، به يتحاكمون وبه يستمعون إلى الحكم . وتكون (نوادي) القبيلة أو القرى أو المدن ، محاكم أيضاً ، يفد عليها من له خصومة ، ليعرضها على ذوي الأمر والنهي والسادة ، للبت في خصومتهم ولانصافهم . وقد يجلس السادة في بيوتهم أو في قباب لهم يضربونها تكون لهم مجالس يمحضون فيها أمورهم الخاصة وأعمالهم ، ويحكمون فيها أيضاً بين الناس . روي أن (أبا أزيهر بن أنيس الدوسي) كان يقعد هو وأبو سفيان في أيامها في قبة لهما ، فيصلحان بين من حضر ذلك المكان الذي هما به^٢ .

تنفيذ الأحكام :

وليس للحاكم قوة تنفيذية تنفذ ما يصدره من أحكام . إنه لا يملك شرطة تنفذ حكمه ، ولا قوات أخرى تنفذ ما يصدره من أحكام بحق المحكوم عليهم : وتأخذ الحق من المعتدي والظالم . والقوة التنفيذية الوحيدة التي يستند إليها الحكم في تنفيذ حكمه ، هي العهود والمواثيق التي يأخذها من المتخاصمين بوجوب طاعة حكمه مهما كان ، وتطبيقه ، وعدم الخروج عليه . ولهذا لا يقبل الحكم النظر في قضية ومنازعة وخصومة ، إلا بعد اتفاق المتخاصمين أولاً على قبوله حكماً ، وتعهدهم أمامه وأمام شهود بقبولهم لكل حكم يصدره مهما كان . فقوة الحكم إذن

١ اللسان (١٤٢/١٢) ، (حكم) .

٢ شرح ديوان حسان (٧٤) ، (للبرقوقي) .

قوة معنوية ، وكلمة شرف تصدر من المتخاصمين بإطاعة الأمر ، وكسر الكلمة معناه ، خروج على المألوف ، وتعريض بسمعة الناكث بالعهد ، تلحق به الأذى وتعريض بالحكم ، الذي لا يسكت بالطبع على إلحاق الإهانة به ^١ .

فالضامن في تطبيق العدل والعدالة بين الناس هو تعهد المتخاصمين بإطاعة أحكام الحكام، ثم شخصية الحاكم وامتزله ومصصلحة الطرفين في فض النزاع حتى لا يستفحل ويطول ، إذ كان على المتخاصمين أنفسهم وجوب البحث عن حاكم عاقل كييس ليفض الخصام ، فكان عليهم أنفسهم البحث عنه ، ولهذا كان من اللازم تعهدهم بتنفيذ ما يصدره من حكم وما يبت فيه من رأي .

وما ذكرته خاص بمحكّام الأعراب وبمواضع البداوة ، أما بالنسبة الى العرب الجنوبيين ، فلا أستطيع تعميم ما قلته عليهم ، لاختلاف نظم الحكم عندهم عن نظم الحكم عند الأعراب . ففي العربية الجنوبية حكومات وقوانين وتشريع . وفي محيط فيه تشريع ، لا بد وأن يكون فيه حكم حكومي ، وحكم حكام حكوميين ، وتنفيذ أحكام . أي ان تنفيذ الأحكام يكون إلزامياً وقسرياً بقوة الحكومة وبقوة ما عندها من سلطة . فالحاكم في العربية الجنوبية حاكم معين ، يستمد حكمه من حكم القانون . ويستند تنفيذ حكمه على هيئة الحكومة وعلى قوة القانون .

ويظهر من نص معيني ناقص وبا للأسف، أن المعينين كانوا يحاكمون الأشخاص في محاكم تسمى (معلر) (معلرن) (م ع ذرن) . وهي مجالس المدن أو القرى ، فيحاكم من يراد محاكمته فيها وفقاً للقوانين (سنمرت) (س ذمرت) فإذا أصدر (المعلر) قراراً بحق شخص فيه حكم أو فيه تبرئة ، أعلن القرار على الناس . وتصدر القرارات وتعلن الأحكام باسم الآلهة . وقد جرت العادة بأن يقدم الشخص ذبيحة يتقرب بها الى الإله (ود) في مقابل النظر في أمره ^٢ .

وفي محيط حضري ، فيه شرائع وتقنين وأحكام ، لا بد وأن تؤلف فيه محاكم للحكم بين الناس وللنظر في مخالفات المخالفين لأحكامها ولما تصدره من قوانين ، وللبت في تهرب التجار أو الزراع من دفع ما عليهم من ضرائب وحقوق الى

١ (ثم رجعنا الى هرم بن سنان الفزاري . فقال : نعم ، لأحكم بينكما ، فأعطيني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي ، وتسلماً لما قضيت بينكما ، ففعلاً ٠٠٠) ، بلوغ

الأرب (٢٨٨/١) .

REP. EPIGR. 2948, Halevy 446, 447, Le Muséon, 1-2, 1953, pp. 116.

الحكومة . ولا يستبعد أن يعثر في المستقبل على نصوص قد تتحدث عن وجود محاكم ، وحكام وكتبة كانوا يدوتون أحكام ما يصدره أولئك الحكام في أمور المتحاكين .

ونظراً الى ما نجده في أخبار أهل الأخبار من تحكيم المتحاكين لسدنة المعابد وللكهان في خصوماتهم ، ومن لجوئهم الى الأصنام للاستفسار منها عن السرقات وعن القتل ، وعن الأشخاص الذين ارتكبوا الجنايات ، فإن باستطاعتنا اعتبار المعابد محاكم مثل أي محاكم أخرى يكون من حقها الفصل في نزاع المتنازعين .

أصول المحاكمات وكيفية النظر في الدعاوي :

ولما كان المتخاصمون هم الذين يقررون الرجوع الى التحاكم لفض الخصومات ، بدلاً من حلها عن طريق القوة ، لعدم وجود شرطة معينة ودوائر تكبره المتخاصمين على مراجعة القضاء الحكومي الالزامي ، فإن شكيلات التحكيم كانت بسيطة تتناسب مع بساطة الحياة . فللمتخاصمين أن يختاروا حكماً يرضونه أو جملة محكمين مقبولين من الطرفين ، بأن يختار كل طرف محكماً أو محكمين ، على أن يوافق على اختيارهم الطرف الثاني أيضاً . واذا ما تم الاختيار برضاء الطرفين أخذ الحاكم أو المحكمون عهداً من المتخاصمين جميعاً بوجوب السمع والطاعة وعدم الاعتراض على قرارات الحكم ، فإن وافقوا وأعطوا كلمتهم بالموافقة ، عين الحاكم أو المحكمون وقت المحاكمة للاستماع الى بينات كل طرف وما عنده من أدلة وشهود . وقد تأخذ المحاكمات زمناً طويلاً ، واذا ما انتهى الطرفان من عرض حججهما ، عمل الحاكم رأيه أو المحكمون آراءهم للنطق بقرار الحكم الذي يكون تنفيذه إلزامياً لا بقوة القانون ، ولكن بقوة المسؤولية الأدبية والكلمة التي أعطاها الطرفان بوجوب السمع والطاعة لما يصدر من حكم .

وقد عرفت قاعدة (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) عند الحكام الجاهليين أو عند بعضهم ، وهي قاعدة تفيد ان الأصل في الانسان براءة الذمة . ويتفق مع قاعدة (البينة على من ادعى لا على من أنكر) الواردة في القوانين الرومانية واليونانية^١ .

١ مدونة جوستينيان (ص ٣٦٧) .

ويذكر أهل الأخبار ان (قس بن ساعدة الإيادي) أحد الخطباء المشهورين والحكام المعروفين ، هو الذي وضع قاعدة (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)^١ ، فصارت سنة منذ ذلك اليوم .

هذا ، ولا بد لي من التنبيه الى اليهود والرصايا التي وضعت في صدر الاسلام في كيفية الحكم بين الناس . مثل وصايا الرسول الى الصحابة في كيفية الحكم بين الناس ، ومثل عهد (عمر) الى (أبي موسى الأشعري) وعهد (علي) الى قاضيه (شريح) وأمثال ذلك من أوامر^٢ ، لما فيها من أصول في المحاكمات كانت سنة متبعة عند حكام الجاهلية ، وقد أقرها الاسلام ، لأنها أصول من أصول المنطق والطبع في الحكم وفي النظر في أمور الناس .

القسم :

فإذا ادعى مدعى دعوى على شخص ، ولم تكن لديه بينة ، فليس له إلا أن يطلب من الناصر القسم ، فإن أبى حكم عليه بالأداء . هذه سنة الجاهليين في الحكم . وقد حكم الرسول على المدعين بإظهار بينتهم ، فإن عجزوا طلب من المدعى عليهم القسم بأن خصمهم مبطل وأن الحق في جانبهم . وقد اشتكى بعض المدعين للرسول من أن خصومهم فجرة لا يبالون بما يحلفون ولا يتورعون من قسم كاذب ، ولكن الرسول حكم بأنهم ما داموا قد عجزوا عن الإثبات بيينة ، فليس لهم سوى تحليف خصومهم مما كانوا^٣ .

فعلى من يدعى وجود حق له على شخص اثبات ما يدعيه بالأدلة والبراهين ، أما الطرف الثاني الذي ينكر ذلك الحق ، فعليه أداء اليمين . فإذا عجز المدعي عن اثبات حقه ، وطلب من المدعى عليه أداء اليمين ، وجب عليه أداء اليمين ، أي القسم . ويكون ذلك القسم بالآلهة أو بالآباء ، والغالب أن يكون في موضع ذي حرمة وقُدسية ، كان يكون في معبد ، وأمام صنم ، أو عند قبر مثل قبر

١ الأمثال ، للميداني (٩٩/١) .

٢ الأحكام السلطانية (ص ٧١) .

٣ التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول ، للشيشنج منصور علي ناصف ، (٧٤/٣) ، (دار احياء الكتب العربية ، بمصر) .

سيد قبيلة أو قبر والد من يقسم ، وأمثال ذلك . وصورة هذا القسم مثل : وحق هذا البيت ، أو وحق هُبَل ، أو وحق أبيي أو وتربة أبيي^١ .

ويعرف القسم باليمين أيضاً ، وذكر علماء اللغة أن العرب إنما سميت القسم يميناً ، لأن من عاداتها في القسم أنها كانت إذا تحالفت ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه ، أو أنهم كانوا يتأسحون بإيمانهم ، فيتحالفون . ومن هنا أطلقوا على القسم اليمين^٢ . ولذلك قيل : « أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر » . ثم سموا الحلف يميناً على هذا المعنى . واثوا اليمين على تأنيث اليد ، فقالوا : « حلف يميناً برّة ، ويميناً فاجرة »^٣ .

وقد ورد ذكر (اليمين) في بيت لزهير بن أبي سلمى ، هو :

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو تقار أو جلاء^٤

وقد جمع هذا البيت طرق أخذ الحق واثباته عند الجاهليين . فإما يمين ، وإما منافرة ، وهي المحاكمة ، وإما الجلاء .

ومن اليمين : اليمين الغموس^٥ .

فاليمين المعروفة ، والنفار المنافرة الى الحكام ، وهي المحاكمة اليهم ليفصلوا بالحق ، والجلاء : البيعة التي تجلو الشك والشبهة فتغني عن اليمين وعن التحاكم . وقد قالوا : (يمين جلواء) و (حلقة جلواء) و (بيعة جلواء) أي يتجلى بها الحق وينكشف . وذكر ان (عمر) كان يعجب من حسن هذا التقسيم ويردد بيت (زهير) من التعجب . ورووا انه قال : (لو أدركته لوليتته القضاء لمعرفة بما تثبت به الحقوق)^٦ .

ونوع من اليمين عرف بـ (اليمين الأصغر) . وهو أن يحلف بطلاق أو

١ القسطلاني : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٧٦/٦) ، (٣٧٧/٩) ،

صحيح مسلم (٨٠/٥) .

٢ تاج العروس (٣٧٢/٩) .

٣ إيمان (ص ٣٤) .

٤ البيان والتبيين (٣٠٤/١) ، (فإن الحق) ، إيمان (ص ٣٢) .

٥ العقد الفريد (٩٠/٣) .

٦ البيان والتبيين (١٣٥/١) ، الصناعتين (٢٦٨) ، إيمان (٣٣) ، العمدة

(٣٠/١) .

عتاق أو نذر . وهو من أثقل الإيمان وأضيقها مخرجاً في الإسلام . يجب الوفاء به ، ولا يعوض عنه بكفارة . وعن (ابن عمر) : من حلف على يمين فيها أصر فلا كفارة بها^١ .

وذكر (النابغة الذبياني) اليمين في شعر له . قال فيه :

حلفتُ يميناً غير ذي مشنوية ولا عِلْمٍ إلا حسن ظن بصاحب

والمثنوية : الاستثناء في اليمين^٢ .

واليمين الغموس اليمين الكاذبة الفاجرة . وهي اليمين الكاذبة التي تقطع بها الحقوق . وعدت اليمين الغموس من أعظم الكبائر في الاسلام . وهو ان يحلف الرجل ، وهو يعلم انه كاذب ليقطع بها مال غيره^٣ . وقيل اليمين الغموس، هي ان يحلف على أمر ماض انه كان ولم يكن . وذكر ان الرسول ذكر (الغموس) فقال : « الغموس تدع الديار بلاقع »^٤ .

هذا وقد جمع (أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله النجيري) الكاتب ، أيمان أهل الجاهلية في كراسة دعاها (أيمان العرب في الجاهلية) . وقد ذكر في مقدمته لها ، ان العرب كانت في الجاهلية على مذاهب في أيمانها ، وذلك على حسب عقيدتها ودينها . فكان معظمها ممن يدين الله لذلك كان قسمها بالله تعالى، والقسم به عندهم أعظم الأيمان ، ولذلك قال (النابغة الذبياني) :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب^٥

وكان من قسمهم به قولهم : (والله ، فإنها تملأ الفم ، وترقىء الدم) ، اي تبرئ الظنين بالدم من الدم فيرقأ دمه ، اي يسكن محقوناً في مسكه فلا

-
- ١ تاج العروس (١٥/٣) ، (أصر) .
 - ٢ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٥/٢) .
 - ٣ ارشاد الساري (٣٩١/٩) ، اللسان (١٥٦/٦) وما بعدها .
 - ٤ ايمان (ص ٣١) .
 - ٥ ايمان العرب في الجاهلية (ص ١٣) ، (تحقيق محب الدين الخطيب) ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٢ ، المطبعة السلفية ، وسيكون رمزه : أيمان .

يراق^١ ، وقولهم « لا والذي يراني من فوق سبعة أرقعة » ، اي من فوق سبع سماوات . ويؤيد هذا القسم ما جاء في حديث الرسول انه قال لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »^٢ . وقولهم « لا والذي شق الرجال للخيل ، والجبال للسيل » . وقولهم « لا والذي شقهن خمساً من واحدة » ، يعني أصابع يده اذا حلف فرفع يده وفرق أصابعه^٣ .

ومن إيمانهم ايضاً قولهم « لا والذي وجهي زَمَمَ بيته »^٤ ، وقولهم « لا والذي لا يواريني منه خَر » والخمر ما وارك من شجر ، والمعنى : لا يواريني منه شيء^٥ . وقولهم : « لا والذي لا يواريني منه غيب » ، وقولهم « لا والذي لا يتقي يوجاح » ، أي لا يستر منه وجاح فيتقي به . والوجاح كل ما حال بينك وبين شيء من ستر او ثوب او حائط او غير ذلك . وقولهم : « لا والذي لا اتقيه إلا بمقتله » ، أي كيف رمت أن اتقيه فهناك المقتل . وقولهم : « والذي أخرج العذق من الجريمة » ، والنار من الوثيمة »^٦ .

ومن إيمان هذه الطبقة المؤلفة : « لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة »^٧ ، وقولها « لا والذي سمك السماء » ، و « لا الذي يراني من حيث ما نظر »^٨ : و « لا وقالق الإصباح وباعث الأرواح »^٩ ، وقولها « لا ومجري الرياح » ، و « لا ومجري الإلهة » ، أي الشمس وقولها « لا ياتمر له جُدولي » ، والجُدول الأعضاء ، أي ان أعضائي كلها جند لله تعالى علي^{١٠} .

ومن إيمانهم : « لا ومقطع القطر » و « لا وميمت الرياح » ، و « لا ومجري

-
- | | |
|----|---|
| ١ | إيمان (ص ١٤) . |
| ٢ | إيمان (ص ١٥) . |
| ٣ | إيمان (ص ١٦) . |
| ٤ | إيمان (ص ١٧) ، المخصص (١١٨/١٣) ، ذيل الامالي (ص ٥١) ، المزهري (١٦٨/٢) . |
| ٥ | إيمان (ص ١٦) . |
| ٦ | إيمان (ص ١٧) ، المزهري (١٦٨/٢) ، المخصص (١١٨/١٣) ، الامالي ، للقاللي (١٠٢/١) ، (٥١/٣) . |
| ٧ | إيمان (ص ١٩) ، محاضرات الادباء (٣٠٠/١) . |
| ٨ | الامالي ، للقاللي (٥٢/٣) ، المزهري (١٦٨/٢) ، المخصص (١١٨/١٣) ، إيمان (١٩) . |
| ٩ | إيمان (١٩) . |
| ١٠ | إيمان (٢٠) . |

البحر ، ، و « لا ومشىء السحاب » ، و « لا والذي دحا الأرض » و « لا والذي سجد له النجم والشجر » ، و « لا والذي حجت له العائز » ، والعبارة الحي الكبير ، و « لا والذي ذابت له الشعور » ، و « لا وفاطر الأشباح » و « لا والذي يرصدني أنى سلكت » ، و « لا ورب الشمس والقمر » ، و « لا ورب البيت والحجر » ، و « لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنار من الشجر » و « لا ورازق الأنام » ، و « لا ورب النور والظلام » ، و « لا ورب الحل والحرام » و « لا ورب الحل والاحرام » . قال مهلهل :

قتلوا كلياً ثم قالوا ألا اربعوا كذبوا ورب الحل والإحرام^١

ومن أيمانهم « لا والذي أئمنه من كل أوب » ، و « لا والراقصات بيطن مر » ، و « لا والذي رقصن بيطحاته » ، و « لا والراقصات بيطن جمع » ، و « لا والذي نادى الحبيج له » ، و « لا وقائتي نفسي » ، اي الذي جعل نفسي قوتاً لمدة حياتي . و « لا وقائتي نفسي القصير » ، يريد قصر العمر ، و « يمين الله لقد كان كذا » و « ائمن الله » ، و « ائمن الله » و « م الله لقد كان ذاك » و « أم الله » ، و « ائمن الله » ، و « ائمن الكعبة » ، و « رب الراقصات »^٢ .

ومن ذلك قولهم : « عمرك الله هل ذاك ؟ » ، و « قعيلك الله » ، و « قعيلك الله » ، و « لا ورافعها بغير عمد » ، لا وسامكها ، لا وباسطها ، لا وماهدما وداحيها » ، و « لا والذي أمد اليه بيد قصيرة » ، و « لا والذي كل الشعوب تدين له » و « لا والذي يراني ولا أراه » ، و « حرام الله » و « يمين الله »^٣ . و « أقسم بالله » و « أقسم بالله قسماً صادقاً ، وقسماً باراً »^٤ . ومما يؤيد قسم هذه الطائفة بالله ما جاء في القرآن : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »^٥ .

-
- ١ أيمان (ص ٢١ وما بعدها) .
 - ٢ أيمان (ص ٢٢ وما بعدها) ، الأماي (٥٢/٣) ، المزهر (١٦٨/٢) ، المخصص (١١٨/١٣) ، الحيوان (٣٧٥/٥) .
 - ٣ أيمان (ص ٢٥ وما بعدها) ، المزهر (١٦٨/٢) ، الأماي (٥٢/٣) ، المخصص (١١٨/١٣) .
 - ٤ أيمان (ص ٣٤) .
 - ٥ سورة النور ، الآية ٥٣ ، فاطر ، الآية ٤٢ .

ومن قسم عبدة الأوثان والأصنام قولهم « لا واللوات والعزتي » ، و « لا ومناة » وكذلك قسمهم ببقية الأصنام . وربما أقسموا بما يعتر لها ^١ .

وأقسموا بالماء والسماء والنجوم ، وبظواهر طبيعية أخرى ، كقولهم « لا والسماء ، لا والماء ، لا والآيات ، لا والطارقات ، لا والراكعات ، لا والسابحات » . والسابحات النجوم ، و « لا وتنفذ اللوح ، والماء المسفوح ، والقضاء المندوح ، والنور الموجوح ، أي المحجوب . والتنفذ ما بين السماء والأرض ، وكل هواء بين رأس جبل وأسفله ، واللوح الهواء بين السماء والأرض ، المسفوح المصبوب ، وعن به البحر ، والقضاء يعني الأرض ، والمندوح الموسع . وكأنهم عظموا هذه الأشياء لأن بها قوام العالم ^٢ .

ومن إيمانهم : « لا والذي اكبح له » ، أي احلف به . و (لا وجدك) ، والجد الحظ ، و (لعمرك) ، أي القسم بالعمر ، كما أقسموا بقولهم : (وعيشك) . والعرب تقول في القسم : لعمرى ولعمرك . وورد في القرآن الكريم (لعمرك) ، أي لحياتك . وجاء لعمر الله وعمر الله ^٣ .

وقد أقسموا بالرأس ، أي برأس الإنسان ، وبالعيش وبالخبز والملح إلى غير ذلك من إيمان . يغلب على بعضها طابع السداجة والبساطة ، وبعضها مضحكة لا تصلح أن تكون مادة لقسم ، لكنهم كانوا يقسمون بها كما يقسمون بالأمور المهمة في نظرنا .

وذكر (التجريمي) أن قسم (كهان العرب) كان بالسماء والماء والأرض والهواء ، والنور والضياء ، والظلمة ، وبغير ذلك . وقد أقسم (سواد بن قارب الدوسي) بقوله : « أقسم بالضياء والحلك ، والشروق والدلك » ^٤ .

ومن إيمانهم : « يا صر وأصر ليكونن ذلك » ، والأصر العهد ، ومعنى اصر : حتم لازم . والال : العهد ^٥ .

و (جبر) في الإيجاب بمعنى نعم وأجل ويمين : وقالوا : (لا جبر) ،

-
- ١ إيمان (ص ٢٦) .
 - ٢ إيمان (ص ٢٧ وما بعدها) .
 - ٣ اللسان (٦٠١/٤) ، (عمر) .
 - ٤ إيمان (ص ٣٧ وما بعدها) .
 - ٥ إيمان (ص ٢٨ وما بعدها) .

بمعنى (جير) ، أي قسم . كما قالوا : « لا أقسم . بمعنى : أقسم »^١ .
وعوض من أسماء الدهر ، وقد حلفوا به^٢ . و (الدم) ، يمين كانوا يحلفون
بها في الجاهلية . يعني دم ما يذبح على النصب . وفي حديث الوليد بن المغيرة :
والدم ما هو بشاعر ، يعني النبي^٣ . ولتوكيد اليمين وتلييته ، وإيجاب الخالف
على نفسه أمام الناس بالوفاء بما أقسم به وفاء تاماً ، لا مهادنة فيه ، استعملوا
بعض الصيغ مثل : « قسماً لأفعلن ذاك » ، ويميناً وأميناً ، ونجماً ، وعهداً ،
ونذراً ، وموثقاً ، وميثاقاً ، وحقاً ، ولحقاً ، وليميناً ، ولقسماً وقال آخرون :
لحق لأفعلن^٤ .

ومن العبارات التي استعملها الجاهليون في توكيد إيمانهم قولهم : « عهد لا يزيده
طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مداً » . و « ما بل بحر صوفة » ،
و « ما أقام رضوى »^٥ .

وإذا أوجب شخص على نفسه يميناً ، قالوا : « أؤزم فلان يميناً » و « أبدع
يميناً »^٦ .

وإذا ترك الشخص (اللام) التي هي آلة القسم ، صار يمينه بمنزلة النفي للفعل
كقوله : « آلى فلان يفعل » و « آلى يفعل » و « آليت أفعل » . فهو قسم
على ترك الفعل : لأن اليمين بمنزلة النفي للفعل حتى يأتي باللام التي هي أداة
القسم . كقولك « آليت لأفعلن » وكذلك قولك : والله أفعل ، وأقسمت أفعل ،
وهذا مما يغالط به ويجوز على كثير من الناس^٧ .

وقالوا : « لا خير في يمين لا مخارم لها » ، أي لا مخارج لها .
وإذا حلف الرجل قالوا : جلا ابو فلان ، وتحلل أبا فلان ، أي استثنى .

١ إيمان (ص ٣٠) .

٢ إيمان (ص ٣٠) .

٣ اللسان (٢٧١ / ١٤) ، (دمي) .

٤ إيمان (ص ٢٨) .

٥ إيمان (ص ٣٥) ، الحيوان (١٥٠ / ٤) .

٦ إيمان (ص ٣٠) .

٧ إيمان (ص ٢٨) .

وكانت العرب تسمي الإستثناء في اليمين : (التحليل)^١ . وسمته (المثنوية) كذلك^٢ .
وتؤدي جملة : (لا جرم) معنى قسم ويمين . وهي كلمة كانت في الأصل
بمتزلة لا بد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها ، حتى صارت
بمتزلة حقاً لأفعّلن . ومن العرب من يصلها من أولها بـ (ذا) ، فيقول : لا ذا جرم^٣ .
وكان أكثر حلف عرب الحجاز باللات والعزى ، وربما جنحوا عن صورة
القسم الى ضرب من التعليق . مثل أن يقول : إن فعلت كذا فعلي كذا ، أو
فأنا كذا ، أو فأكون مخالفاً لكذا أو خارجاً على كذا أو داخلاً في كذا ، وما
اشبه ذلك .

وقد كانت العرب تأتي في نظمها ونثرها عند حلفها بالتعليق بإضافة المكروه
إلى الواقعة ما يحذرونه ، من هلاك الأنفس والأموال وفساد الأحوال ، وما يجري
مجرى ذلك .

وقد ذكر ان الأعراب لا يحلفون أبداً يميناً إلا على هذا النحو : لا أورد الله
لك صافياً ، ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك ،
يعني إن فعلت كذا^٤ .

ومن بعض أيمان شعراء الجاهلية ، قول النابغة الذبياني :

ما إن أتيتُ بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعتُ سوطي إلي يدي

وقول عدي بن زيد :

فإن لم تهلكوا فشككتُ عمراً وجانبتُ المروق والسماعا
ولا ملكت يداي عنان طرف ولا أبصرت من شمس شعاعا
ولا وضعت إليّ على خلاء حصان يوم خلوتها قناعاً^٥

-
- ١ (قال الشاعر : تحلل أبيات اللعن في قول آثم) ، أيمان (ص ٣٣) ، الراغب
الاصبھاني ، المحاضرات (١ / ٣٠٠) .
 - ٢ قال النابغة : (حلفت يميناً غير ذي مثنوية) ، أيمان (ص ٣٣) ، المخصص
(١١٥ / ١٣) محاضرات الراغب (١ / ٣٠٠) .
 - ٣ الفاخر (ص ٢٠٠) .
 - ٤ صبح الأعشى (١٣ / ٢٠٣ وما بعدها) .
 - ٥ صبح الأعشى (١٣ / ٢٠٤ وما بعدها) .

ومن أسماء (الأيمان) النوافل . ونقل : حلف ، والتنفيل التحليف . يحكى أن (منقذ بن الطماح الأسدي) المعروف بـ (الجميع) لقيه (يزيد بن الصعق) فقال له يزيد : هجوتني . فقال : لا والله . قال : فانفل . قال : لا انفل . فضربه يزيد . وأصل النفل النفي ، وسميت اليمين في (القسمات) نقلاً ، لأن القصاص ينفي بها . وفي حديث القسمات : (قال لأولياء المقتول : أترضون بنفل خمسين من اليهود ما قتلوه ؟) . ويقال نفلته فنفل ، أي حلفته فحلف^١ .

وقد ألفت العلماء في (نوافل) العرب . وقد أورد (ابن النديم) أسماء جملة مؤلفات نسبها لابن الكلبي في نوافل القبائل . منها : (كتاب نوافل قریش) و (نوافل إيراد) و (نوافل كنانة) و (نوافل أسد) و (نوافل تميم) و (نوافل قيس) و (نوافل ربيعة) و (نوافل قضاعة) و (نوافل اليمن) و (نوافل من نفل من عاد وثمود والعماليق وجرحم)^٢ .

وكانت الجاهلية إذا تحالفت ، تحالفت عند (الحطيم) ، فكانت قریش ومن إليها تأتي إليه وتحلف عنده ، وتعتقد أن الكاذب هالك^٣ . ويذكر أهل الأخبار أنهم كانوا بعد طوافهم بالبيت يأتون للحلف ، وبعد أن تحلف به عند الركن ، يأتون إلى الحطيم ، فيلقي الخالف فيه سوطه أو نعله أو قوسه ، بعد أن يحلف ، علامة لقد حلفه ، ويعتقدون أن الخالف الآثم سيهلك ، وتتعجل له العقوبة بعد قسمه هذا . وقد ذكر أن الحطيم هو ما بين الحجر الأسود والمقام وزمزم^٤ .

وقد ذكر أهل الأخبار بيتاً لزهير بن أبي سلمى ، ذكروا أنه أقسم فيه بمكة ، وهذا البيت هو :

فتجتمع أئمن منّا ومنكم بمقسمة تمر بها الدماء^٥

وقد ذكر علماء اللغة أن (أئمن) و (أيمان) جمع يمين . وأن (ائمن الله) و (ائمن الله) ، و (هيم الله) ، و (أم الله) ، و (من الله) ،

-
- ١ أيمان (ص ٣٩ وما بعدها) .
 - ٢ أيمان (ص ٤٠) ، الفهرست (١٤٧) ، (أخبار هشام الكلبي) .
 - ٣ تاج العروس (٣٥١/٨) ، (حطم) .
 - ٤ ارشاد الساري (١٨٢/٦) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦/٩ وما بعدها) ، (قسم) ، (٣٧٢/٩) ، (يمن) .

و (م الله) ، و (ليم الله) ، و (ليمن الله) ، من أدوات القسم التي أقسم بها الجاهليون^١ .

وذكروا أن (زهيراً) قصد بلفظة (مقسمة) مكة ، حيث ينجر بها الجزور فتمور بها الدماء . وذكر أن (مقسمة) اليمين التي تؤخذ عند الدم للقسامة ، فإذا كان القوم عشرة ردت اليمين عليهم حتى تكون خمسين قسامة^٢ .

وبعض هذه الأيمان إيمان غريبة غير مستعملة ولا مستساغة في عرف هذا اليوم، مثل : (ورب المخيسات) و (رب البدن) . وهي إيمان أقسم بها (حسان ابن ثابت) في شعر قاله في (آل جفنة)^٣ .

والخوف من العاقبة السيئة التي تحمل بحالف اليمين الكاذبة ، هي التي ردت الجاهليين من الحلف كذباً . ولذلك امتنعوا من الحلف وتجنبوه جهد امكانهم . ويظهر أن الجاهليين كانوا يخافون جداً من القسم ، أي اليمين ، لاعتقادهم أن الحانث بالقسم هالك لا محالة ، إن لم يكن عاجلاً فأجلاً . ولا زال الأعراب يخشون أداء اليمين ، وهم يفضلون خسران قضيتهم على أداء اليمين .

عقد الأيمان :

ونظراً الى ما للأيمان من أهمية ومكانة ، وقديسية في نظر الحالف والشاهد ، صاروا إذا أرادوا القسم وأداء اليمين ، أدوها في مراسيم مؤثرة وفي ظروف خاصة وفي مكان ذي قدسية في النفوس ، وبحضور كهان أو أناس لهم منزلة ومكانة ، حتى يكون للقسم روعة وهيبة ، تتناسبان مع مكانته وقديسيته عندهم .

والغالب عند عقد الأيمان عقدها على النار ، وذلك أنهم يحضرون من يريد أداء القسم ومن سيكون شاهداً على صحة القسم ، ومن يقوم بأخذ القسم وإجراء طقوسه على يديه . ثم يوقدون ناراً ، يدنون منها حتى تمحشهم أو تكاد تحرقهم ، وعدوا منافع النار ، ودعوا على ناقض تلك اليمين والناكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع ، ويهلون بها على من يستخف بحقوقها ، ويتعدونه بحرمان مرافقها :

١ تاج العروس (٣٧٢/٩) ، (يمين) .

٢ المعاني الكبير (١١١٩/٢) .

٣ ديوان حسان (١١١) ، (للبرقوقي) .

وفي ذلك نكد العيش وحرمان الحياة . وكان الرجل القيم بأمر تلك النار ويسمى (المهول) ، يطرح في النار ملحاً ، وأحياناً ملحاً وكبريتاً ، يهول بها على الخالف وقد يطرح في النار البخور ، أو يلقي فيها الأخشاب النفيسة ذوات الروائح الطيبة الزكية . فإذا استشاطت قال للخالف : (هذه النار تهددك) ، وأمثال هذه الكلمات ، ليلقي الروع في نفس الخالف ، فلا يحلف كذباً ، ولا يتجرأ على الإنم بأداء اليمين باطلاً .

فإن كان اليمين لتحليف شخص عن شيء ينكره مثل سرقة أو قتل أو ما شابه ذلك ، هدد سادن النار بتلك النار ، فإن كان الشخص مبطلاً ، كأن يكون قد قام بالسرقة ، نكل وامتنع عن أداء القسم بنفي وقوع الفعل منه ، وإن كان بريئاً حلف ، ولهذا سموها (نار المهول) أو (نار الهولة) أو (المهولة)^١ . وفي هذا المعنى جاء في قول الشاعر (أوس بن حجر) :

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صدّ عن نار المهول خالف^٢

وقد أشار (الكميت) الى هذه النار أيضاً بقوله :

كهولة ما أوقد الخالفون لدى الخالفين وما هوّوا^٣

عقد الأحلاف :

وكانوا في الجاهلية اذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ، على نحو ما ذكرت ، وتحالفوا عندها ، ويتصافحون ويقولون : (الدم الدم ، والهدم الهدم) ، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، أي فإ هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة

١ أيمان (ص ٣٦) ، اللسان (٢٣٨/١٤) ، بلوغ الأرب (١٦٦ ، ١٦٢/٢) .
Muh. Stud., BD., I, S. 66, Goldziher, in Literaturblatt für Orient. Philologie,
1886, S. 24, Kinship, p. 58.

٢ اللسان (٢٣٨/١٤) ، أيمان (ص ٣٦) ، البيان والتبيين (١/٣) .

٣ أيمان (ص ٣٦) ، البيان والتبيين (١/٣) ، الحيوان (١٥٠/٤) ، محاضرات
الراغب (٣٠٢/١) .

أنفسنا . ولما كان الحلف بين الرسول والأنصار ، قال لهم الرسول : (الدم الدم والهدم الهدم)^١ .

وكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم . كالذي كان من أمر حلف (لعقة الدم) ، حيث غز المتحالفون أصابعهم في جفنة مملوءة دماً ، ثم لعقوها ، فسموا لعقة الدم^٢ . وكالذي ذكر من أمر (خشم) ، من أنهم إنما سموا خشمًا لأنهم غمسوا أيديهم في دم جزور^٣ . أو الذي ذكره من قصة قتل (الهجرس) لـ (جساس بن مرة بن ذهل بن شيان)^٤ . وقد عرف قوم من (بني عامر بن عبد مناة بن كنانة) بـ (لعقة الدم)^٥ .

وكانوا ربما تعاقدوا وتحالفوا وتعاهدوا على الملح . والملح عندهم شيان : ملح الأدام الذي يتملح به ، واللبن . وذلك أنه سواء عندهم أن يجتمعوا على طعام وملح أو على شرب لبن . هذا عندهم مملحة . ولذلك سموا اللبن ملحاً ، فقالوا من البابين جميعاً : (بيننا ملح)^٦ .

وربما تعاقدوا وتعاهدوا وتحالفوا بغمز أصابعهم في جفنة مملوءة طيباً ، ثم يمسحون أصابعهم عند الكعبة أو عند صنم من الأصنام، أو في موضع آخر مقدس ، كالذي فعله قوم من (بني عبد مناف) تحالفوا وتعاهدوا بغمز أيديهم في جفنة مملوءة طيباً ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسموا (المطيين) وعرف الحلف بـ (حلف المطيين)^٧ . وكالذي ذكر من أمر (الرباب) ،

- ١ أيمان (ص ٣٤ وما بعدها) .
- ٢ ابن هشام ، سيرة (٢١٣/١) .
- ٣ المفضليات (ص ٧٠٥) .
- ٤ (لائق الدم) الأغاني (١٥٠/٤) ، (١٥٦/١٨) .
- ٥ الأغاني (٢٦/٧) .
- ٦ قال أبو الطمحان القيني :
وإني لأرجو ملحها في بطونكم
وقال شتيم بن خويلد :
لا يبعث الله رب العباد
والملاح ما ولدت خالده
أيمان (ص ٣٧) ، الحيوان (١٥١/٤) .
- ٧ ابن هشام ، سيرة (١٤٣/١) فما بعدها ، الطبري (١١٣٨/١) ، (طبعة ليدن) ، ابن الأثير (١٨٣/١) ، اللسان (٤٠٠/١٠) ، المعارف (٢٠٤) ، التنبيه (١٨٠) ، (طبعة الصاوي) ، اليعقوبي (٢٨٧/١) (طبعة هوتسما) .

لأنهم أدخلوا أيديهم في ربّ وتعاقدوا وتحالفوا عليه^١ .

وقد بايعت نساء قريش الرسول بعد فتح مكة ، على جفنة ماء ، فذكر أهل الأخبار أن إناءً فيه ماء وضع بين يدي الرسول ، (فإذا أخذ عليهن وأعطينه غمس يسه في الإناء ثم أخرجها ، فغمس النساء أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطيته ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يزيد على ذلك)^٢ .

وقد يعقد الحلف في بيت أو في معبد ، وقد يعقلونه على طعام يجتمعون عليه ثم يعمدون إلى عقد الحلف بمراسيم خاصة ، كالذي كان من أمر (حلف الفضول) ، فبعد أن أكل الحاضرون من أهل مكة في دار (عبدالله بن جُدعان) الطعام ، عمدوا إلى ماء من ماء زمزم ، فجعلوه في جفنة ، ثم غسلوا به أركان البيت ، وجمعوا ماء الغسيل في تلك الجفنة ثم أتوا به فشربوه . وبذلك تم عقد الحلف ، وصار واجباً على المتحالفين^٣ .

الاشتراط :

والاشتراط بين شخصين أو بين أكثر من ذلك عقد صحيح لذلك يجب تنفيذه . وذلك كأن تشترط المرأة على من يتقدم إليها ليكون بعلًا ، بأن يكون أمر الطلاق بيدها تطلقه متى شاءت ، ومتى وافق الرجل على هذا الشرط ، صار حق الطلاق من حقوق المرأة بموجب هذا الزواج^٤ . كذلك يقع الاشتراط في البيوع وفي العقود وعلى المتبايعين والمتعاقدين تنفيذ ما اتفق عليه من شروط . وقد نهى الإسلام عن بيع شيء واحد بشرطين . إذ اشترط أن يكون البيع بشرط واحد . مثال ذلك قولك : بعتك هذا الثوب نقدًا بدينار ونسيئة بدينارين . وهو كالبيعتين فيبيعة^٥ . وهو بيع من بيع أهل الجاهلية .

-
- ١ اللسان (٣٨٨/١) ، الأغاني (١٤/٩) ، العقد (٥٩/٢) ، تاج العروس (٢٦٤/١) .
 - ٢ الطبري (٦٢/٣) .
 - ٣ الأغاني (٦٤/١٦) .
 - ٤ المحبر (ص ٣٩٨ ، ٤٣٥) ، النهاية (٤٧/٣ وما بعدها) .
 - ٥ تاج العروس (١٦٦/٥) ، (شرط) .

ولم يكن أهل الجاهلية يرون في الشروط التي يشترطها أحد المتعاقدين على الآخر ، ما يعارض الحق والعدل ، إذا كان فيها جوراً أو غموضاً أو لبساً أو عموماً . لأنهم يرون ان الموافقة هي تسليم بالحق وبالصفة ، وما دام الطرفان قد وافقا على الشروط وافقا عليها ، فلا ظلم في العقد ولا جور فيه . وان كل ما يتفق عليه ويسلم به ، هو حق . إذ لا إكراه في ذلك ولا غبن . لأن الموافقة هي إيجاب وقبول، ومتى تمت صارت عقداً شرعياً ملزماً لا نكول فيه ولا رجعة .

الشهود :

والشهود هم الأشخاص الذين يشهدون أمام الحاكم بما عندهم من شهادة . والشهود والأشهاد هم الذين يؤدون الشهادة ، أي يبينون علمهم عن الشيء الذي سيدلون رأيهم عنه . والشهادة خبر قاطع ، يستعين به الحاكم في تكوين رأيه وإبداء حكمه عند النظر في قضية يستدعي إبداء رأي فيها^١ . وفي القرآن الكريم إشارات الى الشهود والشهادة والى استعانة الجاهليين بالشهود عند التحاكم أمام الحكام .

والشهادة المقدمة هي الشهادة الشفوية التي تكون أمام الحاكم . غير ان هناك شهادات مكتوبة . كأن يكتب الانسان شهادته كتابة ، أو أن يشهد على صحة عقد وقوانين وأوامر وغير ذلك . فيكتب اسم الشاهد دلالة على انه يشهد على صحة ما هو مدون في الصحيفة ، وانه حضر بنفسه ما كتب وشهد لذلك على صحة ما جاء في المکتوب . ونجد في الأوامر الملكية عند العرب الجنوبيين شهادات كبار الموظفين وأعضاء المجالس وسادات القبائل على ما صدر من قانون وأمر ، أي على صحة توقيع وأمر الملك ، ومن انه أمر به بحضورهم . كما نجد في كتب الرسول الى القبائل والوفود ، جملة (وشهد فلان) أو (وشهد فلان بن فلان) ، مما يظهر ان هذه الطريقة من الشهادة كانت طريقة من طرق التأييد على صحة الشيء والتوثيق لما هو مكتوب عند الجاهليين .

ولا بد لقبول شهادة شاهد من شروط يجب أن تتوفر فيه . حذر الكذب في الشهادة فهناك أشخاص لا يمكن الأخذ بشهادتهم . ومن هؤلاء شهود الزور . أي

١ تاج العروس (٣٩١/٢) ، (شهد) .

الشهود البطل ، الذين يشهدون شهادات باطلة لا أصل لها . فثقل هؤلاء موجودون عند كل الأمم وفي كل الأديان وفي كل الأزمان . ولكل شريعة شروط تضعها فيمن يمكن الاستماع الى شهادته وفيمن يجب رفض شهادته . فقد اشترطت الشريعة اليهودية في قبول شهادة الشهود ، ألا يكون الشاهد مقامراً ولا من الآكلين للربا ولا من الذين يقامرون في سباق الخيل ولا من الذين يخالفون حرمة السبت وأحكام الشريعة ، وأضاف اليهم بعض العلماء الرعاة لأنهم يسمحون لقطعان ماشيتهم بالرعي في أرض حرام لا تخصهم ، ولا لجنابة الضرائب والعشارون ، لكنبهم وتعسفهم في جمع الضرائب ، ولا الفلاحين الذين يزرعون أرض غيرهم . ولا المرأة الى غير ذلك من شروط اختلفت باختلاف أوجه نظر الفقهاء^١ .

وعلى الشاهد ألا يغير في شهادته ولا يبدل فيها ، وإلا طعن بشهادته . وعليه ألا يتراجع عنها بعد ان يؤدبها والا يكذب فيها . ولهذا كان المتخاصمون يناقشون الشهود ، ويطعنون في شهادتهم إن وجدوا فيهم مغمراً ومطعناً . وعليهم أن يؤدوا يميناً بأنهم صادقون في شهادتهم وسيقولون الحق والصدق .

وإذا نكص شخص عن شهادة أراد أدائها او يمين وجبت عليه ، فيقال عنه إنه (نكل)^٢ . وإذا نقض أحدهم عهده فهو ناكث له . والناكث نقض لما اتفق طرفان عليه^٣ . وهو خيانة يزدري صاحبها عليها ويعاب .

تسجيل العقود :

وكانوا يسجلون العقود والعهود والمواثيق والأحلاف والأمور المهمة التي يتفقون عليها ويلزمون أنفسهم بتنفيذها بصحائف خاصة يحفظونها عندهم للرجوع اليها عند الاختلاف وقد عرفت هذه الصحف بأسماء منها (المهارق) ، و (الصحف) ، و (الكتب) . أما صحفهم التي كانوا يسجلون عليها حساباتهم وتجاراتهم وما كان لهم من ديون ورهون وأمثال ذلك من معاملات ، فقد عرفت بـ (صكوك) وكتب . وإذا اختلفوا على شيء رجعوا الى ما هو مكتوب فحكموا به .

Sanh. 25b, Tosifa Sanh., V, 5, Everyman's Talmud, pp. 325.

١ تاج العروس (١٤٥/٨) ، (نكل) .

٢ تاج العروس (٦٥١/١) ، (نكث) .

وتدوّن العقود التي قد تعقد بين السيد ومملوكه في كتب ، ويعبر عن ذلك بـ (مكاتبه الرقيق) . واليهما أشير في القرآن الكريم : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاთبوهم »^١ .

القسامة :

ومن لفظة (القسم) ، وردت (القسامة) ، ويراد بها حلف معين عند التهمة بالقتل على الاثبات أو النفي ، وقد كانت مستعملة عند الجاهليين . فإذا قُتل شخص ولم يعرف قاتله ، ولم تظهر على معرفة القاتل بينة ظاهرة ثابتة عادلة كاملة ، واعتقد اهل القتل والمطالبون بحق دمه أن فلاناً قتله ، لعلامة دلّتهم على ذلك ، أو لخبر سمعوه أو للطخ دم وجد في شخص كان قد مرّ بالقاتل أو اشتبه به ، أو لعداوة سابقة ، أو لوجود رجل مشكوك في أمره في دار القتل وقت وقوع القتل ، أو الرسالة حملها رجل تخبر باسم القاتل ، وأمثال ذلك ، فإن اهل القتل والمطالبين بثأره ودمه ، يستعملون عندئذ (القسامة) . وذلك بأن يحلف خمسون من اولياء القتل خمسين يميناً أن فلاناً قتله ، انفرد بقتله ما شرّكه في دمه احد . فإذا حلفوا خمسين يميناً ، استحقوا دية قتلهم ، وإن ابوا ان يحلفوا مع اللوث الذي أدلوا به ، حلف المدعى عليه انه بريء ، وإن نكل المدعى عليه عن اليمين خير ورثة القتل بين تسليمه اليهم لقتله ، أو اخذ الدية من مال المدعى عليه^٢ . ومن أمثلة ما ذكره اهل الأخبار عن القسامة والعقوبة المعجلة التي تلحق بصاحب اليمين الكاذبة ، ما ذكروه عن استئجار رجل من قريش ، اسمه خداش بن عبد الله ابن أبي قيس العامري في رواية ، رجلاً من بني هاشم ، فانطلق الأجير معه في لبلد الى الشام . فر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه ، فقال للأجير : أغثني بعقل أشد به عروة جوالقي ، فأعطاه عقلاً ، فشد به جوالقه . فلما نزلوا ، عقلت الإبل ، إلا بعيراً واحداً . فقال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل . قال الأجير : ليس له عقل . قال المستأجر له : فأين عقاله ؟ فحذفه بعضاً ، كان فيها أجله . فر رجل من أهل اليمن ، فقال :

١ النور ، الآية ٣٣ .

٢ تاج العروس (٢٦/٩ وما بعدها) (قسم) ، المفردات (ص ٤١٣) .

أنشهد الموسم ؟ قال : ما أشهد ، وربما شهدته . قال : هل أنت مبلغ غني
 رسالة مرة من الدهر ؟ قال : نعم . قال : فكنت اذا شهدت الموسم فناد :
 يا آل قريش . فإذا أجابوك ، فناد يا آل بني هاشم . فإن أجابوك ، فاسأل
 عن أبي طالب ، فأخبره ان فلاناً قتلني في عقال . ومات المستأجر . فلما قدم
 الذي استأجره ، أتى أبو طالب ، فقال له : ما فعل صاحبنا ؟ قال : مرض ،
 فأحسنst القيام عليه ، وتوفي فوليت دفنه . قال أبو طالب : قد كان أهل ذاك
 منك ، فكث حيناً . ثم ان الرجل الباني الذي أوصى اليه أن يبلغ عنه ، وافى
 الموسم ، فقال : يا آل قريش . قالوا له هذه قريش . قال : يا آل بني هاشم .
 قالوا : هذه بنو هاشم . قال : أين ابو طالب ؟ قالوا : هذا ابو طالب .
 قال له : أمرني فلان ان ابلغك رسالة : إن فلاناً قتله في عقال . فأخبره بالقصة ،
 وخداش يطوف بالبيت ، لا يعلم بما كان . فقام رجال من بني هاشم الى خداش
 فضربوه ، وقالوا : قتلت صاحبنا ، فحمد . وأتاه ابو طالب ، فقال له :
 اختر منا إحدى ثلاث : ان شئت ان تؤدي مئة من الإبل ، فإنك قتلت صاحبنا ،
 وإن شئت حلف خسون من قومك انك لم تقتله ، فإن آيت ، قتلناك به . فأتى
 قومه ، فقالوا نحلف ، فأته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم ، قد
 ولدت له ، فقالت : يا أبا طالب ، أحب ان تجيز ابني هذا من اليمين ، وتعفو
 عنه برجل من الخمسين ، ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان . ففعل . فأتاه رجل
 منهم ، فقال : يا أبا طالب ، أردت خمسين رجلاً أن يحلفوا مكان مئة من
 الإبل ، يصيب كل رجل بعيران . هذان بعيران ، فاقبلها غني ، ولا تصبر يميني
 حيث تصبر الأيمان ، فقبلها . وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا . ويذكر رواية هذا
 الخبر انهم كذبوا في يمينهم ، فاحال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف .

الفصل السابع والخمسون

الأحوال الشخصية

وأقصد بها الحقوق التي تتعلق بالشخص وبعلاقته بأسرته . مثل الزواج والطلاق والوفاة والميراث وحقوق الزوجة أو الزوج وحقوق الوالد على ولده وحقوق الولد ، وأمثال ذلك مما يدخل في الفقه الاسلامي في (باب المناكحات) ، وهو باب من أبواب قسم (المعاملات) .

وبفضل إقرار الاسلام بعض أحكام الجاهليين في الزواج وفي الطلاق وفي الوفاة وفي الميراث وتحريم أحكام أخرى مع الإشارة إليها ، جمع أهل التفسير والحديث والأخبار طائفة من أحكام الجاهليين القريبين للإسلام والمعاصرين له ، خاصة أحكام أهل المدينتين : مكة ويثرب ، ومن سكن في جوارهما من أهل المدر والوبر . وعلى كل ما ذكرنا اعتمادنا . غير أن تلك المادة لا تزال خاماً بكرة ، وبها حاجة شديدة إلى الغرلة والتقد والتنسيق .

وما سنذكره في هذه الصفحات ، لا يعني شمول هذا الوصف عموم الجاهليين في كل الأوقات وفي كل أنحاء الجزيرة ، إنما هو قول خاص بالجاهليين القريبين من الإسلام والمعاصرين له والساكين في الحجاز، ولا سيما في المدينتين المذكورتين . أما قدماء الجاهليين ممن عاشوا قبل الميلاد والجاهليين الذين عاشوا في جنوب جزيرة العرب أو في شريقها ، فلا نستطيع أن نقول إن ما نذكره هنا متزع من صميم حياتهم ، فهو يمثل ما كان عندهم كل التمثيل ، لأن المواد التي أشرت إليها

لا تصل الى حدودهم ، وليس لها قدرة الوصول اليهم ، فليس من حقنا اذن تعميم ما سنقوله على جميع الجاهليين .

النكاح :

ويعبر عن الزواج بـ (النكاح) في الفقه الاسلامي . والنكاح هو العقد في الأصل ، ثم استعير للججاج^١ . وقد عبر في القرآن الكريم عن الزواج في المعنى الشائع عندنا من (الزوج) والزوجية . أما في حالة التزوج وعقد العقد لغرض الدخول على المرأة ، فقد عبر عن ذلك بـ (النكاح) وبـ (نكح) وبأمثال ذلك ، ومن هنا أطلق الفقهاء في الفقه على الزواج (النكاح) وعلى الباب المختص بذلك (المناكحات) ، وعبر عنه بـ (العقد) وبـ (الوطاء) كذلك^٢ . أما اذا كان الاتصال بين الرجل والمرأة اتصالاً جنسياً بغير عقد ولا خطبة ، فهو زنا ، ويقال للمرأة عندئذ (زانية) و (بغي) و (فاجرة) و (عاهرة) و (معاهرة) و (مسافحة)^٣ .

ولا بد للزواج من أن يكون برضى الطرفين وبموافقتهما ، وبموافقة الوالدين أو المتولى للأمر . واذا كان أحد الطرفين أو كلاهما قاصراً فلا بد من أخذ موافقة القيم على أمره ، وإلا ، تعرض الرجل والمرأة أو أحدهما للمسؤولية . هذا هو الأصل في الزواج عند الجاهليين أيضاً ، غير ان الرجل قد ينهب المرأة باتفاق مع البنت أو غصباً فيأخذها ، وهذا ما يسيء الى أهل البنت ويلحق بهم الأذى ، إلا ان الطرفين قد يتفقان فيما بعد على الزواج .

ولولي الأمر إجبار البنت على الزواج بمن يريد أو يوافق عليه لأن يكون بعلاً لها ، وليس لها مخالفته . وقد يسمح لها بإبداء رأيها في الزوج وفي الزواج ، ويكون ذلك في الأسر المحترمة في الأكثر ، وعند أولياء الأمور الذين ليس لهم من البنات غير واحدة أو اثنتين ، وعند وجود دالة للبنت على ولي أمرها .

١ المفردات (ص ٥٣٥) .

٢ عمدة القارئ (٦٤/٣٠) ، المبسوط للسرخسي (١٩٢/٤) .

٣ النهاية (١٥٠/١) ، اللسان (٢٩٠/٦) (٨٣/١٨) .

٤ بلوغ الارب (٣/٢ ، ٣٣) ، الميداني (١٠/١) ، ١٢٤ ، ٤٤٠٢ .

والرجال قوامون على النساء . أما المرأة ، فهي للبيت ، والرجل هو (رب البيت) وصيده والمسؤول عنه، وله الكلمة على شؤونه . وهو القيم الطبيعي المسؤول عن تربية أولاده . وهو المسؤول عن إعالة زوجه وأولاده . والزوج تبع لبعله ، وعليها إطاعة أوامره ، ما دامت أوامره لا تنافي الخلق والمألوف . وبيتها هو (بيت الزوجية) . ولسيادة الرجل على بيته وزوجه، قيل له في كثير من اللغات السامية ، وفي جملتها اللغة العربية (بعل) . فالرجل هو بعل المرأة .

ومن تلده الزوج يكون للبعل ، فهو في ولايته ، وله رعايته ، وعليه تربيته حتى يبلغ أشده . وهو مسؤول أيضاً عن رعاية أحفاده بعد ابنه . أما أولاد ابنته فإنهم في رعاية أبيهم الذي يكون وحده المسؤول عنهم ، لأنه بعل زوجه ، وهو رب بيته .

وللحق المتقدم لم تمنع شرائع الجاهليين في وأد البنات أو قتل الأولاد، ولم تعد من يثد البنت أو يقتل ابنه قاتلاً ، ولم تؤاخذ على فعله ، حتى الأمهات لم يكن من حقهن منع الآباء من وأد بناتهن ، أو قتل أولادهن ، لأن الزوج هو وحده صاحب الحق والقول الفصل فيمن يولد له ، وليس لامرأته حق الاعتراض عليه ومنعه .

ولهذا الحق لم يكن للولد الاعتراض على ما يفرضه أبوهم عليهم من حقوق ، ولا مخالفة أوامره ونواهيه . فبوسع والدهم فرض ما يراه عليهم من عقوبات ، فلا يمنعه منها إلا قوة الولد وتوسط الناس . فإذا اشتد عود الولد، وقوي ساعده صار الحق الى جانبه ، وصار في وسعه معارضة والده ، ولن يكون في إمكان الوالد فعل شيء بعد بلوغ ابنه سوى خلعه والتنصل منه على رؤوس الأشهاد .

القاعدة العامة في الازدواج :

والقاعدة العامة في الازدواج مراعاة علاقة الأصل بالفرع ، فلا يجوز نكاح الأب لابنته ، ولا الجد لحفيده ، ولا يجوز للأُم أن تتزوج ابنها ، ولا للجدّة أن تتزوج حفيدها ، ولا للأخ أن يتزوج أخته ، مراعاة لعلاقة الأصل بالفرع ، أي لعلاقة الدم . ومن يفعل ذلك يكون آثماً مؤاخذاً على فعله .

ويراعى هذا التحريم حتى في حالات التبني ، لاكتساب التبني الصفة المقررة للابن الطبيعي ، فلا يجوز للمتبنّي أن يتزوج ابنة المتبنّي لأنه اتخذها ابناً له .
ويحرم على الرجل أن يتزوج ابنة أخيه ، أو ابنة أخته . أما ولد الأخوين أو ولد الأختين أو ولد الأخ والأخت ، فالزواج بينهم مباح . ويحرم نكاح العمة كما يحرم نكاح الخالة ، وذلك لأنهما في درجة الأصول . ويحرم بصورة عامة كل نكاح يقع بين المحارم .

ومن القبيح عندهم الجميع بين الأختين ، وأن يخلف الرجل على امرأة أبيه ، ويسمّون هذا الفعل من فعول (الضيزن) . وقد عرف هذا الزواج بنكاح المقت^١ . وقد حرم هذا النكاح في الإسلام^٢ . فقد ورد أن (كبشة بنت معن بن عاصم) امرأة (أبي قيس بن الأسلت) انطلقت الى الرسول فقالت : « إن أبا قيس قد هلك ، وإن ابنة من خيار الحي قد خطبني » . فسكت الرسول ، ثم نزلت الآية : « ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء » ، فهي أول امرأة حرمت على ابن زوجها^٣ .

وذكر (السهيلي) أن ذلك الزواج كان مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم ، ولم يكن من الحرمات التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ، فكثافة تزوج امرأة أبيه خزيمة ، وهي برة بنت مر^٤ . فولدت له النصر بن كنانة . وهاشم أيضاً قد تزوج امرأة أبيه واقدة . « وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح . ولذلك قال سبحانه : ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف . أي إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام . وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ولا من سفاح^٥ . »
وذكر علماء التفسير ، أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين^٥ . وأسلم (فيروز الديلمي) ، وتحتة اختان ، فقال له النبي :

- ١ بلوغ العرب (٥٢/٢ وما بعدها) ، الجصاص (١٠٦/١ ، ٢١٢) .
- ٢ الاغانى (٩/١) (١٥/٣) ، (طبعة ساسي) .
- ٣ الاصابة (١٦٢/٤) ، (رقم ٩٤٥) ، تفسير الطبري (٢١٧/٤ وما بعدها) .
- ٤ الروض الانف (١٤٥/١ وما بعدها) .
- ٥ تفسير الطبري (٢١٧/٤) .

اختر أيهما شئت^١ ، وجمع (أبو أحيحة) سعيد بن العاص بن أمية ، بين صفية وهند بنتي المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وجمع (قسي) ، وهو ثقيف ابن منبه ، آمنه وزينب بنتي عامر بن الظرب في نكاح واحد . وجمع (هنام بن سلمة) العائشي ، أخو بني تميم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن اختين^٢ .

ويقدم (ابن العم) على غيره في زواج ابنة عمه ، ولا يزال مقدماً على غيره^٣ . وقد تجبر البنت على الزواج به في حالة عدم رغبتها من الزواج ، وقد لا يتركها تتزوج من غيره إلا بإرضائه ، وقد يكون هذا الإرضاء بدفع ترصية له .

الصداق :

والزواج المألوف المتعارف عليه عند غالبية الجاهليين ، هو نكاح الناس اليوم . وهو أن يخاطب الرجل إلى الرجل ولبته أو ابنته فيصدقها ، أي يعين صداقها ويسمي مقداره ثم يعقد عليها . وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا المذهب في النكاح^٤ . وما يدفع يسمى (الصداق) أو (المهر) .

ويعد الصداق أي المهر فريضة لازمة عند الجاهليين لصحة عقد الزواج ، إذ هو علامة من علاماته ، ودلالة على شرعيته . وكانوا لا يقرون زواجا ولا يعرفون بشرعيته إلا إذا كان بمهر . فإذا لم يكن هناك مهر ، عدّ بغياً وسفاحاً وزناً ، فالمهر هو أيضاً علامة شرف ، وكون المرأة حرة محصنة لها كامل الحقوق^٥ . ولا يشترط دفع المهر إذا كانت المرأة قد وقعت في أسر أسر فتزوجها لأنها أسيرته ، فهي ملكه ، وله حق الدخول بها بغير مهر ، ولو كانت في عصمة رجل آخر ، لأن الأسر يبطل عصمة الزواج .

١ زاد المعاد (٧/٤) .

٢ الحبير (٣٢٧) .

٣ عمدة القارئ (١٩٩/٤) .

٤ بلوغ العرب (٣/٢) وما بعدها ، شرح العيني (١٢١/٢٠) .

٥ « أما النكاح فانما يكون بمهر ، وأما السفاح فانما يكون بلا مهر » ، نواذر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١١٨) ،

Ency. III, p. 137.

«وكانوا يخطبون المرأة الى أبيها أو أخيها أو عمها ، أو بعض بني عمها . وكان يخطب الكفي الى الكفي . فإن كان أحدهما أشرف من الآخر في الحسب ، أرغب له في المهر . وإن كان هجيناً خطب الى هجين . فزوجه هجينة مثله . فيقول الخاطب اذا أتاهم : أنعموا صباحاً . ثم يقول : نحن أكفأؤكم ونظراؤكم . فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتموها . وكننا لصهركم حامدين . وإن رددتمونا لعله نعرفها ، رجعنا عاذرين . وإن كان قريب القرابة منه أو من قومه ، قال لها أبوها أو أخوها ، اذا حملت اليه : أيسرت وأذكرت ولا آنت ! جعل الله منك عدداً وعزاً وجلداً . أحسنى خلقك وأكرمى زوجك . وليكن طيبك الماء . واذا تزوجت في غربة قال لها : لا أيسرت ولا أذكرت ، فإنك تدنين البعداء ، وتلدنين الأعداء . أحسنى خلقك وتحببي الى أحائك . فإن لهم عليك عيناً ناظرة ، واذاً سامعة . وليكن طيبك الماء »^١ .

والأصل في المهر عند الجاهليين دفعه للمرأة ، غير أن ولي أمرها هو الذي يأخذها لينفق منه على ما يشتري لتأخذ المرأة معها الى بيت الزوجية . وقد يأخذ ولي أمرها (المهر) لنفسه ، ولا يعطي المرأة منه شيئاً ، لاعتقاده أن ذلك حق يعود اليه . ولذلك نهى عنه في الإسلام^٢ . وللرأة حق استرداد مهرها إذا فسخ الزوج عقد الزواج ، أو إذا طلقها ، إلا اذا كان ذلك بسبب الزنا فيسقط . وإذا كان المهر مؤجلاً كلاً أو بعضاً ، فيكون ديناً في عتق الزوج ، وإذا توفي وجب دفعه لامراته من تركته .

وليس للمهر حد معلوم ، لا حد أعلى ولا حد أدنى ، بل يتوقف ذلك على الاتفاق . وتراعى في ذلك الحالة المالية للرجل في الغالب . ولما كانت النقود قليلة في ذلك العهد ، كان المهر عيناً في الأكثر ، وتدخل فيه الأرض . وقد بلغ المهر مئة من الإبل أو خمسين ومئة بعض الأحيان^٣ . وقد كان بسوزن من ذهب أو فضة في بعض الأحيان .

ويجوز للرجل استرداد مهره من تركة زوجته إن ماتت في حياته . وله حق مطالبة أهلها برد مهرها اليه في حالة عدم وجود تركة لها .

١ المعبر (٣١٠ وما بعدها) .
٢ (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) ، سورة النساء ، الآية ٤ ، الجصاص (٥٧/٢) .
٣ الاغانى (٧٨/٨ ، ١٨٥) ، الامتال ، للميداني (١١٠/١ ، ١٢٤) .

وليس في زواج الشغار ، مهر حقيقي . لأنه زواج مقايضة . وهو أن يزوّج الرجلُ وليّته في مقابل تزويجه وليّة من سيتزوج وليّته . فليس في هذا الزواج مهر بالمعنى المعروف .

وذكر ان أهل الجاهلية كانوا لا يعطون النساء من مهورهن شيئاً ، وان الرجل اذا زوّج ابنته استجعل لنفسه جعلاً يسمى (الحلوان) ، وكانوا يسمون ذلك الشيء الذي يأخذه (النافجة) ويقولون للرجل : (بارك الله لك في النافجة)^١ . وروي ان العرب كانت تقول في الجاهلية (للرجل اذا ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة ، أي المعظمة للملك ، وذلك انه يزوجه فيأخذ مهرها من الإبل ، فيضمها الى إبله ، فينفجها أي يرفعها ويكثرها)^٢ .

والحلوان أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو امرأة ما بمهر مسمى ، على أن يُجعل له من المهر شيء مسمى ، وكانت العرب تعبر به . وقيل إن حلوان المرأة : مهرها^٣ .

والصدّاق المهر ، و (الصدقة) مهر المرأة ، وقد ورد النهي في الحديث عن الغلو في 'صدق النساء' ، مما يدل على ان من الجاهليين من كان يبالي في الصدّاق . ويستخلص مما جاء في أخبار أهل الأخبار عن المهر ، ان أهل الجاهلية لم يكونوا على عرف واحد بالنسبة الى حق الانتفاع من المهر ، فمنهم من كان يعطيه كله للمرأة ، ومنهم من كان يعطيه كله ويزيد عليه إكراماً لابنته أو من ولي أمرها ، ومنهم من كان يأكله كله أو بعضاً منه .

ويظهر من وثيقة معينة أن ملوك معين كانوا يصدرون أوامرهم بالموافقة على عقود الزواج على نحو ما تفعل الحكومات من اصدار وثائق عقود الزواج . ولكننا لا نملك وثيقة تثبت أن المرأة كانت تُكره على الزواج من شخص لا تريد التزوج منه . بل ليظهر أن المرأة كانت مثل الرجل عند المعينين لها حق النظر في أمر اختيار الزوج^٤ .

١ اللسان (٦٥٠/١١) ، (نجل) .

٢ اللسان (٣٨٢/٢) ، (نفج) .

٣ اللسان (١٩٣/١٤) .

٤ اللسان (١٩٧/١٠) .

٥ Arablen, S. 132.

أنواع الزواج :

والزواج المألوف بين الجاهليين ، هو زواج هذا اليوم . أي الزواج القائم على الخطبة والمهر ، وعلى الإيجاب والقبول . وهو ما يسمى بزواج البعولة، وهو زواج منظم ، رتب الحياة العائلية وعيّن واجبات الوالدين والبنوة . وهو الذي أقره الإسلام . يكون الرجل بموجبه بعلًا للمرأة فهي في حمايته وفي رعايته. وللزوج في هذا الزواج أن يتزوج من النساء ما أحب من غير حصر ، وله أن يكسفي بزوج واحدة . وأمر عدد الأزواج راجع إليه والى هواه بالنساء .

وزواج البعولة هو الزواج الذي كان شائعاً بين الجاهليين في كل أنحاء جزيرة العرب ، خاصة عند ظهور الإسلام ، وبين أهل الحضر وأهل الدير . ويرجع (روبرتسن سمث) W. R. Smith أسباب شيوع هذا الزواج وظهوره الى الحروب والى وقوع النساء في الأسر، ويكون الأولاد بحسب هذا النوع من الزواج تابعين للأب ، يلتحقون به ، ويأخذون نسبه . وهو على نوعين : نوع يكسفي فيه الرجل بالتزوج بامرأة واحدة وهو ما يسمى بـ Monogamy ، ونوع آخر يتزوج بموجبه الرجل عدداً غير محدود من النساء ، أي أكثر من زوجه واحدة في آن واحد وهو ما يسمى بـ Polygamy ، أي زواج تعدد الزوجات^١ .

ويحصل الرجل في هذا الزواج على زوجة بالتراضي مع أهلها ، حيث يتم ذلك بخطبة ومهر ، أو بالحرب حيث يحصل المستصرون على أسرى فيختار الرجل له واحدة من بينهن متى ولدت له أولاداً صارت زوجاً له . وصار هو بعلًا لها . ويلاحظ ان النصوص العربية الجنوية دعت الزوج بعلًا ، أما الزوجة فدعتها (بعلت) (بعلة) ، ومعناها ان المرأة في حيازة الزوج وملكه .

ولذلك عوملت الزوجة بعد وفاة زوجها معاملة (التركة) أي ما يتركه الانسان بعد وفاته ، لأنها كانت في ملك زوجها وفي يمينه . ومن هنا كان للاخ أن يأخذ زوجة أخيه اذا مات ولم يكن له ولد ، لأن الأخ هو الوارث الشرعي لأخيه ، فهو يرث لذلك زوجة أخيه التي هي في بعولته ، ويرث ابن الأخ هذا الحق عن أبيه^٢ .

Ency., Relig., 8, p. 408.

١ نفس الطبري (٢٠٨/٤)

نكاح الضيزن :

وهذه النظرة المتقدمة بالنسبة الى الزوجة ، دفعت الى نكاح أطلق عليه المسلمون (نكاح المقت) ، وعرف به (نكاح الضيزن) كذلك . وهو نكاح معروف من أنكحة الجاهليين . (ذلك أنهم في الجاهلية كانت إحداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ، إن شاء نكحها ، وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت)^١ . وظل هذا شأنهم الى أن نزل الوحي بتحريم ذلك^٢ . وقد تناوب ثلاثة من (بني قيس بن ثعلبة) امرأة أبيهم ، فغيرهم ذلك (أوس بن حجر التميمي) ، إذ قال :

والفارسية فيهم غير منكرة فكلهم لأبيه ضيزن سلف^٣

وهذا الزواج على أنه كان معروفاً وقد مارسه أناس معروفون كان ممقوتاً من الأكثرية ، ولذلك عرف به (زواج المقت) ، وأطلقوا على الرجل الذي يخلف امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها وقيل من يزاحم أباه في امرأته (الضيزن) . وقالوا للولد الذي يولد من هذا الزواج مقتي ومقيت^٤ .

وطريقة أهل (يثرب) في إعلان دخول زوجات المتوفى في ملك الإبن أو الأخ أو بقية الأقرباء من ذي الرحم إذا لم يكن للمتوفى أبناء أو اخوة : هو بإلقاء الوارث ثوبه على المرأة ، فتكون عندئذ في ملكه ، إن شاء تزوجها ، وإن شاء عضلها ، أي منعها من الزواج من غيره حتى تموت . فیرث میراثها ، إلا

١ تفسير الطبري (٢٠٧/٤) ، روح المعاني (٢٤٥/٤ وما بعدها) ، سنن أبي داود (٢٣٠/٢) ، تفسير المنار (٤٥٢/٤ وما بعدها) ، السنن الكبرى (١٦١/٧ وما بعدها) ، الطبرسي (٢٠٧/٤ وما بعدها) ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (١٠٤/١) .

٢ سورة النساء ، الآية ٢٢ ، (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما سلف ،

انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) ، الزيري ، نسب قريش (٩٩ وما بعدها)

٣ تاج العروس (٢٦٤/٩) ، (ضزن) ، بلوغ الأرب (٥٢/٢) ، المحبر (٣٢٥) .

٤ (ولد المقت) ، المبسوط للسرخسي (١٩٨/٤) ، تاج العروس (٥٨٥/١) ، (مقت) ،

النهاية (١٠٨/٤) ، تفسير المنار (٤٦٤/٤ وما بعدها) ، اللسان (٩٠/٢) ،

(مقت) -

أن تفتدي نفسها منه بغدية ترضيه^١ .

وقال (الطبري) في تفسير : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » :
(كانت الوراثة في أهل يثرب بالمدينة ههنا ، فكان الرجل يموت فيرث ابنه
امراً أليه كما يرث أمه لا يستطيع أن يمنع . فإن أحب أن يتخذها اتخذها كما
كان أبوه يتخذها ، وإن كره فارقها ، وإن كان صغيراً حبست عليه حتى يكبر
فإن شاء أصابها وإن شاء فارقها ، فذلك قول الله تبارك وتعالى : لا يحل لكم
أن ترثوا النساء كرهاً^٢ . وذكر « أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها
حتى تموت أو تردّ إليه صداقها » ، وورد عن (السدي) قوله : « إن الرجل
في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه ، فإذا مات وترك امرأته ، فإن
سبق وارث الميت ، فألقى عليها ثوبه ، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه
أو ينكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقت فذهبت إلى أهلها فهم أحق بنفسها »^٣ .
وقال (الضحاك) : « كانوا بالمدينة إذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى
الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها ، وكان ذلك عندهم نكاحاً ،
فإن شاء أمسكها حتى تفتدي منه . وكان هذا في الشرك »^٤ . وروي عن (ابن
عبّاس) أنه قال : « كان الرجل إذا مات وترك جارية ، ألقى عليها حيمه
ثوبه فمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوّجها ، وإن كانت قبيحة حبسها
حتى تموت فيرثها »^٥ . فلهذا الظلم الفادح الذي كان يتزل بالمرأة بسبب ضعفها
وبسبب عرف الجاهلية في الحق ، منع ذلك في الإسلام .

قال (محمد بن حبيب) : « وكان الرجل إذا مات ، قام أكبر ولده فألقى
ثوبه على امرأة أبيه . فورث نكاحها . فإن لم يكن له حاجة فيها ، تزوّجها بعض
إخوته بمهر جديد »^٦ . ولكن أهل الأخبار لا يذكرون أن الإخوة يدفعون لها
مهرأً جديداً ، فقد يكون هذا المهر الجديد الذي أشار (محمد بن حبيب) إليه ،
هو ترضية للابن الأكبر بسبب تنازله عن حقه الشرعي في امرأة أبيه إلى من له

-
- ١ تفسير الطبري (٢٠٨/٤ وما بعدها) ، (٢١٧/٤) .
 - ٢ تفسير الطبري (٢٠٨/٤ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير الطبري (٢٠٨/٤) .
 - ٤ تفسير الطبري (٢٠٨/٤) .
 - ٥ تفسير الطبري (٢٠٩/٤) .
 - ٦ المحبر (٣٢٥ وما بعدها) .

رغبة فيها من اخوته الباقين ، على ألا يكون من أبنائها بالطبع ، وانما هم من زوجات اخرى . وقد فرّق الاسلام بين رجال ونساء آبائهم ، وهم كثير^١ .

وذكر ان آية : « يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً » ، نزلت في (كبيشة بنت معن بن عاصم) من الأوس ، توفي عنها (ابو قيس بن الأسلت) ، فجئح عليها ابنه ، فجاءت النبي ، فقالت : يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فأنكح فترثت هذه الآية في منع ذلك^٢ . وحرّم هذا الزواج في الاسلام ، ومن تزوج امرأة ابنه وهو مسلم قتل وأدخل ماله في بيت المال^٣ .

وقد كان العبرانيون يتزوجون زوجات آبائهم كذلك ، استمروا على ذلك حتى بعد السبي . كذلك عرفت هذه العادة بين الرومان والسرّيان^٤ .

نكاح المتعة :

وأشار أهل الأخبار الى وجود انواع اخرى من الزواج ، الغالب عليها سقوط الصداق والخطبة منها ، وهي : نكاح المتعة ، وهو نكاح الى أجل ، فإذا انقضى وقعت الفرقة . وقد كان هذا النوع من الزواج معروفاً عند ظهور الاسلام . وقد أشير اليه في القرآن الكريم : « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ، إن الله كان عليماً حكيماً »^٥ .

١ المحبر (٣٢٦) .

٢ تفسير الطبري (٢٠٨/٤) ، الاصابة (٣٨٣/٤) ، (رقم ٩٢٠) ، أسباب النزول (١٠٨ وما بعدها) .

٣ زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية (٢٠٢/٣) ، (فصل في حكمه صلى عليه وسلم ، فيمن تزوج امرأة أبيه) .

٤ Kinship, p. 90.

٥ النساء ، الآية ٢٤ .

وللفقهاء آراء في المتعة ، ولا تزال معروفة في بعض المذاهب^١ .
ومن دوافع حدوث هذا الزواج التنقل والأسفار والحروب ، حيث يضطر المرء
الى الاقتران بامرأة لأجل معين على صداق : فإذا انتهى الأجل ، انفسخ العقد .
وعلى المرأة أن تعتد كما في أنواع الزواج الأخرى قبل أن يسمح لها بالاقتران
بزواج آخر . فهو كزواج البعولة ، فيما سوى الاتفاق على أجل معين يحدد مدة
الزواج .

وينسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم في الغالب ، وذلك بسبب اتصالهم المباشر بالأم
ولارتحال الأب عن الأم في الغالب الى أماكن أخرى قد تكون نائية ، فتقطع
الصلات بين الأب والأم ولهذا يأخذ الأولاد نسب الأم ونسب عشيرتها .

نكاح البذل :

ونكاح البذل : وهو أن يقول الرجل للرجل : « أنزل لي عن امرأتك ،
وأنزل لك عن امرأتي »^٢ . فهو زواج بطريق المبادلة بغير مهر .

نكاح الشغار :

ونكاح الشغار : وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ،
ليس بينها صداق . وذلك كأن يقول الرجل للرجل : زوجني ابنتك ، وأزوجك
ابنتي ، أو زوجني أختك وأزوجك أختي . وعرفه بعض العلماء على هذا النحو :

-
- ١ صحيح مسلم (١٣٠/٤) ، المبسوط ، للسرخسي ، (١٥٢/٥) ، (٦١/٦) ،
السنن الكبرى (٢٠٠/٧) ، تفسير الطبري (٨/٤ وما بعدها) ، الطبرسي
(٣٢/٣) ، روح المعاني (٥/٥ وما بعدها) ، النهاية (٨١/٤) ، المحبر (ص
٢٨٩) ، تفسير المنار (١٣/٥ وما بعدها) ، سنن أبي داود (٢٢٦/٢) وما
بعدها ، عمدة القاري (٢٠٨/١٨) (١١١/٢٠) ، الامومة عند العرب تأليف
(ولكن) (G.A. Wilken) ، تعريب بندلي صليبا الجوزي (فازان ١٩٠٢
(ص ١٥ وما بعدها) ، اللسان (٣٢٩/٨) ، (متع) ، الكشف للزمخشري
(٣٦٠/١) .
- ٢ بلوغ الارب (٥/٢) ، عمدة القاري (١٢٢/٢٠) ، (كتاب النكاح) ، الحديث
رقم (٦٠) .

(الشغار ، بكسر الشين : نكاح كان في الجاهلية ، وهو أن تزوج الرجل امرأة ما كانت على أن يزوجك أخرى بغير مهر^١ . وخص بعضهم به القرائب ، فقال : لا يكون الشغار إلا أن تنكحه ولبتك على أن ينكحك وليته)^٢ . فكان الرجل يقول للرجل : شاغرني ، أي : زوجني أختك أو بتك أو من تلي أمرها حتى أزوجك أختي أو بنتي أو من إلي أمرها . ولا يكون بينهما مهر^٣ . وقد نهى عنه الإسلام^٤ . وورد (ان اناساً كانوا يعطى هذا الرجل اخته ، يأخذ اخت الرجل ، ولا يأخذون كثير مهر)^٥ . (وكان ذلك من أولياء النساء ، بأن يعطي الرجل اخته الرجل على ان يعطيه الآخر اخته ، على ان لا كثير مهر بينهما ، فنهوا عن ذلك)^٦ . والغالب انه مثل (البدل) بدون مهر . وهو معروف حتى اليوم مع ورود النهي عنه ، ولا سيما بين الطبقات الفقيرة والأعراب ، وللوضع الاقتصادي والاجتماعي دخل كبير في هذا الزواج ، لعدم وجود المهر فيه ، إذ حل التفاضل فيه محل المهر . ولهذا لم ينظر اليه نظرة استهجان لوجود هذا التفاضل فيه الذي يقوم مقام المهر .

نكاح الاستبضاع :

وأشار أهل الأخبار الى نوع غريب من الزواج ، سَمَّوه (نكاح الاستبضاع) . وهو — على ما يزعمون — ان يقول رجل لامرأته اذا طهرت من طمثها : ارسلي

١ بلوغ الارب (٥/٢) ، (باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه) ، شرح الامام النووي على صحيح مسلم ، حاشية على القسطلاني (١٤١/٦) ، سنن أبي داود (٢٢٧/٢) ، عمدة القاري (١٠٨/٢٠ وما بعدها) ، (كتاب النكاح : باب الشغار حديث رقم ٤٨ ، السنن الكبرى (١٩٩/٧ وما بعدها) ، ارشاد الساري (١٤١/٦ وما بعدها) .

٢ اللسان (٨٥/٦ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٠٦/٣ وما بعدها) ، (شغل) .

٣ النهاية (٢٤٥/٢) .

٤ (لا شغار في الاسلام) ، صحيح مسلم (١٣٩/٤) ، المبسوط ، للرخسي (١٠٥/٥) ، ارشاد الساري (١٤١/٦) ، الكافي ، للرازي (٣٦١/٥) ، (طهران ١٣٧٨ هـ) ، مجمع البيان (١٦٢/٤) .

٥ تفسير الطبري (١٦٢/٤) .

٦ تفسير الطبري (١٦٢/٤) .

الى فلان فاستبضعي منه ، لتحملي منه . ويعتزلها زوجها ، ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا حملها أصابها زوجها اذا أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، لأنهم كانوا يطلبون ذلك من اكابرهم ورؤسائهم في الشجاعة او الكرم او غير ذلك فكان هذا النكاح الاستبضاع^١ .

كذلك كان بعض اصحاب الجوارى على ما يرويه اصحاب الأخبار ايضاً ، يكلفون جواريتهم الاتصالَ برجل معين من اهل الشدة والقوة والنجابة ، ليلدن ولداً منه يكون في يمينه وملكه^٢ . والغاية من هذا النوع من التكليف الحصول على اولاد اقوياء يقومون بخدمة الرجل المالك ، إن شاء استخدمهم في بيته وفي ملكه ، وإن شاء باعهم وربح منهم ، فهي تجارة كان يمارسها المتاجرون بالرقيق للربح والكسب .

واما ما اشار اليه اهل الأخبار من وجود زواج دعوه زواج الرهط ، وزواج آخر قالوا له (زواج صواحيبات الرايات)^٣ ، فلا يمكن عدّهما زواجاً بالمعنى المفهوم من الزواج لأنهما في الواقع نوع من انواع البغاء ، وخاصة (زواج صواحيبات الرايات) . وقد عرفوا الزواج الأول بأنه زواج يجتمع فيه الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، وذلك برضاء منها وتواطؤ بينهم وبينها ، فإذا حملت ووضعت ، ارسلت اليهم فلم يستطيع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، فتقول لهم : قد عرفتم الذي من أمركم، وقد ولدت ، ثم تسمي احدهم وتقول له : فهو ابنك يا فلان ، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع ان يمتنع به الرجل . وقد قيل إن هذا يكون إن كان المولود ذكراً ، وإلا فلا تفعل لما عرف من كراهتهم للبنت وخوفاً من قتلهم للمولودة^٤ .

ويقال لهذا النوع من الزواج زواج (تعدد الأزواج) Polyandry ، في

-
- ١ النهاية في غريب الحديث (٩٨/١) ، شرح العيني (٢٤٦/١٧) ، (١٢١/٢٠) ، صحيح البخاري (١٦٢/٣) ، بلوغ الارب (٤/٢) .
 - ٢ ناج العروس (٢٧٩/٥) ، اللسان (٣٦١/٩) .
 - ٣ بلوغ الارب (٤/٢) وما بعدها .
 - ٤ بلوغ الارب (٤/٢) ، عمدة القاري (١٢١/٢٠) وما بعدها ، القسطلاني ، ارشاد الساري (٤٥/٨) ، الامومة عند العرب (٢٤) وما بعدها ، الملل والنحل (٤٤٢/٢) ، (لندن) .

الانكليزية ، وذلك لوجود امرأة واحدة فيه وعدد من الرجال تختارهم المرأة ، التي تكون زوجة مشتركة بينهم ، وهو عكس زواج الـ Polygamy ، أي زواج تعدد النساء للرجل الواحد ، حيث يتزوج الرجل الواحد بموجبه عدداً من النساء ، بعلاً^١ .

وعرفوا (زواج صواحيب الرايات) بأنه نكاح يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فن ارادهن دخل عليهن . فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ، ودعوا لهم (القافة) ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ، فاستلحقه به ، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك^٢ . وذكر ان تلك الرايات كانت رايات حمراً . فالنكاحين المتقدمين ليسا في الواقع زواجا بالعرف الشائع عند غالبية الجاهليين وإنما هو سفاح ، وقد عُدَّ في القرآن الكريم (زنا) ، ولو كان فيه استحقاق الولد بوالد . فليس في هذا الزواج صداق ولا خطبة على عادة العرب ، ومن يفعله من الرجال ، لم يكن يقصد به زواجا بمعنى الأزواج وبالدرجة الأولى ، وإنما التسلية وتحقيق شهوة بئس ، ولهذا فهما من أبواب الزنا والسفاح .

وقد تعرض « السكّري » لموضوع « صاحبات الرايات » ، فقال : « ومن سنتهم أنهم كانوا يكسبون بفروج إمائهم . وكان لبعضهم راية منصوبة في اسواق العرب ، فيأتيها الناس فيفجرون بها . فأذهب الإسلام ذلك وأسقطه فيما اسقط ، ولهنّ اولاد ونسل كثير معروف »^٣ .

ومن أشار الى وجود إباحة تعدد الأزواج للزوج الواحدة في شرائع الجاهليين ، « سترابو » . ذكر ان الاخوة كانوا يشتركون في كل شيء ، في المال وفي الزوج . فللإخوة جميعهم زوج واحدة تكون مشتركة بينهم . ولكن الرئاسة تكون للأخ الأكبر . وإذا اراد احد الاخوة الاتصال بالزوجة ، وضع عصاه على باب الخيمة ، لتكون علامة تفهم الآخريين ان احدهم في داخلها ، فلا يدخلها ، وهم

Ency., Relig., Vol., 8, p. 488.

١
٢ بلوغ العرب (٤/٢ وما بعدها)
٣ تفسير المنار (٢٢/٥)
٤ المحبر (٣٤٠)

جميعاً يحملون العصي معهم . أما في الليل فتكون الزوجة من نصيب الولد الأكبر . وهم يعاشرهم أمهاتهم معاشرة جنسية . وذكر أنهم يعاقبون الزاني عقاباً شديداً . يعاقبونه بالموت . والزاني في عرفهم هو الشخص الغريب ، يعاشر امرأة من اصل غريب عنه^١ .

وذهب بعض العلماء الى ان اشتراك الأخوة في زوج واحدة ، وهو ما يعبر عنه بـ Fraternal polyandry عند علماء الاجتماع ، على نحو ما أشار (سترابون) اليه ، هو زواج يعدّ مرحلة وسطى بين تعدد الأزواج Polyandry البدائي الذي لم يكن مقيداً بقيود وبين الزواج المقيد المعروف ، زواج البعولة ، وهو اختصاص المرأة بزواج واحد ، اي الزواج الذي اباحته الأديان السماوية . وكان شائعاً بين غالبية الجاهليين القرييين من الإسلام وعند ظهور الإسلام . وليس بمستبعد ان يكون (سترابون) قد قصد بـ (زواج الأخوة) الزواج المعروف بـ Le virate Marriage عند علماء الاجتماع . وهو زواج الأخ زوجة أخيه بعد وفاته ، وهو زواج نشأ على رأي علماء الاجتماع من زواج الـ Polyandry . وهو معروف عند العرب وعند العبرانيين والحبش وغيرهم^٢ .

وحينما يتوفى الزوج عند العبرانيين ، تاركاً له زوجاً دون ولد ، يأخذ الأخ ارملة اخيه ، فإذا ولدت له ولداً عدّ المولود للأخ المتوفى^٣ . وللباحثين آراء من اصل هذا الزواج وفي الأسباب التي أدت الى وقوعه^٤ . وهو في رأي (جيمس فريزر) صفحة من صفحات اشتراك الأخوة في زوج واحدة ، واشتراك الأخوة في تزوج الأخوات ، وهو متمم لما سماه بـ Sororate^٥ .

والجمع بين الأختين زوجين لرجل واحد ، زواج معروف عند الجاهليين^٦ . وهذا الزواج هو صورة معكوسة لزواج الأخوة مشتركاً في زوج واحدة ، فلم

Strabo, XVI, 4, Ency. Relig. Vol. 8, p. 467. ١

Ency. Relig., Vol. 8, p. 467, Die Socialen Verhältnisse der Israeliten, S. 28. ٢

Ency. Breta., Vol. 13, p. 979. ٣

Westermarck, History of Human Marriage, Vol. III, (1921). ٤

Ency. Brita. Vol. 21, p. 2, « Sororate », Sir James Frazer, Folklore of the Old ٥

Testament, Vol. II, p. 317.

٦ تفسير الطبري (٢١٧/٤ وما بعدها) ، روح المعاني (٢٦٠/٤) .

يكن هناك رادع قانوني يمنع الرجل من التزوج من الأخوات في زمن واحد ومن الجمع بينهما في صعيد الزوجية ، وفي بعولة رجل واحد . وهو في جملة أنواع الزواج الذي نهى عنه الاسلام^١ .

وتعدد الأزواج للزوج الواحدة يسبب مشكلة خطيرة في قضية تعيين أبوة الأولاد إذ يكون من الصعب في أكثر الحالات إثبات ذلك ، ولهذا نسبوا الى الأمهات في الغالب . وهذا ما يعرف بالأمومة . وزواج مثل هذا يكون داخلياً ، اي في أفراد العشيرة الواحدة ، ويعاقب مرتكبه عقاباً صارماً اذا كان من عشيرة غريبة ، إذ يعد ذلك نوعاً من الزنا . ويكون هذا الزواج مؤقتاً في الغالب ، ينتهي أجله بارتحال اهل المرأة وانتقالهم من مكان الى آخر .

وقد أشار (أميانوس مارسيلينوس) Ammianus Marcellinus الى زواج قال انه موجود عند العرب ، تزف العروس الى زوجها ومعها حربة وخيمة ، وقال انها تستطيع ان تعود الى بيتها بعد مدة اذا رغبت في ذلك . وقد ذهب (جورج برتن) George Barton الى ان هذا الزواج الذي يذكره هذا المؤرخ القديم هو من نوع الزواج المتقدم^٢ .

إن هذا الزواج يجعل المرأة تعيش مع أهلها وبين أبويها وإخوتها ومعها اولادها ، ولهذا يكون نسب الأطفال هو نسب الأم ، ولهذا صار الخال اقرب اليهم من العم . ومن هنا نرى ان للخال شأنًا كبيراً بالقياس الى الأطفال عند الساميين^٣ .

ويظن بعض علماء الاجتماع المحدثين ان من الأسباب التي دعت الى شيوع تعدد الأزواج للزوج الواحدة ، هو قلة عدد النساء بالقياس الى الرجال ، وذلك بسبب الوأد^٤ . ولكن كيف يتمكن من إثبات انتشار عادة الوأد بين جميع العرب وفي كل العهود ؟ ثم من الذي يثبت لنا انه كان من سعة الانتشار بحيث احدث مشكلة خطيرة في عدد النساء بالقياس الى الرجال ؟ ثم إن هذا النوع من الزواج كان معروفاً عند غير العرب من الأمم ، ولا زال معروفاً عند بعض القبائل الإفريقية ، وهو في نظرهم نوع من انواع الزواج ، وهم لا يمارسون مع ذلك الوأد !

١ سورة النساء ، الآية ٢٣ .

٢ Ency., Relig., Vol., 8, p. 467.

٣ Ency., Relig., Vol., 8, p. 467.

٤ Ency., Relig., Vol., 8, p. 467.

وقد نص في الآية « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن ، فإن لم تكونوا دخلن بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وإن تجمعوا بين الأختين ، إلا ما قد سلف ، إن الله كان غفوراً رحيماً^١ . ونص في الآية « ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً^٢ » ، وذلك بسبب النسب والصهر والرضاع^٣ . ونزول الوحي بتحريم الزواج بالمذكورات ، يبعث على الظن أن من الجاهليين من كان يتصل اتصالاً جنسياً بهن . غير أن من العلماء من يقول إن الجملة « انشائية » ، وليس المقصود منها الأخبار عن التحريم في الزمان الماضي^٤ ، بمعنى أنها ليست حكاية عن تجويز الجاهليين الاقتران بالنساء المذكورات ، وتحريم الإسلام له ، وإنما الآية تقرير وتوضيح للتحريم والمحرمات على سبيل العدّ والحصر ، لا الحكاية والإبطال لأحكام سابقة لظهور الإسلام^٥ .

وللآيتين شأن خاص بالقياس الى بحثنا في زواج الجاهليين ، ولهذا كان لشرح أسباب نزولهما والعوامل التي دعت الى نزول الوحي بهما ، والغاية من نزول الحكم بالتحريم ، شأن كبير عند الباحث في هذا الموضوع ، غير أن غالبية المفسرين لم تتعرض للبحث في هذه المسألة ، وبالأأسف ، وإنما تبسطت في أمور لغوية وفقهية لا تزيل الغموض عن الأسباب التي دعت الى النص على التحريم ، وعن آراء الجاهليين في الزواج بالمذكورات في الآية ، إذ أن التحريم يعني وقوع الإباحة عند من حرّم ذلك عليهم الى حين نزول الوحي : ولا سيما أن المفسرين قد ذكروا أمثلة تشير الى ان بعضهم قد تزوج ممن ورد ذكره في تلك الآية . ثم إن بعضه من النوع المعروف المألوف عند بعض الأمم ، وما زال معروفاً حتى

١ النساء ، الآية ٢٢ وما بعدها ، تفسير الطبري (٢١٩/٤) ، تفسير الألوسي

(٢٢٣/٤) .

٢ النساء ، الآية ٢٢ .

٣ تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٥/٥ وما بعدها) .

٤ روح المعاني (٢٤٩/٤ وما بعدها) .

٥ عمدة القاري (١٠٠/٢٠) .

الآن ، وأن بعض ما حرم في الإسلام جائز في ديانات أخرى ، ومنها اليهودية والنصرانية ، فليس بغريب ولا بمعيب إذا كان موجوداً بعضه عند الجاهليين .

والاتصال الجنسي بين الأولاد والأمهات شيء قليل الوقوع عند البشر^١ . ولم تبحه ديانة من الديانات ، وهو غير معروف في العرب ، ولم يشر إليه أهل الأخبار . أما ما ذكره (سترابون) ، فلعلّ المراد منه الزواج بزوجات الآباء بعد موتهم ، أي أنه ذكر الأمهات على سبيل التجوز ، وهو زواج المقت الذي كان معروفاً في الجاهلية وعند غير الجاهليين ، الى ان نهى عنه الإسلام^٢ .

وأما زواج الأخوة بالأخوات ، فهو معروف وثابت وما زال معروفاً حتى الآن في (سيام) وفي بورما وسيلان وأوغندا وأماكن أخرى . وقد كان عند الفرس والمصريين^٣ ، وخاصة بين أفراد الأسر المالكة والاشراف . والظاهر ان ذلك لاعتقادهم ضرورة المحافظة على نقاوة الدم وخصائص الأسرة . خاصة وقد كانت عقيدة القدماء أن تلك الطبقات مقدسة مؤهلة ، فلا يجوز إهراق دمها في دم أوطأ منه .

وقد ذهب (موركن) (Morgan) وآخرون الى ان زواج الأخ بأخته، هو الزواج المألوف العام الذي كان شائعاً بين البشر، وأنه المرحلة السابقة للزواج المألوف^٤ . أما زواج الآباء ببناتهم ، فهو معروف ومذكور ولكنه قليل ، وقد أشير الى وجوده عند بعض الشعوب ومنهم المجوس والمصريين، ذكر ذلك اليونان والرومان. وأشار الأخباريون الى تزوج (حاجب بن زُرارة) ابنته (دختنوس) لمجوسيته، وذكروا انه أولدها ، وأوردوا في ذلك شعراً وقصصاً ، ثم ذكروا انه ندم بعد ذلك على عمله ، وأنه فعل ذلك بتأثير المجوسية التي دان بها ، وحاجب بن زُرارة هو من تميم . فالمجوسية على زعم أهل الأخبار هي التي أباحت لحاجب الاقتران بابنته^٥ .

١ Ency., Relig., Vol., 8, p. 425, 467.

٢ المصدر نفسه .

٣ كذلك .

٤ Ency. Relig., Vol., 8, p. 425, 467.

٥ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (١٠٤/٥) ، الاغانى (٣٨/١٠) ، بلوغ الارب (٢٣٥ ، ٥٢/٢) .

ودعوى الأخباريين هذه فيها نظر ، والشعر المذكور والقصص السني يورده أهل الأخبار يحتاج الى اثبات . وقد رأينا كثيراً منه عمله معامل الوضع ، وقد ثبت وضعه ، وليس بمستبعد أن يكون ما ذكره هؤلاء هو من هذا القبيل. وضعه خصوم تميم للطعن فيها ، وإلحاق مثلبة بها ، ثم رَوَّجَه وأشاعه الطالبون لمثالب القبائل من العرب ، وقد كانوا يبحثون عن أمثال هذه السقطات ، وهم جماعة لهم رأي في الدين وفي السياسة معروف مشهور .

وفي بعض الأخبار أن (دختنوس) كانت ابنة (لقيط بن زرارة التميمي) ، وأنها كانت تحت (عمرو بن عدس) سمّاها أبوها (دختنوس) باسم ابنة كسرى وأن البيتين اللذين ينسبها أهل الأخبار الى (حاجب) ، ويزعمون أنه قالهما حين نكح ابنته وهما :

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاهما الخبر المرموس
أتسحب الذيلين ، أم تميمس ؟ لا بل تميمس ، إنها عروس^١

لم يكونا لحاجب ، بل كانا من رجز (لقيط) وقد قالهما يوم شعب جيلة عند موته ، وجعلت بنو عامر يضربونه ، وهو ميت ، وقد رووهما على هذه الصورة :

يا ليت شعري اليوم دختنوس إذا أتاهما الخبر المرموس
أتملّق القرون ، أم تميمس ؟ لا بل تميمس إنها عروس^٢

وذكروا أن (دختنوس) أخذت تراثي أباهما بأبيات ذكروها . وليس في كل هذه القصة أية إشارة الى تزوج لقيط بابنته ، بل هي تنص على ان زوجها كان (عمرو بن عدس)^٣ . وأن قصة زواج (حاجب) بابنته قصة مصنوعة .

وقد أشار أهل الأخبار الى نوع آخر من الزواج قالوا له (نكاح الحيدن) . وقد أشير اليه في القرآن الكريم (وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان)^٤ ، ومعناها اتخاذ أخلاء في السر ، وذلك باتخاذ الرجل

١ بلوغ الارب (٢٣٥/٢) .

٢ الاغانى (٢٨/١٠) ، نأج العروس (١٤٧/٤) ، (دختنوس) .

٣ الاغانى (٢٨/١٠) ، بلوغ الارب (٢٣٥/٢) وما بعدها .

٤ النساء ، الآية ٢٥ ، المائدة ، الآية ٥ ، الانعام ، الآية ١٥١ .

صديقة له ، أو اتخذ المرأة صديقاً لها^١ . ويكون ذلك بالطبع بتراضٍ و اتفاق .
و (ذات الخلدن) هي من اتخذت لها صديقاً واحداً ، وقد نهى عن اتخاذ
الأخذان في جملة ما نهى عنه في الاسلام^٢ . وكان الرجل في الجاهلية يتخذ خدناً
لجواريه ، ليحدث الجارية ويصاحبها ويؤانسها لكي لا تستوحش، وقد يتصل بها ،
وقد نهى عن هذا النوع من المخادنة أيضاً في الاسلام^٣ .

و (نكاح الخلدن) لا يمكن عدّه نكاحاً وإن أطلق أهل الأخبار عليه صفة
النكاح ، لأنه لم يكن بعقد وخطبة ، وإنما كان صداقة ، وآية ذلك ورود (ولا
متخذات أخذان) بعد جملة (غير مسافحات) في القرآن الكريم ، والنهي عن
الاقتران بصاحبات الأخدان والمسافحات ، لأنهن غير محصنات ، فحكم صاحبة
الخلدن هو حكم المسافحة في الجاهلية على السواء .

وقد ذكر علماء التفسير ان (أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون
ما خفي . يقولون أما ما ظهر منه ، فهو لؤم، وأما ما خفي، فلا بأس بذلك)^٤ .
فالزنا عند أهل الجاهلية ، الزنا العلني ، فهو عيب عندهم ، أما اتخاذ الخلدن ،
فلا يعد عيباً ، لأن المرأة تصادق الرجل ، والرجل يصادق المرأة ، وقد وقع عن
قبول ورضى ، فهو عمل حلال ، ولا بأس به^٥ .

نكاح الظعينة :

واذا سبي رجل امرأة ، فله أن يتزوجها إن شاء ، وليس لها أن تأبى عليه
ذلك ، لأنها في سبائه ، وهي في ملك سايبها . ويكون هذا الزواج بغير خطبة
ولا مهر ، لأنها مملوكة وليس لها خيار .

-
- ١ مجمع البيان ، للطبرسي (٣٤/٣) .
 - ٢ تفسير الطبري (١٤/٥) ، تفسير المنار (٢٢/٥) وما بعدها .
 - ٣ اللسان (٢٩٦/١٦) ، تاج العروس (٢٢/٥) وما بعدها .
 - ٤ تفسير الطبري (١٣/٥) وما بعدها .
 - ٥ تفسير الطبري (١٣/٥) وما بعدها ، روح المعاني (١٠/٢) .

أمر الجاهلية في نكاح النساء :

وقد نلخص (السكري) أمر النكاح في الجاهلية بقوله : « وكان أمر الجاهلية في نكاح النساء على أربع : امرأة تختب فتزوج . وامرأة يكون لها خليل يختلف إليها ، فإن ولدت قالت : هو لفلان ، فيتزوجها بعد هذا . وامرأة ذات راية يختلف إليها ، فإن جاء اثنان فوافياها في طهر واحد ألزمت الولد واحداً منها ، فهذه تدعي المقسمة . والرجل يقع على أمة قوم ، فيبتاع ولدها فيرغب فيدعيه ويشتريها فيتخذها امرأة ^١ . »

تعدد الزوجات :

وقد أباح الجاهليون للرجل تعدد الزوجات ، والجمع بين أي عدد شاء من الأزواج دون تحديد . أما الاكتفاء بامرأة واحدة أو باثنتين أو أكثر ، فذلك أمر خاص يعود إليه. كما أباح التشريع الجاهلي للرجل امتلاك أي عدد يشاء من الإماء . وتكون الأمة ملكاً للرجل ، لأنه اشتراها بذات يمينه ، وهي ملكه ما دامت أمة في ملك سيدها ، فليس لها حقوق الزوجة ، ولا تعدّ الأمة زوجة ، إلا إذا اعتقها مالك رقبته وتزوجها ، فعندئذ تكون له زوجة له بمحض قرار الرجل وإرادته .

وقد روى علماء التفسير « أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل ^٢ . ورووا أن « الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك ^٣ ، وأنهم « كانوا في الجاهلية ينكحون عشراً من النساء الأياشي ^٤ ، وأنهم « كانوا في جاهليتهم لا يرزأون من مال اليتيم شيئاً . وهم ينكحون عشراً من النساء ، وينكحون نساء آبائهم ^٥ ، ولم يكونوا يعدلون بين نسائهم ، بل يفضلون بعضاً على بعض . فجاء النهي عن ذلك في القرآن ^٦ . »

١ . المحبر (٣٤٠) .

٢ . تفسير الطبري (١٥٦/٤) .

٣ . تفسير الطبري (١٥٧/٤) .

٤ . تفسير الطبري (١٥٧/٤) .

٥ . تفسير الطبري (١٥٧/٤) .

٦ . سورة النساء ، الآية ٣ .

وكان مما حدده الإسلام من مبدأ تعدد الزوجات ، أن قيد العدد بأربع ، وهو تبديل لسنة الجاهليين . فلما نزل الأمر بالتحديد ، اضطر من كان قد تزوج بأكثر منه على تطليق الزائد والاكتفاء بالحد القانوني الذي أقره الإسلام وهو أربعة . روي أن (غيلان بن سلمة الثقفي) ، كان قد تزوج في الجاهلية بعشر نساء ، فلما أسلم ، أمره رسول الله بتطليق الزائد وبالتقييد بما جاء في حكم القرآن^١ . وقد أمر الرسول (الحارث بن قيس) ، أن يختار من نسائه أربعاً ، ويطلق بقيةهن ، وكانت عنده ثمان نساء^٢ . وكان (مسعود بن معتب) و (معتب بن عمرو ابن عمير) ، و (عروة بن مسعود) ، و (سفيان بن عبدالله) ، و (أبو عقيل مسعود بن عامر بن معتب) ، وكلهم من ثقيف ، وقد تزوجوا عشر نساء ، فترك غيلان وسفيان وأبو عقيل للإسلام عن ست ست ، وأمسكوا أربعاً أربعاً . ومات عروة مسلماً ، ولم يكن أمر بالتزول عن نسائه^٣ .

الطلاق :

وكما كان الزواج . كذلك كان الطلاق عند الجاهليين . ولا بد أن تكون له قواعد وعرف وأسباب .. وقد ذكر ان عادة أهل الجاهلية أن يقول الرجل لزوجته إذا طلقها : (حبلك على غاربك) ، أي خليت سبيلك ، فاذهبي حيث شئت^٤ ، ويقول : (أنتِ نُخْلِي كَهَذَا الْبَعِيرِ)^٥ ، و (الحقني بأهلك) ، و (اذهبي فلا أئده سربك) ، و (اخترت الظباء على البقر)^٦ ، و (فارقتك) ، أو (سرحتك) ، أو الخلية ، أو البرية ، وما شاكل ذلك من عبارات^٧ . ومصطلحات الطلاق هذه مصطلحات نابعة من صميم محيط جزيرة العرب ، آثار

-
- ١ النساء ، الآية ٣ ، الشوكاني ، نيل الاوطار (١٦٠/٥) ، زاد المعاد (٧/٤) .
 - ٢ تفسير القرطبي (١٧/٥) .
 - ٣ المجبر (٣٥٧) .
 - ٤ تاج العروس (٤١١/١) ، (غرب) .
 - ٥ اللسان (٦٤٤/١) ، (غرب) ، (صادر) ، (١٣٦/٢) ، تاج العروس (٤١١/١) ، (غرب) .
 - ٦ اللسان (٦٤٤/١) ، (غرب) ، الميداني ، الامثال (١٧٩/١ ، ٢٥٣ ، ٤٠٨) .
 - ٧ عمدة القاري (٢٣٨/٢٠) .

البداءة عليها واضحة جلية ، والروح الأعرابية ظاهرة فيها بارزة . وما الأمثلة المتقدمة إلا نماذج من تلك المصطلحات .

وورد ان الجاهلين كانوا يقولون للمرأة : أنت خلية ، كناية عن الطلاق ، فكانت تنطلق منه . وكانوا يقولون : أنت برية أنت خلية ، فتطلق بها المرأة^١ . والطلاق من المصطلحات الجاهلية القديمة ، وهو يعني عندهم تنازل الرجل من كل حقوقه التي كانت على زوجه ومفارقة لها^٢ .

والطلاق الشائع بين أهل مكة عند ظهور الإسلام ، هو طلاق المرأة ثلاثاً على التفرقة : وينسب أهل الأخبار سنّه الى اسماعيل بن ابراهيم ، فكان أحدهم يطلق زوجته واحدة ، وهو أحق الناس بها ، ثم يعود اليها إن شاء ، ثم يطلقها ثانية ، وله أن يعود اليها إن رغب ، حتى إذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ، فتصبح طالقة طلاقاً بائناً^٣ ومعنى هذا عدم إمكان الرجوع الى الزوجة بعد وقوع الطلاق الثالث مهما أوجد المطلق له من أعذار^٤ . ويذكر أهل الأخبار قصة وقعت للأعشى حينما أتاه قوم زوجه وطلبوا منه تطليقها ، ولم يقبلوا منه طلاقها إلا بعد ثلاث تطليقات ، أعادها ثلاث مرات . فعد طلاقه لها طلاقاً بائناً^٥ .

ويظهر ان الجاهلين كانوا قد أوجدوا حلاً لهذا الطلاق الشاذ ، فأباحوا للزوج

١ تاج العروس (١١٩/١٠) ، (خلو) .

٢ Ency., IV, p. 636, Kinship, p. 112, Wellhausen, (I)

Die Ehe bei den Araber, in Nachrichten d. König. Gess. der Wiss.,
Göttingen, 1893, S. 452.

٣ الاغانى (٨٠/٨ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٤٩/٢) .

٤ المحبر (٣٠٩ وما بعدها) .

٥ بلوغ الارب (٤٩/٢) ، قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقه
قالوا : ثانية ، فقال :

وبينى فان البين خير من العصا والا ترى لي فوق رأسك بارقه
قالوا : ثالثة ، فقال :

وبينى حصان الفرج غير ذميمة ومومقة قد كنت فينا ورامقة

« أبا حارنا » ، وهناك بعض الاختلاف في الالفاظ ، المحبر (٣٠٩ وما بعدها) .

أن يرجع زوجه اليه بعد الطلاق الثالث، ولكن بشرط أن تتزوج بعد وقوع الطلاق الثالث من رجل غريب ، على أن يطلقها بعد اقترانها به ، وعندئذ يجوز للزوج الأول أن يعود اليها بزواج جديد . ولذلك عرف الطلاق البائن : أنه الذي لا يملك الزوج فيه استرجاع المرأة إلا بعقد جديد . وقد ذكر في كتب الحديث ويقال في الإسلام للرجل الذي يتزوج المطلقة بهذا الطلاق ليحلها لزوجهما القديم (المحلل) ويقال لفاعله (التيس المستعار) و (المجحش) . وهو حل مذموم عند الجاهليين ومحرم في الإسلام^١ . لم يعمل به إلا بعض الجهلاء من الناس، ممن ليست لهم سيطرة على أنفسهم ، بل يعملون أعمالاً ثم يندمون على ما فعلوه .

وهناك نوع آخر من الطلاق يسميه أهل الأخبار ب (الظهار) . ذكروا أنه إنما دعي ظهاراً من تشبيه الرجل زوجته أو ما يعبر به عنها أو جزء شائع بمحرم عليه تأييداً ، كأن يقول الرجل لامرأته : أنت علي كظهر أمي أو كبطنها ، أو كفخذها أو كفرجها ، أو كظهر أخي أو عمي ، وما شابه ذلك^٢ ، فيقع بذلك الظهار . وقد أشير إليه في القرآن الكريم : « والذين يظاهرون منكم من نسائهم، ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ، وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً »^٣ . وهو طلاق يظهر أنه كان شائعاً فاشياً بين الجاهليين ، سبب انتشاره التسرع ، والتهور ، وعدم ضبط النفس ، والانفعالات العاطفية .

-
- ١ (لعن الله المحلل والمحلل له) ، النهاية (٢٨٨/١) ، عمدة القاري (٢٣٦/٢٠) ، المبسوط ، للسرخسي (٢/٥ وما بعدها) ، السنن الكبرى (٢٠٧/٧ وما بعدها) ، (انه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ هو المحلل . ثم قال : لعن الله المحلل والمحلل له . والحديث المذكور رواه الدارقطني . قيل إنما لعنه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مع حصول التحليل ، لان التماس ذلك هتك للمروءة والملمس ذلك ، هو المحلل له . واعادة التيس للوطء لغرض الغير أيضا رذيلة . ولذلك شبه بالتيس المستعار) ، الدميري ، حياة الحيوان (١٦٦/١) ، (التيس) ، عمدة القاري (٢٣٦/٢) ، « وفي حديث ابن مسعود فيمن طلق امرأته ثمانى تطليقات ، اللسان (٦٤/١٣) ، (بين) .
 - ٢ المفردات (٢٢٠) ، الاصابة (٨٥/١) ، الجصاص (٤١٧/٣) ، عمدة القاري (٢٨٠/٢) ، المبسوط ، للسرخسي (٢٢٣/٦) ، تفسير الطبري (١٢١/٢١) ، (الطبعة الثانية ١٩٥١) ، تفسير الطبرسي (٩٦/٢١) ، (بيروت) .
 - ٣ المجادلة ، الآية ٢ وما بعدها ، الكشف ، للزمخشري (٤٢٣/٤) .

وكان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية ، وكان في غاية التحريم عندهم^١ . فكان الرجل اذا ظاهر امرأته ، بأن قال لها : أنت عليّ كظهر أمي ، حرمت عليه ، وصارت طالقاً ، فلما كان الاسلام ، ظاهر (أوس بن الصامت) أخو عبادة بن الصامت امرأته (خولة بنت ثعلبة بن مالك) ، فنزل الأمر يجعل كفارة فيه ، ولم يجعله طلاقاً ، كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم^٢ .

فإذا تخاصموا مع نساءهم أو مع أقربائهما ، أقسموا بيمين الظهار^٣ . وقد كان هذا اليمين من أيمان أهل الجاهلية خاصة^٤ . ولهذا الطلاق باب في كتب الحديث والفقهاء في أحكام الطلاق ، وقد نهى عنه الاسلام وأوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته^٥ .

وأشار أهل الأخبار الى نوع آخر من أنواع الطلاق ذكروا انه كان من طلاق أهل الجاهلية سميّه (الإيلاء) ، وهو القسم على ترك المرة مدة ، مثل شهور أو سنة أو سنتين ، أو أكثر ، لا يقترب في خلالها منها ، وقد أشير اليه في رواية تنسب الى ابن عباس^٦ .

وفي كتب الحديث وكتب الفقه باب خاص في هذا الطلاق^٧ . وقد منع

-
- ١ تفسير النيسابوري (٧/٢٨) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٢ المجادلة ، رقم ٥٨ ، الآية ٢ ، تفسير الطبري (٧/٢٨) ، تفسير ابن كثير (٤/٣٢٠ وما بعدها) .
 - ٣ تنوير الحوالك ، شرح موطأ الامام مالك (٢/٢٠ وما بعدها) ، زاد المعاد (٨١/٤) .
 - ٤ عمدة القاري (٢٨١/٢٠) .
 - ٥ تاج العروس (٣/٣٧٣) ، (ظهر) ، اللسان (٦/٢٠١) ، (ظهر) سنن أبي داود (٢/٢٦٥ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢٨١/٢٠) ، البخاري ، كتاب الطلاق ، الباب ٢٣ ، ابن حنبل (٤/٣٧) ، (٦/٤١٠) .
 - ٦ تفسير الطبري (٢/٢٥٦ وما بعدها) ، البخاري ، كتاب الطلاق ، الباب ٢٣ ، بلوغ الارب (٢/٥٠) ، اللسان (١٨/٤٣) ، (بولاق) ، الفروع في الكافي ، لابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (٦/١٣٠) ، (طهران ١٣٧٩ هـ) ، تفسير ابن كثير (١/٢٦٨) .
 - ٧ تنوير الحوالك ، (٢/١٨ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢٨١/٢٠) ، المبسوط ، للسرخسي (٧/١٩ وما بعدها) ، البخاري ، كتاب الطلاق ، الباب ٢٣ ، السنن الكبرى ، للبيهقي (٧/٣٨١) ، عمدة القاري (٢/٤٧٤) .

الاسلام الترابص مدة تزيد على أربعة أشهر^١ . وقد جعله طلاقاً مؤجلاً^٢ .

والطلاق حق من حقوق الرجل ، يستعمله متى شاء . أما الزوجة ، فليس لها حق الطلاق ، ولكنها تستطيع خلع نفسها من زوجها بالاتفاق معه على ترضية تقدمها اليه ، كأن يتفاوض أهلها أو ولي أمرها أو من توسطه للتفاوض مع الزوج في تطليقها منه في مقابل مال أو جُعْل يقدم اليه . فإذا وافق عليه وطلقها ، يقال عندئذ لهذا النوع من الطلاق (الخلع) . وقد ذكر أهل الأخبار أن أول خلع كان ، هو خلع عامر بن الظرب ، وذلك انه زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب ، فلما دخلت عليه ، نفرت منه^٣ .

فالخلع اذن ، هو طلاق يقع بدفع مال ، تدفعه المرأة أو أقرباؤها للرجل في مقابل تخلية سبيلها واقتداء نفسها به^٤ . ويدخل في هذا الباب ما تدفعه زوج الأب المتوفى الى ابنه الذي يتزوجها بعد وفاة أبيه من مال مقابل فراقه لها ، وتطليته إياها^٥ .

وكان من الجاهليين من يطلق زوجته ، ويفارقها ، غير انه لم يكن يسمح لها بالتزوج من غيره حمية وغيره ، ويهددها ويهدد أهلها إن حاولت الزواج ، أو يرضي أهلها وأولياءها بالمال ، فلا يجيزوا لها الزواج وقد نهى عن ذلك الاسلام^٦ .

وقد يهمل الرجل زوجته ، فلا يراجعها ولا يطلقها ، ويظل مفارقاً لها ، الى أن ترضيه بدفع شيء له ، فيسمح لها عندئذ بالطلاق وبالزواج من غيره ويقال لذلك (العَضْل) . و (كان العضل في قريش بمكة . ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها ، على أن لا تتزوج إلا بإذنه فيأتي بالشهود ، فيكتب ذلك عليها ، ويشهد ، فإذا خطبها خاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها . وإلا

١ البقرة ، الآية ٢٢٦ ، ابن قدامة ، المغني (٥٠٢/٨) ، الجصاص (٣٥٧/١) ،

الشوكاني ، نيل الاوطار (٢٥٧/٦) وما بعدها .

٢ المبسوط ، للسرخسي (١٩/٧) وما بعدها .

٣ عمدة القاري (٢٦٠/٢٠) ، المبسوط (١٧٦/٦) وما بعدها ، السنن الكبرى

(٣١٦/٧) ، اللسان (٤٢٩/٩) ، تاج العروس (٣٢١/٥) ، (خلع) ، تفسير

المنار (٤٦١/٤) ، تفسير الطبري (٤٦١/٢) ، فتح الباري (٣١٨/٩) .

٤ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٧١/٥) .

٥ Kinship. p. 92.

٦ عمدة القاري (١٢١/٢٠ ، ١٢٤) ، روح المعاني (١٤٤/٢) .

عضلها^١ . وقد حرم العضل في جملة ما حرم من أحكام الجاهليين في الإسلام^٢ . ومن العضل الذي هو منع المرأة من الزواج ، أنهم كانوا في الجاهلية إذا مات زوج أحدها ، كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ، ومنها بنفسه . إن شاء نكحها وإن شاء عضلها . فتنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت^٣ .

و « الحميم » السني كان يرث الرجل إذا كان في الجاهلية ، هو الصديق والقريب^٤ ، والقريب المشفق الذي يهتم لأمر حميمه^٥ . ولم يذكر العلماء كيف كان يرث الحميم حميمه ، هل كان ذلك عن وصية ، أو عن عدم وجود قريب نسب ، أو أنه حق من حقوق أهل الجاهلية فرضوها بالنسبة إلى الحميم ؟

وكان الرجل من أهل الجاهلية يطلق الثلاث والعشر وأكثر من ذلك ، ثم يراجع ما كانت في العدة . لا حد في ذلك ، فتكون امرأته . ذكر أن رجلاً من الأنصار غضب « على امرأته ، فقال لها لا أقربك ولا تحلين مني . قالت : كيف ؟ قال : أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك ، ثم أطلقك ، فإذا دنا راجعتك » . « وطلق رجل امرأته حتى إذا كادت أن تحل راجعها ، ثم استأنف بها طلاقاً بعد ذلك ليضارها بتركها حتى إذا كان قبل انقضاء عدتها راجعها ، وصنع ذلك مراراً . فلما علم الله ذلك منه ، جعل الطلاق ثلاثاً . مرتين ، ثم بعد المرتين إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » . وذكر « كان الطلاق قبل أن يجعل الله الطلاق ثلاثاً ، ليس له أمد . يطلق الرجل امرأته مائة ، ثم إن أراد أن يراجعها قبل أن تحل كان ذلك له^٦ . وقد حرم الإسلام هذا الضرر ، في الآية : « الطلاق مرتين ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »^٧ .

والطلاق هو بأيدي الرجال ، كما سبق أن ذكرت ، بيدهم حلّه وعقده ،

-
- ١ سنن أبي داود (٢٣٠/٢) ، تفسير الطبري (٢٠٨/٤) وما بعدها ، المفردات (٣٤٢) ، تفسير المنار (٤٥٤/٤) ، تاج العروس (٢١/٨) ، (عضل) .
 - ٢ البقرة ، الآية ٢٣٠ وما بعدها ، النساء ، الآية ١٩ .
 - ٣ تفسير الطبري (٢٠٨/٤) وما بعدها .
 - ٤ تفسير ابن كثير (١٠١/٤) ، تفسير الطبري (٧٦/٢٤) ، روح المعاني (١٠٩/٢٤) .
 - ٥ تاج العروس (٢٥٩/٨) ، (حميم) .
 - ٦ تفسير الطبري (٢٧٦/٢) وما بعدها .
 - ٧ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٢٩ ، الكشف (٢٦٨/١) .

أما النساء فلهن العدة ، ولذلك كان بعض النسوة يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن ، إن شئن أقن ، وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق ، وذلك لشرفهن وقدرهن . ومن هؤلاء النسوة : سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدّاش الخزرجية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وأم خارجة صاحبة المثل : أسرع من نكاح أم خارجة ، ومارية بنت الجعيد . وعاتكة بنت مرة ، والسوا بنت الأعبس . وقد عرفن بكثرة ما أنجبن من ذرية في العرب ، وقد تزوجن جملة رجال^١ .

وطريقة طلاق المرأة للرجل في الجاهلية ، طريقة طريفة لا كلام فيها ولا خطاب . (كان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حوّلن الخباء ، إن كان بابّه قبل المشرق حولته قبل المغرب . وإن كان قبل اليمن حولته قبل الشام ، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقتّه ، فلم يأتها)^٢ . وهذه الطريقة هي طريقة أهل الوبر في الطلاق . ومتى طلقت المرأة زوجها ، تركت داره والحلي الذي يسكنه ، لتعود الى بيتها والحلي الذي تنتمي اليه .

ولما كان الطلاق بيد الرجل في الغالب ، لذلك كان أهل الزوجة يكرهون زوجها أحياناً على تطليقها ، اذا أرادوا تطليقها منه ، بتخويفه أو بضربه أو بما شاكل ذلك من طرق حتى يرضخ لأمرهم ، وبعد ذلك طلاقاً مشروعاً عندهم ، وإن كان قد وقع كرهاً ومن غير رضى الزوج . وعدّ طلاق الغاضب والسكران والهازل طلاقاً عند بعض الجاهليين لصدور صيغة الطلاق من الرجل وتفوهه به .

هذا وللظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في ذلك الوقت دخل كبير في الطلاق . فالطلاق كان سهلاً على ما يظهر ، وكان عقوبة أحياناً يوقعها الرجل بامرأته لمساائل بسيطة تافهة ، انتقاماً منها أو من ذوي قرابتها لأسباب لا علاقة لها بالزوجية وبالحياة العائلية في أكثر الأحيان ، كما ان الفقر والجهل كانا عاملين مهمين في وقوع الطلاق . وإلا فما ذنب امرأة تطلق مثلاً ، لأنها منجبة للبنات ، لا تلد إلا البنات ، أو لأنها تلد البنات أكثر من الأولاد . وطالما يكون الطلاق من عصبية وهياج ومن سلطان غضب ، وحين يبدأ روع المرء

١ المعبر (ص ٣٩٨ ، ٤٣٥) ، النهاية (٤٧/٣ وما بعدها) .

٢ الاغانى (١٠٢/١٦) ، (اخبار حاتم ونسبه) ، (٢٩١/١٧ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٥٧) .

يندم على ما فرط منه ، ولذلك شدد الاسلام فيه مع اباحته له لضرورته بأن جعله أبغض الحلال الى الله .

الرجعة :

وإذا طلق فلان فلاتة طلاقاً يملك فيه الرجعة ، يقال : ارتجع المرأة وراجعها مراجعة ورجعاً : رجعها الى نفسه بعد الطلاق . والإسم الرجعة^١ .

الحيض :

وقد كان « أهل الجاهلية لا تساكنتهم حائض في بيت ولا تؤاكلهم في إناء » ، وكانوا في أيام حيضهن يمتنعون اتيانهن في مخرج الدم ، ويأتونهن في أدبارهن . وكانوا يتجنبون أن تصبغ المرأة رأس زوجها ، أو أن تؤاكله طعامه ، أو أن تضاجعه في فراشه . ولا يسمح للحائضة بدخول الكعبة أو بالطواف بها أو بمس الأصنام ، لأنها غير طاهرة^٢ . بل كان منهم من يعتزل زوجه في بيته ، فلا يقترب أو يدنو منها^٣ . فهم في ذلك على أمر شديد . وذكر بعض علماء التفسير « أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استتوا بسنة بني اسرائيل في تجنب الحائض ومساكتها »^٤ . فلما سألوا الرسول عن الحيض أنزل الله : « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن . فأتوهن من حيث أمركم الله »^٥ . « فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه »^٦ .

ونلاحظ وجود بعض التناقض في روايات أهل الأخبار في موضوع الحيض ،

-
- ١ اللسان (١١٥/٨) ، (رجح) .
 - ٢ تفسير الطبري (٢٢٤/٢) وما بعدها ، روح المعاني (١٠٤/٢) ، تفسير القرطبي (٨٠/٣) .
 - ٣ تفسير ابن كثير (٢٥٨/١) وما بعدها .
 - ٤ تفسير القرطبي (٨١/٣) .
 - ٥ سورة البقرة ، رقم ٢ ، الآية ٢٢٢ .
 - ٦ تفسير القرطبي (٨١/٣) .

واقتراب الرجل من المحيضة . فبينما هم يذكرون أن الرجل كان لا يؤاكل زوجته ولا يقترب منها ، ولا يسمح لها أن تصبغ رأسه او ان تضاجعه ، نراهم يذكرون أنهم كانوا يجتنبون اتيانهم في مخرج الدم ، ويأتونهم في أديارهم . وهذا ما يتفق مع ذلك التشدد المنسوب اليهم ، إلا أن يكونوا قد قصدوا به قوماً آخرين غير أهل يثرب ، كأهل مكة ، فنقول عندئذ لانهم لم يكونوا على تشدد أهل المدينة في موضوع الحيض ، وإنما امتنعوا فيه من اتيان أزواجهم من حيث أمر الله : الى اتيانهم في أديارهم لعل الدم . أما بالنسبة الى بقية العرب ، ولا سيما الأعراب ، فنحن لا نستطيع أن نتحدث عن ذلك بشيء لعدم وجود موارد لدينا فيها أي شيء عنده .

العدة :

وعلى المرأة في الاسلام اتخاذ (العدة) عند طلاقها وعند موت زوجها ، والغاية من ذلك المحافظة على النسب ، وعلى الدماء كراهة أن تختلط بالزواج العاجل بعد الطلاق أو الموت ، فوضعوا لذلك مدة لا يسمح فيها للمرأة خلالها بالزواج تسمى (العدة) ^١ . (وعدة المرأة ايام قرونها ، وعدتها أيضاً ايام احداها على بعلمها وإسكانها عن الزينة شهوراً كان أو اقراءً أو وضع حمل حملته من زوجها) ^٢ . وقد ذكر في الحديث ان المطلقة لم تكن لها عدة ، فأنزل الله تعالى العدة، للطلاق والمتوفى زوجها ، اي ان عدة المطلقة لم تكن معروفة في الجاهلية ، وإنما فرضت في الاسلام ^٣ . فكانت المرأة المطلقة تتزوج في الجاهلية دون مراعاة للعدة . واذا كانت حاملاً ، عد حملها مولوداً من زوجها الجديد . ويكون الزوج عندئذ والدّاً شرعياً لذلك المولود ، وان كانت الأم تعرف ان حملها هو من بعلمها الأول ^٤ . (وقد ولد منهن عدة على فرش أزواجهن من أزواجهن الأولين . فن اولئك ، ان سعد بن زيد مناة بن تميم ، تزوج الناقية وهي حامل من معاوية بن بكر

١ بلوغ الارب (٥٠/٢) .

٢ اللسان (٢٧٥/٤) .

٣ اللسان (٢٧٥/٤) ، تاج العروس (٤١٧/٢) ، المحبر (٣٣٨) .

٤ Ency., p. 157.

ابن هوازن ، فولدت على فراش سعد ، صمصمة . فلما مات سعد ، منعه بنوه مبراته ، فلحق بأصله) . (ومنهم ربيعة بن عاصم بن جزء بن عبد الله بن عامر ابن عوف ابن عقيل . كانت أمه من جعفي ، فكانت تحت (القُغار) الجعفي ، وهو هُبيرة بن النعمان . فطلقها وهي حامل بريعة . فتزوجها عاصم . فولدت بعد ثلاثة أشهر على فراشه . فخاصمه فيه القُغار الى عمر بن الخطاب ، رحمه الله . فقضى بريعة للقُغار ، يقول امه انه من جعفي . وقضى فيه على انه للعقيلي ، لأنه ولد على فراشه) . (ومنهم محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زراراة ، وكان عمير سبي أم محمد هذا في أول الاسلام ، وهي حامل من مالك بن عوف النصرى ، فولدت محمداً على فراش عمير ، فلحق به) . وقد تعرض (السكري) لهذا الموضوع ، فقال : « وهذا في قريش والعرب كثير . ولو أردنا استقصاءه لكثير »^١ .

وأما (عدة) المتوفى عنها زوجها عند الجاهليين ، فهي مدة حدادها حولاً كاملاً . وقد أبطلها الإسلام . إذ جعل العدة للطلاق والوفاة ، كما نص عليها في كتب الفقه . وقد ذكر ان المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حشفاً ولبست شراً ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو طائر فتنفض به ، ثم تخرج فتعطى بكرة قدميها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره . وذكر أن المعتدة كانت لا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً ، ولا تستعمل طيباً ، ولا كحلاً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر^٢ . وكانت إذا رمدت ، أو اشتكت عينها ، فلا يجوز لها أن تكتحل أو ان تعالجها^٣ . وفي ذلك يقول لبيد :

وَهُمْ رِيْعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ^٤ والمِرمَلَاتُ إِذَا تَطَاوَلَ عَامِهَا^٥

وإذا طلقت المرأة وهي عالقة من زوجها ، وتزوجها زوج آخر ، فولدت له

١ المحبر (٣٢٨ وما بعدها) .

٢ بلوغ الارب (٥٠/٢ وما بعدها) ، صحيح مسلم (٢٠٢/٤ وما بعدها) .

٣ صحيح مسلم (٢٠٢/٤ وما بعدها) .

٤ الفاخر (١٥٣ وما بعدها) .

مولوداً في وقت لا يمكن أن يعدّ المولود فيه من زوجها الثاني ، عدّ المولود ولداً للزوج الجديد . أما الإسلام ، فقد اعتبره ولداً للزوج المطلق^١ .

التفقة :

ويظهر من كتب الحديث أن الجاهليين لم يكونوا يؤدون تفقة للمطلقة ، ولم يكونوا يجعلون شيئاً لها للسكن ولا للتفقة في الطلاق البائن^٢ .

النسب :

وينسب الولد في العرف الجاهلي الى الأب . وعرفهم في ذلك (الولد للفراش). وهو يرث والده . ولهذا ألحق أولاد الزنا بأبائهم ، فنسبوا اليهم . أما إذا كثر أزواج المرأة ، فيلحق المولود بالوالد حسب قول المرأة أو حسب الشبه إن وقع خلاف في ذلك^٣ .

والاستلحاق معروف في الجاهلية . وهو ان يعترف رجل بأبوته الحقيقية لولد ، ويدعيه ابناً له ، فيلحق هذا الابن به . ورد في الحديث : (ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قضى ان كل مستلحق استلحق بعد أبيه الذي يدعى له ، فقد لحق بمن استلحقه) ، (وذلك انه كان لأهل الجاهلية إما بغايا ، وكان سادتهن يلمتون بهن ، فإذا جاءت احداهن بولد ربما ادعاه السيد والزاني ، فألحقه النبي ، صلى الله عليه وسلم بالسيد ، لأن الأمة فراش كالحرّة ، فإن مات السيد ولم يستلحقه ثم استلحقه ورثته بعده ، لحق بأبيه ، وفي ميراثه خلاف)^٤ .

١ Shorter Ency., p. 137, (Idda), J. Wellhausen, Die Ehe bei den Araber, in Nachrichten der Königl. Gesellscha. der Wissench. Zu Göttingen, 1873, S. 454.

٢ صحيح مسلم (١٩٥/٤) ، (باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها) .

٣ زاد المسلم (١٣٢/٤) (الولد للفراش وللغاهر الحجر) ، ارشاد الساري (١١/١٠) .

٤ اللسان (٣٢٨/١٠) ، (٢٩٠/٦) .

واذا استلمحق الرجل ولد أُمته به ، صار ولده . لأن سادات الإماء كانوا يتصلون بإمائهم في الجاهلية من غير عقد زواج ، باعتبار ان الأمة ملك مالکها وسيدها ، فله حق إلحاق أبنائها به إن شاء .

التبني :

وقد اعترفت شريعة الجاهليين بـ (التبني) ، فيجوز لأي شخص كان أن يتبنى ، ويكون للمتبنى الحقوق الطبيعية الموروثة المعترف بها للأبناء . ويكون بهذا التبني فرداً في العائلة التي تبنته ، له حق الانتماء والانتساب إليها . وهو يتم بالاتفاق والراضي مع والد الطفل أو ولي أمره أو صاحبه ومالكه ، وذلك بالتزول عن كل حق له فيه ، ومتى تم ذلك وحصل التراضي ، يعلن المتبني عن تبنيه للطفل وإلحاقه به ، فيكون عندئذ في منزلة ولده الصحيح في كل الحقوق .

والعادة لإشهاد جماعة من الناس على التبني حتى لا يحدث نزاع على المتبني فيما بعد . ولم يرد في روايات أهل الأخبار ذكر عدد الشهود الواجب إشهادهم على صحة التبني . فقد كانوا يعلنون عنه في الأماكن العامة وفي المناسبات وفي بيوتهم الخاصة كما ذكرت . والتبني معروف عند جميع الأمم . وقد وضعت شرائعهم له قواعد وقوانين كي تحفظ حقوق اصحاب المولود وحقوق المتبني وحقوق المتبني ، فلا يضيع حق من حقوق هؤلاء .

ويقع التبني مع وجود أولاد للمتبني ، وليست له حدود من جهة العمر .

الزنا :

والحيانة الزوجية تستوجب عقوبة صارمة ، لأنها زنا ، وعقوبتها الموت عند العرب ، كما اشار الى ذلك (سترابون) في اثناء كلامه على العرب . والزاني هو من يتصل بامرأة محصنة غريبة عنه . وقد كان العبرانيون يعاقبون الزاني والزانية بالرجم بالحجارة حتى الموت^١ . وهما يعاقبان هذه العقوبة في الإسلام ، ولا أستبعد

١ التتنية ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ٢٢ وما بعدها ، البخاري : (كتاب الجنائز) الحديث ٨٣ ، (رجم المحصن) في باب المحاربين (١٧) و (٣٣) ، المفردات (٢١٤) .

أن تكون هذه العقوبة عقوبة جاهلية ، أقرها الاسلام في جملة ما أقر من أحكام كان يسير عليها الجاهليون .

وقد كان الزنا معروفاً في الجاهلية يفعلها الرجال علناً ، إذ لم يكن هذا النوع من الزنا محرماً عندهم . وإذا ولد مولود من الزنا وألحقه الزاني بنفسه ، عد ابناً شرعياً له ، له الحقوق التي تكون للأبناء من الزواج المعقود بعقد . ولا يعد الزنا نقصاً بالنسبة للرجل ولا يعاب عليه ، لأن الرجل رجل ، ومن حق الرجال الاتصال بالنساء . وقد كانوا يفتخرون به .

وذكر ان أول من حكم ان الولد للفراش في الجاهلية أكثم بن صيفي حكيم العرب ، ثم جاء الاسلام بتقريره . فقد ورد في الحديث : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن الرجم لم يكن معروفاً بين الجاهليين ، وان أول من رجم (ربيع بن حذان) ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن^٢ .

ولا يوجد لدينا رأي واضح عن قذف الرجل زوجته واتهامه بإياها بالزنا . أما في الإسلام فقد شرع (الملائنة) . والإمام يلاعن بينها . ويبدأ بالرجل ، ثم يثني بالمرأة . فإذا تمّ التلاعن بانت منه ولم تحل له أبداً ، وإن كانت حاملاً فجاءت بولد . فهو ولدها ولا يلحق بالزوج^٣ .

والزنا الذي يعاقب عليه الجاهليون . هو زنا المرأة المحصنة من رجل غريب بغير علم زوجها . وهو خيانة وغدر . أما زنا الإماء . فلا يعدّ عيباً اذا كان يعلم مالكنهن وبأمره . وقد مر الكلام عليه في مواضع من هذا الفصل ، كما مرّ الكلام على بنوة المولود من الزنا . لذلك عيّرت المرأة الحرة المحصنة ، ان زنت ومست به .

وورد في كتب الحديث والسير ، أن « طفيل بن عمرو بن طريف » الدوسي : لما جاء ان رسول الله وأسلم ، قال : « ان دوساً غلب عليها الزنا والربا ،

١ صبح الاعشى (٤٣٥/١) ، المفردات ، للراغب الاصبهاني (٢١٤) ، البخاري ، (الحديث رقم ٨٣) ، كتاب الجنائز ، رجم المحصن . ارشاد الساري ، للقسطلاني (١١/١٠) ، اللسان (٢٩٠/٦) ، صحيح مسلم (١٧١/٤ وما بعدها) .

٢ صبح الاعشى (٤٣٥/١) .

٣ ناج العروس (٣٣٥/٩) ، (لعن) .

فادع الله عليهم . فقال اللهم إهد دوساً^١ .
 أما الرجل ، فلا يلحقه أذى إن زنى بامرأة . بل كان كما قلت يفتخر باتصاله
 بالنساء ، ويعتد ذلك من الرجولة . وليس لامرأته ملاحقته شرعاً على زناه .
 وقد يلحقه أذى من ذوي امرأة محصنة إن زنى بها ، انتقاماً منه ، لهدره شرفهم
 وإلحاقه الضرر بهم .

كسب الزانية :

يعود كسب الزانية الى مولاها ومن يملك رقبتهها ، لأنها مملوكة ، والمملوك
 وما يملك ملك سيده . وكانوا يكرهون إماءهم - كما ذكرت - على البغاء ،
 فأنزل الله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ، لتبتغوا
 عرض الحياة الدنيا »^٢ ، والعرض هو كسب البغي . فحرم ذلك في الإسلام^٣ .
 وكان المالك يفرض على الأمة ضريبة تؤديها بالزنا . وقيل لا تكون المساعة إلا
 في الإماء . وقد أبطل الإسلام ذلك ، ولم يلحق النسب بها ، وعفا عما كان
 منها في الجاهلية ممن ألحق بها . ومن ساعى في الجاهلية ، فقد لحق بعصيته .
 وأتى في نساء أو إماء ساعين في الجاهلية فأمر بأولادهن أن يقتصوا على آبائهم
 ولا يسترقوا ، أي أن تكون قيمتهم على الزانين لموالي الإماء ، ويكونوا أحراراً
 لاحقي الأنساب بأبائهم الزناة^٤ .

الوصية :

والوصية : ما أوصيت به ، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت ، وذلك بأن
 يكتب الرجل ما يراه بشأن ما يتركه بعد وفاته . ويكون من يعهد اليه أمر تنفيذ

-
- ١ الروض الانف (٢٣٥/١ وما بعدها) ، الاستيعاب (٢٢٢/٢) ، (حاشية على
 الإصابة) ، « يا رسول الله ! إن دوساً قد غلب عليهم الزنا ، فادع الله عليهم » ،
 ابن هشام (٢٣٥/١) ، حاشية على الروض الانف .
 - ٢ النور ، الآية ٣٣ .
 - ٣ آمالي المرتضى (٤٥٤/١) .
 - ٤ اللسان (٣٨٧/١٤) ، (سعا) .

ما جاء في الوصية وصياً . ولم يكن صاحب الوصية مقيداً بقيود بالنسبة لكيفية توزيع ثروته ، لأن المال ملك صاحبه وله أن يتصرف به كيف يشاء . ويجوز للموصي إن شاء حرمان من يشاء من الورثة الشرعيين من إرثهم ، وإشراك من يشاء في الإرث . وله أن يوصي بإعطاء كل إرثه الى شخص واحد ، وأن يحرم من الإرث كل المستحقين الشرعيين .

ويكون الابن الأكبر هو المقدم على سائر أولاد المتوفى ، والمشرف على تقسيم الميراث وإدارة التركة وحمل اسم الميت وتمثيله ؛ ولذلك تنتقل الإمارة أو الرئاسة أو الزعامة الى الابن الأكبر في العادة إن كان المتوفى أميراً أو رئيساً . وتقديم الابن الأكبر على سائر الأبناء ، عادة سامية قديمة حتى أنها تمنحه زيادة في الميراث عن بقية اخوته^١ .

الإرث :

وأسباب الميراث : النسب والتبني والمولاة . ويراعى في الوراثة من النسب ، درجة القرابة . أي صلة الرحم حسب درجاتها ومقدار التحامها بالشخص المتوفى . فتأتي البنوة أولاً : فالأبوة ، فالأخوة ، ثم العمومة . وقد قدمت البنوة أولاً ، لأنها ألصق القرابات بالمتوفى ، لذلك تقدم على كل قرابة أخرى .

والقاعدة العامة في الميراث عند الجاهليين هو أن يكون الإرث خاصاً بالذكر الكبار دون الاناث ، على أن يكونوا ممن يركب الفرس ويحمل السيف ، أي المحارب . (كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان . لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال) . (لأن أهل الجاهلية ، كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده : ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا النساء منهم ، وكانوا يحرصون بذلك المقاتلة دون الذرية)^٢ .

١ التتنية : الاصحاح ٣١ ، الآية ١٧ ، فاموس الكتاب المقدس (٢٤٣/١) .
٢ تفسير الطبري (١٨٥/٤) ، « وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئاً من الميراث » ولا يورثون الا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل ، « المحبر (٣٢٤) » .

وقد جاء في الأخبار ما يجعل المرأة في ضمن تركة المتوفى ، وذلك إذا لم تكن أم ولد . ويكون من حق الابن البكر التزوج بها ، وإذا لم تكن له نفس بها ، انتقل حقه فيها الى الولد الثاني . وإذا لم يرغب فيها انتقل حقه الى بقية الورثة بحسب قربهم من الميت وحقتهم في الميراث . ومن حق الولد البكر أيضاً منع المرأة من التزوج إلا بعد ارضائه ، وكذلك من حق بقية الورثة المطالبة بهذا الحق إذا صارت زوج المتوفى المذكور من حقهم ، لأنها من تركة ميتهم ، والتركة هي تركتهم وملكتهم ، ولا يجوز لأحد مجادلهم في هذا الحق .

والأخبار متضاربة في موضوع إرث المرأة والزوجة في الجاهلية ، وأكثرها أنها لا تراث أصلاً. غير أن هناك روايات يفهم منها أن من الجاهليات من ورثن أزواجهن وذوي قرباهن ، وأن عادة حرمان النساء الإرث لم تكن سنة عامة عند جميع القبائل^١ . ولكن كانت عند قبائل دون قبائل . وما ورد في الأخبار يخص على الأكثر أهل الحجاز .

العصبة :

ويرث العصبة ، وهم أقرباء الميت من الرجال ، وهم مقدمون على الأخوات في الإرث . فإذا توفي الرجل ، ولم يكن له من الذكور من يرثه ولا أب ، يصرف إرثه الى إخوته أو عصبته، ان لم يكن له إخوة ، ولا يدفع الى الأخوات. فلما جاء الإسلام ، جعل للبنات والنساء حقاً في الميراث ، ويسمى هذا الإرث (إرث الكلالة)^٢ .

وقيل : العصبة : هم الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد. وهم الأقارب من جهة الأب ، وعصبة الرجل : أولياؤه الذكور من ورثته . فالأب طرف والابن طرف ، والعم جانب والأخ جانب . والجمع العصبات^٣ . وقد قال (ابن الأثير) في تعريف (الكلالة) : الأب والابن طرفان للرجل

١ الامومة عند العرب (ص ٦٥ وما بعدها) .

٢ تفسير الطبري (١٩١/٤ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢٤٥/٢٣) .

٣ ناج العروس (٣٨٢/٣) (الكويت) .

فإذا مات ولم يخلفها ، فقد مات عن ذهاب طرفيه ، فسمي ذهاب الطرفين : كلاله . وقيل ما لم يكن من النسب لحاً فهو (كلاله) . والعرب تقول : لم يرثه كلاله ، أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق . وهم يفتخرون بوراثه قرب ، لأنها انما جاءت عن نسب قريب وعن أب . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

وما سودني عامر عن كلاله أبى الله أن أسمو بأُم ولا أب

وكانوا اذا قالوا : (هو ابن عم كلاله) ، قصدوا بعيد النسب، وان أرادوا القرب قالوا : هو ابن عم ذنية^١ . فالكلاله معروفة في الجاهلية فهذبها الاسلام ونزل النص عليها وفي تعيينها في القرآن^٢ .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان (الكلاله) من لا ولد له ولا والد . وقيل ما لم يكن من النسب لحاً فهو كلاله . وقالوا : هو ابن عم الكلاله وابن عم كلاله . وقال بعضهم : اذا لم يكن ابن العم لحاً ، وكان رجلاً من العشيرة قالوا هو ابن عمي الكلاله ، وابن عم كلاله . وهذا يدل على ان العصبه وان بعدوا كلاله . أو الكلاله من تكلل نسبه بنسبك كإبن العم وشبهه . يقال هو مصدر من تكلله النسب ، أي تطرفه كأنه أخذ أحد طرفيه من جهة الولد والوالد ، وليس له منها أحد ، فسمي بالمصدر . أو هي الأخوة للأم . تقول لم يرثه كلاله أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب .

وقد ذكرت الكلاله في موضعين من القرآن الكريم : « وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس »^٣ . و « يستفتونك قل : الله يفتيكم في الكلاله . إن امرؤ هلك ، ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك »^٤ . فجعل الكلاله هنا الأخت للأب والأم والأخوة للأب والأم . فجعل للأخت الواحدة نصف ما ترك الميت وللأختين الثلثين وللإخوة والأخوات جميع المسال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين . وجعل للأخ والأخت من الأم في الآية الأولى

١ اللسان (٥٩٢/١١ وما بعدها) .

٢ النساء ، الآية ١٢ ، ١٧٦ .

٣ النساء ، الآية ١٢ ، الطبري ، تفسير (١٩١/٤) ، روح المعاني (٢٠٦/٤) .

٤ النساء ، الآية ١٧٦ ، تفسير الطبري (٢٨/٦) ، روح المعاني (٣٩/٦) .

الثالث لكل واحد منها السدس . فبين سياق الآيتين أن الكلاله تشتمل على الإخوة للأم مرة ، ومرة على الإخوة والأخوات للأم والأب . ودلّ قول الشاعر أن الأب ليس بكاله ، وأن سائر الأولياء من العصبه بعد الولد كلاله : وهو قوله :

فإن أبا المرء أحمى له ومولى الكلاله لا يغضب

أراد أن أبا المرء أغضب له إذا ظلم . وموالي الكلاله وهم الاخوة والأعمام وبنو الأعمام وسائر القرابات لا يغضبون للمرء غضب الأب . أو الكلاله بنو العم الأبعاد ، أو الكلاله من القرابة ما خلا الوالد والولد . أو هي من العصبه من ورث منه الإخوة للأم . وقد لخص بعضهم آراء العلماء في الكلاله في أقوال سبعة^١ .

إرث النساء :

وهناك رواية تذكر أن أول من جعل للبنات نصيباً في الإرث من الجاهليين هو (ذو المجاسد) عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر ، ورث ماله لولده في الجاهلية ، فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، فوافق حكمه حكم الإسلام^٢ .

ويذكر علماء الأخبار أن رجلاً من الأنصار مات قبل نزول آية الموارث ، وترك أربع بنات ، فأخذ بنو عمه ماله كله . فجاءت امرأته الى النبي تشتكي مما فعله بنو عم المتوفى ومن سوء حالها وعدم تمكنها من إعالة بناتها ، فنزل الوحي « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان

١ تاج العروس (١٠١/٨ وما بعدها) ، (كلل) ، (قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، ما قاله هؤلاء . وهو أن الكلاله الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده) ، تفسير الطبري (١٩١/٤) ، (عن جابر بن عبد الله . قال : مرضت فأتاني النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم صب علي من وضوئه ، فأفقت . فقلت : يا رسول الله ؟ كيف أقضي في مالي أو كيف أصنع في مالي ؟ وكان له تسع أخوات ولم يكن له والد ولا ولد . قال : فلم يجبني شيئاً ، حتى نزلت آية الميراث) ، تفسير الطبري (٢٨/٦)

٢ المعبر (ص ٢٣٦ ، ٣٢٤) .

والأقربون^١ . ثم نزلت آية الميراث : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين^٢ . وبذلك انتفت ستة الجاهليين في عدم توريث البنات .

وقد نزلت الآيتان من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث . فكان (النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء ، وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير ، وإن كان ذكراً) . وقد ذكر بعض العلماء أن آية : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) ، (نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس ابن سويد ، وهم من الأنصار . كان أحدهم زوجها والآخسر عم ولدها . فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورث ! فقال عم ولدها : يا رسول الله لا تركب فرساً ، ولا تحمل كلاً ولا تنكأ عدواً يكسب عليها ، ولا تنكسب . فتزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون . وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قلّ منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً)^٣ . وذكروا أن نزول الآية (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ، إنما كان (لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم . وكانون يحصرون بذلك المقاتلة دون الذرية . فأخبر الله جل ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمي وفرض له ميراثاً في هذه الآية . وفي آخر هذه السورة فقال : في صغار ولد الميت وكبارهم واناتهم لهم ميراث أبيهم ، إذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر مثل حظ الأنثيين)^٤ . وذكر أنه (لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها مما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم ، وقالوا : تعطى المرأة الربع والثلث ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة ، اسكتوا عن هذا الحديث ، لعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ينساه أو نقول له فيغيره ، فقال بعضهم : يا رسول الله أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ولا

١ النساء ، السورة رقم ٤ الآية ٦ وما بعدها ، تفسير الطبري (١٧٦/٤) ، روح

المعاني (١٨٧/٤) ، المحبر (٣٢٤) .

٢ النساء ، الآية ١١ ، تفسير الطبري (١٨٥/٤) ، روح المعاني (١٩٣/٤) .

٣ تفسير الطبري (١٧٦/٤) .

٤ تفسير الطبري (١٨٥/٤) .

تقاتل القوم ؟ ونعطي الصبي الميراث . وليس يغني شيئاً . وكانوا يعملون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا من قاتل . ويعطونه الأكبر فالأكبر ^١

وعجز اليتامى عن الدفاع . وعن تحصيل حقهم في الميراث . جعل الورثة الكبار يأكلون أموالهم وحقوقهم . ولا يؤدون لهم نصيباً في الإرث . ولهذا وبخ القرآن الكريم أهل الجاهلية على أكلهم أموال اليتامى ، وحرّم ذلك عليهم ، وحافظ على نصيبهم فيه . وحّمى اليتيم ودافع عنه كثيراً . وقد كان الرسول نفسه يتيماً . لاقى من قومه ما يلاقيه كل يتيم .

ويرث في شريعة أهل الجاهلية المتبنون . فإذا مات المتبنى وترك إرثاً ورثه من تبناه ، وإن مات المتبنى . أي الشخص الذي تبني المتبنى . ورثه أيضاً تماماً كما لو كانت البنة بنوة طبيعية . حتى إنهم كانوا يراعون ذلك في أحكام الزواج ^٢ . والхلف كالموالة من أسباب الإرث في نظر الجاهليين ^٣ لأن القاعدة أن حليف القوم منهم . وابن اخت القوم منهم ^٤ .

ولا بد لعقد الخلف من اشهاد شهود عليه . ليقف الناس عليه . وفي مكة كان الناس يعقدونه في الكعبة ، ومن أنواع الخلف ، أو الموالة كما يعبر عن ذلك أيضاً . مولى العقد أو مولى الموالة . وذلك تمييزاً له عن مولى الولادة أو مولى الرحم . وعن مولى العتق أو مولى العتاقة . وإذا مات الرقيق وترك إرثاً ، صار إرثه للمالكه . وإذا مات المعتق ورثه معتقه أو ورثه معتقه ^٥ .

ميراث السائبة :

والسائبة العبد الذي يقول له سيّده : لا ولاء لأحد عليك . أو أنت سائبة .

-
- ١ . تفسير الطبري (١٨٥/٤ وما بعدها) .
 - ٢ . سنن أبي داود (٢٢٣/٢) ، عمدة القاري (٨٣/٢) . الجامع الصحيح (الرابع الثالث) . (كتاب النكاح) . (لودف فرهل) .
 - ٣ . الحصائص (٧٣/٢ وما بعدها) . تفسير الطبري (٣٢/٨) . الفرطى (٧٩/٥) .
 - ٤ . مناقب النرك من رسائل الحافظ (١٣/١) .
 - ٥ . المسار (٤١٠/١٥) .

يريد بذلك عتقه وأن لا ولاء لأحد عليه . وقد يقول له : أعتقتك سائبة ، أو أنت حرّ سائبة ، فإذا مات فترك مالا ، ولم يدع وارثاً ، فإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون ، وإن أهل الإسلام لا يسيبون^١ .
وحرم المحجّين من حق الإرث في الغالب^٢ . كذلك « السائبة » ، وهم الرقيق الذي اعتق بغير ولاء^٣ .

-
- ١ ارشاد الساري (٤٤٠/٩) .
 - ٢ تفسير الزمخشري (٢٤٩/١) ، المحلى ، لابن حزم (٩ رقم ١٧٢٤) ، العقد الفريد (١٩٢/٤) .
 - ٣ عمدة القاري (٢٥٣/٢-٣) .

الفصل الثامن والخمسون

الملك والاعتداء عليه

الملكية :

والملكية حق محترم عند الجاهليين ، ولصاحب الملكية حق المحافظة على ما يملك والدفاع عنه. وتدخل في ملكية الإنسان كل ما ملكه أو استولى عليه ولم ينتزعه منه أحد ، مثل الغنائم والسلب والأسر وما شابه ذلك . وعلى المالك الدفاع عن حقه في ملكه وإثباته . ومن أنواع الملكية : تملك العقار ، وبقية الأشياء الثابتة ، والأموال المنقولة .

ويعبر عن تملك الإنسان لشيء ما ، وعن اقتنائه للملك بلفظة (اقنى) (أفنى) ، أي أملاك وممتلكات . وعن لفظة (اقنيس) ، بمعنى ممتلكاته وأملاكه وذلك في اللهجة المعينية . ويعبر عنها بلفظة (اقنيم) في اللهجة السبئية . وأما لفظة (ذقنى)^١ فتعني ما امتلكه وما يمتلكه . فذني بمعنى الذي ، وما هي ما الموصولة في عربيتنا . و (قني) بمعنى مقتنيات^٢ .

والملكية نوعان : ملكية ثابتة وملكية متقلة . ومن النوع الأول العقار ، مثل الدور والأرض . ومن النوع الثاني المال ، وهو الإبل عند الجاهليين بصورة خاصة والمواشي بالنسبة للمزارعين . والرعاة وأهل المدن ، وأثاث البيت ، سواء كان البيت مستقراً مثل بيوت أهل المدر أو متقللاً مثل بيوت أهل الوبر . وأغاب ملك الأعراب هو ملك متقل ، وذلك لأن الحياة التي يمونها هي حياة تنقل ، أما الملك الثابت ، أي الأرض ، فإنه ملك لهم ما داموا فيه ، فإذا ارتحلوا عنه ،

١ راجع النص المرقم بـ (٥) المنشور في كتاب : نقوش خربة معين (ص ٥) .

٢ « وكل قنيهن » ، أي « وكل المقتنيات » ،

Rep. Epigr., VII, II, p. 276, 4624.

انتقلت ملكيتهم الى الأرض الجديدة التي يتزلون بها فيمتلكوها طوعاً . أي من غير مقاومة ، أو بحق السيف .
ويدخل في باب الملك كل شيء وضع لستفاد منه أو ليدل على حماية ملك .
أو يفهم من وضعه انه ذو فائدة وان له صاحباً . كجدران الأملاك وحيطان البساتين أو سور القرى أو الرجفات ، وهي أحجار القبور . وقد عثر المتقبون على رجم في مواضع مختلفة من جزيرة العرب ، كتب عليها : ان لعنة الآلهة على من يرفع هذا الحجر عن موضعه وعلى من يغيره أو يأخذه أو يتصرف به . كما سألوا الآلهة بأن تنزل الأمراض ومنها العمى والبرص وأنواع الأذى ، والشر بكل من يتناول على هذه الرجم ، أو على معالم القبور أو انقبور وذلك لأنها ملك . ولا يجوز لأحد التصرف بملك غيره بأي وجه من الوجوه .

الشفعة :

وقد أخذ الجاهليون بحق الشفعة في شراء الملك ، كاللور والأرض . وقد أقرها الاسلام أيضاً^١ .

الرق :

الأصل في الانسان^٢ أن يولد حراً ، إلا أن يكون من رقيق ، فيولد عندئذ رقيقاً ، ويكون ملكاً للمالك والديه . والانسان الحر . هو حر في تصرفاته وفي أمواله ، وفي كل شيء . أما الرقيق ، أي العبد . فإنه يكون ملكاً للمالك . ليس له حق التصرف بنفسه إلا بإذن مالكة ، لأنه ملك سيده ، فإذا تصرف بنفسه ، أضر بحق سيده في تملكه له . وفي ذلك تجاوز على حقوق الملكية ، وإن كان الرقيق انساناً مثل سيده له حس وشعور . إلا انه فقد حريته بسقوطه في الرق ، وصار ملكاً للمالك ، وحكمه حكم الأشياء المملوكة . وليس له أن يتصرف بأي شيء يعود اليه ولا أن يتصرف بنفسه ، أي بجسمه إلا بموافقة سيده وإقراره لأنه سيده ومالك رقبته .

١ صحيح مسلم (٥٧/٥) .
٢ صحيح مسلم (٥٧/٥) .

ولما كان الرقيق ملكاً ومن حق المالك أن يتصرف بملكه كيف يشاء ، صار من حق المالك بيع رقيقه أو هدايته ، أي إعطاؤه هبة الى من يشاء دون حاجة الى أخذ ذلك الرقيق . كما كان من حقه عتق رقيقه . كما كان له حق الاستمتاع بالإماء واكمراهن على البغاء للآتيان بالمال أو لإنجاب الأولاد . ولم يكن للرقيق أن يملك شيئاً ، لأن الرقيق وما يملكه ملك للمالك . ولم يكن للرقيق حق التوريث إذ لا مال له ، لأنه وما يملكه ملك ماله . فإرثه لسيده وحده .

وقد حرم الإسلام على مالك الرقيق دفع إمارة على البغاء . وقد نزلت الحرمة في القرآن : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً »^١ . وكان سبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا ، يأخذون أجورهن . فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا . « وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبدالله بن أبي بن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا » ، وكانت تكره ذلك وحلفت أن لا تفعله فأكرهها لتأتيه بمزيد من المال . فترلت الآية في تحريم ذلك^٢ .

ومن معاني (الرق) - (العبودية) Slavery ، وتقابلها لفظة (عبوداه) Abodah في العبرانية . والمفرد (عبد) Abed في العبرانية أيضاً . والذكر (مملوك) . أما الأنثى ، فلها (أمة)^٣ . والرق ملك العبيد والرقيق المملوك منهم وجمعه أرقاء^٤ . والمملوك : هو الرقيق ، فيقال عبد مملوك ، و (المملكة) تختص بملك العبيد^٥ . ويعبر عن العبد بلفظة (المدين) أيضاً . أما (الأمة) فيقال لها : (المدينة)^٦ .

ويعبر عن المملوك بلفظة (ادم) في العرييات الجنوبية ، اذا كان المملوك ذكراً وب (أمت) اذا كان أنثى . وتقابل لفظة (ادم) لفظة (أو ادم) و (أوادما) ، في لهجة أهل العراق ، التي تعني (الخدم) و (خدمنا) . وأما لفظة (أمت) ،

١ النور ، الآية ٢٣ .

٢ تفسير الطبري (١٨ / ١٠٣ وما بعدها) ، روح المعاني (١٨ / ١٤١ وما بعدها) .

٣ Dictionary of Islam, p. 596.

٤ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٠٠) .

٥ المصدر نفسه .

٦ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ١٧٥) .

فإنها (أمة) في عربيتنا أيضاً ، وهي المملوكة ^١ .
ويعبّر عن الرقيق بلفظة (عبد) في اللحيانية ، أي بالتعبير المستعمل في عربيتنا^٢
وترد اللفظة في لغة بني لرم وفي لغة النبط كذلك ^٣ .

واستعملت اللحيانية لفظة (هغلم) (ها - غلام) (ها - غلم) ، أي (الغلام)
تعبيراً عن (مملوك) ، أي انسان غير حرّ . وقد قدم أحد اللحيانيين ثلاثة غلمان
ليكونوا في خدمة الإله (ذو غابت)^٤ (ذو غابة) . وليس لصاحب هؤلاء
الغلمان أية حاجة لأن يأخذ رأيهم في تقرير مصيرهم ، وفي تحويل رقبته من ملكه
الى ملك معبد ذلك الإله ، لأنه مالكتهم . ولئلا أن يفعل بملكه ما يشاء .

ولملك الأسير ، حق التصرف بأسيره ، كما يشاء ، يجوز له بيعه لقبض ثمنه
في أي مكان وفي أي زمان يشاء ويختار ، ليس لرفيقه حق الاعتراض على ملكه ،
لأنه (ملك يمين) ، ويجوز له ابقاؤه عنده وفي ملكه ليعهد اليه القيام بأي عمل
يكلفه إياه ، مهما كان شأنه ، سواء أكان عملاً محترماً أم عملاً وضيعاً ، لأنه
مملوك ، وليس لمملوك حق الاعتراض على مالكه . ويجوز أن يتفضل عليه بمنحه
الحرية ، فيكون انساناً حراً . ويجوز له أن يقاضي أهل الأسير ثمن أسيرهم ،
ومنى قبض ثمنه أعاده الى أهله ، وصار حراً . ويقال لأخذ عوض عن الأسير
لفك أسرهِ (الفداء)^٥ .

ولا يشترط في الأسر أن يكون في حالة الحرب فقط، فقد يقع في سلم أيضاً .
فإذا أدرك انسان انساناً آخر من قبيلة معادية وتمكن منه صار أسيره ، كما ان
ما يقع في أيدي المغيرين في الغارات والغزوات من أشخاص يكونون في حكم
المأسورين . أما (السبي) ، فإنه ما يسبى بعد الحرب ، وحكمه حكم الأسر .

والغالب عند الجاهليين هو فداء أسراهم ، أي دفع فدية عن الأسرى أو
مقايضتهم أسيراً بأسير ، أو بحسب الاتفاق إن كان هناك أسرى عند الطرفين .
ولا يقع الرق في الغالب إلا في حالات الأشخاص الضعاف الذين لا أهل لهم ،

١ راجع النص الموسوم بـ : Glaser 509.

٢ W. Caskel, S. 136.

٣ W. Caskel, S. 82.

٤ النص ٩ من كتاب : W. Caskel.

٥ المعاني الكبير (١٠٢٥/٢) .

أو الذين هم من عشائر مستضعفة أو بعيدة ، أو في حالات الدين وقعوا أسرى في غارات مفاجئة من أناس يقيمون في أماكن بعيدة أو نهبوا وهم صغار ، فلم يكن بالمستطاع ملاحقتهم ، فيكونون بذلك رقيقاً ، وهو في القليل ، كالذي حدث لـ (زيد بن حارثة الكلبي) ، الذي تبناه الرسول . وقد كان مولى لخديجة زوج الرسول .

ولست في الأفدية قواعد معينة في فداء النفس ، وإنما سارت على التعامل وعلى التشدد والتساهل وفق منزلة الشخص الأسير . ويكون ما للأسير مما عنده ملكاً لأسره ، وقد وقع (قيس بن عيزارة) أسيراً في أيدي (فهم) فأخذ سلاحه (تأبطشرا)^١ .

ووقع (ثابت بن المنذر) والد (حسان بن ثابت) شاعر الرسول في أسر (مُزَيْنَة) ، فعرض عليهم الفداء ، (فقالوا : لا نقاديك إلا بتيس ، ومزينة تسب بالتبؤس ، فأبى وأبوا . فلما طال مكثه ، أرسل الى قومه أن اعطوهم أخاهم ، وخلوا أحكام)^٢ . وقصده بذلك التعريض بمزينة .

وقد بقي السباء معروفاً حتى أيام (عمر) فنعه بقوله : (لا سباء على عربي) . ويذكر أن (أبا وجزة يزيد بن عبيد) من (سُليم) ، وقع أبوه في سباء في الجاهلية ، في سوق ذي المجاز . فلما كبر ، استعدى عمر ، فأصدر أمره المذكور^٣ .

والمنبع الأول للرقيق الحروب والغزوات . فبعد الحرب والغزوات يؤخذ من يقع في أيدي المحاربين من الرجال والنساء والأطفال (أسرى) ، ويكونون غنائم لأسرهم . أما العدد الضخم منهم الذي يقع في أيدي الجيش ولا يكون في استطاعة المحارب أن يفرض ملكيته عليه ، وذلك بوضعه تحت حيازته ، فيكون ملكاً للحكومة أو للقبيلة ، تتصرف به على وفق قوانينها وقواعد أحكامها ورأيها .

والمنبع الثاني من منابع الرقيق ، أسواق النخاسة ، ومنها أسواق تقع في بلاد العرب نفسها ، يؤتى بالرقيق اليها لبيعه فيها ، وأسواق تقع في خارج بلاد العرب ، يذهب اليها النخاسون لشراء ما فيها من هذه البضاعة البشرية . ولما كان الرقيق

١ المعاني الكبير (١٠٣٧/٢) .

٢ طبقات الشعراء ، لابن سلام (ص ٥٣) (طبعة ليدن) .

٣ (أصابني سباء في الجاهلية كما يصيب العرب بعضها مع بعض) ، الاغاني (٧٥/١١ وما بعدها) .

المشترى هو من أماكن بعيدة ومن غير العرب ، كان مضطراً الى استرضاء سيده وخدمته على النحو الذي يرضيه ابقاء على حياته . وحكم هذا الرقيق هو حكم أي شيء يشتره إنسان بماله أي انه ملك صاحبه ، ولصاحبه حق التصرف به كيف يشاء ، إن شاء باعه وإن شاء جعله في خدمته. وليس للرقيق أي حق في الاعتراض وإن كان بشراً ذلك لأنه رقيق . وقوانين الرق في ذلك الزمن وفي سائر أنحاء العالم تعد الرقيق ملكاً لا يختلف في طبيعته عن أي نوع من أنواع الملكية .

ونوع آخر من أنواع الرقيق ، تكون من بيع الآباء لأبنائهم عن حاجة ، كان تكون الأسرة في عسر وضيق، فلا يكون أمامها غير بيع أبنائها لسد حاجتهم ولضمان معيشة الأبناء ، ولا يكون ذلك بالطبع إلا عند الطبقات الضعيفة .

ومنع آخر من منابع تكون الرقيق في الجاهلية هو الدين . فقد كان من حق الدائن بيع مدينه إن لم يتمكن من الايفاء بدينه ، فيكون رقيقاً .

والولادة من المنابع التي مونت الجاهليين بالرقيق كذلك . فما ينسله الرقيق يصير رقيقاً أيضاً ، وملكاً للمالك الرقيق . إذ لا يقتصر الرق على رقة الرقيق الأصل ، بل يشمل كل ما ينجمه وما ينجمه أحفاده وأحفاد أحفادهم وهكذا فالرق عبودية أبدية ، ما لم يمن مالك الرقيق على رقيقه بالعق ، فتقطع العبودية عندئذ عنه وعن نسله . وإذا استولد المالك أمته فولدت له مولوداً ، أعجبه واعترف به ولداً عد ابناً شرعياً له ، فيكون هذا الاعتراف عتقاً لرقة ابنه، واستلحاقاً للولد بنسب المالك^١ .

زوال الرق :

تفك رقة الرقيق عند فك أسرهِ عنوة ، كأن تغزو قبيلة المأسور قبيلة الأسر ، فتأخذ أسراها عنوة ، فيتخلص الأسير بذلك من الأسر ، أي من الرق ويصير حراً ، وتسقط عنه كل ما كان لسيده من حقوق عليه . وكان أهل الأسير يتحايلون بمختلف الطرق لتخليص أسيرهم من أسرهِ ، فإن نجحوا في تخليصه ، صار أسيرهم حراً ، وإن فر الأسير من أسرهِ ، ولم يتمكن أسرهِ من القبض

١ عمدة القاري (١٢ / ١٠٠) .

عليه ، صار فراره حرية له . وتفك الرقبة بدفع فدية ترضي الأسر، اذا قبضها ، صار الأسير حراً .

الاباق :

الاباق : هرب العبد من سيده^١ . ويراد بالعبد المملوك من غير أسر ولا سبي . ويعد اباقه هذا خروجاً على القانون والحق ، ولصاحبه حق القبض عليه وإنزال ما يراه به من عقوبة . وفي جملتها حق قتله . واذا اشتراه شخص آخر ، أو وقع في أسرهِ ، فلما لكَه الأول حق استرداده ، لأنه عبد ابق ، وهو في ملكه ، وحيازته من غير اذن منه سرقة .

الكتابة :

والكتابة والمكاتبة أن يكتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه، ويكتب عليه أنه إذا أدى نجومه ، في كل نجم كذا وكذا ، فهو حرّ ، فإذا أدى جميع ما كاتبه عليه ، فقد عتق . وولاؤه لمولاه الذي كاتبه^٢ .

العتق :

العتق خلاف الرق ، وهو الحرية . وهو أن يمنّ السيد المالك على مملوكه بفك رقبتة . فإذا عتق ارتبط بسيدهِ برابط الولاء ، ويقال عندئذ (مولى عتاقة) و (مولى عتيق) و (مولاة عتيقة) ، و (موال عتقاء) و (نساء عتائق)^٣ . ويبقى العتيق منسوباً الى معتقه ، الذي يعقل عنه ويرثه . أما إذا أعنته من دون وضع حدّ للولاء عليه ، فيسقط عنه شرط الولاء ، فلا يعقل مولاه عنه، وتسقط كل حقوق الولاء عن العتيق وعن معتقه^٤ .

-
- ١ اللسان (٣/١٠) ، (ابق) .
 - ٢ اللسان (٧٠٠/١) ، (صادر) ، شرح العيني (١١٦/١٣) ، نيل الاوطار (٧٩/٦) .
 - ٣ اللسان (٢٣٤/١٠) ، (صادر) .
 - ٤ عمدة القاري (٢٥٣/٢٣) .

الأموال الثابتة :

وفي ضمنها البيوت، وهي تباع وتشترى وتؤجر أو ترهن بحسب رغبة صاحبها .
ولأجل إثبات حق تملك الأفراد للبيوت ، كانوا يثبتون أحجاراً مكتوبة على واجهة
البيت في بعض الأحيان ، يدون عليها اسم مالك البيت ، والمعمار الذي بنى البيت
والزمان الذي بني فيه ، أو الزمان الذي أجريت فيه ترميمات عليه والحجر عندهم
في مقام سند التملك في أيامنا هذه .

وتوضع على حدود الملك ، ولا سيما حدود الحقول والبساتين علامات ، يقال
لها (أرف) في اللحيانية^١ ، وذلك منعاً لكل تجاوز قد يقع على الملك أو فضول
قد يقع من الغرباء .

والأُرقة في لغتنا الحد بين الأرضين وفصل ما بين الدور والضياح . وكان
أهل الحجاز لا يرون الشقعة للجار . و (الأرفي) ، الماسح الذي يمسح الأرض
ويعلمها بمحدود^٢ .

وتعد المقابر ملكاً خاصاً بصاحب القبر ، وبأهله . لذلك لا يجوز دفن غريب
فيها ، إلا بإذن من أهل الميت وذوي قرابته ومن أصحاب المقبرة . وكثيراً ما
تقرأ في الكتابات جملاً ، مثل : (بني هكفر ، له ول ورثه)^٣ ، ومعناها
(بني هذا القبر ، أو هذه المقبرة له ، ولورثته) . ومثل (اخذو هقبر ذه
هم وأخوهم)^٤ ، ومعناها (أخذوا هذا القبر لهم ولأخيه) . وكثيراً ما نجد
الكتابات تلحن من يتجاوز على ملكية القبر وعلى حق المقبور فيه، وتتوعده بالويلات
والثبور ، وترجو من الآلهة أن تنزل بمن (يعور) يزيل أحجار القبور عن
أماكنها عذابها وغضبها عليهم . وتعد شواخص القبور شهادة لقبر المتوفي وسند
تملك القبر أو للمقبرة ، فلا يجوز الاعتداء على القبر : لأنه ملك خاص .

العقوبات : والأصل في العقوبات ، هو (القصاص) Retaliation أي العقوبة
بالمثل ، وهو أصل نجده عند سائر الشعوب السامية ، ونجده مدوناً في (شريعة

١ النص رقم ٤٦ من كتاب W. Caskel, S. 99.

٢ تاج العروس (٣٩/٦) ، (أرف) .

٣ W. Caskel, S. III.

٤ المصدر نفسه (ص ١١٣) ، النص رقم ٧٦

حورايي) ، بل نجده في قوانين الرومان كذلك^١ . وفي أشير اليه في القرآن الكريم : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ، لعلكم تتقون »^٢ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ، والجروح قصاص^٣ وفي الآية : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به »^٤ . فالجزاء يجب أن يكون من جنس العمل .

ويعمل بالقصاص في الجروح كذلك ، وقد أشير الى ذلك في الآية المتقدمة كما ترى .

وتكون العقوبات في يد الملك أو المعبد أو الكبراء ورؤساء العشائر ، فهؤلاء هم الذين يفرضون العقوبات على المخالفين ويصدرون أوامره بعقاب المستحقين ، فلم تكن هناك اذن سلطة مركزية واحدة تقوم بتنفيذ الأحكام والحكم بين الناس . ويمكن أن نقول إن كل سلطة من السلطات كانت تقوم بتطبيق ما تراه بحق المخالفين لقوانينها وأنظمتها وأوامرها ، فالمعبد ويمثله رجال الدين بالطبع حق الحكم بين الناس في المخالفات التي لها صلة بأمور الدين وبالمعبد وبالعقود التي تعقد مع المستأجرين والمتعاقدين : ويتوقف تنفيذ ذلك بالطبع على مركز رجال الدين ومدى نفوذهم في ذلك العهد، ويقوم رئيس القبيلة بالحكم بين أفراد قبيلته بموجب الأنظمة والقوانين العرفية والعشائرية ، وجميع الضرائب من قبيلته ، ويتوقف سلطانه على شخصيته ومركزه وعلى مراكز الحكومة وما لها من هبة في نفوس الناس والقبائل. ولضمان تنفيذ القوانين والأوامر والعقود ، حتمت السلطات الدينية والسلطات الحكومية على المؤمنين والمواطنين الالتزام والوفاء بالعهود وإطاعة قوانين الدولة . وهددت السلطات الدينية بإنزال العقوبات الإلهية على المخالفين. وتكون هذه العقوبات عقوبات دنيوية تنزلها السلطات الدينية الممثلة والمتكلمة باسم الآلهة على سطح الأرض . وهي متنوعة متعددة قد تكون جسمية ، وقد تكون مادية ، وقد تكون معنوية ، وذلك بحرمان المخالف من زيارة المعابد ، وبامتناع رجال الدين من إقامة الشعائر الدينية له ومقاطعته وإيذاء المجتمع المؤمن بمقاطعته كذلك ، وبذلك تهبط منزلته

Hastings, p. 167. ١

البقرة ، ١٧٩ . ٢

المائدة ، ٤٥ . ٣

النحل ، ١٢٦ . ٤

الاجتماعية، ويصبح مزدري في نظر المجموع. وفي هذا الازدراء عقوبة كافية بالطبع .
يضاف إلى ذلك العقوبات التي تنزلها الآلهة عليه . وقد تكون أهم في نظره
وأخطر من تلك العقوبات المذكورة ، مثل إنزال أمراض أو مهالك به وبأمواله
وما يملكه ، وهو ما يخشاه الانسان ويتعد عنه طبعاً ، ولهذا نجده يحاول جهد
إمكانه ترضية آلهته والتقرب اليها بمختلف الوسائل لإرضائها ولتسبب عطفها
ورضاها عنه .

وأما العقوبات الحكومية ، فهي متنوعة كذلك تنوع بحسب درجة المخالفة
ومقدار الضرر الذي يتولد منها .

وتقابل لفظة (عقوبة) لفظة (تنكرم) (تنكر) في بعض لهجات العرب
الجنوبية ، ويراد بها إنزال ما يستحق من عقوبة بشخص ارتكب عملاً مخالفاً .
أما الغرامات ، أي العقوبات المالية التي تفرض على شخص من الأشخاص ، فيقال
لها (ظلم) (ظلم) ، في بعض تلك اللهجات^١ . ووردت لفظة أخرى ، هي
(من) ، ولفظة ثانية هي (ذمت) (ذم ن ت) ، يرى علماء العربيات
الجنوبية أنها في معنى (عقوبة) و (جزاء)^٢ .

ويعبر عن الجزاء الذي يحكم الحاكم بأدائه إلى من حكم له بلفظة (خطأ)
و (خطا) (خطية) (خطيئة) . ويراد بها ما يجب على المحكوم عليه دفعه
من غرامات وتعويض . وقد وردت هذه اللفظة في نصوص المسند^٣ .

والقصاص عند الجاهليين عقوبة قتل طبقت ، للأعراف القبلية التي كانت تعتبر
تسليم القاتل الحر إلى أهل القتيل لقتله مثلية ، وتسليم مرتكب عمل ما إلى من وقع
الفعل عليه ، نقيصة وضعفاً وسبباً ، تلحق آل مرتكب الفعل . لذلك ، كان
الثأر : هو الرادع لارتكاب الجرائم عند الجاهليين .

وإذا قتل حر عبداً ، أو جرحه أو آذاه ، فليس لأهل العبد طلب القصاص ،
وليس للمالك أن يطلب قتل القاتل به ، لأنه عبد والقاتل حر . وقد كان من
الصعب عليهم ، تصور مقاضاة عبد حر على أساس القصاص ، وإنما ينصف على

١ راجع النص الموسوم بـ : Halevy 147

Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 58.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 58.

٣ Mabram, p. 437.

أساس الدية والتعويض عن الخسارة بدفع مال ، لقد استصعبوا ذلك حتى في الاسلام . فلما لطمت ابنة النضر أخت الربيع جارية ، فكسرت سنّها ، فأمر الرسول بالقصاص . قالت أم الربيع : يا رسول الله أيقص من فلانة ! لا والله لا يقص منها . فقال النبي سبحانه الله يا أم الربيع ، كتاب الله القصاص . فقالت لا والله ، لا يقص منها أبداً . فعفا القوم وقبلوا الدية ^١ .

الجرائم :

وقد وضعت كل المجتمعات على اختلاف درجاتها ، بدائية كانت أو متقدمة عقوبات لردع المجرمين وزجرهم وتأديبهم لكيلا يجرموا بحق أنفسهم وبحق مجتمعاتهم . وهي تتلاءم بالطبع مع واقع المجتمع والظروف الملزمة به . كما ان الجرائم تكون منبثقة من واقع المحيط الذي يعيش المجرم فيه .

ويمكن حصر هذه الجرائم في الجرائم التي ترتكب ضد الدين ، أي دين القوم وعقيدتهم ، وفي الجرائم التي ترتكب ضد المجتمع ، أي ضد العرف والعادات ، في مثل الزواج والطلاق والأحوال الشخصية وفي القضايا التي تخص الآداب وفي الجرائم التي تخص الاعتداء على الجسد كالقتل والجروح والضرب . وفي الجرائم المتعلقة بالاعتداء على حقوق الغير مثل الحياة والغدر وعدم الوفاء بالأمانات والسلب والنهب والسرقات ونشل الناس ، وفي الجرائم المتعلقة بالملك .

وتعاقب شريعة الجاهليين كما تعاقب أية شريعة مدنية ودينية المخالف بعقوبات رادعة تكون متناسبة مع جرمه وعمله ، وتكون العقوبات بالطبع متناسبة مع مستوى المجتمع وتفكير رجاله . والظاهر ان المعاقبين كانوا أحياناً يقسون على المخالفين في فرض عقوباتهم ، فيظلمونهم ، ويعذبونهم عذاباً لا يتناسب مع ما قاموا به من جرم ، بدليل ورود آيات في القرآن الكريم تحث من ييدهم الأمر على ألا يعاقبوا عقاباً يتجاوز حدود المخالفة : (وان عاقبتهم ، فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) ^٢ ، (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ^٣ . وقد ذكر علماء التفسير ان الآية الأولى تأمر

١ زاد المعاد (٢٠٤/٣) .

٢ النحل ، رقم ١٦ ، الآية ١٢٦ .

٣ الحج ، رقم ٢٢ ، الآية ٦٠ .

(ان من ظلم بظلامه، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه)^١ .
وان الله يقول للمؤمنين (وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم ،
فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظلمكم من العقوبة) . وقد نزلت بعد أحد حيث قتل
حزرة ومثّل به ، فلما (رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد من
تغيير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة ، قالوا : لئن أظفرنا الله بهم لنفعلن
ولنفعلن . فأنزل الله فيهم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا
بالله)^٢ . ونزلت الآية الأخرى في (قوم من المشركين لقوا قوماً من المسلمين
لليلتين بقيتا من المحرم ، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم ،
فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون
ذلك وقاتلوهم ، فبغوا عليهم وثبت المسلمون لهم ، فنصروا عليهم ، فأنزل الله
هذه الآية)^٣ .

ومن العقوبات التي جاءت بها الشريعة الجاهلية عقوبة: إقامة الحدود على الجناة،
وذلك بالتعزير ، وهو الجلد ، جلد المخالف الذي لا تكون مخالفته جنائية ، بل
مخالفة بسيطة في مثل مخالفة أوامر الوالدين أو الولي الشرعي وفي الاعتداء على الغير
بالشتم والسباب والتحرش بالناس وما شاكل ذلك من أمور . وعقوبة دفع الغرامات
وتعويض الضرر ، وعقوبة السجن على الجنايات المهمة ، وعقوبة الطرد من البيت
أو من المدينة أو من أرض القبيلة والخلع والتبري من الشخص ، والحبس في
البيت ، وعقوبات القصاص .

والقصاص هو القود . والقود قتل النفس بالنفس^٤ . وقد عبر الفقهاء عن
القصاص في القتل بـ « قصاص في النفس » ، وعبروا عن القصاص فيما هو
دون القتل بـ « قصاص فيما دون النفس » .

القتل :

القتل نوعان : القتل العمد ، والقتل الخطأ . وقد فرق الجاهليون بين النوعين.

-
- ١ تفسير الطبري (١٣١/١٤) ، روح المعاني (١٣٤/١٤) .
 - ٢ تفسير الطبري (١٣١/١٤) وما بعدها .
 - ٣ تفسير الطبري (١٣٦/١٧) ، روح المعاني (١٧٢/١٧) .
 - ٤ تاج العروس (٤٧٨/٢) ، (قود) .

فالقتل الخطأ لا يمكن أن يكون في درجة القتل العمد . وقد قسم الفقهاء في الإسلام القتل الى خمسة أقسام : قتل العمد ، وقتل شبه العمد ، وقتل الخطأ ، وقتل قائم مقام الخطأ ، وقتل بسبب^١ .

وقد نص على القصاص ، أي على وجوب قتل القاتل ومعاقبة الجاني بنوع جنائته ، بمعاقبته بنفس الفعل الذي فعله بالمجنى عليه في بعض الكتابات الجاهلية ، ومن هذا القبيل وجوب قتل القاتل ، لأنه أزهق نفساً بشرية ، وعقوبة من يزهق الناس ويقضي على حياة إنسان إزهاق روحه ، أي قتله قصاصاً لما جنته يده بحق إنسان مثله .

والقتل العمد ، يقاص بالقتل ، وهو أن يطلب أهل القتل من أهل القاتل تسليمه اليهم لقتله : ويقال لذلك (القَوْد) . وبذلك يغسل دم القتل . والقاعدة القانونية عند الجاهليين أن (الدم لا يغسل إلا بالدم) . فهو تطبيق قاعدة القصاص .

وإذا كان القاتل من بيت دون بيت القتل ، فإن أهل القتل لا يكفون في كثير من الأحيان بالقَوْد ، أي بقتل القاتل ، ولكن يطلبون قتل شخص آخر مع القاتل . أي قتل شخصين في مكان القتل وقد لا يقبلون بهذا الحل أيضاً لاعتقادهم بأن الرجلين مع ذلك دون القتل في منزلة وفي الكفاءة ، فيعمدون هم أنفسهم أو الأخذ بثأر القتل ، وذلك باستعراضهم فيما بينهم رجال قبيلة القاتل ، لاختيار رجل يقتلونه يرون أنه في منزلة القتل ، فإن اختاروه ووجدوه ، والغالب أنهم يختارون جملة رجال ، أرسلوا من يغتال ذلك الشخص المسكين الذي وقع اختيارهم عليه لقتله فيغتالونه ليكون كبش الفداء عن القتل .

ويقال للقتيل (هرج) (هرك) في اللهجة القتبانية ، وقد وردت في القوانين القتبانية بصورة تعبر عن (القتل) عامة دون تعيين نوعه ، كما في اللغة العبرانية ، حيث تؤدي لفظة (هرك) (هرج) فيها هذا المعنى^٢ . والظاهر أن المشرع وضع تقدير (القتل) إذا كان قتلاً عمداً أو قتلاً خطأ الى اجتهاد (الملك) الذي هو (الحاكم) الأعلى وإلى من وكل اليهم أمر القضاء بين الناس .

١ راجع كتب الحديث والفقهاء في باب القتل .

٢ A. Grohmann, Arablen, B. 132.

ولكن هذا لا يعني أن القتبانيين أو غيرهم من العرب الجنوبيين ، لم يكونوا يفرقون بين القتل العمد والقتل الخطأ ، أي القتل الذي يقع دون عمد ولا تحضير سابق ولا تفكير فيه . فقد كانوا يفرقون بين أنواع القتل ويحاسبون القاتل على هذا الأساس . وقد كانت كل القوانين في ذلك العهد تفرق أيضاً في أنواع القتل ، فتجعل القتل الخطأ دون القتل العمد في الدرجة وفي الحكم المترتب عليه .

ويعبر عن القتل في اللحيانية بلفظة (خلص) (خليس) أيضاً . وقد ورد في بعض الكتابات اللحيانية ان فلاناً قتل فلان ، وقد حددت بعض الكتابات الوقت الذي تم فيه القتل^١ . ويعبر عن القتل بلفظة (قتل) كذلك ، وعن المقتول بلفظة (همقتل) ، أي القتيلى^٢ .

وعثر على نص قتباني هو قانون في تحديد عقوبة القتل والقاتل جاء فيه : أي شخص يقتل شخصاً وكان من شعب قتباني أو من قبائل تابعة أو مخالفة لها يعاقب بعقوبة القتل ، إلا إذا قرر الملك عقوبة أخرى مستمدة من شريعة (تمنع ، وعلان ، وصيرم)^٣ . ويقصد بشريعة (تمنع ، وعلان ، وصيرم) ، العرف المتبع عند أهل (تمنع) أي العاصمة وعند جماعة (وعلان) وعند أهل (صيرم) . فللملك أن يعاقب بالعقوبات المقررة عند هؤلاء ، إذا لم يقرر الأخذ بمبدأ القصاص .

وقد استثنى القانون المذكور قتلة القتلة القارين من تطبيق عقوبة القتل أو العقوبات التبعية الأخرى عليهم ، إذا كان قتلهم في أثناء فرارهم وعصيانهم حكم الملك ، أو حكم من خوله (الملك) تطبيق (العدالة) بين الناس . فإذا فر قاتل ، وأبى تطبيق ما صدر من حكم عليه ، وقتل وهو في هذه الحالة ، لم يحاسب القاتل على قتله له ، ولا يعاقب بأية عقوبة من أجل ما قام به من قتله انساناً آخر . والظاهر ان المشرع القتباني قد أخذ بالظروف المحلية التي كانت سائدة إذ ذاك ، من سهولة هرب القتلة وتهديدتهم الأمن والنظام ، فلم يعاقب قتلهم بأية عقوبة ، وذلك ليقتضي على القتلة العصاة وليخيف الطائشين من الإقدام

١ راجع النصوص رقم : ٧٩ ، و ٨٠ ، و ٨٦ في كتاب : W. Caskel

٢ راجع النص رقم ٣١ في كتاب : W. Caskel, S. 92.

٣ Glaser 1397, SE 80, Arabien, S. 132, REP. EPIGR. 3878, VI, II, P. 330,

Rhodokanakis, Die Inschriften Kohlan, S. 14, Glaser 1394, 1401, 1416, 1400,

1606, 1607, 1608, WZKM, 31, 1924, 22, Glaser 1397.

على جرائم القتل . ولعله نظر إلى القاتل نظرتة إلى انسان مجرم لا قيمة له في الحياة ، لأنه شرير مؤذٍ ، لذلك لم يفكر في مؤاخذه قاتل شخص على هذا النحو على عقوبته هذه .

وجاء في القانون المذكور أن من يرتكب جرماً أو يعمل عملاً بخلاً بالأمن ، أو يعرقل تنفيذ أوامر الملك لتعطيلها وإيقافها ، سواء كانت معلنة أو غير معلنة ، ثم فرّ وقتل فلا يؤخذ قاتله على قتله ، ولا تؤخذ دية دمه منه^١ .

وقد افتتح النص ونشر باسم الملك الذي أصدره ، وهو الملك (يدع أب ذيبان بن شهر) ملك قتيان . وباسم (مزود) قتيان ، أي ملأ قتيان ، أصحاب الرأي والمشورة ، وباسم (قفضت) و (بتل) قتيان وباسم (ردمان) و (امالك) (أملاك) (الأملوك) ، و (مضحيم) (مضحي) (و بحر) و (بكلم) (بكيل) ، وباسم القبائل الأخرى الخاضعة لحكم الملك^٢ . واختتم بجملة : (وتعلمي وشهد وتعلمي أيدي ...) . وهي جملة تعني : ووقع الملك على الوثيقة بيده وأمر بإعلانها ، وشهد على ذلك ووقع عليها المذكورون من الملأ أعضاء المزود ، ومن السادات أصحاب المشورة والرأي وقد ذكرت أسماءهم بعد اسم الملك ، لأنهم وافقوا عليها وصادقوا على تشريعها ، وبتصديق الملك وأشرف مملكته وأعضاء (المزود) على القوانين تكتسب صفة قانونية ، ويجب تطبيقها عندئذ^٣ .

وتدخل جريمة الانتفاضة على السلطان ، أي الثورة في جملة الجرائم التي يعاقب القائم بها بعقوبة القتل . إلا إذا عفا السلطان عن فاعلها . وقد جاء في نص سبتي أن احد سادات القبائل ثار على الملك ، ثم عفا الملك عنه . فذهب الى المعبد وتوسل الى إله (سبأ) أن يغفر له ذنبه . فأمر عندئذ بتقديم جارية الى معبد (المقه) إله سبأ ، تكفيراً عما قام به من ذنب تجاه سيده ، وأن يتوب عما فعل من إثم^٤ . وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل^٥ .

١ الفقرة السادسة وما بعدها من النص .

٢ راجع الفقرة الاولى وما بعدها من النص :

٣ راجع الفقرة (١٣ وما بعدها) من النص .

٤ (i. Ryckmans, Inscriptions Sud-Arabs, III, Le Muséon, 48, 1935, 164, ff.

٥ Glaser 891, CIH 398, Arablen, 8. 134.

وقد أخذت أعراف وعادات الأعراب بمبدأ حق (ولي الدم) في أخذ حق (الدم) ، وذلك بالقود أو بأخذ الثأر أو بأخذ الدية . وبهذا المبدأ عمل أهل المدر أيضاً ، ولكن نظراً لوجود اختلاف في طبيعة الحياة الاجتماعية عند العرب المستقرين ، فقد تساهل هؤلاء بعض التساهل في موضوع حق (الأخذ بالثأر) ، بينما تشدد الأعراب فيه ، واعتبروا القعود عنه ضعة وخسة ، وقبول الدية سبة تنتقل من جيل إلى الجيل الذي يليه ، وهي لا تمحى إلا بغسلها بالأخذ بالثأر ، فإن الدم لا يغسل إلا بالدم . وبذلك نجد مبدأ حق معاقبة القاتل في أيدي أصحاب القتل في قانون الأعراب ، أي أهل الوبر .

أما بالنسبة إلى العرب الجنوبيين ، فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن آرائهم القانونية عن (حق ولي الدم) ، وعن الأخذ بـ (حق الدم) بصورة عامة شاملة ، وذلك لعدم ورود نصوص فقهية عديدة في هذا الموضوع . ولكننا إذا أخذنا بنظرية القياس ، وقسنا حكم المعينين والسبثيين والحضارمة على حكم القتبانيين بالنسبة إلى (حق ولي الدم) ، فإننا لا نستطيع أن نقول إن وجهة نظر العرب الجنوبيين بالنسبة إلى هذا الحق تختلف عن وجهة نظر العرب الشماليين بالنسبة إليه . فقد أخذ القانون القتباني بمبدأ حصر هذا الحق بالملك إذ جعله هو وحده الذي يقرر نوع العقوبة التي يمكن إنزالها في القاتل . فهو الذي يأمر بالقصاص ، أي يقتل القاتل ، أو بفرض الدية . ويقابل (الملك) ما يقال له (السلطان) في الفقه الاسلامي . أي الرئيس الأعلى للدولة أو من يقوم مقامه من المخولين بالنظر في تنفيذ القوانين والأحكام . فالدولة إذن هي المسؤولة وحدها عن أخذ حق القتل من القاتل ، لا (ولي الدم) . وليس لولي أمر القتل ان يتصرف من عنده لأخذ حق الدم من سافكه . وتتفق وجهة نظر الحكومة القتبانية هذه مع وجهة نظر (القوانين الرومانية) التي دونت في أوائل القرن السادس للميلاد ، ومع التشريع المدني الحديث الذي يجعل أمر تنفيذ القوانين وتطبيقها وتشريعها حق من حقوق الدولة ومن الأمور التي تخص سيادتها وكيانها^١ .

A. Grohmann, Arabien, S. 133.

قتل القاتل :

ويكون قتل القاتل عند الجاهليين بحدّ السيف . أما طرق القتل الأخرى في مثل الشنق أو الصلب على خشبة ، فإنها من العقوبات التي لم تكن مألوفة بين العرب . والصلب على الخشبة ، أي الصليب من طرق القتل المألوفة عند الرومان . وأما (الرجم) ، أي إماتة الشخص برجمه بالحجارة ، فإنه من العقوبات المعروفة عند العراقيين ، وقد نص على العقوبات التي يعاقب الإنسان عليها في الرجم في التوراة^١ .

وقد ورد أن من الجاهليين من عاقب بالصلب . فقد قتل المشركون (خبيب ابن عدي) الأنصاري بصلبه على خشبة ، وبطعنه بالرماح حتى مات^٢ . وصلب (هلال بن عقة)^٣ ، وصلب غيرهما ، ويكون الصلب بتعليق الشخص وربطه على خشبة ، وطعنه بالحربة حتى يموت مصلوباً^٤ .

وورد أن رسول الله قتل (عقة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس) ، بعرق الظبية منصرفة من بدر . فأمر بصلبه . فهو أول مصلوب في الإسلام^٥ . وقد عرف الصلب في الإسلام . وهو كناية عن تعليق الإنسان بعد قتله على خشبه ، أو شجرة أو محل مرتفع ليراه الناس . وقد صلب خالد بن الوليد (عقة بن جشم بن هلال النمري) بعين التمر^٦ .

وورد أن الصلب كان في الجاهلية عقوبة قاطع الطريق^٧ .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد وجود (الصلب) وتقطيع الأيدي والأرجل عند الجاهليين . فقد ورد في سورة المائدة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم

١ Hastings, Dictionary of the Bible, Vol. I, p. 521, The Bible Dictionary, Vol. II, p. 233, W. Croswant, A Dictionary of Life in Bible Times, p. 222.

٢ امتاع الاسماع (١٧٧/١) ، (غزوة الرجيع) ، الإصابة (٤١٨/١) ، (رقم ٢٢٢٢) ، نهاية الارب (١٣٣/١٧) وما بعدها ، المحبر (٤٧٩) .

٣ الاخبار الطوال (١١٢) .

٤ تفسير القرطبي (١٥١/٦) .

٥ المحبر (٤٧٩) .

٦ المحبر (٤٧٩) .

٧ المحبر (٣٢٧) .

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض^١ . وقد ذكر علماء التفسير أن هذه الآية نزلت في (المُعرنين) ، أو قوم من (عكل) قدموا على رسول الله ، فاجتووا المدينة، فأمر لهم رسول الله بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا ، فلما صحوا ، قتلوا راعي رسول الله واستاقوا النعم ، وكفروا بعد اسلامهم فبلسخ النبي^ﷺ خبرهم ، فأرسل في آثارهم ، فأني بهم ، ففقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون . وكانوا قطعوا أيدي الراعي ورجليه ، وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات ، وأدخل المدينة ميتاً . وكان هذا الفعل سنة ست من الهجرة^٢ .

كذلك كان القتل بإزهاق الروح بالرجم من العقوبات المعروفة عند الجاهليين، فقد قتل المشركون (عبدالله بن طارق) ، رجماً بالحجارة ، أوثقوا أطرافه ، فلما نزع يده من رباطه ، قتلوه رجماً بالحجارة^٣ . ولكن هذه العقوبة من العقوبات القليلة التي لجأ إليها أهل الجاهلية ، فلا نستطيع اعتبارها من نوع القتل المألوف عند العرب .

والحق معروف عند الجاهليين ، لكنه قليل الاستعمال في العقوبات . وقد ذكر ان (النعمان بن المنذر) ، أمر بختق عدي بن زيد العبادي حتى مات^٤ . ويكون بختق الشخص بحبل يضيق على رقبته ويشد حتى يموت أو بقماش أو بجلد أو باليد وبأمر أخرى عديدة . وقد ختقت بعض النساء رجالاً ، انتقاماً منهم . ويستعمل عند وجود فرصة سانحة كأن يكون الشخص نائماً أو عند عثور شخص لا سلاح عنده على عدو له ، فوجد ان الفرصة الوحيدة المؤاتية له للقضاء عليه هي بإخناقها، وقد يستعمل في حالة الدفاع عن النفس .

وقد عرفت (المثلة) عند الجاهليين . يقال مثل بفلان ، نكل به تنكيلاً ، بقطع أطرافه والتشويه به . ومثل بالقتيل جدع أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من

١ الآية رقم ٣٣ .

٢ تفسير الطبري (١٣٢/٦ وما بعدها) ، روح المعاني (١٠٦/٦ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٤٨/٦ وما بعدها) .

٣ امتاع الاسماع (١٧٥/١) ، الاستيعاب (٣٠٦/٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ تاج العروس (٣٣٩/٦) ، (خنق) .

أطرافه . وقد مثل بـ (حمزة) عم النبي ، لما قتله (وحشي) . وقد نهى الاسلام عن المثلة بالانسان وبالحيون^١ .

القتل الخطأ :

ومن أنواع القتل الخطأ : القتل الذي يقع نتيجة وقوع اضطراب وثورات أو هجوم بحيث يصعب تشخيص القاتل ، وكذلك القتل بسبب هجوم حيوان على شخص ، فيكون صاحبه مسؤولاً عن القتل ، لأنه مالكة . أو بسبب ضرب شخص شخصاً بحجر أو بشيء آخر ، ولم يكن متعمداً قتله أو رميه به أو بذلك الشيء ، وإنما أصابه خطأ فقتله . وقد عينت القوانين حدود هذه الأنواع من القتل ، وتركت تقدير مقدار العقوبة والتعويض إلى (الملك) وذلك في العرية الجنوية ، ويقوم الحكام مقام الملك في النظر في هذه الأمور . أما أمره عند العرب الشماليين فألى العرف والعادة والحكام .

السجن :

ولما كان من الصعب بل من غير الممكن للقبائل الحكم بالسجن على المجرمين . لعدم توفر السجون عندها لجأت الى عقوبة الطرد ، أي طرد المجرم الى مكان ما يقرر لمدة معينة بحيث لا يسمح للمجرم بالمجيء الى منازل القبيلة خلال مدة الطرد . وهي عقوبة معروفة عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين وغير الساميين مثل الرومان ، ولا تزال عقوبة الإبعاد والإجلاء معروفة ومستعملة عند القبائل . وتسمى اليوم بـ (الجلوة) (الجلو) (الجلي) عند بعض عشائر العراق .

وأما في المدن ، فإن الأخبار تتحدث عن وجود السجون فيها . فإذا حكم على أحد بالسجن أودع فيه . وقد عرف السجانون بالحدادين كذلك ، وذلك لأنهم كانوا يمنعون الناس من حرياتهم ، وكانوا يضعون القيود في أيديهم وأرجلهم ، والقيود هي من صنع الحدادين^٢ .

١ تاج العروس (١١١/٨) ، (مثل) ، تفسير الطبري (١٣٣/٦) .

٢ الفاخر (ص ٩١) .

وقد أشير الى السجن ، أي (المحبس) و (الحبس) في القرآن الكريم^١ ، مما يدل على وجود السجن في مكة وعلى وجود السجون في الحجاز .

وتوضع السلاسل في أيدي اللصوص والأشرار والمساجين وفي أرجلهم لمنعهم من الهرب . وقد تربط السلسلة برجل السجين من جهة وبجدار السجن أو الباب من جهة أخرى كي لا يتمكن من الهروب . وتتصل نهاية السلسلة بطوق ، تعلق به يدا السجين أو رجلاه . واستعملت أطواق النحاس كذلك^٢ . ويعبر عن وضع السلسلة في يدي السجين أو رجله بكلمة (كبل) . وهو تعبير مستعمل في الإرمية وفي العبرانية كذلك^٣ .

وقد عاقب سادات الأسر المخالفين والخارجين على الطاعة بحبسهم في بيوتهم ، وذلك بربط المحبوس بالسلاسل فلا يخرج ولا يغادر مكانه . وقد كان أهل مكة يحبسون من يستحق الحبس في بيوتهم ، بربطه بسلسلة ، حتى لا يتمكن من مغادرة محبسه . وقد حبسوا بعض من أسلم من الشبان ، عقوبة لهم . ونظراً إلى صعوبة تطبيق الحبس في البادية لا أستطيع أن أتحدث عن عقوبة الحبس عند الأعراب .

وفي السبئية لفظة (خصق) ، وتعني السجنان ومحافظ السجن^٤ . ومعنى هذا وجود السجون عند العرب الجنوبيين .

وقد كانت الملوك الحيرة سجون يسجنون بها من يغضبون عليهم من الناس . وقد تحدثت عن ذلك في أثناء كلامي عن (الدولة) وفي مناسبة الكلام على سجن (عدي بن زيد العبادي) بـ (الصين)^٥ ، ولا أستبعد أن يكون للغساسنة سجون أيضاً ، يرمون بها المخالفين لهم .

وقد كانت سجون العربية الجنوبية في قلاع الملوك والأقيال والأذواء وفي المباني العامة المحصنة ، حيث يودع السجين في أماكن منيعة حتى لا يتمكن من الهروب

١ سورة يوسف (الآية ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ وما بعدها ، ١٠٠) ، المفردات ، للراغب (ص ٢٢٣) .

٢ Hastings, Vol. I, p. 288, (1910).

٣ Hastings, Vol. II, p. 5.

٤ MAHRAM, p. 436.

٥ « فمضوا به الى الصين فحبسه هناك ، فقال عدي بن فريد شعره كله أو أكثره في الحبس فوجه كسرى رجلاً يخرج من السجن . فلما أتاه الرجل بسدا بالسجن فدخله » ، نوادر المخطوطات ، أسماء المقتالين (ص ١٤١) .

منها ، يحرسها سجانون . وبين من يسجن عدد من المعارضين للحكام والثوار والمشاغبين على السلطة القائمة ، أي مجرمين سياسيين ، يبقون في سجونهم ما دام الحكام غير راضين عنهم . وقد يموت بعض منهم وهم في سجونهم .

وورد في الأخبار أن السجن لم يكن في زمن الرسول يثرب ، ولا في أزمان أبي بكر وعمر وعثمان ، وكان يحبس في المسجد أو في الدهليز ، حيث أمكن . فلما كان زمن (علي بن أبي طالب) ، أحدث السجن بالكوفة . وكان أول من أحدثه في الإسلام ، وسمّاه (نافعاً) ، ولم يكن حصيناً ، فتقبه اللصوص وانفلتوا ، فبنى آخر وسمّاه (نحيساً) من التخيس وهو التذليل . وقد ورد في أخبار أخرى ، أن (نافع بن عبد الحارث الخزاعي) من عمّال (عمر) ، اشترى داراً من (صفوان بن أمية) للسجن بمكة^١ . ومعنى هذا أن السجن كان معروفاً قبل أيام (عثمان) و (علي) .

وقد ورد في بعض الأخبار أن (عمر) أول من حبس في السجون . « وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ، ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذيهم »^٢ . وذلك لأن العرب كانت تستعمل « التغريب » ، أي النفي في موضع السجن ، لسهولة النفي ، وصعوبة الحبس .

الجلد :

وعرفت عقوبة الجلد عند الجاهليين ، ولا سيما عند الحضرة ، فقد عاقبوا بالجلد . وقد أشير إليها في الكتابات العربية الجنوبية ، إذ ورد في اتفاقية من الاتفاقيات المتعلقة بـ (الوقف) أن الطرف الثاني ، وهو الشخص المتعاقد مع الحكومة أو المعبّد ، إذا تماهل أو امتنع عن دفع ما عليه من حقوق نص عليها ، عوقب بغرامة مقدارها (خمسة رضى) ، أو بجلده خمسين جلدة بالعصا^٣ .

١ صحيح مسلم (١٥٨/٥) ، (باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه) ، (وأمره عمر على مكة . قال البخاري في صحيحه : اشترى نافع بن عبد الحارث لعمر من صفوان بن أمية دار السجن بمكة) ، (الإصابة (٥١٦/٣) ، (رقم ٨٦٥٩) ، صحيح البخاري ، (٢٣٨/٤) ، (في الخصومات : باب الربط والحبس) .

٢ تفسير القرطبي (١٥٣/٦) .
٣ CIH, 380, Sab. Denkm., S. 21.

(وذ يحدان فلن غل ينكرون خمس رضىم فاو خمس سبطم لا حد انسم)^١، ومعناها (والذي يتخاذل أو يقصر في العمل يعاقب بخمس رضى ، أو بخمسين جلدة عصا لكل انسان) .

وقد كان من حق الوالد جلد ولده عقاباً لهم لما يفعلونه من مخالفات. ويستعمل السوط في الجلد في الغالب ، كما عاقب سادات القبائل أتباعهم بجلدهم . والسوط هو المقرعة أيضاً ^٢ .

الخلع والطرد :

وإذا أسرف الانسان في ارتكاب الجرائم وبقي مستهتراً بارتكاب الموبقات لا يبالي ولا يحاسب نفسه على أفعاله وأعماله ، ولا يتبع نصائح أهله وعشيرته وأوامرهم ، فقد يؤدي ذلك به إلى خلعه وطرده من أهله ، معاقبة له وتخلصاً من جرائره ومن المسؤولية التي قد تتولد لأهله من أعماله هذه . ويكون ذلك بإعلانه للناس في المحلات العامة وفي المواسم وإشهاد شهود على ذلك حتى يعرف الناس ، فتسقط المسؤولية عن أهل الطريد .

ويعبر أهل العربية الجنوبية عن ذلك بلفظة (طردن) أي الطريد ، كما يعبرون عنه أحياناً بلفظة (ثرن) ، أي (المنبر) ، وهو الذي يثير الناس ويقوم بأعمال مثيرة فيزعجهم ويتعدى عليهم بذلك^٣ . وهم يطردون مثل هؤلاء الأشخاص ويثرون منهم . ويعلنون عن الطرد ، ليقف الناس على اسم الطريد ، فيتجنبونه أو ينزلون به ما يستحق من عقاب ، إذا ارتكب عملاً مؤذياً لهم .

وقد نفى أهل الحجاز خلعاءهم إلى (حضوضى) ، وهو جبل عرف بنفى الخلعاء إليه^٤ . وربما كانت هنالك أمكنة أخرى في جزيرة العرب اتخذت منفى ينفى إليه الخلعاء عقاباً لهم .

والطرد أو الخلع أو اللعن ، معناه رفع كل أنواع المسؤولية القانونية المترتبة

١ Rhodokanakis, Stud. II, S. 141. f.

٢ تاج العروس (١٦٣/٥) ، (سوط) .

٣ Rhodokanaki, Stud. II, S. 32.

٤ البلدان (٢٩٦/٣) .

على آل الخليع والطريد والملعون وكذلك عن قبيلته إن خلعتة أيضاً . فإذا ارتكب جنائية صار وحده المسؤول عنها ، فلا يحميه أو يدافع عنه أحد . إذ أسقط أهله عنهم كل ما كان عليهم من حقوق (العصية) تجاهه . فإذا قتل أو اعتدى عليه فلا أحد يسأل عن أهله ، أو يأخذ عندئذ بحقه ، لسقوط العصية عنه . ويكون عندئذ معرضاً للقتل في أية لحظة، مطارداً من الناس لقرط جرائمه ، فهو كالمجرم الفار من العدالة ، الذي أسقطت عنه الجنسية ، لا يجد أحداً يؤويه ، ولا مكاناً يقبله ، خشية إلحاق الأذى به .

ويكون الخلع والطرء علناً ويشهاد شهود . والأغلب أن يعلن عنه في المواسم بأن يقف الأب الذي يريد خلع ابنه وسط الناس ، ثم يقول : « خلعت ابني.. فإن جر لم أضمن ، وإن جر عليه لم أطلبه »^١ . ويعرف الخلعاء بأسماء أخرى تدل على الصعلكة والازدراء . مثل الصعاليك . وذكر أن (صعاليك العرب) ذؤبانها ويقال الذؤبان والضليلين^٢ .

التغريب :

والتغريب : النفي عن البلد أو الأرض^٣ . وكانوا يستعملون هذه العقوبة في حق من يستهتر بعرف القبيلة ويقوم بأعمال منكرة ولا يصلح نفسه ، فكانوا يحكمون عليه بالإجلاء عن أرض القبيلة والابتعاد عنها مدة تحدد وتعين ، وقد لا تحدد . فهو نفي وإجلاء . وقد بقيت هذه العقوبة في الإسلام فأمر الرسول بالتغريب وأمر الخلفاء به كذلك^٤ .

وقد عرف التغريب الجماعي عند الجاهليين وفي الإسلام . وهو إجلاء جماعة من موضع سكنهم . فقد كان الفرس يجلون القبائل المعادية لهم عن مواضعها ويرسلونهم إلى أماكن أخرى . وفعل الروم ذلك بالعرب أيضاً . كما فعلت حكومات

١ المحلى (١٠/٥٢٢) ، (١١/٦٥) ، الاغانى (٨/٥٠) ، تاج العروس (٥/٣٢١) ، (خلع) .

٢ اللسان (١٠/٤٥٥) وما بعدها .

٣ تاج العروس (٣/٤٧٦) « الكويت » ، اللسان (١/٦٣٩) « صادر » ، (غرب) .

٤ القسطلاني (١٠/٢٥) وما بعدها .

اليمن ذلك بالقبائل الثائرة . وقد أجلي (عمر) أهل الذمة عن جزيرة العرب ، فسمّوا (جالية) . وعرفوا بـ (الجالية) ، ولزمهم هذا الاسم أينما حلّوا ، ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد وان لم يجلّوا عن أوطانهم^١ .

الدية :

وأخذ الفقه الجاهلي بأصل تعويض الضرر وإزالته عمّن وقع الضرر عليه ، وذلك بلفع تعويض عادل يرضى عنه ، أو ترضى عنه ورثته في حالة وفاة من وقع الاعتداء عليه ، ويقال لذلك (الدية) .

أما في اللحيانية ، فيقال لها (ودي) ، وعن أداء الدية لأهل القتل (ودي) ، و (وديو) بصيغة الفعل الماضي^٢ . وتعني لفظة (ودي) ، دفع الدية وأعطائها في عريتنا^٣ .

والأصل في الدية أخذها من القاتل إن كان قادراً ، فإن لم يكن قادراً على حملها ، وقع حملها على ذوي (العصبة) ، أي على أقربائه وذوي رحمه حسب رابطة الدم . لذلك تكون (العصبة) في الديات ، كما تكون في الإرث^٤ .

وتختلف الدية باختلاف درجات القبائل ومنازل الناس ، فقد تكون عشرة من الإبل ، وقد تبلغ ألفاً . فإذا كان القاتل من سواد الناس ومن القبائل الصغيرة الضعيفة . كانت ديته قليلة . أما إذا كان من أشرف القبيلة زادت ديته عن ذلك تبعاً لمرتلة القاتل وملكانته . وإذا كان القاتل ملكاً ، كانت ديته ألفاً من الإبل ، وتسمى هذه الدية (دية الملوك)^٥ .

وتكون دية (الصريح) دية كاملة ، وهي عشرة من الإبل كما ذكرت إذا كان القاتل من سواد الناس . أما إذا كان القاتل (حليفاً) ، فتكون ديته عندئذ نصف دية الصريح أي خمساً من الإبل^٦ . وأما إذا كان القاتل (هجيناً) ، فتكون

١ تاج العروس (٧٦/١٠) ، (جلو) .

٢ راجع النص (٣١) ، والنص ٨٢ في كتاب : W. Caskel, S. 117.

٣ تاج العروس (٣٨٦/١١) .

٤ من الطبعة الجديدة Ency., Vol., I, p. 337.

٥ بلوغ الأرب (٢٢/٢) ، « فان تدوه دية الملوك نقبل ، وان تأبوا نقتل ! فدوه دية الملوك : ألف بعير » ، نوادر المخطوطات (١٢٤) .

٦ الاغانى (١٧٠/٢) ، (ساسى) .

ديته نصف دية الصريح . وتكون دية المرأة نصف دية الرجل .

وكانت بعض القبائل قد حددت هي دية قتلاها ، وفرضتها فرضاً ، فكانت تأخذ عن دية قتلها ديتين أو أكثر أحياناً ، وتدفع دية واحدة لغيرها ، وذلك بسبب قوتها وبطشها . روي أن (الغطاريف) ، وهم قوم (الحارث بن عبد الله ابن بكر بن يشكر) كانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ، ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم^١ . وكان لبني (عامر بن بكر بن يشكر) وهم من (الغطاريف) أيضاً ، وقد عرف (عامر) المذكور بـ (الغطاريف) ديتان ، ولسائر قومه دية^٢ .

وورد أن (بني الأسود بن رزن) كانوا يؤدون في الجاهلية ديتين ديتين ، ويؤدي غيرهم من (بني الدليل) دية دية ، وذلك لفضلهم^٣ . ف (بنو الأسود) هم الذين حددوا ذلك المقدار وثبتوه ، ولم يكن هذا التحديد عن ضعف ، وإنما هو رغبة منهم في الافضال على ذوي القتل الذين يكونون من غيرهم تلطفاً لهم ، وترفعاً منهم عن المساومة في دماء القتلى .

وذكر أن بعض حكام العرب كانوا يحكمون في الديات بمئة من الإبل . وقد نسب بعضهم هذا الحكم الى (أبي سياره العدواني) ، الذي كان يفيض بالناس من المزدلفة ، قيل إنه أول من جعل الدية مائة من الإبل^٤ . ونسب بعض آخر هذا الحكم الى (عبد المطلب) ، فقالوا إنه أول من سن الدية مئة من الإبل ، فأخذت به قريش والعرب ، وأقره رسول الله في الإسلام^٥ .

وكانت (قريظة) و (النضير) في الجاهلية إذا قتل الرجل من بني النضير قتلته بنو قريظة ، قتلوا به منهم ، فإذا قتل الرجل من بني قريظة قتلته النضير أعطوا ديته ستين وسقاً من تمر^٦ . وذلك بسبب الفرق في المنزلة والمكانة .

١ الاغانى (٤٨/١٢) .

٢ الاغانى (٥٣/١٢) .

٣ ابن هشام (٢٢/٣) بلوغ العرب (٢٢/٣) .

٤ الروض الانف (٨٦/١) .

٥ المعارف (ص ٢٤٠) ، صبح الاعشى (٤٣٥/١) ، ابن سعد ، طبقات (٨٩/١) ،

(ذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه) ، ابن رسته ، الاعلاق (١٩١) .

٦ تفسير الطبري (٩٧/٥) .

وقد ورد في بعض الكتابات اللحيانية ان القتلة دفعوا دية القتلى لأهلهم الشرعيين الذين لهم حق المطالبة بالدم ، وقدموا قرابين و (خرجوا) خراجاً أي مبلغاً إجبارياً من مواد عينية الى الآلهة عن ذلك الدم ، وقدموا قرابين وضعوها على قبر القتيل. وبهذه الطريقة حسموا دم القتيل^١ .

ويلاحظ ان اللحيانيين استعملوا مصطلح (خرج) أي (الخراج) للتعبير عن الجزاء الذي يجب أن يفرض على القاتل ليقدمه جزاء قتله انساناً^٢ .

وقد عرفت (الدية) عند العرب الجنوبيين كذلك ، ولم تحدد في القوانين، وإنما ترك أمر مقدارها الى (الملك) أو الى الحكام المفوضين ، وبضمنهم سادات القبائل والأقيال والأدواء ، يأخذونها بحسب العرف المقرر عند القبائل التي يعينها الأمر وتعطى لأصحاب القتيل الشرعيين .

وورد في نص سبئي قديم يعود عهده الى أيام (المكرين) ، حكم بدفع دية مقدارها (٢٠٠) الى المعبد ، تعويضاً عن دم شخص فقير ، لم يعرف قاتله ، يدفعها آل القتيل في عشر سنوات . ولم يحدد النص نوع الدية ، مع انه عيّن مقدارها^٣ .

ويعبر عن الدية بلفظة أخرى هي (الملة)^٤ وب (العقل) ، يقال : (عقل القتيل) يعقله عقلاً : وداه ، وعقل عنه : أدى جنايته ، وذلك اذا لزمته دية فأعطاه عنه^٥ . سميت الدية عقلاً (لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلاً لأنها كانت أموالهم ، فسميت الدية عقلاً لأن القاتل كان يكلف أن يسوق الدية الى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها الى أوليائه^٦) ، ويقال للذين يتعاقلون على دفع الدية : (العاقلة) . وكان مما جاء في كتب الرسول الى القبائل : هم على معاقلهم الأولى ، أي الديات التي كانت في الجاهلية يؤدونها كما كانوا

١ W. Caskel, S. 51, 117, 119, Jaussen-Savignag, Mission, II, 389, 409, 411, 419, 441, Arabien, S. 50.

٢ راجع السطر ٣ من النص (٨٢) في كتاب : W. Caskel, S. 117.

٣ Glaser 1210, Rhodokanakis, Alt. Sabalsche Texte, II, WZKM, 39, 1932, 186, Arabien, S. 134.

٤ اللسان (٦٣٢/١١) .

٥ اللسان (٤٦٠/١١) .

٦ اللسان (٤٦١/١١) .

يؤدونها في الجاهلية على مراتب آبائهم . وفي الحديث : كتب بين قريش والأنصار كتاباً فيه المهاجرون من قريش على رباعيتهم يتعاقلون بينهم معاقلمهم الأولى . أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها^١ .

العاقلة :

والعاقلة ، هم العصابة ، وهم القرابة من قبل الأب الذين يتحملون الديات . وقيل : القبيلة ، إلا أنهم يحملون بقدر ما يطيقون .

ولا يعقل حاضر على باد . وورد أن (عمر) قال : « إنا لا نتعاقل المضغ بيننا ، معناه ، أن أهل القرى لا يعقلون عن أهل البادية ، ولا أهل البادية عن أهل القرى »^٢ . ويظهر أن هذا كان حكم الجاهليين أيضاً ، أو حكم بعض منهم في أصول دفع الديات .

وليس في اسقاط الجنين دية عند بعض الجاهليين . ورد أن امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها ، وهي حامل ، فقتلت ولدها الذي في بطنها ، فاخصموا إلى الرسول ، فقضى أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة . فقال ولي المرأة التي غرمت : « كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فثقل ذلك يطل »^٣ .

وورد في الحديث : « من لا أكل ولا شرب ولا استهل ، ومثل ذلك يطل »^٤ والطل : هدر الدم ، وقيل هو أن لا يثأر به أو تقبل ديته . وفي الحديث أيضاً ، أن رجلاً عض يد رجل فانتزع يده من فيه فسقطت ثناياه فطلها رسول الله ، أي أهدرها وأبطلها^٥ .

وإذا تنوزل عن الجراحة والدم بدفع الدية ، قيل لذلك أرش الجراحة ، أي

- ١ تاج العروس (٢٧/٨) ، (عقل) ، مناقب الترك ، من رسائل الجاحظ (١٢/١) ، اللسان (٤٦٠/١١) ، (عقل) ، القسطلاني (٦٨/١٠) .
- ٢ اللسان (٤٦١/١١) وما بعدها .
- ٣ صحيح مسلم (١١٠/٥) وما بعدها ، ارشاد الساري (٣٩٩/٨) ، اللسان (١٩/٥) .
- ٤ اللسان (٤٠٦/١١) .
- ٥ اللسان (٤٠٥/١١) وما بعدها ، تاج العروس (٢٧/٨) ، (عقل) .

ديتها^١ . ومتى تم الاتفاق وحصل التراضي بدفع الدية ، انتهى الدم ، ويعبر عن ذلك بـ (الفصل) وما زال هذا التعبير مستعملاً بين عشائر العراق^٢ .

فالأرش اذن دية ما دون النفس ، أي القتل ، كدية الجروح . فهو تعويض عن الضرر الذي يلحق بالعضو المصاب . ويختلف الأرش عند الجاهليين باختلاف التلف الذي أصاب عضو الانسان ، وباختلاف منازل الناس والقبائل . وهو على العموم دون الدية ، لأن الدية تعويض عن قتل ، أي هلاك أصاب جسم الانسان كله ، بينما الأرش تعويض عن جزء من جسم .

وفي الحديث : في أرش الجراحات الحكومة . ومعنى الحكومة في أرش الجراحات التي ليس فيها دية معلومة : أن يجرح الانسان في موضع في بدنه مما يبقى شينه ولا يبطل العضو ، فيقتاس الحاكم أرشه بأن يقول : (هذا المجروح لو كان عبداً غير مشين هذا الشين بهذه الجراحة كانت قيمته ألف درهم ، وهو مع هذا الشين قيمته تسعمائة درهم ، فقد نقصه الشين عشر قيمته، فيجب على الجراح عشر دية في الحر ، لأن المجروح حر ، وهذا وما أشبهه بمعنى الحكومة) ، التي تستعمل في أرش الجراحات^٣ .

وتؤدي لفظة (ارش) في اللحيانية معنى (عوض) ، ودفع بدلاً . وهي من المصطلحات القانونية الواردة في الكتابات . فإذا بدل انسان شيئاً بشيء عبر عن ذلك بلفظة (أرش)^٤ . ولا أستبعد أن يكون اللحيانيون قد استعملوها في التعبير عن التنازل عن الجراحة والدم بعد دفع الدية .

ويعوض عن الضرر الذي يلحقه إنسان بإنسان آخر مثل قطع عضو من أعضاء جسمه أو إلحاق عجز به أو جراحة مؤذية بدفع (دية) عن الضرر . أما الجراحة التي لا تكون مؤذية ، ولا تلحق ضرراً ، فلا يدفع عنها دية ، ويعبر عن ذلك

١ تاج العروس (٢٧٩/٤) ، (ارش) ، شمس العلوم ، (الجزء الاول ، القسم الاول ، ص ٦٩) .

٢ (وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : ليس على عربي ملك ٠٠ ولكننا نفومهم كما نقوم أرش الديات ونذر الجراح) ، اللسان (٦٣٢/١١) ، (ملل) .

٣ اللسان (١٤٥/١٢) ، (حكم) .

٤ راجع النص ٤ في كتاب : W. Caskel, S. 79.

بـ (الخماشة)^١ . و (الخماشة) ما ليس له ارش معلوم من الجراحات ، أو هو دون الدية ، كقطع يد أو أذن أو نحوه . أي جرح أو ضرب أو نهب ، أو نحو ذلك من أنواع الأذى . والخماشات : الجراحات والجنايات . وهي كل ما كان دون القتل والدية^٢ .

ويقال لما يدفع عن الجراحات (نذراً) . وذكر أن النذر لا يكون إلا في الجراح صغارها وكبارها وهي معاقل تلك الجراح^٣ .

وقد نص في القوانين العربية الجنائية على تعويض الجروح والأضرار التي تلحق بالجسم كذلك ، فورد فيها : (ثوب بقتن) ، أي (ثياب بمقتينات) ، ويراد بذلك أن يعرض بمال^٤ . ويقدر ما يدفع من المال الى من نزل به الضرر بحسب شأن الجرح ومقدار الضرر : يقدره الحكام وعرفاء القبيلة .

وقد سادت شريعة الجاهليين في معاقبة المجرمين في الجرائم الأخرى التي ليست قتلاً على أساس التعويض وإصلاح الضرر والسجن والخلع والنفي ومعاقبة الفاعل عقاباً يناسب عمله وما صدر منه .

واذا عجزت عصابة القاتل عن دفع دية القتيل ، وقد حملها على أقرباء العصابة ، فإن نأوا بها وجب على القبيلة تحملها . ويدخل فيها سيد القبيلة . فالقبيلة وحدة اجتماعية قائمة بذاتها وعليها لذلك تحمل مسؤوليات أفرادها . ولهذا توزع الديات على أفرادها إن ثبت عدم تمكن أقرباء القاتل من دفعها .

وتدفع الدية الى (ولي القتيل) أو الى أوليائه الشرعيين ، أي الذين لهم حق المطالبة بدم القتيل . وهم وحدهم لهم حق الفصل في موضوع الدم .

ولا تقع جناية العبد على مولاه ، وإنما تقع جنايته في رقبته . فلا يعقل سيده عنه ، ولا تتحمل عصابة سيده عنه أي شيء في حالة عدم تمكن سيده من أداء (العقل) ، أي الدية ، إن قتل العبد شخصاً . وللفقهاء في الاسلام في استيفائها منه خلاف^٥ .

١ المعاني الكبير (١٠١٦/٢) .

٢ تاج العروس (٣٠٨/٤) وما بعدها ، (خمس) .

٣ اللسان (٢٠٠/٥) ، « صادر » .

٤ M. Höfner, Zur Interpretation altsüdarabischer Inschriften, II, WZKM, 43,

1936, S. 107. f., Arabien, S. 134.

٥ اللسان (٤٦١/١١) ، (١٣٧/١٥) .

وعند اعتصام القاتل وامتناع أهله أو عشيرته عن تسليمه الى أهل القتيل للاقتصاص منه بقتله ، وعدم رضاء أهل القتيل بأخذ (الدية) منه أو من أهله غسلاً للدم ، يلجأ أهل القتيل الى (الأخذ بالثأر) ، وهو مبدأ معروف عند الشعوب السامية ، وذلك بأن يربص أهل القتيل بالقاتل ، حتى يجدوه فيقتلوه ، أو يربصوا بأقرب الناس اليه إن لم يجدوا القاتل فيقتلونه ويؤدي هذا الثأر الى وقوع عدد من القتلى في الغالب من الجانبين ، وقد يؤدي الى وقوع قتال بين العشائر والقبائل . ويدفع أهل القتيل على اصرارهم على الأخذ بالثأر عقيدة قديمة متوارثة ، هي أن الروح منفصلة عن الجسم ، فإذا قتل القتيل ، خرجت روحه وصارت هامة ، تحوم حول قبره ، تقول : أسقوني ، ولن تستقر حتى يؤخذ بثأره ، وإلا بقيت تحوم حوله ، ويلحق الأذى عندئذ بأهل القتيل . فخوف أهل القتيل من هذه العاقبة السيئة ، يدفعهم على الإصرار على الأخذ بالثأر .

وقد روى أهل الأخبار قصصاً عن الأخذ بالثأر . وكيف كان الجاهليون لا يرتاحون ولا يهجمون إلا بعد أخذهم بحق (الثأر المنيم) . وقد ذكروا أن العرب ضربت المثل برجل اسمه (يهس) في الأخذ بالثأر^١ .

الذحل :

والذحل الثأر أو طلب مكافأة بجنابة جُنيت عليك أو عداوة أُنيت اليك ، أو العداوة والحقْد^٢ .

الشدخ :

وقد يبطل الحاكم الدماء ويقال لذلك : (الشدخ) . وأصل الشدخ الكسر والفضح . وقد عرف (يغمر بن عوف) بـ (الشداخ) ، سمي بذلك لما شدخ من دماء خزاعة حين حكموه^٣ .

١ تاج العروس (١١٣/٤) ، (يهس) .

٢ تاج العروس (٣٢٩/٧) ، (ذحل) .

٣ الروض الأنف (٨٧/١) .

ومن الأحكام الطريفة المتعلقة بجرائم القتل ، حكم المسؤولية التي تقع على الجماعة أي جماعة أرض يقع فيها قتل ، يختفي فيها أثر القاتل ، وينكل أهلها عن تسليمه في خلال مدة حددها القانون بأربعة أيام . فإذا مضت المدة ولم يعثر فيها على القاتل أو لم يسلم الى الحكومة ، صودرت غلات الجماعة وأخذ حصادهم ، حتى بيت الملك ، أو الجهات المسؤولة ، أي الحكام في الأمر ، وفي تعيين نوع العقوبة والدية التي ستفرض على الجماعة . وتودع الأموال المصادرة في مخازن الدولة أو مخازن المعبد ، أو تباع إن لم يكن في الامكان حفظها ، ويحفظ ثمنها ، الى أن بيت الملك أو الحكام في الأمر .

ويظهر ان الغاية التي توخاها المشرع من إصداره هذا القانون ، هو قطع دابر احتماء القتلة ، بعشائرتهم أو بمن يلجأون اليهم ، وفرارهم من تنفيذ عقوبة القانون عليهم . ثم لاكره الجماعات على مساعدة السلطة في البحث عن المجرمين .

التعقبة :

الأصل في القتل القصاص ، وذلك كما ذكرت . أما الدية ، فلا يقبلها إلا الضعفاء ، وكانوا يعيرون من يأخذها بأنهم باعوا دم قتلهم بمال . ولهذا كان يأبى أولياء المقتول من قبول الدية إذا كانوا أقوياء . أما الضعفاء ، فقد وجدوا لهم حيلة شرعية ومخرجاً من المخارج في دفع ذم الناس لهم بقبولهم الديات ، وذلك بلجوتهم الى ما يقال له : التعقبة في تبرير أخذهم دية قتلهم . (والتعقبة هي أن يقول آل القاتل لآل القاتل : بيتنا وبينكم علامة ، فيقول الآخرون : ما علامتكم؟ فيقولون أن نأخذ سهماً فترمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرراً بالدم ، فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد ، فقد أمرنا بأخذها . وحينئذ يقبلون الدية . وهم يعلمون أن السهم سيرجع كما صعد من غير دم . ولكنهم يريدون عذراً في قبول الدية : يعتذرون به أمام الناس من تغييرهم لهم ، وكانت علامة قبولهم بأخذ الدية ، مسح اللحية ، فإن مسح اللحية علامة الصلح . قال ابن الأعرابي : ما رجع ذلك السهم قط إلا نقياً ، ولكنهم يعتذرون به عند

الجهال^١ .

قال المتنخل الهنلي :

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ثم استنأؤوا وقالوا : حبذا الوضع^٢

يقول : (رموا بسهم نحو الهواء إشعاراً أنهم قد قبلوا الدية ورضوا بها عوضاً عن الدم ، والوضع اللبن ، أي قالوا حبذا الإبل التي نأخذها بدلاً من دم قتيلنا فنشرب ألبانها)^٣ .

الاشناق :

وقد يحمل أحد الأجواد دفع الدية عن أهل القاتل ، وقد يطلب المساعدة من قبيلته كي يكملوا عدة الدية أو الغرم . ويقال لهذا الفعل : الأشناق . وبعد دفع الأشناق من مكرمات الرجال ، وكانوا يفتخرون بذلك على سائر الناس^٤ . وقد كانت قریش قد اختارت قوماً عهدت اليهم (الأشناق) . يجمعون من أهل مكة المال ، ليدفع في مساعدة من لا يتمكن من دفع الدية .

الحمالة :

ويقال لمن يحمل الدية أو الغرامة عن قوم ليصلح بينهم (الحمالة) . (ومنه الحديث : لا تحمل المسألة إلا لثلاثة . ورجل تحمل حمالة بين قوم . وهو أن تقع حرب بين قوم وتسفك دماء فيتحمل رجل الديات ليصلح بينهم)^٥ . والحميل الكفيل الضامن دفع الديات . وعليه دفعها ، لأن الحمالة التزام ، ولا يمكن التخلص من عقد بغير وفاء .

١ قال الاسعر (الاشعر) الجعفي :

عقوا بمسهم ثم قالوا : سالوا يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحي

بلوغ الارب (١٨/٣ وما بعدها) ، اللسان (٧٩/١٥ وما بعدها) ، (عقا) .

٢ اللسان (٨٠/١٥) ، (عقا) .

٣ اللسان (١٨٨/١٠ وما بعدها) ، (شفق) .

٤ تاج العروس (٢٨٩/٧ وما بعدها) ، (حمل) ، اللسان (١٨٠/١١) ، (حمل) ،

بلوغ الارب (٣٣٧/١) .

السعاة :

وكانت العرب تسمي أصحاب الحملات لحقن الدماء وإطفاء النائرة سعاة ،
لسعيهم في صلاح ذات البين ، ومنه قول زهير :

سمى ساعياً غيظ بن مرة ، بعدما تَبَزَّلَ ما بين العشيرة بالدم

والعرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل مساعي^١ .

القسامة :

لا حكم بغير بينة تثبت بالدليل القاطع أن القاتل قتل القتيل . ولا يطالب
بالقود ان لم يثبت أن القاتل قد قتل القتيل وأنه مسؤول عن دمه .

أما إذا قُتل رجل في موضع أو بين قوم ولم يعرف قاتله، ويرى أولياء المقتول
أن دم صاحبهم في أصحاب هذا الموضع أو القوم وأن القاتل بينهم ، ولا تشهد
على قتل القاتل لبيته بينة عادلة كاملة ، فيجئ أولياء المقتول فيدعون قِبَل رجل
أنه قتله ويدلون بلوث من البينة غير كاملة ، وذلك أن يوجد المدعى عليه متلطخاً
بدم القتيل في الحال التي وجد فيها ولم يشهد رجل عدل أو امرأة ثقة أن فلاناً
قتله ، أو يوجد القتيل في دار القاتل وقد كان بينها عداوة ظاهرة قبل ذلك ،
فإذا قامت دلالة من هذه الدلالات سبق الى قلب من سمعه أن دعوى الأولياء
صحيحة ، فيستحلف أولياء القتيل خمسين يميناً ، أن فلاناً الذي ادعوا قتله انفراد
بقتل صاحبهم ما شركه في دمه أحد، فإذا حلفوا خمسين يميناً استحقوا دية قتيلهم،
فإن أبوا ان يحلفوا مع اللوث الذي أدلوا به حلف المدعى عليه وبريء . وإن
نكل المدعى عليه عن اليمين خير ورثة القتيل بين قتله أو أخذ الدية من مال
المدعى عليه .

وورد أن القسامة : « أن يقسم من أولياء الدم خمسون نفرأ على استحقاقهم
دم صاحبهم إذا وجدوه قتيلاً بين قوم ولم يعرف قاتله ، فإن لم يكونوا خمسين

١ اللسان (٣٨٥/١٤ وما بعدها) ، (سعا) .

أقسم الموجودون خمسين يميناً ، ولا يكون فيهم صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد ، أو يقسم بها المتهمون على نفي القتل عنهم ، فإن حلف المدعون استحقوا الدية ، وإن حلف المتهمون لم تلزمهم الدية ^١ .

وورد : في حديث عمر ، رضي الله عنه : القسامة توجب العقل ، أي توجب الدية لا القود . وفي حديث الحسن : القسامة جاهلية ، أي كان أهل الجاهلية يدينون بها . وقد قررها الإسلام . وفي رواية : القتل بالقسامة جاهلية ، أي أن أهل الجاهلية كانوا يقتلون بها أو أن القتل بها من أعمال الجاهلية ^٢ . وورد أن رسول الله « أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية » ^٣ .

وقد يحلف بعض الناس يميناً ، أي يمين القسامة ، ويدفع البعض الآخر ما يصيبه من الدية ، بدلاً من القسم ، بأن يؤدي الدية عوضاً عن اليمين . لا اعتقادهم أن من يحلف كاذباً أصابه مكروه وشر ^٤ .

ومن أمثلة ما ذكره أهل الأخبار عن القسامة والعقوبة المعجلة التي تلحق بصاحب اليمين الكاذبة ، ما ذكروه عن استئجار رجل من قريش ، اسمه خدّاش بن عبد الله ابن أبي قيس العامري في رواية ، رجلاً من بني هاشم ، فانطلق الأجير معه في إبله إلى الشام ، فر رجل به من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه ، فقال للأجير : أغثني بعقال أشدّ به عروة جوالقي ، فأعطاه عقلاً ، فشدّ به جوالقه . فلما نزلوا ، عقلت الإبل ، إلا بعيراً واحداً . فقال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل ؟ قال الأجير : ليس له عقال . قال المستأجر له : فأين عقاله ؟ فحذفه بعضاً ، كان فيها أجله . فرّ به رجل من أهل اليمن فقال : أتشهد الموسم ؟ قال : ما أشهد ، وربما شهدته . قال : هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر ؟ قال : نعم . قال : فكنت إذا شهدت الموسم فناد : يا آل قريش ؟ فإذا أجابوك ، فناد : يا آل بني هاشم ؟ فإن أجابوك ، فاسأل

-
- ١ اللسان (٤٨١/١٢) (قسم) نيل الاوطار (٣٦/٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٦/٩ فما بعدها) (قسم) المفردات (٤١٣) ، القسطلاني (٦١/١٠) .
 - ٢ اللسان (٤٨١/١٢) .
 - ٣ صحيح مسلم (١٠١/٥) .
 - ٤ صحيح مسلم (٦٨/٥ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢٦٦/١٦) ، ابن حزم ، المحلى (٦٦/١١ وما بعدها) .

عن أبي طالب ، فأخبره ان فلاناً قتلني في عقال . ومات المستأجر . فلما قدم الذي استأجره ، أتاه أبو طالب ، فقال له : ما فعل صاحبنا ؟ قال : مرض ، فأحسنتم القيام عليه ، وتوفي ، فوليت دفنه . قال أبو طالب : قد كان أهل ذلك منك ، فكث حيناً . ثم ان الرجل الياني الذي أوصى اليه أن يبلغ عنه ، وافى الموسم ، فقال : يا آل قريش ؟ قالوا له : هلم قريش . قال : يا آل بني هاشم ؟ قالوا : هلم بنو هاشم . قال : أين أبو طالب ؟ قالوا : هذا أبو طالب . قال له : أمرني فلان أن أبلغك رسالة : ان فلاناً قتله في عقال . فأخبره بالقصة ، وخداش يطوف بالبيت ، لا يعلم بما كان . فقام رجال من بني هاشم الى خداش ، فضربوه ، وقالوا : قتلت صاحبنا ، فجمد . وأتاه أبو طالب ، فقال له : اختر منا إحدى ثلاث : إن شئت أن تؤدي مئة من الإبل ، فإنك قتلت صاحبنا ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، فإن أبييت ، قتلناك به . فأتى قومه ، فقالوا : نحلف ، فأنته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم ، قد ولدت له ، فقالت : يا أبا طالب ، أحب أن تجيز ابني هذا من اليمين وتعفو عنه برجل من الخمسين ، ولا تصبر يمينه حيث تصبر الايمان . ففعل . فأتاه رجل منهم ، فقال : يا أبا طالب ، أردت خمسين رجلاً أن يحلفوا مكان مئة من الإبل يصيب كل رجل بعيران . هذان بعيران ، فاقبلهما عني ولا تصبر يميني حيث تصبر الايمان ، فقبلهما . وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا . ويذكر رواية هذا الخبر انهم كذبوا في يمينهم ، فاحال الحال ومن الثمانية والأربعين عين تطرف^١ .

وقد ذكر (السكّري) القصة المذكورة ، لكنه نسب القسامة فيها الى (الوليد ابن المغيرة) . فذكر أنه لما أقبل أولئك الحي الذين كان (عامر) عهد اليهم بما عهد ، وأخبروا (بني عبد مناف) خبر عامر . عمدوا الى (خداش) فضربوه ، وصاح الناس : الله الله يا بني عبد مناف . ثم تناهوا وتناصفوا ، وصاروا في أمره الى (الوليد بن المغيرة) ، وهو يومئذ أسن قريش . فحكم بالقسامة . وذكر في ذلك أبيات شعر نسبها الى (أبي طالب) . وذكر أن القسطلاني (١٨١/٦) .

بعض أهل الأخبار قال إنهم رضوا بحكم (أبي سفيان) ، وروى في ذلك بيت أبي طالب :

هلم الى حكم ابن حرب فإنه سيحكم فيما يتنا ثم يفعل^١

الحيوان المؤذي :

لا يقتل صاحب حيوان اذا قتل حيوانه انساناً آخر ، إذ لا دخل لصاحبه في فعله ، فتسقط عنه مسؤولية العقوبة المثلية ، وعليه دفع تعويض عن فعل حيوانه ، وترضية أصحاب القتيل إذا كان صاحبه معه ، كأن يكون راكباً له أو مصطحباً له ، إذ كان من الواجب عليه الانتباه الى حيوانه ووجوب سيطرته عليه حتى لا يحدث أذى بالناس .

وقد أقر الاسلام هذا المبدأ . فجاء في الحديث : (العجاء جرحها جبار ، والبثر جبار ، والمعدن جبار ، وفي الركاز الخمس)^٢ . أي جرح البهيمة وانلافها شيئاً هدر ، لا ضمان على صاحبها اذا لم يوجد منه تفريط ، أما اذا وجد كما في صورة كونه راكباً عليها أو قائداً لها أو سائقاً فقيه ضمان .

السرقه :

عرف علماء اللغة السرقة larceny بأنها أخذ انسان ما ليس له أخذه في خفاء^٣ . وعرفت (مدونة جوستينيان) السارق بأنه (من انتزع بالقوة مالا مملوكاً للغير)^٤ . وقد عاقبت شرائع الشرق الأدنى السارق بعقوبات صارمة في الغالب . وقد فرضت الشريعة الموسوية على السارق ان يرد خمسة أضعاف من البقر وأربعة من الغنم عوضاً عن كل رأس مسروق . واذا لم يكن لدى السارق ما يكفيه لاعطاء هذا الجزاء ،

١ المحبر (٣٢٨) .

٢ صحيح مسلم (١٢٨/٥) .

٣ المفردات (ص ٢٣٠) ، اللسان (١٥٥/١٠) .

٤ مدونة جوستينيان ، (ص ٢٥٣) .

يباع فترد القيمة من ثمنه . وكان على السارق أن يدفع أحياناً سبعة أضعاف ما سرق . وقد أمرت برد الأشياء المخوفة عن طريق الحياة والغش أو اللقطة أو المغتصبة مع زيادة الخمس على قيمتها^١ .

ويدخل في باب السرقة في الشريعة الموسوية السطو ليلاً على البيوت ، وإزالة علامات الحدود لاغتصاب ملك مجاور لزيادة ملك المغتصب ، والتلاعب في الكيل وفي الميزان والأبعاد أي القياسات والدخول عنوة في ملك شخص لا يملك حق دخول ملكه وإحراق ملك الغير ، وقد قررت الشريعة المذكورة معاقبة المعتدي في هذه الحالات بإصلاح الضرر وبدفع تعويض مناسب^٢ .

والسارق عند العرب من جاء مستتراً الى حرز فأخذ منه ما ليس له ، فلإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومتهب ومخترس ، فإن منَعَ مما في يديه فهو غاصب^٣ . والسرقة عيب عند الجاهليين ، أما الاستيلاء على مال الغير عنوة ، أي باستعمال القوة ، فلا يعد سرقة ، بل هو اغتصاب وانتهاك إذا كان في داخل القبيلة ، أما إذا كان اغتصاب مال شخص من قبيلة أخرى ليس لها حلف ولا جوار ولا عقد مع قبيلة المغتصب ، فيعد مغنماً ومالاً حلالاً . ولا يرى المغتصب فيه أي دناءة ، بل قد يعدّ ذلك شجاعة وفخراً ، لأنه أخذه عن قوة وجدارة ، وعلى صاحب الحق أخذ حقه بنفسه ، أو بمساعدة أهله أو أبناء عشيرته .

أما بالنسبة الى شريعة الجاهليين في معاقبة السارق ، فليست لدينا فكرة واضحة عنها وبالنسبة الى عقوبته عند جميع الجاهليين . أما أهل مكة ، وهم من قريش ، فقد كانوا يعاقبون السارق بقطع يده . ويظهر من روايات الأخباريين أن هذه العقوبة سنت في وقت لم يكن بعيد عهد عن الإسلام ، إذ يذكرون أن أول من سنّها هو (عبد المطلب)^٤ . ومنهم من يرجع سنّها الى (الوليد بن المغيرة) ، فيقولون إنه أول من قطع يد السارق ، فصار عمله هذا سنة في معاقبة السرقة ، وقطع رسول الله في الإسلام^٥ . وروي أن أول سارق قطعه رسول الله في الإسلام

١ قاموس الكتاب المقدس (٥٥٦/١)

٢ Hastings, p. 167.

٣ اللسان (١٥٦/١٠) ، صادر ،

٤ ابن رسته ، الاعلاق (١٩١) .

٥ تفسير الطبري (١٤٨/٦ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٦٠/٦) ، المعارف

(٢٤٠) ، صبح الاعشى (٤٣٥/١) .

من الرجال : (الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف) ، ومن النساء (مرة بنت سفيان بن عبد الأسد) من (بني مخزوم)^١ .

وذكر (محمد بن حبيب) ، أن العرب (كانوا يقطعون يد السارق اليمنى) ، (وقطعت قريش رجالاً في الجاهلية في السرقة) . منهم (وابصة بن خالد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) ، و (عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم) ، و (مزار) ، ثم سرق فرجم حتى مات ، و (الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف) ، وعبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قطع في سرقة إبل ، ومدرک بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، ومليح بن شريح بن الحارث ابن أسد ، ومقيس بن قيس بن عدي السهمي ، وكانا سرقا حلي الكعبة في الجاهلية ، فقطعا^٢ .

ويلاحظ أن ثلاثة من السراق المذكورين كانوا من عائلة واحدة هي عائلة (عمر بن مخزوم) . وأن سارقين من هؤلاء السراق الثلاثة كانا أباً وابناً . فالأب هو (عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم) ، والابن هو (مدرک بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم) .

وذكر أهل الأخبار أن أشهر سارق عرف عند الجاهليين ، هو سارق اسمه (شظاظ) . فقالوا : شظاظ أسرق رجل عند العرب^٣ .

ونحن لا نستطيع أن نتحدث عن موقف بقية العرب من عقوبة قطع يد السارق ، لأننا لا نملك موارد نتحدث عن ذلك .

ويعاقب العبرانيون السارق بدفع خمسة أمثال المسروق إذا كان ثوراً ، ويدفع أربعة أمثاله إذا كان المسروق خروفاً أو نعجة ، وذلك إذا كان السارق قد باع الحيوان أو قتله . أما إذا كان ذلك الحيوان لا يزال في أيدي السارق ، فيعاقب عندئذ بدفع مثلي المسروق^٤ .

وفكرة معاقبة السارق بدفع مثلي المسروق أو جملة أمثاله فكرة موجودة عند

١ تفسير القرطبي (١٦٠/٦) .

٢ المحبر (٣٢٧ وما بعدها) .

٣ ناج العروس (٢٥٣/٥) ، (شظظ) .

٤ Hastings, p. 165.

الجاهليين أيضاً ، ولا تزال معروفة في العرف القبلي . فيدفع السارق أربعة أمثال المسروق عند أكثر العشائر العراقية في الزمن الحاضر ، ويسمون ذلك (المربعة) . وهي في الواقع من بقايا العرف الجاهلي في السرقة . وقد جعل القانون الروماني عقوبة السرقة المكشوفة ، أي السرقة التي يحسك فيها صاحبها وهو في حال السرقة أربعة أمثال المسروق ، رقيقاً كان السارق أو حراً ، أما السرقة المستورة ، وهي السرقة التي يعثر عليها عند السارق ، فجزاؤها المثلان^١ .

وإذا أنكر السارق السرقة وأصر على إنكاره ، ولم يتمكن المسروق من إثبات وقوع السرقة منه ، ولكنه يرى مع ذلك أنه هو السارق ، فعلى المسروق أن يطالب السارق بأداء عيّن يقسم فيه أنه لم يسرقه وأنه لا يعرف بها ، فإذا أنكر ولم يرض بالقسم ، فعليه دفع المسروق أو قيمته على وفق العرف . والعرب يخشون من اليمين كثيراً ، حتى أنهم إذا جوبهوا به ، فإنهم يفضلون الاعتراف بالسرقة والاقرار بها على أداء اليمين .

ويعبر عن السارق بلفظة أخرى ، هي (اللص) والمصدر اللصوصية . وزعم بعض علماء اللغة أن كلمة (لص) هي بلغة طيء وبعض الأنصار^٢ . ويرى بعض المستشرقين أنها من الألفاظ العربية عن اليونانية ، من أصل *Liatis* ، أي (لص) في لغة الإغريق . وقد أخذها الجاهليون عن طريق اتصالهم بالروم في بلاد الشام ، حيث كانوا يقبضون على من كان يغير على الحدود وعلى القوافل بقصد السرقة والسلب ، فيسمونهم *Liatis* ويعاقبونهم عقوبة صارمة ، فأخذ الجاهليون هذا المصطلح منهم^٣ .

ويعبر عن أخذ المال المسروق والحصول عليه ودبحة أو شراء مع علم المستلم له أنه مسروق بـ (دشش) في لغة المسند^٤ .

وأما النهب ، فأخذ مال الغير ، وذلك بالغارات ، أو باعتراض الناس في السيل والطرق^٥ . وأما السلب ، فهو ما يستلبه الإنسان من إنسان آخر ، في مثل

-
- ١ مدونة جوستنيان (ص ٢٤٦ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٨٧/٧) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٨) .
 - ٤ *Mahram, p. 431.*
 - ٥ اللسان (٧٧٣/١) .

الحرب أو القتل^١ . ولها أحكام تختلف باختلاف الظروف التي يقع فيها السلب والنهب . ففي أثناء الحروب ، يكون النهب والسلب من الأعمال المألوفة التي تبيحها القوانين ، وقد يبيح القادة ذلك لجنودهم ، وقد يعينون مدة يبيحون فيها سلب العدو ونهب ما في مكانه . ومن حق القاتل في الحرب سلب ما على القتيل من سلاح ولباس ، وما يحمله من كل شيء .

قاطع الطريق :

ذكر (محمد بن حبيب) ان العرب يصلبون قاطع الطريق ، وقد صلب (النعمان بن المنذر) رجلاً من (بني عبد مناف بن دارم) ، من تميم كان يقطع الطريق^٢ .

الصلح :

ويحاول الحكام جهدهم تسوية الخلافات بالتي هي أحسن ، وذلك بفطنتهم وبذكائهم بالتوفيق بين المتخاصمين وبعقد الصلح بينهم ، لدفع ما وقع بين الطرفين من خلاف . وقد ورد : « الصلح سيد الأحكام » . وبهذه الطريقة المسالمة ينهى الخلاف وتدفن الأحقاد .

ومن طرقهم في ذلك : الدفن . « وطريقتهم فيه أن تجتمع أكابر قبيلة الذي يدفن بحضور رجال يثق بهم المدفون له ، ويقوم منهم رجل ، فيقول للمعنى عليه : نريد منك الدفن لفلان ، وهو مقر بما أهاجك عليه ، ويعدد ذنوبه التي أخذ بها ولا يبقى منها بقية ، ويقر الذي يدفن ذلك القاتل على أن هذا جملة ما نقمه على المدفون له ، ثم يحفر بيده حفرة في الأرض ، ويقول : قد ألقيت في هذه الحفرة ذنوب فلان التي نقمتها عليه ، ودفتها له دفني لهذه الحفرة ، ثم يرد تراب الحفرة إليها حتى يدفنها بيده . وهو كثيراً متداول بين العرب ، ولا يطمئن خاطر المذنب منهم إلاّ به ، إلا أنه لم تجر للعرب فيه عادة بكتابة

١ اللسان (٤٧١/١) .

٢ المجبر (١٢٧ وما بعدها) .

بل يكفي بذلك الفعل بمحضر كبار الفريقين ، ثم لو كانت دماء أو قتلى عفيت وعفت بها آثار الطلائب^١ .

المال :

مال أهل البادية : النعم . والمال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم^٢ . وبها قدرت الديات والفديات والمهر ، وبعدها قدرت ثروة الأغنياء . أما النقود، من ذهب وفضة : فقد كانت معروفة عند الجاهليين ، ولا سيما فيما بعد الميلاد ، إلا أنها لم تكن كثيرة في الأسواق، ولهذا كانت طريقة المقايضة هي الطريقة الغالبة في معاملات البيع والشراء .

التمليك :

التمليك بعوض ، والتمليك بغير عوض . وكلا النوعين معروفان عند أهل الجاهلية . فالتمليك بعوض ، كأن يعوض عن حق الملك بشئ نقدأ ، أو عوضاً ، أي بمال آخر مقايضة عن الملك وهو في الغالب . فيتنازل صاحب الملك عن ملكه الى من عوضه . وأما التملك بغير عوض ، فيكون بتنازل الملك عن ملكه لغيره أي لمن يشاء طوعاً واختياراً بغير ثمن ولا عوض ، ويسلم الى من تنزل له عن حق التملك فيكون ملكاً صحيحاً له .

العمرى :

العمرى ما يجعل لك طول عمرك أو عمره ، كأن يدفع الرجل الى أخيه داراً فيقول له هذه لك عمرى أو عمرى أيتنا مات دفعت الدار الى أهله . وكان ذلك فعلهم في الجاهلية . فأبطل ذلك النبي ، وأعلمهم ان من أعمر شيئاً أو رقبة في حياته ، فهو لورثته من بعده . وللفقهاء كلام في هذا الموضوع^٣ .

١ صبح الاعشى (٣٥٢/١٣) .

٢ اللسان (٦٣٦/١١) .

٣ تاج العروس (٤٢١/٣) ، (عمر) .

حرمة الأماكن المقدسة :

وللأماكن المقدسة كبيوت العبادة والقبور حرمة عند أهل الجاهلية ، ويعتبر المستهتر بها مخالفاً للعرف والسنة ، فيؤدب . ومن سنتهم ان الرجل في الجاهلية إذا أحدث حدثاً فلجأ الى الحرم لم يحج . وكان اذا لقيه ولي الدم في الحرم قيل : هو ضرورة فلا تهجه . واذا اعتدى عليه ، يكون المعتدي قد ارتكب جرماً^١ .

الحبوس :

والحبس كل شيء وقفه صاحبه وقفاً محرماً لا يباع ولا يورث مسن نخل أو كرم أو أرض أو مستغل أو حيوان ، يحبس أصله وتصرف غلته وما يأتيه من ثماء ومال على ما حبس عليه . وقد كان أهل الجاهلية يحبسون السوائم والبحائر والحوامي وغيرها على الأصنام وعلى بيوت عبادتهم . فلما جاء الإسلام ، قيد الحبس بما يكون في سبيل الله وانتفاع المسلمين ، وحرم عيوس الجاهلية^٢ .

وقد حبس الجاهليون أرضين لمعابدهم وأصنامهم جعلوها (حمي) لآلهتهم ، لا يجوز لأحد ارتيادها للرعي فيها ولا استثمارها لأنها حبس على الصنم أو على المعبود . ترعى فيها السائمة التي حبست على الصنم أو المعبود . فلما جاء الإسلام حرم هذا الحبس ، لأنه لغير الله . وأحل محله (الوقف) الذي هو لله .

وحبسوا النخل للمحتاج ولأبناء السبيل ، يلتقط تمره بغير إذن ، ولا يجوز منع أحد منه . كذلك حبسوا الماء لمن يحتاج اليه ، يأخذ منه دون بدل ، لشدة حاجة الناس اليه ، فالحبوس بمنزلة الأوقاف في الإسلام .

اللقطة :

اللقطة الذي تجده ملقى فتأخذه . وتكون اللقطة لواجدها ما لم يأت شخص بيينة واضحة على انها له . فعلى لاقطها إعادتها الى صاحبها أي مالِكها . وقد يقع

١ . الصاحبى (ص ٩١ وما بعدها) .

٢ . تاج العروس (١٢٥/٤) ، (حبس) .

نزاع على لقطة كأن يدعي شخص بأن اللقطة هي لحاله وملكه ، وقد التقطها شخص وادعى أنها له . او انه وجدها لقطة فهي له . او ان يتنازع متنازعون على اللقطة بأن يدعي كل واحد أنها له ، لأنه هو الذي وجدها . فتكون البيئة حجة في هذه الحصومات ، حتى يفض محكم ذلك النزاع .

الركاز :

وللجاهليين رأي في الركاز ، وهو دفن أهل الجاهلية ، فن وجدته صار من حقه . ولهم رأي في المعادن . وسأحدث عنها في اثناء حديثي عن الحياة الاقتصادية قبل الاسلام .

الفصل التاسع والخمسون

العقود والالتزامات

يجب على الإنسان الوفاء بالعقود والالتزامات ، مهما كانت ، ما دامت قد تمت برضاء الطرفين وباختيارهما . ومن هذه العقود عقود الزواج والديون والشركات والمزارعة وغير ذلك . وقد تعقد العقود بغير كتاب ، أي باتفاق لساني ، وقد تم بكتاب يدون عليه ما اتفق عليه ، وقد يشهد على العقد شهود .

ويكتب العقد ، أي الاتفاق إذا أريد أن يكون كتابة ، على كتاب قد يكون صحيفة . يدون فيه كل ما اتفق عليه . ويعبر عن صحيفة العقود بلفظة (ص ل ت) (صلت) و (ص ل و ت) في بعض اللهجات العربية الجنوبية . ومن معانيها (سمع) ، وتؤدي معنى أن موقعي العقد قد سمعوا شروط العقد وعرفوها ، فهم على علم بها وشهادة^١ .

وإذا تم التكتاب ودونت كل الشروط التي اتفق عليها ، ختم عليها المتعاقدون . وقد فعلوا ذلك في المعاهدات وفي الإتفاقيات وفي عقود التجارة والمعاملات الأخرى . وقد يكتب العقد كاتب قد يذكر اسمه دلالة على أنه شاهد عدل على صحة العقد . ويقوم الخاتم مقام الإمضاء المستعمل في هذا اليوم . وقد يكتب اسم الرجل ، ثم توضع صورة الخاتم تحته .

Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 44.

وربما لا يكون الخاتم مكتوباً ، بل يكون محفوراً ، حفرت عليه صور . فقد ورد أن في خاتم أنس بن مالك نقش ذئب أو (ثعلب) ، وكان خاتم عمران ابن الحصين نقشه تمثال رجل متقلد سيفاً . ويحتمل به على الطين . وقد ورد : أن عمر بن الخطاب نهى أن يكتب في الخواتيم شيء من العربية^١ .

وفي العربيات الجنوبية لفظة (جزم) ، وترد في كتب العقود والالتزامات ، وتعني القطع ، وقطع انسان عهداً على نفسه وامضاء له ، كما نقول (جزم اليمين : أمضاه)^٢ وأما لفظة (تجزم) فمعناها عقد عقداً ، أو أمضى يميناً واتفاقاً^٣ .

وتحتمل نصوص الاتفاقيات والعهود في بعض كتابات العربية الجنوبية بلفظة (صدق) أحياناً^٤ ، دلالة على اكتسابها الصفة الشرعية وموافقة المتعاقدين التامة . وهي في معنى (صدوق) التي تدون في نهاية المعاهدات والاتفاقيات في بعض الأحيان .

وتحفظ صكوك العقود عند الطرفين ، وقد تودع في الأماكن المقدسة ودور العبادة ، وذلك في الأمور المهمة ، مثل الأحلاف وما يتعلق بالمجموع . وقد أودعت قريش الوثيقة التي كتبها بمقاطعة (بني هاشم) في جوف الكعبة كما ورد ذلك في كتب السير . وقد عبر (الحارث بن حلزة الشكري) ، قوماً غدروا وتقضوا العهد بقوله :

حذر الجور والتعدي وهل ينقذ من ما في المهارق الأهواء

أي : إن كانت أهواؤكم زينت لكم الغدر بعد ما تحالفنا وتوافقنا ، فكيف تصنعون بما في الصحف مكتوباً عليكم^٥ .

وأشار شاعر آخر ، هو (قيس بن الخطيم) الى كتب دوت فيها حلف^٦ .

١ الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١٠/٧ وما بعدها) .

٢ راجع الفقرة الأولى من النص : Glaser 1004, CIH 435, Hofmus., 17.

٣ Rhodohanakis, Stud. Lexi, II, S. 154.

٤ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 92, J. Pedersen, Der Eld bei den Semiten. S. 131.

٥ المعاني الكبير (١١١٧/٢) .

٦ المعاني الكبير (١١١٧/٢) .

اليوع :

ولدينا نص مهم من ايام الملك (شمره رعش) موجه الى أهل سبأ والى أهل مأرب وما والاها في تنظيم اليوع . وهو قانون مهم جداً ، حددت فيه واجبات البائع والمشتري وحكم البضاعة في اثناء التعامل ، أي قبل اتمام صفقة البيع . وقد حدد القانون المدة التي يعد فيها البيع تاماً ناجزاً ، بمدة شهر واحد ، لا يجوز بعدها الرجوع عن البيع أبداً ، وبين القانون حكم الحيوان المالك في اثناء المدة التي يحق للمشتري فيها ارجاع ما اشتراه الى البائع فحددها بمدة سبعة ايام ، فإن مضت هذه الأيام وهلك الحيوان في حوزة المشتري فعليه دفع الثمن كاملاً الى البائع ، ولا يحق له الاعتراض عليه والاحتجاج بأن الحيوان قد هلك في اثناء مدة أجاز له القانون فسخ عقد الشراء فيها . ويطبق حكم هذا القانون على الانسان أيضاً ، فإذا اشترى شخص عبداً أو عبدة ، روعي في بيعها وفي شرائها أحكام هذه المواد .

وتعرض القانون لحالة ارجاع المشتري ما اشتراه الى بائعه ، ورده عليه في خلال المدة التي سمح بها القانون وهي الشهر فادون ، مثل عشرين يوماً أو عشرة أيام ، فجوز ذلك ، بشرط أن يقوم المشتري بدفع تعويض للبائع يعادل قيمة اجازة الحيوان أو الرقيق في خلال تلك المدة التي بقي فيها في حوزة المشتري .

فالقانون السبئي اذن قد أخذ بقاعدة (الخيار) في البيع ، في بيع الأجسام الحية : الانسان ، والإبل ، والغنم ، والبقر . وحدد مدة (الخيار) هذه بشهر واحد ، اذا تم الشهر ، ولم يرجع المشتري ما اشتراه الى البائع ، عدّ البيع تاماً ناجزاً ، وفي مدة الخيار هذه يكون المبيع ملكاً للبائع ، وعلى المشتري دفع تعويض مناسب للبائع في حالة ارجاع المبيع الى صاحبه تعويضاً يقدر بقدر العرف المتبع في حالة إيجار ذلك الرقيق أو الحيوان ، كما ان على المشتري ان يدفع بدل العبد أو الحيوان المتوفى اذا كانت الوفاة قد وقعت في اثناء وجود العبد أو الحيوان في حيازة المشتري .

وغاية المشرع من هذا الخيار هو التأكد من أن المبيع خال من العيب سالم من

Glaser 542, REP. EPIGR., 3910, British Mus., 104396, G. Ryckmans, Le Muséon, 40, 1927, p. 165, Rhodokanakis, In WZKM, 38, 1932, 172, Arablen, S. 135.

كل مرض أو نقص ، ونجد هذا الخيار في نصوص أخرى^١ .
وباب (بيع الخيار) من الأبواب المهمة في كتب الفقه وفي القوانين لما يترتب
عليه من مسؤوليات ونتائج بالنسبة للبائعين وللمشترين .

ونجد في القوانين التي أصدرها الملك (شمر يهرعش) في حوالي السنة ٣٠٠
للميلاد ، مواد وضعت لتشجيع التجارة وتنشيط البيع . وقد منعت بعضها التعامل
في الأسواق أثناء الليل ، وذلك حتى يتسنى لموظفي الحكومة المسؤولين عن البيوع
استيفاء حق الحكومة في العشر ، عن كل بيع . وقد تعرضت بعض مواد القوانين
لأجور النقل التي ينفقها التاجر على تجارته لايصالها الى السوق ، والمصاريف التي
تتفق على الحيوان وعلى المرافق له من مكان البيع حتى موضع الإيصال ، أو من
موضع التاجر الى السوق ، حيث تضاف على سعر كلفة البيع . وتعرضت أيضاً
الى تعيين الطرق التي تنال بها الحكومة حقوقها من أرباح التجار^٢ .

وقد وصلت الينا عقود بيع حددت فيها محتويات المبيع وحدوده ، وأكثر
ما تستعمل هذه العقود في بيع العقارات . ويقال لعقد الشراء (شامت علم) ،
أي (اعلام الشراء)^٣ . وتحدد الأرض المبيعة بمحدود ، تعلم بـ (أوثنان) ،
والمفرد (وثن) أي (الوثن) ، وهي أنصاب قد تكتب لتدل على حد الأرض^٤ .

وتحدد شروط الشراء وأوصافها بعقود ، وخاصة في أمور شراء البيوع المهمة
التمينة مثل شراء بيوت أو أرض أو مزارع أو آبار ، وتدون الشروط في (عقود
الشراء) ، وتسمى (شمتن علم) (شامت علم) ، أي (اعلام الشراء) في
العرييات الجنوبية^٥ . وتدون في هذه العقود أوصاف الشيء المشتري وحدوده ومقداره
وما يتعلق به من فروع لها علاقة بتعيين صفة الشيء المشتري . فإذا كان ذلك
الشيء مزرعة مثلاً ، تذكر حدودها وأوصافها ومساحتها والماء الذي تروى به :

١ Glaser 454, REP. EPIGR. 4768, Arablen, S. 136.

٢ Grohmann, Sudarablen als Wilttschaftsgebiet, II, 124, Arablen, S. 139.

٣ راجع كتاب « رودو كوناكس » والكتب الأخرى المتعلقة بالأرض وبالحالة الاقتصادية
في العربية الجنوبية .

٤ أنصاب .

٥ Glaser 531, REP. EPIGR. 4771, Arablen, S. 138, REP. EPIGR. 3283, 3342, 4815,
4923, Glaser 739.

سيحاً او بواسطة مثل بئر أو مسایل ماء ونحو ذلك . ليكون ذلك معلوماً عند المشتري والبائع ، فإذا وقع خلاف يرجع الى نص لإعلام الشراء (شامتن علم) ، ويحكم الحاكم بين المتخاصمين بموجب ما دون فيه .

ولدينا نص من نصوص إعلام الشراء ، حدد فيه (بنورشين) (بنورشيان) الشروط التي وضعوها عند شرائهم أرضاً مغروسة بالنخيل (نخلن) . حددوا فيه كل شيء بدقة وعناية . حددوا موضع الأرضين التي اشتروها . وهي بستان (نخلن) (نخل) اسمها (مبحرن) (المبحر) وتقع على (معبر) قناة (ظلم) ، وبستان أخرى اسمها (سطران) ، تتصل بالبستان الأولى . وحددوا السواقي التي تسقي البستانين المشترين ، من المنابع التي تأخذ منها الماء الى مجراها في الملكين المشترين . وحددوا حقوقهم في الأشجار المغروزة على جانبي مسایل الماء ، وحق الانتفاع بالماء ، وحق عائدة الأثمار من الأشجار المغروزة على جانبي المسایل الى غير ذلك من أمور تتعلق بحقوقهم في الماء وفي المساقى المؤدية الى البساتين وفي تملكهم للبساتين^١ .

وفي جملة تحديد الحدود ورسمها على الأرض ، وضع أعلام على الحدود ، تقدّم من حجر في الغالب ، يقال لها (وثن) في العرييات الجنوبية . تذكر وتحدد مواقعها في عقود الشراء . وقد يكتب عليها تاريخ الشراء ، لتكون بمثابة (صكوك تملك) . ولا يجوز التطاول عليها بترعها من مكانها أو بتغيير مواضعها أو التلاعب في أماكنها ، لأنها حق . وقد أمرت الآلهة بقدسية الحق وبقدسية التملك ، لذلك فهي تغضب وتلعن وتصيب بالأذى أي شخص يحرف الأعلام ويغيرها من أماكنها الشرعية التي نصبت بها وثبتت عليها . ومن هنا نجد أنها وضعت في حماية الآلهة وفي رعايتها ، وفي مقابل ذلك يتقرب المالك الى الآلهة بقربان يضحيه اليها . وقد ورد أن رجلاً قدم قرباناً ضحاه الى الإله (المقه) ، لأنه حفظ له (وثن) ملكه^٢ .

ويقال للأعلام التي توضع بين الشئتين من الحدود (المنار) . وتوضع لتحديد معالم الطرق أيضاً ، حتى يتعرف عليها المسافرين ورجال القوافل . وقد كان بعض الناس يتجاوزون على ملك غيرهم ، بالتجاوز على أرض جارهم بتحويل

REP. EPIGR. 4759, Beeston, JRS., 1948, 177, Arablen, S. 138.

REP. EPIGR. 4088, CIH 392, Arablen, S. 138.

الأعلام (وثن) من أماكنها ، وتشيتها في مواضع أخرى ، لذلك جاء في الحديث :
لعن الله من غير منار الأرض ، أي أعلامها . والمنار ال (وثن) في العريسة
الجنوبية ^١ .

الهبة :

والقاعدة العامة في الهبة ، أنها عطية خالية من الأعواض والأغراض ، ولهذا
فلها لا تسترجع ولا يؤمل الحصول على مقابل لها . ويقال للمكثّر منها وهاباً .
وقد كان الجاهليون مثل أي أمة أخرى يتواهبون فيما بينهم . ولا تكون الهبة عن
إكراه وقد كان البعض يهبون هبات على أمل الحصول على تعويض أو زيادة ،
وأكثر هؤلاء من الأعراب . ولذلك جاء في الحديث : « لقد هممت أن لا أهب
إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقيفي ، أي لا أقبل هبة إلا من هؤلاء ، لأنهم
أصحاب مدن وقرى ، وهم أعرف بمكارم الأخلاق » . فقد « رأى النبي صلى
الله عليه وسلم ، جفاء في أخلاق البادية ، وذهاباً عن المروءة ، وطلباً للزيادة على
ما وهبوا فخصّ أهل القرى العريية خاصة بقبول الهدية منهم ، دون أهل البادية
لغلبة الجفاء على أخلاقهم ، وبعدهم من ذوي النهي والعقول » ^٢ .

والقاعدة العامة في الهبات ، أنها عطاء إذا تصرف به ، فلا يصح لمن وهبه
أن يطلب إرجاعه . لأنه وهبه عن طيب خاطر وليس عن جبر وإكراه . أما
إذا أجبر شخص على إعطاء شخص آخر شيئاً على أنه هدية ، فلا يعد ما أعطى
هدية ، وإنما يكون غصباً . ومن حق صاحب ذلك الشيء المطالبة بإعادته إليه ،
إن أثبت بالبينّة أن ما يطالب به قد اغتصب منه . لأن الغصب ظلم والظلم يجب
أن يزال .

الدين :

والدين ، وهو كل شيء غير حاضر ويجمع على ديون . ودنت الرجل بمعنى

١ تاج العروس (٥٨٨/٣) ، (نور) .
٢ اللسان (٨٠٣/١) ، (وهب) .

أقرضته . وذكر ان الدين ما له أجل ، وما لا أجل له فقرض^١ . والمعرض من يستدين من أمكنه . ولم يبال أن لا يؤديه ولا ما يكون من التبعة^٢ . والقرض ما يتجازى به الناس بينهم ويجمع على قروض . والقراض المضاربة حجازية^٣ . والغرم الدين . والغريم الغارم والجمع غرماء^٤ . وعسرت^٥ الغريم أعسر . وأعسرته واستعسرته طلبت معسوره ولم أرفق به الى ميسوره^٦ . والتبعة والتباعة والمتابعة ، الشيء لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها . وتابعته بمال طالبت^٧ . والتلّية بقية الدين^٨ . وتسلم الدين من قبضه وكذلك أسلفت الدين وسلفته . وقضيت الغريم دينه ، أديته اليه . وتقاضيته الدين قبضته . والضمار من الدين ما كان بلا أجل معلوم . وتمككت على الغريم ألححت . وبرثت من الدين براءة^٩ .

وقد يقع الدين ويتم بالاتفاق الشفوي ، فلا يدون في كتاب ، وذلك لثقة الدائن بالمدين ، وقد يدون على صحيفة ، ويشهد على صحته شهود . وعلى المدين وفاء الدين بأجله ، ويجوز تأخيرها بالطبع باتفاق الطرفين .

وقد حكمت بعض الشعوب ببيع المدين اذا لم يتمكن من تسديد ديونه ، فيصير بذلك رقيقاً . أما الجاهليون ، فقد كان منهم من يبيع المدين استيفاءً لدينه الذي في ذمته . وقد منع ذلك في الاسلام^١ .

وقد أعطت شرائع الجاهليين شأنًا كبيراً لوفاء الدين ، فحتمت الآلهة بلزوم وفائه وعُدَّ عدم الوفاء مخالفة لأوامر من الآلهة . ولذلك نجد المدين يذكر في كتابات تسديد الديون أنه وفى بدينه كما أمرته الآلهة بذلك . وتقوم المعابد نفسها بتقديم الديون لمن يحتاجها ، وتعين مدة للسداد ، وقد كانت المعابد بمثابة (البنوك) في ذلك العهد ، تقرض الناس الأموال في مقابل ربح ، وتسجل الدين باسم إله

-
- ١ المخصص (٢٦٦/١٢) ، القاموس (٢٢٥/٤) ، تاج العروس (٢٠٧/٩) ، تاج العروس (دين) .
 - ٢ تاج العروس (٤٩/٥) .
 - ٣ تاج العروس (٧٧/٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣/٩) ، القاموس (١٥٦/٤) .
 - ٥ القاموس (٨٩/٢) .
 - ٦ المخصص (٢١٦/١٢) .
 - ٧ القاموس (٣٠٧/٤) ، تاج العروس (٥٣/١٠) .
 - ٨ المخصص (٢٦٦/١٢) .
 - ٩ نيل الاوطار (١٦٦/٥) .

المعبد الذي تم فيه عقد الدين . وقد كانت ذات أموال طائلة تنميها بالإقراض وبالمعاملات المالية الأخرى التي تقوم بها بنوك هذا اليوم^١ .

وإذا لم يتمكن المدين من تسديد ما عليه من دين ، صودر كل ما يملكه المدين في وقت الدين من مال وملك وكل ما سيملكه في المستقبل حتى يستوفي دينه . وتكون زوجه مسؤولة أيضاً عن هذا الدين ، فإذا كان لديها مال أو ملك يستولى عليه ليدفع تعويضاً عن ديون زوجها ، ويكون الأولاد مسؤولين أيضاً عن ديون والدهم ، فيصادر كل ما يملكون من مال وملك وفاء لديون والدهم^٢ .

ويحدث في الغالب أن يأخذ الدائن ما عند المدين من رقيق لتشغيله والاستفادة منه ما دام المدين مديناً له ، بل قد يأخذ زوج المدين لتشغيلها عنده حتى يوفي زوجها دينه للدائن . وتبلغ أسرة المدين وعشيرته بعلم تمكن المدين الذي هو منهم من تسديد ديونه ، لتقوم هي بمعاونته في دفع ديونه ، أو تتحمل هي مسؤولية دفع تلك الديون^٣ .

ويقال للدين (لوت) (لوات) في المعينية . و (لواه دينه) مطله ، في عريبتنا ، أي في معنى قريب من هذا المعنى .

وعلى من يستعير شيئاً ما استعاره الى صاحبه . ويعبر عن الاستعارة بـ (المعاورة) وبـ (العارية)^٤ . وبـ (عر) في بعض اللهجات العربية الجنوبية^٥ . وإذا نكل شخص عن إعادة ما استعاره ، فيكون حكمه حكم المستدين ، أي يكون ناكثاً بما اتفق عليه جاحداً فضل انسان قدمه اليه .

وتأتى لفظة (قرض) في اللحيانية كذلك ، بالمعنى المفهوم من الكلمة في عريبتنا^٦ .

ويعبر عما يقدمه المدين الى الدائن من أموال أو من رقيق أو ما شابه ذلك ، ليكون ودیعة وضماناً لدى الدائن في مقابل سداد الدين ووفائه بـ (لون) و(لوتن)

Arablen, S. 137. ١

Arablen, S. 138. ٢

Euting 24, REP. EPIGR. 3357, Arablen, S. 138. ٣

المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٥٩) ، تاج العروس (٣٣٣/١٠) ، (لوى) . ٤

Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 60. ٥

W. Caskel, S. 138. ٦

و (لوه) في المعينية ، أي (رهناً)^١ . ويقابل هذه اللفظة لفظة (لوه) في العبرانية . أما في العربية ، فإن للفظ (لوى) معان أخرى ، إلا أنها تخص (الدين) أيضاً . ورد (لواه غريمه بدينه يلويه لياً) و (وألوى بحقى ولوانى : جحدنى إياه ، ولويت الدين . وفي الحديث : لىّ الواجد يُحلُّ عِرضه وعقوبته . قال ابو عبيد : اللّى هو المطل)^٢ .

ويستقل حق وفاء الدين من المتوفى الى ورثته . فعلى الورثة قانوناً أداء ما على المتوفى من ديون^٣ . والظاهر ان المشرع قد أخذ بمبدأ ان الورث ما دام يرث ما يترك المتوفى من تركة ، أي من مال وعقار ، فعليه دفع ما على المدين من تركة الديون أيضاً . ولو مات المدين معدماً ولم يترك شيئاً .

وقد أشير في القرآن الكريم الى كيفية تنظيم الدين والتدين والرهان ، وأوجب على المؤمنين تدوين أجل الدين وتثبته وكتابته ، يكتبه لهم كاتب بالعدل ، ويشهد عليه شاهدان أو رجل وامرأتان إن لم يكن رجلان ، وقبض رهان عند تعذر الكاتب لسفر او ما شابه ذلك^٤ . وفي ورود هذا في القرآن الكريم إشارة الى صفحة من الصفحات المتعلقة بالتجارة وبالمال وبالاقتصاد عند الجاهليين ، والى طرق من طرق تعاملهم في عقود الدين والاستدانة ووضع الرهان والائتمان ، وذلك بتسجيل الدين وكتابته بين الدائن والمدين ، وشهادة شهود على ذلك ، ويوضع رهان في مقابل الدين ، يستولي عليه الدائن عند عجز المدين عن الوفاء بأداء الدين ، أو امتناعه عنه ، وأمثال ذلك من التعامل بالمال واقتراض الناس له .

مواعيد دفع الديون :

وكان الجاهليون جعلوا مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها ، فتحول اذا طلع النجم حلّ عليك مالي ، أي الثريا ، وكذلك باقي المنازل . ومن ذلك تنجيم الدين ، هو ان يقدر الدين ويقسطه في أوقات معلومة متتابعة ، مشاهرة

١ Arabien, S. 136.

٢ اللسان (٢٦٢/١٥ وما بعدها) ، (صادر) .

٣ Arabien, S. 136.

٤ البقرة ، رقم ٢ ، الآية ٢٨١ وما بعدها ، المفردات ، للاصفهاني (٢٠٤) .

أو مساناة ، ومنه تنجم المكاتب^١ . (وكانت العرب اذا رأت الهلال ، قالت : لا مرحباً بمحل الدين ومقرب الآجال)^٢ ، لاضطرارهم الى دفع ديونهم عند رؤية الأهلة .

الكفيل والكفالة :

والكاफल والكفيل الضامن^٣ والجمع كفل وكفلاء^٤ . وأكفلت فلاناً المَالَ ضمته إياه . والضمين الكفيل والجمع ضمنا^٥ ، والأذين الكفيل^٦ . وفلان قنعان لي أي رضى يقنع به ان اخذ بكفالة او دم او شهادة او حكم^٧ . والغريز الكفيل^٨ . وأنا لك رهن بكذا ، أي كفيل^٩ . ويقال للكفيل (القبيل) كذلك ، وهو الضامن . و (القبيل) العريف أيضاً^{١٠} .

وعلى الكفيل دفع ما بذمة المدين من دين كفله وتعهده للدائن بأدائه اليه في حالة عجز المدين أو نكوله أو امتناعه عن دفعه . فإن الكفالة عقد وعلى المتعاقدين الوفاء بالعقود . ولهذا كان الكفيل في الجاهلية كالمدين الأصيل في وجوب وفائه بدين المدين . وقد يكون الكفيل جملة اشخاص ، اي جملة كفلاء تعهدوا جميعاً بالوفاء عن المدين او عن المدينين في حالة كون المدين شركاء أو عائلة واحدة أو ما شابه ذلك ، فتكون المسؤولية عامة، ويجوز قيام واحد منهم بالوفاء عن الجميع في حالة موافقة جميع المتعاقدين .

-
- ١ تاج العروس (٧٢/٩) ، (نجم) .
 - ٢ تاج العروس (٢٨٦/٧) ، (حلل) .
 - ٣ القاموس (٢٤٥/٤) وما بعدها .
 - ٤ المنخصص (٢٦٨/١٢) ، القاموس (٢٤٣/٤) ، تاج العروس (٢٦٥/٩) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٠/٩) وما بعدها .
 - ٦ تاج العروس (٧٦/٣) .
 - ٧ القاموس (١٠١/٢) ، تاج العروس (٤٤٥/٣) .
 - ٨ المنخصص (٢٦٨/١٢) .
 - ٩ تاج العروس (٧١/٨) . (قبل) .

القبالة :

وكل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب ، فعمله (القبالة) ، والكتاب المكتوب عليه هو القبالة . وقد كانوا يتقبلون القبالات رجاء الحصول على ربح ومغرم . وقد نهى عن ذلك في الإسلام . ورد في حديث (ابن عباس) : إياكم والقبالات فإنها صغار وفضلها ربا . وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى ، فذلك الفضل ربا . فإن تقبل وزرع فلا بأس^١ .

والرهان أو الرهن معروف وشائع بين الجاهليين ، وهو ما يوضع وثيقة للدين . وقد أشير إليه في القرآن الكريم ، وأقر في الإسلام^٢ . ويعبر عنه بـ (فقدون) (فقدى) عند العبرانيين^٣ . ولا يتم الرهن إلا بالقبض ، أي بتسليم المرهون إلى الدائن^٤ . وفي جملة ما يرهن السلاح والذهب والفضة والأرض والزرع والأشخاص مثل النساء والأولاد والرقيق^٥ .

ويقال عند تخليص الرهن فككت الرهن وفديت الرهن ، بمعنى فصلته وتخلصت منه ، بدفع فديته وبدله وعوضه^٦ .

وقد كان الرهن معروفاً شائعاً بين أهل يثرب ومكة ، فكانوا يبيعون الطعام في مقابل رهن يوضع عند البائع حتى يؤدي المشتري الثمن ، أي حتى الوفاء^٧ . وللوضع الاقتصادي إذ ذاك دخل كبير ولا شك في شيوع الرهن عند الجاهليين ، وفي استعماله في معاملات البيع والشراء .

وقد كان من حق المرتهن الاستيلاء على الرهن ، إذا مضى أجل الرهن ولم يدفع الراهن ما عليه . كما يجوز له بيع الرهن ومطالبة الراهن بالفرق إن لم يستكمل الرهن المبلغ الذي رهن الرهن عليه .

وقد استعمل رهن الأشخاص في الأمور السياسية في الغالب ، إذ كان المقهورون

-
- | | |
|---|---|
| ١ | تاج العروس (٧١/٨) ، (قبل) . |
| ٢ | البقرة ، سورة رقم ٢ ، الآية ٢٨٣ ، المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٠٤) . |
| ٣ | W. Smith, A Dictionary of The Bible, Vol., I, p. 427. |
| ٤ | صحيح مسلم (١٨٥/٥) . |
| ٥ | ارشاد الساري (٢٩٥/٤) . |
| ٦ | المختصص (٢٦٧/١٢) . |
| ٧ | صحيح مسلم (٥٥/٥ وما بعدها) . |

من الملوك والأشراف وسادات القبائل يضعون أبنائهم أو أقرب الناس إليهم رهائن لدى الغالين تكون ودیعة عندهم وضماناً بحسن سلوكهم وبعلم خروجهم على طاعة الغالين . كما استعمل في مقابل الضمان والكفالة بدفع ثمن الدم ، أي الدیة ، وثمن فك الرقبة ، أي الفدية الى ان يؤدي المال المتفق عليه . فقد رهن (أبو أحيحة ابن العاصي) (أبانا) ابنه بني عامر بن لؤي في دم أبي ذئب^١ . وقد رهن قريش كما يقول أهل الأخبار (الحرث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف) عند (أبي يكسوم) الحبش ، وعرف لذلك بـ (الرهينة)^٢ .

وأما (المراهنة) والرهان فالمخاطرة ، والرهان في الخيل أكثر . وقد نهى عنها في الإسلام . لما كانا يؤديان اليه من وقوع خصومات بين المراهنين ، ولما كان يقع من تحايل وتلاعب في الرهان وفي الخيل المتسابقة . حيث يتواطأ مع راكبي الخيل على تقديم الخيول المتسابقة أو تأخيرها الى غير ذلك من حيل أضرت بحقوق المراهنين . وقد كانوا يتخاطرون على المال بمجعله خطراً بين المراهنين . فيقع تلاعب فيه^٣ .

ويقال لها (المناجبة) كذلك ، وكانت شائعة فاشية بين الجاهليين . وقد ناحب (أبو بكر) (أبي بن خلف) على عشر قلائص ثم زاد العدد حتى جعله مئة إن انتصر الروم على الفرس ، وكان (أبي) قد راهنه بانتصار الفرس على الروم وبدوام نصرهم هذا ، فتراهنا على أن يدفع الخاسر العدد الذي اتفق عليه . ويقال لذلك المقامرة . يقال : (قررت الرجل) إذا لاعبته فغلبته^٤ . وقد كانت المراهنة من الأمور المباحة في الجاهلية ، وعلى المقامر الوفاء بما ألزم نفسه به من شروط المقامرة ، لأنه ألزم نفسه بعهده ، ويجب على الإنسان الوفاء بما عاهد غيره به . فلما جاء الإسلام ، حرمت المقامرة ، لما فيها من ضرر^٥ .

١ الزبيري ، نسب قريش (٩٩) .

٢ تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (رهن) ، (الحارث) .

٣ تاج العروس (١٨٤/٣) وما بعدها ، (خطر) .

٤ تاج العروس (٥٠٥/٣) ، (قمر) .

٥ تفسير الطبري (١٣/٢١) وما بعدها ، تفسير القرطبي (١/١٤) وما بعدها ،

تاج العروس (٤٧٩/١) . (نحب) .

الودائع :

والوديعة ما يستودع من مال وغيره ، والوديعة العهد، والودائع العهود والمواثيق^١ . وقد أشير إليها في نصوص المسند . ويظهر منها أنهم كانوا يشهدون الآلهة على حسن الأداء وعلى الوفاء بشروط الوديعة ، واعادتها تامة كاملة عند الوفاء ، إن اتفق على ذلك في شروط الابداع . ويعبرون عن اشهاد الآلهة على الوديعة وعلى شروط الوفاء بلفظة (ستوثق) ، أي الوثوق والاستيثاق^٢ .

ويقال للوديعة (دعت) و (ديعت) في العرييات الجنوية ، ويجب على من أودعت الوديعة اليه المحافظة عليها وتسليمها الى صاحبها على هيأتها يوم أخذها . وقد أشير الى حكم (الوديعة) في نص دونه (شمر يهرعش) ، إلا أن تلفاً أصاب أكثر ما يتعلق بالموضوع ، بحيث لم يبق منه غير كلمات ، حرمتا الوقوف على حكمها في أيام ذلك الملك^٣ .

القوانين التجارية :

وتعد التجارة من أشرف الأعمال عند العرب ، نجد سادتهم يحترفونها ويساهمون في تكوين الشركات للتجارة، ويسافرون بين جزيرة العرب وخارجها للبيع والشراء . ومع ذلك فإننا لا نملك ويا للأسف قوانين مدونة في تنظيم التجارة وفي أصول وقواعد الاتجار ، وفي كيفية تنظيم التجارة وفي تعاملهم بعضهم مع بعض وفي العقود التي كانوا يعقدونها في تنظيمها الى غير ذلك من أمور تتعلق بالتجارة والاتجار .

وكل ما لدينا في الوقت الحاضر ، قانون أصدره الملك (شهر هلال) (شهر هلال) في تنظيم التجارة وفي واجبات التاجر والضرائب التي يجب أن يدفعها الى الحكومة . أمر بإعلانه وتلويته ليقف عليه تاجر عاصمته مدينة (تمنع) ، وهي (كحلان) في الوقت الحاضر ، وليقف عليه التجار الذين يقصدون عاصمته أيضاً

١ تاج العروس (٥٣٥/٥) ، (ودع) .

٢ REP. EPIGR., 3602, Arablen, S. 136.

٣ Arablen S. 135.

بقصد الاتجار . وقد دوتّه على حجر يبلغ طوله مترين ، ونصبه في الحي التجاري من العاصمة ، وهو الحي المعروف بـ (شمر)^١ .

وقد جاء فيه ان على من يريد الاشتغال بالتجارة في منطقة (شمر) أن يقدم (عرباً) (عرب) ، أي (عربوناً) وضماناً ، وان يقيم في هذه المنطقة ويتعامل بالتجارة بها وحدها ، وبالأسعار السائدة فيها . وللقبائين العاملين في التجارة في هذه المنطقة حق الشراء من الخارج أيضاً .

وتطرق النص الى الفروق التي قد تحدث في الأسعار ، والى الخسائر التي قد تلحق بالحزينة من جراء انخفاض الضرائب التي ستنشأ من الفروق بين الأسعار ومن المضاربات ، فأوجب على سيد (شمر) ، أي على القائم بأمر هذه المنطقة التجارية بأن يدفع تعويضاً عن ذلك . كما تحدث عن (العربون) أي الضمان الذي يقدمه التاجر في مقابل حق اشتغاله بالتجارة ولضمان عدم تلاعبه أو تحاييله في البيع والشراء . وتحدث عن العقوبات وفي جملتها حق مصادرة الأموال وبيوت التجار ، وفي حالة ما اذا كان ضمانهم غير كاف أو أقل من المطلوب، وعن الظروف التي قد تتجاوز فيها العقوبات التي قد تفرض على التاجر مقدار الضمان المقدم .

كما تحدث عن التاجر الذي يضع (عربوناً) في تمنع ، ثم يقوم بالاتجار مع تجار غرباء غير قبائين أو مع الناس الساكنين في المناطق الأخرى ، فإن للقبائين المتضررين بهذا الاتجار ولسلطات (شمر) أي المنطقة المخصصة بالتجارة من مدينة (تمنع) حق مقاضاة هؤلاء التجار وفقاً للقانون .

ثم تطرق القانون الى وجوب العناية بهذه المنطقة التجارية من (تمنع) ووجوب مراقبة تجارتها ، والى منع الاتجار بها في أثناء الليل ، وإيقاف كل بيع وشراء أثناء الليل . ووجوب مغادرتها ليلاً . لأن حق الاتجار محصور بالملك ، وهو الذي يحدد التجارة وأوقاتها^٢ .

وغاية المشرع من تشريع القانون المتقدم ، ضبط الأسعار وحماية السوق من التلاعب ، وتنظيم الجباية وحماية مصالح الحكومة فيها . ونجد في بعض الكتابات

Arablen, S. 139. ١

Glaser 1407, 1615, SE 87, Gläser 1393, 1616, 1617, ٢

1411, 1603, SE 88, 89, Hofner,

WZKM, 42, 1935, 47, Arablen, S. 139.

السبئية قوانين وضعت في تنظيم نقل الماشية من المناطق المعينية الى (مأرب) عاصمة سبأ . فطُرقت الى كيفية نقل الماشية والى حقوق أصحاب الأرض التي تمر الماشية بها ، والى وجوب تأمين الماء والأكل لها ولمن يحرسها لايصالها الى عاصمة سبأ . ثم الى الضرائب التي تؤخذ عنها ، لدفعها الى الحكومة والى المعبد^١ .

الربا :

والربا شائع معروف عند الجاهليين، وذلك لفقر معظم الناس مما آل الى استئذانهم من ذوي المال بفائض مرتفع جداً . ولما كان أكثر المدينين ضعفاء الحال ، ولا يكون في إمكانهم دفع المال في أجله المحدد ، اشتط الدائنون المرابون في ابتزاز الأرباح ، فصاروا يتقاضون رباً فاحشاً عن المبلغ وأرباحه ، دون شفقة ولا رحمة لعدم وجود أحكام وقوانين تحدد مبالغ الأرباح . فليست للفائدة التي تؤخذ عن الربا حدود ، فالحد الأعلى غير معروف ، بل هو يتوقف على حاجة المدين وعلى استغلال الدائن لتلك الحاجة ، فيزيد المرابي في الربا قدر إمكانه وبحسب رأيه في حالة المدين وفي حاجته الى الدين . أما الحكومات والهيئات التشريعية فليس لها رأي في هذا الحد ، ولم نعثر على قانون أو خبر في تحديد الربح المستحصل من الربا .

ويعدّ الربح المفروض على الدين ، الذي هو رباؤه ، جزء من الدين ، إذا امتنع المدين من أدائه للمرابي ، يكون ناكثاً بموجب العهد ، وعليه دفعه ، دفعه للدين ، وإذا كان المرابي قاسياً قوياً استحصله من المدين اليه بالقوة ، وقد يؤجله عليه على أن يدفع ربا عن هذا التأجيل .

وعرف (الربا) ب (اللباط) ، لأنه ملصق بالبيع وليس ببيع ، ولأنه لاصق بصاحبه لا يقضيه ولا يوضع عنه . وكان (أبو لهب) قد لاط للعاصي بن هشام ابن المغيرة بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثه فخرج عنه وتحلف أبو لهب من الذهاب الى بدر^٢ .

١ CIH 563, 956, Grohmann, Sudarabien als Wirtschaftsgebiet, II, S. 124, Arabien, S. 139.

٢ الروض (٦٢/١) .

ومن أمثلة الربا في الجاهلية ، ما ذكر في بعض كتب الحديث : كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق الى أجل ، فإذا حل الأجل، قال : أتقضي أم تربني ؟ فإن قضى أخذ ، وإلا زاده في حقه، وأخر عنه في الأجل^١ . وقد حرم الاسلام (الربا) وأبطل اباحة الجاهليين له . فترل الأمر بتحريمه في القرآن^٢ ، وأبطل رسول الله كل ربا كان في الجاهلية في خطبة الوداع^٣ . وقد قسم العلماء الربا الى ثلاثة أنواع : ربا الفضل ، وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر ، وربا اليد ، وهو البيع مع تأخير قبضها أو قبض أحدهما ، وربا النساء ، وهو البيع لأجل . وقد حرم الاسلام كل هذه الأنواع^٤ . وللربا حديث آخر ، سيكون في اثناء كلامي على الحياة الاقتصادية عند الجاهليين .

الإجارة :

والإجارة ما أعطيت من أجر في عمل . والأجرة : الكراء^٥ . وهو اتفاق يتم مقابل مبادلة منفعة ، أو عمل بمال . كأن يشغل رجل رجلاً لأداء عمل ما في مقابل أجر يتفق عليه . يدفع للأجير اما عيناً ، أي من العمل الذي قام به ، كأن يعطي كيلاً يتفق عليه من قح يقوم بطحنه ، أو أرغفة خبز مما يخبزه أو شيئاً من ذبيحة يكلف بذبحها ، أو ان يدفع له تقدأ ، أي بالنقود أو بعين ، كأن يدفع له تمرأ أو قماشاً أو ما شابه ذلك في مقابل أجر العمل الذي كلف به ، لقلة النقود في ذلك الوقت . كأن يدفع لعامل البناء أو النجار تمرأ أو شعبراً أو لبنأ أو ما شابه ذلك في مقابل أجر عمله .

السعاة :

والسعاة ولاية الصدقة ؛ ويقال لعامل الصدقات ساع^٦ ، وسعى المصدق يسعى

-
- ١ تنوير الحوالك (٨٠/٢ وما بعدها) .
 - ٢ البقرة ، الآية ٢٧٥ وما بعدها ، ال عمران ، الآية ١٣٠ .
 - ٣ تاريخ الطبري (١٥٠/٣) (دار المعارف) (حجة الوداع) .
 - ٤ القسطلاني (٢٦/٤ وما بعدها) .
 - ٥ اللسان (١٠/٤) ، (صادر) ، (أجر) .

سعاية ، إذا عمل على الصدقات وأخذها من أغنيائها وردّها في فقرائها . قال عمرو بن العداء الكلابي :

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين؟

وفي حديث وائل بن حجر : إنّ وائلاً يُستسعى ويترفل على الأقوال ، أي يستعمل على الصدقات ويتولى استخراجها من أربابها ، وبه سمتي عامل الزكاة الساعي^١ .

أحكام البيع والشركة :

وللجاهليين أحكام في البيوع والشراء والشركات ، وفي العمل ، وفسخ البيع ، وفي الإفلاس ، وفي الخسارة ، وغير ذلك مما يتعلق بالتجارة . سأحدث عنها عند بحثي عن الحالة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام .

أما بالنسبة إلى المكييل والأوزان والأبعاد ، فقد كانت مختلفة . لكل مدينة أو قرية موازينها ومكييلها ومقاييس أبعادها . كما سأحدث عن ذلك في القسم الخاص بالناحية الاقتصادية .

قوانين القبائل والعلاقات الخارجية :

والقبائل كالدول لها قوانين وضعتها للتعامل فيما بينها . وتشبه قوانينها هذه القوانين الدولية والعرف الذي تسير عليه الدول في كيفية التعامل فيما بينها ، في مثل عقد محالفات أو اتفاقيات حق المرور : مرور الأشخاص ومرور السابلة وقوافل التجار . فلا تسمح القبيلة بمرور شخص غريب في أرضها ، أو بمرور قافلة في الأرض الخاضعة لها ، إلا إذا كان المار من قبيلة لها حلف مع هذه القبيلة أو لها عقود واتفاقيات معها ، أو كان المار جوار مع أحد أبناء القبيلة ، ثم إن على

١ اللسان (٣٨٦/١٤) (سعا) .

القوافل أن تؤدي للقبيلة حق المرور في مقابل السماح لها بالمرور في أرضها بأمن وسلام .

وتعتمد القوافل في اجتيازها أرض القبائل على العهود التي تأخذها من سادات القبائل بأن يسمح لها بالمرور في أرض سيد القبيلة بسلام وأمان . فتكون القافلة آمنة في تلك الأرض الى المدى الذي يصل اليه نفوذ سيد القبيلة ، فإذا اجتازتها دخلت في عهد سيد قبيلة آخر ، وهكذا حتى تصل مكانها المقصود . وهي عهود تعقد يتفق فيها على مقدار ما يدفع لكل قبيلة في مقابل حق تأمين الأمن للقافلة . فقد كان تجار مكة يعقدون عقوداً ويعهدون عهوداً مع سادات القبائل في مقابل حق مرور قوافلهم بحرية وأمان في أرض القبيلة . فإذا وقع اعتداء على القافلة قام سيد القبيلة برد الاعتداء ورفع الظلم عنها وإعادة ما أخذ منها اليها . ويعبر عن ذلك بـ (الحبال) وبـ (حبل الجوار) . والحبال : العهود والمواثيق^١ .

وكان للأكاسرة والملوك الحيرة تجارات مع اليمن ومع أماكن أخرى ذات أسواق ، فكانوا يرسلون تجارهم بقوافل يتولى حراستها رجال عرفوا بالشجاعة وبالبطش والشدة ليعظروهم من يريد التحرش بالقافلة ، وكان هؤلاء حبال جوار مع سادات القبائل ، كما كان للأكاسرة والملوك الحيرة عهود مع القبائل التي تمر قوافلهم بها ، لحماية قوافلهم من التعرض لها بسوء . فهذه الحبال : حبال الجوار ، هي عهود ومواثيق يجب على الطرفين المتعاقدين احترامها وتقديسها ، وهي في حكم الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقد فيما بين الدول في تنظيم العلاقات الودية ، وتنظيم التجارات ودفع حق المرور (الترانزيت) .

وهناك اتفاقيات تجارية عقدت بين أهل مكة وبين حكام اليمن في تنظيم التجارة وتسهيل الاتجار لتجار الطرفين المتعاقدين وتنظيم ما يجبي من التجار في مقابل حق الاتجار وعن أرباح البيع والشراء ، باتباع قاعدة الأفضلية في المعاملة والتعامل على أساس المقابلة بالمثل وحماية التجار من كل اعتداء قد يقع عليهم . ويظهر انه قد كان لأهل مكة عقود وعهود تجارية مع ملوك الحيرة أيضاً . أما مع أسواق بلاد الروم ، فقد حدد الروم لهم أسواقاً معينة سمحوا لهم بالمجيء اليها والاتجار بها في مقابل دفع ضريبة العُشر .

١ المسان (١١ / ١٣٥) ، المفردات (١٠٥) .

معاملة الرسل :

ويقوم الرسل والسفراء بالاتصالات بين القبائل وبين القبائل والحكومات ، وعلى من يرسل اليهم الرسل والسفراء حق حمايتهم وحق عدم التعرض لهم بأي سوء ، حتى في حالة الغضب وفشل الرسالة . ويعبر عن المبعوث السياسي بـ (تنبـلت) وبـ (محشكت) وبـ (رسل) في العربية الجنوبية . ولهم حصانة (دبلوماسية) حسب العرف السياسي بالنسبة لذلك الوقت كذلك . والاعتداء على رسول أو سفير يعد غدرًا وعملاً قبيحاً .

الأمان :

ومن طرق تأمين الخائف والمحافظة على النفس والأموال عقود الأمان التي يعطيها الملوك أو سادات القبائل أو الأفراد ، لتكون أماناً لمن يحملها وصكوكاً بالمحافظة على أموالهم وأنفسهم ، بجاه وباسم صاحب صك الأمان . ولهذا كان لا يسافر من لا وجه له إلا بكتاب أمان يحمله معه ليراه من سيمر بأرضه . وقد لا يكون كتاب الأمان كتاباً مدوناً بل علامة أو شعاراً معروفاً من الشخص الذي أعطى ذلك الأمان ، أو كلمة سر أو إعلاناً شفويّاً يسمعه الناس . فيلزم هذا الأمان معطيه المحافظة على عهد الأمان والدفاع عن حقوقه إذا ما تعرض إلى مكروه . وعليه مقاضاة من تجاسر على الأمن أو ألحق به ضرراً أو إهانة لأنه رجل آمن ، ما يصيبه يكون كأنه قد أصاب صاحب الأمان .

قوانين الغزو والحروب :

لم تصل إلينا كتابات جاهلية عن سنن العرب في الغزو والحروب ، وعن كيفية وجوب تعامل المتحاربين في أثناء القتال وبعده . وما ندونه هو حاصل دراستنا لبعض ما ورد في النصوص عن الحروب التي وقعت في العربية الجنوبية ، ولما جاء في روايات أهل الأخبار عن أيام العرب في الجاهلية .

لم تمنع قوانين الغزو في أيام الجاهلية المحارب من حرق المستوطنات : مستوطنات

خيام أو قرى أو مدن ، ولا من حرق المزارع والحيوانات ، لإلقاء الرعب في النفوس وإلجأهم عن أماكنهم إلى أماكن أخرى بعيدة . ونجد في الآثار الآشورية صور آشوريين وقد أشعلوا النيران في خيام الأعراب . ونقرأ في كتابات ملوك العرب الجنوبيين أنهم كانوا يأمرؤن بإحراق القرى والمدن ودكها دكاً ، لأنهم قاوموهم ودافعوا عن أنفسهم دفاعاً شديداً ، وقد أحرق ودمر (عمريرعش) (شمريرعش) ، قرى ومدناً كثيرة ، فزالت بذلك من عالم الوجود ، ولم تدب إليها الحياة مرة أخرى ، وقد أدت حروب الملوك الكثيرة ، وثورات القبائل وأهل المدر على الحكومات إلى تدهور الاستقرار في اليمن ، وإلى إضعاف حكوماتها ، مما ساعد على تدخل الأجانب في شؤونها ، وإلى توسع رقعة البداوة ، وتراجع الحضارة منها ، وإلى خراب القرى والمدن .

ومن حق المنتصر في عرف تلك الأيام أن يفعل في المغلوب ما يشاء . لا يمنعه عن ذلك مانع ، لأنه غالب وخصمه مغلوب ، والحق في يد الغالب . فكان في جملة ما يفعله المنتصر ، إبادة القرى والمدن ، مدة بعينها : يوماً أو يومين أو ثلاثة ، أو مدة لا تحدد . يكون كل ما يقع في خلالها في أيدي الجنود المنتصرين ملكاً لهم من مال وإنسان وحيوان ، لهم أن يأخذوا ولهم أن يقتلوا ، ولهم أن يؤسروا . كما كان من حق القائد أن يأمر جيشه بقتل أولئك المغلوبين ، لا يرى في ذلك بأساً ولا عملاً ينافي الإنسانية ، لأن الحرب حرب ماحقة ، لا تفرق بين بشر وحيوان أو حجاج . والغالب يفعل بالمغلوب ما يشاء ، ولو كان المغلوب هو المنتصر فعل بخصمه أيضاً ما يفعله المنتصر به .

الأسر والسبي :

إذا وقع شخص في أسر أو في سباء ، صار المأسور أو المسبي في ملك أسرته أو ساييه . إلا إذا وافق الأسر أو السابي على أن يمنّ على المسبي أو الأسير بفك رقبة ، أو بقبول مال يدفع عنه لفك رقبة يقال له : فدية . أو بمقاداته بشخص آخر وقع في أسر أو في سباء أهل الأسير أو من وقع السباء عليه ، فيفادى

المأسور أو المسبي عندئذ بالمأسور أو المسبي الآخر^١ . ويوثق الأسرى وثاقاً شديداً حتى لا يهربوا ، ثم ينقلون الى بيوت أسريهم لينظروا في أمرهم ، أما إذا كان الأسرى جماعة فيؤخذوا بعد انتهاء الحرب الى مقرات الجيوش والعواصم للنظر في أمرهم . ومنهم من قد يمنّ عليهم بفك أسرهم ومنهم من يعطون هبة للقادة والمحاربين ، أو يبادلون بأسرى حرب كانوا في أيدي المغلوبين ، أو يُغدون بمال أو بوسائل أخرى^٢ .

وليس للفدية حدود معلومة ، ولا قواعد ثابتة بل تتوقف على مبدأ المساومة . وتتوقف هذه المساومة على منزلة الأسير أو المسبي وعلى مكانته الاجتماعية ، وعلى مقدار استعداد أهله لدفع مال الفدية عنه . وقد تصل الى جملة مئات من الإبل ، وقد تزيد على الألف . وتتوقف كذلك على مقدار صلابة الأسر أو الجيش المنتصر . وقد يفادى رجل بمال كثير إذا كان ملكاً أو سيد قبيلة ، وقد يفادى بعدد من الأسرى هم في أيدي جماعة الملك الأسير ، فيكون أسره إذ ذاك سبباً في فك رقبة عدد من الأسرى .

وروي أن بعض السادات كانوا يفكون أسر الأسرى بفداء يقدمونه عنهم . ومن هؤلاء (حاجب بن زرارة) ، وهو من تميم . فقد ذكر أنه كان أكثر العرب فداءً^٣ . ويقال (فلان قيد مائة) و (عقال مائة) إذا كان فداؤه إذا أسر مائة من الإبل . قال يزيد بن الصعق :

أساور بيض الدارعين وابتغى عقال المثين في الصباغ وفي الدهر

وإذا قيل : (عقال المثين)^٤ ، قصدوا الشريف الذي إذا أسر فدي بمئين من الإبل^٥ .

١ المفردات (ص ٣٨٠ وما بعدها) .

٢ تفسير الطبري (٢٦/٢٦ وما بعدها) .

٣ ابن رسته ، الاعلاق (١٩٣) .

٤ عقال ككتاب .

٥ تاج العروس (٢٧/٨) ، (عقل) .

وقد نهى عمر عن سباء العرب، وذلك حينما استعداه أبو وجزة يزيد بن عبيد،
ليأخذ بحقه ممن استرقه، فأعجده، وأصدر حكمه : (لا سباء على عربي)^١.
وطالما تقرأ في الكتب مثل هذه العبارة : « أصابني سباء في الجاهلية كما يصيب
العرب بعضها من بعض »^٢.

الرهائن :

وقد يحتفظ الأسر بأسيره، فلا يوافق على أخذ فدية عنه، بل يحتفظ به
عنده ليكون له (رهينة) . وقد تجبره قبيلته على إبقائه لديه ليكون رهينة،
حتى تستفيد منه في الظروف المناسبة . بأن تهدد أهل الرهينة أو قبيلته بقتله إن
لم تستجب لمطالبها ولا توفي بما تريده القبيلة منها .

وهناك نوع آخر من الرهائن، فرضته الظروف السياسية والاجتماعية والعسكرية
على أهل جزيرة العرب، ويكون ذلك بتقديم سادات الناس من حضر ومن أعراب
أبنائهم إلى الملوك والحكام ليكونوا رهائن لديهم على الخضوع والطاعة لهم . وهو
عرف قانوني بقي معروفاً في الإسلام . وقد احتفظ ملوك الحيرة والغساسنة برهائن
عندهم، ليكونوا ضماناً لديهم بإطاعة آبائهم وأقربائهم سادات القبائل لهم، فلا
يثوروا عليهم ولا يعتدوا على عربهم أو على حدود مملكتهم . وقد يكون الرهائن
أطفالاً، وذكر أن (الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار
ابن قصي)، كان رهينة قريش عند (أبي يكسوم الحبشي)، وقد عرف
لذلك بـ (الرهين)^٣.

الودائع :

الوديعة : العهد . والودائع : العهود . ومنه كتاب النبي : لكم يا بني نهد

١ الاغانى (٧٥/١١) .

٢ الاغانى (٧٦/١١) .

٣ تاج العروس (٢٢٢/٩) ، (رهن) .

ودائع الشرك ووضائع المال . أي العهود والمواثيق ويقال نودع الفريقان : إذا تعاهدوا على ترك القتال^١ . ويجب عدم الإخلال بالودائع ، لأنها عقود وعهود . والنكث بالعهود من سجايا الأندال .

وللجاهليين أحكام في البيوع وفي الاتجار وفي حق الأرض وغير ذلك ، سيأتي الكلام عليها في موضعه من الحياة الاقتصادية ، لذلك فلا داعي للتحدث عنها هنا ، ما دمت سأتكلم عنها في ذلك المكان ، لصلتها الوثيقة به .

١ تاج العروس (٥٣٥/٥) ، (ودع) .

الفصل الستون

حكام العرب

الحاكم منفذ الحكم بين الناس ، والذي يمنع الظالم من الظلم^١ . وهو في معنى (القاضي) ، الذي هو القاطع للأمور المحكم لها^٢ . وحكام العرب ، هم الذين حكموا بينهم فيما حدث من خلاف ، وما وقع لهم من خصومات . وقد كان لكل قبيلة حكام ، عرفوا ببرجاجة عقولهم وبسعة مداركهم وبوقوفهم على أعراف قومهم ، وبعدهم وانصافهم ، وبترفعهم عن الظلم والدنایا ، فتحاكموا اليهم . ومنهم من طار اسمه الى خارج موطن قبيلته ، فتحاكم اليه أبناء القبائل الأخرى ، لما وجدوا فيه من صفات الحكم العادل والتراثة والسلامة والصدق في اعطاء الحكم .

ولم يكن الحكم بين الناس والقضاء بينهم ، عملاً رسمياً من أعمال الحكومة ، بمعنى ان الحاكم موظف من موظفي الدولة ، كما هو في الوقت الحاضر ، وكما وقع في الاسلام ، وانما كان القضاء أمراً يعود الى الناس ، إن شاءوا رجعوا الى عقلاء الحي لفض ما قد يقع بين أهل الحي من خلاف ، وإن شاءوا اختاروا حكماً يرتضونه لكي يقضي بينهم في الخصومة ، فيقضي فيما بينهم برأيه وبرجاجة عقله ، ثم ينتهي واجبه . وهم لا يختارون حكماً ، إلا لوجود خلال حميدة فيه تؤهله للحكم ، مثل العدل والفهم والحنكة ، والفتنة، وسرعة إدراك أسباب الحق .

١ تاج العروس (٢٥٢/٨) ، (حكم) .

٢ تاج العروس (٢٩٧/١٠) ، (قضم) .

ولهذا صار الرجل الذي تتوفر فيه الصفات التي يجب أن تكون في الحاكم ، مرجعاً لأصحاب الخصومات ، يرجعون اليه لعمق تفكيره ولرجاحة عقله في استنباط الحكم الذي يرضي ويقنع الطرفين ، ولم يكن هذا الحاكم من رؤساء القبيلة بالضرورة ، وإنما قد يكون من الذين برزوا في مجتمعاتهم وأظهروا مقدرة في فهم طبائع قومهم وأعرافهم وأنسابهم وامتازوا عن غيرهم بسعة الفهم والادراك .

وحكام العرب إما حكام منحوا مواهب ومزايا ، جعلت الناس يركنون اليهم في حل المشكلات ، وإما كهان ، لجأ الناس اليهم يستفتونهم في الحكم فيما يقع بينهم من شجار ، لاعتقادهم بصحة أحكامهم ، وأما (عراف) ، وإما فقهاء ومفتون ، أي رجال دين ، كالقلامسة ، يفتون في أمور الدين .

ويلاحظ أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون على الذي ينظر في الخصومات (الحكم) و (الحاكم) . أما في الإسلام فقد تغلبت لفظة (القاضي) عليه . وصار القاضي هو الذي يقضي بين الناس في جميع الأمور القضائية من مدنية وجنائية ، ثم عاد الناس في هذه الأيام فخصصوا (الحاكم) بمن يحكم في القوانين الجزائية والمدنية ، و (القاضي) بمن يقضي في الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية التي لها علاقة بأمر الدفن كالزواج والطلاق والإرث .

وذكر علما اللغة أن (الفتاحة)^١ ، الحكومة والقضاء . قال الأشعر الجعفي :

ألا من مبلغٍ عمرًا رسولاً فإني عن فتاحتكم غني^٢

وأن الفتاح ، الحكم بين الخصمين في لغة حمير . يقال فتح الحاكم بينهم ، إذا حكم^٣ .

وإذا تجاوز الحاكم العدل وتباعد عن الحق ، يقال : شط عليه في حكمه . و (الشطط) مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام^٤ .

و (الجور) الظلم والتعدي على الغير ، وإذا شط الحاكم على شخص ، يكون قد جار عليه وظلمه ، وما أنصفه في حكمه .

-
- ١ بالكسر والضم .
 - ٢ تاج العروس (١٩٤/٢) .
 - ٣ تاج العروس (١٩٤/٢) .
 - ٤ تاج العروس (١٦٧/٥) .

ويجب على الحاكم أن يحكم بين الناس بالقسط ، حكم (الميزان) ، فلا يجوز في العدالة ، أن يرجح كفة على أخرى . ولهذا قيل : الميزان العدل ، وجعل رمزاً للعدالة . قال تعالى « وزنوا بالقسطاس المستقيم »^١ . والقسطاس الميزان ، وقيل هو أقوم الموازين وأعدلها^٢ .

وكانت العادة أن يلجأ اليتيم والضعيف إلى ذوي رحمه ، أو إلى أبناء حيتهم ، للحصول على ظلامته . فيتدخل أهل المروءة والانصاف في الأمر ، لإكراه الظالم على إنصاف المظلوم . ورد أنه « كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ، ويجعل مكانها الشاة المهزولة . ويقول شاة بشاة ، ويأخذ الدرهم الجيد وي طرح مكانه الزيف ، ويقول درهم بدرهم »^٣ . ومنهم من كان يأكل مال اليتيم والضعيف ، ويجبر اليتيمة على الزواج به ، للحصول على مالها ، وقد منع ذلك في الاسلام^٤ .

وحكام العرب في الجاهلية : أكرم بن صيفي بن رياح ، وحاجب بن زرارة ابن عدس ، والأقرع بن حابس ، أبي عينة ، وربيعة بن مخاشن ، وضمرة ابن ضمرة (ضمرة بن أبي ضمرة) التميمي ، هؤلاء كانوا حكام تميم . و (الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي) ، و (عينة بن حصن بن حذيفة) ، و (حرملة بن الأشعر المري) ، وهريم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، وبشر بن عبدالله بن حبان ، وأبي سفيان بن حرب ابن أمية ، وأبي جهل بن هشام ، وأنس بن مدرك ، و (عامر بن الظرب) العدواني ، و غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي وهما حكمان لقيس ، وهاشم ابن عبد مناف ، وعبد المطلب ، وأبو طالب ، والعاص بن وائل القرشي ، (العاصي) ، والعلاء بن حارثة بن فضلة بن عبد العزى القرشي ، هؤلاء كانوا حكاماً لقريش . وربيعة بن حذار الأسدي ، ويعمر بن الشداخ (يعمر الشداخ) الكنانسي ، هؤلاء كانوا حكاماً لكنانة^٥ . وكان من حكامهم أيضاً :

- ١ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٨٢ .
- ٢ تاج العروس (٢١٨/٤) ، (القسطاس) ، (٣٦٠/٩) وما بعدها ، (وزن) .
- ٣ تفسير الطبري (١٥٣/٤) .
- ٤ سورة النساء ، الآية ٢ وما بعدها .
- ٥ تاج العروس (٢٥٢/٨) ، (حكم) ، (٤٦١/٥) ، (قرع) .
- ٦ تاج العروس (٢٥٢/٨) ، (حكم) ، (٤٦١/٥) ، (قرع) .

صفوان بن أمية ، وسلمة بن نوفل الكناني ، ومالك بن جبير العامري ، وعمرو ابن حمزة الدوسي ، والحارث بن عباد الربيعي ، والقلمس الكناني، وذئب الاصبع العدواني^١ .

وقد تعرض (اليقوبي) لموضوع حكام العرب ، فقال : « وكان للعرب حكام ترجع اليها في أمورهم وتتعاظم في منافراتها وموارثها ومياها ودماؤها ، لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة . وكان أول من استقضى فحكم : الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم . ثم سليمان بن نوفل ثم معاوية بن عروة ، ثم صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل ، ثم الشداخ ، وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، وسويد بن ربيعة بن حذار بن مرة بن الحارث بن سعد ، ومخاشن ابن معاوية بن شريف بن جررة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب فسمي ذا الأعواد ، وأكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن ، وعامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس ، وهرم بن قطبة بن سيار الفزاري ، وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفي ، وسنان بن أبي حارثة المري ، والحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن الضحيان بن الضحاك بن النمر بن قاسط ، والجعد بن صبرة الشيباني ، ووكيع بن سلمة بن زهير الايادي ، وهو صاحب الصرح بالجزيرة ، وقس بن ساعدة الايادي ، وحنظلة بن نهد القضاعي ، وعمرو بن حمزة الدوسي . وكان في قريش حكام ، منهم : عبد المطلب ، وحرب بن أمية ، والزبير بن عبد المطلب ، وعبدالله بن جدعان ، والوليد بن المغيرة المخزومي^٢ .

وكان في نساء العرب أيام الجاهلية حاكمات اشتهرن بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة . منهن : صحر بنت لقمان ، وابنة الحس ، وجمعة بنت حابس الايادي ، وخصيلة بنت عامر بن الظرب العدواني ، وحذام بنت

١ بلوغ الارب (١ / ٣٣٠ وما بعدها) ، المجبر (١٣٢) ، البيان (١ / ١٠٩) ، الاشتقاق

(١٧٢) ، الاغانى (٣ / ٢ وما بعدها) .

٢ اليقوبي (١ / ٢٢٧ وما بعدها) .

الريّان^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن (ابنة الخس) ، هي (هند بنت الخس الإيادية) ، وهي جاهلية قديمة ، وقد أدركت (القلمس) الكناني . ونسبوا لها أسجاعاً كثيرة ، وقالوا إنها كانت تحاجي الرجال . ورووا لها شعراً قليلاً^٢ . و (الخس) ، والد هذه الحكيمة ، هو الخس بن حابس بن قريظ الإيادي . وذكر بعضهم أنه من العماليق . وقد اختلف في اسمها فقليل : هند وقيل جمعة . وقد جاء عنها الأمثال . وكانت معروفة بالفصاحة^٣ .

وقد نسبوا لها حديثاً في وصف المرأة وفي وصف الرجل ، كما ذكروا لها كلاماً مع والدها ، حين سألها عن أسئلة^٤ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (جمعة بنت حابس الإيادي) ، هي أخت (ابنة الخس)^٥ . والدها (حابس) رجل من إياد ، أو هو (الخس بن حابس) . وذكر بعض آخر ، أن (جمعة) ليست أخت (هند) وإنما هناك حاكمة أخرى^٦ وزعموا أن (صحر بنت لقمان) ، كانت عاقلة اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة ، وكانت العرب تتحاكم عندها فيما يقع بينهم من خلاف في الأنساب وغيرها . وكان والدها (لقمان) . وبعضهم يقول غير ذلك . وأخوها (القيم) . ويذكر بعضهم أن لقمان قتلها^٧ .

أما (الأنبي الجرمي) ، فقد جعله بعض أهل الأخبار من أول الحكام ، وهو الذي حكم بين (بني نزار بن معد) في ميراثهم على حد زعم أهل الأخبار ، وهم مضر وربيعة وإياد وأثمار . وكان مترله نجران من اليمن . ومن ولده السيد والعاقب أسقفا نجران في أيام الرسول^٨ . وجعله (اليعقوبي) من أقدم من حكم عند العرب في خلاف ، إذ قال عنه : (وكان أول من استقضي إليه قحكم :

- ١ تاج العروس (٢٥٢/٨ وما بعدها) ، (حكم) ، بلوغ العرب (١/٣٣٨ وما بعدها) .
- ٢ بلوغ العرب (١/٣٣٩ وما بعدها) .
- ٣ تاج العروس (١٣٧/٤) ، (خس) ، (٢٥٣/٨) ، (حكم) .
- ٤ الامالي ، للقالبي (٢٥٦/٢ وما بعدها) ، ذيل الامالي (١٠٧ ، ١١٩) .
- ٥ بلوغ العرب (١/٣٤٢) .
- ٦ تاج العروس (١٣٧/٤) ، (خس) .
- ٧ تاج العروس (٣٢٧/٤) ، (صحر) ، (٢٥٣/٨) ، (حكم) .
- ٨ المحبر (ص ١٣٢) ، الاشتقاق (ص ٢١٨) .

الأفعى بن الأفعى الجرهمي . وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم ^١ . وجعله (المسعودي) ملكاً من ملوك نجران ^٢ .

وكان أكنم بن صيفي من حكام تميم ، ذكر انه أدرك الاسلام ، ولما سمع بأمر النبي ، وكان إذ ذاك شيخاً ، بعث ابنه (حبيشاً) الى النبي ليأتي بخبره ، فلما جاء به ، جنح قومه وخطب فيهم ، ودعاهم الى الاسلام . ونسبوا له أمثلة ، منها : مقتل الرجل بني فكيه ، وجمعوا له تسعة وعشرين مثلاً أو أكثر من ذلك . ونسبوا له كلاماً مع (كسرى) ^٣ . ونسب له (الجاحظ) بيتاً في الزهد ، هو :

نُرْبِي ويهلك آباؤنا وبيننا نرْبِي بنينا فنيئا ^٤

وزعم أهل الأخبار انه عاش تسعين ومئة سنة ، ومنهم من استقل هذا العمر واستصغره ، فجعله ثلثمائة وثلثين سنة ^٥ .

ولأكنم صلات وعلاقات بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة . وكان الملك قد اختاره في جملة من اختارهم لمحادثة (كسرى) في أمر العرب على ما يذكره أهل الأخبار . ونسب أهل الأخبار اليه حكماً زعموا أنه قالها للملك (النعمان) في أصول الحكم وفي كيفية إدارة شؤون الرعية في حقوق الراعي . وزعم أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) ، طلبه ليكون في الألسنة الموهوبة التي تكلم (هرقل) عظيم الروم عند زيارته له ^٦ . وذكر أنه كان بحث على التآلف والوحدة وجمع الشمل ، ونبذ التخالف والتنافر . ونسبوا له أقوالاً في ذلك . وفي أصول الحروب والقيادة وأمثال

١ اليقوبي (٢٢٧/١) .

٢ مروج (٨٩/٢) وما بعدها .

٣ بلوغ الأرب (٣٠٨/١) وما بعدها ، البخلاء (١٤٦ ، ٢٠٨) ، رسائل الجاحظ (٦٦/١) .

٤ الحيوان (٥١/٣) .

٥ المحبر (١٣٤) ، الاشتقاق (١٢٧) ، المعمرون ، للسجستاني (١٠) ، الإصابة (١١٨/١) وما بعدها ، (رقم ٤٨٥) ، اليقوبي (٢٢٧/١) ، اسد الغابة (١١٣/١) ، المعارف (٢٩٩) ، مروج الذهب (١١٦/٢) ، عيون الأثر (٧٠/١) ، الامالي ، للقالبي (٣٠٩/١) .

٦ المعمرون (١٩) .

ذلك ، مما يحتاج اليه المجتمع في ذلك العهد^١ .
 وذكر أن سادة نجران كانوا يتصلون به ، وكذلك ملك (هجر)^٢ . وأن
 سادات جهينة ومزينة وأسلم وخزاعة ، كانوا يسألونه الرأي والاستشارة^٣ .
 وحاجب بن زرارة بن عدس من حكام تميم ، ومن البلغاء الفصحاء في زمانه
 وممن وفد على (كسرى) من سادات تميم ، وكان له كلام معه . وكان في
 جملة من توسط عنده ليسمح لقومه أن يدخلوا الريف . فسمح لهم بذلك . وقد
 هلك قبل الإسلام . فصار ابنه (عطارد) سيد تميم . وقد أدرك عطارد الإسلام ،
 وذهب الى الرسول ، فأسلم^٤ . وكان حاجب بن زرارة يقال له ذو القوس ،
 وذلك أن تيمناً أقحطوا ، فارتحل حاجب الى كسرى ، فسأله أن يأذن له ، أن
 يتزل حول بلاده . فقال : إنكم أهل غدر ! فقال : أنا ضامن . فقال : ومن
 لي بأن تفي ؟ قال أرهنتك قوسي ، فأذن لهم دخول الريف . فلما مات حاجب ،
 رحل عطارد بن حاجب الى كسرى ، يطلب قوس أبيه ، فردها عليه وكساه
 حلة . فلما وفد الى النبي عطارد ، وأسلم على يديه أهداها للنبي ، فلم يقبلها ،
 فباعها . وقال عمر : يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب وللعيد ،
 فقال : إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة . وقد ارتد عطارد
 مع من ارتد من بني تميم بعد النبي وتبع سجاح ، ثم عاد إلى الإسلام^٥ .
 وكان (الأقرع بن حابس بن عقال بن محرز بن سفيان) التميمي المجاشعي
 الدارمي من حكام تميم ، اسمه (فراس) ، وإنما قيل له الأقرع لقرع كان
 برأسه . وكان شريكاً في الجاهلية والإسلام . وفد على النبي ، وهو من المؤلفين
 قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقد نادى النبي ، من وراء الحجرات يا محمد ، فلم

-
- ١ عيون الاخبار (١٠٨/١) ، (كتاب السلطان) ، (٢٤٦/١) ، (باب ذم الغنى
 ومدح الفقر) ، البخلاء للجاحظ (٢٠٨) ، (الحاجري) ، المزهر ، للسيوطي
 (٥٠١/١) ، البلدان (٣٧٤/٤) ، العقد الفريد (١٧٠/١) ، البخلاء (٢٠٨) .
 - ٢ العمرون ، للسجستاني (١٨) .
 - ٣ العمرون (١٥) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٣١١/١) وما بعدها ، السيرة الحلبية (١٠/١) ، الاشتقاق
 (١٤٤/١) ، الإمالي ، للقالبي (٢٩٩/٢) وما بعدها .
 - ٥ الإصابة (٤٧٦/٢) ، (رقم ٥٥٦٨) ، بلوغ الأرب (٣١١/١) وما بعدها ،
 الاشتقاق (١٤٥) ، الطبري (١١٥/٣) وما بعدها ، (قدوم وفد بني تميم ونزول
 سورة الحجرات) .

يحييه . فقال : والله يا محمد إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين . فقال رسول الله : ذلكم الله . وفي هذا الحادث نزلت الآية : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون »^١ . وذكر انه كان مجوسياً قبل ان يسلم . وان (عيينة) والأقرع استقطعا أبا بكر أرضاً ، فقال لهما عمر : انما كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يتألفكما على الاسلام . فأما الآن فاجهدا جهدكما ، وقطع الكتاب . وقد عاش الى زمن عثمان^٢ .

واليه تحاكم (الفرافصة) الكلبي ، وجريز بن عبدالله ، وقد نفر (الأقرع) جريز على الفرافصة بن الأحوص الكلبي^٣ .

وكان ربيعة بن مخاشن من حكام تميم البارزين في أنساب قومه ، كما كان من خطبائهم وفصحائهم . وهو من (بني أسيد بن عمرو بن تميم)^٤ ، وكان يجلس على سرير من خشب في قبة من خشب ، فسمي ذا الأعواد . واليه أشار الأسود ابن يعفر بقوله :

ولقد علمتُ سوى الذين نبأني ان السيل سبيل ذا الأعواد^٥

وذكر انه كان مرجع قومه ، وعالمهم بالأنساب ، وزعم قومه انه أول من قرعت له العصا^٦ . وكان أبوه (مخاشن) حكماً أيضاً^٧ .

وكان ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم التميمي من حكام تميم المعروفين . وكان قومه يلجأون اليه فيمن كانوا يلجأون اليهم عند أخذ الرأي. ذكر أنه حكم فأخذ رشوة فغدر^٨ . وأنه كان من رجال بني تميم لساناً

-
- ١ الحجرات ، رقم ٤٩ ، الآية ٤ ، تفسير الطبري (٧٦/٢٦ وما بعدها) ، روح المعاني (١٢٦/٢٦) ، الاشتقاق (١٤٦) ، المحبر (١٣٤) .
 - ٢ الاصابة (٧٢/١ وما بعدها) ، (رقم ٢٣١) ، بلوغ الأرب (٣١٥/١ وما بعدها) .
 - ٣ كتاب نسب تميم (٧) ، الروض الانف (٦٠/١) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٣١٦/١) .
 - ٥ المحبر (١٣٤) .
 - ٦ بلوغ الأرب (٣١٦/١) .
 - ٧ المحبر (١٣٤) .
 - ٨ بلوغ الأرب (٣١٦/١) ، وكان اسمه : « شق بن ضمرة » ، المحبر (١٣٤) ، الامالي ، للقالبي (٢٧٩/٢) .

وبياناً . وكان اسمه شق بن ضمرة ، فسمّاه بعض ملوك الحيرة ضمرة^١ . والرشوة ما يعطيه الشخص الحاكم أو غيره ليحكم له ، أو يحمله على ما يريد^٢ . وقد عرف بـ (شقة)^٣ .

ومن حكام (تميم) (الأحنف بن قيس السعدي التميمي) . واسمه (الضحّاك ابن قيس) وقيل (صخر بن قيس) ، ويكنى (أبا بحر) وهو ممن أدرك النبي . وكان من العلماء للدهاة الحكماء العقلاء . وقد ضرب بحلمه المثل . قال رجل للأحنف بن قيس : بمّ سدت قومك وأنت أحنف أعور ؟ قال : بركي ما لا يعنيني ، كما عنك من أمري ما لا يعينك^٤ . وذكر أنه هو القائل : « لا تزال العرب بخير ما لبست العائم ، وتقلدت السيوف وركبت الخيل ، ولم تأخذها حمية الأوغاد . قيل : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أن يروا الحلم ذلاً ، والتواهب ضياءً »^٥ .

وكان عامر بن الظرب العدواني من حكام قيس . وذكر أنه كان أول من قرعت له العصا . ونسبوا له حكماً وأمثالاً منها : ربّ أكلة تمنع أكلات . ورب زارع لنفسه حاصد سواه ، ومن طلب شيئاً وجده... إلى أمثلة أخرى من أمثلة في الحكم والمواعظ وفي كيفية السير في هذه الحياة^٦ . وذكر أنه هو الذي جعل الدية مائة من الإبل ، وجعله (محمد بن حبيب) في طليعة (أئمة العرب)^٧ . وذكر أنه التقى بـ (حمّة بن رافع الدوسي) عند ملك من ملوك حمير ،

- ١ الاشتقاق (١٤٩) ، نواردر المخطوطات (٣٠٥) ، كتاب القاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه .
- ٢ تاج العروس (١٥٠ / ١٠) ، (رشا) .
- ٣ نواردر المخطوطات ، القاب الشعراء ، (ص ٣٠٥) .
- ٤ الإصابة (١١٠ / ١) ، (رقم ٤٢٩) ، الاستيعاب (١٣٥ / ١) ، حاشية على الإصابة ، الامالي ، للقالبي (٥٩ / ١) وما بعدها ، ٢٣١ وما بعدها ، ٢٤١ ، ٢٦٩ ، (٢٠ / ٢) ، ٤١ ، ١٦٧ ، ٢٢٧ وما بعدها ، ٣٠٦ ، ذيل الامالي (١٤ ، ٢٧ ، ١١٨ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٢١٥) ، نواردر المخطوطات (أسماء المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام) ، (ص ١٥٨) ، رسائل الجاحظ (٣٤٤ / ١) .
- ٥ رسائل الجاحظ (٣٦٢ / ١) ، البيان والتبيين (٨٨ / ٢) ، (٩٨ /) .
- ٦ بلوغ الارب (٣١٦ / ١) ، الاشتقاق (١٦٤ / ١) ، تاج العروس (٤٦١ / ٥) ، (قرع) .
- ٧ المجير (١٨١) .

(فقال : تساءلا حتى أسمع ما تقولان) ، فجري بينهما كلام في الحكم وفي أمور الحياة^١ .

وقد اختلف أهل الأخبار في أول من قرعت له العصا . فقال بعض منهم هو (عامر بن الظرب العدواني) ، وقال بعض آخر ، هو (قيس بن خالد بن ذي الجدين) . وهو قول ربيعة ، أو (عمرو بن حمزة) الدوسي ، وهو قول تميم ، أو (عمرو بن مالك) . وذكر أن قيساً كانوا لا يعدلون بفهم عامر بن الظرب فهماً ولا بحكمه حكماً . فلما طعن في السن ، أو بلغ ثلثمائة سنة ، أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : انه كبرت سني وعرض لي سهو ، فإذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره ، فأقرعوا لي المجن بالعصا . وقيل كانت له ابنة يقال لها خصيلة ، فقال لها اذا خولطت : فاقري لي العصا . فأتى عامر بخنثى ليحكم فيه ، فلم يدر ما الحكم ، فجعل ينحر لهم ويطعمهم ويدافعهم بالقضاء ، فقالت خصيلة ما شأنك قد أتلفت مالك ؟ فخبرها انه لا يدري ما حكم الأنثى ، فقالت اتبعه مباله^٢ . وذكر (محمد بن حبيب) ، انه حكم في الخنثى حكماً جرى الاسلام به^٣ . وذكر بعض آخر ان (العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة في قضاء ، إلا أسندوا ذلك اليه ، ثم رضوا بما قضى فيه . فاخصم اليه في بعض ما كانوا مختلفون فيه في رجل خنثى له ما للرجل ، وله ما للمرأة . فقالوا : أنجعله رجلاً أو امرأة ، ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى انظر في أمركم ، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب ، فاستأخروا عنه ، فبات ليلته ساهراً يقلب أمره وينظر في شأنه ، لا يتوجه له منه وجه . وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه) ، فلما رأت سهره وقلقه وقلة قراره على فراشه ، سألت عن حاله ، فقال : ويحك اختصم إليّ في ميراث خنثى أأجعله رجلاً أو امرأة . فقالت : سبحان الله ! لا أبالك اتباع القضاء المبال . اقعهده ، فإن بال من حيث يبول الرجل ، فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . فسرّ بهذا الجواب^٤ .

١ الامالي (٢٧٦/٢) وما بعدها .

٢ تاج العروس (٤٦١/٥) ، (قرع) .

٣ المجبر (٢٣٦) .

٤ الروض الانف (٨٦/١) وما بعدها ، ابن هشام (٨٦/١) .

ومن حکام قيس : (هَرَم بن قطبة بن سيار بن عمرو) . وهو العشراء
ابن جابر بن عقيل . واليه تنافر (عامر بن الطفيل) ، وعلقمة بن علاثة .
وسنان بن أبي حارثة بن مرة^١ .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً أن (ذرب بن حوط بن عبدالله بن أبي حارثة
الطائي) ، كان حاكماً شهيراً في الجاهلية ، وقد حكم (عامر بن الظرب) في
الخنثى. وذكروا أن الشاعر (أدهم بن أبي الزهراء) الطائي ، وهو من الشعراء
في الإسلام ، ذكره في شعر له ، حيث قال :

مّا الذي حكم الحکوم فوافقت في الجاهلية سنة الإسلام^٢

وقد أدخل (ذرب) واسمه (سويد بن مسعود بن جعفر بن عبدالله بن طريف
ابن حي) الشاعر ، في جملة من حكم في الجاهلية بحكم ، فوافق حكمه السنة^٣ .
ومن حکام العرب المعروفين وأحد المعمرين (عمرو بن حمّة بن رافع الدوسي)
من الأزد . ذكروا أنه عمّر طويلاً ، وأنه ذو الحلم الذي ضرب به العرب المثل ،
وأنه هو الذي قرعت له العصا^٤ . وذكر (ابن دريد) أنه وفد الى النبي^٥ .
ولم يذكر أحد غيره أنه وفد عليه . بل الذي عليه الآخرون أنه مات في الجاهلية
بعد عمر طويل ، إذ ذكروا أنه كان أحد المعمرين ، حتى أوصل بعضهم عمره
الى حوالى الأربعمئة سنة ، فذكر أنه عاش ثلاثمئة وتسعين سنة^٦ . وذكروا أنه
عرف بـ (ذي الحلم) وأنه هو الذي ضربت به العرب المثل في قرع العصا، لأنه
بعد أن كبر صار يذهل فاتخذوا له من يوقظة فيقرع العصا ، فيرجع اليه فهمه .
وأنه هو الذي أشار اليه (الحارث بن ويلة) بقوله :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت للذي الحلم^٧

-
- | | |
|---|----------------------------------|
| ١ | المحبر (١٣٥) . |
| ٢ | المحبر (٢٣٦) . |
| ٣ | الاشتقاق (٢٣٢/٢) . |
| ٤ | معجم الشعراء (ص ٢٠٩) . |
| ٥ | الاشتقاق (٢٩٦) . |
| ٦ | بلوغ العرب (٣٣١/١) . |
| ٧ | بلوغ العرب (٣٣١/١ وما بعدها) . |

ويذكر اهل الأخبار ان الذين يزعمون ان (عمرو بن حممة) هو الذي كان يقال له : (ذو الحلم) ، وانه هو اول من قرعت له العصا ، انما هم اهل اليمن ، وذلك تعصباً منهم اليه^١ . ويظهر من ذلك ان العصية القبلية قد لعبت دوراً في هذه القصة : قصة اول من قرعت له العصا ، فزعم القيسيون ان اول من قرعت له العصا ، هو (عامر بن الظرب العدواني) ، وزعم اهل اليمن ، انه (عمرو بن حممة) .

وقد كان له قبر معروف ، تزوره المارة ، ذكر ان (الهدم بن امرئ القيس ابن الحارث بن زيد ، أبو كلثوم بن الهدم) الذي نزل عليه النبي ، و (عتيك ابن قيس بن هيشة بن أمية بن معاوية) ، و (حاطب بن قيس بن هيشة) الذي كانت بسببه حرب حاطب ، مرّوا بقبره قادمين من الشام، فقرعوا رواحلهم على قبره ، وقال كل واحد منهم شعراً في رثائه^٢ .

ونعرف حكماً آخر من حكام (عدوان) ، عرف بـ (ذي الاصبع العدواني) وهو (حرثان بن محرث) ، أو (حرثان بن عمرو) ، أو (حرثان بن الحارث) ، أو (حرثان بن السمؤال بن محرث بن شبابة) ، الى غير ذلك من أقوال^٣ . وقد عدّه أهل الأخبار من الشعراء المعمرين ، وأعطاه (ابو حاتم السجستاني) عمراً ، جعله ثلثمائة سنة بالتمام والكمال^٤ .

وغيلان بن سلمة الثقفي ، أحد حكام قيس في الجاهلية ، وهو شريف شاعر. قالوا إنه كانت له ثلاثة ايام : يوم يحكم بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه الى جماله ، وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيره النبي فاختار أربعاً ، وكان ممن أسلم . وذكر انه وفد على كسرى ، فكان بينه وبين غيلان كلام أعجبه ، فأكرمه وقدمه وسهل تجارته وتجارة من كان معه . وكان فيهم

١ بلوغ الأرب (٣٣٢/١) .

٢ الامالي ، للقالبي (١٤٣/٢) .

٣ بلوغ الأرب (٣٣٥/١) وما بعدها ، الاشتقاق (١٦٣/٢) ، « حرثان بن محرث بن الحارث بن شبابة » ، نواذر المخطوطات ، ألقاب الشعراء (٣٠٧) ، « شبابة » ، شرح المفضليات (٣١٢) ، الخزائن (٤٠٨/١) .

٤ بلوغ الأرب (٣٣٥/١) ، الامالي ، للقالبي (١٢٩/١ ، ٢٥٥) ، (٢٢٠/٢) ، الاغانى (٩/٣) .

أبو سفيان في بعض الروايات ، وأرسل معه من بني له أطمأ بالطائف^١ . وكان غنياً صاحب تجارة . وقيل انه أحد من نزل فيه : « على رجل من القريتين عظيم » .

وذكر عنه أن (بني عامر) أغاروا على ثقيف بالطائف ، فاستنجدت ثقيف ببني نصر بن معاوية ، وكانوا حلفاءهم ، فلم ينجدوهم ، فخرجت ثقيف الى بني عامر وعليها (غيلان) ، فقاتلت (بني عامر) ، وانتصرت عليهم وخلد (غيلان) هذا القتال في شعر روه له^٢ .

واشير الى اسم قاض آخر عرف واشتهر في الجاهلية ، اسمه (حذار) ، وهو (ربيعة بن حذار) الأسدي من (بني أسد بن خزيمه) . وقد نعت به (قاضي العرب)^٣ . وكان حاكماً من حكام (بني أسد) ، واليه مرجعهم في امورهم ومشورتهم . واليه نافر (خالد بن مالك بن تميم النهشلي) (القعقاع بن معبد التميمي) ، فنفر القعقاع^٤ . وله ولد اسمه : (سويد بن ربيعة بن حذار) كان حاكماً كذلك^٥ .

ومن حكام (طيء) (ابن صعتر الطائي) . وكان من الحكام الكهان^٦ . ومن اشتهر بالقضاء بين الناس من (إياد) : (وكيع بن سلمة بن زهر بن إياد) ، وهو صاحب الصرح بمزورة مكة وقد أكثروا فيه فقالوا كان كاهناً ، وقالوا كان صديقاً من الصديقين . وذكروا له أقوالاً ووصية لقومه من إياد ، جاء فيها : (اسمعوا وصيتي : الكلام كلمتان . والأمر بعد البيان . من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه ، وكل شاة معلقة برجلها) ، فكان اول من قال هذه الكلمة فذهبت مثلاً^٧ .

وقد ذكر عنه ، أنه كان ولي أمر البيت بعد جرحهم ، فبني صرحاً بأسفل

-
- ١ الاصابة (١٨٦/٣ وما بعدها) ، (رقم ٦٩٢٦) ، الاستيعاب (١٨٦/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، بلوغ الارب (٣١٩/١) ، المحبر (١٣٥) ، البخلاء (١٨٦ ، ٣٩٣) ، ابن سعد (٣٧١/٥) ، الاغانى (٤٨/١٢ وما بعدها) ، اللالي (٤٧٨) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٢١/١) .
 - ٣ اللسان (١٧٧/٤) .
 - ٤ بلوغ الارب (٣٢٩/١) ، الاشتقاق (١٤٥) .
 - ٥ المحبر (١٣٤) .
 - ٦ تاج العروس (٢٢٦/٦) ، (ملطف) .
 - ٧ المحبر (١٣٦) ، بلوغ الارب (٢٦٠/٢ وما بعدها) .

مكة وجعل فيه أمة يقال لها (حزورة) وبها سُميت حزورة مكة وجعل في الصرح سلباً ، فكان يرقاه ، ويزعم أنه يناجي ربه ، ونسبوا له أموراً كثيرة . ومن كلامه على ما يزعمه أهل الأخبار (مرضعة وفاطمة ، ووادعة وقاصمة ، والقطيعة والفجعية ، وصلة الرحم وحسن الكلم) ، وقوله : « زعم ربكم ليعجزين بالخير ثواباً ، وبالشر عقاباً ، إن من في الأرض عبيد لمن في السماء . هلكت جسرهم وربلت إياد ، وكذلك الصلاح والفساد » . وذكر أنه لما مات ، نعي على الجبال^١ . ومن حكمام اياد : قس بن ساعدة الايادي الشهير^٢ . وذكر أنه أول من قال : (أما بعد)^٣ ، وسأتكلم عنه في أثناء كلامي على الخطباء البلغاء .

ومن حكمام (كنانة) (صفوان بن أمية) ، و (سلمى بن نوفل الكناني) ، وكان من المعاصرين لـ (عامر بن الظرب العدواني)^٤ . وجعل (صفوان بن أمية بن محرث الكناني) في عداد من حرّم الخمر في الجاهلية تكراً وصيانة لأنفسهم . ونسبوا له شعراً في سبب تركه لها^٥ .

ومن حكمام (كنانة) : (يعمر بن عوف الشدّاخ الكناني) ، وكان خبيراً بالأنساب وبالأحساب والأخبار وحكماً من حكمام كنانة . وهو الذي شدخ دماء خزاعة^٦ . وكانت قريش قاتلت خزاعة وأرادت اخراج خزاعة من مكة ، فتراضى الفريقان بيعمر . فحكم بينهم بشدخ الدماء بين قريش وخزاعة ، وعلى ألا يخرج خزاعة من مكة^٧ . وورد في رواية أخرى ، انه حكم ان كل دم اصاب قريش من خزاعة موضوع ، وكل ما اصاب خزاعة من قريش ففيه الدية ، وان قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة^٨ .

ومن حكمام (كنانة) (القلمس الكناني) . وكان من نساة الشهور ، كان يقف عند (جمرة العقبة) ، ثم يعلن حكمه بنسأة الشهور ، كأن يحلّ أحد الصفرين ويحرم صفر المؤخرة ، وكذلك في الرجيين ، يعني رجباً وشعبان . فهو

١ بلوغ الارب (٢٦٠/٢ وما بعدها) .

٢ المحبر (١٣٦) .

٣ صبح الاعشى (٤٣٣/١) .

٤ بلوغ الارب (٣٣٠/١) ، (سلمى بن نوفل بن معاوية) ، المحبر (١٣٣) .

٥ الامالي للقاللي (٢٠٤/١) ، المحبر (١٣٣ ، ٢٣٧) .

٦ بلوغ الارب (٣٣٠/١) .

٧ المحبر (١٣٣ وما بعدها) .

٨ ابن هشام (٧٩ وما بعدها) ، المحبر (١٣٤ حاشية) .

من الحكام ومن النساء^١ . قال (محمد بن حبيب) : « نساء الشهور من كنانة وهم القلامسة ، واحدهم قلمس ، وكانوا فقهاء العرب والمفتين لهم في دينهم »^٢ .

وكان عبد المطلب من حكام قريش ، وكان يقال له (القيّاض) لجوده ، و (مطعم طير السماء) ، لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية . وكان يأمر بترك الظلم والبغي ، ويحث قومه على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن ذنوب الأمور . وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها ، منها الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المؤودة ، وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان^٣ .

وقد روت كتب الأدب والأخبار بعض الأحكام التي حكم بها حكام العرب ، فصارت سنة للناس نهجوا عليها ، منها : قطع يد السارق ، وقد زعموا أن أول من سنّ ذلك هو (الوليد بن المغيرة) أو (عبد المطلب) ، فقطع رسول الله في الاسلام^٤ . والقسامة وقد حكم بها (الوليد بن المغيرة) كذلك و (تحريم الخمر) وقد حكم بهذا التحريم جملة حكام ، منهم (الوليد بن المغيرة) و عبد المطلب^٥ ، و (المنع من نكاح المحارم) ، و (النهي عن قتل المؤودة) وتحريم الزنا ، وأن لا يطوف لإنسان بالبيت عريان ، وتنسب هذه الأحكام الى عبد المطلب^٦ .

ولا بد أن يكون الوليد بن المغيرة من الرجال المبجلين المشهورين في أيامه بسداد الرأي ، ولهذا اكتسب إجلال الجميع له ونال تقدير الناس ، حتى قيل : إن الناس كانوا يقولون في الجاهلية : لا وثوبي الوليد الخلق منها والجديد^٧ . واليه تحاكم (بنو عبد مناف) في مقتل (عمرو بن علقمة بن عبد المطلب) ، حيث اتهموا (خدّاش بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل)

-
- ١ بلوغ الأرب (٣٣٥/١) ، تاج العروس (٢٢٢/٤) ، (القلمس) .
 - ٢ المعبر (١٥٦) وما بعدها .
 - ٣ بلوغ الأرب (٣٢٣/١) وما بعدها .
 - ٤ المعارف (ص ٢٤٠) . Ency. IV, p. 173.
 - ٥ المعارف (ص ٢٤٠) ، بلوغ الأرب (٣٢٣/١) وما بعدها .
 - ٦ بلوغ الأرب (٣٢٣/١) وما بعدها .
 - ٧ المعارف (ص ٢٤٠) .

بقتله . وكان (عمرو بن علقمة) أجيراً لخدّاش بن عبد الله ، خرج معه الى الشام ، ففقد خدّاش رجلاً ، فغضب عمراً بعضاً ، فقضى عليه . فتحاكم (بنو عبد مناف) فيه الى الوليد بن المغيرة ، فقضى ان يحلف خمسون رجلاً من بني عامر بن لؤي عند البيت : ما قتله خدّاش ، فحلفوا ، إلا حويطب بن عبد العزى . فإن أمه افتدت يمينه ، فيقال إن من حلف هلك ، قبل ان يحول عليه الحول^١ . وقد تحدّثت عن هذه القصة في أثناء كلامي على « القسامة » . وذكر انه عرف بين قومه بـ (العدل)^٢ .

وذكر ان (عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن النمر بن قاسط) ، كان يجلس للناس في الضحى ، فيقضي بين المتخاصمين ، فسمي الضحيان^٣ . وكان سيد قومه في الجاهلية وصاحب مبراعهم^٤ . وكانت ربيعة تغزو المغازي وهو في منزله ، فتبعث له نصيبه مما تصيبه ولنسائه حصّة ، إعظماً له^٥ .

ومن حكم (مالك بن جبير العامري) قوله : « على الجبر سقطت »^٦ . وهو مثل اشتهر وعرف بين العرب ، ولا زال الناس يتمثلون به .

وكان (نفيل بن عبد العزيز) من حكام قريش^٧ . واليه تنافر (عبد المطلب) و (حرب بن أمية) ، فنفر عبد المطلب على حرب^٨ . وأمّه حبشية^٩ .

وقد ذكر (أبو حنيفة الدينوري) اسم رجل من أهل الجاهلية ، قال عنه إنه كان فقيه العرب في الجاهلية ، وإنه كان من عدوان أو من إياد . قدم في قوم معتمراً او حاجاً ، فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في نحر الظهيرة من أتى الى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكّوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد في ذلك الوقت^{١٠} .

١ الزبيري ، نسب قريش (٤٢٤ وما بعدها) .

٢ المحبر (١٣٢) .

٣ المحبر (١٣٥) ، الاشتقاق (٢٠٢/٢) .

٤ الاشتقاق (٢٠٢/٢) .

٥ نواذر المخطوطات ، أسماء القتالين (١٢٢) .

٦ اللسان (٣١٦/٧) ، سقط) ، بلوغ الارب (٣٣١/١) .

٧ الزبيري ، كتاب نسب قريش (٣٤٧) .

٨ المحبر (١٧٣ وما بعدها) .

٩ المحبر (٣٠٦) .

١٠ الروض الانف (٩٢/١) .

فالرجل المذكور ان صحت رواية (الدينوري) عنه ، فقيه من الفقهاء وحاكم كان بين الناس . ومعنى هذا وجود الفقه عند الجاهليين بالمعنى المفهوم من الكلمة في الإسلام .

وأكثر من ذكرت ، هم ممن أدركوا الاسلام ، وسمعوا بنجر الرسول . وقد زعم أن بعضهم عُمر عدة مئات من السنين . ويظهر ان ذاكرة اهل الأخبار لم تنح من اخبار الحكماء الذين عاشوا قبل الاسلام بزمن طويل ، فاقصر علمها على هؤلاء وأمثالهم ممن عاش في الفترة الملاصقة للإسلام .

وقد نسب أهل الأخبار الى الحكماء المذكورين علم بأنساب الناس وأحسابهم ، كما نسبوا لهم الفصاحة والبلاغة والبيان . وكلها من مستلزمات ومن ضروريات الحاكم في ذلك الوقت . كان من واجبه العلم بأنساب الناس وأحسابهم ، لأن المناقرات والمفاخرات ، هي من اهم المحاكمات في ذلك الوقت . ولكي يكون حكم الحاكم فيها صحيحاً دقيقاً كان لا بد له من الوقوف على أحوال الناس وعلى مآثرهم ومفاسخهم في ذلك الوقت . وكان عليه أن يكون فصيحاً بليغاً ، لأن الناس كانوا يقيمون وزناً للكلام آنذاك ، ومن يحسن الاختيار في الكلام، ويحسن صياغة الكلم ، يكون ذا أثر فعال في نفوس المستمعين وفي اصدار الأحكام .

ويتبين من دراسة ما ينسب الى اولئك الحكماء من أحكام (فريش) أي (مكة)، وكذلك حكام أهل المدن . كانوا حكماً بالمعنى المفهوم من (الحاكم) ، فأحكامهم هي أحكام قانونية ، مقتبسة من منطق العدالة والحق . وهي تشريع مدني ينسجم مع التشريع المدني للأمم المتحضرة . وسبب ذلك على ما يظهر هو ان البيئة التي عاش فيها هؤلاء الحكماء ، هي بيئة حضرية ، وقد كانوا أنفسهم من الحضر ، ولكثير منهم وقوف على أحوال الأمم الأخرى ، ولهم علم بالكتب وبيعض اللغات الأعجمية وبالديانات والآراء ، وفي جملتها القوانين، فتأثروا أو تأثر بعضهم بتلك المؤثرات .

وقد روت كتب الأدب والأخبار بعض الأحكام التي حكم بها حكام العرب ، فصارت ستة للناس نهجوا عليها ، منها . قطع يد السارق ، وقد زعموا ان اول من سن ذلك هر (الوليد بن المغيرة) او (عبد المطلب) ، فقطع رسول الله

في الاسلام^١ . والقسامة وقد حكم بها (الوليد بن المغيرة) كذلك^٢ ، و (تحريم الخمر) وقد حكم بهذا التحريم جملة حكام ، منهم (الوليد بن المغيرة) و (عبد المطلب) ، و (المنع من نكاح المحارم) ، و (النهي عن قتل المؤودة) ، و تحريم الزنا ، وان لا يطوف انسان بالبيت عريان ، وتنسب هذه الأحكام الى عبد المطلب^٣ . وذكر اهل الأخبار ان أول من ورث البنات في الجاهلية ، فأعطى البنت سهماً والابن سهمين (ذو المجاسد اليشكري)^٤ .

وأنا إذ أذكر الأحكام التي حكمها حكام الجاهلية ، فاتبعت عندهم ، لا أقصد انها صارت احكاماً عامة ، مشت بين جميع العرب ، فكلام مثل هذا ، هو كلام مغلوط ، لا يمكن ان يقال ، على الرغم من التعميم الذي يذكره اهل الأخبار ، مثل قولهم (وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى ويصلبون قاطع الطريق)^٥ . وقولهم (وكانوا يقتلون من الجناية)^٦ ، وأمثال ذلك . فقد عودنا اهل الأخبار على هذا التعميم ، الذي أخذوه من أفواه الرواة دون نقد ولا تمحيص . وآية ذلك انهم يعوّدون فيناقضون أنفسهم وما قالوه في مواضع اخرى ، بما يدل على انهم نسوا ما قالوه سابقاً ، ولم يفتنوا الى هذا التناقض ، ولم يحاولوا نقد الروايات . ولهذا فحكمنا في هذه الأمور ، هو ان الأحكام المذكورة هي رأي واجتهاد ، قد يتبعه بعض وقد يخالفه بعض آخر ، يكون اتباعه في الموضع الذي عاش فيه الحاكم . فأحكامهم لهذا أحكام محلية ، قد تصير عرفاً ، اذا انتزعت من صميم الواقع ومن عقلية المحيط .

القضاء بعكاظ :

وكانت سوق عكاظ مجتمعاً للتقاضي في الأمور المهمة عند الجاهليين . حتى الشعر كانوا يتقاضون فيه ، يعرض شاعر شعره على الحكم ، ويعرض شاعر آخر

-
- ١ المعارف (ص ٢٤٠) .
 - ٢ المعارف (ص ٢٤٠) ، بلوغ الارب (٣٢٣/١ وما بعدها) ، المعبر (٣٢٧) .
 - ٣ بلوغ الارب (٣٢٣/١ وما بعدها) .
 - ٤ المعبر (٣٢٤) .
 - ٥ المعبر (٣٢٧) .
 - ٦ المعبر (٣١٩) .

منافس له شعره عليه ، ثم يسمعان رأي الحكم في إيهما أشعر . وذكر ان القضاء بعكاظ كان لبني تميم . وقد جمعت تميم الموسم الى ذلك . وكان ذلك يكون في أفخاذها كلها . ويكون الرجال يلبان هذا من الأمرين جميعاً ، عكاظ على حدة والموسم على حدة . فكان من اجتمع له الموسم والقضاء (سعد بن زيد مناة بن تميم) ، ثم تولى ذلك (حنظلة بن زيد بن مناة) ، ثم تولاه (ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم) ، ثم (مازن بن مالك بن عمرو بن تميم) ، ثم (ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة) ، ثم (معاوية بن شريف ابن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم) ، ثم (الأصبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة) ، ثم (صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن اسيد) ، ثم (سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة) . فكان سفيان آخر تميمي اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ . فات سفيان ، فافترق الأمر ، فلم يجتمع الموسم والقضاء لأحد منهم حتى جاء الاسلام . فكان (محمد ابن سفيان بن مجاشع) يقضي بعكاظ . فصار ميراثاً لهم . فكان آخر من قضى بينهم الذي وصل الى الاسلام (الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان) . وأجاز بالموسم بعد (صلصل بن أوس) ، (العلاق بن شهاب بن لأي) من بني (عؤافة بن سعد بن زيد مناة) . فكان آخر من أفاض بهم (كرب ابن صفوان بن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة)^١ . وله يقول أوس بن مغراء القريري :

ولا يربمون في التعريف موقفهم حتى يقال : أجزوا آل صفوانا^٢

ويتبين مما تقدم ، ان القضاء بعكاظ كان حقاً من حقوق (تميم) لا ينازعهم في ذلك منازع . اذا هلك قاض اخذ مكانه ابنه او رجل آخر من الأسرة التي اختصت بالقضاء بين الناس ، والتي كان لها امر (الحكومة) ، فنحن هنا إذن امام اناس تخصصوا بأمور القضاء بين الوافدين الى عكاظ ، ممن كان عندهم امر معضل ، ثم يريدون حله وفضه . ولا يد لثل هذا الحاكم من ان يكون محترم الجانب ، مهاب المكانة ، واقفاً على الأحساب والأنساب واحوال الناس وعلى الأعراف حتى يحترم قراره ويطاع .

١ وديل « صفوان بن الحارث » ، ابن هشام (٧٧) .

٢ المجير (١٨١ وما بعدها) .

ولا بد وان يكون لتميم نفوذ في هذه الأرضين، اكسبها حق الحكومة بعكاظ ،
ولا بد ان يكون نفوذ بمكة وعند قريش ، جعل لها الموسم . فرياسة الموسم، من
الرئاسات الكبيرة ذات الشأن عند قريش ومن هم في جوارهم، ولا يعقل تسليمها
لتميم لو لم يكن لها نفوذ سابق بمكة وصلات شديدة بقريش . صلات تتجلى
بالتصاهر الموجود بين قريش وتميم . ومن يدري فلعل تميماً كانوا بمكة، ثم ارتحلوا
عنها الى مواضع اخرى ؟

ولا استبعد احتمال جلوس الحكام في الأسواق الأخرى للحكم بين الناس فيما يقع
بينهم من خلاف ، في امور السوق من بيع وشراء واختلاف على سلع ، او من
تنافر او من تخاصم وتنازع . فهذه الأسواق هي مواسم يلتقي فيها من يتعامل بها
من الناس ، فيجدون فيها فرصة لحل ما بينهم من خلاف ، فيلجأون الى من
يكون في السوق من الحكام ، للحكم بينهم . وقد يتولى الفصل في الخصومات
الناشئة عن التعامل والتبايع حكّام السوق، وهم الذين يتحكمون في السوق، ويشرفون
عليها ويقولون جبايتها والمحافظة على أرواح من يحضرها من الناس .

وقد تقع مظالم في هذه الأسواق وفي غيرها ، فعلى الحكام اخذها من الظالم
وإرجاع الظلامة الى من وقعت عليه . والظلامة ما تطلبه عند الظالم^١ . ويطالب
المظلوم بظلامته مطالبة اهل الثأر بثأرهم ، ويعدون الظلم نقصاً يلحق بمن وقع
الظلم عليه . وإذا لم ينصف لجأ الى اهله وابناء عشيرته لنصرته ومعاونته على اخذ
حقه من المظالم . فكانت الأسواق من المجتمعات المناسبة للنظر في المظالم .

الفهرست

٥٠	. البيوت	٥
٥١	. فقر وغنى وأفراح وأتراح	٧٩
٥٢	. الدولة	١٧٨
٥٣	. حقوق الملوك وحقوق سادات القبائل	٢٥٣
٥٤	. الغزو وأيام العرب	٣٣٣
٥٥	. الحروب	٣٩٩
٥٦	. في الفقه الجاهلي	٤٦٩
٥٧	. الأحوال الشخصية	٥٢٦
٥٨	. الملك والاعتداء عليه	٥٦٩
٥٩	. العقود والالتزامات	٦١٢
٦٠	. حكام العرب	٦٣٥

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

سأعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء السادس

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الحادي والستون

أديان العرب

والعرب قبل الإسلام مثل سائر الشعوب الأخرى تعبدوا لآلهة ، وفكروا في وجود قوى عليا لها عليهم حكم وسلطان ، فحاولوا كما حاول غيرهم التقرب منها واسترضاءها بمختلف الوسائل والطرق ، ووضعوا لها أسماء وصفات ، وخاطبوها بألسنتهم وبقلوبهم ، سلكوا في ذلك جملة مسالك ، هي ما نسميها في لغاتنا بالأديان .

وتقابل كلمة (دين) العربية لفظة Religion في الانكليزية من أصل (لاتيني) هو Religere أو Religare . وآراء العلماء المعنيين بتاريخ الأديان وفلسفتها على اختلاف كبير جداً في وضع حد علمي مقبول بين الجميع لموضوع الدين ، وربما لا يوجد موضوع في العالم اختلفت في تحديده الآراء كهذا الموضوع : موضوع ماهية الدين وتعريفه ، حتى صار من المستحيل وضع إطار يتفق عليه لصورة يجمع على أنها تمثل الدين . والشيء الوحيد الذي يمكن أن يفعله كاتب ، هو أن يكتب رأيه بوضوح فيما يعنيه من (الدين) ، فإذا فعل ذلك ، صار من المعروف ما قصد صاحبه منه ^١ .

وقد عرّف بعض العلماء الدين أنه إيمان بكائنات روحية تكون فوق الطبيعة والبشر، يكون لها أثر في حياة هذا الكون ^٢ . وعرفه آخرون أنه استمالة واسترضاء

١ Sir James G. Frazer, The Golden Bough, A Study in Magic and Religion, Vol. I, p. 50, Abridged Edition, London, 1947.

٢ E.B. Tylor, Primitive Culture, I, p. 424, Ency. Brita. Vol. 19, p. 103.

ليقوى هي فوق البشر ، يؤمن أنها تدبر وتدبر سير الطبيعة وسير حياة الانسان^١. وهو عند بعض آخر شعور وتفكير عند فرد أو جماعة بوجود كائن أو كائنات إلهية ، والصلة التي تكون بين هذا الفرد أو تلك الجماعة وبين الكائن أو الكائنات الإلهية^٢. وهو يطلق بهذا الاعتبار على الإسلام كما يطلق على اليهودية والنصرانية وعلى المجوسية وعلى غيرها من أديان سواء أكانت سماوية أم غير سماوية كما يصطلح على ذلك بعض العلماء .

وهناك تعريفات وحدود كثيرة أخرى للدين، نشأت من اختلاف أنظار الباحثين بالقياس الى مفهوم الدين . فهناك مسائل كثيرة مختلف فيها : هل تدخل في نطاق حدود الدين أو لا كما ان مفهومه قد تغير عند الغربيين باختلاف العصور^٣.

وليس من السهل وضع حدود معينة لمعنى الدين ، فإن وجهات نظر الأديان نفسها تختلف في هذا الباب . وللدين في نظر الشعوب البدائية مفهوم يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الدين عند غيرهم ، ومفهومه في نظر الأقوام المتقدمة يختلف باختلاف دينها وباختلاف وجهة نظرها الى الحياة . وهناك أمور تدخل في حدود الدين عند بعض أهل الأديان ، على حين انها من الأمور الأخلاقية أو من أمور الدولة في نظر بعض آخر ، ومن هنا تظهر الصعوبات في تعيين المسائل التي تعدّ من صلب الدين في نظر الجميع^٤.

وللدين مهما قيل في تعريفه ، شعائر تظهر على أهله ، فتميزهم عن أتباع الديانات الأخرى، كما في العبادات والمأكولات والمعابد واللغات وما شاكل ذلك^٥ ، ولهذا الأمور أثر بالطبع في النواحي الاجتماعية والثقافية ، إذ تطبع أتباع الدين بطابع مميز خاص .

وقد زعم بعض المستشرقين ان لفظة (الدين) من أصل أعجمي ، وانها من

The Golden Bough, Vol. I, p. 222, Abridged Edition, p. 50. ١

H. Schmidt, Philosophische Wörterbuch, S. 551. ٢

Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 10, p. 662, Art. Religion, ٣

Encyclopaedia of Social Sciences, Vol. 13-14, p. 228, Ency. Brita., Vol., 19, p. 103, Friess and Schneider, Religion in Various Cultures, New York, 1932.

Ency. Relig., Vol. 10, p. 263, Ency. of Social., Vol. 13-14, p. 228. ٤

Ency. Relig., Vol. 10, p. 663. ٥

الألفاظ المعربة ، أصلها فارسي هو (دينا) Daena^١ . وقد دخلت في العربية قبل الاسلام بمدة طويلة . وترد لفظة (دين) بمعنى الحشر في الإرمية والعبرانية كذلك . وهي (دينو) في الإرمية . وتقابل لفظة Daino الإرمية لفظة الديان في العربية . وهي بمعنى القاضي في هذه اللغة . وتعني لفظة (دين) القضاء في اللغة البابلية . و (ديان) (ديونو) Dayono ، الحاكم والمجازي والقاضي في لغة بني إرم^٢ . وهي بهذا المعنى في العربية أيضاً^٣ .

والدين في تعريف علماء اللغة : العادة والشأن . تقول العرب : ما زال ذلك ديني وديني ، أي عادتي . والدين بمعنى الطاعة والتعبد . وقد ورد في الحديث : (كان على دين قومه) ، أي كان على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم ، من الحج والنكاح والميراث ، وغير ذلك من أحكام الإيمان . وجاء : (كانت قريش ومن دان بدينهم ، أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه ، واتخذ دينهم له ديناً وعبادة)^٤ . ومن (دين) الديان ، بمعنى الحكم القاضي والقهار . ومن ذلك مخاطبة (الأعشى الحرمازي) الرسول بقوله :

يا سيد الناس وديان العرب .

والديان : الله ، ومن أسماء الله^٥ .

وقد وردت هذه اللفظة في المعنى المفهوم منها في الاسلام في بيت شعر ينسب الى أمية بن أبي الصلت ، هو :

كلّ دين يوم القيامة عند الله ٤ إلاّ دين الحنيفة زور^٦

Handwörterbuch des Islams, S. 98, Grundriss, der Iran. Philoso. I, I, S. 107, 270, I, 2, S. 26, 170, II, S. 644, Juynboll, Handbuch des Islamischen Gesetzes, S. 40, 58, Schorter Ency. of Islam, p. 78, Ency. I, p. 975, Zeitscher. fur Assyriol., Bd., XIV, S. 351.

٢ برصوم (ص ٦٠) ، غرائب اللغة (١٨٢) .

٣ اللسان (١٦٦/١٣) وما بعدها ، (دين) .

٤ اللسان (١٦٦/١٣) وما بعدها ، (دين) ، تاج العروس (٢٠٨/٩) وما بعدها ، (دين) .

٥ اللسان (١٦٦/١٣) وما بعدها ، (دين) ، تاج العروس (٢٠٨/٩) وما بعدها ، (دين) .

٦ الاغانى (١٢٢/٤) ، (دار الكتب المصرية) .

غير أننا لا نستطيع أن نحكم بورودها في شعر أمية ما لم نثبت أن ذلك الشعر هو من شعره حقاً ، وأنه ليس بشعر إسلامي صنع ووضع على لسانه ، فقد وضعت أشعار وقصائد على لسانه وعلى لسان غيره من الشعراء .

ووردت بهذا المعنى أيضاً في النصوص الثمودية . وردت في نص سجله رجل من قوم ثمود ، توسل فيه إلى الإله (ودّ) ، أن يحفظ له دينه ، (ال ه د ي ن ي ق . ي د)^١ ، ووردت في نص آخر جاء فيه : (بدين ود امت)^٢ ، أي (بدين ودّ أموت) ، أو (على دين ودّ أموت) . فاللفظة إذن من الألفاظ العربية الواردة في النصوص الثمودية ، وقد يعثر عليها في نصوص جاهلية مدونة بلهجات عربية أخرى .

ويصنف بعض العلماء الأديان، الى صنفين: أديان بدائية Primitive Religions ، وأديان عليا The Higher Religions ، غير أن هذا التقسيم لا يستند الى التسلسل الزمني ، وإنما يقوم على أساس دراسة أحكام الدين وعقائده وعمق أفكاره . فالأديان التي تقوم على أفكار بدائية وعلى السحر Magic وعلى المبالغة في التقديس وتقديم القرابين Sacred ، والتي تنحصر عبادتها بأفراد قرية أو قبيلة واحدة ، وأمثال ذلك مما يشرحه علماء تاريخ الأديان وعلماء فلسفة الأديان ، هي من أديان الصنف الأول . فإذا توسع مجال الدين وشمل قبائل عديدة ، وتعمق في أحكامه وفي تشريعه وفلسفته ، وصار الإله أو الآلهة إلهاً ذا سلطان واسع أو آلهة ذات سلطان واسع عدّ الدين من الأديان العليا^٣ .

وأما تقسيم الأديان الى أديان قبيلية Tribal Religions ، و (أديان قومية) National Religions ، وأديان مطلقة عامة (Absolute (Universal Religions) Religions) ، فإنه ، وإن كان تقسيماً واضحاً ظاهراً بالقياس الى الطرق الأخرى لتقسيم الأديان ، يرد عليه أنه تقسيم بني على أسس وحدود ليست لها أرض صلبة في جوهر الدين وأركانه ، فهو بعيد عن المبادئ الأساسية التي تجب مراعاتها في تقسيم كل علم أو موضوع^٤ . كذلك تجابه التقسيم الثلاثي للأديان الى (أديان

1 Grimme, S. 34, 40.

2 Mu 646/17, Grimme, 40.

3 ENCY. BRITA., Vol. 19, p. 107.

4 Ency. Brita. Vol. 19, p. 111.

الطبيعة) Nature Religion . و(ديانة الشريعة) Geztzes Religion ، و(ديانة الخلاص) Erlosungs Religion عند بعض العلماء الألمان صعوبات كبيرة تجعل السير على أساسه في دراسة تطور الدين أمراً عسيراً شاقاً^١ .

وتستند دراسات علماء تأريخ الأديان لتطور الأديان والأدوار التي مرت بها الى دراسة أمور كثيرة تأريخية ونفسية واجتماعية واقتصادية، ولهم في ذلك جملة طرق ، منها طريقة الدراسات المقارنة The Comparative Method ، وهي تعتمد كما يتبين من اسمها على المقارنات بين الأديان ، فتتناول جميع النواحي بالبحث ، لتجد ما بينها من مطابقات ومفارقات . ومنها طرق البحث التأريخي والاجتماعي Historical and Sociological Methods وتستند الى الدراسات التأريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية والعوامل الأخرى ، للناس وللمنطقة التي عاشوا فيها ، وأثر كل هذه العوامل في نمو الأفكار الدينية وظهورها . وطرق عديدة أخرى تذكر في كتب تواريخ الأديان^٢ .

وقد تقدمت دراسة تأريخ الأديان تقدماً كبيراً ، ولا سيما بعد اتباع أساليب الطرق التجريبية والبحوث المقارنة والتحليل النفسي في هذه الدراسة . وظهر بحث جديد شائق طريف ، هو (فلسفة الدين) The Philosophy of Religion ، أفاد كثيراً في معرفة دراسة تطور الأديان ومبادئها الأساسية ، كما ظهرت فروع أخرى كهذا الفرع لها صلة بدراسة الدين وتقدمه ، كالفروع النفسية الذي يعتمد على الدراسات النفسية للدين ، وهو فرع نستطيع أن نسميه بـ (علم النفس الديني) The Psychology of Religion في الانكليزية و Religionspsychologic في الألمانية^٣ . وكالفرع الذي يعتمد على أساليب بحث الاجتماع وطرقه لدراسة الدين باعتبار أن الدين نفسه ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية^٤ .

وهناك عوامل عديدة لها أثرها في تطور الأديان ، وفي (تكييفها) ، منها أثر (العوامل الطبغرافية) Topographic Factors . وأثر (المحيط) Climatic Factors

Philosophische Wörterbuch, S. 552. ١

Ency. Relig., 10, p. 964. ٢

Strattons, Psychology of he Religious Life, 1911, Ency. Brita., 19, p. 111, ٣

Schmidt, S. 554.

Schmidt, S. 554, J. Wach, Einführung in die Religion, 1941. ٤

وأثر الحالات النفسية في تكييف الدين ، وفي تصور الناس لآلهتهم . ولهذا تصور اليونان مثلاً آلهتهم على شاكلتهم ، تصورها ذات أخلاق وصفات تشبه أخلاق البشر وصفاتهم ، تتخاصم وتتصادق وتتباغض ويحسد بعضها بعضاً ، تشرب الخمر وتحزن وتفرح ، وتسرق أيضاً . ونجد في الـ (ايدا) Edda نفسية الشعوب الشمالية الأوروبية ممثلة في الأساطير التي تتحدث عن الآلهة والأبطال^١ .

ويظهر أثر العوامل المذكورة في الديانة الهندية القديمة ، وهي من الديانات الآرية ، وفي الديانة المجوسية ، وهي من أهل السهول وديانات أهل الجبال ، وبين ديانات الساميين الشماليين وديانات الساميين الجنوبيين ، يظهر في الأساطير (Mythlogy) وفي تصور الآلهة وتقديمها وتأخيرها وما شابه ذلك من أمور^٢ .
ولشكل المجتمع أثره كذلك في تطوير الدين وفي أحكامه . فمجتمع يقوم على الزراعة يختلف في تفكيره عن مجتمع يعيش على الصناعة أو على الرعي في بوادٍ واسعة ، كذلك للسياسة ولأشكال المجتمعات السياسية دخل في تطور الأديان . وقد كان التعاون وثيقاً جداً في الأيام الماضية خاصة بين السلطات الزمنية وبين السلطات الدينية حتى كان الحكام الزمنيون كهاناً في كثير من الأوقات ، كما حدث أن وقع اختلاف بين السلطين أدى الى حدوث تغيير في عقيدة الحكومة أو أكثرية الشعب .

وطالما أدى قهر مدينة أو قبيلة أو شعب الى قهر آلهتها معها وموتها ، والى عبادة آلهة القاهرين المتغلبين باعتبار أنها أقوى وأعظم شأنًا من آلهة المغلوبين التي لم تتمكن من حمايتهم من تعديات الغالبين . وقد تبقى تلك الآلهة فتندمج في آلهة المغيرين ، فيزداد بذلك العدد ، وتتعدد الآلهة ، وتختلط الأساطير بعضها ببعض وتتداخل . ولهذا الناحية أهمية كبيرة في تحليل عناصر هذه الأساطير ، ورجعها الى منابعها الأولى . كذلك يكون للجوار وللصلات التاريخية والروابط الثقافية أثر في ديانة الشعوب وفي (تكييفها) ويكون للثقافة خاصة أثر بارز في هذا التوجيه.
غير أن للأديان كذلك أثرها في توجيه الأفراد والقبائل والشعوب ، وفيما ينتج عن عمل الإنسان من مجتمعات وسياسة وثقافة واقتصاد^٣ . فهذه نواحٍ يجب أن

Ency. Social. 13-14, p. 232. ١

Ency. Social. 13-14, p. 232. ٢

Ency. Social. 13-15, pp. 234. ٣

تلاحظ كلها في دراستنا لتأريخ الأديان . هذا ويجب ألاّ نتصور أن أديان العرب قبل الإسلام لم تتأثر بمؤثرات خارجية ، فلم تأخذ من الأمم والشعوب التي اتصلت بها شيئاً ، جرياً على نظرية القائلين بعزلة العرب وبعدم اتصالهم بالخارج ، وبأنهم بدو ، لا علم لهم ولا رأي ولا دين . وهي نظرية نشأت عن عدم وقوف القائلين بها بأحوال العرب قبل الإسلام . وإذا وافق أولئك على أن اليهودية والنصرانية كانتا في جزيرة العرب قبل الإسلام كما نص على ذلك القرآن الكريم ، وأن من العرب من كان على دين يهود ، وأن منهم من كان على دين النصارى ، فلن يستطيعوا إنكار ورود اليهودية والنصرانية الى العرب من الخارج بعمل الهجرة والتبشير والانصال بفلسطين والعراق . وسيوافقون أيضاً على أن الوثنيين قد تأثروا كذلك بوثنية غيرهم ، كما نص على ذلك الاخباريون وانهم أثروا في غيرهم أيضاً .

إن معارفنا عن أديان العرب قبل الاسلام مستمدة في الدرجة الأولى من النصوص الجاهلية بلهجاتها المتعددة من معينة وسبئية وحضرية وأوسانية وقبائية وثمودية ولحيانية وصفوية ، وهي نصوص ليس من بينها نص واحد وبالأسف في أمور دينية مباشرة ، مثل نصوص صلوات أو أدعية دينية أو بحوث في العقائد وما شابه ذلك . غير أن هذه النصوص المذكورة ، ومعظمها كما قلت سابقاً في أمور شخصية ، حوت مع ذلك أسماء آلهة ذكرت بالمناسبة ، وبفضلها عرفنا أسماء آلهة لم يصل خبرها الى علم الاخباريين ؛ لأن ذكرها كان قد انطمس وزال قبل الإسلام . ومن هذه النصوص استطعنا أن نستخرج آلهة القبائل العربية القديمة ، وأن نرجعها الى المواضع التي كانت تتعبد بها لها ، وأن نعين العصور التي كان الناس فيها يتعبدون لها على وجه التقريب .

كذلك تعدّ الكتابات والنقوش المدوّنة ببعض اللغات الأعجمية كالأشورية والعبرانية واليونانية واللاتينية ولغة بني إرم ، مورداً مفيداً لمعرفة أديان العرب قبل الإسلام بعد النصوص العربية . فقد وعت أسماء أصنام قديمة نصت عليها ، وبذلك ساعدتنا في الوقوف على عبادتها وعلى من تعبد لها من قبائل .

وأما أديان العرب قبيل الاسلام وعند ظهوره ، فالقرآن الكريم هو مرجعنا في هذا الباب . ففيه ذكر لما كان عليه الناس ولا سيما أهل مكة ويثرب والحجاز من عبادات وآراء ، وفيه أسماء بعض الأصنام الكبرى التي كانت تتعبد لها القبائل .

وفي تفسير القرآن الكريم تفصيل وشرح لما جاء موجزاً في الآيات البينات، ويضاف الى ذلك ما ورد عن هذا الباب في الحديث .

وفي الشعر المنسوب الى الشعراء الجاهليين إشارات الى بعض عقائد الجاهليين ، والى بعض الأصنام ، تعرض لها شراح الدواوين بالمناسبات، وترد هذه الاشارات في القصص المروى عن أخبار الجاهلية وعن أنساب قبائلها وأيامها وأمثال ذلك وفي كتب الأدب واللغة والمعجمات ، وهي تعيننا بالطبع على زيادة مادتنا في هذا الموضوع .

ويضاف الى ذلك ما ورد في كتب السير والمغازي وفي كتب التواريخ من كتب خاصة مثل تأريخ مكة ، ومن كتب عامة عن عبادات القوم قبل الوحي وفي أثناء الوحي وعن أمر الرسول بتحطيم الأصنام والأوثان . وقد ورد بهذه المناسبة أوصاف بعضها ، وذكرت بعض المواضع التي كانت قائمة فيها ، والقبائل التي كانت تتعبد لها ، وما أدير حول بعضها من قصص ، أو ما قيل عنها في الجاهلية وفي تحطيمها من أقوال .

ومما يجب علينا ملاحظته ، ان الشعر الجاهلي الذي أمدنا بفيض من معارف قيمة عن الجاهلية القريبة من الاسلام ، لم يمدنا بشيء مهم عن الحياة الدينية عند الجاهليين ، فكأنه أراد مجازاة من دخل في الاسلام في التنصل من أيام الجاهلية ومن التبرؤ منها ، ومن غض النظر عن ذكر أصنام حرمها الاسلام . وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان رواة الشعر في الاسلام ، قد أغفلوا أمر الشعر الجاهلي الذي مجّد الأصنام والوثنية ، وأهملوه ، فلم يرووه ، فوات ، وان بعضاً منهم قد هذب ذلك الشعر وشذبه ، فحذف منه كل ما له علاقة بالأصنام والوثنية ، ورفع منه أسماء الأصنام ، وأحلّ محلها اسم الله ، حيث يرد اسم الصنم . فما فيه اسم الله في الشعر الجاهلي ، كان اسم صنم في الأصل .

وقد ألّف بعض العلماء مؤلفات خاصة في الأصنام ، وصل إلينا منها كتاب (الأصنام) لابن الكلبي^١ . أما المؤلفات الأخرى ، فلم يصل إلينا منها إلا الاسم .

١ « كتاب الاصنام » بتحقيق المرحوم أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٥ م الطبعة الثانية ، « مطبعة دار الكتب المصرية » ، وسيكون رمزه : الاصنام . وقد طبع الكتاب مراراً ، وترجم الى الانكليزية والالمانية والى لغات أخرى .

ومن ألف في هذا الموضوع أبو الحسن علي بن الحسين بن فضيل بن مروان^١ ،
والجاحظ^٢ . وقد استفاد ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) من كتاب
(الأصنام) لابن الكلبي ، وأورد ما أخذه منه في الكتاب . أما النسخة التي
اعتمد الحموي عليها ، فكانت بخط عالم مشهور وبروايته هو الجوالقي^٣ .

وقد تعرض ابن الكلبي لذكر الوثنية والأصنام في مؤلفاته الأخرى عرضاً ،
وأشار (ياقوت الحموي) في بعض المواضع الى روايات أخرى لابن الكلبي عن
الأصنام ، ذاكراً أنها ليست من كتاب (الأصنام) . كما استقى من منبع آخر ،
هو محمد بن حبيب^٤ .

وقد ألف أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ كتاباً في أديان العرب
وآرائهم : اسمه (آراء العرب وأديانها) ، وقف عليه ابن أبي الحديد ، وأشار
الى بعض هفوات رآها فيه^٥ . وللجاحظ مؤلف اسمه (أديان العرب) استفاد منه
أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني^٦ .

وبالرغم من فضل من تقدم ممن ذكرت ومن لم أذكر ، على دارس التاريخ
الديني للجاهليين فإنهم عفا الله عنهم ، لم يتعمقوا تعمقاً كافياً في بحوثهم عن
الوثنية ، ولم يتحرشوا بها في الغالب ، إلا بسبب اتصالها بالاسلام ، ثم إن في
كثير مما ذكروه عن الوثنية طابع السذاجة وأسلوب الصنعة . وهو في أحوال الوثنية
في الحجاز وعند القبائل التي ورد لها ذكر في حوادث الاسلام في أيام الرسول ،
في مثل قدوم وفود سادات القبائل على النبي ، وأمر الرسول بتعظيم الأصنام .
ولهذا لا نجد للوثنية في بقية مواضع جزيرة العرب ، مكاناً فيما كتبه أولئك العلماء

١ « كتاب الاصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك اسمه » ،
الفهرست (ص ١٢٥) ، الاصنام (٢٣) ، « الرد على عبدة الاوثان » ، معجم
الادباء (١٣٢/١) .

٢ الاصنام (٢٣) ، وقد نقل منه (النويري) في كتابه نهاية الارب (١٥/١٦) ،
(فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - رحمه الله - في كتاب له سماه :
كتاب الاصنام ، قال فيه ٠٠٠) .

٣ الاصنام (٢٤) .
٤ J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, Berlin, 1927, S. 12.

وسيكون رمزه : Reste

٥ بلوغ الارب (٣٠٨/٢) .

٦ Brockelmann, Suppl. I, S. 946.

عن الأصنام والأوثان أو الزندقة . ثم ان في الذي ذكروه وكتبوه تناقض محير ، وتنافر عجيب ، يجعلك تشعر ، ان رواة تلك الأخبار ، لم يكونوا يملكون يومئذ أدوات النقد لصقل ما سمعوه من أفواه الرواة ، وما نقلوه عن أدرك الجاهلية من أقوال ، أو انهم كانوا يعمدون الى الوضع أحياناً : لصنع أجوبة عن أسئلة وجهت اليهم في أمور لم يأتهم علم بها من قبل .

نخذ ما ذكره (الطبري) في تفسيره عن اللات والعزى ومناة ، تجده يروي أقوالاً ذكر سندها تناقض فيما بينها بشأن هذه الأصنام ، وبشأن بيوتها ومواضعها ، مما يدل على أن رواة تلك الأخبار لم يكونوا على علم بأخبارها ولا وقوف على حقيقتها ، بدليل أن كل واحد منهم ناقض غيره فيما قاله ، وأن أحدهم يذكر خبراً ثم يعود فيذكر ما يناقضه^١ . حدث كل ذلك في أمور كانت باقية الى ما بعد فتح مكة ، فكيف حالهم اذن في الأمور البعيدة نوعاً ما عن الاسلام .

ولا تتناول الموارد الإسلامية بعد ، إلا الوثنية القريبة من الإسلام والوثنية التي كانت متفشية بين قبائل الحجاز في الغالب ، وبين القبائل التي اعتمد عليها رواة الأخبار في جمع اللغة والأخبار. لذلك لا نجد فيها ذكراً للوثنية البعيدة عن الاسلام ، فلم يرد فيها مثلاً أي شيء عن (الملقه) إله سبأ الأكبر ولا عن بقية الآلهة العربية الجنوبية الكبيرة مثل (عثر) ، وعن دين العرب الجنوبيين وشعائهم ، ولا عن معبودات قبائل العربية الشرقية : أو قبائل العراق أو بلاد الشام في الأزمنة البعيدة أو القريبة من الإسلام .

وأما أخبارها عن اليهودية والنصرانية ، فقليلة جداً ، قصتها ورويتها لما لها من تماس وصلته بما جاء في القرآن الكريم ، أو لما لها من علاقة بأيام الرسول . ولهذا صارت خرساء صامتة بالنسبة الى أحوال أهل الكتاب في بقية أنحاء جزيرة العرب أو في العراق وفي بلاد الشام . فلم تتحرش بهم إلا بقدر . وبسبب ذلك صارت معارفنا عنهم قليلة جداً . وقد كان في إمكان أهل الأخبار جمع معلومات واسعة عن النصرانية في العراق قبل الإسلام ، برجوعهم الى رجال الدين النصارى الذين كانوا في الحيرة وفي مواضع أخرى من العراق ، وهم رجال لهم علم واسع بهذه الأمور ، لكن اختلافهم عنهم في الدين على ما يظهر ، وانصرفهم إذ ذاك

١ تفسير الطبري (٣٥/٢٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٥٥/٤) ، (عزز) .

عن رواية كل ما يتعلق بالأمور الجاهلية خلا ما يتعلق بالنواحي القبلية والنواحي الأدبية واللغوية ، كانا من العوامل التي أدت الى غض نظرهم عن البحث في هذه الأمور .

وبفضل إقرار الاسلام لبعض أحكام وشعائر الجاهليين ، استطعنا الوقوف على جانب من أحكامهم وشرائعهم . فعرفنا بذلك بعض شعائر الحج من حج مكة ، وبعض أحكامهم وآرائهم في الدين ووجهة نظرهم الى الحلال والحرام ، والتقرب الى بيوت الأرباب وغير ذلك . وما كان في وسعنا الوقوف عليها لولا تعرض الإسلام لها بالإقرار والتثبيت ، أو بالتحريم والنهي ، فأشير الى كل ذلك في القرآن الكريم وفي كتب التفسير وأسباب النزول والحديث .

وقد عني المستشرقون بهذا الموضوع ، فكتبوا بحوثاً فيه . ومن هؤلاء (ولهوزن) J. Wellhausen صاحب كتاب (بقايا الوثنية العربية) Arabischen Heidentums^١ و (دتلف نيلسن) Ditlef Nielsen^٢ و (لودولف كرييل) Ludolf Krehl وغيرهم^٣ .

وقد اعتمد (ولهوزن) على ما نقله (ياقوت الحموي) من كتاب الأصنام ومن غيره ، ذلك لأن كتاب الأصنام لم يكن مطبوعاً ولا معروفاً أيام ألف (ولهوزن) كتابه عن الوثنية العربية .

ويعدّ كتاب (ولهوزن) أوسع مؤلف في موضوعه كتبه المستشرقون عن الوثنية العربية . وقد كتب المستشرقون حديثاً جملة بحوث عن الأصنام العربية التي عثر عليها في الكتابات فات ذكرها في كتاب (ولهوزن) ، لأن أكثر النصوص الجاهلية لم تكن قد نشرت يومئذ ، ولأن كثيراً منها قد نشر حديثاً ، فلم يكن في استطاعة (ولهوزن) بالطبع أن يبحث في شيء من التفصيل في الوثنية ببلاد العرب الجنوبية . لذلك كان أكثر ما جاء في كتاب (ولهوزن) مستمداً من روايات

١ استعملت الطبعة الثانية ، وقد طبعت ببرلين سنة ١٩٢٧ م .
٢ Ditlef Nielsen, Die Altorabische Mondreligion und die Mosaische Meberlieferung, Strassburg, 1904.
٣ Ludolf Krehl, über die Religion der Varislamischen Araber, Leipzig, 1863.
إذا أردت أسماء بعض المراجع عن هذا الموضوع ، فارجع الى :
D. G. Pfannmüller, Handbuch der Islam — Literatur, 1923.

الأخباريين . فمن الضروري اضافة هذه البحوث الجديدة الى ما كتبه هو وأمثاله ،
لنحصل على صورة شاملة عن أديان العرب قبل الاسلام .

وتفيد الأعلام الجاهلية المركبة Theophorus Names المدونة في النصوص
الجاهلية وفي الموارد الاسلامية فائدة كبيرة في معرفة الأصنام ، وفي تكوين فكرة
عنها . ففيها أسماء آلهة ، وفيها بعض الصفات الإلهية التي كان يطلقها الناس على
آلهتهم . ونجد هذه الأسماء المركبة عند بقية الشعوب السامية كذلك . ومن مقارنة
هذه الأسماء بعضها ببعض ، استخرج العلماء آلهة اشترك في عبادتها جمع الساميين^١ .
ونعني بـ Theophorus Names الأعلام المركبة من أسماء آلهة ومن كلمات
أخرى مثل (عبد) و (عطية) و (امرئ) و (أوس) و (عائد)
و (جار) و (عوذ) و (وهب) . ترد قبل اسم الإله أو بعده ، فيتألف
منها ومن أسماء الآلهة أسماء أعلام ، مثل عبد الأسد، وعبد الله ، وعبد سعد، وعبد
العزيز ، وعبد محرق ، وعبد ذي الشرى ، وعبد يغوث ، وعبد ودّ ، وعبد
قيس ، وعبد شمس ، وامرئ القيس ، وأمثال ذلك من أعلام .

ومعظم هذه الأعلام المدونة في مؤلفات الاسلاميين ، أسماء أشخاص عاشوا في
الجاهلية القريبة من الاسلام ، حفظتها ووعتها ذاكرة الرواة ، ومنهم تناقلها أهل
الأخبار . والغالب عليها الابتداء بكلمة (عبد) للرجال و (أمت) أي أمة
للنساء ، ترد قبل اسم الصنم . أما الأسماء المبتدأة بكلمات أخرى غير (عبد) ،
فمثل (أممس الله) و (امرئ مناة) ، و (امرئ القيس) ، و (أنس الله)
و (أوس الله) ، و (قيم اللات) ، و (خيليل) ، و (زيد اللات) ؛
و (زيد مناة) ، و (سعد اللات) ، و (سعد مناة) ، و (سعد ودّ)
و (سعد العشرة) ، و (سكن اللات) ، و (سلم اللات) ، و (شراحيل)
و (شرحيل) ، و (شرحيل) ، و (شكم اللات) ، و (شهيميل) ،
و (شيع القوم) ، و (عائد الله) ، و (عمرو اللات) ، و (عوذ مناة)
و (عينيل) ، و (قسيميل) ، و (مطرويل) ، و (وهب اللات) .
وهي قليلة من حيث الاستعمال بالقياس الى الأعلام المبتدأة بـ (عبد)^٢ .

Dr. H. Brau, Die Altnordarabischen Kultischen Personennamen, in WZKM, ١

Bd. 32, 1925, S. 31. ff. 85. ff. Reste, I. ff, Ency., Religi. I p: 659

Reste, S. I. ٢

ويلاحظ على بعض الأعلام المركبة ، مثل عمرو اللات ، وعوف ايل ، وجد اللات ، وسعد مناة ، وودّ ايل ، ان الكلمات الأولى من هذه الأسماء تتأخر في أعلام أخرى ؛ فتسبق بكلمة توضع قبلها فيتكون منها علم مركب جديد كما في الأسماء الآتية : عبد عمرو ، وعبد عوف ، وعبد جدّ ، وعبد سعد ، وعبد ودّ ، وقد كانت متقدمة في الأعلام الأولى . أما في هذه الأعلام فصارت في المنزلة الثانية .

وهذه الأسماء التي حفظتها ذاكرة أهل الأخبار ، تخالف أكثر الأعلام العربية والسامية القديمة المدونة في النصوص وفي مؤلفات اليونان والرومان والسريان وغيرهم من حيث الصيغ والتراكيب . فقد ابتدأت هذه الأعلام كما رأينا بكلمات تلتها أسماء الآلهة . أما الأعلام القديمة ، فقد كانت على العكس تبدأ باسم الصنم ، وبعده الألفاظ الأخرى ، مثل : (الشرح) (ايل شرح) و (اليفع) (ايل يفع) و (الذرح) (ايل ذرح) و (الكرب) (ايل كرب) و (السمع) (ايل سمع) و (اليثع) (ايل يثع) وأمثال ذلك . أو تبدأ بكلمات ثم تليها أسماء الأصنام ، إلا أنها ليست في حالة الإضافة ، بل على صورة الإخبار والفاعلية ، مثل (يذكر ايل) و (يثع ايل) و (يدع ايل) و (يشرح ايل) و (يسمع ايل) . و (ايل) (ال) هنا هو اسم الإله (ال) (ايلو) المعروف عند جميع الساميين^١ .

وقد يوضع حرف الجر ، وهو (اللام) (لامد) في الاسم ، ليدل على تعلق الاسم بالإله ، مثل (لحي عثت) في النصوص العربية الجنوبية ، وقد عثر على طائفة من هذه الأعلام في الكتابات الفينيقية والعبرانية^٢ .

وقد تهمل الكلمة الثانية من الاسم المركب ، ويقتصر على اللفظة الأولى ، كما في : أوس ، وزيد ، ووهب ، وتيم ، وسعد ، ونصر ، وعائد ، وعبد ، وأمثال ذلك من أعلام . فإنها اختصار لـ (أوس الله) ، و (زيد اللات) ، و (زيد مناة) ، و (وهب اللات) ، و (تيم اللات) ، و (سعد مناة)

Reste, S. I, Nöldeke, über den Gottesnamen El, in Monatsberichte der Königl. Akademie der Wissenschaft zu Berlin, 1880, S. 761, 1887, S. 1175. ١

Reste, S. 7, Nöldeke, in Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Bd., VI, S. 313. ٢

و (سعد ود) ، و (سعد اللات) ، و (نصر اللات) ، و (عائد الله)
و (عبد ود) ، وغير ذلك . وقد يحدث العكس ، فتسقط الكلمة الأولى ،
وتبقى الكلمة الثانية التي هي اسم الإله ، ويصير هذا الاسم اسماً لشخص أو لأسرة
أو لقبيلة ، مثل : مناف ، وغنم ، وشمس ، وإساف ، ونائلة ، وزهرة ،
وقيس ، وعطارد ، وهبل ، وجد ، وأمثال ذلك . فإن هذه هي أسماء آلهة في
الأصل ، سبقت بكلمات مثل (عبد) ، ثم أهملت هذه الكلمات الأولى ، وبقيت
أسماء الآلهة حية ، ولكنها صارت أسماء لأشخاص وأسر وقبائل ، تسبقها لفظة
(بنو) في بعض الأحيان ، لتدل على الانتماء الى ذلك الاسم^١ . ولهذا الانتماء أهمية
كبيرة في نظر الباحثين في فلسفة الأديان وتأريخها .

ويلاحظ أن بعض الأعلام المركبة المبتدأة بـ (عبد) مثلاً ، لا تتكون كلمتها
الثانية من اسم إله ، إنما تكون اسم موضع أو اسم شخص أو اسم جاد ، مثل :
عبد حارثة ، وعبد المطلب ، وعبد أمية ، وعبد الدار ، وعبد الحارث ، وعبد
الحجر ، وما شاكل ذلك . ولبعض العلماء تفاسير وتعليلات في العوامل التي أدت
الى هذه التسميات : منها أن بعض هذه الأسماء هو لآلهة قديمة ، نسيت فظن
أنها أسماء أشخاص : وأن بعضاً آخر منها هو أسماء أشخاص كانت لهم قدسية
أو منزلة خاصة ، فترك الناس بتسمية أولادهم عبيداً لهم ، وهو شيء يحدث
حتى الآن ، إذ نقول عبد المسيح ، وعبد الرسول ، وعبد علي ، وعبد الأمير ،
وعبد الزهرة ، وعبد محمد ، وإن بعضاً آخر هو مسميات لمجتمعات ، مثل :
عبد أهله ، وعبد العشيرة ، وسعد العشيرة ، أو أنه نسبة الى طوطم أو جاد
مقدس في نظر الناس^٢ .

وقد قضى الاسلام على الأسماء الوثنية ، كما قضى على كثير من معالم الجاهلية ،
فاستبدل من أسلم اسمه الجاهلي الذي له صلة بصنم أو بشرك باسم إسلامي ، وبذلك
زالت تلك التسميات . كما زالت أكثر التسميات اليهودية والنصرانية بدخول أصحابها
في الإسلام . وهذا شيء مألوف في تأريخ الانسان . فقد قضت اليهودية على
الأسماء الوثنية القديمة ، وعوضت عنها بأسماء يهودية ذات صلة بالتوراة ، وقضت
النصرانية على الأعلام الوثنية ، أو طورتها لتكون ملائمة مع النصرانية ، وهكذا

Reste, S. 7. ff. ١

Robertson, p. 42, Reste, S. 4. ٢

حدث في الأديان الأخرى ، بل وهذا ما يحدث اليوم في كثير من أنحاء العالم القلقة عند وقوع انقلابات سياسية ، حيث تتناول الأسماء أيضاً بالتغيير والتبديل ، لتناسب الوضع الجديد .

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء عدد من الصحابة ، كانت أسماؤهم ذات صلة بالأصنام ، فلما أسلموا أبدلوا الرسول بأسماء إسلامية . فقد كان اسم كاتب النبي (عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم) (عبد يغوث) فلما أسلم ، دعي (عبدالله)^١ . وكان اسم (عبدالله بن أصرم بن عمرو بن شعثة) الهلالي ، (عبد عوف بن أصرم) ، فلما قدم على النبي ، فقال من أنت ؟ قال عبد عوف ، قال النبي : أنت عبدالله ، فأسلم^٢ . ونجد غيرهما وقد أبدل الرسول أسماءهم ، حتى صار من يسلم يبدل اسمه إن كان له صلة بصنم ، حتى ماتت الأسماء الجاهلية التي هي من هذا القبيل .

والأساطير Myth = Mythos ، ونعني بها هنا الحرافات والأفاسيص المتعلقة بالآلهة Legend ، هي مصدر مهم لمعرفة تطور الأديان وتطور فكرة الألوهية عند الشعوب . وهي قد تكون شعراً ، وقد تكون نثراً، وفي كلتا الحالتين تكون مادة خصبة للباحثين .

ومعارفنا عن الأساطير العربية الدينية قليلة جداً . وهذا مما حمل بعض المستشرقين على القول بأن العرب لم تكن لهم أساطير دينية عن آلهتهم ، كما كان عند غيرهم من الأمم كاليونان والرومان والفرس وعند بقية الآريين ، بل حتى عند بعض الشعوب السامية الأخرى مثل البابليين^٣ . وفي رأيي أننا لا نستطيع أن نجزم في مثل هذه الأمور ، لأن أحكامنا عن اليونان والرومان والبابليين إنما استنبطناها من نصوص ومؤلفات وصلت إلينا . أما العرب الجاهليون ، فلم يصل إلينا منهم حتى الآن نصٌ ما في هذا الموضوع، يمكننا من الحكم بعدم وجود الأساطير الدينية عند العرب الوثنيين .

ومشكلتنا أننا لا نملك كما قلت نصوصاً دينية جاهلية ، ولا كتباً كتبها يونان أو لاتين أو سريان أو غيرهم عن أساطير العرب في الجاهلية نستطيع استخراج

١ الإصابة (٢٦٥/٢) ، (رقم ٤٥٢٥) .

٢ الإصابة (٢٦٧/٢) ، (رقم ٤٥٣٤) .

٣ Ency. Religi. I, p. 660.

حكم منها عن أساطير العرب . ولكن هذا الوضع لا يخولنا نفي وجود الأساطير عند العرب ، بحجة بداوتهم وضيق أفقهم وبساطة تفكيرهم ، كما أنه لا يخولنا أيضاً الحكم بوجود أساطير عندهم من طراز عال كما نجده عند اليونان مثلاً . ويتبين من بعض روايات الأخباريين ، وهي قليلة ، أن العرب كانت لهم أساطير كالذي روه من أن (العتيق) عاق (الدبران) لما ساق الى الثريا مهرراً ، وهي نجوم صغار نحو عشرين نجماً ، فهو يتبعها أبداً خاطباً لها ، ولذلك سموها هذه النجوم القلاص^١ وكالذي روه عن (العَبُور) و (الغَمِيصاء) و (سُهَيْل) . وقد كانت هذه النجوم مجتمعة ، فانحدر سُهَيْل فصار يمانياً ، وتبعته العَبُور فعبرت المجرة^٢ ، وأقامت الغَمِيصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمضت^٣ . وكالذي روه من أن (الزُّهرة) كانت امرأة حسناء ، فصعدت الى السماء ومسخت نجماً ، وأمثال ذلك من قصص يظهر أنه من بقايا قصص أطول قديم^٤ .

وإذ لم تصل إلينا نصوص دينية جاهلية ، صعب علينا تكوين فكرة صحيحة عن مفهوم الدين عند العرب ، وعن كيفية عبادتهم لألهتهم ، وعن كيفية تصورهم للآلهة ، خاصة عند العرب الذين عاشوا قبل الميلاد .

وقد تعيننا أسماء الآلهة والأعلام المركبة في تكوين وجهة نظر عن صفات آلهة الجاهليين . فكلمات مثل (ود) و (شرح) و (سعد) و (سمع) ، أو تعابير مثل (ذات حم) (ذات حميم) و (ذات صنتم) (ذات صنتم) و (ذات رجب) (ذات رجب) و (ذات بعدن) (ذات بعدن) (وذ قبضم) (ذو قبضم) وما شابه ذلك ، لا بد أن تكون لها معان خاصة تشير الى صفات الآلهة التي قيلت لها ، فتفيدنا في فهم عبادة الجاهليين وتفكيرهم في تلك الآلهة . وإذا كانت بعض أسماء الآلهة أو صفاتها واضحة مفهومة تمكن الاستفادة منها في تكوين فكرة عن الآلهة ، فإن هناك بعضاً آخر يحيط بمعناه الغموض ، فلا نستطيع شرح معناه أو ترجمته الى اللغات الأخرى . وليس من المعقول بالطبع عدم وجود مدلول أو مراد لأسماء هذه الآلهة عند من وضعها لها ، ونسبها إليها ، وإنما المعقول هو ان هذه المسميات نسبت بتقادم الزمن وبزوال دولتها وعظمتها

١ بلوغ الارب (٢٣٩/٢) .

٢ بلوغ الارب (٢٣٩/٢) .

٣ البلخي : البدء والتاريخ (١٤/٣) .

من الوجود ، وضاعت معالمها ، فلم يبق منها إلا الأسماء المجردة ^١ . ولعل معانيها كانت غامضة حتى على من كان يتعبد لها ، لاختلافها منذ زمن طويل ، وعدم ورود نصوص مدونة الى المتعبدين لها في هذه المعاني، وهذا شيء مألوف معروف .

وتختلف نظرة الانسان الى الخالق والخلق باختلاف تطوره ونمو عقله ، ولهذا نجد فكرة (الله) (الإله) التي تقابل كلمة Deus في اللاتينية وكلمة Theos في اليونانية وكلمة God في الانكليزية ، تختلف باختلاف مفاهيم الشعوب ودرجات تقدمها . فهي عند الشعوب البدائية القديمة والحديثة في شكل يختلف عن مفهومها عند الشعوب المتحضرة . كذلك اختلفت عند سكنة البوادي عن سكنة الجبال والهضاب، ويختلف مفهوم فكرة الله عند الشعوب السامية عنها عند الشعوب الآرية، لأسباب عديدة يذكرها علماء تأريخ الأديان ^٢ . بل يختلف هذا المفهوم في داخل الشعب الواحد ، يختلف فيه باختلاف ثقافة الانسان وتقدم مداركه العقلية، فتصور كل انسان خالقه على قدر عقله ودرجة ثقافته ، صورته وكأنه مرآة صافية لنفسه ولدرجة نمو عقله . ومن هنا قيل : ان الانسان يصنع إلهه بنفسه ، أي يصوره على نحو صورته ومبلغ تفكيره .

يقول (أكسينوفان) Xenophanes : « تصور الأحباش آلهتهم فطس الأنوف، سوداً . وتصور أهل (تراقية) Thracians آلهتهم ذوي عيون زرق وشعر أحمر . وزعم اليونان أن تصورهم للآلهة هو التصور الصحيح . أما تصور الزنوج وأهل تراقية عن آلهتهم ، فهو تصور فاسد باطل ! ولو كان للماشية والحيل والسباع أيد تتمكن من الرسم والنحت ، لرسمت الحيل آلهتها على صورة خيل، ولنحتت تماثيلها على صورتها ، ولرسمت الماشية ونحتت آلهتها على صورتها وهيئتها، تماماً كما يصور الانسان وينحت آلهته على صورته وقدر إدراكه . كل صنف يتصور ويرى آلهته على صورته » ^٣ . وقد نسب اليونان الى آلهتهم كل الصفات والأعمال الانسانية المعروفة بين اليونانيين ، فتصوروهم على هيئة بشر ، لهم الفضائل، ولهم الرذائل، يتزوجون وينسلون ويحبسون ويعشقون ويسرقون ويكرهون ويتخاصمون بينهم ويتحاسدون

Handbuch, S. 189.

Ency. Religi., Vol. 6, p. 243, W. Robertson Smith, Lectures on the Religion of the Semites, London, 1894, p. 5, Ency. Britd., 10, p. 480, «Lyod».

Ency. Religi., 10, p. 113.

ويقومون بأقبح الأعمال كما يفعل الانسان^١ .

وهناك أشكال عديدة للعبادة ، تمثل تعدد وجهة نظر الانسان بالقياس الى مفهوم الألوهية لديه . فهناك عبادة تسمى عبادة آباء القبائل ، حيث أسبغ على أجداد القبائل ما يسبغ عادة على الآلهة من نعوت وصفات . وتجد هذه العبادة عند القبائل البدائية . وقد يكون هؤلاء الأجداد أجداداً حقيقيين ، وقد يكونون أشخاصاً خلقتهم الأساطير . ومهما يكن من شيء ، فقد أعطي هؤلاء صفات الربوبية ونعوتها ، ونظر اليهم نظرة من فيه قوى خارقة ذات هيمنة على العالم والخلق . وقد اصطلح على تسمية هذه العبادة بـ All Fathers في الانكليزية وبـ Verehrung des Stammesvaters و Urvaters في الألمانية ، لأنها تقوم على أساس عبادة الأجداد^٢ .

وآله بعض الناس الظواهر الطبيعية ، لتوهمهم أن فيها قوى Spirit روحية كامنة مؤثرة في العالم وفي حياة الإنسان، مثل الشمس والقمر وبعض النجوم الظاهرة . وقد كانت الشمس والقمر أول الأجرام السماوية التي لفتت أنظار البشر اليها ، لما في الشمس من أثر بارز في الزرع والأرض وفي حياة الانسان بصورة مطلقة . كذلك للقمر أثره في نفس الإنسان بما يبعثه من نور يهدي الناس في الليل ، ومن أثر كبير يؤثر في حس البشر . فكانا في مقدمة الأجرام السماوية التي آلهها الانسان . عبدهما مجردين في بادىء الأمر ، أي دون أن يتصور فيها ما يتصور من صفات ومن أمور غير محسوسة هي من وراء الطبيعة . فلما تقدم وزادت مداركه في أمور ما وراء الطبيعة ، تصور لها قوى غير مدركة ، وروحاً ، وقدرة ، وصفات من الصفات التي تطلق على الآلهة . فخرجتا من صفتها المادية البحتة ومن طبيعتهما المفهومة ، وصارتا مظهرأ لقوى روحية لا يمكن ادراكها ، إنما تدرك من أفعالها ومن أثرها في هذا الكون .

وإذا كانت هذه العبادة قد اقتصرت على الظواهر الطبيعية البارزة المؤثرة ،

١ Ency. Religi., 10, p. 113.

٢ في الاصل « Father ours » ، وقد أطلق « هويت » « Howitt » الاصطلاح « All Father » عليه ،

Howitt, Native Tribes of S.E. Australia, London, 1904, Making of Religion,

London, 1898, Ency. Religi., Vol. 6, p. 243.

فإن هناك توسعاً في هذه العبادة تراه عند بعض الأقوام البدائية ، يصل الى حد تقديس الأحجار والأشجار والآبار والمياه وأمثال ذلك ، إذ تصوروا وجود قوى روحية كامنة فيها ، فعبدوها على أن لها أثراً خطيراً في حياتهم . ونجد في أساطير الشعوب البدائية أن الإنسان من نسل الحيوان ومن الأشجار أيضاً ، كذلك نجد أمثلة عديدة من هذا القبيل في أساطير اليونان والرومان والساميين .

وهناك الشرك ، وهو عبادة آلهة عديدة ، كما ان هناك عقيدة التوحيد التي تدّين بوجود إله واحد خالق لهذا الكون . وليس للشرك بالطبع عدد معين من الآلهة ، فقد يكون بضعة آلهة ، وقد يكون عشرات . والشرك هو الدين المعاكس لدين التوحيد ، ويعرف بإسم : Polytheism في الانكليزية من كلمة Polys اليونانية ومعناها (كثير) و (تعدد) ، ومن كلمة يونانية ثانية هي Theos وتعني (الإله) (الآلهة) . ويختلف الشرك عن عقيدة الـ Polydaemonism القائلة بوجود الأرواح والجن من حيث الطبيعة Nature ، كما يختلف عن أديان التوحيد Monotheism من حيث القول بتعدد الآلهة ، وعن القائلين بمبدأ (الحلول) (Pantheism) من حيث حلول الإله في الخلق والخلق في الإله .

وتطلق في العربية كلمة (إله) على الإله الواحد ، وكلمة (آلهة) في حالة الجمع ، أي في حالة القول بوجود آلهة عديدة . وتقابل كلمة (إله) كلمة (ايلوه) Eloah = Elohim في العبرانية الواردة في سفر (أيوب) . ومنها كلمة (إيلوهيم) Elohim في حالة الجمع ، أي آلهة المستعملة في العهد القديم بالقياس الى آلهة الوثنيين^٢ . وكلمة (إله) لا تعني على كسل حال إلهاً معيناً على نحو ما تعنيه لفظة (الله) في العربية التي يراد بها الله الواحد الأحد ليس غير .

أما (الله) ، وهي كلمة الجلالة ، فهي (اسم علم) خاص به على رأي ، وهي (علم مرتجل) في رأي آخر . وقد ذهب الرازي الى انه من أصل سرياني أو عبراني . أما أهل الكوفة فرأوا انه من (ال إله) ، أي من أداة التعريف

Ency. Religi., Vol. 10, p. 112.

Hastings, p. 299, Ency. Religi., Vol. 6, p. 248, Ency. Bibl., III, Col. 33239

Hebrew Lexicon, 42, Ency., II, p. 464.

(ال) ومن كلمة (إله) . وهناك آراء لغوية أخرى في أصل هذه اللفظة ^١ . ولم يعثر على لفظة (الله) في نصوص المسند ، وإنما عثر في النصوص الصفوية على هذه الجملة : (فهل ه) ، وتعني (فإله) أو (فيا الله) و (الهاء) الأولى هي أداة التعريف في اللهجة الصفوية . وقد وردت الجملة على صورة أخرى في بعض الكتابات الصفوية . وردت على هذا الشكل : (ف ه ل ت) ، أي (فالات) (فيا الآت) أي في حالة التأنيث . وتقابل (السلات) ، وهي صنم مؤنث معروف ذكر كذلك في القرآن الكريم ^٢ .

ويظن بعض المستشرقين أن (الله) هو اسم صنم كان بمكة ، أو أنه (إله) أهل مكة ، بدليل ما يفهم من القرآن الكريم في مخاطبته ومجادلته أهل مكة من أقرارهم بأن الله هو خالق هذا الكون ^٣ .

وترد في العربية كلمة أخرى من الكلمات المختصة بالخالق ، هي (رب) وجمعها (أرباب) . وهي من الكلمات العربية الجاهلية المذكورة بكثرة في القرآن الكريم ، ولها معنى خاص في اللاهوت وفي الأدب العربي النصراني . وتقابل كلمة Lord في الانكليزية . وكلمة (بعل) ، و (ادون) في اللغات السامية الأخرى ^٤ . ويذكر علماء اللغة أن (الرب) هو الله ، هو ربّ كل شيء ، أي مالكه . وله الربوبية على جميع الخلق ، لا شريك له ، وهو ربّ الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك ، ولا يقال الربّ في غير الله ، إلا بالإضافة .

وقد قال الجاهليون : (الرب) للملك . قال الحارث بن حلزة :

وهو الربّ ، والشهيد على يو م الحيارين ، والبلاء بلاء

ويظهر أن لفظة (الرب) و (رب) كانت بمعنى (سيد) ومالك عند

-
- ١ الطبري : تفسير (٤٠/١) ، اللسان (٣٥٨/١٧) ، الكنز (ص ٨) ، تفسير الرازي (٨٤/١) وما بعدها ، البيضاوي (٤/١) طبعة (Fleisher) المفردات ، للأصفهاني (ص ١٩ وما بعدها) . • Ency., II, p. 464.
 - ٢ Ency. Religi., Vol. 6, p. 248.
 - ٣ Ency. Religi., Vol. 6, p. 248.
 - ٤ Ency. Religi., Vol. 6, p. 248, Ency., III, p. 1088.
 - ٥ اللسان (٣٩٩/١) ، (ديب) •

الجاهليين ، ولم تكن تعني العلمية عندهم . أي ألوهية خاصة بالله ، وهي تؤدي معنى (بعل) عندهم أيضاً . فكانوا يطلقونها على الإله والآلهة وعلى الإنسان باعتباره سيّداً ومالكاً . أما هذا التخصص الذي يذكره علماء اللغة ، فقد حدث في الإسلام من الاستعمال الوارد في القرآن الكريم .

و (ربّ البيت) ، الله ، وكذلك : (رب هذا البيت)^١ . و (رب الدار) ، أي مالكيها ، وكل من ملك شيئاً ، فهو ربّه . وبهذا المعنى (هو رب الأرباب) . أما (الربة) ، فعنوا بها الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف . وكان لهم بيت يسمونه (الربة) و (بيت الربة) ، يضاهي (بيت الله) بمكة . فلما أسلموا هدمه (المغيرة) . و (الربة) : كعبة كانت بنجران ، لمذبح وبني الحارث بن كعب يعظمها الناس^٢ .

وأما (بعل) ، فعناها مالك وصاحب ورب في اللهجات السامية . فترد بعل الموضع الفلاني ، أي صاحب ذلك الموضع وربه . ومؤنث الكلمة هو (بعلت) . وترد كلمة (بعل) بمعنى زوج في العربية ، وقد وردت بهذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم^٣ ، وأما الزوجة ، فهي (بعلت) (بعلّة) أي في حالة التأنيث^٤ .

ولما كانت لفظة بعل تعني الرب والصاحب ، صار اسم الموضع يرد بعد (بعل) ، فيقال : (بعل صور) ، و (بعل لبنان) ، و (بعل غمدان) ، أي رب المواضع المذكورة وصاحبها وسيدها . أما إذا وردت اللفظة مستقلة دون ذكر اسم الموضع المنسوب إليها بعدها ، فتعني عندئذ رب وإله، أي رب الجماعة المتعبدة المؤمنة به^٥ .

وقد ورد في القرآن الكريم في صدد الكلام عن إلياس Elijah « وانّ إلياسَ كمينَ المرسلين . إذ قال لقومه : ألا تتقون ؟ أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين »^٦ . وقد ذهب الطبري في تفسير (بعل) في هذه الآية الى أن بعلاً

-
- ١ (فليعبدوا رب هذا البيت) ، فريش ، الآية ٣ .
 - ٢ اللسان (١ / ٣٩٩ وما بعدها) ، (ربب)^{*}
 - ٣ البقرة : الآية ٢٢٨ ، هود : الآية ٧٥ ، النور ، الآية ٣١ .
 - ٤ Ency., I, p. 610, Robertson, p. 94.
 - ٥ Robertson, p. 94.
 - ٦ الصافات ، الآية ١٢٢ وما بعدها .

تعني رباً في لغة أهل اليمن ، او ان المراد ببعل صنم^١ .

ومن رأي (روبرتسن سميث) Robertson Smith أن العرب اقتبسوا المعنى الديني لبعل من الأقوام السامية المجاورة لهم مثل سكان (طور سيناء) أو موضع آخر ، أخذوه من تلك الأقوام التي عرفت باشتغالها بالزراعة ، ولا سيما زراعة النخيل ، وان هذا المعنى دخل اليهم بدخول زراعة النخيل الى بلاد العرب ، وأنه استعمل عند العرب المزارعين . أما البدو والرعاة ، فإنهم لم يستخدموا تلك اللفظة بالمعنى المذكور^٢ . وهو رأي يخالف رأي بعض المستشرقين من أمثال (نولدكه) Nöldeke و (وهوزن) Wellhausen الذين يرون أن عبادة (بعل) هي عبادة سامية قديمة كانت معروفة عند قدماء العرب منذ أقدم العهود^٣ .

ويرى بعض المستشرقين ان لفظ (بعل) أطلقت خاصة على الأرض التي لا تعتمد في زراعتها على الأمطار أو على وسائل الري الفنية، بل على المياه الجوفية وعلى الرطوبة في التربة ، فينبت فيها خير أنواع النخيل والأشجار ، فهي تمثل الخصب والنماء . والظاهر ان الساميين كانوا يخصصون أرضهم بالآلهة، لتمنّ عليهم بالبركة واليمن ، فتكون في حى ذلك الإله (بعل الموضع الفلاني) . ومن هنا صارت جملة (بعل سميم) (بعل سمن) (بعل سمين) تعني (رب السماء) ، ويعني بذلك المطر الذي هو أهم واسطة من وسائل الإسقاء والخصب والنماء في جزيرة العرب وفي البلاد التي يسكنها الساميون^٤ . ورأى مستشرقون آخرون ان جملة (أرض بعل) تعني الأرض التي تسقى بالأمطار^٥ .

وذكر العلماء أن لفظ (الال) بمعنى الربوبية ، واسم الله تعالى . وأن كل اسم آخره (ال) أو (ايل) فضاف الى الله تعالى ، ومنه (جبرائيل) و (ميكايل) . وذكر أن (أبا بكر) لما سمع سجع (مسيلمة) ، قال : هذا كلام لم يخرج من ال ولا بر ، أي لم يصدر عن ربوبية^٦ . وقد ذهب

١ تفسير الطبري (٢٣ / ٥٣) ، Ency., I, p. 610.

٢ Robertson, p. 97.

٣ Nöldeke, in ZDMG., Bd. 40, 1886, S. 174, Reste, S. 146, Handbuch, I, S. 240.

٤ Robertson, p. 97, Ency. Religi., I, p. 664.

٥ Reste, S. 146.

٦ تاج العروس (٢١١ / ٧) وما بعدها ، (آل) .

بعض علماء اللغة الى أن اللفظة (ايل) من المعربات . عربت عن العبرانية، وهي فيها اسم الله^١ . وهي من الألفاظ العامة التي ترد في اللغات السامية ، ولا يعرف معناها على وجه مضبوط ، ويظن أنها بمعنى (القادر) و (العزيز) والقهار ، والقوي ، والحاكم . وترد في الشعر وفي أسماء الأعلام في الغالب . وقلما نجدها ترد في النثر^٢ .

وقد وردت في نصوص المستد وفي نصوص أخرى ألفاظ كثيرة مثل (ود) و (سمع) أي (سميع) و (حكم) أي (حكيم) ، و (حلم) أي (حلیم) و (علم) أي (عالم) و (عليم) ، و (رحم) أي (رحيم) ، و (رحمن) أي (الرحمن) ، وأمثال ذلك . ذكرت على صورة أسماء آلهة . لكنها في الواقع صفاتها لا أسماؤها . ذكرت في مقام ذكر أسماء الآلهة ، كما يقول المسلم في دعائه ربه يا سميع يا حكيم يا رحيم . وهي صفات وردت في القرآن الكريم .

وعلى من يريد الوقوف على رأي الجاهليين في طبائع آلهتهم وفي تعيين صفاتها، حصر هذه الصفات وضبطها ، وتعيين مدلولها ، وهي صفات تدل على معانٍ خلقية مجردة . وستمكن بذلك من الوقوف على نظرة الجاهليين الى آلهتهم ، ومن تعيين وتثبيت عددها إذ سيظهر لنا من هذه الدراسة ان أكثر تلك الأسماء ليست أسماء آلهة ، وانما هي صفات لها ، وان الكلمات التي لا يشك في كونها أسماء صحيحة قليلة جداً ، ربما لا يتجاوز عددها الثلاثة ، هي الثلاث . ومن يدري ؟ فقد تكون في النتيجة اسماً لإله واحد ، وعندئذ يمكن أن نتوصل الى نتيجة علمية بالقياس الى عقيدة الشرك أو التوحيد عند العرب الجاهليين .

ويجد الانسان اليوم سداجة مضحكة في بعض العقائد الدينية التي كانت عند الشعوب القديمة ، ويستصعب تصور اعتقاد الناس بها ، وهو ينسى أن هذه العقائد أو بعضها على الأقل ، لا تزال معروفة بين بعض قبائل افريقية وأستراليا، وأماكن أخرى من العالم ، وان العقل الانساني في تطور مستمر ، وان هناك بشراً يؤمنون بعقائد ورثوها عن آبائهم لا تقل غرابة عن غرابة بعض المعتقدات التي نواخذ

١ . تاج العروس (٢١٨/٧) ، (ايل) .
٢ . Hastings p. 299 «God».

بها قدماء البشر ، مع أنهم من الشعوب المتقدمة في الحضارة وفي المدنية ، ومن القرن السدي نفتخر بتسميته بقرن العقوق على الأم ، والهروب منها الى بيوت أخرى ، تكون بعيدة عنها ، ساجحة في هذا الفضاء .

وقد يصعب على الانسان اليوم تصور وجود فائدة أو ضرر من أشياء جامدة لا يمكن قطعاً أن تضر أو تنفع ، ولكن القدماء تصوروه مع ذلك واعتقدوه . فقدسوا الأحجار والأشجار والحيوانات ، وقدسوا الأرواح والأموات من الآباء والأجداد والقديسين ، وتعبّدوا لها . ولهذه العبادات أسماء علمية خاصة اصطلاح على تسميتها العلماء .

والدين هو إيمان وعمل : إيمان بوجود قوى هي فوق طاقة البشر ، لها تأثير في حياته وفي مقدراته ؛ وعمل في أداء طقوس معينة تعين شكلها الأديان للتقرب إلى الآلهة ولاسترضائها . والإيمان هو قبل العمل بالطبع ، فلا بد للقيام بالشعائر ، أو بأداء العمل ، من وجود إيمان عند الشخص أو الأشخاص بوجود إله أو آلهة . حتى يقوم بعمل ديني^١ . فالعمل تابع للإيمان ، ونتيجة من نتائجه ، وهو شعاره ومظهره . وهو أبرز عند الأقوام البدائية من الإيمان لدرجة عقليتها ومجال تفكيرها الضيق . ومن العمل : الرقص ، والأفراح الدينية ، والسحر ، والقراين ، والحج ، والصلوات^٢ .

وقد أقر الاسلام أشياء من أمور الدين كان يمارسها الجاهليون في جاهليتهم ، لأنها لا تتعارض مع مبادئ الإسلام . ودراسة أمثال هذه الأشياء توضح لنا نواحي خافية علينا في الزمن الحاضر من الحياة الدينية عند الجاهليين ، لذلك أرى من الضروري تتبع هذه الأشياء لتدوين تأريخ صحيح للدين عند الجاهليين . وأرى من الضروري كذلك تتبع الأساطير والعادات الموروثة التي لها صلة وعلاقة بالدين الجاهلي بين الأعراب والحضر في كل أصقاع جزيرة العرب ، ولا سيما القرى العربية النائية عن العمران المنعزلة عن الأعاجم ، فإن معظم هذه الأساطير والتقاليد هي من بقايا الوثنية العربية القديمة ، بقيت جذورها ثابتة راسخة في الأفئدة حتى اليوم .

١ The Golden Bough, p. 50, Abridged Edition.

٢ Ency. Brita., Vol. 19, p. 108.

ولا بد أيضاً لدراسة الدين عند الجاهليين دراسة صحيحة من الرجوع الى أصول الأشياء ، وأعني بأصول الأشياء هنا ديانة الساميين الأولى بشكلها البدائي القديم . فمن تلك الشجرة تفرعت أديان الشعوب السامية ، وفي ذلك الدين نجد الأصول والأسس التي بنيت عليها الديانات الفروع .

أما كيف نتمكن من الرجوع الى الأصل ومن معرفة ديانة الساميين القديمة ، فموضوع ليس بالسهل اليسير ، ونحن ، وإن كنا نملك بعض المؤلفات والبحوث عن أديان الساميين ، لا نستطيع أن نجرؤ فنقول إن البحث قد نضج فيه ، وإن القوم قد استوفوه من أطرافه وأكملوه ، بل إن كثيراً مما تطرق اليه العلماء هو موضع جدل واختلاف ، ولن يمكن التوصل الى نتائج مقبولة معقولة إلا إذا تمكن الباحثون من الحصول على وثائق جديدة تكشف النقاب عن أديان قدماء الساميين.

وللتوصل الى تكوين رأي عن أديان الساميين القديمة لا بد من دراسة النصوص الدينية السامية كلها ، ودراسة كل ما له صلة بالدين عند الساميين ، ومقارنة الأديان السامية بعضها ببعض ومراجعة الأصول اللغوية للمصطلحات الدينية عند جميع الشعوب السامية للتوصل منها الى الأسس العميقة المدفونة التي أقيم عليها بنيان ديانة الساميين . ثم لا بد أيضاً من دراسة المؤثرات الخارجية التي أثرت في الساميين من عوامل طبيعية ومن عوامل أخرى غير طبيعية ومن الأثر الثقافي الذي كان لغير الساميين في الساميين .

ويتبين من دراسة الأساطير السامية وجود شكل من أشكال التوحيد *Henoteism* عند القبائل السامية البدائية ؛ يمثل في اعتقاد القبيلة بوجود إله لها واحد أعلى ، غير أن هذا لا يعني نفي اعتقادها بتعدد الآلهة . فإننا نرى أن تلك القبائل كانت تعتقد ، في الوقت نفسه ، بالأرواح كأنها كائنات حية ذات أثر وسلطان في مصير هذا الكون ، وفي ضمنه الإنسان ، وبآلهة مساعدة للإله الكبير^١ .

والديانات السامية ، وإن كانت في الأصل من ديانة قديمة ، قد تطورت وتغيرت بعوامل عديدة من العوامل التي تؤثر في كل المجتمعات البشرية فتحدث فيها انقلاباً في التفكير وفي طراز الحياة . ومن هذه العوامل المؤثرات الخارجية والمحيط الجديد . وسنجد أن ديانة العرب الجنوبيين ، وإن كانت في الأصل من تلك الديانة السامية

Ency. Religi., II, p. 283.

الأصلية فيها مثل (ال) (ايل) وأمثال ذلك ، قد غيرت في ديانتها، وبدلت في تصوراتها للآلهة ، حتى صارت في بعض معتقداتها على نقيض مع معتقدات الساميين الشاهليين .

وفي الدين معبود يعبد هو الله ، أو جملة آلهة ، أو قوى خارقة تلعب في مقدرات الانسان.وعبدة يتعبدون له أو لها . فهم عباده أو عبادها . و (العبادة) الطاعة ، وأداء الواجبات المفروضة على الانسان تجاه الله^١ ، أو الآلهة .

والرأي المعروف بين الناس حتى الطبقة المتعلمة منهم ، أن العرب الجاهليين كانوا على جانب عظيم من الانحطاط الديني قبل الاسلام ، وأن تفكيرهم في ذلك تفكير منحط لا يتجاوز تفكير القبائل البدائية . وهو رأي خاطيء ، يفنده القرآن الكريم . وإذا كان ما يقوله صحيحاً بالقياس الى السواد والأعراب ، فإنه لا يصح أن يكون حكماً عاماً على الكل ، ولا سيما على المتحضرين وعلى من كان لهم اتصال بالعالم الخارجي .

وتأريخ أديان العرب قبل الإسلام ، فصل مهم جداً من فصول تأريخ العرب عامة قبل الاسلام وبعدها ، بدونها لا يمكن فهم عقلية القوم الذين نزل الوحي بينهم وطريقة معرفة تفكيرهم ووجهة نظرهم الى الخالق والكون ثم الأسباب التي دعت الى نزول الوحي وظهور الإسلام . وبدون دراسة أديان الجاهليين ومقالاتهم في الخالق والخلق ، لا نتمكن أبداً من فهم رسالة الإسلام فهماً صحيحاً . بل ان هذه الدراسة أيضاً فصل مهم جداً لفهم كثير من الأمور الواردة في التوراة والانجيل إذ كان العرب قوماً من هذه الأقوام التي كانت لها صلات قديمة بأرض الوحي التي نزل بها الكتاب المقدس بعهديه ، وعضو فعال في هذه المجموعة المسماة بالشعوب السامية . ما نعتز عليه من جديد في الناحية الدينية،يكشف عن غوامض عديدة من غوامض العهدين،فجدير بالعلماء وبنا إذن الانصراف الى البحث والاستقصاء للعثور على المصطلحات المفقودة من هذا الفعل .

وسنرى في الفصول القادمة أسماء رجال كان لهم شأن وخطر في الحياة الدينية للجاهليين ، وقد زعم أهل الأخبار ان بعضاً منهم كان من الأنبياء الذين جاءوا الى قومهم برسالة . وان بعضاً آخر ، كان من المصلحين الهادين ، من أصحاب

١ تاج العروس (٢/٤١٠ وما بعدها) .

العقول النيرة التي هزأت بالأوثان وبدبانات قومهم . وان رجالاً منهم كانوا على الحنيفية ، يريدون بها ديانة التوحيد ، وان آخرين بشرّوا بالوثنية، وأشاعوها بين العرب ، لما كان لهم من مكانة ونفوذ . وان رجالاً من الجاهليين كانوا على ملة اليهودية ودين المسيح . وان قوماً من أهل الجاهلية كانوا على عبادة (الله) و (الرحمان) ، وكل المذكورين كانوا ممن مهد الجادة اذن لظهور الاسلام .

وقد أدى ظهور الاسلام الى ظهور مصطلحات جديدة وموت مصطلحات قديمة، وصارت هذه المصطلحات من علائم الوثنية . ولا بد لنا للوقوف على صورة أوضح للحياة الدينية عند الجاهليين من وجوب دراسة الألفاظ الجاهلية ذات المعاني الدينية نجتمعها وتبويبها وتثبيت معانيها ، فبهذه الدراسة نستطيع الوقوف على مبلغ تغلغل الحياة الدينية في نفوس الجاهليين ، ومعرفة مدى تعمقهم في الدين وفهمهم له . ومن الدراسات التي يجب أن تنال منا الرعاية والعناية لمعرفة الحياة الدينية وتطورها عند الجاهليين معرفة صحيحة ، دراسة المصطلحات الدينية بحسب اللهجات العربية، وأماكن تلك اللهجات ، وأسماء الأصنام أو الأوثان ، ومعتقدات سكان تلك الأرضين في هذه الأيام ، فإن دراسة مثل هذه تفيدنا فائدة كبيرة في معرفة أسس الحياة الدينية عند الجاهليين ، وفي معرفة اختلاف العرب أو اتفاقهم في العقائد وفي الأمور الدينية ، ومعرفة العوامل والأسباب التي أدت الى ذلك ، ثم معرفة المؤثرات الخارجية في الحياة الدينية للجاهليين . وبثبيت هذه وأمثالها وبمقارنتها بأسماء أصنام الأقوام المجاورة وآلهتهم ومصطلحاتهم ، نستطيع فهم كثير من الأمور الغامضة من الحياة الدينية عند العرب وعند تلك الأقوام ، وفهم الاحتكاك العقلي والصلات الروحية التي كانت بين تلك الشعوب قبل الاسلام .

إن الأخباريين عفا الله عنهم ، لم يعنوا بتنسيق هذا الذي توصلوا اليه ورووه لنا من آراء الجاهليين في الدين . فرووا روايات مختلفة متناقضة أو مقتضبة اقتضاباً بخلاً وجاءوا بأمر ثبت ان أولئك الأخباريين لم يكونوا على مستوى عالٍ من النقد والتعمق في دراسة الأخبار ، وانهم كانوا يروون أخبارهم بالمعنى المفهوم من الأخبار ، يأخذون ما يقال لهم فيروونه على نحو ما سمعوه وإن كان فيما يروونه ما يخالف المنطق والفقه السليم . والاستسلام للروايات داء يذهب بالفائدة منها ، ويعود على المؤرخ بأفدح الأضرار . ولهذا نجد أنفسنا في موضوع أديان العرب

قبل الاسلام في زوبعة عاتية وعاصفة مليئة بالرمال نتخبط فيها للحصول على
مخرج نخرج منه ، وليس لنا إلا الأمل بالخروج من هذه العاصفة العاتية المتعبة في
وقت ما .

وهذا الذي أورده أهل الأخبار عن أهل الجاهلية على ما فيه من تناقض وتضارب
واقتراب ، هو كما رأينا مادتنا الوحيدة عن الحياة الدينية عند عرب الجاهلية قبيل
الاسلام وعند ظهوره ، ولا سيما بالنسبة الى عرب الحجاز وعرب الشام والعراق .
وهناك روايات لم نستفد منها حتى الآن ، لصعوبة التوصل اليها ، لا لكونها في
بطون المخطوطات ، ولهذا يصعب الحصول عليها . فإن الكثير منها قد طبع ،
وهو في متناول الأيدي ، إنما صعوبتها في كونها في كتب مطبوعة طبعاً على
الطريقة القديمة بلا نظام ولا ترتيب ولا تبويب فني ولا فهرست لما في الكتاب
المطبوع من مواد ومن أسماء أشخاص أو أصنام أو أوثان أو ما شابه ذلك . وليس
أمام المؤرخ في هذه الحالة إلا أن يقرأ تلك الكتب من بسماتها حتى منتهاها ،
ليحصل منها في النهاية على كلمة أو كلمتين أو خبر أو أخبار ، ولكن كيف
يتمكن المؤرخ من قراءة كتب ضخمة كتفسير الطبري وكتب التفسير الأخرى
وشروح الحديث وكتب التواريخ والطبقات وبقية الكتب إذا كان الكتاب يتألف
من أكثر من عشرة أجزاء ، وهي كلها بلا فهرست للأعلام ولا لما في الكتاب
من فوائد ومواد . لا يتمكن المؤرخ بالطبع من قراءة كل هذه الموارد المذكورة
مع تساوي عمره بسائر أعمار الناس ، ولو مد الله في عمره وصيّرهُ إنساناً آخر
ذا عمر طويل من أعمار الأناس الذين أرخهم (السجستاني) في كتاب المعمرين ،
لتمكن من الإحاطة ببعض تلك الموارد على الأقل . غير أن عمر المؤرخ ويا للأسف
مثل أعمار سائر الناس ، قصير محدود ، فليس في إمكانه الإحاطة بما ورد في
هذه الكتب الواسعة المجهولة ، على ظهورها في عالم الوجود ووجودها في خزانة
كتب المؤرخ وفي يد أي شخص يريد الحصول عليها ، لأن الموضوع ليس موضوع
وجود كاتب مطبوع أو مخطوط ، إنما هو اكتشاف ما في المطبوع أو المخطوط
من آراء وأخبار وأعلام .

ما دام الوضع على هذا الحال وما دامت أكثر كتبنا غير مفهرسة ولا منسقة ،
فليس في استطاعة المؤرخ أن يأتي بشيء كثير يشفي غليل من يريد المزيد من

المعرفة عن الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام . وهذا أمر يؤسف له بالطبع كثيراً . وسيأتي بعدنا من يضيفون الى هذا العلم البسيط الذي توصلنا اليه علماً كثيراً ، ثم يتوصل من بعدهم الى أكثر من ذلك ولا شك . ومن يدري ؟ فلعلهم يتوصلون الى كتابات جاهلية تغنيهم عن كل هذا الذي أخذناه من موارد إسلامية كتبت بعد الجاهلية بعشرات السنين . وليس لنا ، وسنكون بالطبع من الماضين ، إلا أن ندعو لمن يأتي بعدنا بالتوفيق والنجاح التام .

الفصل الثاني والستون

التوحيد والشرك

كانت العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب : كان منهم من آمن بالله ، وآمن بالتوحيد ، وكان منهم من آمن بالله ، وتعبد للأصنام ، اذ زعموا أنها تقربهم اليه . وكان منهم من تعبد للأصنام ، زاعمين أنها تنفع وتضر ، وأنها هي الصارة النافعة^١ . وكان منهم من دان باليهودية والنصرانية ، ومنهم من دان بالمجوسية ، ومنهم من توقف ، فلم يعتقد بشيء ، ومنهم من تزندق ، ومنهم من آمن بتحكم الآلهة في الانسان في هذه الحياة ، وبيطلان كل شيء بعد الموت ، فلا حساب ولا نشر ولا كتاب ، ولا كل شيء مما جاء في الإسلام عن يوم الدين .

ومذهب أهل الأخبار ، أن العرب كانوا على دين واحد ، هو دين ابراهيم ، دين الخنيفية ودين التوحيد . الدين الذي بعث بأمر الله من جديد ، فتجسد وتمثل في الاسلام . وكان العرب مثل غيرهم ، قد ضلوا الطريق ، وعموا عن الحق ، وغووا بعبادتهم الأصنام . حبيبها لهم الشيطان ، ومن اتبع هواه من العرب ، وعلى رأسهم ناشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب : (عمرو بن لحي) .

وذهب (رينان) Renan الى ان العرب هم مثل سائر الساميين الآخرين

١ أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله النجيري الكاتب ، أيمان العرب في الجاهلية ، (تحقيق محب الدين الخطيب) ، (القاهرة ١٣٨٢) « ص ١٢ وما بعدها » .

موحدون بطبعهم ، وان ديانتهم هي من ديانات التوحيد . وهو رأي يخالفه فيه نفر من المستشرقين^١ .

وقد أقام (رينان) نظريته هذه في ظهور عقيدة التوحيد عند الساميين من دراسته للآلهة التي تعبد لها الساميون ، ومن وجود أصل كلمة (ال) (ايل) في لهجاتهم ، فادعى ان الشعوب السامية كانت تعبد لإله واحد هو (ال) (ايل) الذي تحرف اسمه بين هذه اللهجات ، فدعي بأسماء أبعدته عن الأصل ، غير ان أصلها كلها هو إله واحد ، هو الإله (ال) (ايل)^٢ .

و (التوحيد) الايمان بإله واحد أحد لا شريك له ، منفرد بذاته في عدم المثل والنظير . لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام^٣. ويقال للديانة التي تدين بالتوحيد : Monotheism في اللغات الأوروبية، من أصل يوناني هو Monos ، بمعنى (واحد) ، و Theos بمعنى (إله) ، لأنها تقول بوجود إله واحد^٤ . ويتمثل القول في التوحيد في اليهودية وفي الاسلام .

والشرك في تفسير العلماء الاسلاميين ، ان يجعل لله شريكاً في ربوبيته، غير الله مع عبادته ، والايمان بالله وبغيره ، فصاروا بذلك مشركين^٥ . ومن الشرك ان تعدل بالله غيره ، فتجعله شريكاً له . ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو مشرك ، لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا نديد^٦ . ويقال له Polytheismus = Polytheism في اللغات الأوروبية . من أصل يوناني هو Polys ، ومعناها كثرة وتعداد ، و Theos بمعنى (إله) . فيكون المعنى : القول بتعدد الآلهة ، أي الشرك . نقيض القول بالتوحيد Monotheismus . فالشرك هو الدين المعاكس لدين التوحيد . ويختلف عن عقيدة الـ Polydoemonism القائلة بوجود الأرواح والجن من حيث الطبيعة Nature ، وبوجود أثر لها في حياة الانسان، كما يختلف

Ency. Religi., Vol. II, p. 383

E. Renan, Histoire Générale et Système comparé des Langues Sémitiques,

Paris, 1855, Vol. I, Chapt I, p. 1. ff.

١ تاج العروس (٥٢٦/٢) ، (وحد) .

٢ Ency. Religi., 10, p. 112.

٣ تاج العروس (١٤٨/٧) ، (شرك) .

٤ اللسان (٤٤٩/١٠) وما بعدها ، (شرك) .

عن القائلين بمبدأ (الحلول) Pantheism من حيث حلول الإله في الخلق والخلق في الإله^١.

وقد ذهب أهل الأخبار الى أن العرب الأولى كانت على ملة إبراهيم ، من الإيمان بإله واحد أحد ، اعتقدت به ، وحجّت الى بيته ، وعظمت حرمة ، وحرمة الأشهر الحرم ، بقيت على ذلك ، ثم سلخ بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وابتعدوا عن دين آبائهم وأجدادهم ، حتى أعادهم الإسلام اليه^٢.

ونظرية أن العرب جميعاً كانوا في الأصل موحدين ، ثم حادوا بعد ذلك عن التوحيد فعبدوا الأوثان وأشركوا ، نظرية يقول بها اليوم بعض العلماء مثل (ويليم شميد) Wilhelm Schmidt الذي درس أحوال القبائل البدائية وأنواع معتقداتها ، فرأى ان عقائد هذه القبائل البدائية الوثنية ترجع بعد تحليلها وتشرحها ودرسها الى عقيدة أساسية قائمة على الاعتقاد بوجود (القديم الكل) أو (الأب الأكبر) الذي هو في نظرها العلة والأساس . فهو إله واحد . وتوصل الى أن هذه العقيدة هي عقيدة سبقت التوحيد ، ثم ظهر من بعدها الشرك . وقد أطلق عليها في الألمانية مصطلح Urmonotheismus أي التوحيد القديم^٣.

ويأخذ بهذه النظرية علماء اللاهوت وبعض الفلاسفة ، وفي الكتب السماوية تأييد لها أيضاً . فالشرك وعبادة الأصنام بحسب هذه النظرية ، نكوص عن التوحيد ، ساق اليه الانحطاط الذي طرأ على عقائد الانسان فأبعده عن عبادة الله^٤.

اننا لا نستطيع ان نتحدث عن عقيدة التوحيد عند العرب قبل الاسلام استناداً الى ما لدينا من كتابات جاهلية ، لعدم ورود شيء عن ذلك . فالنصوص التي وصلت إلينا ، هي نصوص فيها أسماء أصنام ، وليس فيها ما يفهم منه شيء عن التوحيد عند العرب قبل الميلاد وبعده ، إلا ما ورد في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة من عبادة الإله (ذ سموى) (ذو سموى) ، أي صاحب السماء ، بمعنى إله السماء . وهي عبادة ظهرت متأخرة في اليمن بتأثير اليهودية والنصرانية

Ency. Religi., Vol. 10, p. 112.

النجرمي ، إيمان العرب (١٢ وما بعدها) ، الأصنام (ص ٦) .

Schmidt, S. 637, W. Schmidt, Der Ursprung der Gottesidee, 4 ed., 1912.

Ency. Religi., Vol. 7, p. 113.

التي دخلتا اليمن ووجدتا لها أتباعاً هناك ، بل حتى هذه العبادة لا نستطيع أن نتحدث عنها حديثاً يقينياً ، فنقول انها عبادة توحيد خالص تعتقد بوجود إله واحد على نحو ما يفهمه أهل القول بالتوحيد .

وقد ذكرت جملة (ذسموى) في نص مع الإله (تالب ريمم) (تالب ريام) ، رب قبيلة (همدان) . ويدل ذكر اسم هذا الإله مع اسم إله آخر على ان عقيدة التوحيد لم تكن قد تركزت بعد ، وانها كانت في بدء تكوينها ، فلما اختمرت في رؤوس القوم ، ذكرت وحدها في النصوص المتأخرة ، دون ذكر أسماء الأصنام الأخرى ، مما يشير الى حدوث هذا التطور في العقائد ، والى ظهور عقيدة التوحيد والايان بإله السماء عند جماعة من العرب الجنوبيين . وقد أكملت هذه العقيدة بأن صار إله السماء رب السماء والأرض^١ .

ولم يكن (ذسموى) ، (ذسمى اله) ، (ذو السماء إله) أي (صاحب السماء) ، أو (إله السماء) ، أو (رب السماء) ، إله جماعة معينة أو إله قبيلة مخصوصة ، بل هو إله ولدته عقيدة جديدة ظهرت في اليمن بعد الميلاد على ما يظن تدعو الى عبادة إله واحد هو (رب السماء) ، فهو إله واحد مقره السماء . ويرى بعض المستشرقين أن هذه العقيدة هي نتيجة اتصال أهل اليمن باليهودية والنصرانية على أثر دخولها العربية الجنوبية، فظهرت جماعة تأثرت بالديانين تدعو الى عبادة إله واحد هو (رب السماء)^٢ .

وأما عبادة (الرحمن) (رحمن) ، فهي عبادة توحيد ، ظهرت من جزيرة العرب فيما بعد الميلاد . وقد وردت كلمة (رحمن) ، أي (الرحمن) ، في نص يهودي كذلك وفي كتابات (ابرهة) ، وردت في نصوص عربية جنوبية أخرى وفي نصوص عثر عليها في أعالي الحجاز^٣ . وقد كان أهل مكة على علم بالرحمن ، ولا شك ، باتصافهم باليمن وباليهود . ولعلمهم استخدموا الكلمة في

Handbuch, I, S. 102. ١

Handbuch, I, S. 104, Rivista, 1955, Fax, I, II, p. 109, ٢

Le Muséon, 1954, tome LXVII, p. 118.

Glaser 554, 406 = 410, Halevy 63, CIH, Pars 4, Tomus, I, Capt. I, No. 6, ٣

p. 15 - 9, II, 537 - 543, p. 257 - 300, CIH, 6, 45, 537, 538,

539, 541, 542, 543, MM, Altsüd., 19, Rep. Epig., 3904,

4069, 4109, Stambul, 7608, Asmara, I, Le Muséon, LII, p. 51.

معنى الله . وإن ذكر علماء اللغة أو علماء التفسير أن اللفظة لم تكن معروفة عند أهل مكة في الجاهلية ^١ .

وقد جاء في النص اليهودي المذكور : (الرحمن الذي في السماء واسرائيل وإله اسرائيل رب يهود) . وقد حمل هذا النص بعض الباحثين على القول بأن العرب الجنوبيين قد أخذوا هذه الكلمة وفكرتهم عن الله من اليهودية، وإن فكرة التوحيد هذه إنما ظهرت بتأثير اليهودية التي دخلت الى اليمن . غير أن من الباحثين من رأى خلاف هذا الرأي . رأى أن افتتاح النص بذكر الرحمن ، ثم اشارته بعد ذلك الى إله يهود ، وورود كلمة (الرحمن) في نص آخر يعود الى سنة (٤٦٨) للميلاد^٢ . كتبه صاحبه شكراً للرحمن الذي ساعده في بناء بيته : كل هذه وأسباب أخرى ، تناقض رأي القائلين بأن عقيدة الرحمن عقيدة اقتبست من اليهود^٣ .

^٤ وقد ذكر بعض علماء اللغة أن (الرحمن) اسم من أسماء الله مذكور في الكتب الأولى ، وأن اللفظة عبرانية الأصل ، وأما (الرحيم) فعربية . وذكروا أن (الرحمن) اسم مخصص بالله ، لا يجوز أن يسمى به غيره^٤ . وقد أنشدوا للشنفرى أو لبعض الجاهلية الجهلاء :

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها^٥

فيظهر من هذا البيت أن الشاعر كان يدين بعبادة الرحمن . ونجد مثل هذه العقيدة في قول سلامة بن جندل الطهوي :

^١ Handbuch, I, S. 248, Halevy, Revue des Etudes Juives, 1891, Vol. 22, pp. 125 - 129, 281, 23, p. 304, Margollouth, The Relations, p. 67.

^٢ CIS, 7.

^٣ Margollouth, The Relation between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam, p. 67.

^٤ تاج العروس (٣٠٧/٨) ، (رحم) ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١) ، تفسير الطبري (٤٤/١) ، تفسير ابن كثير (٢١/١) .

^٥ تفسير الطبري (٤٤/١) ، وورد :

لقد لظمت تلك الفتاة هجينها ألا بتر الرحمن ربي يمينها
الاشتقاق (ص ٣٧) .

عجلتم علينا عجلتين عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق^١

فإن ذلك يعني أن قوماً من الجاهليين كانوا يدينون بعبادة (الرحمن) . ومما يؤيد هذا الرأي ما ورد من أن بعض أهل الجاهلية سموا أبناءهم عبد الرحمن ، وذكروا أن (عامر بن عتارة) سمى ابنه (عبد الرحمن)^٢ .
وقد وردت لفظة (الرحمن) في شعر ينسب الى (حاتم الطائي) هو :

كلوا اليوم من رزق الإله وأيسروا وإن على الرحمان رزقكم غداً

وحاتم من المتألهة ، ويعده البعض من النصاري و (الرحمن) نعت من نعوت الله في النصرانية ، من أصل (رحمونو) ، Rahmono^٣ ، فهل عبر شاعرنا بهذه اللفظة عن هذا المعنى النصراني ؟

« وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى ردّ الله عليهم ذلك بقوله : قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى . ولهذا قال كنفّر قریش يوم الحديبية لما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لعلي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . فقالوا : لا نعرف الرحمن ولا الرحيم . رواه البخاري . وفي بعض الروايات : لا نعرف الرحمن إلاّ رحمن الیامة »^٤ .

وذكر أن المشركين سمعوا النبيّ يدعو ربه ، يا ربنا الله ويا ربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فقالوا : هذا يزعم أنه يدعو واحداً ، وهو يدعو مثني مثني . وأن أحدهم سمع الرسول يقول في سجوده : يا رحمن يا رحيم فقال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي كبشة دعا الرحمن الذي بالیامة . وكان بالیامة رجل يقال له الرحمان^٥ .

-
- ١ تفسير الطبري (٤٤/١) ، (سلامة بن جندب الطهوي) ، عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق
 - ٢ تفسير ابن كثير (٢١/١) ، الاشتقاق (ص ٣٧)
 - ٣ غرائب اللغة (١٨٢)
 - ٤ تفسير ابن كثير (٢١/١)
 - ٥ تفسير الطبري (١٢١/١٥) ، سورة الاسراء ، الآية ١١٠ ، روح المعاني (١٧٦/١٥)

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن ذلك الشخص الذي زعموا انه كان يُعرف بـ (رحمان اليامة) . لكنهم ذكروا ان (مسيلمة الكذاب) ، كان يقال له رحمان اليامة^١ . فهل عنوا بـ (رحمان اليامة) مسيلمة نفسه ، أم شخصاً آخر كان يدعو لعبادة (الرحمان) قبله ؟

وورد ان قريشاً قالوا للرسول : « انا قد بلغنا انك انما تعلمك رجل باليامة ، يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبداً » . فنزل فيهم قوله : « كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب »^٢ . وذكر بعض أهل الأخبار : كان مسيلمة بن حبيب الحنفي ، قد تسمى بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، وذلك قبل أن يولد عبدالله أبو رسول الله^٣ .

وورد في بعض أقوال علماء التفسير ان اليهود قالوا : (ما لنا لا نسمع في القرآن اسماً هو في التوراة كثير . يعنون الرحمان ، فنزلت الآية)^٤ .

ويرى المستشرقون ان عبادة (الرحمن) (رحمن) ، انما ظهرت بين الجاهليين بتأثير دخول اليهودية والنصرانية بينهم^٥ .

وقد ذكر (اليعقوبي) أن تلبية (قيس عيلان) ، كانت على هذا النحو : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك أنت الرحمان ، أتتك قيس عيلان ، راجلها والركبان »^٦ وأن تلبية عك والأشعرين ، كانت :

نحج للرحمان بيتاً عجياً مستتراً مغيباً محجياً^٧

وفي التابيتين المذكورتين دلالة على اعتقاد القوم بإله واحد ، هو الرحمان .

-
- ١ اللسان (٢٣١/١٢) ، (رحم) ، تاج العروس (٣٠٧/٨) ، (رحم) .
 - ٢ سورة الرعد ، الآية ٣٠ ، الروض الأنف (٢٠٠/١) ، سيرة ابن هشام (٢٠٠/١) (حاشية على الروض) ، تفسير الطبري (١٠١/١٣) .
 - ٣ الروض الأنف (٢٠٠/١) .
 - ٤ القرطبي ، الجامع (٣٤٣/١٠) .
 - ٥ G. Ryckmans, Inscriptions Sudarabes, X, No. 515, Le Muséon, 66, 1953, p. 314, Ryckmans 330. b., CIH 541, G. Ryckmans, in Le Muséon, 59, 1946, p. 165, A. Jamme, La Religion Sud-Arabe, Preislamique, 275.
 - ٦ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
 - ٧ اليعقوبي (٢٢٦/١) .

ولم ترد لفظة (الرحمان) إلا مفردة ، فليس لها جمع ؛ لأنها تعبير عن توحيد ، وليس في التوحيد تعدد ، فالتعدد شرك . على عكس لفظة (رب) ، التي تؤدي معنى (إله) ، وهي تعبير عن اعتقاد ، لا اسم علم لإله ، ولذلك وردت لفظة (أرباب) بمعنى آلهة تعبيراً عن تعدد الآلهة ، وهو الشرك . وقد كان الجاهليون يقولون : ربّي وربك وربنا وأربابنا ، كما يقولون إلهي وإلهك وآلهتنا^١ .

وقد تكون كلمة (هـ رحم) (هارحيم) ، أي (الرحيم) الواردة في النصوص الصفوية^٢ وفي النصوص السبئية اسم إله^٣ ، وقد تكون صفة من صفات الآلهة على نحو ما تؤديه كلمة (الرحيم) من معنى في الاسلام .

وللعلماء آراء في ظهور عبادة الشرك . ورأي رجال الدين منهم ، ان الناس كانوا أمة واحدة في الدين ، كانوا على التوحيد جميعاً ، ثم ضلّوا فعبدوا جملة آلهة وصاروا مشركين^٤ . أما غيرهم من العلماء الذين يستندون الى الملاحظات ودراسة أحوال القبائل البدائية وعلى فروع العلوم الأخرى المساعدة مثل علم النفس وعلم الاجتماع، فيرون ان عقيدة التوحيد ظهرت متأخرة بالنسبة الى ظهور الوثنية والشرك. ظهرت بعد أن توسعت مدارك الانسان ، فشعر أن ما كان يتصوره من وجود قوى روحانية عليا في الأشياء التي عبدها لم يكن سوى وهم وخداع، وصار يقتصد في الشرك ، الى أن اهتدى الى عبادة إله واحد .

ظهور الشرك :

هناك عدة عوامل دعت الى ظهور الشرك ، أي تعدد الآلهة ، وأثرت في تعدد الآلهة . هناك عوامل طبيعية وعوامل رسيّة Characteristics ، وعوامل

١ هناك ربك ما أعطاك من حسن وحيثمايك أمر صالح فكن

شرح ديوان زهير (١٢٣) *

٢ Handbuch, I, S. 248, Vogue, Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, Paris, 1868 - 1877, p. 142, No. 402, Dussuad, voyage Archéologique au Safa,

Paris, 1901, No. 258, Mission, p. 88, Les Arabes en Syrie, p. 152.

٣ CIS, 4, 2, No. 40, p. 63, Grahmann, S. 246.

٤ Ency. Religi., 10, p. 112.

سياسية وعوامل تأريخية واجتماعية واقتصادية وعوامل أخرى ، كل هذه أثرت في شكل الشرك وفي تعدد الآلهة وفي كيفية تصور الناس لألهتهم . ولا يعني هذا انها أثرت كلها مجتمعة وفي آن واحد ، انما يعني ان ظهور الشرك وشكله هو نتيجة عوامل متعددة وأسباب مختلفة أثرت في ظهوره وفي تكوين صورة الآلهة في نظر المؤمنين بها المتعبدين لها .

وإننا لنجد وجهة نظر الشعوب عن الآلهة أو الإلهة تختلف باختلاف ثقافتها ومستواها الاجتماعي ، وللوضع السياسي دخل كبير في الشرك وفي عدد الآلهة وفي شكل الدين . لقد كان لكل قبيلة إله خاص بتلك القبيلة يحميها من الأعداء ومن المكاره ، ويدافع عنها في الحروب والملمات ، ويعطيها النصر . كما كان للقرى والمدن آلهتها الخاصة بها . فإذا تحالفت القبائل أو القرى أو المدن تحالفت آلهتها معها ، وكوتت حلفاً وصداقه متينة بينها . أما إذا تحاربت هذه القبائل أو القرى أو المدن ، فيكون لهذه الحرب أثر كبير في مستقبل الآلهة وفي عددها . فقد ينصرف المغلوبون عن آلهتهم الى عبادة آلهة أخرى ، لأنها أصبحت ضعيفة لا قدرة لها على الدفاع عن عبدةآتها . وقد يتأثر الغالبون بعبادة المغلوبين الذين خضعوا لهم ، فيضيفون آلهة المغلوبين الى آلهتهم ، فيزيد بذلك عدد الآلهة ، ولا سيما إذا كان المغلوبون أصحاب ثقافة عالية ، وكان لهم ادب وفن .

والعادة أن آلهة القبائل أو المدن الرئيسية تكون هي الآلهة الرئيسية للحلف أو في المملكة . ويكون إله القبيلة ذات النفوذ أو العاصمة عندئذ ، هو إله الحكومة الكبير . أما الآلهة الأخرى ، فتكون دونه في المنزلة ، ولهذا يرد اسمها في الغالب بعد اسم الإله الكبير .

كذلك يجب ألا ننسى عامل الجوار والاتصال الثقافي في ظهور الشرك ، فكثيراً ما يؤدي هذا الاتصال الى اقتباس آلهة المجاورين وإضافتها الى مجموعة الآلهة عند ذلك الشعب ، فيزيد بذلك عدد الآلهة أو ينقص . فقد تطنى الآلهة الجديدة المقتبسة على الآلهة القديمة ، ويقل شأن بعضها فيهم ، ثم يموت اسمها . وقد يحدث ذلك بطريق الحرب أيضاً ، كما ذكرت ، فيتغير العدد بذلك .

ولرجال الدين ولسادات القبائل وللأمراء وللملوك أثر في ظهور الشرك . كان في إمكانهم اقرار مستقبل الآلهة بإضافة آلهة جديدة على الآلهة القديمة ، أو بإبعاد

إله أو آلهة عن عبادة قومهم ، فيزيد أو ينقص بذلك عدد الآلهة . وقد كان سادات القبائل والوجوه يغيرون عبادة أتباعهم بإدخال عبادة إله جديد ، يأخذونه من زيارتهم لبلد غريب ، كأن يكون أحدهم قد أصيب بمرض وهو في ذلك البلد ، فيشار عليه بالتعبد وبالتقرب لإله ذلك البلد أو لأحد آلهته ، فيصادف أن يشفى ، فيظن أنه شفي ببركة ذلك الإله وبقدرته وقوته ، فيتقرب له ويتعبد له ، فإذا أعاد حمل عبادته إلى أتباعه ، فيعبد عندهم . ويضاف على آلهتهم ، ويصير أحدهم وقد يطنى اسمه عليها ، وذلك حسب درجة تعلق سيد القبيلة به ، وحسب درجة ومكانة سيد القبيلة بين الناس . وتأريخ الجاهلية مليء بحوادث تبديل آلهة بسبب تبديل سادات القبائل ووجوه الناس لعقائدهم ولآلهتهم ، فتدخل القبيلة كلها في العبادة الجديدة . وقد كان اسلام قبائل برمتها ، بسبب دخول سيدها في الاسلام ، فالناس تبع لساداتهم ولقاداتهم ، و « الناس على دين ملوكهم » كما هو معروف ومشهور في أقوال العرب .

ومعظم أسماء الآلهة صفات للآلهة لا اسم علم لها ، فودّ ورضى والمقه وذات جيم وأمثالها ، هي صفات في الأصل ، مضى عليها الزمن ، فاستعملت استعمال الأسماء الأعلام . وظن أنها آلهة قائمة بذاتها . فلما جاء الباحثون وجمعوها حسبوها أسماء آلهة ، فزاد بذلك عدد الآلهة ، واعتبرت الأسماء الكثيرة من سياء الإفراط في الشرك . بينما هي صفات لإله ، أو آلهة لا يزيد عددها على ثلاثة ، هي الثالث الكواكبي المقدس الذي تعبدهوا له .

ولا بد لنا من الإشارة إلى اصطلاح أطلقه (ماكس مولر) Max Müller على مرحلة من العبادة هي بين بين ، لا هي توحيد Monotheism ولا هي شرك Polytheism ، بل هي مرحلة تعبد فيها الإنسان على رأى هذا الباحث إلى إله واحد هو إله القبيلة ، مع الاعتقاد بوجود آلهة أخرى^١ . وهذا الاصطلاح هو Henotheismus . وقد رأى (فلايدلر) Pfleider أن الساميين لم يكونوا موحدين بطبعهم كما ذهب (رينان) إلى ذلك ، بل كانوا يدينون بإله قومي ، ومن هذه العقيدة ظهر التوحيد الخالص كما حدث عند الاسرائيليين^٢ .

١ Max Müller, Varlesungen über den Ursprung und die entwicklung der Religion, 1880, Schmidt, S. 261.

٢ Ency. Religi., 10, p. 811, Pfleider, Philosophy of Religion, London, 1885 - 1888, III, p. 19.

وفي القرآن الكريم إشارات الى أنواع من الشرك كان عليه الجاهليون ، وفيه تعريف لمعنى الشرك ، فالشرك في قوله تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون)^١ عبادة الأصنام المصنوعة من الحجارة أو الخشب أو المعادن ، أي مما لا روح له وقابل للكسر^٢ . وفي بعض الآيات أن من أنواع الشرك القول بأن الجن هم شركاء الله^٣ . ومن أنواعه أيضاً القول بأن الملائكة هم شركاء الله وبناته^٤ . وفي آيات أخرى ان من الشرك اتخاذ آلهة أخرى مع الله^٥ . والآلهة هنا شيء عام . فيه تأليه الكواكب وعبادة الأشياء غير المنظورة ، أي غير المادية وعبادة الأصنام .

وفي القرآن الكريم جواب عن فلسفة القوم وتعليلهم لعبادة الأصنام واتخاذهم (أولياء) من دون الله ، إذ يقولون جواباً عن الاعتراض الموجه اليهم في عبادة غير الله : (والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون)^٦ . ويتبين من هذه الآية ومن آيات أخرى ان فريقاً من العرب كانوا يعتقدون بوجود الله ، وانه هو الذي خلق الخلق ، وأن له السيطرة على تصرفات عباده وحركاتهم ، ولكنهم عبدوا الأصنام وغيرها ، واتخذوا الأولياء والشفعاء لتقربهم الى الله زلفى^٧ .

وفي كتاب الله مصطلحات لها علاقة بعبادة الشرك ، منها (شركاء) جمع (شريك) ، وهو من اتخذه المشركون شريكاً مع الله^٨ . و (أنداد) (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)^٩ (وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله . قل : تمتعوا ، فإن مصيركم الى النار)^{١٠} . و (أولياء)

-
- ١ الاعراف ، الآية ١٩١ وما بعدها ، يونس ، الآية ١٨ .
 - ٢ تفسير الجلالين (١٣٩/١) ، « طبعة المطبعة الميمنية » .
 - ٣ الانعام ، الآية ١٠٠ ، الجلالين (١١٦/١) .
 - ٤ سبأ ، الآية ٤٠ وما بعدها .
 - ٥ الانبياء ، الآية ٢٤ .
 - ٦ الزمر ، الآية ٣ ، الجلالين (١٣٣/٢) .
 - ٧ الزمر ، الآية ٣ ، الانعام ، الآية ١٤٨ ، النحل ، الآية ٣٥ .
 - ٨ الانعام ، الآية ١٠٠ ، راجع « فتح الرحمن لطالب آيات القرآن » (ص ٢٣٨) ، حيث تجد المواضع الواردة في القرآن الكريم .
 - ٩ البقرة ، الآية ١٦٥ .
 - ١٠ ابراهيم ، الآية ٣٠ .

و (وليّ) و (ولياً)^١ و (شفعاء) و (شهداء)^٢ . فهذه الكلمات وأمثالها تعبر عن عقائد الجاهليين قبيل الاسلام . وعن اعتقادهم في عبادة أشياء أخرى مع الله كانوا يرون انها تستحق العبادة ، وانها في مقابل الله في العرف الاسلامي ، أو انها شركاء في ادارة الكون أو انها مساعدة لله .

والشرك في تفسير العلماء المسلمين ، أن تعدل بالله غيره ، فتجعله شريكاً له . فهو يشمل أشياء عديدة . منها عبادة الكواكب ، أي عبادة القوى الطبيعية ، وعبادة الجن والملائكة والأمور الخفية ، ومعنى آخر عبادة القوى الخفية ، أو القوى الروحية ، وعبادة الأمور المادية كالأصنام والأحجار ، باعتبار انها تشفع للانسان عند الآلهة ، وعبادة الانسان والحيوان ، الى غير ذلك من عبادات .

ومن العبادات التي يجب أن يشار اليها عبادات اصطلح علماء الأديان على تسميتها بمسميات حديثة ، تمثل عقائد قديمة ، ول بعضها أتباع أحياء يرزقون . ول بعض منها آثار ومظاهر ، دخلت في الأديان الباقية ، وصيغت بصيغتها ، وهي من بقايا العقائد الدينية البدائية التي رسخت في النفوس وفي القلوب حتى صار من الصعب على الانسان أن يتخلص منها ، فبقيت راسخة تحت مسميات جديدة . ومن تلك العقائد : ال Shamanism ، و Totemism ، و Fetishism ، و Ancestor - worship ، و Animism ، وغيرها من مسميات سيرد الحديث عنها في هذا الكتاب^٣ .

أما ال (شمانية) ، فقد أخذت من كلمة (شمن) Shaman ومعناها كاهن أو طبيب (شمان) ، أو من كلمة Shemen التي معناها صنم أو معبد ، أو من أصل آخر . ويراد بها اليوم ديانة تعتقد بالشرك ، أي تعدد الآلهة Polytheism ، أو بعبادة الأرواح Polydemonism مع عبادة الطبيعة Nature - worship لاعتقادها بوجود أرواح كامنة فيها . ويعتقد في هذا الدين أيضاً بوجود إله أعلى هو فوق جميع هذه الأرواح والقوى المؤهلة ، وبتأثير السحر^٤ .

١ راجع فهارس القرآن الكريم ، مثل فتح الرحمن (ص ٤٨٠) .

٢ فتح الرحمن (ص ٢٤٠) .

٣ A.A. Bowman, Studies in the Philosophy of Religion, London, 1938, p. 67.

٤ Ency. Religi., II, p. 441.

ويستعين الـ (شمن) ، وهو الكاهن أي رجل الدين ، بالقوى الخارقة التي لديه والتي لا يملكها الرجل الاعتيادي في اعتقاد أبناء هذه العقيدة في الاتصال بالأرواح وبما وراء الطبيعة للتأثير فيها . ولدى هذا الكاهن أرواح مأمورة بسين يديه للقيام بما يطلب منها القيام به . وهو يمارس أعمالاً سحرية للتأثير في الأرواح . فللسحر في هذا الدين أهمية ومقام . ويقوم الـ (شمن) عند أكثر المتدينين بهذا الدين بأعمال الطبيب^١ .

وأما (الطوطمية) ، فقد تحدثت عنها في الجزء الأول من هذا الكتاب^٢. وقد بينت عقيدتها في (الطوطم) ، ورأي العلماء في كيفية ظهور المجتمع (الطوطمي) ، وهو مجتمع يقوم على أساس الجماعة أو القبيلة ، يرتبط أفرادها برباط ديني مقدس ، هو رباط (الطوطم) ، رمز الجماعة .

وأما الـ Fetishism ، من أصل Factitus اللاتيني ، بمعنى السحر ، أي القوة المؤثرة الخفية Magic ، فللباحثين في تأريخ الأديان آراء متعددة في تعريفها وفي تثبيت حدودها^٣ . والرأي الغالب الشائع بينهم أنها عبادة أو تقديس للأشياء المادية الجامدة التي لا حياة فيها لاعتقاد أصحابها بوجود قوة سحرية فيها ؛ وقوى غير منظورة في تلك الأشياء تلازمها ملازمة مؤقتة أو دائمة . ويحمل الـ Fetish (البد) لجلب السعد إلى صاحبه . وهو في نظر (تيلور) Dr. Tylor بمثابة (إله البيت) وقوة فاعلة خفية تطرد الحبائث عن صاحبه ، وتجلب الخير له . ولحدوث الأحلام ونشوتها في نظر الأقوام البدائية دخل كبير في رأي العلماء في ظهور هذه العقيدة^٤ .

وأصحاب هذه العقيدة لا ينظرون إلى تلك الأشياء المادية على أنها نفسها ذات قوة فاعلة خفية ، وإنما الرمز أو الصورة للإله المنسوب ذلك الشيء إليه ، بل هم يرون أن تلك الأشياء ليست سوى منازل أو مواضع لاستقرار تلك القوى المؤثرة التي يكون لها دخل في إسعاد الإنسان . وهو يقدر الأشياء المادية كالحجارة

1. Ency. Religi., Vol. 11, p. 441.

2. (ص ٥١٨ وما بعدها) .

3. Ency. Religi., Vol. V, p. 894.

4. Ency. Brita., Vol. 9, p. 202, Taylor, Primitive Culture, II, p. 143,

Waitny, Anthropologie der Naturvölker, II, S. 174.

مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، مهندمة ومصقولة صقلتها يد الانسان ، ومستها أو لم تمسها يد ، بل كانت على نحو ما وجدها في شكلها الطبيعي، لأنه حينما يتقرب إلى تلك الحجارة ، لا يتقرب اليها نفسها ، بل يتقرب الى الروح التي تحمل فيها. فالروح هي المعبودة ، لا الحجر الذي تحمل الروح فيه ، وليس الحجر أو المواد الأخرى إلا بيتاً أو فندقاً تنزل الروح فيه .

أما عبادة الأسلاف Ancestor worship ، فهي فرع من أهم فروع الدين في نظر بعض العلماء ، بل هي الأساس الذي قام عليه الدين في نظر آخرين ، ولا سيما عند (سبنسر) H. Spencer^١ . وأما الأسباب التي دعت البشر الى هذه العبادة ، فهي الحب والتقدير للأبطال والرؤساء والأمل في استمرار دفاعهم عنهم وحمايتهم للجماعة التي تنتمي اليها كما كانت تفعل في حياتها وردّ أذى الأعداء الأموات منهم والأحياء . فتمجيد الأبطال والخوف منهم ، هو الذي حل البشر على عبادة الأسلاف على رأي . وهناك من رأى ان تمجيد الأبطال والاشادة بذكرهم ، هو الذي أوجد هذه العبادة ، ومنهم من نسبها الى الخوف منهم حسب^٢ .

وسواء أكان منشأ هذه العبادة الحب والتقدير أو الخوف أو كلاهما، فإن أساس هذه العقيدة هو الايمان ببقاء الروح ، روح الميت ، وان بإمكان هذه الروح نفع الأحياء أو إلحاق الأذى بهم . ورؤية الأحياء وسماع توسلاتهم ودعواتهم لها . فالميت وإن كان قد دفن في قبره وغيب بين التراب ، إلا انه يسمع ويعي ، فروحه حية وبإمكانه النفع والضرر . وهذه العقيدة هي التي حملت بعض الشعوب على مخاطبة الأرواح من فجوات مخصوصة في الأرض ومن مواضع أخرى لاستشارتها في بعض الأمور التي تهتمها ، وللتحدث معها في مسائل خطيرة كتقديم مشورة أو أخذ رأي أو استفسار عن اسم قاتل أو سارق . ولهذا الغاية اتخذت مواضع مقدسة Oracle يتقرب فيها الى الأرواح وللإستفسار منها . فكان في اليونان مثلاً موضع شهير عرف بإسم Thesprotia ، وموضع آخر عرف بإسم Phigalia في (أركاديا) Arcadia^٣ . وكان في ايطاليا موضع للتنبؤ يقع على بحيرة

Ency. Relig., I, pp. 425, 427.

Jevons, Introduction to History of Religion, p. 54.

Herodotus, V, 92, Pausanus, III, 17, 8, 9.

(أفيرنوس) ^١ Avernus . وكانت العادة في هذا الموضع أن يتقرب الراغبون في استشارة الأرواح الى الموضع المقدس بتقديم ضحية ، وعندئذ ينام السائل في الموضع المقدس ، فتظهر له الروح في المنام ، فتحدثه بما يحتاج اليه ^٢ .

ولعبادة السلف علاقة بعبادة الأصنام Idolatry . ويلاحظ ان عبادة السلف تقود أتباعها في بعض الأحيان الى الاعتقاد بأن قبيلتهم تنتمي الى صلب جد واحد، أصله حيوان في رأي الأكثرين ، أو من النجوم في بعض الأحيان . وهذا ما يجعل هذه العقيدة قريبة من (الطوطمية) ^٣ .

ولهذه العبادة أثر كبير في نظام أصحابها الاجتماعي ، إذ هي تربط الأجيال الحاضرة بالأجيال الماضية بروابط متينة ، وتؤلف من أصحاب هذا المذهب وحدة قوية ، كما ان لها أثراً مهماً في الأسرة ، فهي في الواقع عبادة تنخص الأسرة قبل كل شيء ^٤ .

ومعارفنا عن عبادة السلف عند الجاهليين قليلة ، ويمكن أن نستنتج من أمر النبي بتسوية القبور ونهيه عن اتخاذها مساجد ومواقع للصلاة ان الجاهليين كانوا يعبدون أرواح أصحاب هذه القبور ويتقربون اليها . ولعل في عبارة (قبر ونفس) أو (نفس وقبر) الواردة في بعض النصوص الجاهلية ما يؤيد هذا الرأي ، فإن النفس هي الروح .

ومن آثار عبادة السلف عند العلماء خلق الرأس وإحداث جروح في الجسد واحتفالات دفن الموتى ولبس المسوح والعناية بالقبور والصلاة عليها أو إقامة شعائر دينية فوقها أو علامات خاصة بالميت أو الموتى للتقديس ^٥ . ونحن اذا استعرضنا روايات الأخباريين نجد آثار هذه العبادة معروفة بين الجاهليين .

وقد أشار أهل الأخبار الى قبور اتخذت مزارات، كانت لرجال دين ولسادات قبائل يقسم الناس بها ، ويلوذون بصاحب القبر ويحتمون به ، كالذي كان من

١ Ency. Religi., I, p. 428.

٢ Ency. Religi., Vol. I, p. 430, Crooke, Popular Religion, I, 179, Wilken, Het Animisme bij de Volken Indischen Archipel, 1884 - 1885, I, 74 ff.

٣ Ency. Religi., I, p. 536. Taylor, Primitive Cultures, II, p. 193.

٤ Ency. Religi., I, p. 432.

٥ Hastings, p. 300, Ency. Religi., 7, p. 325, «Ancestor - Worship».

أمر ضريح (تميم بن مرّة) ، جدّ (تميم) ، وكالذي ذكره من أمر (اللات) من أنه كان رجلاً في الأصل ، اتخذ قبره معبداً ثم تحول الرجل الى صنم . ونجد في كتب الحديث نبياً عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها . وقد أشارت الى اتخاذ اليهود والنصارى قبور سادتهم وأوليائهم مساجد ، تقربوا اليها ، لذلك نهى أهل الاسلام من التشبه بهم في تعظيم القبور^١ ، كما نهى عن تكليل القبور وتخصيصها ، والتكليل رفع القبر وجعله كالكلّة ، وهي الصوامع والقباب التي تبني على القبور^٢ .

وأما الـ Animism ، فهو اعتقاد بوجود أرواح مؤثرة في الطبيعة كلها Nature ، ولذلك يؤله كثيراً من المظاهر الطبيعية المريّة وغير المريّة منها ، لاعتقاده بوجود قوى هي فوق الطبيعة ، منها ما يكون في جسم ، وهو (النفس) Saul ، ومنها ما لا يكون في الأجسام وهو (الروح) Spirit^٣ . ويمكن تقسيم هذه العبادة الى ثلاثة أصناف : عبادة النفس ، نفس الإنسان أو الحيوان وخاصة منها عبادة الأموات Necrolatry ، وعبادة الأرواح Spiritism ، وعبادة الأرواح التي تحلّ في المظاهر الطبيعية ، إما بصورة مؤقتة وإما بصورة دائمة Naturism^٤ .

والآراء في هذه المعتقدات لا تزال في مراحلها الأولى ، وهي موضع جدل بين العلماء ، لأنها قائمة على أساس الملاحظات والتجارب التي حصلوا عليها من دراساتهم لأحوال المجتمعات البدائية لهنود أمريكا ولقبائل افريقية وأسترالية ، ولا يمكن بالطبع حدوث اتفاق في الدراسات الاستقصائية المبنية على المشاهدات والملاحظات. وإذا كانت هذه الدراسات غير مستقرة وغير نهائية حتى الآن ، فقد صعب بالطبع تطبيقها على معتقدات العرب قبل الاسلام ، وزاد في هذه الصعوبة قلة معلوماتنا في هذه الأمور . وليس من الممكن في نظري أن نتوصل إلى نتائج علمية غير قابلة للأخذ والرد في هذه الموضوعات في الزمن الحاضر ، بل ولا في المستقبل

١ صحيح مسلم (٦٦/٢) ، (باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد) .
٢ اللسان (٥٩٥/١١) ، (كلل) .
٣ Schmidt, S. 24.
٤ Ency. Religi., I, p. 535.

القريب ، ما لم يحدث ما ليس في الحسبان ، من العثور على نصوص دينية تكشف لنا عن عقائد الجاهليين .

ونستطيع ان نقول إجمالاً ان من الجاهليين من كان يدين بعبادة الأرواح على اختلاف طرقها ، ويؤمن بأثرها . وللعلماء من مفسرين ولغويين وغيرهم تفاسير عديدة للروح ، تفيدنا كثيراً في معرفة آراء الجاهليين عنها ، كما ان للاخباريين قصصاً عنها وعن استقلالها وانفصالها عن الجسد بعد الموت واتصالها بالقبر وغير ذلك ، يمكن أن تكون موضوع دراسة قيّمة لمن يريد التبسط في دراسة هذه الأمور .

عبادة الكواكب :

وقد رأى بعض العلماء ان عبادة أهل الجاهلية هي عبادة كواكب في الأصل . وان أسماء الأصنام والآلهة ، وإن تعددت وكثرت ، إلا أنها ترجع كلها إلى ثلاث سماوي ، هو : الشمس والقمر والزهرة . وهو رمز لعائلة صغيرة ، تتألف من أب هو القمر ، ومن أم هي الشمس ، ومن ابن هو الزهرة . وذهبوا إلى أن أكثر أسماء الآلهة ، هي في الواقع نعت لها ، وهي من قبيل ما يقال له الأسماء الحسنى لله في الاسلام .

وقد لفت الجرمان السماويان : الشمس والقمر ، نظر الانسان اليهما بصورة خاصة ، لما أدرك فيهما من أثر في الانسان وفي طباعه وسحنه وعمله ، وفي الجو الذي يعيش فيه ، وفي حياة زرعه وحيوانه ، وفي تكوين ليله ونهاره والفصول التي تمر عليه . فتوصل بعقله يوم ذلك إلى انه نفسه ، وكل ما يحيط به ، من فعل هذين الجرمين ومن أثر أجرام أخرى أقل شأنًا منها عليه . فنسب اليهما نموه وتكوينه وبره وسقمه ، وحياة زرعه وماشيته ، ورسخ في عقله انه إن تقرب وتعبد لهما ، ولبقية الأجرام ، فإنه سيرضيها ، وستغدق عليه بالنعم والسعادة والمال والبركة في البنية ، فصار من ثم عابد كوكب .

ونجد في حكاية كيفية اهتداء (ابراهيم) إلى عبادة إله واحد ، الواردة في سورة الأنعام ، تفسيراً لسبب تعبد الانسان للأجرام السماوية . (وإذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتخذ أصناماً آلهة ؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى

ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جنّ عليه الليل ، رأى كوكباً ، قال : هذا ربي ، فلما أفل ، قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً ، قال : هذا ربي ، فلما أفل ، قال : لئن لم يهتدي ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة ، قال : هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت ، قال : يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ^١ . فقد لفت ذلك الكوكب نظر ابراهيم ، وبهره بحسن منظره وبلونه الزاهي الخالب ، فتعبد له ، واتخذة رباً ، فلما أفل ، ورأى كوكباً آخر أكبر حجماً وأجمل منظراً منه ، تركه ، وتعبد للكوكب الآخر ، وهو القمر . فلما أفل ، ورأى الشمس بازغة ، وهي أكبر حجماً وأظهر أثراً وأبين عملاً في حياة الانسان وفي حياة زرعه وحيوانه وجوّة ومحيطه ، ترك القمر وتعبد للشمس ، فيكون قد تعبد لثلاثة كواكب ، قبل أن يهتدي إلى التوحيد ، هي القمر والشمس ، والمشتري أو الزهرة على ما جاء في أقوال المفسرين ^٢ .

ويشير القرآن الكريم في موضع آخر الى عبادة الجاهليين للأجرام السماوية ، ولا سيما الشمس والقمر ، ففيه : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيتاه تعبدون » ^٣ .

وهذه الأجرام السماوية الثلاثة هي الأجرام البارزة الظاهرة التي بهرت نظر الإنسان ، ولا سيما الشمس والقمر . والزهرة ، وإن كانت غير بارزة بروز الشمس والقمر ، غير أنها ظاهرة واضحة مؤثرة بالقياس الى بقية الأجرام ذات مظهر جذاب ، ولون باهر خلّاب ، وقد يكون هذا المظهر الجميل الأخاذ هو الذي جعلها ابناً للشمس والقمر في أساطير العرب الجنوبيين .

واعتبر الجاهليون القمر أباً في هذا الثلاث ، وصار هو الإله المقدم فيه ، وكبير الآلهة . وصارت له منزلة خاصة في ديانة العرب الجنوبيين . وهذا ما حدا ببعض المستشرقين إلى إطلاق ديانة القمر على ديانة العرب الجنوبيين على سبيل

١ الانعام ، الآية ٧٥ وما بعدها .
٢ تفسير الطبري (١٥٨/٧ وما بعدها) ، تفسير القرطبي ، الجامع (٢٥/٧) .
٣ فصلت ، الآية ٣٧ .

التغليب^١ ، وعلى الذهاب الى أن هذا المركز الذي يحتله القمر في ديانة العربية الجنوبية لا نجده في أديان الساميين الشماليين ، مما يصح أن نجعله من الفروق المهمة التي تميز الساميين الجنوبيين عن الساميين الشماليين^٢ .

ويرجع أولئك المستشرقون هذا التباين الظاهر بين عبادة الساميين الجنوبيين وعبادة الساميين الشماليين وتقديم القمر على الشمس عند العرب الجنوبيين الى الاختلاف في طبيعة الأقاليم وإلى التباين في الثقافة ، ففي العربية الجنوبية يكون القمر هادياً للناس ومهدئاً للأعصاب ، وسميراً لرجال القوافل من التجار وأصحاب الأعمال في الليالي اللطيفة القمرية ، بعد حرّ شديد تبعثه أشعة الشمس المحرقة ، فتشل الحركة في النهار ، وتجعل من الصعب على الناس الاشتغال فيه ، وتمت من يتعرض لأشعتها الوهاجة في عز الصيف القايظ . إنها ذات حميم حقاً ، فلا عجب إذا ما دعيت بـ (ذات حم) ، (ذات حميم) ، (ذات الحميم) عند العرب الجنوبيين . ولذلك ، لا يستغرب إذا قدمه العرب الجنوبيون في عبادتهم على الشمس ، وفضلوه عليها . وإذا كانت الشمس مصدراً لنمو النباتات نمواً سريعاً في شمال جزيرة العرب ، فإن أشعة الشمس الوهاجة المحرقة تنقفُ نموَّ أكثر المزروعات في صيف العربية الجنوبية ، وتسبب جفافها واختفاء الورد والزهر في هذا الموسم ، فلا بد أن يكون لهذه الظاهرة أثر في العقلية التي كوَّنت تلك الأساطير^٣ .

ويرى (هومل) أن ديانات جميع الساميين الغربيين والعرب الجنوبيين هي ديانة عبادة القمر أي أن القمر فيها مقدم على الشمس ، وهو عكس ما نجده في ديانة البابليين . ويعلل ذلك ببقاء الساميين الغربيين بدواً مسدة طويلة بالقياس الى البابليين . ويلاحظ أيضاً أن الشمس هي أنثى ، وأما القمر فهو ذكر عند الساميين الغربيين ، وهو بعكس ما نجده عند البابليين^٤ .

والاسم الشائع للقمر بين الساميين ، هو : ورخ ، و (سن) (سين) ، وشهر . وشهر خاصة هو الاسم الشائع المستعمل للقمر في الكتابات الجاهلية التي

١ D. Nielsen, Die Altarabische Mondreligion. ١

Handbuch I, S. 213. ٢

Handbuch I, S. 213, Die Altarabische Mondreligion, S. 49, Die Sabaische ٣

Gott Ilmukah, S. I.

Hommel, Grundriss, I, S. 85. ٤

عثر عليها في العربية الجنوبية وفي النصوص التي عثر عليها في الحبشة، وفي الأقسام الشمالية الغربية من جزيرة العرب . ويلاحظ ان الصور التي ترمز إلى القمر مما عثر عليه في تلك النصوص هي متشابهة تقريباً ، ومتقاربة في الشكل ، مما يدل على ان الأسطورة الدينية التي كانت في مخيلة عبدة القمر عنه كانت متشابهة ومتقاربة ومن أصل واحد . أما كلمة (قمر) ، فلم ترد حتى الآن في النصوص الجاهلية التي وصلت إلينا ، وهذا مما حمل بعض المستشرقين على القول بأن هذه التسمية متأخرة ^١ .

ويلاحظ ان النصوص العربية الجنوبية لا تسمي القمر بإسمه دائماً في النصوص ، وإنما تشير إليه بكناه وصفاته في الغالب . ويظهر ان ذلك من باب التأدب والتجمل أمام رب الأرباب . ونجد هذا التأدب في مقام الأرباب عند جميع البشر ، فلا يخاطب الانسان ربه كما يخاطب غيره من الإنس ، أي بإسمه المعتاد ، لأنه الرب والآلهة ، وهو فوق الانسان . وهو إذا خاطبه بإسمه ، فإنما يفعل ذلك على سبيل التودد والتقرب والتعجب إلى الرب ، فهو نوع من أدب التقرب إلى الآلهة .

ولما كان القمر هو الأب ، خاطبه المؤمنون به بـ (ودم ايم) ، وبـ (ايم ودم) ، أي (ودم أب) ، و (أب ودم) ، ولا غرابة في ذلك . فإذا كان القمر أباً للآلهة ، فليم لا يكون إذن أباً للانسان عبده ، وهو في حاجة شديدة إليه ، حاجة العبد إلى سيده والولد إلى والده ؟

ودعوه أيضاً بـ (عم) ، ولم لا ؟ أليس العم في مقام الأب ؟ ثم إن العرب لا تزال تخاطب الكبير بـ (عم) دلالة على تقديره واحترامه ، فليس بغريب إن نادى المؤمنون إلههم القمر : يا عم ! ليرحمهم وليبارك فيهم ، إن في هذا النداء تقرباً وتواضعاً وأشعاراً بضعف السائل تجاه المخاطب ^٢ .

والأب عند العرب كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو اصلاحه أو ظهوره . ويقوم العم عندهم مقام الأب . ولذلك سمي مع الأب الأبوين ^٣ . وقد عثر على أخشاب وأحجار حفرت عليها أسماء ود ، أو جمل (ودم

Handbuch, I, S. 214.

Handbuch, I, S. 214.

المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ٤ وما بعدها) ، مادة أبا في كتاب الالف .

ابم) ، أو (ايم ودم) ، وذلك فوق أبواب المباني ، لتكون في حمايته وللتبرك باسمه وللتيمين به ، كما وجدت كلمة (ودّ) محفورة على أشياء ذات ثقوب ، تعلق على عنق الأطفال لتكون تميمة وتعويذة يتبرك بها . فعلوا ذلك كما يفعل الناس في الزمن الحاضر في التبرك بأسماء الآلهة والتين بها لمنحها الحب والبركة والخيرات .

ونعت القمر بـ (كهان) ، أي (الكهل) في نصوص المسند ، وفي نصوص عثر عليها في الأقسام الشمالية من العربية الغربية . وتعني لفظة (كهان) ، التقدير والمقتدر والعزيم^١ . وهي من نعوت هذا الإله .

ونعت بنعوت أخرى ، مثل (حكم) ، أي (حكيم) و (حاكم) و (صديق) أي (صديق) و (صادق) ، و (علم) ، أي (عليم) و (عالم) و (علام) ، وبنعوت أخرى عديدة من هذا القبيل ، وهي من نوع (الأسماء الحسنى) لله عند المسلمين . ترينا الإله إلهاً قديراً قوياً عالماً حامياً مساعداً لأبنائه المؤمنين به . يحبهم حبّ الأب الشفيق لأبنائه الأعزاء .

والإله (القمر) ، هو الإله (المقه) عند السبثيين . وهو إله سبأ الكبير . وهو (عم) عند القتبانيين . كما سأتحدث عن ذلك في أصنام الكتابات ، وهو ودّ عند المعينين و (سن) (سين) ، عند الحضارمة .

واتخذ الثور من الحيوانات رمزاً للقمر، ولذلك عُدّ الثور من الحيوانات المقدسة التي ترمز الى الآلهة . ونجد هذه الصورة مرسومة في النصوص الحيانية والشمودية وعند غير العرب من الشعوب الساميّة . وقد نص على اسمه في الكتابات ، إذ قيل له (ثور)^٢ .

وقد ذكر (الألوسي) ، ان عبدة (القمر) « اتخذوا له صنماً على شكل عجل ، ويبد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة في كل شهر ، ثم يأتون اليه بالطعام والشراب والفرح والسرور . فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه »^٣ . ولم يشر الى اسم الجاهليين الذين فعلوا ذلك . فلعله قصد عبدة القمر بصورة عامة من العرب وغيرهم .

Halevy 237, Chrestoma. 91, 97, Grundriss, I, S. 136, Glaser, 284. ١

Glaser 1546, Wiener Museum 5, Handbuch, I, S. 214. ٢

٣ بلوغ الارب (٢١٦/٢) .

وذهب بعض الباحثين إلى احتمال كون (الحية) تمثل الإله القمر ، وهي تمثل الروح أيضاً عند بعض آخر^١ .

والشمس ، هي من أول الأجرام السماوية التي لفتت إليها أنظار البشر بتأثيرها في الانسان وفي الزرع والماء . وهذا التأثير البارز جعل البشر يتصور في الشمس قدرة خارقة وقوة غير منظورة كامنة فيها ، فعبدها وألّتها ، وشاد لها المعابد ، وقدم لها القرابين . وهي عبادة فيها تطور كبير ورتقي في التفكير إذا قيست بالعبادات البدائية التي كان يؤديها الانسان للأحجار والنباتات والأرواح .

وقد تعبد العرب للشمس في مواضع مختلفة في جزيرة العرب . وترجع عبادتها إلى ما قبل الميلاد ، في زمن لا نستطيع تحديده ، لعدم وجود نصوص لدينا يمكن أن تكشف لنا عن وقت ظهور عبادة الشمس عند العرب . وعبدها أقوام آخرون من غير العرب من الساميين ، مثل البابليين والكنعانيين والعبرانيين . وقد أشير في مواضع عديدة من العهد القديم إلى عبادة الشمس بين العبرانيين ، وجعل الموت عقوبة لمن يعبد الشمس . ومع ذلك ، عبدت في مدن يهوذا . وقد اتخذت جملة مواضع لعبادة الشمس فيها عرفت بـ (بيت شمس) Beth Shemesh^٢ .

والشمس أنثى في العربية ، فهي إلهة ، أما في كتابات تدمر فهي مذكر ، ولذلك فهي إلهة ذكر عند التدمريين . ويرى (ولهوزن) Wellhausen أن ذلك حدث بمؤثرات خارجية^٣ . وكانت عبادة الشمس شائعة بين التدمريين . وورد في الكتابات التي عثر عليها في (حوران) أسماء أشخاص مركبة من شمس وكلمة أخرى ، ويدلّ على ذلك شيوع عبادتها عند أهل تلك المنطقة . وذكر (سترابو) أن Helios أي الشمس ، هي الإله الأكبر عند النبط . ولكن الكتابات النبطية لا تؤيد هذا الرأي . والإله الأكبر فيها هو (اللات) . فلعل (سترابو) قصد بـ Helios اللات . وإذا كان هذا صحيحاً ، فتكون اللات هي الشمس .

والشمس من الأصنام التي تسمى بها عدد من الأشخاص ، فعرفوا بـ (عبد شمس) . وقد ذكر الأخباريون أن أول من تسمى به سبأ الأكبر ، لأنه أول من عبد

Arablen, S. 269.

Hastings, p. 380, Die Araber, III, S. 125. ff.

Reste, S. 60 Waddington 2569, 2587, Vogue, Palmy., 2, 8, 19,

75, 116, 125, Reste, S. 60.

الشمس ، فدعي بـ (عبد شمس)^١ . وقد ذكر ان بني تميم تعبدت له . وكان له بيت ، وكانت تعبد به بنو أدّ كلها : ضبّة ، وتميم ، وعديّ ، وعُطْل : وثور ، وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شُرَيْف بن حروة . ابن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن أبي أهالة وصفوان بن أسيد بن الحلال بن أوس بن مخاشن^٢ .

وذكر أن (عبد شمس) ، اسم أضيف الى شمس السماء ، لأنهم كانوا يعبدونها . والنسبة (عبشمي)^٣ .

وكانت العرب تسمّي الشمس (الإلهة) تعظيماً لها ، كما يظهر ذلك من هذا الشعر :

تروحنا من اللعباء قسراً فأعجلنا الإلهة أن تؤولبا
على مثل ابن مئة فانهياه تشق نواعم البشر الجيوباً^٤

ويقال لها (لاهة) بغير ألف ولام .

وعرفت الشمس بـ (ذكاء)^٥ عند الجاهليين . وقد تصور أهل الجاهلية الصبح ابناً للشمس تارة ، وتصوروه تارة حاجباً لها . فقليل حاجب الشمس . وقيل يقال للصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها^٦ .

وكانوا يستقبلون الشمس ضحى . ذكر (الأسقع) الليثي ، انه خرج إلى والده ، فوجده جالساً مستقبل الشمس ضحى^٧ . وإذا تذكرنا ما أورده أهل الأخبار عن

١ منتخبات (ص ٥٧) .

٢ المحبر (٣١٦) .

٣ تاج العروس (١٧٢/٤) ، (شمس) .

٤ ينسب هذا الشعر لمية بنت أم عتبة بن الحارث ، وقيل لبنت عبد الحارث اليربوعي وقيل : لنانحة عتيبة بن الحارث ، وقيل لام البنين بنت عتيبة بن الحارث ، تاج العروس (٣٧٤/٩) ، اللسان (٦٣٠/١٧) ، تاج العروس (٥١٠/٩) ، (لاه) ، (تروحنا من اللعباء قسراً) ، ابن الجدابي الازمنة والانواء (٧٩) .

٥ بالضم

٦ تاج العروس (١٣٧/١٠) ، (ذكو) .

٧ الاصابة (٥١/١) ، رقم (١٢١) .

صلاة الضحى ، وهي صلاة كانت تعرفها قريش ، ولم تنكرها ، أمكننا الربط بين استقبال الشمس ضحى وبين هذه الصلاة .

وقد لاحظ بعض السياح ان آثار عبادة الشمس والقمر لا تزال كامنة في نفوس بعض الناس والقبائل، حيث تتجلى في تقدير هذين الكوكبين وفي تأنيب من يتناول عليهما بالشتم أو بكلام مسيء وفي تعظيمها من بين سائر الكواكب تعظيماً يشير إلى انه من بقايا الوثنية القديمة على الرغم من إسلام أولئك المعظمين^١ .

ويلى الشمس والقمر (الزهرة) ، وهي ذكر في النصوص العربية الجنوبية ، ويسمى (عثر) . وهو بمثابة (الابن) للشمس والقمر . وهذا الثالوث الكوكبي يدل ، في رأي الباحثين في أديان العرب الجنوبيين ، على أن عبادة العربية الجنوبية هي عبادة نجوم . وهو يمثل في نظرهم عائلة إلهية مكونة من ثلاثة أرباب، هي : الأب وهو القمر ، والابن وهو الزهرة ، والأم وهي الشمس .

وإذ كان القمر هو الأب وكبير الآلهة الثلاثة ، صار اسمه في طليعة من يذكر اسمه من الآلهة في النصوص ، وصارت له كنى ونعوت كثيرة لا تجارها في الكثرة نعوت الآلهة الأخرى، وبه تسمى أشخاص كثيرون . وهذا ما حدا ببعض المستشرقين على إطلاق ديانة القمر على ديانة العرب الجنوبيين على سبيل التغليب . وهذا المركز الذي يحتله القمر في ديانة العرب الجنوبية ، لا نجده في أديان الساميين الشماليين عن الساميين الجنوبيين^٢ . كما يصح اعتبار تذكير (الزهرة) (عثر) عند العرب الجنوبيين ، من جملة الفروق التي نراها بين ديانة سكان العربية الجنوبية وديانات الساكنين في شمال العربية الجنوبية ، فإن (الزهرة) هي أنثى عندهم .

وعبد بعض أهل الجاهلية أجراماً سماوية أخرى، وتقربوا إليها بالذود والصلوات . ففي كتب الأخباريين ان طائفة من تميم عبدت (الدبران) ، وان (العيوق) في زعمهم (عاتق الدبران لما ساق إلى الثريا مهراً ، وهي نجوم صغار نحو عشرين نجماً ، فهو يتبعها أبداً خاطباً لها ، ولذلك سموا هذه النجوم القلاص)^٣ .

Handbuch, I, S. 199, 201, 205, W. Gifford Palgrave, Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, London, 1866, 250,

A. Grahmann, Arabien, S. 81.

Handbuch, I, S. 213.

بلوغ الارب (٢٣٩/٢) ، ابن الجدايى ، الازمنة والانواء (٧١) .

وفي كتبهم أيضاً ان بعض قبائل لحم وخزاعة وحير وقريش عبدوا (الشعري العبور) ، وان أول من سنّ ذلك لهم ، وأدخل تلك العبادة اليهم (أبو كبشة) . وهو (جزء بن غالب بن عامر بن الحارث بن غبشان الخزاعي) ، أو (وجز ابن غالب) ، وهو من خزاعة ثم من بني غبشان ، أحد أجداد النبي من قبل أمهاته . خالف قريشاً في عبادة الأصنام وعبد الشعري العبور . وكان (وجز) يقول : إن الشعري تقطع السماء عرضاً ، فلا أرى في السماء شيئاً ، شمساً ولا قرراً ولا نجماً ، يقطع السماء عرضاً . والعرب تسمي الشعري العبور ، لأنها تعبر السماء عرضاً ، ووجز هو أبو كبشة الذي كانت قريش تنسب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اليه ، والعرب تظن ان أحداً لا يعمل شيئاً إلا بعرق ينزعه شبهه ، فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دين قريش ، قالت قريش : نزعته أبو كبشة ، لأن أبا كبشة خالف الناس في عبادة الشعري . وكانوا ينسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه . وكان أبو كبشة سيداً في خزاعة ، لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم به من تقصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبي كبشة ، فيقولون : «خالف كما خالف أبو كبشة»^١ . وذكر (القرطبي) ان أول من عبد الشعري (أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، من قبل أمهاته ، ولذلك كان مشركو قريش يسمّون النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ابن أبي كبشة ، حين دعا إلى الله وخالف أديانهم ، وقالوا : ما لقينا من ابن أبي كبشة ! وقال أبو سفيان يوم الفتح ، وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تمرّ عليه : لقد أمرَ أمر ابن أبي كبشة)^٢ . وكان (الحارث) ، وهو (غبشان بن عمرو بن بؤي بن ملكان) ، ويكنى أبا كبشة ، ممن يعبد الشعري^٣ .

و (الشعري) Sirius هي المقصودة في الآية : « وإله هو ربّ الشعري »^٤ . وكان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له الشعري . وهو النجم

- ١ الزبيري ، كتاب نسب قريش (٢٦١ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٤٢/٤) ، (كبش) .
- ٢ تفسير القرطبي (١١٩/١٧) ، تفسير الطبرسي (١٨٣/٢٧) ، (١٨٣/٩) ، (طبعة طهران) ، المحبر (١٢٩) ، ابن سعد ، طبقات (١/١ ص ٣١) .
- ٣ المحبر (١٢٩) .
- ٤ النجم ، الآية ٤٩ .

الوقاد الذي يتبع الجوزاء ، ويقال له المرزم^١ . وقد كان من لا يعبد الشعري من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم^٢ .

وذكر بعض العلماء أن (الشعري) كوكب نير يقال له المرزم ، وطلوعه في شدة الحر . وتقول العرب إذا طلعت الشعري ، جعل صاحب النحل يرى . وهما : (الشعريان) : العبور ، والشعري الغميصاء . تزعم العرب أنهما أختا سهيل . وعبدت طائفة من العرب الشعري العبور . ويقال : إنها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها . وسميت الأخرى الغميصاء ، لأن العرب قالت في حديثها : إنها بكّت على أثر العبور حتى غمّصت^٣ .

والعرب تقول في خرافاتها : إن سهيلاً والشعري كانا زوجين ، فانحدر سهيل فصار يمانياً ، فاتبعته الشعري العبور فعبرت المجرة فسميت العبور ، وأقامت الغميصاء فبكّت لفقد سهيل حتى غمّصت عيناه ، فسميت غمّصاء لأنها أخفى من الأخرى^٤ .

ويذكرون أن بعض طيء عبدوا (الثريا) ، وبعض قبائل ربيعة عبدوا (المرزم) ، وأن (كنانة) عبدت القمر^٥ . ويتبين من بعض الأعلام المركبة ، مثل : عبد الثريا ، وعبد نجم ، أن الثريا ونجماً ، كانا صنمين معبودين في الجاهلية^٦ . وقد ذهب بعض المفسرين الى أن (النجم) المذكور في سورة (النجم) : (والنجم اذا هوى)^٧ : الثريا^٨ (والعرب تسمي الثريا نجماً)^٩ . وقال بعض آخر : « إن النجم ههنا الزهرة ، لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها »^{١٠} .

- ١ تفسير الطبري (٤٥/٢٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٤١/٤) ، (جوز) ، القرطبي ، الجامع (١١٩/١٧ وما بعدها) .
- ٢ تفسير القرطبي (١١٩/١٧) .
- ٣ تاج العروس (٣٠٥/٣) ، (شعر) .
- ٤ تفسير القرطبي (١١٩/١٧ وما بعدها) .
- ٥ بلوغ الأرب (٢٤٠/٢) ، تاج العروس (٣١١/٨) ، (رزم) .
- ٦ Ency. Religi., I, p. 86.
- ٧ سورة النجم ، الآية ١ .
- ٨ تفسير الطبري (٢٤/٢٧) .
- ٩ تفسير القرطبي (٨٢/١٧ وما بعدها) .
- ١٠ المصدر نفسه .

وعبدَ بعض الجاهليين (المريخ) ، واتخذوه إلهاً ، كما عبد غيرهم (سهيلاً) Canapus و (عطارد) Merkur و (الأسد) Lion و (زحل) .
وقد ذكر أهل الأخبار ، ان أهل الجاهلية يجعلون فعلاً للكواكب حادثاً عنه.
فكانوا يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وكانوا يجعلون لها أثراً في الزرع وفي
الانسان ، فأبطل ذلك الاسلام ، وجعله من أمور الجاهلية . جاء في الحديث :
« ثلاث من أمور الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالأنواء »^١.
ومن مظاهر الشرك المتجلى في التعبد للأمور الطبيعية الملموسة ، عبادة الشجر ،
وهي عبادة شائعة معروفة عند الساميين . وقد أشار (ابن الكلبي) الى نخلة
(نجران) ، وهي نخلة عظيمة كان أهل البلد يتعبدون لها ، (لها عيد في كل
سنة . فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلياً للنساء ،
فخرجوا اليها يوماً وعكفوا عليها يوماً)^٢ . ومنها العزى وذات أنواط . يحدثنا
أهل الأخبار عن ذات أنواط ، فيقولون : (ذات أنواط : شجرة خضراء
عظيمة ، كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً لها ، فتعلق عليها أسلحتها وتذبح
عندها ، وكانت قرية من مكة . وذكر أنهم كانوا إذا حجّوا ، يعبقون أرديتهم
عليها ، ويدخلون الحرم بغير أردية ، تعظيماً للبيت ، ولذلك سميت (ذات أنواط)^٣ .
(وقد روي ان بعض الناس قال : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم
ذات أنواط)^٤ .

ونستطيع أن نقول إن آثار عبادة الشجر لا تزال باقية عند الناس . تظهر في
امتناع بعضهم وفي تهيبهم من قطع بعض الشجر ، لاعتقادهم أنهم إن فعلوا ذلك
أصيبوا بنازلة تنزل بهم وبمكروه سيحيق بهم . ولذلك تركوا بعض الشجر كالسدر
فلم يتعرضوا له بسوء^٥ .

وتعبد بعض أهل الجاهلية لبعض الحيوانات . فقد ورد أن جماعة الشاعر (زيد
الخليل) ، وهم من طيء ، كانوا يتعبدون لجمال أسود . فلما وفد وفداهم على

١ ابن الأجدابي ، الأزمنة والأنواء (١٣٦) .

٢ البلدان (٢٦٠ / ٨) ، (نجران) .

٣ البلدان (٣٦٣ / ١) ، (أنواط) ، تاج العروس (٢٣٦ / ٥) ، (فوط) ، الأزرقى (٧٤ وما بعدها) .

٤ رسالة الغفران (١٤٠ وما بعدها) .

٥ Grahmann, S. 82.

الرسول ، قال لهم : « ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله عز وجل »^١ . وورد أن قوماً كانوا بالبحرين عرفوا بـ (الأسبذيين) ، كانوا يعبدون الخيل^٢ . ذكر أنهم قوم من المجوس ، كانوا مسلحة لحصن المشقر من أرض البحرين^٣ . فهم فرس . وأن بعض القبائل مثل (إباد) ، كانت تتبرك بالناقة^٤ .

الشفاعة :

والشفاعة من أهم مظاهر الشرك عند الجاهليين . وأقصد بالشفاعة هنا ، ما ورد في القرآن الكريم من تبرير أهل الجاهلية لتقربهم الى الأصنام بأنهم ما يتعبدون لها إلا لتقربهم الى الله : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »^٥ . « والذين اتخذوا من دونه أولياء . ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون »^٦ . فهم يحاجون الرسول ، ويدافعون عن التقرب الى الأصنام ، بقولهم : إنها تشفع عند الله ، فهي شفاعة ، فهم لا يعبدون الأصنام إذن ، ولا يشركون بالخالق ، وإنما هم يتقربون اليه بها . فهي الوسطة بينهم وبين الله^٧ .

الأصنام :

ومن جملة ما كان يتوسط به الجاهليون لألهتهم ليكونوا شفعاء لهم عندها ، التماثيل المصنوعة من الفضة أو الذهب أو الحجارة الثمينة والخشب . ومن عاداتهم أنهم كانوا يدونون ذلك على الحجارة ، فيكتبون عدد التماثيل وأنواعها وأسماء الآلهة أو اسم الإله الذي قدمت له تلك الأشياء واسم الناذر ، ويشار إلى السبب الداعي

-
- ١ الاغاني (٤٧/١٦) ، الاصابة (٥٥٥/١) ، (رقم ٢٩٤١) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٨٩) ، (البحرين) .
 - ٣ اللسان (٤٩٣/٣) ، (سبذ) .
 - ٤ الاغاني (٩٣/١٥) ، « في أخبار أبي دواد الايادي » .
 - ٥ سورة يونس ، الرقم ١٠ ، الآية ١٨ .
 - ٦ الزمر ، الآية ٣ .
 - ٧ المفردات ، للاصفهاني (٢٦٤) .

إلى ذلك ، كأن يذكر بأن أصحابها توسلوا إلى الإله أو الآلهة المذكورة بربائهم الذي طلبوه ، فأجيب مطالبهم ، ولذلك قدموا هذه النذر ، فهي وفاء لدين استحق عليهم بسبب ذلك النذر وتلك الشفاعة .

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الأصنام كانت تدافع عن قبائلها وتذب عنها وتحامي عنها في الحرب ، كما يدافع سيد القبيلة عن قبيلته ، وإن أبناء القبيلة أبناءها وأولادها ، ولذلك كانوا يقولون عنها (اب) (أب) في كتاباتهم ، ويكتبون عن أنفسهم (أبناء الصنم ...) . وفي الشعر الجاهلي أمثلة عديدة تشير إلى اعتقاد القوم باشتراك آلهتهم معهم في الحرب وفي انتصارهم لهم . ففي الحرب التي وقعت بين (بني أنعم) و (بني غطف) بشأن الصنم (يغوث) ، يقول الشاعر :

وسارَ بنا يغوثُ إلى مرادٍ ففناجزناهمُ قبل الصباح^١

وطبيعي أن يعد أعداء القبيلة أعداء لصنم القبيلة ، وأعداء الصنم أعداء للقبيلة ، فأعداء الآلهة وأعداء القبيلة هم خصوم لا يمكن التفريق بينهم .

وفي معركة أحد ، وهي من المعارك الحربية المهمة التي جرت بين الإسلام والوثنية على مستقبل العرب الديني ، نادى أبو سفيان بأعلى صوته : « اعلُ هُبْلُ ! اعلُ هبل ! » ، ليبعث الحساسة في نفوس الوثنيين ، وليستغيث بصنمه في الدفاع عن أتباعه المؤمنين به . أما المسلمون ، فاستنجدوا بالله ، إذ ردّوا عليه ردة قوية عالية : « الله أعلى وأجل » . فقال أبو سفيان : « ألا لنا العزى ولا عزى لكم » . فأجابه المسلمون : « الله مولانا ولا مولى لكم »^٢ .

وفي الحروب يحارب كل إله عن قبيلته ، ويجهد نفسه في الدفاع عنها في سبيل حصولها على النصر . ولهذا السبب كانت القبائل والجوش تحمل أوثانها أو صور آلهتها أو رموزها الدينية المقدسة معها في الحروب . تبرك بها وتستمد منها العون والنصر . ولما حارب الأعراب الملك (سنحاريب) ملك آشور ، حملوا أصنامهم : (دبلت) (دبلات) Dibat ، و (دية) Daia = Daja

١ البلدان (٥١١/٨) .

٢ الطبري (٥٢٦/٢) . « معركة أحد » .

و (نوخيا) Nuhaia و (ابريلو) Ebirillu و (عشر قرمية) Atar Kurumaia ، معهم لتدافع عنهم، ولتتحارب معهم الآشوريين. ولكن الآشوريين غلبوهم وانتصروا عليهم وأخذوا غنائم وأسرى منهم ، كان في جملتها هذه الأصنام المسكينة ، التي وقعت في الأسر وبقيت في أسرها الى أن توفي (سنحاريب) وتولى ابنه (أسرحدون) الحكم ، فاسترضى الأعراب هذا الملك وجاءوا بهدايا كثيرة، رجاء استرضائه لإعادة أصنامهم اليهم ، فرق على حالهم وأعاد اليهم تلك الأصنام السيئة الحظ ، التي كتب عليها أن تسجن، وتمكنت من استنشاق ريح الحرية من جديد^١ .

وسقطت أصنام الأعراب مرة أخرى في أسر الآشوريين ، وذلك في أيام (أسرحدون) ، فلما انضم (ليلي) (ليل) Laili ملك (يادي) (يادع) (يدي) (يدع) Jādī = Jādī إلى الثائرين على حكم هذا الملك ، لحقت بهم الهزيمة ، وسقطت أصنامهم أسيرة في أيدي الآشوريين ، وأخذت إلى (نينوى) ، فلم يجد الملك (ليل) (ليلي) أمامه من سبيل سوى الذهاب إلى عاصمة الملك لاسترضائه ، حيث طلب العفو والصفح عما بدر منه ، فقبل (أسرحدون) منه ذلك ، وتأخى معه ، وأعاد اليه أصنامهم^٢ .

وكان في جملة الأصنام التي شاء سوء طالعها الوقوع في أسر الآشوريين الصنم (اترسمين) (اترسمائين) (Atarsamin) (A-tar-sa-ma-a-a-in) . و (اتر) هو (عشر) ، فيكون المراد به (عشر السماء) عشر السماوات ، ويبدل ذلك على أنه إله السماء . وكان قد وقع أسيراً في أيديهم أيام الملك (أسرحدون) ، فلما توفي الملك وانتقل عرشه إلى ابنه (آشور بانبال) ، جاء Uaite العربي اليه ، وهو أحد سادات القبائل إلى الملك، وصالحه وأرضاه، فأعاد اليه أصنامهم ومنها الصنم المذكور^٣ .

وطالما كان يعرض حمل المحاربين أصنامهم معهم في الحروب الى وقوع تلك الأصنام في الأسر ، تقع كما يقع الإنسان في الأسر . بل يكون أسر الأصنام في نظرهم أشدّ وقعاً في نفوسهم من أسر الإنسان . إنها آلهة تدافع وتحامي ، لأنها

^١ Musil, Deserta, p. 481, Reall., II, S. 265, Thompson, Prisms of Esarhaddon and of Ashurbanipal, p. 20.

^٢ Musil, Deserta, p. 483, Reall., I, S. 440, Rawlinson, The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World, Vol. II, p. 470 - 471.

^٣ Reall., I, 310, Schrader, KAT., S. 434, Streck, Vorderasiatische Bibliothek, VIII S. 72.

آلهة القبيلة كلها ، فأسرهما معناه في عرفهم أسر القبيلة كلها ، فأسر الآلهة شيء كبير بالنسبة الى القبيلة . وقد أشرت الى استيلاء الآشوريين على أصنام قبائل (عريبي) التي حاربتهم ، والى أخذها أسيرة الى أرض آشور ، والى مفاوضة الأعراب معهم على الصلح في مقابل إعادة تلك الأصنام اليهم . فلما أعيدت الأصنام الى أصحابها ، كتب الآشوريون عليها كتابة تخبر بوقوعها في الأسر ، وبانتصار آلهة آشور عليها ، لتكون نذيراً للمؤمنين بها ، يحذرهم من حرب ثانية توقع هذه الأصنام في أسر جديد .

وقد أشير الى (خيل اللات) في مقابل (خيل محمد) ، في شعر لأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، إذ قال :

لعمرك لاني يوم أحمل راية لتغلب خيل الله خيل محمد^١

ومن أمثلة العرب : (لا تفر حتى تفر القبة) ، أو (لا نفر حتى تفر القبة)^٢ . ويراد بالقبة : قبة الصنم ، أي خيمة الصنم التي تحمل مع المحاربين وتضرب في ساحة القتال ، ليطوف حولها المحاربون، يستمدون منها العون والنصر . كما كانوا يستشيرون الأصنام عند القتال ، ويأخذون برأيها فيما تأمر به .

وحمل الأصنام مع القبيلة في ترحالها وفي حروبها وغزواتها يستلزم بذل عناية خاصة بها للمحافظة عليها من الكسر ومن تعرضها لأي سوء كان . وعند نزول القبيلة في موضع ما توضع الأصنام في سمتها ، وهي خيمة تقوم مقام المعبد الثابت عند أهل المدر . وتكون للخيمة بسبب ذلك قدسية خاصة ، وللموضع الذي تثبت عليه حرمة ما دامت الخيمة فوقه، وقد كانت معابد القبائل المتنقلة كلها في الأصل على هذا الطراز . ولم يكن من السهل على أهل الوبر تغيير طراز هذا المعبد ، واتخاذ معبد ثابت ، لخروج ذلك على سنن الآباء والأجداد . ولذلك لم يرض العبرانيون عن المعبد الثابت الذي أقامه سليمان ، لما فيه من نبذ للخيمة المقدسة التي كانت المعبد القديم لهم وهم في حالة تنقل من مكان إلى مكان .

واعتقاد القبائل أن أصنامها هي التي تجلب لها النصر والخسارة ، كان يؤدي في بعض الأحيان الى الإعراض عن الصنم المحبوب ونبذه ، نتيجة لانهزام القبيلة،

١ الاصابة (٩٠/٤) ، (رقم ٥٣٨) .

٢ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ١١) .

إذ يتبادر الى ذهن تلك القبيلة أن تلك الهزيمة التي نزلت بها إنما كانت بسبب ضعف ربها واستكانته وعدم اقتداره في الدفاع عنها ، ولذلك تقرر الاستغناء عنه والتوجه الى ربّ قويّ جديد . وقد يكون ذلك الرب هو ربّ القوية المنتصرة ، أو رب قبيلة من القبائل التي عرفت بتفوقها في الحروب ، فيكون التوفيق حليف ذلك الرب . وهكذا الأرباب في نظر قبائل تلك الأيام كالناس لها حظوظ ، والحظ هو دائماً في جانب القوي .

وكان على كهّان صنم القبيلة المغلوبة إيجاد تفسير لعلّة الهزيمة التي لحقت بعبدة ذلك الصنم ، والبحث عن عذر يدافعون به عن الصنم ، ويلقون اللوم فيه على أتباعه ، لتبرئة ذمته وإبعاد المؤمنين به عن الشك في قدرته وعظمته . فكان من أعدائهم ، أن الهزيمة عقاب من الإله أرسله الى أتباعه لابتعادهم عن أوامره ونواهيه ، ولعدم إطاعتهم أحكام دينه ، ولمخالفتهم آراء رجال دينهم وكهّانه . ولن تنفّش عنهم النكبة ، ويكتب لهم النصر ، إلا إذا تابوا وعملوا بأوامر الكهّان وأرضوا الآلهة ، وعملوا بما أوجبه شريعته عليهم . وهكذا يلوم الكهان الناس ، دفاعاً عن آلهتهم التي خلقوها بأنفسهم ، وحماية لمصلحتهم القائمة على استغلال تلك المخترعات ، التي نعتوها آلهة وأصناماً .

ولما كانت الآلهة آلهة قبائل ، كان نبذ الفرد لإلهه معناه نبذ لقبيلته وخروجه على إجماعها ، فلا يسع شخصاً أن يغير عبادة إله القبيلة إلا اذا خرج على قبيلته وتعبّد لإله آخر . فإن تغيير عبادة الأفراد لأصنامهم في نظر قدماء الساميين أمر إحد ، هو بمثابة تبديل الجنسية في العصر الحاضر . إن عبادة الأصنام عبادة موروثية يرثها الأبناء عن الآباء ، وليست بشيء اختياري ، فليس للرجل أن يختار الصنم الذي يريده بمحض مشيئته . إن الصنم دين وهو رمز للقبيلة ، والمحامي المدافع عن شعبه ، والرابطة التي تربط بين الأفراد ، فالخروج عليه معناه خروج على ارادة الشعب ، وتفكيك لوحده ، وهو مما لا يسمح به وإلا تعرّض الثائر للعقاب^١ .

نعم ، كان في إمكان أصحاب الكلمة والسيادة والرياسة تغيير أصنام القبيلة ، أو تبديل دينها ، كما سنرى فيما بعد . فهؤلاء هم سادة ، والناس تبع لسادتهم ،

Robertson, p. 37. f.

وفي المثل : « الناس على دين ملوكهم » . لقد أضاف سادة أصناماً الى قبائلهم ، فعبدت وتمسك أتباعهم بعبادتها ، وكأنهم قد تلقوا أوامره من السماء ، ونبذت قبائل بعض أصنامها ، بأمر من سادتها . ودخلت قبائل في الاسلام ، لدخول سيدها فيه ، ودخلت أخرى قبل ذلك في النصرانية ، بتنصر سادتها ، بكلمة أقنعت الرئيس ، أو بعد محاورة ، أو بإبلال من مرض قيل له انه كان ببركة ذلك الدين ، فدخل أتباعه في ذلك الدين من غير سؤال ولا جواب .

عبادة الأصنام :

ويتبين من غريلة روايات الأخباريين ان عبادة الأصنام كانت منتشرة انتشاراً واسعاً قبيل الاسلام ، حتى كان أهل كل دار قد اتخذوا صنماً في دارهم يعبدونه . « فإذا أراد الرجل منهم سفراً ، تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله »^١ . وقد كان أشق شيء في نظر قريش نبذ تلك الأصنام وتركها وعبادة إله واحد « وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، ان هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا إلا اختلاق »^٢ .

يقول ابن الكلبي : « واشتهرت العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً . ومن لم يقدر عليه ولا على بناء البيت ، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسنت ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ... فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً ، أخذ أربعة أحجار ، فنظر الى أحسنها فاتخذها رباً ، وجعل ثلاث أثافي لقدره . فإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر ، فعل مثل ذلك . فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها »^٣ . وروي أنه لم يكن حي

١ ابن هشام (٦٤/١) « هامش الروض » ، ابن هشام (٨٤/١) ، الاصنام (٣٢) .
خزانة الادب (٢٤٥/٣) .
٢ سورة ص ، الآية ٤ وما بعدها .
٣ الاصنام (٣٣) .

من أحياء العرب إلا وله صنم يعبد يسمونه : « أنثى بني فلان . ومنه قوله تعالى : إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً ^١ . والإناث كل شيء ليس فيه روح مثل الخشبة والحجارة ^٢ . وقد كان المشركون يعبدون الأصنام » ويسمونها بالإناث من الأسماء كالكالات والعزى ونائلة ومناة وما أشبه ذلك ^٣ .

ولم يذكر (ابن الكلبي) العوامل التي دفعت بعبدة الأحجار الى اختيار أربعة أحجار من بين عدد عديد من الأحجار ، ثم اختيار حجر واحد من بين هذه الأحجار الأربعة المختارة . فهل أخذ هذا العدد من نظرية العناصر الأربعة التي وضعها الفيلسوف (امپدوكلس) (Empedokles) (٤٩٠ - ٤٣٠ قبل الميلاد) . نظرية أن الكون قد تكوّن من عناصر أربعة هي : النار ، والماء ، والهواء ، والتراب ، فكانوا يختارون لذلك أربعة أحجار ، تمثل هذه القوى الأربع المكونة على رأي الناس في ذلك الوقت لأساس الكون ، ثم يختارون حجراً واحداً من بينها يكون أحسنها وأجملها ، ليكون رمزاً لها ، وممثلاً للإله .

وقد كان من الجاهليين من يختار الأحجار الغريبة فيتعبد لها . فإذا رأوا حجراً أحسن وأعجب تركوا الحجارة القديمة وأخذوا الحجارة الجديدة . قال (ابن دريد) : « الحارث بن قيس : وهو الذي كان اذا وجد حجراً أحسن من حجر أخذ فعبده . وفيه نزلت : أفرايت من اتخذ إلهه هواه ^٤ . فهذه هي عبادة الأحجار عند الجاهليين .

ولدينا أمثلة عديدة تفيد ان كثيراً من الجاهليين كانوا يحتفظون في بيوتهم بأصنام يتقربون اليها كل يوم . ولا يعني ذلك بالطبع ان تلك الأصنام كانت أصناماً كبيرة منحوتة نحتاً فنياً ، بل كان أكثرها تماثيل صغيرة ، وبعضها أحجاراً غير منسقة ولا منحوتة نحتاً جيداً ، وانما هي أحجار تمثل الصنم الذي يتقرب اليه المرء . روي ان (أحر بن سواء بن عدي السدوسي) ، كان له صنم يعبد ، فعمد اليه فألقاه في بشر ، ثم جاء الى الرسول فأسلم .

-
- ١ النساء ، الآية ١١٧ .
 - ٢ اللسان (٣٤٩/١٢) ، (صنم) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٧٩/٥ وما بعدها) ، روح المعاني (١٣٤/٥) .
 - ٤ الاشتقاق (٧٦) .
 - ٥ الاصابة (٢٢/١) .

وكان بين الجاهليين قوم كرهوا الأصنام وتأفوا منها ، رأوا انها لا تنفع ولا تضر ولا تشفع ، فلم يتقربوا اليها ، وقالوا بالتوحيد ، ومن هؤلاء (مالك بن النيهان) ، وهو من الأنصار ومن المسلمين الأولين الذين دخلوا في الاسلام من أهل (يثرب) ، و (أسعد بن زرارة)^١ .

وقد شك بعض المستشرقين في وجود أصنام عند العرب الجنوبيين^٢ ، ويظهر أن الذي حملهم على قول هذا القول ، هو ما رأوه من تعبد العرب الجنوبيين لإلهة منظورة في السماء هي الكواكب الثلاثة المعروفة ، فذهبوا الى انتفاء الحاجة لذلك الى عبادة أصنام ترمز الى تلك الآلهة . وعندي أن في اصدار رأي في هذا الموضوع نوع من التسرع ، لأننا لم نقم حتى اليوم بحفريات علمية عميقة في مواضع الآثار في العربية الجنوبية حتى نحكم حكماً مثل هذا لا يمكن لإصداره إلا بعد دراسات علمية عميقة لمواضع الآثار ، فلربما تكشف دراسات المستقبل عن حلّ مثل هذه المشكلات . إن الإسلام قد هدّم الأصنام وأمر بتعطيمها ، فذهبت معالمها ، إلا أنه من الممكن احتمال العثور على عدد منها ، لا زال راقداً تحت التربة ، لأنه من الأصنام القديمة التي دفنت في التربة قبل الاسلام بسبب دمار حلّ بالموضع الذي عبد فيه ، أو من الأصنام التي وصلت اليها أيدي الهدم ، فطمرت في التربة ، وعلى كلّ فالحكم في هذا الرأي هو كما ذكرت للمستقبل وحده ، وعليه الاعتماد .

والرأي الذائع بين الأخباريين عن كيفية نشوء عبادة الأصنام قريب من رأي بعض العلماء المحدثين في هذا الموضوع . عندهم أن الناس لم يتعبدوا في القديم وفي بادئ بدء للأصنام ، ولم يكونوا ينظرون اليها على أنها أصنام تعبد ، إنما صوروها أو نحتوها لتكون صورة أو رمزاً تذكرهم أو يذكرهم بالإله أو الآلهة أو الأشخاص الصالحين . فلما مضى عهد طويل عليها ، نسي الناس أصلها ، ولم يعرفوا أمرها ، فاتخذوها أصناماً وعبدوها من دون الله . وتحملنا رواياتهم في بعض الأحيان على الاعتقاد أنهم كانوا يعتقدون بعقيدة المسخ ، كالذي رووه عن الصنمين لإساف ونائلة من أنهما « رجل وامرأة من جرهم ، وأن إسافاً وقع عليها في الكعبة فسحّا »^٣ ، وبعقيدة التقمص كالذي رووه عن الصنم اللات من أنه كان إنساناً

١ طبقات ابن سعد (٤٤٨/٣) « صادر » .

٢ Arabien, S. 247.

٣ الروض الأنف (٦٤/١) .

من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحي^١ : لم يميت ، ولكن دخل في الصخرة. ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بنياناً يسمى اللات^٢ . أو كالذي رواه عن الأصنام ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، من أن هؤلاء كانوا نفرأ من بني آدم صالحين ، « وكان لهم أتباع يقتدون بهم . فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم فلما مساتوا ودب اليهم ابليس ، فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم^٣ » .

وهذه العقيدة هي التي خلقت للأخباريين جملة قصص عن وجود أرواح كامنة في تلك الأصنام ، كانت تتحدث الى الناس ، وهي التي أوحى اليهم بذلك القصص الذي رواه بمناسبة أمر النبي بهدم الأصنام ، من خروج جن من أجوافها حينما قام بهدمها المسلمون . وقد كان أولئك الجنة على وصفهم إناثاً ، والغالب انهن على هيئة زنجيات شمطاوات عجائز ، وقد ثرن شعورهن^٤ . وهي صور مرعبة ولا شك في نظر الناس ، ومن عادة الناس منذ القديم أن يمثلوا الجنة على هيئة نساء طاعنات في السن مريضات .

والخوف من هذه الأرواح أو الجنة التي كانت تقيم في أجواف الأصنام على رأي الجاهليين ، حل بعض من عهد اليهم تحطيم تلك الأصنام على التهييب من الإقدام على مثل ذلك العمل خشية ظهورها وفتكها بمن تجاسر عليها. وهذا الخوف هو الذي أوحى اليهم ولا شك برواية القصص المذكور .

ويمثل الصنم قوة عليا هي فوق الطبيعة ، وقد يظن انها كامنة فيه^٥ . وتكون الأصنام على أشكال مختلفة ، قد تكون على هيئة بشر ، وقد تكون على هيئة حيوان أو أحجار أو أشكال أخرى. ولهذه الأصنام عند عابديها مدلولات وأساطير. وهي تصنع من مواد مختلفة ، من الحجارة ومن الخشب ومن المعادن ومن أشياء أخرى بحسب درجة تفكير عبيدتها وتأثرهم بالظواهر الطبيعية والمؤثرات التي تحيط

١ البلدان (٣١٠/٧) « اللات » .

٢ تفسير الطبري (٦٢/٢٩) .

٣ البلدان (٣١٠/٧) « اللات » .

٤ Ency. Religi.. 7, p. 112.

١٣٣ . وقد تستخدم نحشُبُ خاصة تؤخذ من أشجار ينظر اليها نظرة تقديس واحترام في عمل الأصنام منها . ويتوقف صنعها على المهارة التي يبدئها الفنان في الصنع . ويحاول الفنان في العادة ان يعطيها شكلاً مؤثراً له علاقة بالأساطير القديمة وبالكائن الذي سيمثله الصنم . وقد يكون الصنم من حجارة طبيعية عبدها عن أجداده كأن يكون من حجارة البراكين ، وقد يكون من النيازك عبدها لظنه بوجود قوة خارقة فيها .

ولعبادة الأصنام صلة وثيقة بتقديس الصور Images . وكذلك بصور السحر Magical Images . فكل هذه الأشكال الثلاثة هي في الواقع عبادة . ونعني هنا بتقديس الصور ، الصور المقدسة التي تمثل أسطورة دينية أو رجالاً مقدسين كان لهم شأن في تطور العبادة ، أو جاءوا بديانة ، وأمثال ذلك ، فأحب المؤمنون بهم حفظ ذكراهم وعدم نسيانهم أو الابتعاد عنهم ، وذلك بحفظ شيء يشير اليهم ويذكرهم بهم ، وهذا الشيء قد يكون صورة مرسومة ، وقد يكون صورة محفورة أو منحوتة أو مصنوعة على هيئة تمثال أو رمز يشير الى ذلك المقدس^١ . فالصور المرسومة إذن ، هي نوع من العبادة أيضاً ، ينظر اليها نظرة تقديس وإجلال .

ونجد في روايات أهل الأخبار عن منشأ عبادة الأصنام عند العرب ما يؤيد هذا الرأي ، فهناك رواية طريفة عن الصنم (سواع) تزعم أن سواعاً كان ابناً لشيث ، وأن يغوث كان ابناً لسواع ، وكذلك كان يعوق ونسر ، كلما هلك الأول صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين. ولما عهدوا في دعائه من الإجابة . فلم يزالوا هكذا حتى خلف الخلف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباءنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة . وهناك رواية أخرى تزعم أن الأوثان التي كانت في قوم نوح ، كانت في الأصل أشخاصاً صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا ، أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصاباً ، وسموها بأسمائها ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك وتنوسخ العلم بها عبت^٢ .

١ Ency. Religi. Vol. 7, p. 110.

٢ الروض الأنف (١ / ٦٢) ، تفسير الطبرسي (٥ / ٣٦٤) .

وهناك روايات عن أصنام جعلتها أشخاصاً مسخوا حجراً ، فعبدوا أصناماً ، وصاروا شركاء لله ، تعبد لها ، لأنها في نظرهم تنفع وتضر .

ونجد في أخبار فتح مكة ان الرسول حينما دخل الكعبة رأى فيها صور الأنبياء والملائكة ، فأمر بها فمحيت. ورأى فيها ستين وثلاث مئة صنم مرصعة بالرصاص، وهبل أعظمها ، وهو وجه الكعبة على بابها ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويلبحون ، فأمر بها فكسرت^١ .

أما هذه الصور ، فقليل انها صور الرسل والأنبياء ، وبينها صورة (ابراهيم) وفي يده الأزام يستقسم بها^٢ .

الأصنام :

والصنم في تعريف علماء اللغة هو ما اتخذ لإلهاً من دون الله، وما كان له صورة كالتمثال (مثال) ، وعمل من خشب ، أو ذهب ، أو فضة ، أو نحاس ، أو حديد ، أو غيرها من جواهر الأرض . وقال بعضهم : الصنم جثة متخذة من فضة ، أو نحاس ، أو ذهب ، أو خشب ، أو حجارة ، متقربين به الى الله ، فالشرط فيه أن يكون جثة : جثة انسان أو حيوان . وقيل : الصنم الصورة بلا جثة^٣ . وذكر ان الصنم ما كان من حجر أو غيره^٤ . وعرف بعضهم الصنم بأنه ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة ، فهو وثن^٥ . و (الصنمة) ، الصورة التي تعبد^٦ . وقد كان (المنطبق) صنماً من نحاس أجوف يكلمون من جوفه^٧ .

- ١ ابن الاثير (١٠٥/٢) ، (فتح مكة) ، امتاع الاسماع (٣٨٣/١) وما بعدها .
- ٢ (فترك عمر صورة ابراهيم عليه السلام ، حتى محاها عليه السلام) ، امتاع الاسماع (٣٨٣/١) ، الروض الانف (٢٧٥/٢) وما بعدها .
- ٣ اللسان (٢٤١/١٥) (٣٣٣/١٧) ، تاج العروس (٣٧١/٨) ، (٣٥٨/٩) ، (صنم) ، القاموس (١٤١/٤) ، (٢٧٤) ، الاشتقاق (٣٠٢) ، الاصنام (٥٣) ، المفردات (٢٨٩) .
- ٤ الروض الانف (٦٢/١) .
- ٥ اللسان (٣٤٩/١٢) ، (صنم) ، (صادر) .
- ٦ اللسان (٣٤٩/١٢) ، (صنم) .
- ٧ المحبر (٣١٨) .

ووردت لفظة (صلم) في كتابات عشر عليها في أعالي الحجاز ، اسم علم لإلته ازدهرت عبادته بصورة خاصة بمدينة (تياء) . ويرجع بعض المستشرقين تأريخ ازدهار عبادة هذا الصنم الى حوالي سنة (٦٠٠) قبل الميلاد . وقد ورد اسمه علماء لأشخاص في الكتابات اللحيانية . ورمز عنه برأس ثور في كتابات قوم ثمود^١ .

وقد وردت كلمة (أصنام)^٢ و (أصناماً)^٣ و (الأصنام)^٤ و (أصنامكم)^٥ في القرآن الكريم ، بحسب مواقع الكلمة في الجملة .

وذكر علماء اللغة أن كلمة (صنم) ليست عربية أصيلة ، وإنما هي معربة وأصلها (شمن) (شمن) ، ولكنهم لم يذكروا اسم اللغة التي عربت منها^٦ . وترد اللفظة في اللهجات العربية الجنوبية . وردت (صلمن) في نصوص المسند بمعنى (صنم) و (تمثال) ، و (مثال)^٧ . ووردت في لهجات عربية أخرى . وهي (صلمو) Salmo في لغة بني ارم ، ومعناها (صورة) . من أصل (صلم) بمعنى (صور) . وتقابل (صلم) في العبرانية^٨ .

وقد ورد في قصص أهل الأخبار أن (بني حنيفة) تعبدوا لصنم من حيس ، فعبدوه دهرًا طويلاً ، ثم جاعوا فأكلوه ، فقال الشعراء في ذلك شعراً يعبرون به (بني حنيفة) لأكلهم ربهم زمن المجاعة^٩ . وهو في رأيي من القصص الذي يضعه الخصوم في خصومهم للاستهزاء بهم .

Grimme, 23. ١

الاعراف ، الآية ١٣٧ . ٢

الانعام ، الآية ٧٤ ، الشعراء ، الآية ٧٢ . ٣

ابراهيم الآية ٣٥ . ٤

الانبياء ، الآية ٥٧ . ٥

القاموس (١٤١/٤) ، اللسان (٢٤١/١٥) ، تاج العروس ، (٣٧١/٨) ، روح المعاني (٢١٠/١٣) ، خزائن الادب (٢٤٤/٣ وما بعدها) . ٦

(صلمن ذ صرفن و صلمنن ذ ذهبن) ، أي (تمثال من فضة ، وتمثالان من ذهب) ، راجع المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، لغويدي (١٩) . ٧

غرائب اللغة (١٩٣) . ٨

الاعلاق النفيسة (٢١٧) . ٩

الوثن :

وأما كلمة (وثن) ، فهي من الكلمات العربية القديمة الواردة في نصوص المسند. ويظهر من استعمال هذه الكلمة في النصوص مثل : (وليذبحن وثن درا بخرفم ذبصم صححم انثيم وذكرم) ، أي (وليذبح للوثن مرة في السنة ذبحاً صحيحاً ، أنثى أو ذكراً)^١ . ان الوثن هو الذي يرمز الى الإله ، أي بمعنى الصنم في القرآن الكريم .

الصلم :

ويظهر من استعمال كلمتي (صلمن) (الصلم) (صلم) و (وثن) (الوثن) ان هناك فرقاً بين الكلمتين في نصوص المسند ، فإن كلمة (صلمن) تعني في الغالب تمثالاً يصنع من فضة ، أو من ذهب ، أو من نحاس ، أو من حجر ، أو من خشب ، أو من أية مادة أخرى ويقدم الى الآلهة لتوضع في معابدها تقرباً إليها ، لاجابتها دعاء الداعين بشفائهم من مرض أو قضاء حاجة ، أي انها تقدم نذوراً . أما الوثن ، فإنه الصنم في لهجتنا ، أي الرمز الذي يرمز به الى الإله ، والذي يتقرب له الناس .

والوثن في رأي بعض العلماء ، لفظة مرادفة لصنم . وقال بعض آخر : (المعمول من الخشب أو الذهب والفضة أو غيرها من جواهر الأرض صنم ، وإذا كان من حجارة ، فهو وثن)^٢ . وذكر بعض آخر ان الصنم ما كان له صورة جعلت تمثالاً ، والوثن ما لا صورة له . « وقيل ان الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد ، والصنم صورة بلا جثة . وقيل : الصنم ما كان على صورة خلقة البشر ، والوثن ما كان على غيرها » . « وقال آخرون : ما كان له جسم أو صورة ، فصنم ، فإن لم يكن له جسم أو صورة ، فهو وثن . وقيل : الصنم من حجارة أو غيرها ، والوثن ما كان صورة مجسمة .

١ المختصر ، لغويدي (١٨) .
٢ الاصنام (٣٣) ، (روزا) ، تاج العروس (٣٧١/٨) ، (صنم) ، (٣٥٨/٩) ، (وثن) ، القاموس (١٤١/٤ ، ٢٧٤) ، اللسان (٣٣٣/١٧) ، خزانة الأدب (٢٤٤/٣ وما بعدها) ، سبائك الذهب (١٠١) .

وقد يطلق الوثن على الصليب وعلى كل ما يشغل عن الله . وقال بعض آخر : « يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ، ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه »^١ . وذكر بعض آخر : « أصل الأوثان عند العرب ، كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدوها »^٢ .

وذكر علماء اللغة أن (الودع) وثن^٣ . ولم يذكروا شيئاً عنه غير ذلك . وقد أطلق (الأعشى) على الصليب (الوثن) ، إذ قال :

تطوف العفاة بأبوابه كطوف النصارى بيت الوثن

(أراد بالوثن الصليب) . « قال عديّ بن حاتم : قدمت على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي : القِ هذا الوثن عنك ، أراد به الصليب ، كما سمّا الأعرشى وثناً »^٤ .

فنحن اذن أمام آراء متباينة في معنى (الصنم) و (الوثن) . منهم من جعل الصنم مرادفاً للوثن ، أي في معنى واحد ، ومنهم من فرق بينهما ، ومنهم من جعل الصنم وثناً والوثن صنماً . والظاهر ان مردّ هذا الاختلاف ، هو اختلاف استعمال القبائل للكلمتين ، فلما جمع علماء اللغة معانيها ، وقع لهم هذا التباين وحدث عندهم هذا الاختلاف في الرأي .

وترد في كتب الأدب واللغة لفظة (البعيم)^٥ . اسم صنم ، والتمثال من الخشب ، وقيل الدمية من الصمغ^٦ . والمثال الشبه ، وما جعل مثلاً لغيره ، والتمثال . وهو الشيء المصنوع مشبهاً بخلق وإذا قدرته على قدره . وذكر أنها الأصنام . وفي هذا المعنى وردت في القرآن الكريم : (ما هذه التماثيل ؟ أي

-
- ١ الروض الانف (٦٢/١) .
 - ٢ اللسان (٤٤٣/١٣) ، (وثن) ، (صادر) .
 - ٣ اللسان (٣٨٧/٨) ، (ودع) .
 - ٤ اللسان (٤٤٣/١٣) ، (وثن) .
 - ٥ البعيم ، كأمير .
 - ٦ تاج العروس (٢٠٣/٨) ، (البعيم) ، (الأصنام (١٠٨) ، (تكلمة) « روزا » .

الأصنام . وقوله تعالى : من محارب وتمثيل ، هي صور للأنبياء ^١ . وذكر : التماثيل للأصنام ، والصورة ، والشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله . أي انسان أو حيوان أو نبات ^٢ . ويعبر عن التمثال والمثال بلفظة (امثلن) في العربيات الجنوية . وردت في النصوص لمناسبة تقديم أصحابها تماثيل الى الآلهة لتوضع في معابدها وفاء لنذور نذروها لها ^٣ .

و (الدمية) الصورة المنقشة من الرخام ، أو عام من كل شيء ، أو الصورة عامة . والصنم ، والأصنام دمي . ومن أيمان الجاهلية : لا والدمى ، يريدون الأصنام ^٤ . وذكر ان (الدمية) ما كان من الصنم ^٥ .

و (البدن) الصنم الذي يعبد ، فارسي معرب . عرب من (بت) بمعنى (صنم) ^٦ . وذكر ان (البدن) ، بيت الصنم والتصاوير أيضاً ^٧ .

وقد اشتغل بعض أهالي مكة بصنع الأصنام . فكان (عكرمة بن أبي جهل) ممن يعملها بمكة ^٨ . وكان الأعراب اذا جاءوا مكة أو المواضع الحضرية الأخرى اشتروا الأصنام منها للتعبد لها ^٩ .

هياة الأصنام :

وقد وصف (ابن الكلبي) ، وهو الراوية الرئيس والعالم الكبير بالأصنام هياة بعض الأصنام ، فذكر مثلاً أن الصنم (هبل) ، كان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش فجعلت له يداً من ذهب ^{١٠} . فهو تمثال إنسان اذن نحت من حجر أحمر أو وردي ، لا يستبعد أن يكون من عمل بلاد

- ١ تاج العروس (١١١/٨) ، (مثل) .
- ٢ تاج العروس (١١١/٨) ، (مثل) .
- ٣ Jamme 558, MaMb 201, Mahram, p. 24.
- ٤ تاج العروس (١٣١/١٠) ، (دمي) .
- ٥ الاصنام (١٠٨) ، (تكملة) .
- ٦ تاج العروس (٢٩٥/٢) ، (بدد) ، غرائب اللغة (٢١٨) .
- ٧ تاج العروس (٢٩٥/٢) ، (بدد) .
- ٨ الازرقى (٧٧/١) وما بعدها .
- ٩ الازرقى (٧٨/١) .
- ١٠ الاصنام (٢٧) وما بعدها ، الازرقى (٦٨/١) .

الشَّام أو من عمل الفنانين اليونان ، واستورد من هناك ، فنصب في جوف الكعبة . استورده أحد سادة (مكة) وهو (عمرو بن لحي) على رواية أهل الأخبار ، أو غيره ، لما رأى فيه من حسن الصنعة ودقة النحت . فوضعه في موضعه . ولم يذكر أهل الأخبار سبب كسر اليد اليمنى للصنم ، هل كان ذلك بسبب حادث ، أو بسبب أسطوري . وأما (اللات) فصخرة بيضاء منقوشة ^١ ، في رواية أكثر الأخبار . وتمثال من حجر على رواية ^٢ . وأما العزى ، فهناك رواية تذكر أنها كانت صنماً ، أي تمثالاً ، ولكنها لم تعين صورته على نحو ما تحدثت عنها في الفصل الخاص بالأصنام . وأما (ود) فقد كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل ^٣ . وأما (سواع) ، فكان صنماً على صورة امرأة . ولا يستبعد أن يكون من بين الأصنام الباقية ما كان على صورة حيوان . فقد كان الصنم (نسر) يمثل النسر .

وأقصد بالأصنام في هذا المكان أصنام المعابد ، أي الأصنام التي كان الناس يتقربون إليها بالتعبد والندور . وأما الأصنام الصغيرة ، وهي التماثيل التي كان يتعبد لها الناس في بيوتهم أو يحملونها معهم في أسفارهم أو يحملونها معهم حيث ذهبوا تاركاً بها . فقد كانت كثيرة ، لا يخلو منها انسان ، وكانوا يتقربون بها إلى الأصنام الكبيرة . وقد عثر المنقبون على عدد كبير منها ، وهي متفاوتة في الحجم وفي الروعة ودقة الصنع والاتقان .

عبادة الاصنام :

ونظرية (ابن الكلبي) ومن لفّ لفّه من الأخباريين ان نسل اسماعيل بن ابراهيم لما تكاثروا بمكة حتى ضاقت بهم ، وقعت بينهم الحروب والعداوات ، فأخرج بعضهم بعضاً ، فتنفسحوا في البلاد التماساً للمعاش . وكان كلما ظعن من مكة ظاعن حمل معه حجراً من حجارة الحرم ، تعظيماً للحرم وصباغة بمكة .

-
- ١ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) وما بعدها .
 - ٢ تفسير أبي السعود (١١٢/٥) .
 - ٣ الاصنام (٥٦) ، (٣٥) « روزا » .

فحيثما حلّوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمناً منهم بها وصباة بالحرم وحباً له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعتَمرون ، على إرث ابراهيم واسماعيل .

(ثم سلخ بهم الى ان عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح منها ، على إرث ما بقي فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عَرَقة ومزدلفة ، واهداء البدن ، والإلهال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه)^١ .

فكان أول من غير دين اسماعيل ، فنصب الأوثان ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وبحر البحيرة ، وحى الحامية ، عمرو بن ربيعة ، وهو لحي بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحي ، فهيرة بنت عامر عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي ، ويقال : قعة بنت مضاض الجرهمي^٢ .

وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة . فلما بلغ عمرو بن لحي ، نازعه في الولاية ، وقاتل جرهماً ببني اسماعيل ، فظفر بهم ، وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم عن بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضاً شديداً ، فقبل له : إن باللقاء من الشام حمة إن أتيتها ، برأت . فأتاها ، فاستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقي بها المطر ، ونستنصر بها على العدو . فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة . ثم أخذ عمرو ابن لحي في توزيع الأصنام على القبائل . وبذلك شاعت عبادة الأصنام بين الناس^٣ .

١ الاصنام (ص ٦ وما بعدها) ، ابن هشام (١ / ٨٢) ، الروض الأنف (١ / ٦١) .
٢ الأزرقى ، أخبار مكة (١ / ٤٦) .
٣ الاصنام (ص ٦ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٧٦) ، البلدان (٨ / ٤٠٨ وما بعدها) ، (ود) ، مروج الذهب (٢ / ٢٢٧) ، (ذكر البيوت المعظمة ، والهيكل المشرفة) ، سبائك الذهب (١٠١) ، الروض الأنف (١ / ٦٤) ، البلدان (٤ / ٦٥٢ وما بعدها) (طهران ١٩٣٥) .

هذه رواية شهيرة معروفة بين الأخباريين عن منشأ عبادة الأصنام وانتشارها عند العرب . وفي رواية أخرى : « كان أول من اتخذ تلك الأصنام ، من ولد اسماعيل وغيرهم من الناس ، وسمّوها بأسمائها على ما بقي فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل ، هُذيل بن مدركة »^١ . فنسبت هذه الرواية اتخاذ الأصنام الى هذيل .

وهناك روايات أخرى في هذا المعنى تتفق مع الرواية الأولى من حيث الجوهر ولا تختلف معها إلا في بعض التفاصيل ؛ ففي رواية ان (عمرو بن لحي) حينما قدم (مآباً) من أعمال البلقاء ، وهي يومئذ بأيدي العالقي ، ووجدهم يتعبدون للأصنام ، سألمهم أن يعطوه صنماً منها ليسير به الى أرض العرب ليعبدوه ، فأعطوه الصنم هبل ، فأخذوه ، وقدم به الى مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته^٢ . فعينت هذه الرواية القوم الذين ذهب اليهم (عمرو بن لحي) ، والموضع الذي نزل به ، وثبتت اسم الصنم الذي أخذه منهم . وهي زيادات لم نجدها في كتاب الأصنام . غير ان تشابه عبارات هذه الرواية التي ذكرها (ابن هشام) مع رواية (ابن الكلبي) ، يدل على ان المنبع واحد ، وانما الخلاف هو في ذكر بعض الفروع ، وفي اختصار بعض المواضع ، والإطناب في مواضع أخرى .

وفي رواية أخرى عن (ابن الكلبي) كذلك ، وهي في كتابه الأصنام ، ترجع أيضاً عبادة الأصنام الى عمرو بن لحي ، غير انها تروي الخبر في صيغة أخرى ، فتقول :

« وكان عمرو بن لحي » وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ، وهو أبو خزاعة ، وأمه فهيرة بنت الحارث ، ويقال إنها كانت بنت الحارث بن مضاض الجهمي ، وكان كاهناً . وكان قد غلب على مكة وأخرج منها جرهما ، وتولى سدايتها .

١ الأصنام (ص ٩) ، نسب عدنان وقحطان ، للمبرد (٢٢ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٤/١) ، ابن هشام (٧٨/١) ، (البابي) ، البلدان (٦٥٢/٤) ، (طهران) ، ابن خلدون (٦٨٦/٢) ، مروج الذهب (٥٦/٢ وما بعدها) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، أبو الفداء (٧٦/١) .
٢ ابن هشام (ص ٦٢) ، حاشية على الروض الانف ، ابن هشام (٨٢/١) ، ديوان حسان (D. 11) ، (هرسفلد) ، ابن هشام (٧٨/١ وما بعدها ، ١٢٠) .

وكان له رثي من الجن، وكان يكنى أبا ثمامة ، فقال له : عجل بالمسير والظعن من ثمامة ، بالسعد والسلامة ! قال : جيّر ، ولا إقامة .

قال : ايت ضفّ جدّة ، تجد فيها أصناماً معدة ، فأوردها تهامة ولا تهاب ، ثم ادع عبادتها قاطبة .

فأتى شطّ دجلة ، فاستشارها ، ثم حملها حتى ورد تهامة ، وحضر الحجّ ، فدعا العرب الى عبادتها قاطبة .

فأجابه عوف بن عدّة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فدفع اليه ودّاً . فحمله الى وادي القرى ، فأقره بدومة الجندل . وسمّى ابنه عبد ودّ . فهو أول من سُمّي به ، وهو أول من سُمّي عبد ودّ ، ثم سمعة العرب به بعد^١ .

فهذه الرواية هي على شاكلة الرواية الأولى في منشأ عبادة الأصنام بين العرب قبل الاسلام بحسب رأي الأخباريين بالطبع ، سوى اختلافها عنها في المكان الذي أخذت الأصنام منه . فهنا (جدّة) على ساحل البحر الأحمر ، وهناك اللقاء من أعمال الشام . والموضعان ، وإن كانا مختلفان موقعاً ، يتفقان في شيء واحد هو وقوعهما على حدّ مقصود ، يرده الأجانب منذ القديم للتجار . فهل يعني هذا استيراد تلك الأصنام من الخارج ، من بلاد الشام أو من مصر ، وإنها كانت من عمل اهل الشام أو اهل مصر أو من عمل الروم أو الرومان ؟ وتذكر رواية أخرى ان (عمرو بن لحي) ، إنما جاء بالصنم (هبل) ، من (هيت) بالعراق حتى وضعه في الكعبة^٢ .

وعمر بن لحي هو على اختلاف الروايات أول من غيّر دين اسماعيل، فنصب الأوثان ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحى الحامي . فقأ عين عشرين بغيراً ، فصارت العادة أن يققأ عين الفحل من الإبل إذا بلغت الإبل ألفاً . فإذا بلغت ألفين ، فقتل العين الأخرى . وقد نسب اليه كلام طويل . وزعم له عمر مديد ، وقصص أخرجه من عالم الواقع الى عالم القصص والأساطير ، ورجع عصره الى ايام (العالليق) والى ايام (سابور ذي الأكتاف) . وذكر ان العرب

١ الاصنام (ص ٥٤ وما بعدها) .

٢ الازرقعي (٧٣/١ وما بعدها) ، الروض الانف (٦٥/١) .

جعلته (رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة)^١ ، وذكروا انه كان ملكاً على الحجاز ، وكان كبير الذكر في ايامه ، الى غير ذلك من قصص بروونه عنه^٢ .

وذكر (المسعودي) ، ان (عمرو بن لحي) حين خرج الى الشام ورأى قوماً يعبدون الأصنام ، فأعطوه منها صنماً فنصبه على الكعبة ، وأكثر من الأصنام ، وغلب على العرب عبادتها ، انمحت الخنيفية منهم إلا لماماً ، ضج العقلاء في ذلك ، فقال (شحنة بن خلف) (سحنة بن خلف الجرهمي) :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصبا
وكان للبيت ربّ واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهمل سيصطفي دونكم للبيت حجابا^٣

وكان (عمرو بن لحي) كاهناً على ما يذكره أهل الأخبار^٤ ، وهو من (خزاعة) ، التي انخرعت من اليمن . ثبت حكمه على مكة ، بعد أن انتزع الحكم من جرهم ، وغلب قومه عليها ، فصاروا يطيعونه ويتبعون ما يضعه لهم . وقد نسبوا اليه وضع بقية الأصنام ، مثل اللات واساف ونائلة ، فهو على رأي أهل الأخبار مؤسس هذه الأصنام التي بقيت الى أيام النبي ، والتي حطمت بأمره عام الفتح ، وباستيلاء المسلمين على المواضع الأخرى .

وذكر أهل الأخبار أن (عمرو بن لحي) كان أول من غير تلبية (ابراهيم) . وكانت : (لبيك لا شريك لك . لبيك) ، فجعلها : (لبيك اللهم لبيك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما لك) ، وقد كان (ابليس) قد ظهر له في صورة شيخ نجدى على بعير أصهب ، فسايره ساعة ، ثم لبى ابليس ، فلبى (عمرو) تلبيته حتى خدعه . فلبّاها الناس على ذلك^٥ .

١ الروض الأنف (٦٢/١) ، البداية والنهاية (١٨٨/٢) .

٢ المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٤/١) .

٣ مروج الذهب (٢٩/٢) وما بعدها .

٤ مروج الذهب (٣٠٣/٢) .

٥ الازرقعي (١٢٦/١) وما بعدها ، (٢٦/١) وما بعدها ، ابن هشام (٧٩/١) وما بعدها .

وقد قيل إنه بلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية مبلغه^١. ويظهر أنه كان من أصحاب الحول والسلطان والجاه، ولذلك ترك هذا الأثر في روايات أهل الأخبار. واني أرى أنه لم يكن بعيد عهد عن الإسلام، وإلا لم حفظت ذاكرة أهل الأخبار أخبارها عنه. والظاهر أنه كان كاهناً من الكهّان، ورجلاً كبيراً من رجال الدين.

وروي أن الرسول ذكر أن (عمر بن لحي بن قعدة) كان أول من غير دين اسماعيل، فنصب الأوثان، وسبب السائبة، ووصل الوصيلة^٢.

ولست أظن أن الرواة قد أقحموا اسم (عمرو بن لحي) في قصة انتشار الأصنام في جزيرة العرب اقحاماً من غير أصل ولا أساس، فلا بد من أن تكون للرجل صلة ما بعبادة الأصنام عند الجاهليين، ولا بد أن يكون من الرجال الذين عاشوا في عهد غير بعيد عن الإسلام، لا قبل ذلك بكثير كما يدعي الأخباريون، فما كان خبره ليصل اليهم على هذا النحو لو كان زمانه بعيداً عنهم البعد الذي تصوره. وأنا لا أستبعد احتمال شراء (عمرو بن لحي) للأصنام من بلاد الشام ومجئته بها إلى الحجاز، ونصبه لها في الكعبة وفي مواضع أخرى، لما وجده من حسن صنعة التماثيل في تلك البلاد ومن جودة حجارتها، فاشترى عدداً منها، لتنصب في المحجّات، فنسبت عبادة الأصنام إليه.

وزعموا أن (ابن أبي كبشة): (جزء بن غالب بن عامر بن الحارث ابن غبشان الخزاعي)، كان ممن أدخل الشرك إلى العرب، وخالف دين التوحيد. لقد ذكروا أنه دعا إلى عبادة (الشعري العبور)^٣.

وليست عبادة الأصنام والأوثان عبادة خاصة بالعرب، بل هي عبادة كانت معروفة عند غيرهم من الشعوب السامية، وعند غير الساميين، كما أنها لا تزال موجودة قائمة حتى الآن.

وكانت قريش تتعبد وتتقرب إلى أصنام قبائل أخرى، على شرط المثل، أي أن تتقرب تلك القبائل وتتعبد لأصنام قريش. فقد ذكر (السكري) أن قريشاً

١ أخبار مكة (٥٤) .

٢ الاستيعاب (١٢٠/١) .

٣ تاج العروس (٣٤١/٤) .

كانت تعبد صاحب كنانة ، وبنو كنانة يعبدون صاحب قريش^١ . وقد تمكنت قريش بفضل هذه السياسة الحكيمة من جمع أصنام العرب وضمها في الكعبة ، وهذا ما جعل القبائل تعظم هذا المجمع ، وتخرج إليه كل سنة مرة ، في موسم الحج ، بالإضافة الى الأيام الأخرى من أيام السنة ، حيث تقع فيها العمرة . فربحت من ذلك ربحاً معنوياً ومادياً ، وصارت مكة سوقاً مستقرة ثابتة ، يقصدها الناس في كل وقت .

الحلف بالأصنام والطواغيت :

ولعقيدتهم المذكورة في الأصنام ، كانوا يحلفون بها وبالطواغيت . والظاهر أن هذه العادة بقيت في نفوسهم حتى في الإسلام . فقد ورد في الحديث : « أنه قال من حلف بغير الله ، فقال في حلفه باللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله »^٢ ، و « من حلف ، فقال في حلفه باللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله » ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق^٣ . وكانت ألسنتهم تسبقهم ، لما اعتادته من زمن الجاهلية من الحلف بالأصنام^٤ .

-
- ١ المحبر (٣١٨) .
 - ٢ ارشاد الساري (٣٧٧ / ٩) .
 - ٣ تفسير ابن كثير (٢٥٣ / ٤) .
 - ٤ تفسير ابن كثير (٢٥٣ / ٤) .

الفصل الثالث والستون

أنبياء جاهليون

ويظهر من أخبار أهل الأخبار أن الجاهليين لم يعدوا من الأنبياء ، فقد ذكروا لهم أنبياء قالوا لهم بشروا بالله وبدينه بين العرب الأولى ، ومنهم (هود) نبيّ (عاد) ، و (صالح) نبي قوم ثمود . وقد أشير اليهما في القرآن الكريم^١ . وزعموا أن رجلاً من بني (قطيعة بن عيس) كان نبياً كذلك ، ولم يكن في بني اسماعيل نبيّ قبله . وهو الذي أطفأ الله به (نار الحرتين) . وكانت بيلاد عيس . فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء ، وكانت طيء تنفث بها لابلها ، وربما ندرت منها (العتق) ، أي قطعة فتأتي على كل شيء فتحرقه . وإذا كان النهار فلإنما هي دخان يغور . فاحتفر (خالد) لها بئراً ، ثم أدخلها فيها ، والناس ينظرون ، ثم اقتحم فيها حتى غيبتها . وذكروا أنه نجح في إخمادها ، وكان الناس يقولون : هلك الرجل ، فكذبهم ، وخرج سالماً . فلما حضرته الوفاة قال لقومه : إذ أنا مت ثم دفنتموني ، فاحضروني بعد ثلاث ، فإنكم ترون عيراً أبتري بطوف بقبري ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني ، فلإني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث ، فلما رأوا العير وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدالله في الفرقة التي أبت أن تنبشه ، وهو يقول : لا أفعل ! لإني إذا ادعى ابن المنبوش ! فتركوه .

١ سورة هود ، الآية ٥٣ ، ٦٠ ، ٨٩ ، الشعراء ، الآية ١٢٤ ، صالح ، سورة الاعراف الآية ٧٧ ، هود ، الآية ٦٢ ، ٨٩ ، الشعراء ، الآية ١٤٢ .

قال (الجاحظ) : والمتكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرايياً وبَرياً ، من أهل (شرح) و (ناظرة) . ولم يبعث الله نبياً من الأعراب ولا من القَدَّادين أهل الوبر ، وهم أهل البادية . إنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكان المدن^١ .

ويظهر أنه عاش قبيل الإسلام . فقد ذكر أهل الأخبار أن ابنة له قدمت على النبي ، فبسط لها رداءه وقال : هذه ابنة نبي ضيعه قومه . وذكروا أنها لما سمعت سورة : « قل هو الله أحد » ، قالت : قد كان أبي يتلو هذه السورة^٢ . وزعموا أنه هو الذي دعا على العنقاء ، فذهبت وانقطع نسلها^٣ .

ثم نبي آخر اسمه (حنظلة بن صفوان) ، كان نبياً بعثه الله الى (أهل الرس) ، فكذبوه وقتلوه ، عاش في أيام (بختنصر) ، وقد نسب الى حمير ، وقيل إنه كان من أنبياء الفترة كذلك ، وإنه هو الذي دعا على العنقاء ، فانقطع نسلها^٤ . وذكر بعض أهل الأخبار أن الله أرسل (حنظلة) الى أهل عدن ، فقتلوه^٥ .

وذكر أهل الأخبار اسم نبي أرسل الى أهل (حضور) ، اسمه (شعيب بن ذي مهدي) . فقتلوه ، فاستأصلهم (بخت نصر) ، وقبره بـ (صنين) جبل باليمن^٦ .

وذكر أهل الأخبار أن (مسيلمة بن حبيب الحنفي) ، كان ممن ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاء^٧ . وكان قد طاف قبل النبي ، في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات ، كنحو سوق الابل ، وسوق لقه ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة . وكان يلتمس تعلم الحيل والنيترجات ، واختيارات النجوم والمنتبين . وقد كان أحكم حيل السدنة

١ الحيوان (٤/٤٧٦ وما بعدها) .

٢ الحيوان (٤/٤٧٧) .

٣ (ذاك نبي أضاعه قومه) ، بلوغ الارب (٢/٢٧٨ وما بعدها) .

٤ اللسان (١٢/١٤٩) ، (عنق) ، تاج العروس (١/٤١٠) ، (عنق) .

٥ الروض الانف (١/٩) .

٦ الروض الانف (١/٩) .

٧ الحيوان (٤/٨٩) ، «مسيلمة بن عثامة بن كبير بن حبيب بن الحرث ، من بني حنيفة» ، ارشاد الساري (٦/٤٣٤) .

والخواء وأصحاب الزجر والخط ، ومذهب الكاهن والعياف والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه^١ .

وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك ، أنه صبّ على بيضة من خلّ قاطع ، حتى لان قشرها ، فأدخلها في قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت وبيست ، وعادت الى هيئتها الأولى ، فأخرجها الى (مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي) اليمامي ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادعى بها أعجوبة ، وأنها جعلت له آية ، فأمن به من في ذلك المجلس : مجاعة وغيره . ومن ذلك أنه كان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يراهن في منزل مجاعة مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض ، الى الحمام فقال لمجاعة : الى كم تعذب خلق الله بالقص ؟! ولو أراد الله للطير خلاف الطيران لما خلق لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام ! فقال له مجاعة كالمعتن : فسل الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن ينبت لك جناح هذا الطير الذكر الساعة ؟

قال مسيلمة : فإن أنا سألت الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ، أتعلمون اني رسول الله اليكم ؟ قالوا : نعم . قال فلاني أريد أن أناجي ربي ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وان شتم فادخلوني هذا البيت وادخلوه معي ، حتى أخرجهم اليكم الساعة وافي الجناحين يطير . وأنتم ترونه ولم يكن القوم سمعوا بتغريز الحمام ، وكانوا بسطاء لا يعرفون حيل المحتالين ، فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما كان معه في جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . فلما غرز ريشه أخرجهم ، وأرسله أمامهم من يده فطار ، واعتبروا عمله آية .

ثم انه قال لهم : أن الملك ينزل إليّ ، والملائكة تطير وهي ذوات أجنحة ، ولمجيء الملك زجل وخشخشة وقعقة ، فمن كان منكم ظاهراً فليدخل منزله ، فإن من تأمل اختطف بصره ! ثم صنع راية من رايات الصبيان التي تعمل من الورق الصيني ، ومن الكاغد ، وتجعل لها الأذنان والأجنحة ، وتعلق في صدورها الجلاجل ، وترسل يوم الريح بالخيوط الطوال الصلاب . ثم أرسلها مع الريح ، وهم لا يرون الخيوط ، والليل لا يبين عن صورة الرق ، وعن دقة الكاغد ،

١ الحيوان (٣٦٩/٤ وما بعدها) ، المعارف (٤٠٥) .

فتوهموا أن ذلك الملائكة : وتصارخوا ، وصاح : من صرف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أطبقوا على نصرته والدفع عنه . فهو قوله :

بيضة قارورٍ ورايةٍ شادنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^١

ونسب بعض أهل الأخبار (مسيلمة) على هذا النحو : (مسيلمة بن ثمامة ابن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة)^٢ و (مسيلمة الكذاب بن حبيب) ثمامة بن كبير ، وجعله بعضهم (مسيلمة بن حبيب) . وجعلوا كنيته (أبا ثمامة) وقيل (أبا هارون) و (أبو ثماله)^٣ . وذكروا أنه كان يسمى بـ (الرحمان) قبل مولد (عبد الله) والد رسول الله ، « وكانت قريش حين سمعت : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال قائلهم : دق فوك ، إنما تذكر مسيلمة رحمان اليمامة »^٤ . وذكروا أنه دعا إلى الرحمان ، أي إلى عبادة الرحمان . بينما عرف نفسه بـ (الرحمن) ، فقليل له : (رحمان اليمامة)^٥ . وأنه دعا إلى عبادته هذه قبل النبوة ، وقد عرف أمره بمكة ، فلما نزل الوحي على الرسول ، قال أهل مكة إنما أخذ علمه من (رحمان) اليمامة^٦ . وقالوا له : « إنا قد بلغنا أنك إنما تعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً » . « فأنزل الله سبحانه : وهم يكفرون بالرحمن . قل : هو ربي . كان مسيلمة بن حبيب الحنفي ، ثم أحد بني الدول قد تسمى بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين . ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم »^٧ .

قال (الواحدي) في أسباب نزول الآية : « وهم يكفرون بالرحمن . قل :

-
- ١ الحيوان (٣٧١/٤ وما بعدها) ، المعارف (٤٠٥) .
 - ٢ الروض الانف (٣٤٠/٢) ، (وفد بني حنيفة) ، امتاع الاسماع (٥٠٦/١) ، البلاذري ، فتوح (٩٧) ، (اليمامة) .
 - ٣ الاشتقاق (٢٠٩) ، البلاذري ، فتوح (١٠٠) .
 - ٤ الروض الانف (٣٤٠/٢) ، اليعقوبي (١٢٠/١) .
 - ٥ Shorter Ency., p. 416.
 - ٦ Shorter Ency., p. 416.
 - ٧ الروض الانف (٢٠٠/١) .

هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب ^١ : « قال أهل التفسير : نزلت في صلح الحديبية ، حين أرادوا كتاب الصلح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل بن عمرو والمشركون : ما نعرف الرحمن ، إلا صاحب اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب . اكتب باسمك اللهم . وهكذا كانت الجاهلية يكتبون ، فأُنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ^٢ . وذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا به وزادهم نفوراً » ^٣ ، « أن مسيلمة كان يدعى الرحمن . فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، اسجدوا للرحمن قالوا : أنسجد لما يأمرنا الرحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له » ^٤ . أو أنهم قالوا : « ما نعرف الرحمن إلاّ الرحمن اليمامة . يعنون مسيلمة الكذاب » ^٥ .

ولا يعقل قول من قال ان مسيلمة كان يعرف بـ (الرحمن) قبل ولادة (عبدالله) والد الرسول . أما انه كان أسنّ من الرسول فلا غرابة في ذلك ، ولكني لا أرى انه كان أكبر من الرسول بعشرات السنين . ومن الجائز ان يكون قد دعا الى عبادة (الرحمن) ، وهي عبادة كانت شائعة معروفة إذ ذاك ، في اليمامة وفي غير اليمامة ، فعرف بين قومه بـ (رحمن اليمامة) ، وذلك قبل نزول الوحي على الرسول ، فسمع أهل مكة بدعوته .

وورد في رواية ان (أبا جهل) سمع (رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في الحجر ويقول : يا الله يا رحمن . فقال : كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة ، وهو يدعو إلهين . فنزلت هذه الآية ، : قل ادعوا لله أو ادعوا الرحمن) ^٦ . وفي هذا الخبر إن صح ، دلالة على ان أهل مكة كانوا قد سمعوا بعبادة (الرحمن) وانهم سمعوا ان قوماً من الجاهليين دعوا الى عبادته ، وان (أبا جهل) كان قد سمع قولهم ، ولهذا أخذ على النبي قوله : يا الله يا رحمن . ولا يعقل ألا يكون لأهل مكة علم بعبادة (الرحمن) ، التي تحدثت عنها في موضع آخر ، وقد كان

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الرد ، الرقم ١٣ ، الآية ٣٠ . |
| ٢ | أسباب النزول (٢٠٥ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣١٧/٩ وما بعدها) . |
| ٣ | الفرقان ، الآية ٦٠ . |
| ٤ | تفسير الطبري (١٩/١٩) ، روح المعاني (٣٦/١٩٦) ، |
| ٥ | تفسير القرطبي (٦٤/١٣) . |
| ٦ | تفسير القرطبي (٣١٨/٩) . |

لهم اتصال باليمن وباليمامة وبمعظم أنحاء جزيرة العرب . وأرى ان (مسيلمة) كان قد دعا الى عبادة الرحمن متأثراً بدعوة المتعبدين له ممن كان قبله على ما يظهر ، وهي عبادة إله اسمه (الرحمن) فعرف مسيلمة بـ (الرحمن) وبـ (رحمن اليمامة) . وعبادة الرحمن ديانة متأثرة بفكرة التوحيد ، وبوجود إله واحد هو (الرحمن) رب العالمين .

وقد أشير الى موضع اسمه (وادي الرحمن) في الكتاب الذي أعطاه رسول الله الى (يزيد بن المحجل) الحارثي ، ورد فيه : (ان لهم غرة ومساقية ووادي الرحمن من بين غابتها)^١ . ولا أستبعد احتمال وجود صلة بين هذه التسمية وبين الرحمن الإله .

وقد وصف الرواة (مسيلمة) بأنه (كان قصيراً شديد الصفرة أخنس الأنف أفطس)^٢ .

ويظهر من غربة ما ذكره أهل الأخبار عن (مسيلمة) أنه كان أكبر عمراً من الرسول . وأنه كان قد تكهن وتنبأ باليمامة ووجد له أتباعاً قبل نزول الوحي على النبي . وأن أهل مكة كانوا على علم برسالته . ويذكر أهل الأخبار أن (مسيلمة) كان ابن مائة وخمسين سنة حين قتل^٣ . وهو عمر قد بولغ فيه ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون في هذه السن يوم قتل ، فقد كان فعالاً نشيطاً ، نشاطاً لا يمكن أن يظهر إلا من رجل قوي فعال ، هو دون المائة . وكان (مسيلمة) يدعي أن معه رثيلاً في أول زمانه ، ولذلك قال الشاعر حين وصفه :

ببيضة قارور وراية شادن وخلة جني وتوصيل طائر^٤

وكان (مسيلمة) في جملة رجال (وفد حنيفة) الذي قصد الرسول ، وفيهم (رحال بن عنقوة) . لكنه — كما يقول الرواة — لم يذهب مع الوفد

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) ، (ذكر بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرسل بكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام) .

٢ البلاذري ، فتوح (١٠٠) .

٣ الروض الأنف (٣٤٠/٢) ، اليعقوبي (١٢٠/١) .

٤ الحيوان (٢٠٥/٦) وما بعدها .

الى الرسول ، بل بقي مع رجال الوفد يبصرها لهم . فلما قرروا العودة ، بعد أن أسلموا وأعطاهم جوائزهم ، قالوا : « يا رسول الله إننا خلفنا صاحباً لنا في رحالنا يبصرها لنا ، وفي ركابنا يحفظها علينا ، فأمر له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمثل ما أمر به لأصحابه وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه ركابكم ورحالكم ، فقبل ذلك لمسيلمة ، فقال : عرف أن الأمر إليّ من بعده . فلما عادوا الى ديارهم ، ادعى مسيلمة النبوة ، وشهد (رجال بن عنفوة) (الرجال بن عنفوة) ، أن رسول الله ، أشركه في الأمر ، فتبعه الناس^١ . وكان (الرجال) قد تعلم سوراً من القرآن ، فنسب الى (مسيلمة) بعض ما تعلم من القرآن ، فكان من أقوى أسباب الفتنة على (بني حنيفة) . قتله (زيد بن الخطاب) ، يوم اليمامة^٢ .

وذكر (الطبري) ، أن (مسيلمة) كان يصانع كل أحد ويتألفه ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح . (وكان معه نهار الرجال بن عنفوة) وكان قد هاجر الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقرأ القرآن ، وفقه في الدين ، فبعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة ، وليشدّد من أمر المسلمين ، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، شهد له أنه سمع محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : إنه قد أشرك معه ، فصدقوه واستجابوا له ، وأمره بمكاتبة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه ، فكان نهار الرجال ابن عنفوة لا يقول شيئاً إلا تابعه عليه ؛ وكان ينتهي الى أمره^٣ . وكان الذي يؤذن له : عبدالله بن النواحة ، وكان الذي يُقيم له (حجير بن عمير) ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا ذنا حجير من الشهادة ، قال : صرّح حجير ، فيزيد في صوته ، ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل مَنْ كان قد أسلم ، فعظم وقاره في أنفسهم^٤ . فجعل (الطبري) اسم مساعد (مسيلمة) (نهار الرجال بن عنفوة) ، لا (الرجال بن عنفوة) (رجال بن عنفوة)

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣١٦/١ وما بعدها) ، (وفد حنيفة) ، الطبري (٣٧/٣) وما بعدها) ، (قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة) .
 - ٢ الروض الآنف (٣٤٠/٢) .
 - ٣ الطبري (٢٨٢/٣ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (٢٨٣/٣) .

كما في الموارد الأخرى . لكنه عاد فدعاه (الرجال)^١ تارة و (رجال بن عنفوة) تارة أخرى ، حينما تكلم عنه وعن نهايته . وذلك في أيام (أبي بكر) ، أي في حوادث السنة الحادية عشرة^٢ . وأظن أن مردّ هذا الاختلاف لا يعود الى (الطبري) نفسه ، بل الى النسخ والى الطبع .

وقد أورد (الطبري) رواية أخرى في كيفية قدوم (مسيلمة بن حبيب) على رسول الله . فذكر (ان بني حنيفة أتت بمسيلمة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تسره بالثياب ، ورسول الله جالس في أصحابه ، ومعه عسيب من سعف النخل ، في رأسه خوصات ، فلما انتهى الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك !) . ولم يشر (الطبري) الى أسماء من جاء معه من وفد (بني حنيفة) ، وقد ذكر بعد هذه الرواية السابقة التي ذكرتها ، دون أن يشير الى أسماء رجال الوفد^٣ . ثم قال بعد ذلك : (ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ، فلما انتهى الى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنسأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : أما انه ليس بشركم مكاناً ! ما ذلك إلا لما كان يعلم اني قد أشركت معه ، ثم جعل يسجع السجعات ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن : لقد أنعم الله على الحُبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى . ووضع عنهم الصلاة ، وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك)^٤ .

ولا يتفق ما ذكره (الطبري) من وضع (مسيلمة) الصلاة عن أتباعه ، مع ما أورده هو من اتخاذ مؤذناً يؤذن بين الناس ، ومن اتخاذ (مقيماً) يقيم له الصلاة ، ثم مع ما ذكره غيره من انه قلّص الصلوات الخمسة ، فجعلها ثلاثة صلوات في اليوم^٥ . ولا يوجد دليل على تحليله الزنا والخمر .

وذكر ان (مسيلمة) ، بعد ان عاد الى قومه كتب كتاباً الى الرسول فيه :

- ١ الطبري (٢٨٧/٣) .
- ٢ الطبري (٢٨١/٣ - ٣٠١) ، (ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة) .
- ٣ الطبري (١٣٧/٣) ، زاد المعاد (٣١/٣) وما بعدها .
- ٤ الطبري (١٣٨/٣) ، زاد المعاد (٣١/٣) .
- ٥ Shorter Ency., p. 416.

(من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ، أما بعد ، فلاني قد أشركت معك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصفها ، ولكن قريشاً قوماً يعتدون) . فكتب اليه رسول الله : . (بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ، فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين) . وقدم بكتاب مسيلمة رجلان ، فسألها رسول الله عنه فصدّاه ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما ^١ .

وتذكر رواية أخرى أن مسيلمة قال للرسول يوم وفد عليه مع من وفد من رجال (حنيفة) : (إن شئت خلتنا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : لا ولا نعمة عين ولكن الله قاتلك) . وتذكر رواية أخرى أن (هوزة بن علي الحنفي) صاحب اليمامة ، قد كتب الى النبي ، أن يجعل له الأمر من بعده على أن يسلم ويصير اليه فينصره ، فقال رسول الله : لا ولا كرامة اللهم اكفنيه ، فمات بعد قليل ^٢ .

وروي أن رسول الله ، بعث (حبيب بن زيد بن عاصم) أحد (بني النجار) و (عبدالله بن وهب الأسلمي) الى مسيلمة ، فلم يعرض لعبدالله ، وقطع يدي حبيب ورجليه ^٣ .

وذكر أن رسولي مسيلمة اللذين حملا كتابه الى الرسول ، كانا (ابن الفوّة) و (ابن أثال) ، وانهما قالوا لرسول الله : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال الرسول : لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما . فعادا الى صاحبيهما ^٤ .

وذكر (الطبري) أن (مسيلمة) « ضرب حرماً باليمامة ، فنهى عنه ، وأخذ الناس به ، فكان محرماً ، فوق في ذلك الحرم قرى الأحاليف ، أفخاذ من بني أسيد ، كانت دارهم باليمامة فصار مكان دارهم في الحرم) ، فصاروا يغيرون على ثمار أهل اليمامة . ويتخذون الحرم دغلاً ، فلما نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ، وإن لم يندروا بهم فذلك ما يريدون . » فكثّر ذلك منهم حتى استعدوا عليهم ، فقال : انتظر الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم ، ثم قال لهم :

١ امتناع الاسماع (٥٠٨/١ وما بعدها) ، اليعقوبي (١٢٠/١) .
٢ البلاذري ، فتوح (٩٧) ، (اليمامة) .
٣ البلاذري ، فتوح (١٠٢) .
٤ زاد المعاد (٣٢/٣) .

والليل الأطحهم ، والذئب الأدلم ، والجذع الأزلم ، ما انتهكت أسيد من محرم . فقالوا : أما محرم استحلال الحرم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعدوى . فقال : انتظر الذي يأتي ، فقال : والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس . فقالوا : أما النخل مرطبة فقد جدّوها ، وأما الجدران يابسة فقد هدموها ، فقال اذهبوا وارجعوا فلا حقّ لكم^١ .

وقد أورد أهل الأخبار كلاماً زعموا أن (مسيلمّة) نظمه مضاهاة للقرآن . من ذلك قوله : « يا ضفدع نقيّ كم تنقيّن ! نصفك في الماء ونصفك في الطين ! لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين^٢ » . « وكان فيما يقرأ لهم فيهم : إن بني تميم قوم طهر لقاح ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كل إنسان ، فإذا متنا فأمرهم الى الرحمان^٣ » . « وكان يقول : والشاة وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فالكم لا تمجعون^٤ » . « وكان يقول : يا ضفدع ابنة ضفدع ، نقيّ ما تنقيّن ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين^٥ » . « وكان يقول : والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقيات لقماً ، إهالة وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتز فأووه ، والباغي فناوئوه^٦ » . وذكر بعض أهل الأخبار أن (أبا بكر) لما سأل وفداً من (بني حنيفة) أرسله (خالد) اليه عمّا كان يقوله لهم : « قالوا : كان يقول يا ضفدع نقيّ نقيّ ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون^٧ » .

ويظهر من أسلوب هذه الآيات المنسوبة الى (مسيلمّة) : أنها محاكاة ومضاهاة للآيات الأولى من القرآن الكريم ، الآيات التي نزلت بمكة في عهد الرسالة الأولى.

١ الطبري (٢٨٣/٣) .

٢ الحيوان (٥٣٠/٥) .

٣ الطبري (٢٨٣/٣) وما بعدها .

٤ الطبري (٢٨٣/٣) وما بعدها .

٥ الطبري (٣٠٠/٣) .

وهي بذلك تختلف عن أسلوب الوحي المنزل بعد الهجرة بالمدينة^١ . ولم نجد فيما بقي من كتب أهل الأخبار ما يشير بشيء إلى (قرآن مسيلمة) ، أو إلى بقية أخرى منه .

هذا ولا بد لي من التنبيه إلى أننا لا نستطيع التأكيد بأن ما نسب إلى مسيلمة من كلام ، هو حق وصحيح . فمن الجائز أن يكون قد وضع عليه وضعاً . وقد رأينا كيف انهم اختلفوا في رواية (يا ضفدع) اختلافاً بينا في ضبط العبارات . وكان الناس يقصدون (مسيلمة) ليسمعوا منه ، بعد أن اشتهر أمره . وقد تمكن من التأثير في بعضهم . وكان ممن قصده (المتشمس بن معاوية) ، عم (الأحنف بن قيس) الشهير . فلما خرج من عنده قال عنه أنه كذاب^٢ . وقال عنه (الأحنف) ، وقد رآه أيضاً ، وقد سئل كيف هو ؟ ما هو بنبي صادق ، ولا بمتمنيء حاذق^٣ .

وذكر أهل الأخبار أن مسيلمة كان صاحب (نيرجات) وتمويه واحتيال . يدعي المعجزات والآيات ، وأنه أول من أدخل البيضة في القارورة ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدعي أن ظبيّة تأتيه من الجبل فيحلب لبنها . وقد جربه قوم ، فوجدوا آياته (منكوسة . نفل في بشر قوم سألوه ذلك تبركاً ، فلعج ماؤها . ومسح رأس صبي فقرع قرعاً فاحشاً ، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة ، فرجع إلى منزله ، فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب . ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه)^٤ ، ومسح وجه (أبا بصير) ، وهو صبي من (بني يشكر بن وائل) ، وكانوا أتوا به (مسيلمة) ، فعلمي ، فكني (أبا بصير) ، وكان يروى عنه^٥ . وأنته امرأة من بني حنيفة ، تكنى بأم الهيثم ، (فقالت : إن نخلنا لسحق وإن آبارنا لجرز ، فادع الله لماننا ولنخلنا ، كما دعا محمد لأهل هزمان) ، فدعا بسجل ، ودعا لهم فيه ، ثم تمضمض بقمه منه ، ثم مجه فيه ، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك

Shorter Ency., p. 416.

١ المعارف (٤٢٤)
٢ امالي المرتضى (٢٩٢ / ١)
٣ الروض الآنف (٣٤٠ / ٢)
٤ المعارف (٤٥٤)

الآبار ، ثم سقوه نخلهم ، فغارت مياه تلك الآبار ، وخوى نخلهم . وقد ذكر (الطبري) هذه الملاحظة : (وانما استبان ذلك بعد مهلكه)^١ .

وروى (الطبري) ، أخباراً أخرى من هذا النوع ، ذكر ان (نهراً) قال له : برك على مولودي بني حنيفة ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز اذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً فحنتكه ومسح رأسه ، فلم يؤت مسيلمة بصبي فحنتكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ . وذكر ان (نهراً) قال له : توضأ واعط وضوءك الى أصحاب الحيطان ، أي البساتين كما يفعل محمد ، فأعطى أحدهم وضوءه ، فسقى به حائطه ، فيست أشجاره ، وصارت الأرض يباباً لا ينبت مرعاها . وأعطى (مسيلمة) رجلاً سجلاً من ماء ، وكانت أرضه سبخة ، فأفرغه في بثره ، فغرقت أرضه ، فما جف ثراها ، ولا أدرك ثمرها . وأنه امرأة فاستجلبته الى نخل لها يدعو لها فيها ، فجزت كبائسها يوم عقرباء كلها^٢ .

وقد عرف (مسيلمة) بن أتباعه ب (رسول الله) ، وكانوا يتعصبون له ، ويؤمنون به إيماناً شديداً . وذكر أن (طلحة النيمري) جاء الى اليمامة ، فقال : « أين مسيلمة ؟ قالوا : انه رسول الله ! فقال : لا ، حتى أراه ، فلما جاءه . قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم . قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن . قال : أتني نور أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد أنك لكذاب وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر » ، أو (أنه قال : كذاب ربيعة أحب إليّ من كذاب مضر) ، فقتل معه (يوم عقرباء)^٣ .

ويظهر من بعض ملاحظات (الطبري) عن هذه الأخبار ، أنها إنما ظهرت وقيلت بعد هلاك (مسيلمة) . فقد قال في موضع : « وكانوا قد علموا واستبان لهم ، ولكن الشقاء غلب عليهم »^٤ ، وقال في موضع آخر : « وانما استبان ذلك بعد مهلكه » ، و « استبان ذلك بعد مهلكه »^٥ . ول هذه الملاحظات أهمية كبيرة بالطبع في تقييم صدق هذه الروايات وصحتها ، فالعادة أن من يفشل ويهلك

-
- ١ الطبري (٢٨٤/٣) وما بعدها .
 - ٢ الطبري (٢٨٥/٣) وما بعدها .
 - ٣ الطبري (٢٨٦/٣) .
 - ٤ الطبري (٢٨٦/٣) .
 - ٥ الطبري (٢٨٥/٣) .

لا سيما اذا كان قد نال حظاً من المكانة والجاه والاسم ، يحمل عليه كثيراً ، ولا يتورع حتى أصحابه ومن كان يؤمن به من الدس عليه .

واتخذ (مسيلمة) مؤذناً يؤذن له في أتباعه اسمه (حجير) . (وكان أول ما أمر أن يذكر مسيلمة في الأذان ، توقف . فقال له محكم بن الطفيل : صرح حجير ، فذهبت مثلاً) . وكان (محكم بن طفيل الحنفي) صاحب حربته ومدبر أمره ، وكان أشرف منه في حنيفة^١ . وذكر (الطبري) ، أن الذي كان يؤذن له (عبدالله بن النواحة) ، وكان الذي يقيم له حجير بن عير ، ويشهد له . وكان مسيلمة إذا دنا حجير من الشهادة ، قال صرح حجير ، فيزيد في صوته ويبالغ لتصديق نفسه^٢ . وذكر أن مؤذنه (حجير) ، كان إذا أذن يقول أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله ، فيقول مسيلمة له : أفصح حجير ، فذهبت مثلاً^٣ .

وروا أنه تزوج (سجاح) التي تنبأت ، وهي تميمية من (بني يربوع) ، وكان يقال لها (صادر) وكان لها مؤذن ، يقال له (زهير بن عمرو) ، من (بني سليط بن يربوع) ، ويقال إن (شبت بن ربيعي) أذن لها^٤ .

وذكروا أنها كانت كاهنة زمانها ، تزعم أن رثيها ورثي سطيج واحد ، ثم جعلت ذلك الرثي ملكاً حتى ادعت النبوة ، فاختلفت مع (مسيلمة) وكذبت به وجعلت نبوته ، فلما اتصلت به وتزوجته ، وهبت نفسها له . فقال لها فيما زعموا :

ألا قومي الى المخدع فقد هبى لك المضجع
فإن شئت سلقنأك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثليته وإن شئت به أجمع

فقالت بل به أجمع . فجرى المثل بغلمتها حتى قيل أغلم من سجاح^٥ .

١ الروض الآنف (٣٤٠/٢ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٨٣/٣) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٠٠) .

٤ المعارف (٤٠٥) .

٥ ثمار القلوب (٣١٥ وما بعدها) .

وفيهما قال قيس بن عاصم ، وقيل عطارد بن حاجب بن زرارة :

أضحت نبتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا
يا لعنة الله والأقوام كلهم على سجاح ومن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لاسقيت أصداؤه ماء مزن حيثما كانا^١

ولما قتل (مسيلمة) رثاه بعض شعراء بني حنيفة بقوله :

لهفى عليك أبا ثمامة لهفى على ركني تهامة
كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامة^٢

قتله (وحشي) قاتل حمزة^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان (مسيلمة) كان قد تزوج (كبشة بنت الحارث بن كريض بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس)^٤ (كيسة بنت الحارث بن كريض بن حبيب بن عبد شمس)^٥ ، ثم تركها فخلف عليها (عبدالله بن عامر بن كريض) ، فولدت له . ويظهر أنها لم تلد من (مسيلمة) .

والذي يقرأ ما ذكره (الطبري) عن (مسيلمة) وعن صلة (نهار) به ، يخرج بصورة تظهره شخصاً جاهلاً بليداً ، يحركه ويوجهه (نهار) حيث يريد ، لا يفهم ولا يعقل ، ولا يعرف كيف يتصرف ، ولا يتخذ رأياً حتى يشير عليه (نهار) به . (فكان نهار الرجال بن عنفوة لا يقول شيئاً إلا تابعه عليه)^٦ . وهي صورة تحالف ما نقرأه عنه في الموارد الأخرى . ولو كان (مسيلمة) على نحو ما صورّه الطبري ، لما التفت حوله (بنو حنيفة) ، ولما استماتوا في الدفاع عنه . ولما ضحّى (الرجال بن عنفوة) و (محكم بن الطفيل) وغيرهما بأنفسهم

١ ثمار القلوب (٣١٥) ، المعارف (٤٠٥) .

٢ المعارف (٤٠٥) ، « كم آية لابيهم » ، الحيوان (٣٧٨ / ٤) .

٣ رسائل الجاحظ (١٨٠ / ١) ، الطبري (٢٩٤ / ٣) وما بعدها .

٤ كتاب نسب قریش (٢٠) .

٥ الروض الأنف (١٩٨ / ٢ ، ٣٤١) ، (كيسة بنت الحارث بن كريض بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس) ، المحبر (٤٤٠) ، امتاع الاسماع (٢٤٧) ، كتاب نسب

قریش (١٤٧) .

٦ الطبري (٢٨٣ / ٣) .

في الدفاع عنه . حتى ان منهم من بقي مؤمناً به حتى بعد مقتله ، وتغلب المسلمين على اليمامة .

وقد كتب الجاحظ قصة مسيلمة وقصة (ابن النواحة) ، ولعلّه قصد به (عبدالله بن النواحة) مؤذنه ، في كتابه المفقود حتى اليوم (فصل ما بين النبيّ والمنتبيّ) ، حيث ذكر جميع المنتبين^١ . وذكر (البلاذري) أن (مسيلمة) ، كان قد أرسل كتابه الذي كان وجهه الى الرسول والذي فيه (من مسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله ، أما بعد : فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً لا ينصفون ، والسلام عليك . وكتب (عمرو بن الجارود الحنفي) ، مع (عبادة بن الحارث) أحد بني عامر بن حنيفة ، وهو (ابن النواحة) الذي قتله عبدالله بن مسعود بالكوفة^٢ .

وكان (مسيلمة) قد أمر (عمرو بن الجارود الحنفي) ، بتدوين كتابه الذي وجهه الى الرسول ، فأمر الرسول كاتبه (أبي بن كعب) بالردّ عليه . ومعنى هذا أن مسيلمة كان قد اتخذ له كتبة يكتبون له رسائله ، على نحو ما كان لرسول الله .

وأنا لا استبعد احتمال علم (مسيلمة) بالكتابة والقراءة . وإن لم ينص أهل الأخبار على ذلك . كما لا استبعد احتمال ثقائه باليهود والنصارى وأخذه منهم ، فقد كان في اليمامة قوم من أهل الكتاب ، ودعوته الى عبادة إلهه هو (الرحمن) ، تدل على تأثره باتباع هذه الديانة وبأهل الكتاب .

هذا ولم أجد في الأخبار المتعلقة بمسيلمة خبراً يفيد صراحة أن مسيلمة كان قد اعتنق الاسلام ودخل فيه . فالأخبار التي تتحدث عن مجيئه الى يثرب لا تشير الى ذلك ، والأخبار الأخرى التي تتحدث عنه وهو في اليمامة لا تشير الى قبوله الإسلام كذلك ، بل نجد فيها كلها أنه ظل يرى نفسه نبياً مرسلًا من (الرحمن) وصاحب رسالة ، لذلك فليس من الصواب أن نقول : (ردة مسيلمة) ، أو (ارتداد مسيلمة) ، أو نحو ذلك ، لأنه لم يعتنق الإسلام ثم ارتد عنه ، حتى ننعته بالمرتد .

١ الحيوان (٣٧٨/٤) .

٢ البلاذري ، فتوح (٩٧) .

وكان (مجااعة بن مرارة) الذي نزل عليه (مسيلمه) ، من رؤساء (بني حنيفه).
وممن وفد على الرسول ، فأعطاه النبي أرضاً باليامة يقال لها (الغورة) ، وكتب
له بذلك كتاباً . وذكر بعض أهل الأخبار انه كان بليغاً حكيماً وقد أسر (يوم
اليامة) ، فتوسط له بعض وجوه (بني حنيفه) ، لدى خالد أن يبقيه ، فأرسله الى
(أبي بكر) ، فصفح عنه . وقد كان قد انجرف مع من انجرف فمال الى
(مسيلمه) وأيده ، وحارب معه . وله شعر أشار فيه الى مسيلمه ^١ ، ونعته فيه
بـ (الكذاب) . ولما وفد على (أبي بكر) اقطعه (الخضرمة) ، ثم قدم
على عمر ، فأقطعه الرياء ، ثم قدم على عثمان ، فأقطعه قطيعة أخرى ^٢ .

وأما (الرحال بن عنقوة) (رحال بن عنقوة) ، فهو (نهار الرجال بن
عنقوة) ، (الرحال بن عنقوة) في تاريخ الطبري ^٣ . وهو من وجوه (بني حنيفه)
واسمه (نهار) ، وكان في الوفد الذي جاء الى الرسول ، وقد اختلف الى
(أبي بكر بن كعب) ليتعلم منه القرآن . وكان رئيس وفد (حنيفه) (سلمى بن
حنظلة) ^٤ . وقد تعلم سورة البقرة وسوراً من القرآن ^٥ . وذكر انه كان على
غاية من الخشوع والزوم لقراءة القرآن والخير ، ثم انقلب على عقبيه وصار من
أشد أعوان مسيلمه المقربين له ، فشهد له أن الرسول أشركه معه في الأمر . وكان
احد وفد (بني حنيفه) الى رسول الله ، وفيهم (فرات بن حيان) ^٦ .

وأما (محكم بن طفيل بن سبيع) الحنفي ، فقد كان من أشرف وسادات

١ قال مجاعة :

أترى خالدا يقتلنا اليو لم ندع ملة النبي ولا نحد
من رجعنا فيها على الاعقاب
(الاصغر) الاصابة (٣٤٢/٣) ، (رقم ٧٧٢٤) ، الحيوان (٣٧١/٤) ، (حاشية)
المرزباني ، معجم (٤٧٢) ، الجاحظ ، البيان (٢٦٣/٣) ، « مجاعة بن مرارة بن
سلمى بن زيد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع بن الدول بن حنيفه » ، كتاب
الطبقات ، لخليفة بن خياط (٦٦ ، ٢٨٩) .

٢ البلاذري ، فتوح (١٠٣) .

٣ طبعة (دار المعارف) بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣١٦/١) ، (وفد حنيفه) ، الروض الأنف (٣٤٠/٢) .

٥ البلاذري ، فتوح (٩٧) .

٦ الاصابة (٥٢١/١) ، (رقم ٢٧٦١) .

(بني حنيفة) . وهو أشرف من مسيلمة في حنيفة ^١ . وكان من المقدمين عند مسيلمة . وقد عهد (مسيلمة) إليه قيادة إحدى المجنبتين في قتاله مع (خالد ابن الوليد) . وقد عرف بـ (محكم اليامة) . وقد قتل وهو يحارب المسلمين ^٢ . « قتله خالد بن الوليد يوم مسيلمة » ^٣ .

وأما (فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب) العجلي ، فكان عيناً لأبي سفيان في حروبه ، وكان ممن هجا الرسول ، ثم أسلم ومدحه ، وأقطعه الرسول أرضاً باليامة ، ثم سكن الكوفة وأقام بها . وكان في حرب الخندق عيناً للمشركين ^٤ .

وأما أثال بن النعمان الحنفي ، فكان مع (فرات بن حيان) حين قدم المدينة وقد كلم الرسول . وذكر في رواية أنه كان مع ثمامة بن أثال في قتال مسيلمة في الردة ^٥ .

وكان (ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة الحنفي) ، من قدماء من أسلم من أهل اليامة . فقد أرسل رسول الله خيلاً قبل نجد ، فجاءت به ، فربطوه بسارية من سواري المسجد بيثرب ، فكلمه الرسول ، ثم امر فأطلق من رباطه ، فدخل في الإسلام ، وأمره أن يعتصر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ! قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ولا والله لا يأتكم من اليامة حبة حنطة ، حتى يأذن فيها النبي . ثم خرج الى اليامة ، فنعهم أن يحملوا الى مكة شيئاً . فكتبوا الى النبي : إنك تأمر بصلة الرحم ، فكتب الى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل اليهم ^٦ . وكانت ميرة قريش من اليامة ومنافعهم منها ، وكانت ريف مكة . ولما ارتد أهل اليامة ، وصاروا مع مسيلمة ، ثبت أثال على الاسلام فكان مقيماً باليامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ، فلما عصوه وأصفقوا على اتباع مسيلمة ، عزم على مفارقتهم ، ففارقهم ولحق بالعلاء بن الحضرمي في مقاتلة

-
- ١ الروض الأنف (٣٤١/٢) .
 - ٢ الطبري (٢٩٠/٣) ، الاشتقاق (٢١٠) ، تاج العروس (٢٥٤/٨) ، (حكم) .
 - ٣ اللسان (١٤٢/١٢) ، (حكم) ، تاج العروس (٢٥٤/٨) ، (حكم) .
 - ٤ الاصابة (١٩٥/٣) ، (رقم ٦٩٦٦) .
 - ٥ الاصابة (٣٣/١) ، (رقم ٣٥) .
 - ٦ رشاد الساري (٤٣٢/٦) وما بعدها .

المرتدين من أهل البحرين ، فلما ظفروا اشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم : (الحطيم) فرآها عليه ناس من (بني قيس بن ثعلبة) ، فظنوا أنه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه . وقد رووا له شعراً في الرسول وفي الردة^١ . وكان له عم اسمه (عامر ابن سلمة بن عبيد بن ثعلبة الحنفي) . وقد كان مسلماً^٢ .

وجاء في رواية ان رسول الله لما بعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى في رجب سنة تسع ، فأسلم المنذر ورجع العلاء ، فرّ باليامة ، قال له ثمامة بن أثال : انت رسول محمد ؟ قال نعم . قال : لا تصل اليه ابداً ، فقال له عمه : عامر بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة الحنفي : مالك وللرجل ، فأسلم عامر ، ووقع ثمامة بعد ذلك في الأسر^٣ .

وكان (معمر بن كلاب الرمانى) ، جاراً لثمامة بن أثال ، وهو ممن وعظ مسيلمة وبني حنيفة ونهاهم عن الردة ، فلما عصوه تحول الى المدينة ، فنهه ثمامة حتى رده وشهد قتال اليامة مع خالد^٤ .

و (الحطيم) المذكور ، هو (الحطيم بن هند) البكري ، أحد (بني قيس ابن ثعلبة) ، قدم المدينة في رواية في غير له يحمل طعاماً فباعه ، ثم دخل على النبي ، فباعه وأسلم ، فلما قدم اليامة ، ارتد عن الاسلام ، وخرج في غير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة ، وكان عظيم التجارة ، وأراد المسلمون أن يتلقوه ويأخذوا ما معه ، فنههم الرسول من ذلك لحزمة الشهر . وذكر انه بعد ان قابل الرسول ، وسمع منه مبادئ الاسلام . قال الحطيم : في أمرك هذا غلظة ، أرجع الى قومي ، فأذكر لهم ما ذكرت ، فإن قبلوه أقبلت معهم ، وان أدبروا أدبرت معهم . قال له ارجع . فلما رجع مرّ بسرح من سرح المدينة ، فساقه فانطلق به^٥ . وذكر أن (الحطيم) قتل في الجيار ، من نواحي البحرين ، لما ارتدت بكر ابن وائل^٦ .

-
- ١ الاصابة (٢٠٤/١) ، (رقم ٩٦١) ، الاستيعاب (٢٠٥/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، تاج العروس (٢٠٣/٧) ، (أثل) .
 - ٢ الاصابة (٢٤١/٢) ، (رقم ٤٣٩٠) .
 - ٣ الاصابة (٢٤١/٢) ، (رقم ٤٣٩٠) .
 - ٤ الاصابة (٤٧٥/٣) ، (٨٤٥٢) .
 - ٥ تفسير الطبري (٣٨/٦) .
 - ٦ تاج العروس (١١٦/٣) ، (جير) .

هذا هو كل ما ورد الى علمنا عن الأنبياء العرب في الجاهلية . وقد حصلنا عليه من المؤلفات الاسلامية . أما نصوص جاهلية ، فيها شيء عن النبوة والأنبياء ، فلم يصل اليها منها أي شيء .

يقول (أبو العلاء المعري) عن ادعاء بعض الناس بالأمامة والنبوة في الإسلام : « ولم تكن العرب في الجاهلية تقدم على هذه العظائم ، والأمور غير النظائم ، بل كانت عقولهم تنجح الى رأي الحكماء ، وما سلف من كتب القدماء . إذ كان أكثر الفلاسفة لا يقولون بنبي ، وينظرون الى من زعم ذلك بعين الغيبة^١ . فهو ينكر وجود نبوة وأنبياء عند الجاهليين للسبب المذكور . وهو يقصد ولا شك بها ، النبوة على وفق المعنى المفهوم منها في الاسلام . أي أن تكون بوحى يتزل على النبي من الاسلام ، وبكلام متزل يتلوه على الناس ، يكون كلام الله لا كلام النبي . »

١ رسالة الغفران (٤٤٠) ، (بنت الشاطيء) .

الفصل الرابع والستون

الله ومصير الانسان

لا نعرف رأي الجاهليين في الخلق ، وفي كيفية نشوء هذا الكون، إذ لم تصل إلينا نصوص جاهلية في هذا المعنى . ولا بد أن يكون لهم كما كان لغيرهم رأي في الخلق وفي نشوء الكون . فموضوع نشوء الكون وظهوره ، من الموضوعات التي تثير رأي كل انسان مهما كانت ثقافته وكان تفكيره .

وفي القرآن الكريم كلمات مثل (الباري) و (المصور) و (الخلاق) و (خلقنا) و (خلقت) و (خلقناكم) و (خالق) وغيرها مما له علاقة بخلق الكون والانسان وبقية المخلوقات ، وفيه كيفية خلق الله للكون ومن فيه وكيفية خلق الانسان ومن أي شيء خلق . ولكن هل كان يعرف جميع الجاهليين هذا المعنى المنزل في كلام الله ، وهل نزلت هذه الآيات لإرشاد الناس الى ذلك، أو انها نزلت لتذكير القوم وأفت نظرهم الى شيء يعلمونه ولكنهم كانوا ينسبونه لغير الله أو يتجاهلونه ، إن كان ذلك على سبيل التذكير ، فغنى هذا ان لأهل الجاهلية رأياً في كيفية الخلق ، وإن كان ذلك على سبيل التعليم والإرشاد ، فإنه يدل على أن من خاطب بتلك الآيات لم يكن له فقه وعلم بما خاطب به .

وفي القرآن الكريم آيات فيها خطاب للمشركين في بيان فساد رأيهم واعتقاداتهم ، وفيها ردّ عليهم ، منها نستطيع أن نحيط ببعض الإحاطة بأرائهم في الوجود وفي البعث والحشر والحساب وغير ذلك من أمور تتعلق بسدياناتهم . وهذه الآيات هي

الشواهد الوحيدة التي نملكها من آراء القوم في ذلك العهد . أما ما جاء في روايات الأخباريين وفي كتب التفسير والحديث والمثل والنحل ، ففيه بعض الشيء عن آراء الجاهليين القرييين من الاسلام ، ولا سيما عرب مكة ويثرب عن تلك الأمور .

وفهم من القرآن الكريم ان من الجاهليين من كان يعتقد ان للعالم خالقاً خلق الكون وسواه ، وان منهم من كان يعتقد بوجود إله واحد فهم موحدون ، وان منهم من أقر بوجود إله واحد غير انه رأى تعذر الوصول اليه بغير وسطاء وشفعاء فاعتقد بالأرواح وبالجن وعبد الأصنام لتكون واسطة تقربه الى الله^١ .

أما كيف خلق الله الأرض والسموات وكيف نشأ الكون، فذلك ما لم يتعرض له القرآن الكريم حكاية على لسان الجاهليين . ولذلك لا نعرف رأي أولئك القوم الذين عاصروا الرسول وعاشوا قبيل الاسلام في كيفية ظهور الوجود وخلق الكون .

وفهم من بعض الأخباريين أن من الجاهليين من كان يرى أن خالقاً خلق الأفلاك ، غير أنها تحركت أعظم حركة فدارت عليه وأحرقتة ، لأنه لم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها ، وأن منهم من كان يقول : « إن الأشياء ليس لها أول البتة ، وإنما تخرج من القوة الى الفعل . فإذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل ، تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر . وقالوا إن العالم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يضمحل مع فعله . وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي فيه »^٢ . وهذا كلام إن صح أنه من كلام الجاهليين ومن مقالاتهم ، فإنه يدل على تعمق القوم في المقالات ، وعلى أن لهم رأياً وفلسفة في الدين ، وأنهم لم يكونوا على الصورة التي يتخيلها معظمنا عنهم ، وهي الصورة التي رسمها لهم أهل الأخبار في أثناء كلامهم العام عن الجاهليين .

الله الخالق :

ويظهر من القرآن الكريم ، أن قريشاً كانوا يؤمنون بإله واحد خلق الكون ، وهو رب السموات والأرض . ففي سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق

١ بلوغ الارب (١٩٤/٢) وما بعدها) .

٢ بلوغ الارب (٢٢٠/٢) وما بعدها) .

السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن : الله ، فأنى يؤفكون «^١ . وفي هذه السورة نفسها سؤال آخر موجه الى المشركين « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ، ليقولن : الله ، قل : الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون «^٢ . وفي سورة لقمان سؤال آخر موجه الى أولئك المشركين ، وجواب صادر منهم ، هو هذا الجواب نفسه : إقرار بوجود خالق واحد خلق السموات والأرض : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولن : الله . قل الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون «^٣ . وفي سورة الزخرف : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولن : خلقهن العزيز العليم «^٤ . وفي سورة الزمر : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولن الله «^٥ ، وفي سورة الزخرف أيضاً : « ولئن سألتهم من خلقهم ، ليقولن : الله . فأنى يؤفكون «^٦ ، وفي سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ، ليقولن : الله «^٧ . وهناك آيات أخرى على هذا النحو ، فيها أسئلة موجهة الى المشركين عن خلق السموات والأرض، وأجوبة على ألسنتهم فيها اعتراف بأن خالقها وصانعها هو الله .

وفي القرآن الكريم أيضاً ان قريشاً كانت تعتقد ان الله هو الذي ينزل المطر ويحيي الأرض بعد موتها^٨ ، وفيه انهم كانوا يقسمون به^٩ ، وانهم كانوا قد جعلوا له نصيباً مما ذرأ من الحرث والأنعام^{١٠} ، وانهم كانوا يقولون إن الله هو الذي شاء فجعلهم وآباءهم مشركين ، وانه لو لم يشأ لما أشركوا بعبادته أحداً^{١١} ، وانهم كانوا يتضرعون اليه ويستغيثون به في الكوارث والملمات ، وانهم جعلوا له

-
- ١ سورة العنكبوت ، الرقم ٢٩ ، الآية ٦١ .
 - ٢ العنكبوت ، الآية ٦٣ .
 - ٣ سورة لقمان ، الرقم ٣١ ، الآية ٢٥ .
 - ٤ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٩ .
 - ٥ الزمر ، الرقم ٣٩ ، الآية ٣٨ .
 - ٦ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٨٧ .
 - ٧ العنكبوت ، الرقم ٢٩ ، الآية ٦٣ .
 - ٨ العنكبوت ، الآية ٦٣ .
 - ٩ الانعام ، الآية ١٠٩ ، النحل ، الآية ٣٨ .
 - ١٠ الانعام ، الآية ١٣٦ .
 - ١١ الانعام ، الآية ١٤٨ .

بناتاً وبنين وشركاء الجن^١ . فقريش اذن وفق هذه الآيات قوم ، كانوا يؤمنون بإله عزيز عليهم ، ومن آيات ذلك انهم جعلوا له نصيباً في أموالهم، مع ان المال من أعز الأشياء على الانسان ، لا سيما بالنسبة لتلك الأيام .

وفي تلبية الجاهليين المنصوص عليها في كتب أهل الأخبار اعتراف صريح واضح بوجود إله . كانوا يلون بقولهم : (لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريك هو لك . تملكه وما ملك ، يعنون بالشريك الصنم ، يريدون ان الصنم وما يملكه ويختص به من الآلات التي تكون عنده وحوله والنذور التي كانوا يتقربون بها إليه كلها ملك لله عز وجل)^٢ فذلك معنى قولهم : تملكه وما ملك . فهم يعترفون ويقررون بوجود الله ، لكنهم يتقربون إليه بالأصنام . وهذا هو الشرك .

وفي دعاء العرب اعتراف بوجود (الله) ، فقولهم : (رماه الله بما يقبض عصبه) ، و (ققم الله عصبه) ، و (لا ترك الله له هارباً ولا قارباً) ، و (شئت الله شعبه) ، و (مسح الله فاه) ، و (رماه الله بالذبحضة) ، و (رماه الله بالطسأة) ، و (سقاء الله الذيغان) ، و (جعل الله رزقه فوت فاه) ، و (رماه في نيطة) ، و (قطع الله به السبب) ، و (قطع الله لهجته) ، و (مدّ الله أثره) ، و (جعل الله عليها راكباً قليل الحاجة) ، و (لا أهدي الله له عافية) ، و (أثل الله ثلله) ، و (حتته الله حت البرمة) ، و (رماه الله بالطلالة) ، و (رماه الله بالقصمل) ، و (ألزق الله به الحوبة) ، و (لحاه الله كما يلحى العود) ، و (اقتشمه الله إليه) ، و (ابتاضه الله) ، الى آخر ذلك من دعاء يدل على وجود إيمان بخالق هو الله^٣ .

وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين اعتقاد بوجود الله ، واتقاء منه ، وتقرب إليه باحترام الجوار وقرى الضيف . هذا عمرو بن شأس يقول في شعره :

-
- ١ الانعام ، الآية ١٠٠ .
 - ٢ اللسان (٤٥٠ / ١٠) ، (شرك) .
 - ٣ راجع بقيته في ذيل الامالي والنوادر (ص ٥٧ وما بعدها) ، (عود الى بحث دعاء العرب) .

ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى منيته منى أبوك اللياليس^١

فلولا اتقاء شأس الله ، لفتك بخصمه ، وجعله من الهالكين . وفي بعضه اعتراف بأن هذه الأرض الواسعة هي (بلاد الله) ، أينما حلت فيها فهي أرضه وبلاده^٢ . وهذه نظرة مهمة جداً عن رأي الجاهليين في الله وفي الأرض ، إن صح أن هذا الشعر الوارد فيه حقاً من شعر أهل الجاهلية .

و (الله) كما جاء في شعر زهير بن أبي سلمى ، عالم بكل شيء ، عارف بالخفايا وبالأسرار ، وبما ظهر من الأعمال وما بطن^٣ .

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم^٤

وهو عدو للأشقياء شديد عليهم ، لا يرحم ظالماً ، وأمره بُلُغٌ به تشقى به الأشقياء^٥ وهو يثيب على الإحسان ، ويجزي المحسن على جميل إحسانه^٦. وهو الذي يعصم من السيئات والعثرات^٧. وهو مقر بوجود يوم حساب يحاسب فيه الناس على ما قاموا به من أعمال ، وقد ينتقم الله من الظالم في الدنيا قبل الآخرة ، فلا مخلص له^٨ .

-
- ١ الاغاني (٦٢/١٠) ، نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره .
بدا لي أن الله حق فزادني إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا
شرح ديوان زهير (٢٨٧) .
 - ٢ فسر في بلاد الله والتمس الغنى
ديوان عروة (٥١) .
 - ٣ شرح ديوان زهير (١٨) .
 - ٤ فهداهم بالأسودين وأمر الله بلغ يشقى به الأشقياء
اللسان (٣٠٢/١٠) ، (بلغ) ،
فهداهم بالأسودين وأمر الله بلغ تشقى به الأشقياء
تاج العروس (٤/٦) ، (بلغ) .
 - ٥ رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو
شرح ديوان زهير (١٠٩) .
 - ٦ ومن ضربته التقوى ويعصمه من سئى العثرات الله والمرحم
شرح ديوان زهير (ص ١٦٢) .
 - ٧ فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
شرح ديوان زهير ، لتعلب (ص ١٢) ، بلوغ الأرب (٢٧٧/٢) وما بعدها ، شعراء
النصرانية (القسم الرابع ص ٥١٨) ، جمهرة أشعار العرب (٧١) .

والله (كريم) لا يكدر نعمة ، اذا دُعي أجاب . وهذا هو رأي الأعشى
في الرب ، اذ يقول :

ربّي كريم لا يكدر نعمة واذا يناشد بالمهارة أنشد^١

وقد ورد اسم الجلالة في أشعار كثير من الشعراء الجاهليين : ورد في شعر
امريء القيس وغيره ، فامرؤ القيس يقول : (من الله) و (لله)^٢ ، و (تالله)^٣ ،
و (قبح الله)^٤ ، و (والله)^٥ ، و (يمين الله) ، و (يمين الإله)^٦ ،
و (الإله) هي (الله) ، و (الحمد لله)^٧ . ونرى العرب عامة تستعمل في
كلامها : (لله دره)^٨ ، و (لا يبعد الله)^٩ ، و (لحى الله)^{١٠} ،

-
- ١ ديوان الأعشى ، قصيدة ٣٤ (ص ١٥١) ، « تحقيق كاير » .
 - ٢ فالיום أشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل
لله زبدان أمسى قرقرأ جلدا وكان من جندك أصم منضودا
شرح ديوان امريء القيس ، للسندوبي (ص ٦٣ ، ١٥٢) ، وسيكون رمزه :
سندوبي .
 - ٣ تالله قد علمت قيس اذا قذفت ريح الشتاء بيوت الحي بالعنن
شرح ديوان زهير (١٢١) .
يا لهف هند اذ خطئن كاهلا
سندوبي (١٥٤) .
 - ٤ ألا قبح الله البراجم كلها وجدع يربوعا وعفر دارها
سندوبي (١٨٠) .
 - ٥ فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبر بميثاق وأوفي بجيران
والله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبر مالكا وكاهنا
سندوبي (١٥ ، ١٨٩) ، شرح ديوان زهير (٢٤) .
 - ٦ كلا يمين الاله يجمعنا شئى وأخواننا بنو جشما
سندوبي (١٨١) .
 - ٧ أرى ابلي والحمد لله أصبحت ثقالا اذا ما استقبلتها صعودها
سندوبي (٦٤) .
 - ٨ كم شامت بي ان هلك ست وقائل : لله دره !
ديوان لبيد (ص ٢) ، « تحقيق كارل بروكلمن » .
 - ٩ وقولي ألا لا يبعد الله أريدا وهدى به صدع الفؤاد المفجعا
ديوان لبيد (ص ٦) .
 - ١٠ لحى الله صعلوكا اذا جن ليله مصافى المشاش ألفا كل مجزر
ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
ديوان عروة بن الورد (٢٦ ، ٥٣) .

و (جزی الله)^١ ، و (عمر الله)^٢ ، وأمثال ذلك مما يرد في أشعار الشعراء الجاهليين ، يخرجننا تدوينه وحصره في هذا المكان عن حدود الموضوع .
وقد جاءت لفظة الجلالة في إيمان أخرى ، في مثل : (لعمر الله) ، و (ها لعمر الله) كالذي ورد في شعر زهير :

تعلمن ها لعمر الله ذا قسماً فاقصد بذرعك وانظر أين تنسلك^٣

وورد (ها الله) و (والله) و (الله) و (نعم الله) و (أي والله لأفعلن) ، و (إيم الله) و (إيمان الله) و (يعلم الله) و (علم الله) وأمثال ذلك^٤ .

ومن إيمانهم الدالة على الاعتقاد بوجود خالق ، قولهم : (لا وبارئ الخلق) ، و (لا والذي يراني من حيث ما نظر) و (لا والذي نادى الحجيج له) ، و (لا والذي يراني ولا أراه) ، و (لا والذي كل الشعوب تدينه) ، و (حرام الله لا آتيك) ، و (يمين الله لا آتيك) ، و (لا والذي جلد الإبل جلودها) ، و (والذي وجهي زعم بيته) ، و (لا والذي هو أقرب إليّ من جبل الوريد) ، و (لا ومقطع القطر) ، و (لا وفالق الإصباح) ، و (لا ومهب الرياح) و (لا ومنشر الأرواح)^٥ ، الى غير ذلك من إيمان سلفوا بها ، تدل على إيمان وعقيدة بوجود خالق ، فحلفوا به .

ونجد في معلقة امرئ القيس قصماً بالله حكلي على لسان صاحبة صاحب المعلقة :

فقلت : يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^٦

وترى في بيت لامرئ القيس وهو يذكر اقدامه على الشرب :

فاليوم أسقى غير مستحقب لثماً من الله ولا واغل^٧

- ١ جزی الله خيراً كلما ذكر اسمه أبا مالك ان ذلك الحي اصعدوا ديوان عروة (ص ٥٠) .
- ٢ قعيدك عمر الله ، هل تعلينيني كريماً اذا اسود الانامل أزهرها ديوان عروة بن الورد (٢٢) ، Reste, S. 224.
- ٣ السنن الكبرى (٢٦/١٠) وما بعدها ، المخصص (١١٣/١٣) .
- ٤ المخصص (١١٤/١٣) وما بعدها .
- ٥ ذيل الامالي (ص ٥٠) وما بعدها .
- ٦ المعلقات العشر وأخبار شعرائها (٦٢) .
- ٧ شعراء النصرانية (١٩) .

فالرجل مؤمن بالله ، وقد وفى بما عاهد الله عليه ، وهو لا يخشى بعد ذلك
إثمًا اذا شرب ، لأنه وفى بندره .

ونراه يذكر الله أيضاً في هذا البيت :

لله زبدان أمسى قرقرأ جلدأ وكان من جندل أصم منضودا^١

ثم نراه يشكر الله بجملة : (والحمد لله) في هذا البيت :

أرى ليلي والحمد لله أصبحت ثقلاً إذا ما استقبلتها صعودها

ونراه يحث الناس على التمسك بحبل الله ، فبالله يكون النجاح ، ويحث الناس
على عمل البر ، والبر خير حقيقة الرجل :

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل

ونفهم من هذه الأبيات ومن أبيات أخرى ، إن امرأ القيس رجل مؤمن يعتقد
بالله الواحد ، مؤمن بالله الواحد ، مؤمن بالثواب والعقاب ، وأنه كان يخاف
الله ويخشى الإثم والفسوق ، ولا أدري أينطبق هذا الذي نقوله على امرئ القيس
الذي يتحدث عنه أهل الأخبار ويصفونه بأنه رجل عابس ميال الى اللهو والشهوات
رمى صنمه بسهم وأتبه لما جاء الجواب بخلاف ما كان يرغب فيه ويشتهي . ثم
لا أدري اذا كان أسلوب هذا الشعر من أسلوب الشعر الجاهلي وطرازه ؟ وإذا
كان هذا الشعر صحيحاً ، فلم أدخل رواته شاعره في الجاهليين الوثنيين ولم يدخلوه
في عداد المؤمنين بالله من الأحناف ؟

وإذا اعتقدنا بصحة الأبيات المنسوبة الى عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب

وقلنا مع القائلين إنها من شعر ذلك الشاعر حقاً ، وجب عده إذن في جملة

١ شعراء النصرانية (٤٠) .

الموحدين المؤمنين المسلمين ، وإن عاش قبل الإسلام . فرجل يقول هذا القول ، لا يمكن إلا أن يكون مسلماً مؤمناً بالله الواحد الأحد علام الغيوب والعارف بما في القلوب ، ومن الممهدين للتوحيد بين العرب قبل الإسلام .

وقد أهمل بعض رواة هذه المعلقة البيت الآتي :

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب

وكأنهم فطنوا الى ان من غير المعقول نسبته الى رجل وثني ، مهما كان رأيه في الأوثان والتوحيد ، لا يمكن أن يستعمل هذه الألفاظ التي لم يستعملها العرب بهذا الشكل إلا في الاسلام .

والى عبيد نفسه ينسب الأخباريون قول هذا البيت :

حلفت بالله إن الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

ورجل يقول هذه الأبيات وأبياتاً أخرى من لونها ، لا يمكن إلا ان يكون موحداً مؤمناً ، من فصيلة المؤمنين بالله من الأحناف . وقد أراح (شيخو) نفسه وأراح الناس حين ذهب الى ان عبيداً وأمثاله من الشعراء الجاهليين كانوا نصارى وان هذا التوحيد هو توحيد نصراني محض ، وقف عليه عبيد في زيارته للحيرة مهد النصرانية في ذلك العهد ، فاعتنقه ، فهو على رأيه اذن شاعر نصراني ، وشعره شعر نصراني لا يرد ولا يرفض .

ونجد (طفيل بن عوف) الغنوي يقسم ب (الإله) في شعره . غير أن هناك رواية تضع (رضى) موضع (الإله) فيكون القسم به ، ورضى اسم صنم كان لطياً^١ . وقد ذكر (الله) في مواضع أخرى من شعره ، وقال إنه هو الذي يصلح الأمور ، ويسد العجز والشغل التي ليس في وسع الإنسان سدها^٢ ،

-
- | | | |
|---|--|--|
| ١ | « فقال بصير يستبين رعالها ويروي ، ولعلها رواية أبي عبيدة : وقال بصير قد أبان رعالها ورضى اسم صنم كان لطياً ، ديوان طفيل بن عوف الغنوي « تحقيق ف . كرنكو » (لندن ١٩٢٧) ، (ص ١٢) . | هم والاله من تخافين ، فاذهبي فهي ورضى من تخافين ، فاذهبي |
| ٢ | لعمرى لقد خلى ابن جيدع ثلثة ديوانه (ص ١٩) . | فمن أين ان لم يرأب الله ترأب |

وإنه يجزي الناس على أعمالهم^١ .
 وفي معلقة (الحارث بن حلزة) الشكري : « أمر الله بلغ تشقى به
 الأشقياء »^٢ ، وأن الله عالم بالأمور^٣ .
 ونجد (المتلمس) ، يُقسم بالله في شعره ، ويذكر الله في مثل جملة
 (أبى الله)^٤ للتعبير عن مشيئة الله وإرادته ، وجملة (لله دري) في التعجب^٥
 وجملة (تقوى الله)^٦ ، و (عاداك الله)^٧ وغيرها مما يدل على أنه كان يعتقد
 أن الله يعادي الأعداء ويحبّ المحبين .
 ولكننا نجد في مواضع أخرى يقسم باللات وبالأنصاب ، والمقصود بالأنصاب
 الأوثان مما يشعر أنه كان يؤمن بها ، فكيف نوفق بين اعتقاده بالله واعتقاده باللات

- ١ جزى الله عوفا من موالي جنابة ونكراء خيرا كل جاد مودع ديوانه (ص ٥٠) .
- ٢ جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطنين فزلت ديوانه (ص ٥٧) .
- ٣ فهداهم بالسودين ، وأمر الله بلغ تشقى به الأشقياء شرح القصائد العشر (٤٦٨) ، (البيت رقم ٦٢) من المعلقة .
- ٤ فعلنا بهم كما علم الله وما ان للخائنين دماء البيت (رقم ٧٥) من المعلقة ، (ص ٤٧٥) من شرح القصائد العشر للتبريزي (محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٥ يا آل بكر ألا لله احكموا طال الله الثواء ونوب العجز ملبوس ديوان المتلمس (ص ١٦٩) ، (طبعة فولرس) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٤ ، ٢٠٦) ، شعراء النصرانية (٣٣٢) .
- ٦ وقال : وهل لي أم غيرها ان تركتها أبى الله الا أن أكون لها ابنا شعراء النصرانية (٣٣٨) .
- ٧ وأطردني حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا نثل وذلك في رواية . وفي الروايات الشائعة « واللات » بدلا من والله ، ديوان المتلمس (١٧١) .
- ٨ تفرق أهلي من مقيم وظاعن فلله دري أي أهلي أتبع ديوان المتلمس (ص ١٨٧) .
- ٩ وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العقاد ديوان المتلمس (ص ١٩٥) ، شعراء النصرانية (٣٤٣) .
- ١٠ لا خاب من نفعك من رجالها بلا وعادى الله من عاداك ديوان المتلمس (ص ٢٠٦) ، شعراء النصرانية (٣٤٨) .

والأنصاب ؟ وهل نعدّ هذا الشعر صادراً من شاعر واحد ؟ نعم ، يجوز أن يكون قاله هو . قاله لأنه كان يعتقد بوجود إلهه ، فهو يؤمن به ويقر بوجوده ، غير أن قسمه باللات والأنصاب ، هو من باب عقيدة الجاهليين المؤمنين بوجود إلهه ، ولكنهم كانوا يتقربون إليه بالأصنام والأوثان والأنصاب . ويتوقف هذا التفسير بالطبع على اثبات أن هذا الشعر له حقاً ، وليس مفتعلاً ، ولا مما أدخل الرواة عليه تغييراً أو تبديلاً .

ونجد في شعر النابغة الجعدي ، أبو ليلى عبدالله بن قيس ، الشاعر المخضرم المتوفى سنة (٦٥) للهجرة ، قصيدة مطلعها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلماً

يلي هذا المطلع قصة نوح والسفينة ، وهي سفينة مصنوعة من خشب الجوز والقار . وفي هذه القصيدة اعتراف بالتوحيد ، وبوجود إله واحد لا شريك له ، لا يحمد إلا هو ، وهو شعر لا يمكن أن يكون إلا من شعر شاعر مسلم ، إن صح أنه من شعره ، فيجب أن يكون مما نظمه في الاسلام . وينسب الى (ليبيد) اعتقاده ان الله يبسط الخير والشر على عباده ، وانه منتقم من مخالفه ، معاقب له ، كما عاقب (إرما) و (تبعاً) ، وقوم (لقمان بن عاد) ، و (أبرهة) وذلك في أبيات أولها :

من يبسط الله عليه لإصبعاً بالخير والشر بأي أولعا

وهي رجز ، يرى بعض العلماء انها ليست من رجزه^١ .

ونجد معود الحكماء ، وهو معاوية بن مالك بن جعفر ، يذكر الله ويحمده ، فيقول : « بحمد الله » ، ويقول (عامر) : « أردت لكيما يعلم الله انني » ، ويقول (خدأش بن زهير) : « وذكرته بالله بيني وبينه »^٢ .

١ ديوان ليبيد (٣٣٧ وما بعدها) .

٢ شرح ديوان ليبيد ، (ص ٢١) ، (المقدمة) ، (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، قيل له معود الحكماء لقوله :

أعوذ مثلها الحكماء بعدي اذا ما الحق في الاشياع نابسا
تاج العروس (٢ / ٤٤٠) ، (عود) .

وذكر أهل الأخبار ان الجاهلين الوثنيين كانوا يفتحون كتبهم بجملة (باسمك اللهم) . ساروا في ذلك على هدى (أمية بن أبي الصلت) مبتدعها وموجدتها ، كما في رواية تنسب الى ابن الكلبي . وذكر بعض آخر ان قريشاً كانت تستعمل هذه الجملة منذ عهد قبل الاسلام ، وانها بقيت تستعملها الى ظهور الاسلام . وقد استعملها الرسول ، ثم تركها ، وذلك بتزول الوحي باستعمال (بسم الله الرحمن الرحيم)^١ . ونحن لا يهمننا هنا اسم مبتدع هذه الجملة ، وانما الذي يهمننا منها هو ما فيها من عبارة تدل أيضاً على التوحيد . فإذا صح ان الجاهلين كانوا يستعملون هذه الجملة ، فإن استعمالها هذا يدل على اعتقاد القوم بإله واحد ، أي بعقيدة التوحيد ، ولا يعقل بالطبع استعمال شخص لهذه الجملة في رسائله ، يفتتح بها كتبه ، لو لم يكن من أصحاب عقيدة التوحيد ، وقد جاء في بعض الأخبار ان هذا الاستعمال متأخر، وانه حدث بعد ان تغيرت عوائد القوم في افتتاح كتبهم ، فقد كانت عوائدهم القديمة افتتاح رسائلهم بأسماء آلهتهم كاللات والعزى ، فرفعوا تلك الافتتاحيات القديمة واستبدلوا بها هذه الجملة الجديدة، جملة (باسمك اللهم) . وعلى كل ، فإن جملة (باسمك اللهم) وأمثالها إن صح انها من ذلك العهد حقاً فإنها تدل على حدوث تطور في الحياة الدينية عند الجاهلين . وإلا، فكيف يتصور استعمال هذه الجملة الموحدة مع وجود الشرك لو لم يكن قد حدث تطور فكري كبير في هذا العهد حملهم على استعمال هذه الجملة وأمثالها من الجمل والألفاظ الدالة على التوحيد^٢ ؟

وقد درس بعض المستشرقين هذا الموضوع ، ولا سيما موضوع ورود اسم الجلالة في الشعر الجاهلي ، فذهبوا في ذلك مذاهب . منهم من أيد صحة وروده في ذلك الشعر ، وآمن أن الشعر الذي ورد فيه هو شعر جاهلي حقاً ، ومنهم من أنكر ذلك ، وأظهر أنه شعر منحول مصنوع ، صنع على الجاهلين فيما بعد ، ومنهم من ذهب الى أنه شعر صحيح ، غير أن رواة الشعر أدخلوا اسم الجلالة فيه ، ولم يكن هو فيه في الجاهلية ، بأن رفعوا أسماء الأصنام وأحلوا اسم الله محلها .

- ١ بلوغ الارب (٣/٣٧٥) ، تاج العروس (٩/٤١١) ، (لا ه) .
- ٢ « دعائي رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . ، الطبري (٢/٦٣٤) ، (صلح الحديبية) .

وبينما نجد أهل الأخبار ينسبون الى هؤلاء الشعراء وأمثالهم الاعتقاد بالله، نجدهم ينسبون اليهم ، الخلف بالأصنام ، والاعتقاد بها . فقد نسبوا الى (خداش بن زهير) شعراً آمن به بالله ، ثم نسبوا له قوله :

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصرا

والمروة البيضاء، هي ذو الخلصة ، ثم هو يقسم بمحبة النعمان ، وهو نصراني^١. أفلا يدل هذا على وجود تنافر أو تناقض في عقيدة أمثال هؤلاء الشعراء ؟ والذي لا وقوف له على طبائع أهل الجاهلية ، يرى هذا الرأي ، أو يذهب الى أن هذا الشعر مصنوع مفتعل . أما الذي يعرف عادة العرب في القسم ، فلا يستغرب منه ولا يرى فيه تناقضاً ، فقد كان الجاهليون يقسمون بكل شيء ، يقسمون بالشجر وبالحجر وبالكواكب ، وبالليل والنهار ، وبالأصنام ، وبعمر الإنسان وبحياتهم وبلحي الرجال ، وبالأصنام والمعابد ، وبالله ، وبالحيز والملح ، لا يرون في ذلك بأساً ولا تناقضاً مع عقيدتهم . هذا (عدي بن زيد) العبادي ، يقسم بمكة ، وهو نصراني ، لا يري للكعبة في دينه حرمة ولا مكانة . أقسم بها على قاعدة العرب في القسم ، وقد أقسم بأمور أخرى من أمور أهل الجاهلية الوثنيين، ولم يذكر أحد أنه بدل دينه ، وصار وثنياً . وكذلك الأمر مع غيره من شعراء نصارى ويهود وعباد أصنام ، أقسموا برهبان النصارى وبأمور نصرانية ، مع أنهم كانوا عباد أوثان .

ومن القائلين بالرأي الأخير ، (نولدكه) . فقد ذهب الى ان رواية الشعر وحملته في الاسلام هم الذين أدخلوا اسم الجلالة في هذا الشعر ، وذلك بأن حذفوا منه أسماء الأصنام ، وأحلوا محلها اسم الله . فما جاء فيه اسم (اللات) حل محله اسم (الله)^٢ . وقد ذهب أيضاً الى ان رواية الشعر في الاسلام حذفوا من شعر الجاهليين ما لم يتفق مع عقيدتهم ، وما وردت فيه أسماء الأصنام . ومن جملة ما استدل به على أثر التغيير والتحريف في الشعر الجاهلي ورود كلمة (الرحمان) في شعر شاعر جاهلي من هذيل ، زعم ان ورود هذه الكلمة في هذا الشعر دليل

١ شرح ديوان لبيد (٢١) .

٢ Nöldeke, Beiträge, S. IX, ff.

كاف لاثبات أثر التلاعب فيه ، لأن هذه اللفظة اسلامية استحدثت في الاسلام ، ولا يمكن أن ترد في شعر شاعر جاهلي^١ . وقد فات (نولدكه) صاحب هذا الرأي ان الكلمة بهذا المعنى كلمة جاهلية ، وردت في نصوص المسند وفي نصوص جاهلية أخرى ، وان من جملة من استعمالها (أبرهة) الحبشي في نصه الشهير المعروف بنص سد مأرب ، وان قوماً من الجاهليين تعبدوا للرحمان ، على نحو ما تحدثت عن هذه العبادة في موضع آخر من هذا الكتاب .

وادعاء أن لفظة (الله) لم تكن موجودة في الأصل ، وإنما أقحمت فيه من بعد ، وذلك بإزالة رواة الشعر لأسماء الأصنام التي ذكرها أولئك الشعراء ، واحلالهم اسم الله في محلها ، حتى ظهر ذلك الشعر وكأنه شعر شعراء موحدتين يعتقدون بوجود إله واحد^٢ . هو تعليل فيه شيء من التكلف ، فليس كل شعر فيه اسم الأصنام بصلاح لقبول الجلالة ، فقد لا يستقيم من حيث الوزن أو المعنى بإدخال تلك اللفظة في موضع اسم الصنم . ثم إن من الشعر الجاهلي المروي في الإسلام ما بقي محافظاً على اسم الصنم دون أن يمس ذلك الاسم بسوء . ولو كان من عادة الرواة حذف اسم الأصنام عامة لما تركوا لها بقية في الشعر . ثم ما هي الفائدة التي يجنيها الرواة من طمس أسماء الأصنام ، وهم يعلمون أن أهل الجاهلية كانوا وثنيين ، يدينون بالأصنام ، وكانوا يقسمون بها ، وقد رويوا أمثلة من ذلك القسم !

أما (وهوزن) ، فيرى أن عدم ورود أسماء الأصنام في الشعر الجاهلي إلا في النادر وإلا في حالة القسم أو في أثناء الإشارة الى صنم ، أو موضع عبادة ، ليس بسبب تغيير الرواة الاسلاميين وتبديلهم لأسماء الأصنام . وإنما سببه هو أدب الجاهليين وعاداتهم في عدم الإسراف والإسفاف في ذكر أسماء الآلهة الخاصة ، وذلك على سبيل التأدب تجاه الأرباب ، فاستعاضوا عن الصنم بلفظة (الله) التي لم تكن تعني إلهاً معيناً ، وإنما تعني ما تعنيه كلمة رب وإله . ومن هنا كثر استعمالها في القسم وفي التمني أو التشفّي وأمثال ذلك من حالات^٣ .

Nöldeke, Beiträge, S. X.

Werner Caskel, Das Schicksal im der Altarabische Poesie, Leipzig, 1926, S. 8,
Goldziher, Abhandlungen, II, S IX-LXXXVI, Ahlwardt, Bemerkungen über
die Achtheit der Aletn Arabischen Gedichte.

Reste, S. 217. ff.

ويرى (ولهوزن) أن لفظة (الله) كانت بهذا المعنى في الأصل . كانت تعني إلهاً على وجه التعميم ، دون التخصيص ، أي أنها لا تشير إلى إله معين . استعملتها كل القبائل بهذا المعنى ، فهي صفة تشير إلى الألوهية المجردة ، وإن كان أفراد كل قبيلة يقصدون بها صنمهم الخاص بهم . استعاضوا بها عن ذكر اسم الصنم . وإن استعمالها جَمَلاً مثل : (حاشا لله) و (للهِ درك) و (لاها الله) ، و (تالله) ، و (ايم الله) ، و (لحا الله) ، و (جزى الله) ، و (جعلني الله فداك) ، و (لك الله) ، و (أرض الله) ، وأمثالها ، هو من هذا القبيل ، الله فيها بمعنى الرب والإله . ولما كانت أداة التعريف تفيد التخصيص ، فدخلوها في اسم الجلالة أفاد التخصيص والعلمية . وهذا ما حدث ، إذ فقدت الكلمة معناها العام ، واتجهت نحو التخصص حتى صارت بهذا المعنى الذي صارت عليه في الاسلام^١ .

وقد ذهب مستشرقون آخرون إلى صحة ورود لفظة الجلالة في الشعر الجاهلي . كما ذهبوا إلى أن ورودها في القرآن الكريم أو في الحديث ، لا يمنع من ورودها في الشعر الجاهلي ، ولا يكون سبباً للطعن في ذلك الشعر ، لأن من الجاهليين من كان يؤمن بوجود إله هو فوق الآلهة عندهم ، فورود اسمه في شعرهم ، ليس بأمر غريب .

وورود اسم الجلالة في أشعار الجاهليين يحملنا على البحث في أصله : هل هو إسلامي محدث ، أو هو اسم جاهلي قديم ؟ وبحث مثل هذا يجب أن يستند إلى النصوص . غير أننا ولأسف لا نملك نصاً جاهلياً يمكن أن يفيدنا في هذا الباب ، فكل النصوص الجاهلية التي وصلت إلينا خُرس لم تنطق بشيء عن اسم الجلالة ، فليس أمامنا إلا اللجوء إلى الطريقة المألوفة في مثل هذه الأحوال ، وهي الرجوع إلى آراء علماء اللغة ، وإلى المقابلة بين العربية واللهجات السامية الأخرى . أما آراء علماء اللغة ، فإنها مثل آرائهم الأخرى في أصول الكلمات الصعبة التي على شاكلتها ، كلها حدس وتخمين . ولا يمكن أن يُستنبط منها شيء تاريخي ، يرجعك إلى أول عهد ظهرت فيه هذه اللفظة ، وإلى المراد منها . وأما المستشرقون ، فمنهم من يرى أن اللفظة عربية أصيلة ، ومنهم من يرى أنها من (ألاها) Alaha

ومعناها (الإله) بلغة (بني إرم) . أما الذين قالوا بعريبتها ، فيرون أنها من (اللات) ، اسم الصنم المعروف ، تحرف وتولد منه هذا الاسم^١ .
واللفظة (الله) من أصل (إلاه) ، أي (رب) ، و (بعل) ، وهي من الألفاظ السامية القديمة . ويقال (إلهة) (إلهة) (إلهة) للأنثى . لأن من الجاهليين من تعبد للآلهة الأنثى . وتقابل (ه - اله) (ها اله) (ه اله) في النصوص الشمودية ، أي (الله)^٢ . كما ترد هذه اللفظة في نصوص عربية أخرى مثل النصوص اللحيانية .

ويلاحظ أن لفظة (الله) هي من التسميات التي وردت في النصوص الشمالية ، ويدل ورودها في هذه النصوص على تأثر العرب الشماليين بمن اختلطوا بهم من الشعوب التي كانت تقيم في شمال جزيرة العرب ، وأخذهم عبادة هذا الإله منهم . ولم تكن هذه اللفظة اسم علم في الأصل ، ثم تخصصت على ما يظهر من النصوص المتأخرة ، فصارت تدل على إله معين ثم على إله واحد أحد هو إله الكون في الاسلام .

ويذكر علماء اللغة أن (لاه) الله الخلق يلوهم خلقهم ، والآلهة الحية ، منها سمي الصنم اللات بها ، وجوز (سيبويه) اشتقاق اسم الجلالة منها . قال الأعشى :

كدعوة من أبي كبار يسمعه لاهه الكبار

ولاه : علا وارتفع . وسميت الشمس إلهة لارتفاعها في السماء^٣ . وذكروا أن (ال) اسم الله ، وكل اسم آخره ال أو ايل ، فضاف إلى الله ، ومنه جبرائيل وميكائيل^٤ ، فهو (ايل) اذن ، إله جميع الساميين القديم .
وتعداد المواضع التي وردت فيها لفظة الجلالة أو لفظة إله والإله في الشعر الجاهلي ، يخرجنا عن صلب الموضوع ، ويجعل البحث جافاً مملاً . غير أن في استطاعتنا أن نقول إنها وردت في أكثر ذلك الشعر إن لم نقل فيه كله . وأن ورودها فيه يشير إلى اعتقاد أصحاب ذلك الشعر بإله واحد قهار هو إله العالمين.

Ency. Religi., I, p. 661, Ency., I, p. 302.

Reste, S. 209, Mission, II, p. 557, 559, 564, Grohmann, S. 87. ff.

١ تاج العروس (٤١٠/٩) ، (لاه) ، (٣٧٤/٩) ، (اله) ، (اله) .

٢ تاج العروس (٢١١/٧) وما بعدها ، (ال) .

غير أن هذا القول يتوقف بالطبع على إثبات أن ذلك الشعر هو شعر جاهلي حقاً ، وأن من نسب اليهم قالوه من غير شك ، وأنه لم يوضع على ألسنة أولئك الجاهليين .

الاعتقاد بإله واحد :

والذي يفهم — وذلك كما سبق أن قلت — من القرآن الكريم ومن الحديث أن قريشاً ومن كان على اتصال بهم ، أو غيرهم من قبائل أخرى ، لم يكونوا ينكرون عبادة الله ، ولم يكونوا يجحدون الله ، بل كانوا يقرون بوجوده ، ويدينون له ، وإنما الذي أنكره الإسلام عليهم وحاربهم من أجله وسفه أحلامهم عليه ، هو تقربهم إلى الأصنام والأوثان ، وتقديسهم لها تقديساً جعلها في حكم الشركاء والشفعاء ومرتبسة الألوهية . والإسلام لا يعترف بهذه الأشياء ، وهو ينكرها ، ومن هنا حاربه قريش ومن كان على هذه العقيدة من حلفائها ومن القبائل التي كانت ترى رأيها . فهنا كان موطن الخلاف ، لا عقيدة الإيمان بالله .

وإذا أخذنا بهذا الرأي ، رأي اعتقاد الجاهليين أو بعضهم بإله واحد ، نكون بذلك قد حللنا عقدة الازدواجية ، أي العقيدة الثنائية عند الجاهليين ووجودها في شعرهم ، فلا نجد عندئذ غرابة إذا وجدنا شاعراً يذكر الله في شعره ويحلف به ، ثم يجده يذكر الأصنام في الشعر نفسه ، ويقسم بها قسمه بالله .

ويكاد يكون الإجماع على ما تقدم . قال ابن قيم الجوزية في معرض مقارنته بين آراء المجوس وعبدة الأوثان من العرب : « بل كفر المجوس أغلظ . وعبادة الأوثان كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأنه لا خالق إلا الله ، وأنهم إنما يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ، ولم يكونوا يقرون بصانعين للعالم أحدهما خالق للخير والآخر للشر كما تقوله المجوس »^٢ . فالوثنية على هذا الرأي ، ليست نكراً لوجود إله ، وإنما هي اعتقاد بوجوده ، واعتقاد بفائدة التقرب إليه ، بتقربهم إلى الأصنام والأوثان ، أي الشفعاء ، بما في ذلك المبالغة في تقديس الأشخاص والقبور .

١ Reste, S. 217, Lyall, Ancient Arabian Poetry, p. XXIX.

٢ زاد المعاد (٢٢٤/٣) ، (فصل في حكمه في الجزية ومقدارها ومن تقبل) .

ولا نجد للعرب إلهاً قومياً خاصاً بهم كالذي نجده عند العبرانيين من تعلقهم بـ (يهوه) ، وعدهم إياه إلهاً خاصاً بإسرائيل . فقد صار هذا الإله إله جميع قبائل إسرائيل ويهوذا . أما العرب ، فقد كانوا يعبدون جملة آلهة : كل قبيلة لها إله خاص بها وآلهة أخرى ، ولم يكن لها إله واحد له اسم واحد يعبد به جميع العرب . والظاهر أن القبائل الساكنة في الحجاز ونجد والعراق والشام، صارت قبيل الاسلام تتنكر لأصنامها العديدة ، وتأخذ بالتوحيد وبالاعتقاد بإله واحد هو الله ، وهو الذي نجده في هذا الشعر الجاهلي الذي هو حاصل تغريد شعراء قبائل عديدة مما يدل على أن قبائل اولئك الشعراء دانوا بالاعتقاد بوجود ذلك الإله فوق الأصنام والأوثان ، وقد توّجت هذه العقيدة بتاج النصر في الاسلام . غير أن (الله) في الاسلام يختلف عن الله الجاهليين . فالله هو إله العالمين ، إله جميع البشر على اختلافهم . ليس له شريك من أصنام وأوثان .

أما الله الجاهليين ، فهو رب الأرباب ، وإله الآلهة ، يسمو فوق آلهة القبائل أي آلهة القبيلة الواحدة . ولهذا ذكر في شعر شعراء مختلف القبائل ، لأنه لا يختص بقبيلة واحدة .

ويقال لما يعبد من دون الله : الأنداد . وفي كتاب النبي لأكيدر : وخلع الأنداد والأصنام . والتد : مثل الشيء والنظير . وفي التتريل : واتخذوا من دون الله أنداداً ، أي ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله^١ .

والله إله ذكر . وكيف لا يتصور الإنسان إلهه ذكراً ، والذكر هو قوي مقتدر بخلاف الأنثى ! وحيث أن الله هو قوي ومصدر القوة والخلق ، فلا بد وأن يكون ذكراً في عقلية تلك الأيام ، ولا بد من التعبير عنه بصيغ التذكير . كما يلاحظ أن الجاهليين قد تصوروه واحداً ، فلم يخاطبوه بصيغة الجمع ، مما يفهم منه التعدد .

ولم يتطرق الشعر الجاهلي الى موضوع وجود إلهة أي أنثى تكون زوجاً له . ولم يشر القرآن الكريم الى اعتقاد الجاهليين بوجود زوجة له . فهو في نظرهم إله واحد منفرد لا يشاركه مشارك في حياته . وإذا كان الله واحداً أحداً أعزباً ، فلا يمكن أن يكون له ولد . ولكن القرآن الكريم يشير الى اعتقاد الجاهليين بوجود

١ اللسان (٤٢٠/٣) ، (ندد) .

بنين وبنات لله . ففي سورة الانعام : « وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون »^١ . وقد ذهب المفسرون الى أن العرب قالت الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود والنصارى عزيز والمسيح ابنا الله ، وأن النصارى قالت المسيح ابن الله ، وقال المشركون الملائكة بنات الله^٢ . وفي سورة النحل « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون »^٣ ، وفي سورة الصافات « فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون »^٤ ، « ألا إنهم من إفكهم ليقولون : ولد الله وإنهم لكاذبون . اصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون »^٥ . وفي سورة الزخرف « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين »^٦ وفي سورة الطور « أم له البنات ولكم البنون »^٧ . وأجمعوا على أن قريشاً وأضرابهم كانوا يزعمون أن الله اصطفى الملائكة بناتاً له . ولم يذكروا كيف صاروا له بناتاً . وقد ورد في بعض الروايات أن كفار قريش قالوا : « الملائكة بنات الله . فسأل أبو بكر من أمهاتهن ؟ فقالوا : بنات سروات الجن »^٨ . وورد في بعض أقوال علماء التفسير ، ان (أعداء الله) زعموا : ان الله وابليس اخوان^٩ . ولم يذكروا من هم (أعداء الله) أهم من العرب أم من غيرهم !

ويظهر ان الذين آمنوا بوجود إلهه ، تصوروا مكانه فوق الانسان ، أي فوق الأرض ، في السماء . لذلك كانوا اذا توجهوا اليه بالدعاء رفعوا أيديهم الى السماء . والسماء ، المكان المرتفع اللائق بأن يكون مقر الرب أو الأرباب . وهو اعتقاد نجده عند غير الجاهليين أيضاً . ومن هذه النظرة ظهر (بل سمين) (بل سمن) ، أي (رب السماء) و (إله السماء) المذكور في بعض نصوص المسند . وهو إله قبيلة (امر) (أمر) من القبائل العربية الجنوبية . الإله المرسل للسحاب

-
- ١ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٠٠ .
 - ٢ تفسير الطبري (١٩٧/٧ وما بعدها) ، روح المعاني (٢٠٩/٧) .
 - ٣ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٥٧ .
 - ٤ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية ١٤٩ .
 - ٥ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية ١٥١ وما بعدها .
 - ٦ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ١٦ .
 - ٧ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٩ .
 - ٨ تفسير الطبري (٦٩/٢٣) .
 - ٩ تفسير الطبري (٦٩/٢٣) .

ومنزل الغيث وباعث الحركة والخصب والخير للناس^١ . وقد تعبد له الصفويون كذلك ، وذكر في نصوصهم . وعرف عندهم بـ (هـ - بعل سمن)^٢ .
ولهذه النظرة اتخذ زهادهم لهم معابد خلوية على قسم الجبال وعلى الهضاب المرتفعات وابتنوا الصروح للتعبد فيها ومناجاة الرب ، واتخذوا من الكهوف المنقورة في الجبال مأوى يتعبدون فيها ويعتكفون الأيام والشهور والسنين . وكانوا اذا أمسكت السماء قطرها ، وأرادوا الاستمطار ، أصعدوا البقر في جبل وعر ، وقد أضرمو النار في السلع والعشر المعقودين في أذناها ، وهم يتبعون آثارها ، يدعون الله ويستسقونه^٣ . ولولا اعتقادهم ان الجبل أقرب الى الله من الأرض ، لما أتعبوا أنفسهم ، فصعدوا الجبل المرتفع مع بقرهم ، فكان استسقاءهم من الأرض .

الجبر والاختيار :

هذا وأود ان ابين ان اكثر الذين كانوا يدينون بالتوحيد ، ويعتقدون بوجود إله واحد خلاق لهذا الكون ، كانوا يؤمنون بما نسميه : « القضاء والقدر » او (الجبر) بتعبير أصبح . فالخير والشر من الله ، وكل شيء في هذا الكون محتوم مكتوب . وما يصيب الانسان ، لا بد ان يكون قد كتب عليه ، ولا راد لما هو مكتوب ، بل نجد هذه النظرة حتى عند من لم يأت اسم الله في شعره ، فلا ندري أكان من المؤمنين بالله ام لا . وفكرة ان كل شيء في هذا الكون مقدر محتوم ، فكرة قديمة غلبت على عقلية الشرقيين ، بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية التي كانت سائدة اذ ذاك ، أوضاع جعلت الغالبية من الناس تشعر انها مسخرة ، وانها تدفع في حياتها دفعاً وفي سبيل خدمة النخبة المتحكمة ، المسيرة للأمور ، أضف الى ذلك تأثير عامل الجو في الانسان .
وقضية الجبر والاختيار ، قضية لا نجدها عند المؤمنين بوجود إله هو (الله) ، أو آلهة أخرى من الجاهليين فقط ، بل نجدها عند غيرهم أيضاً ممن لم يكن يقر بعبادة (الله) ، وينكر وجود خالق ، نجدها عند ممن كان يتعبد للأصنام ،

Rep. Epigr. 4142, Grohmann, S. 245. ١

F. V. Winnett, Safaitic Inscriptions from Jordan, p. 18, 23. ٢

ابن فارس ، رسالة النيروز (ص ١٨ وما بعدها) . ٣

أو للقوى الخفية ، أو لا يدري أي شيء عن الآلهة والخلق ، أو من الدهرية ، القائلين بالدهر . فهؤلاء أيضاً كانوا يعتقدون أن الإنسان ، مسير ولا اختيار له في هذه الدنيا ، فكل شيء مكتوب عليه . كتب عليه منذ ولد . والسبب ، هو ما قلته : وجود عوامل عديدة سببت الإنسان واستعبدته من أوضاع سياسية واجتماعية وعسكرية واقتصادية ومناخية تحكمته فيه ، حتى رسخ في عقل الجاهلي ، أن كل شيء في هذه الدنيا مقدر مكتوب ، وأن ما كتب على الجبين ، لا يمكن تغييره ولا تبديل له ، ولا اعتراض على ما هو مكتوب ، ولا راد لأمر كتب في السماء .

الموت :

وفي مطلع قائمة الموضوعات التي أثارت البشرية ولا تزال تثيرها قضية الموت الذي هو ضد الحياة والعالم الثاني الذي يصير اليه الإنسان بعد الموت^١ . إن الموت أمر مخيف راعب يثير مشاعر كل انسان . فما الذي سيكون مصيره بعد الحياة ، وإلى أي مكان سيتجه بعد هذه الحياة ، وهل الموت انطفاء لشعلة الحياة وانحلال للجسد الى الأبد ؟ أو هو مرحلة من حياة الى حياة أخرى يحيا فيها الانسان حياة جديدة ، ويبعث بعثاً جديداً يبعثه من خلقه ؟ ثم ما الذي سيكون عليه في العالم الثاني ؟ هل يعيش عيشة راضية مطمئنة ، عيشة تفوق معيشته في عالمه الأول ؟ أم سيعيش عيشة أخرى ؟ إما راضية ناعمة ، وإما شقية تعسة بحسب عمل الإنسان وما قدمه لنفسه من عمل في العالم الأول ؟ هذه الأسئلة وعشرات من أمثالها شغلت بال الانسان البدائي والراقي ولا تزال تشغله . كل وجد لها أجوبة ، وكل قنع بما أجاب به عنها ، ورضي بها . وكانت للجاهليين على اختلافهم آراء في هذه المشكلات لا شك في ذلك .

والموت في كلام العرب : السكون . يقال مات بمعنى سكن^٢ . وهذا هو المعنى المفهوم للموت عند الجاهليين . فالمراد من الموت هو سكون الجسد بعد مفارقة الروح له . وقد حار الجاهليون ، كما حار غيرهم في تفسير ظاهرة الموت ،

١ المخصص (٦٤/٢) .

٢ تاج العروس (٥٨٦/١) ، (موت) .

وكيفية وقوع الموت وحادثه . وقد اعتبره بعضهم حدثاً طبيعياً ، يحدث للانسان كما يحدث لأي شيء آخر في هذا الكون من التعرض للهلاك والدمار . واعتبره بعض آخر ، مفارقة الروح للجسد . وهم الذين اعتقدوا بالثنائية وبالازدواجية في حياة الانسان ، أي بوجود جسد وروح . واعتبره آخرون موت للنفس ، وبوفاة النفس يتوفى الجسد ويصبيه السكون . فالموت عندهم مفارقة الروح للجسد ، فإذا مات الانسان خرجت روحه من أنفه ، او من فمه ، فينفص الانسان نَفْسَهُ . وإذا مات ميتة طبيعية ، يقال عن الميت : مات حتف أنفه ، ومات حتف فيه ، أي ان روحه خرجت من أنفه او من فمه ، وهو قليل ، لأن النفس في نظر اهل الجاهلية تخرج بتنفسه ، كما يتنفس من أنفه . ويقال أيضاً حتف أنفيه . وكانوا يعتقدون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، وأما القتييل ، والجريح ، فتخرج روحه من موضع جرحه^١ .

ويقال : (زهقت نفس فلان) ، اي خرجت روحه . فهم يتصورون اذن ان روح الانسان كائن مستقل اذا فارق الجسد مات . (وفي الحديث : إن النحر في الحلق واللثة ، وأقروا الأنفس حتى تزهق ، اي حتى تخرج الروح من الذبيحة ولا يبقى فيها حركة)^٢ .

و (الرمق) بقية الحياة ، او بقية الروح ، وآخر النفس^٣ . فكأنهم تصوروا ان الشخص المريض او الجريح ، قد ودع معظم نفسه ، ولم تبق من روحه إلا بقية لا تزال في جسده ، هي الرمق .

البعث :

لم يكن كثير من الجاهليين يؤمنون بالبعث كما يتبين ذلك من القرآن الكريم . لقد كانوا يرون أن الموت نهاية ، وانهم غير مبعوثين ، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول ، لذا تعجبوا من قول النبي بوجود البعث والحساب . « وقالوا

١ تاج العروس (٦٤/٦ وما بعدها) ، (حتف) .

٢ اللسان (١٤٧/١٠) ، (زهق) .

٣ اللسان (١٢٥/١٠) ، (رمق) .

إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين»^١ ، « وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^٢ ، « وقالوا إذا كنّا عظاماً ورفثاً إنّنا لمبعوثون خلقاً جديداً . قل : كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل : الذي فطركم أول مرة ، فسيفضون اليك رؤوسهم ، ويقولون : متى هو ؟ قل : عسى أن يكون قريباً »^٣ . و « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربّي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم وذلك على الله يسير »^٤ ، و « إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب »^٥ ، و « لئن قلت إنّكم مبعوثون بعد الموت ، ليقولن الذين كفروا إنّ هذا الا سحر مبين »^٦ ، و « بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أثّنا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون »^٧ ، و « ان تعجب فعجب قولهم : أإذا كنّا تراباً أئنا لفي خلق جديد »^٨ ، و (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . ان هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين »^٩ . و « قال الذين كفروا إذا كنّا تراباً وآبأؤنا أئنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا ، نحن وآبأؤنا من قبل إنّ هذا إلا أساطير الأولين . قل : سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين . ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل عسى أن يكون ردّف لكم بعض الذي تستعجلون »^{١٠} ، و « وقالوا : أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم

-
- ١ الانعام ، الآية ٢٩ .
 - ٢ النحل ، الآية ٣٨ ، تفسير الطبري (١٠٤/٨ وما بعدها) .
 - ٣ الاسراء ، الآية ٤٩ وما بعدها ، تفسير الطبري (١٠٤/١٤ وما بعدها) ، روح المعاني (١٢٨/١٤) .
 - ٤ النعابن ، رقم ٦٤ ، الآية ٧ .
 - ٥ الحج ، رقم ٢٢ ، الآية ٥ .
 - ٦ هود ، رقم ١١ ، الآية ٧ .
 - ٧ المؤمنون ، الآية ٨٢ ، الصافات ، الآية ١٦ .
 - ٨ الرعد ، الآية ٥ .
 - ٩ المؤمنون ، الآية ٣٥ وما بعدها .
 - ١٠ سورة النمل ، رقم السورة ٢٧ ، الآية ٦٧ وما بعدها .

ملك الموت الذي وكل بكم ، ثمّ الى ربكم ترجعون »^١ . و « إن هؤلاء ليقولون : إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين »^٢ .

والآيات المتقدمة وأمثالها^٣ كلها حكاية عن رأي كثير من الجاهليين في نفى البعث وفي عدم امكان العودة الى حياة أخرى بعد موت يهلك الجسم ويفني العظام فيجعلها رمياً ويمحو كل أثر للجسم ، لذا كان البعث من أهم ما عارض فيه الجاهليون معارضة قاسية شديدة ، وكان من الموضوعات التي تندروا بها وسخروا وأخذوا عليها الرسول^٤ . وكانوا يقولون : « إن هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها . وهي الموتة الأولى ، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب » . وقالوا للرسول : « فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا ان كنتم صادقين ان الله باعثننا من بعد بلانا في قبورنا ، ومحيينا من بعد مماتنا »^٥ . وقالوا : « إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ؟ يقولون منكروين بعث الله اياهم بعد ثلاثهم . أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا تراباً وعظاماً قد ذهب عنها اللحوم . أو آباؤنا الأولون الذين مضوا من قبلنا فبادوا وهلکوا ؟ »^٦ .

وكان من حاجة قريش للرسول ومحاولتهم إفحامه وتعجيزه قولهم له يوم اجتمعوا به : « يا محمد ؟ فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك ، فإنك قد علمت انه ليس من الناس احد أضيق بلداً ولا اقل ماءً ولا أشد عيشاً منا . فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق . وليبعث لنا من مضى من آباءنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول ، أحق هو ام باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولاً كما

- ١ السجدة ، رقم السورة ٣٢ ، الآية ١٠ وما بعدها ، تفسير الطبري (٩٦/٢١) ، روح المعاني (١١٢/٢١) وما بعدها .
- ٢ الدخان ، رقم السورة ٤٤ ، الآية ٣٤ وما بعدها ، تفسير الطبري (٧٦/٢٥) وما بعدها .
- ٣ هود ، ٧ ، المؤمنون ٨٢ وما بعدها ، سبأ ، ٣ وما بعدها ، الجاثية ، ٢٤ وما بعدها .
- ٤ الكشف (٤٤٨/١) ، (٧٤/٢ ، ١٨٩ ، ١٩٥ وما بعدها) ، الطبرسي (٣٩/٧) ، (٧٥/١٤) ، (٥٨/١٥) ، (٧٨/١) وما بعدها .
- ٥ تفسير الطبري (٧٦/٢٥) ، (٧٨/١) وما بعدها .
- ٦ تفسير الطبري (٣٠/٢٣) .

تقول ! «^١ . وسألوه أسئلة أخرى من هذا القبيل ، لتعجيزه في اثبات البعث .
 « جاء عبدالله بن أبيّ الى النبي صلى الله عليه وسلم ، بعظم حائل فكسره بيده ،
 ثم قال : يا محمد ، كيف يبعث الله هذا وهو رميم ؟ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، يبعث الله هذا ويميتك ثم يدخلك جهنم »^٢ . وأتى (أبيّ بن خلف)
 رسول الله (بعظم حائل ففته ثم ذراه في الريح . ثم قال : يا محمد من يحيي
 هذا وهو رميم ؟ قال الله يحياه ثم يميتة ، ثم يدخلك النار »^٣ . و « جاء العاص
 ابن وائل السهمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعظم حائل ففته بين يديه .
 فقال يا محمد أبعث الله هذا حياً بعدما أرم ؟ قال : نعم يبعث الله هذا ، ثم
 يميتك ، ثم يحيكك ثم يدخلك نار جهنم »^٤ .

ومن أنكر البعث على ما ذكره الأخباريون قوم من قريش كانوا زنادقة أنكروا
 الآخرة والربوبية ، أخذوا زندقتهم هذه من الحيرة^٥ . وإذا كان من هؤلاء من
 كان يقدم القرابين والهدايا لأصنامهم ، فإن ذلك لا يعني أنه كان يفعل ذلك لترضى
 عنه في العالم التالي ، بل كان يفعل ذلك لترضى عنه في هذه الحياة الدنيا ، لتمكن
 عليه بالنعم والخيرات . أما العالم الثاني ، فهو عالم لا يهتم به ، لأنه لم يكن
 يتصور وجوده ولا حدوثه بعد الموت^٦ .

ويتجلى هذا الإنكار للحشر والبعث في أبيات تنسب الى (شدّاد بن الأسود
 ابن عبد شمس بن مالك) يرثي بها قتلى قريش يوم بدر ، وهم الذين قتلوا في
 تلك المعركة وألقوا في القليب :

أبوعدني ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام ؟
 أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي

أراد الشاعر إنكار البعث، وأن يصير الإنسان مرة أخرى انساناً بعد أن تتحول

١ ابن هشام (١٨٦/١) ، (حاشية على الروض) .

٢ تفسير الطبري (٢١/٢٣) ، روح المعاني (٥٠/٢٣) .

٣ تفسير الطبري (٢١/٢٣) ، الاشتقاق (٨٠) .

٤ تفسير الطبري (٢١/٢٣) .

٥ المحبر (ص ١٦١) ، بلوغ الارب (٣٤٥/١) ، المعارف (٦٢١) .

٦ Reste, S. 185.

روح الانسان الى طير^١ .

وذكر ان (الحارث بن عبد العزى) ابو رسول الله من الرضاعة ، لما قدم مكة ، قالت له قريش : « ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول : قالوا : يزعم ان الله يبعث بعد الموت ، وان لله دارين يعذب فيها من عصاه ، ويكرم فيها من أطاعه . فقد شئت أمرنا وفرق جماعتنا^٢ . فهم ينكرون البعث والحساب ، ولا يريدون سماع شيء عنها ، ولا يصدقون عودة الروح الى الجسد بعد أن فارقت ، فذلك عندهم من المستحيلات ، ولذلك سخرُوا من البعث لما سمعوا به . وكيف يكون بعثاً وقد فُتيت الأجساد ، فلم تبق منها بقية !

فرأى من أنكر الحشر والبعث من أهل الجاهلية ، ان الحياة حياة واحدة ، هي حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا ، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب ، نحيا ونموت ، يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، وما يميتنا إلا الأيام والليالي ، اي مرور الزمان وطول العمر^٣ . فالحياة اذن حياة وموت في هذه الدنيا ، وهي استمرار للآخرين على مدى الدهر ، يولد انسان ثم يموت ليحل محله انسان آخر ، وهكذا بلا انتهاء .

ونجد رأي الناكرين للبعث في قوله تعالى : « وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر^٤ » . فهم يقولون : ما هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت نحن ويحيا أبناؤنا بعدنا ، فجعلوا حياة ابنائهم بعدهم حياة لهم ، لأنهم منهم وبعضهم ، فكأنهم بحياتهم أحياء . والدهر الزمان ، وهو الذي يهلك ويفنى^٥ . فالحياة بهذا المعنى ، فعل مستمر ، وتطور لا ينتهي ، يهلك جيل ،

١ وهي من أبيات رويت بصور مختلفة ، وفي بعضها زيادات ، راجع ابن هشام (١١٣/١) ، هامش على الروض الانف ، كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير (ص ٣٠٨) ، « طبعة أوروبا ١٩٢٧ » ، بلوغ الارب (١٩٨/٢) ،
يحدثنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام ؟
بلوغ الارب (١٩٢/٢) .
٢ الروض الانف (١٠٧/١) .
٣ تفسير الطبرسي (١٣٦/٢٥) ، (بيروت) ، (٧٨/٢٥) ، (طهران) .
٤ الجاثية ، الآية ٢٤ ، تفسير الطبري (٩١/٢٥) ، روح المعاني (١٣٩/٢٥) .
٥ تفسير الطبري (٩١/٢٥) وما بعدها ، (بولاق) ، (١٥١/٢٥) وما بعدها .
(القاهرة ١٩٥٤) .

ليأخذ محله الجليل الذي نبت منه . وكلّ يأخذ دوره في هذه الحياة ، فإذا انتهى دور انسان ، قام بدوره نسله ، وهكذا ، وبهذا المعنى تفسر الحياة ، ويفسر الموت .

وقد يسأل سائل اذا كان أغلب أهل الجاهلية لا يؤمنون بثواب ولا بحساب وبعث ونشر ، فلم تعبّدوا اذن لإلهه ، وتقرّبوا الى الأصنام ، وقدّموا القرابين والنذور ؟ وجوابي على هذا السؤال ، هو ما ذكره المتقدمون عنه . قالوا : « كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط ، فكانوا يسألون الإبل والغنم والظفر بالعدو ، ولا يطلبون الآخرة ، اذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها »^١ . فعبادتهم الله وتقرّبهم الى الآلهة ، هي لمصلحة دنيوية ، لنفع ولزيادة في مال ، ولدفع شر الأذى والأمراض وعيون الحساد ، ومن كل ما هو شر ، أما الآخرة ، فلا علم لهم بها .

وما خوفهم من الآلهة إلا لاعتقادهم أنها تضرمهم وتهلكهم وتنزل بهم الشر في هذه الدنيا . فلذا أقسم أحدهم كذباً ، انتقامت الآلهة منه وأنزلت به نازلة ، لذلك تجنّبوا الايمان الكاذبة ، وامتنعوا من الحلف جهداً لمكانهم ، لخوفهم من عاقبة الحلف الكذب . والعاقبة السيئة تكون في هذه الدنيا . وهي عواقب مادية ، لأن عقلية أكثر اهل الجاهلية لا تدرك إلا القيم المادية للأشياء . فتصوروا العاقبة السيئة تصوراً مادياً ، كنزول مرض بإنسان أو نزول كارثة بماله أو بإبله أو بزرعه أو بأمله ، وهي أمور يخشاها الجاهلي ، تكون معجلة في نظره ، اي في هذه الدنيا . لأنهم لا يعرفون ان في الحياة داراً غير هذه الدار ، ولا يؤمنون بحشر وبعث .

جاء في الأخبار ان (ضمام بن ثعلبة) السعدي ، ويقال التميمي ، لما قدم على الرسول ، أقبل حتى وقف على رسول الله ، وهو في اصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله : انا ابن عبد المطلب . قال : أحمد ؟ قال : نعم . قال : يا ابن عبد المطلب إنني سائلك ومغلظ عليك في المسئلة فلا تجدنّ في نفسك . قال : لا اجد في نفسي . سل عما بدا لك . قال انشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله امرك ان تعبد وحده

١ تفسير القرطبي (٤٣٢/٢) .

لا نشرك به شيئاً ، وان نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم . ثم سأله عن الفرائض ، فأسلم . فلما قدم على قومه ، فاجتمعوا اليه ، (فكان أول ما تكلم به ، ان قال : بثت اللات والعزى . قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون . قال : ويلكم انهما والله ما يضران وما ينفعان)^١ . فالعقاب عقاب مادي في هذه الدنيا ، ترسله الآلهة على الانسان . غير ان فريقاً من الجاهليين كما يقول أهل الأخبار كان يؤمن بالبعث وبالخسر بالأجساد بعد الموت ، ويستشهدون على ذلك بـ (العقيرة) وتسمى (البلية) أيضاً . والبلية الناقة التي كانت تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً . ويقولون انه يحشر راكباً عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلاً . وهذا مذهب من كان يقول منهم بالبعث ، وهم الأقل . ومنهم زهير فإنه قال :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم^٢

ويذكر أيضاً انهم كانوا يعكسون رأس الناقة أو الجمل أي يشدونه الى خلف بعد عقر احدى القوائم او كلها لكيلا تهرب ، ثم يترك الحيوان لا يعلف ولا يسقى حتى يموت عطشاً وجوعاً ، ذلك لأنهم كانوا يرون ان الناس يحشرون ركبناً على البلايا ومشاة^٣ اذا لم تعكس مطاياهم عند قبورهم^٤ ، وفي هذا المعنى قال الشاعر في البلية :

والبلايا رؤوسها في الولايا مانحات السموم حر الحدود

والولايا هي البراذع ، وكانوا يثقبون البرذعة فيجعلونها في عنق البلية وهي معقولة . وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذه الوصية :

يا سعدُ اما أهلكنْ فإني أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب

-
- ١ الاستيعاب (٢٠٧/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الإصابة) .
 - ٢ الروض الأنف (٩٦/١) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) ، (بيروت ١٩٦٤ م) .
 - ٣ تاج العروس (٤٣/١٠) ، اللسان (٩٢/١٨) ، النهاية (١١٥/١) ، رسالة النفران (٣٣٣ وما بعدها) ، (بنت الشاطيء) .

لا تترك أباك يمشي خلفهم تبعاً يخرّ على اليدين وينكب
احمل أباك على بعير صالح وابق الخطيئة لأنه هو أصوب
ولعلّ مالي ما تركت مطيئة في اليم أركبها إذا قيل اركبوا^١

وذكر أنهم كانوا يحفرون للبايسة حفرة وتشد رأسها الى خلفها وتبلى ، أي
تترك هناك لا تعلق ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً . وكانت النساء ، يقمن
حول راحلة الميت فينحن إذا مات أو قتل ، وقد عرفن ب (مُبَكِّيَّات) ^٢ .

وفي رواية أن بعض المشركين كان يضرب راحلة الميت بالنار وهي حيّة حتى
تموت^٣ ، يعتقدون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليستفيد منها الميت بعد الحشر^٤ .

وإذا كانت عقيدة الجاهليين في عقر الحيوانات المسكينة وإهلاكها قد مانت
وزالت ، بسبب تحريم الإسلام لها ، فإن فكرة حشر الناس ركباناً لا تزال باقية
حية عند بعض الناس . فالذين يقدمون (العقيقة) في الحياة أو يقدمونها حين
الوفاة ومع نقل الجنازة أو على القبر ، يختارون أحسن الحيوانات وأقواها لتمتكن
من حملهم يوم المحشر ، وتنهض بهم ، فيسير راكباً ، ولا يحشر وهو مترجل
يسير في تلك الساعات الرهيبة ماشياً على قدميه .

ويقال للموت وللحساب (اللزام) ^٥ .

ولا أعتقد أن نحر الإبل على القبر وتبليله بدم الإبل المدبوحة^٦ ، مجرد عادة
يراد بها إظهار تقدير أهل الميت له ، أو تمثيل كرم الراحل حتى بعد وفاته ،
بل لا بد أن يكون هذا النحر من الشعائر الدينية والعقائد الجاهلية التي لها علاقة
بالموت وباعتقادهم أن موت الانسان لا يمثل فناً تاماً وإنما هو انتقال من حال
الى حال .

١ الشعر ل (جريبة بن الاشم الفقعسي) ، يوصي ابنه به وقد ورد بصور أخرى ،
راجع الروض الآنف (٩٦/١) ، النهاية ، لابن الاثير (١١٥/١) ، اللسان
(٨٥/١٤ وما بعدها) ، تاج العروس (٤٣/١٠) ، طبقات الامم (٤٩) .

٢ اللسان (٨٥/١٤ وما بعدها) .

٣ المخصص (١٢٢/٦) ، اللسان (١٥/١٦) ، الاغاني (١٢٢/٦) .

٤ الاغاني (٤٨/١٦) ، « أخبار زيد الخيل » ، (١٧٦/١٧) ، (بيروت ١٩٥٥) ،
Reste, S. 180.

٥ تاج العروس (٥٩/٩) ، (لز) ، المخصص (١٢٢/٦) .

٦ الاغاني (٨٨/١٩) .

وذكر (السكّري) ، أن أكثر العرب كانوا يؤمنون بالبعث . واستشهد على ذلك بشعر للأعشى ، ذكر فيه الحساب . كما ذكر أنهم كانوا يؤمنون بالحساب ، واستشهد على رأيه هذا بشعر للأخنس بن شهاب التميمي^١ . وقول (السكّري) هذا مردود، بما ورد في القرآن الكريم من إنكار أغلبهم للحساب والبعث والكتاب ، وأما الذين قالوا بالبعث ، فهم طائفة لا تصل الى مستوى الكثرة أو الكل حتى نستعمل صيغة التعميم .

وإذا كان ما تصوره أهل الجاهلية عن البعث والحشر صحيحاً على نحو ما ذكره أهل الأخبار ، فلا يستبعد أن يكون القائلون به أو بعضهم قد تصوروا الحساب على نحو ما يحاسب الانسان على عمله في دنياه . ويلاحظ أن القيامة والبعث والحشر والجنة والنار هي من الكلمات العربية التي لا يستبعد أن يكون لها مفهوم قريب من مفهومها الإسلامي عند الجاهليين .

أما كيف تصور أولئك الجاهليون حدوث البعث والحشر ، هل هو قصاص وثواب وعقاب وحساب وجنة ونار، أو هو بعث وحشر لا غير ، فأهل الأخبار لم يأتوا عنه بجواب ، ولم يذكروا رأي تلك الفئة المقررة بالبعث والحشر في ذلك. ولهذا فليس في استطاعتنا إعطاء صورة واضحة عن الحشر وعمّا يحدث بعده من تطورات وأمور .

ولم تتحدث الكتابات الجاهلية عما سيحدث للانسان بعد موته . وكل ما ورد فيها هو توسل الى الآلهة بأن تنزل غضبها على كل من يحاول تغيير قبر ، أو ازالة معالمة ، أو دفن ميت غريب فيه ، وان تنزل به الأمراض والآفات والهلاك. ولم تذكر تلك النصوص السبب الذي حمل أهل القبور على التشدد في المحافظة على القبر وعلى ضرورة بقاءه ودوامه . فلا ندري اذا كان ذلك عن تفكير بوجود بعث ، وبتصور قيام الميت من قبره مرة أخرى ، ورجوعه ثانية الى الحياة ، او الى عالم ثان ، هو عالم ما بعد الموت ، ولهذا حرصوا حرصاً شديداً على عدم السماح بدفن أحد في قبر ، إلا اذا كان من أهل صاحب القبر ومن ذوي رحمه ، حتى لا يتأذى الميت من وجود الغرباء ، وليستأنس بأهله وبذوي قرابته مرة أخرى بعد عودة الحياة اليه ، فيرى نفسه محشوراً معهم ، ومع من أحبه في حياته، عائشاً

١ المحبر (٣٢٢) .

معهم ، كما كان قد عاش معهم ، أو ان حرصهم على حرمة القبر ، انما كان عن مراعاتهم لحرمة القبر ، وعلى منزلة الموتى ، فالمسّ بحرمة القبر، مسّ بحرمة الميت ، وانتهاك لمقامه ولمكانته ، ولما كان عليه في هذه الحياة !

وهناك من كان يعتقد ان الميت وان غيب في قبره وانقطعت علاقته بآله وذويه ، الا ان روحه لن تموت ، وانه يظل وهو في قبره يقطأ ، متتبعاً لأخبار أهله . تخبره بها هامته التي تكون عند ولد الميت في محلته بفنائهم ، لتعلم ما يكون بعده فتخبره به ، حتى قال الصلت بن أمية لبنيه :

هامي تخبرني بما تستشعروا فتجنبوا الشعاء والمكروها^١

وأما ما ورد في الشعر الجاهلي من أمر الحشر والنشر والحساب والكتاب والعالم الثاني ، فهو مما ورد ودون في الاسلام ، ولم أجد في رواية من روايات أهل الأخبار ان أحداً من رواة الشعر الجاهلي ، ذكر انه نقل ما نقل من هذا الشعر من ديوان جاهلي ، أو من كتاب كتب قبل الاسلام . ومع ذلك ، فإن هذا المروي عن العالم الثاني قليل ، لذلك لا نتمكن لقلته من تكوين صورة واضحة عن ذلك العالم ومن التحدث بطلاقة عن رأي أصحاب هذا الشعر في الحشر والنشر والبعث .

وأما ما ورد في شعر (أمية بن أبي الصلت) عن الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، فهو أوسع ما ورد في الشعر الجاهلي في هذا الموضوع . وأمية ، هو الشاعر الجاهلي الوحيد الذي جاء أكثر شعره في نزعات دينية وفكرية ، ذلك لأنه كان في شك من عبادة قومه ، وكان على شاكلة غيره ممن سثم تلك العبادة ، ينهى قومه عنها ، ويسفه أحلامها ، وقد تأثر باليهودية وبالنصرانية . وفي شعره اعتقاد بالجنة والنار والبعث . وبصحة المعاد الجسماني ، وبوجود الجنة والنار بالمعنى الحقيقي ، لا المجازي ، وهو يتفق في ذلك مع الإسلام . كما تحدثت عن ذلك في الفصل الخاص بالأحناف .

وكان (الأعشى) ممن يؤمن بالله وبالحساب ، وقد استشهد من قال ذلك عنه

١ مروج (١٣٣/٢) .

بأبيات شعر تشعر أنه كان يؤمن بالحساب وبقيام الانسان بعد الموت لمحاسبته على عمله . من ذلك قوله :

يراوح من صلوات المليك طوراً سُجوداً وطوراً جُواراً
بأعظم منك تُقى في الحساب إذا النسائم تفضن الغباراً^١

وكان (زهير بن أبي سلمى) على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل^٢ قال :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أن يعجل فينقم^٣
وكان (حاتم) طيء من المتأهين ، ومن المعتقدين بالحساب . وقد أورد أهل الأخبار له شعراً في ذلك^٤ .

البلية والحشر :

ولم يذكر أهل الأخبار كيف تصور القائلون بالقيامة وبالحشر من أهل الجاهلية قيام الموتى وشيئهم الى المحشر . فقد ذكروا ان قوماً من الجاهليين كانوا اذا مات أحدهم عقلوا ناقة على قبره وتركوها حتى تبلى ، وتسمى لذلك (البلية) . وقالوا : « البلية كغنية الناقة التي يموت ربها ، فتشد عند قبره ، فلا تelf ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً أو يحفر لها وتترك فيها الى ان تموت ، لأنهم كانوا يقولون صاحبها يحشر عليها ، و (كانوا يزعمون ان الناس يحشرون ركباناً على البلايا ومشاة اذا لم تعكس مطاياهم عند قبورهم) . وذكر أنهم (كانوا في الجاهلية يعقرون عند القبر بقرة أو ناقة أو شاة ، ويسمون العقيرة البلية) ، (وفي فعلهم هذا دليل على أنهم كانوا يرون في الجاهلية البعث والحشر بالأجساد . وهم الأقل . ومنهم زهير)^٥ . وفي هذا المعنى يقول جريبة بن أشيم^٦ :

-
- ١ رسالة الغفران (١٨٠) .
 - ٢ الروض الانف (٩٦ / ١) .
 - ٣ الروض الانف (٩٦ / ١) .
 - ٤ رسالة الغفران (٤٨٨) .
 - ٥ تاج العروس (٤٣ / ١٠) وما بعدها (، بلى) ، القاموس (٣٥٠ / ٤) وما بعدها (.
 - ٦ اللسان (٦٢٥ / ١٢) ، (هوم) ، تاج العروس (١١٢ / ٩) ، (هيم) ، (جريبة بن الاشيم الفقيسي) ، بلوغ الارب (٣٠٧ / ٢) .

يا سعدُ إما اهلكنّ فإنني أوصيك أن أخا الوصاة الأقربُ
لا أعرفن أباك يحشر خلفكم تعباً يخرّ على اليدين وينكب
واحمل أباك على بعير صالح وتقى الخطيئة انه هو أصوب
ولتقلّ لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها اذا قيل: اركبوا^١

ومن ذلك قول عمرو بن زيد المتمني يوصي ابنه عند موته في البلية :

أبنيّ زودني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحلى فاتر
للبعث أركبها اذا قيل: اظعنوا مستوثقين معاً لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عائر^٢

وقال عويمر النبهاني :

أبنيّ لا تنسَ البليّةَ إنها لأبيك يوم نشوره مركوب^٣

وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركّن أبالك يحشر مرة عدواً يخر على اليدين وينكب^٤

وطريقتهم في ذلك أن أحدهم اذا مات ، بلوا ناقته ، فعكسوا عنقها الى مؤخرتها
مما يلي ظهرها ، أو مما يلي كلكلها أو بطنها ، ويأخذون وليّة فيشدون وسطها ،
ويقلّدونها عنق الناقة ، ويتركّون الناقة في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت ،
وربما أحرقت بعد موتها ، وربما سلخت وملئ جلدّها ثماماً^٥ .

قال شاعر في البليّة :

والبلايا رؤوسها في الولايا ما نحات السموم حر الحدود

-
- ١ اللسان (٦٢٤/١٢) ، (هوم) ، تاج العروس (١١٢/٩) ، (هيم) ، بلوغ
الارب (٣٠٧/٢) وما بعدها .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٠٩/٢) .
 - ٣ بلوغ الارب (٣٠٩/٢) .
 - ٤ الروض الآنف (٩٦/١) .
 - ٥ بلوغ الارب (٣٠٧/٢) ، اللسان (٨٥/١٤) وما بعدها ، (.بلا) .

والولاية هي البراذع . وكانوا يثقبون البرذعة ، فيجعلونها في عنق البليّة وهي معقولة حتى تموت^١ .
أما كلمة (جهنم) ، فيرى العلماء أنها من الكلمات المعربة . ويظن المستشرقون أنها من أصل عبراني^٢ . ومن أسماء جهنم على رأي علماء اللغة (الهاوية)^٣ .
و (أم الهاوية)^٤ .

١ الروض الأنف (٩٦/١) .
٢ العرب ، للجواليقي (ص ١٠٧) « طبعة دار الكتب المصرية » ، Ency., I, p. 998.
٣ اللسان (٢٥٠/٢٠) .
٤ المخصص (٣٨/١١) .

الفصل الخامس والستون

الروح والنفس والقول بالدهر

ويحملنا قول بعض الجاهليين بوجود البعث ، وبالصدى والحامة ، على التحرش بموضوع الروح وماهيتها عند أهل الجاهلية ، وعن كيفية تصورهم لها . وقد سأل أهل مكة الرسول عن ماهية الروح ، فنزلت الآية : « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »^١ . ويذكر المفسرون أن اليهود حرضوهم على توجيه هذا السؤال إلى الرسول ، امتحاناً وإحراجاً له^٢ . وفي سؤالهم له عن الروح معنى اهتمام القوم بالموضوع ، ومحاولة إثارة مشكلة للرسول كانت مهمة في أعين الناس يومئذ ، مما يدل على أهمية هذه القضية في ذلك العهد . وورد أن يهود يثرب هم الذين سألوه عن أمر الروح ما هي؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد ؟ فنزل الوحي عليه بالآية المذكورة^٣ .

و (الروح) في تعريف علماء اللغة ما به حياة الأنفس ، والذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة . وذهب بعضهم إلى أن الروح والنفس واحد ، غير أن

-
- ١ الإسراء ، الآية ٨٥ .
 - ٢ القرطبي ، الجامع (٣٢٥/١٠) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٥/١٠٤ وما بعدها) ، القرطبي ، الجامع (١٠/٣٢٣ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (١٥/٩٣) ، (بيروت ١٩٥٦) ، تفسير ابن كثير (٣/٦١) ، تفسير البيضاوي (١٥/٣٨٢) ، تفسير أبو السعود (٢/٢٣٠) ، تفسير السيوطي (٤/١٩٩ وما بعدها) ، تفسير الكشاف (٢/١٩٧) ، إرشاد الساري (٧/٢١٢) .

الروح مذكر والنفس مؤنثة^١ . وقال بعض آخر الروح هو الذي به الحياة ،
والنفس هي التي بها العقل ، فإذا نام النائم قبضت نفسه ، ولم يقبض روحه ،
ولا يقبض الروح إلا عند الموت . وذكر بعض العلماء : لكل انسان نفسان :
احدهما نفس التمييز ، وهي التي تفارقه اذا نام ، فلا يعقل بها ، والأخرى نفس
الحياة ، واذا زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس . وقد يراد بالنفس الدم ،
وفي الحديث : ما ليس له نفس سائلة ، فإنه لا ينجس المساء اذا مات فيه .
فعبر عن الدم بالنفس السائلة ، وكما ورد في قول السموأل :

تسيل على حد الطبات نفوسنا وليست على غير الطبات تسيل

وانما سمى الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه^٢ .

وقد يعبر بها عن الانسان جميعه ، وعن الجسد^٣ . وهناك كلمة أخرى ترد
في معنى (الروح) ، هي (النسيم) . و (النسم) نفس الروح كالنسمة ،
يقال ما بها نسمة ، أي نفس ، وما بها ذو نسم ، أي ذو روح . والنسم نفس
الريح اذا كان ضعيفاً كالنسيم^٤ . وقد ربطوا بين النسيم والروح ، لما كان قد
علق في أذهانهم اذ ذاك من ان الروح نوع من انواع النسيم ، وهو النفس الذي
يتنفسه الانسان ، ومن ان النفس من النسم كذلك ، وان بين التنفس والنفس
صلة . والتنفس يكون بالنسيم . ولهذا قالوا لمن يموت موتاً طبيعياً : (مات حتف
أنفه) ، و (مات حتف فيه) ، وحتف الموت ، لأن نفسه يخرج بتنفسه من
أنفه او فيه . ولأنهما نهاية الرمق ، ومنها يكون التنفس^٥ .

ويظهر من دراسة معاني الكلمات المذكورة ، أن لفظة (نفس) هي بمعنى
الإنسان والجسد في الشعر الجاهلي القديم ، أما (الروح) ، فبمعنى النفس ،

-
- ١ تاج العروس (١٤٧/٢) ، (روح) .
 - ٢ اللسان (٢٣٣/٦) وما بعدها ، (نفس) .
 - ٣ اللسان (٢٣٤/٦) وما بعدها ، (نفس) .
 - ٤ تاج العروس (٧٤/٩) وما بعدها ، (نسم) ، اللسان (٤٦٢/٢) ، تساج
العروس (١٤٧/٢) .
 - ٥ تاج العروس (٦/حتف) .

أي التنفس واستنشاق الهواء والريح^١ . وتقابل لفظة (نفس) لفظة (نيفش) Nephesh في العبرانية ، وتطلق على نفس كل كائن حي ، من إنسان أو حيوان ، وبهذا المعنى وردت في العهد القديم^٢ . وتقابل لفظة Soul في الانكليزية و Seele في الألمانية . وقد استعملت لفظة Psyche اليونانية بمعنى نفس في العهد الجديد^٣ . ومن هذه اللفظة اليونانية أخذ العلماء مصطلحهم Psychology Psychologie ، أي علم النفس ، ثم مصطلحات العلوم الأخرى المتعلقة بموضوع النفس . وهي في الوقت الحاضر علوم عديدة .

أما لفظة (الروح) ، فتقابل كلمة (روح) Ruach في العبرانية ، ولفظة Spirit في الانكليزية ، و Geist في الألمانية . وتكون في مقابل النفس في علم النفس^٤ ، وتقابل لفظة Pneuma في اليونانية ، ومعناها الهواء والريح والنفس .

ونجد بين المعاني التي ذكرها علماء العربية للألفاظ المذكورة ، وهي : النفس ، والريح ، والهواء ، والنسيم ، وبين المعاني الواردة في اللغات الأعجمية عنها شهاً كبيراً ، يرجع الى وجهة نظر الإنسان في تفسير مظاهر الحياة ، وشعوره بوجود شيء في نفسه خارج عن حدود المادة ، أي عن الجسم او الجسد ، لا يمكن أن يحسكه ولا أن يلمسه ، فسمّاه (نفساً) تارة وسمّاه (روحاً) تارة أخرى ، وفرق بين الاثنين تارة ثالثة . وقد تصور أن النفس والروح ، شيان لها علاقة بالحياة . فنسب الحياة اليها او الى أحدهما . ونظراً الى أنها غير محسوسين ، ولا يمكن الإمساك بهما أو لمسهما ، تصورها الانسان تصوراً مختلف باختلاف درجة مداركه ومقدار ثقافته ودرجة ما توصل اليه من علم في ذلك الوقت .

وقد تصور اليونان النفس ، على أنها هواء ونسيم ، وتصورها على هيئة طائر صغير في شكل الانسان ، او على شكل طير ، او فراشة^٥ . وهو تصور عرف عند غيرهم ايضاً ، بل يكاد يكون الغالب على الناس . ولا زال الناس يصورون الروح على هيئة طائر ، يسبح في الفضاء ، فإذا مات الانسان صعدت روحه الى خالقها ، او الى السماء . فالأرواح طيور تكون في الانسان ، اذا انفصلت عن

Shorter Ency., p. 433.

١ التكوين ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٠ .

٢ انجيل متى ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٢٦ . Hastings, p. 872.

٣ H. Schmidt, Philosophisches Wörterbuch, S. 518.

الجسد مات ، وأخذت هي تطير مرفرفة في الأعالي . وهذا الرأي أخذ بعض الجاهليين تفسير النفس . تصوروا (النفس طائراً ينبسط في الجسم ، فإذا مات الانسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً بصدح على قبره) . (وكانوا يزعمون ان هذا الطائر يكون صغيراً ، ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم ، وهو أبداً مستوحش ، ويوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور ، وانها - أي النفس - لم تزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم ما يكون من بعده فتخبره ^١) . وزعموا انه اذا قتل قتيل ، فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهي الهامة ، والذكر الصدى ، فيصبح على قبره اسقوني اسقوني ، فإن قتل قاتله كفّ عن صياحه . وكان بعضهم يقول ان عظام الموتى تصير هامة وتطير . وذكر ان الصدى حشو الرأس ، ويقال لها الهامة أيضاً ، او الدماغ نفسه ^٢ .

وكان من زعم بعض الجاهليين ، ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ او أجزاء منه ، فانتصب طيراً هامة ، ترجع الى رأس القبر كل مئة سنة ^٣ . ويرجع هذا الرأي الى عقيدة قديمة تعتبر الدم مقراً للنفس ، بل تجعل الدم في معنى النفس ، والنفس في معنى الدم ، وذلك للصلة الوثيقة الكائنة بين الدم والنفس ، ولأن الانسان اذا قتل سال دمه ، فتخرج روحه بخروج الدم من الجسم ، اي خروج النفس من السدم ، بعد ان كانت كامنة فيه . ويمثل هذا الرأي رأي العبرانيين ايضاً في النفس وفي صلتها بالدم ، ورأي غيرهم من الشعوب ^٤ .

وكان اعتقادهم أن مقر الدم ومركز تجمعه في الدماغ ، ومن هنا قيل : بنات الهام : مخ الدماغ ^٥ ، فلا غرابة إذا تصوروا ان الروح تنتصب فيه ، فتكون هامة تخرج من الرأس ، وتطير . ويكون خروجها من الأنف او الفم ، لأن النفس يكون منها . فتتجمع الأرواح حول القبور ، ويكون في وسعها مراقبة أهل الميت وأصدقائه ونقل أخبارهم اليه . ولهذا السبب ، تصوروا المقابر مجتمع

-
- ١ بلوغ الارب (٣١١/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٢٠٧/١٠) ، (صدى) ، (١١٢/٩) ، اللسان (١٠٨/١٦) ، المعاني الكبير (٩٥١/٢ ، ١٠٠٨ وما بعدها) .
 - ٣ بلوغ الارب (١٩٩/٢ ، ٣١١) ، الروض الآنف (١٠٩/٢) .
 - ٤ Hastings, p. 101.
 - ٥ اللسان (٦٢٥/١٢) ، (هوم) .

الأرواح ، تطير فيها مرفرفة حول القبور . وإلى هذه العقيدة أشير في شعر أبي دُواد :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام

وكذلك في شعر للشاعر لبيد :

فليس الناس بعسك في نكير وليسوا غير أصداء وهام^١

ولهذا سموا الدماغ (الطائر) لأنهم تصوروه على صورة طير . قال الشاعر :

هم أنشبو صم القنا في نحورهم وبيضاً تقيض البيض من حيث طائر

عنى بالطائر الدماغ . وعبر عنه للسبب المذكور بـ (الفرخ)^٢

وورد أن (الصدى) ما يبقى من الميت في قبره ، وهو جثته^٣ ، وقيل : حشوة الرأس ، أي دماغ الانسان الهامة والصدى . وكانت العرب تقول إن عظام الموتى تصير هامة فتطير . وقال بعض الأخباريين : إن العرب تسمي ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت اذا بلي ، الصدى^٤ .

وقد نهى الإسلام عن الاعتقاد بالصدى والهامة . ورد في الحديث : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا صفر »^٥ .

وذكر بعض العلماء أن المراد من (صفر) في الحديث النبوي المذكور دابة يقال إنها أعدى من الجرب عند العرب ، فأبطل النبي أنها تعدي . وقال بعض آخر أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، وهو تأخيرهم المحرم الى صفر في تحريمه وجعل صفر هو الشهر الحرام ، فأبطله الرسول^٦ .

-
- ١ اللسان (٦٢٤/١٢) وما بعدها ، (هوم) ، تاج العروس (١١٢/٩) ، (هيم) .
 - ٢ تاج العروس (٢٧٢/٢) ، (فرخ) ، (٣٦٤/٣) ، (طير) .
 - ٣ قال النمر بن ثولب ، وهو من المخضمين :
أعاذل أن يصبح صدائي بقفرة بعيدا نأني ناصري وقريبي
البرقوقي (ص ٧٥) .
 - ٤ أضربك حيث تقول الهامة اسقوفي
البرقوقي (ص ٧٦) .
 - ٥ اللسان (٦٢٤/١٢) ، (هوم) ، تاج العروس (١١٢/٩) ، (هيم) .
 - ٦ اللسان (١٣٣/٦) ، (٤٦٣/٤) ، (صفر) ، (صادر) .

وقد لخص (المسعودي) آراء أهل الجاهلية في النفس والروح ، فقال : « كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس ، وآراء ينازعون في كيفياتها ، فمنهم من زعم ان النفس هي الدم لا غير ، وان الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، ولذلك سموا المرأة منه نفساء ، لما يخرج منها من الدم ، ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نفس سائلة اذا سقط في الماء : هل يتجسه ام لا ؟ قال تأبط شراً لحاله الشفري الأكبر وقد سأله عن قتيل قتله ، كيف كانت قصته ؟ فقال : أجمته عضباً ، فسالت نفسه سكياً . وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ، ولا يوجد فيه ، بدأ في حال الحياة ، وطبيعته طبيعة الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة ، لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة ، فإذا مات بقي اليبس والبرد ، ونفيت الحرارة »^١ .

ثم تطرق (المسعودي) الى رأي من قال ان النفس طائر ينبسط في جسم الانسان ، فإذا مات او قتل لم يزل مطيفاً به متصوراً اليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً ، يسمونه الهام ، والواحدة هامة^٢ .

ونظراً الى قلة ما لدينا من موارد عن الروح والنفس وعلاقتها بالجسد ، عند الجاهليين ، فإننا لسنا في وضع نستطيع فيه ان نتحدث عن رأي عموم الجاهليين في تركيب الانسان . هل هو من (جسد) و (روح) ، أو (جسد) و (نفس) أي ثنائي التركيب ، او انه من (جسد) و (روح) و (نفس) ، أي ثلاثي التركيب . فقد رأينا انهم يجعلون الروح والجسد شيئاً واحداً أحياناً ، ويفرقون بينها أحياناً أخرى . ولكننا نستطيع ان نقول ان غالبيتهم كانت ترى ان الانسان من جسد ، هو الجسم ، أي مادة ، ومن شيء لطيف ليس بمادة هو الروح او النفس ، وهما مصدران القوى المدركة في الانسان ومصدران الحياة . وان بانفصالهما عن الجسد ، او بانفصال الجسد عنهما يقع الموت .

ويظهر من مخاطبات الوثنيين للأصنام ، كأنهم كانوا يتصورون أن لها روحاً وأنها تسمع وتجب . ومن الجائز حلول الروح في الجأد . وقد ورد عن (ابن الكلبي) عن (مالك بن حارثة) أن والد مالك هذا كان يعطيه اللبن ، ويكلمه

١ مروج (١٣٢/٢)
٢ مروج (١٣٣/٢)

بأن يذهب به الى الصنم ود ليسقيه، فكان مالك يشربه سراً ويبخل به على صنمه^١.
واذا صح خبر ابن الكلبي هذا ، فإنه يدل على (حارثة) ، وربما غيره أيضاً
من عبدة الأصنام ، كان يرى ان الصنم يعقل ويدرك ، يسمع ويرى ، وانه وان
كان من حجر ، إلا أنه ذو روح . كما ورد أن من المشركين من كان يرى
أن الشمس ملك من الملائكة ذات نفس وعقل^٢ .

ويتبين من تشديد النبي في تسوية القبور مع الأرض ، ومن لعن المتخذين على
القبور المساجد والسُرُج ، ومن النهي عن الصلاة الى القبور ، ومن حديث :
« اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^٣ ، ان المشركين كانوا
يقدسون قبور اسلافهم ، ويتقربون اليها ، لزعمهم انهم أحياء ، لهم أرواح ،
نعي وتسمع وتدرك ، وتفرح وتغضب وتجيّب ، وتنفع وتضر ، ولهذا حاربها
الرسول ، وأمر بتسوية القبور ، ابعاداً عن أمر الجاهلية في ذلك ، وخشية العودة
الى ما كانت عليه : « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى »^٤ ، تعبير عن
معنى هذه المشاركة وعن رأيهم في عبادة الأصنام .

الرجعة :

واعتقد قوم من العرب في الجاهلية بالرجعة: اي الرجوع الى الدنيا بعد الموت.
فيقولون ان الميت يرجع الى الدنيا كرة أخرى ويكون فيها حياً ، كما كان^٥ .
ولعل هذه العقيدة هي التي حملت بعض الجاهليين على دفن الطعام وما يحتاج الانسان
في حياته اليه مع الميت في قبره ، ظناً منهم ، انه سيرجع ثانية الى هذه الدنيا ،
فيستفيد منها ، فلا يكون معدماً فقيراً . ويفهم من كتب الحديث ان من الناس

١ بلوغ الارب (٢١٤/٢) .

٢ بلوغ الارب (٢١٥/٢) .

٣ بلوغ الارب (٢١٤/٢) .

٤ الزمر ، الرقم ٢٩ ، الآية ٣ .

٥ تاج العروس (٣٤٨/٥ وما بعدها) ، (رجع) ، (والرجعة : مذهب قوم من العرب
في الجاهلية معروف عندهم . ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع
والاهواء ، يقولون ان الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان) ، اللسان
(١١٤/٨) ، (رجع) .

من سأل الرسول عن الرجوع الى هذه الدنيا^١ ، مما يشير الى معرفة القوم عند ظهور الاسلام بهذا الرأي .

و « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفي، وان رسول الله والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد ان قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن ايدي رجال وأرجلهم يزعمون ان رسول الله مات » . ثم جاء (أبو بكر) « وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ؟ فأنصت ، فأبى إلا ان يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ، وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، انه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل^٢ .. الى آخر الآية » . « وقال عمر : والله ما هو إلا ان سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت على الأرض ، ما تحملي رجلاي ، وعرفت ان رسول الله قد مات » .

وقد اعتقد بعض الجاهليين بـ (المسخ) . وهو تحول صورة الى صورة أخرى أقيح ، وتحول انسان الى صورة أخرى أقيح ؛ او الى حيوان . كأن يصير إنسان قرداً ، او حيواناً آخر^٣ ، او الى شيء جاد . من ذلك ما يراه بعض أهل الأخبار عن (اللات) ، من انه كان رجلاً يلت السويق عند صخرة بالطائف ، فلما مات قال لهم (عمرو بن لحي) ، إنه لم يموت ، ولكنه دخل الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها وبني بيتاً عليها يسمى اللات^٤ . وما رواه ايضاً عن (أساف) و (نائلة) ، من أنهما كانا رجلاً وامراً ، عملاً قبيحاً في الكعبة ، ففسخا حجريه . وما رواه من أن (سهيلاً) كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً ،

-
- ١ النهاية (٧٢/٢) ، (رجع) .
 - ٢ سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ (٢٢ الطبري (٣/٢٠٠ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٢٧٩/٢) ، (مسخ) .
 - ٤ تاج العروس (٥٨٠/١) ، (لت) .
 - ٥ تاج العروس (٤٠/٦) وما بعدها . (اسف) ، اللسان (٣٤٨/١٠) ، الاصنام (٢٩ ، ٩) ، الروض الآنف (٦٤/١) ، المحبر (٣١٨) .

ففسخه الله كوكباً^١ .

وورد أن بعض الملائكة عصي الله فأهبط الى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهماً . وأن ما تولد بين الملك والآدمي يقال له (العلبان)^٢ .
وان (النسناس) جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة ، أصلهم حي من عاد عصوا رسولهم ففسخوا نسناً ، لكل إنسان منهم يد ورجل من شق واحد ، ينقزون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم^٣ .

وقد ذكر (الجاحظ) أمثلة من أمثلة المسخ التي وقعت للحيوان على اعتقاد الناس ، من ذلك : اعتقادهم ان السمك (الجري) والضباب كانتا أمتين من الأمم مسختا . واعتقادهم ان (الإربانة) كانت خيطة تسرق السلوك ، وانها مسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة لها ودليلاً على جنس سرقتها ، ومن ان (الفأرة) كانت طحانة ، والحية كانت في صورة جممل ، وان الله عاقبها حتى لاطها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة اقسام ، حين احتملت دخول ابليس في جوفها حتى وسوس الى آدم من فيها . ومن ان الإبل خلقت من أعناق الشياطين ، وان الكلاب امة من الجن مسخت ، وان الوزغة والحكاة من ممسوخ الحيوان^٤ .

ومن أمثلة المسخ : جرهم ، فقد زعم ان جرهماً كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم . وكان بعض الملائكة قد عصي الله ، فأهبط الى الأرض في صورة رجل ، تزوج أم جرهم فولدت له جرهماً^٥ . وزعموا ان سهيلاً كان عشاراً باليمن ، فلما ظلم مسخه الله نجماً^٦ . و (الزهرة) ، وقد زعموا انها كانت بغياً عرجت الى السماء ففسخها الله شهاباً^٧ . و (البسوس) ، وقد زعموا انها كانت امرأة مشؤومة اسمها : البسوس ، أعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات ، وكان له منها ولد ، فكانت محبة له . فقالت اجعل لي منها دعوة واحدة . قال : فلكِ واحدة . فاذا تريدان ؟ قالت : ادع الله ان يجعلني أجمل امرأة

١ تاج العروس (٣٨٤ / ٧) ، (سهل) ، الحيوان (٢٩٧ / ١) .

٢ الحيوان (١٨٧ / ١) ، (٧٠ / ٤) ، حاشية (٦) .

٣ تاج العروس (٢٥٧ / ٤) ، (نس) .

٤ الحيوان (١٥٢ / ١) ، (٢٩٧) ، (٦٨ / ٦) ، (١٥٥) ، (٦٨ / ٤) .

٥ الحيوان (١٨٧ / ١) ، (٦٩ / ٤) ، (٩٧ / ١) .

٦ الحيوان (٢٩٧ / ١) ، (٦٩ / ٤) .

٧ الحيوان (٦٩ / ٤) .

في بني اسرائيل . ففعل فرغبت عنه ، لما علمت أن ليس فيهم مثلها ، فأرادت شيئاً . فدعا الله تعالى عليها أن يجعلها كلبة نبأحة ، فذهبت فيها دعوتان . فجاء بنوها ، فقالوا : ليس لنا على هذا قرار ، قد صارت أمتنا كلبة يعبرنا بها الناس : فادع الله تعالى ، أن يردها الى حالها التي كانت عليها ، ففعل . فعادت كما كانت : فذهبت الدعوات الثلاث بشؤمها ، وبها يضرب المثل^١ .

ونجد عقيدة (المسخ) عند غير العرب أيضاً . ففي التوراة أن الله مسخ امرأة لوط ، فصارت عمود ملح^٢ . ونجدها عند الهنود وعند غيرهم من الأمم القديمة . وقد تسرب من اليهودية الى العرب المسلمين كثير من القصص الواردة في المسخ . وقد أنكر بعض المتكلمين (المسخ) ، وأنكره قوم آخرون ، لكنه جوزوا (القلب) . وهو أن يُقلب ابن آدم قرداً من غير أن ينقص من جسمه طولاً^٣ أو عرضاً^٤ .

الزندقة :

وقد أشار بعض الأخباريين الى اعتقاد بعض قريش بالنور والظلمة ، زاعمين انهم أخذوه من الحيرة . ويسمي الأخباريون أصحاب هذا الرأي (الثنوية) ، وأطلقوا على تلك الفئة المذكورة من قريش : (الزنادقة)^٥ . ولم يذكروا شيئاً عن زندقة تلك الجماعة من قريش ولا عن رجالها . وأشار بعض أهل الأخبار الى وجود الزندقة والتعطيل في قريش : « وكانت الزندقة والتعطيل في قريش »^٦ . وقد وصفوا الزنديق بأنه القائل بدوام بقاء الدهر^٧ ، ولا يؤمن بالآخرة وبوحدانية الخالق . فهو دهري ملحد لا يؤمن بوجود إله واحد ، وهو من (الثنوية) على

-
- ١ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٢ التكوين ، الاصحاح ١٩ ، الآية ٢٤ وما بعدها .
 - ٣ الحيوان (٧٣/٤) .
 - ٤ اللسان (١٢/١٢) « زندق » ، (١٤٧/١٠) ، « بيروت ١٩٥٦ » ، تاج العروس (٢٧٣/٦) ، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة) ، المعارف (٦٢١) ، المغرب ، للجواليقي (١٦٦) .
 - ٥ البدء والتاريخ ، (٣١/٤) ، بلوغ الارب (٢٢٨/٢) .
 - ٦ اللسان (١٤٧/١٠) « بيروت ١٩٥٦ » ، اللسان (١٢/١٢) ، « زندق » « بولاق » .

رأي بعض العلماء^١ . وإلى هذا المعنى في تفسير زندقة قريش ، ذهب أكثر أهل الأخبار . وقد عدّ (أبو العلاء) المعري (شداد بن الأسود الليثي) المعروف أيضاً بـ (ابن شعوب) ، وهي أمه ، شاعر زنادقة قريش . وذلك لشعره الذي فيه :

ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زایل منكبيه فقد شبع الأنيس من الطعام
أبوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ؟ وكيف حياة أصداء وهام
أترك ان ترد الموت عني وتحيني اذا بليت عظامي^٢

والزندقة كلمة معربة ، ذكر علماء اللغة أنها أخذت من الفارسية ، أريد بها في الأصل الخارجون والمنشقون على تعاليم دينهم ، فهي في معنى (هرطقة) . وقد صار لها في العهدين : الأموي والعباسي مدلول خاص ، حيث قصد بها (الموالي الحمر) ، الذين تجمعوا في الكوفة ، وكانوا يظهرون الاسلام ويبطنون تعاليم المجوسية والإلحاد^٣ .

وفي كلام أهل الأخبار عن الزندقة ووصفهم لزندقة قريش إيهام وغموض وخلط . وإذا كان الزنديق هو القائل ببقاء الدهر ، وبعدم وجود عالم ثان بعد الموت ، فتكون الزندقة (الدهرية) ويكون الزنديق هو الدهري لقوله بالدهر وبأبدية الكون والمادة^٤ . أما القول بالثنوية : بالنور والظلمة ، وبالكفر والإلحاد ، فشيء آخر ، يختلف عن القول بالدهر . والظاهر أن الجمع بين القول بالدهر وبالقول بالنور والظلمة وبالكفر والإلحاد ، إنما وقع في الإسلام ، بسبب الخلط الذي وقع بين المعنى المفهوم للفظ في الفارسية القديمة وفي الفارسية الحديثة ، وبالمعنى الذي ظهر للكلمة في الإسلام . والذي تحول إلى زندقة بغضه تحوي العناصر المذكورة ، والتي كانت تؤدي بمن يتهم بها إلى القتل .

- ١ اللسان (١٤٧/١٠) ، (زندق) ، الغزالي ، فيصل المتفرقة بين الاسلام والزندق (١٧٣) ، (١٩٦١) ،
رسالة الغفران (٤٢١ وما بعدها) .
- ٢ « والحمراء العجم ، لبياضهم ، ولان الشقرة أغلب الالوان عليهم » ، اللسان (٢٨٨/٥) « حمر » ، Shorter Ency. of Islam, p. 659, Muh. Stud., I, S. 150.
- ٣ المغرب (ص ١٦٦ وما بعدها) ، اللسان (١٢/١٢) ، (١٤٧/١٠) ، طبعة دار بيروت « ١٩٥٦ م » .

وقد أشير في القرآن الكريم الى وجود القائلين بالدهر : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر »^١ . وهم على حشد قول المفسرين والأخباريين ، من لا يؤمن بالآخرة وبوحدانية الله . وهو مذهب ودين كان عليه كثير من أهل الجاهلية ، يسخر من البعث بعد الموت ، ويرى استحالة ذلك . ولم يذكر المفسرون أن من عقيدة هؤلاء القول بالثنوية، أي بالنور والظلمة، وبوجود إلهين : إله الخير وإله الشر .

وقد ذكر (محمد بن حبيب) أسماء (زنادقة قريش) ، فجعلهم : (أبوسفيان ابن حرب) ، و (عقبة بن أبي معيط) ، و (أبي بن خلف الجمحي) ، و (النضر بن الحارث بن كلدة) ، و (منبه) و (نبيه) ابنا (الحجاج) الهميّان ، و (العاص بن وائل) السهمي ، و (الوليد بن المغيرة) المخزومي . وذكر أنهم (تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة)^٢ . فربط هنا بين الزندقة وبين (نصارى الحيرة) . وقد ذهب (ابن قتيبة) أيضاً ، الى أخذ قريش الزندقة من الحيرة^٣ .

والذي نعرفه عن المذكورين، أنهم كانوا من المتمسكين الأشداء بعبادة الأصنام . وقد كان (أبو سفيان) يستصرخ (هبل) على المسلمين يوم أحد ، ويناديه : (أعلُ هبلُ ، أعلُ هبلُ) ، وقد نص على انه كان من أشد المتحمسين لعبادة الأصنام^٤ . ولم يذكر أحد من أهل الأخبار ، أنهم كانوا ثنوين على رأي المجوس ، يقولون بإلهين ، بالنور والظلمة ، وأنهم تعبدوا للنار ، أو تأثروا برأي مزدك أو ماني الذي أضيف إليه الزنادقة ، ولا نجد في آرائهم المنسوبة اليهم وفي حججهم في معارضة الرسول ما يشير الى (زندقة) بمعنى (ثنوية) ، لذلك فزندقة من ذكرت لا يمكن أن تكون بهذا المعنى ولا على هذه العقيدة^٥ .

وللوقوف على زندقة من ذكرت من رجال قريش ، ولتحديد معنى زندقتهن، يجب الرجوع الى ما نسب اليهن من آراء والى ما عارضوا به الرسول وحاربوه

-
- ١ الجاثية ، الآية ٢٣ .
 - ٢ المحبر (١٦١) ، (زنادقة قريش) .
 - ٣ المعارف (٦٢١) ، الإعلاق النفسية (٢١٧) .
 - ٤ اللسان (٢١٢/١٤) ، تاج العروس (١٦٢/٨) ، (هبل) ، الأصنام (٢٨) .
 - ٥ راجع معنى الزندقة في مروج الذهب (٢٧٥/١) ، (أثناء حديثه على بهرام) .

من أجله . ويمكن حصر ذلك في أمرين : التقرب الى الأصنام والتعبد لها ، والدفاع عنها بقولهم : « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى »^١ ، ولا علاقة لهذه العقيدة بالزندقة . والأمر الثاني ، هو القول بالدهر وبالتعطيل ، أي بنكران البعث والحشر والنشر . ويتجلى ذلك في قولهم لرسول الله : إن كنت صادقاً فيما تقول ، فابعث لنا جدك : (قصي بن كلاب) ، حتى نسأله عما كان يحدث بعد الموت ، وأمثال ذلك مما له علاقة بنفي وقوع البعث . وهو الذي له صلة بالزندقة . فالزندقة بهذا المعنى قول بالدهر وبدوامه ونكران للبعث ، لا الثنوية بمعنى القول : بالنور والظلمة .

وأما ما يرويه أهل الأخبار من أخذ زنادقة قریش زندقته من الحيرة^٢ ، أو من نصارى الحيرة^٣ ، فإن فيه تأكيداً لما قلناه من أن الزندقة لا تعني المجوسية والثنوية ، وإنما القول بالدهر ، وانكار المعاد الجسماني^٤ . وهو قول قريب من قول من أنكر بعث الأجسام ، وآمن ببعث الروح فقط من النصارى ومن غيرهم من أهل الأديان .

والزندقة بهذا المعنى قريبة من رأي القائلين بالدهر ، وهم (الدهرية) الذين أشير اليهم في القرآن الكريم ، في الآية : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر)^٥ . وهم من يقول ببقاء الدهر ، وينكرون البعث والآخرة ، والخالق والرسول والخلق على بعض الآراء ، وينسبون كل شيء الى فعل الدهر ، أي الأبدية مع التأثير في حياة الانسان وفي العالم . ولهذا أضافوا اليه بعض الألفاظ والنعوت التي تشير الى وجود هذا التأثير في الحياة فقالوا : يد الدهر ، وريب الدهر ، وعدواء الدهر ، و (الدهر لا يبقي على حدثانه) ، و (الدهر يحصد ريبه ما يزرع) ، وأمثال ذلك من تعابير ، فنسبوا اليه الفعل في الكون وفي كل ما فيه^٦ .

- ١ الزمر ، سورة رقم ٣٩ ، الآية ٣ .
- ٢ المعارف (٦٢١) .
- ٣ المحبر (١٦١) .
- ٤ مروج (١٠٢/٢) ، (ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية) .
- ٥ الجاثية ، سورة رقم ٤٥ ، الآية ٢٤ ، تفسير الطبري (١٥١/٢٥) ، (القاهرة ١٩٥٤) .
- ٦ ألم أخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجال
ألا انما الدهر ليل وأعصر وليس على شيء قويم بمستم
السندوبي (٨٣ ، ١٧١) .

ونسبوا الإمامة الى الدهر ، فقالوا : « وما يهلكنا إلا الدهر » أي وما يميتنا إلا الأيام والليالي ، اي مرور الزمان وطول العمر ، انكاراً منهم للصانع . قال أحدهم :

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم^١

فكانوا في الجاهلية يضيفون النوازل الى الدهر ، والنوازل تنزل بهم من موت أو هرم ، فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ، وأبادهم الدهر ، فيجعلون الدهر الذي يفعله ، فيذمونه ويسبونه . وقد ذكروا ذلك في أشعارهم^٢ .

ومن الجمل التي تنسب الفعل الى الدهر ، قولهم : « أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ، وأبادهم الدهر » ، والدهر يجلب الحوادث ، ففي هذه الجمل وأمثالها معنى أن ما ينزل بالإنسان من قوارع ، وما يحلّ به من إبادة هو بفعل الدهر ، فهو إذن المهيمن على العالم والمسخر له^٣ .

وقد كان هذا الاعتقاد راسخاً في نفوس كثير من الجاهليين ، وفي نفوس كثير ممن أدرك الإسلام فأسلم ، فكانوا إذا أصيبوا بمكره وبمحدث مزعج نسبوا حدوثه الى الدهر ، فسبّوه كما يتضح من حديث : « لا تسبوا الدهر ، فلن

١ تفسير الطبرسي (١٣٦/٢٥) ، (بيروت ١٩٥٥) ، (٧٨/٢٥ وما بعدها) ، (طبعة طهران) .

٢ تاج العروس (٢١٨/٣) ، (دهر) .

٣ ديار بني سعد بن ثعلبة الالي فآذبههم ما آذبه الناس قبلهم
أذاع بهم دهر على الناس دائب
ضراس الحروب والمنايا العواقب
Caskel, S. 45.

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة
ورزا بزوار القرائب أخضعاً
Caskel, S. 50.

والا تعاديني المنية أغشكم
على عدواء الدهر جيشاً لهاماً
Caskel, S. 51.

ابن قتيبة : الشعراء (٢٢٩) ،
غنيماً زماناً بالتصعلك والغنى
كما الدهر في أيامه العسر واليسر
Caskel, S. 51.

قال زهير بن أبي سلمى :
واستأثر الدهر الغداة بهم
والدهر يرميني ولا أرمي
ديوان زهير (٣٨٥) .

اللهَ الدهرَ » ، أو (فإن الدهر هو الله) . ومن حديث : « يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر الدهرَ ، وإنما أنا الدهر : أقلب الليل والنهار »^١ . وأحاديث أخرى من هذا القبيل . وقد ذكر (الجاحظ) ، أن من الصحابة والتابعين والفقهاء من نهى الناس من قول : طلع سهيل وبرد سهيل ، وقوس قزح ، كأنهم كرهوا ما كانوا عليه من عادات الجاهلية ، ومن العود في شيء من أمر تلك الجاهلية ، فاحتالوا في أمورهم ، ومنعواهم من الكلام الذي فيه أدنى متعلق^٢ .

وفي هذين الحديثين توفيق لفكرة الجاهليين في الدهر ، وللعقيدة الإسلامية في التوحيد بأن صير الدهرُ اللهَ ، وصيره بعض العلماء من أسماء الله الحسنى . والذي حملهم على ذلك، على ما أرى ، صعوبة لإزالة تلك الفكرة التي رسخت في النفوس منذ القدم عن فعل الدهر ، وعن أثره في الكون ، فرأى القائلون بذلك إزالتها بجعل الدهر اسماً من أسماء الله ، أو هو الله تعالى ، وهو واحد أحد ، والدهر واحد أبدي أزلي كذلك ، فلا تصادم في هذا التوفيق بين الرأيين .

وقد وقع هذا التوفيق على ما أعتقد بعد وفاة الرسول في أمور عديدة نسبت إلى الرسول، وقد ثبت عدم إمكان صدورها منه . وللحكم على صحة نسبة الحديثين إلى الرسول أحيل القارئ على الطرق التي وردا بها : وإلى آراء العلماء فيها ، وأعتقد أنه إن فعل ذلك فسيجد في نسبتها إلى الرسول بعض الشك ، إن لم أقل كل الشك .

وتعبّر لفظة (الزمان) عن معنى (الدهر) كذلك . وقد ذهب علماء اللغة إلى أن الزمان ، أقصر من الدهر ، إذ يقع على الزمان القصير ، أما الدهر ، فالزمان الدائم ، أي الزمان الذي لا ينتهي بنهاية . وأنا لا يهمني في هذا المكان تفريق العلماء بينها في الطول والقصير ، إنما المهم عندي هو أن الجاهليين استعملوا الزمان استعمالهم للدهر ، ونسبوا إليه ما نسبوه للدهر من فعل في الإنسان وفي الحياة والعالم . هذا (زهير بن أبي سلمى) يتشكى منه في قصيدته التي يمدح بها (هرم بن سنان) . فيقول في مطلعها :

١ اللسان (٣٧٨/٥) ، (دهر) ، تاج العروس (٢١٨/٣) ، (دهر) ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، تفسير الطبرسي (١٣٦/٢٥) ، (بـبروت ١٩٥٥) ، صحيح مسلم (٢/١٥) وما بعدها .
٢ الحيوان (٣٤٠/١) وما بعدها .

لمن الديارُ بقنّة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
لعبَ الزمان بها وغيّرها بعدي سواني المور والقطر^١

وتجد اللفظة في أشعار غيره من الشعراء الجاهليين والاسلاميين تعبّر عن (غدر الزمان) وعن (كذبه)^٢ وتلوّته وتلاعبه بمقدرات الانسان^٣. وفي كل هذه المواضع التي استعملت فيها تعبير عن تلك العقيدة التي لا تزال راسخة في نفوس كثير من الناس، وهي ان الحياة قسمة ونصيب وحظ ونحّت، وانه ليس لمخلوق على ما يقدره له القدر من سلطان. وان الزمان يلعب بالانسان وبالكون كيف يشاء، مع ان الانسان لو فكر في نفسه وتأمّل في عقله، لوجد انه هو الذي خلق الزمان اي الدهر فأوجده على صورته هذه، بأن حدده وعيّنه بسنين وبقرون، وليس الزمان إلا دوام وبقاء لهذا الكون، وليس له اي فعل حقيقي في هذا الكون، والانسان هو الذي أوجد السنين ليقيس بها طول الزمان، لحاجته الى معرفته، وان حسابه بالسنين مهما سيطول، فإنه لن يبلغ ولن يكون في مقدوره بلوغ نهاية الكون.

والمعنى الذي نفهمه من (الدهر) في الشعر الجاهلي، هو الأبدية مع التأثير في حياة الانسان وفي العالم. ولهذا أضافوا اليه بعض الألفاظ التي تشير الى وجود هذا التأثير في الحياة، فقالوا: يد الدهر، وريب الدهر، وعدواء الدهر، وأمثال ذلك من تعابير. فنسبوا اليه الفعل في الكون وفي كل ما هو فيه^٤.

١ وفي بعض الروايات « لعب الرياح »، شرح ديوان زهير (ص ٨٧)، Caskel, S. 44.

٢ أفرحت أن غدر الزمان بفارس
يا مر قد كذب الزمان عليكم
قلح الكلاب وكنت غير مغلب
ونكأت قرحتك ولما أنكبت
Caskel, S. 51.

٣ ولو سألت سراة الحي عني
على أني تلون يي زماني
Caskel, S. 52.

٤ (والدهر لا يبقى على حدثانه)، « والدهر يحصد ريبه ما يزرع »
ألم أخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجال
ألا انما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قويم بمستمر
Caskel, Die Schiksal in der Altarabischen Poesie, Leipzig, 1926, S. 48, W. L. Schramaler, über den Fatalismus der Varislamischen Araber, S. 12, Bonn, 1881.

ومن نسب اليه القول بالدهر ، الحارث بن قيس ، المعروف بابن الغيطلة^١ .

وتؤدي لفظة (الأيام) هذا المعنى كذلك ، بل استعملت أجزاء اليوم مثل (الليالي) للتعبير عن تلك الفكرة أيضاً . فالليالي هي كالأيام ، لا يمكن أن يطمأن اليها ، ولا ان يوثق بها ، لأنها تتلون وتبدل ولا تخلص لأحد . وحيث أن الليالي هي أوقات الراحة والاستقرار والهدوء ، وأوقات الانس والطرب والإنفراد بالأحبة ، وهي أوقات الغدر والاعتيال والغارات والغزو في الوقت نفسه ، فيكون ذكرها في الشعر وتفضيلها على النهار وتقديمها عليه ، ونسبة الخير أو الشر اليها أكثر من نسبتها الى النهار شيئاً طبيعياً . لذلك يجب ألا يستغرب ما نقرأه في الشعر وما نسمعه من أفواه الناس من نسبة تبدل الحال والتلون الى الليالي أكثر من النهار^٢ .

وقد استعملت لفظة (عَوْض) في معنى الدهر والزمان ، وردت في شعر شاعر من شعراء بكر بن وائل ، فعبر بهذه اللفظة عن زمانه . واستخدام بكري لهذه الكلمة ، يشير الى الصنم (عوض) الذي كانت بكر قبيلة هذا الشاعر تتعبد له^٣ . وقد أقسموا بها ، فقالوا : (عوض لا يكون ذلك أبداً)^٤ ، ولا أستبعد وجود صلة بينها وبين الصنم (عوض) .

وأما (الحِيام) ، فإنه قضاء الموت وقدره ، يقال : (حُمَّ أجله) اي قضى وقدره . وقد وردت لفظة (حم) ومتعلقاتها في أشعار عديدة بهذا المعنى . اي القضاء والتقدير . فورد (ما حُمَّ واقع) . وورد (أحم الله ...) و (حَمَّه الله) ، و (حمت لميقاتي) ، و (حمتي) ، و (حمام الموت) ، و (حمام

١ أنساب (١٣٢/١) .

٢ فان تك غبراء الخبيبة أصبحت
بما قد رأى الحى الجميع بغبطة
خلت منهم واستبدلت غير ابدال
بها والليالي لا تدوم على حال
Caskel, S. 45.

٣ « وعوض معناه أبداً أو الدهر . سمي به لانه كلما مضى جزء عوضه جزء أو قسم .
أو اسم صنم لبكر بن وائل » ، القاموس (٣٣٧/٢) ، قال الاعشى :
حلقت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
وقيل ان هذا الشعر لرشيد بن رميض العنزي . والسعير اسم صنم كذلك ، تاج
العروس (٥٨/٥ وما بعدها) ، (عوض) .
٤ تاج العروس (٥٨/٥) ، (عوض) .
٥ تاج العروس (٢٥٨/٨) .

النفس) ، و (حمام المنون) ، و (حمام)^١ . وهي من حيث هذا المعنى كالخطف والأجل والآجال والخوف والمنون .

القضاء والقدر :

ويسوقنا هذا الموضوع الى البحث عن فكرة القضاء والقدر عند الجاهليين . فقد كان بين أهل الجاهلية من كان يقول بالجبر ، وبأن الإنسان مسير لا مختار . وإن كل ما يقع له مكتوب عليه ، ليس له دخل في حدوثه . ومن هؤلاء القائلون بالدهر والمنون والحمام وما شاكل ذلك من مصطلحات تشير الى وجود هذا الرأي عندهم .

ولا يعني القول بالجبر ، ان قائله من المتألهين القائلين بوجود خالق أوجد الكون ، فقد كان من المجبرة من كان ملحداً ، لا يقول بخالق ، وكان منهم من كان مشركاً . كما أن بينهم من كان يؤمن بوجود خالق أو جملة آلهة . فليس لمذهب الجبر علاقة بالخالق ، وإنما هو مذهب يرى ان الإنسان مسير ، وأنه يسير وفق ما كتب له ، ومنهم من ينسبه الى علة : هي الله أو الدهر ، ومنهم من لا ينسبه الى أحد وهو مذهب موجود في اليهودية وفي النصرانية وفي الإسلام .

ونجد هذه العقيدة في شعر الشاعر النصراني (عديّ بن زيد العبادي) ، وربما نجدها أيضاً عند سائر إخوانه النصارى ومن كان على هذا الدين من غيرهم من العرب . والواقع أن الاعتقاد بوجود إله خلق الكون منفرداً ، أو آلهة خلقوا الكون مشتركين ، يحمل الإنسان على أن يتصور نفسه أنه لا شيء تجاه خالقه أو آلهته وأنه من صنعهم ، فما يقوم به ، هو من صنع الله أو من صنع الآلهة .

١ قال البعيث :
إلا يا لقوم كل ما حم واقح
وقال الاعشى :
تؤم سلامة ذا فائش
وقال خباب بن غزي :
وأرمي بنفسي في فروج كثيرة
تاج العروس (٢٥٨/٨) .

وللطير مجرى والجنوب مصارع
هو اليوم حم لميعادها
وليس لامر حمه الله صارف

وهي عقيدة لا بد أن يكون للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إذ ذاك دخل في شيوعها بينهم . ونكاد نجد أكثر الشعوب الشرقية على هذا الرأي . وأما ما ظهر من نظرية حرية الإرادة وقدرة الإنسان على خلق أفعاله واختياره ، فإنه من تأثير الفلسفة الاغريقية التي دخلت النصرانية .

ونرى (حاتم الطائي) وهو من النصارى على رأي ، مؤمناً بالقضاء وبالقدر وبما يأمر به الله ، اذ يقول :

اتيسح له من ارضه وسمائه حِمام^١ ، وما يأمر به الله يفعل

فأسند الأمر والنهي في هذا البيت الى الله ، وأما الانسان فإنه مأمور مسير . ونجده بكل أمره الى الله ، ويدعو قومه الى تسليم أمرهم للإله الذي يرزقهم اليوم ويرزقهم غداً :

كلوا اليوم من رزق الإله وأيسروا وإن على الرحمن رزقكم غدا

ونجد (المثقب العبدى) مؤمناً بالله ، وبالقدر . فما يقع للانسان يكون بمشيئة الإله وقدره :

وأيقنت إن شاء الإله بأنه سيبغني أجلادها وقصيدا^١

و (القدر) و (المقدر) و (المقدور) و (الأقدار) و (القضاء) ، من الألفاظ القديمة التي كانت تؤدي هذا المعنى الذي نبحث فيه قبل الاسلام . واستعمال المتكلمين للقضاء والقدر وللقدرة ، لا يعني ان تلك الكلمات من الألفاظ التي نبتت في الاسلام . بل ان ظهورها في هذا العهد واشتهارها فيه ، هو لاستخدام العلماء لها في مدلولات معينة وفي مصطلحات وأفكار توسعت واستقرت في هذا العهد .

ونجد الإشارة الى القدر في شعر الجاهليين والمخضرمين بالمعنى الذي نقصده هنا ، اي شيء مقدر مفروض على كل انسان . هذا لبيد الشاعر المخضرم يذكر ان ما يرزقه هو من فضل الله عليه ، وما يحرمه فإنه مما يجري به

١ تاج العروس (٤٦٨/٢) ، (قصد) .

القدر^١ . ونجد فكرة القدر مركزة قوية صريحة في شعره ، فهو يعتقد ان القدر خيره وشره من الله ، وان ما يصيب الانسان مكتوب عليه ، ولا راد لما هو مكتوب . ولا دخل لامرئ في عمله ، فليحمد الله على خيره ، وليشكره على شره ايضاً ، فهو العالم وحده بما هو صالح وضار^٢ . وشعره هذا لا بد ان يكون مما نظمه في الاسلام ، اذ لا يعقل ان يكون من نظم عصر وثني ، لما يتجلى عليه من الطابع الاسلامي في الفكر وفي الأسلوب والعرض .

كذلك نجد هذه العقيدة عقيدة القدر في شعر (زهير بن أبي سلمى) وفي شعر غيره من الشعراء . هذا زهير يقول : إن المنايا أمر لا مفر منه ، وإن من جاءت منيته لا بد أن يموت ، ولو حاول الارتقاء الى السماوات فراراً منه^٣ . ثم نجده يقول :

وجدت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهم^٤

فليس للإنسان دخل في عمله ، وإنما كل شيء يقع له في حياته هو مكتوب عليه . مكتوب عليه أن يموت في أجله ، وأن يعيش الى أجله ، وان يكون غنياً وأن يكون فقيراً ، وليس للإنسان عمل على سلطان الحظ .

ومن القائلين بالقدر ، (عبيد بن الأبرص) ، الشاعر الجاهلي الشهير ، المقتول في قصة معروفة مشهورة . نجد في الشعر المنسوب اليه اسم (الله) يتردد في كثير من المواضع ، ونراه من المتشائمين المؤمنين بالمنايا وبالمحكم المكتوب ، وتراه يتوكل على الله ، ويدعو الناس الى الاعتماد عليه ، فيقول :

١ فما رزقت فان الله جالبه وما حرمت فما يجري به القدر
ديوان لبید (ص ٥٤) ، (طبعة ليدن ١٨٩١)
ولا أقول اذا ما أزمة أزمتم يا ويح نفسي مما أحدث القدر
Caskel, S. 20.

٢ من يبسط الله عليه اصبعاً بالخير والشر بأي أولعاً
ديوان لبید (٨ ، ١١ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) ، (طبعة بروكلمن)
Ency., III, p. I.

٣ ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسلم
شرح ديوان زهير لشعلب (ص ٣٠) ، « وطر بالذي قد حم » ،
Caskel, S. 54.
٤ الديوان (١٠٣/٢)

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب^١

ونراه يقول في المنايا :

فأبلغ بنيّ وأعمامهم بأن المنايا هي الوارده
لها مدة فنفوس العباد اليها وإن كرهت قاصده
فلا تجزعوا الحما دنا فللموت ما تلد الوالده^٢

وفي كثير من مواضع شعره يذكر المنايا ويذكر الموت ، ثم هو يتجلد ويتصبر في ملاقاته الشدائد والأحوال ، وينصح الناس بالسير على هذا المنوال . والذي يقرأ شعره ، يشعر انه أمام رجل حضري رقيق عاطفي المزاج ، ذي نفس ميّالة الى التقشف والتصوف ، مؤمن بالعدل ، كاره للظلم ، فهل كان عبيد على هذه الشاكلة ؟ وهل هذا الشعر وخاصة ما جاء منه في البائية هو نظم من منظومه ؟ او هو من نظم من عاش بعده في الاسلام ؟.

ونجد (عمرو بن كلثوم) في جملة من آمن بالقضاء والقدر ، وبأن الموت مقدر لنا ، ونحن مقدرون له ، وذلك في قوله :

وأنا سوف تدركننا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا^٣

وهو من المؤمنين بالله ، الخالفين به . وذلك كما جاء في بيت شعر نسبوه اليه :

معاذ الله يدعوني لحنث ولو أقفرت أياماً قتار^٤

وكما ورد في أشعار أخرى تنسب اليه .

والشاعر (ليبد) من هذه الطبقة التي اعتقدت ان الله خالق كل شيء ،

-
- ١ البيان والتبيين (٢٢٦/١) ، شعراء النصرانية ، القسم الرابع (ص ٦٠٧) .
 - ٢ شعراء النصرانية ، القسم الرابع (٦٠٤ وما بعدها) .
 - ٣ التبريزي ، شرح القصائد العنبر (٣٨٤) ، (البيت رقم ٧ من المعلقة) ، شرح القصائد السبع للزوزني (١٤٦ وما بعدها) ، جهرة أشعار العرب (١٢٠) .
 - ٤ المحبر (٤٧١) .

يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، فلا دخل للإنسان في عمله . تراه يقول :
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل^١

وتؤدي لفظة (منا) معنى القدر ، ومنها (الماني) بمعنى القادر ، و(المنية)
بمعنى الموت ؛ لأن الموت مقدر بوقت مخصوص^٢ . وهي من الكلمات السامية
المشتركة الواردة في مختلف لهجات هذه المجموعة . ولهذه الكلمة صلة باسم الإله
الكتعاني (منى) ، وهو إله القدر . ولها أيضاً صلة بالصنم (منوات) (منوت)
من أصنام ثمود ، وب (مناة) من أصنام الجاهليين^٣ .
ومن أصل (منا) (المنايا) الواردة في أشعار الجاهليين^٤ . و (الماني)
الواردة في شعر منسوب إلى سويد بن عامر المصطلقى ، هو :

لا تأمن الموت في حلّ ولا حرم إن المنايا توافي كل إنسان
واسلك طريقك فيها غير محتشم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

في رواية . و :

لا تأمنن وإن أمست في حرم حتى تلاقي ما يُمني لك الماني
فالحيرُ والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| ١ | الاغاني (١١٢/٩) ، (١٢٦/٢١) . |
| ٢ | تاج العروس (٣٤٧/١٠) وما بعدها . |
| | ان المنية منهل |
| | لا بد أن أسقى بكأس المنهل |
| | الاغاني (٧٩/١٥) ، |
| | واذا المنية أنشبت أظفارها |
| | ألفيت كل تميمية لا نفع |
| | ولو كنت في بيت تسد خصاصه |
| | ولو كان عندي حازيان وكاهن |
| | إذا لاتنى حيث كنت منيتي |
| | حوالي من أبناء نكرة مجلس |
| | وعلق أنجاسا على المنجس |
| | يخب بها هاد إلى معرس |
- Caskel, S. 29.

Caskel, S. 22, Ency. Religi. I, p. 661.

- | | |
|---|---|
| ٣ | وأن المنايا ثغر كل ثنية |
| ٤ | فهل ذاك عما يبتغى القوم محضر |
| | وغيراء مخشي رداها مخوفة |
| | أخوها بأسباب المنايا مغرر |
| | ديوان عروة بن الورد (ص ٣٨) ، (تحقيق نولدكه) ، كوتنكن (١٨٦٣) . |

على رواية أخرى .

وفي هذا البيت الذي ينسبه بعض الرواة الى أبي قلابة الهذلي :

فلا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تلاقى ما يمني لك الماني^١

وتؤدي كلمة (المنون) معنى الدهر والموت^٢ ، وقد تسبق بكلمة (ريب) في بعض الأحيان ، فيقال : (ريب المنون) كما يقال (ريب الدهر)^٣ . ويرى (نولدكه) ان هذه الكلمات هي أسماء آلهة ، وليست أسماء أعلام ، هي أسماء تعبر عن معان مجردة للألوهية ، وهي مما استخدم في لغة الشعر للتعبير عن هذه العقائد الدينية . فالزمان مثلاً أو الدهر ، لا يعينان على رؤية هذا إلهاً معيناً ، ولا صنماً خاصاً ، انما هي تعبير عن فعل الآلهة في الانسان^٤ .

وبعض هذه الكلمات - في رأي (ولوزن) - مثل قضاء ومنية ، هي بقايا جمل اختصرت ، ولم يبق منها غير بقايا ، هي هذه الكلمات . فكلمة قضاء هي بقية جملة أصلها (قضاء الله) ، سقطت منها الكلمة الأخيرة ، وبقيت الأولى . وكذلك الحال في منية ، فإنها بقية جملة هي : منية الله ، سقطت عجزها ، وبقي صدرها . وهي تعني ان المنية هي منية الله تصيب الانسان^٥ .

يبدو ان من الغريب ذكر الدهر والزمان والحمام والمنايا وأمثالها في الشعر ونسبة الفعل اليها ، بينما يهمل ذكر الأصنام فيه أو نسبة الفعل الى الله . فهل يعني هذا ان الجاهليين لم يكونوا يعلمون ان لله سلطاناً وحولاً ، وان المنايا والختوف وكل خير أو مكروه هو من فعل الله ؟ الواقع ان هذا الذي نذكره يذهب اليه أهل

١ تاج العروس (٣٤٧/١٠) ، اللسان (٢٩٢/١٥) ، (منى) .

٢ تاج العروس (٣٥٠/٩) وما بعدها .

٣ « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » ، الطور ، الآية ٣٠ .
إن رأيت رجلاً أعشى أضرب به ريب المنون ودهر مفند خبيل

نخوفني ريب المنون وقد مضى لنا سلف فيس معاً وربيع

ديوان عروة بن الورد (ص ٤٣) ، نولدكه ،

أمن المنون وديبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

Caskel, S. 41.

٤ Ency. Religi., I, p. 661.

٥ Reste, S. 222.

الجاهلية ولم يقصدوه . وما ذكر الدهر في الشعر ، إلا كشكّي الناس من الزمان او من الحظ او النصيب في هذه الأيام . وشكواهم من ذلك لا يعني تحديد سلطان الله ، أو نكرانه ، وانما هو بقية من تصور انساني قديم بنسبة كل فعل وعمل الى قوة خفية هي القوة العاملة ، وهي ما عبرت عنها بالدهر وبالزمان . وذلك لما يتصورونه من مرور الأيام والسنين وبلاء الانسان فيه ، وبقاء الأرض والكون ، ومثل هذه النسبة والشكوى عامة عند جميع الشعوب البدائية والمتطورة المتقدمة ، فراها عند القبائل البدائية ونراها عند الغربيين .

ولا يقتصر هذا الاستعمال على الشعر وحده ، بل نجد ذلك في النثر وفي كلام الناس الاعتيادي . لذلك لا أرى صحيحاً ما ذهب اليه بعض المستشرقين من ان نسبة الفعل الى الدهر هو من الاستعمالات الخاصة بالشعر^١ .

وهناك كلمات أخرى تشير معانيها الى هذه الفكرة فكرة القدر ، وان الخير والشر وكل ما يصيب الانسان هو مقدر مكتوب . وهي نظرة لا بد أن تكون قد انبعثت من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن أثر المحيط في الانسان . ومن شعور الانسان بأن قوى خفية تلعب به وتوجهه حيث يشاء^٢ . فنسب كل ذلك الى غيره ، وصير نفسه مسخراً موجهاً كالريشة في مهب الرياح . وتؤدي عقيدة القدر بصاحبها الى التشاؤم ، وإلى القنوط والاستسلام . والتوجع والتألم ، والتشكي من عبث الدهر بالإنسان ، وهو ليس له دخل في رده وصدده . وقد تؤدي بمعتقدتها الى الحمول والكسل ، وإلى العجز في هذه الحياة ، وإلى ردّ كل ما يصيبه بسبب كسله وعدم استخدام قابلياته ومواهبه الى غدر الدهر به وحنق الزمان عليه ، وتلاعب الحدثان بأموره . ونجد أكثر شعراء أهل الجاهلية ، هم على هذه الشاكلة ، يبيكون أيامهم ، ويتذكرون الماضي ، ويتوجعون ، لأنهم سائرون نحو مستقبل مؤلم مومج ، لا حول فيه لإنسان ولا قوة . انه عالم الشيخوخة أو عالم الموت أو عالم الفقر . وأمثال ذلك من العوالم المفزعة . يستوي في ذلك امرؤ القيس والشعراء المخضرمون . فأنت اذا تصفحت دواوينهم قلما تجد فيهم شاعراً متفائلاً ، أو شاعراً غير مبال بالأيام ، لا يهمله ما يأتي به الدهر ، حتى

Caskel, S. 54.

١ والمال ما حول الاله فلا
٢ شرح ديوان زهير (ص ٣١٤) .

ليخيل الينا أن هذا طبع . والواقع أننا نجد الشعراء في الجاهلية والإسلام وأكثر الكتاب والخطباء على هذا المنوال ، مما يحمل المرء على القول بوجود التشاؤم في طبع العرب .

وموضوع (القدر) من المواضيع التي حيّرت المسلمين أيضاً . فانقسموا في ذلك الى مذاهب . وقد مرّ الرسول بناس كانوا يتذكرون في القدر ، فقال : انكم قد أخذتم في شعبين بعيدي الغور . أي يبعد أن تدركوا حقيقة علمه ، كالماء الغائر الذي لا يقدر عليه ^١ .

وقد ذكر علماء التفسير أن قریشاً خاصموا الرسول في القدر ، وأن رجلاً جاء الى الرسول فقال : يا رسول الله فقيم العمل ؟ أفى شيء نستأنفه ، أو في شيء قد فرغ منه ؟ فقال رسول الله : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، سنيسره لليسر ، وسنيسره للعسر ^٢ . ويظهر من ذلك أن قریشاً أو جمعاً منهم ، لم يكونوا يؤمنون بالقدر ، بل كانوا يؤمنون بأن فعل الانسان منه ، وان لا لأحد من سلطان في تصرفه وفعله .

القدرية :

وذكر ان الشاعر (الأعشى) كان قدرياً ، يرى ان للانسان دخلاً في فعله ، وأن له سلطاناً على نفسه ، حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالمعدل وولى الملامة الرجال ^٣

فالانسان مسؤول عن فعله ، ملام على ما يرتكبه من قبيح . فالله عادل ، لا يجازي الانسان إلا على فعله ، ولو كان قد قدر كل شيء له ، وحتمه عليه كان ظالماً . وقد أخذ الأعشى رأيه هذا « من قبل العبادين نصارى الحيرة ، كان يأتهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك » .

-
- ١ تاج العروس (٤٥٧/٣) ، (غور) .
 - ٢ تفسير الطبري (٦٤/٢٧ وما بعدها) .
 - ٣ الاغانى (١١٢/٩) ، (١٢٦/٢١) .

فنحن أمام عقيدتين . عقيدة تقول : إن الله خالق كل شيء ، وإن فعل الإنسان من تقدير الله وأمره- فهو يفعل بفعله وبحسب ما قدره له ، ورأي يقول إن الإنسان خالق فعله ، فهو حرّ مختار ، ولهذا فهو وحده مسؤول عن عمله ، من خير أو شرّ . والرأي الأول أظهر عندهم وأقوى من الرأي الثاني .

الحظ :

وحظ الإنسان ، أي ما يصيبه في حياته ، هو جزء من هذا الموضوع أيضاً . مشتبك به ، متصل بأجزائه . والحظ في اللغة النصيب والجد . أو خاص بالنصيب من الخير والفضل^١ . والنصيب ، هو ما قدر وما قسم لك ، أي حظك . والحظ^٢ وهو (البخت) . وقيل : البخت من المعربات ، وقيل من الألفاظ التي تكلمت العرب بها قديماً^٣ . وذكر علماء اللغة أن الجد البخت والحظ في الدنيا . ويفهم من الأمثلة الواردة في شرح معنى اللفظة ، أنها في معنى الحظوة والرزق^٤ . أي في معنى الشيء الحسن المفروح مما يصيب الإنسان .

قالوا : والحظ موجود في المرزوق والمحروم ، وفي المحارف ، وفي القبائل ، وربما سعدت بالحظ ، وربما حظيت بالجد . وهو كذلك في الشعر وفي النباهة ، ورب عاقل فاهم أديب ، لا يكون إلا دائم الصبر على الشدة ، لسلطان الحظ على الإنسان^٥ .

ونظرية (القسمة والنصيب) ، معروفة في الاسلام ، وقد بحث فيها علماء الكلام . فهي من الموضوعات التي بحثت في الجاهلية والاسلام . ونجد أحد الشعراء يقول :

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتي ولكن أحاط قسمت وجدود

وهو بيت ينسب لسويد بن حذاق العبدي ، ويروى للمعلوط بن بدل القريعي ،

وصدره :

-
- ١ تاج العروس (٢٤٩/٥) ، (حظ)
 - ٢ تاج العروس (٤٨٦/١) ، (نصب)
 - ٣ تاج العروس (٥٢٥/١) ، (بخت)
 - ٤ تاج العروس (٣١٣/٢) ، (جدد)
 - ٥ الحيوان (١٠٢/٢) وما بعدها

متى ما يرى الناس الغني وجاره فقير يقولوا عاجز وجليلد

أي « انما أناه الغني لجلادته ، وحرّم الفقير لعجزه وقلة معرفته ، وليس كما ظنوا ، بل ذلك من فعل القسام وهو الله سبحانه وتعالى ، لقوله : نحن قسمنا بينهم معيشتهم »^١ . وفي هذا المعنى قول الشهاب المقرئ :

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه^٢

وأهل الجاهلية يرجعون القسمة الى الدهر والزمان والحظ . فأبطل الاسلام ذلك ، اذ جعلها بأمر الله وقدره . فالله هو مقدر الأقدار ، ومقسم القسَم ، وموزع الحظوظ والأرزاق .

الطبع والطبيعة :

ومن الموضوعات التي لها صلة بالقضاء والقدر ، موضوع الطبع ، أي الخليقة والسجية التي جبل عليها الانسان . فرأي كثير من الجاهليين ، ان الانسان مجبول على طبيعته التي ولد فيها ، وكل انسان على طبيعته ، ولن يستطيع تبديل طبعه ، ولا تغيير السجايا ، لأنها مكتوبة على الانسان مسنونة ، ولا تبديل لما طبع المرء عليه^٣ . وطبائع الانسان لا يغيرها إلا الموت . جاء في شعر لبيد :

فاقتنع بما قسم المليك ، فإنما قسم الخلائق بيننا علامها^٤

وهو شعر قد يكون مما قاله في الاسلام .

و (زهير بن أبي سلمى) ، ممن يعتقدون بهذه العقيدة ، ويأخذون بهذا الرأي . فهو القائل :

ومها تكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم^٥

١ تاج العروس (٢٤٩/٥) ، (حظ) .

٢ المصدر نفسه .

٣ اللسان (٢٣٢/٨) ، (طبع) .

٤ اللسان (٨٦/١٠) ، (خلق) .

٥ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٢٤٠) ، (البيت ٥٨ من المعلقة) ، (القاهرة ١٩٦٤) .

الفصل السادس والستون

الالهة والتقرب اليها

لا نملك - ويا للأسف - نصوصاً جاهلية فيها وصف لطبائع الآلهة ، ولا أساطير فيها شيء على رأي أهل الجاهلية في أخلاق أربابهم . ولهذا صار مرجعنا وسندنا في تكوين صورة عن طبائع الآلهة وأخلاقها ، دراسة وتفسير أسماء الآلهة ونعوتها التي نعتت بها ، لاستخراج شيء منها يعيننا على تكوين هذه الصورة .

وتفسير أسماء الآلهة ومعرفة أصولها وجذورها ، عملية ليست سهلة يسيرة ، بسبب جهلنا بمعاني بعض تلك الأسماء ، وعدم وقوفنا على أصولها التي اشتقت منها ، لأن اللهجات التي دوت بها ، لا تزال بعيدة عن مداركنا ، ولأن قواعد نحوها وصرفها تختلف بعض الاختلاف عن قواعد وصرف عربيتنا ، ونحن لا نملك اليوم المؤهلات الكافية ، للحكم في تلك اللهجات حكمنا في عربيتنا .

واسم الإله هو صفة في الغالب ، ألبسها الزمن بمضي الوقت لباس العلمية ، فعدت اسماً علمياً ، فإذا استطعنا الرجوع الى أصول وجذور هذه الأسماء الصفات ، نكون قد استنبطنا شيئاً عن طبائع تلك الآلهة من صفاتها المذكورة ، ونجحنا بعض النجاح من تكوين رأي عن تلك الديانات الجاهلية .

هنالك أسماء مثل (ال) (ايل) ، يجد الباحثون صعوبة في الاتفاق على تعيين أصولها ، وضبط معانيها ، وهناك أسماء واضحة جليّة ظاهرة ، تدل على أشياء معروفة محسوسة ، مثل (شمس) و (ورخ) بمعنى قر ، و (عثر) ، و (الشعري العبر) و (نجم) ، و (ثريا) وأمثال ذلك من أسماء تشير الى

أشياء مادية ، هي كواكب ونجوم ، يستدل منها على وجود عبادة الأجرام السماوية عند الجاهليين . وهناك أسماء ، هي نعوت في الواقع ، لا تدل على ظواهر حسية وإنما تعبر عن أمور معنوية ، مثل (ودّ) بمعنى (حبّ) و (رضى) ، و(سعد) ، و (حكم) ، و (نهي) ، و (صدق) ، و (رحمن) ، و (رحم) (ها - رحم) (الرحيم) ، و (سمع) ، (سميع) ، و (محرم) (محرم) ، وأمثال ذلك من ألفاظ ، هي نعوت ، جرت بين الناس مجرى الأسماء . وعلى هذه الصفات الأسماء سيكون جلّ اعتمادنا في استنباط الصورة التي نريد تكوينها عن طبيعة آلهة العرب الجنوبيين .

وعليّنا ان نضيف على ما تقدم الأعلام المركبة المضافة للأشخاص ، مثل (عبد ود) ، و (عبد مناف) ، و (عبد شمس) ، و (عبد يغوث) ، و (امت العزى) (أمة العزى) ، فالكلمات الثانية من الاسم ، أسماء أصنام . وفي تركيب الاسم على هذا النحو ، دلالة على تذلل الانسان تجاه ربه ، واعتبار نفسه عبداً له ، وفيه تعبير عن صلة الأشخاص بربهم ، أضف اليها الأعلام المركبة تركيباً إخبارياً ، مثل (ودم ايم) ، أي (ودأب) أو (أب ود) ، ففي هذا التركيب دلالة على حنو الإله على المؤمنين به ، واشفاقه عليهم ، إشفاق الأب على أولاده .

ودراسة الأمور المذكورة ، هي مصدر مهم ، بل هي تكاد في هذا اليوم ان تكون المصدر الوحيد لفهم ذات الآلهة وإدراك شخصيتها ، ولفهم تطور الدين على مر العصور والأجيال ، وكيف تطور الدين عند الجاهليين الى يوم ظهور الاسلام .

هذا ، ونجد في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة ، أسماء آلهة لا نجد لها موضعاً في النصوص العربية الجنوبية المتقدمة ، واختفاءً لأسماء الآلهة القديمة التي كانت لامعة ساطعة في سماء الألوهية عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد . ونجد أسماء آلهة قبائل تعبد عند قبائل أخرى مع معبوداتها القديمة ، وأسماء آلهة كانت لامعة شهيرة ، تحولت الى آلهة صغيرة . وفي كل هذه الملاحظات دلالة على حدوث تطور في الحياة الدينية عند الجاهليين ، وعلى تأثر العقائد بمؤثرات داخلية وخارجية ، فأحدث هذا التطور الذي نبحث عنه .

ومن بين أسماء الآلهة ، أسماء مركبة ، استهلكت بـ (ذ) ، أو بـ (ذت) .
و (ذ) ، بمعنى (ذو) في عربيتنا ، و (ذت) بمعنى (ذات) . و (ذ)
للمذكر ، و (ذت) للمؤنث ، أما الكلمات التالية ، فهي صفات . فجملة
(عثر ذ قبضم) ، تدل على إله ذكر ، اسمه (عثر ذو القبض) (عثر
ذو قبض) ، أو (عثر القابض) بتعبير أصح . وجملة (ذ شقرن) ،
و (ذ صهرم)^١ ، و (ذ عذبتم) ، و (ذ يسرم)^٢ ، و (ذامروشم) ،
أي الأمر النهائي^٣ ، و (ذ انبي) ، هي جمل تشير الى إله ذكر ، لوجود
(ذ) علامة التذكير فيه . وجملة (ذت حم) ، و (ذت بعدن) ، و (ذت
برن) ، و (ذت غضرن) ، و (ذت رحبن) ، و (ذت صهرن) ،
و (ذت صنم) ، و (ذت ظهرن) ، تشير الى آلهة إناث ، لوجود (ذت)
(ذات) في الاسم . ومعنى هذا ان العرب الجنوبيين كانوا قد جعلوا الآلهة
كالإنسان اناثاً وذكرراً . وهو ما ورد في القرآن الكريم عن أهل مكة وبعض
قبائل الحجاز ، من قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون »^٤ ،
ومن قوله : « فاستفتهم أولئك البنات ولهم البنون »^٥ . وقوله تعالى : « واصطفي
البنات على البنين »^٦ ، و « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين »^٧ ، و « أم
له البنات ولكم البنون »^٨ . وقد ذكر علماء التفسير انه « لا ينبغي ان يكون لله
ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه
من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ، ولا ينبغي
أن يكون له من الولد ان يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم
أضافوا اليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها اذا كانت
لهم »^٩ . وذكروا « ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ،



National Organization Of the Alexan
dria Library (GOAL)

Library Organization

- | | |
|---|---|
| Rep. Epigr. 504. | ١ |
| REP. EPIGR. 2831, 4688. | ٢ |
| Handbuch, I, S. 244. | ٣ |
| النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٥٧ . | ٤ |
| الصفات ، الرقم ٣٧ ، الآية ١٤٩ . | ٥ |
| الصفات ، الرقم ٣٧ . الآية ١٥٣ . | ٦ |
| الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ١٦ . | ٧ |
| الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٩ . | ٨ |
| تفسير الطبري (٨٣ / ١٤) ، روح المعاني (١٥٦ / ١٤) . | ٩ |

وكانوا يعبدونها»^١. وقد ونجهم القرآن الكريم على قولهم هذا، واستخف بأحلامهم وبما قالوه جهلاً وحماقة .

وذكر علماء التفسير أن كفّار قريش قالوا : « الملائكة بنات الله . فسأل أبو بكر من أمهاتهن ؟ فقالوا سروات الجن . يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس »^٢. ولأنهم قالوا : « ان الله وإبليس اخوان » ، وان بين الله وبين الجنة نسباً^٣ . ولم يذكر علماء التفسير من قال هذا القول من كفّار قريش . ولا كيف صارت الملائكة بناتاً لله ، أو كيف اصطفى الله له البنات ، ولم يفضلهن على البنين ، إذ لم يذكرُوا ان أهل الجاهلية نسبوا له ولداً ذكراً ، ولم يذكرُوا هل اختار الله البنات اختياراً من خلقه ، أو من زواج ؟ وقد رأيت ان رواية نسبت الى قريش قولهم ان امهات الملائكة سروات الجن ، وذلك حين سألهم أبو بكر من أمهاتهن^٤ .

ولا نجد في نصوص المسند إشارة الى زواج الآلهة ، والى وجود بنات لها . وما قلناه من وجود آلهة ذكور ، وآلهة أناث ، هو استنباط من وجود علامة التذكير (ذ) وعلامة التأنيث (ذت) في أسماء الآلهة . أما موضوع زواج القمر بالشمس ، وظهور ولد ذكر منه هو (عشر) . فهو من استنباط علماء العربيات الجنوبية ومن آرائهم التي استخلصوها من دراستهم للنصوص . فليس في المسند أي شيء عنه . وليس في المسند ، أي شيء عن دين العرب الجنوبيين ، وعن أساطيرهم في الآلهة وفي الخلق ، ولا عن صلواتهم وأدعيتهم وكل ما يتعلق بالدين من أمور .

وكل اسم ورد في المسند استهل بلفظة (ذت) ، (ذات) ، فإراد به الشمس ، وهي إلهة ، وكل لفظة بدأت بـ (ذ) ، (ذي) ، فإنها تعني إلهاً ، هو القمر أو عشر . فنحن أمام ثالث سماوي ، يمثل عقيدة الجاهليين في الألوهية ، كما يمثل عقيدة الساميين عموماً . والثالث السماوي هو نواة الألوهية عند جميع الساميين ، ومنه انبثقت عقيدة التوحيد فيما بعد .

-
- ١ تفسير الطبري (٦٧/٢٣ وما بعدها) ، روح المعاني (١٣٥/٢٣) .
 - ٢ تفسير الطبري (٦٩/٢٣) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ تفسير الطبري (٦٩/٢٣) .

وعثر ، هو (النجم الثاقب) المذكور في القرآن الكريم^١ . وقد ذهب المفسرون الى ان العرب كانت تسمي الثريا النجم . وذكر بعض منهم ان النجم الثاقب هو زحل . والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم^٢ . وذكر بعض آخر ان النجم الثاقب هو الجدي^٣ . وأقسم في موضع آخر من القرآن الكريم بـ (النجم)^٤ . وقد ذهب المفسرون الى ان النجم الثريا^٥ ، ونحن لا يهمننا هنا اختلاف علماء التفسير في تثبيت المراد من النجم ، انما يهمننا ان المراد به نجم من النجوم . فنكون أمام ثالث معبود : هو الشمس والقمر والنجم الثاقب ، الذي هو (عثر) في نصوص العرب الجنوبيين .

وقد ذكر ان العرب تعبدت للشمس والقمر ، وان طائفة منها، تعبدت لكواكب أخرى مثل الشعري ، حيث تعبدت لها خزاعة وقيس ، ومثل (سهيل) ، حيث تعبدت لها (طيء) . و (عطار د) ، وقد تعبد له (بنو أسد) . و (الأسد) ، وقد تعبد له بعض قريش . و (الدبران) ، وقد تعبدت له (طسم) . و (الزهرة) ، وقد تعبد لها أكثر العرب . و (زحل) ، وقد تعبد له بعض أهل مكة . حتى ان من الباحثين من زعم ، ان (الكعبة) كانت معبدًا لزحل في بادىء الأمر . وتعبد للمشتري قوم من لحم وجذام^٦ .

ونجد في الكتابات العربية الجنوبية جملة : (ودم ايم) ، أي (ود " أب) (ايم ودم) ، أي (أب " ود) . كما نجد جملة : (ولد ود) و (اولد ود) (اولد هو ود) ، أي (اولاد ود) بمعنى (شعب معين) . وتعبير الجمل الأولى عن معنى ان الإله (ود) ، هو إله شقيق رحيم عطوف على الإنسان ، هو بالنسبة له بمنزلة الأب من الابن . فهو (أب) للإنسان لا بالمعنى الحقيقي بالطبع ، أي بمعنى ان الانسان انحدر من صلبه ، بل بالمعنى المجازي الذي أشرت اليه . وبهذا المعنى نفسر جملة : (أولاد ود) تعبيراً عن معنى (شعب

١ سورة الطارق ، رقم ٨٦ ، الآية ٣ .

٢ تفسير الطبري (٩١/٣٠) .

٣ تفسير القرطبي ، الجامع (١/٢٠) .

٤ سورة النجم ، الرقم ٥٣ ، الآية ١ .

٥ تفسير الطبري (٢٤/٢٧) .

٦ Johann Ernest Oslander, Studien über die Varislamische Religion der Araber, in ZDMG., 1853, S. 463 - 505, Grohmann, S. 81.

معين) ، فالإله (ود) هو أب هذا الشعب يحميه ويدافع عنه ويعطف عليه . وبهذا المعنى وردت أيضاً جملة (ولد عم) عند القتبانيين و (ولد المقه) عند السبثيين . ف (عم) الذي هو (القمر) في لغة القتبانيين ، هو بمنزلة الأب لشعبه ، وكذلك (المقه) ، الذي هو (القمر) في لهجة سبأ^١ .

وقد عبّر عن الشمس بلفظة (هـ الت) ، أي (الإله) في النصوص العربية الشمالية^٢ . وقيل لها (نكرح) في النصوص المعينية ، و (ذت حمم) (ذات حمم) (ذات حمم) في النصوص السبثية ، كما قيل لها (ذت بعدن) و (ذت غضرن) ، و (ذت برن) ، و (ذت ظهون) ، في هذه النصوص كذلك . وقيل لها (ذت صنم) و (ذت صهون) و (ذت رحبن) في النصوص القتبانية^٣ . ومن الممكن التعرف على بعض هذه الأسماء التي أريد بها الشمس . ف (ذت حمم) ، بمعنى (ذات حمم) ، و (ذات حمم) . وقد وردت لفظة (حمم) و (يحموم) في القرآن الكريم^٤ . والحميم الحار الشديد الحرارة ، المتقد من شدة الحر الساخن الشديد السخونة^٥ . وقد ذكر علماء التفسير أن (اليحموم) ، دخان حمم ، ودخان شديد السواد يخرج من نار جهنم^٦ . فعنى (ذت حمم) ، إذن ، الإله ذات الحرارة الشديدة المتقدة المهلكة ، التي تالفح وتحرق . والشمس ، نفسها حارة ، ملتهبة متقدة . لذلك يكون الناس قد أخذوا صفتها هذه منها ، فأطلقوها عليها ، وصاروا ينعنونها بها ، ويخيفون الناس منها ، بانتقامها منهم إن خالفوا أمرها وعملوا عملاً يثير غضبها عليهم .

ويقابل هذه الإله ذات الحمم ، الإله (ال حمون) (حمون) و (بعـل حمون) عند الساميين الشماليين . فهذا الإله الذكر عند الساميين الشماليين ، بسبب أن لفظة (الشمس) ، نفسها مذكورة عندهم ، هو ذو حمم وحما ، أي ذو سخونة وحماوة وشدة حرارة^٧ . وقد نعت عندهم بالنعت الذي نعت به عند العرب

Handbuch, I, S. 217, D. Nielsen, Der Sabalsche Gott Ilmukah, S. 61. ١

Handbuch, I, S. 224. ٢

Handbuch, I, S. 224, 260. ٣

الواقعة ، الرقم ٥٦ ، الآية ٤٣ . ٤

تاج العروس (٢٥٩/٧) وما بعدها ، (حمم) . ٥

تفسير الطبري (٢٧/١١٠) وما بعدها . ٦

Handbuch, I, S. 225. ٧

الجنوبيين . فهو إله ذو حرارة مفزعة ، وحيم لا يوصف . وقد استمد هذا الوصف من الطبيعة بالطبع . فالشمس مبعث الحرارة على هذه الأرض ، يدرك الانسان حرارتها في كل مكان . فهي اذن (ذات حم) حقاً .

وعرفت الشمس بـ (ائرت) في كتابات قتبانية ، ومعناها : (اللامعة) ، أو الشديدة اللعان بعبارة أصبح والمتوهجة . فهي في معنى (ذات حم) . وعرفت أيضاً بـ (ذات ائرت) ، (ذات ائرت) ، وبـ (ربت ائرت) ، (ربة ائرت)^١ . ونجد في النصوص النبطية الإلهة الشمس وقد عرفت بـ (ربت الاثرت) بمعنى ربة التوهج ، مما يدل على ان (ائرت) ، و (ذات ائرت) ، و (ربت ائرت) ، في القتبانية هذه الإلهة الشمس^٢ .

وقد يعبر عن (الشمس) بـ (الفرس) . والفرس من الحيوانات التي قدسها قدماء الساميين . وقد كان العرب الجنوبيون يتقدمون بنمائل الخيل ، تقرباً الى الآلهة . ومنها الإلهة (ذات بعدن) (ذات البعد) ، أي البعيدة ، وهي الشمس^٣ .

وأما (عثرت) ، الذي هو (الزهرة) ، فإدراك اسمه في نصوص عربية جنوبية كثيرة . ولاشبه هذا صلة بأسماء بعض الجاهليين الواردة إلينا ، مثل : (أوس عثت) بمعنى (عطية عثرت) و (لحي عثت) (لحي عثت)^٤ .

وفي الكتابات العربية الجنوبية أسماء يظن انها تخص الإلهة (عثرت) . منها : (ذقبضم) ، و (ذهرك) ، و (ذجفت) ، و (ذجرب) ، و (جرب) ، و (متب نطين) ، و (متب قبت) ، و (متب مضجج) ، و (يهر) و (بر) وغيرها^٥ .

وقد عرف (عثرت) بـ (الشارق) في الكتابات ، فورد (عثرت شرقن) أي (عثرت الشارق) . وعرف بـ (شرقن) فقط . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن المراد من (شرقن) بمعنى الطالع من الشرق ، أو (عثرت المشرق) . وهو تفسير رده بعض آخر من الباحثين ، إذ رأوا أن (شرقن) ، بمعنى

Handbuch, I, S. 226.	١
Handbuch, I, S. 226.	٢
Handbuch, I, S. 227.	٣
Handbuch, I, S. 228.	٤
Handbuch, I, S. 228.	٥

(الشارق) . وهي لفظة ترد في اللهجات العربية الشمالية ^١ . وقد سبق لي أن بينت رأي المفسرين في (النجم الثاقب) المذكور في القرآن الكريم ، وقلت باحتمال المراد به هذا الكوكب، وان ذهبوا الى انه الثريا أو زحل أو الجدي . و(الشارق) صنم من أصنام الجاهليين تسمى به عدد من أهل الجاهلية، سمو به (عبد الشارق) ^٢ قد يكون رمزاً لهذا الإله .

وورد في بعض كتابات المسند : (ذ غريم) ، و (عثر ذ غريم) أي (الغارب) و (عثر الغارب) . ومعنى ذلك (نجمة الغروب) ، أو (نجمة المساء) ، و (كوكب المساء) ، في مقابل (نجمة الصباح) و (كوكب الصباح) ^٣ .

وورد (عثر نورو) ، و (نورو) ، أي (عثر نور) ، (نور) ^٤ . ونور صفة من صفات الله في الاسلام . (الله نور السماوات والأرض . مثل نوره) . ولفظة (نورو) ، هي نعت من نعوت (عثر) . وورد (سحر) ، بمعنى السحر . والسحر ، قبيل الصبح وآخر الليل ، فيراد بذلك (كوكب السحر) ، أي الكوكب الذي يطلع عند طلوع السحر . كما ورد (متب نطين) ، أي (الحامل للرطوبة) ، وورد (عثر قهجم) ، أي (عثر القدير) و (عثر القادر) و (القاهر) ، و (سمعم) ، أي (السميع) ، و (نوم) و (نبعم) ^٥ و (يغل) (يغلن) بمعنى المدمر ، والمنتقم . وقد ورد هذا النعت في أحجار القبور بصورة خاصة . وذلك لتذكير من يحاول تغيير الحجر أو أخذه من موضعه أو تدميره أو إلحاق أذى به ، أو الاستفادة منه في أغراض أخرى ، بأنه في حماية إله قدير منتقم ^٦ .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الإله (رضى) (رضى) الذي يرد في النصوص الثمودية والصفوية ، هو الإله (عثر) . وهو صنم ذكره أهل الأخبار، لكنهم لم يذكروا شيئاً عن صلته بالكواكب ولا عن المعبود الذي يمثله ^٧ .

١ Handbuch, I, S. 228, Fell, in ZDMG., 54, (1900), S. 231 - 259.

٢ تاج العروس (٣٩٣/٦) ، (شرق) .

٣ Arablen, S. 245.

٤ سورة النور ، الآية ٣٥ ، تفسير الطبري (١٠٤/١٨) ، (١٤٤/١٨) .

٥ Rep. Epigr. 4194.

٦ Arablen, S. 245.

٧ Handbuch, I, S. 229.

وقد ورد في الأخبار المتعلقة بـ (الرها) ان أهل هذه المدينة ، كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون بوجود إله يطلع قبلها اسمه (أزيروس) Azizos ، وإلهه يظهر بعدها ، يسمى (مونيموس) Monimos . وذهب الباحثون الى ان (أزيروس) ، هو (عزيز) . وهو نجم الصباح ، ويطلع قبل طلوع الشمس . ويمثل (رضى) (رضو) ، و (عثر) . ويرد اسم (رضى) في الكتابات التدمرية كذلك^١ . و (عزيز) (العزيز) من صفات الله في الاسلام .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الصنم المنحوت على شكل طفل هو رمز لـ (عثر) ، أي (رضى) (رضو) ، و (عزيز) . وقد حفر على شكل طفل عاري الجسم في الكتابات التدمرية . أما الشمس والقمر ، فقد مثلا انسانين كاملين . ونجد هذا التصور للآلهة في الديانات الفطرية ، التي استمدت ادراكها ليكنة الآلهة عن مظاهر الطبيعة^٢ .

ولعل تصور الجاهليين للإله (رضو) على هيئة طفل ، هو الذي يحلّ لنا المشكلة الواردة في أخبار (نيلوس) Nilus عن تقديم العرب Saracens قرابين أطفالاً لكوكب الصباح . ذكر (نيلوس) أن العرب سرقوا ابنه الجميل الصغير (ثيودولس) Théodulus ، وقرروا تقديمه قرباناً لكوكب الصباح . وقد قضى الطفل ليلة تعسة صعبة ، فلما طلع الكوكب ، وحان وقت تقرب الطفل قرباناً له ، نام غتطفوه ، ولم يستيقظوا إلا وقد طلعت الشمس ، وفات وقت القربان ، وبذلك نجا الطفل من الهلاك^٣ . وقد تفسر جملة « إننا نقدم لك قرباناً يشبهك » الواردة في دعاء عثر على نصه في (حرّان) قصة تقديم الأطفال الجميلة قرابين الى هذا الإله^٤ .

وقد أشار كتاب يونان الى تعبد العرب الى الشمس والقمر وكوكب الصباح ، وهي أجرام سماوية تراها العين . ذاكرين أن العرب لا يتعبدون لآلهة روحية لا يصيرونها بأعينهم . ولهذا تعبدوا لهذه الأحرام المادية وللأحجار^٥ .

Handbuch, I, S. 229. ١

Handbuch, I, S. 231. ٢

Handbuch, I, S. 203, Nil Opera, Tomus, 79, 1865, in Migne, Patrologia, ٣
Series Graeaca.

Handbuch, I, S. 231. ٤

المصدر نفسه . ٥

وأما (مونيموس) Monimos ، فإنه (منعم) . و (منعم) من صفات الله في الإسلام . فالله هو (المنعم) المتفضل على عباده العزيز المقتدر .

وذهب بعض الباحثين الى أن الصنم (ذو الخلصة) المذكور في كتب أهل الأخبار ، والذي كان له بيت يدعى : (الكعبة اليمانية) ، ويقال له (الكعبة الشامية) أيضاً ، والذي هدم في الاسلام ، هو تعبير آخر عن الصنم (عثر) ، أي الإله المكون مع القمر والشمس للثالوث^١ .

ويظن ان (ملك) اسم آخر من أسماء (عثر) . وقد تسمى به رجل عرف بـ (عبد ملك) . كما ورد اسم (عبد ملكا) في النصوص النبطية والإرمية ، بمعنى (عبد الملك)^٢ . ويرد اسم (ملك ال) (ملك ايل) كثيراً في الكتابات التمودية . كما ورد في كتابة من الكتابات القتبانية (مختن ملكن)^٣ . وقد ظن ان لفظة (ملك) تعني ملكاً ، أي رئيس حكومة ملكية ، فترجمت جملة (مختن ملكن) بـ (مختن الملك) ، أي ملك قتيان . غير ان هذه الترجمة وإن كانت ترجمة مقبولة ، إلا انها غير دقيقة . ولو ترجمت لفظة (ملكن) بمعنى (الملك) ، على انه اسم إله لكانت الترجمة أدق وأصح . فنحن نجد النص القتباني الذي وردت فيه جملة (مختن ملكن) يقول : « بنى الملك ورمّ معبد ودّ وأثرت ومختن ملكن » ، أي « بنى الملك ورمّ معبد ودّ وأثرت ومختن الملك » ، ولو ترجمناها على هذه الصورة : « بنى الملك ورمّ معبد ودّ وأثرت ومعبد الإله الملك » ، كانت الترجمة أنسب وأقبل . ويجب ان نتذكر ان الله هو : الملك ، في الاسلام ، وان (عبد الملك) ، وهو من أسماء المسلمين كذلك يعني : عبد الله . وان (الملكوت) من الملك مختصة بملك الله . ورد في القرآن : « وكذلك فري ابراهيم ملكوت السموات والأرض »^٤ .

ومن الممكن فهم الصلة بين لفظة (ملك) التي تعني إله ، وبين لفظة (ملك) المالك على الأرض ، أي الملك الدنيوي . فالإله مالك ، والملك مالك أيضاً ، مالك شعبه . ومن هنا فلا غرابة اذا ما رأينا عقيدة تقديس الملوك عند الشعوب

Handbuch, I, S. 232. ١

Handbuch, I, S. 232 ٢

Hommel, Aufs., S. 206. ٣

٤ تاج العروس (١٨١/٧) ، (ملك) .

القديمة ، واعتبار بعضها ملوكها من نسل الآلهة . فالآلهة قوة خارقة، والملوك قوة مسيطرة مهيمنة ، تفعل في القديم ما تشاء بغير حساب ، وهي السنة الآلهة الناطقة على الأرض ، فلا بد وان تكون للآلهة اذن صلة بالملوك ، ولا بد وان يكون لملوك الأرض نسب وان تكون لهم قرابة بالآلهة . وقد فسر بعض الباحثين جملة : (ولد ود) ، التي نعت بها أحد ملوك قتيان ، تفسيراً بهذا المعنى ، تفسيراً يعبر عن اعتقاد القوم ، بأن ملوكهم هم من نسل الإله (ود)^١ . ولكني أرى اننا لو فسرنا لفظة (ولد) بالمعنى المجازي ، أي ولد الإله ود على سبيل المجاز ، بمعنى ان الإله منه بمنزلة الوالد من الولد ، في العطف والود ، فإن هذا التفسير يكون مقبولاً أكثر من تفسير الولد المتسلسل من صلب الإله ود .

الآلهة :

توصلنا من دراستنا المتقدمة ، الى أن الآلهة كالشجر ذكوراً وأنثى . وتوصلنا منها الى أن القمر ، هو مذكر عند جميع العرب على اختلاف لهجاتهم ، وأما (الشمس) ، فهي أنثى عندهم . وأما (النجم) ، الذي هو (عثر) ، فهو ولد ، عند العرب الجنوبيين . وعلى ذلك فنحن أمام ثالث سماوي يتألف من الآلهين ذكرين ومن إلهة أنثى .

وقد عجزنا عن الإتهاء الى كيفية ظهور هذا الثالث . أو العائلة الصغيرة المختارة المكونة من ذكرين وأنثى . لأننا لم نعثر على نص جاهلي أو غير جاهلي يتحدث عن كيفية ظهوره . وعجزنا عن التوصل الى علاقة أعضاء هذا الثالث بعضهم ببعض ، وذلك لسبب مماثل ، هو عدم وجود نص لدينا يشرح لنا هذه العلاقة ! ولم نتمكن من العثور على أي مورد يشرح لنا كيفية ظهور هذه الآلهة ، ولا سيما الإله (عثر) الذي يعدّ ابناً للقمر وللشمس .

ولم نعثر ويا للأسف على نصوص جاهلية فيها بعض الشيء عن كيفية التقاء القمر بالشمس ، وفي كيفية طلوع (النجم) (عثر) . فبينما نجد في اللغات اليونانية والهندية واللاتينية تعابير عن التقاء الشمس بالقمر ، فيها معنى النكاح ،

Handbuch, I, S. 233.

نجد أنفسنا قد عجزنا عن الحصول على مثل هذه المصطلحات في النصوص الجاهلية، ولهذا لم نتمكن من تكوين رأي عن تصور الصلة التي كان يراها الجاهليون بين الشمس والقمر . وفي اليونانية والهندية وأساطير الشعوب الأخرى ، أن القمر اقترن بالشمس ، وتزوج بها ، وتغنت بذلك الزواج^١ .

وبالنظر لوجود الإله الذكر والإلهة الأنثى في نصوص المسند ، وفي مؤلفات أهل الأخبار ، فلا يستبعد احتمال مجيء يوم قد نعت فيهِ على نصوص قد تتعرض الى أسطورة زواج القمر بالشمس . وفي عربيتنا لفظة (اقتران) نطلقها على اقتران الشمس بالقمر وعلى اقتران الكواكب بعضها ببعض ، وترد في كتب النجوم والأنواء . وفي هذه اللفظة معنى الازدواج .

إن هذه الأسطورة التي جعلت من الأجرام السماوية آلهة ، وحصرت الألوهية في ثلاثة أجرام منها في الغالب ثم زوجها وأولدها ، حولت هذا الزواج الى زواج حقيقي سماوي يشبه زواج الإنسان على سطح الأرض . زواج تكون من ذكر وأنثى ، من أب وأم ، انتج ولداً عند العرب الجنوبيين ، وولدين عند شعوب أخرى غير عربية هما كوكبا الصباح والمساء ، أو بناتاً هي الملائكة أو الجن عند فريق من الجاهليين .

ونجد الإله (القمر) يلعب دوراً كبيراً في الأساطير الدينية عند الجاهليين . دوراً يتناسب مع مقامه باعتباره رجلاً بعللاً أي زوجاً ، والزوج هو (البعل) ، والرب والسيد وصاحب الكلمة على زوجه وأهله عند العرب . وهو القوي ذو الحق ، وعلى الزوجة حق الطاعة والخضوع له . وبناءً على هذه النظرية جعل الإله القمر صاحب الحول والصول والقوة في عقيدة أهل الجاهلية في الأرباب . ومن هذا الإله القوي الجبار ، جاء (الله) بعد أن تحول الثالوث عند بعض الجاهليين الى (واحد) ، واستخلصوا منه عبادة (الله) .

وقد عرف القمر بـ (ثور) . ولعل ذلك بسبب قرنيه اللذين يذكران بالهلال . دُعي بهذه التسمية ، أي (ثور) في الكتابات^٢ . وقد رمز الى الإله القمر بـ (ثور) عند شعوب سامية قديمة أخرى^٣ .

Handbuch, I, S. 206. ff. ١

Glaser 1546, Wiever Museum 5. ٢

Handbuch, I, S. 214, D. Nielsen, Altarabische Mondreligion, S. 110. ٣

ونظراً لأن القمر هو الإله الذكر ، صار بمرتلة الأب . فدعي بـ (أب) ، أي (أب) . ونعت بمحب ، فقليل له (ودم) (ود) ، لأنه يحب عبيده ويشفق عليهم . وهو (كهان) ، أي القادر والقدير ، وهو (حكم) ، أي الحاكم والحكيم ، وهو (سمعم) ، أي السامع والسميع ، وهو (علم) ، أي العالم والعليم ، والبصير المبصر ، وهو (نهى) ، أي الناهي^١ ، وهو (صدق) الصادق الصديق المتعالي المنعم الكريم الى غير ذلك من نعوت عرف بها ورمز بها اليه في النصوص .

ويجب ان ننتبه الى ان الكتابات الجاهلية وكذلك أخبار أهل الأخبار ، قد نصتاً على اسم الإله الشمس ، فدعوها باسمها ، أي الشمس . أما القمر ، فلا نجد لاسمه الخاص ذكراً يتناسب مع مقامه . نعم ذكر بـ (شهر) و (سين) في النصوص العربية الجنوبية . و (شهر) القمر في العربيات الجنوبية ، ولا زال الناس يسمونه بهذه التسمية في جنوبي جزيرة العرب . لكننا نجد أسماء المأخوذة من النعوت ، أي من صفاته تطفئ عليه . فهو (ود) في الغالب في النصوص المعينية . ويظن من لا علم عميق له بالعربيات الجنوبية ، انه اسم إله خاص ، بينما هو اسم من أسماء عديدة للإله القمر عند شعب معين ، وهو (المقه) ، أي المنير والنور عند السبئيين ، أي صفة للقمر . وهكذا قل عن باقي أسمائه ، فهي صفات له في الغالب ، لا اسم علم خاص به ، كما في حالة الشمس .

ونحن نجد هذه الظاهرة في روايات أهل الأخبار أيضاً . فبينما تنص أخبار أهل الأخبار على تعبد بعض العرب للشمس ، وعلى مخاطبتهم لها بـ (الإلهة) وبـ (لاهة)^٢ . وعلى تعبد بعضهم لزحل أو للمشتري أو لغيرهما من الأجرام السماوية كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، لا نجد للقمر ذكراً في أخبار أهل الأخبار . فلم يسيروا الى اسمه ولا الى تعبد الجاهليين له ، حتى ليذهب الظن بعد تتبع جميع ماورد في تلك الأخبار واستقصاءها استقصاء تاماً ان الجاهليين لم يعرفوا عبادة القمر . والظاهر أن أهل الأخبار كانوا في جهل من عبادة الجاهليين للقمر ، بسبب ما شاهدوه من تعبد أهل مكة وغيرهم وكذلك القبائل الى الأصنام وتقربهم

Handbuch, I. S. 215, D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, S. 15.

١ ابن الجدابي (٧٩) .

اليها ، وقولهم أنها تقربهم الى الله، وبسبب نص القرآن الكريم على تعبد الجاهليين وتقرّبهم للأصنام والأوثان . فذهبوا الى أنهم كانوا مجرد عبدة أوثان ولم يفتنوا الى أنهم اتخذوا الأصنام واسطة وشفيعا للآلهة التي هي أجرام سماوية في الأصل . أو لأن أهل الجاهلية القريين من الإسلام ، كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الكواكب ولم يعودوا يذكرونها ذكر أجدادهم لها ، واختصروا عبادتها ، بأن جعلوا من الثالث إلهاً واحداً ، هو (الله) . فتقربوا اليه ، وعكفوا يتقربون اليه بالتقرب الى الأصنام والأوثان . وذلك باتخاذهم إياها رموزاً مشخصة وممثلة للإله على الأرض . فكان لكل قبيلة صنم يقربهم في زعمهم الى الله .

وإذا أردنا تلخيص ما توصلنا اليه عن آلهة العرب الجنوبيين ، قلنا أنهم تعبدوا كما ذكرنا لثالث سماوي تألف من القمر والشمس ومن عثر ، وهو الزهرة في رأي معظم الباحثين . وقد عرف القمر بـ (ود) عند المعينيين ، وبـ (المقة) عند السبئيين ، وبـ (عم) عند قتيان ، وبـ (سن) (سين) عند حضرموت ، وبـ (ود) عند أوسان . وعرفت الشمس بـ (نكرح) عند المعينيين ، وبـ (شمس) عند السبئيين ، وبـ (اثرت) (اثرت) عند القتيانيين ، وبـ (شمس) عند أهل حضرموت وأوسان . وعرف (عثر) بـ (عثر) عند المعينيين والسبئيين وعند قتيان وأهل حضرموت والأوسانيين^١ .

وقد رمز الفن العربي الجنوبي الى هذا الثالث السماوي المقدس برموز. فرمز الى القمر بهلال نحت او نقش على الأحجار والأخشاب والمعادن . والهلال ، يشير بالطبع الى مطلع القمر في أول الشهر القمري . كما اشير اليه برأس ثور ذي قرنين . أما الشمس ، فقد صورت قرصاً او دائرة ، او كتلة او هالة ، والقرص ، صورة طبيعية لقرص الشمس ، التي تظهر في السماء قرصاً وهاجاً يبعث الحرارة والنور . وأما الزهرة ، فرمز اليها بصورة نجمة في النقوش العربية الجنوبية وبثانية خيوط اشعاعية في النصوص البابلية^٢ . وهي ذكر وولد عند العرب الجنوبيين .

١ A. Jamme, La Religion Sudarabe Preislamique, in M. Brillant et R. Algrain, Histoire des Religions, IV, Paris, 1956, 239-307, G. Ryckmans, Les Religions Arabes Preislamiques, Bibliothèque de Muséon, 26, Louvain 1951, 25-64, G. Ryckmans, De Maangod in de Voorislami. Handbuch, I. S. 201, Grohmann, Göttersymbole, S. 37-44, H. Primy, ٢ Altorientalische Symbolik, Berlin, 1915, S. 75, 76, 142.

وقد هدم الإسلام عبادة الكواكب ، وحرّم السجود للشمس والقمر ، والصلاة لهما ، وحاول اجتثاث كل ما له صلة بتلك العبادة ، فلم يبق اليوم من العرب من يتعبد للثالوث السماوي المقدس . ولكننا لا نزال نرى بعض العوام يغضبون إذا سبّ أحدهم الشمس أو القمر ، ويتقرب الأطفال الى الشمس بأسنانهم التي يخلعونها ، لتعطيهم أسنان غزال ، أي اسناناً جميلة بيضاء ، الى غير ذلك من أوابد يعرفها الأعراب .

وفي القرآن الكريم : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »^١ . « فله فاسجدوا وإياه فاعبدوا دونها ، فإنه إن شاء طمس ضوءهما فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرون شيئاً »^٢ . وقد خاطب الله قريشاً وغيرهم بذلك ، مما يدل على أنهم كانوا يسجدون للشمس والقمر . ولعلهم كانوا يفعلون ذلك عند الشروق وعند الغروب . وقد ذكر (ابن كثير) في تفسيره الآية المذكورة ، ما يأتي : « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به »^٣ .

والسجود الخضوع ، ومنه سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، والانحناء ، وسجد طأطأ رأسه . وكان النصارى يسجدون لأخبارهم ، أي سادتهم من رجال دينهم . و (المسجد) من الألفاظ المعروفة عند الجاهليين . وهو البيت الذي يسجد فيه ، وكل موضع يتعبد فيه ، فهو مسجد^٤ .

صفات الآلهة :

ومعظم أسماء الآلهة هو كما سبق ان ذكرت صفات في الأصل ، استعملت

١ فصلت ، رقم ٤١ ، الآية ٣٧ .

٢ تفسير الطبري (٧٧/٢٤) .

٣ تفسير ابن كثير (١٠٢/٤) .

٤ قال حميد بن ثور :

فضول أزمتهما أسجدت سجود النصارى لأخبارها

تاج العروس (٣٧١/٢) ، (سجد) .

استعمال الأسماء الأعلام . وهي كثيرة يتبين من دراستها ان الآلهة كالانسان ، تغضب وترضى ، تحب وتبغض ، قوية شديدة ، رؤوفة رحيمة شفيقة ، اذا رضيت عن انسان أسعدته في هذه الدنيا ، وإن غضبت عليه أهلكته ، سميعة بصيرة حكيمة حليلة . باقية خالدة خلود الدهر ، بينا الانسان هالك .

ومن النعوت الواردة في نصوص المسند : (رحم) ، أي (رحيم) ، فالآلهة رحيمة بعبادها ، تغفر ذنوبهم وتصفح عن سيئاتهم ، وهي (حليلة) (حلم) ، سميعة (سمع) ، قدعة (كهان) ، تحمي عبادها حماية الأب لأبنائه (ابحى) ، ترضى عنهم رضاء الأب عن أولاده (اب رضو) . شفيقة بهم شفقة الأب بأبنائه (اب شفق) ، وتهتم بهم (اب شعر) ، وهي فخورة (ايل فخر) (الفخر) ، عالية سيدة العالم (ال تعالى) (ايل تعالى) ، (ايل تعالى) ، و (بعل) (بعلت) ^١ .

ومن الصفات والنعوت التي أطلقته النصوص الثمودية على الآلهة : (عم) ، بمعنى رحيم ورؤوف . و (سمع) ، بمعنى (سميع) ، و (رم بمعنى العظيم) ، و (الرامي) ، والكبير . و (ابتر) (أبتر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا ، اي ، ليس له ولد ^٢ . ولهذا الصفة أهمية كبيرة بالنسبة لدارس الحياة الدينية وتطور فكرة الألوهية عند الجاهليين ، لأنها تشير الى ان صاحب النص الذي خاطب إلهه بقوله : (هاله ابتر) ، (هاله ابتر) ، بمعنى (فيا الله الأبتر) ، اي الإله الذي لم يلد ولا ولد له ، كان يعتقد ان إلهه لم يلد أحداً ، فهو فرد واحد أحد . وقد وردت لفظة (ابتر) في نص ختم بهذه الجملة : (هاله ابتر بك سر لن) ^٣ ، اي : (فيا إلهه أبتر بك سرور لنا) . او بتعبير أوضح : (فيا إلهي أو إلهنا الذي ليس له ولد . بك نسر) ، أو (فيا إلهنا أبتر بك سرور لنا) ، أو (أنت سرور لنا) .

والآلهة تساعد الناس وتعاونهم وتغيثهم . هذا نص ثمودي كتبه رجل من قوم ثمود ، توسل فيه الى إلهه أن يرسل المسرات (ميسر) ، الى من نزلت بهم

Arablen, 246. ١

Hu 475, JSA 302, 305, 306, H. Grimme, S. 66. ٢

السطر الرابع من النص المذكور . ٣

الدواهي من الناس . وان يعاون العاملين . (ذ انا يعمل)^١ . وهذا نص آخر،
كتبه شخص آخر ، وجهه الى الإله (رضو) ، يقول فيه : (ه رضو ات
عون عمل)^٢ ، أي (يا رضو امنح العون لمن يعمل) ، أو (يا إلهي رضو
العون للعامل) .

والآله ضياء للناس ، تضيء لهم سواء السبيل ، تمنحهم نعمة الرؤية وترشدهم
الى النور . هذا نص يقول : (الى نامت ضي لن)^٣ . فهو يطلب من
الإله أو من المعبود ، أن يضيء لكاتب النص السبيل ، وأن ينقذهم من الغفوة
التي أصيبوا بها ، ليتجلى لهم الحق . وفي نص آخر: « بك ري نور تمت حيث »^٤ ،
ومعناه « بك رأينا النور . وتمت الحياة » ، أو « بك نور . ضياء .. حياة » ،
أو ما شابه ذلك . فالإله هو نور لهذه الحياة ، وضياء للناس .

والله عالم بكل شيء ، ذو المعرفة والعلم . وقد وردت صفة (ه ع ر ف)
(ه ع ا ر ف) (ه ا ع ر ف) أي العارف في نص وسم ب JSA 568^٥ . وفي نص
آخر ، وسم ب Hu 626^٦ . وهو العالم المحيط بكل شيء ، وقد عبر عن
هذه الصفة بلفظة (حصي) ، و (أحصى) بمعنى أحاط وأحصى كل شيء
عدداً^٧ ، فالله محيط بكل شيء عالم لا يخفى على علمه شيء .

ووصفت الآلهة في النصوص الثمودية بأوصاف أخرى ، مثل (عبر) بمعنى
(التقدير) والقوي والمعتبر ، و (ذ عبر) ، (ذو عبر) بمعنى ذو الحول
والطول ، وذو القوة والقدرة . و (ذبر) ، وهي بهذا المعنى أيضاً^٨ . وهو
(العوذ) ، (عوذ) ، والملجأ لكل إنسان^٩ . وهو (العلي) ، وقد وردت
جملة (عل رضو) ، بمعنى (أعل رضو) ، وهي جملة تذكرنا بقول (أبو سفيان)

Hu 643/6, JSA 409, 504, Grimme, S. 33-34.

Hu 643/6, Grimme 33.

Grimme, S. 35, 41.

Grimme, S. 41.

Grimme, S. 37.

Grimme, S. 42.

تاج العروس (٩١/١٠) .

Grimme, S. 44.

Grimme, S. 44.

يوم معركة (أحد): «اعلُ هبل ، اعلُ هبل»^١ . ولاني أرجح أن لفظة (عل) في هذا النص ، تعني (على) ، أي حرف جر ، فيكون المعنى (على رضو الملجأ) ، و (على رضو المعول) .

ولم أعر في النصوص الجاهلية على نعت يشير الى استخفاف أو حطة بالآلهة . فلم أجد إلهاً نعت فيها باللؤم أو بالسرقة ، أو بالاعتداء على الأعراض ، أو رمي بالحسد ، حسد الناس أو حسد أمثاله من الأرباب ، كما لم أجد ما نجده في الأساطير اليونانية من وجود فروق بين الآلهة ، وتباين بينها في المنزلة والمكانة ، بحيث نجد آلهة كبيرة غنية ، وآلهة ضعيفة فقيرة تحسد الأولى وتنقم عليها ، وآلهة تسرق وتنهب لحاجتها الى المال ولفقرها ، ولم أجد فيها التخصيص الذي نجده في الآلهة اليونانية ، من وجود آلهة للبحار ، وآلهة للهواء ، وآلهة للحب ، وآلهة للخمر ، ونحو ذلك . وكل ما نجده عندهم ، هو وجود آلهة شعوب وقبائل ، مثل ود لإله شعب معين ، والمقه لإله شعب سبأ ، وهبل لإله قريش ، وهكذا نشأت من الظروف المحلية التي عاش فيها الجاهليون .

ولا أستبعد وجود (ميثولوجيا) أي أساطير عند الجاهليين ، تدور حول آلهتهم ، فقد تحدثت عن رأي بعضهم في (الشعري) ، ولكنني أستبعد وجود أساطير دينية معقدة عندهم على شاكلة الأساطير اليونانية ، أو الأساطير المصرية أو الهندية ، لما بين الظروف المحيطة بالجاهليين وبين الشعوب المذكورة من فروق . والأساطير هي من حاصل المجتمع والظروف المتحركة في الانسان .

وإذا وجدنا آلهة أهل الجاهلية على هذا النحو من الصفات المذكورة ، حساسة ذات حسّ مرهف ، تنفعل بسرعة ، تغضب وترضى ، فيجب أن نعرف أن هذه الصفات ، تمثل خلق من أطلقها على أربابه ، فأرباب الناس من صنعهم ، هو الذي أوجد تلك الأصنام وسواها ، فما دام هو موجدتها ، فلن تكون آفته إلا على شاكلته ، إنها صورة صادقة له .

الثواب والعقاب :

وما يفعله الانسان من خير أو شر ، سيكون ثوابه وجزاؤه في هذه الدنيا .

والآلهة ، هي التي تثيب وتعاقب . تثيب المتقي المتعبد لها المتقرب اليها بالنذور وبالبر بمعاييدها ، فتعطيها مالا وتبارك له في نفسه وفي أهله ، وتعطيها ذرية صالحة ذكوراً . وتنجيها من البلايا والآفات ومن الأوبئة والأمراض ، وترجعه سالماً معافى من الحروب ، تشفي جروحه اذا جرح ، وتغدق عليه بالنعم من غنائم الحرب . فهذا هو الثواب . ثواب في الدنيا وكفى .

أما العقوبة ، ففي الدنيا وحدها أيضاً ، وتكون بإنزال البلاء بمن يستحقه من الخارجين على أوامر الآلهة ، المتجاوزين على حرمة المعابد ، المارقين على النظام ، المخالفين لسلوك المجتمع ، المتجاوزين على حقوق غيرهم . ومن البلاء الأمراض ، من عمى وعور ، واصابة عضو من أعضاء الجسم بعطب ، والأوبئة . ونجد في النصوص توسلات الى الآلهة بأن تصيب من يغير النصوص المدونة الموضوع شواخص على القبور ، ومن يتطاول على حرمة المقابر ، أو يدفن غريباً فيها بغير اذن ، بالعمى والعور ، لتجاوزته على حرمة القبور . وكان في روع أهل مكة وماحولها ان من يعرض للسائبة ، أو لحرمة الله ، أصابته عقوبة في الدنيا^١ . وعقوبات الدنيا أشد تخويفاً للأعرابي ، وأكثر وقعاً في نفسه من العقوبات المؤجلة في العالم الثاني ، ثم إن معظم أهل الجاهلية لا يؤمنون باليوم الثاني ، ولا بحشر وبعث ونشر.

ولولا الثواب والخوف من العقاب في هذه الدنيا ، لما تقدم انسان وهو فقير بائس ، بأعز ما عنده الى آلهته ، على فقره وجوعه ، ليقدمه قربة اليه ، وهو في أشد الحاجة له ، ولما بنى الناس المعابد ، وتقدموا اليها بالهدايا والنذور ، ولما ذكر رجل آلهته وتبرك باسمها ، ووضع ملكه في حمايتها ورعايتها ، ولعمت الفوضى المجتمع ، وأكل بعضهم بعضاً ، ونهبوا المال . والخوف من العقوبة في هذه الدنيا ، ساعد بالطبع كثيراً في ردع الأشرار عن غيهم ، وفي منعهم من الاعتداء على الحرمات ، كما ان الإنابة في هذه الدنيا حملتهم على عمل الخير ، وعلى التقرب الى المعابد والعمل بأوامر رجال الدين ، لتحقيق رضى الآلهة ، وفي نيل رضاها كسب مادي وربح ملموس أكيد في هذه الحياة .

ولولا الأمل في الرضى والثواب ، والخوف من الآلهة ، لما جعل الناس أنفسهم عبيداً الى الآلهة . فسمّوا أنفسهم (عبد ود) و (امت العزى) (أمة العزى) ،

١ تفسير الطبري (٥٩/٧) ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٦) .

و (عبد يغوث) ، و (عبد مناة) ، وما شابه ذلك من أسماء دُعي أصحابها بها ، أملاً في العمر الطويل ، وفي التهرب من الموت . فقد كان الآباء والأمهات ينذرون نذراً ، انه ان ولد لهم مولود ، أخذموه إلهاً من الآلهة ، ودعوه عبداً له حتى يعيش . يفعل هذا الفعل من لا يعيش له مولود ، ومن يولد له مولود لكنه لا يعمر طويلاً ، بل يموت طفلاً أو في مقتبل العمر . فأمل الانسان في ان يضع الإله حمايته ورعايته للمولود ، دفعه على ركوب هذا المركب ، لاقناع الآلهة بدفع الموت عن أبنائهم وحمايتهم منه .

ولدينا نصوص جاهلية عديدة ، تخبر عن تلبية الآلهة توسلات المتعبدين لها ، ووفائها لهم بما طلبوه منها . ففي نص ثمودي يخاطب انسان ربه (منف) (مناف) بقوله : (سمعت منف)^١ ، أي (سمعت ندائي يا مناف) ، أي استجبت لندائي ، فوفيت لي يا إلهي مناف . وقد دوّنّه حمداً له وشكراً واعتراضاً بفضله عليه . وفي نص آخر ، يخبر صاحبه انه برىء . وان ربه شفاه مما ألم به من مرض . فيقول (برات) ، أي (برأت)^٢ ، و (برتن)^٣ ، و (برتن)^٤ . وفي نص آخر يشكر انسان ربه (صلم)^٥ . ولم يرد في النص السبب الذي حمل صاحب النص على شكر إلهه (صلما) ، لكننا نستطيع ان نحزر ، فنقول انه طلب منه شيئاً ، فصار على نحو ما أراد فشكر إلهه لذلك . وفي نص آخر ، توسل من شخص الى إلهه (صلم) لكي يعينه في الفاجعة التي فجع بها^٦ . وفي نص آخر ، توسل الى إلهه لأن يمنحه : (خلود) ، أي الخلود ، بمعنى طول العمر^٧ .

ومن التوسلات الجميلة التي وجهها الثموديون الى آلهتهم ، قول أحدهم : (بالهي امت) ، (ب الهي اموت)^٨ ، (بالهي أموت) ، أو (في حب إلهي أموت) ، أو (في إلهي أفنى) . فهو يخاطب ربه . وقد ملأ قلبه العشق نحوه . العشق الإلهي الذي نقرأه في كتب المتصوفة ، ونسمعه في تغاريدهم يخاطبون

Hu. 421, Eu. 775, Hu 505/37, H. Grimme, S. 58. ١

Hu. 504/34. ٢

Hu. 497. ٣

JSA 503. ٤

JSA 17. « صلم شكر » ، ٥

Grimme, S. 34, 40. ٦

Grimme, S. 35, 41. ٧

Hu 255/20, Eu 250, Grimme, S. 66. ٨

بها الله . ونجد هذا الحب الإلهي والهروب الى الله في نص ثمودي آخر، هذا نصه:
 (ب م مرر . ب ل ه ي جرت . ب ل ه ي ام ت لبب ذه غ ث ت)^١ .
 أي (من مرّ . بإلهي استجرتُ . بإلهي أموت . اعطني لبك . يا مغيث) ،
 وبعبارة أوضح : (من مرّ) و (مر) اسم صاحب النص ، فهو يوجه ندائه
 الى ربه (استجرتُ بإلهي . وإلهي أموت . اسمع ندائي يا من يغيث) ، أو
 (يا مغيث) . ففي هذه التوسلات وأمثالها رقة الشعور الديني ، والحس المرهف
 الذي يكون عند كبار المتصوفة في مناجاتهم الله .

التطاول على الأرباب :

وفي روع أهل الجاهلية ان من سب الأرباب أو تطاول في كلامه عليها، نزلت
 به قارعة . فلما أسلم (ضمام بن ثعلبة) السعدي أو التميمي ، وقدم على قومه ،
 (فكان أول ما تكلم به ، ان قال : بثست اللات والعزى . قالوا : مه يا ضمام
 اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون . قال : انهما والله ما يضران ولا
 ينفعان)^٢ . ولما تحرش الرسول بالأصنام خوفاً المشركون من ان يصاب بسوء ،
 والى تخويفهم هذا أشير في القوآن الكريم : « ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن
 يضلل الله ، فما له من هاد »^٣ . يعني « ويخوفونك (هؤلاء المشركون) يا محمد
 بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها وعيبك
 لها ، والله كافيك ذلك »^٤ . و « كانت زنيرة رومية ، فأسلمت فذهب بصرها ،
 فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى » ، « وقالت قريش ما أذهب بصرها
 إلا اللات والعزى »^٥ .

Hu 518/27, Grimme, S. 87.

١ الاستيعاب (٢٠٨/٢) ، (حاشية على الاصابة) ،

٢ الزمر ، ٢٩ ، الآية ٣٦ .

٣ تفسير الطبري (٥/٢٤) ، تفسير القرطبي (٢٥٨/١٥) .

٤ الاصابة (٣٠٥/٤) ، (رقم ٤٦٥) .

الفصل السابع والستون

التقرب الى الالهة

وكما تقوم الصداقة بين الناس على أساس الود والتقرب والاتصال والتذكر بتقديم الهدايا والألطف ونفائس الأشياء ، كذلك تقوم الصلة بين الانسان وآلهته على أساس من الود والصداقة أيضاً . وإذ كانت الآلهة أقدر من الانسان ، كان من اللازم على البشر التودد اليها بشتى الطرق المعبرة عن معاني التقرب والتعجب والتعظيم ، لتذكره ، فتمنّ عليه بالبركة والسعد وبخير ما يشتهي ويرغب فيه . والبشر عبيد لآلهتهم ، فعليهم ان يؤدوا لها ما يجب أن يؤديه العبد لسيده . إن على العبد واجبات وفروضاً يجب ان يؤديها لصاحبه ومالكه ، وعلى الانسان كائناً ما كان ان يقوم بأداء ما فرض عليه لآلهته وأربابه في اوقات مكتوبة وفي المناسبات .

ولما كانت عقلية الانسان القديم وعقلية كل بدائي تقوم على فهم الإدراك الحسي في الدرجة الأولى ، كان للهدايا وللندور والقرايين والشعائر العملية المقام الأول في دياناته ، لأنها ناحية ملموسة تراها الأعين وتدرکها الأبصار ، وفيها تضحية تقنع المتدين التقي المتقرب بها الى آلهته بأنه قد قدم شيئاً ثميناً لها ، وانها لذلك سترضى عنه حتماً ، لأنه قد أثرها على نفسه فقدم اليها أعز الأشياء وأغلاها . انها سترضى عنه ، لأنه لم ينسها ، ولم يغفل عنها ، ولم يفتر حبه لها . وسترضى عنه كلما تذكرها وقام بأداء هذه الواجبات المفروضة أو المستحبة لها ، كما يرضى الصديق عن صديقه أو السيد عن عبده، بإظهار الاخلاص وبالحرص على أداء الأعمال المرضية.

والدين عقيدة ، أي (إيمان) Belief وعمل . والعمل أبين وأظهر وأقوى في البيانات القديمة من الإيمان ، بسبب ان الإيمان بالقلب ، وهو لا يكون إلا بين المرء وربّه ، ولا يمكن لأحد الاطلاع على كنهه . أما العمل فهو تجسيد للإيمان وتعبير عنه بصورة عملية واقعية . وهو الناحية المحسوسة الظاهرة للتدين . ولا يفهم البدائي من الدين إلا مظاهره ، التي تركز على تضحية وبذل مادي لارضاء الآلهة ، فعنده انه متى بذل أعز ما يملكه في سبيل آلهته عدّ مؤمناً تقياً ، ترضى عنه الآلهة ، وألستها الناطقة بلسانها على الأرض : طبقته رجال الدين . ولهذا رأى بعض العلماء ، انه لدراسة دين من الأديان القديمة يجب الاهتمام بشعائره وبالأحكام التي فرضها على أتباعه ، لأنها هي أساس ذلك الدين وجوهره^١ .

لقد كانت ديانات الجاهليين ذات حدود ضيقة ، آلهتها آلهة محلية ، فالإله إما إله قبيلة وإما إله موضع . وطبيعي ان تكون صلة الانسان بإلهه متأثرة بدرجة تفكير ذلك الانسان وبالشكل العام للمجتمع . والإله في نظرهم هو حامي القبيلة وحامي الموضع ، وهو المدافع عنها وعنه في ايام السلم وفي ايام الحرب ، ما دام الشعب مطيعاً له منفذاً لأوامره وأحكامه وللشعائر المرسومة التي يعرفها ويقررها ويقوم بتنفيذها رجال الدين .

ويكون ارضاء الآلهة بالتقرب اليها وتنفيذ أوامرها التي تعينها وتثبتها خاصتها المختصة بين القبيلة او الشعب ، أعني كهانها ورجال الدين الذين يعرفون أوامرها وأحكامها خير معرفة ، وهم الذين يفسرونها ويأمرون بتنفيذها بين الناس . وقد يكون هذا التنفيذ في ايام او أشهر ثابتة معينة تكون لها قدسية وحرمة خاصة ، وقد يكون في مواسم . يرى الناس ان آلهتهم تكون في تلك الأوقات حاضرة متهيئة قريبة منهم تسمع شكاواهم وما عندهم من مطالب . ويكون هذا التنفيذ بصور مختلفة أهمها زيارة المعابد والتبرك بأصنامها ، وتقديم النذور لها ، وإيقاف الحبوب عليها ، والحج اليها في الأوقات المفروضة وفي كل وقت آخر ممكن ، وأداء الصدقات والزكاة ، تزكية للمال ، وتطهيراً للنفس من الذنوب .

ومن اهم ما تقرب به الانسان الى آلهته (النذور) و (القرابين) و (المنح) ، اي الصدقات والعطايا . وتدخل (الذبائح) في باب النذور والقرابين كذلك .

Robertson, p. 16.

ويجب ان اضيف (القرى) اي الضيافة عليها أيضاً ، لما لها من صبغة أخلاقية دينية ، حتى صارت الضيافة من الواجبات المثبتة في نظام (مكة) . وهي (الرفادة) أي تقديم الطعام لمن يحتاج اليه .

والمنحة عند العرب ان يعطي الرجل صاحبه المال هبة أو صلة فيكون له ، او ان يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة يحلبها زماناً وایاماً ثم يردّها . وقد تقع على الأرض، وهي ان يعطي الرجل غيره أرضاً ليزرعها ويستفيد منها، هبة أو عارية^١ . ويظهر من الاشارة اليها في الحديث ، انها كانت من أعمال البر المعروفة عند أهل الجاهلية ، وكانوا يتقربون بها الى آلهتهم .

ولم تحدد الوثنية الأشياء التي كان على الانسان ان يتقدم بها الى آلهته قربة اليها او وفاءً لنذر ، بل تركت له الأبواب مفتوحة ، فله ان يتقرب الى أربابه بكل ما يختار ويشاء ، من امور بسيطة رخيصة الى أشياء ثمينة غالية ، كل حسب مقدوره وقابلياته . فنجد بين النذور مباخر وتمائيل ومصاييح ، واشياء نفيسة من ذهب او من جواهر . كما كانوا يتبركون بوضع حصونهم وبيوتهم وبساتينهم ومزارعهم في حراسة الآلهة ورعايتها ، لتحفظها ولتحفظ أصحابها .

ويمكن تقسيم ما تقدم به الجاهليون الى أربابهم الى قسمين : قسم إجباري ، يجب الوفاء به بسبب (نذر) مثلاً^٢ ؛ وقسم تطوعي ، اي اختياري مثل (المنح) والذبايح التي تقدم في المواسم وفي سائر الأيام ، ويقال لها (نذب) و (نذبت) (نذبة) . و (المندوب) في عربيتنا المستحب^٣ . وأدخل في القسم الأول ما يقال له (خطت) (خطات) (خطأة) ، اي (الخطيئة)^٣ . ويراد بها تقديم (فدية) عن عمل مخالف قام به انسان ، مثل تقديم ذبيحة بسبب دخول انسان نجس في المعبد .

واذا كنا في شيء من الجهل بالنسبة الى الزكاة التي كان الناس يدفعونها في نجد او العربية الشرقية او في الحجاز الى المعابد والى رجال الدين ، لعدم وجود نصوص جاهلية تكشف النقاب عنها ، فإن لنا بعض المعرفة عن الزكاة التي كان

١ تاج العروس (٢٣٢/٢) ، (منح) .

٢ تاج العروس (٤٨١/١) ، (نذب) .

٣ Ancient Israel, 418-421, 425, 429.

يقدمها اهل العربية الجنوبية الى معابدهم ، ظفرنا بها في الكتابات التي عثر عليها هناك ، وقد وردت فيها اشارات اليها في نصوص تعرضت لها بالمناسبات .

وهذه الزكاة حصص عينية مقررة تدفع الى المعبد على شاكلة الحصص التي تدفع الى أصحاب الأرض والحكومة ، تخزن في مخازن المعابد ، لتصدّر الى الخارج ، او لتباع في الأسواق ، او ليصرف منها على المعابد ورجال الدين والمحتاجين . فكان القتبانيون مثلاً يدفعون عشر حاصلهم الى المعبد ، ويعرف ذلك عندهم بـ (عصم)^١ ، تدفع هذه الضريبة عن حاصلات الأرض ، وذلك في كل سنة . وقد عرفت هذه الضريبة بـ (عشر) عند المعينين . وهي ضريبة تدفع ايضاً عن الحيوان الى المعبد . وهذه الضريبة هي في الواقع من الضرائب العامة التي كانت تدفعها أمم اخرى عديدة الى المعابد ، وتستند الى تقاليد تاريخية قديمة ، والى نظرية ان الأرض هي ملك للآلهة، فهي التي تنعم على الانسان بالحاصل وبالخير والبركات ، فعلى الانسان تخصيص جزء من حاصله لتلك الآلهة . فإذا قصر انسان في أداء ما عليه الى الآلهة ، تعرّض للعقاب ولحرمان الآلهة اياه من البركة والخصب^٢ .

ويتبين من نصوص المسند انه كانت في العربية الجنوبية أرضون واسعة مسماة بأسماء الآلهة ، أجرتّها المعابد للرؤساء او سلّمتهما الى ايدي (الكبراء) لاستغلالها في مقابل أجر يدفعونه الى المعبد يتفق عليه . وهذه الأرضون هي أوقاف حبست على الآلهة تعرف بـ (وتقم) (وتنف)^٣ . ومن غلات هذه الأوقاف ومن (العصم) والندور والهبات الأخرى يتفق على المعابد وعلى رجال الدين .

وقد ظهر في العربية الجنوبية نظام اقطاعي (كهنوتي) ، أسياده رجال الدين ، تولوا الإشراف على ادارة أملاك المعبد الواسعة وعلى استغلالها وادارة شؤونها ، وجباية الأرضين التي يوقفها المؤمنون أصحابها على الآلهة ، وعلى استحصال حقوق المعبد من المتمكنين . وقد أشير في كتابات المسند الى ارضين واسعة كانت اوقافاً للمعابد ، أجرت الى سادات القبائل لاستغلالها في مقابل أجر اتفق عليه . ويظهر ان بعض اولئك السادات كانوا أقوياء وأصحاب نفوذ فاستولوا على (الحبوس)

١ السطر الثالث من النص الموسوم بـ : Kataba. Texte, I, Glaser 1601
٢ Hastings, p. 940.
٣ Katab. Texte, II, S. 30.

استيلاءً في مقابل اجور زهيدة كانوا يدفعونها للمعبد ، ولما لم يكن في وسع المعبد فعل شيء تجاههم ، اضطر الى قبول الأجر الزهيد الرمزي الدال على تملك المعبد للأرض . أما السادات فكانوا يؤجرون الأرض لأتباعهم بأجور عالية ، ويربحون من ذلك أرباحاً كبيرة .

وعثر المنقبون على وثائق في خرائب بعض المعابد ، تبين منها انها كانت نصوص عقود إيجار واستئجار لأمالك المعبد ، اي للأوقاف المحبوسة على أرباب المعبد . وقد ذكر المستأجرون فيها الشروط التي اتفقوا عليها مع المعبد في مقابل استغلال الوقف . واذا كان المستأجر غير متمكن من أداء ما عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض ، فإن من حقه الاستدانة من غيره او الاتفاق معه على المساهمة معه في الاستغلال والاستثمار على شرط أخذ موافقة رجال المعبد على ذلك، وإدخال اسم الشخص الثاني في العقد ، كي يكون مسؤولاً شرعاً عن تنفيذ شروط العقد في حالة عدم تمكن زميله من ذلك .

وقد اقتضى تضخم املاك المعابد خلق جهاز خاص لادارة الأملاك والأوقاف والاشراف على استحصال (الأعشار) عن الدخل وتركات الارث والمشتريات الى جانب النذور والقرابين وتوقيع العقد . جهاز رأسه كبار رجال الدين ، الذين يمثلون الآلهة على الأرض، وقاعدته صغار رجال الدين ومن عهد اليهم أمر الادارة من غير رجال الدين . فصار للمعبد بذلك نفوذ كبير في اقتصاد العربية الجنوبية في ذلك الوقت .

وفي المعابد مواضع يرمي الزوار فيها ما يجودون به على المعبد ، تكون أمام الأصنام في الغالب . وهي خزائن تتجمع فيها النذور والهبات ، فيأخذها السدنة . وأغلب ما يرمى فيها الحلي والمصوغات المصاغة من الذهب والفضة ، والأشياء النفيسة الأخرى . كما كانوا يعلقون السيوف والألبسة الثمينة على الأصنام وعلى الأشجار المقدسة تقرباً إليها ، ووفاء بنذور ندروها لها .

ولم يبعث الجاهليون على أصنامهم، فقدّموا لها حتى المأكّل والمشرب، لاعتقادهم انها تسرّ بذلك وتفرح . فقد علقوا على (ذي الخلصة) ، وهو صنم نصبه

(عمرو بن لحي) ، القلائد وبيض النعام ، والبرد النفيسة ، وقدموا له الخنطة والشعير ، بل واللبن أيضاً ، ليشرب منه ، وذبحوا له ^١ . فهم يعتقدون أن في الصنم روحاً ، وإن في مقدوره التلذذ بهذه النذور . وكان في روعهم أنه يشرب من ذلك اللبن .

وقد أشير الى الهبات التي تقدم الى المعابد والآلهة بكلمة (وهب) في النصوص القتبانية . بمعنى (وهب) و (هبات) . ووردت كلمات أخرى تؤدي هذا المعنى أيضاً . منها : (ودم) ، و (شقم) ، و (بنم) ^٢ . وتقابل هذه ما يقال له : (منحة) و (المنحة) عند العرب الشماليين .

وفي جملة ما يدخل في هذا الباب (بكرت) ، أو (الباكورة) أول كل شيء . مثل الثمر وأول مولود بالنسبة للحيوان ، حيث يهدى للآلهة . وقد كان معروفاً عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين . وذلك أن يجعل صاحب المال ثمرة أول زرعه أو حيوانه نذراً لآلهته ^٣ . وقد أشير الى هذا النذر أو الهبة في نصوص المسند . ومن (الباكورة) العقيقة التي تحدث عنها في موضع آخر من هذا الكتاب .

وتلعب النذور دوراً خطيراً في الحياة الدينية عند الجاهليين ، حتى صارت عندهم بمثابة المظهر الأول والوحيد للدين . فالعامّة لا تكاد تفهم من الدين إلا تقديم النذور للآلهة ، لتجيب لها طلباتها وتنعم عليها بنعائهما . والنذور هي وعد على شرط . يتوسل الناذر الى آلهته بأنها ان أجابت طلباً عينه ، وحقت مطلباً نواه ، فعليه كذا نذر ، يعينه ويذكره . فهنا عقد ووعد بين طرفين في مقابل تنفيذ شرط أو شروط ، أحد طرفيه السائل صاحب النذر ، أما الطرف الثاني فهو الإله أو الآلهة . وأما الشرط ، فهو تنفيذ المطالب التي يريدّها الناذر . وأما النذر ، فهو أشياء مختلفة ، قد تكون ذبيحة ، وقد تكون جملة ذبائح ، وقد تكون نقوداً ، وقد تكون فاكهة أو زرعاً ، وقد تكون أرضاً ، وقد تكون تمثالاً ، وقد تكون حبساً لانسان يهب نفسه او مملوكه او ابنه لإلهه او لآلهته ، وقد يوهب

١ الازرقعي ، أخبار مكة (٧٨) ، (لايبزك) .

٢ N. Rhodokanakis, Katab Texte, I, S. 18, 28.

٣ في العبرانية « بكوريم » ، Ancient Israel, 380, 404, 493.

ما في بطن المرأة او ما في بطن الحيوان ، وقد يكون النذر حيوانات حية .
وهكذا نجد مادة النذر كثيرة مختلفة متباينة بتباين النذر والأشخاص^١ .

ولا يشترط في وفاء النذر ان يكون عيناً اي مادة ، إذ يجوز ان يكون امرأ
معنوياً ، كأن يذكر الناذر في نذره انه إن اجاب الإله الفلاني طلبه وبارك له
ومنحه طفلاً ، يخدمه له او يسميه عبده ، اي عبد ذلك الإله الذي نذر له .
وكثير من الأسماء المبتدأة بـ (عبد) يليها اسم (صنم) ، هي من هذا القبيل ،
دُعي أصحابها بها ليحمي من سمي به صاحب ذلك الاسم في مقابل تلك التسمية .
ومن هذا القبيل عبد مناف وعبد مناة^٢ .

ومن هذا القبيل ايضاً نذر المواهب ، كأن ينذر شخص مواهبه لصنم او لمعبد ،
بأن يتعهد ان يقوم بترنيم التراتيل الدينية في الأعياد او في اوقات الصلوات والمناسبات
في ذلك المعبد ، او يقوم فيه بأعمال فنية مثل رسم منظر ديني او تزيين معبد
الإله ، والنذر بالصيام وبغير ذلك^٣ .

ويعبر عن الابن الذي ينذره أبوه أو أمه بأن يجعله خادماً للمعبد أو للصنم أو
للكنيسة ذكراً كان أم أنثى (النذيرة) . وذلك لأنه حبس على خدمة الإله أو
الصنم أو المعبد وتفرغ ، فلا يخدم أحداً سواها^٤ . وفي التزليل : « لاني نذرت
لك ما في بطني محرراً »^٥ .

ويقال للنذر (النَّحْب) ، وهو ما ينذره الإنسان على نفسه فيجعله نجباً واجباً .
وقيل : إنما قيل للنذر نذراً ، لأنه ينذر فيه ، أي أوجب على النفس^٦ . ووردت
لفظة (نذر) (نذرم) (نذرن) في نصوص المسند ، بمعنى (نذر) و (نذور) .

١ تفسير الطبري (٩١/٣ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٥٤) القاموس (١٢٠/٢) ،
Ency. Brita., Vol., 25, p. 200, Reste, S. 112, Ency. Religi., 12, p. 644.

٢ الروض الانف (٦/١) .

٣ تفسير الطبري (٥٨٠/٥ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، تفسير البيضاوي

(١٥٤/٦) ، القرطبي ، الجامع (٩٧/١١ وما بعدها) ، الطبرسي (٣٤٥/٢) .

٤ اللسان (٢٠٠/٥) ، (نذر) ، تاج العروس (٥٦١/٣) ، (نذر) .

٥ آل عمران ، الآية ٣٥ ، تفسير الطبري (١٥٧/٣ وما بعدها) ، القرطبي ، (٦٥/٤)

وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٠/٣ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٣٥٨/١)

وما بعدها) روح المعاني (٥٦١/١) .

٦ اللسان (٢٠٠/٥) ، تاج العروس (٥٦١/٣) .

ومن هذه النذور (الریبط) . فقد كان الجاهليون يندرون أنهم إذا عاش لهم مولود جعلوه خادماً للبيت ، أي لبيت الصنم . ومن هنا لقب (الغوث بن مر) بالریبط « لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ریط الكعبة ، فعاش ففعلت وجعلته خادماً للبيت حتى بلغ الحلم ، فترعته فلقب الریبط »^١ .

ويظهر من بعض الروايات أنهم كانوا يربطون الریبط بالبيت . فقد ذكروا أن أم (الغوث) لما « ربطته عند البيت أصابه الحر » ، فمرت به ، وقد سقط وذوى واسترخى^٢ ، فيظهر أنهم كانوا يربطونه برباط بالموضع المقدس ، ليكون على اتصال تام به ، كما يفعل الناس اليوم من ربط مرضاهم ومن لا يعيش طويلاً من الأولاد بقبور الأولياء بخيط أو حبل ، رجاء الشفاء وطول العمر . وقد يعتقدون خيطاً أو شريطاً بالقبر ، لهذا الغرض .

وقد كان اصحاب النذور يتنسكون ويكثر من تعبدهم ومن تقربهم للصنم الذي نذروا له ، لیمن^٣ عليهم ويحقق لهم ما طلبوه . وقد اشار (لبيد) الى الناسكات ينتظرن النذر بقوله :

توجس النبوح شعثاً غبراً^٤ كالناسكات ينتظرن النذر^٥

ومن نذورهم في الجاهلية ، أنهم كانوا يندرون بألا تهب الصبا حتى يذبحوا أو ينحروا^٦ . ويظهر ان هذه عادة كانت لها صلة بطقوس دينية جاهلية قديمة ، نجدها عند اهل مكة وعند الأعراب .

وتكون النذور في حالات الشدة والضيق في الغالب . فإذا أصيب انسان بمكروه أو أصيب عزيز له بذلك ، نذر الى آلهته نذراً ، يقدمه لها حالة تحقق الشرط ، فإن صادف ان تحقق ما طلبه ، وجب على الناذر الوفاء بنذوره . ونظراً لظروف ذلك الوقت ، فقد كانت النذور كثيرة ومتنوعة . منها نذور مادية ، ومنها نذور

١ تاج العروس (١٤٢/٥) ، (ربط) .
٢ الروض الأنف (٨٥/١) .
٣ ديوان لبيد (٣٣٦) .
٤ الكامل (٥٢/٢) وما بعدها .

معنوية ، مثل التعبد والتبتل وخدمة بيوت الأصنام وما شاكل ذلك من نذور^١ .
وقد كانوا لا يحلّون لأنفسهم التملص والتخلص من الوفاء بالنذور ، لاعتقادهم
أنهم إن أكلوها ولم يوفوا بها ، غضبت عليهم الآلهة ، ولا سيما الإله الذي جعلوا
نذرهم له ، فيصابون بغضب منها ، وينالهم مكروه ، فهم لذلك يوفون نذورهم
ولا يقصرون في الأداء ، إلا لحاجة أو لاستهتار أو لتغلب الشح على النفس ، ومع
ذلك ، فقد كانوا يلجأون الى الحيل الشرعية في هذا التهرب ، بإيجاد الحلول
والأعذار .

ونجد في نصوص المسند عدداً كبيراً من الكتابات تفيد ان صاحب الكتابة قد
قدّم الى الإله الفلاني كذا وكذا ، لأنه أجب طلبه وأعطاه ما أراد ووفاه بحسب
طلبه ، فقدم اليه كذا وكذا وفاء لنذره . وتذكر في النص أحياناً جملة لتتزل
اللعنة او ليتزل الهلاك والدمار او ما شابه ذلك على من يحاول ازالة النذر والاثّر
عن موضعه او إلحاق الأذى به او ما شابه ذلك من عبارات . وقد ورد مثل ذلك
في النصوص الشمودية والليانية والنصوص الأخرى . وتفهم فكرة النذر والغاية منه
صراحة من هذه الكتابات ، فالنذر قدّم نذره ، لأن الإله المذكور او الآلهة
المذكورة أجابت طلبه ووفت له ما أراد ، فوفى هو له أو لها ما اشترط على نفسه
تقديمه عند عقده صيغة النذر . فالإله او الآلهة طرف يسمع ويتعاقد ويجيب ويفعل
او تفعل تماماً كما يفعل الانسان ، وهي تشترط على الطرف الثاني اي على السائل
الوفاء بالنذر ، لأنه دين يجب عليه دفعه في مقابل تنفيذ الآلهة الشروط المذكورة ،
وإلا فإن الآلهة تغضب عليه وتوقع القصاص عليه ، وقد تسحب ما قدمت له حينما
عقدت النذر معه .

وكانت القرابين البشرية في جملة الأشياء التي قدمها الإنسان نذراً الى آلهته .
وكان (عبد المطلب) ، كما يذكر أهل الأخبار قد نذر إن توافى له عشرة
رهط أن ينحر أحدهم . فلما اكتمل العدد ، قرر الوفاء بنذره ، وذلك بذبح
أحدهم . وإذ لم يكن قد عين الولد الذي سيذبحه ، ذهب كعادة أهل مكة الى
هبل يستقسم عنده . فلما أصاب النصيب (عبدالله) ، ذهب الى (إساف) ونائلة

١ طبري (١٤٤/٣ وما بعدها) ، روح المعاني (٥٦١/١ وما بعدها) ، تاج العروس
(٥٦١/٣) ، (نذر) ، تفسير البيضاوي (٢٠/٣ وما بعدها) .

وثني قريش اللذين تنحروا عنهما ، ليذبحه ، « فقامت اليه قريش من أنديتها : فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ » . ثم سأله أن يذهب الى عرّافة كانت بالمدينة لها (تابع) ، لترى رأيها في الموضوع وتفتي فيه ، فلما ذهب اليها ، وجدها بخير ، فأشارت عليه أن يعود الى مكة ، ثم يضرب بالقداح على ابنه وعلى عشر من الإبل وهو مقسدار الدية عندهم ، فإن خرجت القداح على عبدالله ضربوا القداح مرة أخرى ، فإن خرجت القداح على عبدالله مرة أخرى ، أعادوا الضرب حتى يقع على الإبل ، فيكون الرب قد رضي عنه ، فتنحر الإبل عندئذ . فسمع نصيحتهما وفعل ، ونحرت الإبل فدية عن ابنه (عبدالله)^١ . والظاهر أن عادة نحر الأبناء عند الكعبة قد بقيت حتى بعد دخول العرب في الإسلام ، بدليل ما ورد عن نذر امرأة أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته ، ففعلت ذلك الأمر ، فجاءت الى المدينة تستفتي علماءها في الأمر . فأشار عليها من استفتتهم بوجوب الوفاء بالنذر ، ولكنهم ذكروا لها أن الله قد نهى عن قتل أنفسكم ، وذكروا لها قصة عبد المطلب المذكورة ، ومعنى ذلك تقديم الفداء^٢ .

كذلك كان من عادة الجاهليين النذر في ساعات الشدة والخطر ، فكان بعض النساء ينذرن أن يجعلن ولدهن (حمساً) إن شفي الرب ابنها من مرض ألمّ به ، كما كانوا ينذرون بخلق شعر الرأس أو جزّ شعر الناصية أو الاعتكاف والانزواء بعيداً عن الناس^٣ . وهي عادات نجدها عند غير العرب أيضاً^٤ .

وقد أشار المفسرون وأصحاب الحديث والأخبار الى نذور كانت معروفة في الجاهلية ، فمنها الاسلام . وفي بعضها نوع من التحايل والتلاعب ، حيث كانوا يتصرفون بحسب أهوائهم وشهواتهم ومنافعهم وقت استحقال النذر . ومن ذلك ما أشير اليه في القرآن الكريم : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى

١ الطبري (١٧٢/٢) وما بعدها ، ابن الاثير الكامل (٢/٢) .
٢ الطبري (١٧٢/٢) .
٣ الازرقعي (١٢٣/١) .
٤ Shorter Ency. p. 429.

الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ^١ . وقد ذكر المفسرون ان من الجاهليين من كان يزرع لله زرعاً وللأصنام زرعاً ، فكان اذا زكا الزرع الذي زرعه الله ولم يذك الزرع الذي زرعه للأصنام ، جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه عليها ، ويقولون ان الله غني والأصنام أحوج ، وان زكا الزرع الذي زرعه للأصنام ، ولم يذك الزرع الذي زرعه الله لم يجعلوا منه شيئاً لله . وقالوا هو غني .

وكانوا يقسمون الغنم ، فيجعلون بعضه لله ، وبعضه للأصنام ، فما كان لله أطعموه الضيفان ، وما كان للصنم أنفقوه على الصنم . وكانوا اذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله تعالى ردوه ، واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للأصنام تركوه . وقالوا الله أغني . واذا هلك ما جعل للأصنام ، بدّلوه بما جعل لله ، واذا هلك ما جعل لله لم يبدّلوه بما جعل للأصنام ^٢ .

فهم يتناولون على ما خصصوه لله من نصيب ، ويتصرفون به كما يشاؤون ، ويحافظون على ما خصصوه للأصنام ، بزعمهم أنها شركاء لله ، ويقدمونه لها . ولعل ذلك بسبب أن ما كان يخصصونه للأصنام كان يجد له معقلاً وسائلاً ، يراجع أصحاب الحرث أي الزرع وأصحاب الأنعام لاستحصال حق الأصنام منهم . وهو حق مفروض ، وهم السدنة ورجال الأصنام ، فكانوا يستحصلون حقوق الأصنام منهم ، على حين كان ما يخصصونه لله نذراً لا يعرف به غير الناذر ، فكان يتلاعب به ، ويعطيه أو يعطي جزءاً منه الى جامعي حق الأصنام ، على اعتبار أنها شريكة لله ، وبذلك يتهرب من أداء النذر كاملاً بهذه الحيلة الشرعية ، فلا يستخرج من ماله الذي خصصه لنفسه شيئاً عن الوفاء بالنذر وفاء تاماً ، أو لاعتقادهم أن الله بعيد عنهم ، وهو غفور رحيم ، أما الأصنام ، فقريبة منهم ، وهي منتقمة أشد الانتقام .

ويتبين من دراسات النذور عند الشعوب القديمة أنها كانت نتيجة حاجة ، وتصور الانسان أن بإمكانه التأثير على آلهته بهذه النذور ، فيجعلها تميل الى اجابة طلبه

١ الانعام ، الآية ١٣٦ .
٢ تفسير الطبرسي (٣٦٩/٨ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٣٠/٨ وما بعدها) ، روح المعاني (٢٨/٨) ، تفسير التبيان ، للطوسي (النجف ١٩٦٠) ، (٣٠٧/٤ وما بعدها) ، القرطبي ، الجامع (٨٩/٧) ، الكشف (٤٧١/١) .

وحل مشكلاته ، وذلك بتقديم مطالب مغرية تطمعها ، وهدايا سارة تفرح بها ، كما يفرح الانسان عند تقديم أمثاله اليه ، فيهبش لصاحب الهدية ويرتاح له ويتقرب اليه ، ويعد الهدية نوعاً من التقرب والتودد والتعجب ، فمن واجب من أهديت اليه الهدية مقابلة المتودد بالمثل . وأما الحاجات التي كان يرجو الناذرون تحقيقها ، فهي في الغالب الحصول على ثروة ، أو صحة وعافية أو ذرية أو نصر وتوفيق . والناذر على يقين بالطبع من أن الإله الذي نذر له النذر قادر على تحقيق ذلك ، وإلا لم يتقدم اليه بهذا النذر^١ .

ويدخل في باب النذور ما يأخذه المرء عهداً على نفسه بتجنب الطيبات واللذائذ من العيش ، أو بالابتعاد عن الناس واعتزالهم على نحو ما يفعله الرهبان والناسكون لأمد معين أو لأجل غير معلوم . ونجد أمثلة عديدة من هذا العهد في أخبار الجاهليين ، كالذي ذكره عن (امرئ القيس) من أنه قال حيناً بلغه مصرع والده : « الخمر عليّ والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مئة وأجز نواصي مئة »^٢ ، وكالذي رواه عن غيره من الجاهليين . وهي كلها من هذا الطراز . أخذ الشخص عهداً على نفسه بالألا يقرب امرأة أو يشرب خمرأ أو يضع طيباً أو يقرب اللذائذ حتى يأخذ بثأره أو يتحقق ما نوى عليه ، وقد يحدد ذلك بوقت بأن يعين أجل العهد^٣ .

وإذ كان النذر عهداً ، كان من اللازم تنفيذ العهد ؟ فإذا مات من أخذ عهداً على نفسه بأن يفعل شيئاً لم يفعله ، فعلى ورثته وقبيلته الوفاء بعهده . فإذا مات شخص كان قد نذر على نفسه الأخذ بثأر قاتل ولم يوف بعهده ، بسبب موته ، فعلى اهله وذوي قرابته وأفراد قبيلته الأخذ بالثأر . ولذلك كانت أحقاد الثأر تنتقل من الآباء الى الأبناء فالأحفاد ، وتستغرق أحياناً زمناً طويلاً حتى يؤخذ بالثأر . وقد نشأت عن هذه العهود مشكلات خطيرة في المجتمع الاسلامي في موضوع العهود التي يمكن تنفيذها والعهود التي لا يجوز تنفيذها ، او التي يسمح بعدم تنفيذها وفي مبلغ التبعة التي تترتب على الورثة في تنفيذ العهود^٤ .

Ency. Religi. 12, p. 656.

١ (ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره) ،

٢ الاغانى (٦٥/٨) ،

٣ ابن هشام (٥٤٣) ،

Shorter Ency., p. 428.

Shorter Ency. p. 419.

القرايين :

وتؤلف القرايين جزءاً مهماً من عبادة الأمم القديمة ، بل تكاد تكون العلامة الفارقة عندهم للدين . والرجل المتدين في عرفهم هو الرجل الذي يتذكر آلهته ويضعها دائماً نصب عينيه ، وذلك بتقديم القرايين لها ، ولست أخطئ اذا قلت انها كانت عندهم أبرز من العبادات العملية كالصلوات ، لأن الانسان القديم لم يكن يفهم آتئذ من الحياة إلا مفهوماً المادي . وهو يرى بعينه ويدرك ان ما يقدم اليه من هدايا يؤثر في نفسه كثيراً ، ولذلك كان من الطبيعي ان يتصور بعقله ان القرايين هي أوقع في نفوس آلهته من اي شيء كان ، فقدمها على كل شيء ، وجعلها عبادة يتقرب بها الى الآلهة كما يتقرب اهل الأديان السماوية الى الإله بالدعاء والصلوات ، فهي في نظره عبادة تقربه الى الأرباب .

وقد كان الجاهليون ، يعظمون البيت بالدم ، ويتقربون الى أصنامهم بالذبايح ، يرون ان تعظيم البيت او الصنم لا يكون إلا بالذبح ، وان الذبايح من تقوى القلوب . والذبح هو الشعار الدال على الاخلاص في الدين عندهم ، وعلامة التعظيم . « قال المسلمون : يا رسول الله ، كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحق ان نعظمه »^١ .

ويظهر من قول أحد الشعراء الجاهليين :

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

أن الجاهليين كانوا يريقون دم الضحية على الأنصاب ، وهي موضوعة في الكعبة ، ويمسحون الكعبة^٢ .

وكلمة (قربان) وجمعها (قرايين) ، هي من أصل (قرب) ، وقد استعملت وخصصت بهذا المعنى لأنها تقرب الى الآلهة . والقربان هو كل ما يتقرب به الى الله . فليس القربان خاصاً بالذبايح ، وان صار ذلك مدلوله في الغالب^٣ .

١ تفسير الطبري (٤٨/٦) .

٢ الاشتقاق (ص ٢٠٦) .

٣ تاج العروس (٤٢٢/١) ، (قرب) ، اللسان (١٥٨/٢) ، (قرب) .

ومن القرايين ما يقدم في أوقات معينة موقوتة، ومنها ما ليس له وقت محدد ثابت بل يقدم في كل وقت . ومن أمثلة النوع الأول ما يقدم في الأعياد أو في المواسم أو في الأشهر أو في أوقات معينة من اليوم وفي ساعات العبادات ، ومن أمثلة النوع الثاني ما يقدم عند ميلاد مولود ، أو انشاء بناء أو القيام بحملة عسكرية أو لنصر وما شابه ذلك من أحوال . ويدخل في النوع الأول الاحتفاء بأعياد الآلهة ، حيث تكسى أصنامها أحسن الحلل ، وتزين بأجمل زينة ، ثم يوضع أمامها ما لن من الطعام وما حسن من الهدايا ، وتذبح لها الذبائح ، تذبح على الأنصاب ، ويأتي الكهّان ليقوموا بتأدية الشعائر الدينية المقررة في هذه الأحوال . ومعظم نصوص المسند كتابات دونت عند تقديم قربان أو نذر الى الآلهة في ميلاد مولود ، أو شفاء مريض ، أو بناء معبد أو بيت ، أو حفر خندق أو تشييد برج أو سور ، أو حفر بئر أو زواج وما شاكل ذلك . ويظهر منها ان الناس في ذلك العهد كانوا يقدمون القرايين الى آلهتهم في مناسبات كثيرة ، تقريباً اليها وارضاء لها ، ولكي تمنّ على أصحابها بالخير والبركة .

وقد استعملت نصوص المسند لفظة (ذبح) و (ذبحم) بمعنى (ذبحوا) و (ذبح) و (ذبيحة) و (ذبائح) . وقد تسبق بكلمة (يوم) ، فتكون (يوم ذبح) ، اي (يوم ذبحوا) ، ثم يذكر بعدها عدد ما ذبح ونوعه ، ثم كلمة (اذبح) بمعنى (ذبائح) في بعض الأحيان . والذبائح التي تقدم الى الآلهة هي الإبل والبقر والثيران والغنم والمعز ، وهي اكثر الحيوانات شيوعاً في الذبح عند الشعوب السامية الأخرى . ولم نجد في نصوص المسند ذكراً لحيوانات أخرى كالأسماك أو الدجاج مثلاً ، ولعل ذلك بسبب ضآلة قيمتها وتفاهتها بالقياس الى أثمان الحيوانات الأخرى ، مما جعل الناس بأنفون من الإشارة اليها في النصوص . وفي بعض الأديان حرق الذبائح وسكب دمائها على النار كما يفعل العبرانيون، إذ اتخذوا مذبحاً للمحروقات . ويسمى أيضاً بمذبح النحاس . وكانت ناره لا تطفأ، وتقدم اليه الذبائح على الدوام ، ويعرف ذلك عندهم بـ (عولاه) Olah ، وتفسير الكلمة الشيء الذي يعلو^١ .

وينفي (وهوزن) وجود المحارق عند الجاهليين ، وعنده أن العرب لم يكونوا

١ قاموس الكتاب المقدس (٤٥٨/١) ، Hastings, p. 111.

يحرقون الذبائح للأرباب ، بل كانوا يكتفون بالذبح ويسكب دم الذبيحة على النصب كله أو بعضه ، أو أنهم يتركونه يسيل الى (الغيب) . وليس في الذي بين أيدينا من نصوص ما يدل على ان الجاهليين كانوا يحرقون ذبائحهم لأربابهم على نحو ما كان يفعله العبرانيون ، غير أن ذلك لا يمكن أن يكون مع ذلك دليلاً قاطعاً وحجة كافية في اثبات أن هذه العادة لم تكن عند جميع الجاهليين .

وهناك ذبائح من نوع آخر قدمها الانسان الى آلهته ، من نوع لا تشملها كلمة خروف او شاة او بقرة او ثور او جمل ، من نوع آخر لا تشملها اية تسمية من هذه التسميات التي تطلق على هذه الحيوانات التي يأكلها الانسان في العادة ، هي ذبائح يعاقب القانون كل من يمارسها في الوقت الحاضر بأشد العقوبات ، هي ذبائح بشرية قدمها الانسان الى آلهته لاعتقاده انها زلفتى محبة الى نفوسها ، وانها ستفيد المجموع وتنقذه من كثير من الأوبئة والأمراض وأنواع الشر والضرر ، إن كان الانسان الحديث يتبرأ منها في الزمن الحاضر ويتنكر لها ويحاول تبرئة أجداد أجداده من ممارستها قبل مئات من السنين ، فالتأريخ لا يستطيع ان يجد دليلاً يثبت تبرئة أكثر أديان شعوب العالم القديمة من تقديم هذا النوع من القرابين ، وفي التوراة أمثلة عديدة تتحدث عن تقديم العبرانيين لهذا النوع من القرابين الى (يهوه) ، ليرضى عن شعبه ، ويعفو عنه ، ويتقرب منه^١ . كذلك نجد هذه العادة عند اليونان والرومان والهنود والفراعنة والصينيين واليابانيين وغيرهم .

أما عند الجاهليين ، فذكر (فورفيروس) Forphyrius أن أهل (دومة) Duma كانوا يذبحون في كل سنة إنساناً عند قدم الصنم تقريباً اليه^٢ . وذكر (نيلوس) Nilus أن من عادة بعض القبائل تقديم أجمل من يقع أسيراً في أيديهم الى (الزهرة) ، ضحية لها تذبح وقت طلوعها ، وقد وقع ابنه (تيودولس) Theodolus أسيراً حوالى سنة ٤٠٠ م في أيدي الأعراب Saracens ، وهيء ليذبح قرباناً الى الزهرة غير ان أحوالاً وقعت أفادت عليهم الوقت المخصص لتقديم

١ الملوك الاول ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣٤ ، الملوك الثاني ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣ ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١٧ ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٦ ، صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٣٢ ، الملوك الثاني ، الاصحاح الثالث ، الآية ٢٧ ، القضاة ، الاصحاح الحادي عشر ، الآية ٣٠ وما بعدها ، ومواضع أخرى ، Hastings, p. 813, Ency. Religi., p. 864.

٢ Reste, S. 115.

الذبائح ، أنقذته من الذبح ، فاكفى آسروه ببيعه في أسواق الرقيق بـ (ألوسة) Elusa ، فاستقر هناك الى أن صار أسقفاً على المدينة ^١ . وذكر أيضاً أن الملك (المنذر) ملك الحيرة قدم أحد أبناء الحارث الذي وقع أسيراً في يديه ونحو من أربع مئة راهبة قرابين الى العزى ^٢ . غير أننا يجب أن نكون في حذر شديد من قراءة أمثال هذه الروايات ، لأن مصدرها في الغالب هو الخيال . كذلك يجب أن نمرّ برواية الأخباريين عن قصة عبد المطلب وعبدالله بشيء من الاحتراس والحذر ، بل والشك والريبة ، ونحيل إليّ ان الأخباريين استفادوا في هذه القصة من حكاية ابراهيم واسحاق .

وليس في الذي بين أيدينا من نصوص المسند نصٌ ما فيه خبر يشير الى تقديم شخصٍ ما ملك أو كاهن أو أي انسان آخر ذبيحة بشرية الى الآلهة ، كذلك لا نجد في النصوص الأخرى مثل النصوص الشمودية أو اللحيانية أو الصفوية مثل هذه الاشارات .

وتلعب (المذابح) التي سبق ان تحدثت عنها ، دوراً خطيراً في العبادة عند الساميين ، بل تكاد تكون المظهر الأساسي للدين والتعبع عندهم في ذلك العهد . ولهذا كان المتدين يكثر من ذبح الذبائح لأنها تقربه الى الآلهة في نظره .

الترجيب :

وقد عرف شهر (رجب) بكثرة ما كان ينحر فيه من عتائر للأصنام ، فلا بد ان يكون لذلك أصل وسبب ، كأن يكون هذا الشهر من الأشهر التي كان لها حرمة خاصة في الجاهلية القديمة . وشهر رجب هو من الأشهر الحرم المعظمة التي لم يكن يحلّ فيها القتال ^٣ . وقد سمّي الذبح في هذا الشهر بـ (الترجيب) ، وقيل للذبائح التي تقدم فيه (العتائر) جمع (عتيرة) . وقد عدّت العتائر من شعائر الجاهلية . وأطلق بعض علماء اللغة كلمة (العتائر) على ذبح الحيوانات

1 Ency. Religi., 6, p. 853.

2 Hastings, A Dictionary, Vol. I, p. 75.

3 تاج العروس (١ / ٢٦٦) ، (رجب) .

الآليفة ، وأطلق لفظة (النافرة) على ذبح الحيوانات الوحشية ^١ . « وفي الحديث : هل تدرون ما العتيرة ، وهي التي يسمونها الرجبية ؟ كانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة ، وينسبونها إليه . يقال هذه ايام ترجيب وتعتار . وكانت العرب ترجب ، وكان ذلك لهم نسكاً » ^٢ .

وذكر بعض أهل الأخبار ان أول من عتر العتائر وسن العتيرة للعرب ، هو (بورا) ، وهو (بوز) ، وهو ابن شوحا ، وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبية للعرب . وهو ابن يعانا ، وهو قوال ، وكان في عصر سليمان ابن داوود ^٣ . والظاهر ان أحد أهل الكتاب قصّ على الأخباريين هذه القصة ، فنسبوا هذه السنة الجاهلية الى هؤلاء الأشخاص .

وكان بعض السادة يتحرون إذا أهلّ (الشهر الأصم) ، اي (شهر رجب) . روي : ان (حاتم الطائي) كان ينحر اذا أهلّ الشهر ، ينحر عشرأ من الإبل ويطعم الناس لحومها ، وذلك لحرمة ومنزلته عنده ، ولتعظيم (مضر) . فهو من شهود مضر الخاصة ^٤ .

وعرفت (العتيرة) بـ (الرجبية) عند الجاهليين كذلك ، لأنها كانت تذبح في شهر رجب ، فنسبوها اليه . وعرفت ايام رجب بـ (ايام الترجيب) . وورد (ايام ترجيب وتعتار) . وقيل للذباح التي تقدم فيه (النسائك) كذلك ^٥ .

وأصل (النسك) : الدم ، وبهذا المعنى ورد من فعل كذا وكذا فعليه نسك ، اي دم يهريقه . و (النسيكة) : الذبيحة . و (مَنَسَك) : الموضع الذي تذبح فيه النسيكة ، وهذا هو المعنى القديم الأصلي للكلمة . وقد صار من معانيها في العربية الشمالية ، العبادة والطاعة ، وكل ما يتقرب به الى الله تعالى ، لما كان للذبح من شأن في الديانات القديمة بحيث كان يعدّ عبادة أساسية عندها ،

1 Reste, S. 118.

2 تاج العروس (٢٢٦/١) وما بعدها ، (رجب) ، مسند احمد بن حنبل (١٧٣/٢) .

3 الطبري (٢٧٤/٢) .

4 الاغانى (٩٤/١٦) .

5 تاج العروس (٢٦٦/١) وما بعدها ، اللسان (٣٩٦/١) ، المعاني الكبير (١١٧١/٣) ، المخصص (٩٨/١٣) ، مجمع البيان للطبرسي (١٥٠/٢) .

ولذلك قيل لمن انصرف الى التعبد : الناسك^١ .

وقد فسر علماء التفسير لفظة (نسك) الواردة في الآية : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك »^٢ ، بذبح ذبيحة شاة أو ما فوق ذلك^٣ .

والعرف في الذبح عندهم ، أنهم كانوا يسوقون ما يريدون تعتاره أي ذبحه الى النصب الخاص بالصنم أو الى الصنم نفسه ، ثم يذبحونه بعد التسمية باسم ذلك الصنم ، وبيان السبب في ذبح هذه العتيرة ، ثم يلبخ رأس الصنم بشيء من دم تلك العتيرة^٤ . وقد منع المسلمون من أكل ذبائح المشركين ، لأنها مما أهل لغير الله ، ولأن المشركين لم يكونوا يذكرون اسم الله عليها ، بل كانوا يذكرون اسم الصنم الذي يذبحون له عليها . فحرم ذبائح المشركين لذلك على المسلمين^٥ . وقد أبطل الاسلام (الرجبية) وهي العتيرة ، كما أبطل (الفرع) ، وهو ذبح أول نتاج الإبل والغنم لأصنامهم ، فكانوا يأكلونه ويلقون جلده على الشجر . ويذكر أنهم كانوا اذا أرادوا ذبح الفرع زيتونه وألبسوه^٦ ، ليكون ذلك أوكد في نفوس الآلهة ، وتعريفاً للناس . وكانوا يفعلون ذلك تبركاً . وفي الحديث : لا فرع ولا عتيرة^٧ .

وذكر أنهم كانوا اذا بلغت الإبل ما يتمناه صاحبها ذبحوا ، او اذا تمت لإبل احدهم مائة عتر عنها بعيداً كل عام فأطعمه الناس ولا يذوقه هو ولا أهله ، قيل بل قدم بكره فنحره لصنمه . وقد كان المسلمون يفعلونه في صدر الاسلام ثم نسخ^٨ . وذكروا ان العتيرة الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها^٩ . و (العتر) الصنم الذي يصاب رأسه من دم العتر . قال زهير :
فزول عنها وأوفى رأس مرقبة كناصر العتر دمي رأسه النسك^{١٠}

- ١ تاج العروس (١٨٦/٧ وما بعدها) ، (نسك) ، اللسان (٣٨٩/١٢) ، (نسك)
- ٢ البقرة ، الآية ١٩٦ .
- ٣ تفسير الطبري (١٣٤/٢ وما بعدها) .
- ٤ ديوان زهير ، للعلم الشمنتري (٤٦) .
- ٥ تفسير الطبري (١٢/٨ وما بعدها) ، سورة الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١١٨ وما بعدها .
- ٦ بلوغ الأرب (٤٠/٣ وما بعدها) .
- ٧ تاج العروس (٤٤٩/٥) .
- ٨ تاج العروس (٤٤٩/٥) .
- ٩ اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة (٢٧٨/١) .
- ١٠ اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) .

وكانوا يؤكدون على لطيف الصنم الذي يعتز له ، أو (النصب) بشيء من دم العتيرة . يفعلون ذلك على ما يظهر، ليحس الصنم بالدم فوقه . فيقبله ويرضى به عنهم ، ويتقبل عتيرتهم .

ويظهر من غربة ما جاء في روايات علماء اللغة والأخبار عن العتيرة والرجبية، أن العتيرة بمعنى الذبيحة ، وأن (العتر) الذبح عامة ، في رجب وفي غير رجب. و (العتائر) الذبائح التي كانوا يذبحونها عند أصنامهم وأنصابهم في رجب وفي غير رجب ، والتي كانوا يلطخون بدمائها الصنم الذي كانوا يعترون له . وأما (الرجبية) فهي العتائر التي تعتز في رجب خاصة ، وقد كانت كثيرة . ولذلك نسبت الى هذا الشهر . ونظراً الى كون الرجبية عتيرة ، ذهب البعض الى أن العتيرة الرجبية^١ . فظن أنهم قصدوا بذلك أن العتيرة هي الرجبية ، مع أن الرجبية من العتائر ، أي بعض من كل ، وليست مساوية لها .

وقد كان بعض أهل الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به لينبحن من غنمه في رجب كذا وكذا ، أو أن يقول : إن بلغت لبلي مائة عترة عنها عتيرة ، فإذا ظفر به ، أو بلغت مائة ، فربما ضاقت نفسه عن ذلك ، وضم بغنمه ، فصاد ظبياً فذبحه ، أو يأخذ عددها ظباءً ، فيذبحها مكان تلك الغنم ، وهي (الربيض) . ولما ذلك أشير في شعر للحارث بن حلزة البشكري :

عتناً باطلاً وظلماً ، كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء^٢

فذلك نوع من أنواع التحايل للتخلص من الوفاء بالنذور .

وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم^٣ ، وإنما يأكل لحومها غيرهم . كما كانوا يضرجون البيت بدماء البدن^٤ ، ويضرجون أصنامهم بها . وورد في رواية

١ اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) ، الاصنام (٣٢) ، (مطبعة دار الكتب المصرية ،

١٩٢٤ م) ، تاج العروس (٣٨٠/٣) ، (عتر) ، المخصص (٩٨ وما بعدها) .

٢ « عتنا » اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) ، « عتنا » ، تاج العروس (٣٨٠/٣) ،

(عتر) ، البيت رقم (٥١) من المعلقة ، شرح القصائد العشر ، للشبريزي (ص ٤٦٣ وما بعدها) .

٣ تفسير القرطبي (٦٤/١٢) .

٤ تفسير القرطبي (٦٥/١٢) .

أخرى ، أنهم ينحرون هديهم عند الأصنام ، فإذا نحروا هدياً قسموه فيمن حضرهم^١ .

ومن ذبائح أهل الجاهلية (الشريطة) . كانوا يقطعون بسيراً من حلق الشاة ويتركونها حتى تموت ويجعلونه ذكاة لها . وقد نهى عن ذلك في الاسلام . وقيل ذبيحة الشريطة ، هي أنهم كانوا يشرطونها من العلة ، فإذا ماتت قالوا قد ذبحناها^٢ .

ومما يلاحظ في تقديم الذبائح ، ان الناذر يراعي الجنس في اختيار الذبيحة ، فإذا كان مقرب القربان ذكراً ، اختار قربانه حيواناً ذكراً ، وان كان المقرب أنثى ، اختيرت الذبيحة أنثى . ولا زال الناس يراعون ذلك حتى اليوم . ونجد هذه العادة عند غير العرب أيضاً ، فقد كان أهل العراق يقدمون كتف حيوان ، في مقابل شفاء كتف انسان ، ورأس ذبيحة في مقابل رأس ناذر ، وهكذا . وكانوا يجعلون الرأس رمزاً أحياناً ، فيندرون تقديم رأس المريض أو الصبي الى الإله ، إن من عليه بالعافية وبالصحة . ويقصدون بذلك بدلاً ، رأس حيوان أو رمزاً يرمز اليه من ذهب أو فضة^٣ .

البحيرة والسائبة والوصيلة والحام :

ومن النذور والقرايين ما يكون حيوانات حية ، تسمى كلها او بعضها باسم الأرباب ، فتحبس عليها ، وتكون حرة طليقة لا يجوز مسها بسوء . وقد أشير في القرآن الكريم الى (البحيرة) ، و (السائبة) ، و (الوصيلة) ، و (الحام)^٤ ، وللعلماء في هذه المصطلحات كلام ، مهما تضارب واختلف ، فإنه يوصلنا الى نتيجة هي ان الجاهليين كانوا يراعون هذه الأمور مراعاة شديدة ، ولهم فيها قواعد وأحكام ترجع الى تقاليد موروثة قديمة ، حافظوا عليها ، وظلوا يحافظون عليها الى ان منعها الاسلام .

١ ابن هشام (٦٥/١) ، هامش على الروض الانف .
٢ تاج العروس (١٦٧/٥) ، (شرط) .
٣ Ancien Israel, p. 434.
٤ المائدة ، الآية ١٠٣ .

فأما البهيرة ، فالناقة أو الشاة تترك فلا ينتفع من لبنها ولا تحمل ولا تتركب ، وترعى وترد الماء فلا ترد ، فإذا ماتت حرموا لحمها على النساء وأباحوه على الرجال ، ذلك بعد ان تنتج خمسة أبطن أو عشرة أو ما بين ذلك^١ . وقيل أيضاً الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء جميعاً ، وان كانت أنثى شقوا أذنها ، فتلك البهيرة ، فلا يجوز وبرها ولا يحمل عليها ، ويحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئاً وان ينتفعن بها ، وكان منافعها للرجال دون النساء^٢ . وقيل الشاة التي تشق أذنها، وذلك شيء كان لأهل الجاهلية . تشق أذنها أو أذن الناقة بنصفين ، وقيل بنصفين طولاً ، ليكون التبشير علامة لها^٣ .

وقيل : البهيرة هي التي يمنع درّها للطواغيت ، فلا يحتلبها أحد من الناس^٤ . قيل لها البهيرة ، لأنهم بحروا أذنها ، أي شقوها ، وكان البحر علامة التخيلة . وقال بعض العلماء : البهيرة هي ابنة السائبة^٥ . وقال بعض آخر : البهيرة من الإبل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلا على الرجال ، فأولدت من ذكر وأنثى ، فهو على هيئتها ، وان ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها^٦ . وورد أن البهيرة من الإبل ، كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نحروا الخامس ان كان سقياً ، وان كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهي بكرة . وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه ، وهو خالص لرجالهم ، فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتاً فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه^٧ . والمرار من (السقب) الذكر من ولد الناقة^٨ .

وورد في الأخبار أن أول من بحر البحائر رجل من (بني مدليج) ، كانت له ناقتان فجذع أذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما ، وقال هاتان لله ، ثم احتاج

-
- ١ تاج العروس (٢٨/٣) ، (بحر) ، اللسان (١٠٦/٥) .
 - ٢ مجمع البيان ، للطبرسي (٢٥١/٢) ، شمس العلوم (ح ١٠ ، ق ١ ، ص ١٣٣) ، المفردات (٢٦) .
 - ٣ الاشتقاق (١١٨) ، اللسان (١٦/٤) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٥٩/٧) ، القرطبي ، الجامع (٣٣٥/٦) .
 - ٥ القرطبي (٣٦٣/٦) .
 - ٦ تفسير الطبري (٥٨/٧) .
 - ٧ تفسير الطبري (٥٩/٧) وما بعدها .
 - ٨ اللسان (٤٦٨/١) ، (شعب) .

اليها ، فشرب ألبانها وركب ظهورهما^١ . كما نسب التبجير الى (عمرو بن لحي) ،
لإذ قيل إنه كان أول من بحر البحيرة وسيب السائبة^٢ .

وأما السائبة ، فهي الناقة أو البعير أو الدابة تترك لنذر ، أو بعد بلوغ نتائجها
حداً معلوماً ، فلا تترك ولا يحمل عليها ولا تمنع من ماء وكلاً ، وتترك سائبة
لا يحل لأحد كائناً من كان مخالفة ذلك^٣ . « وكان الرجل في الجاهلية إذا قدم
من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب ، قال
ناقتي سائبة ، أي تسيب ، فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن مساء ، ولا تمنع
من كلاً ، ولا تترك ، وقيل : بل كان ينزع من ظهرها فقارة ، أو عظماً ،
فتعرف بذلك . فأغبر على رجل من العرب ، فلم يجد دابة يركبها ، فركب سائبة ،
فقيل : أتركب حراماً ؟ فقال : يركب الحرام من لا حلال له ، فذهبت مثلاً^٤ .
و « قيل : هي أم البحيرة ، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن ، كلهن أناث :
سييت فلم تترك ، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت . فلإذا
ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبحرت اذن بنتها الأخيرة ، فتسمى البحيرة ،
وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة^٥ . وقيل السائبة : كان الرجل من أهل الجاهلية
يسيب من ماله من الأنعام ، فلا يمنع حوضاً أن يشرع فيه ، ولا مرعى أن
يرتع فيه ، فيحمل في الحمى ، فلا ينتفع بظهره ، ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره
ولا بصوفه ، فهو بخلا لا قيد عليه ، ولا راعي له . وكان في روعهم أن
من تعرض للسوائب أصابته عقوبة في الدنيا^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أن أول من سيب السوائب (عمرو بن عامر الخزاعي) ،
أي (عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف) ، أخا بني كعب ، وهو أول من
غير دين إبراهيم . وقد رجعوا خبرهم هذا الى رسول الله^٧ . وقيل أن أول من

-
- ١ تفسير الطبري (٥٦/٧) .
 - ٢ اللسان (١٦/٤) وما بعدها ، ابن هشام (٧٨/١) ، (البابي) .
 - ٣ الكشف (٣٦٨/١) ، الطبرسي (٢٥١/٢) وما بعدها ، تاج العروس (٣٠٥/١) .
 - ٤ الاشتقاق (٧٦ وما بعدها) .
 - ٥ اللسان (٤٧٨/١) .
 - ٦ تفسير الطبري (٥٩/٧) وما بعدها ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٦) .
 - ٧ تفسير الطبري (٥٦/٧) وما بعدها ، القرطبي ، الجامع (٣٣٧/٦) وما بعدها .

ابتدع ذلك (جنادة بن عوف)^١ ، وهو من النساء ، كما سيأتي الكلام عنه فيما بعد .

وأما الوصيلة . فالناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ، أو الشاة التي وصلت سبعة أبطن . وفي رواية : ان الشاة اذا ولدت ستة أبطن نظروا ، فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال والنساء ، وان كان أنثى تركت في الغنم ، وان كان ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، ولم يذبح ، وكان لحمه حراماً على النساء . وفي رواية : ان لبن أم الوصيلة حلال على الرجال دون النساء^٢ . وقالوا : الوصيلة الشاة اذا أنامت عشر اناث متتابعات في خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث ، إلا ان يموت شيء منها فيشترك في أكله ذكورهم واناثهم^٣ .

وأما الحام ، فالبعير اذا نتج عشرة أبطن من صلبه ، قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى^٤ . وقالوا : الحام من الإبل ، كان الفحل اذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش الطواويس وسيبوه^٥ . وقالوا بل الحام ان الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره ولم يركب ولم يجز وبره ويخلى في إبله يضرب فيها لا ينتفع به بغير ذلك . وذكر ان الحام ، الفحل يضرب في الإبل عشر سنين ، ويقال : اذا ضرب ولد ولده قيل قد حمى ظهره ، فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبداً ولا يمنع من كلاً يريده ، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها^٦ .

وذكروا ان أول من حمى الحامي هو (عمرو بن لحي) ، وذلك في سنن أخرى سنها لأهل الجاهلية^٧ .

وقد أشير في سورة (الأنعام) الى أشياء كان يفعلها أهل الجاهلية ، يتقربون بها الى آلهتهم ، كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ويعزلون من حرثهم

-
- ١ القرطبي ، الجامع (٣٣٧/٦) .
 - ٢ تاج العروس (١٥٥/٨) ، الكشف (٣٦٨/١) .
 - ٣ القرطبي ، الجامع (٣٣٧/٦) .
 - ٤ الكشف (٣٦٨/١) ، تاج العروس (١٠٠/١٠) ، اللسان (٢٢٠/١٨) .
 - ٥ القرطبي ، الجامع (٣٣٦/٦) .
 - ٦ تفسير الطبري (٥٧/٧) وما بعدها .
 - ٧ تفسير الطبري (٥٦/٧) وما بعدها .

شيئاً معلوماً لأهلهم ويقولون لا يحلّ لنا ما سمينا لأهلنا^١ . فورد : « وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً . فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم . ساء ما يحكمون » وورد : « وقالوا هذه أنعام وحرث ، حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء . سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم »^٢ .

وذكر المفسرون أن من المشركين من حرم ظهور بعض أنعامهم ، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برسلها ونتائجها وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب . وحرّموا من أنعامهم أنعاماً أضر فلا يحجون عليها . وقد ذكروا أن المراد بذلك : البحيرة والسائبة والحام . وأنهم كانوا قد جعلوا ألبان البحائر للذكور دون الإناث . وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم . وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى ترك فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء^٣ . فالمراد بهذه الآيات ما ذكرته عن الأمور المتقدمة .

وقد كان بعض أصحاب النذور ينذر ، فإذا تم النذر وصار وبلغت ابلهم أو غنمهم ذلك العدد ، بخل بإبله أو شاته وضاعت نفسه عن الوفاء وضن بإبله وبغنمه فاستعمل التأويل ، وقال : إنما قلت إني أذبح كذا وكذا شاة ، والطبائ شاء ، كما إن الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيده من الطبائ فلذلك يقول الحارث بن حلزة الإشكري :

عنتاً باطلاً وظلماً كما تعتر عن حجرة الربيض الطبائ^٤

وكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا بلغ إبله ألفاً عار عين بعير منها ،

-
- ١ تفسير الطبري (٣٥/٨) .
 - ٢ الأنعام ، الآية ١٣٦ وما بعدها .
 - ٣ تفسير الطبري (٣٧/٨ وما بعد) .
 - ٤ الاصنام (١٣) ، شرح المعلقات للزوزني (ص ١٦٧) ، المعاني الكبير (١٠١٢/٢) .

وسرحه لا ينتفع به^١ . وكان من عادتهم اذا بلغ لبلهم المئة ، ترك ركوب ظهر
بعير منها ، فلا يركب ولا ينتفع به ، ويقولون لذلك : الأخلاق^٢ .

وكانوا يتصدقون بمائة من الإبل على الفقراء والمحتاجين والمعابد ، وما شاكل
ذلك . روي ان (حنيفة) النعم ، وهو من أثرياء الجاهلية ، لما شعر بدنو أجله ،
جمع بنيه ، ثم أوصى بمائة من إبله على يتيمة صدقة . وكانوا يسمونها (المطيبة)^٣ .
وقد عرف ما كان يحبس أهل الجاهلية على أصنامهم من السوائب والبحائر
والخوامي وغيرها بـ (الحبس) . وقد أطلق الاسلام ما حبسوا وحلل ما حزموا ،
وهو جمع حبس^٤ .

وكانت لهم مكرمات ، فعلوها في الجاهلية عن خلق ودين ورغبة في شهرة
وسمعة. منها انهم كانوا يتصدقون بأموالهم على أبناء السبيل وعلى الفقراء والمحتاجين.
ذكر ان (الأسود بن ربيعة بن أبي الأسود) الشكري ، قال لرسول الله :
« يا رسول الله إن أبي كان تصدق بماله على ابن السبيل في الجاهلية ،
فإن تكن لي مكرمة تركتها ، وإن لا تكن لي مكرمة ، فأنا أحق بها . فقال :
بل هي لك مكرمة فتقبلها » . وذكر ان رسول الله قال : « ألا ان كل مكرمة
كانت في الجاهلية ، فقد جعلتها تحت قدمي ، إلا السقاية والسدانة »^٥ . وهذه
المكرمات هي من مآثر العرب في الجاهلية ، مكارمها وتفانها التي تؤثر عنها^٦ .
وتحريم أكل لحوم الحيوانات في مثل هذه الحالات على النساء وتخصيصه بالرجال ،
وجوازه في حالات أخرى ، ثم تحريم الانتفاع من لبنها على النساء في بعض الحالات
وعلى الرجال والنساء في حالات أخرى إلا الضيوف وعلى جواز ركوبها : كل
هذه تشير الى أنها من شريعة قديمة . وقد رجع بعض العلماء ذلك الى الطوطمية ،
غير أن من العسير قبول هذا التفسير .

وقد كان الجزارون المجازون شرعاً يقومون بذبح الذبائح عند العبرانيين ، وهم

-
- ١ تاج العروس (٩٧/١) ، (فقاً) ، (٤٢٨/٣) ، (عور) .
 - ٢ Reste, S. 114.
 - ٣ الاستيعاب (٣٩٥/١) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ تاج العروس (١٢٥/٤) ، (حبس) .
 - ٥ الاصابة (٥٩/١) ، (رقم ١٥٨) .
 - ٦ تاج العروس (٥/٣) ، (أثر) .

الذين يقررون صلاح الذبيحة أو عدم موافقتها لأحكام الشرع . أما عند الجاهليين فلا نعرف شيئاً عما كان يقوم بذبح الضحايا التي تقدم الى الأصنام ، كما أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الشروط التي كانوا يشترطونها في الذبيحة ليكون لحمها صالحاً للأكل .

والطيب والبخور من أهم المواد التي كان يتقرب الجاهليون الى آلهتهم بإهدائها الى المعابد . ولم تكن هذه عادة خاصة بالجاهليين وحدهم ، بل هي عادة معروفة في جميع الأديان ، ولا تزال باقية مستعملة . يحرق البخور في المباخر والمجامر ، لتنبعث روائحه الزكية في أنباء المعبد . أما الخلق وأنواع الطيب ، فتلطخ بها الأصنام وجدران المعبد ، وطالما تقدم المؤمنون الى آلهتهم بمبخرة ليحرق البخور فيها . ومن بين نصوص المسند ، نص كتبه مؤمن اسمه (عبد أصدق) وأبناؤه الى الإله (ود) ، ذكروا فيه أنهم قدموا اليه مبخرة تعويضاً عن المبخرة التي سرقها اللصوص من معبده^١. وقد عثر في اليمن على مباخر كبيرة نحتت من الصخر، أهديت الى المعابد ، ليحرق فيها البخور^٢ .

وبين ما قدم الى الآلهة ، الملابس والأقشة وأنواع الأطعمة ، حتى اللبن قدم الى الصنم (ود) على رواية الأخباريين .

ووردت لفظة (الهدى) في القرآن الكريم^٣ . ويراد بها ما أهدي الى مكة من النعم وغيره من مال أو متاع . والعرب تسمي الإبل هدياً ، لأنها تهدي الى البيت لتنحر ، فأطلقت على جميع الإبل، وإن لم تكن هدياً تسمية للشيء ببعضه^٤ . وذكر ان الهدى ما أهدي الى بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة أو ثياب وكل ما يهدي . فهو عام في جميع ما يتقرب به من الذبائح والصدقات . إلا ان الإطلاق انما ينصرف الى أحد الأصناف الثلاثة من الإبل والبقرة والغنم ، وسوقها الى الحرم وذبحها فيه^٥ . وقد ذكر (الهدى) في شعر لزهير بن أبي سلمى :

فلم أر معشراً أسروا هدياً ولم أر جار بيت يستباء

١ Glaser 324, Handbuch, I, S. 216.

٢ Ency. Religi. I, p. 352.

٣ البقرة ، الآية ١٩٦ ، المائدة ، الآية ٢ ، ٩٧ ، الفتح ، الآية ٢٥ ، تفسير الطبري (٣٧/٦) .

٤ اللسان (٣٥٨/١٥) وما بعدها .

٥ القرطبي ، الجامع (٣٩/٦) .

يذكر رجلاً أسر يشبهه في حرمة بالبدنة التي تهدي^١ .
وعرف الهدي المقلد بقلائد ، تشعر انه مما أهدي الى بيت الله ب (القلائد) .
فلا يجوز لأحد ان يتحرش به ، أو ان يفك قلائده ، لأن ذلك تجاوز على مال
الله ، وهو مال معلم عليه معروف بقلادته انه من الهدي المخصص بالبيت . فإذا
فكت قلادته سرق وحسب من أموال الناس الخاصة^٢ . والظاهر ان من الجاهليين
من كان يتناول على أموال البيت ، فيستولي على الهدي ، ويفك القلائد ، ويسطو
بذلك على الإبل المقلدة والبقر المقلد ، وذلك كما يظهر من الآية : « لا تحلوا
شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد »^٣ . ومنهم من كان يسطو
على الهدي قبل وصوله موضعه من البيت .
وكانوا يهدون الإبل والبقر الى بيوت أصنامهم . وقيل للناقة أو البقرة أو البعير
تهدي الى مكة (البدنة) . وقد أشير الى البدن في القرآن ، فورد : « والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله »^٤ . تهدي الى بيت الله فلا تتركب^٥ . وذكر ان
البدن السمان من الإبل والبقر^٦ . ويظهر من غرلة ما ورد في روايات علماء التفسير
عن البدن ، انها الهدايا التي تقدم الى الكعبة ، تحبس فتبقى حية ، لا يجوز لأحد
التناول عليها ، وكانوا ينحرونها أيضاً . والإبل تنحر قياماً معقولة . فكانوا اذا
أرادوا نحر البعير ، عقلوا احدى يديه ، فيقوم على ثلاث قوائم^٧ . ولم يكونوا يركبون
البدن إلا عن ضرورة^٨ . فالبدن إذن ما يهدي الى مكة ، ليحبس على اسمها ،
أو ليذبح تقرباً الى رب البيت .

حجى الآلهة :

ولحماية الحبوس من أرض ومن حيوان ، شددت شرائع الجاهليين في وجوب

-
- ١ تفسير الطبري (١٢٨/٢) .
 - ٢ تفسير الطبري (٣٧/٦) .
 - ٣ المائدة ، الرقم ٥ ، الآية ٢ .
 - ٤ الحج ، الآية ٣٦ ، تفسير الطبري (١١٧/١٧) .
 - ٥ اللسان (٤٨/١٣) وما بعدها (، بدن) .
 - ٦ تفسير الطبري (١١٧/١٧) ، القرطبي ، الجامع (٦٠/١٢) .
 - ٧ القرطبي ، الجامع (٦٠/١٢) ، تفسير الطبري (١١٧/١٧) وما بعدها .
 - ٨ اللسان (٤٨/١٣) وما بعدها (، بدن) .

المحافظة على حرمتها وعدم الاعتداء عليها . وهددت من يتجاسر على مال الأرباب بعقوبة تنزل عليه منها وبغضب الآلهة عليه ، وبمصير سيء يلحق به ، فضلاً عن العقوبة التي تنزلها المعابد به ، قد تصل حد القتل . فصار من المحظور اعتضاد نبات الحرم وصيد الحيوان فيه ، ومن يفعل ذلك يكون آثماً ، وقد يعرض نفسه لغضب الناس عليه . فصار الحرم مرتعاً آمناً للطيور ، ولا زال الناس لا يتحرشون بطيور المعابد ولا يمسونها بأي سوء ، بل يقدمون لها ما تحبه من المأكول ، لتعيش عليه .

وجعلت المعابد لحيواناتها ولللهدي وللقلائد مواضع خاصة ، اختارتها لترعى فيها جعلت (حمى) للأرباب . لا يجوز لأحد رعي سوائمه بها ولا التناول على دواب تلك الأهمية ، لأنها مما حبس للأصنام . وتكون هذه المواضع مخصصة معشبة ذات حياة ، وقد تزرع . وتكون غلتها للمعبد .

الفصل الثامن والستون

رجال الدين

أقصد برجال الدين ، أولئك الذين خدّموا الأصنام ، أو زعموا أنهم ألسنة الأرباب الناطقة على سطح الأرض ، والذين كانوا يوجهون الناس توجيهاً روحياً دينياً ، ويرعون حرمة المعابد والأماكن المقدسة وشعائر الدين ويحافظون عليها ، ويضعون قواعدها للناس .

ومعارفنا عن هذا الموضوع قليلة ضئيلة ، لعدم وجود نصوص جاهلية تتحدث عن ذلك ، ولعدم ورود شيء مهم عنه في روايات أهل الأخبار . وليس لنا من أمل في زيادة علمنا بهذه الناحية ، إلا في المستقبل ، فلعله يكشف عن نصوص جاهلية جديدة ، قد يرد فيها شيء جديد عن رجال الدين عند الجاهليين ، أو في موارد أخرى عربية أو غير عربية قديمة ، قد تكون مخبئة مطمورة ، يأمر الزمن باخراجها ، ليقف عليها الباحث عن هذا الموضوع .

ومن الألفاظ الخاصة برجال الدين ، لفظة (رشو) ، الواردة في النصوص المعينية والقتبانية ، أطلقت على من كان يقوم بخدمة الإله (ود) إله معين الرئيس و (عم) إله شعب قتيان الرئيس^١ . فهي في معنى سادن في لغة أهل الحجاز . ووردت لفظة (شوع) في المعينية أيضاً في المعنى نفسه . و (رشوت) (رشوة)

Handbuch, I, S. 131, 218, Katab. Texte, II, S. 80.

بمعنى سادنة وكاهنة ، مما يدل على وجود سادنات وكاهنات بين رجال الدين الجاهليين^١ .

ووردت في المعينة وفي اللحيانية لفظة (افكل) (أفكل) بمعنى (رشو) وسادن ، أي القائم بأمر الصنم ، والسادن له . فورد : (افكل ود) ، أي سادن ود^٢ . وتقابل هذه اللفظة لفظة (ابكلو) Apkalu في الأكادية^٣ . وعرفت السادنة والكاهنة بـ (افكلت) (أفكلت)^٤ .

والسدنة ، قومة الأصنام.ومتولو أمرها . وكان أمر فتح البيت بمكة وغلقه وتولي أمره الى السادن . وهو من (بني عبد الدار) ، وقد أقر الرسول السدانة فيهم عام الفتح^٥ . ويعرف السادن بـ (الحاجب) كذلك . فالسدانة والحجابة هما بمعنى واحد^٦ . غير ان الحجابة تخصصت بحجابة الملوك والحكام ، فصارت وظيفة ادارية ذات مدلول خاص . فالحاجب هو الذي يتولى تقديم الناس الى الملوك أو منعهم من الوصول اليهم ، وذلك في الجاهلية وفي الاسلام. أما السدانة ، فإنها ظلت محافظة على معناها هذا الخاص بالمعابد والمواضع المقدسة. ولهذه المنزلة ولصلتها بالآلهة وبالأصنام عدت السدانة من درجات الشرف والجاه ، وكانت لأصحابها حرمة ومكانة في النفوس .

والسدانة ، تنتقل بالارث من الآباء الى أكابر الأبناء وتنحصر في الأسرة فتكون من حقها ومن نصيبها ، لا يمكن انتزاعها منها إلا بقوة لا يمكن التغلب عليها . ومن واجب العشيرة التي تنتمي هذه الأسرة اليها الدفاع عنها إن حاول غريب انتزاع هذا الشرف منها . لقد كانت سدانة الكعبة في (بني عبد الدار) ، وكانت حجابة (ود) في (دومة) الجنديل الى (بني عامر الأجدار) ، (بنو الفرافصة بن الأحوص) من كلب^٧ . وكانت سدنة العزى (من بني

Arablen, S. 249.

Grahmann, S. 87, Jaussen — Savignac, II, 380.

Grohmann, S. 249.

W. Caskel, S. 132. وكتاب ٩ ، ١٢ ، ٢١ ، ١٠٤ ،

راجع النصوص رقم ٩ ، ١٢ ، ٢١ ، ١٠٤ ، وكتاب ٩ ، ١٢ ، ٢١ ، ١٠٤ ،

تاج العروس (٢٣٣/٩) ، (سدن) .

Reste, S. 130.

Reste, S. 130. . المحبر (٣١٦) .

صرمة بن مرة) ، وكان سدنة (جهار) من (آل عوف) من (بني نصر)^١ ، وكان سدنة (سواع) (بنو صاهلة) ، من هذيل^٢ . وكان سدنة بيت (الربة) أي الشمس ، من (بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم) ، وكان سدنة (الفللس) ، (بنو بولان) ، وكان سدنة (مناة) (الغطاريف) من الأزد . وسدنة (السعيدة) (بنو العجلان) ، وسدنة (ذو الخلصة) ، (بنو هلال بن عامر) ، وكان سدنة (ذو اللبا) ، (بنو عامر) ، وسدنة (المحرق) ، (آل الأسود) العجليون . وسدنة (مرحب) (ذو مرحب) ، أي من يتولى أمر الصنم^٣ .

وكان (مسعود) الثقفى ، زوج (سبيعة) ، وقائد ثقيف في الفجار ، من سدنة اللات^٤ . وهو من سادات ثقيف . ومن أبنائه (عروة بن مسعود) ، وأمه (سبيعة) بنت (عبد شمس) . وذكر انه الذي ذكر الله عز وجل في التنزيل من القريتين عظيم . وأحد أربعة اتصل سؤددهم في الجاهلية والإسلام^٥ .

وكان لهذه الأسر التي تولت السدانة ، مكانة كبيرة في قومها ، فعدت من الأسر الشريفة ذات النفوذ عند الجاهليين . وقد استفادت من النذور والقرايين التي تقدم الى بيوت الأصنام ، إذ تكون من حقها ونصيبها . وقد ظهر من (بني مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم) ، حكام حكموا بعكاظ^٦ . والحكومة من امارات الشرف والجاه والتقدير ، كما ظهر منها أئمة تولوا الإجازة بالمواسم ، وهي من علائم التعظيم والتفخيم عندهم .

غير ان هذا الحق لا يستوجب ولا يشترط أن تكون السدانة في أسرة من القبيلة أو الموضع الذي فيه بيت الصنم أو الأصنام ، فقد كان كثير من سدنة الأصنام من قبيلة لا تنتمي اليها من يقع بيت الصنم في أرضها . فكانت السدانة مثلاً لبني أنعم في جرش ، ولبني الغطاريف في قديد ، ولبني شيان في نخلة ،

١ المحبر (٣١٥) .

٢ المحبر (٣١٦) .

٣ المحبر (٣١٦ وما بعدها) .

٤ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٧ وما بعدها) .

٥ الاشتقاق (١٨٦/٢) .

٦ المحبر (١٣٤) .

ولآل أمانة في تبالة وهكذا^١. ويظهر ان هؤلاء توارثوا هذا الحق من عهد سابق، إما لأنهم استوردوا الصنم أو تلك الأصنام الى هذه المواضع فأقاموا فيها ، وإما لأنهم كانوا يسكنون مع قبيلتهم في تلك الأماكن ، ثم حدث لسبب من الأسباب أن جلت قبيلتهم عن الموضع . أما السدنة ، ففضلوا البقاء في الموضع الذي كانوا فيه حيث أصنامهم والبيت . ونجد مثل ذلك أيضاً عند العبرانيين^٢ .

ويظهر من تفسير لفظة (صوفة) و (صوفان) ، على رأي بعض العلماء ، أن هذه الكلمة كانت تقال لكل من ولي البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة البيت أو بشيء من أمر المناسك^٣ . ومعنى هذا أن خدمة البيت : بيت مكة أو غيره ، لم تكن خاصة بأهل الموضع الذي يكون فيه هذا البيت ، بل كان من الجائز أن يتولاها أناس من أهل ذلك الموضع ، وأناس من غيرهم أيضاً كأن يقيم أشخاص في ذلك المكان ، فتطول إقامتهم به ، وتظهر منهم زعامة أو من أولادهم ، تؤدي بهم الى الاستحواذ على رئاسة البيت ورئاسة ذلك المكان ، كالذي كان من أمر (قصي) مثلاً .

ولا بد من ادخال (النساء) ، في رجال الدين . فقد كان الناسي ، هو الذي ينسيء النسيء، يعين موسم الحج ويثبت للناس . فهو اذن فقيه القوم وعالمهم ومفتيهم في أمر الحج^٤ .

وقد كان من أهم واجبات (النساء) ، تثبيت وتعيين الأشهر . فقد كانت لدى الجاهليين أشهر حرم ، لها حرمة ومنزلة خاصة في نفوسهم ، لما كان لها من علاقة بأهنتهم وبتعبدهم لها ، وبالحج فيها الى معابد الآلهة . مثل شهر (ذالالت) (ورخن ذالالت) ، وهو شهر خصص بالآلهة ، كما يظهر من تسميته بها . يظهر أنه كان شهر تقرب وعبادة للأرباب ، ومثل شهر (ذعم) ، (ذو عم) ، و (عم) هو إله قتيان الرتيس، فيظهر أنه شهر مقدس خصص بعبادة هذا الإله ، أو أن يوماً أو عيداً خاصاً به ، كان يقع فيه ، فدعي لذلك باسمه . ومثل شهر (ذحجن) ، أي شهر (ذو الحجة) ، وهو شهر خصص

Reste, S. 130.

RESTE, S. 31.

الروض الانف (١٥/١) .

المحبر (١٥٦ وما بعدها) ، المعاني الكبير (١١٧١/٣) .

بالحج . ومثل الأشهر الأربعة الحرم التي تتحدث عنها الموارد الإسلامية .
 والإجازة بعرفة من الأعمال التي لها تماس بالدين ، فهي من شعائر الحج ومناسكه .
 ولا بد وان نعدّ (المجيز) ، وهو الذي يجيز الناس من المزدلفة الى منى من رجال الدين . ومن كانت له منزلة وحرمة في قومه ، لما لمركزه من أهمية في الحج .
 وقد أشار (السكري) الى (أئمة العرب) ، فذكر انهم الذين تولوا أمر المواسم ، وأمر القضاء بعكاظ ، والذين كانوا سدنتهم على دينهم وأمنائهم على قبلتهم ، وكانوا من قريش ، والذين تولوا الإفتاء في دينهم . وهم من (بني مالك بن كنانة)^١ . ولما تحدث عن (النساء) ، قال : « نساء الشهور من كنانة وهم القلامسة ، واحدهم قلمّس ؛ وكانوا فقهاء العرب والمفتين لهم في دينهم »^٢ . والفقيه العالم (وفقه العرب عالمهم)^٣ . والفقه العلم ، (وقد جعلته العرب خاصاً بعلم الشريعة) . وفقهه تفتيها علمه . (ومنه الحديث : اللهم علمه الدين وفقهه في التأويل ، أي علمه تأويله)^٤ .

وفي القرآن الكريم : « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين »^٥ .
 والفقه العلم بالشيء والفهم له والفطنة^٦ . وقد خصصت اللفظه بعلم الفقه في الاسلام .
 بما يدل على أن لها صلة منذ أيام الجاهلية بالعلم وبالدين . وأن (الفقهاء) ، العلماء بأمور الدين عند الجاهليين كذلك . وفيه ألفاظ يستدل منها على وجود مفهوم العلم والعلماء والتعلم والدين وفهمه والشريعة والأحكام عند الجاهليين ، ولا تكون هذه عند قوم ليس لهم علماء ورجال دين يعلمون من هم دونهم أحكام الدين ، ليتفقهوا فيه ، وليتعلموا ما هو واجب عليهم وما هو غير واجب ومفروض عليهم .

والإفتاء الإجابة عن مسألة . « ومنه قوله تعالى : قل : الله يفتيكم في الكلالة »
 و (الفتيا) و (الفتوى) ما أفتى به الفقيه في مسألة^٧ . وقد استفتى أصحاب

-
- ١ المحبر (١٨١ وما بعدها) .
 - ٢ المحبر (١٥٦) .
 - ٣ تاج العروس (٤٠٢/٩) ، (فقه) .
 - ٤ تاج العروس (٤٠٢/٩) ، (فقه) .
 - ٥ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ١٢٢ ، تفسير الطبري (٤٨/١١) ، روح المعاني (٤٣/١١) .
 - ٦ تاج العروس (٤٠٢/٩) ، (فقه) .
 - ٧ تاج العروس (٢٧٥/١٠) ، (فتى) .

رسول الله الرسول في أمر النساء وإرثهن فترل الوحي : « ويستفتونك في النساء . قل : الله يفتيكم فيهن »^١ . فقد كان أهل الجاهلية يستفتون فقهاءهم وأهل الفتيا منهم فيما يشكل عليهم من أمور الدين ، فيفتون لهم ما يرونه من رأي واجتهاد . فنحن ، اذن أمام فقه في الدين واجتهاد فيه عند أهل الجاهلية .

والإمام ما اتم به قوم من رئيس أو غيره ، كانوا على دين أو كانوا مشركين . فهو الذي يقتدى به^٢ . وقد وردت الكلمة في سبعة مواضع من القرآن الكريم في حالة الأفراد ، ووردت خمس مرات في حالة الجمع ، أي (أئمة) ، أطلقت على أئمة الكفر وعلى الغواة كما أطلقت فيه على المؤمنين الهادين الى الحق . وأئمة الكفر في قوله تعالى : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وهم الذين كانوا يؤذون الرسول ، وهموا بإخراجه وعادوه^٣ . فالإمام إمام دين وإمام دنيا : رجل دين يقتدى به ، ورئيس قبيلة وشريف قوم وسيدهم . ونظراً لقلة استعمال اللفظة في الرئاسة الدينية ولاستعمالها في معنى الرئاسة الدينية في الغالب ، ولا سيما في الاسلام حيث خصصت برئاسة دينية ، من إمامة للمسلمين ، وإمامة في الفقه ، وإمامة في الصلاة ، ولعدم اطلاق الجاهليين لها على سادات القبيلة أو سادة القوم ، إلا في القليل . فإن في استطاعتنا القول انها كانت عندهم في معنى الرئاسة الدينية كما هو الحال في الاسلام .

ونجد في أخبار أهل الأخبار ما يفيد بوجود رجال دين كان لهم رأي في الخلق وفي الخالق وفي الحياة ، منهم من بشر برأيه وحاول نشره : ومنهم من تبطل واعتكف وقنع بإيمانه برأيه وبصحة عقيدته . حتى ان منهم من كان قد تبطل وتنسك وسلك طريق الزهاد في اجتناب الطيبات ولذات الحياة ، ومن ذلك أكل اللحم . فقد عرف (عبدالله بن عبد الملك بن عبدالله)^٤ الغفاري ، بـ (أبي اللحم) (آبى اللحم) ، لأنه كان يأبى أن يأكل اللحم . وكان شريفاً شاعراً ، ينزل (الصفراء) ، وشهد (حنيئاً) وقتل بها^٥ .

-
- ١ النساء ، الآية ١٢٧ ، تفسير الطبري (١٩١/٥) ، روح المعاني (١٤٣/٥) .
 - ٢ تاج العروس (١٩٣/٨) ، (أمم) .
 - ٣ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ١٢ ، تفسير الطبري (٦٢/١٠) .
 - ٤ ذكر « ابن الكلبي » أن اسمه « خلف بن عبد الملك » ، وقيل اسمه الحويرث .
 - ٥ الاصابة (٢٣/١) ، (رقم ١) .

وعرف (عثمان بن مظعون) بتبتهله ، حتى انه ابتعد عن زوجته ، فلم يقربها ، وكاد ان يختصى ، حتى نهاه عن ذلك رسول الله . وكان على هذا الرأي في جاهليته من شدة التمسك بالزهد عن الدنيا والابتعاد عن ملذاتها، وقد كان نصرانياً متأثراً بالرهبانية ، أخذ آراءه هذه من زهاد النصارى ، الذين غلب التصوف عليهم ، وابتعدوا عن الدنيا ، ورأوا ان الخلاص من الخطيئة والإثم، هو بالتقشف وبالابتعاد عن كل حلو محبوب في هذه الدنيا ^١ .

وقد عرفت الجاهلية رجلاً آخرين كانوا مثل عثمان بن مظعون والرهبان في التأمل والتفكير والابتعاد عن الناس . وهي رهبانية حاربها الاسلام ، إذ نهى عن الرهبنة . رأى (عمر) رجلاً مطأطئاً رأسه ، فقال : ارفع رأسك ، فإن الاسلام ليس بمريض . ورأى رجلاً متهاوئاً ، فقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله . ونظرت عائشة الى رجل كاد يموت تخافتاً ، فقالت : ما لهذا ؟ قيل : انه من القراء ، فقالت : كان عمر سيد القراء ، وكان اذا مشى أسرع، واذا قال أسمع، واذا ضرب أوجع ^٢ . وذكر ان عشرة من الصحابة اجتمعوا في بيت (عثمان بن مظعون) ، واتفقوا على ان يصوموا النهار، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلون اللحم والودك ، ويلبسوا المسوح ، فسمع رسول الله بهم ، فنهاهم عن ذلك ^٣ .

و (الصارورة) والصرار الذين تبتلوا وتركوا النكاح . وهذا من فعل الرهبان . وهو معروف عند العرب . والصرورة الرجل في الجاهلية يحدث حدثاً فياجأ الى الكعبة ، فلا يهيج ، فكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم ، قيل له هو صرورة ولا تهجه ، تعظيماً للبيت واحتراماً له ^٤ .

ومثل (صرمة) المعروف بـ (أبي قيس) ، وكان ترهب في الجاهلية واغتسل من الجنابة ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك . وكان قوَّالاً بالحق لا يدخل بيتاً فيه جنب ولا حائض الى أن أدرك الإسلام ، فأسلم ^٥ . ويظهر من ذلك ،

-
- ١ ارشاد الساري (١٠/٨ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٩٤/٢) ، (موت) .
 - ٣ الطبرسي ، مجمع البيان (٢٣٦/٣) .
 - ٤ اللسان (٤٥٣/٤) ، (صرر) ، تاج العروس (٣٣١/٣) ، (صرر) .
 - ٥ الاصابة (١٧٦/٢) ، (رقم ٤٠٦١) .

أن الاغتسال من الجنابة والابتعاد عن الحائض من الشعائر التي راعاها المتدينون من أهل الجاهلية ، من الموحدين الذين تأثروا باليهودية ، لكنهم لم يدخلوا فيها ولا في النصرانية ، بل أمسكوا عن الديانتين ، ودعوا الى عبادة واحد أحد ، وماتوا على هذا الدين .

ومثل (وكيع بن سلمة) الإيادي ، صاحب الصرح بجزورة مكة ، فقد كان كاهناً ورجل دين ، وقالوا كان صديقاً من الصديقين . اتخذ صرحاً يصعد اليه بسلام ، فكان يدعي أنه يناجي ربه من ذلك الموضع^١ . وكان يعظ الناس وينصحهم بالدين بدينه وبالابتعاد عن عبادة الأوثان ، على شاكلة الأحناف . وهو في الواقع واحد منهم ، ويجب اعتباره أحدهم ، لأن ما ينسب اليه ينسب أيضاً الى الخنفاء . والصديق الكثير الصدق ، ومن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله . « قال الله تعالى وأذكر في الكتاب ابراهيم . انه كان صديقاً نبياً . وقال تعالى : وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أي مبالغة في الصدق والتصديق »^٢ . وهم من آمن بالله وصدق به وبشتر بعبادته بين الناس ، وكان باراً بنفسه وبغيره . وهي بمعنى (بار) في لغة بني لرم^٣ .

وقد نسب أهل الأخبار الى رجال من الجاهليين فتاوى وأحكام صارت سنناً في قومهم . من ذلك ما نسبوه الى (قصي) من أمور ، زعموا انها صارت سنة احتذت بها قريش ، وان بعضاً من أحكامه بقيت الى الاسلام ، فأقرها^٤ ، وما نسبوه الى (عامر بن الظرب) العدواني من حكم في (الخنثى) جرى حكم الاسلام به^٥ . وما ذكروه من افتاء (عامر بن جشم بن غنم) ، المعروف بـ (ذي المجاسد) في التورث على قاعدة : ان للذكر مثل حظ الانثيين ، وهو حكم حكم به الاسلام . ومن أمور أخرى ، يرد ذكرها في المواضع المناسبة من هذا الكتاب^٦ ، مما يدل على ان الحياة الدينية عند الجاهليين ، هي آراء وفتاوى ، أفتى بها رجال من أهل الدين والمروءة والعقل والعلم من أهل الجاهلية ، فأخذ بها قوم من

-
- ١ المحبر (١٣٦) .
 - ٢ تاج العروس (٤٠٥/٦) وما بعدها) ، (صدق) ، تفسير الطبري (٦٧/١٦) .
 - ٣ غرائب اللغة (١٩٢) .
 - ٤ المحبر (٢٣٦) .
 - ٥ المحبر (٢٣٦) .
 - ٦ المحبر (٢٣٦) وما بعدها) .

أتباعهم ، وساروا بموجبها . وبقي بعض منها الى الاسلام . غير ان تلك الفتاوى لم تكن عامة ، شملت كل العرب ، بل حتى كل قوم ذلك المفتي أو الإمام ، إذ لم تكن عند العرب سنة واحدة ملزمة ، لسبب انهم كانوا شيعياً وقبائلاً ، ولكراحتهم الخضوع للقيود العامة ، إلا كرهاً ، وذلك في الأمور التي لا بد لهم من الخضوع لحكمها لأنها من أصول الأعراف التي يقوم عليها وجودهم مثل عرف الأخذ بالثأر .

ومن الصعب تصور وجود طبقة خاصة كبيرة لرجال الدين على نحو ما كان عند المصريين مثلاً أو الآشوريين أو البابليين أو اليونان أو الرومان، أو في الكنيسة، بسبب النظام القبلي الذي كان غالباً على جزيرة العرب . وصغر المجتمعات الحضرية . فالأصنام هي أصنام محلية ، أصنام قبيلة ، لذلك كان عبدتها هم عبدة القبيلة أو القبائل المتعبدة لها . وفي محيط اجتماعي ضيق مثل هذا المحيط ، لا يمكن ظهور طبقة خاصة برجال الدين ذات نفوذ واسع ، إنما تكون قدرتها بقدرة المحيط الذي تعيش فيه . ولما كانت حياة البداوة حياة بسيطة غير معقدة ، تعذر علينا أن نتصور حياة دينية معقدة عند أبناء البادية . وكل ما يمكن وجوده عندهم ، هو ما كان له علاقة بمحيطهم وبمعيشتهم البسيطة ، مثل السدانة والكهانة وأمثال ذلك مما يحتاج اليه البدوي لحل مشكلات حياته ولجلب السعادة له .

ولم أجد في نصوص الجاهليين ولا في أخبار أهل الأخبار ، ما يفيد قيام رجال الدين من أهل الجاهلية ، بتلقين الناس أصول الدين وتعاليمه ، أو شرح نصوص دينية لهم . أو تعليمهم الناس مبادئ القراءة والكتابة في المعابد على نحو ما كان يفعل اليهود والنصارى في ذلك الوقت . ولكن هذا لا يكون دليلاً على نفي وجود شيء من ذلك عندهم . فقد يجوز أن يعثر في المستقبل على نصوص تفيد بوجود ذلك عندهم . ذكر أن رجلاً من (خثعم) قال : « كانت العرب لا تحرم حلالاً ولا تحلل حراماً . وكانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون إليها »^١ .

وفي القرآن الكريم آيات مثل : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم . وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم ، فلا يصل الى الله ، وما كان لله ، فهو يصل الى شركائهم . ساء ما يحكمون .

١ ابن عساکر ، التاريخ الكبير (٣١٧/١) .

وكذلك زين لكثير من الناس قتل أولادهم، شركاؤهم ليردوهم ، وليلبسوا عليهم دينهم . ولو شاء الله ما فعلوه، فذرهم وما يفترون . وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ، افتراء عليهم ، سيجزيهم بما كانوا يفترون ١ ، وآيات أخرى وكلمات تفيد وجود تشريع ومشرعين لدى الجاهليين ، أي رجال دين يبينون لهم الحلال والحرام وأوامر الأصنام ، ويشرعون لهم من تشريع كالذي نراه في هذه الآيات وغيرها من أحكام وضعوها للناس باسم آلهتهم ، فوبخهم الله في القرآن على افتراءهم هذا على الله وعلى الأصنام التي لا تنطق ولا تعقل .

وكان من أهم واجبات رجال الدين والزهاد والمتنسين ، الاشراف على المعابد وصيانة أموالها ، وخدمة الأصنام وتنفيذ الأحكام ، وتلبية طلبات الناس في التوسط لدى الآلهة برفع الضر والكرب عنهم ، أيام الشدة وساعات العسر . من ذلك التوسل الى الآلهة . بحفظ القوافل ، وانزال الرحمة بالناس سني القحط . ومن ذلك ما يسمونه بالاستسقاء . فقد كانوا يستسقون إذا أجذبوا ، فإذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهي : سلع وعشر وشبرق ، من كل شجرة شيئاً من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة ، وربطوا بها ظهر ثور وأضرموها فيها النار، ويرسلون ذلك الثور ، فإذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط . وقد يهلك ذلك الثور فيسقون ٢ .

وذكر انهم كانوا اذا أرادوا الاستمطار في الجاهلية اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ثم عقدوا في أذنانها وبين عراقيبها السلع والعشر ، ثم صعدوا بها في جبل وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون ان ذلك من أسباب السقيا . ولأمية بن أبي الصلت شعر في ذلك ٣ .

وكان من عادة أهل مكة في الاستسقاء ، انهم كانوا اذا أجذبوا وقحطوا ، واشتدت بهم الحاجة ، خرج من كل بطن منهم رجل ، ثم يغتسلون بالماء ، ويتطيّبون ، ثم يلتمسون الركن ويطوفون بالبيت العتيق سبعاً، ثم يرقون أبا قبيس ،

١ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٣٧ وما بعدها .

٢ السيرة الحلبية (١٣٢/١) .

٣ الحيوان (٤٦٦/٤) وما بعدها .

فيتقدم رجل منهم ، يكون من خيارهم ، ومن رجال الدين فيهم ، ممن يتبركون به ، فيدعو الله ويستغيث ، طالباً الرحمة والغوث بالمتوسلين اليه . ويذكرون ان (عبد المطلب) ، كان ممن استسقى لأهل مكة ولغيرهم مراراً^١ .

التبرك برجال الدين :

ويظهر من أخبار أهل الأخبار ، ان رجال الدين من أهل الجاهلية كانوا يباركون أتباعهم ويقدمون رؤوسهم لمنحهم البركة والشفاء من الأمراض . فكان أحدهم يضع يده على رأس مريض ، أو يلمس جبهته ، ليمنحه بركة تشفيه ، أو عافية تصيبه ، أو تبركاً وتقرباً بذلك الى الآلهة . وكانوا يتفلون في فم الصبيان ، لتكون التفلة بركة لهم ، وعافية ، وشفاء من مرض ، أو علماً يصيب الصبي ، حينما يكون رجلاً .

ويظهر من القرآن ومن الحديث النبوي ، ان أهل الكتاب من الجاهليين كانوا يبالغون في التقرب من رجال دينهم وفي التبرك بهم ، حتى انهم كانوا يتسابقون في الحصول على قطعة من ملابس أوليائهم ورجال دينهم ورهبانهم ونسآكهم للتبرك بها ، وفي شعر امرئ القيس، وشعر غيره إشارة الى هذا التبجيل والتعظيم .

تنفيذ الأحكام :

ولم يكن تنفيذ الأحكام الدينية إلزامياً ، انما كان عن طاعة وموافقة . ثم إن العرب لم يكونوا على دين واحد يرجع الى شرائعه ، حتى يلزم المرء بتنفيذ ما جاء في حكمه^٢ . فكان أمر إطاعة أحكام رجال الدين رهناً بمكانة رجل الدين وبماله من هبة ونفوذ بين قومه .

وقد رأينا أن من الناس من كان يثور حتى على آفته ، إذا وجد أنها لم تلب طلباته . وأنه كان يتوسل اليها ويلوذ بها لمساعدته عند الشدة ، ثم يهددها ويتوعددها

١ السيرة الحلبية (١/ ١٣٢ وما بعدها) .

٢ اليعقوبي (١/ ٢٢٧) ، (حكام العرب) .

بالابتعاد عنها وبترك زيارتها وبنبذها ، إن هي صمت آذانها عنه ، ولم تجب ما طلبه منها . وقد قصصنا حكاية امرئ القيس مع صنمه ، اذ رمى السهام في وجهه وعنفه وشتمه ، لأن جواب الاستقسام لم يكن على نحو ما كان يريد . ولم يكن ذلك من عمل أهل الجاهلية وحدهم ، بل نجد وقوع مثل هذه الحوادث في الاسلام أيضاً .

وقد رأينا أن في الجاهليين - كما في كل قوم - أناس كانوا لا يقيمون وزناً لحلال أو حرام ، فكانوا يستحلون المظالم ، ولا يجعلون للحرمات حرمة ، ويعتدون في الأشهر الحرم . كانوا إذا حضروا الأسواق ، أباحوا لأنفسهم الاعتداء فيها على أموال الناس فسمّوا : « المحلون » . ومنهم قبائل من أسد وطى وبني بكر ابن عبد مناة بن كنانة ، وقوم من بني عامر بن صعصعة^١ . فهؤلاء لا يعرفون الحلال ولا الحرام ، والشهور والأيام عندهم سواء بسواء ، يغزون فيها متى شاؤوا ، حتى في الأشهر الحرم . اذا لا حرمة عندهم لشهر .

وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر ، فيسمون الذادة المحرمون^٢ . وهم من بني عمرو بن تميم ، وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان ، وقوم من بني كلب بن وبرة . فكانوا يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس . وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم .

ولم تكن للجاهليين أحكام في الحلال والحرام بالنسبة الى المأكول على ما يظهر ، بل كان مرجع الحرمة والإباحة عندهم الى عرف القبائل . فلما نزل الأمر في الاسلام بتحريم أكل الميتة ، أي الحيوان الميت ، عجبت قريش من ذلك ، واحتجوا قائلين : كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون مما قتل ، وتأكلون أنتم مما قتلتم ؟ وكانوا يقولون ما الذي يموت ، وما الذي تذبحون إلا سواء . وذكر « ان ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها ؟ فقال الله قتلها . قالوا : فتزعم ان ما قتل أنت

١ اليعقوبي (٢٤٠/١) ، (أسواق العرب) .

٢ اليعقوبي (٢٤٠/١) ، (أسواق العرب) .

وأصحابك حلال ، وما قتله الله حرام ! »^١. وذكر ان فارس أوحى الى أوليائها من مشركي قريش ان خاصموا محمداً وقولوا له : ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله بشمشار من ذهب ، فهو حرام . فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء^٢. فقد كانت قريش تأكل كل شيء ، من ميتة ومختنقة ومن نطيحة وما أكل السبع وما أهل للصنم ، فنزل تحريم ذلك في الاسلام .

وذكر انهم كانوا يقطعون يسيراً من حلق الشاة ويتركونها حتى تموت، يجعلون عملهم هذا ذكاة لها . وقيل : ذبيحة الشريطة ، هي انهم كانوا يشرطونها من العلة ، فإذا ماتت ، قالوا : قد ذبحناها . وذكر ان الشريطة الشاة أثر في حلقها أثر يسير كشرط المحاجم ، لا يستقصى في ذبحها ، والشريطة أيضاً المشقوقة الأذن من الإبل ، لأنها شرطت آذانها ، وإذا كان التعريف الأول صحيحاً ، فإن معنى هذا انهم كانوا يراعون بعض الأحكام في الذبح ، أي ان لهم أحكاماً دينية في كيفية الذبح . وقد نهى الاسلام عن أكل الشريطة^٣ .

واستباح الجاهليون أكل (النطيحة) ، وهي المنطوحة التي ماتت من النطح . واستباحوا أيضاً أكل الفريسة والأكلة والرمية^٤ .

وقد كان رجال الدين وسادات القبائل ، يحرمون بعض الأشياء على أنفسهم ، إذا شعروا بوجود ضرر بها ، وبأن في فعلها إلحاق أذى في الإنسان وخدشاً في الإسم . فحرم بعض رجال الجاهلية الخمر على أنفسهم تكرماً وصيانة لأنفسهم . منهم : عامر بن الظرب العدواني ، وقيس بن عاصم ، وصفوان بن أمية بن محرز الكناني ، وعفيف بن معديكرب ، وسويد بن عدي بن عمرو بن سلسلة الطائي ، وغيرهم . لما وجدوا فيها من ضرر على الأبدان ، وأثر في العقل ، واضاعة المال^٥ . وورد في بعض الموارد أن أول من حرم الخمر في الجاهلية (الوليد بن المغيرة) ، وقيل : (قيس بن عاصم) ، ثم جاء الإسلام بتقريره^٦ .

-
- ١ تفسير الطبري (١٢/٨) وما بعدها .
 - ٢ تفسير الطبري (١٣/٨) .
 - ٣ تاج العروس (١٦٧/٥) ، (شرط) .
 - ٤ تاج العروس (٢٤٠/٢) ، (نطح) .
 - ٥ الأمالي ، للقالبي (٢٠٤/١) وما بعدها .
 - ٦ صبح الاعشى (٤٣٥/١) .

وذكروا أن أول من حرم القمار في الجاهلية (الأقرع بن حابس) التميمي ، ثم جاء الإسلام بتقريره . وأن أول من رجم في الزنا في الجاهلية (ربيعة بن حدان) ، ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن . وأول من حكم أن الولد للفراش أكرم بن صيفي ، حكيم العرب ، ثم جاء الإسلام بتقريره . وأن أول من قطع في السرقة في الجاهلية : (الوليد بن المغيرة) ، ثم جاء الإسلام بتقريره . وأن أول من سنّ الدية مائة من الإبل (عبد المطلب) جد النبي ، ثم جاء الإسلام بتقريرها . وأن أول من أوقد النار بالمزدلفة ، قصي بن كلاب ، وأن أول من أظهر التوحيد بمكة (قس بن ساعدة الإيادي)^١ .

ولكننا نجدهم يتقيدون بعرفهم وعاداتهم تقيداً شديداً ، والعرف عندهم هو ما استقر في نفوسهم وثبت في ذهنهم ، حتى صار في حكم الدين عندهم ، فلا يجوز لأحد الخروج عليه وكسر حكمه . وعرف القبيلة ، الذي هو دينها ، هو الذي يعين لها الحرام والحلال ، والمباح والمحرم . وأحكام رجال القبيلة من رؤساء وسادة وحكام ، هي منبع التشريع والإفتاء في أمور الدين والحق في القبيلة . وما يلائم طبيعة القبائل ، ويناسب عقليتها وينبع من محيطها ، يكون ديناً على القبائل إطاعته ، لأنه في صالحها جميعاً ، ولأن في مخالفته ضرراً بالغاً ، فصار من ثم في درجة أحكام الشرع عندها .

ومن قبيل الأعراف التي صارت ملزمة عندهم لكل أحد ، وفي حكم الأحكام الزرومية ، وجوب احترام العقود والعهود وما اتفق عليه من عهود . مثل مراعاة الأشهر الحرم بالنسبة للمحرمين . فلا يجوز لأحد القتال فيها ولا الاعتداء على أحد ، ولو كان قاتلاً مطلوباً بدم . ومثل مراعاة حرمة الأماكن المقدسة ، كالمسجد الحرام ، فلا يجوز لأحد التعرض لحيوان لجأ إليه ، أو لإنسان لاذ به ، ولو كان قاتلاً . وهذا ما حمل البعض على ملازمة (البيت الحرام) وعدم الخروج منه ، لأنه غير آمن على نفسه ، ولأنه مطلوب بدم .

ومثل ما كان يفعله الناس من التمسك بالعهود والمواثيق والأحلاف . وقد عيب رجلان قتلا رجلين كانا تقلدا لحاء شجر الحرم الذي كان أهل الجاهلية يتقلدونه ،

١ صبح الاعشى (١/٤٣٥ وما بعدها) .

ليأمنوا به على أنفسهم ، لأنها قد خالفا بذلك العهود وما اتفق عليه من وجوب مراعاة الحرمات^١ .

وقد كان من عرفهم : أنهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر مكة ، فيقيم الرجل مكانه ، حتى اذا انقضت الأشهر الحرم فأراد ان يرجع الى أهله قلّد نفسه وناقته من لحاء الشجر فيأمن حتى يأتي أهله . وكان من عرفهم في رواية من روايات أهل الأخبار ، أنهم اذا خرجوا من بيوتهم يريدون الحج ، تقلدوا من لحاء السمر ، واذا أرادوا العودة الى ديارهم تقلدوا قلادة شعر ، فلم يعرض لهم أحد بسوء^٢ . وذكر أيضاً ، ان الرجل منهم ، كان يتقلد قلادة من لحاء شجرة من شجر الحرم ، ثم يذهب حيث يشاء ، فيأمن بذلك^٣ . وان أهل مكة كانوا يفعلون ذلك في تجارتهم ، فيضعون القلائد في أعناقهم وفي أعناق بهائمهم ، فلا يعرض لهم أحد بسوء . إذ كانوا يرون الوفاء بالميثاق عهداً في أعناقهم وديناً يلزمهم بالوفاء في أحكامه .

كسوة رجال الدين :

يقول أهل الأخبار في معرض كلامهم على كسوة العرب : « وأما أهل الحضر وسكنة المدر منهم ، فكانوا يتفتنون في لبوسهم ، ويختلفون في كسوتهم ، فكان الكاهن لا يلبس المصبغ والعرفاف لا يدع تذييل قبضه وسحب رداؤه ، والحكم لا يفارق الوبر ؛ والشاعر منهم كان اذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه ، وأرنخي إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة ، وكان لحرائر النساء زيّ ، ولكل مملوك زيّ ، ولدنوات الرايات زي .. »^٤ . فيظهر من قولهم هذا انه قد كان لرجال الدين أو لبعض منهم زيّ ، يميزون أنفسهم به عن بقية الناس ، وهو شيء معروف عند البشر من قديم الأيام الى اليوم . فلا نستبعد وجود زي خاص لرجال الدين عند الوثنيين الجاهليين . أما رجال الدين من أهل الكتاب ، فقد كانوا يتزيون بزي خاص يميزهم عن بقية أتباعهم . وقد نص على ذلك أهل الأخبار .

١ ألم تقتلا الحرجين اذ أعودا كما يمران بالأيدي اللحاء المضفرا

تفسير الطبري (٣٨/٦) .

٢ تفسير الطبري (٣٧/٦ وما بعدها) .

٣ المصدر نفسه .

٤ بلوغ الارب (٤٠٧/٣) .

الفصل التاسع والستون

الاصنام

نجد في كتاب الأصنام لابن الكلبي وفي المؤلفات الإسلامية الأخرى ، أسماء عدد من الأصنام كان الجاهليون يعبدونها ، وهي على الأكثر أصنام كان يتعبد لها أهل الحجاز ونجد والعربية الشمالية، وذلك قبيل الإسلام . ومن هذه الموارد الإسلامية استقيننا علمنا عن هذه الأصنام^١ .

وقد ذكر أهل الأخبار ان بعض هذه الأصنام اناث . وهن اللات ، والعزى ، ومناة . وهي أصنام ذكرت في القرآن الكريم : « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى »^٢ . ويجب ان نضيف اليها الشمس .

اللات :

واللات من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب . ذكر ابن الكلبي أنه كان صخرة مربعة بيضاء ، بنت ثقيف عليها بيتاً صاروا يسرون اليه ، يضاهون به

١ كتاب الاصنام ، لابن الكلبي ، بتحقيق المرحوم ، أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٥ م (مطبعة دار الكتب المصرية) ، (كتاب الاصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك اسمه) ، الفهرست (١٢٥) ، (الرد على عبدة الاوثان) ، معجم الادباء (١٣٢/١) ، (كتاب الاصنام) ، للجاحظ ، وقد نقل منه النويري ، نهاية الارب (١٥/١٦) .

٢ سورة النجم ، الآية ٢٠ .

الكعبة ، وله حجة وكسوة ، ويحرمون واديه . وكانت سدنته لآل أبي العاص ابن أبي يسار بن مالك من ثقيف ، أو لبني عتاب بن مالك . وكانت قریش وجميع العرب يعظمونه أيضاً ، ويتقربون اليه ، حتى أن ثقيفاً كانوا إذا ما قدموا من سفر ، توجهوا الى بيت اللات أولاً للتقرب اليه ، وشكره على السلامة ، ثم يذهبون بعد ذلك الى بيوتهم^١ . فيتين من ذلك أن معبد اللات الشهير كان في مدينة الطائف ، مركز قبيلة ثقيف ، يقصده الناس للتبرك به . وقد كانت له معابد كثيرة منتشرة في مواضع عديدة من الحجاز .

وذكر ابن كثير ان اللات (صخرة بيضاء منقوشة ، عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قریش)^٢ ، فلم تكن صخرة اللات صخرة ملساء حسب ، بل كانت الى ذلك منقوشة ، وكانت في داخل بيت له أستار على شاكلة الكعبة . والفناء هو حرم معظم عند أهل الطائف ، تعظيم قریش لحرم البيت . حرم على الناس قطع شجره ، وصيد حيوانه ، ومن دخله صار آمناً^٣ .

وكانت تحت صخرة اللات حفرة يقال لها (غبغب) ، حفظت فيها الهدايا والنذور والأموال التي كانت تقدم الى الصنم . فلما هدم المغيرة الصنم أخذ تلك الأموال وسلمها الى أبي سفيان امثالاً لأمر الرسول^٤ .

ويظهر من وصف أهل الأخبار لبيت اللات انه كان على طراز البيت بمكة من حيث المنزلة والاحترام والكسوة . فقد كان يكسى في كل عام كسوة . ويظهر ان ثقيفاً اتخذت له سدنة وخدماء يقومون بحراسة البيت وخدمته وتنظيفه على نحو

١ البلدان (٣١٠/٧) (اللات) ، الاصنام (١٦) ، اللسان (٣٨٨/٢) ، تاج العروس (٥٨٠/١) المحبر (٣١٥) ، الواقدي (٣٨٤ وما بعدها) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، بلوغ الارب (٢٠٣/٢) ، قاموس المحيط (١٥٦/١) ، تفسير البحر المحيط ، لابي حيان الاندلسي (١٦٠/٨ وما بعدها) ، (الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ) ، تفسير الطبري (٥٨/٢٧ وما بعدها) ، فتح الباري (٢٣٥/١٠ ، ٢٥٣) ، (تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) .

٢ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ وما بعدها) .

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (١١١ وما بعدها) .

٤ الطبري (٩٩/٣ وما بعدها) (دار المعارف) ، Reste, S. 31.

ما كان في مكة وفي بيوت الآلهة الأخرى^١ .

ويرى ابن الكلبي ان الصنم (اللات) ، هو أحدث عهداً من مناة^٢ . أما نحن ، فلا نستطيع ان نجرؤ فنقول بهذا القول ، لأن الصنمين هما من الأصنام القديمة التي ورد ذكرها في كتابات النبط والصفويين ، ثم ان (هيرودوتس) أشار الى (اللات) ، كما سأذكر ذلك . وليس من السهل حتى بالنسبة الى ابن الكلبي أو غيره ، ممن تقدم عليه بالزمن الحكم على زمن دخول عبادة الصنمين الى جزيرة العرب ، لأن ذلك يعود الى زمن سابق لا تصل ذاكرة الرواة اليه .

ومكان بيت اللات في موضع مسجد الطائف، أو تحت منارة مسجد الطائف. وقد عرف البيت الذي بني على اللات بيت الربة ، ويقصدون بالربة اللات ، لأنه أنثى في نظر عابديه^٣ . ولا ندري أكان انشاء مسجد الطائف على موضع معبد اللات رمزاً لحلول بيت الله محل بيت الربة، وبيت الأصنام ، وتعبيراً عن حلول الإسلام محل عبادة اللات والأصنام ، أم كان ذلك لسبب آخر ، هو وجود أسس سابقة وحجارة قديمة موجودة ، فاستسهل لذلك إقامة بناء المسجد في هذا المكان ؟ وقد فسر بعض المستشرقين إقامة المسجد في هذا المكان ، بأنه تخليد لذكرى الوثنية في نفوس بعض من أسلم لسانه وكفر قلبه ، فسرهم قيام المسجد في هذا المكان ليبقى أثراً يذكرهم بذكرى صنمهم القديم اللات^٤ .

وللأخباريين روايات عن صخرة اللات ، منها أنها في الأصل صخرة كان يجلس عليها رجل ، يبيع السمن واللبن للحجاج في الزمن الأول ، وقالوا : إنها سميت باللات لأن عمرو بن لحي كان يلت عندها السوق للحجاج على تلك الصخرة ، وقالوا : بل كانت اللات في الأصل « رجلاً من ثقيف . فلما مات ، قال لهم عمرو بن لحي : لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمر بعبادتها ، وأن يبنوا بنياناً يسمى اللات » . وقالوا : « قام عمرو بن لحي ، فقال لهم : إن ربكم كان قد دخل في هذا الحجر ، يعني تلك الصخرة، نصبها لهم صنماً يعبدونها. وكان فيه وفي العزى شيطانان يكلّمان الناس ، فاتخذتها ثقيف طاغوتاً ، وبنت لها

Das Gotzenbuch, S. 93. ١

الأصنام (١٦) . ٢

العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٢) . ٣

العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٢) . ٤

بيتاً ، وجعلت لها سدة ، وعظمته ، وطافت به . وقيل : « كانت صخرة
مربعة ، وكان يهودي يلت عندها السوق »^١.

وذكر المفسر (أبو السعود) أن هناك رواية تزعم أن حجر اللات كان على
صورة ذلك الرجل الذي قبر تحته ، وهو الذي كان يلت السوق ، فلما مات ،
عكفوا على قبره فعبده^٢ . وقيل إن اللات : الذي كان يقوم على آلهتهم ،
ويلت لهم السوق^٣ .

فنحن أمام رأي يزعم أن (اللات) انسان في الأصل مات ، وكان يخدم
الأصنام ، فيتقدم إليها يلت السوق ويعطيه للناس ، فلما توفي ، دفن في موضعه
الذي كان يلت السوق عنده ثم اتخذ قبره مزاراً ، كما اتخذت قبور أخرى مزارات
ينحرج عندها ويتبرك بها الناس ، ولهذا نهى الاسلام ، عن اتخاذ القبور مزارات ،
حتى لا تعظم من دون الله ، كالذي حدث عند الجاهليين^٤ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن صنم اللات إنما سمي لاتاً ، من (لوى ، لأنهم
كانوا يلون عليها ، اي يطوفون)^٥ ، ويعتكفون للعبادة عنده^٦ . ومعنى هذا أن
عباد هذا الصنم لم يكونوا يكتفون بالذبح عنده ، بل كانوا يطوفون حوله ،
طوافهم حول أصنام أخرى . وذكر انه سمي لاتاً ، من اللات ، وكل شيء يلت
به سوق أو غيره نحو السمن^٧ .

ولدينا رأي آخر في سبب تسمية اللات لاتاً ، خلاصته : « ان الناس اشتقوا
اللات من اسم (الله) ، فقالوا (اللات) ، يعنون مؤنثه منه »^٨ . وذكر

-
- ١ الاصنام (١٦ وما بعدها) ، البلدان (٣١٠/٧) (اللات) ، النقائض (١٤١) ، تاج
العروس (٥٨٠/١ وما بعدها) ، اللسان (٣٨٨/٢) ، روح المعاني (٤٧/٢٧) وما
بعدها ، (الازرق) ، أخبار مكة (٧٩ وما بعدها) (طبعة لايبزك) ، تفسير الخازن
(١٩٤/٤ وما بعدها) .
 - ٢ تفسير أبي السعود (١١٢/٥) .
 - ٣ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .
 - ٤ كان النهي عن ذلك في أول ظهور الاسلام ، ثم أذن به ، بدلالة الحديث : (كنت
نهيتكم عن زيارة القبور . ألا فزوروها ، فانها تذكركم بالآخرة) .
 - ٥ تفسير البيضاوي (١٩٩/١) (سورة النجم) .
 - ٦ روح المعاني (٣٧/٢٧ وما بعدها) .
 - ٧ اللسان (٨٣/٢) (بيروت ١٩٥٥) .
 - ٨ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ وما بعدها) .

الطبري ان « اللات هي من الله ، ألحقت فيه التاء ، فأثبت ، كما قيل عمرو للذكر وللأنثى عمرة ، وكما قيل للذكر عباس ثم قيل للأنثى عباسة »^١ .

وورد في بعض روايات أهل الأخبار ان الثقيف الذي كان يلت السويق بالزيت ويقدمه للناس ، لما توفي قبر في موضع اللات ، فعكفوا على قبره ، فعبدوه وجعلوه وثناً ، وزعم بعض آخر انه قبر عامر بن الظرب العدواني^٢ . فترى هذه الروايات ان (بيت الربة) ، هو قبر رجل ، دفن فيه ، فعبد وصير إلهاً . وزعم قوم انه كان رجلاً من ثقيف ، يقال له (صرمة بن غم) ، وكان يسأ السمن ، فيضعه على صخرة ، فتأتيه العرب ، فلما مات ، عبدته ثقيف^٣ .

وتفسير أهل الأخبار لاسم (اللات) ، هو بالطبع من تفسيراتهم المألوفة الكثيرة التي لا يمكن أن نثق بها ، ولا يمكن أن نحملها على محمل الصدق والعلم . فالاسم هو من الأسماء القديمة التي عرفت قبل الميلاد . ويرى بعض المستشرقين أنه ادغام وسط بين (الالهات) (ال سال هت) Al Alahat والادغام التام (اللات) (ال لت) Allat ، على نحو ما حدث للفظ الجلالة : (الاله) (ال - ال ه) الذي صار (الله)^٤ .

وفي قول أهل الأخبار أن صخرة اللات كانت ليهودي ، يلت عندها السويق ، أو لرجل من ثقيف ، غمز وطعن في ثقيف ، وقد غمز بها في أمور أخرى أشرت إليها في مواضع أخرى . ويعود سبب هذا الغمز الى المنافسة التي كانت بين أهل الطائف وأهل مكة ، ثم الى الكراهية الشديدة التي حملها أهل العراق وأهل الحجاز وغيرهم للحجاج لأعماله القاسية ، وعدم مبالاته ومراعاته للحرمان حتى بالنسبة الى الكعبة ، مما حمل الناس على كرهه وكره قومه ثقيف ، وعلى وضع قصص عن ثقيف .

ولا يستبعد أن تكون صخرة اللات صخرة من هذه الصخور المقدسة التي كان يقدسها الجاهليون ومن بينها (الحجر الأسود) الذي كان يقدسها أهل مكة ومن

١ تفسير الطبري (٣٤/٢٧) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ وما بعدها) .

٢ روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (١١٢/٥) (سورة النجم) .

٣ الخازن (١٩٤/٤ وما بعدها) .

٤ رينه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٤) .

كان يأتي الى مكة للحج وفي غير موسم الحج ، لذلك كانوا يلمسونه ويتبركون به . وإذا أخذنا برأي ابن الكلبي من أن عمرو بن لحي قال للناس : « إن ربكم كان قد دخل في هذا الحجر » ، أو أن الرجل الذي كان عند الصخرة لم يمت ، ولكن دخل فيها أو أن روح ميت حلت فيها ونظرنا الى رأيه هذا بشيء من الجدل ، فلا يستبعد أن يشير هذا الرأي الى ما يسمى بـ (الفتيشزم) fetichism أي عبادة الأحجار في اصطلاح علماء الأديان . ويعنون بها عبادة الأرواح التي يزعم المتعبدون لها أنها حالة في تلك الأحجار ، وخاصة الأحجار الغريبة التي لم تصقلها الأيدي ، بل عبدت على هيأتها وخلقتها في الطبيعة ، وهي من العبادات المنحطة بالنسبة الى عبادة الصور والتماثيل والأصنام^١ .

وذكر ان قريشاً تعبدت للصنم اللات بموضع نخلة عند سوق عكاظ ، وقيل انه كان بالكعبة^٢ . وذكر ان (اللات بيت كان بنخلة تبعده قريش)^٣ . ويلاحظ ان من أهل الأخبار من جعل العزى بيتاً كان بنخلة^٤ أي هذا البيت المذكور . ويظهر من روايات أهل الأخبار ان منهم من رأى ان اللات بيت للصنم ، الذي كان بالطائف ، وان منهم من رأى انه كان بنخلة تبعده قريش . وأما عباد البيت الأول ، فهم ثقيف . ولا أستبعد وجود بيوت عبادة أخرى في غير هذين المكانين في الحجاز وفي غير الحجاز .

واللات من الآلهة المعبودة عند النبط أيضاً ، وقد ورد اسمها في نصوص (الحجر) و (صلخد) و (تدمر) ، وهي من مواضع النبط^٥ . وهو (هل ت) (هـ - لت) (ها - لت) في النصوص الصفوية^٦ ، ومعناها (اللات) ، لأن (الهاء) حرف تعريف في اللهجة الصفوية . وقد ذكر أكثر من ستين مرة في الكتابات الصفوية . وهو أكثر آلهة الصفويين وروداً في نصوصهم ، ويبدل ذلك على شيوخ عبادته بينهم^٧ .

١ Robertson, p. 209.

٢ الخازن (١٩٤/٤ وما بعدها) ، البيضاوي ، سورة النجم (١٩٩/١) ، روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

٤ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

٥ Reste, S. 32, Vogue 6, 8, Euting 3, Waddington 2203, Dussaud - Macler.

Mission, p. 55.

٦ Ency. Religi., I, P. 661.

٧ العرب في سوريا قبل الاسلام ، (١١١) .

ويذكر الباحثون ان النبط عدّوا اللات أمّاً للآلهة ، وهي في نظر (روبرتسن سمث) الإلهة الأم لمدينة (بطر) ، وتقابل الإلهة Artemis عند أهل قرطاجة^١ . وقد عبدت اللات في تدمر ، وفي أرض (مدين) عند اللحيانيين^٢ . وقد وصف (أفيانيوس) Epiphanius معبد الإلهة اللات في مدينة (بطرا) ، فذكر انه معبد (الأم العذراء Virgin mother . كما انها كانت معبودة عند أهل (الوسه) (الوس) Elusa كذلك . ويظهر ان عبادتها كانت قد انتقلت من النبط ومن القبائل العربية الشمالية الى أهل الحجاز^٣ .

وصنم اللات ، هو (أليلات) (اللات) Alilat = Alelat المذكور في تأريخ (هيرودوتس) . ذكر أنه من آلهة العرب الشهيرة^٤ . والتسمية عربية النجار ، وقد غيرت تغييراً طفيفاً ، اقتضته طبيعة اللغة اليونانية ، فذكره (هيرودوتس) على النحو المذكور . فهذا الصنم إذن هو أول صنم عربي يرد اسمه في نص مؤرخ يوناني . وهو يقابل الإلهة Minerva أي (أثينة) Athene عند اليونان^٥ . وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن (اللات) تمثل (الشمس) ، وهي أنثى أي إلهة^٦ أما (رينه ديسو) ، فيرى أنها لا تمثل الشمس ، وانما تمثل كوكب الزهرة ، وخطأ رأي من يقول إن اللات الشمس^٧ .

وقد انتهت النساء أسماء رجال أضيفت إلى اللات ، مثل : (تيم اللات) ، و (زيد اللات) ، و (عائذ اللات) ، و (شيع اللات) ، و (شكم اللات) ، و (وهب اللات) وما شاكل ذلك من أسماء . ومما يلفت النظر أننا لم نلاحظ ورود اسم (عبد اللات) بين أسماء الجاهليين^٨ . وقد أقسموا باللات ، كما أقسموا بالأصنام الأخرى ، ونسب الى أوس بن حجر قوله^٩ :

- | | |
|---|---|
| Smith, p. 56, Reste, S. 33. | ١ |
| Arablen, S. 82. | ٢ |
| Smith, p. 56, Das Gotzenbuch, S. 91. | ٣ |
| Herodotes, I, 181, III, 8, Arablen, S. 82. | ٤ |
| Arablen, S. 82. | ٥ |
| Ency. Relig., I, p. 661. | ٦ |
| العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٥) . | ٧ |
| الأصنام (١٨) ، المحبر (٢١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥٠ ، ٤٥٣) . | ٨ |
| الأصنام (١١) ، (روزا) . | ٩ |

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ، ان الله منهم أكبر

وهدم اللات في جملة ما هدم من الأصنام، وأحرق البيت وقوضت حجارتها ، هدمه بأمر الرسول المغيرة بن شعبة في أغلب الروايات . وكان الناس ينظرون الى هدمه في خوف وفزع وهلع خشية أن ينالهم شيء من أذى انتقاماً منهم ، لأنهم لم يدافعوا عن بيت ربهم ، وكانت نساء ثقيف حسراً يبكين عليه . فلما انتهى الهدم ، ولم يحدث لمن شيء ، أخذ المغيرة مالها وحليها من الذهب والجزع وأعطاه أبا سفيان ، وكان الرسول قد أرسله مع المغيرة في وفد ثقيف الذي جاء اليه عارضاً عليه الاسلام ، فأخذه منه أبو سفيان ، ليقضي من مال اللات دين عروة والأسود ابني مسعود^١ .

ولما أصيبت ثقيف بهزيمة ، واحتمت بالطائف قال الشاعر :

وفرت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر^٢

ويظهر من هذا الشعر الذي ينسب الى (شداد بن عارض الجشمي) ، وقد قاله حين هدمت وحرقت اللات :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر ؟
ان التي حرقت بالنار فاشتعلت ، ولم تقا تلدى أحجارها ، هدر
ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

ان ثقيفاً بقيت مخلصاً لصنمها مؤمنة به ، حتى بعد هدمه وتحريقه ، فقال الشاعر شعره ، ينهى ثقيفاً عن العود اليها والغضب لها^٣ .

ويظهر من بيت ينسب الى كعب بن مالك الأنصاري ، هو قوله :

وننسى اللات والعزى ووداً ونسلبها القلائد والسيوف^٤

- ١ الطبري (٩٩/٣ وما بعدها) ، البلدان (٣١٠/٧) ، البداية والنهاية (١٤٩/١) ، نهاية الارب (٥٩/١٨ وما بعدها) ، ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٢٢٩/٢ وما بعدها) ، ابن هشام (٣٢٦/٢) ، الروض الانف (٣٢٦/٢) .
- ٢ الاغانى (٨٠/١٩) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م (ح١) (ص ٤) .
- ٣ الاصنام (١١) (روزا) ، الاصابة (١٣٩/٢) ، (رقم ٣٨٥٢) .
- ٤ ابن هشام (٦٣/١) (هامش روض الانف) .

ان الناس كانوا يعلقون القلائد والسيوف على تلك الأصنام . وروايات الأخباريين تؤيد هذه الدعوى ، إذ نذكر ان الجاهليين كانوا يقدمون الحلبي والثياب والنفاثس وما حسن وطاب في أعين الناس هدية ونذوراً الى الأصنام ، فكانوا يعلقون ما يمكن تعليقه عليها ، ويسلمون الأشياء الأخرى الى سدنة الأصنام .

وقد ذكر الرحالة الانكليزي (جيمس هاملتون) ان صخرة اللات كانت لا تزال في ايامه بالطائف . وقد شاهدها فوصفها بأنها صخرة من الغرانيت ذات شكل خماسي ، وان طولها زهاء اثني عشرة قدماً^١ .

ويظهر انه كان للات بيت وقبة يحملها الناس معهم حين يخرجون الى قتال ، فينصبان في ساحة الجيش ، ليشجع المحاربون فيستमितوا في القتال ، وينادي المنادون بنداء تلك الأصنام مثل : يا للات ، وقد كانت لبقية الأصنام بيوت وقباب أيضاً^٢ . وعادة حمل الأصنام الى المعارك والحروب واشراكها مع الناس في القتال بإحضارها ساحة المعارك عادة قدمة، معروفة عند العرب وعند غيرهم . وقد سبق أن قلت إن الآشوريين ذكروا أنهم أسروا أصنام (أريبي) العرب في أثناء قتالهم معهم ، أسروها مراراً ، وكانوا يشبتون عليها خبر الأسر ، كما أن الفلسطينيين والعبرانيين وغيرهم كانوا يحملون معهم أصنامهم في القتال^٣ .

العزى :

والعزى صنم أنثى كذلك ، وهي أحدث عهداً في نظر ابن الكلبي من اللات ومناة . وأما الذي اتخذ العزى على رواية ابن الكلبي ، فهو ظالم بن أسعد . وضعت (بواد من نخلة الشامية ، يقال له حراض ، بأزاء الغمير ، عن يمين المصعد الى العراق من مكة ، وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال ، فبنى عليها بساً (يريد بيتاً) . وكانوا يسمعون فيه الصوت)^٤ وينسب اليه بيت العزى كذلك .

James Hamilton, Sinai, The Hegaz and Soudan, London, p. 150, (1857).

Das Götzenbuch, S. 83.

صموئيل الاول ، الاصحاح الرابع ، الآية ٥ وما بعدها ، صموئيل الثاني ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢١ ، الاصحاح ١١ ، الآية ١١ .

٤ : الاصنام (١٧ وما بعدها) ، البلدان (١٦٥/٦) (العزى) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، بلوغ الارب (٢٠٣/٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٣٥/٢٧) ، المحبر (٣١١ ، ٣١٥) ، تفسير الطبرسي (١٧٥/٢٧) (طهران) .

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن (العزى) كان بيتاً بالطائف تعبده ثقيف .
ويظهر أن هذا اشتباه قد وقع لهم ، وأنهم خلطوا بين اللات والعزى ، فتوهّموا
أن بيت اللات هو العزى فقالوا ما قالوه . ونجد في تفسير الطبري تأييداً لهذا
الرأي ^١ .

وورد في بيت شعر ينسب إلى (حسان بن ثابت) أن بيت العزى كان
(بالجزع من بطن نخلة) ^٢ .

ويظهر أن العزى كانت (سمرة) ، لها حمى ، وكان الناس يتقربون إليها
بالنذور . وهي بالطبع عبادة من العبادات المعروفة للشجر ^٣ . وقد ذكر الطبري
روايات عديدة تفيد أن (العزى) شجيرات ، ولكنه أورد روايات أخرى تفيد
أنها حجر أبيض ^٤ . فنحن إذن أمام رأيين : رأي يقول إن العزى شجيرات ،
ورأي يرى أنها حجر . وذكر (ابن حبيب) أن العزى شجرة بنخلة عندها
وثن تعبدها غطفان ، سدنتها من بني صرمة بن مرة ^٥ . وذكر غيره أنها سمرة
لغطفان ^٦ .

وقد تسمى العرب وقریش بالعزى ، فقالوا : (عبد العزى) ^٧ . وقد أقسموا
بها ، ولها يقول درهم بن زيد الأوسي :

لاني ورب العزى السعيدة والله الذي دون بيته سرف ^٨

وأقدم من سمي باسم (عبد العزى) في رأي ابن الكلبي هو عبد العزى بن
كعب ^٩ . وقد ذكر ابن دريد أسماء عدد من أهل مكة عرفوا بـ (عبد العزى) ،

-
- ١ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) ، (العزى بيت بالطائف تعبده ثقيف) .
 - ٢ الأزرقي ، (ص ٧٨ وما بعدها) .
 - ٣ أخبار مكة ، للأزرقي (٧٤/٢) ، اللسان (٣٧٨/٥) ، (عز) ، تاج العروس
(٥٥/٤) ، تفسير الخازن (٢١٧/٦ وما بعدها) ، الشوكاني ، فتح (١٠٥/٥) ،
تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (١٦٠/٨ وما بعدها) ، تفسير ابن
كثير (٢٥٣/٤) .
 - ٤ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .
 - ٥ المحبر (٣١٥) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي
(١٩٩/١) .
 - ٦ مرصد الاطلاع (٩٣٧) .
 - ٧ الاصنام (١٦ وما بعدها) .
 - ٨ الاصنام (١٣) (روزا) ، مرصد الاطلاع (٩٣٧) .
 - ٩ الاصنام (١٨) .

منهم بـ (عبد العزى بن قصي) ، و (عبد العزى بن عبد مناف) ، و (عبد العزى بن عبد المطلب)^١ .

ويظهر من هذا الشعر المنسوب الى (زيد بن عمرو بن نفيل) :

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتيتها ولا صنمي بني غم أزور^٢

• ان عبّاد العزى كانوا يتصورونها أمّاً ، ولها ابتتان ، ولعله أراد بـ (ابتيتها) اللات ومناة . وقد نسب بعض أهل الأخبار عبادة العزى الى عمرو بن لحي جرياً على عادتهم في نسبة عبادة الأوثان اليه ، فقالوا انه قال لعمر بن ربيعة والحارث ابن كعب : إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعزى لحرّ تهامة^٣ . وفي رواية لابن اسحاق : ان عمرو بن لحي اتخذ العزى بنخلة ، فكانوا اذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزى ، فيطوفون بها ، ويحلبون عندها ، ويعكفون عندها يوماً . وكانت لخزاعة . وكانت قريش وبنو كنانة كلها تعظم العزى مع خزاعة وجميع مضر . وكان سدنتها الذين يحجبونها بنو شيبان من بني سليم ، حلفاء بني هاشم^٤ .

وتشير رواية من زعم أن عمرو بن لحي قال لقومه : « إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعزى لحرّ تهامة » ، صحت او لم تصح ، الى وجود صلة بين اللات والعزى . وقد ذكرت العزى بعد اللات في القرآن الكريم . وكذلك ترد بعد اللات في جميع روايات الأخباريين . مما يشير الى وجود صلة بين اللات والعزى . ولا يستبعد ان تكون هذه الصلة بين الصنمين قد جاءت الى أهل الحجاز من بلاد الشام من اهل تدمر وبادية الشام والصفويين ، إذ وردا وكأنهما إلهان متقابلان ، فحمل ذلك بعض المستشرقين على تصور أنهما يمثلان كوكبين : كوكب الصباح وكوكب المساء^٥ .

١ الاشتقاق (٣٤٨) (الفهرست) •

٢ الاصنام (١٤) (روزا) •

٣ الازرقى ، أخبار مكة (٧٤/١) (باب ما جاء في اللات والعزى) •

٤ الازرقى (٧٤/١ وما بعدها) •

٥ العرب في سوريا قبل الاسلام (١٢٥) •

والعزى مثل اللات ومناة من الآلهة المعبودة عند عرب العراق وعرب بلاد الشام ، وعند النبط والصفويين . وقد ذكر اسم العزى مرتين في المصادر المؤلفة بعد الميلاد ، وأشار اسحاق الأنطاكي Isaac of Antioch من رجال القرن الخامس للميلاد ، الى اسم العزى في حديثه عن مدينة (بيت حور) Beth-Hur ودعاها بـ Beltis ، وسماها (كوكبتا) . ويظن ان (كوكبتا) Kawkabta ، أي (كوكبة) المذكورة في المصادر السريانية ، هي أنثى كوكب ، تعني الكوكب الذي يظهر عند الصباح ، وهو العزى عند الجاهليين^١ . ويراد بها (الزهرة) Venus ، عند النبط^٢ . حيث اتخذوا لها معبداً في مدينة (بصرى) في منطقة (رم) عرف بـ (بيت ايل) . وقد نص (بروكوبيوس) ، Procopius على انها (أفروديت)^٣ . وهي كناية عن القمر على رأي بعض المستشرقين^٤ .

ولعل العزى هي (ملكة السماء Melekheth Hash-Shama المذكورة في سفر (ارميا)^٥ ، وقد جاء فيه : ان أهل (اورشليم) كانوا يصنعون كعكاً ، يتقربون به الى تلك الإلهة : إلهة السماء . وقد كان الجاهليون يتقربون بالخبز والكعك الى (كوكب السماء)^٦ .

ويظهر من ورود اسم امرأة هو : (امت عزى) ، (أمة العزى) ، في نص عربي جنوبي ، ان عبادة العزى كانت معروفة هناك . وقد قدم أحد العرب تمثالاً من ذهب الى هذه الإلهة^٧ .

وقد كان آل لحم ، ملوك الحيرة ، ينحرون الأسرى قرباناً للعزى . وقد زعم بعض المؤرخين السريان ان (المنذر بن ماء السماء) ضحى بأربع مئة راهبة للعزى^٨ .

١ Reste, S. 40, Ency. Vol. IV, p. 1059, Rothstein, S. 81, 141.

Shorter Ency. of Islam, p. 617.

٢ Arablen, S. 82.

٣ Procopius, De Belio Persl., II, 28, Arablen, S. 28, 82.

٤ Arablen, S. 82, Reste, S. 40, Ryckmans, 15.

٥ أرميا ، الاصحاح السابع ، الآية ١٨ وما بعدها .

٦ Hastings, p. 778, Das Gotzenbuch, S. 95.

٧ Das Gotzenbuch, S. 94.

٨ Malalas, II, 166, Noldeke, Sassaniden, S. 171, Ghass., II, Anm. 3,

Theophanes, 273, Land, Anecd. Syr., III, 247, Rothstein, S. 81,

Paulys-Wissowa, Erster Halband, 1893, S. 1281.

وذكر (إسحاق الأنطاكي) ان العرب كانوا يقدمون الأولاد والبنات قرايين للكوكة (كوكبتا) ، فيحرونهم لها ، ويقصد به (كوكبتا) العزى^١ .

وكانت قريش تتعبد للعزى ، وتزورها وتهدي إليها ، وتتقرب إليها بالذبائح. وذكر ابن الكلبي انها كانت أعظم الأصنام عند قريش، وان قريشاً كانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى . فلئن الغرائق العلا ، وإن شفاعتهن لترنجي » . وكانوا يقولون : هن بنات الله ، وهن يشفعن إليه . وكانت قريش قد حمت لها شعباً من وادي حراض ، يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة . وكان لها منحرون ينحرون فيه هداياهم ، يقال له الغبغب ، فكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها^٢ .

وكانت قريش تستعين بأصنامها حين تحارب ، تستجير بها وتستمد منها العون في الحرب^٣ ، لتبعث الهمة والنشاط في النفوس بذكرها . فلما كان يوم أحد نادى (أبو سفيان : « اعلُ هبل ، اعلُ هبل » فقال المسلمون : « الله أعلى وأجل ») . فقال (أبو سفيان) : « لنا العزى ولا عزى لكم » . فقال المسلمون : « الله مولانا ولا مولى لكم »^٤ .

ويقول ابن الكلبي أيضاً : « ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الأصنام إعظامهم العزى ، ثم اللات ، ثم مناة . فأما العزى ، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش للعزى . وكانت الأوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين ، وكلهم كان معظماً لها) ، أي للعزى^٥ .

ولابن الكلبي رأي في إقبال قريش على العزى ، إذ يقول : « فأما العزى ، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية . وذلك فيما أظن لقربها منها^٦ » . فجعل قرب بيت العزى من قريش، هو السبب في إقبال قريش عليها .

Isaak von Antiochia, Opera, I, 220, (Ed. Bickell), Reste, S. 40,

Das Gotzenbuch, S. 96.

٢ الأصنام (١٨) وما بعدها ، (١٢) (طبعة روزا كلينكه روزنبركر) بمدينة (لايبزك ١٩٤١ م) .

٣ Arabien, S. 83.

٤ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) ، الطبري (٥٢٦/٢) ، « معركة أحد » .

٥ الأصنام (٢٧) .

٦ الأصنام (١٦) (روزا) .

وهو يرى هذا الرأي نفسه حين تكلم على الأصنام : ود ، وسواع ، ويعوق ، ونسر ، وقارن بينها وبين الأصنام اللات والعزى ومناة . إذ قال : « ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي دفعها عمرو بن لحي .. كرايهم في هذه ولا قريباً من ذلك . فظننت أن ذلك كان لبعدهم منهم »^١ .

وقال ابن الكلبي في كتابه الأصنام « وقد بلغنا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذكرها يوماً ، فقال : لقد أهديت للعزى شاة عفراء ، وأنا على دين قومي »^٢ .

وكان فيمن يتقدم الى العزى بالنذور والهدايا ، والد خالد بن الوليد . ذكر خالد أن والده كان يأتي العزى بخير ما له من الإبل والغنم ، فيذبحها للعزى ، ويقيم عندها ثلاثة أيام^٣ .

ومن تعبد للعزى بنو سليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر^٤ . وغني وباهلة وخزاعة وجميع مضر وبنو كنانة . وقد ارتبطت قبائل غطفان بعبادة العزى وتقديسها بصورة خاصة ، حتى لقد ذكر (ياقوت الحموي) أن (العزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنو عليها بيتاً ، وأقاموا لها سدنة)^٥ . وقد عرف البيت بـ (كعبة غطفان)^٦ . وذكر (الطبري) أن العزى (صنم لبني شيبان) ، بطن بن سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسيد بن عبد العزى ، يقولون : هذا صنمنا ، وانها (كانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها)^٧ . وقد تعبدت لها ثقيف كذلك ، بأن اتخذت لها صنماً^٨ . والظاهر أن قريشاً كانت تعبد العزى حامية وشفيعاً لها^٩ .

وكان لحرم العزى شعب حمته قريش للصنم ، يقال له سقام في وادي حراض

-
- ١ الاصنام (١٧) (روزا) .
 - ٢ الاصنام (١٨) وما بعدها ، (١٢) (طبعة روزا روزنبركر) .
 - ٣ الازرقعي ، أخبار مكة (٧٨ وما بعدها) .
 - ٤ تفسير الطبرسي ، مجمع البيان (٣٦٤/٥) ، اليعقوبي (٢٢٥/١) .
 - ٥ البلدان (١٦٦/٦) ، (١١٦/٤) (صادر) ،
 - ٦ Shorter Ency., p. 617, Arabien, S. 83.
 - ٧ الطبري (٦٥/٣) ، (دار المعارف) .
 - ٨ Arabien, S. 83, Doughty, Documents Epigraphiques, 35, Travels in Arabia Deserta, II, p. 511, 515.
 - ٩ Arabien, S. 83.

على طريقة قريش في اتخاذ حرم للكعبة . وقد صار هذا الحمى موضعاً آمناً لا يجوز التعدي فيه على أحد ، ولا قطع شجره ، ولا القيام بعمل يخل بحرمه المكان^١ . فذاك قول أبي جندب الهذلي تم القردي في امرأة كان يهاها ، فذكر حلفها له بها :

لقد حلفت جهداً يميناً غليظة بفرع التي أحمت فروع سقام^٢

وينسب (ابن الكلبي) بناء (بيت العزى) الى (ظالم بن أسعد) ، إذ يقول : « بس : بيت لغطفان بن سعد بن قيس عيلان كانت تعبده . بناء ظالم بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف ، لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت . ونص العباب : وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ، فرجع الى قومه ، وقال : يا معشر غطفان ، لقريش بيت يطوفون حوله والصفا والمروة ، وليس لكم شيء ، فبنى بيتاً على قدر البيت ، ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة فاجتزئوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة الكلبي ، فقتل ظالمًا ، وهدم بناءه »^٣ .

وجاء في رواية أخرى ان (بني صداء) قالوا : أما والله لنتخذن حرمًا مثل حرم مكة ، لا يقتل صيده ، ولا يعصد شجره ، ولا يهاج عائده ، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف . ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رباح بن ظالم ففعلوا ذلك ، وهم على ماء لهم يقال له بس ، فلما بلغ فعلهم هذا وما أجمعوا عليه زهير بن جناب ، قال : والله لا يكون ذلك وأنا حي ، ولا أخلي غطفان تتخذ حرمًا أبدًا ، ثم سار في قومه حتى غزا غطفان ، وتمكن منها ، واستولى على الحرم ، وقطع رقبة أسير من غطفان به ، وعطل الحرم وهدمه^٤ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، ان العزى صنم كان لقريش وبني كنانة ، أو سمرة عبدتها غطفان بن سعد بن قيس عيلان . أول من اتخذها منهم : (ظالم بن أسعد)

١ البلدان (٩١/٥) ، (١٦٦/٦) .

٢ الأصنام (١٢) (روزا) .

٣ الاغانى (٦٣/٢١) ، تاج العروس (١٠٩/٤) ، البلدان (١٧٩/٢) ، اللسان

(٣٢٧/٧) ، (بس) .

٤ الاغانى (٦٣/٢١) .

فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال ، بالنخلة الشامية بقرب مكسة ، وقيل بالطائف ، بنى عليها بيتاً وسمّاه بُسّاً ، وقيل بساء ، وأقاموا لها سدنة مضاهاة للكعبة ، وكانوا يسمعون فيها الصوت ، فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد ، عام الفتح ، فهدم البيت ، وقتل السادن وأحرق السمرة^١ .

ويظهر مما تقدم أن البيت هدم مرتين : مرة في الجاهلية ، على يد زهير بن جناب، وقتل إذ ذاك بانيه ظالم ، والمرة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد^٢ .

وأما سدنة العزى ، فكانوا من بني صرمة بن مرة ، أو من بني شيبان بن جابر بن مرة بن عابس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور . فهم من بني شيبان ، من بني سليم حلفاء بني هاشم^٣ .

وكان آخر سادن للعزى (دبية بن حرمي السلمي ثم الشيباني) ، قتله خالد ابن الوليد بعد هدمه الوثن والبيت وقطعه الشجرة أو الشجرات الثلاث^٤ . وفي رواية : أن هدم العزى كان لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، وكان سادنها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم . فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعودده وهو حزين ، فقال له : مالي أراك حزينا ؟ قال : اخاف ان تضيع العزى من بعدي . قال أبو لهب : فلا تحزن ، فأنا اقوم عليها بعدك . فجعل ابو لهب يقول لكل من لقي : إن يظهر العزى ، كنت قد اتخذت عندها يداً بقيامي عليها ؛ وإن يظهر محمد على العزى ، وما أراه يظهر ، فابن أخي . فأنزل الله تبارك وتعالى « تبت يدا أبي لهب وتب »^٥ . وتدل هذه الرواية إن صحت على ان أفلح بن النضر لم يكن آخر سادن للعزى ، وان الهدم لم يكن في حياته ، وإنما كان بعد وفاته .

وتشبه هذه القصة قصة أخرى وردت في الموضوع نفسه ، عن أبي أحيحة

-
- ١ تاج العروس (٥٥/٤) ، (عزز) .
 - ٢ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٣ الطبري (٦٥/٣) (دار المعارف) ، تاج العروس (٥٦/٤) ، (عزز) .
 - ٤ البلدان (١٦٧/٦) وما بعدها ، بلوغ الأرب (٢٠٥/٢) ، ابن هشام (٦٥/١) (هامش الروض الانف) ، الطبري (١٢٣/٣) ، (٦٥/٣) (دار المعارف) ، الاصنام (١٥) (روزا) ، (ودبية بن حرمس السلمي سادن للعزى) ، تاج العروس (١٢٤/١٠) ، (دبي) .
 - ٥ أخبار مكة ، للازرقى (٧٦/١) ، البلاذري ، أنساب (١٢١/١) .

وأبى لهب . فلما مرض أبو أحيحة ، وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، مرضه الذي مات فيه ، كان أهم ما شغل باله عبادة العزى وخشيته ان لا تعبد من بعده ، فلما اجابه ابو لهب مهوناً عليه الأمر : رد والله ما عبدت حياتك (لأجلك) ، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ! سره هذا الجواب ، وأفرج عنه . فقال : « الآن علمت ان لي خليفة »^١ .

ويروي ابن الكلبي ان الرسول أمر بالقضاء على العزى ، وذلك عام الفتح ، فلما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال له : ايت بطن نخلة ، فإنك تجد ثلاث سمات ، فاعضد الأولى . فأناها فعضدها ، فلما جاء اليه عليه السلام : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فاعضد الثانية ؟ فأناها فعضدها . ثم أتى النبي عليه السلام ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثالثة . فأناها . فإذا هو بحبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها دبية بن حرمي الشيباني ثم السلمي ، وكان سادتها . فلما نظر الى خالد ، قال :

أعزّ شدي شدة لا تكذبي على خالد ألقى الخمار وشمري
فإنك الا تقتلي اليوم خالداً تبوئي بذل عاجلاً وتنصري

فقال خالد :

يا عز كفرانك ، لا سبحانه إنني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ، فإذا هي حممة . ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن . ثم أتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره فقال : تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب . أما انها لن تعبد بعد اليوم^٢ .

١ الاصنام (٢٣) .

٢ الاصنام (١٥ وما بعدها) (روزا) ويختلف نص الشعر المذكور المنسوب الى (دبية) في كتاب الاصنام بعض الاختلاف عن نص تأريخ الطبري (٦٥/٣) ، أمتاع الاسماع (٣٩٨/١) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ وما بعدها) ، روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) ، الازرقعي (٧٨ وما بعدها) .

ويظهر من شعر لـ (أبي خراش الهذلي) أن (دبية) كان كريماً ، يطعم الناس ، عظيم القدر، له جفنة حين الشتاء ، وقد مدحه ، إذ حذاه نعلين جديدين ، كما رثاه يوم قتل بأبيات ذكرها (ابن الكلبي) في كتابه الأصنام^١ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (خالد بن الوليد) هدم بيت العزى عام الفتح ، وقتل إذ ذاك سادسه (ربيعة بن جرير السلمي)^٢ . وروايات الأخباريين عن العزى يكتنفها شيء من الغموض واللبس ، ويدل ذلك على أنهم لم يكونوا على علم تام بالعزى . فبينما هم يذكرون أن العزى شجرة أو سمرة^٣ . تراهم يذكرون في روايات أخرى أنها شيطانة تأتي ثلاث سمرات ، أي ان العزى هي تلك الشيطانة ، لا السمرة أو السمرات الثلاث^٤ . ثم تراهم يذكرون في روايات أخرى أن العزى صنم ، وان الرسول حينما أمر خالد بن الوليد بهدمه ، قال له لما هدم العزى ، وعاد : « أرايت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد الى الصنم ، فهدم بيته ، وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعزى اغضبي بعض غضباتك . فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مولولة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزى ، ولا تعبد العزى أبداً »^٥ . ومعنى هذا أن العزى صنم ، كان في داخل بيت العزى ، وأن خالد بن الوليد كسره ، وهدم بيته . ولم يكن شجرة . أما تلك السمرة أو السمرات الثلاث ، فلم تكن إلا أشجاراً نبتت في حرم البيت . لذلك صارت محرمة لا يجوز مسها بأي سوء كان .

وقد سُمي بعض أهل الأخبار اسم آخر سدنة العزى (دُبَيَّة) و (دبية بن

-
- ١ الاصنام (١٤ وما بعدها) (روزا) .
 - ٢ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) ، ابن سعد ، حلفاء (١٤٦/٢) .
 - ٣ السمر : شجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس ، وليس في العضاه شيء أجود خشباً من السمر ، بلوغ العرب (٣٠٤/٢) ، تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٤ البلدان (١٦٧/٦ وما بعدها) ، المحبر (٣١٥) ، بلوغ العرب (٢٠٤/٢) ، الاصنام (١٥ وما بعدها) (روزا) .
 - ٥ الطبري (٦٥/٣) (دار المعارف) ، روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) .

حرمس السلمي^١ ، وسمّاه بعض آخر (ربية السلمي) ، و (ربية بن جرمي)^٢ ، و (ربيعة بن جرير السلمي)^٣ .

والرأي المعقول المقبول ، هو ان العزى صنم ، له بيت ، وأمامه غنّيب ، أي خزانة يضع فيها العباد المؤمنون بالعزى هداياهم ونذورهم لها ، كما كانوا ينحرون لها ، إذ لا يعقل ان يقال إن خالداً كسر الصنم وهدم بيته^٤ . ثم لا يكون العزى ، صنماً بل يكون شجرة ، أو شجرات . وأما الشجيرات ، فلأنها شجيرات مقدسة أيضاً ، لأنها في حرم العزى ، وشجر الحرم هو شجر مقدس لا يجوز قطعه ، ولذلك كان أهل مكة يتجنبون مس شجر الحرم بسوء ، فلما أراد (قصي) اعتضاده ، هابت قريش عمله وخافت سوء العاقبة ، ونهته عن مسه بسوء ، ولكنه أقدم على قطعه ، لم يبال برأيهم ، ولم يحفل بنصائحهم ، فقطعه . وكان بيت العزى يسمع فيه الصوت . وقد ذكر الأخباريون انه كان في كل من اللات والعزى ومناة شيطانة ، تكلمهم ، وتظهر للسدنة وقد نسبوا ذلك الى صنع ابليس^٥ . والظاهر ان الحبشية المذكورة التي قتلها خالد ، وزعم انها شيطانة ان صح ما ذكره الرواة عن وجودها ، كانت امرأة كان السادن يخفيها في موضع سري ، وهي التي تجيب عن أسئلة السائلين فينسب السادن كلامها الى العزى .

ومما يؤيد رأيي في ان (العزى) صنم ، ما ورد في تفسير (الطبري) من قوله : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خالد بن الوليد الى شعب بسقام ليكسر العزى ، فقال سادنها ، وهو قيمها : يا خالد أنا أحذركها إن لها شدة لا يقوم اليها شيء . فثنى اليها خالد بالفأس فهشم أنفها^٦ . مما يدل على انها كانت صنماً أنثى ، أي تمثلاً لامرأة ، لأنها أنثى .

ويظهر من هذا البيت :

أما ودماء مائرات تحالها على قنة العزى وبالنسر ، عندما^٧

-
- ١ بلوغ العرب (٢٠٤/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٥٥/٤) وما بعدها ، (عزز) .
 - ٣ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٤ المحبر (١٢٣) .
 - ٥ الازرق (٧٥/١) ، (باب ما جاء في اللات والعزى) .
 - ٦ تفسير الطبري (٥/٢٤) ، تفسير القرطبي (٢٥٨/١٥) .
 - ٧ اللسان (٣٤٩/١٣) ، (قنن) .

ان عبّاد العزى كانوا قد لطحوا قنّة الصنم ، أي أعلاه ورأسه بدم الأضاحي .
وكذلك فعل عبّاد الصنم نسر بقنّة صنمهم .

مناة :

ويعد الصنم مناة أقدم الأصنام عند الأخباريين . وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم : « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى »^١ . وهذه الأصنام الثلاثة هي إناث في نظر الجاهليين .

وموضع مناة بالمشلل على سبعة أميال من المدينة^٢ ، وبقديد بين مكة والمدينة^٣ ، وقيل أيضاً انه بموضع (ودان) أو في موضع قريب منه^٤ . وذكر اليعقوبي ان مناة كان منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر^٥ . والرأي الغالب بين أهل الأخبار انه كان على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد^٦ . وذكر (محمد بن حبيب) أنه كان بسيف البحر وكانت الأنصار وأزد شنؤة وغيرهم من الأزد تتعبد له . وأما سدنته ، فهم (الغطاريف) من الأزد^٧ . وذكر أن تليته كانت على هذه الصورة : « لبيك اللهم لبيك ، لولا ان بكرأ دونك ، يبرك الناس ويهجرؤنك ، وما زال حج عثج يأتؤنك . أنا على عدؤائهم من دونك »^٨ .

وتسكت أكثر روايات أهل الأخبار عن معبد (مناة) فلم تذكر شيئاً عنه ،

-
- ١ النجم ، الآية ١٩ وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (٣٥١/١٠) ، تفسير الطبري (٣٢/٢٧) وما بعدها ، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) وما بعدها ، تفسير الخازن (١٩٤/٤) وما بعدها ، تفسير أبي السعود (١١٢/٥) ، اللسان (١٦٧/٢٠) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧) .
 - ٣ مجمع البيان (١٧٦/٩) ، البلدان (٩٤٤/٢) ، عمدة القاري (٢٨٧/٩) .
 - ٤ البلدان (١٦٧/٨) وما بعدها .
 - ٥ اليعقوبي (٣١٢/١) ، (٢٢٥/١) .
 - ٦ ابن هشام (٨٧/١) ، الأصنام (١٣) وما بعدها ، الروض الانف (٦٥/١) ، أخبار مكة (٧٣/١) وما بعدها ، البداية والنهاية (١٩٢/٢) ، عمدة القاري (٢٨٧/٩) .
 - ٧ المحبر (٣١٦) .
 - ٨ المحبر (٣١٣) .

ولكن (الطبري) يشير في تفسيره إلى أنه كان بيتاً بالمشلل^١ ، وهو كلام منطقي معقول ، إذ لا يعقل أن يكون هذا الصنم ، مجرد صخرة أو صنم قائم في العراء تعبت به الرياح والشمس ، ثم ان له سدنة ، ولا يعقل أن تكون لصنم سدنة ، ثم لا يكون له بيت يؤويه . ولست أستبعد أن يكون له ، (جب) يلقي المؤمنون فيه هداياهم ونذورهم . وذكر (الطبري) أيضاً أن معبده كان به (قديد) . وأما عبده ، فخرافة ، وبنو كعب^٢ .

والأخباريون على خلاف فيما بينهم على هيئة (مناة) وشكله ، منهم من يقول إن مناة صخرة ، سميت بذلك لأن دماء النسائك كانت تمني عندها ، أي تراق^٣ . ومنهم من يقول إنه صنم كان منصوباً على ساحل البحر ، فهو على هيئة ومثال ، وقد نحت من حجارة^٤ ، وجعله بعض الرواة في الكعبة مع بقية الأصنام^٥ .

والذين يذكرون أن مناة صخرة ، يرون أن الناس كانوا يذبحون عندها فتعني دماء النسائك عندها ، أي تراق ، فهي إذن ، وبهذا الوصف مذبح تراق عنده الذبائح الذي تقدم نسيكة للإلهة . ويذكرون أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك « كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها »^٦ . ويتبين من ذلك ان هذا الموضع كان مكاناً مقدساً ، وقد خصص بإله ينشر السحب ويرسل الرياح فتأتي بالأمطار لتغيث الناس ، وان لهذا الإله صلة بالبحر وبالماء ، ولذلك أقيم معبده على ساحل البحر^٧ . وقد تكون هذه الصخرة مذبحاً أقيم عند الصنم ، أو عند معبده لتذبح عليه ما يهل للصنم ، فسمي باسمه ، ولذلك يمكن التوفيق بين الرأيين : كونه صخرة ، وكونه صنماً .

ويظهر من أقوال ابن الكلبي ان هذا الصنم كان معظماً ، خاصة عند الأوس

٢ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

١ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

٣ تفسير الطبري (٣٢/٢٧) وما بعدها .

٤ تفسير الطبري ، مجمع البيان (١٧٦/٩) ، البلدان (١٦٧/٨) وما بعدها .

٥ مجمع البيان (١٦٧/٨) وما بعدها .

٦ تفسير الطبري (٣٢/٢٧) وما بعدها ، الكشف (١٤٤/٣) وما بعدها ، تفسير البيضاوي (١٩٩/١) .

٧ وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة وما قارب ذلك من المواضع ، البلدان (١٦٧/٨) وما بعدها .

والخزرج ، أي أهل يثرب ومن كان يأخذ مأخذهم من عرب المدينة والأزد وغسان (فكانوا يحجون ويقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يخلقون رؤوسهم ، فإذا نفروا أتوا مناة وحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك^١ . ولكن القبائل العربية الأخرى كانت تعظمه كذلك ، وفي جملتها قريش^٢ وهذيل وخزاعة^٣ . وأزد شنؤة ، وغيرهم من الأزد . وقيل ثقيف أيضاً ، وذكرت رواية أخرى ان العرب جميعاً كانت تعظمه وتذبح حوله^٤ . أما سدنته ، فالنطاريف من الأزد^٥ .

وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمون مناة ، ويهلون منها للحج إلى الكعبة^٦ .

فناة اذن من الأصنام المعظمة المقدسة عند (الخزرج) . وكانوا يخلقون بها ويقفون عندها . وفي ذلك ورد شعر ينسب إلى عبيد العزى بن وداعة المزني أو غيره من العرب :

لني حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

فالمحل الذي يقف فيه (آل الخزرج) ، هو المحل الذي يحلف به أمام مناة . وكان العرب في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً : الخزرج ، ولذلك يقول الشاعر في بيته : (عند محل آل الخزرج)^٧ .

وترجع بعض الروايات تأريخ مناة إلى (عمرو بن لحي) فتزعم أنه هو الذي نصبه على ساحل البحر مما يلي قديداً^٨ . وقد أخذت من الرواية التي ترجع أساس عبادة الأصنام وانتشارها بين العرب إلى ذلك الرجل .

-
- ١ الاصنام (١٤) ، البلدان (١٦٩/٨) (مناة) الأزرقى (٧٣/١ وما بعدها) .
 - ٢ الاصنام (١٣ ، ١٥) ، البلدان (١٦٩/٨) .
 - ٣ البلدان (١٦٩/٨) ، اللسان (١٦٧/٢٠) .
 - ٤ الكشف (١٤٤/٣ وما بعدها) .
 - ٥ المحبر (٣١٦) ، البلدان (١٦٧/٨ وما بعدها) .
 - ٦ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) ، اللسان (١٦٧/٢٠) .
 - ٧ الاصنام (١٣ وما بعدها) .
 - ٨ أخبار مكة (٧٣/١ وما بعدها) ، البلدان (٦٥٣/٤) .

وكان المتعبدون لهذا الصنم يقصدونه ، فيذبجون حوله ، ويهدون له . ويظهر من روايات ابن الكلبي عن هذا الصنم ، أنه كان من الأصنام المعظمة المحترمة عند جميع العرب . وقد قصد ابن الكلبي بعبارة : « وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله »^١ عرب الحجاز على ما أعتقد . وكان سدنته يجنون من سدانتهم له أرباحاً حسنة من هذه الهدايا التي تقدم الى معبده باسمه .

وقد بقي سدنة هذا الصنم يرتزقون باسمه ، الى أن كان عام الفتح ، فانقطع رزقهم بهدمه وبانقطاع سدنته . فلما سار الرسول في سنة ثمان للهجرة ، وهي عام الفتح أربع او خمس ليال من المدينة ، بعث علياً اليه ، فهدمه وأخذ ما كان له ، فأقبل به الى النبي ، « فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان أهدهما له ، أحدهما : يسمى مخدماً ، والآخر رسوباً . وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في بيته :

مظاهر سربالي حديد عليها عقيلاً سيوف : مخدوم ورسوب

فوهبها النبي لعليّ ، فيقال : إن ذا الفقار ، سيف علي أحدهما . ويقال : إن علياً وجد هذين السيفين في الفلس ، وهو صنم طيء ، حيث بعثه النبي فهدمه^٢ .

وفي رواية للواقدي أن الذي هدم الصنم هو سعد بن زيد الأشهلي ، هدمه سنة ثمان للهجرة^٣ . وفي رواية أخرى ان الذي هدم الصنم هو أبو سفيان^٤ . وقد كانت القبائل تتجنب ان تجعل ظهورها على (مناة) إعظماً للصنم ، ولذلك كانت تنحرف في سيرها ، حيث لا يكون الصنم الى ظهورها^٥ . وفي ذلك قال الكميت بن زيد الشاعر ، أحد بني أسد بن خزيمه بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها متحرّفين

-
- ١ الاصنام (١٥) ، الاصنام (٤٩) ، (القاهرة ١٩١٤) .
 - ٢ الاصنام (١٥) ، البلدان (١٦٨/٨) .
 - ٣ الطبري (١٢٣/٣) ، روح البيان ، لاسماعيل حقي أفندي ، (٥٥١/٤) ، تأريخ الخميس ، للديار بكري (١٠٧/٢ وما بعدها) ، أمتاع الاسماع (٣٩٨/١) ، البخاري (١٨/٥) .
 - ٤ البداية والنهاية (١٩٢/٢) ، الروض الانف (٦٥/١) ، ابن هشام (٨٧/١) .
 - ٥ ابن هشام (٩٠/١) .

ويظهر من ورود اسم هذا الصنم في القرآن الكريم ، ومن انتشار التسمية به في مثل (عبد مناة) و (عبدة مناة) و (زيد مناة) و (عوذ مناة) و (سعد مناة) و (أوس مناة) بين عدد من القبائل المختلفة ، مثل تميم وطيء وكنانة ، ان عبادة (مناة) كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين القبائل^١ . ولهذه الكلمات المتقدمة على كلمة (مناة) شأن كبير في وصف الصورة التي كانت في مخيلة عبدة مناة عنه ، إذ تمثله إلهاً كريماً يسعد عباده ويساعدهم في المكارة والملمات ويعطيهم ما يحتاجون اليه .

والصنم مناة هو (منوتن) (منوت) Manavat عند النبط ، ويظن ان لاسمه صلة بـ (مناتا) Menata في لهجة بني إرم ، و (منا) Mana في العبرانية ، وجميعها (مانوت) (منوت) Manot ، وباسم الإله (منى) Meni ، وبكلمة (منية) ، وجمعها (منايا) في عربية القرآن الكريم . وهي لذلك تمثل الحظوظ والأمانى ، وخاصة الموت^٢ . ولهذا ذهب بعض الباحثين الى ان هذه الإلهة هي إلهة المنية والمنايا عند الجاهليين^٣ .

وقد ذكر (منى) Meni مع (جد) Gad في العهد القديم . والظاهر ان كلمة (جد) كانت مصدراً ، ثم صارت اسم علم للصنم . وذكر (منى) مع (جد) له شأن كبير من حيث معرفة الصنمين . فالأول هو لمعرفة المستقبل وما يكتبه القدر للإنسان من منايا ومخبات لا تكون في مصلحة الإنسان . والثاني ، وهو (جد) ، لمعرفة المستقبل الطيب والحظ السعيد (tyche) (fortune) في اليونانية ، فهما يمثلان إذن جهتين متضادتين^٤ .

هبل :

يقول ابن الكلبي : « وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها هبل . وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة لإنسان ، مكسور اليد

١ تاج العروس (٣٥١/١٠) .
 ٢ Reste, S. 28, Ency. Religi., I, pp. 231, 661.
 ٣ Das Gotzenbuch, S. 87.
 ٤ Hastings, pp. 275, 604.

اليمنى . أدركته قریش فجعلت له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمه ابن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمه .

وكان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقداح ، مكتوب في أولها : صريح والآخر ملصق . فإذا شكوا في مولود أهدوا اليه هدية ، ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج صريح الحقوه ، وإن خرج ملصق دفعوه . وقدر على الميت ، وقدر على النكاح ، وثلاثة لم تفسر لي على ما كانت . فإذا اختصموا في أمر ، أو أرادوا سفراً أو عملاً ، أتوه فاستسقوا بالأزلام عنده . فما خرج ، عملوا به وانتهوا اليه . وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبدالله^١ .

وتذكر رواية أخرى أن خزيمه بن مدركة كان أول من نزل مكة من مضر ، فوضع هبل في موضعه ، فكان يقال له صنم خزيمه ، وهبل خزيمه . وورث أولاده سدنته من بعده^٢ . وقد ذهب (ابن الكلبي) هذا المذهب أيضاً ، إذ قال : « وكان أول من نصبه خزيمه بن مدركة »^٣ .

ولا خلاف بين أهل الأخبار في أن (هبل) ، كان على هيئة انسان رجل^٤ . وهناك روايات تنسب هبل الى عمرو بن لحي ، تقول إنه جاء به الى مكة من العراق من موضع هيت ، فنصبه على البشر وهي الأخسف والجب الذي حفره إبراهيم في بطن الكعبة ، ليكون خزانة للبيت ، يلقي فيه ما يهدى الى الكعبة ، وأنه هو الذي أمر الناس بعبادته ، فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت ، وحلق رأسه عنده ، وكان على هذه الروايات من خرز العقيق على صورة إنسان ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فأدركته قریش فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة للقربان وكان قربانه مائة بعير . وله حاجب يقوم بخدمته^٥ .

- ١ الاصنام (٢٧ وما بعدها) (تحقيق احمد زكي باشا) ، سبائك الذهب (١٠٤)
الازرقعي (٦٨/١ وما بعدها) ، ابن هشام (٦٤/١) ، الطبري (٢٠٢/٢) ،
(الاستقامة) ، (٢٤٠/٢) « المعارف » ، خزانة لادب (٢٤٤/٣) ، سبائك
الذهب (١٠١) ، ابن الاثير ، الكامل (١٨/٢) ، مروج الذهب (٢٣٨/١) ، (محمد
محيي الدين عبد الحميد) ، البداية والنهاية (١٨٧/٢) .
- ٢ طبقات ابن سعد (٣٩/١) .
- ٣ الاصنام (روزا) ، نهاية الارب (١٢/١٦) .
- ٤ الطبرسي ، مجمع البيان (٦٨/٢٩ وما بعدها) (بيروت ١٩٥٤ م) .
- ٥ اخبار مكة ، للازرقعي (٢٧/١ ، ٦٨ وما بعدها) ، الروض الانف (٦٥/١) .

وجاء في رواية ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق ، وهم ولد عملاق ، ويقال عمليق ، وجدهم يتعبدون للأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه الأصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم : أفلا تعطوني منها صنماً ، فأسير به الى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل ، وأخذته ، فتقدم به الى مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته^١ .

ولسنا نجد في كتب أهل اللغة أو الأخبار تفسيراً مقبولاً لمعنى (هبل) . وقد ذهب بعضهم الى انه من (الهبله) ، ومعناها القبلة . وذكر بعض آخر انه من (الهيلي) ، بمعنى الراهب ، وذكر ان (بني هبل) كانت تتعبد له^٢ . وذكر انه من (هُبل) بوزن (زُفَر) ، ومعناها كثرة اللحم والشحم ، أو من (هبل) بمعنى غم ، وما شاكل ذلك من آراء^٣ . ويكمن سبب اضطراب العلماء في تسميته في انه من الأصنام المستوردة من الخارج التي حافظت على تسميتها الأصلية ، فوقع لديهم من ثم هذا الاضطراب .

وكانت تلبية من نسك هبل : « لبيك اللهم لبيك . اننا لقاح ، حرمتنا على أسنة الرماح ، يحسدنا الناس على النجاح »^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان (هبل) كان أعظم أصنام قريش ، وكانت تلوذ به وتتوسل اليه ، ليمنّ عليها بالخير والبركة ، وليدفع عنها الأذى وكسل شر . وكانت لقريش أصنام أخرى في جوف الكعبة وحولها ، ولكن هبل هو المقدم والمعظم عندها على الجميع . وقد نصب على الجب الذي يقال له (الأخشف) ، وهو بشر ، وكانت العرب تسميها (الأخشف)^٥ .

وذهب بعض المستشرقين الى ان (هبل) ، هو رمز الى الإله القمر ، وهو

-
- ١ سيرة ابن هشام (٦٢/١) ، (وقد طبعت في هامش كتاب الروض الانف للسهيلي) ، ديوان حسان (تحقيق هرشفلد) ، سيرة ابن هشام (٨٢/١) ، البداية والنهاية (١٨٧/١ وما بعدها) ، اليعقوبي (٢١١/١) ، مروج (٢٣٨/٢) ، اللسان (٦٨٦/١١) ، تاج العروس (١٦٨/٨) ، (هبل) .
 - ٢ البلدان (٤١٦/٨) .
 - ٣ المعبر (ص ٣١٥) .
 - ٤ أخبار مكة (٦٦/١ وما بعدها) .

إله الكعبة ، وهو الله عند الجاهليين^١ . وكان من شدة تعظيم قريش له أنهم وضعوه في جوف الكعبة . وانه كان الصنم الأكبر في البيت .

ويرى بعض الباحثين ان صورة الحية أو تمثالها يشيران الى هبل ، أو إلى هبل وود . وقد عثر على صورة لحية في (رم) ، يظهر انها رمز الى (هبل) أو ود^٢ .

وذكر (ياقوت الحموي) أن هبل (صنم) لبني كنانة : بكر ومالك وملكان، وكانت كنانة تعبد ما تعبد قريش ، وهو اللات والعزى . وكانت العرب تعظم هذا المجمع عليه . فتجتمع عليه كل عام مرة^٣ . وقال غيره : « وكان هبل لبني بكر ومالك وملكان وسائر بني كنانة . وكانت قريش تعبد صاحب بني كنانة ، وبنو كنانة يعبدون صاحب قريش »^٤ .

وقد ورد اسم هبل في الكتابات النبطية التي عثر عليها في الحجر ، ورد مع اسم الصنمين : دوشرا (ذي الشرى) ، و (منوتو) (مناة)^٥ . وقد تسمى به أشخاص ويطون من قبيلة كلب ، مما يدل على أن هذه القبيلة كانت تتعبد له ، وأنه كان من معبودات العرب الشماليين^٦ . وباسم هذا الصنم سمي (هبل بن عبدالله بن كنانة الكلبي جدّ زهير بن جناب)^٧ .

ولما أراد النبي الإنصراف عن أحد ، علا صوت أبي سفيان : أعل هُبل ، أعل هُبل . فقال النبي لعمر : أجبه ، قال : ما أقول له ؟ قال : الله أعلى وأجل . فقال : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي لعمر قل : الله مولانا ولا مولى لكم^٨ .

١ Reste, S. 73, 221, Grohmann, S. 87.

٢ Grohmann, S. 87, Jaussen — Savignac, Mission, I, 169.

٣ البلدان (٤٤٢/٧ وما بعدها) .

٤ المحبر (٣١٨) .

٥ Ency., II, 327, CIS, II, NR : 189, Jaussen et Savignac, Mission, I,

p. 169, Reste, S. 75, 221, L. Krehl, Über die Religion der

Vorislamischen Araber, S. 90, Oslander, in ZDMG., VII, S. 493.

٦ Ency. Religi., I, p. 664.

٧ كتاب المعمرين (ص ٢٩) (هبل) .

٨ الاصنام (ص ٢٨) ، اللسان (٦٨٦/١١) ، (٢١٢/١٤) ، تاج العروس

(١٦٢/٨) ، الاشتقاق (٣١٦/٢) .

أصنام قوم نوح :

وزعم ابن الكلبي أن خمسة أصنام من أصنام العرب ، من زمن نوح ، وهي : ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر^١ . وقد ذكرت في القرآن الكريم : « قال نوح : ربّ لأهلهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً ، ومكروا مكراً كباراً ، وقالوا : لا تذرون آلهتكم ، ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً^٢ . ويظهر ان ورود اسمها على هذا النحو في القرآن ، هو الذي حمّله على رجوع هذه الأصنام الى أيام نوح .

وزعم (ابن الكلبي) ان الأصنام المذكورة كانت في الأصل قوماً صالحين ، ماتوا ، في شهر ، وذلك في أيام (قابيل) ، فجزع عليهم بنو قابيل ، وذوو أقاربهم ، وقام رجل من قومهم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ، فصار الناس يعظمونها ويسعون حولها ، ثم جاء من بعدهم من عبدها ، وعظم أمرها ، ولم يزل أمرها يشتد ، حتى أدرك (نوح) فدعاهم الى الله ، والى نبذ هذه الأصنام ، فكذبوه ، فكان الطوفان ، فأهبط ماء الطوفان هذه الأصنام من جبل (نود) الى الأرض ، وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة ، ثم نصب الماء وبقيت على الشط ، فسفت الريح عليها حتى وارتها . وبقيت مطمورة هناك أمداً ، حتى جاء (رثي) (عمرو ابن لحي) وكان يكنى أبا ثمامة ، فقال له : عجّل بالمسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة . قال عمر : جبر ولا إقامة . فقال الرثي ايت ضف جدة تجد فيها أصناماً معدة ، فأوردها ولا تهاب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجاب . فأتى شط جدة فاستشارها ، ثم حملها حتى ورد تهامة . وحضر الحج ، فدعا العرب الى عبادتها قاطبة . فأجابه سادات القبائل ، ووزع تلك الأصنام عليهم ، وأشاعوا عبادتها بين الناس^٣ ، ومن ثم عبد العرب هذه الأصنام .

وذكر أيضاً ان الأصنام المذكورة هي أصنام نحتها الشيطان على صورة خمسة بنين من أبناء (آدم) ، ماتوا فجزع الناس عليهم ، لأنهم كانوا عبّاداً صالحين .

١ الأصنام (٨) (روزا) .

٢ سورة نوح ، الآية ٢١ وما بعدها .

٣ الأصنام (٣٣) وما بعدها (روزا) .

فسوّل لهم الشيطان ان يصنع لهم تماثيل على هيأتهم وصورهم ، لتذكّركم بهم
فسرّوا برأيه ، وصنعها لهم ، فما لبث الناس ان عبدوها ، حتى تركوا عبادة
الله ، وكان (ود) أكبرهم وأبرهم ، فصار أول معبود عبد من دون الله^١ .

ود :

وكان الصنم ود من نصيب (عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن
ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة) ،
أعطاه إياه (عمرو بن لحي) فحمله الى وادي القرى ، فأقره بدومة الجندل .
وسمّى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمي به ، وهو أول من سمى عبد ود ، ثم
سمت العرب به بعد^٢ . وقد تعبد له بنو كلب^٣ .

ومنهم من يحمز فيقول أد^٤ . ومنه سمي (عبد ود) و (أد بن طابخة) ،
و (أدد) جد معد بن عدنان^٥ .

وجعل عوف ابنه عامراً الذي يقال له عامر الأجدار سادناً له ، فلم يزل بنوه
يسندونه حتى جاء الله بالإسلام .

وقد استنتج (ياقوت الحموي) من هذه الرواية التي يرويها (ابن الكلبي)
أن الصنم اللات أقدم عهداً من ود ؟ لأن ودّاً على هذه الرواية قد سلم الى عوف
وعوف هو حفيد زيد اللات الذي سمي بـ (زيد اللات) ، نسبة الى الصنم اللات ،
فودّ على هذا أحدث عهداً من اللات^٦ .

وفي رواية لمحمد بن حبيب أن ودّاً كان لبني وبرة ، وكانت سدنته من
بني الفرافصة بن الأحوص من كلب^٧ . ويشك (ولهوزن) Wellhausen في

-
- ١ روح المعاني (٧٧/٢٩ وما بعدها) .
 - ٢ الاصنام (٣٤) (روزا) اللسان (٤٦٨/٤) (بولاق) روح المعاني (٧٧/٢٩ وما
بعدها) .
 - ٣ اللسان (٤٦٨/٤) تفسير أبي السعود (١٩٨/٥) ، تفسير الخازن (٣١٤/٤) ،
تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤ وما بعدها) ، الروض الانف (٦٣/١) ، ابن هشام
(٦٣/١) ، (هامش على الروض) .
 - ٤ اللسان (٤٥٥/٤) ، (ود) .
 - ٥ البلدان (٤١٠/٨) (نهاية مادة ود) .
 - ٦ المحبر (٣١٦) ، البلدان (٤٠٧/٨) (ود) .

صححة هذه الرواية ، فقد كان الفرافصة بن الأحوص على رأيه نصرانياً ، وهو والد فائلة زوج الخليفة عثمان . ثم ان (الفرافصة) لم يكن من بني عمرو بن ود ، ولا من بني عوف بن عذرة ، فلا يعقل أن تكون السدانة اليه وفي نسله ^١ .

وود على وصف (ابن الكلبي) له في كتابه الأصنام « تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل » ^٢ . وقد أخذ ابن الكلبي وصفه هذا لود من أبيه عن مالك بن حارثة الأجداري .

ومالك بن حارثة الأجداري ، هو من بني عامر الأجدار ، وهم سدنة ود . وزعم ابن الكلبي ان أباه محمد بن السائب الكلبي حدثه عن مالك بن حارثة أنه قال له : إنه رأى ودّاً ، وأن أباه كان يبعثه ، وهو صغير ، باللبن اليه ، فيقول : اسقه إلهك ، فيشربه مالك ، فيعود وقد شرب اللبن . أما أبوه فيظن انه قد أعطى ودّاً إياه ^٣ .

وذكر (جارية بن أصرم الأجداري) ، من بني عامر بن عوف ، المعروف بعامر الأجدار ، انه رأى ودّاً بدومة الجندل في صورة رجل ^٤ . وورد أن من عبدة (ود) بعض تميم ، وطيء ، والخزرج ، وهذيل ، ونخع ^٥ .

ويظهر انه (أدد) عند ثمود . وأدد من الأسماء المعروفة . وقبيلة (مرة) ، نسبة الى (مرة بن أدد) . وقد عرف بـ (كهلن) ، أي (الكاهل) . (هكهل) (ها - كهل) . ويظن أن الإله (قوس) (قيسو) (قوسو) ، هو (ود) ، أي اسم نعت له . وذهب بعض الباحثين الى أن (نسرأ) و (ذاغابة) (ذغبت) يرمزان اليه ^٦ .

١ Reste, S. 17, Ency. Religi., I, p. 682.

٢ الاصنام (٥٦) ، (٣٥) (روزا) سبائك الذهب (١٠٤) ، البلدان (٩٠٤ / ٨) (ود) .

٣ الاصنام (٥٥) .

٤ الاصابة (٢١٩ / ١) ، (رقم ١٠٤٤) .

٥ Reste, 14 - 18, Ryckmans 16, Grohmann, S. 87.

٦ Jaussen — Savignac, Mission, II, 395, 581, Grohmann, S. 87.

وقد بقي ود قائماً في موضعه الى ان بعث رسول الله خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه . فلما أراد خالد هدمه ، اعترضه بنو عبد ود وبنو عامر الأجدار ، وأرادوا الحيلولة بينه وبين هدمه ، فقاتلهم وأوجعهم ، وقتل منهم ، فهدمه وكسره . وذكر ابن الكلبي انه كان فيمن قتل رجل من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح ، ورجل آخر هو حسان بن مصاد ابن عم الأكيدر صاحب دومة الجندل^١ .

ويرى بعض المستشرقين استناداً الى معنى كلمة (ود) بأن هذا الصنم يرمز الى الود ، اي الحب ، وانه صنو للإلهين (جيل) Gil و (بحد) Pahad عند الساميين . ويستندون في رأيهم هذا الى بيت للنايعة مطلعته : (حياك ود)^٢ ، غير ان من العسير علينا تكوين رأي صحيح عن هذا الصنم. ولا أستبعد أن تكون كلمة (ود) صفة من صفات الله لا اسم علم له .

وهناك من يرى وجود صلة بين (ود) و (ايروس) Eros الصنم اليوناني، ويرى انه صنم يوناني في الأصل استورد من هناك ، وعبدته العرب . وهو رأي يعارضه (نولدكه) ، لانتفاء التشابه في الهيئة بين الصنمين^٣ .
و (ود) هو الإله الأكبر لأهل معين . وسوف أتحدث عنه فيما بعد .

سواع :

أما سواع ، فكان موضعه برهاط ، من أرض ينبع . وذكر انه كان صنماً على صورة امرأة ، وهو صنم هذيل . وينسب ابن الكلبي انتشار عبادته — كعاداته — الى عمرو بن لحي ، فذكر ان مضر بن نزار أجابت عمرو بن لحي ، فدفع الى رجل من هذيل (يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر) سواعاً، فكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة ، يعبد من يليه من مضر^٤ . وذكر (ابن حبيب) انه كان بـ (نعمان) ، وأن

١ الاصنام (٥٥) .

٢ Reste, S. 17, Ency. Religi., VIII, p. 180.

٣ Ency. Religi., I, p. 662.

٤ الاصنام (٥٧) ، البكري (٦٩٧/٢) (رهاط) ، اللسان (٣٤/١٠) (بولاق) .

عبدته : بنو كنانة ، وهذيل ، ومزينة ، وعمرو بن قيس بن عيلان . وكان سدنته بنو صاهلة من هذيل . وفي رواية أن عبدة سواع هم آل ذي الكلاع^١ . وذكر (اليعقوبي) أنه كان لكنانة^٢ .

وفي رواية أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) كذلك ، تزعم أن سواعاً صنم كان برهساط من أرض ينبع ، وينبع عرض من أعراض المدينة . وكانت سدنته بنو لحيان . ثم تقول إنه لم يسمع بورود اسم هذا الصنم في شعر هذيل ، إنما بورود اسمه في شعر رجل من اليمن^٣ .

وورد في رواية أخرى ان (سواعاً) صنم من أصنام همدان^٤ .

ويرى (نولدكه) أن سواعاً لم يكن من الأصنام الكبرى عند ظهور الإسلام ، وهو في نظره من الأصنام التي لم ترد أسماؤها في الأعلام المركبة ، ويدل عدم ورود اسمه في هذا الأعلام على خمول عبادته بين الجاهليين^٥ .

وفي السنة الثامنة من الهجرة هدم سواع ، وكان الذي هدمه عمرو بن العاص ، فلما انتهى الى الصنم ، قال له السادن : ما تريد : قال : هدم سواع ، قال : لا تطيق تهدمه ، قال له عمرو بن العاص : أنت على الباطل بعد . فهدمه عمرو ، ولم يجد في خزانته شيئاً ، ثم قال للسادن : كيف رأيت ، قال : أسلمت والله^٦ .

و (سواع) من الأصنام التي ورد اسمها في القرآن الكريم : « وقالوا : لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً »^٧ . وقد ذكر بعض العلماء ، انه صنم عبد في زمن نوح ، فدفنه الطوفان ، فأشار (ابليس)

١ المحبر (٣١٦) ، البكري (٦٧٩/٢) .

٢ اليعقوبي (٢٢٥/١) .

٣ الأصنام (٦) (روزا) ، البلدان (٣٤١/٣) ، (رهاط) ، تاج العروس (٢٩٠/٥)
اللسان (٢٤/١٠) ، القاموس (٤٢/٣) (سوع) .

٤ الأصنام (٥٧) ، الطبرسي ، مجمع البيان (٣٦٤/٥) ، الكشف (١٤٣/٤) ، تفسير البيضاوي (٢٣٩/١) ، روح المعاني (٧٧/٢٩) وما بعدها ، تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤) وما بعدها (تفسير أبي السعود (١٩٨/٥) .

٥ Ency. Relig. I, p. 663.

٦ الطبري (٦٦/٣) (دار المعارف) ، (حوادث السنة الثامنة) ، امتناع الاسماع (٣٩٨/١) .

٧ نوح ، ٧١ ، (الآية ٢٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٦٢/٢٩) ، روح المعاني (٧٧/٢٩) .

على الجاهليين بالتعبّد له ، فعبّدتهم همدان ، ثم صار لهذيل ، وكان برهاط وحجّ إليه . وقال (ابن الكلبي) انه لم يسمع بذكره في أشعار هذيل . وقد قال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظل جنباه برهاط صرعى عتائر من ذخائر كل راع^١

وذكر بعض أهل الأخبار ان سواعاً وبقية الأصنام التي ذكرت معه في سورة نوح ، « كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم . فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم ابليس ، فقال : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم »^٢ .

ورهاط من بلاد بني هذيل ، ويقال وادي رهاط ببلاد هذيل ، ذكر انه على ثلاثة أميال أو ثلاث ليال من مكة^٣ .

ونسب بعض أهل الأخبار هدم الصنم (سواع) الى (غاوي بن ظالم السلمي) (غاوي بن عبد العزى) . ذكروا أن هذا الصنم كان (لبني سليم بن منصور) ، فبينما هو عند الصنم ، اذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنّاه ، فبالا عليه فقال :

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالث عليه الثعالب

ثم قال : يا معشر سليم ؟ لا والله هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ! فكسره ولحق بالنبي عام الفتح . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، ما اسمك ؟ فقال : غاوي بن عبد العزى . فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه . وعقد له على قومه . وقيل إن هذه الحادثة إنما وقعت لعبّاس بن مرادس السلمي ، وقيل لأبي ذر الغفاري^٤ .

١ تاج العروس (٣٩٠/٥) ، (ساع) .

٢ تفسير الطبري (٦٢/٢٩) .

٣ تاج العروس (١٤٥/٥) ، (رهط) ، نوادر المخطوطات ، أسماء جبال تهامة وسكانها (٤٠٩) .

٤ اللسان (٢٣٧/١) ، (ثعلب) ، (صادر) ، (كان الصنم الذي يقال له سواع بالمعلاة ، فذكر قصته اسلامه وكسره اياه) ، الاصابة (٤٨٢/١) وما بعدها ، (رقم ٢٥١٧) .

يغوث :

وأما يغوث ، فكان أيضاً على رواية ابن الكلبي ، في جملة الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على من استجاب الى دعوته من القبائل ، دفعه الى أنعم بن عمرو المرادي ، فوضعه بأكمة مدحج باليمن ، فعبده مدحج ومن والاها وأهل جرش^١ . وقد بقي في أنعم الى ان قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد ، فهربوا به الى نجران ، فأقروه عند بني النار من الضباب ، من بني الحارث بن كعب . واجتمعوا عليه جميعاً^٢ . وفي رواية أن عبدة يغوث هم بنو غطيف من مراد^٣ .

وفي رواية أن يغوث بقي في أنعم وأعلى من مراد ، الى أن اجتمع أشراف مراد وتشاوروا بينهم في أمر الصنم ، فقر رأيهم أن يكون فيهم ، لما فيهم من العدد والشرف . فبلغ ذلك من أمرهم الى أعلى وأنعم ، فحملوا يغوث وهربوا به حتى وضعوه في بني الحارث بن كعب ، في وقت كان النزاع فيه قائماً بين مراد وبني الحارث بن كعب . فلما أبت بنو الحارث تسليم الصنم الى مراد، وتسوية أمر الديات ، أرسلت عليها مراد جيشاً فاستنجدت بنو الحارث بهمدان ، فنشبت بينها معركة عرفت بيوم الرزم ، انهزمت فيها مراد ومنيت بخسارة كبيرة قبيحة ، وبقي الصنم في بني الحارث . وقد وافق يوم الرزم يوم بدر^٤ .

وذكر (الطبرسي) أن بطنين من طيء أخذوا يغوث ، فذهبا به الى مراد ،

١ الاصنام (١٠ ، ٥٧) ، اللسان (٤٨٠/٢) (غوث) تاج العروس (٣٣٧/١) (غوث) ، قال الشاعر :

وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح
البلدان (٥١١/٨) (يغوث) الروض الانف (٦٣/١) سبائك الذهب (١٠٤) ،
بلوغ الارب (٢٠١/٢) القاموس (١٧١/١) ، روح المعاني (٧٧/٢٩) ومسا
بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٣٩/١) .

٢ المحبر (٣١٧) .

٣ الطبرسي (٣٦٤/٥) ، الكشف (١٤٣/٤) ، تفسير أبي السعود (١٩٨/٥) ،
تفسير الخازن (٣١٤) ، تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤) .

٤ البلدان (٥١١/٨) ، (يغوث) .

Reste, S. 20, Ency. Religi., I, p. 663, A. Flischer, In ZDMG., 58, 869, Nöldeke.
In ZDMG., 40, 161, 168, Das Götzenbuch, S. 28.

فعبدوه زماناً ، ثم أن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ، ففروا به الى بني الحارث بن كعب^١ .

ويظهر من غريلة هذه الروايات أن الصنم يغوث كان في جرش أو على مرتفع قريب من هذه المدينة . أما سدنته ، فكانوا من بني أنعم بن أعلى من طيء ، وكانوا في جرش . وفي حوالي سنة ٦٢٣ ، أي السنة التي وقعت فيها معركة بدر ، حدث نزاع على الصنم : أراد بنو مراد ان يكون الصنم فيهم وسدنته لهم ، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيه . فهرب بنو أنعم بصنمهم الى بني الحارث ، واحتفظوا به بعد أن وقعت الهزيمة في مراد^٢ .

وفي الحرب التي وقعت بين (بني أنعم) و (غطفان) حمل عبدة (يغوث) صنمهم معهم وحاربوا ، مستمدين منه العون والمدد . وفي ذلك يقول الشاعر :

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجوناهم قبل الصباح^٣

ويظهر ان (بني أنعم) ، وسائر عبدة هذا الصنم ، كانوا يحملون صنمهم معهم في غالب الأحوال عند قتالهم القبائل الأخرى^٤ .

ولا يستبعد ان تكون لاسم هذا الصنم علاقة بفكرة المتعبدين له عنه ، بمعنى ان المتعبدين له كانوا يرون انه يغيثهم ويساعدهم . وقد ظن بعض الباحثين انه يمثل الإله الأسد . وانه كان (طوطم) قبيلة مذحج ، يدافع عنها ويذب عن القبيلة التي تستغيث به ، على نحو ما فعله الاسرائيليون من استغاثتهم بـ (حية النحاس) المسماة (نخشتان) Nehushtan^٥ ، التي كانت (طوطماً) في الأصل على رأي (سميث)^٦ .

ونجد بين أسماء الجاهليين عدداً من الرجال سمّوا بـ (عبد يغوث) ، منهم

-
- ١ الطبرسي (٣٦٤/٥) .
 - ٢ Reste, S. 21, A. Flischer, Der Gotze Jaguth, in ZDMG., BD., 58, S. 869, Leipzig, 1904.
 - ٣ البلدان (٥١١/٨) .
 - ٤ Reste, S. 20, Das Botzenbuch, S. 83.
 - ٥ الملوك الثاني ، الاصحاح الثامن عشر الآية ٤ .
 - ٦ Das Gotzenbuch, S. 82, Smith, The Religion of the Selves, London, 1927, p. 227, Journal of philo., IX, 99.

من كان في مذحج ، ومنهم من كان في قریش ، ومنهم من كان في هوازن . وقد كان قائد بني الحارث بن كعب على تميم في معركة (الكلاب) عبد يغوث ، كما كان لدريد بن الصمة أخ اسمه (عبد يغوث) . ومن مذحج : (عبد يغوث) ابن وقاص بن صلاء الحارثي ، الذي قتلته (التيم) يوم الكلاب الثاني^١ . ومن بني زهرة : عبد يغوث بن وهب ، وعبيد يغوث ، وامها صفية بنت هشام بن عبد مناف^٢ . ويدل ذلك على ان عبادته كانت معروفة بين مذحج وأهل جرش وقریش وهوازن ، وقبائل أخرى مثل تغلب^٣ .

ولم يرد اسم هذا الصنم في الكتابات^٤ . وقد ذهب (روبرتسن سمث) الى انه (يعوش) Ye'ush المذكور في سفر التكوين ، وهو أحد أجداد أدوم^٥ . ويمثله الأسد في نظر (روبرتسن سمث)^٦ .

يعوق :

ويعوق أيضاً في جملة هذه الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على القبائل . لقد سلمه عمرو الى مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف ابن همدان فوضعه في موضع خيوان ، حيث عبدته همدان وخولان ومن والاها من قبائل . وكان في أرحب^٧ .

وذكر (ياقوت الحموي) ان ابن الكلبي قال : « واتخذت خيوان يعوق ، وكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة ، ولم أسمع لها

١ المحبر (٢٥١) ، (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص ، قتل يوم الكلاب وكان على مذحج يومئذ) ، الاشتقاق (٢٣٩) .

٢ الاشتقاق (٩٥) .

٣ Ency. Religi., I, p. 663.

٤ Ency. Religi., I, p. 663.

٥ التكوين ، الاصحاح ٣٦ ، الآية ٥ ، ١٤ ، ١٨ ، وأخبار اليوم الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٥ .

٦ Robertson, p. 226.

٧ الاصنام (٥٧) القاموس (٢٧٠/٣) ، الطبرسي (٣٦٤/٥) ، سبائك الذهب (١٠٤) الاكليل (٥٦/١٠) ، الكشف (١٣٤/٤) ، الاشتقاق (٢٥٣) ، البلدان (٤٣٨/٥) ، روح المعاني (٢٧/٢٩ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٣١٤/٤) تفسير ابي السعود (١٩٨/٥) .

ولا لغيرها شعراً فيه . وأظن ذلك لأنهم قربوا من صنعاء واختلطوا بحمير، فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذي نواس ، فتهودوا معه ^١ . ونسب (الطبرسي) عبادة يعوق إلى كهلان ، وذكر أنهم توارثوه كابراً عن كابر، حتى صار إلى همدان ^٢ . وذكر في رواية أخرى ان يعوق اسم صنم كان لكنانة ^٣ .

وذكر بعض أهل الأخبار : (يعوق) صنم كان لكنانة ، « وقيل كان لقوم نوح عليه السلام ، كما في الصحاح . او كان رجلاً من صالحى أهل زمانه . فلما مات جزعوا عليه فأتاهم الشيطان في صورة إنسان . فقال : أمثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ، ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحهم ، ثم تمادى بهم الأمر الى أن اتخذوا تلك الأمثلة أصناماً يعبدونها » ^٤ .

وتشير ملاحظة (ابن الكلبي) من أنه لم يسمع بأن همدان أو غير همدان سمت (عبد يعوق) ^٥ الى أن يعوق لم يكن من الأصنام المهمة بين العرب عند ظهور الإسلام ، وان عبادته كانت قد تضاءلت ، وانحصرت في قبائل معينة . وهناك بيت ينسب الى مالك بن نبط الهمداني الملقب بنذي المعشار ، وهو من بني خارف أو من يام بن أصى ، هذا نصه :

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبرى يعوق ولا يريش ^٦

نسر :

وأما نسر فكان من نصيب حمير، أعطاه عمرو بن لحي قيلَ ذي رعين المسمى (معديكرب) فوضعه في موضع بلخع من أرض سبأ ، فتعبدت له حمير الى أيام

١ البلدان (٥١٠/٨) (يعوق) ، Reste, S. 22, Ency. Religi., I, p. 663.

٢ الطبرسي (٣٦٥/٥) .

٣ اللسان (٢٨١/١٠) (صادر) تاج العروس (٢٩/٧) ، اللسان (١٥٤/١٢) (بولاق) .

٤ تاج العروس (٢٩/٧) ، (عوق) .

٥ الاصنام (٧) ، (روزا) ، البلدان (١٠٢/٤) .

٦ الروض الانف (٦٣/١) ، ابن هشام (٦٣/١) ، (هامش الروض) .

ذي نواس ، فتهودت معه ، وتركت هذا الصنم^١ . وكان عباد نسر آل ذي الكلاع. من حمير على رواية من الروايات^٢ . وذكر (محمد بن حبيب) ، أن حمير تنسكت لنسر ، وعظمته ودانت له ، وكان في غمدان قصر ملك اليمن^٣ . وذكر اليعقوبي أنه كان لحمير وهدان منصوباً بصنعاء^٤ .

ونسر هو (نسر) Neshra في العبرانية^٥ . وهو صنم من أصنام اللحيانيين كذلك ، ويجب ان يكون من أصنام العرب الشماليين لورود اسمه في الموارد العبرانية والسريانية على انه اسم لآله عربي^٦ .

وأشير في التلمود الى صنم ذكر ان العرب كانوا يعبدونه اسمه (نشرا) Neshra و (نشرا) هو (نسر) . وقد ورد اسم الصنم (نسر) عند السبئيين كذلك ، وكان من الآلهة المعبودة عند كثير من الساميين ، وقد عبد خاصة في جزيرة العرب^٧ .

ولم يشر ابن الكلبي الى صورة الصنم نسر ، ولكننا نستطيع ان نقول استناداً الى هذه التسمية انه كان على هيئة الطائر المسمى باسمه ، وقد وجدت أصنام على صورة نسر منحوتة على الصخور خاصة في أعالي الحجاز^٨ . ويؤيد هذا الرأي رواية ذكرها الطبرسي في أشكال الأصنام ، أسندها الى الواقدي ، قال فيها : « كان ود على صورة رجل ، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فرس ، ونسر على صورة نسر من الطير »^٩ .

- ١ الاصنام (٥٧ وما بعدها) ، البلدان (٢٨٦/٨) (نسر) ابن هشام (٦٣/١) ، (هامش الروض) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، الكشف (١٤٣/٤) بلوغ الارب (٢٠١/٢) ، القاموس (١٤١/٢) .
- ٢ الطبرسي (٣٦٤/٥) ، تاج العروس (٥٦٣/٣) ، اللسان (٦٠/٧ وما بعدها) ، (نسر) .
- ٣ المحبر (٣١٧) .
- ٤ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
- ٥ Hastings, p. 200.
- ٦ Handbuch, I, S. 44.
- ٧ Ency. Relig., I, p. 663.
- ٨ XXIX, S. 600. Robertson, p. 226, Noldeke, in ZDMG., 1886, S. 186.
- ٩ الطبرسي (٣٦٤/٥) .

عميانس :

وعميأنس (عم أنس) ، هو صنم خولان ، وموضعه في أرض خولان . وكان يقدم له في كل عام نصيبه المقرر من الأنعام والحروث^١ . وذكر ابن الكلبي ان الذين تعبدوا له من خولان هم بطن منهم يقال لهم (الادوم) وهم الأسوم . وفيهم نزلت الآية : « وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا: هذا لله ، بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون »^٢ . وكانوا « يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم . فما دخل في حق الله من حق عميأنس ، ردوه عليه ، وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له ، تركوه له »^٣ .

وقد ورد ذكر هذا الصنم في خبر (وفد خولان) الذي قدم على رسول الله في شعبان سنة عشر ، إذ ذكر أن رسول الله قال لهم : « ما فعل عم أنس » ، فقالوا : بشر وعمر ، أبدلنا الله به ، ولو قد رجعنا إليه هدمناه^٤ . « وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به »^٥ .

وقد كانوا يقدمون له القرابين حتى في أيام الضيق وأوقات المحنة ، تقرباً إليه . لقد قالوا للرسول حين سألهم : « ما أعظم ما رأيتم من فتنته » « لقد رأيتنا وأستننا حتى أكلنا الرمة ، فجمعنا ما قدرنا عليه ، وابتعنا مئة ثور ، ونحرناها لعم أنس قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها تردها السباع ، ونحن أحوج إليها من السباع ، فجاءنا الغيث من ساعتنا . لقد رأينا العشب يوارى الرجال ، ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس »^٦ . وذكروا له أنهم كانوا يقتسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم ، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له^٧ .

-
- ١ سبائك الذهب (١٠١) ، خزانة الادب (٢٤٥/٣) ، سيرة محمد (٥٣/١) ، (طبعة فرانكفورت) ، ابن خلدون (١٦٩/٢) ، الاغانى (١٢٤/٣٠) .
 - ٢ الانعام ، الآية ١٣٧ .
 - ٣ الاصنام (٤٤) .
 - ٤ نهاية الارب (٨٢/١٨) ، ابن سعد (٣٢٤/١) (صادر) .
 - ٥ عيون الاثر (٢٥٣/٢) .
 - ٦ عيون الاثر (٢٥٣/٢) وما بعدها .
 - ٧ المصدر نفسه .

اساف ونائلة :

وللأخباريين قصص في اساف ونائلة ، وهما في زعم بعضهم إنسانان عملا عملاً قبيحاً في الكعبة ، فسحبا حججرين ، ووضعوا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما . فلما طال مكثهما ، وعبدت الأصنام ، عبدا معها . وكان أحدهما يبلصق الكعبة ، والآخر في موضع زمزم . فنقلت قريش السذي كان يبلصق الكعبة الى الآخر ، فكانوا ينحرون ويلذجون عندهما^١ . وفي رواية أن اسافاً كان حيال الحجر الأسود . وأما نائلة ، فكان حيال الركن اليماني^٢ . وفي أخرى أنهما « أخرجوا الى الصفا والمروة فنصبا عليها ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحي ، نقلهما الى الكعبة ونصبهما على زمزم : فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله »^٣ . وذكر (اليعقوبي) ، أن (عمرو بن لحي) وضع (هبل) عند الكعبة ، فكان أول صنم وضع بمكة . ثم وضعوا به اساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من أركان البيت . فكان الطائف إذا طاف بدأ بأساف فقبله وختم به . ونصبوا على الصفا صنماً يقال له مجاور الريح وعلى المروة صنماً^٤ . يقال له مطعم الطير^٥ . فاليعقوبي ممن يرون إن اسافاً ونائلة كانا عند الكعبة ، لا على الصفا والمروة .

وتذكر رواية أخرى ان أساف صنم وضعه عمرو بن لحي الخزاعي على الصفا ، ونائلة على المروة . وكانا لقريش . وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة . أو هما رجلان من جرهم ، أساف بن عمرو ونائلة بنت سهل فجرا في الكعبة ، وقيل أحدهما فيها ، فسحبا حججرين ، فعبدتهما قريش^٦ . وورد ان موضع أساف ونائلة عند الحطيم^٦ . وورد ان اسافاً رجلاً من جرهم ، يقال له اساف بن يعلى ، ونائلة

- ١ الإصنام (١٨) (روزا) الروض الانف (٦٤/١) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، ابن هشام (٨٦/١) ، الطبري (٢٨٤/٢) ، المعبر (٣١١ ، ٣١٨) ، اليعقوبي (٢٢٤/١) ، الطبري (٢٤١/٢) ، (المعارف) .
- ٢ الطبرسي (٣٦٤/٥) ، روح المعاني (٤١/٢) .
- ٣ الروض الانف (٦٥/١) ، ابن هشام ، تاج العروس (٤٠/٦) ، اللسان (٦/٩) ، (أسف) ، البلدان (١٧٠/١) .
- ٤ اليعقوبي (٢٢٤/١) .
- ٥ تاج العروس (٤٠/٦) وما بعدها ، اللسان (٣٤٨/١٠) ، الروض الانف (٦٤/١) ، بلوغ الأرب (٢٠٥/٢) ، ابن هشام (٦٤/١) ، اللسان (٦/٩) ، (أسف) ، (صادر) .
- ٦ الأزرقى ، أخبار مكة (٧٠/١) .

امراة من جرهم يقال لها نائلة بنت زيد ، وكان اساف يتعشقها في أرض اليمن ، فأقبلا حجاجاً ، فدخلوا الكعبة ، فوجدوا غفلة من الناس وخلوة في البيت ، ففجر بها في الكعبة ، فسحوا حجرين ، فأصبحوا فوجدوها ممسوخين ، فوضعهما موضعها . فعبدتها خزاعة وقريش ، ومن حج البيت بعد من العرب^١ .

وذكر (محمد بن حبيب) ان اسافاً كان على الصفا . وأما نائلة ، فكان على المروة . (وهما صلمان . وكانا من جرهم . ففجر اساف بنائلة في الكعبة ، فسحوا حجرين ، فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما ، ثم عبدا بعد)^٢ . وكان نسك قريش لأساف : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هولاك ، تملكه وما ملك »^٣ .

وورد اسم اساف في بيت شعر ينسب إلى بشر بن أبي خازم الأسدي ، هو :

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف^٤

وورد ان نائلة حين كسرها الرسول عام الفتح ، خرجت منها سوداء شماء تخمش وجهها وتنادي بالويل والثبور^٥ .

ويظهر أن مردّ هذا القصص الذي يقصه علينا أهل الأخبار عن الصنمين ، إنما هو إلى شكل الصنمين . كان (اساف) تمثال رجل على ما يظهر من روايات الأخباريين ، وكان (نائلة) تمثال امرأة . يظهر أنهما استوردا من بلاد الشام ، فنصبا في مكة ، فتولد من كونهما صنمين لرجل وامرأة ، هذا القصص المذكور ولعله من صنع القبائل الكارهة لقريش ، التي لم تكن ترى حرمة للصنمين .

وكانت قريش خاصة تعظم ذينك الصنمين وتنقرب اليهما ، وتذبح عندهما وتسعى بينهما . أما القبائل الأخرى ، فلم تكن تقدسهما ، لهذا لم تكن تنقرب اليهما ، ومن هنا لم يكن الطواف بهما من مناسك حج تلك القبائل .

١ الاصنام (٦) (روزا) ، (٩) ، (القاهرة ١٩١٤) .

٢ المحبر (٣١١) .

٣ المحبر (٣١١) ، صبح الاعشى (٤٦٢/٤) ، أخبار مكة ، للزركي (٧٢) ، (طبعة لايزك) ، (نائلة بنت وهب) ، (أساف بن عمر ، ونائلة بنت سهل) ، تفسير الطبري (٤٣/٢) ، (١٩٥٤ م) .

٤ ديوان بشر بن أبي خازم ، ملحق الديوان رقم ١١ ، (صفحة ٢٣٣) .

٥ الروض الانف (٦٥/١) .

وكانت قريش تحلف عند هذين الصنمين . ولها يقول (أبو طالب) ، وهو يحلف بهما حين تحالفت قريش على بني هاشم :

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري وأمسكت من أثوابه بالوصائل
وحيث ينخ الأشعرون ركابهم بمغضي السيول من أساف ونائل

فكانا على ذلك الى أن كسرهما الرسول يوم الفتح فيما كسر من الأصنام^١ .
ويظهر من الشعر المتقدم ، أن أسافاً ونائلة كانا في موضعين مكشوفين ، وعندهما كان ينخ الأشعرون . ويؤيد ذلك هذا الشعر المنسوب الى بشر بن أبي خازم الأسدي :

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من أساف^٢

حيث يظهر أن الطير كانت تقف مكتظة عليه ، لا تخاف من أحد ، ولا تفزع من قادم ، لأنها في حرمة صنم .

رضى :

ورضى ، ويكتب رضاء في بعض الأحيان ، هو صنم آخر . وذكر ابن الكلبي انه كان لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فهدمه المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . هدمه في الاسلام^٣ .
وتعبدت لهذا الصنم قبيلة تميم . وقد ورد اسم (عبد رضى) بين أسماء الجاهليين .
ويظهر ان قبيلة طيء كانت قد تعبدت له كذلك^٤ .

و (رضى) من الأصنام المعروفة عند قوم ثمود . وقد ورد اسمه في كتابات

١ تاج العروس (٤٠/٦) ، « أسف » .

٢ ابن الكلبي (٢٩ وما بعدها) ، ديوان بشر بن أبي خازم ، ملحق الديوان ، رقم ١١ ، (ص ٢٣٣) .

٣ الأصنام (٣٠) ، (١٩) ، (روزا) ، الروض الانف (٦٧/١) ، تاج العروس (١٥١/١٠) ، (رضو) .

٤ الاغانى (١٤٧/٧) ، (١٦/٩) ، (٤٧) .

ثمودية عديدة^١ . وكانت عبادته منتشرة بين العرب الشماليين . وورد في نصوص تدمر وبين أسماء بني إرم^٢ ، كما ورد في كتابات الصفويين . وورد على هذا الشكل : (رضو) و (رضى)^٣ ، و (هر رضو) (ها - رضو) . ويظن انه يرمز إلى كوكب .

ويظهر من بيت شعر ينسب إلى المستوغر في كسره رضى في الاسلام ، هو :
ولقد شددت على رضاء شدة فتركها تلا تنازع أسحما^٤

ان الصنم (رضى) (رضاء) ، هو أنثى ، بدليل استعمال ضمير التأنيث في لفظة (فتركها) . فهو إلهة . ويرى بعض الباحثين ، انه إلهة أيضاً عند العرب الصفويين .

مناف :

و (مناف) : صنم من أصنام الجاهلية ، قال عنه ابن الكلبي : « وكان لهم مناف ، فيه كانت تسمى قریش (عبد مناف) . ولا أدري أين كان ، ولا من نصبه ؟ »^٥ . وسمي به أيضاً رجال من هذيل^٦ . و « به سمي عبد مناف . وكانت أمه أخدمته هذا الصنم »^٧ .
وفيه يقول بلعاء بن قيس :

وقرن وقد تركت الطير منه كمتبر العوارك من مناف^٨

Reste, S. 58, Ency. Religi., I, p. 662, Hubert Grimme.

Die Losung des Sinal., S. 43, 44.

Vogue 6, 84, Reste, S. 59.

العرب في سوريا قبل الاسلام (١٣٥ وما بعدها) .

الاصنام (١٩) ، (روزا) ، (٣٠) ، (أحمد زكي) ، الروض الانف (٦٧/١) ،

(فتركها قفرا بقاع أسحما) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، ابن هشام (٦٦/١) ،

(حاشية على الروض) ، تاج العروس (١٥١/١٠) ، ابن كثير ، البداية

(١٩٢/١) .

الاصنام (٣٢) ، (٢٠) ، (روزا) ، تاج العروس (٢٦٣/٦) . (ناف) .

Reste, S. 57.

تاج العروس (٢٦٣/٦) ، (ناف) ، الاصنام (٣٢٢) ، البلدان (١٦٦/٨) ،

النفائض (١٤١) ، بيفان) ، بلوغ الارب (٢٠٦/٢) .

تاج العروس (٢٦٣/٦) . (ناف) .

ويتبين من ورود اسم (مناف) بين عرب الشام أنه كان إلهاً معبوداً عندهم كذلك . وقد عثر على اسمه في كتابة دَوَّنها شخص اسمه : (أبو معن) على حجر توجه بها الى الإلهة مناف ، ليمن عليه بالسعد والبركة ، وحفرت على الحجر صورة الإله (مناف) على هيئة (رجل لا لحية له) يتحدر على عارضيه شعر رأسه الصناعي المرموز به الى الإلهة الشمس ، وحول جفنيه وحدقتيه خطّان ناعمان ، ويزين جيده قلادة ، كما ترى غالباً في تصاوير الآلهة السوريين ، وعلى صدره طيات ردائه ، ويرى طرف طيلسانه الإلهي الذي ينعطف من كتفه الأيسر فيتصل الى الأيمن ويعقد به ^١ . وقد ذهب المتخصصون الذين فحصوا هذه الكتابة الى أنها من حوران .

وقد عثر على كتابة وجدت في حوران ، ورد فيها اسم (مناف) مع إله آخر ، ورد اسم مناف فيها على هذا الشكل . (MN, PHA) وقد عثر على كتابة أخرى وجد فيها الاسم على هذه الصورة : (منافيوس) Manaphius ، مما يدل على أن المراد بالإسمين شيء واحد ، هو الإله مناف ^٢ .

ذو الخلصة :

أما ذو الخلصة ، فكان صنم خشع وبجيلة ودوس وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة ^٣ ، والحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مر بن أد وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدنته ^٤ . وذكر ابن الكلبي ان سدنته بنو أمامة من باهلة بن أعصر ^٥ .

١ المشرق ، السنة الرابعة والعشرون ، العدد ٣ ، اذار ١٩٣٣ م ، (ص ١٩٨ وما بعدها) .

٢ المشرق ، السنة ٢٤ ، اذار ١٩٣٣ ، العدد ٣ ، (ص ١٩٨ وما بعدها) ،

Ency. Religi., I, p. 662, Ephem. Epigr., II, 390

No. 22, Mordtmann, in ZDMG., XXIX, 1875, S. 108.

٣ الاصنام (٣٥ ، ٤٧) ، (٢٢) (روزا) ، ابن هشام (٣٠/١) ، الازرقبي (٢٥٦/١) ، الروض الانف (٦٦/١) ، بلوغ الارب (٢٠٧/٢) ، اليعقوبي (٢٢٥/١) .

٤ المحبر (٣١٧) .

٥ الاصنام (٢٢) (روزا) .

وصفته انه (كان مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهية التاج) . وكان بتبالة
 بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة^١ . وله بيت يحج اليه . وجعل
 (ابن حبيب) موضع البيت في العباء على أربع مراحل من مكة^٢ .
 وفي رواية لابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب ذا الخلصة بأسفل مكة ، فكانوا
 يلبسونه القلائد ، ويهدون اليه الشعر والحنطة ، ويصبون عليه اللبن ، ويذبحون له ،
 ويعلقون عليه بيض النعام^٣ .

وهناك روايات جعلت ذا الخلصة (الكعبة البانية) لختهم ، ومنهم من سماه
 كعبة اليمامة . وأظن ان هاتين الروايتين هما رواية واحدة في الأصل ، صارت
 روايتين من تحريف النساخ . ومنهم من جعل ذا الخلصة بيتاً في ديار دوس^٤ .
 ويستنتج من كل هذه الروايات ان ذا الخلصة بيت كان يدعى كعبة أيضاً ،
 وكان فيه صنم يدعى الخلصة ، لدوس وختهم وبجيلة وغيرهم^٥ .

ويظهر من حديث : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على
 ذي الخلصة ، والمعنى انهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان ،
 فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة ، فترتج أعجازهن »^٦ . ويستنتج
 من ذلك ان بني دوس وغيرهم كانوا يطوفون حول كعبة ذي الخلصة التي في
 جوفها صنم الخلصة .

وكان (بيت ذي الخلصة) من البيوت التي يقصدها الناس للاستقسام عندها

-
- ١ الاصنام (٢٢) (روزا) (٣٤) (أحمد زكي) ، الأزرقى (٧٣/١) .
 - ٢ المحبر (٣١٧) بلوغ العرب (٢٠٧/٢) ، صفة جزيرة العرب (١٢٧) .
 - ٣ الأزرقى ، أخبار مكة (٧٣/١) (باب ما جاء في الاصنام التي كانت على الصفا
 والمروة) ، تاج العروس (٣٨٩/٤) (خلص) ، البلدان (٤٣٤/٨) .
 - ٤ ابن هشام (٣٠/١) ، الاغانى (٧/٩) ، الاكليل (٨٤/٨) ، بلوغ العرب
 (٣٢٩/٢) ، وقد أجمل السيد رشدي الصالح ملخص الروايات الواردة عن ذي
 الخلصة في نهاية الاول من تأريخ مكة للأزرقى . وهو يرى أن البجلي لم يهدم
 بنيان بيت ذي الخلصة تديماً تاماً ، وأنه بقي الى أيام الملك عبد العزيز ال سعود ،
 فأزاله ، وأحرقت الشجرة التي كانت بجانب البيت وهي شجرة العباء . وذهب
 أيضاً أن ذلك البيت لم يكن بتبالة ، إنما كان في تروق وقد عرف البيت بالولية
 كذلك . الأزرقى (٢٥٦/١) وما بعدها) ابن هشام (٦٤/١) (حاشية على الروض
 الائف ، تاج العروس (٣٧٨/٢) ، الروض الائف (٦٥/١) وما بعدها) .
 - ٥ اللسان (٢٩/٧) (خلص) (صادر) .
 - ٦ اللسان (٢٩/٧) (خلص) .

بالأزلام . وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهي ، والمتربص^١ .

وفي ذي الخليفة قال أحد الرجّاز :

لو كنت يا ذا الخليفة الموتورا مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وكان سبب قوله أنه قُتل أبوه ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخليفة ، فاستقسم عنه بالأزلام ، فخرج السهم ينهائهم عن ذلك ، فقال تلك الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس^٢ . وذكر (ابن الكلبي) أيضاً أنه لما أقبل امرؤ القيس بن حجر ، يريد الغارة على بني أسد ، مرّ بذي الخليفة ، فاستقسم عنده ثلاث مرات . فخرج الناهي . فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم ، ثم غزا بني أسد ، فظفر بهم^٣ .

وقد هدم البيت في الإسلام ، « فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسلماً . فقال له : يا جرير : ألا تكفيني ذا الخليفة ؟ فقال : بلى . فوجهه إليه . فخرج حتى أتى بني أحس من بجيلة ، فسار بهم إليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه . فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مئة رجل ، وأكثر في خثعم ، وقتل مئتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم . فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذي الخليفة ، وأضرم فيه النار فاحترق^٤ . وورد في رواية أن هدمه كان قبل وفاة الرسول بشهرين أو نحوهما^٥ .

ويذكر (ابن الكلبي) أن موضع بيت ذي الخليفة عند عتبة باب مسجد تبالة^٦ أما (ابن حبيب) ، فذكر أنه صار بيت قصار في العلاء^٧ . وذكر أن موضعه

-
- ١ الاصنام (٢٢ ، ٢٩) (روزا) .
 - ٢ الاصنام (٣٥) (٢٢) (روزا) (الروض الانف) (٦٥/١) ، ابن هشام (٦٥/١) (هامش على الروض الانف) بلوغ الارب (٢٠٧/٢) .
 - ٣ الاصنام (٢٩) (روزا) .
 - ٤ الاصنام (٢٣) (روزا) ، الطبري (١٥٨/٣) (دار المعارف) .
 - ٥ الروض الانف (٦٦/١) .
 - ٦ الاصنام (٢٣) (روزا) .
 - ٧ المحبر (٣١٧) .

مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم^١ .
ويظهر من رثاء امرأة من خثعم للذي انحلصه حين هدمه جرير بن عبدالله ،
وأحرق بيته ، وهو قولها :

وبنو أمانة بالوليّة صرعوا ثملاً يعالج كلهم انبوا^٢

ان (انحلصه) كان صنماً أنثى ، أي إلهة ، ولذلك قيل له (الوليّة) ،
كما ترى ذلك في البيت المذكور . ويجد في مواضع أخرى من روايات أهل الأخبار
ما يؤيد هذا الرأي ، فقد استعملوا ضمير التأنيث للتعبير عنها^٣ ، كما قالوا فيه
(المروءة البيضاء)^٤ . وأما تعبيرهم عنه بضمير التذكير ، مثل قولهم (وكان) ،
فلأنهم أرادوا بذلك لفظ (صنم) فذكروه .

سعد :

وكان للملك وملكان ، ابني كنانة ، بساحل جدة وتلك الناحية صنم يقال له
سعد . وكان صخرة طويلة^٥ . وذكر (اليقوبي) انه كان لبني بكر بن كنانة^٦ .
وذهب (ابن اسحاق) إلى انه في موضع قفر ، وقيل انه قرب اليمامة . وقد
أورد الأخباريون عنه هذه القصة : « أقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ،
يتبرك بذلك فيها . فلما أدناها منه نفرت منه ، وكان يهراق عليه الدماء ، فذهبت
في كل وجه وتفرقت عليه ، وأسف فتناول حجراً فرماه به ، وقال : لا بارك
الله فيك إلهاً . أنفرت عليّ إبلي » . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، وانصرف عنه ،
وهو يقول :

-
- ١ الروض الانف (٦٥/١) .
 - ٢ الاصنام (٢٣) (روزا) .
 - ٣ الأزرق (٧٣/١) ، تاج العروس (٣٨٩/٤) .
 - ٤ قال خدّاش بن زهير العامري :
وبالمروءة البيضاء يوم تبالة
والاصنام (٢٢) (روزا) .
 - ٥ الاصنام (٣٦) وما بعدها (٢٣) (روزا) ابن هشام (٦٤/١) (حاشية على
الروض) تاج العروس (٣٧٨/٢) .
 - ٦ اليقوبي (٢٢٥/١) .

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد ، فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعي لغى ولا رشد^١

وذكر (ابن قتيبة) أن سعداً صنم على ساحل البحر بتهامة ، تعبد به عك
ومن يليها ، ويقال كانت تعبد هذيل^٢ .

وقد ورد اسم (سعد) في أسماء الأشخاص المركبة المضافة ، مثل (عبد سعد) ،
وهو مما يدل على أن الناس كانوا يتركون به بتسمية أبنائهم باسمه^٣ .

وقد ورد اسم هذا الصنم في كتابات النبط ، فدعي بـ (سعدو)^٤ . كما ورد
في كتابات الصفويين ، مما يدل على أنه كان بين الأصنام التي تعبد لها أولئك
القوم^٥ . ويظن أنه يرمز إلى كوكب .

ذو الكفين :

وهناك صنم عرف عند الأخباريين بـ (ذي الكفين) وكان لدوس ، ثم لبني
منهب بن دوس . فلما أسلموا ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، الطفيل بن عمرو
الدوسي ، فحرقه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا^٦

ويظهر من هذا الرجز أنه أحرقه بالنار . ومعنى هذا أنه لم يكن صنماً من

-
- ١ الاصنام (٣٧) ، (٢٣) (روزا) ابن هينام (٦٤ / ١) ، (حاشية على الروض
الانف) الروض الانف (٦٤ / ١) ، تاج العروس (٣٧٨ / ٢) ، اللسان (٢٠٢ / ٣)
(سعد) بلوغ الارب (٢٠٨ / ٢) ، اللسان (٢١٨ / ٣) (صادر) .
 - ٢ الاشتقاق (٢٥) ، تاج العروس (٣٧٨ / ٣) ، (سعد) .
 - ٣ الاغانى (١٧١ / ١١) ، Reste, S. 60.
 - ٤ O. Elssfeldt, 150, Arabien, S. 85. Handbuch, I, S. 234.
 - ٥ Ency. Religi., I, p. 662.
 - ٦ الاصنام (٣٧) ، (٢٣) (روزا) الازرقى (٧٨ / ١) ، ٢٦٩ ، تاريخ الخميس
(١٠٩ / ٢) ، تاج العروس (٢٣٥ / ٦) ، (كف) ، اليعقوبي (٢٢٥ / ١) ، (أقدم) ،
الروض الانف (٢٣٥ / ١) .

حجر ، وإنما كان من خشب ، أو أنه أراد بيت الصنم . وذكر أن هذا الصنم كان صنم (عمرو بن حممة الدوسي) أحد حكام العرب^١ .

ذو الشرى :

وكان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد ، صنم يقال له ذو الشرى^٢ . وورد في رواية للأخباريين أن (ذا الشرى) صنم لدوس كان بالسراة^٣ . وقد ورد اسم هذا الصنم في الحديث النبوي ، وورد بين أسماء الجاهليين اسم (عبد ذي الشرى)^٤ .

ويرى بعض اللغويين أن الشرى ما كان حول الحرم ، وهو لإشراء الحرم^٥ ، فإذا كان هذا التعريف صحيحاً، فإنه يكون في معنى (ذات حمى) عند السبئيين^٦ . وكان له حمى ، به ماء يهبط من جبل ، حمته دوس له^٧ . و (ذو الشرى) إله ورد اسمه في كتابات (بطرا) و (بصرى) ، كما سأحدث عن ذلك فيما بعد .

الأقيصر :

أما الأقيصر ، فكان صنم قضاة ولحم وجذام وعاملة وغطقان ، وكان في مشارف الشام . وقد ذكر اسمه في شعر لزهير بن أبي سلمى ، ولربيع بن ضيع الفزاري ، وللشنفرى الأزدي^٨ . وكانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويلقون مع الشعر قرّة من دقيق^٩ . وهي عادة كانت متبعة عند بعض قبائل اليمن كذلك .

-
- ١ امتاع الاسماع (٣٩٨/١) .
 - ٢ الاصنام (٣٨) ، (٢٤) (روزا) بلوغ العرب (٢٠٩/٢) .
 - ٣ تاج العروس (١٩٧/١٠) .
 - ٤ Ency. Religi, I., p. 663, Reste, S. 48.
 - ٥ (وأشراء الحرم : نواحيه ، والواحد شرى) ، اللسان (٤٢٨/١٤) (صادر) .
 - ٦ Reste, S. 51.
 - ٧ نهاية العرب (١٤/١٨) وما بعدها .
 - ٨ الاصنام (٣٨) وما بعدها ، (٢٤) (روزا) ، تاج العروس (٤٩٧/٣) ، اللسان (٤١٦/٦) ، الاغانى (١٤١/٢١) .
 - ٩ البلدان (٣٤١/١) وما بعدها (الأقيصر) الاصنام (١٨) .

ويذكر (ابن الكلبي) أن هوازن كانت تنتاب حجاج الأقيصر ، فإن أدركت الموسم ، قبل أن يلقي القرعة ، أي قبضات من دقيق ، قال أحدهم لمن يلقي : « أعطنيه . فلاني من هوازن ضارع » ، وإن فاتته ، أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق ، فخبزه وأكله . وقد عبرت هوازن في ذلك ، فقال معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمي ، في (بني جمدة) وكانوا قد اختصموا مع بني جرم في ماء لهم الى النبي يقال له العقيق ، فقضى به رسول الله لجرم، شعراً منه :

ألم تر جرماً أنجذت وأبوكم مع القمل في جفر الأقيصر شارع ؟
إذا قرعة جاءت بقول: أصب بها سوى القمل؟ لاني من هوازن ضارع^١

ويظهر من بيت شعر رواه (ابن الأعرابي) ، هو :
وأنصاب الأقيصر حين أضحت تسيل على مناكبها الدماء

ومن بيت لزهير بن أبي سلمى ، هو :
حلفت بأنصاب الأقيصر جاهداً وما سحقت فيه المقادير والقمل^٢

انه كان عند الصنم الأقيصر أنصاب ينحر الناس عليها ذبائحهم التي يتقربون بها الى هذا الإله . وكانت أكثر من نصب واحد ، وقد تلطخت بالدماء من كثرة ما ذبح عليها .

وأشير إلى (أثواب الأقيصر) في بيت للشنفرى الأزدي^٣ . ويظهر ان عباده كانوا يطوفون حوله ، وهم يلبنون ويغنون^٤ .

-
- ١ الاصنام (٣٠) (روزا) .
 - ٢ الاصنام (٣٠) (روزا) تاج العروس (٤٩٧/٣) ، اللسان (٤١٦/٦) ، الاغاني (١٤١/٢١) .
 - ٣ وان امرءاً أجار عمرا ورهطه علي ، وأثواب الأقيصر ، يعنف الاصنام (٢٥) (روزا) .
 - ٤ البلدان (٣٤٠/١) ،

نهم :

وكان لمزينة صنم يقال له : نهم ، كسره سادنه خزاعي بن عبد نهم ، وهو من مزينة من بني عداء ، وأعلن إسلامه^١ . ويظهر من أبيات لأمية بن الأسكر ان أتباع الصنم كانوا يقدمون الذبائح له ، ويقسمون به . وقد سمي منهم جملة رجال عرفوا بـ (عبد نهم) من بني هوازن وبجيلة وخزاعة^٢ . وهذا مما يدل على انتشار عبادة هذا الصنم بين هذه القبائل أيضاً .

عائم :

وكان لأزد السراة صنم يقال له عائم . ورد اسمه في شعر لزيد الخير، المعروف أيضاً بزيد الخليل^٣ .

سعير :

أما سعير ، فهو صنم عترة^٤ . وكان الناس يحجون اليه ويطوفون حوله ، ويعترون العتائر له ، وقد ورد في شعر لجعفر بن خلاس الكلبي ، وكان راكباً ناقة له ، فمرت به ، وقد عترت عترة عنده ، فنفرت ناقته منه ، فأنشأ يقول ؛

نفرت قلوصي من عتائر صرعت حول السعير تزوره ابنا يقدم
وجموع يذكر مهطعين جنبه ما ان يحير اليهم بتكلم^٥

١ (وكان سادن نهم يسمى خزاعي بن عبد نهم ، من مزينة ثم من بني عداء . فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ثار الى الصنم فكسره . وأنشأ يقول : ذهبت الى نهم لاذبح عنده عتيرة نسك كالتي كنت أفعل فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا اله أبكم ليس يعقل ؟ أبيت فديني اليوم دين محمد اله السماء الماجد المتفضل الاصنام (٣٩ وما بعدها) (٢٥) (روزا) معجم الشعراء (٣٢٨) ، بلوغ الارب (٢١٠ / ٢) .

٢ Reste, S. 58.

٣ الاصنام (٤٠) ، (٢٥) (روزا) الاغانى (٥٧ / ١٦) ، بلوغ الارب (٢١٠ / ٢) .

٤ الاصنام (٤١) ، (٢٥) (روزا) بلوغ الارب (٢١٠ / ٢) .

٥ الاصنام (٢٥) (روزا) (٤١) (أحمد زكي باشا) .

وبين أسماء الرجال أناس عرفوا بـ (سعير)^١ . والسعير النار واللهب ، ولا استبعد وجود صلة بين هذا المعنى وبين هذا الصنم . بأن يكون هذا الصنم ممثلاً للشمس^٢ .

الفلس :

وكان لطيء صنم يقال له الفلس ، وكان أنفأ أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ ، أسود ، كأنه تمثال لإنسان . وكانوا يعبدونه ، ويهدون إليه ، ويعترون عنده عتائهم ، ولا يأتيه خائف إلاّ أمن عنده ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلاّ تركت له ولم تخفر حويته أي حوزته وحرمة^٣ . ذكر (ابن حبيب) انه كان بنجد ، وكان قريباً من فيد وسدنته بنو بولان^٤ .

وبولان جد بني بولان هو الذي بدأ بعبادته على رواية ابن الكلبي . وكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفي « فأطرد ناقة خلية لامرأة من كلب من بني عُلَيم ، كانت جارة لمالك بن كلثوم الشمحي ، وكان شريفاً ، فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت جارة مالك ، فأخبرته بذهابه بناقتها ، فركب فرساً عُرِيّاً وأخذ رحمه ، وخرج في أثره ، فأدركه وهو عند الفلس ، والناقة موقوفة عند الفلس ، فقال له : خل سبيل ناقة جارتني . فقال : انها لربك . قال : خل سبيلها . قال : أتخفر إهلك ؟ فبوا له الرمح ، فحل عقلاها ، وانصرف بها مالك ، وأقبل السادن على الفلس ، ونظر إلى مالك ، ورفع يده وقال ، وهو يشير بيده إليه :

يا ربّ إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابٍ علكوم
وكنت قبل اليوم غير مغشوم

1 Reste, S. 61.

2 تاج العروس (٢٦٨/٣) ، (سعر) .

3 الاصنام (٥٩ وما بعدها) ، (٣٧) (روزا) الروض الانف (٦٥/١) نهاية الارب

(٧٧/١٨) ، البلدان (٩١١/٣) ، جمهرة (٣٨/٣) .

4 المحبر (٣١٦) ، اليعقوبي (٢٢٥/١) .

يخرضه عليه . وعدي بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك . وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال ، انظروا ما يصيبه في يومه هذا . فضئت له أيام لم يصبه شيء . فرفض عدي عبادته وعبادة الأصنام وتنصر . فلم يزل منتصراً حتى جاء الله بالاسلام ، فأسلم .

فكان مالك أول من أخفزه . فكان بعد ذلك السادن إذا طرد طريدة ، أخذت منه . فلم يزل الفليس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام ، فبعث اليه علي بن أبي طالب ، فهدمه ، وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك غسان قلده إياهما ، يقال لهما مخنم ورسوب ، فقدم بهما علي بن أبي طالب على النبي ، فتقلد أحدهما ، ثم دفعه إلى علي بن أبي طالب ، فهو سيفه الذي كان يتقلده «^١ . وجاء في بعض الروايات ذكر ثلاثة سيوف ، هي : مخنم ، ورسوب ، والياني «^٢ .

وقد عرف (مالك بن كلثوم بن ربيعة) الشمجي المذكور ، بـ (مخنم الفليس) ، لأنه أخفر ذمته ، وكان لا تخفر ذمته «^٣ .

و (الفليس) ، هو (هفلس) (ها - فليس) ، عند الحبان . وقد تعبدوا له مع أصنام أخرى ، وردت أسماؤها في نصوصهم «^٤ .

ويلاحظ أن (ابن الكلبي) الذي يروي هذا الخبر ، كان نفسه قد روى قبل ذلك أن السيفين مخنماً ورسوباً ، كانا على الصنم مناة ، صنم الأوس والخزرج ، وأن الذي أهدهما له هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وأن علي بن أبي طالب لما هدم مناة ، أخذ السيفين معه ، فجاء بهما إلى الرسول . فيظهر من ذكره للخبر مع صنمين أنه وقع في هفوة أو نسي ، فجعل من القصة الواحدة قصتين.

أصنام أخرى :

وكانت لطيء أصنام أخرى ، منها اليعبوب ، وهو صنم لجديلة طيء ، وكان

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الأصنام (٣٧ وما بعدها) ، (روزا) ، نهاية الارب (٧٧/١٨) ، تاج العروس (٢١٠/٤) ، (الفليس) . |
| ٢ | Das Gotzenbuch, S. 140. |
| ٣ | الاشتقاق (٢٣٥/٢) . |
| ٤ | Jaussen — Savignac, Misslon, II, 484, Grohmann, S. 984. |

لهم صنم أخذته منه بنو أسد ، فتبدلوا اليعسوب بعده . وقد ورد ذكره في شعر لعبيد :

فتبدلوا اليعسوب بعدد إلههم صنماً ، فقرؤا ، يا جديلاً ، وأعدبوا
أي : لا تأكلوا على ذلك ، ولا تشربوا ^١ .

وأما باجر ، فكان صنماً للأزد ومن جاورهم من طيء وقضاعة ^٢ .
ولم يذكر ابن الكلبي في كتابه الأصنام اسم الصنم الجلسد . وهو صنم كانت
كندة تعبد له ، وكذلك تعبد له أهل حضرموت . وكان سدنته بنو شكامة من
السكون ، وهم من كندة . وكان للصنم حمى ، ترعاه سوامه وغنمه ، فإذا
دخلته هواني الغنم ، حرمت على أربابها ، وصارت ملكاً للصنم ^٣ .

وقد وصف بأنه كان كجثة الرجل العظيم ، من صخرة بيضاء ، لها كالرأس
أسود ، إذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الإنسان . وكانوا يكلمون منه ،
وتخرج منه همهمة ، ويقربون القرابين إليه ، ويلطخون بدمه ، ويكترون ثياب
السدنة يلبسونها حينما يقربون قرباناً إليه ويريدون مكالمته^٤. ويلاحظ أن تغيير الملابس
وابداؤها للتطهر ، له مثيل عند العبرانيين^٥ .

المحرق :

وكان المحرق (محرق) صنماً لبكر بن وائل وبقية ربيعة في موضع سلمان .
وأما سدنته ، فكانوا أولاد الأسود العجلي . وقد نسب إليه بعض الرجال فورد

١ الأصنام (٣٩) (روزا) ، (٦٣) (أحمد زكي باشا) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م .
الجزء الاول (ص ٥) .

٢ الأصنام (٦٣) (٣٩) (روزا) .

٣ البلدان (١٢٢/٣) . قال المثقب العبدى ، وقيل عدي بن وداع :

فبات يجتأب شقارى كما يبقّر من يمشى الى الجلسد

تاج العروس (٣٢٤/٢) ، (جلسد) .

٤ البلدان (١٢٢/٣) وما بعدها .

٥ التكوين ، الأصحاح الخامس والثلاثون ، الآية ٢ .

(عبد محرق)^١ . ويظن بعض المستشرقين انه عرف بـ (محرق) لأن عبده كانوا يقدمون اليه بعض القرابين البشرية محروقة^٢ . وكان بنو بكر بن وائل وسائر ربيعة ، قد جعلوا في كل حي من ربيعة له ولداً . (وكان في عترة بلج بن المحرق . فكان في عميرة وغفيلة عمرو بن المحرق . وكان سدنته آل الأسود العجليون)^٣ .

الشمس :

والشمس صنم كان لبني تميم ، وله بيت . وكانت تعبده بنو أد كلها : ضبة ، وتميم ، وعدي ، وعكل ، وثور . وأما سدنته ، فكانوا من بني أوس بن مخاشن ابن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم . فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلال بن أوس بن مخاشن^٤ . وقد قيل لها : الإلهة^٥ . وذكر (اليعقوبي) ان قوماً من (عذرة) تعبدوا لصنم يقال له : شمس^٦ .

وقد ذكر بعض أهل الأخبار ، ان الشمس صنم قديم . وأول من تسمى به سبأ بن يشجب^٧ . وذكر (اليعقوبي) ، انه صنم قوم من عذرة^٨ .

وقد وردت جملة أسماء منسوبة إلى الشمس ، عرف أصحابها بعبادة شمس ، منهم من قبائل أخرى من غير تميم . ويدل ذلك على ان عبادتها كانت معروفة في مواضع مختلفة من جزيرة العرب . وعرف بعض الأشخاص بـ (عمرو شمس) عند العرب الشماليين^٩ .

-
- ١ الاصنام (١١١) (تكملة الاصنام) البلدان (٣٩٣/٧) (المحرق) ، تاج العروس (٣١٣/٦) ، (حرق) .
 - ٢ Reste, S. 57, Ency. Religl., I, p. 660.
 - ٣ المحبر (٣١٧) .
 - ٤ المحبر (٣١٦) ، البلدان (٢٩٣/٦) (شمس) .
 - ٥ شمس العلوم (ج ١ ق ١ ص ٩٣) .
 - ٦ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
 - ٧ تاج العروس (١٧٢/٤) ، (شمس) .
 - ٨ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
 - ٩ Ency. Religl., I, 660.

وفي جملة أصنام تميم الأخرى ، الصنم تيم ، وبه سمي رجال من تميم ومن غيرهم ، مثل (عبد تيم) و (تيم الله)^١ .

وهناك أسماء أصنام أخرى لم ترد في كتاب الأصنام ، إنما وردت في كتب أخرى . وقد ذكرها (ابن الكلبي) نفسه في بعض مؤلفاته . ومن هذه الأصنام : الأسحم ، والأشهل ، وأوال ، والبجة ، وبلج ، والجهة ، وجريش ، وجهار ، والدار ، وذو الرجل ، والشارق ، وصدا ، وصمودا ، والضمار ، والضيزن ، والعيب ، وعوض ، وعوف ، وكثرى ، والكسعة ، والمدان ، ومرحب ، ومنهب ، والهبا ، وذات الودع ، وياليل^٢ ، وذريح^٣ ، وباجر ، والجد ، وحلال ، والحمام ، وذو اللبا ، والسعيدة ، وغنم ، وفراض ، وقزح ، وقيس ، والمنطبق ، ونهيك^٤ .

أما أوال ، فإنه إيال ، وهو صنم بكر وتغلب^٥ .

وأما جهار ، فقد كان من أصنام هوازن ، وموضعه بعكاظ ، وسدنته آل عوف النصريون ، ومعهم محارب فيه . وكان في أسفل أفطح^٦ . وكانت تلبية من نسك لجهار : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، اجعل ذنوبنا جبار ، وأهدنا لأوضح المنار . ومتعنا وملنا بجهار »^٧ .

وأما الدار ، فصنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب^٨ .

وأما الدوار ، فصنم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعاً حوله ، يدورون به ، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار ، ومنه قول امرئ القيس :

فمنّ لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل^٩

وقد ذكر (ابن الكلبي) ان العرب تسمي الطواف حول الأصنام والأوثان

١ الاغانى (١٦٨/١٨) ، كتاب المعمرين (٣١) ،

٢ الاصنام (١٠٧ وما بعدها) (تكملة) .

٣ المحبر (٣١٤ ، ٣١٨) .

٤ Reste, S. 84.

٥ الاصنام (١٠٧) .

٦ المحبر (٣١٥) .

٧ المحبر (٣١٢) .

٨ الاصنام (١٠٨) ، تاج العروس (٢١٦/٣) ، الاشتقاق (٥٦ ، ٩٧) .

٩ اللسان (٣٨٤/٥) .

الدوار^١ . وعرف بعض أهل الأخبار الدّوار بأنه (نسك للجاهلية يدورون فيه لصنم أو غيره)^٢ .

ويظهر من دراسة ما ورد في كتب أهل الأخبار وفي كتب اللغة عن (الدوار) ان الدوار لم يكن صنماً ، وانما هو طواف حول صنم من الأصنام ، أي عبادة من العبادات لا تختص بصنم معين . وقد كان من عادة الجاهليين الطواف حول الأصنام . فظن بعض أهل الأخبار ان الدوار صنم معين ، أو انه صنم ينصب ، فيدور الناس حوله .

وأما ذو الرجل ، فهو صنم من أصنام أهل الحجاز^٣ . ويظهر ان هذا الصنم ، وكذلك الصنم (ذو الكفين) ، هما من الأصنام التي تغلبت صفاتها على أسمائها ، فنعتت بهذه النعوت ، كأن تكون لرجل أحد الصنمين ، ولكفي الصنم الآخر ميزة خاصة وعلامة فارقة مثل كسر أو دقة صنعة ، جعلت الناس يدعون الصنمين بالنعتين البارزين . ويرى (نولدكه) احتمال كون هذين الصنمين حجرتين في الأصل من الأحجار المقدسة Fetish التي كان يعبدها الناس في القديم ، ثم تحولت إلى صنمين بعد ان رسمت عليها بعض التصاویر صيرتها على شكل إنسانين^٤ .

وسمي بالصنم (الشارق) جملة رجال عرفوا بعبد الشارق^٥ . ولكلمة الشارق علاقة بالشروق . وقد ذهب (ولهوزن) إلى ان المراد به الشمس لشروقها^٦ . و (الشريق) اسم صنم أيضاً^٧ . وعندني ان الشارق وشريقاً نعتان للآلهة ، وليس اسمين لصنمين ، وانهما في معنى (شرقن) الواردة في نصوص المسند ، وتعني (الشارق) ، أي اللفظة المذكورة تماماً . وقد وردت نعتاً في نصوص عربية جنوبية كثيرة ، مثل جملة : (عثر شرقن) ، أي (عثر الشارق) . فالشارق إذن نعت من نعوت الآلهة ، أو اسم من أسماء الله الحسنى ، بالتعبير

-
- ١ الاصنام (٢١) (روزا) .
 - ٢ تركت الطير عاكفة عليه كما عكف النساء على دوار شرح ديوان لبيد (ص ٤٤) ، المعاني الكبير (١٠٥/١) .
 - ٣ الاصنام (١٠٩) .
 - ٤ Ency. Religi., I, 663.
 - ٥ الاصنام (١٠٩) ، تاج العروس (٣٩٢/٦) ، القاموس (٢٤٨/٣) .
 - ٦ Reste, S. 65.
 - ٧ اللسان (٤٦/١١) .

الإسلامي . وقد يقابل لفظة (نور) الذي هو نعت من نعوت الله في الإسلام ، كما ورد في القرآن الكريم : « الله نور السماوات والأرض »^١ .
وأما صدا وصمودا والها ، فإنها من أصنام قوم عاد على رواية الأخباريين^٢ .
وأما الضمار ، فكان صنماً عبده العباس بن مرداس السلمي^٣ ، وبنو سليم^٤ .
ولما حضرت مرداس الوفاة ، أوصى به إلى ابنه العباس ، وطلب منه العناية به ، لأنه يضر وينفع . فلما ظهر الإسلام ، أحرق العباس ضماراً ، وأتى النبي فأسلم^٥ .
والععب ، هو صنم كان لقضاة ومن داناهم . وقد يقال بالغين المعجمة ، فيخلط بينه وبين الغبغب^٦ . ورأيت أن الكلمتين أصلهما كلمة واحدة ، حرفها النساخ فصارت كلمتين .

وأما (عوض) فهو صنم كان من أصنام بكر بل وائل . وقد ذكر مع الصنم سكير في بيت شعر نسب إلى الأعشى ، أو إلى رشيد بن رميض العزى^٧ .
وكان (جد) (الجدد) صنماً معروفاً عند عدد من الشعوب السامية ، وليس من المستبعد أن يكون لاسم القبيلة الإسرائيلية (جد) (جاد) علاقة باسم هذا الصنم^٨ . وقد ورد في التنبؤية (جدا) . وورد في الأسماء العربية (عبد جد)

- ١ سورة النور ، السورة رقم ٢٤ ، الآية ٣٥ .
- ٢ الاصنام (١١٠) ، (وصمود كزبور : اسم صنم كان لعاد يعبدونه . قال يزيد بن سعد ، وكان آمن بهود عليه السلام : عصمت عاد رسولهم فأمسوا عطاشاً لا تمسهم السماء لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء وإن الله هود هو الهى على الله التوكل والرجاء وهو مذكور في كتب السير ، تاج العروس (٤٠٢/٢) .
- ٣ الاصنام (١١٠) ، (وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه) ، تاج العروس (٣٥٣/٣) ، (ضمير) ، الروض الانف (٢٨٣/٢) .
- ٤ البكري (٨٨١) (ضمار) .
- ٥ البلدان (٤٤٠/٥) ، ابن هشام (٨٣٢) ، (ضمد) الاغانى (٦٢/١٣) ، (أخبار العباس بن مرداس) .
- ٦ الاصنام (١١٠) ، تاج العروس (٣٦٣/١) ، اللسان (٦٤/٢) ، (عب) .
- ٧ الاصنام (١١٠) (وبه فسر ابن الكلبي قول الأعشى : حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السكير قال : والسكير : اسم صنم كان لعنزة خاصة ، كما في الصحاح) ، قال الصاغاني : ليس البيت للأعشى ، وإنما هو لرشيد بن رميض العزى (تاج العروس (٥/٥) ، اللسان (٥٦/٩) ، Reste, S. 66.
- ٨ Robertson Smith, Marr., p. 43, Kinship, p. 261, Nöldeke in ZDMG., XXXI, 86, CIS, IV, p. 20, Ency. Religi., I, p. 661.

و (عبد الجلد)^١ .

و (كثري) من الأصنام المنسوبة الى طسم وجديس ، ظل باقياً معروفاً الى أيام الرسول ، فكسره نهشل بن عرعره ولحق بالنبي^٢ . وقد ورد بين أسماء الجاهليين من دعي بـ (عبد كثري) . ويرى (نولدكه) في عدم ورود أداة التعريف (ال) مع (كثري) في (عبد كثري) ، دلالة على أن هذا الصنم هو من الأصنام القديمة . ويرى أيضاً ان كلمة (كثري) هي مجرد لقب من ألقاب (العزى) ، نسي فظن أنه اسم صنم مستقل^٣ .

وأما المدآن ، فصنم يظهر انه كان من أصنام أهل الحجاز . وقد سمي به جملة رجال عرفوا بـ (عبد المدان) ، وكان له بيت^٤ .

وأما (مرحب) ، فصنم من أصنام حضرموت ، وبه سمي (ذو مرحب) سادن هذا الصنم^٥ . وكانت تلبية من نسك له : « لبيك . لبيك ، اننا لديك . لبيك ، حبيبنا اليك »^٦ .

وللأخباريين جملة آراء في معنى ذات الودع ، وهي أنثى . وقد ورد اسمها في الشعر ، وكانت العرب تقسم بها . قيل انها وثن بعينه ، وقيل هي مكة لأنه كان يعلق الودع في ستورها ، وقيل سفينة نوح ، كانت العرب تقسم بها ، فتقول بذات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا^٧

Ency. Religl., I, p. 662.

١ الاصنام (١١٠) ، (وكثري كسكري : صنم كان لجديس وطسم ، كسره نهشل بن الربيع بن عرعره ولحق بالنبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكتب له كتاباً . قال عمرو بن صخرة بن أشنع :

حلفت بكثري حلفة غير برة لتستلبن أثواب فيس بن عازب

تاج العروس (٥١٣/٣) .

٢ الاشتقاق (٢٣٥) ، Reste, S. 67, Ency. Religl., I, p. 660.

٣ الاصنام (١١١) ، تاج العروس (٣٤٢/٩ وما بعدها) ، اللسان (٢٨٩/١٧) ، الاشتقاق (٢٣٧/٢) .

٤ الاصنام (١١١) ، تاج العروس (٢٦٩/١) ، (رحب) ، المحبر (٣١٨) .

٥ المحبر (٣١٤) .

٦ الاصنام (١١١) ، اللسان (٢٦٧/١٠) (ودع) ، تاج العروس (٥٣٥/٥) .

وبالليل ، اسم صنم كذلك ، أضيف اليه فقيل (عبد باليل) ، كما قيل (عبد يغوث) و (عبد مناة) و (عبد ود)^١ .

وأما (ذريح) (ذرح) ، فكان لكندة بالنجير من اليمن ناحية حضرموت . يظهر أنها كانت تحجج اليه ، وأن له بيتاً يقصد ، بدليل ورود تلبية من نسك اليه ، وهي : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، كلنا كنود ، وكلنا لنعمة جحود . فاكفنا كل حية رصود » . ويظن (ولوزن) أنه يمثل الشمس . (وذرح) اسم من الأسماء ، ويرد في الأعلام العربية الجنوبية المركبة ، مثل (ذرح ايل) . وذهب (نولدكه) إلى ان (ذرح) هو مثل الشارق و (محرق) صنم يمثل الشمس . والظاهر ان عبادة هذا الصنم لم تكن منتشرة خارج حدود العربية الجنوبية^٢ . وأما باجر ، فإنه من أصنام الأزدي ومن داناها من طيء . وقد سمي به رجال عرفوا به (عيد باجر)^٣ .

وحلال ، هو صنم فزارة . أما الحمام ، فإنه صنم بنو هند من بني عذرة . وكان في المشقر صنم لبني عبد القيس يسمى ذا اللبا ، سدنته بنو عمرو^٤ . وكانت تلبية من نسك له : « لبيك اللهم لبيك . لبيك ، رب فاصرف عنا مضر . وسلمن لنا هذا السفر . ان عما فيهم لمزدجر . واكفنا اللهم أرباب حجر »^٥ .

وكان المنطبق صنماً ، للسلف وعك والأشعريين ، وهو من نحاس ، يكلمون من جوفه كلاماً لم يسمع بمثله . فلما كسرت الأصنام ، وجدوا فيه سيفاً ، فاصطفاه الرسول . وسمّاه (مخدماً)^٦ . وذكر (ابن حبيب) ان تلبية من نسك للمنطبق : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك » . ويلاحظ ان الأخباريين ذكروا ان السيف (مخدم) (مخدّم) كان سيفاً على الصنم مناة أو (الفلّس) صنم طيء ، كما ذكروا ان السيف (رسوب) كان على الصنم (مناة) ، أو الفلّس كذلك .

وأما الصنم نهيك ، فقد كان من الأصنام الموضوعة في مكة . وذكر (الأزرقي) ان عمرو بن لحي نصب هذا الصنم عند الصفا ، وإنه كان يعرف به (مجاود

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الأصنام (١١١) . |
| ٢ | Reste, S. 65, Ency. Religi., I, p. 660. |
| ٣ | Reste, S. 64. |
| ٤ | Reste, S. 65. |
| ٥ | المحبر (٣١٤) . |
| ٦ | البلدان (١٧٩/٨) (المنطبق) المحبر (٣١٨) . |

(الريح) (مجاور الريح) ، وانه نصب الصنم : مطعم الطير عند المروة^١ ، فكان الناس في موسم الحج يحجون إلى الصنمين .

ولعل هذين الصنمين كانا من الأصنام التي خصصت بالسماء، وان الناس كانوا يضعون الحبوب عندهما لتأكلها الطيور . ولذلك قيل لنهيك (مجاود الريح) ، ولصنم المروة (مطعم الطير) .

وغنم ، ذكر أنه كان في جملة الأصنام الموضوعة بمكة . وقد ورد اسم رجال ، واسم أسرى^٢ .

وفراض ، صنم كان بأرض سعد العشيرة^٣ . وقد حطمه رجل منهم اسمه (ذُباب) ، وهو من (بني أنس الله بن سعد العشيرة) . حطمه ، ثم وفد إلى النبي فأسلم ، وقال شعراً في ذلك ، أشار فيه إلى هدمه ذلك الصنم^٤ . وكانوا يذبحون له ويلطخونه بالدم^٥ .

أما قزح (قزاح) ، فالظاهر أنه صنم ، كان الناس يتصورون أنه يبعث الرعد والعواصف . وقد نسي على ما يظن . ولا بد أن يكون لقوس قزح علاقة ما بهذا الصنم القديم . وقد يكون لاسم قزح ، وهو من مواضع الحرم بمكة ، علاقة باسم هذا الوثن العتيق . وقد تعبد بنو أدوم لصنم اسمه (قزح) Koze مما يدل على أنه هو الصنم العربي الذي نتحدث عنه . والظاهر أنه كان من الأصنام القديمة المعروفة ، غير أنه فقد منزلته وقلّت أهميته ، فلم يكن من الأصنام الكبرى عند ظهور الإسلام^٦ . ويخالف (نولدكه) رأي بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى أن المراد بقزح الشيطان ، لا صنم من الأصنام^٧ .

و (قيس) اسم صنم قديم . نسيت عبادته ، وصار اسم أشخاص . ودليل كونه صنم قديم وروده في الأعلام المركبة ، مثل (عبد القيس) ، فإن في هذه

- ١ المحبر (٣١٣) ، الأزرقى (٧٣/١) .
- ٢ ابن هشام (١٤٥) ، (بنو غنم) ، المحبر (٢٨٨) ،
- ٣ في نهاية الارب (فراض) ، نهاية الارب (١٨/١٨) ،
- ٤ تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى وخلفت فراضا بدار هوان
شددت عليه وشدة فتركته كان لم يكن والده ذو حدثان
- ٥ نهاية الارب (١٨/١٨) .
- ٥ نهاية الارب (١٥١/١٨) .
- ٦ Josephus, Antiq., XV, 253.
- ٧ Ency. Religi., I, p. 661.

التسمية دلالة على أن قيساً اسم إله . ولقيس علاقة بـ (قوس) Quas ، وهو إله من آلهة أدوم^١ .

وقد ورد اسم (قيس) (قس) و (قوس) في الكتابات . وهما اسم إله واحد . عثر على معبد له في مدائن صالح^٢ .

وأما (عوف) ، فقد استدل من التسمية بـ (عبد عوف) على أنه اسم صنم ، غير أننا لا نعرف من أمر عبادته شيئاً ، فلعله من الأصنام التي ذهب ذكرها قبل الاسلام بزمن طويل . وقد ذكر أهل الأخبار أنه (صنم) ، ولم يذكروا اسم عبده^٣ .

وذكر (اليعقوبي) أن للأزد صنم ، يقال له (رثام)^٤ .

والسعيدة ، صنم أنثى وعلامة تأنيثه وجود تاء التأنيث بآخره . وكان لسعد هذيم وسائر قضاة إلا (بني وبرة) ، وعبده الأزد أيضاً . وكان سدنته (بنو عجلان) وموضعه بأحد^٥ « وورود أن (السعيدة) بيت كان يحججه ربعة في الجاهلية »^٦ .

وورد في جملة أسماء أهل الجاهلية اسم (سعد العشيرة) . وقد ذهب أهل الأخبار إلى أن (مذحجاً) كان يعرف بذلك الاسم^٧ . و (العشيرة) اسم صنم من الأصنام القديمة ، وله علاقة بعبادة الساميين . فقد كان الكنعانيون يضعون وثناً في محلات العبادة يسمونه (العشيرة) ، كما كانوا يتعبدون له لأنه من آلهتهم القديمة . وهو إلهة ، أي أنثى عند الكنعانيين . ويظهر أن (العشيرة) من الآلهة السامية القديمة التي كانت تعبد بصورة خاصة عند الساميين الغربيين ، كما عبر بلفظة (العشيرة) عن (المذبح) (المزبح)^٨ . واسم (عبد عشيرة) مرتبط بالطبع باسم هذا الإله .

١ Reste, S. 67.

٢ « بت قسو » ، « بيت قيسو » ،

Reste, 67, Ryckmans 18, Grohmann, S. 85, Jaussen — Savignac,

Mission, II, 501, 520, 528, I, 169; 200, CIS, II, 209, Doughty,

Documents Epigraphiques, 38, CIS, II, 198, J. Euting, Tagebuch, II, 262.

٣ تاج العروس (٢٠٦/٦) ، (عوف) .

٤ اليعقوبي (٢٢٥/١) .

٥ المحبر (٣١٦ وما بعدها) .

٦ اللسان (٢١٥/٣) (صادرة) ، تاج العروس (٣٧٨/٢) (سعد) .

٧ الاشتقاق (٢٣٧/٢) .

٨ Encyclopaedia Biblica, By Cheyne, Vol. I, 3330.

ومن دلائل عبادة (الأشهل) ، ورود الأشهل في الأعلام المركبة ، مثل (عبد الأشهل) . وقد ذكر (ابن دريد) ان الأشهل صنم^١ .
وأشار (محمد بن حبيب) إلى صنم قال له : (زائدة) ، لم يذكر من كان يتعبد له^٢ .

وذكر علماء اللغة اسم صنم قالوا له : (الضيزن) . وقال بعضهم : « والضيزنان صئمان للمنذر الأكبر ، كان اتخذهما بياض الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة »^٣ .

وأدخل بعض علماء اللغة (الغري) في عداد الأصنام . فقال : « والغريّ : صنم كان طلي بدم » . وذكر بعض آخر أن الغري : نصب كان يذبح عليه النسك . وذكروا أن الغرين بناءان طويلان ، يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش ، وسمّيا الغرين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله في يوم يؤسه^٤ .

ومن الأصنام صنم اسمه (غير) ، قيل إنه كان لعبد عمرو المعروف بـ (بكر ابن جبلة الكلابي) ، كان قومه يعظمونه^٥ . وصنم اسمه (جريش) ، إليه نسب : (عبد جريش)^٦ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (كعباً) و (كعبياً) المذكورين في قصة (القليس) التي أقامها (أبرهة) بصنعاء ، هما صئمان^٧ .

-
- ١ الاشتقاق (٢٦٣) ، تاج العروس (٤٠٢/٧) ، (سهل) .
 - ٢ الاشتقاق (ص ١٣) .
 - ٣ اللسان (٢٥٤/١٣) ، (ضزن) ، تاج العروس (٢٦٤/٩) ، (ضزن) .
 - ٤ اللسان (١٢٢/١٥) ، (غرا) ، تاج العروس (٢٦٤/١٠) ، الجوهري ، تاج اللغة (٥٢٦/٢) .
 - ٥ الاصابة (١٦٦/١) .
 - ٦ تاج العروس (٢٨٨/٤) ، (جريش) .
 - ٧ البداية ، لابن كثير (١٧٠/٢) وما بعدها .

الفصل السابع

أصنام الكتابات

أقصد بـ (أصنام الكتابات) الأصنام التي عرفنا خبرها وأمرها من الكتابات الجاهلية ومن الكتابات الآشورية ومن كتب الكتبة (الكلاسيكيين) ، وذلك تمييزاً لها عن الأصنام التي أخذنا علمنا بها من روايات الأخباريين في الغالب . وقد سبق لنا أن وقفنا على أسماء بعض آلهة الأعراب ، وذلك أثناء حديثنا عن الآشوريين والعرب . وقد ذكرت تلك الأسماء في الكتابات الآشورية لمناسبة سقوط أصنامها أسيرة في أيدي الآشوريين . وكان الأعراب الذين حاربوا الآشوريين قد حملوها معهم ، أما تبركاً وتيمناً بها ، وتفاؤلاً من وجودها معها بالنصر والغنائم ، وأما لأنها كانت معهم في خيمتها المتخذة معبداً لها فسقطت في أيدي الآشوريين باكتساح الآشوريين لمنازل أولئك الأعراب . فأخذها الآشوريون معهم ، وحملوها الى عاصمتهم أسيرة كما يؤسر البشر ، وسجنوها عندهم ، إذلالاً لعبادها وإهانة لهم ، وازدراءً بشأن تلك الآلهة المغلوبة السيئة الحظ التي لم تتمكن من مساعدة عبادها في القتال والتي لم تتمكن حتى من تخليص نفسها من الأسر ، فوقعَت هي نفسها أسيرة ذليلة في أيدي عبدة آلهة أخرى . وبقيت في أسرها هذا ، حتى وجد الأعراب الا مناص لهم من استردادها من الآشوريين إلا باسترضائهم وإعلان خضوعهم لهم . فذهبوا الى نينوى ، وقدموا طاعتهم للملك آشور ، وأمر عندئذ بإعادة أصنامهم اليهم ، وكتب الآشوريون فوقها كتابة تشير الى سقوطها في أسرهم ، والى تغلب آلهة الآشوريين على آلهة الأعراب ، وتفقوا لآله آشور على

تلك الأصنام ، وبعد أن نقش عليها اسم الملك . ثم أعيدت وهي على هذه الصورة اليهم^١ .

ومن هذه الأصنام دلبت (دلبات) Dilbat^٢ ، و (عتر سمين) (عشتر السماء) Atarsamain (A-tar-sa-ma-a-in) و (عتر قريمة) (عتر قرمي) (Atar Kurumiaa) ، و (ديه) (دايا) (Diya) = (Dija) ، و (نوهيا) (نخبيا) (نهيا) (نهى) (Nuhaia) ، و (ابريلو) (Ebirillu) . وهي الأصنام التي كتب عليها أن تسجن فأعيدت الى أصحابها ، ووضعت في أماكنها وسرّ أتباعها ولا شك بهذه العودة^٣ .

وقد حرفت أسماء هذه الأصنام، حتى صار من الصعب علينا تشخيصها. ولعل اسم الصنم (دلبت) هو تحريف (ذات بعل) ، أي (الشمس) . والشمس إلهة عند العرب ، تعبدت لها قبائل عديدة ، كما تكلمت عنها في موضع آخر ، وقد عرفت به الإلهة عندها . وأما (عتر سمين) ، فهو (عشتر السماء) ، و (عشتر) من الآلهة المعبودة عند العرب ، وقد ورد اسمه في نصوص المسند . ويرى بعض الباحثين انه إلهة ، أي أنثى^٤ . ويرمز إلى (الزهرة) في رأي غالب العلماء^٥ . وقد أشير في النصوص القنانية إلى قبيلة عرفت بـ (عتر سمين) ، أي باسم هذا الصنم^٦ ، لعلها من عبدة ، فنسبوا اليه .

وأما (نوهيا) (نخبيا) (نهى) (نهيا) ، فهو الإله (نهى) . وقد ورد في الكتابات الثمودية ، اسم صنم بهذا الاسم^٧ . فلعل له صلة بالصنم المذكور .

- ١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٢٠/٢) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٥٩١/١) ، (٦٠٠/١) ، Pritchard, p. 291.
- ٢ Reallexi., I, S. 125, Winckler, AOF., I, S. 526, Schell, Le Prisme D'Assaraddon, (1914), p. 18, British Museum Tablets, K3087, Smith, History of Sennacherib, (1878), p. 138.
- ٣ Pritchard, p. 291, D.J. Wixman, The Vassal-Treaties of Esarhaddon, p. 4.
- ٤ Schrader, KAT., S. 434.
- ٥ Handbuch, I, S. 228.
- ٦ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٣٢/٢) .
- ٧ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١٥١/٥) .

وحدثنا (هيرودوتس) - في أثناء كلامه على حملة (قبيز) على مصر - عن إلهين من آلهة العرب ، هما : (باخوس) Bacchus و (اورانيا) (Urania) . وذكر أن العرب تسمي (باغوس) (اوراتل) Oratal ، وتسمي (اورانيا) (أليلات) Alilat^١ . و (اليلات) ، هو الصنم (اللات) ، الذي يرمز إلى (الشمس) ، فهو إلهة ، أي أنثى . ويقابل (اثينة) Athene التي ظهرت عبادتها متأخرة بعض التأخر بالنسبة إلى الآلهة الأخرى^٢ . و (اللات) من الأصنام العربية المعروفة التي ذكرت في القرآن ، وفي النصوص النبوية والصفوية ، كما سأحدث عن ذلك في المواضع المناسبة . وأما Oratal ، فهو تحريف على ما يظهر لاسم صنم من الأصنام العربية ، صار من الصعب إرجاعه إلى صنم من الأصنام التي نعرفها الآن^٣ .

وقد حفظت النصوص الجاهلية أسماء عدد لا بأس به من الأصنام، كان الناس يقضون الليالي سهراً في عبادتها والتودد إليها ، لتنفعهم ولتدفع الأذى وكل سوء عنهم ، وكانوا يتقربون إليها بالنذور والقرابين . ثم ذهب الناس وذهبت آلهتهم معهم ، وبقيت أسماء بعض منها مكتوبة في هذه النصوص ، وبفضل هذه الكتابات عرفنا أسماءها ، ولولاها لكانت أسماءها في عداد المنسيات ، كأسماء الآلهة التي نسيت لعدم ورود أسمائها في النصوص .

وبين هذه الأسماء أسماء يجب اعتبارها من (الأسماء الحسنى) ، أي (أسماء الله الحسنى) في المصطلح الاسلامي لأنها نعوت وصفات للآلهة، التصقت بها حتى صارت في منزلة الأسماء العلمية . وهي تفيد المؤرخ كثيراً ، إذ أنها تعينه في فهم طبيعة تلك الآلهة ، وفي فهم رأي المؤمنين بها ، في ذلك الوقت .

وفي طبيعة أسماء الآلهة المدونة في نصوص المسند ، اسم الإله (ود) ، إله معين الكبير ، وإله قبائل عربية أخرى ، منها (ثمود) ، حيث ورد اسمه في كتاباتهم ، و (الحيان) ، حيث ذكر في كتاباتهم أيضاً . كما كان من الأصنام الكبرى في الحجاز عند ظهور الاسلام . وقد ذكر في القرآن الكريم مع أسماء

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٤٣/٢) و Herodotus, I, p. 213.

٢ Ency. Religl., I, p. 661.

٣ المصدر نفسه .

أصنام أخرى عبت في عهد نوح^١ . وقد ظن بعض المستشرقين ان هذا الصنم لم يكن معبوداً في الجاهلية القريبة من الاسلام وعند ظهور الاسلام ، وهو رأي غير صحيح ، إذ ورد ذكره في شعر النابغة ، وكان له معبد في دومة الجندل ، وسدنة وأتباع . ولدينا أسماء جملة رجال جاهليين عرفوا بـ (عبد ود) . وقد ذكر ان قريشاً كانت تتعبد لصنم اسمه ود ، ويقولون له أدّ أيضاً^٢ .

ونعت (ود) بالإله (الهن) (الهن) في بعض الكتابات، جاء في أحد النصوص (ودم الهن) ، أي (ود الإله) . و (كهان) ، أي (الكاهن) بمعنى القدير والمقتدر^٣ . وهما من صفات هذا الإله التي كان يراها المعنيون فيه . ويرمز (ود) إلى القمر ، عند المعنيين ، وهو الإله الرئيس عندهم . وقد وردت لفظة (شهرن) ، أي (الشهر) بعد كلمة (ود) في بعض الكتابات . فورد : (ودم شهرن) ، أي (ود الشهر) . وتعني لفظة (شهر) القمر في عربية القرآن الكريم^٤ . و (ود) ، هو الإله (القمر) عند بقية العرب الجنوبيين . ومتى ورد اسمه في نص ، قصد به القمر .

وقد نعت (ود) بـ (الأب) ، تعبيراً عن عطفه على المتعبدين له وعن رحمته^٥ . فورد في النصوص المعنية : (ودم ايم) ، و (ايم ودم) أي (ودأب) ، و (أب ود) ، فهو بمثابة الأب للإنسان . والأب من كان سبباً في إيجاد شيء أو اصلاحه أو ظهوره . وقد عثر على أخشاب وأحجار حفرت عليها أسماء ود أو جمل (ودم ايم) أو (ايم ودم) ، وذلك فوق أبواب المباني ، لتكون في حمايته ورعايته ، وللتبرك باسمه وللتيمن به ، كما وجدت كلمة (ود) محفورة على أشياء ذات ثقوب ، تعلق على عنق الأطفال لتكون تيممة وتعويدة يتبرك بها^٥ . فعلوا ذلك كما يفعل الناس في الزمن الحاضر في التبرك بأسماء الآلهة والتيمن بها لمنحها الحب والبركة والخيرات .

ويظن ان لفظة (ود) ، ليست اسم علم للقمر ، بل هي صفة من صفاته ، تعبر عن الود والمودة . فهي من الأسماء الحسنى للقمر اذن .

-
- ١ سورة نوح ، الآية ٢٣ .
 - ٢ البلدان (٤٠٧/٨) ، (ود) .
 - ٣ Hommel, Grundriss, I, S. 136, Glaser 284, Halevy 237, Chrestom., 91, 97.
 - ٤ Glaser 324, 504, Handbuch, I, S. 37.
 - ٥ Halevy 534, 535, 583, 586, 587, 591, 685, Glaser 80, 84.

وقد ورد اسم (ودّ) في كتابة ثمودية دونها أحد المؤمنين الفانين في حب (ودّ) ، جاء فيها : « أموت على دين ودّ » ، « بدين ودّ أمت » ، وجاء في كتابة أخرى : « يا إلهي احفظ لي ديني ، يا ودّ أيده »^١ .

وورد اسم (ودّ) في النصوص اللحيانية^٢ . فتكون عبادة هذا الإله قد انتشرت في العربية الغربية من أعالي الحجاز الى العربية الجنوبية . وذلك منذ ما قبل الميلاد الى ظهور الإسلام .

وقد اقترن اسم (ود) مع (ال) (ايل) في بعض الكتابات العربية الجنوبية . و (ايل) هو الإله السامي القديم . ولعلّ في (ود ال) (ودّ ايل) معنى (حب ايل) ، فتكون (ودّ) هنا صفة من صفات الإله . واما (ايل) ، فإنها قد تعني ما تعنيه كلمة (إله) في عربيتنا ، وقد تعني إلهاً خاصاً في الأصل هو إله الساميين المشترك القديم^٣ .

وقد وردت في نص قتباني جملة : (بت ودم) أي (بيت ود)^٤ . ومعناها معبدخصص بعبادة الإله (ودّ) . ولا بد أن تكون هناك جملة معابد خصصت بعبادة هذا الإله .

ويرى بعض المستشرقين استناداً الى معنى كلمة (ودّ) أن هذا الصنم يرمز الى الودّ ، أي الحبّ وأنه صنو للإلهين (جيل) Gil و (بحد) Pahad عند الساميين . ويستندون في رأيهم هذا الى بيت للناطقة هو :

حياك ودّ وأنى لا يحل له لهو النساء وإن الدين قد عزمّا^٥

١ Herbert Grimme, Die Lösung des Sinainschriften, Die Althamudische Schrift, Münster, 1926, S. 40.

٢ Handbuch, I, S. 616.

٣ Handbuch, I, S. 217, H. Bauer, in ZDMG., Bd., 69, 1915, S. 561.

٤ Hommel, Die Südarabische Alterthümer, S. 2.

٥ البلدان (٤٠٨) ، (ود) .

قالت أراك أخا رحل وراحلة
حياك ود فأننا لا يحل لنا
مشمرين على خوض مزمة
شعراء النصرانية (ص ٧٠٥) .

Reste, S. 17, 31, 42, 53, Ency. Religi., VIII, p. 180.

وهناك من يرى وجود صلة بين (ود) و Eros الصنم اليوناني ، ويرى أنه صنم يوناني في الأصل استورد من هناك ، وعبد عند العرب . وهو رأي يعارضه (نولدكه) لعدم وجود تشابه في الهيئة بين الصنمين^١ .

ومن آلهة المعينين الإله : (كهان) ، أي (الكهل) و (الكاهن) . وقد ورد اسمه في النصوص التي عثر عليها في الأقسام الشمالية من العربية الغربية كذلك^٢ . وهو يرمز مثل (ود) الى (القمر) .

وعرف (ود) بـ (نحس طب) (نحسطب) . (ونحس) بمعنى (نحش) ، أي الحية ، و (طب) بمعنى طيب ، فيكون المعنى (الحية الطيبة) . والحيّة رمز لود . فيكون المراد من (نحس طب) الإله ود^٣ .

ومن بين أسماء الآلهة التي ورد اسمها في النصوص المعينية ، اسم الإله (نكرح) . ويرى بعض الباحثين أنه إله البغض والحرب . وان (نكرح) في معنى (كره) في عربيتنا . وانه (نكرو) أو (مكرو) Makru = Nakru عند البابليين . وهو (العدو) فهو على طرفي تقيض مع الإله (ود)^٤ . ويرون انه يرمز إلى الشمس ، وانه في منزلة (ذت حم) (ذات الحميم) عند السبثيين^٥ .

وقد وجد من دراسة الكتابات المعينية ان آلهة المعينين ترد مرتبة على هذه الصورة في بعض الأحيان : (عثر) يليه (ود) ثم (نكرح) ، وتذكر بعدها جملة (الالات معن) ، بمعنى (آلهة معين)^٦ .

وهناك آلهة أخرى وردت أسماؤها في كتابات المعينين ، لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . منها : (بلو) إله البلاء والنوازل والموت ، و (حلفن) (حلفان) ، وهو خاص بالقسم ، و (ورفو) ، وهو حارس الحدود ، و (منضج) (منضحت) (منفحة) ، إله الماء والري والحدود ، و (متقبط) ، إله الحصاد^٧ . غير ان من الجائز في رأسي ألا تكون هذه الأسماء أسماء آلهة ، وانما

-
- | | |
|---|---|
| Ency. Religi., I, p. 662. | ١ |
| Handbuch, I, S. 215. | ٢ |
| Grohmann, Göttersymbole, S. 71. | ٣ |
| Ency. Religi., 10, P. 882, Handbuch, I, S. 20, 40. | ٤ |
| Handbuch, I, S. 188, Ilmukah, S. 56. | ٥ |
| Ilmukah, S. 55, Glaser 1089, 1660, Halevy 208, N. Rhodokanakis, | ٦ |
| Stud. Lexi., II, S. 26, Glaser 1144, Halevy 353. | |
| Arablen, S. 246. | ٧ |

هي مجرد مصطلحات يراد بها أمور أخرى .

وتعبد السبثيون للإله (المقة) ، إلههم الكبير . ويعبد في منزلة (ود) عند المعينين ، ويرمز إلى (القمر) . وهو المقدم عندهم على سائر الآلهة . إليه تقرب (المكربون) والملوك بالأدعية والهدايا ، وإليه توسل الشعب في كل ملة تنزل به . ونجد اسمه مدوناً في كثير من النصوص السبئية . بل تعبد له أهل الحبشة كذلك ، فنجد له معبداً عند (بجا) (يها) . انتقلت عبادته إليهم من السبثيين الذين كان لهم نفوذ سياسي وثقافي على الساحل الأفريقي المقابل لليمن ، ويظهر أثر ذلك في الخط الحبشي حتى اليوم .

وليس للعلماء رأي واضح صحيح في معنى (المقة) ، ويرى (إيwald) ان الكلمة من أصل (لمت) ، وهي بمعنى (لمع) ، فيكون للاسم — على ذلك — معنى اللامعان^١ ، ويمكن أن تكون كلمة (المقة) اذن ، بمعنى (الثاقب) و (اللامع) . وقد كان الجاهليون يقسمون بالنجوم الثاقبة ، أي النجوم التي يتوقد ضياؤها ويتوهج . ورد في القرآن الكريم : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » . وقال المفسرون : « النجم الثاقب ، يعني يتوقد ضياؤه ويتوهج » . وذكروا ان العرب كانت « تسمي الثريا : النجم . ويقال إن الثاقب : النجم الذي يقال له زحل . والثاقب أيضاً الذي قد ارتفع على النجوم »^٢ . وقد ذهب (هومل) إلى ان (المقة) ، إنما تعني (سيده)^٣ . وذهب بعض الباحثين إلى ان اللفظة من (ال) (ايل) ، اسم الإله (ايل) الشهير ، المعروف عند جميع الساميين . ومن (مقهو) بمعنى قوي . فيكون الاسم (ايل قوي) ، (ال مقهور)^٤ .

وتدل روايات الأخباريين عن (المقة) على عدم وقوفهم على حقيقة هذه التسمية ، فقد حاروا فيها ، واضطربوا في أمرها ، ولم يظهر أحد من بينهم من عرف حقيقتها . فصيرها بعضهم اسماً من أسماء الملكة (بلقيس) ، وصيرها بعض آخر مصنعة من مصانع الجن التي بنتها على عهد (سليمان) ، وجعلها

١ سورة الطارق ، رقم ٨٦ .

٢ تفسير الطبري (٩٠/٣٠) وما بعدها .

٣ Handbuch, I, S. 40.

٤ Arabien, S. 244.

(الهمداني) الزهرة ؛ « لأن اسم الزهرة في لغة حمير : يلمقه والمق » . ذكروا أن بناء (يلمقه) ظل قائماً باقياً الى أيام غزو الحبشة لليمن ، فهدموه^١ . وإذا صحت رواية الهدم هذه ، فلا يستبعد حينئذ أن يكون ذلك بسبب كونه معبداً وثنياً خصص بعبادة الأوثان، والأحباش نصارى سعوا لطمس الوثنية ونشر النصرانية في البلاد . ولعلّه أراد به معبد (المقه) بمأرب ، فهدمه الحبش للاستفادة من أحجاره لبناء كنيستهم التي بنوها بهذه المدينة . وقد كان ذلك المعبد قد خصص بعبادة (المقه) إله سبأ الكبير ، فعرف بـ (المقه) ، و (يلمقه) عند سواد الناس .

وقد حفظت لنا نصوص المسند أسماء جملة معابد خصصت بعبادة المقه، وللتمييز بينها ذكرت أسماء المواضع التي شيدت عليها تلك المعابد . ومن أشهرها معبد (المقه) الكبير بمدينة (مأرب) ، المعروف بمعبد (المقه بعل أوم) (المقه بعل أوم) ، وهو معبد لا تزال آثاره باقية ، زارته ونقبت فيه بعثة (وندل فيلبس) الأمريكية الى اليمن^٢ . وتعرف بقايا هذا المعبد عند أهل اليمن باسم (حرم بلقيس) و (محرم بلقيس) . فأحل الدهر اسم امرأة محل اسم إله قديم كبير .

ووردت في بعض النصوص هذه الجملة : (المقه ثور بعل ...) ، ومعناها : (المقه ثور رب)^٣ . أي (المقه الثور هو رب ...) كما وردت جمل مثل : (المقه شهون) ، بمعنى : (المقه المتكلم) . ومثل (المقه شهون بعل أوم) ، أي (المقه المتكلم رب أوم) ، (أوم) . ويظن أن المراد بذلك الكاهن المتكلم باسم الرب (المقه) . فقد كان لبعض المعابد كهنة ، يزعمون أن الآلهة تتكلم فيها ، ويقومون أنفسهم بدور الوساطة والترجمة . فإذا أراد شخص سؤال إلهه عن مشكلة يريد حلها ، أو عن قضية عويصة ، أو عن سرقة وما شاكل ذلك ، يذهب الى المعابد المختصة ، التي يزعم أن الآلهة تجيب فيها ، فيتقدم الى الكاهن بنذر وهدايا مناسبة ، ثم يلقي سؤاله ، فيظهر عندئذ صوت مسموع ، يزعم أنه

١ البكري (١٣٩٨) .
D. H. Müller, Burgen, II, S. 972, Nielsen, Der Sabalsche Gott Ilmukah, S. I.
Wendall Phillips, Qataban and Sheba, 1955.
٢
D. Nielsen, Die Altarabische Mondrelligion, S. 107, ٣

صوت الإله الذي لا يرى، يجيب على السؤال أو على الأسئلة ، بما يناسب السؤال . وقد كُنِّي عن (المقة) بـ (ثور) في بعض الكتابات . ومما يؤيد أن المراد (بثور) هذا الإله ، هو صورة رأس الثور في كثير من الكتابات ، وهي ترمز إليه ، كذلك رمز اليه بنسر وبصور الحيات . وهذه الصور من الرموز الدالة على الإله القمر عند قدماء الساميين^١ . وقد صور العبرانيون (يهوه) على هيئة عجل^٢ . ويلاحظ أن أكثر الأوثان والصور (صلمن) التي كان الناس يقدمونها الى معابد (المقة) وفاء لنذور نذروها لها ، اشتملت على صور ثيران ، ويلاحظ كذلك أن الثيران ، كانت من أكثر الحيوانات التي كان المتعبدون يقدمونها ذبائح لهذا الإله . وقد استنتج (دتلف نلسن) من هاتين الملاحظتين ومن تسمي أشخاص وأسر وعشائر وقبائل باسم (ثور) ، أن الثور رمز يراد به هذا الإله (المقة)، أي القمر^٣ .

وورد في النصوص السبئية اسم إله هو (هوبس) (هبس) ، ورد منفرداً ، وورد مع الإله (المقة)^٤ . وقد قصد به الإله القمر . ومعنى (هوبس) على رأي (فرسنل) Fresnel اليابس والجاف ، وهو وصف للقمر^٥ . ويعلل ذلك بفعل القمر البارز في أحداث الجزر حيث تنسحب المياه من الساحل مسافة الى البحر . وقد أشار (الهمداني) الى أن اسم القمر (هيبس) ، والظاهر ان هذه التسمية للقمر ظلت معروفة في اليمن بعد الإسلام^٦ .

ووردت جملة (المقة ذ قبلم) في بعض النصوص ووردت (هوبس) ، و (المقة ذ هوبس)^٧ ، بمعنى اليابس . وذكر بعض العلماء ان معنى ذلك (المقة) الذي يؤثر في المد والجزر^٨ ، وذلك لما لاحظته المتعبدون له من وجود أثر له في أحداث المد والجزر .

- | | |
|--|---|
| Ilmukah, S. 51. | ١ |
| الملوك الاول ، الإصحاح الثاني عشر ، الآية ٢٨ ، الخروج ، الإصحاح ٣٢ ، الآية ٤٠. | ٢ |
| Ilmukah, S. 52. | ٣ |
| Hommel, Grundriss, I, S. 85, Altertumer, 1899, S. 28. | ٤ |
| Handbuch, I, S. 40. | ٥ |
| Bürgen und Schlosser, II, S. 20-22, Hommel, Sudarabische Altertumer, S. 30. | ٦ |
| Rep. Epigr. 4921, 4963. | ٧ |
| Arabien, S. 244. | ٨ |

وقد أشير إليه بـ (هـل) بمعنى هلال ، وبـ (ريع) ، أي الربع الأول من الشهر ، وبـ (حول) ، بمعنى تمام الشهر ، أي القمر كاملاً . ومن صفاته (سمع) ، أي سميع^١ .

و (عم) هو إله شعب قتيان الرئيس . وقد ورد اسمه مقرونًا مع الإله (أنبي) في نصوص قتيانية عديدة . وهو يقابل الإله ود عند المعينيين ، والإله (الملقه) عند السبثيين ، والإله (سن) (سين) عند أهل حضرموت . فهو الإله القمر اذن عند القتيانيين .

وكلمة (عم) من الكلمات السامية القديمة الواسعة الانتشار عند الساميين . وقد ذكرت في نص يقدر أنه كتب حوالي سنة (٤٥٠٠) قبل الميلاد ، وهي من كلمات عهد الأمومة ، ثم صارت من المصطلحات الدينية مثل (ال) (ايل) El ، و (بعل) Baal ، و (ادون) Adon ، و (ملك) Malke وما شابهها من أسماء الألوهية : كانت نعتاً في الأصل من جملة النعت التي كان يطلقها الساميون على آلهتهم ، ثم جعلت علماً لإله^٢ .

وترد لفظة (أنبي) في الكتابات القتيانية علماً على إله ذكر هو القمر . وقد وردت بعد اسمه كلمة (شيمن) ، ومعناها (الحامي) والحافظ ، فورد (أنبي شيمن) ، أي (أنبي المحامي) و (أنبي الحافظ) ، والمدافع عن المؤمنين به . فهو اذن في معنى (عم)^٣ . ولا بد أن يكون لهذا النعت صفات بصفات هذا الإله ، أي أنه اسم من أسماء الله الحسنى .

ومن آلهة قتيان التي ذكرت مع (عم) الإله (حوكم) و (ائرت) و (نسور) و (ال فخر) . ويرى (هومل) أن الإله (ائرت) هو إلهة أنثى . هي في نظره زوج الإله (عم)^٤ . ويظن أن (ائرت) هي الشمس ، ويظن أيضاً أن هذه الكلمة قريبة في المعنى من كلمة (عشيرة) (عشيرات) العبرانية ، و (عشرتو) الآشورية البابلية ، وأنها تعني في القتيانية الشروق أو الشارقة والشرقة الشديدة .

REP. EPIGR. 3945, 4067, 4228, 4991, 4992, 4993, CIH 282, Arable S. 244. ١

Ency. Religi., I, p. 387, Glaser, Mitteilungen, II, S. 21. ٢

Glaser 1602, SE 84, Ilmukah, S. 56, D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, S. 14. ٣

« شفتيم لعم وآئرت » Südar., S. 22, Glaser 160. ٤

من (عثر) بمعنى شرق وإشراق ، أضيف الى نهاية الكلمة حرف التأنيث ؛ لأن الشمس مؤنثة ، كما فعل في عثر إذ عد مؤنثاً عند الساميين الشماليين ، فصار (عثرت) (عثرت) (عثرت) ، أي أنثى . وكما فعل في (كوكب) و (ملك) ، و (ذي الخلقى) ، و (ذي الشرى) ، حيث أضيفت اليها التاء ، فصارت (كوكبت) (كوكبة) ، و (ملكت) (ملكة) ، و (خلصت) و (شربت)^١ .

ويحتمل على رأي (هومل) ، أن يكون (حوكم) (حوك) إلآله السماء ، ويظهر أنه من الآلهة الخاصة بشعب قتيان^٢ . أما (دتلف نلسن) ، فيرى احتمال كون الكلمة من (حكم)^٣ .

وقد عبر عن الإلهة (الشمس) بـ (ذت حم) ، أي (ذات حميم) ، (ذات حم) ، (ذات الحميم) ، أي ذات الحرارة الشديدة والأشعة المتوهجة التي تشبه الحميم من شدة الحر . وهذا المعنى قريب من (ال حمون) El-Hamon و (بعل حمون) Ba'al Hammon في العبرانية ، ويراد بها الشمس . و (حمت) (حمه) Hamma في العبرانية هي الشمس . وورد في بعض النصوص التدمرية اسم الإلهة (حمن) Hamman ، وورد هذا الاسم في بعض النصوص النبطية التي عثرنا عليها في حوران . وهذا الإله هو الشمس . وقد كُتبت عنها بالأشعة الحارة المحرقة التي ترسلها خاصة في أيام الصيف^٤ .

وهناك من فسر (ذت حم) بـ (ذات حمى) (ذات الحمى) ، والحمى الموضع الذي يحمي ، ويخصص بالإله أو المعبد أو الملك أو سيد قبيلة ، والمكان الذي يحيط بالمعبد ، فيكون حرماً آمناً لا يجوز لأحد انتهاك حرمة^٥ . وفي جزيرة العرب جملة مواضع يقال لها (حمى) ذكر أسماءها الأخباريون .

Handbuch, I, S. 237, Glaser 1395, 1604, SE 84, Rhodokanakis, Katabanische Inschriften, II, S. 121. ١

Hommel, Grundriss, I, S. 140. ٢

D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, S. 15. ٣

Handbuch, I, S. 225, Hommel, Aufsätze und Abhandlungen, II, S. 177, Ilmukah, S. 53, Oslander, in ZDMG., Bd., 20, S. 282. ٤

Handbuch, I, S. 225, Oslander, in ZDMG., Bd., 20, 1866, S. 282, Hommel, Aufsätze, II, S. 177, Mordtmann, Himjarische Inschriften, S. 27, ZDMG., Bd., 31, S. 88, Saba, Denkmaler, S. 258, Fell, in ZDMG., Bd., 54, S. 250. ٥

وعبر عن الشمس بـ (ذت بعدن) (ذات بعدان) كذلك ، أي ذات البعد . وهي كنية قصد بها الشمس حينما تكون بعيدة عن الأرض أي في أيام الشتاء . وقد استدل على ذلك بجملة وردت في نصوص المسند ، هي : (بعلمن بعدن وقرين) ، أي (بالعالم البعيد والقريب) ، بمعنى في الماضي والحاضر^١ . وقصد بذلك الشمس في هذا الوقت من السنة حيث تكون أشعتها غير محرقة ولا شديدة مؤذية للناس^٢ . وأنا لا استبعد أن يكون المراد من ذات البعد، الإلهة التي تشمل برحمتها وبركاتها الأبعاد ، أي المسافات الواسعة والأماكن البعيدة فضلاً عن القرية أو الإلهة البعيدة عن الناس التي لا يمكن أن يصل إليها أحد .

وكتني عن الشمس في النصوص القتبائية بكئي أخرى ، منها : (ذت صنتم) ، (ذات صنتم) ، (ذات صنت) ، و (ذت رحبن) ، (ذات رحبان) (ذات الرحاب) ، و (ذت صهرن) (ذات الصهر)^٣ ، و (ذت غدرن) أي (ذات الغدر) و (ذات الغدران) ، و (ذت برن) ، (ذات بران) ، (ذات البر) ، و (ذت ضهرن) ، (ذات ضهران) ، و (ذ محرضو ومشرقن) ، أي ذات اللون الذهبي المشرق . و (مشرقن) ، بمعنى الغروب والشروق ، و (تدن) (تدان) (تدون) ، و (تنف) ، وذلك في الكتابات السبئية ، و (ذت حسولم) (ذات حسول) ، أي شمس الشتاء ، وذلك في النصوص المعينية^٤ .

وقد عرف إلهه حضرموت الرئيس بـ (سن) (سين) ، وهو القمر . وهو إلهه شعب حضرموت الخاص . وقد نعت بنعوت ، مثل (ذ علم) ، أي (ذو العلم) ، بمعنى العالم ، وبنعوت أخرى . وورد اسمه في كتابات عثر عليها في (يحا) بالحبيشة^٥ .

و (عثر) من الآلهة التي ورد اسمها في نصوص كثيرة من نصوص المسند .

١ Glaser 618, CIS, 541.

٢ Handbuch, I, S. 228.

٣ W. Fell, Südarabische Studien, in ZDMG., Bd., 54, S. 238, (1900), Neue Katabanische Inschriften, S. 15.

٤ Arabien, S. 245.

٥ Rep. Epigr., 3616, Grohmann, S. 245.

ورد في نصوص معينة وسبئية وحضرية وقتبانية . ويقابله Atargatis المدون اسمه في كتب (الكلاسيكيين) ، و (عتر) Atar عند السريان ، و (عشتر) (عشثار) . وقد ذكر في نصوص الآشوريين والبابليين والكنعانيين والعبرانيين والحبش وغيرهم ، مما يدل على انه كان من الآلهة التي كانت عبادتها شائعة في منطقة واسعة ، وانه كان من الآلهة الكبرى قبل الميلاد^١ .

وقد ورد (ام عثر) ، و (ام عثر) في بعض النصوص . وقصد بالجملة الأولى : (أم عثر) ، وبالجملة الثانية (أب عثر) (عثر أب) . وقد استنتج (دتلف نلسن) من ذلك ان (عثر) هنا هو بمثابة الإله الرئيس ، فهو أب وأم للآلهة يليه القمر في الترتيب ، ثم الشمس^٢ . وذهب في بحث آخر له عن ديانة العرب الى ان المراد بـ (ام عثر) الشمس ، باعتدادها أنثى إلهة أمأ . أما ولدها فهو (عثر)^٣ . وليس بمستبعد ان يكون المراد من (ام عثر) ، ان (عثر) بمنزلة الأم للمتعبدين لها ، تريد لهم الخير والبركة وتعطف عليهم وتحبهم عطف الأم على ولدها . وان المراد من (عثر ام) (عثر أب) ، ان (عثر) هو بمنزلة الأب للمتعبدين له ، يشفق عليهم ويحبهم ، ويمنحهم الخير والصحة والبركة . وذهب بعض الباحثين الى ان المراد من عبارة (ام عثر) ، الإلهة الشمس ، لأنها أم (عثر) ، وان المقصود من (ام عثر) (أب عثر) لإلهة القمر ، الذي هو زوج الشمس ، ومن زواجها ولد الابن (عثر) .

وقد جاء في نص سبئي وجد في مدينة (صرواح) ان صاحبة النص قدمت الى الإلهة (ام عثر) (ام عثر) أربعة تماثيل من ذهب ، لأنها وهبت لها أربعة أطفال ، هم ولد واحد وثلاث بنات ، كلهم أحياء يرزقون . ولأنها سرت قلبها بهذه الذرية . وهي لذلك قدمت هذه التماثيل ، ولترجو منها ان تستمر في الإيثار عليها وعلى ابنها وبناتها بالصحة والعافية^٤ . وقد قصد بـ (ام عثر) هنا

Winckler, Altorient. Forschungen, I, S. 528, Hilprecht, Baby., Exped., IX, 51, 76, Ency. Religi., Vol., II, p. 165. ١

D. Nielsen, Mondreligion. S. 42. ٢

Handbuch, I, S. 228. ٣

Handbuch, I, S. 228, Derenbourg, Etudes Sur L'Epigraphie du Jemen, Paris, 1884, NO : II. ٤

الإلهة الشمس . ويتبين من هذا النص أن السبثيين كانوا ينظرون الى (ام عثر) ،
نظرة البابليين الى (عشتار) على أنها إلهة الخصب^١ .

وقد عثر في النصوص النبطية ، على اسم إلهة هي (ربة العثر) (ربت عثر) ،
أي الشمس^٢ .

وورد اسم (عثر) في عدد كبير من نصوص المسند على هذا النحو :
(عثر شرقن) ، و (عثر ذ قبضم) ، و (عثر ذ يهرق) . و (عثر
ذ يهر) ، وهكذا . وتعني جملة (عثر شرقن) ، عثر الشارق . وقد ذكر
أهل الأخبار أن (الشارق) صنم كان في الجاهلية وبه سموا عبد الشارق . مثل
(عبد الشارق بن عبد العزى) الجهني شاعر من شعراء الحماسة^٣ . فلفظة (شرقن)
إذن ، نعت لـ (عثر) ، معناه (الشارق) .

ويرى بعض الباحثين أن (عثر شرقن) ، هو الإلهة الحارس للمعابد والمقابر
إليه يصلى ويدعى أن تصل الهبات الى المعابد^٤ . واليه توسل المتوسلون لحفظ قبورهم
من عبث العابثين بها المعيرين لأحجارها الطامعين في كنوزها ، ولهذا نعت
بـ (عثر يغل) ، أي (عثر المنتقم)^٥ .

وأما جملة (عثر ذ قبضم) ، فقصده بـ (قبضم) معنى (القابض) أو
(الجالس) ، أو اسم موضع يقال له (قبض) . فيكون المعنى : (عثر
رب موضع قبض)^٦ . وأما (يهرق) و (يهرق) (يهريق) ، فهو اسم مدينة
من مدن معين . كان بها معبد لعبادة (عثر)^٧ .

وورد أيضاً (عثر غرين) ، أي (عثر الغارب) ، كناية عن غروبه ،
أو عن طلوعه عند الغروب ، فهو اذن نجم الشروق ونجم الغروب ، أو النجم
الشارق والنجم الغارب . كما ورد (عثر نورو) (عثر نورن) ، أي (عثر

D. Nielsen, Altarabische Mondreligion, S. 41.

Littmann, NO : 24, Lidzbarski, Ephem., Bd., 3, S. 292, Handbuch, I, S. 227.

٣ تاج العروس (٣٩٢/٦) ، (شرق) .

٤ Ency. Religi., 10, p. 883.

٥ Arabien, S. 245.

٦ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 27, Ency. Religi., 10, p. 882, Glaser 1089,
1660, Halevy 208.

٧ Handbuch, I, S. 228, Hommel, Grundriss, I, S. 85, W. Fell, in ZDMG., Bd.,

54, S. 231-259.

نور (و (عثر المنير) ، تعبيراً عن لمعانه وعن النور الظاهر عليه . وجاء (عثر سحر) ، أي (عثر السحر) ، بمعنى عثر الذي يظهر عند السحر ، وعبر عنه بـ (متب نطين) ، أي الحامل للرطوبة ، تعبيراً عن الرطوبة التي تكون عند ظهوره ، فنسبوا اليه^١ .

وقد تكرر ذكر اسم (عثر) في بعض النصوص ، على سبيل التوكيد والتشديد في القسم وفي الدعاء ، كما نفعل نحن أحياناً من إعادة اسم الله في الإيمان المغلظة وفي التوسلات عند ساعات المحنة والشدة . ورد : (بعثر شرقن ، وبعثر ذ قبضن ، وود ونكرحم ، وبعثر ذ يهرق ، وبكل ال ل ات معن)^٢ . أي : (بعثر الشارق وبعثر ذو قبضن وبود^٣ ، ونكرح ، وبعثر ذو يهرق ، وبكل^٤ آله معين) ، أو (وبحق عثر الشارق ، وبحق عثر القابض أو رب موضع قبض ، وبحق ود^٥ ، ونكرح وعثر رب يهرق ، وبحق كل آله معين) .

ولدينا جملة أسماء مركبة ورد فيها اسم (عثر) ، مثل (اوس عثر) (او سعث) و (هوف عث) (هو فعث) ، و (لحي عث) (لحيعث) . و (عث) هنا هو اختصار (عثر)^٣ .

ومن آلهة العرب الجنوبيين الإله (قينن) (قينان) ، وهو إله قبيلة (سحيم) ، النازلة بـ (شيام) ، (شيام سحيم)^٤ .

ومن بين أسماء آلهة العرب الجنوبيين اسم الإله : (ال) (ايل) ، ذكر اسمه مستقلاً كما ورد مقروناً باسم الإله (عثر) كما في الكتابتين الموسومتين بـ 144 Halevy ، وبـ 150 Halevy ، وقد قدم ذكره فيها على اسم الإله (عثر)^٥ . وقد ورد بكثرة في الأعلام المركبة .

ومن بين أسماء الآلهة التي ورد اسمها في النصوص العربية الجنوبية ، اسم الإله (تلب ريم) (تالب ريام) . وهو إله خاص بقبيلة (همدان) . كما أن (المقه) هو إله (سبأ) و (سين) (سن) إله حضرموت ، و (عم) إله قتيان ،

١ Arabien, S. 245.

٢ الفقرة الخامسة من النص : Glaser 1150, Halevy 192.

٣ Handbuch, I, S. 228.

٤ Arabien, S. 245.

٥ Handbuch, I, S. 218, Halevy, in Journal Asiatique, 1872, Tome 19, p. 152.

و (ود) إله معين . وقد ظهر بظهور نجم (بني بضع) واشتهر بهم . وكان ظهوره حوالى الميلاد بصورة خاصة . ففي ذلك العهد اشتد أمر أقيال همدان ، فاستأثروا بالحكم ، ودعوا أنفسهم ملوكاً ، ورفعوا إله قبيلتهم فوق الآلهة الأخرى ، فنحروا له الذبائح ، وقدّموا له النذور ، وتنافسوا في بناء معبده . ودام عزيزاً مكرماً ما دام نفوذ ملوك همدان^١ .

وقد كانت لهذا الإله مثل سائر الآلهة الأخرى جملة معابد ، غير أن معبده الأكبر هو المعبد المعروف بمعبد (تلب ريم بعل ترعت) أي : (تآلب ريام رب ترعت)^٢ . ويظهر أن كلمة (ترعت) هي اسم موضع ، أقيم المعبد عليه . وهو معبد كانت تقدم اليه أقيال (سمعي) وقبائل همدان الأخرى النذور والقرايين والهدايا ، وتحبس له الأرضين .

ومن الآلهة التي ورد اسمها في الكتابات العربية الجنوبية ، الإله (حول) (حويل) ، والإله (جلسد) (الجلسد) . وتدل لفظة (حول) على الحول والقوة . فلعل معنى اسم هذا الإله هو (الحويل) ، أي صاحب الحول والقوة . بمعنى القوي . وهو من آلهة حضرموت^٣ .

وورد اسم الإله (حلفن) في جملة أسماء الآلهة المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية . وقد ورد في جملة نصوص تتعلق بحبس أموال وبعقد عقود . ويلاحظ أن أصحابها استعانوا بهذا الإله لانزال النعمة والعذاب وأشد الجزاء بكل من يحاول أن يغير أو يبدل تلك العقود والنصوص ، أو يتجرأ فيستولي على الأموال والحبوس المقررة ، كما رجوا منه أن يشملهم هم وجماعتهم برحمته وبلطفه وكرمه لاختلاصهم له ولفنائهم في حبه^٤ .

ومن بين الآلهة إله عرف بـ (ذسموي) ، أي (رب السماء) ، وهو إله ظهر اسمه قبل الميلاد بقليل^٥ . وقد بقي اسمه متألقاً في سماء اليمن ، يقدم اليه الناس النذور والقرايين الى ما بعد الميلاد . ويرى بعض الباحثين ، أن عبادته تدل

Ilmukah, S. 68. ١

Hommel, Grundriss, I, S. 143. ٢

Handbuch, I, S. 188, Ilmukah, S. 55, Hommel, Sudarabische, S. 22. ٣

Halevy, 147, 148, Rhodokanakis, Stud., I, S. 57, 59. ٤

Handbuch, I, S. 88. ٥

على ظهور عقيدة التوحيد عند العرب الجنوبيين ، إذ تدعو الى عبادة إله واحد ، هو (رب السماء)^١ .

ولدينا كتابة مخرومة أسطراً ، لكنها لا تزال مع ذلك مفهومة ، تفيد ان جماعة من الأشرار المارقين تطاولوا على حرم (اوثن ذسموي) أي (الوثن رب السماء) ، فسرقوه ، ونهبوا ما كان فيه ، واستولوا على ما كان حبس له . ولكن عبده عادوا ، فجمعوا ما سرق ، وأصلحوا ما أفسد ، وتقربوا الى الإله (رب السماء) بطلب التوبة والغفران ، وختموا نصهم بهذه الجملة : (و ذ سموى ليزامتن شعبه) ، أي (وليمتع رب السماء شعبه)^٢ . ويقصد النص بشعبه أتباع هذا الإله وعبده .

ولمى هذا الإله ، الإله : (ذ سمي) (ذ سموي) ، إله السماء تعبدت قبيلة (امر) (أمر) . ويعد (بلع سمن) (بلع سمين) (بلع السماوات) إلهاً للبركة والخصب ، إذ يرسل المطر فينشر الخير للناس^٣ .

ونقرأ في النصوص العربية الجنوبية اسم إله جديد ، هو الإله (رحمن) ، أي (الرحمن) . وهو إله يرجع بعض المستشرقين أصله الى دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك . وهذا الإله هو الإله (رحمنه) Rahman-a (رحمن) في نصوص تدمر^٤ .

وورد في نص : (رحمن بلع سمين) (رحمن بلع سمن) ، أي (الرحمن رب السماء) ، أي انه إله السماء . فصار في منزلة الإله (ذ سموى) . ثم لقب بـ (رحمن بلع سمين وارضن) ، أي (الرحمن رب السماء والأرض) في نصوص أخرى^٥ . فصار إله السماوات والأرضين .

وقد نشر نص بالمسند ، وردت فيه جملة : (الرحمن الذي في السماء واسرائيل رب يهود)^٦ . وهو نص ، إن صح نقله عن الأصل بدقة وعناية ، وإن صح

Handbuch, I, S. 104, Rivsta, 1955, Fasc., I, II, p. 109, Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, p. 118.

REP. EPIGR. 850, Rhodokanakis, Stud., S. 162, Mordtmann, Beiträge, S. 188.

REP. EPIGR., 4142, Arabien, S. 245.

Handbuch, I, S. 104, 248.

Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, p. 103.

Margollouth, Relations, p. 68.

انه نص صحيح غير مزيف ، يشير الى تأثير صاحبه باليهودية وبعبارة الرحمن .
وقد استشهد به من قرأه على تهود صاحبه .

ويرد اسم الإله (بعل سمن) (بعل السماء) (بعل السماوات) في الكتابات
الصفوية ، وفي كتابات تدمر ، حيث ورد (بعل شمن) (بعل شمين) ، وفي
كتابات بعلبك ، وفي كتابات اللحيانيين . وقد ظهرت عبادته قبل الميلاد .
ويظهر لذلك انه من الآلهة المعروفة عند الساميين وعند العرب الشماليين قبل الميلاد ،
ومن الجائز ان يكون قد انتقل الى العرب الجنوبيين من العرب الشماليين .

ووردت في الكتابة الموسومة بـ SE 48 أسماء آلهة هي : (م ح ر ض و)
(محرضو) ، و (م ش ر ق ي ت ن) (مشرقيتن) و (نسور)
و (ال فخر)^٢ . وقد ذهب (رودوكناكس) الى ان المراد من محرضو ومشرقيتن
الشمس . وذهب آخرون الى ان المراد بهما القمر والزهرة . وذهب فريق آخر
الى ان المراد بذلك غروب الشمس وشروقها^٣ . أما (نسور) ، فاسم إله ، لعل
له صلة بـ (نسر) . وقد وردت في نص سبئي هذه الجملة : (بت نسور
وبت ال) (بيت نسور وبيت ال) ، ويقصد بـ (بت) (بيت) معبد لعبادة
هذين الإلهين : (نسور) و (ال) . و (ال) هو (ايل) (ايلو) إله
الساميين القديم^٤ .

وورد في أحد النصوص السبئية هذا التعبير : (اهل نسور) مؤدياً معنى
(قوم نسور) و (ملة نسور) ، ويراد بهم جماعة هذا الإله التي كانت تتعبد
له . وعرف أحد أشهر السنة في النصوص السبئية المتأخرة بـ (ذنسور) ، ولعله
أريد بذلك نسبة الشهر المذكور الى هذا الإله^٥ .

و (نسور) هو (نسر) على رأي بعض الباحثين . ويرمز الى (القمر)^٦ .
وقد حصل المنقبون على أحجار حفرت عليها صورة النسر ، فعلوا ذلك على سبيل
التيمن والتبرك بهذا الإله .

Arablen, S. 86, Ryckmans 20.

١
الجملة الخامسة والسادسة من النص : Rhodokanakis, Katabanische, II, S. 28.

٢
Katabanische. II, S. 38, Hommel, Grundriss, S. 689, 719, Sab. Denkm.,

٣
S. 80, Sudarabische, S. 22.

٤
Glaser 418, 419.

٥
Glaser 418, 419, 1549, Katabanische, II, S. 36.

٦
D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriftten, S. 14.

وورد اسم إلهه دعي بـ (نسر) ، يظن أنه إلهه (ذ قلع) ، (ذو قلاع) ، اسم موضع أو قبيلة . ويرى الباحثون أنه الإلهه (نسور) الذي نتحدث عنه^١ . و (نسر) هو اسم صنم من الأصنام التي عرفها أهل الأخبار . فقد زعموا أنه أحد أصنام نوح الخمسة ، وأن (عمرو بن لحي) جاء به الى حير ، فأشاع عبادته بينهم^٢ .

وأما اسم الإلهه (ال فخر) ، فيظهر أنه مؤلف من كلمتين ، هما : (ال) اسم الإلهه (ايل) المعروف عند الساميين ، و (فخر) ، وهي نعت من نعوت الآلهة . كما في كلمة (ال تعلي) في النصوص القتبانية ، وهي بمعنى (الله تعالى) في لهجتنا . و (فخر) العربية ، هي مثل (بنخرو) في الآشورية ، ومنها العلم المركب : (نبخر بلو)^٣ .

وورد اسم الإلهه : (يعوق) أي الصنم يعوق المعروف ، في نص متأخر ، يعود عهده الى ما بعد الميلاد ، وورد معه اسم : (رحمن بعل سمن) ، أي (الرحمن رب السماء) . وقد أرخ النص بشهر (ذ دون) (ذ داون) (ذي دوان) لسنة (٥٧٤) من التأريخ الحميري . المقابلة لسنة (٤٥٩) للميلاد^٤ .

وهناك أسماء آلهة لا نعرف من أمرها في الوقت الحاضر شيئاً كثيراً ، من بينها الإلهه (بلو) ، وقد عبر عنه بأنه إلهه البلاء والموت والمنون . وإلهه يقال له (حلقن) (حلقان) ، ويقال إنه إلهه القسم والحلف واليمين ، والإلهه (ورفو) ، وهو إلهه الحدود ، أي الإلهه المختص بالمحافظة على الحدود ، و (منضح) (منضحت) ، وهو إلهه الماء والري ، و (متببط) ، وهو إلهه الحصاد عند المعينين تم الإلهه (يهرهم) ، وهو إلهه المطر^٥ .

ولا بد من الإشارة الى اسم إلهه ورد في كتابات عثر عليها في (شبام سخيم)

-
- | | |
|---|--|
| ١ | راجع النص : Rep. Epigr., 4725, Arablen, S. 246. |
| ٢ | Reste, S. 23, Ryckmans 16, Winckler, Arabisch-Semitisch Orientalisch, S. 118, Arablen, S. 85. |
| ٣ | Katabanische, II, S. 38. |
| ٤ | Ryckmans, in Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, pp. 100, A. Fakhry, An Archaeology. Journey to Yemen, III, p. 195, PL : XXXLX, XXX. |
| ٥ | Arablen, S. 246. |

وهو الإله (قين) (قينان) . وهو إله (بني سخيم)^١ .

لقد تجمع لدى علماء العربية الجنوبية من أسماء آلهة العرب الجنوبيين ما ينيف على مئة اسم إله ، غير أن أكثر هذه الأسماء ليست في الواقع أعلاماً ، وإنما هي صفات ونعوت للآلهة ذكرت بدلاً من ذكر اسم الإله الخاص . أو كناية تشير إلى أسماء المواضع التي كانت فيها معابد تلك الآلهة ؛ فقد كان لبعض المدن معابد خصصت بعبادة إله ، ربما كان إله المدينة أو جملة آلهة لها بالطبع صلة بالمدينة وبالشعب الذي تنتمي المدينة إليه . غير أن هذه الآلهة جميعها يمكن رجوعها إلى ثلاثة ، هي القمر والشمس والزهرة . أي إلى ثلاث يرمز إلى هذه الكواكب الثلاثة^٢ .

وهناك أسماء مثل (يشعم) في السبئية ، و (ككون) في المعينية ، و (ارن يدع)^٣ ، و (سميهت) ، و (ذابنت) ، و (نقين) ، و (نوشم) و (هروم) ، يظن أن لها صلة بالآلهة .

وكما حفظت نصوص المسند أسماء بعض آلهة العرب الجنوبيين، حفظت النصوص الثمودية والحيانة والصفوية والنبطية كذلك أسماء بعض آلهة تلك الشعوب . وهي كما يظهر من دراستها وتحليلها خليط من آلهة ترد أسماؤها في روايات الأخباريين ، ومن آلهة ترد أسماؤها في النصوص العربية الجنوبية ، كما أن بينها أسماء آلهة لم ترد لا في أخبار الأخباريين ولا في نصوص المسند . ولاتصال مواطن هذه الشعوب بمواطن الساميين الغربيين وبمواطن الساميين الشرقيين ومتاخمتها لعرب العراق ونجد والقبائل العربية في الحجاز ولصلاتها التاريخية القديمة بالعرب الجنوبيين، كان لدراسة الناحية الدينية عند هذه الأقوام أهمية كبيرة في معرفة التطورات الدينية قبل الإسلام، وهذا الخليط الذي أشرت إليه هو في حد ذاته دراسة قيمة تشير إلى التقاء التيارات الدينية واتصالها بهذه البقاع .

وحفظت النصوص الثمودية أسماء جملة آلهة ، تعبدوا لها وتقربوا إليها بالقربان والنذور . منها الإله : (ود) و (جد هدد) و (شمس) و (عزيز)

Arabien, S. 245 ١

Ency. Britani., Vol., 19, p. 486. ٢

Arabien, S. 246. ٣

و (نعرجد) و (عمى شجا) و (رضو) و (منت) و (كهل) و (نهي)
و (ايل) (ال) و (لت) (السلات) و (عتر سم) (عتر سمن)
و (صل) و (منف) (مناف) .

و (جد) هو إله عرف عند بني إرم وعند العرب الشماليين وفي المقاطعات
السورية ، وهو إله (السعد) في اليونانية ، يسعد الأشخاص والبيوت . وقد
سمي به موضع (بعل جد) وموضع (مجدل جد) ، وأسماء مواضع أخرى فيها
كلمة (جد)^١ .

وقد وجدت جملة (الإله ازيزوس الفتي الطيب) مدونة على جدران أحد
المعابد باللغة اللاتينية، ووجدت جملة أخرى فيها : (الإله الطيب الفتي فوسفورس)^٢ ،
وفي وصف الإلهين بـ (الفتي) وبـ (الطيب) دلالة على أن المتعبدين لهما كانا
يتصوران أنهما كانا فتيين طيبين خبيرين يمثلان الطيب والمودة . ونجد في نص
تدمري وصفاً للإلهين : (ارضو) و (ازيزو) ، أي (رضو) و (عزيز) ،
يشبه الوصف المتقدم ، إذ ورد : (لارضو ولازيزو : الإلهان الخيران المجزيان) ،
و (ازيزو : الإله الطيب والرحيم) . فوصف الإلهان بأنهما خيران ، ويجزيان
الناس خيراً . وهي نعوت تمثل وجهة نظر القوم إلى هذين الإلهين .

وقد عثر في (تدمر) على نص ورد فيه : « لا رضو ولا زيزو . الإلهان
الخيران المجزيان . قد عمله بعكي (بعلي ؟) بن ير حيبولا . أفكل ازيزو الإله
الطيب والرحيم . لسلامته ولسلامة إخوته . في شهر اكتوبر من سنة ٢٥ . فليذكر
الناس يرحى النحات »^٣ . فنحن أمام إلهين : (ارضو) و (ازيزو) ، من آلهة
تدمر .

وورد اسم الإله (ازيزوس) والإله (مونيموس) في كتابات عثر عليها
في (الرها) وفي حوران وتدمر . وقد ظهر الإلهان في نقش ، حفر عليه موكب
عربة الشمس . نقش (أزيزوس) ، وهو يتقدم العربة ، و (مونيموس) ،
وهو يتبعها^٤ .

Hastings, p. 276.

١ رينه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام (١٤٠) .
٢ رينه ديسو (١٣٥ وما بعدها) .
٣ رينه ديسو (١٣٤ وما بعدها) .

و (ارضو) (ارضو) ، هو الإله (رضو) على ما يظن . وأما (ازيزوس) (أزيرو) ، فهو اسم إله لعلّه (عزيز) ، تحرف فصار على النحو المذكور في الكتابات اللاتينية : والإرمية . وأما (مونيموس) ، فهم (منعم) . وأرى أن عزيزاً ورضياً ومنعماً هي من الأسماء الحسنى ، أي نعوت من نعوت الآلهة لا أسماء علم . وذلك على نحو ما نسمّي اليوم بـ : (عبد الرضا) ، وبـ (عبد العزيز) ، وبـ (عبد المنعم) .

و (هدد) هو اسم إله تعبدت له شعوب عديدة من شعوب الساميين ، منهم بنو إرم والعرب الجنوبيون والشماليون ، كما تعبد له الآشوريون . وقد اقترن اسمه عند الآشوريين والبابليين بـ (رمان) ، ودخلت عبادته اليهم من بني إرم الغربيين . ويمثل (هدد) مثل (رمان) (رمون) $Rimmon = Rammon = Ramman$ إله الهواء والرعد والعواصف ، ويظهر أنه من أصل عربي هو (هد) . ومن اسم هذا الصنم الاسم (بنهدد) (بن هدد) (بنحدد) المذكور في التوراة^١ . ولا بد أن تكون لهذا الإله صلة بالإله (جد) ، ومن هذا الاقتران ظهر (جد هدد) في كتابات قوم ثمود .

و (رضو) هو الصنم (رضى) عند الأخباريين ، وهو صنم بقي حياً تتعبد له القبائل العربية حتى الاسلام ، فكسره^٢ . ويرى (دتلف نيلسن) ، أنه يمثل الزهرة عند قوم ثمود والصفويين ، وأنه في منزلة (عثر) عند العرب الجنوبيين^٣ . وقد تعبدت له (بنو ربعة بن كعب) ، كما تعبد له أهل تدمر والنبط وأهل الصفاة ، وعرف بـ (ه - رضو) (هارضو) ، أي بادخال (ها) أداة التعريف على الاسم . وقد انتشرت عبادته بين قبائل نجد والحجاز^٤ .

ويرى (رينه ديسو) أن (رضى) إلهة عند الصفويين ، وأنها كانت إلهة كذلك عند بقية العرب . أما (ارضو) ، فإنه مذكور عند أهل تدمر^٥ .

Hastings, p. 323.

١ الإصنام (ص ٣٠) .

٢ Handbuch, I, S. 229.

٣ E. Oslander, 499, Reste, S. 58, Ryckmans 18, Jaussen-Savignac, Mission,

II, 565, 583, 598, Arabien, S. 84.

٤ رينه ديسو (١٣٦) .

أما (عزيز) ، فإنه الإله (عزيزو) Azizo المعروف عند أهل (الرها) ، الذي تحدثت عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى انه يمثل كوكب الصباح ، أي الزهرة . وقد وصف في كتابة مدونة باليونانية انه : Deus bonus puer phosphorus أي الإله الجميل اللامع ذو الأشعة البراقة التي تشبه في لمعانها لمعان الفوسفور^١ . و (كهل) أو (كاهل) ، هو (كهان) المذكور في كتابة معينة . وقد ورد الاسم مقروناً في نص ثمودي بأداة التعريف (هـ) (ها) ، أي (هـ ك هـ ل) (ها - كهل) (هـ كهل) . وتعني لفظة (كهل) المعنى المفهوم منها في عربيتنا ، كما تعني (القدير)^٢ .

وتعني كلمة (نهي) في الثمودية ما تعنيه لفظة (حكم) في العربية الجنوبية ، أي (حكم) وحاكم و (حكيم) في بعض الآراء ، ولعلها تعني (الناهي) وتكون بذلك صفة للإله . وقد ورد اسم هذا الإله في مواضع عديدة من الكتابات الثمودية^٣ .

وأما (منف) ، فإنه الصنم (مناف) المذكور عند أهل الأخبار^٤ . وقد تعبدت له قريش ولحيان ، كما تحدثت عنه في موضعه .

وقد ورد اسم (صلم) في عدد من الكتابات الثمودية . ويظهر أن الثموديين كانوا قد أخذوا عبادة هذا الإله من أهل (تيماء) . فقد كانت تيماء من أهم الأماكن المتعلقة بعبادة هذا الصنم في حوالي السنة (٦٠٠) قبل الميلاد . وقد جاءت عبادته اليهم من (بني إرم) . ومنهم انتقلت عبادته الى العرب . وتدل بعض الأسماء المركبة الواردة في الكتابات اللحيانية مثل اسم (صلم يهب) (صلم يهب) على أنه كان معبوداً عند اللحيانيين كذلك^٥ . ومن لفظة (صلم) جاءت كلمة (صنم) على رأي بعض المستشرقين .

وقد ورد اسم (عترسم) (هـ - عترسم) في عدد من الكتابات الثمودية .

Handbuch, I, S. 220. ١

Handbuch, I, S. 215, Glaser 299, Halevy 237, Hommel, Grundriss, S. 163, ٢
E. Littmann, Zur Entzifferung der Thamudischen Inschriften, 1904, S. 75.

Handbuch, I, S. 215. ٣

Ryckmans 16, Reste, S. 18, Arabien, S. 84. ، (٧٨/١) ، ٤
Hubert Grimme, Die Lösung des Sinalschriftproblems, Die Altthamudische ٥

Schrift, Munster, 1926, S. 23, Arabien, S. 86.

وقد توسل فيها أصحابها منه أن يمن عليهم بالبركة والخير والصحة والسلامة^١ .
وقد جاء اسم هذا الصنم من (عثر سمن) (عثر سماء) ، أي (عثر السماء) .
والإله (ود) هو إله معروف عند الثموديين كما سبق أن ذكرت . وقد
تودد إليه عباده والمؤمنون به ، فذكروه في كتاباتهم ، ورمزوا إليه بصورة حية ،
كما رمز إليه العرب الجنوبيون بصورة رأس ثور . وقد تعبر صورة الحية عن
الروح التي في بدن الإنسان^٢ .

وذهب (دتلف نلسن) الى أن من بين آلهة ثمود إله اسمه (ملك) ، وهو
يرى أن الاسم المركب (عبد ملكن) ، أي (عبد الملك) ، لا تعني كلمة
(ملك) ، الواردة فيه بالمعنى السياسي الذي نفهمه منها ، وإنما المراد بها اسم
إله . وذهب أيضاً الى أن لفظة (ملكن) الواردة في النص القتباني الموسوم
بـ (Glaser 1600) لم يقصد بها ملكاً من ملوك قتبان ، بل أربد بها إله اسمه
ملكن ، أي (الملك) . وذكر أيضاً أن اسم (عبد الملك) من الأسماء المعروفة
في الجاهلية ، ورد في نصوص الثموديين والصفويين^٣ .

وفي الكتابات الثمودية أسماء مركبة مثل (يعذر ال) (يعذر ايل) ، و (صلـم ال)
(صلـم ايل) ، و (عزـر ال) (عزـر ايل) ، و (سعد ال) (سعد ايل) ،
و (ود ال) (ود ايل) ، اختتمت باسم الإله (ال) (ايل) ، مما يدل
على أن (ال) (ايل) كان من الآلهة التي تعبد لها قوم ثمود .

ومن الأسماء الثمودية المركبة الأخرى (بعثر) وفيه اسم الإله (عثر) الذي
عرفناه في المسند ، و (يثع امر) (يثع أمر) . وفيه اسم الإله (يثع) ، وهو من الأسماء
المستعملة بكثرة في العربية الجنوبية . و (صلـم دع) و (صلـم دعـم) ، فـ (صلـمـن)
اسم الإله (صلـم) من آلهة قوم ثمود المعروفة ، و (تيم يغـث) (تيم يغوث) ،
وهو اسم مركب من اسمي إلهين هما : (تيم) و (يغوث)^٤ .

Hubert Grimme, S. 43. ١

Arabien, S. 269. ٢

Handbuch, I, S. 232, D. Nielsen, Studier over Oldarablske Indskrifter, Ko- ٣
benhava, 1906, p. 136, O. Weber, Studien zur Sudarablschen Altertums-
kunde, in MVAG., 1917, S. 26-31.

Grimme, S. 33. ٤

ووردت في الكتابات اللحيانية ، أسماء جملة آلهة . منها : (ذغابت) (ذو غابة) و (عوض) ، و (ود) ، و (بعل سمن) ، و (سلمان) (سلمن) ، و (العزى) ، و (منف) (مناف) ، و (جدت) ، و (ال) (ايل) ، و (إلته) ، و (لت) (الت) ، و (سمنع) ، و (نصر) ، و (منت) ، و (هفلس) ، و (عجلبون) (عجلبن) ، وأكثر هذه الآلهة كما نرى معروفة ، وردت أسماؤها في الكتابات وفي مؤلفات أهل الأخبار .

والإله (ذغبت) (ذو غابة) ، هو من أشهر آلهة اللحيانيين . ولعله إلههم الأول والأكبر . ومع ذلك ، فإننا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً . وقد كان له معبد في (الديدان)^١ . وخطوب بكلمة (قدست) ، أي القدس أو المقدس في كتابة من كتاباتهم ، وقيل انه في جملة ما قدم اليه من قرابين ، قرابين من البشر^٢ .

وليست كلمة (ذغبت) (ذو غابة) ، اسم علم للإله ، بل هي صفة له ، تعني : (صاحب الغابة) ، أو (صاحب غابة) . وقد وردت لفظة (ذغبت) في الأعلام المركبة ، مثل : (عبد ذغبت) (عبد ذو غابة) ، و (فلح ذغبت) (فالح ذو غابة) ، و (خرح ذغبت) (خرح ذو غابة) ، و (مر ذغبت) ، أي (مرأ ذو غابة) ، و (زيد ذغبت) ، أي (زيد ذو غابة) . وورد (عرر ذغبت) ، أي (عرر ذو غابة) . والعرو والعرب ، الجرب ، وهو مرض جلدي معروف . فكان صاحب الكتابة أراد بها ، ان الإله (ذو غابة) يرسل هذا المرض الى مخالفيه ومن يعارض أحكامه أو يعتدي على غيره^٣ .

وأما (عوض) ، فقد ورد اسمه في الأعلام المركبة مثل : (عبد عوض) ، و (جد عوض) ، وقد تعبد له الصفويون كذلك^٤ .

وأما ودّ ، فهو إله عام له شهرة عند العرب ، وقد عمت عبادته كل جزيرة

Ryckmans 19, Jaussen-Savignac, Mission, II, 368, 371, 375, W. Caskel, ١
Lihyan, S. 45, Arabien, S. 85.

Histoire Generale des Religions, Tome, IV, p. 312, Preislamlq., p. 19. ٢

W. Caskel, Lihyan., S. 44. ٣

Histoire, IV, p. 312, Preislamlq., p. 19, Handbuch, I, S. 193. ٤

العرب . والظاهر أنه كان من الآلهة العربية القديمة، وقد بقي معبوداً حتى الإسلام : وهو من الأصنام المذكورة في القرآن^١ . وقد نعت بـ (افكل) ، وورد اسمه في الأعلام للحيانية المركبة^٢ . وتعبدت له تميم ، وطيء ، والخزرج ، وهذيل ، ولخم ، وقريش . وأقيم له صنم في دومة الجندل ، صنع على هيئة انسان . ويرى البعض انه الإله (أدد) عند ثمود . ويظن أن الصنم (قوس) يرمز اليه ، ويرى بعض الباحثين أن (نسرأ) والصنم (ذو غابت) يرمزان اليه كذلك^٣ .

وقد نعت (ود) في بعض النصوص العربية بـ (نحسطب) (نحس طب) ، ومعناه (الحية الطيب) (الحية الطيبة) ، لأن الحية رمز للإله (ود)^٤ . ويظن أن للحيانين كانوا يتعبدون لهذا الإله منذ كانوا في مواطنهم الأولى ، فلما هاجروا الى (ديدان) لم ينسوه ، ولكنهم بقوا يتعبدون له ويتقربون اليه ، لأنه إله الآباء والأجداد وإله لحيان الأكبر ، كما تفعل بقية القبائل في اتخاذ إله الآباء والأجداد الإله الأول للقبيلة ، والصنم الأكبر بين الأصنام^٥ .

وأما (بعل سمن) أي (رب السماء) ، فقد تحدثت عنه ، ووجدنا أنه كان معبوداً عند العرب الجنوبيين ، والغالب أنهم أخذوا عبادته من العرب الشماليين . وقد كان له معبد في (ديدان) . وقد نعت معبده بـ (احرم) (احرام) ، بمعنى (الحرم) ، أي حرم الإله (بعل سمين) (رب السماء)^٦ . وتعبد له (النبط) وكانوا قد أقاموا له معبداً في (سيع) ، وذلك فيما بين السنة ٣٣ / ٣٢ - ١٢ / ١٢ قبل الميلاد^٧ .

والظاهر أن للحيانين قد أخذوا هذا الإله من النبط . وقد تشرف أحدهم بتسمية نفسه بـ (عبد سمن) أي (عبد السماء)^٨ . وقصد بـ (سمن) الإله

١ سورة نوح ، رقم ٧١ ، الآية ٢٣ .

٢ Histoire, IV, p. 312.

٣ Arabien, S. 87, Reste, S. 14, Ryckmans, 16, Jaussen-Savignac, Mission,

II, p. 395, 581.

٤ Grohmann, Göttersymbole, S. 71.

٥ Lihyanish, S. 44.

٦ Histoire, IV, p. 312, Preislamiq., p. 20.

٧ W. Caskel, Lihyan, S. 45.

٨ W. Caskel, Lihyan, S. 124

(بل سمن) ، أي (رب السماء) . وقد اختصر الاسم ، فصار (سمن) (سمين) .

والعزى من الأصنام المعروفة عند أهل الأخبار . وقد بقيت عبادته معروفة الى الاسلام . وقد أشير اليه في القرآن . وقد ذكر اسمه في كتابات عثر عليها في (العلل)¹ . وتعبد له النبط كذلك ، وصنعت له معبداً في (بصرى) دعي (بيت ايل) . وعبر عنه بـ (كوكبتا) ، أي (الكواكب) ، وهو أنثى ، أي إلهة ² .

وقد ورد اسم (العزى) على هذه الصورة : (هنعزى) في كتابة لحيانية ، دوتها رجل اسمه (أوس بن حجر)³ . ويظن بعض الباحثين ، أن العزى تمثل كوكب الصباح . ويظهر أن اللحيانيين قد أخذوا عبادتها من نبط بلاد الشام⁴ . وأنها لم تكن من آلهة اللحيانيين في الأصل ، بدليل عدم ورود اسمها كورود (ذو غابة) أو الآلهة اللحيانية الأخرى في النصوص اللحيانية ⁵ .

وورد اسم العزى في الأعلام المركبة ، مثل : (بل عزيني) (بال عزيني) و (ب ايل عزيني) ، أي بـ (العزيني) ، وذلك في الكتابات الشمودية . و (تيم العزى) و (عبد العزى) و (امت العزى) ، وفي كتابات أخرى تعود الى ما بين القرن الخامس قبل الميلاد ، والقرن الرابع بعد الميلاد ⁶ .

ويظهر من بعض الأعلام اللحيانية المركبة ، مثل (اوس يه) (اوس يهو) ، و (عزريه) (عزر يهو) ، أن القسم الثاني من الاسم ، وهو (يه) (يهو) ، قريب من (يهو) ، وهو الإله الكبير المعروف عند العبرانيين . فـ (يه) (يهو) هو اسم إله من آلهة اللحيانيين .

وأما الإله (جدت) ، فالغالب أنه إلهة ، أي إلهاً أنثى بدليل وجود تاء التأنيث في آخر الاسم . والأصل هو (جد) ، وهو اسم إلهة تكلمت عنه ⁷ .

-
- | | |
|--|---|
| Histoire, IV, p. 312, Preislamiq., p. 20. | ١ |
| Doughty, Travels in Arabia Deserta, II, p. 511, 515. | ٢ |
| W. Caskel, Lihyan., S. 82. | ٣ |
| Lihyan., S. 282. | ٤ |
| Lihyan., S. 45. | ٥ |
| Littmann, Thamud und Safa, S. 29. | ٦ |
| Ryckmans, Preislamiq., p. 19, Histoire, IV, p. 312. | ٧ |

وأما (هفلس) (ها - فلس) ، فإنه (الفلس) ، عند أهل الأخبار . وقد ذكروا أنه كان على هيئة حجر أسود تعبدت له (سليم) ، أو على صورة إنسان قدّم من حجر عند (طيء)^١ .

و (قيس) و (قيسو) من أسماء الآلهة المذكورة في الكتابات اللحيانية . وقد كان له معبد عرف بـ (بت قس) (بيت قيس) في مدائن صالح^٢ . وبدل وجود اسمه في الأعلام العربية المركبة ، مثل (عبد قيس) و (عبد القيس) ، أنه كان من الأصنام المعروفة المعبودة عند بقية العرب في مختلف أنحاء جزيرة العرب .

وورد في كتابة لحيانية اسم إلهه هو : (محر) (ه - محر) (همحر) وبعده اسم إله آخر ، هو (هنا كتب) . ويظهر أنه من الآلهة التي كانت تعبد في العربية الجنوبية وعند المعينين الشماليين ، وتعني لفظة (محر) شريعة ، أو قانون أو أمر ، أو سنة . وهو من الآلهة التي اختفى اسمها في الكتابات اللحيانية المتأخرة^٣ .

وأما (هنا كتب) (هانيء كاتب) (هني) (هاني) ، و (هني كتب) (هاني كتب) المذكور مع (ه - محر) (همحر) (هامحر) ، فيرى (كاسكل) W. Caskel أنه الإله (توت) Thot^٤ . و (توت) هو إله مصري ، ويرمز إليه بصورة قرد . ويمثله الإله (نبو) عند البابليين . ويمثل (توت) (هرمس) و (المريخ) Merkur . فهو الإله الكاتب . ولعل اللحيانيين أخذوا إلههم هذا من المصريين^٥ . ولكننا لا نستطيع أن نجزم أن اللحيانيين قد تصوروا إلههم هذا على صورة (قرد) محاكاة للمصريين لأنهم أخذوه منهم ، إذ لا دليل لدينا نستدل به على أنهم تصوروا ذلك الإله بصورة قرد^٦ .

١ E. Osiander, 501, Reste, S. 51, Preislamiqnes, p. 17 Arabien, S. 84, Jaussen-Savignac, Mission, II, p. 84.

٢ Reste, S. 67, Preislamiqnes, p. 48, Arabien, 85, Jaussen-Savignac, Mission, II, 501, 520, 528, I, 169, 200, CIS, II, 209, Daugthy, Documents Epigraphiques, p. 38, CIS, II, 198, J. Euting, Tagebuch., II, S. 262.

٣ Lihyan, S. 45.

٤ Preislamiqnes, p. 20, Arabien, S. 86.

٥ Lihyan, S. 45.

٦ Lihyan, S. 45.

ووردت في بعض الكتابات اللحيانية أعلام مركبة ، جاء فيها اسم هذا الإله ، مثل (جرم هنا كتب) ، و (زيد هنا كتب) . ومعنى (جرم) و (زيد) نحادم أو عبد ، فيكون الاسم (عبد هنا كتب) ، (عبد هنا كاتب)^١ .

وأما (سلمن) (سلمان) ، فإنه من الآلهة التي ظهرت عبادتها عند اللحيانيين المتأخرين . ويرى بعض الباحثين أنه والإله (اب الف) (أبو ايلاف) من الآلهة التي كان واجبها حماية القبور . وقد رمز عن (ابي ايلاف) بصورة أسد يوضع عند جانب القبر ليحميه^٢ .

وقد ورد اسم الإله (ابا لف) (ابو ايلاف) اسم علم لشخص كان كبيراً على قومه ، وذلك في أيام الملك (عبدان بن ها نواس)^٣ .

وورد اسم إلهه هو (شمس) ، وقد عبد عند أهل تدمر أيضاً ، كما تعبدت له تميم . ونجد بين أسماء رجال قريش وقبائل أخرى أسماء تدل على تعبد الناس للشمس ، ومن هذه الأسماء : (عبد شمس)^٤ .

وأما الإله (عجلبن) (عجلبون) (عجل بن) ، فإنه من الآلهة اللحيانية المتأخرة . ويظهر ان اسمه الأصلي هو (عجل بل) (عجل بول) (عجلي بل) أي (عجل) و (بول) . ونجد اسمه مع (يرحى بول) (يرح بل) (يرحبل) ، و (بل) في الكتابات التدمرية . ويظهر ان تاجراً جاء به الى اللحيانيين ، وأدخل عبادته عندهم . ويظهر انه جاء به من العراق^٥ .

ولدينا أسماء ونعوت آلهة تعبد لها اللحيانيون من غير شك ، وإن لم نعر عليها في كتاباتهم ، توصلنا الى معرفتها والوقوف عليها من دراستنا للأسماء اللحيانية المركبة ، مثل (كبر ال) (كبر ايل) ، و (متع ال) (متع ايل) ، و (ذرح ال) (ذرح ايل) (ذرحال) ، و (عذر ال) (عذر ايل) ، وأمثال ذلك ، فإن اللفظة الثانية وهي (ال) (ايل) ، هي الإله (ايل)

Lihyan, S. 45. ١

Lihyan, S. 45. ٢

Lihyan., S. 113. ٣

Starcky, Palmyre, 37, 80, O. Eissfeldt, 95, 101, Arablen, S. 87. ٤

Lihyan, S. 45. ٥

(ايلو) ، وهو من الآلهة السامية القديمة^١ .

وبين الأسماء التي وصلت إلينا ، اسم رجل عرف بـ (عبد قني) (عبد قاني)^٢ ، مما يدل على ان لفظة (قني) ، هي اسم إله أو نعت من نعوت الآلهة .

وورد في الكتابات اللحيانية المتأخرة اسم رجل عرف بـ (عبد غث بن زد له سم)^٣ ، أي (عبد غوث بن زيد لاه بن سم) (سموم) ، كما ورد (زد غث) ، أي (زيد غوث)^٤ ، وذلك يدل على ان لفظة (غوث) اسم إله . وعندني ان (غوثاً) نعت من نعوت الآلهة ، أي اسم من أسماء الله الحسنى لا اسم علم لإله خاص .

و (خرج) من الآلهة التي تعبد لها اللحيانيون ، بدليل ورود اسمه في أسماء الأعلام المركبة مثل : (زيد خرج) و (عبد خرج)^٥ .

ويعد (رعن) من آلهة اللحيانيين كذلك ، إذ ورد في الأعلام المركبة ، مثل : (رعنا مر) ، أي (رعن أمر) ، وهو اسم رجل من (ديدان) . ف (رعن) من آلهة الديدانيين أيضاً ، ومثل : (رعنا مد) (رعن امد) ، ومعنى (امد) أغضب ، و (رعنلثع) ، (رعنلثع) ، أي (رعن احاط) و (رعن ادرك) . ف (رعن) اذن اسم إله من آلهة اللحيانيين والديدانيين^٦ .

والإله (يثع) و (يثعن) ، من الآلهة التي تعبد لها اللحيانيون ، فقد ورد في النص الذي وسمه الباحثون برقم (٧٣) وبـ JS 73 و M 26 ، اسم امرأة عرفت بـ (امثيثن بنت دد) ، أي (أمة يثعن بنت داد) ، (أمة اليثع بنت داد) ، وورد في الكتابات اسم رجل عرف بـ (يثع حيو)^٧ ، واسم رجل آخر هو

١ (جرم ال) (جرم ايل) (عزال) (عزاييل) (عم ال) ، (عم ايل) ، (ايس ال) (ايس ايل) ، (سعد ال) (سعد ايل) ، (يمस्क ال) (يمस्क ايل) ، Lihyan, S. 46.

٢ Lihyan, S. 47, 143, JS 214.

٣ JS 41, Lihyan, S. 109.

٤ JS 298, Lihyan, S. 47, 154.

٥ Lihyan, S. 47.

٦ Lihyan, S. 47, JS 108, JS 116, JS 142.

٧ Lihyan, S. 100.

(يشحن) ، مما يدل على ان (يشع) كان إلهاً معبوداً ومعروفاً عند (بني لحيان) .
وقد ورد في كتابة من كتابات (ديدان) اسم رجل عرف بـ (يشع امر)
(يشع أمر) ، فقد ورد في النص الموسوم بـ (٢) من الكتابات القبورية :
(كهف : يشعمر) ، أي (قبر : يشعمر) (قبر يشع أمر)^١ . واسم (يشع
أمر) هو من الأسماء الشائعة المعروفة عند العرب الجنوبيين ، وقد تسمى به ملوك
من ملوك (سبأ) . فالظاهر انه من الأسماء التي أخذها الديدانيون واللحيانيون
عن العرب الجنوبيين ، ومن الجاليات العربية الجنوبية التي كانت قد استقرت في
أيام عز الحكومات العربية الجنوبية في هذه الأماكن . فـ (يشع) اذن ، هو إله
من آلهة العرب الجنوبيين في الأصل ، انتقلت عبادته منهم الى أهل ديدان
واللحيانيين .

ومن الآلهة التي نجد لها أثراً في عبادة اللحيانيين من دراستنا لأسمائهم ، الإلهة :
(حمد) (حميد) . فقد ورد في اسم امرأة عرفت بـ (امحمد بنت عصم)^٢ .
وأرى ان (حمد) أو (حميد) ليس اسم إلهة ، أي اسم علم ، وإنما هو نعت
من نعوت الآلهة ، أي اسم من الأسماء الحسنى ، التي يسم الإنسان بها آلهته ،
على سبيل التآدب والاحترام .

ونرى أثر عبادة الإلهة (مناة) عند اللحيانيين من دراستنا للأعلام المركبة
أيضاً ، مثل : (عبد مناة) (عبدمنت)^٣ ، و (اسمنت) (اوس منت) ،
أي (أوس مناة)^٤ ، و (عبمنت) اختصار (عبد مناة) و (عبدة مناة) ،
و (عذمنت) ، أي (عوذ مناة) ، و (عابذ مناة) ، و (هون منت)
(هون مناة) ، و (نعم منت) (نعمت) أي (نعم مناة) ، و (نسمنت)
(نسا مناة) ، و (قن منت) (قنمنت) ، أي (قين مناة) ، و (سنمنت)
(سنف مناة) ، و (تهنمنت) (تهنأ مناة) ، الى غير ذلك من أعلام مركبة،
ورد فيها اسم ذلك الإلهة^٥ الذي هو إلهة ، أي أنثى عند العرب . وقد ذكرت

١ Lihyan, S. 78.

٢ راجع السطر الاول من النص المرفق بـ : ٧٨ ، المنشور في كتاب :

Lihyan, S. 115.

٣ Lihyan, S. 103.

٤ JS 10, Lihyan, S. 143.

٥ Dihyan, S. 46.

في القرآن الكريم . ولا أستبعد ان يكون أنثى عند اللحيانيين أيضاً . ولعل لأصل الكلمة التي أخذ اسم هذه الإلهة منه ، وهو (منوتو) Manotu في النبطية ، وتعني (منية) في عربيتنا صلة ، يجعل الإله إلهة ، أي تحويلها الى إلهة أنثى . والصنم (اللات) من الأصنام النبطية ، المعبودة عند النبط ، والمعبودة عند ثمود كذلك ، والظاهر ان عبادته انتقلت الى عرب الحجاز ونجد من العرب الشماليين ، الذين تأثروا بعبادة النبط^١ .

ووردت لفظة (هتهم) في كتابة لحيانية ، وردت بمعنى (إلهتهم) ، أي تعبيراً عن إلهة أنثى^٢ . ويظن (كاسكل) ، انها تصغير (لات) (لث) . و (اللات) ، من الآلهة المعروفة المعبودة عند النبط ، وكذلك عند العرب الشماليين ، وعند عرب الحجاز . وقد ذكرت في القرآن الكريم ، وهي إلهة ، أي أنثى. وترد اللفظة عندهم في الأعلام المركبة مثل : (تيم اللات) (تيم لات)^٣ . وقد وردت لفظة (هله) (ه - لاه) في كتابة لحيانية ، وردت بصيغة التوسل والنداء والخطاب ، أي بمعنى : (اللهم) و (يا الله)^٤ . ووردت لفظة (لله) ، أي (الى الإله) أو (لله) ، في كتابة أخرى^٥ . وهي لا تعني في كلتا الحالتين إلهاً خاصاً معيناً ، وانما تؤدي المعنى الذي تؤديه لفظة (إله) و (الإله) في عربيتنا ، و God في الانكليزية ، وربما قصد بها إله لحيان الأكبر (ذو غابة) ، كما يقصد المسلمون باطلاقها لفظة (الله) ، وذلك للتعبير عن اسم الله بأسلوب مؤدب مهذب^٦ .

ومثل : (هنا له) (هنا لاه) (هني لاه) ، و (نساله) (نسألاه) (نسي لاه) ، و (ودع لاه) (ودع له) ، و (مراله) (مرأ لاه) ، و (تيم له) (تيم لاه) ، و (وهب له) (وهب لاه) ، و (زيد له) (زيد لاه) ، و (جرم له) (جرم لاه) ، و (سعد له) (سعد لاه)^٧ ،

Lihyan, S. 46.	١
Lihyan, S. 89.	٢
Lihyan, S. 46.	٣
Lihyan, S. 103.	٤
Lihyan, S. 104.	٥
Lihyan, S. 46.	٦
Lihyan, S. 46.	٧

فإن الجزء الأخير من الاسم وهو (له) (لاه) ، هو (إله) . وإله من الألفاظ الدالة على الله ، وترد في أكثر اللغات السامية .

ويلاحظ أن أكثر استعمال (ال) (ايل) في العبرانية هو في الشعر وفي أسماء الأعلام المركبة ، ولم يستعمل في النثر إلا قليلاً^١ . أما في اللهجات العربية وفي اللغات السامية الأخرى ، فقد استعملت اللفظة في الأعلام المركبة في الغالب ، وفي معنى (إله) مثل (ال تعل) ، أي (الإله تعالى) ، وما شاكل ذلك ، أي بمعنى اسم من أسماء الله الحسنى وإله .

وعلى الرغم من ورود (ال) (ايل) El بصورة يستنبط منها أنها قصدت إلهاً معيناً خاصاً ، أي اسم علم ، لا نستطيع أن نقول إن (ال) اسم علم لإله معين مخصوص ، مثل الآلهة الأخرى التي ترد أساؤها في الكتابات ، ذلك لأن الذين ذكروا (ال) (ايل) في الأعلام المركبة ، أو في مواضع أخرى من كتاباتهم لم يقصدوا كما يتبين من الاستعمال إلهاً معيناً اسمه (ال) (ايل) ، وإنما أرادوا ما نعبّر عنه بقولنا (إله) والجمع آلهة . فلفظة (إله) عندنا ليست اسم علم ، وإنما تعبر عن اسم الجلالة دون ذكر اسمه . وهي كذلك عندهم وعند بقية الساميين بمعنى (رب) ، وإله و (بعل) عند الأقدمين .

ولا يعرف العلماء معنى لفظة (ال) (ايل) على وجه علمي دقيق . ولكنهم يفسرونها عادة بمعنى (القدير) و (الحاكم) . ومعنى ذلك أن (ال) نعت من نعوت الآلهة ، أو اسم من أسماء الله الحسنى بحسب التعبير الاسلامي . ويرى بعض العلماء احتمال عدم وجود صلة له ب (الوهيم) Elohim الكلمة العبرانية التي تطلق على الإله^٢ .

وأما آلهة الصفويين ، فهي (اللت) (لت) (هلت) ، و (دين) (ديان) ، و (هله) (هل ه) ، و (جدعوذ) ، و (بعل سمن) ، و (شيع ه - قوم) (شيع القوم) ، و (ائع) ، و (صالح) ، و (ذ الشرا) (ذو الشرى) ، و (رضا) (رضى) ، و (جد ضيف) ، و (رحم) (رحيم)^٣ .

Hastings, p. 299, Lihyar, S. 46, Le Muséon. 1954, ١

Tome, LXVII, p. 106.

Hastings, p. 299. ٢

Ryckmans, p. 21. ٣

و (الت) ، أي (اللات) إلهة أي أنثى ، ويراد بها الشمس . وقد مثلت في بعض النصوص الصفوية بقطعة من الشمس رسمت بصورة بدائية ، ورسمت في بعض النصوص السامية الشمالية بشكل امرأة عارية ^١ ، رمز اليها بصورة فرس في النصوص العربية الجنوبية ، والفرس من الحيوانات المقدسة التي ترمز الى الشمس عند قدماء الساميين وعند غيرهم من الشعوب ، ولذلك كان الناذرون لها يقدمون لها تماثيل مصنوعة على هيئة فرس ^٢ .

ولفظه (ديان) (ديآن) ، ليست اسم صنم على ما يظهر ، وإنما هي صفة من صفات الآلهة . وهي معروفة في عربيتنا وعند المسلمين ، تطلق على الله . وقد استعمل الصفويون (جد عوض) اسماً لإلهه ، كما استعملوا اسماً آخر قريباً منه هو (جد ضيف) .

وقد ورد اسم الإله : (جد عوض) (هجد عوض) في نص محفوظ في متحف دمشق ، وسم بـ Damas 1312 ، وورد بعده اسم الإلهين : (شع هقوم) (شيع هقوم) ، و (هلت) (اللات) ^٣ .

وتقابل لفظه (جد) معنى الحظ في اللغة اليونانية ، وقد صار في الأقاليم السورية المتحضرة الإله الحارس للمدينة . و (جد عوض) هو إله معروف مشهور عند الصفويين ، وورد اسمه في كتاباتهم . وقد ذهب (رينه ديسو) الى ان لفظه (عوض) (عويد) هي اسم عشيرة أو قبيلة كانت تتعبد للإله (جد) ، وكانت سدنته منهم ، فنسب اليهم وعرف بـ (جد عوض) (جد عويد) على طريقة العرب في ذلك العهد من نسبة الأرباب الى القبائل أو العشائر أو السدنة التي يخدمونها أو الى الأشخاص الكبار ^٤ .

وقد ورد اسم الإله (جد ضيف) (جد ضف) في عدد من الكتابات الصفوية التي عثر عليها في المملكة الأردنية الهاشمية . كما ورد فيها اسم إله آخر هو الإله : (هجد عوض) (ها - جد عوض) ^٥ .

Handbuch, I, S. 214. ١

Handbuch, I, S. 227, Grohmann, Göttersymbole und Symboltiere auf Sud-arabischen Denkmälern, Wien, S. 70. ٢

Ryckmans, Inscriptions Saffatiques, Louvain, 1951, p. 87. ٣

رينه ديسو (١٣٧) ٤

Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 1951, Vol., I, p. 27. ٥

أما الإله (شيع القوم) ، فقد ورد اسمه في النصوص النبطية في (بطرا) وفي (تدمر) ، وهو إله القوافل في نظر بعض المستشرقين^١ .

وهو إله يحمي قومه . وقد احتسب به أهل القوافل خاصة من الأعراب وقطاع الطرق . ولذلك كان التجار وأصحاب القوافل يذكرون اسمه وربما يحملون وثنه معهم لحمايته لهم في أثناء السفر حتى بلوغهم ديارهم سالمين .

وقد نعت في كتابة نبطية دوتها أحد نبط (تدمر) ، بأنه (الذي لا يشرب خمرًا)^٢ . وهذا يعني ان هذا الإله كان يكره الخمر ، ويكره شاربها ، ولعل في ذلك فكرة تحريم الخمر عند جماعته . وقد كان في الجاهليين من حرموا الخمر على أنفسهم . كما نعت ب (الإله الطيب المجازي)^٣ ، وهو نعت نُعت به وبمثله آلهة أخرى . وقد ذهب بعض الباحثين الى احتمال وجود جماعة من النبط ومن غير النبط كانت تحرم شرب الخمر ، بدليل ما جاء في النص النبطي من نعته بأنه (الإله الطيب المجازي الذي لا يشرب الخمر)^٤ . و (يشع) هو في جملة الآلهة التي تعبد لها الصفويون ، كما تعبد له غيرهم أيضاً . وقد قلت سابقاً باحتمال انتقال عبادته الى هذه الأرضين من العرب الجنوبيين الذين كانوا قد نزحوا اليها واستولوا عليها وذلك قبل الميلاد . وتعني لفظة (يشع) الحامي والناصر والمساعد ، وقد حرّف في اليونانية الى (ايثاؤس) و (يشع) . وقد ورد (يشع) في نص توسل فيه صاحبه الى هذا الإله ان يعينه على المكاره ، وتوسل آخر اليه ان يثأر ممن يتبعه ، وطلب اليه آخر ان يشفيه من المرض^٥ .

و (رحم) (رحيم) مثل (رحمن) ، أي (الرحمن) ، لعلها اسمان من أسماء الله الحسنى في الأصل ، ثم صارا اسمين علمين . وينطبق هذا القول على لفظة (صالح) الواردة في نصوص الصفويين^٦ .

Histoire., IV, p. 14. ١

Littmann, Semitic Inscriptions, 1904, p. 70, Montgomery, p. II, Cooke, North Semetic Inscriptions, p. 304. ٢

رينه ديسو (١٤٥) . ٣

رينه ديسو (١٤٥) . ٤

رينه ديسو (١٤٣ وما بعدها) . ٥

Preislamiques, p. 23. ٦

وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (رحم) : (رحام) . أما (نولدكه) ، فقد قرأها بتشديد حرف الحاء^١ . ولعدم وجود علامات لحركات الحروف ، يجوز ان تقرأ الكلمة (رحيم) ، كما ذكرت آنفاً . وقد ورد اسم هذا الإله في نص تدمري أيضاً ، لأنه كان معبوداً عندهم أيضاً^٢ .

وقد ذكرت (الشمس) في نص أو نصين أو أكثر من ذلك بقليل من النصوص الصفوية . وعبادة الشمس ، هي عبادة قليلة الانتشار بين الأعراب ، على عكس الحضر الذين كانوا يتعبدون لها . ولهذا كان أكثر الذين عبدوها من الحضر ، أو من الأعراب الذين تطوروا بأن ركنوا الى حياة الحضر ، أو توسطوا بين الحياتين^٣ .

وفي جملة النصوص الصفوية التي ورد فيها اسم (الشمس) ، نص سجله رجل اسمه (خالص بن شهيم^٤ بن عمرة بن عم)^٥ . وقد توصل الى (شمس وجد عوذ والللات) ان تنزل العمى بمن يتناول على الكتابة فيمحوها ويطمس معالمها^٦ .

و (شمس) من هذه الآلهة التي ذكرت في الأعلام المركبة ، إذ ورد (عشمس) (عم شمس)^٧ . وهي إلهة معروفة ، تعبد لها العرب الجنوبيون وغيرهم من العرب ، كما انها من الآلهة المعبودة عند بقية الساميين . ويرى (كاسكل) ان الشمس كانت تعد إلهاً ذكراً عند أكثر العرب الشماليين في هذا العهد ، أي في القرن الأول قبل الميلاد ، والقرن الأول للميلاد^٨ . ونجد اسم الإله (بعل سمن) في الكتابات الصفوية كذلك^٩ . والصفويون ،

١ رينه ديسو (١٤٤) .

٢ رينه ديسو (١٤٤) .

٣ رينه ديسو (١٤٤ وما بعدها) .

٤ « شهيم » « شهيم » على هذه الصورة : « شوهيم » دونها مترجم : رينه ديسو ، أما الأصل الصفوي ، فهو « شهيم » ، راجع رينه ديسو (١٤٢) .

٥ في الأصل « عمرت » ، « عمرة » ، في الترجمة « عمرت » ، رينه ديسو (١٤٢) ، و « عم » في الأصل ، في الترجمة « عوم » ، رينه ديسو (١٤٢) ، ربما « عوام » .

٦ رينه ديسو (١٤٢) .

٧ Lihsan, S. 47, 144.

٨ Lihsan, S. 48.

٩ Littmann, Safa., S. 58.

هم كما ذكرت قبائل عديدة طافت في هذه الأرضين التي عثر على الكتابات الصفوية بها ، وهم من مواضع متعددة ، ولم يكونوا من موطن ثابت ، لذلك كانوا يعبدون آلهة مختلفة ، آلهة قبائلهم ، وآلهة قبائل سبقتهم ، وآلهة قبائل اختلطوا بها فأخذوا عنها معبوداتهم ، مثل هذا الإله (بعل سمين) ، أي بعل السماء ، أو رب السماء .

وتعدّ اللات من أهم الآلهة عند الصفويين ، بدليل كثرة ورود اسمها في كتاباتهم . فقد ورد اسمها في أكثر من ستين مرة في الكتابات^١ .

و (ه ل ه) ، (هله) هي بمعنى : (اللهم) . فلفظة (له) هي بمعنى (إله) و (لاه) . وقد ذهب بعض المستشرقين الى انها تعني (الله) . وإذا صح هذا الرأي ، دلّ على ان لفظة الجلالة (الله) كانت معروفة عند العرب الجاهليين قبل الاسلام بقرون . وقد وردت في عدد من النصوص الصفوية مسبوقة بحرف (الهاء) في الغالب ، وهو حرف النداء ، كالذي ورد في نص صفوي سجّله شخص اسمه (سني بن سني بن محن) ، ذكر فيه انه عثر على أثر عمه ، ثم توسل الى (له) إذ خاطبه بقوله : « فلهه سلم لئلا يفسد » ، أي : « فيا الله امنح السلامة لمن سار بمعنى سافر وساعده »^٢ .

و (رضى) (رضا) هو من الآلهة التي تعبد لها الصفويون كذلك ، وقد تحدثت عنه في مواضع عدة ، اذ كان معبوداً عند غيرهم أيضاً . وهو (ارضو) (ارضو) في الغالب ، الذي يرد في نصوص تدمر . وقد ورد اسم (رضى) في عدد من الكتابات الصفوية ، يتوسل فيها أصحابه اليه أن يمنّ عليهم بالسلامة والنعم ، وأن يبعد عنهم شر الأعداء وكيدهم ، وأن ينزل النعمة وغضبه على أعدائهم ، الى أمثال ذلك من توسلات وأدعية^٣ .

وورود (عبد حت) ، أي (عبد حوت) ، في الكتابات المتأخرة^٤ ، يدل على ان (حوتاً) من أساء الآلهة التي تعبد لها الليثانيون .

١ العرب في سورية قبل الاسلام (١١١) .

٢ رينه ديسو (١٣٤) .

٣ رينه ديسو (١٣٤) .

٤ Lihsan, S. 47, 143, JS 89.

و (حمل) اسم إله أيضاً ، لورود اسمه في الأعلام المركبة مثل : (عبد حمل)^١ ، وهو من الأسماء التي وردت في الكتابات اللحيانية المتقدمة ^٢ .
وكثيراً ما نجد أناساً يتوسلون الى هذه الآلهة بأن تمنحهم السلام والرحمة ، وان تنكل بأعدائهم ، بل نجد شواخص القبور ، ترجوها ان تصيب بالعمى من يطمس كتابة الشاخص ، الذي يحمل اسم صاحب القبر المدفون فيه وان تنزل به الأمراض والآفات^٣ . ومعنى هذا ان المؤمنين بها كانوا يعتقدون انها تثيب وتعاقب ، تمنح السلام والخير ، وتنفع وتضر، وتنزل الأذى بمن تريد وتشاء ، ولهذا توسل الناس اليها وخاطبوها ، إما لرجاء وإما لايناء .

أما آلهة النبط ، نبط (بطرا) ، فهي : (ذو الشرى) Dushara ،
(اللات) ، وهو إلهة ، (ام الآلهة)^٤ ، و (منوتو) ، أي (مناة)^٥ ،
(قشع) ، و (هبلو) ، أي (هبل) ، و (شيع القوم) حامى القوم ،
ولله القوافل^٦ .

وأما (ذو شرا) Dausarys = Dousares (دوسرا) ، فإنه (ذو الشرى)
الذي يرد اسمه عند أهل الأخبار . وهو من آلهة (بطرا) ، وقد زعم انه في منزلة
(ديونيسوس) Dionysos . وعرف بـ Deos Arabikos = Dieu Arabiques
في بعض الكتابات اليونانية التي عثر عليها في الأردن ، والتي يعود عهدها الى
سنة (١١٦ - ١١٧) أو (١٢٦ - ١٢٧) للميلاد ، مما يدل على انه كان
من الآلهة المعروفة بين العرب ، وانه إلههم الخاص بهم^٧ .

وذكر ان Dusares هو في منزلة Dionysus ، وقد عرف عند اليونان بأنه
إله العرب ، كما ذكرت . وانه الإله Pakades عند النبط ، وله معبد في
(جرش) Gerash^٨ .

١ Lihyan, S. 47.

٢ Lihyan, S. 143.

٣ راجع النصوص في رينه ديسو (ص ١٢٦ فما بعدها) .

٤ CIS, II, 85, 98, NSI, 80, Ency. Religi., 9, p. 112.

٥ CIS, II, 97, 98, NSI, 79, Ency. Religi., 9, p. 22.

٦ Ency. Religi., 9, p. 22.

٧ R. De Vaux, Une Nouvelle Inscription au dieu Arabique, ADAJ, I, 1951,

p. 23, Arabien, S. 86.

٨ BASOR, NUM : 83, 1941, p. 8.

وورد اسم (دشر) (دوشرا) Dushares في عدد من النصوص النبطية. ورد في هذه الجملة مثلاً : (فهلت وهدشرثار لمن حولت)^١ ، أي (فيا اللات ويا ذو الشرى ، إثأراً ممن يحول) . ويقصد بـ (يحول) ، يحول شاهد القبر الذي كتبت عليه هذه الكتابة . كما ورد في عدد من الكتابات ، يرجو فيها أصحابها من هذا الإله ان ينعم عليهم بالسلامة وان يتقبل منهم أعمالهم .

وقد ورد مع اسم (ذي الشرى) في بعض الكتابات النبطية ، اسم الإله (هبل) واسم (مناة) . و (هبل) هو صنم قريش الرئيس . وهو إله الكعبة ويرمز الى القمر . وقد وضع في الكعبة على هيئة انسان ، وأمامه حفرة عبر عنها بلفظة (بغيغ) ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فعوذته قريش بيد من ذهب ، والظاهر ان الحية ترمز اليه ، أو الى ود ، وان الحية التي قيل انها كانت في بشر زمزم ، هي رمز هبل^٢ .

وورد اسم (اللات) مدوناً في نصوص نبطية عديدة ، فقد عثر بـ (صلخد) على كتابات من سنة (٤٠) قبل الميلاد ، وسنة (٥٠) بعد الميلاد ، وسنة (٩٥) للميلاد ، وعلى نصوص أخرى ، وقد ذكر فيها اسم هذه الإلهة ، وأشير فيها الى تشييد معبد خصص لعبادتها ، والى سدة كانوا يقومون بخدمتها . ووجدت كتابات في مواضع نبطية أخرى ، ورد فيها اسم (اللات) ، وبديل كل ذلك على ان اللات كانت من المعبودات المقدره عند نبط هذه الديار^٣ .

أما الكتابات النبطية المدونة في أماكن أخرى من بلاد الشام وفي أعالي الحجاز ، فقد ورد فيها اسم (اللات) . ورد فيها على انه من الآلهة الكبيرة ، التي يخدمها سدة ، ولها معابد خصصت لعبادتها . فقد جاء في نص مؤرخ بسنة (٤٧) للميلاد ان شخصاً اسمه (ملكو بن قصيو) (مالك بن قصي) ، أو (مليك بن قصي) ، كان كاهناً (للات) في موضع (حبرن) (حبران) ، وهو من جبل حوران^٤ .

Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol., II, p. 28, 1953.

١ الأزرقي ، أخبار مكة (٦٨/١) وما بعدها .

٢ رينه ديسو (ص ١١٦ وما بعدها) .

٣ رينه ديسو (١١٥) ، Jaussen-Savignac, Mission, II, p. 506.

وأما آلهة (تدمر) ، فهي (بل) ، أي (بعل) و (عزيزو) ، و (ارضو)
 (ارضو) ، و (شيع القوم) ، و (شمش) (شمس) و (اللات) ،
 و (ايل) ، و (بعل شمين) ، و (سعدو) . ويلاحظ ان الكتابات التدمرية
 تستعمل في الغالب الكنايات والنعوت الإلهية بدلاً من أسماء الآلهة ، فاستعملت
 (تبارك اسمه) ، و (رب العالم) ، و (الله المحسن) ، و (رب العالمين) ،
 وأمثال ذلك كناية عن آلهة تدمر . وهي تشير الى وجود فكرة التوحيد عند
 التدمريين . والى اغراب أهل تدمر عن التصريح بأسماء الآلهة ، والاكتفاء بذكر
 نعوتها وأسمائها الحسنى ، على طريقة العبرانيين في تجنب ذكر اسم الإله ،
 والتكنية عنه بنعوته . وقد يكون لآراء الفلاسفة اليونان أثر في معتقدات أهل تدمر
 في آلهتهم^١ .

ويرى (ليدزبارسكي) Lidzbarski ان (بل) ، هو إله تدمر الأكبر .
 وهو (بعل) . ولمركزه الخطير عند أهل تدمر ، دعاه اليونان (زيوس) Zeus
 أما (ملك بل) ، فإنه الشمس ، وأما (عجلي بل) ، فهو القمر . ويقدم
 عادة على (ملك بل) في الكتابات . وتقدم القمر على الشمس عادة قديمة عند
 أهل تدمر لا بد أن يكون لها سبب بالطبع^٢ .

أما الإلهة (عزيزو) ، فهو العزى . ويؤيد ذلك ما ذكره أحد الكتبة اليونان
 من انه كان كوكب الصباح عند العرب ، وانه الإله الرؤوف الرحيم الذي عبدته
 العرب قبل الاسلام . ويلاحظ ان هذا النعت وارد في نص تدمري ، مما يثبت
 كون (عزيزو) هو (العزى) الإلهة الشهير^٣ .

وأما (ارضو) (ارضو) ، فيظن (ليدزبارسكي) انه Oratal الذي ذكر
 المؤرخ (هيرودوتس) ، انه أحد آلهة العرب الكبرى مع الإلهة (اللات) .
 ويظن ان (ارضو) ، هو (رضا) (رضى) الإلهة الذي أشار اليه الأخباريون .
 وأما (اللات) ، فقليل الورد في النصوص التدمرية مع شيوع الأسماء المركبة

Ency. Religi., 9, p. 592. ١

Ency. Religi., 9, p. 593. ٢

Ency. Religi., 9, p. 594. ٣

المؤلفة منها ومن كلمات أخرى عندهم^١ .

وأما (منوتو) ، فإنه (ساة) المذكور في القرآن^٢ . وكان له معبد في (قديد) ، بين مكة والمدينة ، وقد صنع من حجر ، وتعبدت له الأوس والخزرج ، وهذيل ، وخزاعة . وتعبدت له النبط كذلك ، وأقاموا له معبداً أشير إليه في كتابات (مدائن صالح) ، كما تعبدت له ثمود ولحيان ونبط تدمر^٣ . وهو أنثى في نظر أهل الأخبار ، والظاهر ان بينه وبين المنيّة صلة ، كما بينت ذلك قبلاً .

وقد عبد الإله (بعل شمن) (بعل شمين) في تدمر . وقد رأينا انه عبد عند اللحيانيين والصفويين ، وعند غيرهم أيضاً . وقد وجد اسمه في كتابة تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد ، تبين منها انه كان معبوداً في (بعلبك) . وهو كما قلت الإله (بعل سمن)^٤ .

وأما (سعدو) ، فقد رأى بعض المستشرقين انه الإله (القمر) ، وانه الصنم (سعد) ، وهو من الأصنام التي ذكرها أهل الأخبار . وقد تعبّد له بعض كنانة ، ويقال هذيل ، كما تحدثت عنه^٥ .

وورد في بعض كتابات (حوران) اسم إله دعي بـ (قصي) . واليه تنسب بعض الأعلام المركبة التي ورد فيها اسمه ، مثل (عبد قصي) . ويظن انه الإله المسمى بـ (زيوس كاسيوس) Zeus Kasios وبـ Jupiter Casius = Jupiter Casiu في الكتابات اليونانية^٦ . وفي جملة هذه الأسماء المركبة المعروفة التي وردت إلينا ، اسم (وهب لث) ، أي (وهب اللات) ، وهو اسم ابن الملك (أذينة) من زوجه (زنوبيا) ، أي (الزبّاء)^٧ .

١ Ency. Religi., 9, p. 594.

٢ سورة ٥٣ ، الآية ٢٠ .

٣ Jaussen-Savignac, Mission, I, p. 169, 192, CIS, II, No. : 224, J. Starcky,

Palmyre, 85, Arabien, S. 84.

٤ Arabien, S. 86, Ryckmans, 20.

٥ O. Elssfeldt, 150, Arabien, S. 85, Handbuch, I, S. 234.

٦ Arabien, S. 86.

٧ رينه ديسو (١٢٢) .

وقد ذهب (رينه ديسو) ، الى ان العنصر العربي كان مهماً في تدمير ، وله أثر في حياة المدينة ، وانه هو الذي أدخل عبادة اللات الى تدمير . وقد عبر عنها بـ (اثينا) ، ولهذا ترجموا اسم ابن الزبئاء ، أي (وهب اللات) ، بـ (اثينودور) Athenodore^١ .

وجاء في كتابات نبط (مدائن صالح) اسم إله عرف بـ (شيع هقوم) (شيع هقم) (هشح هقم) (شيع هاقوم) (شيع القوم) ، وهو إله القوافل والمحاربين . يدافع عن القوافل وعن رجالها ويصد عنها لصصوص الطرق وقطاعها ، ولهذا كان يتقرب اليه التجار بالنذور وبالذعوات لينزل بمن يتحرض بتجارته العذاب الأليم^٢ . وهو أيضاً من آلهة قوم ثمود والصفويين^٣ ، كما تحدثت عن ذلك . وقد بني للعزى معبد في (بصرى) ، عرف بـ (بت ال) ، أي (بيت ايل)^٤ .

وأما آلهة (ديدان) ، فلا نستطيع التحدث بإفازة عنها ، لعدم وصول كتابات ديدانية لنا ، فيها ذكر لتلك الآلهة . وفي الأسماء الديدانية المركبة أسماء آلهة ، على رأسها (ال) (ايل) الذي ورد في (كبر - ال) (كبر ايل) ، و (متع ال) (متعال) (متع ايل) ، و (ذرح ال) (ذرح ايل) ، و (وسقال) (وسق ايل) ، و (ال - بر) (ايل - بر) ، و (العم) (ايل - عم) ، و (شبال) (شيم - ايل) ، و (الاب) (ال اب) ، (ايل اب) ، فإن (ايل) (ال) في هذه الأسماء هو الإله (ايل)^٥ .

ثم : (إله) ، و (يثع) ، و (خرج) ، و (رعن) ، و (دد) (داد) ، و (نعر) ، و (قس) (قوس) (قيس) . وبعض هذه الألفاظ نعوت للآلهة ، لا أسماء أعلام ، وبعضها من أصل عربي جنوبي ، مثل (يثع) ، فإنها نعت من نعوت الآلهة ، معناه : (المساعد) (الناصر) (المؤيد) ،

١ رينه ديسو (١٢٢) .

٢ Arabien, S. 86.

٣ F. V. Wineth, Safaitic Inscriptions from Jordan. University of Toronto Press, 1957, p. 20.

٤ Arabien, S. 82.

٥ Lihyan, S. 37.

وقد عرف عند السبثيين . وبعض آخر من أصل شمالي مثل (دد) (داد) ، فإنه من معبودات الكنعانيين والنبط^١ .

ويرى (كاسكل) ان (خرجا) هو إلهه ، والخرج في العربية أول ما ينشأ من السحاب ، وبه سمي (الخرج) . وقد ورد في الأعلام المعينية المركبة : (عبد خرج) ، و (زيد خرج)^٢ . ويحتمل أن يكون قد جاء الى الديدانين من المعينيين الذين كانوا أصحاب ديدان قبل الديدانين .

ويرد (دد) (داود) في الأسماء المركبة كذلك ، وكذلك بصيغة التأنيث ، أي (ددت) (دادت) ، أي إلهة . ويعني (دد) عم^٣ . فقد ورد (حي - دد) (حي داد) ، وورد (عبد ددت) ، أي (عبد دادت) ، يدل على ان (داد) إلهه من الآلهة المعبودة ، وان (ددت) إلهة .

و (قس) أي (قوس) هو أيضاً من أسماء الآلهة ، اذ ورد مكوناً لاسم رجل ، عرف بـ (جلنقس) ، أي (جلت قوس)^٤ . وورد اسم آخر في الأعلام المركبة كذلك ، هو (قس) ، في اسم (عبد قس) ، ويمكن ان يقرأ (قوساً) كما يمكن ان يقرأ (قيساً) ، أي (عبد قيس) ، و (عبد قيس) و (عبد القيس) من الأسماء المعروفة عند العرب . فـ (قوس) و (قيس) من الآلهة المعروفة عند العرب .

و (قوس) هو من آلهة (بني أدوم) ، أي الأدوميين ، اذ كان يعبد عندهم . وقد ذهب (بروي) Braeu الى ان الإلهة (قيس) هو إلهه واجبه حماية الحدود^٥ . ووردت لفظة (صلح) في الأعلام المركبة كذلك ، مثل (صلحجد) أي (صلح جد) ، ومثل (صلحيجب) (صلح يجب)^٦ ، ومعنى ذلك ان (صلحا) هو اسم إلهه .

يلاحظ ان بين الآلهة المذكورة أسماء ، هي في الواقع ليست أسماء ، وانما هي

-
- | | |
|---|---|
| Lihsan, S. 38. | ١ |
| Lihsan, S. 38. | ٢ |
| Lihsan, S. 38. Lihsan, S. 47, 145. | ٣ |
| Lihsan, S. 47, 146. | ٤ |
| Lihsan, S. 47, Brau, in WZKM., XXXII, 56. | ٥ |
| Lihsan, S. 47, 152, JS 314, 382. | ٦ |

صفات ، أو ما يقال له (أسماء الله الحسنى) في الاسلام ، استعملت وأطلقت على الآلهة حتى صارت في منزلة الأسماء . كما نجد صفات وضعت قبلها لفظة (ذ) أي (ذو) أو (ذات) ، أي (ذات) ، وأطلقت على الآلهة اطلاق الأسماء على المسميات . ومن هذا القبيل (ذعقل) ، أي (ذو عقل) ، و (ذشرى) ، أي (ذو الشرى) ، و (ذقبض) ، أي (ذو قبض) ، و (ذات انوط) ، أي (ذات أنواط) ، و (ذات حم) ، أي (ذات حميم) ، و (ذات بعدن) ، أي (ذات البعد) ، فليست هذه أسماء في الأصل ، وإنما هي على ما ذكرت ، وقد عبر بها عن آلهة معينة ، حتى صارت عندهم في منزلة الأسماء .

الآلهة التي ورد ذكرها في النصوص :

وأود ان أدون هنا أسماء ونعوت الآلهة التي أشير إليها في نصوص المسند، وفي النصوص الأخرى باختصار ، ليعيط بها القارئ ، وهي : (ود) إلهه معين الكبير . وقد ورد في نصوص أخرى عثر عليها في أعالي الحجاز . و (الملقه) إلهه سبأ الكبير ، و (سن) (سين) إلهه حضرموت الكبير ، و (ورخ) و (شهر) ، و (عم) إلهه شعب قنبان . وهي كلها في معنى واحد ، اذ قصد بها الإله القمر .

ومن الأسماء الأخرى : (انبي) (أنبي) ، و (شرqn) (الشارق) ، و (رحم) (الرحيم) (رحيم) ، و (رحمن) (الرحمن) ، و (عثر) ، و (اثرت) (اثرت) ، و (بعل) ، و (بعلت) ، و (ذات انوت) (ذات أنوات) ، و (ربت اثر) ، و (بعدن) ، و (ذات بعدن) ، و (برن) ، و (ذات برن) ، و (غضرن) ، و (ذات غضرن) ، و (حم) (حميم) ، و (ذات حم) (ذات حميم) ، و (نشقم) (نشق) ، و (رجن) (رحاب) (الرحاب) ، و (ذات رجن) (ذات الرحاب) ، و (صهرن) (الصهر) ، و (ذات صهرن) (ذات الصهر) ، و (صنم) ، و (ذات صنم) ، و (ضهرن) ، و (عم ذ دون) ، أي (عم رب داون) (عم صاحب داوان) ، و (ال) (ايل) ، و (كهلن) (الكاهل) . و (حرمن) (الحرم) ، بمعنى الإله ، و (حرمت) (حرمة) ،

بمعنى الإلهة . و (هوبس) ، و (حلم) (حلیم) ، و (حكم) (حوكم) ،
و (متب قبط) ، و (متب نطین) ، و (نهى) ، و (نكرح) ، و (نسر) ،
و (نسور) ، و (رب شهر) ، و (رب ثون) ، و (صدق) (صديق)
(صادق) ، و (شمس) ، و (سموى) ، و (شرقن) ، و (سمع)
(سميع) (سامع) ، و (تالب) (تلب) ، و (تلب ريمم) (تالب
ريام) ، أي الإلهة (تالب) رب موضع (ريام) لوجود معبد كبير له به .
و (عثرت) ، و (عزى) ، و (تلب سمعى) (تالب سمعى)^١ ،
و (حول) (حويل) ، و (ذو جریم) (ذو جرب) ، و (ذو قبضم)
(ذو قبض) (ذو القبض) (القابض) ، و (سمعى) ، و (شريت)
(شرى) ، و (عثرت شرقن) ، و (عزيز) ، و (قزح) ، و (متب
مذجب) ، و (نرو)^٢ .

ومن أسماء آلهة ثمود : (ود) ، و (جد هدد) ، و (شمس) ،
و (عزيز) ، و (نعرجد) ، و (عمى شجا) ، و (رضو) و (منت) ،
و (كهل) ، و (نهى) ، و (ايل) (ال) ، و (لت) (لات) ،
و (عثرسم) (عثر سمن) ، و (صلح) ، و (منف) ، و (عثرت) ،
و (يثع) ، و (يغث) (يغوث) ، و (بعلت) ، و (يهو) ، و (فلس) ،
و (عوذ) .

وتتمكن الباحثون من الحصول على أسماء عدد من آلهة لحيان ، منها : (ابلف)
(اب الف) (ابالف) ، بمعنى (أبو ايلاف) ، و (عجلبن) ، و (بدع
سمع) (بدعسمع) . و (بعلسمن) ، (بعلى السماء) ، و (ذو غبت)
(ذو غابة) . و (هنا كتب) (هانىء كتب) ، و (له) (لاه) ،
و (لحت) (الهات) ، و (لت) (لات) ، و (همحر) (هامحر) ،
و (سلمن) (سلمان) . و (هنعزي) (هانعزي) ، و (ود)^٣ .

Handbuch, I, S. 260-261. ١

Handbuch, I, S. 260. ٢

W. Caskel, Lihjan, S. 141. ٣

وحصلنا من الكتابات الصفوية على أسماء بعض الآلهة ، مثل : (اللات)
(لت) ، و (العزى) ، و (مناة) (منات) ، و (رضا) (رضو) ،
و (هله) (هالاه) (الله) ، و (جدعوذ) ، و (شمس) ، و (رحم) ،
و (شيع هقوم) (شيع القوم) ، و (ائع) (ائاع) ، و (بعل سمين)
(بعل سمن) ، و (دوشر) (ذو الشرى) (دشر) ، و (جد ضف)
(جد ضيف)^١ .

Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol., I, 1951, p. 27. ١
والعدد الثاني الصادر سنة ١٩٥٣ (ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٤٣ .

الفصل الحادي والسبعون

شعائر الدين

ولكل دين شعائر تكون له سمة وعلامة تميزه عن غيره من الأديان . ولما كنا قد ذكرنا ان الجاهليين كانوا شعوباً وقبائل ، لم تجمع بينهم وحدة فكر ولم تضمهم دولة واحدة ، أو عقيدة مشتركة ، فنحن لا نستطيع أن نتحدث عن شعائر واحدة لجميع عرب الجاهلية .

وما سأذكره عن ديانات أهل الجاهلية ، مستمد إما من نصوص جاهلية ، وذلك فيما يخص العربية الغربية والعربية الجنوبية في الغالب، وإما من موارد اسلامية، وهو ما يتناول أهل الحجاز ، قبيل ظهور الاسلام ، وبعض أنحاء نجد . وهو مما جاء عنهم في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي وفي كتب التفسير والسير والأخبار مما له صلة بأيام الجاهلية المتصلة بالاسلام ، وبظهور الاسلام .

وفي مقدمة شعائر الدين عند أهل الجاهلية : الأصنام وبيوتها والتقرب اليها بالصلاة وبالسجود وبالطواف حولها ، وبالندور ، وبالحبوس وبالقسم بها ، وذلك لتمكن على عبدها الانسان فتمنحه ما يرجوه في هذه الحياة من صحة وعافية ومال ونسل وذكرور : وتكاد تنحصر الكتابات الجاهلية^١ التي عثر عليها حتى الآن بهذه الأمور ، اذ لا نكاد نجد فيها شيئاً له علاقة بالآلهة يخرج عن حدود ما ذكرت . ويكاد يقتصر ما جاء في روايات أهل الأخبار عن ديانة أهل الجاهلية بهذه الأمور

Grohmann, S. 89, Jaussen - Savignac, Mission, II, 397, 401, 452.

أيضاً ، فلا تتجاوز ما ذكرته من تقرب الى صنم أو توسل اليه وطواف به ، لنيل شيء منه يتمناه ويرجوه في هذه الحياة الدنيا .

أما الصلاة الى الآلهة على نحو ما يفهم من الصلاة في الإسلام فلا نجد لها ذكراً في النصوص الجاهلية ، ولا نكاد نجد لها صورة واضحة صحيحة في روايات أهل الأخبار ، اللهم إلا فيما يخص صلوات اليهود والنصارى والعرب فقد كان هؤلاء يصلون في كنائسهم في أوقات معينة ، وقف بعض أهل الجاهلية عليهما ، فأشاروا إليها في أشعارهم وفي حديثهم عن أهل الكتاب .

وقد ذكر ان عبدة (الشمس) كانوا قد (اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياح وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم ، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعونه ويستشفعون به . وهم اذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها ، واذا غربت واذا توسطت الفلك . ولهذا يقرنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة ، لتقع عبادتهم وسجودهم له . ولهذا نهي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشاكلة الكفار ظاهراً ، وسداً للريقة الشرك وعبادة الأصنام)^١ . وذكر (اليعقوبي) ان العرب كانت « اذا أرادت حج البيت الحرام ، وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلوا »^٢ . وفي هذين الخبرين دلالة على وجود الصلاة عند الجاهليين ، ولا سيما في خبر عبدة الشمس ، حيث كانوا يصلون ثلاث كرات لها في اليوم .

وذكر ان (التسييح) بمعنى الصلاة والذكر ، روي ان (عمر) جلد رجلين سبّحا بعد العصر ، أي صلّيا . وان قول الأعشى :

وسبّح على حين العشيّات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

يعني الصلاة بالصباح والمساء وعليه فسر قوله : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، يأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين^٣ .

١ بلوغ الارب (٢/٢١٥ وما بعدها) .

٢ اليعقوبي (١/٢٢٥) .

٣ اللسان (٢/٤٧٣) ، (سبّح) .

وذكر انهم كانوا يصلّون على موتاهم ، وكانت صلاتهم ان يحمل الميت على سرير ، ثم يقوم وليّه ، فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه . ثم يقول : عليك رحمة الله . ثم يدفن^١ .

وقد أشير الى سجود الناس للشمس والقمر في القرآن الكريم : « ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . فإن استكبروا ، فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون »^٢ . « يقول تعالى ذكره : فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر ، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك ولا يتعظمون عنه »^٣ . كما أشير الى سجود أهل (سبأ) الى (الشمس) في الآية : « وجئتكم من سبأ نبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون »^٤ . وفي هذه الآية وصف لتعبد أهل سبأ للشمس وسجودهم لها . وقد ذكر المفسرون أن ملكة سبأ « كانت لها كوة مستقبلة الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها ، فتسجد لها »^٥ . فسجودهم للشمس ، هو عبادة لها وتعظيماً لشأنها .

الصوم :

وأما (الصوم) ، فنحن لا نجد له ذكراً في الكتابات الجاهلية بالمعنى المفهوم منه عند أهل الكتاب أو المسلمين . وهو في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له . وقيل للصائم صائم لا مساكه عن الطعام والمشرب والمنكح ، وقيل للصائم صائم لا مساكه عن الكلام . « وقوله عز وجل : إني نذرت للرحمان صوماً . قيل :

-
- ١ المجبر (٣٢٠ وما بعدها) .
 - ٢ سورة فصلت ، الرقم ٤١ ، الآية ٣٧ وما بعدها .
 - ٣ تفسير الطبري (٧٧/٢٤) .
 - ٤ النمل ، الرقم ٢٧ ، الآية ٢٤ .
 - ٥ تفسير الطبري (٩٤/١٩ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٩٠/١٣ وما بعدها) .

معناه صمتاً ، ويقويه قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسياً ^١ . والصوم : الصبر كذلك .

وقد ذكر (الصوم) في السور المدنية ، أما في السور المكية ، فقد ذكر مرة واحدة ، في (سورة مريم) : « فقولي : لاني نذرت للرحمن صوماً . فلن أكلم اليوم إنسياً » ^٢ . وقد حددت السور المدنية أصول الصيام في الإسلام .

والصوم المعروف عند اليهود والنصارى معروف عند أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال واحتكاك بأهل الكتاب . فقد كان أهل يثرب مثلاً على علم بصوم اليهود ، بسبب وجودهم بينهم . وكان عرب العراق وبلاد الشام على علم بصوم النصارى ، بسبب وجود قبائل عربية منتصرة بينهم . وكان أهل مكة ، ولا سيما الأحناف منهم والتجار على معرفة بصيام أهل الكتاب . وبصيام الرهبان ، المتمثل في السكوت والتأمل والجلوس في خلوة ، للتفكير في ملكوت السموات والأرض . ويظهر من أخبار أهل الأخبار أن من الجاهليين من اقتدى بهم ، وسلك مسلكهم . فكان يصوم ، صوم السكوت والتأمل والامتناع عن الكلام والانزواء في غار حراء وفي شعاب جبال مكة .

ويذكر أهل الأخبار ان قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء . وفي هذا اليوم كانوا يحتفلون ، ويعتدون ، ويكسون الكعبة ، وعللوا ذلك بأن قريشاً أذنبت ذنباً في الجاهلية ، فعظم في صدورهم ، وأرادوا التكفير عن ذنبهم ، فقرروا صيام يوم عاشوراء ، فصاموه شكراً لله على رفعه الذنب عنهم ^٣ . وذكر ان رسول الله كان يصوم عاشوراء في الجاهلية ، ولما قدم المدينة واظب عليه وأمر الناس بصيامه حتى نزل الأمر بصيام رمضان . وقد ذكر العلماء انه يحتمل ان قريشاً اقتدت بصيامه في الجاهلية ، بشرع سالف ، ولذا كانوا يعظمونه بكسوة البيت الحرام فيه ^٤ . وذكر بعضهم: كان يوم عاشوراء ، يوماً تصومه قريش في الجاهلية ، اقتداءً بشرع سابق ، وكان النبي يصومه في الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه على عادته وأمر أصحابه بصيامه في أول السنة الثانية ، فلما نزل رمضان ، كان من

١ اللسان (٣٥٠ /) ، (صوم) .

٢ سورة مريم ، رقم ١٩ ، الآية ٢٦ .

٣ بلوغ الارب (٢٨٨ / ٢) .

٤ ارشاد الساري (٤٢١ / ٣) ، (باب حكم صيام عاشوراء) .

شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء لا يصومه . وعللوا سبب صيام (قريش) هذا اليوم ، انه كان أصابهم قحط ثم رفع عنهم ، فصاموه شكراً^١ . وورد « ان قريشاً كانت تعظم هذا اليوم ، وكانوا يكسون الكعبة فيه ، وصومه من تمام تعظيمه » . وذكر ان رسول الله ، كان يتحرى صوم يوم عاشوراء على سائر الأيام ، وكان يصومه قبل فرض رمضان . فلما فرض رمضان ، قال : من شاء صامه ، ومن شاء تركه . وبقي هو يصومه تطوعاً ، فقبل له : « يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال ، صلى الله عليه وسلم : اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع ، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله »^٢ . وذكر أيضاً ان قريشاً كانوا اذا أصابهم قحط ثم رفع عنهم صاموا شكراً لله وحداً له على اجابة دعوتهم^٣ .

وقد أشار أهل الحديث الى صيام (يوم عاشوراء) ، فجعله بعضهم الصيام الذي كان في الإسلام قبل فرض صيام شهر رمضان ، وذكر بعضهم أنه كان مفروضاً الى السنة الثانية من الهجرة ، ثم نسخ بصوم رمضان^٤ .

وقد أشير الى الصيام في السور المكية من القرآن الكريم كما أشير اليه في السور المدنية ، ويدل نزول الوحي به في مكة وفي المدينة أنه كان من الشعائر الدينية القديمة ، وأن قريشاً كان لها علم به . ويظهر من بعض الآيات أن المراد من الصوم لم يكن الامتناع من الأكل والشرب حسب^٥ ، بل كان يعني في أول عهد النبوة الامتناع عن الكلام كذلك^٥ .

ورواية أن قريشاً كانت تصوم في يوم (عاشوراء) ، لا تتفق مع الروايات الأخرى في كيفية فرض صيام شهر رمضان . ففي هذه الدوايات أن النبي « حين قدم المدينة رأى يهود تصوم يوم عاشوراء ، فسألهم : فأخبروه أنه اليوم الذي غرق الله فيه آل فرعون ، ونجى موسى ومن معه منهم . فقال : نحن أحق بموسى منهم ، فصام ، وأمر الناس بصومه . فلما فرض صوم شهر رمضان ،

-
- ١ ارشاد الساري (١٧٤/٦) ، « باب أيام الجاهلية » .
 - ٢ زاد المعاد (١٦٤/١) وما بعدها .
 - ٣ ارشاد الساري (١٧٤/٦) .
 - ٤ راجع كتب الحديث : باب الصوم .
 - ٥ سورة مريم ، الآية ٢٦ . وهي سورة مكية ، رقمها ٥٨ حسب نزول السور بمكة .

لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه ^١ . وورد أن يهود خيبر والمدينة كانوا يعظمون صيام عاشوراء ويتخذونه عيداً ^٢ .

ويقصدون بصوم اليهود يوم عاشوراء ، ما يقال له (يوم الكفارة) ، وهو يوم صوم وانقطاع ، ويقع قبل عيد المظال بخمسة أيام ، أي في يوم (١٠ تشرى) وهو يوم (الكبور) Kipur . ويكون الصوم فيه من غروب الشمس الى غروبها في اليوم التالي ، وله حرمة كحرمة السبت ، وفيه يدخل الكاهن الأعظم قدس الأقداس لأداء الفروض الدينية المفروضة في ذلك اليوم ^٣ .

ومما يلاحظ ان علماء التفسير والحديث ، قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في موضوع الصيام قبل نزول الأمر به وفرضه . فقال بعضهم كان المسلمون يصنعون كما تصنع من صيامهم خمسين يوماً (حتى كان من أمر أبي قيس بن صرمة وعمر بن الخطاب ما كان ، فأحل لهم الأكل والشرب والجماع الى طلوع الفجر) ^٤ . وقال بعض آخر ، كان صيام الناس قبل فرض رمضان صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وذكر ان ذلك كان تطوعاً لا فرضاً ، ولم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوماً فرض على أهل الاسلام غير صوم شهر رمضان ^٥ . ولم أتمكن من العثور على خبر قاطع يفيد بأن المسلمين كانوا يصومون بمكة قبل الهجرة الى المدينة .

ولا صلة لقصة (أبي قيس بن صرمة الأنصاري) (أبو صرمة الأنصاري) و (عمر بن الخطاب) بصيام عاشوراء ولا بعدد أيام الصوم . وكسل ما ورد فيها ان المسلمين كانوا في أول ما افترض عليهم في رمضان اذ افطروا وكان الطعام والشراب وغشيان النساء لهم حالاً ما لم يرقدوا ، فإذا رقدوا حرم عليهم ذلك الى مثلها من القابلة ، فلم يزل المسلمون على ذلك ، حتى نام (أبو قيس بن صرمة) بعد افطاره وكان يعمل في حيطان المدينة بالأجر ، فلما أفاق أبى ان يأكل شيئاً وأصبح صائماً : وكان (عمر) قد وقع على جارية له ، فتزل الوحي

-
- ١ الطبري (٢٦٥/٢) ، « ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من الهجرة » ، ارشاد الساري (٤٢١/٣) .
 - ٢ ارشاد الساري (٤٢٣/٣) .
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٦٠/٢) .
 - ٤ تفسير الطبري (٧٥/٢) وما بعدها .
 - ٥ تفسير الطبري (٧٦/٣) وما بعدها .

بنسخ ذلك عنهم في آية : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن . علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم »^١ . فلا صلة لقصتيهما بموضوع الصوم .

ويظهر أنه خبر صيام قريش يوم (عاشوراء) ، هو خبر متأخر ، ولا يوجد له سند يؤيده . ولا يعقل صيام قريش فيه ، وهم قوم مشركون . وصوم (عاشوراء) ، هو من صيام يهود . وهو صيام كفارة واستغفار عندهم ، فلم يستغفر قريش ويصومون هذا اليوم ؟ وماذا فعلوا من ذنب ، ليطلبوا من آلهتهم العفو والغفران ؟ وإذا كان هناك صوم عند الجاهليين ، فقد كان بالأحرى أن يصومه الأحناف ، ولم يرد في أخبار أهل الأخبار ما يفيد صيامهم في (عاشوراء) ولا في غير عاشوراء . ثم إن علماء التفسير والحديث والأخبار ، يذكرون أن الرسول صام (عاشوراء) مقدمه المدينة على نحو ما ذكرت قبل قليل . وأنه بقي عليه حتى نزل الأمر بفرض رمضان . ويظهر أن الرواة أقحموا اسم قريش في صيام (عاشوراء) ، لإثبات أنه كان من السنن العربية القديمة ، التي ترجع الى ما قبل الإسلام . وأن قريشاً ، كانت تصوم قبل الإسلام^٢ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن صوم أهل الجاهلية : صوم امتناع عن الأكل والشرب وإتيان النساء . وهو صوم الاسلام ، وصوم امتناع عن الكلام وحبس للسان ، إما لأمد معين قصير ، مثل يوم أو اسبوع ، وإما لأمد طويل . وقد أشير في القرآن الكريم أن هذا الصوم في قوله تعالى : « فقول لي نذرت للرحمن صوماً ، فلن أكلم اليوم أنسياً »^٣ . وروي أن رجالاً من زهاد أهل الجاهلية كانوا يصومون هذا الصوم .

وقد اتخذ الصوم نذراً ، روي أن (أبا بكر) دخل على امرأة من (أحمس) يقال لها (زينب) ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تكلم ؟ قالوا : حجبت مُصمّمة ، قال لها : تكلمي . فإن هذا لا يحل . هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت .

١ البقرة ، الآية ١٨٧ ، تفسير الطبري (٩٤/٢ وما بعدها) .

٢ Sprenger; Leben, III, S. 54.

٣ سورة مريم ، الرقم ١٩ ، الآية ٢٦ ، تفسير الطبري (٥٦/١٦) ، روح المعاني (٧٩/١٦) .

فقلت له : من أنت : قال امرؤ من المهاجرين . قالت : أي المهاجرين ؟ قال لها : من قريش . قالت له : من أي قريش أنت ؟ قال : إنك لسؤول . أنا أبو بكر . قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم . قالت : وما الأئمة ؟ قال لها : كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى . قال : فهم أولئك على الناس^١ .

فالتصميت ، وهو الصوم عن الكلام ، من فعل أهل الجاهلية . وهو معروف عندهم ، ولعله وقع لهم بتأثرهم بأهل الكتاب .

التحنث :

ومن طرق عبادة أهل الجاهلية : التحنث ، أي التعبد والتقرب الى الآلهة ، ومن ذلك حديث (حكيم بن حزام) : « رأيت أموراً كنت اتحنث بها في الجاهلية من صلة رحم وصدقة ، أي أتقرب الى الله تعالى بأفعال في الجاهلية »^٢ . وكان رسول الله « يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان مما تحنث به قريش في الجاهلية . والتحنث : التبرر » . « فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - اذا انصرف من جواره - الكعبة قبل ان يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً » ، ثم يرجع الى بيته . وذكر ان ذلك الشهر هو شهر رمضان^٣ .

الاختتان :

ومن شعائر الدين عند الجاهليين الاختتان . وهو من الشعائر الفاشية بينهم ،

١ ارشاد الساري (١٧٥/٦ وما بعدها) ، (انها مصممة ، انها نذرت أن لا تتكلم . فقال : تكلمي انما هذا من فعل الجاهلية) ، الاصابة (٣١٥/٤ وما بعدها) ، (رفم ٥١٣ ، ٥١٥) ، اللسان (٥٥/٢) .
٢ تاج العروس (٦١٦/١) ، (حنث) .
٣ الطبري (٣٠٠/٢) .

حتى أنهم كانوا يعيرون (الأغرل) ، وهو الشخص الذي لم يحنّثن . وكان منهم ولا سيما أهل مكة من يحنّث البنات أيضاً ، بقطع (بظورهن) . وتقوم بذلك (الختانة) (الخاتنة) . وقد كانوا يعيرون من تكون أمه (ختانة) نساء ، فإذا أرادوا ذم أحد قالوا له : يا ابن مقطعة البظور ، وإن لم تكن أم من يقال له : خاتنة^١ .

وأما الاغتسال من الجنابة وتغسيل الموتى ، فمن السنن التي أقرت في الاسلام ، وقد أشير الى غسل الميت في شعر للأفوه الأودي^٢ . وأشير الى تكفين الموتى والصلاة عليهم في أشعار منسوبة الى الأعشى وإلى بعض الجاهليين^٣ . وورد أن قريشاً كانت تغسل موتاهم وتحنطهم ، ولكننا لا نستطيع تعميم هذه الأمور على كل العرب ، ولا الإدعاء بأنها كانت من شعائر الدين عندهم ، لما ذكرته مراراً من اختلاف العرب بأمور دينهم ، وعدم خضوعهم لدين واحد . بل ورد أن المشركين لم يكونوا يغتسلون من الجنابة ، وقد ذهب المفسرون الى أن لفظة (نجس) الواردة في الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . وإن خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله »^٤ . فانما قصد بها أجناد ، « سمّاهم بذلك لأنهم يحبون فلا يغتسلون . فقال : هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام ، لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد »^٥ . ولما نزل الأمر بمنع المشركين من دخول مكة ، « شق ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » . و « كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه . فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله وإن خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله »^٥ .

والقرايين والنذور وزيارات المعابد والحج ، هي من أبرز الشعائر الدينية عند

١ تاج العروس (٥٢/٣) ، (بظر) ، نهاية الارب (١٧/١٠٠) .

٢ المحبر (٣١٩ وما بعدها) .

٣ سورة التوبة ، الآية ٢٨ .

٤ تفسير الطبري (٧٤/١٠) .

٥ تفسير الطبري (٧٥/١٠) .

سواد الناس . وتكاد تكون مفهوم الدين عندهم ، وذلك لما فيها من تماس مباشر بأمور حياتهم ومصالحهم . فهم يفعلون ذلك لغايات استرضاء الآلهة والتوسل اليها بأن تعطيها غلة وافرة ومالاً ، فكانوا اذا تقربوا الى صنم أو دعوا ربهم أو أدوا مناسك حجبهم (فلا يسألون ربهم) إلا متساع الدنيا (فن الناس من يقول : ربنا آتنا في الدنيا . هب لنا غنماً ، هب لنا إبلًا) . (وكانوا يعني في الجاهلية يفتنون يعني بعد قضاء مناسكهم ، فيقولون : اللهم ارزقنا إبلًا ، اللهم ارزقنا غنماً) ، وفي هؤلاء نزلت الآية : « فن الناس من يقول : ربنا آتنا في الدنيا ، وماله في الآخرة من خلاق »^١ .

والفقر هو الذي حمل هؤلاء على ان يتقربوا الى آلهتهم بالنذور والقرابين وبالحيج على فقرهم وجوعهم ، على أمل ان تعطف الآلهة عليهم ، فتمن عليهم بالمسال واليسر والبركة والصحة ، تماماً كما يفعل شراء أوراق (النصيب) أو أوراق سباق الخيل من الفقراء والمحتاجين على أمل الربح والكسب . وهذه النظرة المادية الساذجة، هي التي حملت عوامهم على تهديد آلهتهم وإخبارها انهم سيمتنعون عن تقديم أي نذر أو أداء أية زيارة لها ، إن لم تمنّ عليهم وتستجيب لأدعيتهم ، فتنفذ طلباتهم وما طلبوه منها . وهي التي تحملهم بعد ذلك على التراجع عن تهديداتهم هذه ، وعلى الاستغفار واطهار الندم لها ، لما بدر منهم من سوء أدب ، على أمل استرضاؤها من جديد ، بعد أن فشلت وسائل التهديد من تخويف تلك الآلهة .

الحلال والحرام :

يقول (ابن عساكر) في رواية تنسب الى رجل من خثعم : « كانت العرب لا تحرم حلالاً ولا تحل حراماً . وكانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون اليها »^٢ . ومعنى هذا انهم كانوا يحللون ويحرمون . وأن أمر الحلال والحرام الى رجال الدين منهم ، وهم سدنة الأوثان . وقد تعرض (يعقوبي) لموضوع (أديان العرب) وشعائرها ، فقال :

١ البقرة ، الآية ٢٠٠ ، تفسير الطبري (١٧٤/٢) وما بعدها) .
٢ التاريخ الكبير ، لابن عساكر (٣١٧/١) .

« وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل المال ، والانتقال الى البلدان ، والانتجعات . فكانت قريش وعامة ولد (معد) بن عدنان على بعض دين ابراهيم ، يحجون البيت ويقيمون المناسك ، ويقرون الضيف ويعظمون الأشهر الحرم ، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون على الجرائم »^١ . فأدخل في الدين أموراً نعتها اليوم من الأعراف وقواعد الأخلاق والسلوك ، وجعلها من سنة ابراهيم ، أي دين العرب القديم قبل افساده بالتعبد للأصنام .

وذكر (السكري) ، أن العرب كانت « دون من سواها من الأمم . تصنع عشرة أشياء منها : في الرأس خمسة . وهي المضمضة والاستنشاق والسواك والفرق وقص الشارب . وفي الجسد خمسة . هي : الختانة وحلق العانة ونتف الأبطين ، وتقليم الأظفار والاستنجاء . خصت بهذا العرب ، دون الأمم »^٢ . فهذه الأمور العشرة هي من شعائر العرب في نظر (السكري) . وهي شعائر ، لا يمكن أن نجاريه في رأيه ، فنقول إنها كانت في جميع العرب ، وإنها كانت فيهم خاصة ، دون غيرهم من الأمم وفي كلام (السكري) أمور كثيرة لا يمكن التسليم بصحتها بل نجده هو يناقض نفسه في مواضع أخرى من كتابه . من ذلك قوله : « وكانوا يؤمنون بالحساب »^٣ « ولا يأكلون الميتة »^٤ ، فعمم رأيه ، وجعله شاملاً كل العرب ، بينما هو رأي طائفة من الجاهليين ، وليس جميع أهل الجاهلية . وللقرآن الكريم دليل ذلك ، فقد حمل عليهم لنكرانهم البعث والحساب ، وحرم على المسلمين أكل لحم الميتة . « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير »^٥ . وكانوا يأكلونها في الجاهلية .

وورد أن ممن حرم أكل الميتة على نفسه (حارثة بن أوس) الكلبي ، وهو جاهلي ، يقول :

لا أكل الميتة ما عمرت نفسي وإن أبرح أملاقي
والعقد لا أنقض منه القوى حتى يوارى القبر أطباقي^٦

-
- | | |
|---|--|
| ١ | اليقوبى (٢٢٤/١) ، (أديان العرب) . |
| ٢ | المحبر (٣٢٩) . |
| ٣ | المحبر (٣٢٢) . |
| ٤ | المحبر (٣٢٩) . |
| ٥ | المائدة ، الآية رقم ٣ ، تفسير الطبري (٤٤/٦) ، روح المعاني (٥١/٦) . |
| ٦ | المحبر (٣٢٩) . |

الفصل الثاني والسبعون

الحج والعمرة

والحج الذهاب الى الأماكن المقدسة في أزمئة موقوتة ، للتقرب الى الآلهة، وإلى صاحب ذلك الموضع المقدس . وتقابل هذه الكلمة Pilgrimage في الانكليزية^١ . والحج بهذا المعنى معروف في جميع الأديان تقريباً، وهو من الشعائر الدينية القديمة عند الساميين .

وكلمة (حجّ) من الكلمات السامية الأصلية العتيقة ، وقد وردت في كتابات مختلف الشعوب المنسوبة الى بني سام^٢ . كما وردت في مواضع من أسفار التوراة^٣ . وهي تعني قصد مكان مقدس وزيارته .

وفي روع الشعوب السامية القديمة وغيرها أن الأرباب لها بيوت تستقر فيها ، قيل لها في الأزمنة القديمة (بيوت الآلهة) . ولذلك يرى المتعبدون والمتقنون شدّة الرحال اليها ، للترك بها وللتقرب اليها ، وذلك في أوقات تحدد وتثبت ، وفي أيام تعين تكون أياماً حراماً لكونها أياماً دينية ينصرف فيها الانسان إلى آلهته ، ولذلك تعدّ أعياداً ، يعمد فيها الناس ، بعد اقامتهم الشعائر الدينية المفروضة

١ تفسير الطبري (٤٤/٢) ، (البابي) ، اللسان (٢٢٦/٢) ، الاقناع (٣٣٤/١) ،

الكشاف ، للزمخشري (٣٨٩/١) وما بعدها) ،
-Ency. Brita., Vol., 17, p. 925, Ency. Religl., Vol., 10, p. 10.

٢ تاج العروس (١٦/٢) وما بعدها) ، اللسان (٤٨/٣) وما بعدها) ،
Ency. Religl., 10, p. 23.

٣ Shorter Ency. of Islam, p. 123.

وبعد أدائهم القواعد المرسومة : الى الفرح والسرور والرقص ، ليدخلوا السرور
الى قلوب الأرباب . ففي الحج إذن مناسك وشعائر دينية وعبادة تؤدي ، واجتماع
وسرور وحبور .

ويكون الحج بأدعية وبمخاطبة الى الآلهة وبتوسلات لتقبل حج ذلك الشخص
الذي قصدها تقرباً اليها . وهذا هو الشائع والمعروف عن الحج ، غير أن من
الجاهليين من كان يحج حجاً مصمماً ، أي دون كلام ، فلا يتكلم الحاج طيلة
أيام حجه . وقد كان ذلك من عمل الجاهلية ^١ .

وقد ميّز الشهر الذي يقع فيه الحج عن الأشهر الأخرى بتسميته بـ (شهر
ذي الحجة) وبـ (شهر الحج) . وذلك لوقوع الحج فيه . وهذه التسمية المعروفة
حتى الآن في التقويم الهجري ، هي تسمية قديمة ، كانت معروفة في الجاهلية ،
وردت في نصوص الجاهلية . فبين أسماء الأشهر الواردة في نصوص المسند اسم
شهر يعرف بـ (ذ حجت) أي (ذي الحجة) ، ويدل ذلك على أنه الشهر
الذي يحج فيه . وقد وردت كلمة (حج) في نصوص المسند كذلك ^٢ .

وقد ذكر (أفيانيوس) Epiphanius ان من أسماء الأشهر عند العرب شهراً
اسمه Aggathalbaeith (حج البيت) ^٣ ، أراد به شهر (ذي الحجة) . والعرب
الذين قصدهم هذا الكاتب هم عرب (الكورة العربية) ، ومعنى هذا ان العرب
الشماليين كان لهم شهر يسمى بـ (ذي الحجة) كذلك ^٤ .

ولفظه Aggathalbaeith ، هي لفظة عربية النجار حرفت على لسان (أفيانيوس)
وقومه ، لتناسب منطقهم ، فصارت على هذا النحو ، وهي من كلمتين عربيتين
في الأصل ، هما (حجة البيت) ، أو (حج البيت) . ويكون نص (أفيانيوس)
هذا من النصوص المهمة بالنسبة لنا ، التي تساعدنا في الرجوع بتاريخ استعمال هذا
المصطلح الى ايامه ، ولا بد وان يكون ذلك المصطلح قد استعمل قبل أيام ذلك
الكاتب ولا شك .

ويقع شهر الحج (ذي الحجة) — على رواية (افيانيوس) — في (تشرين

١ ارشاد الساري (١٧٥/٦) .

٢ D. Nielsen, Mondreligion, S. 86, Glaser 1054, Wiener Mus., No. 7.

٣ Shorter Ency. of Islam, p. 124.

٤ Reste, S. 85, Ency. Religi., 10, p. 10.

الثاني (١) ، وأشار (بروكوبيوس) الى ان العرب كانوا قد جعلوا شهرين من السنة حرماً لآلهتهم لا يغزون فيها ولا يهاجم بعضهم بعضاً^٢ ، كما أشار (فوتيوس) الى الأشهر الحرم عند العرب^٣ . والشهران اللذان أشار اليهما (بروكوبيوس) ، هما شهرا ذو القعدة وذو الحجة في نظر (ونكلر) ، وهما يمثلان - في رأيه - (جولاي) و (أغسطس) أي تموز وآب^٤ .

إننا لا نستطيع في الوقت الحاضر أن نقول إن شهر (ذ حجت) المذكور في المسند ، أو Aggathalbaeith الذي ذكره (افيثانيوس) ، هو شهر (ذو الحجة) الشهر المعروف الذي كان من شهور أهل مكة . فمن الجائز أن يكون حج العرب الشماليين أو حج العرب الجنوبيين في وقت آخر يختلف عن وقت حج أهل مكة ، فيكون شهرهم المذكور شهر آخر يقع في موسم آخر من السنة ، ولا ينطبق مع شهر (ذي الحجة) .

ويرى (ونكلر) أن ما ذكره (فوتيوس) من احتفال العرب مرتين في السنة بالحج الى معبدهم المقدس : مرة في وسط الربيع عند اقتران الشمس ببرج الثور ، وذلك لمدة شهر واحد ، ومرة أخرى في الصيف وذلك لمدة شهرين ، إنما يراد بذلك شهر رمضان لا اقتران الشمس فيه ببرج الثور . وأما الشهران الآخران فهما ذو القعدة وذو الحجة^٥ .

ويظهر من غرابة ما أورده أهل الأخبار من روايات عن موسم الحج في الجاهلية ، أن الحج الى مكة كان في موسم ثابت ، هو الربيع على رأي كثير من المستشرقين ، أو الخريف على رأي (ولهوزن)^٦ . وذلك بسبب ما ذكر عن النسيء ومن رغبة قريش وغيرها من أن يكون في وقت واحد ، كما تحدثت عن ذلك في باب النسيء . وقد ذهب (ولهوزن) الى أن (الشهر الحرام) المذكور في القرآن الكريم ، هو (شهر الحج) ، وهو الشهر الأول من السنة ،

1. Reste, S. 100, Epiphanius, Haer., 51, 24.

2. Procopius, II, 16.

3. Reste, 101.

4. Winekler, ALF. II, Reihe, Ibd., S. 336.

5. Winckler, ALF., II, Reihe, Ibd., S. 336.

6. Shorter, p. 124.

أي شهر محرم ، بينما يرى المفسرون أنه رجب ، أو ذو القعدة أو ذو الحجة^١ .
والأصح أنه أي شهر من الأشهر الحرم .
وقد ورد في القرآن الكريم : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج »^٢ . وقد قال (الطبري) : « اختلف أهل التأويل في قوله : الحج أشهر معلومات . فقال بعضهم : يعني بالأشهر المعلومات : شوالاً وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة » ، « جعلهن الله سبحانه للحج ، وسائر الشهور للعمرة ، فلا يصالح أن يحرم أحد بالحج إلا في أشهر الحج . والعمرة يحرم بها في كل شهر »^٣ ، وذكر أن الله لم يسم أشهر الحج في كتابه ، لأنها كانت معلومة عندهم ، وأن المراد بذلك أنه لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ، فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج . وبناءً على ذلك ، فلا يكون المراد من الآية أن الحج يقع في كل وقت من أوقات هذه الأشهر ، وإنما هو في وقت معين ، ولكن الإحرام للحج ، أي العزم عليه يكون في أي وقت من هذه الأشهر المذكورة ، وليس في الأشهر الأخرى . وذكر (المسعودي) أن أشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة^٤ .
ومعنى ما تقدم أن الجاهليين كانوا يتهيئون للحج من دخول شهر شوال ، فيصلحون أمورهم ، ويحضرون ما يحتاجون إليه من لوازم السفر ، فإذا أراد أحدهم تجارة وكسباً ذهب إلى الأسواق ، حتى يهل شهر ذو الحجة ، وإن لم يرد تجارة ، ذهب في أي وقت يراه مناسباً له . فبدء موسم الحج اذن والتهيؤ له يكون من شهر شوال .

ويظهر من شعر نسب إلى (عوف بن الأحوص) أنه سمي شهر (ذي الحجة)
(شهر بني أمية) . إذ يقول :

ولاني والذي حببت قريش محارمه وما جمعت حراء
وشهر بني أمية والهدايا إذا حبست مخرجها الدماء^٥

Shorter, p. 409.

- ١ البقرة ، الآية ١٩٧ .
- ٢ تفسير الطبري (١٠٥/٢) .
- ٣ القرطبي ، الجامع (٤٠٥/٢) .
- ٤ تفسير الطبري (الجزء الثاني) (ص ٢٩٢ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢٣٥/١) .
- ٥ مروج (١٨٩/٢) ، الكشف (٢٥٤/١) .
- ٦ شرح ديوان لبيد (٢١) .

وقد ذهب (ولهوزن) وجاعة آخرون من المستشرقين الى تعدد بيوت الأرباب التي كان يحج اليها الجاهليون في شهر (ذي الحجة) والى عدم حصر الحج عند الجاهليين بموضع واحد^١ . ومعنى هذا أن حج أهل الجاهلية لم يكن الى (مكة) وحدها ، بل كان الى محجات عديدة أخرى . بحيث حج كل قوم الى (البيت) الذي قدسوه وكانوا يتقربون اليه ووضعوا أصنامهم فيه . ويتفق هذا الرأي مع ما يراه أهل الأخبار من وجود بيوت للأصنام ، وكان الناس يزورونها ويتقربون اليها ويلبسون عند أصنامها ويطوفون حولها ويلبسون تلبية الصنم الذي يطوفون حوله .

والحج الى مكة والى البيوت المقدسة الأخرى ، مثل بيت اللات في الطائف وبيت العزى على مقربة من عرفات وبيت مناة وبيت ذي الخلصة وبيت نجران وبقية البيوت الجاهلية المعظمة ، إنما هو أعياد يجتمع الناس فيها للاحتفال معاً بتلك الأيام وهم بذلك يدخلون السرور على أنفسهم وعلى أنفسهم آلتهم بحسب اعتقادهم وتقترن هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات ، كل يذبح على قدر طاقته ومكانته ، فيأكل منها في ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم في أثناء السنة لفقره ، فهي أيام يجذ فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة .

ويذكر أهل الأخبار أن الحج الى مكة كان في الجاهلية كذلك، وأن الجاهليين كانوا يحجون الى البيت منذ يوم تأسيسه ، وأنهم كانوا يقصدون مكة أفواجا من كل مكان . وأن ملوكهم كانوا يتقربون الى (بيت الله) بالهدايا والندور، وأن منهم من حج اليه . وأن الناس كانوا يقسمون بالبيت الحرام لما له من مكانة في نفوس جميع الجاهليين .

غير أننا نجد في روايات بعض أهل الأخبار ما ينافي تعظيم كل العرب للبيت وحجهم اليه واحترامهم للحرم وللأشهر الحرم . فقد ورد أن من العرب من (كان لا يرعى للحرم ولا للأشهر الحرام حرمة) ، ومنهم (خثعم) و (طيء)^٢ ، وأحياء من قضاة ويشكر والحارث بن كعب^٣ . وورد أن ذؤبان العرب وصعاليكها

Reste, S. 84. ١

٢ تاج العروس (٢٤١/٨) ، (حرم) .

٣ الجاحظ . الحيوان (٢١٦/٧) وما بعدها ، النجيري ، أيمن العرب (١٢) ،

المحبر (٣١٩) .

وأصحاب التطاول ، كانوا لا يؤمنون على الحرم ، ولا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدراً . وقد كانوا خطراً يهدد البيت وأهله لذلك، ألف (هاشم) بن قريش وسادات القبائل ألفة ليحمي بهم البيت . قال (الجاحظ) في تفسيره للإيلاف : « وقد فسرهم قوم بغير ذلك . قالوا : إن هاشماً جعل على رؤوس القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة . فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب التطاول ، كانوا لا يؤمنون على الحرم ، لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً ، مثل طيء وخثعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب »^١ . ورؤوس القبائل الذين جعل هاشم عليهم ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة ، هم رؤساء مكة ولا شك ، ومن كانت له مصلحة تجارية مباشرة بمكة ، فكان يأخذ من هؤلاء ما يأخذه ثم يجمعه ويعطيه الى (المؤلفة قلوبهم) من سادات القبائل النازلين حول مكة وعلى مقربة منها ، كما ألف بين مكة وبين سادات القبائل الذين تمر قوافل مكة بأرضهم في طريقها الى الشام أو العراق أو اليمن ، بروابط (الإيلاف) ، أي العقود التي عقدها معهم ، باعطائهم جعلاً معيناً ، أو حقوقاً تبين وتكتب ، أو ربحاً يدفع مع رؤوس المال عن البضائع التي تدفع لقريش ، لتقوم قوافلها ببيعها في الأسواق . وبذلك أمنت مكة وسلمت تجارتها ، ودانت بعض القبائل بدين قريش في الأشهر الحرم ، لما فيها من فائدة ومنفعة مادية بينة ظاهرة ، فاحترمتها، وبهذا أمن الحج واستراح التجار من قريش ومن غيرهم في ذهابهم بحرية وبأمان في هذه الشهور الى الأسواق .

ولست لدينا وبا للأسف أخبار مدونة عن مناسك الحج وشعائره عند الجاهليين . لعدم ورود شيء من ذلك في النصوص الواردة إلينا . ما خلا الحج الى (بيت الله الحرام) بمكة ، حيث حفظت الموارد الإسلامية لنا شيئاً من ذلك ، بسبب فرض الحج في الاسلام ، وقرار الاسلام لبعض شعائره التي لم تتعارض مع مبادئه ولولا ذلك لما عرفنا شيئاً عن الحج الى مكة عند الجاهليين . ولهذا فسأقتصر في كلامي هنا على الحج الى مكة فقط . إلا إذا وجدت خبراً أو نصاً عن حج غير

١ رسائل الجاحظ (٧٠) ، Klster, p. 119, 143. ، طبقات الشعراء ، لابن سلام (٦١) ، الثعالبي ، المضاف والمنسوب (٨٩) ، النقائض (٦٧١/٢) ، ابن هشام (٦٠٣/١) ، الأزمنة والامكنة ، للمرزوقي (١٦٦/٢) ، الاغانى (٤٢/٢١) .

أهل مكة من الجاهليين الى مكة أو الى بيوت أخرى فسأتكلم عنه حينئذ .
ويظهر من غرلة ما جاء في روايات أهل الأخبار عن (حج البيت) ، أن
مناسك الحج لم تكن واحدة بالنسبة للحجاج ، بل كانت تختلف باختلاف القبائل .
فقد انفردت (قريش) بأمور من أمور الحج ، واعتبرتها من مناسك حجها ،
وانفردت قبائل أخرى بمناسك لم تعتبرها (قريش) موجبة لها ، ولم تعمل بها
ووقفت قريش في مواقف ، اعتبرتها مواقف خاصة بها . وأوجب على من يفد
الى مكة للحج ، مناسك معينة ستتحدث عنها . فلما ظهر الاسلام وحسد مناسك
الحج وثبتها . وأوجب على كل مسلم اتباعها .

ويبدأ الحج في الاسلام بلبس (الاحرام) حين بلوغه (الميقات) المخصص
للجهة التي جاء منها . و (ميقات) الحج موضع احرامهم^١ . وقد عين الرسول
أكثر (المواقيت) وثبتها ، فجعل (ذا الحليفة) ميقاتاً لأهل (يثرب) ،
و (الجحفة) ميقاتاً لأهل الشام ، و (يلملم) ميقاتاً لأهل اليمن ، و (قرن
المنازل) لأهل نجد ومن يأتي من الشرق نحو الحجاز . وأما (ذات عرق) ،
فميقات أهل العراق ، قيل ان الرسول ثبته ، وقيل إنه ثبت بعد فتح العراق .
أما أهل مكة ، فكانوا يحرمون من بيوتهم^٢ . ويجوز أن تكون هذه المواقيت من
مواقيت أهل الجاهلية كذلك ، وقد ثبتها الاسلام .

ويستعد الجاهليون للحج عند حضورهم موسم (سوق عكاظ) . فإذا انتهت
ايام السوق ، وأراد منهم من أراد الحج ، ذهب الى (بجنة) ، فأقام بها الى
هلال ذي الحجة ، ثم ارتحل عنها الى (ذي المجاز) ، ومنه الى (عرفة) ،
فإذا كان يوم التروية ، تزودوا بالماء وارتفعوا الى عرفة . هذا بالنسبة الى التجار ،
الذين كانوا يأتون هذه المواضع للتجارة . أما بالنسبة الى غيرهم ، فقد كانوا
يقصدون الحج في أي وقت شاءوا ، ثم يذهبون الى (عرفة) للوقوف موقف
عرفة ، يقصدها (الحلة) ، أما (الحمس) فيقفون بـ (نمرة) ، ثم يلتقون
جميعاً بمزدلفة للإفاضة^٣ .

١ تاج العروس (٥٩٤/١) ، (وقت) .
٢ شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٠/٥) وما بعدها ، (حاشية على ارشاد
الساري) ، ارشاد الساري (٩٧/٣) وما بعدها .
٣ الازرقعي ، أخبار مكة (١٢١/١) وما بعدها .

ويبدأ حج أهل الجاهلية بالإهلال . فكانوا يهلّون عند أصنامهم ، ويلبسون إليها ، فإذا انتهوا من ذلك قدموا مكة ، فكان الأنصار مثلاً يهلّون لمناة في معبده ، أي أنهم كانوا يغادرون (يثرب) إلى معبد الصنم، فيكونون فيه لمراقبة هلال ذي الحجة، فإذا أهلتوا لبّوا ، ثم يسير من يسير منهم إلى مكة ، لحج البيت^١ .

والطواف بالبيوت وبالأصنام ، ركن من أركان الحج ، ومنسك من مناسكه . وكانوا يفعلونه كلما دخلوا البيت الحرام ، فإذا دخل أحدكم الحرم ، وإذا سافر أو عاد من سفر ، فأول ما كان يفعله الطواف بالبيت . وقد فعل غيرهم فعل قريش ببيوت أصنامهم ، إذ كانوا يطوفون حولها، كالذي كان يفعله أهل يثرب من طوافهم بـ (مناة)^٢ .

وقد ذكر الأخباريون أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون حول الرجفات ، وهي حجارة تجمع فتكون على شبه بيت مرتفع كالمنارة ، ويقال لها الرجمة^٣ . وكان الجاهليون يطوفون حول الأصنام والأنصاب كذلك . وذكر (نيلوس) Nilus أن الأعراب كانوا يطوفون حول الذبيحة التي يقدمونها قرباناً للآلهة^٤ . وكانوا يطوفون حول القبور أيضاً : قبور السادات والأشراف من الناس .

وطافوا حول (الأنصاب) ، ويسمون طوافهم بها (الدوار) . فكانوا يطوفون حول حجر ينصبونه طوافهم بالبيت ، وسمّوا تلك الأحجار الأنصاب^٥ . وللطواف كلمة أخرى هي (الدوار) من (دار) حول موضع من المواضع ، وطاف حوله الشيء ، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتداء منه . ونجد هذا المعنى في شعر الشعراء الجاهليين : امرئ القيس ، وعنترة بن شدّاد العبّسي^٦ . وقد ذكر علماء اللغة أن (الدوار) صنم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعاً حوله يدورون به ، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار . ومنه قول امرئ القيس :

فَعَنَ لَنَا سِرْبٌ كَأَن نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ ، فِي مُلَاءٍ مَذِيلٍ^٧

-
- ١ صحيح مسلم (٦٨/٤ وما بعدها) .
 - ٢ شرح صحيح مسلم ، للنووي (٢١/٨ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٤٢٢/٣ وما بعدها) ، « عمر » اللسان (٢٨٤/٦) .
 - ٤ Reste, S. 108.
 - ٥ الاصنام (٤٢ ، ٣٣) .
 - ٦ اللسان (٢٩٦/٤ وما بعدها) .
 - ٧ اللسان (٢٩٧/٤ وما بعدها) .

Shorter Ency. of Islam, p. 585.

وقيل إنهم كانوا يدورون حوله أسابيع كما يطاف بالكعبة . وقيل حجارة كانوا يطوفون حولها تشبهاً بالكعبة^١ .

وتلعب عبادة الحجر دوراً بارزاً في (الدوار) . فقد كان قوم من أهل الجاهلية يقيمون الأحجار ، ثم يطوفون حولها ، يتخذون الدوار عبادة لهم . وقد تكون الأحجار أصناماً ، وقد تكون حجارة تنتقى فيطاف حولها . و « عن أبي رجاء العطاردي ، قال : لما بعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا به لحقنا بمسيلة الكذاب ، فلحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه ، ألقينا ذلك وأخذناه ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جثنا بغنم فحلبناها عليه ثم طقنا به . وكنا إذا دخل رجب قلنا جاء منصل الأسته ، فلا ندع سهماً فيه حديدة ، ولا حديدة في رمح إلا نزعناها وألقيناها »^٢ .

ويلاحظ ان الجاهليين كانوا يقيمون وزناً للحليب في أمور العبادة ، فقد كانوا يسكبونه على الأصنام ، كما رأينا في باب الأصنام ، وفي القصة المتقدمة . ويلاحظ ان الرواية قد خصصت حليب الغنم ، ولم تشر الى حليب الإبل ، أو حليب أبة ماشية أخرى ، مما قد يدل على وجود رابطة بين هذا الحليب وبين (الدوار) وان له علاقة بالأساطير ، وذلك في حالة صدق الخبر بالطبع .

والطواف من أهم طرق التعبد والتقرب الى الآلهة . يؤدونه كما يؤدون الشعائر الدينية المهمة مثل الصلاة ، وليس له وقت معلوم . ولا يختص ذلك بمعبد معين ولا بموسم خاص مثل موسم الحج ، بل يؤدونه كلما دخلوا معبداً فيه صنم ، أو كعبة أو ضريح ، فهم يطوفون سبعة أشواط حول الأضرحة أيضاً : كما يطوفون حول الذبائح المقدمة الى الآلهة . فالطواف ، إذن من الشعائر الدينية التي كان لها شأن بارز عند الجاهليين .

وكانوا يطوفون بالبيت في نعالهم ، لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له^٣ . إلا أن يكون الحاج فقيراً حافياً ، فقد كان منهم من لا يملك نعالاً ولا خفصاً ولا

١ تاج العروس (٢١٦/٣) ، (دار)^{*}
٢ زاد المعاد (٣٢/٣) ، (فصل في قدوم وفد بني حنيفة) ، ارشاد الساري (٤٣٥/٦) ، (باب وفد بني حنيفة)^{*}
٣ اليعقوبي (٢٢٦/١) ، (أديان العرب)^{*}

سائر ما يلبس بالرجل لفقره . وذكر أن رسول الله قال : « من لم يجد نعلين ، فليلبس خفين »^١ . وقد ذكر (السكري) ، أن (الحمس) كانوا « لا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ، ولا يمسون المسد بأقدامهم تعظيماً لبقعته »^٢ . وذكر أن (الحلة) كانوا على العكس منهم . « فإذا دخلوا مكة بعد فراغهم تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم ، ثم استكروا من ثياب الحمس تنزيهاً للكعبة أن يطوفوا حولها إلا في ثياب جدد . ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرها بأقدامهم »^٣ .

وكانوا يدخلون جوف الكعبة بنعالهم ، لا يتأثمون من ذلك . وذكر أن (الوليد ابن المغيرة) كان أول من خلع نعليه لدخول الكعبة ، تعظيماً لها ، فخلع الناس نعالهم^٤ .

وعدة الطواف حول الكعبة عند الجاهليين سبعة أشواط ، ولا أستبعد أن يكون هذا العدد ثابتاً بالنسبة إلى الطواف حول البيوت الأخرى أو حول الرجفات والأنصاب والقبور أيضاً . فقد كان الطواف سبعة أشواط مقررأ عند غير العرب أيضاً ، وقد ذكر في (التوراة) ، اذ كان العبرانيون يمارسونه^٥ . والعدد سبعة هو من الأعداد المقدسة المهمة عند الشعوب القديمة . ولهذا أرى أن غير قریش من العرب كانوا يطوفون هذا الطواف أيضاً حول محجّاتهم في ذاك الوقت .

وقد ورد أن من الجاهليين من كان يطوف ويده مربوطة بيده إنسان آخر ، بحبل أو بسير ، أو بزمام أو منديل ، أو خيط أو أي شيء آخر ، يفعلونه نذراً ، أو حتى لا يفترقا . وقد نهى عن ذلك في الإسلام . فقد روي أن الرسول رأى أحدهما وقد فعل ذلك ، فقطع بيده ذلك الرباط^٦ .

-
- ١ صحيح مسلم (٢/٤ وما بعدها) ، (كتاب الحج) ، ارشاد الساري (٣/٣١٣ وما بعدها) ، (باب لبس الخفين للمحرم اذا لم يجد النعلين) .
 - ٢ المحبر (١٨٠) .
 - ٣ المحبر (١٨٠ وما بعدها) .
 - ٤ ابن رسته ، الاعلاق (١٩١) .
 - ٥ Shorter Ency. of Islam, p. 585.
 - ٦ صحيح البخاري (١٧٩/٢) ، ارشاد الساري (٣/١٧٣ وما بعدها) ، (باب الكلام في الطواف) .

الحمس والطلس والحلة :

والأخباريون يذكرون ان الطائفتين بالبيت كانوا على صنفين : صنف يطوف عرياناً ، وصنف يطوف في ثيابه . ويعرف من يطوف بالبيت عرياناً بـ (الحلة). أما الذين يطوف بثيابهم ، فيعرفون بـ (الحمس)^١ . وأضاف بعض أهل الأخبار الى هذين الصنفين ، صنفاً ثالثاً قالوا له : (الطلس)^٢ .

وقبائل الحلة من العرب : تميم بن مرّ كلّها غير يربوع ، ومازن ، وضبة ، وحيس ، وظاعنة ، والغوث بن مرّ ، وقيس عيلان بأسرها ما خلا ثقيفاً وعدوان ، وعامر بن صعصعة ، وربيع بن نزار كلّها . وقضاعة كلّها ما خلا علافاً وجناباً . والأنصار وخثعم ، وبجيلة ، وبكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهذيل بن مدركة ، وأسد وطية ، وبارق . وقد ذكر هذه الأسماء (محمد بن حبيب)^٣ . وذكرها (اليعقوبي) على هذا النحو : تميم وضبة ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلّها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيع بن نزار كلّها ، وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الأزدي^٤ .

وهم يذكرون ان (الحلة) هم ما عدا الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة إن لم يجدوا ثياب أحس، وكانوا يقصدون من طرحهم ثيابهم طرحهم ذنوبهم معها^٥ . ويذكرون أنهم كانوا يقولون : « لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب » ، « ولا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها » ، « ولا نطوف في ثياب عصينا الله فيها » ، وذكر أنهم « كانوا اذا طافوا خلعوا ثيابهم وقالوا لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيلقونها عنهم ، ويسمون ذلك الثوب اللقي »^٦ . وفي رواية ان من يطوف

١ تفسير الطبري (١٧٠/٢) ، البخاري ، (كتاب الحج ، الباب ٩١) ، (كتاب التفسير ، الباب ٣٥) ، البلدان (٦٢٠/٤) وما بعدها ، (الأزرقى (١١٣/١) ، اليعقوبي (٢٢٦/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) ، المحبر (١٧٨) ، ابن هشام (٢١٢/١) ، (الكشف (٢٥٦/١) ، شرح حماسة أبي تمام ، للتبريزي (٧/١) ، شرح المفصليات ، للأنباري (٢٥٩) ، ابن رشيق ، العمدة (١٨٨/٢) ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان (١٨) .

٢ المحبر (١٧٨) وما بعدها .

٣ المحبر (١٧٩) .

٤ اليعقوبي (٢٢٦/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

٥ الروض الانف (١٣٣/١) .

٦ الأزرقى (١١٧/١) ، اللسان (١٢٢/٢٠) ، (الكشف (٦٠/٢) .

من (الحلة) بثيابه يضرب وتنتزع منه ثيابه^١ . فجعلت هذه الرواية خلع الثياب واجب على الحلة محتم عليهم ، لا يجوز مخالفته ، وإلا تعرض المخالف للعقاب . وتخضع النساء لهذه القاعدة أيضاً إذا كنّ من الحلة ، فكانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة^٢ . وقيل تضع احداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه^٣ . وقيل كانت تقف على باب المسجد ، فتقول : من يعير ثوباً ؟ من يعير ثوباً ؟ من يعيرني تطوافاً ؟ فإن أعارها أحد ثوباً أو كراه لها طافت به ، وإلا طافت عريانة كما يطوف الرجال على حد زعم الروايات . لا يستر عورتها لباس أو قماش ، بل كانت تضع احدى يديها على قبلها واليد الأخرى على دبرها وتطوف حول البيت على هذا النحو . وهم يروون في ذلك بيتاً ينسبون له لامرأة جميلة ، قيل هي : ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، طافت بالبيت عريانة وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله^٤

وشاءت بعض الروايات أن تخفف من وقع طواف النساء على هذه الصورة في النفوس ، فذكرت ان بعض النساء كانت تتخذ سيوراً فتعلقها في حقوتها تستتر بها^٥ ، وذكرت روايات أخرى انهن كن يطفن ليلاً ، وبذلك يتخلصن من وقوع سترهن في أعين الرجال ، لأن طواف الرجال في النهار^٦ .

وقد وصفت بعض الروايات طواف العريان فقالت : « يبدأ بإساف فيستلمه ، ثم يستلم الركن الأسود ، ثم يأخذ عن يمينه ويطوف ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا ختم طوافه سبعا ، استلم الركن ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه ، ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس ، فيأخذها فيلبسها ولا يعود الى الطواف بعد ذلك

١ الكشف (٦٠/٢) ، الأزرقى (١١٢/١) وما بعدها .

٢ صحيح مسلم (١٦٢/١٨) .

٣ سيرة ابن هشام (١٣٣/١) « حاشية على الروض » .

٤ الأزرقى (١١٥/١ ، ١١٧) ، اللسان (١٢٩/١١) ، « طوف » الروض (١٣٣/١) ،

صحيح مسلم (١٦٢/١٨) ، تفسير الطبري (١١٨/٨) ، تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٩/٧) .

٥ الأزرقى (١١٧/١) .

٦ الأزرقى (١١٧/١) ، الطبرسي (٤١٤/٣) .

عريانا^١ . هذا هو طواف أهل الجاهلية قبل الاسلام على رواية أهل الأخبار . وجاء في بعض الروايات : « كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس ، والحمس قریش وما ولدت ، كانوا يطوفون بالبيت عراة ، إلا ان تعطيههم الحمس ثياباً ، فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء » ، « فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوباً ولا يسار^٢ يستأجر به ، كان بين أحد أمرين : إما ان يطوف بالبيت عريانا ، وإما ان يطوف في ثيابه ، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه ، فلم يمسه أحد . وكان ذلك الثوب يسمى اللقي^٣ » . وجاء أيضاً ان (الحمس) كانوا « يقولون نحن أهل الحرم ، فلا ينبغي لأحد من العرب ان يطوف إلا في ثيابنا ، ولا يأكل اذا دخل أرضنا إلا من طعامنا »^٤ .

وورد انهم « كانوا يطوفون بالبيت عراة ، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون »^٥ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان طواف الطائف عريانا انما يكون للمرة الأولى ، فإذا عاد فطاف بعد ذلك ، لبس ملابسه ، وطاف بملابسه كالحمس لا يلقيها خارج حدود الحرم .

والتفسير الذي ذكره الأخباريون لطواف العري ، هو رغبة الطائف حول البيت ان يكون نقياً متحرراً عن ذنوبه وآثامه بعيداً عن الأدرا . واعتقاده ان طوافه بملابسه طواف غير صحيح ، لأن ملابسه شاركته في آثامه ، فهي ملوثة نجسة ، ولذلك هاب من لبسها ، فإذا أتم طوافه تركها في موضعها ، ولبس ملابسه أخرى جديدة^٥ .

ويذكر الأخباريون ان تلك الملابس التي يلقيها المحرم تبقى في مكانها ، لا يمسها أحد ، ولا يحركها حتى تبلى من وطء الأقدام ومن الشمس والرياح . ويقال لهذه الثياب التي تطرح بعد الطواف (اللقي) . وقد أشير إليها في شعر

-
- ١ الازرقى (١١٤/١) .
 - ٢ تفسير القرطبي (١٨٩/٧) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ تفسير النيسابوري (١٥٧/٩) ، « حاشية على تفسير الطبري » ، تفسير الطبري (١٥٧/٩ وما بعدها) .
 - ٥ الازرقى (١١٧/١) ، اللسان (١٢٢/٢٠) ، الكشف (٦٠/٢) .

لـ (ورقة بن نوفل)^١ . ولعل اعتقاد القوم بأن تلك الملابس ملوثة بالأدران ، هو الذي منع الناس الآخرين من لمس تلك الملابس والاستفادة منها، فتركوها لذلك للأرض وللشمس والرياح تعبث بها الى ان تتمزق وتهرى^٢ .

ولكننا نجد الأخباريين يعودون فيروون روايات تناقض ما ذكره عن (اللقى) . إذ يقولون : كان الحلة اذا ختموا طوافهم وأتموه بنائلة ، خرجوا الى ثيابهم التي ألقوها خارج باب المسجد ، فلبسوها ، فإذا أرادوا الطواف مرة أخرى طافوا بملابسهم^٣ . فهم يقرون في هذه الرواية طواف العربي ، ولكنهم ينكرون ترك (اللقى) على الأرض لتدوس عليها الأقدام ولتلعب بها الرياح وتعبث بها الأهوية والأنربة ، ويجعلون أصحابها يعودون إليها فيلبسونها تارة أخرى .

ونقرأ في كتبهم رواية أخرى تذكر ان أحداً من الحلة اذا لم يجد ثياب أحسبي يطوف فيها ومعه فضل ثياب يلبسها ، غير ثيابه التي عليه فطاف في ثيابه ثم جعلها لقي يطرحها بين أساف ونائلة فلا يمسه أحد ولا ينتفع بها منتفع حتى تبلى من وطء الأقدام والشمس والرياح والأمطار^٤ .

وقد ذكر (محمد بن حبيب) ان (الحلة) كانوا اذا دخلوا مكة « تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم ثم استكروا لهم من ثياب الخمس تنزيهاً للكعبة ان يطوفوا حولها إلا في ثياب جدد . ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها بأقدامهم . فإن لم يجدوا ثياباً طافوا عراة . وكان لكل رجل من الحلة حرمي من الخمس يأخذ ثيابه . فن لم يجد ثوباً طاف عرياناً . وانما كانت الحلة تستكري الثياب للطواف في رجوعهم الى البيت لأنهم كانوا اذا خرجوا حجاجاً لم يستحلوا أن يشترؤا شيئاً ولا يبيعوه حتى يأتوا منازلهم إلا اللحم . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حرمي عياض بن حمار المجاشعي : كان اذا قدم مكة طاف في ثياب رسول الله »^٥ .

١ كفى حزناً كرّتي عليه ، كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم الازرقى (١١٢/١ ، ١١٤) ، اللسان (١٢٢/٢٠) ، النهاية في غريب الحديث (٢٩/٤) ، تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٩/٧) .

٢ Robertson Smith, p. 751.

٣ الازرقى (١١٤/١) .

٤ الازرقى (١١٤/١) .

٥ المحبر (ص ١٨٠ وما بعدها) .

فالذي يطوف بالبيت عرياناً ، هو ضعيف (الحلة) ، ممن لا قبل له على استكراء ثياب له من أحسي ، ومن لا صاحب له من الخمس ، يعطيه ثياباً ليلبسها . أما المتمكن من (الحلة) ، ومن له صديق من الخمس ، فلا يطوف عرياناً ، وإنما يطوف بثياب أحسي .

ويرى (روبرتسن سمث) ان الذي أوحى الى الجاهليين وجوب طرح ملابس الحلة اذا أحرم فيها، اعتقادهم بتقدس تلك الملابس في أثناء الإحرام مما يجعلها في حكم الـ (تابو) Tabu عند الأقسام البدائية ، ولذلك لا يجوز استعمالها مرة أخرى، وهم أنفسهم قوم غير مقدسين^١ .

وقد منع الاسلام طواف (العربي) في أي وقت كان ، وحتم على الجميع قریش وغيرهم لبس (الإحرام)^٢ . وقد ذكر علماء التفسير في تفسير قوله تعالى : « واذا فعلوا فاحشة ، قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها . قل : إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لا تعلمون »^٣ . ان هذه الآية نزلت في حق المتعبرين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة ، « فإذا قيل لهم : لم تفعلوا ذلك ؟ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ، « فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ، ونقتدي بهديهم ونستن بسنتهم . والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه »^٤ . فنحن اذن أمام سنة جاهلية قديمة ، ترجع طواف العربي الى أمر سابق وشريعة سابقة .

وأما (الخمس) ، فهم الذين كانوا يطوفون بثيابهم ، ثم يحتفظون بها فلا يلقونها ، فلهم من هذه الناحية ميزة امتازوا بها على الحلة . ولهم على الحلة ميزة أخرى ، هي أنهم كانوا يقفون الموقف في طرف الحرم من (غرة) : يقفون به عشية عرفة ، ويظلون به يوم عرفة في الأراك من نمرة ، ويفيضون منه الى المزدلفة^٥ . ولا يقفون موقف غيرهم بعرفة ، فقصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل . وحجتهم أنهم أهل الحرم فلا يخرجون منه مثل سائر

R. Smith, p. 751.

١ الازرقى ، أخبار مكة (١١١/١) .

٢ الاعراف ، الرقم ٢٧ الآية ٢٨ .

٣ تفسير الطبري (١١٤/٨) ، تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٧/٧) .

٤ الازرقى (١١٦/٨) وما بعدها (١٥٨/٢) وما بعدها ، النهاية (٢٣٣/١) ، شرح

النووي ، (١٨٠/٨) وما بعدها ، Ency., II, p. 335.

الناس . ويقولون : « نحن أهل الحرمة وولاية البيت وقطآن مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما نعرف »^١.

وتفسير كلمة (الحمس) في رأي علماء اللغة التشدد في الدين ، سُمّوا حمساً لأنهم كانوا يتشددون في دينهم ، فكانوا اذا زوّجوا امرأة منهم لغريب عنهم ، أي لمن كان من الحلة اشترطوا عليه ان كل من ولدت له ، فهو أحسي على دينهم . وكانوا اذا أحرّموا لا يأتقنون الاقط ، ولا يأكلون السمن ولا يسأؤونه ولا يمحضون اللبن ، ولا يأكلون الزبد، ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ما داموا حرماً ، ولا يغزلون الوبر ولا الشعر ولا ينسجونه ، وانما يستظلون بالأدم ، ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم . وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون فيها ، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرّم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام ، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ومنه يخرج ولا يدخل من بابه . وكانوا يقولون : لا تعظموا شيئاً من الحل ، ولا تتجاوزوا الحرم في الحج فلا يهاب الناس حرمكم ، ويرون ما تعظمون من الحل كالحرم ، فقصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل ، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم في طرف الحرم من نمرة : يقفون به عشية عرفة ، ويظلون به يوم عرفة في الأراك من نمرة ، ويفيضون منه الى المزدلفة . فإذا عممت الشمس رؤوس الجبال دفعوا . وكانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، لا نخرج من الحرم، ونحن الحمس . وكانوا اذا أرادوا بعض أطعمتهم ومتاعهم ، تسوّروا من ظهر بيوتهم وأدبارها حتى يظهروا على السطوح ، ثم ينزلون في حجرتهم ، ويحرمون ان يمروا تحت عتبة الباب^٢ . فهم يحرمون اذن أشياء لم تكن العرب تحرمها^٣ .

١ ابن هشام (١٣٢/١) « هامش على الروض » .

٢ الازرقى (١١٦/١ وما بعدها) ، النهاية (٢٣٣/١ ، ٢٩٣) ، الاشتقاق (١٥٣) ، ابن هشام (٢١١/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٩١/١) ، الطبرسي (٤١١/٢) .
Caetani, Annali, I, S. 121, Ency., II, p. 335, Snouck Hurgounje, Het Mek-
kaanische Feest, p. 21, 77, 111, 130.

٣ المعاني (٩٩٨/٢) .

والحمس : قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس على رواية^١ .
تضاف اليهم خزاعة والأوس والخزرج وجشم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة
وأزد شنوءة وجذم زبيد وبنو ذكوان من بني سليم وعمرو اللات وثقيف وغطفان
والغوث وعدوان وعلاف وقضاعة على رواية للأزرقي^٢ . وهم : (قريش) وكنانة
وجديلة قيس ، وفهم ، وعدوان ، وثقيف ، وعامر بن صعصعة على رواية
أخرى^٣ . وقد ذكر (ابن سعد) ، ان الحمس هم : قريش وكنانة وخزاعة
ومن ولدته قريش من سائر العرب . أو حليف قريش . وذكر بعض الرواة انهم
قريش وعامر بن صعصعة ، والحارث بن كعب^٤ . وذكرهم بعض آخر على هذا
النحو : قريش ، وكنانة ، وخزاعة ، وثقيف ، وخثعم ، وعامر بن صعصعة ،
ونصر بن معاوية . وأضاف (القرطبي) جسماً اليهم^٥ . وورد ان « الحمس لقب
قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة وجديلة قيس . وهم : فهم وعدوان ابنا
عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، ومن تابعهم في الجاهلية .
هؤلاء الحمس . وانما سموا لتحمسهم في دينهم أي تشددهم فيه ، وكذا في
الشجاعة فلا يطاقون ، أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة^٦ .

وأورد (ابن حبيب) أسماء الحمس من العرب ، فقال : « قبائل الحمس
من العرب : قريش كلها . وخزاعة لتزولها مكة ، ومجاورتها قريشاً . وكل من
ولدت قريش من العرب وكل من نزل مكة من قبائل العرب .

فمن ولدت قريش : كلاب ، وكعب ، وعامر ، وكلب بنو ربيعة بن عامر
ابن صعصعة . وأمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر . واياها عني لبيد بن ربيعة بقوله :

سقى قومي بني مجد وأسقى نعيراً والقبائل من هلال

- ١ النهاية في غريب الحديث (٢٩٣/١) ، تاج العروس (١٣٢/٤) وما بعدها) ،
(حمس) ، اللسان (٢٥٧/٧) وما بعدها) ، (حمس) ، ، ارشاد الساري (٢٠٠/٣)،
البلخي ، البدء والتاريخ (٣٢/٤) وما بعدها) .
- ٢ البلدان ، (مكة) ، Kister, p. 138.
- ٣ الطبقات (٧٢/١) ، (صادر) .
- ٤ ابن هشام (٢١٢/١) ، ابن قتيبة ، المعارف (٢٦٩) ، المعاني (٩٨٩) ، المرزوفي ،
شرح الحماسة (٣١) ، Kister, p. 132.
- ٥ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (٣٤٥/٢) ، أبو حيان ، البحر المحيط (٦٣/٢) ،
Kister, p. 132.
- ٦ تاج العروس (١٣٢/٤) ، (حمس) .

والحارث بن عبد مناة بن كنانة . ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة ،
بنزولهم حول مكة . وعامر بن عبد مناة بن كنانة . ومالك ، وملكان ، ابنسا
كنانة ، وثقيف ، وعدوان ، ويربوع بن حنظلة . ومازن بن مالك بن عمرو بن
تميم . وأمها جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر . ويقال : ان بني عامر كلهم
حمس لتحمس اخوتهم من بني ربيعة بن عامر . وعلاف ، وهو ربان بن حلوان
ابن عمران بن الحاف بن قضاعة . وجناب بن هبل بن عبدالله من كلب . وأمه
أمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأمها مجد بنت تيم الأدرم بن غالب
ابن فهر ^١ .

ويتبين مما تقدم ان (الحمس) ، لم يكونوا قريشاً وحدهم وسكان الحرم ،
وانهم لم يكونوا جماعة قامت وظهرت على رابطة الدم والنسب ، كما هو الحال
بالنسبة الى القبيلة . بل هم قريش وكل من نزل الحرم وسكن مكة ، وطوائف
من العرب شاركت قريشاً في مناسك حجها ، وسارت على نهجها في الحج ،
وشاظرتها الرأي في دينها . وقد ذكر (الجاحظ) ان (عامر بن صعصعة) ،
و (خزاعة) ، و (ثقيف) ، والحارث بن كعب ، كانوا ديّانين ، أي على
رأي ودين ^٢ . وكانوا على دين قريش . وقال غيره : « وصارت بنو عامر من
الحمس وليسوا من ساكني الحرم لأن أمهم قرشية . وهي مجد بنت تيم بن مرة .
وخزاعة انما سميت خزاعة ، لأنهم كانوا من سكان الحرم فخرعوا عنه ، أي
خرجوا . ويقال انهم من قريش انتقلوا بينهم الى اليمن . وهم من الحمس » ^٣ .

وقد ميّز بعض العلماء بين (الحمس) وهم نزلاء الحرم ، وبين المتحمسين
الذين دخلوا في الحمس ، لأن أمهاتهم من قريش ، بأن أطلقوا عليهم لفظة
(الأحامس) . فقالوا : « والأحاس من العرب الذين أمهاتهم من قريش » ^٤ .

وجاء في بعض الأخبار ان (غطفان) ، لما اتخذت لها بيتاً أرادت به مضاهاة
الكعبة ، وجعلت له حرماً كحرم مكة . أغار (زهير بن جناب الكلبي) عليه

١ المحبر (١٧٨ وما بعدها) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٥٤٠) ، ابن عبد البر ، انباه
(٨٧) ، المفضليات ، شرح الانباري (٢٥٩) .

٢ Klster, p. 136.

٣ تاج العروس (١٣٢/٤) ، (حمس) .

٤ تاج العروس (١٣٣/٤) ، (حمس) .

وهدمه^١ . وكان زهير من الخمس .
وقد وصف (ابن سعد) (التخمس) بقوله : « والتخمس أشياء أحدثوها
في دينهم تحمسون فيها ، أي شددوا على أنفسهم فيها ، فكانوا لا يخرجون من
الحرم اذا حجّوا ، فقصروا عن بلوغ الحق ، والذي شرع الله ، تبارك وتعالى ،
لإبراهيم وهو موقف عرفة ، وهو من الحل ، وكانوا لا يسألون السمن ولا
ينسجون مظال الشعر ، وكانوا أهل القباب الحمر من الأدم ، وشرعوا لمن قدم
من الحاج ان يطوف بالبيت وعليه ثيابه ما لم يذهبوا الى عرفة ، فإذا رجعوا من
عرفة لم يطوفوا طواف الإفاضة بالبيت إلا عراة أو في ثوبي أحسي^٢ ، وان طاف
في ثوبيه لم يحل له ان يلبسها^٣ . »

وللجاحظ ملاحظات قيمة عن قريش لها صلة بالتخمس ، وقد تفسر لنا معنى
التخمس وسبب شموله أناساً هم من غير قريش .

ذكر ان الاسلام لما ظهر ، لم تكن هنالك أية امرأة قرشية ، كانت مسبية عند
غير قريش . ولم تكن هنالك أية امرأة مسبية في أيدي القبائل وأمها من قريش .
ويذكر أيضاً ان قريشاً لم تكن تزوج بناتها من أبناء أشراف القبائل حتى تشترط
عليهم ان من تلد منهم ، فيكون من يلدن من الخمس . أما هم ، فكانوا اذا
تزوجوا من بنات قبائل أخرى ، فإنهم لم يشترطوا على أنفسهم أي شرط ، وكان
من هذه القبائل عامر بن صعصعة وثقيف وخزاعة والحارث بن كعب ، (وكانوا
ديّانين) . وكانوا على دين قريش في أمورها . وكانت قريش كريمة ، ولم
ترض بالغارات والغزو ولا بالظلم ولم تقبل بالوآد ولا بالدخول بمن يقع في أيديهم
أسرى من النساء . وكان من فضائلهم ان من الله عليهم بالإيلاف . فأغناهم
وجعلهم (لقاحاً) ، فلم يخضعوا للملك ، ولم يستعبدتهم سلطان أجنبي^٤ . ولم يدفعوا
أي شيء عنهم للملك من الملوك . بل كانت الملوك تأتي الى مكة وتعظم البيت
وتحترم سكانه . وهم قريش الخمس^٥ .

١ الاغانى (١٢/١٢١) ، (٦٣/٢١) .

٢ ابن سعد ، الطبقات (٧٢/١) ، (صادر) .

٣ أخذت هذه الملاحظات من (كستر) (Kister) ، لعدم وجود مخطوطة الجاحظ التي نقل
منها عندي . وهي : مختارات فصول الجاحظ ، الموجودة في المتحف البريطاني
برقم ٣١٨٣ .

٤ ابن الفقيه ، كتاب البلدان (١٨) .

ويظهر من ملاحظات الجاحظ المذكورة ، ان من أهم مبادئ الخمس ، نبد الغارات ، أي الغزو ، حتى جعلته قريش ركناً من أركان دينها . كما تمسكت بركن آخر ، هو عدم الدخول بمن يقع في أيديهم من النساء السبايا في حالة ما اذا أغارت قبيلة عليهم ، واعتدت عليهم ، فانتصرت قريش عليها ، وأخذت منها سبايا . أما الخمس الآخرون ، مثل عامر بن صعصعة وثقيف والحارث بن كعب ، وأمثالهم ممن تحمسوا ، فلم يتمسكوا بهذه الأصول . وذكر (ابن الفقيه) ان القبائل المذكورة لم تكن في الأصل حمساً ، على دين قريش ، وانما تحمست وصارت من الخمس بتأثير قريش عليها ^١ . وقريش تمسكوا وحدهم بالخمس ، (وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء) ^٢ . وقد عرفت مكة بـ (دار الخمس) ، كما جاء ذلك في شعر ينسب الى (الكاهن اللهي) ^٣ . وعرفت قريش بـ (أهل الله) ^٤ .

ونجد بين (الخمس) والحرم صلة متينة ، تشير الى الأصل الديني للخمسة والى ارتباطهم بالكعبة . فذهب (الزمخشري) الى ان (خمس) من (حرم) ^٥ : ومن دلائل هذه الصلة أيضاً ما ورد في كتب أهل الأخبار من ان الكعبة كانت قد عرفت بـ (الخمساء) . سميت بذلك (لأن حجرها أبيض الى السواد) ^٦ . ومن ان (الخمس) هم نزلاء الحرم ^٧ . فبين الخمس والحرم ، صلة متينة اذن . حتى قيل ان المنسوب الى الحرم من الناس (حرمي) ^٨ . و (ان عياض بن حمار المجاشعي ، كان حرمي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا حج طاف في ثيابه . وكان أشرف العرب الذين يتمسكون على دينهم ، أي يتشددون اذا حج أحدهم لم يأكل إلا طعام رجل من الحرم : ولم يطف إلا في ثيابه .

١ Kister, p. 137.

٢ الثعالبي ، ثمار القلوب (٨) ، (أهل الله) . Kister, p. 137.

٣ الروض الانف (١/١١٨) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٤٩١) ، Wellhausen, Reste, S. 134, Kister, 138.

٤ Kister, p. 139.

٥ الزمخشري ، الفائق ، (خمس) ، Kister, p. 138.

٦ تاج العروس (٤/١٣٢) ، (خمس) .

٧ تاج العروس (٤/١٣٢) ، (خمس) .

٨ بالكسر .

فكان لكل رجل من أشرافهم رجل من قريش . فيكون كل واحد منهما حريمي صاحبه ^١ . ويفسر لنا هذا المعنى أيضاً قولهم : « رجل حرام : داخل في الحرم » ، و « الحرم بالكسر الرجل المحرم . يقال : أنت حل وانت حرم » ^٢ . وقد أنجب الزواج المشروط بين قريش وبين من يتزوج منها حمساً جديداً ، انتقل الحمس اليهم عن طريق (شرط عقد الزواج) من جهة الأمهات . أما نسل هؤلاء الحمس الجدد ، الذين هم في الواقع أنصاف أحاس ، فقد صار حمساً مثل قريش ، لأنهم ولدوا من والد حسب من الحمس ومن والدة أحمية . وبذلك لم يعد الحمس أهل مكة وحدهم ، بل شمل أهل مكة ومن تزوج مكنيات فأنجبين ولداً ، عدواً حمساً بشرط العقد .

وتذكر بعض الروايات ان عقيدة (الحمس) لم تكن قديمة ، بل ظهرت قبيل الاسلام . « قال ابن اسحاق : كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده ، ابتدعت أمر الحمس رأياً . فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقررون انها من المشاعر والحج ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، ونحن الحمس . والحمس أهل الحرم . قالوا : ولا ينبغي للحمس ان يتأفطوا الأقط ولا يسلؤوا السمن ، وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرماً ، ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل ان يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجاً أو عمّاراً ، ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس » ^٣ . ولم تذكر هذه الرواية سبب ظهورها ، ولا من أوجدها من رجال قريش .

ويتبين من غريلة ما ذكره أهل الأخبار عن الحمس : ان الحمس هم أهل مكة الأحرار في الأصل ، ثم من دان بدينهم . وجدوا أنفسهم في ضنك شديد، في واد غير ذي زرع ، لا شيء عندهم غير (البيت) ، فتحمسوا في دينهم وتشددوا وتعاونوا فيما بينهم على العمل معاً ، وعلى الدعوة الى عبادة رب البيت واقراء الضيف والامتناع عن غزو غيرهم ، وعن التحرش بأحد ، إلا اذا تحرش بهم ، وعلى إغاثة الملهوف ومساعدة من يأت البيت حاجاً أو معتمراً أو قاصداً

-
- ١ تاج العروس (٢٤٣/٨) ، (حرم) .
 - ٢ تاج العروس (٢٤٣/٨) ، (حرم) .
 - ٣ ارشاد الساري (٢٠٠/٣) .

تجارة ، وتقديم الرفادة له . ونصرة الغريب . وحافظوا على الحرمات : حرمة البيت وحرمة الحج وحرمة الأشهر الحرام ، ووضعوا لأنفسهم قواعد صارمة في آداب السلوك في موسم الحج وفي غيره ، تشعر أنهم كانوا ينظرون الى أنفسهم كأنهم (جنس) ، فضله الله على بقية أجناس العرب ، لهم مناسكهم ، ولبقية العرب مناسكهم ، ولهم قباب خاصة يضربونها لأنفسهم في سوق عكاظ وفي المواضع الأخرى تميزهم عن سائر من يفد الى هذه المواضع ، وترفقوا عن مصاهرة سائر الناس إلا اذا وجدوا أنهم أكفاء لهم ، والكفاءة : القوة والمال . وأقاموا مجتمعهم الخاص هذا على قواعد دينية تعاونية اقتصادية (صاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء)^١ . شعارهم أنهم (أهل الله)^٢ ، دينهم « التمسك والتشدد في الدين ، فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الأموال ، فلما زهدوا في الغصب لم يبق مكسبة سوى التجارة : فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم ، والنجاشي بالحيشة ، والمقوقس بمصر ، وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء »^٣ . وكان ان تفردوا بالإيلاف ، وللايلاف ارتباط بالحمس ، وتوجهوا الى التجارة والاتجار ، وجمعوا بين الدين والمال ، وأفسحوا المجال لمن به نشاط وهمة ان يجمع مالا وأن يكون غنياً على ان يساهم بنصيبه في تحمّل أعباء مجتمعهم ، للدفاع عن (بيت الله) ولكسب المتحالفين معهم وتوزيع العدل فيما بينهم ، توزيعاً يخفف من حدة التفاوت فيما بين الغني والفقير ، حتى لا يقع اختلال في التوازن بين طبقات المجتمع ، يحمل الفقراء على انتزاع المال من الأغنياء كرهاً وقسراً . وجعلوا ذلك واجباً من واجباتهم ، فحثوا على رفع الظلم ، واتخذوا السقاية والرفادة ، وعقدوا (حلف الفضول) للدفاع عن المحتاج ، وجعلوا (الإيلاف) الذي سأتكلم عنه في الجزء الخاص بالحياة الاقتصادية ، سبباً من أسباب اشاعة الرحمة ومساعدة الفقراء وتخفيف وطأة الفقر في هذه القرية : (أم القرى) ، وفي ذلك يقول (مطروود بن كعب الخزاعي) في رثائه عبد المطلب :

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٨) ، (أهل الله) ، (ص١١) ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

٢ ثمار (ص ١٠) .

٣ ثمار (ص ١١ وما بعدها) ، سيرة ابن دحلان (١/١٤٠) ، (حاشية على السيرة الحلبية) .

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أملك لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون اذا الرياح تناوحت ورجال مكة مستنون عجاف
والمفضلون اذا المحول ترادفت والقائلون هلتم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت فالملح خالصة لعبد مناف^١

قام رجال من رجال مكة بالانفاق على المحتاجين، فعدوا ذلك ديناً ومروءة وشهامة. فكان (نعيم بن عبد الله) العدوي ، ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم^٢. وكان (حكيم بن حزام) ينفق من أرباحه على المحتاجين من آلـه وذويه^٣. وكان صديق النبي قبل المبعث^٤، وتذكر كتب السير والتراجم أسماء رجال آخرين عرفوا بتصدقهم على الفقراء والمحتاجين ، اعتبروها منقبة وقربة لهم في الجاهلية ، وقد أقرهم الرسول عليها .

فالحمس (أهل الله) ، وأمتـه ، تجمعهم عبادة الله والأصنام ، والمناسك والشعائر التي وضعوها لهم ، والتجارة التي جعلوها مثل شعائر دينهم ، ينفقون من أرباحهم منها في سبيل (الله) . أي بيت الله وأهله المستضعفون ، حتى جعلوا الصدقة وإطعام المحتاج من أمور الدين. فجتمعهم مجتمع جمع بين الدين والتجارة ، وبين الدين والمال . حثهم على التعاون بخلط رؤوس أموالهم والاتجار معاً بقوافل ، وفيه ربح كبير مضمون ، وحثهم على إنصاف من ليس له شيء حتى يصير

١ أخذت هذه الابيات من أمالي المرتضى (٢/٢٦٨) ، وتختلف بعض الاختلاف عن أمالي القالي (١/٢٤١ وما بعدها) ، التي فيها :

منهم علي والنبي محمد القائلان هلم للأضياف
وعن سيرة ابن هشام (١/١١٧) ، (حاشية على الروض الانف) ، وعن معجم الشعراء (٣٧٥) ، وشرح ابن أبي الحديد (٣/٤٥٣) ، والعيني (٤/١٤٠) ، والبكري ، سمط (٥٤٧) وما بعدها ، وعن تفسير الطبرسي (ح ٣٠ ص ٥٤٥) ، (طبعة طهران) ، تفسير سورة لايلاف قريش ، وعن ابن العربي ، محاضرات الابرار (٢/١١٩) ، والبلاذري ، أنساب (١/٥٨) ، والدياربكري ، تاريخ الخميس (١/١٥٦) .

٢ الاصابة (٣/٥٢٧) ، (رقم ٨٧٧٨) .
٣ نسب قريش (١/٣٦٧) ، (رقم ٦٤٤) ، Kister, p. 125.

٤ الاصابة (١/٣٤٨ وما بعدها) ، (رقم ١٨٠٠) .

مكتفياً غير محتاج ، لا يوجهه عينه نحو غيره حسداً وحقدًا . شعار هذا المجتمع الله والأصنام والحج والتجارة ، مجتمع لم يكن يخلو بالطبع من أحامس بخلاء ، شذوا عن الطريق ، واغتصبوا أموال الفقراء ، كما هو الحال في كل مجتمع بشري .

وقد اقتضت (قريش) ، وهم من الخمس ، على استعمال القباب المصنوعة من الأدم لا يضربها غيرها بـ (منى) ^١ . لأنهم (كانوا لا ينسجون مزال الشعر ، وكانوا أهل القباب الحمر من الأدم) ^٢ . وقد استعمل الرسول في حجه هذا النوع من القباب ^٣ . ولا بد أن يكون لاقتصار قريش على استعمال هذا النوع من القباب دون غيرها في هذا الموضع ، سبب ما ، الأرجح انه عامل ديني واجتماعي ^٤ . ويلاحظ انه كان للقباب الحمر ذكر خطير ، وجاه عظيم في نظر الجاهليين ، فكان أصحابها يفتخرون على غيرهم بأنهم (أهل القباب الحمر) ^٥ ، وقد كان الملوك والسادة يضربون لأنفسهم القباب الحمر . فهي من امارات الجاه والمكانة والنفوذ .

ويظهر من بعض الأسماء أو الجمل التي وردت فيها كلمة (أحمس) و (حمس) ان هذه الكلمة هي نعت أو اسم من أسماء الآلهة عند الجاهليين في الأصل ، ثم تغير معناها بعد ذلك فصارت على النحو الذي ذكره علماء اللغة نقلاً عن الروايات التي ترجع ذلك المعنى الى الجاهلية المتصلة بالاسلام . ففي الأسماء الواردة لنا : (أحمس الله) ، و (بنو أحمس) ، و (أبو أحمس) ، و (الأحامس) ^٦ ؛ ما يفيد ان الأصل بعيد جداً عن المعنى الذي فهمه وذهب اليه أهل الأخبار ، وان للكلمة معنى دينياً خاصاً قديماً ، هو التشدد في الدين والتمسك به ، وعبادة الصنم ، والمحافظة على سنة الآباء والأجداد مع تصلب وتقشف .

-
- ١ (كانت قباب قريش من الأدم ، لا يضربها غيرهم بمنى) ، المشرق ، السنة السابعة والثلاثون ، كانون الثاني - آذار ، ١٩٣٩ (ص ٩٥) .
 - ٢ ابن سعد ، الطبقات (٤١/١) .
 - ٣ ابن سعد ، الطبقات (٨٨/٢) ، أسد الغابة (٢٥١/١) .
 - ٤ المشرق ، السنة السابعة والثلاثون ، كانون الثاني - آذار ، ١٩٣٩ (ص ٩٥) .
 - ٥ أهل القباب الحمر والنعم المؤبل والمدامه ديوان عبيد الابرس (٢٩) ، (طبعة لايل) .
 - ٦ الاغانى (٤٦/٢) ، الاشتقاق (١٥٣) ، تاج العروس (١٣٢/٤) وما بعدها ، (حمس) .

والأحاس من العرب الذين أمهاتهم من قريش^١ ، صاروا من الخمس بسبب أمهاتهم .

هذا وقد نزل الوحي بتنظيم الحج وفق مبادئ الاسلام ، فأباح للحجاج ما كانت الخمس حرمة على نفسها من طعام الحج إلا طعام أحسي ، على نحو ما ذكرت قبل قليل . وما ذكر من ان قوماً كانوا قد حرّموا على أنفسهم ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها ، اذا حجوا أو اعتمرؤا^٢ . كما نزل بوجوب ستر العورة ولبس الإحرام في الحج ، وذلك بالنسبة الى المحليين ، وأغلبهم من الأعراب ومن الفقراء ، حيث كانوا يطوفون عراة ، وفي ضمنهم النساء^٣ . فنزل الوحي ب : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »^٤ . ونهوا عن ذلك^٥ . وذكر عن أبي هريرة انه قال : « بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان »^٦ .

كما نزل الوحي بجواز دخول الحجاج بيوتهم وخيامهم وما يأوون اليه من بيوتها ، من أبوابها ، لا كما كان يفعل بعضهم في الجاهلية وفي أول الاسلام ، من انه اذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه ، فإن كان من أهل المدن نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلماً فيصعد فيه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك ذماً ، إلا ان يكون من الخمس . وهم : قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة ، وبنو النضر بن معاوية . نزل الوحي بذلك في الآية : «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون»^٧.

١ تاج العروس (٤/١٣٣) ، (خمسة) .

٢ تفسير الطبري (٨/١٢١) .

٣ تفسير الطبري (٨/١١٨) .

٤ الاعراف ، الآية ٣١ .

٥ تفسير الطبري (٨/١١٨ وما بعدها) ، أسباب النزول (١٦٨ وما بعدها) .

٦ صحيح مسلم (٤/١٠٧) ، (باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

وبيان الحج الاكبر) .

٧ البقرة ، الآية ١٨٩ .

وقد ذهب بعض أهل الأخبار والسير الى ان الآية المذكورة ، نزلت في أمر الحمس ، « لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها ، فان احتاج أحدهم الى حاجة في داره تسنم البيت من ظهره ، ولم يدخل من الباب »^١ . وذهب المفسرون الى انها نزلت في الأنصار، فقد كانوا اذا حجّوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل فدخل من قبل بابه ، فكأنه غير بذلك ، فنزلت هذه الآية . وورد: « كانت قریش تدعى الحمس ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الاحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الاحرام ، فبينما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في بستان ، إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا : يا رسول الله : إن قطبة بن عامر رجل فاجر ، وانه خرج معك من الباب ! فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : فإن ديني دينك ! فأنزل الله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها »^٢ . وقد أغفلت بعض الروايات اسم من كان لا يدخل البيوت من أبوابها ، بأن قالت : « كان أهل الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها ويرونه براً » ، أو « كانوا في الجاهلية اذا أحرموا أتوا البيوت من ظهورها ، ولم يأتوا من أبوابها » ، أو « إن ناساً كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه ولا داراً من بابها أو بيتاً » ، أو « كان ناس من أهل الحجاز ، اذا أحرموا لم يدخلوا من أبواب بيوتهم ودخلوها من ظهورها »^٣ ، وذكر ان من كان يفعل ذلك ، فانما يفعله، لأنهم كانوا يتخرجون من ان يكون بينهم وبين السماء حائل^٤ .

وقد جعل (اليعقوبي) العرب في الجاهلية على دينين : دين الحمس ودين الحلة . وذلك بالنسبة للمشركين . وذكر ان منهم من دخل في دين اليهودية وفي النصرانية ، ومنهم من تزندق وقال بالثنوية ، وبهذه الفرق حصر (اليعقوبي) أديان أهل الجاهلية . إذ قال : « فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما . ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود ، وفارقوا هذا الدين . ودخل آخرون

-
- ١ الروض الانف (١/١٣٤ وما بعدها) .
 - ٢ أسباب النزول (ص ٣٥ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير الطبري (٢/١٠٨ وما بعدها) .
 - ٤ المصدر نفسه .

في النصرانية ، وتزندق منهم قوم ، فقالوا بالثنوية ^١ .

والتعميم الذي يطلقه (اليقوبي) وبقية المؤرخين والأخباريين في قولهم «وكانت العرب في أديانهم» ، لا يمكن التسليم به ، إلا بالنسبة لأهل مكة ولمن كان يقصدهم من العرب . أما بالنسبة لجميع العرب ، فهذا ما لا يمكن التسليم به .

وأما (الطلس) ، فقد وصفهم (محمد بن حبيب) بقوله انهم : « بين الحلة والحمس : يصنعون في احرامهم ما يصنع الحلة ، ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت ما يصنع الحمس . وكانوا لا يتعرون حول الكعبة ، ولا يستعبرون ثياباً ، ويدخلون البيوت من أبوابها ، وكانوا لا يثدنون بناتهم ، وكانوا ينفقون مع الحلة ويصنعون ما يصنعون » ^٢ . وهم سائر أهل اليمن ، وأهل حضرموت ، وعك وعجيب ، ولإياد بن نزار ^٣ .

وذكر ان من الحجاج من كان يحج بغير زاد ، وان منهم من كان اذا أحرم رمى بما معه من الزاد ، واستأنف غيره من الأزودة ، وان « قبائل من العرب يحرمون الزاد اذا خرجوا حجاجاً وعمّاراً » ، فنزل الوحي : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » ^٤ ، فأمر من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره ، ومن كان منهم ذا زاد ان يتحفظ بزاده فلا يرمي به ^٥ . وقد عرف هؤلاء بـ (المتوكله) ، لتوكلهم على (رب البيت) في اطعام أنفسهم ، واعتمادهم في ذلك على السؤال.

وقد ذكر علماء التفسير ان الآية : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » نزلت « في طائفة من العرب كانت تخرج الى الحج بلا زاد ، ويقول بعضهم : كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا ، فكانوا يبقون عالة على الناس ، فنهاه عن ذلك ، وأمروا بالزاد . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره راحلة عليها زاد ، وقدم عليه ثلثمائة رجل من مزينة ، فلما أرادوا ان ينصرفوا قال : يا عمر زود

١ اليقوبي (٢٢٦/١) .

٢ المحبر (ص ١٨١) .

٣ المحبر (ص ١٧٩) ، الروض (١/١٣٣) .

٤ البقرة ، الآية ١٩٧ .

٥ تفسير الطبري (١٦٢/٢) ، (ان قوما كانوا يرمون بأزوادهم ويتسمون بالمتوكله ، فقبل لهم تزودوا من الطعام ، ولا تلقوا كلكم على الناس) ، تفسير الطبرسي (٢٩٤/١) .

القوم كما روى البخاري عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ^١ .

ويظهر مما تقدم ان (المتوكلة) لم يكونوا جميعاً من الفقراء المحتاجين ، بل كان منهم قوم أغنياء فضل الله عليهم ، بدليل انهم كانوا اذا حجّوا رموا زادهم ، أو أعطوه للمحتاج اليه ، يفعلون ذلك ديانة وتقرباً الى الله ، كما فعل (المتوكلة) من بعدهم في الاسلام . فهم اذن طائفة من الطوائف الجاهلية المتدنية ، ترى ان التقشف في الحج ، يزيد في ثوابه ، ويقرب أصحابه الى رب البيت .

ويريد أهل الأخبار بالثياب (الإحرام) على ما يظهر . وهو قديم وقد عرف عند غير العرب أيضاً . وهو محاكاة للملابس رجال الدين الذين يخدمون المعابد ، ويتقربون الى الآلهة . وهو يتكون من قطعتين من : إزار ومن وشاح . ويكون أبيض اللون . واللون الأبيض من الألوان التي تعبر عن معان دينية . فقد كان رجال الدين والكهنة يلبسون الثياب البيض . كما انه شعار الحزن عند بعض الشعوب ، وفي جملتهم عرب الحجاز ^٢ . ويظهر ان أهل مكة وهم قريش ، كانوا يلبسون الإحرام ، أو يكرهونه لغيرهم من العرب أو يعبرونه لهم إن كانوا من حلفائهم ، فيحرمون كإحرام قريش . أما من لم يتمكن من الحصول على الإحرام ، فقد كان يضطر بحكم الضرورة إلى الطواف عرياناً على نحو ما يقصه علينا أهل الأخبار .

أما بالنسبة الى أهل العربية الجنوبية من معينين وسبئيين وقتبانين وحضرميين ، فإننا لا نستطيع ان نتحدث عن سنة الطواف حول المعابد عندهم ، لعدم ورود شيء عن ذلك في النصوص الواصلة إلينا . ولكني لا أستبعد احتمال طوافهم حول بيوت أصنامهم على نحو ما كان يفعله أهل الحجاز ، لأن الطواف حول بيوت الأصنام أو حول الصنم من السنن الشائعة بين العرب وعند جماعات من بني لارم والنبط .

١ تفسير القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (٢/٤١١) ، تفسير ابن كثير (١/٢٣٩) .
٢ Shorter Ency. of Islam, p. 160.

التلبية :

وذكر (محمد بن حبيب) ان طواف أهل الجاهلية بالبيت اسبوعاً ، وذكر
انهم كانوا يمسحون الحجر الأسود ، ويسعون بين الصفا والمروة . وكانوا يلبسون .
وذكر ان نسك قريش كان لإساف ، وان تلبيتهم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ،
لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك »^١ . وان تلبية من نسك
العزى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ، ما أحبنا اليك » . وان تلبية
من نسك للات : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، كفى بيتنا بنية ، ليس بمهجور
ولا بلية ، لكنه من تربة زكية أربابه من صالحى البرية » . وكانت تلبية من
نسك لجهار : « لبيك ، اللهم لبيك . لبيك ، اجعل ذنوبنا جبار ، واهدنا لأوضح
المنار ، ومتعنا وملنا بجهار » . وكانت تلبية من نسك لشمس : « لبيك ، اللهم
لبيك ، لبيك ، ما نهارنا نجره ، ادلاجه وجره وقره ، لا نفتي شيئاً ولا نضره ،
حجاً لرب مستقيم بره » ، وكانت تلبية من نسك لمحرق : « لبيك ، اللهم
لبيك ، لبيك حجاً حقاً ، تعبداً ورقاً » ، وكانت تلبية من نسك لود : « لبيك
اللهم لبيك ، لبيك ، معذرة اليك » . وكانت تلبية من نسك ذا الخلصة :
« لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، بما هو أحب اليك » . وكانت تلبية من نسك
لنطبق : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك » . وتلبية عك ، انهم كانوا اذا بلغوا
مكة ، يبعثون غلامين أسودين أمامهم ، يسيران على جمل ، مملوكين ، قد جردا ،
فهما عريانان ، فلا يزيدان على ان يقولوا : « نحن غرابا عك » . واذا نادى
الغلامان بذلك صاح من خلفهما من عك : « عك اليك عانية ، عبادك اليانية ،
كيا نحدج الثانية ، على الشداد الناجية »^١ .

وكانت تلبية من نسك مناة : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، لولا ان بكرأ
دونك يبرك الناس ويهجرونك ، ما زال حج عشج يأتونك ، إنا على عدوائهم
من دونك » . وتلبية من نسك لسميدة : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لبيك ، لم
نأتك للمياحة ، ولا طلباً للراحة ، ولكن جئناك للنصاحه » . وكانت تلبية من
نسك ليعوق : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، بغض الينا الشر ، وحجب الينا
الخير ، ولا تبطرنا فنأشر ، ولا تفدحنا بعثار » . وكانت تلبية من نسك ليغوث :

« لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، أحبنا بما لديك : فنحن عبادك ، قد صرنا اليك » . وكانت تلبية من نسك لنسر : « اللهم لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، اننا عبيد ، وكلنا ميسرة عتيد ، وأنت ربنا الحميد ، اردد الينا مملكتنا والصيد » . وكانت تلبية من نسك ذا اللبا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، رب فاصرفنا عنا مضر ، وسلمنا لنا هذا السفر ، إن عما فيهم لمزدجر ، واكفنا اللهم أرباب هجر » . وكانت تلبية من نسك لمرحب : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، اننا لديك . لبيك ، حبينا اليك » . وكانت تلبية من نسك لذريح : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، كلنا كنود ، وكلنا لنعمة جحود ، فاكفنا كل حية رصود » . وكانت تلبية من نسك ذا الكفين : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، إن جرهما عبادك ، الناس طُرف وهم تلادك ، ونحن أولى منهم بولائك » . وتلبية من نسك هبل : « لبيك اللهم لبيك ، اننا لقاح ، حرمتنا على أسنة الرماح ، يحسدنا الناس على النجاح »^١ .

وقد تعرض (اليقوي) لموضوع التلبية ، فقال : « فكانت العرب ، اذا أرادت حج البيت الحرام ، وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلّوا عنده ، ثم تلبوا حتى يقدموا مكة . فكانت تليياتهم مختلفة . وكانت تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، تملكه وما ملك . وكانت تلبية كنانة : لبيك اللهم لبيك ، اليوم يوم التعريف ، يوم الدعاء والوقوف . وكانت تلبية بني أسد : لبيك اللهم لبيك ، يا رب أقبلت بنو أسد ، أهل التواني والوفاء والجلد اليك . وكانت تلبية بني تميم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك عن تميم ، قد تراها قد أدخلت أثوابها وأثواب من وراءها ، وأخلصت لربها دعاءها . وكانت تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك ، لبيك أنت الرحمان ، أنتك قيس عيلان ، راجلها والركبان . وكانت تلبية ثقيف : لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك ، وأخلفوا المال وقد رجوك . وكانت تلبية هذيل : لبيك عن هذيل قد أدلجوا بليل ، في إبل وخيل . وكانت تلبية ربيعة : لبيك ربنا لبيك ، لبيك إن قصدنا اليك . وبعضهم يقول : لبيك عن ربيعة ، سامعة لربها مطيعة . وكانت حمير وهمدان يقولون : لبيك عن حمير وهمدان والحليفين من حاشد والهان . وكانت تلبية الأزدي : لبيك رب الأرباب ،

تعلم فصل الخطاب ، الملك كل مثاب . وكانت تلبية مذحج : لبيك رب الشعري ، ورب اللات والعزى . وكانت تلبية كندة وحضرموت : لبيك لا شريك لك ، تملكه ، أو تهلكه ، أنت حكيم فاتركه . وكانت تلبية غسان : لبيك رب غسان ، راجلها والفرسان . وكانت تلبية بجيلة : لبيك عن بجيلة في بارق وبجيلة ، وكانت تلبية قضاة : لبيك عن قضاة ، لربها دفاعة ، سمعاً له وطاعة . وكانت تلبية جذام : لبيك عن جذام ، ذوي النهي والأحلام ، وكانت تلبية عك والأشعرين :

نحج للرحمان بيتاً عجبا مستتراً مضيقاً محجبا^١

و (التلبية) اجابة المنادي ، أي اجابة الملبي ربه . وقولهم : لبيك اللهم لبيك ، معناه اجابتي لك يا رب ، واخلاصي لك^٢ . وقد كان الجاهليون يلبّون لأصنامهم تلبيات مختلفة . وقد ذكر (أبو العلاء المعري) ، ان تلبيات العرب جاءت على ثلاثة أنواع : مسجوع لا وزن له ، ومنهوك ، ومشطور . فالمسجوع كقولهم :

لبيك ربنا لبيك والخير كله بيدك

والمنهوك على نوعين : أحدهما من الرجز ، والآخر من المنسرح ، فالذي من الرجز كقولهم :

لبيك إنّ الحمد لك والملك لا شريك لك
إلا شريك هو لك تملكه وما ملك
أبو بنات بفدك

وكقولهم :

لبيك يا معطي الأمر لبيك عن بني النمر
جئنك في العام الزمر نأمل غيثاً ينهمر
يطرق بالسيل الحمر

١ اليعقوبي (٢٢٥/١) وما بعدها .
٢ اللسان (٧٣٢/١) ، (لبيب) .

والذي من المنسرح جنسان : أحدهما في آخره ساكنان كقولهم :

ليبك رب همدان من شاحط ومن دان
جئنالك نبغي الإحسان بكل حرف مدعان
نظوي اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

والآخر لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم :

ليبك عن بجيله الفخمة الرجيلة
ونعمت القيله جاءتك بالوسيلة
تؤمل الفضيلة

وربما جاءوا على قوافٍ مختلفة ، من ذلك تلبية بكر بن وائل :

ليبك حقاً حقاً تعبدأ ورقا
جئنالك للنصاحه لم نأت للرقاحه

وروي في تلبية (تميم) قولها :

ليبك لولا أن بكرأ دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يأتونكا

وروا أن من تليات همدان :

ليبك مع كل قبيل لبيك همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم وانتابوك فاسمع دعاء في جميع الأملاك

ومن تلياتهم قولهم :

ليبك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها

وختم (أبو العلاء المعري) رأيه عن التلبية بقوله : « والموزون من التلبية ،
يجب أن يكون كله من الرجز عند العرب ، ولم تأت التلبية بالقصيد . ولعلمهم
قد لبوا به ولم تنقله الرواة »^١ .

١ رسالة الغفران (ص ٥٣٥ - ٥٣٧) . (بنت الشاطئ) .

والتلبية هي من الشعائر الدينية التي أبقاها الإسلام ، غير أنه غير صيغتها القديمة بما يتفق مع عقيدة التوحيد . فصارت على هذا النحو : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك »^١ . كما جعلها جزءاً من حج مكة ، بعد أن كانت تتم خارج مكة ، إذ كانت كل قبيلة تقف عند صنمها ، ونصلي عنده ثم تلبي ، قبل أن تقدم مكة^٢ . وذلك بالنسبة لمن كان يحج مكة . فأبطل ذلك الإسلام ، وألغى ما كان من ذلك من حج أهل الجاهلية . وقد رأينا صيغ التليبات ، وكيف كانت تليبات القبائل خاصة بها ، تلبي كل قبيلة لصنمها ، وتوجه نداءها اليه .

وتردد جمل التلبية بصوت مرتفع ، ولعل ذلك لاعتقاد الجاهليين أن في رفع الصوت لإفهاماً للصنم الذي يطاف له بأن الطائف قد لبى داعيه ، وأنه استجاب أمره وحرص على طاعته . وقد أشار بعض الكتاب (الكلاسيكيين) الى الصمخ والضجيج الذي كان يرتفع في مواضع الحج بسبب هذه التلبية .

وهناك مواضع أخرى غير متصلة بالبيت الحرام ، كانت مقدسة وداخلية في شعائر الحج ، منها عرفة ومنى والمزدلفة والصفاء والمروة ، ومواضع أخرى كان يقصدها الجاهليون لقدسيتها أو لوجود صنم بها ، ثم حرمها الإسلام ، فنسيت وأهملت فذهبت معالمها مع ما ذهب من معالم الجاهليين .

وتقف الخمس في حجها على أنصاب الحرم من نمرة على نحو ما ذكرت أما الحلة والطلس ، أي غير الخمس من بقية العرب فيقفون على الموقف من عرفة ، عشية يوم (عرفة) . فإذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الخمس من أنصاب الحرم حتى يلتقوا بمزدلفة جميعاً . وكانوا يدفعون من عرفة إذا طفت الشمس للغروب وكانت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم . فيبيتون بمزدلفة حتى إذا كانت في الغلس وقفت الحلة والخمس على (قزح) ، فلا يزالون عليه حتى إذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في

١ البخاري ، كتاب الحج ، الحديث ٣١ وما بعده ، عمدة القارئ (١٧٢/٩) وما بعدها) ، بلوغ الأرب (٢٨٨/٢) ، ارشاد الساري (١٩٧/٣) ، (باب التلبية والتكبير اذا غدا من منى الى عرفة) .

٢ اليعقوبي (٢٢٥/١) ، (أديان العرب) .

وجوههم دفعوا من مزدلفة ، « كانوا يقولون : أشرق ثبير كما نغير » .
ومن مناسك الحج الطواف بالصفاء والمروة ، وعليها صنان : اساف ونائلة .
وكان الجاهليون يمسحونها^٢ . وكان طوافهم بهما قدر طوافهم بالبيت ، أي سبعة
أشواط . تقوم بذلك قریش ، أما غيرهم فلا يطوفون بهما ، وذلك على أغلب
الروايات . ويظهر ان الصفا والمروة من المواضع التي كان لها أثر خطير في عبادة
أهل مكة . ففي حج أهل مكة طوافان : طواف بالبيت ، وطواف بالصفاء
والمروة .

وبين الصفا والمروة يكون (السعي) في الاسلام ، ولذلك يقال للمسافة بين
المكانين (المسعى) . وكان إساف بالصفاء ، وأما نائلة فكان بالمروة^٣ . ولا بد
ان يكون لاقتران الاسمين دائماً سبب ، و (المسعى) هو الرابط المقدس بين
هذين الموضعين المقدسين عند الجاهليين .

وكان أهل مكة يتبركون بلمس الحجر الأسود ، ثم يسعون بين الصفا والمروة .
ويطوفون بإساف أولاً ويلمسونه ، كل شوط من الطواف ثم ينتهون بنائلة .
ويلبثون لها : وكانت تلبيتهم لها : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا
شريك هو لك ، تملكه وما ملك »^٤ . وذكر أن (الأنصار) ، لما قدموا مع
النبي في الحج ، كرهوا الطواف بين الصفا والمروة لأنها كانا من مشاعر قریش
في الجاهلية ، وأرادوا تركه في الاسلام . وذكر أن قوماً من المسلمين قالوا :
يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة ، فإنه شرك كنتا نصنعه في الجاهلية .
فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوا الوثنيين ، فلما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام ، كره المسلمون الطواف بينها لأجل الصنمين ، فأنزل الله :
« إن الصفا والمروة من شعائر الله »^٥ . ويتبين من غريلة الأخبار أن الذين كانوا
يطوفون بالصنمين المذكورين ويسعون بينها ، هم من عبادة الصنمين وهم قریش

-
- ١ الأزرقى (٢٢٦/٢) ، مسند ابن حنبل (٣٩/١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢) ، الام للشافعي (١٨٠/٢) .
 - ٢ البلدان (٣٦٥/٥) ، (٣٨/٨) ، ارشاد الساري (١٨٧/٣) .
 - ٣ Reste, S. 77.
 - ٤ المحبر (٣١١) ، الأزرقى (١١٢/١) .
 - ٥ البقرة ، الآية ١٥٨ ، أسباب النزول (٣٠ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٤٣/٢) ،
(طبعة البابي ١٩٥٤م) .

خاصة ، وليس كل من كان يحج الى مكة من العرب ، ولذلك كرهوا الطواف في الإسلام بالصفاء والمروة . وقد استبدل الإسلام بالطواف السعي ، لهدم الصنمين اللذين كان الناس يطوفون حولهما واكتفى بالسعي بين الموضعين .

وذكر بعض العلماء أن العرب عامة كانوا لا يرون الصفاء والمروة من الشعائر ولا يطوفون بينها فأنزل الله : « إن الصفاء والمروة من شعائر الله »^١ ، أي لا تستحلون ترك ذلك^٢ . وذكر أن الأنصار كانوا يهلّون لمناة في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام قالوا : يا نبي الله إنا كنا لا نطوف بين الصفاء والمروة تعظيماً لمناة ، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما ، فأنزل الله الآية المذكورة . وكان أهل (تهامة) ممن لا يطوفون أيضاً بين الصفاء والمروة ، فلما جاء الإسلام ونزل الأمر بالطواف بالبيت ، ولم يتزل بالطواف بين الصفاء والمروة ، قيل للنبي : إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفاء والمروة وإن الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بين الصفاء والمروة فهل علينا من جناح أن لا نطوف بهما . فنزل الوحي : « ان الصفاء والمروة من شعائر الله » ، فصار الطواف بين الصفاء والمروة لجميع الحجاج ، لا كما كان في عهد الجاهلية . من اقتصره على قریش وبعض العرب المتأثرين بهم . فكانوا يطوفون بهما ويمسحون بالوثنيين إساف ونائلة ، فلما جاء الإسلام تخرج بعض الناس وفيهم قوم من قریش من الطواف بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية ، فنزل الأمر به^٣ .

وذكر أهل الأخبار أن السعي بين الصفاء والمروة ، شعار قديم من عهد هاجر أم اسماعيل . وأما رمل الطواف ، فهو الذي أمر به النبي ، أصحابه في عمرة القضاء ليُري المشركين قوتهم ، حيث قالوا : وهنتهم حمى يثرب^٤ .

١ البقرة ، الآية ١٥٨ .

٢ تاج العروس (٣/٣٠٤) ، (شعر) ، روح المعاني (٢/٤١) ، تفسير القرطبي ، الجامع (٢/١١٤) ، الأزرقى (٧٤) ، تفسير ابن كثير (١/١٩٨) ، صحيح البخاري (١/٤١٤) ، الموطأ (١/٣٧٣) ، ارشاد الساري (٣/١٨٧) .

٣ تفسير الطبري (٢/٢٧ وما بعدها) ، الطبرسي (٢/٤٥) ، ابن كثير (١/١٨٨) ، (٢٠٠) ، البخاري (١/٤١٤) ، (باب ٧٩) ، الموطأ (١/٦٥٣) ، (١/٣٧١) ، (باب ٤٠) .

٤ اللسان (١١/٢٩٥ وما بعدها) ، (رمل) .

وورد في خبر عن (عائشة) أنها قالت : « إن الأنصار كانوا يهلّون في الجاهلية لصنمين على شطّ البحر ، يقال لهما : إساف ونائلة ، ثم يجيئون ، فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون ، فلما جاء الإسلام ، كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل : إن الصفا والمروة من شعائر الله إلى آخرها . قالت : فطافوا » . وهو خبر يناقض أخباراً أخرى يتصل سندها بـ (عائشة) ، تجمع على أنها قالت : إن الأنصار أو الأنصار وغسان كانوا قبل أن يسلموا يصلّون لمناة ، فلا يحلّ لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، وكان ذلك سنة في آبائهم من أحرم لمناة لم يطف بين الصفا والمروة^١ ، ولم أجسد في خبر آخر شيئاً يفيد أن إسافاً ونائلة كانا على ساحل البحر .

و (السعي) في الإسلام سبعة أشواط ، تبدأ بالصفا ، وتختتم بالمروة . وعندما يصل الحاج حد (السعي) يسعى ويهرول ، فإذا جاز الحد مشى . وكان الجاهليون يبدأون بـ (الصفا) وينتهون بـ (المروة) كذلك^٢ .

ومن مناسك حج أهل الجاهلية الوقوف بـ (عرفة) ، ويكون ذلك في التاسع من ذي الحجة ويسمى (يوم عرفة) . ومن (عرفة) تكون (الإجازة) للإفاضة إلى (المزدلفة) ، ومن (المزدلفة) إلى (منى) . وقد كان الجاهليون من غير قریش يفيضون في عرفة عند غروب الشمس ، وأما في المزدلفة فعند شروقها . وكان الذي يتولى الإجازة رجلاً من تميم يقال له (صوفة) ، ثم انتقلت إلى (صفوان) من تميم كذلك^٣ . ولم يكن (الحمس) يحضرون عرفة ، وإنما يقفون بالمزدلفة ، وكان سائر الناس يقف بعرفة . ولما رأى أحد الصحابة رسول الله واقفاً بعرفة عجب من شأنه وأنكر منه ما رأى لأنه من الحمس ، وما كان يظن أنه يخالف قومه في ذلك ، فيساوي نفسه بسائر الناس^٤ . فأنزل الله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم »^٥ ،

-
- ١ صحيح مسلم (٦٨/٤) ، (باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به) .
 - ٢ راجع باب الحج في كتب الحديث والفقه .
 - ٣ ابن هشام (٧٧ ، ٨٢) ، اللسان (١٩١/٧) ، تاج العروس (١٩٣/٦) ، الروض الأنف (٨٦/١) ، الصحاح (١٠٩٩/٣) ، البلدان (١٠٤/٤) .
 - ٤ ارشاد الساري (٢٠٠/٣) ، تفسير الطبرسي (٢٩٦/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٤٢/١) وما بعدها ، أسباب النزول (٤٢) .
 - ٥ البقرة ، الآية ١٩٩ .

فشمل ذلك الخمس وغيرهم . فأخذوا يقفون كلهم موقف عرفة ، ووضع عن قريش ما فعلوه من تمييز أنفسهم عن الناس^١ .

وورد في روايات أخرى ، أن قريشاً وكل حليف لهم وبني أخت لهم ، لا يفيضون من عرفات ، إنما يفيضون من المغمس ، وورد أن قريشاً وكل ابن أخت وحليف لهم ، لا يفيضون مع الناس من عرفات ، يقفون في الحرم ولا يخرجون منه . يقولون : إنما نحن أهل حرم الله ، فلا نخرج من حرمه ، وأنهم قالوا « نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمه وولاة البيت ، وقاطنوا مكة وساكنوها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل مترلنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما نعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل ، كما تعظمون الحرم . فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها »^٢ .

وذكر أن قريشاً ومن دان بدينها تفيض من (جمع) من المشعر الحرام^٣ . و (جمع) المزدلفة^٤ .

و (عرفة) أو (عرفات) موضع على مسافة غير بعيدة عن مكة^٥ . لا بد وان يكون من المواضع التي كان يقدها أهل الجاهلية ، وان يكون له ارتباط بصنم من الأصنام ، وإلا لما صار جزءاً من أجزاء مناسك الحج وشعائره عند الجاهليين . ويقف الحجاج موقف عرفة من الظهر الى وقت الغروب . وقد يكون لموقف الجاهليين في عرفة وقت الغروب علاقة بعبادة الشمس . فإذا غربت الشمس اتجه الحجاج الى (المزدلفة) .

١ تفسير الطبري (١٦٦/٢) وما بعدها .

٢ تفسير الطبري (١٧٠/٢) .

٣ أسباب النزول (٤٢) .

٤ قال أبو ذؤيب :

فبات بجمع ثم تم الى منى فاصبح رادا يبتغي المزج بالسحل

ناج العروس (٣٠٥/٥) ، (جمع) .

٥ (وعرفات ، موقف الحاج ذلك اليوم على اثني عشر ميلا من مكة) ، تاج العروس (١٩٣/٦) ، تفسير الطبري (١١٤/٤) وما بعدها ، أخبار مكة (١١٥/١) وما بعدها .

الإفاضة :

ومن (عرفة) تكون الإفاضة الى (المزدلفة) . و (المزدلفة) ، موضع يكاد يكون على منتصف الطريق بين (عرفة) و (منى) . وفيه يمضي الحجاج ليلتهم ، ليلة العاشر من (ذي الحجة) . ومنه تكون الإفاضة عند الشروق الى (منى) . وقد نعت بـ (المشعر الحرام) في القرآن الكريم^١ . ويذكر أهل الأخبار ان (قصي بن كلاب) ، كان قد أوقد ناراً على (المزدلفة) حتى يراها من دفع من عرفة ، وان العرب سارت على سنته هذه ، وبقيت توقدها حتى في الاسلام^٢ . ولا بد وان يكون من المواضع الجاهلية المقدسة كذلك ، التي كان لها صلة بالأصنام . وقد ذكر علماء اللغة اسم جبل بالمزدلفة دعوه (قزحاً) ، قالوا انه (هو القرن الذي يقف عنده الإمام)^٣ ، وذكروا ان (قزح) اسم شيطان^٤ . ونحن نعرف اسم صنم يقال له (قزاح) ، قد تكون له صلة بهذا الموضع .

وفيض الحجاج في الجاهلية عند طلوع شمس اليوم العاشر من ذي الحجة من (المزدلفة) الى (منى) ، لرمي الجمرات ولنحر الأضحية . و(منى) موضع لا يبعد كثيراً عن مكة . ولعلماء اللغة آراء في سبب التسمية ، من جملتها انها عرفت بذلك لما يمني بها من الدماء^٥ . وذكر بعض أهل الأخبار ان (عمرو بن لحي) نصب بمنى سبعة أصنام ، نصب على (القرن) الذي بين مسجد منى والجمرة الأولى صنماً ، ونصب على الجمرة الأولى صنماً ، وعلى الجمرة الوسطى صنماً ، وعلى شفير الوادي صنماً^٦ . ولا بد أن يكون لهذا الموضع صلة بالأصنام ، نظراً لما له من علاقة متينة بمناسك الحج . وقد يكون لرمي الجمرات ولنحر الذبائح صلة بتلك الأصنام .

- ١ سورة البقرة ، الآية ١٩٨ ، تفسير الطبري (١٦٤/٢) ، روح المعاني (٧٤/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٤٢/١) .
- ٢ نهاية الارب (١٠٩/١) ، (ذكر نيران العرب) ، صبح الاعشى (٤٠٩/١) ، الازرفي (٣٦ ، ١٣٠ ، ٤١١ ، ٤١٥) ، (وستنفلد) ، ابن هشام (٧٧) ، ابن سعد (٧٢/١) ، (صادر) ، اللسان (١٣٨/٩) ، البلدان (٥١٩/٤) ، تاج العروس (١٣١/٦) .
- ٣ تاج العروس (٢٠٧/٢) ، (قزح) .
- ٤ تاج العروس (٢٠٧/٢) ، (قزح) .
- ٥ تاج العروس (٣٤٨/١٠) ، (منى) .
- ٦ الازرفي (١٤٢/٢) .

وقد ذكر العلماء « أن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير »^١. وأن النبي خالفهم ، فأفاض حين أسفر قبل طلوع الشمس »^٢. وفي فعل المشركين ذلك ، ووقوفهم انتظاراً للإفاضة عند طلوع الشمس ، دلالة على عبادة الشمس عندهم ، ولهذا غيّر الرسول هذا الوقت .

و (رمي الجمرات) بمعنى من مناسك الحج وشعائره . وهو من شعائر الحج كذلك المعروفة في المحججات الأخرى من جزيرة العرب . كما كان معروفاً عند غير العرب أيضاً . وقد أشير إليه في التوراة^٣ . وهو معروف عند (بني إرم)^٤. وكلمة (رجم) من الكلمات السامية القديمة . وقد وردت في حديث (عبد الله ابن (مغفل) : لا ترجموا قبوري ، أي لا تجعلوا عليه الرجم ، وهي الحجارة ، على طريقة أهل الجاهلية ، ولا تجعلوه مستمراً مرتفعاً^٥ . وقد فعله أهل الجاهلية على سبيل التقدير والتعظيم . فكان أحدهم إذا مرّ بقبر ، وأراد تقدير صاحبه وتعظيمه وضع رجمة أو رجماً عليه .

(والجمرات) ، أي مواضع (رمي الجمرات) عديدة عند الجاهليين ، يطاف حولها ، ويحج إليها منها مواضع أصنام ، وأماكن مقدسة ، ومنها قبور أجداد . وقد ورد قسم بها في بيت ينسب إلى شاعر جاهلي^٦ . وترمي الجمرات على مكان عرف بـ (جمرّة العقبة) وبـ (الجمار) وبـ (موضع الجمار) وهو بـ (منى) ، وتتجمع وتتكوم عنده الحصى . وهي جمرات ثلاث : الجمرّة

١ ارشاد الساري (٢١٠/٣) .

٢ المصدر نفسه .

٣ التكوين ، الاصحاح الحادي والثلاثون ، (وقال لابان ليعقوب : هوذا هذه الرجمة ، وهو ذا النصب الذي وضعت بيني وبينك) ، الآية ٥١ .

٤ Shorter Ency., p. 464, Reste, S. 112.

٥ النهاية (٧٤/٢) (اللسان (١١٧/١٥) وما بعدها) ، تاج العروس (٣٠٤/٨) وما بعدها) ، (رجم) .

٦ المشرق : السنة : السنة التاسعة والثلاثون ، تموز - أيلول ١٩٤١ م ، (٢٤٦) ، Reste, S. 111.

٧ فأقسم بالذي قد كان ربي وأنصاب لسدى الجمرات مغر ابن هشام (٥٣٤) ، المشرق ، الجزء المذكور . قال حذيفة بن أنس الهذلي : لأدركهم شعث النوامي كأنهم سواشق حججاج توافي المجرم اللسان (٢١٧/٥) .

الأولى ، والجمرة الوسطى ، وجمرة العقبة^١ .

ويرجع أهل الأخبار مبدأ رمي الجمرات الى (عمرو بن لحي) . يذكرون انه جاء بسبعة أصنام فنصبها بـ (منى) ، عند مواضع الحجرات ، وعلى شفير الوادي ، ومواضع أخرى ، وقسم عليها حصص الجمار ، احدى وعشرين حصاة ، يرمي كل منها بثلاث جمرات ، ويقال للوثن حين يرمى : أنت أكبر من فلان الصنم الذي يرمى قبله^٢ .

وكانت إفاضة الجاهليين على هذا النحو : كان أمر الإفاضة بيد رجل من أسرة تناوبت هذا العمل أباً عن جد . وقد اشتهر منهم رجل عرف بـ (عميلة ابن خالد العدواني) ، واشتهر بين الناس بـ (أبي سيارة) . كان يجيز الناس من المزدلفة الى منى أربعين سنة . يركب حماراً أسود ، وينظر الى أعالي جبل (ثبير) ، فإذا شاهد عليها أشعة الشمس الأولى نادى : أشرق ثبير، كيما نغير ! ثم يجيز لهم بالإفاضة وفيه يقول الشاعر :

خلّوا الطريق عن أبي سيّاره وعن مواليه بني فزاره
حتى يجيز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جاره
فقد أجار الله من أجاره^٣

وضرب به المثل ، ف قيل : أصبح من غير أبي سيّارة^٤ .

وذكر (الجاحظ) أن اسم (أبي سيّارة) (عميلة بن أعزل) ، دفع بأهل الموسم أربعين عاماً ، ولم يكن غيره غيراً وإنما كان أتمازاً ، ولا يعرفون حماراً وحشياً عاش وعمر أطول من غير (أبي سيّارة)^٥ .

١ تاج العروس (١٠٧/٣) ، (حجر) ، (٣٤٨/١٠) ، (منى) .

٢ الأزرقي ، أخبار (ص ٤٠٢) ، (لايبزك) .

٣ اللسان (١٩١/٧) ، الروض الانف (٨٦/١) ، الميداني (٤٢١/١) وما بعدها ، البلدان (٦/٣) ، (ثبير) ، البكري (٣٣٥/١) ، (طبعة السقا) ، (وأبو سيّارة : عميلة بن أعزل) ، الحيوان (٢١٥/٧) ، (عبد السلام محمد هارون) ، ارشاد الساري (٢١٠/٣) .

٤ تاج العروس (٢٨٧/٣) ، (سير) ، نهاية الارب (٣٦/١٦) وما بعدها .

٥ الحيوان (١٣٩/١) .

وورد أن الذين كان لهم أمر الإجازة بالحجاج، وهي الإفاضة ، هم (صوفة) . وهم حيّ من مضر من نسل (الغوث بن مرّ بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر) ، وقد سمّوا (صوفة) و (آل صوفة) ، لأن (الغوث) أبوهم جعلت أمه في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها . وكانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج ، أي يفيضون بهم ، فيكونون أول من يدفع . وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيّزي صوفة ، فإذا أجازت ، قال : أجيّزي خندف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة . وكانت الإجازة بالحج اليهم في الجاهلية . وكانت العرب إذا حجت وحضرت عرفة لا تدفع منها حتى تدفع بها صوفة ، وكذلك لا ينفرون من (منى) حتى تنفر (صوفة) ، فإذا أبطأت بهم ، قالوا : أجيّزي صوفة . وورد أن (صوفة) قوم من (بني سعد بن زيد مناة) من تميم^١ .

ويفهم من رواية أن كلمة (صوفة) لم تكن اسم علم ، وإنما هي لفظة أطلقت على من كان يتولى البيت أو قام بشيء من خدمته ، أو بشيء من أمر المناسك^٢ . فهم من رجال الدين ، تخصصوا بالإجازة بالناس في مواسم الحج . ولعلمهم كانوا يضعون على رأسهم صوفة على هيئة عمامة أو عصابة ، أو عطر ، لتكون علامة على أنهم من أهل بيت دين وشرف . فعرفوا بـ (صوفة) وبـ (آل صوفة) وبـ (صوفان) . وفي ذلك قال (مرة بن خليف الفهمي) ، وهو شاعر جاهلي قديم :

إذا ما أجازت صوفة النقب من منى ولاح قنار فوقه سفع الدم^٣

و (يظهر) من الروايات الواردة عن (ثبير) ، أنه كان من المواضع المقدسة عند الجاهليين، أو أن على قمته صنماً أو بيتاً كانوا يصعدون إليه لزيارته وللتبرك به^٤ . ومن الشعائر المتعلقة بمنى نحر الذبائح ، وهي الأضحية في الاسلام و (العتائر)

-
- ١ تاج العروس (١٦٩/٦) ، (صوف) ، معجم الشعراء (٣٨٢) ، ابن هشام (٨٢ ، ٧٧/١) .
 - ٢ الروض الانف (٨٥/١) .
 - ٣ معجم الشعراء (٣٨٢) .
 - ٤ المشرق ، السنة التاسعة والثلاثون (١٩٤١ م) ، (ص ٢٥٩) .

في الجاهلية . ولذلك عرف هذا العيد : عيد الحج ب (عيد الأضحى) . وعرف اليوم الذي تضحي به الأضحية ب (يوم النحر) وب (الأضحى) وب (يوم الأضحى) . وكانوا ينحرونها على الأنصاب وعلى مقربة من الأصنام ، فتوزع على الحاضرين ليأكلوها جماعة أو تعطى للأفراد . وقد ترك لكواسر الجو وضواري الر فلا (يصد عنها انسان ولا سبع)^١ . وتبلغ ذروة الحج عند تقديم العتائر ، لأنها أسمى مظاهر العبادة في الأديان القديمة .

وكان الجاهليون يقلدون هديهم بقلادة ، أو بنعلين ، يعلقان على رقبتهم الهدي ، اشعاراً للناس بأن الحيوان هو هدي ، فلا يجوز الاعتداء عليه ، كما كانوا يشعرونه . والإشعار بالإعلام . وهو ان يشق جلد البدنة أو يطعن في اسنمها في أحد الجانبين بمبضع أو نحوه ، وقيل في سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف انها هدي . والشعيرة البدنة المهداة^٢ .

وكان بعض أهل الجاهلية ، يسلخون جلود الهدي ، ليأخذوها معهم . ويتفق هذا مع لفظة (تشريق) التي تعني تقديد اللحم . ومنه سميت ايام التشريق ، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها ، أي تشرّر في الشمس^٣ . وقيل سمي التشريق تشريقاً ، لأن الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس^٤ . ويظهر ان الجاهليين كانوا ينحرون قبيل شروق الشمس وعند شروقها ، بدليل ما ورد في الحديث من النهي عن ذلك . ومن حديث : من ذبح قبل التشريق فليعد . أي قبل أن يصلي صلاة العيد ، وهو من شروق الشمس واشراقها ، لأن ذلك من وقتها^٥ .

ولا يحل للحجاج في الجاهلية حلق شعورهم أو تقصيرها طيلة حجهم ، وإلا بطل حجهم . ويلاحظ أن غير العرب من الساميين كانوا لا يسمحون بقص الشعر في مثل هذه المناسبات الدينية أيضاً ، لما للشعر من أهمية خاصة في الطقوس

١ ابن هشام (١٠٠) ، المشرق : السنة السابعة والثلثون ، كانون الثاني - اذار ١٩٣٩ م ، (٩٢) .

٢ نقتلهم جيلاً فجيلاً تراهم شعائر قربان بها يتقرب

٣ تاج العروس (٣/٣٠٣ وما بعدها) ، (شعر) .

٤ تاج العروس (٦/٣٩٣) ، (شرق) .

٥ المصدر نفسه .

٥ تاج العروس (٦/٣٩٣) ، (شرق) .

الدينية عندهم ، ولا سيما اللحية لما لها من علاقة بالدين . ولهذا نجد رجال الدين والزهاد والأتقياء الورعين يحافظون عليها ويعتبرونها مظهراً من مظاهر التدين^١ . وقد كانت القبائل لا تخلق شعورها في مواسم حجتها إلا عند أصنامها ، فكان الأوس إذا حجوا وقفوا مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم ، فإذا نفروا أتوا صنمهم مناة فحلقوا رؤوسهم عنده ، وأقاموا لا يرون لحجتهم تماماً إلا بذلك^٢ . وكانت قضاة ولحم وجذام تحج للأقصر وتخلق عنده^٣ .

وكان من عادة بعض القبائل ، مثل بعض قبائل اليمن ، لقاء قرة من دقيق مع الشعر^٤ . وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق ، فإذا حلقوا رؤوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق، ويجعلون ذلك الدقيق صدقة ، فكان ناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، فيرمون بالشعر وينتفعون بالدقيق . وفي ذلك يقول معاوية بن أبي معاوية الجرمي :

ألم ترَ جرماً أنجبت وأبوكم مع الشعر في قص الملبد شارع
إذا قرة جاءت تقول أصب بها سوى القمل إني من هوازن ضارع^٥

وكان من يقصد العزى يذبح عند شجرة هناك ثم يدعون ، وكان من يقصد مناة يهدي لها كما كان غيرهم يهدي للكعبة ويطوفون بها ثم ينحرون عندها ، وكان عبدة ذي الخلصة في أسفل مكة يذبحون عنده كذلك^٦ . وكذلك كانت بقية القبائل تطوف في أعيادها حول أصنامها ، وتهدي إليها ، ثم تتحر عندها عند اكتمالها هذه الشعائر دلالة على اكتمالها شعائر الحج الى هذه المواضع وانتهائها منها على أحسن وجه .

وتميز الحيوانات التي يهيتها أصحابها أو مشروها للذبح في الحج بعلامات ، بأن توضع عليها قلائد تجعلها معروفة ، أو ان يحدث لها جرح ليسيل منه الدم ليكون ذلك علامة أنها هدي . ويقال لذلك إشعار ، ومنه إشعار البدن ، وهو ان يشق

Smith, p. 323.

١ الاصنام (ص ١٤) ، البلدان (١٦٩/٨) ، الأزرقى (٧٣/١) .

Reste, S. 62.

٢ الاصنام (ص ٤٨) ، البلدان (٣١٤/١) ، وما بعدها ، Reste, S. 62. ff.

٣ الاصنام (ص ٤٨) ، البلدان (٣١٤/١) ، (قرر) .

٤ تاج العروس (٤٨٦/٣) ، (قرر) .

٥ بلوغ الأرب (٣٤٤/١) وما بعدها .

أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل منه الدم ليكون ذلك علامة الهدي^١ . وقد كان من أهل مكة من يتخذ من لحاء شجر الحرم قلادة يضعها في عنق البدن ، لتكون دلالة على أنها هدي ، فلا يعترضها أحد^٢ .

ويجوز للحجاج مغادرة (منى) في اليوم العاشر من ذي الحجة ، أي في اليوم الأول من العيد ، ففي هذا اليوم يكمل الحجاج حجهم ، ولكن منهم من يملك في هذا الموضع حتى اليوم الثالث عشر ، وذلك ابتهاجاً بأيام العيد ، ومشاركة لآخوانه فيه . ويقال لذلك (التشريق) . وأيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر^٣ .

وكان أهل الجاهلية إذا قضوا مناسكهم وفرغوا من الحج ، وذبحوا نساكهم ، يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم ، فيقول بعضهم لبعض : كان أبي يطعم الطعام ، ويقول بعضهم : كان أبي يضرب بالسيف ، ويقول بعضهم : كان أبي جزّ نواصي بني فلان . يقولون ذلك عند (الجمرة) ، أو عند البيت ، فيخطب خطيبهم ويحدث محدثهم . أو أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم وأقاموا بمنى قعدوا حلقاتاً ، فذكروا صنيع آبائهم في الجاهلية وفعالهم به ، يقوم الرجل ، فيقول : اللهم ان أبي كان عظيم الجفنة عظيم القبّة كثير المال ، وما شاكل ذلك ، فنزل الوحي : « فإذا قضيتُم مناسككم ، فاذكروا الله كذاكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً »^٤ .

وكانوا إذا خرج أحدهم من بيته يريد الحج ، تقلد قلادة من لحاء السمر ، دلالة على ذهابهم الى الحج ، فيأمن حتى يأتي أهله . وذكر انه كان يقلد نفسه وناقته ، فإذا أراد العودة عادوا مقلدين بلحاء السمر . وروي أنهم إذا أرادوا الحج مقبلين الى مكة يتقلدون من لحاء السمر ، وإذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها ، تقلدوا قلادة شعر فلا يعرض لهم أحد بسوء . بقي ذلك شأنهم حتى نزل الأمر بمنع دخول المشركين مكة وبوجوب قتلهم حيث وجدوا^٥ .

-
- ١ النهاية (٤٤٢/٢) .
 - ٢ اللسان (٣٦٩/٤) ، (٨١/٦ وما بعدها) ، الموطأ (٢٤٩/١) ، مسند ابن حنبل (٢١٦/١ ، ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٤٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩) ، (٣٥/٦ ، ٨٢ ، ٨٧) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩٣/٦) . (شرق) .
 - ٤ البقرة ، الآية ٢٠٠ ، تفسير الطبري (١٧٢/٢) وما بعدها ، تفسير الطبرسي (٢٩٦/٢ وما بعدها) .
 - ٥ تفسير الطبري (٣٧/٦ وما بعدها) ، اللسان (٣٦٧/٣) ، (قلد) .

التجارة في الحج :

قال علماء التفسير : كان متجر الناس في الجاهلية : عكاظ وذو المجاز ، فكانوا إذا أحرموا لم يتبايعوا حتى يقضوا حجهم . ويقولون أيام الحج أيام ذكر . وقالوا : « كان هذا الحي من العرب لا يعرجون على كسير ولا ضالة ليلة النفر . وكانوا يسمونها ليلة الصدر ، ولا يطلبون فيها تجارة ولا بيعاً » . وقالوا : « كان بعض الحاج يسمون الداج . فكانوا يتزلون في الشق الأيسر من منى . وكان الحاج يتزلون عند مسجد منى ، فكانوا لا يتجرون حتى نزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم . هي التجارة . قال : اتجروا في الموسم »^١ . والصدر الإفاضة . ومنه طواف الصدر . وهو طواف الإفاضة^٢ .

والداج : الأجراء والمكارون والأعوان ونحوهم الذين مع الحاج^٣ . وذكر ان قوماً جاءوا الى (عبدالله بن عمر) ، فقالوا : « انا قوم نكسرى ، فيزعمون انه ليس لنا حج . قال : ألسنتم تحرمون كما يحرمون ، وتطوفون كما يطوفون ، وترمون كما يرمون ؟ » قالوا بلى . قال فأنتم حاج^٤ . ومن يكرى لخدمة الحاج ، فهو من الداج .

العمرة :

و (العمرة) هي بمثابة (الحج الأصغر) في الاسلام ، وكان أهل الجاهلية يقومون بأدائها في شهر (رجب) . وللعمرة في الاسلام شعائر ومناسك ، وتكون بالطواف بالبيت وبالسعي بين الصفا والمروة . ولا بد أن يكون لها عند الجاهليين شعائر ومناسك . وهي في الاسلام فردية اختيارية ، وهي تختلف بذلك عن الحج الذي هو فرض عين على كل مسلم مستطيع ، وجماعي ، أي ان المشتركين فيه يؤدونه جماعة^٥ . أما بالنسبة الى الجاهليين ، فيظهر من ذكر العمرة في القرآن

- ١ تفسير الطبري (١٦٤/٢) وما بعدها (.
- ٢ تاج العروس (٣٢٨/٣) ، (صدر) .
- ٣ تاج العروس (٣٩/٢) ، (دج) .
- ٤ تفسير الطبري (١٦٤/٢) وما بعدها (.
- ٥ Shorter Ency. of Islam, p. 604. ff.

الكريم انهم كانوا يؤدونها كما كانوا يؤدون الحج ، ولوقوعها في شهر رجب ، وهو شهر كان الجاهليون يذبحون العتائر فيه ، لعلنا لا نخطيء اذا قلنا انهم كانوا يذبحون ذبائحهم في العمرة ، حينما يأتون أصنامهم فيطوفون حولها ، أما في الاسلام ، فالعمرة دون الحج . وإذ كانت في شهر رجب في الجاهلية . كانت حجاً خاصاً مستقلاً عن الحج الآخر الذي يقع في شهر ذي الحجة. حرص الجاهليون على ألا يوافق موعدها موعد مواسم الحج ، لما كان لها من أهمية عظيمة عندهم قد تزيد على الطواف المألوف في شهر الحج^١ .

وورد ان أهل الجاهلية كانوا يرون ان العمرة من أشهر الحج : شوال وذي القعدة وتسع من الحجة وليلة النحر ، أو عشر أو ذي الحجة من الفجور في الأرض ، أي من الذنوب^٢ ، ولكن بعضاً آخر كان يعتمر في كل شهر ، ولا سيما في رجب ، حيث كانوا يخلقون رؤوسهم ويجيئون الى محجاتهم للعمرة . وورد ان أهل الجاهلية « كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أكبر الكبائر . ويقولون : اذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمر »^٣ .

وذكر ان الأشهر الحرم ثلاثة سرداً وواحداً فرداً ، وهو رجب . أما الثلاثة ، فليأمن من الحجاج واردين الى مكة وصادرين عنها ، شهراً قبل شهر الحج ، وشهراً بعده ، قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ، ثم يرجع . وأما رجب ، فللمعتمر يأمنون فيه مقبلين وراجمين نصف الشهر للإقبال ونصفه للاياب ، إذ لا تكون العمرة من أقاصي بلاد العرب كما يكون الحج . وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً^٤ .

ويلبس المعتمر (الاحرام) أيضاً . وقد كان الجاهليون يكتفون في عمرتهم بالطواف بالبيت ، أما (السعي) بين الصفا والمروة ، فأغلب الظن ان العرب لم يكونوا يقومون به . بدليل ما ورد في القرآن الكريم من قوله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما .

١ المشرق ، الجزء ٣٩ (١٩٤١) ، (ص ٢٥٠) ، Reste, S. 84 .
٢ ارشاد الساري (١٧٤/٦) .
٣ الروض الانف (٣٥١/١) .
٤ الروض الانف (٦٠/٢) .

ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ^١ . ففي هذا النص دلالة على ان الجاهليين من غير قریش لم يكونوا يدخلون السعي بينهما في شعائر الحج أو العمرة ، وان الله أمر بادخاله فيها . أما موقف الجاهليين بالنسبة لطواف العمرة ، فهو نفس موقفهم بالنسبة للطواف بالبيت في أثناء الحج ، والفرق بين الحج والعمرة ، ان الحج هو الاحرام ثم الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وقضاء مناسك عرفة والمزدلفة والوقوف بالمواضع التي أمر بالوقوف بها ، بينما العمرة الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ^٢ ، فلا يكون موقف عرفة من العمرة . وكان الجاهليون يحلقون رؤوسهم للعمرة ، ويكون حلق الرأس علامة لها . فاذا وجدوا رجلاً وقد حلق رأسه علموا انه من (الهار) ، فلا يمسونه بسوء ، إلا اذا مس أحداً بسوء احتراماً للعمرة ولشعائر الدين ^٣ .

والفرق بين العمرة والحج في الاسلام ، ان العمرة تكون للانسان في السنة كلها ، والحج في وقت واحد في السنة . وتنام العمرة ان يُطاف بالبيت ، ويسعى بين الصفا والمروة ، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة واجراء بقية المناسك ^٤ .

وتقبيل الأحجار والأصنام واستلامها في أثناء الطواف أو في غير الطواف من الشعائر الدينية عند الجاهليين. كان في روعهم ان هذا التقبيل مما يقربهم الى الآلهة ، ويوصلهم اليها ، فتقربوا اليها ونصبوها في مواضع ظاهرة ، ومسحوا أجسامهم بها تبركاً . وكلمة (تمسح) من الكلمات التي لها معاني عند الجاهليين ، وكذلك كلمة (استلم) و (استلام) عند أهل مكة خاصة حيث استعملت بالنسبة للحجر الأسود . وطريقتهم ان يمر الانسان يده على الحجر المقدس أو ان يمسسه بها إن صعب استلامه كله . وقد يعرض عن ذلك بعضا يمدّها الانسان الى الحجر حتى

١ البقرة ، الآية ١٥٨ .

٢ تفسير الطبري (٢/١٢٠ وما بعدها) .

٣ « وقد كان حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمار فلا بأس علينا منهم » ، تفسير الطبري (٢/٢٠٢) .

٤ اللسان (٦/٢٨٢) ، تاج العروس (٣/٤٢٢ وما بعدها) ، اللسان (٤/٦٠٤) ، (صادر) ، البلدان (٤/١٥٤) ، الاقناع (١/٣٣٤ ، ٣٩٧ وما بعدها) .

تلمسه ، وإذا تعذر الوصول إليه بسبب ما ، فيجوز أن يفعل ذلك راكباً على جمل^١ .

ومن هذا القبيل أيضاً طرق مطارق أبواب البيوت المقدسة طرقات خفيفة ، وامرار بعض الأشياء مثل الملابس على الأصنام والصخور والمواضع المقدسة لاكتساب الركة ، والتمسح بجدران البيت أو استلام أركانه أو التعلق بأطراف الكسوة . وتلطيف الأحمجار بدماء الضحية التي تقدم للأوثان وذلك بصب الدماء عليها ، أو بتلطيفها وتلوينها كلها أو جزء منها بدم الضحية ، توكيداً بإراقة دم الضحية في نفس من ضحيت الضحية من أجله^٢ .

وقيل إن من شعائر الجاهليين في الحج أن الرجل منهم كان إذا أحرم ، تقلد قلادة من شعر ، فلا يتعرض له أحد . فإذا حجّ وقضى حجّه ، تقلد قلادة من (إذخير) ، والإذخير نبات زكي الرائحة ، وأن الرجل منهم يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم ، فلا يخاف من أحد ، ولا يتعرض له أحد بسوء^٣ . وتذكرنا هذه العادة بما يلبسه بعض الحجاج عند اتمامهم حجّهم وعودتهم إلى بلادهم من لباس (كوفية) خاصة بأهل مكة ومن عقّال حجازي وذلك بالنسبة للرجال ، وخمار أبيض بالنسبة للنساء ، وذلك طيلة الأيام السبعة الأولى من احتفالهم بالعودة من الحج .

ولم يكن الجاهليون القريبون من مكة أو البعيدون عنها يقصدونها في حج (عرفة) وعمره (رجب) حسب ، بل كانوا يقصدونها في أوقات مختلفة وفي المناسبات ، للطواف حول الأصنام ، واستلام الحجر الأسود ، والتقرب إلى الآلهة المحلية . وقد ساعد ذكاء سادة قریش السدي تجلّي في جمعهم أكثر ما أمكنهم جمعه من أصنام القبائل في (البيت الحرام) ، على اجتذاب القبائل إليها ، وبذلك نشطوا في استغلال مواسم الحج والعمرة بالاستفادة من القادمين بالأتجار معهم ، وبيع ما

١ وفي الحديث أن الرسول طاف وسعى بين الصفا والمروة ، وهو على ظهر جمل ، البخاري (٦٦/١ ، ٢١١) ، السنن (٣٧/٢ ، ٣٩) ، مسلم (٤٨٦/١ ، ٤٨٨) ، الأغانى (١٦٦/١٣) ، المشرق ، السنة السابعة والثلاثون ، كانون الثاني - آذار ١٩٣٩ م (ص ٨٧ وما بعدها) .

٢ Reste, S. 109.

٣ بلوغ الارب (٢٨٩/٢) .

يحتاجون اليه من طعام وزاد ، فحصلوا على مال ، حسدهم عليه الآخرون .
فكان الفضل في ذلك للبيت . والى ذلك أشير في القرآن ، في سورة (قريش) :
« فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^١ .

هذا ما عرفناه عن شعائر الحج الى مكة وعن مناسكه في الجاهلية المتصلة
بالاسلام . أما عن الحج الى البيوت الأخرى وعن شعائره ومناسكه ، فلا نكاد
نعرف من أمرها شيئاً يذكر . ولكننا نستطيع ان نقول ان من أهم أركان الحج
عند جميع الجاهليين ، وجوب مراعاة النظافة ، نظافة الجسم ونظافة الثياب .
ولذلك ، كانوا اذا حجّوا لبسوا ملابس خاصة بالحج هي (الاحرام) أو ملابس
جديدة ، أو ملابس مستعملة نظيفة مغسولة ، وذلك لحرمه هذه المواضع وقدسيتهما ،
فلا يجوز دخولها بملابس وسخة دنسة ، واذا كانوا يلبسون أحسن ما عندهم عند
ذهابهم الى مقابلة عظيم أو سيد قبيلة أو رجل محترم ، احتراماً له واجلالاً لشأنه ،
أفلا يجب اذن لبس خير ما عند الانسان من ثياب لدخول بيوت الآلهة ، ولا سيما
في مواسم الحج ؟ . وكان منهم من يوجب على نفسه الغسل وتنظيف جسده حين
دخوله المعبد أو اعتزامه الحج .

وتقبيل الأصنام والأحجار واستلامها في أثناء الطواف ، والتمسح لها ، من الشعائر
الدينية اللازمة في الحج وفي غير مواسم الحج عند الزيارات . كان في روعهم ان
هذا التقبيل مما يقربهم الى الآلهة ، ويوصلهم اليها ، فتجعلها ترضى عنهم وتشفيهم
مما هم فيه من سقم وأمراض ، فتقربوا اليها ومسحوا أجسامهم بها تبركاً وتقرباً .
و (التمسح) بالصنم أو الحجر المقدس ، التبرك به لفضله وعبادته ، كأنه يتقرب
الى الآلهة بالدنو منه ولمسه^٢ . وقد ذكر أهل الأخبار ان الجاهليين كانوا
المرضى وثيابهم ، لازالة السوء عنهم . وقد ذكر أهل الأخبار ان الجاهليين كانوا
يتمسحون بأصنامهم ، ويمسحون ظهورهم بها ، لاعتقادهم انها تشفيهم من كل
ألم وسوء .

واستلام الصنم أو الحجر المقدس ، هو نوع من أنواع التقدير والتعظيم والتقرب .
ويراد بذلك تقبيل الحجر ولمسه وتناوله باليد ومسحه بالكف . واذا صعب الوصول

١ سورة قريش ، الرقم ١٠٦ ، رقم الآية ٣ وما بعدها ، تفسير الطبري (١٩٧/٣٠) ،
روح المعاني (٢٤١/٣٠) .

٢ تاج العروس (٢٢٦/٢) ، (مسح) .

اليه لشدة الازدحام ، فقد يمدّ أحدهم قصبة أو عوداً أو عصاً اليه لمسه، فيكون لمس هذه الأشياء له ، كأنه لمس حقيقي ، يجلب لصاحبه ما تمناه وطلبه ورجاه من ذلك الصنم أو الحجر^١ .

وقد أشار بعض (الكلاسيكيين) الى وجود غابة من النخيل في ركن من البحر الأحمر ، كان يؤمّها النبط للتبرك بها ، إذ كانت في نظرهم أرضاً مقدسة، عليها معبد من الحجر عليه كتابة ، وصفوها بأنها كتابة لا يستطيع اليوناني قراءتها ، وبه كهّان وكاهنات يقضون عمرهم في خدمة ذلك المعبد . قالوا : وفي كل خمس سنين يحج الناس اليه ، ويتجمعون عنده ، ويحضر معهم من في جوار المعبد من ناس ، فيذبحون ، ويتقربون الى آلهتهم . فإذا عادوا أخذوا معهم ماءً من ذلك المكان ، للتبرك به ، لاعتقادهم أنه يمنحهم الصحة والعافية . وذكر بعض آخر أن الحج الى هذا البيت كان مرتين في السنة : الحج الأول في مطلع السنة ، ويستغرق شهراً واحداً . أما الحج الثاني فيكون في نهاية الصيف، ويستغرق شهرين . وتكون هذه الأشهر الثلاثة أشهراً حرماً لا يحل فيها قتال ، يعمّها سلم أو جبتسه الآلهة على الانسان والحيوان^٢ .

ونرى في هذه الشعائر مشابهة كبيرة لشعائر الحج في مكة . ولولا تعيين هؤلاء الكتبة المكان ، ونصهم على أنه على البحر الأحمر ، وانه غابة نخيل ، لانصرف الذهن الى مكة ، إذ نجد أن شعائر الحج فيها تشبه هذه الشعائر ، واستقائهم من ماء (زمزم) للتبرك به ، يشبه استقائهم هؤلاء من بئر معبدهم هذا ، وقد أهل أولئك الكتبة أسماء الأشهر الحرم الثلاثة ، فأضاعوا علينا فرصة ثمينة كانت تساعدنا كثيراً في الوقوف على تثبيت الأشهر عند الجاهليين .

ويلاحظ أن النبط كانوا يعقدون في أثناء هذه الأشهر الحرم سوقاً ، تذكرنا بسوق عكاظ التي كان يعقدها أهل الحجاز . ولا شك أن موسم الحج في المعبد المذكور ، الذي يتحول الى سوق للبيع والشراء ، يشبه موسم الحج في مكة حيث ينقلب أيضاً الى سوق .

١ اللسان (٢٩٧/١٢) ، (سلم) .

٢ Die Araber in der Alten Welt, I, S. 32. f.

الأعياد :

والأعياد من جملة مظاهر الأديان وشعائرها. والحج في حد ذاته عيد من أعياد الجاهليين . وقد كانت للجاهليين أعياد لها صلة بأديانهم ، غير اننا لا نستطيع ان نتحدث بالطبع عن وجود أعياد عامة يعيد فيها جميع الجاهليين عبدة الأصنام ، لأن الأعياد العامة تستدعي وجود ديانة واحدة وعبادة إله أو آلهة مشتركة يعبدها جميع القوم ، واذ كانت العرب لا تعبد إلهاً واحداً أو آلهة مشتركة يقدها أهل الوبر وأهل المدر منهم جميعاً ، فلا يمكن ان نتصور وجود أعياد عامة لجميع العرب ، في عهود ما قبل الاسلام .

ولفظة العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد على رأي علماء اللغة ^١ . وهو بالمعنى المعروف الذي يخص الاحتفالات الدينية من الألفاظ المعربة المأخوذة عن لغة بني إرم على رأي المستشرقين . فـ (عيدا) في الإرامية هي (العيد) في العربية ^٢ .

١ تاج العروس (٤٣٨/٢) ، اللسان (٣١٣/٤) ، بلوغ العرب (٣٤٤/١) .
٢ Ency., II, p. 444.

الفصل الثالث والسبعون

بيوت العبادة

والمعبد هو الموضع المخصص للعبادة . وقد وردت في النصوص الجاهلية وفي عربية القرآن الكريم ألفاظ تؤدي هذا المعنى ، فقد كان الجاهليون قد اتخذوا معابد ثابتة ومعابد متنقلة مثل بيوت الوبر ، تعبدوا بها الى معبوداتهم قبل الاسلام وقبل الميلاد .

فقد كانت القبائل في حركة دائمة ، بحثاً عن الغزو والكلأ والماء . وكانت آلهتها في حركة دائمة أيضاً ، ترحل مع المتعبدين لها ، وتستقر عند استقرارهم بمكان ما . وعند نزول القبيلة في موضع ما توضع الأصنام في قبعتها ، وهي خيمة تقوم مقام المعبد الثابت عند أهل المدر . وتكون للخيمة بسبب ذلك قدسية خاصة ، وللموضع الذي تثبت عليه حرمة ما دامت الخيمة فوقه . وقد كانت معابد القبائل المتنقلة كلها في الأصل على هذا الطراز^١ . ولم يكن من السهل على أهل الوبر تغيير طراز هذا المعبد، واتخاذ معبد ثابت . لخروج ذلك على سنن الآباء والأجداد . ولذلك لم يرض العبرانيون عن المعبد الثابت الذي أقامه سليمان ، لما فيه من نيل للخيمة المقدسة التي كانت المعبد القديم لهم وهم في حالة تنقل من مكان الى مكان . ثم ان أهل الوبر قوم رحل ، ولا يمكن لمن هذا حاله اتخاذ معبد ثابت له ، لما كان عليه من وجوب نقل أصنامهم معه حيث يذهب .

Die Araber, III, S. 132.

وليبيوت الأصنام سدنة ، يحفظون الأصنام بها ويرعونها ، وينقلونها معهم حيث ترحل القبيلة ، فإذا نزلت نزلوا بها ، ليقيموا لها الواجبات الدينية المفروضة في الخيمة المقدسة . حيث فرضت طبيعة البداوة على أصحابها هذا النوع من أنواع البيوت المقدسة ، وهذه الطقوس الدينية التي تلائم حياة الأعراب .

وبيوت العبادة عند الجاهليين ثلاثة أنواع : بيوت عبادة خاصة بالمشركون عبدة الأصنام ، وهم الكثرة الغالبة ، وبيوت عبادة خاصة باليهود ، وبيوت عبادة خاصة بالنصارى . أما بيوت عبادة المجوس ، فقد عرفت في العربية الشرقية وفي العربية الجنوبية ، ولكن عبادة هم من المجوس ، أي العجم ، فالمجوسية لم تنتشر بين العرب ، ولم تدخل بينهم إلا بين عدد قليل من الناس .

وما ذكرته عن بيوت العبادة ، خاص بالمعابد العامة ، وهناك مواضع عبادة خاصة ، جعلت في البيوت ، وضع أصحابها أصنامهم في ركن من أركانها ، وتقربوا إليها . روي أن العباس ، كان قد أقام الصنمين أسافاً ونائلة في ركن داره ، وكانا حجرتين عظيمين^١ . واحتفظ غيره بأصنام في بيوتهم للتبرك بها ، ولحماية البيت ، وكانوا إذا سافروا حملوا أصنامهم الصغيرة معهم للاحتماء بها ، وأخذ بعض شباب المدينة ما وجدته من أصنام في البيوت ، تعبد لها آبائهم فحطموها ، ومنهم من رماها في مواضع العذرة والقاذورات .

وقد استطعنا اليوم بفضل جهود السياح والمثقفين والباحثين من الحصول على بعض المعلومات عن معابد جاهلية كانت عامرة يوماً ما . وذلك بعثور المذكورين على ألواح مكتوبة وجدت في خرائب تلك المعابد . ولكن ما عثر عليه ، لا صلة له بالدين في الغالب ، فليس فيه أدعية أو صلوات أو كتابات تفصح عن عقائد القوم وعن أمور دينهم . ولهذا فإن علمنا بديانات الجاهليين لا يزال ضحلاً ، لم يتقدم تقدماً مرضياً ، وأملنا الوحيد في زيادته هو في المستقبل ، فلعله يخرج من صناديق سره المكتومة ما يفصح عن عقائد القوم .

وقد اتخذ بعض العرب ، وهم المتمكنون ، بيوتاً وكعبات لعبادة أصنامهم ، وضعوا أصنامهم في أجوافها ، ومنهم من اتخذ صنماً ، فلم يكن عليه بناء ، لعدم استطاعته ذلك . ومن لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت ، نصب حجراً أمام

١ الازدقي (١١٢/١) ، (١٨٨/٢) .

الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، وسمّوها
الأنصاب^١ .

وذكر أن (وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي) ، كان قد اتخذ له صرحاً
بالحزورة ، سوق كانت بمكة ، يرتقيه بسلام يتعبد فيه ، فعرف بصاحب الصرح^٢ .
والبيت ، مأوى الانسان ومسكنه في الأصل ، ثم تجوز الناس فأطلقوا اللفظة
على المعبد ، باعتبار أنه بيت الآلهة أو الإله ، لاعتقادهم أن الآلهة تحل به^٣ .
وقد كانوا يضعون الصنم أو الأصنام فيه . ويقال للبيت عندئذ (بيت الله) أو
(بيت ريام) وهو بيت يذكر (ابن الكلبي) أنه كان لحمير بصنعاء ، وأن
الناس كانوا يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح^٤ ، أو (بيت الربة) وما شاكل
ذلك ، بحسب اختصاص البيت بالصنم .

كذلك أطلقت كلمة (بيت) بمعنى معبد في نصوص المسند،فورد : (وقدسو
بيت مرب) ، أي (وقدسوا بيت مأرب) أو (وبيت مأرب المقدس)^٥ .
فلفظة بيت هي اللفظة التي استعملت لمواضع العبادة ، أي المعبد ، أطلقت قبل
اسم الإله أو الموضع لتدل على التخصيص . وهي ترد في لغات سامية أخرى في
هذا المعنى نفسه .

وأما (الكعبة) فالبيت المربع ، وكل بيت مربع كعبة عند العرب . وقد
خصص في الإسلام بالبيت الحرام بمكة . والكعبة الغرفة أيضاً . وقد كان لربيعة
بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات ، وقيل : ذو الكعبات ، وقد ذكره الأسود
ابن يعفر في شعره ، فقال :

والبيتِ ذي الكعبات من سنداد^٦

والمسجد كل موضع يتعبد فيه^٧ . وقد استعملها الجاهليون بهذا المعنى أيضاً .

-
- ١ الاصنام (٢١) « روزا » .
 - ٢ تاج العروس (١٣٩/٢) ، (صرح) .
 - ٣ المفردات (٦٤) .
 - ٤ الاصنام (٧) « روزا » .
 - ٥ CIH 541, Le Muséon, 1934, LXVII, p. 103.
 - ٦ اللسان (٧١٨/١) ، المفردات (٤٤٦) .
 - ٧ اللسان (٢٠٤/٣) ، تاج العروس (٣٧١/٢) ، (مسجد) .

وقد وردت اللفظة في نصوص بني إرم وفي النصوص النبطية والصفوية . ورد على هذه الصورة (مسجدا) في نصوص بني إرم ، وورد على هذه الصورة في النصوص الصفوية أيضاً ، وقد عنت به معبداً^١ .

وقد عبر عن المعبد بلفظة (مكربن) ، أي (المكرب) أو (المكارب) في بعض نصوص المسند ؛ إذ ورد (مكربن يعق) ، بمعنى (معبد يعوق)^٢ . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (مكارب) في الحبشية ، ومعناها (معبد)^٣ . ولهذا ذهب (كلاسر) وغيره إلى أن (مكربة) Mocoraba ، المدينة المذكورة في (جغرافيا) (بطلميوس) هي (مكة) ، لأنها (مقربة) إلى الأصنام ، فهي بمعنى (البيت) و (الكعبة) في لهجتنا^٤ .

وتقابل كلمة (المعبد) كلمة Templum اللاتينية التي تعني موضعاً مربعاً ، فهي بمعنى (الكعبة) ، و (كعبة) في اللغة العربية . ويلاحظ توافق تام بين معنى الكلمتين في هاتين اللغتين^٥ . ولا بد أن يكون لاختاذ هذا الشكل للمعبد سبب ، إذ لا يعقل أن يكون قد جاء ذلك عفواً ، ولا سيما أننا نلاحظ أن الكلمتين : اللاتينية والعربية ، قد جاءتا من شكل البناء ونوعه وطرأه .

وذكر علماء اللغة أن في جملة الألفاظ التي تطلق على بيوت الأصنام والعبادة والتصاوير ، لفظة (البد) . وهي تؤدي معنى (صنم) كذلك . وذكروا أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية . عربت من (بت)^٦ ، وأنها تعني البيت إذا كان فيه أصنام وتصاوير^٧ .

وذكروا أن في جملة الألفاظ التي أطلقت على بيوت الأصنام لفظة (الطاغوت) والجمع (الطاغيت) . ورد أن العرب « كانت قد اتخذت مع الكعبة طاغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدة وحجاب ، وتهدي إليها ، كما

- ١ العرب في سورية قبل الاسلام (١١٩) .
- Shorter Ency. of Islam, p. 330, Cooke, North Semitic Inscriptions, p. 238.
- ٢ Le Muséon, 1954, LXVII, p. 100.
- ٣ Ency., II, p. 586.
- ٤ Glaser, Skinzze, II, S. 235.
- ٥ Ency. Religi., Vol., 12, p. 236.
- ٦ تاج العروس (٢/٢٩٥) ، (بدد) .
- ٧ شمس العلوم (ح ١ ، ق ١ ، ص ١١٩) ، غرائب اللغة (٢١٨) .

تهدي الى الكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر ، عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده^١. وورد أن (الطاغوت) الصنم ، وكل معبود من دون الله ، ولما تقدم يُسمي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً^٢ . واللفظة تعني في لغة (بني إرم) : رئيس عقيدة ضلال ، وشيطان وصنم^٣ .

و (الهيكل) من الألفاظ الدالة على موضع العبادة ، استعملت لبيوت الأصنام مجازاً ، ولمعابد النصارى^٤ . والظاهر أن استعمالها كان عند العرب الشماليين في الغالب ، مثل عرب العراق وعرب بلاد الشام ، ولا سيما عند النصارى منهم . أخذوها من الآراميين ، إذ هي بمعنى بيت الصنم ، أي معبد الوثنيين عندهم^٥ . وقد وردت في لغة (المسند) كذلك ، وردت بمعنى (قصر)^٦ ، ومعبد في أيام دخول النصرانية الى اليمن .

وقد أطلق (الديدانيون) على بيت (بعل سمن) ، لفظة : (احرم) بمعنى (الحرم) تعظيماً وتمجيذاً له . فهو ذلك الإله^٧ . وترد لفظة (محرم) — التي لا زالت حية معروفة يطلقها أهل اليمن على محرم (بلقيس) — في لغة المسند ، بمعنى المعبد ، والمسجد الحرام . وقد وردت في عدد من النصوص^٨ . وبيوت العبادة أنواع . بيوت عبادة كبيرة ، يحج إليها في أوقات معينة ، ومواسم محددة ، من مواضع قريبة أو بعيدة ، هي محجات يحج إليها في وقت معين ثابت ، يتقرب بها المتعبدون الى رب المحجة أو أربابها بأداء واجب الخضوع والطاعة . وتكون محجة واحدة في الغالب ، اختارها الإله أو الآلهة من بين سائر أماكن الأرض لتكون موضعاً مقدساً وحرماً آمناً ، فهي أقدس بقعة وأعز مكان في نظر المتعبدين لها على وجه هذه الدنيا . فلا تدانيها المعابد الأخرى ولا تبلغ منزلتها في الحرم والمكانة .

- ١ ابن هشام (٨٦/١ وما بعدها) ، هامش على الروض الانف (٦٤/١) .
- ٢ المفردات ، للأصفهاني (٣٠٧) ، الأصنام (٦) ، تاج العروس (٢٢٥/١٠) ، (طغا) .
- ٣ غرائب اللغة (١٩٤) . Hughes, Dictionary of Islam, p. 625.
- ٤ تاج العروس (١٧٠/٨) ، (هيكل) .
- ٥ غرائب اللغة (٢٠٩) .
- ٦ Jamme, South Arab. Inscriptions, p. 433.
- ٧ Histoire, IV, p. 312, Preislamiqes, p. 20.
- ٨ Jamme, South Arabi. Inscriptions, p. 440.

وهناك بيوت عبادة أخرى تكون دون المحجات في الأهمية والدرجة ، لأن الآلهة لم تخترها لنفسها ولم تنص على اسمها ، وإنما هي دور عبادة أقامها الناس تقرباً الى تلك الآلهة . وهي متفاوتة في الدرجة أيضاً ، فيها المعابد الكبيرة التي صرف على اقامتها مال كثير ، وفيها معابد بسيطة ، يقيمها الناس تقرباً الى أربابهم .

والناس في ذلك العهد ، كالناس في أيامنا هذه ، لا يكتفون بتشيد معبد واحد في المدينة ، بل نجدهم يقيمون جملة بيوت للعبادة ، وقد خصص بعضها بعبادة جملة آلهة ، وخصص بعضها بعبادة إله واحد معين ، يذكر اسمه على باب المعبد . وقد تبني في الموضع الواحد جملة معابد لإله واحد ، لأن المعابد من الأعمال الخيرية التي يقوم بها المؤمنون تقرباً الى الآلهة ، لذلك يصادف قيام جملة أسر ببناء معابد لذلك الإلهة ، تسميها باسمه وتنقش اسم الأسرة أو المتبرع بالبناء على موضع بارز من المعبد . وبفضل هذه الطريقة القديمة ، التي لا تزال البشرية تتبعها ، تمكنا من الحصول على معلومات عن تلك المعابد وعن الآلهة التي خصصت لها وعن أسماء المؤمنين الذين أقاموها .

وقد اتخذ الانسان من الكهوف بيوتاً للعبادة ، كما اتخذ من الجبال والمواضع المرتفعة أماكن بنى عليها معابده ، ليكون في رأيه ونظره أقرب الى السماء ، حيث تقيم الآلهة ، فسمع دعاءه ، وتصل اليها كلمته ، وتستجيب له ، أكثر من استجابتها له لو كان على سطح الأرض . وبنى الحضري معبده في المواطن التي يقيم فيها ، وحاول جهده الإنفاق عليها ، والتفنن في بنائها وزخرفتها ، لتكون بيوتاً تليق بسكنى الأرباب . أما البدو ، فكانت معابدهم في الخيام ، تحفظ فيها أصنامها ، فتنقل معها ، وتضرب في الموضع الذي تحل القبيلة فيه ، ينظرون اليها نظرة تقديس وإجلال ، لأنها حرم الآلهة وأماكنها وبيوتها المقدسة ، فلا يجوز تدنيسها ولا انتهاك حرمتها . لهذا لم يكن يسمح لأحد بالدخول اليها إلا اذا كان من رجال الدين .

ولهذه الخيام المقدسة سدة ، يضعون الصنم أو الأصنام في جوفها ، ويسهرون على خدمتها ، وينقلونها معهم حيث تنتقل القبيلة . وهم يتوارثون خدمتها . واذا استقرت القبيلة وتحضرت ، تحضر معبد صنمها بتحضرها كذلك . ووجد الصنم

عندئذ له مستقراً دائماً ومقاماً ثابتاً ، ويصير عندئذ في عداد الأصنام الثابتة .
ويكون للصنم عندئذ معبد متناسب قيمته وأهميته ودرجة عمرانه ، مع مكانة القبيلة
وعدد رجالها وغناها وما عندها من مال .

وللعين أهمية كبيرة في تقييم المعبد وفي نشر العبادة وفي تكوين شخصية الإله
رب المعبد فيما بين الناس . فكما أن قيمة الانسان بملبسه وبأناقته وبجسده ،
كذلك تكون قيمة المعبد بضخامته وبما يزين به من نقوش وزخارف وبما يعلق
على الموضع المقدس منه من ذهب وفضة وأحجار كريمة . فالمعبد الضخم ، يدل
على قوة الإله وقدرته في نظر من ينظر بعينه لا بعقله الى قيم الأمور ، أي في
نظر السواد ، وهم الكثرة الغالبة ، ولذلك يجلبهم اليه ، وتلقى ضخامته في نفوسهم
تأثيراً كبيراً يجعلهم يشعرون أنهم أمام بيت إله حقاً ، لما فيه من روعة ولما
تفوح في داخله من روائح البخور والطيب ، لذا حرص رجال الدين على جعل
معابدهم ضخمة فخمة ، لتجلب لها أكبر عدد ممكن من المتعبدين .

ومن أشهر المواضع المرتفعة التي حج إليها المتعبدون للتبتل والتعبد ، والتي ورد
ذكرها في قصص أهل الأخبار : حِراء ، وأبو قبيس ، وثبير .

أما (حراء) فقد ورد في بيت منسوب الى شاعر جاهلي :

فإني والذي حجت قريش محارمه ، وما جمعت حراء^١

وجعل أحد الأجل الخمسة التي بُني من حجارتها البيت^٢ . واليه كان يلجأ
كبار قريش لدعوة آلهتهم في الملمات ، واليه أيضاً كان يأتي بعض المتحنثين النساء
الزاهدين في عبادة الأوثان للتفكير والتأمل . وفيه غار تحنث فيه النبي ، ويعرف
بـ (جبل النور)^٣ . وورد ان أبا طالب أرسل عقيلاً ليأتي بالرسول اليه ،
فذهب الى (كبس) ، وأخرجه منه . والكبس الغار^٤ . ويظهر انه أراد به
غار حراء .

١ البكري (٤٣٢/٢) ، (حراء) ، هو « عوف بن الاعوص » العامري ، شرح ديوان
لبيد (٢١) .

٢ الأزرق ، أخبار مكة (٢٦/١) ، (ما ذكر من بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة) .

٣ تاج العروس (٨٧/١٠) ، (حرو) .

٤ تاج العروس (٢٣٩/٤) ، (كبس) .

وأما (أبو قبيس) ، فيظهر من غربة أخبار الأخباريين انه كان من المواضع المقدسة الداخلة في شعائر الحج ، يرتقي الحجاج ظهره ، ليتموا بذلك مناسك حجهم ، وليدعوا آلهتهم بما يطلبون ويرغبون . وكان مقصوداً عند نزول الشدة والبلاء . فالمظلوم يجد محله فوق هذا الجبل للدعاء عند انحباس المطر ، لنزول الغيث^١ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ، انه سمي (أبا قبيس) برجل من مذحج حدّاد ، لأنه أول من بنى فيه ، أو بقبيس بن شالخ ، رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه (مية) ، فنذرت ان لا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها فحلف ليقتلن قبيساً ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره . فلما مات ولما تردى منه ، فسمي الجبل أبا قبيس . « وله خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب . وكان أبو قبيس الجبل هذا يسمى الأمين ، لأن الركن ، أي الحجر الأسود ، كان مستودعاً فيه »^٢ . « وكان الله عز وجل استودع للركن أبا قبيس حين غرق الله الأرض زمن نوح » ، فلما أقام (إبراهيم) قواعد البيت ، (جاءه جبريل بالحجر الأسود)^٣ . والظاهر ان بيتاً للعبادة كان عليه ، وانه كانت له صلة بالبيت ، فتجسمت هذه الصلة في الذي ذكروه عن الحجر الأسود ووجوده فيه .

وأما (ثبير) ، فقد كانوا يفيضون منه في الحج على نحو يذكر في شعائر الحج .

ويلاحظ أن أهل العربية الجنوبية وأهل السراة قدسوا قمم الجبال ، فجعلوا فيها معابد لعبادة الآلهة ، مثل معبد (اوم) (أوّام) في (الو) . وقد أزيلت معالم تلك المعابد في الإسلام ، ولكن بعضها أخذ طابعاً اسلامياً فصير مثلاً قبراً من قبور الأنبياء مثل : (حضور نبي شعيب) ، الذي يقع على قمة جبل تعد من أعلا قمم جبال العربية الجنوبية ، و (نبي ايوب) و (مقلى) على محر (مبلقة)^٤ .

-
- ١ المشرق : السنة التاسعة والثلاثون ، تموز - أيلول ١٩٤١ ، (ص ٢٥٢ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٢١٢/٤) ، (فبس) .
 - ٣ الأزرقى (٢٧/١) ، (ما ذكر من بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة) .
 - ٤ تاج العروس (١٤٨/٣) ، (حضر) ، Beiträge, S. 85, Ency., II, p. 222.

وترجع قدسية المواضع المقدسة وحرمتها الى الاعتقاد بنزول الآلهة في هذه المواضع ، والى وجود قوى خارقة فيها ، أو الى وجود مقدسين فيها قبروا في باطنها ، فقدست تلك المواضع لهذه الأسباب . وتعرف هذه المواضع المقدسة بأسماء من تقدست بهم ، وبأسماء المواضع التي تقع فيها .

ولما لرى كثيراً من الأماكن المقدسة قد أقيمت في جزيرة العرب عند الينابيع والآبار المقدسة حيث تروى الأرض بالماء فتنمو به المزروعات ويستقي منها الناس . وقد صور هذا الخصب لسكان تلك المناطق وجود قوى خارقة كامنة في تلك الأرضين كانت السبب في نظرهم في بعث الحياة للإنسان ولهذا الأرض^١ .

وقدست بعض المواضع وأقيمت المعابد بها ، بسبب وجود أشجار مقدسة بها ، ونجد في أخبار أهل الأخبار أن بعض المعابد مثل معبد العزى ، كان المتعبدون يتقربون بها الى سمرة ، أي شجرات ثلاثة ، أو الى شجرة واحدة ، فكانوا يعلقون عليها الحللي ويزينونها ، ومثل معبد (ذات أنواط) ، وهي شجرة كانت تعبد في الجاهلية ، وهي سمرة كان المتعبدون لها ينوطون بها سلاحهم ويعكفون حولها^٢ .

وقدست مواضع أخرى لوجود أحجار مقدسة بها ، كانوا يطوفون حولها من هذه المواضع : (عكاظ) . فكان الناس يأتون الموضع في الموسم ، فينصبون فيه خيامهم ، ويقىمون سوقهم ، ويطوفون بأحجار عكاظ ، يقيمون على ذلك أيام الموسم . فهي أيام عبادة وتجارة وفرح .

ولهذه القدسية والحرمة ، لم يسمح للسواد الأعظم من الناس بدخول الغرف المقدسة المخصصة بالآلهة ، لأنها بيوت الآلهة ، وعوض لهم عن هذا التحريم بالطواف حولها أو بلمس جدرانها ، وللسبب نفسه ، حتم على القاصدين لها غسل أجسامهم وتنظيفها ولبس ملابس طاهرة نظيفة ، كان سدنة بعض تلك المعابد ، أو أهل المواضع التي تقع فيها المعابد يؤجرونها للناس بأجر معين مرسوم ، إن كانت تلك المعابد من المعابد الكبيرة وفي مواسم الحج . كذلك لم يكن يسمح لأحد بالدخول الى المعابد والأحذية في أرجلهم فلا بد من خلعها والدخول بغير أحذية

Ency. Religi., 6, p. 753, Robertson, p. 115.

١
٢ تاج العروس (٢٣٦/٥) ، (نوط) .

احتراماً لقدسية المكان وخشية التدنيس^١ . وقد حتم الجاهليون على من يريد دخول الكعبة من المتمكنين خلع نعليه ، احتراماً للبيت . ذكر أهل الأخبار ان أول من خلع نعليه لدخول الكعبة (الوليد بن المغيرة) ، فخلع الناس نعالهم في الاسلام^٢ . وقد عثر على كتابات جاهلية تبين منها . ان الجاهليين كانوا يعدّون طهارة الملابس وطهارة الجسم من الأمور الملازمة لمن يريد دخول المعبد ، فإذا دخل انسان معبداً وهو نجس عاداً آثماً ، وقد ورد ان رجلاً اتصل بامرأة ، ثم دخل المعبد بملابسه التي كان يلبسها حين اتصل بها ، فعاد آثماً ، ودفع فدية عن إثمه أو ضاء^٣ للآلهة . وورد ان رجلاً دخل معبد الإله (رب السماء) (ذسموى) بمعطف نجس . فدفع فدية عن ذلك ، جزاء ما ارتكبه من إثم^٤ . فدخول المعابد بملابس نجسة ، نجاسة : مادية أو معنوية ، إثم ، تعاقب الآلهة عليه ، لهذا اشترطت ديانتهم عليهم عدم دخول بيوت الآلهة ، إلا بملابس طاهرة نظيفة حرمة وتقديراً لهذه البيوت .

وللسبب المذكور اشترط سدنة الصنم (الجالس) على من يريد من عباده مداعمة قربان اليه ، أو تكليمه كراه ثياب مسدنة ، للبسها بدلاً من ملابسهم ، لأنّها ملابس نظيفة طاهرة . لم تمدّها أدران مادية أو معنوية^٥ . وهو شرط نجده عند غير العرب أيضاً كالعبرانيين^٦ . وقد كانت المعابد تدخر ملابس تكرمها لمن يريد أداء شعائر وباراة بيوت الأصنام .

وورد في كتب أهل الأخبار ، أن الجاهليين حتموا على المرأة الحائض ألا تمس الصنم ولا تلمس به ، والا تدخل بيته لنجاسة الحيض^٧ . وورد أن (فاختة) أم (حكيم بن حزام بن خويلد) ، كانت دخلت الكعبة وهي حامل متم بحكيم

1. Ency. Religi., 6, p. 793.

2. ابن رسته ، الإخلاص (١٩١) ، صبح الاغنى (٤٢٨/١) .

3. Glaser 1052, Hofmus 6, GH 523. (Grohmann, S. 251. f.

4. Rep. Epigr., 3956, (Grohmann, S. 252.

5. البلدان (١٢٢/٣) .

6. ثم قال الله ليعقوب . قم فاصعد الى بيت ابل ، وأقم هناك ، واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك عند هربك من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لأخيه وسائر من معه : أزيلوا هذه الالهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وابدلوا ثيابكم . واهلموا تصعد الى بيت ابل ، الكون ، الفصل (٣٥) . الآية ١ وما بعدها .

7. الأصنام (٣٣) ، خزائن الادب (٢٤٥/٣) .

ابن حزام فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعتها فيها فلفت في الأنطاع هي وجنينها وطرح مثيرها وثيابها التي كانت عليها ، فجعلت لقي لا تقرب^١. فيظهر من هذا الخبر ان اهل مكة كانوا يعتبرون دم المخاض والولادة نجساً ، ولهذا اعتبرت الأنطاع التي وضعت (فاختة) جنينها عليها ، بل اعتبرت هي نجسة أيضاً ، فلفت بالأنطاع ، وألقيت ، وجعلت لقي لا يمسها أحد . وعثر المنقبون على أحواض داخل المعابد في العربية الغربية ، يظهر أنها كانت للوضوء ، لتطهير الجسم قبل الدخول الى المسجد ، موضع الصنم . وذلك بغسل الوجه واليدين والقدمين وربما الأبدان كذلك ، قبل الدخول الى بيت الصنم . ولكون هذا الوضوء تطهيراً للجسم ، عرفت (الميضأة) بالمطهرة ، لأنها تطهر من الأدران^٢ . ولهذا السبب ، حفرت الآبار في المعابد ، لتموين هذه الأحواض بالماء ، وللتبرك أيضاً بالماء المقدس ، ولاستعماله في أغراض أخرى ، منها تنظيف الجسم من الأدران بعد قضاء الحاجة .

ولهم آداب اتبعوها حين دخولهم بيت الصنم وحين خروجهم منه . من ذلك ان القبائل كانت تتجنب ان تجعل ظهورها على مناة اعظماً للصنم . فكانت تنحرف في سيرها ، حتى لا يكون الصنم الى ظهرها . وفي ذلك قال الكميت بن زيد ، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها مُتَحَرِّفِينَا^٣

وقد تطورت أشكال المعابد وهندستها بتطور الحضارة ، وبشكل طبيعة الأرض التي يقام المعبد عليها . وهي تتناسب مع درجة تطور الشعوب ودرجة رقيها وطرز تفكيرها واختلاطها بالأمم المجاورة . ولذلك نجد معابد (تدمر) مثلاً قد تأثرت بطراز البناء الإغريقي ، لتغلغل الثقافة اليونانية فيها ، ولتأثر سكان المدينة باليونان . كذلك نجد هذا الأثر والآثر الروماني في معابد بلاد الشام وفلسطين ، فالمعبد اذن

-
- ١ الروض الانف (١٣٤/١) ، الاصابة (٣٤٨/١) ، (رقم ١٨٠٠) ، كتاب نسب قريش (٢٣١) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٤/١) ، (وضوء) .
 - ٣ ابن هشام (٩٠/١) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ١١) ، ابن هشام (٦٥/١) ، (حاشية على الروض الانف) ، (قصة عمرو بن لحي ، وذكر أصنام العرب) .

هو نموذج معبر عن نفسية الناس وعن حضارتهم ودرجة تفكيرهم وعن هندستهم، ومدى تأثير فن البناء عندهم بالمؤثرات الداخلية الأصلية أو المؤثرات الدخيلة في الزمن الذي قام فيه البناء .

ومن هنا نجد معابد اليمن ، اتخذت لها الحجارة الضخمة المقطعة من الصخور في بناء الجدر والأرض وفي الأعمدة ، ونجد المعمار قد تفنن في تزويق الجدر والأعمدة والسقوف وفي زخرفتها ، فصارت المعابد ضخمة جميلة ، لا تضاهيها المعابد التي أقيمت في مواضع سهلة من جزيرة العرب ، لعدم وجود المواد الصالحة للبناء فيها ، ولأن الطبيعة لم تهب للمعمار فيها ما يدفعه الى بناء أبنية ضخمة فيها تضاهي معابد أهل اليمن .

الاستفسار عن المغيبات :

ولم تكن المعابد مواضع عبادة وتقرب الى الأصنام حسب ، بل كانت مواضع استفسار عن المغيبات كذلك ، يقصدها أهل الحاجات لسؤال الآلهة عما عندهم من مشكلات ، أو عما سيخبئه لهم المستقبل من أمور ، أو عن أعمال يريدون القيام بها ، أو عن سرقة ، وما شابه ذلك من طلبات .^١ ومن هذه البيوت بيت رثام ، وقد كانوا يكلمون منه وينحرون عنده .^٢ وبيت العزى ، وكانوا يسمعون فيه الصوت .^٣ والمنطبق وكان صنماً من نحاس يكلمون من جوفه ، فيأتيهم الجواب .^٤ وبيت (الجلسد) ، صنم كندة وأهل حضرموت .^٥ وقد ذكر (الجاحظ) : « أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة ، وأن خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشر حتى احترق عامة فخذه ، حتى عادته النبي ، صلى الله عليه وسلم » . وهو ممن يشكون في صدور مثل هذه الأمور إذ يقول : « وهذه فتنة لم يكن الله ليمتحن بها الأعراب وأشباه الأعراب من العوام . وما أشك أنه كان للسدنة حيل والطف لمكان التكسب » .^٥

-
- ١ الاصنام (ص ١٢) ، الطبري (٩٧/٢) .
 - ٢ الاصنام (ص ١٨) .
 - ٣ المجد (ص ٣١٨) .
 - ٤ البلدان (١٢٢/٣) وما بعدها .
 - ٥ الحيوان (٢٠١/٦) .

تكليم الأصنام :

ويقوم الكهان بتكليم الصنم ، وهم الذين يفسرون للسائلين المهمة أو الأصوات الصادرة من تلك الأصنام ويتكلمون على ألسنتها بما يلائم السائل مقابل نذر وهدايا والطف يقدمونها الى السدنة . وهذا النوع من التنبؤ ، معروف عند اليونان والرومان ، مشهور ومعروف عند غيرهم من الأمم كالبابليين والآشوريين والعبرانيين . بل هو يؤلف جزءاً مهماً من أركان الديانات القديمة ، ويطلق عليه Oracle في الانكليزية من Oraculum اللاتينية ، ومعناها التكلم . ولهذا النوع من التنبؤ صلة كبيرة بالسحر Magic وبالكهانة في الديانات القديمة والديانات البدائية عند بعض الشعوب الافريقية والاسترالية في الزمن الحاضر . وقد اكتسبت بعض معابد اليونان شهرة كبيرة في هذا النوع من التنبؤ بالغيب ، وأشهرها معبد (دلفي) Delphi الذي كسب شهرة عظيمة في هذا الباب^١ .

وقد ورد في بعض النصوص ، ان قوماً كلموا آلهتهم في شهر (ذ الحجي ذ عثر) و (ذ فرعم ذ عثر) ، فأجابهم الإله (عثر) على ما سألوا عليه . وورد ان جماعة من المؤمنين بـ (عم) ، كلموه ، فأجابهم على ما سألوا عنه . وكانوا اذا كلموا الآلهة ، فوجدوا ان الأجوبة غير منسجمة مع الأسئلة ، أعادوا الأسئلة عليها وقدموا قرايين جديدة لها ، أو وزادوا في الحلوان ، يفعلون ذلك حتى يسمعوا الجواب المناسب لأسئلتهم^٢ .

ولم أسمع بوجود تكليم في مكة . فلم يذكر أحد من أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يأتون الكعبة لسماع أجوبة الأصنام عن أسئلة يوجهونها اليها ، ولا عن وجود سدقة كانوا يقومون بأي نوع من التكليم . وإنما ذكروا أنهم كانوا يسألون الأصنام النصيح والارشاد ، والأمر والنهي بفعل فعل أو تركه ، ويكون ذلك بالاستقسام بالأزلام . وقد خصص الصنم (هبل) بهذا النوع من الإرشاد . وكانت عنده سبعة قداح ، كل قدح منها فيه كتاب : قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة عليهم . فإن خرج العقل ، فعلى

Ency. Brita., Vol., 16, p. 830, T.D. Dempsey, The Delphic Aracle, 1918, L.R. ١

Farnell, Cults of the Greek States, Vol., IV, p. 179.

Grohmann, S. 251. ٢

من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر ، إذا أرادوه يضرب به في القدح ، فإن خرج قدح فيه نعم ، عملوا به . وقدح فيه (لا) ، فإذا أرادوا الأمر ضربوا به في القدح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (المياه) ، فإذا أرادوا أن يحفروا للآء ضربوا بالقدح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج به ، عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القدح الذي يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم السني يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا فلان ، أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القدح : إضرب ، فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطاً ، وإن خرج عليه من (غيركم) كان حليفاً ، وإن خرج عليه (ملصق) ، كان ملصقاً على منزلته فيهم لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروه عامه ذلك ، حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون في أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القدح^١ .

وهكذا كانت قریش والقبائل التي تخرج إلى مكة تأتي إلى هبل لاستشارته في قضايا تهمها . فما يخرج في القدح مما هو مكتوب ، يكون الجواب . غير أن بعض الأجوبة قد يأتي على خلاف رغبة السائلين ، ولذلك كانوا يغرون الضارب على القدح بالضرب إلى أن يخرج القدح الذي فيه يريدون ويشتهون . وقد يؤخرون ذلك بعض الوقت . وهم يفسرون النتيجة التي تظهر أنها رغبة الصنم واردة بوجيها ، فتظهر بالقدح .

وذو الخلصة من الأصنام التي كان يستقسم عندها كذلك . وإلى هذا الصنم ينسب قول أحد الشعراء لهذه الأبيات :

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل العداة زوراً

١ الازرقعي (٦٨/١ وما بعدها) ، الطبري (١٧٢/٢ وما بعدها) .

وهي أبيات ينسبها بعض الرواة الى امرئ القيس . وكان أبوه قتل ، ف
الطلب بثأره ، فأتى ذا الخليفة ، فاستقسم عنده بالازلام ، فخرج السهم
عن ذلك ، فقال هذه الأبيات التي تتحدث عن غضب الشاعر على هذا الصنم
لنهي إياه عن الأخذ بالتأثر . ولو كانت النتيجة كما يشتهي ، لما قال الشاعر
الأبيات بالطبع ، وتجاسر على الصنم^١ .

ولما كانت الحروب والغزوات من القضايا المهمة ، كانت استشارة الآلهة
والاستقسام بشأنها من الأمور المألوفة ، فكان أهل مكة اذا أرادوا الحرب
عقد هدنة أو إبرام أمر خطير أنوا (هُبَل) يستقسمون عنده ليعطيهم
المصيب في هذا الموضوع .

والغالب ان يكون الاستقسام أمام الصنم ، ليقع في روع طالب الاستقسام
ما يجري انما هو بعلم الصنم وبوحيه ، فيكون ذلك أوكد في نفسه وأعمق تأثير

أشكال المعابد :

هذا ولا بد لي ان أشير الى اننا لا نملك حتى الآن رأياً واضحاً قاطعاً
شكل المعابد عند الجاهليين . ولا يمكن تكوين رأي واضح عن هذا النحو إلا
قيام علماء الآثار المتخصصين بدراسة آثار المعابد والكشف عنها ورسم مخططات
صحيحة لقواعدها وأسسها . ولذلك ، لا بد من مرور زمن ، حتى يتمكن
من تكوين رأي في أصول المعابد ، وكيفية إقامتها من الوجهة الدينية الأصولية
عند العرب قبل الاسلام .

واذا كان في استطاعتنا تحديد شكل (بيت الله) بمكة ، و (كعبة نجران)
و (كعبة سندان) ، أو (كعبات سندان) ، كما يسميها البعض ، فإن
الصعب علينا تحديد حياة بيوت الأصنام في المعابد الأخرى ، لعدم ورود نص يعبر
صفة تلك البيوت في أخبار أهل الأخبار . فلا ندري أكانت مكعبات ، أم
أشكال أخرى .

ولما كانت المعابد بيوت الأرباب ، صارت لها حرمة خاصة وقدسيتها في

١ الاصنام (٣٥ ، ٤٧) .

دين ، فلا يجوز انتهاك حرمتها ، ولا القيام بأعمال شائنة دنسة فيها ، خاصة بالقياس الى الأماكن المقدسة جداً التي تعدّ محجة للناس . وقد اتخذت حول البيوت مواضع عدت جزءاً من المعبد حددت بحدود ، فما كان داخلياً عدّ حرماً آمناً ، وما كان خارج الحد كان خارجاً عن المعبد ، فليست له تلك الحرمة التي عيشتها شريعة القوم للمعابد .

وأقدس مكان في المعبد هو (البيت) ، أي الغرفة التي تضم الصنم أو الأصنام . فقد كان البيت ، وهو المسمى الكعبة في مكة ، أقدم موضع عند قريش وعند غيرهم من عبدة الأصنام الذين كانوا يقدسون (البيت الحرام) ، وذلك بسبب وجود الأصنام فيه .

ويعبر في العربية الجنوبية عن البيت الذي توضع فيه الأصنام ، بـ (مختن)^١ فهو إذن بمثابة الكعبة بمكة .

ويقال للأرض الحرام المقدسة التي تحيط بـ (البيت) ، (الحرم) . قيل سمي (الحرم) حرماً لتحريم الناس فيه كثيراً مما ليس بمحرم في غيره من المواضع^٢ . وقد وردت اللفظة في الكتابات النبطية . فوردت في كتابة نبطية عثر عليها في (بطرا) علماً لحرم الإله ذي الشرى ، قصد به الأرض المقدسة المحيطة ببيت ذلك الصنم ، والمعبد كله ، لأنه محرم ومقدس : (حرم ذي الشرى الإله ربنا)^٣ . ولا يجوز لأحد انتهاك حرمة الحرم والاعتداء عليه . وإذا دخل انسان الحرم صار آمناً مطمئناً ، لا يجوز أن يعتدى عليه ، ولا أن يمس بسوء ، وإن كان قاتلاً . وحدود الحرم أنصابه ، وهي علاماته ، فمن اجتازها وصار في داخلها ، دخل في حرمة الحرم .

وما كان خارج الحرم ، هو من الحل ، أي من المنطقة الخارجة عن حرمة المعبد . فلا تشملها الأحكام المفروضة على الحرم . وكان الرجل في الجاهلية إذا أحدث حدثاً ولجأ الى الكعبة ، لم يهج ، فكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم ، قيل له : هو ضرورة ولا تهجه^٤ .

Grohmann, S. 249. ١

المفردات (١١٢) . ٢

Lidzbarski, Nord Semi. Epigra., S. 280, CIS., II, p. 350, G. A. Cooke, North ٣
Semi. Inscriptions, Oxford, 1903, p. 79, Ency. Religi., 6, p. 753.

٤ تاج العروس (٣/٣٣١) ، (صرد) .

ولمكانة الحرم في نفوس الجاهليين ولأنه موطن آمن من دخل فيه صار آمناً ، كان لا بد من تحديده ووضع معالم تشير الى نهايته ، إما بوضع أنصاب على أطرافه من تجاوزها الى داخله صار آمناً فلا يخاف على نفسه ، وإما ببناء حائل كجدار أو سياج أو أمثال ذلك ليكون إشارة الى حرمة ما وراءه في الداخل . وقد جعل أهل مكة حدود حرم البيت أنصباً من تجاوزها الى الداخل صار في حرمة الحرم وفي حماية رب البيت .

وكانت أرض المعابد ، أي حرمة ، واسعة في الأصل ، ذات ماء وأشجار وحى ، ثم تقلصت وضيق وحددت بحدود ، بسكن الناس حولها ، ويتقربهم من المعبد ، وبزيادة عدد عباده . فعندما يتألق نجم معبد ، ويكثر المؤمنون بصاحبه ، يكثر زواره ، ويتسابق الناس الى السكن بجواره والتقرب منه جهد امكانه ، إذ يكون ذلك شرفاً لهم . شرف مجاورة البيت ، كما يكون مكسباً ومورداً طيباً للمال ، لرغبة الزوار في مجاورة المعبد ، فيدفع هذا الطمع ، أصحاب النفوذ والجاه على اختلاس الأرض والتجاوز على حدود الحرم فتضييق . كالذي حدث بمكة ، إذ كان الحرم واسعاً كبيراً ، يشمل الوادي كله ، فلما هبط (قصي) به وابتنى البيوت ، اعتدى من جاء بعده على الحرم حتى صغر ، مما دفع الخلفاء على شراء البيوت المجاورة وهدمها لاعادة أرضها الى الحرم ليتسع صدره للناس .

وتلحق بالمعابد أرضون ، يقال لها (حى) لأنها في حماية الأرباب والأصنام ورعايتها ، فلا يعتدى عليها ، ولا يقطع شجرها ولا يرعى فيها ولا يسمح بصيد الحيوان فيها والاعتداء عليه في أرض الحمى^١ . فكان في الطائف (حى) ، وهو (حى اللات) ، وقد خصص به ، وكان حى في جرش^٢ . بل كان وادي مكة الذي أقيم البيت به (حى) لرب البيت ، ولم يكن يسمح لأحد قبل (قصي) بقطع شجره ، ولا التجاوز على ما فيه من نبت . وقد كان (قصي) كما يقول أهل الأخبار أول من اقتطع شجره ، وأقام البيوت لسكناه وسكنى قريش في ذلك الوادي .

ويفهم من كلام (نيلوس) Nilus أن العرب لم يكونوا يحيطون مواضعهم

١ اللسان (١٤ / ١٩٩) ، العرب في سوريا قبل الاسلام (١١١) .

٢ Ency. Religi., 6, p. 753.

المقدسة التي فيها أصنامهم بأسوار ، وإنما كانوا يجعلون لحرمها حجارة تكون حدّاً وعلامة للحرم . ويتبين من كلام هذا المؤرخ الذي أسر العرب ابنه وأرادوا تقديمه الى الزهرة قرباناً على حدّ قوله ، أنه قصد بالعرب الأعراب ، ولا سيما أعراب طور سيناء ، وقد كانوا أشداء غلاظاً يلقون الرعب في النفوس ، وكانوا يتاجرون بالرقيق يقبضون على من يقع في أيديهم ويبيعونه في أسواق الرقيق . وجاعة هذا شأنها لا تستقر في مكان ، لا يمكن بالطبع أن يكون لها معبد ثابت ، وإنما يكون معبدها الموضع الذي يوضع صنم القبيلة فيه . ولتعيين الأرض الحرام توضع تلك الحجارة .

إلا أن هذا لا يعني أن معابد أهل المدر كانت مسورة أو ذات حائل دائماً ، فقد ذكرت أن حرم بيت الله بمكة لم يكن مسوراً ، بل كان معلماً بأنصاب . ومكة موضع حضر . أما حرم معبد (المقة) بمأرب وكذلك أكثر معابد أهل اليمن ، فقد كانت مسورة بأسوار عالية قوية ، لها أبواب يدخل المتعبدون منها ، تفتح وتغلق كما نفعل هذا اليوم في دور العبادة عندنا .

ومن المعابد الشهيرة : (البيت الحرام) ، أي (الكعبة) بمكة ، وسأتكلم عليه في موضع خاص . ومعبد (ذو الشرى) Dushare بمدينة (بطرا) ، و (كعبة سنداد) ، و (كعبة نجران) ، ومعابد عديدة في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، ولا سيما اليمن .

والفضل في ظفرنا ببعض المعارف عن (بيت الرب) بمدينة (بطرا) ، يعود الى الكتابات النبطية ، والى ما كتبه بعض الكتبة اليونان والسريان عنه . وقد خصص هذا البيت لعبادة الإله (ذي الشرى) ، الذي هو (رب البيت)^١ التي أطلقها النبط على إلههم ، تذكرنا بجملة أخرى معروفة في الجاهلية عند أهل مكة ، كما هي معروفة عند المسلمين حتى اليوم ، هي جملة : (رب البيت) ، التي تعني إله البيت ، وهو الكعبة ، وقد أقرها وثبتها الاسلام . وقد نعت (رب البيت) ، (رب بيت ذي الشرى) ب (الذي يفرق الليل عن النهار)^٢ وهو نعت له أهمية كبيرة في تكوين فكرة عن وجهة نظر عبّاده اليه .

CIS, II, 235, RES, 1088.

RES, 1102, Ency. Religl., p. 122.

وقد نصب في هذا المعبد الصنم (ذو الشرى) على قاعدة مكسوة بالذهب ، في بيت موشى بالذهب وبالصور التي تمثل مشاهد تقديم القرابين اليه . وهو في موضع مرتفع على صخرة عالية ، يحج اليه الناس من مواضع بعيدة ، للتقرب الى ذلك الإله الذي يقابل الإله (باخوس) و (ديونسيوس) (Dionysos- Bacchus) في رأي الكتبة اليونان واللاتين^١ .

وكان لهذا المعبد حج يقع في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول من كل عام ، فيفد اليه الناس من أماكن بعيدة للتقرب الى (رب البيت) ، فينحرون ويقضون الأيام المعينة ، ثم يعودون الى ديارهم . والظاهر ان هذه الكعبة لم تكن خاصة بأهل (العربية النبطية) ، انما كانت محجة لغيرهم من العرب ، كما يتبين ذلك من تصريحات بعض الكتبة (الكلاسيكيين) عنها .

وقد عرفت بعض معابد الجاهليين بـ (الكعبات) . ويدل ذلك على أن بناءها كان على هيئة مكعب كشكل بناء الكعبة ، وعلى أن العرب كانوا يبنون بيوت الأصنام الكبرى على هذا النحو . من هذه كعبة (سنداد) على ما يذكره الأخباريون ، وهي قصر كانت العرب تحج اليه فيطوفون حوله ، وقد عرف بـ (الكعبات) جمع كعبة وهو البيت المربع والمرتفع ، وبـ (ذات الكعبات) . و (ذي الكعبات) وكان مركز حج قبائل بكر بن وائل وإياد^٢ . ولكن الأخباريين لم يتحدثوا بشيء من التفصيل عن هذا المعبد وعن كفيته وشكله وعن الأصنام التي كانت فيه . وقد ذكر (ابن الكلبي) أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة ، إنما كان منزلاً شريفاً^٣ .

وذكر أن (ذات الكعبات) بيت كان لبكر وتغلب ابني وائل وإياد، وذكر أنه بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به . وذكر أنه كان لإياد ، وكان كعبة

^١ Ency. Religi., 9, p. 122, Epiphantius, Hœr., LI, 22.

^٢ البلدان (١٥٠/٥) ، « سنداد » ، (٢٥٥/٧) ، اللسان (٧١٨/١) ، (كعب) ، تاج العروس (٤٥٦/١ وما بعدها) ، Ency., II, p. 590.

^٣ الأصنام (ص ٤٥) ، « وكان لربيعة بيت يطوفون به ، يسمونه الكعبات . وقيل : ذا الكعبات ، وقد ذكره الاسود بن يعقوب في شعره ، فقال : والبيت ذي الشرفات من سنداد » .

اللسان (٧١٨/١) ، (كعب) .

بسنداد بين الحيرة والابلة^١ . وهو من منازل إياذ أسفل سواد الكوفة ، وكان عليه قصر تحج العرب اليه^٢ .

وكان بنجران بيت عبادة عرف بـ (كعبة نجران) . وهو بناء بُني على هيئة الكعبة . وفي رواية تنسب لابن الكلبي انها كانت قبة من آدم من ثلاث مئة جلد ، كان اذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفداً رُفد^٣ . ويستخلص من الأخبار الواردة عن هذه الكعبة ومن أسماء أصحابها ومن كونهم أساقفة انها كانت بيعة أسسها النصارى في مركز النصرانية في اليمن ، وهو موضع نجران ، وانه لا علاقة له بالوثنية . ويذكر الأخباريون ان بني عبد المदान ابن الديان الحارثي أقاموها هناك ، مضاهاةً للكعبة^٤ . وقد ذكر (ابن الكلبي) ان كعبة نجران لم تكن كعبة عبادة ، وانما كانت غرفة يعظمها القوم من بني الحارث بن كعب^٥ . وبني الحارث بن كعب هم رؤساء نصارى نجران .

وذكر بعض أهل الأخبار ان كعبة نجران وكانت للمذحج وبني الحارث بن كعب ، عرفت بـ (الربة)^٦ .

وقد ذكر (ابن الكلبي) ان رجلاً من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب أراد بناء بيت بأرض من بلادهم يقال لها الحوراء ليضاهي به الكعبة حتى يستميل به العرب ، فأعظم قومه ذلك ، وأبوا عليه^٧ . ونجد في كتاب (الأصنام) لابن الكلبي ، وفي كتب أهل الأخبار أسماء مواضع ذكر انها كانت بيوت عبادة حج إليها العرب حجهم لمكة . وذكر ان قريشاً بنّت للعزى بيتاً بوادي حراض يلزاء الغمير ، وحت له شعباً من وادي حراض يقال له سقام ، يضاهون به

-
- ١ تاج العروس (٤٥٧/١) ، (كعب) ، الأصنام (٤٥) ، البلدان (١٤٩/٥) .
 - ٢ تاج العروس (٣٨٣/٢) ، (سند) .
 - ٣ البلدان (٢٦٢/٨) وما بعدها ، تاج العروس (٥٥٦/٣) ، (نجر) .
 - ٤ البلدان (٢٦٢/٨) .
 - ٥ الأصنام (ص ٤٥) .
 - ٦ تاج العروس (٢٦٢/١) ، (ربة) ، قال الاعشى :
وكعبة نجران حتم عليك حتى تناجي بأبوابها
يزور يزييد وعبد المسيح وقيساً هم خير أربابها
 - ٧ تاج العروس (٥٥٦/٣) ، (نجر) .
الأصنام (٤٥) .

الكعبة ، وقد حجت اليه ، وكانت تنحدر عنده ، ويتقربون الى العزى بالذباح^١ .
وقد ذكر الأخباريون أنه كان بعكاظ صخور يطوف الجاهليون بها ويحجون اليها^٢ . وإذا تذكرنا (دومة الجندل) ومعبد الكبير ، فلا يستبعد أن تكون الأسواق الأخرى مواضع مقدسة قديمة كانت محجة للناس عامرة تفد اليها القبايل في مواسم الحج ، ثم فقدت خطورتها قبيل الإسلام ، ولم يبق عليها إلا طابع الأسواق التجارية .

وتكون في المعابد مواضع يلقي فيها العباد وأصحاب النذور هداياهم ونذورهم التي يتقربون بها الى آلهة المعبد . وقد أشار أهل الأخبار الى وجودها في الكعبة وفي المعابد الجاهلية الأخرى . ويظهر من وصفهم لها أنها كانت على شكل حفرة ، تلقى فيها تلك الهدايا والنذور . فذكر الأخباريون أنه كان على يمين الداخل الى البيت (جب) ، اتخذ خزانة للبيت يلقي فيه ما يهدي الى الكعبة ، وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي (هُبَل) وهو صنم كانت قریش تعبد . وقد عرف علماء اللغة الجب بأنه البئر^٣ ، ووصفها (الأزرقى) ، فقال : إنها كانت في جوف الكعبة على يمين من يدخلها ، وكان عمقها ثلاث أذرع ، وان اسمها (الأخشف) ، وكانت العرب تسميها (الأخشف)^٤ .

السقاية :

وفي المعابد سقايا ، يستقى منها الماء للشرب وللتطهر ، كأن تغسل الأوجه والأيدي والأرجل بالماء ليسمح للزائر بدخول المعبد ، أو لتحل له إقامة الشعائر الدينية . ويعد الماء ماءً مقدساً ، لأنه من أرض مقدسة ، ولذلك يتبرك به أيضاً ، ويستشفى بالشرب منه . وقد عثر المنقبون على آثار آبار وأحواض مطمورة في حرم المعابد ، كان المتعبدون يستفيدون من مياهها عند زيارتهم بيوت أربابهم ،

١ الاصنام (ص ١٦ ، ١٨ وما بعدها) .

٢ البلدان (٢٠٣/٦) ، المشرق ، السنة ٣٧ ، نيسان - حزيران ، ١٩٣٩ م (ص ٢٢٠) .

٣ اللسان (٢٥٠/١) « صادر » .

٤ أخبار مكة (٢٧/١ ، ٦٨) ، البلدان (٢٥٨/٧ وما بعدها) .

وعند أدائهم الشعائر الدينية . وبشر زمزم ، هي البئر الوحيدة الباقية من آبار بيوت الله التي كانت في الجاهلية .

وقد كانت سقاية الحاج من المآثر الكبيرة عند أهل مكة، وهي تسقية الحاج من الزبيب المنبوذ بالماء . وكان يليها في أيام الرسول العباس بن عبد المطلب^١ . وكان بعضهم يسقي الحاج اللبن بالعسل .

المذابح :

وتلحق بالمعابد مذابح تذبح عليها القرابين التي يتقرب بها المؤمنون الى آلهتهم، ويقال للواحد منها ، (مذبح) و (نصب) و (مصب) و (غيب) . وقد وردت لفظة (مذبح) و (مذبحت) ، أي (المذبح) ، في طائفة من الكتابات . وهي مواضع الذبح ، حيث يكون تقرب القرابين الى الآلهة .

وقد ذهب علماء اللغة مذاهب في تحديد معنى (النصب) ، فرأى بعضهم ان النصب كل ما عبد من دون الله ، وذهب بعض آخر الى ان النصب صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه ، وتذبح عنده ، فيحمرّ للدم ، وذهب آخرون الى ان الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب ، ويدبح عليها لغير الله تعالى^٢ . وعرفها بعضهم بقوله : « النصب الأوثان من الحجارة ، جماعة أنصاب كانت تجمع في الموضع من الأرض ، فكان المشركون يقربون لها وليست بأصنام » ، « قال ابن جريج : النصب ليست بأصنام . الصنم يصور وينقش ، وهذه حجارة تنصب ثلثائة وستون حجراً . منهم من يقول ثلثائة منها بنحراعة . فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة . فقال المسلمون : يا رسول الله ؟ كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحق ان نعظمه »^٣ . ولو أخذنا برواية (ابن جريج) ، خلصنا الى ان هذه

١ اللسان (٣٩٢/١٤) ، (سقى) ، الاصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) .
٢ اللسان (٧٦٠/١) « صادر » ، (٢٥٩/٢) « بولاق » ، القاموس (١٣٢/١) ،
تاج العروس (٤٨٦/١) ، الاصنام (٩٧) ، تفسير الطبري (٤٤/٦) ، الاصنام
(٣٣) ، (المطبعة الاميرية ١٩٦٤) .
٣ تفسير الطبري (٤٨/٦) .

الأنصاب ، كانت بعدد أصنام الكعبة ، اي انهم كانوا قد خصصوا بكل صنم نصباً ، يذبحون عليه ما يتقربون به اليه من عتائر . فقد كان عدد أصنام الكعبة ثلثمائة وستون حجراً عام الفتح على ما يذكره أهل الأخبار ، إلا اذا اعتبرنا ما ذكره عن عدد الأصنام وهماً ، وأخذنا برواية (ابن جريج) التي هي دون الرواية الأخرى في الشهرة والذكر .

وأشير الى (النصب) في شعر ينسب الى (الأعشى) ، يقال إنه قاله في مدح الرسول . هو :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعاقبة والله ربك فاعبدا^١

وعلى كل ، فنحن لو أخذنا بالروایتين ، أو برواية واحدة منها ، فإن العدد (٣٦٠) يلفت النظر حقاً . فلم يخص رواة الخبرين عدد الأصنام أو الأنصاب بهذا الرقم ، وهل يمثل ذلك شيئاً له صلة بالفلك ، أو بأسطورة دينية قديمة كانت عند أهل مكة ؟

وقد وردت كلمة (النصب) في آية اللحوم المحرمات التي لا يجوز أكلها في القرآن الكريم : « حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، إلا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب »^٢ . فجعلت الذبائح التي تذبح على النصب للأصنام في جملة التي لا يحل للمسلم أكلها ، فيفهم من هذه الآية أن النصب مواضع تذبح عليها القرابين . كما وردت في موضع آخر من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . فاجتنبوه »^٣ . وقد ذكر علماء التفسير ، أن الأنصاب التي يذبحون عندها^٤ .

وقد ذكر علماء التفسير ، ان أهل الجاهلية كانوا قد وضعوا حول الكعبة

١ تاج العروس (٤٨٦/١) ، (نصب) .

٢ المائدة ، الآية ٣ .

٣ المائدة ، الرقم (٥) ، الآية ٩٠ .

٤ تفسير الطبري (٢١/٧) .

أنصاباً ، أي حجارة كانوا يذبحون عليها ، فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم : وجعلوه على الحجارة . وكانوا يبدلونها إذا شاؤوا بحجر هو أحب اليهم منها^١ . كما كانوا قد وضعوا الأنصاب في بيوت الأصنام الأخرى ، يذبحون عليها ذبائحهم لها . وقد أشير الى (المائرات) ، أي الدماء : دماء الذبائح لـ (رشيد بن رميمس العنزي) :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصار تركن لدى السعير^٢

و (عوض) صنم لبكر بن وائل ، و (السُعَيْر) صنم لعنزة خاصة .
و (نصب) هي (نصب) و (مصب) في اللهجات العربية الجنوبية ، و (نصب) و (مصبت) في الفينيقية ، و (مصبه) Masseba في العبرانية . ويراد بها مذبح ، تذبح عليها القرابين والضحايا التي يقدمها المتعبدون الى معبودهم Deity . ويعرف بـ Altar أي مذبح في الانكليزية . وهو من حجر واحد في الأصل ، قد يذبح عليه ، فيسيل الدم فوقه ويتلطف به ، وقد يكون في نظرهم بمثابة المعبود الذي تقدم الضحية اليه . وقد يذبح عليه ، فيسيل الدم من فتحة تكون فيه الى بشر تتجمع فيها دماء الذبائح ، تكون عند قاعدة النصب .
وقد تخصص المذابح بحرق لحم الذبيحة كله أو بعضه عليها ، تقريباً الى الأصنام ، كالذي كان يفعله العبرانيون^٣ .

وقد عثر المتقبن على أحجار عديدة اتخذت أنصاباً للذبح القرابين عليها أو عندها ، عثر عليها في العربية الجنوبية بصورة خاصة . وفي بعضها فتحة على هيئة ثقب تسيل منه دماء القرابين الى موضع تتجمع فيه . وفي بعض آخر مسابيل جانبية ، تسيل الدماء منها الى الخارج . وهذه الأنصاب هي (مذابح) ويقال للواحد منها (مذبح) في العرييات الجنوبية أي (مذبح) . ولذبح القرابين (ذبحن) و (ذبحم) ، أي (الذبح) و (ذبح) .

١ تفسير الطبري (٤٨/٦ وما بعدها) ، « وهي أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام » ، ارشاد الساري (١٧٢/٦) .
٢ تاج العروس (٢٦٨/٣) ، (سعر) ، (٥٥٠/٣) ، (مور) .
٣ Hastings, p. 23.

فالنصب اذن ، الأحجار التي تذبح عليها القرابين وما يهل للأصنام . والعادة أن تكون أمام الصنم ، وعلى مقربة منه . فإذا ذبح قربان سال دمه على النصيب الى ثقب يؤدي الى حفرة يتجمع فيها الدم . هي (الغيبغ) . و (النصيب) هو (مصبه) Massebah في العبرانية ، حيث كانوا يذبحون عليها القرابين . ولكثرة ما كان يذبح عليها صارت تبدو حمراء من لون الدم ، وقد أشير الى الحمرة في حديث اسلام (أبي ذر الغفاري) ، إذ ذكر أنه وصف تعذيب قريش له بقوله : « فرماني الناس حتى كأني نصب أحمر »^١ .

وليس لأهل الأخبار رأي واحد في (الغيبغ) ، وإنما ذهب بعضهم الى أن الغيبغ هو المنحر ، وذهب بعض آخر الى أنه خزانة المعبد ، يلقي الناذرون فيها ما عندهم من نذور وقربات ، وذهب فريق آخر الى أنه بيت كان الناس يحجون اليه ، كما يحج الى البيت بمكة^٢ . وقيل إنه كان لمعتب بن قيس بيت يقال له غيبغ ، كانوا يحجون اليه^٣ .

والذي عليه أكثر أهل الأخبار أن (الغيبغ) المنحر . وقد صرح بذلك (ابن الكلبي) في كتاب (الأصنام) : وهو يتحدث عن (العزى) ، فقال : « ولها منحر ينحرون فيه هداياها ، يقال له الغيبغ »^٤ . كما صرح بذلك علماء اللغة إذ عرفوا الغيبغ بأنه المنحر ، أو نصب كان يذبح عليه في الجاهلية ، أو كل مذبح تبنى . وقد خصصه بعضهم بمذبح منى^٥ : أو هو حجر ينصب بين يدي صنم ، وكان لمناف مستقبل ركن الحجر الأسود غيبغ ، وقيل كانا اثنتين . ويظهر من شرح علماء اللغة للمثل : (رب رمية من غير رام) ، ينسب قوله الى الحكم بن عبد غوث أن الغيبغ هو المذبح ، أي المنحر الذي ينحر عليه^٦ .

١ الاصابة (٩٣/٤) ، (الرقم ٣٨٤) ، « فخرت مغشياً علي ، ثم ارتفعت كأنني نصب أحمر » ، الاصنام (١١١) .

٢ مراصد الاطلاع (٩٨٣/٢) ، البلدان (١٨٥/٤) ، اللسان (٦٣٧/١) ، تاج العروس (٤٠٣/١) ، البلدان (١١٢/٦) ، الاصنام (١١١) ، ابن هشام (٥٥/١) .

٣ ابن هشام (٥٥/١) ، البلدان (١١٢/٦) .
٤ الاصنام (١٢) « روزا » .

٥ اللسان (٦٣٧/١) .

٦ اللسان (٦٣٧/١) « صادر » ، (١٢٨/٢ وما بعدها) « بولاق » ، تاج العروس (٤٠٣/١) ، (غب) ، البلدان (٢٦٥/٦) ، (الغيبغ) .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن (بيوت) الآلهة انه كان لكل (بيت) (غيب) ، تذبح فيه هداياها ، أي ما يهدى الى تلك البيوت من قرابين .
وقيل : الغيب : المنحر ، وهو جبيل بمعنى ، فخصص . وقيل كل منحرج بمعنى غيب . قال الشاعر :

والراقصات الى منى فالغيب^١

ويذكر علماء اللغة ان (الغيب) (العيب) كذلك^٢ . وان العيب موضع الصنم . وصنم لقضاة ومن داناها^٣ . وبيت كان لمعتب بن قيس ، كانوا يحجون اليه كما يحجون الى البيت^٤ . ويظهر من هذا الشرح ان (الغيب) و (العيب) ، كلمة واحدة ، لشيء واحد .

و (الغيب) (الجب) كذلك . وهو حفرة يجمع فيها دم البدن ، والجمع (الجباجب) . قال «الزبير بن بكار» الجباجب جبال مكة حرسها الله تعالى ، أو أسواقها أو منحرج . وقال البرقي ، «حفر» بمعنى كان يلقى به الكروش ، أي كروش الأضاحي في أيام الحج ، أو كان يجمع فيها دم البدن والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها^٥ .

وفهم أحياناً ان (الغيب) ، حفرة أو بئر ، كان المتعبدون للأصنام يرمون بها ندورهم وهداياهم وما يتقربون به الى أصنام من ندور نفيسة ، من ذهب أو فضة أو حجارة كريمة . فكانت تحت صخرة (اللات) حفرة عرفت ب (الغيب) حفظت فيها الهدايا والندور والأموال التي كانت تقدم الى الصنم . فلما هدم الصنم أخذت من الغيب تلك الأموال^٦ . ويرادف الغيب (الجب) ، الذي يقال له (الأخشف) و (الأخشف) ، وهو بئر في جوف الكعبة نصب (هبل) عليه . كان الناس يرمون فيها ندورهم وهداياهم . وتقع على يمين من يدخل البيت ، وكان عمقها ثلاث أذرع^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | تاج العروس (٤٠٤/١) ، (غب) . |
| ٢ | تاج العروس (٤٠٣/١) ، (غب) . |
| ٣ | تاج العروس (٣٦٣/١) ، (عب) ، البلدان (١١٢/٦) ، الاصنام (١١١) . |
| ٤ | البلدان (١٨٥/٤) . |
| ٥ | تاج العروس (١٧٤/١) ، (جب) . |
| ٦ | الطبري (٩٩/٣) وما بعدها . |
| ٧ | أخبار مكة ، للأزرقي (٦٦/١) وما بعدها . |

و (الغري) مذبح على ما يظهر من تفسير علما اللغة لهذه اللفظة . يظهر أنه كان صخرة تذبح عندها الذبائح وتطلى بدمها ، أو نصب تذبح القرابين عليه ^١ . ويعبر عن المذبح الذي تذبح عليه الحيوانات الكبيرة، مثل البقر بلفظة (حردن) ^٢ . ومن الألفاظ التي تطلق على المذبح ، (منطف) و (منطفت) ، أي (المنطفة) ، وهي المذبحة ^٣ . والمذبح ، هو (مذبحت) في نصوص المسند ، أي موضع الذبح .

المحارق :

وتلحق بالمعبد محارق ، تحرق فيها القرابين ، يقال لها (مصرب) ^٤ . وقد كان العبرانيون يحرقون قرابينهم ، في محارق تلحق بالمعبد ، وتكون جزءاً منه . أما العرب ، فلمنا لا نستطيع أن نقول إنهم كانوا يحرقون قرابينهم في كل جزيرة العرب ، لأننا لا نملك أدلة آثارية على ذلك ، إلا معابد اليمن واعي الحجاز ، حيث عثر على آثار المحارق في معابدها، مما يدل على أنهم كانوا يحرقون القرابين. و (المصرب) ، المحرقة ، الموضع السذي يحرق به الخشب ذي الرائحة الطيبة أو البخور ، وهو مبخرة ، تكون في المعابد ، يحرق بها ، لتفوح منها روائح طيبة ، أثناء العبادة . وقد أشير إليها في نصوص المسند .

البخور والمباخر :

وللتبخير شأن كبير في أداء الفروض في المعابد ، إذ لا بد من حرق البخور فيها ، فيبخر بها المذبح والأصنام كما يبخر القائمون بأداء تلك الفروض . وتسمى المبخرة بـ (مسلم) ، وبـ (مقطر) وذلك في لغة بعض الجاهليين ^٥ .

١ اللسان (١٢٢/١٥) ، (غرا) ، تاج العروس (٢٦٤/١٠) .

٢ Grohmann, Arabien, S. 247.

٣ Grohmann, Arabien, S. 249.

٤ Grohmann, Arabien, S. 247.

٥ Grohmann, Arabien, S. 247.

و (المجرمة) والمجرم ، الموضع الذي يوضع فيه الجمر بالدخنة للتجدير^١ .
وقد أشير الى المجرمات والمباخر في كتابات المسند . وعثر المنقبون على نماذج
منها ، قدمها الناذرون نذوراً الى آلهتهم ، وقد وضعوها في معابدها ، وهي في
جملة الهدايا المرموقة التي تقدم الى المعابد بعضها من أحجار وبعضها من معدن
بذل جهداً في صنعه وفي زخرفته حيث يكون هدية قيّمة تكون خليقة بوضعها في
المعابد .

وقد كان الناس يأتون بالمجامر ليجمّروا بها الكعبة تقريباً بعملهم هذا الى
الأصنام ، وذكر ان حريقاً أصاب الكعبة ، بسبب تطاير شرر من مجمرة امرأة
جمرت البيت ، فأصاب ستار الكعبة ، فاحترق . والتجدير ، هو من شعائر
التقدير والتعظيم . وهو مما يدخل في الطقوس ، وقد صرفت المعابد القديمة أموالاً^٢
على شراء (العود) وغيره لاحتراقه في المجامر ، لتطيب المذبح والمعبد به . وكان
البخور مما يبخر به في المعابد أيضاً . وقد استعمله الجاهليون في بيوتهم المعظمة
كذلك .

وتلحق بالمعابد مواضع يخزن فيها ما يقدم الى المعبد من هدايا ونذور ، وما
يرد اليه من غلات أوقافه . واذا كانت النذور والهدايا ماشية ، فقد تحفظ في
مواضع بعيدة عن المعبد، أو توضع في احياء المعابد لترعى بها . ولا يجوز التعرض
لها بسوء . وتعلم بعلامات تشير الى أنها مما حبس على الأصنام . وكانت لهبل
خزانة للقرايين . وكان قربانه مئة بعير ، وله حاجب يقوم بخدمته^٣ . وفي جملة
ما أهدها الناس الى أصنامهم السيوف والملابس ، وكانوا يعلقونها أحياناً على
الأصنام^٣ .

سدنة الآلهة :

ولبيوت العبادة سدنة وحجبة وخدم ، يقومون كلهم بخدمة البيت وما فيه من
أصنام . ويعبر في عربيتنا عن الذي يتولى أمر الصنم ب (السادن) و (سادن الصنم) .

١ تاج العروس (١٠٨/٣) ، (جمر) .
٢ الازرقعي ، أخبار مكة (٦٨/١) وما بعدها .
٣ نهاية الارب (١٩/١٦) .

وهو المسؤول عن الصنم أو الأصنام ، ومتولي أمرها . وهو المرجع الأعلى في سلسلة الرتب بالنسبة الى المعابد . ويعبر عنه بلفظة (شوع) في المعينية^١ ، وبلقطة أخرى هي (رشو) . وأما إذا كان السادن امرأة ، فيقال لها (رشوت) (رشوة) عندئذ^٢ .

ويقال لسادن الآلهة (افكل) (أفكل) في اللحيانية . جاء (افكل لت) (أفكل لات) أي (سادن اللات)^٣ . وتقابل هذه اللفظة لفظة (ابكاو) Apkallu في اللغة الأكادية^٤ .

وتعد السدانة من المنازل الدينية والاجتماعية الرفيعة عند الجاهليين . ويبد السادن في العادة مفتاح بيت الصنم أو الأصنام . وتكون وراثية في الأغلب تنتقل في أفراد العائلة من الأب الى ابنه الأكبر أو الى غيره من البارزين في الأسرة . وهي منزلة شرف ، تكسب صاحبها جاهاً ، كما تكسبه مالاً ، لما تأتي به اليه من حبوس ونذور وقرابين . لذلك صارت سبيلاً لوقوع خصومات بين الأسر ، من أجل الاستحواذ عليها ، كالذي حدث مراراً في مكة من أجل الحصول على مفاتيح البيت .

وسدنة الأصنام في الجاهلية قومتها وحجباها ، وكانت السدانة واللواء بمكة لبني عبد الدار في الجاهلية ، فأقرها النبي لهم في الإسلام . فكان اليهم أمر مفتاح البيت^٥ .

ومن قداماء من كانت اليهم ولاية أمر البيت الحرام أي سدانته ، رجل زعموا انه ولي أمر البيت بعد جرهم ، ودعوه (وكيع بن سلمة بن زهير (زهر) الإيادي) . جعلوه سادناً ، وجعلوه كاهناً ، فنسبوا اليه سجعاً من نوع سجع الكهان . ذكر انه جمع إباداً قبيل وفاته فنصحها وأوصاها . وزعم انه بنى صرحاً بمكة ، وجعل فيه سلماً كان يرقاه ليناجي الله . وكان الجاهليون يرون انه صدّيق

١ راجع النص رقم ٤ و ٥ من كتاب : نقوش .خربة معين .

٢ Grohmann, Arablen, S. 248.

٣ Grohmann, Arablen, S. 82, Jaussen-Savignac, Mission, II, 506.

٤ Grohmann, Arablen, S. 248.

٥ تاج العروس (٢٣٣/٩) ، (سدن) .

من الصديقين ، وانه ينطق بالخبر اليقين من السماء . وذكر انه صاحب الصرح المعروف بمجزورة مكة ، وانه هو القائل : « اسمعوا وصيتي : الكلام كلمتان ، والأمر بعد البيان . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فافضوه ، وكل شاة معلقة برجلها » . فكان أول من قال هذه الكلمة ، فذهبت مثلاً^١ .

ويذكر أهل الأخبار انه لما مات وكيع ، نعي على الجبال . وفيه يقول بشير بن الحجير الإيادي :

ونحن إِيَاد عباد الإلَه ورهط مناجيهِ في سلم
ونحن ولَاة الحجاب العتيق زمان النخاع على جرهم

ويفسرون زمان النخاع بأنه داء يقال له النخاع ، سلّط على جرهم ، فأفنى منهم ثمانين كهلاً^٢ في ليلة واحدة ، سوى الشباب . وفي هذا الداء قال بعض العرب :

هلكت جرهم الكرام فعلاً^٣ وولاة البنية الحجاب
نخعوا ليلة ثمانين كهلاً^٤ وشباباً كفى بهم من شباب^٥

ويظهر ان داء^٦ كان قد تفشى في عهد غير بعيد عن الاسلام بين جرهم ، فبقيت ذكراه في النفوس . ولا بد ان يكون (وكيع بن سلمة) ممن عاشوا قبيل الاسلام أيضاً ، فبقيت ذكراه في أهل مكة ، وإلا لما حفظت الذاكرة اسمه .

وقد ذكر أهل الأخبار أحياناً أسماء الأسر التي تولت سدانة البيوت المعظمة والمحجيات ، كما ذكروا أسماء السدنة ، ولا سيما السدنة الذين كانت اليهم سدانة تلك البيوت عند ظهور الاسلام . وهم من أسر عريقة ، توارثت هذا المنصب من عهد بعيد ، وحافظت عليه ، وصارت بذلك من أشرف القوم .

١ المحبر (ص ١٣٦) ، الامثال ، للميداني (٨١/٢) ، البيان والتبيين (١٠٩/٢) ،

بلوغ العرب (٢٦٠/٢) .

٢ بلوغ العرب (٢٦٠/٢) وما بعدها .

حرمة المعابد :

ومع الحرمة التي كانت للمعابد ، انتهك المستهترون وذوو الحاجة حرمتها ، فسرقوا ما تمكنوا عليه من خزائنها . فقد سرقت خزانة الكعبة مراراً . ذكر أهل الأخبار أن سارقاً سرق من مالها في زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التي فيها كثرها ، فسقط عليه حجر فحبسه فيها حتى أخرج منها وانتزع المال منه . وسرقت قبيل بنيانها في أيام الرسول ، سرقها فتيان من فتيان قريش وأودعوا المال عند (دويك) مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة . فقطعت قريش يده^١ .

١ الروض الانف (١٣٠/١) .

الفصل الرابع والسبعون

الكعبة

وكعبة مكة ، هي الكعبة الوحيدة التي بقيت محافظة على اسمها ومقامها حتى اليوم ، من بين الكعبات التي كانت في الجاهلية . فقد اندثر أثر الكعبات الأخرى وزالت معالمها ، ولم يبق لها مكان . وإلى الإسلام يعود ولا شك فضل بقاء (البيت الحرام) . وبفضل الإسلام أيضاً جمع العلماء ما تمكنوا من جمعه من تاريخ المدينة القديم والعالم المتصلة بها ، ومن أخيار قریش ، لما لهذا التاريخ من صلة بظهور الإسلام^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن الكعبة كانت معروفة عند العرب خارج الحجاز كذلك ، وأنهم كانوا يحجون إليها ويقدمونها ويقسمون بها . وأن ممن أقسم بها وذكر البيت

١ آل عمران ، الآية ٩٦ ، تفسير الطبري (٦/٤ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، الطبرسي (٤٧٦/٢) ، سورة الحج ، الرقم ٢٢ ، الآية ٢٦ ، تفسير الطبري (٤٧/٣ وما بعدها ، ٦٦ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (٧٨/٧ وما بعدها) ، سورة ابراهيم ، الرقم ١٤ ، الآية ٣٧ ، تفسير الطبري (١٥٢/١٣) ، روح المعاني (٢١٢/١٣) ، تفسير الطبرسي (٣١٧/٦ وما بعدها) ، البقرة ، الآية ١٢٧ ، تفسير الطبري (٥٤٦/١) ، تفسير الطبرسي (٢٠٦/١) ، البقرة ، الآية ١٥٨ ، تفسير الطبري (٤٣/٢) ، تفسير الطبرسي (٢٣٨/١ وما بعدها) ، سورة المائدة ، الآية ٩٧ ، تفسير الطبري (٧٦/٧ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (٢٤٦/٣ وما بعدها) ، سورة الانفال ، الآية ٣٤ ، تفسير الطبري (٢٣٨/٣) ، تفسير الطبرسي (٥٣٩/٣) ، سورة الايلاف ، الآية ٣ ، تفسير الطبري (٣٠٧/٣٠ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (٥٤٣/١٠) .

في شعره (زهير)^١ و (النابغة)^٢ . وقد عرفت ب (البيت العتيق) ، وب (البيت المعمور)^٣ . ورووا أن (عدي بن زيد العبادي) قصدها بقوله :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا

دعاها (ذات الودع) لأنه كان يعلق الودع في ستورها^٤ .

وقد أقسم بها شاعر جاهلي آخر ، هو (عوف بن الأحوص) إذ قال :

ولاني والذي حجت قريش محارمه وما جمعت حراء

وشاعر عامري آخر ، إذ قال :

فأقسم بالسذي حجت قريش وموقف ذي الحجيح الى لال^٥

يريد بذلك مكة . وبمكة بيت الله .

ومعارفنا عن (البيت الحرام) ضئيلة ، وفي الذي يذكره أهل الأخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الأخذ به ، لأنه لا يدخل في حدود التأريخ ، ولغلبة الطابع القصصي عليه . ثم إن بعضه يناقض بعضاً ، وفي بعضه تحيز وتعصب لبيت قرشي على بيت آخر . وحتى القسم الذي يتناول الأيام القريبة من الإسلام ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض ، وفيه شعر نحل على أناس ، أقحمت أسماءهم في قصص مكة ، لتثبته على طريقتهم في تثبيت الأخبار برواية شعر يتعلق بها .

ولم يعثر حتى الآن على كتابة جاهلية تكشف القناع عن تأريخ (البيت الحرام) . ولذلك انحصر علمنا بتاريخه بما ورد في الموارد الإسلامية عنه .

وقد نص في القرآن الكريم ، على أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعوا القواعد من البيت « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ،

-
- ١ فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم ديوان زهير (١٥) ، الثعالبي ، تمار القلوب (١٦) .
 - ٢ فلا ورب الذي قد زرتة حججا وما هريق على الانصاب من جسد (فلا لعمر الذي مسحت كعبته) في رواية أخرى ، ديوانه (٢٥) ، الثعالبي ، ثمار (١٧) .
 - ٣ البلدان (٥٢١/١) ، (بيروت ١٩٥٥) .
 - ٤ تاج العروس (٥٣٤/٥) ، (ودع) .
 - ٥ المحبر (٣١٩) ، شرح ديوان لبيد (٢١) .

وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .
 واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم
 بالله واليوم الآخر . قال : ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار
 وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك
 أنت السميع العليم « ١ » . وقد كان تأسيس البيت في ايام العرب الأولى ، في ايام
 جرهم ، على روايات أهل الأخبار ، وفيهم تزوج . وفي عهده ظهر ماء بشر
 زمزم ٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان مكة حرم آمن ، لا يحل فيه قتال ، ولم يكن أهله
 يقاتلون فيه ، وان أول بغى وقع فيه ، كان حرب وقعت بين (بني السباق بن
 عبد الدار) وبين (بني على بن سعد بن تميم) ، حتى تفانوا . ولحق طائفة
 من (بني السباق) بعك ، فهم فيهم . وقيل أول بغى كان في قريش : بغى
 (الأفايش) ، وهم (بنو أقيش) من بني سهم ، بغى بعضهم على بعض ،
 فلما كثر بغيتهم على الناس ، أرسل الله عليهم فأرة تحمل فتيلة ، فأحرقت الدار
 التي كانت فيها مساكنهم فلم يبق لهم عقب ٣ .

وقد بقي البيت معبوداً مقدساً عند أهل مكة وعند غيرهم ، غير أن المشركين
 حولوه الى بيت لعبادة الأصنام والأوثان والشرك حتى عام الفتح ، حيث أزال
 الرسول عنه آثار الجاهلية ، وأمر بطمس معالم الوثنية . وصار حرماً آمناً خاصاً
 بالإسلام لا يدخله مشرك ولا تطأ أرضه أقدم غير مسلم مؤمن بالله وبرسوله .

ويذكر أهل الأخبار أن أهل مكة كانوا يعظمون البيت ، وأن من سنن تعظيمهم
 له ، أن من علا الكعبة من العبيد ، فهو حر لا يرون الملك من علاها ، ولا
 يجمعون بين عز علوها وذل الرق ٤ .

-
- ١ البقرة ، السورة رقم ٢ ، الآية ١٢٦ وما بعدها .
 - ٢ الطبري (٢٧٥/١) ، قصص الانبياء ، (٦٩) ،
 Shorter Ency. of Islam, p. 178. ff., Grünbaum, Neue Beiträge zu Sem.
 Sogenkunde, S. 102, Goldziher, Die Richtungen der Islamischen Koran-
 auslegung, S. 79, J. Harovitz, Koranische untersuchungen, S. 91.
 - ٣ الروض الأنف (٢٨/١) .
 - ٤ الشعالي ، ثمار (١٨) .

وانهم لم يكونوا يبنون بنياناً مربعاً بمكة تعظيماً للكعبة^١ . وأن أول من بنى بها بيتاً مربعاً ، (بديل بن ورقاء) الخزاعي ، وهو أول من اتخذ بمكة روشناً ، وكانوا قبل ذلك يتحامون التربع في البناء كيلا يشبه بناء الكعبة^٢ وأن أول من سقف بمكة سقفاً (قصي بن كلاب) ، وكان الناس قبل ذلك إنما ينزلون في العريش . وأن أول من بوب بمكة باباً (حاطب بن بلتعة)^٣ .

و (بديل بن ورقاء) ، هو (بديل بن ورقاء بن عبد العزى) ، شريف كتب اليه النبي يدعوهُ الى الاسلام ، وكان له قدر في الجاهلية بمكة^٤ . فلو أخذنا برواية من قال انه كان أول من بنى بيتاً مربعاً بمكة ، وأول من اتخذ بها روشناً ، وجب جعل حدوث ذلك في ايام النبي ، أو بسنين قليلة قبل المبعث ، فهل يعقل ذلك ؟ والروشن الرف ، و (الرشن) الكوة ، من الألفاظ المعربة عن الفارسية^٥ .

وأما (حاطب بن أبي بلتعة) فهو (حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي) ، حليف بني أسد بن عبد العزى ، من الصحابة ومن شهد بدرأ ، كان حليفاً للزبير ، وكان قد كتب كتاباً الى قريش يخبرهم بتجهيز رسول الله اليهم ، فضبط الكتاب قبل وصوله مكة ، واعتذر . فهو من الصحابة^٦ ، وذكر ان الرسول أرسله الى (المقوقس) صاحب الاسكندرية^٧ . فهل يعقل أن يكون أول من بوب باباً بمكة ، وقد كانت البيوت قبله بمكة منذ وجدت ، فكيف كان يدخل الناس اليها ، وقد رأينا قصصاً لأهل الأخبار يروونه عن امتناع (الحمس) عن دخول البيوت من أبوابها ، والحمس هم قريش وأهل مكة قبل دخول (حاطب) اليها !

ويذكر أهل الأخبار أن البيت قد تهدم مراراً ، وأن السيول قوضت قواعده عدة مرات ، لذلك لم يتمكن (بيت ابراهيم واسماعيل) من البقاء ، ولكن

-
- | | |
|---|--|
| ١ | النعالبي ، ثمار القلوب (١٦) . |
| ٢ | صبح الاعشى (٤٢٦/١) . |
| ٣ | صبح الاعشى (٤٢٦/١) . |
| ٤ | الاشتقاق (٢٨٠) . |
| ٥ | تاج العروس (٢١٦/٩) ، (رشن) . |
| ٦ | الاصابة (٣٠٠/١) ، (١٥٣٨) ، المحبر (٧٢) . |
| ٧ | المحبر (٧٦) . |

الجاهليين حرصوا على المحافظة على أسسه وشكله وموضعه . ولأنهم كانوا بعد كل هدم أو تصدع يصيبه يحاولون إرجاعه الى ما كان عليه في أيام آبائهم وأجدادهم جهد امكانهم ، لا يحدثون فيه تغييراً ولا يدخلون على صورة بنائه تبديلاً .

و (البيت الحرام) بناء مكعب ، ولذلك قيل له (الكعبة) . وصفه أهل الأخبار، فقالوا كانت الكعبة قبل الاسلام بخمسة أعوام صنماً ، أي حجارة وضعت بعضها على بعض من غير ملاط ، فوق القامة ، وقيل كانت تسع أذرع من عهد اسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، وكان لها باب ملتصقة بالأرض . وكان أول من عمل لها غلقاً هو تبع^١ . ثم صنع (عبد المطلب) ، لها باباً من حديد ، حلاها بالذهب من ذهب الغزاليين . وهو أول ذهب حليت به الكعبة^٢ .

ووصف أهل الأخبار لها على النحو المذكور ، يجعلنا نتصورها وكأنها خربة بدائية بسيطة ، هي ساحة تكاد تكون مربعة أحيطت بجدار من أحجار رضمت بعضها فوق بعض من غير مادة بناء تمسك بينها ، تحط في فنائها الطيور وسباع السماء ، ولا يحول بين أرضها وبين أشعة الشمس المحرقة والأمطار التي تنزل على مكة أحياناً على شكل مياه خارجة من أفواه قرب ، أي حائل . لأنها في الواقع حائط من أحجار لا يزيد ارتفاعه على قامة إنسان .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن أول من بنى جدار الكعبة ، (عامر) الجادر من الأزد . فقليل له : (الجادر)^٣ . وكان أول من جدر الكعبة بعد اسماعيل^٤ .

وأول تسقيف لها كان — كما يذكر أهل الأخبار — في التعمير الذي أجري عليها في النصف الأول من القرن السابع للميلاد ، وذلك قبل الاسلام بخمس سنين ، وعمر الرسول يومئذ خمس وثلاثون سنة . وسبب ذلك حريق أصابها — كما يزعمون — فقرروا إعادة بنائها ، واجتمعوا وعملوا رأيهم فكان قرارهم تسقيفها بخشب ، وقد أقيم السقف على ستة أعمدة من الخشب، وزعت في صفين . وزادا فيها تسع أذرع ، فصارت ثمانى عشرة ذراعاً ، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم . ورفعوا من جدرانها التي بنوها بساف

١ الروض الانف (١٢٧/١) ، الطبري (٢٨٣/٢ وما بعدها) .

٢ الروض الانف (١٠١/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٦٤/١) ، (صادر) .

٤ الاشتقاق (٢٥) .

من حجر وساف من خشب ، حتى زادت على ما كانت عليه في الأصل^١ .
وورد في الأخبار ان رسول الله لما دخل الكعبة عام الفتح ، قام عند سارية فدعا ،
وفيهما ست سوار^٢ .

وذكر أهل الأخبار ، ان سبب بنيان الكعبة ، هو انها كانت رضة فوق
القامة ، وانها كانت قد تصدعت حتى تداعت جدرانها وتساقطت أحجارها ،
فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك ان نفرأ من قريش وغيرهم سرقوا كثر الكعبة ،
وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، فأجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها^٣ .

ولم يكن هذا البناء الحديد بناءً فخماً ، كما يظهر من الوصف الوارد في كتب
أهل الأخبار . كل ما فيه أنه غرفة سقفت الآن بخشب ، أقيم سقفها على صفيين
من أعمدة ، كل صف ذي ثلاثة أعمدة . وأما حيطانها ، فقد زيد ارتفاعها فصار
ثمانى عشرة ذراعاً ، بعد أن كانت تسع أذرع ، أو ارتفاع قامة أو أعلى من
ذلك بقليل . وقد بنيت هذه المرة من مادة بناء قوية ، جعلت مدامكاً من حجارة
ومدامكاً من خشب ، فكان الخشب خمسة عشر مدامكاً ، والحجارة ستة عشر
مدامكاً . وجعلوا سقفها مسطحاً له ميزاب ، يسيل منه ماء المطر . وهو على
الجملة لا يقاس بشيء بمعابد العربية الجنوبية مثل معبد (المقه) بمدينة مأرب أو
المعابد الأخرى التي تمكن الباحثون من الوقوف على أسسها ومعالمها ، من حيث
مساحة البناء أو الفن أو الروعة والعظمة .

ويذكر أهل الأخبار أن أهل مكة استعانوا بتسقيف البيت بخشب سفينة رجل
من تجار الروم رمى البحر بسفينته الى الساحل الى (الشعبية) ، وهو مرفأ السفن
من ساحل الحجاز ، وكان مرفأ مكة ، ومرسى سفنها قبل (جعدة) . فجاءوا
بالخشب الى مكة ، وكان بها نجار (قبطي) ، استعين به في تسقيف البيت بذلك
الخشب . وذكر أن الذي سقف البيت عالج كان في السفينة ، يحسن النجارة اسمه

-
- ١ الروض الانف (١٢٧/١ وما بعدها) ، الطبري (٢٨٣/٢ وما بعدها) ، « دار
المعارف » ، البلدان (٢٥٩/٧) ، (الكعبة) ، مروج الذهب (١٦٩/١) ، (محمد
محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٢ صحيح مسلم (٩٧/٤) ، (باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة
فيها والدعاء في نواحيها كلها) .
 - ٣ الطبري (٢٨٣/٢) .

(باقوم) . فجيء به مع الخشب، وسقف الكعبة . وقد سألهم عن كيفية تسقيفها هل يجعل السقف قبة أو مسطحاً ، فأمرؤ أن يكون مسطحاً ، فعمله على ما أمرؤ به ^١ . ويذكرون أن قريشاً حين أرادوا بناء الكعبة أتى (عبدالله بن هبل ابن أبي سالم) ، ومعه مال ، فقال : دعوني أشركم في بنائها ، فأذنوا له فبنى الجانب الأيمن ، ف (لبني كلب يد بيضاء في نصرتهم لقريش حين بنوا الكعبة) ^٢ . وصاحب هذا الخبر هو (ابن الكلبي) ، ولا استبعد أن يكون خبره هذا من وحي العاطفة نحو قومه الكلبيين .

وذكر أن (باقوم) الرومي ، كان يتجر الى (المندب) ، فانكسرت سفينته بالشعبية ، فخرجت اليه قريش فأخذوا خشبها . وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس ، وقال لقريش : هل لكم أن تجروا عيري في عيركم ، يعني التجارة ، وأن أمدكم بما شتم من خشب ونجار ، فبنوا به بيت ابراهيم ^٣ .

ويذكر الأخباريون انه كان في بطن البيت قرنا كبش معلقان في الجدار تلقاء من دخلها يخلقان ويطيبان اذا طيب البيت ، وقد علق عليها معاليق من حلي كانت تهدي الى الكعبة . ويرمز القرنان الى قرني الكبش الذي ذبحه ابراهيم الخليل ^٤ . وقد بقيا في الكعبة الى ايام (عبدالله بن الزبير) فاحترقا مع الكعبة ^٥ .

وقد زوقت الكعبة بعد هذا الحريق، زوق سقفا وجدرانها من بطنها ودعائمها، وجعلت « في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة ، فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحان ، شيخ يستقسم بالأزلام ، وصورة عيسى بن مريم وأمه ، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين . فلما كان يوم فتح مكة ، دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، البيت ، فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، فجاء بماء زمزم ، ثم أمر بثوب قبل بالماء ، وأمر بطمس تلك الصور فطمست .. ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه عليها السلام ، وقال :

-
- ١ الازرقعي (١٠٤/١) ، ابن هشام (١٣٠/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (١٣٠/١) .
 - ٢ ناج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٣ الاصابة (١٤٠/١ وما بعدها) ، (رقم ٥٨٣) .
 - ٤ الازرقعي (١٠٠/١) .
 - ٥ القاسمي ، شفاء الغرام (١٩) .

أمح جميع الصور ، إلا ما تحت يدي ، فرفع يديه عن عيسى بن مريم وأمه . ونظر الى صورة ابراهيم ، فقال : قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام ، مالا إبراهيم والأزلام ^١ . وقد بقيت صورة عيسى بن مريم وأمه ، الى أيام عبدالله بن الزبير ، فلما تهدم البيت ، تهدمت الصورة معه ^٢ .

وأعاد الجاهليون - كما يذكر أهل الأخبار - الصنم هبل الى مكانه ، نصبوه أمام (الغنخب) ، وأعادوا معه بقية الأصنام ، التي كانت تتعبد لها بعض القبائل . ووضعوا حول الكعبة أصناماً أخرى ، يجب أن تكون من الدرجة الثانية في المنزلة أي أصنام قبائل ضعيفة ، لذلك وضعت خارج البقعة المقدسة . وقد أوصلت الروايات عدة أصنام الكعبة عام الفتح الى (٣٦٠) صنماً ، كان بعضها منحوتاً من الحجارة ، وبعضها معمولاً من النحاس ، وبعضها قوارير ، وكان صنم خزاعة قوارير صفر . ولما دخل الرسول مكة ، أمر بها فأزيلت وحطمت ، فلم يبق من يومئذ بها صنم ^٣ . وذكر ان النبي دخل مكة « وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً . فجعل يطعنهما يعود كان بيده . ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » ^٤ .

وذكر في بعض الروايات أن رسول الله بعد أن طاف بالبيت سبعاً على راحلته دخل الكعبة فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ^٥ . وأنه لما طاف بالبيت وجد حولها أصناماً مشدودة بالرصاص ، فحطمت ، وأعظمها (هبل) صنم قريش ^٦ .

ويتبين من الروايات الواردة عن بناء الكعبة وعن اختلاف أهل مكة وتشاحنهم وتنافسهم فيما بينهم على شرف وضع (الحجر الأسود) في مكانه أنه كان لهذا الحجر أهمية خاصة في نظرهم ، وأنه كان أقدس شيء عندهم . وإلا لما اختلفوا

-
- ١ الاذرقني (١٠٤/١ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٨٧/٣) ، ابن الاثير (١٠٥/٢) ، نهاية الارب (٣١٣/١٧) .
 - ٢ الاذرقني (١٠٤/١) .
 - ٣ السيرة الحلبية (١٤٤/١) ، ابن الاثير (١٠٥/٢) .
 - ٤ صحيح مسلم (١٧٣/٥) ، « باب ازالة الاصنام من حول الكعبة » ، ارشاد الساري (٢١٠/٧) ، « باب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً »
 - ٥ الروض الانف (٢٧٤/٢) ، نهاية الارب (٣١٢/١٧) .
 - ٦ الروض الانف (٢٧٦/٢) ، نهاية الارب (٣١٤/١٧) .

هذا الاختلاف على وضعه ، حتى ليتمكن أن يقال إنه كان فوق أصنام الكعبة منزلة ، بدليل عدم ورود إشارة ما الى وقوع اختلاف بشأن إعادة صنم من تلك الأصنام الى مواضعها . ولو كانت الأصنام أقدس منه ، لكان الاختلاف على شرف وضع تلك الأصنام لا الحجر الأسود بالطبع . وهذا التقديس الزائد يحملنا على التفكير في أسبابه وفي الميزة التي ميزت هذا الحجر على الأصنام وهي في طبيعتها حجارة مثله . لقد ذهب (ولهوزن) إلى أن قدسية البيت عند أهل الجاهلية ، لم تكن بسبب الأصنام التي فيه ، بل كانت بسبب هذا الحجر . لقد كان هذا الحجر مقدساً في ذاته ، وهو الذي جلب القدسية للبيت ، فصار البيت نفسه مقدساً ، مقدساً في حد ذاته ، بحجره هذا الذي هو فيه ، ولعلّه شهاب (نيزك) ، أو جزء من معبود مقدس قديم ^١ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان البيت لم يكن إلا بمثابة إطار للحجر الأسود الذي كان من أهم معبودات قريش ، لأنه يمثل بقايا حجر قديم كان مقدساً عند قدماء الجاهليين ، غير أنه لم يكن معبود قريش الوحيد ^٢ .

ويلاحظ ان التقرب الى الأحجار في بيوت العبادة كانت شائعة بين الجاهليين . وقد ذكر ان في (غيمان) موضع عبادة وفيه (حجر قحهم) (حجر قاحم) (حجر قاحم) ، وهو يشبه الحجر الأسود الذي كان يتقرب اليه الجاهليون في مكة . والحجر الذي كان في كعبة نجران وفي (تسلال) ، وفي مواضع أخرى عديدة ذكرها (الهمداني) . وقد عثر على مقابر جاهلية عديدة تبين للذين نقبوا فيها ان لها صلة بعبادة الأحجار ، وان تلك المقابر أقيمت عند موضع مقدس لوجود حجر مقدس فيه ^٣ .

وقد كان الجاهليون يلمسون الحجر الأسود للتبرك به ، وهو مبني في جدار الكعبة ، فيكون اللمس بالطبع للجانب البارز منه . وبين موضع (الحجر الأسود) وباب البيت يكون (الملتزم) ، وفي الناحية الشمالية الغربية (الحجر) أو (الحطيم) .

Reste, S. 74. ١

المشرق : (١٩٤١) ، تموز - أيلول ، (ص ٢٤٧) . ٢

Belträge, S. 84. ٣

وكانت الجاهلية تتحالف وتحلف عنده^١ . ويقال للجهة التي فيها (الحجر الأسود) (الركن) . وذكر ان العرب في الجاهلية كانت تطرح بموضع الحطيم ما طافت به من الثياب ، فيبقى حتى يتحطم بطول الزمان ، فسمي الموضع حطيماً^٢ . وقد كانت الجاهلية تتحالف عند (الملتزم) بالأيمان ، وتدعو على الظالم ، وتعقد الحلف^٣ .

وذكر (اليقوبي) ان الجاهليين كانوا قد وضعوا (إسافاً) و(نائلة)، داخل المسجد الحرام . وضعوا كل واحد منهما على ركن من أركان البيت ، فكان الطائف اذا طاف بدأ، بإساف فقبله وختم به . وذكر انهم نصبوا على الصفا صنماً ، يقال له (مجاور الريح) ، وعلى المروة صنماً يقال له (مطعم الطير)^٤ . وفي روايات أهل الأخبار عن تزويق الكعبة بالصور لبس وغموض . وهي روايات عديدة ، يفهم من بعضها أن هذه الصور كانت بالزيت ، رسمت على دعائم السقف . ويفهم من بعض آخر أنها كانت قد رسمت على أشياء متنقلة ، وأنها كانت معلقة على جدران البيت . ويفهم من بعض الروايات أن الرسول أمر فطمست معالم جميع الصور ، ويفهم من بعض آخر ، أنه استثنى منها صورة مريم وابنها عيسى ، وأنها بقيت كما ذكرت الى أيام عبدالله بن الزبير . فلما تهدم البيت : تهدمت الصورة معه . أما رسم شجر أو صور ملائكة أو أشباه ذلك في الكعبة ، فأمر لا اعتراض عليه ، إذ يجوز أن يكون ذلك في معبد وثني ، يضم الأصنام . ولكن ما للوثنية والانبياء ، وما شأن الشرك بمريم وابنها وببقية الرسل حتى ترسم صورهم على جدران أو أعمدة البيت ؟ ثم هل كانت الكعبة مزوقة قبل هذا التزويق بالرسوم والصور ؟ وهل كانت هذه الصور من بقايا صور قديمة ؟ أم هي صور حديثة رسمت بعد أن أعادت قريش بناء البيت ؟ ورأيت ان هذه الصور هي من عمل عمال نصارى أراهم الروم الذين جلبهم أهل مكة مع (باقوم) بعد تحطم سفينتهم عند الساحل للتجار معهم ولبناء الكعبة .

-
- ١ تاج العروس (١٢٥/٣) ، (٢٥١/٨) ، اللسان (١٦٦/٤) ، (٢٩/١٥) ، البلدان (٢٢٣/٢) وما بعدها ، (١٩٠/٥) ، أخبار مكة ، للزركلي (٢٤٦) ، تاج العروس (٥٩/٩) .
 - ٢ اللسان (١٣٩/١٢) ، (حطم) ، تاج العروس (٢٥١/٨) .
 - ٣ البلدان (١٤٦/٨) «الملتزم» .
 - ٤ اليقوبي (٢٢٤/١) .

و (باقوم) كما يقول الاخباريون هو الذي أشرف على إقامة البناء وهندسته . وهو الذي سقف البيت وأقامه على عمد . ولا أستبعد ان يكون هو الذي رسم تلك الصور وحده أو بالاستعانة بإخوانه من بني جنسه الروم . وقد كان هؤلاء نصارى ، فرسموا على جدران البيت أو أعمدته صور قصص كتابي ، ومنه صور الانبياء ، للزينة والزخرف . لم يجد أهل مكة فيها ما يناقض عقيدتهم في الاصنام . ومن يدري ، فلعله رسم لهم ذلك على أن له صلة بعقيدتهم التي كانوا عليها ، فلم يعترضوا لذلك عليه . أما طمس الاسلام لتلك الصور ، فللعلماء في ذلك كلام . وقد أشير اليه في كتب الحديث ، وأكثرهم على أن الرسول لم يستثن من ذلك الطمس صورة^١ .

وفي الحرم بئر (زمزم) ، وهناك مقام ابراهيم ، وبين زمزم ومقام ابراهيم كان موضع الذبح ، ذبح القرابين . ويرى (ولهوزن) احتمال كون موضع المقام هو المكان الذي كان الجاهليون يذبحون فيه^٢ .

ويرجع الاخباريون تأريخ بئر (زمزم) الى يوم بناء الكعبة وعهد اسماعيل . ويقال لها (بئر اسماعيل) أيضاً . وهي في الحرم في جهة الجنوب الشرقي من الكعبة في الجهة المقابلة للركن . ولا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . ويظهر من روايات أهل الأخبار عنها انها دفنت في ايام جرهم ، وان أهل مكة صاروا يستقون الماء من آبار أخرى احتفروها ، ويستوردونه من الخارج اليها ، حتى اذا كانت ايام عبد المطلب ، ألقى في قلبه ان يحتفرها ، فحفرها واستخرج منها كثيراً ، وظهر الماء بها منذ ذلك اليوم^٣ . ولأهل الأخبار تفاسير عديدة للفضة (زمزم) ، تدل على انهم لم يكونوا على علم بأصل التسمية ، مما جاء فيها ان الملك (سابور) لما حج البيت أشرف عليها وزمزم فيها ، فقبل لها (زمزم)^٤ . وهكذا جعلوا (سابور) من المؤمنين الحجاج للبيت الحرام ، المتبركين بماء زمزم!

١ الازرقعي (١٠٤/١) « تعليقات السيد رشدي الصالح ملخص على الازرقعي » .

Reste, S. 76.

٢ الطبري (٢٥١/٢) « دار المعارف » ، الروض الانف (٨٠/١ ، ٩٨ وما بعدها) ،

الازرقعي (٢٤/١ ، ٢٨٠ وما بعدها) ، البلدان (٦٤٣/٢) ،

Shorter Ency. of Islam, p. 657.

٣ البلدان (١٤٧/٣) ، الصحاح (١٩٤٥/٥) ، اللسان (٢٧٥/١٢) ، البكري ،

٤ البلدان (٢٧٧/٩) ، عمدة القاري (٧٠٠/٢) ، معجم (٩٤٠/٢ وما بعدها) .

وكان حرم (الكعبة) كما يظهر من روايات أهل الاخبار واسعاً شاسعاً ذا نبت وشجر . ولم يجرؤ أحد على احتطاب شجره او قطعه لحرمه المكان والحرمه ما فيه ، فبقيت أشجاره على ما هي عليه ، حتى إذا ما كانت أيام (قصي) ، ضاقت مكة بمن وفد عليها من قريش ، ممن جاء بهم (قصي) اليها ، وقطعها (قصي) رباعاً ، وأرادوا البنيان ، ولكنهم هابوا قطع شجر الحرم للبنيان ، وتذكر رواية أنهم قالوا لقصي : كيف نصنع من شجر الحرم ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك . فكان أحدهم يخوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله^١ . وتذكر روايات أخرى العكس . تذكر أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم ، فقطعها قصي بيده ، وأعانوه^٢ . وبذلك تقلصت أرض الحرم وقلت أشجاره بالتدريج .

وتذكر رواية ان اهل مكة كانوا يهابون حتى في الإسلام قطع شجر الحرم . وقطع كل شجرة دخلت من أرض الحرم في دور أهل مكة . وان (عمر) لما قطع (دوحه) كانت في دار (اسد بن عبد العزى) ، وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل ان يوسع المسجد ، ودأها بقرة . وتذكر ايضاً ان (عبدالله بن الزبير) حين ابتنى دوراً ب (قعيقعان) ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان ، وجعل دية كل شجرة بقرة . وذكر ان (أبا حنيفة) ، قال إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يغرسها الناس ويستنبثونها فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ففيه القيمة بالغاً ما بلغت^٣ . وفي الحديث ان الله حرم مكة ، وحرم شجر الحرم في جملة ما حرمه على الناس^٤ .

ويظهر ان أرض مكة كانت كلها في الأصل قبل أيام (قصي) حمية للكعبة ، على عادة الجاهليين في تخصيص (حمة) لأربابهم تكون حول بيوتها ، ولهذا كانت أشجار هذا الحمة أشجاراً مقدسة لا يجوز قطعها ولا احتطابها ، سوى أخذ بعض أغصانها أو لحائها لعمل قلائد منها للاحتماء منها . فلما استباح أهل مكة لأنفسهم

-
- ١ الروض الانف (٨٧/١ وما بعدها) .
 - ٢ الطبري (٢٥٨/٢) « دار المعارف » .
 - ٣ الروض الانف (٨٧/١ وما بعدها) .
 - ٤ الروض الانف (١٢٨/١) .

التطاول على الحرم ، أي على هذا الحمى ، بقطع شجره وتحويل أرضه الى بناء ، أو بابقاء بعض أشجاره في داخل الدور ، بقوا ينظرون الى ذلك الشجر الباقي في البيوت نظرة هيبة وتقدير ، باعتبار انه من بقايا الحرم القديم . وبذلك صغرت مساحة الحرم ، وقلّت مساحته ، حتى اضطر الخليفة (عمر) الى توسيعه بشراء البيوت التي أقامها الناس عليه وادخلها في الحرم من جديد ، وذلك حين ضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها ، فقال : « إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم » ، فاشترى بعض الدور من أهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها ، ثم اشترى عثمان دوراً أخرى وأغلى في ثمنها^١ ثم زاد في المسجد من جاء بعدهما حتى وصل الى النحو الذي هو عليه الآن .

ولم يكن للحرم في الجاهلية سور ، إنما كانت تحدد معالمه وحدوده أنصاب نصبت على أطرافه . لتكون علامة على ابتدائه وانتهائه . أما ما نراه في الوقت الحاضر من وجود سور مرتفع له ، أي حائط به غرف ، فإنه مما حدث في الاسلام . وذكر أهل الاخبار ان الحرم قد ضرب على حدوده بالمنار القديمة التي بين ابراهيم مشاعرها ، وكانت قریش تعرفها في الجاهلية والاسلام ، لانهم كانوا سكان الحرم ، ويعلمون ان ما دون المنار الى مكة من الحرم ، وما وراءها ليس من الحرم . فما كان دون المنار، فهو حرم لا يحل صيده ولا يقطع شجره ، وما كان وراء المنار ، فهو من الحل يحل صيده ، إذا لم يكن صائده محرماً^٢ .

الكسوة :

وكسوة البيت عادة قديمة ، كان يقوم بها الجاهليون . ينسبها الاخباريون الى (تبع أسعد الحميري) ، فيذكرون انه كساها بالأنطاع ، ثم كساها بثياب جدة من عصب اليمن ، أغلى ثياب معروفة في تلك الأوقات^٣ . ولا يستبعد ان يكون الإكساء من بقايا المنشأ القديم للبيت ، حيث كان خيمة في الأصل . وقد

١ الروض الانف (١٢٩/١ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢٣٩/٨) ، (حرم) ، اللسان (١٢٢/١٢) ، (حرم) .

٣ الأزرقى (١٦٥/١) ، الروض الانف (٢٤/١) .

ورد في الأخبار أنه كان في موضع البيت خيمة قبل أن تكون الكعبة^١ . وكذلك كان معبد بني اسرائيل خيمة في الأصل قبل أن يبنى الهيكل .

ويذكرون أن التبع الذي كسا البيت ، هو التبع الذي أتى به (مالك بن عجلان) الى يثرب لطرد اليهود عنها . وذكروا أن ذلك التبع هو (أسعد ابو كرب الحميري)^٢ . وقد كساها الوصايل ، ثياب حبرة من عصب اليمن . وكانت الكعبة تكسى بالحبرة والبرود وغيرها من عصب اليمن ، تكسى بها ويوضع ما يفضل منها في خزانة الكعبة . فإذا تمزقت الكسوة ، تستبدل بكسوة أخرى تؤخذ من الخزانة . تكسى من الداخل والخارج ، وتطيب بالخلوق وتبخر بالمجامر^٣ .

وقد سبق لي أن تحدثت عن (التبع أسعد) ، وذكرت ما قاله رواة الأخبار عنه ، وما جاء عنه في نصوص المسند . وكان قد علق في ذاكرة أهل الأخبار أشياء عنه وعن بعض من جاء بعده ، زوقت ونمقت على طريقتهم في رواية أكثر أخبار اليمن . ولعل ما ذكروه عن اكسائه البيت ، هو من مصنوعاتهم التي وضعوها في الاسلام ليجعلوا لأهل اليمن فضلاً على الكعبة ، فضل يسبق فضل العدنانيين عليها ، وقد رأينا أنهم أوجدوا لهم جملة أنبياء نسبهم الى قحطان ، ووضعوا أشياء أخرى كثيرة ، في اظهار فضل القحطانيين على الاسماعيليين المتعربين يوم فات الحكم من قحطان وصار في أهل مكة في الإسلام . فكان النزاع القحطاني العدناني المعروف .

ولو جارينا أهل الأخبار ، وأخذنا بروايتهم في ان التبع (أسعد أبو كرب الحميري) ، كان أول من كسا الكعبة ، نكون قد رجعنا بمبدأ تأريخ اكساء الكعبة الى نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس للميلاد . وقد سبق ان تحدثت عن هذا الملك في الجزء الثاني من هذا الكتاب^٤ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان كسوة الكعبة لم تكن كسوة واحدة ، ولا من نسيج واحد ، بل كانت انطاعاً ، أي أبسطة من آدم ، وحبرة وبروداً ، وغيرها من عصب اليمن . وهي برود يمنية يعصب غزلها ثم يصبغ وينسج ، فيأتي

١ الازرقعي (٦/١) « ذكر هبوط آدم الى الارض » .

٢ البلدان (٤٦٣/٤) .

٣ أخبار مكة ، للازرقعي (١٧٣/١) وما بعدها .

٤ (ص ٥٦٩ فما بعدها) .

موشى^١ ، وقيل هي برود مخططة^٢ . وذكر ان النبي كساها الثياب اليازية ، وان عمر وعثمان كساوها بالقباطي^٣ .

وذكر ان أول من كسا البيت الحرير (نثيلة بنت جناب بن كليب) وهي من (بني عامر) المعروف بالضحيان ، وكان من ملوك ربيعة . وكان العباس ابن عبد المطلب ابنها ، قد ضاع وهو صغير ، فنذرت امه إن وجدته ان تكسو البيت الحرير ، ففكسته ، فهي أول من كساه ذلك^٤ . وقيل أول من كسا البيت اللديباج خالد بن جعفر بن كلاب . أخذ لطيمة من البر وأخذ فيها أنماطاً فعلقها على الكعبة^٥ .

وروي أنهم كانوا يكسون الكعبة يوم (عاشوراء) ، وذكر ان (بني هاشم) كانوا يكسونها يوم التروية باللديباج ، لتظهر في أحسن حال ، ويراهم الناس على ذلك . أما اذا حلّ يوم عاشوراء ، فإنهم يعلقون الازار عليها . وورد أنهم كانوا يكسون الكعبة باللديباج يوم التروية ، فيعلق عليها القميص ولا يخاط ، حتى اذا ما انصرف الناس من (منى) خيط وترك الازار ، ثم تكسى بالقباطي يوم عاشوراء ، ويعلق عليها الازار ، ويوصل باللديباج^٥ .

ولا نستبعد احتمال كون يوم (عاشوراء) من الأيام التي كانت لها حرمة وقدسية عند أهل الجاهلية ، وإن كنا نجهل كل شيء عنه وعن سبب احتفال أهل مكة به ، وصومهم فيه . وقد ذهب بعض المستشرقين الى احتمال تأثر قريش بعاشوراء اليهود ، كأن يكون أحد سادة مكة قد أخذ ذلك اليوم عنهم فعظمه ، فأخذه أهل مكة عنه وجعلوه سنة لهم . غير ان من الجائز ألا يكون لهذا اليوم صلة بعاشوراء اليهود ، وانما كان من تقاليد أهل مكة القديمة المعروفة عند غيرهم أيضاً ، ولا صلة له بيوم يهود^٦ .

ويظهر أنهم كانوا يضعون الأكسية الجديدة فوق الأكسية القديمة ، فلا يرفعونها

-
- ١ اللسان (٦٠٤/١) ، (عصب) .
 - ٢ الازرقى ، أخبار مكة (١٧٣/١) وما بعدها .
 - ٣ الإصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) ، كتاب نسب قريش (١٨) ، الروض الانف (٧٧/١) .
 - ٤ الروض الانف (٧٧/١) .
 - ٥ الازرقى ، أخبار مكة (١٧٣/١) وما بعدها .
 - ٦ Shorter Ency., p. 47.

عنها ، فكانت تتراكم بعضها فوق بعض ، فلما جاء الاسلام ، استمروا على ذلك أمدأ ، ثم رأى (شيبه بن عثمان) سادن البيت ، تجريدها من أكسية الجاهلية ، لأنها رجس من عمل الجاهليين فأزيلت . ثم رأى الخليفة المهدي ، أن الأكسية قد أثقلت الكعبة ، فأمر بتجريدها ، تخفيفاً عنها ، واكتفى بثلاث كسي من القباطي والخز والديباج^١ .

وذكر أهل الأخبار أن أول من حلل البيت (عبد المطلب) ، جد النبي ، لما حفر (بئر زمزم) ، وأصاب فيه من دفن جرهم غزالين من ذهب ، فصر بهما في باب الكعبة^٢ .

المال الحلال :

وقد تجنب أهل الجاهلية بناء معابدهم بمال حرام ، فلما أرادت قريش بنيان الكعبة نادى مناديهم : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً . لا تدخلوا فيه مهر بنمي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس^٣ . هذا ما يذكره أهل الأخبار ويروونه عن بناء البيت الحرام .

بقية محجات العرب :

ومن محجّات العرب وبيوتها المعظمة : بيت عرف بـ (بس) لغطفان ، كانت تعبده . بناه (ظالم بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف) ، لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت ، وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ، فرجع الى قومه ، فبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين ، فقال : هذان الصفا والمروة فاجتزئوا به عن الحج ، فأغار (زهير بن جناب الكلبي) ، فقتل ظالماً وهدم بناءه . وورد في رواية أخرى ان (العزى) سمرة عبدتها غطفان . أول من اتخذها (ظالم بن أسعد) ، فوق ذات

١ الازرقبي ، أخبار مكة (١٧٣/١ وما بعدها) ، الاصابة (١٥٧/٢) ، (شيبه بن عثمان) .

٢ البلدان (٤٦٣/٤ وما بعدها) .

٣ الروض الانف (١٣٠/١ وما بعدها) .

عرق الى البستان بتسعة أميال ، بنى عليها بيتاً وسمّاه بسّاً ، وأقام لها سدنة ، فبعث اليها رسول الله (خالد بن الوليد) ، فهدم البيت وأحرق السمرة^١ .

وفي أخبار أهل الأخبار عن بيت (العزى) ، أو هام وتناقض . فتراهم يجعلون (العزى) صنماً مرة ويجعلونها (سمرة) أو (شجرة) أو ثلاث سمرة مرة أخرى ، ثم تراهم يخلطون بين البيت وبين الحرم الذي كان حوله ، كما بينت ذلك في أثناء حديثي عن (العزى)^٢ . والذي أراه ، انه كان للعزى بيت هو (بس) ، فيه صنم العزى ، وكان حوله حرم ، كحرم مكة ، به (سمرة) أو ثلاث سمرة ، كان الناس يقدسونها أيضاً ويتقربون اليها بالنذور . وهي جزء متمم لبيت العزى . فلما أمر الرسول خالد بن الوليد ، بهدم العزى ، هدم البيت وحطّم الصنم ، فرجع ، فلما سأله الرسول عنه ، واستفسر منه عن السمرة أو السمرة الثلاث ، وعلم منه انه لم يقطعها ، أمره بالعودة اليها وقطعها اجتثاثاً لكل علامة من علائم عبادة هذا الصنم . فقطعها . فقطع عن عبادها كل صلة لهم كانت تربطهم بذلك الصنم .

ومن محجّات الجاهليين ، بيت الصنم (ذو الخلصة) ، ذكر أنه كان بتبالة ، وكان يسمى بـ (الكعبة البائية) ، تمييزاً له عن الكعبة التي عرفت بـ (الكعبة الشامية) . وذكر أنه نفسه عرف بـ (الكعبة الشامية) ، كما دعي بـ (كعبة البائة) ، وقد تحدثت عنه في أثناء كلامي على هذا الصنم . ولما هدم البيت والصنم بأمر الرسول ، صار مكانه موضع عتبة باب مسجد تبالة . وذكر أن البيت هو (ذو الخلصة) ، والصنم (الخلصة) ، وقيل (ذو الخلصة : الصنم نفسه)^٣ وقد عرف البيت بـ (الكعبة) كذلك ، لأنه كان بناءً مكعباً . وكان بيتاً في خثعم باليمن ، وكانت بجيلة تعظمه كذلك . به صنم ، هو (ذو الخلصة) ونصب يذبحون عليه^٤ . ويظهر أنه كان من البيوت المعظمة الكبيرة ، بدليل ما ذكره العلماء من أن الرسول قال لجرير بن عبد الله البجلي : « ألا تريحي من ذي الخلصة » ؟ فذهب اليه وأحرق البيت وهدم الصنم وكسر النصب . وذكر

١ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) ، مرصد الاطلاع (٩٣٧) .
٢ البلدان (٤١٢/١) ، (بساء) .
٣ تاج العروس (٣٨٩/٤) ، (خلص) .
٤ ارشاد الساري (٤٢٤/٦) وما بعدها .

أن موضع (دي الخليفة) . صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها . العبلات من أرض خثعم^١ .

وقد ذكر (أبو العلاء المعري) أن فذك كانت في الجاهلية ذات أصنام . وكانوا يقصدونها للحج ، وذكر تليبتهم لها^٢ .

وكان بيت (اللات) من البيوت المعظمة عند ثقيف . كانوا إذا عاد أحدهم من سفر ، فأول ما يفعله أن يأتي (الربة) ، وهي اللات ليتبرك بها . وهي الصخرة التي كانت تعبد بها ثقيف . ولما أسلم (عروة بن مسعود الثقفي) ، وعاد إلى قومه دخل منزله ، فأذكر قومه عليه دخوله قبل أن يأتي الربة ، يعني اللات . وفي حديث وفد ثقيف : كان لهم بيت يسمونه الربة . يضاهون بيت الله^٣ . وكانت ثقيف تضاهي أهل مكة ، وتنافسهم على الزعامة . وكان لبيت اللات أستاذ وسدنة وحوله فداء معظم ، يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب^٤ . ولأهل اليمن بيوت تعبدوا لها . وبقيت معظمة عندهم إلى الإسلام . من ذلك بيت عرف ب (بيت رثام) . ذكر (ابن اسحاق) أن أهل اليمن كانوا يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون . وكانوا يعتقدون أن رثاماً كان فيه شيطان ، وكانوا يملأون له حياضاً من دماء القربان ، فيخرج فيصيب منها ، ويكلمهم ، وكانوا يعبدونه^٥ . وبيت غمدان ، وقد ذكروا أن الضحاك بنه باليمن على اسم الزهرة^٦ ، فجعلوه بيتاً ، أي موضع عمادة ، بينما هو دار حكم وبيت الملوك بصنعاء ، كما سبق أن تحدثت عنه .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (ريام) بيت بصنعاء كان لحمير ، وكان به كلب أسود . وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت^٧ . وكان (ذو الكعبات) لبكر ولتغلب ابني وائل وإياد بسنداد ، وله يقول الأعشى :

-
- ١ ارشاد الساري (٤٢٣/٦ وما بعدها) .
 - ٢ رسالة الغفران (٥٣٥) ، (بنت النساطي) .
 - ٣ ناج العروس (٢٦٢/١) ، (ديب) .
 - ٤ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) .
 - ٥ الروص الانف (٢٨/١) .
 - ٦ بهايه الارب (٦٢/١) .
 - ٧ تفسير ابن كثير (٢٥٤/٤) .

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذو الكعبات من سنداد^١
وذكر انه بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به ، وقد ذكره الأسود بن يعفر
في شعره ، فقال :

والبيت ذي الكعبات من سنداد^٢

فالبيت للأسود لا للأعشى على هذه الرواية .

وقد تعرض (ابن كثير) لموضوع بيوت الأصنام : اللات والعزى ومناة ،
فقال : « وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر، تعظمها العرب كتعظيم
الكعبة ، غير ان هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز ... قال ابن اسحاق
في السيرة : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها
كتعظيم الكعبة ، لها سدة وحجاب وتهدي لها كما يهدى للكعبة ، وتطوف بها
كطوافها بها وتنحر عندها »^٣ . وما فات من أسماء المحجات في العربية الجنوبية
والشرقية وفي نجد ، قد يزيد عدده على ما ذكرنا . فات عنا ، لأن أهل الأخبار
لم يذكروا شيئاً عنها ، لانصراف اهتمامهم الى الحجاز وما كان له صلة بالاسلام ،
من أرضين ، فحرمنا بذلك من الوقوف على أخبار المحجات في المواضع الأخرى
من جزيرة العرب .

ويحج الناس الى هذه البيوت في أشهر معينة من السنة ، هي الأشهر الحرم ،
وهي أشهر مقدسة لا يحل فيها قتال ولا اعتداء على أحد، فهي أشهر هدنة وسلام ،
أشهر خصصت بالآلهة ، فلا يجوز انتهاك حرمتها . وفي شهر الحج الذي يحج فيه
الناس الى أصنامهم ، يجتمع الناس في المعبد لأداء الفروض المكتوبة المعينة ، فيكون
الاجتماع اجتماعاً دينياً وسياسياً وتجارياً يتعامل فيه الناس . ويتبادلون به السلع ،
 ويعود على أهل الموضع الذي فيه المعبد بأرباح كبيرة ولا شك . وقد ذكرت أن
هذه الحرمه لم تكن عامة ، فقد كان من العرب من لا يراعيها ولا يحترمها ،
تم إننا لا ندرى إذا كان أهل العربية الجنوبية أو العربية الشرقية كانوا يعرفونها
أم لا !

١ تفسير ابن كثير (٢٥٤/٤) .
٢ تاج العروس (٤٥٧/١) ، (كعب) ، اللسان (٧١٨/١) ، (كعب) .
٣ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) وما بعدها .

ولست كل المعابد محجة للناس ، يقصدونها في الأيام أو في المواسم . فقد كان في الموضع الواحد جملة معابد في بعض الأحيان ، ولا يحج إليها ، بل كانت المعابد التي يحج إليها معدودة معينة . لا بد أن تكون لها ميزة شرفتها على سائر دور العبادة الأخرى . ولهذه الميزة قصدت في المواسم من أماكن بعيدة . وإذا استثنينا ما ورد عن مكة ، فإننا لا نكاد نعرف شيئاً ذا بال عن المعابد الكبيرة الأخرى . ثم إن في أكثر ما ذكره أهل الأخبار عن مكة غموض ومجال واسع للنقد ، لأنه منقول عن أفواه رجال يظهر أنهم نقلوا ما قيل لهم دون تحفظ أو تمحيص .

المزارات :

وقد عظم بعض أهل الجاهلية قبور ساداتهم ورؤسائهم واتخذوها أضرحة يزورونها ويتقربون إليها ويتبركون بها ، وقد بلغ من بعضهم أن جعلها حرم وملاذاً من دخل إليها أمن ، ومن لجأ إليها وكان محتاجاً أغيث ، ومن طلب العون واستغاث بصاحب القبر أغيث ، حتى صارت في منزلة المعابد . ومنها أضرحة السدنة والكهان وسادات القبائل ، فقد كان قبر (تميم) جد قبيلة (تميم) مزاراً معظماً عند أبناء القبيلة من احتضى به من (بني تميم) ومن غيرهم صار آمناً . ولم أجد في أخبار أهل الأخبار ما يفيد بوجود أضرحة في مكة ، اتخذت مزاراً وموضعاً يتبرك به . يعظمونه ويتقربون إليه بالندور والذبائح . لقد كان قبر قصي معروفاً عند أهل مكة ، ولكنهم لم يتخذوه مزاراً ومصلًى على ما يتبين من روايات الأخباريين .

الفصل الخامس والسبعون

الحنفاء

وقد أشار القرآن الكريم الى جماعة من العرب لم تعبد الأصنام ، ولم تكن من اليهود ولا النصارى ، وانما اعتقدت بوجود إله واحد عبده^١. وقد ذكر المفسرون وأهل الأخبار أسماء جماعة من هؤلاء ، غير ان ما ذكروه عنهم غامض لا يشرح عقائدهم ، ولا يوضح رأيهم في الدين ، فلم يذكرنا عقيدتهم في التوحيد ، ولا كيفية تصورهم لخالق الكون .

وقد عرف هؤلاء بالحنفاء وبالأحناف ، ونعتوا بأنهم كانوا على دين ابراهيم ، ولم يكونوا يهوداً ولا نصارى ، ولم يشركوا بربهم أحداً . سفهوا عبادة الأصنام، وسفهوا رأي القائلين بها^٢ .

١ « وقالوا : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا . قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » ، البقرة ، رقم ٢ ، الآية ١٢٥ ، تفسير الطبري (٤٠٤/١) ، روح المعاني (٣٥٢/١) ، تفسير المنار (٢٧٩/١ وما بعدها) ، بلوغ الارب (١٩٦/٢) ، اللسان (٤٠٢/١٠ وما بعدها) ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الاثير (٢٦٥/١) الطبرسي ، مجمع البيان (٤٦٧/١) ، (٢١٥/١ وما بعدها) ، (طبعة طهران) ، تفسير القرطبي ، الجامع (١٢٨/٢) ، الطبري ، جامع البيان (١٧٧/١) ، (٤٠/٢١) ، البيضاوي (١٥٩/١ ، ٢١٥) ، تفسير القرطبي (١٩٨/١٠) ، الكشف ، للزمخشري (٢٣٦/١) ، اللسان (٥٦/٩) « صادر » ، تأريخ الخميس ، للديار بكرتي (١٧٧/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٤٤/١) ، تفسير القرطبي ، الجامع (١٩٨/١٠) ، (حنيفا) ، سورة النحل ، رقم ١٦ ، الآية ١٢٠ .

٢ النهاية (٢٩٩/١) .

وقد أشير الى (الحنيفية) و (الحنفاء) في كتب الحديث^١ . وقد بحث عنها شراح هذه الكتب . ومما نسب اليه حديث : « لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكنني بعثت بالحنيفية السمحة »^٢ . وحديث : « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة »^٣ . وحديث « أحب الأديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة »^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن الجاهليين جميعاً كانوا قبل عمرو بن لحي الخزاعي على دين ابراهيم . كانوا موحدون يعبدون الله جل جلاله وحده ، لا يشركون به ولا ينتقصونه . فلما جاء عمرو بن لحي ، أفسد العرب ، ونشر بينهم أضرال عباداة الأصنام ، بما تعلمه من وثنيي بلاد الشام حين زارهم ، وحل بينهم ، فكان داعية الوثنية عند العرب والمبشر بها ومضلتهم الأول . وهو على رأيهم موزع الاصنام بين القبائل ، ومقسمةا عليها . فكان من دعوته تلك عباداة الاوثان ، الى أن جاء الاسلام فأعاد العرب الى سواء السبيل ، الى دين ابراهيم حنيفاً ، وما كان ابراهيم من المشركين^٥ .

ولقد فشت دعوة عمرو بن لحي وانتشرت ، حتى دخل فيها أكثرهم ، والضلال سريع الانتشار ، وقل عدد من حافظ على دين ابراهيم والمراعي لأحكام دين التوحيد الخنيف : من اعتقاد بوجود إله واحد أحد ، وطواف بالبيت ، وحج اليه ، وعمره ، ووقوف على عرفة وهدي للبدن ، واهلال بالحج والعمرة ، وغير ذلك . فلم يبق منهم إلا عدد محدود في كل عصر الى زمن البعثة المحمدية^٦ .

ولسنا نملك ويا للأسف شيئاً من الجاهلية يعيننا في الوقوف على عقائد الأحناف ودينهم ، فليس في كتابات المسند ولا في الكتابات الجاهلية الأخرى ، بل ولا في كتب اليونان واللاتين شيء عن عقيدتهم وعن آرائهم ، لذلك اقتصر علمنا بأحوالهم على ما جاء في المؤلفات الاسلامية وحدها ، والفضل في حفظ أخبارهم للقرآن

١ راجع ونسبك : المعجم المفهرست لالفاظ الحديث النبوي الشريف ، حيث تجد الاشارة الى تلك الاحاديث .

٢ مسند أحمد بن حنبل (١١٦/٤) ، (٣٣/٦) .

٣ اللسان (٥٦/٩ وما بعدها) .

٤ مجمع البيان ، للطبرسي (٢١٥/١ وما بعدها) ، « أحب الدين الى الحنيفيه السمحة » ، الاصابة (٥١/١) ، (رقم ١١٤) .

٥ اللسان (٤٠٣/١٠) ، بلوغ الارب (١٩٥/٢) .

٦ بلوغ الارب (١٩٦/٢) .

الكريم ، فلولا اشارته اليهم وذكره لهم ، لما اهتم المفسرون وأصحاب الأخبار بجمع ما كان عالقاً في ذهن الناس عنهم . وللحديث وكتب السير والأدب فضل في جمع أخبارهم يجب ألا ينسى كذلك .

وللعلماء الاسلاميين آراء وتفسيرات في أصل لفظة (حنيف) وحنفاء وأحناف وفي معانيها . فهم يقولون ان الأصل (حنف) ، وحنف بمعنى مال . وحنف القدمين ميل ال واحدة منها نحو الأخرى . والحنف هو ميل عن الضلال الى الاستقامة ، والحنف ميل عن الاستقامة الى الضلال . والحنيف هو المائل . ومن هذا المعنى أخذ الحنف . وأما الحنيف ، فالذي يميل الى الحق، وقيل الذي يستقبل البيت الحرام ، أو الحاج أو من يختن، والحنيف من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء . والحنيف المستقيم الذي لا يلتو في شيء^١ .

وقد وردت لفظة (حنيفاً) في عشر مواضع من القرآن الكريم^٢ . ووردت لفظة (حنفاء) في موضعين منه^٣ . وبعض الآيات التي وردت فيها آيات مكية، وبعضها آيات مدنية . وقد نص في بعض منها على ابراهيم ، وهو على الحنيفية، ولم ينص في مواضع منها على اسمه . وقد وردت لفظة (حنفاء) في سورتين فقط . هما : سورة الحج وسورة البينة ، وهما من السور المدنية .

وذكر بعض أهل الأخبار ان الحنيف عند أهل الجاهلية من اختن وحج البيت فكل من اختن وحج البيت هو حنيف^٤ . وقد رأى الطبري ان ذلك لا يكفي ،

-
- ١ المبررات ، للاصمغاني (ص ١٣٣) ، اللسان (٤٤/١٠) ، (٥٦/٩ وما بعدها) «صادر» ، باج العروس (٧٧/٦ وما بعدها) ، النهاية في غريب الحديث والاثار ، لابن الاثير (٢٦٥/١٠) ، تفسير الطبري (٢٥٨/١ وما بعدها) ، القاموس المحيط ، المعروف بآبادي (١٣٠/٣) ، تفسير الطبري (٥٦٣/١) ، «١٩٥٤» ، (١٠٥/٣) «دار المعارف» ، الملل والنحل ، (٥٢/٢) ، الاغانى (١١٣/٣) وما بعدها ، «دار المعادى بيروت ١٩٥٥ م» ، روح المعاني للالوسي (١٧٣/٣) وما بعدها ، «تفسير الحازن» (٩٨/١) .
 - ٢ الدهر ، روم ٢ الآية ١٣٥ ، آل عمران ، ٣ الآية ٦٧ ، ٩٥ ، النساء ، الرقم ٤ ، الزمر ١٢٥ ، الانعام ٦ ، الآية ٧٩ ، ١٦١ بونس ، الرقم ١٠ ، الآية ١٠٥ ، النحل ، ١٦ ، الآية ١٢٠ ، الروم ، الآية ٣٠ .
 - ٣ الحج ، الآية ٣١ ، البينة ، الآية ٥ .
 - ٤ اللسان (٤٠٢/١٠ وما بعدها) ، الكشف (١٧٨/١ ، ٢٣٦ ، ٤٠٧) ، الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن (٤٦٧/١ وما بعدها) ، (١٠٩/٣ وما بعدها) ، تفسير الفخر الرازي (٥٧/١٣ وما بعدها) ، (١٠/١٤ وما بعدها) ، (١٧١/١٧ وما بعدها) ، «تفسير الطبري» (١٠٤/٣ وما بعدها) .

بل لا بد من الاستقامة على ملة ابراهيم واتباعه عليها^١. والذين يذكرون أن الحنيف هو من اختن وحج البيت ، يذكرون أن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين ابراهيم غير الختان وحج البيت ، ولهذا فكل من اختن وحج البيت ، قيل له حنيف . وقد أضاف بعضهم اعتزال الأصنام والإغتسال من الجنابة الى ما ذكرت ، وجعلوا ذلك من أهم العلامات الفارقة التي ميزت الحنفاء عن المشركين^٢ ، لأن الحنيفية على حد قولهم لو كانت حج البيت والاختتان لوجب أن يكون الذين كانوا يحجّون ويختنون في الجاهلية من أهل الشرك حنفاء، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفاً بقوله : « ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »^٣ .

وينسب أهل الأخبار الى الأحناف بالإضافة الى ما ذكرت ، امتناعهم عن أكل ذبائح الأوثان وكل ما أهل الى غير الله . فقد ذكروا عن كل واحد من الأحناف أنه كان قد امتنع عن أكل الذبائح التي تذبح للأوثان والأصنام ، لأنها ذبحت لغير الله . كما نسبوا اليهم تحريم الخمر على أنفسهم ، والنظر والتأمل في خلق الله ، ونسبوا اليهم أداء شعائر الحج وغير ذلك^٤ .

وقد لخص (الفخر الرازي) و (الطبرسي) ، آراء العلماء في (الحنيفية) واجملاها في تفسيرهما للآية : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفاً ، وما كنت من المشركين » . فقالا : « وفي الحنيفية أربعة أقوال : أحدها أنها حج البيت ، عن ابن عباس والحسن ومجاهد . وثانيها أنها اتباع الحق ، عن مجاهد ، وثالثها أنها اتباع ابراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الاسلام ،

- ١ تفسير الطبري (١٠٥/٣ وما بعدها) ، (٣٠٦/٣) ، (٢٩٧/٥) ، (٢٥١/٧) ، تفسير القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (١٢٨/٢) .
- ٢ اللسان (٥٦/٩) « صادر » ، القاموس (١٣٠/٣) ، تاج العروس (٧٧/٦ وما بعدها) ، (حنف) .
- ٣ الطبري ، جامع البيان (٥٦٤/١ وما بعدها) .
- ٤ الاصنام (٦) « ١٩١٤ م » ، القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، (١٠٩/٤) « ١٩٣٧ م » « مطبعة دار الكتب المصرية » ، ابن خلدون (القسم الاول من المجلد الثاني) (ص ٧٠٧ وما بعدها) « بيروت ١٩٥٦ م » الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٣٨/١ وما بعدها ، ٢٥١) ، تفسير الرازي (١٥٠/٨ وما بعدها) .

والرابع انها الاخلاص لله وحده والاقرار بالربوبية والإذعان للعبودية ^١ .

ترى مما تقدم ، وسترى فيما بعد ان أهل الأخبار لم يكونوا على بيئة تامة وعلم واضح بأحوال الحنيفية وبآرائها وقواعد أحكامها وأصولها ، وانهم خلطوا في بعض الأحيان فيما بينها وبين الرهينة ، ولا سيما رهينة النصرانية . فأدخلوا فيها من يجب اخراجهم عنها ، لأنهم كانوا نصارى على ما يذكره نفس أهل الأخبار في أثناء تحدثهم عنهم ، ومن هؤلاء : قيس بن ساعدة الأيادي وورقة بن نوفل ، وعثمان ابن الحويرث ، فقد نصوا نصاً صريحاً على انهم كانوا من العرب المنتصرة ، ثم نجدهم مع ذلك يدخلونهم في جملة الأحناف .

وللمستشرقين بحوث في أصلها ومعناها وفي ورودها عند العرب قبل الاسلام . ومنهم من يرى ان اللفظة من أصل إرمي ، وقد كانت معروفة عند النصارى ، وأخذها الجاهليون منهم ، وأطلقت على القائلين بالتوحيد من العرب ، على أولئك الذين ظهروا في اليمن خاصة ونادوا بالتوحيد وعبادة الرحمان . وهي ديانة توحيد ظهرت بتأثير اليهودية والنصرانية ، غير ان أصحابها لم يكونوا يهوداً ولا نصارى ، وانما كانوا فرقة مستقلة تأثرت بآراء الديانتين ^٢ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان اللفظة من أصل عبراني ، هو : (تخينوت) tchinoth ، أو من (حنف) Hnêf ، ومعناه التحنن في العربية ، وذلك لما لهذه اللفظة من صلة بالزهد والزهاد ^٣ . وقال (نولدكه) انها من أصل عربي هو (تحنف) ، على وزن تبرر ، وهي من الكلمات التي لها معان دينية . ويلاحظ ان السريان يطلقون لفظة (حنفه) Hanfa على الصابئة ^٤ . وقد وردت لفظة (حنف) في النصوص العربية الجنوبية ، وردت بمعنى (صبأ) ، أي مال وتأثر بشيء ما ^٥ .

١ مجمع البيان (٢١٥/١ وما بعدها) ، التفسير الكبير ، للفخر الرازي (٨٩/٤ وما بعدها) .

٢ Ency., II, p. 259.

٣ Abraham I. Katsh., Judaism in Islam, New York, 1954, p. 108, f., J.A. Montgomery, Ascetic Strains in early Judaism, in, JBL., Vol., LI, (1932), pp. 183, Tar Andrae, Der ursprung der Islam und das Christentum, uppala, 1926, p. 40, Charles Lyall, The Ward Hanif and Muslim, in JRAS, 1903, p. 772, Sprenger, Das Leben, Bd. I, S. 45. ff.

٤ Ency., II, 259, Barhebraeus, Chronic., p. 176.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 40.

أي بالمعنى الذي فهمه علماء اللغة. فاللفظة اذن من الألفاظ المعروفة أيضاً عند العرب الجنوبيين .

عندي أن لفظة (حنيف) ، هي في الأصل بمعنى (صابىء) أي خارج عن ملة قوم ، تارك لعبادتهم . ويؤيد رأيي هذا ما ذهب اليه علماء اللغة ، من أنها من الميل عن الشيء وتركه ، ومن ورودها بهذا المعنى في النصوص العربية الجنوبية . وبمعنى (الملحد) ، و (المنافق) ، و (الكافر) في لغة بني لأم ، ومن اطلاق (المسعودي) و (ابن العبري) لهذه اللفظة على (الصابئة) . ومن ذهاب (المسعودي) الى أن اللفظة من الألفاظ السريانية المعربة . وقد اطلقت على (المنشقين) على عبادة قومهم الخارجين عليها ، كما أطلق أهل مكة على النبي وعلى أتباعه (الصابىء) و (الصبابة) ، فصارت علماً على من تنكر لعبادة قومه ، وخرج على الأصنام . ولهذا نجد الإسلام يطلقها في بادىء الأمر على نابذي عبادة الأصنام ، وهم الذين دعاهم بأنهم على (دين ابراهيم) . ولما كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام لذلك صارت مدحاً لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذماً^١ .

ولست الصورة التي رسمها المفسرون وأهل الأخبار عن عقيدة الخنفاء واضحة، فهي صورة غامضة مطموسة في كثير من النواحي ، تخص الناحية الخلقية أكثر مما تخص الناحية الدينية . فليس فيها شيء عن عقيدتهم في الله ، وكيفية تصورهم وعبادتهم له ، وليس فيها شيء عن كتاب كانوا يتبعونه أو كتب كانوا يسرون عليها . نعم ، إن نفرأ منهم كما ذكر الرواة كانوا قد قرأوا الكتب ووقفوا عليها ، ولكن ما تلك الكتب التي قرأوها ، وما أسماؤها . وهل هي التوراة والانجيل ؟ ولكن أي توراة وإنجيل ؟ التوراة والانجيل التي كانت بين أيدي الناس أو غيرها ؟ فالذي يفهم من كلام الرواة أن الخنفاء كانوا يرون تحريفاً في الكتابين ، وأن هناك تبايناً قليلاً أو كثيراً بين الأصل الذي أوحاه الله وبين الذي كان بين أيدي الناس ، وأنهم لذلك مالوا عن اليهودية والنصرانية الى دين ابراهيم الحنيف ، فقرأوا كتبه وتعبدوا بعبادة ابراهيم . ولكن ما هي كتب ابراهيم وما هي عبادته ؟

١ راجع أيضاً : Ency., II, p. 259.

وليس في امكاننا في الوقت الحاضر وضع حد صريح واضح لمفهوم الأحناف (الدين الحنيف) عند الجاهليين ، لما ذكرته من عدم وجود موارد واضحة صريحة عن الأحناف ، ولعدم ورود أي شيء عنهم في نصوص جاهلية ، ولأن في الكثير من الذي يذكره المفسرون وأهل الأخبار عنهم غموض وإبهام أو صنعة وتكلف ، لذلك فليس أمامنا سوى الانصراف الى البحث عن جمع كل ما ورد عن الحنيفية في الشعر وفي النثر وتنقيته وغربلته لاستخراج المادة الصافية منه التي تفيدنا في الوقوف على تلك الحركة الدينية التي كانت بارزة عند المذكورين قبيل ظهور الاسلام . والوقوف عليها يفيدنا كثيراً ولا شك في فهم الاسلام الذي أثنى على الحنيفية وأرجعها الى ديانة ابراهيم ، وفي فهم اتجاهات الأحناف ودعوتهم التي وجهوها الى قومهم في نبذ عبادة الأصنام والأحجار والمعبودات المادية الأخرى ، والالتجاء الى عبادة إله أعلى لا يشبه المادة ، هو إله واحد لطيف خبير .

والحنفاء ، كما يفهم من روايات أهل الأخبار ، كانوا طرازاً من النسك ، نسكوا في الحياة الدنيا ، وانصرفوا الى التعبد للإله الواحد الأحد إله ابراهيم واسماعيل ، ساحوا في البلاد على نحو ما يفعله السياح الزهاد بحثاً عن الدين الصحيح دين ابراهيم ، فوصل زيد بن عمرو بن نفيل الى الشام والبقاء ووقف على اليهودية والنصرانية ، فلم يرَ في الديانتين ما يريد^١ . ومنهم من أخذ على قومه هدايتهم بحشهم على ترك عبادة الأصنام ، لذلك لاقوا منهم غشاً ونصباً شديداً . ومنهم من كان يتأمل في هذا الكون ، لذلك تجنب الناس واعتزلهم ، والتجأ الى الكهوف والمغاور البعيدة ابتعاداً عن الناس للتأمل والتفكير ، وقد تجنبوا الحمرة والأعمال المنكرة ، وقول الفحش ، وساروا على مثل الاسلام ، وان عاشوا قبل الاسلام ، لأن الإسلام دين ابراهيم .

والذي يفهم من القرآن الكريم ، هو ان الحنفاء هم أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام ، فلم يكونوا من المشركين ، بل كانوا يدنون بالتوحيد الخالص ، وهو فوق توحيد اليهود والنصارى ، فلم يكونوا يهوداً ولا نصارى ، و « وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من

١ بلوغ الارب (٢٤٧/٢ وما بعدهما) ، الطبرسي ، مجمع البيان (١١٠/٣)
(٢٥٢/٧) ، (١٠٧/١١) ، (١٣٧/١٤) .

المشركين^١ ، وان قدوتهم في ذلك ابراهيم . ويلاحظ ان لفظة (مسلم) استعملت في مرادف ومعنى لفظة (الحنيف) ، وان ابراهيم هو أبو وأول المسلمين . وقد وصف الاسلام بأنه دين الله الحنيف ، والدين الحنيف ، وان الشريعة الاسلامية ، هي الحنيفية السمحة السهلة ، وذلك تمييزاً لها عن الرهبانية المتعصبة^٢ .

وقد عدّ بعض المستشرقين الحنفاء شيعة من شيع النصرانية ، وعدّوهم نصارى عرباً زهاداً كيتفوا النصرانية بعض التكيف ؛ وخلطوا فيها بعض تعاليم من غيرها . وقد استدلوا على ذلك بما ورد من تنصر بعضهم ، وبما ورد في بعض الأشعار الجاهلية من مواضع يفهم منها على تفسيرهم ان المراد بهم شيعة من شيع النصرانية^٣ . غير ان القرآن الكريم قد نص نصاً صريحاً على ان الحنفاء لم يكونوا يهوداً ولا نصارى ، وانهم ينتمون في عقيدتهم الى ابراهيم . ثم ان الأخباريين وإن أدخلوا في الأحناف أناساً نصوا على انهم كانوا نصارى ، إلا انهم نصوا في الوقت نفسه نصاً صريحاً على ان البقية الباقية ، كانت واقفة ، لم تدخل في يهودية ولا نصرانية ، إذ وجدت في كل ديانة من الديانتين أموراً جعلتها تراثاً ، فلم تدخل في احدهما ، وبقيت مغلصة لسنة ابراهيم ، لذلك فلا يمكن اعتبار الأحناف نصارى خلصاً ، أو شيعة من الشيع النصرانية .

وقد كان من الحنفاء نفر من النصارى ، أنخلصوا لنصرايتهم وماتوا عليها . فهؤلاء هم نصارى من غير شك ، ويجب اخراجهم من طائفة الحنفاء ، وادخالهم في النصارى ، مثل (بحيرا) الراهب ، وأمثاله ممن سأتحدث عنهم فيما بعد . ويلاحظ أن جميع من حشرهم أهل الأخبار في الحنيفية ، كانوا من القارئين ، الكتّاب . وكانوا يشتركون الكتب ويراجعونها ويتسقطون أخبار أهل الآراء والمذاهب والديانات . ول بعض منهم - كما يروي أهل الأخبار - علم باللغات الأعجمية مثل السريانية والعبرانية ، كما كان لهم علم ووقوف على تيارات الفكر في ذلك الوقت . وقد أضافوا الى علمهم الذي أخذوه من الكتب ، علماً حصلوا عليه من

١ آل عمران ، الآية ٦٧ وما بعدها ، البقرة ، الآية ٣٥ ، آل عمران ، الآية ٩٥ ، النساء ، الآية ١٢٤ ، الانعام ، الآية ٧٩ ، ١٦٢ ، يونس ١٠٥ .

٢ ابن سعد (١٢٨/١) ، قال عبد الله بن أنيس :
فقلت له خذها بضربة ماجد حنيف على دين النبي محمد

٣ Reste, S. 238, J.A. Montgomery, Ascetic Strains in Early Judaism, JBL., Vol., LI, 1932, p. 183, Abraham J. Katsch, Judaism in Islam, p. 108.

أسفارهم الى الخارج مثل العراق وبلاد الشام ومن اتصلهم بالرهبان وبرجال الكنائس واليهود . فهم بالنسبة لذلك الوقت الطبقة المثقفة من الجاهليين نادت بالاصلاح وبرفع مستوى العقل وبنبد الأساطير والخرافات وبتحرير العقل من سيطرة العادات والتقاليد فيه ، وذلك بالدراسات والتأمل وبقراءة الكتب وبالرجوع الى دين الفطرة ، الذي لا يقر عبادة الشرك ولا عبادة الناس .

لذلك نستطيع أن نقول عن هؤلاء إنهم كانوا أناساً من النوع الذي نطلق عليهم كلمة (مصلحين) في الوقت الحاضر . من هذا الطراز الذي يريد اصلاح الأوضاع ورفع مستوى العقل . فهم جماعة ضد الأوضاع الاجتماعية السائدة في أيامهم . لأنها في نظرهم أوضاع مؤخرة تمنع الإنسان من التقدم ومن ادراك الواقع . وقد رأت أن العقل لا يقر التقرب الى أحجار والى التبرك بها والذبح لها ، لأنها حجارة لا تعي ولا تفهم وليس في إمكانها أن تسمع أو تجيب لذلك نفرت منها . ومنهم من آمن بدين كالنصرانية ، ولكنه لم يكن على نصرانية قومه ، لأن عقله لا يقر التقرب الى المادة مثل الصليب والصور والمائيل ، ومنهم من أبعده مثل هذه العبادة عن النصرانية ، فصيرته حائراً في أمره من الديانات ، يعتقد بآله ، ولكنه لم يستقر على دين . عائب على قومه من المشركين ما هم عليه من جهل ومن عبادة أحجار ومن كل تقرب اليها .

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء نفر ذكروا أنهم كرهوا عبادة الأوثان وسخفوا أحلام المتعبدين لها ، إذ وجدوا ان من الحقم التقرب الى حجر لا يضر ولا ينفع ، وهو جماد ، فلما سمع بعضهم بالاسلام أسلموا . ولكنهم لم يدخلوهم في عداد الأحناف . وقد رأينا ان من أهل الأخبار من جعل (مسيلمة) يدعو الى عبادة (الرحمن) قبل مبعث النبي . وقد ذكروا ان « عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد » السلمي ، كان قد رغب عن آلهة قومه في الجاهلية ، رأى انها باطلة ، وان الناس في ضلال إذ يعبدون الحجارة ، والحجارة لا تضر ولا تنفع ، فكان حائراً ، حتى اهتدى الى الاسلام^١ .

وليس في أيدينا اليوم مورد يفيد بوجود تكتل وتنظيم لمن أطلق الأخباريون

١ الاصابة (٥/٣ وما بعدها) ، رقم (٥٩٠٥) ، الاستيعاب (٤٩١/٢ وما بعدها) ، حاشية على الاصابة .

عليهم لفظة : (الحنفاء) ، تكتل وتنظيم مع مظاهر خارجية وداخلية تميزهم عن غيرهم من أهل الأديان . لذلك ، فنحن لا نستطيع أن نقول إن الحنيفية كانت فرقة تتبع ديناً بالمعنى المفهوم من الدين ، كدين اليهودية أو النصرانية ، لها أحكام وشريعة تستمد أحكامها من كتب منزلة مقدسة ومن وحي نزل من السماء ، على نحو ما نفهمه من الأديان السماوية . لذلك ، فأنا لا أستطيع لإقرار رأي من ذهب الى انهم كانوا جماعة دينية منظمة ، كرأي المستشرق (شبرنكر) ، الذي ذهب الى هذا المذهب^١ .

وجل هؤلاء الأحناف ، هم من أسر معروفة ، وبيوت يظهر أنها كانت مرفهة أو فوق مستوى الوسط بالنسبة الى تلك الأيام ، ولهذا صار في امكانهم الحصول على ثقافة وعلى شراء الكتب ، وقد كانت غالية الثمن إذ ذاك ، لنيل العلم منها . كما صار في امكانهم الطواف في خارج جزيرة العرب لامتصاص المعرفة من البلاد المتقدمة بالنسبة الى تلك الأوقات ، مثل العراق وبلاد الشام . وقد اتصلوا كما يزعم أهل الأخبار فعلاً برجال العلم والدين فيها ، وتحادثوا معهم وأخذوا الرأي منهم . ومن يدري فلعلهم قرأوا عليهم الكتب وفي جملتها كتب اليونان ، أو ترجات كتبهم بالسريانية ، فحصلوا نتيجة لذلك على علم بمقالات اليونان وبآرائهم في الفلسفة والدين والحياة . وقد تكون بعض الآراء المنسوبة اليهم ، والتي ترجع الى أصل يوناني ، قد قالوها من أخذهم لها من تلك الكتب ومن دراستهم على من اتصلوا بهم من العلماء في أثناء وجودهم في العراق وفي بلاد الشام .

ونجد في الأخبار أن الرسول كان يعدّ الرهبانية مخالفة للحنيفية ، إذ ورد أن أبا عامر بن صيفي — المعروف بالراهب لأنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح — قدم المدينة ورأى الرسول ، وسأله : ما هذا الذي جئت به ؟ — فقال الرسول : جئت بالحنيفية دين ابراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال الرسول : لست عليها ، ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها . وقد سماه الرسول الفاسق . فذهب مغاضباً للرسول كما تقول الروايات ، متوجهاً الى قيصر ، ليحملة على توجيه جيش الى المدينة للقضاء على الإسلام ، غير أنه مات وهو في بلاد الشام^٢ .

١ Sprenger, Das Leben, Bd., I, S. 4, Ency., II, S. 259.

٢ مجمع البيان (٦٤/٩ وما بعدها) ، (٥٠٠/٣) ، (طبعة طهران) .

وقد خرج (أبو عامر) واسمه (عید عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ابن أمة)^١ الراهب أحد (بني ضبيعة) الى مكة مباعداً لرسول الله ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم (عثمان بن حنيف) . « فكان يعد قريشاً ان لو قد لقي محرماً لم يختلف عليه منهم رجلاً ، فلما كان يوم أحد ، كان أول من لقي أهل المدينة أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية (الراهب) فسمّاه رسول الله الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قاتلهم ثم راضخهم بالحجارة » . ثم رجع مع قريش الى مكة ثم خرج الى الروم يوم فتحت مكة فمات بها سنة تسع ، ويقال سنة عشر . وأعطى (هرقل) ميراثه لكنانة بن عبد ياليل الثقفي^٢ ، وكان قد اختصم مع علقمة بن علاثة في ميراثه ، فدفع هرقل ميراثه لكنانة قائلاً لعلقمة : هما من أهل المدر وأنت من أهل الوبر .

وكان له ولد اسمه (حنظلة) أسلم ، واستأذن رسول الله في قتل أبيه ، فنهاه عن ذلك . فلما كان يوم أحد شهده ، والتقى هو وأبو سفيان ، فلما استعلى حنظلة رآه (شداد بن شعوب) فعلاه بالسيف حتى قتله ، وقد كاد يقتل أبا سفيان . فقال النبي : « إن صاحبكم تغسله الملائكة »^٣ ، فعرف بـ (غسيل الملائكة)^٤ . فكان الابن مع المسلمين في هذا اليوم ، وكان الأب مع المشركين .

وروي أنه كان يتزهّد في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام خرج الى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار ، وأتى قيصر فاستنجد على النبي^٥ . وروي أنه هو الذي حزب الأحزاب لقتال الرسول : فلما خذل لحق بالروم يطلب النصر منهم ، وقال لأناس من الأنصار ابنو مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ،

- ١ تاريخ الطبري (٥١٢/٢) ، (معركة أحد) ، المحبر (٤٧٠) ، سيرة ابن هشام (١٢٩/٢) ، (حاشية على الروض) ، أبو عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، الأوسي ، الإصابة (٣٦٠/١) ، (رقم ١٨٦٣) ، مروج الذهب (١٨٨/١) ، (دار الاندلس) .
- ٢ الإصابة (٣٦٠/١) ، (رقم ١٨٦٣) .
- ٣ الاستيعاب (٢٧٩/١) وما بعدها ، (حاشية على الإصابة) .
- ٤ الإصابة (٣٦٠/١) ، (رقم ١٨٦٣) ، الاستيعاب (٢٧٩/١) وما بعدها ، (حاشية على الإصابة) .
- ٥ تفسير النيسابوري (٧٦/٩) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، روح المعاني (١١١/٩) .

فلما ذهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ، وكان قد خرج معه كنانة بن عبد ياليل الثقفي وعلقمة بن علاثة . فأما علقمة وابن ياليل (ابن بالين) ، فرجعا فبايعا النبي وأسلما ، وأما (أبو عامر) فتنصر وأقام^١ .

ويظهر أن (أبا عامر الراهب) ، كان قد وضع مع جماعة من الأنصار الحاقدين على الرسول وعلى المهاجرين الذين صاروا يزاحمونهم في أعمالهم ، واستحوذوا على التجارة واستغلوا أرض يثرب فقام قوم منهم بزراعتها ، خطة لعمل مكيدة يخرجون بها الرسول من المدينة ، يساعدهم في ذلك الروم . غير أنها لم تنجح ، وهدم المسجد ، الذي تواعدوا على أن يكون موضع التآمر وملتقى الحاقدين على الرسول ، وقضي على المؤامرة ، وبقي (أبو عامر) عند الروم . فلما مات عاد (كنانة بن عبد ياليل) الثقفي ، وكان رئيس ثقيف في زمانه ، وكان يقول : « لا يرثني رجل من قريش » ، مما يدل على أنه كان من الكارهين لقريش المتحاملين عليها وعلى الإسلام ، ففر إلى (نجران) ثم توجه إلى الروم . فلما مات (أبو عامر) عاد فأسلم^٢ . وعاد (علقمة) أيضاً . وهناك روايات أخرى ، تذكر أنه ارتد في أيام (عمر) ، والتحق بالروم ، ثم عاد إلى الإسلام^٣ .

ولاشتهار أبي عامر بالراهب ، ولما ورد في بعض الأخبار من أنه كان حنيفاً ، ذهب (ولهو زن) إلى أن الأحناف هم من النصارى ، وأن حركتهم حركة نصرانية ، وأنهم كانوا القنطرة التي توصل بين النصرانية والإسلام^٤ . غير أن ما لدينا من معارف عن الأحناف ، لا يكفي لابتداء رأي كهذا الرأي ، وللتسليم بمثل هذا القول ينبغي لنا الوقوف على آرائهم وقوفاً دقيقاً ومقارنة ما لدينا بما نعرفه من النصرانية لنتمكن من التوصل إلى رأي علمي في هذا الشأن .

وفي بيت منسوب إلى أمية إشارة إلى الحنيفية ، ذكر فيه أن كل دين زور عند الله إلا دين الحنيفية . وقد رأينا أن أهل الأخبار يدخلون أمية في جملة

١ تفسير الطبري (١٧/١١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣٢٠/٧) ، (٢٥٣/٨) وما بعدها .
٢ الاصابة (٣٠٥/٣) ، (رقم ٧٥٣٢) .
٣ الاصابة (٤٩٦/٢) ، (٥٦٧٧) .
٤ Wellhausen, Reste, S. 239. f.

الحنفاء ، ويقولون : انه لبس المسوح تعبدًا ، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل وحرّم الحمر^١ . ويلاحظ ان الأخباريين ينسبون الى عدد من هؤلاء الأحناف لبس المسوح ، مما يشير الى انهم كانوا قد تأثروا بالرهبان المتقشفين وبالزهاد النصارى الناسكين، فأخذوا عنهم هذه الطريقة التي أشير اليها في القرآن الكريم وفي الحديث ، والتي تعدت من البدع الممقوتة في الاسلام .

وقد أورد أهل الأخبار كلاماً ذكروا ان الأحناف قالوه ، هو من نوع كلام الكهان المرتب على طريقة السجع ، أوردوه بنصه على ما ذكروه . غير ان من الصعب تصور صدور ذلك الكلام المنمق من أناس عاشوا قبل الاسلام ، ومحافظه الناس عليه محافظة تامة إلى ما بعد الاسلام . ويظهر على كسل حال من دراسة روايات أهل الأخبار عن الكهان والأحناف ان كلام رجال الدين قبل الاسلام كان على هذا النمط من السجع ، ومن جمل مكررة معادة عامة . وقد ظل السجع الطريقة المحببة في الكتابة الى ايامنا هذه عند بعض الكتّاب .

وفيه من كلام الرواة ان بعض هؤلاء الحنفاء كانوا نصارى مثل ورقة بن نوفل ، أي على عكس ما يذكره الرواة أنفسهم من أن هؤلاء كانوا قد تجنّبوا اليهودية والنصرانية متبعين ديانة ابراهيم^٢ . والظاهر أن الرواة قد اشتبه عليهم الأمر، فخلطوا في بعض الأحيان بين النصرانية وبين هؤلاء الذين أنكروا عبادة الأصنام واعتقدوا التوحيد .

ولدينا أمثلة أخرى على هذا الوهم . وسنرى من تراجم عدد من الاحناف ان منهم من يجب ادخاله في عداد النصارى ، لا الاحناف . وقد نص أهل الاخبار أنفسهم على تنصرهم ، غير انهم ادخلوهم مع ذلك في جملة الاحناف حين تكلموا عنهم . فكأنهم عنوا بالاحناف من كان على حياة الرهبنة والتقشف . وقد أدخل (المسعودي) بعض الاحناف في جماعة اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد ، ومن أهل التوحيد ، ممن يقر بالبعث . ثم قال : « وقد اختلف الناس فيهم ، فمن الناس من رأى انهم أنبياء ، ومنهم من رأى غير ذلك »^٣ .

١ كل دين يوم القيامة عند الله — له الدين الحنيفة زور
الاجاني (١٢٢/٤) « طبعة دار الكتب المصرية » .
٢ بلوغ الارب (٢٧٠/٢) .
٣ مروج (٧٨/١) ، (دار الاندلس) .

وقد ذكر من بينهم (حنظلة بن صفوان) ، و (خالد بن سنان العبسي) ، و (رثاب الشني) ، و (أسعد ابو كرب الحميري) ، و (قس بن ساعدة الإيادي) ، و (أمية بن أبي السلط الثقفي) ، و (ورقة بن نوفل) ، و (عداس) مولى (عتيبة بن ربيعة الثقفي) ، و (ابو قيس) (صرمة بن أبي انس) الانصاري ، و (أبو عامر الاوسي) ، و (عبدالله بن جحش الاسدي) ، و (بحيرا الراهب)^١ . ومن هؤلاء من كان على النصرانية ، وقد نص (المسعودي) نفسه على ذلك .

والذين ذكر الرواة أسماءهم من الحنفاء هم أناس عاشوا في الجاهلية المتصلة بالاسلام ، ومنهم من أدرك الرسول ، ولا عبرة بالطبع لما زعمه الأخباريون من طول عمر أولئك الأشخاص وبلوغ بعضهم مئين عدة من السنين ، وادخالهم في المعمرين^٢ ، فان من عادة الأخباريين إطالة عمر هؤلاء وأمثالهم من الرجال البارزين الظاهرين ، ليكون ذلك مناسباً لما يجيء في أخبارهم من الحكم المنسوبة اليهم ، وهي فكرة عامة نجدها عند غير العرب أيضاً ، ولذلك نجد صور الحكماء والفلاسفة في الغالب على صورة شيوخ أصحاب لحى طويلة بيض ورأس جلله الشيب أو قضى على شعره الزمن والتفكير ، فصليح ، لأن هذه من علامات الحكمة والتفكير .

وعندي ان الحنفاء جماعة سخرت من عبادة الأصنام ، وثارت عليها وعلى المثل الأخلاقية التي كانت سائدة في ذلك الزمن ، ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التي كانت متفشية في ذلك العهد ، دعاها إلى ذلك ما رآته في قومها من إغراق في عبادة الاصنام ومن اسفاف في شرب الخمر ولعب الميسر وما شاكل ذلك من أمور مضرّة ، فرفعت صوتها كما يرفع المصلحون صوتهم في كل زمن يتادون بالإصلاح ، وقد أثارت دعوتهم هذه المحافظين وأصحاب الجاه والنفوذ وسدنة الاوثان شأن كل دعوة إصلاحية . ويجوز ان يكون من بين هؤلاء من مال إلى النصرانية ، غير اننا لا نستطيع ان نقول انهم كانوا نصارى أو يهوداً ، انما أستطيع ان أشبه دعوة هؤلاء بدعوة الذين دعوا إلى عبادة الإله رب السماء (ذو سموى) أو عبادة الرحمن في اليمن ،

١ مروج (٧٨/١ وما بعدها) .

٢ جعل السجسناني عمر قس بن ساعدة الإيادي ، وهو من الحنفاء ، ثمانين وثلاث مئة سنة ، بلوغ الارب (٢٤٦/٢) .

متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها اليهودية والنصرانية إلى اليمن . ولكنهم لم يكونوا أنفسهم يهوداً أو نصارى ، انما هم أصحاب ديانة من ديانات التوحيد .

ولا يعني قولي هذا ان الحنفاء كانوا على رأي واحد ودين واحد كالذي يفهم مثلاً من قولنا يهودي ونصراني ويهود ونصاري ، بمعنى أنهم كانوا طائفة معينة تسير على شريعة ثابتة كالذي ذهب (شبرنكر) إليه^١ . انما كان أولئك الاحناف نفرّاً من قبائل متفرقة لم تجمع بينهم رابطة ، انما اتفقت فكرتهم في رفض عبادة الاصنام وفي الدعوة الى الاصلاح . وهذا المعنى واضح في آيات القرآن الكريم التي أشارت الى الحنفاء .

والرجال الذين قال أهل الاخبار عنهم أنهم كانوا على دين ، وكانوا من الاحناف ، هم : قس بن ساعدة الإيادي ، وزيد بن عمرو بن نُفيل ، وأمّية ابن أبي الصلت : وارياب بن رثاب ، وسويد بن عامر المصطلق ، وأسعد ابو كرب الحميري ، ووكيح بن زهير الإيادي ، وعمر بن جندب الجهني ، وعدي بن زيد العبادي ، وأبو قيس صرمة بن أبي انس ، وسيف بن ذي يزن ، وورقة بن نوفل القرشي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وعبد الطاحنة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاعة ، وعلاف بن شهاب التميمي ، والمتمس بن أمية الكناني ، وزهير بن أبي سلمى ، وخالد بن سنان العبّسي ، وعبدالله القضاعي ، وعبيد ابن الابرص الاسدي ، وكعب بن لؤي بن غالب^٢ .

وبعض هؤلاء مثل : (قس بن ساعدة الإيادي) و (عثمان بن الحويرث) و (عدي بن زيد العبادي) نصارى ، وبعض منهم مثل (أسعد ابو كرب الحميري) ، (ابو كرب اسعد الحميري)^٣ و (عبيد بن الابرص) ، و (زهير ابن أبي سلمى) ، مشكوك في أمرهم ، لا نستطيع أن نذكر شيئاً عن دينهم . ولهذا فأنا اذكرهم هنا مجزئاً ، مجازة لمن أدخلهم في أهل الدين من الجاهليين . ولا أعني أنهم كانوا على الحنيفية ، اي على شريعة التوحيد التي ينص عليها أهل الاخبار .

1 Sprenger, Das Leben, Bd., I, S. 4.

2 بلوغ الارب (٢٤٤/٢ وما بعدها) ، مروج الذهب (٧٨/١) ، (دار الاندلس) .

3 بلوغ الارب (٢٤٤/٢) ، مروج (٥٢/١ وما بعدها) .

وقد اقتصر (محمد بن حبيب) على ذكر بعض من تقدم ، حين تكلم عن (أسماء الذين رفضوا عبادة الاصنام) : فذكرهم على هذا النحو : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبيد الله بن جحش ابن رثاب الاسدي . وذكر ان منهم من تنصر ومات على النصرانية ، مثل : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رثاب الاسدي^١ .

فأما قُس بن ساعدة الايادي ، فقد رفعه الاخباريون من مصاف أسوياء البشر ، ووضعوه في صف المعمرين الذين عاشوا مئتين من السنين قيل سبع مئة سنة ، وقيل ست مئة سنة ، أو أقل من ذلك بكثير ، غير أنه لا يقل عن ثلاث مئة سنة على كل حال^٢ .

وأما مولده ، فمجهول . وأما وفاته ، فيكاد يحصل الاتفاق على انه كان قبيل البعثة . وقد ورد في رواية ان الرسول أدركه ورآه يخطب في سوق عكاظ خطبته الشهيرة المعروفة ، غير انه لم يحفظها ، وان أبا بكر ، وكان من جملة من حضر السوق وسمع الخطبة ، كان قد حفظها ، فأعادها على الرسول . وهي الخطبة الشهيرة المتداولة بين الناس والمحفوطة في الكتب . وهناك رواية تذكر ان الرسول كان يحفظها ، وقد تلاها على من حضر عنده ، وتلا بعضاً منها على وفد عبد القيس^٣ .

١ المحبر (١٧١ وما بعدها) .

٢ وقيل : قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر ، وقيل : حذافة بن زهر بن نزار . وقيل : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر الخ وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك ، وهكذا . بلوغ الارب (٢٤٦/٢) ، البيان والتبيين (٥٠/١) « طبعة السندوبي » ، (١٩٢٦) ، شعراء النصرانية (٢١١/٢) ، « قس بن ساعدة الايادي بن عمرو بن عدي بن مالك بن أبدطان » ايدعان « بن النمر بن وائلة بن الطمنان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى » المحبر (ص ١٣٦) ، الاغانى (٤٠/١٤) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٣٠/٢) الميداني ، مجمع الامثال (١١٧/١) .

٣ وفي نصها بعض الاختلاف ، راجع : الإصابة (٢٨٥/٥) ، « وقدم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رجل منهم : هل تعرف قس بن ساعدة ؟ فقال رسول الله : ليس هو منكم . هذا رجل من اياد ، تعنف في الجاهلية ، فوافى عكاظ والناس مجتمعون ، فيكلمهم بكلامه الذي حفظ عنه » ، طبقات ابن سعد : الجزء الاول : القسم الثاني (ص ٥٥) ، « وقد بكر بن وائل » ، محاضر الابرار (ص ٤٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢٣٠/٢) .

ومما يلفت النظر في الروايات الواردة عن حفظ الرسول لخطبة (قس) ، هو اشارتها الى أن النبي كان يحفظ نص الخطبة ، ولم يكن يحفظ الشعر الملحق بها . مع ان حفظ الشعر أيسر من حفظ النثر . ولعل الرواة رَووا ذلك لإظهار أن الرسول كان لا يقول الشعر ، وإنما كان يسمعه . ولكننا نجدهم من ناحية أخرى يروون أنه كان يتلو من الشعر المناسب ما شاء ان يتلو ، وأنه كان يستشهد به في كلامه ، وأنه كان يحفظ شيئاً من شعر الماضين والحاضرين . ولن يضير النبوة من حفظ الشعر شيئاً .

والنص المحفوظ لخطبة (قس) نص مختلف لم يتفق الرواة عليه . مما يدل على أنه لم يكن مدوناً ، وإنما روي بروايات مختلفة ، ثم دوت فيما بعد .

وأوصل بعض الاخباريين قساً الى القيصر ، فزعموا انه ذهب اليه واتصل به ، وان القيصر أكرمه وعظمه . وأنه سأله عن العلم قائلاً له : ما أفضل العلم ؟ قال : معرفة الرجل بنفسه . قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف المرء عند علمه . قال : فما افضل الادب ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : قلة رغبة المرء في اخلاف وعده . قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحق . وهو كلام ينيثك أسلوبه وطبيعته عن أصله وفصله ، وله أصل يرجع الى الفلاسفة اليونان . ونسبوا له قبراً جعلوه في موضع (رَوْحِينَ) على مقربة من حلب في لحف جبل ينذر له ^٢ .

ونجد حديث قيصر المزعوم مع (قس) ، في رواية أخرى على شكل آخر . وقد أهملت هذه الرواية اسم قيصر ، فلم تشر اليه ، واكتفت بلفظة (قيل) ، فقالت : « قيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة ؟ قال : معرفة الرجل بنفسه . قيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ! قيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه » ^٣ .

وقس هو مخترع أوجد للعرب أشياء عديدة على زعم أهل الاخبار ، أحدث لهم أموراً كثيرة . فهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكل

١ شعراء النصرانية (٢١١/٢) ، الامالي ، للقالبي (٣٧/٣) « دار الكتب » ، العقد الفريد (٢٥٤/٢) وما بعدها ، ٢٩٠ وما بعدها .
٢ شعراء النصرانية (٢١٦/٢) ، الاغانى (٤٠/١٤) وما بعدها .
٣ العقد الفريد (٢٩٠/٢) وما بعدها .

عند خطبته على سيف أو عصا وأول من علا على شرف وخطب عليه ، وأول من قال : « أما بعد » ، وأول من كتب « إلى فلان بن فلان »^١ . وأول من قال : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » ، فكل ما عرفه العرب من هذه الأمور ، هو من صنعة قس وعمله . ثم انه كان أحد حكماء العرب ، وكان أسقف نجران ، وخطيب العرب كافة^٢ . وذكروا ان له ولقومه فضيلة ليست لاحد من العرب ، لان الرسول روى كلامه وموقفه على جملة الاوراق بعكاظ وموعظته ، وعجب من حسن كلامه ، وأظهر تصويبه^٣ ، وانه قال فيه : « يحشر أمة وحده »^٤ .

وجاء في رواية في تفسير قول الرسول : « يحشر أمة وحده » ، أو « يرحم الله قساً ، اني لأرجو ان يبعث يوم القيامة أمة واحدة » ، ان وفداً من إباد قدم على النبي : فسألهم عن قس ، فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله ، كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق (أحمر) وهو يتكلم بكلام عليه حلوة ما أوجدني أحفظه . فقال رجل من القوم ، أنا أحفظه يا رسول الله . سمعته يقول : ايها الناس اسمعوا وعوا ... إلى آخر الخطبة ، وما جاء بعدها من شعر ، فقال رسول الله عندئذ قوله المذكور فيه^٥ .

ويختلف هذا الخبر بعض الاختلاف مع خبر آخر أشرت اليه قبل قليل ، فقد ورد في ذلك الخبر أن رسول الله كان يحفظ تلك الخطبة ، غير أنه لم يكن يحفظ الابيات الملحقة بها ، وكان (أبو بكر) يحفظها ، فأعادها على مسامحة^٦ . كما يختلف عن رواية أخرى ، جاء فيها ان الوفد الذي قدم على الرسول كان وفد (عبد القيس) ، وأن الذي قرأ الشعر عليه هو أحد بني عبد القيس^٧ .

-
- ١ المؤلف والمختلف ، للمرزباني (٣٣٨) ، بلسوغ الارب (٢٤٦/٢) ، الاغانى (٤٠/١٤) وما بعدها (مروج الذهب (٨٢/١) ، (١٠٢/٢) ، (دار الاندلس) ، البداية والنهاية (٢٣٠/٢) وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٥٨/٨) ، شعراء النصرانية (٢١١/٢) .
 - ٣ بلوغ الارب (٢٤٦/٢) .
 - ٤ الاغانى (٤٠/١٤) .
 - ٥ الاغانى (٤٠/١٤) وما بعدها (المعارف (٦١) ، البداية والنهاية (٢٣٠/٢) وما بعدها) .
 - ٦ البداية والنهاية (٢٣٠/٢) وما بعدها (مجمع الامثال ، للميداني (١١٧/١) .
 - ٧ البداية والنهاية (٢٣٠/٢) وما بعدها .

ويذكر بعض أهل الاخبار ، ان (الجارود) ، وكان في ضمن رجال وفد (عبد القيس) ، قال للرسول حين سأل عن (قس) : « فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه وإني من بينهم لعالم بخبره ، واقف على أمره . كان قس يارسول الله سيطاً من أسباط العمر عمر ستمائة سنة، تقفر منها خمسة أعمار في البراري والقفار . ثم أخذ في وصفه وفي ذكر عقائده ، وفي لقيه لـ (سمعان) رأس الحواريين . وخلص بعد ذلك الى ذكر نص خطبته بسوق عكاظ، ومطلعها : « شرق وغرب » ، حتى انتهى منها ، ثم ألحق بها شعراً^١ . وهي خطبة تختلف تماماً عن الخطبة المعروفة التي تنسب اليه ، وان كانت على نمطها من حيث الاسلوب والافكار ، وفيها مصطلحات اسلامية ترد في القرآن الكريم . ولا استبعد ان تكون من وضع شخص آخر غير الجارود . وضعها في العصور العباسية ، للحث على الزهد .

والجارود من سادات عبد القيس ، وكان نصرانياً ، قدم على النبي سنة عشر في وفد عبد القيس الاخير ، وسرّ الرسول بإسلامه ، وكان حسن الإسلام صلباً على دينه ، وقتل بأرض فارس في خلافة عمر ، وقيل بقي الى خلافة عثمان^٢ .

ولو صح ما ذكره من انه كان أسقفاً على نجران ، لوجب اخراجه اذن من الحنيفية وإدخاله في عداد النصارى . ولكن ليس مؤكداً انه كان اسقفاً على ذلك الموضع ، ويرى الاب (لامانس) احتمال كونه نصرانياً ، لان ما نسب اليه يبعث على هذا الظن^٣ . وقد أدخل الاب (لويس شيخو) قساً في جملة النصارى الجاهليين، وأورد أكثر ما نسب اليه في ترجمته^٤ . غير ان كثيراً من هذا المنسوب اليه منسوب إلى غيره . وقد اشار إلى من نسب اليهم العلماء .

وذهب (شبرنكر) إلى ان قساً كان من (الركوسية) ، وهم فرقة عرفهم اهل اللغة بأنهم بين النصارى والصابئين ، شملت جماعة من الحائرين في امر دينهم ، ولذلك عمدوا إلى السياحة والترهب والانزواء^٥ . وقد حسبهم العرب نصارى ، فأدخلوهم فيهم في اثناء كلامهم على هؤلاء^٦ .

-
- ١ البداية والنهاية (٢٣٠/٢ وما بعدها) .
 - ٢ الاصابة (٢١٧/١ وما بعدها) ، (رقم ١٠٤٢) .
 - ٣ Ency., II, p. 1161, Sprenger, Leben, I, S. 45.
 - ٤ شعراء النصرانية (٢١١/٢ وما بعدها) .
 - ٥ تاج العروس (١٦٣/٤) .
 - ٦ Sprenger, Leben, I, S. 43.

ويرى (لامانس) انه لو كان قس شخصية تأريخية حقاً ، فإن زمانه لا يمكن ان يكون في ايام الرسول او في ايام مقارنة من ايامه . إذ لا يعقل عنده ان يتكون هذا القصص الذي صير قساً شخصية من الشخصيات الخرافية ، لو كان من المعاصرين او المقاربين له . ثم إن اياً لم تكن في ايام الرسول كتلة واحدة ، حتى ينسب قس اليها . فلا بد اذن ان تكون ايام هذا الرجل بعيدة بعض البعد عن ايام الرسول^١ .

غير ان حجج (لامانس) المذكورة لا يمكن ان تكون سنداً يؤيد ادعائه في ان قساً كان شخصية خرافية ، او انه كان رجلاً حقاً ، ولكنه كان بعيد العهد عن الرسول . فقد روى الاخباريون قصصاً كثيراً عن سلمان الفارسي وعن غير سلمان من الصحابة ، لا يقل نسباً عن نسيج قصص قس ، فهل يتخذ هذا القصص حجة لانكار شخصية سلمان وغيره ممن ورد هذا القصص عنهم ؟ وهل يجوز ان نقول إن سلمان إن كان شخصاً حقاً فوجب ان تكون ايامه بعيدة عن ايام الرسول.

ولدى الرواة أبيات ينسبونها الى بعض الشعراء الجاهليين ، هم : الاعشى ، والخطباء ، ولييد ، ذكر فيها اسم قس . وقد أشيد فيها بفصاحته وببلاغته وحكمته ، حتى جعل لييد لقمان دون قس في الحكم^٢ .

وورد اسم (قس) في هذا الشعر وفي أمثاله إن صح انه من شعر الجاهليين حقاً ، وورود اسمه في الحديث وفي الاخبار ، هو تعبير عن رأي اهل الجاهلية في خطيب مفوه عدّ في نظرهم المثل الاعلى في الخطابة ومثل البلاغة عندهم فهو كشيوخ الخطباء عند اللاتين .

Ency., II, p. 1161.

١ قال لييد :

وأخلف قساً ليتنى ولعلني وأعيى على لقمان حكم التدبر
الاصابة (٢٨٥/٥) « قس » ، قال الاعشى :
وأحلم من قس وأجرى من الذي بنى الغيل من خفان أصبح حاردا
وفي رواية أخرى :
وأحلم من قيس وأجرء مقدما
لدى الدرع من ليث اذا راح حاردا
ديون الاعشى (ص ٤٩) « تحقيق R. Geyer » . المؤلف والمختلف
(ص ٣٣٨) ، وقال الخطباء :
وأقول من قس وأمضى اذا مضى من الرمح اذ مس النفوس نكالها
المؤلف والمختلف (ص ٣٣٨) .

وجميع هذا القصص المروي عن قس ، هو من النوع الذي يحتاج الى تمحيص . وقد نسبوا اليه شعراً ، زعموا انه قاله وهو يكي بين قبرين بنى بينهما مسجداً ، هما قبراً أخويه ، على حين ان أكثر الرواة يقولون إن هذا الشعر لغيره ، وان قصة القبرين لا تخص قساً ، بل تخص أناساً آخرين ، وقد كانا في ايران وأصحابهما قبراً فيهما في الاسلام . ورواة هذا الخبر ، هم رواة خطبة قس الشهيرة ، وهم محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح ابن عباس وجماعة آخرون أشار (ابن حجر) الى بعضهم في كتابه : « الإصابة في تمييز الصحابة » ، وقد ضعف ابن حجر هذه الطرق ، فقال : « وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قس ، وفيه شعره وخطبته ، وهو في الطوالا للطبراني وغيرها . وطرقه كلها ضعيفة »^١ . ثم عرج بعد ذلك الى ذكر بعض الطرق التي وردت فيها خطبة قس .

واما (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر) ، فهو من قريش من بني عدي ، لم تعجبه عبادة قومه ، فانتقدها وسخفها وهزىء منها ووقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الاوثان ، ونهى عن قتل المؤودة ، وامتنع من الذبح للأنساب ومن أكل الميتة والدم وما ذبح للأصنام . فكان في آرائه هذه مثل نفر آخر من قريش منهم : ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيدالله بن جحش ، لاموا قومهم على عبادتهم الاصنام ، واتخاذ الانصاب وعبادة ما لا يضر ولا ينفع^٢ . وهم طائفة من المفكرين ، رأى بعضهم بلاد الشام ، واتصل ببعض المبشرين النصارى ، ووقف على التطورات الفكرية في الخارج ، ولعله كان يقرأ ويكتب ، وله اطلاع على مؤلفات في الفلسفة والدين . وترجع احدى الروايات سبب خروج (زيد) على عبادة قومه ، انه حضر يوماً وحضر معه في ذلك اليوم (ورقة بن نوفل) ، و (عبدالله بن جحش) و (عثمان بن الحويرث) ، عيداً من أعياد قريش ، عند صنم من أصنامهم ،

١ الاغانى (٤٠/١٤ وما بعدها) ، الاصابة (٢٨٦/٥) .

٢ ابن هشام (٢٤٤/١ وما بعدها) ، ارشاد الساري (١٩٠/٦) ، أسد الغابة (٢٣٦/٢) ، طبقات الشعراء (ص ٦٦) « طبعة ليدن » ، البداية والنهاية (٢٣٧/٢) ، ابن خلدون ، القسم الاول ، المجلد الثاني (ص ٧٠٧) ، المسعودي ، مروج (٧٠/١) « محمد محيي الدين عبد الحميدي » الاغانى (١١٣/٣) ، البخاري (٥٠/٥) ، المعارف (٢٧) .

كانوا يعظمونه ، ويعكفون عنده ، او يدبرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً ، وكانوا ينحرون له ، فلما خلد بعضهم إلى بعض وتصادقوا ، قالوا ليكنم بعضكم على بعض ، وانفقوا على ذلك ، ثم قال قائلهم : تعلمون والله ما قولكم على شيء ، لقد أخطأوا دين ابراهيم وخالفوه . ما وثن يعبد؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء . فخرجوا يطلبون ويسرون في الارض يلتمسون اهل الكتاب ^١ .

وقد زار زيد الشام والبلقاء ، وعاش الى خمس سنين قبل البعث ، فهو من أولئك الرهط الثائرين على قومهم ، والذين أدركوا أيام الرسول . وقد نسبوا اليه شعراً في تسفيه عبادة قومه ، وفي فراقه دينهم وما لقيه منهم . وكان قد أودى لمقاتله هذه في دين قومه ، حتى اكراه على ترك مكة والنزول بـ (حراء) ، وكان (الخطّاب بن نفيل) عمه ، وقد وكل به شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفائهم كلفهم ألاّ يسمحوا له بدخول البلدة وبمنعه من الإتصال بأهلها ، مخافة ان يفسد عليهم دينهم وان يتابعه احد منهم على فراق ما هم عليه . واضطر زيد الى المعيشة في هذا المحل ، معتزلاً قومه ، إلا فترات ، كان يهرب خلالها سراً ، لينذهب الى موطنه ومسكنه ، فكانوا اذا أحسوا بوجوده هناك ، آلموه وآذوه ^٢ .

وورد في رواية ، يرجع رواها سندها الى (هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل) ، اي الى حفيد (زيد) ، تذكر أن (زيد) خرج مع (ورقة ابن نوفل) يلتمسان الدين ، حتى انتهيا الى راهب بالموصل ، فسأله عن الدين ، فلم يقتنع بالنصرانية ، اما (ورقة) ، فاقنع بها وتنصر ^٣ . وتذكر رواية أخرى ان (زيد بن عمرو) خرج الى الشام ومعه : (ورقة بن نوفل) ، و (عثمان ابن الحويرث) ، و (عبيد الله بن جحش) ^٤ . ويسذكر الرواة أن زيدا كان

١ البداية (٢٣٨/٢) ، ابن هشام ، سيرة (٢٤٢/١) .

٢ ابن هشام (٢٤٠/١) وما بعدها (البابي) ، بلوغ العرب (٢٥١/٢) وما بعدها ، ابن سعد ، الطبقات (١٦٢/١) « طبعة دار صادر » ، مروج الذهب (٧٠/١) « القاهرة ١٩٥٨ م » ، البداية (٢٣٨/٢) .

٣ البداية (٢٣٨/٢) .

٤ البداية (٢٤٣/٢) .

نديماً لورقة بن نوفل ، فات ورقة ، وخرج زيد الى الشام ، فقتله لحم وجذام^١.
ويذكر أهل الاخبار ان حرصه على الحنيفية وتمسكه الشديد بها ، حمله على
السفر الى بلاد شاسعة بحثاً عنها وعن مبادئها الصحيحة ، مبادئ ابراهيم الاصيله
الحالية من كل درن وشائبة . فذهب الى الموصل والجزيرة ، ثم طاف في بلاد
الشام حتى انتهى الى راهب بـ (ميفعة)^٢ (بيعة)^٣ من أرض البلقاء أو (أيلة) ،
فسأله عما قدم من أجله ، فأرشده الى ان ما يبتغيه ويراه لا يجده في النصرانية ،
فغادره وتركه ، وعاد يريد مكة موطنه . فلما توسط بلاد لحم أو جذام ، عدوا
عليه وقتلوه . وقالوا أيضاً انه التقى في اثناء أسفاره هذه بأخبار اليهود وبعلماء من
النصارى ، ولكنه لم يجد عندهم ما يطمئن نفسه ، وما يرى فيه التوحيد
الخالص ، ومبادئ ابراهيم ، لذلك لم يدخل في ديانة ما من تلك الديانتين ،
حتى قتل^٤ .

وتذكر رواية من الروايات ، أن (زيد بن عمرو بن نفيل) مات بالسّم
في بلاد الشام ، سمّه بعض ملوك غسان^٥ . وتجعل رواية أخرى مقتله بمكان يقال
له (ميفعة) من أرض البلقاء بالشام ، وتذكر ان قتلته هم من بني لحم^٦ .
وتذكر رواية ان (ورقة بن نوفل) ، لما سمع بخبر وفاته بكاه في شعر له^٧ .
وهناك روايات أخرى تفيد رجوع زيد الى قومه بعد عودته من الشام، ووفاته
وفاة طبيعية لا قتلاً بيد إنسان . « توفي وقريش تبني الكعبة قبل ان ينزل الوحي
على رسول الله بخمس سنين » ، ودفن بأصل حراء^٨ .

-
- ١ المحبر (١٧٥) .
 - ٢ ابن هشام (٢٤٩/١) .
 - ٣ « بيعة » ، البداية (٢٣٨/٢) .
 - ٤ ابن هشام (٢٤٩/١ وما بعدها) ، طبقات ابن سعد : الجزء الثالث : القسم الاول
(ص ٢٧٦ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢٥١/٢ وما بعدها) ، « فلما توسط أرض
جذام عدوا عليه فقتلوه » المحبر (ص ١٧٢) ، سير أعلام النبلاء ، للذهبي
(٩٠/١ وما بعدها) ، ابن خلدون (٧٠٧/٢ وما بعدها) ، المسعودي ، مروج
(٧٠/١) ، ارشاد الساري (١٧٢/٦ وما بعدها) .
 - ٥ المسعودي ، مروج (٥٦/٢) .
 - ٦ البداية (٢٤١/٢) .
 - ٧ ابن هشام (٢٤٩/١ وما بعدها) .
 - ٨ طبقات ابن سعد : الجزء الثالث : القسم الاول (ص ٢٧٧) ، البداية (٢٤١/٢) .

وفي رواية تظهر عليها سياء الصنعة ، أن الذي أرشد (زيد بن عمرو) الى الحنيفية ، حبر التقى به في بلاد الشام ، وعالم نصراني ، وذلك أنه كان قد سألها عن دين صحيح قويم ، فأرشداه الى الحنيفية دين ابراهيم . فدخل فيها وصار يرفع يديه الى الله ويقول : اللهم لاني أشهدك اني على دين ابراهيم^١ . ونجد في هذه الرواية أسئلة وجهها (زيد) الى الحبر في البحث عن الله وعن دينه الحق ، وأجوبة الحبر عليها . كما نجد أسئلة أخرى ذكر أنه وجهها الى العالم النصراني ، ونجد أجوبة ذلك العالم عليها . وكيف أنهما دللاه على الحنيفية^٢ .

وذكر (ابن حبيب) ان زيدا (أول من عاب على قريش ما هم عليه من عبادة الأوثان)^٣ . وقال عنه (ابن دريد) ، وكان قد « ترك دين العرب في الجاهلية وقلاه »^٤ . وقصد بـ (دين العرب) الوثنية ولا شك . وزعم انه « كان يحبي المؤودة . يقول للرجل اذا أراد ان يقتل ابنته مهلاً : لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها اليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها »^٥ . وقيل انه كان يقول : « اللهم لو أعلم أي الوجوه أحب اليك سجدت اليه . ولكني لا أعلمه . ثم يسجد على راحته »^٦ . وانه كان « يقول : إلهي إله ابراهيم ، وديني دين ابراهيم . وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى ! انكاراً لذلك واعظاماً له »^٧ . أو « يا معشر قريش : أيرسل الله قطر السماء ، وينبت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلم على تظهر الأرض أحداً على دين ابراهيم غيري »^٨ . ويستقبل القبلة ثم يقول :

- ١ الطبري ، تفسير (٣٠٦/٣) ، صحيح البخاري (٥٠/٥) ، « مطبعة الازهر بمصر » ،
- ٢ الاغانى (١٢٦/٣) وما بعدها (« دار الكتب المصرية » ، البداية (٢٣٨/٢) .
- ٣ المحبر (ص ١٧١) .
- ٤ الاشتقاق (ص ١٠٣) .
- ٥ طبقات ابن سعد ، الجزء الثالث : القسم الاول (ص ٢٧٦ وما بعدها) .
- ٦ المحبر (ص ١٧١) .
- ٧ أسد الغابة (٢٣٦/٢) ، طبقات الشعراء (٦٦) « طبعة ليدن » ، بلسوغ الارب (٢٤٨/٢) ، البداية والنهاية (٢٣٧/٢) ، ارشاد الساري (١٧١/٦) وما بعدها (١١٩/٣)
- ٨ الاغانى (١١٩/٣) وما بعدها (١١٩/٣) .

أنفي لرب البيت عان راغم مهما يُجشمني فإني جاشم
عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل القبلة وهو قائم^١

وروى ان أسماء بنت أبي بكر « قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيري . ثم يقول : اللهم اني لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به . ولكني لا أعلم . ثم يسجد على راحته »^٢ . ثم يصلي الى الكعبة ويقول : إلهي إلهه ابراهيم ، وديني دين ابراهيم^٣ .

وذكر (ابن دريد) أن (زيد بن عمرو بن نفيل) ، أدرك أيام الرسول ، ثم قال : « وكان النبي عليه الصلاة والسلام قبل الوحي قد حجب اليه الانفراد ، فكان يخلو في شعاب مكة ، قال : فرأيت زيد بن عمرو بن نفيل في بعض المشاعب ، وكان قد تفرّد أيضاً ، فجلست اليه وقربت اليه طعاماً فيه لحم ، فقال لي يا ابن أخي اني لا آكل من هذه الذبائح »^٤ .

وذكر (ابن دريد) ، أن زيد بن عمرو قال شعراً في تجنبه الأصنام ، هو :

فلا عزى أدين ولا ابنتها ولا صنمي بني عمرو أزور
أرباً واحداً أم ألف ربّ أدين اذا تقسمت الأمور^٥

وفهم من هذا الشعر أن (عزى) ، إلهة ، أي انثى ، وان لها ابنتين اثنتين . ولم يشر (ابن دريد) الى اسميهما .

وقد صيغت الرواية المتقدمة التي تشير الى التقاء الرسول بزید في شكل آخر . صيغت بهذه الصورة : « أتى زيد بن عمرو بن نفيل على رسول الله صلى الله

-
- ١ كتاب نسب قريش ، للزيري (ص ٣٦٤) .
 - ٢ البداية (٢٣٧/٢) ، الذهبي ، تاريخ الاسلام (٥٤/١) . البغدادي ، خزانة (٩٩/٣) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ الاشتقاق (٨٤) ، ارشاد الساري (١٧١/٦ وما بعدها) .
 - ٥ الاشتقاق (٨٤) ، وورد :
أرباً واحداً أم ألف رب أدين اذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعاً كذلك يعقل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتها ولا صنمي بني عمرو أزور

عليه وسلم ، ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سفرة لها ، فدعواهما لطعامهما ، فقال زيد بن عمرو: يا ابن أخي : أنا لا آكل مما ذبح على النصب^١ .
وورد خبر التقاء (زيد) مع رسول الله في رواية أخرى . يرجع روايتها سندها الى (زيد بن حارثة) . يذكرون أنه قال : خرجت مع رسول الله في يوم حار من أيام مكة ، وهو مردفي ، فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل ، فحيسا كل منا صاحبه . فقال النبي : يا زيد مالي أرى قومك قد شنقوك ؟ فأجابته زيد ، بأنه لا يهتم بذلك ، وأنه خرج يبتغي دين الله ، حتى قدم على أحبار خيبر ، فوجدهم يعبدون الله ويشركون به . ثم سأل أحد الأخبار ، وهو شيخ منهم عن الدين الذي يبتغيه ، فقال له : ما نعلم أحد يعبد الله به إلا شيخاً بالحيرة ، فخرج اليه . فلما كلمه قال له : إن الذي تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبي^٢ ، قد طلع نجمه . فعاد الى مكة^٣ . ولو صح هذا الخبر لوجب أن يكون زيد قد أدرك مبعث الرسول . ولكن أهل الأخبار مجمعون على أنه توفي قبل المبعث . وإن الرسول نفسه قال عنه : يبعث يوم القيامة أمة واحدة . وعلى الخبر سياء الصنعة والتزيق .

وروي عنه ان قومه كانوا اذا دعوه الى وليمة ، كان يأبى ان يأكل منها قائلاً : « اني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه »^٤ . وهكذا كان يقاطع أكل لحوم الحيوانات التي تذبح للأصنام . ويشاركه في الامتناع عن أكل لحوم هذه الذبائح الأحناف الآخرون ، فقد روي ان ورقة بن نوفل كان لا يأكل من لحوم هذه الذبائح أيضاً للسبب المذكور^٥ .
ويذكر أهل الأخبار ان (زيد بن عمرو بن نفيل) كان اذا خلص الى البيت استقبله ثم قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً ، البر أرجو لا الخال ، وهل مهجر لمن قال . ثم يقول :

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم^٥

-
- | | |
|---|---------------------------|
| ١ | البداية (٢٣٨/٢ ، ٢٤٠) . |
| ٢ | أسد الغابة (٢٣١/٢) . |
| ٣ | البخاري (٥٠/٥) . |
| ٤ | الآغانى (١١٩/٣) . |
| ٥ | الآغانى (١١٧/٣) . |

أو « لبيك حقاً ، تعبداً ورقاً ، عدت بما عاذ به ابراهيم »^١ .
وذكر انه كان يأمر بالتوحيد وعبادة إله واحد . من ذلك قوله :

لا تعبدن إلهاً غير خالقكم وإن دعيتم فقولوا دونه حدد^٢

وزعم انه كان يراقب الشمس ، فإذا زالت استقبل الكعبة ، فصلّى وسجد سجدةً ، ثم يقول : هذه قبلة ابراهيم واسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ، ولا أستقسم بالأزلام ، وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت . وكان يحج فيقف بعرفة ، وكان يلبي ، فيقول : لبيك لا شريك لك ، ولا ندّ لك . ثم يدفع من عرفة ماشياً ، وهو يقول : لبيك متعبداً مرقفاً^٣ .

ويروي أهل الأخبار أقوالاً أخرى لزيد ، كما رووا له أشعاراً زعموا أنه قالها ، وهي في هذه الأمور التي ينسبونها الى الأحناف من ذكر لديانة ابراهيم وللتوحيد ومن ذمّ الى الأصنام ومن اصلاح لحال مجتمع ذلك اليوم^٤ . كما رووا له أبياتاً من شعر زعموا أنه نظمها يعاتب فيه زوجته (صفية بنت الحزرمي) ، لأنها كانت تمنع في خروجه عن مكة وفي سفره الى الخارج الناساً لهذا الدين^٥ .

وتفيد رواية من روايات أهل الأخبار بأن (زيد بن عمرو بن نفيل) ، كان في جملة من اشترك في (حرب الفجار) ، تقول إنه كان على رأس (بني عدي) وذلك في يوم شمطة^٦ .

وروي أن رسول الله سئل عن (زيد بن عمرو) ، فقال : « يبعث أمة وحده يوم القيامة »^٧ . بل روي أنه ترحم عليه ، وأنه قال : « رأيت في الجنة يسحب ذيولاً »^٨ .

-
- ١ الاغانى (٢٣٨/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٣٣١/٢) ، (حدد) .
 - ٣ البداية (٢٣٩/٢) .
 - ٤ الاغانى (١١٧/٣) .
 - ٥ ابن هشام ، سيرة (٢٤٧/١) .
 - ٦ البلاذري ، أنساب (١٠٢/١) .
 - ٧ البخاري (٥٠/٥) ، المعارف (٢٧) ، البغدادى ، خزنة (١٠٠/٣) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/٣) .

وينسب أهل الأخبار لزيد شعراً، هو من هذا الشعر الذي ينسبونه الى الأحناف ،
 ذي الطابع الديني ، من بحث عن توحيد ، وحث على عبادة إله واحد ، وإقرار
 بحساب وكتاب . وأمثال ذلك^١ . وقد نسب بعض منه الى (أمية بن أبي الصلت) ،
 ونسب بعض منه الى شعراء آخرين . كما ان الرواة يروون هذا الشعر بقراءات
 مختلفة .

ومن ولد زيد رجل كان له سبق وقدم في الاسلام ، هو سعيد بن زيد بن
 عمرو بن نفيل . كان من السابقين الأولين ومن المهاجرين ، شهد المشاهد والأحداث
 المهمة ، إلا بدرأ ، فإنه لم يكن حاضراً بالمدينة إذ ذاك . وهو أحد العشرة
 المبشرة . ذكر انه أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم . ولا بد ان يكون
 لرأي والده في دين قومه وما أبداه من ثورة صريحة جامحة على عقائدهم أثر في
 نشوء هذا الابن وفي اقدمه مع السابقين على الدخول في الاسلام ، بعد ان كان
 والده قد سبق لإسلامه برحيله الى الآخرة بسنين . وأمه (فاطمة بنت بعجة بن
 أمية بن خويلد بن خالد بن اليعمر) من خزاعة . ولسعيد أخت اسمها عاتكة
 بنت زيد^٢ .

وذكر (ابن هشام) ان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ،
 وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، اتفقوا في الرأي والعقيدة ،
 وتعاهدوا على نبذ عبادة قومهم وما كانوا عليه من ضلال ، وتصادقوا ، وكونوا
 عصابة خرجت على عبادة قريش ، فلم يشتركوا معهم في أعيادهم ، ولم يشاركوهم
 في عبادتهم ، وظلوا حتى ماتوا عن عبادة قومهم صابئين^٣ .

أما عبيد الله بن جحش بن رثاب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فقد
 بقي مرتاباً في دين قومه ، بعيداً عنهم وعن عبادتهم ، حتى اذا ظهر الإسلام
 دخل فيه ، ثم هاجر مع من هاجر الى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت
 أبي سفيان ، وكانت مسلمة كذلك . فلما صار في الحبشة ، فارق الإسلام

١ البداية (٢٤١/٢) وما بعدها .

٢ كتاب نسب قريش (٣٦٥) ، الاستيعاب (٣٦٥/٤) ، الإصابة (٤٤/٢) ، (رقم
 ٣٢٦١) .

٣ ابن هشام (٢٤٢/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، المحبر (١٧١) ،
 (١٧٥ ، ٢٣٧) ، الروض الأنف (١٤٥/١) .

وتنصر ، وهلك هناك ^١ .

وأما عثمان بن الحويرث ، فقد بقي مغاضباً قومه في دينهم ، ثم رأى الذهاب الى الروم ، فذهب اليهم ، وتقرب الى قيصر ، وحسنت منزلته عنده ، وتنصر ومنحه لقب (بطريق) ، وأراد تنصيبه ملكاً على مكة ، ولكن قومه أبوا عليه ذلك ، فلم يتم له مراده ، ومات بالشأم مسموماً ، سمّه عمرو بن جفنة الغساني ^٢ . وذكر (الزبيري) ، أن والده (عثمان بن الحويرث) ، هي (تماضر بنت عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح) ^٣ . وأنه خرج الى (قيصر فسأله أن يملكه على قریش ، وقال : أحلهم على دينك ، فيدخلون في طاعتك ، ففعل . وكتب له عهداً وختمه بالذهب ، فهابت قریش قيصر ، وهموا أن يدينوا له ، ثم قام الأسود بن المطلب أبو زمعة ، فصاح ، والناس في الطواف : إن قریشاً لقاح ، لا تملك ولا تملك . فاتسعت قریش على كلامه ، ومنعوا عثمان مما جاء له ، فمات عند ابن جفنة ، فاتهمت بنو أسد ابن جفنة بقتله ^٤ . وكان ابن جفنة حبس أباً ذئب عنده ، وأباً أحيحة بسبب عثمان بن الحويرث ^٥ . ويقصدون بابن جفنة : عمرو بن جفنة الغساني ^٥ .

وتذكر إحدى الروايات ، أن وفاة (عثمان بن الحويرث) كانت بالشأم ، وقد مات عند قيصر ، وكانت وفاته قبل المبعث بثلاثين سنة ، أو نحوها . وقد رثاه (زيد بن عمرو بن نفيل) ^٦ ، وورقة بن نوفل ^٧ .

ويعد (عثمان بن الحويرث) من أشراف (بني أسد) من قریش ^٨ . وقد كان مع (خويلد بن أسد) على رأس (بني أسد) في (حرب الفجار) ^٩ .

- ١ ابن هشام (٢٤٣/١) ، المحبر ٧٦ ، ٨٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، البداية (٢٤٣/٢) .
L. Krehl, Das Leben Muhammad, S. 14.
- ٢ ابن هشام (٢٤٣/١) ، الاشتقاق (ص ٥٩) ، المحبر (١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٣٠٧) ، الروض الانف (١٤٦/١) .
- ٣ كتاب نسب قریش (٢٠٩ وما بعدها) ، وذكر صاحب «المحبر» أن أمه من الحبشيات (٣٠٧) .
- ٤ كتاب نسب قریش (٢١٠) .
- ٥ جمهرة ابن حزم (١٩٠) .
- ٦ البداية (٢٤٣/٢) .
- ٧ كتاب نسب قریش (٢١٠) .
- ٨ المحبر (١٦٥) .
- ٩ المحبر (١٧٠) .

وكان ينادمه (شيبه بن ربيعة بن عبد شمس) . وقد تنصرا جميعاً ، وقتل شيبه يوم بدر كافراً^١ .

وأما (أمية بن أبي الصلت) ، فهو أحسن الخنفاء حظاً في بقاء الذكر ، بقي كثيراً من شعره ، وربما وضع كثير منه على لسانه ، وحفظ قسط لا بأس به من أخباره . وسبب ذلك بقاءه الى ما بعد البعث ، واتصاله بتاريخ النبوة والاسلام اتصالاً مباشراً وملاءمة شعره بوجه عام لروح الاسلام . لم يكن مسلماً ولم يرض أن يدخّل في الإسلام ، لأنه كان يأمل أن تكون النبوة فيه ، وأن ينزل الوحي عليه ، فيكون نبي العرب والعالم أجمعين . فلما رأى النبوة في الرسول ، حسده ، وأثار المشركين عليه ، ورثى قتلاهم في معركة بدر ، وحرّض قريشاً عليه ، حتى مات على حسده وعناده سنة تسع للهجرة بالطائف قبل أن يسلم قومه الثقفيون . لم يمت مسلماً ، ولم يمت على دين الوثنيين من قومه : بل مات كافراً بالديانتين^٢ .

وقد جاء في بعض الروايات ، ان وفاة (أمية) ، كانت في السنة الثانية من الهجرة^٣ . وورد في روايات أخرى أنه توفي سنة تسع للهجرة ، كافراً قبل أن يسلم الثقفيون^٤ .

ورثاؤه قتل معركة بدر ، محفوظ في قصيدة حاثية ، مطلعها :

الآن بكيت على الكرام م بني الكرام أولى المادح
كبكا الحمام على فرو ع الأليك في الغصن الصوادح

- ١ المحبر (١٧٥) .
- ٢ الاغانى (١٢٠/٤ وما بعدها) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، ابن هشام (١١/١) ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، (١٦٠/٢) ، ٣٢١ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، (٦٥/٣) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، شرح السيرة النبوية ، لابي ذر بن محمد بن مسعود الخشني (٢٣/١ ، ٢٤) ، « تحقيق بولس بروفله » نسب قريش (٩٨) ، جمهرة الانساب (٢٥٧) ، ابن قتيبة ، الشعراء (٤٢٩) ، شعراء النصرانية (٢١٩/٢) وما بعدها ، الاغانى (٦٩/١٦) ، الحيوان للجاحظ (٣٢٠/٢) ، خزانة الادب (١١٩/١) ، الشعر والسعراء (١٧٦) ، النووي ، تهذيب الاسماء (١٢٦/١) ، Ency. IV, p. 997.
- ٣ تاريخ الخميس (٤١٢/١) ، الاغانى (١٢٤/٤ ، ١٢٩) ، الشعر والشعراء (٣٦٩/١) .
- ٤ الاصابة (١٣٤/١) ، (رقم ٥٥٢) .

وهي قصيدة يتوجع فيها أمية لسقوط قتلى المشركين ، ودفنهم بالقلب، وفيهم (عتبة) و (شيبه) ابنا (ربيعة بن عبد شمس) ، وهما ابنا خالة أمية . وقد ذكر بعض الرواة ان الذي حمله على قول هذا الشعر ، هو انه لما وصل الى القلب موضع مدفن قتلى قريش في بدر ، وكان ذاهباً الى المدينة يريد الدخول في الاسلام ، قال له بعض من كان معه من غلاظ الأكباد من المشركين : هل تدري ما في هذا القلب ؟ قال : لا . قيل : فيه شيبه وربيعة وفلان وفلان . فجذع أنف ناقته ، وشق ثوبه ، وبكى ، وعاد الى الطائف^١ .

وذكر ان أمية نال في بيتين من هذه القصيدة من أصحاب رسول الله ، ولذلك أهملها (ابن هشام) صاحب السيرة^٢ . وذكر أيضاً ان النبي نهى عن روايتها^٣ . ولكن الرواة رووها وحفظوها ودوتوها في الكتب ، فكيف تجرؤوا على حفظها وتدوينها لو صح ان النبي نهى عن روايتها على نحو ما يزعمه أهل الأخبار .

وأمية مثل سائر المتألمين الآخرين من طبقة الحنفاء ، سافر الى الشام ، واتصل بأهلها ، وأوى الى الأديرة ورجال الدين يسأل منهم عما يهجه من مشكلات دينية وعما كان يجول في خاطره من عبادة قومه وحقيقة العالم . وكان تاجراً ، يذهب مع التجار في قوافلهم الى تلك السديار التي كانت في أيدي الروم . ثم إنه كان على ما يظهر من الروايات التي وردت في ترجمته وسيرته قارئاً كاتباً ، قرأ الكتب ، ووقف عليها ، ومنها ومن اتصالة برجال الدين وبأهل الكتاب تكونت عنده فكرته عن الدين ، وشكته في عبادة قومه وفيما كانوا عليه من عقائد وعبادات . وقد بدا هذا التأثير في الكلمات والمصطلحات الأعجمية والغريبة المستعملة في شعره وفي الأمثلة والقصص المنتزع من الكتابين : للعهد القديم والعهد الجديد ومن موارد

١ ابن هشام (٤٠١/٢ وما بعدها) ، راجع القصيدة في (ص ٢٠) من ديوان أمية ، بيروت ١٩٣٤ ، بلوغ الأرب (٢٥٦/٢) ، خزانة الادب (١١٩/١) ، الحيوان ، للجاحظ (٣٢٠/٢) ، الشعر والشعراء (١٧٦) ، البيان والتبيين (٢٩١/١) ، المسعودي ، مروج (٧٣/١) « محمد محيي الدين عبد الحميد » « ١٩٥٨ م » ، الاغانى (١١٩/٣ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣٩/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٤/١٢٢) ، الاصابة (١٣٤/١) ، (رقم ٥٥٢) .

٢ ابن هشام (٤٠٥/٢) .

٣ الاغانى (١٢٣/٤) « ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره » ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربي (١١٣/١) .

أخرى عديدة من الموارد الشائعة المستعملة عند أهل الكتاب^١ .
وقد ورد في بعض الأخبار ان أمية سافر مرة مع أبي سفيان والد معاوية في
تجارة الى بلاد الشام ، فكسان كلما نزل منزلاً أخذ فيه سفرأ له يقرأه على من
معه ، كما كان يزور علماء النصارى ويتباحث معهم ، وكان يلبس ثوبين أسودين
حينما يقابلهم^٢ . ولم تذكر الرواية شيئاً عن السفر أو الأسفار التي كان يقرأ منها
أمية ويشرحها لمن معه من التجار . وتذكر رواية أخرى انه كان قد بلغ مع
(أبي سفيان) غزاة أو (ايلياء)^٣ .

ولأمية في هذا اليوم ديوان ضم أكثر ما نسب اليه من شعر . كما ان في بطون
كتب الأدب والأخبار أشعاراً أخرى لم يرد لها ذكر في هذا الديوان . ومعظم
شعره هو عن الدين والآخرة وعن الجنة والنار والحساب والكتاب ، وقد تضمن
إشارات الى حوادث وقعت في أيامه ، أو في أيام قريبة من أيامه مثل قصة الفيل ،
كما تضمن بعض قصص الأنبياء ، ولتعرض شعره الى هذه النواحي نعت بشاعر
الآخرة^٤ .

ومما ذكره الأخباريون ورواة شعر أمية من أمثلة على استعماله للكلم الغريب ،
انه استعمل (الساهور) للقمر ، وهي كلمة لا تعرفها العرب ، وانه ذكر
(السلطيط) ، اسماً لله تعالى . وانه أطلق كلمة (التغرور) على الله تعالى في
موضع آخر من شعره ، وانه سمى السماء (صاقورة) و (حاقورة) وانه استعمل
أشياء أخرى من هذا القبيل . ولولعه هذا باستعمال الغريب ، رفض علماء اللغة
الاحتجاج بشعره^٥ .

-
- ١ الاغانى (١٢١/٤ وما بعدها) « طبعة دار الكتب المصرية » ، « وكان يحكى في
شعره قصص الانبياء ، ويأتى بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، يأخذها من الكتب
المتقدمة ، أو بأحاديث من أحاديث أهل الكتاب » الشعر والشعراء (٣٦٩/١) .
 - ٢ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٢٠/٢) ، الاغانى (١٢٣/٤ وما بعدها) ، (دار
الكتب المصرية) .
 - ٣ البداية والنهاية (٢٢٤/٢) .
 - ٤ تاريخ الادب العربي ، لبروكلمن (١١٣/١) « الترجمة العربية » ، عيون الاخبار ،
لابن قتيبة (٣٧٤/٦) ، الحيوان (٣٢١/٧) « عبد السلام محمد هارون » ،
البيان والتبيين (٢٩١/١) .
 - ٥ الاغانى (١٢١/٤ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٢١٩/٢) ، ديوان أمية
فحول الشعراء ، « جمع بشير يموت » « بيروت ١٩٣٤ م » (ص ٥ وما بعدها) ،
سيرة ابن هشام (٤٨/١) .

والساحور ، كلمة آرامية الأصل من أصل (سهر) Sahro ، بمعنى القمر ، أي تماماً بالمعنى الوارد في شعر أمية^١ .

وهذا الشعر المنسوب الى أمية وغريبه خاصة مادة مهمة جداً تجب دراستها بعناية ، لمعرفة مبلغ صحة ما جاء في أخبار الرواة عن هذه الكلمات وعن أصولها ومواردها الأولى ، إن صح أنها من أشعار تلك الأيام حقاً ، إذ ترشدنا أمثال هذه الدراسات الى معرفة منابع التي استقى منها هذا الشاعر علمه وإلهامه ومدى تأثيره وتأثر أمثاله من الجاهليين بالآراء والتيارات الفكرية التي كانت في مكة وفي خارج جزيرة العرب قبيل الاسلام .

وقد روى الأخباريون قصصاً عن التقاء أمية بالرهبان ، وعن توسمهم معالم النبوة فيه ، فكانوا يسألونه أسئلة تستخرج من أجوبتها في نظهرم معالم النبوة . فلما كانوا يقفون على الأجوبة ، يقولون له : كادت النبوة تكون فيه ، لولا بعض النقص في علاماتها عنده ، كما رووا قصصاً عن شق طيرين لقلب هذا الشاعر ، لتنظيفه ، وتهيته النبوة فيه . ولكنها عندما وقفا عليه لم يجدا أن النبوة خلقت له^٢ . وقد حاكى أهل الأخبار في قصصهم هذا ما رواه رجال السير عن علامات النبوة عند الرسول^٣ . كذلك رووا أنه كان يتفرس في لغات الحيوانات ، فيعرف ما تقوله وما تريده ويقصه على الناس وأنه كان يسخر الجن ، وكانت تطيعه ، وأنه تنبأ بموته حينما نعب عليه الغراب^٤ . فجعلوه بأخبارهم هذه في مرتبة تضاهي سليمان في علمه بمنطق الطير وبقية الحيوانات^٥ . وذكر (ابن دريد) : « كان بعض العلماء يقول له لولا النبي صلى الله عليه وسلم ، لادعت ثقيف أن أمية نبي ، لأنه قد دارس النصراني وقرأ معهم ، ودارس اليهود وكل الكتب قرأ^٦ » .

وتشبه قصة تنظيف الطيرين لقلب أمية ، وهي القصة التي أشرت اليها قبيل

- ١ غرائب اللغة العربية (ص ١٨٩) .
- ٢ الاغانى (١٢٣/٤ وما بعدها) ، شعراء النصرانية ، الجزء الثاني (ص ٢١٩) . ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء (٢٢٠ وما بعدها) « دار المعارف » .
- ٣ Sprenger, Leben, I, S. 119, M. el. Huart, Le Livre de la Création et de L'histoire, I, pp. 55, 153, 155, 156, 190, 191, 195.
- ٤ البداية والنهاية (٢٢٧/٢ وما بعدها) .
- ٥ النمل ، الآية ١٥ وما بعدها .
- ٦ الاشتقاق (ص ١٨٤) .

قليل ، خبر (حليلة السعدية) مرضعة الرسول لصدر النبي . ورواة قصة شق صدر أمية وتنظيف قلبه هم من أهل الطائف ، ويرجعون سند قصتهم الى أخت أمية المسماة (الفارعة) ، « وكانت ذات لبّ وعقل وجمال ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بها معجباً »^١ ، وقد وفدت عليه ، فلما سأها عن شعر أخيها كما يقول الرواة ، قصت عليه قصة الطيرين ، كما قصت عليه قصة وفاته ، فقال رسول الله : « ان مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها »^٢ .

ويشير القصص الوارد عن التقاء (أمية) بالأخبار وبالرهبان وباتصاله بهم ، الى أن أمية كان يرجو ان يكون نبياً ، وأنه كان يعتقد بقرب ظهور نبي وتأمله أن يكون هو ذلك النبي المرتجى :

ألا نبيّ منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس مجرانا^٣

وقد كسف وتألم كثيراً وأكل الحسد قلبه ، حين فلت الأمر منه ، اذ سمع بإعلان الرسول رسالته ، ودعوة الناس الى دين الله ، الذي كان أمية نفسه يدعو اليه . وقد ورد أنه لما سمع بنبوة الرسول قال : « إنما كنت أرجو ان اكونه »^٤ .

ويروي أهل الأخبار أن أمية كان قد مات وهو معتقد بأن الحنيفة حق إذ روى أنه قال في مرض موته ، « قد دنا أجلي ، وهذه المرضة فيها منيتي وأنا أعلم ان الحنيفة حق ، ولكن الشك يداخلني في محمد . وقال : لا برىء فأعترى ولا قوي فأنتصر » .

وفي جملة ما روه عنه ، انه عرف مجيء يومه من نعيب غراب ، نعب على مقربة منه . فحدث القوم بما سمعه من الغراب ، وكان يعرف منطقته ، وقال لهم

-
- ١ البداية والنهاية (٢٢٤/٢ وما بعدها) .
 - ٢ البداية والنهاية (٢٢٤/٢ وما بعدها) ، تهذيب ابن عساكر (١٢٧/٣) ، مروج (٥٧/١ وما بعدها) ، الطبرسي ، مجمع (٦٣/٧ وما بعدها) ، الطبري ، تفسير (١٢١/٩) « طبعة البابي » ، تفسير ابن كثير (٢٦٤/٢) ، شرح الشهاب على البيضاوي (٢٣٦/٤) .
 - ٣ البداية والنهاية (٢٢٧/٢) تهذيب ابن عساكر (١٢٧/٣) ، تأريخ الخميس ، (٤١٣/١) .
 - ٤ الاغانى (١٢٣/٤ وما بعدها) .

انه سيموت وذكر علامة ذلك ، فكان ان مات على نحو ما قال للقوم^١ . وذكر أيضاً انه لما كان على فراش الموت محتضراً أفاق عدة مرات ، وكان يتلو في كل مرة : « لبيكما لبيكما ، ها أنذا لديكما » ، ثم يتلو هذا الكلام بكلام آخر فيه توسل وتضرع الى الإله ، الى ان أفاق للمرة الأخيرة ، فقال شعراً يبين فيه ان الموت أمر لا بد منه ، وانه هالك في هذه المرة لا محالة ، ثم هلك ، دون ان يؤمن بالرسول^٢ .

وهذا القصص الزارد عن أمية ، هو - بالطبع - من القصص المصنوع الموضوع ، مثل كثير من أخباره وأخبار غيره ، قص على ذوي القلوب الطيبة من الرواة والأخباريين ، فأخذوه ونقلوه كما نقلوا ما شاء الله من الاسرائيليات والأساطير ، وروي على انه مما كان يعلمه الأخبار والرهبان والخاصة من أهل الكتاب .

ولا أستبعد ان يكون هذا القصص قد ظهر في أيام الحجاج عصبية وتقرباً اليه ، فقد كان الحجاج من ثقيف ، وكان أمية من ثقيف كذلك . وقد أنتج الوضاعون في أيامه شيئاً كثيراً من الأخبار في قبيلة ثقيف ، كما أنتجوا شيئاً في ذمها وفي ذم رجالها نكاية به .

وقد يكون في قول (الحجاج) حين سئل عن شعر أمية ، شيء من التوجع والتألم أو المبالغة في تقديره حين قال : « ذهب قوم يعرفون شعر أمية ، وكذلك اندراسُ الكلام » . وقد يكون كلام الحجاج غير ذلك ، لو كان أمية من قبيلة أخرى .

ونحن نستطيع ادخال قول من قال عن (أمية) « قيل انه كان نبياً »^٣ في جملة هذه الدعاوى التي وضعت في هذا العهد ، للرفع من شأن (ثقيف) ومن الرد على المتهجمين عليها الطاعنين حتى في نسبها الذين جعلوا (ثقيفاً) من بقية (ثمود) ، وأيدوا قولهم هذا بحديث زعموا ان الرسول قاله : « ثقيف من

١ البداية والنهاية (٢٢٧/٢) .
٢ الاغانى (١٢٥/٤ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات فحول (ص ٢٢٠ وما بعدها) ،
الاصابة (١٣٤/١) ، (رقم ٥٥٢) .
٣ تهذيب ابن عساكر (١١٥/٣) .

ثمود « ١ » ، وجعلوه من عبد لأبي رغال ، وأبو رغال نفسه الذي نسب عبده اليه ، أي جد ثقيف ، هو في نظر العرب وقريش خاصة سبّة ٢ .

ويذكرون عنه انه بعد ان صبأ عن قومه وتحنف ، لبس المسوح على زي المترهبين الزاهدين في هذه الدنيا ، ورافق الكتب ونظر فيها ، ليستلهم منها العلم والحكمة والرأي الصحيح ، ثم حرّم الخمر على نفسه مثل بقية المتألهين ، وتجنب الأصنام ، وصام ، والتمس الدين ، وذكر ابراهيم واسماعيل ، وانه كان أول من أشاع بين قريش افتتاح الكتب والمعاهدات والمراسلات بجملة : « باسمك اللهم » ، وهي الجملة التي نسخت في الاسلام بجملة : « بسم الله الرحمن الرحيم » ٣ .

ويذكر أهل الأخبار ان أمية أخذ جملة : « باسمك اللهم » من شيخ كان منظوياً على نفسه في برية نائية ، وذلك حينما ألح عليه قوم كانوا معه من قريش في غير لهم ، كانت قد نفرت ، بأن يجد طريقة لطرد حيّة كانت تظهر بين ابلهم فتفترها ، فذهب الى ذلك الشيخ واستشاره في طريقة تبعد عنهم أذى تلك الحيّة ، فأشار عليه باستعمال تلك الجملة ، فهربت الحيّة ونفرت منهم ، وقد كان سبب ظهور تلك الحيّة كما يذكر أهل الأخبار ، هو أن رجلاً من القوم هو : (حرب بن أمية بن عبد شمس) كان قد قتل حيّة فقررت زميلتها الانتقام من قتلتها ، فقتلته الجن انتقاماً منه بثأر تلك الحيّة . وهربت الجن عند سماعها تلك الجملة . وإليه أشير كما يقول أهل الأخبار بقولهم :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

فحرب هذا المذكور في هذا البيت ، هو حرب بن أمية ، وأما الشيخ فكان رجلاً من الجن ٤ .

١ الاغاني (٣٠٧/٤) « دار الكتب » .

٢ الاغاني (٣٠٢/٤) « دار الكتب » .

٣ المسعودي ، مروج (٥٧/١ وما بعدها) ، ديوان ، أمية « المقدمة » لبشير يموت « بيروت ١٩٣٤ » ، ابن خلدون (١٧٧/١ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٦١ م) ، التنبيه والاشراف (٣٥٩) ، (مكتبة الخياط) .

٤ الحيوان للدميري (١٩٥/٢) ، الاغاني (١٢٢/٤ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) .

ويُذكر أنه لم يكن يرتضي من الأديان غير دين الحنيفية ديناً . وأنه قال ذلك في شعر له :

كل دين يوم القيامة عند الله ، إلا دين الحنيفية ، زوراً^١
وأنه كان يعظم الله في شعره ويكبره ويحمده ، ويرى أنه إله واحد لا شريك له ، وأن من يشرك به أحداً فقد ظلم نفسه :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلماً^٢
وهناك من يروي أن (النابغة الجعدي) ، كان يدعي أن هذا البيت وما بعده هو من نظمه . قال ذلك أُمّام (الحسن بن علي بن أبي طالب)^٣ .

ويروى أن النبي كان يسمع شعر أمية ، وأن (الشريد بن سويد) (الشريد ابن عمرو) الثقفي ، كان ينشد له شيئاً منه ، في أثناء أحد أسفاره . فكان كلما أنشد له شيئاً منه ، طلب منه المزيد ، حتى إذا ما أنشده مئة بيت ، قال النبي له : كاد ليسلم ، أو كاد ليسلم في شعره . وذكر أن الرسول قال في حديث له عنه : آمن شعره وكفر قلبه ، أو آمن لسانه وكفر قلبه^٤ . وأنه لما سمع شعره في الدين والحنيفية ومطلعه :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربّي ومسّانا

قال : « إن كاد أمية ليسلم »^٥ .

-
- ١ الاغانى (١١٢/٣) ، البغدادى ، خزانة الادب (٣٩/٢) ، شيخو ، شعراء النصرانية ، الجزء الثاني (ص ٢١٩) ، ابن هشام ، السيرة (٤٠/١) ، (٩٨٢/٢) ، الاغانى (١٢٣/٤) « دار الكتب » ، الاصابة (١٣٠/١) « مطبعة السعادة » .
 - ٢ المسعودى ، مروج (٧٠/١) .
 - ٣ طبقات ابن سلام (١٠٦ وما بعدها) ، الاغانى (١٠/٥) .
 - ٤ صحيح مسلم « كتاب الشعر » ، (٤٨/٧) « طبعة محمد علي صبيح » ، طبقات ابن سعد : (٣٧٦/٥) ، « الشريد بن سويد » « الرشيد بن سويد » ، بلوغ الارب (٢٥٣/٢ وما بعدها) ، المعارف ، لابن قتيبة (٢٨) ، المزهر (٣٠٩/٢) ، خزانة الادب (٢٢٧/١) ، ابن سعد (٣٧٦/٥) ، الشعر والشعراء (٣٦٩/١) ، الاصابة (١٣٤/١) ، (رقم ٥٥٢) .
 - ٥ الاغانى (١٣٢/٤ وما بعدها) « دار الثقافة » ، شرح الشهاب على البيضاوى (٢٣٦/٤) ، تفسير ابن كثير (٢٦٤/٢) ، ديوان المعاني ، لابي هلال العسكري (٢٦/١) .

وروي عن (ابن عباس) ، ان الرسول لما سمع شعر (أمية) :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصداً

قال: صدق أمية .

وفي رواية أنه : « كان قد قرأ الكتب القديمة ، وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً ، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فاتفق أن خرج الى البحرين ، وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام هناك ثمانين سنين . ثم قدم ، فلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في جماعة من أصحابه ، فدعاه الى الاسلام ، وقرأ عليه سورة يس ، حتى اذا فرغ منها ، وثب أمية يجر رجله ، فتبعته قريش تقول : ما تقول يا أمية ؟ فقال : أشهد انه على الحق . قالوا : فهل نتبعه ؟ قال : حتى انظر في امره . فخرج الى الشام ، وقدم بعد وقعة بدر يريد أن يسلم ، فلما أخبر بها ، ترك الاسلام . وقال : لو كان نبياً ما قتل ذوي قرابته فذهب الى الطائف ومات » ٢ .

وفي هذه الرواية المنسوبة الى الزهري ، عن سماع أمية بن أبي الصلت بنبوة النبي وهو في البحرين ، ثم مجيئه الى مكة والتقائه بالرسول ومحاجته له في ظل الكعبة ، ثم انكسافه وتراجعه وذهابه الى الشام ، ثم عودته منها ٣ ، تكلف ظاهر ، وفي تفاصيلها ما يناقض بعضه بعضاً .

وورد في رواية أخرى ، ان أمية بن أبي الصلت قدم المدينة فقال للنبي : ما هذا الذي جئت به ؟ فقال الرسول : الحنيفية دين ابراهيم . قال : فأنا عليها . فقال عليه الصلاة والسلام لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها . فقال : أمات الله تعالى الكاذب منا طريداً وحيداً ، ثم خرج الى الشام ، وأرسل الى المنافقين أن استعدوا للسلاح . ثم أتى قيصر ، وطلب منه جنداً ، ليخرج النبي

١ الاصابة (١٢٩/١) ، الاصابة (١٣٤/١) ، (رقم ٥٥٢) . (القاهرة ١٩٣٩ م) .

٢ روح المعاني (١١٢/٩ وما بعدها) ، تاريخ الخميس ، للدياربركي (٤١٢/١) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي (٦٣/٧ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٥٧ م) .

٣ راجع البداية والنهاية (٢٢٠/٢) .

من المدينة ، فمات بالشأم طريداً وحيداً . وهي قصة ينسب وقوعها الى (أبي عامر) الراهب ، كما سبق أن تحدثت عن ذلك ^١ .

وتخالف هذه الرواية الروايات المألوفة الواردة إلينا عن وفاة (أمية) بالطائف . وتزعم إحدى الروايات ، ان أمية كان قد أخذ ابتيته وهرب بهما الى أقصى اليمن ، وذلك حين بعث النبي . ثم عاد الى الطائف ، فبينما هو يشرب مع اخوان له في قصر بالطائف ، إذ سقط غراب على شرفة في القصر فنبع ، وأدرك أمية انه ميت ، لأنه عرف منطق الغراب ، وحدثت القوم بذلك في قصة مفصلة تجدها في الكتب ثم مات ^٢ . وقصة الشرب هذه تناقض ما يذكر عنه أهل الأخبار من انه كان لا يقترب من الخمر ، ومن انه كان قد حرّمها على نفسه ، شأنه في ذلك شأن بقية الأحناف . كذلك يناقض خبر تحريمه الخمر على نفسه ، خبر آخر ، خلاصته انه كان يشرب يوماً مع عبدالله بن جدعان ، فأخذ الشراب برأس (ابن جدعان) ، وأصاب عين أمية ، فلما كان اليوم الثاني وجلس أيضاً للشرب معه ، سأل (عبدالله) أمية عن سبب الألم البادي على عينه ، فلما أخبره بأنه كان هو سببه ، ترك (ابن جدعان) الخمر استحياء مما فعله وقال شعراً في سبب تركه الخمر . ويقول أهل الأخبار : « ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية ، إلا ترك الخمر استحياء مما فيه من الدنس » ^٣ .

وتؤيد قصة ذهاب (أمية) الى اليمن وسكنه أمدداً هناك قصة ينتهي سندها بـ (أبي سفيان) ، خلاصتها انه كان قد ذهب في ركب من قريش الى اليمن في تجارة ، فمرّ بأمية ، وقال له كالمستهزئ به : يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته ؟ فأجابه أمية : اما انه حق فاتبعه . وقال له قولاً يتنبأ فيه بمصير أبي سفيان وكيف سيؤتى به الى الرسول ، فيحكم فيه كما يريد . ففي هذه القصة تأكيد بخروج أمية الى اليمن حين بعث الرسول وبمكوثه زماناً هناك .

وذكر أنه الشخص الذي نزلت في حقه الآية : « واتلّ عليهم نبأ الذي آتيناه

-
- ١ روح المعاني (١١١/٩) ، تفسير الطبرسي (٥٠٠/٣) ، (طبعة طهران) .
 - ٢ الاغانى (١٣٠/٤) وما بعدها ، الاصابة (١٢٩/١) .
 - ٣ الاغانى (٣٣٢/٨) .
 - ٤ البداية والنهاية (٢٢٤/٢) .

آياتنا ، فانسلخ منها ^١ . وهي آية قيل أيضاً إنها نزلت في (بلعام بن باعور)
(بلعم بن ابر) ، (بلعام بن باعرا) ، أو في زوج البسوس ، أو في (النعمان
ابن صيفي الراهب) ^٢ .

وأمية كأكثر الشعراء له شعر في المدح وله تعريض . وأكثر مدحه في (ابن
جدعان) من أجواد العرب المعروفين المشهورين في الجاهلية ^٣ . وهو في المدح أو
في الرثاء أو في كل مناسبة أخرى ، مستعمل للكلمات ذات صلة بالدين وبالأفكار
الدينية ولمصطلحات لا ترد إلا نادراً في الأشعار المنسوبة الى الشعراء الجاهليين ، مما
يدل على غلبة التفكير الديني عليه ، وتأثير ما قرأه أو أخذه من غير العرب فيه .
سئل الأصمعي عن شعر أمية ، فقال : « ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة
وذهب عترة بعامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب » ^٤ .

ووالد (أمية) ، هو (عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي) أو (ربيعة
ابن وهب بن علاج بن أبي سلمة) الثقفي على رواية (الزبيري) ^٥ . أما أمه
فهي (رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف) . وقد كان والده شاعراً . ذكر
انه مدح (سيف بن ذي يزن) ^٦ .

ومن الرواة من ينسب القصيدة التي تنسب الى والد أمية ، والتي هي في مدح
(سيف بن ذي يزن) ، الى أمية نفسه . وفي هذه القصيدة إشارة الى ذهاب
(سيف بن ذي يزن) الى هرقل ، فلما لم يجد منه أية مساعدة أو اهتمام ،
عافه ، وذهب الى كسرى ، حيث وجد منه مساعدة ، فجاءت اليه بعد سنين

١ . الاعراف ، الآية ١٧٥ ، الاغاني (١٢٥/٤ وما بعدها) « بيروت » ، تفسير الطبري
(٨٢/٩ وما بعدها) .

٢ . روح المعاني (١١١/٩) ، تفسير الطبرسي (٤٩٩/٣ وما بعدها) .

٣ . المحجر (ص ١٣٨) ، ديوان أمية بن أبي الصلت : تحقيق « فريدريش شولتس »
(Friedrich Schulthetz) ، المطبوع بمدينة « لايبزك » سنة ١٩١١ ،

وكذلك ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٩٣٤ م . جمع بشير يموت ، التبريزي ، شرح
ديوان الحماسة (١٤٥/٤) ، الاغاني (٣٢٧/٨) ، تهذيب ابن عساكر (٣/
١٢٣) ، ابن هشام ، (١٤١/٣) .

٤ . الاصابة (١٢٩/١) ، الاغاني (١٣٠/٤ وما بعدها) .

٥ . نسب قريش (٩٨) .

٦ . الاغاني (١٢٠/٤ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٣٦٩/١) ، (بيروت) ،
تهذيب ابن عساكر (١١٥/٣) ، اليعقوبي (٢٢/١) ، الاغاني (١٢٠/٤ وما
بعدها) ، الأزرق ، تاريخ مكة (٩٣/١) ، جمهرة الانساب (٢٥٧) .

من تعب ومواظبة^١ .

وينسب الى أمية شعر ، ذكر انه افتخر فيه بـ (نزار) وبـ (معد) .
وبقبيلة (إباد) ، حيث نعتهم بـ (قومي إباد)^٢ .

ويتلخص ما جاء في شعر هذا الشاعر من عقائد وآراء في الاعتقاد بوجود إله واحد ، خلق الكون وسواه وعدله ، وأرسى الجبال على الأرض ، وأنبت النبات فيها ، وهو الذي يحيي ويميت ، ثم يبعث الناس بعد الموت ويحاسبهم على أعمالهم ، وليجازيهم بما كسبت أيديهم ، فريق في الجنة وفريق في النار ، يساق المجرمون عرابة الى ذات المقامع والنكال مكبلين بالسلاسل الطويلة وبالأغلال ، ثم يلقي بهم في النار يصلونها يوم الدين ، يبقون فيها معذبين بها ، ليسوا بميتين ، لأن في الموت راحة لهم ، بل قضى الله ان يكثر فيها خالدون أبداً^٣ .

أما المتقون ، فإنهم بدار صدق ناعمون تحت الظلال ، لهم ما يشتهون ، فيها غسل ولبن وخمر وقح وورطب وتفتح ورماني وتين وماء بارد عذب سليم ، وفيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وحوار لا يرين الشمس فيها ، نواعم في الأرائك قاصرات ، على سرر ترى متقابلات ، عليهم سندس وجياد ربيط وديباج ، حلتوا بأساور من لجين ومن ذهب وعسجد كريم ، لا لغو فيها ولا تأثيم ، ولا غول ولا فيها ملهم ، وكأس لا تصدع شاربها ، يلذ بحسن رؤيتها النديم ، تحتهم نمارق من دمقس ، فلا أحد يرى فيهم سقيم .

وللوقوف على آراء (أمية) ، وعلى معتقده الدينية يجب الرجوع بالطبع الى أشعاره وما نسب اليه من كلام . ففي هذا التراث الذي تغلب عليه النزعة الدينية والحكمية ، تتمثل آراء ذلك الشاعر الجاهلي الذي أدرك أوائل المبعث ، وهي آراء قريبة جداً من الاسلام ، وبعضها يكاد يكون قولاً اسلامياً في لفظه وفي معناه مسبوكاً في شعر . وفي هذا الشعر قصص الرسل والأنبياء : آدم ونوح وقصة

١ كتاب التيجان ، لوهب ، (٣٠٧) ، الشعراء والشعراء ، لابن قتيبة (٣٦٩/١) ، بروكلمان (١١٤/١) ، Schultheso Orient. Studien, I, 73.

٢ الاغاني (١٢٠/٤) ، (٣٢٧/٨) وما بعدها ، شعراء النصرانية (٢٣٤/٢) .

٣ وسبق المجرمون وهم عرابة الى ذات المقامع والنكال ديوان أمية (٤٩) .

جهنم تلك لا تبقى بغيا وعدن لا يطالها رجيم

ديوان أمية (٥٣) ، (بشير يموت) .

طوفانه ، والغراب والحمامة ^١ ، وقصة ذي القرنين وبلقيس وحكاية الهددهد ^٢ ، وقصة ابراهيم وتقديم ابنه للذبح، وداوود ، وفرعون ، وموسى ، وابن عاد ^٣ . وعيسى وأمه مريم وكيفية حملها به ، فوصف ذلك بانياً وصفه على نحو ما جاء في القرآن الكريم عن تكون عيسى ، مضيفاً الى ذلك زيادات في حديث مريم مع الملائكة وجواب الملائكة لها ^٤ . كما أورد في الشعر قصة (لوط أخي سدوم) ^٥ . وهي من القصص المذكور في التوراة ، وأشياء أخرى عديدة من هذا القبيل ^٦ .

وفي أكثر ما نسب الى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات دينية ووصف ليوم القيامة والجنة والنار ، تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلاً لما ورد عنها في القرآن الكريم . بل نجد في شعر أمية استخداماً لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله وفي الحديث النبوي ، فكيف وقع ذلك ؟ وكيف حدث هذا التشابه؟ هل حدث ذلك على سبيل الاتفاق او ان أمية اخذ مادته من القرآن الكريم ، او كان العكس ، اي ان القرآن الكريم هو الذي أخذ من شعر أمية فظهرت الأفكار والألفاظ التي استعملها أمية في آيات الله وسوره ؟ فكتاب الله اذن هو صدى وترديد لآراء ذلك الشاعر المتأله ، او ان هذا التشابه مردّه شيء آخر هو تشابه الدعوتين واتفاقهما في العقيدة والرأي ، او اعتماد الاثنين على مورد أقدم ، هما الكتابان المقدسان : التوراة والانجيل ، وما لهما من شروح وتفسير ، او كتب او موارد عربية قديمة كانت معروفة ثم بادت وبقي أثرها في القرآن الكريم وفي شعر أمية بن ابي الصلت ، او ان كسل شيء من هذا الذي نذكره ونفترضه

- ١ جزى الله الاجل المرء نوحاً جزاء البر ليس له كذاب ديوان أمية (١٨ وما بعدها ، ٥٨) ، (بشير يموت) الحيوان ، للجاحظ (٢ / ١١٧) ، البدء والتاريخ (٢٤ / ١) .
- ٢ قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الارض غير معبد من قبله بلقيس كانت عمتي حتى تقضى ملكها بالهددهد ديوان أمية (ص ٢٦) ، (بشير يموت) .
- ٣ حي داوود وابن عاد وموسى وقريع بنيانه بالثقال انني زارد الحديد على النسا س دروعاً سوايغ الاذيال ديوان أمية (٥٠ وما بعدها) ، (بشير يموت) .
- ٤ وفي دينكم من رب مريم آية منبئة بالعبد عيسى بن مريم ديوان أمية (٥٨) ، (بشير يموت) .
- ٥ ثم لوط أخو سدوم أتاها اذ أتاها برشدها وهداها ديوان أمية (٦٩) ، (بشير يموت) .
- ٦ راجع التوراة ، ومادة (Lot) في معجمات التوراة .

افتراضاً لم يقع ، وان ما وقع ونشأه ، سببه ان هذا الشعر وضع على لسان امية في الاسلام ، وان واضعيه حاكوا في ذلك ما جاء في القرآن الكريم فحدث لهذا السبب هذا التشابه .

أما الاحتمال الأول ، وهو فرض أخذ امية من القرآن ، فهو احتمال إن قلنا بجوازه ووقوعه ، وجب حصر هذا الجواز في مدة معينة ، وفي فترة محدودة تبتدئ بمبعث الرسول ، وتنتهي في السنة التاسعة من الهجرة ، وهي سنة وفاة أمية بن أبي الصلت . اما ما قبل المبعث ، فلا يمكن بالطبع ان يكون امية قد اقتبس من القرآن ، لأنه لم يكن منزلاً يومئذ ، وأما ما بعد السنة التاسعة ، فلا يمكن أن يكون قد اقتبس منه أيضاً ، لأنه لم يكن حياً ، فلم يشهد بقية الوحي . ولن يكون هذا الفرض مقبولاً معقولاً في هذه الحالة ، إلا إذا أثبتنا بصورة جازمة ان شعر امية الموافق لمبادئ الاسلام ولما جاء في القرآن قد نظم في هذه المدة المذكورة ، اي بين المبعث والسنة التاسعة من الهجرة ، وأن امية كان يتتبع نزول الوحي ، ويجمعه ، وانه كان يملك نسخة مما نزل على الرسول ، رجع اليها واقتبس منها ، وإلا سقط العرض . فإذا أثبتنا ذلك وثبتنا تأريخ نظم هذا الشعر ، أمكنت المقابلة عندئذ بين شعر أمية وما جاء في معناه وفي موضوعه من آيات نزلت بين ابتداء نزول الوحي على الرسول وبين السنة التاسعة ، أما الآيات التي نزلت بعد هذه السنة ، فلا تكون شاهداً على أخذ أمية منها : لأنه كان قد توفي في السنة التاسعة ، فلا يقع هذا الافتراض .

ولكن من في استطاعته تثبيت تواريخ شعر أمية وتعيينه ، وتعيين أوقات نظمه؟ إن في استطاعتنا تعيين بعضه من مثل الشعر الذي قاله في مدح عبدالله بن جُدعان او معركة بدر . ولكننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بالغالبية منه ، وهي غالبية لم يتطرق الرواة الى ذكر المناسبات التي قيلت فيها . ثم إن بعض هذا الكثير مدسوس عليه ، مروى لغيره ، وبعضه إسلامي ، فيه مصطلحات لم تعرف إلا في الإسلام ، فليس من الممكن الحكم على آراء أمية الممثلة في شعره هذا بهذه الطريقة . ثم إن أحداً من الرواة لم يذكر ان امية كان يتحلل معاني القرآن الكريم ، وينسبها الى نفسه . ولو كان قد فعل ، لما سكنت المسلمون عن ذلك ، ولكان الرسول أول الفاضحين له .

بقي لدينا افتراض آخر . هو أخذ القرآن الكريم من أمية . وهو افتراض ليس من الممكن تصوره ، فعلى قائله اثبات أن شعر أمية في هذا الباب هو أقدم عهداً من القرآن الكريم ، وتلك قضية لا يمكن إثباتها أبداً . ثم إن قريشاً ومن لف لفها ممن عارض الرسول لو كانوا يعلمون ذلك ويعرفونه ، لما سكتوا عنه ، ولقالوا له انك تأخذ من أمية ، كما قالوا له : انك تتعلم من غلام نصراني كان مقيماً بمكة ، واليه اشر في القرآن الكريم بقوله : « ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين »^١ . ولقد أشار المفسرون الى اسم الغلام ، كما سأحدث عن ذلك في الفصل الخاص بالنصرانية عند العرب قبل الاسلام ، ولم يشيروا الى أمية بن أبي الصلت^٢ . ثم إن أمية نفسه لو كان يعلم ذلك او يظن ان محمداً انما اخذ منه ، لما سكت عنه وهو خصم له ، منافس عنيد ، أراد ان تكون النبوة له ، وإذا بها عند شخص آخر ينزل الوحي عليه ، ثم يتبعه الناس فيؤمنون بدعوته . أما هو فلا يتبعه أحد . هل يعقل سكوت أمية لو كان قد وجد اي ظن وإن كان بعيداً يفيد ان الرسول قد اخذ فكرة منه ، او من المورد الذي اخذ أمية نفسه منه ؟ لو كان شعر بذلك ، لنادى به حمياً ، ولأعلن للناس انه هو ومحمد أخذاً من منبع واحد ، وان محمداً أخذ منه ، فليس له من الدعوة شيء ، ولكانت قريش وثقيف اول القائلين بهذا القول والمنادين به .

نعم ، لقد ورد في الحديث ، كما قلت قبل قليل ، ان الشريد بن سويد كان قد أنشد الرسول شعر أمية ، وانه كان كلما أنشده شيئاً منه طلب منه المزيد ، حتى إذا ما أنشده مئة بيت ، قال له الرسول : آمن شعره وكفر قلبه ، او آمن لسانه وكفر قلبه ، ولكننا هنا بحاجة الى تثبيت تأريخ هذا الإنشاد ، وإثبات صحة الرواية وتدقيق رجال السند ، لإثبات ان ما أنشد لم يكن قد نزل في مثله الوحي .

ومن ذهب الى افتراض أخذ الرسول من أمية من المستشرقين (كليمان هوار) و (بور) Power . زعم (بور) انه حيث يوجد تشابه بين شعر أمية والقرآن

١ النحل ، الآية ١٠٣ .

٢ سيرة ابن هشام (١ / ٤٢٠) .

الكريم ، فإن ذلك يدل على ان الرسول أخذ من (أمية) ، لأن أمية أقدم من الرسول^١ . وهذا الافتراض مقبول كما لو أثبتنا ان هذا النظم شعر أصيل صحيح ، وانه نظم قبل نزول مشابهه في القرآن الكريم ، وانه لم يضاف اليه في الاسلام . فإن أثبتنا انه له ، جاز لها مثل هذا الادعاء .

وأما الرأي الثالث - وأعني به رأي من يرجع التشابه بين شعر أمية وما ورد من مثل معانيه في القرآن الكريم الى أخذ الاثنين من التوراة والانجيل وتفسيرهما ، والى بعض (الصحف) و (المجلات) التي أشير الى وجودها عند العرب - فهو رأي قديم ، وليس بجديد . رأي قيل عن الوحي كله ، لا عن القرآن وشعر أمية او غير أمية ، قبل ان يخلق المستشرقون بأكثر من ١٣٠٠ سنة ، فقد زُعم « ان النبي يتعلم من غلام نصراني اسمه جبر !! » . وقد أشير الى هذا الزعم في كتاب الله ، وجاء الرد عليه في قوله تعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون ، إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » . فلم يُخف القرآن الكريم ذلك الطعن والمغمز ، ولم يتجاهل المفسرون اسم من قيل إنه كان يعلمه ، فذكروا جبراً هذا ، وكان غلاماً مقيماً بمكة ، وقال بعضهم بل هو رجل رومي اسمه غير ذلك .

ولو كان الرسول وأمие قد أخذوا من منهل واحد ، واستقيا من مورد واحد ، لما سكنت قريش عن القول به ، ولما سكنت أمية نفسه وهو الغاضب الحاقدا على الرسول عن الجهر به . وكيف يعقل سكوته عن هذا ، وهو أمر مهم جداً بالنسبة اليه . وسيف يحارب به الإسلام؟ ولما سكنت مسيلمة ومن كان على شاكلته من المتنبيين من الإشارة اليه في أثناء حروب الردة ، وقد كانت فرصة سانحة لإظهار هذه المقالة . ولما سكنت (يوحنا الدمشقي) وأمثاله من التلميح الى ذلك ، وقد لمح بأمر كثيرة في طعنه على الإسلام .

ثم إن هذا التشابه ، على ما يتبين من نقده وتمحيصه ، ليس من نوع ما يحصل عن أخذ شخصين مستقلين من مورد معين ، إنما هو من قبيل ما يحدث من اعتماد أحد الشخصين على الآخر ، بدليل ورود أمور في القرآن الكريم ،

١ ديوان أمية (ص ٧) ، « المقدمة الألمانية » « بحقيق فردرس شولثيس » ، بروكلمن Cl. Huart, JA. X, Vol. IV, 1904, p. 125. • (١١٣/١)

لم ترد في التوراة ولا في الانجيل ، ولكنها وردت في شعر أمية ، وبديل ورود أكثر قصص الأنبياء والآراء والمعتقدات في شعر أمية على شكل إسلامي ، لا على النحو الوارد عند أهل الكتاب . واستعمال هذا الشعر لجمل وألفاظ وتراكيب اسلامية واردة في القرآن الكريم وفي الحديث لا في الكتب السماوية المذكورة . فلو كان مردّ هذا التشابه الأخذ من مورد واحد ، لوجب انحصار هذا التشابه في الأمور المشتركة التي ترد في الكتب المقدسة : التوراة والانجيل والقرآن ، وفي شعر أمية حسب ، لا في المسائل التي ترد في شعر أمية وفي القرآن الكريم ، ولا ترد في الكتابين المقدسين أو في الكتب الأخرى .

ثم إن المقابلة بين نصين لمعرفة صلة احدهما بالآخر، وأخذ احدهما من الآخر ، تستوجب التأكد من صحة نسبة هذا الشعر الى أمية . ففي هذا الشعر مقدار لا يمكن ان يشك في وضعه وصنعه ، ومقدار نص العلماء نصاً على انه لغيره ، وهم انما ذكروه في شعر أمية ، لأن بعض اهل الأخبار نسبته اليه . ولذلك استدركوا هذا الخبر ، بالاشارة الى اسم قائله الصحيح . فلم يبق من هذا الشعر ما يصلح للمقابلة غير القليل منه ، وهو القليل الذي له صلة بعقيدة ودين . وهذا القليل هو ، في الغالب ايضاً ، تبع لما ورد في القرآن وحده ، لا لما ورد في الكتابين المقدسين . ولما كان القرآن محفوظاً ثابتاً ، فلم يرتق اليه الشك . اما شعر أمية ، فليس كذلك ، وهو غير معروف من حيث تعيين تأريخ النظم . فهذه المقابلة إن جازت ، فانها تكون حجة على القائلين بالرأي المذكور ، لا لهم . وقد كان عليهم ان يثبتوا أولاً اثباتاً قاطعاً صحة رأيهم في أصالة هذا الشعر ، لا ان يفترضوا مقدماً انه شعر أصيل صحيح ، وان يذهبوا رأساً الى انه هو والقرآن الكريم من وقت واحد ، بل انه على حد قول بعضهم أقدم منه ، فكتاب الله منتزع منه .

ومن قال باحتمال أخذ القرآن وأمية من مورد مشترك واحد، (فردرش شولثيس) Friedrich Schulthetz ناشر ديوان أمية. وقد زعم أيضاً احتمال أخذ أمية من بعض آيات الله التي كانت مُترلة يومئذ ، ونظمها في شعره . استند في زعمه القائل باقتباس الرسول من مورد مشترك الى ورود بعض كلمات في القرآن الكريم وفي الحديث وفي كتب السير ، يفهم منها على زعمه ان الرسول كان قارئاً كاتباً ، ولكنه لم يشترط في هذه المؤلفات كونها الإنجيل والتوراة ، بل ذهب الى انها

(مجلة) و (صحيفة) ، تتضمن أحاديث وتفسير وقصصاً دينياً قديماً^١ . أما دليله ، فافتراض واحتمال ، وليس له غير هذين . ولا يقوم علم إلا على دليل ملموس .

أما أنا ، فأرى ان مردّ هذا التشابه والاتفاق الى الصنعة والافتعال . لقد كان أمية شاعراً ، ما في ذلك شك ، لاجماع الرواة على القول به . وقد كان ثائراً على قومه ، ناقماً عليهم ، لتعبدتهم للأوثان . وقد كان على شيء من التوحيد والمعرفة باليهودية والنصرانية ، ولكني لا أظن أنه كان واقفاً على كل التفاصيل المذكورة في القرآن وفي الحديث من العرش والكرسي وعن الله وملائكته وعن القيامة والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك . إن هذا الذي أذكره شيء إسلامي خالص ، لم ترد تفاصيله عند اليهود ولا النصارى ، ولا عند الأحناف . فوروده في شعر أمية وبالكلمات والتعابير الاسلامية ، هو عمل جماعة فعلته في عهد الإسلام : وضعت على لسانه ، كما وضعوا أو وضع غيرهم على ألسنة غيره من الشعراء والخطباء ، لاعتقادها أن ذلك مما يفيد الاسلام ، ويثبت أن جماعة من الجاهليين كانوا عليه ، وأنه لم يكن لذلك غريباً ، وأن هؤلاء كانوا يعلمون الغيب ، يعلمون بقرب ظهور نبيّ عربي ، وأنهم لذلك بشروا به ، وأنهم كانوا يتمنون لو عادوا فولدوا في أيامه ، أو لو طال بهم العمر حتى يدركوه فيسلموا ، وأمثال ذلك من قصص راج وانتشر ، كما راج أمثاله في كل دين من الأديان .

ولا بد وأن يكون هذا الوضع قد صنع في القرن الأول للإسلام ، لأن أهل الأخبار القدامى يذكرون بعض هذا الشعر^٢ . وقد يكون قد وضع أكثره في عهد الحجاج تقريباً اليه ، لأنه من ثقيف ، وفي ذلك العهد وضع الوضائع أخباراً كثيرة في الغرض من شأن قوم الحجاج ، نكاية به فتقدم قوم آخرون اليه بالرفع من شأنها وبإضافة ذلك الشعر انى أمية وغيره ، ليكون ردّاً على كارهي ومبغضي الحجاج .

وتبين آية الوضع في شعر أمية في عدم اتساقه وفي اختلاف أسلوبه وروحه .

Ency., IV, p. 998, Tar Andrae, Die Entstehung des Islams und das Christentums, upsale, 1926, S. 48.

٢ بروكلمان (١١٣/١) .

فبينما نجد شعره المنسوب اليه في المدح أو في الرثاء أو في الأغراض الأخرى مما ليس لها صلة مباشرة بالدين ، في ديباجة جاهلية على نسق الشعر المنسوب الى شعراء الجاهلية ، نجد القسم الديني منه والحكمي في أسلوب بعيد عن هذا الأسلوب ، بعيد عن الأساليب المعروفة عن الجاهليين ، أسلوب يجعله قريباً من شعر الفقهاء والصوفيين المتزمتين ، ونسآك النصارى ، فهو بعيد جداً من أسلوب الجاهليين ، حتى أسلوب مثل (عدي بن زيد) العبادي والأعشى وبقية من نسب الى النصرانية من شعراء الجاهلية القريبين من الاسلام^١ . يضاف الى ذلك ما ذكره الرواة وأهل الأخبار من نسبة بعض ذلك الشعر الى غيره من الشعراء .

وقد يقال إن أسلوب (أمية) في نظم الشعر الديني والحكمي ، هو أسلوب صحيح لا يمكن إلا ان يكون على هذا الحال ، هو أسلوب بعيد عن أسلوب الجاهليين في النظم ، لأن الشعر الجاهلي المعروف نظم في أغراض أخرى لا صلة لها بالحكم وبالدين ، وما جاء منه إلينا في الحكم وفي الدين هو على أسلوب آخر أيضاً ، بدليل ان بعض الشعراء منهم حين نظموا في الحكم ، رق شعرهم وبان عن نظمهم المألوف . وبدليل ان نظم (حسان بن ثابت) في الاسلام ، هو دون نظمه في الجاهلية من حيث الجزالة والفخامة في النظم ، وان شعر (ليد) في الاسلام ، هو دون ما نظمه في الجاهلية ، بسبب تغير الظروف واختلاف الموضوع . وهو اعتذار صحيح ، ولكن أسلوب أمية في تعبيره عن الجنة والنار والبعث والحساب ، أسلوب آخر ، لا يفصح عن عقلية دينية جاهلية ، وانما عن عقلية إسلامية . ومن هنا جاء شكنا في صحة هذا الشعر وفي أصالته ، وليس من أسلوب النظم .

ولكن من الذي وضع هذا الشعر ، ثم أنكره على نفسه وأسندته إلى أمية ؟ ومن الذي رصع شعر أمية بأبيات من وزنه وقافيته ، ولكنها أبيات إسلامية ؟ ومن كان أول من جمع شعر ذلك الشاعر في ديوان نسبه اليه ؟ هذه أسئلة يجب أن توجد لها أجوبة ، ولكن أجوبتها كتاب يؤلف في حياة هذا الشاعر وفي شعره وديوانه ، عندئذ يكون هناك مجال للتقريب عن هذه الأمور ، رُوي ان الحجاج قال ، وهو على المنبر : « ذهب قوم يعرفون شعر أمية »^٢ . فهل ذهب العالمون

Ency., IV, p. 998.

١
٢ الاغاني (١٢٣/٤) .

به حقاً قبل أيام الحجاج ؟ وهل كان شعره ضخماً واسعاً ؟ أو هو قول من أقوال الحجاج ، وهو ثقف من قوم أمية ، أو هو قول وزعم من زعم الرواة . وما أكثر مزاعم الرواة وحمة الأخبار .

وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج الى دليل ، وهو وضع يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن صنعة الوضع جيداً . فالقصيدة التي مطلعها :

لك الحمد والمن ربّ العبا د أنت المليك وأنت الحكم

هي قصيدة إسلامية ، لا يمكن أبداً أن تكون من نظم شاعر لم يؤمن بالإسلام إيماناً عميقاً من كل قلبه ولسانه . خذ هذا البيت منها مثلاً :

محمدأ أرسله بالهدى فعاش غنياً ولم يُهتضم

ثم خذ الأبيات التالية له وفيها :

عطاء من الله أعطيته	وخصّ به الله أهلَ الحرم
وقد علموا انه خيرهم	وفي بيتهم ذي الندى والكرم
يَعِيبُونَ ما قال لما دعا	وقد فرج الله احدى البُهِم
به وهو يدعو بصدق الحديد	ث الى الله من قبل زيغ القدم
أطيعوا الرسول عبادَ الإلّ	سه تنجون من شرّ يومِ ألم
تنجون من ظلمات العذاب	ومن حر نارٍ على من ظلم
دعانا النبيّ به خاتم	فمن لم يُجِبه أسر الندم
نبي هدى صادق طيب	رحيم رؤوف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله	ومن بعده من نبي ختم
يموت كما مات من قد مضى	يردّ الى الله باري النسم
مع الأنبياء في جنات الخلود	هم أهلها غير حلّ القسم
وقدس فينا بحب الصلاة	جميعاً وعلم خط القلم
كتاباً من الله نقرأ به	فمن يعتره فقدماً أتم

اقرأ هذه المنظومة ، ثم احكم على صاحبها ، هل تستطيع ان تقول انه كان

شاعراً مغاضباً للرسول ، وإنه مات كافراً ، وإن صاحبها رثى كضار قريش في معركة بدر وأنه قال ما قال في الإسلام وفي الرسول ؟ اللهم ، لا يمكن أن يقال ذلك أبداً فصاحب هذا النظم رجل مؤمن عميق الإيمان ، هو واعظ مبشر ، مخاطب قومه فيدعوهم الى الاسلام والى طاعة الله والرسول . إنه مؤمن قلباً ولساناً ، مع أنهم يذكرون أن الرسول قال فيه : آمن شعره وكفر قلبه ، أو آمن لسانه وكفر قلبه ، وإنه مات وهو على كفره وعناده وحسده للرسول ، ثم إن صاحب المنظومة رجل يتحدث عن وفاة الرسول ، مع أن أمية ، كان قد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ، فهل يعقل أن يكون إذن هو صاحبها وناظمها ؟

أليست هذه المنظومة وأمثالها إذن دليلاً على وجود أيدٍ لصناع الشعر ومنتجيه في شعر أمية . نحمد الله على أن صنّاعها لم يتقنوا صنعها ، ففضحوا أنفسهم بها ، ودلّوا على مقاتل النظم .

ثم خذ قصيدة أخرى من القصائد المنسوبة لأمية ، وهي في وصف الجنة والنار استهلّت بهذا البيت :

جهنم تلك لا تبقي بغيّاً وعدنٌ لا يطالها رجمٌ

ثم استمر في قراءتها ، وفي ما جاء فيها من وصف للجنة والنار ، ثم انعم النظر في هذه الآيات :

فذا غسل وذا لبن وخرٌ	وقح في منابته صريمٌ
وتخل ساقط الأكتاف عد	خلال أصوله رطب قيمٌ
وتفاح ورمّان وموز	وماء بارد عذب سليم
وفيه لحم ساهرة وبحر	وما فاهوا به لهمٌ مقيم
وحورٌ لا يرين الشمس فيها	على صور الدمى فيها سهوم
نواعم في الأرائك قاصرات	فهنّ عقائل وهنّ قروم
على سررٍ ترى متقابلات	ألا ، ثمّ النضارة والنعيم
عليهم سندس وجياد ريط	وديباج يرى فيها قنوم
وحلّوا من أساور من لّجين	ومن ذهب . وعسجده كريم
ولا لغوٌ ولا تأثيم فيها	ولا غولٌ ولا فيها ملّيم

وكأس لا تصدع شاريها يلدُ بحسن رؤيتها النديم
تصفق في صحافٍ من لجين ومن ذهب مباركة رذوم^١

ثم احكم بعد ذلك على صاحب هذه الآيات . لقد حاول ناظمها ادخال بعض الكلمات الجاهلية فيها ، لإلباسها ثوباً جاهلياً ، ولاظهارها بمظهر الشعر الجاهلي الأصيل ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، بل صيرها في الواقع نظماً لوصف الجنة والنار في الاسلام . وما بقي حاجة الى ان أحيلك على الآيات التي أخذ منها صاحب هذا الشعر وصفه من القرآن الكريم .

ومن الغريب ان بعض الأخباريين اتخذ هذا النظم وأمثاله حجة لتبيان عقائد الجاهليين ، فذكر مثلاً ان العرب في جاهليتها كانت تؤمن بالجزء ، وان منهم من نظر في الكتب وكان مقرراً بالجنة والنار . وحجته في ذلك هذه المنظومة المنسوبة الى أمية^٢ . وقد نسي ان ما قاله على سبيل التعميم او التغليب ، يناقض ما جاء في القرآن الكريم وما أورده الأخباريون عن الجاهليين .

ثم خذ قصيدته في عيسى بن مريم وحمل أمه به^٣ ، وسائر قصائده الأخرى ، تجد عليها هذه المسحة الاسلامية بارزة ظاهرة ، ولكن هذا لا يمنع مع ذلك من القول بوجود أبيات قد تكون من نظم أمية حقاً ، في هذا المنظوم الديني ، غير ان هذا الموجود ، هو على كل حال مما لا يتعارض مع عقائد الاسلام . ومن الممكن ادراكه بدراسة ألفاظه وأسلوبه وأفكاره، وبهذه الطريقة نتمكن من استخلاص الأصيل من شعره من الهجين .

ولأمية بن أبي الصلت أخت ، اسمها (فارعة)^٤ . قدمت على النبي بعد فتح الطائف . وكانت ذات لبّ وعفاف وجمال ، وكان يعجب بها . وقال لها يوماً : هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فأخبرته خبره وقصت قصته في شق جوفه

-
- ١ تجد اختلافا في كلمات هذه القصيدة وأبياتها ، وكذلك في قصائد هذا الشاعر الأخرى ، فارجع في ذلك الى طبقات ديوانه والى كتب الادب لمعرفة مواضع الاختلاف : كتاب البدء والتاريخ (٢٠٢/١ وما بعدها) ، ديوان أمية « طبعة بشير يموت » ، (ص ٥٣) ، ديوان أمية (ص ٥١ وما بعدها) ، « طبعة فريدريش شولثيس » .
 - ٢ كتاب البدء والتاريخ (٢٠٢/١) ، (طبعة كليمان هوار) ، « النص العربي » .
 - ٣ ديوان أمية (ص ٥٨) ، « طبعة بشير يموت » .
 - ٤ اللسان (٧٩٢/١) ، (وثب) .

واخراج قلبه وردّه مكانه وهو نائم وأنشدته شعره^١ ، على ما يزعمه أهل الأخبار. وذكر أهل الأخبار أسماء أربعة بنين لأمية ، هم : القاسم ، وهب ، وعمرو (عمر) ، وربيعة . فأما (القاسم) ، فكان شاعراً ، وله مرثية في عثمان بن عفان^٢ . وأسلم (وهب بن أمية) كذلك . وذكر أن رجلاً من ثقيف مات في عهد النبي عن غير ولد ، فاختصموا في ميراثه ، فأعطى النبي ميراثه لوهب^٣ . وأما (ربيعة) ، فأسلم كذلك ، وله شعر^٤ . وقد ذكر أهل الأخبار أن (حقة) بنت (وهب بن أمية بن أبي الصلت) ، تزوجت (عبدالله بن صفوان الأكبر) ، فولدت له صفوان بن عبدالله بن صفوان^٥ . وذكر أن (ربيعة) ، قد ولي بعض الوظائف في الإسلام . وأنه صاحب (ربيعتان) ، نهر بقرب الابلّة . وأن من ولده (كلدة بن ربيعة) ، وكان شريفاً شاعراً . وقد ذكر أن بغلاً قتل (ربيعة) على باب دار (عبدالله بن عباس)^٦ .

وكل ما يعرف عن سويد بن عامر المصطلقى أنه كان على دين الحنيفية وملة ابراهيم ، وأنه قال شعراً ، وصلت منه بضعة أبيات في (المنايا) وفي المقدر على الإنسان ، وإن المنايا محتومة لا مفرّ منها ، وأن الخير والشر مكتوبان على النواصي ، وليس لامرئ يدٌ فيما يصيبه من مقدور . فهي في هذه المشكلة المعضلة التي شغلت بال الإنسان ولا تزال تشغله مشكلة : (الجبر والاختيار) ، أو (القدر) ، المشكلة التي احتلت منزلة الصدارة في (علم الكلام) . والتي صارت من أهم موضوعات الجدل في الاسلام . ويقال انها أنشئت للرسول ، فلما سمعها ، قال : « لو أدركته لأسلم »^٧ .

وأما ورقة بن نوفل ، فهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، يلتحم نسبه بنسب الرسول في جد جده . ذكروا انه ساح على شاكلة من شك في

-
- ١ الاصابة (٣٦٣/٤) ، (رقم ٨٢٤) .
 - ٢ الاصابة (٢١٣/٣) ، (رقم ٧٠٥٢) .
 - ٣ الاصابة (٦٠٤/٣) ، (رقم ٩١٥٧) .
 - ٤ الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) .
 - ٥ الاصابة (٦٠٤/٣) ، (رقم ٩١٥٧) .
 - ٦ كتاب البغال ، للجاحظ (٢٥٨/٢) ، (من رسائل الجاحظ) ، الاغانى (١٧٩/٣) ، الاشتقاق (٣٠٤ وما بعدها) ، (١٢٠/٤) ، الشعر والشعراء (٣٦٩/١) ، الاصابة (١٩٧/٢) أنساب العرب (٢٦٩) .
 - ٧ بلوغ الارب (٢٥٩/٢) .

دين قومه ، وتتبع اليهود والنصارى ، وقرأ الكتب ، وعدّ في جملة المنتصرين في أغلب الروايات ، فقد ذكر انه « تنصر واستحكم في النصرانية ، وقرأ الكتب ومات عليها »^١ . وهذا هو رأي أكثر اهل الأخبار .

ونسب اليه شعر ذكر انه قاله في رثاء زيد بن عمرو بن نفيل ، وفيه إشارة الى النار والى الثواب والعقاب بعد الموت والى فكرة التوحيد والايان برب ليس رب كمثلته والى التنديد بالأوثان^٢ .

وله أبيات من الشعر يحث فيها على مساعدة الضعيف ونصر المظلوم ، وعلى فعل الخير للناس^٣ .

ولا نعلم عن حياة ورقة في ايام شبابه شيئاً ، ولعله كان يعين اهله او اقربائه في اتجارهم مع بلاد الشام او اليمن شأن أكثر شبان أسر مكة المعروفة في ذلك الوقت . فتعلم بذلك سلوك الطرق الموصلة الى العراق او بلاد الشام ، ومن هنا اندفع نحو خارج الجزيرة يلتبس الحكمة والوصول الى رأي يقنعه في الحياة . ويظهر انه لم يكن في شبابه من اولئك الشباب الحاملين الذين كانوا يصرفون وقتهم في فراغ دائم ، دون عمل ولا تفكير ، متوسدين الأرض يقتلون فراغهم في ترهات الكلام ، كما انه لم يكن من اولئك الطائشين التزقين الذين يقضون وقتهم في النزاع والخصومة وشرب الخمر والاعتداء على الناس ، والحصول على المسال للانفاق على اللهو بأية طريقة كانت ، بل كان شاباً متأملاً مفكراً منكشاً على نفسه ، مكنه علمه بالكتابة والقراءة من قراءة الكتب والاطلاع على آراء الماضين والحاضرين ، حتى جاء يوم ، دفعه اجتهاده الذي وصل اليه على الخروج على تقاليد قومه وانتقاد الأوضاع التي كانوا عليها ، مما حمله على ترك مكة طوعاً او قهراً ، والتجول للبحث او فراراً من غضب قومه عليه .

وهو ابن عم خديجة الكبرى زوج الرسول . وقد أشير اليه في خبر « مجيء جبريل الى النبي في حراء » ، وله كلام مع الرسول على ما ورد في بعض الروايات.

-
- ١ البيهقي (٢٩٨/١) « ٢٢/٢ » « ليدن » ، البداية ، لابن كثير (٢٣٨/٢) .
 - ٢ المحبر (١٧١) ، ابن هشام (٢٤٣/١ ، ٢٥٦) ، الاغانى (١١٣/٣ وما بعدها) ، شيخو ، النصرانية (١١٨/١) ، خزنة الادب (٣٩/٢ وما بعدها) ، مروج (٧٣/١) ، الذهبى ، تاريخ الاسلام (٦٨/١) .
 - ٣ خزنة الادب (٣٩/٢ وما بعدها) .

يقال إنه قال للرسول وكان قد ذهب اليه مع زوجته خديجة ليسأله رأييه فيما رآه من الرؤيا : « ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ! » وان الرسول قال له : أخرجني هم ؟ قال : نعم ، إنه لم يجيء رجل قط بما جئت به إلا عودي ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً^١ . وأشير اليه في خبر آخر ، حيث ورد أن (خديجة) ذهبت وحدها الى ابن عمها لتسأله عن الرؤيا التي رآها الرسول وعن هذا (الناموس الأكبر) الذي تجلى له . فلما قصت عليه القصة قال : «لئن كنت صادقاً ، إن زوجك لنبي ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنن به^٢ .

وذكر في خبر آخر أن الرسول قد رأى (ورقة) في منامه ، وكان لابساً ثياباً بيضاً . وان الرسول ذكر ذلك لمن سأله عنه ، وبين لهم أنه لو كان من أهل النار لما ظهر له في منامه وهو بهذه الملابس . لأن أهل النار لا يلبسون ثياباً بيضاً^٣ . ويروي أن الرسول قال : « لا تسبوا ورقة بن نوفل ، فإنني رأيته في ثياب بيض^٤ . قيل إن شخصاً تساب مع أخ لورقة بن نوفل ، فسب ورقة ليحرق قلب أخيه ، فبلغ ذلك الرسول ، فنهى عن سبته^٥ .

وجاء في خبر ان (ورقة) كان يمر بمكة فيرى بلالاً وهو يعذب ، يعذبه المشركون برمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء ، ويضربونه يريدون منه ان يشرك بالله ، فلا يشرك به . ويأبى إلا ان يقول : أحد أحد، فبرثي ورقة لحاله ويقول : أحد أحد والله يا بلال . والله لئن قتلتموه فأنتم من الخاسرين^٦ . او « والله لئن قتلتموه ، لاتخذن قبره حناناً^٧ .

- ١ الطبري (٢٩٩/٢) « دار المعارف » ، ابن هشام (٢٥٤/١) وما بعدها ، المسعودي مروج (٥٩/٢) ، (٧٣/١) « محمد محيي الدين عبد الحميد » « ١٩٥٨ م » ، الكامل ، لابن الاثير (٣١/٢) ، الذهبي ، تاريخ الاسلام (٧٥/١) ، القسطلاني ، شرح صحيح (٦٦/١) ، الاصابة (٦٣٣/٣) .
- ٢ الطبري (٣٠٠/٢) « دار المعارف » ، ابن سعد ، الطبقات (١٩٤/١) « بيروت ١٩٥٧ م » ، شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني (٦٦/١) وما بعدها .
- ٣ الاغانى (١١٣/٣) وما بعدها « بيروت ١٩٥٥ م » .
- ٤ كتاب نسب قريش (ص ٢٠٧) ، الترمذي (٢٥١/٣) ، الاصابة (٣١٨/٦) وما بعدها ، مجمع الزوائد (٤١٦/٩) .
- ٥ الاصابة (٦٣٣/٣) .
- ٦ الاغانى (١١٣/٣) وما بعدها .
- ٧ النهاية ، لابن الاثير (٢٢٦/١) ، الاصابة (٣١٨/٦) ، كتاب نسب قريش (٢٠٨) .

ويظهر من الأخبار المتقدمة ان (ورقة بن نوفل) ، كان قد أدرك ايام الرسول وعاش الى يوم نزول الوحي عليه . بل يظهر من خبر رؤيته لبلال وهو في حالة تعذيبه ، انه عاش مدة بعد نزول الوحي . غير ان الأخبار المذكورة لا تنص على اسلامه ، ولم نجد أحداً قد نص على ذلك . أما خبر رؤيا الرسول له في منامه ، فانه يدل على عدم اسلامه ، وعلى انه كان قد توفي قبل نزول الوحي على الرسول . وهو الرأي الراجح . وهذا ما حمل أحد المؤرخين على القول : وقد اختلف فيه ، فمنهم من زعم انه مات نصرانياً ولم يدرك ظهور النبي . ومنهم من رأى انه مات مسلماً وانه مدح النبي^١ . وقد ورد في بعض الأخبار ان الرسول قال لما توفي ورقة : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني »^٢ . وورد مثل ذلك من أحاديث زعم ان الرسول قالها في حق ورقة ، وهي كلها تشير الى وفاة ورقة قبل المبعث ، وعلى دينه ، إذ لم يدرك الاسلام .

وورد في بعض الروايات أنه « كان يكتب الكتاب العربي ، فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء أن يكتب »^٣ . وورد في رواية أخرى أنه « كان يكتب الكتاب العبراني ، فكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »^٤ . والخبران هما خبر واحد ، كما يظهر من وحدة النص ، غير ان اسم اللغة التي زعم أنه كان يكتب بها قد حُرّف ، فقرأه بعضهم العربي ، وقرأه بعض آخر العبراني . ولما كان الانجيل باليونانية وبلغة بني إرم ، فقد أخطأ الرواة بجعل لغة الانجيل هي العبرانية ، وهم يتوهمون كثيراً فيخلطون بين العبرانية والسريانية . والغالب أنهم كانوا يريدون بالعبرانية لغة بني إرم التي كانت لغة العلم والأدب والدين في العراق وفي بلاد الشام ، بل وبين مثقفي اليهود ورجال دينهم في ذلك الوقت .

وذكر أهل الأخبار أنه لم يعقب^٥ . ولم يذكروا سبب ذلك ، هل كان قد

-
- ١ المسعودي ، مروج (٥٩/٢) .
 - ٢ القسطلاني ، شرح صحيح (٦٥/١) ، الذهبي ، تأريخ الاسلام (٦٨/١) ، الذهبي ، سير النبلاء (٨٠) ، خزائن الادب (٤١/٢) .
 - ٣ النصرانية (١١٩/١) .
 - ٤ الاغانى (١١٣/٣) ، الاشتقاق (١٦٤) .
 - ٥ كتاب نسب قريش (ص ٢٠٧) .

تزوج ، ولكنه كان عقيماً ، فلم يعقب ؟ أو أنه عاش أعزب ولم يتزوج طول حياته ؟

وكان (أبو قيس صرمة بن أبي أنس) (صرمة بن أنس) وهو من بني النجار ، قد ترهب ولبس المسوح ، وهجر الأوثان ، ودخل بيتاً واتخذ مسجداً لا تدخله طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب ابراهيم ، فلما قدم النبي المدينة أسلم وهو شيخ كبير ، وحسن إسلامه . وفيه نزلت الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »^١. ورووا له شعراً^٢. وزعم أنه اغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ، ثم أمسك عنها . وذكر أن (ابن عباس) كان يختلف إليه يأخذ عنه الشعر^٣ .

وأما (وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي) ، فهو من إياد ، زعم (ابن الكلبي) انه ولي البيت بعد جرهم ، فبنى صرحاً بأسفل مكة ، وجعل فيه أمة يقال لها (حزورة) ، وبها سميت (حزورة مكة) ، وجعل في الصرح سلماً ، فكان يرقاه ويزعم انه يناجي الله . وكان ينطق بكثير من الخبر ، ويزعم الناس انه صديق من الصديقين ، وقالوا كان كاهناً^٤ . وذكروا له كلمات مسجعة ، ليس فيها ما يشرح لنا معتقده الديني ويوضحه وضوحاً تاماً^٥ .

والصرح كما يقول علماء اللغة ، بيت يبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء

- ١ البقرة ، الآية ١٨٧ ، مروج ، (٥٢/١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٩٧/٢) « بلاق » .
- ٢ بلوغ العرب (٢٦٦/٢) .
- ٣ بلوغ العرب (٢٦٦/٢) ، أسد الغابة (١٨/٣) ، الاصابة (١٧٦/٢) ، (رقم ٤٠٦١) ، الاستيعاب (١٩٤/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ المحبر (١٣٦) ، بلوغ العرب (٢٦٠/٢) .
- ٥ (وقال الإيادي صاحب الصرح ، الذي اتخذ سلماً لمناجاة الرب ، وهو القائل : مرصعة وفاطمة ، القطيعة والفجيرة ، وصلة الرحم وحسن الكلم ، زعم ربكم ليحزبن بالخير ثواباً ، وبالشر عقاباً . وان من في الارض عبيد لمن في السماء* هلكت جرهم وربلت اياد ، وكذلك الصلاح والفساد* من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه* كل شاة معلقة برجلها* واياهم عنى الشاعر بقوله :
ونحن اياد عبيد الاله ورهط مناجيه في السلم
ونحن ولاية حجاب العتيق زمان الرعاف على جرهم
البيان والنبين (١٠٩/٢) ، الامال ، للميداني (٨١/٢) .

وكل بناء عالٍ مرتفع^١ . والحزورة الراية الصغيرة والتل الصغير^٢ . ويظهر انه كان بنى صرحه فوق تل في محل منفرد ، ليختلي هناك على طريقة الرهبان والنسك .

وكل ما عرفه أهل الأخبار عن (عمير بن جندب) الجهني ، انه كان من جهينة ، وانه كان موحداً لم يشرك بربه أحداً ، وانه مات قبيل الاسلام^٣ .

وكان عامر بن الظرب العدواني من الحكماء ، نسبت اليه أقوال في الحكم والدين . منها : « إني ما رأيت شيئاً خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، ولا جائياً إلا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ، لأحياهم الدواء » . ثم قال : « إني أرى أموراً شتى وحتى . قيل له : وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حياً ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السماوات والأرض ، فتولوا عنه ذاهبين »^٤ .

وقد نسبوا اليه جملة أحكام ، منها حكمه في (الخنثى) ، وقد ذكروا أن حكمه هذا قد أقرّه الاسلام . وقالوا إن العرب كانت إذا أشكل عليها أمر في قضاء ، أو حارت في أمر معضل ترى وجوب الحكم فيه برأي صائب وعقل وتدبير ، ذهبت اليه ، فإذا حكم كان حكمه الحكم الفصل ، فلا راداً له^٥ .

ونسبت الى كل من عبد الطابحة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة وعلاف بن شهاب التميمي أبيات ، فيها اقرار بوجود إله واحد خالق لهذا الكون ، وبوجود الحساب والثواب والعقاب^٦ .

وأما (المتلمس بن أمية) الكنانى ، فذكروا انه كان قد اتخذ من فناء الكعبة موضعاً يخطب فيه ، ويعظ قومه عظات دينية ، فكان في جملة ما قاله لهم :

-
- ١ تاج العروس (١٧٨/٢) وما بعدها) ، (صرح) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٨/٣) ، (حزر) .
 - ٣ بلوغ الارب (٢٦١/٢) وما بعدها) .
 - ٤ المحبر (١٣٥ ، ١٨١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩) ، بلوغ الارب (٢٧٥/٢) وما بعدها) .
 - ٥ الروض الانف (٨٦/١) ، ابن هشام (١٣٤/١) ، (محمد مجيب الدين عبد الحميد) ، المعمر (٤٤ وما بعدها) ، عيون الاخبار (٢٦٦/١) ، البيان والتبيين (٢٦٤/١ ، ٣٦٥ ، ٤٠١) ، (٧٢/٢) ، (١٩٩) ، (٣٨/٣) ، (٢٩٩ ، ٣٦٩) .
 - ٦ الاغانى (١١٣/٣) ، (طبعة بيروت) ، مروج (٦٠/٢) .

« انكم قد تفردتم بالهة شتى ، واني لأعلم ما الله راض به . وإن الله تعالى رب هذه الآلهة ، وانه ليحب ان يعبد وحده » . فنفرت كلماته هذه وأمثالها القوم منه وتجنبته ، وقالوا عنه انه على دين بني تميم^١ .

وفي أبيات منسوبة الى زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف بإقرار بوجود إله عالم بكل ما في النفوس ، هو (الله) ، لا تخفى عليه خافية ، فلا يجوز كتمان شيء عنه ، وبوجود يوم حساب يحاسب فيه الناس على ما قاموا به من أعمال ، وقد ينتقم الله من الظالم في الدنيا قبل الآخرة ، فلا مخلص له^٢ .

ونسب الايمان بالله واليوم الآخر الى أشخاص آخرين ، منهم : عبدالله القضاعي والشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي ، وكعب بن لؤي بن غالب ، والأول منهم هو ابن تغلب بن وبرة بن قضاة ، كان من الحكماء الخطباء ، يتبع الحنيفة ، وينهج على نهجها مثل الحنفاء^٣ .

وأما الثاني ، وهو عبيد بن الأبرص ، فشاعر جاهلي شهير، له في قتله قصة، هي من ذبول قصة (الغريين) للمندر بن ماء السماء . نجد في الشعر المنسوب اليه اسم (الله) يتردد في كثير من المواضع ، ونراه من المتشائمين المؤمنين بالمايا وبالمحتم المكتوب ، ونراه في القصيدة البائية يتوكل على الله ، ويدعو الناس الى الاعتماد عليه فيقول :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب^٤

١ بلوغ الارب (٢٧٧/٢) .

٢ فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم
يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، للامام تغلب (ص ١٢) ، (طبعة دار الكتب
المصرية) ، شعراء النصرانية ، (القسم الرابع ص ٥١٨) ، بلوغ الارب (٢٧٧/٢)
وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٢٨٠/٢) .

٤ البيان والتبيين (٢٢٦/١) ، شعراء النصرانية (القسم الرابع ص ٦٠٧ وما
بعدها) ، أسماء المغتالين (٢١١) ، (نوادر المخطوطات) .

ونراه يقول في المنايا :

فأبلسخ بني^١ وأعمامهم بأن المنايا هي الواردة
لها مدة فنفس العباد إليها وإن كرهت قاصده
فلا تجزعوا الحام دنا فللموت ما تلد الوالده^٢

وفي كثير من مواضع شعره يذكر المنايا ويتذكر الموت ، ثم هو يتجلد ويتصبر
في ملاقاته الشدائد والأهوال ، وينصح الناس بالسير على هذا المنوال . والذي
يقرأ شعره ، يشعر أنه أمام رجل حضري رقيق عاطفي المزاج ، ذي نفس ميالة
الى التقشف والتصوّف ، مؤمن بالعدل ، كاره للظلم ، فهل كان عبيد على هذه
الشاكلة ؟ وهل هذا الشعر وخاصة ما جاء منه في البائية هو نظم من منظومه ؟
أو هو من نظم من عاش بعده في الاسلام ؟

وأما (كعب بن لؤي بن غالب) . فهو من أجداد النبي . وقد كان على
الحنيفية ، واليه كانت تجتمع قريش في كل جمعة ، فكان يعظهم ويوجههم ويرشدهم
يأمرهم بالطاعة والتفكر في خالق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتقلب
الأحوال والاعتبار بما جرى على الأولين والآخرين ، ويحثهم على صلة الأرحام
وإفشاء السلام وحفظ العهد ومراعاة حق القرية والتصدق على الفقراء والأيتام^٣ .

هذه خلاصة موجزة لسير من حشرهم أهل الأخبار في زمرة الخنفاء ، تريك
آراء الجماعة تكاد تكون واحدة : كفر بالأصنام وبالشرك كله ، وإعراض عن
عادات قومهم ، وثورة على عقائدهم ، وترقب لحدوث تطور وإصلاح يقضي
على الجهالة ، وقد مهدوا له بدعوتهم تلك التي أشاعوها بين بني قومهم فجلبت
عليهم السخط والغضب الشديد ، مما حمل أكثرهم ، وهم في الغالب من مكّة
وأطرافها ، على الفرار من بلدتهم الى أطرافها المنعزلة الآمنة وغيرها من الأماكن
الخالية ، ليكونوا في أمان من ايذاء قومهم لهم ، وفي وسط يفكرون فيه في
خلق السماوات والأرض تفكيراً هادئاً ، فلا يزعجهم مزعج ، ولا ينغص حياتهم
هناك منغص .

١ شعراء النصرانية (القسم الرابع ص ٦٠٤ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، الطبقات (الجزء الاول ، القسم الاول ص ٣٩) ، بلوغ العرب (٢ / ٢٨٢) .

لقد جعل أهل الأخبار معظم من تحدثنا عنهم إن لم تقل كلهم من القارئ الكاثين ، ونسبوا الى بعضهم قراءة الكتب والصحف والزبور ومجلة لقمان . يريدون بذلك الكتب المقدسة . ويفهم من كلامهم في بعض الأحيان ان منهم من كان يحسن فهم العبرانية أو لغة بني إرم . ولكن الأخباريين عفا الله عنهم لم يتبسطوا لنا في الحديث عن ماهية تلك الصحف وعن محتويات مجلة لقمان وعن الكتب المنزلة ، ولم يأتوا بنماذج مفصلة طويلة أو قطع ترشد إلى المظان التي نقلت منها . فأضاعوا علينا ، باهمالهم الإشارة الى هذه الأمور ، أشياء كثيرة مهمة ، بنا حاجة ماسة إلى معرفتها ، للوقوف على الحالة الدينية في جزيرة العرب قبيل الاسلام وابان ظهوره .

ويؤكد أهل الأخبار ان بعض أولئك الحنفاء كانوا يسرون على سنة ابراهيم وشريعته ، وان بعضاً آخر منهم كان يلتبس كلماته ويسأل عنها ، وانهم في سبيل ذلك تحسّلوا المشاق والأسفار والصعاب . وقد جعلوا وجهة أكثرهم أعالي الحجاز وبلاد الشام وأعالي العراق . أي المواضع التي كانت غالبية أهلها على النصرانية يومئذ ، وجعلوا أكثر كلامهم وسؤالهم مع الرهبان . وقد أضافوا اليهم الأخبار أحياناً ، وذكروا ان الرهبان والأخبار أشاروا عليهم بوجوب البحث والتأمل ، فليس عندهم ما يأملونه ويرجونه من دين ابراهيم واسماعيل ، ولذلك لم يدخلوا في يهودية ولا نصرانية ، بل ظلوا ينتظرون الوعد الحق ، ومنهم من مات وهو على هذه العقيدة . مات معتقداً بدين ابراهيم حنيفاً ، غير مشركٍ بربه أحداً .

أما كيف كانت شريعة ابراهيم ، وعلى أي نهج سار الحنفاء ، وهل كان لهم كتاب أو كتب أو نحو ذلك ؟ فأسئلة لم يجب عنها أهل الأخبار إجابة صريحة واضحة . لذلك صرنا في جهل بأمر تلك الشريعة : شريعة ابراهيم ، شريعة التوحيد الحق .

ويذكر أهل الأخبار أنه كان لأتباع ابراهيم من العرب علامات وعادات ميزوا أنفسهم بها عن غيرهم ، منها : الختان ، وحلق العانة ، وقص الشارب . وهي علامات جعلها بعض المفسرين من (كلمات ابراهيم) التي ذكرت في القرآن الكريم ، في الآية : « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن »^١ . ذهب القائلون

١ البقرة ، الآية ١٢٤ .

هذا الرأي الى أن تلك الكلمات هي عشر : « خمس في الرأس ، وخمس في الجسد . فأما التي في الرأس ، فالمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب وفرق الرأس والسواك . وأما التي في الجسد ، فالاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان »^١ .

ومن سنن شريعة ابراهيم الاختتان . وهو من العادات القديمة الشائعة بين العرب الجاهليين الوثنيين . أما العرب النصارى ، فلم يكونوا يختنون . فالحنفاء في هذه العادة والوثنيون سواء . وفي أخبار معركة (حنين) أن الأنصار حينما أجهزوا على قتلى ثقيف ممن سقط في هذه المعركة مع هوازن وجدوا عبداً ، عندما كشف ليستلب ما عليه وجد أغرل . فلما تبين ذلك للأنصار ، نادى أحدهم بأعلى صوته : يعلم الله أن ثقيفاً غُرِلَ ما تختن . فقام اليه المغيرة بن شعبة ، وهو من ثقيف ، فأخذ بيده ، وخشي أن يذهب ذلك عن قومه في العرب ، فقال له : لا تقل ذلك فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلام لنا نصراني ، ثم جعل يكشف له قتلى قومه ويقول له : ألا تراهم مختنين^٢ ؟

ويتبين من هذا الخبر أن العرب كانوا يعدون الغرل شيئاً معيباً ، ومنقصة تكون حديث الناس . وهناك خبر آخر يفيد أن العرب جميعاً كانوا يختنون ، وأن الاختتان كان من السمات التي تميزهم عن غيرهم ، وأنهم في ذلك كاليهود^٣ . وقد ورد في الموارد اليهودية ما يفيد اختتان العرب . ولعل التوراة التي ذكرت قصة اختتان اسماعيل ، أخذت خبرها هذا من تقاليد العرب الشماليين التي كانت شائعة بينهم في ذلك العهد^٤ .

الاعتكاف :

وقد نسب الاعتكاف في الكهوف وفي البراري وفي الجبال الى عدد من هؤلاء الحنفاء . فقد ذكر أهل الأخبار أنهم كانوا قد اعتكفوا في المواضع الخالية البعيدة

١ تفسير الطبري (٤١٤/١ وما بعدها) ، روح المعاني (٣٧٤/١) ، بلوغ الارب

(٢٨٧/٢) ، المحبر (٣٢٩) .

٢ الطبري (١٣٠/٣) ، « ذكر الخبر عن غزوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هوازن بحنين » .

٣ الاغانى (٩١/٦) ، « ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه » .

٤ Reste, S. 175.

عن الناس ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فلا يخرجون منها إلا لحاجة شديدة وضرورة ماسة^١ . يتحنثون فيها ويتأملون في الكون ، يلتمسون الصديق والحق . والتحنث التعبد . فكانوا يتعبدون في تلك المواضع الهادئة الساكنة ، مثل غار (حراء) . وقد ذكر أن الرسول كان يتحنث فيه الليالي ، يقضيها في ذلك الغار^٢ . ويعبر عن التعبد ليلاً بـ (التهجد) أيضاً . وذكر أن التهجد الصلاة ليلاً . وقد كان الرسول يتهجد^٣ . والتهجد التيقظ والسهر بعد نومة من الليل . والهجد النوم عند العرب . ويظهر أن تفسير التهجد بالتعبد ليلاً ، إنما ورد من تفسيرهم لما ورد في القرآن الكريم : « ومن الليل فتهجد به نافلة ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »^٤ . فخص العلماء التهجد بالتعبد ليلاً .

ويعبر عن التعبد بالنسك ، والنسك : العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الآلهة . والنسك : المتعبدون . وقد كان الحنفاء من النساك أي المتعبدين . وعدوا الذبائح من النسك . وجعلوا النسكة : الذبيحة^٥ . والذبائح ، أي النساك ، هي من أهم مظاهر التعبد والزهد عند الجاهليين .

ومن نسب إلى النسك والرهبة من الجاهليين (أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ابن مالك بن النعمان) ، أحد (بني ضبيعة بن زيد) . وكان في الجاهلية يسمى (الراهب) ، لأنه كان مترهباً ، وقد كان من المقدمين بيثرب ، إذ كان رأس الأوس فيها ، فلما جاء رسول الله إلى المدينة ، خاصمه ، ثم خرج إلى مكة مباعداً له ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، واشترك مع قريش يوم أحد^٦ .

-
- ١ تاج العروس (٢٠٣/٦) ، (عكف) .
 - ٢ تاج العروس (٦١٦/١) ، (حنث) .
 - ٣ تاج العروس (٥٤٣/٢) ، (هجد) .
 - ٤ الاسراء ، الآية ٧٩ ، تفسير الطبري (٩٥/١٥) ، روح المعاني (١٢٧/١٥) .
 - ٥ اللسان (٤٩٨/١٠) وما بعدها ، (نسك) .
 - ٦ نهاية الارب (٨٩/١٧) ، (ذكر غزوة أحد) ، امتاع الاسماع (١١٥/١) ، « غزوة أحد » .

الفصل السادس والسبعون

اليهودية بين العرب

والحديث عن اليهودية بين العرب ، وعن وجود يهود في أنحاء من جزيرتهم ، لا يمكن ان يكون حديثاً تاريخياً مبنياً على العلم اذا ارتفعنا به الى الميلاد والى ما قبل الميلاد . ولا يعني كلامي هذا عدم وصول يهود الى جزيرة العرب ، وعدم إقامتهم في أماكن منها . فهذا كلام لا يمكن أن يقال ، ولا يمكن قبوله . انما أريد ان أقول اننا لا نملك نصوصاً تاريخية نخولنا ان نتحدث عن اليهود في جزيرة العرب قبل الميلاد حديثاً علمياً ، بأن نعين المواضع التي نزلوا فيها ، والأماكن التي وصلوا اليها ، وما فعلوه هناك ، وفي أي عهد كان ذلك ، ومن قادهم الى تلك الأنحاء ، ومن استقبلهم استقبالاً حسناً ، أو استقبلهم استقبالاً سيئاً من الجاهليين ؟

وقد عرف اليهود عند الجاهليين ، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي . ولا بد من وقوف الجاهليين على أحوالهم ، لأنهم كانوا كما سنرى يسكنون في مواضع عديدة معروفة تقع ما بين فلسطين ويثرب ، كما سكنوا في اليمن وفي اليمامة وفي العروض . وكان تجار منهم يقيمون في مكة وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب للتجارة واقتراض المال بربا فاحش للمحتاجين اليه .

ومعارفنا عن يهود جزيرة العرب مستمدة من الموارد الإسلامية . والسبب في ورود خبرهم في هذه الموارد ، هو اصطدامهم بالإسلام ، ومقاومتهم له حينما دعاهم الرسول الى الدخول فيه ، فنزل فيهم الوحي ، وأشير اليهم في الحديث ،

وذكروا في كتب التفسير والسير والتواريخ والأدب . ومن هنا تجمعت معارفنا عن يهود الجاهلية . ولهذا تجد الحديث عن يهود الجاهلية لا يرتقي كثيراً عن عصر النبوة ، ولا يتعد عنه ولكني لا استبعد احتمال تغير الحال ، إذا ما عثر المنقبون في المستقبل على كتابات جاهلية قد تكون مطمورة في الوقت الحاضر في باطن التربة ، يكون لها صلة بيهود جزيرة العرب ، أو إذا ما عثر على مؤلفات ووثائق مكتوبة عبرانية أو غير عبرانية قد تكون مجهولة عن ذوي العلم في الوقت الحاضر ، تكون لها صلة وعلاقة بأمر يهود جزيرة العرب قبل الإسلام .

وقد وردت لفظة (يهود) معرفة في القرآن الكريم . أي على هذا الشكل : (اليهود) . وردت في مواضع من سورة البقرة ^١ ومن سورة المائدة ^٢ ومن سورة التوبة ^٣ . وكلها سور مدنية . ولم ترد في سورة من السور المكية . كما وردت لفظة (يهودياً) في سورة آل عمران ، وردت في شرح ديانسة (ابراهيم) : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً » ^٤ . وهي من السور المدنية كذلك .

وعبر القرآن الكريم عن اليهود وعن معتنقي اليهودية بـ « الذين هادوا » ^٥ ، وبـ « من كان هوداً » ^٦ و « كونوا هوداً » ^٧ و « كانوا هوداً » ^٨ . وسورتي الأنعام والنحل من السور المكية . وبناء على ذلك تكون جملة « الذين هادوا » قد نزلت قبل نزول لفظة (اليهود) في القرآن الكريم .

وقد عبر عن العبرانيين عامة بـ (بني اسرائيل) في القرآن الكريم . عبر عنهم في سور مكية وفي سور مدنية . ويلاحظ ان ورود هذا التعبير في القرآن الكريم ، هو أكثر بكثير من ورود لفظة (اليهود) فيه .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | البقرة ، الآية ١١٣ ، ١٢٠ . |
| ٢ | المائدة ، الآية ١٨ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٨٢ . |
| ٣ | التوبة ، الآية ٣٠ . |
| ٤ | آل عمران ، الآية ٦٧ . |
| ٥ | البقرة ، الآية ٦٢ ، النساء ، الآية ٤٦ ، ١٦٠ ، المائدة ، الآية ٤١ ، ٤٤ ، ٦٩ ، الأنعام ، الآية ١٤٦ ، النحل ، الآية ١٨٨ ، الحج ، الآية ١٧ ، الجمعة ، الآية ٩ . |
| ٦ | البقرة ، الآية ١١١ . |
| ٧ | البقرة ، الآية ١٣٥ . |
| ٨ | البقرة ، الآية ١٤٠ . |

ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً للحجاز ، كان من الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز ، واتصال سكان الحجاز بفلسطين ، وذهاب جاليات يهودية الى العربية الغربية، للتجارة وللإقامة هناك ، خاصة بعد فتوح الدول الكبرى لفلسطين واستيلائها عليها ، وهجرة اليهود الى الخارج . فكانت العربية الغربية لاتصالها بفلسطين من الأماكن الملائمة المناسبة لهجرة اليهود اليها ، واقامتهم فيها ، ولا سيما عند مواضع المياه وفي الأرضين الخصبة العامرة . غير اننا لا نستطيع ، كما قلت ، التحدث عن هجرة اليهود هذه الى هذه الأنحاء حديثاً علمياً معززاً بالكتابات وبالتواريخ . ولم يترك يهود جزيرة العرب لهم أثراً مكتوباً يتحدث عن ماضيهم فيها. وكل ما عثر عليه منهم ، نصوص معدودة ، وجدت في اليمن ، لا تفصح بشيء ذي بال عن اليهود واليهودية . كذلك لم يصل إلينا ان أحداً من المؤلفين والكتبة العبرانيين ذكر شيئاً عن يهود الجاهلية . وليس لنا من تأريخ اليهود في جزيرة العرب إلا ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث وكتب التفسير والأخبار والسير . فنادتنا عن تأريخ اليهودية في العربية ، لا ترتقي إلى عهد بعيد عن الاسلام .

لقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين الى أن اليهود كانوا في جملة من كان في جيش (نبونيد) يوم جاء الى تيماء . فأقاموا بها وبمواضع أخرى من الحجاز بلغت (يثرب) . وأن هؤلاء اليهود أقاموا منذ ذلك الحين في تلك الأماكن واستوطنوا وادي القرى وأماكن أخرى الى مجيء الإسلام . غير أن (نبونيد) لم يشر في أخباره المدونة الى وجود اليهود في جيشه وإلى أسكانه لهم في هذه الأرضين كما أننا لم نعثر على كتابات تتحدث عن هذا العهد أو عن العهد الذي سبقه أو الذي جاء من بعده ، لذلك فإننا لا نستطيع أن نعزز هذا الكلام بنصوص وكتابات . وان كنا لا نريد نفي احتمال مجيء اليهود الى هذه الديار في عهد (نبونيد) ، أو في عهد (بنحصر) ، أو قبل العهدين .

نعم ، لقد عثر على عدد من الكتابات النبطية في الحجر وفي مواضع أخرى من أرض النبط وردت فيها أسماء عبرانية تشير الى أن أصحابها من يهود ، ويعود بعضها الى القرن الأول للميلاد ، ويعود بعض آخر الى ما بعد ذلك مثل الكتابة التي يعود عهدها الى سنة ٣٠٧ ميلادية ، وصاحبها رجل اسمه (يحيى بر شمعون) أي (يحيى بن شمعون)^١ . غير أن هذه الكتابات شخصية ، ولا تفصح بشيء

Islamic culture, vol., III, No. 2, April 1929, Judaea — Arabic Relations in Pre-Islamic Times, by Josef Horovitz, p. 170.

ذي بال عن عقيدة أصحابها ، ولا عن تأريخهم في هذين الأرضين .

وقد ذهب اليهود الى العربية الشرقية ، ذهبوا اليها من العراق ، فسكنوا في مواضع من سواحل الخليج ، وتاجروا مع أهل هذه البلاد ومع باطن الجزيرة . وقد ساعدتهم بعض الحكومات على الذهاب اليها . وقد كانت ليهود العراق تجارات مع أهل الخليج ، كما يفهم ذلك من مواضع من التلمود .

ويتبين من روايات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) Iosephos Flavius ان اليهودية كانت قد وجدت لها سبيلاً بين العرب . وان بعض ملوك مملكة (حدياب) Adiabene كانوا قد دخلوا فيها ^١ . ويذكر المؤرخ (سوزومين) Souzomenos ان اليهود كانوا ينظرون الى العرب الساكنين شرق الحد العربي Limes Arabicus على انهم من نسل اسماعيل ، وانهم كانوا يرون انهم من نسل اسماعيل وابراهيم ، فهم من ذوي رحهم ، ولهم بهم صلة قرى . وكانوا يرجون لذلك دخولهم في دينهم ، واعتناقهم دين ابراهيم جد اليهود والعرب . وقد عملوا على تهويد أولئك العرب ^٢ .

ويظهر من مواضع من التلمود ان نفراً من العرب دخلوا في اليهودية ، وانهم جاءوا الى الأحبار ، فتهودوا أمامهم ^٣ . وفي هذه الروايات (التلمودية) ، تأييد لروايات أهل الأخبار التي تذكر ان اليهودية كانت في حمير ، وبني كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة ^٤ ، وغسان ^٥ . وذكر (اليعقوبي) ان ممن تهود من العرب « اليمن بأسرها . كان تبّع حمل حبرين من أحبار يهود الى اليمن ، فأبطل الأوثان ، وتهود من باليمن ، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير . وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام » ^٦ .

وقد ذكر علماء التفسير في تفسيرهم الآية : « لا اكراه في الدين . قد تبين

Die Araber, II, S. 65. ff.

Sozomenos, 6, 38, 10-13, 299, 17, Die Araber, II, S. 74.

Y 'bamot, 16 b, 'Aboda Zara 27a, Die Araber, II, S. 74.

المعارف (٦٢١) ، الإعلاق النفيسة (٢١٧) .

البدء والتاريخ (٣١/٤) .

اليعقوبي (٢٢٦/١) وما بعدها .

الرشد من الغي^١، لأنها نزلت في الأنصار . كانت المرأة المقلات في الجاهلية تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده ، فتهود قوم منهم . فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه ، فنهاهم الله عن ذلك ، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام . أو أنهم لما بقوا على يهوديتهم ، وأمر اليهود بالجللاء ، وفيهم منهم ، شق على آبائهم ترك أبنائهم يذهبون مع اليهود ، فقالوا : « يا رسول الله أبنائنا واخواننا فيهم .. فسكت عنهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأُنزل الله تعالى ذكره : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي^٢ ... فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد خيّر أصحابكم ، فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فهم منهم^٣ . وذكر العلماء أيضاً ان ناساً من الأنصار كانوا مسترضعين في بني قريظة وغيرهم من يهود ، فتهودوا ، وأن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الأديان ، فهودوا أولادهم ، فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه ، أرادوا اكراه أبنائهم الذين تهودوا على الدخول فيه ، فتزل الوحي بالآية المذكورة^٤ . فقد كان اذن بين يهود جزيرة العرب ، عرب دخلوا في دين يهود .

وذكر أهل الأخبار أن (جبل بن جوال بن صفوان) الثعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كان يهودياً فأسلم . فهو عربي ، يظهر أنه أو أهله قبله قد تهودوا ، فكان على دين يهود ، وعاش مع (بني قريظة) ، حتى اعتنق الإسلام^٥ . وذكروا أسماء آخرين كانوا من متهودة الجاهليين .

ويرى بعض المؤرخين اليهود أن يهود جزيرة العرب كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم وانفصال ، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أن يهود العربية مثلهم في العقيدة ، بل رأوا أنهم لم يكونوا يهوداً ، لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التامود^٥ . ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في أخبار المؤلفين العبرانيين .

وعندي ان عدم ورود شيء عن يهود الحجاز في أخبار المؤلفين العبرانيين

-
- ١ البقرة ، رقم ٢ ، آية ٢٥٦ .
 - ٢ تفسير الطبري (١٠/٣) وما بعدها .
 - ٣ تفسير الطبري (١٠/٣) وما بعدها ، تفسير القرطبي (٣/٢٨٠) وما بعدها .
 - ٤ الاصابة (١/٢٢٣) وما بعدها ، (رقم ١٠٧١) .
 - ٥ اسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (ص ١٣) ، (القاهرة ١٩٢٧) .

لا يمكن ان يكون دليلاً على عزلة يهود الحجاز عن بقية اليهود . فقد أهمل غيرهم أيضاً ولم يشر اليهم ، لأن التأليف والنشاط الفكري عند العبرانيين كانا قد تركزا في هذه العهود على المستوطنات اليهودية في العراق وعلى فلسطين ، وعلى (طبريا) بصورة خاصة ، ولم تشتهر الجاليات اليهودية التي انتشرت في مواضع أخرى بالتأليف ، فكان من الطبيعي ان تنحصر أخبار اليهود في هذا العهد في هذين القطرين . ولهذا لم يشر الى يهود الحجاز والى يهود بقية جزيرة العرب . ثم إن الحجاز على اتصال بفلسطين ، وفلسطين جزء من الحجاز متمم له جغرافياً ، وهو متصل بفلسطين منذ القدم ، وفلسطين منفذ التجاري ، وميناء (غزة) من المواضع التي كان يقصدها تجار الحجاز للتجارة ، والحركة مستمرة دوماً بين فلسطين والحجاز ، وقد كان تجار اليهود من أهل الحجاز يتاجرون مع بلاد الشام وفي جملتها أرض فلسطين ، فلا يعقل بالطبع ان يصير يهود الحجاز في عزلة عن يهود فلسطين ، والا يكون بين اليهودين اتصال . أما من ناحية الآراء الدينية والاعتقادية ، فقد يكون بين اليهودين بعض الاختلاف ، فقد وقع اختلاف في الآراء بين أحبار يهود العراق وبين أحبار يهود فلسطين ، فلا يستبعد اذن رأي من يقول بوجود اختلاف في وجهة نظر يهود فلسطين بالنسبة ليهود الحجاز ، إذ قد يكون يهود الحجاز ويهود جزيرة العرب قد تأثروا بالعرب الذين نزلوا بينهم فاضطروا الى التخفيف من التمسك بشعائر دينهم ، لا سيما وان من بين يهود جزيرة العرب يهود متهودون ، كانوا في الأصل من أدوم ومن النبط ومن العرب ، دخلوا في اليهودية لعوامل متعددة ، فلم يكونوا لذلك على سنة اليهود الأصليين في المحافظة على شريعتهم محافظة شديدة تامة .

وقد انتشر اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر الى يثرب ، فبنوا فيها الآطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم . وقد آمنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوة لهم ، وعلى تقديم الهدايا اليهم لاسترضائهم . وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء وإثارة الشحناء بين القبائل حتى لا تصفو الأحوال فيما بينها وتلتئم ولئلا يكون اتفاقها والتشامها خطراً يتهدد اليهود .

وليس الذي يرويه أهل الأخبار عن إرسال موسى جيشاً الى الحجاز ، واستقرار ذلك الجيش في يثرب بعد فتكه بالعماليق وبعد وفاة موسى ، ثم ما يذكره عن

هجرة دارود مع سبط يهوذا الى خيبر وتملكه هناك ثم عودته الى اسرائيل^١ وأمثال هذا إلا قصصاً من هذا النوع الذي ألفنا قراءته في كتب أهل الأخبار، لا أستبعد أن يكون مصدره يهود تلك المنطقة أو من أسلم منهم ، لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في هذه الأرضين قديم ، وأنهم كانوا ذوي بأس شديد ، وأن تأريخهم في هذه البقعة يمتد الى أيام الانبياء وابتداء اسرائيل ، وأنهم لذلك الصفوة المختارة من العبرانيين .

وقد زعم أهل الأخبار ، ان العالقة كانوا أصحاب عز وبقي شديد ، وكانوا ينزلون الحجاز في جملة ما نزلوا من أماكن في أيام موسى . وكان منهم : بنو هف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق . وملكهم إذ ذاك رجل منهم اسمه (الأرقم) ، ينزل ما بين تيماء وفدك . وكان سكان يثرب من العالقة وكذلك سكان بقية القرى . فلما تغلب عليهم العبرانيون انتزعوا منهم مساكنهم ، وأقاموا في مواطنهم في الحجاز^٢ .

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود الى يثرب في أيام موسى ، وما ذكروه عن إرساله جيشاً الى هذه المنطقة ، ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز ، من سفر (صموئيل الأول) من التوراة^٣ . وقد حسب أهل الأخبار العالقة من سكان يثرب القدماء ، ومن سكان أعالي الحجاز ، فزعموا ان تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة ، وان اليهود قد سكنوها لذلك منذ أيام موسى . وقد أخذ الأخباريون رواياتهم هذه من اليهود ، وبمن دخل منهم في الاسلام^٤ .

وبرى بعض الأخباريين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز ونزولهم وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام (بنحصر) ، فلما جاء (بنحصر نصر)

١ الاعاني (٩٤/١٩ وما بعدها) ، « أخبار أوس ونسب اليهود بيثرب وأخبارهم » ، ابن خلدون (٨٨/٢) ، (٥٩٤/٢) ، « دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٦ » ، أبو العلاء (١٢٣/١) ، ابن الأثير ، الكامل (٤٠١/١) وما بعدها ، ابن خلدون (٥٩٤/٢) ، « بيروت ١٩٥٦ » ، ابن هشام (١٧/٢) .
٢ الاعاني (٩٤/١٩) ، ابن هشام (١٧/٢) .
٣ صموئيل الأول : الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٥ وما بعد .
٤ Nöldeke, Beiträge, S. 52.

الى فلسطين ، هرب قسم منهم الى هذه المواضع واستقروا بها الى مجيء الإسلام^١. وليس في هذا الخبر ما يحملنا على استعباده ، فهروب اليهود الى أعالي الحجاز ودخولهم الحجاز أمر سهل يسير ، فالأرض واحدة وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة ، ولا يوجد أي مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز . لا سيما وأن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب ، فهم يبحثون عن أقرب ملجأ اليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم . وأقرب مكان مأمون اليهم هو الحجاز .

أما ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود الى أطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم بهم مما اضطر ذلك بعضهم الى الفرار الى تلك الأنحاء الآمنة البعيدة عن مجالات الروم ، فإنه يستند الى أساس تاريخي صحيح^٢ . فالذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدت الى هجرة عدد كبير من اليهود الى الخارج ، فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين .

وكان يقيم بـ (مقنا) عند ظهور الإسلام قوم من اليهود اسمهم (بنو جنبه) ، وقد كتب اليهم الرسول والى أهل (مقنا) يدعوهم الى الاسلام ، أو الى دفع الجزية^٣ . وكتب الى قوم من يهود اسمهم (بنو غاديا)^٤ ، والى قوم آخرين اسمهم (بنو عريض)^٥ .

ومن هؤلاء المهاجرين على رأي الأخباريين بنو قريظة وبنو النضير وبنو بديل . ساروا الى الجنوب في اتجاه يثرب ، فلما بلغوا موضع الغابة ، وجدوه وبياً ، فكروا الإقامة فيه ، وبعثوا رائداً أمروه ان يلتمس لهم منزلاً طيباً ، وأرضاً عذبة ، حتى إذا بلغ (العالية) ، وهي بطحان ومهزور واديان من حرة على تلاع أرض عذبة . بها مياه وعيون غزيرة ، رجع اليهم بأمرها ، وأخبرهم بما

١ الاغانى (٩٤/١٩) ، ابن خلدون (٥٩٤/٢) «دار الكتاب» ، أبو الفداء (١٢٣/١) ، الكامل (٤٠١/١) ، R. Donyy, Die Israeliten zu Mekka, S. 135.

٢ ابن خلدون (٥٩٤/٢) «بيروت ١٩٥٦» .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .

رآه منها ، فقرّر رأيهم على الإقامة فيها . فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ، ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تلاءمه وما سقى من بعاث وسموات^١ .

وسكن اليهود يثرب . سكنها منهم بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو القصيص وبنو ماسلة ، سكن هؤلاء المدينة وأطرافها ، وكان يسكن معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب ، منهم : بنو الحرمان حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بليّ ، وبنو نيف وهم من بليّ أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحرث بن بهثة ، وبنو الشطيبة حي من غسان . وظل اليهود أصحاب يثرب وسادتها ، حتى جاء الأوس والخزرج ، فترلوها واستغلوا الخلافات التي كانت قد وقعت بين اليهود ، فتغلبوا عليهم ، وسيطروا على المدينة ، وقسموها فيما بينهم ، فلم يبق من يومئذ عليها سلطان^٢ .

وتذكر روايات أهل الأخبار أن مجيء الأوس والخزرج الى يثرب كان بعد حادث سيل العرم . جاؤوا اليها لفقر حالهم ، والتأساً لوطن صالح جديد، وأنهم حينما نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة . ولذلك قنعوا بالذي حصلوا عليه من أرض ضعيفة موات ، ومن رزق شحيح . أما المال والثروة والملك والجاه ، فلبههود . بقوا على ذلك أمداً حتى إذا ما ذهب مالك بن العجلان ، وهو منهم ، الى أبي جبيلة الغساني رئيس غسان يومئذ ، ونزل عنده ، شكاً لأمير غسان سوء حال قومه وما هم عليه من بؤس وضنك . فوعده أبو جبيلة أن يأتي على رأس جيش من قومه لمساعدته ، على أن يقوم بعد عودته ببناء حائر عظيم ، يعلن أنه بناء لاستقبال الأمير فيه ، وأن يطلب من اليهود الخروج لاستقباله والتشرف بزيارته في ذلك الحائر ، فإن فعلوه ، فتنك بهم وأبادهم . فلما تمّ البناء ، ووصل الأمير في الأجل الموقوت ، ودخل المدعوون رؤساء اليهود الحائر ، فتكت عساكر أبي جبيلة بهم وأهلكتهم . وتمت الغلبة من يومئذ للأوس والخزرج ، وعاد

١ الاغانى (٩٤/١٩ وما بعدها) ، ابن خلدون (٥٩٤/٢) ، تاريخ أبو الفداء (١٢٣/١) مطبعة التقدم .

٢ الاغانى (٩٥/١٩) ، الكامل ، لابن الاثير (٤٠١/١) .

أبو جبيلة الى مقر ملكه^١ .

غير ان اليهود ظلوا مع هذه الغلبة يتهاثرون مع الأوس والخزرج ويعترضونهم ويتناوبونهم ، فعمد مالك بن العجلان إلى الحيلة ، فتظاهر انه يريد الصلح معهم ، وانه عزم على تسوية العداوات وطمس الخزازات ، وانه لذلك يدعو رؤساءهم الى طعام ، ليتفاوضوا مع سادات قومه في أمر الصلح . فلما حضر رؤساء يهود، فتل بعشرات منهم ممن استجاب لدعوته ، وفرّ أحدهم ليخبر قومه بما حدث ، وحذر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد .

« فلما قتل مالك من يهود من قتل ، ذلّوا ، وقلّ امتناعهم ، وخافوا خوفاً شديداً ، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم لبعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودي الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم ، فيقول : انما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود لجأوا الى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم » ومنذ ذلك الزمن لم يبق لليهود على هذه الأرضين سلطان^٢ .

وورد في رواية أخرى ان (مالك بن عجلان) ، كان من الخزرج ، وكان سيد قومه يومئذ ، وكان على اليهود رجل منهم اسمه (الفطّيون) ملك عليهم ، واستبد بأمر الناس ، وكان يهودياً ومن بني ثعلبة ، وكان امراً سوء فاجراً ، قرر ألا تدخل امرأة على زوجها إلا بعد دخولها عليه . فاغتاظ مالك من فعل الفطّيون ومن استدلاله للعرب ، ولما كان زفاف اخته لزوجها ، وكان لا بد من ادخالها على (الفطّيون) أولاً^٣ ليستمتع بها ، كبر ذلك عليه ، فدخل معها في زي امرأة ، فلما أراد (الفطّيون) الخلو بها ، وثب مالك عليه وعلاه بسيفه وقتله ، وخلّص قومه منه ، وفرّ عندئذ الى أبي جبيلة ملك غسان^٤ .

وتذكر هذه الرواية أن (أبا جبيلة) لم يكن من غسان، بل كان من الخزرج، وكان عظيماً ذا منزلة كبيرة في الناس ، حتى صار ملكاً على الغساسنة ، ويرجع

-
- ١ الاغانى (٩٧/١٩ وما بعدها) ، ابن خلدون (٥٩٦/٢) ، ابو الفداء (١٢٣/١) ، الكامل (٤٠١/١) .
 - ٢ الاغانى (٩٥/١٩ وما بعدها) ، ابن الاثير ، الكامل (٤٠١/١) وما بعدها .
 - ٣ ابن الاثير ، الكامل (٤٠١/١) ، وفي بعض الكتب « الفطّيون » ، بحرف القاف ، وهو تحريف ، المعبر (١١٢) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤٣) ، (القاهرة ١٩٢٦ م) .

رواتها أنه لم يكن ملكاً على آل غسان ، بل كان مقرباً عند ملكهم ، عظيم
الخطوة لديه . ودليلهم على ذلك عدم اعتراف الغساسنة بوجود ملك عليهم اسمه
(عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) ، وهو اسم (أبو جبيلة) المذكور . ويذكرون
أن (الرمق بن زيد الخزرجي) مدحه بشعر قاله فيه ^١ .

وتذكر رواية ان الفطيون اسم عبراني ، واسمه (عامر بن عامر بن ثعلبة بن
حارثة) ، وكان تملك يثرب . فلما قتل خرج مالك بن العجلان ، حتى قدم
على (أبي جبيلة) ملك غسان ، فأعلمه غلبة يهود على يثرب وفعله بهم ، فقدم
(أبو جبيلة) يثرب ، ثم صنع طعاماً ، ويمكن الأوس والخزرج ممن دعاهم
الى الطعام من قتل مائة من أشرف اليهود ، فقويت الأوس والخزرج عليهم ^٢ .

وجاء في رواية أخرى ، أن (مالك بن العجلان) ، إنما فرّ الى (تبع) ،
بعد قتله (الفطيون) فاستصرخه على اليهود ، فجاء حتى قتل ثلثمائة وخمسين رجلاً
غيلة من سادات يهود بـ (ذى حرص) ، ولما أدبهم رجع الى أرضه اليمن ^٣ .

أما مالك بن العجلان ، فقد صورته اليهود شيطاناً ملعوناً ، وصوروه في بيعهم
وكنائسهم ليلعنوه كلما دخلوا ورأوه ، وذكروه في شعرهم في أقبح هجاء قالوه ^٤ .

وقد كان بين يهود يثرب قوم يقال لهم (بني الفطيون) بقوا حتى جاء الرسول
الى يثرب . فأجلاهم في السنة الثالثة من الهجرة ^٥ . وذكر (ابن دريد) أن
بعضاً من (بني الفطيون) الذين هم من نسل (الفطيون) ملك يثرب ، قد
شهد (بدرأ) واستشهد بعضهم يوم اليمامة . وذكر أن نسب (الفطيون) في
غسان . وان من ولد الغطيون : (أبو المقشعر) واسمه (أسيد بن عبدالله) ^٦ .

١ ابن الاثير ، الكامل (٤٠١/١) وما بعدها .

٢ نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١٣٦) وما بعدها .

٣ البدء والتاريخ (١٧٩/٣) .

٤ الاغانى (٦٩/١٩) ، الاشتقاق (ص ٢٧٠) ،

Graetz, Geschichte der Juden, V, S. 431, Hirschfeld, Essai de l'histoire des
Juives de Medine, in Revue Etudes Juives, VII, 1883, p. 173, Caussin de
Perceval, Essai, II, p. 652, Wellhausen, Skizze, IV, S. 33, Nallino, Raccolta,
III, p. 111.

٥ المحبر (١١٢) .

٦ الاشتقاق (٢٤٩/٢) ، « وستنفلد » .

وقد فسّر أهل الأخبار كلمة (الفطيون) ب (مالك) ، وقالوا إنها تقابل (النجاشي) عند الحبشة ، و (خاقان) عند الترك . وذكروا أسماء نفر ممن كانوا يلقبون بالفطيون ^١ .

ويفهم من روايات الأخباريين أن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطوناً ، منهم : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو عكرمة ، وبنو محمر ، وبنو زعورا ، وبنو زيد ، وبنو الشظية ، وبنو جشم ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص (العيص) ، وبنو ثعلبة ^٢ . غير أنهم لم يكونوا أعراباً ، أي بدواً ينتقلون من مكان إلى مكان ، بل كانوا حضراً استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها ، ومارسوا مهنة أهل المدر ، كل جماعة مستقلة تحمل اسماً من تلك الأسماء التي ذكرها الأخباريون .

وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير من بين اليهود ب (الكاهنين) ، نسبوا ذلك إلى جدهم السدي يقال له (الكاهن) . و (الكاهن) هو الكاهن بن هارون بن عمران على زعم بعض أهل الأخبار ^٣ . فهم على هذه النسبة من أصل رفيع ومن نسب حسيب ، يميزهم عن بقية طوائف يهود . ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا ، ويرون لهم السيادة والشرف على من سواهم من اخوانهم في الدين . ويرى (نولدكه) احتمال كون بني النضير وبني قريظة من طبقة الكهّان في الأصل : هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها ، فسكنوا في هذه الديار . وهناك جملة عشائر وأسر يهودية تفتخر بإلحاق نسبها بالكاهن هارون شقيق موسى النبي ^٤ .

كذلك يرجع (أوليري) كأمثاله من المستشرقين أصل بني قريظة وبني النضير إلى اليهود ، ويرى أنهم غادروا ديارهم وجاءوا إلى هذه المنطقة في الفترة الواقعة ما بين خراب الهيكل في عام ٧٠ للميلاد وتنكيل (هديران) باليهود في عام ١٣٢ للميلاد ^٥ .

١ الاشتقاق (٢٥٩/٢) .

٢ الاغانى (٩٥/١٩ وما بعدها) ، سيرة ابن هشام (١٤٧/٢ وما بعدها) ، Nöldeke, Beiträge, S. 54.

٣ الاغانى (٩٥/١٩) ، تاج العروس (٢٥٩/٥) ، (قرط) ، Margollouth, p. 59, Graetz, History of the Jews, III, p. 56.

٤ Nöldeke, Beiträge, S. 55.

٥ O'beary, p. 173.

ويرجع بعض بقية يهود جزيرة العرب نسبهم الى الكاهنين والى الأسباط العشرة كذلك، فيدعون انهم من تلك الأسباط المفقودة ، وانهم من نسل قدماء اليهود^١ .

وقد كانت منازل بني النضير حينما غزاها الرسول في وادي بطحان وبموضع البُويرة^٢ . ووادي بطحان ، هو أحد أودية يثرب الثلاثة ، وهي : العقيق وبتحان وقنساء . وهو واد فيه مياه غزيرة وعيون ، اتخذ به اليهود الحدائق والآطام . وقد كان موضع البُويرة عامراً كذلك ، وهو من تيماء ، فيه نخل وزرع وأشجار . وقد غزاها الرسول بعد ستة أشهر من غزوة أحد ، فأحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم لتطاولهم على المسلمين . ومن ساداتهم : حيي بن أخطب ، وأخوه ياسر بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وهو ابو رافع الأعور ، والربيع بن أبي الحقيق^٣ . وعمرو بن جحاش .

ومن بني النضير ، كعب بن الأشرف ، وكان معاصراً للرسول ، وكان صاحب لسان ونفوذ . أبوه من طيء على رواية ، ومن بني النضير على رواية أخرى . أما أمه فهي من بني النضير بإجماع الرواة . توفي أبوه - على رأي من يقول إنه من طيء - وهو صغير ، فحملته أمه الى أخواله ، فنشأ فيهم ، وقال الشعر عندهم ، وساد . ولما جاء الرسول الى يثرب ، كان كعب فيمن ناصب الرسول العداء فعلاً وقولاً ، فهجأ الرسول ، وهجأ أصحابه ، وظل هذا شأنه بالرغم من محاولة المسلمين استصلاحه واسترضائه . حتى جنى عليه لسانه ، فأهدر النبي دمه ، فذهب اليه نفر من المسلمين ، فاقتحموا داره وقتلوه . وقد كانت له مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج^٤ .

١ Nallino, Raccolta, III, p. 99, Friedlander, The Jews of Arabia and the Rechabites, in Jews quarterly Review, 1910-1911, p. 254.

٢ بالضم ثم السكون ، وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه وبفتح أوله وسكون ثانية ، البلدان (٢١٦/٢) ، (٥١٢/١ وما بعدها) ، (السعادة) .

٣ البلدان (٣١٠/٢ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٢٨٥/١) « طبعة مصطفى السقا » « بويرة » ، شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ١٩٣ وما بعدها) ، الطبري (٢٢٤/٢) ، (الاستقامة) ، فتوح البلدان ، للبلاذري (٣٢/١) ، (١٩٣٢ م) ، (القاهرة) .

٤ الاغاني (١٠٦/١٩ وما بعدها) ، المحبر (ص ١١٧ ، ٢٨٢ ، ٣٩٠) ، ديوان حسان (ص ٤٦) « طبعة هرفلد » ، شرح ديوان حسان (ص ٢٧٢ وما بعدها) « للبرقوقي » ، الكامل ، لابن الاثير (٩٩/٢) ، الطبري (١٧٧/٢) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (٣٤٣) ، ابن خلدون (٧٥٧/٢) ، ابن هشام (٥٤٨/٢) ، البداية والنهاية (٧٤/٤) .

وكان قد ذهب الى مكة ، فحرض قريشاً على الرسول ، ولما عاد الى موضعه ، ألب المشركين من أهل يثرب عليه . ورثا قتلى القليب ، فقتله المسلمون كما ذكرت^١ .

وكانت لبني قريظة حصون ، يتحصنون بها وقت الخطر ، ولهم آبار ، ومنهم (محمد بن كعب القرظي)^٢ . والزبير بن باطان بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكيئة .

وكان بنو قينقاع أول اليهود الذين ناصبوا الرسول العداء ، وكانوا يسكنون في أحياء يثرب ، وكانوا أغنياء على غير وفاق ووثام مع بقية أبناء قومهم بني قريظة وبني النضير . وقد اشتركوا في يوم بُعث . ووقعت بينهم وبين بني النضير وبني قريظة معارك فتك فيها ببني قينقاع ، وأصيبوا بخسائر كبيرة اضطرتهم على ما يظهر الى اللجوء الى يثرب والإقامة فيها في حي واحد من المدينة^٣ .

ويرى (أوليري) احتمال كون بني قينقاع من أصل عربي متهود ، أو من بني أدوم^٤ .

وقد تكون بعض القبائل اليهودية التي ذكر أسماءها الأخباريون قبائل يهودية حقاً ، أي من الجماعات اليهودية التي هاجرت من فلسطين في أيام القيصر (طيطوس) Titus ، أو (هدريان) Hadrian ، أو قبل أيامها ، أو بعدها . ولكن بعضاً آخر منها ، لم يكن من أصل يهودي ، إنما كانت قبائل عربية دخلت في دين يهود ، ولا سيما القبائل المسماة بأسماء عربية أصيلة . ولبعض هذه

١ التنبيه (٢٤٣) ، والمصادر المذكورة ، السيرة الحلبية (٩٤/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الأثير (٤٠١/١ وما بعدها) ، ابن خلدون (٦٠٨/٢) ، ابن عساكر (٤٠/١) ، البداية والنهاية (٧٤/٤ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢٥٩/٥) ، (قرظ) ، البداية والنهاية (١١٦/٤) ، الاغانى (٩٤/١٩) ، فتوح البلدان ، للبلاذري (٢٣/١) ، (٣٥) ، الطبري (٢٤٥/٢) ، (الاستقامة) ، السيرة الحلبية (١٤٥/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٧٧٧/٢) .

٣ البداية والنهاية (٣/٤) ، الطبري (١٧٢/٢) ، (الاستقامة) ، البلد والتاريخ (١٩٥/٤) ، البلدان (١٩٩/٧) ، ولفنسون (١٢٨ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٢/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٦٠٨/٢) .

٤ O'beary, p. 173. f.

الأسماء ، صلة بالوثنية تشعر انها كانت على الوثنية قبل دخولها في دين يهود^١ .
والظاهر انها تهودت إما بتأثير التبشير ، وإما باختلاطها ودخولها في عشائر يهودية
جاورتها فتأثرت بديانتها . وقد ذكر البكري ان (بنى حيشنة بن عكارمة) ، وهم
من بني " قتلوا نفرأ من بني الربعة ، ثم لحقوا بتياء « فأبى يهود ان يدخلوهم
حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة . فكانوا معهم
زماناً ، ثم خرج نفر الى المدينة ، فأظهر الله الاسلام ، وبقية من أولادهم بها »^٢ .
وهناك بطون أخرى عربية الأصل كانت على دين يهود^٣ .

وقد اشتهر يهود خيبر من بين سائر يهود الحجاز بشجاعتهم . وخيبر موضع
غزير المياه كثيره ، وقد عرف واشتهر بزراعته وبكثرة ما به من نخيل . وعند
اجلاء اليهود عن خيبر ، تفرقوا فذهب بعض منهم الى العراق ، وبعض آخر الى
الشأم ، وبعض منهم الى مصر . وقد بقوا في كل هذه المواضع متعصبين لوطنهم
القديم خيبر ، ينادون بشعارهم الذي كانوا ينادون به قبل الاسلام ، وهو :
(يا آل خيبر)^٤ .

وقد اشتهرت (خيبر) وعرفت بالحمة . حتى نسبت اليها ، فقل لها (حمى
خيبرية) . وكان من أساطيرهم إذ ذاك ، أن من أراد دخولها فعليه بالتعشير
ليتخلص منها . وكان من أوابدهم فيما يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء
ووضع يده خلف اذنه ، فنهق عشر نهقات نهق الحمار ، ثم دخلها أمن من
الوباء^٥ .

وزعم أن يهود خيبر هم من نسل (ركاب) المذكور في التوراة^٦ ، وأن
(يونادب) Jonadab (جندب) ابنه : تبدى مع أبنائه ومن اتبعه ، وعاش

١ Margoliouth, p. 60, Nöldeke, Beiträge, S. 52, Wüstenfeld, Geschichte von Medina, S. 28.

٢ البكري (٢٩/١) «طبعة السقا» ، Islamic Culture, III, Vol., 2, p. 177.

٣ Nöldeke, Beiträge, S. 55.

٤ المشرق : السنة السادسة والثلاثون ، ١٩٣٨ (ص ١٥٢ وما بعدها) .

٥ قال عروة بن الورد :
واني وان عشت من خشية الردى نهاق حمار اني لجزوع

ناج العروس (٤٠٢/٣) ، (عشر) .

٦ الملوك الثاني : الاصحاح العاشر ، الآية ١٥ - ٢٨ ، Hastings, p. 784.

عيشة تقشف وزهد وخشونة ، وأن نسلهم هاجر بعد خراب الهيكل الأول الى الحجاز حتى بلغوا خيبر ، فاستقروا بها ، واشتغلوا بزراعة النخيل والحبوب ، وأنهم أقاموا فيها قلاعاً وحصوناً تحميهم من غارات الأعراب عليهم . ذكر بعض الأخباريين أنها ولاية من سبعة حصون ، منها : حصن ناعم ، والقموص حصن ابن أبي الحقيق وهو أقواها وأعزها وقد أقيم على مرتفع من الأرض حماه وعزز دفاعه ، وحصن الشق ، وحصن النطاة ، وحصن السلام ، وحصن وجده ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة (الكثيبة) . وقد أخرجوا منها وأجلوا عنها زمان عمر بن الخطاب^١ .

وقد زعم بعض الأخباريين ان خيبر لفظة عبرانية ، وان معناها الحصن في عربيتنا^٢ . وزعم بعض آخر انها نسبة الى رجل اسمه (خيبر بن فاتيه بن مهلايل) ، سميت خيبر باسمه ، لأنه كان أول من نزلها^٣ . وذهب (وایل) Well ، الى ان اللفظة لفظة عبرانية ، وهي بمعنى مجموعة مستوطنات^٤ . أما (دوزي) ، فقد أخذ بالرواية العربية ، فزعم ان (خيبر) ، كناية عن جماعة من اليهود هاجرت في أيام السبي من فلسطين الى هذا الموضع ، وهي من نسل (شفطيا بن مهلايل) من (بني فارص)^٥ . وان (فاتيه) ، هو تحريف (شفطيا) Shaftja المذكور في سفر (نحيا) من أسفار التوراة ، وهو ابن (مهلايل) ، الذي هو (مهلايل) عند أهل الأخبار . وزعم ان زمان هجرة هذه الجماعة يتناسب تماماً مع الرواية القائلة ان هجرة اليهود الى جزيرة العرب كانت في أيام (بنح نصر)^٦ .

وذهب المستشرقون ان كلمة (خيبر) ، كلمة عبرانية الأصل (Kheber

١ البلدان (٣/٤٩٥ وما بعدها) ، البكري ، معجم (١/٥٢١) ، تاج العروس (٣/١٦٨) ، (خير) ، زاد المعاد (٢/١٣٣) ، تاريخ الاسلام (١/٢٩٤ وما بعدها) ،

Graetz, III, p. 56, Ency., II, p. 869, Caetani, Annali, II, I, 8-33.

٢ ابو الفداء ، (ص ٨٩) ، البلدان (٣/٤٩٥) ، البكري ، معجم (٢/٥٢١ وما بعدها) ، تاج العروس (٣/١٦٨) ، (خير) .

٣ R. Dozy, Mekka, S. 136.

٤ Mohammed der Prophet, S. 185.

٥ نحيا ، الاصحاح الحادي عشر ، الآية ٤ وما بعدها .

٦ R. Dozy, Mekka, S. 136. f.

ومعناها الطائفة والجماعة^١ . وذهب بعضهم الى ان معناها الحصن والمعسكر^٢ . وهي من أقدم المواضع التي لجأ اليها اليهود في الحجاز .

ومن الصعب تعيين الزمن الذي هاجر فيه اليهود الى هذا الموضع . لقد رجع بعضهم ذلك الى ايام هجوم الرومان على فلسطين . غير ان من الجائز ان تكون هجرتهم اليها قد وقعت قبل ذلك ، ومن الجائز ان تكون في اثناء السبي واستيلاء البابليين على القدس ، وقد يجوز ان يكون قوم منهم قد جاءوا مع (نيونيد) ملك بابل الى تيماء حين اتخذ (تيماء) عاصمة له . فهاجر قسم منهم الى خيبر والى نواح أخرى من الحجاز^٣ .

وأقدم إشارة كتابية ورد فيها اسم خيبر ، نص : حرّان اللجاة ، ويرجع تأريخه الى سنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندلسية الأولى ، وتقابل سنة ٥٦٨ للميلاد . وقد ورد فيه : « بعد مفسد خيبر بعم »^٤ . أي بعد خرب خيبر بعام . وهو يشير الى غزو لهذا الموضع أنزل به خسائر كبيرة ، ولأهميته وفداحته في نفوس أهله أرخوا بوقوعه . ويعود النص المذكور المدون باليونانية والعربية الى (شرحيل بن ظلمو) (شراحيل بن ظلم) ، وقد دونه لمناسبة بنائه (مرطولاً) ، فأرخ بتاريخ خيبر المذكور . وهو يشير الى غزوة قام بها أحد أمراء غسان على خيبر^٥ .

وقد وجدت كتابات بحروف المسند وكتابات نبطية في خيبر ، هي أقدم عهداً من نص (حرّان اللجاة) ، يفهم منها بوجود سكن في هذه الأرضين يعود بعضه الى ما قبل الميلاد . ولم تكشف تربة خيبر حتى الآن ، وكل ما عثر عليه من عاديّات فيها هو من النوع الذي وجد ظاهراً على سطح الأرض ، وليس بمستبعد أن يعثر فيها على كتابات قد تكشف عن تأريخ هذه البقعة .

ولما بلغ أهل تيماء ما حدث لإخوانهم في خيبر ووادي القرى ، وفدك ، قبلوا

Charles Cutler Torrey, The Jewish Foundations of Islam, New York, 1933, p. 13. ١

Ency., II, p. 870. ٢

Torrey, p. 17, A. Müller, Der Islam, Bd., I, S. 36. ff. ٣

جواد علي ، العرب قبل الاسلام (١/١٩٥ وما بعدها) . ٤

المصدر المتقدم ، المعارف (٣١٣) ، ولفنسون ، السامية (١٩٢) . ٥

الجزية ، وصالحوا الرسول في سنة تسع للهجرة ، فضمن بذلك لهم حرية بقائهم في دينهم . وعلى تيماء كان يشرف حصن السموأل (الأبلق الفرد) . وقد نعتت تيماء في بعض الأشعار بتيماء اليهود^١ .

وتيماء من المواضع القديمة . وقد مرّ الحديث عنها في أماكن من هذا الكتاب . وقد سبق أن قلت بأن الملك (نبونيد) قد أقام زماناً فيها ، حيث اتخذها عاصمة له . وهي في موقع حسن ، وملتقى طرق هامة يسلكها التجّار . وقد استبد بها اليهود فأقاموا بها وجعلوها من أهم مستوطناتهم في الحجاز . استغلوا أرضها فزرعوها ، واستنبطوا الماء من الآبار بالإضافة الى واحتها ذات المياه العذبة الغزيرة التي كان لها الفضل في تكوين هذا الموضع واعماره . وقد ذكرت في شعر (امرئ القيس) ، وفيها كان حصن السموأل بن عاديا المذکور في قصص امرئ القيس الشاعر .

ويرى بعض المستشرقين ان (شمعون التيماني) Simeon of Temanite المذکور في التلمود والمدرّاش ، هو من أهل (تيماء)^٢ . ولا يستبعد ان يكون من بين أهل هذه المدينة من حصل على شهرة في العلم بفقه اليهود وبأحوال دينهم . فان مركزها وموقعها يجعل من السهل على سكانها الوصول الى فلسطين وبقية بلاد الشام وأخذ العلم من علماء تلك البلاد .

وقد عثر الرحّالة (أويتنك) Euting على كتابة مدونة بقلم بني إرم تعود الى عهد كان الفرس قد استولوا فيه على هذا المكان ، تتحدث عن أهمية تيماء ورفيقها في هذا العهد^٣ . ولا يستبعد العثور على كتابات عديدة اذا ما قام العلماء بالتنقيب عنها في باطن الأرض ، فإن موضعاً مثل هذا الموضع لا بد ان يكون غنياً بالكتابات والآثار . وقد وجد (أويتنك) آثار معبد قديم ، وآثار مواضع عتيقة أخرى ترجع الى ما قبل الاسلام^٤ . ووجد (جوسن) Jaussen و (سافينه) Savignac آثار مقابر على تلال من النوع الذي يطلق عليه الآثاريون اسم

١ البلدان (٤٤٢/٢) « تيماء » ، فتوح البلدان (٢٩/١) .
٢ Mishna Yadayim, I, 3, Yebamoth, 4, 13, Tosephta Berachoth, 4, 24, Sanhedr, 12, 3, Besa, 2, 19, Bab. Talmud, Zebachim, 32 b. Baba gamma, 90 b., Besa, 21a Tarrey, pp. 26 Margolouth, p. 68.
٣ Ency., IV, p. 622.
٤ Euting, Tagebuch einer Reise in innerarabien, II, 148, 199.

(تمولي) Tumuli ، ومراقبة مدرجة تؤدي الى بناء مربع لعله معبد من معابد القوم بُني على هذا التل^١ .

ولا توجد اليوم بقية للأبلى الفرد ، الذي افتخر السموأل وآل السموأل به ، وكذلك يهود تيماء . وليس بمستبعد ان يكون ذلك الحصن من بقايا قصر (نيونيد) أو من بقايا قصور رجاله ، أو من بقايا أبنية غيره ممن نزل هذا المكان . وقد يكون بناء أقامه السموأل وبناه بحجر تلك الأبنية القديمة. وقد اكسب قصر السموأل هذا الموضع شهرة ، وأكسبه خبر وفاء السموأل شهرة كذلك على النحو المذكور في كتب الأدب والأخبار^٢ .

وفدك موضع آخر من المواضع الذي غلب عليه اليهود . وسكانه مثل أغلب يهود الحجاز مزارعون عاشوا على الزراعة كما اشتغلوا بالتجارة وبيعوا الحرف التي تخصص فيها اليهود مثل الصياغة والحداة والنجارة^٣ . والموضع من المواضع القديمة التي يعود عهدها الى ما قبل الإسلام ، وقد ذكره الملك (نيونيد) في جملة المواضع التي زارها والتي خضعت لحكمه في الحجاز . وكان رئيس فدك عند ظهور الإسلام وهجرة الرسول الى يثرب يوشع بن نون^٤ .

ووادي القرى ، هو من المواضع التي غصت باليهود ، فكان أكثر أهلهم منهم. وقد كان يهوده من المزارعين^٥ ، وقد حفروا به الآبار ، وتحالفوا مع الأعراب ، وعاشوا معهم متحالفين . يعملون بالزراعة . وقد غزاها الرسول مرجعه من خيبر سنة سبع للهجرة ، على أثر إصابة (مدعم الأسود) مولى الرسول بسهم غارب قتله . وهو مولى مولد من (حسمى) ، كان أهده (رفاعه بن زيد الجذامي) أو (فروة بن عمرو الجذامي) الى الرسول^٦ .

Jaussen and Savignac, Mission Archéologique, II, pp. 133, 163,

- ١
- ٢ أبو الفداء ، تقويم البلدان (٨٦) ، البكري ، معجم (٣٢٩/١) ، البلدان (٦٧/٢) ، اللسان (٧٦/١٢) « صادر » ، ابن حوقل ، صورة الارض (٣٠) ، ابن خلدون (٥٧٤/٢) ، دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » (١٣٠/٦) .
- ٣ البكري ، معجم (٣٢٧/١) ، تقويم البلدان (٧٨) ،
- ٤ الطبري (٩٨/٣) « حوادث السنة السابعة » ابن الاثير (٩٣/٢) ، « ذكر فدك » ، البلاذري ، فتوح (٣٦ وما بعدها) ، Nallino, Raccolta, I, 198, III, 97.
- ٥ زاد المعاد (١٤٦/٢) .
- ٦ الطبري (١٦/٣) ، (ذكر غزوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وادي القرى) ، الإصابة (٣٧٤/٣) ، (رقم ٧٨٥٨) .

وكان بين أهل مقنا وأيلة في أيام الرسول قوم من اليهود كذلك ، وكذلك أهل بقية القرى الواقعة في أعالي الحجاز وعلى ساحل البحر ، وقد صالحوا الرسول على الجزية ، وبذلك ضمنوا لهم البقاء في هذه الأنحاء^١ . ومن هؤلاء اليهود (بنو جنبه) ، وهم يهود ب (مقنا)^٢ ، و (بنو غاديا)^٣ ، و (بنو عريض)^٤ .

وكان بالطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب ، فجاءوا إليها ، ولم تكن قد أسلمت بعد ، فأقاموا بها للتجارة . فلما صالح أهل الطائف الرسول — على ان يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهم ألا يربوا ولا يشربوا الخمر وكانوا أصحاب ربا — وضعت الجزية على يهودها ، وبقوا فيها ، ومن بعضهم اتباع معاوية أمواله بالطائف^٥ .

ويظهر انه لم تكن لليهود جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن ، لعدم إشارة أهل الأخبار اليهم ، وان كنت لا أستبعد وجود أفراد وأسر منهم في مكة وفي عدن وفي المدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانئ البحر الأحمر وموانئ سواحل العربية الجنوبية . غير ان وجودهم في هذه المواضع ، لم يكن له أثر واضح مهم ، فلم يتجاوز محيط التجارة والاتجار .

وقد ذهب بعض المستشرقين ، استناداً الى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الاسلام ، الى ان اولئك اليهود لم يكونوا يهوداً حقاً ، بل كانوا عرباً متهودين ، تهودوا بتأثير الدعاة اليهود^٦ . ولكن الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس ، لا يمكن ان يكون حجة للحكم على أصولهم وأجناسهم . فالفرس والروم والهنود وغيرهم ممن دخل في الاسلام ، تسموا بأسماء عربية ، وبعضها أسماء عربية خالصة . وتسمياتهم هذه لا تعني ان من تسمى بها كان عربي الأصل . ثم إن كثيراً من اليهود في الغرب وفي أمريكا وفي البلاد العربية والاسلامية ، سموا أنفسهم بأسماء غير عبرانية ، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود .

١ البلدان (١٢٨/٨) « مقنا » ، البلاذري ، فتوح (٦٦) ، زاد المعاد (١١٧/٢) ، الطبري (٢٣٢/٢) وما بعدها .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .

٥ البلاذري ، فتوح (٦٣) .

٦ W. Caskel, Das attarabische königreich Lihyan, S. 19.

فالأسماء وحدها لا تكفي في اعطاء رأي علمي في تعيين الأصول والأجناس ، ولا سيما في المواضع الكائنة على طرق التجارة والمواصلات وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط .

وللمستشرق (ونكلر) رأي في هذا الموضوع ، خلاصته : ان اولئك اليهود لو كانوا يهوداً حقاً هاجروا من فلسطين الى هذه المواضع ، لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه هؤلاء اليهود . كانت حالتهم أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها ، إذ لا يعقل ، على رأيه ، وصول جماعة الى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلاد مستواها الثقافي والمدني أرقى من مستوى من هو دونهم كثيراً في شؤون الحياة . ومستوى الحياة في جميع نواحيها ، في فلسطين ، أرقى وأرفع من مستواها في الأماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب . فهم على رأيه عرب متهودون ، لا يهود مهاجرون^١ .

غير أن هنالك من يؤخذ ونكلر على هذا الرأي ، لأن رأيه لا يمكن ان ينطبق على من ترك دياره وهاجر ، واستقر في موطن جديد لأمد طويل ، لأن الأوضاع المحيطة بالوطن الجديد سرعان ما تؤثر في المهاجرين ، ولا سيما إذا كانوا جماعات صغيرة أو جماعات ليست ذات بأس شديد ، فتجعلها تنصاع للمحيط الذي نزلت به بعض الإنصياح ، فتفقد بعض خصائصها ، لتكتسب خصائص المجتمع الجديد . ثم إن اليهود الذين نزلوا في الحجاز ، كانوا يختلفون مع ذلك عنم كان في جوارهم أو بينهم ، إذ كانوا يشتغلون بالزراعة ويمتهنون بعض المهن التي يأنفها العربي الأصل ، كما أنهم كانوا لا يرغبون في القتال ، ولا يميلون الى الغزو والحروب ، ولم يشتركوا إلا اضطراراً وإلا بلالحاح المصالح الضرورية فيها ، وهم يختلفون في هذه الناحية من الأعراب^٢ .

ويلاحظ أن يهود الجاهلية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها ويحافظون عليها محافظة شديدة ، كما حافظوا عليها في الأقطار الأخرى . فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص ، هي أسماء عربية ، والشعر المنسوب الى شعراء منهم ، يحمل الطابع العربي ، والفكر العربي . وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية

Winkler, Mett. Var. Asal. Ges., VI, S. 222.

Margoliouth, p. 62.

لم يكونوا يختلفون اختلافاً كبيراً عن العرب ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب فيما سوى الدين^١ . ولعل هذا بسبب تأثير العرب المتهودة عليهم ، وكثرتهم بالنسبة الى من كان من أصل يهودي ، مما سبب تأثيرهم ، وهم ذوو أكرثية ، في اليهود الأصليين الذين أثروا فيهم فأدخلوهم في دينهم ، فأثروا هم فيهم ، وطبعوهم بطابع عربي .

وقد عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها ، فلبسوا لباسهم ، وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات ، وتزوج العرب يهوديات ، ولعلّ كون بعض يهود من أصل عربي ، هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس . والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عند ظهور الاسلام هو الاختلاف في الدين . وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في أي بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد^٢ .

ومن الأسماء التي قد تكون من أصل عبراني (زعورا) ، وهو اسم عبراني متأثر بلهجة بني إرم ، و (يساف) ، وقد يكون من (يوسف) ، و (نبتل) وقد يكون من (نفتالي) Naftali ، وأسماء أخرى لم تتمكن من المحافظة على أصلها العبراني ، فتأثرت بخواص اللسان العربي . وليس بين أسماء البطون اليهودية الأحد عشر ، التي كانت في الحجاز في أيام ظهور الإسلام ، اسم تظهر عليه الملامح العبرانية غير الاسم الذي ذكرته وهو (زعوراء)^٣ .

وكانت يثرب عند هجرة الرسول إليها ، في أيدي أصحابها الأوس والخزرج ، لهم السيطرة والسلطان ، ولليهود آطامهم وقلاعهم في خيبر وفي تيماء وفي بعض قرى وادي القرى وفي أعالي الحجاز ، يتاجرون ، ويزرعون ، ويقرضون الأموال بالربا الفاحش للأعراب ، ويحترفون بعض الحرف مثل الصياغة ، وهي حرفة اشتهروا بها منذ القديم ، ويعقدون الأسواق ليقصدها الأعراب للامتيار .

ولكن اليهود مع ما كان لهم من قلاع وآطام وقرى عاشوا فيها مكتئين مستقلين لم يتمكنوا من بسط نفوذهم وسلطانهم على الأرضين التي أنشأوا مستوطناتهم

Nöldeke, Beiträge, S. 55. f. ١

Graetz, III, p. 58, f., 60. ٢

Margoliouth, p. 60, Nallino, Raccolta, III, p. 104, H. Hirschfeld, Essai sur l'histoire des Juifs de Médine, in Revue des Etudes Juifs, X, 1888, p. 11. f. ٣

فيها ، ولم يتمكنوا من انشاء ممالك وحكومات يحكمها حكام يهود ، بل كانوا مستقلين في حماية سادات القبائل ، يؤدون لهم إتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم ودفاعهم عنهم ومنع الأعراب من التعدي عليهم . وقد لجأوا الى عقد المحالفات معهم ، فكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب ومن رؤساء العرب المتحضرين .

وقد كان اليهود يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم ، يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم أداؤه في كل سنة . وهؤلاء السادة هم أصحاب الآطام والحصون والأرض . ولمن يشتغل في الأرض تسديد ما عليه لصاحبها في مقابل استغلاله لها . وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل . وعرفت القطعة من الأرض المزروعة نخلاً عندهم بـ (الصورين) (الصور)^١ . ولما كانت الأرضون المزروعة واسعة ، كانت خارج الآطام والحصون ، يحميها حراسها والمشتغلون بها أيام ثمرتها . وأما في أيام الغزو والحروب ، فقد كانت معرضة لهجوم المهاجمين . وهذا ما كان يعرض أعظم غلة لليهود للخطر ، ولهذا شق عليهم كثيراً، وانهارت مقاومتهم حين أمر الرسول بقطع النخل وتحريقه، وأخذوا يلتمسون منه وقف ذلك . ويتولى الأبحار الأمور الدينية وتنفيذ الأحكام والنظر فيما يحدث بين الناس من خصوصيات . يقيمون لهم الصلوات وبقية شعائر دينهم ، ويعلمونهم في بيوت المدارس .

وقد أدى التنافس بين سادات يهود الى نشوب معارك بينهم في الجاهلية . وقد أشار اليها القرآن الكريم وأنتبههم على ذلك . واضطرت بنو قينقاع بسبب ذلك وبضغط بني النضير وبني قريظة الى الالتجاء الى أحياء يثرب والى مخالفة الخزرج ، وفي مقابل ذلك تحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس ، فصاروا فرقتين : فرقة مع الخزرج ، وفرقة مع الأوس .

وفي تأنيب يهود ، لتخاصمهم وتنايذهم واخراجهم بعضهم بعضاً من ديارهم وأسر بعضهم بعضاً وافتداء الأسرى كالذي وقع بين بني قينقاع وبني النضير ، نزل الوحي : « وإذ أخذنا ميثاقكم ، لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم

١ الروض الانف (٢/١٩٤) ، ابن هشام (٢/١٩٥) ، (حاشية على الروض) ، (الصور : أصل النخل) ، (الصور : النخلة) ، تاج العروس (٣/٣٤٣) ، (صور) .

من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان . وإن يأتوكم أسرى ، فتدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ^١ . أنبهم لأنهم فعلوا فعل المشركين والأعراب ، مع أنهم أهل دين واحد وكتاب . أما المشركون فلا لوم عليهم ، لأنهم لم يكونوا على دين ، وليس لهم كتاب يأمرهم وينهاهم .

وفي المعارك والخصومات التي تقع بين يهود ، كانوا يؤدّون الدية . وهي على ما يظهر من روايات أهل الأخبار مختلفة ، وغير متكافئة . فكان بنو النضير يؤدّون الدية كاملة لشرفهم في يهود ، أما بنو قريظة ، فكانوا يؤدّون نصف الدية . وفي خلاف في أداء الدية وقع بينهم ، التجأوا إلى الرسول للحكم بينهم ، فذكروا له هذا الاختلاف ، فحكم بالدية متساوية . وفي هذا الحكم نزلت الآية : « سمعون للكذب ، أكّالون للسحت ، فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إن الله يحب المقسطين » ^٢ . ذكر علماء التفسير عن (ابن عباس) أنه قال : « كانت قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودى مائة وسق من تمر ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا : ادفعوه إلينا لنقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط . النفس بالنفس ، ونزلت أفحكم الجاهلية يبغون ^٣ .

وذكر علماء التفسير في تفسيرهم للآيات المتقدمة ، ان أحبار اليهود لم يكونوا يحكمون بالحق فيما بين الناس ، كانوا يحابون ويتمحبون ويحكمون بالباطل ويأكلون (السحت) أي الرشا ، جزاء حكمهم بالباطل . وكانوا يتساهلون في تطبيق أحكام

١ البقرة ، الآية ٨٤ وما بعدها ، روح المعاني (٣٠٩/١) ، ابن هشام (٢٣/٢) ،
(حاشية على الروض) .

٢ المائدة ، الآية ٤٢ .

٣ تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٧/٦) ، تفسير الطبري (١٥٧/٦) .

الشرعية مع الشريف لشرفه ، ويتشددون مع الدنيء لدنائه وفقر حاله ، ولا يراعون التساوي في أخذ الديّات . « كان الشريف إذا زنى بالذنيّة رجموها هي وحوا وجه الشريف وحملوه على البعير ، أو جعلوا وجهه من قبل ذنب البعير . وإذا زنى الدنيء بالشريفة ، رجموه » . وكان هذا شأنهم « الى ان زنى شاب منهم ذو شرف ، فقال بعضهم لبعض لا يدعكم قومه ترجمونه ، ولكن اجلدوه ومثلوا به ، فجلدوه وحملوه على حمار أكاف وجعلوا وجهه مستقبل ذنب الحمار . الى ان زنى آخر وضع ليس له شرف ، فقالوا ارجموه . ثم قالوا فكيف لم ترجموا الذي قبله ، ولكن مثل ما صنعتم به فاصنعوا بهذا » ، واختلفوا فذهب فريق منهم الى الرسول ، فحكم بينهم بما جاء بحكم التوراة^١ .

وذكر ان (حيي بن أخطب) كان قد حكم ان للنضري ديتان وللقرظي دية ، لأنه كان من النضير^٢ .

وذكر أهل الأخبار انه كان لليهود حكام يحكمون بينهم ، وقيمون حدودهم عليهم . فلما جاء الرسول الى يثرب ، صار اليهود يعترضون على عدالة حكم بعضهم ، ولا يرضون بتنفيذ أحكامهم عليهم . فكان الحكام او هم يذهبون الى الرسول لكي يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون وفق شريعتهم^٣ .

وكان جلّ اعتماد اليهود في هذه المنطقة عند ظهور الاسلام على التجارة ، ومعاطاة الربا والزرع ، وبعض أنواع الصناعة : كالصياغة ، وتربية الماشية والدجاج ، وصيد الأسماك في أعالي الحجاز على ساحل البحر الأحمر . واشتهروا بالانتجار بالبلح وبالبز والشعير والخمر ، وكانوا يجلبون الخمر من بلاد الشام . وكانوا يبيعون بالرهن ، يرهن المشترون بعض أمتعتهم عندهم ليستدينوا منهم ما يحتاجون اليه . وقد ورد ان الرسول رهن درعاً له عند يهودي من أهل يثرب في مقابل شعير كان به حاجة شديدة اليه^٤ .

ومن الصناعات التي اشتغل بها اليهود، النسيج وهو من اختصاص نسائهم على

١ تفسير الطبري (١٥٧/٦) .

٢ تفسير الطبري (١٥٧/٦) .

٣ تفسير القرطبي ، الجامع (١٨٧/٦) .

٤ البخاري (١٦/٢ ، ٤٥) ، فتوح البلدان (٦٠) ، ولغفسيون (ص ١٨) ،

Islamic Culture, 1929, III, No., 2, p. 187.

الأكثر ، والصياغة وقد اختص بها بنو قينقاع ، والحدادة ، وهي صناعة يأنف منها العرب ويزدرونها ويرونها من الحرف المقنونة الحقة .

ولم يكن من مصلحة اليهود ، وهم أهل زرع وضرع ومال وتجارة وأرض ثابتة وقصور وأطام ، أن يشتركوا في الحروب أو يشجعوا وقوعها في ديارهم وفي جوارهم ، بل كان من مصلحتهم أن يعم الاستقرار البلاد التي يقيمون فيها ، ليعيشوا عيشة هنيئة ، وليبيعوا ما عندهم من الأعراب وليشتروا منهم ما عندهم من سلع وليقبضوا أموالهم منهم والأرباح التي استحققت على تلك الأموال .

وفي النزاع الذي يقع بين القبائل ، لم يكن من مصلحتهم تأييد حزب على حزب ، خوفاً من الوقوع في أخطاء تجر عليهم أخطاراً ومهلكاً هم في غنى عنها وفي مأمن من شرّها . ثم إنهم بتحزبهم لطرف يغضبون الطرف الآخر ، فيضمرون عندئذ شراً لهم ، فيخسرون بذلك مشرياً وبائعاً . وهم أناس اصحاب سوق وتجارة . غير أن الظروف كانت تكرههم في بعض الأحيان على الاشتراك في الحرب ، وعلى إثارة الحرب أيضاً متى وجدوا في إثارتها فائدة لهم ومصلحة ترتجى كأن ينهكوا العدو بحرب مع عدو آخر بإيقاع الفتنة وإشعال النيران ، كما أوقعوا بين الأوس والخزرج ، لإضعاف الطرفين معاً ، حتى لا تبقى لهم قوة تهددهم وتكون خطراً عليهم .

وفي يوم بعث استعان الأوس ببني قريظة والنضير ، فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا اليهم يحذرونهم من سوء عاقبة الاشتراك في هذا النزاع ، فتوقفوا ، غير أنهم عادوا فعاونوا الأوس ، وانضم اليهم بنو النبيت . فلما كسب الأوس الحرب ، كسب بنو قريظة والنضير والنبيت غنائم من الخزرج ، وخرجوا في هذا اليوم منتصرين بانتصار الأوس^١ .

ويذكر أهل السير والأخبار : أن يهود يثرب كانوا إذا تضايقوا من الأوس والخزرج هددوهم بقرب ظهور نبي يستعلون به عليهم . ففي رواية عن بعض الصحابة أنهم قالوا : « كنا قد علوناهم في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه ، قد أطل زمانه ،

١ ابن هشام (٢/٩٤) ، اليهود (ص ٦٢ وما بعدها) .

نقتلكم معه قتل عاد وإرم»^١ . ولما ذكرهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور ونقر آخرون بدعواهم تلك ، وبظهور النبي العربي بقولهم لهم : «يا معشر يهود ، اتقوا الله ، واسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، ونخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته » ، فكان جواب يهود لهم ما جاء على لسان سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالنبي كنا نذكره لكم . وقد أشير إلى ذلك في القرآن الكريم : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا ، كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين»^٢ .

واستفتاح اليهود على المشركين ، هو للتفريج عن أنفسهم ولتخويف الأوس والخزرج ولاعتقادهم حقاً بظهور مسيح منهم ، أي من بني اسرائيل. ولهذا أنكروا نبوة الرسول ، وأبوا التسليم بها ، لأنه لم يكن منهم ، ولأن النبوة لا تكون — على رأيهم — إلا في بني اسرائيل. فكيف يصدقون بنبي عربي من الأميين (نبي أموت ها عولام) Nebi'e Ummot ha-'Olam .

يهود اليمن :

والموضع الثاني الذي عشت فيه اليهودية وباضت ، هو اليمن . ففي هذه الأرض من جزيرة العرب ظهر التهود فيها ظهوراً واضحاً ، وصارت اليهودية ديانة البلاد الرسمية . أما كيفية مجيئها وانتشارها هناك ، ومتى كان ذلك ، فليس لدينا علم واضح دقيق عن ذلك . ويزعم أهل الأخبار ان تبعاً ، وهو التبّع (تبّان اسعد ابو كرب) ، اهتدى الى هذه الديانة عند اجتيازه يثرب وهو عائد الى اليمن من حرب قام بها في الشمال وفي ايران ، وذلك بتأثير بعض الأخبار عليه ، ومنذ ذلك الحين صارت هذه الديانة ديانة رسمية للبلاد^٣ .

وتجعل بعض روايات الأخباريين اسم هذا التبّع (تبّع بن حسان) أو (حسان)،

١ ابن هشام (١٦٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، تفسير الطبري (٣٢٤/١) .

٢ البقرة ، الآية ٨٩ ، تفسير الطبري (٣٢٤/١) ، روح المعاني (٢٨٩/١) .

٣ الطبري (١٠٥/٢) وما بعدها ، «طبعة دار المعارف بمصر» .

وهو (تبع الأصغر) ، او (أبو كرب بن حسان بن اسعد الحميري) أو غير ذلك . وتزعم ان حبرين من أحبار اليهود من بني قريظة عالين راسخين في العلم ، هما اللذان هديا التبغ الى اليهودية ، وأبعدها عن عبادة الأوثان^١ .

وقد يكون لهذه الروايات شيء من الصحة ، غير أنني أرى ان دخول اليهودية الى اليمن مرده ايضاً الى اتصال اليمن من عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشام . وفي قصة سليمان وملكة سبأ إشارة الى تلك الصلات ، والى هجرة جماعات من اليهود الى هذا القطر عن طريق الحجاز ، بعوامل متعددة ، منها : التجارة والهجرة الى الخارج ، وهروبهم من اضطهاد الرومان لهم ، وعوامل أخرى جعلتهم يتجهون من الحجاز الى اليمن ، فأقاموا هناك .

وأما يهود اليمن المحدثون فإن أحبارهم ورجال العلم والفهم منهم يرجعون وجودهم في اليمن الى أيام السبي ، أي الى أيام (بخت نصر) ، وهم يزعمون أنهم بقوا في اليمن منذ ذلك الحين ولم يعودوا الى فلسطين^٢ . وقد غادروا اليمن بعد التقسيم .

وقد أشار حبر يسمى (ربي عاقبة) (رباي عقيبة) Rabbi 'Aqiba ، في حوالى سنة (١٣٠ م) ، الى زيارته للملك عربي كوشي (مليخ عرابيم) كانت زوجته كوشية كذلك ، وإلى تحذره معه . ويراد بـ (كوش) الأحباش غير ان بعضهم كان يقصد بها العربية الجنوبية كذلك . ولا يستبعد ان يكون مراد الحبر بذلك اليمن ، أو منطقة أخرى من العربية الجنوبية كان الحبش قد استولوا عليها^٣ . وربما قصد منطقة افريقية ساحلية كان يحكمها ملك عربي في ذلك الوقت .

وتدل رحلة (ربي عقيبة) R. 'Aqiba هذه الى اليمن على وجود يهود فيها ، إذ لا يعقل سفره هذا الى تلك البقعة النائية وتجشمه مشقته ، لو لم تكن هناك

١ الاغانى (١٠٩/١ وما بعدها) ، (١٢٠/١٣ وما بعدها) ،

Caussin de Perceval, Essai, I, 91, Nallino, Raccolta, III, p. 88.

٢ Travels and adventure of the Rev. Pöseph Walf, London, 1861, p. 509, R. Dozy, Die Israeliten zu Mekka von David Zeit bis in's fünfte Jahrhundert unsrer Zeltrechnung, 1864, S. 135.

٣ Islamic Culture, III, 2, p. 190 (1929), Josephus, Antiquitate, XV, 3, 29, Die Araber, III, S., 22. Talmud Babil, in Rosh Hashnah, 28a, Kraus, in ZDMG., S. 331, 1916.

جالية يهودية فيها . وقد يجوز ان تكون سفرته الى اليمن مجرد سفرة استطارق وعبور ، لغاية الذهاب من اليمن إلى الحبشة ، ولكنني لا أستبعد مع ذلك وجود اليهود في اليمن في هذا العهد ، إذ كان (أوليوس غالوس) قد جاء بجمع منهم معه في حملته على اليمن ، فيجوز ان يكون بعضهم قد فضل البقاء في اليمن والسكن فيها لطيبها ولخصب أرضها وتعبهم من السفر ، ففضلوا لذلك البقاء على الرجوع وتحمل المشقات والجوع والعطش والهلاك . وقد هلك بالفعل القسم الأكبر من رجال الحملة بسبب صعوبة الطريق والحر الشديد والجوع والعطش^١ .

وقد عثر على كتابة من كتابات القبور في (بيت شعاً ريم) Beth She'arim في جنوب شرقي حيفا ، ورد فيها : (منحم قولن حميرن) Mnhm Kwlñ hmyrn أي (مناحيم قيل حمير) . والموضع الذي وجدت هذه الكتابة فيه ، هو مقبرة من مقابر كبار الأقباط ، وقد وجدت معها كتابات أخرى ، تشير إلى أسماء أقباط معروفين قبروا فيها . لذلك فإن (مناحيم) (قيل حمير) هو يهودي ، قد كان جاء إلى فلسطين للزيارة أو للاتصال بعلماء اليهود الذين كانوا قد تجمعوا في (بيت شعاً ريم) ، فمرض ومات هناك . ودفن في مقبرة هذا الموضع . ويرجع الباحثون تأريخ الكتابة المذكورة إلى حوالي سنة (٢٠٠ م)^٢ .

واستدل بعض المستشرقين بنص دوتنه (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) على سد مأرب ، وردت فيه جملة (بعلى سمن وارضن) ، أي (رب السماء والأرض) على تهوده بحجة ان هذه العبارة تشير إلى التوحيد الخالص ، والتوحيد الخالص هو عقيدة يهود^٣ .

وقد ذكر المؤرخ النصراني (فيلوستورجيوس) Philostorgius في حوالى سنة ٤٢٥ م ، ان أهل سبأ كانوا يتبعون في (السبت) سنة (ابراهيم) ، ولكنه ذكر أيضاً انهم كانوا يعبدون الشمس والقمر ومعبودات أخرى ، وان بعضاً منهم كان على دين يهود ، وانه قاوم رسالة (ثيوفيلس) Théophilus الذي أرسله القيصر

Ullendorff, in Journ. of Sem. Stud., Vol., I, Num. 3, July 1956, p. 221. ١

S. D. Goitein, Jews and Arabes, New York, 1955, p. 47, Die Araber, III, S., 16. ٢

ff., Corp. Inscript. Iudae., 2, 1952, 207, Nr. 1137, Driver, in Hebrew and Semitic Studies, 1963, 151. f.

Islamic Culture, 1929, III, 2, p. 191, Margoliouth, Relations, p. 68. ٣

قسطنطين (٣٤٠ - ٣٦١ م) للتبشير بين الحميريين . وذكر المؤرخ (ثيودور لكتور) Theodorus Lector ، وهو من رجال النصف الأول للقرن السادس للميلاد ، ان الحميريين كانوا في بادئ أمرهم على دين يهود ، دخلوا فيه في أيام ملكة سبأ المعروفة بقصتها مع سليمان ، بدعوتها إياهم الى هذا الدين. ولكنهم كما يقول هذا المؤرخ عادوا فارتدوا الى الوثنية ، ثم دخلوا بعدئذ في النصرانية في أيام انقيصر (أنسطاس) Anastasius (٤٩١ - ٥١٨ م) . ولم يشر هذا المؤرخ الى وجود اليهودية بين الحميريين ، كما انه لم يشر ولا المؤرخ الآخر الى يهود أحد من ملوك حمير^١ .

وفهم من الجمل : « وان اليهود الكاثنين في طبرية يرسلون سنة فسنة ووقتاً فآخر كهنة منهم الى هناك لإثارة السجس^٢ بين نصارى الحميريين. فلو كان الأساقفة نصارى وليسوا بشركاء لليهود ، ويودّون ان تستقيم النصرانية ، لرغبوا الى الملك وعظائمه ، ليلقوا القبض على رؤساء كهنة طبرية وبقية المدن، ويلقوهم في السجن . ولا نقول هذا لنجاذي سيئة بسيئة ، بل ليتوثقوا منهم بكفلاء حتى لا يعودوا يرسلون رسائل وأشخاصاً وجيئين الى ملك الحميريين ، فيصب صاعقة الأرزاء على شعب المسيح في حمير ... » ، وهي جمل اقتبسها من رسالة (شمعون) عن تعذيب نصارى نجران ، ان يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين ، بل كانوا على اتصال بهم ، وان أحبار طبرية كانوا يرسلون رجالاً منهم الى اليمن ومعهم أموال ووجوه الى يهودها وملكها وكبارها للتأثير فيهم ولتوثيق صلاتهم وروابطهم بهم . وقد نسب شمعون الى أحبار طبرية ، انهم كانوا يحرضون ملك حمير ويهود حمير على الضغط على نصارى اليمن وعلى اضطهادهم انتقاماً منهم ، فطالب الحكومة والنصارى على الضغط على يهود فلسطين وعلى أحبار طبرية بصورة خاصة ، ليكتبوا الى يهود حمير بالكف عن التحرش بنصارى اليمن ، وعن تهديدهم بانزال العقوبات بهم انتقاماً منهم إن لم يسدوا لهم النصيح .

وورد في أخبار الشهداء الحميريين : أن أحباراً من فلسطين من (طبريا) Tiberias ، كانوا قد جاؤوا لإخوانهم في الدين يهود اليمن وسكنوا معهم^٢ . ومعنى

١ Margollouth, p. 62 f., Migne, Patrologia Graeca, XXXV, p. 211, Islamic culture, 1929, III, 2, p. 190, Philostorgius, Hist. Eccl., III, 5.
٢ Margollouth, p. 68.

هذا أن الصلات بين يهود اليمن ويهود فلسطين كانت موجودة ، وأن يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين ، ويجب أن يقال مثل ذلك عن يهود الحجاز ، إذ لا بد وأن يكون ليهود الحجاز اتصال بيهود فلسطين وبيهود اليمن . وكيف لا يكون لهم اتصال بهم ، وهم جيران فلسطين ولهم تجارات معهم ، ثم لأنهم على طريق اليمن وفلسطين ، فإذا أراد يهود فلسطين الذهاب الى اليمن ، أو يهود اليمن الذهاب الى فلسطين فلا بد من المرور بأرض يهود الحجاز والتزول بهم .

وقد عثر في اليمن على نص مكتوب بالمسند ، وردت فيه كلمة (اسرائيل) و (رب يهود) . ويدل هذا على أن صاحبه كان على دين يهود . عثر عليه المستشرق (كلاسر) ونشره المستشرق (ونكلر) ، وهذا هو : « تبرك سم رخنن ذ بسمين (سمن) ويسر ال والهمو رب يهود . ذ هرد عبدهمو وشجرم واهوبوم (؟) وحشكهتو شسم واولدهمو ذم (؟) وابشعر ومار وكل ابه »^١ . وأما كتابته بلهجتنا ، فعلى هذا المنوال : « تبارك اسم الرحمان الذي في السماء واسرائيل ولله رب يهود الذي ساعد عبده شحراً وأمه بم (؟) وزوجته شمساً وأولاده ذم (؟) وأبشعر ومثاراً وكل أهله (بيته) .

غير أن من الباحثين من يشك في صحة نقل هذا النص نقلاً صحيحاً تاماً ، ولم يتأكد من صحة نقل كلمة (اسرائيل)^٢ .

واليهودية وإن ضعفت في اليمن بدخول الحبشة فيها ، بقيت مع ذلك محافظة على كيائها ، فلم تنهزم ، ولم تجتث من أصولها ، وبقيت قائمة في هذه البلاد في الاسلام كذلك فلم يجلب أهلها عنها كما أجلب أهل خيبر ، وظلت بقيتهم هناك الى سُنَيَات قريبة حيث غادروها على أثر حوادث فلسطين .

وقد كانت (نجران) من المستوطنات المهمة التي نزل بها اليهود في اليمن^٣ . وهي مكان خصب ، وقد عاش اليهود فيها مع غيرهم من العرب من نصارى وعبداء أصنام .

ووجد اليهود في مواضع أخرى من جزيرة العرب . وجدوا في العربية الشرقية

Glaser 394-395, Revue des Etudes Juives, 1891, vol., 23, p. 122, Winckler, ١

AOF, I, S. 337.

Margollouth, p. 68. ٢

معجم (٣٢٧/١) . ٣

وفي نجد وفي مواضع من العربية الجنوبية . ولما ارتد (بنو وليعة) والأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي ، وتحصن (الأشعث) في النجير) ، وهو حصن لهم ، كانت فيه امرأة من يهود ، عرفت بشماتها بوفاة الرسول ، اسمها (هند بنت يامين) اليهودية ^١ . مما يدل على وجود اليهود في هذا المكان . وكان بالبحرين قوم من اليهود ، صالحوا المسلمين مثل النصاري على دفع الجزية عن رؤوسهم ^٢ . وقد كتب (المنذر بن ساوى) العبدي ، يخبر الرسول أن بأرضه يهود ومجوس ، فكتب اليه الرسول : « من أقام على يهودية ، أو مجوسية فعليه الجزية » ^٣ .

١ البلاذري ، فتوح (١١١) ، « ردة وليعة والأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي » .

٢ البلاذري ، فتوح (٨٩ ، ٩١) ، (البحرين) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٣/١) .

الفصل السابع والسبعون

اليهود والاسلام

ويتبين من القرآن الكريم ، أن اتصال الرسول باليهود اتصالاً مباشراً إنما كان في يثرب . أما في مكة ، فلم يكن لليهود فيها شأن يذكر ، لذلك لا نجد في الآيات المكية ما نجده في الآيات المدنية، ولا سيما المتأخر منها ، من تقرير لليهود وتوبيخ لهم ، لوقوفهم موقفاً معادياً من الاسلام ، واتفاقهم مع المشركين في معارضة الرسول ومقاومته . وقد بدأ اليهود يعارضون الرسول والاسلام ، حينما طلب اليهم الدخول في الاسلام والإيمان برسول الله ، وحينما تبين لهم أن الأمر سيفلت من أيديهم ، وأن الرسول ليس كبقية رجال قريش أو غير قريش سهل الانقياد مطواعاً لهم ، وأن تعاليم الاسلام ستفسد العرب عليهم ، ولا سيما بعد تحريم الربا . والربا مورد مهم كان يدرّ ربحاً عظيماً على يهود ، لهذا وجدوا مصلحتهم في معارضته ومقاومته وفي الاتفاق مع المشركين عليه .

ويظهر أنه لم يكن لليهود نفوذ كبير ولا جاليات كبيرة في مكة . فلو كان لهم نفوذ فيها أو رأي مسموع ، لسمعنا به كما سمعنا بخبرهم في يثرب ، ولكان لهم حيّ خاص بهم ، ومكانة بين رجال قريش ، كالذي كان عليه يهود يثرب في اتصالهم بالأوس والخزرج . ولأشير اليهم في السور المكية ، على نحو ما أشير اليهم في السور المدنية ، ثم لما اضطّر رجال قريش للذهاب الى يثرب مراراً ، لاستشارتهم في أمر سلوكهم مع المسلمين، ولما جاء سادات يهود يثرب الى مكة ، لتحريض أهلها على مقاومة الرسول ، ولعقد حلف معهم عليه .

وقد أمل المسلمون ان يساعد اليهود الاسلام على الوثنية وان يقفوا منه موقف ود أو حياد ، ذلك بأنهم أصحاب كتب مُنزلة ودين توحيد ، والاسلام قريب منهم ، وقد اعترف بالأديان السابقة له ، ونزه الأنبياء والمرسلين ، وهو دين توحيد كذلك . ثم إن الرسول تودد اليهم حين دخوله يثرب، وأمنهم على أموالهم وأنفسهم ، وزارهم وطمأنهم ، ثم تعاهد معهم في صحائف كتبت لهم ، فيها العهد بالوفاء لما اشترط لهم ، ما داموا موفين بالوعد وبالعهد . وقد طلب الى جميع المسلمين الوفاء بما جاء فيها ، ومنعوا من التجاوز والتطاول على من في يثرب من يهود^١ . وجعل لليهود نصيباً في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم النفقة معهم في الحروب .

ولم تكن علاقات اليهود مع المسلمين سيئة في الأيام الأولى من مجيء الرسول الى يثرب . رأت جمهرة يهود ان الاسلام دين اعترف بالأنبياء ، وانه دين توحيد وانه في جملة أحكامه قريب من أحكام ديانتهم وقواعدهم، وانه يناهض الأوثان ، وقد أشاد بفضل بني اسرائيل وبتفوقهم على غيرهم بظهور الأنبياء من بينهم ، ثم إن قبلته الى القدس ، وقد تسامح معهم فأباح للمسلمين طعام أهل الكتاب^٢ . وهو دين اعترف بأبوة ابراهيم للعرب ، وجعل سنته سنة له . وقد تسامح معهم وحفظ ذممهم ، فلم ترَ في انتشاره بين أهل يثرب ما يضيرهم شيئاً أو يلحق بهم أذى ، ولذلك أظهرت استعدادها لعقد حلف سياسي معه ووقوفها موقف ود منه او موقف حياد على الأقل ، على ألا يطلب منها تغيير دينها وتبديله والدخول في الاسلام .

ولما دخل أهل يثرب في الإسلام أفواجا ، وتوجه المسلمون الى اليهود يدعونهم الى الدخول فيه والى مشاركتهم لهم في عقيدتهم باعتبار أنهم أهل دين يقول بالوحي ويؤمن بالتوراة ، وبرسالة الرسل، فهم لذلك أولى بقبول هذه الدعوة من الوثنيين ، أدركت جمهرتهم ان الإسلام إذا ما استمر على هذا المنوال في المدينة من التوسع والانتشار ومن توجيه دعوته الى اليهود أيضاً ، فسيفضي على عقيدتهم التي ورثوها وهي عقيدة لا تعترف بقيام نبي من غير بني اسرائيل ولا بكتب غير التوراة

١ ابن هشام (٧٤/٣ ، ١٩٧) ، الروض الانف (١٦/٢) ، (كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود) .
٢ المائدة ، الآية ٤٨ .

والكتب التي دونها علماءهم ، ثم هم يرون ان النبوة قد ختمت ولن يكون المسيح
إلا منهم ، فكيف يعتقدون بنبي عربي وهو من الأميين ؟

وقد رفض اليهود الدخول في الإسلام ، وأبوا تغيير دينهم ، ودافعوا عن
عقيدتهم وتمسكوا بها ، ورفضوا التسليم بما جاء في رسالة الرسول من أن الرسول
نبي أرسل للعالمين كافة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن القرآن كتاب مصدق
من الله ، وأن أحكامه مؤيدة لما جاء في التوراة ناسخة لبعضها . وقد جادلوا في
ذلك ، وانبرى أحبارهم للدفاع عن عقيدتهم ولمجادلة من يأتي اليهم من المسلمين
لاقتناعهم في الدخول في الإسلام . وفي القرآن الكريم صور من جادلهم هذا
ومن حاجتهم الرسول في دعوتهم ، كما نجد مثل ذلك في الحديث النبوي وفي
كتب السير .

ويتبين من نتائج دراسة صور هذا الجدل والخصام الذي وقع بين اليهود
والمسلمين ، وهو خصام مهم خطير ، أن الخصومة كانت في مرحلتها الأولى
رفضاً لدعوة الرسول إليهم للدخول في الإسلام ، وتمسكاً شديداً بعقيدتهم وبدينهم
وبما ورد عندهم من أن النبوة قد بدأت وانتهت في بني اسرائيل ، ثم تطورت
واشتدت عنفاً وقوة لما تبين لهم أن الإسلام يرفض نظريتهم هذه ، وأنه قد حرم
أموراً ستؤثر في مستقبلهم ، وقد ألف بين قلوب أهل يثرب وأوجد منهم كتلة
واحدة ، وأنه سيحصد من سلطانهم لا محالة ، وأن ملكهم سيزول ، فوسعوا
مقاومتهم له ، واتصلوا بمن وجدوا فيه حقداً وبغضاً للرسول ، وبمن تأثر سلطانه
بدخول الاسلام في يثرب من أهلها ، ثم لما وجدوا أن كل ذلك غير كاف ،
تراسلوا مع أعداء الرسول في خارج يثرب من قريش ، لتوحيد خططهم معهم ،
ولحملهم على مهاجمة المسلمين في مدينتهم ومعقلهم قبل أن يستفحل أمرهم ويقوى
مركزهم ، فيعجزون جميعاً هم وأهل مكة عن التغلب عليهم والقضاء على الاسلام .

وهكذا بدأت خصومة اليهود للاسلام خصومة فكرية ، هم يرفضون الاعتراف
بنبوة الرسول ، وبأن دعوته موجهة اليهم ، ويرفضون نبوة في غير بني اسرائيل ،
والرسول يدعوهم الى الايمان بالله والى الدخول في دعوته المبنية على الايمان بالله
رب العالمين ، رب العرب وبني اسرائيل والعجم ، وعلى الايمان بنبوته وبنبوة
الأنبياء السابقين ، ثم تطورت هذه الخصومة الى معارك وحروب ، والحروب كما
نعلم تبدأ نزاعاً في الآراء والأفكار ثم تتحول الى صراع ونزاع وقتال .

ومن أشهر سادات يهود الذين وقفوا موقفاً معادياً من الرسول ، وعارضوه معارضة شديدة ، وصمموا على الايقاع به ، حيي بن أخطب ، وأخواه ياسر بن أخطب وجدّي بن أخطب^١ ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن الربيع بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور الذي قتله أصحاب الرسول بخيبر ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف ، وكل هؤلاء من بني النضير ، وعبدالله بن صوري الأعور^٢ ، وابن صلوبا ، وهما من بني (ثعلبة بن الفطيون) ، وزيد ابن اللعيث (اللعيب)^٣ ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سيحان (سبحان) ، وعزير بن أبي عزيز ، وعبدالله بن صيف (صيف) ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضنا (أمنا ؟) ، وبحري ابن عمرو ، وشاس بن عدي ، وشاس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان ابن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ، وعسدي بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن الصيف (الضيف) ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، ولزار بن أبي لزار (آزر بن أبي آزر) ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وكل هؤلاء من يهود بني قينقاع^٤ .

أما الذين حاربوا الاسلام من بني قريظة ، فكانوا : الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل (سموأل) ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الأحزاب ، وشمويل بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة (زميلة) ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهودا .

أما من بقية بطون يهود ، فكانوا : لبيد بن أعصم ، وهو من يهود بني زريق ،

١ (جد بن أخطب) ، (جدي بن أخطب) ، (حدى بن أخطب) ، الروض الانف (٢٤/٢) .

٢ الروض الانف (٢٤/٢) .

٣ (ابن اللعيب) ، ابن هشام (١٣٦/٢) .

٤ ابن هشام (١٣٦/٢) وما بعدها ، الروض الانف (٢٤/٢) ، (تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن) .

وكنانة بن صورياء (صوريا) ، وهو من بني حارثة ، وفردم (قردم) بن عمرو ، وهو من يهود بني عمرو بن عوف ، وسلسلة بن برهام ، وهو من يهود بني النجار^١ .

ويظهر من أقوال علماء التفسير في تفسير لفظة (الطاغوت) الواردة في القرآن الكريم ، أن (كعب بن الأشرف) ، كان من أبرز سادات اليهود في أيام الرسول^٢ . فقد كانوا يتحاكمون اليه ويأخذون برأيه ، وكان المقدم عندهم وعند الأوس والخزرج ، حتى أن الأنصار كانوا يتحاكمون اليه .

ونجد في القرآن أمثلة من أسئلة وجهها اليهود الى الرسول لاجراجه وإظهار فساد دعوته بزعمهم . سألوه أن يأتي لهم بمعجزة ، إذ قالوا له : « إن الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يؤتينا بقربان تأكله النار »^٣ ، فنزل الرد عليهم : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم ، فلم يمتلئموهم إن كنتم صادقين »^٤ . « نزلت في كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ، ووهب بن يهوذا ، وفنحاص بن عازورا ، وجماعة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : له : أترعم أن الله أرسلك الينا ، وأنه أنزل علينا كتاباً عهد الينا فيه ألا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فإذا جئنا به صدقناك ، فأنزل الله هذه الآية »^٥ . وسألوه « أن يصعد الى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة ، كما أتى موسى بالتوراة »^٦ . وسألوه أسئلة عن أشياء مذكورة في التوراة ، وسألوه عن أشياء أخرى مخرجة عديدة ، وأوحوا الى غيرهم من المشركين بأسئلة مماثلة ليلقوها على الرسول لامتحانها وإجراجه ، وقد نزل الوحي بالرد عليهم ، وبتأنيبهم على أقوالهم هذه ، وبتدكيرهم

-
- ١ وتختلف الموارد في ضبط هذه الاسماء ، ابن هشام (١٣٧/٢) وما بعدها ، الروض الانف (٢٤/٢) .
 - ٢ تفسير الطبري (٩٧/٥) وما بعدها .
 - ٣ سورة آل عمران ، الآية ١٨٣ .
 - ٤ الآية نفسها .
 - ٥ تفسير القرطبي (٢٩٥/٤) ، روح المعاني (١٢٨/٤) وما بعدها ، تفسير الطبري (١٣١/٤) وما بعدها .
 - ٦ سورة النساء ، الآية ١٥٣ ، تفسير القرطبي (٦/٦) ، تفسير الطبري (٦/٦) وما بعدها ، روح المعاني (٥/٦) ، ابن هشام (١٩٨/٢) .

بما قام به أجدادهم وأسلافهم في مقام أنبيائهم من عدم التصديق برسالتهم ومن الطعن بهم ومن لإصرارهم على عبادة الأوثان والكفر بالتوحيد^١.

ووقع جدل بين المسلمين وبين سادات يهود ، أثار نزاعاً بين الطرفين . دخل أبو بكر « بيت المدارس ، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمع الى رجل منهم يقال له (فنحاص) كان من علمائهم وأخبارهم ومعه خبر يقال له : أشيع . فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم ، فوالله انك لتعلم ان محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجمدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل . قال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقر ، وما نتضرع اليه ، كما يتضرع الينا وإنا عنه لأغنياء . ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا ، كما يزعم صاحبكم . ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك^٢ . ووقع مثل ذلك في مناسبات أخرى ، جعل اليهود يحقدون على المسلمين .

وعمد اليهود إلى استغلال الأحقاد والبغضاء الكمينية التي كانت كامنة في نفوس اهل يثرب من الأوس والخزرج من ايام الجاهلية ، فأثاروها ، كما استفادوا مما كان بينهم وبين رجال من المسلمين من الحلف والجوار في الجاهلية للاحتماء بهم وللاتقاء بهم مما قد يلحق بهم من أذى في اثاره الفتنة .

وفي عهد (عمر) أمر بإجلاء اليهود ممن لم يكن لديهم عهد من رسول الله . أما من كان له عهد منه ، فقد بقي في وطنه وعلى دينه بالشروط التي ذكرت في الصحف . وقد كان في يثرب نفر من اليهود عاشوا فيها في زمن الرسول حتى بعد اجلاء بني النضير وبني قريظة وبعد غزوة خيبر . وقد ورد في رواية أن النبي لما أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوة خيبر ، شق ذلك على من بقي بالمدينة من يهود^٣ . ولما مرض عبدالله بن أبي ، كان اليهود في جملة من التف حول سريره في مرضه الذي هلك فيه ، ثم كانوا في جملة من شيعه الى قبره ومن

١ سورة البقرة ، الآية ١٠١ ، ابن هشام (٢/١٦٧ ، ١٧١ ، ٢٠١) .

٢ آل عمران ، الآية ١٨١ ، تفسير الطبري (٤/١٢٩ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (١/٥٤٨) ، (طهران) .

٣ الطبقات ، لابن سعد (الجزء الثاني من المصم الاول (ص ٧٧) .

نثر التراب على رأسه حزناً على فراقه^١ . وقد بقيت أسر يهودية في وادي القرى وفي نيباء قروناً عديدة بعد صدور أمر عمر بالإجلاء ، بل ورد أن عدداً منهم عاش في المدينة أيضاً .

وقد كانت اليهودية قانعة بما أوتيت ، وبما كسبته من مواطن وتجارة ، إن وجدت سبيلاً الى اقناع سادات القبائل والأمراء والملوك بالتهود وبالدخول في دعوتها ، فذلك خير وتوفيق . وإن لم تجد في هؤلاء ميلاً الى اليهودية ، رضىت منهم باكتساب العطف والحماية ورعايتهم في تحصيل ديونهم والأرباح التي يحصلون عليها من الربا ، وبالسماح لهم بالتجارة والبيع والشراء ، وهو ما يصبو اليه كل يهودي .

لذلك نستطيع ان نقول ان اليهودية كانت من ناحية التبشير عند ظهور الاسلام جامدة خامدة ، لا يهتمها نشر الدين بقدر ما تهتمها المحافظة على الحياة وعلى المركز الذي توصلت اليه وعلى تجارتها التي تعود عليها بمال غزير . فكانت لهذا لا تهتم بحركة إلا إذا وجدت فيها فائدة لها ، ومنفعة ترتجى منها ، ولا تحارب رأياً إلا إذا وجدت انه سيكون خطراً عليها ، فحاربت النصرانية في اليمن لمسا وجدت الروم يسرون على سياسة معادية لليهود ، وان النصرانية مها كانت كنيستها هي فرع من شجرة واحدة هي الشجرة التي يقدها الروم ، فامتداد اي فرع منها الى اليمن ، كفيل بالحاق الأذى الذي لاقاه اخوانهم من البيزنطيين بهم . وحاربت الاسلام بعد هجرة الرسول الى المدينة ، لما تبين لها انه يدعو الى رب العالمين ، وانه لم يكن على ما ظنته حينما سمعت بدعوة الرسول وهو في مكة ، من انه سيخضع لها ، او سيميل اليها ، فتستفيد منه على الأقل ، فلما وجدت الأمر غير ما ظنت ، عندئذ خاضته وانضمت الى المشركين في محاربة الاسلام .

ولسنا نجد بين القبائل العربية يهوداً وفدوا اليها وأجباراً سكنوا بينها لاقناعها بمختلف الوسائل والطرق للدخول في دين يهود . نعم لم يفعل اليهود هذا كما فعله النصارى ، ولهذا انحصرت سكنى اليهود عند ظهور الاسلام في هذه المواضع الخصبية وطرق المواصلات والتجارة البرية والبحرية من جزيرة العرب ، وانحصر عملهم في التجارة وفي الربا وفي الزراعة وفي بعض الصناعات التي تخصصوا بها . وهي أمور جعلت لهم نفوذاً عند سادات القبائل والأمراء والملوك .

١ الواقدي (٤١٥) ، اليهود (١٧٧) .

وقد كانت لليهود مواضع يتدارس فيها رجال دينهم أحكام شريعتهم، وأيامهم الماضية ، وأخبار الرسل والأنبياء ، وما جاء في التوراة والمشنا ، وغير ذلك . عرفت بين الجاهليين بـ (المدراس) و (بيت المدراس) (والمدراس) . وأطلق الجاهليون على الموضوع الذي يتعبد اليهود فيه (الكنيس) و (كنيسة اليهود) تمييزاً لهذه الكنيسة عن (الكنيسة) التي هي لفظة خاصة بموضع عبادة النصارى^١ .

وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الكنيسة كلمة معربة من (كنشت) وهي لليهود ، والبيعة للنصارى . وذهب بعض آخر الى أنها متعبد الكفار مطلقاً^٢ .

وقد أخذ الجاهليون مصطلح (المدراس) من العبرانيين ، من لفظة (مدراش) Midrash التي هي من أصل (درش) Darash التي تقابل (درس) في العربية ، وتؤدي هذه الكلمة المعنى المفهوم من لفظة (درس) العربية تمام الأداء . ويقصد بالمدراس درس نصوص التوراة وشرحها وتفسيرها وإيضاح الغامض منها وأسرارها وأمثال ذلك ، وينهض بذلك المفسر الشارح (درشن) Darshan ، ولكل طريقة واسلوب . وقد نجمت عن هذه الدراسة ثروة أدبية ودينية طائلة للعبرانيين . نتجت من اتباع جملة طرق في الشرح والتفسير ، منها (مدراس هالاخه) Midrash Halachah و (مدراس هاكاده) Midrash Haggadah ، وتختلف هذه في كيفية اتباع طرق العرض والشرح والتفسير^٣ .

ولم يكن المدراس (المدراس) موضع عبادة وصلوات حسب ، بل كان الى ذلك دار ندوة لليهود يجتمعون فيه في أوقات فراغهم لاستئناس بعضهم ببعض وللبحث في شؤونهم ، وللبت في القضايا الجسيمة الخطيرة على اختلاف درجاتها . فهو اذن مجمع الأخبار ومجمع الرؤساء والسادات وأصحاب الشرف فيهم ، واليه كان يقصد الجاهليون حين يريدون أمراً من الأمور او الاستفهام عن شيء يريدون الوقوف عليه ، واليه ذهب الرسول وكبار المسلمين لمحادثة يهود ومجادلتهم فيما

١ اللسان (٣٨٢/٧) ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (١٢٠/٢) ، صحيح مسلم (١٢٢/٥) ، البخاري « كتاب الجزية والموادعة من أهل الذمة والحرب » ، الحديث ٦ ، عرائب اللغة (ص ٢١٣) ، النهاية (٢/٢٠) ، محيط المحيط (١/٦٤٣) ، الفاوس (٢/٢١٥) .

٢ اللسان (٨٣/٨) ، المغرب (٨١) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الاول (ص ٢٠١) .

٣ Ency-Brita., 15, p. 458, Moore, Judaism, I, 125, Jew. Ency., VII, p. 538. f.

كان يحدث بينهم من خلاف أو من أمر يريدون^١ البت فيه . ويقال أنهم عرضوا أمام الرسول كتبهم ، فكان يقرأها له بعضهم ممن دخل في الاسلام كعبدالله بن سلام أو بعض المسلمين ممن كان له علم وفهم في العبرانية لغة يهود .

قال (ابن عباس) : « دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم الى الله ، فقال له نعيم بن عمرو ، والحاتر بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال : على ملة ابراهيم ودينه . فقالا : فإن ابراهيم كان يهودياً . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلما الى التوراة ، فهي بيننا وبينكم ، فأبوا عليه^٢ . ويظهر ان هذا المدراس كان من بيوت مدراسهم بيثرب .

وعرفت مساجد اليهود ، أي المواضع التي كان يصلّون بها ، بالمحاريب جمع محراب . وقد جاءت الاشارة اليها في بيت شعر منسوب الى (قيس بن الخطيم)^٣ . أما في النصرانية ، فقد خصصت الكلمة بصدر الكنائس ، وذلك على ما يفهم من الكلمة في الاسلام^٤ .

وعرف علماء اليهود ورجال دينهم بـ (الأخبار) جمع (الخبر) وبـ (الربانيين) وقد وردت الكلمتان في القرآن الكريم^٥ . وللإسلاميين آراء في أصل (الخبر) ، وهم يذكرون أن من معانيها العالم ، والرجل الصالح^٦ . واللفظة من الألفاظ المعربة عن العبرانية أصلها (حبر) Haber وجمعها حبريم Habarim ، ومعناها (الرفيق) camrade و associate ، وكانت ذات مدلول خاص ومعنى معين . وقد أطلقت في العهد التلمودي على العضوية في جمعية معينة ، فأطلقت في العصر الأول والثاني للميلاد على من كان من (الفروشيم) ، وهم شيعة يهودية أقسمت على نفسها بمراعاة النصوص الدينية (اللاوية) على نحو ما نزلت وعلى نحو ما يفعله اللاويون .

١ الطبري (١٤٥/٧) .

٢ Margoblouth, p. 73.

٣ النصرانية : القسم الثاني ، الجزء الثاني (ص ١٧٤) .

٤ حبر بالضم وبالكسر ، المائدة ، الآية ٤٤ ، ٦٣ ، البقرة ، الآية ٣١ ، ٣٤ .

٥ تاج العروس (١٢٠/٣) ، (حبر) ، اللسان (٢٢٨/٥) ، المفردات ، للاصفهاني (ص ١٠٤) .

وللفظة (حبر) أهمية كبيرة عند اليهود ، فإنها تشير الى العلم والمعرفة ، وان كانت لا تصل الى درجة (رابي) (ربي) Rabbi . ولا تزال مستعملة عندهم فيمن درس الشريعة اليهودية والعلوم الشرعية وتقدم فيها وأتقن الأحكام ، وقضى بين الناس ، غير أنها دون درجة Rabbi^١ . فهي في العبرانية بمعنى عالم ولكن دون المعنى المفهوم في العربية عند علماء اللغة الاسلاميين ، فهذا المعنى هو في مقابل لفظة Rabbi أي (ربّان) لا (حبر) .

وقد وردت لفظة (حبر) في شعر للشهاخ :

كما خطّ عبرانية بيمينه . بتياء حبر ثم عرض أسطرا^٢

أما (الربّانيون) ، فهم العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي ، على رأي بعض العلماء الاسلاميين . وقال بعض آخر : الربّان العالم الراسخ في العلم والدين ، او العالم العامل المعلم ، او العالي الدرجة في العلم . وفرّق بعضهم بين الربّانيين وبين الأُخبار بأن جعل الأخبار أهل المعرفة بأنباء الأمم وبما كان ويكون ، وذهبوا الى انها من الألفاظ المعربة العبرانية او السريانية^٣ . وهي من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في اثناء الكلام على علماء يهود^٤ .

ويتبين من القرآن الكريم انه قد كان للأخبار والربّانيين نفوذ عظيم على اليهود ، فكانوا يطيعون أوامرهم ويفعلون ما يأمرهم به ، وان غالبيتهم لم تكن تفقه شيئاً ولا تعرف من أحكام دينها إلا ما يقوله لهم اولئك الأخبار^٥ . وبعض هؤلاء الأخبار هم من المقيمين في جزيرة العرب في المواطن التي أقامت فيها يهود ، وبعض منهم كان يأتي الى يهود العرب من فلسطين : ولا سيما من (طبرية) التي اكتسبت شهرة عظيمة بعد خراب القدس (اورشليم) حيث استقر فيها (السندريم) وغدت مركزاً عظيماً للعلوم عند اليهود ، وفيها جمعت (المشنة) (المشنا) Mishna و (الماسورة) الكتاب الذي يبين كيفية تحريك كلمات التوراة^٦ .

١ اليهود (ص ٢٠) ، The Universal Jewish Ency., Vol. V, p. 145.

٢ تاج العروس (١١٧/٣) ، (حبر) .

٣ تاج العروس (٢٦٠/١) ، (٢١١/٩) ، المغرب ، للجواليقي (ص ١٦١) ، سيرة ابن هشام (٣٩٥/١) .

٤ المائدة : الآية ٤٤ ، ٦٣ ، آل عمران ، الآية ٧٩ ، تفسير الطبري (٢٥١/٦) .

٥ التوبة ، الآية ٣١ .

٦ قاموس الكتاب المقدس (٤٦/٢) .

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء عدد من رجال يهود ممن أدرکوا الاسلام، ذکر عنهم انهم كانوا أجبارة ، وانهم كانوا أصحاب علم بالتوراة وبكتب الأنبياء . وفي مقدمة من ذكروا ، عبدالله بن صوري الأعور ، قالوا : انه لم يكن بالحجاز في زمانه من كان أعلم بالتوراة منه ، وانه كان من بني ثعلبة بن الفطيون . ويقولون : إن الفطيون كلمة تقال لمن يلي أمر اليهود وملکهم ، كما ان النجاشي تقال لمن يلي ملك الحبشة ^١ .

وذكر (الفلقشندي) أن المشهور من ألقاب أرباب الوظائف عند اليهود ثلاثة ألقاب : الأول الرئيس ، وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى ، والثاني الحزان ، وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم ، والثالث الشيلحصبور ، وهو الإمام الذي يصلي بهم ^٢ .

وقد أطلق القرآن الكريم على أسفار اليهود ، أي كتبهم المقدسة (التوراة) ^٣ . وعرفت بهذه التسمية في الحديث وفي كتب التفسير، وصارت علماً لها في الاسلام . كذلك أطلقت هذه اللفظة على معابد اليهود ، ولم يعرف ورودها في الشعر الجاهلي خلا بيتاً ينسب الى شاعر جاهلي يهودي اسمه (سمالك) ^٤ .

ولعلماء اللغة الإسلاميين آراء في أصل كلمة (التوراة) ، حتى ذهب بعضهم الى أنها عربية . ولكن ذوي أكثريتهم ترى أنها عبرانية ، لأن لغة موسى كانت العبرانية ، وبهذه اللغة نزلت التوراة ^٥ . ثم هم يختلفون في تعيين حدود التوراة ، فيرى بعضهم أنها خمسة أسفار ، ويرى بعض آخر أنها أكثر من ذلك ، وأنها تشمل الزبور ونبوأ أشعيا وسائر النبوات ، لا يستثنى إلا الأناجيل ^٦ .

١ ابن هشام (١٣٦/٢) « محمد محيي الدين عبد الحميد » .

٢ صبح الاعشى (٤٧٤/٥) .

٣ آل عمران ، الآية ٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٩٣ ، المائدة ، ٤٦ وما بعدها ، ٤٩ ، الصف ، الآية ٦ ، الفتح ، الآية ٢٩ ، الجمعة ، الآية ٥ .

٤ Ency., IV, p. 706.

٥ اللسان (٢٦٥/٢٠) وما بعدها ، « وري » ، ناج العروس (٣٨٩/١٠) ، القراؤون والربانون (١٧٩) ، المفردات ، للصفهاني ، (ص ٧٤) ، Uni. Jew. Ency., 10, p. 267, Katsh, p. 191.

٦ صبح الاعشى (٢٥٤/١٣) وما بعدها ، Katsh, p. 191.

وليس في القرآن الكريم تحديد لأسفار التوراة ، ولكن اقتران اسم موسى بها في بعض الموارد منه يشير الى ان المراد بها ما يقال له بـ (الأسفار الخمسة) Pentateuch عند الغربيين . وهذه الأسفار الخمسة هي الأسفار المنزلة المكتوبة التي نزلت على موسى على رأي قدماء العبرانيين . ثم توسعوا في مدلول اللفظة فيما بعد ، فأطلقوها على جميع الأسفار التي يقال لها العهد القديم . وأطلقتها بعض الفرق على غيرها من الأسفار مثل الأنبياء (نبيم) Nebiim ، والكتب (كتوبيم) Kettubim .^١

وقد أورد القرآن في مخاطبة يهود وتقريعهم قصصاً عن الأنبياء والمرسلين والأمم القديمة ، منه ما هو مذكور عندهم في الأسفار الخمسة ، ومنه ما هو وارد عندهم في (الهكاهه) وفي (المشنه) . ولما كان في احتكاك الاسلام بيهود كان لأول مرة في منطقة يثرب ، صارت معظم الاشارات الواردة في القرآن الكريم الى التوراة في السور المدنية لمخاطبة الوحي لهم ، وتوجيه الكلام مباشرة اليهم ، ولم ترد تلك التسمية في الآيات المكية إلا في موضع واحد هو في سورة الأعراف^٢.

والمراد من (الكتاب) الذي أنزل على موسى ، والمذكور في مواضع من القرآن الكريم التوراة ، أي هذه الأسفار الخمسة التي نتحدث عنها^٣ . وهو تعبير قرآني لا نستطيع أن نقول إنه كان من مصطلحات الجاهليين ، كما أننا لا نستطيع نفي ذلك ، إذ يجوز أن يكون الجاهليون قد أطلقوه على تلك الأسفار ، أو على العهد القديم كله ، بمعنى هذه الأسفار وبقيّة ما ورد فيها من أخبار الأيام والملوك والأنبياء .

وقد ورد في الأخبار عن (أبي هريرة) ، أنه « كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله »^٤.

١ Uni-Jew. Ency., 10, p. 268, Katsh., p. 191. f.

٢ الاعراف : الآية ١٥٧ ، Ency., IV, p. 706.

٣ « ولقد آتينا موسى الكتاب » ، البقرة ، الآية ٧٨ ، روح المعاني (١/٣١٦) ، تفسير الطبرسي (١/١٥٥) ، المفردات ، للصفهاني (ص ٤٣٧) .

٤ « كتاب تفسير القرآن » ، سورة البقرة : ٢ رقم ١١ ، البخاري (٣/١٩٨) ، « طبعة ليدن » .

وقصد بعبارة أهل الكتاب ، اليهود ، لأنهم أصحاب كتاب موسى ، وبينهم كان نزوله ، ولذلك عرفوا به . ويظهر من خبر أبي هريرة هذا ومن أخبار أخرى في هذا المعنى ان اليهود كانوا يقرؤون على المسلمين كتبهم وهي بالعبرانية ، ثم يفسرونها لهم بالعربية ، وذلك في أيام حياة الرسول .

أما الزبور والزبر ، فقد وردتا في القرآن الكريم . ويراد به (الزبر) في بعض الآيات مثل : « وانه لفي زبر الأولين » الكتب المنزلة القديمة^١ . وقد وردت الكلمتان في بعض الشعر المنسوب الى الجاهليين كامرئ القيس^٢ والمرقش الأكبر^٣ وأمية بن أبي الصلت^٤ . وذكر علماء اللغة ان معنى زبر كتب ونقش . ويرى بعض المستشرقين احتمال كونها من الكلمات العربية الجنوبية . ويرى بعض آخر انها من أصل (مزموور) Mazmor العبراني . و (مزموور) Mazmör في اللهجة السريانية ، و (مزموور) Mazmur في الحبشية . أخذت الكلمة وأجري عليها بعض التغيير حتى صارت على هذا الشكل^٥ .

وقد وردت لفظة (الزبور) مفردة في موضعين من القرآن الكريم ، في سورة النساء^٦ وفي سورة الأنبياء^٧ . أما في الموضع الأول ، فقد ورد فيه : « وآتينا داوود زبوراً » ، ومعنى هذا أن زبوراً أو كتاباً من الكتب المنزلة نزل على داوود . أما الموضع الثاني ، فقد أشير فيه الى (زبور) معرف بأداة التعريف

- ١ الشعراء : الآية ١٩٦ .
- ٢ أنت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان وينسب اليه أيضاً هذا البيت :
لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمني
شرح ديوان امرئ القيس ، تأليف السندوبي (ص ١٨٤) ، قصيدة رقم ٨٦ ، النصرانية : القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٨٤) .
- ٣ وكذلك لا خير ولا شيء على أحد بعدائم
قد خط ذلك في الزبور ر الأوليات القديائم
اللسان (١٦/٣) ، النصرانية : القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٨٤) .
- ٤ وأبرزوا بصعيد مسنوى جرز وأنزل العرش والميزان والزبر
كتاب البدء (١٤٦/٢) ، النصرانية : القسم الثاني ، الجزء الثاني (ص ١٨٤) .
- ٥ اللسان (٣١٤/٤) وما بعدها ، Ency., IV, p. 1184.
- ٦ الآية ١٦٣ .
- ٧ الآية ١٠٥ .

(ال) : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون » . ولكن لم يضاف الى اسم نبي من الأنبياء ، كما رأينا في الموضع السابق . وقد فسر بعض المفسرين كلمة (الزبور) في هذا الموضع بمعنى الكتاب وكتب الله المنزلة ، أي على التعميم لا التخصيص^١ .

ويراد بالزبور ما يقال له (المزامير) في الترجمات العربية للتوراة ، و Psalms في الانكليزية ، من أصل Psalms اليونانية التي هي ترجمة لفظة (مزمو) Mizmor العبرانية ، ومعناها المدائح والأناشيد . وهي أناشيد شعرية تُرثَّم في حمد الإله وتمجيده ، ولذلك قيل لهذه المزامير (تَحْلِيم) tehillim في العبرانية . و tillim على سبيل الاختصار ، و tillin في لهجة بني لرام^٢ .

وقد « قال أبو هريرة : الزبور ما أنزل على داود ، من بعد الذكر من بعد التوراة »^٣ . وذكر بعض العلماء ان الزبور خص بالكتاب المنزل على داود . وقد ذهب الشعبي الى ان الزبور ، الكتاب المنزل على داود ، أما الذكر فما نزل على موسى . وذهب آخرون مذاهب أخرى في تفسير المراد من الزبور ومن الذكر . ولكن الرأي الغالب ان المراد من الزبور ، مزامير داود . وذلك لنص القرآن على ذلك .

وقد أشار القرآن الكريم الى وجود اختلاف بين بني اسرائيل في فهم كتاب الله وتفسيره ، وأنهم انقسموا لذلك شيعاً وأحزاباً . ولا يستبعد أن يكون هذا الاختلاف شاملاً ليهود الحجاز أيضاً ، كأن يكون أحبارهم قد ساروا في اتجاهات مختلفة في التفسير وفي شرح الأحكام وكان أصحابهم يتعصبون لهم ويتحزبون ، على نمط الأعراب في عصبيتهم لقبائلهم ، وفي اتباع أقوال ساداتهم دون تعقل وتفكير . أما مواضع الاختلاف ومواطن الفرقة التي كانت تفرق فيما بينهم ، فلا نعرف اليوم من أمرها شيئاً ، لأنها لم تدون ولم تذكر ، ولم يشر القرآن إليها ، ولكنها على كل لا تخرج ولا شك عما نعرفه من خلاف في أوجه النظر في المسائل المعروفة حتى اليوم في أمور الفروع .

١ تفسير الجلالين (٢/٣٣) .
٢ Uni-Jew. Ency., Vol., 9, p. 13.
٣ اللسان (٤/٣١٥) ، صادر ،
٤ المفردات (ص ٢١٠) .

ونحن لا نستطيع أن نتصور أن سواد يهود الجاهلية كانوا على علم بالكتابة وبالقراءة ثم بأحوال دينهم وأموره . وفي القرآن الكريم أن هذا السواد كان جاهلاً ليس له علم ولا خبر بأمور دينه وشريعته ، وأنه مقلد تابع لما يقوله له أجباره وربانيوه . فكل ما كانوا يقولونه له ، كانوا يرونه حقاً وعلماً^١ . مع ان من بين أولئك من كان دجّالاً ليس على درجة من دراية وعلم ، ومن كان ينطق بالباطل ولا يخشى الكذب ، لينال بذلك كسباً ومالاً ، وأنه كان هؤلاء على أتباعهم ومقلّديهم سلطان عظيم .

وقد تعرض (ابن خلدون) لموضوع علم اليهود العرب وثقافتهم ، فقال : « إذا تشوقت العرب الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم . وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية . فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثن والملاحم وأمثال ذلك »^٢ . فغالبية يهود جزيرة العرب في الجاهلية ، هم في مستوى ، يعد،دون مستوى يهود البلاد الأخرى ، بسبب تبديهم وانقطاعهم عن غيرهم من اليهود .

وقد كانت لليهود مدارس تدارسوا فيها أحكام شريعتهم ، وكان لهم أخبار وحاخامون علّموهم أمور دينهم . ذكر أهل الأخبار انهم كانوا يكتبون بالعبرانية او بالسريانية ، وذلك لاختلاف أهل الأخبار في تعيين تلك اللغة ، وعدم تمكنهم من التمييز بينهما . وفي كتب الأخبار والتواريخ اشارات الى اتصال بعض رجال مكة ويثرب باليهود والاستفسار منهم عن أهوار الرسل والأنبياء والماضين وعن بعض الأحكام . وفيها قصص اسرائيلي وجد له سبيلاً الى العربية، يرويه القصاصون عن الرسل والأنبياء ، وأساطير لا يشك في كونها اسرائيلية الأصل. كما نجد ألفاظاً

١ « ومنهم اميون لا يعنون الكتاب الا أمامي . وان هم الا بظنون » ، المقرء ، الآية ٨٧ ، تفسير القرطبي ، الجامع (٢٩٦/١) وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٤٣٩/١) .

عبرانية لا شك في أصلها وجدت لها سبيلاً الى عربية الجاهليين بسبب اتصال اليهود بهم ، واستعملهم اياها ، فتأثر بهم الجاهليون وأخذوها منهم واستعملوها أيضاً فصارت من المعربات .

وينسب الى الشاعر (الأسود بن يعفر) بيت شعر هو :

سُطورُ يهوديين في مهرقيهما مُجيدين من تباء أو أهل مدين^١

واذا صحت نسبة هذا البيت اليه ، يكون قد تعرّف على يهوديين اثنين ، وجدهما يجيدان الكتابة ، وقد كتبا على المهارق . ولم يكن الشاعر على علم أكيد بموطنها ، فلم يدرِ اذا كانا من أهل تباء او من أهل مدين .

ولتعبير (مجيدين) أهمية خاصة ، إذ يشير الى تمييزه بين الكتابة الجيدة والكتابة الرديئة ، والى وجود مصطلح (مجيد) عند الجاهليين ، يطلقونه كما نطقه اليوم على من يجيد الكتابة ويتقنها .

ولما كانت اللغة العبرانية لغة الدين عند العبرانيين، وبها نزل الوحي على موسى ، فلا بد أن يكون لعلمائهم ورجال دينهم في جزيرة العرب علم بتلك اللغة وفقه بها. ولكن هذا لا يعني ضرورة كونهم كعلماء طبرية أو قيصرية في فلسطين أو بعض المواضع التي اشتهرت بعلمائها في التلمود بالعراق ، ولست أستبعد أن يكون لهم علم بلغة بني إرم أيضاً ، لأن هذه اللغة كما نعلم كانت لغة العلم والثقافة قبل الميلاد وبعده ، وبها كتبت كتب عدة من التلمودين ، ثم إنها انتشرت بين سواد الناس حتى صارت لغة سواد يهود يتكلمون بها ولو برطانة وبلهجة خاصة هي اللهجة التي يمتاز بها سواد اليهود في كل قطر يعيشون فيه .

أما سواد يهود جزيرة العرب في الجاهلية : فلا أظن أنهم كانوا يتكلمون العبرانية أو لغة بني إرم ، إنما أرى أنهم كانوا يتكلمون لهجة من هذه اللهجات العربية . أعني لهجة العرب الذين كانوا يعيشون بينهم ويتزلون بين أظهرهم ، ولم يرد في الأخبار ما يفيد أنهم كانوا يتحادثون بالعبرانية ، بل الذي ورد أن عامتهم لم تكن تعرف تلك اللغة . وأن الخاصة منهم والمزاويلين لحرفة الكتابة

١ ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وبيمنتها التاريخية ، (ص ٨٢) .

والسحر كانوا يعرفونها ويكتبون بها ، وبها يعوذون أنفسهم وغيرهم من الناس .
وكانوا يفسرون التوراة والتلمود والكتب المقدسة لسواد الناس من العبرانية الى
العربية ، لأنهم لم يكونوا يعرفون العبرانية ، لا سيما وقد كان بينهم عرب متهودة .
ولم يظهر في يهود جزيرة العرب من حاز على شهرة في العلم والفقه والتأليف
والخطابة على نحو ما ظهر بين يهود العراق او فلسطين او مصر ، وإلا لاشتهر
أمره وذاع خبره ، كما ذاع خبر علماء يهود بابل وفلسطين ومصر . ولا يمكن
ان تكون عزلتهم عن بقية يهود الأقطار المذكورة سبباً كافياً في تعليل عدم شيوع
اسم أحد من هؤلاء ، إن قضية عزلتهم عن بقية اخوانهم في الدين ، هي نفسها
تحتاج الى سند يثبت وجود تلك العزلة . فواضعهم في أعالي الحجاز ، على اتصال
ببلاد الشام ، وهي لا تبعد كثيراً عن مساكن اخوانهم في فلسطين . ثم انهم كانوا
على اتصال مستمر بهم بالتجارة ، وقد كانوا يشترون حاصل بلاد الشام من خمر
وحبوب وما شاكل ذلك ، وينقلونه الى يثرب ، يذهبون اليها للتعامل والاتجار ،
فكيف يكون يهود جزيرة العرب في معزل عن غيرهم مع وجود الأسفار والتجارة
لا سيما ان احبار (طبرية) كانوا يأتون الى يهود اليمن ليلقنوهم أمور الدين ،
ولا يستبعد ان يكون من بين اولئك الاحبار من ذهب الى يهود يثرب او خيبر
او تباء .

فالقضية على ما يظهر ، ليست قضية عزلة يهود جزيرة العرب عن بقية يهود
وانفصالهم بذلك ثقافياً وعلمياً عن بني دينهم انفصلاً يؤثر في مستواهم الثقافي
والعلمي ، فيجعلهم دون غيرهم من اخوانهم في العلم والثقافة ، انما يظهر ان هنالك
جملة عوامل حالت دون نبوغ أحد فيهم . فيهود جزيرة العرب مها قبل عنهم
وعن رقيهم وارتفاع مستواهم عن مستوى من كان في جوارهم ، لم يكونوا في
ثقافتهم وفي مستواهم الاجتماعي أرقى من الفلاحين وسكان القرى وما اليها في
العراق او فلسطين او مصر ، كما ان حالتهم المادية لم تكن على مستوى عالٍ .
بحيث يمكن ان تقاس بالأحوال المادية التي كان عليها اليهود الآخريين في الأرضين
المشار اليها ، او أصحاب تلك الأرضين من غير يهود . ثم ان عددهم مها قليل
فيه ، لم يكن كبيراً . وقد رأينا ان رجالهم المحاربين لم يكونوا يتجاوزون كلهم
في الحجاز كله بضعة آلاف ، وفي مثل هذا العدد والظروف والأحوال لا يمكن
بالطبع ان تتوفر الامكانيات المساعدة على البحث والتتبع والتعمق في العلم .

وقد عرف يهود يثرب بمعرفتهم السحر والاتقاء منه ، وبعلمهم بالتعاون ، فكان المشركون يلجؤون اليهم إذا احتاجوا الى السحر أو اذا اعترضتهم مشكلات يرون أنها لا تحل إلا بقراءة التعاويذ عليها . وقد ذكر المفسرون أن اليهود عملوا السحر للنبي ، عمله رجل اسمه (لييد بن الأعصم) أو بناته وهو من يهود يثرب^١ . وقد أشير الى سحر اليهود في الحديث^٢ .

وقد لجأ العرب الى اليهود يأخذون منهم الرقى والتعاويذ . فقد ورد في الأخبار « أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقئها ، فقال أبو بكر : أرقئها بكتاب الله . يعني : بالتوراة والانجيل ... »^٣ .

وقد حافظ يهود جزيرة العرب على حرمة السبت ، ويوم السبت من الأيام المقدسة التي يجب مراعاة حرمتها مراعاة تامة ، فلا يجوز ليهودي الاشتغال فيه ، والقيام ببعض الأعمال . ومن خالف حرمة هذا اليوم وذنسه بالاشتغال فيه يكون قد ارتكب جرماً عظيماً .

وقد وردت إشارات الى يوم السبت في مواضع من القرآن الكريم ، في معرض الكلام على بني اسرائيل ، وأشير في بعضها الى أخذ موسى العهد منهم بوجوب مراعاة حرمة هذا اليوم ، والى نقضهم له وعدم مراعاتهم جميعاً لهذا العهد ، والى أنهم اعتدوا فيه^٤ . وفي هذه الإشارات دلالة على أن من اليهود عامة من خالف حرمة هذا اليوم ، فلم ينفذ ما ورد في أحكام شريعته عنه . ولكن هذا عام غير خاص بيهود العرب الجاهليين ، وإنما يشير الى خروج بعض بني اسرائيل على أحكام دينهم وعدم مراعاتهم لها ، وهذا اليوم من أقدس الأيام في نظرهم .

١ تفسير الطبري (٢٢٦/٣١) ، تفسير الطبرسي (٥٦٨/٥) ، روح المعاني (٢٨٢/٣٠) .

٢ البخاري : باب السحر ، عمدة القاري (٢٧٩/٢١ وما بعدها) ، « الحديث رقم ٧٧ وما بعده » .

٣ عمدة القاري (٢٦٢/٢١) .

٤ الأعراف : الآية ١٦٢ ، النحل : الآية ١٢٤ ، البقرة : الآية ٦٥ ، النساء : الآية ٤٦ ، ١٥٣ ، أو الثناء الألوسي ، روح المعاني (٢٥٦/١ وما بعدها) ، اللسان (٣٧/٢) « صادر » ، محيط المحيط (٩١١/٣ وما بعدها) ، الطبري ، تفسير (٦٥/٩) ، الطبرسي ، مجمع البيان (١٢٩/١ وما بعدها) ، الرمضاني ، الكشف (٢١٨/١) ، الطبرسي (٣٩١/٥) « طهران » ، الطبري ، تفسير (١٢٤/١٤) ، الكشف (١٧٨/٢) .

وقد وقف العرب الذين كانوا على اتصال باليهود على بعض أحكام دينهم مثل : الرجم بالنسبة للزنا ، واعتزال النساء في المحيض . فذكر العلماء ان حكم الاسلام في الحيض « اقتصاد بين افراط اليهود الآخذين في ذلك باخراجهن من البيوت ، وتفريط النصارى . فانهم كانوا يجامعون ولا يباليون بالحيض »^١ ، ومثل الدعاء الى الصلاة عند اليهود بالنفخ في (الشبور)^٢ ، وذلك كما تحدث عنه في موضع آخر ، ومثل صوم (عاشوراء) وأعيادهم ، ومثل الصلاة وأوقاتهم عندهم .

واستعمل يهود يثرب (القرن) في معابدهم ، لاعلان صلواتهم وأعيادهم واعلان احتفالاتهم والحوادث المهمة التي قد تقع لهم . وقد كانوا يستعملون آلتين ، يقال لاحدهما الـ (شوفار) Shophar ومعناها القرن ، ويقال للأخرى القرن، وتصنع من القرون كذلك . ولذلك اختلط الأمر بينهما . والظاهر انهما كانتا مختلفان في نوع قرون الحيوانات التي تتخذان منها^٣ .

وقد اختلف يهود جزيرة العرب عن الجاهليين في الأمور التي حرمتها شريعتهم عليهم في مثل المأكولات ، كما اختلفوا عنهم في عبادتهم وفي اعتقادهم بوجود إله واحد ، هو (إله اسرائيل) ، وفي أمور عقائدية أخرى ، واختلفوا عنهم في بعض العادات والمظاهر الخارجية ، فكان اليهود مثلاً يسدلون شعورهم ، أما المشركون فكانوا يفرقون رؤوسهم . ورد عن ابن عباس : « أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ، وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، ثم فرق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رأسه »^٤ . ولا يستبعد اختلافهم عنهم في لبس بعض الملابس التي لم تكن مألوفة عند الجاهليين . وقد ظهر بين اليهود شعراء ، نظموا الشعر بالعربية وعلى طريقة العرب في نظم الشعر . منهم السموأل المشهور ، و (كعب بن الأشرف) وسمّاك اليهودي ، وسأتكلم عنهم في أثناء حديثي عن الشعر .

١ ارشاد الساري (١/٣٤٠) ، (كتاب الحيض) .

٢ ارشاد الساري (٢/٢ وما بعدها) ، (كتاب الآذان) .

٣ A Relig., Ency., Vol., III, p. 1599.

٤ عمدة القارىء (١٧/٧١) .

لم يسلم من يهود في أيام الرسول غير عدد قليل من المتبينين منهم . مثل :
عبدالله بن سلام ، ولم يتعاون معه غير عدد قليل منهم مثل يامين بن عمر بن
كعب النضري ، ويامين بن يامين الاسرائيلي ، ونخريق ، وكان رجلاً غنياً
صاحب نخيل ، وهو أحد بني ثعلبة بن الفطيون ، حث قومه علي مساعدة الرسول
ومعاونته في غزوة أحد . وكان الرسول قد طلب مساعدتهم لوجود صحيفة بينه
وبينهم . فلما اعتذروا له بالسبت ، خالفهم نخريق قائلاً لهم : لا سبت لكم ،
وقاتل معه حتى قتل ، فقال الرسول : نخريق خير اليهود . وقد وصف بالعلم ،
وذكر انه كان حبراً عالماً فيهم^١ . آمن بالرسول وجعل ماله له ، وهو سبعة
حوائط فجعلها الرسول صدقة^٢ .

أما عبدالله بن سلام ، فكان يدعى ، وهو في يهوديته ، الحصين بن سلام بن
الحارث . وسلام اسم والده . فلما أسلم سمّاه رسول الله (عبدالله) ، وهو من
بني قينقاع ، أسلم والرسول في مكة لم يهاجر بعد ، وذلك في رواية من الروايات .
وأسلم بعد الهجرة على أكثر الروايات . ذكر انه كان شريفاً في قومه ، سيداً ،
صاحب نسب وحسب ، وانه كان حبراً عالماً . فلما أسلم ، نبذه قومه ، وتحذثوا
فيه^٣ . وقد نزلت فيه بضع آيات^٤ .

أما أنه كان حبراً من الأخبار ، عالماً في شريعتهم ، فلا يمكن البت فيه ،
فقد جرت عادة أهل الأخبار على إطلاق كلمة (الخبر) على نفر ممن أسلم من
يهود في أيام الرسول ، كما أطلقت على نفر ممن أسلم بعده ، مثل كعب الذي
عرف بكعب الأخبار . ولا يمكن في نظري البت في درجات علم أمثال هؤلاء
وفي مقدار فهمهم للتوراة ولكتب يهود إلا بجمع ما نسب اليهم من قول، ودراسته.
عندئذ نستطيع أن نحكم على علمهم إن كان لهم علم بأحكام ديانة يهود وبالعالم
وبما كان يتدارسه علماء ذلك العهد . ورأيت أن هذه الدرجات إنما منحها لهم

١ ابن هشام (٢/١٤٠) ، (٣/٣٨) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ،
Graetz, Vol., III, p. 75.

٢ البلاذري ، فتوح (٢٤) ، الاصابة (٣/٣٧٣) ، (رقم ٧٨٥٢) ، (من بني النضر ٠٠٠
ويقال انه من بني قينقاع ، ويقال من بني الفطيون) .

٣ ابن هشام ، سيرة (٢/١٣٧) ، أسد الغابة (٣/١٧٦) ، تهذيب الاسماء واللغات
(١/٢٧٠ وما بعدها) ، الروض الانف (٢/٢٥) .

٤ تهذيب الاسماء (١/٢٧١) ، الاصابة (٣/١١٦) ، (٢/٢١٢) ، (رقم ٤٧٢٥) ،
(١٩٣٩ م) .

بعض ذوي القلوب الطيبة من المسلمين الأولين ، لما رأوه فيهم ، ولما سمعوه منهم من أقوال نسبوها الى الأنبياء والعلماء والى كتب الله القديمة ، ولم يكن لهم بطبيعة الحال علم بها ، لعدم وقوفهم على ما كان يتداوله الأخبار ، ففعلوا من علمهم هذا ، ومن إحاطتهم بأحوال الماضين ، فعدّوهم أخباراً لهم في قومهم علم ورأي. وقد تساهل بعضهم في ذلك لظنه أن في منح هؤلاء أمثال هذه النعوت مما يفيد الاسلام ، إذ يعني هذا تقدير أولئك الأخبار أصحاب العلم الأول له ، وإن تقديرهم هذا شهادة مزكية له . وقد يكون لهم نصيب أيضاً في منحهم هذه الدرجة لأنفسهم للتباهي وللتصدر بذلك بين المسلمين .

وقد نسب أهل الأخبار أقوالاً لابن سلام ، تجد بعضها في كتب التفسير والحديث ، وتجد بعضها في كتب السير والأخبار . لبعضها طابع إسرائيلي ، فهو من القصص المعروفة بالإسرائيليات ، وبعضها طابع الأفاقيص . قد يكون (ابن سلام) صاحبها ومرجعها ، وقد يكون غيره قد نسبها إليه ^١ .

وقد كان له ابنان ، هما يوسف ومحمد ، روى عنه الحديث ^٢ . وقد كنّي باسم ولده يوسف ، فعرف بأبي يوسف ^٣ . ويعد يوسف من الصحابة ، وله حديث عن الرسول ، ويقال إن الرسول هو الذي سمّاه يوسف ، وقيل ليست له صحبة . وقد روى عن جماعة من الصحابة ^٤ .

وقد أسلم يامين بن يامين الاسرائيلي ، على أثر إسلام عبدالله بن سلام ^٥ . وأما يامين بن عمير بن كعب ، أبو كعب النضري ، فهو من بني النضير . وقد ساعد اثنين من فقراء أصحاب رسول الله على تجهيزهما بشيء من التمر ليتمكنوا بذلك من الالتحاق بالجيش الذي سار في السنة التاسعة من الهجرة لغزوة تبوك ^٦ . أسلم فأحرز ماله من بني النضير ، ولم يحرز ماله من بني النضير غيره وغير أبي سعيد بن عمرو بن وهب ، فأحرز أموالهما . وذكر أن النبي قال

1. Ency., I, p. 30-31, Caetani, Annali, I, p. 413, Harovitz, in ZDMG., IV, 524.

٢. أسد الغابة (١٧٦/٣) .

٣. تهذيب الاسماء واللغات (٢٧١/١) .

٤. تهذيب الاسماء (١٦٦/٢) .

٥. الاصابة (٣٣٣/٦) ، (٦١٢/٣) ، (رم ٩٢١٤) .

٦. الطبري (١٤٣/٣) ، (حوادث السنة التاسعة) ، الاصابة (٣٣٣/٦) ، (القاهرة ١٩٠٧م) ، (٦١١/٣) ، (رم ٩٢١٣) .

ليامين : ألم ترَ الى ابن عمك عمرو بن جحاش وما همَّ به من قتلي ؟ وكان أراد أن يلقي على النبي رchy فيقتله . فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله .

وكان فيمن أسلم من بني قريظة (كعب بن سليم القرظي) ، وهو من سبيهم في الاسلام ، ويعد في الصحابة ، ولكن لا تعرف له رواية . وهو والد محمد بن كعب القرظي المعروف بروايته عن أحداث يهود مع النبي ، وعن بعض أخبار بني اسرائيل^١ . وله روايات في حديث الرسول عن بعض الصحابة ، ويعد من التابعين . يقال : انه ولد في حياة الرسول ، وتوفي ما بين سنة ثمان ومئة وسنة عشرين ومئة . وقد عدّه علماء الحديث في طبقة الثقات الورعين^٢ .

وفيمن أسلم من يهود بني قريظة رفاعه القرظي، وهو رفاعه بن سموأل (سموال)، وقيل : رفاعه بن رفاعه القرظي من بني قريظة ، وهو خال صفية زوجة النبي ، لأن أمها برة بنت سموأل (سموال) ، أما أبوها ، فهو (حيي بن أخطب) من رؤساء يهود ، وكان من كبار المعارضين له ، وهو من بني النضير^٣ .

ويعدّ (زيد بن سَعْيَة) (سَعْنَة) في طبقة الصحابة ، ويقال انه كان أحد أبحار اليهود الذين أسلموا ، وانه كان أكثرهم علماً ومالاً ، وقد شهد مع النبي مشاهد كثيرة ، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً الى المدينة^٤ .

ويعدّ (عطية القرظي) من الصحابة كذلك ، كان صغيراً حين غزا النبي بني قريظة ، ولذلك لم يقتل ، فأسلم ، وصحب النبي^٥ .

ولم يظهر من يهود اليمن في الإسلام ممن عرفوا برواية الإسرائيليات سوى رجلين ، هما : كعب الأبحار ، ووهب بن منبه . فأما كعب الأبحار ، فقد أدرك زمن الرسول، غير أنه لم يره ، ولم يدخل في الاسلام إلا في أيام أبي بكر أو عمر . وهو أبو اسحاق كعب بن مائع بن هينوع (هيسوع) ، وقد عرف

-
- ١ تهذيب الاسماء (٦٧/٢) ، أسد الغابة (٢٤٢/٤) .
 - ٢ الطبري (٤٤/٣) ، (السنة الخامسة) ، تهذيب الاسماء (٩٠/١) .
 - ٣ الاصابة (٥٠٤/١) ، (رقم ٢٦٦٨) ، تهذيب الاسماء (١٧١/١) وما بعدها ، (١٩١) ، (٣٤٨/٢) وما بعدها .
 - ٤ تهذيب الاسماء (٢٠٤/١) ، الاصابة (٢٨/٣) ، (٥٤٨/١) ، (رقم ٢٩٠٤) ، (التجارة ١٩٣٩م) ، (واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر) .
 - ٥ تهذيب الاسماء (٢٣٥/١) ، الاصابة (٤٧٩/٢) ، (رقم ٥٥٨١) .

بين المسلمين بكعب الأحبار وبكعب الجبر من باب التعظيم والتقدير لعلمه . وقد أثناه هذا اللقب من علمه بالشريعة وبكتب الأنبياء وبأخبار الماضين ، وهو علم لا نستطيع أن نحكم على درجته ومقدار بعده أو قربيه من العلم الذي كان منتشرًا بين أحبار ذلك العهد ما لم نقف على الأقوال الصحيحة التي صدرت عن ذلك الجبر . أما هذا المروي عنه والمذكور في تفسير الطبري وفي تأريخه وفي كتب من كان يعنى بجمع القصص ولا سيما قصص الرسل والأنبياء، فليس في استطاعتنا التصديق بأنه كله صادر من فم كعب ، إذ يجوز أن يكون من رواية أناس آخرين ثم حمل على كعب .

ولم ينسب أحد الى كعب مؤلفاً، وكل ما نسب اليه فهو مما ورد عنه بالمشافهة والسماع . وهو بين صحيح يمكن أن يكون قد صدر منه ، وبين مشكوك في أمره وضع عليه ، وفيه ما هو اسرائيلي صحيح ، أي انه مما هو وارد في التوراة أو في التلمود أو في الكتب الاسرائيلية الأخرى وفيه ما هو قصص اسرائيلي نصراني، وما هو محض افتعال وخلط . وبالجملية ، إن هذا الوارد عنه يصلح أن يكون موضوعاً للدراسة ، لمعرفة أصوله وموارده والمنابع التي أخذت منه . وعندئذ يمكن الحكم على درجة أصله ونسبه في علم بني اسرائيل ، وامكان صدوره من كعب أو من غيره ، ومقدار علم كعب ووقفه على الإسرائيليات .

وأما وهب بن منبه ، فيعدّ من التابعين ، ويعد مرجعاً مهماً في القصص الاسرائيلي . ويقال انه حصل على علمه من كتب الأولين ، وإن أثنأ له كان يذهب الى الشام للتجارة فيشتري له الكتب ليطالعها ، وأنه كان على علم غزير بأحوال الماضين ، وكان ملماً بجملة لغات^١ . وإذا كان وهب من المتأخرين وكان نشاطه في الحركة الفكرية في الاسلام لا في الجاهلية ، لم نجعل له في هذا الموضع مكاناً ، انما مكانه في الأجزاء المتعلقة بتاريخ الاسلام .

هذه قصة يهود جزيرة العرب قبل الاسلام ، قصة لا تستند الى مؤلفات تاريخية كتبت في تلك الأيام ، ولا الى نصوص جاهلية عربية أو أعجمية لها علاقة بيهود كتبت في ذلك العهد ، ولكن تستند ، في أكثر ما حكيناه، الى موارد اسلامية ، ذكرتهم وأشارت اليهم لمناسبة ما وقع بينهم وبين الرسول من خلاف . وقد ورد

١ لي مقال عنه في مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الاول والثاني منها .

شيء كثير بحقهم في القرآن الكريم وفي الحديث وفي الأخبار ولا سيما أخبار الغزوات ، يتعلق معظمه بأمر الخصومة التي وقعت بينهم وبين النبي عند قدومه يثرب ، فهو لا صلة له لذلك إلا بما له علاقة بهذه الناحية . وما ورد عنهم إذن هو من مورد واحد وطرف واحد . أما الطرف الثاني من أصحاب العلاقة بهذا التاريخ والشأن ، وأعني بهم اليهود ، فلا صوت لهم فيه ، ولا رأي . فلم تصل إلينا منهم كتابة ما عنهم في علاقتهم بالاسلام . كذلك لم تصل إلينا كتابة أو رواية أو خبر عن أولئك اليهود في الموارد التاريخية التي دوتها غيرهم من مؤرخي يهود وكتابهم عن علاقة يهود جزيرة العرب بالاسلام ، وعن اجلاء يهود الحجاز من مواضعهم الى بلاد الشام ، لا في العربية ولا في العبرانية ولا في بقية اللغات ، مع ما لهذا الحادث من خطر في تأريخ اليهود في جزيرة العرب . ولعل الأيام تكشف لنا عن موارد في العبرانية أو في لغة بني إرم تذكر أحوال يهود جزيرة العرب قبيل الاسلام وعند ظهوره ، وتكشف عن آثار يهود في المواضع التي كانوا يسكنونها في الحجاز ، فتبت في أمور كثيرة عن حياة هؤلاء . وليس أحتمال عثورنا على مثل هذه الآثار ببعيد ، فلا بد ان يعثر على حجر من الحجارة المكتوبة التي توضع فوق القبور ، فنعرف منه ما لغة الكتابة التي كان يستعملها أولئك اليهود ، أهى العبرانية ، أو العربية ، أو لغة بني إرم ، أو أجنبية من الأبجديات المشتقة من القلم المسند ؟ وقد يعثر على نصوص أطول من هذه النصوص التي توضع على القبور ، تكشف النقاب عن أمور أخرى مهمة . تفيدنا في معرفة أحوال اليهود ببلاد العرب قبل الاسلام .

وما دمنا لا نملك نصوصاً يهودية جاهلية ، ولا نصوصاً عربية جاهلية تتعرض لليهود ، فليس في وسعنا إذن أن نتحدث باطمئنان عن أثر اليهود في الجاهليين أو أثر الجاهليين في اليهود . لقد تحدث عدد من المستشرقين عن أثر اليهود في الجاهليين ، فزعموا أن لليهود أثراً عميقاً فيهم ، فالتحان مثلاً هو أثر من آثار يهود في العرب ، وشعائر الحج عند الوثنيين أكثرها هي من اسرائيل ، فالطواف حول البيت يرجع أصله الى بني اسرائيل ، ذلك أن قدماءهم كانوا يطوفون حول خيمة الإله (يهوه) إله اسرائيل ، ومنهم تعلمه الجاهليون واتبعوه في طوافهم بالبيت . والاجازة بعرفة يهودية كذلك ، لأن الذي كان يجيز الحجاج بعرفة فيأمر الحج بالرمي بعد أن يلاحظ الشمس وقت الغروب يعرف بـ (صوفة) ، وصوفة

تسمية عبرانية لها علاقة وصلة بهذه الوظيفة وظيفية مراقبة غروب الشمس وتثبيت وقته ، فالإجازة اذن عبرانية الأصل . و (منى) صنم من أصنام اسرائيل، ووادي منى على اسم هذا الصنم الإسرائيلي ، وأسماء أيام الاسبوع هي تسميات أخذت من يهود ، ولفظة (المدينة) التي تطلق على يثرب ، أطلقها اليهود على هذا الموضع قبل الاسلام ، وقد أخذوها من الإرامية ، لتمييز هذا المكان عن (وادي القرى) . وأشياء أخرى عديدة من هذا القبيل^١ .

وقد غالى بعض اليهود في تقدير يهود جزيرة العرب ، فذهب الى أن أولئك اليهود جلهم إن لم يكونوا كلهم كانوا يحسنون قراءة الكتاب المقدس ، بدليل اطلاق القرآن الكريم عليهم (أهل الكتاب) . وقد فاته أن عبارة (أهل الكتاب) لا تعني أهل الكتابة ، بمعنى أنهم كانوا أصحاب علم بالكتابة ، وإنما المراد من ذلك أهل كتاب منزل سماوي . ويدخل في ذلك النصارى أيضاً لوجود كتاب سماوي لديهم كذلك هو الانجيل . وقد رأيت أن القرآن الكريم قد وصف بعض الأتجار بالعلم ، كما رمى أكثرهم بالجهل . أما السواد الأعظم منهم ، فقد جعلهم عامة تنبع أقوال رجالها ، فلا علم لها ولا معرفة بأمور الماضين أو الحاضرين .

وأنا لا أريد هنا أن أجادل في نفي هذه الأمور ، أو اثباتها ، فأخذ الشعوب واقتباسها بعضها عن بعض ، من القضايا التي لا يمكن أن ينكرها إلا المعاندون الجاهلون المتعصبون . وقد رأيت ان ابن الكلبي وغيره من قدامى الأخباريين قد أشاروا الى أن أصل بعض الأصنام عند العرب هو من الشمال، استورد في مناسبات أشاروا إليها ، كما أن التنقيبات الأثرية قد أثبتت وجود صلات فكرية بين جزيرة العرب وبين العالم الخارجي ، وأن ما يزعمه القائلون بعزلة الجاهليين عن بقية العالم هو هراء لا يستند الى دليل . ولكني في هذه الأمور من الحذرين . أكره الجزم بشيء من غير برهان قاطع ودليل محسوس . فكلام أهل الأخبار ، أكثره مما لا يمكن الاعتماد عليه ، وقد رأينا طبيعة أكثره ونوعه . ثم إن الكثير مما له علاقة بيهود وبالدين هو مما أخذ من أهل الكتاب في الاسلام أو من أفواه مسلمة أهل الكتاب . فهو متأخر عن الجاهلية ، فلا يمكن أن يشمل الجاهليين من أهل الكتاب ومن وثنيين . وعلينا الآن التمييز بين هذا الذي أدخل بين العرب بعد أيام الجاهلية

١ اليهود (٧٨ وما بعدها) ، Graetz, Vol., III, p. 60.

وبين ذلك الذي كان معروفاً عند الجاهليين وقد ورد عنهم ، وذلك لنتمكن من ابداء رأي في هذه القضايا المعقدة .

ثم إن العرب كانوا شعباً سامياً ، كاليهود في اصطلاح العلماء، وتشترك البطون السامية في كثير من أصول التفكير والعقيدة ، ومعنى هذا ان ما نجده عند يهود قد يكون عند العرب وعند غيرهم ممن يدخلهم المستشرقون في هذه الزمرة . فلم كل شيء لليهود ، ونحكم على ان الجاهليين قد أخذوه منهم ، ولا نقول إن هذا من ذلك التراث القديم الموروث ؟ أنا لا أقول ذلك متأثراً بدافع من العصبية ، انما أقول ذلك لأنني أدين بفكرة هي ان الاستعجال في اصدار الأحكام بغير دليل خطأ فاحش لا يجوز لانسان يشعر بانسانيته أن يوقع نفسه فيه .

هذا ولا بد بالطبع من ان يتأثر الجاهليون المجاورون لليهود بعض التأثير بهم ، بأن يأخذوا منهم بعض الأشياء ويتعلموا منهم بعض الأشياء التي تنقصهم والتي هم في حاجة ماسة اليها . فذلك أمر لا بد منه . كما ولا بد وان يكون اليهود قد اقتبسوا أشياء من جيرانهم العرب ، وعملوا على محاكاتهم في حياتهم الاجتماعية ، لا سيما وبينهم يهود من أصول عربية .

الفصل الثامن والسبعون

شعر اليهود

واللغة التي كان يتكلم بها اليهود ، هي اللهجات العربية التي كان يتكلم بها أهل المناطق التي ينزلونها . ولتكلم اليهود في كل قطر يحلّون فيه بشيء من الرطانة ، لا يستبعد أن تكون لغتهم العربية التي كانوا يتكلمون بها عربية تشوبها الرطانة العبرانية . ولكن هذا لا يمنع من وجود أناس فيما بينهم كانوا يتكلمون ويكتبون بالعبرانية ، ولا سيما أنهم كانوا يستعملون العبرانية في دراسة أمورهم الدينية وفي كتابة النشرات والتعاويد ، كما كانوا يستعملونها في السحر . وقد وردت إشارات الى ذلك في كتب الحديث . وقد ورد أيضاً أنهم كانوا يعلمون أطفالهم العبرانية في الكتاب .

ويروي رواية الشعر شعراً جاهلياً زعموا ان قائله هم من يهود . وأكثره أبيات لشعراء لا نعرف من أمرهم شيئاً ، لعلها بقايا قصائد . أما القصائد ، فينسب أكثرها الى السموأل بن عاديء صاحب حصن الأبلق في تيماء ، وصاحب قصة الوفاء المشهورة^١ . وهذا الشعر المنسوب الى اليهود ، لا يختلف في طريقة نظمه وفي تراكيبه ونسقه عن شعر الشعراء الجاهليين ، ولا نكاد نلمس فيه أثراً لليهودية ولا للعبرانية . فالفاظه عربية صافية نقية مثل ألفاظ أهل الجاهلية ، وأفكاره على

١ تأريخ الادب العربي ، لكارل بروكلمان (١٢١/١) ، (طبعة دار المعارف بمصر) ،
(طبعة ثانية) ، (عريب الدكتور عبد الحليم النجار) .

نخط أفكار الجاهليين . ويصعب ان تجد فيه أثراً للتوراة والتلمود ، مما يحملنا على التفكير في صحة هذا الشعر وفي درجة تعمق صاحبه وتفهمه لدين يهود .

ومن الشعراء الذين روى الأخباريون شيئاً من شعرهم بعد السؤال : (أوس ابن دنن) ، وهو من بني قريظة ، و . (كعب بن سعد القرظي) ، و (سارة القرظية) ، و (سعية بن غريض بن عدياء) (شعية بن غريض بن عدياء) ، و (الربيع بن أبي الحقيق) ، و (أبو الديال) (أبو الزناد) ، وله شعر في رثاء يهود تيماء الذين أجلاهم الرسول ، و (شريح بن عمران) ، و (كعب ابن الأشرف) ، و (أبو رافع اليهودي)^١ .

وروى ان (جعفر بن محمد الطيلسي) جمع أشعار اليهود في ديوان ، ويظهر انه أخذ ذلك من كتاب للسكري . ويقال إن الموفق بالله أخا الخليفة المعتمد العباسي طلب من الوزير (اسماعيل بن بلبل) ان يقدم اليه ديواناً في شعر اليهود ، فطلب الوزير من العالم اللغوي الأديب (المبرد) ان يقدم اليه ديواناً في شعر يهود ، فأخبره المبرد انه لا يعرف شعراً لليهود . فطلب الوزير من العالم (ثعلب) ان يقدم اليه ما عنده من شعر لليهود ، فأجابه ان لديه ديواناً من شعرهم ، فقدمه اليه^٢ .

وقد كانت بين المبرد وثعلب خصومة شديدة ومنافسة عنيفة ، فلعل هذا الخبر هو من مرويات الجماعة المتعصبة لأحد الطرفين في الطعن في أحدهما والخط من شأنه ، فقد تحزّب طلاب العلم وانقسموا جماعتين ، كل جماعة كانت تنتصر لصاحبها ، إذ لا يعقل ألا يكون للمبرد علم بشعر لليهود ، وقد ذكر من سبقه مثل أبي تمام في حماسه والجمحي في طبقات الشعراء كما ورد في الأصمعيات شعراً لهم^٣ ، كما ان في كتابه الكامل نثفاً من شعرهم ، أو لعل إنكاره لشعرهم بمعنى ان أكثر ما نسب اليهم من شعر هو في نظره مزيف مصنوع ، ولهذا لم يُعَنَّ بجمع ما ورد عنهم ، ولا يمكن ان يكون ديواناً في شعر يهود^٤ .

١ الاعاني (٩٤/١٩ وما بعدها) ، الميداني ، (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشره
Margoliouth, p. 78. ، (١٦٢) ، (١٩٠٩)

Margoliouth, p. 75. ٢

٣ طبقات الشعراء للجمحي (٧٠ / وما بعدها) .
Margoliouth, p. 74. ٤

والشعراء اليهود الذين ذكرهم^١ الجمحي في كتابه (طبقات الشعراء) ، هم :
السموأل بن عاديا ، والربيع بن أبي الحقيق ، وهو من (بني النضير) ،
وكعب بن الأشرف ، وشريح بن عمران ، وشعبة بن غريص (شعية بن غريص)
وأبو قيس بن رفاعه ، وأبو الذبآل ، ودرهم بن زيد . وقد ذكر لهم أبياتاً مما
قالوه من الشعر^٢ .

والسموأل ، وهو من سادات يهود الحجاز ومن أثريائهم وملاكهم ، أحسن
الشعراء اليهود حظاً في الخلود . بقيت أشعاره ، وحفظت قصائده ، ولم يبخل
علماء الشعر عليه ، فجمعوا شعره في ديوان . ولم يشأ الزمان أن يبخل عليه ،
فهيأ له من طبعه . ولا تزال تلك القصة : قصته مع مخلفات امرئ القيس مضرب
الأمثال . وصير هذا الشاعر الملاك المراسي مثلاً وقدوة للأوفياء ، فضرب به المثل
وقيل : أوفى من سموأل ، ولعل القصيدة المبتدئة بهذه الأبيات :

وفيت بأدرع الكندي ، إني إذا ما ذمّ أقوام وفيت
وأوصى عادياً يوماً بالآ تهمد يا سموأل ما بنيت
بني لي عادياً حصناً حصيناً وماء كلما شئت استقيت

هي التي خلدت هذه القصة ، وصيرت لها فروعاً وذويلاً ، وهي قصة تجعل
الكندي المقصود بها هو الشاعر الشهير امرئ القيس ، وهي التي خلدت اسم صاحب
ذلك الحصن .

ونجد هذه القصة في قصيدة للأعشى ، يقال إنه قالها مستجيراً بابن سموأل
شريح ، ليفكه من أسره ، وكان قد وقع أسيراً في يد رجل كلبي كان الأعشى
قد هجاه ، ثم ظفر به الكلبي ، فأسره وهو لا يعرفه ، فتزل بشريح بن سموأل
وأحسن صيافته ، فلما مرّ بالأسرى ، قال الأعشى أبياتاً يمدحه فيها ، ويمدح
أباه ، ويذكر كيف أن أباه اختار أذراع الكندي ، وأبى إلا أن يسلمها إلى
آله وذويه ، على أن يسلمها إلى أسري ابنه إذا أطلقوه . وهي أبيات نجته من
أسر الكلبي ، ففر منه بعد أن وهبه لشريح وهو لا يعرف به . فلما عرف به ،
ندم . ولكن ندمه هذا لم يفده شيئاً لأنه جاء بعد فوات الوقت^٣ .

١ (ص ٧٠ وما بعدها) .

٢ الاغانى (٩٩/١٩) وما بعدها) .

ويروي الأخباريون ورواة الشعر أشعاراً أخرى للأعشى قالها في مدح السموأل وفي وصف حصنه وفي سرد قصة وفاته ، نجد فيها مصطلحات وجملاً وكلمات ترد أيضاً في الشعر المنسوب الى السموأل . وهذا ما يحملنا على التفكير في كيفية حدوث ذلك ووقوعه . هل حدث ذلك لوقوف الأعشى على شعر السموأل واقتباسه منه ، باعتبار أن السموأل أقدم عهداً منه ، أم حدث بتوارد الخواطر والمعاني فهو من قبيل المصادفة ليس غير ، أم صنع فيما بعد على لسان السموأل بعد شيوع هذا الشعر المنسوب الى الأعشى صاحب الأبلق الفرد ، أم الشعراء مصنوعان صنعاً في الإسلام ووضعاً على لسان الرجلين ؟ وبالجملة ان أكثر ما ينسب الى السموأل ، هو من النوع المصنوع الذي شك فيه ، وبعضه مما نسب الى غيره من الشعراء . أما جامع شعر السموأل في ديوان ، فهو ابراهيم بن عرفة الملقب بنقطويه (٣٢٣ - ٣٢٤ هـ) ، من مشاهير علماء العربية . وبعض ما هو مذكور في هذا الديوان^١ ، مثل قصيدته الشهيرة :

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

مذكور في حماسة أبي تمام ، وبعضه من مرويات الأصمعي . ولم يذكر نقطويه جامع الديوان سنده في رواية هذا الشعر . وهذا السند مهم جداً عند المؤرخ للوقوف على كيفية حصول هذا العالم على شعر السموأل ، ولمعرفة صحة نسبته اليه . وفي الشعر المنسوب الى السموأل جزء منحول مصنوع ، وضع عليه ، وجزء منسوب الى غيره ، وقد أشار اليه العلماء . ونحن اذا قمنا بغربلته وتنقيته نجد أقله له وأكثره لغيره ، قد يكون من صنعة شاعر آخر ، وقد يكون من وضع وضعة الشعر ومفتعليه . ثم اذا فحصنا هذا القليل الذي يتفق أهل الأخبار على انه له ، لا نجد فيه ما يشير الى وجود أثر لدين يهود في هذا الشعر . وقد استدلل الأب (شيخو) على نصرانية ذلك الشاعر ، من قصيدة نسبت الى السموأل ، ورد فيها شيء من القصص الديني ، والأب شيخو لا يكتفي بنصرانية

١ طبع هذا الديوان في بيروت (سنة ١٩٠٩ م) في مجلة المشرق للسنة المذكورة (ص ١٦١ وما بعدها) ، كما نشره عيسى سابا بعنوان شعر السموأل ببيروت كذلك . وأعاد نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين بعنوان : « ديوان السموأل » صنعة أبي عبد الله نقطويه وطبع ببغداد سنة ١٩٥٥ م .

السموأل وحده ، بل يرى ان النصرانية هي ديانة جميع الشعراء الجاهليين ، ولهذا أُلّفَ فيهم كتابه (شعراء النصرانية) وتحدث فيه عنهم على أنهم نصارى مؤمنون بدين المسيح^١ . وقد فاته شيء واحد لا أدري كيف عذب عن باله ، عفا الله عنه ، هو : تعيينه مذهبيهم في النصرانية ، ونصه على ترهيبهم وتنسكهم ولبسهم المسوح على طريقة الرهبان .

ومن القصائد المنسوبة الى سموأل ، قصيدة مطلعها :

ألا أيها الضيف الذي عاب سادتي ألا اسمع جوابي لست عنك بغافل

ختمها بهذا البيت :

وفي آخر الأيام جاء مسيحننا فأهدى بني الدنيا سلام^٢ التكامل

وهي قصيدة تختلف في أسلوب نظمها وفي العرض العام عن طرق النظم المألوفة في الشعر قبل الاسلام ، والشعر المنسوب الى سموأل . وقد وردت فيه كلمة (رحمانهم) وأشير فيها الى قصة ابراهيم الخليل ، والذبيح ابنه ، والى تسميته بإسرائيل ، ثم الى الأسباط . وقصة بني اسرائيل مع فرعون مصر . وقد أغرق الله فرعون في البحر . والى القدس والطور ، وأمثال ذلك .

وهذه القصيدة هي ردّ لأقوال رجل يظهر أنه عاب بني اسرائيل ، وتهجم عليهم ، فأثار هذا الطاول صاحب هذه الأبيات فنظمها في الردّ عليه ، وفي الفخر بقومه ، مستشهداً على ذلك بالقصص الوارد في التوراة عن بني اسرائيل وعن الأنبياء : ابراهيم وإسحاق ويوسف ، وختمها بالبيت الذي رويته منها عن مجيء المسيح ، وقد دعاه بـ (مسيحننا) ؛ لأن المسيح من اليهود . ذكر المسيح فيها بعد حديثه عن موسى وتكليم الرب له على جبل الطور ، وهو انتقال فجائي غريب ليست له صلة ما بالأبيات المتقدمة .

١ Nallino, Raccolta, III, p. 105, Nöldeke, Sammaual, in Zeitschrift für Assyriologie, XXVII, 1912, S. 177, Welhausen, Zum Koran in ZDMG, LXVII, 1913, S. 630, Eisenburg, Zu Samaw'al, in ZDMG., LXVIII, 1914, S. 644, Al-Sama-w'al ibn Adiya, in Zeitschrift für Assyriologie, XXVI, 1912, S. 318.

٢ شعر سموأل (ص ٥٣) ، (عيسى سابا) ، « بيروت ١٩٥١ م » .

والحوادث المذكورة في هذه القصيدة ، والاستشهادات التي استشهد بها الشاعر ، وإن كانت مما هو مذكور في (الكتاب المقدس) بجزءيه ، تدل على أن ناظمها قد استعان في نظم المصطلحات التي استعملها وطريقة تعبيره عن الحوادث بالقرآن الكريم ، وبالقصص الواردة في كتب سير الرسل والأنبياء ، وأن الغاية من نظمها هو إثبات مجيء المسيح ، وقد جاء . وشهادة شاعر يهودي مفيدة ولا شك في هذا الباب .

ولم ترد هذه القصة في ديوان السموأل ولا في كتب الأدب القديمة . وعدم ورودها في تلك الموارد ، دليل بالطبع على أنها مما وضع بعد تدوين شعر السموأل في الديوان المنسوب اليه وفي كتب الأدب القديمة ، وأن هذه القصيدة هي من الشعر المصنوع المتأخر بالنسبة الى بقية ما نسب اليه .

وللسموأل آراء دينية تراها في هذا الشعر المنسوب اليه ، في بعضه إقرار بالبعث والحساب ، وأن الملك وهو الرب يجازي الانسان على ما قام به وما فعله من خير أو شر^١ ، وأن الله قد قسدر كل شيء وقضى به ، وإن كل ما قدره كائن ولكل رزقه^٢ ، وإن الانسان ميت من يوم يولد ، وفيه جرثومة الموت ، ولد من ميت ، ثم يموت ، ثم يبعث تارة أخرى للحساب والكتاب ، ولكل أجل^٣ . وفي قصيدة تائية :

نطفة ما منيت يوم منيت أمرت أمرها وفيها بريت
كنّها الله في مكانٍ خفيٍّ وخفيٍّ مكانها لو خفيت

وهي في كيفية نشوء الانسان من مَنيٍّ يُمنى . وهي فكرة يظهر ان صاحب هذا الشعر اقتبسها من القرآن الكريم ، نظراً لمظهر التأثير به في تعبيره عن كيفية خلق الانسان . وقد تطرق في هذه القصيدة الى ما ذكرته من اعتقاده بالموت والبعث بعده وبالحساب والثواب والعقاب ، والى سليمان والحواري يحيى وبقايا

١ شعر السموأل (بيروت ١٩٥١) ، « عيسى سبابا » (ص ٢٦) .

٢ ليس يعطى القوي فضلا من الرزق ولا يحرم الضعيف السحيب بل لكل من رزقه ما قضى الله
له وإن حزن أنفسه المسमित
شعر السموأل (٢٨) .

٣ شعر السموأل (ص ٢٩ وما بعدها) .

الأسباط أسباط يعقوب دارس التوراة والتابوت^١ . وإلى انفلاق البحر لموسى وأشار إلى طالوت وجالوت . والأشارات الموجزة هذه ، وإن كانت لقصص موجود في التوراة ، لم يعتمد الشاعر عليها ، بل اعتمد على القرآن الكريم^٢ . ف (طالوت) مثلاً غير مذكور في التوراة ، إنما ذكر في القرآن الكريم . وهو اسم الملك (شأؤول) في التوراة^٣ . وفي أخذ الشاعر بهذه التسمية القرآنية التي لا وجود لها في التوراة دليل على أنه وضع شعره بعد نزول القرآن ، أي في الاسلام . وأما (جالوت) فلفظة وردت في كتاب الله كذلك ، وهي تقابل Goliath في العهد القديم^٤ . ويلاحظ أن صاحب القصيدة قد أخذ مصاب (جالوت) من القرآن الكريم ، كما أنه سار على نهجه في ذكر طالوت جالوت ، وهو ينفرد بذلك عن التوراة .

وشعر فيه هذه المصطلحات وهذه المعاني ، لا يمكن أن يكون شعراً يهودياً جاهلياً ، بل لا بد أن يكون من الشعر المصنوع المنظوم في الاسلام .

فليس في شعر السموأل إذن شيء خاص من الأشياء التي انفردت بها يهود ، وهذا الفخر الذي نراه في اسرائيل وفي الأسباط هو فخر يقوم على نمط فخر القبائل بقبائلهم ، وليس شيئاً من دين . ثم إن بنا حاجة إلى إثبات أنه من نظم السموأل حقاً ، وأنه ليس من نظم إنسان آخر قاله على لسان السموأل في مدح اليهود وفي الفخر بهم . ولا عجب أن يقوم إنسان بوضع شعر على لسان السموأل أو غيره من الشعراء الجاهليين ، فكتب الأدب مليئة بشواهد تذكر أسماء قصائد منتحلة ، وضعت على ألسنة شعراء جاهليين ، وأسماء من انتحل ذلك الشعر . ولم يكن انتحال ذلك الشعر عملاً سهلاً ، إذ لا بد له من قدرة وعلم ومعرفة بأساليب شعر الماضين . وقد كان حماد الراوية ، وهو أديب كبير وراوي شهير ، على رأس طبقة المنتحلين الوضاعين للشعر .

١ وبغايا الأسباط أسباط يعقوب دارس التوراة والتابوت
سي وبعد الملك الطالوت
له واذ صاب حينه الجالوت
سعر السموأل (ص ٢٧) ، ديوان السموأل (ص ٢٥) .

٢ سورة البقرة ، الآية ٢٤٦ وما بعدها .

٣ Ency., IV, p. 642.

٤ Ency., I, p. 1008, Hastings, p. 303.

وأشهر القصائد والأشعار المنسوبة الى السموأل ، القصيدة المقولة في الفخر التي
مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميل
وهي قصيدة شهيرة معروفة تعد نموذجاً في الفخر والحماسة وفي حسن النظم ،
ولذلك تحفظ في المدارس حتى اليوم ، ويضيف إليها بعض العلماء هذا البيت :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعزّ على من رامه ويطول

وبعض العلماء يزيد عليها وينقص منها أبياتاً أخرى . وهي مع ذلك مما يعزوه
بعض العلماء الى شعراء آخرين ، فعزاها بعضهم الى عبد الملك بن عبد الرحيم
الحارني ، أو عبدالله بن عبد الرحمان ، وقيل ابن عبد الرحيم الأزدي ، وهو
شاعر شامي إسلامي^١ .

وينسب بعض الرواة القصيدة المذكورة الى شاعر إسلامي آخر يسمى (دكين)
الراجز^٢ . فترى من هذا مبلغ الاختلاف في صحة نسبة هذه القصيدة الى السموأل .
ولم يرد في ديوان السموأل ولا في بعض الكتب الأخرى البيت المتقدم ، وأعني
به قوله :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعزّ على من رامه ويطول

ولعدم وروده في ديوانه أهمية بالطبع ، إذ يجوز ان تكون هذه الزيادة متعمدة
لأثبت أنها من شعر السموأل حقاً ، وآية ذلك ورود (الأبلق الفرد) في هذه
القصيدة ، وليس هناك حصن اشتهر وعرف بهذه التسمية غير هذا الحصن .
وينسب الى السموأل قوله معتذراً لرجل من ملوك كندة :

وإن كنت ما بُلغت غني فلامني صديقي وحزت من يدي الأنامل

١ ديوان السموأل (ص ١٠ وما بعدها) ، الحماسة (ص ٤٩) ، العيسى (٧٧/٢) ،
الأمالي (٢٧٢/١) .

٢ الاغانى (٢٦٢/٩) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

وقد ذكر هذا البيت ، وكذلك بيت آخر معه في ديوانه . غير ان بعض العلماء ينسبها الى معدان بن جواس بن فروة السكوني^١ .

وللأخباريين روايات تختلف بعض الاختلاف في اسم والد السموأل ، فمنهم من جعله عادياً ، ومنهم من دعاه أوفى ، ومنهم من سماه حيّان ، (حسان) ، ومنهم من قال له (السموأل بن غريص بن عاديا)^٢ . وهم يقولون انه يهودي ، ويقولون أحياناً انه من غسان ، وغسان بالطبع ليست من يهود . ومنهم من قال ان والده من يهود ، أما أمه فكانت من غسان^٣ . فهو اذن ذو نصفين - اذا صح التعبير - نصف يهودي ، ونصف آخر عربي . ثم هم يذكرون انه كانت له صلات وثيقة بأمرأ غسان ، ولصلته هذه بهم قصده امرؤ القيس ، طالباً وساطته له عند الحارث بن أبي شمر الغساني ، ليوصله الى قيصر ، فينال بمساعدته حقه من خصومه^٤ . أما نحن ، فلا يهمننا من أمر السموأل في هذا المكان شيء ، وكل ما يهمننا هو ما له صلة بدين اليهود ، وعقيدة يهود الجاهلية في الحجاز . ويستشهد الذين يذكرون ان اسم والد السموأل هو (عاديا) بيت شعر نسبوه الى السموأل هو :

بني لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت

فقالوا أن أباه (عاديا) اليهودي ، وهو باني ذلك الحصن^٥ .

وقد جعل (ابن دريد) نسب (السموأل) في (بني غسان) ، وجعل عمود نسبه على هذا النحو : (السموأل بن حيّا بن عاديا بن رفاعه بن الحارث ابن ثعلبة بن كعب)^٦ .

-
- ١ ديوان السموأل (ص ٤٣ وما بعدها) ، سمط اللآلئ (٤٥٧) .
 - ٢ الاغاني (١٢/٣) ، (٩٨/١٩) ، الميداني (٢٧٦/٢) ، تاج العروس (٣٨٢/٧) ، (السموأل بن أوفى بن عاديا بن رفاعه بن جفنة) ، الناج (٣٨٢/٧) ، المشرق ، السنة النابية عشرة (١٩٠٩) ، (ص ١٦٢) ، اليهود (ص ٢٧) ، معاهد التنصيص (١٣١/١) ، مروج (١٧٦/٢) ، (دار الادلس) .
 - ٣ الاغاني (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
 - ٤ الاغاني (٩٨/١٩) .
 - ٥ تاج العروس (٢٩٨/٦) .
 - ٦ الاشتقاق (٢٥٩/٢) «وستنفله» .

ولا يستبعد بعض المستشرقين احتمال كون السموأل من أصل عربي ، هو من غسان . تهود في جملة من تهود من العرب ، لا سيما أن في منطقة يثرب أحياء نص على أصلها العربي ، دخلت في هذا الدين . وقد ذهب بعضهم الى احتمال وجود رجلين بهذا الاسم : رجل غساني عربي ، وآخر يهودي^١ .
وفي هذا البيت المنسوب الى الأعشى :

أرى عاديا لم يمنع الموت ما له وفرد بتياء اليهودي أبلق

ما يشير الى يهودية السموأل ، وهو يشير أيضاً الى غنى عاديا وكثرة ماله . وقد عرف حصن السموأل بالأبلق ، وبالأبلق الفرد ، وهو حصن مشرف على تيماء ، وقد ذكر الأخباريون أنه إنما دعي بالأبلق ، لأنه كان في بنائه بياض وحمرة . وكان أول من بناه عاديا أبو السموأل . وقد ذكر ياقوت الحموي أن موضعه على رابية فيها آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنه من العظمة والحصانة ، وهو خراب^٢ ولست أرى أن الأبلق أو الأبلق الفرد هي تسمية ذلك الحصن ، إنما هي صفة له ، أخذت من البيت :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعزّ على من رامه ويطول

وهو بيت ينسب قوله الى السموأل . ومن أبيات أخرى تنسب الى الأعشى .
وورد في أبيات منسوبة الى الأعشى ان باني الأبلق هو (سليمان) ، قال :

ولا عاديا لم يمنع الموت ما له وحصن بتياء اليهودي أبلق
بناه سليمان بن داوود حقة له أزج عال وطيء موثق
يوازي كبيدات السماء ودونه بلاط ودارات وكلس وخندق^٣

ولكن هذا البيت يناقض ما ينسب الى السموأل من شعر فيه ان بانسي ذلك

١ Zeitschrift für Assyriologie, 1912, S. 174.

٢ البلدان (٨٦/١) ، القزويني ، آثار البلاد (٤٨) ، المشرق (١٩٠٩) ، (١٦٣) ، تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٣ البلدان (٨٧/١) ، تاج العروس (٢٩٨/٦) .

الحصن ، هو أبوه (عاديا) (عاديا) . ولست أستبعد ان يكون أكثر هذا الشعر من الشعر المصنوع في الاسلام . وأما نسبة بناء الحصن الى سليمان ، فهي من الأمور المألوفة التي رواها أهل الأخبار عن أبنية سليمان في جزيرة العرب . وردت من أساطير روجها اليهود بين العرب في الجاهلية وفي الاسلام عن عظمة سليمان وبنائه الأبنية العظيمة . وقد خصصوا سليمان دون سائر رجال اليهود بالبناء ، لبنائه الهيكل الذي أدهش العبرانيين ولا شك ، ولم يكن لهم عهد يمثل هذا العهد من قبل . ومن يدري ، فلعل هذه الأبيات المنسوبة الى الأعشى هي من عمل أناس في الاسلام كلّفهم اليهود صنعها ، للتفاخر والتباهي بمآثرهم الماضية ، أو أنها حقاً من قول الأعشى ، صنعها لليهود بعد ان فك شريح أسره وأعطاه شيئاً من المال ، والمال مالك لكل لسان .

وزعم أهل الأخبار ان الملكة (الزباء) قصدت هذا الحصن ، وحصن مارد ، فعمّزت عنها ، فقالت : « تمرد مارد وعزّ الأبلق » ، فسيرته العرب مثلاً لكل عزيز ممتنع^١ . و (مارد) حصن بدومة الجندل^٢ .

ونحن إذا تتبعنا الشعر المنسوب الى السمّوال ، نجد معظمه كما قلت منتحلاً موضوعاً ، صنع فيما بعد . وإذا تتبعنا سيرة هذا الشخص وما قيل فيه ، نجد أكثره مما لا يستطيع الثبات للنقد . ولعل هذا هو الذي حمل بعض المستشرقين على الشك لا في شعر السمّوال وحده ، بل في شخصية السمّوال نفسها ، فذهبوا الى أنها من اختراع أهل الأخبار ، اخترعوها لما سمعوه من قصص مذكور في التوراة عن (صموئيل)^٣ .

وقد نسب بعض المستشرقين بقاء شعر السمّوال وعدم ذهابه في الاسلام الى أهله الذين دخلوا في الإسلام ، وبقوا في أماكنهم من تيماء ، فلم يكن من الهين عليهم نبذ شعره وتركه ، ولهذا حافظوا عليه ، فكانت محافظتهم هذه عليه سبب بقائه حتى اليوم^٤ .

١ تاج العروس (٦/٢٩٨) ، (ملق) .

٢ تاج العروس (٢/٥٠٠) ، (مرد) .

٣ Margoliouth, p. 72, Winckler, in MVAG., Bd., VI, S. 262.

٤ Islamic Culture, III, 2, p. 190, (1939).

وقد ذكر الأخباريون أسماء ثلاثة أولاد للسموأل . أولهم شريح الذي مرّ ذكره .
وثانيهما حوط ، وثالثهما منذر . ولا نعرف من أمرهما غير الاسم . ويظن أن
حوطاً هو الذي وقع في الأسر فذبح^١ .

أما (سعية بن غريض) (شعية بن غريض بن سموأل) (شعبة) ، فهو
آخر سموأل على رواية لأبي الفرج الاصبهاني ، جعلت اسم والد سموأل :
(غريض بن عاديء)^٢ ، وهو حفيده على رواية أخرى . وقد أورد له الاصبهاني
جملة أبيات في أثناء كلامه على سموأل^٣ . ويذكر أنه كان غنياً صاحب أملاك
وأموال ، يعقد المجالس ، ويناديه قوم من الأوس والخزرج ، وأن بعض ملوك
اليمن أغار عليه فانتسف من ماله حتى افتقر ولم يبق له مال ، ثم عاد إليه حاله ،
وأنه عاش طويلاً الى أيام معاوية ، وأنه دخل في الاسلام ، وأن معاوية رآه
يصلي في المسجد الحرام ، فطلب حضوره ، وسأله عن شعر أبيه الذي يرثي به
نفسه ، فأنشده قصيدته :

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ماذا تؤبني به أنواحي

ويذكر رواية هذا الخبر ان (سعية) كان شيخاً طاعناً في السن يومئذ . وأنه لم
يكن يرى حقاً لمعاوية في الخلافة ، ولذلك لم يقبل ان يسلم عليه بالخلافة ، وأنه
أجاب أجوبة فيها خشونة وجفاء ، وان الخليفة كف أصحابه من الإساءة اليه
قائلاً لهم : قد خرف الشيخ ، فأقيموه . فأخذ بيده فأقيم .

والقصيدة المذكورة ينسبها بعض الرواة الى سموأل، وهذه النسبة تجعل سموأل
أبا لسعية لا أخاً له . أما اذا جعلناها من شعر غريض (عريض) ، والد سعية ،
فلا يكون هناك إشكال ما من ناحية نسبة القصيدة ، غير ان علينا حينئذ جعل
(سعية) (شعية) حفيداً لسموأل ، في رواية من جعله (شعية بن غريض بن
السموأل) . باضافة ولد آخر على أولاد سموأل ، اسمه (غريض)
(الغريض) .

١ المنرق ، السعة (١٩٠٩) ، (ص ١٦٣) .

٢ الاغانى (١٩٠٠/١٩) ، طبقات الشعراء ، لابن سلام (١١١) ، اليهود (٣١) .

٣ Nöldeke, Beiträge, S. 64.

وذكر البحري في (حماسه) اسم شاعر يهودي آخر ، هو : عريض بن شعبة ،
ونسب اليه هذا الشعر :

ليس يعطى القوي فضلاً من الرز ق ولا يحرم الضعيف الحبيث
بل لكل رزقه ما قضى الله له ولو كد نفسه المستميت^١

وهو من شعر السؤال نفسه على رواية بعض الأخباريين، يروونه له مع شيء
من الاختلاف^٢.

أما (الربيع بن أبي الحقيق) ، فهو من بني قريظة على رواية ، أو من
بني النضير على رواية أخرى . وقد اشترك في يوم بعث ، وعاصر النابغة الشاعر
الشهير ، وخلف جملة أولاد ناصبوا الرسول العداء^٣.

ومن بقية شعراء يهود : (أوس بن ذنى) من قريظة^٤ ، و (كعب بن
الأشرف)^٥ ، و (سماك اليهودي) . وهو شاعر قوي في رده على المسلمين
عنيف^٦.

وكان (كعب بن الأشرف) رجلاً شاعراً يهجو النبي وأصحابه ويحرض
عليه ويؤذيهم . خرج الى مكة ونزل على (المطلب بن أبي وداعة السهمي) ،
بعد معركة (بدر) وجعل يحرض على رسول الله وينشد الأشعار ويبكي أصحاب
القلب . فكان حاصل هجائه القتل^٧.

وكان (أبو عفك) اليهودي ممن يحرض على رسول الله ويقول الشعر ،
وكان شيخاً كبيراً . فقتل لتحريضه على رسول الله وقوله الشعر فيه^٨.

Nöldeke, Beitrage, S. 71.

١ ليس يعطى القوي فضلاً من الرز ق ولا يحرم الضعيف الشخيت

٢ بل لكل من رزقه ما قضى الله له وان حزن أنفه المستميت

شعر السؤال (٢٧) وما بعدها .

٣ الاغاني (٦١/٢١) ، Nöldeke, Beitrage, S. 72.

٤ الاغاني (٩٤/١٩) .

٥ الاغاني (١٠٦/١٩) ، ابن هشام (١٢٣/٢) ، « حاشية على الروض » .

٦ ابن هشام (١٧٩/٢) ، « حاشية على الروض » .

٧ نهاية الارب (٧٢/١٧) وما بعده .

٨ نهاية الارب (٦٦/١٧) وما بعدها .

الفصل التاسع والسبعون

النصرانية بين الجاهليين

ولم تكن اليهودية ، الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً الى جزيرة العرب ، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها الى العرب ، هي الديانة النصرانية . وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى ، لأنها قامت بعدها ، ونشأت على أسسها ومبادئها ، ولكنها كانت أوسع أفقاً وتفكيراً من الأولى . فبينما حبست اليهودية نفسها في بني اسرائيل ، وجعلت إلهها إله بني اسرائيل شعب الله المختار ، جعلت النصرانية ديانتها ديانة عالمية جاءت لجميع البشر . وبينما قيّدت اليهودية أبناءها بقيود تكاد تضبط حركاتهم وسكناتهم ، وفرضت عليهم فروضاً ثقيلة ، نجد النصرانية أكثر تساهلاً وتسامحاً ، فلم تقيد أبناءها بقيود شديدة ، ولم تفرض عليهم أحكاماً اشترطت عليهم وجوب تنفيذها . وقد قام رجال الدين النصارى منذ أول نشأتها بالتبشير بها ، وبنشرها بين الشعوب ، وبذلك تميزت عن اليهودية التي جمدت ، واقتصرت على بني اسرائيل .

ولفظ (النصرانية) و (نصارى) التي تطلق في العربية على أتباع المسيح ، من الألفاظ المعربة . يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هو : (نصرويو) Nosroyo ، (نصرايا) Nasraya^١ ، ويرى بعض آخر أنها من Nazerenes التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح . وقد وردت في

١ عرائب اللغة (ص ٢٠٧) ، Ency., III, p. 848.

العهد الجديد في (أعمال الرسل) حكاية على لسان يهودا^١ . ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة (بالناصرة) التي كان منها (يسوع) حيث يقال : (يسوع الناصري) أو أن لها صلة بـ (الناصريين) Nazarenes = Nasarenes إحدى الفرق القديمة اليهودية المنتصرة . وقد بقي اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح (النصارى) ، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم ، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين .

ولعلماء اللغة الاسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها ، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلاً . وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح^٢ . وزعم بعض منهم أنها نسبة إلى قرية يقال لها (نصران) ، فقليل نصراني وجمعه نصارى^٣ . وذكر أن (النصرانة) هي مؤنث النصراني^٤ .

ولم أعر حتى الآن على نص جاهلي منشور وردت فيه هذه التسمية . أما في الشعر الجاهلي ، وفي شعر المخضرمين ، فقد ذكر أن أمية بن أبي الصلت ذكرهم في هذا البيت :

أيام يلقي نصاراهم مسيحهم والكائنين له وداً وقرابانا^٥

وذكر ان شاعراً جاهلياً ذكر النصارى في شعر له ، هو :

اليك تعدو قلقتا وضيئها معترضاً في بطنها جنيئها
مخالفاً دين النصارى دينها

١ أعمال الرسل : الاصحاح ٢٤ ، الآية ٥ « فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسداً ، ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين » .
Ency. Relig. Ethic., III, p. 574.

٢ اللسان (٦٨/٧) ، ناج العروس (٥٦٨/٣) ، (نصر) .

٣ المفردات ، للاصفهاني (ص ٥١٤) .

٤ فكلتاها خرت وأسجد رأسها كما أسجدت بصرامة لم تحنف
اللسان (٦٨/٧) ، (نصر) ، « والنصرانية واحدة النصارى » ، ناج العروس (٣/٥٦٩) ، (نصر) .

٥ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٨٧) .

وذكر ان جابر بن حنّى قال :

وقد زعمت بهراء ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم^١

وان حاتم الطائي قال في شعر له :

وما زلت أسعى بين نابٍ ودارة بلحيانٍ حتى خفت أن أتصرا^٢

وان (طخيم بن أبي الطخماء) قال في شعر له في مدح بني تميم :

ولاني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويُتَوَقَّ^٣

وان حسان بن ثابت قال :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد^٤

غير ان هذه الأبيات وأمثالها إن صح أنها لشعراء جاهليين حقاً، هي من الشعر المتأخر الذي قيل قبيل الاسلام . أما قبل ذلك ، فليس لنا علم بما كان العرب يسمّون به النصارى من تسميات .

والذي نعرفه أن قدماء النصارى حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون : (تلاميذ) Disciples ، و (تلاميذ المسيح) ، ذلك أنهم كانوا ينظرون الى المسيح نظرهم الى معلم يعلمهم^٥ وكذلك نظروا الى حواريه ، فورد (تلاميذ يوحنا) وقصدوا بذلك النصارى^٦ . وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعملها النصارى للتعبير عن أنفسهم .

كذلك دعا قدماء النصارى جماعتهم بـ (الاخوة) وبـ (الاخوة في الله) Brethren in Lord للدلالة على الجماعة ، وبـ (الأخ) للتعبير عن المقرد ،

١ النصراينة وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٧١ ، ٢٢٥) ، شعراء النصراينة (١٩٠) ، المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ ، (٦٢٠ وما بعدها) .

٢ الاعاني (١٠٤/١٦) ، النصراينة وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٢٥، ١٧١) .

٣ المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠ وما بعدها) .

٤ ديوان حسان (٢٤) .

٥ Hastings, p. 192.

٦ انجيل مرقس : الاصحاح الثاني ، الآية ١٨ .

ذلك لأن العقيدة قد آخت بينهم ، فصار النصارى كلهم اخوة في الله وفي الدين^١. ثم تخصصت كلمة (الأخ) برجل الدين^٢ . ودعوا أنفسهم (القديسين) Saints^٣ والمؤمنين^٤ والمختارين الأصفياء والمدعوين ، ويظهر أنها لم تكن علمية ، وإنما وردت للإشارة الى التسمية التي تليها .

وقد كنى عن مجتمع النصارى بـ (الكنيسة) Ecclesia ، وتعني (المجمع) في الاغريقية ، بمعنى المحل الذي يجتمع فيه المواطنون . فكنى بها عن المؤمنين وعن الجماعة التابعة للمسيح . كما عبر عن النصارى بـ (الفقراء) وبـ (الأصدقاء)^٥.

وقد عرف النصارى بـ Christians نسبة الى Christos اليونانية التي تعني (المسيح) Messiah ، أي المنتظر المخلص الذي على يديه يتم خلاص الشعب المختار . ويسوع هو المسيح ، أي المنتظر المخلص الذي جاء للخلاص كما جاء في عقيدة أتباعه ، ولذلك قيل لهم أتباع المسيح . فأطلقت عليهم اللفظة اليونانية ، وعرفوا بها ، تمييزاً لهم عن اليهود . وقد وردت الكلمة في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الأولى الى أهل كورنتوس^٦ .

أما في القرآن الكريم وفي الأخبار ، فلم ترد هذه اللفظة اليونانية الأصل . ولهذا نجد ان العربية اقتضت على إطلاق (نصارى) و (نصراني) و (نصرانية) على النصارى تمييزاً لهم عن أهل الأدبان الأخرى . أما مصطلح (عيسوي) و (مسيحي) ، فلم يعرفا في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي ، فهما

١ Hastings, p. 104.

٢ أعمال الرسل ، الاصحاح الاول ، الآية ١٥ وما بعدها ،

Ency. Rel. Ethic., 3, p. 573.

٣ رسالة بولس الرسول ، الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس ، الاصحاح الاول ، الآية الاولى وما بعدها .

٤ أعمال الرسل : الاصحاح الخامس ، الآية ١٤ ، رسالة بولس الرسول الى أهل أفسس ، الاصحاح الاول : الآية الاولى وما بعدها .

٥ Ency. Rel. Ethic., 3, p. 574.

٦ أعمال الرسل : الاصحاح الحادي عشر : الآية ٢٦ ، الاصحاح ٢٦ ، الآية ٢٨ ، رسالة بولس الاولى الى أهل كورنتوس : الاصحاح الرابع ، الآية ١٦ ،

Hastings, p. 127.

من المصطلحات المتأخرة التي أطاق على النصارى^١ . وقد قصد في القرآن الكريم بـ (أهل الانجيل)^٢ النصارى ، إذ لا يعترف اليهود بالانجيل . وقد أدخل علماء اللغة اللفظة في المعربات^٣ .

وأهم علامة فارقة ميزت نصارى عرب الجاهلية عن العرب الوثنيين ، هي أكل النصارى للخنازير ، وحملهم للصليب وتقديسه . ورد ان الرسول قال لراهبين أتياه من نجران ليبحثا فيما عنده : « يمنعكما عن الاسلام ثلاث : أكلكما الخنزير ، وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد »^٤ . وورد انه رأى (عدي بن حاتم الطائي) وفي عنقه صليب من ذهب ، لأنه كان على النصرانية^٥ .
وورد في شعر ذي الرمة :

ولكن أصل امرئ القيس معشر^٦ يحل لهم أكل الخنازير والخمر^٧

يريد انهم نصارى في الأصل، فهم يختلفون عن المسلمين في أكلهم لحوم الخنزير وفي شربهم للخمر .

وقد أقسم النصارى بالصليب . هذا (عدي بن زيد) يحلف به في شعر ينسب اليه ، فيقول :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب^٨

ليس في استطاعتنا تعيين الزمن الذي دخلت فيه النصرانية الى جزيرة العرب . وتحاول مؤلفات رجال الكنائس رد ذلك التاريخ الى الأيام الأولى من التاريخ النصراني^٩ ، غير اننا لا نستطيع اقرارهم على ذلك ، لأن حججهم في ذلك غير

١ Hughes, Dictionary of Islam, p. 431.

٢ المائدة ، الآية ٤٧ .

٣ النهاية في غريب الحديث (١٣٦/٤) ، المعرب ، للجوالقي (٢٣) .

٤ البلاذري (٧١) .

٥ اللسان (٤٤٣/١٣) ، (وثن) ، السبوطي ، الدر المنثور (٧٥/١٠) .

٦ النصرانية (٧٥) .

٧ شبخو ، شعراء النصرانية (٤٥١) .

٨ النصرانية وآدابها ، القسم الاول ، تأليف لوبس شبخو ، بيروت ١٩١٢ م .

كافية للإقناع . ولذلك ، فليس من الممكن تثبيت تأريخ لانتشارها في هذه الأماكن في الزمن الحاضر ، وليس لنا إلا التفتيش عن أقدم الوثائق المكتوبة للوقوف عليها بوجه لا يقبل الشك ولا التأويل . ونحن أمام بحث علمي، يجب ان تكون العاطفة بعيدة عنه كل البعد .

واذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة ، فإن دخول النصرانية إليها كان بالتبشير وبدخول بعض النساك والرهبان إليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا ، وبالتجارة، وبالرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة . أما هجرة نصرانية كهجرة يهود الى الحجاز أو اليمن أو البحرين ، فلم تحدث ، ذلك لأن النصرانية انتشرت في انبراطورية الروم والساسانيين بالتدريج، ثم صارت ديانة رسمية للقيصرة والروم وللشعوب التي خضعت لهم . فلم تظل النصرانية أقلية هناك ، لتضطر الى الهجرة جماعة وكثلة الى بلد غريب . لذلك كان حديثنا عن نصارى العرب من حيث الأصل والأرومة، يختلف عن حديثنا عن أصل يهود اليمن أو الحجاز .

وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم ومن وقوف على الطب والمنطق ووسائل الإقناع وكيفية التأثير في النفوس ، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل فأدخلوهم في دينهم ، أو حصلوا منهم على مساعدتهم وحمايتهم . فنسب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصر الى مداواة الرهبان لهم ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم مما كانوا يشكون منه من أمراض . وقد نسبوا ذلك الى فعل المعجزات والبركات الإلهية ، وذكر بعض مؤرخي الكنيسة أن بعض أولئك الرهبان القديسين شفوا بدعواتهم وبركات الرب النساء العقيبات من مرض العقم فأولدن أولاداً . ومنهم من توسل الى الله أن يهب لهم ولداً ذكراً ، فاستجاب دعوتهم ، فوهب لهم ولداً ذكراً ، كما حدث ذلك لضجعم سيد الضجاعة ، اذ توسل أحد الرهبان الى الله أن يهب له ولداً ذكراً ، فاستجاب له . فلما رأى ضجعم ذلك ، دخل في دينه وتعهد هو وأفراد قبيلته . ومنهم من شفى بعض الملوك العرب من أمراض كانت به مثل (مارايشو عزخا) الراهب . ذكروا أنه شفى العمان ملك الحيرة من مرض عصبي ألم به ، وذلك بإخراجه الشيطان

النصرانية وآدابها (١ / ٣٥) ، Sozomene, Hist. Eccl., VI, 38.

من جسده^١ .

وفي تواريخ الكنيسة قصص عن أمثال هذه المعجزات المنسوبة الى القديسين ، كآلتي نسبوها الى القديس (سمعان العمودي) (المولود نحو سنة ٣٦٠ م) يذكرونها على انها كانت سبباً في هداية عدد من الأمراء وسادات القبائل الى النصرانية، وبفضل تنصرهم دخل كثير من أتباعهم في هذا الدين^٢ . وآلتي نسبوها الى القديس (أفتيموس) الذي نصر بفضل هذه المعجزات جمعاً من الأعراب وأسكنهم في أماكن خاصة أنشأ فيها كنائس أطلق عليها في اليونانية مامعناه (المحلة) أو (المعسكر)^٣ .

ولم يعبأ المبشرون بالمصاعب والمشقات التي كانوا يتعرضون لها ، فدخلوا مواضع نائية في جزيرة العرب ، ومنهم من رافقوا الأعراب ، وعاشوا عيشتهم ، وجاروهم في طراز حياتهم ، فسكنوا معهم الخيام ، حتى عرفوا بـ (أساقفة الخيام) وبـ (أساقفة أهل الوبر) ، وبأساقفة القبائل الشرقية المتحالفـة وبأساقفة العرب البادية . وقد ذكر ان مطران (بصرى) كان يشرف على نحو عشرين أسقفاً انتشروا بين عرب حوران وعرب غسان وقد نعتوا بالنعوت المذكورة ، لأنهم كانوا يعيشون في البادية مع القبائل عيشة أهل الوبر^٤ .

وقد دخل أناس من العرب بالنصرانية باتصالهم بالتجار النصارى وبمجالستهم لهم . روي ان رجلاً من الأنصار ، يقال له (أبو الحصين) ، كان له ابنان ، فقدم تجار من الشام الى المدينة يحملون الزيت ، فلما باعوا وأرادوا ان يرجعوا ، أتاهم ابنا أبي الحصين ، فدعوهما الى النصرانية، فتنصرا فرجعا الى الشام معهم^٥ .

ودخلت النصرانية جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج ، هي تجارة الرقيق من الجنسين ، فقد كان تجار هذه المادة المهمة الراجحة يستوردون بضاعتهم من أسواق عالمية مختلفة ، ولكن أثنى هذه البضاعة وأغلاها هي البضاعة المستوردة من انباطوريي الروم والفرس ، لمميزات كثيرة امتازت بها عن الأنواع المستوردة

١ الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، للعس بولس شيخو (ص ٣٢ ، ٤٧) .

٢ النصرانية وآدابها (١/ ٨١ وما بعدها) .

٣ المشرق : السنة الثانية عشرة ، الجزء ٥ ، آذار (١٩٠٩ م) ، (ص ٣٤٤ وما بعدها) .

٤ النصرانية (١/ ٣٧) .

٥ تفسير الطبري (٣/ ١٠) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠ وما بعدها) .

من إفريقية مثلاً. فقد كان صنفها من النوع الغالي الممتاز بالجمال والحسن والافتان ثم بالابتكار وبالقيام بأعمال لا يعرفها من هم من أهل إفريقية . ومن الروميات والصقلييات والجرمانيات من صرن أمهات لأولاد عدوا من صميم العرب . وقد كان أكثرهن ، ولا سيما قبيل ظهور الاسلام ، على النصرانية . ومن بينهن من خلدت أسماءهن لتحدث للقادمين من بعدهم من الأجيال عن أصولهن في العجم وعن الدين الذي كنّ عليه .

وقد كان في مكة وفي الطائف وفي يثرب وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب رقيق نصراني كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في التوراة والأنجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانياً ويتحدث اليهم عن النصرانية ، ومنهم من تمكن من اقناع بعض العرب في الدخول في النصرانية ، ومنهم من أثر على بعضهم ، فأبعده عن الوثنية ، وسفه رأيها عندهم ، لكنهم لم يفلحوا في ادخالهم في دينهم ، فبقوا في شك من أمر الديانتين ، يرون أن الحق في توحيد الله وفي اجتناب الأوثان ، لكنهم لم يدخلوا في نصرانية ، لأنها لم تكن على نحو ما كانوا يريدون من التوحيد وتحريم الخمر وغير ذلك مما كانوا يبتغون ويشترطون .

وقد أثرت الأديرة تأثيراً مهماً في تعريف التجار العرب والأعراب بالنصرانية . فقد وجد التجار في أكثر هذه الأديرة ملاجئ يرتاحون فيها ومحلات يتجهزون منها بالماء ، كما وجدوا فيها أماكن للهو والشرب : يأنسون بأزهارها وبخضرة مزارعها التي أنشأها الرهبان ، ويطربون بشرب ما فيها من خور ونبذ معتق امتاز بصنعه الرهبان . وقد بقيت شهرة تلك الأديرة بالخمور والنبذ قائمة حتى في أيام الاسلام . ومن هؤلاء الرهبان ومن قيامهم بشعائهم الدينية، عرف هؤلاء الضيوف شيئاً عن ديانتهم وعما كانوا يؤدونه من شعائر . وقد أشير الى هؤلاء الرهبان الناسكين في الشعر الجاهلي ، وذكر عنهم انهم كانوا يأخذون المصاييح بأيديهم لهداية القوافل في ظلمات الليل^١ .

وقد كانت هذه الأديرة ، وهي بيوت خلوة وعبادة وانقطاع الى عبادة الله والتفكير فيه ، مواطن تبشير ونشر دعوة . وقد انتشرت حتى في المواضع القصية من البوادي. واذا طالعنا ما كتب فيها وما سجله أهل الأخبار أو مؤرخو الكنائس

Wellhausen, Reste, S. 232.

عن أسمائها ، نعجب من هذا النشاط الذي عرف به الرهبان في نشر الدعوة وفي اقامة الأديرة للاقامة فيها في مواضع لا تستهوي أحداً . وهي متقاربة عديدة في بلاد العراق وفي بلاد الشام . بل نجد لها ذكراً حتى في الحجاز ونجد وفي جنوبي جزيرة العرب وشرقيها : تتلقى الاعانات من كنائس العراق والشام ومن الروم ، حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل . ولولا ظهور الاسلام ونزول الوحي على الرسول في الحرمين ، لكان وجه العالم العربي ولا شك غير ما نراه الآن . كان العرب على دين النصرانية وتحت مؤثرات ثقافية أجنبية ، هي الثقافة التي اتسمت بها هذه الشيع النصرانية المعروفة حتى اليوم .

وقد ذكر (ابن قتيبة الدينوري) : ان النصرانية كانت في ربيعة ، وغسان ، وبعض قضاة^١ . وقال (اليعقوبي) : « وأما من تنصر من أحياء العرب ، فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى ، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، وورقة بن نوفل بن أسد . ومن بني تميم : بنو امرئ القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة : بنو تغلب ، ومن اليمن : طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم »^٢ .

وطبيعي أن يكون انتشار النصرانية في العرب ببلاد الشام واضحاً ظاهراً أكثر منه في أي مكان آخر . وأفصد ببلاد الشام ما يقصده علماء الجغرافيا العرب من هذا المصطلح . فقد كان لعرب هذه الديار علاقة مباشرة واتصال ثقافي بغيرهم من سكان هذه الأرضين الذين دخل أكثرهم في الديانة النصرانية ، والذين صارت هذه الديانة ديانة بلادهم الرسمية بعد دخول الروم فيها واتخاذهم النصرانية ديناً رسمياً للدولة منذ تنصر أول قيصر من القياصرة ، فكان من أول واجبات الروم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم ، لا تقرباً الى الله وحده ، بل لتمكين سلطانهم عليهم . واخضاعهم روحياً لهم . ولهذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية بين أتباعها وفي الخارج وارسال المبشرين والاغداق عليهم ومدتهم بالأموال لنشر الدعوة وتأسيس مكاتب للتبشير ، وبالفعل لبناء الكنائس الفخمة الجميلة على طراز في أنيق جميل غير معروف بين من سيشعر بهذا الدين بينهم . وبذلك تبهر عقولهم ، فتشعر أن للدين الجديد مزايا ليست في دينهم ، وأن معابده أفخم من

١ المعارف (٦٢١) ، البدء والناريخ (٣١/٤) ، الاعلاى النعيسة (٢١٧) .

٢ اليعقوبي (٢٢٧/١) .

معبدهم ، ورجال دينه أرقى من رجال دينهم . وبذلك يأتون إليها . وللهجرة والفضيحة أثر عظيم في كثير من الناس ، فالعين عند أكثر البشر ، تقوم مقام العقل . وقد يكون ما قام به الأحباش في اليمن من انشاء الكنائس العظيمة فيها وتفننهم في تزويقها وتجميلها وفي فرشها بأفخر الرياش والفراش لصرف الناس عن الكعبة كما يزعم أهل الأخبار دليلاً على ما أقول .

وقد وجدت النصرانية لها سبيلاً بين عرب بلاد الشام وعرب بادية الشام والعراق . فدخلت بين (سليح) ، و (الغساسنة) ، و (تغلب) ، و (تنوخ) ، و (لحم) ، و (إباد)^١ . وقد انتشرت بين عرب بلاد الشام بنسبة تزيد على نسبة انتشارها بين عرب بلاد العراق ، وهو شيء طبيعي ، فقد كانت بلاد الشام تحت حكم البيزنطيين ، وديانتهم الرسمية ، هي الديانة النصرانية ، وكانوا يعملون على نشرها وترويجها بين شعوب (انباطوريتهن) ، وبين الشعوب الأخرى ، لا سيما الشعوب التي لهم مصالح اقتصادية معها . ففي نشر النصرانية بينهم وادخالهم فيها ، تقرب لتلك الشعوب منهم ، وتوسيع لنفوذهم السياسي بينهم ، وتقوية لمعسكرهم المناهض لخصومهم الفرس ، أقوى دولة معادية لهم في ذلك الوقت . ولهذا سعت القسطنطينية لادخال عربهم في النصرانية ، وعملت كل ما أمكنها عمله للتأثير على سادات القبائل لادخالهم في دينهم ، بدعوتهم لزيارة كنائسهم وبارسال المبشرين للبقين اليهم ، لاقتناعهم بالدخول فيها ، وبارسال الأطباء الحاذقين اليهم لمعالجتهم ، وللتأثير عليهم بذلك في اعتناق النصرانية . كما دعوهم لزيارة العاصمة ، لمشاهدة معالمها ولأبهار عقولهم بمشاهدة كنائسها ، والاتصال بكبار رجال الدين فيها ، لتعليمهم أصول النصرانية . وأظهروا لهم مختلف وسائل المعونة والمساعدة إن دخلوا في ديانتهن ، وبذلك أدخلوهم في النصرانية فصاروا اخواناً للروم في الدين .

نعم ، دخل سادات القبائل والحكام العرب التابعون لهم في هذه الديانة ، فصاروا نصارى ، ولكنهم لم يأخذوا نصرانية الروم ، بل أخذوا نصرانية شرقية مخالفة لكنيسة (القسطنطينية) . فاعتنقوها مذهباً لهم . وهي نصرانية عدت (هرطقة) وخروجاً على النصرانية الصحيحة (الأرثوذكسية) في نظر الروم . نصرانية متأثرة

١ اليعقوبي (٢٢٧/١) ، (أديان العرب) .

بالتربة الشرقية ، وب عقلية شعوب الشرق الأدنى ، نبتت من التفكير الشرقي في الدين ، ولهذا تأثرت بها عقلية هذه الشعوب فانتشرت بينها ، ولم تجد لها اقبالا عند الروم وعند شعوب أوروبا . وكان من جملة مميزاتها عكوفها على دراسة العهد القديم ، أي التوراة ، أكثر من عكوفها على دراسة الأناجيل^١ .

والنصرانية التي شاعت بين عرب بلاد الشام ، هي النصرانية اليعقوبية ، أو المذهب اليعقوبي بتعبير أصح . وهو مذهب اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له ، ودافعوا عنه ، وجادوا رجال الدين في القسطنطينية وفي بلاد الشام في الذب عنه . فزعم مثلاً أن (الحارث بن جبلة) (ملك العرب النصارى) تغلب في مناظرة جرت له مع (البطريك افرام) (٥٢٦ - ٥٤٥ م) على (البطريك) وأفحمه في جوابه . وكان افرام ، وهو على مذهب (الملكيين) ، قد قصده لاقناعه بترك المذهب (المنوفيزي) والدخول في مذهبه^٢ . ونسبوا الى (المنذر بن الحارث) دفاعاً شديداً عن (المنوفيزية) ، أي المذهب الذي كان عليه الغساسنة من مذاهب النصرانية ، وذكروا أنه أنب (البطريك دوميان) وهو في القسطنطينية على تهجمه على (المنوفيزيين) ، وعمل جهده في التقريب بين مذهبه ومذهب القيصر ، واتصل بالقيصر (طيباريوس) (٥٧٨ - ٥٨٢ م) ليعمل على بث روح التسامح بين المذاهب النصرانية وترك الحرية للأفراد في دخول المذهب الذي يريدونه والصلاة في أية كنيسة يريدونها النصراني^٣ .

ويظهر ان بعض الضجاعة الذين كانوا يتولون حكم عرب الشام قبل الغساسنة كانوا على دين النصرانية . غير اننا لا نستطيع ان نحكم على أي مذهب من مذاهب النصرانية كانوا . فذكروا ان (زوكوموس) ، وهو (ضجعم) جد الضجاعة تنصر على يد أحد الرهبان ، وذلك ان هذا الرئيس كان متلهفاً الى مولود ذكر ، فجاءه هذا الراهب ، وتضرع الى الله ان يهبه ولدأ ذكراً ، فلما استجاب الله له تعمّد وتبعته قبيلته^٤ .

١ Nöldeke, Geschichte des goraus, I, S. 7.

٢ المشرق ، السنة الرابعة والثلانون ، كابون السابي - آذار ، ١٩٣٦ (ص ٦١ وما بعدها) .

٣ النصرانية (٣٥/١) .

وقد كان مشهد القديس (سرجيوس) في (الرصافة) ، من أهم المزارات التي تقصدها المنتصرة من عرب الشام ، مثل الغساسنة وتغلب . وقد تقرب اليه بعض ملوك الغساسنة بتقديم الهدايا والندور اليه وبترتيبه وزيارته ، وبالاغتناء بالمدينة وبصهاريجها تكرماً له ، وتقرباً اليه ، وظل هذا المزار مقصوداً مدة في الاسلام . وقد عدّ التغلبون هذا القديس شفيعهم ، جعلوا له راية حملوها معهم في الحروب ، وكانوا يحملونها مع الصليب تبركاً وتيمناً بالنصر^١ .

وكان حاضر (قنسرين) لتنوخ . أقاموا في طرفها هذا منذ زمن قديم ، منذ أول نزولهم بالشام . نزلوا في طرفها وتنصروا . فلما حاصر (أبو عبيدة) المدينة ، دعاهم الى الاسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنو سليح . كذلك كان في طرف قنسرين عشائر من طيء ، نزلوا بها في الجاهلية على أثر الحروب التي وقعت فيما بينهم ، واستدعت تفرقهم ، فأقاموا عند قنسرين مع القبائل العربية الأخرى التي جاءت الى هذا المكان^٢ .

وكان بقرب مدينة (حلب) حاضر يدعى (حاضر حلب) يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم . فلما جاء (أبو عبيدة) الى المدينة ، صالح من فضل البقاء منهم على دينه على الجزية ، ثم أسلم الكثير منهم فيما بعد^٣ .

وتعد بهراء في جملة القبائل العربية المنتصرة عند ظهور الاسلام . تنصرت كما تنصرت غسان وسليح وتنوخ وقوم من كندة ، وذلك لتزولها في بلاد الشام ولاتصالها بالروم^٤ .

١ قال الاخطل :

لما رأونا ، والصليب طالعا ،
وأبصروا راياتنا لوامعا
فأجابه جرير :
أفبالصليب ومار سرجيس تتقي
وقال :

يسننصرون بمار سرجيس وابنه
المشرق ، السنة الرابعة والثلاثون ، نيسان - حزيران ، ١٩٣٦ ، (ص ٢٤٦ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فوح (١٥٠ وما بعدها) ، (أمر جند قنسرين والمدن التي يدعى العواصم) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

٤ اليعقوبي (٢٩٨/١) ، الخراج (١٤٦) ، النصرانية (١٢٥) .

وقد سكن قوم من (إياد) السواد والجزيرة ، وسكن قوم منهم بلاد الشام، فخصعوا للغساسنة وللروم وتنصروا . وهم في جملة القبائل التي لم يأخذ علماء العربية اللسان عنها لمجاورتها أهل الشام ، ولتأثرها بهم: وهم قوم يقرؤون ويكتبون بالسريانية ، فتأثروا بهم ، لروابط الاحتكاك والثقافة والدين^١ .

وقد ترك لنا رجل من نصارى الشام نصاً قصيراً مؤرخاً بسنة (٤٦٣) المصادفة لسنة (٥٦٨) للميلاد ، وهي غير بعيدة عن ميلاد الرسول جاء فيها : « نا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خير بعم) ، أي (أنا شراحيل بن ظالم بنت ذا المرطول بعد مفسد (خير) بعام) . هو على قصره ذو أهمية عظيمة من الناحية اللغوية ، إذ هو النص الجاهلي الوحيد الذي وصل إلينا مكتوباً باللهجة التي نزل بها القرآن الكريم . وهو على ما أعلم النص الجاهلي الوحيد أيضاً الذي وصل إلينا مكتوباً بصيغة المتكلم ، فالنصوص الأخرى التي وصلت إلينا والمكتوبة بمختلف اللهجات العربية مدونة كلها بضمير الغائب . وهو أيضاً من النصوص العربية القليلة التي تركها النصارى العرب لمن بعدهم في بلاد الشام .

وقد استغل الروم العرب المنتصرة بأن أثاروا في نفوسهم العواطف الدينية على المسلمين ، حينما عزم المسلمون على فتح بلاد الشام وطرد البيزنطيين منها، وأغروا سادات القبائل بالمال وبالهدايا وبالوعود حتى اشتروهم فصاروا إلى جانبهم . والمصالح الشخصية هي فوق كل مصلحة عند سادات القبائل ، لا تعلوها عندهم مصلحة ، فانضموا إليهم ، وجاءوا بقبائلهم لتحارب معهم . ومن هذه القبائل العربية التي حاربت مع الروم ، غسان . حاربوا معهم في معارك عديدة . ففي يوم اليرموك كانوا في صفوف الروم ، وكان رئيسهم (جبلة بن الأيهم الغساني) في مقدمة الجيش الذي أرسله هرقل لمحاربة المسلمين . كان على رأس مستعربة الشام من غسان ولحم وجذام^٢ . وقد اشترك مع الروم في حروب أخرى ضد المسلمين .

وكانت (سليح) في جملة القبائل العربية المنتصرة التي حاربت المسلمين . ولما تفهقر الروم وانهزموا ، دفعوا الجزية لاحتفاظهم بدينهم . وكذلك كانت عاملة ولحم وجذام في جملة القبائل المنتصرة التي ساعدت الروم ، وآزرتهم . كانوا مع

١ المزهر (١٠٥/١) ، النصرانية (١٢٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (١٤٠) ، (يوم اليرموك) .

الروم مثلاً حين مجيء الرسول الى (تبوك) ^١ . وظلوا الى جانبهم يؤيدونهم ، حتى تبين لهم أن النصر قد تحول للمسلمين ، وأن الهزائم قد حالفت الروم ، عندئذ انضمت في جملة من انضم من منتصرة العرب الى المسلمين لمحاربة الروم ^٢ .

وكادت قبيلة (تغلب) الساكنة غرب الفرات ، أن تفر الى بلاد الروم وتلتحق بأرض الروم ، لما غلب البيزنطيون على أمرهم وفتحت بلاد الشام والعراق أمام المسلمين . ولما خيرت بين البقاء على دينها ودفع الجزية وبين الدخول في الاسلام ، أنفت من دفع الجزية ، ورضيت بدفع ضعف الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض ^٣ .

وقد نزحت (إباد) الى بلاد الروم وبقيت بها ، ثم عاد جمع منها لخراج القيصر إياهم ، فنزلوا بلاد الشام والجزيرة وانضموا الى اخوانهم في الجنس ^٤ .

ولي هؤلاء عرب العراق ، لاحتكاكهم بالنصارى ولانتشار النصرانية في العراق بالرغم من ان ديانة الحاكمين لهذا القطر كانت ديانة أخرى ، وان النصرانية لم تكن في مصلحة الفرس . غير ان الفرس لم يكونوا يبشرون بدينهم ، ولم يكن يهمهم دخول الناس فيه ، إذ عدت المجوسية ديانة خاصة بهم ، وهذا مما صرف الحكومة عن الاهتمام بأمر أديان الخاضعين لها من غير أبناء جنسها ، إلا اذا وجدت متعارض مع سياستها ، وتدعو الى الابتعاد عنها . ثم إن النصرانية التي انتشرت فيها لم تكن من النصرانية المتشعبة للروم ، ولهذا لم تجد الدولة الساسانية من هذه الناحية ما يهدد سياستها بالأخطار ، فغضت النظر عنها ، وان قاومتها مراراً واضطهدتها ، وفتك ملوكها بعدد من الداخلين فيها ، أشارت اليهم كتب مؤرخو الكنيسة في تواريتهم عن الشهداء القديسين ^٥ .

وقد أشار أهل الأخبار الى تنصر بعض ملوك الحيرة، ونسبوا اليهم بناء الأديرة

-
- ١ البلاذري (٧١) ، (تبوك وائلة وأذرح ومقنا والجرباء) .
 - ٢ الخراج (١٣٨) ، (فصل في الكنائس والبيع والصلبان) .
 - ٣ البلاذري (١٨٥) ، (أمر نصارى بني تغلب بن وائل) ، السنن الكبرى (٢١٦/٩) ، الخراج (١٢٠ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (١٩٧/٤) وما بعدها ، «الجزيرة» .
 - ٥ هنالك عدة مؤلفات في هذا الموضوع ، راجع منها .
- Georg Hoffmann, Auszüge aus Syrischen akten Persicher Märtyrer, Leipzig, 1880.

والكنائس ، كما أشار إلى ذلك بعض مؤرخي الكنيسة . كالذي ذكره عن (المنذر) وعن (النعمان بن المنذر) . غير اننا لا نستطيع اقرار ذلك بوجه عام ، ولا بد من التريث ، إذ يظهر ان أكثر ملوك الحيرة كانوا على الوثنية . وإذا كان كثير من ملوك الغساسنة قد دخلوا في النصرانية فان ظروفهم تختلف عن ظروف ملوك الحيرة . فقد كان الروم ، وهم سادة بلاد الشام ، على هذه الديانة ، وكانوا يشجعون انتشار النصرانية ويسعون لها ، ولهذا كان لهذه السياسة أثر في الغساسنة أصحاب الروم ، وهم على اتصال دائم بهم بطبيعة حكمهم لبلاد الشام . أما في العراق ، فلم تكن هذه الديانة ديانة رسمية للحكومة ، انما انتشرت بفضل المبشرين ، ولهذا انتشرت بين سواد الشعب ، ولم تنتشر بين الملوك . ولم تضغط الحكومة الساسانية على ملوك الحيرة للدخول في هذه الديانة التي لم يكونوا أنفسهم داخلين فيها ، فهي بالاضافة اليهم ديانة غريبة ، لا يعنيههم موضوع انتشارها ، ولا يهمهم موضوع انتشارها ، ولا يهمهم شأنها ما دامت لا تتعارض وحكمهم في العراق .

وقد كان (هانيء بن قبيصة الشيباني) ممن كان على النصرانية ، وهو من سادات (بني شيبان) ، ومات وهو على هذا الدين . وكان في جملة من فاوض (خالد بن الوليد) باسم قومه على دفع الجزية للمسلمين . ومن متنصرة العراق بنو عجل بن لجيم من قبائل بكر بن وائل . وقد عرف منهم (حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي) الذي سادهم في معركة ذي قار . وقد حاربت (خالد بن الوليد) ، وكان قائدها جابر بن بجير وعبد الأسود . وكان منها في أيام بني أمية أبجر بن جابر . وهو والد حجار . وقد بقي على نصرانيته في الاسلام^١ .

وكان في الحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة فريش في الأعمال التجارية مثل (كعب بن عدي التنوخي) ، وهو من سراة نصارى الحيرة ، وكان أبوه اسقفاً على المدينة ، وكان هو يتعاطى التجارة ، وله شركة في التجارة في الجاهلية مع (عمر بن الخطاب) في تجارة البز ، وكان (عقيداً) له . قدم المدينة في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ورأى الرسول ، فأسلم في رواية ، ولم يسلم في رواية أخرى . ولما توفي الرسول ، ثبت على الإسلام على رواية من صيرته مسلماً في

١ الاغانى (١٣/٤٦ وما بعدها) ، الصرايبية (١٣٦) .

أيام الرسول . واشترك في جيش اليمامة الذي أرسله (أبو بكر) ، ووجهه (أبو بكر) في رسالة الى (المقوقس) ، ثم وجهه (عمر) برسالة اليه في أيامه . وشهد فتح مصر^١ .

وقد أخرجت مدينة الحيرة عدداً من رجال الدين ، مثل مار إيليا وأصله من الحيرة ، والقديس حنا نيشوع ، وهو من عرب الحيرة ومن عشيرة الملك النعمان^٢ ، والقديس مار يوحنا^٣ ، و (هوشاع) الذي حضر مجمع اسحاق الجاثليق عام ٤١٠ م ، وشمعون الذي أمضى أعمال مجمع (يهبالا) الذي انعقد سنة ٤٨٦ م ، وشمعون الذي حضر مجمع (أفاق) ، و (ايليا) المنعقد سنة ٤٨٦ م وأمضى في سنة ٤٩٧ م مجمع (اباي) ، و (ترساي) الذي تحزب سنة ٥٢٤ م لترساي الجاثليق ضد (اليشاع) و (افرام) و (يوسف) ، وقد حضر مجمع (أيشوعيا ب الأرزني) الذي انعقد سنة ٥٨٥ م ، وشمعون بن جابر الذي نصر الملك النعمان الرابع في سنة ٥٩٤ على ما يذكره مؤرخو الكنيسة^٤ .

وقد كان (مار يشوعيا ب الأرزوني) Jesujab I. Arzunita المتوفى سنة ٥٩٦ م من أصل عربي . درس الديانة في (نصيبين) Nisibis ، ثم تقدم فصار أسقفاً على (أرزون) Arzun ، ثم ترقى حتى صار (بطريكاً) (بطريقاً) على النساطرة سنة ٥٨٠ م . وقد زار الملك (النعمان) . وتوسط عند الروم لمساعدة (خسرو ابرويز) Chosroes Abruzzus ضد (بهرام) Beheram - Varames . وقد توفي في خيم (بني معد) (المعديين) Maadenes ، ونقل الى الحيرة فدفن في دير (هند) ابنة النعمان^٥ .

وقد عثر على آثار كنائس في خرائب الحيرة ، وأشار أهل الأخبار الى وجود الكنائس والبيع والأديرة في الحيرة . وذكر (ياقوت الحموي) أسماء عدد من الأديرة كانت بالحيرة أو بأطرافها وبالبادية ، منها : « دير ابن براق » بظاهر الحيرة ، و « دير ابن وضاح » بنواحي الحيرة ، وديارات الأساقف ، وهي

١ الاصابة (٢٨٢/٣) ، (رقم ٧٤٢٢) .

٢ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (٣٢ وما بعدها) .

٣ الديورة (٤٧) .

٤ أدى شير (٢٠٨/٢) .

٥ W. Smith, A Dictionary, II, p. 370, John of Ephesus, Eccl. Histo., II, 40 ff.

جملة أديرة كانت بالنجف ظاهر الكوفة بحضرتها نهر الغدير ، ودير الأسكون « وهو بالخيرة ركب على النجف وفيه قلالي وهياكل وفيه رهبان يضيفون من ورد عليهم » . ودير الأعور ، بظاهر الكوفة بناه رجل من إباد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهر بن إباد ، ودير بني مرينا ، بظاهر الخيرة عند موضع جفر الأملاك ، ودير حنظلة ، منسوب الى حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان ، وهم عم إياس بن قبيصة ، وكان من رهط (أبي زيد) الطائي ، وكان من شعراء الجاهلية ، ثم تنصر وفارق قومه ، ونزل الجزيرة مع النصارى حتى فقه دينهم وبلغ نهايته ، وبني ديراً عرف باسمه ، هو هذا الدير ، وترهب حتى مات^١ . ودير حنظلة بالخيرة ، وهو منسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة ، ودير حنة ، وهو بالخيرة كذلك بناه المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع ، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم ، لبني أوس بن عمرو بن عامر ، ودير السوا بظاهر الخيرة يتحالفون عنده ، ودير الشاء ، ودير عبد المسيح وهو بظاهر الخيرة بموضع الجرعة بناه عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة ، ودير علقمة بالخيرة منسوب الى علقمة بن عدي بن الرميك بن توب بن أسس بن دبي بن نمارة بن لحم ، ودير قرة وهو دير بإزاء دير الجماجم بناه رجل اسمه قرة من بني حذافة ابن زهر بن إباد في أيام المنذر بن ماء السماء ، ودير اللُجج وهو بالخيرة بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس ، و « كان يركب في كل أحد اليه ، وفي كل عيد ، ومعه أهل بيته ، خاصة من آل المنذر ، عليهم حلل الديباج المذهبة ، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب ، وفي أوساطهم الزناير المفصصة بالجواهر ، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان ، وإذا قضوا صلاتهم ، انصرفوا الى مستشفه على النجف ، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقيّة يومه ، وخلع ووهب ، وحمل ووصله وكان ذلك أحسن منظر وأجمله »^٢ .

ودير مارت (مارة) مريم . وهو دير قديم من أبنية آل المنذر بنواحي الخيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الحصيب مشرف على النجف ، ودير مار فائثون بالخيرة أسفل النجف ، ودير مر عبدا بذات الأكبراح من نواحي الخيرة منسوب الى مر عبدا بن حنيف بن وضاح اللحياني كان مع ملوك الخيرة ،

١ البكري ، معجم (٥٦٧/٢) ، (دير حنظلة) .

٢ البكري ، معجم (٥٩٦/٥) ، (دير اللجج) .

ودير ابن المزعوق ، وهو دير قديم بظاهر الحيرة ، ودير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة ، وكانت به قبور أهلها ، بنته هند في أيام (خسرو أنوشروان) في زمن مار افريم الأسقف . وأما الدير المعروف بدير هند الأقدم ، فنسب بناؤه الى هند الكبرى ، أم عمرو بن هند^١ .

هذه أسماء اخترتها من بين أسماء أديرة أخرى كثيرة ذكرها (الشابشتي)^٢ ، وياقوت الحموي والبكري ، لأن لها صلة بالحيرة وبمجاورها وبالعرب سكان هذه الأرضين . ونجد في بلاد الشام أديرة أخرى بناها عربها في تلك الديار قبل الاسلام . ونجد على تسميات بعضها الصبغة الإرمية كما في تسمية (مار افريم) (مار افرام) و (مار عبدا) و (مار فايشون) ، وغيرها . وكلمة (مار) من كلمات بني إرم ، كما نجد الصبغة النصرانية للأعلام واضحة على بعضها كما في عبد المسيح وحنة ومارت مريم وأمثال ذلك ، وهي من الأعلام التي اختصت بالنصارى . وذلك بسبب ان النصرانية كانت متأثرة بثقافة بني إرم ، وكانت تستعمل اللغة الإرمية في الصلوات وفي تأدية الشعائر الدينية الأخرى . ولغة بني إرم هي لغة العلم عند النصارى الشرقيين ، فكان من الطبيعي استعمال نصارى العرب لهذه اللغة في كنائسهم وبيعهم وأديرتهم وفي دراستهم للدين وما يتصل باللاهوت من علوم . ومن هنا استعمل كتابهم قلم بني إرم في كتاباتهم ، ومن هذا القلم تولد القلم النبطي المتأخر الذي تفرع منه القلم العربي الذي كتب به أهل الحجاز عند ظهور الاسلام ، فصار القلم الرسمي للمسلمين .

وقد نعت الرواة وأهل الأخبار العرب التي دانت بالنصرانية بـ (العرب المنتصرة) ، تمييزاً لها عن العرب الآخرين الذين لم يدخلوا في هذه الديانة ، بل بقيت على اخلاصها ووفائها لديانة آبائهم وأجدادها ، وهي عبادة الأوثان . ومن القبائل التي يحشرها أهل الأخبار في جملة (العرب المنتصرة) غسان وتغلب وتنوخ ونحس وجذام وسليح وعاملة . ويلاحظ أن الأخباريين يطلقون على هذه القبائل أو على أكثرها (العرب المستعربة) ، وهم لا يقصدون بذلك نسبها ، لأن من بينها كما نعلم من هو من أصل قحطاني على حسب مذهب أهل الأنساب في نسب

١ البكري (٦٠٦/٢) ، البلدان (١١٩/٤) وما بعدها ، « القول في ذكر الأديرة » .
٢ مطبعة المعارف ، بغداد ، تاريخ كلدو وآثور (٢٩/٢) ، ذخيرة الأذهان (٣١٧) .

القبائل . وإنما يريدون من هذا المصطلح القبائل التي كانت قد سكنت ببلاد الشام والسكنة في أطراف الانبراطورية البيزنطية وفي سيف العراق من حدود نهر الفرات الى بادية الشام ، فهو يشمل إذن القبائل النازلة على طرفي الهلال الخصيب وفي طرفي القوس التي تحيط بحدود الانبراطوريتين . وخاصة تلك القبائل التي دانت بالنصرانية وتأثرت بثقافة بني لرم وبلهجتها ، وذلك لظهور هذا الأثر فيها، وعلى لهجتها خاصة ، مما حدا بعلماء اللغة أن يتحرجوا في الاستشهاد بشعرها في قواعد اللغة . والاستشهاد بشعر قبيلة لاثبات القواعد هو أوثق شاهد في نظر العلماء على التسليم بنقاوة لغة القبيلة التي يستشهد بشعرها وأصالتها .

ووجدت النصرانية بعد بلاد الشام والعراق لها مواضع أخرى دخلت اليها، هي أطراف جزيرة العرب ، كالعربية الغربية والجنوبية والشرقية . وتفسير دخولها الى هذه الأرضين واضح ، هو اتصالها بطرق القوافل البرية والبحرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية ، ومجيء التجار النصارى والمبشرين مع القوافل اليها. وتجار النصارى ، لم يكونوا على شاكلة تجار يهود : كانوا يرون أن التجارة هي كسب مادي ، ولكن التبشير مع التجارة ربح مضاعف ، هو ربح في الدارين : الدنيا والآخرة ، فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم في البلاد التي ينزلونها لنشر دينهم فيها. ثم إن في انتشار دينهم بين سكان هذه المواضع التي يترقونها كسباً لهم ولبلادهم، وأكثرهم من الروم . فإنهم يجادون بتنصر الغرباء ، لإخواناً لهم يرون رأيهم ، ويعطفون عليهم . ثم لأنهم سيفضلونهم في تعاملهم معهم على غيرهم ، وسيستأهلون معهم ولا شك . ثم لأنهم سيقربونهم بتنصيرهم من العالم النصراني ، وممثل هذا العالم وحماة هم الروم .

وكان أهل دومة الجندل خليط ، فيهم نصارى ، قال عنهم أهل الأخبار أنهم (من عباد الكوفة)^١ . ويظهر من خبر أسر خالد للأكيدر ومجيئه به على رسول الله ، ومن مصالحة الرسول له على الجزية ، انه كان على النصرانية ، إذ لا تؤخذ الجزية من مشرك^٢ .

١ البلاذري ، فتوح البلدان (٧٤) . «دومة الجندل» .

٢ «ثم ان خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته » ، الطبري (١٠٩/٣) ، (دار المعارف) ، (ذكر الخبر عن غزوة نبوك) .

أما (أيلة) ، فكان اسم صاحبها في أيام الرسول (يحنة بن رؤبة) (يوحنا بن رؤبة) . وهو نصراني كما يدل اسمه عليه ، جاء الى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ، وكان الرسول بها ، فصالحه على الجزية وبقي في محله^١ . وقد دعاه المسعودي (أسقف أيلة)^٢ . وورد في محاضر بعض المجامع الدينية (أسقف أيلة والشرأة)^٣ .

وكان في وادي القرى نفر من الرهبان، كما ورد ذلك في شعر جعفر بن سراقه أحد بني قررة ، وهو :

فريقان : رهبان بأسفل ذي القرى وبالشأم عرافون فيمن تنصرا^٤

وتعد طيء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً إليها . وقد ورد ان (أحوما) (المغريان) تنقل بين طيء في سنة (٨٧٠) لليونان المقابلة لسنة (٥٥٩) للميلاد^٥ . وقد كان عدي بن حاتم الطائي في جملة الداخلين في النصرانية من طيء . ويذكر انه كان (ركوسياً) ، وفد على الرسول ، وأعلن إسلامه^٦ . غير ان هذا لا يعني ان النصرانية كانت هي الغالبة على هذه القبيلة ، فقد كان قوم منها يتعبدون للصنم (الفللس) ، أي على الشرك .

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب . وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة من الآيات المدنية الى النصارى ، غير ان تلك الاشارات عامة في طبيعة المسيح وفي النصرانية نفسها لا في نصارى يثرب وفي صلاتهم بالاسلام . ثم إن أهل السير لم يشيروا الى تصادم وقع بين النصارى والمسلمين ولا الى مقاومة نصارى يثرب للرسول كالذي وقع بين يهود يثرب والرسول ، مما يدل على ان النصرانية لم تكن قوية في المدينة، وان جاليتها لم تكن

١ البلاذري (٦٦) ، السنن الكبرى (١٨٥/٩ وما بعدها) .

٢ التنبيه (٢٧٢) ، النصرانية (٤٤٨) .

٣ النصرانية (٤٤٨) .

٤ الاغانى (٩٦/٧) « نسب جميل وأخباره » .

٥ النصرانية وآدابها ، القسم الاول (١٣٢ وما بعدها) ،
Barhebrael, Chronicon Eccl., III, 100.

٦ الاصابة (٤٦١/٢) ، (رقم ٥٤٧٧) ، المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ١١ ، (١٩٠٥) ،
(٥٠٧) ، النصرانية (١٣٣) .

كثيرة العدد فيها . غير ان هذا لا يعني عدم وجود النصارى في هذا الموضع الزراعي المهم^١ . فكما كان في مكة رقيق وموالي يقومون بخدمة ساداتهم ، كذلك كان في المدينة نفر منهم أيضاً يقومون بمختلف الأعمال التي يعهد أصحابهم اليهم القيام بها . ولا بد ان تكون لهذه الطبقة من البشر مكانة في هذه المدينة وفي أي موضع آخر من جزيرة العرب . فقد كانت هذه الطبقة عموداً خطيراً من الأعمدة التي يقوم عليها بتيان الاقتصاد في ذلك العهد ، فهي بالنسبة لذلك العهد الآلات المنتجة والمعامل المهمة لأصحاب الأموال وللشادة الأثرياء ، تؤدي ما يطلب منها القيام به وما يراد منها انتاجه بأجور زهيدة وبدقة ومهارة لا تتوفر عند الأحرار من العرب . ثم إن الأحرار مهما بلغ حالهم من الفقر والفاقة كانوا يأنفون من الأعمال الحرفية ونحوها مما يوكل الى هذه الطبقة القيام به ، لأنها في نظرهم من المهن المنحطة التي لا تليق بالرجل الحر مهما كان عليه من فقر وبؤس ، ولهذا كان لا بد من الاستعانة بالموالي والرقيق للقيام بأكثر متطلبات حياة الانسان .

وفهم من بيت للشاعر حسان بن ثابت في قصيدة رثى بها النبي ، وهو :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد^٢

أنه كان في يثرب نفر من النصارى كما كان بها قوم من يهود . وذكر أن النصارى كانوا يسكنون في يثرب في موضع يقال له : سوق النبط^٣ .

ولعل هذه السوق هي الموضع الذي كان ينزل فيه نبط الشام السذين كانوا يقصدون المدينة للتجار في الحبوب ، فصارت موضعاً لسكنى هؤلاء النصارى ، ونسب اليهم^٤ . وقد ورد أن عمر بن الخطاب استعمل أبا زبيد الشاعر النصراني على صدقات قومه ، وأن أبا زبيد هذا كان مقرباً من الخليفة عثمان بن عفان من بعده^٥ .

وقد كان (أبو عامر) الراهب الذي تحدثت عنه أثناء حديثي عن الأحناف ،

١ السنن الكبرى (١٨٢/٩) وما بعدها .

٢ ديوان حسان (٥٩) « تحقيق هرشعلد » .

٣ Nallino, Raccolta, III, p. 140.

٤ البخاري (٤١/٣) وما بعدها ، النصرانية (٤٤٩) .

٥ النصرانية (٤٤٩) .

من اعتنق النصرانية ، ومن أهل يثرب . ويظهر أنه كان قد تمكن من إقناع بعض شباب الأوس من اعتناق دينه ، بدليل ما ذكره علماء التفسير من أنه لما خرج من يثرب مغاضباً للرسول ، وذهب الى مكة ، مؤيداً إياهم ومحرضاً لهم على محاربة الرسول أخذ معه خمسين أو خمسة عشر رجلاً من الأوس ، على ما ذكره علماء التفسير ، فلما أيس من نجاح أهل مكة في القضاء على الرسول فرّ الى بلاد الشام على نحو ما ذكرت ، ليطلب مدداً من الروم يعينه في زحفه على المدينة . وأنا لا استبعد احتمال وجود أناس آخرين من أهل يثرب كانوا قد دخلوا في النصرانية ودعوا إليها ، واحتمال وجود مبشرين فيها ، كانوا يسعون لادخال أهلها في دين عيسى ، يؤيدهم ويمدّهم بالمال والمعونة الروم حكام بلاد الشام .

وكان بين سكّان مكة عند ظهور الإسلام جماعة من النصارى هم من الغرباء النازحين إليها ، لأسباب ، منها : الرق ، والاتجار ، والتبشير ، والحرفة . فأما الرقيق ، فمنهم الأسود والأبيض : الأسود من إفريقية ، والأبيض من أوروبة ، أو من أقطار الشرق الأدنى ، وهم أعلى في المرتبة وفي السعر من النوع الأول ، وهم بحكم قانون ذلك العهد وعرفه تبع لسادتهم وفي ملك يمينهم ، يقومون بالأعمال التي توكل اليهم ، ليس لهم التصرف إلا بأمرهم ، فهم في الواقع بضاعة يتصرف بها صاحبها كيف يشاء ، ليس لها صوت ولا رأي ، إن أبق المملوك قتل ، أو أنزل به العقاب الذي يراه ويختاره صاحبه ومالكه .

وبين الرقيق الأبيض خاصة نفر كانوا على درجة من الفهم والمعرفة ، يعرفون القراءة والكتابة ، ولهم اطلاع في شؤون دينهم ومعارف ذلك العهد . ولهذا أوكل اليهم القيام بالأعمال التي تحتاج الى مهارة وخبرة وذكاء . وقد كان حالهم لذلك أحسن من حال غيرهم من الأرقاء . ومنهم من كان يشرح لسادتهم أمور دينهم وأحوال بلادهم ، ويقصون عليهم ما حفظوه ووعوه من أخبار الماضين وقصص الراحلين ، وأكثرهم ممن كانت ألسنتهم لم تتروض بعد على النطق بالعربية ، فكانوا يرطنون بها ، أو يتلثمون ، ومنهم من كان لا يعرف شيئاً منها ، أو لا يعرف منها إلا القليل من الكلمات .

ومن هؤلاء رجل نصراني كان بمكة قيل إن اسمه : سلمان ، أو يسار ، أو جبر ، أو يعيش ، أو بلعام ، ادعى أهل مكة أنه كان هو الذي يلقي الرسول

ما كان يقوله للناس من رسالته ، وأنه هو الذي كان يعلمه . وقد أُشير الى قول قريش هذا في الآية : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الـذي يلحدون اليه أعجمي » ، وهذا لسان عربي مبين ^١ . ومن روى من المفسرين أن اسمه جبر ، قال : إنه كان غلاماً لعامر بن الحضرمي ، وأنه كان قد قرأ التوراة والإنجيل ^٢ ، وكان الرسول يجلس اليه عند المروة الى مبيعته ، « فكانوا : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام الحضرمي » ^٣ .

ومن هؤلاء من زعم انه كان قيناً لبني الحضرمي ، وانه كان قد جمع الكتب ، وهو رومي ، فكان رسول الله يأتي اليه ويجتمع به ، فكان المشركون يقولون : انه يتعلم من هذا الرومي ! وذكر بعض الرواة ان (آل الحضرمي) كانوا يملكون عبيدين ، هما : جبر ويسار ، فكانا يقرآن التوراة والكتب بلسانها ، فكان الرسول يمر عليها فيقوم يستمع منها . وقيل انها كانا من أهل (عين النمر) ، وانهما كانا يصنعان السيوف بمكة ، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل ، فربما مر بهما النبي ، وهما يقرآن فيقف ويستمع . وأما من قال ان اسمه (يعيش) ، فذكر انه كان مولى لحويطب بن عبد العزى . وأما من ذكر ان اسمه (بلعام) ، فقال انه كان قيناً رومياً بمكة وكان نصرانياً أعجمي اللسان ، « فكان المشركون يرون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده ، فقالوا إنما يعلمه بلعام » ^٤ . ومهما اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل فإنهم اتفقوا على انه كان أعجمي الأصل ، نصرانياً ، يقرأ الكتب ، وانه كان بمكة نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية يقرأون ويكتبون .

والى هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص ، أعني : يعيش ويقال عائش أو عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر ، أُشير في القرآن الكريم ، في الآية : « وقال الذين كفروا : إن هذا إلا

-
- ١ سورة النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .
 - ٢ تفسير الطبري (١٤/١١٩) ، « وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به الا جبر النصراني ، غلام ابن الحضرمي » ، روح المعاني (١٤/٢١٢) وما بعدها ، ابن هشام (١/٤٢٠) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٤/١٢٠) ، روح المعاني (١٤/٢١٢) ، ابن هشام (٢٦٠) .
 - ٤ تفسير الطبري (١٤/١١٩) ، روح المعاني (١٤/٢٣٣) ، تفسير الطبرسي (المجلد الثالث ٣٨٦) .

إفكاً افتراه وأعانه عليه قوم آخرون^١ . وقد ذكر المفسرون ان هؤلاء « كانوا كتابيين يقرأون التوراة ، أسلموا ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يتعهدهم ، فقليل ما قيل »^٢ .

وعرفت أسماء جملة رجال ونساء من هذا الرقيق الذي جيء به الى مكة والى مواضع أخرى من جزيرة العرب . من هؤلاء نسطاس ، ويقصد بذلك أنستاس ، وكان من موالى صفوان بن أمية . و (مينا) (مينا) ، و (يوحنا) عبد (صهيب الرومي) ، و (صهيب) نفسه لم يكن عربياً ، انما كان من بلاد الشام في الأصل ، وهو رومي الأصل ولذلك قيل له (صهيب الرومي) . وكان قد جاء مكة فقيراً لا يملك شيئاً ، فأقام بها ، ثم اتصل بعبدالله بن جدعان الثري المعروف ، وصار في خدمته ، ولذلك قيل انه كان مولى من موالى عبدالله بن جدعان . وفي رواية انه كان من (النمر بن قاسط) ، سقط أسيراً في الروم فباعوه ، فاشترى منهم . وقد ورد في حديث : « صهيب سابق الروم » ، فهذا يدل على انه من أصل رومي . وهو من أوائل المسلمين ، يذكر انه حينما همّ بترك مكة والذهاب الى المدينة بعد هجرة الرسول اليها « قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك !! والله ، لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنني جعلت لكم مالي^٣ ، وترك قريشاً ليذهب الى الرسول .

وكان لبني مخزوم الأثرياء جملة جوار يونانيات ، كما كان لدى العباس عم النبي جوار يونانيات ، وأشير الى وجود جوار فارسيات . وكان هذا الرقيق الأبيض ذكوراً وإناثاً من جنسيات متعددة ، منهم من كان من أصل رومي ، ومنهم من كان من عنصر أوروبي آخر ، ومنهم من كان من الفرس أو من أهل العراق مثل نينوى وعين التمر ، ومنهم من كان من بلاد الشام أو من أقباط مصر ، وهم على النصرانية في الغالب^٤ .

-
- ١ الفرقان ، الرقم ٢٥ ، الآية ٤ .
 - ٢ تفسير الطبري (١٨ / ١٣٧ وما بعدها) ، روح المعاني (١٨ / ٢٣٤ وما بعدها) ، مجمع البيان (٧ / ١٦١) ، (طهران) ، (الجزء الثامن عشر) ، (سورة الفرقان) .
 - ٣ ابن هشام (٢ / ٨٩) ، الاصابة (٢ / ١٨٨) ، (الرقم ٤١٠٤) .
 - ٤ المشرق ، السنة الخامسة والثلاثون ١٩٣٧ (ص ٨٨ وما بعدها) .

وقد كانت في مكة عند ظهور الإسلام جالية كبيرة كثيرة العدد من العبيد ، عرفوا بـ (الأحاييش) . وبين هؤلاء عدد كبير من النصارى ، استوردوا للخدمة والقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة . وقد ترك هؤلاء الأحاييش أثراً في لغة أهل مكة ، يظهر في وجود عدد من الكلمات الحبشية فيها في مثل المصطلحات الدينية والأدوات التي يحتاج اليها في الصناعات وفي الأعمال اليدوية التي يقوم بأدائها العبيد . وقد أشار العلماء الى عدد من هذه الكلمات ذكروا أنها تعربت ، فصارت من الكلام العربي . وقد أشاروا الى ورود بعضها في القرآن الكريم وفي الحديث^١ . ويشير أهل الأخبار الى ورود بعض الرهبان والشامسة الى مكة . وقد كان من بينهم من يقوم بالتطبيب . وقد ذكر الأخباريون أن شماساً كان قد قصد مكة ، فعجب الناس به ، وقد سمّوا أحدهم به ، هو عثمان بن الشريد بن سويد ابن هرمي بن عامر بن مخزوم ، فقالوا له : (شماس)^٢ .

وذكر (اليعقوبي) ، ان ممن تنصر من أحياء العرب ، قوم من قریش من بني (أسد بن عبد العزى) ، منهم (عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى)^٣ . وقد ورد في بعض الأخبار انه قدم على قيصر ، فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . وان قيصر ملكه على مكة . ومنحه براءة بذلك ، واعترف به . وقد سبق ان تحدثت عنه في اثناء كلامي على مكة . وقد ذكرت ان من الصعب تصور بلوغ نفوذ القيصر هذا الحد من جزيرة العرب ، فلم يتجاوز نفوذ الروم الفعلي في وقت ما من الأوقات أعالي الحجاز . ولكن ذلك لا يمنع من تقرب السادات وتزلفهم الى عمال الروم وموظفيهم في بلاد الشام ، باظهار انهم من المخلصين لهم المحبين للروم ، وانهم من كبار السادات ذوي المكانة والنفوذ ، للحصول على مكاسب مادية ومعنوية منهم ، تجعل لهم مكانة عند أتباعهم وجاهاً ومنزلة ونفوذاً على القبائل الأخرى . وقد كان الروم يعرفون ذلك معرفة جيدة ، بفضل دراستهم لنفسية الأعراب ، ووقوفهم على طبائع سادات القبائل ، فكانوا يشجعون هذا النوع من التودد السياسي لكسب العرب وجرحهم الى جانبهم .

- ١ « فقال : يا أم خالد ، هذا سنه . وسناه بالحبشية حسنة » ، أسد الغابة (٥/ ٥٧٩) ، المغرب (٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٥٢) ، صحيح مسلم (١٨٩/٢) .
- ٢ ابن هشام (٣٢٩/٢) ، « من حضر بدرًا من بني مخزوم » ، المشرق ، السنة الخامسة والثلثون ، ١٩٣٧ (ص ٩٠ وما بعدها) ، كتاب نسب فريش (٣٤٢) .
- ٣ اليعقوبي (٢٢٧/١) ، (أديان العرب) .

وعده (ورقة بن نوفل) في جملة المنتصرين في بعض الروايات ، فقد ذكر انه « تنصر واستحكم في النصرانية ، وقرأ الكتب ، ومات عليها »^١ .

وقد استدل (شيخو) من الخبر المروى عن الصور التي قيل إنها صور الرسل والأنبياء وبينها صورة المسيح ومريم ، والتي ذكر أنها كانت مرسومة على جدران الكعبة ، على أنها هي الدليل على أثر النصرانية بمكة . استدل على فكرته هذه بخبر خلاصته أن الرسول حينما أمر فطمست تلك الصور ، استثنى منها صورة عيسى وأمه مريم ، وبخبر ثان ورد عن تمثال لمريم مزوق بالحلي وفي حجرها عيسى ، باد في الحريق الذي شب في عصر (ابن الزبير) ، وبخبر ثالث عن امرأة من غسان قيل إنها (حجت في حجاج العرب ، فلما رأت صورة مريم في الكعبة ، قالت : بأبي أنت وأمي : إنك لعربية . فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمحو تلك الصور ، إلا ما كان من صورة عيسى ومريم »^٢ .

وكان في الطائف نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية ، لم يتعرض سادتهم كسائر رجال الأماكن الأخرى من الحجاز لدينهم ، فتركوهم على دينهم يقيمون شعائرهم الدينية على نحو ما يشاؤون . من هؤلاء (عداس) ، وكان من أهل نينوى ، أوقعه حظه في الأسر ، فبيع في سوق الرقيق ، وجي به الى الطائف فصار مملوكاً لعتبة وشيبة ابني ربيعة . وعند مجيء الرسول الى الطائف عارضاً نفسه على ثقيف أهلها ، كان هو في جملة من تكلم اليه^٣ . ومنهم الأزرق ، ذكر أنه كان عبداً رومياً حداذاً، وأنه هو أبو نافع الأزرق الخارجي الذي ينتمي اليه الأزارقة . وهناك روايات تنفي وجود صلة لهذا الأزرق بالأزرق والسد نافع المذكور^٤ .

وأما الحديث عن النصرانية في اليمن، فهو حديث غامض أوله ، مبهم أصله ، لا نعرف متى نبدأ به على وجه التحقيق . فليس لدينا نص بالمسند يشير الى مبدأ

١ اليعقوبي (٢٩٨/١) ، (ليدن) ، المحبر (١٧١) ، ابن هشام (٢٤٣/١) ، ٢٥٠ وما بعدها) ، النصرانية (١١٩/١) ، المشرق ، السنة الخامسة والثلاثون ، ١٩٣٧ (ص ٢٧٢) .

٢ النصرانية (ص ١١٧) .

٣ ابن هشام (٣٠/٢) ، أسد الغابة (٢٨٩/٣) ، الإصابة (٤٥٩/٢) ، (الرفم ٥٤٧٠) ، النصرانية (٤٥٢) .

٤ البلاذري (٦٢) .

دخول النصرانية العربية الجنوبية. وما لدينا من كتابات مما له بعض العلاقة بالنصرانية انما دون في الحقة المتأخرة من تأريخ اليمن ، وفي أيام الحبشة في اليمن ، وهو ساكت في الجملة عن المبدأ وعن المبشرين بالنصرانية في العربية الجنوبية . فليس لدينا من بين نصوص المسند في هذا الباب عون ولا سند .

وليس لنا اذن إلا أن نفعل ما فعلناه بالنسبة الى اليهودية ، فترجع الى الموارد الاسلامية والنصرانية لنرى رأيها في هذا الباب .

وترغم الموارد الاسلامية ان الذي نشر النصرانية في اليمن رجل صالح من بقايا أهل دين عيسى اسمه (فيميون) Faymiyon = Phemion^١ ، وكان رجلاً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة سائحاً يتنزل القرى لا يعرف بقريسة إلا خرج منها الى قرية لا يعرف فيها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بناءً يعمل الطين وكان يعظم الأحد : إذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً . ففطن لشأنه في قرية من قرى الشام رجل من أهلها اسمه (صالح) ، فأحبه واتبعه على دينه ورافقه . وانصرف ومعه صالح من ضواحي الشام حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعسدا عليها ، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران . وأهلها من بني الحارث بن كعب من بني كهلان . وكانوا يعبدون العزى على صورة نخلة طويلة بين أظهرهم . فابتاع رجل من أشرافهم (فيميون) ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، وقد أعجب صاحب فيميون به ، لما رآه فيه من صلاح وورع ، فأمن بدينه ، وآمن أهل نجران منذ ذلك الحين بالنصرانية لمعجزة قام بها (فيميون) ، حينما دعا الله يوم عيد العزى ان يرسل عليها ريحاً صرصراً عاتية تختفي عليها . فأنت الريح عليها فجعلتها من أصلها فألقته ، فأمن بدينه أهل نجران . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران^٢ . ويذكر الطبري ان أهل نجران كانوا يعبدون كل سنة ، « اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلي النساء . ثم خرجوا ، فعكفوا عليها يوماً^٣ » .

ويظن أن (فيميون) كلمة يونانية في الأصل حرفت من أصل Euphemion .

١ « فيميون » « قميون » « ميمون » .
٢ الطبري (١٠٣/٢ وما بعدها) ، ابن هنيام (٢٠ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١٧١/١) ، البياضوي (٣٩٥/٢) ، ابن خلدون (٥٩/٢) .
٣ الطبري (١٢٠/٢ وما بعدها) « دار المعارف » .

وزعم أن (فيميون) عين أحد النجرانيين واسمه (عبدالله بن الثامر) رئيساً عليهم ، وجعلهم تحت رعاية أسقف اسمه (بولس)^١ .

وقد ذكر (الأزرق) أن أهل نجران كانوا من أشلاء سبأ « وكانوا على دين النصرانية على أصل حكم الانجيل ، وبقياً من دين الحواريين ، ولهم رأس يقال له : عبدالله بن ثامر »^٢ .

وتذكر رواية اسلامية أخرى أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان وكان في قرية من قرأها قريباً من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، وكان أحد رجال نجران واسمه (الثامر) يرسل ابنه (عبدالله) مع غلمان أهل نجران الى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فكان يمر على صاحب خيمة بين نجران وتلك القرية ، وقد أعجبه ما رآه من صلاته وعبادته وتقواه ، فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى دخل في دينه ، وصار يدعو اليه بين أهل بلده . فن ثم انتشرت النصرانية في نجران ، وظهرت على الوثنية^٣ .

وتذكر هذه الرواية ، ان (عبدالله بن الثامر) ، أخذ من ثم يبشر بالنصرانية ، ويأتي بالمعجزات إذ يشفي المرضى « حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفي ، حتى رفع شأنه الى ملك نجران . فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ! قال : لا تقدر علي ذلك . فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس ، وجعل يبعث به الى ميساه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك . فيُلقي فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبدالله بن الثامر : انك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمننت به . فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي فقتلتني ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبدالله بن الثامر . ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجرة غير كبيرة ، فقتله ، فهلك الملك مكانه . واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر »^٤ . ولم تصرح هذه الرواية التي يرجع سدها الى (محمد بن كعب بن القرظي)

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 31, anm., I, O'leary, p. 143.

٢ أخبار مكة (٨١/١) .

٣ الطبري (١٢١/٢ وما بعدها) « دار المعارف » -

٤ الطبري (١٢٢/٢) « دار المعارف » .

وبعض أهل نجران ، باسم الرجل الصالح السذي أخذ منه (عبدالله بن الثامر) نصرانيته . وقد نبّه الى ذلك الطبري ، في اثناء سرده لها ، فقال : « ولم يسموه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه »^١ .

وقد صيرت بعض الروايات (عبدالله بن الثامر) في جملة من قتلهم (ذو نواس) من النصاري ، غير ان (الطبري) ، نبّه الى خطأ هذا البعض ، وبيّن ان (عبدالله) كان قد قتل قبل ذلك ، قتله ملك كان قبله ، هو كان أصل ذلك الدين^٢ .

وهناك قصة ذكرها (ابن اسحاق) ، تزعم أن رجلاً حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجاته ، فوجد عبدالله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخرت يده عنها انثعبت دماً ، وإذا أرسلت يده ردتا عليها ، فأمسك دمه، وفي يده خاتم ، فأقر على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ، وكان ذلك بأمر عمر بن الخطاب^٣ .

والظاهر أن النجرانيين ، لم ينسوا رئيسهم (عبدالله بن الثامر) حتى بعد اسلامهم ، فرووا عنه هذا القصص وصيروه على هذه الصورة التي روتها القصة . ويظهر أنه قتل ، فصير شهيداً من الشهداء ، لأنه قتل في سبيل دينه وفي سبيل نشره بين النجرانيين .

وزعم بعض الأخباريين أن الذي أدخل النصرانية ونشرها في الحميريين ، هو التبع عبد كلال بن مثوب : أخذ التبع نصرانيته بزعمهم من رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشام . فلما علمت حمير بتبوع التبع وبتغيير دينه وإعراضه عن عبادتها ، وثبت بالغساني فقتلته^٤ . وقد أشير الى تنصره في القصيدة الحميرية^٥ .

١ الطبري (١٢١/٢) وما بعدها (« دار المعارف ») .

٢ الطبري (١٢٣/٢) « دار المعارف » .

٣ الطبري (١٢٤/٢) .

٤ الطبري (٨٦/٢) : « ذكر ما كان من الاحداث في أيام يزيد جرد بن بهرام وفيروز بن عمالها على العرب وأهل اليمن » ، النصرانية (٥٥/١) وما بعدها ،
Nallino, Raccolta, III, p. 124.

٥ أم أين عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المساح النصرانية (٥٥/١) .

أما الرواية الأولى فتنسب الى (وهب بن منبه) . وأما الرواية الثانية فتنسب الى (محمد بن كعب القرظي) والى بعض أهل نجران لم يصرح (ابن اسحاق) بذكر أسمائهم ، فالروايتان اذن من مورد واحد هو أهل الكتاب^١ . فوهب بن منبه من مسلمة يهود . وأما محمد بن كعب بن أسد القرظي المتوفى بين سنة ١١٨ - ١٢٠ للهجرة ، فهو من أصل يهودي كذلك ، من قريظة حلفاء الأوس ، وقريظة يهود . وكان مثل وهب قاصداً من القصاص يقص في المسجد . وقد جرّ قصصه هذا عليه البلاء ، فكان يقص في المسجد فسقط عليه السقف فمات^٢ .

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظي سيبلها الى تأريخ الطبري عن طريق سيرة ابن اسحاق ، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق صاحب السيرة الذي أخذ منه بلا واسطة كما أخذ منه بالواسطة . أما الأخبار المروية عنه ، فهي في سير الرسل والأنبياء ، وفي انتشار اليهودية والنصرانية في اليمن ، وفي الأمور التي تخص اليهود في الحجاز^٣ . وكان من المقربين الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة . فلما ولي الخلافة ، كان يذهب اليه ويتحدث معه في الزهد وفي القصص الذي يحمل طابع الاسرائيليات وفي التفسير الذي اشتهر به^٤ .

فناقل النصرانية الى نجران اذن رجل غريب جاء الى البلد من ديار الشام على رواية (وهب بن منبه) . ويرجع (أوليري) هذه الرواية الى أصل يرى جذوره في السريانية^٥ . واسم هذا الرجل الصالح غير عربي بالطبع . فلعله من المبشرين الذين كانوا يطوفون بين ديار العرب للتبشير . ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية الى اليمن عن طريق الحجاز ،

١ الطبري (١٠٤/٢) ، تفسير الطبري (٨٥/٣٠) ،

Nallino, Raccolta, Di Scritti, III, 1941, p. 124.

٢ راجع ما كتبه عنه في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الاول ، ١٩٥٠ ، (ص ١٩٨) ، وتهذيب التهذيب (٤٢٠/٩) ، عيون الاخبار (٢٠١/١) ، ٢٦٤ (١٤/٢) ، ٣٤٣ ، (٤/٣) .

٣ الطبري (١٣٨/١) ، (١٠٤/٢) ، ورد اسمه في « ٢٩ » موضعاً من تأريخ الطبري .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/٥) فما بعدها) ، مجلد ٧ قسم ٢ ص ١٩٤ ، عيون الاخبار (٣٤٣/٢) ، (٤/٣) .

O'leary, p. 143. ٥

فقد كانوا يتنقلون بين العرب لنشر هذا الدين . وليس بمستبعد أيضاً أن يكون قد دخل عن طريق الساحل أيضاً مع السفن . فقد كان المبشرون يتنقلون مع البحارة والتجار لنشر النصرانية ، وقد تمكنوا بمعونة الحكومة البيزنطية من تأسيس جملة كنائس على سواحل جزيرة العرب وفي سقطرى والهند . كما لا يستبعد أن يكون للمبشرين الذين جاؤوا من العراق كما تذكر بعض الموارد النصرانية السريانية دخل في نشر النصرانية في اليمن . ولا سيما نشر النسطورية في تلك البلاد .

وأما الموارد النصرانية ، فإنها مختلفة فيما بينها في أول من أدخل النصرانية الى اليمن ، فالموارد اليونانية ترى رأياً ، والموارد السريانية ترى رأياً ، والموارد الحبشية ترى رأياً آخر ، يختلف عن الرأيين . وكل رأي من هذه الآراء الثلاثة يرجع شرف نشر النصرانية في اليمن اليه .

يحدثنا كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل في عام (٣٥٤) للميلاد (ثيوفيلوس اندس) Theophilus Indus ، أي (ثيوفيلوس الهندي) ، من جزيرة سرنديب أي سيلان الى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس . وقد تمكن من انشاء كنيسة في عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز، وعين للمتصرين رئيساً ثم رحل . وصارت ظفار في سنة ٣٥٦ م مقراً لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران وهرمز وسقطرى^١ . وقد عثر على مقربة من خرائب ظفار على أعمدة من الطراز (الكورنثي) وعلى بقايا تيجانها وعليها نقوش صلبان يظهر أنها من مخلفات تلك الكنائس القديمة التي شيدت بمساعدة البعثات التبشيرية وفي أيام الحبشة في اليمن^٢ .

وزعم (فيلوستورجيوس) Philostorgius ان هذا الشعب السذي بشّر (ثيوفيلوس) بين أفراد النصرانية : شعب هندي ، وكان يدعى سابقاً باسم شعب (سبأ) نسبة الى عاصمته سبأ ويعرف اليوم باسم حمير Homeritae^٣ . وقد توهم

١ « تاوفيل الهندي » النصرانية (٥٦/١) ،

Alt kult., S. 148, Philostorgius, Historia Ecclesiastica, III, 46, Hugh Scott, in the High Yemen, 1947, p. 211, Mordtmann, Miscellen zur himjarischen Alterthumskunde, in ZDMG., 1877, XXXI, S. 64. ff., Migne, Petr. Grea., LXV, Col , 459-637, Conti Rossini, un documento, p. 710.

Alt. Kult., S. 148, Nallino, Raccolta, III, p. 133, Bury, History of the Roman Empire, II, p. 322.

Philostorgius, I, II, 6, ZDMG., 31, 1877, S. 65.

عدد من الكتبة (الكلاسيكيين) فحسبوا الحميريين من الهنود ، كما ان بعضاً منهم ظنوا ان السبيين من (الكوشيين) الحبش ، والذي أوقعهم في هذا الوهم هو صلات هؤلاء بافريقية وباهند ، ولوقوع بلادهم على المحيط الهندي وعلى مقربة من افريقية^١ .

وجاء في رواية أخرى ان القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل (ثيوفيلوس) الى ملك حمير Homeritae ونجاشي الحبشة Axume وذلك في عام (٣٥٦) للميلاد. برسائل كتبها القيصر الى الملكين . فلما أنهى مهمته لدى ملك حمير ، انتهز هذه الفرصة فزار وطنه الهند ، ثم عاد فذهب إلى الحبشة . وعاد منها فذهب الى أنطاكية Antiochia ومنها الى القسطنطينية^٢ . ويظهر من هذه الرواية ان مهمته هذه لم تكن مهمة دينية ، انما كانت ذات طابع سياسي ، الغاية منها ضم حمير والأحباش إلى معسكر البيزنطيين .

وقد كان من مصلحة الحكومة البيزنطية بعد دخول القيصر (قسطنطين) في النصرانية عام (٣١٣) للميلاد واتخاذها ديانة رسمية للدولة ، ان ينشر هذا الدين ويكثر أتباعه ، لما في ذلك من فوائد سياسية ومصالح اقتصادية : فضلاً عن الأثر العميق الذي يتركه هذا العمل في نفوس أتباعه المؤمنين مما يرفع من مكانة القيصرية في نفوس الشعب ويقوي من مراكزهم ونفوذهم على الكنيسة والرعية . وبمساعدة هؤلاء القباصة تمكن المبشرون من انشاء ثلاث كنائس في (ظفار) و (عدن) و (هرمز)^٣ .

ولم يكن يقصد (قسطنطين) كما يرى المستشرق (روسيني) من إرسال الوفد الذي ترأسه (ثيوفيلوس) الى ملك حمير ، هدفاً دينياً محضاً ، وإنما أراد أن يعقد معاهدة تجارية مع الحميريين ويحقق له منافع اقتصادية وسياسية . بأن يحقق له التجارة البحرية ، ويحرض اليانين على الفرس ويدخلهم في معسكره بدخولهم

١ النصرانية (٥٣/١ وما بعدها) .

٢ Paulys — Wissowa, Zweite Reike, Zehuter Halbband, S. 2167, Philostorgius, Hist. Eccl., II, 6, Kidd, A History of the Church, II, 161, III, 429, Bury, History of the later Roman Empire, II, p. 322.

٣ Ency. of Relig. and Ethl., III, p. 589, Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S. 12.

في النصرانية التي تجمع عندئذ بينهم وبين الروم^١ .
 وورد في رواية أخرى أن الحميريين Homeritae دخلوا في عهد (انسطاس)
 (انسطاسيوس) (٤٩١ - ٥١٨ م) في النصرانية . وذكر أيضاً أنه كان في
 جملة من قصدوا القديس (سمعان العمودي) رجال من عرب حمير ، وقد رأهم
 (تاودوريطس) في القرن الخامس للميلاد^٢ .

وأما الموارد السريانية ، ومنها الموارد النسطورية ، فتزعم أن تاجراً من أهل
 نجران اسمه (حنان) أو (حيّان) ، قام في أيام (يزدجرد) الأول (٣٩٩ -
 ٤٢٠ للميلاد) بسفرة تجارية الى القسطنطينية ، ثم ذهب منها الى الحيرة، وفيها
 تلقن مبادئ النصرانية ودخل فيها . فلما عاد منها الى نجران ، بشر فيها بالنصرانية
 حتى تمكن من نشرها بين حمير . وترجع تواريخ البطارقة هذه الحادثة الى أيام
 بطرقة (معني) Ma'na الموافقة لحوالي سنة (٤٢٠) بعد الميلاد^٣ . وذكر أنه في
 عهد البطريق (سيلاس) Silas (٥٠٥ - ٥٢٣ م) ، هرب لاجئون من
 اليعاقبة Jakobiten الى الحيرة ، غير أن النساطرة أجلوهم عنها ، فذهب قسم منهم
 الى نجران ، فنشروا مذهبهم بين السكان^٤ .

وتشير الأخبار الكنسية أيضاً الى أن رسولي الكلدان الأولين: (ادي) و (ماري)
 كانا قد سارا الى بلاد العرب سكان الخيام ، والى نجران وجزائر بحر اليمن .
 وجاء في المصحف الناموسي : « وبشر الجزيرة والموصل وأرض السواد كلها وما
 يليها من أرض اليمن كلها وبلاد العرب، سكان الخيام والى ناحية نجران والجزائر
 التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين »^٥ .

وللحبش قصص عن انتشار النصرانية في نجران ، خلاصتها : ان قديساً اسمه

-
- | | |
|---|--|
| ١ | النصرانية (٥٩/١) ،
Conti Rossini, un documento sul Cristianesimo nello Yemen, p. 710. |
| ٢ | النصرانية (٥٧/١ وما بعدها) ،
Mordtmann, in ZDMG., XXXI, 1877, S. 65, Theodorus, Lector, Hist. Eccl.,
I, II, p. 567, (ed. Valesius and Nicephorus Callistus). |
| ٣ | Chronik von Séert, II, 149, ABM, 22, Eduard Sachau, zur ausbreitung des
Christentums in Asien, Berlin, 1919, S. 68. |
| ٤ | Chronik von Séert, II, 144. |
| ٥ | النصرانية (٥٨/١) . |

(ازكير) Azkir ، أقام كنيسة ورفع الصليب وبشر بالنصرانية في نجران ، وذلك في أيام الملك (شرحبيل ينكف) ملك حمير ، فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) و (ذوقيان) ، وأرسلوا رجالهم إلى المدينة لهدم الكنيسة وانزال الصليب والقبض على القديس ، ففعلوا وألقوا به في غياهب السجن . وفي اثناء اقامته فيه هدى قوماً من السجناء إلى النصرانية بفعل المعجزات التي قام بها ، فغضب الملك (شرحبيل) عليه ، وأرسل إلى القليلين اللذين كانوا في نجران ان يرسلوا إليه هذا الرجل الذي فتن الناس ، فأرسل مخفوراً إليه . وفي اثناء اجتيازه الطريق إلى عاصمة الملك ظهرت منه معجزات خارقة ، آمن بها عدد ممن رافقوه أو وقفوا على أحواله وتعمّدوا على يديه . فلما وصل إلى (ظفار) عاصمة (شرحبيل) ، انتهره الملك وحاجه في دينه وعرض عليه كتب (يهود) ، ثم أغراه بالذهب والمال ، فقال له القديس : « الذهب والفضة فانيان ، أما كرستس ساكن السماء فباق » . وقد حرصه عليه أحد الأخبار ، فأمر الملك عندئذ بارساله إلى نجران لقتله . فلما بلغ المدينة ، قتله اليهود ، فمات شهيداً في سبيل دينه^١ .

وتزعم الرواية الحبشية ان نصارى اليمن كانوا يرسلون هداياهم إلى النجاشي وبالضرائب يدفعونها إليه^٢ .

وذكر ان أحد الأساقفة ممن كان في اليمن ، كان قد اشترك في أعمال مجمع (نيقية) الذي انعقد سنة ٣٢٥ للميلاد^٣ . وإذا صح هذا الخبر ، فإنه يعني ان النصرانية كانت قد وجدت لها سبيلاً إلى اليمن في القرن الرابع للميلاد .

يتبين من هذه الأخبار أن النصرانية لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد ، وإنما دخلتها من البر ومن البحر ، دخلتها من البر من ديار الشام إلى الحجاز فاليمن ، ومن العراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق . ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية ودخلتها مع الحبشة كذلك الذين كانوا على اتصال دائم باليمن وبقية العربية الجنوبية منذ أيام ما قبل الميلاد .

Winckler, AOF., IV, 1896, S. 329. ff., British Museum Orient., 686, 687, 688, 689.

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 50.

النصرانية (٥٧/١) ،
Nallino, Raccolta, III, p. 122, Caetani, Annali, I, p. 125.

وقد كانت نجران أهم موطن للنصرانية في اليمن ، ولعلها الموطن الوحيد الذي رسخت هذه الديانة فيه في هذه البلاد . وقد اشتهرت نجران بالحادثة التي وقعت فيها ، حادثة تعذيب النصارى ، وبما ذكره أهل الأخبار عن الكنيسة التي أنشأها الأحباش فيها وعرفت بـ (كعبة نجران) عند الأخباريين كما عرفت بـ (بيعة نجران) أيضاً . وفي رواية تنسب الى ابن الكلبي (أنها كانت قبّة من آدم من ثلاث مئة جلد ، كان اذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترقد أرفد . وكانت لعظمتها عندهم يسمونها كعبة نجران ، وكانت على نهر نجران ، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل ، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار ، وكانت القبّة تستغرقها ^١ . وكان ينفق عليها من غلة ذلك النهر .

وورد في رواية أخرى أنها كانت بناء بني على بناء الكعبة . وقد بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، بنوها على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة لها . وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ، ودعاهم الى المباهلة ^٢ .

وتذكرنا قصة (ابن الكلبي) عن أصل كعبة نجران ، وأنها كانت من آدم ، بما نعرفه عن خيمة (يهوه) إله العبرانيين ، وتعبد الاسرائيليين له فيها قبل بناء الهيكل ، واعتقادهم أنها خيمة مقدسة ، وبما نعرفه من خيم القبائل المقدسة ، وذلك لأنها كانت بيوتاً توضع فيها الأصنام ويتعبد أفراد القبيلة بها ، فإذا ارتحلوا الى مكان جديد نقلوا خيمتهم معهم . والظاهر ان كعبة نجران المذكورة، إن صحت رواية ابن الكلبي ، كانت من هذا النوع ، خيمة مقدسة في الأصل وذلك قبل دخول أهل نجران في النصرانية ، فلما دخلوها ، لم تذهب عنها قدسيتها ، بل حولوها الى كنيسة ، ثم بنوا بيعة في موضعها فيما بعد .

وفي رواية ان قُس بن ساعدة الايادي كان أسقفاً على نجران ^٣ ، وهي رواية تحتاج الى سند موثوق به ، وقد أخذ بها (شيخو) وأمثاله ممن يرجع كل شيء

١ البلدان (١٩٣/٨) ، تاج العروس (٤٥٧/١) ، (٥٥٦/٣) ، ديوان الاعسى (١٢٢) ، (طبعة كايير) « Geyer » ، ابن قنيبة ، الشعر والشعراء (٢٨٣) .
Raccolta, III, p. 127.

٢ البلدان (٦٢٣/٨) « نجران » ، تاج العروس (٥٥٦/٣) .
Raccolta, III, p. 128, Lammens, Califat, p. 332. ٣

من هذا القبيل في الجاهلية إلى النصرانية .

وقد كانت نجران المركز الرئيسي للنصرانية في اليمن عند ظهور الاسلام ، لها نظام سياسي واداري خاص تخضع له ، وعليها : (العاقب) ، وهو كما يقول أهل السير : « أمير القوم ، وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه » ، و (السيد) ، وهو « ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم » ، و (الأسقف) ، وهو « جبرهم ، وإمامهم ، وصاحب مدراسهم »^١ . ويقصدون به رئيس نجران الديني الذي اليه يرجعون في أمور الدين . أما العاقب والسيد ، فإليهما ادارة الجماعة ، والإشراف على شؤونهم السياسية والمالية ، وتدير ما يحتاج المجتمع اليه من بقية الشؤون^٢ .

وقد صالح أهل نجران خالد بن الوليد ، في زمن النبي ، في السنة العاشرة من الهجرة ، وبذلك دخل أكثر سكان المدينة في الاسلام . أما من بقي على دينه من النصارى ، فقد فرضت عليه الجزية^٣ .

ويذكر أهل السير ان اسم عاقب نجران في ايام النبي ، هو (عبد المسيح) رجل من كندة . وقد قدم على رأس وفد من أهل نجران إلى يثرب ، فقابل الرسول ، وتحدث معه . وكان معه (الأيهم) وهو سيد نجران يومئذ ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، وكان أسقفهم وجبرهم وإمامهم يومئذ ، وله مقام عظيم عندهم ، « وقد شرف فيهم ، ودرس كتبهم حتى حسن علمه بدينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه ، وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه »^٤ .

وإذا صح ما رواه أهل الأخبار من أن عاقب نجران كان كندياً ، وأن أسقفها كان من (بكر بن وائل) ، فإن ذلك يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب ،

-
- ١ ابن هشام (٢٠٤/٢) ، تاج العروس (٣٨٩/١) ، (عقب) ، (١٤١/٦) ، (سنن) ، اللسان (٥٧/١١) ، « وصاحب مدراسهم » ، ابن سعد (٣٥٧/١) .
 - ٢ Raccolta, III, p. 128.
 - ٣ الطبري (١٥٧/٣) ، « حوادث السنة العاشرة » ، البلدان (٢٦١/٨) وما بعدها .
 - ٤ ابن هشام (٢٠٤/٣) ، تاج العروس (٣٨٩/١) ، اللسان (١٠٥/٢) ، ابن سعد (٣٥٨/١) ، نهاية العرب (١٢١/١٨) .

لم تكن تتبع العرف القبلي في الرعامة ، وإنما كانت عن تنسيب واختيار ، وأنا لا استبعد احتمال وجود مراجع دينية عليا ، كانت هي التي تتولى النظر في ادارة الكنائس وفي تعيين رجال الدين وفي النظر في المشكلات التي تقع بين النصارى ، أو بين النصارى وغيرهم ، وفي أمر مساهمة النصارى العرب في المجامع الكنسية التي تنظر في المسائل العامة للطوائف .

ويرى بعض أهل الأخبار أن « السيد والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادوا مباهلة رسول الله » هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران^١ .

ويذكر علماء اللغة ، أن (العاقب) من كل شيء آخره ، والعاقب السيد ، وقيل الذي دون السيد ، وقيل الذي يخلف السيد ، وقيل : الذي يخلف من كان قبله في الخير كالعقوب^٢ . والذي أوحى اليهم بهذا التأويل والتفسير ، ظاهر لفظة (عقب) في عربيتنا التي منها اشتقت لفظة (العاقب) على رأيهم . والصحيح أنها لفظة عربية جنوبية وردت في المسند، بمعنى (رئيس) وممثل قوم ، أي رسول قوم ، فورد (عقب نشقم) ، أي (رئيس) مدينة (نشق)^٣ ، وبمعنى ممثل مدينة (نشق)^٤ .

وذكر ان نصارى نجران ، أرسلوا العاقب والسيد في نذر لمحاكمة رسول الله فيما نزل عليه في المسيح ، من انه عبد الله ، حيث كبر ذلك عليهم سماعه، فأخذوا يخاصمونه ويجادلونه فيه ، وألحوا عليه بالجدل والخصومة ، فدعاهم الى الملاعة ، فامتنعوا ودعوا الى المصالحة ، فصالحهم^٥ . وانه الى ذلك أشير في القرآن الكريم : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم . فقل : تعالوا : ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»^٦ .

١ المحبر (١٣١) .

٢ تاج العروس (٣٨٩/١) ، (عقب) .

٣ Jamme 619, Ma Mb 178, Mahram, p. 120.

٤ Jamme, South Arabian Inscription, p. 445.

٥ ارشاد الساري (٤٣٧/٦) .

٦ ال عمران ، الآية رقم ٦١ ، تفسير الطبري (٢٠٩/٣ وما بعدها) ، روح المعاني (١٦٥/٣) ، أمتاع الاسماع (٥٠٢/١) ، الواحدي ، أسباب (٧٤) ، ابن سعد (١ قسم ٢ ص ٨٤) ، ارشاد الساري (٤٣٧/٦) .

وورد أيضاً انه لما بعث رسول الله وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد ، و (مار سرجس) ، و (مار يوحنا) ، وفسألوه ما يقول في عيسى . فقال : هو عبدالله وروحه وكلمته . قالوا هم : لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه ، فدخل في جوف مريم ، ثم خرج منها ، فأرانا قدرته وأمره ، فهل رأيت قط انساناً خلق من غير أب ؟ فأنزل الله ، عز وجل ، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون^١ .

وقد كان لنصارى اليمن كنائس أخرى غير كنيسة (نجران) : فقد كانت لهم كنيسة عظيمة في (صنعاء) ، هي (القليس) التي اكتسبت شهرة عظيمة في كتب الأخبار والتواريخ. وهي كنيسة (أبرهة) ، من أصل (اكلسيا) Ecclysia اليوناني بمعنى الكنيسة ، وموضعها الآن جامع (صنعاء) على ما يظن . وقد أبدع الأحباش في تزيينها وتجميلها ، وأنفقوا عليها مبالغ طائلة .

كما كانت لهم كنائس في (مأرب) و (ظفار) . وقد عهد الأحباش بتدبير شؤون كنيسة (ظفار) الى أسقف شهير يقال له (جرجنسيوس) (جرجيسيوس) (جرجيسيوس) . وهو مؤلف كتاب شرائع الحميريين . وله مناظرات مع اليهود^٢ .

وقد بقيت النصرانية قائمة في اليمن في أيام الاسلام ، ففي الأخبار الكنسية أن رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس) ، نصب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء ، اسمه (بطرس)^٣ . وفي (الفهرست) لابن النديم ، أنه التقى براهب من نجران يدعى حستان ، كان قد أنفذه الجاثليق الى الصين ، ليتفقد مع خمسة أناسي من النصارى أحوال نصاراها ، فعاد منها سنة (٣٧٧) للهجرة ، وأخبره بعجائب تلك البلاد^٤ . وذكر أنه في حوالي سنة ١٢١٠ للميلاد كان في منطقة صنعاء خمسة أساقفة ، وأسقف في مدينة زبيد وأسقف في نجران ، وأنه كان في حوالي سنة ١٢٥٠ للميلاد أسقف في عدن^٥ .

-
- ١ تفسر الطبري (١٩/٣) وما بعدها .
 - ٢ النصرانية (٦٤/١) . Migne, Patr. Grae., 86, 587-620.
 - ٣ النصرانية (٦٧/١) .
 - ٤ الفهرست (٥٠٤) « مطبعة الاسقافة » .
 - ٥ النصرانية (٦٧/١) .

إن بقاء النصرانية في نجران وفي مواضع من اليمن وأنحاء أخرى من جزيرة العرب ، وبقاء اليهود في اليمن الى زمن غير بعيد ، يشير الى أن ما ذهب اليه كثير من المؤرخين من إجلاء أهل الكتاب بأمر الخليفة (عمر) عن جزيرة العرب ثم بقية الخلفاء الذين ساروا على حكم : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » فيه مبالغة^١ . والظاهر أن الاجلاء كان قاصراً على المواضع التي تعرضت فيها جاليات أهل الكتاب فيها للإسلام بسوء . فطبق على جاليات يهود يثرب ومن كان يسكن الى الشمال منهم ، لوقوفهم موقفاً معادياً شديداً من الاسلام ، ولعملهم في إثارة الفتن على المسلمين . ومن يدري فلعلهم ولعل أهل الكتاب عموماً ساعدوا في قيام الردة وتشجيع المنسبين والمرتدين للقضاء على الخطر الذي زعموه ، خطر ظهور الاسلام وانتشاره في جزيرة العرب وفي خارجها ، وقيام دولة موحدة كبيرة فيها . ومن يدري أيضاً ، فلعل الروم والأحباش كانوا أيضاً في جملة من كان يحرض أهل الكتاب على الدس للإسلام ، وأن بعض من أعلن الردة مثل (النعمان الغرور) وهو نصراني ، وغيره ممن ارتد معه من النصارى ، كانوا قد تلقوا عوناً من الخارج ، وهذا ما حمل الخليفة على اتباع قاعدة إجلاء الدسائسين من أهل الكتاب مهما كان نوعهم عن جزيرة العرب لحماية الاسلام من خطر الفتنة ومن الردة ، ولم تكن قواعده قد تركزت واستقرت استقراراً تاماً بعد .

إن الذي افهمه من سياسة إجلاء (عمر) لأهل الكتاب ، هو ان ذلك الإجلاء كان خاصاً بالجاليات اليهودية التي كانت تقيم فيما بين فلسطين ويثرب ، وقاصراً عليها ، بسبب وقوفها موقفاً معادياً من الاسلام ، أما النصارى فلم تكن لهم جاليات هناك ، فلم يقع إجلاء لهم فيها . ولكن (عمر) ومن جاء بعده لم يطبقوا الإجلاء على الأسر والأفراد ، بدليل ما نجده في أخبار أهل الأخبار من وجود أسر وأفراد من يهود ونصارى في يثرب وفي مكة وفي الطائف بعد وفاة عمر .

أما في غير الحجاز من بقية أنحاء جزيرة العرب ، فلم يطبق قانون (عمر) على أهل الكتاب ، بدليل دفع جالياتهم (الجزية) عن رؤوسهم في ايامه الى وفاته ، ثم في ايام من جاء بعده من الخلفاء . فكأن الخليفة ، قد طبق أمر الإجلاء على

١ « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلماً » ، البلدان (٢٦٣/٨) .

يهود الحجاز نخوفه من خطر بقائهم في مقر الاسلام وفي مدينة الرسول ومن احتمال عودة من هاجر منهم الى أرضهم وتكتلهم من جديد ، وإثارتهم من لم يكن قد تمكن الاسلام من قلبه بعد ، فيقع للاسلام ما وقع في ايام الرسول من اتصالهم سرّاً بكفار قريش ، ومن حدوث ردة جديدة ، فقرر إجلاءهم جماعة عن تلك الديار .

النصرانية في بقية مواضع جزيرة العرب :

وكان التجار الروم يتزلون سواحل العربية الجنوبية للتزود منها بالماء وبالطعام وللاتجار مع سكانها ، ومنهم من أقام بها وقضى حياته فيها ، وتعرب . وكان منهم من بشر بالنصرانية وعمل على نشرها بين السكان . ولعل الحكومة البيزنطية كانت ترسل المبشرين الى هذه المواضع للتبشير ، كذلك أرسل نصارى الحيرة المبشرين لنشر نصرانيتهم في العربية الجنوبية^١ . وبعد دخول هذه البلاد في الاسلام احتفظ قوم من النصارى بدينهم ، مقابل دفع الجزية للمسلمين^٢ .

وأما اليمامة ، فكانت النصرانية قد وجدت لها سيلاً بين قراها وقبائلها . ويظهر من شعر الأعشى مدح به (هوذة بن علي) حاكمها عند مبعث الرسول ، انه كان نصرانياً من على قوم من (تميم) ففك وثاقهم يوم أسروا ، ويوم قتلوا وسط (المشقر) ، ومن عليهم (يوم الفصح) ، يرجو الإله بما سدى وما صنع^٣ .

وأما العربية الشرقية ، فقد دخلت النصرانية اليها من الشمال ، من العراق في الغالب . ولكن بعض الروم كانوا قد وجدوا سبيلهم اليها ، فدخلوها من البحر أيضاً . فعششت في مواضع منها مثل البحرين ، وقطر ، وهجر ، وبعض جزر الخليج . وكانت غالبية نصارى هذه الأرضين على مذهب نسطور آخذين هذا المذهب من نصارى الحيرة الذين كانوا على اتصال وثيق بهم ، كما كان رجال دينهم يسافرون الى هذه المنطقة للتبشير بها ، فزرعوا فيها بذور مذهبهم ، ونشروه بين من أقبل على النصرانية من العرب .

١ النصرانية (٧٠) .

٢ البلاذري (٨٤) .

٣ ديوان الاعشى (٨٦) ، حواد عابى ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢١١/٥) .

ومن رجال البحرين النصارى (الجارود بن عمرو بن حنش المعلى)^١ ، قدم على النبي بالمدينة، فأسلم وأسلم معه أصحابه. وكان حسن الاسلام صلباً حتى هلك، وقد لام قومه ممن انضم الى (المنذر بن النعمان بن المنذر) الغرور، فارتد عن الإسلام وعاد الى دينه الأول^٢ . وقد بقي الى أيام (عمر) في أغلب الروايات والى خلافة عثمان في رواية . واشترك في حروب فارس ، فقتل بها ب (عقبة الطين) ، التي عرفت باسمه ، فقتل لها عقبة الجارود ، وذلك سنة احدى وعشرين في خلافة عمر ، وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن . وقد رووا له شعراً . وكان ولده (المنذر بن الجارود) من رؤساء (عبد القيس) بالبصرة . وحفيده (الحكم بن المنذر) الذي مدحه (الأعشى الحرمازي) بشعر حسده الحجاج عليه^٣ .

١ ويقال ابن عمرو بن المعلى ، وقيل الجارود بن العلاء ، وورد الجارود بن عمرو بن حنش ، « والجارود لقب بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدى الصحابي ، رضي الله عنه . كنيته أبو المنذر ، وقيل أبو غياث ، وهو أصح) ، تاج العروس (٣ / ٣١٨) ، (جرد) .
 ٢ الطبري (٣ / ١٣٦ وما بعدها) ، « قدوم الجارود في وفد عبد القيس » .
 ٣ الإصابة (١ / ٢١٧) ، (رقم ١٠٤٢) .

الفصل الثانون

المذاهب النصراية

لقد أصيبت النصراية بما أصيبت به أكثر الأديان من تشقق وتصدع وانفصام، فظهرت فيها شيع وفرق، تخاصمت فيما بينها وتجادلت. وكان أكثر جدالها في موضوع طبيعة المسيح وعلاقة الأم بالابن، وفي موضوع النفس، وقد عقدت لذلك جملة مجامع كنسية للنظر في هذه الآراء والحكم على صحتها أو فسادها، وفي أمر أصحابها، اجتمع فيها مندوبون من مختلف الأماكن وبينهم بعض الأساقفة العرب. غير أنها لم تتمكن من القضاء على النزعات المختلفة، فظهرت فيها جملة مذاهب، حرمت المجامع أصحابها، وحكمت بيدعتهم وبخروجهم على التعاليم الصحيحة، وطلبت من بعضهم الرجوع إلى الدين الصحيح، غير أن منهم من أصر على رأيه، وتحزب له، وبشر به، فوجد أنصاراً وأعواناً انضموا إليه وتسموا به.

والواقع أنه لم يكن من السهل على الداخلين في النصراية فهم قضية معقدة كهذه القضية، وهي قضية فلسفية جدلية أكثر منها عقيدة دينية. ولذلك كان من الطبيعي وقوع الاختلاف فيها، وتشتت آراء النصراية بالقياس إليها، خاصة وهي حديثة عهد، وأكثر الداخلين فيها هم ممن دخلوا حديثاً في هذا الدين، وليس لهم الإدراك العميق والخيال الواسع لفهم موضوع كهذا الموضوع. ثم إن النصراية ديانة عالمية، لم توجه لأمة خاصة من الأمم، وقد جاءت ككل الأديان بأحكام لا بد وأن يختلف الناس في فهمها، لاختلاف المدارك والثقافات، وهذا

الاختلاف في الفهم ، يؤدي الى ظهور المذاهب والشيخ، والى تناحر هذه المذاهب، وادعاء كل واحد منها انه وحده على الحق ، وان ما دونه على الباطل والمحرقة والكفر .

لقد فتح (بولس الرسول) وأتباع المسيح الآخرون ميداناً واسعاً من الجدل في موضوع المسيح : هل المسيح إنسان ، أو هو ربّ ، أو هو من خلق الرب؟ وهل هو والربّ سواء ، أو هو منفصل عن الربّ ؟ هذه الأسئلة وأمثالها مما يتصل بطبيعة المسيح شغلت رجال الكنيسة ، وكتلتهم كتلاً : كل كتلة ترى أن رأيها في الطبيعة هو الرأي الصواب ، وأنه هو الدين الحق القويم ، وأن ما دونه ضلال وباطل . فظهرت المذاهب : شرقية وغربية ، وانقسمت الكنيسة على نفسها ، فظهرت من الكنيسة الواحدة كنائس . ولا تزال تنشق ، ويزيد عددها وتظهر أسماء جديدة لمذاهب لم تكن معروفة في النصرانية القديمة .

لقد كان الناصريون الأولون ، وهي التسمية القديمة التي عرف بها النصارى ، في فوضى فكرية . فلم تكن تعاليم المسيح مفهومة عندهم ولا مهضومة ، وكانت تفاسير تلاميذه غير منسقة ولا مركزة تركيزاً يكفي لتوجيه الناصريين وجهة معينة واحدة . ثم إن تعقب اليهود والرومان للنصارى وتنكيلهم بهم ، وخوف الناصري على حياته وعلى ماله إذا تظاهر بدينه : كل هذه كان لها أثر خطير في المجتمع النصراني الأول . ولولا جلد بعض التلاميذ وتفانيهم في الدعوة ، وتركيزهم لتعاليمها وتبويبها وصلفها ، لما كان للنصرانية ذكر باق حتى الآن .

وليس في استطاعة أحد الزعم بأن هذه النصرانية التي تركّزت وثبتت على هذه الصورة التي نشهدها، هي النصرانية التي جاء بها المسيح وكان عليها الناصريون، أي أقدم أتباع عيسى . فالنصرانية هي سلسلة تطورات وأفكار وآراء وضعها البارزون من الآباء ، ثم إنها كأكثر الأديان تأثرت بمؤثرات عديدة لم يكن من الممكن على الداخلين فيها التخلص منها . فدخلت فيها وصارت جزءاً منها ، مع أن بعضها مناهض ومناقض لمبادئ هذا الدين .

وتولد عن هذا الجدل ظهور (الآريوسية) أتباع (آريوس) و (السبيلية) Sabellians وأتباع (الثالوث) Trinitarians ومذاهب أخرى نبعت من تلك البلبلة الفكرية التي أظهرها الاختلاف في طبيعة المسيح . ونظراً الى ما أحدثته هذه الآراء

اللاهوتية من انقسام وتفرق في صفوف النصارى ، وما تركته من أثر خطير في الأحوال الداخلية للانبراطورية . عزم الانبراطور (قسطنطين) باني القسطنطينية على عقد مؤتمر للتوفيق بين هذه الآراء وتنسيقها ، فعقد مجمع (نيقية) Nicaea حضره (آريوس) للدفاع عن نفسه وحضره جمع من الأساقفة المخالفين له لمحاكمته ولائبات هرطقته وخروجه على الإيمان الصحيح. وكانت النتيجة الوحيدة لهذا المؤتمر وضع بيان دقيق عن الثالوث ، والحكم بفساد رأي آريوس وبخروجه على عقيدة النصرانية الصحيحة ، ووضع تعريف للإيمان الصحيح^١ .

وعقب هذا المجمع الذي انعقد في سنة (٣٢٥) للميلاد وحدد معنى النصرانية وأصولها ، عدة مجامع عقدت للنظر في أمثال هذه المشكلات الخطيرة التي جابهت الكنيسة ، عقد بعضها في القسطنطينية فعرفت بها ، وعقد بعض آخر في (أفسوس) (٤٣١ م) وفي (خلقدونيا) Chalcedon (٤٥١ م) ، ولكنها لم تستطع ان تعيد الوحدة الى الكنيسة ، فانقسمت الى عدة كنائس ، وحدث الانفصال الأكبر في سنة (١٠٥٤ م) حيث تجزأت الكنيسة الكبرى للانبراطورية الى كنيستين: كنيسة غربية استعملت اللغة اللاتينية لغة رسمية لها ، وكنيسة أرثوذكسية هي الكنيسة الإغريقية الأصلية ، وذلك بسبب خلافات بسيطة ليس لها أثر خطير في جوهر العقيدة . أما الشرق ، أي آسية وافريقية ، فقد سبق نصاراه نصارى الغرب في تحطيم وحدة الكنيسة ، فظهرت عندهم الكنيسة النسطورية والكنيسة البعقوية ، في زمان مبكر سبق انفصال الكنيسة اللاتينية عن الإغريقية بزمان طويل .

وقد وصلت إلينا أسماء من حضر بعض تلك المجامع الكنيسية ، واشترك في جدالها ومناقشاتها ووقع على قراراتها ومحاضرها ، وبينها أسماء أساقفة بشروا بين العرب ، وأساقفة يظهر أنهم كانوا من أصل عربي بدليل أسمائهم العربية الخالصة أو المنقولة الى اليونانية والسريانية . وقد عرف بعضهم بأساقفة الخيام ، لمرافقتهم للأعراب ومعيشتهم بينهم في الخيام معيشة الأعراب^٢ .

١ مجلة المسرى ، السنة الثالثة والعشرون (١٩٢٥) ، العدد ٧ ، (٤٨١ وما بعدها) ، خلاصة تاريخ الكنيسة ، لـ « لومند » ، ترجمة الخوري يوسف السناني ، مطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٨١ ، في جزءين (١ / ١٧٤ وما بعدها) ، Ency. Religi. and Ethic, I, pp. 775, (Arianism)

٢ النصرانية (١ / ٣٣ وما بعدها) .

ومن أساقفة الأعراب أسقف عرف باسم (بطرس) ، وقد وقع على أعمال مجمع (أفسوس) بصفة كونه (أسقف محلة العرب) ، والأسقف (تاوتيموس أسقف العرب) الذي وقع على أعمال مجمع انطاكية الذي انعقد عام ٣٦٣ للميلاد^١. وقد كان بين أساقفة القدس في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس للميلاد ، أسقف من أصل عربي ، اسمه الياس (٤٩٤ - ٥١٣ م)^٢ .

فالأساقفة الذين كانوا يديرون أمور النصارى العرب ويبشرون بين القبائل الوثنية ، أسهموا في الجدل الديني الذي قام أكثره على بحث موضوع طبيعة المسيح واشتركوا فيه ، وبذلك نقلوا الى العرب هذه الأبحاث اللاهوتية التي شغلت بال العالم المتمدن منذ القرن الأول للميلاد فما بعده ، وكانت أهم مشكلات النصرانية يومئذ مشكلة شغلت بال المؤمنين ، ثم بال الحكومة البيزنطية بعد تنصرها وبال أتباعها المؤمنين ، وشغلت العالم الغربي حتى بعد عصر النهضة ، مشكلة أطاحت برؤوس الآلاف من الناس باسم الكفر والايمان ، البدعة والحق . وكان في جملة ما أسهم فيه رؤساء أديرة اقليم العربية وضع رسالة مضمونها دستور الايمان ، كتبها أولئك الرؤساء ، ووجهوها الى يعقوب البرادعي ، ردّوا فيها على رأي يحيى النحوي في تثليث الجوهر الفرد ، وذلك بين السنتين ٥٧٠ و ٥٧٨ للميلاد . وقد وقعها ١٣٧ رئيساً لـ ١٣٧ ديراً في اقليم العربية الممتد من شرقي بلاد الشام الى الفرات^٣ .

ومن المذاهب النصرانية التي تدخل في حدود موضوعنا : المذهب النسطوري والمذهب اليعقوبي ، وهما من المذاهب الشرقية ، أي من المذاهب النصرانية التي ظهرت وانتشرت في الشرق ، ووجدت لها مجالاً وانتشاراً في العراق وفي بلاد الشام ومصر والحبشة وجزيرة العرب .

أما المذهب النسطوري ، فينسب الى البطريق (نسطوريوس) (نسطور) Nestorius من (جرمانيقية) Germanicia ، وهي (مرعش) المتوفى سنة (٤٥٠ م) ، وله رأي ومقالة في طبيعة المسيح . فجعل للمسيح طبيعتين

١ المسرق ، العدد ١٢ ، الجزء الخامس (٣٥٣) ، النصرانية (٣٤/١) .

٢ W. Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 84.

٣ النصرانية (١٠٥/١) وما بعدها .

(اقنومين) : أقنوم الانسان يسوع ، وأقنوم الله الكلمة ، وذكر ان مريم هي بشر ولدت بشراً هو المسيح الذي هو إله من ناحية الأب الإله فقط^١ .

وتستند تعاليم نسطور وآراؤه الى الجدل الذي أثاره من تقدمه من الآباء في موضوع طبيعة المسيح ، والانشقاق الذي حدث نتيجة لهذا الجدل . وأكثر من أثر فيه وكون له رأياً في المسيح هو (ديودورس) Diodorus أسقف (طرسوس) Tarsus و (ثيودور المصيبي) (٣٩٣ - ٤٢٨ م) تلميذ (ديودورس) . وفي انطاكية وقف (نسطور) على آراء هذين العالمين ، وكان قد تهرب وسكن هذه المدينة في عام (٤٢٨ م) وتحمس لها وبشر بها بين الناس ، فأثار عليه غضب رجال الكنيسة المعارضين لتلك الآراء ، فصاروا ينددون به . وبما يقوله ويبشر به ، وعدوه ملحداً خارجاً على تعاليم الكنيسة الصحيحة وعلى مبادئ الدين القويم .

ولنشاط (نسطور) في بث هذه الأفكار وعدم تراجعها عنها ، طلب اليه المثلث أمام مجلس اجتمع فيه كبار رجال الدين لمحاكمته عرف بـ (مجمع أفسوس) انعقد في عيد العنصرة من عام (٤٣١ م)، وبعد محاكمات ومناظرات قرر المجتمعون الحكم بهرطقة هذه الآراء وبمخالفتها للمبادئ العامة التي تدين بها الكنيسة ، وبذلك كان الحكم على نسطور وأتباعه بالاضلال والإلحاد وبغزله من أسقفية القسطنطينية حكماً رسمياً . ومعنى ذلك مقاومة القائمين بهذه الآراء واضطهادهم والتضييق عليهم في حكومة لها كنيسة خاصة ترى أنها على الحق وأن ما دونها على عمى وضلال .

وكانت (الرها) Edessa أهم مركز ثقافي للنساطرة ، ومن أهم معاقل الأدب السرياني . أممها كثير من طلبة العلم السريان للثقف بها ، ولا سيما في عهد الأسقف (ايباس) Ibas (٤٣٦ - ٤٥٧ م) الذي انتخب أسقفاً لهذه المدينة بعد وفاة أسقفها (ربولا) Rabbula في عام (٤٣٦ م) . ثم نالت (نصيبين) Nisibis مكانة كبيرة في السطورية ، خاصة بعد وفاة ايباس ، وانتخاب

١ المشرق : السنة ١٩٣١ (٦١٥) ، « لا يدع أحد مريم أم الله لانها كانت امرأة ، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة » ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، أوليري ، تعريب الدكتور وهيب كامل (ص ٢٥٤) ، شرح الاصول الخمسة ، لفاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد ، « تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان » ، القاهرة ١٩٦٥ ، (ص ٢٩٢ ، ٣٩٥ وما بعدها) .

(نونوس) Nounus أسقفاً للمدينة ، وكان هذا متأثراً بالآراء البيزنطية كارهاً للنسطورية ، لذلك رأى النساطرة الانتقال عن (الرها) الى أماكن أخرى لا أثر لنفوذ هذا الأسقف عليها ، فكانت (نصيبين) الموقع المختار من بين هذه الأماكن ، ونالت الحظوة عند رجالهم ، واحتلت مكانة (الرها) في العلم .

ولكن الأسقف (نونوس) كان أسقفاً واحداً من عدد عديد من رجال الدين الرسميين الذين يمثلون كنيسة الروم ، الكنيسة التي حكمت حكماً رسمياً بهرطقة (نسطور) ، لذلك كان على النسطورية مواجهة الاضطهاد والمقاومة في أي مكان من الأماكن الخاضعة للروم ، أو التابعة لكنيستهم ، وللكنائس المعارضة لآراء نسطور . لذلك فكر النساطرة في حمل آرائهم ومعتقداتهم الى بلد أملوا ان يتمتعوا فيه بحريتهم في ممارسة شعائرتهم الدينية ، لمعارضته للانبراطورية البيزنطية وتشجيعه كل حركة مناوئة لها ، ثم لأن له حكومة ذات دين آخر بعيد عن النصرانية ، فهي اذن لا تتدخل في أمور المذاهب النصرانية إلا إذا كانت مشايعة للروم ، وليست النسطورية من هذه المذاهب .

وقد أظهر (الشاهنشاه) ملك الملوك ، استعداداه لحماية النساطرة ومنحهم الحرية الدينية وحرية التبشير بمذهبهم بين رعاياه ، كما أظهر رغبته في الاستفادة من علمهم ودرابنتهم ، فاخترهم للأعمال التي لم يكن فيها متخصصون من أتباعه ، وسمح لهم بالتدريس وبتهذيب الناس وتعليمهم الفلسفة اليونانية ، ولا سيما فلسفة أرسطو والطب، وغدت (سلوقية) Seleucia على نهر دجلة قبالة العاصمة (طيسفون) مركزاً ثقافياً خطيراً ينافس (الرها) و (نصيبين) ، وصار هذا المركز من أهم معاقل النسطورية والتبشير في العراق وفي سائر أنحاء انبراطورية الفرس .

ومن هؤلاء النساطرة تعلم عرب بلاد العراق وعلى رأسهم أهل الحيرة النسطورية ، ومن أهل الحيرة انتقلت الى جزيرة العرب . ولما كانت السريانية هي اللغة الرسمية لهذه الكنيسة ، صارت هذه اللغة بهذه الصفة لغة نصارى العرب ، بها يرتلون صلواتهم في الكنيسة وبها يكتبون ، وإن كانت بعيدة عنهم غير مفهومة لدى

١ أدي شير (١٣٠/٢) ، المسرق ، ١٩١٠ م (ص ٣٩٠) ،
Socrates Scholasticus, Hist. Eccl., VII, 29-35, O'Leary, p. 133, Ency. Relig.
Ethl., p. 323.

الأكثرية منهم . لقد كانت على كل حال لغة رجال الدين . وجلّهم من رجال العلم في ذلك الزمن . فهي عندهم لغة للدين وللعلم ، كما كانت اللاتينية لغة للدين والعلوم عند الرومان ، والإغريقية لغة للدين والعلوم عند اليونان ، والعربية عند المسلمين .

وأنا حين أقول ان النسطورية كانت قد وجدت لها سبيلاً الى أهل الحيرة ، فدخلت بينهم ، فأنا لا أقصد بقولي هذا ان أهل الحيرة كانوا جميعاً على هذا المذهب ، أو انهم كانوا كلهم نصارى . فقد كان جلّ أهل الحيرة على دين أكثر ملوكهم ، أي على الوثنية ، أما الذين اعتنقوا النصرانية ، فهم العباديون ، وبينهم قوم كانوا على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة ، أي مذهب اليعاقبة ، وبينهم من كان على مذهب آخر .

وقد تسربت النسطورية الى العربية الشرقية من العراق وايران ، فدخلت الى (قطر) والى جزر البحرين وعمان واليمامة ومواقع أخرى . وورد في أسماء من حضر المجامع النسطورية اسم أسقف يدعى (اسحاق) اشترك في مجمع النساطرة الذي عقد سنة ٥٧٦ م ، كما ذكر اسم أسقف آخر يدعى (قوسي) اشترك في مجمع سنة ٦٧٦ م . وقد كانا أسقفين على (هجر)^١ . كذلك وردت أسماء أساقفة من النساطرة تولوا رعاية شؤون أبناء طائفتهم في جزيرة (دارين) وفي جزيرة (سماهيج) وفي مواقع أخرى من الخليج ، تولى بعضهم أعماله قبيل الإسلام وعند ظهوره ، وتولى بعضهم رعاية شؤون أتباعه في أوائل عهد الإسلام^٢ .

ومن الحيرة انتقلت النسطورية الى اليمامة فالأفلاج فوادي الدواسر الى نجران واليمن ، وصلت اليها بالتبشير وبواسطة القوافل التجارية ، فقد كانت بين اليمن والحيرة علاقات تجارية وثيقة ، وكانت القوافل التجارية تسلك جملة طرق في تنمية هذه العلاقات وتوثيقها . وقد قوي هذا المذهب ولا شك بعد دخول الفرس الى اليمن ، لما عرف من موقف رجاله من كنيسة الروم ، ولما كان لأصحابه من نفوذ في بلاط (الشاهنشاه) ومن صداقته لهم^٣ .

١ النصرانية (٧١) .

٢ النصرانية (٧١) .

٣ النصرانية (٥٩/١ وما بعدها) ،

Assemani, Bibl. Orient , 3, 603, Philliby, Arabian Highlands, p. 261.

وتعزو التواريخ النسطورية انتشار النصرانية في نجران الى رجل اسمه (حسان) أو (حنان) أو (حيان) ، ذكرت أنه ذهب في أيام (يزديجرد) (٣٩٩ - ٤٢٠ م) الى القسطنطينية للتجارة . فلما أنجز ما ذهب اليه ، عاد الى وطنه سالكاً اليه طريق (الحيرة) ، وهناك اتصل بنصاراها ، ودخل في النصرانية التي استهوته ، فلما بلغ نجران مدينته ، نشط فيها بنشر الدعوة بين الناس حتى دخل فيها كثير منها ومن بقية حمير^١ .

وقد ورد ان البطريق (تيموثيوس) Timotheos الأول (٧٨٠ - ٨٢٣ م) كان قد نصّب أسقفاً نسطورياً على اليمن^٢ . وقد سعى الفرس لنشر مذهب النساطرة بين أهل نجران ، كما سعوا في تقوية الصلات بين الحيرة ونجران . واذا علمنا ان الفرس أنفسهم لم يكونوا على دين المسيح ، عرفنا الأهداف السياسية البعيدة التي كانوا يبتغونها من هذا التقارب ومن نشر المذهب النسطوري في اليمن .

وقد بقيت النسطورية قائمة في اليمن في ايام الاسلام ، ففي الأخبار الكنسية ان رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس) ، نصّب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء ، اسمه (مار بطرس) . وان أساقفة من النساطرة كانوا في مواضع متعددة من اليمن وفي عدن ، وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد^٣ .

أما اليعاقبة ، فقد انتشر مذهبهم بين عرب بلاد الشام والبادية ، وقد اصطدم هذا المذهب بالكنيسة الرسمية للبيزنطيين ، واعتبرته من المذاهب المنشقة الباطلة ، لذلك حاربه الحكومة ، وقاومت رجاله . كما عارضه النساطرة ، لاختلافه معهم في القول بطبيعة المسيح ، وفي أمور أخرى ، وهذا ما حمل النساطرة على الحكم بهرطقة اليعاقبة ، كما حمل هذا الاختلاف اليعاقبة على الحكم بهرطقة النساطرة ، حتى صار اختلاف الرأي هذا سبباً في وقوع معارك كلامية وجدل طويل عريض بين رجال المذهبين^٤ .

واليعاقبة Jacobite church ، ويدعون بـ (المنوفسيين) Monophysite = Monophystte أيضاً ، أي القائلين بالطبيعة الواحدة ، لقولهم إن للمسيح طبيعة

E. Sachau, S. 68, Chro. Seert., I, II, p. 330, Nallino, Raccolta, III, p. 123.

O'leary, p. 141, Sachau, S. 68. f.

النصرانية (٦٧/١) .

شرح الاصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ص ٢٩٢ وما بعدها) .

واحدة وأقنوماً واحداً ، فقليل لهم من أجل ذلك (أصحاب الطبيعة الواحدة) ، هم مذهب من مذاهب الكنيسة الشرقية ، نسبوا الى (يعقوب البرادعي) Jacobus Baradaeus ويسمى بـ (جيمس) James أيضاً ، المولود في حوالى سنة (٥٠٠) للميلاد في مدينة (الأجمة) Tela = Tella من أعمال (نصيبين) في شرقي (الرها) Edessa والمتوفى سنة ٥٧٨ للميلاد . ولد في أسرة كهنوتية ، وتعلم لـ (ساويرس) الذي صار رئيساً على بطريركية أنطاكية في عام ٥١٤ للميلاد . ثم اضطر الى مغادرة انطاكية الى مصر لاختلافه مع رجال الدين في هذه المدينة في طبيعة المسيح ، إذ كان يقول بوجود طبيعة واحدة فيه ، ومنه أخذ يعقوب رأيه هذا في المسيح .

وذهب (يعقوب) في حوالى سنة ٥٢٨ للميلاد الى القسطنطينية ، لحمل القيصرية (ثيودورة) Theodora على التأثير في الكنيسة وحملها على الكف عن اضطهاد القائلين برأيه في طبيعة المسيح . وقد مكث في القسطنطينية خمسة عشر عاماً ، وسعى سعياً حثيثاً في نشر مذهبه والتبشير به ، وهذا ما أوقعه في نزاع مع بقية رجال الدين هناك لخروجه على تعاليم المجمع الخلقيدوني الذي عين التعاليم الثابتة في طبيعة المسيح .

وكان (يعقوب) أسقفاً على (الرها) Edessa في حوالى سنة (٥٤١ م) . وكان (الحارث بن جبلة) من المقدرين له ، والمحبين عنده ، لذلك كان ممن توسطوا لدى بلاط (القسطنطينية) للسماح له بالخروج منها ، وللتوفيق بين آرائه وآراء الكنيسة البيزنطية ، كما توسط (المنذر) لدى البيزنطيين للغرض نفسه .

وكان من جملة تلاميذ (يعقوب) والمبشرين بتعاليمه (أحودمة) (أحودمي) الذي اغتيل بأمر كسرى أنو شروان في ٢ آب من سنة ٥٧٥ م . وكان من المبشرين الشيطيين ، ذهب الى بني تغلب وبشر بينهم ، وقد عرف هؤلاء عند السريانيين بالأعراب سكنة الخيام ، وأقام بينهم كهاناً ورهباناً ، وبني لهم ديراً عرف في السريانية بـ (عين قنا) أي (عين الوكر) وديراً آخر بتكرت سمي (دير جلتاني) . وكانت في أيامه أسقفيتان على العرب : أسقفية عرفت بأسقفية

W Smith, A Dictionary of the Bible, II, p. 328, Devreesse, Patr. d'Antioche, 75, 88, 96, Bury, Later Roman Empire., II, 391.

العرب ، وأسقفية التغلبين أو (السن) وكرسيها ب (عاقولا) (عاقول) .
وعاقولا هي موضع الكوفة . أما كرسي أسقفية العرب ، فكان في الحيرة ^١ .
كذلك كان من تلاميذه (جيورجيوس) (جرجيس) و (غريغور) ،
وقد تمكنا بنشاطها وتبشيرها من نشر هذا المذهب في بلاد الشام وبين الأقباط
والأرمن ^٢ .

وقد بذل (شمعون الأرشامي) Shem'on of Beth Arsham و (مراثا)
Muratha جهداً كبيراً في نشر هذا المذهب بين أهل العراق، وصارت (تكريت)
القاعدة الكبرى للمذهب يعقوبي في العراق . بقيت محافظة على هذا المركز في
الاسلام ^٣ .

وقد دخل أكثر الغساسنة في هذا المذهب ، وتعصبوا له ، وطالما توسطوا لدى
الروم في سبيل حملهم على الكف عن اضطهادهم والتنكيل بهم . ظلوا مخلصين لهذا
المذهب إلى ظهور الاسلام . وقد نعت بعض ملوكهم بنعوت تدل على تنصرهم
وتدينهم ، مثل : المحبين للمسيح والمؤمنين . وقد وردت في بعض المخطوطات
إشارة إلى كاهن نعت بـ (كاهن ذي العزة والمحبة للمسيح البطريق المنذر بن
الحارث) ، كما أنعم القياصرة على بعض ملوك الغساسنة بألقاب لا تمنح في العادة
إلا لمن كان على دين النصرانية ^٤ .

وتذكر تواريخ البعاقبة قصصاً عن بعض هؤلاء الملوك يشير إلى ذكائهم وتمسكهم
في قواعد هذا المذهب وتعلقهم به ، ودفاعهم عنه ، وافحامهم بذكائهم وبعلمهم
أيضاً لخصوم هذا المذهب من أصحاب المذاهب الأخرى ممن أرادوا اقناعهم بالخروج

-
- ١ ذخيرة الاذهان (٣٠٣/١) .
 - ٢ رلتانين بالطبيعة الواحدة جملة أسماء ، منها المنوفيسيون والاولطاخيون ، نسبة
إلى اولطاخي من القائلين بالطبيعة الواحدة ، والديوسقوريين . راجع : أدى شير :
تاريخ كلدو وآشور (١٣٢/٢) ، ذخيرة الاذهان (٢٠٨/١) ، النصرانية (٢٤٩) ، خلاصه
(٢٨/١ وما بعدها) ، المشرق ، السنة الاولى ، الجزء السادس (٢٤٩) ، خلاصه
تاريخ الكنيسة (٢٨٨/١ وما بعدها) ،
Ency. Relig. and Ethics, XII, p. 172, Ency. Brita., 12, p. 860, Burkitt, early
Lastern Christianity, 1904.
 - ٣ Araber, I, S. 10
 - ٤ ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، تأليف الفس بطرس نصري
الكلداني (١٣٢/١) ، النصرانية (٣٦/١) ،
O'leary, p. 192.

من المذهب يعقوبي ونبذه ، مع ميلهم الى التوفيق بين المذاهب ومنع الفرقة بين النصارى ، كالذي ذكروه من مناظرة وقعت بين البطريرك (البطريق) افرام (٥٢٦ - ٥٤٥ م) ، وهو من بطارقة الملكين والحارث بن جبلة ملك الغساسنة وهو على يعقوبية ، وقد أفحم فيها الملك الحارث خصمه على ما يدعيه اليعاقبة بذكائه وبقوة بديته وحجته ، وكالذي روه عن تعنيف المنذر بن الحارث للبطريرك (دوميان) في أثناء زيارته للقسطنطينية ، لتهجمه على اليعاقبة واثارته بهذا الهجوم الفرقة بين النصارى ، وطلبه منه الاتفاق مع (فولاً) بطريرك اليعاقبة على التآخي وتوحيد المساعي ، وكالذي ذكروه عن هذا المنذر أيضاً من كتابته الى القيصر (طيباريوس) للتدخل في حمل البطريرك والأساقفة على ايقاف حملاتهم على اليعاقبة ، ولكي يسعى في اطلاق الحرية لجميع النصارى ، وأن يصلي كل واحد منهم أينما شاء وحيثما شاء ^١ .

وكان لليعاقبة مشهد مقدس يحجون اليه للترك به والنذر له ، هو مشهد القديس (سرجيوس) (سرجيس) في مدينة (سرجيوبوليس) Sergiopolis ، وهي الرصافة . وكان عرب بلاد الشام اليعاقبة يقيمون به ، ويضعون صورته مع الصليب على راياتهم أملاً في الفوز في المعارك . والى هذا القديس أشار الشاعر الأخطل بقوله :

لما رأونا والصليب طالعاً ومارسرجيس وموتاً ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعاً خلّوا لنا راذاً والمزارعا ^٢

مما يدل على أن شهرة هذا القديس ظلت بين النصارى حتى في أيام الاسلام . وطالما قصد الأعراب كنيسة هذا القديس لتعميد أبنائهم هناك . وقد كانوا يعتقدون العقود عند قبره ، ويقسمون الايمان عنده ، دلالة على التشديد فيها وصدقهم في الوفاء . وكان أمراء الغساسنة يبالغون في تعظيمه والاحتفاء به ، ويقصدونه للترك به ، على عكس نصارى الحيرة الذين امتنوا القبر في حروبهم مع الغساسنة ، واعتدوا على المدينة . وقد كان نصارى الحيرة على مذهب (نسطور) في الأغلب ،

١ المسرف ، السنة الرابعة والثلانون (١٩٣٦) (٦١ وما بعدها) .
٢ ديوان الاخطل (٣٠٩) ، المشرق ، السنة الرابعة والثلانون ، (١٩٣٦) ، كانون الثاني ، ٢ (٢٤٧) ، النصراية (٩٩ / ١) .

كما كانوا من الوثنيين ، ولذلك لم تكن لسرجيوس في نفوسهم منزلة ومكانة .
وقد أشار المؤرخ (يوسبيوس القيصري) (أويسيوس) ، الى رأي كان
عند بعض نصارى العرب ، خالفوا به مذهب الكنيسة إذ قال : « ونحو هذا
الوقت قام آخرون في بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق . إذ قالوا إن
النفس البشرية في الوقت الحاضر تموت وتببد مع الجسد . ولكنها يتجددان معاً
يوم وقت القيامة »^١ . وليس في هذا الكلام كما نرى ، أية اشارة الى أولئك
النصارى العرب ، ولا الى مواضع سكنهم . وكل ما يفهم منه ان خلافتهم وقع
في زمن قريب من زمنه ، وانه كان في موضوع الروح .

وقد جودل القائلون بهذا الرأي ، ونوقشوا في مجمع انعقد سنة (٢٤٦ م) ،
عرف بـ (مجمع العربية) Council of Arabia^٢ .

وقد كان لـ (بولس السميساطي) Paul of Samosata ، رأي في المسيح ،
حتى قيل انه رأى نفسه في منزلة المسيح ، وقد حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة ،
وحرمته ، وأعلنت خلعه عن أسقفية (أنطاكية) ، وكان من المقربين الى الملكة
(الزباء) ، لهذا لم تنفذ ما جاء في حكم الكنيسة عليه^٣ .

وذكر أهل الأخبار أن من بين فرق النصرانية ، أو الفرق التي هي بين بين :
بين النصرانية والصابئة دين يقال له (الركوسية) ، وذكروا أن الرسول قال
لحاتم الطائي : إنك من أهل دين يقال لهم الركوسية^٤ . ولكني أشك في صحة
هذا الحديث ، إذ كانت وفاة حاتم قبل مبعث الرسول ، ولم يثبت أنه التقى به .
وهناك شيع عقائدها مزيج من اليهودية والنصرانية . وجدت سبيلها في جزيرة
العرب ، مثل (اليبونيين) Ebionites و (الناصريين) Zazarenes
و (الكسائيين) Elkesaites^٥ .

-
- ١ تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس الفيصري ، ترجمة الفس مرقس داوود (ص ٢٩٢ وما بعدها) . Eusebius, 6, 37.
 - ٢ A Religious Encyclopaedia, Vol., I, p. 122.
 - ٣ Runciman, The Mediaeval Maniche, 19. ff.
 - ٤ أسد الغابة (٣٩٢/٣) ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ (ص ٥٧٤ ، ٧٧٧ ، ٩٢٨) ، ١٩٠٥ ، (ص ٥٠٤) ، ١٩٠٧ م (ص ١١٢٠) ، ١٩٠٨ م ، (ص ٤٨٠) ، ١٩٣٧ (ص ٧٣ وما بعدها) ، اللسان (٤٠٥/٧) ، تاج العروس (١٦٣/٤) ، (ركس) النصرانية (١١١/١ وما بعدها) .

أما (الأبيونيون) Ebionites ، فجاعة من قدماء اليهود المتصرين عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل التي تعني (الفقراء) ، لا يعرف عن كيفية ظهورهم ونشوء عقيدتهم على وجه صحيح أكيد . وكل ما يمكن أن يقال عن معتقداتها إنها مزيج من اليهودية والنصرانية ، وإنها نصرانية بنيت على أسس ودعائم يهودية ، فهي نصرانية يهودية في وقت واحد .

وقد ذهب بعض قدماء المؤرخين الى أنهم انما دعوا بهذه التسمية نسبة الى مؤسس هذا المذهب المسمى (اييون) Ebion . غير ان من الصعب اثبات صحة هذا الرأي . وهم يعتقدون بوجود الله الواحد خالق الكون ، وينكرون رأي (بولس) الرسول في المسيح ، ويحافظون على حرمة يوم السبت Sabbath وحرمة يوم الرب . وقد ذهب بعض قدماء من تحدث عنهم الى أنهم فرقان بالقياس الى مولد الابن المسيح من الأم العذراء^١ . ويعتقد أكثرهم ان المسيح بشر مثلنا، امتاز على غيره بالنبوة ، وبأنه رسول الله ، أرسله الى الناس أجمعين . فهو رسوله ولسانه الناطق برسالته للعالمين . وهو نبي كبقية من الأنبياء المرسلين . وقد آمن بعض منهم بعقيدة (العذراء) وولادتها للمسيح من غير اتصال ببشر ، غير ان بعضاً آخر منهم ، آمن بأن المسيح ابن مريم من (يوسف) فهو بشر تماماً ، وأنكر الصلب المعروف ، وذهب الى ان من صلب ، كان غير المسيح ، وقد شبه على من صلبه ، فظن انه المسيح حقاً . ورجعوا الى انجيل متى بالعبرانية (The Gospel of Mathew) وأنكروا رسالة (باولس) Paul على النحو المعروف عند بقية النصارى^٢ .

وأما (الناصريين) (Nazarenes) ، فهم فرقة معارفنا عن أصلها وعن كيفية ظهورها قليلة كذلك . وأكثر ما نعرفه عنها مستمد مما كتبه عنها (أفيثانيوس) (Epiphanius) و (جيروم) (Jerome) . وقد أدخلهم (أفيثانيوس) في جملة (المراطقة) (Heretics) ، وذكر أنهم كانوا يقرأون النسخة العبرانية لانجيل متى ، the Gospel of Mathew وأنهم ظهوروا في غور الأردن . وقد اعترفوا بألوهية المسيح (ابن الله) ، قائلين انه ولد من العذراء مريم ،

Ency. Brita., Vol., 7, p. 881, (Ebionites), Hastings, Ency. Rel. Ethic., 3, ١
p. 574.

Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity, p. 122. ٢

واعترفوا برسالة القديس (بولس) ؛ كما حافظوا على ناموس موسى (Mosaic Law) (شريعة موسى) ، وهم يرون ان ميلاد المسيح شيء خارق للعادة ، وانه (المولود الأول من الروح القدس) ^١ ، وان تعاليمه ، هي متممة للرسالات السابقة ومكملة لها . وقد راعوا حرمة السبت ، وما يختص بالأكل وبالختان ^٢ .

وأما (الكسائيون) (Elkesaites) ، ففرقة يظهر أنها ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد في وادي الأردن ، ومعناها اللغوي (القوى الخفية) ، في لغة بني إرم ، و (المتخفون) ، أو المستترون تحت الكساء في لغتنا . وقد نبتت من اليهودية . وهي تنسب الى رجل اسمه (Elkesai) (الكسائي) صاحب كتاب نسب اليه ، ويحافظ الكسائيون على الختان وعلى حرمة السبت وعلى سائر أحكام الشريعة الموسوية ، وينسب اليه أنه كان يرى تحريم أكل اللحوم . والظاهر أن ذلك من وضع المستخفين بتعاليمه . وإنما كان يحرم أكل ذبائح الوثنيين وما أهلّ للأوثان . وقد حث على أتباعه التوجه الى بيت المقدس في صلواتهم ، ومنع التوجه الى الشرق . وهو يعتقد بوجود إله واحد ، وباليوم الآخر ، وبملائكته . ويرى أن الشياطين هي النجوم الكائنة في المناطق الشمالية من السماء ^٣ .

ومن أهم تعاليم (الكسائيين) الإغتسال، أو ما يقال له (التعميد) (Baptism) وذلك بالاغتسال في النهر أو في البئر لغسل الأدران من الأجسام وتطهيرها . ويسمي المغتسل (باسم الله العلي العظيم) (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويستعمل الغسل في الشفاء من الآفات كذلك ، مثل عض الكلب المكلوب أو الحيوانات المؤذية وإخراج الأرواح الشريرة من الجسم . ولذلك يمكن تسمية هذه الفرقة بالمغتسلة ، لجعلها الغسل من أهم أركان الدين .

وللخبز والملح أهمية خاصة لدى أصحاب هذا المذهب ، فهي بمثابة العهد عندهم . وهم في ذلك على شاكله يهود ، حيث يتمثل العهد (Convenant) عندهم بالملح والخبز ^٤ . ويقسمون بهما الأيمان . وللأيمان عندهم قدسية كبيرة ، فلا يجوز لأي

١ Hastings, Ency. Relig. Eathl., 5, p. 141, Ency. Brit., 16, p. 178.

٢ History of Christianity, by, Latoure, p. 121.

٣ Hastings, 5, p. 263.

٤ اللاويون ، الاصحاح الثاني ، الاية ١٣ ، العدد ، الاصحاح الثامن عشر ، الاية ١٢ ، أخبار الأيام الثاني ، الاصحاح ١٣ ، الاية ٦ .

إنسان كان أن يحث يمينه ، وأن يخالف ما أقسم عليه ، وإلا كان عقابه عند الله عظيماً .

والعرب من الذين يقيمون للقسم بالخبز والملح وزناً عظيماً عندهم . فكانوا يحلفون بهما كما يحلفون بالله وبأصنامهم . ولا يجوز الحلف كذباً بهما . ولا زال الناس يقسمون بالخبز والملح قسمهم بالمقدسات .

وقريب من مذهب (الكسائيين) في الاغتسال ما يذهب اليه الصابئون فيه . فللغسل لتطهير الجسم من الآثام الظاهرة والباطنة ومن الأرواح الشريرة مقام كبير عند الصابئة ، ولهذا نراهم يختارون السكنى عند الآبار والأنهار .

ووجدت فرقة عرفت بـ (الفطائريين) (Collyridiens) بالغ أصحابها في عبادة مريم وفي تأليهها ، وكانوا يقدمون لها نوعاً من القرابين أخصها أقراص العجين والفطائر ، لذلك عرفوا بالفطائريين . وقد ذكرهم (أفيانيوس) في كتاب الهرطقات^١ .

وعلى عكس هؤلاء كان من دعوا بـ (Antidicomariantes) ، وهم الذين أنكروا على مريم دوامها في التبتل ، فسمّوا لذلك بالمعادين لمريم^٢ .

وذكر أن فرعاً كان من الأريوسية ، أي من أتباع (أريوس) ، كان معروفاً بين العرب أطلق عليهم القديس (ايلاريوس) اسم (أقاقيين) نسبة الى (أقاقيوس) . كانوا يقولون إن المسيح ليس هو ابن الله ، لأن من قال ذلك جعل لله زوجة^٣ .

وقد تحدث أهل الأخبار عن قوم قالوا لهم (الأريسيون) . ذكروا أنهم « فلاحو السواد الذين لا كتاب لهم . وقيل الاريسيون : قوم من المجوس ، لا يعبدون النار ، ويزعمون أنهم على دين ابراهيم ... وقيل إنهم أتباع عبدالله ابن أريس رجل كان في الزمان الأول قتلوا نبياً بعثه الله اليهم » ، « وقال بعضهم في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية »^٤ .

١ النصرانية (١١٣/١) .

٢ النصرانية (١١٣/١) .

٣ النصرانية (١١٣/١) .

٤ ناج العروس (٩٦/٤) ، (ارس) .

الفصل الحادي والثمانون

التنظيم الديني

وكان لنصارى العرب تنظيمهم الخاص بدور العبادة والتعليم والإرشاد ، وهو تنظيم أخذ من تنظيم الكنيسة العام ، ومن التقاليد التي سار عليها آباء الكنيسة منذ أوائل أيام النصرانية حتى صارت قوانين عامة. فللكنيسة درجات ورتب، وللمشرفين عليها منازل وسلام ، وقد اقتبست هذه التنظيمات من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشت فيها النصرانية منذ يوم ولادتها ، والتي وضعها رؤساؤها لنشر الديانة ولتنظيم شؤون الرعية ، حتى صارت الكنيسة وكأنها حكومة من الحكومات الزمنية، لها رئيس أعلى ، وتحتها جماعة من الموظفين ، لها ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم ومنازلهم في مراتب الحكومة ، ولهم معابد وبيوت وأوقاف وسيطرة على أتباعهم، جاوزت أحياناً سيطرة الحكومات .

ومن الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى لفظة (البَطْرُك) و (البطريق) . وقد وردت لفظة (البطريق) في شعر ينسب إلى (أمية بن أبي الصلت) ^١ .

١ من كل بطريق لبطريق نقي الوجه واضح - تاج العروس (٢٩٦/٦) ، النصرانية وإدائها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الأول (ص ١٩١) ، تاج العروس (١١١/٧) (الطبعة الأولى بمصر ، مطبعة مصر) ، اللسان (٢١٢/١٠ ، ٤٠١) ، (دار صادر) « بيروت ١٩٥٦ » ، البيسان (١٥٧/١١) ، « بيروت ١٩٢٧ » ، محيط المحيط (١٠٢/١) « بيروت ١٨٦٧ م » ، مروج (١٩٩/٢) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، (القاهرة ١٩١٥ م) « المطبعة الأميرية » .

وقد ذهب علماء اللغة الى ان (البطرك) ، هو مقدم النصارى ، وهو في معنى (البطريق) أيضاً . وقالوا أيضاً إن البطريق مقدم جيش الروم . و (البطرك) من أصل يوناني هو «Patriarkhis» (بتريارخيس) ، ومعناه (أبو الآباء) ، وذلك لأنه الأب الأول والأعلى للرعية ، فهو أب الآباء ورئيس رجال الدين . أما لفظة البطريق ، فإنها من أصل لاتيني ، هو Patrikios ، وهو يعني وظيفة حكومية وتعني درجة (قائد) في المملكة البيزنطية^١ . فلا علاقة لها اذن بالتنظيم الديني للنصرانية .

وبين البطريق (البطرك) والأسقف منزلة يقال لشاغلها (المطران) ، وقد عرف بأنه دون البطرك وفوق الأسقف . وقد وسمه (القلقشندي) ، بأنه القاضي الذي يفصل الخصومات بين النصارى^٢ . واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، أخذت من (متروبوليتيس) « Mitropolit » أي مختص بالعاصمة ، أو المدينة^٣ . وقد ذكر علماء اللغة ان لفظة (المطران) ، ليست بعربية محضة^٤ .

والأسقف من الألفاظ التي تدل على منزلة دينية عند النصارى ، وقد وردت في كتب الحديث . وقد ذكر بعض علماء اللغة انه انما سمي أسقف النصارى أسقفاً لأنه يتخاشع^٥ . واللفظة من الألفاظ المعربة المأخوذة عن اليونانية، فهي (ابسكوبوس) « Episkopos » في الإغريقية ، وقد نقلت منها إلى السريانية ، ثم نقلت منها الى العربية^٦ . وقد وردت في كتب التواريخ والسير ، حيث ورد في شروط الصلح التي عقدها الرسول مع أهل نجران ، شرط هو : « لا يغير أسقف عن أسقفية ولا راهب عن رهبانية » .

-
- ١ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٠ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٥) .
 - ٢ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) .
 - ٣ محيط المحيط (١٩٨٧/٢) ، غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .
 - ٤ تاج العروس (٥٤٦/٣) ، « مطر » ، النصرانية (١٩١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، « ديارات الاساقفة » .
 - ٥ اللسان (٥٦/١١) ، البلدان (١٢٢/٤) ، تاج العروس (١٤١/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (٢٣٤) ، تاريخ ابن خلدون (٢٧) ، القسم الاول (ص ٢٩٧) ، اللسان (١٥٦/٩) « صادر » .
 - ٦ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩١) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٢) ، محيط المحيط (٩٧٠/١) ، البستان (١١١/١) ، النهاية في غريب الحديث (٢٣٧/٤) .

والقس من الألفاظ الشائعة بين النصارى ، ولا تزان مستعملة حتى الآن .
ويقال لها (قسيس) في الوقت الحاضر أيضاً. وهي من أصل آرامي هو « Gachicho »
ومعناه ، كاهن وشيخ^١ . وقد جمعها (أمية بن أبي الصلت) على (قساقسة)^٢ .
وذكر بعض علماء اللغة أن « القس والقسيس العالم العابد من رؤوس النصارى »
وأن « أصل القس تتبع الشي وطلبه بالليل . يقال تقست أصواتهم بالليل ، أي
تبعتها »^٣ . وقد وردت لفظة (قسيسين) في القرآن الكريم : « ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً
وأنهم لا يستكبرون »^٤ . ويدل ذلك على أن موقف النصارى تجاه الاسلام كان
أكثر مودة من موقف يهود . وقد نسب ذلك الى القسيسين والرهبان .

وترد لفظة (شماس) في جملة الألفاظ التي لها معان دينية عند نصارى الجاهلية.
وهي من الألفاظ الحية التي لا تزال تستعمل في هذا اليوم أيضاً. وتعد من الألفاظ
المعربة عن السريانية . وهي « Chamocho » في الأصل ، وتعني خادم ، ومنها
البيعة . فهي اذن ليست من الوظائف الدينية الكبيرة ، وإنما هي من المراتب الثانوية
في الكنيسة^٥ . وقد ذكر بعض العلماء بأن الشماس يحلق وسط رأسه ويجعل شعره
من جوانب رأسه على شكل دائرة ، وهو الذي يكون مسؤولاً عن الكنيسة ،
ويكون مساعداً للقسيس في أداء واجباته الدينية ، وفي تقديس القداس أيام الآحاد
والأعياد . يعمل كل ذلك للتعبد ، وليس لأخذ المال والتكسب^٦ .

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٠١) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ،
القسم الاول (ص ١٩٢) .
 - ٢ لو كان منعلت كانت قساقسة يحييهم الله في أيديهم الزبر
ناج (٢٠٧/٤) .
 - ٣ تاج العروس (٢١٦/٤) ، محيط المحيط (١٢٢١/١) ، تاريخ ابن خلدون (ص ٢
قسم ١ ص ٢٩٧) .
 - المفردات ، للاصفهاني (ص ٤١٢) ، اللسان (١٧٤/٦) « صادر » صبح الاعشى
(٤٧٢/٥) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٣) .
 - ٤ المائدة ، الاية ٨٥ ، أسباب النزول (١٥٢) ، تفسير الطبري (٢/٧) .
 - ٥ النصرانية وإدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٣) ،
غرائب اللغة (ص ١٩١) .
 - ٦ اللسان (١١٤/٦) « صادر » محيط المحيط (١٢٢١/١) ، صبح الاعشى (٥/
٤٧٢) ، ابن خلدون (٢٩) ، القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، البسنان (١٢٥٩/١) .

وورد في كتاب رسول الله الى سادة نجران : « لا يغير أسقف عن سقيفاه ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقف عن وقفانيته »^١ . ويظهر من هذا الكتاب ان الواقف منزلة من المنازل الدينية التي كانت في مدينة نجران . والظاهر انها تعني الواقف على أمور الكنيسة ، أي الأمور الادارية والمالية والمشراف على أوقافها وأملاكها . فهو في الواقع مسؤول اداري ، اختصاصه الاشراف على الأمور المتعلقة بسير ادارة الكنيسة وأموالها . إذ لا يعقل ان يكون الواقف بمعنى خادم البيعة الذي يقوم بالخدمة بمعنى التنظيف والأعمال البسيطة الأخرى ، إذ لا يعقل النص على مثل هذه الدرجة في كتاب صلح الرسول مع سادة نجران . وقد ذكر بعض علماء اللغة : « الواقف خادم البيعة ، لأنه وقف نفسه على خدمتها »^٢ . ولا يعني هذا التفسير بالضرورة الخدمة على النحو المفهوم من الخدمة في الاصطلاح المتعارف . فقد كان الملوك والسادات يلقبون أنفسهم بـ (خادم الكنيسة) و (خادم المعبد) ، أي بالمعنى المجازي . ولا يكون خادماً صارفاً وقته كله في تنظيف الكنيسة وفي القيام بالأعمال التي يقوم بها الخادم الاعتيادي .

وهناك لفظة أخرى لها علاقة بالكنيسة وبالبيعة وبالنواحي الادارية منها ، هي لفظة (الوافه) و (الواقه) . وقد عرفوا صاحبها بـ (قيم البيعة التي فيها صليب النصرى) ، وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (الواهف) ، حيث قالوا : « الواهف سادن البيعة التي فيها صليبيهم وقيمها ، كالوافه وعمليها الوهافة » ، والوهفية والهُفُفِيَّة . والظاهر انها كلها في الأصل شيء واحد ، وانما اختلف علماء اللغة في ضبط الكلمة ، فوقع من ثم هذا الاختلاف بينهم^٣ . فالوظيفة اذن ، هي بمنزلة الخازن القيم على شؤون الصليب ، يحفظه من السرقة ، ويضعه في خزانة أمينة ، فإذا حانت أوقات العبادة وضعه في موضعه . فالصليب ثمين ، وفيه ذهب

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات (٣٥٨/١) « طبعة صادر » ، « لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا وافه من وفاهبه » ، النهاية في غريب الحديث (٢٣٧/٤) ، « واقه من وفاهينه » ، البلاذري ، فنوح (٧٢) ، (صلح نجران) ، اللسان (٤٥٩/١٧) ، تاج العروس (٤٢١/٩) ، العائني (٣١٧/٢) ، النهاية (٢٤٠/٤) .
 - ٢ تاج (٢٦٩/٦) ، النصرانية وادابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٣) ، اللسان (٣٦٠/٩) ، « صادر » .
 - ٣ تاج (٣٧٣/٦) ، (٤٢١/٩) ، المخصص (١٠٠/١٣) ، اللسان (٥٦١/١٣) ، « صادر » .

في الغالب ، لذلك يكون هدفاً للسراق^١ .

ويلاحظ أن علماء الحديث والتأريخ والسير ، لبسوا على اتفاق فيما بينهم في تدوين نص كتاب الصلح الذي أعطاه الرسول لأهل نجران ، إذ تراهم يختلفون في ضبط نصه : وفي جملة ما اختلفوا فيه جملة : « ولا واقه من وقاهيته » ، فقد كتبوها بصور شتى كما رأيت ، كما كتبوا النص بأشكال متباينة ، مما يدل على أن الرواة قد اعتمدوا على نسخ متعددة للكتاب ، وعلى أن أهل نجران كانوا قد نسخوا منه نسخاً ، تحرفت نصوصها بالاستنساخ ، لعدم تمكن الناسخ من ضبط العبارات ضبطاً صحيحاً . فلما دون العلماء صورة النص تباينوا في تدوينه ، وأوجدوا لهم تفاسير للفظ (واقف) و (واقه) و (واقه) ، وهي لفظة واحدة في الأصل ، قرأها النساخ ثلاث قراءات ، فظهرت وكأنها ألفاظ مختلفة . وشاروا في تحليل المعنى ، فقال بعضهم الواقه : قيم البيعة بلغة أهل الجزيرة ، وقال بعض آخر بلغة أهل الحيرة ، وقال بعض : كلها في معنى واحد^٢ .

وهناك مصطلحات دينية أخرى استعملها النصارى للدلالة على درجات رجال دينهم ، مثل (بابا) ، وهي كلمة (رومية) وهو أعلى مرجع في نظر النصارى (الكاثوليك)^٣ ، و (الجاثليق) ، وهو رئيس أساقفة بلد ما ، والأعلى مقاماً بينهم ، وقد أطلقت اللفظة على رئيس نصارى بغداد في العهد العباسي^٤ ، وهي من أصل يوناني هو (كاثوليكوس) Katholikos ، ومعناه عام^٥ .

والساعي من الألفاظ التي تتناول المنازل والدرجات عند النصارى ، وتشمل اليهود أيضاً . ويقصد بها الرئيس المتولي لشؤون اليهود أو النصارى ، فلا يصدر عن رأياً إلا بعد استشارته ، ولا يقضون أمراً دونه . وقد ورد في حديث حذيفة في الأمانة : « إن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه على ساعيه »^٦ .

-
- ١ النصرية وادابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٩٤) .
 - ٢ اللسان (٤٥٩/١٧) ، ناج العروس (٤٢١/٩) . النهاية (٢٤٠/٤) .
 - ٣ صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، تاريخ ابن خلدون (٢ - القسم الاول ، ص ٢٩٧) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٢٣٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٧) .
 - ٤ ناج العروس (٣٠٥/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٥) ، محيط المحيط (٢١٤/١) ، البستان (٣٠٩/١) .
 - ٥ غرائب اللغة (ص ٢٥٦) .
 - ٦ ناج العروس (١٧٨/١٠) « سعي » ، اللسان (٣٨٧/١٤) ، محيط المحيط (٩٦٠/١) ، النصرية (١٩٢) .

ولفظه (بابا) وما بعدها ، هي من الألفاظ التي شاع استعمالها في العربية في الاسلام ، وليس لدينا ما يفيد استعمالها بين الجاهليين .

وذكر علماء اللغة أن من الألفاظ المعروفة بين النصارى لفظة (العسوس) ، ويراد بها القائم بأمور الدين ، وهو رئيس النصارى^١ .

أما (الراهب) ، فهو المتبتل المنقطع الى العبادة . وعمله هو الرهبانية . وقد ذكر بعض علماء اللغة ان الرهبانية غلو^٢ في تحمّل التعب من فرط الرهبة^٣ . وقد ذكرت الرهبانية في القرآن الكريم^٤ ، وذكرت في الحديث . وقد نهى عنها الاسلام : « لا رهبانية في الاسلام » . وقد ندد القرآن الكريم في كثير من الأحبار والرهبان ، فورد : « إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »^٥ . ويظهر من ذلك ان جماعة منهم كانت تنصرف بأموال الناس التي تقدم إلى الأديرة والبيع ، فيعيشون منها عيشة مترفة ، لا تتفق مع ما ينادون به من التقشف والزهد والعبادة . كما ان منهم من عاش عيشة رهيبة وبطر ، فتكبر عن الناس وترفع ، حتى جعلوا أتباعهم يحيطونهم بهالة من التقديس والتعظيم ، الى درجة صيرتهم أرباباً على هذه الأرض . فتقربوا اليهم وقدسواهم قدسية لا تليق إلا للخالق . « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »^٥ . ذلك انهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه . « أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه ، فتلك

-
- ١ تاج العروس (١٩٢/٤) ، اللسان (١٤١/٦) ، محيط المحيط (١٣٩٦/١) .
 - ٢ المفردات ، للاصفهاني (ص ٢٠٣) ، اللسان (ح ٤٣٧/١) « صادر » القاموس (٧٦/١) ، تاج العروس (٢٨١/١) ، الصحاح ، للجوهري (١٤٠/١) .
 - ٣ المائدة ، الآية ٨٢ ، التوبة ، الآية ٣١ ، سورة الحديد ، الرقعة ٥٧ ، الآية ٢٧ ، مجمع البيان (١٥٨/٧) ، تفسير الفخر الرازي (٦٦/١٢) وما بعدها ، روح المعاني (٨/٦) وما بعدها ، النهاية ، لابن الاثير (١٢٠/٢) .
 - ٤ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ٣٤ ، مجمع البيان (٤٨/١٠) . تفسير الطبري (٨/٧) وما بعدها ، تفسير الخازن (٢٣٣/٧) وما بعدها ، تفسير أبي السعود (١٤١/٤) وما بعدها ، القرطبي ، السلوك من معرفة سير الملوك (١٨٢/١) ، (دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور (٧٥/١٠) .
 - ٥ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ٣١ ، جامع البيان (٨٠/١٠) ، الكشف (٣١/٢) ، روح المعاني (٧٥/١٠) ، تفسير الخازن (٢١٦/٢) .

كانت ربوبيتهم»^١ . وكانوا يطيعونهم طاعة عمياء ، ويأخذون عنهم ، ويقدمونهم ، ويقبلون أيديهم ولا يعصون أمراً لهم . وذكر ان (عدي بن حاتم) الطائي ، قال لرسول الله لما سمعه يقرأ : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، « يا رسول الله ! إنا لسنا نعبدهم . فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله ، فتحلون ! قال : قلت بلى . قال فتلك عبادتهم »^٢ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن من الرهبان من بالغ في الترهيب وفي التزهّد ، فخصى نفسه ووضع السلاسل في عنقه أو في يديه أو رجله ليحبس نفسه ، وامتنع عن المآكل والأطياب ، مكثفياً بقليل من الماء وبشيء من الخبز الخشن ، وأن منهم من امتنع عن الكلام وصام معظم أوقاته ، وابتعد عن الناس متخذاً من الكهوف والجبال والمواضع النائية الحالية أماكن للتأمل والتعبّد . وذلك كما يظهر من نهى الرسول عن الرهبة والرهبانية ، وحمل الاسلام عليها . لأنها تبعد الناس عما أحل الله وقد عوض الاسلام عنها بالجهاد في سبيل الله^٣ .

ومن عادات الرهبان وتقاليدهم التي وقف عليها أهل الجاهلية ، الامتناع عن أكل اللحوم والودك ، أبدأً أو أمداً ، وحبس النفس في الأديرة والصوامع ، والكهوف ، والاقتصاد على أكل الصعب من الطعام والخشن من اللبس ، ولبس السواد والمسوح . وهي عادة انتقلت الى الأحناف أيضاً وإلى الزهّاد من الجاهليين الذين نظروا نظرة زهد وتقشف الى هذه الحياة^٤ . كما كانوا لا يهتمون بشعورهم فكانوا يطلقونها ولا يعتنون بها ولذلك كانت شعورهم شعراً ، وعبر عن الراهب

١ تفسير الطبري (٨٠/١٠ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (١٤٢/٥) ، تفسير الطبرسي (٢٢/٥) .

٢ تفسير الطبري (٨٠/١٠ وما بعدها) ، « بولاق » .

٣ النهاية في غريب الحديث ، لابن الاثير (ص ١٦٣) (١٢٠/٢) « المطبعة الخيرية » ، اللسان (٤٣٧/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٨٠/١ وما بعدها) ، القاموس المحيط (٧٦/١) ، محيط المحيط (٨٠٦/١) ، مجمع البيان (١٥٨/٧) ، (٦/١٧٦) ، جامع البيان (٢٣٨/٢٧) ، (١١٤/١٠) ، (١١٧) ، الكشف ، للزمخشري (٦٩/٤) . (٣١/٢) ، (٤٣/١) ، روح المعاني (١٦٥/٢٧) ، (٧٥/١٠) ، (٣/٧) ، الدر المنثور (٧٥/١٠) ، صحيح مسلم (٢٢٩/٨) « كتاب الزهد » ، لسان (٤٣٧/١) « صادر » .

٤ تفسير الطبري (٨/٧) « الطبعة الثانية ١٩٥٦ م » ، تفسير أبي السعود ، (٤/١٤١ وما بعدها) ، تفسير الرازي (٦٧/١٢ وما بعدها) .

بالأشعث ، لأنه كان يطلق شعر رأسه ولا يحلقه ولا يعتني به^١ .

ومن الرهبان من ساح في الأرض ، فطاف بلاد العرب وأماكن أخرى ، وهام على وجهه في البوادي وبين القبائل ، لا همه ما سيلاقيه من أخطار ومكاره ، ومنهم من ابتنى له بناءً في الفيافي وفي الأماكن النائية ، واحفر الآبار وحرث البقول ، وعاش عيشة جماعية ، حيث يعاون بعضهم بعضاً في تمشية أمور الدير الذي يعيشون فيه^٢ . ومنهم من عاش في قلل الجبال ، بعيداً عن المارة والناس . قال الشاعر :

لو عاينت رهبان دير في القلل لاحتدر الرهبان يمشي ونزل^٣

وقد وقف بعض أهل الجاهلية على أخبار هؤلاء الرهبان وعرفوا بعض الشيء عنهم ، وبهم تأثر بعض الحنفاء على ما يظهر فأخذوا عنهم عادة التحنث والتعبد والانزواء والانطواء في الكهوف والمغاور والأماكن النائية البعيدة للتنسك والتعبس مبتعدين بذلك عن الناس منصرفين الى التأمل والتفكر في خلق هذا الكون دون أن يدخلوا النصرانية .

وقد نهى الرسول بعض الصحابة مثل (عثمان بن مظعون) ، وهو من النصاري في الأصل من تقليد الرهبان في الإخصاء وفي الامتناع عن الزواج ومن التشدد في أمور أحلها الله للناس^٤ . ويظهر أن هذا التشدد إنما جاء اليه وإلى أمثاله من وقوفهم على حياة الرهبان وعلى رأيهم وفلسفتهم بالنسبة لهذه الحياة . وفي حق هؤلاء نزلت الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم .

١ تاج العروس (٦٣٨/١) .

٢ تفسير الطبري (١٢٤/٢٧) ، روح المعاني (٨/٦ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٨/٧ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٢٣٣/٧ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (١٤١/٤ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٤/٧) .

لو أبصرت رهبان دير في الجبل لاحتدر الرهبان يسعى ويصل

تفسير القرطبي ، الجامع (٢٥٨/٦) .

٤ الدر المنثور (٣٠٧/٢) ، مجمع البيان في تفسير القرآن (٦/٧ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٢٦٠/٦ وما بعدها) ، مجمع البيان (١٥٨/٢٧) ، (طبعة دار الفكر . بيروت) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٣٠٧/٢) ، روح المعاني (٣/٧) ، (١٦٥/٢٧) .

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»^١ . وذكر أن الرسول لما سمع بابتعاد (عثمان) من أهله ، دعاه ، فنهاه عن ذلك . ثم قال : « ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنسوم ! ألا اني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني . فتزلة الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا . يقول لعثمان لا تجب نفسك . فإن هذا هو الاعتداء»^٢ .

وورد في الحديث : « لا ضرورة في الإسلام » ، والضرورة التبتل وترك النكاح ، أي ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج ، لأن هذا ليس من أخلاق المسلمين ، بل هو من فعل الرهبان . وهو معروف في كلام العرب . ومنه قول النابغة :

لو أنها عرضت لأشمت رهاب عبد الإله ضرورة متعبد

يعني الراهب الذي ترك النساء^٣ .

وقد أشير الى الرهبان في شعر امرئ القيس ، إذ أشار فيه الى منارة الراهب التي يسمي بها يتبتل فيها الى الله ، وعنده مصباح يستنير بنوره^٤ . كما أشار فيه اليه وهو في صومعته يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا^٥ ، دلالة على تهجده وتعبده في وقت يكون الناس فيه نياماً . كما أشير اليهم في شعر شعراء جاهليين آخرين مثل (النابغة الذبياني) ، الذي أشار الى ركوع الراهب يدعو ربه فيه ويتوسل اليه^٦ . كما أشار الى موقف الراهب من رؤية امرأة جميلة ، وكيف سيرنو اليها

١ المائدة ، الآية ٨٧ .

٢ تفسير الطبري (٦/٧) ، روح المعاني (٧/٧) .

٣ تاج العروس (٣٣١/٣) ، (صرر) .

٤ تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممس رهاب متبتل النصرانية (الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص ١٧٥) .

٥ كأنه راهب في رأس صومعة يتلو الزبور ونجم الصبح ما طلعا النصرانية (ح ٢ ، قسم ٢ ، ص ٣٩٢) .

٦ سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ الى ربه رب البرية راح دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » (٩/١٠) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الثاني (ص ٣٩٤) .

حتى وان كان راهباً اشمط^١ . وقد أشار الى (ثوبي راهب الدير) والى الحلف بشوبيه^٢ .

وورد في الشعر ما يفيد بانقطاع الرهبان في الأماكن الصعبة القصية مثل قلال الجبال وذراها ، حيث لا يأتيهم الناس ، فيعيشون في خلوة وانقطاع عن البشر^٣ . ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود الرهبان فيها أرض مدين^٤ . ووادي القرى ومنازل تنوخ وصوران وزبد^٥ .

وقد سح الرهبان ورجال الدين ، الله ، في الكنائس وفي الأديرة بألحان عذبة جميلة ، ورتلوا الزبور والأسفار المقدسة الأخرى . وقد عرف الجاهليون ذلك عنهم ، وأشاروا الى ذلك في شعرهم ، وربما كان بعضهم يحضر تلك التراتيل ويستأنس بها على الرغم من وثنيته وعدم اعتقاده بالنصرانية .

ويقال للراهب الزاهد ، الذي ربط نفسه عن الدنيا : الربيط . وقيل له : الحبيس . وذكر أن الربيط ، هو المتكشف الحكيم^٦ ، وأن الحبيس هو الذي حبس نفسه في سبيل الله ، فقبعوا في الأديرة وابتعدوا عن الناس . فصاروا كالحبساء^٧ .

- ١ تفسير القرطبي ، (٢٥٨/٦) .
لو أنها عرضت لاشمط راهب عبد الله ضرورة منعبد
كرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشدا وان لم يرشد
- ٢ تاج العروس (٢٨١/١) .
- ٣ لو كلمت رهبان دير في الليل لانحدر الراهب يسعى فنزل
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تاج العروس (٢٨١/١) ، المعريزي ، السلوك
في معرفة سير الملوك (١٨٢/١) ، تفسير الطبري (١٥٨/٢٧) ، « البابي » ،
الكشاف (٣١/٢) ، الدر المنصور (١٧٧/٦) ، تفسير الخازن (٢١٦/٢) ،
(٢٣٢/٤) .
- لو أنها عرضت لاشمط راهب في رأس مسرفة الذرى مبتل
الاعاني (٩٢/١٩) « دار النفاة بيروت » . وقد نسب هذا الشعر الى ربيعة بن
مقروم الصيفي . وقد مر النصف الاول من هذا البيت من شعر نسب الى النابغة
الديباني في تفسير القرطبي (٢٥٨/٦) .
- ٤ قال جرير :
رهبان مدين ، لو راوك تنزلوا والعصم ، من سعف العقول ، الغادر
اللسان (٤٣٧/١) « صادر » ، تفسير الطبري (٤/٧) .
- ٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٦ وما بعدها) .
- ٦ تاج العروس (١٤٣/٥) ، القاموس المحيط (٣٦١/٢) ، المعريزي ، سير
(١٨٢/١) ، البلدان (٢١٣/٢) « صادر » .
- ٧ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٧) ، البلدان (٢١٣/٢) .

ويقال للراهب : المقدسي . والمقدس الراهب . وصبيان النصارى يتبركون به ،
وتمسحون بملابسه تبركاً^١ . كما قيل له : المتعبد ، والأعابد^٢ ونسب الى (امرىء
القيس) هذا البيت :

فأدركته يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدسي

ويروى المقدس ، وهو الراهب ينزل من صومعته الى بيت المقدس ، فيمزق
الصبيان ثيابه تبركاً به^٣ .

وأما (النهامي) ، فهو صاحب الدير ، أو الراهب في الدير^٤ .

ومن الألفاظ التي شاعت بين النصارى ووصل خبرها إلى الجاهليين ، لفظة :
(الأييل) ، وقد اتخذوها للدلالة على رئيس النصارى . وذكر بعض أهل الأخبار
انها تعني أيضاً (المسيح) . وقد كانوا يعظمون الأييل فيحلفون به كما يحلفون
بالله . وهي من الألفاظ المعربة عن السريانية (ايلو) Abilo ، ومعناها في
السريانية الزاهد والناسك والراهب . وكانوا يتخذون عادة رؤساءهم من الرهبان
المتبتلين^٥ . وقد وردت لفظة (الأييل) في الشعر الجاهلي ، في شعر : الأعشى
وفي شعر عدي بن زيد . وورد (أيل الأييلين) ، وأريد بذلك المسيح^٦ . وذكر
ان (الأييل) هو صاحب الناقوس ، والراهب أيضاً^٧ . وان (الأييلي) ، هو
ضارب الناقوس . و (الأييل) ، العصا التي يدق بها الناقوس^٨ . قال الأعشى :

١ اللسان (١٦٩/٦) « صادر » .

٢ اللسان (٢٧٢/٣) .

٣ تاج العروس (٣٩٠/٦) ، (شبرق) .

٤ تاج العروس (٨٨/٩) ، نهم) ، المخصص (١٠٠/١٣) .

٥ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٩٠) ، غرائب اللغة (١٧٢) .

٦ قال ابن عبد الجن ، وقيل عمرو بن عبد الحق :

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى أو النسر عندما

وما قدس الرهبان في كل هيكل أيل الأييلين ، المسيح بن مريما

لقد ذاق منا عامر يوم لعلح حساما ، اذا ما هز بالكف صمما

اللسان (٦/١١) وما بعدها) ، (أيل) ، (صادر) .

٧ اللسان (٦/١١) وما بعدها) ، تاج العروس (١٩٩/٧) . الاب مرمجي ، معجميات

عربية سامية (١٣١ وما بعدها) ، شعراء النصرانية ، لشيخو (٤٥٣) ، المخصص

(١٠٠/١٣) .

٨ ديوان الأعشى (٥٣) « المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠ م » .

وما أَيْبِلَى على هَيْكَل بناه وصلب فيه وصاراً
براًوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جزاراً

يعني بالجوار الصياح . إما بالدعاء وإما بالقراءة^١ .

والساعور من أسماء المسيح وهو من أصل (سوعورو) So'ouro ، بمعنى زائر .
وتطلق اللفظة على من يزور القرى ويطلع على أحوالها وذلك بأمر من الأسقف^٢ .
وذكر علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة عن السريانية، وأن الأصل (ساعورا)،
ومعناه متفقد المرضى ، وتطلق اللفظة على مقدم النصارى في معرفة علم الطب^٣ .
ويقال لخادم البيعة: الجللاذي^٤ . وذكر أن (الجللاذي) الراهب والصانع والخادم
في الكنيسة . قال ابن مقبل :

صوت النواقيس فيه ما يفرطه أيدي الجللاذيّ جون ما بغضينا^٥

و (الكنيس) و (الكنيسة) موضع عبادة اليهود والنصارى ، فهما في مقابل
(المسجد والجامع) عند المسلمين . والكلمة من الألفاظ المعربة عن الآرامية ،
وتعني لفظة « Knouchto » (كنشتو) (كنشست) في السريانية ، اجتماع ،
ومجمع وأطلقت بصورة خاصة على كنيس اليهود^٦ . ولهذا نجد العرب يطلقونها
على معبد اليهود كذلك . ويقال في العبرانية للكنيس (كنيستا) ، بمعنى محل الصلاة .
ونجد الكتب العربية تفرق بين موضع عبادة اليهود وموضع عبادة النصارى ، فتطلق
(الكنيس) على موضع عبادة اليهود و(الكنيسة) على موضع عبادة النصارى . وقد
ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن الكنيسة ، هي متعبد اليهود ، وأما (البيعة) ،

١ تفسير الطبري (١٤ / ٨٢) .

٢ غرائب اللغة (١٨٧) .

٣ تاج العروس (٣ / ٤٦٨) « الخيرية » ، النصرانية ، القسم الاول (١٩٤) ، القاموس
(٢ / ٤٨) .

٤ اللسان (٥ / ١٤) « المطبعة الأميرية » ، (٣ / ٤٨٢) « صادر » ، تاج العروس
(٢ / ٥٥٧) .

٥ تاج العروس (٢ / ٥٥٧) ، (ما يعفينا) ، اللسان (٣ / ٤٨٢) ، (صادر) .

٦ غرائب اللغة (ص ٢٠٤) ، النصرانية وآدابها ، شيخو (٢ / ٢٠١) وما بعدها ،
« الطبعة الثانية بيروت ١٩٣٣ » .

فهي متعبد النصرى^١ . وقد عرف علماء اللغة العرب ، أنها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : وهي معربة ، أصلها كنست^٢ .

وقد زوّق النصرى كنائسهم ، وجملوها ، وزينوها بالصور والتماثيل ، ووضعوا الصلبان على أبوابها وفي داخلها . ووضعوا بها المصابيح لإنارتها في الليل ، وكانوا يسرجون فيها السرج ، وجعلوا بها النواقيس ، لتقرع ، فترشد المؤمنين بأوقات الصلوات ، ولتشير اليهم بوجود مناسبات دينية ، كوفاة ، أو ميلاد مولود ، أو عرس وأمثال ذلك . ومن الكنائس التي اكتسبت حرمة كبيرة عند النصرى العرب : كنيسة القيامة ، وكنيسة نجران ، وكنيسة الرصافة . وقد أشير في شعر للناطقة الى (صليب على الزوراء منصوب) ، أي على كنيسة .

والتمثال الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ، أي من انسان أو حيوان أو جماد^٣ . وأدخل العلماء الصور في التماثيل . وقد كانت الكنائس مزينة بالتماثيل والصور ، تمثل حوادث الكتاب المقدس وحياة المسيح . ونظراً الى محاربة الاسلام للأصنام ، والى كل ما يعيد الى ذاكرة الانسان عبادة الأصنام والصور ، ورد النهي عنها في الاسلام . جاء في الحديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »^٤ .

وقد كان الروم يمدّون الكنائس والمبشرين بالمال وبالفعلة وبالمساعدات المادية لبناء الكنائس والأديرة . والكنائس والأديرة وإن كانت بيوت تقوى وعبادة ، كانت بيوت سياسة ودعوة وتوجيه . ونشر النصرانية مهما كان مذهبها ولونها ، مفيد للروم ، فالنصراني مهما كان مذهبه لا بد ان يميل الى اخوانه في العقيدة والدين . ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين .

وفي العربية لفظة أخرى للكنيسة ، إلا أنها لفظة خصصت بكنيسة معينة ، هي الكنيسة التي بناها أبرهة بمدينة صنعاء ، واللفظة هي : (القلّيس) . وللأخباريين آراء في معناها وفي أصلها ، بنيت على طريقتهم الخاصة في إيجاد التفسير للكلمات القديمة من عريية ومن معربة ، التي لا يعرفون من أمرها شيئاً . وهي لذلك

-
- ١ تاج العروس (٢٣٥/٤) .
 - ٢ اللسان (١٩٩/٦) ، تاج العروس (٢٣٥/٤) .
 - ٣ تاج العروس (١١١/٨) ، (مثل) .
 - ٤ تفسير الطبري (٤٩/٢٢) ، تفسير القرطبي (٢٧٣/٤) وما بعدها .

لا تفيدنا شيئاً . والكلمة أعجمية الأصل ، عربت ، وشاع استعمالها ، حتى ظن
 انها اسم تلك الكنيسة . أخذت هذه اللفظة من أصل يوناني هو (أكلسيا)
 « Ekklesia » ، ومعناه في اليونانية المجمع ، أي الكنيسة . والظاهر أن أهل
 صنعاء سمعوا اللفظة من الحبش ، حينما كانوا يذهبون الى الكنيسة ، فصيّروها
 اسم علم على هذه الكنيسة ، ولم يدروا أنها تعني الكنيسة ، أي موضع عبادة^١ .
 والصوامع والبيع هما من الألفاظ التي استعملها الجاهليون للدلالة على مواضع
 العبادة عند النصارى . وقد ذهب العلماء الى أن البيعة من الألفاظ المعربة^٢ . أخذت
 من السريانية . وأصل اللفظة في السريانية ، هو (بعنو) بمعنى بيضة ، وقبة ،
 لأنها كانت قبة في كثير من الكنائس القديمة^٣ . وقد استعملت في الحبشية كذلك
 ولذلك ذهب بعضهم الى أنها من الحبشية^٤ . وقال علماء اللغة العرب : الصومعة
 كل بناء متصمم الرأس ، أي متلاصقه ، والأصمغ اللاصقة اذنه برأسه^٥ . وقد
 أشير الى (البيع) في القرآن : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
 صوامع وبيع »^٦ . وقد ذهب بعض علماء اللغة ، الى أن البيعة متعبد اليهود^٧ .
 ولكن أغلبهم على أنها متعبد النصارى .

وقد وردت لفظة (بيعة) في نص (أبرهة) الشهير الذي دونه على سد
 مأرب . ففي هذا النص جملة : (وقُدس بعن) ، أي (وقُدس البيعة)^٨ .
 وذكر ان لفظة (البيعة) قد وردت في شعر ينسب الى ورقة بن نوفل ، حيث
 زعم انه قال :

أقول إذا صليت في كل بيعة تباركت قد أكثرت باسمك داعياً^٩

١ (الفلّيس) ، (العليسة) ، اللسان (١٨٠/٦) ، (فلس) ،
 Ency., II, p. 144, Raccolta, III, p. 127.

٢ المعرب (ص ٨١) .

٣ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ،
 القسم الاول (ص ٢١٣) ، غرائب اللغة (١٧٥) .

٤ النصرانية (الثاني) ، القسم الاول (٢١٣) « طبعة ثانية » .

٥ المفردات (٢٨٨) ، اللسان (٢٠٨/٨) ، تاج العروس (٤١١/٧) .

٦ الحج ، الآية ٤٠ .

٧ تفسير الطبري (١٧٥/١٥) « البابي » ، اللسان (٢٦/٨) « صادر » .

٨ راجع النص في مجلة المجمع العلمي العراقي (٢١٥/٤) .

٩ الاغانى (١٦/٣) .

كما ذكر انها وردت في كلام أناس من الجاهليين والمخضرمين^١ .

وقد أشير الى ورودها في الشعر الجاهلي وفي بعض الأخبار المنسوبة الى الجاهليين. وردت في شعر منسوب الى (عبد المسيح بن بقليلة) ، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى^٢ . ووردت في بيت منسوب الى لقيط بن معبد^٣ ، وفي شعر ينسب الى الزبرقان بن بدر التميمي^٤ . ولا بد ان تكون هذه الكلمة من الكلمات المألوفة عند الجاهليين المنتصرين ، وعند غيرهم ممن كانوا على الوثنية ، غير انهم كانوا على اتصال بالنصارى ، ذلك لأنها من الألفاظ الشائعة المعروفة عند النصارى . وقد كانت البيع منتشرة في المدن وفي القرى والبوادي ، وطالما قصدها الأعراب للاحتماء بها من الحر والبرد وللاستعانة برجالها لتزويدهم بما عندهم من ماء أو زاد أو للتزهر بها واحتساء الشراب .

والصومعة من أصل حبشي هو (صومعت) على رأي بعض المستشرقين . وقد خصصت بـ (قلاية) الراهب^٥ . أي مسكن الرهبان . وبهذا المعنى وردت في القرآن . ويقول علماء اللغة ، أنها على وزن فوعلة ، سميت صومعة ، لأنها دقيقة الرأس . وهي صومعة النصارى^٦ . وذكر بعض منهم أن الصومعة كل بناء متصمم الرأس ، أي متلاصقة^٧ . وقد سميت صومعة لتلطيف أعلاها^٨ . ويدل ورود هذه اللفظة بصورة الجمع في القرآن الكريم ، على وقوف الجاهليين على

-
- ١ ابن هشام (٩٣٥) « طبعة ليدن » ، تاج العروس (٢٨٥/٥) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢٠١ وما بعدها) .
 - ٢ كم تجرعت بدير الجرعة غصصا كبدي بها منصده من بدور فوق أغصان على كنب زرن اخسبأبا بيعه البلدان (١٢٠/٤) « دير الجرعة » ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (٢٠٢ وما بعدها) .
 - ٣ تامت فؤادي بذات الخال خربة مرت تريد بذات العذبة البيعا تاج العروس (٢٨٥/٥) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (٢٠٢) .
 - ٤ نحن الكرام ، فلاحى يعادلنا منا الكرام ، وفيها تنصب البيع ابن هشام (٩٣٥/١) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (٢٠١) .
 - ٥ معجميات (ص ١٠٩ وما بعدها) ، Raccolta, III, p. 127.
 - ٦ اللسان (٧٦/١٠) ، معجميات (ص ١٥٣) ، تاج العروس (٤١١/٧) ، النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني (١٧٤ ، ٢١٣) .
 - ٧ مفردات ، الاصفهاني (ص ٢٨٨) .
 - ٨ اللسان (٢٠٨/٨) « صادر » .

الصوامع ووجودها بينهم^١ . وقد كان الرهبان قد ابتنوا الصوامع وأقاموا بها للعبادة بعيدين في مختلف أنحاء جزيرة العرب ، ومنها الحجاز . وقد وقف الجاهليون عليها ، ودخلوا فيها . أما تجارهم ممن قصد بلاد الشام والعراق ، فقد رأوا في طريقهم الى تلك الأرضين ، وفي تلك الأرضين بالذات ، حيث انتشرت فيها النصرانية صوامع كثيرة . ونجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة تشير الى دخول تجار مكة الصوامع في بلاد الشام وفي وادي القرى ، للحصول على ملجأ أو عون . والقلاية ، وهي كالصومعة ، يتعبد فيها الرهبان ، وهي من الألفاظ المعربة ، عربت من أصل يوناني هو « Kelliyon » ، ومعناه غرفة راهب أو ناسك^٢ . ومن هذا الأصل انتقلت اللفظة الى السريانية فصارت (قلتيّا) ، فانتشرت بين نصارى بلاد الشام بصورة خاصة ثم بقية النصارى ، منها دخلت العربية . وقد عرف علماء العربية انها من الألفاظ المعربة ، فقالوا : هي تعريب كلاذة ، وهي من بيوت عبادتهم ، أي عبادات النصارى . وقد وردت في الحديث ، كما ورد ذكرها في صلح عمر مع نصارى الشام ، حيث كتبوا له كتاباً : إنا لانحدث في مدينتنا كنيسة ولا قلية^٣ . والظاهر ان النصارى توسعوا في المعنى ، فأطلقوها على المنازل التي يسكنها الرهبان ، ثم توسعوا فيها فأطلقوها على دور المطارنة والبطارقة ، وأصلها بمعنى الأكواخ^٤ .

ولفظه (الدير) هي من الألفاظ النصرانية الشهيرة المعروفة بين العرب . وهي أكثر شهرة من الألفاظ الأخرى التي لها علاقة بمواضع العبادة أو السكن عند النصارى ، وذلك لانتشارها ووجودها في مواضع كثيرة من العراق وبلاد الشام وجزيرة العرب . ولمرور التجار وأصحاب القوافل والمارة بها ، واضطرارهم الى الاستعانة بأصحابها وباللجوء اليها في بعض الأحيان . كما كانت محلاً ممتازاً للشعراء ولأصحاب الذوق والكيف ، حيث كانوا يجدون فيها لذة ومتعة تشر العين والقلب ، من خضرة ومن ماء بارد عذب ومن خمر يبعث فيهم الطرب والخيال ، ولذلك

-
- ١ سورة الحج ، الرقم ٢٢ ، الآية ٤٠ ، النهاية ، لابن الانير (١٢٠/٢) ، تفسير الطبري (١٧٥/١٥) .
 - ٢ عرائب اللغة (ص ٢٦٥) ، المصراية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٣) .
 - ٣ النهاية (٣٠٩/٣) ، البكري ، معجم (٥٨٣/٢) ، اللسان (٦٣/٢٠) ، تاج الدروس (٨٦/٨) ، (فلل) .
 - ٤ معجميات (ص ١٨٠ وما بعدها) .

أكثر الشعراء في الجاهلية والاسلام من ذكر الأديرة في شعرهم . حتى الشعراء النصارى مثل (عدي بن زيد العبادي) ، يترنم في شعره بذكر الدير ، لأنه نادم فيه (بني علقما) ، وعاطاهم الخمر ممزوجة بماء السماء^١ .

ولفظه (الدير) هي مثل أكثر الألفاظ النصرانية من الألفاظ المعربة . عربت من أصل سرياني ، هو (دير) Dayr ، بمعنى دار ، أي بيت الراهب^٢ . ومسكنه ، ولا سيما المحصن ، ثم خصوا بها مسكن الرهبان^٣ . وقد عرف علماء العربية أن الدير هو مسكن النصارى ، يتعبد فيه الرهبان ويسكنون به ، وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ولا يكاد يكون في مصر الأعظم ، وإنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال ، فإن كان في مصر الأعظم فإنه كنيسة أو بيعة^٤ غير أن الأديرة تكون في كل مكان ، تكون في القرى وتكون في المدن كما تكون في البوادي وفي رؤوس الجبال^٥ .

و (الديراني) ، صاحب الدير ، وقد ذكر بعض العلماء أن الديراني صاحب الدير الذي يسكنه ويعمره . نسب على غير قياس . ويقال للرجل اذا رأس أصحابه هو رأس الدير^٦ .

ولا تقتصر الأديرة على الرجال ، فللراهبات أديرة أيضاً . ويقضي أصحاب الأديرة وقتهم في الزهد والتقشف والعبادة . والقيام بالأعمال اليدوية التي يوكلها رئيس الدير اليهم^٧ . وقد عرف الراهب المعتكف بالدير بـ (الديراني) و (الديرانية) ، هي الراهبة^٨ . وقد عرفت أديرة الراهبات بـ (أديرة العذارى) كذلك .

-
- ١ نأدمت في الدير بني علقما عاطيتهم مشمولة عندما
كان ربح المسك من كأسها اذا مزجناهما بماء السما
 - البلدان (٦٣٩/٢ ، ٦٨٠) ، (٤٤٩/٢) « بيروت » ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ١٨٢) .
 - ٣ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .
 - ٤ معجم البلدان (٦٣٩/٢) ، (٦٣٩/٦) .
 - ٥ اللسان (٢٨٧/٥) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) .
 - ٦ اللسان (٣٨٧/٥) ، ناج العروس (٢٣١/٣) .
 - ٧ البلدان (٦٣٩/٢) ، (٤٥١/٤) .
 - ٨ النصرانية ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، الشعر ، لابن فتيبة (٢٢٩) .

واذ كان لهذه الأديرة حرمة في نفوسهم ، فقد كانوا يعقدون فيها عقودهم ويحلفون بها على نحو ما كان يفعلها الوثنيون في معابدهم حيث كانوا يقسمون الإيمان ويتعاقدون أمام الأوثان ، فكان للنصارى في الحيرة دير السوا ، وفي هذا الدير كانوا يتناصفون ويحلفون بعضهم لبعض على الحقوق^١ .

وفي الآرامية لفظة هي (عمرو) Oumro ، وقد صارت (العمر) في العربية . ويراد بها البيعة والكنيسة والدير ودار^٢ . وقد وردت في شعر (المتلمس) ، حيث جاء :

ألك السديرُ وبارق ومبايض ولك الخورنق
والعُمر ذو الأحساء واللذات من صاع وديسق^٣

وعرفت العربية لفظة (الكرح) ، و (الأكيراح) ، وقد عرفها علماء العربية بقولهم : « الأكيراح : بيوت ومواضع تخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم »^٤ . واللفظة من أصل سرياني هو (كرحو) « Kourho » ، بمعنى كوخ ، ومسكن حبيس ، وبيت ناسك وراهب^٥ . وذكر ياقوت الحموي : ان « الأكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم »^٦ . وهناك دير اسمه (الأكيراح) ، ورد في شعر لأبي نؤاس ، ويقع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياحين ، وبالقرب منه ديران ، يقال لأحدهما دير عبد ، وللآخر دير هند^٧ .

والمحارب من الألفاظ التي استعملها النصارى في أمور دينهم كذلك ، إذ أطلقوها على صدر كنائسهم . وقد استعملت في الاسلام أيضاً ، حيث يشير الى القبلة ، ويؤم الإمام فيه المصلين . وقد ذكر بعض علماء اللغة ، ان محارب

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٢٩٢) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ١٩٦) .
 - ٣ البكري ، معجم (٦٩٦) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٣) ، تاج العروس (٣ / ٣٢٠) .
 - ٤ يا دير حنة من ذات الأكيراح من يصح عنك فاني لست بالصاح
اللسان (٣ / ٤٠٥) ، البكري ، معجم (٥٧٥ / ٤) ، المخصص (١٣ / ١٠٢) .
 - ٥ غرائب اللغة (ص ٢٠٣) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢ ، ٢١٤) .
 - ٦ البلدان (١ / ٣٤٥) .
 - ٧ البلدان (١ / ٣٤٥) .

بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلّون فيها^١ . وقد وردت لفظة المحراب في أشعار بعض الجاهليين^٢ . كما وردت في القرآن الكريم^٣ ، وفي الشعر الجاهلي^٤ . وذكر علماء التفسير أن المحراب كل موضع مرتفع . وقيل للذي يصلي فيه : محراب ، وذكروا أن المحارب دون القصور ، وأشرف بيوت الدار . قال عدي ابن زيد العبادي :

كدمي العاج في المحارب أو كالبيض في الروض زهره مستنير^٥

وذكر علماء العربية لفظة (التامور) (التأمور) ، في جملة الألفاظ المتعلقة بالرهبان والرهبة . وقد عرفها بعضهم بأنها صومعة الراهب وناموسه^٦ . وذكر أن (القوس) ، بمعنى الدير والصومعة أو موضع الراهب . أو معبد الراهب^٧ . وذكر أن أصل الكلمة من الفارسية^٨ . وذكر أن (الغربال) ، هو مكان أيضاً من أمكنة الرهبان ، وأنه كهيئة الصومعة في هندسة بنائه وارتفاعه . وأنه كل بناء مرتفع . ويظهر أنها من الألفاظ المعربة^٩ .

والاسطوانة ، وهي السارية من الألفاظ النصرانية التي وقف عليها الجاهليون . وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبد فوقه بعض الرهبان المعروفين بالعموديين Stylites . وقد أشير إلى (اسطوان) في شعر نسبه إلى (ذي الجلدن) . وفُسرت لفظة (الاسطوان) ، و (الاسطوانة) ، بأنها موضع الراهب المرتفع^{١٠} .

-
- ١ النصرانية ، الجزء الثاني القسم الاول (١٧٤) .
 - ٢ اللسان (٣٠٥ / ١) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) ، اللسان (١٧ / ٧) .
 - ٣ آل عمران ، الآية ٣٧ ، ٣٩ ، مريم ، الآية ١١ ، ص ، الآية ٢١ .
 - ٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧٤) .
 - ٥ تفسير الطبري (٤٨ / ٢٢) ، تفسير القرطبي (٢٧١ / ١٤) .
 - ٦ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ٢١٢) ، تاج العروس (٢٠ / ٣) ، (أمر) .
 - ٧ اللسان (٦٩ / ٨) ، معجم البلدان (٢٠٠ / ٤) .
 - ٨ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول ، (ص ٢١٤) .
 - ٩ تاج العروس (٤١٦ / ٧) ، البلدان (٥٢٥ / ٣) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٣) .
 - ١٠ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١١) ، البلدان (٣٤٥ / ١) ، المخصص (١٠٠ / ١٣) وما بعدها .

و (المنهمة) مسكن النهام ، والنهامي ، هو الراهب . وأما المنهمة فوضع الراهب^١ .

ووردت في شعر للأعشى لفظة (الهيكل) . إذ قال :

وما أبلى على هيكل بناءه وصلب فيه وصارا^٢

ويذكر علماء اللغة ، ان الهيكل : بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى ، وربما سُمِّيَ به ديرهم . وان الهيكل:العظيم واستعمل للبناء العظيم ، ولكل كبير ، ومنه سمي بيت النصارى الهيكل^٣ . واللفظة من الألفاظ العربية ، وهي ترد في العبرانية (هيكل) وفي الآرامية (هيكلو) . وتعني في اللغتين المعبد الكبير ومعبد الوثنيين^٤ .

وقد كان الرهبان وبقية رجال الدين وكذلك الأديرة والكنائس يستعملون المصابيح والقنادل للاستضاءة بهما . ويعبر عن المصباح بالسراج كذلك^٥ . وقد تركت مصابيحهم وقناديلهم أثراً ملحوظاً في مخيلة الشعراء فأشير إليها في شعر (مزرد بن ضرار الديباني) حيث قيل انه قال :

كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادل^٦

وذكر علماء اللغة ان الزيت الذي له دخان صالح ويوقد في الكنائس ، هو (السليط)^٧ .

ولفظة : قنديل من الألفاظ العربية ، أصلها يوناني هو : « Candela » ، أي شمعة^٨ . وقد دخلت الى العربية قبل الاسلام ، عن طريق الاتصال التجاري بين جزيرة العرب وبلاد الشام .

- ١ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢١٤) .
- ٢ اللسان (١٤٤/٦) ، الأضداد (٢٤) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٣) .
- ٣ المخصص (١٣/١٠٠ وما بعدها) ، اللسان (٢٢٥/١٤) ، العقد النمين (١٨) ، النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) .
- ٤ النصرانية ، الجزء الثاني ، القسم الاول (٢٠٢) ، غرائب اللغة (٢٠٩) .
- ٥ المفردات ، للأصفهاني (ص ٦٧٤) .
- ٦ المفضليات (٣٦) « طبعة السندوبي » .
- ٧ تاج العروس (١٥٨/٥) ، اللسان (٣٢٠/٧) ، (سلط) .
- ٨ غرائب اللغة (٢٧٩) .

وكان النصارى العرب يتقربون الى رجال دينهم ويتبركون بهم ويحترمونهم حتى قيل إن الصبيان منهم كانوا إذا رأوا الراهب ينزل ليذهب الى بيت المقدس أو غيره خرجوا له فتمسحوا به ولثموا ثيابه ، حتى يمزقوا أثيابه . والى ذلك أشير كما يقول أهل الأخبار - في شعر امرئ القيس :

فأدركته يأخذن بالساق والنساء كما شبرق الولدان ثوب المقدس^١

ولبس رجال الدين ملابس خاصة لتمييزهم عن غيرهم ، غلب عليها السواد . وقد اختصت لفظة (المسح) و (المسوح) بالملابس التي كان يلبسها الزهاد والرهبان .

ومن أهم العلامات الفارقة التي ميزت معابد النصارى عن معابد اليهود والوثنيين : (الناقوس) ، السذي ينصب فوق سطوح الكنائس وفي منائرهما ، للاعلان عن أوقات العبادات ولأداء الفروض الدينية ، وهو عند الجاهليين خشبة طويلة يقرع عليها بخشبة أخرى قصيرة يطلقون عليها لفظة (الويلة) و (الويل) . وهو في مقابل البوق عند يهود يثرب ، اذا أرادوا الاعلان عن موعد العبادة . وقد عرف هذا البوق بين عرب يثرب بـ (القنق) أيضاً^٢ ، وبـ (الشبور)^٣ . وقد ذكر علماء اللغة ان الشبور « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به » . وقال بعضهم : هو القربان بعينه . وذكروا ان الشبور شيء ينفخ فيه ، فهو البوق عند اليهود ، وهو معرب وأصله عبراني^٤ .

وقد وردت كلمة (الناقوس) في الشعر الجاهلي : وردت في بيت للشاعر المتلمس^٥ ،

١ المعاني الكبير (٧٦٤/٢) .

٢ القنق ، وورد القنق والقنق والقنق ، اللسان (١٣١/١٠) .

٣ عمدة القارئ (١٠٢/٥ وما بعدها) ، اللسان (١٢٦/٨) .

٤ اللسان (٥٩/٦) ، تاج العروس (٢٨٩/٣) ، (شبر) ، « وقد نفس بالويل النافوس » ، تاج العروس (٢٦٢/٤ وما بعدها) .

٥ حنت فلوصي بها والليل مطرق بعد الهدو وشافتها النوافيس

ديوان المتلمس (١٧٨) ، (طبعة فولرس) ، (لايزك ١٩٠٣) .

وفي شعر للمرقش الأكبر^١ ، وللأعشى^٢ ، وللأسود بن يعفر^٣ . وقد أشير في هذه الأبيات الى قرع النواقيس بعد الهدوء إيداناً بدنو الفجر وحلول وقت الصلاة . وقد كانت هذه النواقيس في القرى وفي الأديرة ، يقرعها الرهبان والراهبات والقسيسون^٤ . وقد أدخل بعض علماء اللغة هذه الكلمة في جملة الألفاظ المعربة التي دخلت العربية من أصول أعجمية^٥ . واللفظة من أصل (سرياني) هو (ناقوشا)^٦ .

أعياد النصارى :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء أعياد نصرانية ترجع أصول تسميتها في الأكثر الى لغة بني إرم، ويظهر أن أولئك الأخباريين تعرفوا عليها في الاسلام باختلاطهم وباتصالهم بالنصارى ، إذ لم يشيروا الى ورود أكثرها في الشعر الجاهلي ، ومن عادتهم أنهم إذا عرفوا شيئاً كان معروفاً عند الجاهليين جاؤوا ببيت أو أبيات يستشهدون بها على ورودها عند الجاهليين .

ومن الأعياد التي ورد فيها شاهد في الشعر الجاهلي ، (السباسب) ، وهو (يوم السعانيين) و (الشعانيين) . وقد وردت كلمة السباسب في بيت للنابعة قاله في عيد السعانيين عند بني غسان ، هو :

١ وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقيس
المفضليات (٤٦٥) ، النصرانية (٢٠٧) .

٢ وكأس كعين الديك باكرت حدها بعتيان صدق والنواقيس تضرب
تاج العروس (٣٣١/٢) ، (حد) ، ويروى لعننرة ، العقد الثمين في دواوين
النسراء الجاهليين (١٧٩) ، (طبعة الوردت) ، (Ahlwardt) ، (باريس ١٩١٣) ،
النصرانية (٢٠٧) .

٣ وقد سبأت لعتيان ذوي كرم قبل الصباح ولما تفرع النقس
اللسان (١٢٦/٨) ، (نقس) ، تاج العروس (٢٦٣/٤) .

٤ النصرانية (٢٠٧) .

٥ عمدة القارئ (١٠٣/٥) ، المغرب (٣٣٩) .

٦ Shorter Ency., p. 437.

رفاق النعال طيب حجراتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^١

و (السعانيين) و (الشعانيين) من أصل عبراني (هو شعنا) . وقد وردت هذه الكلمة في صحيفة صلح (عمر) مع نصارى الشام ، وردت معها لفظة أخرى من الألفاظ النصرانية كذلك هي (الباعوث)^٢ ، وهي رتبة تقام في اليوم الثاني من عيد الفصح^٣ ، وصلاة لثاني عيد الفصح في بعض الطوائف^٤ . وقد ذكرها علماء اللغة في جملة الألفاظ المعربة ، والإرمية الأصل ، وجعلها بعضهم (الباعوث) . وذكرها أنها (استسقاء النصارى) ، وان (عمر) لما صالح نصارى الشام ، كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قلية ولا نخرج سعانيين ولا باعوثاً^٥ .

و (خميس الفصح) من أعياد النصارى كذلك . وهو بعد السعانيين بثلاثة أيام ، وكانوا يتقربون فيه بالذهاب الى الكنائس والبيع^٦ .

وقد أشير الى عيد (الفصح) في بيت للأعشى يمدح فيه (هوذة بن علي) لتوسطه لدى الفرس بالافراج عن مئة أسير من أسرى بني تميم همّ الفرس بقتلهم ، وذلك لمناسبة يوم الفصح . وقد كان نصارى الجاهلية يحتفلون به ، فيوقدون المشاعل ، ويعمرون القناديل ، ويضيئون الكنائس بالمسارج ويقصدونها للاحتفال بها ، حتى قيل للقنديل الذي يعمر لهذا اليوم (قنديل الفصح)^٧ .

١ « والسباسب أيام السعانيين . وفي الحديث ان الله تعالى أبدلكم بيوم السباسب

يوم العيد . يوم السباسب عيد للنصارى ، ويسمونه يوم السعانيين » ، تاج العروس (٢٩٣/١) ، النصرانية (٢١٥) ، غرائب اللغة (٢١٢) ، عن « أحد الشعانيين »

راجع المشرق : السنة الثامنة ، الجزء ٨ ، السنة ١٩٠٥ م ، (ص ٣٣٧ وما بعدها) .
٢ « أن لا يحدثوا كنيسة ولا قلية ، ولا يخرجوا سعانيين ولا باعوثاً » ، « ويوم السعانيين

عيد للنصارى . وفي حديث : شرط النصارى ولا يخرجوا سعانيين . قال ابن الأثير : هو عيد لهم معروف . قبل عيدهم الكبير باسبوع . وهو سرياني معرب . وفيل :

هو جمع واحد سعنون » ، اللسان (٧١/١٧) ، (سعن) ، (٢٠٩/١٣) ، (صادر) .
النصرانية (٢١٧) .

٣ غرائب اللغة (١٧٣) .
٤ اللسان (٢٠٩/١٣) ، تاج العروس (٩٠٣/١) ، (بعث) ، اللسان (١١٨/٢) ،

(بعث) .
٥ الاغانى (٣٢/٣) ، النصرانية (٢١٦) .

٦ قال عدي بن زيد العبادي :
بكروا علي بسحرة فصحتهم باناة ذي كرم كعقب الحالب

بزجاجة ملء اليبدين كأنها قنديل فصيح في كنيسة راهب
الاجاني (٥٣/٩) ، اللسان (٣٧٨/٣) ، النصرانية (٢١٦) . ورد في شعر

لأوس بن حجر :
عليه كمصباح العزيز ينسبه لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

شعراء النصرانية (٤٩٤) ، النصرانية (٢١٦) .
٦٦٠

وقيل لاجتماع النصارى واحتفالهم (الهترمن) ، وذكر أن هذه اللفظة من أصل فارسي هو (هنجمن) أو (أنجمن) ، ومنها دخلت الى السريانية فأطلقت على اجتماع النصارى واحتفالهم وتعييدهم^١ .
وقد أشار امرؤ القيس في بعض شعره الى عيد النصارى ، ولبس الرهبان فيه ملابس طويلة ذات أذيال^٢ .

وكانت الكنائس والأديرة والأضرحة والمقابر الأماكن التي يقصدها النصارى في أعيادهم . فتكون موضع تجمع ولقاء . كانوا يقصدونها للتقرب الى الرب وللصلوات له . وللتوسل اليه بأن يمن عليهم ويبارك فيهم . وكانوا يقصدون المقابر اظهاراً لشعورهم بأن موتاهم وان فارقوهم وابتعدوا عنهم ، غير أنهم لا زالوا في قلوبهم . وأيام الأعياد من أعز الأيام على الانسان ، لذلك فهي أجدر الأيام بأن تخصص لزيارة بيوت الأرباب وبيوت الموتى : القبور .

١ قال الاعشى :

إذا كان هنزمن ورحت مخشما

اللسان (٣٢٩/١٧) ، تاج العروس (٣٦٨/٩) ، النصرانية (٢١٧) .

٢ فأنست سربا من بعيد كأنه رواهب عيد في ملاء مهذب

النصرانية (١٧٣) .

الفصل الثاني والثمانون

أثر النصرانية في الجاهليين

وإذا كنا قد حُرْمنا من الموارد الأصلية التي يجب أن نستعين بها في معرفة أثر النصرانية عند نصارى الجاهلية والجاهليين ، فإن في الشعر المنسوب إلى بعض نصارى الجاهلية مثل عدي بن زيد العبادي وإلى بعض الشعراء ممن كان لهم اتصال بالنصارى مثل الأعشى ، فائدة في تكوين صورة يتوقف صفاؤها ووضوحها وقربها أو بعدها من الواقع والحق على مقدار قرب ذلك الشاعر من الصدق والصواب والواقع والافتعال .

وعدي بن زيد هو أشهر من وصل إلينا خبره من شعراء النصارى الجاهليين . هو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة ، ولذلك عرف بالعبادي . كان من أسرة اكتسبت نفوذاً واسعاً ونالت حظاً كبيراً عند الفرس وعند ملوك الحيرة ، فكان لها أثر خطير في سياسة عرب العراق في ذلك الزمن . ولما كانت السياسة ارتفاعاً وهبوطاً ، سعادة وشقاء ، لاقى عدي منها الاثنين : ارتفع حتى بلغ أعلى المنازل ، ثم انخفض حتى تلقاه قابض الأرواح وهو في سجنه فقضى عليه بعد أن ترك أثراً خطيراً في سياسة الحيرة وفي تقرير مصير الملك فيها . وعدي ، على ما يذكر أهل الأخبار ، من أهل اليامة في الأصل : هاجر أحد أجداده من اليامة إلى الحيرة بسبب دم أهرقه هناك ، فخاف على نفسه من الثأر ، ولم يجد خلاصاً أصلح له وآمن مقاماً من الحيرة ، لوجود (أوس بن قلام) أحد رؤساء بني الحارث بن كعب فيها ، وهو من أصحاب الجاه والنفوذ ، وبينه وبين أوس

نسب من النساء ، وهو نسب يضمن له الحماية والعيش بسلام ، فجاء الى الحيرة وأقام بها حيث أكرمه أوس وقربه الى آل نخم ، واكتسب منزلة عالية عند ملوك الحيرة ، انتقلت من بعده الى أبنائه الذين كوّنوا لهم صلات وثيقة مع آل نخم ومع ملوك الفرس ، بما كان لهم من علم وذكاء وحسن سياسة . ويذكر الأخباريون أن جدّ عدي قد تعلم الكتابة في الحيرة ، فصار من أكتب الناس فيها ، وأنه لذلك انتخب كاتباً لملك الحيرة ، واتصل بحكم وظيفته المهمة هذه بدهاقين الفرس ، وأنه لما توفي أوصى بابنه زيد والد عدي الى واحد منهم يعرف بـ (فروخ ماهان) فأخذ هذا الى بيته ، ورباه مع ولده . فتعلم عندهم الفارسية ، وحذقها وكتب بها وبرز ، وكان قد حذق الكتابة بالعربية كذلك ، فأوصله الدهقان الى كسرى ، لعلمه هذا باللغتين ولذكائه ، فعينه في وظيفة مهمة لم يكن الفرس يعينون لها أحداً من غيرهم هي وظيفة البريد . وقد مكث في هذه الوظيفة زمناً جعلته يكتسب منزلة محترمة عند عرب الحيرة والفرس .

وعني زيد بتربية ولده عدياً : أرسله الى الكتاب ليتعلم به العربية . فلما برع فيها ، أرسله الى كتاب الفارسية حيث تعلم مع أبناء المرازبة فنون القول والكتابة ، ثم تعلم الرماية ولعب الفرس حتى صار من المبرزين فيها . وقد قرّبه علمه وعقله من آل نخم ومن الفرس حتى وصل الى مناصب عالية جعلت لقوله أهمية كبيرة حتى في تثبيت ملك ملوك الحيرة .

وقد أرسله (هرمز بن أنوشروان) في سفارة مهمة الى القيصر (طياربوس) فأدّاها على خير وجه . وعاد فأقام أمداً بالشّام ، ووقف على ما كان فيها من علم ومعالم . وقد زادت هذه الأسفار بالطبع في سعة أفقه وفي ثقافته . ثم عاد الى الحيرة ، فوجد والده قد توفي بعد ان صار المهيمن الحقيقي على البلاد . وزار كسرى ليقدّم اليه هدايا قيصر . وارتفع نجمه في البلاطين . وتزوج هنداً بنت الملك النعمان . غير ان تقدمه هذا أوجد له خصومة شديدة من منافسيه (بني مريّنا) وهم نصارى مثله ومن أهل الجاه والحسب ، فأغرى خصمه ومنافسه العنيد (عدي بن مريّنا) قلب النعمان عليه . وكان عدي بن زيد صاحب الفضل في حصول النعمان على تاج . وظل (ابن مريّنا) يعمل في الخفاء للقضاء على عدي ،

حتى تمكن من ذلك ، إذ سجنه النعمان ، ثم أمر فاغتيل وهو في السجن^١ .
وذكر ان (كسرى) جعله كاتباً على ما يجتبي من الغور ، وكان هو سبب
ملك النعمان بن المنذر^٢ .

والذي يهمننا في هذا الموضوع من أمر عدي هو مدى وقوف عدي على النصرانية
ومبلغ تسربها في نفسه وفي نفوس أهل الحيرة . أما النواحي الأخرى من حياته ،
فليس لها محل في هذا المكان . وشعر عدي وأضرابه من العباديين هو سندنا الوحيد
الذي نستخرج منه رأينا في النصرانية عند عدي وعند اخوانه العباديين .

والشعر المنسوب الى عدي أقرب إلى نفوسنا وأسهل علينا فهماً من الشعر المنسوب
إلى بقية الجاهليين ، معانيه وألفاظه حضرية متحررة من الأساليب البدوية التي تميل
إلى استعمال الجزل من الكلمات ، وهو يخالف مذاهب أولئك الشعراء في كثير من
الأمور . ولهذا « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد
لمخالفتها مذاهب الشعراء »^٣ ، و « لأن ألفاظه ليست بنجدية »^٤ . وقد ورد في
شعره بعض المعربات مما يدل على أثر الفارسية والإرمية فيه^٥ . وكثير من شعره
هو في الزهد ، وفي التذمر من هذه الدنيا التي لا تدوم حالها على حال ، وفي
تذكير الأحياء بنهاية الأموات بالرغم مما أقاموه وشيّدوه من أبنية ضخمة وقصور
شاهقة . وهذا الشعر يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار عن حياة هذا الشاعر
وتألق نجمه وبلوغه أعلى المراتب ثم سقوطه فجأة ودخوله السجن واغتياله فيه .
وفي شعره قصائد في القيان وفي الخمر تتحدث عن الحياة التي قضاها قائلها، وهي
حياة لذينة ولكنها لا تدوم بالطبع إلى الأبد ، ولا بد لها ان تزول ثم تنتهي بما

١ المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ١٩٤٤ ، (ص ٢٦ وما بعدها) ، شعراء
النصرانية (٢٦٦ وما بعدها) ، دريو دييو ، تاريخ ادب العربيه في الجاهليه
حتى عصر بني اميه (ص ٧٦) ، (القايره ١٦٥٤) ،
Ency., I, p. 137, Brockelmann, I, S. 29, Rothstein, S. 109, Nöldeke, Geschichte
der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, S. 512, Islamic Culture,
IV, p. 31. ff.

٢ نوادر المخطوطات ، أسماء المغتالين (١٤٠) .
٣ الاغانى (٩٣ / ١٥) ، (مطبعة التقدم) ، (ذكر أخبار أبي دؤاد الايادي ونسبه) ،
ناليانو (٧٤) .
٤ ابن قتيبة ، الشعر (١١٥) .
٥ ناليانو (٧٤) .

يوجب الأسف عليها والألم والتوجع من فنائها ومن ذهاب تلك الأيام .
أما صميم الديانة والآراء النصرانية الخاصة ، وهي ضالتنا في هذا الفصل وهدفنا
الذي نقصده ، فلا تجد منها في شعره الموثوق بصحته شيئاً كثيراً . ونحن لا نستطيع
بالطبع ان نلوم عدياً على ذلك ، فعدي كما نعلم رجل شعر وسياسة ، وليس برجل
دين ولا كهانة فيتعلم في شعره بإيراد تواريخ الأنبياء والأوامر والنواهي الإلهية
الواردة في التوراة والانجيل . ولم يذكر أحد من الأخباريين عنه انه كان كاهناً
أو قسيساً فنأمل منه التطرق في شعره الى موضوعات اللاهوت والكهنوت . فنانجده
في شعره عن النصرانية هو من حاصل المناسبات والظروف ، وليس من حاصل
بحث متعمد قصد به البحث في الدين من أجل الدين .

ولو كان عدي قد تعرض للنصرانية عنده وبين قومه لأفادنا ولا شك كثيراً .
وما زلنا في الواقع فقراء في ناحية علمنا بمبلغ فهم أهل الحيرة وغير أهل الحيرة
من نصارى العرب في الجاهلية لأحكام النصرانية وقواعدها ، ومقدار رسوخها في
نفوس أولئك النصارى ولا سيما الأعراب منهم . ولكن عذره كما قلت بين واضح ،
وليس لنا أن نلومه . وما جاء به عن النصرانية في شعره على كل حال مفيد ،
أفادنا ولا شك . فلنكن قنوعين غير طامعين ، مكثفين بما أورده عدي عنها في
شعره ، ولننظر الى المستقبل ، فهو أملنا الوحيد ، فلعله يكشف عن مصادر
كتابية مطمورة ، يبعثها من قبورها المغمورة بالأتربة المتراكمة ، وعندئذ تكون
أمام المؤرخ ثروة تغنيه ، يستطيع أن يظهرها العشاق للمولعين بمعرفة أحوال الماضين .
وقد ورد في قصيدة قيل انه نظمها في معاناة النعمان على حبسه بيت فيه قسم
برب مكة والصليب :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب^١

وهذا البيت يدعو الى التأمل والتفكير ، فرجل نصراني يؤمن بيسى وبالصليب ،
لا يمكن أن يقسم برب مكة . فكفة كما نعلم مجمع الأصنام والأوثان وكعبة الوثنية
في الجاهلية ، فكيف يقسم بربها رجل نصراني يرى الأوثان والوثنية رجساً من
عمل الشيطان وكفراً . بل لو فرضنا أنه أقسم بمكة وبرب مكة على سبيل مجازاة

١ شيخو ، شعراء النصرانية (٤٥١) .

العرب الوثنيين وتقرباً الى الملك النعمان ، فليس لدينا دليل مقنع يفيد أن وثنيي الحيرة كانوا يؤمنون برب مكة . ولم يذكر أحد من أهل الأخبار ان أصنام أولئك الوثنيين كانت بمكة ، وأن أهل الحيرة كانوا يزورون مكة ويحجون الى (رب البيت) في جملة من كان يحج اليه من العرب . ولم يرد في روايات أهل الأخبار ان الملك (النعمان) كان وثنياً مؤمناً بقدسية مكة وأنه حج اليها حتى نذهب الى القرض بأن عدياً ، إنما أقسم بمكة ، مجازة لهذا الملك ، بل الوارد فيها أنه كان على دين النصرانية ، وانه كان مؤمناً بهذا الدين ، يزور الأديرة ويحضر الصلوات ورجل على هذا النحو من التدين لا يمكن بالطبع أن يحفل بقسم بيت من بيوت الأصنام . ثم ان مصطلح (رب مكة) ، هو مصطلح اسلامي ، أخذ من عقيدة التوحيد في الإسلام ، فقليل : (رب البيت) و (رب هذا البيت)^١ .

لقد اتخذ الأب (شيخو) هذا البيت دليلاً على انتشار النصرانية في مكة وعلى تنصر أحياء منها ، وعلى ان النصرانية قديمة فيها ، بل يكاد يفهم من قوله ان البيت هو في الأصل كنيسة بنيت بعد المسيح بعهد قليل : بناها النصارى الذين جاءوا الى هذه المدينة وسكنوها ، وان صور الأنبياء وصورة عيسى وأمه مريم التي ذكر الأخباريون انها كانت مرسومة على جدار الكعبة والتي أمر الرسول بطمسها ومحو معالمها هي دليل على أثر النصرانية في مكة ، ولهذا كان النصارى الجاهليون يحجون اليها ويققدسونها ، ولهذا السبب أقسم^٢ عدي بها ، وأقسم الأعشى بها كذلك حيث قال :

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصي^٣ والمضاض بن جرهم

وذكر ان من شعر (عدي) هذا البيت :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا^٣

وقد اختلف العلماء في مراده بـ (ذات الودع) ، فذهب بعض منهم الى

١ « فليعبدوا رب هذا البيت » ، سورة قريش ، الآية ٣ .

٢ النصرانية (ص ١١٨) ، وفي الديوان :

فاني وثوبي راهب اللج والتي بناها قصي وحده وابن جرهم

ديوان الأعشى (ص ٩٥) .

٣ تاج العروس (٥٣٤/٥) ، (ودع) .

ان (ذات الودع) الأوثان ، أو وثن بعينه ، وقيل سفينة نوح ، وكان يحلف بها ، وكانت العرب تقسم بها ، وتقول : بذات الودع . وقيل الكعبة ، لأنه كان يعلق الودع في ستورها^١ .

ولم يرد في شعر عدي شيء ما يتحدث عن عقيدة التثليث ، أي الإيمان بالثالوث . وكل ما ورد فيه هو الإشارة الى عقيدة بوجود رب واحد هو (الله) . وهو رب مستجيب مسبح خلاق^٢ . وهذا الرأي اسلامي كما هو معلوم ، وقريب من عقيدة الحنفاء .

ووردت في بيت شعر وجهه الى التعمان كلمة (أبيل)^٣ ، وأبيل اسم للمسيح ، ويطلق على حبر النصارى أيضاً ، ومعناها الناسك والزاهد . وهي من أصل سرياني ، من فعل (ابل) بمعنى ناح وبكى على خطاياها ، ولذلك قصد بها الناسك والراهب^٤ . وقد دعا الأعشى ضارب الناقوس : الأبل^٥ .

ونسب لعدي هذا البيت :

وأهبط الله إبليساً وأوعده ناراً تلهب بالأسعار والشرر^٦

-
- ١ المصدر نفسه .
٢ فاني قد وكلت اليوم أمري الى رب قريب مستجيب ...
أجل ان الله قد فضلكم فوق من أحكاً صلباً بازار ...
واذهبي يا أميم ان يشأ الله به بنفسي من أزم هذا الخناق
أو تكن وجهه فتلك سبيل الله ساس لا تمنع الحشوف الروافي ...
ليس شيء على المنون بباقي غير وجه المسيح الخلاق
شعراء النصرانية (٤٥٢ ، ٤٥٤) ، النصرانية (١٦٢) .
٣ انني والله فاقبل حلقي لأبيل كلما صلى جبار وروي :
انني والله فاقبل حلقتي بأبيل كلما صلى جبار
شعراء النصرانية (٤٥٣) ، النصرانية (١٩٤) .
٤ ناج العروس (١٩٩ / ٧) ، (ابل) ، اللسان (٦ / ١٣) ، مرمجي ، معجميات
عربية سامية (١٣١ وما بعدها) .
٥ فاني ورب الساجدين عشية وما صك ناقوس الصلاة أبيلها
الصراييه (٢٠٨) .
٦ الصراييه (١٦٨) .

ولم ترد كلمة (ابليس) في شعر منسوب لشاعر جاهلي آخر ، إنما وردت كلمة (شيطان) في شعر منسوب الى أمية بن أبي الصلت .

ونسب الى عدي هذا البيت :

ناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تقتنع^١

ويظهر من دراسة الشعر المنسوب لعدي أنه كان على مذهب القائلين بالقضاء والقدر . فكل كائن خاضع لحكم القدر ، يفعل به ما يشاء ، ليس في إمكانه ردّ شيء مقدر كائن عليه . وقد رسخت هذه العقيدة في نفس عدي ولا شك بعد أن زجّ به في السجن ، وأصبح وحيداً لا يدري ما الذي سيصنع به . وهي عقيدة يسلم بها أكثر من يقع في مثل هذه الظروف ، لأنها تفرج عن النفس ، وتخفف بعض التخفيف عما ينتاب المرء وهو في هذه الحالة من هموم وأحزان . والإيمان بالقدر وبأن الانسان مسير مجبر ، عقيدة لها صلة كبيرة بالظروف الاجتماعية وبالأحوال التي تحيط بالانسان ، وهي ليست من الآراء الدينية الخالصة .

ونسبت لعدي أبيات فيها حكايات من العهد العتيق ، مثل هذه الأبيات وهي في مبدأ الخلق :

اسمع حديثاً لكي يوماً تجاوبه	عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إله الخلق نعمته	فيما وعرفنا آياته الأولا
كانت رياحاً وماءً ذا عراثة	وظلمة لم يدع فتقاً ولا خلا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت	وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها	تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لا خفاء به	بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة ايام خلثقه	وكان آخر شيء صور الرجال ^٢
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له	بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا ^٣

١ شعراء النصرانية (٤٧٢) .

٢ قضى لستة أيام خليفته وكان آخرها أن صور الرجال

الحيوان (١٩٨/٤) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٣ البدء والتاريخ (١٥٠/١ وما بعدها) ، النصرانية (٢٥٤) ، وتجذ في النص بعض الاختلاف عن النص الذي تجذ في كتاب النصرانية ، وفي المراجع الاخرى .

وطابع هذا النظم وأسلوبه يفصحان انه نظم من النوع التعليمي الديني ،
لا أدري أكان شاعرنا يعترف به وينسب إلى نفسه؟ أما أنا ، فلا أرى انه لشاعر
عربي عاش قبل الاسلام .

ونجد في شعر (عدي) نزعة من نزعات التصوف والتأمل ، جاءت اليه من
الأوضاع التي أحاطت به ، من وشايات ، ومن غضب الملك عليه ومن سجن ،
بعد ان كان السيد المهيمن . حتى صار الدهر عنده حالاً بعد حال . لا يدوم
صفاءه لأحد ، فلا يركن أحد اليه ، ولا يغير إن وجد نفسه في أعلى عليين ،
فقد يسقط غداً إلى أسفل سافلين^١ .

وهناك شاعر آخر اسمه (الملمس بن عبد المسيح) يدل اسم أبيه على أنه كان
نصرانياً ، غير أن هناك رواية أخرى تذكر ان اسم والده (عبد العزى)^٢ .
وعبد العزى من أسماء الوثنيين كما هو معروف . ثم اننا لا نجد في شعره ما يشير
الى آراء وعقائد نصرانية يمكن أن يستنبط منها أنه كان نصرانياً . ورجل يحلف
في شعره باللات والأنصاب لا يعقل أن يكون نصرانياً^٣ .

أما الأعشى ، فهو شاعر عاش في الجاهلية ، وأدرك أيام الرسول . ومدحه
بقصيدة جميلة مشهورة ، جعلت أبا سفيان يحرض قومه على ارضائه خوفاً من ان
يسلم ومن أن ينظم شعراً آخر في مدح الرسول وفي ذم قريش ، فجعل له مائة
من الإبل جمعها من قومه على أن يرجع ويؤجل أمر إسلامه عاماً . فرجع الى
بلدته (منفوحة) باليامة ، وكان قد ولد بها ، فمات بها بعد حين وعرف قبره
بين الناس أمداً .

وكان الأعشى كما يروي أهل الأخبار جواباً في الآفاق ، عرف الحيرة ونادم
ملوكها ، وزار النجاشي في أرضه ، وتجول في أرض النبط وأرض العجم .
وتنقل في أرجاء اليمن وفي حضرموت وعمان وبلاد العراق وبلاد الشام ومتع نظره

١ العمدة (٢٢٣/١) .

٢ Vollers, Die Gedichte des Mutalammis, Leipzig, 1903, S. 149.

٣ أطرذني حذر الهجاء ولا واللات والأنصاب لا نـل
دبوان الملمس (١٧١) ، (طبعة فولرس) ، النصرانية (٤٠٤) .

بالآثار القديمة واتخذها عبرة للمعتبرين^١ . وقد وسعت هذه الأسفار آفاق نظره وعرفته على شعوب متعددة وعلى آراء ومعتقدات متنوعة . ومنها هذه النصرانية التي نبحث فيها .

وقد حمله اختلاطه بالنصارى العرب على الإشارة الى بعض طقوسهم وأحوال عباداتهم في شعره . وإلى ان يشير إلى قصص معروف بين أهل الكتاب ، وارد بينهم ، فذكره في شعره . فتراه يتحدث عن حمامة نوح وعن أخبار سليمان وعن جن سليمان وعن المباني القديمة العادية المنسوبة اليه ، كما تراه يشير إلى عادة النصارى في الطواف حول الصليب أو تمثال المسيح^٢ . ثم تراه يشير إلى الصليب نصبه الراهب في الهيكل بعد ان زينته بالصور^٣ .

وفي الشعر المنسوب اليه لإقرار بإلته واحد كريم^٤ ، ونهي عن عبادة الأوثان ومن التقرب منها^٥ ، وفيه ان الرب يكفي الانسان ويرعاه ويساعده في حله وفي ترحاله^٦ ،

١ وقد طفت للمال آفاه
أتيت النجاشي في أرضه
فنجران فالسرو من حمير
ومن بعد ذاك الى حضرموت
ألم ترى الحضرة الا أهله
أقام به سابور الجنود
فما زاده ربه قوة
ديوان الاعشى « طبعة رودولف كابر » ، (ص ٣٣ وما بعدها) .
قد طفت ما بين بانقيا الى عدن
ديوان الاعشى (١٢٦) .

٢ قال في مدحه « قيس بن معديكرب الكندي » :
تطوف العفاة بأبوابه
ديوان الاعشى (١٩) ، اللسان (١٧ / ٣٣٤) ، (ونن) .

٣ وما أبلى على هيكل
ديوان الاعشى (٤٠) ، النصرانية (٢٠٤) ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربي (١٤٧ / ١) وما بعدها .

٤ ربي كريم لا يكدر نعمة
النصرانية (١٦٢) .

٥ وذا النصب المنسوب لا تسكنه
النصرانية (١٥٩) .

٦ ولكن ربي كفى غربتي
ديوان الاعشى (١٧) .

وان الانسان عبده^١ . وان الفناء واقع على كل امرئ ، وليس أحد في هذه الدنيا بخالد ، ولو كان الخلود لأحد لكان لسليمان^٢ . وفيه حديث عن البعث والحساب يوم الدين .

ونجد في شعره معرفة بنوح وبسفينته ، أشار الى نوح في مدحه لإياساً حيث خاطبه بقوله :

جزى الإله إياساً خير نعمته كما جزى المرء نوحاً بعدما شابا
في فلكه إذ تباها ليصنعها وظلّ يجمع ألواحاً وأبواباً^٣

فهل أخذ الأعشى رأيه هذا عن نوح من أهل الخيرة ؟ وهل كان في ذلك قاصداً متحدثاً مخاطباً رجلاً نصرانياً يعرف الحكاية والموضوع ؟ أو كان متحدثاً عن نوح حديث من يدين به ويعتقد ، فهو رأيه ودينه . الواقع أن البت في ذلك أمر لا أراه ممكناً ما لم تتجمع لنا موارد تأريحية كثيرة ، ليتمكن المرء من استنتاج رأي واضح في أمثال هذه الموضوعات المعقدة ، التي لم تدرس مظانها المدونة ، ولم تنتقد حتى الآن .

وقد ذهب (كاسكل) « Caskel » إلى ان (الأعشى) كان نصرانياً . وذهب الأب (شيخو) هذا المذهب أيضاً ، وجوز (بروكلن) تنصره ، لكنه ذهب إلى انه لم يكن متعمقاً في النصرانية^٤ . وقد استدل (كاسكل) على نصرانيته من بيتين في ديوانه ، ومن بيت آخر ورد في قصيدة أخرى ، لا يمكن في الواقع ان يكون دليلاً على نصرانية قائله^٥ .

وذكر انه كان قدرياً ، روى روايته (يحيى بن متى) وهو من عباد الخيرة ،

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | فأقسم بالذي أنا أعبد | لتصطفقن يوما عليك المآثم |
| ٢ | ديوان الأعشى (٥٨)
ولو كان شيء خالدا ومعمرا
رآه الهي فاصطفاه عبادة
وسخر من جن الملائكة تسعة | لكان سليمان البريء من الدهر
وملكه ما بين ثريا الى مصر
قياما لديه يعملون بلا أجر |
| ٣ | ديوان الأعشى (٢٤٣)
شعراء النصرانية (٣٨٩) ، النصرانية (٢٦١)
تأريخ الادب العربي لبروكلن (١٤٧/١) وما بعدها . | |
| ٤ | انظر البيتين ١٢ - ١٣ من القصيدة رقم ٣٤ بديوانه ، والبيت ٩ من القصيدة ١٣ بالديوان ، بروكلن ، تأريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الترجمة العربية . | |

انه أخذ مذهبه هذا في القدر من العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك . وقد استشهدوا على قوله هذا في القدر بهذا البيت :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجال^١

وقد راجعت شعر (الأعشى) ، فلم أتمكن من استنباط شيء منه يدلني على مقدار علمه بالنصرانية وعلى مدى تعمقه أو تعمق غيره من النصارى بدينهم . فما ذكره مما له علاقة بالنصرانية ، هو شيء عام ، يأتي بخاطر كل شاعر ذكي جواب في الآفاق ، له احتكاك واتصال بالنصارى أو بغيرهم ، وهو لا يصلح ان يكون دليلاً على عقيدة ودين وفهم لذلك الدين .

وفي شعر (الجعدي) كلام عن سفينة نوح ، ذكر أنه قال :

بَرَفُ ، بالقار والحديد من ال جوز ، طوالاً جذوعها ، عُمًا^٢

والنابغة الجعدي ، مخضرم ، يقال إنه كان مثل الخفاء ، أنكر الخمر والميسر ، وهجر الأزلام والأوثان . وكان ممن فكر في الجاهلية ، وأنكر الخمر والسكر ، وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم . وقد لقي الرسول ، وأسلم وأنشده من شعره . وذكر أنه هو القائل القصيدة التي فيها :

الحمد لله ربّي لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل إنها لأمية ، لكن صححها حماد الراوية^٣ .

ونجد في شعر آخرين من غير من ذكرت ألقاظاً وكلمات كانت معروفة عند النصارى وإشارات إلى عباداتهم وعاداتهم ، وردت في شعر (النابغة الذبياني) وليبد ، وامرئ القيس ، وأوس بن حجر وآخرين غيرهم ممن طافوا في الأرضين وارتحلوا فوقفوا على بعض أحوال النصارى فأشاروا إليها في شعرهم .

١ الأعاني (٧٩/٨) ، باليو (١٧) .

٢ اللسان (٤٢٥/١٢) ، (عمم) .

٣ الاصابة ٥٠٨/٣ ، (رقم ٨٦٤١) ، أمالي المرتضى (٢٦٣/١) وما بعدها ، المرتزباني (٣٢١) .

ونجد في شعر (الأفوه الأودي) ، وهو صلاة بن عمرو ، تسجيلاً لأبناء نوح . سجلهم مع من سجل أسماءهم من ملوك التبابعة ممن دانت لهم الأنام ، فنجدته يقول :

ولما يعصها سام وحام وياث حيثما حلت ولام^١

ولا أدري إذا كان هذا البيت من نظم شاعر جاهلي ، هو الأودي ، أو من نظم شخص آخر نظمه على لسانه في الاسلام . ولكني لا أستبعد بالطبع أن يكون خبر أولاد نوح الثلاثة . وهم : سام وياث وحام ، قد عرف عند العرب النصارى وعند من كان على احتكاك واتصال بهم .

ونجد في بيت شعر ينسب لأفنون التغلبي ذكرراً لولد آدم^٢ . وورود آدم في هذا البيت ، إن صح انه من شعر ذلك الشاعر الجاهلي ، دليل على وقوف هذا الشاعر على قصة آدم وانحدار البشر من نسله . ولا يستبعد ان يكون اذن قد وقف عليها باختلاطه ببني قومه تغلب ، وقد كان قسم كبير منهم قد دخلوا في النصرانية . ولا يستبعد أيضاً ان يكون بعض الوثنيين قد وقفوا أيضاً على قصة الخلق كما وردت في الديانتين من اختلاطهم بأهل الكتاب واتصال بهم .

وقد وردت ، في بيت آخر من قصيدة يقال انه قالها في رثاء نفسه ، لفظة (الله) في شكل يفهم منه انه كان يدين بالتوحيد ، وان الآجال كلها بيد الله^٣ ، وأشار في بيت آخر إلى عاد ولأرم ولقمان وجدن^٤ .

وأشير في أشعار بعض الجاهليين إلى تعبد النصارى وصلواتهم سجداً وقياماً، وهؤلاء الذين أشير إليهم من الرهبان والناسكين الذين كانوا قد اعتكفوا في الصوامع وفي

١ النصرانية (٢٦٦) ، عن الأفوه الأودي راجع الاغانى (٤١/١١ وما بعدها) ، ابن فتيبة ، الشعر (١١٠) ، دبوان الأفوه ، (القاهرة ١٩٣٧) ، (تحقيق عبد العزيز الميمنى) .

٢ قد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولد آدم ما لم يخلعوا رسي
المفضليات (٥٢٤) ، النصرانية (٢٦١) ، شعراء النصرانية (١٩٣) .

٣ لعمر ك ما يدري امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعل له الله وافي
شعراء النصرانية (١٩٣) .

٤ لو أنني كنت من عاد ومن ارم ربيت فيهم ومن لقمان أو حدن
شعراء النصرانية (١٩٣) .

البيع والأدبرة النائية يعبدون الله ، ويدعون إلى الرب تقرباً وخشية^١ ، ومنهم من ترك السجود أثراً في جباههم . وقد أطلقوا على صلواتهم هذه اسم (الصلاة). وهي من الألفاظ التي أخذها أولئك النصارى من (بني إرم) ، وعرفت المواضع التي كانوا يسجدون فيها بالمساجد ، والمسجد هو الموضع الذي يتعبد فيه^٢ .

وقد كان الركوع من العادات المعروفة عند الأحناف والنصارى^٣ ، و « كانت العرب في الجاهلية تسمى الحنيف راكمًا إذا لم يعبد الأوثان ، ويقولون : ركع إلى الله »^٤ . وأما إحناء الرؤوس ، فكان للتعظيم ، ولذلك حنوا رؤوسهم في الكنائس ولرؤسائهم على سبيل الاحترام والتعظيم^٥ . وقد كانوا يبجلون رؤوسهم وسادتهم كثيراً ، ولذلك نزل الوحي بتأنيبهم وتقريعهم ، إذ جعلهم هذا الاحترام في مصاف الآلهة والأرباب .

وتلحق بالصلاة التسابيح ، أي ذكر الله وتقديس اسمه ، وقد كان من عادة الرهبان التسبيح بعد الصلاة ، ولا سيما في الضحى والعشي^٦ .

١ قال منظور الأسدي :

كان مهواه على الكلكل موفع كمي راحب يصلي
في غبش الصبح أو النلي
الأنعاظ ، لابن السكيت (٤١٢) ، النصرانية (١٧٧) .
وقال البعيث :

على ظهر عادي كان أرومه رجال يلون الصلاة قيام
ناج العروس (٥٣/١٠) ، اللسان (١١١/١٨) ، وقال الأعنسى :
لها حارس لا يبرج الدهر بينها وإن ذبحت صلي عليها وزمما
ببابل لم تعصر فسالت سلافة تخالط فنديدا ومسكا مختما
وقال المضرس الأسدي :
وسخال ساجية العيون خواذل بجماذ لبنة كالنصارى السجد
النصرانية (١٧٧) .

٢ اللسان (١٨٧/٥) ، (سجد) .

٣ النصرانية (١٧٨) .

٤ ناج العروس (٣٦٣/٥) .

٥ فال النابغة الذبياني :

سبيلغ عذرا أو نجاحا من امرئ إلى ربه رب البرية راكع
النصرانية (١٧٨) .

٦ فال أمية بن أبي الصلت :

سبحانه ثم سبحانا بعود له وقبلنا سبح الجودي والجسد
وقال الأعنسى :

وسبح على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
ناج العروس (١٥٧/٢) ، (سبح) ، اللسان (٢١٠/٣) ، النصرانية (١٧٨) .

وقد كان رجال الدين ، ولا سيما الرهبان منهم ، يقومون بالفروض الدينية فرادى وجماعة ، فيرتلون المزامير والأدعية بنغمات وألحان شجية . وقد عرف ترتيل القسيسين (الهنيم) ، وذلك في حالة النغم بنحوت الصوت^١ . وإذا طرب القس في صوته خفياً قيل لذلك (الزممة)^٢ . أما إذا تغنى ، فيقال لذلك الشمعة . وقد قيل للمتغنين في تلالدة الزبور (المتشمعل) . وورد : « شمعة اليهود : قراءتهم ، إذا اجتمعوا في فهرهم »^٣ . وأما إذا أطلق صوته بالدعاء فيقال لذلك الجأر^٤ . واللحن من الكلمات التي أطلقت على ترتيل أهل الكتاب لكتبهم المقدسة . فقد كانوا يقرؤون التوراة والانجيل في المحافل باللحن . وقد أشير الى ذلك في بعض الأحاديث^٥ . أما إذا ردد الشخص نغمت الانجيل في حلقة ، فكانوا يقولون له الترجيع ، ومنه قولهم : رجع الانجيل^٦ .

و (التصيغ) من الألفاظ التي كانت تدل على معنى خاص عند النصارى ، هو التعميد . وقد عرفه الجاهليون . وذكر علماء اللغة ان الصبغة الدين والملة والشرعية والفطرة والحنانة . « اختن ابراهيم ، صلوات الله عليه ، فهي الصبغة .

- ١ « الهينة : الصوت . وهو شبه قراءة غير بينة » . وأنشد لرؤبة :
لم يسمع الركب بها رجع الكلم الا وساويس هينانيم الهنم
وفي حديث اسلام عمر ، رضي الله عنه . قال : ما هذه الهينة ؟ قال أبو عبيدة :
الهينة : الكلام الخفي لا يفهم . . . وفي حديث الطفيل بن عمرو : هينم في المقام .
أي قرأ فيه قراءة خفية . وقال الليث :
ألا يا قليل ويحك فم فهينم
أي فادع الله ، ، اللسان (١٠٨ / ١٦) ، تاج العروس (١١١ / ٩) .
- ٢ « قال الجوهري : الزممة كلام المجوس عند أكلهم . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، كتب الى أحد عماله في أمر المجوس : وانهم عن الزممة . قال : هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفي . وفي حديث قباث بن أشيم : والذي بعثك بالحن ما تحرك به لساني ولا ترمزمت به شفتاي . الزممة : صوت خفي لا يكاد يفهم » ، اللسان (١٦٥ / ١٥) .
- ٣ تاج العروس (٣٩٩ / ٧) ، (اشمل) .
- ٤ « جأر يجأر جأراً وجؤاراً : رفع صوته مع تصرع واستغانة . . . وقال بعلب : هو رفع الصوت اليه بالدعاء . وجأر الرجل الى الله عز وجل اذا تصرع بالدعاء . وفي الحديث : كآني أنظر الى موسى له جؤار الى ربه بالتلبية . ومنه الحديث الآخر : لخرجنم الى الصعدات تجأرون الى الله » ، اللسان (١٨١ / ٥) .
- ٥ النهاية في غريب الحديث (٥٧ / ٤) ، معجمات (٤٢) وما بعدها ، تاج العروس (٣٣٠ / ٩) ، اللسان (٢٦٣ / ١٧) .
- ٦ اللسان (١٧٢ / ٩) ، النصرانية (٣٥٦) .

فجرت الصبغة على الختانة . وصبغ الذمي ولده في اليهودية أو النصرانية صبغة قبيحة ، أدخله فيها ^١ . و « كانت النصارى تغمس أبناءها في ماء المعمودية ينصرونهم » ^٢ . وقد صالح عمرُ بني تغلبَ بعدما قطعوا الفرات قاصدين للحاق بأرض الروم ، على ألا يصبغوا صبيّاً ولا يكرهوه على دينهم ، وعلى أن عليهم الصدقة مضعفة ^٣ . وعرفوا (المعمودية) بقولهم : « لفظ معمودية معرب معموزيت بالذال المعجمة ، ومعناها الطهارة . وهو ماء أصفر للنصارى يقدس بما يتلى عليه من الانجيل ، يغمسون فيه ولدهم معتقدين أنه تطهير له كالختان لغيرهم » ^٤ .

وقد كان نصارى الجاهلية يعمّدون أولادهم ، يأخذونهم أطفالاً الى الكنائس لتعميدهم على نحو ما يفعل سائر النصارى . وقد قيل له : التغميس والتصبيغ ^٥ .

والصوم من الأحكام الدينية المعروفة عند اليهود والنصارى ، وقد أشير اليه في شعر لأمية بن أبي الصلت وفي بيت ينسب الى النمر بن تولب ^٦ . وقد عرف أهل الجاهلية أن اليهود كانوا يصومون . وقد أشير الى صومهم في عاشوراء في اثناء الكلام على فرض الصوم على المسلمين بصيامهم شهر رمضان . ولا بد أن يكون للجاهليين علم بصوم النصارى كذلك ، وذلك نتيجة لاتصالهم بهم واختلاطهم معهم .

ومن المصطلحات النصرانية (الحواريون) ، وقصد بها رسل المسيح . وقد وردت اللفظة في مواضع من القرآن الكريم ^٧ . ووردت لفظة (الحواري) في بيت ينسب الى (ضابيء بن الحارث بن أرتاة البرجمي) ^٨ . وقد رجّع بعض الباحثين

١ تاج العروس (١٩/٦) ، (صبغ) .

٢ المصدر المذكور .

٣ « قال الأزهري : وسمعت النصارى عمسهم أولادهم في الماء صبغا ، لعمسهم ايهم فيه » ، اللسان (٣١٩/١٠) ، فنوح البلدان (١٩٠) .

٤ تاج العروس (٤٣٢/٢) ، (عمد) .

٥ السنن الكبرى (٢١٦/٩) ، « ومنه صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم . قال الفراء : انما قيل صبغة لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد المولود جعلوه في ماء لهم كالنظير . فيقولون هذا تطهير له كالختانة » ، اللسان (٣٢٠/١٠) .

٦ صدت كما صد عما لا يحل له سافي نصاري قبيل الصبح صوام النصرانية (١٧٩) .

٧ آل عمران ، الآية ٥٢ ، المائدة الآية ١١٤ وما بعدها ، الصف ، الآية ١٤ .

٨ وكر كما كر الحواري يبتغي الى الله زلفى أن يسكر فيفتلا المسرق ، المجلد ١٩٢٩ (ص ٥٧٥ وما بعدها) ، النصرانية (١٨٩) .

أصل هذه اللفظة الى لغة بني لرم ورجعها اللغويون الى أصل عربي هو (حور)،
وذهب آخرون الى أنها من أصل حبشي^١.

والصليب ، من أهم المصطلحات المعروفة عند النصارى ، لاعتقادهم بصليب
المسيح عليه ، حتى صار رمزاً للنصرانية . وصاروا يعلقونه على أعناقهم تبركاً
وتيمناً به ، وينصبونه فوق منائر كنائسهم وقبابها ، ليكون علامة على متعبد
النصارى . وقد أقسموا به . وقد عرف المسلمون تمسك النصارى به ، واتخاذهم
له شعاراً ، حتى كان بعضهم يرسمه على جبهته ، وكانوا يلثمونه ويتمسحون به
تبركاً ، ويزينون صدورهم به^٢.

وذكر علماء اللغة (الشبر) على أنه من المصطلحات الشائعة بين النصارى . وهو
على حدّ تعريفهم له : « شيء يتعاطاه النصارى بعضهم لبعض كالقربان ، يتقربون
به ، أو القربان بعينه » . وذكروا أيضاً أن (الشبر) الانجيل والعطية والخير .
ومن ذلك قول عديّ :

لم أخنه والذي أعطى الشبر^٣

ويظهر من كتب الحديث ان أهل الكتاب كانوا يخالفون المشركين في بعض
عاداتهم ، كالذي ورد عن عبدالله بن عباس من « أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب
يسدلون رؤوسهم . وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يحب موافقة أهل الكتاب

-
- ١ المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠) ، النصرانية (١٨٩) ، معجميات (١٣٩) .
 - ٢ قال الأخطل :
لما رأونا والصليب طالعا
دبوان الأخطل (٣٠٩) . وقال حجار بن أبجر :
خلوا لنا راذان والمزارعا
هددني عجل وما خلت انني
الآغاني (٤٧/١٣) . وقال الأقيشر :
خلة لعجل والصليب لها بعل
في فتية جعلوا الصليب الههم
النصرانية (٢٠٤) .
ونسلم الى عبد المطلب بن هاشم قوله :
لا يقبلين صليبههم
حاشاي اني مسلم معذور
اللسان (٦١٩/١١) ، (محل) .
ومحالهم ، عدوا ، محالك
٣ تاج العروس (٢٨٩/٣) ، (شبر) .

فما لم يؤمر فيه بشيء . ثم فرق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه ^١ . وكالذي ورد من أن أهل الكتاب كانوا يخالفون الجاهليين في كيفية التحية عند ملاقة أحدهم الآخر ، وإن الرسول أقر المصافحة .

وقد أطلقت لفظة (المصاحف) في شعر ينسب إلى امرئ القيس على أسفار النصراني ، وهو قوله : « كخط زبور في مصاحف رهبان » ^٢ . والكلمة على رأي بعض علماء الساميات والنصرانيات من أصل حبشي ، ومفردتها (مصحف) ^٣ . وصحف بمعنى كتب . وقد وردت لفظة (صحيفة) في بيت ينسب إلى (لقيط الإيادي) ^٤ .

والمجلة من الألفاظ المعروفة بين الجاهليين . وقد اشتهرت في العربية باقترانها باسم (لقمان) ، ف قيل : « مجلة لقمان » ^٥ . وأطلقت عند العبرانيين على أسفار الكتاب المقدس على سبيل التخصيص أحياناً وعلى باب التعميم في بعض الأحيان ^٦ . وقد وردت في شعر للنابعة ، هو :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب ^٧

وقصد بها كتاب النصراني ، فقد مدح به الغساسنة . وهم على دين المسيح . وقصد بالسفر وبالأسفار الكتاب والكتب من التوراة والإنجيل ، وكلمة (سفر) بمعنى كتاب ^٨ . وكانت النصراني تقرأ كتبها من الصحف ^٩ ، وتفسر للمستمعين ما جاء فيها من مشكل .

ولفظة (جهنم) من الألفاظ المعروفة عند اليهود والنصارى . وهي تعني

-
- ١ عمدة القارئ (٧١/١٧) .
 - ٢ أنت حجج بعدى عليه فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان العقد النمين (١٦١) .
 - ٣ النصرانية (١٨١) .
 - ٤ كتاب في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد الأغاني (٣٤/٢٠) ، النصرانية (١٨١) .
 - ٥ النصرانية (١٨١) .
 - ٦ معجميات ١٦٧ وما بعدها .
 - ٧ « محلنهم » في بعض الروايات ، ديوان النابعة (٨) .
 - ٨ اللسان (٣٥/٦) ، الاشتقاق (١٠٣) ، النصرانية (١٨) .
 - ٩ النهاية (١٣٦/٤) .

الموضع الذي يكون فيه العذاب بعد الحشر ، فيخلد فيه أصحاب الآثام والمعصية. واللفظة من أصل عبراني على رأي المستشرقين وعلماء الساميات هو (جحينوم) (Gehinnom) ، أي (وادي حينوم) « Hinnom »^١ . وهو وادي يدور حول القدس نحو أربعة كيلومترات، ويعرف اليوم باسم (وادي الربابي)، وقد كان اليهود الوثنيون يقربون في موضع منه يسمى (توفيث) « Topheth »، الصبيان قرابين للإله (ملوخ) « Molech » = « Moloch » ، يقدمونها ذبائح محروقة لإكراماً له ، ثم صار هذا الموضع محلاً ترمى فيه أقدار المدينة وجثث الحيوانات ، وتحرق هناك لثلاثا تنتشر منها الأوبئة ، وصار الموضع رمزاً للجحيم ، ومنه أخذت لفظة (جهنم) « Gehenna » التي هي جهنم^٢ ، الموضع الذي يعاقب فيه المجرمون بعد الموت . وهو موضع يقع تحت الأرض ، واسع جداً ، وأكبر حجماً من الأرض . يلقي فيه الآثمون جزاء لإثمهم في الدنيا ومخالفتهم شريعة الرب. فيبقون فيه يعذبون . وقد اختلف في موضوع أبدية التعذيب وبقاء جهنم ، فمنهم من رأى أن جهنم خالدة ، وأن العذاب أبدي ، ومنهم من ذهب الى أنها ترفع بعد انتهاء التعذيب^٣ .

وقد وردت لفظة جهنم في مواضع متعددة من شعر أمية بن أبي الصلت ، كما ورد فيه وصفها وكيفية التعذيب فيها^٤ . ولمعرفة أصل هذا الشعر : هل هو

Ency., I, p. 998, Shorter Ency., p. 81.

Hastings, p. 285.

متى ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢٩ ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٨ ،

Hastings, p. 285.

٤ « ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢٤/٣) : قال عبدالله بن مسلم الدينوري : سئلت هل وجدتم لجهنم ذكراً في الشعر القديم ، فقلت : هذا يحتاج الى تتبع وطلب . وقد أتذكر فلم أذكر الا شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت ، فانه قال :

فلا تدنو جهنم من بريء ولا عدن يطالها أثير
إذا شبت جهنم ثم وارت وأعرض عن فوانسها الجحيم
وروي الببت في المخصص (٦/٩) : وعدن لا يطالها رجيم
جهنم لا تبقى بغيا وذكر للعديل بن الفرخ (ياقوت ١١٧/٤) قوله في نار جهنم وجنة الخلد :
أما ترهبان الدار في ابني أبيكما ولا ترجوان الله في جنة الخلد
وقد ورد اسم جهنم في شعر الأعشى . قال (التاج ٣٧٢/٧) :
دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنم جدعا للهجين المذمم ،
النصرانية (٤٦٢ وما بعدها) .

من شعر أمية حقاً ، أو من شعر آخرين وضعوه على لسانه ، لا بد من دراسته ومقارنته بما جاء في الاسلام عن وصف جهنم وكيفية التعذيب فيها . وهناك رواية تنفي ورود لفظة جهنم في أي شعر جاهلي خلا هذا الشعر المنسوب الى أمية بن أبي الصلت ، ويلاحظ انه ذكر (عدن) مع جهنم .

ولم أجد في أشعار الجاهليين ذكراً للإنجيل ، إلا في الشعر المنسوب الى (عدي بن زيد العبادي)^١ . وربما في شعر عدد قليل آخر من الجاهليين ، لم أقف عليه . غير ان عدم ورود اللفظة كثيراً في هذا الشعر ، لا يدل على عدم معرفة الجاهليين لها ، ودليلنا على ذلك ورودها في مواضع من القرآن الكريم . وورودها فيه دليل على وقوف الجاهليين عليها واستعمالهم اياها ، وأصلها من اليونانية ، وقد وقف العرب عليها من السريانية أو من الحبشية^٢ . وقد ذكرت فيما سبق ان نفرأ من أهل الكتاب كانوا قد أقاموا بمكة وكانوا يقرأون التوراة والإنجيل بالسنتهم ، فلا يستبعد اذن وقوف بعض الجاهليين ، ولا سيما المثقفين منهم وأصحاب التجارات الذين كانوا يقصدون الحيرة وبلاد الشام ونجران للتجارة وكان لهم اتصال وثيق بنصارى هذه الأرضين على الإنجيل وعلى الكتب الأخرى التي كان يستعملها رجال الكنيسة لفهام الناس أمور الدين .

ويظهر من بعض روايات الأخباريين أن بعض أهل الجاهلية كانوا قد اطلعوا على التوراة والإنجيل ، وأنهم وقفوا على ترجمات عربية للكتابين . أو أن هذا الفريق كان قد عرب بنفسه الكتابين كلاً أو بعضاً ، ووقف على ما كان عند أهل الكتاب من كتب في الدين . فذكروا مثلاً أن (ورقة بن نوفل) « كان يكتب الكتاب العبراني ، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب » : وقالوا : « وكان امرؤ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب »^٣ . وذكروا مثل ذلك عن (أمية بن أبي الصلت) ، فقالوا إنه كان قد قرأ الكتب المقدسة^٤ ، وقالوا مثل ذلك عن عدد من الأحناف .

-
- ١ وأوتينا الملك والإنجيل نقرؤه
شعبي بحكمته أحلامنا عللا
الحيوان (٦٤/٤) ، النصرانية (١٨٥) .
 - ٢ اللسان (١٧١/١٣) ، النصرانية (١٨٥) .
Shorter Ency., p. 168.
 - ٣ راجع ما كتبه عنه في فصل الأحناف ،
Sprenger, Leben, I, S. 128.
 - ٤ ابن فنيبة ، الشعر والسعراء (١٧٦) .

وإذا كانت هذه الروايات صحيحة ، فإنها تدل على أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على ترجمة العهدين . ويرى بعض المستشرقين احتمال ترجمة العرب للكتاب المقدس قبل الاسلام وعند ظهوره، ترجمة من اليونانية على الأرجح . وقد استندوا في ذلك الى خبر ذكره (ابن العبري) « Barkebraeus » يفيد أن البطريق (المنوفيزيقي) المدعو (يوحنا) « Monophysite Patriarch Johannes » كان قد ترجم الكتاب المقدس الى أمير عربي اسمه (عمرو بن سعد) ، وذلك بين سنتي (٦٣١) و (٦٤٠) للميلاد ، والى أخبار أخرى تفيد أن بعض رجال الدين في العراق كانوا قد ترجموه الى العربية وذلك قبيل الاسلام وعند ظهوره^١.

ولا يستبعد وجود ترجمات للكتاب المقدس في الحيرة ، لما عرف عنها من تقدم في الثقافة وفي التعليم ، ولوجود النصارى المتعلمين فيها بكثرة . وقد وجد المسلمون فيها حينما دخلوها عدداً من الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة وتدوين الأناجيل ، وقد برز نفر منهم ، وظهروا في علوم اللاهوت ، وتولوا مناصب عالية في سلك الكهنوت في مواضع أخرى من العراق ، فلا غرابة اذا ما قام هؤلاء بتفسير الأناجيل وشرحها للناس للوقوف عليها . وقد لا يستبعد تدوينهم لتفسيرها أو لترجمتها ، لتكون في متناول الأيدي ، ولا سيما بالنسبة الى طلاب العلم المبتدئين . وقد لا يستبعد أيضاً توزيع بعض هذه الترجمات والتفسير الى مواضع أخرى لقراءتها على الوثنيين وعلى النصارى للتبشير^٢ .

ونجد في كتب الأخباريين وفي كتب قصص الأنبياء وفي الفصول المدونة عن الماضين قصصاً وأمثلة وكلاماً يرجع أصله الى بعض أسفار التوراة او الى الأناجيل ، غير أننا لا نستطيع ان نؤكد ان هذا المدون قد نقل عن الجاهليين ، وان أهل الجاهلية كانوا يعرفونه ، وانه ليس مما قصه أهل الكتاب أو مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأخبار ووهب بن منبه على المسلمين ، فدخل بينهم . ثم إن القصص أكثره من (التلمود) و (المشنا) والكتب غير القانونية ، روي بشكل فيه بُعد في بعض الأحيان عن هذا المدون المعروف ، وهو يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في الحكم على مدى معرفة العرب بعلم أهل الكتاب .

١ Sprenger, I, S. 131.

٢ Ency., II, p. 504.

وللأسماء أهمية كبيرة في تعيين مبلغ أثر اليهودية والنصرانية في الجاهليين . وإذا كانت أسماء الوثنيين قد ساعدت (ولهوزن) في الكشف عن أسماء أصنام وأوثان لم ترد في كتاب الأصنام لابن الكلبي ولا في كتب الأخباريين الأخرى ، وساعدت في الكشف عن مدى تغلغل الوثنية في نفوس أهل الجاهلية ، فإن للأسماء اليهودية أو الأسماء النصرانية التي تسمى بها أهل الجاهلية والتي وصل خبرها إلينا أهمية كبيرة في الإفصاح عن مدى تأثير الجاهليين بالديانتين . وليس من اللازم أن تكون هذه الأسماء أسماء أناس كانوا على دين يهود ، أو على دين النصرانية ، فالأسماء وإن كان لها ارتباط في الغالب بأديان حامليها غير أنها لا تكون دائماً دليلاً على دين أصحابها ، فلبينة وبعض العادات والاعتقادات دخل في اختيار الأسماء . وعلى ذلك فإن ما سنذكره من أسماء لا نذكرها على أن أصحابها كانوا يهوداً أو نصارى حقاً ، وإنما نذكرها على سبيل الإشارة إلى أن بعض الجاهليين كانوا يحملون أسماء هي في الغالب من أسماء اليهود والنصارى .

وفي طليعة هذه الأسماء التي يجب أن نذكرها ، الأسماء الواردة في التوراة والإنجيل ، فهي أسماء عبرانية ونصرانية معروفة ، وبها تسمى كثير من اليهود والنصارى . ودخولها بين الجاهليين العرب دليل على وجود بعض تلك المسميات بينهم ، وتسمى أهل الجاهلية بتلك الأسماء .

ومن جملة تلك الأسماء : آدم وقد دعي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . قُتل في الجاهلية ، وهو الذي وضع النبي دمه يوم فتح مكة . وقد جاء (ابن دريد) بتفسير لهذه التسمية فذكر أنها من الأدمة أو بمعنى الطويل القامة ذي العنق الناصع ، ولم يشر إلى وجود علاقة لها باسم آدم أبي البشر^١ . غير أنني لا أستبعد احتمال أخذها من التسميات التي كانت بين اليهود أو النصارى عند الجاهليين . غير أننا لا نعرف من أمثال هذه التسميات غير عدد قليل محدود بحيث لا يمكن أن نتخذها قاعدة لبناء حكم عليها في ورود هذه التسمية عند الجاهليين .

وأكثر من هذه التسمية شيوعاً اسم (إبراهيم) ، ومن جملة من تسمى بها : إبراهيم جدّ عدي بن زيد بن حمّان بن زيد بن أيوب من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . فولد أيوب إبراهيم وسلم وثعلبة وزيد . منهم عدي بن زيد

١ الاشتقاق (٤٤) ، النصرانية (٢٢٨) .

ابن حمان بن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر . ومنهم مقاتل بن حسان بن ثعلبة ابن أوس بن ابراهيم بن أيوب ، الذي نسب اليه قصر مقاتل . وقال ابن الكلبي : لا أعرف في الجاهلية من العرب أيوب و ابراهيم غير هذين ، وإنما سمياً بهذين الإسمين للنصرانية ^١ .

ومن سمى بابراهيم : ابراهيم بن كُتَيْف النبهاني ، وهو شاعر قديم ، و ابراهيم الأشهلي ، و ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي القرشي ، وأبو رافع ابراهيم القبطي ، وهو من موالي الرسول ، و ابراهيم بن عباد الأوسي ، و ابراهيم بن قيس بن حجر بن معديكرب الكندي ، و ابراهيم النجار وهو الذي صنع المنبر لرسول الله . وأكثر هؤلاء هم من الذين عاصروا الرسول وكانوا من صحابته ^٢ . ويجب ألا ننسى أن الرسول سمى ابنه الذي توفي صغيراً في حياته ابراهيم ^٣ .

وعرف من الصحابة رجل اسمه (إسحاق الغنوي) ^٤ ، وعرف ثلاثة صحابين باسم (اسماعيل) ^٥ . وأما (أيوب) ، فقد عرف به (أيوب بن مجروف) جد عدي بن زيد العبادي ، وأيوب بن مكرز ، كما تكنى به أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري من الصحابة ، وهو الذي نزل عليه الرسول يوم مقدمه الى يثرب مهاجراً من مكة ^٦ .

واسم (داوود) من الأسماء التي وردت في جملة أسماء ملوك بني سليح ، فذكر منهم (داوود اللقي) ^٧ . وأظن ان لفظة (دؤاد) التي كنى بها الشاعر الجاهلي أبو دؤاد الإيادي هي من داوود ^٨ ، وإن ذهب المفسرون فيها مذهباً آخر فقالوا انها من الدؤود والدوادة والدودة وأمثال ذلك ^٩ . وعرف شاعر آخر باسم

-
- ١ تاج العروس (١/١٥١) ، (أوب) ، النصرانية (٢٢٩) .
 - ٢ أسد الغابة (١/٤٠) وما بعدها ، الاصابة (١/٢٥) وما بعدها ، النصرانية (٣٢٩) .
 - ٣ ابن هشام (١/٢٠٦) .
 - ٤ أسد الغابة (١/٦٨) ، الاصابة (١/٤٧) ، (رقم ٩٤) ، النصرانية (٢٢٩) .
 - ٥ أسد الغابة (١/٧٩) ، الاصابة (١/٥٥) وما بعدها ، النصرانية (٢٣٠) .
 - ٦ ابن هشام (٢/٦٦ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ٣٠٥) ، (٣/٣٤٧ ، ٣٩٢) ، الاشتقاق (٢٦٦) .
 - ٧ الاشتقاق (٣١٩) ، النصرانية (٥٣٢) .
 - ٨ النصرانية (٢٣٢) .
 - ٩ الاشتقاق (١٠٤) .

داوود بن حمل الهمداني^١ ، ومن الأنصار رجل اسمه داوود بن بلال^٢ وصحابي اسمه داوود بن سلمة الأنصاري^٣ .

وقد عرف داوود في الشعر الجاهلي بنسجه الدروع حتى ضربت بدروعه عندهم المثل . وهي في نظرهم دروع قوية ممتازة ، صنعها من الحديد الذي كان يلين بين يديه^٤ . وقد تكرر ورود ذلك في أشعار جملة شعراء ، مما يدل على أنها كانت معروفة بين الجاهليين مشهورة . هذا ولا بد ان يكون لذلك أصل بعيد ظهر من قصص بني اسرائيل عن داوود وعن ملكه وحروبه وتغلبه على خصومه . هذا القصص الذي جعل من داوود رجلاً لا يستطيع التغلب عليه بفضل الحديد الذي لان بين يديه ، فصار دروعاً لا تمضي فيه سيوف المقاتلين .

-
- ١ النصرانية (٢٣٢) .
 - ٢ أسد الغابة (١٢٩/٢) ، الاصابة (٤٦٣/١) ، (رقم ٢٢٨٧ و ٢٢٨٨) ، الاصابة (١٦٩/٤) ، (٩٨٨) .
 - ٣ الاصابة (٤٦٣/١) .
 - ٤ قال طرفة :
- وهم ما هم اذا ما لبسوا نسج داوود لباس محتضر
النصرانية (٢٧٢) ، شعراء النصرانية (٣٠٩) ، ديوان طرفة (٥٨) .
- وقال حصين بن الحمام المري :
صفائح بصرى أخلصتها قيونها ومطردا من نسج داوود بهما
الحماسة لأبي تمام (١٨٩) ، النصرانية (٢٧٣) .
- وقال حسييل بن سجيح الضبي :
وبيضاء من نسج ابن داوود ثرة نخيرتها يوم اللقاء ملابسا
الحماسة لأبي تمام (٢٨٤) ، النصرانية (٢٧٣) .
- وللبيد :
ونزعن من داوود أحسن صنعه ولقد يكون بقوة ونعيم
صنع الحديد لحفظه أسراده لينال طول العيش غير سروم
ديوان لبيد (٨٣) ، (طبعة الخالدي) ، النصرانية (٢٧٣) .
- وللأعشى :
ومن نسج داوود يجدي بها على آثر العيس عيرا فعيرا
النصرانية (٢٧٣) ، شعراء النصرانية (٣٨٨) .
- ولسلامة بن جندل :
مداخلة من نسج داوود شكلها كحب الجناس من أبلسم منفرق
وله أيضا :
من نسج داوود وآل محرف غال غرائهن في الآفاق
النصرانية (٢٧٣) .

ولم يخل شعر الأعشى من اسم داوود ، فورد في مناسبة التحدث عن حوادث الزمان واعتداء الدهر على الانسان ، وتبدل الأيام ، كما في موضع آخر في كلامه على الدروع^١ . أما عبيد الأبرص ، فقد ذكره في أثناء كلامه على طول العمر^٢ .

وعرف (سليمان) في أبيات للناطقة قالها في مدح النعمان ملك الحيرة بتسخيره الجن لبناء تدمر^٣ . وعرف بمثل ذلك وبينائه الأبنية الفخمة وبسعه ملكه في شعر شعراء آخرين^٤ . وإذا كان ما نسب الى أولئك الشعراء صحيحاً ، كان رأيهم هذا في سليمان بتأثير ما كن يقصه أهل الكتاب على الجاهليين من قصص وارد في العهد القديم ، في سفر الملوك الثالث وأخبار الأيام الثاني عن ملكه وعجيب أبنيته^٥ .

وقد ورد اسم سليمان علماً لجملة رجال عاشوا في الجاهلية وفي أيام الرسول ، فهناك حاكم من حكام العرب المعروفين في الجاهلية اسمه (سليمان بن نوفل)^٦ .

- ١ ومر الليالي كل وقت وساعة يزعرعن ملكاً أو يباعدن دانيا
وردن على داوود حتى أبدنه وكان يغادي العيش أخضر صافيا
الحماسة ، للبحثري (٩٠) ، النصرانية (٢٧٢) .
- ٢ وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضا وكدت أن أرى داوودا
خزانة الأدب (١/٣٢٣) ، النصرانية (٢٧٢) .
- ٣ ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحد
الا سليمان ، اذ قال الاله له : قم في البرية فاحدها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم بينون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فاخضعه بطاعته كما أطاعك وأدله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ننهي الظلوم ولا تعقد على أحد
العقد المين (٧) ، شعراء النصرانية (٦٦٣) ، النصرانية (٢٧٤) .
- ٤ قال الأعشى :

- فلو كان حيا خالدا ومعمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهسي واصطفاه عبادة وملكه ما بين سرفي الى مصر
وسخر من جن الملائك شيعة قياما لديه يعملون بلا أجر
البدء والتاريخ (٣/١٠٨) ، النصرانية (٢٧٤) ، وله أيضا :
- فذاك سليمان السدي سخرت له مع الانس والجن الرياح المراهيا
الحماسة ، للبحري (٨٦ وما بعدها) ، النصرانية (٢٧٥) .
- ٥ النصرانية (٢٧٣) .
- ٦ العقوبى (١/٢٩٩) ، النصرانية (٢٣٢) .

وهناك جملة من الصحابة عرفوا بسليمان^١ . ومن هذه اللفظة نشأت الأسماء : سلمان وسلام ، وسليم ، كما يتبين ذلك من أبيات للأسود بن يعفر^٢ والحطيئة^٣ والنابغة^٤ . وعرف سلمان رجل من نصارى بني عجل اسمه سلمان العجلي .

وهناك طائفة لأسماء نصرانية خالصة تسمى بها نفر من الجاهليين قبل الاسلام، مثل : عبد المسيح ، وعبد ياسوع ، وعبد يسوع ، وعبد يشوع ، وايشوع ، وأنجر . وقد عرف بأنجر عدد من ملوك الرها ، كما عرف بها أنجر بن جابر سيد بني عجل ، وأفريم ، وبولس ، وجرجس ، وجريج ، ورومان ، ورومانوس ، وسرجس ، وسمعان ، وشمعون ، ونسطاس ، وحنين ، و (حنيناء) و (يحنة)^٥ . ومن أسماء النساء : مارية ، ومريم ، وحنة^٦ ، ومن بين هذه الأسماء ما كانت خاصة بطبقة الموالي الذين جلبوا من الخارج ، وبيعوا في أسواق النخاسة ، فحافظوا على أسمائهم القديمة التي تشير الى أصولهم في النصرانية .

ونرى ورود (عبد المسيح) بين أسماء أهل الحيرة بصورة خاصة ، ورد علماً لأناس معروفين جداً بينهم ، وكانوا عليهم زعماء ، مثل عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقليلة ، وكان في جملة من خرج للملافة خالد بن الوليد

١ مثل سليمان بن الحارث ، الاشتقاق (٣١٨/٢) ، وسليمان الليثي بن أكيمة ، وسليمان بن أبي حنمة القرشي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وسليمان بن عمرو ابن حديدة ، وسليمان بن مسهر ، وسليمان بن هاشم بن عتبة القرشي ، أسد الغابة (٣٥٠/٢) وما بعدها ، الاصابة (١٢٨/٢) وما بعدها ، النصرانية (٢٣٢) ، تاج العروس (٣٤٤/٨) .

٢ ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داوود أبي سلام تاج العروس (٣٤٤/٨) .

٣ فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلام النصرانية (٢٣٢) .

٤ وكل صموت نئلة بعية ونسج سليم كل قضاء ذائل ديوان النابغة (٩٩) ، النصرانية (٢٣٣) ، « أراد نسج داوود ، فجعله سليمان ثم غير الاسم ، فقال سلام وسليم . ومثل ذلك في أشعارهم كثير . قال ابن بري : وقالوا في سليمان اسم النبي ، صلى الله عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة » ، اللسان (١٩٢/١٥) وما بعدها ، تاج العروس (٣٤٤/٨) .

٥ البكري ، معجم (٥٨٠/٤) ، تاج العروس (١٨٦/٩) .

٦ النصرانية (٢٣٩) ، وقد أورد قائمة بالاسماء النصرانية ، وأورد أمثلة لمن تسمى بها قبل الاسلام من الجاهليين ، البكري ، معجم (٥٧٨/٤) ، « دير حنة » .

للاتفاق معه على شروط الصلح^١ . وعادة جعل المرء نفسه عبداً لإلهه أو لشخص مقدس ، كما في هذه التسمية ، لم تكن من العادات الخاصة بالنصارى ، فقد رأينا أن أكثر الجاهلين كانوا يجعلون أنفسهم عبداً لإلهه من الآلهة ، ثم يتخذون ذلك تسمية لهم ، مثل عبد العزى ، وعبد يغوث ، وعبد ود ، وأمثال ذلك . فلما كانت النصرانية، تبرأ من تنصر من اسم الآلهة الوثنية، وأحلوا محلها اسم المسيح. وكان اسم والد حنظلة صاحب دبر حنظلة الذي بأرض بني علقمة بالحيرة (عبد المسيح) ، ويذكر الأخباريون أنهم وجدوا على صدر الدير كتابة مكتوبة بالرصاص على ساج محفور : « بني هذا الهيكل المقدس ، محبة لولاية الحق والأمانة ، حنظلة بن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياؤه بالعصمة ، يكون ذكر الخاطيء حنظلة »^٢ .

غير ان هذه الأسماء اليهودية الأصل أو النصرانية قليلة الاستعمال ، فلم تكن مستعملة بنطاق واسع . وأكثر من تسمى بها ، هم من الموالي والأرقاء ، أو من العرب الذين كانوا على أطراف العراق وبلاد الشام ، ومن تأثر بالمؤثرات الثقافية الأعجمية ، أو ممن كان على يهودية أو نصرانية ، فتسمى بأسماء محبة أو مباركة في هاتين الديانتين .

وأهل نجران ، هم الذين كانوا يجادلون الرسول في طبيعة المسيح ، فلم يكن بمكة أو يثرب قوم منهم يستطيعون مجادلته في أمور الدين . وقد ذكر بعض المفسرين ان أهل نجران كانوا أعظم قوم من النصارى جادلوا الرسول في عيسى . جاؤوا إلى الرسول ، فقالوا له : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسى . تزعم انه عبدالله . فقال : أجل انه عبدالله . قالوا : فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ، ثم خرجوا من عنده غاضبين . وقالوا إن كنت صادقاً ، فأرنا عبداً يحيا الموتى ويبرئ الأكف ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلما عادوا قال رسول الله : مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون^٣ .

١ البلاذري ، فنوح (٢٥٢) ، المعمرن ، للسجستاني (٣٨) ، « طبعة كولدتزير » .
المشرق ، السنة السابعة عشرة ، (١٩١٤) ، (ص ١٣٢) ، البلدان (٦٧٧/٢) .
٢ البكري ، معجم (٥٧٢/٢) ، (دبر حنظلة) .
٣ تفسير الطبري (٢٠٧/٣) وما بعدها .

وقد جادل بعض النصارى رسول الله في أمور الدين ، ثم أسلموا . ونظراً لقلة عددهم يثير ، لم يقاوموه هنا كما قاومه اليهود . وطبعي أن يتأثر نصارى الجاهلية بلغة بني إرم ، فيستعملوا المصطلحات الدينية التي كانت شائعة في الكنيسة ، وهي مصطلحات إرمية الأصل في الغالب : فقد كانت لغة بني إرم لغة العلم والدين عند النصارى الشرقيين . بها يقيمون طقوسهم الدينية ، ومنها يترجمون الأناجيل الى أتباعهم النصارى العرب ، فدخلت بذلك الى العربية ألفاظ إرمية ذات معان خاصة . ومنها الألفاظ التي تكلمنا عنها وألفاظ أخرى عديدة لم نتطرق اليها ، لعدم وجود صلة لها بهذا الموضوع ، وخشية الإطالة والخروج على صلب الموضوع . وهناك مصطلحات يونانية ولاتينية وحشية ، لها صلة بالدين وبالمجتمع دخلت العربية أيضاً عن طريق النصرانية ، ظهر أثرها في نصارى بلاد الشام والعربية الغربية خاصة ، بتأثير الاحتكاك المباشر والتبشير .

وقد عني بعض الباحثين بجمع المصطلحات الدينية المعروفة عند أهل الكتاب في الجاهلية والتي أقرها الاسلام على نحو ما كانت تعرف به ، أو أعطاها معنى خاصاً ، ومن بينها عدد كبير ورد في القرآن الكريم^١ . ولما كانت غالبية العرب على الوثنية ، وهي ديانة بسيطة قليلة الشعائر بالنسبة الى اليهودية والنصرانية ، لذلك كانت هذه المصطلحات شائعة معروفة بين أهل الكتاب من الجاهليين ، وقد نقلوها من اللغات الدينية التي كتب بها علماء أهل الكتاب ، فهي في الغالب من أصل سرياني أو عبراني أو يوناني أو حبشي .

وقد جمع الأب (شيخو) في كتابه : (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) الألفاظ الخاصة بأهل الكتاب من الأبيات الواردة في دواوين شعراء الجاهلية وفي كتب الأدب ، وهي أبيات منها ما أجمع الرواة وأهل الأخبار على نسبتها الى أولئك الشعراء ، ومنها ما ورد عند بعض الرواة والأخباريين ولم يرد في دواوين أولئك الشعراء . ليجعل من تلك الألفاظ دليلاً على أثر النصرانية في الجاهليين ، وعلى مدى تغلغلها بينهم . وهو حكم لا يمكن أن يكون سليماً ، إلا بعد ثبوت صحة نسبة تلك الأبيات الى الجاهليين .

Nöldeke, Neue Beiträge zur Semit. Sparad., S. 1. ff., J. Horowitz, Jewish Proper Names and derivatives in Koran, 145, R. Bell, The Grigin of Islam in its Christian Environment, London, 1926. ١

وقد كان للنصرانية أثر مهم في نشر الكتابة العربية ، المأخوذة عن الإرامية ، بين الجاهليين ، الكتابة التي تولد منها قلمنا الذي نكتب به في الوقت الحاضر . وقد وجد المسلمون في فتحهم للعراق مدارس عديدة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، كما أن تجار مكة ويثرب الذين كانوا يقصدون الشام والعراق وجدوا الضرورة تحتم عليهم تعلم هذا الخط ، فتعلّموه . ولما نزل الوحي كتب كتابه به ، فصار قلم المسلمين . كما سأحدث عن ذلك في موضوع الخط عند الجاهليين .

ولم يترك رجال الدين من النصارى العرب لنا أثراً كتابياً ينبىء عن مدى اشتغالهم في علم اللاهوت وفي العلوم الأخرى ، غير أن هذا لا يعني أن النصارى العرب لم يخرجوا علماء دين منهم ، ولم يعطوا النصرانية رجالاً منهم يخدمها ويقف حياته الروحية عليها ، ففي قوائم أسماء من حضروا المجمع الدينية التي عقدت للنظر في الأمور الجدلية وفي القضايا التي تخص مبادئ الدين أسماء رجال تنبىء أنهم كانوا عرباً ، وقد دونت في محاضر تلك المجالس أسماء المواضع التي مثلوها من بلاد العرب ، كما أن بين رجال الدين الكبار الذين نبغوا في العراق من كان أصله من الحيرة ، وإذ كانت غالبية سكان هذه المدينة من العرب ، فلا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء العلماء النصارى الحيريين من كان من أصل عربي .

لقد كانت النصرانية عاملاً مهماً بالطبع في ادخال الآراء الإغريقية والسريانية إلى نصارى العرب ، فقد كانت الكنيسة مضطرة إلى دراسة الإغريقية ولغة بني إرم ، لما للعتين من قدسية خاصة نشأت من صلتها بالأناجيل . وقد كان أثر الإرامية أهم في الكنيسة الشرقية من الإغريقية ، لكونها لغة الثقافة في الهلال الخصيب في ذلك العهد . ولهذا وجدنا معظم التعابير والمصطلحات الدينية عند نصارى الشرق هي من هذه اللغة ، ومنها أخذها النصارى العرب ، فصارت عربية . وقد كان السريان قد نقلوا بعض مؤلفات اليونان واللاتين إلى لغتهم . ولا أستبعد نقلهم بعض تلك المؤلفات ، ولا سيما الدينية منها ، من هذه اللغة إلى اللغة العربية ، وذلك قبل الاسلام ، أو ترجمتها ترجمة شفوية لطلاب العلم من العرب ممن كانوا لا يفقهون لغة بني إرم ، أو لا يلمّون بها إلماماً صحيحاً . وإذ كانت هذه اللغة لغة مقدسة ولغة الكنيسة الرسمية ، وكان أكثر رجال الدين من بني إرم ، فقد كانت هذه اللغة اللغة المقررة في الكنيسة . بها يدرس ويتباحث رجال الدين وإن كانوا عرباً ، على نحو ما يفعله رجال الدين المسلمين الأعاجم الذين يدرسون العربية بعلومها المختلفة

ليتفقهوا بذلك في الدين ، والعربية هي لغة الدين الاسلامي، وكما يفعل رجال الدين الكاثوليك أيضاً في دراستهم اللاتينية وتبحرهم بها لأن اللاتينية هي لغة النصرانية عند الكاثوليك .

وكان للنصرانية أثر آخر في نصارى عرب الجاهلية، هو أثرها فيهم من ناحية الفن ، إذ أدخلت النصرانية بين العرب فناً جديداً في البناء . هو بناء الكنائس والأديرة والمذابح والمحاريب والزخرفة ، كما أدخلت النحت والتصوير المتأثرين بالترعة النصرانية . ولدخول أكثر هذه الأشياء لأول مرة بين الجاهليين، استعملت مسمياتها الأصلية اليونانية أو الإرمية في اللغة العربية ، بعد ان صقلت وهذبت ، حتى اكتسبت ثوباً يلائم الذوق العربي في النطق . وستكشف الحفريات في المستقبل عن مدى تأثر النصارى العرب الجاهليين بالفن النصراني المقتبس عن الروم أو عن بني إرم والأحباش .

الفصل الثالث والثمانون

المجوس والصابئة

يقصد الأخباريون بالمجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة : الخير والشر ، فيزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة^١ . وهم يعلمون أن المجوس من الفرس وأنهم عبدة النيران .

وفي القرآن الكريم ذكر للمجوس . وقد ورد ذكرهم في موضع واحد منه : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد^٢ » . وفي ذكرهم في القرآن الكريم دليل كاف على معرفة أهل الحجاز بهم ، ووقوفهم عليهم . وكيف لا يكون لهم علم بهم ووقوف عليهم ، وقد كان لأهل مكة اتصال وثيق بالخيرة كما كان لأهل الحجاز اتصال باليمن ؟ وقد كان المهيمن على اليمن الفرس عند ظهور الإسلام ، حيث طردوا الأحباش وأخذوا محلهم ، وقد كان هؤلاء الفرس على المجوسية ، ثم إنه كان في حضرموت وفي العربية الشرقية أناس منهم أقاموا هناك . وقد كان وكلاء الأكاسرة على هذه الأماكن منهم ، وهم على دين

١ النهاية (٨٥/٤) ، اللسان (٩٨/٨) (مجس) ، تاج العروس (٣٤٥/٤) (مجس) ، الملل والنحل (٥٧/٢) ، الحيوان (١٩٠/١) ، (٩٥/٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨١) ، المسعودي ، مروج (٢٥٢/١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٣) ، (بيروت) ، عمدة القارئ (٧٨/١٥) .
٢ الحج ، الآية ١٧ ، عمدة القارئ (٧٨/١٥) وما بعدها ، الطبرسي ، مجمع البيان (٨٨/١٣) وما بعدها ، تفسير أبي السعود (٨/٤) ، تفسير الطبري (٢٠١/٦) ، روح المعاني (١٧٩/٦) ، تاج العروس (٢٤٥/٤) ، (مجس) .

المجوسية . وقد أشير الى وجودهم في أخبار الفتوح ، حيث دفع الجزية من أبى منهم الدخول في الإسلام . والظاهر أن هؤلاء كانوا مقيمين فيها من أمد طويل بدليل ورود جملة في أخبار الفتوح تفيد ذلك ، وهي : « وأسلم معها جميع العرب وبعض العجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى ، فإنهم صالحوا العلاء »^١ .

ويروي أهل الحديث حديثين يذكران ان الرسول قالهما هما : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه يمجسانه » ، أي يعلمانه دين المجوسية . وحديث « القدرية مجوس هذه الأمة »^٢ . وفي هذين الحديثين ذكر للمجوس . ولعلماء الحديث كلام عليها . ولا سيما على الحديث الثاني ، وفيه تعريض بالقدرية ، أسلاف المعتزلة .

وكلمة (مجوس) من الكلمات المعربة ، عربت عن لفظة (مغوس) « Maghos » الفارسية التي تعني (عابد النار)^٣ . وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية كذلك ، حيث وردت لفظة « Magi » فيها ، وهي جمع (مجوس) « Magus »^٤ . وقد دخلت الى لغة (بني لرم) أيضاً . ولا ندري اليوم على وجه صحيح من أي طريق دخلت لفظة (مجوسي) و (مجوس) الى العربية ، عن الفرس أنفسهم ، أو عن اليونانية أو عن طريق لغة (بني لرم)^٥ !
وقد عرف علماء اللغة بأن لفظة (مجوس) من الألفاظ المعربة . وقد ذهبوا الى انها معربة عن الفارسية القديمة . ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أصل اللفظة وفي بيان معناها ، وذهبوا في ذلك مذاهب^٦ ، وبعض هذه التفسيرات والتأويلات مفتعل يدل على عدم وقوف أصحابها على جليلة الموضوع .

١ البلدان (٧٤/٢) ، « ومن أبى فعليه الجزية . فصالحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على أن على المجوس الجزية » ، « وأخذ الجزية من المجوس » ، الطبري (٢٩/٣) .

٢ اللسان (٢١٣/٦) وما بعدها ، تاج العروس (٣٤٥/٤) ، اللسان (٩٨/٨) «مجس» « طبعة بولاق » .

٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .

٤ Hastings, p. 565.

٥ Shorter Ency. of Islam, p. 98, Ency., III, p. 97.

٦ اللسان (٩٨/٨) « طبعة بولاق » ، محيط المحيط (٢٥٠/٢) ، تاج العروس (٣٤٥/٤) «مجس» ، الحيوان ، للتاج (٦٩/٥) « عبد السلام هارون » ، المغرب ، للجواليقي (٣٢٠) .

ويريد الأخباريون بالمجوسية عبادة النار . وإذا صح ما ورد في شطر بيت منسوب الى الشاعر الجاهلي (التوأم الشكري) المعاصر لامرئ القيس ، هو :
(كنار مجوس تستعر استعاراً)^١ ، فإن فيه دلالة على ان هذا الشاعر هو وامراً القيس كانا على علم بنار المجوس ، وانها كانت تستعر دائماً ، وربما كانا على علم ببعض تعاليمها أيضاً .

وفي أخبار أهل الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب ، فورد أن « المزديكية والمجوسية في تميم »^٢ . وورد أن (زرارة بن عدس) وابنه (حاجب بن زرارة) ، وهما من سادات تميم كانا قد اعتنقا المجوسية ، واعتنقها أيضاً (الأقرع بن حابس) و (أبو الأسود) ، جدّ (وكيع بن حسان)^٣ . وقيل إن أشتاناً من العرب عبدت النار ، سرى إليها ذلك من الفرس والمجوس^٤ .

وكان مجوس اليمن ، من الفرس الذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن ، فهم وأبناءؤهم كانوا على هذا الدين ، دين الانبراطورية الفارسية . ولما ظهر الإسلام ، نبذ هؤلاء المجوسية واعتنقوا الإسلام^٥ .

وأما مجوس عُمان وبقية أنحاء العربية الجنوبية ، فقد كانوا من الفرس كذلك : من تجار ومن مقيمين من بقية الفرس الذين كانوا قد استولوا على هذه الأرضين . وعند ظهور الإسلام لم يكن لهم نفوذ سياسي ، فقد كان سادات القبائل قد كونوا مشيخات فيها ، واستقلت في إدارة شؤونها ، غير أن المجوس بقوا فيها ، وعند دخول أهلها في الاسلام ، ودخول البلاد في دين الله ، دفع بعض أولئك المجوس الجزية ، ودخل الباقون في الإسلام . شأنهم في ذلك شأن اليهود والنصارى المقيمين في هذه الأرضين .

وأما مجوس البحرين ، فقد كانوا أكثر عدداً وأكبر نفوذاً من اخوانهم في عُمان ، لقرب هذه الأرضين من انبراطورية الساسانيين ، ولهجة الفرس من السواحل المقابلة ومن طريق الأبله الساحلي . وقد عثر المنقبون على قبور عديدة

١ اللسان (٦/٢١٣) وما بعدها ، ناج العروس (٤/٢٤٥) ، (مجس) .

٢ البدء والتاريخ (٤/٣١) .

٣ المعارف (٢٦٦) « الصاوي » ، البدء والتاريخ (٤/٣١) ، الاعلاق النفيسة (٢١٧) .

٤ بلوغ الأرب (٢/٢٣٣) .

٥ Ency., Vol., III, p. 99.

تعود اليهم ؛ وعلى آثار لمعابدهم في العربية الشرقية . وكان على (هجر) ، حين أبلغ الرسول دعوته اليها ، رجل من الفرس اسمه (سبيخت مرزبان) ، وقد أسلم وأسلم معه قوم من قومه ، ودفع الجزية من فضل البقاء منهم على دينه ، شأنهم في ذلك شأن أهل الكتاب^١ . وذكر ان الرسول كتب الى (مجوس هجر يعرض عليهم الاسلام ، فإن أبوا أخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم)^٢ .

وكان باليامة قوم من المجوس ، عاشوا في قراها ومواضعها ، اشتغلوا بالزراعة وبالتعدين . وأرض اليامة أرض غنية ، وهي (ريف) أهل مكة ، وعليها اعتمادهم في الحصول على الحبوب . كما عرفت بوجود المعادن بها ، فسهل أهلها دخول المجوس اليها ، للاستفادة منهم في استغلال الأرض وفي التعدين .

هذا ولم نسمع بدخول أحد من ملوك الحيرة ، أو الأمراء الذين عينهم الفرس على العرب في المجوسية مع علاقتهم بالفرس واتصالهم الوثيق بهم ، ووجود الفرس في أرضهم وفي عاصمتهم ، بينما نجد بعضاً منهم وقد دخل في النصرانية . ولعل ذلك بسبب عدم ميل الفرس الى ادخال أحد من الغرباء عنهم في دينهم وإلى عدائهم المجوسية ديانة قومية خاصة بهم ، فلا يهجم دخول أحد من غيرهم فيها .

هذا ولا أجد صلة بين (الأسبذية) التي زُعم أنها ديانة قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين ، عرفوا بـ (الأسبذيين) ، وبين (بني دارم) ، وكونهم كانوا على هذا الدين . فقد كان أحدهم وهو (المنذر بن ساوى) أسبذياً ، ولم يكونوا كلهم . قيل إنه نسب الى قرية بهجر يقال لها (الأسبذ) ، وقيل الى الأسبذيين^٣ . ولا صلة لهذه الأسبذية بالمجوسية ، أو الى ديانة دخلت من فارس الى البحرين . وقد تحدثت في مكان آخر عن وجود قوم من العرب قدسوا (الحصان) . ورأيت أن المراد من (الأسبذية) الفرسان . وأن (المنذر بن ساوى) كان (أسبذاً) أي بدرجة فارس ، وهي من درجة الشرف والرفعة في الجيش الساساني .

١ البلاذري (٨٥ وما بعدها) ، البلدان (٢/٧٣ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٣) ، (صادر) .

٣ فتوح البلدان (٩٨) ، (٨٩) (طبعة المكتبة التجارية) ، محاضرات للدكتور صالح أحمد العلي (١٧١) .

ويذكر علماء اللغة في معرض كلامهم على معنى لفظة (الزمزمة) ان من عادة المجوس الزمزمة عند الابتداء بالأكل ، أي قراءة شيء من كتبهم الدينية قراءة خافتة على المأكول تقديساً وشكراً له . وقد نهى الخليفة عمر عن الزمزمة ، لأنها من علائم المجوس^١ .

وقد عرف عالم المجوس ورئيسهم الروحي عند العرب بـ (الموبذ) و (الموبذان) ، وعرف كبيرهم بـ (موبذان موبذ) ؛ وجعل بعض العلماء (الموبذان) بمنزلة قاضي القضاة للمسلمين ، والموبذ بمنزلة القاضي^٢ . وتعني (موبذان موبذ) الموبذ الأعظم . وقد اكتفي أحياناً بلفظة (موبذان) للتعبير عن (موبذان موبذ) . وقد فسر المسعودي لفظة (الموبذ) بمعنى حافظ الدين . ورجع أصلها الى (مو) بمعنى (دين) في رأيه ، و (بذ) بمعنى (حافظ)^٣ . ورأى (اليقوبي) ان (الموبذان) بمعنى عالم العلماء^٤ . والموبذ هي من الألفاظ المعربة عن الفهلوية ، فهي من أصل فهلوي هو Magupat ، بمعنى عظيم المجوس . ويتمتع هذا الرئيس الديني الأعظم بسلطات دينية واسعة^٥ . وقد أطلق السريان على الموبذ جملة (ريش مكوشي) (Resh Magushi) ، و (Resh dam'gushi) ، أي (رئيس المجوس) ، و (مكوش) تعني (المجوس)^٦ .

وترد في العربية لفظة أخرى ، لها صلة بالمجوسية ، هي (الهربذ) ، و (الهربذة) . ذكر علماء اللغة أن «الهرباذية : المجوس ، وهم قومة بيت النار التي للهند ... وقيل عطاء الهند أو علماءهم» . وذكروا أن «الهربذي مشية فيها اختيال ، كمشي الهرباذة ، وهم حكام المجوس . قال امرؤ القيس :

مشى الهربذي في دفه ثم فر فرا^٧»

-
- ١ اللسان (١٦٥/١٥) ، تاج العروس (١٦٥/٨) ، تاج العروس (٣٢٨/٨) .
 - ٢ اللسان (٥١١/٣) ، (موين) ، النهاية في غريب الحديث (١١٩/٤) ، تاج العروس (٥١٣/٢) .
 - ٣ مروج الذهب (٢٦٨/١) ، (ذكر ملوك الساسانية) ، Ency., III, p. 543.
 - ٤ تاريخ اليعقوبي (٢٠٧/١) .
 - ٥ Ency., III, p. 543.
 - ٦ اللسان (٥١٧/٣) وما بعدها ، (هربن) ، Ency., III, p. 543.
 - ٧

واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية . من أصل (هور) و (بت) ،
بمعنى رئيس خدام النار . والموكل على خدمة النار في المعبد^١ .

وقد ذكر (الألوسي) ، أن صنفاً من العرب عبد النار ، وقال عنهم :
« وهم أشتات من العرب ، وكأن ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس »^٢ .
ولم يذكر أسماء هؤلاء الأشتات . ولم يتحدث عن طريقة تعبدهم للنار . ولكننا
نستطيع أن نجد في (نار الاستمطار) وفي (نار التحالف) وفي النيران الأخرى
التي يذكر أسماءها أهل الأخبار دلالة على وجود فكرة تقديس بعض العرب للنار.
وقد حجب الاسلام هذه النيران .

فقد ذكر أهل الأخبار ان العرب كانت في الجاهلية الأولى ، اذا احتبس عنهم
المطر ، ويشسوا من نزوله ، يجمعون البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلع^٣
والعشر^٤ ويصعدون بها في الجبل الوعر ، ويشعلون فيها النار ، ويزعمون ان ذلك
من أسباب المطر ، قال الشاعر (الورل) الطائي :

أجعل^٥ أنت بيقوراً مسلعة وسيلة منك بين الله والمطر^٦

وقد أشير الى هذه النار في شعر ينسب الى أمية بن أبي الصلت^٧ . ويسمونها
بنار الاستسقاء وبنار الاستمطار^٨ .

وذكروا ناراً أخرى قالوا لها : (نار التحالف) و (نار المهول) . وقالوا
ان العرب كانوا لا يعقدون حلفاً إلا عليها ، وكانوا اذا اختصموا في شيء ،
واتفقوا على اليمين ، حلفوا على النار . ولهذا قيل لها (نار التحالف) . وطريقتهم
في ذلك أن المتحالفين أو المتخاصمين يحفرون أمام نار يوقدون ، ثم يلقون عليها

-
- ١ غرائب اللغة (٢٤٨)
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٣٣ / ٢) ٠٠
 - ٣ (الوديل الطائي) ، صبح الاعشى (٤٠٩ / ١) ، بلوغ الأرب (١٦٤ / ٢) ، خزائن
الأدب (٢١٢ / ٣) ، الحيوان (٤٦٨ / ٤) ،
لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجعل أنت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر
اللسان (٧٣ / ٤) ، (بقر) ٠
 - ٤ نهاية الأرب ، للتويزي (١٠٩ / ١) وما بعدها ، الحيوان (٤٦٦ / ٤) وما بعدها ٠
 - ٥ نزهة الجليس (٤٠٦ / ٢) ٠

ملحاً وكبريتاً . وعندئذ يذكرون منافع هذه النار ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد. وفي حالة الحلف واليمين يقول صاحب النار للحالف: « هذه النار قد تهادنتك » ، فإن كان مبطلاً نكل ، وإن بريئاً حلف ، ولذلك قيل لها « نار المهول »^١ . وذكروا أيضاً أن هذه النار كانت معروفة في اليمن، مستعرة دائماً ، ولها سادة سدنة وقيّمون يطرحون الملح والكبريت في النار ، أما السدنة فيقومون بأخذ اليمين . وكان سادتها إذا أتى برجل ليحلف ، هيبوه من الحلف بها ، وخوفوه من الكذب . وقد عرفت هذه النار بـ (نار التحالف) كذلك . وقد أشار إليها الكميّ بقوله :

همُ خوفوني بالعمى هوّة الردى كما شب نار الحالفين المهول

كما أشار إليها شاعر آخر هو أوس ، إذ قال :

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صدّ عن نار المهول حالف^٢

وذكر (الجاحظ) أن العرب « يقولون في الحلف : الدّم ، الدّم ، والهدم ، لا يزيده طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مدّاً ، ما بل البحر صوفة ، وما أقام رضوى في مكانه ، إن كان جبلهم رضوى . »
« وكل قوم يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم »^٣ .

بل زعم بعض أهل الأخبار أن حمير كانت تحتكم إلى نار كانت باليمن تحكم بينهم فيما كانوا يختلفون به . تأكل الظالم ولا تضر المظلوم . فلما اعتنق التبّع (تبارك أسعد) ، ديانة يهود ، وطلب من قومه الدخول فيها ، أبوا عليه ذلك ، وطلبوا منه الاحتكام إلى تلك النار في قصة يذكرونها في سبب تهوّد بعض حمير^٤ . وللعرب نار السعالى والجن والغيلان^٥ . ذكروا أن الغيلان توقد بالليل النيران

-
- ١ اللسان (٢٤٣/٥) ، (نور) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .
 - ٢ اللسان (١٠٢/٧) ، صبح الاعشى (٤٠٩/١) ، خزانة الادب (٢١٢/٣) ، (خوفونا) ، نهاية الارب (١٠٩/١) وما بعدها ، بلوغ الارب (١٦١/٢) وما بعدها ، الحيوان (٤٧٠/٤) .
 - ٣ الحيوان (٤٧٠/٤) وما بعدها .
 - ٤ سيرة ابن هشام (٢٧/١) .
 - ٥ الحيوان (٤٨١/٤) .

للعبث والتخيل واضلال السابلة . وانما ترفع للمثقف فیتبعها فتھوی بـه الغول .
وأورد أهل الأخبار شعراً في ذلك منه شعر لـ (عبيد بن أيوب) ، المعروف
بـ (أبي مطراب) ، وكان يزعم انه يؤاكل الطباء والوحش ويرافق الغول
والسعلاة ، ويبيت الذئب والأفاعي^١ .

وذكر أهل الأخبار قصة عن (خالد بن سنان العبسي) النبي العربي الذي
منحه بعضهم في الاسلام جملة (عليه السلام) باعتبار انه من أنبياء الله ، قد
يكون لها صلة بعقيدة عبادة النار عند العرب . إذ ذكروا ان ناراً ظهرت «بالبادية
بين مكة والمدينة في الفترة ، فسمتها العرب بدأ ، وكادت طائفة منهم ان تعبدھا
مضاهاةً للمجوس . فقام خالد هذا ، فأخذ عصاه ، واقتحم النار يضربھا بعصاه ،
حتى أطفأھا الله تعالى . ثم قال : لاني ميت ، فإذا أنا مت ، وحال الحول ،
فارصدوا قبري . فإذا رأيتم حماراً عند قبري ، فارموه واقتلوه ، وانبشوا قبري ،
فإني أحدثكم بكل ما هو كائن . فمات . فلما حال الحول ، رأوا الحمار فقتلوه ،
وأرادوا نبشه ، فنعهم أولاده ، وقالوا : لا نسمى بني المنبوش »^٢ . وقد عرفت
تلك النار بـ (نار الحرتين)^٣ . وذكر انها كانت ببلاد عبس ، فإذا كان الليل
تضيء نار تسطع وفي النهار دخان مرتفع . وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ
بھا . فحضر خالد بن سنان النبي ، فدفنها ، فكانت معجزة له^٤ . ويظهر ان
حرة ، كانت في تلك المنطقة ، ثم خمدت فنسب الناس خمودھا الى (خالد بن
سنان) .

وللجاهليين استعمالات أخرى للنار ، فكانوا إذا خافوا شرّ رجل ، وتحول
عنهم أوقدوا خلفه ناراً ، ليتحول شرهم معه^٥ . ويقولون : « أبعدہ الله واسحقه
وأوقد ناراً في أثره » ، يقولون ذلك لكراهيتهم له ، ويتمنون الموت له .
وتعرف هذه النار بـ (نار الطرد)^٦ . وذكر أن العرب تدعو على العدو فتقول :

- ١ الحيوان (٤٨١/٤ وما بعدها) ، معجم الشعراء (١٨٢) ، مروج الذهب (٣٢٨/١) ،
الحيوان (١٢٣/٥) ، صبح الاعشى (٤١٠/١) .
- ٢ محاضرات الابرار (٧٧/١) ، نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) ، نزہة الجليس
(٤٠٦/٢) .
- ٣ الحيوان (٤٧٦/٤ وما بعدها) .
- ٤ صبح الاعشى (٤٠٩/١ وما بعدها) .
- ٥ اللسان (١٠٢/٧) ، نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) .
- ٦ خزنة الادب (٢١٢/٣) ، الحيوان (٤٧٤/٤) ، صبح الاعشى (٤٠٩/١) .

أبعد الله داره وأوقد ناراً اثره^١ .

ولا بد أن يكون للنار الموقدة على المزدلفة صلة ما بعقائد الجاهليين القديمة في النار . وينسب الأخباريون هذه النار الى (قُصي بن كلاب) ، يقولون إنه أوقدها على المزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة في أيام الحج . وقد بقي الناس يوقدونها الى الاسلام^٢ .

ومن نيران العرب ، نار الغدر ، وتوقد بمنى أيام الحج على أحد الأخشين ، جبلي مكة : أبي قبيس وقُعَيْقَعان ، أو أبو قبيس والأحمر . فإذا استعرت ، صاح موقدها : هذه غدره فلان ، ليحذره الناس ، وليعلموا أن فلاناً قد غدر بجاره^٣ .

وأما (نار السلامة) ، فهي التي توقد للقادم من سفر سالماً غانماً ، وقد عرفت لذلك بـ (نار المسافرين) أيضاً^٤ . و (نار السليم) ، هي النار التي توقد للملذوغ وللمجروح ولمن ضرب بالسياط ولمن عضه الكلب الكلب ، ويقولون إنها إنما توقد لكي لا يناموا ، فيشتد بهم الأمر ويؤدي الى الهلاك^٥ .

وأما (نار الحرب) ، فهي النار التي كانوا اذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً ، ليبلغ الخبر أصحابهم . واذا جدوا في جمع عشائرتهم اليهم أوقدوا نارين^٦ .
ونار الصيد ، هي نار توقد للطباء وللحيوانات الأخرى ، فتغشاها اذا نظرت اليها^٧.

قال الشاعر :

وجمة أقوام حملت ، ولم أكن كموقد نار أثرهم للتندم

اللسان (٢٤٣/٥) ، (نور)^{*}

٢ صبح الاعشى (٤٠٩/١) ، نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) ، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب (٤٦٢) ، الكامل ، لابن الاثير (١٧/٢) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .

٣ بلوغ الارب (١٦٢/٢) ، نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .

٤ الحيوان (٤٧٣/٤) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .

٥ بلوغ الارب (١٦١/٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٤١٠/١) .

٦ الحيوان (٤٧٤/٤ وما بعدها) ، (١٣٣/٥) ، صبح الاعشى (٤٠٩/١) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .

٧ صبح الاعشى (٤١٠/١) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .

ونار الأسد ، وهي نار توقد اذا خافوا الأسد ، لينفر عنهم ، فإن من شأنه
النار عن النار ، يقال انه اذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده، ويشغله
عن السابلة . ويقولون إن الضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق^١ .

ونار الفداء ، وكان الملوك منهم ، إذا أسروا نساء قبيلة ، خرجت اليهم
السادة منهم للفداء أو الاستيهاب ، فيكرهون ان يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن
أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحبسونه لأنفسهم من الصفي ، فيوقدون النار
لعرضهن^٢ .

ونار القرى ، هي من أعظم مفاخر العرب ، وهي النار التي ترفع للسفر ،
ولمن يلتمس القرى ، فكلما كان موضعها أرفع كان أفخر . وهي نار مذكورة
على الحقيقة لا على المثل^٣ . وعرفت عندهم بـ (نار الضيافة) وبـ (نار الأضياف)
أيضاً . وقد ذكر أهل الأخبار انهم ربما يوقدون بـ (المندلى) ، ليهتدي اليها
العميان . فالمندلى خشب ذو رائحة طيبة ، تفوح منه اذا أحرق ، فتشم من
مسافة بعيدة^٤ . وذكر انهم كانوا يوقدون في ليالي الشتاء ، خاصة لحاجة الناس
إلى القرى في ذلك الوقت . وكلما كانت النار مرتفعة ضخمة، كانت أفخر لصاحبها .
وقد أشير اليها في الشعر^٥ .

ويطلق العرب على كل نار تراها العين لا حقيقة لها عند الناس، نار الحجاب،
ونار أبي الحجاب . وقد ذكر (الجاحظ) أنه لم يسمع في أبي حجاب شيئاً^٦ .
ولهم قصص عن شخص زعموا أنه كان يعرف بـ (أبي حجاب) ، وكان
رجلاً في سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نار بليل ، مخافة أن يقتبس منها نار ،
أو يراها الضيفان فيفدون اليه ، فإن أوقدها ثم أبصرها مستضيء أطفالها، فضربت
العرب به المثل في البخل ، فقالت : « أخلف من نار أبي حجاب » . وذكر

-
- ١ صبح الاعشى (٤١٠/١) ، بلوغ الارب (١٦١/٢) وما بعدها ، خزانة الادب (٢١٢/٣) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .
 - ٢ صبح الاعشى (٤١٠/١) ، بلوغ الارب (١٦١/١) وما بعدها ، خزانة الادب (٢١٢/٣) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .
 - ٣ الحيوان (١٣٤/٥) ، خزانة الادب (٢١٢/٣) ، نزهة الجليس (٤٠٦/٢) .
 - ٤ بلوغ الارب (١٦١/٢) وما بعدها ، نهاية الارب (١٠٩/١) وما بعدها .
 - ٥ بلوغ الارب (١٦١/٢) ، صبح الاعشى (٤١٠/١) .
 - ٦ الحيوان (٤٨٦/٤) وما بعدها ، المخصص (٢٨/١١) ، بلوغ الارب (١٦١/٢) وما بعدها .

أن (أبا الحبّاب) رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسبوا إليه كل نار لا ينتفع بها^١.
ومن النيران الأخرى : نار البرق ، ونار اليراعة ، ونار الخلعاء والهرا ب ،
ونار الوسم ، وهي النار يسم بها الرجل منهم أبله . فيقال له : ما سمة إيلك ؟
فيقول كذا^٢ .

وقد ذكر علماء اللغة أن العرب استعملوا النار في معنيين : معنى حقيقي ،
ومعنى مجازي . وقصدوا بالنيران الحقيقة ، النيران التي كان يوقدها العرب حقاً ،
وحصروها في أربعة عشر ناراً أو أكثر من ذلك ، أو أقل^٣ . وقصدوا بالنيران
المجازية ، استعمال الكلمة في معان مجازية ، مثل قولهم نار الحب ونار المعدة ،
ونار الحمى ، ونار الشوق^٤ .

الصابئة :

ونجد في القرآن الكريم إشارة الى الصابئين ، وقد ذكروا بعد اليهود والنصارى
في موضع من سورة البقرة^٥ ، وذكروا وسطاً بين اليهود والنصارى في موضع
من سورة المائدة وفي سورة الحج^٦ . ويظهر ان معارف أهل الأخبار عنهم نزرّة ،
فليس لديهم شيء مهم مفيد يفيدنا عن عقائد أولئك الصابئة وآرائهم .

وقد ربط أهل الأخبار بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القرآن وبين صابئة
حوران وصابئة العراق ، وجعلوهم طائفتين في الأصل : طائفة هم صابئة حنفاء

- ١ بلوغ الارب (١٦١/٢ وما بعدها) .
- ٢ الحيوان (٤٨٦/٤ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٤١٠/١) ، نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) .
- ٣ بلوغ الارب (١٦١/٢ وما بعدها) ، خزانة الادب ، للبغدادى (٢١٢/٣) ، (بولاق) ،
نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) ، الحيوان (١٠٧/٥ وما بعدها) ، نزهة
الجليس (٤٠٦/٢) .
- ٤ نهاية الارب (١٠٩/١ وما بعدها) .
- ٥ البقرة ، الآية ٦٢ .
- ٦ المائدة ، الآية ٦٩ ، الحج ، الآية ١٧ ، تفسير الطبري (١٤٤/٢) ، « دار المعارف » ،
مجمع البيان ، للطبرسي (٢٧٨/١) ، الملل والنحل ، للسهرسباني (٩٨/٢) ، نخبه
الدهر في عجائب البر والبحر ، للدمشقي (٤٤/١) « بطرسبورغ » ، ابن خلدون
(٣٢/٢) « دار الكتاب اللبناني » ١٩٥٩ م ، « المسعودي ، مروج (٢٤٧/٢) ،
العهرسب (٣٣٢) ، رسوم دار الخلافة (٥) .

وهم في نظرهم أصحاب ابراهيم ممن كان بحرّان ومن كان على دعوته ، وصابئة مشركون وهم من فسدوا من الصابئة فأشركوا واعتقدوا بالكواكب^١ .

ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم ان الصابئة جماعة كانت على دين خاص ، وانها طائفة مثل اليهود والنصارى ، أي ان الكلمة مصطلح ولها مدلول معين مفهوم . فذهب اليه المفسرون من هذا التعريف للصابئة ومن هذا التقسيم ، انما تكون عندهم في الاسلام ، بعد وقوفهم على أحوال الصابئة واتصالهم بهم .

وفهم من المواضع التي ورد فيها ذكرهم في القرآن الكريم ، ومن ورود اسمهم مع اليهود والنصارى فيه ، انهم كانوا يعبدون إلهاً ، ويتوجهون في دينهم اليه^٢ . ولا استبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة ، جاءوا اليها تجاراً من العراق ، أو جاء بهم الحظ اليها ، حيث أوقعهم في سوق النخاسة ، فاشتراهم تجار مكة وجاءوا بهم الى مدينتهم ، وعرفوا منهم أنهم صابئة .

ونحن إذا ما تتبعنا ما ورد عن لفظة صبا وصابىء في الموارد الاسلامية نرى أن هذه الموارد تفسر لفظة صبا بمعنى خرج من شيء الى شيء ، وخرج من دين الى دين غيره . وتذكر أن قريشاً كانت تسمى النبي صابئاً، والصحابة الصباة^٣ . أي الخارجين على دين قومهم . وهي تستعمل لفظة الصابئة في كثير من الأحوال في معنى حنفاء ، كالذي نراه في ربطهم ابراهيم بهاتين الديانتين ، وعدّهم قدماء الصابئة في جملة الحنفاء ، فإن هذا يدل على أن المراد من الصابئة بين العرب عند ظهور الاسلام هم المنشقون الخارجون على ديانة قومهم ، أي على عبادة الأوثان والمندانين بالتوحيد . وأما ما نراه من إطلاق الصابئة على الصابئة المعروفين في الاسلام ، فإنما حدث في الإسلام .

واطلاق قريش لفظة الصابىء والصباة على المسلمين بدلاً من تسميتهم بمسلمين قضية مهمة جداً ، يجب الاهتمام بها ، وفي الأخبار أمثلة كثيرة على ذلك . فقد

١ التهانوي ، كنساف اصطلاحات الفنون (١/٨٨٧) ، بلوغ الارب (٢/٢٢٣) وما بعدها .

٢ Dictionary of Islam, p. 551.

٣ النهاية (٣٦٩/٢) ، اللسان (١٠٢/١) ، « وكانت العرب تسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصابىء ، لانه خرج من دين قريش الى الاسلام ، ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبواً . ويسمون المسلمين الصباة » ، ناج العروس (١/٣٠٦) ، « طبعة الكويت » ، القاموس المحيط (١/٢٠) .

ذكرت كتب الحديث والسير واللغة أن قريشاً دعت النبي صابئاً ، وفي جملة من دعاه بذلك عمر قبل إسلامه ، ثم رمي عُمر بها بعد إسلامه أيضاً . ولما أسلم أبوذر الغفاري ، انهال عليه أهل مكة بالضرب ، لأنه صبأ وفتن وخرج عن دينهم . ولما أرادت زوج مطعم بن عدي خطبة ابنة أبي بكر إلى ابنها ، ذكرت له أنها تخشى أن يؤثر على ولدها ، فيكون من الصباة . وقد كانت لفظة الصباة والصَّبَاء بمعنى مسلمين عند المشركين ، ففي معركة حنين نجد (دريد بن الصمّة) يخاطب أحد رؤوس القوم ويقول له في جملة ما قاله : « ثم ألق الصَّبَاء على متون الخيل »^١ . ولما أرسل بنو عامر ليبدأ إلى النبي ليرى خبره وعلمه ، أسلم ، وأصابه وجع هناك شديد من حمى ، فرجع إلى قومه بسبب تلك الحمى ، وجاءهم بذكر البعث والجنة والنار ، فقال صرافة بن عوف بن الأحوص :

لَعَمْرُ لبيد إنه لابن أمه ولكن أبوه مسه قدم العهد
دفعناك في أرض الحجاز كأنما دفعناك فحلاً فوقه قرع اللبد
فعالجت حماه وداء ضلوعه وترنيق عيش مسه طرف الجهد
وجئت بدين الصابئين تشوبه بالواح نجد بعد عهدك من عهد
وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً وثم إياب القارضين وذو البرد

فكان عمر يقول : « وإيم الله إياب القارضين وذو البرد »^٢ . فقصد الشاعر بجملة « دين الصابئين » الإسلام ، فالصابئون في نظر المشركين هم المسلمون . ولما ذهب سعد بن معاذ إلى مكة ، أنه أبو جهل على قدومه إليها بعد أن دخل في دين الصابئين . ولما قدم خالد بن الوليد على بني جذيمة ، نادوه بأهم صابوا ، أي دخلوا في الإسلام^٣ . ويلاحظ أن الوثنيين أطلقوا هذه التسمية على كل من أسلم ، وعلى كل من شكوا فيه ورأوا أنه ميال إليهم ، فكانوا يرمونه بهذه التهمة . أما المسلمون ، فلم يرتاحوا إليها . والظاهر أنها كانت سبة بالنسبة إليهم في ذلك العهد ، بدليل أنهم كانوا يكذبون من كان يطلقها من المشركين عليهم ويردّ عليهم رداً شديداً ، فلما نادى جميل بن معمر الجمحي في قريش :

١ الطبري (١٢٦/١) ، « معركة حنين » .
٢ الاغانى (١٣١/١٥ وما بعدها) « خبر لبيد في مراثية أخيه » .
٣ لقد جمع « ولهوزن » أكثر المواضع التي أطلق الوثنيون فيها هذه اللفظة على المسلمين ، راجع كتابه : Reste, S. 236.

ألا ، ان ابن الخطاب قد صبأ ، وذلك حين دخل في الاسلام ، وشهد بذلك أمام النبي ، نادى عمر من خلفه : كذب ، ولكني أسلمت ، وقالت قريش : صبأ عمراً . ولا بد ان يكون لتكذيب عمر وغيره الوثنيين لتسميتهم المسلمين بهذه التسمية من سبب . وهو سبب يشعر ان أهل مكة انما أطلقوها عليهم لإهانة لهم وازدراء لشأنهم وعلى سبيل السبّة ، لأنها كانت سبّة عندهم وذلك قبل الاسلام . وإلا لما انزعج المسلمون منها ، وردّوا على قريش بسببها ردّاً قبيحاً . وقد رأيت ان المسلمين كانوا يفتخرون باطلاق الحنيفية عليهم ، وانهم كانوا يرون ان الحنفاء هم سلف المسلمين ، وان ابراهيم كان حنيفاً وكان أول المسلمين . فالصابئون اذن هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم المخالفون لهم في ديانتهم . شأنهم في ذلك في نظر قريش شأن من يسميهم المسلمون في ايماننا بالملحدين أو الهدامين ، أو أي مصطلح آخر يراد به الرمي بالخروج على مثل المجتمع القائم وتقاليده ، وذلك ازدراء بهم ، وتنفيراً للناس عنهم .

١ ابن الاثير (٣٤/٢ وما بعدها) « ذكر اسلام عمر بن الخطاب » .

الفصل الرابع والثمانون

تسخير عالم الأرواح

للعالم الخفي ، وأقصد به عالم الأرواح وكل ما لا تراه العين ويدركه الحس من قوى طيبة أو خبيثة ، أثر خطير في عقائد أهل الجاهلية ، وفي عقائد الشعوب القديمة ، وفي أنفس كثير من الناس حتى اليوم ، إذ يشغل ذلك العالم في الواقع جزءاً خطيراً من الدين ومن حياة الناس عامة . فهناك صلوات وشعائر وأدعية مكتوبة وغير مكتوبة تتلى وتقال وتقرأ للسيطرة على ذلك العالم ، وللانتفاع منه ، ولتسخيره في سبيل خير الإنسان ومصلحته ، ولتجنب أذى النوع الحيث منه . وإذا تتبعنا هذه الاعتقادات عند الجاهليين ، وجدنا أنها قد كونت الجزء الأكبر من عقيدتهم وديانتهم ، وأنها والذرائع من الأصول التي ارتكزت عليها ديانات العرب قبل الإسلام .

والواقع ان الاعتقاد بالأرواح يشغل حيزاً كبيراً من فناء الدين عند الجاهليين ، وإن بدا لنا انه شيء لا علاقة له بالدين . فنحن حين البحث في موضوع العقيدة والدين عند أهل الجاهلية ، لا نتحدث بالطبع عن العقيدة والدين بالنسبة الى معتقداتنا وبالنسبة الى تفكير الإنسان في القرن العشرين ، وإنما نتحدث عن رأي أناس عاشوا قبل الإسلام ، وعن جماعة أدركت الإسلام ، كانت الأرواح في نظرها أكثر أثراً في حياة الفرد من أثر الآلهة فيه . فتقرب وتوسل اليها أكثر من تقربه وتوسله إلى آلهته التي كان يرى ان بيدها مفتاح سعادته وشقائه . وآية ذلك كثرة الكلمات والمصطلحات الجاهلية المتعلقة بها ، وما ورد في القرآن الكريم وفي

الحديث النبوي والأخبار من أثر الجن في نفوس القوم ، حتى تصوروهم آلهة وشركاء للأرباب في ادارة دفة هذا الكون .

هذا ، ونحن إن ذكرنا الأرواح ، فإننا لا نقصد المعنى المفهوم منها في رأينا ، بل نقصد هذا المعنى وشيئاً آخر أعم وأوسع منه ، معنى يشمل أيضاً بعض الأحجار والأشجار والآبار والكهوف وأمثال ذلك من أشياء تصوّر أهل الجاهلية أنها تكمن فيها قوة خارقة تستطيع التأثير في حياة الناس ، فتقربوا اليها بالزيارات والقرابين وبالتضرع والتوسل والأدعية لقدسيتها ولتلك القدرة العجيبة التي فيها ، فهي من حيث النفع أو الضرر كالأرواح : لوجود قوى خارقة غير منظورة فيها ، هي من الأرواح ، فتقرب اليها الانسان لذلك ، لغرض الاستفادة منها أو دفع أذاها .

وطبيعة الأرواح ، طبيعة غير مريئة ولا منظورة ، هي لطيفة خفية مستورة . إنما يجوز لبعضها الظهور في صورة أشباح ، والتجسم على هيئة الأجساد . ثم إنها على طبيعتين : شريرة وخيرة ، خبيثة وصالحة . من الطبيعة الأولى الشياطين وبعض أنواع الجن ، ومن الطبيعة الثانية الملائكة والشطرنج الثاني من الجن . وأثر الخبيث من الأرواح أوضح وأكثر في عقلية أهل الجاهلية من أثر الفريق الصالح . وهو شيء منطقي مفهوم ، فالإنسان الى الشر أقرب منه الى الخير ، ذلك أن من طبع الخير عدم إلحاق الأذى بالغير ، فلا يخشى منه . أما الشرير ، ففي طبعه إلحاق الضرر والأذى بكل واحد ، وفي كل لحظة يراها ، لذلك التفتت اليه الأنظار حذراً منه ، وخشية من مكره ، وتقربت وتوددت اليه ، لا حباً له ، ولا تقرباً اليه لأنه جدير به ، بل إنما تملقاً وتزلفاً لإبعاد شره ، وأمن جانبه على نمط ما يفعله الناس تجاه الأقوياء من الأشرار حيث يتقربون اليهم أو يتعدون عنهم طمعاً ورهبة ، تمشية لأموالهم ومعاشهم ، لا حباً لهم وإخلاصاً لاستحقاقهم ذلك الحب والإخلاص .

وقد ذكر (الجاحظ) ان الأعراب تجعل الخوافي والمستجنات جنسين . يقولون جنّ وحنّ^١ . وقصد ب (الخوافي) الأرواح ، لأنها لا ترى . وذكر غيره ان (الحن) ، حي من الجن ، كانوا قبل آدم ، يقال منهم الكلاب السود البهم ، يقال كلب حني ، أو سفلة الجن وضعفاؤهم أو كلابهم ، « ومنه حديث

١ الحيوان (١٩٣/٦) .

ابن عباس ، رضي الله تعالى عنها ، الكلاب من الجن ، وهي ضعفة الجن ، فإن كان عندكم طعام فألقوا لمن ، فإن لمن أنفساً ، أي تصيب بأعينها ^١ . وذكر ان (الجن) خلق بين الجن والانس ^٢ .

وذكر (الجاحظ) أيضاً أن بعض الناس يقسم الجنّ على قسمين ، فيقول : هم جنّ و (جنّ) . ويجعل (الجن) أضعفها ^٣ . وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن (الجن) ، هم كلاب الجنّ وسفلتهم ، وشر أنواع الجنّ ^٤ . ويجعلون الجن فوق الجنّ ^٥ .

ويقال للجنّ الجان ، و (الجنة) كذلك . و (الجان) اسم جمع للجنّ على رأي بعض علماء اللغة ^٦ . وقد ورد في مقابل (الإنس) في القرآن الكريم ، « لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان » ^٧ . وصيره اسم أبي الجن بعض العلماء ، أي في مقابل آدم أبي البشر ^٨ . وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان كلمة (الجن) من الكلمات المعربة ، وذهب بعض آخر الى أنها عربية ^٩ . وأرى أنها من الكلمات السامية القديمة ، لأن الايمان بالجن من العقائد القديمة المعروفة عند قدماء الساميين وعند غير الساميين كذلك . والجن قوم مستترون ، وكلمة (جنون) من هذا الأصل ، ومن معاني أصل الكلمة الاستتار .

ولم يتوصل الباحثون حتى الآن الى رأي ثابت في أصل كلمة (الجن) . فمنهم من رأى أنهم اسم صنم من أصنام العرب القديمة ، ومنهم من رأى أنها من أصل

-
- ١ تاج العروس (١٨٥/٩) ، (جنن) .
 - ٢ المصدر نفسه .
 - ٣ الحيوان (١٧٧/٧) ، (هارون) ، (١٩٣/٦) .
 - ٤ بلوغ الارب (٣٥١/٢) .
 - ٥ قال أعشى سليم :
فما أنا من جن اذا كنت حائفاً ولست من النساس في عنصر البشر
وفال آخر :
أبيت أهوى في شياطين نر محذوف بجواهر جن وجس
الحيوان (١٩٣/٦) .
 - ٦ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، روح المعاني (٣٤/١٤) وما بعدها .
 - ٧ الرحمن ، الآية ٧٤ .
 - ٨ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، (والجان) أبو الجس . كما أن آدم أبو البشر ، اللسان (٩٥/١٣) وما بعدها ، (جنن) ، Reste, S. 148.
 - ٩ Ency., I, p. 1045, Smith, p. 121, Lane, Lexicon, p. 492.

أعجمي ، ومنهم من وجد لها صلة بالحبشية^١ . أما علماء العربية ، فأروا أن معنى الكلمة الأصلي هو الاستتار ، وأنها من الاجتنان ، ولعدم إمكان رؤية ذلك العالم أطلقت عليه كلمة (الجن)^٢ . وتقابل لفظة (الجن) و (جن) لفظة (Demons) في الإنكليزية .

ويرى (نولدكه) أن فكرة (الجن) فكرة استوردها العرب من الخارج ، بدليل قولهم ان الجنة من عمل الجن ، ومن تلبس الجن بالانسان . وهي في نظره عقيدة قديمة دخلت العرب من جيرانهم الشماليين ، فقد كان الايرانيون يطلقون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (dev) من الأصل (ديوه) (Daiva) ، ومعناه (Demon) ، أي جان . ومن هذه الفكرة دخلت العهد الجديد من الكتاب المقدس . ويأتي (نولدكه) بدليل آخر على اثبات نظريته في أن فكرة الجن فكرة مستوردة من الخارج شيوع قصص بناء جن سليمان مدينة (تدمر) بين الجاهليين ، وهو قصص ورد من قصة بناء (سليمان) لـ (تامار) في العهد القديم ، وتفسير (تامار) بتدمير عند المفسرين العبرانيين^٣ .

ورأى (روبرتسن سمث) وجوه شبه كبير بين فكرة العرب عن الجن وبين فكرة بعض القبائل البدائية عن الحيوانات . إن رأي الجاهليين في الجن في رأيه يشبه رأي المتوحشين الطوطميين في الحيوانات الوحشية . وفي القصص الذي يرويها البدائيون عن الحيوانات الوحشية وعن أرواحها وامكان أحداثها الأمراض والأذى بالانسان شبه بهذا القصص المروي عن الحيوانات الوحشية ، مما جعله يتصور ان فكرة الجن عند الجاهليين هي تطور لهذه النظرية القديمة التي تكون عند الطوطميين . انتقلت اليهم من عقيدة سابقة تطورت من عهد عبادة الطوطم . وان الجن (طوطمية) دون ان يكون لها قوم يشعرون بوجود صلة نسب وقربى بها^٤ .

ولكن من الصعب تصور ظهور فكرة الجن عند عرب الجاهلية برمتها من

1 Ency. Religi., I, p. 669, Nöldeke, Moallakat, I, 69, 78, Shorter Ency., p. 91,

Ency., I, p. 1045.

2 تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) ، اللسان (٩٥/١٣) وما بعدها ، (جنن) .

3 Ency. Religi., I, p. 670.

4 Robertson Smith, Marriage, p. 128.

الطوطمية ، لأن هناك أموراً عديدة لا يمكن تفسيرها على وفق هذه النظرية . ولكننا نستطيع ان نقول انها نوع من أنواع الـ (Animism) ^١ . وقد وجدت عند العبرانيين في عهودهم القديمة ، كما كانت عند البابليين وغيرهم .

واذا سكن الجنى مع الناس ، قالوا : عامر ، والجمع عمار ، وإن كان ممن يعرض للصبيان ، فهم أرواح ، فإن خبث أحدهم وتعرّم ، فهو شيطان . فإن زاد على ذلك ، فهو مارد . فإن زاد على ذلك في القوة ، فهو عفريت . فإن طهر الجنى ونظف ونقي وصار خيراً كله فهو ملك . وهم في الجملة جن وخوافي ^٢ .

لقد لعب الايمان بالجن عند بعض الجاهليين دوراً فاق الدور الذي لعبته الآلهة في مخيلتهم ، فنسبوا اليها أعمالاً لم ينسبوا الى الأرباب ، وتقربوا اليها لاسترضائها أكثر من تقربهم الى الآلهة . إنها عناصر مخيفة رابعة . تؤذي من يؤذيها وتلحق به الأذى والأمراض ، ولذلك كان استرضائها لازماً لأمن تلك الآفات . وهذه العقيدة جعلت الجنى في الواقع آلهة ، بل أكثر سلطة ونفوذاً منها ، وصيرت عمل الآلهة سهلاً يسيراً تجاه الأعمال التي يقوم بها الجن . ولا زال أثر هذه العقيدة باقياً في نفوس الناس حتى الأيام ، مع تقليل أهمية عمل الجن على الإنسان في الاسلام .

وليست هذه العقيدة عقيدة أهل الجاهلية حسب ، بل هي عقيدة أكثر من اعتقد بأثر الأرواح في العالم وفي عمل الإنسان ، اذ صيرتها آلهة مقرّتها الأرض ، أو آلهة من الدرجة الثانية . والغريب أننا نرى بعض الشعوب تخصص أعمال الآلهة الكبيرة بناحية معينة ، وتعتبرها آلهة رئيسية كبرى ، بينما تجعل عمل الجن عملاً واسعاً يشمل كل الأرض والانسان ، أي أن عملها أوسع جداً من عمل تلك الآلهة وأهم .

وفي القرآن الكريم ان قريشاً جعلت بين الله وبين الجنة نسباً : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون » ^٣ ، وانها جعلت الجن شركاء له : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبناتٍ غير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون » ^٤ . أي جعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم

١ المصدر نفسه .

٢ الحيوان (١٩٠/٦ وما بعدها) .

٣ الصافات ، الآية ١٥٨ .

٤ الانعام ، الآية ١٠٠ .

اياه ، وخرقوا له بنين وبنات ، وتخرصوا لله كذباً ، فافتعلوا له بنين وبنات جهلاً وكذباً^١ . وورد ان الله تزوج الجن ، وان الملائكة هم بناته من هذا الزواج . « قال كبار قريش : الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سراة الجن »^٢ .

وبفهم من القرآن الكريم أيضاً ان من العرب من كان يعبد الجن : « قالوا : سبحانك ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون »^٣ . وذكر (ابن الكلبي) ان (بني مليح) من خزاعة رهط طلحة الطلحات ، كانوا ممن تعبد للجن من الجاهليين^٤ . ويزعمون ان الجن تراءى لهم^٥ . وفيهم نزلت : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم »^٦ . وذكر ان قبائل من العرب عبدت الجن ، أو صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن . ويقولون هم بنات الله^٧ ، فأنزل الله : « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة . أيهم أقرب . ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذوراً »^٨ .

وليس لدى المفسرين أو أهل الأخبار علم واضح عن كيفية اعتقاد بعض العرب بالوهمية الجن وبمصاهرتها للآلهة أو الإله . وما ورد عن ذلك في القرآن ، مجمل . والظاهر أن ذاكرة الأخباريين لم تتمكن من حفظ تفاصيل هذه العقيدة والعقائد المماثلة الأخرى ، ولا بد وأن تكون لها أسطورة قديمة ، يظهر أنها ماتت قبل الاسلام ، أو أن المسلمين تركوا روايتها لمعارضتها للإسلام ولأنها كانت في نظرهم خرافة تتعلق بأصنام ، فلم يروا الاهتمام بها ، وتركوها ، ولولا ورود ذكرها مقتضياً في القرآن ، فلربما صرنا في جهل تام بأمر تلك العبادة .

ويرى (نولدكه) أن الجاهليين لم يتعبدوا للجن ، ولم يتخذوها آلهة على نحو

-
- ١ تفسير الطبري (١٩٧/٧) .
 - ٢ لباب النفول في أسباب النزول ، للسيوطي (٨١/٢ وما بعدها) ، حاشية على تفسير الجلالين .
 - ٣ سبأ ، الآية ٤١ .
 - ٤ الاصنام (٣٤) ، الاسنقاء (٢٧٦) .
 - ٥ تفسير القرطبي (٣٠٩/١٤) .
 - ٦ الاعراف ، الآية ١٩٣ .
 - ٧ تفسير الطبري (٧٢/١٥) .
 - ٨ الاسراء ، الرقم ١٧ ، الآية ٥٧ .

ما نفهم من معنى الآلهة ، وأن (عبد الجن) ، وإن دل على التعبد للجن ، إلا أن هذه التسمية لا تدل حتماً على عبادة للجن^١ .

وتتألف الجن من عشائر وقبائل ، تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم . وهي كعشائر وقبائل جزيرة العرب ، تتقاتل فيما بينها ، ويغزو بعضها بعضاً . ولها أسماء ذكر بعضاً منها أهل الأخبار ، كما أن لها ملوكاً وحكاماً وسادات قبائل . فهي في حياتها تحيا على شكل نظام حياة الجاهليين . وإذا اعتدى معتد على جان انتقمت قبيلته كلها من المعتدي أو المعتدين . وبين قبائل الجن عصبية شديدة ، كمصيبة القبيلة عند الجاهليين ، وهي تراعي حرمة الجوار ، وتحفظ الذم والعقود وتعقد الأحلاف . فنحن إذن أمام حياة جاهلية مستترة غير منظورة ، هي حياة جن جاهليين . ومن الجن (بنو غزوان)^٢ ، (بنو غزوان)^٣ .

وقد تتقاتل طوائف من الجن ، فيشير قتالها عواصف الغبار ، ولذلك فسر الجاهليون حدوث العواصف والزوايع بفعل الجن . ونجد هذه الفكرة فكرة لإحداث الجن للرياح والعواصف في المزامير من أسفار التوراة^٤ .

وهم مثل البشر ، فيهم الحضر ، أهل القرار ، وفيهم المتنقلة وهم أعراب الجن ، وفيهم من يسير بالنهار ، وفيهم من يسير بالليل ، وهم (سراة الجن) ، و (السراة) . قال الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون قالوا : سراة الجن ، قلت : عموا ظلاماً^٥

وللجن كما للانس سادة ورؤساء وعظاء ، نذكر منهم : الشنقاق والشيصهان . وقد ذكر الأول في شعر (بشار بن برد) وفي شعر لأبي النجم ، وفي شعر حسان بن ثابت^٦ . و (دحرش) أبو قبيلة من الجن^٧ .

وعقد الجاهليون أحلفاً مع الجن على التعاون والتعاقد ، فقد ذكر ان قوماً

Ency. Religi., I, p. 670.

١
٢ اللسان (٨٩/٥) ، (وبنو غزوان ، حي من الجن) ، (مرد) .
٣ تاج العروس (٢٤١/١٠) ، (غزا) .
٤ المزمور ١٠٤ ، الآية الرابعة ، Reste, S. 151.
٥ تاج العروس (١٧٤/١٠) ، (سري) .
٦ الحيوان (٣٠٨/١) ، (٢٢٨/٦) ، (٢٣١) ، ثمار الفلوب (٥٥) .
٧ تاج العروس (٣١٠/٤) ، (دحرش) .

من العرب ، كانوا قد تحالفوا مع قوم من الجن من (بني مالك بن أقيش)^١.
ويذكر الرواة قصصاً عن الجن مع الإنسان . يذكرون أن (تأبط شرأ) رفع
كبشاً تحت إبطه ، وأخذته معه الى الحي ، فصار يبول عليه في الطريق ، حتى
إذا قرب من مكانه ، ثقل عليه ، فرمى به ، فإذا هو الغول^٢ . ويذكرون أن
ابن امرأة من الجن أراد الحج في الجاهلية ، فخافت عليه أمه من سفهاء قريش ،
ولكنه ألحّ عليها بأن تسمح له بالذهاب . فلما أكمل الطواف ، وصار ببعض
دور بني سهم ، عرض له شاب منهم فقتله ، فثارت غيرة شديدة بمكة ، ومات
من بني سهم خلق كثير قتلهم الجن انتقاماً منهم لمقتل الجان ، فنهضت بنو سهم
وحلفاؤها ومواليها وعبيدها ، فركبوا الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حيّة
ولا عقرباً ولا عظاية ولا خنفساء ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض إلا
قتلوه ، حتى ضجت الجن ، فصاح صائحهم من على أبي قبيس يطلب وساطة
قريش بينهم وبين بني سهم الذين قتلوا منهم أضعاف ما قتله الجن من بني سهم ،
فتوسطت قريش ، وأنهي التزاع ، وتغلب بنو سهم على الجن^٣ .

والجن مثل البشر ، يعتدون كذلك ، ولا يردعهم من اعتدائهم إلا القوة .
هذا رجل من (بني سهم) يقص علينا في الاسلام انه كان ب (تبالة) يراجع
نخلأ له ، وبين يديه جارية له ، فصرعت ، فأدرك ان الجن هم الذين صرعوها ،
فوقف عليها قائلاً : يا معشر الجن ! أنا رجل من بني سهم ، وقد علمتم ما كان
بيننا وبينكم في الجاهلية من الحرب وما صرنا اليه من الصلح والعهد والميثاق ان
لا يغدر بعضنا ببعض ، ولا يعود إلى مكروه صاحبه ، فإن وفيتم وفينا ، وإن
غدرتم عدنا الى ما تعرفون . فخافت الجن من هذا التهديد ، وأفاقت الجارية ،
ولم يصيبها بعد ذلك مكروه^٤ .

وذهب الجاهليون الى جواز قتل الجن للإنسان . وقد بقي هذا الاعتقاد

١ الطبري (٣٤٩/٢) ، (دار المعارف) .

٢ الاغانى (٢١٠/١٨) وما بعدها .

٣ الازرقى (١١/٢) وما بعدها ، « المطبعة المأجدة بمكة » .

٤ الازرقى (١٢/٢) وما بعدها .

في الإسلام . فلما قتل (سعد بن عباد بن دليم) ، زعم أن الجن قتله ^١ . ولما قتل المغني المعروف (الغريص) ، وهو من الموالي ، وكان نشأ خيظاً ثم أخذ الغناء بمكة عن (ابن سريج) ، زعم أن الجن نهته أن يغني لحنه الذي يقول فيه :
تشرب لون الرازي بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

فلما لم ينته قتله الجن في ذلك ختقاً ^٢ .

وزعم أن الجن خنقت (حرب بن أمية) ، وقالت الجن في ذلك شعراً ^٣ . وقتلت (مِرْدَاس بن أبي عامر) ، أبا (عباس بن مرداس) ، واستهوت (سنان بن حارثة) ، ليستفحله ، فمات فيهم . واستهوا (طالب بن أبي طالب) ، فلم يعثر أهله له على أثر ، واستهوا (عمرو بن عدي) اللخمي الملك ، ثم ردّوه على خاله (جذيمة بن الأبرش) ، بعد سنين وسنين . واستهوا (عمارة ابن الوليد بن المغيرة) ، ونفخوا في أحليله ، فصار مع الوحش ^٤ .

ويروي أهل الأخبار أن الجن تتصادق مع الإنسان وتتباغض معه ، وقد تقتله ، ورووا في ذلك قصصاً ، وذكروا أنها قد تتألم لوفاة رجل طيب أو شهير محبوب . وقد تعطف على المحتاجين والمعوزين . وفي جملة ما قالوه عن الجن أن (أبا هالة) كان قد خرج في الجاهلية في غير لقريش يريد الشام ، فنزل وادياً يقال له : (عز) ، وانتهى آخر الليل فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهو ينشد شعراً في رثاء عيдалله بن جُعدان ، وكان ذلك الشيخ جان من الجن . وقد ذكر أهل الأخبار محاورة من الشعر قالوا أنها جرت بين (أبي هالة) ، وبين ذلك الشيخ

١ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٣٧٣/٢) ، المعارف ١١٢ ، الحيوان (٢٠٩/٦) ، الاشتقاق (٤٥٦) . وسمعوا الهاتف يقول :

فد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

الحيوان (٢٠٩/٦) ، (هارون) ، (٣٠٨/١) .

٢ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٣٧٣/٢) ، الاغانى (١٣٦/٢) ، (١٤٣) ، الحيوان (٢٠٨/٦) ، (هارون) ، الحيوان (٣٠٧/١) .

٣ الحيوان (٣٠٢/١) ، (هارون) . وقالت الجن :
وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

الحيوان (٢٠٧/٦) ، (هارون) .

٤ الحيوان (٢٠٩/٦) وما بعدها ، (هارون) .

الجنّي الذي عين وقت وفاة (عبدالله بن جدعان) ، وثبته بالضبط ، فكان كما قال^١ .

وقد يقع الحب بين الجن والإنس . فقد ذكر ان الجنية قد تتبع الرجل تحبه ، ويقال لها : تابعة . ومن ذلك قولهم : معه تابعة ، أي من الجن . والتابعة جنسية تتبع الانسان . كما يكون للمرأة تابع من الجن ، يتبع المرأة يحبها^٢ . وقد يعشق الجنّي امرأة ويتصادق معها . هذا (منظور) الجنّي ، عشق امرأة اسمها (حبة) ، وتصادق معها ، فكانت (حبة) تتطبّب بما يعلمها منظور^٣ .

وقد يسرق الجن الأطفال والرجال والنساء ، وللأخباريين قصص يروونه في ذلك . وينسب فقدان الأشخاص في البوادي إلى الجن في الغالب . غير أنها قد تنفع الناس أيضاً ، لأن من الجن من هو طيب النفس ، مفيد نافع ، ولا سيما اذا ما تقرب اليها الانسان وأحسن اليها . رأى الشاعر عبيد بن الأبرص حية ، فسقاها . فلما ضل جمل له وتاه ، نادى هاتف بصوت مسموع سمعه عبيد بن الأبرص مشيراً إلى الموضع الذي ذهب الجمل اليه . فذهب عبيد إلى المكان ، وجاء بجمله^٤ . وكان هذا الهاتف هو صوت الحية التي هي جان من الجن .

وقد يتصاهر الإنسان مع الجن ، فقد كان لعمر بن يربوع بن حنظلة التميمي زوج من الجن : ولكنها لم تبق معه ، بل اختفت بعد ذلك عند ظهور البرق^٥ . ونسبت بعض الأسر والقبائل مثل (بني مالك) ، و (بني شيصيان) ، و (بني يربوع بن حنظلة) وعرفوا ببني السعلاة إلى الجن^٦ . ونسب بعض الأخباريين نسب بلقيس وذو القرنين إلى الجن^٧ . وذكر أيضاً أن زوج (عمرو بن يربوع التميمي) كانت سعلاة ، أقامت مع زوجها في (بني تميم) : فلما رأت برقاً يلعب من شق بلاد السعالي ، حنت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم :

-
- ١ الاشتقاق (ص ٨٨ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٢٩/٨) ، (نبج) .
 - ٣ تاج العروس (١٩٨/١) ، (حب) .
 - ٤ الاساطير العربية (٧٩) ، Reste, 154. ff.
 - ٥ الحماسة (٥٦١/١) ، (طبعة فرايناغ) ، بلوغ الأرب (٣٤٠/٢) ، الحيوان (١ / ١٨٥ وما بعدها ، ١٨٨) ، (هارون) . Reste, S. 154.
 - ٦ الاساطير العربية (٧٥) .
 - ٧ بلوغ الأرب (٣٤٩/٢) ، الحيوان (١٨٧/١) وما بعدها .

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسأل وما أغاما^١

وفي ذلك قال (علباء بن أرقم) :

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات^٢

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع زواج الانس بالجن وبالعكس ، أي زواج الجن بالانس . وتعرض لقول من قال إن (بلقيس) كانت من امرأة جنية . وذكر آراء الناس في هذا الزواج المختلط ، الذي شك في امكان انجاب نسل منه . وقال : « وقد يكون هذا الذي نسمعه من اليانية والقحطانية ، ونقرؤه في كتب السيرة ، قص به القصاص ، وسمرؤا به عند الملوك »^٣ . وقد كان لأهل اليمن قصص وأساطير ، بدليل ما نلاحظه من أن معظم رواة القصص القديم كانوا من أهل اليمن في صدر الإسلام . ويظهر أنهم حذقوا به وتفوقوا به على بقية العرب الذين نسميهم العدنانيين بسبب دخول كثير منهم في اليهودية وفي النصرانية وشرائهم الكتب، وفيها قصص من قصص أهل الكتاب والأساطير القديمة، فزجوه مع ما كان لهم من قصص وثني قديم .

وقد أطلق (الجاحظ) على قول الناس بزواج الانس بالجن وبالعكس (الزواج المركب) ، وأشار إلى قول الشاعر علباء بن أرقم :

يا قاتلَ اللهُ بني السعلاة عمراً وقابوساً شرار النات

انه الدليل على ان السعلاة تلد الناس . هذا سوى ما قالوا في الشق وواق واق ودُّوال باي وفي الناس والنسناس^٤ .

وذكر أيضاً ان أعراب بني مرة تزعم ان الجن استهوت سناناً بن أبي حارثة المري ، وهو والد هرم بن سنان ، لتستفحله إذ كان منجباً ، وكان سنان قد

-
- ١ الحيوان (١٨٦/١) ، (هارون) ، (١٩٧/٦) .
 - ٢ الحيوان (١٦١/٦) ، اللسان (٤٠٧/٢) ، نوادر أبي زيد (١٠٤ ، ١٤٧) ، المخصص (٢٦/٣) (٢٨٣/١٣) ، الامالي ، للقالبي (٦٨/٢) ، محاضرات الراغب (٢٨١/٢) ، الحصائص (٤٥١) ، الفصول والغايات (٢١٠) .
 - ٣ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٣٧١/٢) .
 - ٤ كتاب البغال من رسائل الجاحظ (٣٧٤/٢) ، الحيوان (١٨٩/١) ، (هارون) .

هام على وجهه^١ .

وقد وجه الانسان جميع مواهبه منذ أقدم ايامه لتسخير عالم الأرواح ، وجعله في خدمته وتحت تصرفه ، أو لتحويله بحسب رغباته ، وتجنب ضرره وأذاه . قام بذلك رجال الدين خاصة ، ورجال الدين بحكم اتصالهم بالآلهة وبالعالم غير المنظور ، هم خلفاء الآلهة على وجه الأرض ، وألسنة الأرواح الناطقة بين الناس . فكانوا حكاماً ورجال دين وسحرة وأطباء وعلماء ، كما قام بذلك المنجمون والسحرة والكهّان وغيرهم ممن تكهن وتحدث عن الغيب ، وأظهر ان في قدرته التأثير على حياة الانسان ونقعه وضره بالاستعانة بعالم الأرواح وبما عنده من قدرات خارقة في امكانها اختراق حجب الأسرار والتحكم في العالم الخفي لتحويله إلى صالح انسان أو إلى الاضرار به .

وليس الجاهليون بدعاً في هذه الأمور، بل كان غيرهم من الشعوب كالعبرانيين والبابليين والاغريق والرومان والمصريين والهنود وكل الشعوب الأخرى تعتقد بذلك . ولها رجال ادعوا العلم .

وقد كان الجاهليون يعلقون الحلي والجلال على (اللديغ) ، يفعلون ذلك لاعتقادهم انه يفيق بذلك ، فلا ينام ، ولو نام ، سرى السم في جسمه ، فمات . وذهب بعضهم إلى ان تعليق الحلي على اللديغ يبرئه من ألمه . أما إذا علق الرصاص عليه ، أو حلي به ، فانه يموت^٢ .

وتقوم الجن بأعمالها بشكل غير منظور في الغالب ، لأنها أرواح . وهي قد تحذر الانسان أو ترشده الى شيء يريده بصوت جهوري مسموع ، يقال له : الهاتف ، دون أن يرى الشخص أو الأشخاص صاحب ذلك الصوت . وهي تنبئ عن المستقبل كما تتحدث عن الماضي^٣ . وقد ذكر (الجاحظ) أن « الأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجبون ممن ردّ ذلك » . ثم قال : « قالوا: ولنقل الجن الأخبار علم الناس بوفاة الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامعوا بموت المنصور بالبصرة وفي اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير »^٤ .

- ١ المصدر نفسه (ص ٣٧٥) ، الحيوان (٢٤/٧) ، الميداني (٢٠٢/١) .
- ٢ بلوغ الارب (٣٠٤/٢) .
- ٣ الحيوان (٢٠٢/٦) .
- ٤ الحيوان (٢٠٢/٦) وما بعدها .

والجن وان كانت من الأرواح ، أي أنها غير منظورة ، إلا أن في استطاعتها أن تتجسم متى شاءت . فتظهر على هيئة جسم من الأجسام . إذ أن للجن قدرة على التشكل بالشكل الذي تريده ، تظهر في صورة حيوان أو في صورة إنسان أو غير ذلك . ومن هنا نجد قصص مصاهرة الانسان للجن ، وظهور نسل وأسر من هذا الزواج . وفي استطاعتها أيضاً تغيير الشكل الذي ظهرت به بشكل آخر حيث تشاء^١ . كما ورد ذلك في قصة الشاعر (تأبط شرأ) والكيش الذي حمله ، بينما هو جني . ومن هنا تختلف طبيعتها عن طبيعة البشر والحيوان .

وقد تمثل الجن في صور حيوانات مشعرة ، أي ذات شعر كثيف . فالجن عند الشعوب السامية ذات شعر كثيف ، لذلك قيل لها (سعيم) (Sa'irim) في العبرانية . وهي تختار الأماكن الموحشة المقفرة في الظلام ، مثل رهبان الليل (ليليت) (Lilith) ، وتذهب مع الحيوانات التي تنفر من الانسان مثل النعامة^٢ .

وفي الأساطير الجاهلية ان البقر اذا أوردت « فلم ترد ، ضربوا الثور ليقترحم الماء ، فتنقحم البقر بعده ، ويقولون إن الجن تصد البقر عن الماء ، وان الشيطان يركب قرني الثور »^٣ . وقد ذكرت هذه الأسطورة في أشعار جاهلية ، يظهر من نقدها ودراستها انها من آثار العقائد الجاهلية في الجن . وقد اتخذت مثلاً لمن ينزل عليه مكروه في سبيل إخافة غيره ، فيكون بذلك كبش الفداء . واعتقادهم ان الشيطان يركب قرني الثور ، هو الذي جعلهم يتصورون ان الثور يتقدم البقر في شرب الماء ، ذلك لأن الشيطان ركب قرنيه ، فلا يخشى الثور اذن من الجن ، والشيطان أخبث أنواع الجن وأذكاها . فتخافه الجن ، وتفسح المجال للبقر في ورود الماء . أما ضرب الثور لتوجيهه إلى الماء ، فلأجل ان الشيطان ركب قرنيه ، فبضربه وبقدمه يتقدم الشيطان نحو الماء فتخافه الجن وتفرع منه ، وتسمح للبقر بورود الماء ، ولهذا ضرب ، ليستفيد بذلك غيره^٤ .

-
- ١ Robertson Smith, Lectures on the Religion of the Semite, p. 120.
 ٢ Robertson, p. 120, B.C. Thompson, Semitic Magic, London, 1908, p. 57.
 ٣ قال الاعشى :
 لكالثور والجنى بضرب وجهه وما ذببه ان عافت الماء بافر
 ولغيره :
 انى وقتلى سليكا حين أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
 ٤ بلوغ الارب (٣٠٣/٢) وما بعدها) .

وأهم مواطن الجن في نظر الجناهلين ، هي المواضع الموحشة ، والأماكن المقفرة التي لا تطرق إلا نادراً والمحلات التي لا تلائم الصحة ، والمقابر والأماكن المظلمة والمهجورة . ففي مثل هذه المواطن تنزل الجن ، وتفضل الإقامة بها ، وسبب ذلك ، هو أن الإنسان يخشى هذه المواضع ، ويحس بشيء من الخوف والوحشة من الدخول إليها ، فقد يتعرض فيها إلى التهلكة ، فأوحى هذا الاحساس إليه أنها (مسكونة) ، وأن سكانها هم الجن . وأنهم قد يتعرضون له بسوء إن لم يعرف كيف يسلك سلوكاً طيباً معها ، ولذلك صار يتحاشى ولوج هذه المواضع ، لا سيما في الليالي المظلمة . وإذا دخلها مضطراً ، تخيل الأشباح والأرواح وهي تلعب به كيف تشاء ، وتحوم حوله . ومن هنا ظهر عنده القصص المروي عن مواطن الجن .

وسكنت الجن المواضع المظلمة والفجوات العميقة فيها وباطن الأرض ، ولذلك قيل لها : ساكنو الأرض . كما سكنت المقابر^١ . والمقابر هي من المواضع الرئيسية المهمة المأهولة بالجن ، ولذلك يخشى كثير من الناس ارتيادها ليلاً . وهي لا بد أن تكون على هذه الصفة ، فهي مواطن الموتى ، وأرواح الموتى تطوف على القبور ، والموت نفسه شيء محيف ، والجن أنفسهم أرواح مخيفة ، فهل يوجد موضع أنسب من هذا الوضع لسكن الجن ؟

وتزعم الأعراب أن الجن سكنت (وبار) . وحمتها من كل من أرادها ؛ وهي بلاد من أخصب بلاد العرب ، وأكثرها شجراً ، وأطيبها ثمراً ، وأكثرها حباً وعنباً . فإن دنا إنسان من تلك البلاد ، متعمداً أو غلطاً ، حثوا في وجهه التراب ، فإن أبى الرجوع خبلوه ، وربما قتلوه . فليس في تلك البلاد إلا الجن ، والإبل الوحشية^٢ .

وقد زعم ان (يبرين) من مواطن الجن . وكانت في الأصل مواضع عاد . فلما هلكت ، سكنتها قبائل الجن . وقد روى أهل الأخبار قصصاً عنها وعن اتصالها بالإنسان . وزعم بعض منهم ان (النسناس) ، هم قوم من الجن^٣ .

Reste, S. 151.

٢ الحيوان (٢١٥/٦ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٢٥٧/٤) ، (نس) .

وقد ورد مثل هذه الأقوال عن مواضع أخرى كانت عامرة آهلة، ثم أقفرت، مثل الحجر موضع ديار ثمود^١ ، مما يدل على ان من اعتقادات العرب قبل الاسلام هو ان المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها مواطن للجن . ونجد مثل هذه الأساطير عند العبرانيين وعند غيرهم من الشعوب^٢ .

وأشير في شعر (لييد) الى (جن البدي) . قيل : « والبدي : البادية ، أو موضع بعينه » وقيل واد لبني عامر^٣ . وأشار (النابغة) الى (جنة البقار) . وذكر ان البقار واد ، أو رملة ، أو جبل ، سكنته الجن ، فنسبت اليه^٤ . وأشير إلى (جنة عبقر) في شعر (زهير) و (لييد) و (حاتم)^٥ . وعبقر أرض بالبادية كثيرة الجن ، وذكر بعضهم انها باليمن^٦ ، قال لييد :

ومن فاد من اخوانهم وبنينهم كهول وشبان كجنة عبقر

وقال بعض العلماء : عبقر قرية يسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئاً فانتقأ غريباً مما يصعب عمله ويدق أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه اليها . ولهذا قالوا : العبقرى للسيد الكامل من كل شيء ، وللذكي الممتاز^٧ .

والمواضع المذكورة هي المواضع المفضلة المختارة لسكنى الجن . غير أن مواطن الجن غير محدودة ولا معينة ، إنها تسكن كل موضع ومكان ، حتى بيوت الناس لا تخلو منها ، بل حتى البحار والسماء لا تخلو منها كذلك ، فدولتها إذن على هذا الوصف أوسع من دولة الإنسان . وعلى من سكنت الجن بيته ألا يمسه بأذى ولا يلحق بها أي سوء ، وأن يقوم برضايتها بالبخور وبما شاكل ذلك مما تحبسه الجن ، وإلا أساءت اليه ، وجعلت بيته مؤذياً شؤماً ، لا يرى من يسكن فيه أي خير .

١ Reste, S. 150.

٢ Robertson, p. 120.

٣ الحيوان (١٨٩/٦) ، (هارون) .

٤ الحيوان (١٨٩/٦) ، اللسان (٤٧/٦) ، (٣٣٠/١٢) .

٥ الحيوان (١٨٩/٦) ، اللسان (٢٠٩/٦) ، البلدان (١١٣/٦) ، ثمار القلوب (١٨٨) .

٦ تاج العروس (٣٧٩/٣) ، (عبقر) ، اللسان (٥٣٤/٤) .

٧ تاج العروس (٣٧٩/١) ، (عبقر) .

وكان الرجل في الجاهلية إذا اطَّرف داراً ذبح فيها ذبيحة ، يتقي بها أذى الجن ، لاعتقادهم ان في كل دار جنّاً يقيمون بها فلترضيتهم وللتقرب اليهم ، يذبحون ذبيحة عرفت عندهم بـ (ذبائح الجن)^١ . ولا تزال عادة الناس ذبح ذبيحة عند الابتداء ببناء دار ، وعند الانتقال اليها . وكانوا أيضاً يذبحون ذبيحة عند استخراجهم عيناً ، أو شرائهم داراً ، أو بنيانهم بنياناً ، مخافة أن تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك . وقد نهى النبي عن ذبائح الجن^٢ .

وكان في اعتقادهم ان الأماكن المذكورة مليئة بالجن ، لذلك كانوا يستجبرون برجال من الجن في أسفارهم ، اذا نزلوا منازلهم ، يقولون : نعوذ بأعز أهل هذا المكان ، أو اني أعوذ بكبير هذا الوادي . والى ذلك أشير في القرآن الكريم : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »^٣ . روي عن (حجاج بن علاط السلمي) ، « انه قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أماناً ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسي وأعيذ صحي من كل جني بهذا النقب
حتى أأوب سالماً وركبي^٤ »

فوصل وركبه سالماً الى مكة دون أن يمسّه أو أن يمس من كان معه من الركب أحد بسوء^٥ .

وروي أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى واد ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وهي القاع المستديرة وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال : « أعوذ بصاحب هذا الوادي . وربما قال بعضهم هذا الوادي »^٦ . قال أحدهم :

١ اللسان (٢١٣/١٣) ، (سكن) .

٢ اللسان (٤٣٧/٢) ، (دبح) .

٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٦ ، تفسير الطبري (٦٧/٢٩ وما بعدها) .

٤ الروض الانف (١٣٦/١) .

٥ الروض الانف (١٣٦/١) ، الاصابة (٣١٢/١) ، (١٦٢٢) .

٦ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) .

قد بتُ ضيفاً لعظيم الوادي المسمي من سطوة الأعادي
راحلي في جاره وزادي^١

وقالوا إنهم كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً يقولون : نعوذ بأهل هذا
المكان . يقولون ذلك عند نزولهم وادياً في الغالب، إذ نجد الرواة يكررون عبارة :
« كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي » ، أو « بعزير
هذا الوادي »^٢ . ويظهر أنهم تخوفوا من الوديان خاصة ، لما قد يقع فيها من
مهلك ، فنسبوا ذلك الى فعل الجن .

وقال آخر يستجير بجن (عالج) ويتوسل اليهم ألا يرهقوه بغوي^٣ هائج ،
إذ يقول :

ياجن أجزاء اللوى من عالج عاذ بكم ساري الظلام الدالج
لا ترهقوه بغوي^٤ هائج

وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البيد بسيد معظم مجيد
أصبح يأوي بلوى زرود ذي عزة وكاهل شديد

وقد استعاذ رجل منهم ومعه ولد ، فأكله الأسد فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي^٥

وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين كانوا يرون أن الجن تعزف في المقافز بالليل.
والعزف والعزيف صوت الجن ، وهو جرس يسمع بالمقافز . وهو صوت يسمع
بالليل كالطبل . وروي عن (ابن عباس) قوله : « كانت الجن تعزف بالليل
كله بين الصفا والمروة »^٦ . وقد اشتهر موضع (العزاف) ، وقيل (ابرق

١ بلوغ العرب (٣٢٦/٢) .

٢ تفسير الطبري (٦٨/٢٩) وما بعدها .

٣ بلوغ العرب (٣٢٦/٢) .

٤ ناج العروس (١٩٧/٦) ، (عزف) .

الغزاف) بأنه موضع يسمع به عزيف الجن^١ .

وقد موّن القصص الاسرائيلي أهل الجاهلية بشيء مما كان ينقصهم من أساطير الجن ، وتوسع وزاد هذا القصص في الاسلام ، حتى تولد منه هذا الذي نجاهه مدوناً عن أخبار الجن في المؤلفات الاسلامية .

وتخبر الجن الانسان بحوادث تقع في مواضع بعيدة ، وهو لا يعلم عنها شيئاً . فلما هبط (نباش بن زرارة بن وقدان) ، زوج (خديجة بنت خويلد) قبل النبي ، وادياً يقال له (عز) ، انتبه في آخر الليل ، فاذا شيخ قائم على صخرة ، وهو يقول :

ألا هلك السيال غيث بني فهر وذو العز والباع القديم وذو الفخر

فقال له نباش :

ألا أيها الناعي أخا الجود والفخر من المرء تنعاه لنا من بني فهر

وبقيا بقولان الأبيات ، حتى أخبره الشيخ بوفاة (عبدالله بن جدعان) في وقت حدده وضبطه له . فلما وصل مكة ، علم بوفاته على نحو ما أخبره به ذلك الشيخ . وهو جني من الجن ، ينظم الشعر ، وقد رثى (ابن جدعان)^٢ .

ونجد في شعر الشعراء الجاهليين أمثال (أمية بن أبي الصلت) و (الأعشى) إشارات الى الجن . وهم من أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب وبكتبهم ، وقد زعم أن بعضاً منهم كان قد قرأ تلك الكتب ووقف على العبرانية أو السريانية . ولهذا ورد في شعرهم شيء من قصص أهل الكتاب . وفي جملته ما ذكرته من اشاراتهم الى الجن . وتراهم يربطون بينها وبين (سليمان) . أخذوا ذلك ولا شك من الأساطير العبرانية ، التي صيرت الجن في خدمة (سليمان) . نجد الأعشى يقول :

وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون محاربا

١ تاج العروس (١٩٧/٦ ، ٢٨٧) ، (برق) .

٢ الاشتقاق (٨٨ وما بعدها) .

قصد بذلك (سليمان)^١ . ونجد أن في جملة ما نسب عمله الى جن سليمان بعض المواضع مثل تدمير وقصر غمدان .

وقال النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد^٢

وفي هذا الشعر إن صح أنه من نظم النابغة حقاً ، دلالة على تأثر الشاعر بالأسطورة اليهودية عن (تamar) ، وعن جن سليمان .
ونسبوا السيوف المأثورة الى جن وشياطين (سليمان) . ونسبوا اليه واليههم أشياء عديدة أخرى^٣ .

وقد ادعى اناس من الجاهليين انهم كانوا يرون الغيلان والجن ، ويسمعون عزيف الجان ، أي صوت الجن . وقد بالغ الأعراب في ذلك ، وأغربوا في قصص الجان ، لما كانوا يتوهمونه من ظهور الأشباح لهم في تجوالهم بالفيافي المقفرة الخالية ، فتصوروه جنّاً وغولاً وسعالى ، وبالغوا في ذلك أيضاً ، لما وجدوه في أهل الحضر ولا سيما في الاسلام من ميل إلى سماع قصص الجان والسعالى والغول^٤ .
وقالوا انهم ربما نزلوا بجمع كثير ، ورأوا خياماً ، وقباباً ، وناساً ، ثم اذا بهم يفقدونهم من ساعتهم ، وذلك لأنهم من الجن^٥ .

ونسبوا إلى الجن لإحداث كثير من الأمور غير الطبيعية، مثل الأمراض والأوبئة والصرع والاستهواء والجنون خاصة . فالجنون هو تلبس الجن بالانسان ودخولهم جسمه . لذلك ربطوا بين الجن والجنون . ويرى (نولدكه) ان فكرة أن الجنون من عمل الجن ، عقيدة قديمة وجدت عند غير العرب كذلك . فقد كان الايرانيون

-
- ١ ناج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) .
وسخر من جن الملائك نسعة
اللسان (٩٧/١٣) ، (جن) .
 - ٢ الحيوان (٢٢٣/٦) .
 - ٣ الحيوان (١٨٧/٦) .
 - ٤ الحيوان (١٧٢/٦ وما بعدها ، ١٨٢) .
 - ٥ الحيوان (٢٠٠/٦) ، (هارون) .

يطلقون على المجنون لفظة (ديوانه) (Devana) ، أي الذي به (ديو) (Dev) من الأصل (ديوه) (Daiva) ، ومعناها (Demon) أي جان . ومن هذه الفكرة دخلت في العهد الجديد من الكتاب المقدس . ومن الفارسية دخلت (ديوان) (Daiwan) في الإرمية بينما دخلت إلى الفارسية كلمة (شدها) (Shedha) من أصل (شدهان) (Shedhan) الإرمي واستعملت في مقابل (Deo) أي جان . و (شيده) (Shedh) في الإرمية الجان^١ .

وهم يزعمون أن الجن إذا عشقت انساناً صرعت ، ويكون ذلك على طريق العشق والهوى ، وشهوة النكاح . وأن الشيطان يعشق المرأة ، وأن نظرتة إليها من طريق العجب بها أشد عليها من حُمي أيام ، وأن عين الجان أشد من عين الانسان^٢ .

والعرب تزعم أن الطاعون من الجن ، ويسمون الطاعون رماح الجن . قال الأسدي للحارث الملك الغساني :

لعمرك ما خشيت على أبيّ رِماح بني مقيّدة الحمار
ولكنني خشيت على أبيّ رِماح الجن أو إياك حار^٣

وللجن حوار مع الإنس وكلام نجده منشوراً كما نجده منظوماً في شعر ينسب إلى الشعراء الجاهليين . ويروي الأخباريون شعراً ينسبونه إلى (جدع بن سنان) ورد فيه وصف ملاقاته للجن ومحاورته معها ودعوته إياها إلى الطعام وامتناعها عن الأكل ، كما رووا شعراً لغيره يصف ملاقاة بين الجن وبين أصحاب هذا الشعر^٤ . وهو قصص لم يبخل على الجن فأعطاهما شعراً من هذا الشعر الجاهلي الفصيح ! وقد سخر (الحيثعور) أحد (بني الشيبان) من الجن من الأشعار التي جمعها (المرزباني) (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) ، من شعر الشعراء الجن ، فما هذا الذي جمعه إلا قطعة من شعرهم ، وهل يعرف البشر من النظم كما يعرف الجن .

١ Ency. Relig., I, p. 670.

٢ الحيوان (٢١٧/٦ وما بعدها) .

٣ الحيوان (٢١٩/٦) .

٤ بلوغ العرب (٣٥٠/٢ وما بعدها) .

وانما للبشر خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدوها القائلون ، وإن للجن آلاف الأوزان ما سمع بها الإنس^١ .

طعام الجن :

وطعام الجن مثل طعام الانسان ، وهم يشاركونه أكله في بعض الأحيان . « رووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انه سأل المفقود الذي استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول . قال : فما كان شرابهم ؟ قال : الجذف . ورووا ان طعامهم الرمة وما لم يذكر اسم الله عليه^٢ . وقد جاء قوم من الجن الى نار (شمر بن الحارث الضبي) ، فدعاهم الى الطعام بقوله :

أتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما^٣

والحوشي من الإبل هي التي قد ضربت فيها فحول لإبل الجن . فالحوشية من نسل لإبل الجن^٤ . ويقال انها منسوبة إلى (الحوش) بلاد الجن من وراء رمل يبرين ، لا يمر بها أحد من الناس ، وقيل هم من بلاد الجن . وقيل الحوشية لإبل الجن ، أو منسوبة الى الحوش وهي فحول جن ، تزعم العرب انها ضربت في نعم (بني مهرة بن حيدان) فتتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية ، فنسبت اليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب^٥ .

الحية :

والحية ، من أكثر الحيوانات وروداً في القصص الذي يرويه الأخباريون عن الجن . وقد جعلوها فصيلة مهمة من فصائلها ، ونوعاً بارزاً من أنواعها . قال

-
- ١ رسالة الغفران (٢٩١) ، (بنت الشاطيء) .
 - ٢ الحيوان (٢١٠/٦) وما بعدها .
 - ٣ الحيوان (١٩٧/٦) .
 - ٤ الحيوان (٢١٦/٦) .
 - ٥ الحيوان (٣٠٢/٤) ، (حاش) .

بعض العلماء : الجان ، حيّة بيضاء ، وقال بعض آخر : الجان حيّة ، أو ضرب من الحيات^١ . ولما قام (حرب بن أمية) جد معاوية بن أبي سفيان مع (مرداس ابن أبي عمرو) باصلاح (القرية) ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فأضرما النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهيبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فلما لبث أن مات الرجلان ، أمتها الجن على ما يزعمه رواة هذا الخبر^٢ . ولعلها ماتا بغضة حية من تلك الحيات التي كانت ساكنة بين تلك الأعشاب وقد هاجتها تلك النيران . ومثل هذه المواضع تكون موثلاً للحيات والحشرات ، فابتدعت مخيلة القصاصين هذه القصة عن فرع الجن وطيرانها في صورة ثعابين بيض . ويعلل (نولدكه) وفاتها بفعل الاختناق من الغاز الذي تصاعد من الاحتراق^٣.

وذكروا أن الحية لا تموت حتف أنفها ، وإنما تموت بعرض يعرض لها . وأنها تصبر على الجوع حتى ضرب بها المثل في ذلك . وأنها إذا هرمت صغرت في بدنها . ولم تشته الطعام^٤ . وأنها تنطق وتسمع . وقد أورد أهل الأخبار شعراً في ذلك ، ذكروا أنه للنايعة . ومذهب النايعة في الحيات مذهب أمية بن أبي الصلت ، وعدي بن زيد وغيرهما من الشعراء^٥ ، الذين تأثروا برأي أهل الكتاب فيما جاء عن الحية في العهدين وفي كتب الشروح والتفاسير والقصص الاسرائيلي القديم .

ولم تنفرد مخيلة الجاهليين وحدها باختراع اسطورة ان الحيات هي من الجن ، وأنها جنس منها ، فان غير العرب من الساميين مثل العبرانيين كانوا يقولون أيضاً بهذا القول . وكذلك قال بهذه الأسطورة غير الساميين ، مما يدل على انه من الأساطير القديمة جداً التي انتشرت عند البشر ، بسبب ما قاسوه في ايام بداوتهم من هذا الحيوان^٦ . ونجد قصة الحية في سفر التكوين . وهي في هذا السفر أشد

-
- ١ تاج العروس (١٦٥/٩) ، (جن) .
 - ٢ الحيوان (١٤٣/٢) ، (حاشية) ، Robertson, p. 233.
 - ٣ Ency. Religi., I, p. 670.
 - ٤ الحيوان (١١٨/٤) وما بعدها ، (موت الحمة) .
 - ٥ الحيوان (٢٠٣/٤) وما بعدها .
 - ٦ Ency. Religi., I, p. 669.

الحيوانات حيلة ، فهي التي خدعت حواء خدعتها الشهيرة ، وسببت طردها وطردها زوجها آدم من الجنة الى الأرض^١ .

ولعقيدتهم هذه في (الحية) ، كانوا اذا وجدوا حية ميتة كفنها ودفنوها ، فعلوا ذلك في الاسلام أيضاً . جاء انه بينما كان (عمر بن عبد العزيز) يمشي في أرض فلاة ، فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من رداءه ودفنها . وورد انه كان جمع من أصحاب رسول الله « يمشون فرجع لهم اعصار ، ثم جاء اعصار أعظم منه ، ثم انقشع ، فاذا حية قتيل ، فعمد رجل منا الى رداءه وكفّن الحية ببعضه ودفنها . فلما جنّ الليل اذا امرأتان تتساءلان أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقلنا ما ندرى ما عمرو بن جابر ! فقلنا إن كنتم ابتغيتم الأجر ، فقد وجدتموه . إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم . فقتل عمرو ، وهو الحية التي رأيتم »^٢ . « وفي الحديث : انه نهى عن قتل الجنان . هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحداها جان ، وهو الدقيق الخفيف »^٣ . والجان الشيطان أيضاً . وورد في الحديث : ذكر الحيات ، فقال : من خشي خبثهن وشرهن واربنهن ، فليس منسأ . أي من توقى قتلهن خشية شرهن فليس ذلك من سنتنا . وكانت الجاهلية تقول انها تؤذي قاتلها أو تصيبه بخيل^٤ .

وذكر العلماء أن (الالهة) الحية ، أو الحية العظيمة . وأن (اللات) ، الصنم المعروف أصله (لاهة) كأنه سمي بها . وان اسم الجلالة منها^٥ . وفي الأساطير الجاهلية ما يفيد تعبد الجاهليين للحية ، وفي هذا التفسير ما يؤيد هذا الرأي .

ويقال للحية : (بنت طبق) . و (بنات طبق) الحيات ، والحية (أم طبق) وبنت طبق . وهي (الدواهي) . ومن أساطيرهم أن بنت طبق سلعفاة تبيض تسعاً وتسعين بيضة كلها سلاحف ، وتبيض بيضة تنقف عن حية^٦ . والحيات شياطين ، وللعرب شجر يطلقون عليه (الصوم) ، كربه المنظ

-
- ١ السفر الثالث من الكون ، الآلة ١ وما بعدها .
 - ٢ الروض الانف (١٣٦/١) .
 - ٣ اللسان (٩٥/١٣) ، (حن) .
 - ٤ تاج العروس (١٤٥/١) ، (أدب) .
 - ٥ تاج العروس (٤١٠/٩) ، (لاه) .
 - ٦ تاج العروس (٤١٥/٦) ، (طبق) .

جداً ، يقال لثمره (رؤوس الشياطين) أي الحيات . وليس له ورو '

الغول :

وقصص الغول هي من أشهر القصص الجاهلي المذكور عن الجن ، ومع خطر الغول وشراسته في رأي الجاهليين ، ورد في قصصهم تزوج رجال من الإنس منهم . وورد ان الشاعر (تأبط شراً) تعرض بغيلة . فلما امتنعت عليه ، جللها بالسيف فقتلها . وهم يروون ان من الممكن قتل الغول بضربة سيف . أما اذا ضربت مرة ثانية ، فانها تعيش ولو من ألف ضربة . وهكذا ترى قصصهم يروي تغلب الانسان على الغيلة في بعض الأحيان . وأكثر قصص الغول منسوب الى (تأبط شراً)^٢ . وللقب الذي يحمله هذا الشاعر أو حمل عليه دخل ، ولا شك ، في ظهور هذا القصص .

ويرى علماء اللغة أن من معاني (الغول) التلون ، والظهور بصور مختلفة ، والاختيال . ويرون أن الغول أنثى ، وأما ذكرها فيسمى (قطرباً)^٣ . ولصفة التلون والظهور بصور مختلفة سماوا الغول (حيتموراً) ، وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويضمحل كالسراب . وذكر في وصف غدرها بالإنسان أنها اذا أرادت أن تضل إنساناً أوقدت له ناراً ، فيقصدها ، فتدنوا منه ، وتمثل له في صور مختلفة ، فتهلكه روعاً ، وان خلقتها خلقة لإنسان ، ورجلاها رجلا حمار^٥ .

وذكروا ان الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسُّفَّار ، ويتلون في ضروب الصور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . وقد قال (كعب بن زهير) الشاعر الصحابي ، الذي مدح الرسول ، في وصف تلون الغول :

١ ناج العروس (٣٧٢/٨) ، (صام) .

٢ بلوغ الارب (٣٤١/٢) وما بعدها) ، الاعانى (٢٠٩/١٨) وما بعدها) ، الحيوان (٢٣٣/٦ ، ٢٣٥) .

٣ بنوع الارب (٣٤٦/٢) وما بعدها) ، الحيوان (٤٨/٦) ، ناج العروس (٥١/٨) ، (غال) .

٤ بلوغ الارب (٣٤٧/٢) .

٥ بنوع الارب (٣٤٨/٢) ، الحيوان (٢١٤/٦) .

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تلون في أثوابها الغول^١

وفي تلون الغول يقول (عباس بن مرداس السلمي) :

أصاب العالَمَ رَعلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان^٢

فالغول تتحول في أي صورة شاءت ، وتمثل في صور مختلفة ، إلا رجلها ، فلا بد من ان تكونا رجلي حمار^٣ .

وذكر ان (الغول) (السعلاة) ، وهما مترادفان ، وذكر ان الغيلان جنس من الجن والشياطين ، والعرب تسمي الحية الغول . وقيل ان (أنياب أغوال) الواردة في شعر لامرئ القيس ، الحيات ، وقيل : الشياطين^٤ .

ولمى الشاعر (عبيد بن أيوب) شاعر (بني العنبر) ، يعود قسط كبير من القصص الوارد عن (الغول) و (السعلاة) . فقد كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئب والأفاعي ، ويؤاكل الأطباء والوحش . وقد أورد أهل الأخبار شيئاً من شعره في هذا الباب^٥ . وذكر بعض علماء اللغة ، ان الغول الذكر من الجن ، والسعلاة الأنثى . والغول ساحرة الجن ، وتقول إن الغول يترأى في الفلاة للناس فتضلهم عن الطريق^٦ .

واما (السعالي) ، وواحدتها السعلاة ، فذكر أنها سَحَرَة الجن ، وقيل : إن الغيلان جنس منها ، وان الغيلان هي إناث الشياطين ، وأنها — أي السعالي — أحبب الغيلان ، وأكثر وجودها في الغياض ، وأنها إذا ظهرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر ، وان الذئب يأكل السعلاة^٧ . وذكر ان (السعلاة) اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفار . وهم إذا رأوا المرأة

١ الحيوان (١٥٨/٦) وما بعدها .

٢ الحيوان (١٦١/٦) .

٣ الحيوان (٢٢٠/٦) .

٤ تاج (٥١/٨) ، (غال) .

٥ الحيوان (٤٨٢/٤) ، (هارون) ، (١٢٣/٥) ، (١٣٨ ، ٢٤١) ، (١٢٨/٦) ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٣٩٥ .

٦ تاج العروس (٥١/٨) ، (غال) .

٧ بلوغ الأرب (٣٤٦/٢) وما بعدها .

حديدية الطرف والذهن ، سريعة الحركة ممشوقة ممحصنة ، قالوا : سعادة . وقال الأعشى :

ورجالٍ قتلىً بجنبي أريك ونساءٍ كأنهن السعال^١

وذكر أن في الجن سحرة كسحرة الانس لهم تلبيس وتخييل ، وهم السعال . وهم أقدر من الغيلان في هذا الباب^٢ .

الشیطان :

والشیطان هو (Satan) في الانكليزية ، و (Diabolos) في الإغريقية . ويرجع علماء اللغة كلمة (الشيطان) الى أصل (شطن) ، ويقولون إن من معاني هذه الكلمة الخبث ، ولما كان الشيطان خبيثاً قيل له (شيطان) ومعنى ذلك ان فكرة خبث الشيطان كانت معروفة لصاحبها قبل التسمية^٣ . فلما بحث عن لفظة مناسبة لها ، اختاروا هذه الكلمة التي تدل على الخبث . وهو تعليل من تلك التعليقات المعروفة المألوفة التي كان يرجع اليها علماء اللغة كلما أعياهم الوصول الى أصول الأشياء .

و (الشيطان) (ساطان) (سطن) في العبرانية ، ومعناه : عدو ومشتك في هذه اللغة^٤ . ومن هذه اللغة جاءت لفظة (Satan) في الانكليزية .

وذكر (الطبري) : « والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء »^٥ . ثم قال : « وانما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير . وقد قيل انه أخذ من قول القائل شطنت دارى من دارك ، يريد بذلك بعدت . ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان :

نأت بسعادٍ عنك نوى شطون فبانث والفؤاد بها رهين

١ الحيوان (١٥٨/٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣٧٥/٧ وما بعدها) ، (سعل) .

٣ اللسان (١٠٤/١٧) ، (سطن) ، الحيوان (١٥٣/١) ، (٢٩١) .

٤ غرائب اللغة (٢١٢) .

٥ تفسير الطبري (٣٧/١ وما بعدها) .

والنوى الوجه الذي نوته وقصدته ، والشطون البعيد . فكأن الشيطان على هذا التأويل شطن . وما يدل على ذلك كذلك ، قول أمية بن أبي الصلت :

أيمّا شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والأكبال

ولم ترد لفظة (الشيطان) في شعر الشعراء الجاهليين ، خلا شعر (أمية بن أبي الصلت) و (عدي بن زيد العبادي) . والأول شاعر وقف، على ما يظهر من شعره ، على شيء من اليهودية والنصرانية . وأما الثاني ، فهو نصراني ، لذلك يجوز لنا أن نرجع علمهما بالشيطان الى ما جاء في اليهودية والنصرانية عنه ، ولذلك نستطيع أن نقول أن هذه اللفظة جاءت العرب عن طريق أهل الكتاب .

وذكر علماء اللغة ، أن (الأزب) اسم من أسماء الشياطين ، وذكروا أن (الأزب) شيطان اسمه أزب العقبة ، وقيل هو حية^١ . وأن من أسماء الشيطان : (الحُباب) . ويقع على الحية أيضاً ، لأن الحية يقال لها شيطان ، وفي حديث : « الحباب شيطان »^٢ . وذكروا أن من أسماء الشيطان (الطاغوت)^٣ .

ومن الشياطين ، شيطان اسمه (زوبعة) ، وقيل هو رئيس للجن . ومنه سمي الإعصار زوبعة ، ويقال أم زوبعة وأبو زوبعة وهو الذي يثير الأعصار ، حين يدور على نفسه ، ثم يرتفع في السماء ساطعاً كأنه عمود^٤ .

وأما ما ورد في القصص عن الشياطين عند الجاهليين ، فهو يختلف عما جاء عن الشيطان في الكتب اليهودية والنصرانية ، مما يدل على أن منبعه منبع آخر ، وإن (الشيطان) عند الجاهليين ، هو غير الشيطان المعروف عند اليهود والنصارى ، الذي دخل الى العرب قبيل الإسلام وفي الإسلام .

ومن القصص المذكورة ، استمد بعض الجاهليين قصصهم عن ذكاء الشيطان وعن حيله . ومن هذا القصص ولا شك استعمل الناس مصطلح (تشيطن) و (الشيطنة) بمعنى الذكاء والحيلة ، لما رسخ في ذهنهم من ذلك القصص عن ذكاء الشيطان وسعة حيله وتلاعبه بأذكي البشر . وهو في التوراة ذو طبع شرير ،

١ تاج العروس (١٤٧/١) . (أزب) ، (٢٨٤/١) ، (زب) .

٢ اللسان (٢٩٥/١) ، (حب) .

٣ تفسير الطبري (٧١/١٤) ، (١٣١/٢٣) وما بعدها .

٤ تاج العروس (٣٦٧/٥) ، (تزبع) .

وزعيم العصاة لأوامر الله ، يفضل الناس ويسلك بهم سبل الخطيئة ، ولذلك تعوذوا منه ^١ .

ومن القصص المذكور استمد أيضاً علماء اللغة ماذكروه من ان كلمة (الشیطان) تعني الحية ^٢ ، ففي ذلك القصص ظهور الشيطان على صورة (حية) خدعت أبونا آدم وحواء في الجنة . وتمثل هذا القصص في الأدبين العبراني والنصراني . وسبب ذلك هو ما علق بأذهان العبرانيين من مكر الحيات ودهائها وخبثها وميلها الى الشر ، وما علق بذهنهم عن هذه الصورة في الشيطان . والحية هي عند أكثر الشرقيين رمز يشير الى الثورة والعصيان والشر . وهذه الفكرة هي من أسطورة شرقية قديمة عن سقوط البشرية في الشر ، وتمثل في سقوط آدم وحواء وطردهما لذلك من الجنة ، وفي تعاليم زرادشت من ان الشرير ظهر في هيئة حية ، وأخذ يعلم الناس الشر ^٣ .

وزعم ان (شيطان الحماطة) الحية ^٤ . وورد (شيطان حماط) . ولعل ذلك بسبب لجوء الحيات الى الحماط ، والحماطة شجرة شبيهة بالتين ، وهي أحب الشجر الى الحيات ، إذ تألفها كثيراً ^٥ . وفي هذا المعنى ورد في قول الشاعر :

تلاعبتُ مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذى خروج قفر ^٦

والتعمج التلوي . والمراد هنا تلوي شيطان بمكان قفر نبت فيه الخروع. وقصد بالشيطان الحية .

وقد وصف الشيطان بالقبح ، فإذا أريد تعنيف شخص وتقييده ، قيل له : « يا وجه الشيطان » وما هو إلا شيطان ، يريدون بذلك القبح ، وذلك على سبيل تمثيل قبحه بقبح الشيطان . وقيل : الشيطان حية ذو عرف قبيح الحلقة ^٧ .

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٦٥١/١) .
 - ٢ اللسان (١٠٤/١٧) ، تاج العروس (٢٥٣/٩) ، (شطن) ، (والعرب تسمى كل حية شيطاناً) ، الحيوان (٣٠٠/١) .
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (٤٠٠/١) ، Hastings, p. 829.
 - ٤ الحيوان (١٩٢/٦) .
 - ٥ تاج العروس (١٢١/٥) ، (حمط) .
 - ٦ الحيوان (١٥٣/١) ، (١٩٢/٦) .
 - ٧ الفاخر (ص ٢٣٨) ، الحيوان (٣٠٠/١) ، تاج العروس (٢٥٣/٩) ، (شطن) .

وقيل إنه كان حية زعم أنها تأتي حول البيت ، فلا يطوف أحد . ولما شرعوا ببناء الكعبة في أيام شباب الرسول، جاء طير فالتقط الحية^١ . ولقيح وجه الشيطان، قالوا للذي به لقوة أو شر ، إذا سب^٢ : يا لطيم الشيطان . وقالوا للمتكبر الضخم : ظل الشيطان^٣ . وكانوا إذا أرادوا ضرب مثل بقبيح انسان قالوا : هو أقبح من الشيطان^٤ . وقالوا لشجرة تكون ببلاد اليمن، لها مظهر كرية (رؤوس الشياطين) . وبهذا المعنى فسرت (رؤوس الشياطين) في الآية : « إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم : طلعتها كأنه رؤوس الشياطين »^٥ . « يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة ، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجه رؤوس الشياطين في قبحها » ، « وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا . وهي حية له عرف فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز ، بقوله :

عنجد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروي عجمي : « والثالث ان يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ، ذكر انه قبيح الرأس »^٦ . ويظهر ان العرب في الجاهلية ، كانوا يطلقون (رؤوس الشياطين) على شجر كرية المنظر جداً ، قال علماء اللغة : « والصوم : شجر على شكل شخص الانسان كرية المنظر جداً ، يقال لثمره رؤوس الشياطين ، يعني بالشياطين الحيات ، وليس له ورق »^٧ . وقد جمع هذا التفسير بين الشياطين والحيات والقبيح . ويمثل الصورة التي رسمها الناس في مخيلتهم للشياطين . وكانت الشعراء تزعم ان الشياطين تلقى على أفواهها الشعر ، وتلقنها إياه

١ الفاخر (ص ٢٣٨) .

٢ الحيوان (١٧٨/٦) .

٣ الحيوان (٢١٣/٦) .

٤ الحيوان (٢١١/٦) ، (٣٩/٤ وما بعدها) .

٥ الصافات ، ٣٧ ، الآية ٦٣ وما بعدها .

٦ تفسير الطبري (٤٠/٢٣ وما بعدها) .

٧ اللسان (٣٥١/١٢ وما بعدها) ، (صوم) .

وتعينها عليه ، وتدعي ان الكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه ، فن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود . وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ان ذكروا لهم أسماء شياطينهم ، فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى مسحل ، وللأعشى أشعار فيه ، يمدحه ويثني عليه ، لأنه يعاونه ويساعده في نظم الشعر فيلقيه عليه إلقاءً . وقد زعم (حسان بن ثابت) ان شيطانه الذي يلهمه الشعر هو من (بني شيصبان) من فصائل الجن . وقد انتقلت هذه العقيدة في إلهام الشعر للشعراء إلى المسلمين كذلك . وقد دعا (جرير) شيطانه الذي يلقي عليه الشعر (ابليس الأباليس)^١ .

وبكى عن الشيطان بالشيخ النجدي^٢ . وقد أشير اليه مراراً في كتب السير والأخبار . أشير اليه في بنیان الكعبة ، حين حكموا رسول الله في أمر الركن من يرفعه، فحضر في زي شيخ نجدي بين الحاضرين ، وصاح : يا معشر قریش أرضيم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم ، وحضر اجتماع (دار الندوة) . وأيد قرارهم في قتله . وذكر علماء الأخبار ، أنه عرف بالشيخ النجدي ، لأنه تمثل نجدياً ، وقيل لأن نجداً يطلع منها (قرن الشيطان) ورووا أحاديث تذكر ذلك ، وتذكر أن الفن تخرج من المشرق ، والمشرق نجد بالنسبة لأهل الحجاز^٣ .

و (قرن الشيطان) ، ناحية رأسه ، ومنه الحديث : تطلع الشمس بين قرني الشيطان ، فإذا طلعت قارنها ، وإذا ارتفعت فارقتها^٤ . وفي الأساطير أن للشيطان قرنين .

وكان الكهان يستعينون بالشياطين في الإخبار عن المعيات، يذكرون أن الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيخبرونهم عن أنباء الأرض . وكان للكهان (صاف

١ النعالي ، ثمار القلوب (٦٩ وما بعدها) ، قال الأعشى :
دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنم جدعا للهجين المدمم
وفال :

حباني أخي الجنى نفسى فداؤه
الحيوان (٢٢٥/٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٥١٢/٢) ، (نجد) .

٣ الروض الانف (٢٩١/١) .

٤ تاج العروس (٣٠٦/٩) ، (قرن) .

ابن صياد (شيطان يلقي اليه بما خفي من أخبار الأرض ، وذكر أن النجوم تقذف الشياطين، وأن الجاهليين كانوا يرون ذلك ، وهو موجود في أشعار القدماء من الجاهلية ، منهم عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم^١ .

و (ابليس) من هذه الأفكار التي نفذت الى العرب عن طريق أهل الكتاب ، والعلماء على ان الكلمة معربة ، وهي كذلك^٢ . فأصلها (ديابولس) « Diabolos » وهي كلمة يونانية استعملت في مقابل لفظة (شيطان)^٣ . وقد أطلقت لفظة (أباليس) في مقابل (شياطين) . وقد ورد ان من أسماء ابليس (قتر) ، وان اللفظة علم للشيطان . ومن المجاز أبو قتر : ابليس . « وفي الحديث نعوذ بالله من الأعميين ومن قتر وما ولد . الأعميين الحريق والسيل ، وقتر من أسماء ابليس ، وكنيته : أبو قتر . وقتر حية صغيرة ، لا ينجو سميمها^٤ ، ولعل بين التسميتين صلة .

شق :

ومن الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان ، واسمه (شق) ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده ، فربما هلك فزعاً ، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً . ورووا في ذلك قصصاً . منه ما زعموه من ان (علقمة ابن صفوان بن أمية بن محرز الكناني) جد (مروان بن الحكم) ، خرج في الجاهلية ، وهو يريد مالاً له بمكة ، وهو على حمار ، وعليه إزار ورداء ، ومعه مِقرعة ، في ليلة اضحيانة ، حتى انتهى الى موضع يقال له (حائط حزمان) ، فاذا هو بشق^٥ ، له يد ورجل ، وعين ، ومعه سيف ، وهو يقول :

- ١ الروض الانف (١/١٣٥) ، (فصل في الكهانة) .
- ٢ المغرب ، للجواليقي (٢٣) ، ناج العروس (٤/١١١) ، (البلس) .
- ٣ Ency. Religl., 4, p. 600, Geiger, was hat Mohammad aus der Judenthume Aufgenommen, Leipzig, 1902, S. 107, Well, Biblische Legenden der Muselmanner, S. 12, Shorter Ency., p. 146, Grünbaum, Beiträge Zur Sem. Sagen, S. 60.
- ٤ النسان (٥/٧٣) ، (ابليس) ، ناج العروس (٣/٤٨٠) ، (قتر) ، (٤/١١١) ، (البلس) .

علقم لاني مقتول وإن لحمي مأكول
أضربهم بالهذلول ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

يا شقها مالي ولك* اغمد عني مُنْصَلْكَ
تقتل من لا يقتلك

فقال شق :

عبيت لك عبيت لك كما أتيج مقتلك
فاصبر لما قد حمّ لك
فضرب كل واحد منهما صاحبه ، فخراً ميتين^١ .

الهاتف والرئي :

ويؤمن الأعراب بالهاتف، ويتعجبون ممن يرد ذلك . وهم يزعمون أنهم يسمعون
الهاتف يخبرهم ببعض الخبر ، فيكون صحيحاً . فمن ذلك حديث (الأعشى بن
نبّاش بن زرارة الأسدي) ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفيّاض غيثُ بني فهر وذو الباع والمجد الرفيع وذو الفخر

فقال مجيباً له :

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى من المرء ننعاه لنسا من بني فهر

فقال :

نعت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى وذا الحسب القدموس والحسب القهر^٢

١ الحيوان (٢٠٦/٦) ، (هارون) .

٢ الحيوان (٢٠٢/٦) .

وزعموا أن لنقل الجن الأخبار ، علم ب وفاة الملوك وأصحاب النباهة والجاه ، وأمثال ذلك من الأمور الخطيرة ^١ .

وتتردد في الأخبار كلمة (هاتف) و (الهاتف) ، بمعنى صوت صادر من مصدر غير مرئي ، وردت في مواضع عديدة من القصص الجاهلي ، ووردت بعدها الجمل التي قالها الهاتف لمن وجه خطابه اليه . وهي تكهن واخبار ، عن أمر وقع وحدث ، أو لتحذير من القيام بعمل ما ، أو بإرشاد الى عمل أو جهة أو ما شابه ذلك من الأمور . وقد تستعمل بمعنى (الرئي) الذي يهتف للكاهن ، أو الصوت الذي يزعم أنه يخرج من جوف الصنم ^٢ .

الرئي :

وكانوا يقولون ، إذا ألف الجن انساناً وتعطف عليه ، وخبره ببعض الأخبار وجد حسه ورأى خياله ، فاذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رئي من الجن ، يخبره بما وقع ويقع وعن الأسرار . ومن يقولون ذلك فيه : عمرو بن لحي بن قعدة ، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وهم من الرؤساء السادة ، وقد كان لكل كاهن وعرفاء رئي يخبر صاحبه بما يُسأل عنه . وذكر انه قد كان مسيلمة يدعي ان معه رثياً في أول زمانه ، ولذلك قال الشاعر حين وصفه :

بَيْبِضَةُ قَارُورٍ وَرَايَةُ شَادِنٍ وَخَلَّةُ جَنِيٍّ وَتَوْصِيلُ طَائِرٍ ^٣

الملائكة :

والملائكة هم روحانيون ، أي من أرواح في نظر أهل الجاهلية . ويدل ورود الملائكة في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومن الآيات التي تشير الى مجادلة المشركين ومحدثتهم للرسول في الملائكة ، ان فكرة الملائكة كانت معروفة شائعة

١ المصدر نفسه (ص ٢٠٣) .

٢ ناج العروس (٢٧٣/٦) ، (هف) .

٣ الحيوان (٢٠٥/٦) وما بعدها ، (هارون) .

بينهم ، وأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، كما يظهر ذلك من الآية : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليتنا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون »^١ .

غير أن المفسرين ، لم يسيروا الى أولئك الذين تعبدوا للملائكة ، ولم يذكروا أسماءهم ، مع أنهم ذكروا اسم من تعبد للجن^٢ . بل يظهر من تفسيرهم للآية المذكورة ، أنها وردت على سبيل الاستفهام « كقوله عز وجل لعيسى : أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال النحاس : فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم ، فهو استفهام توبيخ للعابدين »^٣ . ولكنهم أشاروا في مواضع أخرى الى ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها . ويقولون ان امهاتن بنات سروات الجن ، يحسبون انهم خلقوا مما خلق منه ابليس^٤ .

وقد أشير في القرآن الكريم ، الى ان من الجاهليين من زعم ان الملائكة بنات الله^٥ . وتحدث المفسرون في تفسير ذلك ، غير أنهم خلطوا في الغالب بين الملائكة والجن . ولم يأتوا بشيء يذكر عن رأي أهل الجاهلية في الملائكة . وما ذكروه هم عن الملائكة ، هو اسلامي ، يرجع في سنده الى أهل الكتاب ، ولا سيما القصص الاسرائيلي ، ولهذا فهو مما لا يمكن ان يقال عنه انه يعبر عن رأي الجاهليين . ويظهر ان الجاهليين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الملائكة ، لأن الاعتقاد بالملائكة من عقيدة الديانة اليهودية ثم النصرانية ، وهم لا يعرفون الكتاب ، إلا من كان منهم على دين اليهودية أو النصرانية ، أو كان من الحنفاء أو على اتصال بأهل الكتاب ، كأمية بن أبي الصلت وأمثاله .

وقد أشير الى الملائك ، أي (الملائكة) في شعر ينسب الى (أمية بن أبي الصلت) ، هو :

-
- ١ سبأ ، الآية ٤٠ وما بعدها .
 - ٢ راجع تفسير الطبري (٦٩/٢٢) ، روح المعاني (١٣٩/٢٢) ، القرطبي ، الجامع (٣٠٩/١٤) .
 - ٣ القرطبي ، الجامع (٣٠٨/١٤) وما بعدها .
 - ٤ تفسير الطبري (٦٧/٢٣) وما بعدها .
 - ٥ الصافات ، الآية ١٤٩ وما بعدها ، الاسراء ، الآية ٤٠ ، الزخرف ، الآية ١٥ وما بعدها ، تفسير الطبري (٨٣/١٤) .

وكان يرقع ، والملائك حوله سدر^١ تواكله القوائم أجرد^٢

وورد (ملائكة) في شعر رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ،
قيل هو النعمان . وقيل هو لأبي وجزة يمدح به عبدالله بن الزبير :
فلست لإنسي^٣ ، ولكن للملائكة تنزل من جو السماء يصوب^٤

وقد زعم أن الملائكة تصافح الناس وتناجيهم . زعم ذلك حتى في الإسلام .
ذكر (ابن دريد) ان (عمران بن الحُصَيْن بن عُبَيْد بن خلف) ، وهو من
الصحابه ، وعرف بـ (أبي نجيد) ، « كانت تصافحه الملائكة وتناجيه لدا
كان به ، فاكتوى ، فذهب عنه ذلك . وذهب ما كان يسمع ويرى »^٥ .

السحر :

والسحر من أهم الوسائل التي لجأ اليها البشر وأقدمها منذ أعتق أيامه في التأثير
على الأرواح ، وقد جعله جزءاً من الدين ، لذلك كان من اختصاص رجال الدين ،
يقومون به في المعابد قيامهم بالشعائر .

واذ كان معظم الناس في الزمن الحاضر يفرقون بين الدين والسحر ، ويعتدون
السحر شيئاً بعيداً عن الدين ، بل هو ضد الدين ، فإن قدماء البشر لم يكونوا
ينظرون اليه هذه النظرة ، كانوا ينظرون اليه كما قلت على انه جزء مهم من
الدين ، بل هو أهم جزء فيه وأعظمه ، بل ما زلنا نجد ديانات القبائل البدائية
تعدّ السحر جزءاً من الدين^٦ . وهو كذلك في كل دين بدائي .

وعمل الساحر هو السحر ، والسحر في عرف بعض علماء اللغة الإسلاميين هو

١ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٢ اللسان (٤٩٦/١٠) .

٣ الاستقاف (٢٧٨/٢) ، (طبعة أوربة) ، (انه كان يرى الحفظة ، وكانت بكلمه حنى
اكوى) ، الاصابة (٢٧/٣) ، (الرقم ٦٠١٢) .

٤ R. Campell Thompson, Semitic Magic its Origins and Development,
London, 1908, p. XVII, Smith, p. 90.

« عمل يقرب فيه الى الشيطان »^١ . وقد فسّر بعض العلماء كلمة (الجيبت) في القرآن الكريم بمعنى السحر ، كما ذكر أنها تعني الساحر والكاهن والصنم وكل ما عبد من دون الله . وفسر (الطاغوت) بمعنى الشيطان^٢ .

وقد وردت كلمة (السحر) و (سحر) و (الساحر) و (الساحرون) و (السحرة) و (مسحوراً) و (مسحورون) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ويدل ورودها فيه هذه الكثرة على مبلغ أثر السحر في عقلية الجاهليين . وقد اتهم أهل مكة الرسول أنه ساحر ، حينما أخبرهم بنزول الوحي عليه . وقالوا انه يستمد وحيه من الشياطين .

وقد جمع البخاري بين الكهانة والسحر بأن قدّم الكهانة على السحر ، لأن مرجع الاثنين شيء واحد هو الشياطين^٣ .

وقد حملت تلك المواضع من القرآن الكريم المفسرين على جمع ما علق بأذهان الناس عن السحر . أما كتب الحديث ففيها مادة مفيدة وردت ضمناً عن عقيدة أهل الجاهلية به . كما وردت في أخبار أهل الأخبار إشارات اليه ، تجمل جميعها ان الاعتقاد بالسحر بين الجاهليين كان شائعاً معروفاً . وان ممارسيه في جزيرة العرب كانوا عرباً ويهوداً ، وانهم كانوا يرون ان أصوله في بابل وعند يهود . وقد كان أكثر السحرة في الجاهلية من يهود^٤ . يقصدهم الجاهليون من أنحاء بعيدة ، لاعتقادهم بسعة علمهم وباختصاصهم فيه . وكان اليهود يستندون علمهم الى بابل، ولهذا نجد الأحاديث والأخبار العربية ترجع علم السحر الى بابل واليهود . والفرق بين الكهانة والسحر ان الكهانة تنبؤ ، فسند الكاهن هو كلامه الذي يذكره للناس . أما السحر ، فانه عمل في الأكثر ، للتأثير في الأرواح ، كي تقوم بأداء ما يطلب منها . ولا يمكن صنع سحر ما لم يقترن بعمل . ويصحب هذا

-
- ١ تاج العروس (٢٥٨/٣) ، (سحر) ، اللسان (٣٤٨/٤) ، (سحر) .
 - ٢ النساء ، الآية ٥٠ ، « وسمي الساحر والكاهن جيبتا » ، المفردات (٨٣) ، تاج العروس (٥٣٥/١) ، شمس العلوم (ح ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٤) .
 - ٣ عمدة القارئ (٢٧٣/٢١) ، (٢٨٢) ، « باب السحر » ، ارساد الساري (٤٠١/٨) ، الطبري (٤٢١/٢) ، (٤٤٥) ، الطبرسي ، (٢-١) ، (٣٨٤) .
 - ٤ عمدة القارئ (٢١٣/٢١) ، الطبري (٤٣٩/٢) ، العقد الفريد (٢٧٦/٦) ، تفسير الرازي ، (١٧-١٨) (ص ٩) ، سنن ابن ماجه (١١٧٣/٢) ، روح المعاني (٢٨٢/٣٠) .

العمل كلام مفهوم أو غير مفهوم ، وإشارات ، يدعي الساحر انه انما يقوم به وبالإشارات لتسخير الأرواح ، وان ما يفعله مفهوم عند جنوده ، وهم الجن والشياطين .

وفن مثل هذا مغر جداً ، فمن من الناس من لا يريد تسخير القوى الخفية لخيرهِ ولصالحهِ ، وإلحاق الأذى بأعدائه ومبغضيه . ولذلك كان للسحر وللسحرة أثر خطير في التاريخ ، بالرغم من مقاومة بعض الأديان له . فما يقوم به السحرة من أعمال وخفة ، وما لشخصيات بعض السحرة من تأثير نفسي كبير ، تجعل من الصعب على بعض الناس ان يكذبوا أقوالهم وأفعالهم ، ولذلك يتأثرون بهم ، ويأخذون بما يقولونه لهم ، حتى تكون للساحر مكانة كبيرة في نفس ذلك الشخص . وللسحر أغراض عديدة ، وقد استخدم في معالجة أمور كثيرة ، حتى ادارة الملك والقضاء على الأعداء ، للسحر وللسحرة فيها صولات وجولات . ومن الطبيعي أن يكون للحب المكانة البارزة فيه ، حتى ليكاد يتخصص بهذا الجانب من حياة الإنسان . ولما كانت العادة أن يتزوج الرجل من جملة نساء صار السحر من أهم الوسائل التي استعانت بها الزوجات للتأثير في قلب الرجل ، ولكسب المكانة الأولى عنده ، وللتفريق بين الرجل وبين بقية أزواجه . ومصادق ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن السحرة في هذه الآية : « ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه ، فلا تكفر ، فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه »^١ . فالتفريق بين المرء وزوجه ، كان ولا يزال من أهم أعمال السحرة . ونجسد في الحديث تقريباً ولوماً للسحرة لاستخدامهم السحر في هذا الغرض الفاسد .

والساحر في معالجة الحب على طريقتين : اشعال جذوة نار الحب في قلب من يقصد إثارته عنده ، أو اطفاء نارها وإخمادها وامانتها في قلب المسحور . ولكل من الطريقتين قواعد وأحكام وأصول يجب تطبيقها بعناية ، وإلا بطل فعل السحر . أما إشعال نيران الحب ، فيكون بطرق متعددة يتبعها الساحر ، فقد يستعين بالنباتات والأعشاب ، يستخرج أدوية منها يقدمها الى المرأة لتؤجر الرجل اياها سرّاً . وقد يستعين بالجمهر يقرأ عليه ، ثم يرمى في الممرات التي يمر الرجل ،

١ البقرة : الآية ١٠٢ ، عمدة القارئ (٢٠ / ٢٧٨ وما بعدها) .

أو الشخص المراد سحره منها . وقد يذفن السحر في موضع كمقبرة أو محل آخر ليؤثر من ذلك الموضع على المسحور . وقد يستعين بالخرز يسحر عليها ، فتحجب المرأة الى زوجها ، وتسمى (التويلة)^١ .

وكما يستعمل السحر لاشعال نيران الحب في القلب ، كذلك يستعمل لايقساد البغض والكراهية في النفوس . ففي استطاعة الساحر بما عنده من جنود مجنّدة ان يلقي البغضاء والكراهية والحقد في نفس أي شخص يود انساناً آخر ، فينقلب مبغضاً حاقداً كارهاً لمن كان يحبه ويعشقه . ومجال هذا الباب واسع جداً للنساء خاصة .

وفي استطاعة الساحر مداواة العاشق وإماتة عشقه بوصفة يعطيها اليه تقضي على حبه الجامح قضاءً تاماً يسمونها (السلوانة) و (السلوان) . وما هذه الوصفة إلا مادة ذات سحر عجيب يغتسل بها الانسان أو يشربها ، فتطفئ في الحال أو بعد أمد كل نيران للحب مؤججة في قلب العاشق . والسلوانة هي شيء من تراب قبر ، أو خرزة تسحق ويشرب ماؤها ؛ فيورث شاربها سلوة . وتكون الخرزة شفافة ، تدفن في الرمل فتسود ، ثم تستخرج لسحقها وشربها ، وقد يكتفى بصب ماء المطر على تلك الخرزة لسقي العاشق ذلك الماء الذي يسمونه (السلوان) ، ليشفي من العشق^٢ . ولا بد أن يكون لاختيار الماء وتراب القبر أو مسحوق الخرزة في معالجة العشق ، سبب يمكن تفسيره بأنه لغسل قلب المحب، وإماتة الحب فيه . ومن أهم الأعمال التي يعالجها السحرة ، اخراج الجن من المجانين . فالجنون هو من عمل الجن . تحمل الجنة بالإنسان فتأخذ عقله . ومن هنا قيل لهذا المرض (جنة) و (جنون)^٣ . ومن واجب الساحر اخراج الجن من هؤلاء المرضى ، وهو عمل يقوم به الساحر حتى اليوم، ويكون ذلك بضرب المريض بالعصا لإخراج

١ بالكسر وبالضم ، « وقيل هي معاذة تعلق على الانسان » ، اللسان (٨٥/١٣) .

٢ يا ليت أن لقلبي من يعلله أو سافيا فسقاني عنك سلوانا
وورد :

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجدبد العيش با مي ما أسلو
وجاء :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان همما شفياني
فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة الا بها سفياني
اللسان (١١٨/١٩) وما بعدها) .

٣ تاج العروس (١٦٤/٩) وما بعدها) ، « جنن » .

الجنة منه . أو بسقيه بعض الأثرية السحرية ، أو بتدليك جسمه وغسله، وبإدخاله محلاً مظلماً هادئاً يحرق فيه البخور ، وبتعليق بعض العزائم والحجب وما شاكل ذلك لإبعاد الجن عن المجنون وإعادة عقله إليه .

ويداوي الساحر أمراضاً عديدة أخرى ، بل كل أنواع الأمراض ، وما الممرض في نظر القدماء إلا أرواح شريرة حلت في الأجساد أو تجزء منها ، فألحقت بها الأمراض . ولن يشفى الجسد أو الجزء المصاب منه إلا بطرد تلك الأرواح . وطرد الأرواح من أعمال السحر . والساحر هو سلف من أسلاف الأطباء . وكلمة (طبيب) العربية هي من هذا الأصل . فالطب في اللغة السحر ، و (المطلوب) هو المسحور ، والطاب هو الساحر يستخدم طبه في الشفاء^١ . وقد أدخلت كتب الحديث السحر في (كتاب الطب)^٢ . فالساحر هو طبيب يعالج أشياء عديدة ، ثم تخصص الأطباء بالطب ، غير أن الأطباء ظلوا يمارسون حتى في أوروبة السحر في معالجة مرضاهم مدة طويلة ، الى أن تطور العلم ، وظهر البحث الحديث .

ويقوم أكثر مداواة المرضى بواسطة السحر بالنفث على المريض أو في فمه وبماسك الرأس أو الجزء المريض ، لقراءة شيء عليه يضمن شفاؤه ، أو بتدليك ذلك الجزء منه . وقد يعطى حجباً وتماثم تشفى المريض من مرضه . والنفث في الفم من العادات الجاهلية القديمة ، يقوم به الكاهن والساحر والأب في بعض الأحيان ، لاعتقادهم أن ذلك سيلهم الطفل فيعلمه العلم والحكمة والذكاء ويمنحه الصحة الجيدة .

ومن طرق السحر عند الجاهليين ، النفث في العقد ، وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة : « ومن شرّ النقّات في العقد »^٣ . ويكون ذلك بعقد عقد والنفث عليها^٤ . ويذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن (لبيد بن أعصم

-
- ١ صحيح مسلم (١٤/٧) ، اللسان (٤٢/٢) ، تاج العروس (٣٥١/١) ، عمدة الفاري (٢٢٩/٢١) .
 - ٢ راجع كتب الحديث : (كتاب الطب) ، ارشاد الساري (٣٦٠/٨ وما بعدها) ، عمدة الفاري (٢٧٧/٢١ وما بعدها) .
 - ٣ الفلق : الآية ٤ .
 - ٤ الكشاف (٢٤٤/٤) ، تاج العروس (٦٥٠/١) « نفث » ، صحيح مسلم (١٤/٧) ، « باب السحر » ، عمدة الفاري (٢٨٠/٢١ وما بعدها) ، أسباب النزول (٣٤٦ وما بعدها) .

اليهودي (سحر الرسول ، ودرس ذلك السحر في بشر (لبني زريق) تسمى (بشر ذروان) (بشر ذي أروان) ، وأنه وضع ذلك السحر في جف طلعة تحت راعوفة ، أي في قشر الطلع وتحت حجر في أسفل البشر . فلما استخرج السحر ، وجدوه مشاطة رأس وأسنان مشطه ، وإذا فيه معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر^١ . ويقوم بهذا السحر الرجال والنساء . غير أن المفسرين وأهل الأخبار واللغة حينما يذكرون هذا النوع من السحر يذكرون أن النساء النفاثات هن اللواتي كنّ يقمن بذلك . أخذوا رأيهم هذا من الآية المذكورة التي تشير الى بنات لبيد وكنّ ساحرات ، والاشارة في هذه الآية عن حادث معين ، ولم يقصد بها الاطلاق . والنفث في العقد ، وعقد سبع عقد توضع فيها مادة السحر ، من طرق السحر القديمة المعروفة عند العبرانيين والآشوريين وغيرهم . وقد عثر في الكتابات المسمارية على تعليمات في كيفية انتقاء شر الأرواح الخبيثة وأرواح الأموات الشريرة التي تسحر الناس ، فكان مما جاء فيها عقد سبع عقد ووضع مسادة سحرية فصلت في تلك التعليمات لانتقاء شر سحر تلك الأرواح^٢ .

ويذكر المفسرون وأهل الحديث ان الرسول لما سحره (لبيد بن الأعصم) من (بني زريق) ، كان « يخيّل اليه انه كان يفعل شيئاً وما فعله »^٣ ، حتى علم بسحر (لبيد) ، فلما استخلصه من البشر ، ذهب أثر ذلك السحر عنه . وقد كان السحرة اليهود يقرأون شيئاً وهمهمون عند عقدهم كل عقدة من هذه العقد ، ويقال لذلك Ghabar^٤ . ومن هؤلاء اقتبس السحرة العرب طريقتهم في النفث على العقد .

والمواد التي يستعين بها الساحر لعمل السحر عديدة . أوراق بعض النباتات والملح والبخور والدماء والعظام وقرون الحيوانات يدفنها أو يحرقها أو يذبيها في الماء . وفي كل سحر لا بد أن يشفع الساحر سحره بطقوس أو بحركات خاصة ، وبتمتة تلقي في الروح ان الساحر يقول شيئاً ويخاطب أشخاصاً هم الجن . والتمتة

١ الطبرسي ، الجزء التاسع ، المجلد الخامس (٥٦٨) ، ارشاد الساري (٤٠٣/٨) وما بعدها ، (٤٠٧) .

٢ Semitic Magic, p. 33.

٣ ارشاد الساري (٤٠٣/٨) وما بعدها ، شرح صحيح مسلم ، للنووي (١٥/٩) « حاشية على ارشاد الساري » ، الطبري (٤٣٩/٢) . سنن ابن ماجة (١١٧٣/٢) .

٤ Hastings, p. 569.

هي في الغالب كلام غير مفهوم عند الناس ، ولكنه عند الساحر وجنوده الجن والشياطين كلام واضح بليغ .

ويعمد السحرة الى الصور والرموز في سحرهم ، ومنهم من كانوا لا يعرفون الكتابة ولا القراءة فيرمزون الى من يريدون سحره ، أو إلحاق الأذى به ، أو يصورونه . وقد يشيرون بالصور والرموز الى الجن والشياطين . وهم في الغالب يدفنون تلك الصور والرموز في المقابر ، لأنها من أنسب الأماكن للسحر . وقد عثر على عدد من هذه الاشارات والصور السحرية . ومنها ما هو مكتوب بكتابات لها صور بالسحر^١ .

إبطال أثر القوى الخفية :

وقد حمل اعتقاد الجاهليين بوجود قوى خفية تؤثر في الانسان ، أهل الجاهلية على العمل على التغلب على تلك القوى أو الحد منها وايقاف فعلها وذلك بابتداعه طرقاً عديدة لذلك ، مثل استعماله (النفرات) أو السحر ، أو (الرقي) ، أو الهائم ، والتعاويد وما شابه ذلك من أمور .

و (النفرة) شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة^٢ . و (التنفير) الطرق التي يستعملها الانسان لتنفير القوى الخفية وابعادها عنه . وطريقتهم في ذلك شبيهة بطرقهم في تنفير الثقلاء وغير المرغوب فيهم من الناس وابعادهم ، وذلك باتخاذ كل ما ينفر ويقزز ، لتعاف تلك الأرواح المواضع التي اختارتها والأشخاص الذين نزلت بساحتهم وحلت في أجسامهم ، ومنها طريقة (التنجيس) . وطريقتهم في ذلك تعاليق الأقدار من خرق المحيض وعظام الموتى وأمثال ذلك على الصبي ومن يخاف عليه عيون الجن ، لاعتقادهم ان الجن سوف تبتعد عن هؤلاء وتهرب منهم . ويقال للمعوذ (المُنَجِّس) ، وللشخص الذي عوذ له (المُنَجَّس) . والتنجيس يشفي إلا من العشق^٣ .

Hastings, p. 569.

١

٢ تاج العروس (٥٧٩/٣) ، (نمر) .

٢

٣ ورد : « وعلق انجاسا على المنجس » ، اللسان (١١١/٨) ، (نجس) ، بلسوغ

الارب (٣١٩/٢) .

واتخذ الجاهليون طرقاً عنده للتخلص من الجن ، ولا سيما من الخطفة والنظرة .
أي من خطف الجن للأطفال ومن حسدها لهم . فهداهم تفكيرهم الى تعليق بعض
الأشياء على الصبي^١ ، مثل سنّ ثعلب ، أو سن هرة ، وتقطير شيء من السوائل
في عينيه عند الولادة لتغيير الجن منه . وتسمى هذه الأمور المنفرة للجن النفرات^٢ .

ومن النفرات التحايل على الجن بتغيير الأسماء ، بتغريبها ، كأن يسمى الصبي
بأسماء بعض الحيوانات الصغيرة أو الأشياء التافهة الحقةرة ، وبذلك تنفر الجن منه ،
فلا تقترب منه ، ولا تمسه بسوء^٣ . « قال أعرابي لما ولدت قيسل لأبي نفر
عنه ، فسماني قنفذاً وكنّاني أبا العداء »^٤ .

التحصن من الجن :

والاستعاذة بالجن تفيد أيضاً في نظر الجاهليين في حماية الشخص من أذاهم .
فإذا استعيذ بعظيم الجن ، استجاب العظيم نداء المستعيذ . فكان المسافرون إذا
خافوا من طوارق الليل ، عمدوا الى وادٍ ذي شجر ، فأناخوا رواحلهم ، وعقلوها
وخطّوا عليها خطأً ثم نادوا : نعوذ بعظيم هذا الوادي ، أو نعوذ بصاحب هذا
الوادي . فيستجيب عندئذ عظيم الوادي لنداء المستعيذ ، فلا يسمح لأحد أن يلحق
به أذى . . وقد أشير الى ذلك في القرآن : « وأنه كان رجال من الإنس
يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقاً »^٥ . وذكر ان العرب كانوا إذا
صاروا في تيه من الأرض ، وتوسطوا بلاد الحوش ، خافوا عبث الجنان والسعالى
والغيلان والشياطين ، فيقوم أحدهم فيرفع صوته : إنا عائدون بسيد هذا الوادي !
فلا يؤذيهم أحد ، وتصير لهم بذلك خفارة^٦ .

١ بلوغ الارب (٣١٩/٢) .

٢ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) ، الناج (٥٧٩/٣) .

٣ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) .

٤ اللسان (٨٥/٧) ، الناج (٥٧٩/٣) ، (نفر) .

٥ سورة الجن ، الآية ٦ .

٦ الحيوان (٢١٧/٦) .

ذبائح الجن :

ولارضاء الجن واسكانها ، وتجنب أذاها ، قام الجاهليون بتقديم الذبائح لها . فاذا أراد انسان السكن في بيت جديد ، أو استخراج الماء من بئر احتفرها أو من عين ماء ، أو ما شاكل ذلك وخاف من وجود الجن فيها ذبح ذبيحة ، يرضى بها الجن ، فلا تتحرش عندئذ به ولا تصيبه بأذى ، لأنه قد تقرب بالذبيحة اليها ويثن لها انه صديق لها ، فيعيش عندئذ قريب العين في بيته الجديد ، لا يمس عماره بسوء . ويقال لهذه الذبائح : (ذبائح الجن) . وقد نهى الاسلام عن ذبائح الجن . ورد انهم « كانوا اذا اشتروا داراً أو استخرجوا عيناً أو بنوا بنياناً ، ذبحوا ذبيحة مخافة ان تصيبهم الجن ، فأضيفت الذبائح اليهم لذلك »^١ .

و (النشرة) سلاح مفيد جداً لحل عقد الرجل عن مباشرة أهله . وقد كانت مشهورة في أيام الرسول . وقد أباح العلماء (النشرة العربية التي لا تضر إذا وطئت ، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه ، فيأخذ عن يمينه وشماله من كل ، ثم يذيه ويقرأ فيه ، ثم يغتسل به »^٢ . ويبدل نعت هذه النشرة بالنشرة العربية على وجود نشرات غير عربية ، وهي النشرات التي كان يعملها اليهود . وقد كانوا يستعملون الأدعية العبرانية ، لذلك نهى الاسلام عن استعمال تلك النشرات .

و (النشرة) في تعريف علماء اللغة : رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن كان يظن أن به مساً من الجن . وإذا نشر المسفوح كان كأنما أنشط من عقال ، أي يذهب عنه سريعاً . وفي الحديث أنه سئل عن النشرة ، فقال هي من عمل الشيطان . وقد أدخلها بعضهم في السحر^٣ .

و (العوذة) ، ويقال لها (المعاذة) و (المعاذات) . تستعمل في التعويذ

١ اللسان (٢٦٢/٣) ، تاج العروس (١٣٨/٢) ، (ذبح) ، اللسان (٤٣٧/٢) ،

(ذبح) ، (صادر) .

٢ عمدة القارئ (٢٨٤/٢١) ، تاج العروس (٥٦٦/٣) ، سنن أبي داود (٦/٤) .

٣ تاج العروس (٥٦٦/٣) ، (نشر) ، الحيوان (١٨٥/٤) ، اللسان (٢٠٩/٥) ،

(نشر) ، (صادر) .

من الفزع والجنون^١ . وتبعث تسميتها على الظن بأنها من المصطلحات الإسلامية ،
وانها أخذت تسميتها من المعوذتين. غير ان ورودها في مواضع عديدة من الحديث ،
واستعمالها في القرآن الكريم للتعبير عن فكرة معينة معلومة ، يدلان على انها من
المصطلحات التي كانت معروفة بين أهل (يثرب) حتى إن بعض الصحابة ذكروا
انها نزلت للتعويذ . ومعنى (أعوذ) أعصم وألتجئ ، فلا يستبعد ان يكون أهل
يثرب على الأقل قد تعلموا ذلك من اليهود الذين كانوا يقرأون بعض التعاويذ من
التوراة لحماية أنفسهم من شر الأمراض .

وتستعمل (الرقية) في مداواة الآفات ، مثل الحمى والصرع والنظرة ولدغات
العقارب والحيات وأمثال ذلك ، وتكون بقراءة شيء على المريض أو على موضع
المرض ثم النفث عليه ، أو بحمل شيء مكتوب . وقد جاء في بعض الأحاديث
جوازها في الاسلام ، وفي بعضها النهي عنها . وقد ذكر علماء الحديث ان الاسلام
قد نهى عن الرقية التي تكون بلسان غير عربي ، ويدل هذا على ان الجاهليين
كانوا يذهبون الى أهل الكتاب ولا سيما اليهود منهم ، فيرقونهم بالعبرانية أو
السريانية ، ولذلك نهوا عنه . وقد عرضت بعض أنواع الرقية التي كان يستعملها
أهل الجاهلية على الرسول لأخذ رأيه فيها ، فأباحها لهم ، وأباح لهم كل رقية
ليس فيها شيء من ألفاظ الجاهلية^٢ .

وقد حفظت الكتب لنا أنموذجات من بعض الرقي ، منها هذه الرقية التي
استعملت في اشعال نيران الحب : « هوا به هوا به ، البرق والسحابة ، أخذته
بمركن ، فحبته تمكّن . أخذته بإبره ، فلا يزل في عبره ، جلبته بإشفى ، فقلبه
لا يهدا . جلبته بمبرد ، فقلبه لا يبرد »^٣ . فهذه الرقية تلهب قلب الرجل ،
وتهيجه ، وتجعله كأنه في إجانة غسل الثياب . يعمل على وفق ارادة المرأة التي
استعملت تلك الرقية .

-
- ١ اللسان (٣٤/٥) ، سنن ابن ماجة (١١٦٣/٢) ، اللسان (٤٩٩/٣) ، العقد العربي (٢٧٤/٦) .
 - ٢ شرح الامام النووي على متن مسلم (٣٩/٩) ، ارشاد الساري (٣٩١/٨) ، سنن أبي داود (١٠/٤) وما بعدها ، اللسان (٣٣٢/١٤) ، (صادر) ، (٤٩/١٩) ، تاج العروس (١٥٤/١٠) ، اللسان (٤٩٩/٣) ، (٣٣٢/٤) ، صحيح مسلم (١٨/٧) ، سنن ابن ماجة (١١٦٦/٢) ، (كتاب الطب ٣٨) .
 - ٣ بلوغ الارب (٧/٣) .

أما إذا شمت المرأة زوجها ، وأرادت الابتعاد عنه ، وطرده عنها ، فسييلها في ذلك رقية تبعد الرجل ، وتنفره منها ، وذلك بأن تقول : « بأقول القمر ، وظل الشجر ، شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتقش » . فإذا أتمت ذلك ، رمت في أثره بحصاة ونواة وروثة وبكرة . ثم تقول : « حصاة حصت أثره ، ونواة نأت داره ، وروثة راثت خبره ، لفعتة ببعرة »^١ .

و (العزائم) الرقي ، أو ضروب منها . يقال عزم الراقي ، كأنه أقسم على السداء ، وعزم الحوآء ، إذا استخرج الحية . كأنه يقسم عليها . والعزيمة من الرقي التي يعزم بها على الجن والأرواح^٢ . ومن اعتقادات الأعراب أن الجن لا تجيب صاحب العزيمة ، حتى يكون المعزم مشاكلاً لها في الطباع^٣ . وأن للمعزمين جنوداً من الشياطين والجن تتبع أوامرهم وتطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم^٤ .

ومن ضروب الرقية ، ما يدعيه الحوآء من اخراج الحية من جحرها ، بعزيمة يقوم بها ، تجربها على الخروج منه . وقد قالت بذلك الشعراء في الجاهلية والاسلام . وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به . وقد أشير في شعر لأمية بن أبي الصلت ، الى اخراج الحية من جحرها . وقد تحدث (الجاحظ) عن ذلك ، وعلل سبب خروجها وجاء بأبيات شعر في ذلك ، وتحدث عن تمويه الحوآء والراقي^٥ .

و (التائم) ومفردها (التيمة) ، هي عوذة على هيئة قلادة من سيور تضم خرزاً ، وقد تكون من خرزة واحدة تستعمل للصبيان والنساء في الغالب اتقاء النفس والعين . فإذا كبر الطفل ، انتزعت التيمة منه . وقيل : التائم « خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم ، فأبطله الاسلام » . وذكر ان التيمة خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق . وكانوا يعتقدون انها تمام الدواء والشفاء^٦ . وقد أشير إليها في الشعر الجاهلي .

-
- ١ بلوغ الارب (٧/٣) .
 - ٢ اللسان (٤٠٠/١٢) ، (عرم) ، الحيوان (١٨٤/٤) .
 - ٣ الحيوان (١٨٥/٤) وما بعدها .
 - ٤ الحيوان (١٨٤/٤) وما بعدها ، الفهرست ، (الفن الثاني من المقامة البامنة) .
 - ٥ الحيوان (١٨٤/٤) وما بعدها .
 - ٦ اللسان (٦٩/١٢) وما بعدها ، (تم) .

وكانوا يستعملونها بكثرة ، يتعوذون بها ، لذلك عدما بعض الصحابة من الشرك ، لأنهم جعلوها واقية من المقادير والموت وأرادوا دفع ذلك بها ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله^١ .

وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، أهمية كبيرة في السحر ، وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . ولما كانت الخرزة فصائل وأنواعاً ، فقد خصوا كل فصيلة باسم معين ، وجعلوا لكل قسم وصنف أثراً خاصاً يمتاز به عن بقية الأصناف الأخرى . فالتولة مثلاً الخرزة التي تحب المرأة الى زوجها^٢ ، و (العقرة) (خرزة العقر) خرزة تشدها المرأة على حقوبها لثلاث تلد . يزعم الأعراب انها إذا علقت على حقو المرأة لم تحمل إذا وطئت . وقيل العكس : العقرة خرزة تعلق على العاقر لتلد^٣ . و (الينجلب) خرزة للتأخير ، تفيد في رجوع الرجل بعد الفرار وفي اكتساب عطفه بعد وقوع بغضه^٤ . وكانوا يقولون أقوالاً في ذلك مثل : « أخذته بالينجلب ، فلا يرم ولا يغيب ، ولا يزل عند الطنب » ، و « وأعيذه بالينجلب ، ان يقم وان يغيب » . فهم يربطون الرجل بهذه الخرزة . فيجعلونه لا يفارق بيته وأهله .

و (الخَصْمَة) ، وهي خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت الخاتم أو في زر القميص أو في حمائل السيف^٥ . و (العطفة) هي خرزة تجلب العطف لصاحبها^٦ . و (السلوانة) خرزة تسحق ويشرب ماؤها ، فيورث^٧ شاربها سلوة . وقيل : خرزة للتأخير ، يؤخذ بها النساء الرجال ، وقيل خرزة للبغض بعد المحبة ، وقيل خرزة شفاقة تدفن في الرمل . فتسود فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسليه ، أو يسقاها العاشق فيسايه عن المرأة . وقيل خرزة كانوا يقولون : اذا صب عليها ماء المطر ، فشربه العاشق سلا. أو هو ان يؤخذ تراب قبر ميت ، فيجعل في ماء فيسقى العاشق ، فيموت حبه . أو هو دواء يسقاها الحزين

-
- ١ اللسان (٧٠/١٢) ، (نعم) ، سنن أبي داود (٩/٤) ، النهاية (١٤٣/١) ، ناج العروس (٣٤٢/٧) ، نسجن العلوم (ح ١ ق ١ ص ٢١٥) .
 - ٢ ناج العروس (٢٤٢/٧) .
 - ٣ ناج العروس (٤١٤/٣) ، (عمر) ، بلوغ الارب (٧/٣) .
 - ٤ ناج العروس (٣٧٩/٨) ، بلوغ الارب (٧/٣) .
 - ٥ ناج العروس (٣٧٩/٨) ، (خصم) .
 - ٦ ناج العروس (٢٠٠/٦) ، بلوغ الارب (٧/٣) .

فيفرحه^١ . و (القرزحلة) ، وهي خرزة من خرز الضرائر^٢ .

وكانوا يرقون بالخرز . فلخرزة (الهنمة) ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالهنمة ، بالليل زوج وبالنهار أمة »^٣ . وللقبلة و (الدردبيس) ، وهي خرزة مؤثرة ذات قوة فعالة ، يتحجب بها النساء الى أزواجهن، تؤخذ من القبور العادية، أي القبور الجاهلية القديمة ، رقية خاصة ، هي : « أخذته بالدردبيس تدر العرق اليبس ، وتذر الجديد كالدريس » . وقيل الدردبيس خرزة سوداء ، كأن سوادها لون الكبد ، اذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشف مثل العنبه الحمراء للحب ، تتحجب بها المرأة الى زوجها ، توجد في قبور عاد^٤ .

ومن خرزهم : (كرار) ، خرزة تؤخذ بها نساء الأعراب . وقيل خرزة تؤخذ بها النساء والرجال . ورقيتها : « يا كرار كرىه ، يا همرة اهمريه ، ان أقبل فسريره ، وان أدبر فضريه ، من فرجه الى فيه »^٥ . ومنها (الهمرة) ، خرزة للتأخير . وهي خرزة الحب ، يستعطف بها الرجال ، ورقيتها : « يا همرة اهمريه ، يا غمرة اغمريه ، ان أقبل فسريره ، وإن أدبر فضريه ، من استسه الى فيه ، وماله وبنيه »^٦ . ومثلها (المصرة) ، خرزة للتأخير^٧ .

ومن الخرز المعروفة : (الكحلة) ، خرزة من خرزات العرب للتأخير ، تؤخذ بها النساء الرجال . أو هي خرزة سوداء تجعل على الصبيان العين والنفس من الجن والإنس ، فيها لونان بياض وسواد^٨ .

اصابة العين :

كان للجاهلين رأي وعقيدة في العين وفي أثرها في الحياة ، فهم يعتقدون بأثر

- ١ تاج العروس (١٨١/١٠) ، (سلا) .
- ٢ بلوغ الارب (٦/٣) وما بعدها .
- ٣ اللسان (١٠٧/١٦) ، تاج العروس (١١١/٩) ، (الهينمة) .
- ٤ تاج العروس (١٤٩/٤) ، (الدردبيس) .
- ٥ تاج العروس (٥١٩/٣) وما بعدها ، (كرر) ، بلوغ الارب (٧/٣) .
- ٦ تاج العروس (٦٢٣/٣) ، (همر) ، بلوغ الارب (٧/٣) .
- ٧ تاج العروس (٦٢١/٣) ، (هصر) .
- ٨ تاج العروس (٩٥/٨) ، (كحل) ، اللسان (٥٨٥/١١) ، (كحل) .

العين وإصابتهما . وخطر هذه الإصابة وأهميتها ، تفننوا في ابتداع وسائل الوقاية منها ، وحماية أنفسهم من أثرها . وقد زعموا أن عيون بعض الناس تصيب ، وإنها ان أصابت شيئاً أهلكته ، فان (العين) لا تنتج الا شرأ ، وهي لا تكاد تكون في خير مطلقاً . ولذلك تجنبوا (العائن) وابتعدوا عنه . و (العائن) و (المعيان) و (العيون) هو من تصيب عيونه . فكان أحدهم اذا ما اتصل بإنسان، وصادف أن نظر ذلك الانسان الى شيء أعجبه ، أو رأى شيئاً لفت نظره ، ثم صادف ان وقع مكروه لمن نظر اليه ، أو الى ما كان قد رآه (العائن) ، نسب ذلك المكروه اليه ، ورمي بإصابة العين ، وقد يحدث من ذلك الرجل مثل ما حدث له مع من وقع المكروه عليه ، فيرمى عندئذ بإصابة معين ، وينبذه الناس خوفاً من اصابتهم بعينه . فيقال ان فلاناً لعيون : اذا كان يستشرف للناس ليصيبهم بعين . ويقال للعيون انه لنفوس ، وما أنفسه ، وقد أصابته نفس أو عين^١ .

ولا تقتصر الإصابة بالعين على إصابة عيون الانسان، فقد تصيب عيون الحيوان كذلك . وهناك حيوانات عديدة لها قدرة على الإصابة بعينيتها مثل الحيات والثعالب والطاوس . وأكثر الحيوانات التي تكون لعيونها بريق أو لمعان خاص ، هي من هذا القبيل . وقد حمل هذا الاعتقاد بعض الناس على التخوف من تلك الحيوانات والابتعاد عنها ، بل بلغ الخوف ببعضهم ان امتنعوا من ذكر اسم أمثال تلك الحيوانات أو تهجتي حروف أسمائها خشية العين^٢ . والكلاب من الحيوانات التي تصيب بعيونها . ورد عن (ابن عباس) قوله : « الكلاب من الجن ، فان غشيتكم عند طعامكم ، فالقوا لهن ، فان لهن أنفساً . أي أعيناً »^٣ . ولخوفهم من إصابة عيون الحيوان كرهوا الأكل بين يديها . فكانوا إما ان يشغلوها عن النظر اليهم بشيء يرمونه لها لتأكله ، ولو بعظم . وإما ان يطردوها ، فيتخلصوا من اصابتهم بعيونها^٤ .

١ الحيوان (١٤٢/٢) وما بعدها) .

٢ روح المعاني (٢٨٤/٣٠) ، ، Ency. Religi., 5, 610.

٣ اللسان (٢٣٦/٦) ، (نفس) ، « ان الكلاب من الجن ، وان الجن من ضعفة الجب ، فاذا غشيتكم منها شيء ، فالقوا اليها شيئاً واطردوها ، فان لها أنفس سوء » ،
الحيوان (١٣١/٢) .

٤ الحيوان (١٣٢/٢) .

ويعبر عن العين التي تصيب (المعين) بـ (النفس) . يقال نفسه بنفس ، أي أصبته بعين ، وأصابته فلاناً نفس ، أي عين . وفي الحديث « انه نهى عن الرقية إلا في النملة والحمة والنفس ، أي العين »^١ . و (النفس) : العائن ، والمنفوس المعيون . و (النفوس) : العيون الحسود المتعين لأموال الناس ليصيبها ، وما أنفسه ، أي ما أشد عينه)^٢ .

و (السفعة) العين . ورجل مسفوع ، أي معيون أصابته سفعة ، أي عين . ويقال به سفعة من الشيطان ، أي مس ، كأنه أخذ بناصيته . ويعبر عنها بـ (النظرة) كذلك . وقيل : النظرة الإصابة بالعين والسفعة العين^٣ . و (النظرة) الغشية أو الطائف من الجن ، وقد نظر، فهو منظور ، أصابته غشية أو عين . وفي الحديث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رأى جارية ، فقال : ان بها نظرة ، فاسترقوا لها . قيل معناه : ان بها إصابة عين من نظر الجن اليها وكذلك بها سفعة^٤ . وقد يخصصون (النظرة) بإصابة عين الجن^٥ .

وللحاسد نفس على المحسود . وقد يصل نفس الحاسد الى حد الإهلاك . والعائن ربما لا يعتمد الأذى ، انما عينه هي التي تصيب بمجرد المقابلة أو وقوع النظرة على الشيء ، ولذلك كان أذاه عند المقابلة ووقوع عين العائن على المعيون. أما الحاسد ، فإنه يصيب في الغيبة وفي الحضور ، لأن عينه تنفذ وتصل الى المحسود ، وان كان غائباً عن الحاسد^٦ . ولخطر الحسد وشدة أذاه ، اتخذت الحمايل الخاصة بمقاومة عيون الحسود .

ولحماية النفس من العين ، استعملت الخرز والتعاويد والرقى . ومن الخرز التي استخدمت في حماية الأطفال من إصابة العين ، (الكحلة) ، وهي خرزة سوداء

١ تاج العروس (٢٥٩/٤) ، (نفس) .

٢ اللسان (٢٣٦/٦) ، (نفس) .

٣ تاج العروس (٣٨١/٥) ، (سمع) .

٤ تاج العروس (٥٧٤/٣) ، (نظر) .

٥ عمدة الفارئ (٢٦٤/٢١) وما بعدها ، اللسان (١٧٦/١٧) .

٦ روح المعاني (٢٨٤/٣٠) .

تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . و (القبلة) ، وهي خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين^١ .

و (الودعة) ، تفيد في دفع أذى العين عن الانسان . وذكر انها مما يقذفه البحر ، وهي تتفاوت في الصغر والكبر ، وهي خرزة تنقب وتنخذ منها القلائد، وللحماية من العين^٢ .

١ تاج العروس (٧١/٨) ، بلوغ الارب (٧/٣) .
٢ تاج العروس (٥٣٤/٥) ، (ودع) .

الفصل الخامس والثمانون

في أوابد العرب

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وقد كانت قد هيمنت وسيطرت على عقليتهم ، ولا سيما تلك الأمور التي كانت تتصل بحياتهم . كالكهانة والحداسة والرقية والتنجيس والتنجيم ، وغير ذلك مما له علاقة بحياة الانسان حتى قيل انهم كانوا (بن متكهن وحداس وراق ومنجس ومتنجم)^١ .

الكهانة :

وفي طليعة بعض الناس الموهوبين ، بما لهم من قدرة خفية خارقة والهام ، الاتصال بالآلهة وبالأرواح . والاستئناس بها والأخذ منها ، والحصول على علم غزير منها يتعلق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل إنسان خاصة ، أو التأثير عليها بصرف الخير الى شخص ودفع الأذى عنه، وبتوجيه الشر الى شخص يراد توجيهه اليه وإبداؤه . ويقال للاتصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل والتنبؤ عما سيحدث :

١ ارشاد الساري (٤٠٠/٨) ، صحيح مسلم (٣٥/٧) وما بعدها ، عمدة القاري (٢٧٥/٢١) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الروض الانف (١٣٦/١) ، مروج الذهب (٨٢/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

(الكهانة) « Divination » ، ويقال لمن يقوم بذلك الكاهن . أما الذي يزعم أن في إمكانه التحكم في الأرواح وتوجيهها الوجهة التي يريد ، فيقال له (ساحر) ويقال لعمله (السحر) . وتقابل كلمة (السحر) في العربية كلمتا « Magic » و « Sorcery » في الانكليزية .

والكهانة في اللغة العربية تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ومعرفة المغيّبات والأسرار ، وتقابل بهذا التعريف في العربية كلمة « Soothsayer » في الانكليزية . وتقابل كلمة (كاهن) لفظة (كوهين) « Kohen » في العبرانية و (كهنا) « Kahna » في لغة بني إرم ، وكلها من الأصل السامي القديم^١ .

ومن مرادفات الكاهن : (الطاغوت) . وهذا التفسير فسر العلماء قوله تعالى : « فن يكفر بالله ويؤمن بالطاغوت »^٢ . قالوا : الطاغوت : الكاهن . وهم كهان تنزل عليهم شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . والطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها ، كان في جهيته واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد . وهم كهان تنزل عليهم الشياطين^٣ . وذكر بعض علماء التفسير ان الطاغوت : الشيطان في صورة انسان يتحاكمون اليه . وقد وردت اللفظة في موضع آخر من القرآن الكريم بعد لفظة (الجبت) ، اذ جاء في التنزيل : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت »^٤ . وقد ذكروا ان الجبت السحر والساحر ، بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن^٥ . وان الجبت والطاغوت صمان ، أو ان الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام ، والذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، أو ان الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم عبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له ، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو انسان أو شيطان . وإد كان ذلك كذلك . وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدتها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً وطواغيت ،

١ ارشاد الساري ٣٩٨/٨ ، اللسان ٣٦٢/١٣ وما بعدها ، (كهن) ، مفناح السعادة ، لطاش كبري زاده (٢٩٣/١) وما بعدها ،

Nöldeke, Neue Beiträge Semitischen Sprachwissenschaft, S. 36.

٢ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٥٦ .

٣ تفسير الطبري (١٣/٣) وما بعدها .

٤ النساء ، الآية ٥١ .

٥ تفسير الطبري (٨٤/٥) .

وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كانا مقبولاً منها ما قالوا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف لأنها كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبّتين وطاغوتين^١ .

وذكر علماء التفسير في قوله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً »^٢ ، أن (الطاغوت) الكاهن الذي كان يحكم بين الناس ، ويتحاكمون اليه . وأنها نزلت في حق يهودي اختصم مع مسلم ، فكان المسلم أو المنافق يريد الاحتكام الى الكاهن ، وكان اليهودي يدعو الى النبي أو المسلمين ، لأنهم لا يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما الى كاهن من جهينة ، أو الى كاهن بالمدينة ، أو الى كعب بن الأشرف ، فنزل الوحي بتوبيخ ذلك المسلم أو المنافق^٣ .

والتكهن عن المستقبل والتحدث عن الماضي ، موضوع له فروع عديدة . وقد عدّ علماء من العلوم عند كثير من الأمم ، وألفوا فيه . وتنبؤ الأصنام هو نوع من هذه الأنواع . ويدخل في التكهن التنبؤ بواسطة وسيط : مكالمة صنم ، أو (تابع) أي (رئي) ، وقراءة كبد الشاة وقراءة أعضائها كما كان عند البابليين وعند المصريين . والتكهن بحركات الطيور ، وتفسير الأحلام . وتفسير بعض الظواهر الطبيعية وما شابه ذلك وكل هذه كانت معروفة عند الجاهليين .

وليس من الضروري ان يكون التكهن بتكليم الصنم حتماً وفي المعبد بالضرورة ، فقد كان من الكهان من يقيم في بيته ويتكهن مع ذلك للناس ، ينطق بما يوحى اليه وبما يشعر به . وقاصدوه يرون ان فيه قوة خارقة وقابلية لتلقي الوحي من تلك القوة التي يتصورونها على هيئة شخص غير منظور يلقي الى الكاهن الوحي ، فينطق بما يناسب المقام وبما يكون جواباً على الأسئلة التي توجه اليه . ويطلقون على ذلك الشخص الخفي اسم (تابع) أو (صاحب) أو (مولى) و (ولي) و (رئي) ، لأنه يكون تابعاً وصاحباً للكاهن . يتبعه ويصاحبه ويلقي اليه

-
- ١ تفسير الطبري (٨٣/٥) وما بعدها .
 - ٢ سورة النساء ، الآية ٦٠ .
 - ٣ تفسير الطبري (٩٦/٥) وما بعدها .

(الرثي) . يكشف له الحجب ويأتيه بالأسرار . فهو (حاز) و (حزاء) و (حازية) و (الرائي) في العهد القديم^١ .

وكان من رأي الجاهليين ان هناك وحياً يوحى الى الكاهن بما يقوله ، وقد قالوا لذلك المصدر الذي يوحى اليه : (شيطان الكاهن) ، كما قالوا للمصدر الذي يوحى الى الشاعر بوحى شعره : (شيطان الشاعر) ، ذلك لأن شيطان الكاهن يسترق السمع ويلقي به الى الكهنة^٢ . يسترقه من السماء ، فيأتي به الى الكاهن ويلقي ما استرقه اليه ، فيلقي الكاهن ما ألقى عليه شيطانه الى الناس ، وبذلك يتنبأ لهم^٣ . « سأل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ناساً عن الكهان ، فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله ، انهم يحدثونا أحياناً بشيء ، فيكون حقاً ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق ، يخطفها من الجني فيقرها في اذن وليه ، فيخلطون معها مئة كذبة^٤ » .

وقد وردت كلمة (كاهن) في القرآن الكريم في معرض الرد على قريش الذين اتهموا الرسول بأنه (كاهن) . وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان . فجاء فيه : « فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون »^٥ ، و « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون »^٦ . فرد عليهم بقوله : « ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر ، فتقولوا هو شعر ، قليلاً ما تؤمنون . يقول تصدقون قليلاً به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش . ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون . يقول ولا هو بقول كاهن ، لأن محمداً ليس بكاهن ، فقولوا هو

Reste, S. 134, Shorter Ency., p. 207.

- ١
- ٢ تاج العروس (٣٢٦/٩ وما بعدها) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الطبرسي (٣٤٩/٥) ، (٣٦٧) ، بلوغ الارب (٢٦٩/٢) ، مروج الذهب (١٧٢/٢) وما بعدها ، مفتاح السعادة ، لطاش كبري زاده (١١٣/١) وما بعدها ، ارشاد الساري (٣٩٨/٨) ، مقدمة ابن خلدون (١٠١/١) وما بعدها .
- ٣ صبح الاعشى (٣٩٨/١) .
- ٤ ارشاد الساري (٤٠٠/٨) ، صحيح مسلم (٣٥/٧) وما بعدها ، عمدة الفاري (٢٧٥/٢١) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الروض الانف (١٣٦/١) ، نهاية الارب (١٢٨/٣) ، (في أخبار الكهان) .
- ٥ سورة الطور ، الآية ٢٩ ، تفسير الطبري (١٨/٢٧) .
- ٦ الحاقة ، الآية ٤٢ .

من سجع الكهان «^١ . فكان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهن هو أسلوب السجع . ولذلك عرف به (سجع الكهان) . وقد امتاز سجعهم هذا باستعمال الكلام الغامض ، والتعابير العامة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفاسير متناقضة ومختلفة . وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن ، لكي لا يلزم الكاهن على ما يقوله من قول ربما لا يقع ، أو قد يقع العكس . ففي مثل هذه الحالة ، يمكن أن يكون للكاهن مخرج^٢ باستعماله هذا النوع من الكلام .

وقد ورد أن الرسول نهى عن محاكاة الكهان في سجعهم ، فذكر عنه قوله : « أسجع^٣ كسجع الجاهلية »^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن (تابع) الكاهن ، وهو شيطانه وجنيته ، كان يسترى في الجاهلية الأخبار من السماء ، فيلقي بها الى الكاهن المختص به . فيخبر الكاهن من يأتي اليه للكهانة . بقوا على ذلك الى ظهور النبوة ، فلما نزل الوحي انقطعت الكهانة ، إذ وجد الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع لهم شهاباً رصداً . وقالوا إن قوله تعالى : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يسمع الآن يجد له شهاباً رصداً »^٥ ، إنما عني به هذا الحادث . حادث منع الشياطين من استراق السمع^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً أن « القذف بالنجوم قد كان قديماً ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي . وقد وصفوا الرمي بالنجوم »^٧ . وإن من عقائد أهل الجاهلية أن في تساقط النجوم والشهب دليل على موت عظيم أو ميلاد مولود عظيم^٨ . وذكر أن الرسول كان جالساً مع قوم من الأنصار إذ رمي بنجم فظهر نوره ، فقال لهم : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في

١ تفسير الطبري (٤٢/٢٩) .

٢ البيان والتبيين (٢٨٧/١) .

٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٨ وما بعدها .

٤ تفسير الطبري (٦٩/٢٩) وما بعدها ، الكامل ، لابن الانير (١٠/٢) ، (المنيرية) ،

نهاية الارب (١٢٤/٣) وما بعدها ، مفصاح السعادة (٢٩٣/١) وما بعدها ، تاج

العروس (٣٢٦/٩) وما بعدها ، (كهن) ، مروح الذهب (١٥٢/٢) وما بعدها .

٥ الروض الانف (١٣٥/١) .

٦ الروض الانف (١٣٦/١) وما بعدها .

الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ، ولد مولود^١ .

وقد جعل (المسعودي) حدة الأذهان مع نقصان الأجسام وتشويه الخلق ، من جملة العوامل التي دفعت على التكهن والإخبار عن الغيب . وضرب مثلاً على ذلك : شق ، وسطيح ، وسملقة ، وزوبعة ، وسديف بن هوماس ، وطريفة الكاهنة ، وعمران أخي مزريقاء ، وحارثة ، وجهينة ، وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان^٢ .

وقد يلحق التابع من الجن أشخاصاً لم يشتهروا بالكهانة وإنما عرفوا بشدة ذكائهم ومعرفتهم بعواقب الأمور، مثل (أحيحة بن الجلاح) وكان من أشرف المدينة ، وقد اشتهر عندهم بكثرة صوابه وسرعة ادراكه للعواقب . فعملوا ذلك بوجود تابع له من الجن كان يعلمه المغيبات^٣ .

قال (الجاحظ) : « وكانوا يقولون ، إذا أُلِفَ الجنّي إنساناً وتعطف عليه ، وخبره ببعض الأخبار ، ووجد حسه ورأى خياله ، فإذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رثي من الجن . ومن يقولون ذلك فيه عمرو بن لحي بن قعدة ، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب . فأما الكهان ، فمثل حارثة جهينة ، وكاهنة باهلة ، وغزى سلمة ، ومثل شق وسطيح وأشباههم^٤ .

والكهان يرون تابعهم ، وقد يتجلى لهم في صورة إنسان . ويظهر على صورة رجل للكواهن كذلك . فقد كان للغيطة ، وهي على ما يزعمه أهل الأخبار كاهنة أبوها مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة ، وشنوق أخو مدليج ، تابع يفد إليها ، ويدخل غرفتها ، ويجلس تحتها . كما كان لفاطمة بنت النعمان النجارية ، وهي كاهنة كذلك ، تابع من الجن « كان إذا جاءها ، اقتحم عليها في بيتها . فلما كان في أول البعث، أنها ، فقعد على حائط الدار ولم يدخل ، فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بعث نبي بتحريم الزنى »^٥ .

١ السيرة الحلبية (١/١٤٠) .

٢ مرجع (٢/١٥٤) .

٣ الاعاني (١٣/١١٥) « ذكر أحيحة بن الجلاح » .

٤ الحيوان (٦/٢٠٣ وما بعدها) .

٥ الروض الانف (١/١٣٧) .

فالكاهن اذن ، هو الذي يتنبأ بواسطة تابع ، ولا يستطيع غير الكاهن رؤية التابع . وتكون الكهانة كلاماً يلقيه الكاهن نفسه ، أو تابعه ، جواباً عن أسئلة الكاهن . ولما كان التابع روحاً ، كان من الطبيعي تصور صدور ذلك الكلام من روح لا يمكن لمسها ولا رؤيتها ، ترى وتسمع وتعقل ، وتجب ما يطلب منها الاجابة عنه .

ويكون الكاهن في أثناء تكهنه في غيبوبة أو في شبه غيبوبة في الغالب ، ذلك بأنه متصل في هذه الأثناء بعالم مجهود صعب لا يتحملة كل انسان، ولا اتصال الروح فيه ، واتصال الروح بجسم الكاهن شيء جد عسير ، يتصبب العرق منه . خاصة اذا كان المتكلم الكاهن نفسه .

ويكون التكهن ، في الغالب ، في مكان هادئ تكتنفه ظلمة أو عتمة ، لأن للهدوء والظلام أثراً عظيماً في النفوس ، ويسبقه حرق بخور في الأكثر يستمر الى ما بعد انتهاء التنبؤ ، لأن البخور من الروائح الطيبة التي تؤثر في الأرواح ، فتجلبها الى المكان بسرعة . ثم إن له تأثيراً خاصاً في الأعصاب، وهو بذلك مادة صالحة في الانحاء لمن يقصد استشارة الكهان .

ويروي الأخباريون ان الناس كانوا اذا قدموا على الكهان امتحنوهم ليتأكدوا من صدق تكهنهم ومقدار علمهم . وذلك باخفاء شيء اخفاء لا يمكن الاهتداء اليه ، أو بوضع لغز ، أو ما شابه ذلك ، فيبدؤون الكاهن بالسؤال عنه . فاذا أجاب جواباً دل على معرفة وسعة علم ، سألوه عن الأمر الذي عندهم والذي من أجله قصدوه . ويكون لهؤلاء الكهان أجر يدفع اليهم . والعرف الغالب ان الكهانة لا تكون ولا تصح إلا بتقديم شيء للكاهن ، لأن التابع لا يرضى بالتنبؤ إلا اذا رأى حلاوة التنبؤ .

ومن قبيل الامتحانات التي امتحن بها الكهان ، امتحان (عتبة بن ربيعة) الى بعض كهان اليمن ليتأكد من صدق تكهنه قبل النظر في أمر اختلاف ابنته (هند) مع زوجها (الفاكه بن المغيرة) في فرية رماها (الفاكه) زوجته بها^١ . وامتحان (عبد المطلب) للكاهن (ربيعة بن حذار الأسدي) حين اختصم مع (بني كلاب وبني رباب)^٢ . وامتحان (الكاهن الحزاعي)^٣ وغير ذلك .

١ نهاية الارب (١٣١/٣) ، صبح الاعشى (٣٩٨/١) وما بعدها .

٢ نهاية الارب (١٣٣/٣) .

٣ نهاية الارب (١٣٢/٣) .

وما يعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته ، يقال له (الحلوان) و (حلوان الكاهن) ، وهو شيء غير معين ولا ثابت ، إنما يتفق عليه ، والرأي الشائع بين العامة حتى الآن أن الكهانة لا تصدق إذا لم يعط الكاهن أو الساحر (حلوانه) ؛ لأن ما يقدم الى الكاهن لا يخصه ولا يكون له ، إنما هو للرئي ، والرئي لا يقوم بعمله ولا يحسن أدائه إلا بحلوان ، يقبله مهما كان ، وعلى الكاهن استشارة (التابع) ومراجعته فيه حتى يقنع ، ويوافق على الأجر . ولما كان الاسلام قد منع الكهانة ، كان من الطبيعي نهيهم عن دفع الحلوان ^١ .

والكهّان إنما صاروا كهاناً ، أي متنبئين بالغيب ، لأن « الكهنة قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه » ^٢ . وهذا هو تعليل إسلامي بالطبع لمصدر تنبؤ الكهان ، أما رأي الجاهليين عنه ، فلا علم لدينا عنه ، لعدم ورود شيء منهم إلينا .

وتقدم الكهانة على القدرة الشخصية وعلى ذكاء الكاهن ، لذلك لم تكن كالسدانة مثلاً إراثاً ينتقل من الآباء الى الأبناء ، بل كان في إمكان كل شخص يرى في نفسه القدرة على التنبؤ بالغيب والتحدث عما سيحدث للسائلين ان يدعي الكهانة وان يعد نفسه كاهناً يتكلم باسم الأرباب ، وينطق بالقوة الخفية التي توحى اليه بالتنبؤات ، فيتخذ له مكاناً في معبد أو في موضع آخر أو في بيته ليقصده من يريد استشارته في عظام الأمور مهما اختلفت وتنوعت عن المستقبل وعن الأخبار وعن الأسرار والمغيبات وعن القيام بعمل من الأعمال .

وفي الأقوال المنسوبة الى الكهان ، قسم بالكواكب كالشمس والقمر وبالنجوم وبالليل والنهار وبالأشجار وبالرياح والكلمات وبالجبال والأنهار وبالطيور وبما شابه ذلك أمور طبيعية ، الغرض منها التأثير في نفوس السامعين والأغراب في الكلام ، ليكون بعيداً عن الأسلوب المألوف . وقد روى الأخباريون نماذج من هذا الكلام ،

١ « أعطيت الكاهن حلوانه ، أي كراء كهانته » ، الاشتقاق (٢/٣١٤) ، « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن » ، ارشاد الساري (٨/٤٠٠) ، اللسان (١٨/٢١١) ، ناج العروس (١٠/٩٦) ، اللسان (١٤/١٩٤) ، (صادر) « حلو » ، النهاية (٣/٢٥٦) وما بعدها ، مفتاح السعادة (١/٢٩٣) وما بعدها .

٢ عمدة القارئ (٢١/٢٧٥) ، ارشاد الساري (٨/٣٩٨) وما بعدها .

من هذا السجع المعروف بـ (سجع الكهان) ، نسبوه الى أصحابه من كهان الجاهلية . وهي نسبة مهما حاولوا اثبات صحتها وصدق روايتها ، فانهم عاجزون في رأيي عن اقتناعنا بصحة ما يقولون. كيف حفظوا ذلك الكلام وتناقلوه بالحرف الواحد بوزنه وبأسلوبه وبنصه وبفصه الى أن أوصلوه الى أيدي العلماء والمدونين فثبتوه بالتدوين ؟ وكيف لم يخطئوا في ذلك ولم ينسوا منه حرفاً ، حتى لكأنه كلام مقدس وارد عن وحي سماوي ، فلا بد من المحافظة على نصه وروايته على نحو ما ورد وحفظ ؟ وإذا كان العلماء قد تساهلوا في رواية متن حديث رسول الله فسمحوا بالتصرف فيه بشرط المحافظة على المعنى محافظة تامة ، لصعوبة التمسك برواية النص على نحو ما ورد عن الرسول . فكيف يعقل محافظة الرواة على حرفية كلام الكهان على نحو ما نسب اليهم . وكلام الكهان ليس بشيء بالقياس الى كلام الرسول ، ثم انه أقدم منه ، ولم يكن مدوناً ولا مكتوباً في كتاب على ما يفهم من روايات الأخباريين .

وقد كان للكهان على ما يتبين من قصص الأخباريين أثر كبير في حياة العرب قبل الإسلام . فقد كان الناس يستشيرونهم في إبرام مهمات الأمور ، كإعلان حرب أو كشف عن جريمة أو بحث عن شيء مفقود وما شاكل ذلك . لقد كانوا يستشيرونهم في الحروب ، يتنبؤون للناس بقرب حدوث غزو أو نزول كارثة أو خير سيقع قريباً . لقد كان هجوم بني أسد على (حجر) بمشورة الكاهن وبرأييه ، وكان تركهم تيمناً وافتراقهم عنهم في يوم جيلة بتحذير من الكاهن كذلك^١ . وقد استعان النعمان أو يزيد بن عمرو الغساني بالكاهن (الخمس التغلبي) ، لاختباره عن تجاسر على ناقتة فقتلها ، كما استعان (عتبة بن ربيعة) في اثبات نسب ابنته (هند) منه^٢ .

وقد اشترك الكهان أنفسهم في الغزوات وفي الحروب . كانوا يشجعون قومهم ويحثونهم على القتال ، وكان بعضهم من مشاهير الفرسان ، مثل (زهير بن جناب) ، و (جذيمة) العبسي ، وقلطف الكاهن ، والمأمور كاهن مذحج .

١ الاغانى (٣٦/١٠) ، مروج الذهب (١٧٣/٢) وما بعدها ، نهاية العرب ، للنويري (١٢٤/٣) ، صبح الاعشى (٣٩٨/١) ، Reste, S. 136.
٢ الاغانى (٢٧/١٠) ، « ذكر مقتل خالد بن كلاب » ، صبح الاعشى (٣٣٨/١) وما بعدها ، Reste, S. 136.

ولم يكن الكهان من الطبقات الدنيا عند عرب الجاهلية ، ولا من سواد الناس . لقد كان منهم من هو من سادة القبيلة ومن الأشراف . ولا بد أن يكونوا من هذه الطبقة ، ليكون حكمهم نافذاً بين الناس بما لهم من عز ومنتزاة وجاه . وقد عدّ الأخباريون (زهير بن جناب) رئيس كلب في جملة الكهان^١ . وقد كان للقبائل (كهان) تلجئ اليهم في الملمات ، لتستشيرهم وتعمل برأيهم في الغزو والحرب . يسرون معها ، وقد يقودونها في المعارك .

وقد كان لكل قبيلة كاهن منها أو عدة كهان ، تلجئ اليهم القبيلة اليهم لاستشارتهم في كل أمر عظيم يحدث لهم . ولا يشترط أن يكون كاهن القبيلة رجلاً ، إذ يجوز أن يكون امرأة . وكان كاهن ثقيف (قريش) عند ظهور الاسلام رجلاً^٢ يقال له (خطر) ، وكان لجنب كاهنهم كذلك ، وكان لقريش حين ظهور الاسلام كاهنة تدعى (سوداء بنت زهرة بن كلاب) ، وهكذا كان شأن بقية القبائل . فلما ظهر الاسلام ، ودّع أولئك الكهان رئيهم وتابعهم ، وكهانتهم ، إذ نهى الاسلام عنها . وقد كان لبعضهم أثر مهم في إعداد قبائلهم للدخول في الاسلام^٣ .

وقد أشار بعض الكتبة الكلاسيكيين الى وجود كهان عند العرب ، كما انه ورد في كتابات طور سيناء ما يدل على وجودهم عند القبائل^٤ .

ولم يكن الكاهن ، كاهناً ، بمعنى المخبر عن المغييات فقط ، بل كان حاكماً يحكم بين الناس فيما يقع بينهم من خلاف . فالكاهن حاكم يفصل في الخصومات . وقد كان أكثر حكام العرب كهاناً ، يقصدهم المتخاصمون من مواضع بعيدة لما عرفوا به من إصالة الرأي ، وصحة الحكم .

وقد ذكر أن الكاهن كان لا يلبس المصنغ . أما العراف فإنه لا يدع تنذيل قيصه وسحب ردائه^٥ ، ويدل ذلك على أنها كانا يميزان أنفسهما بـمميزات وعلامات وأنهما كانا يتجنبان بعض الأمور .

١ الاعاني (٦٦/٨) ، (٧٣/١٥) ، (٩٩/٢١) .

٢ الروص الانف (١٣٧/١) وما بعدها ، مفتاح السعادة ، (١١٣/١) وما بعدها ، بهايه

الارب (١٢٤/٣) ، صبح الاعسى (٣٩٨/١) .

٣ Ency. Religl., I, p. 667.

٤ تفسير الطبري (٥٧/١٨) ، ثمار القلوب (١٩٣) ، بلوغ الارب (٤٠٧/٣) .

وقد اشتهر في الجاهلية عدة كهّان ذكر الأخباريون أسماءهم ، منهم : شقّ ، وسطيح ، وأوس بن ربيعة ، والخمس التغلبي ، وعزى سلمة الكاهن ، ونفيل ابن عبد العزي ، وخنافر بن التوأم الحميري ، وسواد بن قارب الدوسي، وعمرو ابن الجعيد ، وابن الصياد ، والأبلى الأزدي ، والأجلح الدهري ، وعروة بن زيد الأزدي ، ورباح (رياح) بن عجلة ، وهو المعروف بعرف اليمامة ، والكاهن الخزاعي ، وهو جدّ (عمرو بن الحمق) ، وكان منزله بعسفان ، واليه احتكم هاشم وأمية^١ ، و (كهال) ، أحد الكهنة الجاهليين^٢ .

وأشهر الكهّان وأعرفهم : شقّ وسطيح ، وللأخباريين عنها قصص أخرجهما من عالم الواقع ، وجعلهما في جملة الأشخاص الخرافيين . فشقّ في زعمهم لإنسان له يدٌ واحدة وعين واحدة ، وجعلوه من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي . وذكروا أنه كان معاصراً لمالك بن نصر اللخمي ، وأنه استدعاه واستدعى سطيحاً معه لتفسير رؤيا رآها أفرعته ، وأنها أخبراه بوقوع غزو الحبشة لليمن وبظهور سيف بن ذي يزن . وقالوا : إنه من بني جليحة ، وأنه عمّر ثلاثمائة سنة^٣ . وقالوا ان سطيحاً كان كتلة من لحم يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ، وأن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان في عصره من أشهر الكهّان ، وان كسرى بعث اليه عبد المسيح بن بقليلة الغساني ليسأله في تأويل رؤيا رآها ، فأخبره بظهور أمر رسول الله وبقرب زوال ملك العجم ، فأخبر (عبد المسيح) كسرى بذلك^٤ .

وزعم ان سطيحاً جسد ملقى لا جوارح له ، ولا يقدر على الجلوس ، إلا اذا غضب انتفخ فجلس . وكان شقّ شقّ انسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة، وعين واحدة . وولد سطيح وشقّ في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة،

- ١ تاج العروس (٣٢٦/٩) ، بلوغ الارب (٢٦٩/٢) وما بعدها) ، مروج الذهب (١٧٥/٢) وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١٠/٢) ، البيان والتبيين (٢٨٩/١) ، نهاية الارب (١٣٢/٣) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٥ وما بعدها) ، Reste, S. 136. f.
- ٢ تاج العروس (١٠٦/٨) ، (كهال) .
- ٣ الاشتقاق (٣٠٣) ، المستطرف (٨٠/٢) وما بعدها) ، (ربيعة بن نصر اللخمي) ، الازمنة والامكنة (١٩٣/٢) ، الاشتقاق (٢٨٦) .
- ٤ القزويني : عجائب المخلوقات (٣٧١/١) « طبعة وستنلند » ، الطبري (٩٩/٢) ، نهاية الارب (١٢٨/٣) وما بعدها) ، (في أخبار الكهّان) ، Ency., Vol., IV, p. 370.

ة (عمرو بن عامر) ، وهي بنت الخير الحميرية ، ودعت بسطيح قبل ان ت ، فأثيت به ، ففتلت في فيه ، وأخبرت انه سيخلفها في علمها وكهانتها . ن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، ودعت بشق ففعلت به فعلت لسطيح ، ثم ماتت وقبرها بالجحفة^١ .

وقد ذكر (المسعودي) ، نسب الكاهن (شق) على هذا النحو : (شق مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار) . كر نسب (سطيح) على هذه الصورة : (هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن ن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان)^٢ . ودعاه بـ (سطيح الغساني) في مع آخر . وأورد سجعا من سجعه ، كما أورد أخباراً لشق المعاصر له^٣ . دعاه (الجاحظ) بـ (سطيح الذئبي) ، كما دعاه (ابن اسحاق) بذلك ، ينسب الى جد اسمه (ذئب)^٤ .

واذا كانت رواية أهل الأخبار عن وجود الكاهن (سطيح) صحيحة ، فيجب يكون قد عاش في القرن السادس للميلاد ، اذ هم يذكرون أنه كان معاصراً سري أنو شروان ، وللعنمان بن المنذر ، ويروون أنه أخبر (عبد المسيح بن ان) ، الذي جاء اليه ليستفسر منه عن رؤيا رآها كسرى في منامه فأزعجته ، بـ بمولد الرسول . وذكروا أيضاً ان كسرى كان يستعين في حكمه بالكهان ، تشيرهم ، وانه كان لديه ثلثائة وستون كاهناً وسحرة ومنجمين ، وكان من سم كهنة من العرب ، وأشهرهم : السائب^٥ .

وذكر بعض أهل الأخبار « أن خالد بن عبدالله القسري كان من ولد شق ا . فهو خالد بن عبدالله بن أسد بن كرز . وذكر أن كرزاً كان دعيماً ، ه كان من اليهود فجنى جنابة ، فهرب الى بجيلة ، فانتسب فيهم . ويقال ن عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرقعة . وسمي بذئ الرقعة ، لأنه

الروض الانف (١٨/١ وما بعدها) .

مروج الذهب (١٦٠/٢) ، « دار الاندلس » ، سيرة ابن اسحاق (٤٧) ، (طبعه أوربة) ، عجائب المخلوقات (٣١٠) ، الحيوان (٢١٠/٣) ، (٢٠٤/٦) ، ٢٠٦ وما بعدها) .

مروج الذهب (١٧٥/٢ وما بعدها) ، الحيوان (٢٠٤/٣) ، (٢٠٤/٦) .
الحيوان (٢١٠/٣) ، البيان والتبيين (٢٨١/١) ، ابن اسحاق (٤٧) ، (كوتنكن) .
تأريخ الخميس (٣٢٢/١) ، نهاية الارب (١٢٨/٣) وما بعدها) .

كان أعور يغطي عينه برقعة ابن عبد شمس بن جون بن شق الكاهن بن صعب^١.
ويظهر أن أعداء (القسري) ، قد أوجدوا له هذه القصة للخط منه ، كما أوجدوا
قصصاً شبيهة بهذه القصة ، حكوها عن ثقيف ، نكاية بالحجاج المكروه .

والى هؤلاء تجب اضافة (الأفعى الجرهمي) ، وكان منزله بنجران ، واليه
احتكم ولد نزار في إرث والدهم^٢ .

وروا ان الكاهن (الخزاعي) كان من الكهان المعروفين واليه تحاكم (أمية بن
عبد شمس) و (هاشم بن عبد مناف) في أمر مفاخرتهما ، فحكم هاشم على
أمية ، فخرج الى الشام وأقام بها عشر سنين . وانه قال في حكمه كلاماً مسجعاً
ختمه بقوله : « ولأمية أواخر » ، فكانت أول عداوة بين بني هاشم وبني أمية^٣.
وهكذا جعلوه يتنبأ بظهور ملك بني أمية . وربما كان هذا الملك هو الذي أوحى
الى مفتعل القصة بابداع موضوع اختيار (أمية) الشام لتكون داراً له أقام بها
مدة نزاعه مع هاشم ، فحكم ان الملك عليها كان مكتوباً لبني أمية منذ عهد
الجاهلية .

وتشبه هذه القصة ، قصة شك (الفاكه بن المغيرة) في سيرة زوجه (هند
بنت عتبة بن ربيعة) ، وتكلم الناس فيها ، وذهاب والدها وزوجها بها الى
كاهن من كهان اليمن ، فلما امتحنه عتبة ، وتبين له ان الكاهن حاذق لا يخطيء
قال له : قد جشناك « في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يأتي الى كل واحدة منهن
ويضرب بيده على كتفها ، ويقول لها : انهضي حتى بلغ هندياً . فقال : انهضي
غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكاً اسمه معاوية ، فنهض اليها الفاكه ، فأخذ
بيدها ، فجذبت يدها من يده ، وقالت اليك غني ، فوالله لأحرص ان يكون
ذلك من غيرك ! فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له أمير المؤمنين معاوية^٤ .
وهي قصة تتحدث عن نفسها ، ولا حاجة لي الى ابداء أي تعليق عليها .

وكان (صاف بن صياد) يتكهن ويدعي النبوة . وخبأ له النبي خبيثاً فعلمه.

-
- ١ الروض الاليف (١٩/١) .
 - ٢ مجمع الامثال (١٧/١) وما بعدها .
 - ٣ المستطرف (٨١/٢) ، نهاية الارب (١٢٣/٣) وما بعدها .
 - ٤ المستطرف (٨٢/٢) ، نهاية الارب (١٣١/٣) وما بعدها ، (الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني . في أخبار الكهنة) .

وكان يدعي أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض^١. ويذكر ان الرسول سأله : كيف يأتيك هذا الأمر ؟ قال : يأتيني صادقاً وكاذباً^٢. وأن رسول الله ذهب اليه ليرى أمره وكان (ابن صياد) في نخل ، فكلمه رسول الله . وذكر أنه انطلق مرة مع (عمر بن الخطاب) في رهط قبل ابن صياد ، فوجده عند (أطم بني مغالة)^٣.

وكان في بني لهب كاهن لهم يقال له خطر بن مالك . وكان في أيام الرسول . وكان اذ ذاك شيخاً كبيراً^٤. وكان (أبو برزة) الأسلمي من الكهنة المعروفين في المدينة أيام الرسول ، وقد تحاكم اليه بنو قريظة وبنو النضير في أمر الديات التي كانت بينها^٥.

وذكر أن (خطر بن مالك) كان من أعلم كهنة (بني لهب) ، وأنهم كانوا يأتونه في الملمات، أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وقد تنبأ لقومه بانقطاع الكهانة وظهور الرسول بمكة حين سأله عن سبب تساقط النجوم في السماء^٦.

وكان في دوس كاهن اسمه سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي . وقد وفد مع وفد من قومه على الرسول وأسلم معه أمامه . وكان له رثي يأتي اليه^٧. وذكر أهل الأخبار انه كان حاذقاً في الكهانة ، مصيباً بها ، « خرج خمسة نفر من طيء من دور الحمى ، منهم : برج بن مسهر ، أحد المعمرين ، وأنيف بن حارثة ، ولأم عبدالله بن سعد والد حاتم : وعارف الشاعر ، ومرة بن عبد رضاء ، يريدون سواد بن قارب ، ليمتحنوا علمه . فقالوا : ليخبيء كل منا خبيئاً ولا يخبر أصحابه ، فان أصاب عرفنا علمه، وان أخطأ ارتحلنا عنه . ثم وصلوا اليه فأهدوا اليه إبلًا وطرفاً ، فضرب عليهم قبة ونحر لهم، فلما مضت ثلاثة أيام دعاهم، فتكلم برج ، وكان أسنهم فذكر القصة بجميع ما خبأوه ثم بمعرفته بأعيانهم وأنسابهم فقال فيه عارف الشاعر :

-
- ١ الروض الانف (١٣٧/١) .
 - ٢ مقدمة ابن خلدون (١/٩٥ وما بعدها) .
 - ٣ زاد المسلم (٢/١٠٤ وما بعدها) .
 - ٤ الروض الانف (١٣٨/١) وما بعدها) .
 - ٥ تفسير الطبري (٥/٩٧ وما بعدها) .
 - ٦ السيرة الحلبية (١/١٣٩) .
 - ٧ الروض الانف (١/١٣٩ وما بعدها) ، نزهة الجليس (١/٢٧٧) .

الله أعلم لا يجارى الى القالات في حصني سواد
كأن خبيثنا لما انتخبنا بعينه بصرح أو ينادي^١

ومن الكهان المعروفين (الحصين بن نضلة) وقد عرف بـ (الكاهن) ،
وقيل : إنه سيد أهل تهامة في أيامه^٢ . و (عمرو بن الحمق) ، وقد أسلم
وصحب النبي ، وشهد المشاهد مع علي^٣ .

وكان (ربيعة بن حُذَار الأسدي) من الكهان المعروفين ، واليه تحاكم (بنو
كلاب) و (بنو رباب) لما خاصموا (عبد المطلب) في مالٍ قريب من الطائف .
فحكم لـ (عبد المطلب)^٤ .

وذكر (المسعودي) اسم كاهنين ، دعاهما بـ (سملقة) و (زوبعة)^٥ .
وقد أشار (الجاحظ) اليهما في معرض كلامه على الخرافات^٦ .

وأشار (الجاحظ) الى كاهن ظهر في (بني جهينة) ، عرف بـ (حارثة
جهينة)^٧ ، والى (عزى سلمة) . وقد قال (الجاحظ) عن (عزى) ، أنه
كان من أكهن العرب واسجعههم . ودعاه بـ (سلمة بن أبي حية)^٨ .

وكان (خُنافر بن التوأم الحميري) كاهناً ، وكان قد أُوتي بسطة في الجسم ،
وسعة في المال ، وكان عاتياً ، فلما وفدت وفود اليمن على النبي ، وظهر الاسلام
أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج بأهله وماله ولحق بالشجر ، فحالف (جودان
ابن يحيى الفيرضي) ، وكان سيداً منيعاً ، ونزل بواد من أودية الشجر ، ثم
جاءه (شصار) رثيه ، فنصحه بالعودة الى اليمن ، والدخول في الاسلام . فأسلم
على يد معاذ بن جبل بصنعاء ، فترك الكهانة وتعلم سوراً من القرآن^٩ .

-
- ١ الاصابة (٩٥/٢) ، (رمم ٣٥٨٢) .
 - ٢ الاشتقاق (ص ٢٧٩) .
 - ٣ الاشتقاق (٢٧٩) ، الاصابة (٥٢٦/٢) ، (رمم ٥٨٢٠) .
 - ٤ نهاية الارب (١٣٣/٣) .
 - ٥ مروج الذهب (١٦٠/٢) ، (١٧٦) .
 - ٦ الحيوان (٣٠٩/١) .
 - ٧ الحيوان (٢٠٤/٦) . مروج الذهب (٣٣٧/١) ، نمار العلوب (٨١) .
 - ٨ الحيوان (٢٠٤/٦) ، البيان والبيبين (١٩٥/١) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) .
 - ٩ الامالي ، للقالبي (١٣٤/١) وما بعدها ، الاصابة (٤٥٦/١) ، (رمم ٢٣٤٢) ، ناج
العروس (١٩٢/٣) ، (خنافس) .

ومن الكهان (المأمور) ، وهو (الحارث بن معاوية) الكاهن . وكانت مدحج في أمره تتقدم وتتأخر^١ . و (قلفط) الكاهن ، وهو من طيء^٢ . وكان (زهير بن جناب الكلبي) ، و (جذيمة) العبسي ، كهاناً^٣ . وزهير من الفرسان ، فكان من فرسان كلب ، وكان شاعراً^٤ . ويعدّ (الأفكل) من الكهان الفرسان ، وله فرس اسمه هبود^٥ .

ولم تحرم النساء الكهانة ، فكان لمن فيها حصة ونصيب . وقد حفظ الأخباريون أسماء عدد من الكاهنات اشتهرت كهانتهم في الجاهلية ، منهن طريفة الكاهنة ، وزبراء ، وسلمى الهمدانية ، وعفراء الحميرية ، وفاطمة بنت مرّ الخثعمية ، وسجاح ، وغيرهن . وقد نسبوا الى طريفة إخبارها عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه وبخراب سد مأرب ، وذكروا أنها سارت مع القبائل حين خافت سيل العرم^٦ . ونسبوا الى بقية الكاهنات أمثال هذا القصص عن أمور ستقع قالوا أنها وقعت كما تنبأ به .

وذكر (المسعودي) ، ان (طريفة) كانت كاهنة لعمرو بن عامر . وقد نعتها بـ (طريفة الخير) . وقد تنبأت له بقرب تهم السد، وظهور سيل العرم . كما تنبأ بذلك أخ للملك اسمه (عمران) ، وكان عقيماً كاهناً ، فوقع ما تنبأ به^٧ . وكان من شهيرات الكاهنات أيضاً (الغيطة) ، وهي (أم الغياطل) ، وهي من (بني مرة بن عبد مناة بن كنانة)^٨ . وقيل : « الغيطة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة . وشنوق أخو مدليج » . وقد عرف ولدها بالغياطل ، وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص^٩ .

-
- ١ الاشتقاق (٢/٢٣٩) .
 - ٢ الاشتقاق (٢/٢٣٧) .
 - ٣ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٧) .
 - ٤ معجم الشعراء (١٣٠) ، الشعر والشعراء (٢٢٣) .
 - ٥ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٩) .
 - ٦ بلوغ العرب (٢/٢٨٣ وما بعدها) ، الاغانى (١٣/١٠٥) « ذكر خبر مضاض بن عمرو » ، الطبري (٢/٢٤٤) ، مروج الذهب (٢/١٧٥) . Reste, S. 137.
 - ٧ مروج الذهب (٢/١٦٧ وما بعدها) .
 - ٨ الروض الانف (١/١٣٨ وما بعدها) .
 - ٩ الروض الانف (١/١٣٧ وما بعدها) .

ويقال أيضاً أن (سَعْدَى بنت كَرِيز بن ربيعة) كانت قد تكهنت ، وهي خالة عثمان بن عفان ^١ .

وكان لفاطمة بنت النعمان النجارية تابع من الجن ، وكان اذا جاءها اقتحم عليها في بيتها ، وقد أدركت مبعث الرسول ^٢ .

وكانت سوداء بنت زهرة بن كلاب ، كاهنة قریش . ويذكر أن والدها أعطاهما لحافر قبور ليحفر لها قبراً في الحجون ، فيدفنها حية فيه . أي يثدها ، لأنها ولدت زرقاء شفاء ، وكانوا يثدون من البنات من كان على هذه الصفة ، غير أن حافر القبر عاد بها الى والدها ، لأنه لم يشأ دفنها في خبر يرويه أهل الأخبار ^٣ .

وكان في (خثعم) كاهنة عرفت بفاطمة ^٤ .

ولاستشارة الناس هؤلاء الكهان في الأمور وطلبهم منهم الفصل فيها صارت كلمة (حكم) مرادفة لكلمة (كاهن) في بعض الأحيان . وقد روى الأخباريون أمثلة عديدة من حكم هؤلاء الكهان بين الناس وطريقة فصلهم في الأمور ، فهم في هذه الحالة يحكمون القضايا التي يتفق الجانبان المتخاصمان فيها على إحالتها عليهم . ولم تكن لنفوذ أحكامهم مناطق وحدود . لقد كان حدود أحكامهم المدى الذي وصلت شهرة الكاهن اليه ، لذلك كان الناس يقصدون الكاهن من مناطق بعيدة في بعض الأحيان لشهرته الواسعة التي يتمتع بها بين الناس . وتتوقف هذه الشهرة بالطبع على مبلغ ذكاء ذلك الكاهن وقدرته في فهم طبيعة المتخاصمين أو السائلين ، ليتمكن من إصدار حكم معقول مقبول . وتكون أحكامهم قطعية ، على الطرفين اطاعتها والامثال لها ، وليس لأحد أن يعترض عليها . ولذلك يأخذ الكاهن من الطرفين المتخاصمين قبل سماعه الشكوى عهداً بوجوب الامثال لحكمه وعدم رده منها كان نوع الحكم .

١ نهاية الارب (١٢٦/٣) ، (١٣٠/٣) ، (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في

الجمهورية العربية المتحدة) .

٢ الروض الانف (١٣٧/١) .

٣ الروض الانف (١٤١/١) .

٤ أنساب الاشراف (٧٩/١) .

العرّاف :

ويطلق بعض علماء اللغة على الكاهن (العرّاف) ، فهو عندهم مرادف للكاهن . غير ان من العلماء من يفرق بين الكلمتين ، ويرى بينهما فرقاً ، فالكاهن السّدي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، والعراف هو الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالّة ونحوهما ، أو الذي يزعم انه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله^١ . ومنهم من يذهب الى ان العراف من اختص بالإنباء عن الأحوال المستقبلية . أما الكاهن فهو الذي اختص بالإخبار عن الأحوال الماضية^٢ . وقد فرّق بين الكاهن والعراف في حديث : « من أتى عرافاً أو كاهناً ... »^٣ . وأطلق بعضهم العراف على من يدعي الغيب مطلقاً وفي ضمنهم المنجم والحازي^٤ .

وذكر ان (العراف) الكاهن أو الطبيب أو المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب^٥ . فللكلمة معان عديدة ، ولا تختص بمعنى واحد . وقد ذهب (المسعودي) الى ان العراف دون الكاهن^٦ . ونجد هذه النظرة عند غيره أيضاً .

وخلاصة ما يفهم عن الكهانة والعرافة في روايات الأخباريين أن الكهانة هي التنبؤ بواسطة تابع . وأن العرافة تكون بالملاحظات وبلاستنتاجات وبمراقبة الأشياء لاستنتاج أمور منها ، يخبر بها السلّولون على سبيل التنبؤ . وهي على ما يظهر من تلك الروايات ، دون الكهانة في المنزلة ، ولم يكن للعرافين اتصال ببيوت العبادة والأصنام^٧ ، ولم يكن لهم (رئي) أي (تابع) ، وإنما كانوا يستنبطون ما يقولونه بذكائهم وعلى القياس . فيأخذون بالمشاهدة وبالارتباط بين الحوادث ، ويحكمون بما سيحدث بموجب ذلك^٨ .

وقد عدّ العبرانيون العرافة من الحيل الشيطانية كالسحر والتفاول ، لأنها من

-
- | | |
|---|--|
| ١ | النهاية (٤٣/٤) . |
| ٢ | تاج العروس (١٩٣/٦) . |
| ٣ | النهاية (٩٨/٣) . |
| ٤ | تاج العروس (١٩٣/٦) . |
| ٥ | تاج العروس (١٩٣/٦) . |
| ٦ | مروج (١٥٤/٢) . |
| ٧ | (وأما العراف ، وهو دون الكاهن) ، الحيوان (٢٠٤/٦) . |
| ٨ | مفتاح السعادة (١١٣١ وما بعدها) . |

رجس المشركين . وتشمل عندهم التنجيم والقرعة والزجر وما شاكل ذلك^١ . وقد نهى عنها في الإسلام .

وقد اعتمد العرّاف على الخط . فكان يخط خطوطاً ، ثم ينظر إليها . ليستنبط شيئاً منها ، يتنبأ به للناس . ومن مشاهيرهم (حليس الخطاط الأسدي) . وقد ذكر أنهم كانوا يخطون خطوطاً ، ثم ينظر العراف ويقول : « ابنا عيان ، اسرعا البيان ، ثم يخبر بما يرى »^٢ .

وتعتمد العرافة - كما تعتمد الكهانة - على الذكاء والتفرد في الأمور والتجارب . وقد خصصها أكثر الناس في الإسلام بالتوصل الى معرفة الأشياء المفقودة . والعراف بما عنده من الملكات والمواهب المذكورة ، يقضي ويتنبأ للناس فيما يراه ، ومن أشهر العرافين في الجاهلية : عرّاف اليمامة ، وهو (رياح بن كحلة) (رياح ابن عجلة) (رياح بن كحلة) المذكور في الشعر ، وعرّاف نجد وهو الأبلق الأسدي^٣ . والأجلاح الزهري ، وعروة بن زيد الأسدي^٤ .

وفي عرّاف اليمامة ورد قول الشاعر :

فقلتُ لعرّاف اليمامة داوئي فإنك ان داويتني لطبيب

· والأبلق الأسدي ، هو عراف نجد ، وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هما شفياني^٥

وقد كان أهل الجاهلية يعرضون صبيانهم على (العرافين) لإخبارهم عن

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٩٣/٢) .
 - ٢ فأنتم عضاريط الخميس اذا غزوا غناؤكم تلك الاخطبط في الترب الحيوان (٦٣/١) .
 - ٣ بلوغ الارب (٣٠٦/٣) وما بعدها ، قال عمرو بن حزام العذري :
وقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان أبرأتني لطبيب
فما بي من سقم ولا طيف جنة ولكن عمى الحميري كذوب
تاج العروس (١٩٣/٦) ، (فقلت) ، الحيوان (٢٠٥/٦) ، مروج الذهب (١٥٤/٢) ،
ثمار القلوب (٨١) .
 - ٤ الحيوان (٢٠٤/٦) ، (الازدي) ، مروج (١٥٤/٢) ، (دار الاندلس) .
 - ٥ مروج الذهب (١٥٤/٢) ، (العرافة وبعض العرافين) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) ،
مقدمة ابن خلدون (٩٤ وما بعدها) ، الحيوان (٢٠٤/٦) . (٦٣/١) .

مستقبلهم . وكانت الأسواق مثل سوق عكاظ موثلاً لهم . فكان العراف فيها ير به الناس صبيانهم ، ويقول عنهم ما يحول بخاطرهم ، وذلك بالنفرس في وجه الصبي ، ومقارنة ذلك بما حصل عليه من تجارب في هذا الباب^١ .

وفي اللغة العربية كلمة قديمة أخرى لها صلة بموضوعنا هذا ، هي (القيافة) . ويقصد بها التنبؤ والإخبار عن شيء بتتبع الأثر والشبه^٢ . وتدخل في ذلك قيافة آثار الأقدام والأخفاف والحوافر للاستدلال منها على أصحابها ، وتعيين النسب في حالة الشك فيه . وما زالت القيافة معروفة عند العرب حتى الآن . وقد اشتهرت بها (بنو مدلج) خاصة ، حتى قيل للقائف (مدلجي) بسبب هذا الاختصاص^٣ ، وبنو لهب^٤ ، وأحياء مضر^٥ .

ويرى (المسعودي) ان القيافة من الأمور التي برع بها العرب واختصوا بها ، وصار لهم مران وخبرة بها ، وذكر ان ممن عرف واشتهر بها (محرز المدلجي) ، وقد تعجب الرسول من قيافته وصدقه^٦ .

وذكر أهل الأخبار ان (الحازر) ، هو من يحزر الأشياء ، وان (الحزارة) في معنى القيافة .

وأما (الفراسة) ، فتكون بالاستدلال بهيأة الانسان وأشكاله وأقواله على صفاته وطبائعه . وقد ذهب بعض المستشرقين الى أنها من الكلمات المعربة التي أخذت من (بني إرم) ، وانها أحدث عهداً من لفظة (القيافة) التي هي من الكلمات العربية الجاهلية^٧ . وقد توسع في معناها وألف فيها الكتب في الإسلام وتبحر فيها بعض أئمة الفقهاء مثل الشافعي^٨ .

وأما (العيافة) فهي التنبؤ بملاحظة حركات الطيور والحيوانات ودراسة أصواتها،

-
- ١ السيرة الحلبية (١١٤/١) .
 - ٢ اللسان (٢٠١/١١) وما بعدها ، مروج الذهب (١٤٤/٢) .
 - ٣ المسطر (٨٢/٢) ، Ency., II, p. 1048, Muh. Stud., I, S. 184.
 - ٤ بلوغ الارب (٢٦٢/٣) .
 - ٥ مروج (١٤٩/٢) .
 - ٦ مروج الذهب (١٥٠/٢) .
 - ٧ Ency., II, p. 108.
 - ٨ النهاية (٢٠٧/٣) وما بعدها ، بلوغ الارب (٢٦٣/٣) وما بعدها ، نهایه الارب (١٤٩/٣) .

وقراءة بعض أحشائها ، ولذلك قيل في العبرانية للعائف (الشاق) ، لشقه الحيوانات والطيور لدراسة أحشائها واستخراج الخبر مما يراه على تلك الأحشاء من ألياف يرى أن في أوضاعها معاني يذكرها للسائل على شكل نبوءة^١ . وكانت معروفة خاصة عند الكلدانيين .

وقد اشتهرت (بنو أسد) بالعيافة ، فقصدوا الناس للأخذ منها ، حتى الجن سمعت بعيافتها ، وعجبت منها ، فجاءت إليها تمتحنها في هذا العلم^٢ .

واشتهرت (بنو لهب) بالعيافة كذلك، ولهب^٣ حي من الأرد . ومن هؤلاء (العائف اللهي) ، (لهب بن أحجن بن كعب) ، وهو الذي تكهن بموت عمر بن الخطاب قبل وقوعه بعام^٤ .

والزجر العيافة . وهو يزجر الطير يعافها. وأصله ان يرمى الطير بحصاة ويصبح ، فان ولاه في طيرانه ميامنه تفاعل به أو مياسره تطير . وهو ضرب من التكهّن . وانما سمي الكاهن زاجراً ، لأنه اذا رأى ما يظن انه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة^٥ .

وتطلق لفظة (الحازي) على من يحزر الأشياء ويقدرها بظنه ، فهي من الكلمات المستعملة في الكهانة ، ويطلق على من يشتغل بالنجوم اسم (خزاء) ، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره^٦. وأطلقت أيضاً على من يزجر الطير، ولا سيما الغراب^٦ .

١ تاج العروس (٢٠٧/١) ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٩/٢) .

٢ « وبنو أسد يذكرون بالعبافة وبوصعون بها ، فيل عنهم ان قوما من الجن تذكروا عيافتهم ، فاتوهم ، فقالوا : ضلت لنا ناقة ، فلو أرسلتم معنا من يعيف . فقالوا : لغليم منهم : انطلق معهم ، فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا ، فلقبهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها ، فاقشعر الغلام وبكى ، فقالوا : مالك ؟ فقال : كسرت جناحاً ورفعت جناحاً ، وحلفت بالله صراحاً ، ما أنت بانسي ولا تبغى لفاحاً » ، تاج العروس (٣٠٧/٦) ، اللسان (١٦٧/١١) وما بعدها .

٣ الروض الانف (١١٨/١) وما بعدها . قال عبدالرحمن الخزاعي :
تيممت لها ابتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين الى لهب

باح العروس (٤٧٥/١) ، (لهب) .

٤ تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زجر) .

٥ الروض الانف (١١٨/١) وما بعدها .

٦ النهاية (٢٥٧/١) .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى (حازي) عرف واشتهر بين الجاهليين
بـ (حازي جهينة)^١ .

الراقي :

ويقال لمن يعمل الرقية ويرقي : (الراقي) . والرقية العوذة التي يرقي بها صاحب
الآفة كالحمى والصرع . قال عروة :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقياني^٢

ويقال لأجرة الراقي : (البسلة) و (بسلة الراقي) . و (البسل) الحلال ،
والبسل أيضاً الحرام، فهو من الأضداد . وبسل الدعاء بمعنى آمين ، أي الاستجابة.
وكان الرجل اذا دعا على صاحبه ، يقول : قطع الله مطاك . فيقول الآخر :
بسلا بسلا^٣ ، أي آمين آمين^٤ .

الاستقسام بالأزلام :

ومن طرق التنبؤ الاستقسام بالأزلام ويقابل ذلك ما يقال له (كسيم) (كسم)
« Gasam » في العبرانية . وهي طريقة معروفة عند البابليين كذلك^٥ . وعند
غيرهم من الشعوب . وقد أشير في التوراة الى أن (نبوختنصر) (نبختنصر)
(نبخذ نصر) « Nebuchadnezzar » أجال السهام حين عزم على فتح (أورشليم)
(القدس) . « فإن ملك بابل قد وقف عند أم الطريق في رأس الطريقين ليباشر
عرافة . فأجال السهام وسأل الترافيم ونظر في الكبد »^٦ . وقد خرج السهم الذي
كتب عليه (أورشليم) ، فعمل به وهاجم القدس وفتحها^٦ .

١ البيان والتبيين (٢٨٩/١) .

٢ تاج العروس (١٥٤/١٠) ، (رقى) .

٣ تاج العروس (٢٢٧/٧) ، (بسل) ، الروض الانف (٧٥/١) .

٤ Hastings, p. 567.

٥ حزقيال ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٢١ .

٦ Hastings, p. 567.

وتعني لفظة (كوسيم) « Gosem » و « Gesem » « Kosem » العرافة في العبرانية^١.
من أصل (كسم) (كيسم) (قيسم) وهو التكهن . وهو أصل (سامي) .
واليه تعود كلمة (الاستقسام) ، لا الى (قسم) بمعنى تقسيم الشيء وتجزئته .
وهو المعنى الذي ذهب اليه أكثر علماء اللغة . وقريب من معنى (قيسم) (كيسم)
ما ذكره علماء اللغة من أن القيسم هو الحظ والنصيب . فإن للحظ والنصيب
علاقة وثيقة بالتكهن ، لما فيه من معرفة المستقبل والوقوف عليه .

وقد عرف أهل الأخبار (الأزلام) : انها السهام التي كان أهل الجاهلية
يستقسمون بها . وعرفوا (الزلم) ، انه السهم ، وانه القدح المزلم^٢ . وعرفوا
القدح : انه السهم قبل ان ينصل ويراش . وان القدح : قدح السهم ، وجمعه
قداح ، وصانعه قدّاح^٣ . وقد فسر بعض العلماء الأزلام بأحجار بيض تشبه
أحجار الشطرنج ، كما جعل بعض آخر تلك السهام في مقابل (الكعاب) التي
يستعملها الروم والفرس في الاستخارة^٤ . وذكر بعض آخر ان « الأزلام : سهام
كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها : أمرني ربي ، وعلى بعضها : نهاني
ربي ، فإذا أراد الرجل سفرأ أو أمراً ، ضرب تلك القداح ، فإن خرج السهم
الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته ، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض
في أمره »^٥ . وذكر ان الأزلام التي كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر ،
وانها قدّاح الأمر والنهي لا قداح الميسر^٦ . وذكر ان أهل الجاهلية ، كانوا اذا
أرادوا ان يخرجوا في سفر ، جعلوا قداحاً للجلوس والخروج ، فإن وقع الخروج
خرجوا ، وإن وقع الجلوس جلسوا^٧ .

وطريقة الضرب بالقداح ، ان الرجل منهم اذا أراد ان يخرج مسافراً ، كتب
في قدح هذا يأمرني بالملكث ، وهذا يأمرني بالخروج ، وجعل معها أزلاماً مسحة ،

-
- ١ العدد ، الاصحاح الثالث والعشرون ، الآية ٢٣ ، صموئيل الاول ، الاصحاح السادس ، الآية ٢ ، اشعيا ، الاصحاح الرابع والاربعون ، الآية ٢٥ .
 - ٢ اللسان (٢٧٠/١٢) .
 - ٣ اللسان (٥٥٦/٢) (قدح) ، ناج العروس (٢٠٢/٢) ، (قدح) .
 - ٤ تفسير الطبري (٤٢/٦ وما بعدها) ، روح المعاني (٥٩/٦ وما بعدها) .
 - ٥ اللسان (٤٧٨/١٢ وما بعدها) ، (قسم) ، (صادر) .
 - ٦ اللسان (٤٧٩/١٢) ، (قسم) ، ناج العروس (٤١٧/٦) ، (قسم) .
 - ٧ تفسير الطبري (٤٢/٦ وما بعدها) .

أي لم يكتب فيها شيئاً ، ثم استقسم بها حين يريد الخروج ، فإن خرج الذي يأمر بالملك ، مكث ، وإن خرج الذي يأمر بالخروج خرج ، وإن خرج الآخر أي المسح ، أجالها ثانية حتى يخرج أحد القدحين^١ . وهكذا يفعلون في سائر أمور الاستقسام .

وقد جمع المفسرون ما تمكنوا من جمعه عما علق في أذهان الناس من الأزلام ، لورود الإشارة إليها في موضعين من سورة (المائدة)^٢ . وأورد علماء الحديث والأخبار ما وصل الى علمهم أيضاً عن (الاستقسام بالأزلام) . ويظهر مما ذكره أن أهل الجاهلية كانوا يقيمون في أبيهم وزناً كبيراً للاستقسام بالأزلام لاعتقادهم أنه يحكي ارادة الأرباب ويتحدث عن مشيتها . لذلك كانوا لا يفعلون فعلاً ولا يعملون عملاً إلا بعد أخذ رأيها بالاستقسام . فإن جاء أمر فعلوا ، وإن جاء نهي امتنعوا .

وجاء في سورة المائدة : « وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق لكم »^٣ ، وذلك مع أمور نهى عنها الاسلام . منها تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذُكِيَ ، وما ذبح على النصب . وجاء ذكر الأزلام في موضع آخر مع ذكر الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، حيث جعلت رجساً من عمل الشيطان ، لذلك ، على المسلم اجتنابها والابتعاد عنها^٤ . فالاستقسام بالأزلام من الأمور التي نزل الأمر بالنهاي عنها في الاسلام . وقد جاء الأمر بالنهاي عنها في شريعة يهود كذلك إذ اعتبرت (رجساً) ، ومن أعمال الوثنيين^٥ .

ويكون الاستقسام عند الأصنام في الغالب لاعتقادهم ان النتيجة تمثل ارادة الصنم ومشيته ، غير ان ذلك ليس بشرط ، فقد كان أصحاب الأزلام يحملون أزلامهم معهم ، ويستقسمون حيث يطلب ذلك منهم . فهم في ذلك مثل أصحاب

-
- ١ تفسير الطبري (٤٢/٦ وما بعدها) .
 - ٢ سورة المائدة ، الآية ٩٠،٣ ، تفسير الطبري (٤٩/٦) ، روح المعاني (٥٩/٦ وما بعدها) ، الطبري (٢٤٠/٢) .
 - ٣ الآية ٤ ، تفسير البضاوي (١١٨/١) ، تفسير الطبرسي (٢٣٨/٣ وما بعدها) ، (١٥٦/٣ وما بعدها) .
 - ٤ المائدة ، الآية ٩٣ ، تفسير البضاوي (١٣٢/١) .
 - ٥ Hastings, p. 567.

(القال) والقارئون للرمل والسحرة في الوقت الحاضر ، يتنقلون بين الناس عارضين
فنههم عليهم في مقابل حلوان يقدم اليهم . وهذا النوع ، من أصحاب الأزلام ،
هم من الطبقة المرتزقة على شاكلة هذه الجماعة المذكورة في هذه الأيام . وقد كان
منهم من يستقسم لنفسه بنفسه ، وذلك بأن يستقسم بالأزلام التي عنده في بيته ،
والتي قد يحملها معه ، تماماً كما يفعل أهل (الاستخارة) في الاستخارة بالمسبحة
(السبحة) أو بوسائل الاستخارة الأخرى في الوقت الحاضر .

قال أهل الأخبار : « والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر
ونهي وافعل ولا تفعل ، قد زُلت وسويت ووضعت في الكعبة ، يقوم بها
سدنة البيت ، فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال : اخرج لي زماً ،
فيخرجه وينظر اليه ، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ، وان خرج
قدح النهي قعد عما أراده ، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه ، فإذا
أراد الاستقسام أخرج أحدهما »^١ .

و « قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون
ما الأمر فيه ولم يصح لهم أخذوا قداحاً لهم فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ،
نعم لا خير ، شر بطيء سريع ، فأما المداراة فإن قداحاً لهم فيها بيضاً ليس
لهم فيها شيء ، فكانوا يجبلونها فن خرج سهمه فالحق له ، ولاحضر والسفر
سهان ، فيأتون السادن من سدنة الأوثان ، فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيراً
فاخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له ، فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له
القداح وفيها : صريح ، وملصق ، فإن خرج الصريح الحق بهم ، وان خرج
الملصق نفوه ، وان كان صريحاً ، فهذه قداح الاستقسام »^٢ . « وان كان بين
اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه
فالحق له »^٣ .

وذكر ان أقداح (هُبل) سبعة ، وضعت قدّامه . فان أراد أحدهم سفراً
أو عملاً أو تجارة أو زواجاً أو بتاً في نسب مشكوك فيه أو دفع دية أو ان

١ اللسان (٢٧٠/١٢ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (١١٧/٣ وما بعدها) ، تفسير ابن كير (٦/٢) ، الدر المنثور
(٣١٩/١) .
٣ صبح الاعشى (٤٠٢/١) .

يخرجوا ماءً ، أتوا هُبْلَ ، ومعهم مائة درهم ويجزور فأعطوها صاحب القداح حتى يجيئها لهم ، وكانت أزالامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها ، وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتب على واحد منها (أمرني ربي) وعلى واحد منها (نهاني ربي) وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد غفل ليس عليه شيء ، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له استقسم لهم صاحب القداح بقدحي الأمر والنهي ، فان نجح قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك مما يتفق لهم ، وإن خرج قدح النهي أخرخوا ذلك العمل الى سنة فاذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى .

ويروى ان السؤال إن كان يخص اقداماً أو احجاًماً ، استعمل صاحب القداح قدحي (نعم) أو (لا) فاذا ظهر للمجبل قدح (نعم) عمل به ، ومضى الى ما قصد ، وإن جاء (لا) أي النهي توقفوا سنة . أما اذا كان نزاعاً في نسب أحد منهم ، استقسم بالأزالام الموسومة بـ (منكم) و (من غيركم) و (ملصق) ، فان ظهر (منكم) ، اعتبر المتنازع على نسبه منهم ، وإن خرج (من غيركم) اجنبوه ونفروا منه ، وإن ظهر (ملصق) ، بقي أمره على ما كان عليه قبل الاستقسام ، وأما اذا كان السؤال نزاعاً في (العقل) : أي دية القتل ، بأن اشتبه عليهم القاتل ، أحضروا من اتهم بالقتل بالقدين الموسومين بـ (العقل) وبـ (الغفل) ، واستقسم بهما ، فمن خرج عليه العقل تحمّل الدية ، وإن خرج (الغفل) أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه^١ .

ولما أراد (أبو سفيان) الخروج الى (أحد) ، استخار هبل . بأن كتب على سهم نعم ، وعلى آخر لا ، وأجالها عند هبل ، فخرج سهم نعم ، فخرج يقومه الى (أحد) . وقال يقول : أعلُ هبل . وقال عمر : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : أنعمت فعال عنها ، أي اترك ذكرها ، فقد صدقت في فتواها ، وأنعمت ، أي أجابت بنعم^٢ .

١ بلوغ الارب (٦٦/٣ وما بعدها) ، الاصنام (ص ٢٨) ، النهاية (٢٦٨/٣) ، تاج العروس (٣٢٦/٨) ، تفسير الطبري (٤٢/٦ وما بعدها) .
٢ اللسان (٥٨٩/١٢) .

ولصاحب الأزلام وخازنها حق يتقاضاه من الطالبين في مقابل عمله . فكان سادن (هُبل) يتقاضى مئة درهم أجراً عن الاستقسام ، كما سبق ان ذكرت، فان تكرر ذلك زيد أجره على ما يذكره الرواة . وقد كان غير العرب يدفعون حلواناً الى صاحب الأزلام ليتنبأ لهم . فلما انطلق (شيوخ مديان) (مدين) و (مؤآب) الى (بلعام) ليستقسم لهم ، حملوا حلوانهم معه ، فقدموه اليه مقابل ما قام به من عرافة اليهم^١ .

وقيل للذين يضربون بالقداح (الضرباء)^٢ . والواحد الضريب والضارب . وهو الموكل بالقداح ، وقيل الذي يضرب بالقداح . يقال هو ضريب قداح^٣ . وقد أشير الى الاستقسام في شعر الشعراء الجاهليين ، وقد ذكرت في قصة الشاعر (امرئ القيس) الكندي حينما جاء الى الصنم (ذي الخلصة) ، ليستقسم عنده بشأن الأخذ بثأر أبيه . فلما خرج النهي عنه ثلاث مرات ، غضب على صنمه ، وكسر الأزلام ورماها في وجهه ، كما يقول الرواة قائلاً : « لو كان أبوك المقتول لما نهيتني » ، وأنشد :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

وأشار الخطيئة الى ذلك بقوله :

لم يزجر الطير،إن مرت به سنحاً ولا يفيض على قسم بأزلام^٤

وقال طرفة :

أخذ الأزلام مقتنماً فأتى أغواهما زلمه^٥

وهناك طرق عدة عرفت عند الشعوب القديمة في التكهّن بالسهم ، ومنها رمي السهم في الهواء لمراقبة حركاتها وكيفية سقوطها ، ومنها رمي حزمة من السهم أمام الصنم ، فالسهم الأول الذي يقع قبل بقية الأزلام ، يكون هو السهم الذي

١ العدد ، الاصحاح الثاني والعشرين ، (الآية ٧ وما بعدها) ، Hastings, p. 587.
٢ الاشفاق (٢٧٨) .
٣ اللسان (٥٤٧/١ وما بعدها) .
٤ اللسان (٢٧٠/١٢) ، الاصنام (٤٧) ، نهاية الارب (٦٧/٣) .
٥ اللسان (٢٧٠/٢) .

أمر به الصنم في زعمهم ، فيعمل بموجب ما كتب عليه^١ .
 ونلتخص (الألوسي) الأزلام التي كانت عند العرب على ثلاثة أنحاء : أحدها :
 قداح الميسر العشرة ، وثانيها : لكل أحد ، وهي ثلاثة على أحدها مكتوب
 (افعل) ، أي أمر ، وعلى الثاني (لا تفعل) وعلى الثالث (غفل) . فإذا
 أراد أحدهم الأمر جعلها في خريطة ، وهي (الرابطة) وأدخل يده فيها وأخرج
 واحداً ، فان طلع الأمر فعل أو الناهي ترك أو الغفل أعاد . وثالثها : للأحكام
 وهي التي عند الكعبة . وكانوا يتحاكمون عند (هبل) في جوف الكعبة . وكان
 عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك . وكانت سبعة مكتوب عليها ما سبق^٢ .

و (القرعة) أي (السهمة) ، نوع من أنواع التنبؤ بالغيب التابعة للاستقسام
 بالأزلام . و (السهمة) هي رضاء بحكم (السهم) ، أي بحكم وقوع السهام على
 الأشياء . وهي جواب فصل يمثل ارادة الآلهة للسائل أو للمختصمين في أمر من
 الأمور . وقد قيل للسهم : الحظ والنصيب^٣ ، لأنه يتكلم عن حظ الانسان ونصيبه .

والتنبؤ بالتفرس في الأشباح التي تظهر على الماء ، أو الزيت المصبوب في
 الأقداح ، أو الحركات التي تظهر على سطح السائل بعد رمي شيء فيه ، لمعرفة
 الأسرار والمغيبات والاعجرام كالسرقات والقتل ، والزنى ، ودراسة سطح المرأة :
 هذه وأمثالها كانت معروفة عند البابليين والعبرانيين ، وعند غيرهم من الشعوب .
 وعقبتهم أن الأرواح هي التي ترشد الى اظهار المخفيات ، وان هناك مأمورين
 من بينهم واجبههم اخبار العراف والعائف والكاهن بما يطلب منهم معرفته ليقوله
 للسائل^٤ .

ومن ضروب التنبؤ (الطرق) ، وهو الضرب بالحصى للكشف عن المستقبل ،
 يقوم بذلك الرجال والنساء . ويقال للقائمين بذلك الطُّرَّاق والطوارق^٥ . ووردان
 الطرق : الضرب بالحصى والخط في التراب ، وهما ضربان من التكهن . وقيل
 أيضاً : الطرق : أن يخط الرجل في الأرض بإصبعين ثم باصبع ، ويقول :

Hastings, p. 567.

١ بلوغ الارب (٦٧/٣ وما بعدها) .

٢ ناج العروس (٣٥٢/٨) ، « سهم » .

٣ Ency. Religl., 4, p. 807.

٤ النهاية (٤٠/٣) .

ابني عيان اسرعا البيان، وزعم بعضهم أن الطرق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن . وقد نهى عنه في الإسلام . ورد في الحديث: انه قال : الطرق والعيافة من الجبت^١ .

ويدخل في ضروب التنبؤ (الخط) « وهو الذي يخطه الحازي . يأتي صاحب الحاجة الى الحازي فيعطيه حلواناً ، فيقول له : اقعد حتى أخط لك ، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل ، ثم يأتي الى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالمعجلة لثلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغلّامه يقول للتفاؤل : « ابني عيان ، أسرعا البيان » ، فان بقي خطان فهما علامة النجاح ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة ... وقيل : الخط هو ان يخط ثلاثة خطوط ، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ، ويقول : يكون كذا وكذا . وهو ضرب من الكهانة^٢ . وكانت العرب تسمي ذلك الخط الذي يبقى من خطوط الحازي الأسحم . وكان هذا الخط عندهم مشؤوماً . وقد كان الخط من علوم العرب القديمة^٣ .

وعلم الخط هو علم الرمل . وينسب الى (ابن عباس) قوله : علم قديم تركه الناس . وخط الزاجر في الأرض ، رسم خطأً باصبعه ، ثم زجر . وذكر ان (الخطيطة) الرملة التي يخط عليها الزاجر ، وان الأسحم اسم خط من خطوط الزاجر ، وهو علامة الخيبة عندهم . وذلك ان يأتي الى أرض رخوة وله غلام معه ميل ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة على عجل لثلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها خطين خطين ، فان بقي من الخطوط خطان ، فهما علامة النجاح وقضاء الحاجة ، ويمحو وغلّامه يقول للتفاؤل : ابني عيان أسرعا البيان ، واذا محا الخطوط ، فبقي منها خط ، فهي علامة الخيبة^٤ .

-
- ١ اللسان (٢١٥/١٠) ، (طرق) ناج العروس (٤١٧/٦) ، (طرق) ،
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
النهاية (٤٠/٣) ، اللسان (٨٤/١٧) ، سنن أبي داود (١٦/٤) .
 - ٢ النهاية (٣٠٣/١) ، (٣٣٨) « خطط » ، (٤٠/٣) « طرق » ، ناج العروس (٤١٧/٦) ،
اللسان (٨٥/١٧) .
 - ٣ اللسان (٢٨٧/٧) وما بعدها ، (خطط) .
 - ٤ ناج العروس (١٣١/٥) ، (خطط) .

الأحلام :

والأحلام (Dreams) و (الرؤيا) (Visions) باب من أبواب الكهانة كذلك، فهي تفسير لما سيقع في المستقبل من حوادث . وقد تخصص بذلك أناس تعاطوا تعبير الرؤيا والأحلام . وإذ كان اعتقاد الشعوب القديمة ان الأحلام حقيقة ، لا كما نتصورها نحن ، كان الاهتمام بها كبيراً ، والاعتناء بها شديداً ولا يزال يخصصها كثير من الناس بالعناية .

وقد فسرت بعض الشعوب القديمة الأحلام بأنها الآلهة أو الأرواح تتجلى في الإنسان في أثناء منامه ، فتطلعه على أشياء كثيرة تتعلق بحياته وبمصيره ، وتساعده بذلك على حلّ مشكلات عديدة عويصة لديه ، أو تهديه الى أمور لم يكن يعرف عنها شيئاً ، أو تحذره بقرب حلول كارثة أو خطر به أو بغيره ، أو بحصول خير له أو لغيره . وقد ترجع به الى أيام ماضية وحوادث قديمة سالفة كان قد نسيها وذهبت من ذاكرته . ونجد في المؤلفات اليونانية واللاتينية والسريانية وفي الكتابات الهيروغليزية والمسمارية أشياء عديدة من القصص المتعلقة بالأحلام . وفيها أن كثيراً من الملوك والخاصة كانوا يقيمون وزناً عظيماً لما يرونه ، أو يراه الناس من أحلام . وقد نجح كثير منهم كما خسر كثير منهم أيضاً بسبب تأثير الأحلام فيهم ، حتى إن بعضهم اتخذ له مفسراً للأحلام أو جملة مفسرين ، ليكونوا في خدمته حتى اذا ما رأى حلماً فسروه له .

ولما كانت بعض الأحلام مزعجة ، رجع الكهان المتخصصون بالأحلام أسبابها الى فعل الأرواح الشريرة . أما الأحلام المريحة الطيبة ، فقد جعلوها من إلهام الآلهة في الانسان . ولأهمية الاعتقاد بالأحلام ، وضعت قواعد وتعاليم للأشخاص الذين يريدون معرفة مستقبلهم بالرؤيا والأحلام . وقد نصح في بعضها باجتناب الأكل الثقيل ، وبشرب بعض الأشربة المعينة والنوم في المعابد ، للحصول على الرؤيا الصادقة . والابتعاد عن أضغاث الأحلام . وضع تلك القواعد أناس تخصصوا بهذا الفن ، يلجأ اليهم من يرى حلماً ليجد تفسيره عندهم . فلكل شيء في الرؤيا والحلم معنى خاص ، لا يمكن ان يعرفه إلا ذوو الخبرة والعلم^١ .

وقد عثر على كتابة لحياينة في موضع (الحربية) ، تبين منها وجود صم في معبد هذا الموضع تخصص بتفسير الأحلام^٢ .

١ مقدمة ابن خلدون (١٠٣/١) .

٢ Jaussen — Savignac, Mission, II, p. 417, Euting 825, Arabien, S. 89.

وفي كتب التفسير والسير والأخبار والأدب أمثلة عديدة من الرؤيا ، تشير الى ان الاعتقاد بالأحلام كان معروفاً عند الجاهليين ، وان أثره كان عميقاً في حياتهم. وقد يكون لأهل الكتاب أثر عليهم في كيفية تفسير الأحلام وتوجيه تعبير الرؤيا، غير ان الاعتقاد بالأحلام هو اعتقاد عام ، وكان يقوم به متخصصون بتفسير الأحلام . وقد عرف في الاسلام واشتهر به (ابن سيرين)^١ .

وقد عرف بعض العلماء الاسلاميين الحلم بأنه عبارة عما يراه اللائم في نومه من الأشياء المزعجة ، وخصصوا الرؤيا بما يراه الانسان في منامه من الخير والشيء الحسن^٢ . وهم بذلك على طريقة القدماء في جعل الأحلام نوعين : أحلام من فعل الشيطان والأرواح الخبيثة ، وأحلام من إلهام الآلهة في الانسان ، وهي التي تنكشف من رؤية أشياء جميلة وعن أشياء يرغب صاحب الحلم في الحصول عليها وتحقيقها. ويرجع العلماء الرؤيا الى النفس ، تطلع على الوقائع فتتذكرها ، وتوحي بها الى صاحبها . وهم يعتقدون بها ، وجعلوها جزءاً من النبوة^٣ .

-
- ١ (كتاب المعبر) ، عمدة القاري (١٢٦/٢٤) ، المعجم (٢٣٩) . (الكتب المولعة في تعبير الرؤيا) .
 - ٢ النهاية (٢٨٩/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حام) .
 - ٣ مقدمة ابن خلدون (١٠٢/١ وما بعدها) .

الفصل السادس والثمانون

الطيرة

وقد كان للطيرة شأن كبير في حياة الجاهليين. وهي معروفة عند جميع الشعوب، ويقال لها في العبرانية : طير « Tayyar » ، فهي من نفس الأصل الذي أخذ العرب منه التسمية ^١ . ويقال لها في الانكليزية « Augury » ، ويرى بعض الباحثين أن الطيرة انتقلت الى العبرانيين من العرب ^٢ . وهناك نوع آخر من التطير يقال له « Haruspicy » في الانكليزية ، ويقصد به الطيرة من الحيوانات الميتة ، أو مراقبة الحيوان في أثناء ذبحه لمعرفة المستقبل من حركاته وهو يرتجف رجفة الموت ^٣ .

ويقول علماء الأخبار . إن الطيرة من زجر الطيور ومراقبة حركاتها . فإن تيامنت دل تيامنها على فأل . وان تياسرت دل على شؤم ^٤ . فهي اذن تشمل التيمن والتشاؤم . إلا أنها خصصت بالتشاؤم فيما بعد . فصارت تعني هذا المعنى عند الاستعمال . قال (الجاحظ) : « وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير ، إذا مرّ بارحاً أو سانحاً ، أو رآه يتفلى ويتنف ، حتى صاروا

١ Ency. Religi., 4, p. 807.

٢ Ency. Religi., 4, p. 778, 807, Hastings, p. 568.

٣ Ency. Religi., 4, p. 778.

٤ اللسان (٥١٢/٤ وما بعدها) ، مفردات ، للاصفهاني (٣١٢) ، صبح الاعشى (٣٩٩/١)

إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الأبر ، زجروا عند ذلك وتطيروا ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطير ، ثم استعملوا ذلك في كل شيء^١ .

قال أحدهم :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكادت أطيير

كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع يطير .

وقد عد العلماء الطيرة والزجر في معنى واحد ، لأن أصلهما أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير ، ثم يحكمون من حركاته على ما سيحدث ويقع ، فالزجر والطيرة من ثم شيء واحد^٢ . وقد قيل لمن يزجر الطير (زاجر) « لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاعم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة »^٣ .

والطيور هي مادة التطير ، وذلك بمراقبة حركاتها وسكناتها . وهو ما يقال له في العبرانية : (نبحوش) (نحوش) « Nihush » من أصل (نبحيش) (نحش) . وتقابل لفظة (نحش) كلمة (حنش) في العربية وتعني (الثعبان) . وقد ذهب بعض علماء التوراة أن لكلمة (نحش) ، صلة بالثعبان ، ذلك لأن الثعبان كان من الآلهة القديمة ، بينما يرى بعض آخر عدم وجود صلة ما للثعبان بهذا الموضوع ، لأن العبرانيين لم يتعبدوا البتة للثعابين ، فلا صلة للثعبان به^٤ .

ويدخل في باب الزجر ، زجر الطير والوحش . ويذكر بعض العلماء أن الأصل في الطيرة ، هو زجر الطير ، ثم صار في الوحش ، وقد يجوز أن يغلب أحد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً^٥ .

وقد يراد بالطيرة (التشاؤم) الذي هو خلاف التيامن . غير أن (التشاؤم)

١ الحيوان (٤٣٨/١) ، (هارون) . العمد (٢٥٩/٢ وما بعدها) .
٢ صبح الاعسى (٣٩٩/١) .
٣ ناج العروس (٣٦٤/٣) ، اللسان (٤٠٧/٥) ، (طبر) .
٤ Ency. Religi., 4, p. 807, Hastings, p. 568.
٥ العمد (٢٦٠/٢) .

هو في الواقع أوسع مجالا وأكثر ساحة من الطيرة ، لأن التشاؤم طيرة وزيادة ، وأعني بالزيادة تشاؤم المتشائمين من أمور أخرى كثيرة مثل التشاؤم من ذوي العاهات أو القبح من البشر ، والتشاؤم من سماع الكلام السيء أو الأخبار السيئة عند الصباح أو من رؤية ميت أو سماع نياحة أو مشاهدة مخلوق مشوه أو سماع اسم موضع يدعو التشاؤم أو اسم شخص فيه معنى التشاؤم وأمثال ذلك ، فتكون كل هذه الأمور مدعاة للتشاؤم عند المتشائمين . « حتى صاروا إذا عابنوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعصب أو الأبر ، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها كما تطيروا من الطير اذا رأوها على تلك الحال »^١ .

ويقول علماء اللغة : الشؤم : خلاف اليمن . ورجل مشؤوم على قومه^٢ . وأصل ذلك هو أن العرب تتفاعل بالجهة اليمنى ، وتشاءم من الجهة اليسرى ، ولذلك كانت إذا أرادت أن تعمل عملاً عمدت الى (الزجر) وهو رمي الطير بحصاة ، ثم يصيح الرامي ، ليفزعها ويزجرها ، وعندئذ يراقب حركة طيرانها ، فإن تيامنت أي جرت يمنة تفاعل به ، وإن تشاءمت أي تياسرت ، تشاءم به . فالتيمن هو بالتيا من والتشاؤم هو بالتياسر . ولذلك قيل للكاهن (زاجر) أيضاً ، « لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة »^٣ . ولا عتماد الزاجر على الطيور في الغالب في هذا النوع من التكهّن قيل له : (الطيرة) . قال علماء اللغة : « وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة ، لأن العرب كان من شأنها عياقة الطير وزجرها والتطير بيارحها ونعيب غرابها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها . فسمّوا الشؤم طيراً وطائراً وطيرة لتشاءمهم بها »^٤ .

ولا بد ان يكون للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد ، فقد كان من المعارف عليه عند كثير من الشعوب القديمة ان بعض فصائل الطيور هي أرواح الموتى بعد مفارقتها الأجساد ، وإنها لذلك تعي وتفهم ، وإن في استطاعة بعض الناس فهم منطقها وتكليمها . ومن هنا ظهرت فكرة

١ الحيوان ، للجاحظ (٤٣٨/٣) « تحقيق محمد عبدالسلام هارون » .

٢ اللسان (٣١٤/١٢) .

٣ تاج العروس (٣٦٤/٣) ، اللسان (٤٠٧/٥) ، (٣١٤/١٢) « شام » .

٤ تاج العروس (٣٦٤/٣) ، (طير) .

(منطق الطير) . وقد كان (سليمان) يحادث الطير^١ . فإذا كانت الطير على هذه الصفة ، ففي حركاتها وسكناتها منطق لمن لا يحسن منطقها ، يشير الى ما يجب على الانسان ان يفعله أو يتركه من أعمال .

وقد كان للتطير والتفاؤل شأن كبير في حياة الجاهليين . كما كان لها مثله في حياة شعوب أخرى عديدة : ومن بينهم اليونان والرومان والفرس . والتطير هو نظير التشاؤم في المعنى كما قلت . أما نظير التفاؤل ، فهو التيامن . وفي روايات أهل الأخبار أمثلة عديدة من أمثلة الطيرة وقعت لبعض القبائل عند إقدامها على الحرب ، فمخسرت لتطيرها . ويحدث من التطير النحس ، وأما من التفاؤل فيكون السعد .

وفي الأخبار : « كانت العرب اذا خرج أحدهم من بيته غادياً في بعض الحاجة ، نظر : هل يرى طائراً يطير ، فيزجر سنوحه أو بروحه ، فإذا لم ير ذلك ، عمد الى الطير الواقع على الشجر ، فحرّكه ليطير ، ثم نظر الى أي جهة يأخذ ، فزجره . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « اقرؤوا الطير على مكنتها : لا تطيروها ولا تزجروها »^٢ . وذكر « انهم كانوا في الجاهلية اذا خرج أحدهم لحاجة ، فان رأي الطير طار عن يمينه تيمن به واستمر ، وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع ، وربما كانوا يهيجون الطير ، ليطير فيعيدون ذلك »^٣ .

وقد أیطل الرسول الطيرة . « وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يتفشاء ولا يتطير . وأصل الفأل الكلمة الحسنة يسميها عليل ، فيتأول منها ما يدل على برئه، كأن سمع منادياً نادى رجلاً اسمه سالم ، وهو عليل ، فأوهمه سلامته من علته ، وكذلك المضلل يسمع رجلاً يقول يا واجد ، فيجد ضالته . والطيرة مضادة للفأل . وكانت العرب مذهبيها في الفأل والطيرة واحد . فأثبت النبي الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها »^٤ .

وروي أن أهل الجاهلية كانوا يقولون : « إن الطيرة في المرأة والدار والدابة »^٥

Ency. Religl., 4, p. 808

١
٢ جامع الأصول (٤٥٨/٨) .
٣ ارشاد الساري (٣٩٦/٨) .
٤ تاج العروس (٣٦٤/٣) وما بعدها) .
٥ أمالي المرتضي (٢٠٢/٢) .

و (الكدس) التطير ، و (الكدسة) عطسة البهائم ، وقد تستعمل للإنسان :
ومنه الحديث : اذا بصق أحدكم في الصلاة ، فليصق عن يساره أو تحت رجله ،
فإن غلبته كدسة أو سعلة ففني ثوبه . والكادس ما يتطير به من الفال والعطاس
وغيرهما . ومنه قيل للظبيّ وغيره إذا نزل من الجبل وغيره كادس^١ .

ومن الألفاظ المستعملة في (الزجر) (سنح) و (برح) . وللظة (برح)
معان عديدة ، وهي من الكلمات السامية الواردة والباقية في عدد من لهجاتها .
ومنها لظة (البارح) وهي ضد (السانح) . و « السانح ما مرّ من الطير والوحش
بين يديك من جهة يسارك الى يمينك ، والعرب تتيمن به ، لأنه أمكن للرمي
والصيد . والبارح ما مرّ من يمينك الى يسارك،والعرب تتطير به ، لأنه لا يمكنك
أن ترميه حتى تنحرف »^٢ .

وقد ذكر بعض اللغويين عكس المعنى ، كما ذكر أن أهل نجد كانوا يتشاءمون
بالبوارح ويتيمنون بالسانح . أما غيرهم من العرب ، فقد كانت تتيمن بالبارح ،
وأن بعضاً منهم لم يكن له رأى في شيء من هذا^٣ . وذكر ان أهل (العالية)
يتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح^٤ .

قال ذو الرمة وهو من نجد :

خليلي ، لا لاقيتما مساحيتما من الطير إلا السانحات وأسوأ

وقال النابغة ، وهو نجدى أيضاً ، يتشاءم بالبارح :

رغم لا لاقيتما البوارح ان رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وقد عبر (كثير) عن رأي أهل الحجاز بقوله :

أقول إذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجري ولا استثيرها^٥

وذكر أن هذيلاً كانت تتشاءم بالسنيح . أما غيرها، فكانت تتشاءم بالبارح^٦ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | تاج العروس (٢٣٠/٤) ، (كدس) . |
| ٢ | النهاية (٨٥/١) ، المعاني الكبير (١١٨٧/٣) . |
| ٣ | الإعاني (١٥٧/٩) « أحبار النابغة وسببه » ، Reste, S. 202. |
| ٤ | العمدة (٢٦٣/٢) . |
| ٥ | البرفوقي (ص ١٩ وما بعدها) . |
| ٦ | المعاني (١١٨٦/٣) . |

ويقال للمتطيرين من الرجال (الخثارم)^١ .
 وذكر ان (بني لب) ، « هم أعيف العرب وأزجرهم للطير »^٢ . وهم
 بطن من العرب يعرفون بالعيافة . ولأهل الأخبار قصص عن عيافتهم وعن زجرهم
 للطير^٣ .

ومن الطيور التي تطير منها أهل الجاهلية : الغراب وطيور الليل ، وهي البومة ،
 والصدى ، والهامة ، والضئوع ، والوطواط ، والخفاش ، وغراب الليل^٤ .
 وقاعدتهم في الطيرة ، أنهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون .
 من ذلك قول سوار بن المضرب :

تغنّى الطائران بين ليلى على غصنين من غرب وبان
 فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير دان
 فاشتق الاغتراب من الغرب ، والبينونة من البان .
 وقال عنبرة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع
 حرق الجناح كأن لحسي رأسه جلان بالأخبار هُش مُولع
 فزجرته ألا يفرخ بيضه أبداً ويصبح خائفاً يتفجع
 إن الذين نعت لي بفراقهم هم أسهروا ليلي التام فأوجعوا

فقال : وجرى بينهم الغراب ، لأنه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنه
 أبقع . ثم قال : حرق الجناح تطيراً أيضاً من ذلك . ثم جعل لحبي رأسه
 جلمين ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هشاً مولعاً ، وجعل نعيبه وشحيجه كالخبر
 المفهوم^٥ .

وأشأم الطيور عند الجاهليين ، (الغراب) : « ليس في الأرض شيء يتشاءم

١ المعاني (١١٨٧/٣) .

٢ الاشتقاق (ص ٢٨٨) ، صبح الأعشى (١/٣٣٩ وما بعدها) .

٣ صبح الأعشى (١/٣٩٩ وما بعدها) .

٤ الحيوان (٢/٢٩٨) ، (هارون) .

٥ الحيوان (٣/٤٤٢ وما بعدها) ، (هارون) .

به إلا والغراب أشأم منه»^١ ، ولذلك قالوا إذا نعب : خيراً خيراً ، وذلك من باب التفاؤل بالأضداد^٢ . « والعامة تطير من الغراب ، إذا صاح صيحة واحدة ، فإذا ثنى ، تفاءلت به » ، « وإذا صاح الغراب مرتين ، فهو شر » ، وإذا صاح ثلاث مرات ، فهو خير »^٣ . وورد (غراب البين) و (الغراب الأبقع) و (الغراب الأسود)^٤ . ويراد بذلك الشاؤم بفراق الأحياء ، ويقال للغراب الأسود (حساتم) ، والحتمة السواد ، وهو مشؤوم ، لأنه يحتم بالفراق^٥ . « والعرب تشاءم من الغراب ، ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب »^٦ . « فالغراب أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم ، ألا تراه كلما ذكروا ما يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟ وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لم يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشؤم »^٧ . وروي أن (ابن عباس) كان إذا صاح الغراب ، قال : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك . قال الجاحظ : « وليس في الأرض بارح ولا تطيح ، ولا قعيد ، ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه ، يرون أن صياحه أكثر أخباراً ، وإن الزجر فيه أعم . قال عنتره :

-
- ١ تاج العروس (٤٠٧/١) ، « عزب » ، قال رؤبة :
فأزجر من الطير الغراب الغاربا
 - ٢ اللسان (٤٣٨/٢) ، الحيوان للجاحظ (٣١٦/٢) .
 - ٣ الحيوان للجاحظ (٤٥٧/٣) ، « طبعة عبد السلام محمد هارون » .
 - ٤ الحيوان ، للجاحظ (٤٥٧/٣) وما بعدها ، حياة الحيوان ، للدميري (٢٥٥/٢) .
قال عنتره :
 - ٥ ظعن السنين فراقهم أتوفع
خرق الجناح كأن لجى رأسه
اللسان (٢١٠/١٦) ، القاموس (٢٠٤/٤) ، « غراب البين » ، الحيوان للجاحظ (٤٣١/٣) ، البيان والبيبين (٨٣/١) « لجنة » ، قال النابغة :
زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الاسود
الحيوان ، للجاحظ (٤٤٢/٣) .
 - ٥ إذا ما رأيت عبس من الطير جائما
شديد سواد الزف ظلت تفرزع
الاستنقاق (١٦٦/٢) ، اللسان (٣/١٥) ، الحيوان للجاحظ (٤٣٦/٣) ، (هارون) ، بلوغ الأرب (٣٣٨/٢) وما بعدها .
 - ٦ الحيوان للجاحظ (٣١٦/٢) ، حياة الحيوان ، للدميري (١٩٠/٢) .
 - ٧ الحيوان للجاحظ (٣١٦/٢) ، حياة الحيوان (٢٤٤/٢) .

حَرَقَ الجناح كأنَّ لحي* رأسه جلمان ، بالأخبار هش مولع^١

وفي الغراب وشؤمه يقول الأعشى :

ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيس برح^٢

وقد كنوا عنه بكفى عديدة ، دلالة على مقدار اهتمامهم به . فقالوا له :
أبو حاتم ، وأبو جحداف ، وأبو الجراح ، وأبو المرقال ، وأبو حذر ، وأبو
زيدان ، وأبو زاجر ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث . ووضعوا الأمثلة على لسانه
وعنه . وقصوا عنه الحكايات . من ذلك ، انه أراد ان يقلد القطاة في مشيها ،
فحاكاها ، لكنه لم يفلح في المشي مشيها ، فلما أراد العود الى مشيته الأولى ،
أضل مشيته ، إذ نسيها ، فنسي المشيتين : فلذلك سمّوه : أبا المرقال^٣ . وضربوا
المثل بالغراب الأعصم ، فقالوا : أعز من الغراب الأعصم ، للشيء القليل الوجود^٤ .
وأوردوا له قصصاً مع الديك ومع حيوانات أخرى . ورموه بالفسق والفجور^٥ .
وفي الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين اشارات الى شؤم الغراب . جاء في شعر
(حسان بن ثابت) :

وبيّن في صوت الغراب اغترابهم عشيّة أو في غصن بان فطربا

فصوت الغراب ، يشير الى الغربة والاغتراب ، لذلك كره^٦ .

وهو من ألأم الطير وأخبثها ، وهو من عبید الطير ، وليس من أحرارها ،
فهو دنيء النفس ، إذا صادفته جيفة ، نال منها ، وهو لا يتعاطى الصيد . فهو
حيوان خبيث الفعل وخبيث المطعم ، لذلك عدّ العرب أكله عاراً يعبر من يقدم

-
- ١ الحيوان (٣١٦/٢) ، (هارون) *
 - ٢ العمدة (٢٦٠/٢) ، تاج العروس (٢٠٧/٦) ، (عاف) ، اللسان (٢٦١/٩) ،
(عيف) *
 - ٣ الحيوان ، للجاحظ (١٢٩/٣) ، حياة الحيوان ، للدميري (١٧٢/٢) *
 - ٤ حياة الحيوان (١٧٣/٢) *
 - ٥ الحيوان (١٣١/٣) ، حياة الحيوان (٢٧٣/٢) وما بعدها ، (٣١٧/٣) ، (هارون) ،
(فسق الغراب وتأويل رؤياه) *
 - ٦ البرقوقي (ص ١٩) ، بلوغ الارب (٣٣٤/٢) وما بعدها .

عليه . وكانوا يتعابرون بأكل لحمة^١ . وليس ذلك « لأنه يأكل اللحوم ولأنسه سبع » ، لو كان ذلك منهم « لكانت الضواري والجوارح أحق بذلك عندهم^٢ » إنما امتنعوا عن أكله ، لأنه يأكل الجيف والقاذورات ، ولذلك عدّه العبرانيون من الحيوانات النجسة ، والحيوانات النجسة، هي في الغالب الحيوانات التي لا يجوز أكل لحومها ، والظاهر أنه كان على هذه النظرة عند أغلب الساميين .

ونعت الغراب بـ (الأور) ، قيل إنه نعت بذلك لحدة نظره^٣ ، وقيل إنما سمّوه (الأور) تفاؤلاً بالسلامة^٤ . ووصف بالحذر ، فقيل : أحذر من غراب ، وقيل إنه نعت بذلك على التشاؤم به ، لأن الأور عندهم مشؤوم ، وقيل لخلاف حاله ، لأنهم يقولون : أبصر من غراب ، ويقال سمي الغراب أور ، لأنه إذا أراد أن يصبح يغمض عينيه^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أن غراب البين نوعان : أحدهما صغار معروفة بالضعف واللؤم . أما الآخر ، فإنه ينزل في دور الناس ، ويقع على مواضع اقامتهم إذا ارتحلوا عنها وبانوا منها ، ولذلك سمي بغراب البين^٦ .

وللعرب عادات بالنسبة إلى الغراب ، ترى أنه إذا علق منقار الغراب على إنسان ، حفظ من العين . أما إذا علق طحالته على إنسان ، هيج الشبق . وإن دمه إذا جفف وحشي به البواسير ، أبرأها . وإذا أكل مشوياً ، نفع القولنج . وإذا غمس الغراب الأسود بربشه في الخل ، وطلي به الشعر ، سوّده . وإذا طلي بها إنسان مسحور ، بطل عنه السحر . وإذا جفف لسان الغراب (الزاغ) ، ثم أكله إنسان عطشان ، ذهب عطشه^٧ .

-
- ١ فما بالعار ما غيرتمونا شواء الناهضات مع الخبيص
فما لحم الغراب لنا بزاز ولا سرطان أنهار البريص
 - الحيوان ، للجاحظ (٣١٤/٢) وما بعدها ، (٣١٣/٢) ، (هارون) ، (لؤم الغراب وضعفه) .
 - ٢ الحيوان للجاحظ (٣١٧/٢) ، (التعابير بأكل لحم الغراب) .
 - ٣ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٥٨) .
 - ٤ الحيوان ، للجاحظ (٣١٤/٢) وما بعدها .
 - ٥ تاج العروس (٤٢٨/٣) ، (عور) .
 - ٦ الحيوان ، للجاحظ (٣١٥/٢) ، حياة الحيوان ، للدمي (٢٤٦/٢) .
 - ٧ حياة الحيوان ، للدمي (٢٤٥/٢ ، ٢٥٥) .

ونسب الى المرقش السدوسي ، ذكر الغراب في شعره ، إذ قيل انه قال :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحام
واذا الأشائم كالأيسا من ، والأيامن كالأشائم^١

وبين هذان البيتان رأي هذا الشاعر في التيامن والتشاؤم .

وكان العرب اذا أرادوا ان يصفوا أرضاً بالخصب والسواد ، قالوا : وقعوا في أرض لا يطير غرابها ، فهذا يعني ان الأرض كلها خصبة مزروعة سوداء ، لا ترى فيها قطعة بيضاء ، ولا ترى إلا الزرع والخيرات والثمر . واذا أرادوا التعبير عن انتقال مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيخوخة ، وعن النهام الشيب لسواد الرأس : قيل : طار غراب البين^٢ .

وقد يكون في جملة أسباب تشاؤم العرب من الغراب، انه كان يضر بابلهم . فهم يذكرون انه اذا وجد دبرة في ظهر البعير ، أو قرحة في عنقه ، سقط عليها ونقره وعقره . ولذلك كانوا اذا رأوا دبرة بظهر البعير ، غرزوا في سنامه إما قوادم ريش أسود ، وإما خرقاً سوداً ، لتفرغ الغرابان فلا تقترب منه ولا تسقط عليه . وقد يضعون الريش في اسنمتها وتغرّز فيها^٣ . والعرب تسمي الغراب لذلك (ابن دأية) ، لأنه ينقر دبرة البعير أو قرحة عنقه ، حتى يبلغ الى دابات العنق وما اتصل بها من خرزات الصلب ، وفقار الظهر^٤ .

والغراب من الطيور التي ورد ذكرها في التوراة . والعبرانيون مثل العرب اعتقدوا بالطيرة منه ، أي بتأثير حركاته وسكناته في احداث الفأل والشؤم^٥ .

وقد ذكر (الجاحظ) جريدة بأسماء الجهات التي يقف عليها (الغراب) فينعب ، وما سيقع من وقفته تلك ومن نعيه ، وما يجب أن يفعله أو يتجنبه

١ المعاني (١١٨٧/٣) .

٢ تاج العروس (٤٠٧/١) .

٣ الحيوان ، للجاحظ (٤١٦/٣) وما بعدها ، (هارون) .

٤ الحيوان (٤١٥/٣ ، ٤٣٩) ، (هارون) .

٥ الملوک الاول ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ٦ ، التكوين ، الاصحاح الثامن ، الآية ٧ ، Ency. Religi., 4, p. 808.

الانسان في هذه الحالات . كما ذكر أموراً أخرى تخص التطير أو التفاؤل من أصوات الحيوانات أو من رؤيتها^١ .

وكان (أمية بن أبي الصلت) ممن يتطير من الغراب ، ويذكر أهل الأخبار أنه بينما كان يشرب مع اخوان له في قصر (عيلان) بالطائف ، إذ سقط غراب على شرفة القصر ، فنعب نعبة ، فقال أمية : « بفيك الكثكث » ، أي التراب وتشام منه ، وقد مات فعلاً في مكانه بعد نعيه للمرة الثالثة^٢ .

وفي شعر أمية قوله :

بآية قام ينطق كسل شيء وخان أمانة الديك الغراب^٣

وذلك أن من أحاديث العرب ، أن الديك كان ندماً للغراب ، وأنها شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب ، ورهن الديك ، فخاس به ، فبقي محبوساً . وأن نوحاً حين بقي في اللجة أياماً بعث الغراب ، فوقع على جيفة ولم يرجع ، ثم بعث الحمامة لتنظر هل ترى في الأرض موضعاً يكون للسفينة مرفأً ، واستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها ، فرشاهما بذلك . وفي جميع ذلك وغيره قال (أمية) ذلك البيت وأبياتاً أخرى ، تطرق فيها الى قصص اسراييلي آخر ، أخذ علمه به من أهل الكتاب . « فقد كان داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف من دهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان همّ بادعاء النبوة ، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً اذا اجتمعت له ، نعم وحتى ترشح لذلك بطلب الروايات ، ودرس الكتب ، وقد بان عند العرب علامة ، ومعروفاً بالجلولان في البلاد ، رواية^٣ .

ومن رأي العرب ان الغراب لا يشيب ، وضربوا به المثل في ذلك ، فقالوا : « حتى يشيب الغراب ويبيض القار » ، ضربوا به مثلاً في الاستمرار على العمل

١ نهاية الارب (٣/١٣٤) وما بعدها .

٢ نهاية الارب (٣/١٣٩) ، حياة الحموان (٢/١٧٣) ، الحيوان (٣/١٣١) .

٣ الحيوان (٢/٣٢٠) .

وعدم الملل من شيء^١ . ويقولون : ذهب الغراب يتعلم مشي العصفور أو القطاة ، فلم يتعلمها ، ونسي مشيته . فلذلك صار يحجل ولا يقفز قفزان العصفور ، أو مشية القطاة^٢ .

والبوم من الطيور التي يتشاءم منها بعض الناس ، ولعل ذلك بسبب منظرها الكئيب ولصوتها الحزين وظهورها في الليل ، والليل هو رمز الشر . ويدل وصفها ب (أم الخراب) و (أم الصبيان) على النظرة السيئة التي كان يراها العرب لها^٣ . ويقال إن من أنواعها الصدى والهامة . ولعل اعتقادهم أن الصدى والهامة أو ذكر البوم منها ، هي روح الميت المرفرفة على القبر هو الذي حمل أولئك المتشائمين على التشاؤم منها .

والعاطوس ، وهي سمكة في البحر أو دابة من الحيوانات التي كان العرب يتشاءمون منها^٤ . وكذلك (الأخیل) وهو (الشقراق) ، « يتطيرون منه ، ويسمونه مقطع الظهور : يقال إذا وقع على بعير ، وإن كان سالماً يشسوا منه ، وإذا لقي المسافر الأخیل تطير وأيقن بالعقر إن لم يكن موت في الظهر »^٥ . وهم يتشاءمون من الثور الأعضب أي المكسور القرن^٦ . ويتشاءمون من (العراقيب) ، الشقراق . وتقول العرب : إذا وقع الأخیل على البعير ليكشفن عرقوبه . وقيل : كل طائر يتطير منه للإبل ، فهو طير عرقوب لأنه يعرقبها^٧ .

ويتطيرون بالصرد ، ومن أسمائه الأخطب ، ويقال (الأخیل) كذلك . و(الواق) أيضاً الصرد^٨ . ويتشاءمون من (الأفكل) ، وهو الشقران ، فإذا عرض لهم كرهوه وفزعوا منه وارتعدوا^٩ .

-
- ١ اللسان (٦٢٩/١١) ، الحيوان (١٣١/٣) ، حياة الحيوان (١٧٧/٢) .
 - ٢ الحيوان (٣٢٥/٤) .
 - ٣ حياة الحيوان (١٨١/١) وما بعدها .
 - ٤ فال طرفة بن العبد :
لعمرى لقد مرت عواطيس جمه و مر قبيل الصبح ظبي مصمع
تاج العروس (١٩٢/٤) ، حياة الحيوان ، للدمیری (١٢١/٢) ، (٢٢١) ، العمدة (٢٦٠/٢) ، اللسان (١٤٢/٦) .
 - ٥ بلوغ الارب (٣٣٧/٢) ، البرقوقی (٣٤٨) ، ديوان حسان (ص ٢٢) «هرشفلد» .
 - ٦ بلوغ الارب (٣٣٨/٢) ، العمدة (٢٦٢/٢) .
 - ٧ تاج العروس (٣٧٨/١) ، (عرقب) .
 - ٨ العمدة (٢٦١/٢) .
 - ٩ تاج العروس (٦٥/٨) ، (افتكل) .

والثعلب والأرنب من الحيوانات التي استعان بها الزاجر ، في الزجر^١ . والواقع أن أهل الزجر قد توسعوا في علمهم حتى شمل كل المخلوقات ، فحركات الإبل والخيول وسكناتها كلها ذات معان ومفاهيم يعرفها المشتغلون بالطيرة، وكانوا يستعينون بغيرها من الحيوانات .

وقد ذكر بعض الأخباريين أن العرب تتشائم من الأفراس بالأشقر^٢ . وذكروا أيضاً أنها تطيرت من : « المرأة ، والدار ، والفرس » . وفي الحديث : « إن كان الشؤم ، ففي الدار والمرأة والفرس »^٣ . وورد : « إنما الشؤم في ثلاثة : في الفرس والمرأة والدار » . وذكر أن (عائشة) ، قالت : « وإنما قال : إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » ، أي أن الرسول إنما قال ذلك حكاية عن أهل الجاهلية فقط^٤ .

وكما يتغلب الإنسان على الأمراض بالأدوية والعلاج ، كذلك يمكن التغلب على النحس وشؤم ناصية المرأة وعتبة الدار بالذبائح في بعض الأحيان ، ولهذا جرت العادة بذبح ذبيحة أو عدة ذبائح عند زفاف العروس إلى بعلها ووصولها عتبة بيته طرداً للأرواح الشريرة وإرضاء لها ، كما جرت العادة بذبح الذبائح حين الانتقال إلى دار جديدة ، أو حين الشعور بوجود أرواح فيها، ويقال لهذه الذبائح (ذبائح الجان)^٥ .

وقد ابتدع الجاهليون طرقاً لإبعاد الطيرة من تفكيرهم ، من ذلك أنهم تجاهلوا بقدر إمكانهم ، المسميات التي تبعث على التشاؤم بتسميتها بضدها من الكلمات التي لا يتشائم منها ، فسمّوا اللديغ بالسليم ، والبرية بالمفازة ، وكنّوا الأعمى أبا بصير والأعور ممتعاً ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغرب بجاتم ، وذلك لتشائمهم من الغراب^٦ . والتسمية بالأضداد لدفع الطيرة عن الأذهان ، ليست عادة جاهلية حسب ، إنما هي معروفة في الإسلام كذلك . كما أنها معروفة عند غير العرب من الأمم قديماً وحديثاً .

١ Reste, S. 202.

٢ مجمع الامثال (٨٦/٢) .

٣ « لا عدوى ولا طيرة ، إنما الشؤم في ثلاث في العرس والمرأة والدار » ، جامع

الاصول (٣٩٦/٨) ، عمدة القارئ (٢٨٩/٢١) .

٤ القسطلاني ، ارشاد (٧٣/٥) وما بعدها .

٥ ناج العروس (١٣٨/٢) .

٦ الحيوان (٤٣٩/٣) ، « عبد السلام هارون » ، بلوغ الارب (٣٣٨/٢) وما بعدها .

التثاؤب والعطاس :

ويدخل في الطيرة بعض ما يصدر من الانسان والحيوان من حركات ، مثل التثاؤب والعطاس . والتثاؤب عمل من أعمال الشيطان . وأما العطاس ، فقد كان أثره في إيجاد الشؤم شديداً ، وهو من العادات الجاهلية المذكورة في الشعر المنسوب الى الجاهليين . ذكر ان امرأ القيس قال :

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجنب نعم المنطق

وانه أراد بذلك انه كان يتنبه للصيد قبل ان يتنبه الناس من نومهم ، لئلا يسمع عطاساً فيتشام بعطاسه^١ .

وقيل ان العرب كانت تتطير منه ، فإذا عطس العاطس ، قالوا : قد أجمه ، كأنها قد تلجمه عن حاجته^٢ .

ويقال الكدسة لعطسة البهائم . وقد تقال لعطسة الإنسان . والكادس ما يتطير به من الفال والعطاس وغيرهما . وقيل الكادس : القعيد من الأطباء ، وهو الذي يجيء من خلفك ، ويتشام به ، كما يتشام بالبارح^٣ .

والعطاس فضلاً عن ذلك دواء في نظر أهل الجاهلية ، لذلك كانوا يتجنبونه بقدر إمكانهم ، ويحاولون جهدهم حبسه وكنمه . فإذا عطس أحدهم وكان وضعياً مغموراً أسمعوه كلاماً مرّاً فيه رد للشؤم على صاحب العطاس ، كأن يقولوا له : « ورياً وقحاًباً » . والوري هو داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب هو السعال ، أو : « بك لا بي : أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي » . أما إذا كان العاطس معروفاً محبوباً شريفاً ، قالوا له : « عمراً وشباباً » . وكلما كانت العطسة شديدة كان التثاؤم منها أشد^٤ . ويقال للدعاء على العاطس (التشميت) و (التسميت)^٥ .

-
- ١ العمدة (٢/٢٦٠) ، ارشاد الساري (٩/١٢٥ وما بعدها) .
 - ٢ المعاني الكبير (٣/١١٨٥) .
 - ٣ تاج العروس (٤/٢٣٠) ، (كدس) .
 - ٤ المعاني الكبير (٢/١٠١٥) ، بلوغ الأرب (٢/٣٣٢) .
 - ٥ اللسان (٢/٣٥٧) ، تاج العروس (١/٥٥٩) ، « شمت » .

وقد نهى الإسلام عن التشاؤم بالعطاس ، وعكسه ، فجعله محبوباً ، بحديث :
« إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب »^١ .

وإذا مات رجل قالوا : عطس الرجل ، و (عطست به اللجم) ، واللجمة
ما تطيرت منه ، ويقال للموت : لجم عطوس^٢ .

بعض من أنكر الطيرة :

وكان بين الجاهليين أناس أنكروا الطيرة ، ولم يحفلوا بها . منهم المرقش من
بني سدوس ، حيث قال :

لاني غدوت وكنت لا أغدو على واقٍ وحاتم
فاذا الأشائم كالآيا من والأيا من كالأشائم
فكذلك لا خير ولا شرّ على أحد بدائم^٣

ومن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك ، سلامة بن جندل ، والحارث بن حازة .
ونجد الشاعر (الحثيم بن عدي) يمدح (مسعود بن بحر الزهري) ، بقوله :

وليس بهيتاب اذا شد رحله يقول عداني اليوم واقٍ وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدماً إذا صدّ عن تلك الهنات الخثارم

فهو يمدحه ، ويقول إن ممدوحه لم يكن من الخثارم ، أي المتطيرين ، بل
كان اذا أراد أن يمضي أمراً ، صدّ عن تلك الهنات ، فلا يحفل بواقٍ وحاتم^٤ .

وكان النابغة من المتطيرين ، خرج مع (زبّان بن سيار) يريدان الغزو ،
فبينما هما يريدان الرحلة ، إذ نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ،
فتطير وقال : غيري الذي خرج في هذا الوجه ! فلما رجع زبّان من تلك الغزوة
سالماً . أنشأ يذكر شأن النابغة ، فقال :

١ جامع الاصول (٣٩٦/٧) وما بعدها .

٢ اللسان (١٤٢/٦) .

٣ الحيوان (٤٣٦/٣) ، (٤٤٩) ، (هارون) .

٤ الحيوان (٤٣٧/٣) ، (هارون) .

تخبّر طيره فيها زياد^١ لتخبّره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مُشير
تعلم أنه لا طير إلا على متطيّر وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير^٢

واسم النابغة زياد^٣ .

وهناك نوع آخر من التنبؤ يقال له في الانكليزية « Hepatscopy » ، ويراد به استخراج الغيب من دراسة كبد الأضاحي التي تقدم الى الآلهة . وقد اشتهر به الكلدانيون على الأخص، وتوسعوا فيه فشمّل أيضاً قراءة الرثة أو بقية الأحشاء . وكان معروفاً أيضاً عند العبرانيين واليونان والرومان والمصريين وغيرهم^٤ . وللكبد أهمية خاصة عند العرب ، وهو في نظرهم معدن العداوة ومقر الحقد ، لذلك يقال للأعداء : سود الأكباد ، لأن الحقد قد أحرق أكبادهم حتى اسودت^٥ .

وقد تشاءموا من بعض الأيام ، مثل (الأيام النحسات) . وهي كل أربعا يوافق أربعا من الشهر ، مثل أربع خلون ، وأربع وعشرين ، وأربع بقين . كما تشاءموا من بعض الشهور ، مثل شهر شوال ، ولذلك كرهت التزويج فيه^٦ . وورد يوم نحس و (أيام نحسات) ، وهي المشؤومات . والعرب تسمي الريح الباردة إذا دبرت نحساً . والنحس : الجهد والضرر ، وخلاف السعد من النجوم وغيرها^٧ . وقد كان أهل نجد يقيمون بالسائح ، ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهل العالية ، فيتشاءمون بالسائح ، ويتمنون بالبارح^٨ .

ويدخل في هذه الأيام تشاؤم بعض الجاهليين من يوم معين وتفاؤلهم من يوم آخر . فيكون يوم التشاؤم يوم بؤس ، يغضب فيه من يتشاءم منه على كل من يراه أول مرة أو في ذلك النهار ، وقد يلحق به سوءاً كالذي روي من قصة

١ الحيوان (٤٤٧/٣) ، (هارون) .

٢ الحيوان (٥٥٥/٥) ، (هارون) .

٣ Ency. Religi., 4, p. 808, Hastings, p. 568, Diodorus Sicl., II, p. 29.

٤ اللسان (٣٧٨/٤) .

٥ مروج الذهب (١٠٨/٢) وما بعدها .

٦ اللسان (٢٢٧/٦) .

٧ العمدة (٢٦٣/٢) .

(يومي البؤس والنعيم) عند (المنذر بن ماء السماء) أو (النعمان بن المنذر)^١ .
 ويكون يوم التفاؤل (يوم نعيم) يفرح فيه صاحبه ويهش لكل من يراه ولا سيما
 لأول قادم عليه . وعبر عنها بـ (يوم بؤس) و (يوم نعيم)^٢ .
 وكانت العرب تتشاءم من كلبة يقال لها (براقش)^٣ .

الفأل :

والفأل ضد التشاؤم والطيرة . ويكون برؤية شيء أو سماع أمر أو قول أو
 غير ذلك يُتفاءلُ منه ، كأن يسمع مريض رجلاً يقول يا سالم فيقع في ظنه انه
 يبرأ من مرضه ، أو يسمع طالب حاجة رجلاً يقول يا واجد فيخال انه يجد
 ضالته ، فيتوقع صحة هذه البشرى ، ويقال لذلك في الانكليزية Omen . وهو
 معروف عند العبرانيين وقد ذكر في التوراة^٤ .

وأصل كلمة (الفأل) على ما يظهر للتشاؤم والتفاؤل ، أي انها كالطيرة أريد
 بها الحالتان ، ثم تخصصت بالحسن ، كما تخصصت الطيرة بالشؤم^٥ . وقد نهى في
 الحديث عن الطيرة . أما الفأل ، فقد ورد ان الرسول كان يتفاءل ولا يتطير لما
 في التفاؤل من أثر طيب في أعمال الانسان^٦ .

وضد (الشؤم) (اليمن) ، ومن معاني اليمن (البركة) ، و (الميامين)
 على تقيض (المشائيم) ، و (الميمون) ضد (المشؤوم)^٧ . وورد (ميمون النقية)^٨
 و (ميمون الناصية) . ويلاحظ ان الناصية علاقة متينة بالشؤم واليمن ، فكما
 يقال (ميمون الناصية) قيل (شؤم الناصية) كذلك ، وهي كناية عن الانسان .
 فقد كان في رأيهم ان من الناس من هم شؤم ، ويجلبون الشؤم على من يراهم ،

- ١ البلدان (٢٨٣/٦) وما بعدها ، الأغاني (٢١٣/٥) ، ابن قتيبة : الشعر (١٤٤) ،
 القالي ، الامالي (١٩٥/٣) .
- ٢ اللسان (٥٧٩/١٢) .
- ٣ الحيوان (٤٥٤/٥) ، (هارون) .
- ٤ جامع الاصول (٤٦٧/٨) ، « كتاب الطيرة » ، اللسان (٢٧/١٤) ، ارشاد الساري
 Ency., II, p. 46, Reste, S. 203. ff. ، (٣٩٧/٨) .
- ٥ في الحديث « اصدق الطيرة الفأل » ، النهاية (١٩٥/٣) .
- ٦ النهاية (١٩٥/٣) ، جامع الاصول (٤٦٧/٨) .
- ٧ ناج العروس (٣٧١/٩) .
- ٨ ناج العروس (٤٩١/١٠) .

وان منهم من تجلب رؤيته الخير لمن يراه . ويكون للحسن والقيح ولسيما الوجه والجسم دخل كبير في تكوين رأي عن الشخص الذي يُتشاءم أو يُتفاءل منه . وقد قلت إن بعض العاهات التي تكون في بعض الناس ، تجعل غيرهم يتشاءمون منهم عند وقوع نظرهم عليهم في الصباح .

وهناك كلمات عديدة في التشاؤم و (الشؤم) ، مثل (شائم) و (شؤم) و (مشؤوم) و (مشوم) و (مشائم) و (تشاءموا) ، و (الأشأم) وأمثال ذلك ^١ .

ولا يقتصر استعمال هذه الألفاظ على جنس معين ، بل تقال لكل ما يجلب الشؤم على الانسان . فمن البشر - كما قلت - من هم شؤم على غيرهم ، يجلبون الشر لمن يتشاءم منهم ، يستوي في ذلك الرجال والنساء والأطفال . ولما كان التشاؤم قضية اعتبارية تتعلق بالنفس والمزاج ، كان بعض الأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء شؤماً عند ناس ، بينما هم ليسوا كذلك عند جماعة آخرين . ولكن الغالب أن التشاؤم من الأشياء القبيحة أو الناقصة أو الرابعة وما شابه ذلك ، فهذه المزعجات تؤثر على النفس ، فتجعلها تتشاءم منها ، وتتوقع حدوث النحس من رؤيتها ، ولا سيما في الصباح ، وعند الهم بالشروع في عمل مهم .

وكانوا يحبون أن يأتوا أعداءهم من شق اليمين ^٢ . يتفاءلون بذلك . لأن في اليمين اليمن ، وفي اليسار العسر .

وللأسماء والكلمات أثرها في الفأل وفي الطيرة ، فالأسماء الحسنة الجميلة تبعث على التفاؤل ، أما الأسماء الخبيثة والرديئة فلأنها تولد التشاؤم . وقد عرف هذا النوع من التفاؤل في الإسلام ، ولم ينه عنه . بل قيل إن الرسول كان يتأثر من الأسماء ، وكان يقول إذا أعجبته كلمة : « أخذنا فألك من فيك » ، وأنه يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع : يا راشد ، يا نجيج ، وأنه قال : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » ^٣ .

وللطيرة سمت العرب المنهوش السليم ، والبرية المغازة ، وكنوا الأعمى أبا بصير ،

١ باج العروس (٣٥٤/٨) .

٢ الحيوان (٥١٦/٥) ، (هارون) .

٣ جامع الاصول (٣٩٤/٨) .

والأسود أبا البيضاء ، وسموا الغراب بحاتم ، إذ كان يحتم الزجر به على الأمور^١ .
 وورد ان العرب اذا تطهروا من الانسان وغيره قالوا : صباح الله لا صباحك^٢ .
 ولإيمان العرب بباب الطيرة والفأل عقدوا الرتائم ، وعشروا اذا دخلوا القرى
 تعشير الحمار ، واستعملوا في القداح الأمر ، والناهي ، والمتربص ، وهن غير قداح الأيسار^٣ .
 ومن أبواب الفراسة النظر إلى خطوط الكف للاستدلال بها على طبيعة صاحب
 الكف وعلى ما سيحدث له من أحداث . وقد أشار الى الكف الى أسرارها
 الأعشى في قوله :

أنظر الى كف وأسرارها هل أنت ، إن أوعدتني ، ضائري^٤ ؟

ولمراقبة الكف الذي يظهر على وجه القمر ودراسة النجوم والظواهر الطبيعية
 التي تحدث للأجرام السماوية كالكسوف والخسوف ، أهمية كبيرة في التكهن . وقد
 كان الجاهليون يعتقدون ان للكسوف والخسوف أثراً في حياة الانسان ، فاذا وقعا
 دلا على موت انسان عظيم أو حياته ، أو ولادة مولود صاحب حظ كبير^٥ .
 وكذلك كان رأيهم في تساقط النجوم . وقد أشير اليه في أشعار القدماء من الجاهلية ،
 منهم عوف بن الجزع وأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم^٦ .

وقد كان في زعم الكهان من صنف المنجمين أن في استطاعتهم التأثير في
 الأجرام السماوية وفي احداث الضباب والأمطار والعواصف والرياح ، وقد نهى
 عن التصديق بها في الاسلام ، لتعارضها مع الايمان بسيطرة الله وهيمنته وحده
 على الكون .

وكان للجاهليين اعتقاد بأثر فعل النجوم في الانسان ، ولهذا كانوا يراقبون
 السماء لتفسير ما يرون فيه من تساقط نجوم ، ومن أخبار الشياطين عما يستمعون
 اليه من وحي السماء . وذكر أنهم كانوا يفزعون إذا تساقطت الشهب بكثرة غير

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الحيوان ٣ (٤٣٩/٤) ، (هارون) ، (٢٥٣/٤) . |
| ٢ | اللسان (٥٠٢/٢) . |
| ٣ | الحيوان (٤٤٠/٣) ، (هارون) . |
| ٤ | المعاني الكبير (١١٨٥/٣) . |
| ٥ | اللسان (٢٠٨/١١) ، الروض الانف ١ (١٣٥) . |
| ٦ | الروض الانف (١٣٥/١) . |

معهودة . وقد حدث أن تساقطت النجوم بكثرة ففزعوا وجزعوا وقالوا : « هلك من في السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بغيراً ، وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة ، وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا في اتلاف أموالهم . فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم .. امسكوا عن أموالكم ، فإنه لم يمت من في السماء . ألسم ترون معالمكم من النجوم كما هي . والشمس والقمر كذلك »^١ . فكأنهم تصوروا أن تساقط النجوم هذا بكثرة معناه اختلال نظام السماء وموت من فيه ، واحتمال فناء العالم تبعاً لذلك .

وكانوا إذا خافوا من شيء وأرادوا الاستعاذة ، كأن يكون الانسان مسافراً فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً ، أي حرام عليك التعرض بي . وقد ترك هذا الاستعمال في الاسلام^٢ . وقد ورد الحديث في النهي عن التطير . جاء : « الطيرة شرك . ولكن الله يذهب بالتوكل »^٣ .

-
- ١ السيرة الحلبية (١/١٤١ وما بعدها) .
 - ٢ الصاحبى (٩٣) .
 - ٣ جامع الاصول (٨/٤٦٧) . « كتاب الطيرة » ، سنن أبي داود (٤/١٧ وما بعدها) ، « باب في الطيرة » ، عمدة القارىء (٢١/٢٧٣) ، « باب الطيرة » ، اللسان (١٠/٤٥٠) ، (شرك) .

الفصل السابع والثمانون

من عادات وأساطير الجاهليين

ولأهل الجاهلية عادات وأساطير كثيرة ، وقد اختص العرب بقسم منها ، أما القسم الثاني فهو عام معروف ، عرف عند الساميين والعجم ، وهي مما يقال له (الشعبيات) أو (الفولكلوريات) في مصطلح الافرنج لهذا العهد .

فن ذلك ما كانوا يفعلونه في أسفارهم إذ كان أحدهم إذا خرج الى سفر عمداً الى شجرة من (الرتم) ، فعقد غصناً منها ، فإذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ ، قال : قد خانتني امرأتي ، وإن وجده على حالته قال لم تخني^١ . ويقال لذلك العقد (الرتم) و (الرتمة) . وذكر ان الرجل منهم كان اذا سافر عمداً الى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها ، فإذا عاد نظر الى ذلك الخيط ، فإن وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه ، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال : قد خانتني . ويقال : بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر^٢ . وتستعمل (الرتمة) لتذكير الانسان بشيء ، يستعملها من يكثر نسيانه . وهي خيط يعقد في الاصبع للتذكير . وقد يعقد على الخاتم^٣ . ومن اعتقادهم في السفر ان من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره .

-
- ١ المستطرف (٧٨/٢) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣١٦/٢) وما بعدها ، نهاية الارب (١٢٥/٣) ، اللسان (١١٦/١٥) ، صبح الاعشى (٤٠٨/١) .
 - ٣ تاج العروس (٣٠٣/٨) ، (رتم) .

فان التفت تطير ، وفسره بالعودة . فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود^١ .
ومنها التصفيق : كانوا اذا ضل الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس
ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومئ الى انسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ،
النجا النجا ، هيكل ، الساعة الساعة ، إليّ إليّ ، عجل ، ثم يحرك الناقة فيهتدي .
قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنه فلم يدري من أي اليدين جوابها^٢

وذكر انه كان يقلب قيصه ويصفق بيديه كأنه يومئ بهما الى انسان فيهتدي^٣ .
وكان أحدهم اذا أراد دخول قرية ، فخاف وباءها أو جنّتها ، وقف على
بابها قبل ان يدخلها ، فنهق نهيق الحمار ، ثم علق عليه كعب أرنب ، كأن ذلك
عوضة له ورقية من الوباء والجن . ويسمون هذا النهيق التعشير .
وروي ان (عروة بن الورد) خرج الى (خيبر) ليمتار ، فلما قربوا منها ،
عشّر من معه ، وعاف (عروة) أن يفعل فعلهم . فيقال : إن رفقة مرضوا ،
ومات بعضهم ، ونجا (عروة) من الموت والمرض^٤ .
وكان مسافرهم إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل ، عمد
الى واد ذي شجر ، فأناخ راحلته في قرارته ، وهي القاع المستديرة ، وعقلها ،
وخط عليها خطاً ، ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادي^٥ . والى ذلك أشار
القرآن « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »^٦ .
وذكر أنهم كانوا إذا نزلوا الوادي ، قالوا : نعوذ بسيّد هذا الوادي من شر
ما فيه ، فتقول الجن : ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرراً ولا نفعاً^٧ .
ومن عادات بعض العرب أنهم إذا خافوا شر إنسان وأرادوا عدم عودته اليهم ،
أوقدوا خلفه ناراً ، إذا تحول عنهم ، ليتحول ضبعه معه ، أي شره . وكانوا
يقولون : أبعد الله دار فلان وأوقد ناراً اثره ، والمعنى لارجعه الله ولارده^٨ .

- ١ المسنطرف (٨٠/٢) ، بلوغ الارب (٣٢٨/٢) .
- ٢ نهاية الارب (١٢٢/٣) ، صبح الاعشى (٤٠٥/١) .
- ٣ المسنطرف (٨٠/٢) ، بلوغ الارب (٣١٦/٢) .
- ٤ بلوغ الارب (٣١٥/٢) وما بعدها .
- ٥ بلوغ الارب (٣٢٥/٢) .
- ٦ الجن ، الآية ٦ .
- ٧ تفسير الطبري (٦٨/٢٩) .
- ٨ اللسان (٤٦٦/٣) ، (وقد) .

وإذا غاب انسان ، فلم ينفوا على أثره ، ففي الوسع الاهتداء اليه ، وذلك بأن يذهبوا الى بئر قديعة أو حفر قديم ، ثم ينادوا في البئر أو الحفر اسم الغائب ثلاث مرات ، فإن سمعوا صوتاً علموا أنه حي معافى ، وإن لم يسمعوا شيئاً علموا أنه قد مات^١ .

وإذا أرادوا ضمان عدم رجوع الثقلاء ومن لا يرغب في عودتهم ، فإن الثقليل اذا غادر المحل ، عمد صاحب البيت والمكان الى كسر شيء من الأواني أو رمى حجراً خلفه ، وفي ذلك ضمان بالألا يعود^٢ .

ومن خرافاتهم أن أحدهم كان إذا اشترى داراً أو استخرج ماء عين أو بنى بنياناً وما أشبهه ، ذبح ذبيحة للطيرة . وقد عرفت عندهم ب (ذبائح الجن) . وكانوا يفعلون ذلك مخافة أن تصيبهم الجن وتؤذيهم . وقد نهى في الإسلام عن ذبائح الجن^٣ .

وأوجدوا لدوام الحب علاجاً ، هو شق الرداء والبرقع . زعموا أن المرأة إذا أحببت رجلاً أو أحبها ثم لم تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبها ، فإذا فعل ذلك دام حبها^٤ .

وإذا صعب على المرأة العثور على مخاطب لها ، فإن في الإمكان تيسير ذلك بنشر جانب من شعرها ، وتكحيل إحدى عينيها ، وتحجيل إحدى رجليها ، ويكون ذلك ليلاً ، ثم تقول : « يا لكاح ، أبغي النكاح ، قبل الصباح » ، فيسهل أمرها ، وتزوج عن قريب^٥ .

ومن آرائهم أن الرجل منهم اذا عشق ولم يسل وأفراط عليه العشق ، حملته رجل على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأحى حديدته أو ميلاً وكوى به بين إلتيه فيذهب عشقه^٦ .

ولدوام الحب بين الرجل والمرأة ، يشق الرجل برقع من يحبها وتشق المرأة رداءه ، فيصلح حبها ويدوم ، فإن لم يفعل ذلك فسد حبها^٧ .

١ بلوغ الارب (٣/٣) وما بعدها .

٢ بلوغ الارب (٣٣٠/٢) .

٣ اللسان (٤٣٧/٢) ، (ذبح) ، نمار القلوب (ص ٦٩) .

٤ نهاية الارب (١٢٦/٣) .

٥ بلوغ الارب (٣٣٠/٢) .

٦ بلوغ الارب (٣٢١/٢) .

٧ بلوغ الارب (٣٢٢/٢) .

واذا غاب عن النساء من يحبيته أخذن تراباً ،
ليرجع سريعاً^١ .

واذا أرادت المقلادة ان يعيش ولدها ، ففي
الشريف سبع مرات ، وعندئذ يعيش ولدها . واذ
يقتل غدرأ . وقد ذكر ذلك في شعر لبشر بن أبي
ومن عقائدهم ان صاحب الفرس المهقوع اذا ركب
وطمحت الى غيره . والحقعة : دائرة تكون بالفرس .
في الأكثر^٣ .

وكان الصبي اذا بترت شفته ، حمل منخلاً على رأسه ونادى بـ
« الحلاء الحلاء ، الطعام الطعام » فتلقى له النساء كسر الخبز والتمر واللحم في
المنخل ، ثم يلقي ذلك للكلاب ، فتأكله فيبرأ من المرض فان أكل صبي من
الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب ثمرة أو لقمة ، بترت شفته^٤ .

وتعالج (الحطفة) و (النظرة) عند الصبيان بتعليق سن ثعلب ، أو سن هرة
على الصبي ، فان تلك الأسنان تهرب الجن . ويهربها كذلك تنقيط شيء من صمغ
(السمره) (حيض السمره) ، وهي شجرة من شجر الطلع ، بين عيني النُقَسَاء ،
وخط شيء منه على وجه الصبي خطأ ، فلا تجرؤ الجنية على التقرب من الصبي ،
ويقال لذلك (المفرات) . فاذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت :

كانت عليه نفره^٥ ثعالب وهره^٦
والحيض حيض السمره^٧

ومن عاداتهم في إبعاد الجن عن الصبيان ، تنفير المولود ، وذلك ان يسميه
باسم غريب منفر ، فينفر الجن منه ، ولا يتقربون منه^٨ .

-
- ١ بلوغ الارب (٢/٣٣٩ وما بعدها) .
 - ٢ بلوغ الارب (٢/٣١٧ وما بعدها) .
 - ٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٣) .
 - ٤ بلوغ الارب (٢/٣٢٨) .
 - ٥ نهاية الارب (٣/١٢٤) ، بلوغ الارب (٢/٣٢٥) ، ساج العروس (٣/٥٧٨ وما بعدها) .
 - ٦ بلوغ الارب (٢/٣٢٥) .

وعادة أخذ الغلام اذا ثغر ، السن الساقط ووضعه اياه بين السبابة والإبهام ، واستقبال الشمس ، وقذف السن في عينها ، لا تزال معروفة حتى الآن ، وهم يقولون في ذلك : « ابدليني بسن أحسن منها ، ولتجر في ظلمها إياتك »^١ ، أو « ابدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والفلج ، والشعل » . قال طرفة :
بدلته الشمس من منيته برداً أبيض مصقولاً^٢

واعتقد قوم منهم ان من ولد في القمراء ، تقلصت غرلته ، فكان كالمختون^٣ . واعتقدوا ان طول الغرلة من تمام الحلقة وأقرب ما يكون الى السؤدد^٤ .

ومن عقائدهم ، أن المولود إذا ولد يتناً ، كان ذلك علامة سوء ، ودليلاً على الفساد . واليتن خروج رجل المولود قبل رأسه^٥ .

ومن عقائدهم ان الرجل كان اذا ظهرت فيه القوباء عاجلها بالريق ، واذا أصيب او أصيبت دابته بالنملة ، وخط عليها ابن المجوسي اذا كان من اخته تبرأ وتنصلح وترأب^٦ .

وزعموا أن من أصيب ب (الهدب) ، وهو (العشا) يكون في العين ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكبِدْ ألا اذْهَبَا بالهدبِ
ليس شفاء الهدبِ إلا السنام والكبِد

ويزعمون أن ذلك يذهب بالعشا بذلك^٧ .

وقد زعم الجاهليون أن الطاعون الذي كان يقع كثيراً في الجاهلية فيحصده الناس

١ بلوغ الارب (٣١٨/٢) .

٢ نهاية الارب (١٢٢/٣) .

٣ بلوغ الارب (٣٣١/٢) .

٤ تاج العروس (٤١/٨) ، (غرل) ، بلوغ الارب (٣٣١/٢) .

٥ الحيوان (٢٨٦/١) ، (هارون) .

٦ بلوغ الارب (٣٢٩/٢) ، وتعرف (القوباء) بـ (كوباية) بلغة العامة لهذا العهد .

٧ انه لا يبرىء داء الهدب مثل القلايا من سنام وكبد

تاج العروس (٥٤٥/٢) ، (الهدب) ، بلوغ الارب (٣٤٠/٢) .

حصداً ، هو من وخز الجن ، وأنه من فعلهم في الإنسان ودعوه (رماح الجن) ، وذكر ذلك في الشعر فقال أحد الشعراء :

لعمرك ما خشيت على عدي^١ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على (عدي) رماح الجن أو إياك جاراً

وكانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة^٢ .

وفي حركات الإنسان دليل ومعان تنبئ عن أشياء . فإذا اختلجت العين دل ، ذلك على توقع قدوم شخص غائب محبوب . ولا تزال هذه العادة باقية عند الناس اليوم^٣ .

ومن عاداتهم أن أحدهم اذا خدرت رجله ، ذكر أحب الناس اليه ، فتنبسط^٤ . وكانوا يعقدون الرتم للحمى ، ويرون أن من حلها انتقلت الحمى اليه . قال أحد الشعراء :

حللت رتيمة فكثت شهراً أكابد كل مكروه الدواء^٥

وقد زعموا أن في البطن حية ، اذا جاع الانسان ، عضت على شرسوفه وكبدته . وقيل : هو الجوع بعينه ، ليس أنها تعض بعد حصول الجوع^٦ .

وكان من عادة الجاهليين حمل ملوكهم على الأعناق إذا اشتد بهم المرض . وهم يعتقدون أنهم بذلك سيتغلبون على المرض ، ويعلمون ذلك بأنه أسهل على المريض ، وأكثر راحة له من وضعه على الأرض^٧ .

واعتقدت العرب ان دم الملوك والرؤساء يشفي من عضّة الكلب^٨ ، وزعموا ان الكلب جنون الكلاب المعترى من أكل لحم الانسان . وأجمعت العرب ان

-
- ١ نمار القلوب (٦٨) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٢٣/٢) .
 - ٣ بلوغ الارب (٣٢١/٢) وما بعدها .
 - ٤ ناج العروس (١٧٠/٣) ، (خدر) .
 - ٥ بلوغ الارب (٣١٧/٢) .
 - ٦ بلوغ الارب (٣١٣/٢) وما بعدها .
 - ٧ بلوغ الارب (٢٠/٣) وما بعدها .
 - ٨ بلوغ الارب (٣١٩/٢) .

دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيسقاها ، وقيل إن الرجل الكلب يعض انساناً فيأتون رجلاً شريفاً ، فيقطر لهم من دم اصبغه ، فيسقون الكلب فيبرأ^١ .
ومن عقائدهم انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن ان يأخذوا بثأره ، فيأخذون روثه ، ويفتونها على رأسه ، ويقولون : روثه راث ثائرك . وقد يذر على الحية المقتولة يسير رماد ، ويقال لها : قتلك العين فلا ثائر لك . وفي أمثالهم لمن ذهب العين دمه هدر :- هو قتل العين^٢ .

واعتقد الجاهليون بـ (السفعة) ، و (السفعة) العين تصيب الانسان : عين إنسية وعين جنية ، و (السفعة) النظرة من الجن^٣ .

واذا طالت علة الواحد منهم ، وظنوا ان به مساً من الجن ، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً ، عملوا جبالاً من طين ، وجعلوا عليها جوالق وملأوها حنطة وشعيراً وتمراً ، وجعلوا تلك الجبال في باب جحر الى جهة المغرب وقت غروب الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فاذا أصبحوا ، نظروا الى تلك الجبال الطين ، فاذا رأوا انها بجالها ، قالوا : لم تقبل الهدية ، فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا : قد قبلت الدية ، واستدلوا على شفاء المريض ، وفرحوا ، وضربوا بالدف^٤ .

ومن أوابدهم تعليق الحلي والجلال على اللديغ ، يرون انه يفيق بذلك ، ويقال انه انما يعلق عليه ، لأنهم يرون انه ان نام يسري السم فيه فيهلك ، فشغلوه بالحلي والجلال وأصواتها عن النوم . وذهب بعضهم الى انه اذا علق عليه حلي الذهب برأ ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات^٥ .

ومن آرائهم في إطفاء نار الحرب انهم كانوا ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفيين ، يرون ان ذلك يطفىء نار الحرب ويقودهم الى السلم^٦ .

١ تاج العروس (١/٤٦٠) ، (كلب) .

٢ بلوغ الارب (٢/٣٥٨) .

٣ بلوغ الارب (٢/٣٦٥) .

٤ بلوغ الارب (٢/٣٥٩) .

٥ والى هذه العفيدة أشار النابغة الذبياني بقوله :

فبت كاني ساورنني ضئيلة من الرفس في أنيابها السم نافع
يسعد من ليل التمام سليمها بحلى النساء في يديه قعاف

بلوغ الارب (٢/٣٠٤) .

٦ بلوغ الارب (٢/٤) .

ومن وسائل إبعاد الجن عن الناس ، وإبعاد عيونهم عنهم ، تعليق كعب الأرنب . يقولون إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من مطايا الجن ، لأنها تحيض . وذكر أيضاً أن من علق على نفسه كعب أرنب ، لم يقربه (عمار الحلي) (جنان الحلي) و (جنان الدار) ، و (عمار الدار) ولا (شيطان الحماطة) و (جنان العشرة) (جار العشيرة) وغول العقر (غول القفر) ، وكل الخوافي وإن الله يطفىء نار السعالي^١ . و (الحماطة) شجرة شبيهة بالتين تأوي إليها الحيات^٢ .

وكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الأرواح الخبيثة له ، نجسوه بتعليق الأقدار عليه ، كخرقة الحيض وعظام الموتى . وذكروا أن أنفع من ذلك أن تعلق طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك . ويشفي التنجيس من كل شيء ، إلا من العشق^٣ .

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : « لا عشت إلا عيش القُرَاد » . يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة. يزعمون أن القُرَاد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً^٤ . وكانوا يتبركون بأشياء ، منها المدمى من السهام ، الذي ترمي به عدوك ثم يرميك به . وكان الرجل إذا رمى العدو بسهم فأصاب ، ثم رماه به العدو وعليه دم ، جعله في كنانته تبركاً به . ذكر أن (سعداً) قال : « رميت يوم أحد رجلاً بسهم فقتلته ، ثم رميت بذلك السهم أعرفه ، حتى فعلت ذلك وفعلوه ثلاث مرات ، فقلت : هذا سهم مبارك مدمى فجعلته في كنانتي ، فكان عنده حتى مات »^٥ . كان أحدهم يلقي الرجل يخافه في الشهر الحرام ، فيقول : حجراً محجوراً ، أي حرام محرم عليك هذا الشهر ، فلا يبدؤه بشراً^٦ . وكانوا يقولون ذلك إذا نزلوا مكاناً وخافوا فيه من الجن .

وكان من عاداتهم أنهم كانوا إذا أرادوا أن تورد البقر الماء ، فعافته قدموا ثوراً ، فضربوه ، فورد ، فاذا فعلوا ذلك ، وردت البقر . وفي ذلك قال الأعشى :

-
- ١ نهاية الارب (٣/١٢٣ وما بعدها) .
 - ٢ عنجرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف
 - ٣ بلوغ الارب (٢/٣٢٤) ، اللسان (٩/١٤٦) .
 - ٤ بلوغ الارب (٢/٣١٩) .
 - ٥ بلوغ الارب (٢/٣٣٩) .
 - ٥ اللسان (١٤/٢٧٠) ، (دمى) .
 - ٦ تاج العروس (٣/١٢٣) ، (حجر) .

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما أن تعاف الماء إلا لتضرباً^١
ويقولون إن الجن تصد البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب قرني الثور^٢ .
ويظهر أن هذا الاعتقاد من الاعتقادات التي كانت شائعة بين الجاهليين ، بدليل
وروده في أشعار عدد من الشعراء . وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران
عن الماء حتى تمسك البقر عن الماء حتى تهلك^٣ .
ومن عاداتهم أيضاً أنهم كانوا إذا وقع العر في إبلهم ، اعترضوا بعيراً
صحيحاً لم يقع ذلك فيه ، فكوا مشفره وعضده وفخذه . يرون أنهم إذا فعلوا
ذلك ذهب العر عن إبلهم^٤ .
وذكر أن العر قروح مثل القرباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها
يسيل منها مثل الماء الأصفر ، فتكوى الصحاح لثلا تعديها المراض . تقول منه :
عرت الإبل ، فهي معرورة . قال النابغة الذبياني :
فحملتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو رانع^٥
وفي المعنى المذكور قول الشاعر :
فألزمتني ذنباً وغيري جرّه حنانيسك لا تكو الصحيح بأجرها
وقول آخر :

كمن يكوي الصحيح يروم برءاً به من كل جرباء الإهاب^٦
وذكر أن الفصيل كان إذا أصابه العر ، عمدوا إلى أمه فكوها ، فيبرأ فصيلها^٧ .

- ١ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨ وما بعدها) .
- ٢ بلوغ الأرب (٢/٣٠٣) .
- ٣ وفي ذلك قال أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة :
اني وقتلي سليكا ثم أعقله كالنور يضرب لما عافت البقر
الدميري ، حياة الحيوان (١/١٨٢) ، الحيوان (١/١٨) وما بعدها ، (هارون) .
- ٤ كتاب المعاني الكبير (٢/٩٢٨) ، اللسان (٦/٢٣٠ وما بعدها) ، صبح الأعشى
(١/٣٩٨ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (٢/٣٠٥ وما بعدها) ، الحيوان (١/١٧) ،
(هارون) .
- ٥ ناج العروس (٣/٣٩٠) ، (العر) ، اللسان (٤/٥٥٥) ، (عر) .
وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوي غيره وهو رافع
بلوغ الأرب (٢/٣٠٥) .
- ٦ بلوغ الأرب (٢/٣٠٥ وما بعدها) .
- ٧ بلوغ الأرب (٢/٣٠٦) .

ومن ذلك أنهم كانوا يفتقون عين فحل الإبل ، لثلا تصيبها العين . وكانوا اذا كثرت إبلهم فبلغت الألف ، ففأوا عين الفحل ، فان زادت الإبل على الألف ففأوا العين الأخرى . وذلك المقفأ والمعنى^١ .

وكانت العرب اذا أجذبت ، وأمست السماء عنهم ، وتضايقوا من انحباس المطر ، وأرادوا ان يستمطروا ، عمدوا الى السلع والعش^٢ ، فحزموها ، وعقدوها في أذنان البقر ، وأضرموها فيها النيران ، وأصعدوها في موضع وعر ، واتبعوها ، يدعون الله ويستسقون ، وانما يضرمون النار في أذنان البقر تقاؤلاً للبرق بالنار . وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات^٣ . ويقال لهذا الفعل (التسليع) . وذكر ان التسليع في الجاهلية أنهم كانوا اذا أستتوا ، أي أجذبوا ، علقوا السلع مع العشر بأذنان البقر وحذروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك . ونجد من الرواة من يقول : حذروها من الجبال وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار ، ومنهم من يقول : ثم يضرمون فيها النار ، وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون^٤ .

وقد أشير الى هذا الفعل في الشعر ، قال أمية بن أبي الصلت :

سَلَعُ ما ، ومثله عُشَرُ ما عائلُ ما ، وعالت البيقورا

وقال الورك الطائي (وذاك الطائي) :

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت يبقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

ومن السلع « المُسلعة » ، كانت العرب في جاهليتها تأخذ حطب السلع والعشر في المجاعات وقحوط القطر ، فتوقر ظهر البقر منها ، وقيل : يعلقون ذلك في أذنانها . ثم تلعب النار فيها يستمطرون بلهب النار المشبه بسنى البرق . وقيل :

-
- ١ بلوغ الارب (٣٠٦/٢) ، (وذلك المقفأ والمعنى) ، الحيوان (١٧/١) ، (هارون) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٠١/٢) وما بعدها .
 - ٣ اللسان (١٦١/٨) ، (سلع) ، ناج العروس (١٣٨٤/٥) ، (سلع) .
 - ٤ اللسان (١٦١/٨) ، (سلع) ، ناج العروس (٣٨٥/٥) ، بلوغ الارب (٣٠٢/٢) ، « الورك الطائي » ، اللسان (١٦١/٨) ، « وذاك الطائي » ، ناج العروس (٣٨٥/٥) ، (سلع) ، ابن فارس ، رساله النبروز (١٨) ، (الورك الطائي) ، (١٨) ، (الورك الطائي) ، اللسان (٧٣/٤) .

يضرمون فيها النار ، وهم يصعدونها في الجبل ، فيمطرون ^١ .
وقد تعرض (أبو الحسين أحمد بن فارس) لموضوع (البيقور) ، فقال :
« كانت العرب اذا أمسكت السماء قطرها ، استمطروا ، فعمدوا الى شجرتين
يقال لهما السلع والعشر ، فعقدوها في أذنان البقر فأضرما فيها النار ، وأصعدوها
في جبلٍ وعيرٍ وتبعوا آثارها ، يدعون الله عز وجل ويستسقونه . قال ابن الكلبي :
وانما يضرمون النار تفاؤلاً للبرق » . « كانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا نحو المغرب
من بين الجهات كلها قصداً الى العين ، والعين قبلة العراق . قال العجاج :
سار سري من قبل العين فجر غر السحاب والمرابع البكر ^٢ »

عقيدتهم في الحيوان :

وللجاهليين عقائد في الحيوان . فمنهم من كان يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات
تعلقاً ، ومنهم من يرى أنها نوع من الجن ، ومنهم من كان يرى أن لبعضها ،
مثل الورل والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام ، صلة بالجن ، وأنها مراكب
لها ، يمتطونها كما يمتطي الإنسان الخيل والبغال والإبل والحمر ^٣ .
ومن مراكب الجن ، (العصفوط) ، قال الشاعر :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألدّ وأشهى من وخيد الثعالب
ومن فارة مزومة شمريّة وخود بردفيها أمام الركائب
ومن عصفوط حطّ بي من ثنية يبادر سرباً من عطاء قوارب ^٤

والعصفوط دويبة من دواب الجن ^٥ ، ويقال : العصفوط ذكر العطاء ،
وقيل : دويبة تسمى العسودة ، بيضاء ، ناعمة ^٦ .

واعتقدوا أن السموم لما فرقت على الحيوانات ، احتبست العظاية (العظاءة)

-
- | | |
|---|---|
| ١ | اللسان (١٦١/٨) ، (سلع) . |
| ٢ | ابن فارس ، رسالة النبروز (١٨ وما بعدها) . |
| ٣ | بلوغ العرب (٣٦٠/٢) . |
| ٤ | ناج العروس (١٨٣/٥) ، (العصفوط) . |
| ٥ | وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألدّ وأشهى من ركوب الارانب
ومن عصفوط عن لي فركبته |
| | بلوغ العرب (٣٦٠/٢) . |
| ٦ | اللسان (٣٥١/٧) ، (عصفوط) . |

عند التفرقة حتى نفد السم ، وأخذ كل حيوان قسطاً منه على قدر السبق اليه ، فلم تنل العظاية نصيباً منه ، فخرسته . لذلك صارت تمشي مشياً سريعاً ثم تقف ، لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم^١ .
و (الأطباء) ماشية الجن ، في زعم بعضهم وهي تسمع وتكلم ، ولهم قصص عنها^٢ .

وتزعم العرب أن (المديد) ، فرخ على عهد (نوح) مات عطشاً ، وضبعه أو صاده جراح من جوارح الطير ، فها من حمامة الا وهي تبكي عليه^٣ .
وللخرز عند الجاهليين وعند الأعراب حتى اليوم ، شأن كبير في السحر وفي دفع أذى الأرواح والعين ، وفي النفع والحب ، وأمثال ذلك . وسأحدث عنها في المكان المخصص بالسحر .

وضرب المثل ببخل (أبي حباب) . من محارب خصفة ، وكان بخيلاً ، فكان لا يوقد ناره الا بالخطب الشخت لثلا ترى ، وقيل : اسمه (حباب) ، فضرب بناره المثل ، لأنه كان لا يوقد الا ناراً ضعيفة ، مخافة الضيفان ، فقالوا : نار الحباب^٤ .

وأم حباب : دوية ، مثل الجندب ، تطير ، صفراء خضراء ، رقطاع برقط صفرة وخضرة ، ويقولون اذا رأوها : أخرجني بردي أبي حباب ، فنشر جناحيها ، وهما مزينان بأحمر وأصفر^٥ .

وللعرب أساطير عن الكواكب ، من ذلك ما ذكروه من ان (الدبران) خطب (الثريا) وأراد القمر ان يزوجه منها ، فامتنعت وأعرضت ، وقالت للقمر : ما أصنع بهذا السبوت الذي لا مال له ؟ فجمع الدبران قلاصه ، ووضعها قدماه ، وأخذ يتبعها يريد اقناعها بالزواج منه . ومن ذلك قولهم في (المزم) ، وهو (الشعرى) ، يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . تقول العرب : اذا

-
- ١ بلوغ الارب (٣٦٠/٢) وما بعدها ، الدميري ، حياة الحيوان (١٢٢/٢) ، (العظاءة) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٦١/٢) وما بعدها ، حياة الحيوان ، للدميري (١٠٢/٢) وما بعدها ، (الأطباء) .
 - ٣ الدميري ، حياة الحيوان (٣٨٢/٢) ، ناج العروس (١٦٤/٨) ، (هذل) ، بلوغ الارب (٢٦٤/٢) .
 - ٤ اللسان (٢٩٧/١) ، (حجب) .
 - ٥ اللسان (٢٩٨/١) ، (حجب) .

طلعت الشعري جعل صاحب النحل يرى ، وهما الشعريان : (العبور) التي في (الجوزاء) و (الشعري الغميصاء) التي في الذراع . تزعم العرب انها أخت (سهيل) . وقد عبت طائفة من العرب (الشعري العبور) . قالوا : انها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها ، فأنزل الله : « وانه هورب الشعري » ، وسميت الأخرى (الغميصاء) ، لأن العرب قالت في حديثها انها بكت على أثر العبور حتى غمصت^١ .

وزعموا ان (سهيلاً) كان عشّاراً على طريق اليمن ظلوماً ففسخه الله كوكباً . وعرف بأنه نجم يمانى عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ^٢ .

و (الشمس) إلهة عند كثير من الجاهليين ، فتعبدوا لها ، وعدت صنماً عندهم^٣ . ومن أساطيرهم ما تحدثوا به عن (برد العجوز) . حدثوا ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع فيسوء أثره على المواشي ، فلم يكثرثوا بقولها ، وجزوا أغنامهم ، واثقين بأقبال الربيع ، فلم يلبثوا إلا مديدة حتى وقع برد شديد ، أهلك الزرع والضرع ، فقالوا هذا برد العجوز . يعنون العجوز التي كانت تُنذر به .

وحدثوا : أن عجوزاً كانت بالجاهلية ، ولها ثمانية بنين ، فسألتهم أن يزوجوها وألحت عليهم ، فتآمروا بينهم ، وقالوا : إن قتلناها لم نأمن عشيرتها ، ولكن نكلفها البروز للهواء ثمانى ليال ، لكل واحد منا ليلة . فقالوا لها : ان كنت تزعمين أنك شابة ، فابري للهواء ثمانى ليال ، فإننا نزوّجك بعدها ، فوعدت بذلك ، وتعتت تلك الليلة والزمان شتاء كلب ، وبرزت للهواء . وفعلت مثل ذلك في الليل الآخر ، فلما كانت الليلة السابعة ، ماتت .

ونسب العرب إليها برد الأيام الثمانية ، وأسمّاوها : الصن ، والصينبر ، والوبر ، وأمر ، ومؤتمر ، ومعلل ، ومطفىء الجمر ، ومكفىء الظعن^٤ .

ومن الأمور التي تداولوها قولهم في (زمن الفطحل) . وضربهم المثل به . قالوا : أيام كانت الحجارة رطبة ، وإذ كل شيء ينطق^٥ . وهو دهر لم يخلق

١ تاج العروس (٣/٣٠٥) ، (شعر) .

٢ تاج العروس (٧/٣٨٤) ، (سهل) .

٣ تاج العروس (٤/١٧٢) ، (شمس) .

٤ المعالي ، ثمار (١/٣١٣) وما بعدها .

٥ المعالي ، ثمار (٦٤٢) وما بعدها .

فيه الناس بعداً^١ .

وكانوا يعتقدون بالمسخ . وهو تحويل صورة الى أخرى أقيح منها ، وتحويل انسان الى حيوان أو حجر . ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال ، وتبديل (الجن) لهم بأولادهم من ذوي العاهات . وقد زعموا أن (اللات) صنم ثقيف ، كان في الأصل يهودياً يلت السويق في (الطائف) فسخ حجراً ، عبد فصار (اللات) . وللعرب قصص وضعوه على السنة الحيوانات نجده في كتب الأدب . ولهم أمثلة وراءها قصص في سبب ضربها . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك . وقد صوروا بعض الحيوانات ناطقة عاقلة ، ونسبوا لها الحكمة والقول الحسن ، وصوروا بعضها بليدة غيبية . ونجد في كتب الأمثال والأدب أشياء كثيرة من ذلك^٢ . واتخذوا من بعض الناس مثلاً على أمر من أمور الحياة . وضربوا بهم الأمثال . فضربوا المثل ببلاغة (سحبان وائل) وبقدرته على الخطابة^٣ . وبفصاحة (قس بن ساعدة الايادي)^٤ . وجعلوهما المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة عند العرب .

ووضعوا (باقل) مثلاً للعي والبلادة^٥ . فما روه عنه ، أنه اشترى ظيماً بأحد عشر درهماً ، فمرّ بقوم فقالوا : بكم أخذت الظبي ؟ فمدّ يديه ، وأخرج لسانه ، يريد بأصابعه عشرة دراهم ولسانه درهماً فشرد الظبي حين مدّ يديه ، وكان الظبي تحت إبطه ، فجرى المثل بعيه ، وقيل : أشد عياً من باقل ، وأعياء من باقل ، كما قيل أبلغ من سحبان وائل^٦ . وذكر أنه كان من ربيعة^٧ .

واتخذوا (بيهس) الفزاري ، الملقب بنعامه ، مثلاً للحمق ، فقالوا : أحق من بيهس . وهو أحد الاخوة السبعة الذين قتلوا ، وترك هو لحمقه^٨ . زعموا أنه هو القاتل :

ألبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها

ولمّا لقب بيهس بنعامه لأنه كان شديد الصمم ، وإذا دعا الرجل من العرب

-
- ١ تاج العروس (٦٣/٨) ، (المطحّل) .
 - ٢ راجع كتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب كليله ودمنة وكتب الادب الاخرى .
 - ٣ النعالي ، ثمار (١٠٢ وما بعدها) ، الدينوري ، المعارف (٦١١) .
 - ٤ النعالي ، ثمار (٦٠ ، ٩٨ ، ٢٢٢ ، ١٢٤ وما بعدها ، ١٤٢) .
 - ٥ الميداني ، الامثال (٤٣/٢) ، النعالي ، ثمار (١٠٢) .
 - ٦ النعالي ، ثمار (١٢٧) .
 - ٧ تاج العروس (٢٣٤/٧) ، (بقل) .
 - ٨ تاج العروس (١١٣/٤) . (بهس) .

علي صاحبه بالصمم، قال: اللهم اصنجه صنجا كصنح النعامة . والصنح أشد الصمم^١.
 وضرب المثل بحمق (هبنقة) ، واسمه (يزيد بن ثروان) أحد بني قيس بن
 ثعلبة ، الملقب بـ (ذي الودعات) . لقب به لأنه جعل من عنقه قلادة من
 ودع وعظام وخزف مع طول لحيته . فسئل عن ذلك ، فقال : لثلا أضل ،
 أعرف بها نفسي ، فسرقتها أخوه في ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه،
 فقال : أخي أنت أنا ، فمن أنا ؟ فضرب بحمقه المثل . فقيل أحمق من هبنقة^٢.
 وضربوا المثل بحمق دغة . وهي بنت منعج ، زوجت وهي صغيرة في بني
 العنبر ، فحملت ، فلما ضربها المخاض ظنت أنها تحتاج الى الحلاء ، فبرزت الى
 بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها ، فاستهل الوليد ، فجاءت منصرفة وهي لا تظن
 إلا أنها أحدثت . فقالت لأمها : يا أماه ، هل يفتح الجعور فاه ؟ قالت : نعم
 ويدعو أباه ، فسب بها بنو العنبر ، فسموا بني الجعراء^٣ .
 وقيل هي امرأة من بني عجل بن لجيم . وقيل هي : دغة بنت معيج بن إياد
 ابن نزار . ولدت لعمر بن جندب بن العنبر^٤ . وذكر ان اسمها : مارية بنت
 ربيعة ، من عجل ، وكانت عند (جندب بن العنبر) فولدت له (عدي بن
 جندب) ، وكانت حمقاء حسناء^٥ .
 وضربوا المثل بـ (جوف حمار) . وقالوا : هو أكفر من حمار ، وأخلى من
 جوف حمار . وهو رجل من عاد ، يقال له حمار بن مويلع، وجوفه واد له طويل
 عريض . لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، وفيه من كل الثمرات ، فخرج
 بنوه يتصيدون : فأصابته صاعقة فهلكوا ، فكفر . وقال : لا أعبد من فعل
 هذا ببني ، ودعا قومه الى الكفر فن عصاه قتله ، فأهلكه الله تعالى وأخرب
 واديه ، فضرب العرب به المثل في الخراب والحلاء . قال الأفوه الأودي :

وبشؤم البغي والغشم قديماً قد خلا جوف ولم يبق حمار^٦

١ الشعالي ، ثمار (٤٤٥) .

٢ قال الفرزدق :

فلو كان ذا الودع بن ثروان لالتوت به كمه أعني يزبد الهبقا

تاج العروس (٥٣٤/٥) ، (ودع) .

٣ الشعالي ، ثمار (٣٠٩) .

٤ تاج العروس (١٢٨/١٠) ، (الدغية) .

٥ الدنوري ، المعارف (٦٢٠) .

٦ الشعالي ، ثمار (٨٤) ، الميداني (٢٥٧/١) .

وذكر ان الجوف واد بأرض عاد ، فيه ماء وشجر ، حماه رجل اسمه حمار وكان له بنون فأصابتهم صاعقة فأتوا ، فكفر كفراً عظيماً وقتل كل من مر به من الناس . فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقتة ومن فيه وغاض ماؤه فضربت العرب به المثل . فقالوا : أكفر من حمار ، وواد كجوف الحمار وكجوف العير وأخرب من جوف حمار^١ .

وورد انه (حمار بن مالك) ، وهو رجل من عاد وقيل من العالقة . كان مسلماً أربعين سنة في كرم وجود ، فخرج بنوه عشرة للصيد ، فأصابتهم صاعقة فهلكوا . فكفر كفراً عظيماً . وقال لا أعبد من فعل ببني هذا . وكان لا يمر بأرضه أحد إلا دعاه الى الكفر ، فان أجابه وإلا قتله . فأهلكه الله وخرب واديه^٢ .

واذا وعد انسان وعداً ، فعليه الوفاء به ، لأن من شمائل الكريم الوفاء بالوعد والعهود . قالت العرب : « خلاف الوعد من أخلاق الوغد » . وكانت العرب تستعييه وتستقبحه . وقد ضربوا المثل برجل من العرب في مخالفته المواعيد ، فقالوا : « مواعيد عرقوب » . وعرقوب صاحب المواعيد^٣ ، قيل : انه من الأوس ، كان أكذب أهل زمانه . فضربت به العرب المثل في الخلف ، فقالوا : مواعيد عرقوب . وذلك انه أتاه سائل ، وهو أخ له ، يسأله شيئاً . فقال له عرقوب : اذا أطلع نخلي ، « وفي رواية : اذا أطلعت هذه النخلة » ، فلما أطلع ، أتاه على العدة ، قال : اذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ؛ قال : اذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ؛ قال : اذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ؛ قال : اذا أثمر . فلما أثمر ، عمد اليه عرقوب وجدّه ليلاً ، ولم يعطه منه شيئاً . فصارت مثلاً في إخلاف الوعد . وورد :

وأكذب من عرقوب (بثرب) لهجة وأبين شؤماً في الحوائج من زحل

وورد «مواعيد عرقوب أخاه بئرب» ، بالتاء وهي بالهامة . ويروى بالمثلثة، وهي مدينة الرسول نفسها . ويقال : هو أرض بني سعد . والأول أصح ، وبه فسر قول كعب بن زهير :

كانت مواعيد (عرقوب) لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

-
- ١ ناج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) ، (٦٣/٦) ، (الجوف) .
 - ٢ فبشؤم الجور والبغي فديما ما خلا جوف ولم يبق حمار
 - ٣ ناج العروس (١٥٦/٣) ، (حمر) .
 - ٣ ناج العروس (٥٣٦/٢) وما بعدها ، (وعد) .

وررد : « هو أكذب من عرقوب يترب » ، وتقول : « فلان اذا مطل
تعقرب واذا وعد تعقرب » . ومن أمثالهم : « الشرّ ألبأه الى مخ عرقوب »
« وشر ما أباك الى مخ عرقوب » ، أي : عرقوب الرجل لأنه لا مخ له .
يضرب هذا عند طلبك من اللئيم أعطاك أو منعك . وهو لغة بني تميم . ومن
المستعار : ما أكثر عراقيب هذا الجبل . العراقيب خياشيم الجبال وأطرافها وهي
أبعد الطرق ، لأنك تبسّع أسهله أين كان . والعراقيب من الأمور كالعراقيل
عظامها وصعابها ^١ .

وضربوا المثل في الإقامة على الذل برجل من ضبّة ، زعموا أنه عرف عندهم
ب (قضيب) فقالوا : أصبر من قضيب . و (قضيب) رجل آخر تمار بالبحرين ،
كان يأتي تاجرآ فيشتري منه التمر ، ولم يكن يعامل غيره ^٢ .

وضربوا المثل ب (حديث خرافة) . زعموا أنه كان رجلاً من (بني عذرة)
أو من (بني جهينة) سبته الجن ، فكان يكون معهم ، فاذا استرقوا السمع
أخبروه فيخبر أهل الأرض ، فيجدونه كما قال . وقيل : « استهوته الجن واختطفته
ثم رجع الى قومه ، فكان يحدث بما رأى ، يعجب منها الناس ، فكذبوه ، فجرى على
ألسن الناس وقالوا : هذه خرافة . ويقال أيضاً للخرافات الموضوعة من حديث
الليل : حديث خرافة . وذكر أن (عائشة) قالت : « قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديثني : قلت ما أحدثك حديث خرافة . قال : أما انه قد كان ^٣
وذكر أيضاً أنه قال لها : « ان أصدق الأحاديث حديث خرافة » ^٤ .

١ نأج العروس (٣٧٨/١) ، (عرفب) .

٢ ومنه قولهم :

أقيمي عند غنم لا براعي من الفسل الني نلوي الكنيب
لأنتم حين جاء القوم سبرا على المحزاة أصبر من قضيب
أي لم نطلبوا بقتلاككم ، فأنتم في الدل كهذا الرجل ، نأج العروس (٤٣٣/١) ،
(قضب) .

لأنتم ، يوم جاء العوم سبرا على المخراة أصبر من قضيب
اللسان (٦٨٠/١) ، (قضب) .

٣ نأج العروس (٨٣/٦) ، (حرف) .

٤ ابن قتيبة ، المعارف (٦١٠ وما بعدها) ، (حديث خرافة) .

الفهرس

٥	أديان العرب	٦١
٣٤	التوحيد والشرك	٦٢
٨٣	أنبياء جاهليون	٦٣
١٠٢	الله ومصير الانسان	٦٤
١٣٦	الروح والنفس والقول بالدهر	٦٥
١٦٣	الآلهة والتقرب اليها	٦٦
١٨٤	التقرب الى الآلهة	٦٧
٢١٢	رجال الدين	٦٨
٢٢٧	الأصنام	٦٩
٢٩٠	اصنام الكتابات	٧٠
٣٣٦	شعائر الدين	٧١
٣٤٧	الحج والعمرة	٧٢
٣٩٨	بيوت العبادة	٧٣
٤٢٩	الكعبة	٧٤
٤٤٩	الحنفاء	٧٥
٥١١	اليهودية بين العرب	٧٦
٥٤٣	اليهود والاسلام	٧٧
٥٦٩	شعر اليهود	٧٨
٥٨٢	النصرانية بين الجاهليين	٧٩
٦٢٣	المذاهب النصرانية	٨٠

٦٣٨	.	.	.	.	.	التنظيم الديني	. ٨١
٦٦٢	.	.	.	.	.	أثر النصرانية في الجاهلية	. ٨٢
٦٩١	.	.	.	.	.	المجوس والصابئة	. ٨٣
٧٠٥	.	.	.	.	.	تسخير عالم الأرواح	. ٨٤
٧٥٥	.	.	.	.	.	في أوابد العرب	. ٨٥
٧٨٦	.	.	.	.	.	الطيرة	. ٨٦
٨٠٦	.	.	.	.	.	من عادات وأساطير الجاهليين	. ٨٧
٨٢٣	.	.	.	.	.	الفهرس	

انفصیل
فے
تاریخ العرب قبل الاسلام

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّواري علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الهيئة العامة لكتبة الأسد كنفوزية	
رقم التوثيق	٩١٥٨
رقم التسجيل	٧ / ٢٢١٤

الجزء السابع

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الثامن والثمانون

أثر الطبيعة في اقتصاد الجاهليين

للوقوف على أسس اقتصاد أمة من الأمم، لا بد من الوقوف على طبيعة إقليمها من جوّ وأرض . فللطبيعة أثر كبير في تحديد خيرات تلك الأمة وفي تكوين سماتها وعاداتها ونتاجها: من ناتج زراعي أو حيواني أو صناعي ، ثم في فقرها وغناها . فالجوّ البارد ذو الأمطار الغزيرة ، لا يمكن أن يكون أثره في الأحياء أثر الجو الحار الرطب ، أو الجو الحار الجاف، أو الجو المعتدل . الجو البارد يدفع الانسان إلى العمل ويبعث فيه الحيوية والنشاط ، ويجبره على العمل ، ويقدم له الماء هدية من السماء ، ثم هو يُكره الأرض أن تتلفح بماء المزن ، لتولد خضرة تكسو الأرض ببساط جميل يخلب الأبواب ، وتولد للماشية علفاً طرياً شهياً ، وللإنسان أرضاً طيبة لا تحتاج الى سقي باليد أو بالآلة ، ثم هو يوفر له كثيراً من الجهد الذي يجب على الانسان أن يبذله في البلاد الحارة الجافة لاستصلاح التربة ولمكافحة الحشرات التي تبارك فيها الحرارة الى غير ذلك من صعوبات ، لا تقاس بها الصعوبات التي تواجه سكان البلاد الباردة الممطرة .

أما الجو الحار الرطب ، فيغيث الانسان بمطر ، قد ينهمر انهماراً، وقد ينزل بمواسم ، لكن حرارته الشديدة المتشعبة بالرطوبة ، تهدّ الجسم ، وتعطيه رخاوة في بدنه وفي عقله ، تجعله يميل الى الخمول والكسل والدعة ، والى الاسترسال في العواطف ، ثم تحرمه من نشاط انسان الجو البارد ، وتجعله دونه في العمل وفي السعي في هذه الحياة والضرب في هذه الأرض وفي استغلال التربة وما فيها وما

عليها . وأما الجو الحار الجاف ، فيحرم سكانه من نعمة (الغيث) في الغالب ، ويلبس سطح الأرض أكسية غبراء من رمال تذروها الرياح ، ثم هو يجعل من الصعب على الانسان أو الحيوان ان يجد قوته في هذه القفار الواسعة المغبرة ، أو ان يعيش فيها عيشة مستقرة دائمة، في مجتمعات كثيفة كمجتمعات الأجواء الباردة أو المعتدلة أو الحارة الرطبة ، فاضطر إلى التنقل والارتحال بحثاً عن الكأ والماء ، اللهم إلا في مواطن الماء ، وهي عزيزة ثمينة لأنها في أرض غلب على طبعها الجفاف . فتصير هذه المواطن القليلة هدفاً لهجمات العطاشى عليها في سني القحط وانحباس المطر ، وايام الضيق والشدة ، لسد الرمق وللمحافظة على ما في الجسم الذابل النحيل من عروق لتعينه على البقاء، حتى يفنى بطعنة ، أو بموت حتف أنفه .

تبلغ مساحة جزيرة العرب حوالى مليون وربع مليون ميل من الأميال المربعة . اذا ثبتنا مواضع المياه على (خارطتها) ، نجد انها قليلة ، لا يتناسب توزيعها ووجودها مع هذه المساحة الشاسعة . ثم انها مياه ضيقة المعين ، لا يتسع صدرها لارواء بقاع واسعة على نحو ما نجده في مياه الأنهار الكبيرة . وفي هذه المواضع انحصر السكن ، فصار من ثم عدد سكانها قليلاً جداً في كل وقت . واذا قسنا مساحة الأرضين الخصبة منها القابلة للزرع والإنبات ذات الماء بالأرضين المجربة، نجد انها قلة إلى كثرة ، وان ما لا يصلح منها للزرع أكثر بكثير مما يصلح له . وان مساحة البراري والبادي تزيد على مساحة الأرض الطيبة الخصبة ، وان هنالك أرضين ذات طبقات ثخينة من الرمال ، أكرهت الناس على الابتعاد عنها ، ترفعاً من أن بظاً وجهها خفّ جمل أو نعل انسان ، أو ان تدوسها الأقدام .

وقد نشأ عن هذا الوضع ضيق في مساحة الأرضين المزروعة ، لشح الماء وعدم كفايته لارواء الانسان ولارواء ماشيته واسقاء أرضين واسعة ، ضيق أثر في شكل تكوين المجتمع العربي ، فلم يسمح بظهور المجتمعات الكثيفة الكبيرة في جزيرة العرب ، والمجتمعات الكثيفة الكبيرة ، هي المجتمعات الخلاقة التي تتعقد فيها الحياة ، وتظهر فيها الحكومات المنظمة للعمل وللانتاج وللتعامل بين الناس . جعل المجتمعات المذكورة مجتمع مستوطنات ، رزقها من زراعتها الصغيرة ومن رعاية الماشية ، وصار اقتصادها من ثم اقتصاداً بدائياً لا تعقيد فيه ولا تطوير يحول المواد الأولية الى مواد أخرى أفيد منها وأكثر ربحاً تفيد المجتمع ، وتعود عليه بأرباح طائلة من بيع المنتجات في الأسواق .

وهو ضيق صير العرب قوماً يكرهون الزراعة وينفرون منها ، ويرون المزارع مواطناً من الدرجة الدنيا ، ولا سيما ذلك المزارع الذي يزرع الخضر والبقول وعلف الحيوان ، فهو عندهم (خضّار) . ولو كانت للعرب مياه فائضة ، وأمطار غزيرة لما كرهوا الزراعة ، ولما ازدروا شأنها ، فحرمانهم من الماء جعلهم يستحقرون شأن الزراعة لأنهم لم يتذوقوا ثمرتها ولم يشعروا بخيراتها ، ولهذا اختلف عنهم أهل اليمن وبقية العربية الجنوبية ومن وجد عندهم الماء ، فغرسوا وزرعوا واعتبروا الزراعة نعمة ، وتقدموا إلى آلهتهم لكي تبارك في زرعهم وتنعم في حصادهم وتعطيهم غلات وافرة كثيرة .

وجوّ جزيرة العرب جو من أجواء البلاد الحارة الجافة . أمطاره على العموم قليلة ، ولا سيما في أواسط جزيرة العرب . وقد تنحبس في بعض السنين انحباساً تاماً ، فيسبب انحباسها هذا كارثة ومصيبة ، يحف في أثنائها العشب ، ويبس كل أخضر ، فلا تجد الإبل لها طعاماً ، ولا يكون في وسع أهلها تقديم طعام لها لعدم وجوده عندهم ، وقد ينفق مالهم من العطش والجوع ، فيصاب أصحابها بخسائر كبيرة ، وقد يهلك عدد من الناس قبل بلوغهم موضع ماء ، إما من شدة الحر والعطش والجوع ، وإما من السيف الذي لا بد لهم من استعماله لاجبار أهل الماء على السماح لهم بمشاركتهم لهم مياهه ، أو بالاستحواذ عليه ونزولهم به ، وطردهم أصحابه عنه إلى أماكن أخرى ، أو بهروبهم من هذا الموضع لقوة أصحابه ولتمكنهم من رد الطامعين عنه .

وتساقط الأمطار في العربية الغربية والعربية الجنوبية ، ولكن سقوطها ليس منتظماً وعلى طول أيام السنة . فقد تثور السماء فجأة على الأرض ، فترسل عليها سيلاً مدراراً ، يكتسح ما يجده أمامه من إنسان وحيوان وكل عائق ، ليجد له سبيلاً إلى أرض منخفضة أو إلى أودية ، ثم لا يلبث أن يخفي ويزول ، لأن عمره قصير في الغالب ، إذ تبتله أرض رملية ، فيغور إلى باطنها ليكون مياهها جوفية ، وقد تبتله البحار ، إذ يسيل بشدة إلى الأودية المنحدرة الشديدة الانحدار فيتوجه مسرعاً نحو البحر ، فيذهب فيها هباءً من غير أن يفيد أحداً من الناس أو أن يغنيهم بشيء . وفي كتب أهل الأخبار قوائم بسيول كثيرة مهلكة مدمرة وقعت قبل الإسلام وبعده .

والأمطار في جزيرة العرب هي قليلة على العموم ، مقدار ما يتساقط منها

لا يسد رمق الزرع ولا يغني الزارع ولا يكفي في بعض السنين لانبات الخضرة ولظهور الكأ . وقد يستمر هذا المعدل سنين ، فيتضايق الناس ، وقد ترد بعدها سنين ينهمر فيها المطر انهاراً ، فيسقط من السماء وكأنه ماء انهمر من أفواه قرب ، فيسبب سيولاً تؤذي الناس ولا تنفعهم ، وقد يستمر هطول المطر على هذا المعدل من الشدة عدة سنين ، ثم يقف فيشح ، وتبخل السماء ، فلا تعطي الأرض من غيثها إلا قليلاً . وقد تبخل بخلاً شديداً فلا تعطيها منه شيئاً يذكر ، فيتضايق الناس ، ويعيشون عندئذ عيشة صعبة قاسية ، قد تضطرهم إلى الارتحال إلى مواضع أخرى بحثاً عن الكأ والماء .

وقد يكون انحباس المطر ، ظاهرة موضعية ، تصيب موضعاً ، ولا تصيب مواضع أخرى ، وقد يكون عاماً ، يصيب أكثر جزيرة العرب أو كلها . وتكون شدته عندئذ في هذه الحالة أعم وأشد . وضرره في الناس أكثر ، فأينما ترحل القبائل لا تجد أمامها إلا القحط والمحنة ، وقلة الماء والغذاء ، أي (القحط) والجذب والمحل . و (القحط) الجذب من أثر احتباس المطر ، فيتأذى الناس ، ويقل الطعام وترتفع أسعاره . ويعيشون في شدة^١ . ويلزم القحط في الغالب ، اختفاء الطعام وارتفاع ثمنه . فالقحط ملازم اذن لانحباس المطر ، ويلزمه الجوع وارتفاع السعر ، وقلة الطعام ، واختفاؤه من السوق ، بسبب الخزن أملاً في الحصول على ربح ومكسب ، أو بسبب قلة حاصل الموسم . ويقال أقحط القوم ، أي أصابهم القحط ، وكان ذلك في اقحاط الزمان .

وقد يعقب انحباس المطر ظهور الملح في طعم مياه الآبار والعيون^٢ ، حتى قد يصير الشرب منها صعباً ، والزرع عليها غير ممكن . فيضطر أصحابها عندئذ إلى تركها والارتحال عنها إلى مواضع أخرى ، يحفرون فيها آباراً جديدة ، تكلفهم مالاً وجهداً ، وقد لا يجدون في الأرض الجديدة ماءً عذباً سائغاً فرائاً للشاربين ، وقد لا يجدون فيها ما يكفيهم لشربهم ولشرب أموالهم ، مما يحملهم على الارتحال إلى أرض أخرى ، أو على التشتت والتبعثر ، بسبب عدم وجود الماء أو عدم سدة حاجتهم .

١ تاج العروس (٢٠١/٥) ، (قحط) .
٢ تاج العروس (٢٢٩/٢) ، (ملح) .

ويقال للسنة وللأرض التي لم يصبها المطر : (الجداد) . وسنة جامدة لا كلاً فيها ولا خصب ولا مطر . وأرض جداد ، يابسة لم يصبها مطر ولا شيء فيها^١ . وهي من السنين الحرجة في حياة العرب ، المؤذية المهلكة للأنفس وللإبل . ويقال للمُحَل (الجذب) . والجذب نقيض الخصب^٢ . و (المحل) الجذب وانقطاع المطر ويبس الأرض من الكلاً . وتعد أيام المحل من شرّ الأيام . يقال : (زمان ماحل) ، و (مكان ماحل) ، و (بلد ماحل) ، و (أرض محل) ، وأرض محلة ومحول . يريدون بالمحل الشدة والجوع الشديد وإن لم يكن جذب ، على سبيل المجاز ، لأن المُحَل الجذب ويبس الأرض وانقطاع المطر ، فتشتد حالة الناس ، ويظهر الجوع ويعيش الناس في ضنك شديد^٣ .

ويقال لمثل هذه السنين الشديدة ، التي تجف فيها المراعي ، ويصاب الناس فيها بأزمة شديدة ، سنة جرداء ، وسنة الجمود لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار وذهاب الماشية وهزالها وثبات الغلاء ، ويقال لها الحطمة والأزمة واللزبة والمجاعة والرمد ، وكحل والقصر والشدة والحاجر ، وما شاكل ذلك من ألفاظ فيها معاني الشدة والفقر والجوع^٤ .

وكان منهم من يتصور أن نجوم الشتاء هي سبب نزول الغيث . ولذلك كانوا إذا لم يمطروا ، وانحبست السماء عندهم يقولون : « أجحرت النجوم » . قال الراجز :

إذا الشتاء أجحرت نجومه واشتد في غير ثرى أزومه

ومن المجاز أجحرت القوم ، إذا دخلوا في القحط . والجحرمة الضيق^٥ . وليس أشد على العرب وأضيق في انحباس المطر عنهم .

-
- ١ تاج العروس (٣٢٤/٢) وما بعدها ، (جمد) .
 - ٢ تاج العروس (١٧٦/١) ، (جذب) .
 - ٣ تاج العروس (١١٣/٨) ، (محل) .
 - ٤ الصفة (٢١٤) .

- ٥ تاج العروس (٨٨/٣) ، (جحر) . قال زهير بن أبي سلمى :
إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ونال كرام المال في الجحرة الاكل
يريد بكرام المال الاكل ، يقول : انها تنحر وتؤكل لانهم لا يجدون لبناً يغنيهم عن
أكلها ، تاج العروس (٨٨/٣) ، (جحر) .

وإذا أمطرت السماء ، استبشر الناس خيراً ، فالمطر خير وبركة ونعمة . يعقبه ربيع مفرح مبهج ، تسمن فيه إبلهم ومواشيهم ، ويكثر ولدها ، فتنمو أمواهم ، وكانوا يقولون إذا ألبنوا وسمنت إبلهم : « كان ربيعنا مملوحاً »^١ .

وقد تهب بعض الرياح فتنكب الناس بأنفسهم وبأمواهم وتؤذيهم ، لذلك يسمونها (النكباء) . و (النكباء) ريح انخرفت ووقعت بين ريحين . وهي تهلك المال وتحبس القطر . ذكر أنها تهب بين الصبا والشمال ، والجريساء التي بين الجنوب والصبا . وذكر بعضهم ان نكب الرياح أربع : الأزيب ، وهي نكباء الصبا والجنوب ، مهياف ملواج ميباس للبقل ، وهي التي تجيء بين الريحين . وذكر بعض آخر ان الأزيب ، هو الجنوب لانكباؤها . والثانية الصائية ، وتسمى النكبياء أيضاً ، وهي نكباء الصبا والشمال ، معجاج مصراد لا مطر فيها ولا خير عندها . والثالثة الجريباء ، وهي نكباء الشمال والدبور ، وهي قرة وربما كان فيها مطر قليل ، وهي نيحة الأزيب . والرابعة الهيف ، وهي نكباء الجنوب والدبور ، وهي نيحة النكبياء^٢ .

وقد تأتي السماء بسحب كثيفة من جراد ، فلا تهبط مكاناً إلا جردته . والجراد من شر الآفات والنوازل التي تنزل بالزرع ، يجرده جرداً وينزل الحسائر بأصحابه ، أضف الى ذلك الأوبئة والأمراض التي كانت تهب بين الحين والحين ، فتصيب الانسان أو الحيوان أو الزرع ، وهو عاجز إذ ذاك عن مقاومتها وعن التغلب عليها ، نضيف اليها الحميات التي كانت قد عشت في مواضع المياه ، كالعيون ، فكانت تصيب الناس ، ولا يكاد يسلم منها انسان ، فقد عرفت (خيبر) بالحمى ، حتى قيل لها (حمى خيبرية) أو (خيبرية) ؛ وعرفت يثرب بالحمى أيضاً ، وعرفت مواضع من وادي القرى ، بالحمى كذلك ، كما عرفت (هجر) في العربية الشرقية بهذا الوباء كذلك .

ويتضابق الانسان في التهائم من أثر الحرارة المتشعبة بنسب عالية من الرطوبة . ودرجات الحرارة فيها وإن كانت دون درجتها في الأماكن الأخرى في الأغلب ، غير أن اقترانها بالرطوبة العالية جعلتها حرارة تضابق الانسان الى حد مزعج ، تبعث على الاسترخاء والكسل ، حتى صيرت الجسم خاملاً ، خال من الحيوية

١ تاج العروس (٢/٢٢٨) ، (ملح) .

٢ تاج العروس (١/٤٩٤) ، (نكب) .

والنشاط ، غير فعال لا يستطيع أن يعمل بنشاط وهمة أهل الأجواء المعتدلة أو الحارة الجافة . وعلى الرغم من ارتفاع نسبة الرطوبة في هذه التهائم وتشبع هوائها ببخار الماء ، فإنها لم تحظ بدرجة عادلة من المطر ، يخفف من شدة وطأة الحرارة فيها . ويسقي أرضها سقياً كافياً لتنبت لسكانها ما ينبت الجو الاستوائي المشبع بالرطوبة المذابة في الحرارة المشابه لجو هذه التهائم في البلاد الأخرى . فحرمت من الغابات ومن الأشجار الضخمة ذات الخشب الصلب ، ومن الأدغال التي تؤوي الوحوش ، ومن المياه الفواررة المتدفقة ، ومن الحشائش ، ومن أمثال ذلك مما يرى في البلاد ذات المناخ المشابه ، مما يكون ثروة لسكانها ، قد تعوض عن حرمانهم من الجو المعتدل ، أو الجو البارد المنشط .

وتخف الرطوبة ويقل شأنها وتذهب حدتها كلما ابتعد الانسان عن الساحل ، فيزداد الجفاف في الجو حتى يبلغ أقصاه في البواطن، فيشعر الانسان عندئذ بانطلاق في جسمه وبشيء من النشاط في حركته ، وبحدة في ذهنه ، لأنه يجد أمامه مناخاً أصح وأصفى من مناخ السواحل ، هواؤه جاف في الشتاء وفي الصيف ، البرودة فيه في موسم الشتاء أظهر وأبرز من برودة الأشتية في التهائم ، والحر فيه في الصيف أخف على الجسم بكثير من حر صيف السواحل . أما المطر، فنسبة سقوطه في الباطن أقل من نسبة هطوله على التهائم وفي العريسة الجنوبية . وقد عوضت الطبيعة أهل البواطن عن شح مطرها هذا ، بارسال ألوان وأشكال من الأهوية والرياح والعواصف عليهم ، تحمل بعضها في أمواجها سحراً عجبياً ينعش الروح والبدن ، اذا مس انساناً أنساه شظف عيشه وغلظ الجو الذي يعيش فيه ، وصيره بحس وكأنه ملك الملوك ، وصاحب خزائن الأرض ، واذا مست عصاه أحداً من أصحاب الحس المرهف ، أثارت فيه قريحته ، فصيرته شاعراً ينظم لإحساسه بكلم موزون مقفى ، وبشعر غزلي ، يتغزل فيه ، يتغزل بتلك الأهوية ، التي لمست جسمه ، وأغرقت فيه ووجهه بقبلاها الحبيبة المثيرة ، التي أنسته أشجانه وما يلاقيه في حياته من ضيق وشح ، وهو ما يكاد يفيق من حلم حبه هذا ، حتى يفاجأ بأعاصير ورياح الواقع ، تعصف به وبخيمته الخفيفة ، وبماله ، تتلاعب به ، وقد ترشق وجهه بموجات متعاقبة من سموم مشبع برمال ، تجعله يغمض عينيه ويسدّ فيه ، وبرقع وجهه ببرقع ليقه من هذه الرياح العاتية التي تحرشت به من غير سبب ، مع انه انسان مسكين قنوع ، لا دخل له في وجوده في هذا المكان ،

ولد فيه عن غير عمد ولا اختيار ، وسيموت فيه وهو لا يدري لم يموت ، ولم عاش ، وإلى أين ذاهب . فإذا ذهبت وولت ، وركد الجو واستقر ، جلس تحت خيمته التي لا تقيه من حر ولا من برد ، ولا من شمس ولا من مطر : إلا بقدر ، ليستجم ويستريح ، أو ليستلقي على أرضها ، وليتناول أكله ، وهو أبسط أكل يأكله انسان في هذه الحياة من غير شك .

والسعيد في جزيرة العرب من ولد في مستوطنة ذات ماء . فهو في عيشة هنيئة راضية ، في بيت مهما كان نوعه ، فإنه أحسن حالاً على كل حال من بيوت الوبر أو الشعر ، يستطيع أن يشرب فيه ماءً يتناوله من منبعه ، لا من قرب خزن الماء فيها أياماً ، وأن يرى نخلاً وشيئاً من شجر وخضرة وزرع ، وصوت رجال ونساء وأطفال ، وبعض بائعين وبائعات . أي حياة جماعية . وهو أكثر سعادة وحضارة إن كانت مستوطنته على ملتقى طرق ، تمر بها القوافل لتمرار منها ميرة الطريق ، ولتأخذ منها الماء ولتسقي إبلها وترويه ، ولتشتري منها ما تجده من حاجات ضرورية ومن منتجات موضعية ، تحتاج إليها ، أو يمكن بيعها في مواضع أخرى . وفي هذه المواضع نجد الحضارة الجاهلية ومن آثارها نستنبط التاريخ الجاهلي ، وفيها نرى معدن الرقة وموطن اللين والدمائة ، لما فيها من ظرف تهدأ النفس وتريح الأعصاب ، فصار أصحابها من ثم ألين عريكة وأسهل انقياداً من الأعراب الذين ولدوا في محيط خشن ، ونشأوا من خشونة ، فصار طبعهم من ثم غليظاً خشناً ، وهو لا يمكن أن يكون إلا كذلك ، وليس له دخل في ظهور هذا الطبع عنده .

ومن هنا صار أهل اليمن من ألين العرب عريكة ، ومن أكثرهم تعاوناً فيما بينهم . جاء في الحديث : « ان رجلاً من أهل اليمن قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم : إنا أهل قاه ، فإذا كان قاه أحدنا دعا من يعينه فعملوا له ، فأطعمهم وسقاهم من شراب يقال له المزر ، فقال : أله نشوة ؟ قال : نعم . قال : فلا تشربوه . قال أبو عبيدة : القاه سرعة الاجابة وحسن المعاملة ، يعني ان بعضهم يعاون بعضاً ، وأصله الطاعة . وقيل المعنى : إنا أهل طاعة لمن يملك علينا ، وهي عادتنا لا نرى خلافتها ، ، فإذا أمرنا بأمر أو نهانا عن أمر أطعناه ، فإذا كان قاه أحدنا ، أي ذوقاه أحدنا دعانا الى معونته . وقال الدينوري : اذا تنارب أهل الجوخان ، فاجتمعوا مرة عند هذا ومرة عند هذا وتعاونوا على

الدياس ، فان أهل اليمن يسمون ذلك القاه ، ونوبة كل رجل قاهة ، وذلك كالطاعة له عليهم ^١ . وجاء في الحديث : « أهل اليمن هم أرق قلوباً ، أي ألين ، وأقبل للموعظة ، والمراد ضد القسوة والشدة » ^٢ .

ومن هنا صار الأعرابي جلفاً صعباً خشناً ، يكره كل شيء لا يجده عنده ، لا يخضع لسلطان ، ولا يستسلم لقيادة أحد إلا لقيادة قبيلته المتمثلة في سيدها الى غير ذلك من صفات وسمات تحدثت عنها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وفي مواضع أخرى من الأجزاء الباقية .

والماء في أغلب أجزاء جزيرة العرب مقنن قدر بقدر ، ليس فيه فيض ، ولا زائد يحمله الى الجري الى مسافات بعيدة وبكميات كبيرة عن منبعه . ثم هو بين عيون وحسى وآبار محفورة ، ومدى موارد هذه المياه مقدر محدود ، وهي لا تفيض فيض مياه الأنهار . فلم يتسع زرعها ، ولم تتحمل نشوء مجتمعات كبرى عندها ، وإنما ساعدت على ظهور مستوطنات ، لم تكن حضرية تماماً ولا بدوية تماماً ، بل كانت متّزلة بين المنزلتين ، ودرجة وسطى بين الحضارة والبداوة . تمكنت من إعالة نفسها ، بما توفر فيها من مواد أولية ، وبما زرعت من نخيل وحبّ وخضر ، ومن بيع ما زاد عن حاجتها الى من حولها والى من كان يقصدها من الأعراب . وأوجدت فيها حرفاً ، ولكنها لم تكن حرفاً متطورة ذات إنتاج واسع ، لضآلة الموارد ، ولصغر المجتمع ، ولعدم وجود رؤوس الأموال الكبيرة لتشغيلها في استغلال ما قد يكون فيها من موارد طبيعية كامنة أو ظاهرة . وفي تغريب الناس للعمل في استثمارها وفي استثمار الأرض استثماراً واسعاً ، ينتج غلة وافرة ، وفي مجتمعات صغيرة ، ذات موارد محدودة ، لا يمكن أن تظهر فيها رؤوس أموال كبيرة ، وكيف تبرز رؤوس الأموال في مستوطنات فقيرة ، مواردها محدودة ، وخيراتها مقننه ، وهي في محيط فقير ، تتناولها الرياح من كل جهة ، وأعين الأعراب الجياع الفقراء لها بالمرصاد .

وقد انتشرت هذه المستوطنات وتناثرت وتبعثرت في أرضين واسعة غلب على طبعها الياس والجفاف ، كسيت بطبقات متفاوتة السمك من الرمال ، فحالت بينها

١ تاج العروس (٤٠٧/٩) ، (القاه) .
٢ اللسان (١٢٢/١٠) ، (رقق) .

وبين تكوين المجتمعات الكبيرة ، وبين ظهور حكومات كبيرة قوية في جزيرة العرب . وجعلت من العرب شعباً وقبائل ، متناثرة متشاحنة ، ذات لهجات ، تشعر كل قبيلة منها ، انها أمة قائمة بذاتها ، ولها كيان خاص ، ونسب وجد ، ولها أبنائها للقبيلة ، ولرمزها : سيد القبيلة ولرؤسائها المترعين لقروعيها ولأغصانها ، أو للمكان الذي أقامت فيه . ومجتمع مثل هذا ، حضره في مستوطنات متباعدة صغيرة ، وبدوه متباعدون متنافرون متشاحنون ، لا أمان فيه للأفراد وللتجار وللمسافرين إلا بعقود وبعهود ، لا يمكن ان يظهر فيه اقتصاد متين متطور ، ذو انتاج متطور متقدم ، يفيض على حاجة أهله ، فيصدره الى الخارج ، فتخلف اقتصاده ، ولم ينتج إلا المواد الأولية البسيطة المتوفرة لديه ، مثل التمور والحبوب والخمور والجلود ، وهي سلع استهلك في الداخل ، ولم يصدر منها الى الخارج إلا القليل مثل الجلود ، ثم هو آخر الزراعة وعاق أهل المال من البحث عن الماء لخوفهم من تعرضهم لغارات الأعراب الفقراء . وخطر الأعراب على الزرع لا يقل عن خطر الجراد عليه . لذلك لم يقبل المتمكن المتمول استنباط الماء ومن الزرع عليه ، إلا اذا وجد نفسه في مكان مأمون وفي موضع محمي له فيه أهل وعشيرة وجوار .

أما السلع المعدنية ، فهي من حاصل مواطن الحضر ، وهي من حديد ، في الغالب ، صنعت من حديد استخرج من معادن جزيرة العرب ، ومن حديد استورد من الخارج ، ومن سلع حديد استوردت من الخارج ، إذا استهلك أعيد سبكها ، ثم استعملت من جديد . وأغلبها صناعة سيوف وخناجر ، ومساحي ومناجل وما شابه ذلك من مواد ضرورية للحياة في جزيرة العرب . ولم نسمع بتصدير شيء منها الى الخارج ، لأنها لم تكن بانتاج واسع ولا باتقان لتنافس السلع المماثلة لها في الخارج ، بل نجد أن أهل جزيرة العرب كانوا يستوردون أمثالها من الخارج أيضاً ، لخص ثمنها بالنسبة الى المنتج المحلي ، ولتفوقها على المنتج العربي في نقاوة المعدن وفي الصنعة والاتقان .

والمعادن في جزيرة العرب ، محدودة وبقدر وبشح في الغالب ، وقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن وجود ذهب وفضة وخامات حديد ونحاس في مواضع من جزيرة العرب . وسأتحدث عنها أيضاً في أثناء بحثي عن الصناعة عند الجاهليين . وهي في العربية الغربية وفي العربية الجنوبية في الغالب . وقد

عرفت المواضع التي استخرج المعدن منها ب (المعدن) و (معدن)^١ . والمعدن مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبده^٢ . ولكن استخراج المعدن من منجمه وخامه ، يحتاج الى مال وعلم وأيد عاملة فنية ، لها مران وخبرة في الاستخراج وفي التنقية ، ليتمكن استخراجه بكميات وافرة ، وبسر اقتصادي مناسب ، منافس للأسعار العالية في الأسواق الأخرى . وهذه الشروط لم تكن متوفرة عند أهل الجاهلية ، لذلك لم نسمع بتصديرها من المعادن ، إلا الذهب ، حيث قدمه السبثيون للأشوريين وللعبرانيين ، رشوة وجزية كما تقول الموارد . أما المعادن الأخرى ، فلم نسمع في كتب المتقدمين على الإسلام من الأعاجم ، ولا في كتابات الجاهليين ولا في أخبار أهل الأخبار ، أنها صُدرت الى الخارج .

وأما الأخشاب الصلدة الثقيلة القوية مثل الساج ، وهو خشب رزين قوي^٣ ، ومثل الآبنوس ، والصندل ، وأمثالها ، فغير موجودة في جزيرة العرب ، وانما كانت تستورد من الهند في الغالب لعمل السفن وللأغراض الأخرى ، لأنها من أشجار تحتاج الى أمطار وحرارة ورطوبة ، وهي شروط غير متوفرة في أكثر أنحاء بلاد العرب . وفي بلاد العرب أشجار ذات خشب ، نمت في الجبال بصورة خاصة ، لذلك عرفت ب (شجر الجبال)^٤ ، سألت عنها في أثناء بحثي عن الشجر ، أمدت أهل العربية الغربية والجنوبية ، بشيء من حاجتهم الى الخشب ، حيث استعملوه في البناء وفي الأثاث ، لكن أخشابها لم تكن قوية صلدة مثل الأخشاب المذكورة ، ثم ان الناس كانوا يقطعون شجرها ولا يزرعون غيرها في مواضعها ، فقلت ، وقلَّ الخشب نتيجة لذلك ، حتى ان أهل الأخبار ليذكرون ان أهل مكة لما أرادوا تسقيف الكعبة ، لم يجدوا خشباً يصلح للتسقيف، فلما سمعوا بنجر تحطم سفينة رومية عند (الشعبية) ، ذهبوا الى هناك ، وجاءوا بالخشب اللازم للتسقيف من ذلك الميناء . وخشب السراة، وخشب المواضع المرتفعة الأخرى، خشب لا يضاهي خشب الهند أو افريقية في الصلابة وفي المتانة والصلادة ، لذلك لم يستعمل في بناء السفن ولم يساعد في تطوير وسائل النقل في البحار .

-
- ١ كمجلس
 - ٢ تاج العروس (٢٧٥/٩) ، (عدن) .
 - ٣ تاج العروس (٦١/٢) ، (ساج) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣٥/٨) ، (الساسم) .

أما الأنحاء الأخرى من جزيرة العرب ، فلم يكن شجرها من النوع المنتج للخشب الصلب المتين الصالح لصناعة السفن أو لأعمال البناء ولصنع أثاث البيت وغيره ، وإذا وجد شجر ذو خشب أنبتته الطبيعة ، أو كان من زرع الانسان ، فإنه لم يكن كثيراً ولا كافياً لسد حاجات الناس . ثم ان شجر الطبيعة — ما نبت منه في الجبال ، وما أنبت منه في السهول والمنخفضات — مشاع بين أهل المنطقة ، يقطعه من يريد ، لا يجبر قاطعه على زرع غيره في محله ، لذلك قضى عليه هذا القطع والاهمال ، وصار الخشب اللازم للتجارة وفي الأعمال الأخرى قليلاً في جزيرة العرب ، مع أنه من الوسائل المهمة الداخلة في تنمية الاقتصاد وفي الترفيه عن الناس وفي رفع مستواهم الحضاري .

ولم تعرف بلاد العرب بتصدير الخضر والأثمار والحبوب . فلم نعر في الاخبار على خبر يفيد تصدير شيء منها الى العراق أو بلاد الشام ، أو أي بلد آخر خارج حدود جزيرة العرب . بل نجد أنها كانت تستورد الحبوب والدقيق والزيت من بلاد الشام ، وذلك لان موارد الماء فيها لم تمكنها من زرع زراعة كثيفة واسعة ، فصارت زراعتها زراعة محلية في الغالب ، عمادها الاستهلاك المحلي ، أو التصدير الى الارضين المجاورة للمزارع في داخل الجزيرة وفي المواسم الجيدة وعند ظهور فيض في الحاصل ، فصارت الهامة ريفاً لاهل مكة تموئهم بالحبوب، وكانت سوقاً للأعراب ، تمدهم بالتمور . وكانت الطائف ، مزرعة تمد أهل مكة بالآثمار والزبيب .

والجمل في طبيعة حيوان جزيرة العرب من حيث الفائدة والشهرة . هو رمز البداوة وعنوان الصحارى، والحيوان الوحيد الذي رضي بمصادقة الأعرابي وبتمضية حياته معه ، قاطعاً الفيافي والبراري معرضاً نفسه للجوع والعطش ، ولتحمل الحياة الشاقة الخشنة في البادية ، مع الأعراب الغلاظ الجفافة ، الذين استصعب اخوانهم أهل الحضر العيش معهم ، وهو لولاه لما تمكن الأعراب من اختراق البوادي ومن التنقل بها ، ولما طابت لهم الحياة . فخيامهم من وبره ، وشربهم وكسر حدة جوعهم من لبن نياقه ، ثم هو طعامهم عند الحاجة ، ورأس مالهم ، اذا احتاجوا الى مال . تليه الخيل والضأن والمعز والحمر وغيرها . وهي كلها دونه بكثير في تحمل العطش والجوع ومشقات الحياة ، ثم هي لا تستطيع تحمل غلظ الأعراب وصعوبة حياتهم ، لأنها أكثر رقة من الجمل ، لذلك اجتنبت البوادي،

وعاشت على المراعي الخضراء وعند مشارف الحضارة ، وشاركت الحضر في بيوتهم ، فهي من أموال العرب في الغالب ، أي الحضر والرعاة الملازمين للمراعي المتصلة بمشارف الحضارة .

ودولة الحيوان في جزيرة العرب دولة صغيرة ، اذا قيست بما يجب ان تكون عليه بالنسبة الى المساحة السطحية . وسبب صغرها ان المراعي الغنية بالعلف اللازمة لتربية الحيوان ولاكثار نسله ، لم تكن متوفرة عند أهل الجاهلية ، وان أصحاب الماشية كانوا عالة على الطبيعة ، لعسر أحوالهم وعدم تمكنهم من الانفاق على الماشية وتهيئة العلف الصحي اللازم لنمو الحيوان ولاكثار نسله ، ثم إن الأحوال الاقتصادية لم تكن حسنة وعلى ما يرام ، بل كانت منخفضة ، وهذا ما حاد من الاستهلاك المحلي ، وحدث من عدد الذين كانوا يمتنون حرفة تربية المواشي ، الى أسباب أخرى لا مجال للبحث عنها في هذا المكان .

والعدد العام لسكان جزيرة العرب ، في الجاهلية وحتى الآن هو قليل بالنسبة الى ما يجب ان يكون عليه اذا قسنا العدد بعدد الأميال المربعة التي تكون المساحة السطحية لبلاد العرب . وسبب ذلك ان المسكون المعمور منها ، قليل بالنسبة الى المهجور القفر ، والبادي فيها أوسع وأكثر من الأرضين الصالحة للزراعة وللرعي والسكن . وان الموارد المعاشية التي تعيش الانسان وحيوانه ، لا تكفي في معظم أنحاء جزيرة العرب لاعاشة المجتمعات الكثيفة المكتظة ، والمستوطنات الضخمة : فالحسي أو العيون أو الآبار أو البرك ، أو ما أشبهها من موارد ماء ، لا يمكن ان تستضيف مجتمعا كبيرا مع توابعه من المواشي ، وهي لا تتمكن أيضاً من توفير الماء اللازم لزراعة كثيف ، ولتهيئة كلاً لتغلفه المواشي . لذلك صار حجم مستوطناتها يتناسب مع حجم الماء المتوفر فيها ، وانتاجها انتاج محدود ، هو حاصل زراعي في الغالب ، يختلف قلة وكثرة باختلاف حجم المساحات المزروعة ، أي سعة الماء الموجود في المستوطنة .

وفي هذه المستوطنات وفي الأرياف والقرى، نجد الملكية الفردية ، بصورة متباينة. ملكية دور ثابتة ، و ملكية مزارع وآبار . فالذي يحضر بئراً وينفق من ماله على حفرها تكون البئر بشره ، في امكانه بيع الماء منها للمحتاج اليه ، وفي امكانه الزرع عليها ، فيكون الزرع زرعه بالطبع ، وله بيع حاصله من ثمر أو خضر ، أو

حب . والذي أقام على مقربة من الحضرة ، ولا سيما من حضر العراق وبلاد الشام استطاع الاتجار مع تلك البلاد ، ببيع ما عنده من ماشية وجلود وبشراء ما كان يحتاج اليه من مواد ضرورية ، أو من مواد يتاجر بها مع المستوطنات ومع الأعراب . فتولد رأس المال في هذه المستوطنات ، ولا سيما في الكبيرة منها ، ذات الماء الغزير ، وجاء الرأس المال بالعبيد ، لتشغيلهم في الزرع .

أما البوادي وديار الأعراب ، فالأرض فيها للقبيلة ، ما خلا الاحياء . وأما الماء والكلأ فلجميع ، لا يمنع أحد من أبنائها من وروده ، وحق الرعي فيها للجميع . لصاحب الإبل حق رعي إبله في أي موضع شاء من حيثه ، وله أن ينقل بيته في (دبرته) ، ليجد لإبله الكلأ اللازم لها ، وأن يذهب الى البرك ومواقع الماء لأخذ ما يحتاج اليه من الماء ، الذي يكون في الغالب على ساعات أو أيام من بيته . وإذا جف الكلأ واختفى خير الأرض ، اضطر الانتقال الى مواضع أخرى ، ليجد فيها ما يعلف لإبله . وفي هذا المجتمع الاعرابي ، ملكية فردية ، هي ملكية الخيام وما فيها من أشياء بسيطة وملكية إبل ، وبعدد ما يملكه الإنسان من جمال ونوق ، تقدر ملكية الأفراد . وفيه شيوع : شيوع في الماء والكلأ والنار . الماء للجميع ، ما لم يكن محمياً ولا مملوكاً ، والنار للجميع ، أي حق الاحتطاب ، فلكل حق قطع الشجر وما يراه من زرع نابت غير محمي ولا مملوك .

ومجتمع على هذا النوع من البساطة في الحياة ، يكون اقتصاده بالطبع بسيطاً ، الجمل والناقة فيه ، المال ورأس المال . وكل شيء يقاس فيه على عدد من الناحية الاقتصادية ، ما يملكه الانسان من أباعر ونوق . فهو اقتصاد إبل ، الإبل فيه في محل الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب . وهو عالم استهلاكه قليل وتصديره قليل كذلك ، ليس فيه استهلاك سلع متطورة ، وليس فيه انتاج متطور ، كل انتاجه الإبل ومشتقاتها وكفى .

وقد حالت البراري بين العرب وبين تكوين المجتمعات الكبيرة ، وعزلت الاتصال بين المستوطنات التي بعثرتها ونشرتها هنا وهناك . وبعثرت الأعراب في البوادي على شكل قبائل وعشائر ، تغزو بعضها بعضاً طمعاً في رزق هي في حاجة اليه ، وتعقد أحلافاً فيما بينها للدفاع عن نفسها ، ثم هي توجه كل أنظارها نحو

المستوطنات ومواضع الحضر ، لتجد فيها غفلة أو موضع ضعف تدخل منه الى ديارهم لتأخذ منها كل ما يمكن أخذه ، وكل شيء يقع في أيديهم هو ثمين بالنسبة لهم ، لأنهم لا يملكون شيئاً ، والذي لا يملك شيئاً ويجهل قيم الأشياء يحسب كل شيء يقع في يديه ثميناً له قيمة . وهكذا صارت البوادي والأعرابية من عوامل القلق وعدم الاستقرار في جزيرة العرب، ومن عوامل التحاسد والتباغض والتناحر فيما بين سكانها لأنفه الأسباب ، حتى صارت من الأمراض المستعصية عند العرب ، التي لا تزال باقية حية . وفي ظروف من هذا النوع ، لا يمكن أن يظهر فيها اقتصاد متطور وانتاج كبير ، وان يرتفع مستوى حياة الناس ، فتأخر اقتصاد سكان جزيرة العرب ، وغلب على سواد الناس . وهبط بينهم مستوى المعيشة ، حتى اضطر البعض إلى وأد بناتهم خشية املاق، أو بيع أولادهم من جوع وفقر .

وقد وجدت هذه الروح الأعرابية بين الحضر كذلك ، تجسمت في العصبية للحمي والقرية ، وفي تناحر الزعماء على الزعامة والملوك على الملكية ، حتى في اليمن التي تمثل النموذج الحسن للانسان الحضري الطبع الهادئ، نجد الملوك يحاربون بعضهم بعضاً ، والزعماء يثرون على ملوكهم لأخذ عروشهم ، مما حمل الحبش والفرس والروم على التدخل في شؤونها ، فدمرت المدن والقرى والمستوطنات ، وأحرق الزرع ، وتباهى الملوك والثوار بعدد ما أحرقوه من مدن وقرى وزرع ، ومحيط تسوده الفتن والقلاقل والحروب لا بد وان يتأثر اقتصاده بها ، وأن يتأخر زرع وعمله ، وكيف يعمل الانسان ويجازف بماله ، وهو غير مطمئن على حياته ولا واثق من يومه ولا مما سيأتيه به الغد من مصائب وأحزان !

لقد حالت البوادي بين العرب وبين ظهور اقتصاد متقدم متطور عندهم ، يقوم على تحويل المواد الأولية ، أي المواد الخام الى مواد أفيد منها وأهم ، وإلى انتاج كبير راق ، يجلب لهم دخلاً طيباً يرفع من مستواهم . فساءت أحوالهم وغلب الفقر عليهم . وصار معاشهم ضيقاً ، وحياتهم الاقتصادية متأخرة ، أغلب منتجاتهم بسيطة ، ليس فيها تطوير ولا تنوع ، ولا تصنيع ، وليس في أسواقهم مشترون جيوبهم منتفخة بالعملة ، ليجازف التاجر بجلب سلع متنوعة اليها، فصارت سلعهم قليلة ، اقتصر على السلع الضرورية جداً للبيت ، وعلى الناتج الطبيعي المستحصل من الزرع أو من الحيوان ومن الحاصل المحلي في الغالب .

وقد أوجد عدم التناسق والتناسب والائتران بين نسب توزيع الحصب الى الجذب تبايناً كبيراً في كيفية توزيع الناس ، فجعل السكان ثلاث طبقات : أهل مدر ، وهم حضر مستقرون ، وهم أرقى أهل جزيرة العرب . وأهل وبر ، وهم أعراب يقطنون البوادي . وطبقة ثالثة ، كانت بين بين ، ووسط بين الحضر وبين البدو ، عاشت على اتصال ومقربة من الحضر ، لم تبتعد عنهم ، ولم تفارق الماء والحضارة ، بل لازمتها ، ولم تمن في البادية إلا في أيام الربيع عند نزول الغيث واخضرار الأرض ، فتبتعد عندئذ بماشيتها الى البادية لتنعم هناك بنعمة الربيع . وهي جماعة الرعاة . والرعاة قوم بين الحضر وبين الأعراب . كانوا متنقلة في الأصل ، فلما قاربوا الماء والحضر ، تأثروا بالظروف الجديدة ، فاستقروا بعض الاستقرار ، وأضافوا الى رعاية الإبل ، رعاية البقر والغنم والخيول . وكان هؤلاء مادة الحضر في الغالب ، والجراثومة التي كونت المجتمع الحضري .

واقتصاد الأعراب اقتصاد واحد ، وإن تنوع أصحابه قلوا أو كثروا ، قبائل كانوا أم عشائر أم أفخاذ . لأن جذوره وأساسه واحدة ، هي البادية وتربية الإبل ، وليس في البادية غير كلاً وعشب وشجيرات أو أشجار ، تعلق أوراقها وأغصانها الإبل ، ويحطبها البدو لبيع حطبها من أهل الحضر إن كانوا على مقربة منهم ، أو لاستعماله وقوداً لهم ، أو فحماً يبيعونه للحضر ، وليس فيها غير (وبر) ، وشيء من الملح ، يحملونه الى أهل الحواضر لبيعه منهم . وأما مشترياتهم ، فبسيطة ، تمر ودقيق وأبسط أنواع الثياب وما يحتاج البيت اليه من مواد . واقتصاد من هذا النوع ، لا يساعد على ظهور رأس مال كبير ، وعلى حدوث تطوير في الصناعة ، لذلك تخلف اقتصاد الأعراب عن اقتصاد المستوطنات والقرى بدرجات ودرجات .

أما اقتصاد أهل الحضر ، فإنه اقتصاد متطور بالقياس الى اقتصاد الأعراب : اقتصاد البداوة ، أو اقتصاد بدوي إن شئت تسميته بذلك . اقتصاد الحضر متفاوت في الدرجات ، أبسطه اقتصاد المستوطنات الصغيرة المنتشرة في بواطن جزيرة العرب وأعلاه اقتصاد المدن الواقعة في أطراف الجزيرة وعلى سواحل البحر وفي أرضين خصبة غنية بالماء وبالزروع . وقد برز بعض أهل تلك المستوطنات في التجارة ، وبرز بعض آخر بالزراعة ، وجمع بعض آخر بين الزراعة والحرف اليدوية القائمة على أساس تحويل المنتجات الزراعية الى منتجات أخرى ، أو تحويل الجلود الى

أدم ، أو تحويل المواد الأولية المتيسرة الى مواد ذات ضرورة للمجتمع . وهي إما استهلاكية ، تُوجَرّ بها في الأسواق الداخلية ، وإما انتاجية، صنعت للإستهلاك المحلي وللتصدير .

ومن أبرز المستوطنات التي ظهرت في باطن جزيرة العرب ، مستوطنات اليمامة، والمستوطنات التي ظهرت على الأودية ومواضع الماء . وقد عاشت على الزراعة وتربية الماشية ، وموتّت الأعراب بالتمور ، وموتّت الحجاز بالحبوب . ومنها ما كانت ملتقى طرق برية ، ربطت العربية الجنوبية بالعراق ، ومنها ما ربط بين العربية الشرقية وبلاد الشام . وأنا آسف ، لأن أقول إن معارفنا عن المستوطنات قليلة ، لعدم وصول شيء في النصوص الجاهلية عنها ، ولعدم تطرق أهل الأخبار إليها ، إلا عندما يكون لذكرها صلة بالأيام أو بالشعر أو بالحوادث البارزة جداً التي وقعت قبيل الإسلام ، أو التي كان لها اتصال بظهور الاسلام .

وأما المستوطنات التي برزت وظهرت في أطراف الجزيرة ، فهي عديدة ، أشهرها وأعرفها وأعرضها ذكراً مكة والمدينة . مكة في التجارة ، والمدينة في الزراعة . ولا يعني ذلك، ان المدينتين المذكورتين كانتا أعظم المستوطنات المذكورة، وأبرزهما في التجارة والزراعة عند ظهور الاسلام ، وان البقية الباقية ، لم تكن لاحقة بهما في الناحيتين . فقول مثل هذا لا يمكن ان يجزم به مؤرخ حصيف ، وانما جاءتهما هذه الشهرة بفضل الاسلام، فقد ظهر الاسلام في المدينتين المذكورتين، ونزل القرآن الكريم فيها ، وأشير فيه الى أمور عديدة وقعت بهما، وعاش الرسول فيها ، فن هنا صار اهتمام العلماء وأهل الأخبار بهما أكثر من سائر مواضع جزيرة العرب ، ولا سيما المواضع البعيدة النائية عن المدينتين ، والتي لم يكن لها اتصال متين بظهور الاسلام ، ومن هنا كثرت أخبارهما ، حتى ظن الناس ان مكة قبل الاسلام . كانت أرض التجارة والتجار ، وقبله جميع العرب، ومجمع أصنام كل العرب ، وموضع تكديس الأموال، وبلد الربا والمرابين . وهو استنتاج أخذ من الروايات التي قصها أهل الأخبار عنها دون نقد ولا تحليل . ولكننا لو استعرضنا ما ذكره أهل الأخبار أنفسهم عن هجر وعن البحرين وبقية العربية الشرقية ، فانه يرينا على قلته ، ان مدن وقرى هذا الجزء من جزيرة العرب ، لم تكن أقل درجة في المال والتجارة والانتاج من مكة أو المدينة ، إن لم تكن قد تفوقت عليها بالفعل ، بدليل ما جاء في أخبارهم عن مقدار الزكاة والصدقات التي أرسلها عمال

الرسول والخلفاء الى المدينة ، فانها تدل على وجود تجارة وأعمال في هذه الأرضين ربما كانت قد فاقت أرباح وأعمال أهل مكة ، لكننا لا نعرف عنها شيئاً ، بسبب عدم اهتمام المؤرخين والأخباريين بأخبارها في الجاهلية ، لعدم وجود صلة لها بتاريخ الاسلام ، أو بسبب عدم وقوفهم على أخبارها ، فلم يتطرقوا لذلك الى شيء من أحوالها بصورة مفصلة، فظهرت وكأنها قد تأخرت عن مكة من النواحي الاقتصادية بكثير . وصارت مكة، بذلك، الموطن المتفوق الأول في المال وفي الزعامة وفي كل شيء في جزيرة العرب .

لقد أثر الجو اذن على اقتصاد جزيرة العرب ، كما أثر عليهم في كل شيء، حتى صيرهم على النحو المعروف، لهم خصائصهم وصفاتهم المميزة لهم عن غيرهم، ولو كان للعرب جو مثل أجواء أوروبة ، لكان شأنهم ولا شك في التاريخ شأن آخر . على كل ، فقد كتب عليهم أن يعيشوا في الجو المذكور ، وكان من نصيبهم في هذه الحياة حرارة وجفاف ، وحرارة ورطوبة ، وأرضون غلب عليها اليبس والجفاف ، فصارت موارد رزقهم شحيحة في الجاهلية، وتحلفوا عن غيرهم في الانتاج وفي الابداع ، وغلب على سوادهم الفقر . والفقر كافر لا يرحم ، ولولا (النفط) اليوم ، الذي جاء على عرب القرن العشرين بالمال ، لما تضخمَت جيوب الأسياد ، وبنيت القصور الشاهقة الضخمة بالملايين من الجنيهات ، وأملى ان يكون هذا المال سبباً في استغلال العرب أنفسهم لمواردهم الظاهرة والباطنة ، وأن يكون سبباً من أسباب التعمير ، لا الانفاسق والتبذير ، وأن يحول الطاقات المهمة الى طاقات منتجة ، قبل أن يأتي يوم تنضب فيه آبار النفط ، أو ان يموت النفط فيه أو يهمل، بسبب العثور على موارد تكون أحسن نوعية وأقل كلفة منه .

لقد جعل هذا الجو العرب - كما سبق أن ذكرت - قبائل وشعوباً متنابهة متخاصمة ، متحالفة متعاقدة متآخية ، متطرفة في كل شيء ، متطرفة في جها وفي اخلاصها ، متطرفة في الوقت نفسه في بغضها وفي حقدها ، تميل الى المادة الى درجة العبادة ، ثم تتطرف في أمور عاطفية بعيدة عن المادة والماديات بعداً كبيراً، تمجد العقل والتعقل ، وتقيم وزناً كبيراً للحكمة ولضرب الأمثال ، حتى ليخيل إليك أن كل أفعال الناس وأعمالهم إنما تصدر منهم عن عقل وحكمة ، لكنك سرعان ما تصطدم بوجود واقع آخر ، هو واقع تغلب العواطف على العقل ، وانصياعهم الى الانفعال وسرعة التأثر وفقدان الوزن بين الأمور بميزان العقل ،

وتركهم أنفسهم فريسة لهذه العواطف ، تعبت بهم في حياتهم ، ولا تزال تعبت بهم الآن . تراهم كرماء، يقدمون أعز شيء عندهم لضيوفهم ، بإسراف وتبذير، ثم تراهم بخلاء يحرصون على أتفه الأشياء أحياناً حرصاً يدفعك على الاستغراب من وجود هذا التضاد في الأخلاق ، أو ما نسميه بازدواج الشخصية في اصطلاح المحدثين على نحو ما تحدثت عن ذلك في الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

لقد أثرت الطبيعة اذن في تكييف اقتصاد الجاهليين وفي تعيين موارده ، وفي توجيههم توجيهاً تجارياً في المواضع التي قلّ فيها الزرع ، مثل مستوطنات الأطراف حيث نجد أهلها يميلون الى التجارة ، ويرون فيها مهنة من أشرف المهن، وتوجيهاً زراعياً في المواضع التي توفرت فيها شروط الزراعة ، وتوجيهاً رعوياً في المواضع الأخرى ، لا سيما بين الاعراب . فلندخل الآن في استعراض هذا التوجيه وفي دراسة الموارد الطبيعية لجزيرة العرب ، وفي دراسة كيفية تعامل أهل الجاهلية في الأسواق ، بعد أن قدمنا مقدمتنا القصيرة عن أثر الطبيعة في الاقتصاد .

الفصل التاسع والثمانون

الزراع والمنزروعات

والزراعة هي عماد ثروة اليمن وبقية العربية الجنوبية والمواضع التي تتوفر فيها المياه في جزيرة العرب . وهي رأس مالها الاكبر في حياتها . والمورد الأول الذي يتعيش عليه الناس . وقد انحصرت في المواضع الخصبة ، أي في المواضع التي جادت عليها الطبيعة بالأمطار أو بالينابيع والجعافر والعيون وبالمياه الجوفية القريبة من سطح الأرض وبالحسي وما أشبه ذلك . ونحيث أن أغلب أرض بلاد العرب هي أرض صحراوية موات ، لهذا فلن الزراعة فيها معدومة ، ويمكن في المستقبل احياء قسم منها، وذلك باستخدام الوسائل الحديثة التي استنبطها العقل والتي سيستنبطها في استخراج الماء وفي اصلاح التربة ، وسيتحول شكل جزيرة العرب عندئذ عمّا هو عليه الآن كثيراً ولا شك . وقد حولت في هذه الأيام مناطق موات ، الى أرض عمار ، تسقى بالمياه المنبعثة من الآبار (الارتوازية) ومن السدود التي حبست مياه السيول ، وصارت تنتج في مواضع عديدة من جزيرة العرب غلة زراعية وافرة بفضل استعمال الفن الحديث في استنباط الماء وفي كيفية الاستفادة من التربة وفي ادخال أساليب الزراعة الحديثة الى هذه الأماكن . وقد يأتي يوم ، تتحول فيه معظم أرض جزيرة العرب الفارغة المهملّة التي يخشى الانسان من ولوجها الى أرض خصبة منتجة ، اذا ما زرعت زراعة حديثة ، تناسب جو بلاد العرب وتركيب تربتها، واستنبطت المياه الكافية من جوفها للزراعة وللشرب . ونحن وإن كنا لا نملك مراجع جاهلية مكتوبة واسعة نتحدث عن الزراعة في

جزيرة العرب قبل الاسلام وعن أنواعها وتفصيلها وأساليبها وطرقها وضرائها وعن كيفية استغلال الأرض وطرق الاستفادة منها وواجب الفلاح تجاه صاحب الأرض، وعن الحاصلات السنوية ومقدار ما تأخذه الحكومة من المزارعين من ضرائب ، وأمثال ذلك من أمور متصلة بالزراعة ، لكننا قد تمكنا من تكوين رأي فيها من مراجعتنا للكتابات الكثيرة التي وصلت إلينا وفيها أمور متعددة لها علاقة بهذه الموضوعات، كما ان آثار الأقبية والسدود الجاهلية المنتشرة في مختلف نواحي اليمن ، هي في حد ذاتها شاهدة على مقدار توسع اليمانيين في الزراعة في ذلك العهد . ونجد مثل هذه الآثار الجاهلية في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، وهي دليل واضح على انها كانت مزروعة معمورة، لا مغمورة مهملة كما هو شأنها في الوقت الحاضر.

أما بخصوص الزراعة واستغلال الأرضين وإيجارها وجباية الضرائب عنها والعقود التي كان يعقدها الملوك مع كبار الاقطاعيين وتنظيم المياه وأمثال ذلك، فقد وصلت إلينا كتابات وأوامر عامة فيها ، كان يصدرها الملوك و (الكبراء) ، يعلنونها على الناس ، ليطلعو عليها ، وليعملوا بموجبها ، تكتب على الحجارة ، وتوضع في محلات عامة ، أو في خزانات المسؤولين وذوي الشأن، ليرجع إليها حين الحاجة . وهناك كتابات كتبها رؤساء عشائر وأصحاب أملاك ، عن حدود أملاكهم ، أو عن تأجيرها لغيرهم ، أو عن انشاء سدود لضبط المياه وتوزيعها ، أو عن حفر آبار ، وأمثال ذلك ، وهي كلها على صفتها الشخصية ذات قيمة بالقياس إلى هذا ، لما ورد فيها من أفكار ومصطلحات فنية ، تمكنا من تكوين رأي في الزراعة والنظم الاقتصادية في العربية الجنوبية في ذلك العهد .

واذا كنا قد حصلنا على فكرة ما عن الزراعة في اليمن وفي بعض أقسام العربية الجنوبية استناداً الى الألفاظ والمصطلحات الزراعية في الكتابات الجاهلية والى الوثائق الخاصة بالأرض وبالضرائب وبالتأجير وبعقود البيع والشراء ، والى بعض الصور المنقوشة على هذه الكتابات ، فاننا لم نعثر ، ويا للأسف ، على كتابات جاهلية تتحدث عن هذه الأمور في الحجاز وفي أواسط جزيرة العرب وفي الأقسام الشرقية منها ، وآراؤنا عنها مستمدة في الدرجة الأولى من المراجع الاسلامية ومن مشاهدات السياح لمناطق الآثار ووصفهم آثار الزراعة في المناطق التي مروا بها ، ومن تقارير الخبراء (الجيولوجيين) وغيرهم من موظفي شركات النفط العاملة في جزيرة العرب .

وفي لغة المسند مصطلحات زراعية تعبر عن معان خاصة ، وفيها مسميات لآلات وأدوات استخدمت في الزراعة . ولا بد أن تكون لهجات أهل العربية الجنوبية أوسع ألفاظاً في الزراعة من لهجات العرب الآخرين القاطنين في الأنحاء الأخرى من جزيرة العرب ، بسبب تنوع الأجواء في العربية الجنوبية ، وما أعقب ذلك من تنوع الزرع وطرق الزراعة فيها ، أضف الى ذلك خصب التربة ووجود الماء فيها ، وجوداً لا يماثله أي مكان آخر في جزيرة العرب . فظهرت فيها ألفاظ زراعة ومصطلحات زراعية لم تعرفها عربيات بقية جزيرة العرب ، اضطرت اللهجات الأخرى إلى أخذها منها ، لعدم وجودها عندها ، ونجد في معجمات اللغة وفي كتب النبات والأدب ألفاظاً زراعية ، نص العلماء على أنها من لغات أهل اليمن .

وقد حفظت الأيام بعض الحجارة المكتوبة بالمسند ، وعليها صور ، أفادتنا في تكوين فكرة عن ملامح المزارع قبل الاسلام ، وفي تبين طراز معيشته ، وشكل بعض ملابسه ، وما شابه ذلك . وبين هذه الحجارة الصورة المكتوبة ، حفر حفرت عليه صورة حرّاث حافي القدمين وقد ارتدى ثوباً بلغ ركبتيه وشد وسطه بحزام وأمسك بيده اليسرى الحبل أو النطاق المتصل بالمحراث ، وباليمنى آلة على هيئة فأس من خشب ، ربما استعملها في ضرب ثوري المحراث ، أو استعملها في حفر الأرض أيضاً وفي تفتيت التراب المحفور . وقد ربط الثوران بالمحراث ، وأخذوا يحرقون الأرض ، والفلاح يوجهها . ورسمت تحت الصورة صورة ثلاثة رجال ، يظهر من ملابحهم ومن شكل ملابسه أنهم كانوا من أصحاب الأرض .

ولأهل اليمن سبق على غيرهم من أهل جزيرة العرب في الزراعة ، وهم حتى الآن على ما كانوا عليه من ميل إليها ، ويشغل عدد منهم اليوم في المملكة العربية السعودية أجراء لغبرهم في زراعة الأرض ، أو مشاركون لأصحاب الأرض في الحاصل . أما الأعراب ، فكانوا يزدرون شأنها ، وينقصون من قدر المزارع (الخضار) . ونجد هذه النظرة الازدرائية الى المزارع عند أهل الحضر أيضاً ، حتى أن بعض الصحابة كرهوا تعاطي العمل في الأرض . حتى بعد الفتح ، تاركين ذلك الى أهل الذمة . روي عن (أبي أمامة الباهلي) أنه قال ، إذ رأى سكة وشيئاً من آلة الحرث ، فقال : سمعت النبي يقول : لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله . قالوا في تفسيره : « لما يلزمهم من حقوق الأرض التي يزرعونها ، ويطلبهم بها الولاة . بل ويأخذون منهم الآن فوق ما عليهم بالضرب والحبس ،

بل ويجعلونهم كالعبيد أو أسوأ من العبيد ، فإن مات أحد منهم ، أخذوا ولده عوضه بالغصب والظلم ، وربما أخذوا الكثير من ميراثه ويحرمون ورثته ، بل ربما أخذوا من يبذل الزارع فجعلوه زارعاً ، وربما أخذوا ماله ^١ . وهو تفسير فيه شيء من التكلف ، يفصح عن كراهية القوم للزراعة أكثر من المعنى المذكور ، وأما الحديث نفسه ، من حيث الصحة أو الضعف ، فللعلماء كلام فيه . وفي كتب الحديث أحاديث أخرى تحت على الزراعة والزرع .

وورد في الحديث أن الرسول كان يحدث جمعاً من الصحابة عن الجنة ، وعن رجل زرع في الجنة فاستوى نباته ، وعنده رجل من أهل البادية ، فلما انتهى الرسول من كلامه ، قال الأعرابي : « والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع . وأما نحن ، فلسنا بأصحاب زرع » ^٢ .

وكراهية الزرع ، كراهية نشأت من عدم توفر الماء والأرض لأكثر الناس ، فصاروا يكرهونها ، أما الذين ملكوها فلم يزدروها ولم يغبضوا من شأنها ، والأعرابي لا يملك شيئاً ، فصار يكره كل شيء لا يملكه ولا يقدر عليه ، من زراعة ومن حرق ومن قيود اجتماعية ومن تنظيم ، ومن كل ما يخالف مألوفه من عرف وتقاليد . ولذلك صارت الزراعة من عمل أهل المدر ، وعمل كل من وجد لديه الماء الوافر ، ليأخذ منه ما يلزمه للزرع ، وسادات القبائل ، الذين توفر الماء عندهم ، أو كان لديهم المال لتشغيله في البحث عن الماء ، زرعوا مثل أهل الحضر ، وشغلوا العبيد وأتباعهم في الزراعة ، لما وجدوا فيها من مكسب وربح ، وكان للكثير منهم زرع وحوائط .

ونظراً لتغير الحال عند العرب في الاسلام ، وظهور الدعوة فيه الى الأمة والجماعة ، فقد حث الرسول المسلمين على الزرع ، وظهر من روى عن الرسول انه قال الزراعة أفضل المكاسب ، وذلك لما فيها من عموم الانتفاع ، حتى ان منهم من فضلها على التجارة للتوسعة على الناس ، ولما للقوت الذي يأتي منها من صلة بحياة الناس ^٣ . ومع ذلك ، فقد بقي العرف الجاهلي مسيطراً على عقلية السادة

١ ارشاد الساري (١٧٢/٤) .

٢ ارشاد الساري (١٩٠/٤) .

٣ ارشاد الساري (١٧١/٤) ، (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان به صدقة) ، صحيح البخاري (كتاب المزارعة وفي كتاب الادب في باب رحمة الناس والبهائم) ، صحيح مسلم (كتاب البيوع في باب فضل الغرس والزرع) ، زاد المسلم (٣٣٣/٢ وما بعدها) .

الكبار ، من افنخارهم بحيازة الأرض ، ومن ازدرائهم من الاشتغال بأنفسهم بها ، فكانوا يستخدمون العبيد والأجراء وكُرِّءاء الأرض في استغلالها ، فهؤلاء وأمثالهم خلقوا للعمل في الأرض ، أما هم فقد خلقوا ليكونوا سادة ، عملهم امتلاك الأرض ، وقد ظهر من هؤلاء جيل امتلك أرضين واسعة في البلاد المفتوحة شغل فيها أهل الذمة ، والنبط وسكان الأرضين المفتوحة ، ومثات وآلافاً من الرقيق والعبيد ، كان عليهم العمل ، ولسيدهم الكسب الوفير والمغرم .

وقد يزرع أهل الحضر في جوف القرية من النخيل والأشجار ، أو داخل ما طاف به سور المدينة ، ويقال لذلك (الضامنة) ، لأن أربابها قد ضمنوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان ، محروسة آمنة ، وتحت رعاية وعيون أصحابها . وقد يزرعون خارج قريتهم ، وخارج العماراة في البر ، أي في الضاحية ، ويقولون لذلك (الضاحية) . وفي كتاب النبي لأكيدر : إن لنا الضاحية من البعل ، وإن لكم الضامنة من النخل^١ . وقد كان زرع أهل الطائف وأهل يثرب وقرى اليمامة واليمن وغيرها بين ضاحية وضامنة . والضاحية أوسع وأكثر بالطبع ، لاتساع العين ووفرة الماء .

ولم يكن من الممكن بالنسبة لأيام الجاهلية ، زرع مساحات واسعة بالحبوب أو الخضر والنخيل وبقية الشجر ، لصغر حجوم المياه ، وقلة المطر ، وعدم كفايته لارواء الزرع منذ بذر بذوره حتى حصاده ، وللظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت مهيمنة على مجتمع ذلك العهد ، من عدم وجود حكومات قوية كبيرة ترعى الأمن وتحمي حقوق المزارع وزرعه من العبث به ، ثم تشجيعه وتقديم المعونة له . لذلك كان من الصعب ظهور مزارع كبيرة تنتج غلات عظيمة تعرض للاستهلاك المحلي وللتصدير . ولم يكن في وسع أحد انشاء مثل هذه المزارع إلا اذا كان متمكناً ذا مال ونفوذ ، وصاحب عشيرة قوية ، تحمي حقه ممن يريد الاعتداء عليه .

وزرع ، بمعنى طرح البذر . وقبل الزرع نبات كل شيء يحترق . ويقال زرعت الشجر كما يقال زرعت البر والشعير . والزريعة الشيء المزروع ، والزرعة البذر^٢ . فالزراعة اذن ، هي التي تكون بفعل انسان . (بطرح بذراً أو يغرس

١ تاج العروس (٩/٢٦٦) ، (ضمن) .

٢ تاج العروس (٥/٣٦٨) ، (زرع) .

غرساً ، أو ينبت نباتاً . وأزرع الزرع طال . وموضع المزروع المزرعة . وقد غلب على المكان الذي يزرع برّاً وشعيّاً^١ .

ويكون (الغرس) بفعل انسان ، يقوم بغرس الغرس . وغرس الشجر يغرسه غرساً ، أثبتته في الأرض ، والغرس الشجر ، والغراس وقت الغرس^٢ . فلا يكون الغرس ببذور ، وإنما بغرس غرس ، ينمو ويكبر ، فيصير غرساً . ولا تعبر لفظة (غرس) عن ظهور النبات بفعل الطبيعة ، وإنما تعبر عن غرس (فسيل) ليصير شجراً . من ذلك فسيل النخل ، وقضبان الكروم والأوراد، وأمثال ذلك^٣ . ويعبر عن صغار الفسيل بـ (الودي) . وفي حديث أبي هريرة ، لم يشغلي عن النبي غرس الودي^٤ . و (التغاريز) ما حول من فسيل النخل^٥ .

وغرسوا الشجر سككاً . والسكة السطر المصطف من الشجر والنخيل . وقد كانت بساتين يثرب سككاً مسطرة بسطور النخل . ومنه الحديث : خير المال : سكة مأبورة ومهرة مأبورة . المأبورة المصلحة الملقحة من النخل، والمأبورة الكثيرة التاج والنسل^٦ . وغرسوا النخل أسطراً على جانبي مسابيل الماء والجداول والسواقي. والسطر ، الصنف من الشيء كالكتاب والشجر والنخل . يقال بنى أسطراً من نخل، وغرس سطرّاً من شجر ، أي صفاً^٧

وغرسوا (الكرم) سككاً كذلك . وقد يتخذون له (عريشاً) يعترش العنب . و (العريش) ، ما عرش للكرم من عيدان تجعل كهياة السقف ، فتجعل عليها قضبان الكرم فتعترشها^٨ .

ويعبر بلفظة (نَبَتَ) عن كل ما نبت من نفسه ، أي بدون فعل فاعل ، وإنما بفعل الطبيعة في التربة ، وذلك في الغالب المألوف . وذلك بتأثير المطر عليها، أو بتأثير السيول والظوفان والرطوبة والمياه الجارية ، وأمثال ذلك ، مما يكون سبباً

-
- ١ تاج العروس (٣٦٨/٥) ، (زرع) .
 - ٢ تاج العروس (٢٠١/٤) ، (غرس) .
 - ٣ تاج العروس (٥٨/٨) ، (فسيل) .
 - ٤ تاج العروس (٣٨٧/١٠) ، (ودي) .
 - ٥ تاج العروس (٦٤/٤) ، (غرز) .
 - ٦ تاج العروس (١٤٣/٧) ، (سك) .
 - ٧ تاج العروس (٢٦٦/٣) وما بعدها ، (سطر) .
 - ٨ تاج العروس (٣٢٢/٤) ، (عرش) .

لنبت النبات . يقال : « نبتت الأرض وأنبتت » ، و « نبت الكلاء »^١ .
وترد لفظة (سقح) بمعنى زرع وغرس في لغة المسند^٢ . وقد فسرنا بعض
علماء العرييات الجنوبية بمعنى هيا الماء وجمعه وأجرى السواقي والأرض وحفر
القنوات ومهدا للزرع ، وبعبارة مختصرة التمهيد لكل شيء ولكل عمل^٣ .

التربة :

وللتربة عند العرب أسماء ، وذلك لأهميتها بالنسبة الى حياتهم . فنجد في كتب
المعاجم ألفاظاً كثيرة لها ، من حيث لونها ومن حيث خصبها ومن حيث نوعها
ومن حيث وجود الماء فيها الى غير ذلك . وهم يقولون للأرض الطيبة السهلة
التي لا يعلوها السيل (الأهر) . وقيل الأهر ما بين الأجل^٤ . ويقولون :
(السُّخاخ) للأرض اللينة الحرة^٥ . ويقولون أرض حلاوة ، تنبت ذكور البقل^٦ .
و (الخصب) نقيض الجذب ، وأرض خصبة منبتة ، قابلة للزرع . و (العثعث)
ما لان من الأرض ومن مكارم المنابت : وقيل الكثيب من السهل أنبت أو لم ينبت^٧ .
و (الجادسة) ، الأرض لم تعمر ولم تعمل ولم تحرث . ورد في الحديث : من
كانت له أرض جادسة ، قد عرفت له في الجاهلية حتى أسلم ، فهي لربها . أي
الأرض التي لم تزرع قط^٨ .

والسبخة ، أرض ذات نزو وملح . والسباخ الأرض التي تعلوها الملوحة ،
ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر^٩ .

-
- ١ تاج العروس (٥٨٨/١) ، (نبت) .
 - ٢ كما في هذه الجملة : « وسقح كل اسررس وجروبس » ، أي « وزع كل الاوديه والجروب » ، Mordtmann und O. Mittwoch, Alt sud. Inchr., S. 9.
 - ٣ وذلك كما في هذه الجملة : « صير وبقر وجرب وبقل وسقح كل اسررم وجربم » ، ومعناها « صير وحرث وعمل المدايح وزرع البقول ومهد كل الاودية والجرب » ، REP. EPIGR 3856, Rhodokanakis, Stud. Lex., II, S. 35.
 - ٤ تاج العروس (٦٣/٣) ، (بهر) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦١/٢) ، (سبخ) .
 - ٦ تاج العروس (٩٦/١٠) ، (حلو) .
 - ٧ تاج العروس (٦٣٣/١) ، (عث) .
 - ٨ تاج العروس (١١٨/٤) ، (جدس) .
 - ٩ تاج العروس (٢٦١/٢) ، (سبخ) .

والبلوكة ، المفازة ، وهي الأرض المستوية اللينة، أو التي لا تنبت إلا (الرخامي) على رأي آخر، والثيران تولع به وتحفر أصوله فتأكل عروقه . وهي من الأرضين التي ليس بها شجر ولا تنبت شيئاً البتة على بعض الآراء . وقد يكون قفرها هذا ، وعدم انباتها سبب قول الأعراب أنها مساكن الجن . ويظهر من أقوال بعض علماء اللغة أن البلوكة أرض واسعة مخضبة ، أي على عكس ما ذكره بعض آخر ، من أنها الأرض التي لا تنبت شيئاً^١ .

ويعبر عن الأرضين الزراعية بلفظة (ارض) (أرض) في جميع اللهجات العربية الجنوبية . وهي من أصل يرد بهذا المعنى في جميع اللهجات السامية . وهي تشير في الغالب الى الأرضين المعدة لزراعة الخضر والحبوب ، وقد يراد بها الأرضين المزروعة بالخضر والحبوب . ولذلك فلفظة (أرض) ، قد تعني أرضاً صالحة للزرع ، غير أنها غير مزروعة ، وقد تعني أرضاً مزروعة ، ويرادف هذا المعنى معنى لفظة (المزرعة) .

والقراح : الأرض لا ماء بها ولا شجر ، وقيل الأرض المخلصة للزرع والغرس ، وقيل : القراح المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر^٢ .
و (الجربة)^٣ ، المزرعة . ومنه سميت الجربة المزرعة المعروفة بوادي زبيد .
والجربة : القراح من الأرض المصلحة للزرع أو غرس ، واستعارها (امرؤ القيس) للنخل ، فقال :

كجربة نخل أو كجربة يثرب^٤

والركيب : المزرعة والقراح الذي يزرع فيه ، والمشارة ، أو الجدول بين الدبرتين ، أو ما بين الحائطين من النخل والكرم، وقيل ما بين النهرين من الكرم . قال تأبط شراً :

فيوماً على أهل المواشي وتارة لأهل ركب ذي ثميل وسنبل

وأهل الركيب ، هم الحُصَّار^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٢٩٩/٦) ، (بلق) .
 - ٢ تاج العروس (٢٠٥/٢) ، (قرح) ، المخصص (١٤٨/١٠) .
 - ٣ بالكسر .
 - ٤ تاج العروس (١٧٩/١) ، (جرب) .
 - ٥ تاج العروس (٢٧٨/١) ، (ركب) .

فالركيب اذن أرض زراعة ، تكون محددة ، معينة المعالم ، يمتلكها مالك أو ملاك ، تزرع أشجاراً مثمرة في الغالب ، لا حبوباً .

والحقل ، قراح طيب يزرع فيه ، وقيل هو الموضع الجادس أي البكر الذي لم يزرع فيه قط . يقال أحقلت الأرض ، صارت ذات حقل . والمحقل المزارع^١ . والمبقلة : الأرض التي يزرع البقل فيها . وأما المبطخة ، وتجمع على مباطخ ، فالأرض التي يزرع فيها البطيخ . والمرج : الأرض الواسعة ذات كلاً وماء ، تمرج فيها الدواب حيث شاءت^٢ .

والسبخة أرض ذات نر وملح ، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض النبات . ولهذا لا يزرعها الفلاح ، وترك لعدم صلاحها للزرع ، ولصعوبة استصلاحها بغسلها من الأملاح^٣ . وفي جزيرة العرب سباح رخوة قد تغوص فيها الأقدام ، لذلك ابتعد عنها المسافرون .

ويعبر في المسند عن الأرض المزروعة نخيلاً بلفظة (انخل) ، أي (نخيل) . ويراد بذلك الأرض المغروسة نخلاً . ويعبر عن الأرض المزروعة أشجاراً بلفظة (اثمر) ، أي أشجاراً مثمرة ، وعن الأرض المخصصة بزراعة الحبوب بكلمة (منذرا) (مندرى)^٤ . وعن الأرض التي تزرع أعناباً ب (اعنب) ، أي بساتين الكروم .

وفسر بعض الباحثين في العرييات الجنوبية لفظه (موفرن) (موفر) ، الواردة في نصوص المسند ، بمعنى الأرض الصالحة للزراعة بصورة عامة ، كما فسرهما بعضهم بمعنى المزرعة والحديقة^٥ . وهي في مقابل لفظه (الوفراء) في عربيتنا ، والوفراء الأرض التي لم ينقص من نباتها شيء ، والأرض التي في نباتها فرة ، أي كثرة . يقال أرض وفراء ، وهذه أرض نباتها فر ، وفرة^٦ .

١ تاج العروس (٢٨١/٧) ، (حقل) ، القاموس (٣٥٨/٢) ، جامع الاصول (٤٧٨/١١) .

٢ عمدة القاري (٢١٤/١١) وما بعدها .

٣ تاج العروس (٢٦١/٢) ، (سبخ) .

٤ REP. EPIGR., Tome, V, p. 196.

٥ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 58.

٦ نقوش خربة معين (ص ٢٥) ، النقش رقم ١٧ .

٦ تاج العروس (٦٠٥/٣) ، (وفر) .

وقد حوّل بعض أصحاب الأرض والمزارعين الأرضين الزراعية الى بساتين وحدائق ، غرست بالنخيل والشجر الملتف درّت عليهم أرباحاً حسنة ، من بيع ثمارها . واكتسبت بعضها شهرة ، بسبب وقوع أحداث فيها ، مثل : (الحديقة) من أعراض المدينة ، كانت بها رقعة بين الأوس والخزرج^١ ، ومثل (حديقة الرحمان) ، بستان كان لمسيلمة بفناء البامة ، فلما قتل عندها سميت : (حديقة الموت)^٢ .

والحديقة ، الروضة ذات الشجر ، والبستان عليه الحائط ، وخص بعضهم من النخل والشجر الملتف ، وخص بعضهم الشجر بالثمر ، وقال بعضهم بل هي الجنة من نخل وعنب ، والقطعة من النخل^٣ . و (المخرف) مثل (الحروقة) النخلة أو النخيل دون البستان^٤ . و (المخرقة) سكة النخل والبستان من النخل^٥ .

وقد وردت الجنة مفردة ومجموعة ومنكّرة ومُعرّفة في القرآن الكريم . وتقابل (كن) « Gan » و (كنه) « Gannah » = « Gehenne » في العبرانية ؛ وهي في معنى (فردوس) الفارسية الأصل ، و « Paradise » في الانكليزية^٦ . ويراد بها موضع للأشجار الجميلة التي تسرّ الناظرين والأشجار المثمرة والورد والزهر والمياه . والحديقة ذات النخيل والشجر ، أو ذات النخل والعنب . وهي البستان عند بعض اللغويين^٧ . وأما (الجنة) ، فتصغير جنة .

و (البستان) من الألفاظ المعربة . ذكر علماء اللغة أنها (معرب بستان . فبو بمعنى الرائحة : وستان - بالكسر - الجاذب) بالفارسية^٨ . و (الروضة) و (الريضة) ، مستنقع الماء من قاع فيه جرائم ورواب سهلة صغار في سرار الأرض . وقيل الأرض ذات الخضرة ، وقيل البستان الحسن ، وقيل الروضة عشب وماء ، ولا تكون روضة إلا بماء معها أو الى جنبها ، وقيل أرض ذات مياه وأشجار وأزهار

١ تاج العروس (٣٠٩/٦) ، (حديق) .

٢ تاج العروس (٣١٠/٦) ، (حديق) .

٣ تاج العروس (٣٠٩/٦) ، (حديق) .

٤ الروض الانف (٢٩١/٢) .

٥ تاج العروس (٨١/٦) ، (خرف) .

٦ Ency., I, p. 1014, Hastings, p. 282, 681.

٧ القاموس (٢١١/٤) ، تاج العروس (١٦٦/٩) ، (جنن) .

٨ تاج العروس (١٤٠/٩) ، (البستان) .

طيبة . وإن كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف ، فهي السلقان ، واحدها سلق ، وإن كانت في الوطآت فهي رياض . ورب روضة فيها حرجات من الصدر البري ، وربما كانت الروضة ميلاً في ميل ، فإذا عرضت جداً فهي قيعان . ورياض (الصُّمان) والحزن بالبادية أماكن مطمئنة مستوية يستريح فيها ماء السماء ، فأثبتت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول^١ .

ويقال للبستان إذا كان محاطاً بجدار (الحائط) ، وتجمع على حوائط . وقد وردت هذه اللفظة في كتب الحديث^٢ . وهناك لفظة أخرى تؤدي هذا المعنى هي (الحطار) . ويراد بها الأرض التي فيها الزرع المحاط عليها . وقد ذكرت في كتب الحديث^٣ . وذكر علماء اللغة أن من معاني (الحطار) ، الحائط وكل ما حال بينك وبين شيء ، وما يعمل للابل من شجر ليقىها البرد والريح . والجدار من الشجر يوضع بعضه على بعض ليكون ذرى للمال يرد عنه برد الشمال في الشتاء^٤ .

وبعبّر في المسند عن الحقول والبساتين وكل المزارع التي تكون داخل حدود القرى و (الهجر) (الهجر) أي المدن ، أو في ضواحيها وأطرافها ، بلفظة (اقنى) ، التي تعني الممتلكات ، أي المزارع المملوكة المغروسة بالشجر . أما لفظة (أرض) ، فتطلق بمعنى المزارع والأرضين المزروعة خارج حدود القرى والمدن ، وتزرع عادة بالمرزوعات الواطئة ، أي : (الخضر)^٥ .

وتحدد الأرضين بحدود تعين معالمها وتثبتها . ويقال للحدود (وثن) أي حد ، ويجمع على (اوثن) . وهناك لفظة أخرى تطلق على الحد هي (زنن) . وتعني الخط الفاصل الذي يعين الحدود^٦ . وتجمع اللفظة على (ازنن) . والدَّبر مشاراة المزرعة ، أي مجاري مائها . وقيل : الدبار الكردة من

-
- ١ تاج العروس (٣٨/٥) ، (روض) .
 - ٢ القاموس (٣٥٥/٢) ، (حوط) ، جامع الاصول (٤٧٧/١١) ، تاج العروس (١٢٣/٥) .
 - ٣ جامع الاصول (٢٢٩/١١) .
 - ٤ تاج العروس (١٥٠/٣) ، (حطر) .
 - ٥ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 8.
 - ٦ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 69, 72, Glaser 1061, Hofmus. 12.

المزرعة ، والدبار : الأنهار الصغار التي تنفجر في أرض الزرع^١ . و (الكردة) ،
الدبرة من المزارع ، وهي المشارات أي سواقيها . وهي من الألفاظ المعربة عن
الفارسية^٢ . و (المشارة)^٣ ، الكردة ، وهي من الألفاظ المعربة^٤ .

ويعرف حافظ الكرم والنخل والزرع بـ (الناطر) و (الناطور) . ذكر علماء
اللغة ان اللفظة من كلام أهل السواد ، ليست بعربية محضة ، ومنهم من جعلها
من الألفاظ الأعجمية^٥ . و (التطّار) الخيال المنسوب بين الزرع^٦ .

وقد استغل أهل اليمن الجبال والمناطق المرتفعة ، فزرعوها بمختلف المزروعات
التي تلائم طبيعتها ، ففي المحلات التي يكون الجو فيها بارداً في الشتاء ولطيفاً
في الربيع والصيف غرست الأشجار التي تلائم ذلك ، وزرعت في المناطق الوسط
المعتدلة النباتات التي تحب اعتدال الجو . أما في التهائم والمناطق المنخفضة الحارة ،
فقد زرعت النباتات التي تحب هذا الجو . وبذلك تنوعت المزروعات . وتكاثرت
ألوانها ، وصار في الامكان الحصول في موسم الشتاء على المزروعات التي تزرع
في الصيف ببعض البلاد الباردة ، والحصول في موسم الصيف على المزروعات التي
تزرع في الشتاء .

ولتحقيق غرس الجبال والمناطق المرتفعة ، لا بد من تمهيدها للزرع . وذلك
بجعلها مدرجات عريضة ، تسند جوانبها الظاهرة بالصخور والحجارة منعاً من
أنهيار تربتها والمزروع فيها ، ويقال لهذه المدرجات في المسند (جروب) (جرب)
جمع (جربت) (جربة) . وتحمي الجربة بحائط من الحجارة . وهي تعني
الحجارة المقطوعة، على سبيل المجاز المرسل من باب تسمية الكل باسم الجزء علاقة^٧ .
وأهل اليمن لا يزالون يتبعون هذه الطريقة ، وفي كثير من المناطق الجبلية
والهضاب المهملة الآن آثار تلك المدرجات . نتحدث عن زرع يانع في الأيام

١ تاج العروس (١٩٧/٣) ، (دبر) .

٢ تاج العروس (٤٨٥/٢) ، (كرد) .

٣ بالفتح .

٤ تاج العروس (٥٤٢/٣) ، (هشر) .

٥ تاج العروس (٥٧٢/٣) ، (نطر) .

٦ تاج العروس (٥٧٣/٣) ، (نطر) .

٧ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 43, 124, Kat. Texte, II, S. 32.

القديم ، وهي تناجي أهل البلاد لعلهم ينتبهون إليها فيعيدون إليها الحياة . وقد كانت زراعة الكروم ولا تزال من أهم المزروعات التي تعتمد على هذه الطريقة . وهي تتحمل جواً بارداً بعض البرودة ومعتدلاً ، ولهذا تجود بالشمر الكثير الطيب في هذه المدرجات .

وقد أشار (بطليموس) ، الى انخساذ أهل النجود والجبال في بلاد العرب المدرجات لزراعها وتشجيرها. وأطلق على الجبال المكونة للقسم الجنوبي من (السراة) اسم « Climax Mons » ومعناه الجبال المدرجة ، فترى وكأنها ذات سلام . وهذه الطريقة شائعة في اليمن حتى اليوم ، ولا سيما في جبل حضور نبي شعيب وفي الأقسام الغربية من السراة . فجبال (القليمس) « Climax Mons » التي يشير إليها (بطليموس) ، إذن هي القسم الجنوبي من السراة الممتد في اليمن وعسير^١ . وزرع أهل (السراة) على هذه الطريقة أيضاً ، وكذلك أهل الجبال والمرتفعات ، ففي استطاعة المزارع في المواضع المرتفعة الاستفادة من ماء المطر وبالتحكم فيه ، ومحصره في (الركيب) أي المشارة المزروعة ، أعني المزرعة التي يزرع بها ، والتي قد تكون ما بين ساقيتين أو الجدول بين الدبرتين ، أو المزرعة بصورة عامة . كما جاء في قول تأبط شراً :

فيوماً على أهل المواشي وتارة لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل^٢

لقد تبين من نتائج الفحص العام الذي قام به الباحثون لمواضع من العربية الجنوبية ، ان الزراعة كانت متقدمة تقدماً كبيراً في اليمن بالنسبة الى بقية أنحاء جزيرة العرب ، وأن العربي الجنوبي حرص حرصاً شديداً على الاستفادة من الأمطار في إرواء أرضه ، كما يتبين ذلك من آثار السدود التي تلاحظ في كل وادٍ تقريباً . وهي سدود أقيمت لا لكي تتحكم في سير (السيول) وفي ضبطها خشية إغراق المدن والقرى والزرع فقط ، بل لكي يمكن تخزينها في أحواض وتوجيهها الوجهة التي يريدونها في أوقات الحاجة إليها ، وذلك بواسطة أبواب

Glaser, Skizze, II, S. 215, D.G. Hogarth, The Penetration of Arabia, p. 20,

Forster, II, p. 270. f.

٢ تاج العروس (١/٢٧٨) ، (ركب) .

تفتح وتغلق حسب الحاجة ، وقنوات ومجاري للماء توصل إلى مواضع الزرع والحاجة إلى الماء .

وقد درس بعض الباحثين ومنهم (بون) « R. Le Baron Bowen » حالة الإرواء والزراعة في العربية الجنوبية دراسة علمية قيّمة وقدّم لنا معلومات ثمينة عن هذا الموضوع ، جعلتنا نأخذ فكرة عن أسلوب الزراعة والري عند العرب الجنوبيين منذ الألف الثانية قبل الميلاد إلى ما بعد الميلاد^١ . ودرس غيره من الباحثين بعض أساليب الزراعة واستغلال الأرض عند العرب الجنوبيين ، ولا سيما القتبانيين وعند غيرهم أيضاً ، وفي تقارير خبراء الزراعة والنقط والمعادن الذين سبروا أرض جزيرة العرب في مواضع مختلفة منها ، بعض المعلومات المفيدة عن الزراعة وعن أمور الري عند الجاهليين .

والأودية هي من أهم مناطق الزراعة في اليمن وفي العربية الجنوبية وفي بقية أنحاء جزيرة العرب ، ففيها الخصب والنماء والماء . ويقال للوادي (سرن) (السر) و (سرم) (سرن) ، والجمع (أسرار) ، في العربيات الجنوبية . (والسر) في قول علماء اللغة بطن الوادي وأطيه ، وأفضل موضع فيه ، وأخصب الوادي ، والذي كتم نداءه ولم ييبس^٢ . ويقال له (نخل) في اللهجة الصفوية . وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء جملة أودية ، زرعوا بها^٣ .

ونجد أطراف الأودية وجروفها وقد ظهرت المستوطنات بها ، كما ظهرت عند مصباتها ، وذلك لاستفادتها من السيول التي قد تهطل فتملأ بطونها . وهي تشبه المستوطنات التي تظهر على شواطئ الأنهار ، حيث تستفيد من المياه الجارية في النهر . وهي مستوطنات زراعية ، جلّ زراعتها النخيل ثم الحبوب وبعض الأشجار المثمرة والخضر والبقول .

وقد عثر على كتابات عديدة بالمسند وباللهجات العربية الأخرى ، تتحدث عن حفر آبار وعن زرع وعن تملك لهذه الآبار ، وأسماء تلك الأودية والمواضع التي

The Bible and the Ancient Near East, p. 317, 321, 325, R. Le Baron Bowen, Irrigation in Ancient qataban, Archaeological Discoveries in South Arabia,

p. 43.

٢ تاج العروس (٢/٢٦٣) ، (سر) .

٣ CIS 269, Pars quinta, p. 44, Dunand 1330 a.

حفرت بها تلك الآبار . وهي وثائق تملك ، تبين حق صاحبها في تلك البئر . ونجد في كتاب صفة جزيرة العرب وصف مواضع كانت غنية بالأغياح والمآجل والعيون ، وقد نبتت حولها الأشجار المثمرة والزروع ، وأنواع الخضر والبقول والأزهار ، مما يشير الى ما للماء من أهمية في احياء هذه الأرضين وفي استنباتها ، فلولا الأمطار الموسمية التي غذت اليمن بالماء الذي أولد الحياة في الأرض، لكانت اليمن قفراء مثل أكثر أرجاء جزيرة العرب ، ليس فيها نبت ولا زرع ، يكره أهلها الزراعة ويستهجونها ، ويرون في الاشتغال بها خسة ودية . وقد أقبل أهل هذه الأرضين التي توفرت بها مصادر الماء ، على استغلالها استغلالاً طيباً ، يدل على أن العرب لو تهيأ لهم الماء لما كرهوا الزراعة وازدروا شأن المزارعين .

واليامة من الأرضين الحصبة في جزيرة العرب ، قال عنها أهمل الأخبار : «وكانت أحسن بلاد الله أرضاً، وأكثرها خيراً وشجراً ونخيلاً من سائر الحجاز»^١. وقد نعتت بـ (ريف مكة) ، إذ كانت تمون مكة بالحبوب ، ولولاها لما تمكنت مكة من العيش برخاء . فلما أسلم (ثمامة بن أثال بن النعمان) الحنفي سيد أهل اليامة ، أراد العمرة ، فلما سمع به المشركون جاءوه ، فقالوا : يا ثمامة صهوت وتركت دين آبائك ! قال : لا أدري ما تقولون إلا اني أقسمت برب هذه البنية لا يصل اليكم من اليامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً من آخركم .. وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليامة ، ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم ، فلما أضر بهم كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها ، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا ، فان رأيت أن تكتب اليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل . فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان خل بين قومي وبين ميرتهم^٢ . وبذلك استراحوا وعادت أقواتهم اليهم .

ويجب ان نحمل ما جاء في الشعر من (جوع قديم) لبني حنيفة ، وهم من أهل اليامة ، محمل الأقوال التي يقولها الشعراء عند استهزائهم بخصومهم ، أو عند

١ تاج العروس (١١٥/٩) ، (يمم) .
٢ الاستيعاب (٢٠٦/١ وما بعدها) ، الاصابة (٢٠٤/١) ، (رقم ٩٦١) ، صحيح البخاري (كتاب الصلاة، باب الاغتسال اذا أسلم وربط الاسير في المسجد)، صحيح مسلم (كتاب الجهاد) ، زاد المسلم (٢٧٨/٢ وما بعدها) .

حقنهم على قوم لم ينالوا منهم خيراً ، أو محمل العصبيات القبلية . ورد في الشعر قول أحد الشعراء :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربها سوء العواقب واتباعه

وروي بهذه الصورة :

أكلت ربها حنيفة من جو عٍ قديم بها ومن اعوازا

وقد ذكروا ان (بني حنيفة) كانوا قد اتخذوا إلهاً من حيس ، فأصابتهُم سنة ، فعمدوا اليه فأكلوه فغيرهم الشاعر به . والحيس في تفسير علماء اللغة : تمر يخلط بالسمن وأقط فيعجن ، أو هو التمر البرني والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجنًا شديداً ثم ينذر منه نواه ، ثم يسوى كالثرید ، وهي الوطبة ، وربما جعل فيه سويق أو فثيت عوض الأقط^٢ .

وذكر أن اسم الیامة القديم هو (الجوف) ، وأن الجوف المطمئن من الأرض وهو أوسع من الشعب تسيل فيه التلاع والأودية وله جرفة^٣ . فالجوف أرض خصبة ذات مياه قد تسيل وقد تكون قريبة من سطح الأرض . ولما كانت الیامة على هذه الصفة ، لا يستبعد أن تكون قد سميت بهذه التسمية .

وبالیامة أودية خصبة ، صارت من أهم مواضع الخصب فيها ، لوجود الماء فيها على مقربة من سطح الأرض ولوجود العيون العذبة بها . من هذه الاودية : (العرض) . والعرض الوادي يكون فيه قرى ومياه ، أو كل وادٍ فيه نخل ، وقال بعضهم : كل وادٍ فيه شجرٌ . ومن أعراض الیامة ، عرض شمام ، وعرض حجر . فالاول يصب في (برك) وتلتقي سيولها بـ (جو) في أسفل (الحضرمة) ، فإذا التقيا سمّيا (محققاً) ، وهو قاع يقطع الرمل . قال الاعشى :

-
- ١ الإعلاق النفيسة (٢١٧) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٥/٤) ، (حاس) .
 - ٣ تاج العروس (٦٢/٦) ، (جوف) .
 - ٤ تاج العروس (٤٥/٥) ، (عرض) .

ألم ترَ أن العرض أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصا

وقال المتلمس وبه لقب :

وذاك أوان العرض جنّ ذبابه زنابيره والازرق المتلمس^١

وفي الشعر المتقدم دلالة على خصب (العرض) ، وكثرة زرعه ونخله ، وعلى اشتغال أهله بالزراعة .

وفي اليمامة مرتفع يقال له (عارض اليمامة) . والعارض الجبل وقد جاء ذكره في الحديث^٢ . وإلى ذلك أشار (عمرو بن كلثوم) بقوله :

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتين^٣

ومن أودية اليمامة (العقيق) ، وهو واد واسع مما يلي (العرمة) تتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون عذبة الماء^٤ . وبه معدن .

ومن مواضع اليمامة الحصيبة (قُرّان) ، موضع به ماء ونخيل ، وهو لبني سحيم من بني حنيفة ، ويذكر مع (ملهم)^٥ . و (ملهم) موضع كثير النخل ، به ماء . ويوم (ملهم) حرب نسبت لهذا المكان بين تميم وحنيفة^٦ .

وكانت في الحجاز ، ولا سيما ما وقع منه شمال المدينة ، عند ظهور الاسلام ، مواضع كثيرة ذات عيون ومياه جارية ، غرست بالنخيل، واشتغل أهلها بالزراعة. وقد كان وادي القرى كثير المياه بصورة خاصة، بالنسبة إلى باطن جزيرة العرب ، وعلى مواضع المياه أقيمت مستوطنات وقرى عديدة ، عاشت على النخيل والزرع وعلى القوافل التي تسلك هذا الوادي تحمل التجارات . وقد وردت أسماء مواضع عامرة آهلة بالسكان في غزوات النبي ، تقع كلها في شمال (يثرب) إلى فلسطين ، وبين مكة ويثرب بعض مواضع مياه ، عاش سكانها على النخيل والقوافل والرعي

-
- ١ تاج العروس (٤٦/٥) ، (عرض) .
 - ٢ تاج العروس (٤٣/٥) ، (عرض) .
 - ٣ تاج العروس (٤٩/٥) ، (عرض) .
 - ٤ تاج العروس (١٥/٧) ، (عقى) .
 - ٥ تاج العروس (٤٨٨/٣) ، (قرر) ، (٣٠٩/٩) ، (قرن) .
 - ٦ تاج العروس (٦٨/٩) ، (لهم) .

وبعض الزرع . وكذلك وجدت بعض مواضع مياه (مكة) والعربية الجنوبية .
ومن الأماكن الحصبة (وادي الغرس) ، قرب (فدك) بينها وبين (معدن
النقرة) ، وكانت فيه منازل بني النضير^١ .

ومن المواضع التي استغلت في الزراعة الجرف . وهو موضع قرب المدينة على
ثلاثة أميال منها ، بها كانت أموال (عمر) . ومنه حديث (أبي بكر) انه
مرّ يستعرض الناس بالجرف فجعل ينسب القبائل حتى مرّ ببني فزارة^٢ . وكان
(عبد الرحمن بن عوف) يزرع به على عشرين ناضحاً ، فكان يدخل منه قوت
أهله سنة^٣ . أي انه كان يسقي زرعه ناضحاً ، والناضح البعير أو الحمار أو الثور
الذي يستقي عليه الماء ، والنضيج من الحياض ما قرب من البئر حتى يكون الافراغ
فيه من الدلو ، ويكون عظيماً ، وهي ناضحة وسانية^٤ .

وأرض يثرب وما تبعها من أطراف ، هي من الأرضين الحصبة ، وقد حفر
أصحابها آباراً بها ، وسقوها منها ، وغرسوا عليها النخيل وزرعوا بها : واتخذوا
لهم بها (الحوائط) و (البساتين) . ويظهر أن بعضها كانت واسعة تسقى بآبار
غنية بالماء ، لها جملة نواضح . وهي تظهر أن أهل المدينة كانوا مزارعين ، وأن
مزارعهم كانت تأتي عليهم بمال طيب ، جعل بعضهم من الأثرياء . وقد استفيد
من شراج الحرة في سقي المزارع ، وكانت تستمد ماءها من الحرة . وقد كانت
للزبير بن العوام مزرعة على هذه الشراج ، كما كان لأنصاري مزرعة عليها
كذلك ، وقد ورد ذكرهما في كتب الحديث بسبب اختلافهما على السقي^٥ .

وتتأني هذه الأخبار المتحدثة عن اشتغال الأنصار بالزراعة ، الأخبار الأخرى
التي يرونها أهل الأخبار أيضاً ، الذاكرة أن الأنصار ، أهل المدينة لم يكن لهم
علم بالزراعة ولم يكونوا يقبلون عليها ، لإقبال يهود خيبر وفدك ووادي القرى
على الفلاحة . ويظهر أن رواياتهم هذه إنما نشأت من الوضع السيئ الذي كان
فيما بين الأوس والخزرج ومن تقاطلهم بعضهم مع بعض ، على الرئاسة والزعامة ،
وبسبب العصبية القبلية الضيقة ، فأثر كل ذلك على الزراعة في يثرب وفيما حولها

-
- ١ تاج العروس (٢٠١/٤) ، (غرس) .
 - ٢ تاج العروس (٥٦/٦) ، (جرف) .
 - ٣ الاستيعاب (٣٨٨/٢) ، حاشية على الاصابة .
 - ٤ تاج العروس (٢٤٠/٢) ، (نضح) .
 - ٥ ارشاد الساري (١٩٧/٤ وما بعدها) ، تاج العروس (٦٣/٢) ، (شرح) .

فجعلها متأخرة لاعتداء كل جانب منها على زرع خصمه، وقد ألهمهم عن الزرع .

وبالمدينة وأطرافها مواضع عرف الواحد منها بـ (البقيع) . والبقيع الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، والمكان المتسع ولا يسمى بقيعاً إلا وفيه الشجر ، ومنه (بقيع الغرقد) ، وقد ورد في الحديث ، وهو مقبرة مشهورة بالمدينة . سمي بالغرقد ، بشجر له شوك فذهب وبقي الاسم لازماً للموضع، وبقيع الخليل، وبقيع الحجابة، وبقيع الزبير، وبقيع الخضعات، موضع عند خرم بني النبيت^١ .

ويثرب ثلاثة أودية مهمة هي : العقيق ، وبطحان ، وقناة^٢ . وفي وادي العقيق عيون ونخيل ، وقد ذكر في الحديث^٣ . والأودية المذكورة من المواضع الخصبة المنبتة في هذه المنطقة ، ومياها قريبة من سطح الأرض ، ومن الممكن العثور عليها بسهولة بحفر الآبار بها .

ومن الأودية التي استفيد منها في الزراعة (وادي مهزور) ، وقد ذكر في الحديث . ذكر انه وادي بني قريظة ، وان الرسول قضى في سيله ان يحبس حتى يبلغ الماء كعبين . وذكر بعضهم انه يذكر مع (مذنيب) سيلان بماء المطر خاصة ، وهو من أودية المدينة . ومن مهزور الى مذنيب شعبة تصب فيها^٤ .

وقد كان من الممكن استصلاح الأرض المحيطة يثرب ، بحفر الآبار بها ، فالماء فيها غير بعيد عن سطح الأرض ، وهو عذب أو معج لكنه يصلح للشرب ولسقي الزرع . ولما نعمت يثرب بالهدوء في عهد الرسول ، أقبل بعض المهاجرين على الزراعة فيها ، فحفروا الآبار وزرعوا عليها ، وحوطوها ، وجنوا منها ثمرات طيباً ، ولولا الفتوحات الاسلامية التي اجتلبت اليها المهاجرين والأنصار على السواء، للخيرات الكثيرة التي كانت في الأرضين المفتوحة ، لتحولت يثرب الى بساتين ومزارع منتجة ، تكون الأماكن البعيدة عنها بالتمور وبالفواكه والخضر .

وقد زرع أصحاب الأرض يثرب أرضهم بقولاً وجوباً ، ومنهم من زرع تحت النخيل ، ورد أن مولى من موالي (عثمان بن مظعون) كانت في يده أرض

-
- ١ تاج العروس (٢٨٠/٥) ، (بقع) .
 - ٢ تاج العروس (١٢٥/٢) ، (بطح) .
 - ٣ تاج العروس (١٥/٧) ، (عقي) .
 - ٤ تاج العروس (٦٢٠/٣) ، (هزر) .

لآل مظعون بالحرة ، فكان يزرعها قثاءً وبقلاً^١ . ولما صارت أرض (بني النضير) خالصة لرسول الله ، كان يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح^٢ . وقد كان بنو النضير قد استغلوا أرضهم ، وأقاموا بها (الحوائط) ، ولما أسلم (مخريق) ، وهو أحدهم ، جعل للرسول ماله وهو سبعة حوائط ، فجعلها الرسول صدقة^٣ . وذكر في بعض الروايات أن (أحيحة بن الجلاح) ، وكان من أصحاب الأملاك يثرب ، كانت له بساتين وأرضين يزرعها ويسقيها بالسواني فلا يعيبأ بتأخر المطر وانقطاعه . ونسب بعض أهل الأخبار له هذه الأبيات :

إذا جهادي منعت قطرها إن جناني عطن معصف
معرورف أسبل جباره أسود كالغابة مغدودف
يزخر في أقطاره مغدق بحافته الشوع والغريف^٤

ويظهر من وجود المصطلحات الآرامية والفارسية والنبطية في لغة زراع يثرب ، أنهم استعانوا في الجاهلية بالرقيق المستورد من العراق ومن بلاد الشام في زراعة الأرض وفي انبائها ، حتى أنهم أخذوا مسمياتها منهم ، مثل (الخربز) الذي هو البطيخ في لغة أهل مكة ، كانوا يسمونه (الخربز) ، و (الخربز) لفظة عربية معربة ، من أصل فارسي ، وقد وردت في الحديث^٥ . ونجد في مواضع من بقية جزيرة العرب مياهاً صارت مواطن لسكن ، اختلفت كثافة سكانها باختلاف مقدار الماء. وهي رحمة وغوث بالنسبة للرحل ولأهل القوافل ولذلك صارت ملاذاً استليذ به في هذه البوادي البعيدة الأبعاد الجافة القاسية ، وقد اضطرت القوافل إلى الاتجاه نحوها للوصول إلى أهدافها ، لذلك صارت عقداً ، تجتمع في بعض منها جملة طرق برية ، إذ كانت ذات مياه غزيرة وعلى مفترق طرق ، تختصر الأبعاد والمسافات ، وفي هذه الأماكن ، ظهرت زراعة النخيل ، وهي زراعة تقنع بالقليل من الماء ، لامتصاصها الرطوبة من باطن الأرض، وبعض

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٢٢) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٣١) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٣١) .
 - ٤ تاج العروس (٤٠٤/٥) ، (شوع) .
 - ٥ تاج العروس (٣٣/٤) ، (الخربز) .

النباتات الأخرى ، التي لا تحتاج الى سقي كثير ، وظهرت البيوت المعدة لاستقبال التجار والمسافرين وأصحاب القوافل .

وفي العربية الشرقية مواضع قرب فيها الماء العذب من وجه الأرض ، أو ظهر على وجهها وفار على شكل عيون ، وفي هذه المواضع صار سكن وزرع تناسبت كثافته مع كثافة الماء ومدى وصوله ، حيث توقف عند ذلك المكان الذي انتهى اليه . فالماء هو الذي يحدد الزرع ويعين نوعه ، وهو الذي يقرر السكن ويثبت حده . ومن هذه المواضع التي وجد فيها سكن وزرع (هجر) ، وقد اشتهرت بنخيلها ، فقصدتها الأعراب لامتياز التمر منها ، حتى ضرب بها المثل في كثرة التمر ، فقليل : كمبضع تمر الى هجر . ويظهر ان مياهها كانت راكمدة متجمعة ، فتسببت في ظهور الأوبئة فيها . قال (عمر) « عجبت لتاجر هجر ، وراكب البحر . وانما خصها لكثرة وبائها ، أي تاجرها وراكب البحر سواء في الخطر »^١.

والأحساء من المواضع المشهورة بالزراعة في العربية الشرقية ، وقد عرفت بزراعة النخيل وبعض الأشجار والخضر ، وهي لا تزال على مكانتها ، فلا تزال عيون مائها تمون الناس بماء شربهم وزرعهم . و (قطر) موضع قديم يعود عهده الى ما قبل الميلاد ، وقد أشير اليه في الكتب اليونانية واللاتينية ، وأسس به المبشرون كنائس ، وقد ساهم أساقفته في المجامع الكنسية التي انعقدت للنظر في أمور الجدل بين المذاهب النصرانية ، كما اشتهرت بثياب جيدة نسبت اليها ، أشير اليها في الحديث ، كما أشرت الى ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

و (كاظمة) اسم قديم معروف ، يرد في الشعر الجاهلي وفي القصص ، جو من سيف البحر من البصرة على مرحلتين . وفيه ركابا كثيرة وماؤها شروب . وقد أشير الى قطاها في شعر لامرئ القيس^٢ . و (المرائض) في ديار (تميم) بين (كاظمة) و (النقبرة) فيها أحساء^٣ .

١ تاج العروس ٣/٦١٤ ، (هجر) .
٢ تاج العروس ٩/٤٧ ، (كظم) .
٣ تاج العروس ٥/٣٩ ، (روض) .

الفصل التسعون

الزراع

ولا بد من حرث الأرض وتنقيتها من الشوائب الضارة بالزراع ، ومن تليينها ، وذلك قبل الشروع بالبذر أو بالغرس . وقد كان بعضهم يحرق الأدغال والأعشاب وما يجده على الأرض المراد زرعها من زوائد وأوساخ ، وذلك للتخلص منها ، وللإستفادة منها في تقوية التربة وزيادة نمائها . ثم يقومون بحراستها فيندمج رمادها في التربة ويصير جزءاً منها . وقد يقتلون أصول الزراع السابق وما يكون قد نبت على الأرض من نبات غريب مؤذ للزراع ، قبل حراثة التربة . فإذا تم ذلك ، ونظفت التربة ، سقوها بالماء ليكون من السهل على الأكثار حرث الأرض وتعزيقها ، وربما لا يسقونها ، بل يحراثونها مباشرة . وذلك بالنسبة للأرضين التي تسقى بماء السماء ، حيث لا يتوفر الماء الجاري ، أو ماء الآبار . ومتى تمت الحراثة وقلبت التربة ، تهيأت للزراع ونظمت وفقاً لنوع الزراع الذي سيكون فيها ، على هيئة ألواح طويلة دقيقة ، أو مربعات تتخللها السواني والقُسنِيّ ، أو غير ذلك ، ثم يشرع بعد ذلك في الزراع والغرس . ويقوم الزارع نفسه في العادة بحرث أرضه وإصلاحها وتمهيداً للزراع . وقد يقوم بالحراثة أشخاص مقابل أجر يدفع لهم . والحرث والحراثة العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً . وقد يكون الحرث نفس الزراع . وذكر أن الحرث قذفك الحب في الأرض للازدراع ، والحرث الزراع^١ . و (الكرّاب) في مرادف الحرّاث ، والكرابة الحراثة . والكرّاب

١ تاج العروس (١/٦١٤) ، (حرث) .

والكرب لإثارتك الأرض . و (الفلاح) في معنى الحرث والأكار . لأنه يفلح الأرض ، وحرفته الفلاحة . ورد : « أحسبك من فلاحة اليمن ، وهم الأكرة ، لأنهم يفلحون الأرض يشقونها » . والفلاحة الحراثة ، وهي حرفة الأكار^١ . و (الجوار) الأكار ، وقيل : هو الذي يعمل لك في كرم أو بستان^٢ . و (الأكار) الحرث والزراع ، والمؤاكرة المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض . وهي المخابرة . ويعد الأكار من الطبقات المحترقة عند العرب . وفي حديث قتل أبي جهل ، فلو غير أكار قتلني . أراد به احتقاره وانتقاصه ، كيف مثله يقتل مثله^٣ ، فهو رجل شريف غني ثري ، فكيف يقتله من هو دونه في المنزلة والمكانة ، فكان يتمنى وهو مقتول ، لو كان قاتله مثله في المنزلة والمكانة .

وقد اشتهرت اليمن بالفلاحة ، ورد : « وأحسبك من فلاحة اليمن . وهم الأكرة ، لأنهم يفلحون الأرض ، يشقونها »^٤ . وقد بقيت شهرة أهل اليمن بالفلاحة الى هذا اليوم ، ومنهم قوم هاجروا الى العربية السعودية للاشتغال بالفلاحة في أرضها .

وأساليب الحراثة تكاد تكون واحدة عند جميع شعوب الشرق الأدنى . وبعض الأساليب بدائي جداً ، يُستعمل في حراثة الارضين الصغيرة بصورة خاصة . فتستعمل الحجارة أو الاخشاب أو الفؤوس على اختلاف أنواعها ، وبعضها متقدم نوعاً ما اعتمد على المسحاة وعلى آلات الحراثة التي تجرها الحيوانات ، وتستعمل هذه الطريقة في حراثة المزارع الكبيرة ، ومنها سكة الحراث حديدة الفدان التي يحرق بها الارض . وينسب الى الرسول قوله : ما دخلت السكة دار قوم إلا ذلوا . إشارة الى ما يلقاه أصحاب المزارع من عسف السلطان والى الجاه عليهم بالمطالبات وما ينالهم من الذل عند تغير الاحوال بعده . وقد ذكرت السكة في ثلاثة أحاديث بثلاث معان مختلفة^٥ . وورد في بعضها ما يفيد العكس ، أي مدح

-
- ١ تاج العروس (٢/٢٠٠) ، (فلاح) .
 - ٢ تاج العروس (٣/١١٣) ، (جار) .
 - ٣ تاج العروس (٣/١٧) ، (أكر) .
 - ٤ تاج العروس (٢/١٩٩) ، (فلاح) .
 - ٥ تاج العروس (٧/١٤٣) ، (سكك) .

للزراعة والزراعة وحث عليها .

وتشبه آلات حراثة الجاهليين الآلات التي يستعملها الفلاحون في بلاد العرب اليوم . وقد استعملوا (الفدان) في الفدن . و (الفدان) الثوران اللذان يفدن عليهما ، ولا يقال للواحد فدان^١ . وذكر ان (الهيس) الفدان ، أو أدواته كلها بلهجة أهل اليمن ، أو بلغة أهل عُمان^٢ .

ومن الآلات التي استعملت في حراثة التربة : المحفار ، وهي المسحاة وغيرها مما يحفر به^٣ . والمِخْدَة ، حديدة تخذ بها الأرض^٤ ، والمِعول ، لتكسير الحجارة والحفر . والمسحاة ، وهي من حديد ، وصانعها سحّاء ، وحرفته السحاية^٥ ، وهي لا تزال تستعمل في الحراثة وفي سد المياه وفتحها في السواقي لسقي المزارع والبساتين ، ولقلع الأعشاب والأشجار . و (المرّة) ، المسحاة أو مقبضها ، وقيل هو الذي يعمل به في الطين^٦ .

ومن المصطلحات المستعملة في الحراثة ، العزق ، وهو تشقيق الأرض بقأس . والأداة المعزق والمعزقة^٧ . والكور الحفر ، ومنها كرت الأرض كوراً أي حفرتها^٨ . والجوّار الأكار ، والأكار الحفّار^٩ . والتريك في الحرث رفع الأعضاء بالمجنب^{١٠} . والكّرَم من الأرض التي عدنوها بالمعدن حتى نقوا صخرها وحجارتها ، فتركوا مزرعتها لا حجر فيها ، وهي أفضل أرضهم . والأرض الكرم يحرث فيها البرّ ، وهي سهلة لا تحتاج إلى العدن^{١١} . والمعدن الصّاقور . ويقال عدنت الأرض أي أصلحتها^{١٢} . وأما قولهم نَحْنَحْتُ الأرضَ فبمعنى شقققتها

-
- ١ القاموس (٢٥٥/٤) ، (فدن) ، المخصص (١٥٢/١٠ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٩٩/٩) ، (فدن) .
 - ٢ المخصص (١٥٢/١٠) ، القاموس (٢٦٠/٢) ، تاج العروس (٢٧٦/٤) ، (الهيس) .
 - ٣ القاموس (٤٢/٢) ، تاج العروس (١٥١/٣) ، (حفر) .
 - ٤ المخصص (٤٧/١٠) .
 - ٥ تاج العروس (١٧٠/١٠) ، (سحا) .
 - ٦ تاج العروس (٥٣٨/٣) ، (مرر) .
 - ٧ القاموس (٢٦٤/٢) ، تاج العروس (١٢/٧) .
 - ٨ تاج العروس (٥٣١/٣) ، (كور) .
 - ٩ القاموس (٢٦٥/١ ، ٢٩٤) ، تاج العروس (١١٣/٣) ، (جاد) .
 - ١٠ المخصص (١٤٨/١٠ وما بعدها) ، القاموس (٤٩/١) .
 - ١١ المخصص (١٤٨/١٠) ، تاج العروس (٤١/٩ وما بعدها) ، (كرم) .
 - ١٢ المخصص (١٤٨/١٠) ، تاج العروس (٢٤٧/٩ وما بعدها) ، (عدن) .

للحرث . والنخلة البقر العوامل^١ . ويقال رُضت الأرض إذا أثرت^٢ . وأما وطدت الأرض فبمعنى ردمتها لتصلب ، والميطدة خشبة يوطد بها المكان من أساس بناء وغيره ليصلب^٣ . ويقال شحبت الأرض شحيباً وأشحبها ، إذا قشرت وجهها بمسحاة وغيرها ، وهي يمانية^٤ . ويقال لكل واحد من أخاديد الأرض تَلَمٌّ والجمع التِلَام . وهو مشق الكراب في الأرض بلغة أهل اليمن^٥ . والخرق بمعنى شق الأرض للحرث . وخضضت الأرض بمعنى قلبتها^٦ .

والحيوانات المستخدمة في الحراثة هي الثيران والحُمير والخيل والجمال ، وذلك بحسب كثرة هذه الحيوانات وقتلتها، ويستعمل في الحرث حيوان واحد حيناً وحيوانان حيناً آخر . وقد وصلت إلينا بعض النصوص الجاهلية محفورة فيها صور حيوانات تحرث ، تجر المحراث ويسوقها الفلاح . ويكون الكراب على البقر ، وهو الغالب ، وفي المثل : « الكراب على البقر »^٧ .

ويظهر من كتب الحديث أن اعتماد أهل الحجاز في الحراثة كان على البقر . وقد ورد في الحديث : « بينما رجل راكب على بقرة ، التفتت إليه ، فقالت : لم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة »^٨ . ويظهر أنهم كانوا يستعملون الكلاب في الحراثة كذلك . ففي الحديث : (كلب حرث) . وقد ورد أيضاً (كلب غنم) و (كلب ماشية) ، و (كلب صيد) ، و (كلب زراعة)^٩ .

ويشتغل الفلاح بعد حراثة الأرض باصلاحها ونثر الحب فيها نثراً متساوياً منتظماً ، ويستعمل لذلك بعض الآلات ، مثل (الماتق)^{١٠} و (المِملَقَة) .

-
- ١ تاج العروس (٢٨٢/٢) ، (نخخ) .
 - ٢ تاج العروس (٣١٣/٨) ، (رضم) .
 - ٣ القاموس (٣٤٥/١) وما بعدها .
 - ٤ المخصص (١٤٨/١٠) ، القاموس (٨٥/١) وما بعدها .
 - ٥ المخصص (١٤٨/١٠) ، القاموس (٨٣/٤) .
 - ٦ المخصص (٢٤٨/١٠) .
 - ٧ المخصص (١٥٠/١٠) .
 - ٨ عمدة القارئ (١٥٩/١٢) وما بعدها ، (باب استعمال البقر للحراثة) .
 - ٩ عمدة القارئ (١٥٧/١٢) وما بعدها ، جامع الاصول (٤٦١/٧) وما بعدها ، « في ذكر الكلاب واقتنائها » ، ارشاد الساري (١٧٢/٤) وما بعدها ، (باب اقتناء الكلب للحرث) .
 - ١٠ كهاجر .

وهي خشبة عريضة ، تجرها الثيران ، وقد أثقلت لتستوي السنّة واللّزمة فتتلا على الحب ، وتملس التربة المثارة^١ . و (المَجَزُّ) ، وهي شبة فيها أسنان وفي طرفها نَقَرَان يكون فيها حبلان وفي أعلى الشجة نقران فيها عود معطوف ، وفي وسطها عود يقبض عليه ثم يوثق بالثورين فتغمز الاسنان في الارض حتى تحمل ما قد أثر من التراب حتى يأتيها به المكان المنخفض^٢ . (والمجنب) وهي شبة مثل المشط ، إلا أنها ليست لها أسنان ، وطرفها الاسفل مرهف يرفع بها التراب على الاعضاد والفلجان^٣ .

ويعبر في عربية القرآن الكريم عن طرح البذر في الارض بلفظة (زرع) . ويقال أيضاً : زرعت الشجر كما يقال زرعت البُرّ والشعير . والزرع الإنبات . ومن هذا الاصل لفظة الزرع والزراعة^٤ .

وتثار الارض وتقلب على الحب ، لضمان طمر الحب في التربة ، فلا يظهر على سطحها ، فتلتقطه الطيور ، ويتعرض للعوارض الجوية التي تفسده وتتلفه . ثم تسقى الارض ، ويقال للسقية الاولى العَقْر ، ثم تسقى بعد ذلك بحسب الحاجة حتى ينمو الزرع وينضج ويجمع ، فيقطع عندئذ السقي^٥ .

والحبة^٦ ، بزور البقول والرياحين ، أو بزر العشب ، أو جميع بزور النبات ، وبزر كل ما نبت . والحبة أيضاً يابس البقل ، تقول العرب : رعينا الحبة ، وذلك في آخر الصيف ، اذا هاجت الارض ويبس البقل والعشب وتناثرت بزورها وورقها ، فإذا رعتها النعم سمت عليها . ويسمّون الحبة بعد الاندثار : القميم والقف^٧ .

والبزر كل حب يبذر للنبات . والبزور : الحبوب الصغار ، مثل بزور البقول وما أشبهها^٨ .

-
- ١ المخصص (١٥٤/١٠) ، القاموس (٢٨٤/٣) ، تاج العروس (٧٣/٧) ، (ملق) .
 - ٢ المخصص (١٥٤/١٠) ، تاج العروس (١٦/٤) ، (جز) .
 - ٣ المخصص (١٥٤/١٠) ، تاج العروس (١٩١/١) ، (جنب) .
 - ٤ تاج العروس (٣٦٨/٥) ، (زرع) .
 - ٥ تاج العروس (٤١٠/٣) ، (عفر) .
 - ٦ بالكسر .
 - ٧ تاج العروس (١٩٨/١) ، (حبيب) .
 - ٨ تاج العروس (٤٠/٣) ، (بزر) .

و (البذر) ، ما عزل للزراعة من الحبوب . و (البذر) زرع الارض^١ .
وتزرع بعض الزروع على السواقي وأطراف مسابيل الماء ، وذلك بوضع (البذر)
أو (البصل) في حفر ، ثم يوضع فوقها قليل من التراب ، لمنع الطيور من
التهامها ، وللمحافظة عليها من أثر الجو فيها . وقد يزرع البذر ، فإذا نبت ،
تقلع النبتة الواحدة ، لتزرع في موضع آخر .

وإذا أصاب الزرع الخصب والنماء ، عبر عن ذلك بلفظة (خصب) في المسند^٢.
اللفظة التي نستعملها نحن في الزراعة ، بمعنى كثرة العشب والزرع والنماء والوفرة^٣.
ولا بد لنمو الزرع ونضوجه من اسقاء ، ويعبر عن السقي بلفظة أخرى هي
(المكر) . والمكر سقي الارض . يقال أمكروا الارض إذا سقوها^٤ .

ولتقوية الارض وإعادة الحيوية اليها ، استخدم الجاهليون التسميد . وبالسماذ
تعاد الى الارض بعض قوتها ، وينمو الزرع . وقد استعملوا في ذلك جملة وسائل
كما يفعل المزارعون في الزمن الحاضر الذين لا يزالون يسرون على طريقة القدماء
في التسميد ، فاستعملوا فضلات الانسان والحيوانات ، كما استعملوا الزبل أيضاً .
وذكر أن من أسعدتهم عذرة الناس والسرقين برماد ، يسمد به النبات ليجود^٥ .
والسرجين ، والسرقين ، الزبل تدبل به الأرض^٦ . والمزبلة موضع الزبل ، وزبل
زرعه يزبله ، سمد ، أي أصلحه بالزبل وكذلك الأرض^٧ . ويقال لتسميد الأرض
بالزبل (عدن الأرض) أي أصلحها بالزبل^٨ . ويقال دبّل الأرض دبولا^٩ ،
بمعنى أصلحها بالسرقين ونحوه لتجود ، فهي مدبولة^٩ .

ولحماية الزرع من عبث الطيور وبقية الحيوانات به ، اتخذوا وسائل عديدة
لحمايته . منها : اللعين . ما يتخذ في المزارع كهياة رجل ، أو الخيال تدعر به

١ تاج العروس (٣/٣٥) ، (بذر) .

٢ REP. EPIGR. 4646.

٣ تاج العروس (١/٢٣٥) ، (خصب) .

٤ تاج العروس (٣/٥٤٨) ، (مكر) .

٥ تاج العروس (٢/٣٨١) ، (سمد) .

٦ تاج العروس (٩/٢٣٤) ، (سرجن) .

٧ تاج العروس (٧/٣٥٤) ، (زبل) .

٨ تاج العروس (٩/٢٧٤) ، (عدن) .

٩ تاج العروس (٧/٣١٧) ، (دبّل) .

الطيور والسباع والوحوش^١ . و (الخيال) ، كساء أسود ينصب على عود ينحيل به للبهائم والطيور فتظنه انساناً . وقيل خشبة توضع فيلقى عليها الثوب للغنم اذا رآها الذئب ظنها انساناً . و (الخيلان) ، ما ينصبه الراعي عند حظيرة غنمه . وقيل : الخيال ، ما نصب في أرض ليعلم انها حمى ، فلا تقرب^٢ .

الحصاد :

ويحصد الزرع بعد نضجه ، يحصد بالمنجل . وأكثر ما يستعمل في البر والشعير ونحوهما من الزرع . والمحصد ، المنجل^٣ . والحصاد هو (فقل) في المسند^٤ . وقد فسر بعض العلماء لفظة (خرفت) بمعنى الحصاد كذلك^٥ . ولا يقصد بالحصاد هنا حصاد الحبوب وحدها ، كالحنطة والشعير ، كما نفهم من معنى اللفظة في عربيتنا ، وانما يقصد بها هذا ومعنى آخر هو جني الثمار وقطف الأعناب ، عند نضوجها .

ويقال لمن يحصد الحصاد بالآجرة (المحاين) ، وللعمل (المحاينة) ، يقال استأجره محاينة ، أي على الحصاد^٦ .

وترد لفظة (افقل) من أصل (فقل) في النصوص الزراعية ، وهي من الالفاظ الميانية القديمة التي وعثها كتب اللغة ، فذكرت ان (الفقل) التذرية بلغة أهل اليمن ، وان أهل اليمن يذرون بالمقلصة ، وهي الحفراة ذات الاسنان ، يرفعون بها الدق ثم ينثرونه وينثرونه لاستخلاص الحب منه . و (الدق) ما قد ديس ولم يذر^٧ . و (افقل) في نصوص المسند ، هي البيادر التي تتجمع من

١ تاج العروس (٣٣٥/٩) ، (لعن) .

٢ تاج العروس (٣١٥/٧) ، (خيل) .

٣ تاج العروس (٣٣٦/٢) ، (حصد) .

٤ Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 117.

٥ Glaser 181, CIH 197, REP. EPIGR. 3966, Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 113.

٦ تاج العروس (١٨٨/٩) ، (حين) .

٧ تاج العروس (٦٥/٨) ، (فقل) .

REP. EPIGR., VII, p. 285, Num. 4636, Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 157.

هذه الحبوب بعد التذرية .

وترد لفظة (خرف) في عربية القرآن الكريم بمعناها الوارد في نصوص المسند . فذكر علماء اللغة ، ان (خرف) بمعنى صرم واجتنى ، وان الاختراف بمعنى لقط النخل بـسراً كان أو رطباً ، وأنها تعني قطف الثمر ، كما وردت لفظة (المخرفة) بمعنى البستان والنخل والسكة بين صفيين من النخل ، يخترق المخترق من أيهما شاء ، والمخترق هو القاطف للثمر ، وأن (المخرف) بمعنى زنبيل صغير يخترق فيه من أطايب الرطب، أو الآلة التي تخترق فيها الثمار و (الخارف) حافظ النخل ، والخراف النظار ، والخرافة ما خرف من النخل^١ .

وقد وردت لفظة (نحقل) بمعنى النائج والمحصول . و (حقل) بمعنى الحاصل . أي الحاصل الزراعي المجموع من الحقل والمزرعة ، وذلك كما في هذه الجملة : « نحقل ثمنيت الفهم بقلم لس » . ومعناها : « الحاصل ثمانية آلاف لس من البقول » . و (لس) نوع من الكيل أو الوزن ، أو الكومات ، أو الحزم .

ويعبر عن الدراسة بلفظة (علص) في المسند . وفسر بعض علماء المسند لفظة (معلصت) ، بمعنى المزرعة والحقل^٢ . ولا استبعد كونها آلة من آلات الدراسة أيضاً .

وإذا ديس الزرع قيل لذلك العمل الدق والدياس والدراس . والإكادة كالإداسة^٣ . وأما الدقوقة ، فالبقر والحر التي تدوس الزرع لاستخراج حبه وتهشيم سيقانه^٤ . وقد تستعمل بعض الآلات لقطع سوق الزرع وتهشيم وتهشيم السنبيل ، تجرها الثيران أو الحمير ، ويجلس عليها شخص ليثقلها ، وهي مثل العجلة ، التي تقطع الجبل ، يقال لها (الحيلان) . وهي آلة من خشب لها محالتان كمحالة العجلة ، قد أنعلنا بحديد مضرس إذا دارتا على الجبل قطعتاه ، فتجعلان في طرفي عارضة

١ تاج العروس (٨١/٦) وما بعدها ، (خرف) .

٢ Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 115, Nr. 84, RW 125, CIH 197, Glaser 181.

٣ « أكد الحنطة داسها ودرسها » ، تاج العروس (٢٩١/٢) ، « أكد » .

٤ تاج العروس (٣٤٦/٦) ، (دق) .

ضخمة ، ويقعد عليها رجل ليثقلها ، ثم يجرها الثور على الجمل^١ . وأما (المقحفة) فالخشبة المتقفة التي يقحف بها الحب ، أي يذرى^٢ .

وبعد الدياسة والدراسة يذرى الطعام لفصل الحب عن التبن . ويستعملون في ذلك آلات التذرية ، وهي آلات يدوية ما زال الفلاحون يستعملونها كما كانت قبل آلاف السنين ، تتألف من مقبض طويل وأصابع في رأسه يذرى بها الهشيم في الهواء ، ليحمل الهواء التبن ، وهو خفيف الوزن إلى مكان والحب إلى مكان آخر . وقد ذكر العلماء جملة أسماء لآلة التذرية ، منها (المذرى) و (المذرة)^٣ و (المروح) و (المرواح) و (الميثار)^٤ و (الحفراة) ، وهي (الرفش) أيضاً^٥ .

ويتولى الفلاحون دوس الحاصل بأنفسهم ، لهشم السيقان والحصول على التبن والحب . يستعملون في ذلك أرجلهم وآلات الدياسة . أما إذا كان الحاصل كبيراً ، فيستعملون عندئذ الحيوان يمشي عليه ، أو يجر آلات الدياسة الثقيلة لهشم السيقان وفصل الحب عنها .

ومن عادات أهل اليمن في الدرس والدياسة التناوب ، وذلك بأن يجتمعوا مرة عند هذا ومرة عند هذا ، فيتعاونوا على الدياس ، ويسمون ذلك (القاه) . وذلك كالطاعة له عليهم ، لأنه تناوب قد ألزموه على أنفسهم ، فهو واجب لبعضهم على بعض . وقد وصف أحد أهل اليمن ذلك للرسول بقوله : « انا أهل قاه ، فإذا كان قاه أحدنا دعا من يعينه ، فعملوا له ، فأطعمهم وسقاهم من شراب يقال له المزر »^٦ . وكان أهل (الجوخان) يتناوبون ويتعاونون على الدياس ، يجتمعون مرة عند هذا ومرة عند هذا ، يرون التعاون فيما بينهم لزاماً عليهم ، والطاعة لهم ، ونوبة كل رجل قاهة^٧ .

-
- ١ المخصص (٥٥/١١) .
 - ٢ تاج العروس (٢١٦/٦) ، (قحف) .
 - ٣ المخصص (٥٥/١١) ، تاج العروس (٢٢٤/٣) ، (ذر) .
 - ٤ المخصص (٥٥/١١) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٢/٣) ، (حفر) .
 - ٦ تاج العروس (٤٠٧/٩) ، (القاه) ، المخصص (٥٥/١١) .
 - ٧ تاج العروس (٤٠٧/٩) ، (القاه) .

ويجمع الفلاحون الحاصل ثم يقسمونه بحسب الاتفاق ، إن كان هناك فلاح ورب أرض ، ليأخذ كل واحد منها نصيبه ، أو يوزع حسب نصيب كل من الشركاء ، إن كان الزرع شركة . أو يسلم الى صاحب الزرع ، ان كان الزرع زرعهم ، وكان الفلاحون عبيداً له . ويخزن الحاصل في مخازن مبنية ، وفي بيادر وبيدر الطعام كومه . والبيدر الموضع الذي يداس فيه الطعام ، والمكان الذي يجمع الطعام فيه . وهو (الأندر) ، و (الكدس)^١ . و (الأندر) ، كدس القمح خاصة^٢ . والكُدس : الحب المحصود المجموع . وهو العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، مما يكدس بعضه فوق بعض^٣ .

وذكر علماء اللغة أن (الجرين) للحب ، والبيدر للتمر . وذكروا أيضاً أن الجرين موضع السبر ، بلغة أهل اليمن ، وان (الجرد) الطحن شديداً بلغة هندي^٤ .

وينقل الطعام بأوعية الى المخازن ، ومنها نوع يقال له (العيبة) ، وهو زنبيل من آدم ، ينقل فيه الزرع المحصود الى (الجرن) في لغة همدان^٥ . وهناك أسماء أوعية أخرى استعملت في نقل الحاصل من أرض الحصاد وكوم التذرية الى المخازن . ويعبر عن حمل الزرع بعد الحصاد الى البيدر بلفظة (رفع) كأن يقال : (رفع الزرع) ، و (الرفاع) اكتناز الزرع ورفع بعد الحصاد^٦ . وأما (الغبوط) فالقبضات المصرومة من الزرع . و (الغبوط) هي القبضات التي اذا حصد البر وضع قبضة قبضة ، الواحد غبط^٧ . وأما (المكنل) ، فزنبيل يحمل فيه التمر أو العنب الى (الجرين) ، وقيل هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً . وفي حديث خببر : فخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم^٨ . وكان (عمال خببر) قد خرجوا بمساحيهم

-
- ١ تاج العروس (٣/٣٥) ، (بدر) .
 - ٢ تاج العروس (٣/٥٦٠) ، (ندر) .
 - ٣ تاج العروس (٤/٢٣٠) ، (كدس) .
 - ٤ تاج العروس (٩/١٦٠) ، (جرن) .
 - ٥ تاج العروس (١/٤٠٢) ، (غاب) .
 - ٦ تاج العروس (٥/٣٥٨) ، (رفع) .
 - ٧ تاج العروس (٥/١٩٠) ، (غبط) .
 - ٨ تاج العروس (٨/٩٤) ، (مكنل) .

ومكآتلهم ، فلما رأوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه ، فأدبروا هرباً^١ .

و (الحنوان) ، هما الخشبتان اللتان عليهما الشبكة ينقل عليها البر^٢ .
و (الوشيجة) ، ليف يُفْتَل ثم يشبك بين خشبتين ينقل بها البر المحصود^٣ .

ويعبر عن جمع المحصولات في مواضع معينة لتحسينها ، أو تخزينها ، أو لتجفيفها وللمحافظة عليها بجملة ألفاظ ، منها : (الكدس) ، ويراد بها الحب المحصود المجموع ، وهو العرمة من الطعام والتمر والدرهم ونحو ذلك^٤ . ومنها (المربد) ، والمربد كل شيء حبست به الإبل والغنم . ولهذا قيل مربد النعم الذي بالمدينة . وهو أيضاً الجرين الذي يوضع فيه التمر بعد الجداد ليبس ، وهو (الأندر) بلغة أهل الشام ، والبيدر بلغة أهل العراق^٥ . وأما (المسطح) ، فكان مستو يبسط عليه التمر ويجفف ، ويسمى (الجرين) يمانية^٦ . وأما (الصبرة) ، فما جمع من الطعام بلا كيل ووزن بعضه فوق بعض . يقال اشتريت الشيء صبرة ، أي بلا وزن ولا كيل . والصبرة الكدس^٧ .

وللمحافظة على الحبوب وغيرها من التلف ، اتخذت مخازن تحت الأرض تحفظ فيها سميت (مدفن) (المدفن) في المسند^٨ . ولا تزال هذه الطريقة معروفة في مواضع من جزيرة العرب حيث يخزنون القمح وسائر الحبوب في حفر تحفر في الأرض . ويعرف (المدفن) بـ (قنت) : أي الحفرة في لغة المسند كذلك . وهي مخزن يخزن فيه الحب . وذكر (الهمداني) ، ان أهل اليمن كانوا في أيامه يحفرون حفراً في الأرض ويدفنون الذرة فيها ، ويسع المدفن خمسة آلاف قفيز الى ما هو أقل . ويسد عليه ، ويبقى على ذلك مدة طويلة . فإذا كشف المدفن ترك

١ سيرة ابن هشام (٢/٢٣٦ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) .

٢ المخصص (٥٥/١١) .

٣ المخصص (٥٥/١١) ، تاج العروس (١١١/٢) ، (وشج) .

٤ تاج العروس (٤/٢٣٠) ، (كدس) .

٥ تاج العروس (٢/٣٤٩) ، (ربد) .

٦ تاج العروس (٢/١٦٣) ، (سطح) .

٧ تاج العروس (٣/٣٢٤) ، (صبر) .

٨ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 73.

أياماً حتى يبرد ويسكن بخاره ، ولو دخله داخل عند كشفه لتلف بحرارته^١ .
ويعبر عن قطف الثمار وجزها ، ولا سيما النخل بلفظة (الصرام) ، و(صرم)
و (اصطرام)^٢ . و (اصطرام) النخل اجتارمه . وجرم النخل جرماً ، خرصه
وجزه ، والجرام صرام النخل^٣ . وتؤدي لفظة (الجداد) معنى (الصرام) كذلك ،
وقيل : الجداد بمعنى الحصاد والقطف^٤ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الصفة (١٠٨) . |
| ٢ | تاج العروس (٣٦٥/٨) ، (صرم) ، جامع الاصول (٤٧٧/١١) . |
| ٣ | تاج العروس (٢٢٤/٨) ، (جرم) . |
| ٤ | تاج العروس (٣١٣/٢) ، (جدد) . |

الفصل الحادي والتسعون

المحاصيل الزراعية

الحبوب :

يطلق علماء اللغة على الحنطة والشعير لفظه : (الحب)^١ . وهما عماد الخبز في جزيرة العرب حتى الآن . وتقابل اللفظة كلمة (ميرس) في المسند . والحنطة من أهم المواد الضرورية التي يتاجر بها ، وهي (بر) في المسند^٢ . والبر^٣ ، الحنطة في لغة القرآن الكريم كذلك . وهي (قمح) أيضاً . وقد تكلم بها أهل الحجاز ، ووردت في الحديث . وذكر أنها شامية وقيل قبطية^٤ . وهي آرامية الأصل ، من (قمحو) « Gamho »^٥ . وهي غذاء الطبقة المترفة والموسرة في الأكثر لغلاء عنها بالنسبة الى الفقراء . وقد تباهى الناس وافتخروا بتقديمهم (البر) الى الضيوف^٦ . و (الحنطة) من الألفاظ التي كانت شائعة عند العرب أيضاً ، فهي

-
- ١ تاج العروس (١/١٩٨) ، (حب) .
 - ٢ راجع السطر : « ٩٧ » من النص الموسوم : : CIH 241, Glaser 618.
 - ٣ بالضم .
 - ٤ تاج العروس (٢/٢٠٨) ، (قمح) ،
 - ٥ غرائب اللغة (٢٠٢) .
 - ٦ قال المتنخل الهذلي :
لا در دري ان اطعمت نازلکم
تاج العروس (٣/٣٨) ، (بر) .

(حطاه) (خطاه) « Chittah » في العبرانية مثلاً^١ . وقد قيل لها (بر) في العبرانية كذلك^٢ .

ويقال للحنطة : (البيضاء) ، وهي (السمراء) أيضاً^٣ . و (البنية) ، الحنطة الجيدة^٤ .

وذكر (ابن المجاور) اسم موضع يقال له (بحرى) ، ذكر انه اشتهر بزراعة الحنطة ، وان سكانه يزرعون الحنطة مرتين في السنة ، في كل ستة أشهر مرة^٥ . واشتهرت (الطائف) بزراعة نوع من الحنطة الجيدة^٦ . وأشير إلى نوع من الحنطة عرف بـ (المهرية) ، قيل انها حنطة حمراء ، وكذلك سفاها ، وهي عظيمة السنبل غليظة القصب مربعة^٧ .

والشعير ، أرخص من الحنطة ، ولذلك كثر استعماله في الأكل ، فنه كان خبز أكثر الناس^٨ . ولا زال خبز أهل القرى وبعض الأعراب . وقد كان يهود المدينة يتاجرون به وبدقيق الشعير : يبيعونه في مواطنهم ، وفي الأسواق ولا سيما سوق (بني قينقاع) . وقد استدان الرسول من أحد اليهود صاعين من دقيق الشعير .

ويقال للطحين في كتابات المسند (دققم) أي (دقيق)^٩ . ويصنع بطرق مختلفة ، أشهرها (الرحي) ، التي تدار باليد ، والتي يديرها الحيوان ، والتي تدار بالقوى المائية . و (الطحانة) التي تدور بالماء^{١٠} . ومع ان معظم الأسر تصنع الطحين في بيوتها ، فإن كثيراً من الناس يشترون الطحين من الأسواق ، ويستوردونه من الخارج من بلاد الشام في الغالب ، ويبيعونه في الأسواق المحلية . ويقال للدقيق (طحيم) في لغة المسند كذلك ، أي (طحين)^{١١} .

Hastings, p. 972, The Bible Dictionary, II, p. 549.

Encyclopaedia Biblica, by Cheyne, Vol., II, p. 908.

٣ تاج العروس (١٠/٥) ، (بيض) .

٤ تاج العروس (١٣٥/٩) ، (بشن) .

٥ ابن المجاور (٢٦/١) .

٦ ابن المجاور (٢٥/١) .

٧ تاج العروس (٥٥١/٣) ، (مهر) .

٨ البخاري (٤٧/٥) .

٩ راجع السطر الـ «١٢٠» من النص الموسوم بـ : CIH 241, Glaser 618.

١٠ تاج العروس (٢٦٨/٩) ، (طحين) .

١١ Handbuch, I, S. 137

ويظهر ان (الرز) لم يكن من الحبوب المعروفة عند أهل الحجاز ، أو الأماكن الأخرى من جزيرة العرب . وهو من طعام الحضرة .

وقد تعود الناس استعمال حبوب أخرى بدلاً من الحنطة والشعير والذرة ، وذلك في سني الفاقة والعوز . وبعض هذه الحبوب هو من الحبوب التي تنبت بالطبيعة . ومن جملة هذه الحبوب (الطهف) ، حب يؤكل في المجهدة ضاو دقيق . لونه أحمر ، ويختبز^١ . و (العكس) ، وهو حبة سوداء ، إذا أجذبوا طحنوها وأكلوها . وقيل هو ضرب من الحنطة ، يكون بناحية اليمن ، وقيل هو طعام أهل صنعاء . ويقال إنه العدس^٢ . و (البيقية) ، وهو حب أخضر يؤكل مخبوزاً ومطبوخاً ، حبه أكبر من الجلبان ينبت في الحروث^٣ . و (السلت) ، وهو حب بين الشعير والبر ، إذا نقي انجرد قشره ، فكان مثل البر . وقيل شعير لا قشر له أجرد ، كأنه الحنطة يكون بالغور والحجاز^٤ . ويقال للرطب من السلت : (البيضاء)^٥ .

وقد عرفت زراعة الذرة باليمن بصورة خاصة ، كانوا يخبزونها ويستخرجون منها شراباً يقال له : (المزر) . أشير إليه في كتب الحديث والفقه ، وقد نهى الرسول عن شربه^٦ . وذكر أن المزر نبذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب ، وقيل نبذ الذرة خاصة ، وقيل المزر من الذرة ، والبغ نبذ العسل ، والجمعة نبذ الشعير ، والسكر من التمر ، والخمر من العنب^٧ .

القطنية :

ويطلق علماء اللغة على حبوب الأرض التي تدخر كالحمص والعدس والبقلاء والتمس والدخن والأرز والجلبان : (القطنية) ، وأطلقها بعض آخر على ماسوى

-
- ١ تاج العروس (١٨٦/٦) ، (أطهف) .
 - ٢ تاج العروس (١٩٥/٤) ، (علس) ، المخصص (٦٤/١١) .
 - ٣ تاج العروس (٣٠٢/٦) ، (بيقية) .
 - ٤ تاج العروس (٥٥٤/١) ، (سلت) .
 - ٥ تاج العروس (١٠/٥) ، (بيض) .
 - ٦ الإصابة (١٣٧/١) ، (رقم ٥٦٧) ، (أوس بن بشير) .
 - ٧ تاج العروس (٥٤١/٣) ، (مزر) .

الحنطة والشعير والزبيب والتمر ، أو على الحبوب التي تطبخ . وجعلها بعضهم :
العدس والخلر ، وهو الماش ، والفول ، والدجر ، وهو اللوباء ، والحمص
وما شاكلها . وقد ذكر ان الخليفة (عمر) كان يأخذ من القطنية العشر^١ .

و (الحمص) معروف عند العرب ، وهو بري ، أي وحشي^٢ ، ينبت من
نفسه ، وبستاني ، أي ينبت بزرع الانسان . وقد علفوا به فحول الدواب والجمال .
وقد عالجوا به وبدقيقه وبنقيعه أمراضاً عديدة^٣ . و (العدس) ، معروف عندهم
أيضاً ، ويقال له (العلس) ، و (البلس) أيضاً^٤ . وذكر ان (العلس) ،
ضرب من البر جيد ، تكون حبتان منه في قشر ، يكون بناحية اليمن . وهو
طعام معروف عند أهل صنعاء^٥ .

والجلبان من (القطنية) (القطاني) ، نبت يشبه الماش ، أو هو حب أغبر
أكثر على لون الماش إلا انه أشد كدرة وأعظم جرماً يطبخ^٦ . و (الماش) ،
معروف عند العرب كذلك ، يأكله الحضر ، ويدأون به^٧ .

وقد أشير في القرآن الكريم الى البقل والقثاء والقوم والعدس والبصل^٨ . ولفظة
(بقلن) ، و (بقلت) ، الواردة في نصوص المسند ، هي في مرادف (بقل) ،
و (البقل) في عربيتنا ، وأما لفظة (تبقلت) ، فتقابل لفظة (تبقييل) ، ويراد
بها زرع الأرض بالبقول .

والساق من البقول ، وهو نبت ، له أوراق طوال وأصل ذاهب في الأرض ،
يطبخ ورقه . وقد ذكر ان أهل المدينة كانوا يأخذون ورق السلق ، فيجعلون فيه
حبات من شعير ، ويطبخونه ، فيكون من ذلك أكل للذي^٩ .

و (القثاء) ، الخيار ، ويقال انه اسم جنس لما يقول له الناس الخيار ،
والعجور والفقوس ، وبعض الناس يطلقه على نوع يشبه الخيار . ويقال هو أخف

-
- ١ تاج العروس (٣١١/٩ وما بعدها) ، (قطن) ، اللسان (٣٤٤/١٣) .
 - ٢ تاج العروس (٣٨٣/٤) ، (حمص) .
 - ٣ تاج العروس (١٨٦/٤) ، (عدس) .
 - ٤ تاج العروس (١٩٥/٤) ، (علس) .
 - ٥ تاج العروس (١٨٦/١) ، (جلب) .
 - ٦ تاج العروس (٣٥٢/٤) ، (ماش) .
 - ٧ البقرة ٢٢ ، الآية ٦١ .
 - ٨ عمدة القاري (١٨٢/١٢) ، صحيح البخاري (١٠٩/٢) ، تاج العروس (٣٨٢/٦) ،
(سلق) .

من الخيار^١ . ويطلق العرب لفظة (الشعارير) على القثاء الصغير^٢ . وذكر بعض علماء اللغة أن الخيار شبه القثاء ، وأن اللفظة ليست بعربية أصيلة^٣ . وهي من أصل فارسي ، هو (خيار) ، ولهم نوع آخر من الخيار اسمه (خيار جنبر)^٤ . وأما لفظه (القثاء) ، من المعربات كذلك ، عربت من أصل آرامي^٥ . و (القثد) نبت يشبه القثاء ، وقيل ضرب منه ، وهو القثاء المدور ، أو هو الخيار . وفي الحديث انه كان يأكل القثد بالمجاجة^٦ . والمجاجة العسل .

ويقال للقثاء (قشائم) (قشائيم) « Kishshu'im » في العبرانية، و (قثونو) في لغة بني إرم . ويظهر أن لفظة (قثاء) من الألفاظ القديمة . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها من الألفاظ الإرامية في الأصل^٧ . أما لفظة (خيار) فيرون أنها من أصل فارسي^٨ .

وذكر علماء اللغة أن (الفقؤوس) ، هو البطيخ الشامي ، والذي يقال له البطيخ الهندي ، بلغة أهل مصر ، والحبيب بلغة أهل اليمن^٩ .

وقد اختلف علماء التفسير واللغة في معنى (الفوم) ، فذهب بعضهم الى انه الثوم ، وقال بعض آخر الحنطة ، وهو لغة قديمة فيها . وذهب بعض آخر ، الى انه الحنطة وسائر الحبوب التي تخبز ، كما ذهب جماعة الى ان الفومة هي كل عقدة من بصلة أو ثومة أو لقمة عظيمة^{١٠} .

والثوم ، بقلّة معروفة كثيرة بأرض العرب، يأكلونها ويدأون بها نيئة ومعجونة ، ومسحوقة ، ومطبوخة ، ومسلوقة^{١١} .

-
- | | |
|----|--|
| ١ | تاج العروس (١٠٠/١) ، (أقثا) . |
| ٢ | تاج العروس (٣٠٤/٣) ، (شعر) . |
| ٣ | تاج العروس (١٩٥/٣) ، (خير) . |
| ٤ | غرائب اللغة (٢٢٦) . |
| ٥ | غرائب اللغة (٢٠٠) . |
| ٦ | تاج العروس (٤٥٩/٢) ، (قثد) . |
| ٧ | Encyclopaedia Biblica, by Cheyne, Vol., I, 965, Hastings, p. 271, Hastings, A Dictionary, Vol., I, p. 531. |
| ٨ | غرائب اللغة العربية (ص ٢٢٦) . |
| ٩ | تاج العروس (٢٠٩/٤) ، (فقس) . |
| ١٠ | تاج العروس (١٥/٩) ، (فوم) . |
| ١١ | تاج العروس (٢٢٠/٨) ، (الثوم) . |

والبصل معروف وواحدته بصلة . وذكر انه (الفراريس) ، أو (الفراديس)^١ .
وهم يداوون به ، ويضرب به المثل ، فيقال : أكسى من البصل^٢ .

الكما :

والكما نبات معروف في جزيرة العرب ، يخرج من غير زرع كما يخرج
الفطر . والعرب تسميه (جُدري الأرض) ، ويقال لبائعه (الكماء) . وقد
استعمل العرب ماءه لشفاء العين . وقد أشير اليه في الحديث . وهو من النبات
الذي يقتات به في أوقات ظهوره^٣ . والكما السوداء خيار الكما . وأما (الجبأة) ،
فالكما الحمراء ، وقال بعض علماء اللغة الجبأة هنة بيضاء كأنها كماء^٤ .

وأما (الفطر) ، فهو ضرب من الكما . وقد ذكر علماء اللغة أنه قتال^٥ .
وقد أخذوا هذه الفكرة من وجود فصائل سامة منه . إلا أن بينه ما هو غير سام .

وذكر علماء اللغة أسماء أنواع عديدة لنباتات تشاكل الكما ، منها : العرجون ،
والطرثوث ، نبت رملي طويل مستدق كالقطر ، يضرب الى الحمرة ويبس ،
يؤكل منه حلتز ، وهو الأحمر ، ومنه مرّ وهو الأبيض ، وذكر بعض علماء
اللغة أن الطرثوث نبت على طول الذراع ، لا ورق له ، كأنه من جنس الكما^٦
و (الطرنوث) و (الضغبوس)^٧ . وذكر بعض علماء اللغة ، أن (الضغاييس)
صغار القثاء ، جمع ضغبوس . وقيل : هي أغصان شبه العراجين تنبت بالغور ،
في أصول السّمام والشوك طوال حر ، وهي التي تؤكل ، أو نبات كالهليون ،
ينبت في أصل الثّمام يسلق بالخل واثزيت ويؤكل^٨ .

- ١ تاج العروس (١٥/٩) ، (فوم) .
- ٢ تاج العروس (٢٢٨/٧) ، (بصل) .
- ٣ تاج العروس (١١٢/١) ، (كماء) ، المخصص (٢/١٢) وما بعدها .
- ٤ تاج العروس (٥٠/١) ، (جبأ) .
- ٥ تاج العروس (٤٧٠/٣) ، (فطر) .
- ٦ تاج العروس (٦٣١/١) ، (طرثوث) .
- ٧ المخصص (٢/١٢) وما بعدها .
- ٨ تاج العروس (١٧٦/٤) ، (الضغاييس) .

وهناك بقول برية ، منها (القلقلان) ، و (البسباس)^١ ، و (الذرق)^٢ ، و (النفل)^٣ ، و (الملاح)^٤ .

فصيلة اليقطين :

و (اليقطين) في تعريف علماء العربية : ما لا ساق له من النبات ونحوه ، أو كل شيء ذهب بسطاً في الأرض ، نحو القرع ، والبطيخ ، والشریان ، والدباء ، والحنظل ، ونحوها^٥ . فكل هذا النبات هو من اليقطين .

واليقطين ، مذكور في القرآن الكريم^٦ . وقد ذهب بعض علماء التفسير الى ان المراد من اليقطين في القرآن الكريم ، القرع ، وذهب بعض آخر ، الى انه الدباء ، وذهب بعض آخر الى انه البطيخ . وذهب قوم الى ان اليقطين شجرة غير ذات أصل من الدباء ونحوه أو غيره . وقد ذكروا ان أمية بن أبي الصلت أشار الى قصة (يونس) ، وكيف ان الله أنبت عليه شجرة من يقطين ، أظلمته وعاش عليها ، وذلك قبل الاسلام ، إذ قال :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقي ضاحياً^٧

وذكر ان (القرع) ، حمل اليقطين ، وكان النبي يحبه . وأكثر ما تسميه (الدباء) ، وقل من يستعمل القرع^٨ .

والبطيخ من المزروعات المعروفة في بلاد العرب^٩ . وعرف أيضاً ب (الخربز) . وهي لفظة معربة من أصل فارسي هو (خربوزة)^{١٠} . وقد وردت لفظة (الخربز)

-
- ١ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
 - ٢ تاج العروس (٣٥١/٦) ، (ذرق) .
 - ٣ تاج العروس (١٤١/١) ، (نفل) .
 - ٤ تاج العروس (٢٢٩/٢) ، (ملح) .
 - ٥ تاج العروس (٣١١/٩) ، (قطن) .
 - ٦ الصافات ، ٣٧ ، الآية ١٤٦ .
 - ٧ تفسير الطبري (٦٤/٢٣) وما بعدها .
 - ٨ تاج العروس (٤٦٢/٥) ، (قرع) .
 - ٩ القاموس (٢٥٧/١) ، تاج العروس (٢٥٣/٢) ، (البطيخ) .
 - ١٠ القاموس (١٢٥/٢) ، تاج العروس (٣٣/٤) ، (الخربز) .

في الحديث ، مما يدل على أنها كانت معروفة في الجاهلية . والظاهر أنها وردت من العراق بواسطة التجار العرب أو التجار الفرس الذين كانوا يتاجرون مع الحجاز ، أو بواسطة الرقيق المستورد من هناك ، والذي استخدم في الزراعة في هذه الديار .

وذكر علماء اللغة أن (الحبيبة) البطيخ المعروف بالبطيخ الشامي ، الذي يسميه أهل العراق : (الرقي) والفرس تسميه : (الهندي) لما أن أهل العراق يأتهم من جهة (الرقة) ، والفرس من جهة الهند ، وأن أصل منشئه من هناك . وذكر بعض علماء اللغة أنه يسمى (الجوح) ، ويسميه المغاربة : (الدلاع)^١ . والحنظل ، معروف جداً عند العرب ، وهم يداوون به ، ويعالجون به أمراضاً كثيرة، ولا زال الأعراب يقيمون له وزناً كبيراً في طبهم . ويأكلون حبه أيضاً .

النبات الشائك :

ومن فصائل النبات عند العرب ، النبات الشائك ، أي ذو الشوك . وهو كل نبات به شوك ، وأرض شاكّة كثيرة الشوك . وشجرة مشوكة كثيرة الشوك ، وأرض مشوكة فيها السحاء والقتاد والمهراس ، وذلك لأن هذا كله شاك . والسحاء ، نبت شائك ، له زهرة حمراء في بياض تسمى (البهرمة) ، يرعاه النحل عسله غاية^٢ . و (القتاد) ، شجر صلب له شوكة كالابر ، وجناه كجناة السمير ، ينبت بنجد وتهامة . قال بعض علماء اللغة ، إنه من العضاه ، وهو ضربان . فأما القتاد الضخام ، فانه يخرج له خشب عظام ، وشوكة حجناء قصيرة . وأما القتاد الآخر ، فإنه ينبت صعداً لا ينفرش منه شيء ، وهو قضبان مجتمعة ، كل قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكة . وفي المثل : من دون ذلك خرط القتاد . وقد ذكر أن الإبل لا تأكل القتاد إلا في عام جذب ، فيجيء الرجل ويضرم فيه النار حتى يحرق شوكة ثم يرعيه لإبله ، ويسمى ذلك التقيد . والتقيد هو أن تقطع القتاد ، فتحرقه ، أي شوكة ، فتعلقه الإبل ، فتسمن عليه ، وذلك عند الجذب^٣ .

١ تاج العروس (١/١٩٩) ، (حبيب) ، (٢/١٣٤) ، (جوح) .

٢ تاج العروس (١٠/١٧١) ، (سحاح) .

٣ تاج العروس (٢/٤٥٨) ، (قتد) .

و (المهراس) ، شجر شائك ، شوكة كأنه حسك ، ثمرة كالنبق ، قال بعض علماء اللغة : انه شجر ، وقال بعض آخر انه بقل ، أو شوك من أحرار البقول^١ . و (الحسك) ، نبات له ثمرة خشنة تعلق ثمرته بصوف الغنم ووبر الإبل في مراتعها ، وعند ورقه شوك ملرز صلب ذو ثلاث شعب ، لا يكاد أحد يمشي في أرض حسكة ، إلا أحد في رجله حذاء^٢ . و (النفل) ، نبت من أحرار البقول، ومن سطاحه ، ينبت متسطحاً وله حسك ، قيل : هو قوت البر^٣ ، تأكله الإبل والخيول وتسمن عليه^٤ .

والعوسج ، شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور ، كأنه خرز العقيق. وقيل : هو شجر كثير الشوك ، وهو ضروب ، منه ما يثمر ثمراً أحمر يقال له المقنع فيه حموضة . والعوسج المنحض ، يقصر أنبوه ويصلب عوده ولا يعظم شجره ، فذلك قلب العوسج ، وهو أعتقه^٥ . وذكر ان (المصعة) ثمرة العوسج وحمله ، وهو قدر الحمصة حلو طيب يؤكل ، أحمر ، ومنه قولهم : هو أحمر كالمصعة ، ومنه اسود لا يؤكل على أردأ العوسج وأخبثه شوكاً^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٢٧٢/٤) ، (هرس) .
 - ٢ تاج العروس (١١٩/٧ وما بعدها) ، (حسك) .
 - ٣ تاج العروس (١٤١/٨) ، (نفل) .
 - ٤ تاج العروس (٧٤/٢) ، (عسج) .
 - ٥ تاج العروس (٥١٢/٥) ، (مصع) .

الفصل الثاني والتسعون

الشجر

الشجر في تعريف علماء اللغة : ما قام من النبات على ساق ، أو ما سما بنفسه دق أو جل ، قاوم الشتاء ، أو عجز عنه^١ . وتطلق اللفظة على كل الشجر ، مهما كان أصله ، شجر زرعه إنسان بغرس ، أو بحب^٢ . أو شجر أنبتته الطبيعة. شجر الحضر ، أي الشجر الذي يعيش بين أهل المدر ، وشجر وحشي ، نبت على الجبال أو في البوادي ، دون أن تتعهده يد إنسان .

والشجر : شجر مثمر ، وشجر غير مثمر . ثم هو أهلي ، أي من غرس وزرع الإنسان ، وبري أي من انبات وغرس الطبيعة . والعادة ان ثمر الشجر الأهلي أطيب وألذ من ثمر الشجر البري ، لاعتناء الإنسان به ورعايته له. ويستعمل الشجر الذي لا ثمر له ، حطباً أو في أعمال البناء إن كان ذا خشب جيد ، وفي أعمال أخرى . وفي جبال (السراة) أنواع من أشجار الجبال . ومن الأشجار المثمرة النخيل وسائر أشجار الفواكه .

وقد وجد النخل في كل مكان من جزيرة العرب فيه ماء ولو كان قليلاً . وهو شجر صبور ، يصبر على العطش طويلاً ، ومن أجل ذلك صار مثل الجمل رمزاً للصحراء . ولم ينفر العربي من زراعة النخيل فقوره من زراعة أشجار الفواكه والحضر بوجه خاص . وقد تخصص بزراعة النخل المستقرون بالطبع .

١ تاج العروس (٣/٢٩١) ، (شجر) .

أما الأعراب ، فإنهم لا يضطرونهم الى التنقل من مكان الى مكان، ولعدم استقرارهم في موضع واحد استقرار أهل الحضر ، لم يكن ميسوراً لهم غرسه . ثم انهم كانوا يزدرون الزراعة بجميع أنواعها ، وفي ضمنها زراعة النخيل ، وأية زراعة أخرى بلا استثناء .

والنخل ، هو شجر التمر ، وهو (ن خ ل) (نخل) في المسند كذلك^١ . وقد صورت النخلة ونحتت على بعض الصخور وعلى كثير من نصوص المسند ، وجعلت رمزاً للشمس . وكان السومريون يجعلونها رمزاً للشمس كذلك^٢ . والظاهر أن تحمل النخلة لحر الشمس ، ووجودها في مناطق دافئة ، ومنظر رأسها الذي هو على شكل كرة مكونة من السعف ، الذي يشبه خيوط أشعة الشمس ، حمل الناس على تصور قيام صلة لها بالشمس ، فجعلوها رمزاً لها وعلامة عليها .

وتعني لفظة (انخل) (أنخل) ، (النخيل) وبساتين النخيل ومزارعها^٣ . ومن (نخل) أخذت لفظة (منخل) بمعنى مزرع النخيل ، أي الموضع المزروع نخلاً . وقد عني العرب الجنوبيون بزراعة النخيل ، وكونوا بساتين واسعة منها . وكانت (نجران) من أهم المناطق المشهورة بزراعة النخيل^٤ .

وإذا استقام فسيل النخل وثبت في الأرض ، صبر على العطش ، وتحمل السكوت عن طلب الماء ، أمدأ طويلاً ، لاعتماده على رطوبة الأرض ولامتصاص جذوره للمياه الجوفية . ويقال للنخلة التي لا تحتاج الى سقي : (الغامرة)^٥ .

وقد ورد عن الرسول قوله : « خير المال سكة مأبورة » ، قيل أراد النخل المصطف ، والسكة أيضاً : السنة وهي الحديد التي يشق بها الفدان الأرض ، ويقال لها أيضاً المان^٦ . وقد اعتبر العرب النخل من الشجر المبارك الذي يورك فيه لما فيه من فوائد .

١ RW 155, Bu Jemen 1907, 286, C 1514, Burchard 4, Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 234.

٢ Carl Rathjens, Sabaelca, S. 140.

٣ REP. EPIGR. 4626^٧ VII, II, p. 278.

٤ Wissmann — Höfner, S. 9.

٥ تاج العروس (١٤٨/٣) ، (غمر) .

٦ الروض الانف (٢٠٧/٢) .

والنخيل ، هي مثل الجمال ثروة ورأس مال تدر على صاحبه ربحاً وافراً ، ومن كان له نخل وافر كان غنياً ثرياً . وقد ربح أصحاب النخيل أرباحاً طائلة من اشتغالهم بزراعة النخيل . فالتمر هو مادة ضرورية يعيش عليها أكثر العرب ويتأدمون بها . يأكلونه بدلاً من اللحم . وكان الأعراب يأتون أهل الريف ، بما عندهم من وبر ومن حاصل البوادي ، ليبادلوه بالتمر وبالذقيق وبما يحتاجون اليه في حياتهم البدوية من حاجات ضرورية . فكسب أصحاب النخيل أرباحاً طيبة من بيعهم التمور . ولا يوجد مكان في جزيرة العرب فيه ماء ، إلا والنخلة هي سيدة المزروعات فيه ، بل تكاد تكون النبات المتفرد بالزراع في أكثر الأمكنة ، لا يزاحها نبات آخر من النبات .

ويقال للنخل المرتفع طولاً "مجنون" ١ ، وهو نخل يقل تمره ، وتقل فائدته لذلك . وإذا غرس النخل سطرّاً على جدول أو غير جدول ، قيل : (نخل ركيب) ٢ . و (الجباب) تلقيح النخل ، وزمن الجباب زمن التلقيح للنخل ، و (الأبر) تلقيح النخل أيضاً ٣ . وكانوا يلقحون النخلة بدس شمراخ الفحال في وعاء الطلع ٤ .

ويؤكل التمر رطباً ، ويؤكل يابساً جافاً . ويقال لنضيج البسر قبل ان يتمر (رطباً) وواحدته (رطبة) ٥ . وإذا كان التمر يابساً قيل له (القسب) ٦ . ويستعمل (القسب) بعد انتهاء موسم التمر وذهابه ، وهو أكثر تمر الأعراب ، لسهولة المحافظة عليه من التلف ومن الفساد وتغير الطعم .

وقد لجأ الجاهليون الى طريقة كبس التمر ، للمحافظة عليه زمناً طويلاً ، ولسهولة نقله والاتجار به من مكان الى مكان . ومن طرقهم في ذلك ، أنهم كانوا ينزعون نواة التمر ، ثم يكتزونه في قرب وظروف من الخوص ، ويقولون

-
- ١ تاج العروس (١٦٦/٩) ، (جنن) .
 - ٢ تاج العروس (٢٧٩/١) ، (ركب) .
 - ٣ تاج العروس (١٧١/١) ، (جب) .
 - ٤ تاج العروس (٢١٧/٢) ، (لقع) .
 - ٥ تاج العروس (٢٧١/١) ، (رطب) .
 - ٦ تاج العروس (٤٣٨/١) ، (قسب) .

لذلك التقليف . والقلف التمر الذي نزع نواه وكثر في القرب وظروف الخوص^١ . ولا تزال طريقة التقليف معروفة ، ويقال لما ينخسف من التمر في (الخصاف) ، تمر مخصوف^٢ ، وللمر المكبوس في الخصافة مع ظرفه (الخصافة) ، أما القرية التي يكبس في داخلها التمر ، فيقال لها مع تمرها المكبوس بها (الكيشة) في لغة أهل العراق في الوقت الحاضر . و (تمر كيشة) ، هو التمر الذي يستخرج من (الكيشة) .

وقد يحفظ التمر في (القراب) ، وعاء شبه جراب من آدم : « وفي كتابه لوائل بن حجر : لكل عشرة من السرايا ما يحمل القراب من التمر »^٣ . ويكثر التمر في وعاء من خوص يقال له : (جلة) و (الجلة)^٤ ، وهو (القففة) ، ويسمى بالعراق (القفة) ، و (جلة التمر) في لغة أهل اليمن^٥ . وللنخل فوائد كثيرة جعلها بعضهم نحواً من (٣٦٠) فائدة ، مثل استعمال سعفه وخوصه وجذوعه وليفه في حاجات الإنسان . حيث يصنع منها مختلف الأشياء ، ويبيع بعضها في الأسواق ، فتكون دخلاً لأصحابها . وصارت منها صناعة تعيش عليها أناس ، ولا زالت الصناعات المستندة على استغلال النخلة وأجزائها وسعفها باقية ، وإن أخذت في الأفول والاندثار ، بسبب منافسة الحديد للقديم ، وانصراف الناس عن الوسائل البدائية القديمة إلى الحديد المريح الرخيص .

والنخل في كل موضع من جزيرة العرب فيه ماء . وهو أنواع وفصائل كثيرة . وقد اشتهرت (هجر) بكثرة تمرها ، وزيادته عن حاجة أهلها ، فكان الأعراب يأتونها للاختيار ، ولشراء التمر منها . وفيها ضرب المثل : كمبضع تمر إلى هجر ، و (كجالب التمر إلى هجر) . وكانت تصدره إلى البوادي وإلى اليمامة ، حين يقل تمرها . وقد عرفت بكثرة وبائها . قال (عمر) : « عجبت لتاجر هجر وراكب البحر » ، كأنه أراد لكثرة وبائها وخطر البحر ، فتاجرها وراكب البحر في الخطر سواء^٦ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | تاج العروس (٢٢٧/٦) ، (قلف) . |
| ٢ | تاج العروس (٨٨/٦) ، (خصف) . |
| ٣ | تاج العروس (٤٢٣/١) ، (قرب) . |
| ٤ | اللسان (١٥٦/١٣) ، (جلد) ، تاج العروس (٢٦٠/٧) ، (جلد) . |
| ٥ | تاج العروس (٤٧٨/٥) ، (ققع) . |
| ٦ | تاج العروس (٦١٤/٣) ، (هجر) . |

واشتهرت خيبر بكثرة تمرورها كذلك ، حتى ضرب بها المثل في كثرته كما ضرب المثل بكثرة تمر هجر . قال (حسان بن ثابت) :

فأنا ومن بهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرأ الى أهل خيبرا

وقال (خارجة بن ضرار المري) :

فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمرأ الى أهل خيبرا^١

ولا تزال أرض خيبر تحتضن النخيل وتتعهدها بالعناية والرعاية ، وقد وصف (فلبّي) موضعها في الوقت الحاضر ، وذكر ان الذي يعني بالنخيل ، هم قوم من (العبيد) ، يقومون بفلاحة الأرض وبالعناية بالشجر ، مقابل الحصول على نصف الحاصل ، فإذا حل موسم القطاف ، أخذت الحكومة حصتها قبل اقتسام الحاصل ، ثم قسّم الباقي بين الأعراب الذين يدعون ملكية الأرض وبين العبيد الذين يسهرون طيلة أيام السنة على رعاية الشجر وعلى الزرع ، والمفروض أن تكون القسمة قسمة عادلة ، قسمة منصفة ، غير ان الأعراب يشتطون في القسمة فيأخذون لهم أكثر مما يأخذ العبيد^٢. وينطبق هذا الوصف على حالة قسمة الحاصل في المواضع الأخرى من جزيرة العرب في الجاهلية ، ولا سيما في العربية الجنوبية . فقد كان جباة الحكومة أول من يأخذ حصة الحكومة ، أو حصة الحاكم المهيمن على المكان ، ثم يأتي دور صاحب الأرض ، الذي يحاول الاستئثار بالحاصل حتى لا يترك للفلاح الذي بفلح ويتعب ويكدّ إلا أقل ما يمكن اعطاؤه له .

وبأرض خيبر جملة عيون ومسابيل ماء ، لا زال الناس يزرعون عليها . وتوجد آثار نقوش وكتابات تشير الى سكن كان بهذا الموضع يعود الى أيام الجاهلية . وقد عثر (فلبّي) على نقود قديمة ، ومن الممكن استصلاح أرض خيبر وتحويلها الى أرض زراعية منتجة .

و (تيماء) من المناطق الحصبة كذلك . وتشاهد آثارها ظاهرة للعيان . وقد حصل المتقبن على مجموعات أثرية منها ، في جملتها قطع من النقود تعود الى

١ تاج العروس (٢٧٨/٥) ، (بضع) .
٢ عبد الله فلبّي ، أرض الانبياء (ص ٣٨) .

القرن الأخير قبل الميلاد^١ . وهناك آثار آبار ومسابيل ماء تدل على أن الأرض كانت مخصصة مزروعة ، ومن أشهر آبارها بئر (خداج)^٢ . يستقي منها الأعراب ويزرعون عليها في الوقت الحاضر^٣ . وقد وجد (فلي) صوراً وصخوراً منحوتة تمثل رأس الإله (صلم) إله ثمود وإله هذه المنطقة ، وأمامها أرض مهيبة كانت موضع تقديم القرابين لذلك الإله^٤ .

وقد وجد (فلي) وغيره من السياح من زار هذه الأرضين الواقعة شمال (بئر) ، آثار مستوطنات جاهلية كثيرة وآثار قنوات وآبار ومسابيل مياه ، تدل على أنها كانت عامرة مزروعة ، وإن في الامكان احياءها ، وأن آفة اندثارها هو كثرة الغزو الذي وقع عليها وعدم وجود حكومات تدافع عنها وتحميها من غزو الأعراب ، الذين كانوا وباءاً بالنسبة للحضر ، ينهبون ما يجدونه أمامهم ويحرقون الزرع ثم يهربون .

وعرفت اليامة بتمورها أيضاً ، وهو أنواع عديدة ، وكان الأعراب يأتونها لشراء التمر منها ، وقد عرف الذين يردون اليامة لامتيار التمر بـ (السواقط) ، و (السقاط) ما يحملونه من تمر^٥ .

وعرفت بئر وما حولها وما وقع أعلاها الى بلاد الشام بكثرة نخلها ، وهو نخل زرع سكباً في بساتين على طريقة الأنبساط في أمصارهم ، لا يخافون عليها كيد كائد . تتخلله السواني والسواقي لتسقيه ، فيثرب حوائط وآطام ، عاش أهلها على الزرع والفرس والجلاد^٦ . وقد أشير الى كثرة نخل بئر في شعر ينسب الى الشاعر (امرئ القيس) ، فتنعتها بـ (جنة بئر) :

علون بأنطاكية فوق عقمة كجرمة نخل أو كجنة بئر^٧

-
- ١ أرض الانبياء (١١١) .
 - ٢ أرض الانبياء (١١٥) .
 - ٣ أرض الانبياء (١١٦) .
 - ٤ المصدر نفسه (ص ١٢١) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٦/٥) ، (سقط) .
 - ٦ الروض الانف (٢٠٧/٢) ، تاج العروس (١٢٣/٥) ، (حوط) ، جامع الاصول (١٧٧/١١) .
 - ٧ تاج العروس (٢٢٤/٨) ، (جرم) .

وقد افتخر (كعب بن مالك) يوم الخندق على قریش بأن قومه غرسوا النخل حدائق تسقى بالنضح من آبار نقبت من عهد (عاد) أي من آبار قديمة جداً ، فهي تسقي النخيل المغروسة عليها ، ولهم رواكد فيها (الغاب) و (البردى) يزخر فيها نهر (المزار) ، ولهم الزرع الذي يتباهى بسنبله الجميل ، لا سيما إذا أصابته أشعة الشمس ، لم يجعلوا تجارتهم اشتراء الحمير لأرض دوس أو مراد ، بل أثاروا الأرض وحرثوها وغرسوها على نحو ما تفعل النبط في أمصارها ، لا يخافون عليها كيد كائد ، دلالة على عز أهل يثرب ومنعتهم وأنهم لم يغلبوا على بلادهم من قديم الدهر كما أجليت أكثر الأعاريب عن محالها وأزعجها الخوف عن مواطنها ^١ .

ومن أنواع التمور : (الصرفان) ^٢ ، و (البرني) ، تمر أصفر مدور ، من أجود التمور . وقيل : ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة ^٣ . و (التعضوض) ضرب من التمر ، والعمر نخل السكر ، وهو معروف عند أهل البحرين ^٤ . و (البحون) ، ضرب من التمر ، والصفرى ، وقد نعت بأنه سيد التمور ، ثم (السرى) ، ثم (اللصف) ، ثم (الفحاحيل) ، ثم (المجننى) ، ثم (الجعادي) ، ثم (الشاريخ) ، ثم (المشرخ) ، ثم (البياض) ، ثم (السواد) وهما ألوان كثيرة ^٥ .

الكرم :

والكرم شجر العنب ، والعنب ، ثم الكرم . وقد زرع في مواضع كثيرة من جزيرة العرب في البساتين وفي الحدائق . وفي الأماكن التي توفرت فيها المياه والجو الطيب المناسب لزراعته ، مثل اليمن ، التي اشتهرت به ، و (الطائف) وهو

-
- ١ سيرة ابن هشام (٢٠٧/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) الروض الانف (٢٠٧/٢) .
 - ٢ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .
 - ٣ تاج العروس (١٣٧/٩) ، (برن) .
 - ٤ تاج العروس (٤٢٠/٣) ، (عمر) .
 - ٥ اللسان (١٩٠/١٦ وما بعدها) ، (بحن) ، تاج العروس (١٣٥/٩) ، (البحون) .
 - ٦ الصفة (١٦١) .

أجناس عديدة، بعض أصيل أي من نابت جزيرة العرب ومن تربتها، وبعض مستورد استورد من بلاد الشام بصورة خاصة ومن أماكن أخرى ، فغرس في بلاد العرب ونبت نباتاً حسناً ، وأجاد اجادة طيبة، جعل زراع الكروم يكثرونه من زراعته .

والعنب ، هو (عنب) ، أي (عنب) في لغة المسند كذلك^١ .

وإذا ببس العنب دعي (زبيياً) . ويعرف الزبيب بـ (فصصم) ، أي (فصصم) (فصصم) في اللهجة الحميرية . وقد وردت هذه اللفظة في نص أبرهة ، بمناسبة توزيع أبرهة الزبيب على العمال الذين ساهموا في بناء سد مأرب^٢ .

وقد كان أهل اليمن كما يظهر من نصوص المسند يكثر من زراعة الأعناب ويربحون من زراعتها كثيراً ، بدليل ورود كثير من النصوص الزراعية ، وفيها: أن أصحابها قد غرسوا أعناباً في المناطق الفلانية والفلانية ، أو ورثوا المزرعة الفلانية وفيها أعناب كثيرة . وبدليل حفر صور أغصان العنب وعناقيد العنب في الأحجار وابرأزها على الألواح المصنوعة من الجبس ، أو حفرها على الأخشاب للزينة والزخرفة ، وتفننهم في ذلك ، حتى صارت هذه الزخرفة من مميزات الفن اليمني. وما كانوا يفعلون ذلك لو لم يكن للأعناب وجود في اليمن ، ولو لم تكن زراعته منتشرة كثيراً في تلك البلاد .

ومن أنواع العنب : العنب (الجرشي) ، وهو عنب طيب ، يقول علماء اللغة : هو أطيب العنب كله ، وهو أبيض الى الخضرة ، رقيق صغير الحبة ، وهو أسرع العنب إدراكاً ، عناقيده طويلة ، ينسب إلى جرش ، بخلاف باليمن^٣. والعنب (الكلافي) ، وهو نوع من أنواع أعناب أرض العرب ، وهو عنب أبيض فيه خضرة ، وزبيبه أدهم أكلف ، ولذلك سمي : الكلافي . وقيل : هو منسوب الى الكلاف بلد بشق اليمن^٤ . والعنب التربي نسبة الى (تربة) ، والعنب التبوكي نسبة الى تبوك . و (الرمادي) ، ضرب من العنب بالطائف أسود

١ Halevy 360, 362.

٢ راجع السطر ١٢٨ من نص أبرهة ، جواد علي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الاول من المجلد الرابع (ص ٢١٨) .

٣ تاج العروس (٢٨٧/٤ وما بعدها) ، (جرش) .

٤ تاج العروس (٢٣٨/٦) ، (كلف) .

أغبر^١ . و (الغريب) ، ضرب من العنب بالطائف شديد السواد ، وهو من أجود العنب وأرقه وأشدّه سواداً^٢ . و (الحمنان) ، عنب طائفي ، أسود الى الحمرة صغير الحب^٣ . والدوالي نوع من الكروم^٤ .

و (العنجد) ، الزبيب ، أو ضرب منه ، أو الأسود منه ، أو الرديء منه^٥ . و (الفرصد) ، عجم العنب ، أو عجم الزبيب^٦ .

وقد اشتهرت قرية (ثافت) - باليمن بكثرة كرومها ، ويقال لها (أثافت) و (اثافة) أيضاً . وقد عرفت بنحمرها المصنوع من هذه الكروم . وكان الأعشى كثيراً ما يتجر فيها ، وكان له معصار للخمر يعصر فيها ما جزل له أهل أثافت من أعنابهم^٧ .

ويقال (الأكار) لمن يشتغل في بستان عنب . ويقال للأكار (الجوار)^٨ . والأكار الزراع والحراث^٩ .

والتين هو من الأشجار المعروفة في الحجاز وفي اليمن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب . وقد أشير اليه في القرآن الكريم^{١٠} . وهو كثير في أرض العرب ، وأجناسه كثيرة ، برية ، وريفية ، وسهلية ، وجبلية . ويكون أخضر اللون ، أو أصفر، وأحمر وأسود . وهو كثير بالسراة مباح ، يؤكل رطباً ويزبيب ويدخر^{١١} . وذكر بعض علماء اللغة انه (البلس) ، وقال بعض آخر : البلس : ثمر كالتين يكثر باليمن ، وقيل هو التين نفسه اذا أدرك^{١٢} . ومنه (الطبار) ، قيل هو تين كبير من أكبر أنواع التين ، كميته أنى تشقق ، واذا أكل قشر لغلظ لحائه ،

-
- | | |
|----|-------------------------------------|
| ١ | المخصص (٢٢/١١) . |
| ٢ | تاج العروس (٤١٠/١) ، (غرب) . |
| ٣ | تاج العروس (١٨٣/٩) ، (الحمن) . |
| ٤ | اللسان (٢٥٤/١١) . |
| ٥ | تاج العروس (٤٣٣/٢) ، (عنجد) . |
| ٦ | تاج العروس (٤٥١/٢) ، (الفرصد) . |
| ٧ | تاج العروس (٥٣٤/١) ، (أثث) . |
| ٨ | تاج العروس (١١٣/٣) ، (جار) . |
| ٩ | تاج العروس (١٧/٣) ، (أكر) . |
| ١٠ | سورة التين . |
| ١١ | تاج العروس (١٥٤/٩) ، (تين) . |
| ١٢ | تاج العروس (١١١/٤) ، (بلس) . |

فيخرج أبيض ، ويزيب . وذكر بعض علماء اللغة ، انه من شجر الضرف ، وهو على صورة التين ، إلا انه أدق^١ . و (الضرف) ، شجر التين ، يقال لشمره البلس . أو هو من شجر يشبه الأتأب في عظمه وورقه ، إلا ان سوقه غير مثل سوق التين ، وله تين . وقيل : له جني أبيض مدور مفلطح كتين الحماط الصغار ، مُرّ يضرس يأكله الناس والطير والقروء^٢ .

والرمّان من الفواكه المعروفة في الحجاز وفي اليمن ، وقد ذكر في القرآن الكريم^٣ . ومنه أنواع برّية ، ذكر بعض علماء اللغة منها (المظ) . وهو ينبت في جبال السراة ، وفي بقية الجبال . وذكر بعض آخر ، أنه شجر الرّمّان^٤ . و (الجشب) قشور الرمان عند أهل اليمن^٥ .

والتفّاح بأرض العرب كثير^٦ . والموز معروف عندهم ، ولا سيما في العربية الجنوبية وفي التهائم^٧ . و (الخوخ) معروف عند العرب^٨ ، ويقال له (الفرسك)^٩ . و (الفرصاد) ، التوت أو حمّله أو أحمره . و (التوت) من الألفاظ المعربة^{١٠} . ويربون على ورقه ديدان الحرير .

و (الزيتون) ، شجر معروف في بلاد العرب ، استخرجوا منه زيت الزيتون . وقد ذكر في القرآن الكريم^{١١} .

و (السدر) ، من الأشجار المعروفة في كل مكان من جزيرة العرب . ورد ذكره في القرآن . واستعمل ورقه في مقام الصابون ، كما استفيد من ثمره ومن أغصانه وأخشابه . وهو يتحمل الصبر على العطش لعمق جذوره في باطن الأرض . وبذلك لاءم جوّ جزيرة العرب هذا النوع من الشجر ، وما زال الناس يزرعونه في كثير من المواضع . وقد استعمل مظلة يجلسون تحتها في أيام الحرّ الشديد ومجلساً

-
- ١ تاج العروس (٣/٣٥٥) ، (طبر) .
 - ٢ تاج العروس (٦/١٧١) ، (الضرافة) .
 - ٣ سورة الانعام ، الآية ٩٩ ، ١٤١ .
 - ٤ تاج العروس (٥/٢٦٤) ، (مظظ) .
 - ٥ المخصص (١١/١٤٠) ، تاج العروس (١/١٨٣) ، (جشب) .
 - ٦ تاج العروس (٢/١٢٨) ، (التفّاح) .
 - ٧ تاج العروس (٤/٨٣) ، (موز) .
 - ٨ تاج العروس (٢/٢٥٦) ، (الخوخة) .
 - ٩ تاج العروس (٧/١٦٨) ، (الفرسك) .
 - ١٠ تاج العروس (٢/٤٥١) ، (الفرصد) .
 - ١١ سورة التين .

يجلسون فيه لتمضية الوقت والتسلي والترويح عن النفس .
والسدر من العضاة ، هو لوزان ، فنه عبري ومنه ضال . فأما العبري ، فما
لا شوك فيه إلا ما لا يضير . وأما الضال ، فذو شوك . وذكر أهل الأخبار :
أن أجود نبق يعلم بأرض العرب . نبق هجر . وهو أشد نبق حلاوة وأطيبه رائحة .
يفوح فم آكله وثياب ملابسه كما يفوح العطر^١ .

الجوز :

والجوز معروف بأرض العرب ، ويربى باليمن . وبالسروات شجر جوز
لا يربى ؛ وخشبه موصوف بالصلابة والقوة، وينبت الجوز في الجبال والمرتفعات .
وقد أشير الى صلابة وقوة خشب الجوز في شعر للأعشى . وقد زعم ان سفينة
(نوح) كانت من خشب الجوز^٢ . والجوز نوعان : جوز يربى ، أي يزرعه
الانسان بنفسه ويرعاه ، وجوز وحشي ، نبت على الطبيعة ، دون ان تزرعه يد
انسان . وهو أنواع عديدة ، لها أسماء ترد في كتب اللغة .

اللوز :

واللوز ثمر معروف في بلاد العرب ، ومن أسمائه القمروص . وهو على نوعين :
حلو ومر . وقد استعملوا في المعالجة : في معالجة أمراض عديدة ، من باطنية
وجلدية . واستعمل الحلو منه في الطعام ، وفي الحشو . والتمر الملوز ، هو الثمر
المحشو به . وذلك ان يتزرع منه نواه ، ويحشى فيه اللوز^٣ . واللوز ، صنف

١ تاج العروس (٣/٢٦١) ، (سدر) .

٢ قال الجعدي :

كان مقط شرا سيفه الى طرف القنسب فالمنقب
لطحن بترس شديد الصفا ق من خشب الجوز لم يثقب
وقال في وصف سفينة نوح :

يرفع بالقار والحديد من الجوز طوالا جذوعها عمما

تاج العروس (٤/٢٠) ، (جوز) .

٣ تاج العروس (٤/٧٩) ، (اللوز) .

من المزج ، والمزج ما لم يوصل الى أكله إلا بكسر، وقيل هو ما دق من المزج.
أو المرء من اللوز^١ .

التمر :

والتمر ، حمل الشجر^٢ . وهو (تمر) في فصوص المسند كذلك ، ويجمع عندهم على (أتمر) ، أي (أثمار) . و (الفاكهة) التمر كله^٣ . وفي القرآن الكريم : « وفاكهة وأباً » . قال العلماء الأب الكلاً ، وما تأكله الأنعام ، والمرعى كله . والفاكهة ما أكله الناس . فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان^٤ . ويحتاج الشجر المتمر الى رعاية وعناية وحماية من أذى الطبيعة ومن أذى الإنسان والحيوان . فعلى صاحبه حمايته من الشمس المحرقة ، ومن البرد الشديد ومن الأهوية والعواصف ، ومن الحشرات التي قد تصيبه فتأتي عليه ، ومن الأمراض والآفات الزراعية ، ومن تناول إنسان غريب عنه عليه ، بقطعه أو بسرقة ثمره ، ثم حمايته من أذى الحيوان ، بأكله أو بأكل ورقه أو ثمره ، وكسر أغصانه ، وأمثال ذلك مما يلحقه من أذى بالشجر وبثمره .

ولحماية الشجر ، أحاطوا الأرض المشجرة بحائط مرتفع قدر الإمكان ، ليمنع الإنسان أو الحيوان من دخولها ، ومن الاعتداء على شجرها أو ثمرها ، ويقال لها (الحائط) . و (الحائط) البستان . وقد أطلقت اللفظة على البستان من النخل في الغالب . وكانت (يثرب) ، ذات (حوائط) . وقد أشير إليها في الحديث : ورد : « على أهل الحوائط حفظها بالنهار . يعني البساتين »^٥ . وقد عني أهل الجاهلية بتحسين وتنويع وبتطعيم أشجارهم المثمرة ، وكان منهم مثل أهل الطائف واليمن من استورد الشجر المتمر الجيد من الخارج . من بلاد الشام ومن إفريقية والهند ومن المواضع التي اشتهرت بصنف جيد من أصناف الشجر من جزيرة العرب ، وبذلك نوتوا ثمرهم وحسنوا أصناف شجرهم ، ويظهر أثر

-
- ١ تاج العروس (١٠٠/٢) ، (مزج) ، (٧٩/٤) ، (اللوز) .
 - ٢ تاج العروس (٧٧/٣) ، (تمر) .
 - ٣ تاج العروس (٤٠٢/٩) ، (فكه) .
 - ٤ تاج العروس (١٤٢/١) ، (أب) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٣/٥) ، (حوط) .

استيراد الشجر من خارج جزيرة العرب ، من الأسماء الأعجمية التي عرفت بها في الجاهلية ، والتي تتحدث عن المكان الذي استوردت منه .

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء عدد من الأشجار نبتت ونمت نمواً طبيعياً ، منها ما نبت على الجبال والمرتفعات ، ومنها ما نبت في البوادي وفي التهائم . فهي من الأشجار الوحشية التي لم تزرعها يد إنسان . بعض منها مثمر ، يستفاد من ثمره ، وبعض منها مثمر ، غير أنه لا يمكن الاستفادة من ثمره ، ولا ينتفع به إنسان أو حيوان . وبعض منه عقيم ، غير مثمر .

ومن الأشجار المعروفة : التين الوحشي ، أو التين البري . ويكثر وجوده في الجبال والمرتفعات . وقد عرفت جبال السراة بكثرة وجود هذا التين بها ، والزيتون الوحشي (العتم) . ذكر علماء اللغة أن (العتم) شجر الزيتون البري ، وقيل هو ما ينبت منه في الجبال ، ويوجد شجر يشبهه ينبت بالسراة^١ . ويستخرج الأهليون اليوم منه دهنأ قاتم السواد يسمى (القطران) ، لطلاء الأبواب والنوافذ في أرض (شمران) المحاذية للسراة في المملكة العربية السعودية^٢ . واتخذت منه الأسوكة . ورد : الأسوكة ثلاثة : أراك ، فإن لم يكن فعم أو بطم^٣ .

والحماط ، شجر شبيه بالتين ، خشبه وجناه وريحه ، إلا أن جناه هو أصغر وأشد حمرة من التين ، ومنايته في أجواف الجبال ، وقد يستوقد بحطبته ويتخذ خشبه لما ينتفع به الناس ، ويبنون عليه البيوت والخيام . وقيل هو في مثل نبات التين ، غير أنه أصغر ورقاً وله تين كثير صغار من كل لون أسود وأملح وأصفر ، وهو شديد الحلاوة ، ويحرق الفم إذا كان رطباً ، فإذا جف ذهب ذلك عنه ، وهو يدّخر . وله إذا جف متانة وعلوكة ، وهو أحب شجر إلى الحيات ، تألفه كثيراً ، ولذلك قيل : شيطان حماط . وهو شجر التين الجبلي ، أو هو الأسود الصغير المستدير منه ، أو هو شجر (الجميز)^٤ . و (الجميز) التين الذكر ، يكون بالغور ، وهو حلو ، وهو الأصفر منه والأسود يدمي الفم^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٣٨٨/٨) ، (عتم) .
 - ٢ جريدة البلاد السعودية (العدد ١٦٤ ، السنة الاولى ، ١٢ أغسطس ١٩٥٩) ، « الزراعة ومشاكلها في شمران » .
 - ٣ تاج العروس (٣٨٨/٨) ، (عتم) .
 - ٤ تاج العروس (١٢١/٥) ، (حمط) .
 - ٥ تاج العروس (١٨/٤) ، (جمز) ، (عرام) (٤١٥) .

والتألب ، وينبت بجبال اليمن ، وله عناقيد كعناقيد البطم ، فإذا أدرك وجف اعتصر للمصاييح ، وهو أجود لها من الزيت . وتقع السرفة في التألبة فتعريها من ورقها . ويتخذ من عيدان التألب القسي^١ . و (الآلب) شجرة شاكة كالانرج ، ومنابتها ذرى الجبال ، وهي سم^٢ ، يؤخذ خضبها وأطراف أفنانها فيدق رطباً ويقش به اللحم وي طرح للسباع كلها ، فلا يلبثها اذا أكلته ، فإن هي شمتة ولم تأكله عيت عنه^٣ .

و (الشوحط) ، ضرب من شجر الجبال ، تتخذ منه القسي^٤ . ويكثر وجوده في جبال السراة ، فإنها هي التي تنبته . وله ثمرة مثل العنبة الطويلة ، إلا أن طرفها أدق . وهي لينسة تؤكل^٥ . و (النيع) ، شجر من أشجار الجبال ، أصفر العود رزينه ثقيله في اليد ، وإذا تقادم احمر . تتخذ منه القسي^٦ . وكل القسي^٧ إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع ، لأنها أجمع القسي للارز واللين ، ولا يكون العود كريماً ، حتى يكون كذلك ، أي شديداً ليناً . وتتخذ السهام من أغصانه . وله ذكر في شعر الشعراء الجاهليين^٨ .

ومن أشجار الجبال : (الرنف) ، و (الحثيل) ، و (البان) ، و (الظيان) . و (الرنف) ، شجر ينضم ورقه الى قضبانته إذا جاء الليل وينتشر بالنهار . وفي مقتل (تأبط شرأ) ، أن الذي رماه لاذ منه برنفة ، فلم يزل (تأبط شرأ) يجمدها بالسيف حتى وصل اليه فقتله ، ثم مات من رميته^٩ . و (الحثيل) ، شجر جبلي يشبه الشوحط ، ينبت مع النبع وأشباهه^{١٠} . و (البان) ، شجر ، ولحب^{١١} ثمره دهن طيب . وتعالج بحبه جملة أمراض جلدية وداخلية . وهو يطول

-
- ١ المخصص (١١/١٤٢) ، عرام (٤٠٧ ، رقم ١٠) .
 - ٢ تاج العروس (١/١٤٩) ، (آلب) .
 - ٣ قال الاعشى :
 - وجياداً كأنها قضيب الشو حط يحملن شكة الابطال
 - ٤ تاج العروس (٥/١٦٥) ، (شحط) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (ص ٣٩٦) .
 - ٥ تاج العروس (٥/٥١٨) ، (نيع) .
 - ٦ تاج العروس (٦/١٢٢) ، (أرنف) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (ص ٣٩٦) :
 - ٧ قال أوس بن حجر :
 - ٨ تعلمها في غيلها وهي حظوة بواد به نبع طوال وحثيل
 - ٩ تاج العروس (٧/٢٧٣) ، (حثل) .

باستواء مثل نبات الأثل ، وورقه له هذب كهذب الأثل ، وليس لخشبه صلابة .
 وعدّه بعض العلماء من العضاه ، وله ثمرة تشبه قرون اللوباء ، إلاّ أن خضرتها
 شديدة . فهو من النبات الذي تطيب به^١ . و (الظيان) ، ياسمين البرّ ، وهو
 نبت يشبه النسرين ، وضرب من اللبلاب . وقد دبغ بورقه ، ويلتف بعضه على
 بعض^٢ . وهو على هذا التعريف ، ليس من الأشجار التي تعطي الخشب . وبعض
 ما ذكرته نبت في الهضاب والأودية^٣ . وذكر أن للظيان ، ساق غليظة ، وهو
 شاك ، ويحطب . وله سنفة كسنفة العسرق . والسنفة : ما تدلى من الثمر وخرج
 عن أغصانه . والعسرق : ورق يشبه الحندقوقا منتنة الرائحة^٤ .

والقرظ ، شجر عظام لها سوق غلاظ ، أمثال شجر الجوز وورقه أصغر من
 ورق التفاح ، وله حب يوضع في الموازين . وهو ينبت في القيعان ، واحدته
 قرظة . ويستعمل حبه للتداوي . ويدبغ به ، ويستخرج صيغ منه ، يصيغ به
 الأديم . والقرظ من أشهر مواد الدباغة وصيغ الجلود عند الجاهليين^٥ .

و (الضهياء) ، وهو شجر يشبه العناب تأكله الإبل والغنم^٦ . و (العرعر)
 شجر يعمل به القطران ، وهو شجر عظيم جبلي لا يزال أخضر ، يسميه البعض
 (السرو) ، وقيل : الساسم ، وقيل الشيزى ، وله ثمر أمثال النبق ، يبدو
 خضر ، ثم يبيض ، ثم يسود حتى يكون كالحشم ، ويحلو فيؤكل واحدته
 عرعة^٧ . و (البشام) ، شجر عطر الرائحة طيب الطعم ، يدق ورقه ويخلط
 بالحناء يسود الشعر . وقيل : هو شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار ، أكبر من
 ورق الصعتر ، ولا ثمر له ، وإذا قطعت ورقته أو قصفت غصنه هريق منه لبن

-
- ١ تاج العروس (١٤٧/٩) ، (البون) .
 - ٢ تاج العروس (٢٧٣/٩) ، (ظن) ، (٢٣٣/١٠) ، (ظنى) .
 - ٣ قال أوس بن حجر :
 بواد به نبسح طوال وحنيل وبان وظيان ورنف وشوحت
 ألف أنيث ناعم متغيل
 - (أنف) تاج العروس (١٢٢/٦) ، (أرنف) .
 - ٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٩) .
 - ٥ تاج العروس (٢٥٨/٥) ، (قرظ) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٦) .
 - ٦ عرام (٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤١١) ، تاج العروس (٢٢٢/١٠) ، (ضهي) .
 - ٧ تاج العروس (٢٩٢/٣) ، (عرر) .

أبيض . قيل : ويستاك بقضبه . وفي حديث (عتبة بن غزوان) ، ما لنا طعام إلا ورق البشام^١ .

و (الدلب) ، شجر (الصنّار) ، معرب (جنار) الفارسية ، واحدته (دلبة) ، شجر عظيم ، ورقه يشبه الخروج إلا أنه أصغر منه ، ومذاقه مرّ عصف ، وله نوّار صغار . يتخذ منه النواقيس . تقول العرب : هو من أهل الدربة بمعالجة الدلبة ، أي هو نصراني^٢ . و (التنضب) ، شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ويخرج له خشب ضخام وأفنان كثيرة ، وإنما ورقه قضبان تأكله الإبل والغنم . وقال بعض العلماء : التنضب شجر له شوك قصار ، وليس من شجر الشواهي ، تألفه الحرابي . وذكر بعض آخر ، أن التنضبة شجرة ضخمة يقطع منها العمود للأخبية ، وتتخذ منها السهام . وذكر بعض آخر : التنضب شجر حجازي ، وليس بنجد منه شيء إلا جزمة واحدة بطرف (ذقان) عند الثقيدة ، وهو ينبت ضخماً على هيئة السرح ، وعيدانه بيض ضخمة ، وهو محتظر وورقه منقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ وان كان نابتاً . وشوكه كشوك العوسج ، وله جني مثل العنب الصغار يؤكل . وهو أحيمر . ودخان التنضب أبيض مثل لون الغبار ، ولذلك شبهت الشعراء الغبار به . وقد قطعت منه العصي الجياد^٣ . وذكر أن للتنضب ثمرأ يقال له (الهمقع) يشبه المشمش يؤكل طيباً^٤ .

والأيدع ، شجر يشبه الدلب ، إلا أن أغصانه أشد تقارباً من أغصان الدلب ، له وردة حمراء ، وليس له ثمر ، نهى الرسول عن كسر شيء من أغصانه وعن السدر والتنضب والشبهان ، لأن هؤلاء جميعاً ذوات ظلال يسكن الناس فيها من البرد والحر^٥ .

١ تاج العروس (٢٠٣/٨) ، (بشم) .

٢ تاج (٢٤٧/١) ، (دلب) .

٣ قال عقيل بن علقمة المري :

وهل أشهدن خيلاً كأن غبارها
وقال النابغة الجعدي :

كان الدخان الذي غادرت

ضحيًا دواخن من تنضب

تاج العروس (٤٨٩/١) ، (نضب) .

٤ غرام (٤٠) ، تاج العروس (٥٦١/٥) ، (همقع) .

٥ غرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٠) .

والشبهان والشبه ، نبت كالسمر شائك له ورد لطيف أحمر، وحب كالشهدانج يشرب للدواء ، وترياق لنهش الهوام ، نافع للسعال ، ويفتت الحصى ويعقل البطن . وذكر انه شجر من العضاء^١ . فهو من النباتات التي تطيب بها . و (الشرح) شجر كبير عظيم طويل لا يُرعى وإنما يستظل فيه وينبت بنجد في السهل والغائط ، ولا ينبت في السهل والغلط ، ولا ينبت في رمل ولا جبل ، ولا يأكله المال إلا قليلاً . له ثمر أصفر ، أو هو كل شجر لا شوك فيه . وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي^٢ .

و (السلم) ، شجر من العضاء ، وورقه القرظ الذي يدبغ به الأديم . وهو سلب العيدان طولاً شبه القضبان ، وليس له خشب ، وإن عظم ، وله شوك دقاق طوال حاد ، وله برمة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح وفيها شيء من مرارة ، وتجذبها الأطباء وجداً شديداً^٣ . والسماق في جملة الشجر الذي ينبت في جزيرة العرب ، ذكر بعض العلماء انه يسمى (الظمخ) في الحجاز ، و (المرتن) في نجد . وهو من شجر القفاف والجبال . وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار . وهو من النبات الذي يداوى به ، في جملة أمراض^٤ . وورد ان (الظمخ) ، هو شجر السماق ، ويقال فيه الظنخ ، والزمنخ ، والطنخ . وان الظمخ ، شجرة على صورة الدلب ، يقطع منها خشب القصارين التي تدفن ، وهي العرن ، وهي أيضاً شجرة التين في لغة طيء^٥ . وذكر ان (العرنة) عروق (المرتن) ، و (العرنة) خشب الظمخ ، واحدها ظمخة . شجرة على صورة الدلب ، يقطع منها خشب القصارين التي تدفن . وقيل هو شجر يشبه العوسج ؛ إلا انه أضخم منه ، وهو أثيث الفرع وليس له سوق طوال . وسقاء معرون دبغ به^٦ .

و (الخزم) . شجر كالدوم سواء ، وله أفنان وبسر صغار يسود إذا أبيض مرة عقص لا يأكله الناس . تتخذ من لحائه الحبال . والخزام بئعه^٧ . وذكر

-
- ١ تاج العروس (٣٩٣/٩) ، (أشبهه) .
 - ٢ تاج العروس (١٦١/٢) ، (شرح) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٧/٨) ، (سلم) .
 - ٤ عرام (٤٠٢ وحاشية رقم ٢) ، تاج العروس (٣٨٥/٦) ، (سحق) .
 - ٥ تاج العروس (٢٧٠/٢) ، (الظمخ) .
 - ٦ تاج العروس (٢٧٧/٩) ، (مرتن) .
 - ٧ تاج العروس (٢٧٤/٨) ، (خزم) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٢) .

أنه شجر يشبه ورقه ورق البردي ، وله ساق كساق النخلة يتخذ منه الأرضية الجياد^١ . وأما (الدوم) ، فشجر ثمره (المقل) . تعبل شجرته وتسمو ولها خوص كمخوص النخل ، وتخرج أفناء كأفناء النخلة^٢ . وذكر أن (المقل) صمغ شجرة شائكة كشجرة اللبان ، وهو الذي يسمى (الكور) ، أحمر طيب الرائحة. ينبت بعان، في جبل يدعى (قهوان) مطلّ على البحر . وهو من الأدوية المعروفة عند العرب . و (المقل المكي) ، ثمر شجر الدوم ، الشبيه بالنخلة في حالاتها ينضج ويؤكل ، ويستعملونه لمعالجة المعدة . ويتدخن اليهود بالمقل ، الذي هو الكندر ، وحبّه يجعل في الدواء^٣ .

و (الشقب) ، شجر ينبت كنبتة الرمان وورقه كورق السدر ، وجناه كالنبق وفيه نوى . وذكر أنه شجر من شجر الجبال ينبت في جبال اليمن على أفواه الأودية ، له أساريع كالشطب التي في السيف ، يتخذ منها القسي^٤ . و (الإثرار) وله ورق يشبه ورق الصعتر وشوك نحو شوك الرمان ، ويقدح ناره إذا كان يابساً فيقتدح سريعاً ، وقد يتخذ من (الإثرار) القطران ، كما يتخذ من العرعر^٥ .

و (المرخ) من شجر النار عند العرب ، أي من الأشجار التي تورى بسرعة وتعطي ناراً طيبة ، سريع الورى كثيره ، حتى قالوا : في كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار . وقيل هو من العضاه ، وهو ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك ، وعيدانه سلبة قضبان دقاق ، وينبت في شعب وفي خشب ، ومنه يكون الزناد الذي يقتدح به . ذكروا أنه ليس في الشجر كله أورى ناراً من المرخ ، وربما كان المرخ مجتمعاً ملتقاً وهبت الريح وجاء بعضه إلى بعض فأورى فأحرق الوادي . ولم ير ذلك في سائر الشجر^٦.

١ عرام (ص ٤٠٢ وحاشية رقم ٢) .

٢ تاج العروس (٢٩٧/٨) ، (دوم) .

٣ تاج العروس (١١٨/٨) ، (مقل) .

٤ تاج العروس (٣٢٣/١) ، (شقب) ، عرام (٤٠٣) .

٥ عرام (٤٠٢ ، ٤٠٨) .

٦ قال الاعشى :

ك خالط فيهن مرخ عفاراً
حصاة بنبع لاوديت ناراً

زنادك خير زناد الملو
ولوبت تقدح في ظلمة
تاج العروس (٢٧٨/٢) ، (مرخ) .

و (العفار) ، من شجر النار كذلك . وهو شجر يتخذ منه الزناد ، يسوى من أغصانه فيقتدح به . شبيه بشجرة الغبراء الصغيرة ، وهو شجر خوار . وقيل في قوله تعالى : « أفرايتم النار التي تورون » أنتم أنشأتم شجرتها » لأنها المرخ والعفار . وهما شجرتان فيها نار ليس في غيرهما من الشجر^١ .

و (الأراك) من الحمض ، وقيل الحمض نفسه ، له حمل كحمل عناقيد العنب ، يستاك به ، أي بفروعه . وهو أفضل ما استيك بفروعه ، وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن . تتخذ المساويك من الفروع ومن العروق ، وأجوده عند الناس العروق^٢ . ويقال للغصن من ثمر الأراك (المرد) ، والنضيج منه (الكبث) ، و (البربر) ثمر الأراك أيضاً^٣ . و (الطلح) ، شجر عظيم حجازي جناته كجنات السمرة ، وهو شوك أحجن ومنايته بطون الأودية ، وهو أعظم العضاه شوكاً وأجودها صمغاً . وذكر بعض علماء اللغة ، ان الطلح شجرة طويلة لها ظل يستظل بها الناس والإبل وورقها قليل ولها أغصان طوال عظام ، ولها شوك كثير مثل سلاء النخل ، ولها ساق عظيمة لا تلتقي عليها يدا الرجل ، وهي أم غيلان ، تنبت في الجبل ، الواحدة طلحة . وذكر بعض آخر ، ان الطلح أعظم العضاه وأكثره ورقاً ، وأشدّه خضرة ، وله أشواك ضخام طوال وشوكه من أقل الشوك أذى ، وليس لشوكته حرارة في الرجل ، وله برمة طيبة ، وليس في العضاه أكثر صمغاً منه ولا أضخم ولا ينبت إلا في أرض غليظة شديدة خصبة . وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى : « وطلح منضود » ، بأنه الطلع ، و (الطلع) لغة في الطلح . وذكروا ان الطلع الموز . وهذا في نظر بعض آخر ، غير معروف ، لأن شجر الموز غير شجر الطلح^٤ .

و (النشم) ، شجر جبلي ، تتخذ منه القسي ، وهو من عتق العبدان^٥ .

١ تاج العروس (٤١٢/٣) ، (عفر) .

٢ تاج (٩٩/٧ وما بعدها) ، (أرك) .

٣ تاج العروس (٥٠٠/٢) ، (مرد) .

٤ تاج العروس (١٩٠/٢) ، ، (طلع) .

٥ تاج العروس (٧٦/٩) ، (نشم) .

و (الغرب) ، شجر ، يسوى منه الأفداح البيض^١ . و (العرفط)^٢ ، شجر من العضاه ، وهو فرش على الأرض لا يذهب في السماء ، وله ورقة عريضة وشوكة حديدية حجناء ، وهو مما يلتجئ لحاؤه وتصنع منه الأرضية التي يستقى بها ، وتخرج في برمه العلفة كأنها الباقلاء ، تأكله الإبل والغنم . وقيل لبرمته الفتلة ، وهي بيضاء كان هيادها القطن . وهو من خرج العيدان ، وليس له خشب ينتفع به فيما ينتفع من الخشب وصمغه كثير ، وربما قطر على الأرض حتى يصير تحت العرفط ، مثل الأرحاء العظام . وذكر بعض علماء اللغة : العرفط ، شجرة قصيرة متدانية الأغصان ، ذات شوك كثير طولها في السماء كطول البعير بأركانها وريقة صغيرة . تنبت في الجبال ، تأكل الإبل بفيها أعراض غصنتها . وذكر أن لصمغها رائحة كريهة ، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه . وقد أشير الى رائحته هذه في كتب الحديث^٣ .

و (الغرف) شجر يدبغ به ، ويعمل منه القسي^٤ ، وذكر انه لا يدبغ به ، وقيل يدبغ بورقه ، وإن كانت القسي تعمل من عيدانه ، وذكر انه اذا جف^٥ فضع شبيه رائحته رائحة الكافور . وجعله بعضهم ثماماً . فقالوا : الثام أنواع ، منه : الغرف ، وهو شبيه بالأسل ، وتتخذ منه المكناس ، ويظل به المزاد فيبرد^٦ . و (الشث) شجر من أشجار الجبال ، وقيل ضرب من الشجر ونبت طيب الريح مرّ الطعم يدبغ به ، ينبت في جبال الغور وتهامة ونجد . وقيل شجر مثل شجر التفاح القصار في القدر ، ورقه شبيه بورق الخلاف ، ولا شوك له ، وله برمة موردة صغيرة ، فيها ثلاث حبات أو أربع سود ، ترعاه الحمام اذا انتثروا^٧ .

وذكر ان (الغُرَيْف) شجر خوّار مثل الغرب أو البردي^٨ . و (الضرو)

١ تاج العروس (٤٠٧/١) ، (غرب) .

٢ بالضم .

٣ تاج العروس (١٨٢/٥) ، (اعرفط) .

٤ تاج العروس (٢٠٩/٦) ، (غرف) .

٥ تاج العروس (٦٢٧/١) وما بعدها ، (شث) .

٦ قال حاتم في صفة نخل :

رواء يسيل الماء تحت أصوله يميل به غيل بادنائه غريف

وقال أحيحة بن الجلاح :

يزخر في حافاته مفدق بعافتيه الشوع والغريف

شجرة الكمكام ، وهو شجر طيب الريح يستاك به ، ويجعل ورقه في العطر ، وأكثر منابت الضرو باليمن ، وهو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم ، غير انه أكبر حباً ، ويطبخ ورقه فإذا نضج صفي وردّ ماؤه الى النار فيعقد . يتداوى به^١ . وذكر ان الكمكام قرف شجر الضرو ، وقيل صمغ شجرة تدعى الكمكام تجلب من اليمن ، وقيل هو علك الضرو . وقرف شجرة الضرو أو لحاؤها من أفواه الطيب . وقد يستاك به^٢ .

و (المظ) ، شجر الرمان أو بريه ، ينبت في جبال السراة ولا يحمل ثمراً وإنما ينور نوراً كثير . ومنابته الجبال . وفي نوره عسل كثير ويمص وتأكله النحل فيجود عسلها ، وله حطب أجود حطب وأثقبه ناراً يستوقد كما يستوقد الشمع . وقيل هو الرمان البري الذي تأكله النحل ، وإنما يعقد الرمان البري ورقاً ولا يكون له رمان . وقيل هو : دم الأخوين ، وهو دم الغزال ، الذي يعرف بالقاطر المكبي ، وهو عصارة عروق الأرطي ، وهي حمر ، والإرطاة خضراء ، فإذا أكلتها الابل احمرت مشافرها^٣ .

و (السماق) من الأشجار التي تنبت بجبال تهامة ، وأهل الحجاز يسمونه (الضمخ) ، وأهل نجد يسمونه (العرتن)^٤ .

و (الشوع) ، شجر البان ، أو ثمره . قيل شجر طوال وقضبانة طوال سمجة ، ويسمى ثمره أيضاً الشوع . وهو يربيع ويكثر على الجذب وقلة الأمطار ، والناس يسلفون في ثمره الأموال . وأهل الشوع ، يستعملون دهنه كما يستعمل أهل السمسم دهن السمسم . وهو جبلي ، وقيل ينبت في الجبل والسهل^٥ . و (الضبر) ، شجر جوز البر ، يكون بالسراة في جبالها ينور ولا يعقد . وذكر بعض علماء اللغة ، أن (الضبر) ، (جوز بوياء) ، و (جوز بوا) ، كما يسميه البعض . وذكر بعض آخر ، أنه جوز صلب . و (الضُبَار) ، شجر يشبه شجر البلوط ، وحطبه جيد ، مثل حطب المظ . فإذا جمع حطبه رطباً ،

-
- ١ تاج العروس (٢١٠/٦) ، (غرف) .
 - ٢ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضري) .
 - ٣ تاج العروس (٢٦٤/٥) ، (مظظ) .
 - ٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٢) .
 - ٥ تاج العروس (٤٠٤/٥) ، (شوع) .

ثم أشعلت فيه النار ، فرقع فرفعة المخاريق ، ويفعل ذلك بقرب الغياض التي فيها الأسد . فتهرب^١ .

و (الطباقي) ، شجر ينبت متجاوراً ، لا تكاد ترى منه واحدة منفردة ، وهو نحو القامة ، وله ورق طوال دقاق خضر تنزلج ، إذا غزت يضمدها الكسر فيجبر . وله نور أصفر مجتمع ، ولا تأكله الإبل ولكن الغنم ، ومنايته الصخر مع العرعر ، والنحل تجرسه والأوعال أيضاً . وينبت بجبال نواحي مكة ، وقد استخدم في معالجة أمراض جلدية وداخلية^٢ . و (السراء) ضرب من شجر القسي^٣ . و (الصوم) ، شجرة بلغة هذيل ، قيل أنها على شكل الانسان ، كريهة المنظر جداً ، يقال لثمرها رؤوس الشياطين ، يعني بالشياطين الحيات ، وليس لها ورق . وقيل لها هذب ولا تنتشر أفنانها بنبت نبات الأثل ، ولا تطول طوله ، وأكثر منابتها بلاد (بني شباة)^٤ .

و (القتاد) شجر ضخم ينبت بنجد وتهامة . وهو شجر صلب له شوك كالأبر . وهو من العضاء . وهو ضربان ، فأما القتاد الضخم ، فإنه يخرج له خشب عظام وشوكة حجناء قصيرة ، وأما القتاد الآخر ، فإنه ينبت صعداً لا ينفرش منه شيء وهو قضبان مجتمعة ، كل قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكة ، وفي المثل : من دون ذلك خرط القتاد . ولإبل قتادية تأكل شوك القتاد^٥ .

و (الأشكل) ، السدر الجبلي ، وقيل : شجر مثل شجر العناب في شوكه وعقف أغصانه ، غير أنه أصغر ورقاً وأكثر أفناناً ، وهو صلب جداً ، ولونه نبيقة حامضة شديدة الحموضة ، منابته شواقي الجبال تتخذ منه القسي^٦ .

و (الصاب) و (السلق) ضربان من الشجر مرّان ، والمصاب قصب السكر^٧ . و (السرح) من الأشجار ، له ثمر يقال له (الآء) ، يشبه الزيتون على قول

-
- ١ تاج العروس (٣/٣٤٧) ، (ضبر) .
 - ٢ تاج العروس (٦/٤١٥) ، (طبق) .
 - ٣ تاج العروس (١/٧٧) ، (سراً) .
 - ٤ تاج العروس (٨/٣٧٢) ، (صام) .
 - ٥ تاج العروس (٢/٤٥٨) ، (قتند) .
 - ٦ تاج العروس (٧/٣٩٣) ، (شكل) .
 - ٧ تاج العروس (١/٣٤٠) ، (صوب) .

أو الموز على قول آخر . يأكله الناس ويرتبون منه الرب^١ . و (الغصور) شجر أغبر ينبت في كل جبال تهامة^٢ . وذكر أن (السرّح) شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل فيه ، وينبت بنجد في السهل والغلظ ، ولا ينبت في رمل ولا في جبل ولا يأكله المال إلا قليلاً له ثمر أصفر . وقيل السرحة ، دوحه محلال واسعة يحل تحتها الناس في الصيف ويبنون تحتها البيوت^٣ .

و (الغاف) شجر عظام ينبت في الرمل ويعظم، وورقه أصغر من ورق التفاح، وهو في خلقته ، وله ثمر حلو جداً ، وهو غلف كأنه قرون الباقلي وخشبه أبيض أو هو شجر الينبوت يكون بعمان . وذكر أن الغاف من العضاه ، وهي شجرة نحو القرظ شاكّة حجازية تنبت في القفاف^٤ .

الأشجار العادية :

ونجد في كتب اللغة والأخبار ألفاظاً تعبر عن قدم الأشجار وضخامتها، فاستعملوا (العادي) ، و (العدل) ، و (العدمة) ، و (العدملي) للقديم من الشجر . وقد رأينا أنهم استعملوا (العادي) بمعنى الشيء القديم ، ولا شيء قديم لا يعرف أصله^٥ . ومنه (العيدانة) ، للشجرة الصلبة القديمة ، التي لها عروق نافذة إلى الماء^٦ . و (العدل) ، كل مسنّ قديم . وقيل هو الضخم القديم من الشجر^٧ . و (العدولي) ، الشجرة القديمة الطويلة^٨ . و (الربوض) ، الشجرة العظيمة الضخمة الغليظة^٩ . والدوائح ، العظام من الشجر^{١٠} . و (الهيكل) ،

-
- ١ تاج العروس (١٦٢/٢) ، (سرح) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (ص ٤٠٠) .
 - ٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠١) ، تاج العروس (٤٥٠/٣) ، (غضر) .
 - ٣ تاج العروس (١٦١/٢) ، (سرح) .
 - ٤ تاج العروس (٢١٤/٦) ، (غيف) .
 - ٥ تاج العروس (٤٣٧/٢) ، (عود) .
 - ٦ تاج العروس (٤٣٨/٢) ، (عود) .
 - ٧ تاج العروس (١٢/٨) ، (العدل) .
 - ٨ تاج العروس (١١/٨) ، (عدل) .
 - ٩ تاج العروس (٣٠/٥) ، (ربض) .
 - ١٠ تاج العروس (١٣٧/٢) ، (الداح) .

النبات الطويل البالغ العبل ، أي العظيم ، وكذلك الشجر^١ . أما الشجرة الطويلة ، فيقال لها (سحوق) و (سهوق) . والنخلة السحوق ، الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني . وقيل هي الجرداء الطويلة التي لا كرب لها^٢ . و (السمق) من الشجر ، هو الشجر الطويل المرتفع^٣ . والقراح ، النخل الطويل الذي زال كربته وصار أملس^٤ .

جماعة الشجر :

وفي دواوين اللغة ألفاظ كثيرة أطلقت على جماعة الشجر من حيث كثافتها في أرض تنبت بها ، ومن هذه الألفاظ : (الدخل) ، الشجر الملتف ، كالدغل^٥ . و (الدغل) ، الشجر الكثير الملتف ، وقيل هو اشتباك النبت وكثرته ، وأعرف ذلك في الحمض ، والجمع أدغال^٦ . و (الشجراء) ، اسم لجماعة الشجر^٧ ، و (الغيضة) ، مجتمع الشجر في مغيض ماء ، والمراد بالشجر ، أي شجر كان ، أو خاص بالغرب لا كل شجر^٨ ، و (الأجمة) ، الشجر الكثيف الملتف^٩ . وأما (الغيطة) ، فهي الشجر الكثيف الملتف ، وجماعة الشجر والعشب وكل ملتف مختلط ، وقيل جماعة الطرفاء^{١٠} . و (الحرجة) ، اسم لمجتمع الشجر ، وقيل الشجر الملتف . وقيل الحرجة تكون من السمر والطلح والعوسج والسلم والسدر . وقيل هو ما اجتمع من السدر والزيتون وسائر الشجر^{١١} . و (العيص) ، الشجر الكثير الملتف ، وقيل هو الشجر الملتف النابت بعضه في أصول بعض . وقيل : ما اجتمع بمكان وتداني والتف من السدر والعوسج والنبع والسلم من العضاء كلها.

-
- ١ تاج العروس (١٧٠/٨) ، (هيكل) .
 - ٢ تاج العروس (٣٧٧/٦) ، (سحق) .
 - ٣ تاج العروس (٣٨٤/٦) ، (سحق) .
 - ٤ تاج العروس (٢٠٥/٢) ، (قرح) .
 - ٥ تاج العروس (٣٢٠/٧) ، (دخل) .
 - ٦ تاج العروس (٣٢٢/٧) ، (دغل) .
 - ٧ تاج العروس (٢٩١/٣) ، (شجر) .
 - ٨ تاج العروس (٦٥/٥) ، (غيض) .
 - ٩ تاج العروس (١٨٠/٨) ، (أجم) .
 - ١٠ تاج العروس (٤٦/٨) ، (غطل) .
 - ١١ تاج العروس (٢٠/٢) ، (حرج) .

وهو من الطرفاء الغيظلة ، ومن القصب الأجمة . وقيل العيص مسا التف من الشجر وكثر مثل السلم ، والطلح ، والسيال ، والسدر ، والعرفط ، والعضاه^١ . وأما (الرمخ) ، فالشجر المجتمع كذلك^٢ .

وأما (الغيل) ، فالشجر الكثير الملتف الذي ليس بشوك يستتر به . وقيل جماعة القصب والحلفاء^٣ وأما (الغريف) ، فالشجر الكثير الملتف من أي شجر كان ، أو الأجمة من البردي والحلفاء ، وقد يكون من الضال والسلم^٤ . وأما (الأبأة) ، فالقصب ، أو أجمة الحلفاء والقصب خاصة ، وماؤها شر المياه^٥ . وأما (الزارة) ، فالأجمة ذات الحلفاء والماء والقصب . و (الزارة) قرية كبيرة بالبحرين ، وبها عين معروفة ، يقال لها عين الزارة ، وقيل (مرزبان الزارة) كان منها . و (المرزبان) الرئيس ، أي رئيس الأجمة^٦ . و (الخيس) و (الخيسة) : فالشجر الكثير الملتف ، والمجتمع من كل الشجر ، أو ما كان حلفاء وقصباً ، وقيل الملتف من القصب والأشياء والنخل . وقيل : منبت الطرفاء وأنواع الشجر ، والخيسة ، الأجمة^٧ . و (الربض) ، جماعة الطلح والسمر ، وقيل : جماعة الشجر الملتف^٨ . و (الوهط) ، ما كثر من العرفط ، وقيل : وهط من عشر ، كما يقال عيص من سدر . وقيل : الوهط : المكان المطمئن من الأرض المستوى ، تنبت فيه العضاه ، والسمر ، والطلح ، والعرفط^٩ . ويقال للغملى من النبات ، وهو ما التف بعضه على بعض (الشرب)^{١٠} .

و (الأيكة) ، الشجر الملتف الكثير ، وقيل : الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما ، أو الجماعة من كل الشجر حتى من النخل ، وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه . وقال بعض علماء اللغة : الأيكة الجماعة الكثيرة من الأراك تجتمع

-
- ١ تاج العروس (٤/٤١١) ، (العيص) .
 - ٢ تاج العروس (٢/٢٥٩) ، (رمخ) .
 - ٣ تاج العروس (٨/٥٣) ، (الغيل) .
 - ٤ تاج العروس (٦/٢١٠) ، (غرف) .
 - ٥ تاج العروس (١/٣٩) ، (أبأة) .
 - ٦ تاج العروس (٣/٢٣٠) ، (زار) .
 - ٧ تاج العروس (٤/١٤٤) ، (الخيس) .
 - ٨ تاج العروس (٥/٣٠) ، (ربض) .
 - ٩ تاج العروس (٥/٢٤٣) ، (وهط) .
 - ١٠ تاج العروس (١/٣١٥) ، (شرب) .

في مكان واحد . وقد ذكرت الأيكة في القرآن الكريم^١ . قيل أن شجر أصحاب الأيكة كان الدوم ، وقيل : أثل ورهط من عشر ، وقصيمة من غصى^٢ . وأما (العيكة) ، فلغة في الأيكة^٣ .

و (الغابة) ، الأجمة ذات الشجر المتكاثف ، لأنها تغيب ما فيها ، وقيل الغابة : الأجمة التي طالت ولها أطراف باسقة . يقال : ليث غابة . وقيل الغابة أجمة القصب . وفي الحديث : كان منبر الرسول من أثل الغابة ، وفي رواية من طرفاء الغابة . والغابة غيضة ذات شجر كثير ، وهي على تسعة أميال من المدينة . وقيل : موضع قريب من المدينة . والعرب تسمي ما لم تصبه الشمس من النبات كله : الغيبان^٤ .

و (الصور) ، جماع النخل ، وقيل النخل المجتمع الصغار . قيل : ويقال لغير النخل من الشجر صور^٥ . و (العقدة) ، المكان الكثير الشجر ، يرعونه من الرمث والعرفج ، وقيل الحائط الكثير النخل^٦ .

وتنبت القصباء والحلفاء في الماء الراكد أو الهادىء ، وعلى حواشي الأنهار حيث يظهر الماء في المنخفضات . جاء في شعر للأعشى :

كبردية الغيل وسط الغريف إذا ما أتى الماء منها السديرا^٧

والقصباء جاعة القصب ، وقيل منبتها . وقد أقصب المكان ، وأرض قصبة ومقصبة ، أي ذات قصب^٨ . وينبت في المواضع التي يكثر وجود الماء الراكدة أو الهادئة بها ، مثل المستنقعات والبطائح ، مثل بطائح العراق ، حيث تعدّ من أهم منابت القصب والبردي في العراق حتى اليوم .

والقصب مادة مهمة لأهل الريف ، ولمن يعيش على الماء ، مثل أهل البطائح

-
- ١ القرآن الكريم في سورة الحجر ، والشعراء ، و ص ، و ق .
 - ٢ تاج العروس (١٠٤/٧) وما بعدها ، (الايك) .
 - ٣ تاج العروس (١٦٥/٧) ، (عيكة) .
 - ٤ تاج العروس (٤١٦/١) وما بعدها ، (غيب) .
 - ٥ تاج العروس (٣٤٣/٣) ، (صور) .
 - ٦ تاج العروس (٤٢٧/٢) ، (عقد) .
 - ٧ تاج العروس (٢١٠/٦) ، (غرف) .
 - ٨ تاج العروس (٤٣٠/١) ، (قصب) .

والأهوار ، والمستنقعات ، والأجم التي تتخللها المياه . إذ اتخذوا منها بيوتاً صنعوها من القصب ، ولا زال سكان (الأهوار) في العراق يصنعون بيوتهم من القصب . واتخذوا منها فراشاً يجلسون عليه ، هو (البارية) ، ويقال لها (البوري) ، و (البورية) ، و (البورياء) ، و (الباري) ، و (البارياء) . الحصير المنسوج من القصب . وقد أشير إلى (البوري) في الحديث^١ .

والخلفاء نبت من الأغلاس ، قلما تنبت إلاً قريباً من ماء أو بطن واد، وهي سلبة غليظة المسّ ، وقد يأكل منها الإبل والغنم أكلاً قليلاً ، وهي أحب شجرة الى البقر . وقد كانت الأسود تأوي اليها . ومن مآوي الأسود الآجام ومنابت الخلفاء . وقد تجف ، إذا قلّ الماء^٢ .

والبردي من النبات الذي يحتاج مثل القصب والخلفاء الى ماء . فهو لا ينبت إلاً قريباً من ماء أو في مستنقع أو هور ، أو منخفض فيه ماء . ويؤلف أجمة في وسط ماء^٣ .

و (الجليل) ، نبت ضعيف يحشى به خصائص البيوت . وهو (الثام) في رأي بعض علماء اللغة^٤ . و (الثام) ، نبت ضعيف له خوص ، أو شبيه بالخوص ، وربما حشي به وسدّ به خصائص البيوت . وهو أنواع . فمنها : الضعة ومنها الجليلية ، ومنها الغرف ، وهو شبيه بالأسل وتتخذ منه المكناس : ويظل به المزاد فيبرد الماء . يقال : (بيت مضموم) مغطى به . وقد يستعمل لإزالة البياض من العين^٥ .

الفحم وقطع الشجر :

وقد صنع أهل الجاهلية من النباتات البرية والأشجار الجبلية الفحم ، وهم لا يزالون يصنعونه من هذه المواد . وذلك بإشعالها أولاً ثم باطفاء جمرها ،

-
- ١ تاج العروس (٦٠/٣) وما بعدها ، (بار) .
 - ٢ تاج العروس (٧٦/٦) ، (حلف) .
 - ٣ تاج العروس (٢٩٨/٢) ، (برد) .
 - ٤ تاج العروس (٢٦١/٧) ، (جلل) .
 - ٥ تاج العروس (٢١٩/٨) ، (ثم) .

للاستفادة من الفحم الحاصل من ذلك في أغراض شتى . ويحمله أصحابه الى أهل المدر ، لبيعه لهم ، أو لمقايضته مع الباعة بمواد أخرى يحتاجون إليها . وقد أدى الإسراف في ذلك وفي قلع الأشجار البرية النابتة بالطبيعة دون التعويض عنها بزراعة غيرها في مكانها ، الى تحويل الأرضين الشجرية الى أرض جرداء ، وإلى إلحاق ضرر كبير بمصدر ثروة مهمة من الثروات الطبيعية .

وتشاهد في كثير من المناطق الجبلية والنجود بقايا أشجار قديمة وأصول أشجار ممتدة بين الصخور تدل على أن هذه المناطق الجرد كانت ذات أشجار باسقة ، ولكنها أصابها الدمار بفعل جهل الانسان واعتدائه عليها ، وعدم عنايته بها، فتلفت وبادت ، حتى استعالت تلك البقاع الشجرية قفاراً جرداً .

وكان مما ضيق من مساحة الأرضين المشجرة ، التي شجرتها الطبيعة بنفسها ، قطع الإنسان للشجر من عروقه أو من موضع اتصال الساق بالأرض ، للاستفادة من المقطوع الى أقصى حد ممكن ، مما أهلك النبات ، فأمامت عروقه ، وقطع عنه مادة الحياة ، ولم يحفل بغرس آخر في مكانه ، ليأخذ محله ، لأن الأرض ليست أرضه ، وإنما هو يريد بيع الخشب والحطب ليستفيد من الثمن ، فقلت مساحة الأرض المشجرة بالطبيعة ، بهذا التجاوز القطيع . ولم تعوض الطبيعة الإنسان عن الضرر الذي ألحقه بنتائجها ، فقد أعطته كثيراً ، وكان من الواجب عليه أن يعينها في الانبات ، لا أن يعمل على إفساد ما زرعت .

آفات زراعية :

ويفهم من بعض النصوص الجاهلية ان الزراعة كانت تتعرض لآفات زراعية خطيرة تقضي على المزروعات في بعض الأحيان . وطالما وجدنا أصحابها يسألون الآلهة وقاية مزروعاتهم وحمايتها وانزال البركة عليها ومنحهم غلات وافرة كثيرة . وقد يكون من بين هذه الآفات: الحشرات والجراد وانحباس المطر . ومن طرق هذه الحماية في نظرهم تسمية الزرع باسم إله ، ليكون في حمايته ورعايته . وقد ينحصر نصيب منه لذلك الإله ، في مقابل حمايته له .

وفي كتب اللغة ألفاظ عديدة في معاني الآفات التي تصيب الزروع ، مثل : البثق ، وهو داء يصيب الزرع من ماء السماء^١ ، و (الغمل) ، وهو مرض

١ تاج العروس (٦/٢٨٣) ، (بثق) .

يغمل النبات ، فيجعله يركب بعضه بعضاً ويذبل ويعفن^١ . و (الخناس) ، داء يصيب الزرع فيتجعثن منه فلا يطول^٢ . و (الشفران) ، و (البرقان) ، آفة للزرع تصيبه فيصفر منها ، وقيل دود يكون في الزرع فيتلفه^٣ ، و (الأرقان)^٤ ، والرصع ، والوصم ، وهو العيب في العود ، والقادح ، أكال يقع في الشجر وفي الخشب فيأكله ، والقادح أيضاً العفن ، ويقع القادح في الأسنان ، وهو السواد الذي يظهر فيها^٥ . والسوس ، داء يصيب الزرع ، لوقوع السوس فيه ، بسبب حشرة تعبت فيه ، ويقال مثل ذلك بالنسبة إلى الصوف والثيراب والطعام ، إذا عشت العثة فيها^٦ . و (العثة)^٧ سوسة ، أو الأرضة التي تلحس الصوف فتؤذيه . وقيل : دويبة تعلق الإهاب فتأكله . والججدد أيضاً دويبة تعلق الإهاب فتأكله^٨ . والأرضة ضربان ، ضرب صغار ، مثل كبار الذر ، وهي آفة الخشب خاصة ، وضرب مثل كبار النمل ، ذوات أجنحة ، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات . غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذوات قوائم . وقيل : هي دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع . وقيل دودة بيضاء سوداء الرأس ، وليس لها أجنحة ، وهي تغوص في الأرض وتبني لها كنّاً من الطين ، وهي تأكل الخشب وغيره^٩ . والنخر ، داء يصيب الأغصان والسيقان ، والخشب ، فيسبب جفافها وتفتتها^{١٠} . و (القادحة) ، دودة تأكل الشجر^{١١} .

و (القتع) ، دود حمر تأكل الخشب ، أو هي الأرضة ، وقيل الدود مطلقاً . وقيل هي السرفة ، والقتعة ، والهرنصانة ، والحطيطة ، والبطيطة ، واليسروع ، والعوانة ، والطحنة^{١٢} .

-
- ١ تاج العروس (٥٠/٨) ، (غمل) .
 - ٢ تاج العروس (١٤٣/٤) ، (خنس) .
 - ٣ تاج العروس (٩٧/٧) ، (يرق) .
 - ٤ تاج العروس (٢٧٨/٦) ، (ارق) .
 - ٥ تاج العروس (٢٠٣/٢) ، (قدح) .
 - ٦ تاج العروس (١٦٨/٤) ، (سوس) .
 - ٧ بالضم .
 - ٨ تاج العروس (٦٣٢/١) ، (عث) .
 - ٩ تاج العروس (٤/٥) ، (أرض) .
 - ١٠ المخصص (٥٦/١١) ، تاج العروس (٥٥٩/٣) ، (نخر) .
 - ١١ المخصص (١٢/١١) وما بعدها .
 - ١٢ تاج العروس (٤٥٨/٥) ، (قتع) .

و (السرفة) ، دويبة تؤذي الزرع ، تثقب الشجر ثم تبني فيها بيتاً من عيدان دقاق تجمعها بمثل غزل العنكبوت ، وقيل دودة تنسج على بعض الشجر وتأكل ورقه وتهلك ما بقي منه بذلك النسج^١ . وذكر أن (الهرنصانة) ، السرفة^٢ ، وأن (البطيطة) السرفة كذلك^٣ . وأن (الحطيطة) السرفة أيضاً^٤ .

ومن الأمراض والآفات التي تصيب النخيل ، الدمان ، ويقع على التمر ، فيفسد ، وتصيبه العفونة قبل إدراكه حتى يسود^٥ . والمُراض ، داء للثمار يقع فيها فيهلكها^٦ ، و (القشام)^٧ ، وهو أن ينتفض ثمر النخل قبل أن يصير بلحاً^٨ . وذكر بعض العلماء أن الدمان فساد النخل قبل إدراكه ، وإنما يقع ذلك في الطلع يخرج قلب النخلة أسود معفوناً . وذهب آخرون الى أنه فساد الطلع وتعفنه وسواده . وقال بعضهم : الدمان التمر المتعفن ، وأنه فساد التمر وعفنه قبل إدراكه حتى يسود من الدمن . وأما المُراض ، فذكر بعض العلماء أنه اسم لجميع الأمراض . وأما القشام ، فهو أكال يقع في التمر^٩ .

ومن الآفات التي كانت تصيب الزرع فتؤذي الناس وتلقي بأصحاب الزرع خسائر كبيرة (الجراد) . فقد كان يكتسح الزرع في بعض السنين اكتساحاً ، فيأتي في موجات كثيفة ، ويلتهم كل ما يجده أمامه ، حتى يجرد الأرض جرداً ، ولا يترك من نباتها شيئاً . ونجد في كتابات المسند اشارات اليه . ويقال له : (اربى) في العريبات الجنوبية^{١٠} . وفي العربية : (جراد سد) ، أي كثير سد الأفق . ويقال جاءنا سد من جراد ، إذا سد الأفق من كثرت^{١١} .

وللجراد أسماء تمثل مراحل نموه ، ذكرها علماء اللغة. مما يدل على مدى اتصاله

- ١ تاج العروس (١٣٧/٦) ، (سرف) .
- ٢ تاج العروس (٤٤٧/٤) ، (الهرنصانة) .
- ٣ تاج العروس (١٠٩/٥) ، (بط) .
- ٤ تاج العروس (١١٩/٥) ، (حطط) .
- ٥ القاموس (٢٢٣/٤) ، تاج العروس (٢٠٣/٩) ، (دمن) .
- ٦ تاج العروس (٨٦/٥) ، (مرض) .
- ٧ بالضم كغراب .
- ٨ القاموس (١٦٥/٤) ، (قشم) .
- ٩ عمدة القارئ (٣/١٢) .
- ١٠ South Arabian Inscriptions, p. 427.
- ١١ تاج العروس (٣٧٣/٢) ، (سدد) .

بحياة الناس ، وما كان يحدثه من أذى وأثر في زرعهم . وإذا أكل الجراد نبت أرض ، قيل : أرض مجرودة ، وجرد الجراد الأرض جرداً^١، ومن أسماء الجراد (الجندب) . وقيل انه الصدى يصير بالليل ويقفز ويطر . وقيل هو أصغر من الصدى يكون في البراري ، وقيل هو الصغير من الجراد^٢ . وكان الجراد يغزو المزارعين فيأتي على ما زرعه ، لا يترك لهم منه شيئاً ، وهم عاجزون عن الاتيان عليه. وهو أنواع عديدة من حيث اللون والجسم . وكان إذا انتقل من مكان إلى مكان ظهر في السماء ، وكأنه سحابة من كثرتة . وقد صار طعاماً لهم ، يأكلونه كما يأكل هو زرعهم . ذكر ان (ابن أبي أوفى) قال : غزونا مع النبي سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد^٣ .

الأسوكة :

السراك سوك الفم بالعود . والعود مسواك . ويتخذ من الأراك ، فإن لم يكن فغتم أو بطم^٤ . ويستاك بالبشام كذلك ، وهو شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٣١٩/٢) . (جرد) .
 - ٢ تاج العروس (١٧٦/١) ، (جندب) .
 - ٣ ارشاد الساري (٢٧١/٨) ، (باب جواز أكل الجراد) .
 - ٤ تاج العروس (٣٨٨/٨) ، (غتم) .
 - ٥ تاج العروس (٢٠٣/٨) ، (بشم) .

الفصل الثالث والتسعون

المراعي

وفي جزيرة العرب مراعي ، منها الخاص ، ومنها العام . والمراعي الخاصة ما تكون ملكاً لرجل أو أسرة أو قبيلة تفرض سلطانها على المرعى ، مثل الاحماء ، حيث لا يسمح لأحد غير مأذون بالرعي في (الحمى) . أما المراعي العامة، فهي التي لا تدخل في ملك أحد ، وإنما يرعى فيها كل أبناء الحي ، وجميع أبناء القبيلة ، لأن أرض القبيلة ملك للقبيلة ما دامت عزيزة فيها مالكة لرقبتها ، يرعى فيها كل أبنائها ، فإذا ذلت واستخذت طمعت فيها القبائل المجاورة القوية ، فشاركتها في أرضها ، وربما أجلتها عنها . وإذا ارتحلت القبيلة عن أرضها ، وتركتها ، ونزل بها نازل جديد ، صارت الأرض ملكاً له ، ما لم يدفع عنها بالقوة ، أو يتركها هو رضاءً . فإذا ارتحل عنها ، ونزل في مكان جديد ، سقط حقه فيها ، وانتقلت رقبة الأرض الى النازل الجديد . وهكذا تكون المراعي عامة مشاعة بين جميع أبناء القبيلة ، ما خلا الحمى ، ينتفع بها جميع أبنائها ، بما في ذلك سادة القبيلة وأصحاب الاحماء ، الذين ترعى لإبلهم في احماهم ، كما ترعى مع إبل الناس في مراعي القبيلة ، ولا يجوز لأحد من القبيلة أن يأخذ من أرباب المواشي عوضاً عن مراعي القبيلة ، لأنها للجميع . وقد أخذ بهذا الحكم في الإسلام بالنسبة للمراعي الموات ، بقول الرسول : « الناس شركاء في ثلاث: الماء ، والنار ، والكلا »^١ .

١ الاحكام السلطانية (٢٠٨) .

و (الرعي) الكلاً ، وهو ما ترعاه الراعية . والراعي ، هو الذي يتولى أمر الماشية التي ترعى ، ويقال للذي يجيد رعية الإبل (ترعى) و (ترعى) ، أو هو الحسن الارتباد للكلاً للماشية ، أو صناعته وصناعة آباءه رعاية الإبل . و (الرُعوى) الإبل التي ترعى حوالى القوم وديارهم لأنها الإبل التي يعتمل عليها^١ .

ويقال للمرعى في المسند (مرعى) ، (مرعى) ، (مرعى)^٢ . والمرعى موضع الرعي . والرعى الكلاً . والمرعى والرعى ما ترعاه الراعية . ورُعَيان ، ورُعَاء ، رعاة الغنم على الأكثر . ويقال (ترعى) و (ترعى) و (ترعى) للرجل يجيد رعية الإبل ، أو هو الحسن الارتباد للكلاً للماشية ، أو صناعته وصناعة آباءه رعاية الإبل . و (الرُعوى)^٣ ، الإبل التي ترعى حوالى القوم وديارهم ، لأنها الإبل التي يعتمل عليها^٤ . ويقال للمرعى (الأب) ، وهو الكلاً جميعه الذي تعتلفه الماشية ، رطبه ويابسه^٥ .

ويعبر عن الإبل إذا رعت بـ (سامت المال) ، و (سامت الإبل) ، يقال سامت الراعية والماشية والغنم تسوم سوماً ، رعت حيث شاءت ، فهي سائمة . والسوام والسائمة الإبل الراعية ، وقيل كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلى وسومه يرعى حيث شاء ، والسائم الذاهب على وجهه حيث يشاء . وذكر أن السوام والسائمة كل إبل ترسل ترعى ولا تعلف في الأصل . وورد في الحديث : سائمة الغنم^٦ . و (السرح) المال السائم . وذكر بعض علماء اللغة أن المال لا يسمى سرحاً إلا ما يفدى به ويراح^٧ .

وتؤدى لفظة (مرتع) معنى (مرعى) . ورتع بمعنى أكل وشرب للبهائم . ولا يكون الرتع إلا في خصب وسعة^٨ . وتؤدى لفظة (النجعة) ، معنى طلب الكلاً في موضعه . و « والنجعة عند العرب المذهب في طلب الكلاً في موضعه ،

-
- | | |
|---|---|
| ١ | تاج العروس (١٥٢/١٠) ، (رعى) . |
| ٢ | Rhodokanaks, Stud. Lexl., I, S. 57, Halevy 147. |
| ٣ | كسكارى ويضم . |
| ٤ | تاج العروس (١٥٢/١٠) ، (رعى) . |
| ٥ | تاج العروس (١٤٢/١) ، (أب) . |
| ٦ | تاج العروس (٣٥٠/٨) ، (سوم) . |
| ٧ | تاج العروس (١٦٠/٢) ، (سرح) . |
| ٨ | تاج العروس (٣٤٧/٥) ، (رتع) . |

والبادية تحضر محاضرها عند هيج العشب ونقص الحرف وفناء ماء السماء في الغدران ، فلا يزالون حاضرة يشربون الماء العذب حتى يقع ربيع بالأرض خرفياً كان أو شتياً ، فإذا وقع الربيع توزعتهم النجع وتشبعوا مساقط الغيث يرعون الكلاً والعشب ، إذا أعشبت البلاد ، ويشربون الكرع وهو ماء السماء ، فلا يزالون في النجع الى أن يهيج العشب من عام قابل وتنش الغدران فيرجعون الى محاضرتهم على أعداد المياه^١ .

ويقال أرض معرضة ، للأرض التي يستعرضها المال ويعترضها ، أي هي أرض فيها نبات يرعاه المال إذا مرّ فيها^٢ .

وإذا أقامت الإبل في المرعى ، قيل : (عدنت الإبل) ، وخص بعضهم به الإقامة في (الحمض) ، وقيل يكون في كل شيء^٣ .

وقد تكون المراعي عند مشارف أهل الحضر ، لا تبعد عن القرى وعن مستوطناتهم كثيراً ، وذلك بالنسبة لرعي الغنم . فيؤدي أهل البيوت أغنامهم الى الراعي ، ليأخذها الى الخارج فيرعى بها وتتجمع عند الراعي أغنام لمختلف الناس ، في مقابل أجر يدفع له . وقد كان الرسول راعي غنم ، يرعى غنم قریش ، وغنم أهله ب (أجياد) بالقراريط^٤ .

وكان بين أصحاب الغنم ، وبين أصحاب الإبل تنازع ، وقد كان يستطيل أصحاب الإبل على أصحاب الغنم^٥ .

و (المنقل) النجعة يتنقلون من المرعى إذا احتفوه الى مرعى آخر ، وذلك إذا رعوا فلم يتركوا فيه شيئاً . والناقلة ضد القاطنين ، والجمع النواقل . والنقل الطريق المختصر^٦ . والنجعة طلب الكلاً في موضعه . والبادية تحضر محاضرها عند هيج العشب ونقص الحرف وفناء ماء السماء في الغدران ، فلا يزالون حاضرة يشربون الماء العذب حتى يقع ربيع بالأرض خرفياً كان أو شتياً ، فإذا وقع الربيع توزعتهم النجع وتتبعوا مساقط الغيث يرعون الكلاً والعشب إذا أعشبت البلاد

-
- ١ تاج العروس (٥١٩/٥) ، (نجع) .
 - ٢ تاج العروس (٤٩/٥) ، (عرض) .
 - ٣ تاج العروس (٢٧٤/٩) ، (عدن) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (١٢٥/١) وما بعدها .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (١٢٦/١) .
 - ٦ تاج العروس (١٤٤/٨) .

ويشربون الكرع وهو ماء السماء ، فلا يزالون في النجع إلى ان يهيج العشب من عام قابل ، وتنش الغدران ، فيرجعون إلى محاضرهم على أعداد المياه^١ .

وإذا أمطرت السماء مطراً كافياً ، كان ذلك خيراً للعرب وفرحة عظيمة . إذ تغيث الأرض وتكسوها حلة سندسية جميلة ، وتزول الغبرة عن وجهها ، وتظهر الأرض فرحة مستبشرة بعد عبوس وكآبة . فتهيج الأرض وتنبت نباتاً أخضر ، يكون بهجة للناظرين وطعاماً شهياً للإبل ولبقية حيواناتهم، تقبل عليه إقبالاً شديداً، فتشبع وتنصح أجسامها ، ويكثر نسلها . ويقال للخضرة التي تكسو وجه الأرض (الكلاء) ، وهو العشب ، رطبه ويابسه . وأرض كثيفة ومكلائة ، كثرة الكلاء^٢ . وذكر ان العشب الكلاء الرطب ، والرطب من البقول البرية ، ينبت في الربيع ، وهو سرعان الكلاء في الربيع يهيج ولا يبقى . ويدخل في العشب ، أحرار البقول وذكورها ، فأحرارها ما رق منها وكان ناعماً . وذكورها ما صلب وغلظ منها. وذكر بعضهم ان العشب كل ما أباده الشتاء وكان نباته ثانية من أرومة أو بذر^٣ . وفي ذلك يقول الأعشى :

ألم تر أن الأرض أصبح بطنها نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصا

والفصافص الرطب من علف الحيوان ، ويسمى (القت) . وقيل هو رطب القت . وفي الحديث : ليس في الفصافص صدقة^٤ .

و (البقل) ما نبت في بزره لا في أرومة ثابتة . وذكر أنه كل ما اخضرت به الأرض . والفرق بين البقل ودق الشجر ، أن البقل إذا رعي لم يبق له ساق ، والشجر تبقى له سوق وإن دقت . وقال بعض علماء اللغة : البقل ما لا يثبت أصله وفرعه في الشتاء . والبقلة ، بقل الربيع خاصة . وبقلت الأرض إذا أنبت^٥ . وذكر أن من أسماء بقل الربيع : الجش^٦ .

-
- ١ تاج العروس (٥/٥١٩) ، (نجع) .
 - ٢ تاج العروس (١/١١١) ، (كلاء) .
 - ٣ تاج العروس (١/٣٨٣) ، (عشب) .
 - ٤ تاج العروس (٤/٤١٦) ، (فصص) .
 - ٥ تاج العروس (٧/٢٣١) ، (بقل) .
 - ٦ تاج العروس (٣/١٠١) ، (جش) .

وترد لفظة (لسن) ، (لسس) ، الواردة في نصوص المسند في معنى (لساس)^١ في عربيتنا^٢ . ويراد بها أول البقل ، وقيل هو من البقل ما استمكنت منه الراعية وهو صغار . وقيل : البقل ما دام صغيراً لا تستمكن منه الراعية ، وذلك لأنها تلسه بألسنها لسا^٣ .

والخشيش الكلاء اليابس ، ولا يقال وهو رطب خشيش . والطاقة منه خشيشة . والعشب يعمّ الرطب واليابس . وقال بعض علماء اللغة : الخشيش أخضر الكلاء ويابسه . وقال بعض آخر العرب إذا اطلقوا اسم الخشيش عنوا به الخلي خاصة ، وهو أجود علف يصلح الخيل عليه . وهو من خير مراعي النعم . وقال بعض آخر : البقل أجمع رطباً ويابساً خشيش وعلف وخلي^٤ . والخلي : الرطب من النبات . وقال بعض علماء اللغة : هو النبات الرقيق ما دام رطباً^٥ .

وترد في المسند لفظة (جمست) (جمسة) ، بمعنى الحشائش عند جفافها والنبت إذا ما ذهبت غضاضته^٦ . وهي بهذا المعنى في عربية القرآن الكريم . فالجامس من النبات ما ذهبت غضاوضته ورطوبته فولى وجسا^٧ .

وتنبت الأمطار ما دقّ من الشجر ، وبعض أنواع الشجر ، وقد تثمر ثمراً يستفيد منه الانسان . كما يستفيد من عوده ومن حطبه وخشبه . أما ورقه فيكون طعاماً شهياً للإبل . ونجد في كتب اللغة أسماء عدد كبير من هذه النباتات . وقد استعان الأعراب بالنبات وبالشجر في مداواة أنفسهم ، علمتهم تجاربهم الطويلة القديمة ، ما ينفع منها في معالجة ما يصابون به من مرض ، فصار لهم طب خاص بهم ، يقوم على الفراسة وعلى الملاحظة وعلى التجارب في استخدام النبات في مداواة الانسان وفي معالجة ماله ، ولا زال هذا الطب معمولاً به في البوادي ، عند الأعراب .

-
- ١ كغراب .
 - ٢ القاموس (٢٤٩/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤١/٤) ، (لسن) ، REP. EPIGR., Tome, V, P. 196.
 - ٤ تاج العروس (٢٩٨/٤) ، (خشيش) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٠/١٠) ، (خلي) .
 - ٦ REP. EPIGR., Tome, V, P. 196.
 - ٧ القاموس (٢٠٥/٢) ، تاج العروس (١٢٢/٤) وما بعدها ، (جمس) .

ويعد الأراك من أطايب أكل الإبل ، إذا أصابت منه شيئاً ، ظهر طعمه في اللبن ، وهم يستحسنون هذا اللبن . وقد كان الرعاة إذا مروا به اجتنبوا ثمرته ، و (الكبث) ، هو أحسن ثمره ، ولونه أسود ، وهو أطيب ثمر الأراك . وقد اجتناه الرسول يوم كان راعياً^١ . وهو النضيج من ثمر الأراك . وما لم ينضج فهو (بربر) . وقيل : الكبث هو ما لم ينضج منه ، وقيل حمله إذا كان متفرقاً^٢ .

وتكتسي الأرض بعد ظهور الكلأ ثوباً سندسياً جميلاً ، فتظهر خضراء ، لكثرة ما عليها من (الخضر) ، وهو الزرع والنبات الذي نبت عليها . و (الخضر) ، المكان الكثير الخضرة . ويراد بالخضرة (البقلة الخضراء) ، وهي بقلة خضراء خشناء ورقها مثل ورق الدخن وكذلك ثمرتها وترتفع ذراعاً ، وهي تملأ فم البعير . و (الخضر) ضرب من الجنة ، والجنة من الكلأ ما له أصل غامض في الأرض ، مثل النصي والصلبان . وليس الخضر من أحرار البقول التي تهيج في الصيف . وجيدها الذي ينبت الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم ، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها ، وتسميها العرب الجنة ، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرها^٣ .

والجنة ، عامة الشجر التي تتربل في زمان الصيف . واسم لنبت كثيرة ، وهي كلها عروق . سميت جنة ، لأنها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا أرومة لها في الأرض . فمن الجنة : النصي والصلبان والحماط والمكر والحذر والدهماء . صغرت عن الشجر ونبتت عن البقول^٤ . والنصي : نبت ما دام رطباً ، فإذا ابيض ، فهو الطريقة ، فإذا ضخم ويبس ، فهو الحلي . وهو من أفضل المرعى^٥ . وذكر أن (الطريقة) من النصي ، إذا ابيض ويبس ، أو هو منه إذا اعم وتم وكذلك من الصليان . وذكر أيضاً أن الطريقة من النبات ، أول الشيء ، يستطرفه المال ، فيرعاها كائناً ما كان . وسميت طريقة ، لأن المال يطرفه

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (١٢٦/١) .
 - ٢ تاج العروس (٦٤٠/١) ، (كبث) .
 - ٣ تاج العروس (١٧٩/٣) ، (خضر) .
 - ٤ تاج العروس (١٨٩/١) ، (جنب) .
 - ٥ تاج العروس (٣٧٠/١٠) ، (أنصي) .

إذا لم يجد بقلًا . وقيل لكرمها وطرافتها واستطراف المال إياه . وقيل: الطريفة
خير الكلا ، إلا ما كان من العشب . ومن الطريفة النصي والصليان والهلتي
والشحم والثغام^١ .

و (الحلي) ما ابيض من يبيس النصي والسيط ، وقيل : هو كل نبت يشبه
نبات الزرع، أو اسم نبت بعينه. وقيل هو من خير مراتع أهل البادية للنعم والحلي^٢.
والحماط ، شجر شبيه بالتين ، خشبه وجناه وريحه ، إلا أن جناه هو أصغر
وأشد حمرة من التين ، ومنايته في أجواف الجبال ، وقد يستوقد بحطبه ، ويتخذ
خشبه لما ينتفع به الناس ، يبنون عليه البيوت والحيام . وقيل : هو في مثل نبات
التين ، غير أنه أصغر ورقاً ، وله تين كثير صغار من كل لسان أسود وأملح
وأصفر ، وهو شديد الحلاوة يحرق الفم إذا كان رطباً ، فإذا جف ذهب ذلك
عنه . وهو يدخر وله إذا جف متانة وعلوكة . وهو أحب شجر الى الحيات ،
أي أنها تألفه كثيراً . يقال : شيطان حماط^٣ .

والصليان ، نبت من الطريفة ، ينبت صعداً وأضحمه أعجازه وأصوله على
قدر نبت الحلي ، ومنايته السهول والرياح . وقيل الصليان من الجنة لغلظه
وبقائه^٤ .

والمكرة نبتة غبراء مليحاء تنبت قصداً ، كأن فيها حمضاً حين تمضغ ، تنبت
في السهل والرمل ، لها ورق وليس لها زهر . وقد تقع المكور على ضروب من
الشجر كالرغل^٥ . و (الدهماء) ، عشبة عريضة ذات ورق وقضب ، كأنها
القرنوة ، ولها نورة حمراء يدبغ بها ، ومنبتها قفاف الرمل^٦ .

الحمض والخلة:

ويقسم بعض العلماء المرعى كله إلى حمض وخلة . فالحمض ما فيه ملوحة ،

-
- ١ تاج العروس (١٧٧/٦ وما بعدها) ، (طرف) .
 - ٢ تاج العروس (٩٨/١٠) ، (حلي) .
 - ٣ تاج العروس (١٢١/٥) ، (حمط) .
 - ٤ تاج العروس (٤٠٦/٧) ، (صلل) .
 - ٥ تاج العروس (٥٤٨/٣) ، (مكر) .
 - ٦ تاج العروس (٢٩٩/٨) ، (دهم) .

والخلة ما سواه . وكل أرض لم يكن بها حمض ، فهي خلة ، وإن لم يكن بها من النبات شيء . وخلل الأرض التي لا حمض بها ، وربما كانت بها أعضاء ، وربما لم تكن . ولو أتيت أرضاً ليس بها شيء من الشجر وهي جرز من الأرض ، قلت انها خلة ^١ .

والحمض ما ملح وأمر من النبات ، كالرمث والأثل والطرفاء ونحوها . وذكر أن الحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له . ومن الحمض النجيل ، والحدراف ، والآخريط ، والقضة ، والقلام ، والهرم ، والحرض ، والدغسل ، وما أشبهها . وذكر أن الحمض كل نبت لا يهيج في الربيع ويبقى على القيط وفيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه ، وإذا لم تجده رقت وضعت . وهي كفاكهة الإبل ، والخلة ما حلا ، وهي كمخبزها ، تقول العرب : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها ويقال لحمها ^٢ .

والرِثْ ، مرعى للإبل ، وهو من الحمض ، وشجر يشبه الغضى ، لا يطول ولكنه ينسبط ورقه ، وهو شبيه بالأشنان ، وله هدب طوال دقاق ، وهو مع ذلك كله كلاً تعيش فيه الإبل والغنم وإن لم يكن معها غيره ، وربما خرج فيه عسل أبيض كأنه الجمان ، وهو شديد الحلاوة وله حطب وخشب ووقوده حसार ويتنفع بدخانها من الزكام . ويرتفع دون القامة فيحتطب ^٣ .

والطرفاء جماعة الطرفة ، شجر . قيل انها أربعة أصناف من الأثل ، وقيل الطرفاء شجر من الأعضاء ، هدبه مثل هدب الأثل ، وليس له خشب . وإنما يخرج عصياً سمحة في السماء ، وقد تتحمض به الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره . وقيل انه من الحمض ^٤ .

والأثل : شجر ، عدّه بعضهم نوع من الطرفاء ، وقال بعض آخر : الأثلة سمرة أو عضاهة طويلة قوية يعمل منها الأقداح ^٥ . والنجيل ، ضرب من دق الحمض ، وقيل هو خير الحمض كله وألينه على السائمة . وذكر انه إذا أخرج

-
- ١ تاج العروس (٣٠٧/٧) ، (خلل) .
 - ٢ تاج العروس (٢٢/٥) ، (حمض) .
 - ٣ تاج العروس (٦٢٥/١) ، (رمت) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٧/٦) ، (طرف) .
 - ٥ تاج العروس (٣٠٢/٧) ، (أثل) .

عن الحمض أربع شجرات ، فسائره نجيل . هي الرمث والغضى والسلج . ومن النجيل : الخذراف ، والرغل ، والغولان ، والهرم ، والفذا، والقلام والطمحاء^١ . والخذراف ، نبات ربيعي إذا أحس بالصيف يبس ، أو هو ضرب من الحمض له ورقة صغيرة يرتفع قدر الذراع^٢ . والرُغسل ، نبت ، أو حمضة تنفرش وعيدانها صلاب وورقها نحو من ورق الجاهج إلا أنها بيضاء ومنابتها السهول ، والإبل تحمض به^٣ .

والغولان ، حمض كالأشنان ، وقيل شبيه بالعنظوان ، إلا انه أدق منه . وهو مرعى^٤ . و (الهرم) ، نبت ضعيف ترعاه الإبل ، وقيل ضرب من الحمض فيه ملحوة . وقيل هو يبيس الشبرق ، وهو أذله وأشدّه انبساطاً على الأرض واستبطاحاً . وقيل شجر ، وإن الهرمة البقلة الحمقاء^٥ . و (الغدام) ، نبت من الحمض^٦ . و (القلام) من الحمض ، هو كالأشنان إلا انه أعظم^٧ . و (القيصاض)^٨ شجر من الحمض ، وقيل هو دقيق ضعيف أصفر اللون^٩ .

والأراك من الحمض ، وقوم مؤركون نازلون بالأراك يرعونها ، ويقال أطيب الألبان ألبان الأوارك . وفي الحديث أتى بلبن الأوارك وهو بعرفة ، فشرب منه^{١٠} .

و (الحرص) ، من النجيل . وذكر أنه الأشنان ، تغسل به الأيدي على أثر الطعام . وشجرته ضخمة ، وربما استظل بها ، ولها حطب ، وهو الذي يغسل به الناس الثياب . وأنتقى وأبيض حرض هو حرض يثبت باليامة ، بواد منها يقال له جوّ الحضارم^{١١} . و (الحيهل) ، شجرة قصيرة من دق الحمض

-
- ١ تاج العروس (١٢٨/٨) ، (نجل) .
 - ٢ تاج العروس (٨٠/٦) ، (خذرف) .
 - ٣ تاج العروس (٣٤٨/٧) ، (رغل) .
 - ٤ تاج العروس (٥٢/٨) ، (غال) .
 - ٥ تاج العروس (١٠٢/٩) ، (هرم) .
 - ٦ تاج العروس (٣/٩) ، (غدم) .
 - ٧ تاج العروس (٣١/٩) ، (قلم) .
 - ٨ وورد بالصاد .
 - ٩ تاج العروس (٧٩/٥) .
 - ١٠ تاج العروس (١٠٠/٧) ، (أرك) .
 - ١١ تاج العروس (١٨/٥) وما بعدها ، (حرض) .

لا ورق لها ، وقيل إنه (الهرم) ، وهو إذا أصابه المطر نبت سريعاً ، وإذا أكلته الإبل ، فلم تبعر ولم تسلمح مسرعة ماتت ، وبذلك فسروا تسمية (الهرم) هرمًا^١ .

وقد يضطر أصحاب الماشية الى اطعامها ما ينبت في الأرض السبخة ، أي ذات الملح . يقال (ملح الماشية) ، بمعنى أطعمها سبخة الملح^٢ . و (السبخة) ، أرض ذات نز وملح ، وهي لا تكاد تنبت إلا بعض الشجر والنبات^٣ . وتوجد السباخ في مواضع من جزيرة العرب ، في الأماكن الوطئة ، حيث تنز الأرض ، ويعلوها الملح ، وتكون رخوة .

ولفظه (رعى) من الألفاظ التي كثر ورودها في الكتابات الصفوية ، وهي كتابات أصحابها رعاة ، كانوا ينتقلون مع ماشيتهم من مكان الى آخر في طلب المرعى ، فكانوا يكتبون خواطرهم على الحجارة والصخور ، تخليداً لتزولهم هاتيك المواضع . وهم من عشائر مختلفة امتهنت الرعي ، فكانت تنتقل من مكان الى مكان . تتوغل في الربيع في البوادي ، فإذا انتهى الموسم ويس الكلا ، عادت الى مواضع قريبة من الحضر ، حيث يتوفر فيها الماء ، فترعى ماشيتها بكلا هذه الأرضين ، وتبيع الى أهل المدر ، ما يكون عندها من وبر وأصواف ومنتوج ألبان .

وتثبت النصوص الصفوية أن أصحابها كانوا جماعة من الرعاة ، ينتقلون من مكان الى مكان ، بدليل الإشارة الى المرعى (هرعى) (هـ مرعى) ، (ها مرعى) ، أي (المرعى) والى الماء والى البقر والإبل والشيء (شهى) (شاهي) ، والأودية (هنخل) (هـ - نخل) (ها نخل) وغير ذلك من الألفاظ التي ترد على ألسنة الرعاة . فكان هؤلاء الصفويون ينتقلون مع الكلا والماء لرعى ماشيتهم^٤ .

١ تاج العروس (٢٩٨/٧) ، (الحيهل) .

٢ تاج العروس (٢٢٩/٢) ، (ملح) .

٣ تاج العروس (٢٦١/٢) ، (سبخ) .

٤ ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٩٤ وما بعدها) .

أصناف الرعاة :

والرعاة على صنفين : رعاة الإبل ، وهم الممعنون في البوادي ، والذين يبيتون مع الإبل في المرعى لا يأوون إلى بيوتهم ، ولا يرعون غيرها ، وهم : (الجشر) أو هم الذين يرعون الإبل ، ويقيمون معها في المرعى ، ولا يرعون معها غيرها من بقية الحيوانات^١ . وهم جلّ الأعراب ، بل كلهم ، لأن حياة الأعرابي هي حياة رعي إبل ، يرعاها عند بيته أو على مبعدة منه . بات مع الإبل بعيداً عن بيته أو أهله إياماً أو موسم الربيع ، أو أقام عند خيمته مع إبله ، فهو راعي إبل في الحالتين .

وراعي الإبل ، هو الأعرابي الأصيل ، ابن البادية جواب يبداء ، لا يأكل البقل والخضر ، هو كما قال الراجز :

جواب يبداء بها غروف لا يأكل البقل ولا يريف
ولا يرى في بيته القليف^٢

ويقال للأعرابي الذي ينشأ في البدو والفلوات لم يزايها : المقحم^٣ .

ويكون هؤلاء الرعاة الأعراب من أبعد الرعاة عن (المصانع) ، أي القرى والخضر ، ومن أهلها ، لا يذهبون إليها ولا يتصلون بها^٤ . فهم يعيشون في عالم خاص بهم بعيد عن القيود والتكاليف ، والتنوع في المأكول والمشرب .

ورعاة يرعون إبلاً ويرعون غيرها معها من بقر وخيل وغنم . وهم لعدم استطاعة البقر والغنم من التوغل في البادية والتعمق في طبياتها ، لا يستطيعون الابتعاد عن الماء كثيراً ، لعدم استطاعة تلك الحيوانات الصبر على العطش كثيراً . ولهذا فهم على اتصال بالحضر وبالحضارة ، وهم مرحلة وسطى بين الحضارة وبين

-
- ١ تاج العروس (١٠٠/٣ وما بعدها) ، (جشر) ، قال الاخطل :
تسأله الصبر من غسان اذ حضروا والحزن كيف قراه الغلظة الجشر
« وانما قالوا له ذلك ، لانه كان يقول لهم : أنتم جشر ، أي رعاة ابل » ، تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) .
 - ٢ تاج العروس (١٢٣/٦) ، (تريف) ، (٢٢٧/٦) ، (قلف) .
 - ٣ تاج العروس (١٧/٩) ، (قحم) .
 - ٤ تاج العروس (٤٢٢/٥) ، (صنع) .

الأعرابية ، وهم الجرثومة التي نبتت منها المجتمعات العربية الحضرية في العراق وفي بلاد الشام وفي جزيرة العرب ، وهم من أهل الخيام السود المنسوجة من شعر الماعز ، أو من صوف الأغنام . وقد أشير إليهم في التوراة ، وقد كانوا يسكنون شرق العبرانيين وفي أرض فلسطين .

وكانوا ينتجعون أيام الكلا فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد ، فتقع بينهم ألفة ، فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك ، وقد عرف هؤلاء بـ (الخلطاء) . كما كانوا يتشاركون في الرعي ، وذلك أن يستأجروا راعياً أو رعاة ، ويقدم كل واحد من الشركاء ما يريد تقديمه من الإبل أو الشياه ، ويحتمل كل واحد من المتشاركين أجر الرعي ، حسب عدد إبله أو شياهه^١ .

ولا يشترط في الراعي ، أن يكون أجيراً لغيره يرعى لإبل وماشيه غيره ، فقد يكون راعياً ، وهو مالك لإبله ولبقية الماشية التي يرعاها ، وهو إنما سُمي راعياً لأنه اتخذ الرعي وسيلة للحياة يعيش عليها ، ويجوز أن يكون قد ورثها عن آبائه وأجداده ، ويجوز أن يكون قد اختارها هو حرفة له ، كما يجوز أن يكون راعياً لمال غيره من أهل قبيلته أو من الأبعدين ، وقد يكون هؤلاء من أهل الحواضر المستقرين ، يسلمون ما لهم للرعاة ، لترعى في البوادي ، وليكثر نسلها وتصح أجسامها ، فإذا أرادوا بيعها طلبوا من الرعاة إعادتها إليهم .

ويقوم الأبناء في العادة برعي إبل الأب والعائلة ، ونجد في القصص إشارات إليهم ، لطمع الرجال في الإبل ، وازدراءهم شأن الراعي لصغر سنه ، فيستاقون إبله ، مما يتسبب عن ذلك تعقب السراق ، ووقوع حوادث بينهم وبين أرباب الإبل .

ولا يربي الرعاة الدجاج والبط والحمام والأوز والطيور المختلفة والخنائير ، إنما يربّيها أهل الريف . والريف ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها ، وأرض فيها زرع وخصب ، أو حيث تكون الخضرة والمياه والزرع^٢ . وتربية الدجاج حرفة ينظر العربي إليها نظرة ازدراء واستهجان ؛ فلا يليق برجل حرّ يحترم نفسه ، أن يخدم طيراً أو حيواناً صغيراً كاللدجاجة ، ولذلك كانت من حرف

١ تاج العروس (٥/١٣٢) ، (خلط) .

٢ تاج العروس (٦/١٢٣) ، (تعريف) .

(النبط) والعرب المنتبطة ، أي أهل الريف ممن خالط النبط ، أي بني إرم ، ومن تأثر بهم . وقد رعى أهل القرى الدجاج والطيور ، لأكلهم ، إذ كانوا يأكلون لحم الدجاج . ذكر ان الرسول والصحابه أكلت لحومها^١ ، ونجد الشعراء يشيرون إلى صياح الديكة عند دنوهم من الأرياف ، لتريبتهم الدجاج واعتنائهم بها ، واعتبارهم لحومها من ألذ اللحوم . وترعى الماشية في القرى وفي المزارع بما يظهر من أخضر على وجه الأرض بعد الحصاد ، ويقال لذلك : المحشرة^٢ .

الرعاة والحضارة :

وقد حدث في الجاهلية ما يحدث اليوم : يتنقل الأعراب بمواشيهم وبيوتهم وكل ما يملكون من باطن جزيرة العرب في الجفاف ، فيتجهون نحو الشمال ، نحو بلاد الشام والعراق للرعي والاكتيال . ينزلون هناك جماعات حيث يجدون الماء والكأ ، في مواضع مختلفة قد تكون بعيدة عن القرى والمدن ممعنة في البادية ، وقد تكون في أطراف القرى وبين الحضر ، وقد يدخلون بين الحضر للاكتيال والامتيار وللري في مواضع العشب والكأ المحيطة بهم . وهم على هذه الحالة ما دامت بهم حاجة إلى كل أولئك ، فإذا انتهت أو شح ما قصدوه انتقلوا إلى مواضع أخرى ، وهكذا كانت سنة البدوي في الحياة .

وقد كانوا يفدون دوماً من باطن الجزيرة ، فيتوغلون في بادية الشام ومنهم من كان يمعن في التوغل في تلك البادية حتى يصل أقصاها، أي أعاليها في الشمال ، فيدخل الأرضين الجنوبية من (تركية) في الوقت الحاضر ، وأعالي العراق وبلاد الشام . ومنهم من كان يجد له طيب العيش والمقام ، في هذه المهابط والمواطن الجديدة ، فيقيم بها ، وقد يتحضر قوم منهم ، ومن هؤلاء تولد حضر العرب في هذه الديار .

ولما كان في مجيء الأعراب على هذه الصورة محاذير وأخطار على الحضر وعلى الحكومات ، اضطرت الحكومات المسيطرة على العراق وبلاد الشام إلى اتخاذ وسائل

١ تاج العروس (٣٨/٢) ، (دج) ٠

٢ تاج العروس (١٤٢/٣) ، (حشر) ٠

الحماية المختلفة لحماية أرضها منهم ، فبنت المسالحي ووضع الحرس في المواضع المشرفة على البوادي المسككة بعنان طرقها ، لمراقبة القادم والخارج ولابلأغ رجال الأمن بدنوّ الخطر ، وحذرت من الأعراب ، فأشرفت على حركاتهم وسكناتهم خشية انتهازها فرص الضعف ، فتعبث على عاداتها بالأمن . وقد أنشأ الرومان واليونان بركاً واتخذوا صهاريج لخزن مياه الأمطار ليستفيد منها الأعراب وليجدوا فيها ما يحتاجون إليه ، فلا يتوغلوا عميقاً في بلاد الشام ، كما أقاموا حصوناً في أطراف البادية لمراقبة حركات الأعراب .

وهكذا أمن حكّام الشام من خطر الأعراب ، بعد أن اتبعوا معهم سياسة الرضية والتهديّة للاستفادة منهم في حفظ الحدود . وأقام قسم من الأعراب في المواضع التي تتوافر فيها المياه ، وزرعوا ، واشتغلوا ببعض الحرف مثل غزل الأصواف ونسجها ، والتوسط في التجارة بين الأعراب وسكان المدن والقرى البعيدة عن البادية من بلاد الشام ، وزرع الحبوب وأشجار الزيتون والكروم . واستفادوا من هذا الحاصل الزراعي ببيعه للأعراب المحتاجين إليه .

ولا حاجة بي إلى الإشارة إلى أثر المراعي في حياة جزيرة العرب ، وفي حياة الأعراب بصورة خاصة . فعلى المراعي تتوقف حياة الماشية عماد الثروة والمال لأهل البادية ، وهي من أهم المشكلات العريضة بالنسبة اليهم وإلى الحكومات حتى الآن . والأعرابي ومعه ماشيته وراء المراعي يفتش عنها في كل مكان، وينتقل إليها ليجد فيها الكلأ لماشيته . وسبب هذه المشكلة هو قلة وجود الماء في جزيرة العرب ، وقلة الأمطار وانحصارها في مواسم ضيقة لا تمتد طويلاً ، وانحباسها في بعض السنين ، مما يسبب قصر زمن الرعي ، وجفاف الكلأ والتأثير في حياة الماشية بحيث تتعرض للهلاك والموت . وهذا مما يحمل القبائل على التنقل من مكان إلى مكان ، فتتراجع وتتطاحن للاستيلاء على المراعي .

الفصل الرابع والتسعون

الثروة الحيوانية

والحيوان ثروة مهمة وخاصة لتلك البلاد الفقيرة التي لا تملك صناعة ، والتي تكون مواردها الطبيعية محدودة . فتعوض عن الصناعة بتربية الحيوان وبالزراعة إن توفر الماء . والإبل مصدر ثروة عظيمة في الجاهليسة ، لاستفادتهم منها في أمور كثيرة عديدة . وبعدد الإبل تقاس الثروات . والإبل المال عند العرب ، وأساس التعامل بينهم . قال بعض العلماء : « المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان . وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم »^١ . وفي الحديث نهى عن اضاعة المال . قيل أراد به الحيوان ، أي يحسن اليه ولا يهمل^٢ .

ويطلق العرب على الإبل والبقر والشاء (النعم) ، وزاد بعض علماء اللغة المعز والضأن . وذكر بعض آخر ، ان النعم ، إنما خصت بالإبل ، لكونها عندهم أعظم نعمة . وقيل إن العرب إذا أفردت النعم ، لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم^٣ .

ويراد ب (الماشية) ، الإبل والغنم ، وقيل الإبل والبقر والغنم ، وقال بعض العلماء ، وأكثر ما يستعمل في الغنم ، وقيل : كل مال يكون سائمة للنسل والقنية

١ تاج العروس (١٢١ / ٨) ، (مول) .

٢ تاج العروس (١٢١ / ٨) ، (مول) .

٣ تاج العروس (٧٩ / ٩ وما بعدها) ، (نعم) .

من إبل وشاء ويقر ، فهي ماشية . وأصل المشاء النماء والكثرة . ومشت الماشية مشاءً كثرت أولادها ^١ .

و (الشاة) ، الواحدة من الغنم ، تكون للذكر والأنثى ، أو يكون من الضأن ، والمعز ، والظباء ، والبقر ، والنعام ، وجر الوحش . وفي الحديث : فأمر لها بشيا غنم ، انما أضافها إلى الغنم ، لأن العرب تسمي البقرة الوحشية شاة ، فميزها بالاضافة لذلك ، وشاء ، وشياه ، وشواه ، وأشواه ، وشوي ، وشيه ، في حالة الجمع ^٢ .

و (السوام) و (السائمة) ، الإبل الراعية ، وقيل كل ما رعى من المال في الفلوات ، إذا خلى وسومه يرعى حيث شاء . والسائم الذاهب إلى وجهه حيث شاء ، يقال سامت السائمة ، وأسأماها هو ، أي أرحاها أو أخرجها إلى الرعي . وذكر ان السوام والسائمة كل إبل ترسل ترعى ولا تغلف في الأصل . وسوم الخيل ، أرسلها إلى المرعى ، ترعى حيث شاءت ^٣ .

والجمل هو الحيوان الوحيد الذي رضي بمرافقة الأعراب وبمشاطرتهم حياتهم في البوادي . ألفهم وعاشرهم وشاركهم في مسراتهم وفي أحزانهم ، صابراً راضياً ، يحملهم ويحمل أنقاطهم ، لا يسألهم على ذلك أجراً ، وهو مع ذلك طعامهم إذا جاعوا ، أو شعروا انه قد مرض مرضاً لا يرجى شفاؤه ، أو انه قد كبر وأسن ، فصار لا يصلح للعمل ، ومن وبره صنعوا خيامهم . وهو قنوع يقنع بالقليل ولا يطالب بالكثير . ويصبر على العطش والجوع ، لا يباريه في هذا الصبر أي حيوان من الحيوانات التي ألفت الانسان وقاسمته حياته . إذا اخضرت الأرض ، وجد طعامه هبة ، لا يكلف مالكة شيئاً عن اقتضائه له ، وإذا يبست الأرض ، قنع بالتهام اليابس ، وبتناول العوسج ونباتات البر ، التي يكون عمرها أطول من عمر الكأ ، وإذا بَعُدَ الماء صبر على العطش حتى يجده ، لا يلج على صاحبه بوجوب تقديم الماء له ، كما تفعل الخيل والحمير والبغال .

وتعدّ لحوم الإبل من اللحوم اللذيذة الطيبة عند العرب . وتنحدر عند قدوم شخصية كبيرة تقديراً لها ، وتنحدر تقرباً إلى الأصنام وفي المناسبات الدينية ، وتعقر

١ تاج العروس (٣٤٣/١٠) ، (مشى) .
٢ تاج العروس (٣٩٥/٩) وما بعدها ، (شوه) .
٣ تاج العروس (٣٥٠/٨) ، (سَوم) .

القبور إكراماً لصاحب القبر ، وبيع الجزأرون لحومها وسائر اللحوم الأخرى . ونظراً الى أهمية الإبل بالنسبة الى حياة الأعراب ، ولغلاء ثمنها ، ولعدم تمكنهم من شراء عدد كثير منها ، إلا بالنسبة للموسر منهم ، اقتصدوا في ذبحها ، إلا لعل قاتلة ومرض مهلك ، لأنها أصول أموالهم ، فهم يريدون إكثارها، وفي إكثارها إكثار لأموالهم ، ولا سيما في إكثار الإبل النجبية التي لا توازي عندهم بثمن ، والتي تعدّ مقياس الثراء والجاه والغنى عند العرب .

وإذا مات فصيل الناقة أو ذبح ، سلخ برأسه وقوائمه ثم حشي جلده تبناً لتزأمة أمه وتشم رائحته ، فتدر عليه ولا ينقطع لبنها ، فتحلب . ويقال للجلد المحشو بالتبن (البو) ^١ .

و (الأشراف) الإبل أو الغنم تعزل للبيع . و (الشريطة) ، الجماعة المعزولة منها ، المعدة للبيع ^٢ .

والجمل، هو الحيوان الوحيد الذي لم يجد الأعرابي في تربيته بأساً ولا غصاصة، ولا حطة لقدر ومنزلة . فاجتناه وتباهى به وافتخر ، وجعله مقياس ثرائه وماله، وأعز شيء عنده في حياته ، وما الذي يملكه الأعرابي في دنياه غير هذا الجمل ! أما البقر والغنم والحمير والبغال ، فهي دون الجمل في المكانة والمنزلة عنده، وترفع لذلك عن تربيتها ، واعتبر تربيتها وخدمتها وبيعها عملاً من أعمال (النبط) والخدم والعبيد والأعاجم. وكيف يقبل أن ينظف تلك الحيوانات وأن يجمع روثها ، ويتحمل سقوط أبوالها عليه ، وأن يشم رائحة أرواثها وبولها ، وهي حوله أو في بيته ، والروث قذارة . وكيف يرضى أن يحشها وأن يقدم لها العلف والقت ، ثم تروث له . جاء في المثل : أحشك وتروثي ^٣ ؟ .

والجمل قليل الكلفة ، لا يكلف أكله صاحبه كثيراً ، يعيش على ما تنبت الأرض ، وعلى ما يجده على وجهها من يابس النبات ، ومن عوسج ونبات ذي شوك ، ومن نباتات أخرى تتبطر عليها بقية الماشية . وهو لا يطلب من صاحبه علفاً غالباً ، أو متنوعاً ، كما تفعل بقية الماشية ، مثل البقر والحيل والغنم

١ الفاخر (٢٤٩) .

٢ تاج العروس (١٦٧/٥) ، (شرط) .

٣ تاج العروس (١/٦٢٦) ، (راث) .

والحمير ، مع انها ليست في صبر الجمل ولا في قدرته على تحمل المشقات وحمل الأثقال إلى مسافات طويلة في البوادي ، وفي الرمال التي تفرع منها بقية الماشية ، وتلك إن اجبرت على السير بها .

والإبل من حيث الأصالة والعرق أجناس وأصناف ، فيها الإبل الأصيلة التي يفتخر أصحابها بها ، ويظنون على غيرهم بها ، ولا يعطون منها لأحد ، وفيها الإبل الرخيصة ، من الصنف الواطيء المعسود للبيع ، لحساسة جنسه ، ولعدم نجابته . وكان الملوك وسادات القبائل يجنون الأصيل من الإبل ، فكان (النعمان ابن المنذر) ، وهو من أصحاب الهوايات في حيازة النادر من الأشياء ، يمتلك الإبل الجيدة ، ومنها إبل عرفت بـ (عصفير النعمان) . وقد أمر للنايعة بمائة ناقة من عصفيره بريشها وحسام وآنية من فضة ، أعطاهها بريشها ليعلم أنها من عطايا الملوك . وكانت للملك (المنذر) ملك الحيرة إبل نجائب منهن إبل عرفت بـ (عصفير المنذر)^١ .

ومن الإبل الجيدة الشهيرة ، النجائب القطريات . نسبت إلى قطر وما والاها من البر^٢ . و (المهريّة) ، وقد نالت حظاً واسعاً من الشهرة حتى زعم أنها من إبل الجن^٣ . وقد اشتهرت (جرش) ، باليمن بإبلها . فليل (ناقة جرشيّة) وبغير جرشي^٤ . والأرحييات من نجائب الإبل الكريمة ، منسوبة إلى بني أرحب من همدان^٥ ، والصدفية ، والجرمية ، والداعرية^٦ .

وكانوا لا يبيعون الإبل النجيبة ، إلا عن اضطرار . ويسمونها (الحرائز) . ذكر علماء اللغة أن الحرائز من الإبل التي لا تباع نفاسة . ومنه المثل : لا حريز من بيع ، أي أن أعطيتني ثمناً أرضاه لم أمتنع من بيعه . والحريزة خيار المال ، لأن صاحبها يحريزها ويصونها ، ومنه الحديث في الزكاة : لا تأخذوا من حريزات أموال الناس شيئاً ، أي من خيارها^٧ .

-
- ١ تاج العروس (٤٠٨/٣) ، (عصفير) .
 - ٢ تاج العروس (٥٠٠/٣) ، (قطر) .
 - ٣ تاج العروس (٥٥١/٣) ، (مهر) .
 - ٤ تاج العروس (٣٨٧/٤) ، (جرش) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦٨/١) ، (رحب) .
 - ٦ الصفة (٢٠١) .
 - ٧ تاج العروس (٢٤/٤) ، (حريز) .

والعرب مصطلحات يقولونها في الإبل إذا كثر عددها . منها (الهجمة) القطعة الضخمة منها ، قيل : أولها أربعون إلى ما زادت ، و (الهنيدة) ، 'المائة فقط ، وقيل : هي ما بين الثلاثين والمائة ، أو ما بين السبعين والمائة ، أو ما بين السبعين إلى دويها ، أو هي ما بين التسعين إلى المائة . وقال بعض علماء اللغة : إذا بلغت الإبل ستين ، فهي (عجربة) ، ثم هي (هجمة) حتى تبلغ المائة^١ . وتطلق لفظة (الكور) على الجماعة الكثيرة من الإبل^٢ .

والعارض الناقة المريضة أو الكسير ، وهي التي أصابها كسر أو آفة ، وكانوا ينحرون العوارض، ومن عادتهم أنهم لا ينحرون الإبل إلا من داء يصيبها ، وتقول العرب للرجل إذا قدم اليهم لحماً أعيط أم عارضة . فالعيط الذي ينحر من غير علة . والعرب تعبر من يأكل العوارض ، ومن ينحر الإبل المريضة للضيوف^٣ .

ويقال للإبل والبقرة (العوامل)^٤ ، ويظهر أن ذلك بسبب تشغيل أهل القرى لها في كثير من الأعمال في مثل الحمل وسحب الماء من الآبار والحراثة وأمثال ذلك من أعمال . وأطلقت اللفظة على بقرة الحراثة والدياسة . وفي حديث الزكاة : ليس في العوامل شيء... العوامل من البقر، هي التي يستقى عليها ويحترث وتستعمل في الأشغال^٥ .

وذكر (الهمداني) أن بالعربية الجنوبية من البقر الجندية والحديرية والجلابية ، وهي قوية^٦ . وقد استخدم أهل العربية الجنوبية البقر في الحراثة ، وكذلك غيرهم في معظم أنحاء جزيرة العرب .

والخيل جماعة الأفراس^٧ . و (الفرس) للذكر والأنثى ، ولا يقال للأنثى فرسة^٨ . و (الحصان) الفرس الذكر ، أو هو الكريم المضمون بمائه ، حتى

-
- ١ تاج العروس (٩٩/٩) ، (هجم) ، (٥٤٧/٢) ، (هند) .
 - ٢ تاج العروس (٥٣٠/٣) ، (كور) .
 - ٣ تاج العروس (٤٢/٥) ، (عرض) .
 - ٤ تاج العروس (٣٤/٨) ، (عمل) .
 - ٥ تاج العروس (٣٥/٨) ، (عمل) .
 - ٦ الصفحة (٢٠١) .
 - ٧ تاج العروس (٣١٥/٨) ، (خيل) .
 - ٨ تاج العروس (٢٠٦/٤) ، (فرس) .

سمّوا كل ذكر من الخيل حصاناً^١ . و (الحجر) ، الأثني من الخيل^٢ .
و (الطحون) الكتبية من الخيل^٣ .

لم تكن الخيل كثيرة في الحجاز عند ظهور الاسلام . ففي معركة (بدر) لم يكن مع المسلمين سوى فرسين ، فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد بن أبي مرثد^٤ ، ولم يكن مع قريش سوى مائة فرس^٥ . فقد كانت غالية الثمن ، وتكاليفها عالية ، فعسر على من لا مال له شرائها والانفاق عليها . وقد ورد في بعض الروايات أن (المقداد بن عمرو) ، كان فارس يوم بدر ، حتى انه لم يثبت انه كان فيها على فرس غيره . وكان اسم فرسه (سبحة)^٦ .

والأخدرية من الخيل منسوبة الى (أخدر) فحل أفلت فتوحش ، ذكر أهل الأخبار انه كان لسليمان ، أو لأزدشير (أردشير) . وهناك حمر عرفت بالأخدرية كذلك ، ذكروا انها منسوبة اليه أيضاً . والحدري ، الحمار الأسود ، والأخدري وحشيه ، ويقال للأخدرية من الحمر بنات الأخدر^٧ .

والأغنام عند الحضر وأشباههم، يربونها للاستفادة من لحومها وألبانها وأصوافها، ولحاجتها إلى الماء والكلأ والعلف بصورة دائمة ، صارت من ماشية أهل الحضر والمراعي . وهي مصدر ثروة لأصحابها ، تصدر إلى أسواق العراق وبلاد الشام لبيعها هناك . ومن أنواعها المشهورة : الكباش العوسية . والعوس ، ضرب من الكباش البيض^٨ ، ويكون صوفها أبيض ، وهو مرغوب مطلوب .

و (المعز) خلاف الضأن من الغنم ، والمعز ذوات الشعور ، والضأن ذوات الصوف ، و (الماعز) واحد المعز^٩ . ويستفاد من لحوم المعز ومن ألبانها وشعرها . وكان أعراب بادية الشام الساكنين على مقربة من فلسطين ، يتخذون بيوتهم من

-
- ١ تاج العروس (١٨٠/٩) ، (حصن) .
 - ٢ تاج العروس (١٢٥/٣) ، (حجر) .
 - ٣ تاج (٣٦٨/٩) ، (طحن) .
 - ٤ الطبري (٤٧٨/٢) .
 - ٥ الطبري (٤٧٧/٢) .
 - ٦ الإصابة (٤٣٤/٣) ، (رقم ٨١٨٥) .
 - ٧ تاج العروس (١٧١/٣) ، (خدر) .
 - ٨ تاج العروس (١٩٩/٤) ، (العوس) .
 - ٩ تاج العروس (٨٢/٤) ، (معز) .

شعر الماعز ، كما تتخذ البسط والسجاجيد منها . و (العز) الأنثى من المعز . ويكثر وجود المعز البري في جبال السراة وفي المناطق الصخرية ، حيث يعيش على الأشجار والأعشاب البرية . ويربى الرعاة المعز ، حيث يأخذون قطعانها الى المواضع المعشبة القريبة من الماء لترعى هناك ، وتربى بصورة خاصة في الأرضين الجبلية والمتوجة ، حيث يتسلق المعز المرتفعات ، فيأكل ما يجده أمامه من شجر وحشائش .

الطيور :

وقد غني أهل المدر وأهل الريف ، بتربية الطيور . وعلى رأسها الدجاج . وقد عدّ أكله من طعام المترفين المتمكنين ، لارتفاع ثمنه بالنسبة الى الفقراء ، وكانوا يتفننون في طبخه . وقد أكله النبي والصحابة^١ .

والأوز عند العرب البطّ ، صغاره وكباره^٢ . ويعدونه من طير الماء، ويذكر علماء اللغة أن (بطّة) و (بط) من الالفاظ المعربة^٣ . واللفظة لإرمية أصلها في لغة بني إرم (بطو)^٤ .

ويربى الزراع الحيوانات للاستفادة منها في الخدمات الزراعية وفي معاشهم ، كالجمال للنقل والحراثة ومتّح الماء من الآبار العميقة ، والبقر للارتفاع بألبانها ولحومها وللحراثة ومتّح الماء ، والضأن والمعز والدجاج وغير ذلك من الحيوانات الأخرى الأليفة ، مثل البط والأوز ، وغيرها ، مما يربيه الحضر وأهل الريف .

تربية النحل :

والنحل ذباب العسل ، يقع على الذكر والأنثى^٥ . و (اليعسوب) أمير النحل

-
- ١ تاج العروس (٣٨/٢) ، (دج) .
 - ٢ تاج العروس (٥/٤) ، (الاوز) .
 - ٣ تاج العروس (١٠٨/٥) ، (بطّة) .
 - ٤ غرائب اللغة (١٧٤) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٩/٨) ، (نحل) .

وذكرها والرئيس الكبير^١ . والعسل من الأغذية الثمينة عند أهل الجاهلية ، وقد استعملوه في المعالجة من أمراض عديدة ، نص عليها في كتب الحديث والطب . وقد أطلق العرب لفظة (العسل) على ما يشبه العسل في الحلاوة أو في الشكل ، فقالوا : عسل العرفط ، وهو صمغ العرفط لحلاوته ، وعسل اللبني ، صمغ ينضج من شجرة ، يشبه العسل لا حلاوة له ، ويتبخر به ، وعسل الرمث ، شيء أبيض يخرج منه كالجهان^٢ . ويعسل النحل في (الخلي) ، وقد يتخذ النحل خليته بنفسه ، في الجبال وفي البساتين ، فتكون خلايا طبيعية ، وقد يعمل الانسان بيسده خلية النحل ، كما يفعل من يرسي النحل ، فيتخذ لها ما يشبه الراقود من طين ، ويقال لها (كوار) ، أو خشبة تنقر ليعسل فيها ، وأشياء أخرى^٣ . وهي خلايا أهلية . و (الكور) موضع الزنابير ، و (كوار) النحل ، شيء يتخذ للنحل من القضببان والطين ، ضيق الرأس تعسل فيه . وقد يراد باللفظة العسل في الشمع^٤ . و (الشمع) الموم كذلك^٥ . و (الجزع) خلية النحل^٦ . وتعزل للنحل مواضع منتبذة عن البيوت يقولون لها : (المصانع) ، واحدها مصنعة^٧ .

والنحل من الجوارس في اصطلاح أهل الأخبار ، ويعنون بذلك أنه يلحس الشجر والنور للتعسيل . فهو من الجوارس^٨ .

وقد عدّ (سترابون) العسل من جملة المحصولات التي اشتهرت بها العربية السعيدة ، وذكر أنه كثير جداً فيها^٩ . وهو كثير في اليمن ، ولا تزال اليمن على شهرتها به^{١٠} .

وقد كانت الجبال والهضاب المنعزلة ، من مواطن النحل الوحشي ، وهناك

-
- ١ تاج العروس (١/٣٨١) ، (عسب) .
 - ٢ تاج العروس (٨/١٧) ، (عسل) .
 - ٣ تاج العروس (١٠/١١٨) ، (خلا) .
 - ٤ تاج العروس (٣/٥٣١) ، (كور) .
 - ٥ تاج العروس (٩/٧٠) ، (الموم) .
 - ٦ تاج العروس (٥/٣٠١) ، (جزع) .
 - ٧ تاج العروس (٥/٤٢٣) ، (صنع) .
 - ٨ تاج العروس (٤/١١٨) ، (جرس) ، (٣/٧٨) ، (ثمر) .
 - ٩ مجلة المجمع العلمي العراقي (٢/٢٤٧) .
 - ١٠ أحمد فخري ، اليمن ماضيها وحاضرها (٢٣) .

(معيدون)^١ ، حذقوا الرقي والتزول من الجبال ، يذهبون الى الجبال للبحث بين صخورها عن خلايا للنحل لاستخلاص العسل منها . وقد اشتهرت جبال (بني سليم) ، بكثرة ما بها من عسل ، وبقيت على شهرتها هذه في الإسلام^٢ .

وقد عني الحضارمة بتربية النحل ودرّ العسل عليهم ربحاً طيباً . ونجد في كتاب رسول الله لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي واخوته وأعمامه « أن لهم أموالهم ونخلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشراجهم بخضرموت »^٣ وفي ذكر النحل بعد الأموال ، اشارة الى أهميته وكونه من مصادر الرزق عندهم في ذلك الوقت .

الأسماك :

وقد أشار في القرآن الكريم الى صيد البحر ، فورد فيه : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دتم حرماء ، واتقوا الله الذي اليه تحشرون »^٤ . وصيد البحر ، ما يصطاد من البحار من حيوانات تعيش فيه . وقد كان العرب يعتاشون من البحر ، ولا سيما سكان السواحل حيث يسدّ هذا الصيد جزءاً مهماً من معيشتهم ، فيستعملون ما يحتاجون اليه ، ويبيعون الفائض منه ، أو يتقاضون به . وقد كان سكان السواحل يخرجون بالوسائل المتيسرة لهم لصيد السمك ، ومنهم من يصطاد عند السواحل فيجمع ما يقع تحت يديه ليستفيد منه .

ويقال لصياد السمك (العركي) كذلك . ولهذا قيل للملاحين (عرك) لأنهم يصيدون السمك . وفي الحديث ان النبي كتب إلى قوم من اليهود على ساحل خليج العقبة عليكم ربع ما أخرجت نخلكم ، وربع ما صادت عروكم ، وربع المغزل . والعروك جمع عرك ، وهم الذين يصيدون السمك^٥ .

-
- ١ المخصص (١٨٠/٨) .
 - ٢ ابن الجاور (١٤/١) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
 - ٤ المائدة ، الآية ٩٩ .
 - ٥ تاج العروس (١٦١/٧) ، (عرك) ، القاموس (٢١٣/٣) ، المخصص (٢٨/١) .

وقد عاش على صيد البحر خلق كثير من سكنة السواحل ، في ذلك الزمن ، حيث كانت سبل العيش عندهم قليلة ضيقة . وقد استفادوا من الحيتان والأسماك الأخرى الكبيرة بصورة خاصة للحمها الغزير ، ولاستعمال عظامها وهي كبيرة في حاجات متعددة ، حتى جلودها استفادوا منها . والحيتان معروفة في البحر الأحمر وفي البحر العربي والخليج . وهي لضخامتها يحتاج في صيدها الى آلات والى أيدي متعددة . وقد أشير اليها والى ضخامتها في القرآن الكريم .

والحوت ، في رأي بعض علماء اللغة السمك كله . ولكن الغالب أنه ما عظم منه ، والسمك في العرف أصغر من الحوت .

ويجفف السمك في الشمس ، ويملح أحياناً ، ويجفف في الهواء ليؤكل وقت الحاجة اليه . وقد يستعمل علفاً للحيوانات . وقد يطحن السمك المجفف ويؤكل طحينه ، ويجعل علفاً للحيوانات . وقد يحفظ السمك في ماء مملح أو في خل ، ويقال للسمك المملح مادام طرياً (القريب)^١ . وأما السمك الممقور في ماء وملح ، فهو (التشوط)^٢ ، والمقر السمكة المالحلة أو المنقعة في الخل^٣ . و (الحساس) ، سمك يجفف ويسمى (قاشعاً) كذلك^٤ .

ومن حيوان البحر (التامور)^٥ ، و (الاطوم) سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، يشبه بها جلد البعير الأملس وتتخذ منها الخفاف للجاليين ، وتتخذ منها النعال . وقيل : أنها سمكة عظيمة ، يقال لها المصلة والزائخة ، تتخذ من جلدها النعال^٦ . و (النكيغ) دابة من دواب البحر^٧ ، و (الزجر) ، سمك عظام^٨ ، و (اللحم) سمك بحري ، ضخيم لا يمر بشيء إلا قطعه ، وهو يأكل الناس . وقيل هو الكوسج ، وقيل القرش^٩ . و (الجمل) ، كاللحم من السمك الضخم ، ويقال

-
- ١ القاموس (١١٥/١) ، (قرب) ، تاج العروس (٤٢٥/١) ، (قرب) .
 - ٢ القاموس (٣٨٨/٢) ، (نشط) ، تاج العروس (٢٢٢/٥) ، (نشط) .
 - ٣ القاموس (١٣٦/٢) ، (مقر) ، تاج العروس (٥٤٨/٣) ، (مقر) .
 - ٤ المخصص (٢٠/١٠) ، القاموس (٢٠٧/٢) .
 - ٥ المخصص (٢٠/١٠) وما بعدها .
 - ٦ القاموس (٧٥/٤) ، تاج العروس (١٨٧/٨) ، (أطم) .
 - ٧ المخصص (٢٠/١٠) وما بعدها .
 - ٨ القاموس (٣٨/٢) ، تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زجر) .
 - ٩ تاج العروس (٥٨/٩) ، (لحم) .

له (البال) ، قيل إن طول السمكة منه ثلاثون ذراعاً ، ويقال هي (الكبج)^١ .
و (الكبج) ، جمل البحر ، وقيل سمك بحري وحشي الهيئة ، ومنه يقال للمرأة
الدميمة : يا وجه الكبج^٢ . و (الكنعد) و (الكنعت) ضرب من سمك البحر^٣ .
و (سابوط) دابة من دواب البحر^٤ . و (قضاة) اسم كلب الماء ، وقيل كلبة
الماء^٥ . و (قبع) دويبة بحرية^٦ ، و (الدوع) ضرب من الحيتان بلهجة أهل
اليمن ، وسمكة حمراء صغيرة كأصبع^٧ . و (العنز) ، ويقال لها (عنز الماء)
أيضاً ، سمكة كبيرة ، لا يكاد يحملها بغل^٨ .

و (الجريث) سمك يقال له (الجريث) . ويظهر أن اليهود كانوا لا يأكلونه ،
ولما جاء الإسلام ، سألوا عن أكله ، فاختلف الناس فيه ، فمنهم من أباحه ومنهم
من نهى عنه . وذكروا اسم نوع آخر من السمك اسمه (الصلور) ، قالوا إنه
(الجريث) ، وأما (الانقليس) ، فإنه (مارماهي) بالفارسية ، أي حية
الماء^٩ . وقد ذكر أحد الشعراء أن الأزدي كانوا يأكلون : (الشم) ، والجريث ،
والكنعد^{١٠} ، و (الشم) نوع من السمك أيضاً^{١١} . فقال :

قل لطغام الأزدي لا تبطروا بالشم والجريث والكنعد^{١٢}

وقد كان أهل البحرين يحملون (الكنعد) المالح في الجلال البحرانية .
يستخرجونه من البحر . وذكر الشاعر (جرير) هذا السمك أيضاً ، وذكر أنهم
كانوا يشوونه ويأكلونه مع البصل^{١٣} .

-
- ١ تاج العروس (٢٦٣/٧) ، (جمل) .
 - ٢ تاج العروس (٤٩٠/٥) ، (كبج) .
 - ٣ القاموس (١٥٦/١) ، (٢٣٤) ، تاج العروس (٤٨٧/٢) ، (كنعد) .
 - ٤ القاموس (٢٦٣/٢) ، تاج العروس (١٤٩/٥) ، (سبط) .
 - ٥ القاموس (٦٩/٣) ، تاج العروس (٤٧٠/٥) ، (قضع) .
 - ٦ القاموس (٦٥/٣) ، تاج العروس (٤٥٧/٥) ، (قبع) .
 - ٧ تاج العروس (٣٣٣/٥) ، (داع) .
 - ٨ تاج العروس (٦١/٤) ، (عنز) .
 - ٩ تاج العروس (٦٠٩/١) ، (جريث) .
 - ١٠ قل لطغام الأزدي لا تبطروا بالشم والجريث والكنعد
 - ١١ تاج العروس (٤٨٧/٢) ، (كنعد) .
 - ١٢ تاج العروس (٣٦٣/٨) ، (شم) .
 - ١٣ تاج العروس (٤٨٧/٢) ، (كنعد) ، (١٣٥/٩) ، (البحون) .

و (القرش) سمك ضخيم كبير ، يقال له Shark في الانكليزية ، يستفاد من لحومه ، كما يستفاد من شحمه في الأغراض الطبية ، وقد يستفاد من جلوده الغليظة في صنع الأحذية . وزعم أهل الأخبار ، أن (القرش) ، دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ^١ .

وأشير في الحديث الى دابة من دواب البحر ، يقال لها (العنبر) ، عثر عليها رجال سرية كان الرسول قد أرسلها الى ناحية السيف ، فجاءوا فأكلوها . ويذكر علماء اللغة أنها سمكة بحرية يبلغ طولها خمسين ذراعاً يقال لها بالفارسية (باله) تتخذ من جلدها الترس، فعرف الترس المتخذ منها بالعنبر . قال العباس بن مرداس:

لنا عارض كرهاء الصريم فيه الأشلة والعنبر

وذكر أن الناس كانوا يحتدون أحذية من جلد العنبر فيكون أقوى وأبقى ما يتخذ منه وأصلب ^٢ .

وقد اتخذوا من جلد الأسماك الكبيرة الخشنسة مادة تحك بها السياط والقذحان والسهام والصحاف ، ويقال لهذا الجلد : (السفن) . وقيل : السفن جلد الاطوم تسوى قوائم السيوف من جلدها ، أو جلد أخشن غليظ كجلود الناسيح أو الضب يجعل على قوائم السيوف ، أو يسحب بها القذح حتى تذهب عنه آثار المبراة ^٣ .

وقد ذكر اللؤلؤ والمرجان في القرآن الكريم ، ويستخرج اللؤلؤ من أجواف الصدف . وقد اشتهر به أهل العربية الشرقية بصورة خاصة ، يستخرج الغواصون من البحر . ولا تزال هذه المنطقة تستخرجه وتربح منه . ويوجد اللؤلؤ في البحر الأحمر ، ولا سيما قرب جدة والى الجنوب ^٤ ، لكنه لم يشتهر لؤلؤه شهرة لؤلؤ الخليج ، ولم يشتهر غواصو البحر الأحمر بالغوص ^٥ . ولعل اللؤلؤ الذي ذكر في القرآن الكريم هو من اللؤلؤ المستورد من الخليج . واللؤلؤ الدر في تفسير علماء اللغة ^٦ .

-
- ١ تاج العروس (٣٣٧/٤) ، (قرش) ، القاموس (٢٨٣/٢) ، (قرش) .
 - ٢ تاج العروس (٤٢٦/٣) ، (العنبر) .
 - ٣ تاج العروس (٢٣٦/٩) ، (سفن) .
 - ٤ ابن المجاور (١٠٥/١) .
 - ٥ نويتشل ، المملكة العربية السعودية ، (ترجمة شكيب الاموي) ، (ص ٣٧) ، (القاهرة ١٩٥٥ م) .
 - ٦ تاج العروس (١١٣/١) ، (لالا) .

وتعدّ جزيرة (فرسان) من مغاصات الدر ، أي اللؤلؤ^١ .

و (المرجان) مادة كلسية ، يفرزها نوع من الحيوانات البحرية نظير هيكل لوقاية جسمه من الأمواج . وقد تتوسع فتكون صخوراً مرجانية تكون خطراً على السفن . وله ألوان مختلفة ، من أبيض وآخر أحمر ، وبعضه متفرع على هيئة مروحة أو أشكال النبات . وتصنع منه حلي ، ولذلك عُدد في جملة المواد الثمينة مثل اللآلئ التي تدخل في التجارة . وهو في البحر الأحمر ، ولا سيما في ساحل جزيرة العرب ، كثير . ويظهر أن أهل الأخبار وعلماء اللغة ، لم يكونوا على علم واضح بالمرجان ، فذهب بعض منهم إلى أنه صغار اللؤلؤ ، وقال بعض آخر إلى أنه (البسذ) ، وهو جوهر^٢ أحمر ، وذهب بعض آخر إلى أنه عظام اللؤلؤ ، وذهب آخرون إلى أنه خرز أحمر ، إلى غير ذلك من آراء^٣ . و (البسذ) ، لفظة فارسية^٤ . وقد ذكر علماء التفسير أن (كعب الأخبار) قال : المرجان (البسذ)^٥ .

والصدف ، وهو المحار ، غشاء اللؤلؤ . ويظهر أن أهل الجاهلية كانوا يرون أن السماء إذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها ، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ^٦ . وقد استفادوا من الصدف ، إذ اتخذوا منه حلياً وزينة . وأكلوا ما في جوفها . وهناك ألفاظ تؤدي معنى الصدف ، مثل الجُصم ، وهو صدف من أصداف البحر^٧ . و (القبقب)^٨ و (القنقن) ضرب من صدف البحر ، يعلق على الصبيان من العين^٩ . و (الدوك) ضرب من صدف البحر^{١٠} ، والدلاع ضرب من محار البحر^{١١} .

وقد استفادوا من السلاحف ، ولا سيما البحرية منها . استفادوا من هيكلها ومن لحمها ، وعالجوا بعض الأمراض بدمها^{١٢} . وذكر أن (الغيلم) السلحفاة ،

-
- ١ تاج العروس (٢٠٦/٤) ، (فرس) .
 - ٢ تاج العروس (٩٩/٢) ، (مرج) .
 - ٣ تاج العروس (٥٥٤/٢) ، (البسذ) .
 - ٤ تفسير الطبري (٧٦/٢٧) .
 - ٥ تفسير الطبري (٧٧/٢٧) ، تاج العروس (١٦١/٦) ، (صدف) .
 - ٦ القاموس (٩١/٤) ، تاج العروس (٢٣١/٨) ، (جم) .
 - ٧ القاموس (١١٣/١) .
 - ٨ المخصص (٢٠/١٠) ، القاموس (٢٦١/٤) .
 - ٩ المخصص (٢٠/١٠) .
 - ١٠ القاموس (٢٢/٣) .
 - ١١ تاج العروس (١٤٥/٦) ، (سلحفية) .

وقيل الذكر منها^١ . واتخذوا من عصب الساحفة ومن عظامها خرزاً يظنم منها القلائد والأسورة^٢ .

وفي جزيرة العرب حيوانات وحشية ، منها ما كانت مؤذية وهي السباع . ومنها ما كانت تفيد الانسان ، إذ كان يصطادها ويأكلها : مثل الغزلان والظباء الوحشية ، والبقر الوحشي ، و (الناشط) هو الثور البري^٣ ، والحمر الوحشية ، والوعل . وقد تمكن الإنسان من تأليف بعض هذه الحيوانات مثل الغزال والظبي ، فرباها بمقياس صغير في البيوت وفي البساتين .

وتوجد القردة في مواضع من جبال السراة وفي العربية الجنوبية ، وقد كانت تؤذي النبات والشجر^٤ .

وعرفت (النمر) في مواضع من جزيرة العرب ، فقد ذكر العلماء ان في جبل (أقراح) نمر وأراوي^٥ . وان في جبل (شواحت) كثير من النمر والأراوي^٦ . والأروى أنثى الوعل وهي تيوس الجبل^٧ . وعرفت مواضع الأسود بـ (مأسدة) ، ومنها (بيش) (بيشة) بالهامة^٨ .

ويظهر ان أهل الجاهلية لم يستدوقوا لحم الخنزير ، ولعل منهم من كان يحرم كله أو يتجنبه . وقد ذكر ان الأحناف كانوا يحرمون أكله على أنفسهم ، وان من سنن ابراهيم ، تجنب أكل لحم الخنزير ، غير ان النصارى العرب ، ومنهم (تغلب) كانوا يأكلونه ، وقد عيرهم غيرهم بأكله . ولا نجد في الشعر الجاهلي ولا في القصص اشارات الى أكل أهل الجاهلية لحم الخنزير ، ولا الى تربيته لهم . ويظهر انهم كانوا يكرهونه ، وإلا لما سككت روايات أهل الأخبار عن ذكره ، ولقام الرعاة بتربيته وبالناية به ، عنايتهم بالحيوانات الأخرى .

واستعان الجاهليون بالكلاب في الصيد ، وهناك فصائل خاصة منها استخدمت

-
- ١ تاج العروس (٥/٩) ، (غلم) .
 - ٢ تاج العروس (٣٨٣/١) ، (عصب) .
 - ٣ تاج (٢٣١/٥) ، (نشط) .
 - ٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٧) .
 - ٥ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٣) .
 - ٦ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٤) .
 - ٧ تاج العروس (١٥٩/١٠) ، (روى) .
 - ٨ تاج العروس (٢٨٥/٤) ، (بيش) .

في الصيد . كما استخدموها في حراسة الماشية ، وفي الحرث^١ .

وقد كانت الذئاب والسباع تؤذي الرعاة . تغتصم الفرص ، فتهجم على ماشيتهم وتفترس ما تستطيع اقتراضه منها . ولهذا كانوا إذا نزلوا أرضاً مسبعة ، أي ذات سباع ، خافوا منها ، وأوقدوا بها نارا في الليل ، لطرد السباع عنهم ، إذ كانت تخشى النار . وإذا كثرت السباع في الطريق ، قيل : أسبعت الطريق . والمسبوعة البقرة التي أكل السبع ولدها^٢ . ويقال للأرض التي تكثر فيها الذئاب : أرض مذابة ، كقولك أرض مأسدة من الأسد ، للأرض التي تكثر فيها الأسود . وإذا جاع الذئب ، صار شرساً جريئاً لا يهاب الإنسان ، فيهجم على الغنم ، مع وجود الرعاة معها ، وقد يهاجم البشر . وقد تحتفي الذئاب بالغضي ، فيقال ذئاب الغضي^٣ .

وفي موضع يقال له (بستان ابن عامر) مأسدة^٤ . وهو مجتمع النخلتين : النخلة اليانعة والشامية^٥ . و(عثر) مأسدة أيضاً باليمن ، وقيل جبل بنبالة مأسدة^٦ . ومن مواضع الأسد : أسد خفان ، وأسد الشرى من بلاد لحم ، وأسد حاملة ، وأسد الملاحظ ، وأسد المقيضا ، وأسد الكطاء ، وأسد تعشر ، وأسد لبة ، وأسد حلية ، وأسد السحول ، وأسد عتود وغيرها . وهناك مواضع أخرى اشتهرت بوجود الوحش بها^٧ .

العلف :

و (العلف) هو ما تأكله الماشية ، وقوت الحيوان وقضم الدابة . وبائعوه العلاف^٨ . ومنه (القيت) ، الفصفصة ، وقيل الرطب واليابس من العلف ،

-
- ١ ارشاد الساري (١٧٢/٤) وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (٣٧٥/٥) ، (سبع) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٨/١) ، (ذاب) .
 - ٤ تاج العروس (٣٧٤/٢) ، (سدد) .
 - ٥ تاج العروس (١٤٠/٩) ، (البستان) .
 - ٦ تاج العروس (٣٨٢/٣) ، (عثر) .
 - ٧ الصفة (١٢٧) .
 - ٨ تاج العروس (٢٠٤/٦) ، (علف) .

وخص بعضهم به اليابس منه^١ . و (الفصفصة) رطب القت . وفي الحديث : ليس في الفصافص صدقة . وهي الرطبة من علف الدواب ، أي القت . واللفظة من المعربات ، عربت من أصل فارسي ، هو (اسبست) و (اسفست)^٢ . والتبن من علف الماشية ، وكذلك (الحشيش) ، وهو الكلاً اليابس . ذكر بعض علماء اللغة ان الحشيش لا يطلق على الكلاً الرطب ، وقال بعض آخر : الحشيش : أخضر الكلاً ويابسه . وذكر بعض : ان العرب اذا أطلقوا اسم الحشيش ، عنوا به الخلي خاصة ، وهو أجود علف يصلح الخيل عليه ، وهو من خير مراعي النعم ، وهو عروة في الجذب وعقدة في الأزمات . وقال بعض علماء اللغة : البقل أجمع رطباً ويابساً . حشيش وعلف وخلي^٣ . و (الخلي) ، الرطب من النبات . وقيل : هو الحشيش الذي يحتش من بقول الربيع ، وقيل : هو النبات الرقيق ما دام رطباً . وقيل : كل بقلة قلعتها . وأخلت الأرض كثر خلاها^٤ .

وقد تعلف بعض الماشية شعيراً ، مثل الخيول الأصيلة والبقرة الحلوب . وقد تعلف نخالة . وقد تمزج النخالة بالملح ، لتقوية عظام الحيوان . وقد تعلف سمكاً مجففاً ، أو طحين السمك المجفف ، أو عظامه ، وذلك كما فعل أهل العربية الجنوبية ، لكثرة وجود السمك عندهم ، فتصبح أجسام ماشيتهم وتدر عليهم الحليب . ويعتني بعلف الخيل الكريمة خاصة ، حتى كان الرجل منهم يبيت طاوياً وبشيع فرسه ، ويؤثره على نفسه وأهله وولده^٥ . وكانوا يعلفون خيولهم ذرة . قال (أبي بن خلف) لرسول الله : « إن عندي فرساً أعلفه فرقاً من ذرة »^٦ .

وقد يكون العلف (سحالة) ، والسحالة قشر البر والشعير ونحوه ، وقد تحات من الدخن والذرة^٧ ، وتقدم السحالة الى الدجاج والطيور خاصة .

ومن علف الإبل (الحبط الملقون) ، وهو ورق الشجر يخبط ثم يخلط بدقيق

١ تاج العروس (١/٥٧١) ، (قت) .

٢ تاج العروس (٤/٤١٦) ، (فصص) .

٣ تاج العروس (٤/٢٩٨) ، (حشش) .

٤ تاج العروس (١٠/١٢٠) ، (خلي) .

٥ بلوغ العرب (٢/٧٧) .

٦ كتاب نسب قریش (٣٨٧) .

٧ تاج العروس (٧/٣٧٢) ، (سخل) .

أو شعير فيعلف الإبل ، وكل ورق أو نحوه ، فهو ملجون أو لجين^١ . والخليط من العلف طين مختلط بتبن ، أو تبن مختلط بقت^٢ .

نجابة العرق :

وللعرب عناية خاصة بالأصل والعرق : عرق الإنسان وعرق الحيوان . فهم يضمنون بذوي العرق الكريم من أن يتصل بما دونه في الإصالة والنجابة ، لئلا يتردى نسله ، وينحط عقبه . وكذلك كانوا يفعلون بالخيول والإبل . فهم يحافظون على أنساب الكريم الأصيل النجيب من الجنسين ، ويدونون شجرة النسب ، ويحفظونها حفظهم لأنساب الناس . وكانوا يضمنون بضراب الجمل وبعبس الحصان الأصيل ، إلا إذا كانت الناقة أو الفرس من الأصائل النجيبات . وقد كان بعضهم من يوافق على ضراب فحل نجيب لديه ، إذا أعطى ثمناً يوافق عليه عن ذلك الضراب ، لحاجته الى المال .

وكان من شدة عنايتهم بالخيول والإبل ، أنهم حفظوا أنسابها ، ودوتوا أسماء النابه منها ، ووضعوا الكتب فيها ، وقد طبعت بعض منها ، وهي لمشاهير الأخباريين مثل ابن الكلبي . ولا زال العرب يعتنون بنسب فحول الخيل والإبل ، ويدونون شجرة أنسابها ويحفظونها حفظ أنساب الناس .

ضراب الفحل :

وكان منهم من يأخذ الكراء على ضراب الفحل . فيجعل على الضراب أجراً يتفق عليه . فينزو الفحل على الناقة في مقابل ذلك الأجر . وكانوا يزيدون في ثمن ضراب الجمل إذا كان أصيلاً معروفاً . وقد نهى الاسلام عن ثمن الضراب ، وجعله من السحت^٣ . كما نهى عن عبس الفحل ، أي ثمنه . و (العصب) ،

١ تاج العروس (٣٣٠/٩) ، (لجن) .

٢ تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) .

٣ تاج العروس (٣٤٦/١) ، (ضرب) ، زاد المعاد (٢٥٧/٤) .

ضراب الفحل وطرقه ، أو ماء الفحل فرساً كان أو بعيراً . واعطاء الكراء على الضراب ، واسم للكراء الذي يؤخذ على ضرب الفحل^١ . ويقال للضراب (الشبر) كذلك . وهو طرق الجمل وضرايه ، وأخذ الكراء على ضراب الفحل^٢ . والعادة عندهم أنهم يستأجرون الفحل للضراب ، للناتج . وللفقهاء في جواز ذلك وعدمه أقوال .

الأمراض والأوبئة :

ويصاب الحيوان كما يصاب الإنسان بالأمراض والأوبئة . وقد تفتك به فتكاً فتؤذي صاحبه ، وتنزل به خسارة كبيرة ، ولا سيما إذا كان ذلك الحيوان من الإبل . وقد يتأذى الحيوان من حيوان آخر فيهلكه ، فقد تصيب بعض الطيور الإبل فتؤذيها . وكل طائر ينطير منه للإبل ، فهو عرقوب ، لأنه يعرقبها . وعرقبه قطع عرقوبه . وطير العراقيب الشقراق ، وتقول العرب : إذا وقع الأخيل على البعير ليكشف عرقوباه^٣ . مما يدل على أنه كان يؤذي الإبل . و (القراد) تعفن الإبل وتؤذيها ، كما تؤذي غير الإبل من الحيوان أيضاً^٤ .

وقد تصاب الإبل بـ (الهيام) ، وهو داء يأخذ بها ، فيصيبها مثل الحمى ، ولذلك عرف بـ (حمى الإبل) . وقيل انه جنون يصيب الإبل فيهلكها . يصيبها في الموضع المهيّم الموبىء ، الذي تكون فيه نقوع ساكرة لا تجري . ولذلك قال أهل الأخبار إن الهيام يحدث من ماء تشربه الإبل مستنقعا ، وعن شرب النجل إذا كثر طحلبه واكتنفت الذبان به . وبتهامة مياه من هذا النوع^٥ .

و (النقبة) قرحة تخرج بالجانب ، وجرب يصيب الإبل^٦ . (والنقر) ، مرض

-
- ١ تاج العروس (٣٨٠/١) ، (عسب) .
 - ٢ تاج العروس (٢٨٨/٣) ، (شبر) .
 - ٣ تاج العروس (٣٧٨/١) ، (عرقب) .
 - ٤ تاج العروس (٤٦٤/٢) ، (قرد) .
 - ٥ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٠ وما بعدها) ، تاج العروس (١١٢/٩) ، (هيم) .
 - ٦ تاج العروس (٤٩٠/١) ، (نقب) .

يصيب الشاة^١ :

وقد كانوا يتوسلون الى الأصنام لتشفي ماشيتهم من أمراض قد تصاب بها .
روي عن (ساعدة الهذلي) أنه « قال : كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا
اليه غنماً لنا مائتي شاة قد أصابها جرب فأدنيتهما منه أطلب بركته »^٢ . فالأصنام
تشفي من الأمراض وتبارك في الماشية وفي الانسان على رأي الجاهليين .

١ تاج العروس (٣/٥٨١) ، (نقد) .
٢ الاصابة (٤/٢) ، (رقم ٣٠٣٨) .

الفصل الخامس والتسعون

الأرض

والأرض هي مصدر الثراء والغنى للإنسان ، وعلى مقدار ما يملكه الإنسان من أرض ، تكون ثروته ويكون غناه ، وعلى قدر ما يبذله صاحب الأرض من جهد في استغلالها وفي تطويرها وفي استنباط ما في باطنها من خيرات يتوقف دخله منها وغلته التي تأتيه من أرضه هذه .

ولا تعرف ملكية الأرض والماء ، إلا بين الحضر . أما الأعراب ، فإن هذه الملكية تكون عندها للقبيلة ولساداتها ، حيث يحمون بعض الأرضين ، أو يستنبطون الماء من أرض موات لا ماء فيها ، فتتحول الأرض بذلك الى أرض نافعة ذات ماء ، يبسط حافرها حمايته عليها ويجعلها ملكاً له ، وقد يزرع عليها ، فتصير الأرض التي يزرعها ملكاً له . وهذه الطريقة تكونت الملكية بين القبائل ولا يستطيع أن ينال من هذه الملكية بالطبع إلا المتمكن من أبناء القبيلة ومن ساداتها ، ممن يتمكن بما لديه من مال وامكانيات من استنباط الماء ومن احياء الأرض واستغلالها بما عنده من موالٍ وعبيد .

ويكتسب هذا التملك صفة شرعية ، إذ يعتبر ملكاً صرفاً لصاحبه ، ليس لأحد حق منازعته عليه . ولما لكان أن يتصرف به كيف يشاء . له أن يبيعه ، وله أن يهبه ، وإن مات انتقلت ملكيته الى ورثته .

فالأرض في معظم جزيرة العرب ، حق عام مشاع لا تعود ملكيته لأحد .

الى ان صار الرعي ، وأخذت القبائل تنتقل من مكان الى مكان ، ففرض سادتها حق الحمى ، وهو نوع من التملك المتولد من حق الاستيلاء بسبب الرعامة والقوة والاغتصاب ، فصار الحمى ملكاً لسادات القبائل ، وصارت الأرض المتبقية التي دخلت في حوزة القبيلة بسبب بسطها سلطانها عليها ، ملكاً لها . ملكاً مشاعاً بين جميع أبناء القبيلة ، ليس لأحد صد أحد من أبناء قبيلته عن ارتياد أرضها ، إلا بقانون القوة والعزة والتعجب ، أو بفرض سلطانه على الأرض باستنباط مائها ، وهو حق لا يعمل به إلا القوي المتمكن .

ومن هذا الإحياء للأرض الموات تكونت بعض المستوطنات في البوادي، جلب ظهور الماء فيها الناس اليها ، فسكنوا حولها ، وجاءوا من أطرافها للاستقاء من مائها ، وشجع العثور عليه في هذا الموضع المتمكنين الآخرين على الحفر أيضاً ، فكان اذا ظهر ماء عذب ، جذب الناس اليه ، وسحروهم بسحره ، وأناخهم حوله ، فتوسعت بذلك تلك المستوطنات ، وتعددت، وظهرت فيها الملكية الفردية، والحياة الحضرية القائمة على الحياة والتملك الفردي ، بصورة أوسع مما نجدها عند البدوي الاعتيادي الذي لا يملك إلا بيته ، وهو خيمته وأهله ، وما قد يكون عنده من الإبل .

ظهور القرى :

وصار بعض هذه المستوطنات قرى ، توسع قسم منها حتى صار بمنزلة المدن، منها ما كان يضاهي (يثرب) أو مكة في الحجم ، غير أنه لم يشتهر ولم يذكر، لعدم وجود تماس له وصلة مباشرة بتاريخ الإسلام . وهي مستوطنات سكن وماء وأسواق وتجارة ، ذكرها أهل الأخبار بقولهم : « قرية كانت عظيمة الشأن » وبقولهم : (قرى) . وصار بعض منها (قرى وزروع ونخيل)^١ ، أي قرى غلبت الزراعة على أهلها ، فظهرت الزراعة بها . زراعة نخيل ، إن كانت زراعة النخيل هي الزراعة المتغلبة عليها ، وزراعة نخيل وزروع أخرى ، إن شاركت

١ الصفة (١٤٧) ، (حائط بني غبر : قرية عظيمة بها سوق : وكذلك جمار قريه عظيمة أيضاً) ، الصفة (١٤٢) .

الزروع الأخرى النخيل في ذلك . وهذا هو سبب نص (الهمداني) وأمثاله ممن كتب عن مواضع جزيرة العرب ، على القرى ، بأنها قرى ، أو قرى سكن ، أو قرى نخيل^١ ، أو قرى زراعة ونخيل ، أو نخل وقرية^٢ .

وأما القرى التي غلب التعدين عليها ، فقد نص عليها بأنها (معدن) ، لتمييزها عن القرى الأخرى^٣ .

وهكذا ظهرت في البوادي مستوطنات زراعية رعوية ، كفت نفسها بنفسها ، توقف حجمها على كمية الماء فيها ، وتوقف إنتاجها على مقدارها وكميتها، وظهرت فيها نتيجة لذلك الملكية الفردية ، تملك المقيم فيها الأرض التي استقر بها وبني بيته عليها ، وتملك زرع وحاصله إن كان له زرع ، وتملك ماشيته إن كان صاحب ماشية . وتولد نتيجة لكل ذلك مجتمع مستقر ، تعاون فيما بينه في الدفاع عن نفسه وعن ماله ، وفي جلب السلع التي يحتاج اليها الانسان والميرة ، وتولد فيها تعامل وبيع وشراء ، توقف حجمه بالطبع على حجم ذلك المكان وعلى مقدار وجود الماء به .

فالبحت عن الماء والحصول عليه بالمال وبالخدم والعبد، كَوْن الملكيات الفردية في البوادي بين الأعراب ، وأوجد المستوطنات الحضرية والمستقرات ، وصيّر من بعض البدو حضراً أو أشباه حضر ، وغير بعض التغير من معاييرهم ومقاييسهم الاجتماعية ، يجعلهم زراعاً وفلاحين ، بعد كسره واستهجان للمزارع وللزراعة . وهذه المستوطنات هي مستوطنات نشأت وظهرت بجهد الانسان وبعمله وجدّه ، وباستثمار عقله وماله وفي تسخير أتباعه في استنباط الماء ، وتحويل الأرض البكر الى أرض زراعة وسكن ، وفي جزيرة العرب مستوطنات عديدة من هذا القبيل ، ومعظم مستوطنات يثرب ، هي من هذا النوع ، مستوطنات قامت على الآبار التي احتفرها المتمكنون من أهلها ، فزرعوها وأقاموا الأطم بها لحماية الزرع والناس من الأخطار . والأطم القصور ، وكل حصن بُني بالحجارة أطم . وقيل هو

-
- ١ (وفي ثنية الحفير نخل) ، الصفة (١٤٨) ، (روضة الحازمي ، وبها النخيل وحصن منيع) ، الصفة (١٤٢) .
 - ٢ (والعذيب نخل وقرية) ، الصفة (١٤٩) .
 - ٣ (وقرية عظيمة يقال لها : العوسجة . وهي معدن . وكذلك شمام : معدن .) ، الصفة (١٤٩) .

كل بيت مربع مسطح . وقد اشتهرت يثرب بأطامها . وذكر (الأعشى) أطام جو
بقوله :

فلما أتت أطام جو وأهله أنيخت فألقت رحلها بفنائكا^١

وأقيمت الحصون لحماية هذه المستوطنات ، واتخذت وسائل التحصن الأخرى
لحماية النفس والزرع من الأعراب الجياع . ولا تزال في اليمامة آثار حصون وأطام
عادية ، تعود الى ما قبل الإسلام بأمد . وكانت حماية ومنعة للسكان حولها ،
وتشاهد آثار السكن في أطرافها ، وآثار آبار مندرسة ، وآثار زرع ، هي مزارع
القوم . فنجد في الأفلاج حصوناً ، ونجد في (ملهم) حصوناً كان يتحصن بها
(بنو يشكر) ، ونجد في أرضين أخرى حصوناً بنيت كلها للدرء النفس من
الأنظار^٢ . واليمامة حصون متفرقة ونخل ورياض ، وفيها بتل ، والبتيل ، هن
مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين ، ويرجع أهل الأخبار زمانها الى
(طسم) و (جدیس) ، وذكروا أن طول بعضها خمسمائة ذراع^٣ .

وقد أشار أهل الأخبار الى قرى ومستوطنات قديمة في مواضع متعددة من
جزيرة العرب ، نسبوها الى (عاد) والى (طسم) و (جدیس) لبعض منها حصون
وآبار . فالقرية ، موضع قديم به ماء عادي ، أي ماء قديم ، الى جنبه آبار
عادية وكنيسة منحوتة في الصخر^٤. والقصر العادي بالأثل من عهد طسم وجدیس^٥ ،
و (القرية) : القرية الخضراء ، خضراء حجر ، هي حضور لطسم وجدیس ،
وفيها حصونهم وبتلهم . والبتيل : هن مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من
طين . بناء بعضه مائتا ذراع أو خمسمائة ذراع مرتفعاً سامقاً في السماء^٦ . وبقرية
بني سدوس ، قصر مبني بصخر منحوت ، نسبة أهل الأخبار الى (سليمان بن

١ تاج العروس (١٨٧/٨) ، (أطم) .

٢ العقد الفريد (١٩٠/٥) ، البلدان (٥٣٧/٢) .

٣ الصفة (١٤٠ وما بعدها) .

٤ الصفة (١٥٢) .

٥ الصفة (١٦٠) .

٦ الصفة (١٤١) .

داوود^١ . و (تر) نخيل وحصون عادية وغير عادية^٢ .

الى غير ذلك من قرى وقصور وحصون قديمة ذكرها أهل الأخبار ، أشرت الى بعض منها في مواضع من هذا الكتاب ، نشأت ونبتت في البوادي ، في المواضع التي أمكن للانسان بفنه البدائي وبعلمه في ذلك الوقت من استنباط الماء فيها . وبظهور ذلك الماء نبتت مستوطنات وزروع ونخيل وملكيات في أرض كانت ميتة ليس لها مالك ، فأحيائها استنباط الماء منها ، وجعلها ملكاً لأصحاب الماء .

وقد كانت هذه الآطام والحصون معاقل لأصحاب الأرض ومنازل لهم ، ومخازن يخزنون بها حاصل أرضهم وماشيتهم عند دنو الخطر ، وقد يحتمي بها عبيدهم وأتباعهم ، فهي مثل قلاع الأشراف النبلاء في أوروبة أيام الاقطاع ، ومثل المحافد والقصور في اليمن . وهي تختلف في الحجم والسعة باختلاف درجة ومنزلة المالك للأرض ، من حيث تملكه للمال وللخدم والعبيد وما عنده من ثراء ، وقد صارت سبباً في تحويل أصحابها الى حضر أو شبه حضر ، ولو انهم كانوا وسط بواد وبين أعراب ، فإقامتهم في أبنية مستقرة وحرثهم الأرض وزرعها ، واستخدامهم للعبيد في الفلاحة ، طورهم بعض التطوير ، حتى صاروا على شاكلة الحضر ، يتركون منازلهم لزيارة القرى والأرياف ، ويتصلون بالحضر وقد يقيمون بينهم على نحو ما يفعله كثير من سادات (شيوخ) القبائل في الوقت الحاضر ، وكان جلّ سادات القبائل الكبار من أصحاب الأبنية الثابتة ، لهم منازلهم ومزارعهم وأعرابهم الذين لم تمكنهم أحوالهم المادية من تملك الأرض والزرع ، فاشتغلوا برعي الإبل .

وقد تعرض مزارع هذه المستوطنات الى الأخطار مع وجود الحصون وأبنية الحماية الأخرى ، فالمزارع الكبيرة لا يمكن حمايتها إلا إذا حمت بحصون عديدة من جميع جهاتها ، وحمايتها على هذا النحو عمل مكلف باهظ ، لذلك كان المهاجم يهاجم الزرع ليحرق قلوب أصحابه المتحصنين في الحصن ، فلما هاجم (بنو يربوع) (بني يشكر) ، تحصن (بنو يشكر) بحصنهم بقرية (ملهم) ،

١ النصف (١٤١) .

٢ النصف (١٤١) .

فأحرق (بنو يربوع) بعض زرعهم ، وعقروا بعض نخيلهم ، فلما رأى القوم ذلك نزلوا اليهم فقاتلوهم^١ .

وقد اتخذ المزارعون ملاجئ لهم عند أماكن زرعهم يأوون إليها للحماية أنفسهم من أشعة الشمس ومن المطر والعواصف ، وكانوا يسكنون بها ، كانت هذه سنتهم في الجاهلية وفي الإسلام . وقد ذكر مؤلف (بلاد العرب) أن بروضة السويس قبتين مبيتين يسكنها الزراعون^٢ .

وقد أولد هذا المجتمع تبايناً في منازل الناس ، جعل من أصحاب الأرض الكبيرة ملاكاً كباراً لهم أطم وحصون ، يأوون إليها ، ولهم خدم يخدمونهم ويخدمون زرعهم وماشيتهم ، هم العنصر المنتج ، والآلة التي تساعد على الانتاج وعلى تكثيره ، وعلى تزييد أموال الملاك ، أما هم أنفسهم فجرد خدم ورقيق ، خلقوا لخدمة سادتهم ووجدوا لرعاية أموالهم والعناية بزرعهم وتكثير رزقهم . وإلى جانب هؤلاء أناس أحرار ، كان في رزقهم شح ، وفي حياتهم عسر ، وقوتهم قليل ، قاموا بمختلف الأعمال والحرف لإعالة أنفسهم وسد رمقهم .

وقد تمكنت بعض هذه المستوطنات من انتاج حاصل زراعي سد حاجة أهل المستوطنة ، ومن بيع الفائض منه إلى الأعراب . وبينها مستوطنات زرعت الحبوب ، مثل الحنطة وصدرتها إلى أماكن أخرى . فقد ذكر أن قرى اليمامة كانت تمون مكة بالحب ، وتمون الأعراب بالتمور . وما هذه القرى سوى مستوطنات ، ظهرت في البوادي بسبب وجود الماء فيها ، وبسبب استنباطه من الأرض بحفر الآبار ، فنمت وتوسعت ، لاتساع صدر الماء بها ، ولتفضل الأرض على من نزل بها باعطائهم ماءً كافياً . كفاية تساعد على توسع المستوطنة ، فيما لو عمل النازلون بها على استنباطه من باطنها . واستعملوا عقولهم وأيديهم في استغلال التربة للحصول على موارد الرزق منها .

وتحدد الأرض المملوكة بحدود ، وقد توضع على أطرافها علامات ، لتكون حدودها معلومة ، فلا يتجاوز عليها . ويقال للحد بين الدارين ، أو بين الأرضين (الجهاد) . وقد أشير إلى (الجوامد) ، أي الحدود في الحديث . ورد : اذا

١ النويري ، نهاية الارب (٣٨٥/١٥) ، (يوم الحائر وهو يوم ملهم) .

٢ بلاد العرب (٣٠٤) .

وقعت الجوامد فلا شفعة في الحدود^١ .

والأرض عامر أو غامر ، والعامر المأهول والمزروع والمستغل ، والغامر بخلاف العامر ، وهو الخراب . وقد قسم (عمر) السواد الى عامر وغامر ، أي عامر وخراب . والغامر الأرض ما لم تستخرج حتى تصلح للزراعة والغرس ، وقيل : هو ما لم يزرع مما يحتمل الزراعة . وإنما قيل له غامر ، لأن الماء يبلغه فيغمره^٢ . ويقال للأرض العامرة : (السوداء) ، وأرض سوداء ، أرض مغروسة ، والأرض في عرف العرب اذا غرست اسودت واخضرت ، و (البيضاء) الخراب من الأرض ، لأن الموات من الأرض يكون أبيض^٣ .

والبور : الأرض قبل أن تصلح للزرع ، وقيل : هي الأرض التي لم تزرع ، أو الأرض كلها قبل أن تستخرج حتى تصلح للزرع أو الغرس . وفي كتاب النبي لأكيدر دومة : ولكم البور والمعامى وأغفال الأرض . فالبور الأرض الخراب التي لم تزرع ، أو هي التي تجم سنة للزرع من قابل^٤ . وذكر أن المعامى الأعلام من الأرض ما لا حد له . والأغفال ما لا يقال على حده من الأرض^٥ . والمعامى على حد قول بعض العلماء : أغفال الأرض التي لا عمارة بها ، أو لا أثر للعمارة بها^٦ . والغفل : ما لا عمارة فيه من الأرضين ، وقيل الموات ، وأرض غفل لا علم بها ولا أثر عمارة ، وأرض سبب ميتة لا علامة فيها ، وكل ما لا علامة فيه ولا أثر عمارة من الأرضين والطرق ونحوها غفل ، وبلاد أغفال لا أعلام فيها يهتدى بها^٧ . وقد ورد في كتاب الرسول الى الأكيدر : « أن له الضاحية والبور والمعامى وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور »^٨ .

- ١ تاج العروس (٣٢٥/٢) ، (جمد) .
- ٢ تاج العروس (٤٥٤/٣) ، (غمر) .
- ٣ تاج العروس (١٠/٥) ، (بيض) .
- ٤ تاج العروس (٦٠/٣) ، (بدر) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨٩/١) .
- ٦ تاج العروس (٢٥٥/١٠) ، (عمى) .
- ٧ تاج العروس (٤٧/٨) ، (غفل) .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٨٨/١ وما بعدها) .

والضاحية ما كان خارج السور من النخل ، والضاحية البادية ، وضواحي
قريش النازلون بظواهر مكة^١ .

والعامر ، إما ملك للحكومة ، وإما ملك للملوك ولذويهم ، وإما ملك للمعبد ،
أي أوقاف حبست على المعابد ، وإما ملك لأسر وأفراد ، وذلك بالنسبة للحضر ،
وفي العربية الجنوبية بصورة خاصة . وأما بالنسبة إلى الأعراب ، سكنة البوادي ،
فأرض القبيلة — كما سبق أن قلت — ملك لها ، إلا ما حوى منها ، فهو من حق
أصحاب الإجماع . فالأرض إذن مشاعة بين أبناء القبيلة ، ويدخل في ذلك الماء
والكلأ .

وقد عبر في أحد النصوص عن الأرض التي آلت إلى صاحبها بطريق التملك
بـ (مقبلت قنيو) ، أي الأرض التي أقبلت إلى الشخص بطريق الملكية^٢ .
ومعناها الأرض المقتناة أي الملك . وهي أرض ملكها صاحبها إرثاً من أهله ، وذلك
تميزاً لها عن الأرض التي يتملكها صاحبها شراءً ، وقد عبر عنها بـ (شامتهو) ،
أي الأرض المشتراة^٣ .

وتعد كل الأرضين التي لا تملكها الجهات المذكورة ملكاً للدولة . ورقبتها بيد
الحكومة ، وتسجل باسم الشعب الحاكم . فإذا كانت الحكومة حكومة معين ،
تسجل الأرض باسم شعب معين ، وإذا كانت الأرض في سبأ ، تسجل باسم
شعب سبأ ، وقد توسعت رقعة الأرضين الحكومية بالفتوحات الواسعة التي تمت
في عهد الملك (كرب ايل وتر) ، وفي عهود الملوك المحاربين مثل (شمريمعرش)
الذين إذا انتصروا على خصومهم جعلوا أرضهم وما يملكونه غنيمة لحكومتهم ،
تابعة لبيت المال . وذلك على نحو ما فعله المسلمون في الفتوحات من تسجيلهم
الأرضين التي فتحوها باسم (بيت مال المسلمين) .

وقد تؤجر أرض التاج للقبائل والعشائر بعقد يتفق عليه ، تذكر فيه شروطه
في الوثائق التي تدون لهذه الغاية ، ويتم الدفع بموجبها ، فيكون إما عيناً ، وإما
نقدًا . وقد يقوم سادات القبائل باستغلال الأرضين المؤجرة على حسابهم ، وقد

١ تاج العروس (٢١٨/١٠) ، (ضحو) .

٢ REP. EPIGR. 2876, Tome, V, p. 209.

٣ الفقرة الثالثة من النص المذكور .

يؤجرونها أو يؤجرون أجزاءً منها الى حاشيتهم أو أتباعهم في مقابل جعل يدفع لهم . فيكون دخلهم من هذه الأرض المؤجرة من العوائد التي اتفقوا على استحصالها من المستأجرين الثانويين ومن صغار الفلاحين .

وقد كان الفلاح مغبوناً في الأكثر ، لأنه بحكم فقره واضطراره الى استئجار الأرض بشروط صعبة في الغالب ، مضطر الى الاستدانة في أغلب الأحيان ، لضمان معيشته في مقابل تعهده بدفع ما استدانه في آخر موسم الحصاد وقطف الثمر فإذا حلّ الأجل ، اضطر الى دفع ديونه وما ترتب عليها من ربا فاحش ، وما عليه من حق للحكومة ولصاحب الأرض ، فلا يتبقى لديه ما يكفيه في عامه الجديد ، فيضطر الى تجديد الاستدانة ، والغالب أن أصحاب الأرض هم الذين يقومون بتقديم الديون الى الفلاحين ، لربطهم طول حياتهم بالأرض ، فلا يتمكن الفلاح من الهروب منها بسبب ثقل ما عليه من الديون ، ووجوب دفعها مع فائضها كاملة إن أراد تركها ، وهو حلّ لا يتمكن من تنفيذه ، فيظل لذلك مرتبطاً مع عائلته بأرض المالك صاحب الديون .

وكانت حكومة سبأ تستغل أرضها الخاضعة للخزينة العامة ، أي (أرض السلطان) ، إما بادارتها نفسها وباستغلالها بتشغيل المزارعين بها على حساب الدولة ، وإما ببيعها ، وإما بتأجيرها في مقابل (أجر) يقال له (اثوبت) في لغتهم .

وامتلكت المعابد أرضين واسعة شاسعة ، استغلتها باسم الآلهة ، ودرت عليهم أرباحاً كثيرة . وهي أرضين سجلت باسمها منذ نشأت المعابد وظهرت ، فارتبطت بها ، وصارت وقفاً عليها . منها ما سجل في عهد (المكربين) أي حكومات رجال الدين في العربية الجنوبية ، يوم كان (المكرب) هو رجل الدين والحاكم الديني ، فكانت نظرهم ان الأرض وما عليها ملك الآلهة . ورجال الدين الحكام هم خلفاء الآلهة على الأرض ، وهم وحدهم لهم حق الحكم والفصل بين البشر ، وما يقرونه حق ، وما يخالفونه ويحرمونه فهو باطل . وهم الذين يفصلون بين الحرام وبين الحلال ، ويقررون ما يوافق حكم الآلهة وما يخالفه . فهم حكام الشرع والقانون .

Glaser 904, Halevy 51, 1571, Handbuch, I, S. 137, Rhodokanakis, Katab.

Texte, I, S. 70.

وكانت للمعابد الأخرى أحباس خصصت بها ، وحملت للمعبد ولما ينذر له ويحبس عليه من حيوان يرعى فيه ، فلا يتناول عليه أحد . وقد سبق ان تحدثت عن حرم (العزى) ، وهو شعب حمته قريش للصنم ، يقال له (سقام) في وادي حراض ، وقد كان حراماً آمناً ، لا يجوز قطع شجره ولا الاعتداء على ما يكون فيه من انسان وحيوان^١ . وهو قرب مكة بين (المشاش) و (الغمير) فوق ذات عرق ، الى البستان ، وقيل بالنخلة الشامية^٢ . كما كان للبيت الحرام ، حرم واسع به شجر وزرع ، سبق ان تحدثت عنه .

وقد وجدت في بعض المناطق ، مثل أرض قبيلة (بكل) (بكيل) ، أملاك واسعة حبست على (المقه) ، كانت تديرها وتصرف بها عشيرة (مرثد) ، ووجدت أرضون واسعة في مناطق أخرى ، جعلت المعبد من أكبر ملاك الأرض . وقد استغل المعبد بنفسه بعض أملاكه ، وأجر بعضاً آخر للأسر المتنفذة ولسادات القبائل ، بموجب اتفاقات دوتت وحفظت في خزائن المعابد . وقد كان المتنفذون قد استولوا على بعض حبوس المعابد ، واستغلوها ، ولما كانوا أقوياء ، والأوقاف في مناطق نفوذهم ، ولا يمكن للمعبد أن ينتزعها منهم ، اضطر إلى تأجيرها لهم ببدل ايجار رمزي ، ليحافظ بذلك على اسم وقفه ، فلا يستبد أولئك السادة به ، ويسجلونه ملكاً باسمه . فصارت هذه الأملاك من أملاك المعبد بالإسم ، ومن أملاك الملاك الأقوياء بالفعل .

ولا نجد في أخبار أهل الأخبار ما يفيد بوجود حبوس كبيرة وكثيرة على المعابد في العربية الغربية أو العربية الوسطى أو العربية الشرقية ، على نحو ما وجدناه في اليمن ، ويعود سبب ذلك في رأيي الى صغر مساحات الأرضين الحصبة المزروعة في هذه الأقسام ، والى قلة الماء فيها ، مما جعل من الصعب على الناس التخلي عن أرضين كبيرة للمعبد . بل ترينا أخبارهم ان أهل هذه المناطق كانوا لا يتأثمون أحياناً من التناول على (حرم) المعابد ، فكانوا يقطعون شجره ويستقطعون قطعاً من أرضه لاتخاذها منازل لهم كالذي حدث لـ (حرم) بيت الله .

وقد كان الملوك وكبار الملاك يقطعون أرضهم اقطاعات لاستغلالها . ويعبر عن

١ البلدان (٩١/٥) ، (١٦٦/٦) .

٢ تاج العروس (١٩/٥) ، (حرض) .

ذلك بلفظة (بضع) في المسند ، أي القطعة . وقد يراد بها الأرض المعطاة لجماعة لاستغلالها في الزراعة^١ .

وفي أواخر عصور الملكية في سبأ ، نجد طبقة الأشراف وسادات (الأعراب) (اعربم) والقبائل وقد ازداد نفوذها وقوي سلطانها ، فنازعت الملك على صلاحياته في بعض الأحيان . وصار لرؤساء القبائل نفوذ قوي في المملكة ، حتى قلصت حكم ال (مزود) واستأثرت بالأرض ، واحتكرتها ، فاضطر الملوك الى النزول عن حقهم في الأرضين الى أولئك الرؤساء في مقابل اتفاقيات تحدد الواجبات والمبالغ التي يجب على رئيس القبيلة أن يقدمها الى الملك في مقابل استغلاله للأرض ، ويقوم الرئيس بإيجار أرضه لأتباعه المتنفيين في القبيلة أو لأفراد قبيلته الاعتياديين ، يتقاضى على ذلك أجراً يتفق عليه ، باهظاً مرهقاً للفلاح المسكين السذي لا يملك في العادة أرضاً ، فتحولت العربية الجنوبية بذلك الى دولة اقطاعية ، أرباحها وحاصلها وناجها وقف وإقطاع لطبقات معينة مستفذة .

وفي جملة تلك الواجبات تقديم عدد يتفق عليه من أتباع من حصل على أرض حكومية للقيام بالخدمات العسكرية ، ووجوب الدفاع عن الحكومة عند ظهور خطر عليها . فيقوم المقتطع للأرض بإرسال رجاله على حسابه للدفاع عن الملك . وبذلك صارت جيوش الملك مؤلفة من جنود مرتزقة وجنود أرسلوا الى القتال إرسالاً بأمر سادتهم تنفيذاً لالتزاماتهم التي ألزموا أنفسهم بها مع الملوك .

ويمكن حصر الأشخاص الذين تمتعوا بنعم الاقطاع وامتيازاته بالملوك وبذويهم ، والملك هو الراعي الشرعي للحق العام ، وهو الناظر والوصي لأرض الدولة ، وهو بهذه الصفة بصطفي لنفسه ولأولاده ولأهله خيرة الأرضين ، ثم يليه من بعده رجال الدين الناطقون باسم الآلهة ، وهم في نظر الشرع ، أي الدين أصحاب الأرض ، لأن الأرض ملك للآلهة . ثم يليهم قادة الجيش وصفوة الملوك وكبار الحكام ، والسادات . سادات الحضر وسادات القبائل . أما السواد ، وهم غالبية الناس ، فليس منهم من يملك إلا المساحات الصغيرة من الأرض ، وإلا البيوت ، وأغلب الباقيين عالة على غيرهم ، يتعيشون باستعمال أيديهم في كسب قوتهم .

١ راجع الفقرة الثانية من النص :

Glaser 1000 A, B, 1693, Rhodokanakis, Kataba. Texte, II, S. 41.

وقد يؤجر سيد القبيلة أو سادات الأرض ما استحوذوا عليه من الحكومة من أرضين الى أناس غرباء أجراء أم الى قبائل أخرى ، في مقابل شروط يعينها ، فيستغلون الأرض بموجبها ، ويكونون عندئذ في حمايته وفي رحمته ورعايته، فيعاملون عندئذ وكأنهم فرع من فروع قبيلة صاحب الأرض . وإذا استمر العقد ، فقد يدمجهم الزمن في قبيلة سيد الأرض فيعدّون منها ، وينسبون اليها ، مع أنهم غرباء عنها . ومن هنا نرى ان القبائل في العربية الجنوبية ، لم تكن على نحو ما نفهمه من معنى القبيلة ، من انها بنو أب واحد ، وأصحاب نسب واحد يصعد حتى يتصل بجذ ، بل قد تكون من قبائل وعشائر مختلفة ومن جماعات عمل ، تمثل مختلف الحرف ، انضمت الى قبيلة كبيرة ^١ ، أو الى ملاك كبير ، للعمل في أرضه أو لأداء خدمات له ، فلما طال بها المقام اندمجت في القبيلة الكبيرة ، أو في قبيلة الملاك الكبير ، فعدّت منها ، أو في آل وأتباع صاحب الأرض ، فعدّوا من أتباعه ، ونسبوا اليه ، حتى اذا طال الزمن وتقدم العهد، صار ذلك الرئيس جداً لهم ، وعدّ نسبهم منه .

ولما ظهر الإسلام ، كان الأقبال وسادات القبائل قد استبدوا بالأمر وتحكموا في رقاب الأرض ، واقطعوها فيما بينهم ، ولقب بعضهم كما سبق أن تحدثت عن ذلك أنفسهم بألقاب الملوك . ومن هؤلاء (بنو وليعة) ملوك حضرموت : (حمدة) ، و (نخوس) ، و (مشرح) ، و (أبضعة) ^٢ . و (الحارث ابن عبد كلال) ، و (نعيم بن عبد كلال) ، و (النعمان) قيل ذي دعين (ذي يزن) ومعاfer وهمدان ^٣ وشريح بن عبد كلال ، وزرعة ذي رعين ^٤ . و (جيفر بن الجلندي) و (عبد بن الجلندي) وهما من الأزدي . وكان (جيفر)، يلقب نفسه بلقب ملك عمان ^٥ . و (ذو الكلال بن ناكور بن حبيب بن مالك ابن حسان بن تبع) ، و (ذو عمرو) ^٦ ، و (معدي كرب بن أبرهة) صاحب

١ J. Rychmans, L'Institution Monarchique, p. 178.

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٥٦/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٤/١) وما بعدها) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٢/١) .

٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .

خولان^١ . و (ربيعة بن ذي مرحب) الحضرمي ، وآل ذي مرحب ، وكانوا يملكون الأموال والنحل والرقيق والآبار والمياه والسواقي والشرايع بحضرموت^٢ ، و (وائل بن حجر) ، من كندة حضرموت ، وكان يملك الأرضين والحصون والأودية ، وكان (الأشعث) وغيره من كندة ينازعونه في واد^٣ .

ويقال لتقديم الفلاح أو المستأجر لأرض ما، ما عليه من حقوق تجاه الحكومة ، التي استأجر الأرض منها ، أو صاحب الملك ، الذي استأجر أرضه لزراعتها ، (دعم) (دعمت)^٤ ، أي (غلة) ، تسلم الى وكلاء الحكومة أو صاحب الأرض عن حقهم المتفق عليه .

وتعرف الأرضون الحكومية التي تعطى باللزمة والإجارة لمن لا يملكها بـ (مقبلت) و (قبلت) ، و (مقبل) ، من أصل (قبل)^٥ . تعطى في مقابل تعهد يتعهد الملتزم والمؤجر بدفع مبلغ معين أو حصة معينة الى الملك أو ممثليه من الموظفين أو أصحاب الأرض ، وذلك في مقابل استغلاله للأرض . وقد تدون شروط الاتفاق وتثبت ليرجع إليها اذا حدث اختلاف .

وقد صالح الرسول أهل خيبر ، على حقن دماهم ، وعلى ان يقوموا على النخل والزرع ، لأن لهم علماً باصلاح الأرض وخدمة الزرع ، ولم يكن لرسول الله وأصحابه غلمان يقومون بذلك ، فأعطاهم خيبر على ان لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء ما^٦ . فبقوا يستغلونها على نصف ما خرج منها ، فكان (الخارص) يأتي اليهم عند الموسم يخرص ما يخرج منها ، فيأخذ النصف ، ويترك النصف الآخر لليهود^٧ . وصالح الرسول أهل (فدك) على نصف الأرض بتربتها ، وعلى نصف النخل^٨ .

١ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٦) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٧) .

٤ Handbuch, I, S. 137.

٥ REP. EPIGR. 2876, Tome, V, p. 209.

٦ البلاذري ، فتوح (٣٧) .

٧ البلاذري ، فتوح (٣٩) وما بعدها .

٨ البلاذري ، فتوح (٤٢) وما بعدها .

عقود الوتف :

وقد وصلت إلينا وثائق مهمة تتضمن عقوداً في استغلال الأرضين ، عرفت باسم (وتفم) (وتف) . وهي عقود تبين ان الحكومة كانت تؤجر الأرض لمن يريدّها في مقابل حقوق يقدمها إليها . وتشمل عقود الوتف ، العقود التي عقدت بين المعبد والوجهاء وسادات القبائل أيضاً ، والعقود التي عقدها كبار أصحاب الأملاك الذين فاضت أملاكهم عن حاجتهم الى المحتاجين إليها في مقابل شروط اتفق عليها دونت في (الوتف) .

وقد عثر على نصوص (وتف) ورد فيها اسم (مرثد) . مما يدل على أن (بني مرثد) هؤلاء كانوا يستأجرون الأرضين لاستغلالها ، في مقابل تعهدات خاصة يقدمونها الى أصحاب الأرض . وتتناول معظم هذه العقود (الوتف) استئجار أرضين خاضعة للحكومة وأرضين هي من أوقاف المعابد . وجدت المعابد أن من الصعب عليها إدارتها فأجرتها الى (بني مرثد) لاستغلالها ، وقد قام (بنو مرثد) بتأجير قسم منها الى غيرهم من العشائر التابعة لهم في مقابل جعل يقدمونه لهم ، يزيد على مقدار بدل الإجارة المتفق عليه مع المعبد ، وبذلك استفادوا من الفرق بين بدل الإجارتين .

ولدينا جملة نصوص (وتف) يفهم منها أن بعض المتعاقدين من مستأجري أملاك المعبد قد قدموا نذوراً وذبائح الى الآلهة التي أوقفت عليها الأرض المستأجرة لأنها أعطتهم غلة طيبة وحاصلاً وافراً طيباً بعد فقر وجوع . ويظهر من بعضها أن أولئك المستأجرين المتعاقدين كانوا قد تهاونوا في تنفيذ ما ورد في العقد ، أو أنهم أخلوا بها عمداً ، فلم ينفذوا ما جاء فيها ، واتفق أن نزلت آفات طبيعية بزروعهم ، مثل جفاف أتلف معظم جاصلهم ، ففشا الجوع بينهم ، ففسروا ذلك على أنه غضب حلّ بهم من آلهتهم ، وانتقام نزل بهم منها . ولهذا كفّروا عن ذنوبهم وتابوا عما ارتكبهوه من آثام ، بعدم تنفيذهم تلك الاتفاقيات ، وعاهدوا آلهتهم على ترضيتها وتقديم الذبائح إليها في كل عام بانتظام ، ان هي غفرت لهم قبح أعمالهم ، وباركت في زروعهم ، وهم في مقابل ذلك سيوفون بالعهد ، ويؤدون ما فرض عليهم من (الوتف) كاملاً غير منقوص^١ .

Oslander 10, Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 158.

وقد استغلت الأرض في العربية الجنوبية ، ولا سيما في اليمن استغلالاً حسناً بالنسبة الى باقي أنحاء جزيرة العرب ، وذلك لسقوط المطر الموسمي بها بكميات مناسبة للزراعة ، ولوجود موارد طبيعية للمياه بكثرة فيها بالقياس الى المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، ثم لوجود فجوات ومنخفضات بين الجبال والهضاب ساعدت على خزن مياه الأمطار بها ، كما ساعدت على اقامة السدود في أفواه الأودية لحصر المياه في المنخفضات ومنعها من السيالان الى البحر . وبسبب هذه الميزات ظهر في اليمن اقتصاد زراعي وحاصل زراعي، أمكن استغلاله في الداخل، وتصدير الفائض منه الى الخارج .

الاقطاع :

الاقطاع في الاسلام يكون تملكاً ويكون غير تملك . والقطائع انما تجوز في عفو البلاد التي لا ملك لأحد فيها ولا عمارة فيها لأحد ، وفيما ليس بمملوك كبطون الأودية والجبال والموات ، فيقطع الإمام المستقطع منها قدر ما يتهيأ له عمارته باجراء الماء اليه أو باستخراج عين منه ، أو بتحجر عليه للبناء فيه . ومن الاقطاع اقطاع ارفاق لا تملك كالمقاعدة بالأسواق التي هي طرق المسلمين ، فمن قعد في موضع منها كان له بقدر ما يصلح له ما كان مقيماً فيه ، فإذا فارق لم يكن له منع غيره منه ، كأبنية العرب وفساطيطهم ، فإذا انتجعوا لم يملكوا بها حيث نزلوا منها ، ومنها اقطاع السكنى . وفي الحديث : لما قدم النبي المدينة أقطع الناس الدور ، معناه أنزلهم في دور الأنصار يسكنونها معهم ، ثم يتحولون عنها . ومنه الحديث ، انه أقطع الزبير نخلاً ، يشبه انه انما أعطاه ذلك من الخمس الذي هو سهمه ، لأن النخل مال ظاهر العين حاضر النفع ، فلا يجوز اقطاعه . وأما اقطاع الموات ، فهو تملك^١ .

وهو ضربان : إقطاع تملك ، وإقطاع استغلال . فأما اقطاع التملك فتقسم فيه الأرض المقطعة ثلاثاً أقسام : موات وعامر ومعادن . فأما الموات ، فعلى ضربين : أحدهما ما لم يزل مواتاً على قديم الدهر فلم تجر فيه عمارة ولا يثبت

١ تاج العروس (٤٧٤/٥) ، (قطع) ، ارشاد الساري (٢٠٦/٤) ، صبح الاعشى (١٣/١١٣ وما بعدها) .

عليه ملك ، فهذا الذي يجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ومن يعمره ، والضرب الثاني من الموات ما كان عامراً ، فصار مواتاً عاطلاً . وذلك ضربان : أحدهما ما كان جاهلياً، فهو كالموات الذي لم يثبت فيه عمارة ، ويجوز اقطاعه . والضرب الثاني ما كان إسلامياً جرى عليه ملك المسلمين ثم خرب حتى صار مواتاً عاطلاً وقد اختلف فيه الفقهاء .

وأما العامر فضربان : أحدهما ما تعين مالكه فلا نظر للسلطان فيه ، والضرب الثاني من العامر ما لم يتعين مالكه ولم يتميز مستحقوه ، وهو على ثلاثة أقسام : تكلم فيها الفقهاء .

وأما اقطاع الاستغلال فعلى ضربين : عُشر وخراج . فأما العشر : فإقطاعه لا يجوز . وأما الخراج ، فيختلف حكم اقطاعه باختلاف حال مقطعه ، وله ثلاثة أحوال ، ذكرت في كتب الفقه .

وأما اقطاع المعادن ، فهو ضربان ، ظاهرة وباطنة ، فأما الظاهرة ، كمعادن الكحل والملح والقار والنفط ، وهو كالماء الذي لا يجوز اقطاعه والناس فيه سواء يأخذه من ورد إليه . وأما المعادن الباطنية ، ففي جواز اقطاعها قولان : أحدهما لا يجوز كالمعادن الظاهرة ، وكل الناس فيها شرع . والقول الثاني : يجوز اقطاعها . وفي حكمه قولان : أحدهما أنه إقطاع تملك بصير به المقطع مالكاً لرقبة المعدن كسائر أمواله في حال عمله وبعد قطعه يجوز له بيعه في حياته وينتقل إلى ورثته بعد موته . والقول الثاني أنه إقطاع ارفاق لا يملك فيه رقبة المعدن ويملك به الارتفاق بالعمل فيه مدة مقامه عليه ، وليس لأحد أن ينازعه فيه ما أقام على العمل ؟ فإذا تركه زال حكم الاقطاع عنه وعاد إلى حال الإباحة . فإذا أحيا مواتاً بالإقطاع أو غير اقطاع فظهر فيه بالإحياء معدن ظاهر أو باطن ملكه المحيي على التأييد كما يملك ما استنبطه من العيون واحتفره من الآبار^١ .

وأما الاقطاع عند أهل الجاهلية ، فكان معروفاً عندهم ، وقد أشير إليه في نصوص المسند . وقد كان اقطاع تملك ، واطع استغلال .

فأما اقطاع التملك ، فيشمل الموات والعامر والمعادن . وقد أقطع الحكام في كل هذه الأقسام الثلاثة . فكان الملوك ، يهبون الموات أو العامر إلى من يريدون

١ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٩٠ وما بعدها) .

من أقربائهم أو قواد جيوشهم أو سادات القبائل ، أو كبار الموظفين ومن يرضون عنه . يعطونهم أرضاً مواتاً لا أصحاب لها ، أو أرضاً عامرة لها أصحاب وملاك . فقد كانوا يحاربون ، فإذا انتصروا اصطفوا لأنفسهم ما أحبوا من أرض مملوكة للدولة أو للأشخاص ، فسجلوه ملكاً باسمهم ، وأعطوا ما شاءوا إلى خاصتهم وذوي رحمتهم وقواد جيوشهم ، ملكاً لهم ، يملكون رقبته وكل ما عليه من شجر ونبات وماء ومعادن ورقيق وأناس ، لا ينازعهم في ذلك منازع ، لهم حق بيعه إن شاءوا ، أو حق إيجاره ، أو اعطائه لأي شخص آخر لاستغلاله ، وإن وجدت فيه معادن ، فهي لهم أيضاً .

وقد يغضب ملك أو أي حاكم متفرد بأمره على من هو من تبعته ، فينتزع منه ملكه ، ويستولي عليه وعلى كل ما عليه ، وقد يقطعه كله أو جزءاً منه أحد خاصته ، أو يقطعه أقطاعاً ، لجملة أشخاص . هبة أي تمليكاً ، أو غير تمليك ، أي عارية ، رقبته للحاكم ، ومنفعته لمن أقطع له إلى أجل معين أو إلى أجل غير محدود ، يكون له ولورثته حق الانتفاع منه . والحاكم الذي يقطع الإقطاع لمن يشاء ويهب الأرض لمن يحب ، لا يعجز عن استعادة ما أقطعه تمليكاً أو استغلالاً متى أحب ، فهو الأمر بأمره والنهي ، لا يعارضه معارض ، متى أراد الاستيلاء على أرض أو على إقطاع أقطعه أحداً ، أمر بالاستيلاء عليه ، فيطاع أمره وينفذ ما دام قوياً له الحول والطول .

ولا يعني الإقطاع عند الجاهليين وجوب وجود العبيد أو الأفيان في الأرض لاستغلالها ولإعمارها ، فقد يتعامل الإقطاعي ، مع أجراء أو أجراء يتفقون معه على استثمارها في مقابل حقوق يدفعونها له . أما إذا كان متمكناً غنياً له خديم ورقيق وأتباع ، فقد يستخدمهم في خدمة ملكه بأجر أو بغير أجر ، حسب مبلغ هيئته عليهم ومقدار نفوذه بين قومه وأهله .

وقد عرف إقطاع المعادن عند الجاهليين ، ما ظهر من المعادن ، وما بطن . ويظهر أن أهل اليمن لم يكونوا يفرقون في الإقطاع بين النوعين من المعدن . فكانوا يقطعون المعادن الظاهرة ، مثل الذهب والملح ، كما كانوا يقطعون المعادن الباطنة ، أي المعادن التي يكون جواهرها مستكنة فيها ، لا يوصل إليه إلا بالعمل ، كمعادن الذهب والفضة والصفير والحديد ، فهذه معادن باطنة سواء احتاج المأخوذ

منها الى سبك وتخليص أو لم يحتج ، في حين أن المعادن الظاهرة ، ظاهرة على سطح الأرض ، ولا يبذل لآخراجها ما يبذل في اخراج المعادن الباطنة . أما الإسلام ، فقد جعل حكم المعادن الظاهرة حكم الماء العذب من ورده أخذه ، لا يجوز اقطاعه والناس فيه سواء يأخذه من ورد اليه ^١ .

وفي كتب السير والتاريخ أن الرسول أقطع بعض سادات القبائل ورؤساء الوفود اقطاعاً ، وأمر فكتبت لهم كتب التملك . فأعطى (الزبير بن العوام) « ركض فرسه من موات البقيع (البقيع) ، فأجراه ، ثم رمى بسوطه رغبة في الزيادة . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أعطوه منتهى سوطه » ^٢ . وفي حديث (أسماء) بنت (أبي بكر) ، أنه أقطع الزبير أرضاً من أموال بني النضير ذات نخل وشجر ^٣ .

وقد سأل (الأبييض بن حمّال) رسول الله ، ان يستقطعه ملسح مأرب ، فأقطعه . « فقال الأقرع بن حابس التميمي : يا رسول الله إنني وردت هذا الملح في الجاهلية ، وهو بأرض ليس فيها غيره ، من ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذب بالأرض . فاستقال الأبييض في قطعة الملح . فقد أفلتت على ان تجعله مني صدقة . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : هو منك صدقة ، وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه » ^٤ . و (الأبييض بن حمّال) ، سبأي من أهل مأرب ، وكان من سادة قومه . وفد على أبي بكر ، لما انتقض عليه أعمال اليمن ، فأقره أبو بكر على ما صالح عليه النبي ، من الصدقة ، ثم انتقض ذلك بعد أبي بكر وصار الى الصدقة . وكان مصاباً ب (حزازة) في وجهه ، وهي القوباء ، فالتقمت أنفه ^٥ .

وأقطع الرسول « بلال بن الحارث » المعادن القبلية جلسيتها وغوريها . وحيث

-
- ١ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٩٧) .
 - ٢ الاحكام السلطانية (١٩٠) ، (في أحكام الاقطاع) .
 - ٣ ارشاد الساري (٢١٠/٤) ، البلاذري ، فتوح (٢٤ ، ٤٢) ، (موات البقيع) ، صبح الاعشى (١٠٥/١٣) .
 - ٤ الاحكام السلطانية (١٩٧) ، (في أحكام الاقطاع) ، صبح الاعشى (١٠٥/١٣) .
 - ٥ الاصابة (٢٩/١) ، (رقم ١٩) .

يصلح الزرع من قَدَسٍ ، ولم يقطعه حق مسلم ^١ . وذكر ان المراد من الجلوسي والغوري : أعلاها وأسفلها ، وذكر ان الجلوسي بلاد نجد والغوري بلاد تهامة ^٢ . وذكر ان (القبلية) ، ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة ايام ، وقيل : ناحية من نواحي الفرع بين نخلة والمدينة ، وهي التي أقطعها الرسول ، بلال بن الحارث . وورد أيضاً : (معادن القلبية) ^٣ . ولم يذكر العلماء أسماء المعادن التي كانت في هذه الأرض . وقد باع بنو (بلال) (عمر بن عبد العزيز) أرضاً منها ، فظهر فيها معدن أو معدنان ، فجاءوا اليه ، وقالوا : انما بعناك أرض حرت ولم نبعك المعادن . فقال (عمر) لقيمه : أنظر ما خرج منها وما أنفقت وقاصهم بالنفقة وردّ عليهم الفضل ^٤ .

وأقطع الرسول (وائل بن حجر) أرضاً بحضرموت ^٥ . وكان أبوه من أقبال اليمن ، وفد على النبي واستقطعه أرضاً فأقطعها إياها وكتب له عهداً ^٦ . وأقطع (زيد الخيل) الشاعر الفارس لما وفد عليه في سنة تسع من الهجرة أرضين . هي (فيد) وكتب له بذلك ^٧ ، فلما وصل موضع (قردة) ، توفي بها فدفن هناك ، وأقام عليه (قبيصة بن الأسود بن عامر) المناحة سنة ^٨ .

واقطع الرسول (حمزة بن النعمان بن هوزة) (جمرة) العذري ، أرضاً من وادي القرى ، وكان سيد (بني عذرة) ^٩ . وكان (جمرة) أول من قدم بصدقة (بني عذرة) الى النبي ، وقدم في وفد قومه . وقد نزل أرضه التي أقطعها الرسول له الى أن مات ^{١٠} . واقطع الرسول (ساعدة التميمي العنبري)

-
- ١ الاحكام السلطانية (١٩٨) ، (في أحكام الاقطاع) ، تاج العروس (٢٧٥/٩) ، (عدن) .
 - ٢ الاحكام السلطانية (١٩٨) .
 - ٣ تاج العروس (٧٣/٨) ، (قبل) .
 - ٤ البلاذري ، فتوح (٢٧) .
 - ٥ ارشاد الساري (٢١٠/٤) .
 - ٦ الاصابة (٥٩٢/٣) ، (رقم ٩١٠٢) .
 - ٧ تاج العروس (٣١٥/٧) ، (خيل) .
 - ٨ الاصابة (٥٥٥/١) ، (رقم ٢٩٤١) .
 - ٩ البلاذري ، فتوح (٤٨) ، (حمزة) . وضبطه الآخرون « جمرة » ، الاصابة (٢٤٤/١) ، (رقم ١١٨٤) ، (رقم ٣٩٦/١) ، (رقم ٢١١٠) .
 - ١٠ الاصابة (٢٤٤/١) ، (رقم ١١٨٤) .

بثراً في الملاة^١ . وأقطع (مجاعة بن مرارة) الحنفي السامي ، وكان من رؤساء (بني حنيفة) أرضاً باليامة يقال لها (العورة) ، وكتب له بذلك كتاباً^٢ . وكانت خصبة منتجة ذات ماء .

واقطع الخلفاء القطائع كذلك ، فأقطع (أبو بكر) (الزبير) ما بين (الجرف) الى (قناة) . واقطع (عمر) (الزبير) (العقيق) ، واقطع (خوات بن جبير) الأنصاري أرضاً تتصل بالعقيق ، فعرفت بقطيعة خوات ، فباعها ، واقطع (عليا) (ينيع)^٣ .

الحمى :

وتفرد العزيز من أهل الجاهلية بالحمى لنفسه ، كالذي كان يفعله (كليب بن وائل) ، فإنه كان يوافي بكلب على نشاز من الأرض ، ثم يستعديه ويحمي ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات ، وتشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله^٤ . والحمى ، موضع فيه كلاً يحمي من الناس ان يرعى . وذكر ان الشريف من العرب في الجاهلية اذا نزل بلدأ في عشيرته استعوى كلباً فحمى لخاصته مدى عواء الكلب ، لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله^٥ .

وقد نهى النبي ان يحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد ويحمل عليها في سبيل الله ، وابل الزكاة كما حمى عمر (النقيع) لنعم الصدقة والخيل المعدة في سبيل الله^٦ . وكان الرسول قد حماه ، وهو موضع على عشرين فرسخاً من المدينة ، وقدره

١ الاصابة (٤/٢) ، (رقم ٣٠٢٧) .

٢ الاصابة (٣/٣٤٢) ، (٧٧٢٤) .

٣ البلاذري ، فتوح (٢٦) .

٤ قال العباس بن مرداس :

كما كان يبغيتها كليب بظلمه من العز حتى طاح وهو قتيلاها
على وائل اذ يترك الكلب نابجا واذا يمنع الاقواء منها حلولها

الاحكام السلطانية (١٨٦) .

٥ تاج العروس (٩٩/١٠) ، (حمى) ، ارشاد الساري (٢٠٦/٤) .

٦ تاج العروس (٩٩/١٠) ، (حمى) .

ميل في ثمانية أميال^١ . وقد جعل بعض العلماء هذا النقيع : نقيع الخضعات ، وجعله بعضهم غرز النقيع . وذهب بعضهم مذهباً آخر في تعيين موضع المكان^٢ .

وقد حمى عمر (السرف) (الشرف) أيضاً^٣ . وفي الشرف حمى (ضرية) ، وضرية بئر وفي الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن . وفي الحديث ان عمر حمى الشرف والربذة^٤ . ويقال لحمى الربذة (حمى الحناكية) في الوقت الحاضر . وهناك حمى آخر ، يسمى (حمى النير)^٥ . وذكر ان بالنير قبر (كليب وائل) ، الذي تنسب اليه بدعة الاحماء ، وهو قريب من (ضرية)^٦ .

ومن أشهر الأحماء وأكبرها في جزيرة العرب ، حمى (ضرية) . يذكر أهل الأخبار أنه سمي بـ (ضرية بنت ربيعة بن نزار) . وقد حماه (عمر) لإبل الصدقة وظهر الغزاة ، وكان ستة أميال من كل ناحية من نواحي ضرية، وضرية في وسطها^٧ . وحمى (فيد) ، ذكر أنه فلاة في الأرض بين (أسد) ، و(طيء) ، في الجاهلية . فلما قدم (زيد الخيل) على رسول الله أقطعه (فيد)^٨ . وقد أشير الى هذا الحمى في الشعر^٩ . و (فيد) قلعة وبليدة بطريق مكة ، في نصفها من الكوفة في وسطها حصن عليه باب حديد وعليها سور دائر ، كان الناس يودعون فيها فواضل أزوادهم الى حين رجوعهم ، وما ثقل من أمتعتهم ، وهي قر أجأ وسلمى جبلي طيء . وقد ذكرت في شعر ازهر^{١٠} ، وفي شعر للبيد بن

-
- ١ ارشاد الساري (٢٠٦/٤) .
 - ٢ تاج العروس (٥٣٠/٥) ، (نقع) ، (٢٨٠/٨) ، (خضم) .
 - ٣ بين العلماء اختلاف في ضبط الاسم ، فمنهم من ضبطه «السرف» ، ومنهم من ضبطه بحرف الشين ، أي «الشرف» ، والصحيح أنه «الشرف» ارشاد الساري (٢٠٦/٤) .
 - ٤ تاج العروس (١٥٢/٦) ، ارشاد الساري (٢٠٦/٤) .
 - ٥ الصفة (٤٠٨) .
 - ٦ تاج العروس (٥٩٣/٣) ، (نير) .
 - ٧ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضري) .
 - ٨ تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) .
 - ٩ سقى الله حيا بين صارة والحمى حمى الفيد صوب المدجنات المواطر تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) .
 - ١٠ ثم استمروا وقالوا ان مشربكم ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) ، و «رك ماء شرقي سلمى ، أحد جبلي طيء» . له ذكر في سرية علي ، رضي الله عنه ، الى الفليس «تاج العروس (١٣٦/٧) ، (رك)» .

رببعة^١ ، وفي شعر لآخرين^٢ . وقد زعم بعض أهل الأخبار أنها سميت ب (فيد ابن حام) أول من نزلها^٣ . وقد يشير هذا الزعم الى وجود جالية من العبيد في هذا المكان ، عهد اليها زراعة الأرض . وذكر أنها عرفت بكعكها حتى ضرب به المثل :

وتلك فيد قرية والمثل في كعك فيد سائر لا يجهل^٤

وقد أعطى الرسول (بني قره بن عبدالله بن أبي نجيج) النبهانيين المظلة كلها أرضها وماءها وسهلها وجبلها حتى يرعون فيه مواشيهم^٥ .

ولا تزال عادة الاحماء متبعة حتى الآن . ف (سجا) مثلاً وهو ماء يعد في حمى الأمير (فيصل آل سعود) خص به إبله وخيله^٦ .

وقد عرف الاحماء عند العرب الجنوبيين ، وقد ذكر (الحمى) بلفظة (محمت) و (محميم) في نصوص المسند . أي (المحاة) و (المحمى) ، ومعناها الأرض المحاة ، أي (الحمى)^٧ .

وذكر علماء اللغة ان (الحمى) (المحجر) . والمحجر : (الحديقة) ، والمرعى المنخفض والموضع فيه رعي كثير وماء ، وما حول القرية ، ومنه محاجر أقبال اليمن ، أي ملوكها ، وهي الاحماء . كان لكل واحد منهم حمى لا يرعاه غيره . وذكر ان محجر القيل من أقبال اليمن حوزته وناحيته التي لا يدخل عليه فيها غيره^٨ . وورد ان (بني عمرو بن معاوية) لما امتنعوا عن دفع الصدقات خرجوا الى (المحاجر) ، وهي أحماء حموها ، فترلوا بها وتحصنوا ، وقاوموا منها

-
- | | | |
|---|---|----------------------------|
| ١ | مريّة حلت بفيّد وجاورت | أرض الحجاز فأين منك مرامها |
| | تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) . | |
| ٢ | لقد أشمّت بي أهل فيد وغادرت | بجسمي صبرا بنت مصان باديا |
| ٣ | تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) . | |
| ٤ | تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فاد) . | |
| ٥ | ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) . | |
| ٦ | محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار (١٨/١) . | |
| ٧ | Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 120, Mordtmann, Himj. Inschr., S. 42. | |
| ٨ | تاج العروس (١٢٦/٣) ، (حجر) . | |

جيش المسلمين^١ . ويظهر ان المحاجر ، هي أبنية حصينة من حجارة ، اتخذت في أملاك أهل المحاجر ، للدفاع عنها ايام الخطر . ولم يستعمل الحمى كما يظهر من كتب الحديث والفقه في غير الرعي ، رعي الكلا الذي ينبت فيه . ولم أعثر حتى الآن على نص يفيد انهم استعملوه لأغراض زراعية . ويظهر ان لفظة (الحمى) قد خصصت بهذا النوع من المراعي ، لتمييزها عن المراعي العامة التي يتساوى فيها الجميع في حقوق الرعي ، فهي مراعي مشاعة لا يجوز منع إبل أحد من الرعي فيها ، وتساهم في الرعي فيها إبل السادة أصحاب الاحياء .

الموات :

والأرض الموات التي لا مالك لها ولا ينتفع بها ولا ماء بها ، والموتان من الأرض ما لم يستخرج ولا اعتمر ، وأرض ميتة وموات من ذلك^٢ . وقد يستصلح الموات ويعمر ، ويكون من خيرة الأرضين المثمرة ، فتكون رقبته بيد مصلحه ، لأنه أحياء بعد أن كان مواتاً ، وصرف عليه مالاً وجهداً ، فيكون له . ويكون إحياء الموات ، بجمع التراب المحيط به حتى يصير حاجزاً بينه وبين غيره ، أو سوق الماء اليه إن كان يبساً وحبسه عنه إن كان بطائح أو مغموراً بماء ، أو بحرته لزعره أو لتعديله وتسويته لاعداده للزراعة أو للسكن أو لأي انتفاع آخر ، أو بحفر آبار فيه لاسقائه أو لزعره، أو للاستفادة من البئر ، ببيع مائها ، فتكون البئر ملكاً لصاحبها ، ليس لأحد محتاجته فيها ، ففقد صرف عليها وانفق جهداً في استنباط الماء منها . وفي التأريخ الجاهلي أمثلة عديدة لآبار حفرها أصحابها في أرض موات ، فصارت ملكاً لهم ، وصارت الأرض المحيطة بها ملكاً له قدر وصول الماء اليها .

احياء الموات :

وقد أثبت اقدم سادات القبائل وأعزة أهل القرى على إحياء الموات، باستنباط

١ الطبري (٣/٣٣٤) ، « ذكر خير حضرموت في ردتهم » .
٢ تاج العروس (١/٥٨٧) ، (موت) ، اللسان (٢/٩٣) .

الماء من جوف التربة وبلاستفادة من ماء السماء المنهمر قِرباً ، على ان من السهل تحويل الغامر من الأرض الى أرض عامرة حية منتجة، والى تكوين قرى ومستوطنات في المفاوز والبوادي ، كما وقع ذلك في اليمامة وفي الحجاز وفي مواضع أخرى ، حيث حفر رجال آباراً واستنبطوا عيوناً ، أحييت الأرض بعد موت ، وأولدت قرى عليها . غير ان عقلية البداوة ، وأعني بها الروح الفردية ونزعة الغزو بسبب الجهل والفقر ، وعدم وجود حكومة تحمي الأمن وتدافع عن هذه المستوطنات وعن مشاريع الأفراد ، تشعر ان من واجبها البحث عن الماء في كل مكان ، قد كانت من أهم العوائق في عدم إحياء الأرض وإنباتها ، وفي تأخر سكان جزيرة العرب وفي تفكيرهم . فكان على من يحيا أرضاً حماية ما أحياه بنفسه والدفاع عنه بأهله وبماله وبنفوذه وقوته ، وإلا عرض نفسه وما أحياه للخطر ، وهذا عمل مجهد شاق ، جعل أكثر المتمكنين يحجمون عنه ، ولا يقبلون عليه ، ولم يقبل عليه إلا المجازف القوي المتمكن من القيام به بما له من جاه ونفوذ .

وأهم ما تعرض له إحياء الموات من خطر، هو خطر الغزو ومحاولات الاستيلاء عليه . وحماقة البحث عن العامر لأخذه أو لأخذ ما يوجد فيه بدلاً من إحياء موات وتعميره . وذلك لما قلته من وجود الفقر وفقدان الأمن والحماية ، فتحويل قسم كبير من العامر بسبب هذا المرض الى غامر ، إذ خربت مصادر الحياة فيه وهو المياه وطمرت ، فماتت ، وماتت المستوطنات التي كانت عليها بسبب ذلك .

الماء والكأ والنار :

الماء إذا كان عاماً ، فإنه لا يمتلك . والماء العام مثل عيون الماء التي لا تكون في حيازة مالك ، بل تكون مشاعة بين الجميع ، لا يملكها أحد من أهل الحي ، وليس لرقبتها مالك ، فهاؤها للجميع . مثل أن تكون العين في قرية أو في مدينة أو في أرض قبيلة ، فلكل إنسان حق الانتفاع منها ، لا يمنعه أحد منها ، ولا يستوفى بدل عن ذلك الماء . وقد ورد أن الناس شركاء في الماء ، ماء الأرض وماء السماء ، إذا كانا في أرض عامة ، أي مشاعة، ينتفع منها كل إنسان^١ .

١ تاج العروس (٩٩/١٠) ، (حمى) .

واذا كان الكلأ في أرض عامة ، فإنه يكون أيضاً ملكاً للجميع ، أي مشاعاً بينهم . فلا يجوز لأي أحد منع آخر من الاستفادة منه ، لأنه مشترك بين الجميع ، فلا يكون أحد أخص به من أحد ، ولو أقام عليه وبنى عليه . وباستثناء الأحماء فإن الكلأ النابت في موطن قبيلة هو لكل أبناء القبيلة ، ليس لأحد صد أحد عنه إلا اذا كان غريباً عن القبيلة دخل أرضها بغير إذن من أبنائها وهو ليس في حماية أحد منها . فالكلأ في البادية لا يعود للملك فرد ، وإنما هو ملك القبيلة ، أبناء القبيلة فيه شركاء ، يراعون فيه سواء^١ .

وقد ورد في الحديث ، انه قال : الناس شركاء في ثلاث : الكلأ والماء والنار . ومعنى النار الحطب الذي يستوقد به ، فيقلع من عفو البلاد . وكذلك الماء الذي ينبع ، والكلأ الذي منبته غير مملوك والناس فيه مستوون . وذهب بعضهم الى ان الماء ماء السماء والعيون والأنهار التي لا مالك لها . وأراد بالكلأ المباح الذي لا يخص به أحد ، وأراد بالنار الشجر الذي يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه^٢ . فكل هذه الموارد الثلاثة ، موارد مشاعة للجميع ، يشترك في الانتفاع بها كل الناس . وهو مذهب أهل الجاهلية أيضاً ، ما لم ييسط أحد من الملوك أو سادة القبائل سلطانه عليها ، ويعلن انها في حمايته ، إذ تكون حينئذ ملكاً له .

الأرض ملك الآلهة :

الأرض كما سبق ان بينت ملك للآلهة . وكل شيء على هذه الأرض هو ملك لها كذلك . والناس أنفسهم عبيد لها (ادم)^٣ . ورأيهم هذا يطابق رأي الإسلام بالنسبة الى الملك . فالله في الإسلام مالك الملك ، وهو مالك كل شيء . والمال مال الله والناس عبيد له . وعندهم أن ممثلي السلطة الإلهية على هذه الأرض هم الذين ينظمون الملك ويقيمون العدل بين الناس ويحققون الحق كما تأمرهم الآلهة به . وكما شرعته لهم وأوصت به . فهم في ذلك مثل الإسلام أيضاً في أن أولي الأمر

١ تاج العروس (٩٩/١٠) ، (حمى) .

٢ اللسان (٤٤٩/١٠) ، (شرك) .

٣ (ادم) ، (ادوم) (ادومت) ، (آوادم) ، (عبيد) ، (عبدات) ،

Grohmann, S. 126.

أي (السلطان) يحكمون بين الناس بالقسط والعدل وبما أنزله الله على رسوله من أحكام وأوامر ونواهٍ . فهم ظل الله وخلفاء رسول الله على العباد .

هذا هو المبدأ العام بالنسبة الى الملكية والتملك عند العرب الجنوبيين . ويتمثل هذا الرأي في عقود التملك (شامت) (شمت) بالشراء المدونة باللهجات العربية الجنوبية ، حيث يذكر المتعاقدون أنهم باعوا أو تملكوا ملكاً مثل أرض أو دار أو بستان أو غير ذلك ، بموافقة (الإله الفلاني) ، وبرضاه . وانهم أجروا ذلك وفقاً لأوامره ونواهيهم يكتبون ذلك على حجر يضعونه على حدة الملك أو باب الدار ، ليكون بمثابة شهادة تملك . أو صلح بيع أو شراء وسند (طابو) ، أي سند تملك كما يعبر عن ذلك في لغة أهل العراق في الوقت الحاضر .

وحكم ان الملك ملك الآلهة ، لا يعني ان الملكية هي مجرد انتفاع الى أجل يحدد أو لا يحدد . أو ان من حق السلطان انتزاع الملك من صاحبه والاستيلاء عليه أو اعطائه لآخر باعتباره ممثل سلطة الآلهة على الأرض . بل الملكية تملك دائم ، لا يجوز لأحد منازعة صاحب الملك على ملكه ، لأن انتزاع الملك من صاحبه ومن دون رضاه تعسف وظلم . ولا ترضى الآلهة بظلم أحد ، حتى وإن صدر ذلك الظلم من (السلطان) أي الملك أو من خوله الملك الحكم نيابة عنه . وقد حولت القوانين المالك الذي يغتصب ملكه حق مقاضاة المغتصب عند ذوي الرأي و (أولي الأمر) وعند المعابد وإن كان ذلك المغتصب ملكاً . صحيح ان بعض الملوك ظلموا الناس ، بمصادرة أملاكهم وأموالهم ، وبالاستيلاء على كل ما مَلَكَه أفراد رعيتهم من دون دفع تعويض عنه . غير ان هذا عمل شاذ ، وقد وقع لظروف شاذة . كأن يكون الشخص الذي صودر ملكه من أعداء الملك أو قد قام بعمل معاد للحكومة ، أو قاوم (أولي الأمر) بطريقة من الطرق ، أو خالف أوامر المعبد وأحكام دينه إلى غير ذلك من أمور . فهذه أمور شاذة لا تكون قاعدة حكمية عامة ، لأن الأصل القانوني هو : ان الملكية حق مقدس لا يجوز مسه ولا الاعتداء عليه ، لأن الآلهة لا ترضى بذلك ، وهي تنتقم من المعتدين مهما كانوا .

والملك هو كل ما تملكه يمينك ويكون في حوزتك احتواءً قادراً على الاستبداد به . وكل ما صار في ملكك إما شراءً وإما إراثاً أو لقطه لم يظهر مالكها ولم ينازعه عليها منازع ولم يعارض في تملكه لها قانون ، وإما هبة أو ما شاكل ذلك.

وذلك بالنسبة الى الملك الدائم الذي لا يمكن انتزاعه من صاحبه ، لأن الآلهة أمرت به وأقرته . خلاف الملكية المؤقتة ، التي تمنح الإنسان حق التصرف بالملك ولكن لأجل وبشروط تعين وتثبت لا يجوز تخطيها والعمل بخلافها . مثل التملك بعقد ، أي بشروط ويعبر عن ذلك بـ (شامت) (شمت) . ويكون ذلك شراء^١ ، أو بعقد خاص أو بإيجار^٢ .

ولا نجد في الحجاز أو نجد أو العربية الشرقية ملاكاً مزارعين كباراً على نحو ما نجده في اليمن أو في بقية العربية الجنوبية ، وذلك لصغر مساحة الأرضين المسقاة بالمطر أو بالمياه الأرضية في هذه البلاد . نتيجة شح الأرض وبخلها على الناس بالماء . ولهذا لم يظهر في الحجاز أو في نجد أو أرض العروض مزارعون كبار ، لهم عدد كبير من الفلاحين والرقيق يستغلونهم في استغلال الأرض . ومع ذلك فاننا لا نجد حتى في اليمن أو في العربية الجنوبية أناساً أصحاب أرضين واسعة أي من نسميهم اليوم بـ (اقطاعيين) على نحو ما نجده في أرض السواد ، أي العراق ، حيث كان الإقطاعيون يملكون مساحات واسعة من الأرض ، تسقيها الأنهار دون كبير عناء ، ويعمل فيها الفلاحون بأجور بخسة ورقيق الأرض والحول فتأتي لأصحابها بالمال والثراء .

الخليط :

ويعرف المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك بـ (الخليط) . والخليط الشريك المشارك في الشيوع . وقد حدثت خصومات في موضوع هذه الشركة . وقد بحث فيها الاسلام . جاء في الحديث : « ما كان من خليطين فإنهما يتراجعا بينهما بالسوية » . وورد أيضاً : « الشريك أولى من الخليط . والخليط أولى من الجار » . وأراد بالشريك المشارك في الشيوع^٢ .

١ Grohmann, Arabien, S. 126.

٢ تاج العروس (٥/١٣٢) ، (خلط) .

الفصل السادس والتسعون

الارواء

تعطي الديانات السامية الماء أهمية كبيرة . وقد أثابت الأشخاص الذين يتقربون الى آلهتهم بتقديم الماء الى العطاشى ، وفرضت عليهم تقديم الماء الى العطشان لاغائته وانقاذه من الهلاك . وفي الأسفار القديمة أمثلة عديدة على ذلك ، كما أشادت تلك الأديان بقيمة الماء في الحياة .

ولا بد ان تكون للوثنية العربية النظرة ذاتها التي نراها في الأديان الأخرى بالنسبة الى الماء ، بأن أعطته شيئاً من التقديس والأهمية ، وجعلت له مكانة في عقائدها ، وذلك قياساً على ما قلته من تقديس الأديان الأخرى له . وإن كنا نجهل ذلك لعدم ورود شيء عن ذلك في المسند . ولكن عدم ورود شيء من ذلك في المسند لا يكون دليلاً على عدم تقديس العرب الجاهليين له، لأن نصوص المسند لم تختتم بعد ، وما وصل الينا ليس إلا شيئاً قليلاً بالنسبة الى ما قد يعثر عليه في المستقبل ولا شك .

وفي الأخبار المروية عن الجاهليين وغيرهم من تقديس بعض الآبار والعيون، والتبرك بشرب الماء منها ، دليل على نظرة التقديس التي نظرتها الشعوب السامية وغيرها الى الماء . فالماء هو الحياة . وفي القرآن الكريم : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »^١ . ولا بد أن تكون هذه النظرة التقديسية هي التي حملت الجاهليين

١ الانبياء ، الرقم ٢١ ، الآية ٣٠ .

على تقديس بئر زمزم . ولا يقدر أهمية البئر حق قدرها إلا قطّان هذا البلد الكائن في وادٍ غير ذي زرع وماء ، ولولا زمزم والآبار الأخرى التي احتفرتها أهله ، والآبار والعيون الواقعة في أطرافه ، يحملون منها الماء الى بلدهم حملاً ، لهلك أهله ، أو هجروه . ولا يسدرك المرء قيمة الماء إلا اذا كان في صحراء قفرة لا ماء فيها ثم نفد ماؤه . ولهذا كان الغيث رحمة عظيمة للأعراب ، يغيثهم بعد أن يتعرضوا للجذب والهلاك .

ولا غرابة بعد ذلك ، اذا رأينا العرب تقول في دعائها على الإنسان : ماله أحرّ الله صدره ، أي أعطشه . وفي الدعاء : سلط الله عليه الحيرة تحت القيرّة ! يريد العطش مع البرد ؛ ورماء الله بالحرّة والقرّة ، أي بالعطش والبرد . وقالوا : أحرّ الرجل ، فهو محرّ : عطشت ابله^١ . وأي شيء أعظم مصيبة وخطراً على الانسان من العطش في أرض حارة !

وتعدّ بقاع جزيرة العرب من الأرضين الجافة ، فالأمطار فيها ، ولا سيما أقسامها البعيدة عن البحر شحيحة ، والأنهار الكبيرة معدومة فيها ، والعيون قليلة أيضاً ، وجوّها جاف لا نكاد نستثني منها إلا سواحلها ، وهذا الجفاف صير القسم الأكبر من أرضها صحاري قاحلة تكسوها طبقة غليظة من الرمال في بعض الأماكن مثل الربع الخالي ، كما جعلها غير قابلة للزرع . على ان من الممكن ان تبعث الحياة في مناطق واسعة شاسعة من هذه الأرضين ، فتجعل أرضين منتجة مخصصة نافعة ، اذا اتبعت الأساليب العلمية في معالجة الأرض ، وفي استنباط الماء ، وفي السيطرة على الأمطار والسيول التي تنشأ منها في بعض الاحيان وتغور في الرمال دون ان يستفاد منها ، بإقامة السدود والخياض الصناعية التي تخزن فيها الى وقت الحاجة ، وذلك كما فعل الجاهليون في بعض الاماكن، وخاصة في العربية الجنوبية ، من اقامة سدود تحجز السيول وتحبسها ، فإذا انقطعت الامطار وحل الجفاف استفيد منها في الإرواء .

ونجد في بطون الكتب أسماء مواضع عديدة كبيرة كانت ذات عيون ومياه وآبار ونخيل وأناس عند ظهور الاسلام^٢ ، وهي اليوم صحاري خالية أو مواضع صغيرة لا أهمية لها ، وذلك بسبب اهمال الانسان لها واعتدائه عليها ، وتحول

١ اللسان (١٧٨/٤ وما بعدها) ، (حرر) .
٢ ابن الجاور (٩/١ ، ١٦ وما بعدها ، ١٣٢) .

الطرق التجارية عنها . ويظهر أن لاشتراك القبائل في الفتوح ، ونزولها في العراق وفي بلاد الشام والأماكن الغنية الأخرى بعد دخول هذه الأماكن في الإسلام أثراً في هجرة الناس عن مواضع العيون والآبار في الحجاز وفي بقية جزيرة العرب ، لقلة خيراتها وحاصلاتها وعدم تعلق الفلاح بالأرض في تلك الأماكن . أما في الوطن الجديد الذي حمله الفتح إليه ، فقد وجد فيه خيراً كثيراً وأرضاً وماءً وجواً لطيفاً وأرق من الجو الذي كان يعيش فيه ، وبذلك خسرت جزيرة العرب عدداً كبيراً من سكانها ، ممن فضل الهجرة على القعود .

ومن يقرأ كتاب (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) وكتباً أخرى من هذا القبيل ، يعجب من التدهور الذي أصاب الزراعة في جزيرة العرب بعد الإسلام ، إذ يجد أسماء مواضع عديدة كانت تكفي نفسها ، أو تصدر الحاصل الزراعي إلى الأسواق المجاورة ، ثم قلّ حاصلها كثيراً بإهمال الزراعة . وإعراض الناس عنها ، حتى بعض النواحي القريبة من مكة والمجاورة لها ، كانت مشهورة بالخضر والفواكه والأزهار والرياحين ، ثم فقدت شهرتها من بعد . وذكر (ابن المجاور) أن موضع (الزهرة) كان معروفاً بزراعة (الرعران) ، وكان الموظفون يحبون جباية لا بأس بها منه ومن الزرع والضرع وسقي الأنهار . «فلما دار الدهر ، نقص جميع ما ذكرناه ، لاختلاف النبات مع قلة الأمانات»^١ . وفي هذا الكتاب أمثلة عديدة على هذا التدهور المؤسف الذي حل بالزراعة وبالماء وبالأيدي العاملة المشتغلة باصلاح الأرض ، والذي كان من جملة أسبابه ما قلته من هجرة المتمولين والمثريين والسادة الكبار من الحجاز وبقية جزيرة العرب إلى العراق وبلاد الشام ، لوجود مجال واسع للإثراء ، لا مثيل له في جزيرة العرب . وللعرب مصطلحات كثيرة في الإرواء وفي سقيهم وسقي إبلهم ، لارتباط حياتهم بالماء ، ولأثر الحر والعطش والجفاف فيهم وفي أموالهم . وفي جملة هذه المصطلحات (الشريعة) ، «مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . وربما شرعوها دوابهم ، فشرعت تشرب منها . والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدلاً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً لا يستقى بالرشاء . وإذا كان من السماء والأمطار ، فهو الكرع . وقد أكرعوه إبلهم فكرعت فيه وسقوها بالكرع . وهو مذكور في موضعه كالمشرعة»^٢ . وتقابل هذه اللفظة لفظة (مشرعن) في

١ ابن المجاور (٩/١) .

٢ تاج العروس (٣٩٥/٥) ، (شرع) .

لغة المسند ، أي (المشرع) ، والمشرعة ^١ .

وقد تخصص أناس باستنباط المياه وتقدير حفر الآبار ، كما تخصص آخرون بالسيطرة عليها وحصرها بالسدود . وسمى علماء اللغة المقدر لمجري المياه (القنّاقين) وهو مثل المهندس في هذا الفن ^٢ . وذكر بعضهم أن (القنّاقن) البصير بحفر المياه واستخراجها ، والمهندس الذي يعرف موضع الماء تحت الأرض ، أو هو الذي يسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً ^٣ .

وقد قسم بعض العلماء المياه المستخرجة الى ثلاثة أقسام : مياه أنهار ، ومياه آبار ، ومياه عيون .

وقسموا مياه الأنهار الى ثلاثة أقسام : أنهار كبار لم يحفرها الآدميون ، وأنهار صغار ، لم يحتقرها إنسان ، وأنهار احتقرها الناس . فتكون ملكاً لمن احتقرها ، لا حق لغيرهم في الانتفاع منها .

وأما الآبار ، فأبار تحفر للسابلة ، فيكون ماؤها مشتركاً ، وآبار تحفر للإرتفاق بمائها . كالبادية إذا انتجعوا أرضاً وحفروا فيها بئراً لشربهم وشرب مواشيهم . كانوا أحق بمائها ما أقاموا عليها في نجعهم ، فإذا ارتحلوا عنها صارت البئر سابلة . وآبار مملوكة . وتكون ملكاً لمالكها لا ينازعه عليها منازع .

وقسموا العيون الى ثلاثة أقسام : عيون لم يستنبطها الآدميون . وعيون استنبطها إنسان ، فتكون ملكاً لمن استنبطها ، ويملك معها حريمها . وعيون استنبطها الرجل في ملكه ، فتكون ملكاً له ^٤ .

واليمن مثل سائر أقسام جزيرة العرب ، خالية من الأنهار الكبيرة كدجلة والفرات والنيل ، وخلوها من أمثال هذه الأنهار أثرت كثيراً - ولا شك - في وضع الزراعة فيها . ولكن الطبيعة عوّضتها بعض التعويض عن هذه الخسارة ، فصار حالها أحسن كثيراً من حال الأقسام الشرقية أو الوسطى من جزيرة العرب . فجعلت لها رياحاً تحمل اليها الأمطار في مواسم معروفة ، وجعلت لها أمكنة ملائمة لتخزين هذه الأمطار الهائلة ، استبدت بها أيدي الإنسان ، وتحكمت فيها بأن جعلت

Rhodokanakis, Stud., Lexi., I, S. 113.

١ المعاني الكبير (المجلد الثاني) ، (ص ٦٤٠) .

٢ تاج العروس (٣١٥/٩) ، (قنن) ، المخصص (٣٣/١٠) .

٣ الاحكام السلطانية (١٩٧ وما بعدها) .

لها أبواباً ومنافذ ، وسدوداً في بعض المواضع ، وتمكنت بذلك من خزن هذه الأمطار للاستفادة منها في أيام الحاجة . ثم جعلت لها تربة حسنة طيبة أريضة تنبت كل ما يبذر فيها ، وتنبت ما يتساقط عليها من بذور متطايرة مع الهواء ، حتى شاع صيتها وانتشر خبرها بين الناس ، فعرفت باليمن الخضراء .

وقد ساعدت هذه الأمطار أهل اليمن كثيراً في تطوير أحوالهم من النواحي الاجتماعية ، فبالكثير منهم إلى الاستقرار وإلى الاشتغال بالزراعة والتعيش منها . وساعد ذلك على سكناهم في المدر وفي القرى والمدن ، على عكس ما يحدث في الأرضين التي غلبت عليها الطبيعة الصحراوية لانحباس المطر عنها ، وهي حالة اضطرت أصحابها إلى التنقل فيها من مكان إلى مكان طلباً للكأ والماء ، وجعلت من أصحابها أناساً فقراء ، يعيشون عيشة شظف وضنك وفقر ، مع ما وهبتهم الطبيعة من ذكاء مفرط واستعداد للتطور إن تهيأت لهم الظروف الملائمة وساعدتهم الأحوال .

والأمطار قليلة بصورة عامة في جزيرة العرب ، فلم تعتمد الزراعة فيها على الأمطار كما تعتمد في البلاد الأوروبية ، وإنما تعتمد على الجعافر والحسي والعيون والآبار . ولهذا السبب انحصرت الزراعة في الأماكن التي توجد فيها هذه الموارد المائية . ويختلف عمق الآبار باختلاف المواقع ، وباختلاف سطوح المياه الجوفية عن سطح الأرض . ولما كانت بعض الآبار عميقة جداً بسبب بعد سطح مائها عن سطح الأرض ، لم يستفد منها في الزراعة كثيراً ، وإنما استفيد منها في شرب الإنسان والحيوان فقط .

وفي العربية الغربية مواضع عديدة كانت ذات ماء ، ورد اسمها في كتب اللغة وفي كتب (الجغرافيا) والبلدان والرحلات . تكونت من سقوط الأمطار على الجبال والمرتفعات . وبعضها ماء عذب ، وبعض منها ماء مج أو مالح ، وقد استفيد منها في السقي وفي الزرع . ويظهر من دراسة ما ذكره العلماء عنها ، أنه قد كان في الامكان الاستفادة منها واستغلالها لأغراض زراعية ، لو كان لأهل هذه الأرضين علم بكيفية السيطرة على الماء ، وكيفية استنباطه من باطن الأرض ، وكيفية الهيمنة عليه بحفر مجار له . فقد كانت لبني الحارث بن بُهثة بن سليم : عيون ماء في صحور ، لم يتمكنوا من الانتفاع بها ، لأنهم لم يتمكنوا أن يجروها

الى حيث ينتفعون بها^١. وكان في (يَلْبِيل) عين كبيرة تخرج من جوف من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، لم يزرعوا عليها إلا في . سيرة ، لأنها تجري في رمل^٢ ، ولم يكن علم على ما يظهر في كيفية اسـ هذا الماء من ذلك الرمل . وكان في امكانهم مسك مسایل الماء من الجـ البحر ، وحبسها في أحباس ، بصنع سدود لها ، لو كان لهم علم ومال وـ كبيرة تكون عندها المؤهلات والامكانيات لعمل السدود ، للاستفادة من مياه المنابع التي كانت تجري طيلة ايام السنة ، فتحول بينها وبين الذهاب عـ البحر . فتحي بذلك أرضين مواتاً وعدم وجود حكومات كبيرة تقوم بمثل الأعمال وبضبط الأمن . واشاعة الاستقرار ، هو من أهم العوامل التي سبباً في عدم الاستفادة من المياه وفي تأخر الزراعة في جزيرة العرب ، فلو هنالك حكومات كبيرة ، لكان في وسعها الاستفادة من المياه الظاهرة والباطنة مياه السماء ، فتحي بذلك أرضين كثيرة خصبة ، وتحمي الزرع من عبث الـ وتشيع الأمن والطمأنينة في النفوس فيقبل الناس على الزرع والعناية بالضرع .

وقد ذكر (عرام) اسم موضع دعاه (ذا حجر) ، ذكر أنه غدير كبير بطن وادي قوران ، وبأعلاه ماء يقال له (لقف) ، وهو آبار كثيرة ، عذبة ١ ليس عليها مزارع ولا نخل ، لغلظ موضعها وخشونته ، وفوق ذلك ماء يـ (نسي) ماء آبار عذاب^٣ . وذكر اسم جبل يقال له (مغار) في جوفه أـ منها حسي يقال له (الهدار) يفور بماء كثير ، لم يستفد منها فائدة تذكر فكانت المياه تذهب عبثاً إلى سباخ لعدم وجود من يتغلب عليها بعقله وبعلمه ويستروضها لتخدمه في إحياء الأرض وفي اعاشته وإعاشة ماشيته .

أما العربية الشرقية والعربية الوسطى ، فانهما أقل مياهاً من العربية الغربية لقلة ما يسقط عليهما من الأمطار . ولذلك صارت مواضع الماء فيها متباعدة والمسافات التي يجب أن يقطعها المسافرون من موضع الى موضع أطول من المسـ التي تقطع بين منازل العربية الغربية ، لتباعد مواضع المياه . ومن أهم موارد

-
- ١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٧) .
 - ٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٨) .
 - ٣ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٣) .
 - ٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٣ وما بعدها) .

في العربية الشرقية نهر (مُحلم) بهجر البحرين . ذكر بعض أهل الأخبار أنه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم ، وأن (تبعاً) نزل عليه فهاله . وإن مياهه الجوفية متصلة بسيح الأطلس الذي يكون مخرج مائه من عين الناقة^١ .

إن قلة الأمطار أو شحها وانحباسها في بعض السنين وعدم وجود الماء في أكثر أنحاء جزيرة العرب ، أثر أثراً كبيراً في حياة أهلها الاجتماعية ، فحوّل قسماً كبيراً منهم الى بسو رحل ، يتنقلون من مكان الى مكان طلباً للكأ والماء ، هدفهم في هذه الحياة الحصول على الكأ والماء . والكأ والماء هما العز والجاه والثراء وأعلى شيء في هذه الدنيا ، فقاتل بعضهم بعضاً من أجل الحصول عليهما ، وقطعوا مسافات شاسعة بحثاً عنها . ولم يتمكن الروم والرومان من منعها من دخول بلاد الشام بحثاً عن الكأ والماء ، ولم يتمكن الساسانيون من منعهم من الوصول الى هذه الثروة العظيمة كذلك . هذه الثروة التي سببت اقتتال القبائل فيما بينها من أجل الحصول عليها .

ولحماية الماء ولا سيما مياه الآبار من اعتداء الطبيعة أو الإنسان عليه أقاموا أبنية فوقه ، في أيام الجاهلية وفي الاسلام . وقد أشار العلماء الى قباب بنيت فوق المياه ، فقد اتخذ أهل بطن (السيدان) قباباً على كل ماء به ، ومياهه تسمى الجرور والجرابر ، ليعد قعرها ، ولأنها لا تخرج إلا بالغروب والسواني ليعد الماء فيها عن سطح الأرض^٢ .

انحباس المطر :

يؤدي انحباس المطر الى كوارث ومصائب تترك أثراً كبيراً في أحوال السكان . تهلك أموالهم وهي كل ما عندهم في هذه الحياة ، وقد يموت الكثير منهم من العطش والجوع . ولهذا عمد الناس في جزيرة العرب ، كما عمد غيرهم الى استرضاء آلهتهم بالتقرب اليها بتقديم الهدايا والقرابين ، وبالتوسل اليها لانزال المطر ، وبالصلاة لها صلاة خاصة يقال لها صلاة الاستسقاء ، هي صلاة أقرتها الأديان السماوية أيضاً ،

١ الصفة (١٦٠) .

٢ بلاد العرب (٣١٨) .

لم يرد في نصوص المسند ويا للأسف شيئاً عنها ، غير اننا نملك نصاً جاء فيه ان شخصاً قدّم قرابين الى الإله (عثر) والى معابده كلها ، لأنه من على سبأ وأتباعهم ، فأرسل عليهم (سقي خرف ودثا)^١ ، أي (مطر الخريف ومطر الربيع) . ومعنى ذلك ان القوم كانوا قد توسلوا الى هذا الإله ليرسل عليهم الغيث الذي انحبس عنهم في موسمه المعروفين في اليمن ، ونذروا له نذراً إن استجاب لهم ، وقد استجاب لدعوتهم فأرسله عليهم ، فقدمت اليه تلك الذبائح والقرابين .

وقد تحدثت في أثناء كلامي على الحياة الدينية عن عادة أهل الجاهلية في الاستمطار ، وعن هذه النار التي كانوا يولعونها والتي يسمونها (نار الاستمطار) . وهي عادة قد تكون مألوقة بين أهل مكة وأهل الحجاز . وهي من العادات التي أبطلها الاسلام ، إذ أحل محلها صلاة الاستسقاء^٢ .

وقد تهطل الأمطار أحياناً هطولاً شديداً مؤذياً ، فتكون سيولاً عارمة تجرف الزروع والبيوت والمواشي وتنكب الناس بعيشهم الضيق الذي هم فيه . ونجد في كتب أهل الأخبار إشارات الى سيول عديدة حدثت في الجاهلية والاسلام ، في الحجاز واليمن وفي أمكنة أخرى ، فأصابت الناس بأضرار كبيرة ، حيث تنحدر بشكل سريع وشديد وبقوة كبيرة من الجبال والهضاب والمرتفعات الى الأودية والسهول فتغمرها بالمياه ، وفي كتب الأخبار أن السيول قد أصابت مكة مراراً في الجاهلية وفي الاسلام . وهي في جملة المصائب والكوارث التي تنزل بالناس ، فلا عجب إذا ما رأينا المثل العربي يقول : « سال بهم السيل ، وجاش بنا البحر . أي وقعوا في أمر شديد ، ووقعنا نحن في أشد منه ، لأن الذي يجيش به البحر أسوأ حالاً ممن يسيل به السيل »^٣ .

ولفظه (سقى) من الألفاظ الواردة في المسند ، بمعنى (مطر) و (ارواء)

Rhodokanakis, Katab. Texte, II, S. 53, Glaser 1752. ١

٢ الأدر رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر
تاج العروس (٣/٥٤) ، (٥/٣٨٥) ، بلوغ الارب (٢/١٦٤ ، ٣٠٢) .
٣ تاج العروس (٧/٣٨٦) ، (سال) .

و (سقي) ^١ . ولفظة (مسقت) و (مسقيت) بمعنى (مسقى) و (مسقية) .
ووردت لفظة الإرواء في النصوص العربية الجنوبية كذلك : وردت في نص معني
على هذه الصورة (رويم) (روي) بمعنى (ارواء) ^٢ ، وذلك كما في هذه
الجملة : « رويم لا نخلهمى » ، أي « لارواء نخلهم » ^٣ ، وفي هذا المعنى
جملة : (رويم وسقيتم لنخلهمو) ^٤ ، أي « ارواء وإسقاء نخلهم » .
و (المكر) سقي الأرض ، وأرض ممكورة ، مسقاة ، ومكر أرضه ، سقاها .

أنواع السقي :

ويسقى الزرع في جزيرة العرب ، إما بالسيح ، والسيح الماء الجاري الظاهر
على وجه الأرض ^٥ ، ويقال له : (المسقوي) ^٦ ، وإما بماء المطر ، أي بما تسقيه
السماء ، ويقال له : (المظمى) ^٧ ، وإما من الآبار ، أي بالدلاء . وقد تستخدم
النواعير في رفع الماء من الأنهار إلى السواقي لتجري إلى المزارع ، أي بالطرق
الفنية التي يستخدمها الإنسان في تسخير الماء في خدمته .

ويقال لما سقته السماء من النخل (العثري) . وقيل (العثري) هو من الزرع
ما سقي بماء السماء والمطر وأجري إليه الماء من المسابيل ، وقيل النخل التي تشرب
بعروقها من ماء المطر ^٨ . وفي هذا المعنى (العذي) ، والعذي أيضاً الموضع الذي
ينبت في الشتاء والصيف من غير نبع ماء ، وقيل العذي : الزرع الذي لا يسقيه
إلا المطر ^٩ . وقد اتخذت المرتفعات وذرى الجبال قرى ومزارع ، صارت زراعتها

١ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 115, 119.

٢ Halevy 174.

٣ Rhodokanakis, II, S. 129.

٤ Glaser 423, Rep. Epigr. 852.

٥ تاج العروس (٥٤٨/٣) ، (مكر) .

٦ تاج العروس (١٦٨/٢) ، (السيح) .

٧ تاج العروس (١٧٩/١٠) ، (سقى) .

٨ تاج العروس (١٧٩/١٠ ، ٢٣٢) ، (سقى) ، (الظمياء) .

٩ تاج العروس (٣٨٢/٣) ، (عثر) ، (عثر) ، (عثر) .

١٠ تاج العروس (٢٣٩/١٠) ، (عذى) .

أعداء ، لا تسقى^١ . و (عمد) الأرض التي تسقى بماء السماء في لغة المسند^٢ .
ونقرأ لفظة (أعداء) في كتب من وصف جزيرة العرب ومواقعها وزروعها^٣ ،
وقد قصدوا بها زروع نبتت على ماء السماء .

المطر :

ويقال للمطر في المسند (ذ ن م م) (ذنم) . وقد وردت هذه اللفظة في
عدد من النصوص^٤ . ويقال له (دثن) أيضاً^٥ . وهي (الدث) في عربية
القرآن الكريم، يقال دثت السماء اذا نزل منها الدث ، والدث هو المطر الضعيف^٦ .
ويراد بـ (دثن) (الدث) في المسند ، المطر الذي يتساقط بعد الحر الشديد
وفي نهاية القیظ .

ويقال للمطر الغيث كذلك . وذكر بعض علماء اللغة أن الغيث هو المطر الخاص
بالخير الكثير النافع ، ومن المجاز : الغيث بمعنى الكلاء ينبت بماء السماء ، وكذا
السحاب . ورأى بعض العلماء أن الغيث اسم المطر كله . وأما السبل ، فالمطر
أيضاً ، أو المطر بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ولم يصل الى
الأرض ومثله العثانين . وأما الودق ، فالمطر أيضاً . ومنه التزل والرجع في كلام
هذيل . وكذلك الخرج والقطر والخدر . وقيل : النصر ، الغيث . والذهاب
اسم المطر كله ضعيفه وشديده^٧ . و (الدثمة) ، مطر يدوم أي يطول زمانه
أياماً . وأرض مديمية ، أصابتها الديم ، والمدام المطر الدائم^٨ . و (السديم)
و (الديم) ، هو الزرع الذي يسقى بماء المطر ، في اصطلاح أهل العراق اليوم .
واذا بكر الغيث في أول الوسمي ، قيل له (باكور)^٩ . أما آخر أمطار السنة

- | | |
|---|--|
| ١ | عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٧) . |
| ٢ | Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 445. |
| ٣ | بلاد العرب (٣٠٥) . |
| ٤ | Mordtmann und Mittwoch, Sab. Inschr., S. 101, Num. 76, S. 238, Num. 171. |
| ٥ | CIH 540. |
| ٦ | تاج العروس (٦٢١/١) ، القاموس (١٦٦/١) . |
| ٧ | تاج العروس (٦٣٢/١) ، (١٢٠/٩ وما بعدها) ، المخصص (٥/١١) . |
| ٨ | تاج العروس (٢٩٦/٨) ، (دوم) . |
| ٩ | تاج العروس (٥٧/٣) ، المخصص (٨/١١) . |

الذي يأتي في وقت الخراف ، أي أواخر الخريف^١ ، فإنه (خرفن) في نصوص المسند ، أي (الخراف) .

ويقال للمطر السذي يتزل في فصل الخريف : (الخريف) ، ويقال له : (الخرفي) كذلك ، أو هو أول المطر في أول الشتاء ، وهو الذي يأتي عند صرام النخل ، ثم الذي يليه الوسمي . وهو عند دخول الشتاء ، ثم يليه الربيع ، ثم يليه الصيف ، ثم الحميم . وقال بعض علماء اللغة : أول المطر الوسمي ، ثم الشتوي ، ثم الدفيء ، ثم الصيف ، ثم الحميم ، ثم الخريف ، ولذلك جعلت السنة ستة أزمئة . وقال أبو حنيفة : ليس الخريف في الأصل باسم للفصل ، وإنما هو اسم مطر القبط ، ثم سمي الزمن به . والحجاز كله يُمطر بالخريف ، ونجد لا تمطر به^٢ .

والمزن السحاب . وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم . ويقول علماء اللغة ان المزن جمع مزنة ، وهي السحاب الأبيض . وقد كان جل اعتماد أهل جزيرة العرب في الشرب ، وفي الإرواء على ماء المطر . كما نجد ذلك في الآية : «أفأرأيتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن ، أم نحن المنزلون»^٣ .

ولارتباط حياة العرب بالمطر، كثرت الألفاظ المتعلقة به في لغتهم . ففي معاجم اللغة ألفاظ كثيرة في معنى المطر وفي أمور تتعلق به ، في مثل السحاب ، وأنواعه وأسماء قطعه ، وما شاكل ذلك من ألفاظ وأسماء ، تمثل لك مدى عناية العرب بالمطر ، لشدة حاجتهم إليه .

وللعرب علامات إذا ظهرت دلت عندهم على أنها أمارات الغيث وعلاماته ، منها الهالة التي تكون حول القمر ، إن كانت كثيفة مظلمة ، كانت من دلائل المطر ، ولا سيما إن كانت مضاعفة . ومنها (الندأة) ، وهي الحمرة التي تكون عند مغرب الشمس أيام الغيوث . والمبشرات ، وهي عدة علامات تتوالى ، تدل عندهم على نزول الغيث . ومنها الرعد والبرق، ومنها أن ترى القمر أو الكواكب في الصحو يحيط بها لون يخالف لون السماء ، وكذلك إن رأيت القمر في الغيم

١ المخصص (٥/١١) .
٢ تاج العروس (٨٢/٦) .
٣ تاج العروس (٣٤٥/٩) ، (مزن) .

وإن كان قزعاً كأنه تحيط به خطوط كخطوط قوس المزن ، وهي القسطانية .
وبعض الرواة يجعل قوس الغيم أيضاً بداية^١ .

وهم يعتبرون الغيث نعمة ورحمة ، ولهذا كانوا يفرحون بتزوله ويستبشرون ،
لا سيما إذا كان نزوله بعد قحط وجذب . ويهتأ أحدهم الآخر بانصبابه لما سيصيبهم
جميعاً من خير عميم . ولكنه قد يصير نقمة إذا نزل سيلاً مدراراً ، يكتسح
كل شيء يجده أمامه ، وقد تمتلئ به بطون الأودية ، فتغرق سيولها القرى
والمستوطنات . مثل ما كانت تصاب به مكة من السيول . فكفة في وادٍ
على طرفيه جبال ، إذا نزلت عليها الأمطار سالت إلى بساتن الوادي ، فتؤذي
البلدة والحرم ، وقد أقيمت الردم لمنع السيول من اغراق الحرم ، والبيوت ، غير
أن السيول تكون قاهرة جبارة في بعض الأحيان ، فلا يقف أمامها ردم ولا سكر .
وقد أشار أهل الأخبار إلى المهم من هذه السيول^٢ .

وقد هددت السيول يثرب بالغرق أيضاً ، مع أنها ليست في وادٍ ، وذلك من
سيل (مهزور) . وقد أقام (عثمان) ردماً لمنع سيل هذا الوادي من اغراق
المدينة^٣ .

الاستفادة من مياه الأمطار :

وقد اضطر سكان جزيرة العرب أن يلجأوا إلى الوسائل الصناعية للاستفادة من
المياه ، وذلك لقلتها وشحها ، سواء أكانت مياه أمطار أم مياه أرض ، متدفقة
من أجواف الأرض على هيئة عيون أو جعافر . وفي جملة ما اتخذوه إقامة السدود
في الأرضين التي تساعد طبيعتها على إقامة السدود ، وحفر الآبار للاستفادة منها
في السقي وفي الزراعة بمقتياس يتناسب بالطبع مع كميات مياه الآبار .

وقد اتخذ أهل المواضع المرتفعة مثل الأماكن الجبلية التي يصعب نقل الماء إليها
كل الوسائل الممكنة للمحافظة على ماء المطر والسيطرة عليه وجمعه لئلا يذهب

١ « قوس المزن » ، تاج العروس (٢٠٦/٥) ، القاموس (٢٧٩/٢) .

٢ البلاذري ، فتوح (٦٥) .

٣ البلاذري ، فتوح (٢٤) .

سدى ، فحفروا الصهاريج العميقة في البيوت وفي أماكن أخرى ليسيل اليهسا ، وسلطوا مياه الميازيب على أماكن تسيل منها الى هذه الصهاريج . ولا يزال بعض الميازيب الجاهلية في حالة جيدة يستعمل في الأغراض التي صنع من أجلها . وهي مصنوعة من الصخور ، وبعضها من المرمر الأبيض الجميل . وفي مسجد (حصن غمان) ، صهريج جاهلي قديم ، يستعمل لتخزين المياه . وهناك صهاريج عديدة في هذا الموضع ، كلها من أيام الجاهلية . وبعضها مفتوح على هيساء حوض ، وأكثره من النوع المغطى والمنقور في الصخر . وقد تساقطت سقوف بعض هذه الصهاريج أو أصيبت بتلف في بعض أقسامها وظهرت هياكلها للعيان ، فعرفت أشكالها وأعماقها ، ولبعضها ممرات توصل بعضها ببعض ، فتجعلها كأنها شبكة تربط مساحة واحدة تملأ بالماء تحت سطح الأرض. ولهذا الصهاريج فتحات تستخرج منها المياه للارواء^١ .

ولهذه الصهاريج أهمية خاصة في أيام الحروب ، إذ تمنع العدو من قطع الماء عن المحاصرين ، وبذلك يستطيعون البقاء مدة طويلة يدافعون عن أماكنهم خلف الأسوار .

وقد استخدمت الصهاريج لتخزين الماء ، حتى البيوت استخدمتها لذلك ، فكان إذا وقع الغيث سال الى هذه الصهاريج فحزنته . وقد اتخذ أهل المدن الصهاريج الكبيرة لتموين الناس بالماء ، وبنوا الصهاريج في المعابد ليستفيد منها المتعبدون القادمون اليها ورجال الدين .

وقد عثر على صهاريج عديدة في حضرموت وفي اليمن ، عرفت عند الحضرميين بـ (نقب) . وهي عبارة عن حفر نقرت في الصخور وفي المواضع الحجرية وفي مواضع أخرى . يبلغ قطر أفواهاها وفتحاتها زهاء المتر في الغالب . أما أعماقها فهي مختلفة وكذلك أقطارها السفلى أي من جهة قواعدها . فقد عثر على بعضها ، وأعماقها تتراوح من ثلاثة أمتار الى أربعة ، وأقطارها السفلى تتراوح من خمسة أمتار الى ستة . ويقال لعملية الحفر (نقب) كما في هذه الجملة : (نقبوا نقباً)^٢ أي (نقبوا نقباً) ، ومعناها (حفروا نقباً) و (حفروا صهريجاً) .

Sabaelca, I, S. 76.

Ry 63, Wissmann und Höfner, Beiträge, S. 56.

وتوصل هذه الصهاريج بمجاري تحت الأرض قد يبلغ أطوالها جملة كيلومترات لا يصل الماء منها الى مواضع السكن أو الزرع . وتكون الصهاريج مرتفعة عن مسايل المياه الأرضية ، ليسيل منها الماء الى الجهات التي تريدها . ويكون معينها هو ماء المطر^١ . ويظهر أن طريقة توزيع الماء من النقب بمسايل للمياه أرضية كانت شائعة قبل الإسلام في المدن والقرى المرتفعة البعيدة عن الغيول والنهيرات والآبار والتي تتساقط فيها الأمطار ، فلجأت الى هذه الطريقة الفنية لحبس مياه الأمطار للاستفادة منها في الشرب والاستعمال وفي الزراعة أيضاً .

الدُّهَب :

ويقال لموضع تجمع مياه الأمطار ومسيلها (ذهبن) ، أي (الدُّهَب) . ويستخدم هذا الماء المتجمع لاسقاء الحيوان وللشرب ولإسقاء الزرع ، قال (الهمداني) : « والدُّهَب ... يمتلئ من السيل ، فإذا امتلأ نف فيه الطهف والدخن ، فنضب الماء ، ثار نبتة^٢ . وقد كانوا يستفيدون من أمثال هذه (الدُّهَب) بتسويرها وحصر الماء فيها ثم توجيهها الى الأحواض الكبرى للاستفادة منها عند انحباس الأمطار . وكانت أشراج الحرة يثرب من مسايل الماء ، فإذا هطلت الأمطار انحدرت اليها وامتلأت بها فتسيل الى الأرضين المزروعة ترويه بالماء^٣ . وقد تحبس الشراج فتكون أحواضاً يستفاد منها في السقي والزرع .

وهناك حفر تتجمع فيها المياه فيستفاد منها في الشرب . وقد ذكر علماء اللغة ألفاظاً عديدة تتعلق بالحفر على اختلاف أنواعها ، وفي جملتها الحفر التي تتجمع فيها المياه . وذلك لكثرتها ولأهميتها في حياتهم العملية ، إذ كانت على ضآلة بعضها ووسخ مائها ، غوثاً للمسافرين العطاشى الذين هم ودوابهم في آخر رمق من الحياة . فهي تكون في مثل هذه الظروف هبة ولقطة لا تقدر بثمن . ومن مواضع تجمع الماء في الحفر الأوقة ، وهي حفرة يجتمع فيها الماء، وجمعها

١ Belträge, S. 54. ff.

٢ الهمداني ، صفة (١٩٩) . Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 113.

٣ البلاذري ، فتوح (٢٥ وما بعدها) .

أوق^١ . والوجيل والمّوجل ، حفرة يستنقع فيها الماء يمانية^٢ . والمرهة ، حفرة يجتمع فيها ماء السماء^٣ . والهوّقة ، وهي حفرة كبيرة يجتمع فيها الماء ، وتألّفها الطير^٤ . و (الركية) البشر . وقد كانوا يتبردون بها في أيام الحر^٥ . و (المركو) ، الحوض الكبير وقيل الحويض الصغير يسويه الرجل بيديه على رأس البشر اذا أعوزه إناء يسقي فيه بعيراً أو بعيرين^٦ .

والنقر ، الغائر من الأرضين ، وهي موارد الماء في جزيرة العرب . اذا احتفرت ، ظهر الماء بسهولة في آبارها، وقد تظهر البرك فيها . ومن هذه النقر ، موضع (معدن النقرة) ، منزل لحاج العراق بين أضاخ وماوان . فيه بركة ، وثلاث آبار ، بئر تعرف بالمهدي ، وبئران تعرفان بالرشيد ، يظهر أنها حفرت في أيام الخلفيتين: المهدي والرشيد، وآبار صغار للأعراب . وعندها تفتقر الطرق ، فمن أراد مكة نزل المغيثة ، ومن أراد المدينة أخذ نحو العسيلة . ذكر أن هذا الموضع إنما سُمّي نقرة ، لأن النقرة كل أرض متصوبة في هبطة فهي نقرة^٧ .

الحياض :

وقد ترك الجاهليون حياضاً واسعة كانوا أنشأوها في مواضع كثيرة من اليمن وبقية العربية الجنوبية ل تخزين الماء فيها للاستفادة منها أيام الجفاف . فإذا ما تساقطت الأمطار ، سالت الى هذه الحياض ، وبعضها عميق واسع لا تنضب منها مياهها طوال السنة . وقد أحيطت هذه الحياض بجدران متينة من الصخور صفت ورتبت على هيئة مدرجات ، حتى إذا انخفض الماء أمكن لمن يريد الاستسقاء منها أن

-
- ١ « الاوق بالضم : الركبة مثل البالوعة في الارض ، خليقة في بطون الاودية ، وتكون في الرياض أحيانا . تسمى اذا كانت قائمتين أوقة . فما زاد وما كان أقل من قائمتين ، فليست بأوقة . وفمها مثل الركبة وأوسع أحيانا . وهي الهوة » ، تاج العروس (٢٨٢/٦) .
 - ٢ تاج العروس (١٥٣/٨) .
 - ٣ تاج العروس (٤١١/٩) .
 - ٤ المخصص (٤٧/١٠ وما بعدها) ، تاج العروس (٩٧/٧) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا) ، جامع الاصول (٣٢١/٩) ٤
 - ٦ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا) .
 - ٧ تاج العروس (٥٨٢/٣) ، (نقر) .

ينزل على هذه الدرجات حتى يبلغ الماء ولا يزال بعض هذه الحياض موجوداً يستعمله الناس . وقد وصف السواح الذين زاروا اليمن بعضها وتحدثوا عنها وعن أبعادها وعن طرق بنائها وهندستها^١ .

ولمنع تسرب الماء من الحوض ، يسد ما بين الحجارة من منافذ بالمدرّة المعجونة ، وتطلى أوجه الجدر بمادة تغطيها مثل الصهريج لمنع تسرب الماء وخروجه الى الخارج ، كما يبلط قاع الحوض ويطلّى كذلك . وتوضع حجارة تنصب حول الحوض ، ويسد ما بينها بالمدرّة ، ويقال لذلك النصبية . ويمدر الحوض اذا طين وسدّ خصاص ما بين حجارته ، كما يعبر عن ذلك بلفظة اللوط . ويوضع الإباد حول الحوض ، أي التراب ، لدعمه وتقويته . وقد ترفع جدر الحوض فوق الأرض ، وتعمل فيه صنابير لخروج الماء فيها ، وقد تنشأ فيها حنفيات لأخذ الماء منها . تعمل من المعدن أو الحجارة^٢ .

وقد عثر على ميازيب ومثاعب حجر نحتت نحتاً جميلاً ، وضعت في جدران الأحواض ، ليسيل منها الماء^٣ . وقد صنعت مواضع مسايل بعضها على هيئة رؤوس حيوانات فتحت أفواهها ، ومن هذه الأفواه المفتوحة يتساقط الماء . ولا يزال بعضها في هيئة حسنة ومستعملة حتى الآن . واستعملت بعضها في السطوح لسيلان الأمطار منها ، كما عثر على صخور منحوتة نحتاً جميلاً جداً كانت تكون الأوجه الظاهرة من جدران الحياض . وقد نحت بعضها على شكل صور حيوانات بارزة أو أوجه حيوانات ، ونحت بعضها على صور أوراق نبات وأغصان أعناب أو عناقيد أعناب وما شابه ذلك من أجزاء النبات .

وثعب الماءُ سالٍ ، ومنه اشتق مثعب المطر . والثعب مسيل الوادي ، ومنه مثاعب المدينة ، أي مسايل مائها . والمثعب المرزاب^٤ .

وتعمل الأحواض لشرب الإبل وغيرها . وقد يوضع في وسطها حجر ، يكون مقياساً للماء ، يقال له (القداس) إذا غمره الماء رويت الإبل ، أو هو حجر يطرح في حوض الإبل ، يقدر عليه الماء ، يقتسمونه بينهم . وقيل هو حصاة ،

Carl Rathjens, Sabaelca, I, Tell, Hamburg, 1953, 113.

١ المخصص (٤٩/١٠ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (١٤٧/١) ، (أزب) .
٣ تاج العروس (١٦٣/١) ، (ثعب) .
٤

توضع في الماء قدر الري للابل ، أو يقسم بها الماء في المفاوز^١ .

وفي كتب اللغة ألفاظ عديدة أطلقت على الحوض ، بحسب شكله واتساعه وعمقه منها الحوض المركو . أما المقرأة ، فالحوض العظيم . وأما الجرmoz ، فالحوض الصغير ، وقيل هو حوض مرتفع الأضداد . والنضيج الحوض ، وخصه بعضهم بالحوض الصغير . والجابية الحوض كذلك . وأما الشربة فالحوض يجعل حول النخلة يملأ ماء ، فيكون ري النخلة . والحضج الحوض^٢ .

ويقال للموضع تجمع الماء ، والمكان الذي يخزن فيه فيكون على هيئة بحيرة صغيرة أو حوض (بحرت) ، (البحرة)^٣ . ولا يزال أهل الشام يطلقون لفظة (بحرة) على حوض الماء الذي يقيمونه في أفناء دورهم ، للتمتع بمنظره وبمنظر الماء الذي يتدفق منه . وقد يضعون الأسماء فيه . وقد وردت اللفظة في هذه الجملة : « وصرح ثبرن وبحرت بموئب احلين »^٤ ، ومعناها : « وأعلى حصن ثبر ، والبحرة الكائنة في أسفل السلام » . ويظهر ان أصحاب الحصن كانوا قد أقاموا (بحرة) عند قاعدة السلام التي ترتقي الى الحصن ، وذلك من أجل نقل الماء منها الى أعلى للاستفادة منه ، ولإحمائه وسكبه على المحاصرين في أثناء الحصار^٥ .

والمقرى والمقرأة كل ما اجتمع فيه الماء من حوض وغيره ، وخصه بعضهم بالحوض . وذكر بعضهم ، ان المقرأة المسيل ، وهو الموضع الذي يجتمع فيه ماء المطر من كل جانب . وقيل المقرأة شبه حوض ضخم يقرى فيه من البئر ، ثم يفرغ في المقرأة . وقرى الماء مسيله من التلاع ، أو مجرى الماء في الروض^٦ .

ويقال للموضع الذي يستنقع فيه الماء ، أي يجتمع : (النقع) ، فإذا نضب الماء نبت فيه الكأ^٧ . و (المنقع) الموضع الذي يستنقع فيه الماء ، أي

١ تاج العروس (٢١٣/٤) .

٢ المخصص (٤٩/١٠) .

٣ « والبحرة مستنقع الماء » ، تاج العروس (٢٨/٣ وما بعدها) ،
Glaser 1144, Halevy 353, Rep. Epigr. 647, II, p. 75.

٤ راجع نهاية الفقرة الثالثة من النص : Glaser 1144, Halevy 353.

٥ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 73.

٦ تاج العروس (٢٩٠/١٠) ، (قرى) .

٧ ارشاد الساري (٢٠٦/٤) .

يُجمع^١ . و (الحيل) الماء المنتقع في بطن واد^٢ .
ويقال لموضع تجمع المياه في خزانات صغيرة لحزنها فيها وتوزيعها على السواقي
(مزف) . تأتي المياه اليها من خزانات أخرى أكبر منها . فتخزن فيها لإعادة
توزيعها . والفعل هو (زف) من (زفف) . وتطلق لفظة (زف) على مواد
عمل ما . وأما العمل نفسه فيقال له (فعل)^٣ .

وقد أشير في نص إلى وجود (هور) أمام (محفد) ، أي حصن :
(بقنو هور محفدهمو ذمعين)^٤ ، ومعناها : (أمام هور محفدهم « حصنهم »
ذمي المعين) . و (هور) في هذه الجملة هو (الهور) في عربيتنا . وهو (بحيرة
تفيض فيها مياه . فتتسع ويكثر ماؤها) ، ويجمع على أهوار^٥ . أما في النص ،
فلا يراد به هذا المتسع الواسع من الماء ، بل يراد به حوض أو متجمع من الماء
أوسع من البحيرة ، كان أمام الحصن^٦ .

وقد وردت لفظة (بركن) أي البركة في اللهجات العربية الجنوبية كذلك ،
ووردت لفظة أخرى هي (عسن) يظهر أنها تعني بركة كبيرة أو صهريج ماء
تحت الأرض ، أو جملة برك تتصل بمأخذ أو مأخذ ، تتجمع فيها المياه^٧ . وقد
ذكر علماء اللغة أن البركة مثل الحوض يحفر في الأرض لا يجعل له أعضاد فوق
صعيد الأرض . ويسمي العرب الصهاريج التي سويت بالآجر وصرجت بالنورة في
طريق مكة ومناهلها بركاً . وربّ بركة تكون ألف ذراع وأقل وأكثر . وأما
الحياض التي تسوى لماء السماء ، ولا تطوى بالآجر ، فهي الأصناع واحداً صنع^٨ .
وقد طلّبت جدران البرك الجاهلية بمادة متماسكة قوية ، ترى اليوم وكأنها قد
فرغ منها من عهد قريب . فلم تتشقق ولم تصب بتلف إلا قليلاً . فيها فتحات
عملت لمرور الماء منها إلى السواقي . وقد استعمل مثل هذه البرك لحزن الماء وللارواء

-
- ١ تاج العروس (٥/٥٣٠) ، (نقع) .
 - ٢ تاج العروس (٧/٢٩٨) ، (حيل) .
 - ٣ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 100.
 - ٤ Langer I, Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 37.
 - ٥ تاج العروس (٣/٦٢٤) ، (هور) .
 - ٦ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 37.
 - ٧ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 114.
 - ٨ تاج العروس (٧/١٠٦) ، (برك) .

في الوقت نفسه. وتمكن الاستفادة منها إذا ما نظفت من المواد الزائدة التي تراكمت فيها وأدخلت عليها بعض الإصلاحات^١.

و (الأضاة) الغدير ، والماء المستنقع من سيل أو غيره^٢ . والغدير مستنقع الماء ، ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً ، غير أنه لا يبقى الى القيط إلا ما يتخذه الناس من عذّ ووجد أو وقط أو صهريج أو حائر . والعدّ الماء الدائم الذي لا انقطاع له . ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو صهريج أو صنع عدّاً ، لأن العدّ ما يدوم مثل ماء العين والركية^٣ . ويعبر عن (الغدير) ب (النهي) ، وقيل النهي الغدير حيث يتجير السيل فيوسع ، وكل موضع يجتمع فيه الماء أو الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه^٤ .

وفي كتب اللغة ألفاظ عديدة أطلقت على النهرات والسواقي المتفرعة منها . ومنها الشراج ، جمع شرج، وهي مسایل الماء من الحزن الى السهل . والأربعاء، وهي مسایل ومساقى يسقى منها النخيل والبساتين ، ويزرع على جانبيها^٥ . وأما (الجعافر) ، فقيل : (الجعفر) النهر ، وقيل هو النهر الصغير ، وقيل هو النهر الكبير الواسع : وقيل النهر الملائن ، أو فوق الجدول^٦ .

ويقال للجدول الربيع في عربية القرآن الكريم ، ويجمع على (أربعاء)^٧. وأهل المدينة يغرسون الشجر على جانبيه . ويقال له أيضاً (السعيد) . ويراد به النهر الذي يسقي المزرعة . وقد ورد في الحديث : « كنا نزارع على السعيد »^٨ . و (الجدول) النهر الصغير^٩ . ويقال لأوائل الجداول (أقبال الجداول)^{١٠} . وأما السواقي بين الزروع ، فتسمى (دبار)^{١١} .

Sabaelca, I, S. 84.

- ١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٦) .
- ٢ تاج العروس (٤٤١/٣) ، (غدر) .
- ٣ تاج العروس (٣٨١/١٠) ، (نهى) .
- ٤ عمدة القارىء (٢٠٠/١١) وما بعدها .
- ٥ تاج العروس (١٠٤/٣) ، (جعفر) .
- ٦ تاج العروس (٣٤٢/٥) ، (ربع) ، جامع الاصول (٣٧٠/١١) وما بعدها .
- ٧ تاج العروس (٣٧٨/٢) ، « سعد » .
- ٨ تاج العروس (٢٥٤/٧) ، (جدل) .
- ٩ جامع الاصول (٤٧٨/١١) .
- ١٠ تاج العروس (٢٠٠/٣) ، « دبر » .

ويطلق أهل اليمن على ساقية الماء والجدول الصغير (الغيل) ، وهي من الألفاظ القديمة المستعملة في الري . وفي اليمن جملة أغيال ، يقل مأوها عند انحباس المطر ، ويزداد عند هطوله في مواسمه . ويشرب أهل صنعاء من مياه الغيل المسمى (الغيل الأسود) ، ويزرعون عليه^١ . وذكر علماء اللغة ان الغيل الماء الجاري على وجه الأرض ، وقال بعضهم ما يجري من المياه في الأنهار والسواقي . وأما الذي يجري بين الشجر ، فهو (الغلل) . « وفي الحديث ما سقي بالغيل ففيه العشر ، وما سقي بالدلو ، ففيه نصف العشر »^٢ .

الأودية :

والأودية هي من أهم مناطق الماء والخصب في جزيرة العرب ، وذلك لوجود الماء بها قريباً من سطح الأرض في الغالب ، وقد يخرج الى وجه الأرض . ولهذا نجد فيها مواضع عديدة خصبة ذات مزارع ونخيل منتشرة كأنها الجزر في البحار . وهي في الأصل مسابيل ماء ، حفرتها الأمطار والسيول المنهمرة على الجبال والهضاب والتلال ، في سيرها نحو الأماكن المنخفضة ، وعملت لها منافذ سارت مياهها منها . و (الوادي) ، هو (سر) (س ر) في العربية الجنوبية^٣ . وذكر علماء اللغة أن (السرّ) بطن الوادي وأطيه وأفضل موضع فيه ، وكذلك سرارة الوادي ، أي بالمعنى الوارد من اللفظة في المسند : أو قريب منه^٤ .

ومن أودية جزيرة العرب : وادي الحمض ، وادي الدواسر ، ووادي الرمة ، ووادي حنيفة ، ووادي تباله ، ووادي رنية ، ووادي تربة ، وغيرها مما يرد في كتب (الجغرافيا) وما أُلّف في وصف جزيرة العرب ، أو وصف بقاعها ، وفي كتب البلدان .

ولهذه الأودية فضل لا ينكر في ظهور مواطن الحضارة في جزيرة العرب ، ففي بواطنها وعلى جانبيها قامت مواطن استيطان منها نبتت الحضارة الأعرايية

-
- ١ تاج العروس (٥٣/٨) ، العظم (٨٥/١) ، (١٠٣) .
 - ٢ تاج العروس (٥٣/٨) ، (غيل) .
 - ٣ Mordtmann und Miltwoch, Alt. Sab. Inschr., S. 9.
 - ٤ تاج العروس (٢٦٣/٣) ، (سر) .

في جزيرة العرب ، حضارة تمثل مرحلة متقدمة بالنسبة الى الحياة الأعرابية، عمادها الزراعة وتربية الحيوان . وهي تثبت للمرء بجلاء ان سبب انتشار الأعرابية في جزيرة العرب ؛ هو الجفاف الذي غلب عليها وندرة وجود الماء بها ، وان الماء لو توفر بها ، لكان نصيبها في الحضارة مثل نصيب غيرها من البلاد التي تقدمت في ايامها وازدهرت ، فلما ظهر الماء في هذه المواضع ، ظهر السكن والاستقرار ، ولو رزق العرب سكان جزيرة العرب ما رزق غيرهم من جو طيب، ومن أرض خصبة ذات أنهار وماء ، كان شأنهم غير هذا الشأن ولا شك .

ويقال للوادي (العقيق) . وذكر أن العقيق كل مسيل شقه ماء السيل فأفهره ووسعه ^١ . أي في معنى وادي . والأعقة من مواضع الخصب والزرع في جزيرة العرب ، إذ تكون المياه فيها قريبة من سطح الأرض . منها عقيق اليمامة ، وهو وادٍ واسع مما يلي العرمة ، تتدفق فيه شعاب (العارض) ، وفيه عيون عذبة الماء ، وموضع بتهامة ، وموضع بنجد ، يقال له عقيق القنان ، تجري اليه مياه قلل نجد وجباله ، والعقيق ، ستة مواضع أخر ، وهي أودية شقتها السيل عادية منها عقيقان في بلاد بني عامر من ناحية اليمن . ومن الأودية المشهورة : وادي العقيق بالحجاز ^٢ . و (العرمة) أرض صلبة تتاخم الدهناء ويقابلها عارض اليمامة ^٣ . والأودية هي من أخصب المواضع في جزيرة العرب ، حتى إن كانت جافة في معظم أيام السنة ، وذلك لخصب تربتها ، ولقرب الماء فيها من سطح الأرض ، ولوجود العيون والبرك في بعض منها . وهي قبلة أنظار الأعراب والرعاة بعد نزول الغيث وامتلائها بالسيول ، إذ يظهر فيها الكلال : وتبقى في حفرها المياه ، فتكون بركاً للشرب .

وقد زرع أهل وادي (مهزور) على مياهه ، ويستمد هذا الوادي ماءه من السيل ، وكذلك وادي (مذيئيب) . ومن (مهزور) الى (مذيئيب) شعبة يصب فيها ^٤ . ويسيلان بماء المطر خاصة ، و (مهزور) هو وادي (بني قريظة) ، وقد كان يحدث اختلاف فيما بين المزارعين في حقوقهم في الماء : ولا سيما في

-
- ١ تاج العروس (١٥/٧) ، (ع)
 - ٢ تاج العروس (١٥/٧) ، (ع)
 - ٣ تاج العروس (٣٩٥/٨) ، (ع)
 - ٤ البلاذري ، فتوح (٢٣ وما بعدها)

ايام انحباس المطر أو أيام نزوله بشح ، واستغلال أهل الأرضين العالية للسماء ، مما يسبب انقطاعه عن الأرضين الواطئة الواقعة على مسايله . وقد كان (مهزور) يهدد المدينة بالغرق عند سقوط الأمطار بشدة وتكوينها سيولاً طاغية ، ولما هدد المدينة بالغرق في خلافة (عثمان) اتخذ له ردماً^١ . وقد هدد المدينة مراراً بالغرق ، ولما كاد ان يغرقها سنة (١٥٦ هـ) حفرت الحكومة له منسوباً ، غاص منه الماء الى وادي بطحان^٢ . وقد قضى الرسول في سيل (مهزور) ان لأهل النخل الى العقبين ، ولأهل الزرع الى الشراكين ، ثم يرسلون الماء الى من هو أسفل منهم^٣ . و (بطحان) هو أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبتحان وقناة^٤ .

الأنهار :

وليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر ، مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل ، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر . وهي لذلك لم تستفد من نعم الأنهار الكبيرة التي نعمت بها البلاد الأخرى ، ولم تسعد بسبب ذلك بظهور المجتمعات الكبيرة بها ، ولا بظهور الحضارة فيها ، لأن الحضارة الراقية لا تكون ولا تنمو إلا في المجتمعات الكبيرة ، حيث تتوفر بها بذور الحضارة والثقافة ، ولا تظهر هذه البذور مع وجود الجفاف وفقدان الماء أو قلته .

ومن الأنهار الصغيرة التي نجدها في اليمن نهر الخارد . وكان السهل الذي عاش فيه المعيشون ، وبنوا فيه عاصمتهم يسقى بهذا النهر ، وتنبت فيه مختلف النباتات والزروع ، وكان يصل الى مقربة من العاصمة وربما تجاوزها الى مواضع أخرى . ولا تزال هذه المنطقة تعدّ من المناطق الزراعية الجيدة ، وقد تحول قسم منها بسبب الجفاف الذي حلّ بها الى مناطق تعلوها كتيان رملية ، ومناطق قاحلة ، بعد ما كانت من أجود الأرضين لأهل معين^٥ .

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٢٤) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٢٤) .
 - ٣ تاج العروس (٦٢٠/٣) ، (هزر) ، البلاذري ، فتوح (٢٤) .
 - ٤ تاج العروس (١٢٥/٢) ، (بطح) .
 - ٥ محمد توفيق ، آثار معين في جوف اليمن (ص ٤ وما بعدها) ، من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، سنة ١٩٥١ م .

ومن أنهار اليمن الأخرى ، مَوْر ، وهو من أغزر أنهار اليمن ماءً وأكبرها ، وهو بالقرب من وادي (صبيا) . ينبع من جبال الهضبة الى جنوبي صعدة ، وتنصب فيه أودية من (عمران) و (حجة) ، ويمر من جبال (حجة) وجبال (حجور) في اتجاه البحر الأحمر حيث يصب به شمال (اللحية) . وتجري الأقسام الشرقية من هذا النهر في أكثر أيام السنة ^١ .

وسُرد ، واد متسع بتهامة اليمن ، مشتمل على قرى ومدن وضياح ^٢ . ويتألف من فروع تنبع من جبال (كوكبان) ومن جبال حضور وحراز ، ويصب في البحر الأحمر شمال (الحديدة) ^٣ . ووادي سهام واد ينبع من جبال خولان وآنس ، ماراً بجنوبي جبال حراز ، ثم يصب في البحر الأحمر جنوبي الحديدة ^٤ . وبه مياه حارة ^٥ . ووادي (أذنة) من أودية سبأ ، وهو الذي كان يموت سد مأرب بالماء . ومن أودية اليمن الأخرى : رزان ، و (رمع) (رماع) ، وهو متصل بوادي سهام ووادي مور ، مشتمل على عدة قرى ^٦ ، وشرس ، و (ريمة) و (زبيد) . وتعرف هذه الأنهار بـ (وادي) في اصطلاح أهل اليمن ^٧ .

و (الدبل) الجدول من جداول الأنهار . وانما سميت الجداول دبولاً لأنها تدبل ، أي تصلح وتجهز وتنقى . ومنه الحديث انه غدا الى النطاة ، وهي من حصون خيبر ، وقد دل على مشارب كانوا يسقون منها دبول . كانوا ينزلون اليها بالليل فيتروون من الماء ، فقطعها ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى أعطوا بأيديهم ^٨ . وتكرى الأنهار وموارد المياه الأخرى ، لاستخراج الطمي منها ولتعميقها حتى

-
- ١ تاج العروس (٥٥٠/٣) ، (مار) ، زيد بن علي عنان ، تاريخ اليمن القديم (ص ١٠) ، (المطبعة السلفية) ، (القاهرة) .
 - ٢ تاج العروس (٣٧٥/٢) ، (سرد) .
 - ٣ تاريخ اليمن القديم (١١) .
 - ٤ تاريخ اليمن القديم (١١) .
 - ٥ الصفة (١٠٥) .
 - ٦ تاج العروس (٣٦٢/٥) ، (رمع) .
 - ٧ الدكتور أحمد فخري ، اليمن ماضيها وحاضرها (ص ٥) .
 - ٨ تاج العروس (٣١٧/٧) ، (دبل) .

لا يسيل الماء على حافات مورد الماء^١ . وكانوا يكرونها بالمساحي ، ويرمون الطمي على الجانبين .

وإذا جرى الماء على وجه الأرض قيل له (السيج) . وباليامة ثلاثة أودية بأقصى العرض ، عرف كل واحد منها بسيج ، ونسب إلى أهله أو مكانه^٢ . وقد أشار (الهمداني) إلى « السيج يجري تحت النخل والآبار »^٣ ، وقصد به الماء الجوفي . وأشار إلى (سيج الغمر)^٤ وإلى سيج دعاه سيج ابن مربع ، ذكر أنه كان غزيراً ثم انقطع بضعف أهله^٥ . وذكر اسم سيج آخر دعاه سيج قشير ، ويسمى أيضاً بسيج اسحاق^٦ .

الحسي :

ويتفجع من الأحساء والرحاب في الزراعة، وذلك باستناباط مياهها الجوفية المنحسرة عن قشرة الأرض بمسافة غير بعيدة ، والتي قد تظهر على سطح الأرض وتسيل . والحسي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو غلظ فوره رمل يجمع ماء المطر . وفي جزيرة العرب أحساء كثيرة ، منها أحساء بني سعد بجذاء هجر بالبحرين ، وأحساء خرشاف ، بسيف البحرين ، وأحساء بني وهب ، على خمسة أميال من المرتقى فيه بركة ، وتسعة آبار كبار وصغار بين القرعاء وواقصة على طريق الحاج ، والأحساء ماء لغنى ، والأحساء ماء باليامة ، وأيضاً ماءة لجديدة طيء بأجأ^٧ . والأحساء التي على الخليج ، هي من أهم هذه الحسي في الوقت الحاضر . وهي وحدة إدارية في المملكة العربية السعودية ، بها عيون تفيض ماءً ، تروي بساتين النخيل والأشجار الأخرى .

و (البئر) يشبه الأحساء ، يجري تحت الحصى على مقدار ذراع أو ذراعين

-
- ١ تاج العروس (٣١٢/١٠) ، (كرى) .
 - ٢ تاج العروس (١٦٨/٢) ، (السيج) .
 - ٣ الصفة (١٥٩) .
 - ٤ الصفة (١٥٠) .
 - ٥ الصفة (١٤٨) .
 - ٦ الصفة (١٦٠) .
 - ٧ تاج العروس (٨٩/١٠) ، (حسي) .

ودون الذراع ، وربما أثارته الدواب بحوافرها^١ . والبائر من الماء البادي من غير حفر . والبئر أرض سهلة رخوة . وذكر بعض علماء اللغة ان البئر الأحياء وهي الكرار^٢ . وذكر بعضهم ان (الكرار) البئر ، أو الحسي ، أو موضع يجمع فيه الماء الآجن^٣ .

وقد تنبع العيون في مواضع رملية ، فلا تمكن الناس من الاستفادة من الماء فائدة كبيرة تخرج من جوف رمل من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، تجري في رمل فلا تمكن الزراعين عليها إلا في مواضع يسيرة من أحناء الرمل ، فيها نخيل ، وتتخذ البقول والبطيخ ، وتسمى هذه العين (البحر)^٤ .

وتكون تربة الرحبة خصبة ، ولهذا صارت مواطن صالحة للزراعة لو استنبطت مياهها التي في جوف الأرض القريبة من السطح ، لأفادت في توطين الأعراب . والرحة في تعريف علماء اللغة « من الوادي مسيل مائه من جانبيه فيه . جمعه رحاب . وهي مواضع متواطئة يستنقع الماء فيها ، وهي أسرع الأرض نباتاً ، تكون عند منتهى الوادي وفي وسطه ، وقد تكون في المكان المشرف يستنقع فيها الماء وما حولها مشرف عليها ، ولا تكون الرحاب في الرمل ، وتكون في بطون الأرض وفي ظواهرها^٥ . » والرحة الأرض الواسعة المنبت . ومن الرحاب المشهورة : (الرحبة) حذاء القادسية ، ووادي قرب صنعاء ، وناحية بين المدينة وبلاد الشام قرب وادي القرى ، ورحة باليامة ، تعرف برحة الهدار ، وصحراء بها أيضاً فيها ماء وقرى^٦ . وقد وجدت كتابات جاهلية في بعض هذه الرحاب ، تشير الى سكن أناس فيها ونزولهم هناك قبل الاسلام .

والنقرة الوهدة المستديرة في الأرض ليست بكبيرة يستنقع فيها الماء^٧ . و (الحفر) الموضع فيه ركابا محفورة ، يستقى منها الماء . منها (حفر ضبة) ، وهي ركابا بناحية (الشواجن) بعيدة القعر عذبة الماء^٨ . والشواجن ، وادي

-
- ١ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٠ ، ٤٢١) ، تاج العروس (٢٥ / ٣) ، (بشر) .
 - ٢ تاج العروس (٢٥ / ٣) ، (بشر) .
 - ٣ تاج العروس (٥١٩ / ٣) ، (كَر) .
 - ٤ عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٨) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦٨ / ١) ، (رحب) .
 - ٦ تاج العروس (٢٦٨ / ١) ، (رحب) .
 - ٧ تاج العروس (٥٨١ / ٣) ، (نقر) .
 - ٨ تاج العروس (١٥٢ / ٣) ، (حفر) .

كبير بديار ضبة في بطنه أطواء كثيرة ، منها الصاف والهابة وثبرة ، ومياها عذبة^١ . ومنها (حفر سعد بن زيد مناة بن تميم) ، بجذاء (العرمة) وراء الدهناء يستقي منها بالسانية^٢ .

و (القِلت) النقرة في الجبل تمسك الماء ، وقيل كل نقرة في أرض يستنقع فيها الماء . وإذا سالت السيول ملأت القلات . وفي الحديث ذكر لقلات السيل^٣ . ومثلها (الوقب) . وهي نقرة في الجبل أو في الصخر يجتمع فيها الماء كالوقبة ، أو هي نحو البثر في الصفا تكون قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء^٤ .

الآبار :

وفي الأماكن التي تكون المياه الجوفية فيها غير بعيدة عن سطح الأرض، ويكون من السهولة حفر الآبار فيها ، يحفر الناس آباراً في بيوتهم وفي أملاكهم للشرب والزرع إن كانت عذبة والتنظيف والاستعمال . ويستعان بالخدم والسقائين في جلب مياه الشرب من الآبار العذبة والعيون والنهيرات . كما حفروا الآبار في الحصون . وقد كانت في حصن المهجوم بئر عظيمة عميقة ، عذبة الماء . وقد بني الحصن من حجارة ضخمة ذكر أن طول الحجر منها سبع أذرع في عرض ثلاثة أذرع ، وأقام أصحابه عليه الأسوار والأبراج . وقد فتح في أيام الرسول^٥ .

و (البثر) هي (بار) في كتابات المسند . والجمع (ابار) أي (آبار) . وقد وصلت إلينا نصوص عديدة في حفر آبار أو في شرائها وبيعها ، وفي تعميرها وإصلاحها . وهي ثروة ورأس مال كبير في جزيرة العرب، تحيي الأرض وتميتها . وتفني الناس وتميتهم ، ولذلك كانوا إذا حفروا بئراً أو إذا ظهرت لهم مياها عذبة غزيرة ، يقدمون إلى آلهتهم الشكر والحمد والندور . وقد أقامت الآبار الكبيرة العميقة العذبة مدناً . وأمانت مدناً بسبب نضوب مياها وجفافها ، وهي على هذه الأهمية الخطيرة إلى الآن .

- ١ تاج العروس (٢٥١/٩) ، (شجن) .
- ٢ تاج العروس (١٥٢/٣) ، (حفر) .
- ٣ تاج العروس (٥٧٢/١) ، (قلت) .
- ٤ تاج العروس (٥٠٥/١) ، (وقب) .
- ٥ ابن المجاور (٢١/١) .

وللأهمية المذكورة للآبار في حياة العرب ، كثرت في لغتهم المصطلحات الخاصة بها ، من أسماء لأنواع الآبار ومن مصطلحات للحفر ولوسائل الحفر ، ومن ألفاظ للمواد التي تستعمل في بناء البئر وفي استخراج الماء منها ، ومن كلمات تشير الى أبعاد البئر ، ومقدار ما فيها من ماء ، وأبعاد أفواهاها . ومن أسماء البئر (الطوى) و (الطوية) ، اذا بنيت بالحجارة^١ . و (الجب) ، البئر ، وقيل البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر ، ولا تكون جباً حتى تكون مما وجد ، لا مما حفره الناس^٢ . و (القليب) البئر ما كانت . وقيل : البئر قبل ان تطوى ، فإن طويت فهي الطوي ، أو العادية القديمة منها التي لا يعلم لها رب ولا حافر يكون في البراري^٣ . وقد عرفت بـ (الرس) كذلك^٤ .

ومن أنواع الآبار التي ذكرها علماء اللغة : الشبكة ، ويراد بالشبكة الآبار المتقاربة والأرض الكثيرة الآبار . وأما (الفقُـر) ، فهي ركيا تحفر ثم ينفذ بعضها الى بعض حتى يجتمع ماؤها في ركي . واذا اجتمعت ركيا ثلاث فما زاد الى ما بلغ من العدة قيل له (فقير) ، ولا يقال ذلك لأقل من ثلاث . وورد ان الفقير فم القناة ، والمكان السهل تحفر فيه ركيا متناسقة ، وفم القناة التي تجري تحت الارض ، ومخرج الماء منها^٥ . وأما (الكظامه) ، فإنها بئر الى جنبها بئر بينها مجرى في بطن الارض . وقيل : كل ما سددت من مجرى ماء أو باب أو طريق ، فهو كظم ، والذي يسد به الكظامه . وقيل : هي آبار متناسقة تحفر ويباعد ما بينها ، ثم يخرق ما بين كل نهرين بقناة تؤدي الماء من الأولى الى التي تليها تحت الأرض فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهائها فتسيح على وجه الأرض^٦ .

و (الجفر) البئر التي ليست بمطوية ، وتجمع على جفار . وأما (الجدّ) ، فالبئر الجيدة الموضع من الكلاء ، والجمع أجداد ، والملك البئر ينفرد بها الرجل ،

-
- ١ تاج العروس (٢٢٩/١٠) ، (طوي) .
 - ٢ تاج العروس (١٧٢/١) ، (جبب) .
 - ٣ تاج العروس (٤٣٧/١) وما بعدها ، (قلب) .
 - ٤ المخصص (٢٤/١٠) .
 - ٥ تاج العروس (٤٧٤/٣) ، (فقر) .
 - ٦ تاج العروس (٤٧/٩) ، (كظم) ، المخصص (٣٤/١٠) وما بعدها .

والبود البشر كذلك^١ . والسهبرة من أسماء الركايا^٢ . و (القليب) البشر ما كانت ،
والبشر قبل ان تطوى ، فإذا طويت فهي (الطوي) ، أو العادية منها التي لا يعلم
لها رب ولا حافر يكون في البراري^٣ . و (الطوي) البشر المطوية بالحجارة^٤ .
ومن المواضع التي عرفت بأطوائها موضع (الأطواء) بالهامة ، قرب (قر)
قرى) ، ذو نخل وزرع كثير^٥ .

وقد تكون الآبار ذات مياه غزيرة كبيرة ، تخص المدينة بأسرها ، أو القبيلة
بأسرها ، وقد تكون ملك أسرة تستغلها الأسرة لحسابها ، أو ملك فرد يستفيد
منها مباشرة أو يبيع مياهها للناس ، لاسقاء الأرضين أو الماشية . وقد تباع لأشخاص
آخرين ، وقد تؤجر . وطالما كانت الآبار مصدر نزاع خطير بين القبائل وسبباً
في إثارة الحروب .

و (العيد) البشر لها مادة من الأرض ، فهي كثيرة الماء دوماً ولا تنزح .
وأما (المفهاق) فإنها البشر الكثيرة الماء ، و (الغروب) الدلاء ، واحدها (غرب)
وهي التي تجرها الإبل ، و (الاسجل) الواسع من الدلاء بمائها ، والغتلل الماء
الجاري يجري تحت النخيل ، و (اليعبوب) النهر الجاري وتسلسله مضيه في جريته .
و (الخسف) البشر ذات الماء الكثير^٦ .

وقد اشتهرت بعض الآبار بغزارة مياهها ، ذكر (المصداني) أن (بشر النقيير)
بناحية البحرين « على عشر قبسم لا تنكش ، ويجتمع عليها كثير من وراد العرب
وربما سقى عليها عشرة آلاف بعير »^٧ . وهناك آبار أخرى عرفت بغزارة مياهها .

وقد يحفرون سلسلة آبار ينحرق أسافلها ، ليفرغ بعضها في بعض من موضع
الماء . مثل (الهبابة) . وكانوا يزرعون عليها الحنطة والشعير وما أشبه^٨ .

-
- ١ تاج العروس (٣٠٧/٢) ، (البود) .
 - ٢ تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي (٣٢٣/٨ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٨٥/٣) ، السهبرة .
 - ٣ تاج العروس (٤٣٧/١) وما بعدها ، (قلب) .
 - ٤ تاج العروس (٢٢٩/١) ، (طوى) .
 - ٥ تاج العروس (٢٢٩/١٠) ، (طوى) .
 - ٦ العمدة (٩٤) .
 - ٧ الصفة (١٦٣) .
 - ٨ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٣٥) .

ولم يكن من السهل في ذلك الزمن حفر الآبار ، لعدم توفر الآلات والأدوات الفنية . فإن حفر البشر الى عمق بعيد الغور كما تتطلبه الأماكن المرتفعة يحتاج الى آلات كثيرة والى علم وتدبير وفن وذكاء في محافظة جدران البشر من الانهيار على الحفارين ، وعلى الماء بعد الانتهاء من الحفر ، فتندثر ويذهب المجهود في حفرها عبثاً . هذا ولا بد لمهندس الآبار من معرفة بطبيعة الأرض ومظنة وجود الماء فيها أو عدمه ومدى عمقه ، فلا يعقل اقدام شخص على حفر بشر في أرض لا يعرف من أمرها شيئاً . وحفر البشر في النجاء عمل مكلف باهظ ، فلا بد إذن من تخصص أناس مهندسة الآبار ، ليقوموا بهذا العمل الذي لا يمكن القيام به ما لم يسنده علم وفهم .

وقد تخصص أناس بحفر الآبار وباختيار المواضع التي يحتمل وجود المياه العذبة بها . ولهم في ذلك علم ودراية وخبرة . وكانوا إذا قربوا من الماء احتفروا بشراً صغيرة في وسط البشر بقدر ما يجدون طعم الماء ، فإن كان عذباً حفروا بقيتها ، ولذلك يقال (التعاقب) و (الاعتقام)^١ . فالاعتقام إذن عملية تجريبية لاختبار طعم ماء البشر وتجربته من حيث العذوبة والملوحة وعليها تتوقف عملية الحفر .

ومتى حفرت البشر ووصل الى الماء ، قيل : أمهت البشر ، وأموهت ، وأمهيت . ويقال ابتأرت بشراً ، أي حفرتها . ويقال أيضاً : حفرت البشر حتى نهرت ، أي بلغت الماء . وإذا بلغ الحفارون الأرض الغليظة قيل : بلغت الكدية . وإذا وصلوا موضعاً صعباً فصعب الحفر ، قيل : بلغ مسكة البشر . ويقال أجبلت ، أي انتهيت الى جبل . ويقال الصلود ، وهي الأرض التي تحفر فيغلب جبلها الحافر . فيصلد الحفر على الحافر لصعوبة الأرض . وإذا حفر الحفارون حتى يبلغوا الطين ، فيقال عندئذ : أثلجت ، فإذا بلغ الماء ، قيل : أنبط ونبط . والنبط أول ما يظهر من ماء البشر حين تحفر . وإن بلغ الرمل ، قيل : أسهب ، وإن انتهى الى سبخة ، قيل : أسبخت . ويقال : تأثل البشر اذا حفرت البشر ، وهزمت البشر حفرتها^٢ .

ويتحایل الحفارون في الحفر اذا فوجئوا بصخرة أو أرض صلدة ، تمنعهم من

١ تاج العروس (٤٠٣/٨) ، المخصص (٤١/١٠) .

٢ المخصص (٤٠/١٠) وما بعدها .

الاستمرار في الحفر : خاصة اذا كانوا قد بلغوا عمقاً بعيداً في باطن الارض . وقد كلفهم الحفر صرف مال كثير ، فإذا تركوه أصيب صاحب البئر بخسارة ، لذلك يتحایل الحفارون على الأرض بالتعريج في الحفر ، بمنة ويسرة ، للعثور على موضع ينزلون منه الى موضع وجود الماء ، ويقولون لذلك : (التلجيف) . ويراد به الحفر في جوانب البئر^١ .

وقد تنقر آبار صغيرة ضيقة الرؤوس في نجفة صلبة ، لثلاثتهم ، ويقال لمثل هذه الآبار المناقر . وأما المنقر ، فيراد بها البئر التي يكثُر فيها الماء^٢ . وفي بعض المناطق الصخرية والجبلية آبار منقورة تتجمع فيها مياه جوفية تنحدر اليها من المواضع المرتفعة أو من مياه الامطار التي تساقط على المواضع المرتفعة فتسيل الى أفواه تلك الآبار وتدخل اليها وتتجمع فيها ، فيستفيد منها الناس .

وفي جملة الألفاظ الواردة في الكتابات العربية الجنوبية والمستعملة في حفر الآبار وتوسيعها وتعميقها ، لفظة (حفر) ، وهي بالمعنى المفهوم منها في عربيتنا . ولفظة (سبط) ، ويقصد بها معنى (استنبط) ، من (نبط) ويراد بها ظهور الماء واستخراجه من باطن الارض . وأما لفظة (سبحر) ، فتعني (استبحر) ، من أصل بحر ، بمعنى التعميق . ولا يزال حَفَرَةُ الآبار في العراق يستعملون لفظة تبجير البئر بمعنى تعميقها^٣ . وفسرت لفظة (ضفر) ، بمعنى السدعم بالحجارة ، أي كسوة جدار البئر بالحجارة^٤ .

وللمحافظة على البئر من الانهيار بسبب رخاوة جدرانها وتساقط المياه المتوحة منها ، عمدوا الى زبرها من قعرها الى أعلاها بالحجارة . ويعبر عن هذا الجدار بلفظة (كولم) (كول) في المند . وب (جول) في عربيتنا . ورد في كتب اللغة : « الجول : جدار البئر »^٥ . ويقال لمثل هذه البئر (الزبورة) أي المطوية

١ تاج العروس (٢٤٣/٦) ، (لجف) ، المخصص (٤١/١٠) .

٢ المخصص (٤٦/١٠) ، تاج العروس (٥٨١/٣) ، (نقر) .

٣ « يوم حفر وسنبط وسبحر » ، بمعنى « يوم حفر واستنبط وعمق » ، أو « حين حفر واستنبط وعمق » ، النقش رقم ١٦ المنشور في (ص ٢٣) من كتاب « نقوش خربة معين » .

٤ نقوش خربة معين (ص ٢٣) .

٥ تاج العروس (٢٦٧/٧) . Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, 8. 28.

بالزبر . وأما (المعروشة) ، فالتى تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب وحده ، وذلك الخشب هو العرش . فإن كانت كلها بالحجارة ، فهي مطوية ، وليست معروشة . وهناك تعابير أخرى تشير الى تبطين البشر وكساء جدرانها بمواد مقوية تمنعها ان تنهار . فإذا بنيت البشر بالحجارة ، قبل بشر مضروسة وضريس ، وهو ان يسد ما بين خصاص طيتها بحجر ، وكذلك سائر البناء . ويقال الأعقاب للخزف الذي يُدخَل بين الآجر في الطي لكي يشتد . والوسب خشب يُطوى به أسفل البشر اذا خافوا ان تنهار ، والجمع الوسوب^١ . والحامية الحجارة تطوى بها البشر^٢ .

وهناك ألفاظ عديدة ذكرها علماء اللغة للآبار التي تكثر مياهها أو تقل . فورد : بشر غزيرة بمعنى كثيرة الماء ، وورد بشر ميهة وماهة إذا كثر ماؤها ، والعلم البشر الكثيرة الماء . والخسيف التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة ، وهي التي خسفت الى الماء الواتن تحت الارض ، ويقال بشر سجر ومسجورة بمعنى مملوءة ، وبشر ذات غيث أي مادة . والقيلدم ، البشر الكثيرة الماء ، وبشر مقيضة كثيرة الماء قد قيضت عن الجبل . والبشر الماكدة التي يثبت ماؤها على قرن واحد لا يتغير ، وإن كثر منها ، وإن وضع عليها قرنان أو أكثر ، غير أن ذلك إنما يكون على قدر ما يوضع عليها من القرون بقدر مائها ، وبشر مكود وماكدة لا تنقطع مادتها ، والهزائم الآبار الكثيرة الماء ، وبشر زغبة كثيرة الماء ، وبشر ذمة وذميم وذميمة كثيرة الماء كذلك ، والنقيع البشر الكثيرة الماء^٣ .

ويقال حبض ماء البشر ، وذلك إذا انحدر ونقص ، ونكرت البشر أي قلّ ماؤها ، وبشر نرح ماء فيها ، وبشر مكول وهي التي يقلّ ماؤها فيستجم حتى يجتمع الماء في أسفلها ، واسم ذلك الماء المكولة ، وبشر قطعة وبشر ذمة قليلة الماء ، وبشر ضهول قليلة الماء ، والخليقة البشر التي لا ماء فيها ، وقيل هي الحفيرة في الارض المخلوقة ، والضغيط بشر تحفر الى جنبها بشر أخرى فيقلّ ماؤها ، وبشر قَرُوع قليلة الماء وهي كالضنون سميت بذلك لأنها تقرع قرعاً كلما فني ماؤها ،

١ تاج العروس (٥٠٣/١) ، (وسب) .

٢ المخصص (٤٢/١٠) وما بعدها .

٣ المخصص (٢٧/١٠) وما بعدها .

وبشر رشوح وبروض وبضوض قليلة الماء^١ .

وتستخرج المياه من الآبار بالدلاء ، تربط بالحبال الى الأعمدة المثبتة فوق البئر . ويقال للعمود (عمد) (عامود) والجمع (عُمد) و (أعمد)^٢ . وأما (الدلو) وهو الوعاء أو القربة المصنوعة من الجلد في الغالب ، فيقال له (علبت) و (علم) في المسند^٣ ، تمتلئ بالماء حين دخولها في ماء البئر ، فتسحب وهي مملوءة به . فإذا بلغت موضع سكب الماء سمحت الى ذلك المكان لتفريغ مائها فيه ، فينسب الى (مسقيت) أي (مسقية) ، بمعنى الساقية لإرواء المزرعة ، أو لايصاله الى المدينة أو البيوت .

وأما الآلة التي تعلق عليها الدلاء والمتصلة بالأعمدة فتعرف بـ (اعرز) في المسند^٤ . ويقال للدولاب الذي يستقى عليه : المنجنون ، وذلك في عربيتنا^٥ .

ويقال لتفريغ الركبة وأخذ ما فيها من ماء (حبض) في لغة المسند . وهي بهذا المعنى أيضاً في عربية القرآن الكريم . والاحباض ان يذهب ماء الركبة فلا يعود ، و (أحبض الركبة) احباضاً ، فلم يترك فيها ماء^٦ .

ولا بد للدلاء من حبال قوية متينة تتحمل الاحتكاك بينها وبين البكرة وتساعد على حمل الدلو . وهذه الحبال تتخذ من مواد مختلفة ، تفتل وتبرم ، والعادة ان يقوى الحبل بجملة حبال تبرم بعضها فوق بعض وتشد شداً قوياً لئلا تنهز بسرعة فينقطع . وقد يتكون الحبل الواحد من مجموع عشرة حبال . أما مادة الحبل فالليف والخوص والجلود ولا سيما جلود الإبل والابق والمصاص ، وهو نبات ، ولحاء الشجر والقنب ، ومشاقة (السلب) ، وهو ضرب من الشجر ينبت متسلقاً فيطول . ويؤخذ فيحل ثم يشقق فتخرج منه مشاقة بيضاء كالليف يتخذ منها أجود ما يكون من الحبال . وقد تصنع من القطن ومن ليف جوز الهند^٧ .

-
- ١ المخصص (٣٩/١٠ وما بعدها) .
 - ٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 115, 152.
 - ٣ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 132.
 - ٤ CIH 303, Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 131.
 - ٥ تاج العروس (١٦٦/٩) ، (جنن) .
 - ٦ تاج العروس (١٨/٥) ، (حبض) .
 - ٧ المخصص (١٧٠/٩ وما بعدها) .

ولفعل الحبال تستعمل المغازل والمبارم ، لغزل الالياف وبرمها بعضها فوق بعض ، كما تستعمل بعض المواد المقوية للألياف مثل الزيوت لتحافظ على قوة الحبل وعلى تماسكه فتبقيه طرياً، فلا ينقطع بسهولة . وقد تخصص أشخاص بصناعة الحبال وعاشوا عليها ، وقد كانت ذات أهمية بالنسبة لذلك الزمن .

ويقال للدلو العظيمة : (الغرب) . ويتخذ من مسك ثور ، والغرب الراوية^١ . و (السانية) الغرب وأداته ، والناقاة إذا سقت الأرض ، وسنيت الدابة ، إذا استقى عليها ، والقوم يسنون لأنفسهم إذا استقوا^٢ . والسانية والسنواة السقي ، وهو سان . والساني ، يقع على الرجل والجمال والبقر ، كما أن السانية على الجمل والناقاة . والمسنوية ، البئر التي يسنى منها ، وركية مسنوية ، إذا كانت بعيدة الرشاء لا يستقى منها إلا بالسانية من الإبل^٣ .

وتستخدم الثيران والجمال والحميز والبغال في مَتنح الماء بالدلاء من الآبار الكبيرة الواسعة لسقي المزارع والساتين والناس ، ويشرف على ذلك العبيد أو الفلاحون أو أصحاب البئر . أما الآبار الصغيرة الخاصة بشرب الناس ، فيستخرج الماء منها الإنسان ، وتصب الدلاء المياه في أحواض أعدت لذلك ، لها منفذ يسيل منه الماء الى السواقي .

وقد تحمي البئر من الأدران ومن الأتربة ومن أخذ الماء منها ، بإقامة بناء فوقها على هيئة غرفة ، فإذا أقيم ذلك على البئر عرف بـ (منشا) في المسند . وقد تؤدي هذه اللفظة معنى أخذ الماء وتوجيهه الى الجهة المراد ارسال الماء اليها بمجرد يأخذ ماءه من (فنوت)^٤ . وفسرت لفظة (ثقول) بمعنى تعليق . وتعليق شيء فوق بئر ، أو انشاء سقف فوقها لحماية البئر ولتعليق الأدوات التي يمتنع بها الماء من البئر عليها ، وذلك كما في هذه الجملة : (ابارسم وثقولسم) ، ومعناها : (وكل آبارهم وسقوفها) أو (وكل آبارهم والأعمدة المقامة فوقها للاستقاء بها)^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٤٠٥/١) ، (غرب) ، الخراج (٩٦) ، المبرد ، الكامل (٧٣٢/٢) .
 - ٢ تاج العروس (١٨٥/١٠) ، (سننى) .
 - ٣ تاج العروس (١٨٦/١٠) ، (سننى) .
 - ٤ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 113.
 - ٥ Kat. Texte, II, S. 28.

وتتعرض الآبار لسقوط الأتربة والرمال فيها ، وقد تنهار جدرانها فينضب ماؤها ، ولا تمكن الاستفادة منها إلا بترحها . ويقال لنزح البئر جهرت البئر واجتهرت ، أي نزحت . وقيل المجهورة المعمورة منها عذبة كانت أو ملحة^١ . ولا بد من نزح هذه الآبار دائماً ، إذا أريد بقاء الماء فيها ، وإلا ذهب ماؤها وانتفت فائدتها ، فترك وتهمل .

وتنظف الآبار بنزول الرجال فيها فيشد الرجل وسطه بالحبل ، ويترك طرفه في يد رجل ، أو مشدوداً بشيء ثابت قوي . ويقال لهذا الحبل (الجعار)^٢ . وذكر ان (الجعار) حبل يشد به المستقي وسطه إذا نزل في البئر لثلا يقع فيها ، وطرفه في يد رجل ، فإن سقط مدّه به . وقيل هو حبل يشده الساقى الى وتد ثم يشده في حقوه^٣ . وتعمل في جدر الآبار في العادة مواضع للأقدام متقابلة يضع النازل في البئر رجله عليها ، تمكنه من النزول لمنح البئر ، واستخراج ما قد يتساقط فيها من أتربة ورمال ، أو لحفر قاعها لزيادة الماء فيها .

ويعبر عن انهيار البئر وسقوطها بالفاظ ، مثل : (صقعت) ، وانقاصت ، وانقاضت ، وانهارت ، وتنقضت ، وتجوخت ، وانقارت . واهدم ما تهدم من نواحي البئر في جوفها ، وانخسفت البئر ، تهدمت^٤ .

وتنظف الآبار بالجُبُجبة ، تملأ بالأتربة وبالطين وبالأوساخ المتراكمة في قاع البئر وترفع ، وتصنع من جلود وأدم ، وهي نوع من الزبيل . ويستعمل في التنظيف (الثوج) كذلك ، وهو زبيل ، يعمل من خوص ، يحمل فيه التراب وغير ذلك . ويستعمل القفير كذلك ، وهو الزبيل بلغة أهل اليمن . ومن أسماء الزبيل أيضاً (السن) وهو زبيل كبير ، والحفص زبيل صغير من أدم ، والعرق نوع من أنواع الزبيل . ويقال للخشبتيّ اللتين تدخلان في عروتي الزبيل إذا أخرج به التراب من البئر (المِسْمَعان). وقيل المسمع العروة التي تكون في وسط المزادة^٥.

١ المخصص (٣٩/١٠) وما بعدها .

٢ المخصص (١٧١/٩) .

٣ قال أحدهم :

ليس الجعار مانعي من القدر
ولو تجعرت بمحبوك ممر

تاج العروس (١٠٢/٣) ، (جعر) .

٤ المخصص (٤٤/١٠) .

٥ المخصص (٤٥/١٠) وما بعدها .

وتسحب الزبيل بجبال أعلى لاستخلاص ما فيها من تراب وطين ووسخ حتى تنظف.
ومن الالفاظ المعبرة عن تنقية البشر ونزولها وتنظيفها من الاوساخ والاتربة قولهم:
نُثِلَتُ البثر ، أي أخرج ترابها ، واسم ذلك التراب النثيلة والنثالة والثلة والنبثية.
ويقال نبثية النهر كذلك . وأما خمامة البثر ، فإفراد بها ما كنس منها . ويقال
جَهَرَتُ البثر ، بمعنى أخرجت ما فيها من الحمأة . وأما الشأور ، فما يخرج من
ترابها ، وقد شأوت البثر نقيتها ، ويقال للذي يُخرج به المشاة ، ويقال أخرجت
من البثر شأواً أو شأوين ، وهو ملء الزبيل من التراب . وجششت البثر أجشها
جشاً ، أي كنستها . ونكشتُ البثر، أخرجت ما فيها من الحمأة والجيشة والطين^١.
وقد يتغير طعم مياه الآبار وألوانها لعوامل عديدة . وهناك مصطلحات عديدة
ذكرها علماء اللغة للدلالة على فساد ماء البثر ونتاجه . مثل : المسيط والضغيط ،
والحمأة الطين الاسود الملتن ، وقد يحمىء ماء البثر فيكدر وتخالطه الحمأة فتتغير
رائحته . وتنزع حمأة الآبار وتنظف ليتمكن الاستفادة منها^٢ . والجيشة والحياة :
البثر المنتنة^٣ .

وقد كان أهل المدن والقرى يشربون من العيون ومن موارد المياه الطبيعية
الآخري إن كانت في قراهم عندها أو على مقربة منها ، كما كانوا يحتفرون الآبار
في بيوتهم أو في خارجها للاستفادة من مياهها ، فإن كانت عذبة فرحوا بها
وشربوا منها . وكانت قریش قبل جمع قصي^٤ لإياها وقبل دخولها مكة تشرب من
حياض ومصانع على رؤوس الجبال ، ومن بثر حفرها (لؤي بن غالب) خارج
الحرم تدعى (اليسيرة) ، ومن بثر حفرها (مرة بن كعب) تدعى (الروي) ،
وهي ما يلي (عوفة) ثم حفر (كلاب بن مرة) خم ورم ، و(الجفر) بظاهر
مكة^٥ ، وورد أن الذي حفر بثر (خم) هو (عبد شمس بن عبد مناف) ،
حفرها بمكة^٥ . وأن الذي حفر بثر (رم) هو (مرة بن كعب) أو (كلاب
ابن مرة) حفرها بمكة^٦ . وذكر أن (الجفر) بثر بمكة كانت لبني تميم بن

-
- ١ المخصص (٤٥/١٠) ، تاج العروس (٣٥٩/٤) ، (نكش) .
 - ٢ تاج العروس (٥٨/١) ، (حمى) .
 - ٣ المخصص (٤٧/١٠) .
 - ٤ البلاذري ، فتوح (٦٠) .
 - ٥ تاج العروس (٢٨٣/٨) ، (خم) .
 - ٦ تاج العروس (٣١٨/٨) ، (رم) .

مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي^١ .

ثم إن (قصي بن كلاب) حفر بئراً سماها (العجول) واتخذ سقاية ، ثم إنه سقط في العجول بعد ممات (قصي) رجل فعطلت^٢ . وورد أن الذي احتفرها (قصي) أو (عبد شمس)^٣ . وحفر (هاشم بن عبد مناف) (بذر) ، وهي البئر التي عند حطم الخدمة على فم شعب أبي طالب ، وهي لبني عبد الدار^٤ . وحفر (هاشم) أيضاً (سجلة) ، وقد دخلت في المسجد^٥ . وحفر (عبد شمس ابن عبد مناف) (الطوى) وهي بأعلى مكة ، و (الجفر) ، وحفر (ميمون ابن الحضرمي) (بثرة) ، وهي آخر بئر حفرت في الجاهلية بمكة . وعندها قبر (المنصور) . وورد أن (عبد شمس) حفر أيضاً بئرين وسماهما (خم) و (رم) ، على ما سمي (كلاب بن مرة) بئرته^٦ . فأما (خم) فهي عند (الردم) . وأما (رم) ، فعند دار (خديجة بنت خويلد)^٧ .

وحفرت بنو أسد بئر (شُفَيْة)^٨ . وحفر (بنو عبد الدار) (أم أحراد) ، وقد أشير إليها في الحديث^٩ . وحفر (بنو جمح) (السنبلة) . وذكر أن الذي حفرها (بنو جمح) و (بنو عامر)^{١٠} . وحفر (بنو سهم) (الغمر) ، وهي بئر (العاص بن وائل) . وحفرت (بنو عدي) (الحفير) . وحفرت (بنو مخزوم) (السقيا) ، و (بنو تيم) (الثريا) ، وهي بئر (عبدالله بن جدعان) . وحفرت (بنو عامر بن لؤي) (النقيع) ، وكانت لجبير بن مطعم بئر ، وهي بئر بني نوفل ، وكان عقيل بن أبي طالب ، حفر في الجاهلية بئراً ،

- ١ تاج العروس (١٠٥/٣) ، (جفر) .
- ٢ البلاذري ، فتوح (٦٠) .
- ٣ تاج العروس (٨/٨) ، (عجل) .
- ٤ تاج العروس (٣٦/٣) ، (بذر) ، البلاذري ، فتوح (٦١) .
- ٥ البلاذري ، فتوح (٦١) .
- ٦ البلاذري ، فتوح (٦١) .
- ٧ وقال عبد شمس :
حفرت خمًا وحفرت دما حتى أرى المجد لنا قد تما
البلاذري ، فتوح (٦١) .
- ٨ البلاذري ، فتوح (٦١) ، تاج العروس (٢٠١/١٠) ، (شفى) .
- ٩ البلاذري ، فتوح (٦١) ، تاج العروس (٣٣٥/٢) ، (حرد) .
- ١٠ البلاذري ، فتوح (٦٢) ، تاج العروس (٣٨٣/٧) ، (سنبل) .

وهناك آبار أخرى غيرها ، ذكرها (البلاذري) في كتابه (فتوح البلدان)^١ . وقد اشتهرت بعض الآبار وعرفت ، ، ولا تزال معروفة تقراً أسماءها في الكتب . ومن أشهرها (بثر زمزم) ، ذات الشهرة البعيدة ، بسبب مكانتها من الكعبة ، وبثر (طوى) . وهي بثر حفرها عبد شمس بن مناف^٢ . وبثر (ذروان) ، وهي لبني زريق ، جاء ذكرها في حديث سحر النبي^٣ . و (بثر رومة) ، وهي ليهودي كان يبيع الماء منها للناس ، وقد حصل على مال كثير منها ، وكان اذا غاب ، قفل عليها بقفل ، فلا يستطيع أحد أخذ الماء منها . فشكا المسلمون ذلك الى الرسول ، فقال : « ومن يشترها ويمنحها للمسلمين ويكون نصيبه كنصيب أحدهم ، فله الجنة » . فاشترها (عثمان) بخمسة وثلاثين ألف درهم ، فوقفها^٤ .

ويثرب وأطرافها آبار عديدة ، كان يستقي منها أهلها للشرب ، منها بثر (غرس) . ويظهر انها كانت من أجود وأحسن آبار يثرب . وقد ورد ذكرها في الحديث ، حيث ورد : نعم البثر بثر غرس ، هي من عيون الجنة . وغُسل رسول الله منها^٥ . وذكر انها كانت بقاء ، وانه برك فيها^٦ . ويستقى منها على حمار^٧ . ومنها بثر (مالك بن النضر بن ضمضم) ، وهي التي يقال لها بثر (أبي أنس)^٨ . ولما نزل الرسول منزل (أبي أيوب) ، كان أبو أيوب يخدمه ويستعذب له هذه البثر^٩ . ولما صار الرسول الى منزله ، كان خدمه يحملون قدور الماء الى بيوت نسائه من بثر السقيا ، ومن بثر غرس^{١٠} . وبثر (بضاعة) بثر معروفة بالمدينة ، قطر رأسها ستة أذرع ، وهي في بستان ، وكان أهل يثرب يطرحون فيها خرق الخيض ولحوم الكلاب والمئتن^{١١} .

-
- ١ (من ص ٢٦ فما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (١٠ / ٢٢٩) ، (طوى) .
 - ٣ تاج العروس (١٠ / ١٢٦) ، (ذرو) .
 - ٤ المعارف (ص ٨٣) .
 - ٥ تاج العروس (٤ / ٢٠١) ، (غرس) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (١ / ٥٠٣) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (١ / ٥٠٣) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (١ / ٥٠٣) .
 - ٩ ابن سعد ، طبقات (١ / ٥٠٤) .
 - ١٠ ابن سعد ، طبقات (١ / ٥٠٤) .
 - ١١ تاج العروس (٥ / ٢٧٨) ، (بضع) .

وكان أهل العربية الغربية يحفرون حفراً ، يجعلونها كالبشر ، يلقون بها الجيف وما شاكلها . وذكر أن (الجياجب) ، حفر بطنه كان يلقى بها الكروش ، كروش الأضاحي في أيام الحج ، أو كان يجمع فيها دم البدن والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ^١ . وقد ورد أن الرسول كان يشرب من بشر (بضاعة) وأنه بصق فيها وبرك ^٢ . وأن خيل رسول الله كانت تسقى منها ، وأن أهل المدينة كانوا يغسلون مرضاهم بمائها ، لاعتقادهم أنه يشفي من المرض ^٣ . ولعل قصة رمي الجيف والمنتن بها من القصص الموضوع المصنوع ، أو أن ذلك حدث فيما بعد ، حين أهمل شأنها، فلم يعد الناس يستقون منها ، فالتخذت موضعاً يرمى فيه الجيف .

ومن بقية الآبار (البُقْع) وقيل هي السقيا التي بنق بني دينار ، وبشر (جنب) ، وبشر (جاسم) ، بشر أبي الهيثم بن التيهان براتج ^٤ ، وبشر (العبرة) ، بشر (بني أمية بن زيد) ، وقد شرب منها الرسول وسماها (اليسيرة) ^٥ . وبشر (رومة) بالعقيق ، وكانت لرجل من مزينة يسقى عليها بأجر ، فقال رسول الله : نعم صدقة المسلم هذه من رجل يبتاعها من المزني فيتصدق بها ^٦ . وكان المزني ، قد ضرب خيمة الى جنب البشر ، يأخذ أجور الدلاء ، وله جرار بها ماء بارد ، مرّ الرسول به مرة فشرب منها ماءً بارداً ، فقال : هذا العذب الزلال ^٧ .

ويرد في كتب السير مصطلح (بشر السقيا) و (بيوت السقيا) ، و (السقيا) ورد أن الرسول كان يشرب من بيوت السقيا ^٨ ، وورد أن خدمه كانوا يحملون قدور الماء الى نسائه من (بشر السقيا) ، وأنه شرب حين خرج الى (بدر) من (بشر السقيا) ^٩ . وقد ذكر بعض العلماء ، أن (بيوت السقيا) موضع في

-
- ١ تاج العروس (١/١٧٤) ، (جيب) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٥) .
 - ٤ تاج العروس (٥/٢٨٠) ، (بقع) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) وما بعدها .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٦) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٦) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣) .
 - ٩ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٤ ، ٥٠٦) .

بلاد (عذرة) ، يقال له (سقيا الجزل) ، قريب من وادي القرى^١ . وهناك
بئر قيل لها (السقيا) بنقب بني ديار ، ورد ذكرها في الحديث^٢ . وهناك مواضع
أخرى عرفت بـ (السقيا) ، و (سقيا) ، منها سقيا غفار ، و (السقيا
الجزل) ، (سقيا يزيد) ، والسقيا للعنبر^٣ .

وقد ذكر ان الرسول قد شرب من الآبار المذكورة ، وبصق فيها وبرك^٤ ،
ليبارك في مائها .

ولأبي عبيدة ، معمر بن المثنى كتاب في الآبار ، جمع فيه ما ورد ذكره
من الآبار^٥ .

وقد اتخذ النبط وغيرهم من القبائل آباراً لشربهم ولشرب مواشيهم، لها فتحات
تسد بالحجارة ، فلا يمكن لأحد غريب الوقوف عليها ، فإذا داهمهم عدو ، أو
أرادوا النقلة الى أماكن أخرى ، سدوا بها فتحاتها ، ووضعوا فوقها من التراب
ما يخفي معالمها . وقد أشار اليها الكتبة اليونان واللاتين .

ولا تزال بعض الآبار القديمة مستعملة يتفجع بمائها وهناك آبار طمرت ، أو
جفت مياهها ، وقد عثر عند أفواهاها على كتابات تشير اليها والى أسماء أصحابها.
وهناك آبار أخرى عديدة عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب، وبعضها
عميقة جداً ، وهي كلها (عادية) من أيام الجاهلية . والبئر العادية البئر القديمة
التي لا يعرف لها مالك .

وقد استغلت بعض الآبار الجاهلية المندثرة ، بتنظيفها وتطهيرها واستغلالها .
ذكر (فؤاد حمزة) ان آباراً عديدة جاهلية نظفت وأصلحت ، فعادت اليها الحياة،
واستغلت مياهها في إحياء الأرضين التي كانت خصبة مثمرة ثم تحولت الى موات^٦.
ولا يزال الناس يستغلون في اليمن وفي غير اليمن بعض الآبار القديمة للشرب ،
وذلك لصعوبة استخراج مياهها للزراعة لعمقها ، واقتصار الناس هناك في استخراج

١ تاج العروس (١٨٠/١٠) ، (سقى) .

٢ تاج العروس (٢٨٠/٥) ، (بقع) .

٣ بلاد العرب (٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٦) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٥٠٣ وما بعدها) .

٥ « كتاب الآبار » تاج العروس (٣/٣٦) ، (بذر) .

٦ فؤاد حمزة (ص ١٩٠) .

الماء على الدلاء^١ . ويظهر من وجود بعض الآبار (العادية) في البراري ان تلك المواضع كانت في محلات مأهولة ، ثم تركها أهلها فعميت ، وبقيت آثارها تتحدث عن وجود سكن قديم في هذه المواضع . وفي اليمامة آبار عديدة عادية ، لا تزال على وضعها ، وهي من آبار ما قبل الاسلام . وأشار العلماء الى مياه عادية ، فقد ذكروا ان (لبينة) ماء عادية ، أي من المياه القديمة التي يعود عهدها الى الجاهلية^٢ .

وقد عثر المنقبون على نصوص جاهلية مدونة بالمسند ، تتعلق بتملك الآبار وبحفرها وبإصلاحها . وقد أرخ بعض منها بأيام ملك ، أو برجل عظيم كان معروفاً مشهوراً في زمانه ، أو بحادث وقع لهم ذي بال . وقد أمدتنا هذه النصوص ببعض المعلومات عن الآبار وعن أصحابها وأسماء المواضع التي حفرت بها .

ويكون نضوب الماء من البئر ، أو تحول مائها العذب الى ماء ملح ، نكبة بالنسبة لأهل البئر ، ففي تبدل طعم الماء هذا خسارة كبيرة لأهل الماء ، وعليهم البحث عن مورد آخر لسد رمقهم ، واطفاء ظمأ أمواتهم ، وحفر بئر أخرى في مكان آخر . ونقرأ في كتب أهل الأخبار واللغة أمثلة كثيرة عن هذا التبدل الذي حدث في طعم الماء ، وسببه ، هو انجباس المطر ، وتحول مجاري المياه العذبة الجوفية من مكان الى مكان ، مما يسبب نضوب ماء الآبار والعيون التي كانت على المجاري القديمة ، أو تقليل كمياته ، فتظهر عندئذ ملوحة التربة ، وقد تتغلب على طعم الماء العذب ، فتحوله الى ماء ملح^٣ .

وقد هجرت مستوطنات عديدة بسبب وقوع هذه الظواهر المحزنة في موارد مياهها كانت تستمد مياهها من حوض ماء جوفي ، فلما قلت المياه فيها ، أو تحولت الى موضع آخر ، لعوامل (جيولوجية) ، تأثرت المنطقة التي فيها الماء ، بهذا التحول ، واضطر سكانها الى تركها ، نتيجة انقطاع موارد المياه عنها ، أو تبدل طعمها ، تبديلاً لا يطاق .

١ نزيه مؤيد العظم ، رحلة في بلاد العرب السعيدة (ص ٤٥) .

٢ بلاد العرب (٢١١) .

٣ تاج العروس (٢٢٨/٢ وما بعدها) ، (ملح) .

العيون :

ويقال لينبوع الماء (العين) . وعيون الماء معروفة مشهورة في مواضع كثيرة من جزيرة العرب ، وهي مواضع الخصب والنماء والزرع . ويستفاد منها في سقي المزارع وإرواء الأشجار المغروزة في هذه الأماكن ، على أن كثرة مياه بعض العيون قد صار سبباً في انتشار الأوبئة مثل (الملاريا) كما في واحة خيبر ذات العيون العديدة . ويقال لمجري الماء من العيون القصب ، وقيل قصبة كل مخرج ماء . ويقال للعين التي لا ينقطع ماؤها عين حشد . أما إذا كانت العين كثيرة الماء فيقال لها عين غزيرة ، وعين زغبية ، وعين غدقة ، وعين ثرة ، وكذلك ثرثرة^١ . وقد ذكر العلماء أسماء عيون عديدة كانت ذات مياه عذبة ، هي رحمة للناس تنقذ حياتهم وحياة ماشيتهم من العطش والحر الشديد ، وقد أقيمت حولها قرى ، مثل (ينبع) ، قرية وحصن ، ذكر أنها كانت ذات عيون كثيرة ، زرعت عليها نخيل وزروع^٢ .

وبعض العيون عيون معدنية ، بعضها بارد ، وبعضها حار يستشفى فيه . ويقال للعين الحارة : الحمة^٣ . وذكر علماء اللغة أن الحمة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بالغسل منه . وقد أشير إليها في الحديث^٤ . وكان أهل الجاهلية يستشفون بالاغتسال في العيون الحارة ، وخاصة عند إصابتهم بأمراض الجلد .

والعيون : هي مما استنبطته الطبيعة في الغالب ، فلا يد للإنسان في وجودها ، وهي تكون عامة لأهل المنطقة التي تقع فيها ، يشربون منها سواء ، وقد تكون مما استنبطه الآدميون ، فتكون ملكاً لمستنبطها ولورثته من بعده ، لهم تملكها ولهم حق بيعها ، تسقي ملكهم لا ينازعهم عليها منازع ، وإذا سال ماء العين فيجبر عن ذلك بلفظة (ثج) ، أي سال^٥ .

ونقرأ في كتب الأخبار واللغة لفظة (الغمر) علماً لمواضع فيها مياه غزيرة ، قد تكون آباراً وقد تكون عيوناً . ومنها (الغمر) ، بشر قديمة بمكة حفرها

-
- ١ المخصص (٣٣/١٠) .
 - ٢ تاج العروس (٥١٧/٥) ، (ينبع) .
 - ٣ المخصص (٣٣/١٠) .
 - ٤ تاج العروس (٢٦٠/٨) ، (حمم) .
 - ٥ تاج العروس (١٣/٢) ، (ثج) .

بنو سهم ، و (غمر ذي كندة) بينه وبين مكة يومان ، و (الغمر) بالياءمة ، موضع ماء^١ . وأما لفظة (الركايا) ، فتعني الآبار^٢ .

الكراف :

وترد لفظة (كرفن) ، أي (الكرف) و (الكريف) ، في النصوص المتعلقة بالإرواء والإسقاء والزراعة . وقد فسرها بعض العلماء بـ (صهريج) . وفسر (الهمداني) لفظة (كريف) بقوله : « كريف جوبة عظيمة في صفا يكون فيها الماء السنة وأكثر »^٣ . والكرف صهاريج ، نقرت في الصخر ، ومنها كريف (درداغ) ، وهو كريف (وحاطة) واسمها (سباع) ، ذكر ان مساحته (٦٠٠) ذراع في مثلها ، وكريف (الوفيت) ، منقور في الصخر الأسود ، عمقه في الأرض خمسون ذراعاً ، وعرضه عشرون ، وطوله خمسون . محجوز على جوانبه جدار يمنع السقوط فيه^٤ .

ويقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء كثير ، أو للماء الجاري الدائم الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر (العِد) . وقد وردت اللفظة في كتب الحديث . وقد نهى الرسول عن اقطاع (الأعداد)^٥ . وقد ذكر علماء اللغة ان من معاني العِد : الماء القديم الذي لا ينترح ، وانه الماء الكثير بلغة تميم ، والماء القليل بلغة بكر بن وائل ، والركي في لهجة بني كلاب . ومن الماء العِد : كاظمة ، جاهلي اسلامي ، لم ينترح قط . وفي الحديث نزلوا أعداد مياه الحديبية ، أي ذوات المادة كالعيون والآبار^٦ .

القنى :

والقناة كظيمة تحفر في الأرض تجري بها المياه ، وهي الآبار التي تحفر في

-
- ١ تاج العروس (٤٥٣/٣ وما بعدها) ، (غمر) .
 - ٢ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا) .
 - ٣ الهمداني (ص ٨٠) ، Rhodokanakis, II, S. 95, Hartmann, Arab. Frage, S. 400.
 - ٤ زبدان ، العرب قبل الاسلام (١٦٨) .
 - ٥ جامع الاصول (٢٢٨/١١) .
 - ٦ تاج العروس (٤١٦/٢) ، (عد) .

الأرض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح على وجه الأرض^١ . ويكثر وجودها في العربية الجنوبية ، ولا تزال آثارها باقية ، وقد استفيد من بعضها في الشرب والسقي . والقنا والفقر ، واحد^٢ ، و (الفقرة) الحفرة في الأوض^٣ .

التلاع :

وقد تنحدر المياه من عيون في الاسناد والنجاف والجبال حتى تنصب في الأودية وفي الأماكن المنحدرة ، مكونة تلاء^٤ . و (التلعة) مسيل الماء من أعلى الوادي الى أسفله . والتلاع مجاري أعلى الأرض الى بطون الأودية . وتلعة الجبل أن الماء يجيء فيخذ فيه ويحفره حتى يخلص منه . وربما جاءت التلعة من أبعد من خمسة فراسخ الى الوادي ، فإذا جرت من الجبال ف وقعت في الصحارى حفرت فيها كهياة الخندق ، وإذا عظمت التلعة حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه ، فهي ميثاء . وقد تجري التلاع عند سقوط المطر وتكوين السيول ، فيجري الماء بسرعة جارفة ، تجرف ما قد يقف أمامها من مانع . ولذلك كانوا يخافون نزول التلعة ، خشية خطر مجيء السيل فيجرف من قد يكون فيها . وللعرب أمثلة في التلاع ، منها : (لا يمنع ذنب تلعة) ، يضرب للذليل الحقيير ، و (لا أثق بسيل تلعتك) ، يقال لمن لا يوثق به ، (ما أخاف إلا من سيل تلعتي) ، أي من بني عمي وأقاربي ، لأن من نزل التلعة ، وهي مسيل الماء ، فهو على خطر ان جاء السيل جرف به^٥ . مما يدل على غرق أناس في هذه التلاع .

ويقال لمسيل ما بين التلعتين (المذنب) ، وذنب التلعة . والمذنب مسيل في الحضيض ليس بخدّ واسع . وأذئاب الأودية ومذانبها أسافلها . وقال بعض علماء اللغة : المذنب : مسيل ما في الحضيض والتلعة في السند ، والجدول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها ، فيتفرق ماؤها فيها ، والتي يسيل عليها الماء مذنب أيضاً . قال امرؤ القيس :

- ١ تاج العروس (٣٠٤/١٠) ، (قنو) .
- ٢ عرام ، أسماء جبال مكة وتهامة (ص ٤١٣) .
- ٣ تاج العروس (٤٧٥/٣) ، (فقر) .
- ٤ تاج العروس (٣٩١/٥) ، (تلغ) ، (٦٤٨/١) ، (ميث) .

وقد اغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب^١

واذا انحدر المطر الى موضع واطىء ، قيل لإنشل ، وإنشل السيل وإنسل ابتداءً في الاندفاع قبل أن يشتد^٢ .

و (الوشل) : ماء يخرج من شاهقة ، فيسقط الى منحدر^٣ . وتوجد الأوشال في الجبال ، وفي الشواحق . وذكر علماء اللغة ان الوشل المساء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، يقطر منه قليلاً قليلاً ، أو الماء الكثير ، فهو من الأضداد . وفي تهامة جبل يقال له الوشل فيه مياه كثيرة . وقد يقال للقطرات التي تنزل من سقف كهف أو لحف جبل فتجتمع في أسفل الوشل^٤ .

التحكم في الماء :

وللسيطرة على المياه ، ولا سيما مياه الأمطار ، عمد أهل الجاهلية الى اتخاذ مختلف الوسائل في التحكم فيها . بعضها بدائية وبعضها راقية تدلّ على براعة وعلم وفن . منها اتخاذ السدود للهيمنة على الماء ، وتخزينه للاستفادة منه عند الحاجة ، وتوجيهه الجهة التي يريدونها . وقد أظهر العرب الجنويون مقدرة كبيرة في الاستفادة من الأمطار ومن مياه ينابيع والأنهار لاستعمالها في الإرواء والشرب والسقي . وتحكم مهندس الإرواء عندهم في الماء وسيطر عليه ، لكيلا يذهب هباء ، فاستخدم لضبطه الأبواب والفتحات والخواجز والرحاب ، ونوع في المجاري وفي مسابيل المياه ، ليستفيد من الماء قدر إمكانه فلا يقلت منه شيء .

ولم يكن من السهل على حكومات ذلك الزمن السيطرة على مياه السيول والاستفادة منها ، فكانت تذهب سدى ، بعد أن كانت تصيب الأرض والنسας بالأضرار وحين تنحدر هذه السيول من النجاد والجبال والأمكنة المرتفعة ، تتحول الأودية فجأة وبسرعة أنهاراً عريضة كبيرة ، تسيل مياهها مندفعة هدارة ، لكنها لا تلبث

-
- ١ تاج العروس (٢٥٥/١) ، (ذنب) .
 - ٢ تاج العروس (٣٩٥/٧) ، (شلل) .
 - ٣ عرام ، أسماء جبال تهامة وسكانها (ص ٣٩٧) ، (نواذر المخطوطات) .
 - ٤ تاج العروس (١٥٤/٨) ، (وشل) .

طويلاً، بل تزول وتذهب وتحف الأودية ولا يبقى فيها من الماء شيء ، إذ يسيل الى البحر أو يغور في التربة . وقد اجتهد الجاهليون أن يستفيدوا من هذه السيول فأقاموا السدود على قدر إمكانهم كما فعلوا في سد مأرب وفي سدود أخرى كما يظهر من الآثار ، ولكن قدرتهم الفنية والمالية لم تكن من الاتساع والقوة بحيث تساعدهم على السيطرة على السيول .

وقد عثر على آثار سدود في مختلف أنحاء جزيرة العرب . وقد أنشئت في المواضع التي يزورها الغيث وتنهمل عليها الأمطار . وقد تقام لضبط مياه الأنهار والينابيع ، لجمعها ، ثم إعادة توزيعها . وبعض هذه السدود المندثرة هو اليوم في مناطق صحراوية لا ماء فيها ولا بشر ، مما يشير الى أنها كانت مأهولة ، ثم عفى على أهلها الدهر ، فأهملت وتهدمت .

وبعض هذه السدود ، سدود بسيطة ، صنعت من تراب أو من تراب وحجارة لمنع ماء المطر من الذهاب عبثاً ، فيسدّ طريقه ويحبس في منخفض أو حوض ليستفاد منه . وقد أمر الرسول بسدّ ماء السماء في موضع ليستفاد من الماء ، فعرف بـ (سد) . ويطل جبل (شوران) على السد^١ . وأمر (معاوية) بسد الوادي الذي يمر بحرة المدينة ، فحبس سيله بسد ، عرف بسد معاوية فهو يحتبس فيه الماء ، يرده الناس بمواشيهم يسقونها^٢ . ويمر على طرف (قدوم) ويصب في (أحد)^٣ . و (قدوم) جبل على ستة أميال من المدينة^٤ .

وتتخذ (المسك) لمسك الماء وحبسه ، تمنعه من الذهاب عبثاً . كأن تمنعه من ان ينصب في البحر^٥ .

ويقال للسد (عرمن) في العربيات الجنوبية ، أي (العرم) . فلفظة (العرم) تعني السد عند اليمنيين القدماء ، ولم تكن علماً على سد معين . أعني سد مأرب . وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم سيل العرم »^٦ .

-
- ١ عرام ، أسماء جبال تهامة (ص ٤٢٥) .
 - ٢ بلاد العرب (٤٠١) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٢٦) .
 - ٤ تاج العروس (٢٠/٩) ، (قدم) .
 - ٥ تاج العروس (١٧٧/٧ وما بعدها) ، (مسك) ، عرام ، أسماء جبال تهامة (٣٩٧) .
 - ٦ سورة سبأ ، الآية ١٦ .

وفي هذه الآية اشارة الى حادث انفجار سد مأرب كما يذهب الى ذلك المفسرون. وتولت الحكومات في اليمن لإنشاء السدود وحفر القنوات والسواقي ، وأنفقت على الأعمال من أموالها ، وقدمت المواد الغذائية وبعض الأجور الى العمال . وكانت تطالب الى سادات القبائل والقرى تقديم الرجال للعمل وتقوم هي بإعاشتهم طوال أيام عملهم ، كالذي ورد في نص (أبرهة) عامل الحبشة على اليمن ، فقد كان يقدم الطعام الى العمال لقاء اشتغالهم ببناء السد . وقد ذكر مقدار ما قدمه وما صرفه عليهم من طحين وبرّ وتمر ولحم وقد يشغل العمال سخرة ، فلا تدفع الحكومة أو سيد القبيلة أو الموضع اليهم شيئاً . وقد كانت السخرة شائعة في ذلك العهد ، لا في اليمن حسب ، بل في العالم القديم كله ، فيسخر العمال بتكسير الحجارة واقتلاعها من المحاجر ونقلها الى الأماكن التي يراد إقامة السدود أو منشآت البناء فيها أو غير ذلك ، ثم بإصلاحها وبقية أعمال البناء اللازمة ، الى أن تنتجز ، وعندئذ يسمح لهم بالانصراف الى حيث يشاؤون .

وفي الحالات الاضطرارية يحشر الناس حشراً ، كما في الفيضانات المفاجئة التي تنشأ عن السيول . فتحشر الحكومة ورؤساء المدن والعشائر كل من يجدونه أمامهم للعمل على إنشاء الحواجز والسدود وفتح المجاري لمرور المياه لانقاذ الأرواح والأموال من الكوارث والأضرار .

وقد تتولى المعابد هذه الأعمال ، فتصرف عليها من واردها ، تعدّ ذلك هبة أو ديناً تتقاضاه من أصحاب الأرض ومن المستأجرين في المدن والقرى، كما يتولاها أيضاً رؤساء القبائل ، بأن يكلفوا القبيلة القيام بذلك العمل ، مقابل تعهدهم بتقديم الطعام للمشتغلين به ، وقد يكلفونهم ذلك سخرة مستخدمين حق القوة التي يتمتعون بها إن كانوا رؤساء أقوياء .

وفي كتب أهل اللغة والأخبار تعابير عديدة عن سبيل السيول ، وأثرها في الأرض وجرفها التربة وما عليها ، وتفتيتها أشجار الأودية والأماكن التي تنحدر منها وكيفية قلعها الأشجار والصخور . يظهر منها كلها ان أثر السيول كان شديداً مؤذياً ، وهو ما زال على أذاه الى هذا اليوم .

١ المخصص (١٢٦/٩ وما بعدها) .

المسائل :

وللسيطرة على المياه ، ولا سيما مياه الأمطار، عمد العرب الجنوبيون الى الوسائل الصناعية الفنية في التحكم فيها ، فأنشأوا المجاري الصناعية لتجري فيها المياه وتسيل فلا تذهب عبثاً ولا تجري في القنوات إلا بقدر . ومن هذه المجاري ما يقال له (مأخذ) و (مأخذت) في لغة المسند . أي (مأخذ) و (مأخذة) . ويراد بالمأخذ المجرى المحفور المعمق لممر المياه الى الحقول والبساتين أو المعابد^١ .

ويقال للقناة أي الممر الذي تمر منه المياه (عبرن) في اللهجات العربية الجنوبية، أي المعبر . ذلك لأن المياه تعبرها وتجري فيها وتسيل منها الى الأماكن التي كان يقصد وصولها إليها^٢. وترد بكثرة في النصوص المتعلقة بتنظيم الإرواء وفي النصوص المتعلقة بشؤون الزراعة . وأما لفظة (امرن) فتعني (المرور) ، والامرار و (الممرات) ، وقد وردت في النصوص الزراعية بمعنى الممرات المائية التي تجري فيها المياه ، فهي بمعنى سواقٍ لإسقاء الأرض^٣ . وأما الممر الواحد أو الوادي ، فيقال له (سرن)^٤ .

وترد كثيراً في النصوص المتعلقة بشؤون الإرواء لفظة (حرت) . وورودها فيها يدل على وجود علاقة لها بالإسقاء والإرواء. ويظهر أن لهذه اللفظة صلة بلفظة (خر) العربية التي تعني ما خدّه السيل من الأرض ، والشق ، فيقال خر الماء الأرض خراً اذا شققها ، والهوى من علو الى أسفل ، واذا تدهدى الشيء من علوه . وهي بهذا المعنى وبمعنى ثقب وفتحة في لغة بني إرم وفي العبرانية المتأخرة، وتؤدي لفظة (خرو) Harru معنى قناة في الآشورية . وهذا يدل على ان اللفظة (حرت) معنى قناة أو فتحة تفتح في السد ، أو في مجرى ماء ، لإسالة الماء من الفتحة الى القناة أو المجرى المخصص بجري الماء^٥ .

وقد عثر السياح الذين زاروا اليمن ودرسوا آثار السدود على (حرات)

RW 59, Bu. San'a 1909, Jemen, II, 341, Mordtmann und Mittwoch, Sab.

Inschr., S. 17.

REP. EPIGR. 4351, VII, II, p. 210.

REP. EPIGR. 4351, VII, II, p. 209.

REP. EPIGR. 4351.

٥ تاج العروس (١٧٢/٣) ، (خر) .

٦ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 81, 85, 115.

كثيرة تتخلل جانبي السدّ . وهي عبارة عن فتحات مستديرة ، تختلف أقطار فتحاتها بحسب كميات المياه المراد إمرارها منها الى (القنوات) . وهذه الفتحات هي الحرات (حررتن) . والفتحة الواحدة هي (حرت) (حرة)^١ .

ويعبر عن احداث فتحة أو ثغرة في جدار أو جبل أو في صخرة لإسالة الماء منها أو فتح شيء ما ، بلفظة (بلق) . وتؤدي لفظة (منحض) معنى (بلق) أيضاً ، فهي أيضاً بمعنى احداث ثغرة أو فتحة ، غير أنها تستعمل للتعبير عن معان أخرى مثل فتح الطرق وشقها في الجبال في الغالب ، أو احداث طريق فوق (منقلن) . ويراد بالمنقل معنى (نقيل) أي ممر .

ولما كانت العربية الجنوبية ذات جبال ومرتفعات ، تصطدم بها الرياح المتشعبة بالأخجرة ، فتساقط مطراً ، عمل المهندسون على الاستفادة من هذه الأمطار بالتحكم فيها وتوجيهها الجهة التي يريدونها ، وذلك بإحداث فتحات في الصخور وعمل قنوات وأنفاق لإكراه الماء على المرور منها الى المواضع التي يريدون تخزينها فيها للاستفادة منها عند الحاجة ، ولتكوين مساليل كبيرة تتجمع فيها المياه فتجري كالأنهار .

وتؤدي لفظة (قلح) معنى سال وجري وصب ، ولها معان أخرى ذات صلة بالحركة . وهذا المعنى ترد لفظة (سفح) كذلك^٢ . وسفح في عربيتنا معنى قرب من معناها في المسند ، فمن معاني السفح ، عرض الجبل حيث يسفح فيه الماء ، وسفح بمعنى سال وأراق وصب^٣ . وهي معان لها صلة بجريان الماء .

وأما لفظة (منفخت) (منفخة) و (منفخ) ، من أصل (نفخ) ، فإنها تعني فتح الماء واسالته ، وذلك بفتح الفتحات الماسكة له ليسيل منها الى المجاري المخصصة بمسيله . وهي في معنى لفظة (منفس) التي هي من أصل (نفس) . ويراد بها خروج الماء وجريانه من الفتحات الحابسة له وارتفاعه نتيجة لفتح الماء . وهي من ألفاظ الإرواء الواردة في الكتابات العربية الجنوبية^٤ . وبستعمل العراقيون جملة (تنفس الشط) ، بمعنى ارتفع ماء النهر وزاد ، وذلك

١ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 118.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 62.

٣ تاج العروس (١٦٤/٢) ، (سفح) .

٤ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 82.

في ايام الفيضان . و (تنفس الموج) و (تنفس دجلة) . فالمنفخ والمنفس اذن في معنى واحد ، ويطلقان على عملية رفع مستوى الماء بزيادة كمياته من الفتحات التي تضبطه وتسيطر عليه ، لأجل رفع مستواه في الأنهار أو في المجاري والسواقي لإرواء الأرضين في يسر وسهولة ، ولا سيما الأرضين المرتفعة بعض الارتفاع .

ويقال لمجرى الماء الصغير المتفرع من مجرى أوسع منه (مسبا) . وذهب بعض الباحثين الى أن المراد بهذه اللفظة الصهريج . وقد عرف علماء اللغة (المسبا) بأنه الطريق في الجبل^١ .

أما السواقي ومجاري الماء الصغيرة التي تستعمل في اسقاء المزارع والحدائق ، فيقال لها (مسقيت) ، أي (مسقية) و (ساقية)^٢ . وذهب (رودوكناكس) الى أن لفظه (مسفحة) (المسفحة) ، تعني الساقية أيضاً^٣ .

ويعبر عن خروج الماء وسيلانه ونزوله بلفظة (فجر)^٤ . و (الفجر) في عربيتنا تفجير الماء ، يقال انفجر الماء وتفجر : سال وانبعث . والفجر والمفجرة منفجر الماء من الخوض وغيره . وفجرة الوادي ، متسعه الذي ينفجر اليه الماء^٥ . و (الشرج) مسيل ماء من الحرة الى الوادي ، ومنفسح الوادي^٦ ، فلها علاقة بمسير الماء وسيلانه . وبهذا المعنى وردت لفظة (سفح) في المسند^٧ .

المصانع :

وللاستفادة من ماء المطر استعملوا المصانع ، جمع مصنعة . مساكات لماء السماء ، يحتفرها الناس فيملؤونها ماء السماء يشربونها . والمصنعة كالحوض أو شبه

١ « والمسبا كمقعد الطريق في الجبل » ، تاج العروس (١/٧٦) ، (سبأ) ، Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 112, Hommel, Aufs. und Abbädlungen, S.

126.

٢ Glaser 1150, Halevy 193, 199.

٣ Müller, WZKK, II, S. 189, Rhodokanakis, Stud. Lexl, II, S. 89.

٤ Halevy 149, Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 59.

٥ تاج العروس (٣/٤٦٤) ، (فجر) .

٦ تاج العروس (٢/٦٣) ، (شرج) .

٧ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 59, Alt. Sab. Inschr., S. 77.

الصهرريج ، وذكر ان الحبس مثل المصنعة^١ . وذكر ان المصانع مساكنات لماء المطر يحتفرها الناس ، وأن العرب تسمي القرى مصانع ، تقول هو من أهل المصانع ، أي القرى والحضر ، والمصانع أيضاً المباني من القصور والآبار وغيرها والحصون . والصنع ، مصنعة الماء ، وهي خشبة يحبس بها الماء وتمسكه حيناً ، وسمت العرب أحباس الماء الأصناع ، وبهذا المعنى : الصناع والصناعة^٢ . و(الرصف) السد المبني للماء^٣ . ويكون من حجارة مرصوف بعضها الى بعض في مسيل فيجتمع فيها المطر^٤ .

السكر :

ويعبر في لهجة أهل الحجاز بلفظة (سِكر) و (سكر الأنهار) عن سدّ الماء وحبسه ، وذلك لضبط الماء ، فلا يتسرب الى المزرعة أو الى مكان فيغرقه ، أو لحبس الماء للاستفادة منه في الإسقاء^٥ . وقد يكون السكر ثابتاً دائماً ، مبنياً له فتحات تغلق وتفتح وقت الحاجة اليه ، وقد تكون مؤقتة تزال وتسدّ بحسب الحاجة ، وتكون هذه في السواقي والنهيرات . وتؤدي لفظة (حبس الماء) معنى سدّه ومنعه من السيالان والجري ، وذلك بواسطة السكر والحاجز المقام . وتؤدي لفظة (السكر) ، أيضاً معنى سدّ النهر و (العرم) أي السدّ ، والمسناة^٦ .

الأحباس :

و (الحبس) خشبة أو حجارة تبنى في مجرى الماء لتحبسه ، كي يشرب القوم ويسقوا أموالهم . والجمع أحباس . وقيل ما سدّ به مجرى الوادي في أي

-
- ١ تاج العروس (٤٢٢/٥) . (صنع) ، المخصص (٥٢/١٠ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٤٢٢/٥) ، (صنع) .
 - ٣ المخصص (١٥٣/٩) .
 - ٤ تاج العروس (١١٧/٦) ، (رصف) .
 - ٥ عمدة القارئ (٢٠٠/١١ وما بعدها) ، (باب سكر الأنهار) ، تاج العروس (٢٧٤/٣) ، (سكر) .
 - ٦ تاج العروس (٢٧٤/٣) ، (سكر) .

موضع حبس . وقيل الحبس كالمصنعة تجعل للماء^١ . و (العرمة) سدّ يعترض به الوادي ليحتبس به الماء ، والأحباس تبني في أوساط الأودية^٢ . و (الرجيع) محبس الماء ، و (الخرنق) مصنعة الماء ، والسرج والقرى والحافشة . وهذه مسايل الماء^٣ . و (الخريق) مصنعة الماء واسم حوض^٤ . و (الردم) السد^٥ . و (الحواجر) و (الحاجر) ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به^٦ . ومن الأحباس : حبس ضماضع . جبيل عنده حبس كبير يجتمع عنده الماء . وهو حجارة مجتمعة وضعت بعضها على بعض^٧ .

وتكون على السواقي ومسايل الماء والسدود ، مسايل جانبية ، تفتح عند الحاجة لمرور الماء منها الى المزارع ، تخرج من المسيل الأعظم بمنة ويسرة ، يقال لها : (النواشط) . وطريق ناشط ، اذا كان ينشط من الطريق الأعظم بمنة ويسرة^٨ . وقد كان نضوب الماء من الآبار والغدران ومواضع الماء الأخرى من المشكلات التي جابهت الجاهليين . ومن المشكلات التي ما برح سكان جزيرة العرب يواجهونها اليوم أن بعض الآبار يغور ماؤها ، فيضطر الناس الى ترك أماكنهم ، أو قد يتبدل طعم الماء ، فلا يكون مستساغاً للشرب ولا مجدياً في الزراعة . وحفر الآبار في مواضع متقاربة يؤدي الى انخفاض مستوى الماء أو نضوبه في كثير من الأحيان . وقد أدى إهمال الناس للآبار الى تراكم الأتربة فيها ، وانهار جدرانها ، ونضوب الماء منها ، وارتحال الناس عنها .

السدود :

السد في اللغة الحاجز ، والوادي فيه حجارة وصخور يبقى الماء فيه زماناً .

-
- ١ تاج العروس (١٢٤/٤) ، (حبس) ، اللسان (٤٥/٦) ، (حبس) .
 - ٢ تاج العروس (٣٩٥/٨) ، (عرم) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣١/٦) ، (خرنق) .
 - ٤ تاج العروس (٣٢٧/٦) ، (خريق) .
 - ٥ تاج العروس (٣٠٩/٨) ، (ردم) .
 - ٦ تاج العروس (١٢٥/٣) ، (حجر) .
 - ٧ قال الشاعر :
وان التفاتي نحو حبس ضماضع .
واقبال عيني في الظبا لطويل
 - ٨ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤١٠) .
تاج العروس (٢٣٢/٥) ، (نشط) .

وقد كان الجاهليون يقيمون حواجز عند مخارج السيول ، لحبس الماء في المنخفضات لتكوين أحواض لحفظ الماء فيها ، للاستفادة من مائها عند انقطاع السيول وظهور الجفاف . ولما كان بناء سد ضخيم بحجارة وبجدر مرتفعة طويلة ، عمل يحتاج الى مهارة وخبرة والى مال ، والى وجود حكومة كبيرة متمكنة من الناحية المادية ، وهي شروط لم تكن متوفرة في معظم أنحاء جزيرة العرب ، ما خلا اليمن ، صارت السدود في معظم أنحاء جزيرة العرب سدوداً صغيرة بدائية في أغلب الأحيان ، هي مجرد حواجز من تراب أو من صخور كدّست بعضها فوق بعض لحبس الماء في المنخفض ومنعه من الجريان . وقد شاهد السياح آثار سدود جاهلية في أنحاء جزيرة العرب ، ووصفوها ، وذكروا أن من الممكن الاستفادة من بعض تلك السدود ومن مواقعها ، وأشادوا بمقدرة من شيدها وأقامها وبقابليته الهندسية وبفطنته في حسن اختيار المواقع ، بالرغم من ضعف القدرة الفنية وبدائية الأساليب التي استعملت في ذلك الزمن^١ .

ومن السدود : (السد) ماء سماء في (حزم بني عوال) ، جبيل لغطفان أمر الرسول بسده . وسد (أبي جراب) أسفل من عقبة منى دون القبور عن يمنى الذهاب الى منى ، منسوب الى (أبي جراب عبدالله بن محمد بن عبد الحارث بن أمية الأصغر) ، وسد قناة^٢ ، وسد (العياد) ، وقد أقيم في موضع يبعد عن الطائف زهاء ستة أميال ، كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على الحجر: « هذا سد عبدالله بن معاوية أمير المؤمنين . بناه عبدالله بن ابراهيم » . وكان ذلك سنة (٥٨) للهجرة . وقد أقيم بالحجارة وحدها ، فلم يضع مهندس ، عبدالله ابن ابراهيم ، مادة من مواد البناء مثل الملاط أو الطين وما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها وضربها ببعضها الى بعض حتى تماسك ، فتكون كأنها قطعة واحدة . وهي طريقة معروفة في اليمن ، استعملها المهندسون الجاهليون كما يظهر ذلك من فحص الخرائب العتيقة الباقية من الأبنية والسدود الجاهلية . ولا يزال هذا السد في حالة ممتازة يتحدث عن نفسه وعن قدرة المهندس الذي أقامه في هذا المكان .

١ تويتشل ، المملكة العربية السعودية (ص ٥٠) .

٢ تاج العروس (٣٧٣/٢) ، (سد) .

سد مأرب :

واستبد سدّ مأرب من بين سائر سدود جزيرة العرب بالإسم والذكر ، ونال مكانة كبيرة في كتب التفسير والسير والأخبار . ولذكر القرآن لـ (سيل العرم) ، نصيب كبير في توجيه أنظار علماء التفسير واللغة والأخبار اليه ، وفي خلود اسمه الى الآن . وقد روى أهل الأخبار قصصاً عنه وعن كيفية خرابه ، وتشتت شمل سبأ بسببه ، ونزوحهم الى مواضع بعيدة عن ديارهم القديمة .

ويعدّ سدّ (مأرب) من أهم السدود التي أقيمت في اليمن وفي جزيرة العرب . وقد بني من أجل السيطرة على مياه الأمطار والسيول التي تتدفق منها لوقاية المزارع والقرى منها ، وللاحتفاظ بهذه السيول للاستفادة منها إذا انقطعت الأمطار . وإرواء مناطق واسعة من الأرضين ، جيدة التربة ، خصبة مثمرة . لكن بها حاجة شديدة الى الماء ، وما كان في الامكان لإنباتها لولا السيطرة على السيول وإنشاء هذا السدّ .

وتأتي السيول الى السد من أماكن عديدة ، من (ذمار) ، و (جهران) ، و (الحدي) ، و (حولان) ، وبلاد مراد ، وقيفة ، وعروش ، وجوانب ردمان ، وشرعة ، وكومان وغيرها ، وذلك اذا أمطرت السماء وتجمعت فيها السيول وانحدرت . حتى تنتهي إلى وادي (أذنة) ، فتسير فيه المياه حتى تنتهي إلى مضيق بين جبلين ، يقال لكل منها (بلق) ، ويسميهما (الهمداني) مأزمي مأرب ، تسير المياه فيه حتى تدخل منخفضاً من الأرض واسعاً ، هو حوض هذا السد . تدخر مياه الأمطار فيه . وله سدود وأبواب لحجز المياه وحبسها ، أو لتصرفها حسب الحاجة . فتتمر من أبواب تفتح وتغلق ، لتمر المياه منها في قنوات توزع إلى الأماكن التي يراد توجيه الماء إليها^١ .

ولا توجد لدينا نصوص عن أول رجل أقام هذا السد ، وعن العهد الذي تم فيه البناء . وكل ما لدينا اليوم عن وقت بنائه لأول مرة هو لذلك حدس وتخمين .

١ زيدان ، العرب قبل الاسلام (١٧٠ وما بعدها) ، العظم (٨٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٨٣/٤) ، حمزة (١٢٦) ، الاغانى (٧٢/١٦) ، الصفة (٨٠) ، Müller, Burgen, II, S. 83. f.

ويرى (كلاسر) أن عهده يعود الى السنة السبعمئة قبل الميلاد^١ . وقد بقي قائماً يؤدي واجبه الى حوالى السنة (٥٧٥) بعد الميلاد^٢ . ويظهر من بعض الكتابات المحفورة على جدرانها بالمسند أن جملة تحسينات وتعميرات أدخلت عليه في أوقات مختلفة قبل الميلاد وبعدها ، وآخرها هو اصلاح أبرهة له الذي تمّ على أثر تصدعه سنة ٥٤٢ للميلاد . ويظهر أن تصدعاً آخر وقع للسدّ في أيام طفولة الرسول ، وذلك في حوالى السنة (٥٧٥) للميلاد ، لم يكن من الممكن التغلب عليه ، بسبب التدهور الاقتصادي الذي حدث في هذا العهد في اليمن وارتباك الأوضاع السياسية واضطراب الأمن وانتشار الثورات في كل مكان وتدخل الأجانب في شؤون البلاد ، فتصدع قسم كبير منه ، ولم يهتم أحد من الحاكمين في اعادته الى أصله بإصلاحه وترميمه ، وتحولت بذلك الأرضين الحصبة التي كانت تروى بمائه والتي كانت واسعة إلى أرضين موات ، غطتها الطبيعة بطبقة من الرمال والأتربة وألبستها أكسية الصحراء الحزينة ، حداداً على فراقها لذلك السدّ العتيد .

وتعود أقدم الكتابات الباقية إلى أيام (المكربين) . وتأتي كتابة (سمه على ينف) (سمه على ينف) مكرب سبأ على الرأس . ويظهر منها ان هذا المكرب قد أقام سد (رحاب) ، وقد اشتغل به ابنه (يشع أمر بن) وقواه ، كما بنى سدّاً آخر عند (حبابض) ، ويقع في المنطقة الشمالية من سد مأرب^٣ .

وقام المكرب (كرب ال بن بن يشع امر) ، ببناء جزء من السد وتقوية أجزائه الأخرى . كما قام الملوك بإضافة أجزاء جديدة اليه ، وتقوية الأجزاء القديمة منه . ومن هؤلاء الملك (ذمر على ذرح) ملك سبأ ، والملك (يدع ال وتر) (يدع ايل وتر)^٤ .

كذلك أصلح الملك (شمر يهرعش) هذا السد ، ورممه الملك (شرحبيل يعفر) في سنة (٤٤٩) للميلاد . ولكن المياه جرفت أقساماً منه سنة (٤٥٠) للميلاد ، أي

١ Ency., III, p. 290.

٢ A Grohmann, Sudarabien als wirtschaftsgebiet, II, 23-28, A. Grohmann, S. 151.

٣ Ency., III, p. 290, Müller, Burgen, II, S. 13. f.

٤ Müller, Burgen, II, S. 15.

بعد سنة من الترميمات ، فاضطر إلى إعادة إصلاحه وتقويته^١ .

وقد أقام المهندسون في الجهة الضيقة التي تسبل منها السيول الى المجساري ثم الى حوض واسع سداً قوياً طوله نحو من (٥٧٧) متراً ونصف المتر ، عرف ب (رحاب) في المسند . أقيم في المنطقة التي تضيق فيها الشقة بين جزئي جبل (بلق) ، حيث يمر بينهما وادٍ يفصل بين الجزئين المعروفين ب (بلق القبلي) و (بلق الأوسط) . فسدّ الوادي بذلك وتحكم السد بمسير ماء السيول . وصار يجري من خلال فتحة ، هي باب يتحكم الإنسان فيها كيف يشاء الى (وادي أذنة) (وادي ذنة) ، حيث يملأ الحوض^٢ . وينتهي الحوض بسدين آخرين أقيما لتنظيم تصريف الماء المخزون عند الحاجة وتوجيهه الى الأرضين المحتاجة اليه ، بهما منافذ هي أبواب تفتح وتغلق للتحكم في توزيع الماء .

وقد استخدمت في بناء السد والحواجز حجارة اقتطعت من الصخور، وعولجت بمهارة وحذق حتى توضع بعضها فوق بعض ، وتثبت وتتماسك وتكون وكأنها قطعة صلبة واحدة . ونحتت الصخور ، بحيث صارت تتداخل بعض في بعض ، بأن يدخل رأس من صخرة في فتحة مقابلة لها ، فتكون كالفتاح في القفل ، وبذلك تتماسك هذه الصخور وترتبط ارتباطاً وثيقاً ، وتكون كأنها صخرة واحدة . وقد وجد ان بعض الأحجار قد ربطت بعضها ببعض بقطع من قضبان اسطوانية من المعدن المكون من الرصاص والنحاس يبلغ طول الواحد منها حوالى (١٦) سنتمتراً ، وقطرها حوالى الثلاثة سنتمترات ونصف . وذلك بصب المعدن في ثقب الحجر ، فإذا جمد وصار على شكل (مسمار) ، يوضع الحجر المطابق الذي صمم ليكون فوقه في موضعه بإدخال (المسمار) في الثقب المعمول في الجهة السفلى من ذلك الحجر ، وبذلك يرتبط الحجران ببعضهما ببعض يرباط قوي محكم . وقد اتخذت هذه الطريقة لشد أزر السد ، وليكون في امكانه الوقوف أمام ضغط الماء وخطر وقوع الزلازل^٣ . أما المادة التي استعملت في البناء لربط الأحجار بعضها ببعض فهي من أحسن أنواع الجبس Gips ، وقد تصلب هذا الجبس الذي طليت

١ Glaser 554, Ency., III, p. 290.

٢ « وادي أذنة » ، الصفة (٨٠ ، ٩٤) .

٣ العظم (٩٢/٢) . A. Grohmann, S. 152.

به واجهات السد أيضاً حتى صار كأصلب أنواع السمنت^١.

وقد أقام المهندسون أبواباً لدخول المياه منها وخروجها ، كما أنشأوا فتحات لتقسيم المياه وتوزيعها على المجاري والسواقي تفتح وتغلق بحسب حاجة المزارع والأماكن الى المياه . ولا يزال بعض جدر السد قائماً ، وآثار السواقي والمجاري التي كانت تجري فيها المياه من الخوض باقية ، وهي تدل على مهارة مهندسي الري في ذلك العهد وعلى براعتهم في كيفية الاستفادة من الأرض ومن الطبيعة لخدمة الإنسان .

وبنيت في اليمن سدود أخرى ، منها (قصعان) ، و (ربوان) ، وهو سد قناب ، وشحران ، وطمحان ، وسد عباد ، وسد لحج ، وهو سد عرايس ، وسد سحر ، وسد ذي شهال ، وسد ذي رعين ، وسد نقاطة ، وسد نضار ، وهران ، وسد الشعباني ، وسد النواصي ، وسد الخانق بصعدة ، وسد ريعان ، وسد سيان ، وسد شبام ، وسد دعان وغيرها^٢ . وذكر (الهمداني) أن في مخلاف (يحضب العلوي) ثمانين سداً^٣ .

وسد (الخانق) سد ينسب الى (نوال بن عتيك) مولى سيف بن ذي يزن ، ومظهره في (الخنفرين) من رحبان . وقد خربته (ابراهيم بن موسى العلوي) بعد هدم صعدة^٤ .

وهناك آثار سدود جاهلية أخرى أقيمت في مواضع متعددة من العربية الجنوبية . منها آثار سد قناباني أقيم عند موضع (هجر بن حميد) بوادي بيهان . وقد درسه ووصفه (بوون)^٥ . كان يسقي بمائه منطقة واسعة من أرض مملكة قنابان .

١ A. Grohmann, S. 152.

٢ زيدان ، العرب قبل الاسلام (١٦٩) ، Müller, & Südarabische, S. 88.

٣ الصفة (١٠١) ، زيدان (١٦٩) .

٤ زيدان ، (١٦٩) .

٥ A. Grohmann, S. 153, Hamilton, Archaeological Sites in the Western Aden

Protectorate, in G.J., 101, (1943), 116.

Philby, The Land of Sheba, G. J., 92 (1938), 113, 119.

وآثار سد (مرخة)^١ ، وآثار سد آخر أُقيم عند (شبوة) ، وسد آخر عند (الحريضة) ، تفرعت منه شبكة من القنوات والمجاري لايصال الماء إلى المزارع والأرضين الخصبة التي تعيش عليها .

وقد ظهرت من الصور (الفوتغرافية) ، الذي أخذت من الجو لبعض مواضع من جزيرة العرب آثار شبكات للإرواء تتصل بأحواض مياه وسدود أقيمت لخزن مياه الأمطار فيها للاستفادة منها وقت الحاجة . ففي (وادي عديم) آثار جدر سدود وقنوات ومجاري مياه متصلة بعضها ببعض تمتد إلى مسافات بعيدة كانت تمدها بإكسير الحياة . وكذلك تشاهد آثار الإرواء عند (حصن العر) و (ثوبة) في القسم الجنوبي من (وادي حضرموت) . وقد نحتت الصخور عند (نجران) لعمل ممر منها للماء لينذهب إلى حوض واسع أحيط بسد وجدار حيث يمكن تخزين مئة مليون (غالون) من الماء فيه^٢ .

توزيع الماء :

وقد يوزع الماء الجاري من العيون والأنهار ، بالنصيب . بأن تعين أوقات تفتح فيها المياه على مزرعة ما ، فإذا انتهى الوقت سد الماء ، وحُولَ إلى مزرعة أخرى ، وذلك لقلّة الماء وعدم كفايته في اسقاء المزارع كلها دفعة واحدة، فيوزع بالحصص ، في أوقات تثبت وتعين . وقد تقع الحصومات من جراء التجاوز وعدم التقيد بضبط الأوقات ، كما يحدث في أيامنا في كثير من الأماكن الزراعية . ونجد في كتب الأخبار أمثلة عديدة من أمثلة هذا النزاع . ويقال للنصيب من السقي (سقي)^٣ . أي الحظ من الشرب^٤ .

١ G. Gatton Thompson — E.W. Gardner, Climate, Irrigation and Early man

in the Hadhramaut, G.J., 93 (1939), 34. f, A. Grohmann, S. 153.

٢ A. Grohmann, S. 153, Philby, The Land of Sheba, G.J., 92 (1938), 16.

٣ المفردات ، للصفهاني (٢٣٥) .

٤ تاج العروس (١٨٠/١٠) ، (سقي) .

حقوق الري :

وللجاهليين أعراف محلية قامت مقام القوانين في الاستفادة من الماء . والمياه عندهم ، اما مياه طبيعية لا دخل ليد الإنسان في استنباطها ، مثل مياه الأمطار والعيون والأنهار . واما مياه وجدت باستنباط الانسان لها ، باستخدام ماله ويده في تدليلها، كمياه الآبار والعيون التي يفجرها الانسان ومياه الصهاريج والكهارييس والمياه التي تتجمع من إقامة السدود وما شاكل ذلك مما للإنسان يد وعمل في الاستفادة منها .

وطبيعي ان تختلف هذه الأعراف باختلاف مواضع جزيرة العرب . فالمياه في العربية الجنوبية من أمطار ومن مياه مستخرجة أو نابعة هي أكثر بكثير من مياه أي منطقة أخرى من جزيرة العرب . ولهذا نجد لها ذكراً في الكتابات العربية الجنوبية ، حيث نجد فيها إشارات إلى أحكام وإلى كيفية السقي وحقوق أصحاب الأرض في الماء وحقوق المستأجرين للأرض في الماء وإلى خصومات وقعت بينهم في موضوع حقوق التصرف بالماء .

ولدينا في الوقت الحاضر كتابات ، هي قوانين صدرت من حكومات العربية الجنوبية في تنظيم حقوق السقي والاستفادة من الماء ومن حق الانتفاع من الآبار . كما تعرضت لموضوع حقوق شراء الأرض ، وكيفية بيعها وما إلى ذلك مما يتعلق بالري والزراعة .

وأما في الحجاز ، فقد استخدمت الآبار المحفورة ، يحفرها أهلها ليستفيدوا من مياهها في الشرب وفي اسقاء الزرع والمواشي ، وقد يكرونها لغيرهم مقابل كراء يعين . لهذا وضعوا أعرافاً خاصة بالنسبة إلى الاستفادة من حقوق ملكية الآبار .

الخصومات بسبب الماء :

وطالما وقعت مشاحنات وخصومات بين أصحاب المزارع بسبب اشتراكهم في الماء ، في مثل الشراج والجعافر والأنهار وأمثالها ، إذ كان يستأثر بعضهم به ، ولا يدع الماء يسيل الى غيره إلا بعد أن يسقي زرعه سقياً كاملاً، وكان أصحاب

المزارع الذين تقع مزارعهم في أعالي منابع الماء يستأثرون به ، بتوجيهه الى مزارعهم ، أو بوضع سكر يحبس الماء عن البساتين الواقعة خلف السكر، فيذهب الماء الى مزارعهم ولا ينال المزارع الأخرى الا القليل منه. ونجد مثل هذه الخصومات في العربية الجنوبية وفي منطقة يثرب وفي مواضع الحسي وعيون الماء . وقد خاصم أنصاري (الزبير بن العوام) عند النبي في شراج الحرة ، وهي مسابيل الماء التي يسقون بها النخل ، فقضى النبي ، أن يسقى الأعلى ثم الأسفل^١ .

١ ارشاد الساري (١٩٧/٤ وما بعدها) .

الفصل السابع والتسعون

معاملات زراعية

وقد تطرقت كتب الحديث والفقهاء الى ذكر معاملات زراعية ، كان المزارعون في الجاهلية يمارسونها . وهي عبارة عن عقود ومواثيق كانوا يأخذونها على أنفسهم بالقيام بأعمال زراعية معينة ، مثل : المحاقلة ، والمخابرة ، والمزارعة ، والمساقاة .

المحاقلة :

ولم ترد في نصوص المسند معلومات مسهبة عن المحاقلة عند العرب الجنوبيين . ولكن في استطاعتنا أن نقول انها لم تكن تختلف في أسلوبها عن المحاقلة عند أهل الحجاز قبيل الاسلام . والمحاقلة عندهم اكتراء الأرض بالحنطة أو الذهب أو شيء آخر ، والمزارعة على نصيب معلوم يتفق عليه بالثلث أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر ، أو على الأوسق من التمر والشعير ، أو على الدينار والدرهم^١ . ويقال للمحاقلة (نحقل) في المسند^٢ .

١ القاموس (٣/٣٥٩) ، جامع الاصول (١١/٤٧٨) ، تاج العروس (٧/٢٨١) ، (حقل) ، عمدة القارئ (١٢/١٨٠ وما بعدها) ، ارشاد الساري (٤/١٨٧) ، صحيح مسلم (٥/٢٦) .

٢ Rhodokanakis, Katab. Texte, I, S. 84.

والمخابرة هي المؤاكرة، وهي المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض^١.
وقيل : المخابرة المزارعة على النصف ونحوه ، أي الثلث ، والمزارعة على نصيب معين كالثلث والرابع وغيرهما وقيل المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض^٢. والمؤاكرة المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع . وهي المخابرة^٣ . وفي الحديث كنا نخابر ولا نرى بذلك بأساً حتى أخبر رافع ان رسول الله نهى عنها . وقد اختلف علماء اللغة في أصل اللفظة ، فقال بعضهم : هي من خبرت الأرض خبراً كثر خبارها ، وقال بعض آخر من خبير ، لأن النبي أقرها في أيدي أهلها على النصف من محصولها ، فقيل خابروهم ، أي عاملهم في خبير^٤ . و (الخبر) في قول علماء اللغة الزرع ، ومن هذه اللفظة يجب أن يكون أصل المخابرة . ويظهر من اختلاف العلماء في تعريف المراد من لفظة المخابرة ، التي تعني المزارعة أنهم لما أرادوا وضع حد لمعناها ، وجدوا المخابرين أي المزارعين أنماطاً وأشتاتاً في تثبيت حصص المخابرة ونصيبها ، فحفظ كل ما سمعه ، وظن أن ما وعاه وسمعه هو المخابرة ، فجاءت تعاريفهم من ثم على هذا النحو . ولو أخذناها ودققناها، وجدنا أنها كلها شيء واحد . هو : المخابرة المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض . أما تثبيت الأنصبة ، فلا دخل له بالتعريف ، لأنه مجرد تعامل أشخاص واتفاق أفراد ، منهم من كان يزيد في النصيب ومنهم من كان ينقص منه : حسب الحاجة ، على نحو ما يقع في كل تعامل مثل البيع والشراء . والمزارعة ، المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذر من مال الكها^٥ ، فإن كان من العامل ، فهي مخابرة^٦ .

وقد كانوا يتعاملون مع المزارعين أو الأجراء على (القضارة) . وهي ما يبقى في المنخل بعد الانتخال ، أو ما بقي في السنبل من الحب ، مما لا يتخلص بعدما

-
- ١ جامع الاصول (١١/٤٧٢) ، شرح النووي (٦/٤٠٦ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٣/١٦٧) ، (خبر) .
 - ٣ تاج العروس (٣/١٧) ، (أكر) .
 - ٤ تاج العروس (٣/١٦٧) ، (خبر) .
 - ٥ تاج العروس (٥/٣٦٨) ، (زرع) .
 - ٦ ارشاد الساري (٤/١٧٠) ، (ما جاء في الحرث) .

يداس ، أو ما يبقى على الأرض من حب بعد التذرية ^١ . فيشترط بعضهم ان تكون القصارة للمذري ، وقد لا يوافق على ذلك صاحب الزرع ، فتكون له . وقد يحدث الاختلاف بين صاحب الزرع وبين المذري ، بسبب اتهامه للمذري ، باستغلال الشرط ، والإفراط في إسقاط الحب على الأرض للاستفادة منه .

وذكر ان أحدهم كان يشترط في المزارعة ثلاثة جداول والقصارة ، أي ماسقى الربيع . وقد نهى النبي عن ذلك ^٢ . والجدول النهر الصغير ، ونهر الحوض ونحو ذلك من الأنهار الصغار ^٣ .

ولما جاء المهاجرون إلى يثرب ، وكان بينهم قوم يحسنون الزراعة ، وكانوا يريدون عملاً يعتاشون منه ، حاقلوا أصحاب الأرض على زرع أرضهم في مقابل نصيب معلوم ، كانوا يتفقون عليه . وقد نجح بعض منهم في استغلال الأرض ، وكسبوا منها . غير ان قسماً منهم اختصموا مع الملاك ، بسبب توزيع الحاصل أو الماء ، فكان الرسول يتدخل بنفسه لحسم الخلاف . وقد صار الصحابة من أهل مكة بين تاجر وبين زراع ، ورد في حديث (أبي هريرة) : « لم يشغلني عن النبي غرس الودي » ، أي صغار النخل ^٤ . وورد ان الأنصار قالوا للمهاجرين : تكفونا المؤونة في النخل بتعهده بالسقي والتريية ونشرككم في الثمرة ، وانفقوا على ذلك ^٥ .

وقد نهى الإسلام عن المحاقلة والمزارعة والمؤاكلة . وذلك لما كان يقع بسببها من خلاف بين المالك والفلاح ، وما كان يقع من ظلم في القسمة أو اختلاف على توزيع الحاصل . فلما جاء الرسول إلى (يثرب) ، ورأى هذه الخصومات ، نهى عن إيجار الأرض وكرائها بقوله : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فإن لم يفعل فليمسك أرضه » ^٦ . وفي رواية أخرى أنه لم « يحرم المزارعة ، ولكن قال أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ شيئاً معلوماً ،

١ اللسان (١٠٠/٥) وما بعدها ، (قصر) .

٢ اللسان (١٠١/٥) ، (قصر) .

٣ اللسان (١٠٦/١١) ، (جدل) .

٤ تاج العروس (٣٨٧/١٠) ، (ودي) .

٥ ارشاد الساري (١٧٥/٤) .

٦ عمدة القاري (١٨٠/١٢) وما بعدها ، تاج العروس (٣٦٨/٥) ، (زرع) .

لأنهم كانوا يتنازعون في كراء الأرض حتى أفضى بهم الى التقاتل بسبب كون الحراج واحداً لأحدهما على صاحبه ، فرأى أن المنحة خير لهم من المزارعة التي توقع بينهم مثل ذلك ^١ .

وقد ذكر العلماء أن هذا النهي إنما وقع بسبب المنازعات التي كانت تقع فيما بين الطرفين المتعاقدين ، لاتفاقهما على شيء مجهول ، وذكروا مثلاً آخر على ذلك هو كرى المزارع على الأربعاء وبشيء من التبن . والربيع هو النهر الصغير . فتقع المنازعة ويبقى المزارع أو رب الأرض بلا شيء ^٢ . وقد كانوا يتعاقدون على ما ينبت على ربيع الساقى ، أي النهر الذي يسقي الزرع . فيقع اختلاف بين المزارع والمالك ، أو بين صاحب الماء والمزارع ^٣ . أما إذا كان الاتفاق على شيء واضح معلوم ، في مثل استئجار الأرض البيضاء من السنة الى السنة ، أو في آجال يتفق عليها بالذهب والفضة ، أي بالدنانير والدراهم ، فقد جاز كذلك كما ورد في كتب الحديث ^٤ .

المساقاة :

وكما مارس أصحاب الأملاك والمزارعون الجاهليون طريقة المحاقلة والمزارعة ، مارسوا (المساقاة) كذلك . وتكون بالاتفاق بين طرفين على قيام أحدهم بتوجيه الماء إلى صاحب أرض أو ملتزم لها أو غير ذلك ، وهو محتاج إلى ماء مقابل تعهد يقدمه الطرف الثاني إلى صاحب الماء بعوض ، مثل جزء من حاصل أو عين وما شابه ذلك ، مقابل ذلك الماء . وذكر ان المساقاة ، أن يستعمل رجلاً في نخيل أو كرم ليقوم باصلاحها مقابل أن يكون له سهم معلوم مما تغله وأهل العراق يسمونها معاملة ^٥ . وذكر العلماء ان أهل المدينة كانوا يقولون للمساقاة المعاملة ،

١ ارشاد الساري (١٨٧/٤ وما بعدها) .

٢ عمدة القاري (١٨٣/١٢) ، شرح النووي ، (٤٠٠/٦) ، (حاشية على ارشاد الساري) .

٣ تاج العروس (٣٤٢/٥) ، (ربع) .

٤ تاج العروس (١٨٤/١٢) .

٥ تاج العروس (١٨٠/١٠) ، (سقى) ، (٣٦/٨) ، (عمل) ، اللسان (٤٧٦/١١) .

وللمزارعة المخابرة ، وللإجارة بيع ، وللمضاربة مقارضة ، وإن لهم لغات اختصوا بها^١ .

وقد يخصص الماء كله بالزرع ، أي يكرى كله لمؤجره ، وقد يكرى لما يسد حاجة الزرع ، أي لإرواء الزرع الذي اتفق على إسقائه بالماء ، في كل وقت ، في النهار أو في الليل ، وفي أي لحظة يشاء المستأجر لذلك الماء . وقد يكون على حظ من الماء ، مثل ربع يوم أو ليلة ، أو يوم معين ، أو وقت يثبت . ويقال لهذا الماء (ربيع) ، أي حظاً^٢ .

وطالما وقعت الخصومات بين المزارعين بسبب اختلافهم على الماء . فالماء هو رأس مال المزارع ، فإذا انقطع عن زرعه ، تأثر زرعه ، وتعرض للهلاك ، وزرعه هو رأس ماله وحياته . ومن هذا القبيل الخصومات التي تقع بسبب اشتراك جملة مزارعين في مورد ماء واحد ، ومحاولة كل واحد منهم الحصول على أكبر مقدار من الماء ، أو أخذه قبل غيره . والخصومات التي تقع من سبل الماء في الشرائح . والجدال التي تمر في عدة مزارع والينابيع والعيون التي تروي جملة أحواض ومحافل . وقد أشير إلى جملة أنواع من هذه الخصومات في كتب الحديث^٣ .

ومن عادة أهل (يثرب) أنهم كانوا يكرون الأرض ، لأجل قصير أو لأجل طويل . فإذا كان الأجل طويلاً فربما غرسوا شجراً ، على نصيب معلوم من الثمر ، وذلك لأن أكثرهم لم يكونوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة ، فكانوا يتعاملون على الشطر مما تغله الأرض . ولما جاء المهاجرون زارعوا الأنصار بالشكر على الثلث والربع ، حتى ما كان بالمدينة بيت هجرة ، إلا وزرع على الشطر^٤ ، أو على التبن أو على أوسق من تمر أو برّ أو غير ذلك . وكري بعضهم أرضه بالدرهم والدنانير وبالفضة وبالذهب . وقد أشير إلى ذلك في كتب الحديث^٥ .

١ جامع الاصول (١١/١٧٢) ، شرح النووي (٦/٤٠٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٥/٣٤٢) ، (ربيع) .

٣ عمدة القارئ (١٢/١٨٨ وما بعدها) ، (كتاب المساقاة) .

٤ ارشاد الساري (٤/١٧٦ وما بعدها) .

٥ ارشاد الساري (٤/١٨٨ وما بعدها) .

اكراء الأرض :

واكراء الأرض ، بمعنى إيجار أرض ما لمدة معينة محدودة ، أو بدون حد بشروط وفي مقابل بدل . ويقال لهذا البدل الذي يدفع عن ثمرة استغلال الأرض أو أي كراء (اثوبت) ، أي (الثواب) (ثواب) . ثواب أجر الانتفاع من الشيء الذي أجر . وقد يكون هذا الشيء أرضاً وقد يكون داراً وقد يكون حيواناً . فورد في بعض النصوص العربية الجنوبية ان اختين استأجرتا أرضاً على ساحل نهر (عبرت) ، وبقرأ لتقوما بإيجارها الى الفلاحين لاستغلالها بزرعها ، وبتمية البقر بشروط معينة. تنتهي بأجل نص عليه ، في مقابل بدل إيجار (اثوبت) يدفع الى أصحاب المال . وقد أشير في الكتابة الى أن الإله (المقه) ، قد وافق على العقد وباركه^١ . ومعنى ذلك أن العقد عقد شرعي وقد سجل رسمياً وصار عقداً معترفاً به قانوناً من الحكومة ومن المعبد .

ويراد بلفظة (عبرت) ، لفظة (عبرة) و (العبرة) في لغتنا . والعبرة شاطئ النهر وناحيته ، قال النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :

وما الفرات إذا جاشت غواربه ترمى أواديه العبرين بالزبد
يوماً بأطيب منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد^٢

وورد في أحد النصوص ، ان ناساً (ادم) ، استأجروا أرضاً من الآلهة ، على أن يدفعوا أجرها سنة بعد سنة ، وحسبما اتفقوا عليه مع الآلهة^٣ ، مما يدل على ان هذه الأرض المؤجرة هي من أوقاف المعبد . وقد أجرها أولئك الناس ، من رجال الدين الذين بيدهم أمر حبوس الآلهة .

ومن حق المؤجر ، أي المالك لإبطال العقد ، إذا أخل المستأجر بشرط العقد أو أظهر كسلاً وتباطؤاً أو عدم مبالاة في استغلال الشيء المؤجر^٤ . ويعني هذا ان

١ Glaser 862 = CIH 290, 1064, 1572, Halevy 49, SD 13, Glaser 131, CIH, 99,

Grohman, 126, Handbuch, I, S. 124.

٢ تاج العروس (٣٧٦/٣) ، (عبر) ٠

٣ Halevy 49, SD 13, Glaser 131, CIH 99, Grohmann, S. 126.

٤ Grohmann, S. 126, SD 21.

الاتفاق كان على دفع نصيب معين من الغلة أو من ثمرة العمل . وبما ان هذا النصيب متوقف على مقدار الجهد الذي يبذل في استغلال الملك المؤجر ، بحيث اذا زاد ، زاد نصيب المؤجر عن ايجار ملكه ، وإذا قلّ ، قلّ نصيبه أيضاً ، ومن حيث ان من مصلحة المؤجر ان يزداد وارد (اثبت) ملكه ، لذلك صار من حقه لإبطال العقد ، إذا رأى تهاوناً في تطبيق ما جاء فيه .

وقد كان أهل الحجاز ، يكرون أرضهم ، يكرونها بالثلث والربع والطعام المسمى وبالذهب وبالورق . وكانوا يدفعون الأرض إلى من يزرعها بئذ من عنده على أن يكون للمالك الأرض ما ينبت على مسایل الماء ورؤوس الجداول أو هذه القطعة والباقي للعامل . وقد نهى رسول الله عن أكثر أنواع هذه الكراء ، ذكر انه قال : « من كانت له أرض فليزرعها ، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه ، فإن لم يمنحها أخاه فليمسكها »^١ .

بيوع زراعية :

وتضطر الظروف الاقتصادية المزارعين الى بيع الثمار وخضر البقول قبل بدو صلاحها، وقد يفعلون ذلك تخلصاً من معاملات جني الثمر وحراسته من اللصوص، وحمله الى الأسواق ، وأمثال ذلك من معاملات تحتاج الى مال وجهد . ويقال لذلك (المخاضرة) . وقد عرفت بأنها بيع الثمار قبل بدو صلاحها ، سميت بذلك لأن المتبايعين تبايعا شيئاً أخضر بينها ، مأخوذ من الخضرة ، ويدخل في ذلك بيع الرطاب والبقول وأشباهاها^٢ . فكان صاحب الأشجار والمزرعة يبيع ثمار زرعه لغيره ، فيبيع الثمار قبل أن تطعم ، ويبيع الزرع قبل أن يشتد ويفرك منه . وقد نشأت عن هذا البيع خصومات ومنازعات بسبب وقوع عاهات في الحاصل ، تفسد على المبتاع ربحه ، فيطلب عندئذ من البائع استرجاع ما دفعه له كله أو بعضه ، وتقع عندئذ الخصومات . وقد بقيت سنتهم على ذلك حتى مجيء الرسول الى المدينة ، فكانوا يأتونه للمقاضاة ، فوقع النهي منه على هذا النوع من البيوع،

١ صحيح مسلم (١٨/٥ وما بعدها) ، « باب كراء الارض » ،

٢ تاج العروس (١٨٠/٣) ، (خضر) .

ولم يسمح به إلا أن يبدو صلاح الثمر ، فيتبين صلاحه ونوعه . وعندئذ لا يحق لمبتاع التذمر من شرائه ، لأنه شاهد ما ينوي شراءه ورآه ، فلا غبن فيه ^١ .
ومن بيع المخاضرة شراؤها مغيبة في الأرض ، كالفجل ، والبصل ، واللفت ، والثوم وشبهه ، وللفقهاء في ذلك جملة آراء ^٢ .

وورد ان (المحاكمة) نوع من البيوع . وهي بيع الطعام في سنبله بالبر ، وقيل اشتراء الزرع بالحنطة . وقد نهى عنها في الاسلام ^٣ .

ومن أنواع البيوع التي تعرض لها الفقهاء (المزابنة) . وهي بيع الثمر في رؤوس النخل بالتمر كيلاً ، وبيع الزبيب بالكرم كيلاً . وذكر بعض العلماء ان المراد بذلك بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب ، وبيع التمر في رؤوس النخل بالتمر . وذكر أيضاً ان من المزابنة بيع الثمر بكييل "جزاف" ، وكل تمر بيع على شجره بتمر كيلاً ، وقد نهى عنه في الحديث لأنه بيع مجازفة من غير كيل ولا وزن . وقد نهى عنه لما يقع فيه من الغبن والجهالة . وذكر ان المزابنة كل جزاف لا يعرف كيله ولا عدده ولا وزنه بيع بمسمى من مكيل وموزون ومعدود . أو هو بيع معلوم بمجهول من جنسه ، أو هو بيع مجهول بمجهول من جنسه ، أو هو بيع المغابنة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن ، لأن البائعين إذا وقفوا فيه على الغبن ، أراد المغبون أن يفسخ البيع وأراد الغابن أن يمضيه فترابنا فتدافعا فاختصما ^٤ .

جميعات زراعية :

ويظهر من بعض الكتابات ان بعض المقاطعات الزراعية كانت في ادارة مجلس يتألف من ثمانية أشخاص عرفوا بـ (ثمنين) ، أي (الثمانية) ، أداروا شؤون المقاطعة من إشراف على العمل ، ومن ادارة لأموال الزروع ، ومن تهئية للبذور وما يحتاج اليه الزرع ، ومن دفع حصص الحكومة والمعد ، ومن خزن وبيع

-
- ١ عمدة القاري (٢/١٢) وما بعدها .
 - ٢ عمدة القاري (١٤/١٢) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٨٠/٤) .
 - ٤ عمدة القاري (٢٩٠/١١) وما بعدها ، (١٣/١٢) وما بعدها ، القاموس (٢٣٠/٤) ، تاج العروس (٢٢٤/٩) ، (زين) .

وتصريف^١ . فهم هيئة مجلس زراعي لمشروع تعاوني يضم أهل تلك المقاطعة ، واجبههم تمشية أمور هذه المؤسسة الزراعية والاشراف عليها ، واعطاء كل ذي حق حقه ونصيبه في هذه الجمعية الزراعية التعاونية .

ويظهر ان شيئاً من التخصص ، كان قد وجد في هذه الجمعيات ، فعهدت أمر الادارة إلى رجل عرف بـ (سمخص) ، كان بمثابة مدير للجمعية ، واجبه الاشراف على الأرض التي أوكل أمر ادارتها اليه . أما وظيفته، فعرفت بـ (سمخضت) أي ادارة أرض أو ادارة مقاطعة ، أو (ادارة) بتعبير أصح .

وعرف من تولى أمر جباية الضرائب والاشراف على الموظفين الذين يوكل أعمال الجباية اليهم ، بـ (نخل) ، ويقال لوظيفته (نخلت)^٢ . ولا استبعد أن تكون (نخلت) ، جماعة جمعت بين أعضائها روابط فكرية واقتصادية . فتعاونت فيما بينها على العمل معاً والاشتراك في استغلال حاصل هذا العمل . ودليل ذلك أننا نجد معاجم اللغة تفسر (النحلة) بالديانة^٣ ، ولهذا التفسير صلة بما ذهبت اليه من معنى للفظ (نخلت) ، وعلى ذلك يكون الـ (نخل) رئيساً للنحلة ، يشرف عليها ويدفع بالتيابة عنها حق الحكومة والمعبد .

وقد ورد في أحد النصوص أن جمعية من هذه الجمعيات الثماني ، كانت تدير أرضين في ضواحي مدينة (هرم) . وقد نعت أعضاؤها بـ (ابعل) ، أي سادة ورؤساء^٤ . فهم سادة هذه الجمعية وأصحاب الارادة فيها .

الهروب من الأرض :

وقد جابهت حكومات العربية الجنوبية المشكلة التي تجابه كل حكومة . مشكلة هرب المزارعين من الأرض والالتجاء الى المدن . ففي بعض نصوص المسند الخاصة بالزراعة نجد تهديداً للمزارعين الذين يفرون من المزارع ومجلون عنها ، فيلحقون بذلك الأذى بالزراعة وبالحاصل . والواقع أن حياة الفلاح في المزرعة كانت صعبة

١ النص الموسوم بـ Halevy 147

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexi., I, S. 56, Hartmann, Arab. Frage, S. 208, 401, Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 67.

٣ تاج العروس (١٣٠/٨) ، (نخل) .

٤ راجع السطر الاول من النص الموسوم بـ : Halevy 147.

قاسية ؛ فلا يكاد دخل الفلاح يكفيه مؤنثه ومؤونة عياله ، ولا سيما أيام الشدة حين يقل الزرع أو يتعرض للتلف لعوامل عديدة ليس في طاقة الفلاح مكافحتها، فضلاً عن الضرائب الباهظة التي عليه أن يدفعها الى صاحب الأرض والحكومة والمعبد . فلاذ بأذيال الهرب من الأرض الى المدن للاشتغال فيها ، بالرغم من تشديد الحكومة في منع الهجرة وترك المزارع من غير موافقة أصحاب الأرض . وقد عرف الهارب من الأرض والمجلي عنها بـ (مهسجلت) في نصوص المسند^١ . ويقال للأرض التي يهاجر المهاجر اليها ، وللمكان الذي يفر اليه المزارع من الحضر ليجد فيه رزقاً يبحث عنه (مهجرت) في لغة المسند . أي (المهجرة) ، بمعنى : (المهجر)^٢ .

العمري والرقبي :

ومن عقود أهل الجاهلية : (العمري) و (الرقبي) . والعمري ما يجعل لك طول عمرك أو عمره ، أو هو أن يدفع الرجل الى أخيه داراً ، فيقول له : هذه لك عمرك أو عمري أينما مات دفعت الدار الى أهله . وقد عمرته إياه وأعمرته جعلته له عمرة أو عمري ، أي يسكنها مدة عمره ، فإذا مات عادت الي^٣ . و(الرقبي)؛ أن يعطي الانسان انساناً ملكاً كالدار والأرض ونحوهما ، فأيهما مات رجع الملك لورثته . أو ان يجعله لفلان يسكنه ، فإن مات ففلان يسكنه ، فكل واحد منهما يرقب موت صاحبه . وقد أرقبه الرقبي ، وأرقبه الدار جعلها له رقبى^٤ . وللفقهاء كلام في الاثنين^٥ .

ويكون (العمري) و (الرقبي) في الأرض كذلك ، كأن يعطي الرجل رجلاً أرضاً يستغلها طول حياة أحدهما ، فأيهما مات طبقت بحق الأرض ما اتفق عليها من شروط . وقد كانوا يفعلون ذلك بالنسبة للأقرباء والأصدقاء والمقربين لمساعدتهم .

١ السطر التاسع والعاشر من النص : REP. EPIGR. 4646

٢ Halevy 147, Rhodokanakis, Stud. Luxl., I, S. 57.

٣ ارشاد الساري (٣٦٤/٤) ، تاج العروس (٤٢١/٣) ، (عمر) .

٤ كبشري

٥ تاج العروس (٢٧٥/١) ، (رقب) .

٦ ارشاد الساري (٣٦٤/٤) وما بعدها ، تاج العروس (٤٢١/٣) ، (عمر) .

العريّة :

العريّة النخلة المعراة . وأعرّاه النخلة وهب له ثمر عامها^١ . والعريّة أيضاً التي تعزل عن المساومة عند بيع النخل ، والتي يعريها صاحبها رجلاً محتاجاً ، وأن يشتري الرجل النخل ثم يستثني نخلة أو نخلتين ، يقال أعرى فلان فلاناً ثمر نخلة ، إذا أعطاه إياها يأكل رطبها ، وليس في هذا بيع ، وإنما هو فضل ومعروف . فالعريّة اذن النخلة عزلتها من المساومة ، والإعراء أن تجعل ثمرتها لمحتاج أو لغير محتاج عامها ذلك ، وقد رخص الرسول في العرايا ، وللفقهاء كلام في ذلك^٢ .

١ قال سويد بن الصامت الانصاري :

ليست بسنهاء ولا رجيبة

ولكن عرايا في السنين الجوانح

اللسان (٤٩/١٥) ، (عرا) .

٢ اللسان (٥٠/١٥) ، (عرا) .

الفصل الثامن والتسعون

الحياة الاقتصادية

وأقصد بالحياة الاقتصادية كل ما يتعلق بمفهوم الاقتصاد من معنى ، ما يتعلق منه بالحكومة أو ما يتعلق منه بالشعب . وما يتعلق منه بالتجارة والمال ، أو ما يتعلق منه بالزراعة أو بالصناعة والحرف .

واقصود أية أمة ، حاصل أمور عديدة : الجو ، من حر وبرد ، ومن مطر وجفاف ، ومن ثروات طبيعية ، تستنبط من الماء أو التربة ، ومن نشاط وجهد وظروف اجتماعية ، هي من حاصل تأثير المحيط في أهله .

وأدخل هنا في الحياة الاقتصادية ما يشمل التجارة بنوعها تجارة البر وتجارة البحر ، وما يشمل الزراعة ، ثم ما يشمل الحرف والصناعات .

وتشمل التجارة : الاتجار داخل جزيرة العرب ، أي تعامل أبناء بلاد العرب بعضهم مع بعض ، والاتجار مع الخارج ، أي مع الحكومات الغريبة مثل الهند وحكومات افريقيا والفرس والروم .

لقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الشعوب السامية نشطون في عالم التجارة . والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي اليها والى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء وانتقاص . بل اعتبرت عندهم من أشرف الحرف قدراً ومنزلة . ونظر الى التاجر نظرة تقدير وتجلية ، مع أنها حرفة مثل سائر الحرف ، فيها من الحيل والخداع واللعب على الناس ما في أية حرفة أخرى

وفيهما عمل وجهاد على نحو ما نجد في الزراعة أو في الصناعة . ولكنها نظرة واجتهاد الى الحياة ، وظروف طبيعية ، جعلت العرب تجاراً في الغالب ، فشفروا التجارة على غيرها من الحرف ، وقدموها عليها في المنازل والدرجات . وقد بقيت على هذه المنزلة والدرجة في الإسلام كذلك . وأشار الى شرفها وسمو منزلتها في كتب الحديث ، مما يدل على ما كان للتجارة من منزلة في نفوس الناس .

والتاجر الذي يبيع ويشترى . ومن المجاز التاجر الخاذق بالأمر ، لما تحتاجه التجارة من ذكاء وحذق في مساومات البيع والشراء . وذكر علماء اللغة ان العرب تسمي بائع الخمر تاجراً ، وان أصل التاجر عندهم الخمار ، يخصونه من بين التجار^١ . والتجارة صناعة التاجر ، وهو الذي يبيع ويشترى للربح^٢ . و (التاجر) هو (مكر) في لغة المسند ، و (تمكرو) في الآشورية^٣ .

كان الملوك تجاراً يبيعون ويشترى ، وكان رؤساء المعبد تجاراً يتاجرون باسم معابدهم ، ويكسبون من الضرائب التي تقدم للمعابد كسباً فاحشاً ، وكان أصحاب الأملاك ورؤساء العشائر تجاراً كذلك ، يتاجرون بما يقدمه اليهم من هو دونهم في المنزلة من حاصل وغلة ، ويتاجرون بما يستوردونه من الخارج ، من افريقية أو من الهند ، من حاصلات ثمينة غالية في نظر تجار ذلك اليوم . لبيعه في الداخل أو نقله الى بلاد الشام أو العراق لتصريفه في أسواق تلك الجهات .

وفي اللهجات العربية ألفاظ ومصطلحات كثيرة لها صلة بالتجارة وبالتعامل ، وهي من اللغات العالمية الغنية في هذه المادة . ويلاحظ بصورة عامة ان اللهجات السامية غنية كلها تقريباً بالألفاظ المستعملة في البيع والشراء والتعامل والتجارة ، وفيها مترادفات كثيرة في هذا الباب . وكثرة هذه الألفاظ دليل على حذق الساميين عموماً بالتجارة وافتقارهم بها ، وعلى وجود عقلية تجارية لديهم . والتأريخ يؤيد ذلك ، فترى الساميين عموماً ، وهم أنشط من غيرهم ، ينتقلون من مكان الى مكان طمعاً في ربح ، وركضاً وراء تجارة ، وهم من أحذق الناس يومئذ في التحكم في الأسعار وفي التعامل وفي البيع والشراء .

١ تاج العروس (٦٦/٣) ، (تجر) .

٢ ارشاد الساري (١٣/٤) .

٣ Grohmann, S. 124.

وفي القرآن الكريم لفظة (تجارة) و (تجارتهم) ومصطلحات أخرى عديدة ذات صلة بالالتجار والتجارة والمعيشة والكسب . كما أن فيه اشارات كثيرة الى تجارة قريش والى أثر التجارة في حياة الناس في ذلك الوقت . وفيه تحريم للربا وتوبيخ وتقرير و « ويل للمطففين الذين إذا اكتأوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »^١ . وفيه أمور أخرى توحى إلينا بما كان للتجارة من أثر كبير في حياة أولئك الجاهليين . بل نجد القرآن الكريم يحاججهم ويناقشهم ويخطبهم بلغتهم التي يفهمونها لغة الربح والخسارة والكسب والثواب والعقاب ، والتأجيل والتعجيل ، وما أشبه ذلك من كلام له أبلغ الوقع والادراك في نفس التاجر ، الذي يعي الناحية المادية من ربح وخسارة وكسب وتوفير ، أكثر من وعيه وادراكه للأمور الروحية التي لا يفهمها كثيراً ، لأنها ليست من صميم حياته ومحيطه العملي .

والتجارة أنواع كثيرة ، تشمل كل أنواع البيع والشراء . والتاجر ، هو الذي يتاجر في الأسواق . غير أن منهم من تخصص في نوع خاص من أنواع التجارة مثل بيع الحبوب ، وقد يتخصص ببيع نوع خاص من الحبوب ، مثل الحنطة ، فيقال له : (حنّاط) وحرفته (الحنّاطة)^٢ . وقد يتخصص ببيع وشراء (البز)، فيقال له (البزاز) وحرفته (البزّازة)^٣ . وقد يتخصص ببيع (الزيت) ، فيقال لبائعه (الزيّات) وللذي يعتصره (الزيّات) كذلك^٤ .

وتكون التجارة بالمقايضة ، وهي المعاوضة ، اذا عارض التاجر أو أي شخص متاعاً بمتاع آخر ، وبادل سلعة بسلعة أخرى^٥ . وهي الطريقة القديمة في الاتجار ، قبل ان يتعامل بالذهب والفضة وزناً ، في تقييم قيم الأشياء ، وقبل ان تعرف النقود ، التي ولدت من التعامل بالذهب والفضة . وطريقة المقايضة أو المبادلة أو المعاوضة ، لا تزال طريقة قائمة معروفة ، تتبعها الدول ، في تصريف منتجاتها بمنتجات أخرى عوضاً عن النقد ، لحاجتها الى النقد والى تصريف حاصلاتها

-
- ١ سورة المطففين ، الآية ١ وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (١٢١/٢) ، (حنط) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٣/٤) ، تاج العروس (٨/٤) ، (بز) .
 - ٤ تاج العروس (٥٤٧/١) ، (زيت) .
 - ٥ تاج العروس (٨١/٥) ، (قيض) .

الفائضة عليها . وقد اتبع الجاهليون هذه الطريقة ، فكانوا يبادلون الجلود بسلع أخرى ، ويبادلون التمر بالحنطة^١ . وقد اتبع الجاهليون طريقة التعامل بالذهب والفضة وزناً كذلك ، كما تعاملوا بالنقود .

ويتبين لنا من دراسة كتب التفسير والحديث وكتب الأدب والأخبار والسير انه كان لأهل مكة عرف وضعوه في أصول التجارة يمكن ان نسميه (قانون التجارة) بالنسبة لأهل تلك المدينة ، تكون من تجاربهم في الاتجار ومن تعاملهم بعضهم مع بعض ، ومن تجاربهم وتعاملهم مع الخارج ، مثل تعاملهم مع الفرس والروم والحبس ، حيث أخذوا من هؤلاء الأعاجم النظم والقواعد التجارية التي كانوا يسرون عليها والتي لم تكن معروفة عند أهل مكة ، بسبب اختلاف المحيط وطريقة التعامل التجاري بين الدول . فتجار مكة وأصحاب المال ، هم الذين وضعوا أصول التعامل في التجارة فيما بينهم، وهم الذين كوّنوا بأنفسهم قوانينهم ، إذ لا حكومة منظمة لهم تضع التشريع وتقوم بالتنفيذ على نحو ما كان في العربية الجنوبية أو عند الفرس أو الروم .

ويتبين لنا من دراسة الموارد المذكورة كذلك ، أن أهل مكة كانوا خبراء في أصول تنمية الأموال وفي كيفية استثمارها واستغلالها . فكانت لهم مرابحات وكانت لهم شراكات وتعامل ومراسلات مع غيرهم من أصحاب المال في مختلف أنحاء جزيرة العرب ، وكان لهم ربا ، للحاجة ، أي للشدة والعسر والضيقة . أو للتعامل بالمال المقترض بالربا لانماه في مشاريع اقتصادية تعود بالفائدة على المقترض أكثر من فائدة الربا التي يدفعها للمرابي، حتى ظهر في مكة أناس كانوا يعدّون من كبار الأغنياء بالنسبة لأهل تلك المدينة وبالنسبة لجزيرة العرب في ذلك الوقت .

وفي المسند ألفاظ كثيرة ذات معاني تجارية تتعلق بالبيع والشراء والامتلاك والعقد وهي دليل على أن العرب الجنوبيين كانوا قوماً تجاراً ينجون من التجارة أرباحاً طائلة ، ويعيش الكثير منهم عليها . فكانوا يبيعون ويشتررون ويصدرون ويستوردون في الداخل والخارج، يقصدون الأسواق الشهيرة القريبة منهم ، كما يقيمون الأسواق في بلادهم في المواسم أو في أيام معينة من الأسبوع للبيع والشراء ، ولسد حاجاتهم

١ . تقويم البلدان (٩٩) .

بما يفيض عليهم من حاصل زراعة أو منتج حيوان يبدلونه مقايضة بما يعوزهم من ضرورات وحاجات .

والتجارة هي (ش ت ي ط) (ش ت ي ط) في لغة قتيان . وقد وردت هذه اللفظة في عدد من النصوص القتبانية ، في أوامر أصدرها ملوك قتيان لتنظيم التجارة وتنظيم الجباية ، وفي كيفية جباية (المكس) عن البضائع التي تباع في الأسواق ، وفي العقوبات التي تفرض على المخالفين وعلى المتهربين من دفع جباية السوق . وقد حددت القواعد التي يسمح بموجبها للغرباء في الاتجار بأسواق مملكة قتيان ، وفي كيفية اتجار القتبانيين في الأسواق الخارجية .

وفي جملة هذه النصوص نص أصدره الملك (شهر هلال بن يدع اب) (شهر هلال بن يدع اب) في تنظيم التجارة وفي كيفية الاتجار . وقد نشر على شكل اعلان أو مرسوم ملكي موجه من الملك الى التجار من أهل قتيان ، والى الغرباء الوافدين عليها للاتجار ، وقد كتب ونشر ليطلع عليه الناس كما تفعل الدول في الوقت الحاضر .

وقد وردت في النص جملة مصطلحات وألفاظ ، لها معان تجارية ، مثل (يشط) أي يتاجر ، و (يعرب) من (عرب) بمعنى يقدم عربوناً ويضع عربوناً^١ . ومن أصل (عرب) العرابة والعربون في العربية الشمالية^٢ . و (خدر) بمعنى أقام ومقيم ومقيمين ونازلين . وقد ورد في المعجمات اللغوية ان من معاني هذه اللفظة الإقامة بالمكان^٣ . ويُقصد بذلك النازلون في مكان ما . ولما كان هذا النص أمراً وقانوناً في تنظيم التجارة ، فقد حدد ما جاء فيه من أوامر ، بالنسبة الى سكان المدينة (تمنع) وخارجها ، وكذلك مملكة قتيان ، والمقيمين بها ، والوافدين من خارج قتيان للعمل بالأسواق والاتجار . ولذلك وردت هذه الجملة : « ومن يتجر تجارة بتمنع وبخارج تمنع ، فعليه ان يقدم عربوناً الى تمنع ، وان يكون مقيماً بشمر ، وإن أثر قتيان محلاً لاتجاره ، وأراد ان يتجول ليشتري ، فعليه أن يشتري من شمر ... » . فحدد بذلك كيفية الاتجار وحق الاتجار والموضع

١ راجع السطر الثامن من النص : REP. EPIGR. 4337.

٢ القاموس (١٠٢/١) ، تاج العروس (٣٣٣/٣) وما بعدها) ، « الكويت » ، (٣ / ١٧٠ وما بعدها) ، (خدر) .

٣ القاموس (١٨/٢) .

الذي يجب ان يشتري منه بالنسبة الى تجار قتبان والى التجار الغرباء عن تمتع .
وقد حدد هذا القانون حقوق ال (خدر) ، أي التاجر النازل والمقيم في
إمارة (شمر) ، والذي يتجول فيذهب الى قتبان للتجار فيها والتسوق من أسواقها ،
ويذهب الى قبائلها لبيع ما عنده اليها أو لشراء ما يحتاج اليه من تجارة منها ،
وعليه أن يفعل ذلك ، ولكنه ملزم بأخبار (عهر شمر) ، بذلك ، وذلك لتسوية
المشكلات والحسابات التي تتولد من المعاملات التجارية . وقد تطرق النص الى
الأضرار التي قد تصيب الأجانب أو القتبانيين ، والى احقاق الحقوق ، ولهذا
وضع الملك هذا الأمر . وجاءت في آخر النص هذه الجملة : « وخسي ورقم »
أي « خسين ورق » . وقد سقطت كلمات قبلها ، فلم يعرف المراد من ذكر
هذا الرقم ، أقصد وضع تأمينات بهذا القدر المذكور ، أم قصد جزاء يفرض
على المخالفين ، أو غير ذلك .

وهذه القوانين القتبانية، هي من أقدم وأشهر القوانين التي وصلت إلينا باللهجات
العربية القديمة في كيفية تنظيم الاتجار والتعامل في السوق وفي تعيين حقوق الحكومة
ونصيبها من الأرباح المتأتية من التجارة. وهي دليل ناطق على مقدار عناية القتبانيين
بأمور التجارة بالنسبة لذلك الوقت .

التجارة البرية :

والتجارة البرية ، هي عماد تجارة الجاهليين ، ولا سيما الجاهليين القريبيين من
الاسلام وسندهم الأول في رخائهم وفي كسب ثرواتهم . وعماد هذه التجارة
وسندها القوافل . فقد كان الملوك وسادات القبائل والأشراف يرسلون تجارهم
بقوافل الى مواضع اتجارهم ، فتبيع ما تحمل وتشتري ما تحتاج اليه من تجارة ،
لتبيعها في مكان آخر بضمن غال ، وبكسب أصحاب هذه القوافل كسباً حسناً من
هذا الاتجار .

والتجارة البرية : إما تجارة داخلية ، أي داخل قطر من أقطار جزيرة العرب
وبين أقطارها ، وإما تجارة خارجية ، كانت تتم مع بلاد الشام والعراق ، أي
خارج حدود جزيرة العرب في اصطلاح الجغرافيين المسلمين .
وقد أشير في التوراة وفي الكتابات الآشورية والمؤلفات اليونانية واللاتينية إلى

اتجار العرب مع الخارج ، كما أشير إلى اتجار الآشوريين والفرس والرومان والروم مع العرب ، وإلى طمع الدول الكبرى لعالم ذلك الوقت في جزيرة العرب ، نظراً لما كانوا يسمعون عن ثرائها وغناها ، ولموقعها الجغرافي المهم الذي يقس بين افريقية وآسية ، ويهيمن على المياه الدافئة ذات المنافع الكبيرة بالنسبة للتجارة العالمية في كل وقت وزمان .

والعربية الجنوبية في كتب اليونان والرومان وفي التوراة، بلاد غنية ذات خيرات وثروات وتجارات وأموال ، قوافلها تحترق بجزيرة العرب الى بلاد الشام والعراق ، وفي بلادها الذهب والفضة والحجارة الكريمة ، تتاجر مع الخارج فتربح بتجارها هذه كثيراً ، وبذلك اكتنزت المعادن الثمينة المذكورة والأموال النفيسة حتى صارت من أغنى شعوب جزيرة العرب .

وفي (المزامير) أن (شبا) ستعطي (الذهب) لملك العبرانيين في جملة الشعوب التي ستخضع له ، تقدم له الجزية ^١ . وورد في (أرميا) أن (شبا) كانت ترسل (اللبان) الى اسرائيل ^٢ . وقد ذكروا في سفر (حزقيال) في جملة كبار التجار . كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب ^٣ . وأشير في (أيوب) الى قوافل (شبا) التي كانت تسير نحو الشمال حتى تبلغ اسرائيل ^٤ .

وفي هذه الاشارات دلالة على الصلات المستمرة التي كانت بين العبرانيين والسبثيين ، وعلى أن السبثيين كانوا هم الذين يذهبون الى العبرانيين ، يحملون اليهم الذهب والأحجار الكريمة والطيب واللبان . فتبيع قوافلهم ما عندها في أسواق فلسطين ، ثم تعود حاملة ما تحتاج اليه من حاصلات بلاد الشام ومصر وفلسطين .

ويظهر من سفر (يوثيل) ان السبثيين كانوا يشترون السبي من فلسطين ، من (بني يهوذا) ، حيث جاء فيه تهديد لأهل صور وصيدا بأن رب اسرائيل سيتقم منهم جزاء اعتدائهم على الاسرائيليين ونهبهم ذهبهم وفضتهم . وسيجعلهم عبيداً يباعون في الأسواق الى السبثيين : « وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا

١ المزامير ، المزمور الثاني والسبعون ، الآية ١٥ .

٢ أرمياء ، الاصحاح السادس ، الآية ٢٠ .

٣ حزقيال ، الاصحاح السابع والعشرون ، الآية ٢٢ وما بعدها .

٤ أيوب ، الاصحاح السادس ، الآية ١٩ .

تبيعونهم للسبيين ، لأمة بعيدة ، لأن الرب قد تكلم . مما يدل على أنهم كانوا من المشترين للرقيق ، ينقلونه الى بلادهم للاستفادة منهم في مختلف نواحي الحياة ، يتخذون النساء الجميلات زوجات لهم ، ويتخذون البشعات والقويات للخدمة ، ويعهدون للرجال بالأعمال المختلفة التي تحتاج إلى ذكاء ومهارة وفن واتقان، وبأعمال أخرى صناعية وزراعية ، وأمثال ذلك .

وقد أشير الى ثراء السبيين وامتلاكهم للذهب والفضة في بعض الكتابات الآشورية ، فذكر (تغلاتبليزر) الثالث مثلاً أنه أخذ الجزية من السبيين، أخذها ذهباً وفضة وإبلاناً : جمالاً ونوقاً ولباناً وبخوراً من جميع الأنواع ، كما ذكر (سرجون) أنه أخذ الجزية من (يثع أمر) ملك سبأ ، أخذها ذهباً وخيلاً وجمالاً ومن مصنوعات الجبال .

وقد سبق لي أن تحدثت عن هذا الموضوع في أثناء حديثي عن صلات الآشوريين مع العرب ، وعندني أن هذه الجزية التي دفعت الى الآشوريين ، قد تكون جزية بالمعنى المفهوم من اللفظة ، أي نتيجة قهر وإكراه وخضوع لحكم الآشوريين وهزيمة لحقت بالسبيين في حرب أو حروب وقعت مع الآشوريين ، وقد تكون بمعنى ضريبة دفعها السبيون الى الآشوريين في مقابل السماح لهم بالاتجار في أسواق الحكومة الآشورية، فهي ضرائب يدفعها التجار أو تدفعها الحكومات الى الحكومات الأخرى في مقابل السماح لها بالاتجار معها ، وفتح أبواب أسواقها لرعاياها ، للبيع والشراء .

وفي كتب اليونان واللاتين تأييد واتفاق تام مع ما جاء في التوراة عن ثراء السبيين ، وعن امتلاكهم الذهب والفضة والأحجار الكريمة . وقد بالغت في ذلك مبالغة أخرجتها من حدود الواقع الى الخيال . فنسبوا لهم استعمال الأثاث المصنوع من الذهب والأواني المستعملة من الذهب والفضة ، وغير ذلك مما أخرج وصفهم من حدود المعقول وأدخله في عالم القصص والأساطير .

وقد بالغ (سترابو) في وصف ثراء السبيين بسبب اتجارهم بنوع من العطور الزكية ، دعاها باسم (اللاريم) Larimum وبالمواد الأخرى النفيسة ، وذكر انه كانت « لديهم كميات كبيرة من مصوغات الذهب والفضة ، كالأسرة والموائد

الصغيرة ، والآنية والكؤوس ، أضف إليها فخامة منازلهم الرائعة ، فإن الأبواب والحدردان والسقوف مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة ^١ .

وقد كانت هذه الشهرة من أهم العوامل التي دفعت بالقيصر (أغسطس) إلى ارسال حملته المشهورة المخفقة على اليمن . وهالك ما كتبه المؤرخ (بلينيوس) Pliny عن ثروة العرب وعن تجارتهم ، لترى ما كان ماثلاً في مخيلة الرومان واليونان عن العرب . قال : « ومن الغرابة ان نقول : ان نصف هذه القبائل التي تفوق الحصر ، يشتغل بالتجارة ، أو يعيش على النهب وقطع الطرق . والعرب أغنى أعم العالم طراً ، لتدفق الثروة من روما وبارثيا اليهم ، وتكدسها بين أيديهم . فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر ومن غاباتهم . ولا يشترون شيئاً مقابل ذلك ^٢ .

وقد أشار (بلينيوس) إلى ان المعينيين كانوا يملكون أرضاً غنية خصبة ، يكثر فيها النخيل والأشجار ، وكان لهم قطعان كثيرة من الماشية ، وان السبثيين كانوا أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية بالأشجار من عطور وبما يملكونه من مناجم الذهب والأرضين المزروعة المرواة ، وما ينتجونه من العسل وشمع العسل . كما كانوا ينتجون العطور ^٣ .

وقد عدّ (سترابو) العسل في جملة المحصولات التي اشتهرت بها العربية الجنوبية ، وذكر انه كثير جداً فيها ^٤ .

وقد كان العرب الجنوبيون يتاجرون مع بلاد الشام ، فيرسلون إليها قوافلهم مارة بالحجاز الى أسواق بلاد الشام بالطرق البرية التي لا يزال الناس يسلكونها حتى اليوم مع شيء من التحوير والتغيير . وقد عثر على كتابة دوتها كبيران شكرا فيها الإله (عثر) ، لأنه نجاهما مع قافلهما من الحرب التي كانت قد وقعت بين (مصر) وبين (ملدي) ، فوصلتا معهما سالمين الى مدينة (قرنو) ، أي

-
- ١ مجلة المجمع العلمي العراقي (٢ / ٢٦٢) ، (١٩٥٢) .
 - ٢ مجلة المجمع العلمي العراقي (ج ١ م ٣ ص ١٢٩) .
 - ٣ مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الاول : المجلد الثالث) ، (١٩٥٤ م) (ص ١٣٩) .
 - ٤ مجلة المجمع العلمي العراقي (٢ / ٢٤٧) .

عاصمة (معين) . وقد ورد أنهما كانا يتاجران مع (مصر) و (الشر) ، أي (آشور) ، و (عبر نهرن) (عبر نهران)^١ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الكتابة تشير إلى حرب وقعت فيما بين السنة (٢٢٠) والسنة (٢٠٥) قبل الميلاد . أي في عهد (البطالمة) ، وأن تلك الحرب كانت بين (الميديين) الذين أشير إليهم بـ (مذى) وبين (البطالمة) الذين أشير إليهم بـ (مصر) ، لأنهم حكموا مصر ، أو الحرب التي وقعت فيما بين (السلوقيين) وبين (البطالمة) ، والتي أدت إلى الاستيلاء على (غزة) سنة (٢١٧) قبل الميلاد . وقد كان العرب الجنوبيون يتاجرون مع هذه المدينة التي تعتبر الميناء الذي يؤدي بالتجارة إلى موانئ مصر^٢ .

وقد كانت (البتراء) أي (سلع) Sela ، أهم عقدة طرق يمر بها المعينيون والسبثيون . ومنها يتجه طريق نحو البحر الميت ، لمن يريد الاتجار مع بلاد الشام وطريق آخر ينتهي بغزة ، لمن يريد الاتجار مع هذا الميناء المهم ، الذي بقي العرب يتاجرون معه إلى أيام الرسول . وقد كان (هاشم بن عبد مناف) ممن يتاجر معه ، وبه توفي كما تذكر الأخبار .

وقد كان الذهب في رأس السلع التي حملها تجار العرب إلى الآشوريين وحكومات العراق وبلاد الشام، وفي التوراة ذكر للذهب الذي كان يجلبه العرب إلى العبرانيين، وقد أشرت إلى ما ذكره الكتبة اليونان عن الذهب عند العرب ، ولعلهم كانوا يحملون الفضة إليهم كذلك . فقد كانت للفضة مناجم في جزيرة العرب. وقد ورد في أخبار أهل الأخبار أن (أبا سفيان) كان قد حمل فضة كثيرة معه لبيعها في أسواق بلاد الشام ، كما سأنحدث عن ذلك فيما بعد : فلا يستبعد تصدير العرب للفضة لبيعها في تلك الأسواق في ذلك العهد .

أما منتجات الحديد أو مصنوعات معادن أخرى : فلا نجد لها ذكراً في قائمة السلع التي كان يحملها التجار العرب إلى الخارج ، بل يظهر أن أهل جزيرة العرب ، كانوا هم الذين يستوردون مصنوعات المعادن من الخارج إلى جزيرتهم ،

REP. EPIGR. 3022, J. Pirenne, Paléographie des Inscriptions Sud-Arabes, ١
I, (1956), p. 211.
Die Araber, I, S. 74. f. ٢

فنجده في الأخبار أنهم كانوا يفتخرون بالسيوف الهندوانية ، أي المصنوعة بالهند ، أو المعمولة من حديد هندي ، أو المعمولة على طراز سيوف الهند . وقد عثر المنقبون على مصنوعات معدنية ، تبين لديهم أنها من مصنوعات الرومان والروم ، مما يدل على أنها قد استوردت من الخارج ، أو أن العمال والمشتغلين في الصناعات المعدنية ، كانوا قد رأوا تلك النماذج فعملوا على محاكاتها وصنع أمثالها . ونظراً لتأخر الصناعة عند الجاهليين ، وإلى نظرهم الازدرائية اليها واحتقارهم لمن كان يشتغل بها ، فلا يعقل أن تجد مصنوعاتهم المعدنية مكانة لها بين المنتجات المماثلة لها في الأسواق الخارجية . لهذا اقتصر صادات جزيرة العرب إلى الخارج على المواد الخام ، المتيسرة في بلاد العرب ، أو المستوردة من افريقية أو من الهند ومن وراء بلاد الهند ، وأهمها العطور والطيب والجلود .

وكان (الطيب) ، من أهم المواد التي تاجر بها العرب الجنوبيون . تاجروا بتصديره إلى خارج العربية الجنوبية إلى بلاد الشام ومصر والعراق وتاجروا به في الداخل أي في العربية الجنوبية ، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب . وقد عرف (الطيب) بـ (طب) (طيب) في لغة المسند^١ . ويستخرج الطيب من أنواع متعددة من الأشجار ، ويجلب بعضه من الخارج من الهند وافريقية ، ويصدر إلى مصر وأسواق بلاد الشام والعراق .

والبخور من المواد الثمينة ذات السعر العالي بالنسبة لتجارة ذلك الوقت . والبخور ما يتبخر به ، وثياب مبخرة مطيبة^٢ . وقد كانوا يحرقون البخور في المباخر ، ويبخرون به المعابد والأصنام ، كما كانوا يبخرون الضيوف ، وبطيون ثيابهم به . ومنه (القسط) . وهو عود هندي يتبخر به ، يجاء به من الهند ، يجعل في البخور والدواء . ويوجد قسط عربي . وورد (قسط اظفار) ، قيل هو ضرب من الطيب ، وقيل من العود^٣ . وعندني أنه (قسط ظفار) ، نسبة إلى (ظفار) قرب مرباط بالعربية الجنوبية ، وتعرف بـ (ظفار الساحل) ، نسب إليها العود الذي يتبخر به لأنه يجلب إليها من الهند ، ومنها إلى اليمن ، كنسبة الرماح إلى (الخط) ، فإنه لا ينبت به ، وإنما تجلب من الهند^٤ . وقد أشير

١ Müller, Biblische Studien, III, S. 85.

٢ تاج العروس (٣/٣٢) ، (بخر) .

٣ تاج العروس (٥/٢٠٥) ، (قسط) .

٤ تاج العروس (٣/٣٧٠) ، (ظفر) .

الى (العود) في الحديث . ورد : عليكم بالعود الهندي . وقيل هو القسط البحري^١ .
و (المسك) من أنواع الطيب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم^٢ ، ويحفظ
عادة في قوارير ، وهو من الطيب الثمين الذي يباع بأثمان غالية . وكانت العرب
تسميه (المشموم) . ويذكر علماء اللغة أن اللفظة معربة ، عربت من أصل فارسي
هو (مشك)^٣ . ورد في الحديث أطيب الطيب المسك . واستعملوه في الطب ،
عالجوا به جملة أمراض^٤ .

والعنبر من المواد التي تذكر بعد المسك في العربية ، وللأخباريين آراء في أصل
العنبر ، وأجوده ما يجلب من شجر عمان^٥ .

و (المر) ، وهو (امر) في المسند ، من المواد الثمينة الغالية في قائمة
المنتجات العربية التي تباع داخل البلاد العربية وخارجها ، وقد أقبل العبرانيون
والمصريون على استيراده وشراؤه لاستعماله في الأغراض الدينية ، فاستعمل في المعابد
وفي التحنيط ، واستعمل في جملة الأجزاء التي تدخل في الدهن المقدس^٦ . وذكر
علماء اللغة ان (المر) كالصبر ، دواء سمي به لمرارته . وقد عالجوا به جملة
أمراض^٧ .

و (الصبر) عصارة شجر مرّ ، وأجوده (السقطري) ، ويعرف أيضاً
بالصبارة^٨ .

وأما (القرفة) ، فإنها من المواد الثمينة كذلك ، وتنبت في جزيرة (سيلان)
بصورة خاصة . وتقشر ويستعمل قشرها ، أو يستعمل دهنها الحاصل من ثمرها
في بعض الأحيان^٩ . ويرى علماء اللغة ان (القرفة) ضرب من (الدار الصيني) ،
وهو أنواع ، منه (الدار صيني) الحقيقي ، ومنه المعروف بـ (قرفة القرنفل)^{١٠} .

-
- ١ تاج العروس (٤٣٧/٢) ، (عود) .
 - ٢ سورة المطففين ، الآية ٢٦ .
 - ٣ تاج العروس (١٧٦/٧) ، (مسك) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٦/٧ وما بعدها) ، (مسك) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٦/٣) ، (العنبر) ، الاشارة الى محاسن التجارة . (ص ١٩ وما بعدها) .
 - ٦ قاموس الكتاب المقدس (٣٢٦/٢) ، - Hastings, p. 639 .
 - ٧ تاج العروس (٥٣٧/٣) ، (مر) .
 - ٨ تاج العروس (٣٢٥/٣) ، (صبر) .
 - ٩ قاموس الكتاب المقدس (٢١٢/٢) ، Hastings, p. 786 .
 - ١٠ تاج العروس (٢١٩/٦) ، (قرف) .

و (القرنفل) من المواد المستوردة من الهند وما وراءها . وقد استعملوه طيباً ، كما عالجوا به ، وطيبوا به الأكل . وقد أشير إليه في شعر لأمرئ القيس ، حيث أشار الى رائحته الطيبة ، وأشير إليه في شعر لعمر بن كلثوم^١ .

وقد ذكر (الكافور) في القرآن الكريم : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً »^٢ . وفي ذلك دلالة على معرفة العرب به ووقوف قریش عليه واستعمالها له . وذكر أن الكافور ، طيب ، أو أخلاط من الطيب تركب من كافور الطلع ، وقيل يكون من شجر بجنال بحر الهند والصين^٣ .

وأما (قصب) (الذريرة) ، فهو (قليمتن) ، أي (القليمة) في المسند ، وهو (قصب الطيب)^٤ . و (الذرور) عطر يجاء به من الهند ، كالذريرة ، وهو ما انتحت من قصب الطيب ، وقيل هو نوع من الطيب مجموع من أخلاط . وبه فسر حديث عائشة : طيب رسول الله لأحرامه بذريرة^٥ .

و (السليخة) نوع من الـ Cassia ، أي قشرة تؤخذ من شجرة القرفة ، أو من أشجارها^٦ . وذكر علماء اللغة أن السليخة عطر ، وكأنه قشر منسلخ ، ودهن ثمر البان قبل أن يربب بأفاويه الطيب ، فإذا رطب بالمسك والطيب ثم اعتصر ، فهو منشوش . أي اختلط الدهن بروائح الطيب^٧ .

و (الكندر) ضرب من العلك ، وقيل هو اللبان ، وقد عولج به^٨ . و (اللبان) مشهور في العربية الجنوبية ، وهو من حاصل الهند والعربية الجنوبية وإفريقية ، وهو ضرب من الصمغ ، وذكر انه الكندر . وانه يصنع من عصير جملة أنواع من الشجيرات ، ويستخرج من عصير يستنبط بشق قشر الشجرة ،

١ قال عمرو بن كلثوم :

كأن المسك نكهته بفيها وريح قرنفل وإلياسميناً

تاج العروس (٧٩ / ٨) ، (القرنفل) .

٢ سورة الدهر ، الآية ٥ .

٣ تاج العروس (٥٢٧ / ٣) ، (كفر) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢١٦ / ٢) ، Hastings, p. 786 .

٥ تاج العروس (٢٢٣ / ٣) ، (ذر) .

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٦٢ / ٢) ، Hastings, p. 119 .

٧ تاج العروس (٢٦٢ / ٢) ، (سلخ) .

٨ تاج العروس (٥٢٩ / ٣) ، (الكندر) .

وتجفيف العصور . وقد استخدم في المعابد . وأشير في سفري (أشعياء)^١ ،
و (أرمياء)^٢ ، إلى ان العبرانيين كانوا يستوردونه من (شبا) ، أي من أرض
(سبأ) ، وأشهره من شحر عمان . وأحسنه ما يجمع من موضع تجمعه قبل سقوطه
على الأرض ، أو تلوثه بمادة غريبة قد تتساقط عليه^٣ .

ولفظه (الكندر) من أصل أعجمي هو Cunduru ، وهو من الألفاظ
(السنسكريتية) . فيظهر ان الكلمة دخلت العربية من الهند^٤ .

وقد كانت في المعابد مخازن تجمع فيها أصناف الطيب والمر والبخور ، وذلك
للتصدير والبيع . وقد كانت تقوم بمهمة وسيط في البيع والشراء ، تباع ما تخزنه
وتحصل بذلك على عمولة تستفيد منها وتدر عليها أرباحاً طائلة جداً ، ثري منها.
وهكذا نجد المعابد وهي تكاد تحتكر تلك المواد وتنفرد ببيعها إلى التجار^٥ .

ويقسم الطيب إلى ذكور الطيب وإلى إناثه . وذكر الطيب ما يصلح للرجال
دون النساء نحو المسك والعنبر والعود والكافور والغالية والذريرة . وعرف هذا
النوع بـ (ذكارة الطيب) . والمؤنث طيب النساء ، كالخلوق والزعفران^٦ .
وورد ان (الغالية) ، طيب عرف في زمن (معاوية) ، وذلك ان (عبدالله
ابن جعفر) دخل عليه ورائحة الطيب تفوح منه ، فقال له ما طيبك يا عبدالله ؟
فقال : مسك وعنبر جمع بينهما دهن بان . فقال معاوية : غالية أي ذات ثمن
غال . وقيل أول من سماها بذلك (سليمان بن عبد الملك) ، وانما سميت لأنها
أخلطت تغلي على النار مع بعضها^٧ . والخلوق من طيب النساء، يتخذ من الزعفران
وغيره ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة . وقد نهى عنه ، لأنه من طيب النساء^٨.

-
- ١ أشعياء ، الاصحاح ٦٠ ، الآية ٦ .
 - ٢ أرمياء ، الاصحاح ٦ ، الآية ٢ .
 - ٣ تاج العروس (٣٢٩/٩) ، (لبن) ، الاشارة الى محاسن التجارة (ص ٢٢) .
 - ٤ W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 633.
 - ٥ Rhodokanakis, Stud. Lexl., I, S. 6.
 - ٦ اللسان (٣١٠/٤) ، (ذكر) .
 - ٧ تاج العروس (٢٧٠/١٠) ، (غلي) .
 - ٨ تاج العروس (٣٣٧/٦) ، (خلق) .

قوافل سبأ :

وقد أشير في التوراة الى قوافل سبأ ، وهي قوافل كانت تسير من العربية الجنوبية مختربة العربية الغربية الى فلسطين ، فتبيع ما تحمله من سلع هناك . وقد كان السبئيون يسيطرون على العربية الغربية ، حتى بلغت حدود مملكتهم أرض فلسطين . ولم تشر التوراة الى وجود قوافل بحرية وسفن للسبئيين في البحر الأحمر ، تتاجر مع فلسطين ومصر ، ولم نعث على كتابات بالمسند تشير اليها ، لذلك ، فليس في استطاعتنا التحدث عن التجارة البحرية للسبئيين مع بلاد الشام .

سارت حكومة سبأ على سياسة التوسع التجاري ، وهذا التوسع يقتضي السيطرة على الطرق ، فبذلت جهدها لبسط سلطانها على الطرق والمسالك وجعلها تحت نفوذها وحكمها . وبعد استيلائها على بقية الحكومات العربية الجنوبية الأخرى وضعت الطرق الجنوبية المؤدية الى أرض اللبان والمواد الأخرى التي اشتهرت بها العربية الجنوبية ، والى الموانئ والمرافئ التي تتاجر مع إفريقيا والهند وتستورد منها السلع النفيسة الثمينة تحت نفوذها وحكمها ، وحسنتها وشقت طرقاً جديدة لأغراض حربية واقتصادية ، وبلطت بعض مواضع منها لتقاوم السيول والأمطار ، وأحكمت جوانبها وحصنتها بالحجارة الصلدة حتى تقاوم السيول التي تنحدر من المرتفعات على هذه الطرق فلا تلحق الأذى بها . ولا تزال آثار تلك الطرق باقية ، وقد كتب عنها السباح .

وانتهجت نحو السيطرة على الطرق البرية المؤدية الى بلاد الشام . ولهذه الطرق أهمية كبيرة بالنسبة الى اليمن والعربية الجنوبية . وهي طرق موازية للطريق البحرية الممتدة في البحر الأحمر ، ولها شأن خطير في التجارة العالمية . وقد أسست مواضع حراسة ، لحراسة القوافل من قطاع الطرق ومن تحرش القبائل بها ، ولعل أهل يثرب الذين يرجعون نسبهم الى اليمن ، هم من الرجال الذين غرسهم السبئيون في هذا المكان لحماية قوافلهم التي تذهب الى بلاد الشام .

ووجه السبئيون أنظارهم نحو العراق وموانئ الخليج العربي كذلك ، فاستخدموا الطريق الممتدة من نجران الى (السليل) ومن هناك الى الخليج والعراق .

Rhodokanakis, Altsap, Texte., S. 9, W. H. Irvine Shakespear, in the Geogr. Journal, LIX., No. 5, (1922), p. 321.

وتوجد آثار طرق جاهلية مبلطة تبليطاً حسناً وأخرى ممهدة تمهيداً فنياً . وقد أنشئ بعضها في أرض جبلية وفي أرضين وعرة ، وذلك باستعمال الآلات بمهارة فائقة في قطع الصخور لإنشاء هذه الممرات . وقد زفت بعض هذه الطرق وغطي بطبقة من الأسفلت ، ووضعت عليها صوى ترشد المارة ، ولما كانت الطرق الطويلة المبلطة تبليطاً فنياً تحتاج إلى نفقات طائلة وإلى أيدٍ عاملة كثيرة وإلى حكومة كبيرة غنية ، لم يكن من الممكن يومئذ فتح طرق طويلة ممهدة تخترق جزيرة العرب ، على شكل الطرق التي أنشأها الرومان في انبراطوريتهم ، لسير القوات العسكرية عليها والتجارات فاقصر على إقامة الطرق الضرورية القصيرة التي توصل المدن والقرى بالمواضع المهمة ^١ .

وقد كان اعتماد التجار على الحيوانات ولا سيما الجمل في نقل تجارتهم . أما العربات فلم تكن مستخدمة في أغراض تجارية في جزيرة العرب . ولم ترد لإشارات إليها في نصوص المسند ، ولا في النصوص الجاهلية الأخرى ، ولا في أخبار أهل الأخبار . وقد ظل اعتماد التجار وأصحاب القوافل على الحيوانات طوال العهود الإسلامية إلى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، ففيه أخذ في تمهيد الطرق لسير وسائل النقل الحديثة عليها ، فأخذت تنافس تلك الوسائل القديمة ، وستقضي عليها في المستقبل بالبداهة .

والتجارة هي التي نقلت بعض الكتابات الشمالية إلى العربية الجنوبية ، وأدخلت الكتابة النبطية والكتابة النبطية إلى اليمن . وأصحاب الكتبتين من الشعوب المقيمة في العربية الشمالية كما هو معروف . فكتابتهم لم تأت إلى هنا قافرة متخطية المسافة ، بل جاءت مع أصحابها التجار الذين قصدوا هذه الأماكن للتجارة ، ومن بينهم من سكن فيها واختلط بأهلها ومات فيها . وقد كتبوا فيها الكتابات التي عثر عليها بعض العلماء في أماكن متعددة من خرائب اليمن ، وقد يعثر على عدد منها وعلى كتابات أخرى ، قد يكون من بينها كتابات بلغات أعجمية في المستقبل بعد قيام بعثات الحفر بالتنقيب هناك .

الفصل التاسع والتسعون

ركوب البحر

والبحر في رأي علماء العربية الماء الكثير ، ملحاً كان أو عذباً ، وقد غلب على الملح فقط ، حتى قلَّ في العذب . وهو خلاف البر^١ . وأطلق أهل العربية الجنوبية على البحر اللفظة نفسها التي نطلقها عليه ، فيقولون (بحر) أي بحر . وقد ذكر البحر في معاهدة التآخي والأخوة (تآخين) التي عقدت في القرن الرابع للميلاد بين ملك الحبشة (جدرت) والملك (يدع اب غيلان) ملك حضرموت ، لمقاومة ملك سبأ وذي ريدان^٢ . وذكر في النص المعروف بنص (أبنة) ، حيث ورد : « وكل الت ذبحرم وييسم ومشرقم ومعربم » : ومعناه الحرقي : « وكل آلهة البحر واليابسة والمشرق والمغرب » . وقد ذهب (رودوكناكس) الى أن لفظة البحر تعني الجنوب ، وأن لفظة (ييسم) (يابس) (يَبَس) (يَابَسَة) تعني الشمال ، وأن معنى الجملة المذكورة : « وكل آلهة الجنوب والشمال والمغرب »^٣ . وقد وردت اللفظة بمعني (بحر) في نص « Glaser 830 » ، حيث جاء : « يبحرم وييسم وكل تشعث وزبد »^٤ ، أي « يبحر ويابسة وكل العطايا والهدايا » .

١ تاج العروس (٢٧/٣) ، (بحر) .

٢ السطر الخامس عشر والسادس عشر من النص : Glaser 850.

٣ Rhodokanakis, Studl. Lexl., II, S. 10, 166.

٤ السطر الخامس عشر من النص ،

Rhodokanakis, II, S. 10, Mordtmann, Himj. Inschr., S. 21.

ووردت لفظة (اليم) في القرآن الكريم^١ ، ويراد بها البحر . وقد ذكر بعض علماء اللغة انها لغة سريانية^٢ . وفي اللغة العربية ألفاظ أخرى مرادفة للبحر أيضاً ، منها (القَلَمَس) ، و (الدماء) ، و (الكافر) ، و (الحنبل) ، و (الخضم) ، و (العيلم) ، وغير ذلك من ألفاظ ترد في كتب اللغة^٣ .

ولجزيرة العرب سواحل طويلة تحيط بها من جميع جهاتها الثلاث ، أما حدها الشمالي فهو أرض تنصل بالعراق وبلاد الشام . وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه ، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقتهم ، وتعاملوا مع أهمل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة ، وركب جمع منهم السفن ، للتجار مع السواحل المتباعدة لهم . فباعوا في أسواقها واشتروا ، وقد أظهر أهل السواحل العربية الجنوبية والشرقية نشاطاً في ركوب البحر ، لا نجده عند أهل السواحل الغربية ، على ما يتبين من روايات أهل الأخبار .

ولتكوين رأي عن مدى وقوف الجاهليين على البحار وعلى مدى توغلهم فيها، وركوبهم أمواجها للتجارة أو للاستيطان في مواطن جديدة غريبة ، لا بد لنا من الرجوع إلى مراجع لتستحلب منها مادة نكوّن منها علمنا عن هذا الموضوع . والآثار هي أول ما يجب الرجوع اليه لاستخلاص هذه المادة ، ولكنها وبالأأسف شحيحة ، ليس فيها شيء كاف منها . وأما الموارد الأعجمية ، مثل الموارد المدونة باليونانية واللاتينية والسريانية، فلم تتحشر بموضوع العرب والبحار وبتجارهم في البحر . وأما الموارد الإسلامية ، فهي بخيلة ، ليس فيها ما يفيدنا عن العرب والبحر غير نزر يسير يفيد ، ان أهل الجاهلية ، كانوا يكرهون ركوب البحر ، ويتهيبون منه ، وأنهم لم يكونوا يملكون سفناً لعبوره، حتى ان المهاجرين الأولين من المسلمين ، لما هربوا من مكة إلى الحبشة ، ركبوا سفناً بدائية حبشية ، أوصلتهم إلى الحبشة ، وان الخليفة (عمر) كان يتهيب ركوب البحر ، وكان يوصي قواده بتجنيب جيوشهم مخاطره ، والابتعاد عنه قدر الامكان ، وبضرورة وضع أرض آمنة وراء الجيش ليكون في وسعهم الرجوع اليها عند المهالك والمآزق^٤.

-
- ١ طه ، الآية ٣٩ ، ٧٨ ، ٩٢ ، القصص ، الآية ٧ ، الاعراف ، الآية ١٣٥ .
 - ٢ المخصص (١٠ / ١٦٣) ، تاج العروس (٩ / ١١٤) ، (يعم) ، اللسان (٤ / ٤٢) ، (بحر) .
 - ٣ راجع الالفاظ المذكورة في كتب اللغة والمعجمات .
 - ٤ ارشاد الساري (٤ / ١٤) وما بعدها .

وانه لما كتب إلى (عمرو بن العاص) ، يسأله عن البحر ، فقال : خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ، دود على عود . كتب إليه (عمر) أن لا يركبه أحد طول حياته ، فلما كان بعد (عمر) لم يزل يركب حتى كان زمن (عمر بن عبد العزيز) ، فاتبع فيه رأي (عمر) . وكان منع عمر شفقة على المسلمين^١ .

وقد عرف العربي عند الأعاجم ببغضه للبحر وبخوفه منه وبابتعاده عنه . ورد في حكم (أحيقار) : « لا تُرَ العربي البحر ، ولا تُرَ الصيدوني (الصيداني) الصحراء »^٢ . وذلك لاشتهار العربي عندهم بسكنه في البوادي وبابتعاده عن البحر ولاشتهار أهل (صيدا) بركوبه وبقهر أمواجه .

وإذا كنا قد فشلنا في الحصول على صورة مفصلة واضحة عن العرب والبحر من الموارد التي أشرت إليها ، وهي مادة المؤرخ في حصوله على مادته التاريخية ، فليس لنا من سبيل لتكوين صورة ولو باهتة عن الموضوع ، سوى الرجوع الى اللغة نستلهم من ألفاظها المتعلقة بالبحر وبوسائل ركوبه ، ما فات وروده في تلك المصادر . فاللغة كما نعلم مظهر من مظاهر الحياة العقلية والعملية لكل أمة ، وهي لم تخلق دفعة واحدة ، ولم يأخذها الخلف عن السلف كاملة ، وإنما خلقت بالتدريج وعلى قدر الحاجة ، فإذا ظهرت أشياء جديدة خلق المتكلمون بها لها ألفاظاً جديدة وإذا اندثرت أشياء ، فقد تندثر ألفاظها . واللغة مثل الناطقين بها في حياة وموت مستمرين . وإذا حصرنا الألفاظ التي أطلقها الجاهليون على البحر وعلى وسائل ركوبه وعلى ما فيه ، نستطيع إذن أن نعرف ماذا كانوا يعرفونه عنه وماذا كانوا يجهلون من أمره .

فلنأخذ الألفاظ المتعلقة بالبحر اذن سنداً لنا ، من لغتنا العربية نستنبط منها علم الجاهليين به ، مع العلم بأن هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لا يمكن أن تؤدي المهمة على أحسن وجه ، لأنها لغة أهل برّ ، وليس لأهل البر علم أهل الساحل به . والأحرى بنا الاستعانة بلغات أهل السواحل في مثل هذه الدراسة ، لكننا لا نملك نصوصاً جاهلية مدوّنة بها ، حتى نستنبط منها ما نريد ، وليس في لهجات المسند عن البحر سوى نزر يسير ، ولكننا ما دمنا لا نملك وسيلة للإحاطة

١ ارشاد الساري (١٥/٤) .

٢ A. T. Olmstead, History of the Persian Empire, p. 326.

يُعلم الجاهليين بالبحر سوى دراسة هذه اللغة ، فإِ علينا إِلا أَنْ نَتَتبع ما جاء فيها عنه ، وفي هذا الذي ستقف عليه تصوير لرأي المتكلمين بها بالبحر، وهو تصوير يمثل رأي أهل البرّ عنه .

يُقال لشاطئ البحر (الساحل) في عربية القرآن الكريم ، وهو بمعنى ريف البحر وشاطئه^١ . وقد وردت اللفظة في كتاب الله^٢ . وقد خصصت هذه اللفظة بالبحر ، أما شط النهر ، فقد عرف بـ (الشاطئ)^٣ . ويُقال للساحل أيضاً (السيف) و (سيف البحر)^٤ . وذكر علماء اللغة ان (العيقة) ساحل البحر وناحيته^٥ ، وان (العدان) ، موضع كل ساحل . وقيل هو الساحل نفسه^٦ . وذكر ان « السيف ساحل الوادي ، أو لكل ساحل سيف ، وانما يُقال ذلك لسيف عمان »^٧ . وورد ان (الطف) و (الطفطاف) ساحل البحر^٨ .

و (القاموس) ، بمعنى معظم ماء البحر ، أو البحر ، أو أبعد موضع فيه غوراً ، ووسط البحر^٩ ، ولجة البحر ، معظم البحر ، ومنه بحسّر لحي^{١٠} ، و (الشرم) ، لجة البحر ، وقيل موضع ، وقيل هو أبعد قعره ، أو الخليج منه . وقد ذكر (أمية بن أبي الصلت (الشروم) في وصفه جهنم :

فتسمو لا يغيبها ضراء ولا تخبو فتبردها الشروم

والشرم ، مرسى من مراسي خليج السويس ، بينها ستة مراحل^{١١} .
و (العوطب) ، لجة البحر ، أو المطمئن بين الموجتين ، أو أعمق موضع

-
- ١ القاموس (٢٩٤/٣) ، (سحل) ، تاج العروس (٣٧١/٧) ، (سحل) .
 - ٢ سورة طه ، الآية ٣٩ .
 - ٣ المخصص (٢٠/١٠) ، القاموس (٣٦٨/٣) ، تاج العروس (٨٠/١) ، (شطاً) .
 - ٤ القاموس (١٥٦/٣) ، المخصص (٢٠/١٠) .
 - ٥ القاموس (٢٧٥/٣) ، تاج العروس (٢٧٥/٧) ، تاج العروس (٣١/٧) ، (عيق) .
 - ٦ القاموس (٢٤٧/٤) ، تاج العروس (٢٧٥/٩) ، (عدن) .
 - ٧ تاج العروس (١٤٩/٦) ، (سيف) .
 - ٨ تاج العروس (١٨٢/٦) ، (طفف) .
 - ٩ القاموس (٢٤٣/٢) ، تاج العروس (٢٢٣/٤) ، (قمس) .
 - ١٠ القاموس (٢٠٥/١) ، تاج العروس (٩٢/٢) ، (ليج) .
 - ١١ تاج العروس (٣٥٧/٨) ، (شرم) .

في البحر^١ ، و (الدردور) موضع في البحر يجيش ماؤه ، قلما تسلم منه السفينة ، ويخاف منه الغرق^٢ . و (الخليج) ، وهو من البحر ، سمي بذلك لأنه يجذب من معظم البحر^٣ ، والخور الخليج من البحر ، وقيل مصب الماء في البحر ، وقيل مصب المياه الجارية في البحر إذا اتسع وعرض ، وقيل : عنق من البحر يدخل في الأرض^٤ ، والغب الضارب من البحر حتى ينع في البر^٥ .

وذكر علماء اللغة أن الجزيرة إنما سُميت جزيرة لانقطاعها عن معظم الأرض أو لما جزر عنه^٦ . و (البضيع) ، الجزيرة في البحر ، والبحر نفسه^٧ . وأما (الدبر) ، فقطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها^٨ .

والسفينة هي واسطة النقل على وجه الماء في الأنهار وفي البحار . وهي من الكلمات المعروفة في عربيتنا ، وقد أشير إليها في شعر عمرو بن كلثوم :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا موج البحر نملؤه سفينا^٩

وقد وردت لفظة (سفينة) و (السفينة) في القرآن الكريم^{١٠} ، ويدل ذلك على أنها من الألفاظ التي كانت معروفة ومستعملة بهذا المعنى في أيام ظهور الاسلام .

وعبر عن السفينة بلفظة أخرى هي (الفُلْكَ) ، وتقع على الواحد والاثني والجمع . وقد وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم^{١١} . كما يعبر عنها

-
- ١ القاموس (١٠٦/١) ، تاج العروس (٣٨٧/١) ، (عطب) .
 - ٢ تاج العروس (٢٠٥/٣) ، (در) .
 - ٣ القاموس (١٨٦/١) ، تاج العروس (٣٤/٢) ، (خلج) .
 - ٤ تاج العروس (١٩٢/٣) ، (خار) .
 - ٥ القاموس (١٠٩/١) ، تاج العروس (٤٠٣/١) ، (غب) .
 - ٦ المخصص (١١/١٠) ، القاموس (٣٨٩/١) ، تاج العروس (٩٨/٣) ، (جزر) .
 - ٧ القاموس (٦/٢) ، تاج العروس (٢٧٨/٥) ، (بضع) .
 - ٨ القاموس (٢٦/٢) ، تاج العروس (١٩٨/٣) ، (دبر) .
 - ٩ اللسان (٢٠٩/١٣) وما بعدها ، (سفن) ، تاج العروس (٢٣٦/٩) ، (سفن) .
 - ١٠ الكهف ، الآية ٧٢ ، ٨٠ ، العنكبوت ، الآية ١٥ .
 - ١١ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٥٢٦) ، اللسان (٤٧٩/١٠) .

بـ (مركب) ، والجمع مراكب^١ . ولو ان المركب كلمة عامة تطلق على كل ما يركب عليه ، فالدواب هي مركب أيضاً لمن يركبها ، غير ان (المركب) السفينة على سبيل التغليب والاصطلاح. وقد عبر القرآن الكريم عن السفن والمراكب بلفظة (الجاريات) و (الجوار) ، و (الجارية) كما في هذه الآية : « وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام » ، وكما في هذه الآية : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » ، وفي مواضع أخرى^٢ . و (الجارية) المركب أيضاً ، صفة غالبية لأنها تجري على الماء^٣ .

وقد وردت لفظة (الفلك) بصورة خاصة تعبيراً عن سفينة نوح الواردة في الطوفان . ويذكر بعض المفسرين أن السفينة ، أي (الفلك) ، كانت مصنوعة من خشب الساج ، وكانت (ذات ألواح ودُسر^٤) ، أي أن ألواحها قد التصقت بعضها ببعض بـ (دسر) وهي المسامير^٥ .

وورد في القرآن الكريم : « والفلك التي تجري في البحر »^٦ . وورد في الشعر :

جَوَافِلَ في السراب كما استقلت فلولك البحر زال بهما الشرير

والفلك هنا جمع (الفلك) ، وأما الشرير ، فشجر البحر^٧ . ويظهر من هنا أن (الفلك) هي سفينة من سفن البحر . وهي من السفن الكبيرة . وقد ورد في القرآن أيضاً (في الفلك المشحون) أي السفينة المشحونة المملوءة كما ورد : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة » . وفي هذه الآية معنى مهم ، يدل على إحاطة الجاهلين بالبحر وركوبهم فيه ، وتسييرهم لها بفعل الرياح . وقد وردت في القرآن الكريم إشارات الى صنع الفلك والى سيرها مواخر في البحر .

-
- ١ اللسان (٢٩٢/٨) .
 - ٢ سورة الشورى ، الآية ٣٢ ، والرحمن ، الآية ٢٤ ، والحاقة ، الآية ١١ ، اللسان (٢٩٢/٨) ، شمس العلوم (١ ق ٧ ص ٣١٨) ، القاموس (٣١٢/٤) .
 - ٣ تاج العروس (٧٢/١٠) ، (جرى) .
 - ٤ قصص الانبياء (ص ٣٤) ، تاج العروس (٣١٦/٣) ، (دسر) ، Ency., II, p. 117.
 - ٥ البقرة ، الآية ١٦٤ .
 - ٦ المخصص (٢٣/١٠) ، القاموس (٥٧/٢) .

ويقال للسفينة : (البارجة) أيضاً ، والجمع (البوارج) . وذكر أنها السفن الكبار ، وأنها سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال^١ .

و (القرقور) : ضرب من السفن ، وقيل : هي السفينة العظيمة أو الطويلة . والقرقور من أطول السفن . وجمعه قراقير . وفي الحديث : « فاذا دخل أهل الجنة الجنة ركب شهداء البحر في قراقير من در »^٢ .

و (الخلية) العظيمة من السفن ، والجمع خلايا . قال طرفة :

كأنّ حدوج المالكية ، غدوة خلايا سفين بالنواصف من دَرٍ

وقال الأعشى :

يَكُوبُ الخلية ذات القلاع وقد كاد جُوجؤها ينحطم^٣

وقيل هي التي يتبعها زورق صغير^٤ .

وذكر ان من أسماء السفن الكبيرة (الخلج) . وقيل أنها دون العدولية . وأما (الصلفة) فسفينة كبيرة ، و (الزنبرية) نوع من أنواع السفن الكبيرة^٥ . و (القادس) : السفينة العظيمة ، وقيل صنف من أصناف المراكب ، أو لوح من ألواحها^٦ .

وقد ضرب (لبید بن ربيعة العامري) مثلاً بسفينة (الهندي) في طولها وعرضها وفي إحكام عملها ، عملها صانعها من صفائح مشبوحة ودهنها وسدّ المسافات التي تكون بين صفائح الخشب حتى لا ينفذ منها ماء البحر^٧ . مما يدل بالطبع على وقوفه عليها وعلى شهرة تلك السفن في تلك الأيام .

-
- ١ اللسان (٢١٣/٢) ، القاموس (١٧٨/١) ، تاج العروس (٧/٢) ، (برج) ، المخصص (٢٦/١٠) .
 - ٢ اللسان (٩١/٥) .
 - ٣ اللسان (٢٤١/١٤) ، تاج العروس (١١٩/١٠) ، (خلا) .
 - ٤ تاج العروس (١١٩/١٠) ، (خلا) ، القاموس (٣٢٥/٤) .
 - ٥ المخصص (٢٥/١٠ وما بعدها) .
 - ٦ القاموس (٢٣٩/٢) ، تاج العروس (٢١٣/٤) ، (قدس) .
 - ٧ شرح ديوان لبید (ص ١٤٢) .

وقد أشار بعض الكتبة من اليونان واللاتين إلى نوع من السفن دعوه « Madarata » ،
 ذكروا أن ميناء (عمانه) « Omana » كان قد اشتهر ببنائه . وقد صنعت هذه السفن
 من الألواح المشدودة بالليف . وقد رأى بعض الباحثين أن هذه اللفظة من أصل
 عربي ، هو (مدرعات) ، ويراد بها السفن المشدودة بدروع النخل . ورأى
 آخرون أنها من أصل « Mabarata » جمع (معبر) من أسماء السفن في لغة بني (لارم)^١ .
 وذكر علماء اللغة أن (المعبر) ما عبر به النهر من فلك أو قنطرة أو غيره ،
 والمعبرة سفينة يعبر بها النهر^٢ . فالمعابر إذن من الوسائل المستعملة في عبور النهر
 على ما يظهر من شرح أولئك العلماء .

وقريب من هذا الوصف وصف نوع من السفن عرف بـ (العائم) . ذكر
 علماء العربية أنه : عيدان مشدودة تتركب في البحر ويعبر عليها^٣ . وهو نوع
 بدائي بالطبع لا يمكن أن يقارن بالسفن التي كانت عند الرومان واليونان . و(الطوف)
 قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض ، فتجعل كهيئة السطح يركب عليها في
 الماء ويحمل عليها الميرة والناس ، ويعبر عليها ، وهو الرمث . وربما كان من
 خشب والجمع أطواف . وذكر بعض العلماء أن الطوف التي يعبر عليها الأنهار
 الكبار تسوى من القصب والعيدان يشد بعضها فوق بعض ، ثم يقط بالقمط
 حتى يؤمن انحلالها ثم تتركب ويعبر عليها ، وربما حمل عليها الحمل على قدر قوته
 وثخائنه ، ويسمى : (العامة)^٤ .

والرمث خشب يضم بعضه إلى بعض كالطوف ويركب عليه في البحر . وفي
 الحديث إن رجلاً أتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنا نركب أرمائاً
 لنا في البحر ولا ماء معنا ، أفنتوضأ بماء البحر . فقال : هو الطهور ماؤه الحل
 ميتته . قال أبو صخر الهذلي :

-
- ١ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ،
 تأليف جورج فضلو حوراني ، وترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر (ص ٦٠ وما
 بعدها) .
 - ٢ اللسان (٥٣٠/٤) ، (عبر) .
 - ٣ اللسان (٤٢٥/١٢) ، القاموس (١٥٤/٤) ، تاج العروس (١٨٤/٦) ، المخصص
 (٧٩/١٠) .
 - ٤ تاج العروس (١٨٤/٦) ، (طوف) ، القاموس (١٧٠/٣) .

تمنيت من حبيتي عُليّة أنسا على رمث في الشرم ليس لنا وفر^١

وذكر علماء العربية اسم نوع من السفن قالوا له : (البوصي) . وقالوا انه فارسي معرب ، وان الكلمة وردت في شعر للأعشى^٢ . وذكر ان (البوصي) الملاح ، وقيل الزورق ، وان الكلمة معربة (يوزي)^٣ .

وذهب بعض علماء اللغة إلى ان (العدولية) الواردة في قول طرفة بن العبد :

عدولية أو من سفين ابن يامن يحور بها الملاح طوراً ويهتدي

سفناً منسوبة إلى قرية بالبحرين يقال لها (عدولي) ، أو إلى قوم كانوا يتزلون هجر ، أو إلى عدول ، رجل كان يتخذ السفن^٤ . ولا يستبعد ان يكون مراد الشاعر من السفن (العدولية) ، السفن القادمة من ميناء (أدولس) (عدولي) ميناء تجاري على ساحل الحبشة اشتهر بالتجارة قبل الاسلام .

ويظهر من شعر طرفة المذكور ، ان رجلاً اسمه (ابن يامين) كان تاجراً يملك سفناً ، وأن سفنه كانت تمخر العباب . وذكر أيضاً أنه كان بحاراً ، وورد (ابن نبتل) بدلاً من (ابن يامين)^٥ .

وذكر علماء اللغة أن من أسماء المراكب المائية الصغيرة : الزورق والقارب والركوة . والزورق ، السفينة الصغيرة ، وقيل هو القارب الصغير^٦ . و(الركوة) زورق صغير^٧ .

وقد عرفت السفن المستعملة في القتال بأسماء خاصة ، منها البارجة ، وهي سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال^٨ .

-
- ١ تاج العروس (٦٢٥/١) ، (رمث) ، القاموس (١٦٢/١) ، (رمث)^٥ .
 - ٢ مثل الفراتي ، اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر تاج العروس (٣٧٦/٤) ، القاموس (٢٩٦/٢) ، المخصص (٢٣/١٠) ، بلوغ الارب (٣٦٧/٢)^٥ .
 - ٣ تاج العروس (٣٧٦/٤) ، اللسان (٩/٧)^٥ .
 - ٤ القاموس (١٤/٤) ، تاج العروس (١١/٨) ، (عدل) ، بلوغ الارب (٣٦٥/٣)^٥ .
 - ٥ بلوغ الارب (٢٦٥/٣) وما بعدها^٥ .
 - ٦ تاج العروس (٣٦٩/٦) ، (زرق)^٥ .
 - ٧ تاج العروس (١٥٥/١٠) ، (ركا)^٥ .
 - ٨ المخصص (٢٦/١٠) ، القاموس (١٧٨/١) ، تاج العروس (٧/٢)^٥ .

والشراع هو (ماكنة) السفينة وقوتها المحركة الدافعة لها . ويقال له (القلح) أيضاً^١ ، وجلّ كذلك^٢ . وقد ذكر علماء اللغة ، أن الشراع كالملاءة الواسعة فوق خشبة من ثوب أو حصير مربع وتر على أربع قوى ، تصفقه الريح فيمضي بالسفينة^٣ . ويظهر من هذا الوصف أن أشربة أهل الجاهلية كانت بسيطة ، ولم تكن متداخلة كأشربة الروم . والشراع البسيط على النحو المذكور ، يكون ضعيفاً فاتر المهمة لا يتمكن من دفع السفن الكبيرة ، بل وقد لا يتمكن حتى من دفع السفن الصغيرة بسرعة ، بسبب صغر حجمه ، ثم إنه لا يتمكن من الاستفادة من قوة الريح ، ومن استخدام هذه القوة في توجيه السفينة بسرعة نحو هدفها ، والسير بها في عرض البحر ، بينما يتمكن الشراع المكون من عدة أقلعة ، من الاستفادة من الريح ، ومن دفع السفينة دفعاً سريعاً ، ومن حملها الى عرض البحر ، فيقلص من المسافات ويبعدها عن أخطار لصوص البحر ، ولذلك لم تتمكن سفن أهل الجاهلية من مواجهة سفن الروم ومن تحديدها ، حين دخلت سفنهم البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط .

والدقل : سهم السفينة ، وهو خشبة طويلة تشد في وسط السفينة ، عمد عليها الشراع^٤ . والجؤجؤ : صدر السفينة^٥ ، و (المرنحة) : صدر السفينة كذلك^٦ ، وعرف (الدقل) بـ (الدوقل) كذلك ، وتسميه البحرية (الصاري)^٧ . و (الصاري) الملاح أيضاً ، لحفظه السفينة^٨ . و (القب) ، رأس الدقل ، و (القرية) ، خشبة مربعة على رأس القب^٩ .

وأما الذي يعدل اتجاه السفن ويغير من اتجاهها ، فهو (السُكّان) ، وهو (الكوثل) أيضاً . وذكر أيضاً أن (السُكّان) ما تُسكّن به السفينة تمنع به

-
- ١ بالكسر ، اللسان (٢٩٢/٨) ، القاموس (٧٤/٣) .
 - ٢ اللسان (١٢١/١١) ، (والجل بالفتح : الشراع) ، تاج العروس (٢٦٠/٧) ، (جلل) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩٥/٥) ، (شرع) .
 - ٤ تاج العروس (٣٢٣/٧) ، (دقل) .
 - ٥ تاج العروس (٤٩/١) ، (جأجأ) .
 - ٦ تاج العروس (١٤٧/٢) ، (رنج) .
 - ٧ اللسان (٢٤٦/١١) ، تاج العروس (٣٢٣/٧) ، (دقل) .
 - ٨ تاج العروس (٢٠٩/١٠) ، (صرى) .
 - ٩ اللسان (٤٥٥/٢) ، تاج العروس (١٤٧/٢) ، (رنج) .

من الحركة والاضطراب^١ . وذكر بعض علماء العربية ان (الكوثل) مؤخر السفينة، وفيه يكون الملاحون ومتاعهم^٢ . والأغلب انه (السُّكَّان) ، ويعبر عنه بـ (الخيزرانة) كذلك^٣ . وبلغة أخرى هي (الدويطرة) . وقد عرفت بأنها كوثل السفينة^٤ .

ويعرف سكان السفينة بـ (الخيزرانة) وبـ (الخيزران) . قال النابغة يصف الفرات وقت مدّه :

يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد^٥

ويستعمل الملاحون (المجاديف) (المجاذيف) في تجديف السفينة^٦ . و (المجذاف) خشبة رأسها لوح عريض تدفع بها^٧ . ويقال له (المقذف) و (المقذاف) أيضاً^٨ . ولم يتطرق علماء اللغة ولا أهل الأخبار إلى عدد (مجاديف) السفينة الواحدة ، أي إلى عدد رجالها الذين كانوا يجدفون بالمجاديف . فالسفن الكبيرة الضخمة تحتاج إلى عدد من المجدفين ، قد يبلغون العشرات . وقد كانت سفن الروم ، ذات طابقين بالنسبة للمجدفين ، فيجلس عدد منهم في الطابق الأسفل ، ويجلس فوقهم عدد آخر من المجدفين ، لتسير السفينة بسرعة ، وقد استخدموا هذه الطريقة في سفنهم الحربية بصورة خاصة ، لأنها سفن ، يجب ان تعتمد على السرعة وعلى خفة الحركة لتمكن من التغلب على سفن الأعداء .

وأما (المُردي) ، فخشبة يدفع بها الملاح السفينة . وذلك كي يحركها عند

١ اللسان (٢١١/١٣) ، قال طرفه :

كسكان بوصي بدجلة مصعد .

٢ اللسان (٥٨٣/١١) وما بعدها) .

٣ قال الاعشى :

من الخوف كوثلها يلتزم

اللسان (٥٨٤/١١) .

٤ اللسان (٥٨٤/١١) ، (٤٥٥/٢) .

٥ اللسان (٢٣٨/٤) .

٦ بالبدال والذال جميعاً ، لغتان فصيحتان .

٧ اللسان (٢٣/٩) .

٨ اللسان (٢٧٧/٩) ، القاموس (١٢٢/٣) ، تاج العروس (٥٤/٦) ، (جدف) ،

(قذف) ، (٢١٨/٦) .

الشواطئ والسواحل حيث تكون المياه ضحلة^١ . والقيقلان خشبة يدفع بها السفينة أيضاً^٢ .

ويقال للذي يشتغل في السفينة ويعمل على تسييرها (الملاح) ، ويقال له (صار) و (الصاري) أيضاً^٣ . وحرفته (الملاحه) . ويقال للملاح : (السفّان) كذلك ، وهو الذي يشتغل في السفن ، ويعبر عنه بـ (النوتي)^٤ . والجمع (نوتية) و (نَوَاتين) . « وفي حديث علي ، كرم الله وجهه : كأنه قلع داري عنجه نوتية » . وورد أن (النوتي) البحار ، وهو من كلام أهل الشام^٥ : واللفظة من أصل يوناني^٦ .

و (الرَبّان) ، أو (ربان السفينة) ، هو قائدها الذي يجريها . ويرى علماء اللغة أنها دخيلة معربة^٧ .

ويقال للموضع الذي ترفأ اليه السفن (المرفأ) . من أصل (رفأ) بمعنى أدنى . وورد في حديث (تميم الداري) : « أنهم ركبوا البحر ثم أرفأوا الى جزيرة »^٨ . ويعبر عن (المرفأ) بلفظة (الكلاء) و (المُكَلّا) أيضاً . لأنه يكلأ السفن من الريح ، وذلك بحبس السفن فيه لحمايتها من الريح ولإنزال ما فيها ، وأخذ ما فيه من تجارة وناس^٩ . ويقال للمرفأ (الميناء) كذلك ، وعرفوه بأنه الموضع الذي ترفأ فيه السفن^{١٠} . كما يقال له : (فرضة)

-
- ١ اللسان (٤٠٢/٣) ، القاموس (٣٣٤/٤) ، تاج العروس (١٤٨/١٠) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٦٦/٣) .
 - ٣ اللسان (١٢١/١١) ، (٤٦٠/١٤) .
 - ٤ اللسان (٦٠٠/٢) وما بعدها .
 - ٥ اللسان (١٠١/٢) .
 - ٦ غرائب اللغة (٢٧١) .
 - ٧ اللسان (١٧٥/١٣) .
 - ٨ اللسان (٨٧/١) ، « وفي حديث أبي هريرة في القيامة ، فتكون الارض كالسفينه المرفأة في البحر تضربها الامواج » ، تاج العروس (٧١/١) ، (رفأ) .
 - ٩ اللسان (١٤٦/١) ، تاج العروس (١١٢/١) ، (كلاً) ، « سوق الكلا » بالبصرة ، موضع يكثر فيه سفنهم به ، أي يحبسونها .
 - ١٠ اللسان (٤٢٦/١٣) ، (ميني) ، كل مرسى السفن ، تاج العروس (٣٥٥/٩) ، (مان) .

و (فرضة البحر)^١ و (المرساة) ، البقعة التي ترسو فيها السفينة^٢ .

ومن مصطلحات السفن في العربية ، الشحن ، فيقال سُحِنَت السفينة سُحْنًا بمعنى ملئت ، ونحرت السفينة ، أي جرت^٣ . وحبَت السفينة ، أي جرت^٤ ، وجنحت السفينة جنوحاً إذا انتهت إلى الماء القليل فلزقت بالأرض فلم تمض ، وجمحت جموحاً إذا تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون ، ويقال ماهت السفينة إذا دخل فيها الماء ، ورست وأرست ، إذا بلغ أسفلها القعر فثبتت ، وإذا أُرْسِيَتْ وسخرت أطاعت وطاب لها السير ، وحدرت السفينة أحدرها ، وتقاذفت في البحر جرت ، وشجّت البحر قطعت^٥ . وهناك مصطلحات عديدة أخرى يشير ورودها في اللغة إلى معرفة في البحر وفي استخدام السفن في البحار .

وعند ذنوّ السفينة من الأماكن التي تريدها ، ترسو في مرفأ لتفرغ حمولتها أو لتحميلها أو لتزود بما تحتاج إليه من زاد وطعام ، فتلقّي بمراسيها في المرفأ تشيئاً لها فلا تتحرك ولا تأخذها الأمواج ولا الرياح . ويسمى الملاحون المرساة (الأنجر) ، ويكون من الخشب الصلب الثقيل أو حديداً أو حجراً كبيراً ، وقد يكون على شكل كرة ، وقد يكون على شكل مربع أو مستطيل ، أو على شكل (خطاف) ، أو حديد محجن^٦ . فإذا أرادت السفينة الرسو أنزل إلى الماء ليستقر على القاع فثبتت السفينة^٧ . وقد وصف (الأنجر) ، انه خشبات يخالف بينها وبين رؤوسها وتشدّ أوساطها في موضع واحد ، ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة ، ورؤوس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل في الماء إذا رست السفينة ، تعريب لنكر من أصل فارسي^٨ .

وقد ذكر علماء اللغة أن (السباحة) ، هم قوم من السند يستأجرون ليقاتلوا ، وكانوا قوماً جلاوزة وحرّاس السجن في البصرة أيام الإسلام . وكان رئيس السفينة

-
- ١ اللسان (٢٠٦/٧) .
 - ٢ القاموس (٣٣٤/٤) ، تاج العروس (١٤٩/١٠) ، (رسا) .
 - ٣ القاموس (١٣١/٢) ، (نجر) .
 - ٤ تاج العروس (٨١/١٠) ، (حبو) .
 - ٥ المخصص (٢٣/١٠) وما بعدها .
 - ٦ تاج العروس (٥٥٧/٣) ، (نجر) .
 - ٧ تاج العروس (١٤٩/١٠) ، (رسا) .
 - ٨ تاج العروس (٥٥٧/٣) ، (نجر) .

البحرية يستأجرهم ليكونوا معه يذرقونها ، أي يخفرونها ويقاتلون من يتصدى لها بسوء^١. وقد كانت بالأبلة التي عاشت قبل البصرة جاليات جاءت إليها من الهند ، فقد كان الاتجار بين الهند وجنوبي العراق وسواحل جزيرة العرب اتجاراً قديماً ، وقد أقامت جاليات أخرى منها في مواضع من هذه السواحل ، وقد أشرت الى عثور العلماء على هياكل بشرية بأرض عمان ، تمثل (الدرافيدين) ، أي سكان الهند القدامى ، والى وجود أثر للملاح هندية في سكان ساحل عمان تظهر عليهم حتى اليوم .

وصناعة السفن الكبيرة تحتاج الى أخشاب صلبة قوية والى مسامير من حديد تستعمل في ربط الألواح والأخشاب بعضها ببعض ، والى أيدي فنية عاملة ، وعلم مهندسة ببناء السفن . ولم تيسر هذه الأشياء في جزيرة العرب . فالخشب الصالح لبناء السفن غير موجود في أكثر أنحائها ، ولهذا اقتضت صناعة السفن على السفن الصغيرة في الغالب ، وهي سفن ليس في مقدورها اختراق آفاق البحار الكبيرة والمحيطات ، والتجول بحرية في أية ناحية كانت من نواحي البحر الواسعة . ولم يكن لها إلا السير في محاذاة السواحل ، وهو سير يكلفها كثيراً ، فعلى السفن أن تقطع مسافات طويلة معرضة نفسها لمخاطر الاصطدام بالصخور الكامنة في المياه ولهجات لصوص البحر الجائعين وللجوء الى مراسي كثيرة طلباً للماء العذب والزاد ، ولتمضية وقت طويل ، على حين لا تحتاج السفن الكبيرة الى كل ذلك ، فهي قادرة بفضل متانتها وقوة صنعها من اختصار المسافات وتقصير الوقت وحماية نفسها من هجمات لصوص البحر باستخدام الرياح البحرية ، وقطع البحر باستقامة وبحرية الى أي ميناء يريده الربان .

وكان على أصحاب معامل السفن العرب استيراد الخشب القوي الصالح لبناء السفن من الخارج ، أو شراء السفن جاهزة من الأسواق الخارجية ، وفي كلتا الحالتين يتكلف المشتغلون بالتجارة البحرية تكلفاً باهظاً ، ويكونون عالة في قوتهم وفي أعمالهم على الخارج . وهذا ما سهّل للرومان واليونان والفرس مزاحمة الدول العربية الجنوبية في البحر الأحمر وفي المحيط الهندي ، ومن إنزال خسائر فادحة في ثروة العرب ، أثرت أثراً كبيراً في الأوضاع السياسية والاقتصادية لجزيرة العرب ،

١ اللسان (٢/٢٩٤) ، (١٠/١٤) .

كما أثرت عليها من الناحية العسكرية إذ جعلت السواحل مكشوفة مفتوحة من الوجهة البحرية فأنزلت الدول الكبرى في مواضع منها قواتاً لحماية مصالحها التجارية وقوافلها البحرية وذلك قبل الميلاد وبعد الميلاد إلى ظهور الاسلام .

والساج من أئمن الأخشاب وأنفسها في صناعة السفن، فهو خشب مقاوم صلب، وقد استورد من الهند^١ . ويظهر انه هو الخشب الذي ذكر (ثيوفراستوس) « Theophrastus » ، انه كان بجزيرة (تيلوس) « Tylus » ، ويقصد بها البحرين، والخشب الذي كان في ميناء (عمانة) عمان الذي أشار اليه صاحب مؤلف (الطواف حول البحر الأبيض) ، والذي ذكر انه خشب مستورد من ميناء (بريجازا) بالهند^٢ .

وقد صنع الجاهليون سفنهم وقواربهم بأيديهم ، مستعينين بالخشب المستورد وبالخشب المحلي . صنعوها في مواضع متعددة من سواحل جزيرة العرب، ولا سيما على سواحل الخليج ، حيث تيسر لسكانها استيراد الخشب الصالح لبناء السفن من الهند . وهي صناعة لا تزال حية ، إلا ان الهرم بدأ يظهر عليها ، وأخذت تنقلص ، وأوشكت على توديع الدنيا ، لتراكم الأمراض عليها ، ولعجزها عن مد نفسها بمقومات الحياة الملائمة لعصر السرعة .

وتتكون السفن الكبيرة الجيدة من سقائف ، وهي ألواح السفينة . وكل لوح سقيفة^٣ . وقيل إن اللوح من ألواح السفينة ، هو القادس^٤ . وأما ما بين كل خشبتين من السفينة ، فيقال له الطائق^٥ . وتخز السفن بالليف ، ويجعل في خللها القار^٦ . والجلفاظ الذي يحلفظ السفن ، وهو أن يدخل بين مسامير الألواح ، وخروزها مشاقة الكتان ، ويمسحه بالزفت والقار^٧ . وقد تطلّى السفن بالقار ، وتدرس . ويراد بالدرس المسامير لغاية التسمير والتدسير^٨ . ويقال للموضع الذي يجتمع

-
- ١ القاموس (١/١٩٥) ، تاج العروس (٢/٦١) .
 - ٢ حوراني (ص ٢٤٤ وما بعدها) .
 - ٣ القاموس (٣/١٥٢) .
 - ٤ القاموس (٢/٢٣٩) ، تاج العروس (٤/٢١٣) .
 - ٥ القاموس (٣/٢٦٠) ، « طوق » .
 - ٦ المخصص (١٠/٢٥ وما بعدها) ، القاموس (٢/١٢٤) ، تاج العروس (٣/٥١٢) .
 - ٧ القاموس (٢/٣٩٤) ، القاموس (٢/٣٥٣) .
 - ٨ القاموس (٢/٢٩) ، تاج العروس (٣/٢٠٦) .

فيه الماء الراشح جمّة المركب^١ .

ولم ترد في نصوص المسند المصورة صورة سفينة نهتدي بها الى معرفة أشكال السفن عند العرب الجاهليين . كذلك لم يعثر المنقبون حتى الآن على صورة لها في النصوص التي ظُفر بها في أماكن أخرى من جزيرة العرب . ولا يستبعد أن تكون سفن العرب أنواعاً متعددة ، بحسب أغراضها ووفرة الخشب الصالح لبناء السفن ، وعلى قدر اختلاط سكان سواحل الجزيرة بغيرهم من أصحاب السفن . ولا أستبعد أن يكون أهل العربية الجنوبية والعربية الشرقية قد تأثروا بصناعة السفن اليونانية والساسانية والهندية والافريقية لاختلاطهم بهم ، ومجيء سفن هؤلاء الى مراسي السواحل العربية ، ولتمكنهم من شراء الخشب الصلد الصالح لبناء السفن من افريقية والهند .

ولم تتمكن سفن ذلك اليوم ، وحتى أعظمها وأكبرها من مناطق عواصف البحار ومقاومة أمواجها ، فكثرت أمراضها وعللها ، وفي جملتها الحروق التي كانت تصيب مواضع اتصال ألواحها ، فتفكك أوصالها فتهلك ، ويتعرض أصحابها الى خسائر كبيرة ، أضف الى ذلك تعرضها الى تحرش لصوص البحر بها ، الذين كانوا يترصدون السفن ، فإذا وجدوا فرصة مناسبة ، هاجموا لأخذ ما قد يقع في أيديهم من حمولتها النفيسة . ولهذا كانت أجور نقل التجارة بالسفن عالية ، لتعوض عن خسائر السرقة والغرق ، ثم إن أجواف تلك السفن كانت صغيرة ، لا تتحمل حملاً كثيراً ، فصار أصحابها لا يحملونها إلا السلع الغالية التي لا تحتاج الى مكان كبير والتي تتحمل أرباحها دفع الأجر الغالية عن نقلها الى المواضع التي يراد ابصالها اليها .

ولا يتسع هذا المكان لذكر كل الألفاظ والمصطلحات التي لها علاقة بالبحر ، فهناك أسماء لمختلف أنواع السفن ، وأسماء أدوات كثيرة استعملت في السفن ، وأسماء للساحل وللجزر وللنباتات البحرية وغير ذلك وردت في كتب اللغة ، واليها يجب ان يرجع من يريد المزيد من هذه الألفاظ والمصطلحات ، غير ان علينا ان ننتبه الى ان في هذه المصطلحات ، مصطلحات عديدة دخلت العربية في الاسلام . وتفيدنا هذه الألفاظ والمصطلحات فائدة كبيرة في الوقوف على مدى تأثير البحرية

١ القاموس (٩١/٤) .

العربية الجاهلية بالبحرية الأجنبية ، وذلك بدراسة أصول هذه الألفاظ والمصطلحات لمعرفة المكان الذي جاءت منه والشعب الذي موّن البحارة العرب بها .
ونجد في مصطلحات البحر ألفاظاً يونانية ، وألفاظاً لاتينية ، وألفاظاً فارسية ، وألفاظاً حبشية، ودخول هذه الألفاظ اللهجات العربية دليل على تأثر البحرية العربية ببحرية تلك الأمم واتصالها بها وأخذها منها . وقد أشار علماء اللغة الى أصول بعض هذه الألفاظ ، فذكروا انها أعجمية . ولما كان علمهم باللغات الأعجمية غير الفارسية محدوداً ، لم يتمكنوا من تشخيص أصول بعض المصطلحات المعربة عن اليونانية أو اللاتينية أو الحبشية أو الهندية ، فرجعوا الى أصل فارسي في الغالب، وهي ليست من الفارسية في شيء .

ولم يرد في الكتابات الجاهلية ما يفيد بدخول أهل العربية الغربية البحار ، والأخبار الإسلامية لا تشير الى ذلك أيضاً ، بل الذي يفهم منها أن أهل الحجاز لم يكن لهم نصيب في البحر ، وأنهم كانوا يركبون البحر في سفن حبشية توصلهم الى السواحل الافريقية للتجارة هناك . ولما خرج المسلمون الأولون مهاجرين الى الحبشة ، انتهوا الى (الشعبة) ، فوجدوا سفينتين للتجارة حملوهم فيها الى أرض الحبشة بنصف دينار^١ . و (الشعبة) ، مرسى السفن من ساحل بحر الحجاز ، وكان مرسى مكة قبل جدة^٢ .

ونجد في خبر عودة المهاجرين من الحبشة ، أنهم حملوا في سفينتين ، حملهم عليهما النجاشي . أي أن السفينتين كانتا من سفن الحبش^٣ . ولم يرد في الخبر ، اسم الموضع الذي أبحروا فيه منه الى الحجاز، ولا اسم المرسى الذي رست السفينتان فيه ، واتجه المسلمون منه الى يثرب .

ويظهر أن تلك السفن كانت صغيرة مكشوفة الجوانب ولم تكن تتسع لعدد كبير من المسافرين ، حتى أن حركات المسافرين كانت تؤثر فيها . روي أن (جعفر بن أبي طالب) ، سأل رسول الله كيف نصلي في السفينة إذا ركبنا في البحر ، فقال : صل قائماً إلا أن تخاف الغرق ، أو يصلي قائماً إلا أن يضرب بأهلها . وصلى أنس في السفينة جالساً^٤ .

١ الطبري (٣٢٩/٢) .

٢ تاج العروس (٣٢١/١) ، (شعب) .

٣ الروض الانف (٢٥٠/٢) وما بعدها) .

٤ الروض الانف (٢١٥/١) .

ومما يؤسف له أن أهل الأخبار لم يذكروا أسماء المواضع التي كان يتاجر معها العرب على السواحل الإفريقية المقابلة ، ولم يذكروا حتى أسماء المرافئ التي نزل بها المهاجرون المسلمون الأولون من مكة على ساحل الحبشة ، ولا اسم الموضع الذي نزل به وفد (قريش) إلى الحبشة ، الذي جاء لتحرير ضحايا الحبش على من هاجر إليهم من المسلمين ، ولم يذكروا كذلك اسم الموضع الذي أبحر منه المسلمون للعودة إلى الحجاز ، يوم أرسل الرسول (عمرو بن أمية الضمري) ليعود بهم إلى يثرب ، ولا اسم الموضع الذي نزلوا به من ساحل الحجاز^١ .

١ الروض الانف (٢ / ٢٥٠ وما بعدها) .

الفصل المئة

التجارة البحرية

وليس في كتابات المسند التي وصلت إلينا شيء عن التجارة البحرية . ولا يعقل بالطبع ألا يكون لسكان سواحل جزيرة العرب علم بالبحر ، والا تكون لهم سفن مها كان حجمها ، كانوا يركبونها في اتجارهم مع افريقية ومع بلاد الهند وايران . فقد علمنا أن العرب الجنوبيين كانوا قد أقاسوا دولة (اكسوم) في الحبشة . وقد رأينا أن من المستشرقين من يرى أن أصل كلمة (حبشت) (حبشة) ، من أصل عربي ، وأن (الحبشة) أرض في العربية الجنوبية في الأصل ، منها هاجر الحبش ، سكان تلك الأرض ، وهم من العرب فتلوا بالأرض التي سميت باسمهم في إفريقية ، وقد رأينا أيضاً أن العرب امتلكوا السواحل الافريقية المقابلة للعربية الجنوبية أمداً طويلاً ، كما امتلكوا بعضاً منها في الاسلام الى عهد غير بعيد ، ولا يعقل بالطبع ذهابهم الى تلك السواحل ونزلوهم بها بغير ركوب سفن ، ولا يعقل أن يكونوا قد ذهبوا اليها بسفن أجنبية ، بل لا بد وأن يكونوا قد عبروا الى تلك السواحل بسفن كانت تعود لهم ، ولا بد وأن لهم أسطول تجاري كانوا يمخرون به عباب البحار للتجارة .

وقد رأينا من كتب بعض الكتبة اليونان واللاتين ان الصومال كان يحكمه حكام عرب ، وان التجار العرب كانوا يشاهدون بكثرة في (رهابتا) « Rahapta » على مقربة من (زنجبار) . وان مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) ،

كان قد ذكر ان رئيس (معافر) كان يحكمها بموجب حق قديم . وان أهل مدينة « Muza » يحكمونها باسمه، ويبيعون اليها بسفن تجارية يديرها ربانة ووكلاء عرب ألفوا أهل البلاد ، واختلطوا بهم ، وصاهروهم، وخبروا الساحل ، واطلعوا على لغتهم^١ .

إن خلوت كتابات المسند من كل إشارة الى البحر والى السفن والى الاتجار مع الأقطار الواقعة على السواحل ، لأمر يؤسفنا كثيراً، فقد حرمتنا الكلام على البحرية العربية وعلى علم العرب الجنوبيين بالبحار ، وبات علمنا بالتجارة علماً ضئيلاً محدوداً ، وليس لنا إلا التطلع الى المستقبل ، فهو وحده الكفيل بزيادة علمنا في هذا الموضوع .

وقد كان أكثر ثراء العربية الجنوبية من التجارة ، التجارة البرية والتجارة البحرية ، والاتجار بالمواد الناتجة في جزيرة العرب ذاتها ، والاتجار بالمواد المستوردة من الخارج ولا سيما السواحل الافريقية أو الهند .

وقد كان الاتجار مع افريقية سهلاً يسيراً بالنسبة الى تجار العربية الجنوبية ، ولا سيما تجار اليمن . فإن الشقة بين سواحل افريقية وسواحل اليمن ليست واسعة كبيرة ، ولهذا كان في استطاعة السفن الشراعية ان تقطعها بدون مشقات وصعوبة كبيرة . تذهب الى افريقية تحمل اليها حاصلات اليمن ، ثم تعود اليها وهي محملة بالبضائع الافريقية الثمينة ، مثل الأخشاب والعاج ، وبيضاعة ثمينة أخرى: بضاعة حية تتحرك وتنطق ، هي الزنوج . يستوردونهم شراءً من أسواق النخاسة ، أو اقتناصاً من السواحل ، لحاجة البلاد الى استخدامهم في الانتاج وفي أداء الخدمات التي يأنف العربي عادة من القيام بها . وقد كان هذا الوارد عصباً حساساً في الانتاج في ذلك العهد .

ولم ترد في كتابات المسند التي عثر عليها في جزيرة العرب وبالأأسف معلومات عن أسفار العرب البحرية ، لا الى سواحل افريقية ولا الى سواحل الهند وجنوب ايران . ولكن وجود السببيين في الساحل الافريقي وتكوينهم حكومة هناك ، ثم احتلال الحبش للعربية الجنوبية الغربية مراراً ، وذهاب المسلمين الأوائل مهاجرين الى الحبشة ، وحث الرسول لهم على الذهاب الى أرض الحبشة ، لأن بها ملكاً

Periplus, 7, 10, 14, 17.

لا يظلم عنده أحد . وهي أرض صدق^١ . وذهاب المسلمين الى مرسى (الشعبية) للسفر منه بسفن التجار اليها ، كل ذلك دليل على وجود اتصال بحري بين افريقية واليمن .

وقد أشرت في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، الى عثور العلماء على كتابات معينة في جزيرة (ديلاوس) Delos من جزر اليونان ، وهي نصوص ذات أهمية كبيرة بالنسبة الى بحثنا هذا ، فإنها تربنا وصول المعينيين الى هذه الجزيرة وإقامتهم فيها ، واتجارهم مع اليونان ، ومن يدري ، فلعلهم كانوا قد توغلوا شمالاً أيضاً ، ونزلوا بلاد اليونان، وتاجروا هناك ، ومع شعوب أوروبا في ذلك العهد . وقد ورد في نص من هذه النصوص : (هنا) أي (هانيء) ، و (زيد ايل) من (ذي خذب) ، نصبا مذبح ودّ وآلهة معين ب (دلث) ، أي ب (ديلاوس) . وقد كتب بالمسند ، وبال يونانية ، وقد جاء في النص اليوناني : « يا ودّ إله معين يا ودّ » . وفي هذا النص والنصوص الأخرى دلالة على وجود جالية معينة في هذه الجزيرة وسكناها فيها ، وعلى تعلقها بدينها وبآلهتها وعدم تركها لها حتى في هذه الأرض البعيدة عن وطنها . ومن يدري ؟ فلعلها كانت على اتصال ببلادها ، وكانت تتجر معها ، فترسل اليها حاصلات اليونان ومنتجات أوروبا ، وتستورد منها حاصلات اليمن والعربية الجنوبية وافريقية والهند .

وقد أشرت في ذلك الجزء أيضاً الى عثور العلماء على كتابة معينة بمصر ، كتبت حوالي سنة (٢٦٣) قبل الميلاد ، وذلك بالجزيرة . وهي كتابة قصيرة ، ولكنها ذات أهمية كبيرة : لأنها تشير الى وجود المعينيين بمصر في ذلك العهد . وعن وجود صلات تجارية ربطت بين مصر وجزيرة العرب من البر والبحر . وهي تتحدث عن رجل اسمه (زيد بن زيد ايل) من (آل ظبرن) ، اعترف بوجود دين عليه وواجب هو توريد وتزويد (ابنت الال مصر) ، أي (بيوت آلهة مصر) ، أو (معابد آلهة مصر) ب (امرن وقلمتن) (قليمتن) ، أي ب (المرّ والقليمة) . ويقصد بلفظة (قليمتن) (قلمتن) ، ما يقال له « Calamus » في الانكليزية و « Kalamus » في الألمانية، ويراد به ما يقال له قصب الذريرة أو قصب الطيب . و (امرن) ، بمعنى (المرّ) ، وهو معروف مشهور

١ الروض الانف (٢٠٤ / ١) .

عند العرب ، ودواء كالصبر مر^١ ، استعمل في معالجة أمراض عديدة^١ . وقد كان ذلك في شهر (كيحك) من السنة الثانية والعشرين من حكم الملك (بطلميوس)^٢.

وقد ذهب (رودوكتناكس) « Rhodokanakis » ناشر النص المذكور ومترجمه الى احتمال كون (زيد ايل) كان كاهناً في معابد مصر ، ولو كان من أصل غير مصري ، فقد كان المصريون قد تساهلوا في هذا العهد - كما يرى - فسمحوا للغرباء بالانخراط في سلك الكهان وخدمة المعابد ، وتساهلوا مع (زيد ايل) هذا فأدخلوه في طبقة (اويب) « Ueeb » وانتخبوه كاهناً ليضمن لهم الحصول على المر^٣ والقليمة بأسعار رخيصة لاستيراده اياها باسمه ومن موطنه مباشرة من غير وساطة وسيط^٣ .

وقد ذهب (رودوكتناكس) أيضاً الى ان (زيد ايل) ، كان يستورد المر^٣ والقليمة لا لحسابه الخاص ومن ماله ، بل لحساب المعابد المصرية ومن أموالها . فلم يكن هو إلا وسيطاً وشخصاً ثالثاً يتوسط بين البائع والمشتري ، يشتري تلك المادة ويستوردها باسمه ، ولكنه يستوردها للمعابد ولفائدتها . وهو لا يستبعد مع ذلك احتمال اشتغاله هو لنفسه وعلى حسابه في التجارة ، يستوردها لنفسه ويبيعها في الأسواق ، ويتصرف بالأرباح التي تدرها كما يرغب . وهو لا يستبعد أيضاً احتمال مساعدة المعابد له بتجهيزه بالمال لتقوية رأس ماله ، أو انتشاله من خسارة قد تصيبه .

وقد أصيب هذا التاجر كما يظهر من هذا النص بخسارة كبيرة في شهر (حتحر) ربما أتت على كل ما كان يملكه ، فهبت المعابد المصرية لإنقاذه ، واعادة اعتباره المالي اليه ، بإسناده بتقديم أقشة الـ (بص) (بوص) اليه . وقد أخذها وصدرها في سفينته التي يستورد بها المر^٣ والقليمة الى الأسواق ، فبيع منها . واستورد المر^٣ والقليمة وأعاد الى المعابد ثمن ما أخذه منها من تلك السلعة ، وأدى ديونه في شهر (كيحك) . وقد عاد اليه اعتباره وأنقذ من تلك الضائقة المالية التي حلت

١ تاج العروس (٥٣٧/٣) ، (مرر) .

٢ REP. EPIGR. 3427, Tome, V, p. 151, Rhodokanakis, Die Sarkophaginschrift

Von Gizeh, S. 113, in Zeitschrift für semitistik, Bd., II, 1924, Conti Rossini,

Chrest. Ar. Merid., 1931, p. 86.

٣ Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, Bd., 2, 1924, S. 116. ff.

به بمدة قصيرة لا تتجاوز شهراً كما يرى ذلك (رودوكتاكس)^١ .
ولم يذكر النص اسم الجهة التي ذهبت السفينة إليها ، ولا اسم الموضع الذي أرسل (البوص) اليه ، ولا اسم المكان الذي استوردت القليمة وكميات المر منه .
و (البص) (البوص) ، هو (البز) في عربيتنا . والبز : الثياب ، وقيل ضرب من الثياب ، وبائعه البزاز^٢ . ويظهر انه كان من الأصناف الجيدة ، التي امتازت مصر به ، فاشتهر في الخارج ، فكان يُصدّر إلى الأسواق الخارجية . وهي لفظة معربة ، عربت من أصل يوناني هو « Vissas » ، ومعناه نسيج كتان ، ونسيج من كتان هندي رقيق جداً^٣ .

لقد كانت حكومة البطالة قد احتكرت صناعة نسيج الكتان وتجارة البز (بوص) ، وبيع المر والبخور والطور والصبر وغير ذلك . وكانت تنتهج في خططها الاقتصادية نهج احتكار الدولة بيع السلع الراضجة المهمة . نعم ، سمحت للتجار المستوردين باستيراد ما يشاءون من المر والبخور واللبنان والصمغ والصبر وما شاكل ذلك من الخارج ، ولكنها لم تسمح لهم ببيعها أو تحويلها أو تغيير شكلها من غير استئذان الحكومة وموافقتها ، ذلك لأنها تعدّها من المواد الداخلة في دائرة الانحصار والاحتكار (Statesmonopol) ، والتابعة لمراقبة الحكومة .

أما نسيج (البوص) (البص) البز ، فقد أودع أمره إلى المعابد ، تشرف عليه وتدير صناعته ، ورث ذلك من عهود سبقت أيام البطالة ، وذلك في مقابل السماح لها بأخذ ما يحتاج الى استعماله في المعابد أو لحاجات رجال الدين الخاصة ، وتسليم بقية ما ينسج الى دوائر الحكومة المختصة لبيعه للناس^٤ .

ويظهر من المؤلفات اليونانية واللاتينية أن العرب كانوا يملكون سفناً في البحر الأحمر وفي البحر العربي وفي الخليج ، إلا أن سفنهم لم تكن ضخمة ، ولهذا لم تتمكن من مجابهة السفن الرومانية والسفن اليونانية حين نزلت تلك البحار . لأنها كانت أضخم منها ، وكانت ذات أربعة صفوف من المجاذيف ، كما أنها كانت سريعة الحركة وذات مرونة في الاستدارة وفي الالتفاف وفي الرجوع والانتقال ،

Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, Bd. 2, 1924, S. 117.

١ تاج العروس (٧/٤) ، (بز) .

٢ غرائب (٢٥٦) .

٣ المصدر نفسه (ص ١١٥ وما بعدها) .

وذلك بفضل أشرعتها التي طوّرت تطويراً كبيراً ليناسب تطورها هذا فعل الرياح بها ، ولتتمكن من السير مع الأهوية أو ضدها ، وبسبب آخر هو تطوير هندستها بصورة مستمرة ، لتجاري التيار ولتقطعه بكل سهولة ، دون أن يعيقها أو يلحق أذى بها . وبفضل هذا التطوير تمكنت تلك السفن من التغلب على السفن العربية ، ومن ملاحقة لصوص البحر (القرصان) الذين كانوا يتحرشون بالسفن ليأخذوا ما فيها ، بسفنهم الصغيرة البدائية ، وبذلك صار في مستطاع السفن اليونانية والرومانية دخول الموانئ العربية والموانئ الأفريقية ومن الوصول الى الهند .

وقد أشار (أغاثرشيدس) الى هذا التفوق ، كما أشار اليه (سترابو) في أثناء كلامه على حملة (أوليوس غالوس) وعن خطأه في تقدير موقفه من البحرية العربية . فقد ذكر (سترابو) أن (أوليوس غالوس) ظن أن للعرب سفناً كبيرة في البحر وأنها ستظهر أمام سفنه وستقاومه ، لهذا أمر ببناء سفن طويلة لمجابهة تلك السفن ، مع أن العرب قوم تجارة وبيع وشراء ، ولم يكونوا أمة حرب ، لا في البحر وحده ، بل في البر أيضاً . ومع ذلك بنى ما لا يقل عن ثمانين سفينة حربية ، منها سفن ذوات صفين من المجاذيف ومنها ذوات ثلاثة ، ومنها ذوات صف واحد ... ولما أدرك خطأه ابتنى مئة وثلاثين سفينة للحمل ، ركب فيها نحو من عشرة آلاف من المشاة .. وبعد أن خسر كثيراً من سفنه ، غرق عدد منها وغرق من فيها من بحارة ، وذلك بسبب صعوبة الملاحة لا بمقاومة من عدو^١ .

ولا نجد في كتب أهل الأخبار ما يشير الى وجود قوى بحرية عربية ، بل نجد فيها أن سفن الروم كانت هي التي تمخر عباب البحر الأحمر وكانت هي المهيمنة عليه وأنها كانت تصل الى سواحل افريقية وتذهب الى الهند . ونجد فيها أن سفن الحبشة كانت تأتي (الجار) و (الشعبية) ، وموانئ عربية أخرى لتتاجر معها ، وأن سفن الساسانيين كانت تهيمن على مياه الخليج العربي والبحر العربي ، ثم نجد في روايات أهل الأخبار عن كيفية احتلال الحبش لليمن واحتلال الفرس لها وعن هجرة المهاجرين الأولين من مكة الى الحبشة ووصفهم لكيفية بناء الكعبة وأخذهم لحشب سفينة رومية ما يؤيد أن الجاهليين لم يكونوا يملكون سفناً

١ مجلة المجمع العلمي العراقي (٢/٢٦٤) لسنة ١٩٥٢ م .

كثيرة كبيرة قوية في ذلك العهد ، وأنهم كانوا قد تركوا البحر الى غيرهم منذ عهد قبل الاسلام .

ويعود تفوق سفن اليونان والرومان على السفن العربية في البحار الى ما قبل الميلاد . لا بل نستطيع أن نرجع هذا التفوق الى ما قبل أيام اليونان والرومان ، نستطيع أن نرجعه الى أيام المصريين . فقد ورد في أخبارهم أنهم أرسلوا سفنهم الى البحر الأحمر فوصلت الى السواحل الافريقية ، وأنهم كانوا قد حفروا قناة لتصل بين نهر النيل والبحر الأحمر ، فيكون في وسع السفن القادمة من البحر الأبيض من اليونان أو من ايطاليا أو من أي مكان آخر دخول نهر النيل والمرور من القناة الى البحر الأحمر ثم الى المحيط للتجارة مع أسواق البلاد الحارة، والعودة من تلك الأسواق بحاصلات آسيا وافريقية الى اوروبا . وهو مشروع يسدل على ذكاء وحنكة في السياسة ، مهّد الدرب لمشروع قناة السويس الحديث .

ولما استولى (دارا) (داريوس) على مصر ، قرر اعادة ذلك المشروع المصري القديم ، الذي كان قد اندثر وأكلته الرمال . بأن أمر بشق قناة تصل النيل بالبحر الأحمر عن طريق الفرع البلوزي أحد فروع النيل القديمة ، بالقرب من الرقازيق ، مخترة وادي الطميلات ثم البحيرات الى السويس . وهو مشروع يدل على ذكاء ذلك الملك وادراكه لأهمية ربط البحرين بطريق مائي ، والى ما فيه من فوائد في السياسة وفي الاقتصاد وفي الناحية العسكرية .

ووضع (الاسكندر) الأكبر مشروعاً خطيراً آخر يفوق كل ما وضع من قبله من مشاريع . فقد وضع خطة السيطرة على المياه الدافئة بالسيطرة على سواحل جزيرة العرب ، وذلك بالاستيلاء عليها ، ويكون بذلك ملك أكبر انبراطورية عرفت حتى ذلك اليوم تمتد من الهند الى مصر وما وراء مصر من أرضين^١ . وقد كلف قوّاده بالالتفاف حول جزيرة العرب ، وبأشروا بتنفيذ الأمر بالفعل ، وقد رأينا قائده (نيرخوس) « Nearchus » على رأس أسطول ضخم ، لعله أعظم أسطول شاهده الخليج والبحر العربي حتى ذلك العهد . وقد رأينا كيف قرر الإحاطة بجزيرة العرب من الجنوب والغرب بالسيطرة على سواحلها وانشاء أسطول يمحّر المياه المحيطة بها ، بعد أن هيمن على السواحل الشرقية . وقد استعان

Arrianus, Anabasis, VII, 19, 20.

نفسه بخبرة الفينيقيين وعلمهم بالبحر . نقلهم الى هذه المياه وكلفهم بناء السفن له ، وإدارتها له . ولو قدر للاسكندر أن يعيش طويلاً لتحقيق مشروعه الضخم ، ولكن القدر قضى عليه مبكراً ، فمات مشروعه معه ، ولم يكن لخلفائه ما كان لسيدهم من عزم ، فتركوا المشروع ، ولم يتحمسوا له^١ .

وقد أدرك البطالمة قيمة القناة القديمة التي كانت تربط النيل فالبحر المتوسط بالبحر الأحمر ، فأمر (بطلميوس الثاني) (١٨٥ - ١٤٦ ق.م .) بإعادتها ، ويمكن بذلك تجاره من دخول البحر الأحمر ومن نقل التجارة من أسواقها الأصلية الى مصر ، ومنها الى أسواق اليونان والرومان وسائر بلاد أوروبا بالطرق المائية ، وضبط بذلك الممر المائي العالمي القديم ، هذا الممر الذي فتح ذهن (دلسبس) فيما بعد فجعله يفكر في موضع أصلح رآه في المكان الحالي المعروف بـ (قناة السويس) القناة العالمية التي تلعب اليوم دوراً خطيراً في الاقتصاد العالمي وفي السياسة الدولية والموقف الحربي للدول .

وعين البطالمة موظفين خاصين مهمتهم الإشراف على إدارة التجارة البحرية وسير السفن . فنجد في كتابة تعود الى سنة (١٣٠) قبل الميلاد إشارة الى موظف كان مسؤولاً عن سير السفن وعن الطريق الصحراوية الممتدة الى فقط ، ونجد أخباراً تعود الى ما بين سنتي ١٢٠ و ١١٠ قبل الميلاد تتحدث عن سفن كانت تسير بين مصر والهند ، كما نجد فيها وفي نصوص تعود الى عهود متأخرة عن هذه اشارات الى وجود موظفين مسؤولين عن البحريين الأحمر والهندي^٢ .

وقد كان لوقوف (هيبالس) « Hippalus » ، وهو أحد اليونان أو الرومان على سرّ الاستفادة من الرياح الموسمية في تسير السفن وفي تقصير الوقت في قطع المسافات ، وفي تمكينها من الابتعاد عن أخطار السير في محاذة السواحل أهمية كبيرة في تطوير فن الملاحة الأوروبية بالنسبة لذلك العهد^٣ . ويمكن اعتبار وقوف هذا الملاح على هذا السرّ من أهم الأحداث البارزة التي حدثت في ذلك العهد والتي مكنت الغربيين من التوفيق في البحر بالنسبة لتلك الأيام . أضف الى

١ Arrianus, Anabasis, VII, 19, 20.

٢ حوراني (ص ٦٦) .

٣ Pliny, VI, 26, Tarn, The Greeks in Bactria and India, p. 366.

ذلك أن الذين خبروا البحر وعركوه من بعده أضافوا ما استفادوه من فنسه ومن علم من تقدم عليه علماً آخر مكن البحارة البطالسة ثم الرومان الذين جاسؤوا من بعدهم فحكموا مصر ، ثم اليونان من السيادة على البحار ومن انتزاع المغام من التجار العرب ومن غيرهم ومن إلحاق ضرر بالغ بهم ، وبذلك وضعوا لمن جاء بعدهم من دول أوروبا خطط السيطرة على البحار وعلى العالم القديم .

وبعد القيصر الروماني (أغسطس قيصر) من أهم القياصرة الذين وجهوا أنظارهم نحو الشرق ، ونستطيع ان نقول انه خليفة (الاسكندر الأول) في هذا الباب ، ومن أساتذة (نابليون) في خطته العسكرية الرامية الى السيطرة على الشرق . لقد نوى الاستيلاء على بلاد العرب ، وربما على ما وراء بلاد العرب من أرضين ، وكانت غايته من هذه النية - كما قال سترابو - « إما ان يسترضي العرب ، وإما ان يخضعهم ، كما انه فعلت في نفسه الروايات الشائعة منذ القدم ان العرب قوم واسعوا الثراء ، وانهم يستبدلون الفضة والذهب بعطرمهم وحجارتهم الكريمة ، دون ان ينفقوا مع الغرباء ما يحصلون عليه في مقايضاتهم التجارية . فأمل أحد أمرين : إما ان يحصل على أصدقاء موسرين ، وإما ان يتغلب على أعداء موسرين »^١ .

واذا كان (أغسطس) قد أخفق في تحقيق مشروعه في احتلال جزيرة العرب ، فإنه لم يهمل ناحية الاستفادة من البحار ، فشجع الملاحين ، وزاد عدد السفن الذاهبة الى الهند ، وقد كان عددها لا يزيد على عشرين سفينة في السنة الواحدة قبل أيامه ، فارتفع عدد ما يصل الى الهند منها الى ما لا يقل عن (١٢٠) سفينة في السنة الواحدة^٢ . وقد أقام اليونان والرومان معبداً في موضع « Mauziris » على ساحل الـ (مالابار) في أيام (أغسطس) ، ووجود هذا المعبد في هذا الموضع دليل على المدى الذي وصل اليه التجار اليونان والرومان في بلاد آسية ، وعلى مقدار تشجيع القيصر لأولئك التجار^٣ .

وبدلاً من أن ينتظر التاجر الروماني أو اليوناني البضائع الثمينة ، تأتي اليه الى أسواق مصر أو بلاد الشام محملة بسفن عربية أو على ظهور جمال القوافل كما كان

١ الصفحة (٢٦٤) من المجلد الثاني من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة « ١٩٥٢ م »

٢ حوراني (ص ٧٥) . Strabo, 17, I, 13.

٣ حوراني (ص ٧٥) .

ذلك في الغالب ، وهي بأسعار عالية ، إرتاد هو البحر الأحمر ، ومنه المحيط الهندي الى سواحل افريقية أو سواحل العربية الجنوبية أو الهند فما وراءها، يشتري من موانئها وأسواقها ما يريد ، بأسعار رخيصة جداً بالقياس الى تلك الأسعار التي كان يدفعها للتجار الموردين في أسواق مصر أو أسواق بلاد الشام ، فاستفاد هو ، واستفادت حكومته منه ، وخسر التجار العرب بوصول هؤلاء التجار الى تلك الأسواق ومنافستهم لهم خسائر فادحة ، أوجدت خللاً في الحياة الاقتصادية للدول العربية ، وضرراً عاماً في جميع نواحي الحياة الأخرى .

وطالما تشكى الرومان واليونان من فداحة الأرباح والضرائب التي كان يفرضها التجار العرب على البضائع المرسلة اليهم ، والتي كانوا يحتاجون اليها ويشترونها بأي ثمن كان . وقد ذكر (سترابون) الجغرافي الشهير في جملة الأسباب التي حلت القيصر (أغسطس) على إرسال حملته الشهيرة ، هو ثراء أهل تلك البلاد، وحصولهم على أرباح مفرطة من الغرباء وفي ضمنهم الرومان واليونان من اتجارهم معهم ، ومن تحكمهم في وضع الأسعار ، دون أن يعطوا أولئك التجار والبلاد التي يحملون تجارتهم اليها شيئاً^١ .

وقد كان للأحداث السياسية ، في الانبراطوريتين الرومانية واليونانية أثراً كبيراً في حالة الملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي . ففي أيام الفتن والاضطرابات وحدث القلاقل ، لم يكن في وسع أصحاب السفن الرومان أو اليونان التوغل في البحار البعيدة عن مناطق نفوذ الانبراطوريتين ، لضعف وسائل حماية السفن التجارية وحماية التجار والمستعمرات العديدة المقامة على السواحل . ولهذا نجد (سترابو) يذكر أنه قبل أيامه لم تكن هنالك سفن كثيرة تجتاز البحر الأحمر ، فقد كان كل ما يرسله الرومان من السفن لا يزيد على العشرين سفينة ، تجتاز هذا البحر، فتصل الى ما وراءه في المحيط^٢ .

وأخذ التجار اليونان والرومان يقصدون سواحل افريقية وبلاد العرب والهند ، ويقيمون في موانئها للتجارة . وقد عثر على نقود يونانية ورومانية في مواضع متعددة من هذه السواحل ، كما عثر فيها على آثار معابد ومباني تشير الى أصل يوناني

١ راجع الترجمة المنشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي (٧٦٣/٢) ، (١٩٥٢ م) .

٢ Strabo, 17, I, 13.

وروماني ، كذلك نجد أخباراً لأشخاص يونانيين ورومانيين ذهبوا الى أرض سبأ للتجارة .

ولم يجد الرومان ولا اليونان مقاومة تذكر حينما ولجوا البحر الأحمر والمحيط الهندي . لقد كانت سفنهم أكبر وأقوى من سفن العرب ، وأحدث منها ، وأقدر على الحركة والمقاومة . تتحمل صعاب البحر ، وتقاوم الأعاصير والظروف القاسية الشديدة ، وتتسع لاستيعاب أعداد كبيرة من الرجال ، وتحمل حملاً كبيراً بالقياس الى السفن العربية . وهذا مما يقلل بالطبع من أجور النقل ، ومن أخطار الغرق والاصطدام بصخور السواحل ، ومن التعرض للصوف البحر ، ويخفف من أثمان البضائع في الأسواق ، ويزيد في عدد المستهلكين .

وقد رأى البحر الأحمر سفناً أقوى وأضخم من السفن العربية الصغيرة ومن سفن سكان سواحل افريقية : رأى سفناً تسير بقوة أربعة صفوف من المجاذيف « Quadriremes »^١ أخذت تتعقب لصوف البحر، وتحمي سفن اليونان والرومان ، وتحمي المستعمرات التي أنشئت على سواحل البحر الأحمر لإيواء تلك السفن، وتقديم المساعدات الى أصحابها ، وشراء السلع من القبائل الساكنة على مقربة منها ، وسرعان ما صارت أسواقاً للبيع وللشراء ، يبيع فيها هؤلاء التجار الأجانب ما يأتون به من تجارة من حوض البحر المتوسط ، ويشتررون منهم ما عندهم من مواد أولية ، يقبل عليها أهل مصر واليونان والرومان وسكان البحر المتوسط . وقد أثرت هذه الأسواق بالطبع في مصالح التجار العرب الذين كانوا يقومون بمثل هذه الأعمال ، وألحقت بهم ضرراً ولا شك .

ولوعورة الساحل العربي على البحر الأحمر ولكثرة صخوره المؤذية للسفن ، ولكثرة لصوف البحر فيه ، ولأسباب أخرى تجنبت السفن الرومانية واليونانية هذا الساحل قدر إمكانها ، فلم ترسُ به إلا في المواضع الآمنة التي أمنت النزول بها ، وسيطرت عليها بوضع حاميات عسكرية بها ، أو بعقد محالفات وعهود ومواثيق مع سكانها . وقد كان ميناء (مخا) « Muza » الميناء المفضل لها . قصدته للتجارة

١ حوراني (ص ٥٩) ، Agatarchides, I, 83, 85, 88.

ولتموين نفسها بالماء والغذاء^١ . وقد كان في استطاعة سفن تلك الأيام السير على مبعدة من ذلك الساحل ودون توقف حتى تصل الى الميناء المذكور ، أو الى ميناء عدن « Arabia Eudaemon » ، وبذلك تجنبت السفن المخاطر والمهالك التي كانت ستعرض لها فيما لو سارت في محاذاة الساحل العربي .

ويظهر أن موضع (لويكه كومه) ، أي (القرية البيضاء) كان ميناءً معروفاً في القرن الأخير قبل الميلاد ، ففيه هبط (أوليوس غالوس) سنة (٢٥ أو ٢٤) قبل الميلاد في حملته التي أمر القيصر (أغسطس) بإرسالها على اليمن . ولو لم يكن من المرافئ الحسنة الصالحة لرسو السفن لما نزل به الجيش الروماني . ويكتنف تأريخه الغموض ، فلم يرد اسمه كثيراً في كتب اليونان والرومان ولا في كتب الإسلاميين . ويقال إنه ظل قائماً حتى نهاية القرن الثالث بعد الميلاد^٢ . ولعلّه (الحوراء) ، مرفأ سفن مصر قديماً ، وقد ذكره أصحاب الرحل^٣ .

و (الجار) ، فرضة أهل المدينة ، ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والبحرين ، ومخذاًها جزيرة في البحر ميل في ميل يسكنها التجار^٤ . فهي من الموانئ التي كان يقصدها التجار من السواحل المقابلة ومن سواحل افريقية الشرقية والمحيط الهندي . وذكر ان الناس كانوا لا يعبرون الى الجزيرة إلا بالسفن ، وهي مرسى الحبشة خاصة . وان بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وبين أيلة نحو من عشر مراحل ، والى ساحل (الجحفة) نحو ثلاث مراحل^٥ . وقد عرفت تلك الجزيرة بـ (قراف) ، وسكانها تجار كنحو أهل الجار^٦ .

و (الشعبية) من المراسي القديمة في الحجاز ، وهي أقدم من جدة . وهي خور أمين تقصده السفن لتزود بما تحتاج اليه من زاد وماء ، ولتفرغ فيه ما تأتي

١ « المخا : موضع باليمن بين زبيد وعدن ، بساحل البحر . وهو مقصود » ، البلدان (٢٠٢/٧) ، « ومخا : مقصورة ، بساحل بحر اليمن تجاه باب المنذب . . . قال الصاغاني : ترفأ بمكثها السفن » ، تاج العروس (٣٢٨/١٠) .

٢ Handbuch, I, S. 114.

٣ تاج العروس (١٦١/٣) ، (حور) .

٤ تاج العروس (١١٢/٣) ، (جار) .

٥ البلدان (٣٥/٣) .

٦ عرام ، أسماء جبال تهامة وسكانها (ص ٣٩٨ وما بعدها) ، (نواذر المخطوطات) ،

تاج العروس (٢٢٠/٦) ، (قرف) .

به من شحن من افريقية الى الحجاز . وهو مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . واليه جنحت سفينة (باقوم) ، التي تحطمت بدفع الريح لها ، فاستعانت قريش في تجديد عمارة الكعبة بخشب تلك السفينة على نحو ما تحدثت عنه في أثناء كلامي على تجديد بناء الكعبة قبل المبعث بقليل^١ . ومنه هاجر المسلمون الى الحبشة في السنة الخامسة من المبعث، حيث وجدوا سفينتين للتجار حملوهم فيها الى الحبشة^٢ . ومنه كان يذهب تجار مكة الى افريقية للتجارة قبل الاسلام .

وميناء « Muza » = « MUZA » من موانئ اليمن المهمة على البحر الأحمر^٣ وكان مقصوداً ، وتصل اليه السفن البيزنطية والسفن الواردة من مصر ، ومن هنا كانت تنزود تلك السفن بضائع البلاد العربية ، أو تباع فيه ما استوردته من مصر أو من سواحل حوض البحر المتوسط . وقد تنزود ما تحتاج اليه من ماء وزاد ، ثم تتجه الى افريقية أو إلى سواحل الهند . وقد كانت به جاليات من اليونان أو من غيرهم مقيمة هناك للتجار والتعامل مع الوطنيين . وهو ميناء (نخا) المشهور^٤ . ويذكر أهل الأخبار ، ان بين (نخا) وبين (باب المندب) ، أي الساحل الافريقي المقابل للساحل العربي يومين أو أكثر ، وان باب المندب ، مرسى يبحر اليمن ، وهو اسم ساحل مقابل لزبيد اليمن ، وهو جبل مشرف ندب بعض الملوك اليه الرجال حتى قدّوه بالمعاول ، لأنه كان حاجزاً ومائعاً للبحر عن ان ينسبط بأرض اليمن ، فأراد بعض الملوك أن يغرق عدوه ، فقدّ هذا الجبل وأنفذه الى أرض اليمن ، فغلب على بلدان كثيرة وقرى أهلها وصار منه بحر اليمن الحائل بين أرض اليمن والحبشة والآخذ الى عيذاب وقصير الى مقابل (قوص) ، والملك هو (الاسكندر)^٥ . وهذه الطريقة أوجد أهل الأخبار لهم تأريخاً لباب المندب ، وحلّوا مشكلة كيفية انفصال افريقية عن اليمن !

وميناء « Arabia Eudaemon » ، هو ميناء (عدن) ، وهو ميناء مهم في ذلك الوقت أيضاً ، ولا يزال يحافظ على مركزه وأهميته من الوجهة العسكرية

-
- ١ البلدان (٢٧٦/٥) ، ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، (القسم الاول ص ٤٢ وما بعدها) .
 - ٢ الطبري (٣٢٩/٢) .
 - ٣ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٩٧/٨) .
 - ٤ البلدان (٢٠٢/٧) ، تاج العروس (٣٣٨/١٠) ، (مخي) .
 - ٥ تاج العروس (٤٨٢/١) ، (ندب) .

والاقتصادية^١ . وقد ذكره (بطلميوس) باسم « Arabia Emporion » . وقد كان مركزاً لتبادل السلع الافريقية والهندية والمصرية ، ومكاناً تبخر منه السفن الى الهند ، كما تلتجئ اليه السفن الواردة من تلك البلاد . وقد استولى عليه الرومان في قترات .

ويذكر أنه في حوالى سنة (٣٤٥) ، أسس أحد المبشرين واسمه (ثيوفيلوس) « Theophilus » المعروف بالهندي ، كنيسة في (عدن) « Adane »^٢ .

وجزائر (فرسان) ، من الجزر التي كان يتاجر أهلها مع الحبشة ، ويذكر (الهمداني) أن سكانها كانوا يعملون في التجارة الى بلاد الحبش ، ولهم في السنة سفرة^٣ .

وميناء « Cana » (قنا) ، هو موضع (حصن غراب) (حصن الغراب) . وهو سوق اللبان الذي يزرع داخل البلاد ، يؤتى به الى ذلك الميناء على ظهور الجمال ، أو في الأرمات المصنوعة من الجلد ، وفي القوارب . وهو ميناء تجارة كذلك مع مدن الساحل البعيد، مع بعض مدن الهند ، وميناء (عمانه) « Umana » (عمان) والموانئ التي على الخليج^٤ . وتقع (قنا) على مرتفع ، قريب من (ميفع)^٥ ، و (ميفع) ، قرية على الساحل ، و (ميفعة) ، بلدة بين (ميفع) و (أحور) ، إلا أنها ليست على الساحل ، بل بينها مرحلة^٦ .

وأما ميناء « Moscha » ، فهو (ظفار) من أعمال الشحر ، قريب من صحار . وبجبال ظفار (اللبان) ، واليه يحمل ، وبه يقسم ويوزع ، ولا يسمح بحمله الى غيره^٧ . وقد ذكر عدد من المؤلفين اليونان واللاتين . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنه (مسقط) وأنه « Mosca Portus »^٨ . ويذكر أهل الأخبار ،

- ١ البلدان (١٢٧/٦) ، ابن المجاور (١٠٦/١) وما بعدها .
- ٢ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٩٨/٨) وما بعدها .
- ٣ الصفة (٥٣) .
- ٤ Periplus, 20. f., 27.
- ٥ تاج العروس (٣٠٥/١٠) ، (قنا) .
- ٦ تاج العروس (٥٦٦/٥) ، (يفع) .
- ٧ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٤٢/٣) ، Glaser, Skizze, II, S. 180, Ptolemy, VI, 7, 10.
- ٨ Pauly-Wissowa, 31 ter Halbband, 1933, S. 343, Forbiger, Handbuch der Alter Geography, II, S. 757.

أن (ظفار) قرب مرباط ، وتعرف بـ (ظفار) الساحل ، واليه ينسب القسطنطين ، وهو العود الذي يتبخر به ، لأنه يجلب إليها من الهند ، ومنها الى اليمن ، كنسبة الرماح الى (الخط) ، فإنه لا ينبت به ، وهي قريبة من (الشحر)^١ .

وكان أهل (جرها) « Gerrha » على ساحل الأحساء من أنشط الناس في التجارة ، يتاجرون في البر والبحر، ويتاجرون مع الهند وسواحل ايران الجنوبية، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية وأرض العراق . وكانوا قوماً مسلمين لا يرغبون في الحروب . فلما أراد (أنطيوخس) « Antiochus » الثالث الاستيلاء على المدينة وذلك في حوالي سنة (٢٠٥) قبل الميلاد ، سأله الصلح والمهادنة ، « وألا يقضى على ما أعطتهم الآلهة من سلام وحرية أزليين »^٢ .

وأما مدينة (أبولوكس) « Apologus » ، فهي الأبله في الكتب الاسلامية و « Ubulum » في الكتابات الأكادية. وقد كانت من أهم موانئ أعالي الخليج في أيام فتح المسلمين للعراق . تصدر الى الهند حاصلات العراق وبلاد الشام وآسية الصغرى وأوروبا ، وتستورد منها أخشاب الصندل والآبنوس ومنتجات الهند وسيلان والصين^٣ . وقد عرفها أهل الأخبار، فذكروا انها كانت أقدم من البصرة، لأن البصرة ، مصرت في أيام (عمر) ، وكانت الأبله حينئذ مسالحة من قبل كسرى ، وقد كان تجارها يربحون ربحاً عظيماً ، وهي أرض واسعة . قال (خالد ابن صفوان) : « ما رأينا أرضاً مثل الأبله مسافة ، ولا أغذى نطفة، ولا أوطأ مطية ، ولا أربح لتاجر ، ولا أحفى بعباد »^٤ .

وهناك موانئ عديدة أخرى ، ذكر المؤلفون اليونان واللاتين أسماءها ، وقد تحدثت عنها في الجزء الثالث من كتابي : (تاريخ العرب في الاسلام) ، وشخصت مواقعها قدر الامكان . وقد كان لا بد من ان يكثر عدد الموانئ في تلك الأيام، فسفن ذلك العهد لم تكن ضخمة كسفن هذا اليوم ، ولم يكن في استطاعتها لهذا الابتعاد عن السواحل كثيراً ، ولا السير الى مسافات شاسعة ، إذ كان لا بد لها

١ تاج العروس (٣/٣٧٠) ، (ظفر) .

٢ Polybius, Historia, Book, 13, Chapter 9.

٣ Pliny, VI, 31, 32, Dio Casius, Roman History, 68, 28, 29.

جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٨/١٠٠) .

٤ تاج العروس (٧/٢٠٠) ، (ابل) .

من التزود دوماً بالماء والغذاء ، ولا سيما بالنسبة الى السفن الصغيرة ، فأخذت ترسو في مراسي كثيرة لتموين نفسها ولإراحة أصحابها ، من عناء البحر ، ولم تنخلص السفن من تعدد الرسو في المواني إلا بعد تحسن صناعة بناء السفن، وظهور السفن البخارية ، فانتفت حاجتها اليها ، وقد قضى هذا التحسن على أكثر المواني، فانت وزهبت مع العصور التي ولدت فيها .

وقد تتجه السفن من ميناء (نخا) الى السواحل الافريقية مختربة مضيق المنذب، وقد تتجه الى (عدن) ، ثم تواصل سيرها نحو السواحل الافريقية ، بعد أن تتمون بما تحتاج اليه من ماء وزاد ، أو تتجه الى ميناء (أكيلا) « Acilla » ، الواقع على مقربة من (رأس الخيمة) « Massandum » ، للإفلاخ منه الى الهند^١ . وهو أقرب طريق يوصل العرب الجنوبيين وعرب سواحل عمان الى تلك البلاد .

ولما تحسنت هندسة بناء السفن صار في امكانها قطع مسافات أبعد من دون حاجة الى الرسو في موانئ عديدة ، وصارت السفن القادمة من مصر ترسو في ميناء (عدن) رأساً ، وبعد أن يستريح أصحابها يتجهون الى سواحل افريقية أبعد مما كانوا يصلون اليها في السابق ، أو يتجهون نحو الهند . وبذلك قصر الوقت وقلت كلفة الأسفار ، وصار في وسع اليونان والرومان دخول الأسواق الأصلية رأساً ، يأخذون منها ما يريدون ويبيعون فيها ما عندهم دون حاجة الى وسيط . وكانت السفن اليونانية والرومانية تتحمل من صعاب البحر ، وتقاوم الأعاصير والظروف القاسية الشديدة ، وتتسع لاستيعاب أعداد كبيرة من الرجال ، وتحمل حملاً كبيراً بالقياس الى السفن العربية . وهذا ما قلل بالطبع من أجور النقل ، وخفض من أثمان البضائع في الأسواق ، وزاد في عدد المستهلكين .

ولكن السفن اليونانية والرومانية جوبت مع ذلك بلصوص البحر الذين كانوا يتعقبون السفن ، ويغيرون عليها عند تقرها من السواحل . كان هؤلاء اللصوص قد ابتنوا سفناً لهم ، فإذا رأوا سفناً يونانية أو رومانية أو غيرها وقد وقعت في قبضة الأعاصير ، أو اصطدمت بالصخور البحرية أو كانت على مقربة منهم وفي مناطق يمكن وصولهم اليها ، أغاروا عليها وأخذوا منها كل ما تقع أيديهم عليه .

١ Pliny, VI, 32, Glaser, Skizze, II, S. 186.

ولا ينجو منها أحد ، حتى أصحابها يؤخذون أسرى ، فيباعون في الأسواق خولاً^١.

ولحماية السفن والتجار ، أنشأ الرومان واليونان قوة بحرية حربية ، تولت حراسة السفن التجارية وحماية المستعمرات التي أقاموها على سواحل هذه الطرق المائية العالمية المهمة . ولم تكن المسافات بين المستعمرات الساحلية قصيرة ، ليكون في الامكان الدفاع عنها والتعاون فيما بينها . وللتغلب على هذا الضعف ولحمايتها حماية قوية زودوها بما تحتاج اليه من مياه عذبة ومن أطعمة ومن جنود لصده غارات المعتدين . وبذلك هيمنوا على البحار : وضبطوا البحر الأحمر بصورة خاصة ، ولم يبق للعرب من مجال في التجارة العالمية إلا بسلوك الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشام والعراق .

وقد تكون في إشارة (بليني) « Plinius » الى وجود جاليات يونانية على سواحل بلاد العرب في مواضع غير بعيدة عن موضع « Attevae » الذي هو (عدن) ، ايماءة الى وجود مستعمرات يونانية على سواحل جزيرة العرب أنشئت قبل أيامه لضبط الأمن في البحار وللاتجار مع العرب وبسط نفوذ الروم عليهم . وفي جملة تلك الأماكن التي ذكرها : « Arethusa » و « Larisa » و « Chalcis » . ذكر انها كلها كانت قد خربت بسبب الحروب ، مما يدل على انها كانت قد أقيمت قبل أيامه بزمان^٢ .

وقد ضمنت تلك القوة البحرية الضخمة للرومان السيطرة على البحر الأحمر وعلى البحر العربي ، واستطاعت احتلال (عدن) . ففي أيام (كلوديوس) « Claudius » (٤١ - ٥٤ م) كان هذا الميناء في قبضة الرومان^٣ . وكانت به حامية رومانية . وتمكن هذا القيصر الذي كانت عدن خاضعة له في أيام مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) ، أو أي قيصر آخر ، قد يكون « Coligula » وقد يكون (طبريوس) « Tiberius » ، من عقد معاهدة مع الملك (كرب ايل) « Charibael » (ملك سبأ وذو ريدان) في ذلك الوقت . ولم يشر مؤلف

١ Pliny, 6, 159, Die Araber, I, S. 120.

٢ Wissmann, Geogr. Grundlagen, 107, Grohmann, Arabien, S. 28, Periplus

Maris Erythraei, 26.

الكتاب المذكور الذي لا نعرف اسمه اليوم الى اسم القيصر ، بل اكتفى بذلك اللقب فقط ، وهو (قيصر) ، وهو كما نرى لقب عام ، يطلق على كل من يحكم انباطورية الرومان . وقد ذهب بعض الباحثين الى عدم امكان التفكيك في القيصر (أغسطس) ، والى احتمال كونه قيصراً آخر ، وقد يكون بالاضافة الى من ذكرته . (نير) أو (تراجان) ، أو (سبتيموس سويرس) (سبتيميوس سيفيروس) « Septimius Severus »^١ .

واهتم (تراجان) بأمر التجارة البرية والبحرية ، جعل أرض النبط ولاية خاصة دعاها : (الكورة العربية) أو (المقاطعة العربية) « Arabia Provincia » وذلك سنة (١٠٦) للميلاد . واهتم بالطرق البرية ، فأصلح طريقاً مهمة تمر من دمشق الى أيلة فبصرى والبتراء ، وهي طرق قديمة ومعروفة ، بالنسبة للتجارة مع بلاد العرب ، وكانت في حاجة الى عناية واصلاح ووضع معالم . واعتنى بميناء (أيلة) فعمره ووضع ادارة (كمركية) فيه ، وجعله من الفرض المهمة في خليج العقبة ، بل والبحر الأحمر . وأصلح القناة القديمة بعد أن تراكمت فيها الأنربة حتى سدت مجراها ، وحفر قسماً جديداً من طرفها الغربي ، وأوصلها بالنيل عند (بابلون) « Babylon » ، موضع مصر القديمة . وبذلك سهل الاتصال بالفرع الغربي للنيل المؤدي الى الاسكندرية ، وبرز ميناء (القلزم) « Clysma » حيث التقت قناة تراجان بالبحر الأحمر^٢ .

وعثر على كتابة دوتنها قوم من أهل تدمر ، اشتغلوا بالملاحة في البحر الأحمر ، أشادوا بفضل القيصر (هدران) (هدريانوس) (١١٧ - ١٣٨ م) عليهم^٣ . وتدل هذه الكتابة على اشتراك الندمريين في الملاحة ، مع انهم من أهل مدينة صحراوية ، عماد حياتها التجارة بالبضائع الواردة اليها بالطرق البرية .

وقد توغل الملاحون في أيام أسرة (انطونينوس) « Antonines » (٩٨ - ١٩٢ م) حتى أدركوا موضع (رهابتا) على مقربة من (زنجبار) في السواحل الافريقية ، ووصلوا الى سواحل الصين في آسية . وهذا هو سر وجود أسماء مواضع في جغرافيا

١ Die Araber, I, S. 43.

٢ حوراني (٨٦) .

٣ Dio Casius, 68, 14, Ptolemy, IV, 5, 14.

(بطليموس) (في حوالي ١٥٠ - ١٦٠ للميلاد) لم ترد في كتب المؤلفين السابقين الذين عاشوا قبل هذا الجغرافي اليوناني الشهير . وفي جملة ما ذكره هذا الجغرافي أسماء مواضع عديدة في جزيرة العرب ، لم يشر اليها المؤلفون اليونان والرومان السابقون ، وأوصاف أدق وأصدق من الأوصاف التي ذكروها ، وفي ذلك دلالة على زيادة علم اليونانيين والرومان في هذه الأيام بأحوال الشرق نتيجة زيادة اختلاطهم واتصالهم بالشرقيين .

ومعارفنا بأخبار الملاحة في البحر الأحمر وفي المحيط الهندي في العهد البيزنطي ، أي العهد الذي أصبحت فيه القسطنطينية فيه عاصمة بدلاً من روما (٣٣٠ م) ، قليلة ضحلة ، لأن أكثر المؤرخين الذين عاشوا في هذه الحقبة ثم ما بعدها الى ظهور الإسلام إنما اهتموا بالأمور الدينية ، وكانوا إذا ما تطرقوا الى النواحي الجغرافية أو التاريخية المعاصرة للبلاد الخارجة عن نطاق الانبراطورية البيزنطية أو نفوذها السياسي ، أوجزوا القول إيجازاً لا يعطى القارئ رأياً في الأحوال العامة وفي ضمنها التجارة والملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

لقد أثرت الأوضاع السياسية القلقة التي حدثت في الدولة البيزنطية ، والحروب المتوالية بين الساسانيين والبيزنطيين ، أثراً خطيراً على البحرية البيزنطية في البحر الأحمر وفي المحيط الهندي ، إذ حدثت من توسعها ، وقلصت من عدد سفنها ، ولم تجد بسبب انشغال الحكومة في تلك الحروب عناية ورعاية ، ولهذا اقتصر نشاطها على البحر الأحمر وعلى السواحل الافريقية التي كانت على صلات حسنة بالبيزنطيين . فكانت تصل الى ميناء (أدولس) ، ومنه يصل التجار الى أسواق الحبشة الداخلية ، أو الى موانئ (سقطرى) ، وقد كان بها مستوطنون يونانيون ، أقاموا فيها منذ أمد طويل ، وبنوا بها كنائس ومستوطنات للإقامة فيها ، وظل بعضهم بها الى أيام الإسلام .

وكانت السفن اليونانية تمون نفسها بما تجده في (ادولس) وفي (سقطرى) من تجارات ، بعضها من نفائس تجارة الهند جاءت بها السفن الساسانية الى هذه المواضع ، فيشتريها التجار اليونان ويأخذونها الى بلادهم .

ويذكر أهل الأخبار ان (سقطرى) كانت مركزاً هاماً من مراكز التجارة في البحر ، وكان بها قوم من اليونان يحفظون أنسابهم محافظة شديدة . وقد كانوا بها

من أيام ما قبل الميلاد ، وربما كانوا بها قبل أيام (الاسكندر) . ولما ظهرت النصرانية تنصر من كان بها من اليونانيين . ويذكرون ان قوماً منهم طرحهم (كسرى) في هذه الجزيرة . وكانت بوارج الهند تأوي اليها . وقد اشتهرت بالصبر الجيد الذي لا يوجد مثله في غيرها ، وبدم الأخوين ، وهو صمغ شجر يسمونه (القاطر) ، وهو (الأيدع) ، وقد ساكن العرب اليونان^١ . ويذكر أهل الأخبار ان (أرسطو) ، هو الذي أشار على (الاسكندر) ، بإجلاء أهل (سقطرى) ، وإسكان طائفة من اليونان بها ، لحفظ (الصبر) لعظيم منفعته . وذكروا ان بينها وبين (المخا) ثلاثة أيام مع لياليها ، وان من مدنها : (بروه) و (ملته) ، و (منيسة) ، وهي مسكن ملك الزنج^٢ .

أما البحرية والتجارة البحرية الساسانية ، فإننا لا نعرف عنها في هذا العهد معرفة واسعة ، ولا نستطيع أن نتحدث عن وجود قوة بحرية ساسانية ، أو نشاط بحري في البحر الأحمر في كل العهود ، وإنما كان أقصى ما وصل اليه نفوذ الساسانيين في البحر ، هو باب المندب ، أي مدخل البحر الأحمر ، حيث وقفوا عنده . وقد صار البحر الأحمر ، منذ استيلاء اليونان والرومان على مصر ، بحراً يونانياً رومانياً بيزنطياً ، حرسوه بأساطيل قوية ، ضمنت لهم التفوق فيه ، فلم يكن في وسع الفرس ولوجه أو التوغل فيه .

وقد ذكر أن (أردشير) الأول (٢٢٥ - ٢٤١ م) بنى جملة موانئ بحرية وأن (نرسي) (٢٩٢ - ٣٠٢ م) عقد صلات ودية مع ملك الزنوج في شرق الصومال ، وأن (سابور) الثاني حوالي سنة (٣١٠ م) هاجم البحرين ، وأقام حامية بها ، وفتك بقبائل عديدة ، وذلك رداً على هجوم تلك القبائل على سواحل فارس .

وصار للفرس نشاط ملحوظ في الخليج وفي المحيط الهندي . وقد أنشأ الفرس جملة كنائس في سواحل الهند وسقطرى ، أنشأها الفرس النساطرة ، وكانوا تجاراً ، نزلوا في هذه المواضع للتجارة : كما كانت هنالك سفن فارسية في (أدولس) . وكان الساسانيون يستغلون الظروف الحرجة ، والأوضاع القلقة التي

١ البلدان (٩٣/٥ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٢٧٣/٣) ، (السقطري) .

تقع في انبراطورية الروم ، فيزيدون من نشاطهم في البحر ، ويمعنون في مطاردة التجار البيزنطيين في البحر العربي وفي الخليج وفي الهند ، حتى قلَّ عدد سفن الروم ، في المحيط ، واكتفت بالوصول الى باب المندب والسواحل الافريقية في بعض الأحيان ، عند اشتداد الأزمات ، ووقوع قلاقل داخلية ، أو نزول كوارث بالروم في الحروب .

وقد وجد الساسانيون أن من الأصلح لهم نقل التجارة الآتية الى تجسارهم من الصين والهند وسيلان الى الخليج حيث لا يزاحمهم أحد ، ومنه الى العراق ، أو من الهند والصين الى فارس ، ثم العراق ومنه الى (نصيبين) ، أو الى بلاد الشام ، لبيعها الى البيزنطيين . وفي جملة مواد هذه التجارة (الحرير) الذي كان مطلوباً عند البيزنطيين ، لأنه من الألبسة الفاخرة بالنسبة للطبقة الحاكمة ولرجال الكنيسة والطبقة المترفة المرفهة ، فكان يباع بأعلى الأثمان^١ .

وقد دخل الأحباش البحر ، فكانوا يسيرون سفنهم بين السواحل الافريقية والسواحل العربية الغربية والجنوبية . ولو لم تكن لهم قوة بحرية ما تمكنوا من الاستيلاء على اليمن وعلى مواضع من العربية الجنوبية جملة مرات . آخرها فتحهم اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وقد تولت سفنهم نقل حاصلات الحبشة والسواحل الافريقية الى بلاد العرب ، وكان التجار العرب ينقلون هذه السلع الى بلاد الشام أو العراق . وقد ذكر أهل الأخبار ان (الجار) ، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل ، وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل ، كانت فرضة ، ترفأ إليها السفن من الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند ، وبجاء الجار جزيرة في البحر تكون ميلاً في ميل لا يعبر إليها إلا بالسفن ، وهي مرسى الحبشة خاصة^٢ .

ولكن قوة الحبشة البحرية لم تكن قوة قوية ضخمة ، ولم تكن مكونة من سفن كبيرة ذات مرونة وقابلية على الحركة ، بل كانت سفناً صغيرة لا تضاهي السفن اليونانية في الضخامة وفي الفن ، ولم تكن كثيرة العدد، ولا سيما في الجاهلية القريبة من الاسلام ، بدليل ما ورد في بعض الروايات من ان السفن التي حملت

١ Runciman, Byzantine Civilization, p. 164.

٢ البلدان (٣٥/٣)

جيش ملك الحبشة إلى اليمن لاحتلالها سنة (٥٢٥) للميلاد ، وذلك في عهد (ذي نواس) كانت سفناً يونانية أمر القيصر بارساها إلى الحبشة لحمل الجيش إلى اليمن^١ . وبدليل ما ورد في روايات إخراج الحبش وطردهم من اليمن ، من ان السفن التي حملت الفرس إلى اليمن كانت ثماني سفن ، غرق منها سفينتان ، وبقيت ست سفن فقط ، وقد تغلب من كان بها مع ذلك على الحبش . فلو كان للحبش أسطول بحري قوي ، ولو كانت لهم هيمنة على البحر ، لما كان في إمكان هذه السفن الفارسية الست الوصول إلى مياه اليمن ، وإنزال ما فيها من جنود ، ومن التغلب على الحبش والقضاء على حكمهم هناك .

وضعف بحرية الحبشة ، هو الذي جعلها لا تستطيع الوفاء بوعدها للقيصر (جستنيان) « Justinian » في شراء الحرير من الهند ومن وراء الهند ، وبيعه للروم . فقد كان هذا القيصر قد أرسل في عام (٥٣١ م) وفداً إلى (أكسوم) ، ليقاوض الحبش في هذا الموضوع لحرمان الساسانيين من ربح كبير كانوا يجنونونه من الاتجار بالحرير المستورد من الهند ومن وراء الهند ، فوافقوا على ذلك ، لكنهم لم يتمكنوا في النهاية من الوفاء بالوعد ، لعدم تمكن سفنهم البحرية من الوصول إلى الهند ومن منافسة التجار الفرس الذين كانوا قد استقروا في سيلان وفي الهند وفي مواضع أخرى منذ عهد طويل^٢ .

ولم يتمكن الأحباش أن يُفيدوا فائدة تجارية كبيرة من فتحهم لليمن . ولم يحصل البيزنطيون على ما كانوا يتوقعون الحصول عليه من الاتصال بالحبش من البر ، وذلك عن طريق (المقاطعة العربية) في جنوب بلاد الشام فالحجاز إلى اليمن . فلم يتمكن الحبش من احتلال الحجاز ، للاتصال بالروم . وأخفق (أبرهه) في الاستيلاء على مكة على نحو ما تحدث عنه في موضعه . وتمكن الفرس من طردهم من اليمن بكل سهولة ، دون أن يقوم الحبش ولا حلفاؤهم البيزنطيون بإرسال قوات بحرية لمقاتلة السفن الساسانية القليلة التي جاءت بمقاتلين من المساجين المجرمين ، لا بجيش نظامي مدرب ، وقد تمكنوا مع ذلك من التغلب على الحبش ، بمساعدة كبيرة بالطبع من الباشيين أنفسهم الذين كانوا قد أعلنوا

١ الطبري (١٢٧/٢) .

٢ Procopius, Persian Wars, I, 29, 9-13, Malalas, 18, 456-459.

ثورة عامة على الحبش . ولو كان للحبش أو لحلفائهم البيزنطيين أساطيل من السفن المحاربة القوية ، لما تمكن الفرس من الاستيلاء على اليمن بتلك القوة الضعيفة !

ولم يكن الساسانيون أقوياء في البحر عند ظهور الاسلام ، وآية ذلك هو ان عاملهم على اليمن ، كان يرسل ألطاف اليمن وما يجمعه منها إلى (كسرى) عن طريق البر ، وقد تحدثت عن تعرض (بني تميم) بقافلة كسرى التي كانت قادمة من اليمن في طريقها الى (المدائن) . ولو كان للفرس أسطول قوي من سفن ضخمة على نمط سفن البيزنطيين ، لاستخدموه واسطة للنقل بين اليمن والعراق ، ولسمعنا بوجوده في البحر . وقد يقال إن الفرس استخدموا البر ، لأنه أسهل عليهم من البحر ، وأقصر مسافة وأسرع من حيث الوقت ، ثم هو يمر بأرضين صديقة للفرس أو موالية لهم ، أو تابعة لأمرأء موالين لهم ، خاضعين لسيادتهم ، وليس في ذلك دليل على عدم وجود أسطول قوي لهم في البحر ، ولكننا مع موافقتنا على هذا التعليل ، فإننا لا نسمع في أخبار أهل الأخبار المنقولة من روايات فارسية أصلية ، ما يفيد بوجود فعل وأثر لأسطول ساساني ما وراء عمان إلى السواحل الافريقية ، ثم إن الفرس كانوا قد تحكموا في السواحل العربية الجنوبية قبل فتحهم لليمن، ولكننا لا نجد في هذا العهد أثراً لحكم فارسي على السواحل العربية الجنوبية، مما يدل على زوال حكمهم عنها وعدم وجود أسطول ساساني في مياه هذه السواحل، فتخلصت منهم ، واستقلت بأمرها وادارتها .

وقد استفاد أهل مكة ، من الأحداث التي وقعت في اليمن ، ولا سيما بعد موت أبرهة وموت مشروعه في الاستيلاء على مكة قبل وفاته . وإني أرى أن حملة (أبرهة) على مكة ، لم تكن حملة غايتها هدم الكعبة ، ونقض قواعدها ، كما يذكر ذلك أهل الأخبار ، وإنما كانت لدوافع اقتصادية وسياسية ، فقد كانت مكة قد برزت وظهرت الى الوجود، قبل أبرهة : واستغل أهلها مواهبهم وذكاءهم في كيفية جمع المال ، حتى صاروا تجاراً ووسطاء في التجارة ، يتاجرون بين بلاد الشام واليمن ، وبين الحبش والعراق ، وصاروا أصحاب مال ، لهم نقود : دنانير ، ودراهم ، وذهب ، وفضة ، وغير ذلك مما يسيل له لعاب التاجر وصاحب المال ، أضف الى ذلك وقوع مكة في موقع مهم ، والاستيلاء عليه يمهّد للسير نحو بلاد الشام ، للاتصال بالروم ، أصحاب مشروع الحملة الأصليون ،

كما تحدثت عن ذلك . فالعوامل إذن اقتصادية سياسية ، وليست العوامل التي ذكرها أهل الأخبار .

وقد ساهم أهل الهند في تسخير البحر كذلك ، فكانت سفنهم تمخره ما بين الهند وساحل الخليج الى (الابله) . كما كانت تنجيه نحو (سقطرى) وسواحل افريقية الشرقية . فقد ذكر أهل الأخبار أن (بوارج الهند) كانت تتاجر مع هذه الجزيرة^١ . وقد مونت الهند جزيرة العرب بالحديد الجيد ، الذي صنعت منه السيوف الهندوانية ، نسبة الى الهند . و (التهديد) ، عمل الهند . كما مونتهم بالعود الطيب ، وبالحشب الصلبد^٢ .

وبظهور الاسلام ، وباستيلاء المسلمين على مصر وعلى شمالي افريقية ، وبفتح بلاد الشام والعراق وايران وما وراء ايران تغير الحال بالطبع ، فانت الانباطورية الساسانية ، ومات أسطولها معها ، وانقطعت صلة البحرية البيزنطية بالبحر الأحمر وبالمحيط الهندي ، وأبعد الأوروبيون من البحار الدافئة الى أن تبدلت الدنيا مرة أخرى ، فظهر المكتشفون الأوروبيون وفي مقدمتهم البرتغال ، فعاد التفوق البحري للغرب ، وانتزع البحر من البحرية الاسلامية ، لأنها ظلت جامدة محافظة لم تحدث تغييراً في هندسة السفن ، ولا في أسلوب القوى المحركة لها وفي قابليتها على الحركة ، فصارت عاجزة عن مقاومة العقل الحديث ، وغلبت على أمرها نتيجة جمود العقلية وعدم التطور مع عقلية الزمن .

هذا ولا بد لي هنا من لفت نظر القارئ الى ورود شيء في كتب أهل الأخبار عن حملات الروم على بلاد العرب وعلى البحر الأحمر، ولو ان هذا المذكور المدون في كتبهم ، هو من نوع القصص المعروف المؤلف الذي ألفنا قراءته في كتب أهل الأخبار ، فيه مبالغة وخرابة وخيال ، وفيه سذاجة تنم عن عقلية سطحية تروي كل ما يقال لها من غير نقد ومناقشة . وقد أخذ من أهل الكتاب وفي الاسلام في الغالب . ولكنه قصص يستند - على كل حال - الى أصل وسبب وإن كان بعيداً . ثم انه قصص طريف يريك مبلغ علم القوم بأحوال الماضين ، وكيف يروون قصص الحوادث المتقدمة وينقلونه على انه تأريخ للماضين. ويكاد يكون أكثر تأريخ من تقدم زمن الاسلام من هذا النوع .

١ البلدان (٩٣/٥) .

٢ تاج العروس (٥٤٧/٢) ، (هند) .

الفصل الواحد بعد المئة

تجارة مكة

وكان أهل مكة من أبرع التجار ومن أنشطهم في العربية الغربية عند ظهور الإسلام . وقد أشير الى تجارتهم في القرآن الكريم^١ . وسبق أن تحدثت عن تجارتهم في أثناء كلامي على مجمل الحالة السياسية لجزيرة العرب عند ظهور الإسلام .

وقد استفاد أهل مكة ؛ ولا شك ، من الوضع السيء الذي طرأ على اليمن بدخول الحبش اليها ، ومن تردي الأوضاع السياسية فيها والاضطرابات المستمرة التي وقعت بتصادم الوطنيين والغزاة الأحباش . فانجسر كل نفوذ سياسي أو عسكري كان لحكومات اليمن في الحجاز أو على بعض القبائل ، ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفي وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة ، فقامت بمهمة الوسيط ، تنقل تجارة أهل اليمن والعربية الجنوبية الى أسواق فلسطين ، وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن ، وبذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة ، جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الإسلام، وصيرت مكة مركزاً خطيراً من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين .

وقد وصف أهل الأخبار أهل مكة بترفهم عن البخل والشح، فقال (الجاحظ) وهو يصفهم : « ومن العجب ان كسبهم لما قلّ من قبل تركهم الغزو ، ومالوا الى الإيلاف والجهاد ، لم يعتريهم من بخل التجار قليل ولا كثير ، والبخل خلقة

١ سورة قريش .

في الطباع ، فأعطوا الشعراء كما يعطى الملوك ، وقرؤوا الأضياف ، ووصلوا الأرحام ، وقاموا بنوائب زوار البيت . فكان أحدهم يحبس الحيسة في الأنطاع فيأكل منها القائم والقاعد والداخل والراكب ، واطعموا بدل الحيس الفالودج^١ . فمورد الكسب الأول عند العرب في الجاهلية هو الغزو على رأي أهل الأخبار ، وقد ترفعت قريش عنه ، وصرفت نفسها الى التجارة . ومن طبع التجار البخل ومسك اليد ، أما قريش ، فخالفتهم في البخل ، ووصلت الشعراء وقرت الأضياف . ونسب (الجاحظ) سبب تركهم الغزو الى كونهم أهل حمس ديانين ، فقال : « وكانوا ديانين ، ولذلك تركوا الغزو ، لما فيه من الغضب والغشم واستحلال الأموال والفروج من العرب »^٢ . ويعتقد (الجاحظ) ، بأن للدين أثراً كبيراً على سلوك الانسان وعلى كره الحرب ، إذ تراه يقول : « ثم جاء ما هو أعجب من هذا وأهم ، وذلك أنا قد علمنا ان الروم قبل التدين بالنصرانية كانت تتصرف من ملوك فارس ، وكانت الحروب بينهم سجالات فلما صارت لا تدين بالقتل والقتال والقود والقصاص ، اعتراهم مثل ما يعترى الجبناء حتى صاروا يتكلفون القتال تكلفاً ، ولما خامرت طبائعهم تلك الديانة وسرت في لحومهم ودمائهم ، فصارت تلك الديانة تعترض عليهم ، خرجوا من حدود الغالبين الى أن صاروا مغلوبين »^٣ . فالنصرانية قد أثرت على الروم حتى جعلتهم يكرهون الحروب ، وصاروا مغلوبين بعدما كانوا غالبين . ثم جاء بدليل آخر على إثبات رأيه في ان الدين ينقص من شهوة الحرب ، هو ان (التغرغز) من الترك ، نقصت عندهم الشجاعة وذهبت عنهم الشهامة بعد ان دانوا بالزندقة^٤ . فالدين اذن مخفف من شهوة الحرب مبرد من التعطش الى القتال ، لكنه على رأيه أيضاً ، يحول المتدينين الى أسود في المعارك ، فقريش التي تركت الغزو بته ، كانوا مع طول ترك الغزو ، إذا غزوا ، غزوا كالأسود مع الرأي الأصيل والبصيرة النافذة ، والحوارج

-
- ١ كتاب البلدان (ص ٤٦٨) ، (نشر الدكتور صالح أحمد العلي) ، (مستلة من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٧٠) .
 - ٢ كتاب البلدان (٤٦٨) ، (وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين ، فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الاموال واستحسان الغصوب) ، كتاب البلدان (٤٧٢) .
 - ٣ كتاب البلدان (٤٧١) .
 - ٤ كتاب البلدان (٤٧١) .

على اختلافهم من أحرار وعبيد وموالي يقاتلون قتال الباسل المستميت مع اختلاف أنسابهم وبلدانهم ، و « في هذا دليل على ان الذي سوى بينهم التدين بالقتال » ، وان استبسال قريش والخوارج وغيرهم من المتدينين « انما هو بسبب الديانة »^١ ووحدة العقيدة وعامل الدفاع عنها والجهاد في سبيلها .

وقد نسب (الجاحظ) ميل قريش الى التجارة واشتغالهم بها الى تحمسهم في دينهم وتشددهم في الدين ، فقال : « وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الأموال واستحسان الغنوب ، فلما تركوا الغزو لم تبق مكسبة سوى التجارة فضرَبوا في البلاد الى قيصر بالروم والى النجاشي بالحبشة والى المقوقس بمصر ، وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء »^٢ .

فتحمس قريش في دينهم ، حملهم على ترك الغزو ، وترك الغزو حملهم على التكسب بالتجارة ، فاتجار قريش في مكة وضربهم في الآفاق ، هو بسبب البحث عن رزق يعوضهم عن رزق الغزو ، الذي أبعد الدين عن قلوبهم ، فكان مما كان من أمر تجارتهم . هذا هو رأي الجاحظ في السبب الذي حمل قريشاً على الانصراف الى التجارة .

وفي القرآن : « ربنا اني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »^٣ . فكفة بلد بوادٍ قفر غير ذي زرع ولا ماء ، ليس لأهلها ما لسكان الأرياف والقرى التي تملك المياه والأنهار من ثمرات النبات والأشجار ، فصارت الطائف مصيفاً لهم ، ومورداً يمدهم بثمر النبات والأشجار ، واستغل أهلها فقر واديهم ، وموقع مدينتهم الذي تمر به القوافل ، وشجعوا من كان يسكن حولهم على الحج الى معبدهم وعلى قصده أيام السنة وموسم الحج ، فاستفادوا من الحجاج . وجعلوا الموسم سوقاً يتعاطون فيه البيع والشراء ، فربحوا وصار لهم مال استثماره وشغلوه ، في سوق مكة وفي الأسواق الأخرى ، وتعاملوا مع الأعراب ، وعقدوا الإيلاف مع ساداتهم ومع الفرس والروم والحبش ، فصاروا

١ كتاب البلدان (٤٧٢) .

٢ كتاب البلدان (٤٧٢) .

٣ إبراهيم ، الرقم ١٤ ، الآية ٣٧ ، تفسير الطبري (١٥٢/١٣) . -

٤ تفسير الطبري (١٥٥/١٣) .

يخرجون الى خارج مكة بأمان بفضل العقود والعهود التي عقدها مع سادات الأعراب ، وهي أهم في نظري من أي عقد آخر عقده مع حكام العراق وبلاد الشام أو اليمن ، إذ كان في استطاعة الأعراب نهب قوافل مكة وسلب أموالها ، وهي ذاهبة أو آية محملة ، فلا يستطيع أهل مكة فعل شيء ، ولا تبقى أية فائدة عندئذ لعقود الإيلاف المعقودة مع الحكام المذكورين . وقد علم سادة مكة ذلك ، فتعاقدوا مع سادات الأعراب ، وأدو لهم نصيباً من الربح ، وبذلك أمنوا جانب أعرابهم ، فكانوا إذا تحرش بهم متحرش ، أدبه سادة قبيلته ، واستعادوا منه ما أخذوه من نهب وسلب .

وقوم هم أهل قرار ، لهم بيت مقدس ، ولهم تجارة ، لا يفكرون في غزو ، ولا يرتاحون من وجود أهل شغب وفتن بينهم . فالغزو سواء أكان منهم أو كان عليهم مضرّ بهم : ولا يعود عليهم بفائدة ، بل هو يبعد القاصدين لهم عنهم ، وفي ابتعادهم عنهم خسارة ، ثم هو يعرقل تجارتهم ويحول دون اتجارهم ، والتجارة مورد رزقهم وعليها معاشهم . وقريش من المستقرين ، ومن التجار ، ولهم معبد ، فكان من صالحهم اشاعة الأمن والابتعاد عن التشاحن وفض كل خلاف يقع فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين غيرهم بالتي هي أحسن ، وجرت الناس اليهم ، والعمل على اكتساب صداقة أهل الحضر وأهل الوبر أيضاً ، وعلى إنصاف الغريب الذي قد لا يجد له مجيراً من بين أهل مكة فيظلم ، وعلى تقديم الرفادة للحجاج الضعفاء ، وإسقايتهم الزبيب المنبوذ بالماء في أيام الحج ، وعلى شراء الألسنة ، ألسنة الشعراء خاصة ، لما كان لها من أثر في النفوس .

وللمنافع المادية التي كانوا يحصلون عليها من تآلفهم مع القبائل ، حرصوا على ألا يؤذي أحد منهم أحداً من الغرباء ، فيشير قوم الغريب عليهم ، لا سيما إذا كان ذلك الغريب من قبيلة تمر تجارة قريش بها . فلما عذب أهل (مكة) (أباذر الغفاري) ، أقبل (العباس) عليهم ، وقال : « ولبكم ألتسم تعلمون أنه من غفار ، وأنه من طريق تجارتكم الى الشام ؟ . فألقته منهم »^١ . فزهده قريش وعدم ميلهم الى الاعتداء على الغرباء ، لم يكن كما رأى (الجاحظ) عن (تمس) وعن دين ، وإنما كان عن طمع في المال وفي الكسب وفي الحصول على كسب

١ الاصابة (٦٤/٤) ، (رقم ٣٨٢) .

من تجارة تمر بطرق يجب أن تكون آمنة بالنسبة لها أمينة ، ولا يكون ذلك الأمان ممكناً، إلا بتأليف قلوب سادات القبائل ، والحرص على منع أهل مكة من الاعتداء على الغرباء .

بل نجد أهل مكة يجيرون كل غريب حتى إن كان صعلوكاً أو خليعاً أو مستهتراً بالعرف والأخلاق ، أو قاتلاً غادراً ، أملاً في الاستفادة منهم ، وفي عدم التحرش برجالهم إن خرجوا متاجرين يحملون أموالهم لبيعها في الأسواق البعيدة ، ولاستخدامهم في حمايتهم ممن قد يتحرش بهم من الأعداء والأعراب، ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء عدد من أمثال هؤلاء ، كانوا قد لجأوا الى مكة وأقاموا بها واستقروا وعاشوا بها مجاورين لسادتها ، آمنين على حياتهم لأنهم في جوار سيد من قريش .

وفي القرآن الكريم آيات تدل على وجود مستوى راق في مكة ، وفي أماكن أخرى للتجارة والاقتصاد ، وتدل على تنسيق وعمل منظم بين التجار . وقد وردت فيه إشارات الى (رؤوس الأموال) ، وهي الأموال الخالصة التي تشغل في التجارة والتي تعطي أيضاً المحتاجين إليها لتربو ولتعطي صاحبها الربا ، كما وردت فيه إشارات الى البيع والشراء والقروض والرهن والشركات والتكاتب والتعامل التجاري وأمثال ذلك . وكل ذلك قد نظم وهذب وفقاً لقواعد الاسلام وصار أساساً لنظم التجارة والمال في الاسلام . ولهذا تستدعي دراسة النظم الاقتصادية والتجارة في الاسلام الرجوع الى السناد ، وسنادها هو نظمها وقواعدها قبل الاسلام .

ويظهر من كتب التفسير والسير ان أهل مكة كانوا يسهمون في رؤوس أموال قوافلهم التي يبعثون بها الى بلاد الشام واليمن ، وفي الأعمال التجارية الأخرى . يسهم أفراد أسرة تجارية واحدة أو جملة أسر ، بل معظم أفراد مكة الأحرار في تلك القوافل ، كل بحسب نصيبه لينعموا بالأرباح . وقد ساعدت هذه الشركة على إعانة أصحاب السهام وعلى مساعدة أهل مكة في رفع مستواهم المعاشي . وإذا كنا لا نملك موارد نتحدث عن أنظمة تلك الشركة أو الشركات وقوانينها، وعن كيفية توزيع الأرباح بين المساهمين ، وعن أنواع تلك الشركات وأصول حساباتها ووكلاتها في الخارج ، فننظر ان نظير بقدر كبير من جذورها وأصولها في

فصول الشركات والقضايا المتعلقة بتنظيم التجارة في الاسلام في كتب التفسير والحديث والفقه خاصة ، ففي هذه الفصول إشارات كثيرة إلى شؤون التجارة والاقتصاد عند الجاهليين .

ويظهر مما ذكره أهل الأخبار وأوردوه عن قوافل مكة ، أن مال القافلة ، لم يكن مال رجل واحد ، أو أسرة معينة . بل كان يخص تجاراً من أسر مختلفة ، وأفراداً وجد عندهم المال ، أو اقترضوه من غيرهم فرموه في رأس مال القافلة أملاً في ربح كبير . فقد ذكروا أن قافلة قريش التي كانت في خفارة (أبي سفيان) والتي أثارت معركة (بدر) ، كان رأس مالها مختلطاً ، ساهم فيه كل متمكن من أهل مكة . حتى « لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في العير »^١ .

ويظهر من سورة (قريش) أن قريشاً كانت ترحل رحلتين في السنة : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى بلاد الشام . وهما رحلتان تجاريتان ، تشتري فيهما وتبيع ، وتربح منها ربحاً صبرها في وضع مالي حسن . وقد صارت مكة لذلك العهد مركزاً مالياً خطيراً في الحجاز ، وسوقاً لتبادل السلع . ولم تكن قريش تستورد التجارة لتخزنها في مكة ، أو لتصرفها في أسواق مكة وحدها . فمكة وحدها بلدة صغيرة لا تستوعب أسواقها هذه التجارة ، بل كانت تستوردها من الشمال والجنوب ، لتصرف ما يمكن بيعه في أسواق مكة وهو القليل ، ولتصدر وهو الغالب ما استوردته من الجنوب إلى الشمال أعني بلاد الشام ، ولتصدر ما استوردته من بلاد الشام ، إلى اليمن ومنها إلى بقية العربية الجنوبية والسواحل الأفريقية المقابلة ، فتربح من هذه الصفقات ربحاً حسناً .

وتروي كتب أهل الأخبار أن قريشاً كانوا لا يخرجون عيراً فيرحلون إلا من (دار الندوة)^٢ . فكأنها كانت منطلق التجار والتجارة . ولعلمهم كانوا يفعلون ذلك لكونها ندوة مكة ودار الرأي والحكم في هذه المدينة ومجلس أهل المال فيها . وكذلك كان يفعل أهل المدن المتاجرة ، تتحرك قوافلهم من ساحة مجالسها ليشاهدوا الناس ، وإذا عادت أناخت في هذه الساحات أيضاً ، ليراها أهل البلد ، فتكون

١ امتاع الاسماع (١/٦٦) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٧٠) ، (ذكر قصي بن كلاب) .

لهم فرحة تشبه أفراح العيد .

والرحلتان المذكورتان ، هما من قوافل قريش الكبيرة التي كانت القافلة الواحدة منها تتألف من أكثر من ألف بعير ، والتي يساهم فيها كل من شاء ممن له مال من أهل مكة ، ويريد الاتجار به ، تشترك فيها الأسر المعروفة بالغنى والتجارة من قريش ويساهم معها من له مال في ذلك الوقت ، رجاء الربح والكسب . وقد كانت قافلة (أبو سفيان) التي أهاجت وقعة بدر من قبائل قريش كلها ، وأحصها (بطون كعب بن لؤي) . ليس فيها من (بني عامر) ، إلا ما كان من (بني مالك بن حِسل) ، ولذلك عرفت نفرة قريش الى (بدر) بـ (نفرة بني كعب بن لؤي)^١ .

وكانت قافلة (أبو سفيان) المذكورة ، قد تاجرت ببلاد الشام وهمت بالعودة إلى مكة ، فلما سمع رسول الله بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، بألف بعير ، محملة بأموال عظيمة ، ندب المسلمين اليه ، وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فأخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها ، فانتدب الناس ، وكان أبو سفيان يتحسس الأخبار ، فبلغه خبر استنفار الرسول أصحابه ، فأرسل (ضمضم بن عمرو) الغفاري إلى مكة ، وأمره ان يأتي قريشاً فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج اليها ، فلما بلغها ، وقف على بعيره ببطن الوادي ، وقد جدع بعيره وحول رحله ، وشق قيصره ، ثم صرخ : يا معشر قريش ، اللطيمة ، اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى ان تدركوها ، الغوث ، الغوث . فتجهز الناس سراعاً ، وساروا حتى بلغوا (بدر) ، وكان (أبو سفيان) ، قد غير طريقه حين سمع خبر خروج رسول الله بأصحابه ، فساحل بقافلته وترك بدرأيساراً ، وانطلق حتى أسرع فبلغ مكة ، وكانت قريش قد نزلت (الجحفة) ، فكتب اليها : انكم انما خرجتم ل تمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا . وأصر بعض رؤساء قريش على ورود (بدر) ، وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام . وفيه ماء ، وعلى الإقامة ثلاثاً ، ينحرون الجزور ، ويطعمون الطعام ، ويسقون الخمر ، وتعزف عليهم القيان حتى تسمع بهم العرب

١ الطبري (٤٢٢/٢) .

وبمسيرهم وبجمعهم ، فلا يزالون يهابونهم أبداً بعدها . ومضوا الى بدر ، فوقعت معركة بدر^١ .

وما كان لإصرار رؤساء قريش على المسير الى المسلمين لملاقاتهم في الطريق ، اسلوباً من أسلوب التجار في الحفاظ على السمعة وفي الظهور بمظهر القوي المتمكن حتى لا يطمع بهم الطامعون ويتجاسرون عليهم . فكان خروجهم هذا نوعاً من التحدي ومظهراً من مظاهر اظهار القوة ، لتخويف الغير ، لعلمهم بقوتهم ، فكأنهم أرادوا انزال ضربة بمن خرج مع الرسول لملاقاة القافلة ، معتمدين على عددهم وقوتهم ، حتى يتهيب المسلمون في المستقبل من التحرش بقوافلهم، وليكون ذلك درساً لهم . ولعلمهم كانوا لا يريدون في الواقع الاشتباك مع المسلمين في قتال، وإنما كانوا أرادوا مجرد تخويفهم واظهار أنفسهم بمظهر القوي العزيز المهاب، كما يظهر ذلك من قول أهل الأخبار من أنهم كانوا أرادوا الاقامة ببدر ثلاثة ايام ، ينحرون الجزور ، ويطعمون الطعام ، ويسقون الخمر ، وتعزف عليهم القيان حتى تسمع بهم العرب وبمسيرهم وبجمعهم ، فلا يزالون يهابونهم أبداً بعدها. ولكن أبت الأقدار إلا ان يقع الاصطدام فوقع على نحو ما هو مذكور .

وكانت (بصرى) سوق قريش في رحلتهم الى بلاد الشام ، عندما تقف قوافلهم وتحط رواحلهم ، فيشترون ويبيعون ويمكثون حتى ينتهوا من تجارتهم ثم يعودون الى مكة . وكان منهم من يصل الى (غزة) ويتاجر في أسواقها، حيث تباع أسواقها منتجات حوض البحر المتوسط وما يرد اليها من (أوروبا) من تجارة . وبيع التجار العرب فيها ما يحملونه من بلاد العرب من سلع مستطرفة مطلوبة في أسواق البحر المتوسط . وبها مات (هاشم بن عبد مناف) جد النبيؐ، حين كان توجهه للشأم بالتجارة ، فأدركته منيته فمات بغزة وبها قبره ، فقليل غزة هاشم^٢ .

١ ابن هشام (٦١/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٦١/٢) وما بعدها) ، الطبري (٤٢١/٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٩٨/٣) ، القاموس (١٧٦/٤) ، تفسير ابن كثير (٥٥٣/٤ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٩٧/٣٠ وما بعدها) .

٢ وقد رثاه «مطروود بن كعب» الخزاعي بقوله :
وهاشم في ضريح عند بلقعة تسفى الرياح عليه وسط غزات
وقيل «بين غزات» ، وورد :
ميت بردمان ، وميت بسلمان ، وميت عند غزات
تاج العروس (٦٥/٤) .

والأدم ، هي في رأس قائمة السلع التي كان يحملها أهل مكة الى بلاد الشام ، كانوا يجمعونه من اليمن ومن الطائف ويحملونه الى بلاد الشام والعراق . ومنه ما كان معمولاً مصقولاً معتنى به ، زخرف بالذهب ، لذلك عرف بـ (المذاهب) . و (المذاهب) الجلود المذهبة ^١ . وهي من أرقى الجلود وأغلاها ، يشتريها الأغنياء لاستعمالها في الأشياء الغالية الثمينة .

وتعدّ اليمن من أهم الأماكن المصدرة لجلود البقر في جزيرة العرب ، وقد كانت تحمل الى مكة والى مواضع أخرى لبيعها في أسواقها منها البصرة في الإسلام ، حيث كان التجار يحملون جلود البقر من اليمن اليها ^٢ . واشتهرت أيضاً بعطورها لجودتها . روي أن (عبدالله بن أبي ربيعة) كان يبعث بعطر اليمن من اليمن الى أمه (أسماء بنت خزيمة) ، أم (أبي جهل) ، فكانت تبعه الى الأعطية ، وكانت تضع العطور في قوارير ، وترزنها ، فتبيع نقداً ، أو ديناً . فلإذا باعت ديناً كتبت مقدار الدين في كتاب ^٣ . ولعل شهرة مكة بعطورها ، إنما جاءت من العطور المستوردة التي تأتي اليها من اليمن ومن أماكن أخرى .

وكان الزيت على رأس السلع التي كان يشتريها أهل مكة وتجار يثرب من بلاد الشام ، لصفاته ولنقاوته وجودته ، وكان (دحية بن خليفة الكلبي) يتجرع مع بلاد الشام بالزيت والطعام ، وصادف رجوعه من الشام وقت صلاة الجمعة ، والرسول يخطب ، فلما سمع المصلون خلف الرسول صوت أجراس القافلة جعلوا يتسللون اليها ، خشية ان يسبقوا اليها ، فتباع ، حتى بقيت منهم عصابة اثني عشر رجلاً وامراً . فوبخهم الله بالآية : « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » ^٤ .

١ تاج العروس (٢٥٨ / ١) ، (ذهب) .

٢ قال الشاعر :

والله للنوم بجرعاء الحفر أهون من عكم الجلود بالسحر

بلا العرب (ص ٣٠٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٢٠ / ٨) ، الواقدي ، مغازي (٦٥) .

٤ الجمعة ، الآية ٩ ، تفسير الطبري (٦٦ / ٢٨ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٤ /

٣٦٦ وما بعدها) ، الواحدي أسباب النزول (٣٢٠) ، مسند الامام أبي حنيفة (٧٣

وما بعدها) .

وقد عرف الزيت المستورد من الشام بالزيت الركابي ، لأنه كان يحمل على الإبل من الشام^١ .

ولم يشر أهل الأخبار إلى رحلة على شاكلة رحلتي الشتاء والصيف إلى العراق . وإنما أشاروا إلى تجار منهم كانوا يتاجرون مع الحيرة . ومعنى هذا ذهاب قوافل صغيرة إلى العراق ، لم تكن بحجم قوافل قریش إلى بلاد الشام أو اليمن . ولم يشر القرآن الكريم أيضاً إلى رحلة جماعية إلى العراق أو إلى موضع آخر . مما يدل على أن قریشاً كانت ترحل رحلتين جماعيتين كبيرتين في السنة إلى بلاد الشام في الصيف ، وإلى اليمن في الشتاء فقط . أما رحلاتهم الأخرى ، فلم تكن كبيرة ضخمة وجماعية ، بل كانت قوافل دون القافلتين في الحجم ، وكانت خاصة أصحابها أغنياء ، لهم رؤوس أموالهم ، يبعثون بقوافلهم على حسابهم ، في كل وقت شاؤوا ، وتكون أرباحها لهم : لا يشاركون فيها مشارك ، وقد يرأسون بأنفسهم قوافلهم ، فيذهبون بها إلى العراق ، ولهم فيه تجار وأصحاب ، فإذا باعوا عادوا ببضاعة جديدة وبما كسبوه إلى مكة .

فقد روى أن (أبا سفيان) كان يذهب بنفسه إلى العراق للتجارة ، يحمل معه حاصلات اليمن والحجاز ، ويعود بحاصلات العراق وبما يحتاج إليه أهل الحجاز واليمن من بضاعة . بل ذكروا أنه كان يفد على (كسرى) ، يحمل إليه الهدايا تقرباً إليه . ذهب إليه مرة ، ومعه خيل وأدم ، فقبل (كسرى بن هرمز) الخيل وردّ الأدم وأعطاه هدايا وألطافاً^٢ . وكان من مصلحة كسرى التقرب إلى أهل مكة ، فقد كانوا تجاراً ، وكانوا على طريق مهم وفي مركز خطير من الناحية السياسية والتجارية ، كما كان نفسه يتاجر مع العرب ويتبايع معهم ، لذلك كان من مصلحته بمجاملة أهل مكة والاتصال بهم .

وذكر أنه قد كانت له صلات برؤساء وتجار الحيرة ، وبملوكها أيضاً ، يحمل إليهم الهدايا ، ويأخذ منهم الطافهم ، ثم يعود بما يجده في أسواق الحيرة من تجارات . قدم مرة على عمرو بن هند ، أو النعمان بن المنذر ، فوجد عنده (مسافر بن عمرو بن أمية القرشي) ، وكان قد ترك مكة ونزل الحيرة ، وهو

١ تاج العروس (٢٧٧/١) ، (ركب) ، كتاب البلدان (٤٨٨) .
٢ الاغانى (٤٦/١٢) ، العقد الفريد (٢١/٢) ، « اللجنة » .

في قبة من آدم حمراء ، أمر الملك بضربها له ، لإكراماً له ، وكان الملك اذا فعل ذلك برجل ، عرف قدره ومكانته ، فالتقى بـ (مسافر)^١ .

وكان أبو سفيان - كما يقول أهل الأخبار - تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش الى الشام وغيرها من أرض العجم ، وكان يخرج أحياناً بنفسه ، وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب ، وكان لا يحبسها إلا رئيس ، فإذا حيت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس . وكان صديقاً للعباس وندمه في الجاهلية^٢ .

وكان (مسافر بن أبي عمرو بن أمية) ، وهو من رجال قريش جبالاً وجوداً وشعراً ، ومن فتيانها ، ممن يتاجرون مع العراق ، ويربح من تجارته هذه ربحاً طيباً ، وكان هلاكه بالعراق . فقد كان قد خرج في تجارة الى الحيرة ، فهلك بها عند (النعمان بن المنذر) ، ورثاه (أبو طالب)^٣ .

وكان (عبدالله بن جدعان) من أثرياء مكة ومن تجارها . ذكر أنه تاجر مع الحيرة . ويظهر مما ذكره أهل الأخبار عنه ، أنه كان ثرياً جداً ، وربما عدّ أثرى قريش في أيامه ، واليه تنسب قصة ادخال (الفالوذج) الى أهل مكة ، حيث يذكرون أنه تعلمها من أهل العراق ، وجاء معه طبّاخ خاص لطبخ له طبخ الحيرة وأهل فارس .

وكان (العاص بن وائل بن هاشم) السهمي من تجار مكة ، الذين رحلوا بتجارهم الى خارج مكة . وكان من أشرف قريش . وقد مات بالأبواء . ولعله كان خارجاً في تجارة له فمات هناك . ومن ولده (عمرو بن العاص) . وقد أسلم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة معاً^٤ . وكان تاجراً كذلك . ويذكر (ابن كثير) ان (عمرو بن العاص) وفد على (مسيلمة) ، وذلك بعد ما بعث رسول الله وقبل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغسة ، فقال :

١ الاغاني (٤٦/٨) وما بعدها .

٢ الاستيعاب (٨٦/٤) ، حاشية على الاصابة .

٣ كتاب نسب قريش (١٣٥) وما بعدها ، الاشتقاق (١٠٣) .

٤ كتاب نسب قريش (٤٠٨) .

٥ كتاب نسب قريش (٤٠٩) .

وما هي ؟ فقال : « والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل علي مثلها ، فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر ، وانما أنت أذنان وصدر وسائر كحفر نقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو ، والله انك لتعلم أنني أعلم انك تكذب^١ . والرواية موضوعة ، فسورة (العصر) من السور المكية ورقها (٢٧) حسب ترتيب نزول السور بمكة على رأي العلماء ، أي قبل الهجرة ، وقبل إسلام (عمرو) بزمن ، وقبل مجيء (مسيلمة) إلى المدينة مع وفد حنيفة ، وبعد مجيئه إليها بدأت دعوته بمعارضة الرسول . ثم ان جملة : « ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ » ، جملة تشعر ان (عمرو بن العاص) كان مسلماً إذ ذاك ، بينما كان هو من المشركين في ذلك العهد . ثم إن ما نسب الى (مسيلمة) من آيات ، وضع على وزن آيات القرآن ومحاكاة لها ، وليس في : (يا وبر يا وبر الخ) أي شيء يضاهي : (والعصر) في النسق أو في المعنى ، وعندني أن الخبر من الأخبار الموضوعة . وقد يكون (عمرو بن العاص) قد زار اليمامة ، فهذا شيء غير مستبعد . فقد كان تاجراً وكان تجار مكة يسافرون الى اليمامة والى غيرها للتجارة ، أما أنه ذهب خاصة لزيارة (مسيلمة) ومكالمته على نحو ما يرد في الخبر ، فأسلوب يدل على وجود الصنعة فيه أكثر مما يدل على الصحة وصدق الرواية .

وقد عرف أهل الحيرة بنشاطهم في الأسواق وبتجارهم مع أسواق جزيرة العرب وغيرها ، حتى قيل : « إنك لا ترى بلداً في الأرض ليس فيه حيري »^٢ . وقد كانت الحيرة نفسها سوقاً مقصودة ، تشتري وتبيع ، يأتيها التجار من مختلف الأمكنة ، وموضع تجاري على هذه الشاكلة لا بد أن يذهب أهله الى الأسواق الأخرى للبيع والشراء . وقد عرف أهل الحيرة بحذقهم في الصيرفة وفي بيع الفلوس . قيل لأحد أهل الحيرة ممن يتعاطى الطب : « ما لأهل الحيرة والطب . عليك بيع الفلوس في الطريق »^٣ .

١ تفسير ابن كثير (٥٤٧/٤) ، البداية والنهاية (٣٢٦/٦) .

٢ مختصر كتاب البلدان (ص ٥١) .

٣ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٠) .

وكان تجار الحيرة يزورون مكة للتجارة بها ، ولهم مع تجارها عقود وجوار وتجارة ، فإذا ذهب أحدهم الى مكة نزل على حليفه وجاره ، ثم باع ما عنده من تجارة ، واشترى ما يجده بمكة من سلع مطلوبة مرغوبة ثم يعود الى الحيرة . وكان منهم من كوّن مع حلفائه من أهل مكة تجارة مشتركة تتعامل بالحيرة وبمكة وبمواضع أخرى ، وتسوي أشغالها بالمراسلة ، يدير الحيريون منهم أعمال الشركة بالحيرة ، ويدير المكيون منهم أعمالها بمكة ، ثم يراجعون في الحساب ، ويقسمون الأرباح والخسائر على وفق ما اتفقوا عليه .

وقد كانت تجارة قريش تجارة واسعة ، وقد أقام تجارهم وكالات ومتاجر في مواضع متعددة ، لتتولى أمر البيع والشراء . ولعلمهم كانوا يمثلون مصالح مكة السياسية في الحبشة كذلك ، كأن يتولى هؤلاء التفاوض مع الحكومة هناك في عقد عهود سياسية واقتصادية وما شابه ذلك . وقد كان اتصال أهل مكة بالحبشة وثيقاً ودائماً ، ويظهر أنهم كسبوا منافع مهمة من أعمالهم واشتغالهم في تلك البلاد .

وقد عهدت قريش الى أناس آخرين من رجالها بقيادة قوافلها ، الى بلاد الشام أو الى اليمن . كما قام رجال منها بتجهيز قوافل لهم لتتاجر بأموالهم . ولما هاجر الرسول الى (يثرب) استأؤوا من خبر هجرته استياءً كبيراً ، لعلمهم بأهمية موقع (يثرب) ، وبما سيقوم به المسلمون من التعرض بقوافلهم ومن تحرشهم بتجارهم وفي هذا العمل نكبة عظيمة تصيب تجارتهم وأرباحهم ومنافعهم المادية . فتشاوروا في أمرهم وتناقشوا ، وقالوا : « قد عوّر علينا محمد متجرنا وهو طريقنا » وقال (أبو سفيان) و (صفوان بن أمية) : « إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا »^٢ ، وقال أيضاً : « كنّا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا »^٣ ، وقال غيره مثل ذلك من كلام ، يشعر بمقدار الأضرار والخسائر التي منيت بها تجارة قريش بسبب هجرة الرسول الى يثرب واعتراضه طرق القوافل . لا سيما بعد أن تبين لها أن جميع السبل التي فكرت في سلوكها لتسيير قوافلها عليها ، هي غير آمنة ولا سالمة ، وأن المسلمين

١ الاغانى (٥٠/٨) .

٢ الطبري (٤٩٢/٢) وما بعدها .

٣ الطبري (٦٤٦/٢) .

قد أخذوا يباغتون قوافلهم حتى في الطرق الجنوبية المؤدية الى اليمن والطرق البعيدة الى تؤدي الى العراق .

وقد وقف المسلمون لقريش بالمرصاد ، وأخذوا باعتراض قوافلهم ، فما كادت تمضي سبعة أشهر من مقدم الرسول المدينة ، حتى أمر (حمزة) بالتوجه الى ساحل البحر من ناحية العيص ، للتحرش بعير لقريش كانت قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب^١ ، فكان خبر هذه السرية أول خبر سيء يبلغ مسامع قريش ، وقد نجت القافلة ، إلا أن الخبر جعل قريشاً تشعر أنه سيكون مقدمة لأخبار سيئة ستصيب مصالحها التجارية وحياتها الاقتصادية ، ولن يكون لها من نجاة ، إلا بالتهيؤ للقضاء على الرسول والإسلام . كما فكرت في وضع خطط لتغيير طرقها التي تسلكها في ذهابها الى الشام باتباع طرق بعيدة سالمة ، تكون بعيدة عن المسلمين ، وقد سلكتها فيما بعد ، حين ضيق المسلمون على قوافلها التي كانت تسير على الطرق المألوفة ، فبين أنها لم تكن سالمة أيضاً وأن المسلمين أخذوا يهاجمونها على كل طريق ، مهما كان .

وكان من غيظهم على الرسول ، ومن تأثرهم بما أصاب تجارتهم من خسارة وضرر ، ان لقبوا الرسول بـ (القاطع) . ولما ذهب (الحجاج بن علاط) ، الى مكة ، وكان تاجراً له مال بمكة أودعه زوجته ، ومالاً متفرقاً في تجار أهل مكة ، وكان مسلماً يكتّم إسلامه ، قالوا له : أخبرنا بأمر محمد ، فإنه قد بلغنا ان القاطع قد سار الى خيبر ، وهي بلدة يهود وريف الحجاز^٢ . فنعتوا الرسول بـ (القاطع) لأنه قطع عليهم تجارتهم وهدد طرقهم التي يسلكونها للوصول الى أسواق الشام وبلاد العراق .

ولما كان الشهر الثامن من مقدم الرسول المدينة ، أرسل سرية الى بطن (رابغ) بلغت (ثنية المرة) ، وهي بناحية الجحفة ، لتقابل عيراً لقريش ، اختلفت في أميرها ، فقيل : كان (أبو سفيان) ، وقيل بل (مكرز بن حفص) ، وقيل (عكرمة بن أبي جهل) . فكان بين المسلمين والمشركين رمي ، ونجت القافلة .

١ الطبري (٢/٤٠٢) ، امتاع الاسماع (١/٥١) .

٢ الطبري (٣/١٨) .

وكانت كبيرة على ما يظهر ، إذ كان عدد رجالها ، أي حراسها مائتين^١ . ورجع المسلمون دون ان يغنموا شيئاً ، وقد كانت السرية انذاراً آخر لقريش بالخطر الذي سيحقيق بتجارتهما وبمصالحتها المادية وبأن ما كانت تربحه من أرباح لن يدوم لها فيما بعد .

وقد تمكن (أبو بصير) من إنزال ضربات موجعة بتجارة قريش ، اختار (العيص) ، وهو ناحية على ساحل البحر على طريق غير قريش الى الشام موضعاً ينقض منه على قوافل قريش ، فيسلب ما فيها من مال ويقتل من يقتل من المارة ، حتى ضيق عليها ، وهرب اليه من كان بمكة محبوساً من المسلمين ، حتى تجمع عنده قريب من سبعين مسلماً ، أغار بهم مرة على ركب كان يريد الشام ، معهم ثمانون بعيراً ، فأخذوا ذلك وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين ديناراً . فغاض قريش تضيق (أبو بصير) عليهم ، حتى كتبوا الى رسول الله يسأله بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير اليه ومن معه . فكتب اليه ان يعود ومن معه^٢ .

ولما عقد صلح (الحديبية) وكانت الهدنة بين قريش والرسول ، استراحت (قريش) ، وإن بقيت خائفة من أن لا تجد أمناً لها ، فأرسلت قافلة في نفر من قريش فيها (أبو سفيان) ، الى (غرة) متجرها في بلاد الشام ، فوصلت سالمة الى هناك ، وتاجرت ثم عادت^٣ .

وذكرت كتب التاريخ والأخبار أسماء عدد من رجال مكة كانوا يخرجون الى التجارة بأموالهم وأموال غيرهم من أمثال أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ، وكان يخرج تاجراً الى الشام . وكان رجلاً مأموناً ، يخرج بماله وأموال رجال من قريش أبضعوها معه^٤ . وقد عرف (بالأمين) ، وكان من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، يخرج بماله وبمال غيره تاجراً ، يأتمنون به ، ثم يعود فيؤدي الى كل ذي مال من قريش ماله الذي كان أبضع معه . وكان آخر خروجه تاجراً بأمواله وبأموال قريش قبل الفتح ، خرج الى الشام فلما انصرف قافلاً لقيته سرية لرسول الله ، أميرهم (زيد بن حارثة) ، وكان أبو العاص

١ الطبري (٤٠٢/٢) ، امتاع الاسماع (٥٢/١) .

٢ امتاع الاسماع (٣٠٥/١) .

٣ الطبري (٦٤٦/٢) ، (ذكر خروج رسل رسول الله الى الملوك) .

٤ الطبري (٢٩٢/٢) .

في جماعة عبر ، وكان زيد في نحو سبعين ومائة راكب ، فأخذوا ما في تلك العبر من الأثقال وأسروا منهم ناساً ، فاستجار (أبو العاص) بزئب، فأجارته ، وردّ الرسول الأموال والأسرى اليه ، وعاد مع القافلة الى مكة ، فأدى الى كل ذي مال من قريش ماله الذي كان أبضع معه ، ثم أعلن أمام قريش شهادة الاسلام ، وتركهم فقدم يثرب مسلماً ، ورد رسول الله ابنته عليه ^١ .

ومن تجار قريش (صفوان بن أمية بن خلف) ، ذكر انه كان أحد العشرة الذين اليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الاسلام من عشرة بطون . وكان أحد المطعمين في الجاهلية والفصحاء ، وأحد أشراف قريش ، واليه كانت الأيسار ، وهي الأزلام ، فكان لا يسبق بأمر حتى يكون هو الذي يجري يسره على يديه . وكان يقال له : (سداد البطحاء) . وهو أحد المؤلفة قلوبهم . وكان غنياً ، وكذلك كان أولاده ^٢ . ورد في الحديث : ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية ، وقنطر أبوه ، أي صار لها مال كبير ، كأنه يوزن بالقنطار ^٣ ، فهما من أسرة ثرية ثقيلة الثراء .

وتعدّ أيام مغادرة القوافل وأيام عودتها سالمة ، من الأيام المشهودة في مكة ، يخرج فيها أهل البلدة لتوديع القافلة متمنين لها النجاح والفلاح والعودة سالمة بربح وافر كثير ، داعين آلهتهم ان تبارك في رجالها وتمنحهم العون والفلاح في البيع وفي وقايتها من شر السفر ومن أذى الأشرار قطاع الطريق . ويخرج فيها أهل مكة فرحين مستبشرين ، لاستقبال القافلة قادمة من سفرتها البعيدة وهي محملة بسلع جديدة وبثمن ما باعته من سلع وما ربحت من فروق الأسعار : سعر الشراء وسعر البيع ، حتى اذا ما بلغت القافلة مكة ، كان أول واجبها زيارة رئيسها وأصحابها (البيت الحرام) لرفع الحمد والشكر الى رب البيت على ما أنعمه عليها من الأمن والسلامة وما رزقها من ربح . ثم يعود مع أصحابه الى بيوتهم ليستريحوا وليقوموا بتصفية حسابهم ، واعطاء كل واحد من المساهمين في رأس مال القافلة نصيبه من الربح .

وقد ذكر أن قريشاً كانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً . وأن قافلة

١ الاصابة (٤/١٢١) ، (رقم ٦٩٢) ، الاستيعاب (٤/١٢٥) ، (حاشية على الاصابة)
٢ الاصابة (٢/١٨١) وما بعدها ، الاستيعاب (٢/١٧٩) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
٣ تاج العروس (٣/٥٠٩) ، (قنطر) .

(أبي سفيان) الي كانت سبب وقعة بدر، كانت ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، فسلم أبو سفيان الى أهل العير رؤوس أموالهم، وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً^١.

وقد اشتهرت بعض الأسر من قريش بالتجارة مع الأقطار البعيدة عن مكة . وقد ذكر أهل الأخبار أن بني (عبد مناف) المعروفين بـ (أصحاب الإيلاف) كانوا أسرة ثرية غنيّة اختصت بالتجار مع الخارج . وكانوا أربعة أخوة ، هم : هاشم ، وكان يؤالف الروم ، فأمن في تجارته الى الشام . أما الأخ الثاني ، فعبد شمس، وكانت تجارته مع الحبشة . وأما الثالث فكان المطلب ، وكان يرحل الى اليمن . وأما الرابع ، فهو نوفل ، وكان يرحل الى فارس . وقد عرف هؤلاء بـ (المتجرين)^٢ وبـ (المجيرين) وبـ (المجيرين)^٣ .

ولم يكن الإيلاف إيلافاً مع الروم أو الفرس أو الحبشة ، وإنما كان إيلافاً مع سادات القبائل . ففضل العقود والعهود التي عقدها (هاشم) وأخوته مع سادات العرب أمكن مرور قوافل مكة بأمن وسلام نحو العراق وبلاد الشام واليمن والحبشة . ولولا هذه العقود التي جبرت قلوب سادات القبائل بتقديم حقوق مرور لهم ، أو بإشراكهم في مال القافلة ، بحمل تجار مكة ما عندهم من سلع لبيعها على حسابهم ، وتقديم ثمنها مع الربح الذي جاؤوا به على سعر البيع المقدر ، لما كان في إمكان قريش ضبط أولئك الأعراب ومنعهم من التحرش بقوافلهم ومرورها الى الأسواق بأمن وسلام .

ويرجع أهل الأخبار مبدأ (الإيلاف) وخروج قريش من مكة بالقوافل الى بلاد الله الأخرى الى (هاشم بن عبد مناف) ، فهم يذكرون ان قريشاً كانوا تجاراً « وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، انما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون، وكان هاشم من أجمل الناس وأنعمهم،

١ نهاية الارب (١٧/٨١) ، (ذكر غزوة أحد) .

٢ بلوغ الارب (٣/٢٨٥) .

٣ تاج العروس (٦/٤٤) ، (الف) .

فذكر ذلك لقيصر فقيل له : ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ، وانما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز ، فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمه أعجب به ، فكان يبعث اليه في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه ، فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك ، إن قومي تجار العرب ، فإن رأيت ان تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو أرخص عليكم ! فكتب له كتاباً أمان لمن يقدم منهم ، فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بحجّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً - والإيلاف : أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف انما هو أمان الطريق - وعلى ان قريشاً تحمل اليهم بضائع فيكفونهم حملاتها ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم وربحهم ، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يُجوزهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام وأحلهم قراها ، ومات في ذلك السفر بغزة . وخرج المطلب ابن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر اليهم من قريش ، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى (الفيض) وهلك بردمان من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى الحبشة ، فأخذ إيلافاً كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بمكة فقبّره بالحجون . وخرج نوفل ابن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش وإيلافاً ممن مر به من العرب ، ثم قدم مكة ورجع الى العراق فمات بسلام . واتسعت قريش في التجارة في الجاهلية وكثرت أموالها ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منة في الجاهلية والاسلام ^١ . وبهذا القصص . أوجد أهل الأخبار مبدأ الإيلاف ، ومبدأ خروج قريش بالتجارة الى الأقطار المذكورة . ويكون عمل (آل عبد مناف) وفق هذه القصة ، عمليين : أخذهم أماناً من الملوك المذكورين بمعاملة قريش معاملتة حسنة وحمايتهم لهم في أرضهم من كل تعدّ قد يقع عليهم ، ومراعاتهم مراعاة خاصة حين مجيئهم اليهم للتجارة ، معاملتة الأحسن حظوة بين التجار الذين يتاجرون في أسواقهم ، والعمل الثاني ، هو عقدتهم الإيلاف مع

١ . ذيل الامالي (١٩٩ وما بعدها) .

سادات القبائل الذين يمرون بهم في ذهابهم وإيابهم الى الشام والعراق واليمن والحبشة ، بأن يأمنوا عندهم في أرضهم ، ولا يعتدى على أحد منهم .

وموضوع ذهاب هاشم وأخوته الى الشام أو العراق أو اليمن أو الحبشة ، موضوع طبيعي لا داعي إلى إثارة الشك حوله ، فقد وجدنا أن غيرهم من تجار مكة كانوا يتاجرون مع الأماكن المذكورة ، تاجروا معها قبلهم وتاجروا معها بعدهم ، أما أنهم التقوا بقيصر وبكسرى وبالنجاشي وبتبابعة اليمن ، وتعاهدوا وتعاهدوا معهم ، ففضيلة أخرى فيها نظر ، وقد عودنا أهل الأخبار على سماع مثل هذا القصص . وكل ما نستطيع أن نتصوره فيما لو صدقنا بالخبر ، هو أن أولئك الأخوة قد قابلوا بعض موظفي الحدود وتصادقوا معهم وقدّموا لهم بعض الهدايا ، فصاروا يتساهلون معهم في جباية الأعشار وفي أخذ حقوق المرور ، فشاع بين قومهم أنهم تعاهدوا مع أولئك الملوك .

والإيلاف ، العهد والذمام وشبه الإجازة بالخفارة ، من ألف بينها تأليفاً ، أوقع الألفة وجمع بينها بعد تفرق ووصلها ، ومن ذلك المؤلفة قلوبهم ، أمر النبي بتألفهم ، أي بمقاربتهم وإعطائهم من الصدقات ليرغبوا من وراءهم في الإسلام ، ولئلا تحملهم الحمية مع ضعف نيّتهم على أن يكونوا مع الكفار على المسلمين^١ . وصار أهل مكة ، بفضل الإيلاف ، آمنين امتيارهم وتنقلاتهم شتاءً وصيفاً والناس يتخطفون من حولهم ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم أحد . فالإيلاف العهد التي أخذتها قريش من سادات القبائل إذا خرجت في التجارات فتأمن بها^٢ .

وقد عرف أصحاب الإيلاف ، وهم الأخوة الأربعة أبناء عبد مناف بـ (المجبرين) ، إذ كانوا يؤلفون الجوار يتبعون بعضه بعضاً ، يجيرون قريشاً بميرهم ويجبرون فقيرهم ، ولذلك قيل لهم (المجبرين) .

وذكر أن كل واحد من الأخوة المذكورين أخذ حبلًا من ملك . فأما هاشم فإنه أخذ حبلًا من ملك الروم ، وأما عبد شمس ، فإنه أخذ حبلًا من النجاشي . وأما المطلب ، فإنه أخذ حبلًا من أقيال حمير . وأما نوفل ، فإنه أخذ حبلًا من

١ تاج العروس (٤٤/٦) ، (ألف) .
٢ تاج العروس (٤٤/٦) ، (ألف) .

كسرى ، فكان تجار قريش يختلفون الى هذه الأمصار بحبال هؤلاء^١ .
و (الحبل) العهد والذمة والامان ، يقال كانت بينهم حبال فقطعوها ، أي عهود وذمم . وذلك أن العرب كانت تخيف بعضها بعضاً فكان الرجل إذا أراد سافراً أخذ عهداً من سيد قبيلة فيأمن بذلك ما دام في حدودها حتى ينتهي الى أخرى فيأمن بذلك^٢ . والحبل الحلف أيضاً والعصم^٣ . فالحلف بمعنى العهد بين القوم والمعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق . وقد كانت الأحلاف كما سبق أن تحدثت عنها من أهم سمات الجاهلية ، وقد نهى عنها في الاسلام ، لما كانت توقعه من أضرار في المجتمع بسبب التكتلات والتحزبات والعصبية التي تؤدي الى القتال . فورد : لا حلف في الاسلام وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيعين وما جرى مجراه ، فذلك الذي قال فيه الرسول : وأما حلف كان في الجاهلية لم يزد الاسلام إلا شدة . يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام^٤ .

وكانت للعرب تعابير ومصطلحات في اعطاء العهد والأمان ، ومنها مصطلح : (لا بأس) . والبأس العذاب والشدة والخوف ، وإن قال الرجل لعدوه لا بأس عليك ، فقد أمنه ، لأنه نفى البأس عنه . وهو في لغة (حمير) (لبات)^٥ . وبفضل اتباع سياسة تأليف قلوب القبائل ، باشرأك ساداتها في تجارة قريش ، أو اعطاء ساداتها جمالة مرور ، أو هدايا ، أو بالتصاهر معها ، أو باكراء إبلها لنقل تجارة قريش ، تمكنت قريش من تأليف قلوب سادات القبائل ، فأمنت على نفسها ، وصارت قوافلها تخرج في أي وقت شاءت من أوقات السنة في الشهور

١ تاج العروس (٤٤/٦) ، (ألف) .

٢ تاج العروس (٢٦٩/١) وما بعدها ، (حبل) .

٣ ابن سعد ، الطبقات (٧٥/١) وما بعدها ، المحبر (١٦٢) ، الطبري (١٢/٢) ،

Kister, p. 126.

٤ تاج العروس (٧٥/٦) ، (حلف) .

٥ قال شاعرهم :

تنادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذي رعين

تاج العروس (١٠٤/٤) ، (بؤس) ، (٥٨٠/١) ، (لب) ، (اللسان (٢٠/٦) وما

بعدها) ، (بؤس) .

الحل أو في الشهور الحرم . لا تخشى بأساً ، حتى أنها صارت تعطي أمانها لغيرها ، وبذلك ألقت القبائل الأخرى التي لم تكن لها عقود وإيلاف وحبال مع القبائل المحالفة لقريش ، فصارت تحمل كتاب أمان قريش وشعارها ، وهو ما عضد من شجر الحرم ، يوضع حول العنق ، على ما يزعمه أهل الأخبار ، فيكون جواز سفر وكتاب مرور .

والإيلاف ، أي عقد (الحبال) مع سادات القبائل ، عمل مهم جداً بالنسبة لكل صاحب عمل وتاجر . إذ يتمكن التاجر به من حماية نفسه وماله ومن المرور بأمن وسلام ، دون أن يتعرض لخطر النهب والسلب . وهو حتى إذا تعرض للخطر ، فإن سيد القبيلة بنفوذه وبسيادته على قبيلته كفيل بأن يعيد إليه ما انتهب منه . ولهذا الأهمية ، عقدت قريش الحبال مع سادات القبائل الذين تمر تجارة تجارتها بأرضهم . عقدتها قريش ، أو أمضاها تجار من تجارتها ، بما لهم من صداقة وصلات زواج وروابط بسادات القبائل ، ولا سيما بسادات قبائل المناطق التي تمر الطرق التجارية بأرضها ، فلهذه القبائل بالذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى كل تاجر ، وللحكومات بصورة خاصة بالطبع ، ولهذا تنافست على الاستحواذ عليها حكومات اليمن وحكومة الحيرة ، والساسانيون . وقد رأينا (امرأ القيس) المتوفى سنة (٣٢٨) للميلاد يصل بجيشه إلى (نجران) مدينة (شمر) ، ورأينا في خبر سجل بالمسند وصول جيوش اليمن إلى أرض الخليج . فلهذه الأرضين ، كاليامة ونجد والبحرين أهمية كبيرة بالنسبة للتجارة في جزيرة العرب لمرور الطرق البرية التي تربط العربية الجنوبية بالعربية الشمالية وبالعراق وسواحل الخليج بها ، ولمرور الطرق التي تربط العربية الغربية بالعربية الشرقية وبالعراق بأرضها . وقد رأينا كيف تعرضت قافلة (كسرى) التي قدمت من اليمن ، قاصدة المدائن إلى السلب والنهب ، وكيف تعرضت (لطيمة) النعمان إلى النهب في هذه الطرق .

ويذكر أهل الأخبار ، أن تجار اليمن والحجاز ، كانوا يتحفظون بقريش ، إذا كانوا بأرض مضر . وإن قريشاً استفادوا من عقدتهم الإيلاف مع تميم وأسد ، و (بني عمرو بن مرثد) من (بني قيس بن ثعلبة) ، ومع قبائل (ربيعة) عامة . و (مضر) و (ربيعة) ، هي من قبائل نزار ، و (قريش) نفسها من ولد (مضر بن نزار) في عرف النسابين ، فإذا أخذنا بذلك علماً ، استطعنا القول إن هذا النسب ، إنما هو مصالح تجارية وروابط سياسية مصلحية ، جمعت

هذه القبائل في (بوتقة) مصالح مشتركة ، فأوجدت منها هذا النسب الذي أفاد أهل مكة كما أفاد القبائل الأخرى المشتركة فيه ، والتي كانت تتاجر في أسواق مشتركة فتبيع وتشترى وتنتفع بفضل هذا النسب السياسي .

وللنسب أهمية كبيرة في تأليف القبائل وفي المحافظة على الأمن في البوادي . والتصاهر هو من أهم الروابط التي كانت تربط بين القبائل وبين الأفراد . ومن هذه الأهمية ظهر التصاهر السياسي والتصاهر الاقتصادي ، عند الملوك وعند سادات القبائل والأشراف ، فصاهر رجال من قريش قوماً من (تميم) ومن (بني عامر ابن صعصعة) ومن يثرب واليمن ، وصاهر ملوك الحيرة سادات القبائل المعروفة ، للاستفادة من المصاهرة لمآرب سياسية واقتصادية ، بالحصول على تأييد قبائل أولئك السادة : ولمرور تجارتهم من أرضهم بأمن وسلام . وقد كانوا يعرفون كيف يختارون من يصاهرونه بالطبع ، يختارونه لكثرة عدد أبناء قبيلته ولمنزلتها ولمكانتها بين القبائل ، ليتخذوا منه قوة في تأديب القبائل الأخرى . وهو عمل لم يكن سادات القبائل في جهل من أسبابه ، وفي غفلة عن ادراك كنهه ، لذا كانوا يتاجرون به ، كما تاجر به الملوك ، أو سادات القبائل ، فيشترطون فيه شروطاً فيها مكاسب ومنافع لهم . كأن يطعمهم الملوك (الطعام) ويعطونهم الآكال ، ويجعلون لهم جباية الطرق ، وبعض الامتيازات على القبائل الأخرى ، ويجعلونهم على مقربة منهم في مجالسهم ، ويقربونهم بذلك على غيرهم من السادات .

وقد كان لهذا التقديم الحضري أهمية كبيرة في نفوس القبائل ، فهو عندهم أمانة من أمارات التشريف والتقدير . والأعرابي وإن ازدري الحضر والحضارة ، يقر مع ذلك في نفسه بتفوق الحضري عليه : ان لم يكن بالسلاح وبالقتال ، فبالحيل والغش والخداع كما يرى الأعرابي ذلك ، أي باستعمال الحضري ذكاءه المبني على التجارب والتقدم في مستوى الحياة في التغلب على الأعراب البسطاء الذين وإن كانوا أذكاء بالبديهة ، لكن ذكاءهم لا يكافئ ذكاء الحضر في التخلص من المتاعب والورط المعقدة التي تحتاج الى خداع .

وقد افتخر سادات القبائل الذين كان مستواهم العقلي فوق مستوى قبائلهم بكثير — بفضل اتصالهم بالحضر ، وزياراتهم (الأرياف) وبيوت الملوك ، بسل البلاد الأعجمية المتقدمة أيضاً — بهذا التقديم ، واعتبروه شرفاً وتعظيماً ، فأكثرُوا من زيارة الملوك ، وانتهزوا المناسبات للاتصال بهم ، وافتخروا بما كانوا ينالونه منهم

من عطايا وصلات وخلع ، وهو تكريم كان يؤدي أحياناً الى نتائج محزنة ، بسبب مبالغة بعض الملوك في تكريم سيد قبيلة ، وتقديمه على غيره من السادات ، مما كان يثير حقد بقية السادات ، الذين قد تتهيج عواطفهم عندئذ لهذا التقديم ، وقد يعتبرونه إهانة خاصة قصد توجيهها اليهم ، فينتقمون ممن قدم عليهم ، أو ينتقمون من الملك ، بالإغارة على أرضه وأمواله . ونجد تأريخ الحيرة مليئاً بحوادث سببها إسراف بعض الملوك في الانصياع لعاطفتهم بتقديم سيد قبيلة ، وتأخير آخر بإجلالته في مكان هو دون المكان الذي كان من اللازم إجلالته فيه من مجلس الملك . ولقرب المكان وبعده من الملك ومن صدر المجلس أهمية كبيرة عند سادات القبائل وفي عرف المجتمع آنذاك ، حتى صار ذلك سنة لهم ، اتبعوها في مجالسهم أيضاً ، فإذا دخل الناس مجلس سيد القبيلة جلسوا حسب منازلهم وأقدارهم في مجتمعهم ، على الرغم من مظاهر (الديمقراطية) والمساواة التي تظهر عليهم ، والتي تبدو عندهم في مخاطبة بعضهم بعضاً .

السلع :

والأدم والزبيب والصمغ والطيب والتبر والبرد اليابنة والثياب العذنية والأسلحة ومصنوعات الحديد والمعادن الأخرى ، هي من أهم السلع الرئيسية التي تتكون منها تجارة قريش . وبعض هذه السلع مهم وغال ومطلوب . فكان تجار مكة يشترونه من معادنه ومواضعه ، ويبيعونه في الأماكن التي تبحث عنها ، وتربح من ذلك ربحاً كبيراً . وقد كانت (الأدم) على رأس الأموال التي تاجرت بها ، حتى ان قريشاً كانت قد جعلتها على رأس الهدايا والألطف التي كانت تهديها الى الملوك والرؤساء وأكابر الناس . فلما ذهب (أبو سفيان) الى العراق ، ووصل الى (كسرى) كما يزعم أهل الأخبار ، أهدى اليه أدماً وخيلاً ، فقبل (كسرى بن هرمز) الخيل وردّ الأدم^١ . ولما أرسلت (قريش) (عبدالله بن أبي ربيعة) و (عمرو ابن العاص بن وائل) الى النجاشي ومعها هدايا مما يستطرق من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، جمعت له أدماً كثيراً ، ولم تترك من

١ الاغانى (٤٦/١٢) ، العقد الفريد (٢١/٢) ، (لجنة) .

بطارقه بطريقاً إلا وله هدية ، فكانت الأدم على رأس الطاف مكة
وهذاها^١ .

ومن العطور التي كانت معروفة بمكة : (الذرور) ، عطر يجاء به من الهند
كالذريرة ، وهو ما انتحت من قصب الطيب ، وقيل هو نوع من الطيب مجموع
من أخلاط ، وبه فسر حديث عائشة : طيب رسول الله لإحرامه بذريرة^٢ .

وأغلى سلع قریش التي كانت تحملها لبيعها في أسواق بلاد الشام ، هي (الفضة).
ولما أرسل الرسول (زيد بن حارثة) على غير لقریش كان فيها (أبو سفيان) ،
وكانت قد غيرت طريقها الذي يسلك الى الشام ، وسلكت طريق العراق ، كانت
مع (أبي سفيان) فضة كثيرة ، وهي أعظم تجارتهم ، فالتقى بها (زيد بن
حارثة) فأصاب العير ، وبلغ خمس الرسول من الغنمة عشرون ألفاً ، ومعنى
هذا ان قيمة الغنائم ، كانت مائة ألف^٣. وقد ذكر في خبر هذه السرية ان الفضة
كانت آتية كثيرة ، وسكت خبر آخر عن نوع الفضة ، وأما ذكر ان (أباسفيان)
كان يحمل معه فضة كثيرة^٤ .

والأسلحة من أهم مواد التجارة التي كان يتاجر بها التجار . فالسلاح أداة
ضرورية جداً بالنسبة الى الأعرابي ، فبه يدافع عن نفسه ، وهو لا ينأى إلا
وسلحه الى جانبه ، حتى إذا ما شعر بأقل حركة ، نهض وهو بيده ليدافع به
عن نفسه . والتاجر نفسه مع انه انسان مسالم لا يميل بطبيعة عمله الى حمل السلاح
والتقاتل كان مضطراً مع ذلك الى حمله معه والى استخدام العبيد والأعوان للدفاع
عن نفسه وعن أمواله . ولهذا كان يحرص على شرائه من أي مكان يجده فيه
ليدافع به عن نفسه ، كما كان يتاجر به لأن الاتجار به من أرباح الأعمال في
السوق ، لإقبال الناس عليه ، فكان يشتريه من صناعه ومن أسواقه ، لبيعه لمن
يطلبه بسعر أعلى ، فيربح بذلك كثيراً من الفرق بين السعيرين .

وكان لأهل مكة خاصة حس مرهف نحو التجارة . كانوا إذا سمعوا أجراس

١ الروض الانف (٢١١/١) وما بعدها .

٢ تاج العروس (٢٢٣/٣) ، (ذر) .

٣ الطبري (٤٩٢/٢) وما بعدها .

٤ الطبري (٤٩٢/٢) وما بعدها .

عبر ، هرعوا نحوها يلتمسون خبرها . فلما أقبلت من الشام عبر لدحية بن خليفة الكلابي ، أو لعبد الرحمن بن عوف ، تحمل زيتاً أو طعاماً ، وكان رسول الله يخطب يوم الجمعة ، والناس خلفه صفوفاً ، فلما سمعوا بها ، جعلوا يتسللون ويقومون اليها ، خشية أن يسبقوا اليها ، فتباع ، حتى بقيت منهم عصاة اثني عشر رجلاً وامرأة . وكانوا إذا أقبلت العير ، استقبلوها بالطبل والمزامير والكبر والتصفيق . فلما نظر رسول الله الى المصلين وقد انفضوا من حوله ، عنفهم ووبخهم ، ونزل في حقهم ما نزل في الآية من ترك البيع حالة صلاة الجمعة^١ .

ويتبين من كتب الحديث ان الصحابة كانوا يتعاطون التجارة ، ويتكسبون في الأسواق ، وقد كانوا نشطين جداً في ذلك ، وكان أهل مكة أكثر نشاطاً من أهل المدينة في هذا الباب ، فلا يكاد بعضهم يصل المدينة مهاجراً من مكة حتى يسأل عن السوق ، ويبحث عن رزق ، فذهب بعضهم الى سوق بني قينقاع ، وهي من أسواق يهود ، فنجحوا فيها وحصلوا على ربح ومال أعالوا به أنفسهم . وقد كان في جملة ما أجاب به أبو هريرة ، وقد قيل فيه : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ، وان المهاجرين والأنصار لا يتحدثون عنه بمثل حديث أبي هريرة : « إن اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق الأسواق ، وكنت ألزم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على ملء بطني ، فأشهد اذا غابوا ، واحفظ اذا نسوا ، وكان يشغل اخوتي من الأنصار عمل أموالهم ، وكنت امرءاً مسكيناً من مساكين الصفقة أعي حين ينسون^٢ » . فالأنصار كانوا أصحاب زرع وأموال ، والمهاجرون كانوا أصحاب تجارات .

وكانوا اذا التهوا في السوق وانصرفوا في التجارة ونسوا أمورهم الأخرى ، قالوا ألهانا الصفق بالأسواق ، يعني الخروج الى تجارة وبيع وشراء . وقد أدى

١ سورة الجمعة ، الآية ٩ وما بعدها ، تفسير الطبري (٦٦/٢٨ وما بعدها) . تفسير النيسابوري (٦٨/٢٨ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، تفسير ابن كثير (٣٦٦/٤ وما بعدها) ، الواحدي ، أسباب النزول (٣٢٠) ، مسند الامام أبي حنيفة (٧٣ وما بعدها) ، ارشاد الساري (١٢/٤ وما بعدها) ، اثار السنن (٨٨/٢) ، تيسير الوصول (١٨٢/١) .

٢ صحيح البخاري (٥٢/٣ وما بعدها) ، (كتاب البيوع) ، عمدة القاري (١٦١/١١ وما بعدها) ، ارشاد الساري (١٥/٤ وما بعدها) .

انصرف بعض الصحابة الى السوق وتعلقهم بالتجارة الى انفضاضهم أحياناً عن الرسول وهم حوله ، فورد في الحديث : « بينا نحن نصلي مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبلت من الشام عير تحمل طعاماً فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلا اثنا عشر رجلاً ، فتزلت : وإذا رأوا تجارة أو هواً انفضوا اليها وتركوك قائماً »^١ .

وكان (العباس بن عبد المطلب) من أغنياء قريش ، ومن المقرضين للمال بفضل يأخذه من المدين يضعه على رأس ماله . وقد بقي على ماله وثرائه في الاسلام كذلك . وكان الرسول قد أبطل ربا العباس في أول ما أبطل من ربا في الاسلام . وكان العباس يتاجر كذلك ، له محل يتاجر فيه ، ويستقبل التجار الغرباء . وقد ذكر أن (عفيف الكندي) كان في جملة من تاجر معه في الجاهلية ، وقد جاء اليه ليبتاع منه بعض التجارة^٢ .

ولما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين ، آخى بين (عبد الرحمن بن عوف) ، وهو من المهاجرين ، وبين (سعد بن الربيع) ، وهو من أكثر الأنصار مالاً ، فقال (سعد بن الربيع) : « أقاسمك مالي نصفين وأزوجك » . قال (عبد الرحمن) : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلّوني على السوق . فدلّوه على سوق قينقاع ، فعدا اليه ، ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جمع مالاً من تعامله بالسوق وصار من الثريين^٣ .

وقد كان (عبد الرحمن) تاجراً بمكة قبل هجرته الى يثرب ، وصاحب مال . فلعل الرسول أراد من مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، أن يساعد المهاجرون الأنصار وأن يتعاونوا معاً ، كما كان شأن عبد الرحمن وسعد بن الربيع ، وهما من أصحاب الخبرة والتجربة في العمل ، فيفيدوا بذلك الإسلام بما يحصلون عليه من مال .

وقد ذكر أهل الأخبار ، أن عبد الرحمن ، تصدق على عهد رسول الله ، بشطر ماله ، ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار ، ثم حمل خمسمائة فرس في سبيل

١ البخاري (٥٥/٣) ، ارشاد الساري (١٤/٤ وما بعدها ، ٥٥) .

٢ الاصابة (٤٨٠/٢) ، (رقم ٥٥٨٨) .

٣ ارشاد الساري (٤/٤ وما بعدها) .

الله وخمسمائة راحلة ، وكان أكثر ماله من التجارة . وذكروا أنه أعتق ثلاثين ألف نسمة وأنه أوصى لكل من شهد بدرًا بأربعمائة دينار ، فكانوا مائة رجلًا . وذكروا أنه كان تاجرًا مجدودًا في التجارة ، وكسب مالا كثيرًا ، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحًا فكان يدخل منه قوت أهله سنة . وذكروا أنه صالح امرأته التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثمانين ألفًا ، وقيل عن ربع الثمن من ميراثه . ورووا أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا . وأنه كان يقول : « قد خشيت أن يهلكني كثرة مالي . أنا أكثر قریش كلهم مالا » ٢ .

وكان (أبو بكر) تاجرًا معروفًا بالتجارة بمكة قبل الاسلام. ولقد بعث النبي وعنده أربعون ألف درهم ، ولما أسلم كان يعتق منها ويعول المسلمين ، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ٣ .

وكان (طلحة بن عبيد الله بن عثمان) القرشي التيمي ، من تجار مكة ، ولما قدم المدينة مهاجرًا ، أخذ يتاجر مع (الشام) ، وذكر انه اشترى مالا ب (بيسان) ، وان غلته تبلغ ألفًا وافيًا كل يوم . والوافي في وزنه وزن الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم الفرس التي تعرف بالبغلية . وقد ساهم في حرب الجمل ، التي وقعت سنة ست وثلاثين ٤ .

والزبير من رعييل التجار كذلك ، وكان تاجرًا مجدودًا في التجارة ، كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج ٥ ، وله أرضون واسعة وأموال طائلة .

تجار يثرب :

ولم يشتهر أهل (يثرب) في كتب أهل الأخبار بالتجارة ، وانما اشتهروا فيها بالزراعة ، ولا سيما بزراعة النخيل . ولكننا نجد ان من بينهم من كان يتاجر مع

-
- ١ الاصابة (٤٠٨/٢) ، (رقم ٥١٨١) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٨٥/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٣٣٣/٢) ، (رقم ٤٨١٧) .
 - ٤ الاستيعاب (٢١٠/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الاستيعاب (٥٦٣/١) ، (حاشية على الاصابة) .

بلاد الشام واليمن ، وله أموال شغلها في التجارة ، كما ان من بينهم من كان يعطي فضل ماله بالرأيا للمحتاج الى المال ، وكان منهم من حصل على مال كثير فابتنى له (الأطم) و (الحصون) ليحصن نفسه وماله بها . ولما هاجر المهاجرون اليها ، تعاطم شأن التجارة بها ، إذ أخذ المهاجرون والأنصار يتاجرون مع الشام ، فيبيعون ويشتررون ويستوردون التجارة الى المدينة ، بقوافل تأتي محملة بالزيوت وبتجارة الشام اليها . حتى أمر الرسول باتخاذ سوق بها ، يتاجر فيه التاجر دون ان يدفع خراجاً ، بقوله : هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه . فرفع عن تجار يثرب ما كان يدفعه تجار الأسواق الأخرى من خراج الأعشار .

ويظهر من دراسة وتشريح كتب التفسير والحديث والسير والأخبار ، أنه قد كان بين أهل (يثرب) وأهل مكة فروق في أصول التعامل التجاري ، فوزن أهل يثرب يختلف عن وزن أهل مكة ، وكيلهم يختلف عن كيلهم أيضاً ، وتعاملهم في السوق يختلف بعض الاختلاف عن تعامل أهل مكة . ثم هم فوق ذلك يختلفون عن أهل مكة في أنهم أصحاب زرع ، وأهل مكة أصحاب تجارة ، ولما جاء الرسول الى المدينة ، وجد لهم معاملات تخص أكثرها الزراعة لم تكن معروفة بمكة ، فسألهم عنها ، وحدد لهم موقف الإسلام منها .

وسبب هذا الاختلاف ، هو اختلاف طبيعة المكانين . فمكة بلد غير ذي زرع فقلّ عندهم التعامل الزراعي ، لعدم احتياجهم اليه . أما (يثرب) ، فبلد زراعة عيشة أهله على الزراعة واستغلال الأرض ، لذلك صار أكثر تعاملهم بأعمال تتعلق بالزراعة وباستغلال الأرض ، وبالاشتراك والتعاون في استغلال الملك الفاضل على حاجات صاحبه ، فظهرت عندهم أعراف زراعية ، لم تعرف بمكة . وكانت عندهم بعض حرف ، لم تشتهر بمكة . ومن هنا راعى التشريع الإسلامي في التجارة أعراف أهل مكة فيها ، وراعى في التشريع الزراعي وفي الحرف . أعراف أهل يثرب في الاثنين .

واقتصاد يثرب اقتصاد زراعي ، الانتاج فيه انتاج زراعي ، ثم حيواني، عماد الانتاج فيه الثمر والخضر ، أما اقتصاد مكة ، فهو اقتصاد تجاري عماده التجارة القائمة على أساس شراء السلع من الأسواق ونقلها الى مكة ، وتصريفها من هناك

على أهل مكة ومن حولهم ، ونقل الفائض الى الأسواق الموسمية وأسواق العراق وبلاد الشام والعربية الجنوبية . فهو اقتصاد لا يعتمد على الانتاج المحلي ولا على حرف محلية ، إنما يقوم على أساس شراء المنتجات الأجنبية من مصادرها بأسعار أعلى ، للحصول على الأرباح عن طريق الفرق بين السعيرين : سعر الشراء وسعر البيع ، أو عن ثمن التوسط في معاملات البيع والشراء .

ويظهر ان أهل يثرب لم يكونوا قد أقبلوا على الزراعة اقبالاً كافياً ، وان الأرض لم تكن قد استغلت استغلالاً جيداً ، لهذا نجد الرسول بعد هجرته الى هذه المدينة يحث المسلمين على الاقبال على الزراعة وعلى العمل بها ، وعلى استغلال الأرض ، لأن فيها قوت المسلمين ، فأراد بذلك سد النقص الذي كان يجابه أهل المدينة وغيرها في الحبوب وفي أقواتهم الأخرى ، وهذا مما أدى الى احياء بعض أرضها في أيامه ، أحياء أهل يثرب وأحياء بعض المهاجرين .

وكان بعض تجار مكة يمرون بيثرب في طريقهم من مكة الى بلاد الشام ، وفي عودتهم منها الى مكة . ولما خرج (هاشم) في غير لقريش فيها تجارات ، كان طريقه على المدينة ، ثم نزل بسوق النبط ، وهي سوق تقوم بها في السنة نحشدون لها ، يبيعون ويشترُونَ^١ . وهي سوق يظهر أنها كانت تقام في موسم معين من السنة ، فيتجمع فيها التجار للبيع والشراء . ولما خرج (عبدالله) والد الرسول الى الشام الى غزة في غير من عيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا ، مروا بالمدينة ، وبها توفي فدفن هناك ، في دار النابغة ، وهو رجل من بني عدي بن النجار^٢ .

وقد كان الأنباط يتاجرون مع المدينة ، يأتون اليها بـ (الدرملك) ، وهو الدقيق الحواري ، وهو دقيق أبيض ، وبالزيت . وكانوا يأتون اليهم بأخبار الروم^٣ . ولعلهم كانوا يتاجرون في موضع معين من أسواق يثرب ، فعرف لذلك بسوق النبط . وقد نافست (يثرب) مكة في التجارة بعد هجرة الرسول اليها ، إذ أخذ المهاجرون يتاجرون منها مع بلاد الشام والعراق ، وصارت القوافل ترد اليها محملة

١ ابن سعد ، طبقات (٧٨/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٩٩/١) .

٣ امتاع الاسماع (٤٤٥/١) وما بعدها .

بيضائع بلاد الشام ، وأخذ الأنصار والمهاجرون يتاجرون معاً في الأسواق ، وقد تضخمت هذه التجارة بعد فتح مكة، ودخول القبائل في الإسلام ووصول الصدقات الى بيت المال في المدينة ، فتحسن حال أهل المدينة وصار لهم رأس مال مكنهم من تشغيله في التجارة وفي الزراعة ، فاستغلوا أرض يثرب بزرعها زروعاً مختلفة، ثم استغلوا أموالهم هذه في الخارج بعد الفتوح .

وقد نشأت يثرب وتوسعت لوجود الماء بها ، وهذا الماء هو الذي صيرها مستوطنة زراعية ، كما صير غيرها من المستوطنات العديدة التي تقع في شمالها وتمتد حتى تصل في فلسطين مستوطنات زراعية منتجة ذات بساين ومزارع يعتمد في زرعها على العيون والآبار . وكان عماد حاصلها التمر . وقد أحاطت يثرب هالة من (الحوائط) المغروسة بالنخيل ، غرسها سادات يثرب ، فصارت من أهم موارد رزقهم ، وقد زرعوا بعض الخضر والبقول تحت النخيل ، لسد حاجتهم وبيع الفائض منه في الأسواق . ولكبار الملاكين فيها (أطم) يعيشون فيها ويخزنون بها ميراثهم وحاصلهم ، ويحتمون بها عند الخطر . وأما سواد الناس، فلهم بيوتهم، وبعضها بيوت ذات طابقين . ولم تكن المدينة مسورة ولا محاطة بخندق على ما يظهر من روايات أهل الأخبار ، بل كانت مدينة مكشوفة ، إذا داهمها خطر ، قام أهلها بسد منافذ طرقها ، وبالدفاع عنها من السطوح ، وبمقاومته في الأزقة .

وأرض يثرب أرض خصبة كان من الممكن زرعها لو أقبل أهلها على الزراعة، ولكنهم لم يقبلوا عليها اقبالاً تاماً ، بل قام المتمكنون منهم بغرس الأرضين الغنية بالماء ، والأرضين التي كان الماء فيها قريباً من سطح الأرض بحفر الآبار بها ، وتركوا الأرضين الأخرى مواتاً لم تزرع . وشغلوا الموالي والرقائق في الزراعة ، ولو أجهدوا أنفسهم في استصلاح التربة وفي استنباط الماء ، وحبس مياه السيول ، لأحيوا بذلك أرضين واسعة . بدليل ان بعض المهاجرين ممن كانت عندهم رغبة في الزراعة وأموالاً ، عملوا في استصلاح أرضين مواتاً حتى أحيوها ، وصارت تأتي اليهم بغلات وافرة .

ومن أثرياء يثرب (أحيحة بن الجلاح) ، وهو من سادة الأوس^١ . وهو

١ تاج العروس (١١٩/٢) ، (أح) .

من أصحاب الأرض ، وكان شقيقاً في قومه ، مات قبل الاسلام . وكانت تحته (سلمى بنت عمرو الخزرجية) ، وتزوج (سلمى) بعده (هاشم بن عبد مناف) فولدت له (عبد المطلب) جد النبي^١ .

وسعد بن عباد بن دليم ، سيد الخزرج ، هو من أغنياء يثرب ومن أصحاب الأطم فيها . وكان سيداً كريماً مضيافاً ، جفنته تدور مع النبي في بيوت أزواجه وكان يأخذ كل ليلة جماعة من أهل الصفة يعيشهم ، وكان أهل الحاجة يذهبون الى أطمه ينالون الشحم واللحم^٢ .

والطائف مصيف أهل مكة ومتمونها من الفواكه والزبيب والعسل والخضر . وقد اشترى أغنياء قريش بها الأملاك والبساتين وشاركوا أهل الطائف في التجارة . وهي بلاد (ثقيف) . وثقيف من المتحضرين الشطين الأذكاء . وللطائف قرى ، أولها (لقيم) ، وآخرها (الوهط) . وكان اسمها القديم (وج) . ويذكر أهل الأخبار ، أن (الطائف) كانت في الأصل قرية بالشأم ، أو قطعة من الجنة التي كانت لأصحاب الصريم ، أو باليمن بنواحي صنعاء ، فنقلت بدعوة (ابراهيم) الى الحجاز ، لتكون مصيفاً وجنة لأهل مكة . وكانت بغير سور ، فلما جاء (الصدف بن الدمون) من حضرموت الى (وج) ، وكان قد أصاب دماً في قومه ، لحق بثقيف وأقام بها ، وأقام لهم طوفاً أطاف بوج ، فسميت بالطائف منذ ذلك الوقت . ومنهم من يزعم ، أنها إنما سميت بذلك لأن (جبريل) لما نقلها من موضعها ، طاف بها بالبيت سبعاً ، ثم وضعها بموضعها ، فعرفت بالطائف^٣ .

وكان أهل الطائف مزارعين ، عاشوا على الزراعة ، واتخذوها تجارة لهم . زراعة الكروم والفواكه والحبوب . وكسبوا من ذلك مالا ، وكان منهم من اشتغل بدبغ الجلود ، وبيع (الأدم) أي الجلود المدبوغة أو تصديرها الى الخارج ، ومنهم من تاجر ، وساهم مع تجار مكة في تجارتهم . فتجمع من كل ذلك رأس مال شغله أصحابه في الربا ، فكانوا يقرضون المال لمن يحتاج اليه من أهل الطائف ومن غيرهم ، لوجود ما فائض عندهم .

١ الاصابة (٣٧/١ وما بعدها) ، (رقم ٥٥) ، المحبر (٤٥٦) .

٢ الاصابة (٢٧/٢ وما بعدها) ، (رقم ٣١٧٣) .

٣ تاج العروس (١٨٤/٦) ، (طوف) .

ووجد التجار في كل مكان وجدت فيه أسواق و سلع وتجارة من بلاد العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، لم تكن تخلو منهم مدينة من المدن أو قرية كبيرة . فسوق الفلج كان سوقاً لبني نزار واليمن^١ . وب (العوسجة) وهي معدن ، تجار^٢ ، من الجائر ان يكونوا قد تجمعوا في هذا المكان للتجار بالمعدن الذي يستخرج منه ، فكانوا يتعاطون الاتجار بالمعادن .

١ الصفة (١٦٠) .

٢ بلاد العرب (٣٦٨) .

الفصل الثاني بعد المئة

القوافل

وتنقل التجارة البرية بطرق القوافل ، وذلك لضمان حماية الأموال والتجارة والأرواح . و (القافلة) ، الرفقة القفال والمبتدأة في السفر^١ . وذكر علماء اللغة أن (القافلة) العير كذلك . وذكر بعض منهم أن (العير) الإبل التي تحمل الميرة ، أو كل ما امتير عليه إبلًا كانت أو حميرًا أو بغلاً^٢ . وقد أطلق أهل السير والتأريخ ومن تحدث عن وقعة بدر : لفظة (العير) على قافلة قریش التي كان يرأسها (أبو سفيان) ، كما أطلق بعضهم (ركبان قریش) على من كان مع (أبي سفيان) من تجار قریش ، معهم أموالهم وتجارته من بلاد الشام^٣ . ونجد كتب السير والتواريخ تطلق لفظة العير على قوافل قریش بغير حصر ، مهما كان حملها . فلما تحدثوا عن سرية (حمزة) إلى العيص استعملوا لفظة (عير) لقریش ، واستعملوا هذه اللفظة في مناسبات أخرى ، مما يدل على أنهم أرادوا بها قافلة ، أي جماعة من جماعات السفر ، مهما كان حملها .

والركبان والركب : ركاب الإبل . وقال بعض علماء اللغة : الركب : ركبان

١ تاج العروس (٨/ ٨٣) ، (قفل) .

٢ تاج العروس (٣/ ٤٣٣) ، (عير) ، تفسير الطبري (١٣/ ١١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٠ وما بعدها) ، اللسان (٤/ ٦٢٤) ، (عير) .

٣ الطبري (٢/ ٤٢١) ، (ذكر وقعة بدر الكبرى) .

الإبل في السفر دون الدواب ، وهم العشرة فصاعداً ، وذكر ان من الجائز استعمال (الركب) للخيول وللجيش^١ .

و (القيروان) الجماعة من الخيل. والقفل ، جمع قافلة . وهو معرب (كاروان). وقد تكلمت به العرب . قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان كأن أسراها الرعال^٢

وورد في الحديث انهم كانوا يترصدون عيرات قريش ، أي لإبلهم ودوابهم التي كانوا يتاجرون عليها^٣ .

ويقال للغير التي تحمل الطيب : (اللطيمة) . وذكر ان اللطيمة الغير التي تحمل الطيب وبز التجارة^٤ . فاللطيمة ، قافلة تحمل تجارة نفيسة الى الأسواق. وقد كان ملوك الحيرة يرسلون لطائهم الى الأسواق ، لتتاجر بالطيب ، ومنهم (النعمان بن المنذر) ، وكان يبعث الى (سوق عكاظ) في وقتها بلطيمة يجيئها له سيد مضر ، فتبتاع وتشترى له بثمنها الأدم والحرير والوكاء والمغراء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني^٥ .

ويقال لقافلة الإبل التي تخرج ليجاء عليها بالطعام ، (ركابا) حين تخرج ، وبعد ما تحيى . وتسمى غيراً على هاتين المنزلتين . والتي يسافر عليها الى مكة أيضاً ركاب تحمل عليها المحامل ، والتي يكترون ويحملون عليها متاع التجار وطعامهم كلها ركاب ، ولا تسمى غيراً ، وإن كان عليها طعام ، اذا كانت مؤاجرة بكرى . وليس الغير التي تأتي أهلها بالطعام ، ولكنها ركاب . يقال : هذه ركاب بني فلان . ويقال زيت ركابي ، لأنه يحمل من الشام على ظهور الإبل^٦ . وذكر ان العسجدية : ركاب الملوك التي تحمل الدق من المتاع^٧ . فهي غير

١ تاج العروس (٢٧٦/١) ، (ركب) .

٢ تاج العروس (٣٠٩/٩) ، (قرن) .

٣ اللسان (٦٢٤/٤) ، (غير) .

٤ تاج العروس (٦٠/٩) ، (لطم) ، اللسان (٥٤٣/١٢) ، (لطم) .

٥ الاغانى (٧٥/١٩) ، شرح ديوان لبيد (٤٨) ، الامثال للميداني (٣٤/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٥٩/١) وما بعدها .

٦ تاج العروس (٢٧٧/١) ، (ركب) ، ارشاد الساري (٧٤/٤) .

٧ تاج العروس (٦٠/١) ، (لطم) .

اذن تحمل متاعاً ثميناً، كالذهب والجوهر . وذكر ان العسجدية الإبل تحمل الذهب، وهي ركاب الملوك التي تحمل الدق الكثير الثمن ، والسوق يكون فيها العسجد ، وهو الذهب ، وركاب الملوك ، وهي إبل ، كانت تزين للنعمان بن المنذر^١ .

و (السابلة) (الواطئة) ، وهم المارة . سموا بذلك لوطنهم الطريق^٢ . وهم الذين يسلكون الطرق . والسابلة من الطرق المسبولة ، المسلوكة ، وابن السبيل ، هو ابن الطريق ، والذي قطع عليه الطريق ، والمنقطع^٣ .

ويسمى كل طريق يكثر الاختلاف عليه محجة ، ويسمى الطريق المدروس (الأيتار المليكى) ، ويسمى الطريق الضيق الحبل شركاً ، وحبال الطريق أيتاره . وطريق جادة ، أي محدودة بالوطء ، وقارعة الطريق ، في معنى مقروعة ، والريع الطريق^٤ .

وكلمة كانت الأموال ثمينة وكثيرة ، كانت القافلة كبيرة . يحرسها عدد كبير من الحراس لحمايتها من لصوص الطرق وقطاع السبل الذين كانوا يعيشون على السلب والنهب . ونقل التجارة بالقوافل طريقة عالمية قديمة، أشير إليها في الكتابات، وفي الكتب المقدسة .

ولم يكن من السهل على التجار في ذلك الزمن التوسع في تجارتهم والمجازفة بالمتاجرة مع أماكن أخرى بعيدة . فالتاجر محتاج الى حماية حياته وأمواله ، ولم تكن الحماية ممكنة إلاّ في ظل حكومة مدنية قوية ، تحمي أبنائها وكل من يفسد على أرضها وعلى الأرض الخاضعة لها من اعتداء المعتدين .

لهذا صار لزماً على التجار الالتجاء الى نظام القوافل ، ولا سيما القوافل القوية الكبيرة معتمدة على حماية نفسها بنفسها أولاً ، ثم على حماية الحكومة ثانياً . وقد عمدت في الدرجة الأولى الى استرضاء سادات القبائل ، وذلك لتأمين حمايتهم في المناطق التي تمرّ بها القافلة وللبذل العون والمساعدة لها بتقديم حرق مرور للرؤساء وهدايا وعطايا مناسبة وعقد عقود ومواثيق ، وإلا تعرضت أموال القافلة للأخطار.

-
- ١ تاج العروس (٤٢٢/٢) ، (العسجد) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٥/١) ، (وطاء) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩٦/٧) ، (سبل) .
 - ٤ الصفة (١٨٣) .

ولطول الطرق وبُعد المسافات ، كان على القوافل استرضاء كبار سادات القبائل للحصول على حمايتهم. ومعنى هذا دفع اتاوات لهم ، وتحميل المشتريين تلك الاتاوات. وهذا مما زاد في الأسعار وجعل الأثمان عالية ، وقد أضر ذلك بالتجارة العربية ولا شك ، كما أضر بالمنتجين الذين كانوا يبيعون انتاجهم اليسير وأكثره مواد خام يتعيشون عليها بأسعار بخسة لسد رمقهم في هذه الحياة .

وقد عمد تجار مكة - كما ذكرت ذلك في مواضع من هذا الكتاب - الى أساليب مختلفة في استرضاء سادة القبائل الذين تمر بأرضهم قوافلهم، منها استرضاءهم بالمال ، وإشراكهم معهم في رأس المال ، بتقديم ما عندهم من سلع يتوسطون لهم يبيعها في الأسواق ، أو بشراء ما يريدون شراءه من تلك الأسواق وتقديمه لهم ، ومنها التصاهر معهم ، ودعوتهم لزيارة مكة وتقديم الهدايا لهم ، ثم ضبط كل ذلك بعقود (الإبلاف) ، التي وضعت قواعد وأصول وحقوق مرور قوافل مكة وقوافل تجارها الخاصة في كل الأيام والمواسم بأمن وسلام ، في مقابل تعهدات وعقود عينت بعقود الإبلاف .

وكان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتخفر بقريش ما داموا في بلاد مضر . « لأن مضر لم تكن تعرض لتجار مضر ، ولا يهيجهم حليف لمضري . كان ذلك بينهم . فكانت كلب لا تهيجهم لحلفهم بني تميم، وطيء أيضاً لا تهيجهم لحلفهم بني أسد . وكانت مضر تقول : قضت عنا قریش مذمة ما أورثنا اسماعيل من الدين . فإذا أخذوا طريق العراق ، تخفروا ببني عمرو بن مرثد ، من بني قيس بن ثعلبة ، فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها »^١. وهكذا تمكنت قریش من تأمين مصالحها التجارية بعقد الأحلاف مع سادات القبائل، وصار تجارها ينتقلون في مختلف أنحاء جزيرة العرب بحرية وأمان .

والجمال هي واسطة النقل في جزيرة العرب ، هي قطار القوم وسياراتهم في ذلك العهد. وليس في استطاعة حيوان آخر القيام بمثل تلك المشاق من قطع المسافات البعيدة في أماكن لا ماء فيها إلا في مواضع متباعدة وفي أماكن يتغلب عليها الجذب والشطف . كان على ذلك الحيوان ان يتحمل ثقل ما يوضع على ظهره، وان يسير به مسافات طويلة ، ثم عليه ان يتحمل العطش والجوع . ولولا الخواص الجسمية

التي امتاز بها عما عداه من الحيوانات ، لما كان في امكانه احتمال هذه المشقات ولعجز عنها حتماً . وقد أشير في التوراة الى قوافل الإبل الضخمة التي كانت تأتي من جزيرة العرب الى بلاد الشام ، وهي حملة بالبضائع الثمينة النفيسة لتبيعها هناك^١ .

ولا تحتاج الإبل الى شرب الماء كل يوم ، لذلك غدت الحيوان المثالي الملائم لحياة الأعرابي وللبادية . والجمل صبور على الجوع وفي استطاعته مكافحة جوعه بأكل العوسج والنباتات التي تنبت في البادية . وللعرب أسماء في اظاء الإبل . ومنها (الخمس) أن ترد الإبل الماء يوماً فتشربه ، ثم ترعى ثلاثة أيام ، ثم ترد الماء اليوم الخامس ، فيحسبون اليوم الأول والآخر اليومين اللذين شربت فيهما . وقيل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع^٢ . ومن الأظاء (الغب) ، وذلك أن ترد الإبل يوماً وتصدر ، فتكون في المرعى يوماً ، وترد اليوم الثالث . وما بين شربتيهما ظمأ طال أو قصر^٣ . وعرف (الغب) أنه ورد يوم وظمى آخر . وقيل : هو ليوم وليلتين ، وقيل هو أن ترعى يوماً وترد من الغد^٤ . ومن أمثال العرب المتعلقة بهذا الموضوع : يضرب أخماساً لأسداس ، أي يسعى في المكر والخديعة . وأصله من اظاء الإبل ، فقد كان الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عود إبله أن تشرب خمساً سدساً ، حتى إذا دفعت في السير صبرت ، ثم ضرب مثلاً للذي يراوغ صاحبه ويريه أنه يطيعه ، وقيل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره ، أو الذي يقدم الأمر يريد به غيره ، فيأتيه من أوله ، فيعمل رويداً رويداً^٥ .

وإذ كانت هذه القوافل في حياة القوم على جانب من الخطورة ، كما كانت المصدر المهم من مصادر الثروة ، وضعها أصحابها في حماية آلتهم ، واتخذ بعضهم إلهاً خاصاً واجبه حماية القافلة وإيصالها سالمة الى المحل المقصود . وقد عرف الإله (شيع هـ - قوم) (شيع القوم) ، بأنه إله القوافل ، الساهر على حمايتها

١ الملوك ، الأول ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢ ، اشعيا ، الاصحاح ٦٠ ، الآية ٦ ، Hastings, p. 946.

٢ تاج العروس (٤/١٤٠) ، (خمس) .
٣ تاج العروس (١/٩٣) ، (ظمى) .
٤ تاج العروس (١/٤٠٣) ، (غب) .
٥ تاج العروس (٤/١٤٠) ، (خمس) .

وحماية أصحابها التجار . وعرف الإلآه (أبو إيلاف) (ايلف) (ايلاف) ، بأنه إله القوافل والتجار وأرباب القوافل كذلك . وكان أصحاب القوافل يقدمون الى آلهتهم الذور والقرابين بعد انتهاء رحلة القافلة ، برأ بنذرهم لها ، وتقرباً اليها ، كي تستمر في بذل حمايتها لهذه القوافل ورعايتها لها ، كما كانوا يأتون الى المعابد والمعجات فيطوفون بها ، ويقصدون أصنامهم فينحرون عندها شكراً وتقرباً اليها لما أنعمت عليهم من نعم الحماية والربح الوافر الذي كسبوه في رحلاتهم هذه . وفي الذي يذكره أهل الأخبار عن طواف رؤساء قوافل مكة بالكعبة قبل بدئهم الرحلة وبعد انتهائهم منها ، الكفاية للدلالة على أهمية هذه الرحلات التجارية في نفوس القوم .

والغالب ان تعهد حراسة القوافل منذ يوم مغادرتها مكانها الى حراس أشداء أقوياء يحملون سلاحهم معهم ، لمقاومة المعتدين . أما رئاسة القافلة، فلا تعطى إلا للمعروفين بشجاعتهم وبقوتهم وببأسهم وبالخيل وبمعرفتهم للطرق ، ولأهل البيوتات والجاه العريض والسمعة بين القبائل . فرييس القافلة وكبيرها ، هو دماغها المفكر وقلبها النابض ، وعلى حركاته وأعماله يتوقف مصير القافلة ومصير الأموال الثمينة التي توضع تحت يديه ، فإذا أظهر الرئيس جبناً أو عدم مقدرة في قيادة القافلة وفي الدفاع عنها ، حين تعرضها للخطر ، فقد تقع فريسة سهلة بأيدي لصصوص الطرق ، وتنتهب أموالها ، فتكون هذه النتيجة طامة كبرى للمساهمين في أموال القافلة .

ولأهمية قادة القوافل المذكورة ، عملت لهم تماثيل لتخليد ذكراهم ، وكرموا في الكتابات . وقد عثر على عدد من هذه التماثيل والكتابات في مدينة (تدمر) . وحمل الكثير منهم ألقاب الشرف التي كانت لا تمنح إلا لمن يؤدي خدمات ممتازة للمدينة في ذلك العهد ، ووصل بعضهم الى درجة عضو في مجلس المدينة الحاكم . وقد نال بقية قادة القوافل مثل هذا الاحترام من أصحابهم . ولقب قائد القافلة في الكتابات الجاهلية بـ (زعيم القافلة) وبـ (زعيم السوق)^١ .

حتى رؤساء الحكومات مثل كسرى وملوك الحيرة ، كانوا لا يسلمون زمام قوافلهم إلا للأشداء المعروفين من الرجال . كانوا يتاجرون في الأسواق يشتررون

١ . Cooke, North — Semitic, pp. 274-279.

ويبيعون ، فإذا أقبل الموسم أرسلوا قافلتهم الى السوق برئاسة رجل مشهور معروف بالشجاعة لا يهاب الموت ليوصلها الى السوق المقصود أو المكان المراد وصول البضاعة اليه ، ذلك لأن مجال حكمهم أو نفوذهم ، لا يصل الى الأنحاء البعيدة ، فاضطروا الى استئجار الشجعان المعروفين بقيادتهم للقوافل ، لحماية تجارتهم وأموالهم من اعتداءات المعتدين .

وتعتمد القوافل على الأدلاء الخبراء بطرق البوادي لإيصالها الى أهدافها بأمن وسلام وبأقصر الطرق، ولتجنبها أخطار الأعداء وشر قطاع الطرق ، عند شعورها بوجود خطر عليها إذا ما سلكت الطريق العام ، أو طريقها السذي قررت السير به نحو المكان الذي تريده . فلما أبلغ جواسيس (أبو سفيان) أن النبي قد خرج يترصده نحو (بدر) ، أسرع فاستعان بالأدلاء فأنحاز عن بدر ، وساحل ، وتخلص بعلم أدلائه وعلمه بالطرق من وقوعه ووقوع قافلته بأيدي المسلمين . والى الدليل والأدلاء أشير في قول الشاعر :

شدوا المطيَّ على دليل دائب من أهل كاظمة بسيف الأجر^١

وقد استعان قادة الجيش وأمراء السرايا والغارات بالأدلاء أيضاً ، لإرشادهم الى المواضع التي كانوا يقصدونها، وكان الرسول يستعين بالأدلاء ، ويسأل الخبراء أصحاب العلم بطرق البادية حين يغزو ، أو حين يرسل سراياه على قوم . وفي غزوة (بدر معونة) كان (المطلب السلمي) دليلها على الطريق^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ، ان (قريش بن بدر بن يخلد بن النضر) ، كان دليل (بني كنانة) في تجارتهم ، فكان يقال : (قدمت غير قريش) ، فسميت قريش بذلك . وأبوه (بدر) صاحب (بدر) الموضع الذي لقي فيه رسول الله قريشاً^٣ . فقريش بن بدر ، اذن هو على هذه الرواية ، هو أول دليل يصل إلينا خبره من أدلاء قوافل قريش، وهو مؤسس تجارتها .

ولا بد للقوافل من منازل تنزل بها لتستريح ولتريح دوابها من التعب ولتتمون

١ تاج العروس (٣٢٥/٧) ، (دل) .

٢ الاصابة (٤٠٥/٣) ، (رقم ٨٠٣٢) .

٣ كتاب نسب قريش (١٢) .

بالماء وبالزاد إن احتاجت إليه . ونظراً الى بطء الحيوان في سيره وعدم تمكنه من السير مسافات طويلة دون توقف وراحة ، كانت (منازل) ذلك الوقت غير متباعدة . ويقال للمكان الذي تنزل به القوافل : (المنزل) . والمنزل : المنهل والدار^١ ، وهو في معنى (الحان) ، و (الحان) لفظة معربة معناها المنزل والحانوت^٢ . وقد اشتهرت اللفظة في الاسلام ، وأطلقت على منازل المسافرين في الطرق وفي القرى والمدن ، وتعني المنزل المخصص لتزول المسافر ، وهو منزل يكون كبيراً في الغالب ، يستريح فيه المسافر ، تاجر كان ، أو غير تاجر، ويضع فيه مطاياه .

وأما (الفندق) ، فبمعنى المنزل الذي ينزل به التجار والمسافرون ، وهي من الألفاظ المعربة عن اليونانية من أصل Pandhokiyon^٣ . وقد استعملها عرب بلاد الشام . ويظهر انها من الألفاظ التي شاع استعمالها في الاسلام . وقد ذكر بعض علماء العربية ، ان الفندق بلغة أهل الشام الحان والسبيل من هذه الحانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن ، وهو فارسي^٤ .

ولم تكن منازل أهل الجاهلية منازل مبنية بالضرورة؛ فقد كان المسافرون يضربون لهم خياماً يأوون إليها ، أو يلجأون الى ظل مثل شجرة ، يحتضون به من أشعة الشمس ، وقد يفتشون الأرض وينامون جنب لجنب ، وكل ما يلزم في المنزل أن يوجد به ماء . فالماء هو اكسير الحياة بالنسبة للمسافر ، وهو أهم لهم من الطعام ، فطعامهم في ذلك الوقت طعام قليل بسيط ، تمرات مع لبن ، أو سويق، وما شاكل ذلك ، ثم هم لا يأكلون كثيراً ولا يقيمون لوجبات الطعام وزناً ، وقد يكتفي أحدهم بأكلة واحدة من هذه الأكالات الجافة التي يحملها ، وقد يقتاتون بما يجدونه من نابت في طريقهم من ثمر شجر بري أو بقل أو أعشاب ، ولهذا ، صارت المنازل على مواضع الماء .

ولم تكن الأبعاد بين هذه المنازل متساوية ، بل كانت مختلفة ، تتوقف أبعادها على الماء . فإذا وجد الماء في مواضع متقاربة ، قامت عليها مستوطنات متقاربة ،

-
- ١ تاج العروس (١٣٤/٨) ، (نزل) .
 - ٢ تاج العروس (١٩٤/٩) ، (خان) .
 - ٣ غرائب اللغة (٣٦٣) .
 - ٤ تاج العروس (٥١/٧) ، (الفندق) .

وصارت المسافات فيما بينها غير بعيدة ، وإذا كان الماء بعيداً ، صارت المنازل متباعدة ، وقد لا يهتم الماء القوافل إذا كانت مزودة به ، وكل ما تلاحظه في سفرها هو تعب الانسان ومقدار تحمل دابته مشقة السفر والبعد ، ولهذا كانوا يقطعون طرقهم بمراحل ، و (المرحلة) المنزل بين المنزلين ، يقال بيني وبين كذا مرحلة أو مرحلتان^١ . فهم يقطعون طرقهم على قدر طاقتهم ومقدار تحمل لإبلهم على السير . وقد علمتهم تجاربهم مقدار ما يقطعون ، فإذا شعروا بالتعب وبتعب دوابهم ، نزلوا منزلاً ، قد يكون مأهولاً به ماء ، وقد يكون خالياً في عراء ، للاستراحة به ، فإذا ارتاحوا استمروا في سيرهم نحو جهتهم المقصودة .

و (الفرسخ) في تفسير علماء العربية الراحة ، و (فرسخ) الطريق هو ثلاثة أميال هاشمية ، أو ستة ، أو اثنا عشر ألف ذراع ، أو عشرة آلاف ذراع ، سمي بذلك لأن صاحبه اذا مشى قعد واستراح من ذلك ، كأنه سكن . واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية . وقيل : الفرسخ الساعة من النهار^٢ .

و (الميل) مقياس تقاس به الأبعاد ، يقال قطع كذا ميلاً . وهو منار بيني للمسافر في أنشاز الأرض ، ومنه الأميال التي في طريق مكة ، وهي الأعلام المبنية لهداية المسافرين^٣ .

ونظراً الى وجود إمارات وعشائر وقبائل عديدة تمر بأرضها القوافل ، فقد كان على أصحاب القوافل وأرباب المال إرضاء هؤلاء المتنفذين بإعطاء إتاوات مرور لهم ، وهدايا لحمايتهم وللسماح لهم بالمرور ، على نحو ما تفعله حكومات هذا اليوم من استيفاء حق المرور (ترانزيت) (ترانست) عن التجارة والسيارات . فإذا تحرش بهم متحرش ، وحاول قطاع الطرق الاعتداء عليهم ، كان من واجب سيد القبيلة والرئيس المتنفذ في تلك الأرض تعقب المعتدين وتأديبهم وإعادة ما استولوا عليه الى أصحابه . وبهذه الطريقة أمنت القوافل على أموالها ، وأخذت تقطع البوادي والطرق البعيدة الطويلة ، وهي في حى هؤلاء المتنفذين .

١ تاج العروس (٣٤١/٧) وما بعدها) ، (رحل) .
٢ تاج العروس (٢٧٢/٢) ، (الفرسخ) .
٣ تاج العروس (١٢٣/٨) ، (ميل) .

وقد كان الملوك وسادات القبائل والمتنفذون الذين تمر قوافل التجارة بمناطق نفوذهم ، أو السذين تقع الأسواق في أرضهم أو في مناطق نفوذهم ، يشتطون في الإتاوة ، ويشندون في جباية المكس ، ويبالغون في رفع حق المرور والحقوق الأخرى المكتسبة بالعرف والعادة أو بقانون القوة والكيف ، فيؤذون بذلك التجار والتجارة ويضطرون التجار الى رفع أسعار البيع ، للحصول على أرباح لهم ، فتضررت التجارة بذلك ضرراً كبيراً ، وقلَّ الاقبال على شراء السلع المستوردة من جزيرة العرب إلا ما كان ضرورياً ، ولا مناص من شرائها ، وارتفع على المشتري سعر المواد المستوردة ، واضطر التجار الى التحكم في أسعار الشراء من الأسواق المحلية في جزيرة العرب ، بشرائها بأسعار متهاودة لضمان تصريفها في الأسواق الخارجية وفي كل هذه الأحوال ضرر عام للبائع والمشتري وللمستهلك وللاقتصاد العربي بوجه عام .

وقد كانت القوافل تقصد الأماكن التي تريد البيع والشراء فيها في مواسم معينة في الغالب ، وذلك لاجتماع التجار فيها ، وهذا مما يهيئ للتاجر أكبر عدد ممكن من التجار ، كما كان التجار يقصدون الأسواق المؤقتة التي تقام في الأعياد وفي المناسبات الدينية لبيع ما عندهم من بضاعة ولشراء ما يأتي به الناس من أموال ، ولم يكن ذلك خاصاً بجزيرة العرب ، فقد كان العبرانيون وغيرهم من بقية الشعوب السامية يفعلونه أيضاً . ونرى ان الأسواق التي كانت تقام في جزيرة العرب ، كانت تقام في مواسم معينة تقع في الأشهر الحرم ، وذلك لضمان مرور التجار بأمان ، فلا يتحرج بهم إلا مستهتر طريد، والغالب ان سادات القبائل التي تحرج المستهترون بالقافلة التي مرت بأرضهم ينتقمون بأنفسهم منهم .

وقد كان الجاهليون يضعون أعلاماً على الطريق ليهتدي بها، يقال لها (الصوى) و (الثوة) . ويقول علماء اللغة إن الصوى : الأعلام المنصوبة من الحجارة في المفازة المجهولة يستدل بها على الطرق . والثوة كالصوة ، وربما نصبت فوقها الحجارة ليهتدي بها ، وإن العوة كالصوة التي هي العلم . وفي الحديث : « ان للاسلام صوى ومنازراً كمنار الطريق »^١ وذكر أن (الصوة) ، حجر يكون علامة في الطريق^٢ .

١ المخصص (٨١/١٠) ، اللسان (١٢٧/١٤) ، « صادر » .

٢ تاج العروس (٢١٥/١٠) ، (الصوة) .

وذكر أن (الثوة) حجارة ترفع فتكون علماً بالليل للراعي إذا رجع ، وأخفض علم يكون بقدر قعدتك ، وارتفاع وغلظ وربما نصبت فوقها الحجارة ليهتدى بها^١. والمنار : العلم يجعل للطريق أو الحدة للأرضين والعلامة التي توضع على الحدود لتوضح معالمها^٢. وقد كان أهل العربية الجنوبية يضعون علامات على الطرق لتشير الى معالمها ، فلا يضل عنها من يسلكها من الرجال والقوافل . وقيل في الإسلام للأعلام المبنية في طريق مكة أميال لأنها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل الى الميل ، وكل ثلاثة أميال منها فرسخ^٣. والمنار محجة الطريق ، قال الشاعر :

لعلك في مناسمها منار الى عدنان واضحة السبيل^٤

والعلامة ، شيء منصوب في الطريق يهتدى به . ويقال لما يبنى في جواد^٥ الطريق من المنازل يستدل بها على الأرض أعلام . والأعلام الحدود . والمعلم ، ما يستدل به على الطريق من الأثر^٦. فقد كان من الصعب حتى على خبراء البادية الاهتداء الى الطرق بدون وضع علامات تشير اليها .

والنعامة المفازة ، وقيل علم من أعلام المفاز يهتدى به^٦. و (المنقل) ، الثنية في الجبل وكل طريق في الجبل ثقيل ، في لغة أهل اليمن^٧.

والآجام علامات وأبنية يهتدى بها في الصحاري . و (الوجم) ، حجارة مركومة بعضها فوق بعض على رؤوس القور والآكام ، وهي أغلظ وأطول في السماء من الأروم . وحجارتها عظام ، لا يحركها الانسان ولو اجتمع جمع منهم بصعوبة ، ينسبها الناس الى صنعة عاد^٨. و (الآرام) الأعلام تنصب في المفاز

-
- ١ تاج العروس (١٠/٦٤) ، (ثوى) .
 - ٢ اللسان (٥/٢٤٠ وما بعدها) .
 - ٣ اللسان (١١/٦٣٩) .
 - ٤ تاج العروس (٣/٥٨٨) ، (نور) .
 - ٥ تاج العروس (٨/٤٠٦) ، (علم) .
 - ٦ تاج العروس (٩/٧٩) ، (نعم) .
 - ٧ تاج العروس (٨/١٤٥) ، (نقل) .
 - ٨ قال رؤبة :

وهامة كالصمد بين الاصماد أو وجم العادي بين الاجماد
تاج العروس (٩/٨٩) ، (وجم) .

يهتدى بها ، أو خاص بعاد ، أي بأعلامهم ، و (الأروم) الأعلام في المفاوز .
وكان من عادة الجاهلية ، أنهم اذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه
تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى اذا عادوا أخذوه . وقيل قبور عاد^١ .

وقد كان الجاهليون قد مهدوا الطرق وكسوا بعضها بمادة قوية مثل (الاسمنت)
ووضعوا عليها العلامات . وقد أطلق العرب لفظة (العود) على الطريق القديم
العادي^٢ .

وسن الطريق سنّاً اذا ساره ، ويقال ترك سنن الطريق ، أي جهته^٣ . وقد
كان القادة يتنكبون عن سنن الطريق ، لئلا يغتوا العدو ، أو ليتجنبوا تعقبهم لهم .
وقد كان لرؤساء القوافل علم بالأبعاد والمسافات وبالأماكن التي يجب النزول
بها والتمون منها بالماء والطعام . ونجد في كتب أهل الأخبار أخباراً بأسماء منازل
القوافل وبأبعادها وقد استقيت من أفواه رجال القوافل في الجاهلية . كما نجد ان
للأعراب دراية مدهشة بمواضع الماء وبالطرق مع مرورها في بوادي يصعب السير
فيها ، وقد ورثوا علمهم هذا عن أسلافهم ومن تجاربهم الخاصة التي تعلموها من
كثرة أسفارهم وتنقلاتهم .

وقد كان التجار وأصحاب القوافل يقطعون أسفارهم بمراحل ، ينزلون في كل
مرحلة بمنزل يستريحون فيه ويموتون أنفسهم بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعبرون
عن المسافات التي تقطعها القافلة بين منزل ومنزل آخر بـ (مسيرة) ، فيقولون
(مسيرة يوم) أو (مسيرة نهار) وما شابه ذلك . كما عرفوا الأبعاد بالفرسخ
والميل^٤ . و (النزول) المنزل ، وما هيء للضيف ان ينزل عليه . ومنه منازل الطريق^٥ .

وتراعى القوافل في سيرها الى أهدافها الأخذ بأقصر الطرق الآمنة المطمئنة التي
تتوفر فيها المياه ، وقد تعدل من سيرها فتسلك طرقاً بعيدة أو وعرة إذا أحست
بعُدو يتربص لها في الطريق المسلوك ، أو بلبصوص ظهروا فيها ، أو بقوم يريدون
الاستيلاء على قافلتهن ، كالذي فعله (أبو سفيان) مقله من الشام يريد مكة ،

-
- ١ تاج العروس (١٨٤/٨) ، (ارم) .
 - ٢ تاج العروس (٤٣٧/٢) ، (عود) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٢/٩) وما بعدها ، (سن) .
 - ٤ اللسان (٦٣٩/١١) ، « صادر » .
 - ٥ تاج العروس (١٢٣/٨) ، (نزل) .

حيث بدل طريقه ، فحوّله عن (بدر) ، وساحل ، فأضاع بذلك الفرصة على المسلمين ووصل سالماً بقافلته الى مكة .

قوافل الميرة :

وقد يجتمع نفر للذهاب الى سوق للامتيار منه ، وقد يذهب أصحاب البيوت الى الأسواق ليمير أهلهم بما يحتاجون اليه من طعام ولباس ، وكان (الأعشى) المازني الشاعر في جملة من يمتار من سوق (هجر) . وقد خرج مرة يمتار في شهر (رجب) ، من (هجر) فهربت امرأته بعده ناشزة عليه ، فعادت برجل منهم يقال له (مطرف بن نهصل) ، فلما قدم الأعشى أخبر أنها نشزت ، وأنها عاذت بـ (مطرف) فأتاه ، فقال له : يا ابن عم عندك امرأتي معاذة فادفعها اليّ فامتنع مطرف ، وكان أعزّ منه ، فخرج حتى أتى النبي فعاذ به وأنشده شعراً ، فكتب الرسول الى (مطرف) أن يدفع زوجة الأعشى اليه ، فدفعها اليه^١ .

وقد استغل بعض الناس هذه الطرق للتعيش منها ، فعمل على حفر آبار بها ، وعلى تهيئة ما يمكن تهيئته من وسائل الراحة للمسافرين ، لينزلوا بها وليخففوا بذلك عنهم عناء السفر . وليتزودوا بالماء الطيب العذب . فنشأت عشرات المنازل ، التي أراحت المسافرين وأصحاب القوافل ، وجعلتهم في مأمن من الجوع والعطش وإمكانية التيه في البوادي والقفار . كما حفظت لهم حياتهم وأموالهم بضمان أصحاب تلك المنازل للمسافرين حياتهم وأموالهم من تحرش أحد بهم ما داموا في جوارهم وفي حماهم ، وضمان قبائلهم لهم حق الحماية والجوار ، والقيام معهم بمعاينة على المسافرين وبتنتهك حرمة الجوار .

وقد صارت الطرق مورداً من موارد العيش لمن لا عيش له ولا رزق من الصعاليك والذؤبان . فتجمعوا ، وكوّنوا عصابات أخذت تربص بالقوافل ، حتى اذا جاءت قافلة انقضت عليها وسلبتها ، ثم فرت بما غنمته الى مواضع نائية قصية

١ الاصابة (٢/٢٦٧) ، (رقم ٤٥٣٥) ، الاستيعاب (٢/٢٥٦) ، (حاشية على الاصابة) .

بعيدة عن أي حكم ، لتعيش على ما غنمته . وقد عرف هؤلاء بـ (لصوص الطرق) . وكان المطرود من قبيلته ومن غضب أهله عليه فنفوه عنهم وتبرأوا منه ، والعبيد الآبقون ، يتجمعون في المواضع الحصينة ، وفي المراقي الصعبة التي تشرف على الطرق ، ويهاجمون منها المارة والسابلة والقوافل . ولما ظهر الاسلام ، كان قوم من هؤلاء جماعهم من كنانة ، ومزينة ، والحكم ، والقارة ، ومن اتبعهم من العبيد ، قد اعتصموا في (جبل تهامة) ، وأذوا الناس ، فكتب لهم رسول الله ، انهم إن آمنوا وأسلموا ، فعبدهم حر ، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه ، أو مال أخذوه ، فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان^١ .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .

الفصل الثالث بعد المئة

طرق الجاهليين

لا أملك نصاً جاهلياً فيه أخبار عن الطرق التي كان يسلكها الجاهليون في تنقلاتهم من مكان الى مكان ، لأغراض خاصة ، أو للرعي أو للتجارة ، وما سأذكره عن الطرق مأخوذ من الموارد الإسلامية فقط . وهي موارد تعرضت لموضوع (المسالك) والطرق التي كان يسلكها الحجاج والمسافرون والتجار في أيام الخلافة ، داخل أرض الخلافة وخارجها . وعلى رأس هذه الموارد كتب (المسالك والممالك) ، وبقية كتب (الجغرافيا) والسياحات ووصف جزيرة العرب ففي هذه الموارد وصف للمسالك والطرق ولسكك البريد التي كانت في بلاد العرب وهي وإن كانت طرقاً إسلامية ، إلا أنها بنيت على الطرق الجاهلية القديمة في الأغلب، وما فعله المسلمون ، هو أنهم اختصروا بعضاً منها ، أو أقاموا مستوطنات جديدة عليها ، أو حفروا آباراً بين منازلها التي كانت متباعدة ، بدليل أن المنازل والمواضع الجاهلية التي ترد أسماؤها في الشعر الجاهلي ترد كذلك في وصف الإسلاميين لطرق جزيرة العرب على النحو الوارد في ذلك الشعر ، أو في أخبار أيام العرب أو في كتب السير والتواريخ .

ولهذا فيكون اعتمادي في وصف طرق القوافل عند أهل الجاهلية ، على هذه الموارد الإسلامية ، مع العلم بأن بعض المسالك الجاهلية ، قد ماتت وذهب أثرها ، وان بعضاً منها بقي على حاله ، وان بعضاً من الطرق المسلوكة في الوقت الحاضر ، والتي مهدت وعمرت تعميراً حديثاً بالوسائل الفنية المعروفة في هذا اليوم، هي طرق

جاهلية قديمة ، كانت مسلوكة قبل الاسلام . وهي طرق طبيعية كانت مسلوكة لوجود الماء فيها في مواضع متقاربة ، وقد أقيمت عندها مستوطنات ، وبقيت على حالها ، لم تذهب فائدتها ، ولم تتغير مواضع الاستيطان فيها ، لذلك صارت السبل التي تسلك بين أجزاء جزيرة العرب الى هذا اليوم .

ومما يؤسف له كثيراً ، هو ان الموارد الاسلامية التي تحدثت عن غزوات الرسول وسراياه وعن الوفود التي قصده من مختلف أنحاء جزيرة العرب ، والعمال والرسول الذين أرسلهم الرسول الى سادات القبائل أو لجمع الصدقات ، ثم عن حروب الردة وعن عمال الخلفاء على أقاليم جزيرة العرب، سكنت عن ذكر الطرق التي سلكت والمنازل التي نزلت ، ولم تفصل في ذكر المنازل والمراحل، فأضاعت علينا بذلك معرفة الطرق الجاهلية التي كان يسلكها الجاهليون في تجارتهم وفي أسفارهم ، ثم ان الذين بحثوا في الاسلام عن المسالك والطرق ، وذكروا المنازل مع أبعادها بالأميال أو بالفراسخ ، أو بالمراحل ، لم يهتموا بالإشارة الى ذكر تواريخ هذه الطرق أو المنازل والى أصلها ، هل هي جاهلية أم هي اسلامية ، أم معدلة ، ولمثل هذه الملاحظات التي أهملوها أهمية كبيرة بالنسبة للبحث بالطبع.

وسأبدأ بالطرق التي سلكها أهل الجاهلية فيما بين العراق وبلاد الشام . وقد كان منهم من يحاذي الفرات ، حتى لا يبتعد عن الماء والغذاء وأهل الحضر ، ثم يسلك الطرق الشمالية التي مهدها الروم ، لدخول بلاد الشام ، وهي في أيدي الروم في الغالب ، غير ان الفرس استولوا عليها في بعض الأحيان ، ونظراً الى ما لهذه الطرق من الأهمية من الناحية الاقتصادية والعسكرية ، فقد تشدد الروم في مراقبة القوافل التي تقصد بلاد الشام ، أو تخرج منها للذهاب الى العراق، وتصعبوا في السماح لها وللتجار بالمرور .

ومن التجار من كان يخرج من الحيرة الى بلاد الشام، فيسلك طريق (القطقطانة)، وهو موضع سبق أن تحدثت عنه في أثناء كلامي على نهاية الملك (النعمان بن المنذر) ، إذ جاء في رواية أن (كسرى) أمر به فسجن به . وهو موضع غير بعيد عن الكوفة من جهة البرية بالطف^١ . ثم يسلك الطريق الى (البقعة) ،

١ البلدان (١٢٥/٧) ، الاغانى (٢٨/٢) ، تاج العروس (٢٠٩/٥) ، (فقطط) ،
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٦٨/٣) .

ثم الى (الأبيض) ، ثم الى (الحوشي) ، ثم الى (الجمع) ، ثم الى (الخطي) ،
ثم الى (الجبة) ، ثم الى (القلوني) ، ثم الى (الأعناك) ، ثم الى (أذرعان) ،
ثم الى (دمشق) ^١ .

وطريق آخر سلكه الناس من العراق الى بلاد الشام يبدأ من (عين النمر) ،
وهو موضع تحدثت عنه في مواضع من هذا الكتاب ، ويتجه نحو (الأخمدية) ،
ثم الى (الخفية) ، ثم الى (الخلط) ، ثم الى (سوى) ، ثم الى (الأجيفر) ،
ثم الى (الغربة) ، ثم الى (بصرى) ^٢ .

وقد سبق لي أن تحدثت عن بصرى في مواضع من هذا الكتاب . وهي المدينة
التي وصل اليها الرسول مع عمه (أبي طالب) ، وبها كان (بحيرا) الراهب
على ما جاء في كتب السير، واليها كان يقصد تجار مكة ، حيث يتاجرون بأسواقها.
وبها قبر (بحيرا) ، وهو يزار ^٣ .

وأما طرق العربية الشرقية مع العراق ، فقد كان من الجاهليين من يسلك الطرق
المائية فيتجه نحو سواحل الخليج عن طريق الأبله ، فيحاذي الساحل ، ومنهم من
كان يتجه الى الشرق نحو جزر الخليج ، ثم يتجه منها الى ساحل (عمان) ،
ومنهم من كان يسلك طرق البر . وقد ذكر (ابن خردادبه) ، ان الطريق من
البصرة الى عمان على الساحل ، يمر الى (عبادان) ، ثم الى (الحدوثة) ، ثم
الى (عرفجا) ، ثم الى (الزابوقة) ، ثم الى (المقر) ، ثم الى (عصى) ،
ثم الى (المعرس) ، ثم الى (خليجة) ، ثم الى (حسان) ، ثم الى (القرى)
(القرنتين) ، ثم الى (مسلحة) (مسلحة) ، ثم الى (حمص) ، ثم الى
ساحل (هجر) ، ثم الى (العقير) ، ثم الى (قطر) ، ثم الى (السبخة) ،
ثم الى (عمان) ^٤ .

ومن الطرق المهمة التي تربط اليمامة بجنوب العراق ، طريق يأخذ من الأبله
(البصرة) ، ثم يتجه نحو (كاظمة) ، ثم الى منازل ثلاثة لم يذكر أسماءها
(ابن خردادبه) ، ثم الى (القرعاء) ، ثم الى (طخفة) ، ثم الى (الصمان) ،

-
- ١ ابن خردادبه ، المسالك والممالك (٩٩) ، (وسيكون رمزه: المسالك) .
 - ٢ المسالك (٩٧) .
 - ٣ صبح الاعشى (١٠٨/٤) .
 - ٤ المسالك (٦٠) ، قرامة (١٩٣) ، صبح الاعشى (٥٧/٥) .

ثم منازل ثلاثة لم يشر الى اسمها (ابن خرداذبه) ، ومنها الى (جب التراب) ، ثم الى منزلين آخرين ، ومنها الى (سليمة) ، ثم الى (النبك) ، ومنه الى (اليامة)^١ . ويتفق وصف هذا الطريق ، وأسماء المواضع مع ما ذكره (قدامة بن جعفر) في كتابه (الخراج) سوى ان (ابن خرداذبه) ، يبدأ بالبصرة ، ثم ينتهي باليامة ، أما (قدامة) ، فيبدأ باليامة وينتهي بالبصرة .

ونجد في كتاب بلاد العرب ، للحسن بن عبدالله الاصفهاني وصفاً لطريق آخر يتجه من (حجر) اليامة حتى ينتهي بالبصرة ، ذكر فيه أسماء المواضع ووصف الأرض والمياه ، وينتهي طريقه بـ (سفوان) ، (صفوان) ، المعروف اليوم في العراق . وقد ذكر (كاظمة) ، وذكر أنها على ساحل البحر ، وبها حصن وتجار ودور مبنية ، ثم ذكر أسماء مواضع تقع بينها وبين (سفوان)^٢ . ولما كانت البصرة اسلامية ، بنيت في زمن (عمر) ، فإن الجاهليين ، كانوا يسافرون من (الأبله) التي حلت البصرة محلها الى جزيرة العرب .

ويبدأ هذا الطريق بالحرملية ، وهو ماء في قف في شعبة عليه نخلات ، ثم تركب القف ، فتأخذ على واد يقال له (ذو جراف) ، فتجزيه عرضاً ، ثم تنتهي الى (المديدان) ، ثم تجزى (الحرملية) ثم وادي (بنبان) حتى تصل (سويس) ، ثم (البديع) ، ثم (الطنب) ، ثم (الجرداء) ، وهي روضة تشرب من وادي جراف . ثم (الراح) . فإذا جزته وقعت في العرمة ، ثم تحترق وادي حرج حتى تنتهي الى (الجرباء) وعلى يسار الجرباء في العرمة ماء يقال له (الرداغ) ، فإذا فصلت من العرمة من حيال الجرباء صرت الى واد يقال له (مجمع الأودية) ثم تصير الى (ذات الرتال) . ثم تنتهي الى (الحفر) ، حفر سعد ، ثم تفوز الى (الدهناء) ، فتصل (خشاخش) فتقع في معبر ، فتعبر جبال الدهناء ، فتصل الى أبرق يقال له (القنفذ) ، ثم تستقبل (الصمان) ، فتمضي فيه حتى تنتهي الى (المعاء) ، ثم ترد (طويلعا) ، وهو وسط الطريق بين حجر وبين البصرة . وهو موضع فيه ماء وفيه تجار ، وحصن يتحصنون به من اللصوص^٣ .

-
- ١ المسالك (١٥١) ، كتاب الخراج ، لقدامة (١٩٣) ، (نبذ طبعت مع المسالك) .
 - ٢ بلاد العرب (٣٠١-٣٢٤) .
 - ٣ بلاد العرب (٣٠١-٣١٤) .

ثم تجوز (طويلاً) الى وادٍ يقال له (الشيط) ، فإذا انحدرت من عقبة الشيط تأتي (الوريعة) ، فإذا جُزته ، تأتي (الدو) . فإذا فصلت في (الدو) صرت الى (كفة العرفج) ، وفي منقطع (الدو) حين تجوزه وادٍ يقال له (وادي السيدان) ، وعلى الطريق ماء (النحيحة) ، تخرج منه الى (تباس) ، وقريب منه ثمد يقال له (الفارسي) ، ثم تجوز ثمد أخرى حتى تصل (المخارم) ، فتَهبط (كاظمة) . ثم تخرج من (كاظمة) الى (النجفة) ، ثم تمضي الى (الصليفل) (الصليب) ، ثم تهبط الى (أيرمي) (أيرمي الركبان) ، وهو علم مبني من حجارة للطريق ، وهو شبه شخص لإنسان . ثم تصل (الخزيز) ، ثم تهبط (سفوان) ، ثم تخرج حتى تهبط (الأحواض) ، وهو ماء للسانية، ثم تصل البصرة ^١ .

وهناك طريق يوصل (حجراً) بالكوفة ، يبدأ بالحبل ، وهو ماء في ناحية القف ، لرعاية اليامة ، ثم تخرج منه فتُرد القف ، ثم تمضي حتى ترد (البالدية) ، فإذا خرجت منها وردت ماءً يقال له (الغميم) ، ثم ترد وادياً يقال له (العتك) ، ثم (مبايض) ، ثم تجوزه الى (تعشار) ، ف (مويه) ، ثم (تلعة) ، ثم (السقيا) ، ثم تجوز الدهناء ، فتعلو قفاً يوصلك الى (المجازة) وهي من طريق مكة الذي يأخذ عليه البصريون ، عليه المنار من بطن فلج . وهي منهل ، ثم تجوزها فتقع في (اللوى) ثم تصير الى (لينة) ، وهي ماء كبيرة ، ثم تسير فتُرد (زباله) ، وهي سوق من أسواق طريق الكوفة المؤدي الى مكة . فإذا خرجت من (زباله) وردت (القاع) ، ثم تخرج منه الى (العقبة) ثم ترد (الشقوق) ، ثم (واقصة) ، ثم (العذيب) ^٢ .

ويذكر علماء اللغة ان العرب أطلقت (القعقاع) على الطريق من اليامة الى الكوفة ، وذكر بعضهم الى مكة ^٣ .

وكان بين أهل (الحيرة) وبين أهل مكة اتصال تجاري وثيق ، بل واتصال ثقافي أيضاً ، فنها حل الخط العربي الى مكة على رواية أهل الأخبار . وكان

١ بلاد العرب (٣٠١-٣٢٤) .

٢ بلاد العرب (٣٢٧-٣٣٥) .

٣ تاج العروس (٤٧٧/٥) ، (قع) .

التجار يرحلون منها الى (القادسية) ، وهو موضع معروف سبق ان تحدثت عنه ، وبه كانت وقعة القادسية ^١ . ومنه الى (العذيب) ، وهو مسلحة بين العرب وفارس في حد البرية ، وبها حائطان متصلان من القادسية الى العذيب ومن الجانبين كليهما نخل ^٢ ، وبالعذيب أحساء ، غزير الماء ، يخرج الماء خريراً من قوة اندفاعه على ما يفهم من شعر ورد على لسان بعض الضبيين ^٣ . ويخرج الانسان من العذيب فيدخل المفازة ، ويكون بنجد حتى يبلغ موضع (ذات عرق) ^٤ . والعذيب ين القادسية ومغيثة ، وفي الحديث ذكر العذيب . وهو ماء لبني تميم . وهو طرف أرض العرب ^٥ .

ويتجه الطريق من (العذيب) الى المغيثة ، وفيها برك ^٦ . وماؤها ماء السماء ، ثم يتجه الى (وادي السباع) ، ثم الى (القرعاء) ^٧ ، وفيه آبار ، ثم الى (واقصة) ^٨ ، ثم الى (العقبة) ، وبها آبار ^٩ ، ثم الى (القاع) ، ومن (القاع) الى (زباله) ، ومن (زباله) الى (الشقوق) ، ومن (الشقوق) الى (البطان) ، وهو قبر العبادي ^{١٠} : ثم الى (الثعلبية) ، وهو ثلث الطريق

-
- ١ المحبر (١٤ ، ٢٦١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢) .
 - ٢ المسالك (١٨٥) ، بلاد العرب (٣٣٤ ، ٣٣٧) ، تاج العروس (١ / ٣٧٠) ، (عذب) ، المفصل (٢٢٥ / ٤) وما بعدها .
 - ٣ المحبر (٢٤٨) .
 - ٤ المسالك (١٢٥) .
 - ٥ تاج العروس (١ / ٣٧٠) ، (عذب) .
 - ٦ المسالك (١٢٥ - ١٢٨) ، قدامة (١٨٦) ، بلاد العرب (٣٣٥) .
 - ٧ المسالك (١٢٦) ، قدامة (١٨٦) ، بلاد العرب (٢٩٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥) ، تاج العروس (٥ / ٤٦٣) ، (قرع) .
 - ٨ المسالك (١٢٦) ، قدامة (١٨٦) ، بلاد العرب (٣٣٥ ، ٣٣٤) ، تاج العروس (٤ / ٤٤٥) ، (وقص) .
 - ٩ المسالك (١٢٦) ، قدامة (١٨٦) ، بلاد العرب (٣٣٥ ، ٣٣٤) .
 - ١٠ « البطان » ، « البطانية » ، ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) ، المسالك (١٢٦) ، قدامة (١٨٦) ، ويطان بين الشقوق والثعلبية في طريق الكوفة . وأنشد نصر :
أقول لصاحبي من الناسي وقد بلغت نفوسهم الحلوقا
إذا بلغ المطي بنا بطاناً وجزنا الثعلبية والشقوقا
وخلفنا زباله ثم رحنا فقد وأبيك خلفنا الطريقا
تاج العروس (٩ / ١٤٢) ، (بطن) .

فيها برك^١ ، ثم الى (الخزيمة) ، وهي مدينة سميت (خزيمة) لأن خزيمة صير فيها سواني ، وكانت تسمى (زرود)^٢ ، ثم الى (الأجفر)^٣ ، ثم الى (فيد) ، وهي نصف الطريق ، وبها منزل العامل في الاسلام . وبها أسواق وقناة وزروع ، وبرك وآبار وعيون جارية ، وقد عظم شأنها في الاسلام ، ذكر أن بها حصناً ، عليه باب حديد وعليها سور دائر ، وكان الحجاج يودعون فيها فواضل أزوادهم الى حين رجوعهم وما ثقل من أمتعتهم ، وهي قرب (أجأ) و (سلمى) جبلي طيء . وقد ذكرت في شعر (زهير بن أبي سلمى) ، إذ قال :

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك^٤

وتقع في فلاة في الأرض بين أسد وطيء ، اقطعها الرسول الى (زيد الخيل)^٥ . ثم الى (توز) ، فيها برك وآبار وحصن بناه (أبو دلف)^٦ . ثم الى (سميراء)^٧ ، ثم الحاجر^٨ . فعدن القرشي ، وهو (معدن النقرة)^٩ . وعنده تفرق الطريق ، فمن أراد مكة نزل (المغيرة) ، ومن أراد (المدينة) أخذ نحو العسيلة فهبطها . وهو منزل حاج العراق بين (اضاخ) و (ماوان) . وفيه بركة وثلاثة آبار ، يثر تعرف بالمهدي ، وبثران تعرفان بالرشيد وآبار صغار للأعراب تنزح عند كثرة الناس وماؤهن عذب^{١٠} .

فمن أخذ على المدينة ، فمن المعدن الى العسيلة ، ثم الى بطن نخل ، ثم الى

١. المسالك (١٢٧) ، قدامة (١٨٦) ، « الثعلبية بطريق بكة حرسها الله تعالى على جادتها من الكوفة حتى منازل أسد بن خزيمة » ، تاج (١٦٥/١) ، (ثعلب) .
٢. قدامة (١٨٦) ، المسالك (١٢٧) ، (والخزيمية ، منزلة للحاج بين الاجفر والثعلبية) تاج العروس (٢٧٥/٨) ، (خزم) .
٣. المسالك (١٢٧) ، قدامة (١٨٦) ، تاج العروس (١٠٦/٣) ، (جفر) .
٤. المسالك (١٢٧) ، قدامة (١٨٦) .
٥. تاج العروس (٤٥٧/٢) ، (فيد) .
٦. المسالك (١٢٧) ، قدامة (١٨٦) ، تاج العروس (١٢/٤) ، (توز) .
٧. يا رب جار لك بالحزين بين سميراء وبين توز
٨. تاج العروس (٢٧٨/٣) ، (سمر) .
٩. تاج العروس (١٢٦/٣) ، (حجر) .
١٠. المسالك (١٢٧) ، قدامة (١٨٦) .
١٠. تاج العروس (٥٨٢/٣) ، (نقر) .

الطرق ، ثم الى المدينة ^١ . وهي (يثرب) . وذكر بعض أهل الأخبار ان (مرزبان البادية) كان قد عيّن على المدينة في الجاهلية عاملاً يجبي خراجها ، وكانت قريظة والنضير ملوكاً ملكوها على المدينة على الأوس والخزرج ، وفي ذلك يقول شاعر الأنصار :

تؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير^٢

ومن المدينة الى (السبالة) ، ومنها الى (الروحاء) ، ثم الى (الرويثة) ، ومنها الى (العرج) ، ثم الى (السقيا) ، ثم الى (الأبواء) ، ثم (الجحفة) ، ثم الى (قديد) ، ثم الى (عسفان) ، ثم الى (مر الظهران) ، ثم الى مكة ^٣ .

ومن أراد (مكة) قصد (مغيثة الماوان)^٤ ، ومن (مغيثة) الى (الربذة) وماؤها كثير . واليهها هاجر (أبو ذر) الغفاري ، وبها مدفنه . وقد خربت سنة (٣١٩) للهجرة بالتمرامطة^٥ . ومن الربذة الى معدن بني سليم ، ومن معدن بني سليم الى العمق ، ومنه الى (أفاعية)^٦ (الأفيعية) الى (المسلح) ، ثم الى (الغمرة) ، ومنه يعدل الى اليمن ، ومن الغمرة الى (ذات عرق) ، ومنه يقع الاحرام^٧ ، ثم الى (أوطاس) ، ثم الى بستان بني عامر (بستان ابن عامر) ، ثم غمر ذي كندة ، ثم مشاش ، ثم مكة^٨ .

ويلاحظ أن هذا الطريق هو من أقصر الطرق المؤدية من (الحيرة) الى (المدينة)، وهو يمر بجبلي (طيء) ، أي (جبل ثمر) في الوقت الحاضر . ويمر على (حائل) بجبلي طيء ، وهو مدينة في الوقت الحاضر ورد ذكرها في شعر (امرئ القيس) إذ يقول :

-
- ١ المسالك (١٢٨) ، قدامة (١٨٧) .
 - ٢ المسالك (١٢٨) .
 - ٣ الصفة (١٨٤ وما بعدها) .
 - ٤ قدامة (١٨٦) ، (بين معدن النقرة والعمق عند ماوان) ، تاج العروس (١/٦٣٧) ، (غوث) .
 - ٥ تاج العروس (٥٦٢/٢) ، (ربذ) .
 - ٦ تاج العروس (٢٨٢/١٠) ، (فعا) .
 - ٧ قدامة (١٨٦) .
 - ٨ المسالك (١٣٢) .

يا دار ماوية بالحائل فالفرد فالجبتين من عاقل^١

وبجبل (سلمى) مدينة اسمها (أرك) ، عرفت بمدينة (سلمى) ، وأصحابها من (طيء) : وقد انحاز إليها (خالد بن الوليد) ، لما أرسله (أبو بكر) من (ذي القصة) لمحاربة المرتدين^٢ . وقد نزل (خالد) بأجأ ، ثم تعباً للملاقاة (طليحة الأسدي) ، فالتقى به على (بزاحة)^٣ .

ويسلك هذا الطريق في الوقت الحاضر الحجاج الذين يقصدون الحج عن طريق النجف بالسيارات .

و (الربذة) من القرى القديمة في الجاهلية ، وهي عن المدينة من جهة الشرق على طريق حاج العراق على نحو ثلاثة أيام سميت بـ (خرقة الصائغ) ، بها مدفن (أبي ذر)^٤ .

ومعدن بني سليم ، هو لبني سليم ، الذين غزاهم الرسول غزوة (قرارة الكدر) ، ويقال : « قرقرة بني سليم وغطفان » ، لما بلغه ان بقرارة الكدر جمعاً من غطفان وسليم يريد الكيد للمسلمين^٥ . و (الكدر) مائة لبني سليم في ديار غطفان ناحية المعدن^٦ . وإلى هذا الموضع أيضاً وصل الرسول في غزوته المعروفة بغزوة السويق ، وسببها ان (أبا سفيان) نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، انتقاماً لبدر ، فسلك النجدية حتى نزل بصدور قناة الى جبل يقال له (تيت) ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج الى (بني النضير) ، ثم خرج فأرسل رجالاتاً من قريش الى ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، فحرقوا في أصوار من نخل لها ، وقتلوا رجلين ، ثم انصرفوا راجعين ، فخرج رسول الله في طلبهم حتى بلغ (قرقرة الكدر) ، فوجد ان (أبا سفيان) قد فاته وأصحابه ، وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويتخفون ، وكان

-
- ١ تاج العروس (٢٩٥/٧) ، (حول) .
 - ٢ الطبري (٢٥٤/٣) وما بعدها ، تاج العروس (١٠١/٧) ، (أرك) .
 - ٣ الطبري (٢٥٥/٣) ، تاج العروس (٢٥٣/٢) ، (بزخ) .
 - ٤ ابن رسته (١٧٩) ، تاج العروس (٥٦٢/٢) ، (ربن) .
 - ٥ امتاع الاسماع (١٠٧/١) .
 - ٦ تاج العروس (٥١٨/٣) ، (كدر) ، (٤٩٠/٣) وما بعدها ، (قرر) ، الطبري (٤٨٢/٢) .

ذلك عامة زادهم ، فلذلك سميت غزوة السويق^١ .

وقد غزا الرسول (بني سليم) مرة أخرى فسار عليهم حتى بلغ موضع (بحران) معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فلما لم يجد أحداً منهم ، وكانوا قد تفرقوا رجع عنهم . ويظهر ان قريشاً كانوا قد جاءوا اليهم ، واتفقوا معهم على مهاجمة المدينة ، بدليل ما ورد في خبر هذه الحملة من انه « غزا يريد قريشاً وبني سليم »^٢ .

و (بحران) موضع بناحية الفرع من الحجاز ، به معدن للحجاج بن علاط البهري^٣ . و (الفرع) بالحجاز ، من أضخم أعراض المدينة^٤ .

وهذا الطريق هو الطريق الذي كان أهل مكة في الجاهلية يسلكونه الى العراق . ولما خافت قريش طريقها الذي كانت تسلك الى الشام حين كان من وقعة (بدر) ما كان ، قررت سلوك طريق العراق ، أي هذا الطريق ، واستأجرت لها دليلاً خريئاً بالطرق عالماً بها ، هو (فرات بن حيان) ، وخرجت القافلة تحمل مالاً كثيراً ، فيه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، سلكت طريق (ذات عرق) ، ثم خرج الدليل بهم على (غمرة) ، وانتهى الى النبي خبر العير وفيها المال الكثير ، فأرسل (زيد بن حارثة) على سرية ، التقت بالقافلة بموضع (القردة) ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيان القوم . وأتى بدليلها أسيراً ، وخست الغنائم ، فبلغ الخمس عشرين ألف درهم^٥ .

وقد ذكر (الهمداني) ، أسماء منازل طريق الكوفة - يثرب ، والكوفة - مكة على هذا النحو . الكوفة ، فالقادية ، فالمغيثة ، ثم القرعاء ، ثم واقصة ، ثم العقبة ، ثم القاع ، ثم زبالة ، ثم الشقوق ، ثم البطان ، ثم الخزيمية ، ثم الأجر ، ثم فيد ، ثم توز ، ثم سمراء ، ثم الحاجر ، ثم معدن النقرة ، ثم العسيلة ، ثم بطن نخل ، ثم الطرف ، ومنه الى المدينة .

-
- ١ الطبري (٤٨٣/٢ وما بعدها) ، ابن هشام (١١٩/٢) ، (حاشية على الروض) ، امتاع الاسماع (١٠٦/١) .
 - ٢ الطبري (٤٨٧/٢) ، ابن هشام (١٢٠/٢) ، امتاع الاسماع (١١١/١ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٣١/٣) ، (بحر) .
 - ٤ تاج العروس (٤٤٩/٥) ، (فرع) .
 - ٥ الطبري (٤٩٢/٢) ، امتاع الاسماع (١١٢/١) ، ابن هشام (١٢١/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) .

ومن الطرف يؤدي الطريق الى مكة، فيمر بالسيالة ، ثم الروحاء ، ثم الرويثة، ثم العرج ، ثم السقيا ، ثم الأبواء ، ثم الجحفة ، ثم قديد ، ثم عسفان ، ثم مرت الظهران ، ثم مكة ^١ .

ومن أخذ الجادة من مكة الى معدن النقرة ، فن مكة الى البستان ، ثم ذات عرق ، ثم الغمرة ، ثم المسلح ، ثم الأفيعة ، ثم حرة بني سليم ، ثم العمق ، ثم السليلة ، ثم الربرة ، ثم ماوان ، ثم معدن النقرة . وهو ملتقى الطريقين ^٢ .

وقد عرف طريق العراق من الكوفة الى مكة بـ (المثقب) . يقال : سلكوا المثقب ، أي مضوا الى مكة . وقيل انه طريق ما بين اليمامة والكوفة . وذكر بعض العلماء انه طريق كان بين الشام والكوفة وكان يسلك في أيام بني أمية . ويظهر ان الاسم من الأسماء القديمة ، بدليل اختلاف العلماء في تحليل التسمية ، فقال بعضهم سمي لمرورجل به يقال له مثقب ، وقال بعض آخر سمي بذلك لأن بعض ملوك حمير بعث رجلاً يقال له مثقب على جيش كثير الى الصين فأخذ ذلك الطريق فسمي به ^٣ .

وكان حاج البصرة اذا أرادوا الحج ، اتجهوا الى (المنجشانية) على ستة أميال من البصرة ، تنسب الى (منجش) مولى (قيس بن مسعود) ^٤ ، ثم الى (الحفير) ، وهو ركايا ما بين (ماوية) و (المنجشانيات) ^٥ ، ثم الى (الشجى) ، ثم الى (الخرجاء) ، وهو ماءة احتفرها (جعفر بن سليمان) على طريق حاج البصرة ^٦ ، ثم الى (الحفر) ^٧ ، ثم الى (ماوية) ، ثم الى ذات العشر ، ثم الى (الينسوعة) ، ينسوعة القف ، منهل من مناهل طريق مكة على جادة البصرة ، بها ركايا كثيرة عذبة الماء عند منقطع رمال الدهناء بين ماوية النجاج ^٨ . ثم الى

-
- ١ الصفة (١٨٣ وما بعدها) .
 - ٢ الصفة (١٨٥) .
 - ٣ تاج العروس (١٦٦/١) ، (ثقب) ، ابن دريد ، جمهرة اللغة (٢٠٣/١) ، الصفة (١٧٦، ١٧٣) ، البلدان (٤١٤/٤) .
 - ٤ تاج العروس (٢٥٤، ٣٤٨/٤) ، (م/ج/ش) ، (نجش) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٢/٣) ، (حفر) .
 - ٦ تاج العروس (٣٢/٢) ، (خرج) .
 - ٧ تاج العروس (١٥٢/٣) ، (حفر) .
 - ٨ تاج العروس (٥٢٣/٥) ، (نسع) .

(السُّمَيْنَةُ) ، أول منزل من النباج لقاصد البصرة^١ ، ثم الى (النباج) ، ويقال له نباج بني عامر بن كريز ، وهو بجذاء (فيد) ، وبه يوم من أيام العرب ، مشهور لتميم على بكر بن وائل . وقد استنبط مائه (عبدالله بن عامر ابن كريز) ، شقق فيه عيوناً وغرس نخلاً ، وسكن به رهطه بنو كريز^٢ . و (عامر بن كريز بن ربيعة) القرشي العيشي ، والد (عبدالله) ، وهو من المحققين في قریش ، ذكر انه أسلم يوم الفتح ، وكان ابنه (عبدالله) أميراً على البصرة زمن عثمان^٣ ، كما كان صهرًا لمعاوية ، ومن أغنياء المسلمين^٤ .

ومن النباج الى (العوسجة) ، ثم الى (القريتين) ، ثم الى (رامة) ، ثم الى (امرة) ، ثم الى (طخفة) ، ثم الى (ضرية) ، ثم الى (جديلة) ثم الى (فلجة) ، ثم الى (الدثينة) (الدفينة) . ثم الى (قبا) ، ثم الى (مران) ، ثم الى (وجرة) ، ثم الى (أوطاس) ، ثم الى (ذات عرق) ثم الى بستان ابن عامر ، ثم الى مكة^٥ .

ويلاحظ أن مبدأ هذا الطريق ، قد عمر في الاسلام ، وذلك بسبب تأسيس البصرة ، ولكنه يسلك أيضاً الطريق الجاهلي القديم في مواضع كثيرة منه .

و (بستان ابن عامر) عند مكة ، ويرى بعض العلماء أن هذه التسمية مغلوطة وأنها من أقوال سواد الناس وأن الصحيح بستان ابن معمر ، وهو مجتمع النخلتين اليانية والشامية^٦ . بينما يرى بعضهم العكس ، إذ قال : « وبستان ابن عامر بنخله . هو عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة . ولا تقل بستان ابن معمر ، فإنه قول العامة »^٧ . وورد أيضاً « بستان ابن عامر لعمر بن عبدالله بن معمر ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ، ولكن الناس غلطوا فيها ، فقالوا : بستان ابن عامر ، وبستان بني عامر ، وإنما

-
- ١ تاج العروس (٢٤٢/٩) ، (سمن) .
 - ٢ تاج العروس (١٠٣/٢) ، (نبج) .
 - ٣ الاصابة (٢٤٨/٢) ، (رقم ٤٤١٨) .
 - ٤ المحبر (٤٥٠، ٤٤٠، ٣٨٧، ٣٦٣، ٣٤٦، ١٥٠، ٥٧، ٤٧) .
 - ٥ المسالك (١٤٦ وما بعدها) ، قدامة (١٩٠) ، بلاد العرب (٣٧١) .
 - ٦ بلاد العرب (٣٧٤) ، تاج العروس (٤٢٤/٣) ، (عمر) .
 - ٧ تاج العروس (٤٢٤/٣) ، (عمر) .

هو بستان ابن معمر ، وقوم يقولون نسب الى ابن عامر الحضرمي ، وآخرون يقولون نسب الى ابن عامر بن كرز ^١ . وذكر أنه على مقربة من هذه البستان موضع يقال له (المسد) ، وهو مأسدة ^٢ .

ويقع موضع (السّي) ، وهو ماء من ذات عرق الى (وجرة) على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس من المدينة . فهو من منازل طريق البصرة - مكة . واليه أرسل الرسول (شعجاع بن وهب) الأسدي ، على (بني عامر) بناحية (ركبة) ^٣ . ووجرة في طريق البصرة . وأما (ذات عرق) فحدي فصل في عرف علماء جزيرة العرب بين الحجاز ونجد . فن ذات عرق الى الغرب الحجاز ، ومن ذات عرق مشرقاً ، فهو نجد . وإذا جزت (وغرة) ووجرة فأنت في نجد الى أن تبلغ (العذيب) ، و (غمرة) في طريق الكوفة ^٤ . وهي فصل ما بين تهامة ونجد .

وعلى مقربة من (ذات عرق) ، يقع قبر أبو رغال في موضع يقال له (الغمير) ^٥ ، بين ذات عرق وبين البستان ^٦ .

وقد ذكر (القلقشندي) طريقاً يبدأ بالبصرة ويتجه نحو (الهامة) ، على هذا النحو : (البصرة) ، ثم (المنجشانية) ، ثم الى (الكفير ؟) (الحفير) ، ثم الى (الرحيل) ، ثم الى (الشجى) ، ثم الى (الحفر) ، ثم الى (ماوية) ، ثم الى (ذات العشر) ، ثم الى (الينسوعة) ، ثم الى (السمنية) ، ثم الى (النباج) ، ثم الى (العمومية ؟) (العوسجة) ، ثم الى (القريتين) ، ثم الى (سويقة) ، ثم الى (صداة) ، ثم الى (السد) ، ثم الى (السقي) ،

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٦٣) .
 - ٢ تاج العروس (٣٧٤/٢) ، (سد) .
 - ٣ امتاع الاسماع (٣٤٤/١) .
 - ٤ بلاد العرب (١٧٨، ١٥٠ ، ٣٣٦) .
 - ٥ بلاد العرب (٣٣٦) .
 - ٦ تاج العروس (٤٥٥/٣) ، (غمر) .
 - ٧ كزير :
 - ٨ قال امرؤ القيس :
- كأثل من الاعراض من دون بثشة ودون الغمير عامدات لفغورا
- تاج العروس (٤٥٥/٣) ، (غمر) .

ثم الى (المنبية) ، ثم الى (السفح) ، ثم الى (المريقة) ، ثم الى (اليامة)^١ .
وذكر (الهمداني) أسماء بعض المواضع التي كان يسكنها المسافرون من الكوفة
الى العراق ، وهي الطرق السالكة التي عرفت بـ (المحجة) ، لأنها طرق الحج^٢ .

وقد ذكر (الهمداني) أسماء مواضع يمر بها الطريق من (نجران) الى البصرة .
وهي : نجران ، ثم كوكب ، ثم الحفر ، ثم العقيق ، وهو معدن ذهب ، ثم
(الفلج) ، ثم (الخرج) ، ثم (الخضرمة) ، ثم (الفقى) ، ثم البصرة^٣ .

وإذا أراد أهل اليامة السفر الى مكة ، سافروا الى العرض ، وهو بطن العرض ،
عرض بني حنيفة ، الوادي المعروف اليوم باسم الباطن ، وفيه مياه وقرى^٤ ، ثم
(الحديقة) ، ثم الى (السيج) ، وهو سيج (آل ابراهيم بن عربي) والى
اليامة في عهد (عبد الملك) و (هشام)^٥ ، ثم الى (الثنية) ، ثم الى (سقيراء) ،
ثم الى (السد) ، ثم الى صداة ، ثم الى (شريفة) ، ثم الى (القريتين)
من طريق البصرة ، فيتصل الطريق بطريق البصرة ، ويسلكها على نحو ما مر^٦ .
وقد ذكر (قدامة) منازل هذا الطريق على هذا النحو : (العرض) ، ثم
(حديقة) ، ثم (السيج) ، ثم (الثنية العققاء) ، ثم (سقيراء) ، ثم
(السد) ، ثم (مراره) ، ثم (سويقة) ، ثم (القريتين) ، ثم طريق
البصرة^٧ .

ونجد في (بلاد العرب) وصف طريق يبدأ بـ (حجر) اليامة وينتهي بمكة .
ويبدأ بـ (بطن العرض) ، ثم (السيج) ، ثم (ثنية الأحيسى) ، ثم ناحية
من (قرقرى) اليامة ، ثم (المنفطرة) ، ثم (الغُربز) ، ثم (الوركَة) ،
ثم (أهوى) و (أضيمر) ، ثم (العفافة) ، ثم (عكاش) ، ثم (المروت) ،
ومنه الى (السحامة) وعليها طريق المنار . واذا جرت أهوى ، فن ورائها مويهة

١ صبح الاعشى (٥/٦١) .

٢ الصفة (١٣١) .

٣ الصفة (١٦٦) .

٤ بلاد العرب (٣٦١) .

٥ بلاد العرب (٣٦١) .

٦ المسالك (١٤٦ وما بعدها) .

٧ قدامة (١٩١) .

يقال لها (الأسود) ، ثم تعبر رملة يقال لها (جراد) ، ثم تصل (الهلباء) بحايل ، فإذا جزت (الهلباء) وقعت في واد ، تجوزه فترد (عكاشا) ، ثم ترد (العيصان) ، وهو معدن ، ثم ترد معدن الأحسن ، وهو من أول عمل المدينة ، ثم تجوزه الى (العلكومة) ، ثم ترد (الدثينة) (الدفينة) ، قرية على طريق البصرة الى مكة ^١ . ثم يسلك هذا الطريق المواضع التي ذكرتها عند حديثي على طريق البصرة - مكة .

وكان لأهل اليمامة طرق توصلهم الى اليمن ، منها طريق يؤدي الى (الخرج) ^٢ ، ثم الى (نبعة) ، ثم الى (المجساة) ، و (المعدن) ، و (الشفق) ، (الشفق ؟) ، ثم (الثور) ، ثم (الفلج) ، وهو قرية كبيرة بها نخيل ومزارع وعين يقال لها (الذبا) يخرج منها سبعة عشر نهراً ، وهي من الأفلاج ^٣ . ثم (الصفا) ، وبئر الآبار ونجران ، ثم الحمي وبرانس ، ومريع ، والمهجرة ^٤ . ثم يسلك طريق المهجرة المؤدي الى صنعاء ^٥ .

وذكر (الهمداني) طريقاً يصل نجران باليمامة ثم ينتهي بالبصرة . ومعنى ذلك طريق يوصل البصرة باليمن ، فنجران من أهم عقد الطرق المؤدية الى اليمن . ويبدأ الطريق بنجران، ومنها الى (كوكب) ، ثم الى (الحفر) ، ثم (العقيق) ، وهو معدن يعق عن الذهب ، وهو لجرم وكندة ، ثم (المقرب) ، ثم (الفلج) ، ثم (الخرج) ، ثم (الحضرمة) ، ثم (الفقى) ، وهو طرف اليمامة ، ثم البصرة ^٦ .

وذكر (الهمداني) أن من يريد التوجه من (الفلج) الى اليمامة ، سلك طريق (العقيمة) ، أو (خمسة) . ومن أخذ (الثفن) من الفلج الى اليمامة أخذ أسفل أودية جعدة ، فيأخذ الغادي على أسفل الغيل من الثفن ، ثم يقطع (غلغل) و (الشجة) و (النضخ) ، فإن أحب شرب بدلاميس ، ثم نسلة

-
- ١ بلاد العرب (٣٦١ - ٣٧١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٩/٢) ، (خرج) ، بلاد العرب (٢٣٣،٣) .
 - ٣ بلاد العرب (٢٢١ وما بعدها) ، الصفة (١٥٩ وما بعدها) ، تاج العروس (٨٦/٢) وما بعدها .
 - ٤ قدامة (١٩٣) .
 - ٥ المسالك (١٥٢ وما بعدها) ، الخراج (١٩٣) .
 - ٦ الصفة (١٦٦) .

الى الخرج ، وإن أحب شرب بالمرء ، ثم برك ثم بريك^١ .

وإذا أراد أهل البحرين التوجه إلى اليمامة ، صعدوا الطريق ، فيكون عن يمينهم (خرشيم) ، وهي هضاب وصحراء مطرحة إلى (الحفرين) وإلى (السلحين) ، ثم (الحابسية) ، ثم (مُزَلَّقَة) ، ثم (الموارد) ثم الفروق الأدنى ثم الفروق الثاني ، ثم الخوار ، خوار الثلج ، ثم الصليب ، وعن يمينك الصلب ، صلب المعى والبرقة برقة الثور . ثم الصّمان ، ثم ترجع إلى طريق (زَرَى) ، فعن يسارك (الدُّيب) ، وعن يمينك (الدحرض) ، ثم تقطع بطن (قو) ، ثم السمراء ، ثم تأخذ في الدهناء وتأخذ على الشجرة ، ثم إلى (الخل) خسل الرمل ، ثم قَلَّتْ هبل ، ثم (النظيم) نظم الجفنة ، ثم شباك العرمة والغرابات ، ثم تقطع العرمة و (شيعاً) ، ثم تسير في (السّهباء) ، ثم تقطع جبيلاً يقال له (أنقد) ، ثم الروضة ، ثم ترد (الحضرمة) جو الحضارم . وهي أول اليمامة قبل البحرين^٢ .

وكان لأهل نجد جملة طرق يسلكونها في اتجاههم نحو (مكة) أو المدينة أو اليمن . وقد عرف طريق نجد إلى مكة بـ (الجلال) وبـ (مثقب) وبـ (القعقاع)^٣ . وذكر أن (المثقب) طريق العراق من الكوفة إلى (مكة) ، وكان فيما مضى طريقاً بين اليمامة والكوفة يسمى (مثقباً) ، وذكر أنه طريق العراق إلى مكة . وقد أوجدوا لذلك جملة تعاليل لحلّ مشكلة التسمية . فقالوا : إنه سُمِّيَ مثقباً لمرور رجل به يقال له مثقب . وقالوا : بل لأن بعض ملوك حمير بعث رجلاً يقال له مثقب على جيش كثير إلى الصين ، فأخذ ذلك الطريق فسمي به . وذكر بعض آخر . أنه طريق كان بين الشام والكوفة ، وكان يسلك في أيام بني أمية^٤ .

وذكر أن (القعقاع) الطريق لا يسلك إلا بمشقة ، وهو طريق من اليمامة إلى الكوفة ، وقيل إلى مكة^٥ .

١ الصفة (١٥٠) .

٢ الصفة (١٣٨) وما بعدها .

٣ تاج العروس (٢٦٠/٧) ، (جلد) .

٤ تاج العروس (١٦٦/١) ، (ثقب) .

٥ تاج العروس (٤٧٧/٥) ، (قعقع) .

ويكون طريق نجد الى المدينة ومكة جزءاً من طريق العراق الى المدينتين، وقد ذكرت أسماء بعض المواضع التي يسلكها القادمون من الكوفة أو الحيرة ثم من البصرة إلى المدينة أو مكة ، وهي تمرّ بعد اجتيازها حد العراق بنجد . ومن هذه المواضع : (القَرْدَة) (القَرْدَة) ، الذي كانت اليه سرية (زيد بن حارثة) للتعرض بقافلة لقريش تنكبت طريق الشام خوفاً من تحرش المسلمين بها وسلكت طريق العراق في الشتاء ، فالتقى بها (زيد بن حارثة) بهذا الموضع فظفر بالعين^١.

ومن مواضع طرق نجد (قطن) ، وهو جبل بناحية (فيد) ، به ماء لبني أسد ابن خزيمه بنجد . واليه أرسل الرسول ، (أبا سلمة بن عبد الأسد) ، لما بلغه ان (طليحة) و (سلمة) ابن خويلد ، قد استعدا لحرب رسول الله . وقد نكب بالسرية عن الطريق وسار بها ليلاً ونهاراً حتى يعجل بها إلى ملاقاتها ، فنذر بهم القوم وتفرقوا ، ثم عاد بعد أن وجد سرحاً ومعه ثلاثة رعاء ممالك^٢ . و (قطن) جبل في غرب (القصيم) من نجد لا زال معروفاً بقرب بلدة (الفوارة)^٣ .

ونجد في اصطلاح بعض العلماء ، ما بين (العذيب) الى (ذات عرق) وإلى اليمامة وإلى اليمن وإلى جبلي طيء ، ومن المربد إلى (وجرة) . وذات عرق أول تهامة إلى البحر . وذكر ان الأعراب يقولون : إذا خلفت (عجلز) مصعداً ، فقد أنجدت . و (عجلز) فوق (القريتين) ، فإذا أنجدت عن ثنانيا ذات عرق ، فقد آهمت ، فإذا عرضت لك الحارر بنجد قيل ذلك الحجاز . وذكر أن نجداً الأريضة التي تقع جنوب العراق والشام ، وشمال تهامة واليمن . وذكر أن كل ما وراء الخندق على سواد العراق ، فهو نجد . والغور كل ما انحدر سيله مغرباً وما أسفل منها مشرقياً فهو نجد . وتهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة ، وما وراء ذلك من المغرب فهو غور ، وما وراء ذلك من مهب الجنوب فهو السراة إلى تخوم اليمن^٤ .

وأما طرق العربية الغربية ، فأهمها الطرق الممتدة من بلاد الشام إلى اليمن ، وتتصل بها الطرق الآتية من مصر . وقد كان الجاهليون يقصدون دمشق للتجارة

-
- ١ امتاع الاسماع (١١٢/١) ، تاج العروس (٤٥٠/٢) ، (فرد) .
 - ٢ امتاع الاسماع (١٧٠/١) ، تاج العروس (٣٦٢/٩) ، (قطن) .
 - ٣ العرب (١٩٦٨) ، (١١ ص ٩٧٧) .
 - ٤ تاج العروس (٥٠٩/٢) ، (نجد) .

بها وللأصطياف ، ولزيارة أمراء الغساسنة الذين كانوا قد امتلكوا قصوراً بها ، غير أن بعضاً منهم كان يقف عند (بصرى) ، يتاجر في أسواقها ثم يعود . ومنهم من كان يتوجه الى (غزة) ، للتجارة بها لوجود تجار بها قصدوها من سواحل البحر الأبيض ، معهم تجارة ساحل البحر . وقد كان (هاشم) ممن قصد هذه المدينة .

ويبدأ طريق دمشق بـ (الكسوة) ومن (الكسوة) الى (جاسم) ، وهو موضع ورد ذكره في شعر لحسان بن ثابت ، إذ قال :

قد عفا جاسم الى بيت رأس فالجوابي فحارث الجولان^١

ومن (جاسم) الى أفيق ، وأفيق من أعمال حوران ، وهو عقبة طويلة ، وأفيق في أول العقبة ينحدر منها الى غور الأردن ومنها يشرف على طبرية^٢ . ومن (أفيق) الى (طبرية) . وتعد (سرغ) ، في آخر الشام وأول الحجاز ، بين (الغنية) و (تبوك) ، وفيها لقي (عمر) أمراء الأجناد^٣ ، ثم (تبوك) وهي قرية مهمة يرد خبرها في أخبار غزوات الرسول ، إذ عرفت بغزوة (تبوك) . وبها صالح رسول الله (يحنة بن ربيعة) ، صاحب أيلة ، وأهل جرباء وأذرح^٤ .

ومن (تبوك) يتجه الطريق الى (المحدثنة) ثم الى (الأقرع) ، ثم الى (الجنيثة)^٥ ، ثم الى (الحجر) ، وهي في نظر أهل الأخبار ديار ثمود وبلادهم ، وقد أشير اليها في القرآن : « كذب أصحاب الحجر المرسلين »^٦ ، وقد مر بها رسول الله في غزوته لتبوك ، ونهى عن دخول مساكنها وعن الشرب من مائها ، واستحث راحته ، وأسرع حتى خلفها^٧ . وذكر « ان بيوتها منحوتة في الجبال مثل المغاور ، كل جبل منقطع عن الآخر ، يطاف حولها ، وقد نقر فيها بيوت

١ المسالك (٧٨) ، تاج العروس (٢٢٨/٨) ، (جسم) .

٢ تاج العروس (٥٤/٧) ، (فوق) .

٣ تاج العروس (١٦/٦) ، (سرغ) .

٤ الطبري (١٠٠/٣) وما بعدها ، تاج العروس (١١٣/٧) ، (باك) ، ابن سيد الناس (٢١٥/٢) وما بعدها .

٥ تاج العروس (١٦٦/٩) ، (جنن) .

٦ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٠ .

٧ تفسير الطبري (٣٤/١٤) . ابن سيد الناس (٢١٨/٢) .

تقلّ وتكثر على قدر الجبال التي تنقر فيها . وهي بيوت في غاية الحسن فيها بيوت وطبقات محكمة الصنعة وفي وسطها البشر التي كانت تردّها الناقة^١ . وهي قرية لا تزال معروفة مسكونة^٢ .

ثم إلى (وادي القرى) ، فتمر القوافل في قرى عديدة ، ثم إلى (الرحبية) ، ثم إلى (ذي المروة) ، وهو قرية بين (ذي خشب) ، و (وادي القرى)^٣ ، ثم إلى (المر) ، ثم إلى (السويداء)^٤ ، ثم إلى (ذي خشب)^٥ ، وهو وادي على مسيرة ليلة من المدينة ، ذكر في الأحاديث والمغازي ، ويقال له (وادي خشب) ، فيه عيون^٦ ، ثم إلى المدينة^٧ .

ولما سار الرسول إلى (تبوك) نزل (ذا خشب) ، ثم (ثنية الوداع) ، ثم مرّ بوادي القرى ، ثم بالحجر ، ثم تبوك^٨ .

وهناك طريق يمتد من (أيلة) إلى (حقل) ، ثم (مدين) ، ثم إلى الأغواء ، ثم إلى (الكلابية) ، ثم إلى (شغب) ، ثم إلى (بدا) . وشغب موضع ذكر في حديث الزهري ، انه كان له مال بشغب وبدا ، وهما موضعان كانا في الشام ، وبه كان مقسم (علي بن عبدالله بن عباس) وأولاده إلى أن وصلت اليهم الخلافة . وبشغب مات الزهري ، وهو (أبو بكر محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري) ، المدني ، مات سنة (١٢٤ هـ) في أمواله بها . وذكر انه قبر بأداما ، وهي خلف شغب وبدا ، وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز ، وبها ضيعة (الزهري) التي كان فيها^٩ .

ومن (بدا) يتجه الطريق إلى (السرحتين) ، ثم إلى (البيضاء) ، ثم إلى (وادي القرى) ، ثم إلى (الرحبية) ، ثم إلى (ذي المروة) ، ثم إلى (المر) ، ثم إلى (السويداء) ، ثم إلى (ذي خشب) ، ثم إلى المدينة ،

-
- ١ تاج العروس (١٢٤/٣ وما بعدها) ، (حجر) .
 - ٢ بلاد العرب (٣٩٧ وما بعدها) .
 - ٣ بلاد العرب (٤١٤، ٤١٣، ٣٩٦، ٣٩٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣٨٥/٢) ، (سود) .
 - ٥ بلاد العرب (٤١٤، ٤٠٦) .
 - ٦ تاج العروس (٢٣٥/١) ، (خشب) .
 - ٧ المسالك (١٥٠) ، قدامة (١٩١) .
 - ٨ الطبري (١٠٠/٢ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (٤٤٥/١ وما بعدها) .
 - ٩ تاج العروس (٣٢٢/١) ، (شغب) ، (٣٣/١٠) ، (بدى) .

ومنها الى مكة . وقد كان حجاج مصر يسلكون هذا الطريق ، إذا جاؤوا من البر^١.

وهناك طريق ساحلي سلكه حجاج مصر أيضاً ، يبدأ بشرف البعل ، ثم الى (الصلا) ، ثم الى (النبك)^٢ ، ثم الى (ظبة) ، ثم الى (عونيد) ، ثم الى (الوجه) ، ثم الى (منحوس) ، ثم الى (الجرة) ، ثم الى (الأحساء) ثم الى (ينبع) ، ثم الى (مستولان) ، ثم الى (الجار) ، ثم الى المدينة^٣ . و (الجار) على ساحل البحر ، وهو فرضة المدينة ، ترفأ اليه السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن ، وبجذائه جزيرة في البحر ميل في ميل يسكنها التجار^٤ . و (ينبع) حصن له عيون فوارة ، ذكر بعضهم أنها مائة وسبعون عيناً ، ونخيل وزروع ، بطريق حاج مصر عن يمين الجاثي من المدينة الى (وادي الصفراء) ، وقد جفت عيونها فيما بعد ، كما ذكر من زارها من الباحثين^٥ .

وأما طريق المدينة المؤدي الى مكة ، فيمر بـ (الشجرة) ، وهو ميقات أهل المدينة ، ثم الى (ملل) ، ثم الى (السيلة) . وقد ذكر أنها أول مرحلة لأهل المدينة ، إذا أرادوا مكة ، وأنها بين (ملل) والروحاء^٦ . ثم الى (الرويثة) ثم الى (السقيا) ، فيها نهر جار ، بين المدينة ووادي الصفراء^٧ . ثم الى (الأبواء) ، وهي قرية من أعمال (الفرع) بين المدينة والجحفة^٨ ، ثم الى (الجحفة) ، وهي من تهامة ، وفيها آبار ، وهي ميقات أهل الشام ، وكانت تسمى (مهيعة) ، فتزل بها (بنو عييل) ، وهم اخوة عاد وكان أخرجهم العماليق من يثرب فجاءهم سيل جفاف فاجتشفهم فسميت الجحفة . وهكذا فسر^٩

١ المسالك (١٤٩ وما بعدها) ، قدامة (١٩٠) .

٢ (موضع بين ضجوة ومضيق جبة من منازل حاج مصر) ، تاج العروس (١٨٦/٧) ، (بنك) .

٣ قدامة (١٩١) .

٤ تاج العروس (١١٢/٣) ، (جار) .

٥ تاج العروس (٥١٧/٥) ، (نبع) .

٦ تاج العروس (٣٨٥/٧ وما بعدها) ، (ملل) .

٧ تاج العروس (١٨٠/١٠) ، (سقى) .

٨ تاج العروس (٦/١٠) ، (أبي) .

(ابن الكلبي) ، سبب تسمية هذه القرية القريبة من البحر بهذه التسمية ^١ .

والأبواء من المنازل التي كان يطرقتها المسافرين إلى بلاد الشام ، فهي على طريق التجارة القديم . وللرسول غزوة عرفت بغزوة الأبواء وبغزاة ودّان، وصل فيها إلى موضع (ودّان) ، وكان يريد اعتراض عير لقريش ، مرت بهذا المكان، وهي أول غزوة غزاها الرسول . وقد وادع فيها (بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة) على ألا يكثرؤا عليه ولا يعينوا أحداً عليه ^٢ ، مما يدل على ان هذا الموضع كان لبني ضمرة في ذلك العهد . وورد انه كان لبني ضمرة ولغفار وكنانة ^٣ .

وودّان قرب الأبواء والجحفة من نواحي (الفرع) ، بينها وبين (هرثي) ستة أميال ، وبينها وبين (الأبواء) نحو من ثمانية أميال ، وكانت قرية سكنها (الصعب بن جثامة) الليثي من أصحاب الرسول ، فنسب اليها ^٤ .

و (هرثي) ثنية قرب (الجحفة) في طريق مكة يرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلكهما كان مصيباً ، وهي على طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة في أرض مستوية ، وأسفل منها (ودّان) على ميلين مما يلي المغرب . ويتصل بها من الغرب خبت رمل في وسط هذا الخبت جبل أسود شديد السواد صغير يقال له طفيل ^٥ .

ومن الجحفة يتجه المسافر إلى (قُديد) ^٦ ، ثم إلى (عسفان) ، ثم إلى بطن مر ، ثم إلى مكة ^٧ . و (بطن مر) ، قرية كبيرة ، وعلى أربعة أميال منها قبر (ميمونة) زوجة النبي ، وعلى مسافة منها مسجد عائشة ، ومنها يحرم أهل مكة ، وهو حد الحرم ^٨ .

والجحفة من منازل طريق تجارة مكة إلى الشام ، ولذلك صارت هي والمواضع التي تقع على هذا الطريق من الأهداف التي قصدها المسلمون للتحرش بقوافل

-
- ١ تاج العروس (٥٣/٦) ، (جحف) .
 - ٢ امتاع الاسماع (٥٣/١) ، الطبري (٤٠٣/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٥٣٠/٢) ، (ودد) .
 - ٤ تاج العروس (٥٣٠/٢) ، (ودد) .
 - ٥ تاج العروس (٣٦٧/٤) ، (هرش) .
 - ٦ تاج العروس (٤٦١/٢) ، (قدد) .
 - ٧ المسالك (١٣١) .
 - ٨ قدامة (١٨٧) .

قريش . ومن نواحي الجحفة (ثنية المرة) ، ومنها سار (عبيدة بن الحارث ابن المطلب) على غير لقريش يحرسها مائتان من المشركين بقيادة (أبو سفيان) ، أو غيره وذلك في السنة الأولى من الهجرة ، فالتقى بها على ماء يقال له (أحياء) من بطن (رابع) على عشرة أميال من الجحفة ، وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق^١ .

و (رابع) وادٍ عند الجحفة قرب البحر بسين (البزواء) و (الجحفة) دون (عزور) ، وقرية لا تزال معروفة . بينها وبين (بدر) خمس مراحل . الأول (قاع البزواء) ، ثم عقبة وادي السوق ، ثم آخر ودان ، ثم شقراء ، ثم رابع^٢ . وهي اليوم قرية ، مياهها عذبة ذات مزارع ونخيل .

وأرسل الرسول سرية أخرى إلى (الحرار) للتعرض لعبير قريش التي كانت تسلك الجحفة ، فلما وصلت (الحرار) من الجحفة قريباً من (خم) ، وجدت غير قريش قد سبقتها ، ونجت^٣ . و (خم) غدير دون الجحفة وقيل بالجحفة^٤ .

وعلى مسيرة يوم من (ينبع) ، يقع جبل (رضوى) الذي يبعد سبع مراحل عن المدينة^٥ ، ومن نواحي هذا الجبل ناحية (بواط) ، واليها خرج الرسول غازياً معترضاً غير قريش ، التي كانت مارة بهذا المكان . وكانت قافلة كبيرة تتألف من ألفين وخمسمائة بعير ، يحرسها مائة رجل من قريش ، فيها (أمية بن خلف) ، وقد أفلتت القافلة ونجت ، دون أن يقع أي قتال^٦ .

وبيطن ينبع موضع يقال له : (ذو العشرة) ، (ذات العشرة) ، اليه كانت غزوة (العشرة) (غزوة ذات العشرة) ، حين بلغ الرسول خبر خروج غير قريش إلى بلاد الشام ، وقد جمعت قريش أموالها في تلك العير ، ولكن القافلة نجت ، فوصلت سالمة إلى بلاد الشام ، وهي التي خرج الرسول في طلبها

-
- ١ الطبري (٤٠٢/٢) ، امتاع الاسماع (٥٢/١) .
 - ٢ تاج العروس (١٠/٦) ، (ريع) .
 - ٣ الطبري (٤٠٣/٢) ، امتاع الاسماع (٥٣/١) ، تاج العروس (١١٣/٣) ، (خور) .
 - ٤ تاج العروس (٢٨٣/٨) ، (خم) .
 - ٥ تاج العروس (١٠٥١/١٠) ، (رضو) ، عرام (٣٩٦) .
 - ٦ الطبري (٤٠٧، ٤٠٥/٢) ، امتاع الاسماع (٥٤/١) ، تاج العروس (١١٢/٥) ، (باط) .

لما عادت ، وكانت وقعة بدر . فرجع الرسول الى المدينة ، بعد أن صالح (بني مدلج) وحلفاءهم (بني ضمرة)^١ .

ولما هاجر الرسول من مكة الى المدينة سلك به الدليل طريقاً لا تسلكه القوافل ، أي طريقاً لا يسلكه المسافرون عادة الى المدينة ، ليتجنب من ملاحقة قريش له . سلك به وبصاحبه (أبي بكر) أسفل مكة ، ثم مضى بهما حتى حاذى بهما الساحل ، وعارض الطريق أسفل من (عسفان) ، ثم سلك بهما على أسفل (أمج) ، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعدما جاوز (قديداً) ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما (الحرار) ، ثم سلك بهما (ثنية المرة) (ثنية المرأة) ، ثم أجاز بهما (مدلجة لفف) (لفف) ، ثم استبطن بهما (مدلجة مجاج) (مجاج) ، طريق يقال له (المدلجة) بين طريق (عمق) وطريق الروحاء^٢ . ثم سلك مرجع من مجاج ، ثم بطن (مرجع ذي العضوين) ثم (بطن ذي كشد) (بطن ذات كشد) (ذي كشد) ، ثم أخذ بهما على (الجداجد) ، ثم على (الأجرد) ، ثم سلك بهما (ذا سلم)^٣ (ذا سمر)^٤ من بطن أعداء (مدلجة تعهن) ، ثم على (العبايد) ، ويقال (العبايب) ويقال (الغيثانة)^٥ (العتبانة)^٦ ، ثم أجاز بهما (الفاجة) ، ويقال (القاحسة)^٧ . ثم هبط بهما (العرج) ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية (العائر)^٨ (الغابر)^٩ (الأعيار)^{١٠} ، ويقال (ثنية الغائر)^{١١} ، عن يمين

-
- ١ الطبري (٤٠٨/٢ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (٥٤/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٤٠٣/٣) ، (عشر) ، (ويقال فيه العشير بغير هاء أيضا) .
 - ٢ الطبري (٣٧٧/٢) ، « لفف » ، نهاية الارب (٣٣٨/١٦) .
 - ٣ سيرة ابن هشام (٩/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٤ المسالك (١٢٩ وما بعدها) .
 - ٥ ابن هشام (٩/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٦ المسالك (١٢٩ وما بعدها) .
 - ٧ ابن هشام (٩/١) ، (حاشية على الروض) ، المسالك (١٢٩) .
 - ٨ ابن هشام (١٠/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٩ الطبري (٣٧٧/٢) .
 - ١٠ المسالك (١٢٩) .
 - ١١ ابن هشام (١٠/١) ، (حاشية على الروض) .

(ركوبة) ، ثم هبط (بطن رثم)^١ (بطن ريم)^٢ ، ثم قدم بهما (قباء) ،
ثم (يثرب)^٣ :

ولما سمع الرسول بقدوم (أبو سفيان) مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة
فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ، خرج لملاقاتها في موضع (بدر) . وكان
بدر طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل الى الشام . فخرج من
المدينة على نقب المدينة ، فنزل بالبقع ، ويقال بئر أبي عتبة ، وهي على ميل
من المدينة ، ثم اتجه نحو (بيوت السقيا) ، فضرب عسكره هناك . ثم أمر
أصحابه ان يستقوا من (بئر السقيا) ، وصلى عند بيوت السقيا ، وسلك من
السقيا بطن العقيق حتى نزل تحت شجرة بالبطحاء ، ثم سلك (ذي الحليفة) ،
ثم على (أولات الجيش) (ذات الجيش) ، ثم على (تريان) ، ثم على
(ملل) ، ثم على (غميس الحمام) من (مريين) ، ثم على صخيرات الياهم ،
ثم على (السيلة) ، ثم على (فجج الروحاء) ، ثم على (شنوكة) ، وهي
الطريق المعتدلة ، ثم على (عرق الظبية) (الظبية) ، ثم على (سجسج) ،
وهي بئر الروحاء ، حتى اذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار وسلك
ذات اليمين على (النازية) يريد (بدرأ) ، فسلك في ناحية منها ، حتى جزع
واديّاً يقال له (وحقان) بين (النازية) وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم
انصب منه الى (الصفراء) ، وهي قرية بين جبلين ، ثم سلك الى وادٍ يقال
له (ذفران) ، ثم سلك على ثنايا يقال لها (الأصافر) ، ثم انحط منها الى
بلد يقال له (الدبة) (الدية) ، وترك (الحنان) بيمين وهو كثيب عظيم
كالجبل ، ثم نزل بدرأ^٥ .

-
- ١ الطبري (٣٧٧/٢) ، المسالك (١٢٩ وما بعدها) .
 - ٢ ابن هشام (١٠/١) ، حاشية على الروض .
 - ٣ ابن هشام (١٠/١) ، (حاشية على الروض) ، الطبري (٣٧٧/٢) ، المسالك (١٢٩ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٣٨/١٦ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (٤٢٢/٢) ، (ذكر وقعة بدر الكبرى) .
 - ٥ ابن هشام (٦٣/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الطبري (٤٣٣/٢ وما بعدها) .

و (السقيا) ، موضع به ماء ، بين المدينة ووادي الصفراء^١ ، يعرف اليوم ب (أم البرك)^٢ .

و (شنوكة) ، جبل جمع على (شنائك) في شععر لكثير ، لأنه ثلاث أجبل صغار منفردات من الجبال ، يمر منها الطريق الى بدر والصفراء وإلى النازية ورحقان ، ويدع المنصرف الى يساره^٣ . وتقع بين (المنصرف) وبين الروحاء . ولا تزال معروفة^٤ .

و (المنصرف) ، موضع^٥ يقال له (المسجد) في الوقت الحاضر ، وهو قرية كبيرة^٥ . وتقع على طريق المدينة المتجه الى (الصفراء) فالساحل والذي يتصل بجدة . وهو غير بعيد عن (النازية) . و (النازية) عين ثرة على طريق الآخذ من مكة الى المدينة قرب الصفراء ، وهي الى المدينة أقرب^٦ .

و (بدر) أسفل وادي الصفراء ، وهو الى المدينة أقرب ، يقال إنه هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ، وبينه وبين (الجار) ، وهو على ساحل البحر ليلة . وبه بئر حفرها رجل من غفار ، اسمه (بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة) وقيل (بدر بن قريش بن يخلد بن النضر بن كنانة) ، وقيل بدر رجل من (بني ضمرة) سكن ذلك الموضع فنسب اليه ، ثم غلب اسمه عليه ، وقيل بدر رجل من جهينة كان يملك البئر فسميت به . ولهم تفاسير أخرى من هذا القبيل في تعليل سبب تسمية بدر بدراً^٧ . وبدر قرية كبيرة في الوقت الحاضر أسفل (وادي الصفراء) ، يتجه منها طريق الى (ينبع) ، ومن ينبع الى مكة^٨ .

وكان (أبو سفيان) لما بلغ (الزرقاء) من بلاد الشام ، وهو منحدر إلى مكة ، أخبره أحدهم ان محمداً قد كان عرض لعيرهم في بدأتهم ، وانه تركه

-
- ١ تاج العروس (١٠/١٨٠) ، (سقى) .
 - ٢ العرب (١٩٦٨) ، (> ١١ ص ٩٧٧) .
 - ٣ تاج العروس (٧/١٥١) ، (شنوكة) ، العرب (١٩٦٨) ، (> ١١ ص ٩٧٧) .
 - ٤ العرب (١٩٦٨) ، (> ١١ ص ٩٧٧) .
 - ٥ العرب (> ١١) ، (السنة الثانية) ، (١٩٦٨) ، (ص ٦٢) .
 - ٦ تاج العروس (١٠/٣٦٥) ، (نزا) .
 - ٧ تاج العروس (٣/٣٤) ، (بدر) .
 - ٨ العرب (١٩٦٨) ، (> ١١ ص ٩٧٨) .

مقيماً ينتظر رجعتهم ، فخرج خائفاً من الرصد ، فلما بلغ الساحل، أرسل رسولا^١ استأجره بعشرين مثقالاً^٢ ، وأمره أن يخبر قريشاً ان محمداً قد عرض لغيرهم ، فذهب اليهم وأخبرهم ، فتجهزوا وأسرعوا لانتفاذ قافلة (أبي سفيان) ، الذي خاف خوفاً شديداً حين دنا من المدينة ، فلما أصبح (أبو سفيان) يبدر ، ضرب وجهه عبره فساحل بها ، وترك بدرأ يساراً وانطلق سريعاً ، حتى بلغ مكة . وكان أهل مكة قد خرجوا من مكة على طريق (مرّ الظهران) ، ثم (عسفان) ثم (قديد) ، ثم إلى (مناة) من البحر ، ثم (الجحفة) ، ثم (الأبواء) ، ثم (بدر)^٣ ، حيث التقوا برسول الله ، ف وقعت معركة بدر .

وكانت قريش تأخذ الساحل : ساحل البحر حين تأخذ إلى الشام^٤ . وهو طريقها إلى متجراها هناك ، وقد عرف بالمعركة ، وفيه سلكت غير قريش حين كانت وقعة (بدر) . ومن هذا قول (عمر) لسلطان أين تأخذ إذا صدرت أعلى المعركة أم على المدينة^٥ . ويقع طريق المعركة بين (عزور) وبين (رضوى) تختصره العرب إلى الشام وإلى مكة وإلى المدينة . وهو بين الجبلين^٦ .

ومن مواضع هذا الطريق : العيص ، وهو عرض من أعراض المدينة ، وموضع على مقربة من ساحل البحر^٧ . ومن (ذي المروة)^٨ . وهو موضع على طريق تجارة قريش مع الشام ، وبه كان يمر طريق الشام ومصر إلى المدينة ومكة^٩ . وإلى سيف البحر ناحية العيص أرسل الرسول (حمزة) ، حين بلغه ان (أبا جهل) قد جاء بغير لقريش من الشام يريد مكة في ثلاثمائة راكب^{١٠} . فقد كان هذا الموضع من الساحل مسلك قوافل قريش . ولا يزال اسم العيص معروفاً . وفي مقابله (الخوراء) ، مرفأ سفن مصر في القديم^{١١} .

-
- ١ امتاع الاسماع (٦٦/١ وما بعدها) ، الطبري (٤٣٧/٢ وما بعدها) .
 - ٢ الطبري (٦٣٩/٢) .
 - ٣ تاج العروس (١١/٧) ، (عرق) .
 - ٤ عرام (٣٩٦) .
 - ٥ تاج العروس (٤١١/٤) ، (عيص) .
 - ٦ الطبري (٦٣٩/٢) .
 - ٧ بلاد العرب (٤١٤، ٤١٣، ٣٩٦، ٣٩٥) .
 - ٨ امتاع الاسماع (٥١/١ وما بعدها) ، ابن هشام (٥٦/٢) ، (حاشية على الروض)
 - ٩ تاج العروس (١٦١/٣) ، (حور) .

ولم يذكر علماء السير والأخبار أسماء المراحل التي قطعتها قريش عند زحفها على (أحد) بتفصيل. وكل ما ذكروه أن قريشاً جاؤوا فتنزلوا (عينين) بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة^١. وذكر أنه الجبل الذي أقام عليه الرماة يوم أحد، ولذلك قيل ليوم أحد يوم عينين^٢. وكانوا قد قدموا من (ذي طوى) على طريق (الأبواء) حيث هممت وهي هناك أن تنبش قبر (آمنة) أم النبي. وسلكوا (العقيق) حتى نزلوا ظاهر المدينة^٣. ثم التقوا بالمسلمين عند أحد.

ويظهر من هذه الأسماء، أن قريشاً سلكت في سيرها على المدينة الطريق المألوف الذي يمر بالأبواء. و (ذو طوى) موضع قرب مكة عرف بالزاهر، به بشر حفرها (عبد شمس بن عبد مناف)^٤.

ولما سار الرسول للعمرة، سلك طريق (الفرع) (الفروع) نحو (مر الظهران)، ثم (بطن يأجج)، وحبس الهدي ب (ذي طوى) ودخل مكة من الثنية^٥. و (مر الظهران)، واد به عيون ومياه، غير بعيد عن مكة، وبه (مجنة)، ويعرف الآن بوادي فاطمة^٦.

وخرج الرسول من المدينة، فسلك حرة بني حارثة، ثم (الشوط) بين المدينة وأحد، ثم (الشيخين) حتى نزل الشعب من (أحد) في عدوة الوادي إلى الجبل^٧. ولما عاد الرسول إلى المدينة، بلغه أن (أبا سفيان) كان بموضع (ملل)، يقرر الرجوع على المسلمين، وأن رجلاً أخبره أنه رأى (أبا سفيان) بالروحاء، وهو مجمع مع قريش على السير على المدينة. وسأل الرسول عن موضع قريش ف قيل له: إنه بالسيالة، فخرج من المدينة حتى وصل (حمراء الأسد) فبلغه رجوع قريش إلى مكة، وذهب شرها فرجع إلى يثرب^٨.

-
- ١ الطبري (٥٠٢/٢)، (غزوة أحد) .
 - ٢ تاج العروس (٢٩١/٩)، (عين) .
 - ٣ امتاع الاسماع (١١٥/١) وما بعدها .
 - ٤ تاج العروس (٢٢٩/١٠)، (طوى) .
 - ٥ امتاع الاسماع (٣٣٧/١) وما بعدها، الطبري (٢٣/٣) وما بعدها .
 - ٦ بلاد العرب (٢٤، ٢٢) .
 - ٧ الطبري (٥٠٤/٢) وما بعدها .
 - ٨ الطبري (٥٣٤/٢)، امتاع الاسماع (١٦٧/١) وما بعدها .

ولما عاد (عمرو بن أمية الضمري) من مكة ، وكان قد وجهه الرسول لقتل أبي سفيان ، خرج إلى (التنعيم) ، ثم أخذ طريق (الصفراء) ، ثم (غليل ضجنان) ، ثم أخذ المحجة ، ثم (النقيع) حتى وصل المدينة ^١ . و (التنعيم) على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة ، وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت ، على يمينه جبل نعيم ، وعلى يساره جبل ناعم ، والوادي اسمه (نعيم) ^٢ . و (الصفراء) واد بين مكة والمدينة ، وراء بدر مما يلي المدينة ^٣ . و (ضجنان) غليل يظهر من وصف خبر رجوع (عمرو بن أمية) إلى المدينة ، انه بعد الصفراء ، ذكر انه موضع أو جبل بين مكة والمدينة ، ويظهر ان العلماء كانوا قد اختلفوا في تعيين مكانه ^٤ . و (النقيع) هو (نقيع الخضات) الذي حماه (عمر) لنعم الفتي وخيل المجاهدين فلا يرعاها غيرها . وورد في الحديث أول جمعة جمعت في الاسلام بالمدينة في نقيع الخضات ^٥ . ويظهر من شعر لمعبد بن أبي معبد الخزاعي ، ان ماء (ضجنان) بعد ماء (قديد) ^٦ .

ولما سار الرسول على (بني لحيان) ، خرج من المدينة ، فسلك على (غراب) جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على (مخيض) ، ثم على (البراء) ثم صفق ذات اليسار ، ثم على (بين) ، ثم على (صخيرات السيام) ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، حتى نزل على (غران) ، وهي منازل بني لحيان . و (غران) واد بين (أميج) و (عسفان) إلى بلد يقال له (ساية) . ثم سار الرسول حتى نزل (عسفان) ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُرَاع (الغميم) ، ثم (كرا) ، ثم قفل الرسول راجعاً إلى المدينة ^٧ .

-
- ١ الطبري (٥٤٣/٢) وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (٨٤/٨) ، (نعم) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٥/٣) وما بعدها ، (صفر) .
 - ٤ تاج العروس (٢٦٣/٩) ، (ضجن) .
 - ٥ تاج العروس (٥٣٠/٥) ، (تقع) .
 - ٦ تهوى على دين أبيها الاتلـد قد جعلت ماء قديد موعدي
وماء منجنان لها ضحى الغد
 - ٧ الطبري (٥٦٠/٢) .
 - ٧ الطبري (٥٩٥/٢) .

ويظهر من هذا الوصف أن الرسول أراد اعماء خبر غزوته عن (بني لحيان) ، فسلك طريق الشام ، ثم غيّر اتجاهه ، فتوجه نحو (بين) وصحيرات السيام ، فبلغ الجادة ، ثم أسرع حتى بلغ (غران) ، منازل (بني لحيان) بين (أمج) و (عسفان) . فتكون منازل (بني لحيان) في هذه المنطقة .

ولما سار الرسول على مكة عام الفتح ، سلك طريق (العرج) ، و (العرج) جبل بين مكة والمدينة يمضي الى الشام^١ ، ووادي يقع بين أم البرك ، الموضع المعروف بالسقيا قديماً ، وبين الجي^٢ ، الوادي الذي يقطعه المسافرون مسع طريق السيارات القديم الى (المسجد)^٣ ، وذكر أنه على أربعة أميال من المدينة^٤ ، وكان الرسول قد نزل (السقيا) ، وهي (أم البرك) الآن^٥ ، وذكر أنه بين المدينة والصفراء ، وفي الحديث أنه كان يستعذب من بيوت السقيا^٥ . و (الصفراء) وراء (بدر) مما يلي المدينة^٦ . كما مرّ بثنية العقاب^٧ وبالأبواء ، وبذي الحليفة ، وبالجحفة ، وبالكديد ، وهو موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة بين (عسفان) و (رابغ) ، وقيل بين عسفان وقديد بينه وبين مكة ثلاث مراحل ، أو بين ثنية غزال وأمج^٨ . وب (قديسد)^٩ ، وبمر الظهران^{١٠} .

ولما حج الرسول حجة الوداع ، سار من المدينة، فصلى الظهر بـ (ذي الحليفة) ، ثم استوى بالبيداء ، ومرّ إلى (القاحه) ، وهو موضع على ثلاث مراحل من

-
- ١ المسالك (١٧٢) .
 - ٢ بلاد العرب (٣٣٨ ، ٢٩) .
 - ٣ تاج العروس (٧٢ / ٢) ، (عرج) .
 - ٤ بلاد العرب (٣٩٦ ، ٣٣٠ ، ٢٩) .
 - ٥ تاج العروس (١٨٠ / ١٠) ، (سقى) .
 - ٦ تاج العروس (٣٣٥ / ٣) ، (صفر) .
 - ٧ الطبري (٥٢ / ٣) .
 - ٨ تاج العروس (٤٨٣ / ٢) ، (كد) .
 - ٩ تاج العروس (٤٦١ / ٢) ، (قد) .
 - ١٠ امتاع الاسماع (٣٥٧ / ١) وما بعدها ، الطبري (٤٢ / ٣) وما بعدها ، (ذكر الخبر عن فتح مكة) .

المدينة وعلى ميل من (السقيا) ، وهو بين (الجحفة) و (قديد)^١ . ثم سار إلى (ملل) (يلملم)^٢ ، وهو موضع به آبار ، على مسافة اثني عشر ميلاً من (الشجرة)^٣ ، أو سبعة عشر ميلاً من (المدينة) ، وقيل عشرين ميلاً^٤ ، ثم شرف السيادة ، وهو موضع بين (ملل) و (الروحاء) في طريق مكة^٥ ، ثم (عرق الظبية) بين (الروحاء) و (السيادة) ، وهو دون (الروحاء) ، ثم نزل (الروحاء) ، ثم راح من (الروحاء) فصلى العصر بالمنصرف^٦ . و (المنصرف) على أربعة بُرْد من (بدر) مما يلي (مكة)^٧ ، وصلى المغرب بالمُتَعَشَّى وتَعَشَّى به ، وصلى الصبح بالأثاية . و (أثاية) بطريق (الجحفة) إلى مكة ، فيه مسجد نبوي ، قيل بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً ، أو بشر دون العرج^٨ . وأصبح بالعرج يوم الثلاثاء^٩ .

ونزل (السقيا) يوم الأربعاء ، وأصبح بالأبواء ، ثم راح إلى (الجحفة) ، ثم راح منها إلى (قديد) ، ثم (عسفان) ، ثم (الغميم) . ثم (مر الظهران) ، ثم نزل موضع (سرف) . ولما انتهى إلى (الثنيتين) بات بينها ، بين (كداء) و (كدى) ، ودخل مكة من (كداء)^{١٠} .

وأما الطريق من مكة إلى الطائف ، فمن مكة إلى بئر ابن المرتفع ، ثم إلى قرن المنازل ، وهي ميقات أهل اليمن والطائف ، ثم إلى الطائف ، ومن أراد من مكة إلى الطائف على طريق العقبة يأتي عرفات ، ثم بطن نعلان ، ثم يصعد عقبة حراء ، ثم يشرف على الطائف ويهبط ويصعد عقبة خفيفة ، تسمى (تنعم)

-
- ١ تاج العروس (٢ / ٢١٠) ، (قاح) ، امتاع الاسماع (١ / ٥١٢) ، (حاشية رقم ٣) .
 - ٢ « يلملم » هكذا في امتاع الاسماع (١ / ٥١٣) ، وهو خطأ ، ف « يلملم » ميقات أهل اليمن ، والصواب « ملل » .
 - ٣ المسالك (١٨٧ ، ١٣٠) .
 - ٤ تاج العروس (٨ / ١٢٠) ، (ملل) .
 - ٥ تاج العروس (٧ / ٣٨٥) وما بعدها ، (سال) ، (٦ / ١٥٢) ، (شرف) .
 - ٦ امتاع الاسماع (١ / ٥١٣) .
 - ٧ تاج العروس (٦ / ١٦٥) ، (صرف) .
 - ٨ تاج العروس (١٠ / ١٠) ، (أنى) .
 - ٩ امتاع الاسماع (١ / ٥١٣) .
 - ١٠ امتاع الاسماع (١ / ٥١٦) وما بعدها .

الطائف) ، ثم يدخل الطائف^١ .

وبين مكة والطائف ، موضع يقال له (بطن نخلة) (نخلة)^٢ ، اليه أرسل الرسول (عبدالله بن جحش) على رأس سرية ، ليرصد بها غير قريش . فسلكت على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له (بحران) سلك طريقه نحو (نخلة) حتى بلغها ، ففرت بهم غير لقريش تحمل زبيبا وأدماً وتجارة من تجارة قريش وخمراً ، فاستولت على الغير وأخذت أسيرين ممن كان يحرس الغير ، ورجعت الى المدينة . وذكر أن (عبدالله بن جحش) كان يحمل كتاباً من الرسول ، يعين له الهدف ، أمره ألا يفتحه إلا بعد أن يسير ليلتين ، فلما سار وصار ببطن (ملل) أو عند (بشر ابن ضميرة) فتح الكتاب ، فإذا فيه أن يذهب الى (بطن نخلة) ليتحسس أخبار قريش^٣ .

وقد سلك أهل مكة في ذهابهم الى اليمن وفي إيابهم منها جملة طرق ، منها ما تمرّ بالساحل ، ومنها ما تمرّ شرقاً عنه . ومن هذه الطريق : طريق يبدأ بمكة ، ثم الى (قرن المنازل) ، قريسة كبيرة ، وهو ميقات أهل اليمن والطائف ، واسم وادئ^٤ . ثم الى (الفتق)^٥ ، وهو قرية ، ثم الى (صفن) (صفر) (صقر) ، ثم الى (تربة) ، ثم الى (كرى) (كرا) (كدا) (كدى) ، ثم الى (رنية) ، ثم الى (تباله) ، ويرد اسمها في تأريخ (الحجاج) ، فقد استعمل عبد الملك (الحجاج) عليها ، فلما أتاها استحققها ولم يدخلها ، فقبل : « أهون من تباله على الحجاج »^٦ . ثم الى (ييشة بعطان) ، ثم الى (جسداء) ، ثم الى (بنات حرب) (بنات حرم) ، ثم الى (ييميم) ، وهو منزل في صحراء فيه بشر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خثعم ، وبينه وبين

١ المسالك (١٣٤) ، قدامة (١٨٧ وما بعدها) .

٢ وقد ذكر في شعر لامرئ القيس :

فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم جازع نجد كبكب

تاج العروس (١٣١/٨) ، (نخل) .

٣ الطبري (٤١٠/٢ وما بعدها) ، ابن هشام (٥٩/٢) ، (حاشية على الروض) ،

امتناع الاسماع (٥٥/١ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٣٠٦/٩) ، (قرن) ، صبح الاعشى (٤٣/٥) .

٥ تاج العروس (٤١/٧) ، (فتق) .

٦ تاج العروس (٢٣٩/٧) ، (تبل) .

(جرش) نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى (كتنة) (كتبة) ، ثم إلى (الثجة) ، ثم (سروم راح) (سروم راح) ، ثم إلى (المهجرة) ، وفيما بين (سروم راح) والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه الغرب ، غير أنها أعظم منه ، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن^١ . وكان النبي حجز بها بين اليمن ومكة^٢ .

ومن (المهجرة) يتجه الطريق إلى (عرقة) ، وهو أول عمل اليمن ، ثم إلى (صعدة) ، وهي مدينة يدبغ فيها الأدم ، واشتهرت بالنعل^٣ . ولصعدة مخاليف ، وقرى كثيرة . وقد ذكر (قدامة) أن أكثر تجار (صعدة) من أهل البصرة ، وطريق منها للبصريين يرجع إلى (ركة) (الركبة) . مما يدل على أن التجارة كانت متينة بين أهل اليمن وبين أهل البصرة في الإسلام . ومن يدري ، فلعل هذه التجارة تعود إلى ما قبل تأسيس البصرة ، أي إلى ما قبل الإسلام .

ومن صعدة ، يتجه الطريق إلى (الأعمشية) ، ومن الأعمشية إلى خيوان ، قرية جبلية الماء من السماء ، وفيها كروم ، ومن خيوان إلى (اثافت) ، وهي قرية عظيمة وفيها زروع وكروم ، وماء الشرب من بركة^٤ . ثم إلى صنعاء^٥ . والطريق المذكور، هو الطريق الذي عليه الأميال ، وهو طريق العوامل والعمال^٦ . فهو الطريق المسالك الذي يمر به البريد .

وذكر العلماء أن أهل (صنعاء) كانوا إذا أرادوا مكة قصدوا (الرحابة) ، ثم إلى (رافدة) ، ثم إلى (خيوان) ، ثم إلى (صعدة) ، ثم إلى (النضج) ، ثم (القصبة) ، ثم (الثجة) ثم كتبة ، (كتنة) ، ثم بنات حرم (بنات حرب) ثم جسداء ، ثم ببشة ، ثم تبالة ، ثم رنية ، ثم الزعراء ، ثم صفر ، ثم الفتق ، ثم بستان ابن عامر ، ثم مكة^٧ .

-
- ١ المسالك (١٣٤) وما بعدها .
 - ٢ قدامة (١٨٩) .
 - ٣ المسالك (١٣٥) ، تاج العروس (٣٩٨/٢) .
 - ٤ المسالك (١٣٦) ، قدامة (١٨٩) ، صبح الاعشى (٤٣/٥) وما بعدها .
 - ٥ المسالك (١٣٦) .
 - ٦ قدامة (١٩٠) .
 - ٧ قدامة (١٩٢) ، الصفة (١٨٦) .

و (تربة) بناحية (العلاء) ، على أربع ليالٍ من (مكة) طريق صنعاء ونجران . واليه أرسل الرسول (عمر بن الخطاب) على رأس سرية في شعبان سنة سبع . وأصحابها من (عجز هوازن)^١ .

وذكر (الهمداني) محجة (صنعاء) إلى مكة على هذا النحو : ريدة ، ومنها إلى (أثافت) ، ثم حيوان ، ثم العمشية ، ثم صعدة ، ثم إلى (العرقة) ، في المحجة اليسرى القديمة ، ثم بقعة في المحجة اليمنى المحدثنة ، ثم إلى مهجرة ، ثم إلى أرنب ، ثم سروم الفيض ، ثم إلى الثجة ، ثم إلى كتنة ، ثم إلى الهجيرة ، ثم إلى يَسَمِيم ، ثم إلى بنات حرب ، ثم إلى الجسداء ، ثم إلى ييشة بعطان ، ثم تباله ، ومنها إلى كرى ، ثم تربة ، ثم إلى الصُفْن ، ثم الفتق ، ثم إلى رأس المناقب ، ثم قرن المنازل ، ثم رمة ، ثم الزيمة ، ثم مكة^٢ .

وذكر (الهمداني) أن هنالك طريقاً يمر بتهامة ، هو محجة صنعاء إلى مكة . فقال : « من صنعاء صليت من البون ، ثم المريد ، ثم أسفل العرقة وأخرف ، ثم الصرجة ، ثم رأس الشقيقة ، ثم حرص ، ثم الخصوف من بلد حكم ثم الجوينية من قنونا وتسمى القناة ، ثم دوفة وهي للعبدية من بقايا جرهم ، ثم إلى السّرين ، ثم المعجر ، ثم الخيال ، ثم إلى يللم ثم ملكان ثم مكة . هذه طريق الساحل » . « والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا وتسمى حليّة ، واليه ينسب أسود حليّة ... ثم إلى عشم ، ثم على الليث ومركوب إلى يللم »^٣ .

وأما محجة (عدن) ، فمن عدن إلى المخنق ، ومن المخنق الحُجار ، ومن الحجار المسيل ، ومن المسيل عبدة ، ومن عبدة إلى كهالة ، بشر ذي وزن ، ومن كهالة المايلية ، ثم المقعدة ، ثم إلى زبيد ، ثم إلى المعقر ، ثم الكدراء ، ثم المهجم ، وبالمهجم تفضى محجة صنعاء على وادي سهام ، ثم بلحة من وادي مور ، ثم الحسارة ، ثم العباية ، ثم الشرجة ، ثم العُرش ، ثم عثر^٤ .

وذكر (ابن خرداذبه) طريقاً ساحلياً ربط (عمان) بمكة ، وهو الطريق الذي سلك في الإسلام . وقد كان جاهلياً ولا شك ، لأن الجاهليين والروم وغيرهم كانوا يساحلون العربية الغربية والجنوبية والشرقية ، ويهبطون بعض المواضع التي

١ امتاع الاسماع (٣٣٣/١) ، تاج العروس (١٥٩/١) ، (ترب) .

٢ الصفة (١٨٦) وما بعدها .

٣ الصفة (١٨٨) .

٤ الصفة (١٨٨) .

يذكرها المسلمون كمراحل لهذا الطريق . ويبدأ الطريق بعان ، ثم يمر الى (فرق)، ثم الى (عوكلان) ، ثم الى ساحل (هباه) (هماه) ، ثم الى (الشحر) ، وهي بلاد (الكندر)^١ ، ثم الى مخلاف (كندة) ، ثم الى مخلاف (عبدالله بن مذحج) ، ثم الى مخلاف (لحج)^٢ ، ثم الى (عدن أبين) ، ثم الى (مغاص اللؤلؤ) ، ثم الى (مخلاف بني مجيد) ، ثم الى (المنجلة) ، ثم الى مخلاف الركب ، ثم الى المندب ، ثم الى مخلاف زبيد ، ثم الى غلافقة ، ثم الى مخلاف عك ، ثم الى الحردة ، ثم الى مخلاف حكم ، ثم الى عثر ، ثم الى مرسى ضنكان ، ثم الى مرسى حلي، ثم الى السرين ، ثم الى أغيار ، ثم الى الهرجاب ، ثم الى الشعبية ، ثم الى منزل لم يذكر (ابن خرداذبه) اسمه ، ثم الى (جدة) وهي اسلامية ، لم تكن في الجاهلية ، وإنما ذكرت هنا ، لأن هذا الطريق ، كان يسلك في الاسلام ، ومن جدة الى مكة^٣ .

ويوجد طريق بري بين مكة وحضرموت يمر بـ (نجران) و (الضحيان) و (تثليث) ، وهو طريق مختصر يكون الجادة الى حضرموت^٤ .

وذكر (الهمداني) ان محجة حضرموت من العبر الى الجوف ، ثم صعدة ، وتنضم معهم في هذه الطريق أهل مأرب ، وبيحان ، والمسرورين ، ومرخة ، وهذه محجة حضرموت العليا . وأما محجتها السفلى ، فمن العبر في شتر صيهدي الى نجران ، ثم من نجران حيونن ، ثم الملحات ، ثم لوزة ، ثم عبالم ثم مريع ، ثم الهجيرة ، ثم تثليث ، ثم جاش ، ثم المصامة ، ثم مجمعة ترج ، والتقت بمحجة صنعاء بنبالة^٥ .

١ قال الشاعر :

اذهب الى الشحر ودع عمانا
الا تجيد تمرا تجد لبانا
المسالك (١٤٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٩٣/٣) ، (شجر) .

٢ « ولحج بفتح فسكون بعدن أبين . سمي بلحج بن وائل بن القوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميح بن حمير بن سبأ » ، تاج العروس (٩٤/٢) .

٣ المسالك (١٤٧ وما بعدها) ، قدامة (١٩٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٥٧/٥) .

٤ تاج العروس (٢١٧/١٠) ، (ضحا) .

٥ الصفة (١٨٨ وما بعدها) .

الفصل الرابع بعد المئة

الاسواق

والسوق المحل الذي يتسوق منه . وهي إما ثابتة مع أيام السنة ، يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون للشراء ، وإما موسمية ، تعقد في مواسم معينة ، فإذا انتهى الموسم رفعت . ويقال للسوق القسيمة كذلك^١ .

وتكون الأسواق الثابتة في مواضع السكن ، كالقرى والمدن والمستوطنات، أي بين (الحضر) ، حيث القرار والاستقرار والإقامة ، فيجلس الناس في السوق يبيعون ما عندهم من سلع ، يسطونها على الأرض ، أو على (الدكة) المبنية للجلوس عليها ، ولعرض البضاعة فوقها ، أو على مائدة أو ما شابه ذلك، وهم من صغار الباعة ممن لا تكون عندهم سلع كثيرة . أما الباعة الكبار فيجلسون في (حوانيت) ، وهي (الدكاكين) ، يبيعون فيها سلعهم التي توضع فيها ، ولها أبواب ، فإذا انتهوا من البيع ، أغلقوها ليعودوا إليها في اليوم الثاني . ويقال للحنوت (المبيعة) كذلك .

ولم يكن كل الباعة يملكون حوانيتهم ، أو ما يعرضونه من سلع للبيع . فبينهم

١ « والقسيمة ، وهي السوق أيضا » ، القاموس (٤/١٦٥) ، والقسيمة كسفينة ، وبه يفسر قول عنتره :
وكان فأرة تاجر بقسيمة
سبقت عوارضها اليك من الفم
وعلى قول ابن الأعرابي أصله القسيمة فأشبع الشاعر ، ضرورة . وهي السوق ،
تاج العروس (٢٧/٩) ، (قسم) .

من كان يشتغل لغيره ، كأن يكون مملوكاً ، أقامه سيده في (مبيعته) ، لبيع عنه ، وليأتي بثمان ما باعه اليه ، ومنهم من كان أجيراً اتفق مع صاحب الخانوت ومالكه على أن يشتغل عنده في مقابل أجر يقدمه اليه ، فهو لا ينال من الدكان إلا أجر عمله .

والبيع في العربية من الأضداد ، يقال : باع فلان اذا اشترى ، وباع من غيره . والبائع هو كل من البائع والمشتري ، والبياعة : السلعة ، والتبايع المبايعة ، والبيعة الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة ، والمبيعة الدكان ، أي موضع البيع^١ .

وقد تخصص بعض الجاهليين في عمله ، فمنهم من كان حدّاداً ، حرفته معالجة الحديد ، ومنهم من كان نجاراً ، ومنهم من كان بزّازاً ، ومنهم من كان عطّاراً ، ومنهم من كان (جزاراً) حرفته (الجزارة) . وقد يجتمع صنف واحد من الباعة في مكان واحد ، يكونون سوقاً خاصة بهم ، فتسمى سوقهم باسم ذلك الصنف .

وهناك مصطلحات تطلق على السوق من حيث الرواج والكساد . فإذا نشطت السوق وراج عمل أصحابها قيل نفقت السوق^٢ ، وإذا كسدت قيل انجمت^٣ .

و (الصفقة) البيعة . يقال صفقة رابحة و صفقة خاسرة ، أي بيعة . وإنما قيل للبيعة صفقة ، لأنهم إذا تبايعوا تصافقوا بالأيدي ، ويقال لمن لا يشتري شيئاً إلا ربح فيه : إنه لمبارك الصفقة . والصفقة تكون للبائع والمشتري . والصفق التبايع . وفي حديث (ابن مسعود) صفقتان في صفقة ربا ، أراد بيعتان في بيعة ، وهو على وجهين ، أحدهما أن يقول البائع للمشتري بعثك عبدي هذا بمائة درهم على أن تشتري مني هذا الثوب بعشرة دراهم ، والوجه الثاني أن يقول بعثك هذا الثوب بعشرين درهماً على أن تبيعني سلعة بعينها بكذا وكذا درهماً^٤ . و (الصفاق) الكثير الأسفار والتصرف في التجارات^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٢٨٤/٥ وما بعدها) ، (بيع) .
 - ٢ القاموس (٢٨٦/٣) ، تاج العروس (٧٩/٧) .
 - ٣ القاموس (٢٢٤/٣) ، تاج العروس (٣٢٤/٦) .
 - ٤ تاج العروس (٤٠٩/٦) ، (صفق) .
 - ٥ تاج العروس (٤٠٩/٦) ، (صفق) .

وقد يشهد الأسواق للتجارة قوم لا رأس مال عندهم ولا نقد لديهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم فيه . ويقال لهؤلاء : (الصعافقة)^١ .

وقد ترد التجارة من الخارج لبيعها في السوق . ويقال للذين يجلبون الإبل والغنم للبيع الأجلاب والجلب . وذكر أن الجلب ما يجلب من إبل وغنم وخيل ومتاع وسبي . وفي المثل : النفاض يقطر الجلب ، أي إذا نفّض القوم ، بمعنى نفدت أزوادهم قطروا إبلهم للبيع ، كالجلبية و (الجلوبة)^٢ . ويقال لموضع بيع النعم : (المربد)^٣ .

وتتار القبائل ميرتها من أسواق الحضر ، والميرة الطعام يمتاره الإنسان، وجلب الطعام . فكان رجالها يقصدون الأسواق في المواسم وعند الحاجة لشراء ما فيها من طعام يحتاجون إليه ، ومن حاجيات أخرى يحتاجون إليها، ثم يعودون إلى منازلهم . و (الميار) جالب الميرة ، ويقال للرفقة التي تنهض من البادية إلى القرى لثمتار (ميارة)^٤ .

و (السواقط) الذين يردون اليامة لامتيار التمر ، و (السقاط) ما يحملونه من التمر^٥ .

ويقال لكل سوق يجلب إليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة (لطيمة) . والميرة لما يؤكل . وذكر أن اللطيمة سوق فيها أوعية من العطر ونحوه ، وربما قيل لسوق العطارين لطيمة^٦ .

ويقال للإبل التي تخرج ليجاء عليها بالطعام (ركاباً) ، حين تخرج وبعدما تجيء . وتسمى عبراً على هاتين المنزلتين . والتي يسافر عليها إلى مكة أيضاً ركاب تحمل عليها المحامل والتي يكثرون ويحملون عليها متاع التجار وطعامهم كلها ركاب ، ولا تسمى عبراً ، وإن كان عليها طعام إذا كانت مؤاجرة بكرى . وليس العير التي تأتي أهلها بالطعام ولكنها ركاب . ويقال زيت ركابي ، لأنه

-
- ١ تاج العروس (٤٠٧/٦) ، (الصعفوق) .
 - ٢ تاج العروس (١٨٤/١) ، (جلب) .
 - ٣ تاج العروس (٣٤٩/٢) ، (ربد) .
 - ٤ تاج العروس (٥٥٢/٣) ، (ماير) .
 - ٥ تاج العروس (١٥٦/٥) ، (سقط) .
 - ٦ تاج العروس (٦٠/٩) ، (لطم) .

يحمل من الشام على ظهور الإبل^١ .

وبياع في الأسواق كل شيء : سلع مختلفة الأصناف والألوان ومنها البشر والحيوان . وقد ذكر العبيد والإماء مع الحيوانات في بعض الأوامر والأنظمة التي أصدرها الملوك في تنظيم البيع والشراء ، وفي كيفية جباية حصة الحكومة من البيع والشراء ، كما في هذه الجملة المقتبسة من أمر ملكي أصدره الملك (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) في تنظيم التجارة والجباية : « بن انسم وابلم وثورم وبهرم وشامت بمنمو ذيشاتم عېدم فعو اتم وبهرم »^٢ . ومعناها : « من انس (بشر) وإبل وثيران وبعر تشتري . ومن يشتري عبداً أو أمتاً أو بعراً » . فذكر (انسم) أي (انس) وذكر بعدهم الإبل والثيران والبعر وغير ذلك . وكيف يميز بين الانسان والحيوان ، والانسان في ذلك الوقت سلعة ، مثل سائر السلع تباع وتشترى ، ليكون عبداً وخادماً ومملوكاً لمشتريه !

والبضاعة ، القطعة من مال يتجر فيه . وأبضعه البضاعة أعطاه إياها^٣ . وهي من الألفاظ التجارية التي لا زالت رائجة جارية على كل لسان في الأسواق . ويقال لثمن الشيء : (القيمة) ، وهو ثمن الشيء بالتقويم . وقومت السلعة ثمنها . ويقول أهل مكة : (استقمتها) ، أي ثمنتها ، ويقولون استقمت المتاع ، أي قومتها^٤ .

و(العينة) خيار المال . وعين التاجر ، إذا باع من رجل سلعته بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن الذي باعها به . وقد كره العينة أكثر الفقهاء وروى فيها النهي^٥ .

وقد كانت بالقرى والمدن أسواق محلية ، فكان بمكة والمدينة أسواق بها مبيعات . ويظهر أن (ملأ) القرى كانوا يشرفون عليها ويأخذون ضرائب البيع والشراء منها . وقد ورد أن (عمر) استعمل على سوق المدينة (السائب بن يزيد) وسليمان بن أبي خيثمة وعبدالله بن عتبة بن مسعود^٦ . ولم تشر الرواية الى الأعمال

١ تاج العروس (٢٧٧/١) ، (ركب) .

٢ REP. EPIGR. 3910.

٣ تاج العروس (٢٧٩/٥) ، (بضع) .

٤ تاج العروس (٣٦/٩) ، (قوم) .

٥ تاج العروس (٢٩١/٩) ، (عين) .

٦ الاصابة (١٢/٢) ، (رقم ٣٠٧٧) .

التي أناطها (عمر) هؤلاء . ولكني لا استبعد احتمال كون هذا التعمين استمرار
لعادة قديمة كانت متبعة يثرب قبل الإسلام ، لمراقبة السوق ، ولتبع التلاعب به
وأخذ الحقوق من التعامل بالسوق .

أسواق العرب الموسمية :

وللعرب أسواق يقيمونها شهور السنة ويتنقلون من بعضها الى بعض ويحضرها
سائر العرب بما عندهم من حاجة الى بيع أو شراء^١ . وتقع هذه الأسواق في
مواضع مختلفة متناثرة من جزيرة العرب . فهي إذن أسواق عربية . وهناك أسواق
أخرى قصدها العرب للتجارة في مواسم وفي أوقات مختلفة ، كانت خارج جزيرة
العرب ، في العراق أو في بلاد الشام أو في الحبشة ، وقد كان العرب يقصدونها
أيضاً للتجارة والامتياز .

وقد ذكر (اليقوبي) ، ان أسواق العرب كانت عشرة أسواق يجتمعون بها
في تجارتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم^٢ . ويظهر
من قول (اليقوبي) هذا من انهم كانوا يأمنون فيها على دمائهم وأموالهم أثناء
التقائهم بها . ان من دين أهل الجاهلية ، اعتبار هذه الأسواق أماكن حراماً ،
يأمن الانسان فيها دمه وماله ما داموا في ضيافة السوق وحرمة . ولهذا كان لكل
سوق (قومة) يقومون بأمر السوق وبالمحافظة على الأرواح والأموال فيه . فقد
« كان في العرب قوم يستحلون المظالم ، إذ حضروا هذه الأسواق ، فسموا
(المحلون)^٣ . وهؤلاء (المحلون) ، هم مثل (المحلون) الذين كانوا لا يقيمون
وزناً لحرمه (الحرم) و (الحرمات) ، مثل حرم مكة ، ولا يقيمون للأشهر
الحرم قدراً ، فكانوا يعتدون فيها وفي كل شهر ، ولذلك قيل لهم (المحلون) .

١ بلوغ الارب (٢٦٤/١) ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة (١٦١/٣) وما بعدها) ،
المفضليات (٢٠٨) ، البكري ، معجم (٩٥٩/٣) ، النقائض (١٣٩/١) ، العقد الفريد
(٢٠٨/٥) ، البيان والتبيين (١٠٠/٣) ، الاغانسي (٢٣/٥) ، (٨٢،٦/١١) ،
(١٦/١٢) ، (٢٤٠/١٥) ، أسد الغابة (٢٢٤/٢) ، الاغانسي (١٤٥/١٤) .

٢ اليقوبي (٢٣٩/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

٣ اليقوبي (٢٤٠/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

ومن المحلّين قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة^١.

ولحماية الأسواق والمجتمع من (المحلّين) ، الذين أباحوا لأنفسهم استغلال المظالم ، ظهر قوم من أهل المروءة والمعروف ، تواصلوا فيما بينهم على ردّ السفه عن سفهه والغاوي عن غيّه، ونصبوا أنفسهم حماة على الأسواق ، يحملون سلاحهم فيها في الأشهر الحلّ وفي الأشهر الحرم للذود عن الحرمات . وقد عرف شل هؤلاء ب (الذادة المحرمون) . وقد تحدث عنهم (اليعقوبي) ، فقال : « وكان في العرب قوم يستحلّون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق ، فسمّوا المحلّون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر ، فيسمون : الذادة المحرمون . وأما المحلّون ، فكانوا قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر ابن صعصعة . وأما الذادة المحرمون ، فكانوا من بني عمرو بن تميم ، وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة . فكانوا هؤلاء يلبسون السلاح للدفعهم عن الناس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم »^٢.

والذود في اللغة السوق والطرّد والدفع . فالذادة هم المدافعون الذابون عن المظلومين ، والواقفين أمام الظالمين . وقد ورد (ذادة) بمعنى يذودون عن الحرم^٣.

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في موضع معين ، إنما كانت تعقد في مواضع مختلفة متعددة من جزيرة العرب . وقد خصصت في الغالب بامتياز الأعراب وبشراء ما عندهم من سلع فائضة عليهم . ولا يستبعد بالطبع ورود التجار الأجانب إليها من غير العرب ، فقد كان الروم مثلاً يتوغلون إلى مسافات بعيدة في هذه الأرضين الشاسعة للبيع والشراء .

وبحكم ورود أناس إلى هذه الأسواق لا يسهل الاجتماع والاتصال بهم في الأوقات الأخرى ، فقد قصدوا أناس من أماكن بعيدة بحثاً عن طلب أو ترويجاً لرأي ،

١ اليعقوبي (٢٤٠/١) ، العقد الفريد (٢٠٦/٢) ، البيان والتبيين (١٠٠/٣) .

٢ اليعقوبي (٢٤٠/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

٣ تاج العروس (٣٤٧/٢) ، (ذود) .

فقصدها المبشرون للاتصال بالقبائل وللتأثير في بعض أفرادها لادخالهم في دينهم .
وفي كتب السير : ان الرسول نفسه كان يخرج في المواسم ، لعرض نفسه على
القبائل ، ولهدايتهم الى الاسلام .

ومن أشهر أسواق العرب عند ظهور الإسلام : (سوق دومة الجندل) ،
و (سوق هجر) ، و (سوق عمان) ، و (سوق المشقر) ، و (سوق
عدن أبين) ، و (سوق صنعاء) ، و (سوق حضرموت) ، و (سوق
ذي المجاز) ، و (سوق مجنة) ، و (سوق عكاظ) ، و (سوق حباشة) ،
و (سوق صحار) ، و (سوق بدر)^١ ، و (سوق بني قينقاع) ، و (سوق
الشحر) ، و (سوق عثر) ، وأسواق محلية أخرى تأتيتها القبائل والعشائر
للامتياز. وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن أسواق العرب الكبيرة كانت في الجاهلية
ثلاث عشرة سوقاً ، وأولها قياماً دومة الجندل^٢ .

وذكر (الهمداني) ، أن من أسواق العرب القديمة : عدن ، ومكة ، والجند ،
ونجران ، وذو المجاز ، وعكاظ ، وبدر ، ومجنة ، ومنى ، وحجر اليمامة ،
وهجر البحرين^٣ . وسوق (همل) من الخارف ببلد حاشد^٤ . وهناك أسواق أخرى
عديدة وردت أسماؤها عرضاً في روايات أهل الأخبار .

أما (دومة الجندل) ، فكانوا ينزلونها أول يوم من شهر ربيع الأول ،
يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والتبادل . وكان أكيدر صاحب دومة الجندل
يرعى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم ، وتدوم سوقهم الى نصف الشهر . وكان
(أكيدر) يعثر الناس ، وربما يتولاها بنو كلب الذين يأتونهم متأخرين ،
فيتولونها ، وتدوم عندئذ الى آخر الشهر ، ويتولون هم حينئذ تعشير الناس^٥ .
ويعرف البيع فيها بـ (بيع الحصاة) ، وهو نوع من أنواع المقامرة أبطله

١ الطبري (٢٧٦/٢) ، صبح الاعشى (١/٤١٠ وما بعدها) .

٢ المرزوقي ، الازمنة والامكنة (٢/١٦١) .

٣ الصفة (١٧٩ وما بعدها) .

٤ الصفة (١١٣) .

٥ البلدان (١٠٦/٤ وما بعدها) ، (٢/٦٢٨ وما بعدها) ، « طبعة طهران » سنة
١٩٦٥ ، اليعقوبي (١/٢٢٦) « طبعة النجف » ، ابن خلدون (٢) ، القسم الاول
ص (٧٧٣) « بيروت ١٩٥٦ م » .

الاسلام^١. وكانت تقصدها قبائل الشام والحجاز والأقسام الشمالية والغربية من أعالي نجد ، وتقيم بالقرب منها كلب وجديلة طيء .

وكان الذي يشرف على هذه السوق سادات العرب من كلب أو من غسان ، يتنافسون عليها ويتزايدون ، فأى الحيين فاز ، خضع ودان له الآخر . وكان مكس هذه السوق لمن يتولى الاشراف عليها . وهم جميعاً يأخذون الاذن بالإشراف على السوق من الملك الذي يحكم الموضع في ذلك الوقت^٢ . وكان الإشراف على هذه السوق عند ظهور الاسلام بين (الأكيدر) وبين (قنافة الكلبي) الذي كان ينافسه على الملك^٣ .

وذكر (ابن حبيب) انه « كان لكلب فيها قنّ كثير في بيوت شعر ، فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء ويأخذون كسب أولئك البغايا ، ولما كان الاسلام حرم هذه العادة بالآية : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا »^٤ .

ودومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ ، ومن مغربيه عين تثج فتسقي ما به من النخل والزرع ، ودومة ضاحية بين غائطها واسم حصنها مارد^٥ . وهو حصن قديم ، ورد ذكره في الشعر الجاهلي وفي كتب الأدب . وقد اكتسب شهرة كبيرة بين الجاهليين حتى ضربوا به وب (الأبلق) حصن السمائل المثل في العزّ والمنعة ، فقالوا : « تمرد مارد وعزّ الأبلق » ، قالوا : قصدهما الزباء فعمجزت عن قتالها ، فقالت : « تمرد مارد وعزّ الأبلق » ، وذهب مثلاً لكل عزيز ممتنع^٦ . ويظهر أن حصن (مارد) كان من الحصون الحصينة القديمة التي

-
- ١ بلوغ الارب (٢٦٤/١ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢١٤) ، الطبري (٢/ ٥٧٨) « مطبعة الاستقامة » ، تاريخ الخميس (١/٢٠ وما بعدها) ، فتوح البلدان (٦٨/١ وما بعدها) ، جمهرة أنساب العرب (٤٠٣) ، فتوح البلدان (٢٢٣) « دار النشر للجامعيين » بيروت ١٩٥٧ .
 - ٢ البلدان (١٠٦/٤) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (١٦١/٢ وما بعدها) ، المحبر (٢٦٤) ، البكري (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، مراصد الاطلاع (٥٤٢/٢ وما بعدها) ، التاريخ الكبير (٨٩/١ وما بعدها) ، المسالك والممالك (١١٥) الكامل (١٩٢/٢) ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢) .
 - ٣ النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ٣٣ ، المحبر (٢٦٤) ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (١٠٦/٤) .
 - ٤ تاج العروس (٢٩٧/٨) ، (دوم) .
 - ٦ تاج العروس (٥٠٠/٢) ، (مرد) .

بنيت ب (الجندل) ، أي الحجر^١ .

ولم تكن دومة الجندل سوقاً يقصدها التجار في موسم واحد معين ، بل كانت مفرقاً مهماً من مفارق الطرق ، وموضعاً يقصده أصحاب القوافل الزاهبون من جزيرة العرب الى العراق والى بلاد الشام ، وبالعكس ، لوجود الماء العذب بها ، وما يحتاج المسافر اليه من زاد وماء . وهي اليوم (الجوف) في المملكة العربية السعودية .

ويقصد سوق المشقر الأعراب الساكنون في العربية الشرقية والأعراب القرييون الى هذا الموضع ، ويرد الى هذه السوق تجار فارس ببياعاتهم يقطعون البحر ، فيتاجرون مع من يقصد هذه السوق من القبائل والحضر . وكانت بنو تميم وعبد القيس جيرانها . أما المشقر عليها فرؤساء تميم من بني عبدالله بن زيد رهط المنذر بن ساوى ، وكانوا يلقبون باللقاب الملك . ويسيرون في معاملتهم في هذه السوق سيرة الملوك بدومة الجندل ، يأخذون العشر . وكان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش ، لأنها لا تؤتي إلا في بلاد مضر . وكان يبيعهم فيها الملامسة والمهمة . وتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة الى آخر الشهر^٢ .

وقد قصد هذه السوق أحياء من العرب من مختلف أنحاء جزيرة العرب ، كما وفدت اليها اللطائم . وطالما اعجبت أرض هجر ، وموضع المشقر منها ، بعض هؤلاء الأعراب فيبقون فيها ولا يرتحلون عنها ، فمن هناك صارت بهجر طوائف من كل حي من العرب وغيرهم^٣ .

ويحكي المشقر حصن قديم قويم ، يقال ورثه (امرؤ القيس) ، وقد أشير اليه في الشعر . قال عنه (المخبل) :

١ تاج العروس (٧/٢٦٦) ، (الجندل) .

٢ المحبر (ص ٢٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٢٦) ، البكري ، معجم (٤/١١٩٣) ، البلدان (٥/١٣٤) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (٢/١٦٢ وما بعدها) ، اثار البلاد وأخبار العباد (ص ٧٣) ، مرصد الاطلاع (٣/١٢٧٥) ، البكري (٣/١٢٣٢) .

٣ الازمنة والامكنة (٢/١٦٣) .

فلئن بنيت لي المشقر في صعب تقصر دولته المهم
لتنقبن عني المنية ان الله ليس كعلمه علم^١

وكان من الحصون التي تحمي قرى ساحل الخليج من الأعراب ، به حامية كبيرة ، تغلق عليها الأبواب عند ذنو الخطر . ويظهر من قصة فتك المكعب بتميم ، أنه كان ذا باين ، وكان قد بني لحماية المنطقة من الأعراب وللمحافظة على الأمن . وقد كان حصناً كبيراً ادخر فيه الفرس الميرة والأرزاق لتوزيعها على الأعراب أيام المجاعة . وبه جنود من الفرس ، يحكمهم قواد منهم ، يقومون بضبط الأمن ومراقبة حركات الأعراب .

وتعقد سوق هجر في شهر ربيع الآخر ، وكان الذي يتولى تعشير التجار بها (المنذر بن ساوى) ، أحد بني عبدالله بن دارم . وهو ملك البحرين^٢ . وهجر اسم لجميع أرض البحرين ، وقصبة بلاد البحرين . وقد عرفت بكثرة تمرها ، ومنه المثل كمبضع تمر الى هجر . وذكر أن (عمر) تذكرها فقال : عجبت لتاجر هجر وراكب البحر ، كأنه أراد لكثرة وبائها ، فتاجرها وراكب البحر في الخطر سواء^٣ . ويظهر أنها كانت موبوءة .

ثم يرتحلون نحو عمان من البحرين أيضاً ، فتقوم سوقهم بها . ثم يرتحلون فينزلون (لارم) وقرى الشحر ، فتقوم أسواقهم بها أياماً . ثم يرتحلون فينزلون سوق عدن^٤ .

أما (سوق عدن) ، فكانت تقوم أول يوم من شهر رمضان الى عشر يمين منه . وكانت الأبناء هي التي تعشر التجار بها ، والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز وقتلوا الحبشة . وكان التجار لا يتخفرون فيها بأحد ، لأنها أرض مملكة ، وأمرها محكم^٥ . أما ما قبل حكم الأبناء . فقد كان يعشر هذه

١ وقال عنه « لبيد » :

وأفنى بنات الدهر أرباب ناعط
وانزلن بالدومي من رأس حصنه
بمستمع دون السماء ومنظر

٢ تاج العروس (٣ / ٣١١) ، (شقر) .

٣ صبح الاعشى (١ / ٤١٠) وما بعدها .

٤ تاج العروس (٣ / ٦١٣) وما بعدها ، (هجر) .

٥ صبح الاعشى (١ / ٤١١) .

المحبر (ص ٢٦٦) .

السوق ملوك حير ، ثم من ملك اليمن من بعدهم . وأشهر ما يباع فيها الطيب . ولم يكن أحد يحسن صنع الطيب من غير العرب ، حتى ان تجار البحر ترجع بالطيب المعمول تفخر به في السند والهند ، ويرحل به كذلك تجار البر الى فارس والروم^١ .

وأما سوق صنعاء ، فكانت تقوم في النصف من شهر رمضان الى آخره . وكانت الأبناء تعشرهم . وكان بيعهم بها الجس جس الأيدي^٢ . وقد اشتهرت ببيع الخرز والأدم والبرود . وكانت تجلب اليها من معافر^٣ . والقطن والكتان والزعفران والأصباغ وأشباهاها مما يتفق بها ، ويشترى بها ما يريدون من البر والحديد وحاصلات اليمن وما يأتي الى اليمن من تجارات البحار^٤ .

وسوق ذي المجاز ، قريبة من عكاظ ، وتقوم أول يوم من ذي الحجة الى يوم التروية . ثم يصيرون الى منى^٥ . وقد كانت لهذيل . وكانت مبايعة العرب بها بإلقاء الحجارة ، وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول السلعة يساومون بها صاحبها ، فأبهم أراد شراءها ألقى حجراً ، وربما اتفق في السلعة الرهط ، فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون . وربما ألقوا الحجارة جميعاً فيوكسون صاحب السلعة اذا تظاهروا عليه . وكانت قریش تخرج قاصدة اليها من مكة ، فإن اخذت على حزن لم تتعذر من القرب حتى ترجع ، وذلك أن مضر عامتهم لا تتعرض لتجار قریش ولا يتهمهم حليف لمضري مع تعظيمهم لقریش ومكانتهم في البيت^٦ .

وأما سوق حُباشة ، فن أسواق العرب المشهورة القديمة في الجاهلية في العربية الغربية . وهي سوق بتهامة ، يتاجر فيها أهل الحجاز . وأهل اليمن . وكان

١ الازمنة والامكنة (١٦٥/٢) ، اليعقوبي (٢٣٦/١) .

٢ المحبر (ص ٢٦٦) .

٣ صبح الاعشى (٤١٠/١) وما بعدها) .

٤ الازمنة والامكنة (١٦٥/٥) ، اليعقوبي (٢٣٦/١) .

٥ المحبر (ص ٢٦٧) .

٦ الازمنة والامكنة (١٦١/٢) .

في جملة من حضرها وتاجر فيها الرسول^١ . وكانت تقام في شهر رجب^٢ .
وحباشة سوق أخرى كانت لبني قينقاع^٣ .

وكان الجلندي بن المستكبر ، هو الذي يعشر تجسار سوق صحرار بعمان ،
وكذلك تجار سوق (دبا) . وكان يقصد سوق (دبا) تجار السند والهند والصين
ومواضع أخرى ، فهي سوق عظيمة كبيرة ، ذات تجارة مع العالم الخارجي .
أحدى فرضتي العرب . ويقوم سوقها آخر يوم من رجب . وكان بيعهم فيها
المساومة . وتقوم سوق صحرار أول يوم من رجب . تقوم خمس ليال^٤ . ويذكر
بعض أهل الأخبار ان البيع في سوق صحرار هو بالقاء الحجارة^٥ .

وقد اشتهرت (صحرار) بشبابها ، فعرفت باسمها ، كما كانت سوقاً للتجارات
المستوردة من اليمن والصين والبحرين والهند . ولذلك كانت سوقاً نشطة ، وبها
أصحاب حرف وصناعة^٦ .

وأما (بدر) ، فكان موضعاً فيه ماء وفيه وقعت معركة بدر الكبرى . وكان
موسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوق كل عام ، يجتمعون فيه للتجارة
وللتنزه ، فكانوا ينحرون ويطعمون ويشربون ويسمعون الفناء^٧ . وذكر ان موضع
(بدر) بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من (بني النار) اسمه بدر . وذكر
انه (بدر بن قريش بن يخلد)^٨ ، وبه سمي الموضع بداراً ، وقيل بدر رجل
من (بني ضمرة) سكن المكان فنسب اليه^٩ ، وهو بين مكة والمدينة أسفل
وادي الصفراء ، وهو الى المدينة أقرب ، وبينه وبين (الجار) ، وهو ساحل

-
- ١ بالضم والشرين معجمة ، البلدان (٢٠٦/٣) ، شرح القاموس ، (٢٩٣/٤) . وقد كان
هذا الموضع هو السبب الباعث لياقوت الحموي على تأليف كتاب معجم البلدان ،
راجع مقدمة الجزء الاول من معجم البلدان .
 - ٢ أخبار مكة ، للزركلي (١٩٤/١ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٢٦٣/٦) ، البلدان (٢٠٦/٣) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) .
 - ٥ اليعقوبي (٢٣٦/١) « النجف » ، الازمنة والامكنة (١٦٣/٢) .
 - ٦ راجع دائرة المعارف الاسلامية مادة « صحرار » .
 - ٧ الطبري (٢٧٩/٢) ، البلدان (٨٨/٢) .
 - ٨ الروض الانف (٦١/٢) .
 - ٩ تاج العروس (٣٤/٣) ، (بدر) .

البحر ومرفأ ليلة^١. ويظهر انه كان من المواضع المقدسة على شاكلته (سوق عكاظ) به أحجار ، يتقرب اليها الناس ، وبه ماء فصار سوقاً في موسمه المخصص له ، يقصده الناس من مكة ومن المواضع القريبة لبيع ما عندهم من ناتجهم فيه، ولشراء ما يحتاجون اليه منه .

وأما سوق بني قينقاع ، فسوق لليهود يذهب اليها الناس للتجارة وابتياح ما عند يهود من سلع ، ولبيع ما عندهم لليهود .

أما (سوق الشحر) شحر مهرة ، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود . ولم تكن بها عشور ، لأنها ليست بأرض مملكة . وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب ، من مهرة . وكان قيامها للنصف من شعبان . وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة^٢ . وكان غالب ما يعرض فيها الأدم والبز وسائر المرافق. ويشترون بها الكندر ، والمر ، والصبر ، ويتصددها تجار من البر والبحر^٣ .

وأما سوق الرابية بحضرموت ، فلم يكن يصل اليها أحد إلا بخفارة ، لأنها لم تكن أرض مملكة . وكان من عز فيها بز صاحبه . فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار ، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة^٤. وتقوم سوق نطاة بخيبر وسوق حجر باليامة يوم عاشوراء الى آخر المحرم^٥ .

وأشهر الأسواق المتقدمة وأعرفها (سوق عكاظ) ، وهي سوق تجارة وسوق سياسة وسوق أدب ، فيها كان يخطب كل خطيب مصقع ، وفيها علقت القصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل على ما يذكره بعض أهل الأخبار . وكان يأتيها قريش وهوازن وسليم والأحباش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب . وكانت تقوم للنصف من ذي القعدة الى آخر الشهر . ولم تكن فيها عشور ولا خفارة . وكان بيعهم السرار : إذا وجب البيع

١ تاج العروس (٣/٣٤) ، (بدر) .

٢ المحبر (ص ٢٦٦) .

٣ الازمنة والامكنة (٢/١٦٣) ، اليعقوبي (١/٢٢٦) ، تاج العروس (٦/٢٩٣) .

٤ المحبر (ص ٢٦٧) ، الازمنة والامكنة (٢/١٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٣٦) .

٥ المحبر (ص ٢٦٨) .

وعند التاجر فيها ألف ممن يريد الشراء ولا يريده أشركه في الربح^١ .
 وذكر ان عكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث
 ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب . وقيل : عكاظ ماء ما بين نخلة والطائف
 الى بلد يقال له الفنق ، كانت موسماً من مواسم الجاهلية . تقوم هلال ذي القعدة
 وتستمر عشرين يوماً . وكانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاطون ، أي يتفاخرون
 ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ، يقيمون على ذلك شهراً ، يتبايعون ثم يتفرون .
 فلما جاء الاسلام هدم ذلك^٢ .

وذهب فريق من أهل الأخبار الى أن انعقاد سوق عكاظ إنما كان يقوم بهلال
 شهر ذي القعدة ويستمر لمدة عشرين يوماً^٣ . وهم يخطئون رأي من يذهب الى
 أن انعقاد السوق كان في شهر شوال ، وحجتهم أن انعقاد السوق كان في الأشهر
 الحرم ، ليراعي الناس حرمة تلك الأيام فلا يعتدون على من يقصد السوق، وشهر
 شوال لا يدخل في جملة الأشهر الحرم ، لذلك فلا يمكن أن يكون انعقاد السوق
 فيه . ويستدلون بدليل آخر ، هو تقابل بعض العرب في أسام عكاظ ، ونظراً
 لوقوع ذلك القتال في شهر حرام ، أطلقوا على تلك الأيام ، أيام الفجار ، وهي
 أربعة أيام : يوم شمطة، ويوم العباء ، ويوم الحريرة ، ويوم شرب ، وهذه
 الأسماء هي أسماء أماكن في عكاظ . وما كان العرب ليطلقوا على تلك الأيام أيام
 الفجار لو لم تكن قد وقعت في أيام حرم^٤ .

-
- ١ الحيوان ، للجاحظ (٢١٥/٧) ، البكري ، معجم (٩٥٩/٣) وما بعدها ، المحبّر
 (ص ٢٦٧) ، « وكانت تقوم هذه السوق في قول أول ذي القعدة الى عشرين منه ،
 ثم يتوجهون الى مكة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى أوطانهم .
 وفي قول آخر : انهم كانوا يقيمون به جميع شوال الى غير ذلك من الاقوال المختلفة .
 ولعل ذلك لاختلاف العادة في السنين ، أو لاختلاف القبائل في الإقامة في هذا
 الموسم . والذي عليه صاحب قبائل العرب ، أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من
 نصف ذي القعدة الى آخره ٠٠٠ » بلوغ الارب (٢٧٠/١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .
 - ٣ مراصد الاطلاع (٩٥٣/٢) ، القاموس المحيط (٣٩٦/٢) ، أخبار مكة ، للزركي
 (١٢٩) ، صبح الاعشى (٤١٠/١) وما بعدها ، البلدان (٧٠٤/٣) ، الازمنة والامكنة
 (١٦٥/٢) ، اليعقوبي (٢٣٦/١) .
 - ٤ أخبار مكة (١٣٢) ، الاغانى (١٧٦/٩) ، (٩/١٠) ، العقد الفريد (٣٧٧/٣) ، أخبار
 مكة (٦٦/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٥٨/١) وما بعدها .

وجاء في بعض الأخبار ان أشراف العرب كانوا يتوافون بتلك الأسواق مسع التجار من أجل ان الملوك كانوا يرضخون للأشراف ، لكل شريف بسهم من الأرباح . فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل أوب^١ . فسوق عكاظ ، اذن سوق حرة ، لا عشور فيها ولا خفارة . وهي تختلف بذلك عن بقية الأسواق التي كان يعشرها الملوك ، اذا كانت في حكم (ملك) ، أو في حكم الأمراء وسادات القبائل ، على أن يودوا سهماً من الأرباح المتجمعة من العشور والخفارات الى أشراف العرب ، أي سادات القبائل الذين تقام تلك الأسواق في أرضهم . فأشراف (تميم) وإن أشرفوا على هذه السوق ، وحكموا بها ، ونظموا أمورها ، إلا أنهم لم يكونوا يجبون شيئاً من التجار . ولعل ذلك كان بتأثير قريش عليهم ، فقد كان رجال مكة هم المستأثرون الأثيرون في عكاظ . وكانوا يشجعون العرب على حضورها ، لما لهم فيها من منافع اقتصادية ، وقد كان لهم أنفسهم اشراف على نواح من أمور السوق . ويظهر انه لأجل تشجيع القبائل على حضور (عكاظ) وجمع أكثر من يمكن جمعه من التجار ، اتفقوا مع سادات تميم ، ولا سيما مع (بني دارم) على أن يتركوا السوق حرة ، ليقصدها أي تاجر ، فلا يكلف أحد منهم بكلفة العشور والخفارة ، ولا يهان أو يعتدى عليه ، وهو بالطبع في شهر حرام ، ليضمنوا بذلك حضور أكبر عدد ممكن من الناس ، وليضمنوا مجيئهم بعد ذلك الى مكة ، وقد كانوا يسعون جهد طاقتهم لجلب العرب اليها من الأماكن البعيدة ، ليستفيدوا منهم في موسم الحج ، وليكونوا معهم صلات طيبة ، وعلاقات وثيقة تؤمن لهم ولقوافلهم ولتجارهم حق المرور بأمن وسلام ، وتقديم كل ما يحتاج اليه رجال القوافل من ماء وطعام ومأوى وحماية .

ويعرض للبيع وللشراء في سوق عكاظ وفي الأسواق الأخرى كل أنواع البضاعات ، من أدم ومن حبوب وأقمشة الى بضاعة حبة ناطقة هي الحيوان ، أو الانسان ، حيث يعرض الرقيق في السوق . وقد كان شراء (خديجة) زوجة الرسول لـ (زيد بن حارثة) من سوق عكاظ^٢ . وقد اشتهرت سوق عكاظ

١ المرزوقي ، الامكنة (١٦٦/٢) .

٢ المعارف (ص ١٤٤) .

بأديمها حتى عرف بين تجار الأديم بـ (الأديم العكاظي)^١ مع أنه لم يكن من حاصل عكاظ ، بل كان يورد الى السوق من مختلف الأنحاء .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (سوق عكاظ) موسم عظيم من المواسم ، وقد اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وهي من أعظم أسواق العرب على الإطلاق في الجاهلية وفي الإسلام . ثم تضاعف شأنها وخربت بعد سنة (١٢٩) للهجرة ، عندما ظهر الخوارج الحمرية مع المختار بن عوف في مكة ، فنهب هذه السوق ، وخاف الناس على أنفسهم من الذهاب إليها ، فتركت^٢ .

ولو أخذنا هذه الرواية ، نكون قد جعلنا مبدأ هذا السوق سنة (٥٨٥) أو (٥٨٦) للميلاد تقريباً . أي ان تأريخ سوق عكاظ لم يكن بعيد عهد عن الإسلام . فهو قبله بنحو ربع قرن . وقد أقيمت وعمر الرسول آنذاك (١٥) عاماً .

ويذهب الناس بعد سوق عكاظ الى سوق أخرى ، هي سوق مجنة ، فيقيمون بها عشرة أيام . فإذا رأوا هلال ذي الحجة في نهاية هذه الأيام العشرة قصدوا ذا المجاز ، وهي سوق جاهلية ، فيقيمون فيها ثمانية أيام يبيعون ويشتررون ، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة ، فيأخذون ذلك اليوم من الماء ما يرويه من ذي المجاز . وقد سمي هذا اليوم باسم يوم التروية لترويه من الماء بذي المجاز ، حيث كان ينادي بعضهم على البعض الآخر أن يترووا من الماء لأنه لا يوجد ماء بعرفة . كذلك لا يوجد ماء بالمزدلفة يومئذ . ويعتبر يوم التروية نهاية أسواقهم . وكان العرب لا يتبايعون في يوم عرفة ولا في أيام منى . فلما جاء الإسلام أحل لهم ذلك^٣ .

وذكر ان (ذا المجاز) موضع بمنى ، وذكر انه سوق كانت في الجاهلية على فرسخ من عرفة ، بناحية كبكب ، سمي به لأن إجازة الحج كانت فيه^٤ . و (كبكب) . جبل بعرفات خلف ظهر الإمام اذا وقف ، وقيل هو ثنية^٥ .

-
- ١ البلدان (٧٠٤/٣) ، تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .
 - ٢ الازرقى ، أخبار مكة (١٢٩ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٩٥٩/٣ وما بعدها) ، اللسان (٤٤٧/٧) .
 - ٣ أخبار مكة ، للازرقى (١٢٩ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (٢١/٤) ، (جوز) .
 - ٥ تاج العروس (٤٤٤/١) ، (كب) ، (ك/ب/ب) .

ويذكر علماء التفسير ان متجر الناس في الجاهلية كان سوق عكاظ وذو المجاز ، فلما جاء الاسلام تركوا ذلك . وكانوا لا يتجرون في أيام الحج ، فكانوا لا يبيعون أو يبتاعون في الجاهلية بعرفة ، ويبتاعون ويبيعون قبل وبعد أيام الحج ، اذ كانوا يتأثمون من الاتجار في أيام الحج^١ .

وقد كان الحج من أكبر مواسم الربح لقريش ، تباع قريش ما عندها للأعراب القادمين اليها من البادية ولأهل القرى البعيدة عن مكة ، وتشترى منهم ما يحملونه معهم من مواد وسلع ، ثم تقوم قوافلهم بنقل الفائض مما اشترته الى الأسواق الخارجية في بلاد الشام أو العراق ، وتشترى في مقابل ذلك ما يحتاج اليه الحجاز وأعراب البادية من سلع ومواد .

ومكة في مواسم الحج وفي المناسبات الأخرى سوق تجارية مهمة ، لا تقل شأنًا في الواقع عن الأسواق الأخرى . وقد تمكن أهلها النشطون في جمع المال من اكتناز الأموال ومن استثمار ما يحصلون عليه من أرباح حتى صاروا من أغنى الناس في الحجاز .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان حظ المفاخرة والمباهاة والتمدح والذم ، لم يكن بأقل من حظ البيع والشراء في سوق عكاظ . فقد كان الشعراء يعرضون أجود وأحدث ما عندهم من شعر على الحاضرين^٢ . وكان كثير من هؤلاء الحاضرين إنما يفدون اليها للوقوف على أحدث ما يقال من صنوف الشعر ، وهو صنف رائع أكثر من رواج النثر بالطبع ، لما فيه من ايقاع وموسيقى ووزن وسهولة في الحفظ وأثر في النفس ، لذلك كان للشاعر في هذه السوق مكانة تزيد كثيراً على مكانة التاجر فيها ، لما لشعره من أثر في الحياة العامة لمجتمع ذلك اليوم .

ويقال إن الشاعر الشهير (النابغة الذبياني) ، كان يحضر سوق عكاظ ، فتضرب له قبة من آدم ، يجلس تحتها ، فيفد اليه من الشعراء من يريد أن يفتخر

١ تفسير الطبري (٢/١٦٥ وما بعدها) .

٢ ناج العروس (٥/٢٥٤ وما بعدها) ، اللسان (٩/٤٤٧) ، « وقد كانت قبائل العرب تجتمع فيه كل سنة ، يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون » ، البلدان (٦/٢٠٣) ، ابن خلدون ، المجلد الثاني (ص ٦٤٢) .

بشعره على غيره ، لينشد أمامه شعره ، فيحكم على شعره برأيه ، لما لرأيه من أثر في الناس . وكان الشاعران الأعشى وحسان بن ثابت ممن احتكما اليه وكذلك الشاعرة الخنساء ^١ .

ومن حضر عكاظ الخطيب الجاهلي الشهير (قس بن ساعدة الأيادي) (شيشرون) العرب ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، الشاعر المعروف ^٢ . ويذكر أهل الأخبار ان الرسول رأى (قس بن ساعدة الأيادي) يخطب في هذه السوق . وقد قصد الرسول سوق عكاظ وسوق مجنة وذو المجاز ، يدعو من كان يحضر المواسم الى دين الله . وقيل انه مكث سبع سنين يتبع الناس في مواسمهم في سوق عكاظ ، وكان فيمن كلمهم ودعاهم الى الاسلام (بنو عامر بن صعصعة) ^٣ .

وحال الأسواق الأخرى مثل حال سوق عكاظ من حيث ورود الشعراء اليها لعرض ما عندهم من شعر جديد . والظاهر ان قرب سوق عكاظ من مكة ، وورود الحجاج اليها قبل البدء بالحج ، ثم ورود اسمها في أخبار الرسول، ولكونها سوق مكة وتجار قريش ، ووقوعها في أرض يتكلم أهلها باللغة التي نزل بها الوحي ، هذه الأسباب وغيرها هي التي خلّدت اسم هذه السوق ، وربطت بينها وبين الشعر والنثر ، أكثر من الأسواق الأخرى التي كانت بعيدة عن مكة ، وبعيدة لذلك عن ذاكرة أهل الأخبار .

هذا وان للباحثين في موضع سوق عكاظ آراء متباينة فيه . ولا زالت هذه الآراء متباينة فيه حتى اليوم ^٤ .

هذا ، وقد كان موضع عكاظ في الأصل مكاناً مقدساً على ما يظهر من أخبار أهل الأخبار . فقد ذكروا أن العرب كانت تطوف بصخور كانت هناك ويحجون اليها ، وكانوا يذبحون وينحرون الى تلك الأصنام والأنصاب . حتى تلطخت تلك

١ الاغانى (١٥٦/٩) « مطبعة التقدم » ، شعراء النصرانية (٥/٦٤٠) .

٢ الاغانى (١٧٦/٩) .

٣ البكري (٢٥٩/٥) وما بعدها ، ابن كثير ، البداية (٣/١٤١) .

٤ لسان العرب (٤٤٧/٧) ، معجم ، البكري (٣-٤/٩٦١) ، البلدان (٣/٧٠٤) ، القاموس (٢/٣٩٦) ، تاج العروس (٥/٢٥٥) ، مرصد الاطلاع (٢/٩٥٣) ، شرح ديوان الحماسة (٣/١٥١٤) وما بعدها .

الأنصاب والأرض التي تحيط بها بدماء البدن^١. ويظهر أن أهمية ذلك المكان الدينية كانت قد قلّت بالتدريج ، إذ غطت قدسية مكة عليه . ولما جاء الإسلام، وأزال الأنصاب والأصنام ذهب كل أهمية لمحجة عكاظ واختفت أهمية السوق معه حتى ماتت على نحو ما ذكرت .

ويتقدم سادات الناس في مثل هذه المناسبات الى أهلتهم باطعام الفقراء واطعام الناس . وكان (خويلد بن فضيل بن عمرو بن كلاب) المعروف بـ (الصق) ، لأن صاعقة نزلت عليه فأحرقتة ، ممن يطعم بعكاظ . وكان من سادات قومه^٢ . ويترك هذا الكرم أثراً في نفوس من يحضر السوق ، ويكون سبباً للحصول على ثناء ومديح الشعراء على أولئك الكرماء .

والظاهر من روايات أهل الأخبار عن هذه الأسواق ، انها كانت كلها في الأصل ، مواضع مقدسة ، لها أصنام تعبد بها القبائل . وتأتي للتقرب اليها في مواسم معينة ، هي مواسم حجها ، فتتحول تلك المواسم الى أسواق للبيع والشراء . فقد ذكروا ان (بني وبرة) ، كانوا يقدون الى (دومة الجندل) للتقرب الى (ود) ، وكان سدنته من (بني الفرافصة بن كلب)^٣ ، وأن (بني عبد القيس) كانوا يتقربون الى صنم لهم اسمه (ذو اللب) ، وكان بالمشقر ، وسدنته (بنو عامر)^٤ .

ويجب ألا ننظر الى هذه الأسواق نظرنا الى السوق بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر . فقد كانت أسواق الجاهلية أوسع مجالاً من ذلك بكثير . كانت مجامع لأهل اللسان من شعراء ومن خطباء ، من مرموقين معروفين ومن مغمورين طلاب شهرة ، قصدوا هذه الأسواق للحصول على اسم وسمعة ، كما هو شأن سوق عكاظ . كما كانت مجتمعات تعقد فيها العقود والمعاهدات والانفاقات القبلية والعائلية ، ومواضع يعلن فيها عن التبني وعن الخلع ، أي خلع الأفراد ،

١ البلدان (٢٠٣/٦) ، البكري (٩٥٩/٣ وما بعدها) .

٢ جمهرة ، ابن حزم (ص ٢٦٩) .

٣ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ٤٥٨) .

٤ جمهرة ، ابن حزم (ص ٤٦٠) .

لجرائم يرتكبونها ، وهي ساحات محاكم ، يجلس فيها المتخاصمون للاستماع الى قرار حاكم مهاب محترم ، اتفقوا على تحكيمه في نزاعهم . وقد كانت الحكومة في هذه السوق الى (بني تميم) ، وكان آخر من حكم منهم فيها : الأقرع بن حابس التميمي^١ .

ويروي أهل الأخبار أن فرسان العرب كانوا إذا حضروا موسم عكاظ تقنعوا إلا (أبا سليط) (طرفة بن تميم) ، فارس عمرو بن تميم في الجاهلية ، فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي أن تقع عيون الفرسان عليه ، وذلك اعتماداً على نفسه وازدراءً لشأن أعدائه ومن يريد إلحاق الأذى به^٢ . وقد كانت سوق عكاظ وبقية الأسواق ، من أهم المواضع التي تجلب أنظار الفرسان إليها ، إذ كان الكثير منهم يتصيدون فرص الأخذ بالثأر ، بعد انقضاء موسم السوق ، أو الحصول على غنائم بمهاجمة التجار ومن يحمل تجارة دسمة أو حولة ثمينة ، ولهذا كان لا بد للفرسان ومن يريد الحصول على مغنم أو تنفيذ مأرب ما من التحفظ والاحتراز حذر انكشاف أمره ، فيكون عرضة للغدر .

وإذا وقعت في هذه الأسواق حصومات في مثل اختلاف في سعر أو اختلاف في تجارة ، فهناك حكام يلجأ المتخاصمون اليهم للنظر في خصوماتهم وللنظر في كل خصومات أخرى قد تقع على الحاضرين . فيقوم هؤلاء الحكام بفض ذلك النزاع . وقد اشتهر سادات بني تميم بالنظر في الخصومات التي تقع في الأسواق القريبة منهم أو التي تقع في ديارهم ، وكان من أواخر حكامهم (الأقرع بن حابس)^٣ .

سوق عكاظ في الاسلام :

كانت سوق عكاظ عامرة مقصودة في الجاهلية ، « فلما جاء الاسلام هدم

١ صبح الاعشى (١/٤١٠ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (ص ١٣١) ، اليعقوبي (١/٢٢٦) ، العقد الفريد (٢/٢٠٦) ، البيان والتبيين (٣/١٠٠) .

٣ صبح الاعشى (١/٤١٠) .

ذلك «^١ . وورد في كتب الحديث : « عن ابن عباس ، رضي الله عنها ، قال : كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، أسواقاً في الجاهلية ، فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها ، فأنزل الله : ليس عليكم جناح في مواسم الحج . قرأ ابن عباس كذا «^٢ . وورد في تفسير الطبري : « قال ابن عباس : كانت ذو المجاز وعكاظ ومتجر الناس في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام تركوا ذلك حتى نزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج «^٣ . وورد : « كانوا يحجون ولا يتجرون ، فأنزل الله : ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم «^٤ . وتفسير ذلك كما جاء في كتب التفسير والحديث ، وكما سبق أن تحدثت عن ذلك في الجزء الخاص بالحياة الدينية عند أهل الجاهلية ، ان الجاهليين كانوا يتأثمون من الاتجار في الحج ، فلا يحجون ولا يتجرون ، وتكون تجارتهم في الأسواق المذكورة قبل الحج ، أو في مكة بعد الحج ، وبقوا على ذلك حتى رفع عنهم الحرج بنزول الوحي : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم «^٥ ، فرخص لهم في المتجر والركوب والزاد ، وأحل الله لهم الاتجار في الحج^٦ ، فصاروا يتبايعون بمكة ، فأثر ذلك على الأسواق المذكورة .

وكان تحديد مواقيت الحج ، وانتشار الاسلام ، ومنع التعرض والتحرش بالناس طيلة أيام السنة ، في جملة العوامل التي قللت من أهمية تلك الأسواق ، فلم يعد الحجاج في حاجة الى الذهاب قوافل اليها ، استغلالاً لحرمة الأشهر ، بل صاروا يتجهون الى المواقيت المعينة للحج رأساً ، فيتجرون بمكة ويعودون الى ديارهم ، فقلّت بذلك أهمية تلك الأسواق حتى ماتت .

وسبب آخر ، هو في نظري أهم من كل ما ذكرت . هو أن هجرة الرسول الى يثرب ، وانتصار الاسلام على مكة ، ثم وفاته بيثرب ، واتخاذ الخلفاء الثلاثة الأول إياها قاعداً لهم وليت مال المسلمين ، ثم خروج سادات مكة اليها في

١ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .

٢ ارشاد الساري (٣٧/٤) .

٣ تفسير الطبري (١٦٤/٢) ، (١٦٥) .

٤ تفسير الطبري (١٦٤/٢) .

٥ سورة البقرة ، رقم ٢ الآية ١٩٨ .

٦ تفسير الطبري (١٦٤/٢) وما بعدها) .

حياة الرسول ، وانتقلهم الى الأمصار المفتوحة لادارتها سياسياً وعسكرياً ، أو للاشتغال بها بالزراعة والتجارة والأعمال الأخرى المربحة، كل هذه العوامل وأمثالها جعلت مكة في الدرجة الثانية بعد (يثرب) ، حتى أن من بقي بالمدينة من الصحابة ولم يغادرها كما غادرها غيرهم الى الأمصار المفتوحة ، وجسدوا أن من أدب الصحبة ملازمة قبر الرسول ، والثوى بها في الحياة وفي الممات ، ولم يقيموا بمكة إلا فترات ، لحج أو لزيارة ، فأثر ذلك على وضعها المالي ، وأزال مكانها القديم في التجارة ، فتغير بذلك كل شيء .

الفصل الخامس بعد المئة

البيع والشراء

أنواع البيع :

وقد تعرض أهل الأخبار لبعض أنواع البيع وطرقها التي كان يستعملها الجاهليون ، وهي لا تختلف في طبيعتها عن طبيعة ما يسمى بـ (الحظ والنصيب) في العهد الحاضر . ونظراً الى ما قد كانت تسببه هذه الأنواع من خصومات ومنازعات بين المشتري وبين البائع ، من بيعهم شيئاً مجهولاً غير معلوم ، والى ما في كثير من هذه البيوع من غرر ، نهى الاسلام عنها ، وجاء ذكرها لذلك في كتب الحديث والفقه .

والبيع والشراء ، إما أن يكونا بشروط ، يشترطها أحدهما أو كلاهما عند عقد الصفقة ، ويتم التوافق والتعاقد عليهما برضى البائع والمشتري ، أي الطرفين . وإما ألا يكونا بشروط . فإذا اشترط المشتري على البائع شرط حق لإرجاع السلعة اليه ، إن وجد فيها شيئاً مخالفاً للوصف ، ورضي البائع بذلك ، فللمشتري حق لإرجاع السلعة اليه في حدود معقولة ، وقد يعين زمن ذلك الحق وهو ما يحدث في الغالب .

ومن جملة طرق البيع (بيع الحصاة) . وهو بيع ذكر أهل الأخبار أنه كان متبعاً في سوق (دومة الجندل) المنعقدة في أول يوم من شهر ربيع الأول . وقد ذكروا أن هذه المبيعة من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام . وتفسير ذلك أن يقول أحد المتبايعين للآخر : إرم هذه الحصاة ، فعلى أي ثوب وقعت فهو لك

بدرهم ، أو أن يبيع أحد المتبايعين من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة ، أو أن يقبض على كفٍ من حصى ويقول : لي بعدد ما خرج في القبض من الشيء المبيع ، أو يبيعه سلعة ويقبض على كفٍ من الحصى ويقول : لي بكل حصاة درهم ، أو أن يمسك أحدهما حصاة في يده ، ويقول : أي وقت سقطت الحصاة وجب البيع ، أو أن يتبايعا ويقول أحدهما : إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع ، أو أن يعترض القطيع من الغنم فيأخذ الحصاة ويقول : أي شاة أصابتها فهي لك بكذا^١ ، أو هو أن يقول بعثك من السلع ما تقع عليه حصاتك إذا رميت بها ، أو بعثك من الأرض الى حيث تنتهي حصاتك . أو أي ثوب من هذه وقعت الحصاة التي أرمي بها فهو لي بكذا ، فيقول البائع : نعم . فيقع البيع لوجود شروط الإيجاب والقبول^٢ .

ومن طرق البيع بيع الملامسة ، والمراد باللامسة المس باليد ، وأن يجعل عقد البيع لمس المبيع . وذكر أن بيع الملامسة : أن تشتري المتاع بأن تلمسه ولا تنظر إليه . وذلك كأن يقول : « لمست ثوبي أو لمست ثوبك أو إذا لمست المبيع ، فقد وجب البيع بيننا بكذا وكذا ، ويقال هو أن يلمس المتاع من وراء الثوب ولا ينظر إليه ، ثم يوقع البيع عليه » و « قيل : معناه أن يجعل اللمس باليد قاطعاً للخيار »^٣ .

وقيل هو أن يأتي البائع بثوب مطوي ، ثم يطلب من المشتري أن يلمسه ، ثم يقول له : « بعثك اياه بثمن كذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك » . أو أن يقول له : « إذا لمست هذا الشيء فهو بيع لك » . فيكون اللمس نهاية خيار المشتري . وهو يحل بذلك محل النظر الى الشيء الذي سيبيع وتدقيقه وتمحيصه للوقوف على مقدار جودته أو بما فيه من عيوب . فهو بيع شرطه اللمس ولا خيار

-
- ١ جامع الاصول (٤٤١/١) ، بلوغ الارب (٢٦١/١) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (١٦٤/٢) ، زاد المعاد (٢٦٦/٤) .
 - ٢ صحيح مسلم (٣/٥) ، الجصاص (٥٣٠/١) ، اللسان (١٨٣/١٤) ، تاج العروس (٩٢/١٠) ، (حصا) ، زاد المعاد (٢٦٦/٤) .
 - ٣ اللسان (٢١٠/٦) ، صحيح مسلم (٢/٥) وما بعدها ، تاج العروس (٣٤٠/٤) ، (لمس) ، زاد المعاد (٢٦٦/٤) .

فيه^١ . ومن بيع الملامسة ، أن يقول الرجل للرجل : أبيعك ثوبي بثوبك ولا ينظر واحد منها الى ثوب الآخر ، ولكن يلمسه لمساً^٢ .

واختلف الفقهاء في تفسير الملامسة على ثلاث صور : إحداها أن يكتفي باللمس عن النظر ولا خيار له بعده ، بأن يلمس ثوباً لم يره ثم يشتريه على أن لا خيار له اذا رآه . الثانية ، أن يجعل اللمس بيعاً ، بأن يقول : اذا لمسته ، فقد بعته ، اكتفاءً بلمسه عن الصيغة . الثالثة ، أن يبيعه شيئاً على انه متى لمسه لزم البيع وانقطع خيار المجلس وغيره اكتفاءً بلمسه عن الالتزام بتفرق أو تخاير . وبطلان المبيع المستفاد من النهي ، لعدم رؤية المبيع ، واشتراط نفي الخيار في الأولى ونفي الصيغة في عقد البيع في الثانية ، وشرط نفي الخيار في الثالثة^٣ .

ومن البيوع ، بيع المنابذة . وهو أن يجعل النبد بيعاً . وهو أن تقول لصاحبك : انبد لي الثوب أو غيره من المتاع ، أو انبذه اليك ، وقد وجب البيع بكذا وكذا . أو هو أن ترمي اليه بالثوب ويرمي اليك بمثله . وهو أن يجعل النبد بيعاً بغير صيغة ، أو أن يجعل النبد قاطعاً للخيار . ويقال له بيع الالقاء^٤ . وقيل هو أن تقول : إذا نبذت الحصاة اليك ، فقد وجب البيع ، أو أن ينبذ الرجل الى الرجل بثوبه ، وينبذ الآخر اليه ثوبه ، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا تراض . فيكون النبد وحده هو البيع^٥

و (النجش) ، أن يبيع الإنسان ببيعة فتساومه بضمن كثير لينظر اليك ناظر

١ صحيح البخاري (٨٧/٢) ، تاج العروس (٣٤٠/٤) ، (لمس) ، بلوغ الارب (٢٦٥/١) .

٢ ارشاد الساري (٦٤/٤) .

٣ ارشاد الساري (٦٤/٤) ، (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبستين وعن بيعتين ، نهى عن الملامسة والمنابذة في البيع ، واللامس لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو بالنهار ولا يقبله الا بذلك) ، زاد المسلم (٥١٧/٥) وما بعدها ، صحيح البخاري (كتاب البيوع ، باب بيع الملامسة) ، (وفي كتاب اللباس ، في باب اشتغال الصماء) ، (باب الاحتباء في ثوب واحد) ، صحيح مسلم (كتاب البيوع ، باب ابطال بيع الملامسة) .

٤ تاج العروس (٥٨١/٢) ، بلوغ الارب (٢٦٤/١) وما بعدها ، صحيح البخاري (٨٧/٢) ، ارشاد الساري (٦٤/٤) وما بعدها .

٥ صحيح مسلم (٣/٥) ، الشوكاني ، نيل الاوطار (١٤٧/٥) وما بعدها ، اللسان (٥١٢/٣) .

فيقع فيها ، وكذلك في الأشياء كلها . وقيل : النجش في البيع أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ، ولكن ليسمه غيره فيزيد بزيادته . وقيل أن تمدح سلعة غيرك لبيعها ، أو أن تنفر الناس عن الشيء إلى غيره . والغاية من كل ذلك هو غش المشتري وجرد النفع . لذلك نهى في الاسلام عنه . و(النجاش) في البيع المنهى عنه ، هو التزايد في البيع وغيره^١ . وأن يقول الرجل للرجل بيع فيقول نظر ، أي انظرنني حتى اشترى منك^٢ . والنجش في الشرع ، أن يزيد في ثمن السلعة من غير رغبة ليوقع غيره فيها . فهو بيع غش وخداع^٣ .

ويقال للنجش الفلح . قالوا ، الفلح النجش في البيع ، وذلك أن يطمئن اليك ، فيقول لك بيع لي عبداً أو متاعاً أو اشتره لي ، فتأتي التجار فتشتريه بالغلاء وتبيع بالوكس وتصيب من التاجر ، وهو الفلاح . وذكر انه زيادة المشتري ليزيد غيره فيغيره^٤ .

ومن طرق البيع أيضاً : البيع ناجزاً بناجز . أي يداً بيد^٥ . ومن يبيعهم قول أحدهم بعثك هذا الثوب نقداً بدينار ونسيئة بدينارين ، وقد ورد في الحديث : لا يجوز شرطان في بيع ، أي مثل هذا البيع^٦ .

والبيع 'مزابنة' ، وهو بيع التمر في رؤوس النخل بالتمر . وبيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر . أو بيع كل ثمر على شجرة بتمر كيلاً . أو يبيع التمر على رؤوس النخل بالذهب والفضة . وقد نهى عنه في الاسلام ، إلا اذا انضج ولا يباع منه إلا بالدرهم والدينار . وذلك لأنه يبيع مجازفة ، ولما يقع فيه من الغبن والجهاالة^٧ . وروي عن الإمام (مالك) انه قال : المزابنة كسل جزاف لا يعرف كيله ولا عدده ولا وزنه يبيع بمسمى من مكيل وموزون ومعداد. أو هي

- ١ تاج العروس (٣٥٤/٤) ، (نجش) . «نهى النبي صلى الله عليه وسلم، عن النجش»، البخاري (٦٩/٣) وما بعدها، (كتاب البيوع)، عمدة القاري (٢٥٨/١١) وما بعدها، اللسان (٣٥١/٦) ، القسطلاني (٦٢/٤) ، زاد المسلم (٤٨٥/٥) .
- ٢ المخصص (٢٥٤/١٢) .
- ٣ تاج العروس (٣٥٤/٤) ، (نجش) ، عمدة القاري (٢٥٨/١١) وما بعدها .
- ٤ تاج العروس (١٩٩/٢) ، (فلح) .
- ٥ المخصص (٢٥٤/١٢) .
- ٦ تاج العروس (١٦٦/٥) ، (شرط) .
- ٧ صحيح البخاري (٩٤/٢) ، «كتاب البيوع» ، القاموس (٢٣٠/٤) ، صحيح مسلم (١٣/٥) ، زاد المسلم (٤٧٧/٥) وما بعدها .

بيع معلوم بمجهول من جنسه أو بيع مجهول بمجهول من جنسه ، أو هي بيع المغالبة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن ، لأن البيعين إذا وقفا فيه على الغبن ، أراد المغبون أن يفسخ البيع ، وأراد الغابن أن يَمْضيه ، فتزائبا فتخاصما فتدافعا^١. وتكون المزابنة في النخل غالباً . وذكر أن سبب ورود النهي عن هذا البيع ، هو أنه يؤدي إلى ربا الفضل ، إذ الجهل بالمثالة كحقيقة المفاضلة من حيث أنه لم يتحقق فيها المساواة المشروطة في الربوى بجنسه^٢ .

وكان هذا البيع معروفاً عندهم . وذلك أن يبيع رجل ثمر نخله بتمر كيلاً أو بغير كيل ، أو أن يبيع كرمه بزبيب ، فورد النهي عنه في الإسلام ، وإنما نهى عن ذلك للجهل المبيع^٣ . واعتبر هذا البيع نوعاً من أنواع الربا^٤ .

ومن البيوع الجاهلية : المخاضرة ، بيع الثمار خضراً قبل أن يبدو صلاحها . ويدخل فيه بيع الرطاب والبقول وأشباهاها على قول بعض . يُسمي مخاضرة لأن المتبايعين تبايعا شيئاً أخضر بينهما ، مأخوذ من الخضرة^٥ .

وقد نهى عن (المعاومة) في الإسلام . وهي بيع النخل معاومة . وأن تبيع زرع عامك بما يخرج من قابل . أو أن تبيع ثمر النخل أو الكرم أو الشجر سنتين أو ثلاثاً فما فوق^٦ . فهو بيع السنين ، ولما فيه من غرر ومن بيع لمجهول ، لم يصح هذا البيع في الإسلام^٧ .

و (الطني) : شراء الشجر ، أو بيع ثمر النخل خاصة^٨ . ونهى في الإسلام عن بيع صبرة التمر المجهولة القدر ، أي بيع المبيع بالكومة ، ولا يعلم مكيلته بالكيل^٩ .

- ١ تاج العروس (٩/٢٢٤ وما بعدها) ، البخاري (كتاب البيوع ، في باب بيع المزابنة) ، صحيح مسلم (كتاب البيوع ، في باب كراء الأرض) .
- ٢ زاد المسلم (٥/٤٧٧) .
- ٣ زاد المسلم (٥/٤٨٢) .
- ٤ « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن بيع الثمر بالتمر ، وقال ذلك الربا تلك المزابنة إلا أنه رخص في بيع العريّة ، النخلة والنخلتين يأخذها أهل البيت . بخبرها تمرأ يأكلونها رطباً » ، زاد المسلم (٥/٤٩٤ وما بعدها) .
- ٥ تاج العروس (٣/١٨٠) ، (خضر) ، القاموس (٢/٢١) ، صحيح مسلم (٥/١١) .
- ٦ تاج العروس (٨/٤١٢) ، (عام) .
- ٧ صحيح مسلم (٥/١٧ وما بعدها) .
- ٨ القاموس (٤/٣٥٨) ، تاج العروس (١٠/٢٢٨) ، (طني) .
- ٩ صحيح مسلم (٥/٩) .

ومن ذلك أيضاً البيع المعروف بـ (المجر) ، وهو من يباعات الجاهلية . والمجر بيع ما في بطون الحوامل من الإبل والغنم ، وهو ان يباع الشيء بما في بطن الناقة ، وأن يباع البعير أو غيره بما في بطن الناقة ، ولا يقال لما في البطن مجراً إلا اذا ثقلت الحامل . فالمجر اسم للحمل الذي في بطن الناقة ، وحمل الذي في بطنها^١ .

ونهى الاسلام عن بيع (حبل الحبله) ، وهو بيع نتاج الشاة، وبيع الأجل، فكان الرجل في الجاهلية يبتاع الجزور الى أن تنتج الناقة ثم تنتج التي في بطنها ، أو بيع حبل الكرم قبل أن يبلغ ، ومنه بيع الملاقيح والمضامين . والملاقيح ما في البطون من الأجنة والمضامين ما في أصلاب الفحول ، وكانوا يبيعون الجنين في بطن الناقة وما يضره الفحل في عام أو أعوام . وسبب النهي عنه انه من يبيع الغرر ، وهو بيع مجهول^٢ .

ومن يبيع أهل الجاهلية : (الغَدَوَى) ، وذلك أن تباع الشاة بنتاج ما نزا به الكبش ذلك العام . وقيل كل ما في بطون الحوامل ، وقوم يجعلونه في الشاة خاصة . أو هو أن يباع البعير أو غيره بما يضرب الفحل ، أو أن تباع الشاة بما نزا به الكبش . وكان الرجل منهم يشتري بالجمال أو العنز أو الدراهم ما في بطون الحوامل^٣ .

وأما بيع (الغذى) ، فهو كالسابق أن يباع بنتاج ما نزا به الكبش . وقيل بل يكون الغذى من الإبل والبقر والغنم^٤ . وأظن أن (الغدى) و (الغذى) شيء واحد . وقد أخطأ بعض النساخ في حرفي الدال أو الذال ، فصارت الكلمة كلمتان .

وقد نهى في الحديث عن بيع الملاقيح والمضامين . روي عن سعيد بن المسيب

-
- ١ اللسان (١٥٨/٥) ، زاد المعاد (٢٦٧/٤) ، القاموس (١٣١/٢) ، تاج العروس (٥٣٣/٣) ، (مجر) .
 - ٢ عمدة القارىء (٢٦٢/١١) وما بعدها) جامع الاصول (٤٤١/١) وما بعدها) ، زاد المعاد (٢٦٦/٤) ، صحيح البخاري (٨٧/٢) ، اللسان (١٣٩/١١) ، صحيح مسلم (٣/٥) .
 - ٣ المخصص (٢٥١/١٠) ، القاموس (٢٦٩/٤) ، تاج العروس (٢٦٣/١٠) ، (غدا) .
 - ٤ تاج العروس (٢٦٣/١٠) ، (غذا) .

أنه قال : « لا ربا في الحيوان ، وإنما نهى عن الحيوان عن ثلاث ، عن المضامين والملاقيح وحبل الحيلة » فالملاقيح ما في ظهور الجمال ، والمضامين ما في بطون الاناث . وورد العكس . أي الملاقيح ما في بطون الاناث ، والمضامين ما في أصلاب الجمال . وكانوا يتبايعون أولاد الشاء في بطون الأمهات وأصلاب الآباء^١ . و (الرجع) أن تباع الذكور ويشتري بئمنها الاناث . وقيل بيع الابل بعد الارتجاع منها . و « الرجعة : إبل تشتريها الأعراب ليست من نتائجهم وليست عليها سماتهم » . و « الراجعة : الناقة تباع ويشتري بئمنها مثلها » . والرجعية بغير ارتجاعته ، أي اشتريته من أجلاب الناس ، ليس هو من البلد الذي هو به . وكانوا يربحون من بيع الذكور وشراء الاناث بئمنها ، لأن الاناث تلد ، فيكثر عندهم المال . « قيسل لقوم من العرب بم كثرت أموالكم ؟ فقالوا : أوصانا أبونا بالنجع والرجع » . فالنجع : طلب الكلاء ، والرجع أن تباع الذكور ويشتري بئمنها الاناث^٢ . وبذلك يكثر أموالهم .

وتدخل في البيوعات الجاهلية بيع الرجل ما ليس عنده ، وهو يتضمن نوعاً من الغرر ، فإنه اذا باعه شيئاً معيناً وليس في ملكه ثم مضى ليشتريه ويسلمه له كان متردداً بين الحصول وعدمه ، فكان غرراً يشبه القمار فنهى الاسلام عنه^٣ . ويبيع المعلوم لا يدري يحصل أو لا يحصل ولا ثقة لبائعه بحصوله بل يكون المشتري منه على خطر ، فإن البائع اذا باع ما ليس في ملكه ولا له قدرة على تسليمه ليذهب ويحصله ويسلمه الى المشتري كان ذلك شبيهاً بالقمار والمخاطرة من غير حاجة بهما الى هذا العقد ولا تتوقف مصلحتها عليه ، لهذا منع الشارع بيعه ، لا لكونه معدوماً بل لكونه غرراً^٤ .

وقد نهى الاسلام عن بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه . فورد ان الرسول نهى عن أن يستام الرجل على سوم أخيه^٥ . وكان أهل الجاهلية يستامون بعضهم على بعض بما في ذلك استيام الأخوة ، فنهى عنه ، لما قد يحدث هذا الاستيام من فرقة واختلاف بين الأخوة .

-
- ١ تاج العروس (٢/٢١٦) ، (لحق) ، (٩/٢٦٦) ، (ضمن) .
 - ٢ المخصص (١٠/٢٥٢) ، تاج العروس (٥/٣٥٢) ، (رجع) .
 - ٣ زاد المعاد (٤/٢٦٢) .
 - ٤ زاد المعاد (٤/٢٦٣) .
 - ٥ صحيح مسلم (٣/٥) وما بعدها .

ونهى الإسلام عن التلقي للركبان ، أي عن تلقي البيوع والسلع حتى تبلغ الأسواق . وقد ورد في الحديث : « لا تلقوا الجلب ، فمن تلقاه فاشترى منه ، فإذا أتى سيده السوق فهو بالخيار » . وذلك لأن من تلقاهم يكذب في سعر البلد ويشترى بأقل من ثمن المثل وهو تغير^١ . وقد نهى عن بيع الحاضر للبادي . وذلك بأن يكون له سمساراً ليكسب منه ، أو أن يطلب الحاضر من البادي أن يترك متاعه عنده حتى يبيعه بسعر أعلى ، وذلك لما في هذا البيع من تغير ومن ضرر يصيب الناس^٢ .

ونهى الإسلام عن بيع أخرى من بيوع الجاهلية ، منها بيع (الغر) ، ويراد به البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان ، وهو بيع المخاطرة وهو الجهل بالثمن أو المثل أو سلامته أو أجله ، ومن ذلك بيع العبد الآبق الذي لا يقدر على تسليمه والفرس الشارد والطير في الهواء ، وبيع السمك في الماء ، وكبيع ضربة الغائص وما تحمل شجرته أو ناقتة وما يرضى له به أو يهبه له أو يورثه لإياه ونحو ذلك مما لا يعلم حصوله أو لا يقدر على تسليمه أو لا يعرف حقيقة مقداره ، فهو بيع شيء مجهول^٣ . وقد كانت من البيوع الشائعة بين الجاهليين تفتناً في الغش ، وفي الكسب من أي طريق كان .

وقد عرفوا بيعة الغائص ، بأن يقول الغائص في البحر للتاجر : أغوص غوصة ، فما أخرجت فهو لك بكذا ، فيتفقان على ذلك . وقد نهى عنه لأنه غر^٤ . ومن البيوع الجاهلية : (الجس) ، وهو بيع 'عرف' بسوق صنعاء . فإذا تعاقد شخصان على سلعة ، ووافقا على البيع ، جس أحدهما يد الآخر ، علامة على صحة البيع^٥ .

ومنها : (السرار) . فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف ممن يريد الشراء ولا يريده ، أشركه في الربح^٦ .

-
- ١ صحيح مسلم (٥/٥) .
 - ٢ صحيح مسلم (٦/٥) .
 - ٣ عمدة القاري (٢٦٢/١١) وما بعدها ، جامع الاصول (٤٤١/١) وما بعدها ، زاد المعاد (٢٦٦/٤) ، صحيح البخاري (٨٧/٢) ، « كتاب البيوع » .
 - ٤ تاج العروس (٣٥٠/١) ، (ضرب) .
 - ٥ المحبر (ص ٢٦٦) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (١٦٤/٢) .
 - ٦ المحبر (ص ٢٦٧) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (١٦٤/٢) .

وهناك نوع من البيوع يقال له (الجراف) ، وهو أخذ الشيء بالحدس بلا كيل ولا وزن ولا عدداً^١ .

وقد عرف (بيع المزايدة) عند الجاهليين كذلك^٢ . وهو أن يعرض ما يراد بيعه للبيع فيتزايد من يريد شراءه على ثمنه ، حتى يقف على آخر من يقدم أكبر سعر له^٣ .

ومن البيوع بيع (العينة) ، أن يشتري التاجر بحضرة طالب العينة سلعة من آخر بضمن معلوم ويقبضه ثم يبيعها من طالب العينة بضمن أكثر مما اشتراه إلى أجل مسمى ، ثم يبيعها المشتري من البائع الأول بالنقد بأقل من الثمن الذي اشتراها به ، فهذه عينة . وسميت عينة لحصول النقد لطالب العينة . وذكر أن العينة ، إذا باع التاجر من رجل سلعته بضمن معلوم إلى أجل معلوم ، ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن الذي باعها به . وللفقهاء كلام في هذا البيع^٤ . وقد كانوا يربحون من (العينة) ، قال « عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من سادة قريش : « أغد غداً إلى السوق ، فخذ لي عينة » ، فغداً ابنه فتعين من السوق عينة لأبيه ، ثم باعها ، فأقام أياماً ، ما يبيع في السوق طعاماً ولا زيتاً غير ابنه من تلك العينة . وربح منها ربحاً طيباً^٥ .

وقد كان في جملة البيوع التي نهى عنها الرسول ، بيع حاضر لباد ، والبادي هو الذي يكون في البادية ، مسكنه المضارب والخيام ، والحاضر ساكن الحضر ، وصورة البيع للبادي أن يقدم غريب من البادية بمحتاج لبيعه بسعر يومه ، فيقول له بلدي : اتركه عندي ، لأبيعه لك على التدريج بأعلى منه . أو أن تشتري السلع من الأعراب الوافدين على القرى وهم في طريقهم إلى السوق وأماكن البيع بأثمان بخسة ، ثم عرضها في السوق واغلاء أثمانها فيها ، أو تشتري السلع منهم ، وهي في السوق وعرضها مرة أخرى للبيع ، لكسب الفرق بين السعرين . وقد نهى الإسلام عن هذا البيع ، لما فيه من احتكار واضرار بالمصلحة العامة؛ ليكتسب

-
- ١ شمس العلوم (١٠٢ ق ٢ ص ٣٣٠) .
 - ٢ القسطلاني (٦١/٤ وما بعدها) .
 - ٣ اللسان (١٩٩/٣) .
 - ٤ تاج العروس (٢٩١/٩) ، (عين) .
 - ٥ كتاب نسب قريش (٣٠٤) .

بذلك نفر محدود من الناس . وللفقهاء في هذا البيع كلام وآراء^١ .

وقد كان الناس يلجأون الى أساليب غير حميدة من أساليب التلاعب بالأسعار ، وغش المشترين والتحايل بالبيع ، كأن يأتي البائع بجماعة من أصحابه يتظاهرون بالشراء وبالتكالب على السلعة لرفع السعر ، حتى يدفع الحاضرين على رفع السعر ، فيرسو البيع عليهم . وبذلك يغش البائع المشتري . وهو بيع نهى عنه في الاسلام .

ومن البيوع التي تتضمن الغش والخداع بيع التصرية . وكان من عادة العرب اذا أرادوا بيع شاة أو ناقة تركوا أياماً لا يحلبونها ، فيبقى اللبن في ضرعها ، فيكبر ، فيعرضها البائع للبيع ، ويظن المشتري ان كبر ضرعها ووجود اللبن بغزارة فيه ، هو بسبب ان تلك الشاة أو الناقة حلوبة ، فيشتريها ، فيغش . ونظراً الى ما في هذا البيع من غش وخداع نهى عنه في الاسلام^٢ ، وجعل خيار البيع ثلاثة أيام ، فإن ردها ردّ معها صاعاً من تمر ، وإن شاء أمسكها . ويقال لهذا البيع أيضاً بيع المصرة^٣ .

وقد يشتري الشركاء سلعة رخيصة ، ثم يتزايدون بينهم حتى يبلغوا غاية ثمنها ، فيشتريها من يرسو الثمن عليه ، ويأخذها . ويقال لذلك : (التقاي) . ولم ير الإسلام بأساً بذلك . وفي حديث ابن سيرين لم يكن يرى بأساً بالشركاء يتقاوون المتاع بينهم فينمى ويزيد^٤ .

ومن البيوع التي نهى عنها في الإسلام (الإعراب) . أن يقول الرجل للرجل : إن لم آخذ هذا البيع بكذا ، فلك كذا وكذا من مالي^٥ .

١ عمدة القاري (٢٥٨/١١) ، ارشاد الساري (٧٢/٤) وما بعدها .

٢ صحيح البخاري (٨٧/٢) ، « وفي حديث النبي ، صلى الله عليه وسلم : من اشترى مصرة ، فهو بخير النظرين ، ان شاء ردها ورد معها صاعاً من تمر ٠٠٠ لا تصروا الا بل والغنم » ، اللسان (٤٥٨/١٤) .

٣ صحيح مسلم (٤/٥) ، تاج العروس (٢٠٩/١٠) ، (صري) .

٤ تاج العروس (٣٠٧/١٠) ، (قوو) .

٥ تاج العروس (٣٧٢/١) ، (عرب) .

الخلافة :

ومن البيوع الفاسدة الخلافة . وتقوم على المخادعة ، والخلافة المخادعة . وفي الحديث : أن بيع المحفلات خلافة ، ولا تحل خلافة مسلم . والمحفلات التي 'ُجمع لبنها في ضرعها . وفي حديث النبي ، أنه قال لرجل كان يخدع في بيعه : إذا بايعت ، فقل لا خلافة ، أي لا خداع^١ . وذلك لأن بعض الباعة كانوا يخادعون المشتري في بيعهم .

ومن بيع أهل الجاهلية : بيع المواصفة ، وهو أن توصف الرجل بالسلعة ليست عندك . وقد أبطل هذا البيع بعض الفقهاء ، وأجازه بعض آخر ، إذا وافقت الساعة الصفة^٢ .

وقد يتفق في السلعة الرهط ، فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون . وربما اتفقوا فألقوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذا طابقوا عليه^٣ .

ومن بيع أهل الجاهلية بيعهم الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح . وقد نهى عنه في الاسلام ، إلا سواء بسواء ، أي إلا متساوين ، ويداً بيد . ويسمى هذا البيع (مراطلة) إن كان بالوزن ، ومبادلة إن كان بالعدد^٤ . وأما بيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، فقد أبيع ذلك في الاسلام كيف شاء المتبايعون ، بتفاضل أو بتساو ، لأن بيع الذهب بالفضة والعكس يسمى (صرفاً) ويجوز فيه التفاضل ، لكن يشترط فيه التقابض يدأ بيد^٥ .

ويظهر من منع الاسلام لبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إلا أن يكونا متساوين ويدأ بيد ، أي مقبوضين ، ان أهل الجاهلية كانوا يبيعون الذهب بذهب

١ اللسان (٣٦٣/١) ، (خلب) .

٢ تاج العروس ٥ (٣٩/٥) ، (روض) .

٣ المحبر (٢٦٤) . (أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ومبايعتهم فيها) .

٤ قال ابن عاصم في تحفة الحكام :

والجنس بالجنس هو المراطلة بالوزن أو بالعد فالمبادلة

٥ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٤٧٠/٥ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٥٦م) .

يزيد عليه حين يؤديه في أجله المحدود ، فاعتبر الاسلام ذلك علة من علل الربا ، وعلته هنا الثمنية ، ولو تباع الناس بالجلود لنتهى عن التفاضل فيها . والعلة في الأربعة الأخرى الادخار للقوت أو ما يصلح للقوت . وعلة الربا هي النقدية أو الطعم أو الاقتنيات^١ .

ومن يبيع أهل الجاهلية يبيع حق الانتفاع ، مثل أن يبيع بائع لمشتري حق الانتفاع من ظهر دابة ، بأن يستفيد من ركوب ظهر الدابة التي اشتراها ، ولكن الدابة تكون مع ذلك لصاحبها . ومن ذلك اشتراط البائع على المشتري ظهر الدابة الى مكان معين^٢ .

وقد كان الباعة الجاهليون يفعلون في أسواقهم ما يفعله باعة أيامنا من صخب في السوق ، ومن لغط ومن قسم على جودة السلع ورخص أسعارها ، يريدون التأثير على المشتريين وحملهم على الشراء . وقد لاحظ الرسول ما في هذا الصخب من ضرر ، وما في هذا النوع من الدعاية للبضاعة من غش ، فنهى عنه^٣ .

وقد نلخصت بعض كتب الحديث والفقه البيوع وعرفتها على النحو الآتي :
البيع المطلق إن كان يبيع العين بالثمن ، والمقايضة إن كان عيناً بعين ، والسلم إن كان يبيع الدين بالعين ، والصرف إن كان يبيع الثمن بالثمن ، والمراوحة إن كان بالثمن مع زيادة ، والتولية إن لم يكن مع زيادة . والوضيعة إن كان بالنقصان ، واللازم إن كان تاماً ، وغير اللازم إن كان بالخيار ، والصحيح والباطل والمكروه^٤ .
والبيع نقداً ، وهو خلاف النسيئة . وهو أن يشتري الرجل شيئاً ، فيعطي البائع نقداً معجلاً^٥ . أما يبيع النسيئة ، فهو البيع المؤخر ، أي الذي يدفع ثمنه مؤخراً^٦ .

وقد اتخذ الاسلام قاعدة عامة في البيوع ، هي : بطلان بيع المبيع الذي يقوم على بيع المجهول كماً وكيفية وقبل التأكد منه ، أي بيع المجهول ، لما في ذلك

-
- ١ زاد المسلم (٤٧٢/٥) .
 - ٢ ارشاد الساري (٤٣٣/٤) .
 - ٣ عمدة القاري (باب كراهية الصخب « السخب » في السوق) ، (٢٤٢/١٠) .
 - ٤ عمدة القاري (١٥٩/١١ ، ١٧٥) ، « كتاب البيوع » .
 - ٥ تاج العروس (٥١٦/٢) ، (٤٥٤/١) ، « طبعة الكويت » ، « نساء » ، البخاري (٥٩/٣) ، (كتاب البيوع) ، عمدة القاري (١٨٢/١١) ، (كتاب البيوع) .
 - ٦ تاج العروس (٤٥٤/١) ، (نساء) ، (طبعة الكويت) .

من التغرير ، أي الخداع في البيع والغبن ، ولما يقع من هذه البيوع من أضرار ولما تحدثه من خصومات ومجادلات ومن تلاعب في الأسعار ومن تأثير ذلك في الناس المنتفعين . فأبطل بيع المبيع قبل القبض ، إذ كان الجاهليون يتبايعون بالذهب والطعام وهو مرجأ ، يشترون الطعام من الركبان جزافاً ، ثم يبيعونه في مكانه ، للكسب ، فنهى الرسول عن هذا النوع من البيع ، حتى يؤووه إلى رحالهم ويحولوه ، وفي رواية ويكتالوه ، وأمر الرسول بضرب من يبتاع الطعام جزافاً^١ ، كما نهى عن معظم البيوع المذكورة واعتبرها باطلة ، لا تعتبر عقداً صحيحاً مشروعاً لمن عقده .

والبيوع المذكورة وإن كانت بيوعاً بنيت في الواقع على إيجاب وقبول في البيع وتراض من الطرفين وبموافقة بحصول البيع من المتعاقدين : البائع والمشتري ، غير أن هذه البيوع كانت تحدث منازعات أحياناً بين الطرفين ، وتنتج ضرراً لذلك نهى عنها في الإسلام وقيّد بعضها بقيود حتى تحدد من وقوع المخاصمات قدر الامكان ومن وقوع الغلط في السلعة ، من حيث الجنس والنوع أو من حيث الصفة ، ومن وقوع الغبن والتغرير .

الحكرة :

الحكرة وتعرف أيضاً بالاحتكار ، ويراد بها حبس الطعام ليربص به الغلاء . وذلك للحصول على كسب زائد . وقد كان أهل المال من الجاهليين يقصدون الأسواق ، فيشترون ما يرون فيه ربحاً في المستقبل من طعام أو ما شابه ذلك من مواد ضرورية ، ثم يخترنونها ، ويبيعونها عند حلول الموسم أو وقوع مجاعة أو فرص مؤاتية بسعر مرتفع ، غير مباليين بما في ذلك من ضرر ومن استغلال لأحوال الناس . وقد ورد النهي عن هذا البيع في الإسلام^٢ .

ومن التجار المتمكنين من كان يشتري حمولة قافلة كاملة ، ثم يحتكرها لبيعها

١ صحيح مسلم (٧/٥) وما بعدها .

٢ « في الاحتكار والتسعير » ، جامع الاصول (٢٢/٢) وما بعدها ، اللسان (٢٠٨/٤) ، (حكر) ، تاج العروس (٣/١٥٤) ، (حكر) .

وقت الحاجة ، أو يدخرها ويبيع منها على التفريق بغية الربح ، فلا ينافسه على ربحها أحد^١ . ويجعل لما اشتراه السعر الذي يشاء .

ومن التجار من كان يتلقى (الركبان) ليشتروا ما معهم من طعام ، وذلك قبل وصولهم السوق^٢ . فيتضرر بذلك تجار الأسواق ، والمستهلكون ، أي المشترون ، ومن هذا القبيل ، خروج الحضر ، لاستقبال البدو ، أي الأعراب ، الذين يقصدون الحواضر ، لبيع ما عندهم من سلع ، فكان أصحاب المال يستقبلونهم قبل وصولهم السوق ، وقبل اتصالهم بالتجار ، ووقوفهم على السعر ، فيشترون منهم ما يحملونه من سلع ، لبيعها في السوق^٣ .

شهود البيع :

وقد كان من الجاهليين من يشهد (شهوداً) على التبايع ، أي يجعل له شهوداً يشهدون على صحة المعاملة ، ومنهم من كان يكتب التبايع وشروطه بكتاب ، حتى لا ينكل أحد المتبايعين عن البيع ، ويلحق الضرر بالطرف الآخر . إذ يكون الكتاب حجة وشاهداً وإلى ذلك أشير في القرآن الكريم : « وأشهدوا إذا تباعتم . ولا يضار كاتب ولا شهيد »^٤ ، وذلك منعاً لما قد يحدث من خلاف ونزاع بين المتكاتبين ، فيرجع عندئذ إلى ما هو مكتوب ويعمل بموجبه .

فسخ البيع :

والبيع عقد فيه إيجاب وقبول ، فلا يجوز فسخه والتخلص منه من غير سبب مغلٍ بعقد شرط البيع . أما إذا حصل تراض على فسخ الصفقة فذلك مباح لأنه قد حصل عن رضا وموافقة واختيار ، دون إكراه ولا إجبار . ويعبر عن فسخ الصفقة بـ (تقاييل البيع) . يقال : تقايلا بعدما تباعا أي تاركا . وأقلته

١ اللسان (٤/٦٢٤) ، (غير) .

٢ ارشاد الساري (٤/٧٤) .

٣ ارشاد الساري (٤/٧٢ وما بعدها) .

٤ البقرة ، الآية ٢٨٢ ، تفسير الطبري (٣/٨٨) .

البيع إقالة : فسخه . وعاد المبيع الى مالكه والتمن الى المشتري، اذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما^١ .

العربون :

و (العربون) ما عقد به البيع^٢ . ويعبر عنه بـ (عربن) في المسند . وتقابل هذه اللفظة لفظة (العربان) في عربية القرآن الكريم^٣ . وهو ما يقدمه المشتري للبائع لعقد البيع ، اذا كان البيع نسيئة ، حتى يسلم تمام الذي الذي اتفق عليه . ولهذا لا يكون عربوناً اذا تم البيع يداً بيد ، أي اذا دفع الثمن كاملاً في مجلس البيع ، وتم البيع والاستلام ، إذ لا حاجة عندئذ اليه ، لأن العربون وديعة تقدم للائتمان ، لتكون وثيقة للبيع ، ولقبول المشتري السلعة ، فلا يحق له النكول عن البيع وإلا خسر عربونه ، وليكون ضماناً للبائع على البيع ، فإذا نكل المشتري وامتنع عن الشراء خسر عربونه ، وصار حقه للبائع بدل النكول . ولهذا يكون العربون في الغالب مبلغاً يرضي البائع ، أي متناسباً مع قيمة البيع^٤ .

وكما يكون (العربون) في البيع يكون في الاجارة ، وفي العمل . وذلك أن يقدم الرجل ربّ العمل أو المال الى الصانع أو التاجر ليرتبط العقد بينهما حتى يتوافيا بعد ذلك^٥ . فإذا أخلف رب العمل أو المال في وعده وخاس في عهده ، صار العربون من حق الصانع أو التاجر .

ويعبر عن العربون بلفظة (ودعت) في المسند . ويراد بها الوديعة^٦ . والوديعة في عربيتنا ما استودع . يقال : استودعه مالا وأودعه إياه : دفعه اليه ليكون عنده وديعة^٧ . فالوديعة في هذه العربية قد تؤدي معنى العربون ، وقد تؤدي معنى الرهن والرهنينة ، وقد تؤدي معنى الاستيداع مطلقاً ، أي ايداع شيء عند شخص

- ١ اللسان (٥٧٩/١١) وما بعدها ، (قيل) .
- ٢ تاج العروس (٢٧٧/٩) ، (عربن) .
- ٣ تاج العروس (٣٧٢/١) ، (عرب) .
- ٤ تاج العروس (٣٧٦/١) ، (عرب) .
- ٥ تاج العروس (٣٧٦/١) ، (عرب) .
- ٦ REP. EPIGR. 3911.
- ٧ اللسان (٣٨٦/٨) ، (ودع) .

وحفظه لديه . وأنا لا أستبعد أن يكون هذا المعنى ، هو معناها في لغة المسند أيضاً .

ويقال للعربون ، الأربون كذلك . وهو ما عقد به المبايعة ، أو البيعة من الثمن . وفي الحديث أنه نهى عن بيع العربان ، وهو أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً ، على أنه إن أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يَمْضِ البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرتجعه المشتري . وذكر هو القليل من الثمن أو الأجرة يقدمه الرجل إلى الصانع أو التاجر ليرتبط العقد بينهما حتى يتوافيا بعد ذلك . فكما أنه يكون في البيع يكون في الاجارة . وللعلماء الفقهاء آراء في جواز أو عدم جواز البيع بالعربون^١ .

و (الكلالة) النسبة والعربون ، أي السلفة . وفي الحديث نهى عن الكالء بالكالء ، يعني النسبة بالنسبة^٢ .

و (المسكان) العربون كذلك . وجاء في الحديث النهي عن بيع المسكان ، وهو أن يشتري شيئاً فيدفع إلى البائع مبلغاً على أنه إن تم البيع احتسب من الثمن ، وإن لم يتم كان للبائع ولا يرتجع منه^٣ .

الخيار في البيع :

والخيار في البيوع طلب خير الأمرين : إما الامضاء وإما البيع أو فسخه^٤ . فقد يرى البائع أو المشتري في السلعة المشتراة رأياً ، لم يكن له حين عقد صفقة البيع . وللفقهاء كلام عليه ، وهو أنواع عندهم ، منها خيار المجلس ، وخيار الشرط ، وخيار الرؤية وهو شراء ما لم يره على أنه بالخيار إذا رآه ، وخيار العيب ، وخيار تلقي الركبان ، وخيار تفريق الصفقة وتفريقها بتعددتها بالابتداء ، وخيار العجز عن الثمن ، وخيار فقد الوصف المشروط في المبيع ، والخيار فيما رآه

١ « وفي حديث عمر أن عاملة اشترى داراً للسجن بأربعة آلاف ، وأعربوا فيها اربعمائة ،

أي أسلفوا » ، تاج العروس (١/٣٧٦) ، (عرب) .

٢ تاج العروس (١/١١١) ، (كلا) .

٣ تاج العروس (٧/١٧٧) ، (مسك) .

٤ تاج العروس (٣/١٩٥) ، (خير) .

قبل العقد اذا تغير عن صفته ، وغير ذلك^١ . وقد جعل بعضهم الخيار ثلاثة
أضرب : خيار المجلس ، وخيار الشرط ، وخيار النقيصة^٢ .

وقد يشترط في البيع ألا يضمن عهده . ويقال لهذا النوع من البيع : (المسئ) و (المسئ) ، هي البيعة التي لا يتعلق بها تبعة ولا عهدة . يقال : أبيعك المسئ لا عهدة . أي تتمسك وتنفلت ولا ترجع إليّ . ويقال في البيع مسئ لا عهدة ، أي قد انمست من الأمر لا له ولا عليه^٣ .

صفات البيع :

وإذا تم عقد بيع بين بائع ومشتري ، يضع أحدهما يده في يد الآخر ، دلالة على قبول البيع وتماحه . ومن هنا قيل للتبايع الصفق . وورد : تصافقوا ، أي تبايعوا^٤ . وبذلك يتم البيع ويكون في عرفهم بيعاً صحيحاً .

وكانت عاداتهم أنهم اذا تبايعوا تصافقوا بالأيدي ، دلالة على عقد البيع وحصول الرضا به ، ووقوع الإيجاب والقبول من البائع والمشتري ، ومن هنا قيل للبيعة صفقة ، والصفقة تكون للبائع والمشتري^٥ . ومتى تم التصافق فلا يجوز لأحدهم النكول عن البيع ، لأنه عقد عقدأ وأمضى أمراً ، وكان عليه أن يعمل رأيه قبل المصافقة ، واذا كانت البيعة على شيء مجهول ، كأن تكون السلعة المباعة قد خبثت في خباء وبيعت مجهولة ، ووافق المشتري على شرائها على تلك الحالة ، ثم تبين أنها دون الثمن بكثير ، فلا حق للمشتري برد البيع ، لأنه حين شرائه تلك السلعة كان يعلم أنها مخبأة وأنها تباع يبيع الشيء المجهول . وقد رضي بالبيع بالمصافقة ، فلا حق له اذن برفض السلعة .

١ ارشاد الساري (٤٢/٤) .

٢ تاج العروس (١٩٥/٣) ، (خير) .

٣ قال الراجز :

لما رأيت العام عاماً أعيا وما ربيع مالنا بالمسئ
تاج العروس (٢٤٩/٤) ، (مسئ) ، اللسان (٢٢١/٦) ، (مسئ) .

٤ اللسان (٢٠٠/١٠) وما بعدها ، (صفق) .

٥ تاج العروس (٤٠٩/٦) .

الدَّيْن :

وقد لعبت الديون دوراً خطيراً في الحياة العامة في الجاهلية وفي الحياة الاقتصادية بصورة خاصة ، لاضطرار التجار الى التعامل بالدين ، وكذلك الباعة والمشتريين . وتلعب الحاجة الدور الأول في التداين ، فلولاها لما استدان مدين .

وقد استدان أصحاب المال بعضهم من بعض أيضاً ، لتمشية أمورهم المالية ، ولتوسيع رأسمالهم بالدين ، بتشغيله للحصول على ربح كبير منه . وذلك على نحو ما يفعل التجار في هذا اليوم ، من التداين من البنوك ، لتشغيل ما يستقرضونه منها في أعمال تجارية تأتي اليهم بأرباح تزيد كثيراً على مقدار الفائدة التي ستدفع للبنوك .

وقد أشير الى الدين في القرآن الكريم . ورد في سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى ، فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل »^١ . يعني « يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا تداينتم يعني إذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به أو تعاطيتم أو أخذتم به الى أجل مسمى . يقول الى وقت معلوم وقتموه بينكم . وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ما جاز السلم شري أحل بيعه ، يصير ديناً على بائع ما أسلم اليه فيه ، ويحتمل بيع الحاضر الجائز بيعه من الأملاك بالأثمان المؤجلة . كل ذلك من الديون المؤجلة الى أجل مسمى ، إذا كانت آجالها معلومة بحد موقوف عليه . كان ابن عباس يقول : نزلت هذه الآية في السلم خاصة »^٢ .

و (السلم) الذي يشير (ابن عباس) اليه ، هو (السلف) . وأسلم وأسلف بمعنى واحد^٣ . والسلف القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض ، غير الأجر والشكر ، وعلى المقرض ردّه كما أخذه^٤ .

والدين في تعريف العلماء ما له أجل ، وما لا أجل له فقرض . وبينهما وبين

١ الآية (٢٨٢) .

٢ تفسير الطبري (٧٦/٣) .

٣ تاج العروس (٣٣٧/٨) ، (سلم) .

٤ تاج العروس (١٤٣/٦) ، (سلف) .

السلم فروق عرفية^١ . والقرض ما تعطيه من المال لتقضاه^٢ .
وقد كان من الصعب دفع الديون أو استحصاها ، للأحوال الاقتصادية السيئة
التي قد تحيط بالمدين . فإذا أخذ الرجل الدين أكله ، فإذا أراد صاحب الدين
حقه لواه به ، أي مطله . ومنه المثل : الأخذ سلجان والقضاء ليان^٣ .

المنحة :

والمنحة العطية . وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً ، لا قرضاً ولا عارية، فتكون
له . وقد تكون اعارة للاستفادة من منفعة ، ثم تعاد . ومن هذا القبيل منحة
الأرض . فقد تمنح هبة ، فتكون لمن وهبت له ، يستغل منفعتها، وله ان يبيعها
متى شاء ، لأنها هبة وهبت له ، فصارت في حكم ملكه ، وقد تستغل إعارة
لأجل يتفق عليه ، أو بغير أجل ، يستردها صاحبها متى شاء وأحب. ومن المنح،
منح الإبل ، للاستفادة من وبرها وألبانها وولدها ، والسفر عليها ، واكرائها
للقوافل وللأشخاص . والمنحة المعارة مردودة . وقد ورد في الحديث : المنحة
مردودة ، والعارية مؤداة^٤ . وورد ان المنحة عند العرب على معنيين: أحدهما ان
يعطي الرجل صاحبه المال هبة أو صلة فتكون له . وأما المنحة الأخرى، فإن يمنح
الرجل أخاه ناقة أو شاة يحلبها زماناً وأياماً ثم يردها . وهو تأويل ما ورد في
الحديث من قوله : المنحة مردودة والعارية مؤداة^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٢٠٧/٩) ، (دين) .
 - ٢ تاج العروس (٧٦/٥) ، (قرض) .
 - ٣ تاج العروس (٥٩/٢) ، (سلج) .
 - ٤ تاج العروس (٢٣٢/٢) ، (منح) .
 - ٥ تاج العروس (٢٣٢/٢) ، (منح) .

الفصل السادس بعد المئة

الشركة

والشركة في البيع ، معروفة عند الجاهليين ، فقد كان الناس يشتركون في البيع ، بالمساهمة ، بمال الشركة مناصفة أو على نصيب يعين أو بنسب يتفقون عليها ، وبالمساهمة بمال يقدم من جهة ويعمل يقوم به الطرف الآخر ووفق شروط يتفق عليها المشاركون بالنسبة الى الربح أو الى الخسارة . وقد كان من عادة أهل مكة مساهمة معظم أهلها في مال تجارتهم التي يرسلونها الى اليمن والى بلاد الشام ، ولهذا كانت القافلة التي يرسلونها تكون كبيرة ضخمة ، يزيد عدد جمالها على الألف . ومعنى هذا أن المال الذي تحمله القافلة يكون كبيراً غالباً ، وذلك لأن أكثر أهل مكة من الأغنياء والموسرين والمتوسطين قد ساهموا فيه .

ويقال للشريك (الجار) . و (الجار) الشريك في العقار والشريك في التجارة^١ . وقد يتكاتب الشركاء فيما بينهم ، بأن يكتبوا ما اتفقوا عليه في صحيفة تحفظ نسخ منها عند الشركاء . وقد يتكاتبون ، وانما يرضون بالوفاء على ما اتفقوا عليه ، معتمدين على اخلاصهم في النية وعزمهم على الوفاء بما اتفقوا عليه بكل أمانة واخلاص . ونجد في كتب أهل الأخبار أمثلة على تشارك أشخاص للقيام بأعمال تجارية في مختلف أنحاء جزيرة العرب . فهي تبين ان الشراء كانوا يقدمون من أموالهم كذا وكذا من المال ، للعمل شركة . فيخلطون المال المقدم من الشركاء

١ تاج العروس (٣/١١١) ، (جار) .

حتى يصير شيئاً واحداً ، وبعد إخراج رأس المال بعد الحساب ، والمؤن والكلف يقسم الربح نصفين إن كانا شريكين ، أو أكثر حسب عدد الشركاء ومقدار ما ساهم به كل واحد من الشركاء في رأس المال . وتوزع الخسائر ، إن كانت هنالك خسائر على عدد المساهمين ، وينسب ما ساهم كل واحد من المساهمين في رأس المال^١ .

وقد ورد في الأخبار أن (نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم) كان في الجاهلية شريكاً (للعباس بن عبد المطلب) ، وكانا شريكين متفاوضين في المال متحابين . ولما وقع في الأسر في (بدر) ، فداه العباس . وقد كان غنياً ، أسلم ، وأعان رسول الله يوم بدر بثلاثة آلاف ربح^٢ . وكان (السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ) يشارك الرسول في تجارته ، ويتاجران مع بلاد اليمن^٣ . وذكر أن (السائب بن عبد الله) المخزومي ، كان هو شريك الرسول وصاحبه في الجاهلية^٤ . وورد أن (السائب بن الحارث بن صبرة) ، كان شريكاً للنبي بمكة^٥ . ويظهر أن اشتراك الثلاثة في الاسم ، صير ثلاثتهم شركاء للرسول في تجارته ، والصحيح أن واحداً منهم كان شريكاً له .

وكان (مرداس بن أبي عامر) ، والد (العباس بن مرداس) الشاعر ، شريكاً لحرب بن أمية ، والد أبي سفيان^٦ . وكان (العباس بن أنس) شريكاً لعبد المطلب^٧ .

وقد شارك (البراء بن عازب) (زيد بن أرقم) بالصرف ، وهو بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة . ثم راجعا رسول الله فيه ، فقال لهما : ما كان يبدأ بيد فخذ ، وما كان نسيئة فذر^٨ .

وقد تشارك أهل مكة فيما بينهم في تكوين الشركات ، كما تشاركوا مع غيرهم

-
- ١ نهاية الارب (١٨/٩) .
 - ٢ البرقوقي (ص ٧٢) .
 - ٣ امتاع الاسماع (٨/١) وما بعدها ، الاصابة (١٠/٢) ، (رقم ٣٠٦٤) .
 - ٤ الاصابة (١٠/٢) ، (رقم ٣٠٦٦) .
 - ٥ الاصابة (١٠/٢) ، (رقم ٣٠٥٧) .
 - ٦ الاصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥١١) .
 - ٧ الاصابة (٢٦٢/٢) .
 - ٨ ارشاد الساري (٢٩٠/٤) .

في تكوين شركات ، أسست لها فروعاً في المحال التي أقام فيها الشركاء الغرباء . فقد شاركوا بعض أهل اليمن ، وجعلوا من مواضع شركائهم فروعاً لهم هناك ، يبيعون ويشتررون شراكة ، ويقتسمون الأرباح والخسائر على حسب ما اتفقوا عليه . فشاركوا أهل الحيرة ، كانوا يرسلون تجارتهم اليهم ، لبيعها في أسواق الحيرة ، ويرسل شركائهم من أهل الحيرة بضائعهم الى مكة ، لتصرفها بها ، ثم يتحاسبون ويقسمون الأرباح أو الخسائر حسب ما اتفقوا عليه . وكان (كعب بن عدي) التنوخي الحيري ، شريك (عمر) في التجارة . يتاجر معه في البز . وقد أسلم قبيل وفاة الرسول ، وكان قد ذهب في وفد من أهل الحيرة الى المدينة ، فعرض الرسول عليهم الاسلام فأسلموا ، فلما انصرفوا الى الحيرة ، جاءتهم أنباء وفاة الرسول ، فارتاب أصحابه ، وقالوا : لو كان نبياً لم يمت ، وقال كعب : فقد مات الأنبياء قبله ، وثبت على الإسلام ، ثم خرج الى المدينة ، ورأى (أبا بكر) ، فلما بعث أبو بكر جيشاً الى اليمامة ذهب معه ، ثم أرسله (عمر) الى (المقوقس) وقدم الاسكندرية سنة خمس عشرة رسولا من (عمر) الى المقوقس . وشهد فتح مصر .

وورد في رواية أخرى ، أنه أسلم بعد وفاة الرسول ، في خلافة (أبي بكر) . وورد في رواية أخرى أنه كان أحد وفد الحيرة الى الرسول ، وكان شريك النبي في الجاهلية^١ . وكان عقيداً أي حليفاً لعمر^٢ .

وقد أشرك أهل مكة سادات القبائل معهم في الاتجار ، تأليفاً لقلوبهم ، وحماية لتجارهم ولقوافلهم من التعرض للسلب والنهب ، وكانوا يعطونهم نصيبهم من الأرباح . وهو عمل حكيم جعل سادات القبائل يقدون الى مكة ، ويعقدون العقود مع تجارهم للاتجار معهم . وبذلك توسعت تجارة مكة وزادت رؤوس أموال قريش .

وقد كان أهل اليمن يتشاركون في الأرض ، وهو أن يدفعها صاحبها الى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك . وقد أشير الى هذا التشارك في نصوص المسند . وفي حديث معاذ : انه أجاز بين أهل اليمن الشرك ، أي الاشتراك في الأرض^٣ .

١ الاصابة (٢٨٢/٣) ، (رقم ٧٤٢٢) .

٢ الاصابة (٢٨٢/٣) ، (رقم ٧٤٢٢) ، تاج العروس (٤٢٨/٢) ، (عقد) .

٣ اللسان (٤٤٩/١٠) ، (شرك) ، تاج العروس (١٤٨/٧) ، (شرك) .

أنواع الشركات :

ويقسم الفقهاء الشركة في التجارة الى شركة عنسان ، وشركة مفاوضة ، أو شركة عنان وشركة تفويض^١ . وجعلها بعضهم أنواعاً أربعة : شركة الأبدان كشركة الحمالين والجمالين وسائر المحترفة ليكون كسبها متساوياً أو متفاوتاً مع اتفاق الصنعة واختلافها ، وشركة الوجوه ، كأن يشترك وجهان عند الناس لبيتاع كل منها بمؤجل ويكون المبتاع لها ، فإذا باعاً كان الفاضل عن الأثمان بينهما ، وشركة المفاوضة ، بأن يشترك اثنان بأن يكون بينهما كسبها بأموالها وأبدانها وعليها ما يعرض من مغرم . وسميت مفاوضة من تفاوضا في الحديث شرعاً فيه جميعاً ، وشركة العنان . وكلها باطلة إلا شركة العنان ، لحلوا الثلاث الأولى عن المال المشترك ولكثرة الغرر فيها بخلاف الأخيرة فهي الصحيحة^٢ .

فأما (شركة العنان) أو (العنان) (شركة عنان) ، فهي أن يخرج كل واحد من الشريكين دنائير أو دراهم مثل ما يخرج صاحبه ويخلطها ، ويأذن كل واحد منها لصاحبه بأن يتجر فيه . فإن ربحا في المالين فبينهما ، وإن وُضعا فعلى رأس مال كل واحد منها . وسميت هذه الشركة شركة عنان لمعارضة كل واحد منها صاحبه بمال مثل ماله ، وعمله فيه مثل عمله يبعاً وشراءً . وقد أُشير الى هذه الشركة في شعر ينسب الى النابغة الجعدي ، حيث يقول :

وشاركنا قريشاً في نقاهنا وفي أحسابها شريك العنان^٣

وهناك شركة أخرى عرفت بـ (شركة المفاوضة) (فوضى) ، وهي أن يشتركا في كل شيء في أيديهما أو يستفيداه من بعدد ، وقيل هو أن يعارض الرجلُ الرجلَ عند الشراء فيقول له : أشركني معك ، وذلك قبل أن يستوجب العتق . ورد : « الشركة شركتان : شركة العنان ، وشركة المفاوضة »^٤ .

-
- ١ تاج العروس (١١١/٣) ، (جار) ، تاج العروس (٢٨/٩) ، (عن) .
 - ٢ ارشاد الساري (٢٨١/٤) ، (باب الشركة) .
 - ٣ اللسان (٢٩٢/١٣) « صادر » ، تاج العروس (١٤٨/٧) ، (شرك) ، (وفي أنسابها) تاج العروس (٢٨٢/٩) ، (عن) .
 - ٤ اللسان (٢٩٢/١٣) « صادر » .

وذكر أن شركة المفاوضة ، وهي العامة في كل شيء . وشركة العنان في شيء واحد . يقال شاركته شركة مفاوضة ، وذلك أن يكون مالهما جميعاً من كل شيء يملكانه بينهما . وقيل شركة المفاوضة أن يشتركا في كل شيء في أيديهما أو يستفياته من بعد . يقال تفاوض الشريكان في المال إذا اشتركا فيه أجمع . والمفاوضة المساواة . ويقال متاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء . كما يقال أيضاً فوضى فضا . قال الشاعر :

طعامهم فوضى فضا في رحالم ولا يحسنون السرّ إلا تناديا^١

المشاركة :

ويعبر عن (الشريك) بـ (الخليط) . والخليط المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك . وقيل الخليط والمخالط ، لا يكون إلا في الشركة . وفي الحديث ، أي حديث الشفعة : الشريك أولى من الخليط ، والخليط أولى من الجار . أراد بالشريك المشارك في الشيوع ، والخليط المشارك في حقوق الملك . ومنه الحديث : ما كاد من خليطين ، فإنهما يتراجعا بينهما بالسوية^٢ .

وقد أشير إلى (الخلطاء) في القرآن ، ورد : « قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض »^٣ . والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم ، وقد تغلب الخلطة في الماشية^٤ .

وقد أشار أهل الأخبار إلى أن تجار قريش صاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء^٥ ، جابوا البلاد وضربوا في الأرض إلى قيصر بالروم وإلى النجاشي بالحبيشة ، وإلى المقوقس بمصر . فهم شركاء يكسبون عيشهم بالتجارة بعد أن حرموا من خيرات الأرض في وادهم القفر .

-
- ١ تاج العروس (٧١/٥) ، (فوضى) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) .
 - ٣ سورة ص ، الرقم ٣٨ ، الآية (٢٤) .
 - ٤ تفسير الطبري (٩٢/٢٣) ، تفسير النيسابوري (٩٢/٢٣) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، تفسير القرطبي (١٧٩/١٥) .
 - ٥ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١ وما بعدها) ، البلدان (٤٧٢) .

والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم ، وقد تغلب الخلطة في الماشية^١ . وذلك أن يتخالطوا في الماشية ، فيقدم كل واحد عدداً من الماشية ، ترعى معاً ، ويقال لذلك : (الخلطاء) . وقد أشير إليه في كتب الحديث^٢ . وذكر بعض العلماء : أن الخليطين الشريكين لم يقتسما الماشية وتراجعها بالسوية . وقد يكون الخليطان الرجلين يتخالطان بماشيتهما وإن عرف كل واحد ماشيته ، ولا يكونا خليطين حتى يربحا ويسرحا ويسقيا معاً ، وتكون فحولهما مختلطة ، وإن تفرقا في مراح أو سقي أو فحول فليسا خليطين ، ولا يكونان خليطين حتى يحول عليهما حول من يوم اختلطا . وللفقهاء بحث في هذا الموضوع^٣ .

والتراجع بين الخليطين ، أن يكون لأحدهما مثلاً أربعون بقرة وللآخر ثلاثون ومالهما مشترك ، فيأخذ العامل عن الأربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعاً ، فيرجع بأذن المسنة بثلاثة أسباعه على خليطه ، وبأذن التبيع بأربعة أسباعه على خليطه لأن كل واحد من السنين واجب على الشيوع ، كأن المال ملك واحد^٤ .

والخلطة شركة في الواقع ، تختلف عن الشركة المعروفة في كونها شركة بالمال ، وتلك شركة برأس المال . وكل واحد من الخليطين يتصرف بما عنده من مال ، ثم يتراجعا عند الحساب ، لخراج ما فيه من ربح أو غرم ، وبذلك تختلف الخلطة عن الشركة^٥ .

السفينة :

وعرفت (السفينة) بين الجاهليين . وهي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به من خطر الطريق . وقيل : هو قرض استفاد به المقرض سقوط خطر الطريق ، بأن يقرض ماله عند الخوف ليرد عليه في موضع أمن . أو أن يعطي رجل مالاً لآخر ، وللآخر مال في بلد المعطي ، فيوفيه إياه فيستفيد

-
- ١ تفسير النيسابوري (٩٣/٢٣) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) .
 - ٣ تاج العروس (١٣٣/٥) ، (خلط) .
 - ٤ تاج العروس (٣٥١/٥) ، (رجع) .
 - ٥ ارشاد الساري (٢٨٤/٤) .

أمن الطريق وفعله السفنجة ، والجمع السفاتج . وقد كان أهل الجاهلية يعطون مالاً لشخص محتاج اليه ، على أن يوفيه في بلده لوكيل صاحب المال أو لمن يثق به ، في مقابل نفع يعين ، أو قرض لا نفع له . وقد نهى النبي عن قرض يجرّ نفعاً^١ .

الوكالة :

وعرفت الوكالة عند الجاهليين . والوكيل ، هو الذي يقوم بأمر الانسان ، سمي به لأن موكله قد وكل اليه القيام بأمره ، فهو موكل اليه الأمر^٢ وحكم الوكيل حكم الأصل ، والتاجر الوكيل في البيع والشراء ، وفي كل تعامل ، هو بمنزلة التاجر الأصل صاحب المال ، وما يعقده من عقود ، يكون ملزماً بحق التاجر الأصل . وقد عرف العلماء الوكالة : انها تفويض شخص أمره الى آخر فيما يقبل النيابة^٣ .

ولا يشترط في الوكالة ، أن تكون وكالة تجارة ، بل يجوز أن تكون وكالة في كل شيء ، كأن تكون إشرافاً على أهل أو بيت لحمايته أثناء غياب صاحبه ، كما تكون وكالة حراسة أموال والتصرف بها . فقد كاتب (عبد الرحمن بن عوف) (أمية بن خلف) أن يحفظه في صاغيته بمكة ، وأن يحفظ (عبد الرحمن) صاغية (أمية) بالمدينة^٤ .

وكانوا يوكلون وكلاء عنهم في اجراء العقود والتوقيع على العهود ، وعلى شروط السلم ، اذا كانوا مخولين . ولما جاء وفد (هوازن) الى رسول الله ، يسأله المنّة عليه برد أموالهم وسبيهم ، سأل رسول الله من كان عنده من أصحابه من الناس من المقاتلين في أمر رد السبي ، فتنازلوا عن حقهم فيه طيبة لرسول الله ، فقال رسول الله : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ، ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع لنا عرفاؤكم أمركم » ، فرجع الناس فكلّمهم عرفاؤهم ، ثم

-
- ١ تاج العروس (٥٩/٢) ، (السفنتجة) .
 - ٢ تاج العروس (١٥٩/٨) ، (وكل) .
 - ٣ ارشاد الساري (١٥٥/٤) ، (كتاب الوكالة) .
 - ٤ ارشاد الساري (١٥٦/٤) .

رجعوا، وقد طيبوا وأذنوا لرسول الله أن يرد السبي إليهم، لتوكيل الناس لهم ذلك^١.

السمسرة :

والسمسار المتوسط بين البائع والمشتري لامضاء البيع . وهو الذي يسميه الناس الدلال ، فإنه يدل المشتري على السلع ويدل البائع على الأثمان . واللفظة من الألفاظ المعربة ، وقد ذكرت في شعر للأعشى :

فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها^٢

والسمسار الرجل الخاذق المتبصر ، وسمسار الأرض العالم بها ، والخاذق المتبصر بأمورها^٣ . وقد ذهب علماء اللغة الى أنها لفظية عربت عن الفارسية ، وذهب بعض الباحثين الى أنها من أصل لرامي^٤ .

والسمسار الذي يبيع البرّ للناس . وفي حديث : (قيس بن أبي عروة) : « كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فسمانا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، التجار »^٥ . والسمسرة ، هو أن يتوكل الرجل من الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يجلبونه . قيل القيم بالأمر الحافظ له^٦ . ويظهر أنهم كانوا يطلقون لفظة (السمسير) على الوكيل والقيم بالأمر الحافظ له في الأصل ، ثم غلب استعمالها فيمن يدخل بين البائع والمشتري . كما استعملوها خاصة فيمن يدخل بين البائع البادي والمشتري الحاضر ، أو عكسه^٧ .

ومن طريقتهم في السمسرة أن يقول صاحب السلعة للسمسار بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك ، فما زاد على ما اتفق عليه يكون أجرة سمسرة . أو أن يقول : بعه بكذا فما كان من ربح فهو لك^٨ . أو أن يترك السعر للسمسار، يبيعه حسب خبرته وقدرته على السوم ، فإن باع الشيء دفع صاحب السلعة له

١ ارشاد الساري (١٦١/٤) .

٢ تاج العروس (٢٨٠/٣) ، (سمسر) ، اللسان (٣٨٠/٤) ، (سمسر) .

٣ تاج العروس (٢٨٠/٣) ، (سمسر) .

٤ غرائب اللغة (١٨٩) .

٥ اللسان (٣٨٠/٤) ، (سمسر) .

٦ اللسان (٣٨٠/٤) ، (سمسر) .

٧ ارشاد الساري (٧٢/٤) وما بعدها .

٨ ارشاد الساري (١٣٦/٤) .

أجر سمسرته . وقد يأخذها من المشتري وقد يأخذها من صاحب السلعة ومن المشتري .
ولا تنحصر السمسرة بالبيع في السوق ، ويحمل السمسار السلعة معه يعرضها
على من يريد الشراء ، فقد تكون السمسرة عن طريق بيع ملك ثابت ، مثل دار
أو أرض أو بئر ، فيراجع السمسار من يرغب في الشراء في بيته أو في أي مكان
آخر مناسب ، فلا ينادي المتساومين المتنافسين لشراء الملك ، وقد يقف عند الدار
أو الأرض أو البئر ، في يوم يعين ووقت يثبت ، ثم ينادي على السعر فيزيد
الراغبون في الشراء السعر ، حتى يقف على أعلا المتزايدين . ويدخل في هذه
المزايدات بيع الحيوان من نعم وماشية وغير ذلك .

ومن السماسرة من كان يربح ربحاً حسناً ، ولا سيما أولئك الذين كانوا يرفعون
أمور (الركبان) من الأعراب ، ويبيعون لهم على الأمانة والتصريف ويكونون
لهم وكلاء ، إذ كانوا يبخسون الأعراب حقهم ويتناولون منهم أكثر مما يجب
أخذه عن أتعابهم ، لجهلهم بمعاملات السوق والبيع والشراء .

الفصل السابع بعد المئة

المال

المال في اللغة ما ملكته من كل شيء ، وهو في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ، ثم أطلق على كل ما يقتني ويملك من الأعيان ، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم . وفي الحديث 'نهى عن إضاعة المال ، قيل أراد به الحيوان' ^١ . ويشمل المال الصامت وهو العين ^٢ ، والورق وسائر المصوغ منها ^٣ . والعرض ويشمل الأمتعة والبضائع والجواهر والمعادن والأخشاب وسائر الأشياء المصنوعة منها ، والعقار من مسقف ومن مزروع مثل البساتين والكروم والمراعي والغياض والآجام وما يحويه من العيون والحقوق في مياه الأنهار ، والحيوان بأنواعه . ويدخل الرقيق أيضاً في أصناف المال بالنسبة الى ذلك العهد ، لأن له قيمة وثمناً ، وهو ثروة لصاحبه وملك ، وهو بوجه عام كل ما تملكه مما له ثمن .

و (العين) الدينار والذهب عامة ^٤ . و (الورق) ، الدراهم المضروبة ، وقيل الفضة ، كانت مضروبة أولاً ^٥ . ويلاحظ ان الكلمتين تعبران عن الذهب

-
- ١ اللسان (١١/١١/٦٣٥ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/١٢١) ، (مول) .
 - ٢ القاموس (٤/٥٢) ، كتاب الارشاد الى محاسن التجارة (ص ٢ وما بعدها) .
 - ٣ القاموس (٣/٢٨٨ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/٨٦ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (٩/٢٨٨) ، (عين) .
 - ٥ تاج العروس (٧/٨٥) ، (ورق) .

والفضة ، وعن الدنانير والدراهم . والدنانير من ذهب ، والدراهم من فضة . ويعبر عن الذهب بلفظة (الصفراء) لونه^١ . وعبروا عن الفضة بـ (البيضاء) وبالأبيض لبياض الفضة ، ومنه الحديث : أعطيت الكثرين الأحمر والأبيض ، وهما الذهب والفضة^٢ .

ويقال للمال (النشب) ، والنشب المال والعقار ، وأكثر ما يستعمل في الأشياء الثابتة التي لا يبراح بها كاللدور والضيايع . والمال أكثر ما يستعمل فيما ليس بثابت كالدراهم والدنانير، وربما أوقعوا المال على كل ما يملكه الإنسان ، وربما خصصوه بالابل ، والعروض اسم للمال^٣ .

والذهب والفضة ، هما مقياس الثراء عند الحضر . ويكون ذلك بحيازتهم سبائك من ذهب أو فضة ، أو مصوغات ، أو دنانير ودراهم . و (الثري) ، الكثير المال ، والثرة كثرة المال^٤ . وهو الذي يملك الذهب والفضة أو الأموال الأخرى . والغني ، ذو الوفرة ، أي المال الكثير^٥ .

وكان الذهب والفضة ، مقياسي الثراء عند الانسان قبل أن تضرب النقود وتسلك السكك ، بل بقيا على ذلك حتى بعد ضرب النقود ، بسبب ندرة الدنانير ، وقلة الدراهم ، وتفضيل البعض الذهب على الدينار والفضة على الدرهم ، لهذا نجد أهل الجاهلية يتعاملون بالذهب والفضة وزناً في تعيين الأسعار وفي شراء الحاجات وفي المهور مع وجود الدنانير والدراهم ، بل بقي التعامل بهما في الاسلام أيضاً . ولما أرسل الرسول (شجاع بن وهب الأسدي) الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، أمر له (الحارث) بمائة مثقال ذهب^٦ . وأجاز رسول الله (مسعود بن سعد) الجذامي رسول (فروة بن عمرو الجذامي) اليه ، باثنتي عشرة أوقية ونش ، وذلك خمسمائة درهم . وكان (فروة) عامل قيصر على (عمان) من أرض البلقاء ، فأرسل (مسعوداً) الى الرسول ليخبره بإسلامه ، وأرسل معه هدية الى الرسول^٧ .

١ تاج العروس (٣/٣٣٥) ، (صفر) .

٢ تاج العروس (٩/٥) ، (بيض) .

٣ تاج العروس (١/٤٨٤ وما بعدها) ، (نشب) .

٤ تاج العروس (١٠/٥٦) ، (ثرو) .

٥ تاج العروس (١٠/٢٧١) ، (غنى) .

٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦١) .

٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٢) .

ونظراً لوجود أناس كانوا يتلاعبون في نوعية الذهب والفضة ، بغش المعدنين ومزج معادن خسيصة فيها، فقد ظهر أناس تخصصوا بفحص الذهب والفضة وبتعيين درجتهما من حيث الجودة والنقاوة ، وبتعيين سعر السبائك وما يباع منها وفقاً لذلك ، ثم تخصص هؤلاء بدراسة النقود ، وتعيين درجة نقاوتها وتثبيت وزنها ، وذلك لوجود الغش فيها بالنسبة لذلك العهد . فإذا اشتروا نقداً أو باعوه ، أو صرفوه بنقد آخر ، فحصره فحصاً دقيقاً وتأكدوا منه قبل الشراء أو التصريف لكي لا يكون مغشوشاً . فصار هؤلاء ، هم صيارفة النقود ، وخبراء السكة في ذلك العهد . وقد كان الصيارفة يجلسون أمام باب (الهيكل) في القدس ، يبيعون ويشتررون ويصرفون النقود . وقد أشير إليهم في (الأنجيل) ، ووبخهم (المسيح) وقلب موائد صيرفتهم^١. وكانوا يصرفون الدنانير بالدراهم والدراهم بنقود النحاس، والعملات الأجنبية بالعملة الرومانية الدارجة في فلسطين ، تماماً كما يفعل صيارفة هذا اليوم في بلاد الشرق الأدنى .

ويظهر من الأنجيل ، ان أولئك الصيارفة ، كانوا يجلسون عند موائدهم التي يصرفون عليها النقود . أما كبارهم ، أي الأغنياء منهم من أصحاب المال ، فقد كانوا يتعاملون بالقروض ، يقرضون المال للمحتاج اليه في مقابل دفع فوائد عنها هي الربا ، وفي تشغيل أموالهم في مشاريع تعود عليهم بالأرباح^٢ .

وقد تاجر أهل الجاهلية في (الصرف) ، وهو بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، أو أحدهما بالآخر . وقد أقر الرسول الصرف ، اذا كان يداً بيد ، أي متقابضين في المجلس ، ونهى اذا كان نساءً^٣ . والصيرفي ، والصيرف ، والصراف : صراف الدراهم ونقادها من المصارفة وهو من التصرف على ما يذكره علماء اللغة^٤ . وقد جاءت لفظة (الصرف) والصيرفة في رأسي من (الصرف) أي الفضة ، فالصرف الفضة في لغة العرب الجنوبيين . و (الصريف) ° الفضة

١ انجيل متى ، الاصحاح ٢١ ، الآية ١٢ .

٢ Hastings, p. 630.

٣ ارشاد الساري (١٣/٤) .

٤ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .

٥ كأمير .

أيضاً في لغة القرآن الكريم ، كما يذكر ذلك علماء اللغة . قال الشاعر :

بني غدانة حقاً لستم ذهباً ولا صريفاً ولكن أنتم خزف^١

وذلك أنهم كانوا يتعاملون بالفضة في الغالب ، لكثرتها بالنسبة الى الذهب ، حتى غلب اسمها على هذا التعامل . فقيل : الصرف والصيرفة والصراف ، وهو الذي يتعامل بالصرف . فصارت كلمة (الصرف) التي تعني الفضة مرادفة لنقود ، كما صارت لفظة (الفلوس) التي هي جمع (فلس) أصغر عملة من العمل وهي من النحاس ، مرادفة للنقود . وفي العبرانية شبهه لذلك . فالنقود ، أي العملة (Money) هي (Keseph) في العبرانية، و (Keseph) الفضة، وقد استعملها العبرانيون في معنى العملة ، لأنهم كانوا يتعاملون بها في حياتهم اليومية ، فكانت مشترياتهم وأجورهم ومعاملاتهم بالفضة وبالعملة المعمولة منها ، حتى صارت في معنى النقود^٢. ومن تعامل الصيرافة ، شراء الدنانير بالدراهم والدرهم بالدنانير ، بأن يساوم رجل رجلاً على بيع مائة دينار بدرهم ، فيتراوض الطرفان على ذلك ويتساوما حتى يتفقا على عدد ما يدفع من الدراهم^٣ ، وذلك لاختلاف نوع الدراهم ، وأوزانها وجودة فضتها . ويكون العكس ، بأن يبيع شخص دراهم في مقابل دنانير . وقد يتبايعون على بيع الذهب بالذهب ، مضروباً كان أو غير مضروب ، أو بيع الذهب بالذهب ، مضروباً كان أو غير مضروب ، أو بيع الفضة بالفضة. وكانوا يتلاعبون في تصريف النقود ويتحكمون في أسعار صرفها ، لاحتكارهم الصرافة في الأسواق ، ويربحون خاصة من فروق تصريف العملة الأجنبية بالعملة الرائجة في السوق .

وقد عرف الصراف بالحيلة والخداع والغش في الصرف ، ولهذا السبب لعنوا في الأنجيل ، وقلب (المسيح) موائد صيرفتهم . و (الصيرفي) المحتال المتصرف في الأمور والمجرب لها كالصيرف . قال سويد بن أبي كاهل الشكري :

ولسانا صيرفاً صارماً كحسام السيف ما مس قطع^٤

-
- ١ تاج العروس (١٦٣/٦) ، (صرف) ، وورد : « بني غدانة ما ان انتم ذهباً » .
 - ٢ Hastings, p. 627.
 - ٣ ارشاد الساري (٧٩/٤) .
 - ٤ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .

ولا زال الناس يومنا هذا يطلقون لفظة (صراف) على المحتال الذكي الذي يعرف كيف يتعامل مع الناس .

ومن مصطلحات الصيارفة المذكورة في كتب اللغة (الشوقل) يقال : شوقل الدينار إذا عايره وصححه ووزنه ، واستعملوا الشاقل أيضاً في المعايير . ويظهر من مراجعة كتب اللغة ، أن علماء اللغة لم يكونوا على علم واضح بأصل لفظة (شقل) ، فاكتفوا بقولهم شقل الدينار وزنه^١ . وترد هذه اللفظة في الإرميسية كذلك ، بمعنى الوزن ، أي وزن الدنانير والدراهم^٢ ، وترد بهذا المعنى أيضاً في العبرانية . وقد أخذ هذا الوزن من الأوزان البابلية ، وقد كانت الأوزان البابلية أساساً لجميع الأوزان التي استعملت في الشرق الأدنى ، بل وفي أوروبا أيضاً . و (الشقل) (Shekel) هو جزء من ستين جزءاً من (المن) (Manu)^٣ . فمن هذا الوزن ورد اصطلاح (شقل) و (شوقل) بمعنى وزن العملة بالميزان في لغات أهل الشرق الأدنى، لأنهم كانوا يصححون العملة ويعايرونها بوزنها بالميزان، لتظهر صحة وزنها ، فيتبين به الزائف منها من الصحيح .

وقد برع قوم من (الصيارفة) بتتقاد الدراهم ، أي بتمييز الدراهم وإخراج الزائف منها . وقد برع في ذلك نفر من أهل مكة ، لأنهم تجار يتعاملون في الأسواق ويتعاطون الربا والصيرفة وتبديل العملة .

وكان اليهود من الصيارفة ، يتعاطون بيع الذهب والفضة وتبديل النقود والربا . وكان الأعراب يحفظون عندهم ودائعهم ، ذهباً وفضة ونقوداً . ذكر أن رجلاً من قريش استودع (عبدالله بن سلام) ألفاً ومائتي أوقية ذهباً^٤ . وذكر علماء التفسير ، أن من اليهود من كان يأكل الأمانات ويحجدها فلا يؤديها إلى أصحابها ، إلا بالتهديد والقوة، وقد استحل أكل أموال العرب ، ذلك أنهم قالوا : لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا إثم ، لأنهم على غير الحق وأنهم مشركون^٥ .

١ التاج (٣٩٢/٧) ، (شقل) .

٢ غرائب اللغة (١٩١) .

٣ Hastings, p. 627.

٤ تفسير النيسابوري (٢٢٥/٣) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

٥ تفسير الطبري (٢٢٦/٣) وما بعدها) .

وكان الصيارفة يعتبرون النقود الطبية اللينة نقوداً صحيحة ، والنقود الصلبة نقوداً زائفة ، فالدرهم القسي ، هو درهم زائف . لذلك كانوا إذا قالوا (درهم قسي) ، عنوا بقولهم درهم زائف مغشوش ، فضتته صلبة رديئة ليست بآينة . وفي الحديث : كانت زيوفاً وقسياناً^١ . قال مزرد :

وما زودوني غير سحق عمامة وخسمىء منها قسي^٢ وزائف^٣

رأس المال :

ورأس المال أصله يقال أقرضني عشرة برؤوسها ، أي قرضاً لا ربح فيه إلا رأس المال^٣ . وقد أشير إليه في القرآن الكريم في تحريم الربا . « فلان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون »^٤ . فأوجب الاسلام على المرابين الذين دخلوا فيه التوبة من الربا وأن يأخذوا رؤوس أموالهم التي أعطوها من غير زيادة عليها ، مهما كان قدرها ، فهذه الزيادة هي الربا^٥ .

وما يضعه التاجر من مال ليتاجر به ، هو رأس ماله الذي يتاجر به . وما يتجمع من مال يقدمه المساهمون في تكوين شركة ، هو رأس مال الشركة ، الذي تشتغل به ليأتي عليها بأرباح توزع على المساهمين ، حسب نسب حصصهم في رأس المال ، وما يقدم من مال قراضاً ، فهو رأس مال ، وكل مال يتخذ أساساً لعمل هو رأس مال ذلك العمل .

استثمار الأموال :

وقد أبدع أصحاب الأموال بمكة وأجادوا في تشغيل رؤوس أموالهم وفي استثمارها ،

-
- ١ الروض (٩٥/١) ، تاج العروس (٢٩٣/١٠) ، (قسا) .
 - ٢ تاج العروس (٢٩٣/١٠) ، (قسا) .
 - ٣ تاج العروس (١٥٧/٤) ، (رأس) .
 - ٤ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٧٩ .
 - ٥ تفسير الطبري (٧١/٣) ، روح المعاني (٤٦/٣) .

فزادت ونمت . شغلوها في التجارة ، وشغلوها في أعمال نستطيع أن نسميها أعمالاً مصرفية بلغة هذا اليوم ، مثل اعطائها للمحتاج إليها بفائض هو (الربا) ، أو (مضاربة) ، أو مسالفة ، وشغلوها باستثمارها بمشاريع زراعية وصناعية وما شابه ذلك ، مشاركة أو على ربح ثابت معين ، أو مساهمة في الأرباح دون الخسائر . وكان بعض منهم ، قد ساهم في أعمال عديدة ، واستثمر أمواله بها ، فإذا خسر في عمل ، عوض عن خسارته تلك بربح يأتيه من عمل آخر .

ولم يكتف تاجر مكة بالالتجار على حسابه ، بل ساهم مع غيره من أهل مكة في تكوين رؤوس أموال القوافل ، بحيث صارت القوافل تجارة شركاء ، أو شركة عامة يساهم فيها من يشاء من أصحاب المال . وساهم تاجرهم أيضاً بتوزيع أمواله على التجار الآخرين ، ليشاركهم بذلك في أرباحهم ، فكان (أبو سفيان) يتاجر بتجارته وعلى حسابه ، يذهب بنفسه على رأس قافلته الى العراق للالتجار بالحيرة ، وكان من المساهمين في قوافل قريش كذلك ، كما كان يقدم ماله للتجار ، للالتجار به مع أموالهم ، فيشاركهم بذلك في أرباحهم ، ويأخذ منهم ما يقع له من نصيب في الأرباح . وكان (العباس) قد وزع ماله على التجار لاستثماره ، وكان للحجاج بن علاط السلمى مال متفرق في تجار أهل مكة ^١ .

وكانوا يتعاملون مع غير تجار قريش كذلك ، يقرضونهم المال ويستقرضون الأموال منهم ، ويتاجرون على الأرباح والخسائر ، ونجد في الأخبار أسماء رجال من الطائف أو من الحيرة أو من أهل اليمن ، كانت لهم شراكة مع تجار من تجار مكة ، خلطوا أموالهم مع أموال أولئك الغرباء عنهم . فهم (خلطاء) ، أي شركاء . و (الخليط) الشريك ^٢ . فأهل مكة خلطاء فيما بينهم ، وخلطاء مع غيرهم أيضاً . يتاجرون بأموالهم ويتاجرون بأموال غيرهم كذلك . « وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء » ^٣ .

الربا :

وفي جملة وسائل استثمار المال : الربا ، وقد كان شائعاً بين أهل الجاهلية ،

-
- ١ الطبري (١٧/٣) .
 - ٢ تاج العروس (١٣٢/٥) ، (خلط) .
 - ٣ الثعالبي ، ثمار القلوب (١١ وما بعدها) ، البلدان (٤٧٢) .

كما كان شائعاً معروفاً بين غير العرب . وقد عرفه العلماء بأنه : « الزيادة على رأس المال »^١ « وهو في الشرع الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع »^٢ والإرباء الزيادة على الشيء ، والزيادة هي الربا^٣ . وكل قرض جرباً منفعة ، فهو ربا^٤ ، ويقال له : (اللياط) ، وهو الربا الذي كانوا يربونه في الجاهلية الى أن يأخذوا رؤوس أموالهم ويدعوا الفضل عليها^٥ .

وقد كان أهل الجاهلية يزيدون على الدين شيئاً ويؤخرونه . كأن يحل دينك على رجل فتزيده في الأجل ويزيدك في الدين . وقد نهى عنه في الاسلام^٦ . وهو في الواقع ربا ، لأنه استغلال ووجود منفعة بغير جهد . ويقال لذلك : المعاملة .

وقد اشتط أهل المال في الاستفادة من المقرضين ، فتقاضوا منهم الربا الفاحش ، وألحفوا في زيادته ، وتشددوا في المطالبة برأس المال ورباه ، ولم يمهلوا معسراً ، ولم يتساهلوا في الأداء الى وقت الميسرة ، إلا إذا زادوا في الربا ، وأخذوا ربا المال وربا الربا . وكان اليهود من أشهر المرابين في الحجاز ، كما اشتهرت بذلك مكة والطائف ونجران ، ومواضع المال الأخرى من جزيرة العرب . وكان من عادة هؤلاء أنهم كانوا يحتسبون الربا الذي يستحق في آخر السنة ولا يدفع للمرابي جزءاً من رأس المال ، أي من المبلغ المقرض ، فيؤدي الربا للسنة التالية على أساس المبلغ المقرض مع رباه ، وإذا أجل دفع ربا هذا المبلغ الجديد المكون من المبلغ الأصل ورباه ، أضيف عليه فصار المبلغ المقرض ورباه ثم ربا المبلغين جزءاً من القرض ، ويطلب من المدين دفع الربا على هذا الأساس .

والربا هو (نشك) (نشق) (Neshec) في العبرانية . وتعني اللفظة الزيادة التي تؤخذ عن كل دين يعطى لمدين، سواء كان ذلك الدين نقوداً أو عيناً، بضاعة أو ملكاً ، أو أي شيء آخر يستدان من مدين في مقابل زيادة تؤدى عليه عند

-
- ١ المفردات (ص ١٨٥) .
 - ٢ اللسان (٣٠٥/١٤) .
 - ٣ تفسير الطبري (٦٧/٣) .
 - ٤ اللسان (١٥٩/٩) ، (سلف) .
 - ٥ اللسان (٣٩٦/٧) وما بعدها ، (لوط ، ليظ) ، الروض الانف (٦٢/١) .
 - ٦ تاج العروس (٤١٢/٨) ، (عام) .

استحقاق الأجل المعين . وقد أشير اليه في التوراة^١ . وعرفت الزيادة التي تؤخذ على المبلغ بـ (تربيث) أيضاً ، أي ربا . غير أن ربا (النشق) ، استعمل في ربا المال ، أي الربا المأخوذ عن النقد من دنائير ودرهم ، فهو في مقابل (ربا النسبة) في الإسلام . وأما (التربيث) ، فهو الربا المأخوذ عن الطعام مثل الحنطة والشعير والتمر وما شابه ذلك من طعام . وهو ما يقال له (ربا الفضل) في الإسلام . وقد تطلق لفظة (نشق) على الربوين : ربا الدنانير والدرهم ، و ربا الفضل . وقد حرمت التوراة على اليهود تعاطي الربا فيما بينهم ، وأحلته بالنسبة للغرباء . فجوزت لليهودي أخذه ممن لم يكن على دينهم . ولكنهم لم يتقيدوا بما جاء في التوراة من تحريم الربا عليهم ، فتعاطوه فيما بينهم ، لا سيما بعد عودتهم من السبي ، وصار الربا من أهم المنافع بالنسبة لأرباب المال عندهم^٢ . وقد كان الرومان واليونان قد كوّنوا (بنوكاً) أي مصارف تعاملت بالمال ، وتعاطت قرضه مقابل ربح هو ربا . وقد حدد بنسبة واحد في الشهر ، و (١٢) في السنة ، وذلك في مقابل الاعتماد (Creditum) . وقد تعاطت المعابد أعمال الربا كذلك ، ومن هذه معابد (بابل)^٣ .

وأصل (الربا) هو وجود حاجة لدى انسان الى مال ، ووجود أناس ذوي مال يريدون استغلال أموالهم وتكثيرها ، فيقرضونها الى المحتاج اليها مقابل زيادة يتفق عليها تدفع عن المال المقرض للأجل المتفق عليه . ويستغل المرابي في الغالب حاجة الشخص الذي يريد المال ، فيشتط عليه ويتعسف في شروطه ، ويضطر المدين الى قبول ما تملى عليه من شروط لحاجته الى المال ، وعلى دفع الربح العالي الذي فرضه المرابي عليه . ومن الربا انهم « كانوا يبيعون البيع الى أجل ، فإذا حل الأجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا »^٤ .

١ الخروج ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ٢٥ ، اللاويون ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الآية ٣٦ .

٢ W. Smith, A Dictionary of the Bible Vol., III, p. 1606, Beeton's, Illustrated Dictionary of Religion, Philosophy, Politics, and Law, p. 523, John, Babylonian and Assyrian Laws, Contracts, and Letters, 211, Hastings, A Dictionary of christ and the Gospels, I, 837, The Bible Dictionary, Vol., II, p.540.

٣ Hastings, A Dictionary of Christ and the Gospels, I, p. 837.

٤ تفسير القرطبي (٢٠٢/٤) .

ويدخل في الربا الربا في الطعام ، وقد كان شائعاً بين أهل العمود والبوادي بصورة خاصة ، إذ ليس عندهم دراهم ولا دنائير ، فكانوا يأخذون الصاع الواحد مقابل صاع وزيادة ، والزيادة ربا ، حتى يكون قفزاناً كثيرة . فاستغل المرابون أهل الحاجة وضايقوهم بالطلب . ورد ان أحدهم في الجاهلية يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى ، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه . فهو ربا مثل الربا في النقدا . كما فعلوا ذلك في الدنانير والدرهم ، فكان أحدهم يبيع الدينار بدينارين ، والدرهم بدرهمين ، وفي الذهب والفضة ، فكانوا يعطون مثقالاً مقابل مثقالين أو أكثر أو أقل من المثقالين ، فالزيادة هي الربا . ومعنى هذا ان الربا كان يعادل المبلغ المقرض ، فالدرهم بدرهمين والدينار بدينارين ، وهو ربا فاحش ، استغل فيه المرابي حاجة المدين الى المال ، ولهذا نهى عنه في الاسلام بتحريم كل أنواع الربا في القرآن وفي الحديث حيث ورد : « لا تبيعوا الدينار بالدينارين ولا الدرهم بالدرهمين »^٢ ، و « الدينار بالدينار لا فضل بينهما ، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما »^٣ .

أما رباهم بالذهب والفضة ، فكانوا يأخذونه وزناً فإذا أعادوه زادوا عليه وزن الربا ، المتفق عليه ، ولهذا ورد في الحديث : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز »^٤ . فمنع الرسول الزيادة ، وجعل الربا قرضاً ، يعاد الى صاحبه وزناً بوزن ، أي متساويين في الوزن . كما منع الزيادة في البيع ، فجعل الزيادة على ثمن البيع ، الذي يدفع بأجل ربا ، لأنه زيادة على المبلغ ، واستغلال حاجة المشتري ، وهو بيع غرر .

وورد في الحديث أنهم كانوا يشترون الصاع بالصاعين أو أكثر ، كأن يعرض أحدهم سلعة ، فيبيعها بسلعة مثلها ، ولكن بضعف وزنها أو أكثر ، فقد اشترى غلام لمعمر بن عبد الله صاعاً وزيادة من شعير بصاع من قح ، فلما عاد بما اشتراه أمره سيده برده ، لأنه سمع أن الرسول قال : الطعام بالطعام مثلاً بمثل . وورد أن بعضاً من الصحابة كانوا يشترون صاعاً من التمر الجيد بصاعين من الجمع ،

-
- ١ اعلام الموقعين (٢/١٣٨ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٣/٦٧) .
 - ٢ البخاري (٥/٤٢) ، (كتاب البيوع ، باب الربا) .
 - ٣ البخاري (٥/٤٥) ، (كتاب البيوع ، باب الربا) .
 - ٤ البخاري (٥/٤٢) ، (كتاب البيوع ، باب الربا) .

أي من تمر مختلط من أنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه ، وما يخلط إلا لرداءه .
فلما سمع بذلك الرسول ، قال لا تفعلوا ولكن مثلاً بمثل ، أو بيعوا هذا واشتروا
بشمنه من هذا وكذا الميزان^١ .

وسبب هذا التوسع في هذا النوع من الربا ، ان العرب ، كانوا أهل تجارة
وأهل زراعة ورعي ، ولم تكن العملة من دنائير ودراهم ، منتشرة بين المزارعين
وأهل البوادي ، فكانت المقايضة تقوم عندهم مقام العملة . فمن احتاج الى طعام ،
أخذ من بائعه أو مالكة أو مكتنتزه كيلاً بكييل مثله ، لأجل معلوم على أن يعطيه
زيادة عليه ، يتفق على مقدارها . فيأخذ قفيص تمر بقفيص ونصف أو قفيصين ،
أو أكثر من ذلك ، على نحو ما اتفق عليه ، يؤديه له من جنس التمر المسلف
ومن جودته ، فإذا حل الأجل ، ورأى المستحق أن يؤخر دينه ، على أن يزيد
في المال فعل ، وكلما أخره زاد في المال حتى يصير أضعافاً مضاعفة ، وذلك
بسبب الحاجة والفقر . فهذا هو ربا مثل ربا الدنانير والدراهم ، نشأ من الحاجة
والظروف التي كان عليها أهل الجاهلية في ذلك العهد . ونجد هذا النوع من الربا
عند غير العرب من الشعوب أيضاً ، وهو ربا الفقراء والمحتاجين في الغالب ، أما
ربا الدراهم والدنانير ، فكان ربا التجار ، ومن كان يريد تنمية ثروته وزيادة
تجارته ، فكان يقرض بالربا لهذه الغاية .

والربا المذكور ، هو الأصل ، وأما ربا الدراهم والدنانير أي ربا العملة ،
فمتأخر بالنسبة اليه ، لأن الانسان مارس التجارة قبل ان تكون لديه دراهم ودنانير ،
كانت تجارته مبادلة سلع بسلع ، وذلك قبل ضرب العملة . فكان الربا ربا سلع
ومواد عينية . يقدم المرابي طعاماً الى تاجر آخر أو الى محتاج ، الى أجل معين ،
على أن يزيده في الكمية عند حلول أجل الربا ، وفقاً لما اتفق عليه ، فإن أخره
زاد في المال ، وكلما أخره زاد في المال ، حتى يتضاعف أضعافاً مضاعفة ، فهذا
أصل الربا الأول ، فلما أوجد الانسان العملة وتعامل بها ، وأقبل عليها ، ظهرت
تجارة جديدة ، أساسها التعامل بالعملة ، وظهر بذلك ربا العملة ، الذي غلب على
الربا الأول ، حتى صار وكأنه هو الربا وحده ولا ربا سواه .

ووجهة نظر المرابين الى الربا ، أنه نوع من أنواع البيوع ، وأن الربا مثل

البخاري (٤٧/٥) . (كتاب البيوع ، باب بيع الطعام مثلاً بمثل) .

البيع . ففيه إيجاب وقبول . ولما نزل الأمر بتحريمه عجب المرابون من التحريم ، عجبوا كيف حرم البيع وأحل الربا ، مع ان الاثنين في نظرهم واحد . وذلك كما يظهر من الآية : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ^١ . فنظموا البيع والربا في سلك واحد ، لافضائتهما الى الربح ، فاستحلوه استحلاله . وكانت شبهتهم أنهم قالوا : لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهماً بدرهمين جاز ، فكيف إذا باع درهماً بدرهمين ^٢ . فكان التاجر والمرابي عندهم سواء بسواء ، فكلاهما يعامل المشتري أو المدين معاملة كسب ونهب ، والحصول منهما على أكثر ما يمكن الحصول عليه من ربح ومكسب . والإثراء بأية طريقة كانت . ولهذا عجبوا من تحريم الاسلام للربا ، وهو كسب يأتي عن إيجاب وقبول ، ومن تحليله للبيع ، وهو كسب أيضاً ، مبني على إيجاب وقبول .

وقد اشتهر اليهود بمعاواة (الربا) ، وقد أشير الى ذلك في القرآن الكريم ^٣ . كما عرف به أهل سكة والطائف ونجران وسائر من كان لديه فضل من المال وأراد استغلاله . وذلك للظروف الاقتصادية التي كانت سائدة في ذلك العهد . من عدم وجود صناعة يشغل أصحاب المال بها أموالهم ، فيكثرونها باستغلالها بإنشاء صناعات أو توسيع حرف، ومن عدم وجود مياه غزيرة وأرضين خصبة تسقي سحاً بصورة دائمة ، حتى يشغل صاحب المال ماله في استغلال الأرض ، ولهذا عمد أصحاب المال الى تكثير أموالهم بطريق إقراضه والاستفادة من رباة .

وكان ربا الجاهلية ان الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال الى أجل ، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه ، فيقول له الذي عليه المال : أخر عني دينك وأزبدك على مالك فيفعلان ذلك . فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفة . وروي عن (عطاء) انه قال : « كانت ثقيف تداين في بني المغيرة في الجاهلية فإذا حل الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخرون » ، فكان يكون أضعافاً مضاعفة ^٤ . وروي

١ البقرة ، الآية ٢٧٥ .

٢ ارشاد الساري (٢٦/٤) وما بعدها .

٣ سورة النساء ، الرقم ٤ ، الآية ١٦١ ، تفسير الطبري (١٧/٦) وما بعدها ، روح المعاني (١٣/٦) .

٤ تفسير الطبري (٥٩/٤) ، تفسير الالوسي (٤٩/٤) .

أيضاً « ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية ، كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق : « زدني في الأجل وأزيدك في مالك »^١ . وذكر « ان ربا أهل الجاهلية : يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى ، فإذا حل الأجل ، ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه »^٢ . وذكر أيضاً انهم « كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين . فيقول لك كذا وكذا ، وتؤخر عني ، فيؤخر عنه »^٣ . أو أن يقول أحدهم لمديته اذا حل الدين : إما أن تقضي وإما أن تربني »^٤ . وذكر ان « الربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله انما كان قرض الدراهم والدنانير الى أجل بزيادة على مقدار ما استقرضه على ما يتراضون به » . و « ان ربا الجاهلية انما كان قرصاً مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل »^٥ .

وروي عن (ابن زيد) أنه كان يقول : إنما كان الربا في الجاهلية وفي التضعيف وفي السن . يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل ، فيقول له : تقضي أو تزيدني ، فإن كان عنده شيء يقضيه قضي وإلا حوله الى السن التي فوق ذلك . إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية ، ثم حقة ، ثم جذعة ثم رباعياً ثم هكذا الى فوق . وفي العين يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً ، فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه . فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة »^٦ .

ومن أغراض الربا وأسبابه الحاجة . الحاجة الى المال لسد دين أو عجز وللغلب على فاقة أو ما شاكل ذلك من ضرورات ، فيضطر المحتاج الى اللجوء الى المرابي ليستدين منه في مقابل زيادة يؤديها اليه عند حلول الأجل . وقد يأخذ المدين المال ليشتغل به فيربح منه ، فيؤدي المال ورباه ، ويستفيد من الربح الذي حصل عليه

١ تنسير الطبري (٦٩/٣) .

٢ تفسير الطبري (٦٧/٣) .

٣ تفسير الطبري (٦٧/٣) .

٤ عمدة القارئ (٢٠٢/١١) .

٥ أحكام القرآن ، للجصاص (٤٦٥/١) وما بعدها) .

٦ تفسير الطبري (٥٩/٤) .

من تشغيله لذلك المال في تجارة أو في أعمال انتاجية أخرى . ورد عن (ابراهيم النخعي) أنه قال : « كان هذا في الجاهلية ، يعطي أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله »^١ . وورد أنهم كانوا يعطون الرجل المال ليكثر به ماله ، وذلك عن طريق تشغيله لذلك المال^٢ .

وقد قسم العلماء الربا الى نوعين : ربا النسيئة و ربا الفضل . أما الأول ، فهو الذي كان يتعارفونه في الجاهلية . كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معينًا ، ثم اذا حل الدين طالب الدائن المدين برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل^٣ . « وفي الحديث : انما الربا في النسيئة هي البيع الى أجل معلوم ، يريد أن بيع الربويات بالتأخير من غير تقابض هو الربا ، وإن كان بغير زيادة . وكان (ابن عباس) « يرى بيع الربويات متفاضلة مع التقابض جائزاً ، وإن الربا مخصوص بالنسيئة »^٤ . وقد ورد في الحديث : « انما الربا في النسيئة وما كان يداً بيد فلا بأس »^٥ .

وكان بيع النسيئة بيعاً معروفاً ، ولما قدم الرسول المدينة ، كانوا يتبايعون بهذا البيع . فقال : « ما كان يداً بيد فلا بأس به وما كان نسيئة ، فهو ربا »^٦ . والنسيئة ، التأخير الى أجل ، هو الموسم ، أو أي أجل يتفق عليه .

وقسم بعض الفقهاء الربا الى ثلاثة أنواع : ربا الفضل ، وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر ، و ربا اليد ، وهو البيع مع تأخير قبضها أو قبض أحدهما ، و ربا النساء ، وهو البيع لأجل . وكل منها في الاسلام حرام^٧ .

وعرفوا ربا الفضل ، بأنه الربا الذي يباع فيه الشيء بضعفه ، مثل أن يباع من الحنطة بمئتين مثلاً^٨ ، وأن يباع الدرهم بدرهمين . وقد خصص العلماء ربا

١ تفسير الطبري (١/٣٠ وما بعدها) .

٢ تفسير الطبري (٢١/٣٠) .

٣ تفسير الطبري (٣/٦٧) .

٤ اللسان (١/١٦٧) ، تاج العروس (١/٤٥٧) ، (طبعة الكويت) .

٥ مسند الامام أبي حنيفة (ص ١٥٨) ، عقود الجواهر (٢/٣٠) .

٦ البخاري (٥/٤٥) ، (كتاب البيوع ، باب النهي عن بيع الورق بالذهب ديناً) .

٧ ارشاد الساري (٤/٢٦ وما بعدها) .

٨ تفسير النيسابوري (٣/٧٩) ، « حاشية على تفسير الطبري » ، تفسير القرطبي

(٣/٣٤٨) .

الفضل في ستة أعيان ، وهي : الذهب ، والفضة ، والبر ، والشعير ، والتمر ، والملح ، فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس ، وتنازعوا فيما عداها^١ وقد منع هذا الربا في الاسلام . فإذا باع رجل رجلاً ديناراً بدينارين الى أجل ، أو درهماً بدرهمين ، أو كيلة حنطة بكيلتين أو أكثر كما كان يفعل أهل الجاهلية ، فالزيادة هي ربا ، ولذلك نهى عنه في الإسلام^٢ .

ولما نزل الأمر بتحريم الربا، وذلك في آخر ما نزل من الوحي، وقبل وفاة الرسول بتسع ليال على بعض الروايات^٣ . صعب ذلك على الأغنياء الذين كانوا يعيشون على الربا ويقولون إنما البيع مثل الربا^٤ . وذكر علماء التفسير أن الآية : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين »^٥ ، إنما نزلت « في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانوا شريكين في الجاهلية ، سلفاً في الربا الى أناس من ثقيف من بني عمرو . وهم بنو عمرو بن عمير . فجاء الإسلام ، ولها أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله ذروا ما بقي من فضل كان في الجاهلية من الربا »^٦ . وذكر أيضاً « أن نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال في خطبته يوم الفتح : ألا إن ربا الجاهلية موضوع كله . وأول ربا ابتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب »^٧ .

ولما جاء وفد (ثقيف) الى المدينة ، لمفاوضة الرسول في أمر دخولهم في

١ اعلام الموقعين (٢/١٣٦ وما بعدها) .

٢ مسند الامام أبي حنيفة (ص ١٥٩) ، صحيح مسلم (٥/٤٢) ، « باب الربا » ، « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق الا وزناً مثلاً بمثل سواء بسواء » ، صحيح مسلم (٥/٤٢ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٣/٧٦) ، « وعن ابن عباس . قال : آخر ما أنزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، آية الربا » ، « وعن ابن عباس قال : آخر آية نزلت على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » ، تفسير الطبري (٣/٧٥) .
٤ البقرة ، الآية ٢٨٢ ، تفسير الطبري (٣/٦٨) ، « وقد قيل ان هذه الايات في أحكام الربا هن اخر آيات نزلت من القرآن » ، « ان عمر بن الخطاب قال : كان اخر ما انزل من القرآن آية الربا . وأن نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبض قبل أن يفسرها » ، تفسير الطبري (٣/٧٥ وما بعدها) .

٥ البقرة ، الآية ٢٨٢ .

٦ تفسير الطبري (٣/٧١) .

٧ تفسير الطبري (٣/٧٢) ، تفسير ابن كثير (١/٣٣٠) .

الاسلام ، قال (عبد ياليل) وهو لسانهم الناطق باسمهم : « أرأيت الزنا ! فلما قوم عذاب لا بد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة ٤ قال : هو مما حرم الله ؛ قال : أرأيت الربا ! قال : الربا حرام ! قال : فإن أموالنا كلها ربا ! قال : لكم رؤوس أموالكم . قال : أفرأيت الخمر ! فلما عصير أعابنا ولا بد لنا منها ! قال : فإن الله حرمها ! »^١ .

وكانت ثقيف قد صالحت النبي « على ان مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا ، فهو موضوع . فلما كان الفتح استعمل عتاب بن أسيد على مكة . وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من بني المغيرة . وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية . فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كثير . فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم ، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الاسلام ، ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد . فكتب عتاب الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فزت : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله ... الى ... ولا تظلمون . فكتب بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى عتاب . وقال : إن رضوا وإلا فآذنهم بحرب »^٢ . وذكر ان (بني عمرو بن عوف) ، الذين كانوا يأخذون الربا من (بني المغيرة) ، هم : (مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعه بنو عمرو بن عمير . وهم من كبار الملاكين والأثرياء في ثقيف »^٣ .

وأسقط النبي عن أهل نجران كل ربا كان عليهم في الجاهلية ، إلا رؤوس أموالهم فإنهم يردونها وأسقط عنهم كل دم كانوا يطلبون به^٤ . وقد كان لإرغام ثقيف وغيرهم من الذين كانوا يتاجرون بالربا على ترك الربا ، والاكتفاء بأخذ رؤوس أموالهم إن كان لهم ربا في الجاهلية ، خسارة كبيرة لهم ، أرغموا عليها إرغاماً ، لتحريم القرآن له . واحلال (القرضة الحسنة) محله ، والقرض الحسن ، هو اقراض المال للمحتاج اليه من غير اشتراط زيادة عليه حين إعادته ، أي من غير ربا لذلك المال .

١ الطبري (٤٩٢/٣) .

٢ تفسير الطبري (٧١/٣) ، البلدان (١٠/٦) وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٧١/٣) .

٤ اللسان (٣٠٥/١٤) .

واضطرب من كان له فضل ربا من ربا الجاهلية وهو في الإسلام على تركه والتنازل عنه . وعلى أخذ خالص ماله فقط الذي أقرضه للمدين من غير أي ربح . وفرض الاسلام على هؤلاء الدائنين أيضاً وجوب التساهل مع المدينين وتأجيل الدفع إن كان المدين في عسر وضيق حال حتى يتحسن حاله فيتمكن من الدفع^١ .

وقد ذكر الفقهاء أن الربا ربوان : فالحرّام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجرّ به منفعة فحرام ، والذي ليس بحرام أن يهبه الإنسان يستدعي به ما هو أكثر أو يهدي الهدية ليهدي له ما هو أكثر منها^٢ وقد دعا بعض العلماء الربا الأولى بـ (ربا البيع) . وقال عنه انه هو الربا المحرم^٣ .

وأول اشارة وردت في القرآن الكريم الى الربا ، هي الاشارة الواردة في سورة الروم : « وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »^٤ . وسورة الروم من السور المكية ، أما المواضع الأخرى التي أشير فيها الى الربا ففي سوره البقرة^٥ وسورة آل عمران^٦ وسورة النساء^٧ ، وهي من السور المدنية . ويظهر من دراسة هذه المواضع ان حرمة الربا انما نزلت في المدينة ، أما في مكة ، فلم يكن قد حرّم ، وانما حث الأغنياء على قرض المال للمحتاج اليه لوجه الله ، مساعدة له ، ويكون ثوابه عند الله .

وفي سورة (المزمل) ، وهي من السور المكية ، وتعد السورة الثالثة في ترتيب سور القرآن : « واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً »^٨ ، وفي سورة التغابن « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً ، يضاعفه لكم ويغفر لكم »^٩ .

-
- ١ تفسير الطبري (٧٢/٣ ، ٧٤ وما بعدها) .
 - ٢ اللسان (٣٠٤/١٤) « صادر » ، تفسير الطبري (٣٠/٢١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣٦/١٤) .
 - ٣ تفسير ابن كثير (٤٣٤/٣) .
 - ٤ سورة الروم ، الآية ٣٩ .
 - ٥ البقرة ، الآية ٢٧٥ فما بعدها .
 - ٦ آل عمران ، الآية ١٣٠ .
 - ٧ النساء ، الآية ١٦١ .
 - ٨ المزمل ، الرقم ٧٣ ، الآية ٢٠ .
 - ٩ التغابن ، الرقم ٦٤ ، الآية ١٧ .

وهذه السورة هي من السور المكية كذلك . ولم يكن الربا قد حرّم في هذا العهد كما ذكرت . فيكون الاسلام قد وضع مبدأ القرضة الحسنة ، وهو القرض لله وفي سبيله ، بغير زيادة ، والتبرع في سبيل الله ، في موضع الربا في ذلك الوقت . فلما نزل الأمر بتحريمه ، جعلت القرضة الحسنة ، من أعمال البر والتقرب الى الله . وصار كل قرض يؤخذ عليه ربح ربا محرماً ، يعاقب الله الإنسان يوم القيامة عليه . ولعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ^١ .

وقد ذكر علماء التفسير في تفسيرهم الآية : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس ، فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون » ^٢ . ان هذا كان في الجاهلية يعطي أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله . أو ان الرجل يقول للرجل : لأموالك فيعطيه ، فهذا لا يربو عند الله لأنه يعطيه لغير الله ليثري ماله ، أو ان الرجل يلزق بالرجل ، فيخف له ويخدمه ويسافر معه ، فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه ، وانما أعطاه التماس عونه ولم يرد وجه الله ، أو هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضاً ، يعطي الرجل الرجل العطية ليشبهه ، يريد أن يعطي أكثر منها ^٣ .

ويذكر العلماء ان رسول الله لما ظهر على مكة وضع يومئذ الربا كله ، وحتم على المرابين أخذ رؤوس أموالهم من غير زيادة عليها ، وذكر بعض العلماء ان التحريم نزل في ربا « بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم » ، أو « في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان ، وكانا قد أسلفا في التمر ، فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي اذا أنتما أخذتما حظكما كله ، فهل لكم ان تأخذنا النصف واضعف لكم ففعلا ، فلما حل الأجل طلبا الزيادة ، فبلغ ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فنهاهما وأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذوا رؤوس أموالهما » ^٤ . وقيل : « نزلت في العباس ونخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . فقال

١ البخاري (٥٠/٥) ، (كتاب البيوع ، باب لعن آكل الربا ومؤكله) .

٢ الروم ، الرهم ٣٠ ، الآية ٣٩ .

٣ تفسير الطبري (٢٩/٢١) وما بعدها ، روح المعاني (٤٠/٢١) وما بعدها .

٤ أسباب النزول (ص ٦٥) .

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب »^١ .

فنحن إذن أمام أفراد وأمام شركاء كانوا يتعاملون بالربا ، أي قرض المال في مقابل جر مغنم منه . وقد حصل هؤلاء المرابون على أموال طائلة منه . أضف الى ذلك أنهم كانوا تجاراً ، يسافرون الى الخارج ويربحون من تجارتهم هذه ربحاً حسناً .

ولضبط المدين الآخذ بالربا ، كانوا يكتبون الدين ورباه في صحيفة ، يكتب كاتبها اسمه فيها ، ويكتب فيها اسم المدين واقاراره بدينه للدائن ، وبمقدار الزيادة . والغالب أنهم كانوا لا يذكرون أصل الدين ، بل يذكرون الرقم الذي يبلغه هذا المبلغ مع فائضه مضافاً اليه ، حتى يظهر الفائض وكأنه جزء من رأس المال . ويشهد على صحة العقد شاهدان . ولهذا لعن الرسول آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه^٢ .

وكان (أبو لهب) من أصحاب المال بمكة ومن المرابين . ذكر أنه كان قد لاط (العاصي بن هشام) بأربعة آلاف درهم ، فلما وقعت معركة بدر ، استأجره بها على أن يجزىء عنه بعثه ، فلم يخرج (أبو لهب) مع من خرج من رجال قريش . وكان (العاصي) قد أفلس ، فلم يتمكن من دفع المبلغ ورباه ، فتنازل (أبو لهب) عنه على أن يخرج الى بدر في مكانه^٣ . وفي سورة (تبت) اشارة الى أن (أبا لهب) ، كان ملاكاً ذا مال وقد كسب كثيراً .

وقد كان أهل يثرب يقترضون المال والطعام من اليهود في مقابل ربا فاحش . فورد ان أنصارياً اقترض ثمانين ديناراً من يهودي ، وقد أعطاه رباً بلغ خمسين في المئة من المبلغ لسنة واحدة^٤ . وقد ونحهم القرآن لأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل^٥ .

١ المصدر نفسه .

٢ البخاري (٥٠/٥) ، الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن (٢٣٤/٢) ، عقود الجواهر (٣٣/٢) ، تيسير الوصول (٦٨/١) ، مسند الامام أبي حنيفة (ص ١٥٨) .
٣ الروض الانف (٦٢/٢) .

٤ البخاري ، بيوع (٣٤) ، ١٤ ، Watt, Muhammad at Medina, p. 297.

٥ تفسير الطبري (١٧/١) فما بعدها .

القراض :

وفي جملة وسائل تنمية المال وزيادته : القراض ، وهو المضاربة في كلام أهل الحجاز ، ويراد به تقديم مال الى شخص يتجر به على ربح معين . وكان معروفاً بين أهل مكة ، فكانوا يضاربون بأموالهم مساهمة منهم في الأرباح . ومنه حديث الزهري : « لا تصلح مقارضة من طعمته الحرام » . فكانوا يعطون المال مضاربة الى شخص يتجر به ، على جزء يأخذه من ربح المال^١ ، وذلك كأن يعطي رب مال رجلاً مالاً يعمل فيه ويأذن له أن يشتري ما يشاء ، وأن يبيع بالسعر الذي يشاء ، ويدير هذا المال على يديه ، وبعد إخراج رأس المال وما صرف على التجارة من أتعاب وأجور ، وضرائب ، يوزع الربح نصفين ، أو أثلاثاً : لرب المال الثلثان ، وللعامل بحق عمله الثلث ، أو حسب ما تعاقدوا عليه^٢ . وقيل : القراض : أن يدفع اليه مالاً ليتجر به والربح بينهما على ما يشترطان والوضعية على المال^٣ .

وذكر ان المضاربة ان تعطي انساناً من مالك ما يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح . والمضارب صاحب المال والذي يأخذ المال كلاهما مضارب . ويقال للعامل : ضارب ، لأنه هو الذي يضرب في الأرض . وجائز أن يكون كل واحد من رب المال ومن العامل يسمى مضارباً ، لأن كل واحد منهما يضارب صاحبه ، وكذلك المقارض^٤ .

فنحن اذن أمام نوع من الاتجار بالمال ، يقدم فيه صاحب المال مالاً الى شخص آخر ليعمل به رأس مال التجارة ، على أن يكون الربح بينهما على نحو ما اتفقا عليه . وقد عرف بالقراض وبالمضاربة .

و (الوضعية) الخسارة ، وفي حديث (شريح) الوضعية على المال والربح على ما اصطلاحاً عليه ، يعني أن الخسارة من رأس المال^٥ . وذلك لاشتراط بعض الجاهليين ، أن القراض على جزء من الربح ، على ألا يتحمل صاحب المال ،

-
- ١ اللسان (٢١٧/٧) « صادر » ، (قرض) .
 - ٢ نهاية الارب (١٩/٩) .
 - ٣ تاج العروس (٧٧/٥) ، (قرض) .
 - ٤ اللسان (٥٤٤/١) ، (ضرب) ، تاج العروس (٣٤٩/١) ، (ضرب) .
 - ٥ تاج العروس (٥٤٤/٥) .

أي المقرض له أية خسارة إذا خسرت التجارة . وعلى المقرض ارجاع المال كاملاً الى المقرض .

التسليف :

وفي جملة وسائل الاستفادة من المال : التسليف . وهو تسليف المال لمزارع أو لأصحاب الإبل والماشية في مقابل شيء يتفق عليه ، يدفع بعد البيع أو الحصاد. يدفع نقوداً أو عيناً أو إبلًا أو ماشية أو أي شيء آخر يتفق عليه . والسلف ، هو أن يعطى مالا في سلعة الى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك منفعة للسلف . وقيل كل مال قدمته في ثمن سلعة مضمونة اشتريتها للصفقة، فهو سلم وسلف . والسلف القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الأجر والشكر وعلى المقرض رده كما أخذه^١ .

وذكر العلماء أن السلف في المعاملات له معنيان : أحدهما القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر وعلى المقرض رده كما أخذه . والعرب تسمي القرض سلفاً ، والمعنى الثاني في السلف ، هو أن يُعطى مالا في سلعة الى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السلف ، وذلك منفعة للسلف^٢ .

ولما قدم النبي المدينة ، وجدهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين ، أي يعطون الثمن في الحال ويأخذون السلعة في المال . فقال لهم : من أسلف فلا يسلف إلا في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم^٣ . ويظهر من ذلك أنهم كانوا يسلفون المزارع مالا ، ويشترطون عليه أن يعطيهم في مقابل ذلك حاصلاً ، أو يبيع زرعه عندهم أو بواسطتهم ، وذلك على نحو ما يفعل المزارعون في هذا الوقت . فيكسب السلف، ويربط المزارع به ، بحيث يرغبه على أن يكون مرجعه الوحيد في بيع حاصله . فجوز الرسول السلف، على أن يكون بيعاً شرعياً صحيحاً، كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم .

و (القرض) الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر ، هو ما يقال

١ تاج العروس (١٤٣/٦) ، (سلف) .

٢ اللسان (١٥٩/٩) ، (سلف) .

٣ البخاري (٥٥/٥ وما بعدها) ، (كتاب البيوع ، باب السلم) .

له (قرضاً حسناً) في الاسلام ، وهو ما تعطيه لتقضاه ، أي ما يعطى قرضاً ، فيعاد الى صاحبه^١ .

وقامت المعابد في العربية الجنوبية بتسليف المال للمحتاج اليه . ولا أعني بالمال النقود ، بل كل شيء له ثمن وقيمة . وكانت تتقاضى فائضاً في مقابل الاستفادة منه . وقد كانت معظم معابد ذلك الوقت تقوم مقام (بنوك التسليف) في هذا اليوم بتسليف الأموال الى المحتاج لها ، لما كان عندها من فائض يأتينا من أملاكها ومن حقوقها المفروضة على أتباعها ، فتاجرت في الأسواق ، وسلفت الفائض الى المتسلفين .

ولهذه المعابد بيوت وضعت بها أموال المعبد ، وهي خزائن المعابد ، وبيوت المال عند المسلمين . وقد كانت في المعابد في الغالب ، ليكون في وسع أصحاب النذور طرح نذورهم بها . أما الزروع والمواشي التي تكون من حقوق المعبد فتحفظ في المخازن المخصصة لهذه الغاية وفي (حرم) الآلهة المحمية باسمها لرعي ماشيتها . وقد تحدثت عن (الغيب) الذي كان بمكة في الجزء السادس من هذا الكتاب ، وقد كان خزانة للكعبة ، وأشرت الى وجود خزائن لبيوت الأرباب الأخرى . وسدنة الأصنام هم حفاظها وأمنائها ، ولا استبعد احتمال قيام هؤلاء السدنة بالاتجار باسم المعابد ، وبتسليف ما في خزائنها من مال الى المحتاجين اليه . وقد عرف الاستلاف من بيت المال في الاسلام . استلف منه بعض الخلفاء والعمال وكبار الرجال لحاجتهم الى المال أو لتشغيله وللإستفادة منه تجارة أو لاستخدامه في مشاريع زراعية مثل إحياء موات ، أو تحويل مجرى ماء الى غير ذلك من سلف وقروض نص عليها أهل التواريخ والأخبار .

الافلاس :

والافلاس ذهاب المال ، واذا لم يبق للتاجر مال^٢ . فقد كان التاجر يصاب بخسارة فادحة ، تتغلب على أرباحه وعلى ما عنده من مال ، أو تتعرض أمواله

١ تاج العروس (٧٦/٥) ، (قرض) .

٢ اللسان (١٦٦/٦) ، (فلس) .

للنهب ، فلا يستطيع إعادة اعتباره ، فلا يكون في وسعه دفع ما بذمته من قروض أو رأس مال الى دائنيه ، فيعلن عندئذ عدم تمكنه من دفع ما عليه ، ويشهر افلاسه . وهذا ما يقال له الافلاس .

والمفلس مسؤول عن وفاء ديونه . وعليه ارضاء خصومه ، بدفع ما بذمته لهم دفعا كاملا أو حسب ما يتفق معهم عليه ، أو تقسيطا . ويكون الشركاء مسؤولين عن افلاسهم أيضا ، وعليهم تحمّل المسؤولية كل حسب حصته في الشركة .

الفصل الثامن بعد المئة

أصحاب المال

وصاحب المال عند أهل الجاهلية ، من له تجارة وجمع منها مالا ، أو من له زرع ونخيل ، جاء اليه بربح طيب ، أو من له إبل ، والإبل هي (المال) عند العرب ، ومقياس ثراء الانسان ، لأنهم لا يعرفون مالا غيرها ، أو من له حرفة رائجة ، وذلك بين أهل المدن والقرى ، حيث يستطيع صاحبها الحصول منها على ربح طيب اذا عرف كيف يستغل مواهبه في اختيار حرفته وفي تشغيل الأيدي العاملة لزيادة الانتاج .

وقد أشار أهل الأخبار الى رجال جاهليين ومخضرمين كان يملك كل واحد منهم عشرات الألوف من الدراهم ، أي النقود ، عدا الإبل والمزارع والأموال : من هؤلاء : (عبدالله بن جدعان) . ويظهر انه كان واسع الثراء ، لم يبلغ أحد مبلغه في كثرة ماله بمكة ، حتى ذكر انه كان يأكل بصحاف من ذهب ، ويشرب بآنية من فضة ، وبكؤوس من البلور ، وانه كان قد امتلك قياناً ليغنين له . وللجراذتين ، وهما قيتان من قيانه ، شهرة واسعة في كتب الأدب ، تغنيان له ولمن يحضر مجلس شرايه ليلاً ، وكان بيته داراً للضيوفان .

وكان استعمال الأغنياء لآنية من الفضة والذهب في أكلهم وشربهم معروفاً بمكة . وقد كان ذلك يترك أثراً في نفوس الفقراء الذين لا يملكون قوتاً لهم . ولهذا السبب نهى عن استعمالها في الإسلام ، ونهى أيضاً عن استعمال ثياب الحرير . وقد كانت ثياب الحرير والملابس المقصبة بالذهب ، وحلل الديباج من ألبسة

الأغنياء ، الذين كانوا يعتنون بملابسهم وينفقون في شرائها مالا ، وهي تستورد من الخارج من اليمن ومن بلاد الشام والعراق .

وفهم من القرآن الكريم أن بين الجاهليين من كان يكتنز الذهب والفضة ، ولا يعطي مما جمعه للفقراء والمحوجين شيئاً . وقد بشر هؤلاء بعذاب أليم ، لاكتنازهم المال وعدم إخراج شيء منه من حق مفروض عليهم ، لينفق في موضعه ومكانه الذي وضعه الله له ^١ . وأشار الى أناس حب اليهم جمع القناطير المنظرة من الذهب والفضة ^٢ . وكان أغنياؤهم يعيشون عيشة مترفة ، يحتسون الماء بآنية من ذهب ، حتى قيل لأحدهم (حاسي الذهب) و (شارب الذهب) ^٣ . ويستخدمون الأثاث الفاخر ، والمذهبات ، وهي الأشياء المطلوبة بالذهب ، والبرد المذهبة والملابس المذهبة ، والحلي المصوغة من الذهب ، على حين يعيش بعضهم عيشة كفاف ، وبعض منهم عيشة فقير معدم .

وقد عرف (عثمان بن عمرو بن كعب) ، وهو من (بني تيم بن مرة) ب (شارب الذهب) ، لغناه وكثرة ماله ، حتى كان يشرب بآنية من ذهب ، وقد عدّ في أجواد قريش ^٤ .

ويظهر من سورة « تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب » ^٥ أن (أبا لهب) كان رجلاً ثرياً كسب مالا وذرية ذكوراً . وهو عم من أعمام النبي ، واسمه (عبد العزى) ، وكان يرى نفسه لكثرة ماله وولده ، أنه من رجال قريش وسادتهم ، فلا يليق به اتباع ابن أخيه ، وهو أصغر منه سنّاً وأقل منه مالا . يقال إنه قال للنبي : « ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك ؟ قال : كما يعطى المسلمون ! فقال : مالي عليهم فضل ! قال : وأي شيء تبتغي : قال : تبتاً لهذا من دين . تبتاً أن أكون أنا وهؤلاء سواء » ^٦ .

وقد تحدثت عن (أبي سفيان) في مواضع من هذا الكتاب ، وكان تاجراً

-
- ١ سورة التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ٣٤ .
 - ٢ سورة آل عمران ، الرقم ٣ ، الآية ١٤ .
 - ٣ المحبر (١٣٧) .
 - ٤ المحبر (١٣٧) .
 - ٥ سورة تبت ، الرقم ١١١ ، الآية ١ وما بعدها .
 - ٦ تفسير الطبري (٢١٧/٣٠) .

يجهز التجار بماله وأموال قريش الى الشام وغيرها من أرض العجم ، وكان يخرج أحياناً بنفسه^١ . وقد عهدت اليه قريش بقيادة قوافلها الى الشام ، وبسبب قيادته قافلته الى الشام وقعت معركة بدر . ويظهر انه كان يدفع أمواله الى كبار تجار قريش ممن كانوا يتاجرون مع الشام والعراق ، للتجار بها ، فإذا عادوا يصيب من أرباحها .

ويتبين من خبر وقوع ابنه (عمرو) أسيراً يوم بدر ، ومن امتناعه من تخليصه من أسره بتقديم فدية عنه ، ومن قوله لمن ألح عليه بإفدائه : « أجمع عليّ دمي ومالي ! قتلوا حنظلة وأفدي عمرأ ، دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم » ، انه كان شحيحاً ، حمله شحه على تفضيل المال على ابنه . حتى حمله شحه هذا على مخالفة دين قريش، وعرفهم في عهدها ألا تعترض لأحد حاجاً أو معتمراً إلا بخير . فلما جاء (سعد بن النعمان بن أكال) ، وكان شيخاً مسلماً كبيراً الى مكة معتمراً ، عدا عليه (أبو سفيان) ، فحبسه بمكة بابنه (عمرو) ، مما حمل الرسول على فك أسر ابنه ب (سعد بن النعمان بن أكال)^٢ .

وكان يتاجر بالفضة وبالآدم ، والآدم من تجارة قريش المهمة . ويظهر انه كان يشتري الآدم من الطائف ومن اليمن ، ثم ينقله الى بلاد الشام . وقد أشير الى آدم قريش ، وهو أديم عرف في الأسواق بجودته وبنفاسته .

وكان (العباس بن عبد المطلب) من أثرياء قريش . كانت له ثروة واسعة من نقود ومن ذهب وفضة . وقد استغل ماله بالتجارة وبإقراضه بالربا ، قيل عنه إنه « كان ذا مال كثير متفرق في قومه »^٣ . كان يقرضهم ويسلفهم ويشاركهم في تجارتهم . ولما انتهى الى المدينة قال الرسول له : « يا عباس افد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عروة ابن عمرو بن جحدم ، أخا بني الحارث بن فهر . فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله ؛ إني كنت مسلماً ، ولكن القوم استكروهوني ، فقال : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به . فأما ظاهر أمرك فقد كان

١ الاستيعاب (٨٦/٤) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١٧٢/٢) ، (رقم ٤٠٤٦) .
٢ الطبري (٤٦٦/٢) وما بعدها .
٣ الطبري (٤٦١/٢) .

علينا ، فافد نفسك - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب - فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها لي في فدائي ، قال : لا ؛ ذاك شيء أعطاه الله عز وجل منك ، قال : فإنه ليس لي مال . قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلت لها : إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبدالله كذا وكذا ، ولقثم كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا ! قال : والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحد غيري وغيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدى العباس نفسه وابني أخيه وحليفه «^١ . وكان ذلك عند وقوعه في الأسر بيدرس^٢ .

وكانت أم العباس غنية على ما يظهر ، ذكر انه ضاع وهو صغير ، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرير ، فوجدته فكست البيت الحرير ، فهي أول من كساه ذلك^٣ . وكان له مال في الطائف ، فإذا كان الموسم جيء اليه بالزبيب لينتبهه للحجاج ، فقد كان المتولي لأمر السقاية بمكة . وذكر انه كان يملك (مكوكاً) ، مصوغاً من فضة مموهاً بالذهب يشرب به^٤ .

وقد نجح بعضهم في الزراعة نجاحاً باهراً ، وأظهر مقدرة في إحياء الأرض الموات . ومن هؤلاء : (عبدالله بن عامر بن كرز) . وكان صغيراً في أيام النبي ، وولي (البصرة) في أيام (عثمان) . وكان ابن خال (عثمان) . وله (النباج) الذي يقال له نباج ابن عامر ، وله (الجحفة) ، وله بستان ابن عامر بنخللة على ليلة من مكة ، وله أرضون أخرى ، تمكن من معالجتها ومن إظهار الماء فيها ، حتى جمع ثروة طائلة من الزراعة^٥ .

ونجح (عبدالله بن عمرو بن العاص) في الزراعة أيضاً ، فقد كان له مال بالطائف على ثلاثة أميال من (ورج) ، هو كرم فاخر موصوف ، « كان يعرش على ألف ألف خشبة شراء كل خشبة درهم » . وقد كان يحصل منه على أكوام كبيرة من الزبيب^٦ .

-
- ١ الطبري (٤٦٦/٢) .
 - ٢ الاصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) .
 - ٣ الاصابة (٢٦٣/٢) ، (رقم ٤٥٠٧) ، الاستيعاب (٩٤/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٩/٧) ، (مك) .
 - ٥ كتاب نسب قریش (١٤٨) ، الاستيعاب (٢٥١/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ تاج العروس (٢٤٣/٥) ، (وهط) .

وعرف (آل مخزوم) بالثراء في الجاهلية وفي الاسلام . مرّ (عثمان بن عفان) بمجلس لبني مخزوم ، فسلم عليهم ، ثم قال : « لانه ليعجبني ما أرى من جالكم ونعمة الله عليكم » . « وزعموا أن قوماً قعدوا يذكرون الأغنياء من قريش ، فقال أحدهم : (المغيرة بن عبد الرحمن) . فقال له القوم : « وهل لمغيرة من مال ؟ » فقال الرجل : أليس له أربع بنات وأربع أخوات ؟ وكان المغيرة يقول : لا أزوج كفؤاً إلا بألف دينار ! فكان إذا خطب اليه الكفؤ ، قال له : قد علمت قولي ؟ فيقول له الخاطب : قد علمتُ وقد أحضرت المال ؟ فيزوجيه ويقبض المال منه ، ثم يقول له : أختم عليه بخاتمك ، فإذا أدخل زوجته ، بعدما يجهزها بما يصلحها ، ويخدمه خادمين ، ويدخل بيتها نفقة سنة دفع إليها صداقها مختوماً بخاتم زوجها ، ثم يقول لها : هذا مالك ، وما جهزناك به صلة منّا لك^١ . وهي قصة مها قيل فيها فلانها تشير الى ثراء وغنى آل مخزوم .

وعكرمة بن أبي جهل من أغنياء قريش كذلك ، ولما ندب (أبو بكر) الناس لغزو الروم ، خرج معهم غازياً ، فبصر (أبوبكر) بخباء عظيم ، حوله ترابط ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة ، فجاء اليه ، فإذا خباء (عكرمة) ، فعرض أبو بكر عليه المعونة ، فقال : « أنا غني عنها ، معي ألفا دينار ، فاصرف معونتك الى غيري »^٢ .

وكان (الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس) من تجار مكة ، وكان يخرج بتجارته الى الخارج ، فيذهب الى الحيرة ، للتجار بسوقها . ومرّ (الحكم) بخاتم الطائي فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصل الى (الحيرة) فأجاره ونحر له وأوصله الى الحيرة .

ومن أغنياء الطائف (مسعود بن معتب الثقفي) ، قيل انه كان له مال عظيم . وانه أحد من قيل فيه انه المراد من الآية : « على رجل من القريتين عظيم » . وكانت له مزارع بها أشجار كروم وفواكه ، وله عبيد ، وقصر ضخم^٣ .

ومن رجال الطائف الأغنياء (مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي) ، كان غنياً

-
- ١ كتاب نسب قريش (٣٠٨ وما بعدها) .
 - ٢ كتاب نسب قريش (٣١١) .
 - ٣ تاج العروس (١٨٤/٦) ، (طوف) .

يرابي بماله . وإلاخوته ربا عند (بني المغيرة بن عبد الله) ، فلما أسلموا طالبوهم ، فقالوا : ما نعطي الربا في الاسلام ، واختصموا الى (عتاب بن أسيد) ، فكتب به الى النبي ، فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين »^١ .

ولا توجد لدينا قوائم بمقدار ما كان يملكه الأغنياء في الجاهلية من مال ، وأقصد بالمال هنا : النقود ، من دنانير ودرهم ، لعدم وصول موارد مدونة فيها مثل هذه القوائم ، إلا أن الموارد الاسلامية قد تطرقت الى ذكر ما قدمه بعض من أسلم من النقود في سبيل الله ، وبعض ما قدمه المشركون من أجل الدفاع عن مصالحهم ، كما أشارت الى أمور أخرى وردت فيها أعداد وأرقام ، قد ترسم لنا صورة عن أموال بعض الأغنياء عند ظهور الإسلام . فقد ورد في كتب السير والتواريخ مثلاً أن الرسول استسلف من (عبدالله بن أبي ربيعة) أربعين ألف درهم ، فأعطاه : واستقرض من (صفوان بن أمية) خمسين ألف درهم فأقرضه . واستقرض من (حويطب بن عبد العزى) أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألف قسمها بين أهل الضعف ، فأصاب الرجل خمسين درهماً وأقل وأكثر ، وبعث من ذلك الى بني جذيمة^٢ .

وورد أن (المطلب بن أبي وداعة) ، فدى أباه يوم بدر بأربعة آلاف درهم^٣ . وهو مبلغ يمكن أن يتحدث عما كان لدى آل (أبي وداعة) من مال . واستعان الأغنياء بخزنة يخزنون لهم أموالهم ، ويكتبون لهم حساباتهم ، فكان (طلحة بن عبيد الله) خازن ، يحفظ له ماله ، ويشرف على أملاكه ونخله وزروعه^٤ . والخازن ، هو الذي يحافظ على المال وخزنه ، والخزانة مكان الخزن^٥ . وقد كانت الخزائن معروفة عند الجاهليين ، وقد أشير إليها في مواضع من القرآن الكريم^٦ . وكان (بلال المؤذن) خازناً لأبي بكر ، ثم صار خازناً للرسول ،

-
- ١ الاصابة (٣/٣٩٢) ، (رقم ٧٩٥٨) .
 - ٢ امتاع الاسماع (١/٣٩٥) .
 - ٣ كتاب نسب قريش (٤٠٦) .
 - ٤ ارشاد الساري (٤/٧٩) .
 - ٥ تاج العروس (٩/١٩١) .
 - ٦ غافر ، الاية ٤٩ ، الزمر ، الاية ٧١ ، ٧٣ ، الملك ، الاية ٨ ، الانعام ، الاية ٥٠ ، هود ، الاية ٢١ ، الاسراء ، الاية ١٠٠ ، يوسف ، الاية ٥٥ ، ص ، الاية ٩ ، الطور ، الاية ٣٧ ، المنافقون ، الاية ٧ ، الحجر ، الاية ٢١ .

لما أعتقه (أبو بكر) ، يقوم بحفظ ما يأتي الى الرسول من بيت المال ، ويعطي منه من يأمره باعطائه منه^١ .

واتخذوا لهم محاسبين يحسبون لهم حسابهم ، وتجار لهم قوافل ولهم شركات مساهمة ، يساهم فيها كل من أراد من أهل مكة ، كان لا بد لهم من استخدام المحاسبين ، لحساب رؤوس أموالهم ومصاريفهم وتقدير أرباحهم وخسائرهم . وقد « استعمل الرسول رجلاً من الأسد على صدقات (بني سليم) ، يدعى (ابن اللثبية) ، فلما جاء حاسبه ، فقد صحح ان رسول الله حاسب . وبكتاب الحساب تحفظ الأموال »^٢ . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء رجال آخرين عيّنهم الرسول لأخذ صدقات المسلمين ومحاسبتهم عليها .

وقد استغل أهل مكة (الطائف) ، فكانت لقريش أموال بها يأتونها من مكة فيصلحونها ، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها ، حتى اذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكين . وصارت الطائف مخلاً من مخالف مكة . ومن كان له مال بالطائف (العباس بن عبد المطلب) ، كانت له بها أرض ، بها كروم ، فكان الزبيب يحمل منها فينبذ في السقاية للحجاج^٣ .

والتجارة من أهم موارد الثراء عند الجاهليين ، وقد كان أكثر أغنياء مكة تجاراً . وأهم ما يمتاز به ثراء التاجر عن ثراء غيره من الأغنياء ، هو أن ثراه ثراء نقود ، وتعامله بالدينار والدراهم في الغالب ، وأن ما يبيعه ويشتره هو من متزوج ومحصول غيره ، فهو وسيط ، يكسب ربحه من البيع والشراء ، أي من فرق السعر الذي يكون بين سعر شرائه وسعر بيعه ، وقد يخسر بالطبع . أما ثراء الأغنياء المزارعين ، فمن بيع حاصلهم ، ويزيد كسبهم كلما ارتفع سعر البيع ، فتزيد به ثروتهم وتتوسع أرضهم . وأما ثراء سادة القبائل ، فمن المال ، أي الإبل ، ومن الجباية والتعامل مع التجار ومن الجهود الشخصية التي يبذلونها في الحصول على المال ، مثل حفر الآبار واستنباط الماء في الأرض الموات وغير ذلك . ومن وسائل الثراء العثور على (الرّكاز)^٤ ، دفن أهل الجاهلية ، أي الكثر

-
- ١ الاستيعاب (١/١٤٥ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة ، (١/١٦٩) ، (رقم ٧٣٦) .
 - ٢ نهاية الارب (٨/١٩٢) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٦٨) .
 - ٤ الرّكاز ككتاب .

الجاهلي ، والمال العاديّ يوجد مدفوناً . و (الركزة) واحدة الركاز ، القطعة من جواهر الأرض المركزة فيها ، وقطع عظام مثل الجلاميد من الذهب والفضة تخرج من الأرض أو من المعدن . وأدخل بعض العلماء المعدن في الركاز . وخصص أهل الحجاز الركاز بالمال المدفون خاصة مما كتزه بنو آدم قبل الاسلام ، وأما المعدن ، فليست بركاز^١ . وعرف الركاز بـ (السيوب) . وذكر أن السيوب المعدن ، وذكر أنها عروق من الذهب والفضة تسبب في المعدن ، أي تتكون فيه وتظهر ، سميت سيوباً لانسيابها في الأرض . وذكر أنها المال المدفون في الجاهلية أو المعدن . وقد وردت اللفظة في كتاب الرسول لـ (وائل بن حجر) . إذ ورد « وفي السيوب الخمس »^٢ .

وقد اعتبر الجاهليون (الركاز) ، مالاّ يأخذه من يعثر عليه ، ونصيياً حلالاً ، حكمه حكم اللقطة التي لا صاحب لها ، أما الاسلام ، فقد فرض الخمس في الركاز . وإنما كان فيه الخمس لكثرة نفعه وسهولة أخذه . فما استخرج من الركاز ، فلمستخرجه أربعة أخماس وليت المال الخمس^٣ .

ونجد السور المكية الأولى من سور القرآن ، تصور أغنياء قريش ، أناساً متغربين غلاظ الأكباد يرون أنفسهم فوق الناس ، لغناهم ولمكانتهم بسبب ذلك في قولهم ، وكان ضعف حال الرسول بالنسبة لهم ، وصغر سنه من أهم العوامل التي دفعت أولئك السادة على مقاومته ومقاومة ما جاء به ، خاصة في دعوته انصاف الفقير وإخراج حق الله المكتوب للفقراء من أموالهم صدقة وزكاة ، تركية لأموالهم ، وإسعافاً لفقرائهم ، قال أبو لهب للرسول : « ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك ؟ قال : كما يعطى المسلمون ! فقال : ما لي عليهم من فضل . قال : وأي شيء تبتغي ؟ قال : تبتاً لهذا من دين ، تبتاً أن أكون أنا وهؤلاء سواء »^٤ .

وبصورهم القرآن الكريم قوماً ألهاهم التكاثر والتفاخر ، تفاخروا بأموالهم وبوجاهتهم في قومهم ، بل تفاخروا حتى بمن توفي منهم من سادتهم^٥ . لا يرحمون

١ تاج العروس (٣٩/٤) ، (ركز) .

٢ تاج العروس (٣٠٥/١) ، (سيب) .

٣ تاج العروس (٣٩/٤) ، (ركز) .

٤ تفسير الطبري (٢١٧/٢٠) .

٥ سورة التكاثر ، الرقم ١٠٢ .

فقيراً ، ولا يعطفون على يتيم ، بل كانوا يأكلون أموال اليتامى ، ويقهرونهم ، ولا يعطونهم حقوقهم^١ ، اذا جاءهم سائل انتهروه ، وطردوه طرداً قبيحاً ، واذا طلب محروم منهم عوناً أبعده عنهم . واذا وزن بائعهم أنقص في الميزان ، واذا كال قصر في الكيل : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم »^٢ . ونجد هذه الصور البشعة المعبرة عن جشع بعض الأغنياء في كتب السير والحديث والأخبار أيضاً ، اذ صورت بعضها بعضهم وقد اعتدى على أموال رجل غريب جاء يتاجر بمكة ، فتلقاه تاجر من تجارها ، عامله على سلعة له ، ثم بايعه ، فلما قبضها ماطله الثمن ، ثم أكله . هذا (أبو جهل) ابتاع لإبلاً لرجل من (اراش) (اراشة) بمكة ، فطله بأثمانها ، فأقبل (الاراشي) حتى وقف على ناد من قریش ، ورسول الله في ناحية من المسجد جالس . إلفقال : يا معشر قریش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام ، فإني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي . فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس ، يشيرون الى رسول الله ، وهم يهزأون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ، اذهب اليه فإنه يؤدبك عليه . فذهب به الى أبي جهل ، وأخذ منه حقه ، وأعاده عليه^٣ . وهذا رجل من (زبيد) قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه (العاصي بن وائل) ، وكان ذا قدر بمكة . وشرف فحسب عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف ، فأبوا أن يعينوه على (العاصي بن وائل) وزبروه . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قيس وقریش في أنديةهم ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

-
- ١ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٥٢ ، الاسراء ، الرقم ١٧ ، الآية ٣٤ ، الفجر ، الرقم ٨٩ ، الآية ١٧ ، الضحى ، الرقم ٩٣ ، الآية ٩ ، ومواضع أخرى ، المعجم المفهرس (٧٧٠) .
 - ٢ الرحمن ، الآية ٩ ، المطففين ، الآية ١ وما بعدها ، تفسير الطبري (٥٧/٣٠) وما بعدها ، تفسير النيسابوري (٤٤/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٣ ابن هشام ، سيرة (٢٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) .

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبدالله بن جدعان ، وتعاهدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه . وعرف حلفهم هذا بحلف الفضول ، ثم مشوا الى (العاصي بن وائل) ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه ^١ . فكان حلف الفضول نتيجة لما كان يقع بمكة من اعتداء على حقوق وأموال الغرباء والمستضعفين من الناس .

وذكر ان منهم من كان يأكل أجر العامل الأجير ، ومنهم من كان يشتط على عبده ، فيشغله في أشغال صعبة ، ثم يطلب منه أجره ، وقد يستقل أجره فيضربه ليحمله على ان يشتغل له أكثر من شغله ، ليحيي اليه بمال زائد . ومنهم من كان يحمل إمامه على البغاء ليأخذ أجرهن ، كما أشير الى ذلك في القرآن الكريم . وكما أشرت الى ذلك في مواضع أخرى من هذا الكتاب . ومنهم من كان لا يبالي للحصول على المال بسلوك أي سبيل يؤدي اليه .

وهي صورة تعارض ما نقرأه في أخبار أهل الأخبار عن تعاطف أغنياء مكة مع فقرائهم ، وعن اخراجهم جزءاً من أموالهم لمساعدة البائس والفقير والصلوك والغريب ، حتى صار الفقير عندهم كالكافي وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء الى غير ذلك من نعوت وأوصاف ^٢ ، وكما جاء في شعر ينسب الى (مطروذ بن كعب الخزاعي) ^٣ . وما ذكروه عن الذادة الذين أخذوا على أنفسهم الذود عن الضعيف والمظلوم .

ونجد أناساً بين الأعراب كانوا يشعرون بما كان يعانيه الفقراء من شدة الفقر ، ومن شدة ما أصاب بعضهم من إملاق ، ومن اضطراب بعضهم الى وأد بناته من شدة الفقر ، كما أشير الى ذلك في القرآن الكريم ، وهذا مما حمل بعض أصحاب القلوب الرحيمة الشفيقة على ودى البنات ، وحمل مؤنثهن وبذل الرعاية لهن حتى يكبرن فيتزوجن . وقد ذكر ان من هؤلاء الذين وهبوا الشعور بالمسؤولية الانسانية وبالشفقة والرحمة والحنان : (صعصعة بن ناجية بن عقيل) ، فقد أحيا الموءودات فبعث الرسول وعنده مائة جارية وأربع جوار أخذهن من آبائهن لثلاث يوأدن ^٤ .

١ ابن هشام ، سيرة (٩٠/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض

الانف (٩٠/١ وما بعدها) .

٢ ثمار القلوب (١٠ وما بعدها) .

٣ الروض الانف (١١٧/١) .

٤ المحبر (١٤١) .

عادات وأعراف :

ويظهر من بعض الأخبار ان الوأد لم يكن عن إِملاق حسب ، بل كان لسبب آخر ، أراه متصلاً بعقيدة ودين . فقد ذكر ان وفد (جعفى) ، قال لرسول الله : « يا رسول الله ! إن أماً مُليكة بنت الحلو ، كانت تفك العاني وتطعم البائس وترحم المسكين ، وانها ماتت وقد وأدت بنية لها صغيرة فما حالها؟ قال : الوائدة والموعودة في النار »^١ . فلم يكن الوأد هنا بسبب الفقر والإملاق ، بل لسبب آخر ، قد تكون له صلة بدين أو بعرف اجتماعاً . ويلاحظ ان (جعفى) كانوا يحرمون القلب في الجاهلية ولا يأكلونه . ولما قدم وفدهم الى يثرب ، قال رسول الله : بلغني انكم لا تأكلون القلب ؟ قال : نعم . قال : فإنه لا يكمل اسلامكم إلا بأكله . ودعا له بقلب فشوي ، ثم ناوله أحد رجال الوفد ، فلما أخذه أرعدت يده ، فقال له رسول الله : كُلْهُ ، فأكله وقال :

على أني أكلت القلب كرهاً وترعد حين مسته بناني^٢

وقد حمل الأعشى على أولئك الذين ينامون وهم متخمون ملاء البطون، وجيرانهم جياح يتضورون من الجوع ، إذ يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا

وفي هذا المعنى يقول بشر بن المغيرة :

وكلّهم قد نال شبعاً لبطنه وشيع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

ولعلّ هذا الشعور هو الذي حمل (عروة بن الورد) على أن يكون سيد الصعاليك ومجمعهم ومغيثهم ، حتى قيل له : (عروة الصعاليك) ، لأنه كان يجمع الصعاليك في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه^٣ .

وفي القرآن الكريم أن (ملأ) نوح ، وهم الأعزة أصحاب الحول والطول،

١ ابن سعد ، الطبقات (٣٢٥/١) .
٢ ابن سعد ، الطبقات (٣٢٤/١) وما بعدها) .
٣ تاج العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .

يقولون لنوح : « ما نراك إلا بشراً مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا »^١ ، وفيه أنهم قالوا له : « أنؤمن لك واتبعتك الأراذلون »^٢ . وقول ملائ نوح هذا ، هو تعبير عن رأي ملائ قريش الذين كانوا يقولون لو كان محمد رسولاً حقاً ، لكان رجلاً من رجال قريش أو الطائف الأغنياء أصحاب المال ، فالرئاسة ولو كانت نبوة لا تكون إلا في رجل عظيم : « وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »^٣. وكانوا يسخرون من المسلمين ويستهزئون بهم حينما يرونهم خلف الرسول ، يدخلون المسجد الحرام ، وهم من الأراذل الضعفاء والفقراء ، فيضحكون ويقولون جساءكم ملوك الأرض كسرى وهرقل ، فدين يكون أتباعه ومعتنقوه من الرقيق والضعفاء دين ليس له شأن ، ولا يمكن أن يكون مقبولاً حتى يكون أتباعه من الأغنياء ملائ القوم .

وقضى أغنياء مكة وسادتها ليااليهم في مجالسهم ونواديههم ، وعادتهم أنهم كانوا يتنادمون ، يشربون ويسمعون القيان ، ويتنادرون ويسمعون القصص والنكات ، ثم يعودون الى بيوتهم ، ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء ندماء قريش .

وأكثر الأغنياء من التدهن ، فالتدهن من النعم ، وهم يتدهنون بالدهون الجيدة المطيبة . ويقال لكثرة التدهن (التورن)^٤ . و (التودن) ، كثرة التدهين والتنعيم^٥.

وفي مقابل هذه الطبقة الغنية ، كان السواد فقيراً ، ومنهم معدمون تماماً لا يملكون شيئاً ، اذا عجزوا عن الحصول على قوت ، عمدوا الى الشجر فأكلوا ورقه أو ثمره إن كان برياً لا يملكه أحد ، أو الى الأعشاب فأكلوها . ورد في حديث (عتبة بن غزوان) : ما لنا طعام إلا ورق البشام^٦ . أو الى (العلhez) فأكلوه . وهو طعام من الدم والوبر كان يتخذ في أيام المجاعة ، وذلك أن يخلط الدم بأوبار الإبل ثم يشوى في النار ، قيل وكانوا يخلطون فيه القردان ، وذكر انه الصوف ينفش ويشرب بالدماء ويشوى ويؤكل . ورد في حديث (عكرمة) :

-
- ١ سورة هود ، الرقم ١١ ، الاية ٢٧ .
 - ٢ سورة الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الاية ١١١ .
 - ٣ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الاية ٣١ .
 - ٤ تاج العروس (٣٦٠/٩) ، (التورن) .
 - ٥ تاج العروس (٣٦٠/٩) ، (ودن) .
 - ٦ تاج العروس (٢٠٣/٨) ، (بشم) .

كان طعام أهل الجاهلية العلهز^١ . أو الى (القرف) ، لحاء الشجر ، فأكلوه^٢ .
وأكلوا (الوزين) ، وهو الحنظل يؤكل باللبن أيام الحاجة^٣ .
وقد كان الناس يصابون بالشدة والعسر ، ويعبر عن ذلك بـ (الحشر) :
والحشر إجحاف السنة الشديدة بالمال . واذا أصابت الناس سنة شديدة فأجحفت
بالمال وأهلكت ذوات الأربع قيل حشرتهم السنة ، بمعنى أصابهم الضرر والجهد^٤ .
وفي العربية ألفاظ عديدة تعبر عن الشدة والضيق والفقر وضنك الحياة ، وسوء
الحال ، من ذلك (القشف) والضعف والشظف ، وغير ذلك^٥ . وفي كثرة
هذه الألفاظ تعبير عن سوء الأحوال وعن تبرم الناس من الحياة ومن شدتها عليهم
في ذلك الوقت ، حيث كانت حياتهم في عسر وضيق .

سرقة أموال الآلهة :

وقد ورد في نص من نصوص المسند ، وعيسد بأن يتزل الإله رب السماء
(ذسموي) غضبه ولعناته وكل سوء ، وأن يلحق البؤس (بباس) بكل
(نفس) إنسان لا يبالي بأوامر ذلك الإله ، فيسرق (ذ يسرقن) محرمه ،
ويسرق من أموال محرمه (بقرم) بقرأ ، أو غير ذلك كما أشير الى العقوبات التي
ستتزل بذلك الإنسان المتطاول المخالف لأوامر الآلهة^٦ . عقوبات العذاب (عذبين)
تنزلها الآلهة على أولئك الأشخاص^٧ .

ولهذا النص أهمية كبيرة بالنسبة إلينا ، لأنه شاهد ناطق على أن الإنسان عند
الحاجة وعند تصوره وجود منفعة وفائدة له لا يعبأ بسرقة آلهته وبالسطو على ما
في معابدها من أموال وحلال ، وأنه لا يتردد من السطو على أوقاف تلك الآلهة

- ١ تاج العروس (٦١/٤) ، العلهز) .
- ٢ وان قرى قحطان قرف وعلهن
- ٣ تاج العروس (١٦/٤) ، (العلهز) .
- ٤ تاج العروس (٣٦١/٩) ، (وزن) .
- ٥ تاج العروس (١٤٢/٣) ، (حشر) .
- ٦ تاج العروس (٢٢١/٦) ، (قشف) .
- ٧ REP. EPIGR. : 820.

الفقرة السادسة من النص : REP. EPIGR. : 820.
Rhodokanakis, Stud. Lexl. II, S. 162.

وأخذ ما فيها . لا فرق في ذلك بين إنسان قديم ، كان للدين عليه وعلى مجتمعه نفوذ وسلطان، وبين مجتمع حديث تهذب فيه الإنسان وارتفعت فيه مداركه ومزايها فيها نحن أمام جماعة سرقَت معبد (محرم) لإلهها (ذو سموي) رب السماء ، ولم تكتف بسرقة ذلك المعبد ، بل سرقَت البقر في الأرض المحبوسة على ذلك الإله : ولهذا أمر رجال ذلك المعبد الناطقين باسم ذلك الإله بكتابة ذلك النص ليقراه الناس وليروا ما فيه من لعنات ستنزل على من يتجاسر على مخالفة أوامر ذلك الإله ، فيسرق معبده ويسرق بقره .

ويلاحظ أن التشريع قد اعتبر القبيلة والجماعة وحدة اجتماعية مسؤولة أمام الإله عن كل ما اقترفه أفرادها من سرقات وآثام . فإذا سرق أحدهم من معبده أو ألحق أضراراً بأملكه ، صارت القبيلة مسؤولة قانوناً وكلها أمامه ، وعليها إنزال عقابها بالفاعل ، بالإضافة إلى العقاب الذي يفرضه المعبد عليه . وبإيقاع المسؤولية على القبيلة كلها ، يكون المعبد قد أمن بذلك من غدر الأفراد المجهولين ، ومن تطاول السراق المتسترين على أموال المعابد والآلهة، ومتى وجدت القبيلة أنها مسؤولة عن ذلك بالتضامن ، فإنها تكون حذرة وعيناً على السراق والمفسدين ، لا سيما إذا ما علمت أن الآلهة تغضب عليها فتصيبها بالكوارث، فتقل بذلك حوادث السرقات بالنسبة إلى أموال المعابد والأوقاف .

ويجب أن نتذكر هنا القصة التي يرويها أهل الأخبار عن سرقة (كنز الكعبة) وذلك قبل بنائها بقليل ، ووضع السراق ما سرقوه عند (دويك) مولى لبني (مليح ابن عمرو) من خزاعة ، وقطع أهل مكة يده لذلك . وما ذكره أيضاً من أن سارقاً سرق من مالها زمن جرهم ، فانتزع المال منه^١ .

كذلك يجب أن نتذكر أن سارقاً سرق من بيت (عائشة) شيئاً ، فدعت عليه، فقال لها النبي : « لا تسبخي عنه بدعائك عليه » ، أي لا تخففي عنه لئمه الذي استحقه بالسرقة بدعائك عليه^٢ . سرق بيت رسول الله مع أنه مسلم مؤمن بالله وبرسوله، لم يردعه عن السرقة دينه ، وقد تكون الحاجة قد دفعته إلى تلك السرقة . ووصلت إلينا نصوص أخرى يفهم منها أن أشخاصاً استدانوا من أموال المعبد، فلم يؤدوها له ، وأن قوماً أكلوا حقوق الآلهة المفروضة عليهم من أعشار وندور،

١ ابن هشام (١٣٠/١) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (١٣٠/١) .

٢ تاج العروس (٢٦٠/٢) ، (سبخ) .

وفي بعض منها إقرار من أصحابها بأنهم أكلوا حق الآلهة ، أو لم يتمكنوا من الوفاء بديونهم أو بندورهم لها ، فهي تتوسل إليها بأن تغفر لأصحابها ما اقترفوه بسبب ذلك من لثم ، وأن تمن عليهم بالصحة والعافية . ويظهر أنهم أصيبوا بسوء ومرت بهم أوقات عصيبة ، جعلتهم ينسبون ما حلّ بهم الى فعل الآلهة ، والى غضبها عليهم بسبب أكلهم أموالها وحقوقها ، فكتبوا ما كتبوه يستغفرون ويتوبون ، يرجون الصفح والعفو ، وقد وعد بعضهم بالوفاء بل ما أخذه ولواه .

دفن الذنوب :

ومن عادة العرب في الجاهلية ، أن أحداً منهم إذا جنى جناية ، أو نهب شيئاً أو أكل مالا ، أو غش أحداً في تجارة ، أو أكلها بالباطل ، وأراد المجنى عليه العفو عما وقع ، فالتعويل في الصفح فيها على الدفن . وطريقتهم فيه أن تجتمع أكابر قبيلة الذي يدفن الذنب بحضور رجال يثق بهم المدفون له ، ويقوم منهم رجل ، فيقول للمجني عليه : نريد منك الدفن لفلان ، وهو مقر بما أهاجك عليه ، ويعدد ذنوبه التي أخذ بها ولا يبقى منها بقية ، ويقر السذي يدفن ذلك القاتل على أن هذا جملة ما نقمه على المدفون له ، ثم يحفر بيده حفيرة في الأرض ، ويقول : قد ألقيت في هذه الحفيرة ذنوب فلان التي نقمته عليه ، ودفتها له دفني لهذه الحفيرة ، ثم يرد تراب الحفيرة إليها حتى يدفنها بيده . ولا يطمئن خاطر المذنب منهم إلا به ، إلا أنه لم تجر للعرب فيه عادة بكتابة ، بل يكتفي بذلك الفعل بمحضر كبار الفريقين ، ثم لو كانت دماء أو قتلى عفيت وعفيت بها آثار الطلائب .

الفصل التاسع بعد المئة

الطبقة المملوكة

وأدنى الطبقات منزلة في المجتمع ، هي الطبقة التي تحترف الحرف ، وطبقة الرقيق ، أي الطبقة المملوكة ، التي تساوي الحيوان في كونها مخلوقات حية مملوكة لغيرها ، ليس لها في هذه الحياة حرية ولا رأي ولا اختيار . فقدت حريتها بالرق ، وصارت ملك سيدها ، وهي وما تنتجه ملك للمالك ، ويدخل في ذلك نسلها الى الأبد ، إلا اذا منّ المالك على عبده بفك رقبتة ، فيصير حراً، وتنتقل الحرية الى نسله كذلك .

والرقيق سلعة من سلع السوق ، تباع وتشتري كما تباع وتشتري أية سلعة أخرى . وليس لها سعر ثابت معين ، انما يتوقف ثمنها على عمر تلك السلعة وعلى درجتها من الجمال وعلى نوع جنسها وعلى حذق ومهارة ودرجة فطنة وذكاء تلك السلعة الآدمية ، وعلى الأعمال التي تتمكن من القيام بها . ولم نعثر على نصوص جاهلية فيها أسعار الرقيق ، أما أخبار أهل الأخبار ، فقد ذكرت في بعض المناسبات أسعار بعض الرقيق ، فساعدتنا بذلك على تكوين رأي عن سعر هذه البضاعة الحية عند ظهور الاسلام .

فقد ذكرت كتب السير والتواريخ والصحابة ، أن (خديجة) ملكت (زيد ابن حارثة) اشتراه لها (حكيم بن حزام بن خويلد) ، بسوق عكاظ بأربعمائة درهم^١ . وذكرت أن (أبا بكر) اشترى (بلال بن رباح) مؤذن الرسول

١ ابن سعد ، طبقات (٤٩٧/١) ، الاحكام السلطانية ، لأبي يعلى (١٨٥) .

وهو من الحبش ، أي من الزنوج بخمس أواق ، وقيل بسبع أواق ، وقيل بتسع أواق ، ثم اعتقه . وكان خازناً له ^١ . كما كان خازناً للرسول ^٢ . وبيع (يعقوب) المدبر والمعروف بـ (القبطي) ، من (نعيم النحام) بثمانمائة درهم ، وقيل بسبعائة أو تسعمائة ^٣ .

الاتجار بالرقيق :

وكان الرقيق إذ ذاك تجارة نشطة مربحة ، يكسب صاحبها منها، ربحاً طيباً، وكان المتاجر بالرقيق ، يشتري تجارته من الأسواق الخارجية ، ثم يأتي بسلعته الى أسواق جزيرة العرب لبيعها فيها ، في الأسواق الموسمية وفي الأسواق المحلية الدائمة ، مثل سوق مكة ويثرب والطائف ونجران وغيرها، ففي كل هذه الأسواق وأمثالها طلب شديد على الرقيق ، لأنه وسيلة من وسائل تأدية الأعمال والانتاج . وأسواق العراق وبلاد الشام من أهم الأسواق التي مونت جزيرة العرب بالرقيق الأبيض . أما السواحل الأفريقية، فقد مونتها بالرقيق الأسود . وهو أرخص ثمناً من الرقيق الأبيض ، وكفاءته محدودة، وقابليته للعمل معينة ، وهو لا يجاري الرقيق الأبيض في كثير من الأمور .

والرقيق المملوك : بن الرق . والرق ، المملك والعبودية . ورق صار في عبودية . واسترق المملوك فرق : أدخله في الرق . والرقيق العبد ، والرق العبودية . سُمّي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون للمالكهم ويدلون ويخضعون ^٤ . و (المملوك) العبد . وقيل الذي سبي ولم يملك أبواه ، أو اذا ملك ولم يملك أبواه ، فهو عبد مملكة . « وفي الحديث : ان الأشعث بن قيس خاصم أهل نجران الى عمر في رقابهم وكان قد استعبدهم في الجاهلية ، فلما أسلموا أبوا عليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا كنا عبيد مملكة ولم نكن عبيد قن » . المملكة . أن يغلب عليهم فيستعبدهم

١ الاستيعاب (١/١٤٥) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ الاصابة (١/١٦٩) ، (رقم ٧٣٦) .

٣ ارشاد الساري (٤/١١١) ، الاصابة (٣/٦٣٠) ، (رقم ٩٣٥٩) .

٤ اللسان (١٠/١٢٤) ، (رقق) ، تاج العروس (٦/٣٥٩) ، (رق) .

وهم في الأصل أحرار . والقنّ العبد ، ويقال المشتري^١ .

والعبد : المملوك خلاف الحر ، و (العبيدي) جماعة العبيد الذين ولدوا في العبودية . « وفي حديث عامر بن الطفيل : انه قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم : ما هذه العبيدي حولك يا محمد ؟ أراد فقراء أهل الصفة ، وكانوا يقولون اتبعه الأرذلون »^٢ .

و (القن) عبد مملوك هو وأبواه ، أو هو الخالص العبودية ، أو الذي ولد عندك ولا تستطيع اخراجه عنك^٣ .

ومن الرقيق ، رقيق تبع الأرض ، فهو دائماً بها ، يباع معها ، ويشترى بشرائها ويقال له (أمي) في لغة العرب الجنوبيين . وأما (الأدم) ، فيمثلون الطبقات الدنيا ، من عمال يشتغلون بالأرض أو بالحرف ، فهم أحرار من حيث التنقل وامتهان الحرف ، غير أنهم من الطبقات الدنيا ، وكذلك الـ (غبر) ، وهم من الفقراء المعدمين ، وطبقة (ممي) (أمي) ، وهم الأوباش غير المثقفين^٤ . ولعل لفظة (الأمي) ، قد جاءت من هذا الأصل .

ونظراً لصغر مساحة الأرضين التي كانت تزرع في الحجاز ، فإننا لا نستطيع أن نجد اقطاعاً فيه على نمط الاقطاع الذي نراه في العربية الجنوبية ، ولا نجد فيه تدمراً بين الفلاحين على نحو ما وجدناه في اليمن ، كما لا نجد سادة أملاك في الحجاز لهم نفوذ واسع ، على نحو ما نجده في اليمن من تحكم الأقبال والأذواء وبقية الملاكين في الحكم وفي المجتمع ، وفي شؤون رقيقهم المستخدم في استغلال الأرض . وكل ما نجده ان أشخاصاً كانوا يمتلكون ينابيع أو عيوناً أو آبار ، وقد زرعوا بمائها . وزراعة تعتمد على هذا النوع من الري لا يمكن أن تكون زراعة كثيفة تدر على أصحابها ربحاً طائلاً . لذا فهي لا تحتاج الى تشغيل عدد كبير من العبيد والأرقاء .

وكانت الغزوات والحروب أهم مورد لتجارة الرقيق . وهو مورد قديم معروف . فالغالب المنتصر يأخذ من يقع في قبضته من أسرى ، ويعده ملكاً له . وقد كان

١ اللسان (٤٩٣/١٠) ، (ملك) .

٢ اللسان (٢٧١/٣) ، (عبد) ، تاج العروس (٤٠٩/٢) ، (عبد) .

٣ تاج العروس (٣١٤/٩) ، (قن) .

Grohmann, S. 124.

٤

في إمكان الأسرى فك أسرهم بـ (الفداء) . أما من لم يتمكن من دفع الفدية منهم ، فيعد بحسب القانون ملكاً لآسره أو للدولة بحسب القوانين النافذة ، فيجوز في هذه الحالة امتلاك الأسير وتشغيله في الأعمال التي يكلفه إياها سيده ، ويجوز له إطلاق حريته وعدة حرراً معتنق الرقبة وبيعه في أسواق النخاسة . وقد كان تجار العبيد يقدون الى هذه الأسواق ، لبيتاعوا منها العبيد الذين يحتاجون اليهم ، ويأخذونهم معهم الى بلادهم ، لبييعوهم مرة ثانية في أسواق النخاسة ، لمن هو في حاجة اليهم .

والحروب مورد من موارد الرزق للمحاربين الشجعان الذين يتمكنون من أسر من يبرز لهم ، والأسر خير للآسر من محارب يقتله ، فقتله لا يفيده من الناحية المادية شيئاً ، سوى ما قد يقع في يديه من أسلابه . أما أسره ، فإنه يفيده فائدة مادية ، فعلى الأسير ترضيته بدفع فدية مرضية ، إن أراد فك أسرهِ وتحرير رقبته ، وإلا صار عبداً مملوكاً لآسره ، له أن يمتلكه وله أن يبيعه ، والغالب أنه يبيعه في حالة عجزه عن تقديم فدية ، أو عجز أهله عنها ، كي يتخلص بذلك آسره من أخطار هروبه منه ، فيأخذه الى الأسواق وبيعه فيها .

وقد يقع القريب أسيراً في يدي قريب له ، فيكون مملوكاً له . ولا تسقط صلة الرحم حق التملك . وللأسير فداء نفسه حتى إن كان أخاً لآسره أو عمّاً له^١ . ولكن الأغلب أن يتوسط الناس بين الآسر وأسيره ، لفك أسرهِ ، وأن تتغلب عاطفة الدم على المطالبة بالمال .

ومن أسباب الرق الفقر ، ونجد في كتب الحديث والأخبار أن عوائل باعت أولادها من ذكور وأنثى ، من الفقر . وكان بعض من باع أولاده يشترط أن يكون السواء لهم : والولاء سبب من أسباب الارث . جاءت (بريرة) الى (عائشة) ، وكانت مكاتبة ، ولم تكن قضت من مكاتبتها شيئاً ، وكانت كاتبتهم على تسع أواق في كل سنة وقية ، فقالت : « يا أم المؤمنين اشتريني فلان أهلي يبيعوني ، فاعتقيني . قالت عائشة : نعم . قالت بريرة : إن أهلي لا يبيعوني حتى يشترطوا ولائي . قالت : لا حاجة لي فيك . فسمع ذلك النبي ، فقال : ما شأن بريرة ؟ فذكرت له شأنها ، فقال : اشترها فأعتقها وليشترطوا ما شاؤوا .

١ ارشاد الساري (٣١٥/٤) ، (باب اذا أسر أخو الرجل أو عمه هل يفادى ؟) .

فاشترتها واعتفتها . فقال النبي : الولاء لمن أعتق وإن اشترطوا مائة شرط^١ .

وقد وجد الرقيق في كل مكان من جزيرة العرب ، لا سيما في المستوطنات الزراعية والقرى ومواقع التجار والتعدين ، لحاجة هذه المواضع الى الأيدي العاملة والى من يدافع عنها ، حتى أنهم كانوا يقذفون بعبيدهم في الحروب للدفاع عنهم. ولما أراد (مجاعة) مصالحة (خالد بن الوليد) على (الصفراء والبيضاء ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة) ، قال (سلمة بن عمير الحنفي) : « لا والله لا نقبل ، نبعث الى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضي خالدًا ، فإن الحصون حصينة والطعام كثير ، والشتاء قد حضر »^٢ . فجعل (سلمة بن عمير) أهل القرى والعبيد في جملة من يتكل عليهم في قتال (خالد). ولما كان القتال بين (خالد) وبين (مسيلمة) واستحر القتال ، « قال أهل القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم . فقال لهم أهل البادية : إن أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فسترون اذا امتزنا من أين يجيء الخلل ! فامتازوا »^٣ . ونجد في رواية أخرى ان (خالدًا) صالح (مجاعة) على (الصفراء والبيضاء والحلقة وكل حائط رضانا في كل ناحية ونصف المملوكين)^٤ . بدلًا من جملة : « ونصف السبي » التي ترد في روايات أخرى . والمملوك العبد ومن دخل في الرق . وهذا مما يدل على وجود عدد كبير من العبيد في اليمامة في ذلك العهد ، لحاجة أهل اليمامة وهم أهل زرع في الغالب اليهم ، لتشغيلهم في الأعمال الزراعية وفي التعدين والحرف .

ونجد اشارة الى الموالي في بعض كتب الرسول الى سادات القبائل . فلما كتب الرسول عهده لقيس بن سلمة الجعفي ، جاء فيه : « كتاب من محمد رسول الله لقيس بن سلمة بن شراحيل : لاني استعملتك على مران ومواليها ، وحریم ومواليها والكلاب ومواليها »^٥ . وفي النص على ذكر الموالي في هذا العهد دلالة على أنهم كانوا يكوّنون طبقة ظاهرة في (جعفي) .

١ ارشاد الساري (٤/٤٣٩) .

٢ الطبري (٣/٢٩٨) ، (ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة) .

٣ الطبري (٣/٢٩٢) .

٤ الطبري (٣/٢٩٩) .

٥ ابن سعد ، الطبقات (١/٣٢٥) .

وأما (أهل القرى) ، فهم المستوطنون الذين أغراهم عثورهم على الماء على السكن حوله وعلى الاشتغال بالزراعة ، كما استقروا حول مواضع المعادن وفي المستوطنات القديمة التي نسبت الى (طسم وجديس) . فهم طبقة خاصة من أهل اليامة ، وهم حضر اليامة ، وأصحاب العمل والثراء ولهم العبيد لحاجتهم اليهم . أما الطبقة الثانية ، فأهل البادية . ممن سكن بيوت الوبر ، ولم يقيم في بيوت من طين . ولم يفلح ولم يزرع ، بل كان رزقه على الإبل .

وكان لأهل القرى حصونهم ، يحتمون بها من الأعراب ومن كل من يريد بهم سوءاً ، ولهم مخازنهم يخزنون بها طعامهم ، ولهم آبارهم في داخل قراهم وحصونهم ، فإذا حوصروا كان لديهم الماء ، فلا يحتاجون الى مصالحة المحاصر لهم لعطشهم ولعدم وجود الماء عندهم ، وتكون حصونهم عند الحصار قد امتلأت بهم ، وقد أغلقوا أبوابها ، وقد احتلوا أبراجهم وسطوحها لرمي المحاصر بالسهم وبالماء الحار وبالحجارة ، وحولها خنادق تمنع العدو من الدنو من حائط الحصن ، وقد رفعوا جانب الخندق المقابل للحصن حتى يصعب على من يريد تسلقه وتسوره الوصول الى الحصن . وبعض هذه الحصون عالية سميكة الجدران، ذكر (الهمداني) أن جدر (الهيصمية) ، وهي لبني (صُهيب) من (بني قشير) يركض عليها أربع من الخيل ، وكان من الصعب أن ينال رأسها السهم . وذكر عن (القصر العادي) بالأثل ، أنه قصر منيف من عهد (طسم) و (جديس) ، أقيم على حصن من طين ثلاثين ذراعاً دكة ، ثم بني الحصن . ووصف حصوناً كثيرة بعضها من حصون ما قبل الإسلام ، بنيت لحماية أهلها من الغارات^١ .

و (القصب) دون الحصون ، ذكرها (الهمداني) بقوله : « وبالمذارع وغيرها قصب دون الحصون لطاف تسمى الثنية »^٢ . والقصب القصر أو جوفه ، يقال كنت في قصبه البلد والقصر والحصن ، أي جوفه . والقصب من البلد : المدينة والقرية^٣ .

وورد في خبر مصالحة (خالد بن الوليد) (بني حنيفة) ، انه صالحهم

١ الصفة (١٥٩ وما بعدها) .

٢ الصفة (١٥٩) .

٣ تاج العروس (١/١٣١) ، (قصب) .

« على الرقيق ولم يصلحهم على أنفسهم » ، وأنه أخذ منهم رقيقاً ، كان فيه أمة سنديّة سوداء ، لم تكن من بني حنيفة ، وإنما كانت من رقيقهم ، فصارت الى (علي بن أبي طالب)^١ . وفي وجود هذه السنديّة في اليامة دلالة على وجود الرقيق المستورد من الهند في جزيرة العرب في الجاهليّة ، وقد كانت أسواق البحرين وبقية أسواق العربيّة الشرقيّة تشتري الرقيق الوارد عليها من الهند ، فلا يستبعد وصول رقيق السند وغير السند من بلاد الهند الى اليامة والى أماكن أخرى من جزيرة العرب قبل الاسلام .

ويعرف بائع الرقيق بالنخاس ، والنخاسة حرفته ، والنخاس في الأصل يباع الدواب^٢ .

وقد كان تجار الرقيق يشترون الرقيق ويزوّجونّه ، ليجنوا نسله لهم ، فيبيعهوه في الأسواق . يفعلون ذلك فعل من يربي الخيل أو الإبل أو البقر ، لتكثير نسله وبيعه . وبذلك يكثر مال صاحبه ، وينسب المولد الى الأرض التي ولد بها ، والتي يكون سيده مقيماً بها ، والى قبيلة سيده أيضاً ، فيقال هو من مولدي السراة ، وهو من مولدي هذيل .

ويعرف (العبد) المولود في الرق بالوليد . قال بعض علماء اللغة : الوليد من يولد في الرق^٣ . و (المولدة) الجارية المولودة بين العرب كالوليدة . وورد عربيّة مولدة ورجل مولد اذا كان عربياً غير محض^٤ . وترد لفظة (مولد) ومن (مولدي) في تراجم بعض الأشخاص . فقد كان (أبو كبشة) مولى رسول الله من مولدي (مكة) ، وقيل من مولدي أرض دوس^٥ . وكان (أنسة) مولى الرسول من مولدي (السراة)^٦ . وكان (أبو موهبة) وهو من موالي الرسول كذلك ، مولداً من مولدي (مزينة)^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | المعارف (٢١٠) . |
| ٢ | تاج العروس (٢٥٥ / ٤) ، (نخس) . |
| ٣ | تاج العروس (٥٤٠ / ٢) ، (ولد) . |
| ٤ | تاج العروس (٥٤٢ / ٢) ، (ولد) . |
| ٥ | ابن سعد ، طبقات (٤٩٧ / ١) ، الاصابة (١٦٤ / ٤) ، الاستيعاب (١٦٤ / ٤) ، (حاشية على الاصابة) . |
| ٦ | ابن سعد ، طبقات (٤٩٧ / ١) . |
| ٧ | ابن سعد ، طبقات (٣٩٨ / ١) ، ويقال أبو موهبة وأبو موهوبة ، الاصابة (١٨٨ / ٤) ، (رقم ١١٠٥) . |

وتطلق لفظة (غلام) على الولد الى ان يشب ، ويطلق على الغلام الذي يكون مملوكاً ، أو يخدم غيره . وقد يطلق أيضاً على الكهل^١ . وكان (شقران) ، واسمه (صالح بن عدي) ، غلاماً للرسول ، وكان حبشياً^٢ . وكان (سفينة) غلاماً للرسول ، وهو من أصل فارسي^٣ . وكان (مدعم) غلاماً للنبي ، وكان من مولدي (حسمى)^٤ . وهبه له (رفاعة بن زيد الجذامي) ، ويظهر انه كان من الزنج ، إذ عرف بالأسود^٥ . وكان (كركرة) غلاماً للنبي^٦ . وكان نوبياً ، أهده له (هوذة بن علي الحنفي البامي) فأعتقه^٧ . وكان (رباح) غلاماً للرسول^٨ . وكان أسود ، وكان يستأذن عليه ، ثم صيره الرسول مكان (يسار) بعد قتله ، فكان يقوم بلقاحه . وكان يؤذن له^٩ .

وتطلق لفظة (خادم) و (خادمة) على من يقوم بالخدمة ، خدمة البيت ، أو السفر ، وكل خدمة أخرى يطلبها المالك . وفي حديث فاطمة وعلي : « أسألي أباك خادماً تقيك حرّاً ما أنت فيه »^{١٠} . ويخدم الخدم في البيوت ، يقومون بتنظيفها وبالطبخ والخبز وما شاكل ذلك من أعمال . وكان (أنس بن مالك بن النضر) الأنصاري خادماً لرسول الله . وكان يخرج معه يخدمه، وهبته أمه للنبي^{١١} ولم يكن عبداً بل كان حرّاً من الأنصار، نذرت أمه ان تجعله خادماً لرسول الله ، ووفت بنذرهما ، وكان كثير المال .

ومن خدم رسول الله ، (سلمى) أم رافع ، امرأة أبي رافع^{١٢} ، و(خضرة)^{١٣} ،

-
- ١ تاج العروس (٥/٩) ، (غلم) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٤٩٧/١) ، ابن سعد ، اصابة (١٥٠/٢) ، (رقم ٣٩١٦) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٤٩٨/١) ، ابن سعد ، اصابة (٥٦/٢) ، (رقم ٣٣٣٥) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٤٩٨/١) .
 - ٥ الاصابة (٣٧٤/٣) ، (رقم ٧٨٥٨) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٤٩٨/١) .
 - ٧ الاصابة (٢٧٧/٣) ، (رقم ٧٤٠٢) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٤٩٨/١) .
 - ٩ اصابة (٤٩٠/١) ، (رقم ٢٥٦٥) .
 - ١٠ تاج العروس (٢٦٩/٨) ، (خدم) .
 - ١١ الاصابة (٨٤/١) ، (٢٧٧) ، ابن سعد ، طبقات (٤٩٧/١) .
 - ١٢ ابن سعد ، طبقات (٤٩٧/١) ، الاصابة (٣٢٦/٤) .
 - ١٣ ابن سعد ، طبقات (٤٩٧/١) ، الاصابة (٢٧٧/٤) ، (رقم ٣٤٤) .

و (رضوى) ^١ ، و (ميمونة بنت سعد) ^٢ . و (مارية) جدة المثنى بن صالح ابن مهران ، مولى (عمرو بن حريث) ^٣ . و (مارية) المكناة بـ (ام الرباب) ^٤ و (موهبة) ^٥ .

الموالي :

ويعد المولى في طبقة المملوكين ، ولللفظة (مولى) معان عديدة ، منها المعنى الذي نقصده منها في هذا المكان ، وهو (العبد) ^٦ . ولا يشترط في المولى أن يكون أعجمياً ، أي من أصل غير عربي ، فيقع الولاء على العرب كذلك ؛ كأن يؤسر ، أو يقع في غنيمة قطاع طرق ، فيكون ملكاً لهم ، يبيعهونه في الأسواق ، أو يطلبون فداءه من إلهه ، وإلا بيع مع الرقيق . وقد كان بمكة وسائر الأماكن الأخرى عدد كبير من هؤلاء ، ومن جملتهم (زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي) ، مولى خديجة بنت خويلد ، زوج الرسول ، ثم مولى الرسول . فقد كان من كلب . أصابته خيل من (بني القين بن جسر) ، وكان قد خرج مع أمه لتزيره أهله ، فباعوه بسوق حباشة من أسواق العرب ، وهو يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم أعتقه الرسول ^٧ .

وكان (ثوبان) مولى رسول الله من العرب من أهل اليمن ، وقيس من السراة ، ابتاعه النبي بالمدينة فأعتقه ، ويظهر أنه مات ولم يكن يملك شيئاً ^٨ . وكان (فضالة) مولى رسول الله من أهل اليمن ^٩ . وقد يكون للعبد مالكتين أو أكثر . كأن يقع في أسر رجلين أو أكثر ،

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (١/٤٩٧) ، الاصابة (٤/٢٩٥) ، (رقم ٤٢١) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (١/٤٩٧) ، الاصابة (٤/٣٩٩) ، (رقم ١٠٢٧) .
 - ٣ الاستيعاب (٤/٣٩٨) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٤/٣٩٢) ، (رقم ٩٨٦) .
 - ٤ الاستيعاب (٤/٣٩٩) ، (حاشية) ، الاصابة (٤/٣٩١) ، (رقم ٩٨٥) .
 - ٥ الاصابة (٤/٣٩٧) ، (رقم ١٠٢٥) .
 - ٦ تاج العروس (١٠/٣٩٩) ، (ولى) .
 - ٨ الروض الانف (١/١٦٤) .
 - ٩ ابن سعد ، طبقات (١/٤٩٨) ، الاصابة (١/٢٠٥) ، (رقم ٩٦٧) .
 - ابن سعد ، طبقات (١/٤٩٨) ، الاصابة (٣/٢٠٢) .

فيصير عبداً لها أو لهم . أو أن يتشارك رجلان أو أكثر في شراء عبد ، فيكون مملوكاً لمشتريه . وكان بعضهم يتشاركون في شراء العبيد . وقد يبيع بعضهم حصصهم من العبيد لشركائهم أو لغيرهم ، وقد يمنّ بعض منهم على عبده ، أو عبيده ، فيتنازل عن حقه فيه أو فيهم ، ويبقى العبد مملوكاً للشريك الآخر أو لبقية الشركاء ، لحقهم فيه . وكان منهم من يرضى بعقده على أن يدبر له ما بذمته من حق^١ .

ومن حق سيد العبد بيعه متى شاء ، أو إهدائه الى من يريد . فهو ملك ، ومن حق المالك أن يفعل بما يملكه ما يشاء ويريد^٢ .

وقد تضخم عدد الموالى بين أهل الحضر وبين أهل المدر ، حتى صار لهم شأن يذكر ، ولما ظهر الاسلام كان الموالى من العوامل المؤثرة في التوازن السياسي عند الحضر وعند القبائل ، حتى ذكروا في العقود لكثرة عددهم وللحقوق المترتبة لسادتهم عليهم ، فلما عقد الرسول عقده مع وفد (جعفى) من قبائل اليمن ، واستعمل الرسول (قيس بن سلمة) من بني (مرّان بن جعفى) ، كتب له كتاباً فيه : « اني استعملتك على مرّان ومواليها ، وحريم ومواليها ، والكلاب ومواليها »^٣ . و (الكلاب) ، أود ، وزبيد ، وجزء سعد العشيرة ، وزيد الله ابن سعد ، وعائذ الله بن سعد ، وبنو صلاءة من بني الحارث بن كعب . ولما عقد الرسول عهده مع (وفد همدان) ، وكتب لقيس بن مالك بن سعد بن لؤي الأرجي كتاباً ، ولاه فيه على قومه ، جاء فيه انه ولاه « على قومه همدان : أحورها وغربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا »^٤ . وذكر الموالى مع همدان والأحور والغرب والخلائط يشير بالطبع الى أهميتهم والى كثرة عددهم في ذلك العهد .

والأحور : هم قُدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعوة ، وأذواء همدان . والغرب : أرحب . ونهم ، وشاكر ، ووادة ، ويام ، ومرهبة ، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وحجور^٥ .

١ ارشاد الساري (٣٠٣/٤) .

٢ الاصابة (٣٧٤/٣) ، (رقم ٧٨٥٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٢٥/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٤١/١) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٣٤١/١) .

ولما كتب الرسول الى (ربيعة بن ذي مرحب) الحضرمي وآله ، يسدعوه الى الإسلام ، أشار الى (رقيقهم) ، في الكتاب ، مما يدل على أن عددهم كان كبيراً^١ .

بيع الولاء :

وقد نهى الإسلام عن بيع الولاء وعن هيبته . وهو أنه إذا مات (المُعْتَق) ورثه شرعاً (مُعْتِقُهُ) حسب قوانين أهل الجاهلية ، وكانت العرب تبيعه وتهبه مع أنه كالنفس فلا يزول بالإزالة . وقد كانوا في الجاهلية ينقلون السواء بالبيع وغيره ، فإذا أعتق رجل عبده ، صار له حق ولاته ، وله ولورثته حق بيع ذلك الولاء ، على نحو ما كان لهم من حق الحصول على إرثه ، فنهى الشارع عن ذلك^٢ .

رزق المملوك :

وما يحصل عليه العبد من عمل يديه ، يكون لسيده ، لأنه ملك يمينه ، مملوك الرقبة . وإذا شهد غزواً أو حرباً فلا يسهم له بسهم في الغنائم ، لكونه مملوكاً^٣ . وإذا حارب سيده حارب معه ، وإذا أمر بالاشتراك في غزو أو حرب وجبت عليه الطاعة وبذل النفس في القتال ، دون أن يصيب من غنائمه أي شيء .

وإذا عهد السيد الى مملوكه القيام بتجارة ، فإن التجارة وأرباحها تكون لسيد العبد . وكان الرسول قد أعطى (العباس) عمه عشرين غلاماً ، تجروا بماله^٤ . وكان لـ (تميم الداري) خمسة غلمان يتاجرون بالخمير . اسم أحدهم (فتحا) ، وكان من بيت المقدس ، فلما رأهم الرسول مع (تميم) قال له : « بعني غلمانك لأعتقهم » ، فقال له تميم : قد اعتقتهم يا رسول الله . و (فتحا) هو الذي

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .

٢ زاد المسلم (٥٠٣/٥ وما بعدها) .

٣ الاصابة (١٥٠/٢) ، (رقم ٣٩١٦) .

٤ المقرئزي ، امتاع الاسماع (٦١/١) .

أسرج مسجد النبي . وكان يسرج بسعف النخل . فقدم (فتحاً) بالقناديل والزيت والحبال وأسرج المسجد ، فسماه الرسول (سراجاً) ^١ .

وإذا أجاز مالك عبد لعبده الاشتغال بالتجارة ، صار من حقه الاتجار حسب ما اتفق عليه . ويقال للعبد المأذون له في التجارة : (المجيز) ^٢ .

وقد يقرر السيد ضريبة يفرضها على عبده ، يدفعها اليه في كل يوم ، وعلى العبد أدائها له ^٣ . فيشتغل العبد في السوق أو يقوم بأي عمل يتمكن منه لأداء ما فرضه سيده عليه . ونظراً الى عدم تمكن بعضهم من الوفاء بما فرض عليه ، فقد عمد بعضهم الى السرقة ليسدّ مبلغ ما فرض عليه . وفرض بعض منهم على إمامه أن يزني ، ليأتين اليهم بما فرضوه عليهن من ضريبة ، فقد ذكر علماء التفسير ان (عبدالله بن أبي سلول) كان يكره فتياته على البغاء ، ليأخذ أجورهن ، وروي عن (عبدالله بن عباس) انه قال : « كانوا في الجاهلية يكرهون إمامهم على الزنا يأخذون أجورهن ، فقال الله : لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا » ^٤ . وفي منع ذلك وتحريمه نزل في القرآن الكريم : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً » ^٥ .

وتكون المسبية ملكاً لسايبها ، له أن يصيبها متى شاء ، وله أن يبيعها عنده حتى تموت ، أو يموت هو ، فتنقل لإرثاً لورثته ، وله أن يبيعها متى أراد . وكان منهم من يصيب المسيبات ، غير أنه يعزل ، فلا يتزل فيها ، حتى لا يحصل لها الولد المانع من البيع . وذلك لحبهم للأثمان ^٦ .

ومن الحرف التي شاعت بين الرقيق الحجامة ، وقد كان سادتهم يأخذون أجورهم منها . ومن الحجامين الذين ورد اسمهم في الكتب (سالم الحجام) ، وقد حجّم الرسول وشرب دم المحجمة التي فيها دم الرسول تبركاً به ^٧ .

١ الاصابة (١٧/٢) ، (٣١٠٣) .

٢ تاج العروس (٢١/٤) ، (جوز) .

٣ ارشاد الساري (١٣٩/٤) .

٤ تفسير الطبري (١٠٣/١٨) وما بعدها ، الاستيعاب (٤٠١/٤) ، (حاشية على

الاصابة) ، الاصابة (٣٩٤/٤) ، (رقم ١٠٠٣) .

٥ سورة النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ٢٣ ، أسباب النزول (ص ٢٤٥ وما بعدها) .

٦ ارشاد الساري (١١٠/٤) .

٧ الاصابة (٦/٢) ، (رقم ٢٠٥١) .

العتق :

العتق خلاف الرق ، وهو الحرية . يقال عتق العبد ، أي خرج عن الرق . ويقال : هو مولى عتاقة ، ومولى عتيق ، إذا كان عبداً فعتق ، فصار مولى لسيده ، تربطه به رابطة الولاء ، فهو في حمايته ورعايته^١ . ولما فتح الرسول مكة عفا عن أهلها وأطلقهم فلم يسترقهم ، فعرفوا بالطلاق . « وفي الحديث : الطلقاء من قریش والعتقاء من ثقيف ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة . وفي رواية : بعضهم أولى ببعض . وفي حديث حنين ، خرج ومعه الطلقاء ، وهم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم ، واحدهم طليق^٢ . والطلاق الأسير الذي أطلق أساره وخلي سبيله ، لئلا أراد الأسر أن يمن بها على أسيره^٣ .

وقد ينجح العبد المعتق في حياته بعد نيله حريته ، فيصير من ملاك العبيد . ومن بين الصحابة جماعة كانت من الرقيق في الجاهلية ، فلما أسلمت عتقت وتحسن حالها فاشتريت لها الرقيق .

المكاتبة :

فالمعتق هو فك الرقبة ، وعودة الحرية الى العبد . ومن أبواب فك الرقبة وتحريرها من العبودية المكاتبة ، وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا منجماً إذا أدبته ، فأنت حر ، وبين عدد النجوم ، وقسط كسل نجم : فإذا أدى العبد ما عليه ، صار حراً . وقد عرف ذلك في الاسلام أيضاً . وقد كان (سيرين) والد (محمد بن سيرين) المشهور ، من سبي (عين التمر) فاشتراه (أنس بن مالك) الأنصاري ، وكان كثير المال ، فأراد (سيرين) فك نفسه من العبودية ، وسأل أنساً المكاتبة ، فأبى ، فانطلق (سيرين) الى (عمر) ، فأمره أن يكتبه ، وتلا عليه « فكاتبوهم إن علمتم ان فيهم خيراً » . وذكر في رواية أخرى ، ان أنساً كاتبه على عشرين ألف درهم ، فأناه بكتابته ، فأبى ان

١ تاج العروس (٣/٧) ، (عتق) .

٢ تاج العروس (٤/٧) ، (عتق) .

٣ تاج العروس (٤٢٥/٦) ، (طلق) .

يقبلها منه إلا نجوماً ، فأثنى (عمر) فذكر ذلك له ، فقال : أراد أنس الميراث ، وكتب الى أنس ان اقبلها من الرجل ، فقبلها . وورد في صحيفة المكاتب : هذا ما كاتب أنس غلامه سيرين . كاتبه على كذا وكذا ألفاً ، وعلى غلامين يعملان مثل عمله^١ . وكاتب (عبدالله بن عمر) غلاماً له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم ، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف^٢ .

وذكر (الدميري) ان (المكاتب) لفظة اسلامية^٣ . ولكني أشك في صحة هذا الرأي ، لأن التكايب كان معروفاً عند الجاهليين ، وهو عقد من العقود ، يؤدي العبد بموجبه ما فارقه عليه من أداء المال ، فإذا أداه استحق العتق ، وإن عجز عن أداء نجم يحل عليه ، فلسيده تعجيزه^٤ . ودليل ذلك ما ورد عن المكاتب في القرآن الكريم من قوله : « والذين يبتفون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً »^٥ . فنسق الآية يدل على وجود التكايب عند الجاهليين ، وإذا وجد ، فلا يستبعد استعمالهم لفظة (المكاتب) قبل الاسلام .

أما (التنجيم) ، فن (نجم المال) ، إذا أداه نجوماً ، أي يؤديه عند انقضاء كل شهر منها نجماً ، حتى أنهم كانوا يؤدون الديات نجوماً . قال زهير في ديات جعلت نجوماً على العاقلة :

ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

« وفي حديث سعد : والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة تنجم الدين . هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة . ومنه تنجم المكاتب »^٦ . ويظهر من ذلك أنهم كانوا في الجاهلية ينجمون حق العتق، ويكتبون بذلك كتاباً .

١ ارشاد الساري (٣٢٩/٤) ، (باب المكاتب) ، تفسير الطبري (٩٨/١٨ وما بعدها)

٢ تفسير الطبري (١٠١/١٨ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٤٤٥/١) ، (كتب) .

٤ تاج العروس (٤٤٥/١) ، (كتب) .

٥ سورة النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ٣٣ ، تفسير الطبري (٩٨/١٨ وما بعدها) .

٦ تاج العروس (٧٢/٩) ، (نجم) .

وكان منهم من يوصي بفك رقبة عبد له ، أو أمة بعد وفاته . وللفقهاء آراء في بيع (المذبر) ، وهو العبد الذي علق سيده عتقه على الموت^١ .

سوء حالة العبيد :

ونظراً الى ما كان يعانيه الرقيق من معاملة غليظة شديدة قاسية ، ومن قسوة ينزلها بهم أصحابهم عند صدور أي شيء منهم لا يرضى عنه أصحابهم ، فقد فرّ كثير منهم من ساداتهم ، وخرجوا على أمرهم ، فأبقوا مع علمهم بما في الإباق من عقوبة صارمة يدخل فيها قتل الآبق . وانضم بعض منهم الى الخارجين على عرف قبيلتهم من الضلال والصعاليك والخلعاء وألفوا عصابات أخذت تعتدي على المارة وتغزو العشائر ، فتصيب منها مغناً . وقد تكتل قوم من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد في جبل تهامة ، وأخذوا يغتصبون المارة ، وقد كتب اليهم الرسول ، أنهم إن آمنوا بالله وبرسوله وعملوا بسنة الاسلام ، فعبدهم حرّ ومولاهم محمد . ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم^٢ . ويظهر أنهم كانوا قد هددوا الأمن في ذلك الوقت ، وقطعوا السبيل ، مما أدى بالرسول الى الكتابة اليهم بالدعوة الى الاسلام وبترك الفتنة .

وقد فرّ بعض الرقيق من ساداتهم ، ودخلوا في الاسلام ، وقد خاف سادات قريش والطائف من هذه الظاهرة ، لما قد تركه من أثر عليهم وعلى أوضاعهم الاقتصادية ، والعبيد ركن قويم في نظمهم الاقتصادية ، فحسنوا بعض الشيء من أحوال رقيقهم ، وشدّدوا على من شعروا ان في نفسه ميلاً الى الاسلام .

وقد أمر الاسلام بالعطف على الرقيق ففي القرآن : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وبالوالدين إحساناً وبذي القربى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم . إن الله لا يحب

١ ارشاد الساري (٤/٣١٣) .

٢ ابن سعد (١/٢٧٨) .

من كان مغتالاً فخوراً^١ . وفي كتب الحديث أحاديث في الحث على إنصاف المالك ، أي الرقيق . منها حديثه : « إن اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوه ما يغلبهم ، فإن كلفتموهما ما يغلبهما فأعينوهما^٢ . وحث في أحاديث أخرى على إنصاف الجواري والاحسان اليهن ، وعتقهن وتزويجهن إن أمكن^٣ . كما حث العبيد على خدمة سادتهم باخلاص . ونهى سادة الإماء من اكراههن على الزنا ، لأخذ أجورهن^٤ .

تعرب العبيد والمواالي :

وقد أشار أهل الأخبار الى أقوام من العبيد ، تعربوا واستقروا فصاروا من العرب . كما أشار الكتبة اليونان واللاتن الى أقوام من الأعاجم نزلت سواحل جزيرة العرب ، لأغراض تجارية وعسكرية ، فأقامت بها واستقرت ، وتعربت ونسبت أصلها ، واتخذت نسباً عربياً . وقد عثر الباحثون والمنقبون المحدثون على بقايا هياكل بشرية ، وبقايا عظام بشر ، في مواضع متعددة من السواحل والبواطن ، تدل على ان أصحابها من الأعاجم ومن الأفريقيين الوافدين على جزيرة العرب ، وقد أقاموا واستقروا بها وماتوا فيها . كما سبق أن تحدثت عن ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومن المتعربة قوم عرفوا بـ (الصعافقة) . قال أهل الأخبار إن آباءهم كانوا عبيداً استعربوا أو أنهم كانوا قوماً من بقايا الأمم الحالية ضلت أنسابهم . وقد ذكروا أن مساكنهم كانت في اليمامة في موضع يقال له (صعفوق) ، به قناة يجري منها نهر كبير ، أو أنهم بالحجاز . وقيل ان (الصعافقة) خول لبني مروان ، أنزلهم اليمامة ، ومروان بن أبي حفصة منهم^٥ .

-
- ١ النساء ، الرقم ٤ ، الآية ٣٦ ، تفسير الطبري (٥٠/٥) .
 - ٢ ارشاد الساري (٣٢٠/٤) وما بعدها .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ المصدر نفسه كذلك .
 - ٥ تاج العروس (٤٠٧/٦) ، (الصعفوق) .

السخرة :

السخرة، تكليف شخص وقهره على ما لا يريده . وسخره تسخيراً أذله وكلفه ما لا يريد وقهره وأجبره على عمل بلا أجره ولا ثمن^١ . وقد عرفت السخرة في العربية الجنوبية ، إذ كانت تلك الحكومات تقوم بإنشاء الأبنية العامة والطرق والجسور والسدود ، وبتشديد القصور على طريق (السخرة) . وهي طريقة كانت معروفة في كل أنحاء العالم في ذلك الوقت ، وكانت معروفة الى عهد قريب . وذلك بأن تطلب الى الموظفين والى المدن والقرى وسادات القبائل تقديم ما يتمكنون من تقديمه من أتباعهم لتشغيلهم قسراً بأعمال تريد القيام بها . فيقدم كل منهم ما يتمكن من جمعه ، ويساقون سوقاً الى مكان العمل للعمل هناك حتى ينتهي العمل.

وتتكلف الحكومة الانفاق على العمال الذين تكلفهم القيام بالأعمال العامة ، تدفع اليهم عطائهم ، وتعرف بـ (شبو) ، وتعني (الرزق) عيناً ، وذلك بأن تقدم اليهم الطعام اللازم لعيشهم في مقابل اشتغالهم بتلك الأعمال ، كما يقوم المعبد بتقديم ذلك اذا كان المعبد هو صاحب العمل^٢ . وترد لفظة (أشبي) بمعنى أعطى في عربية القرآن الكريم^٣ ، وهو معنى قريب من معنى لفظة (شبو) في لغة المسند .

والسخرة عمل مرهق ، يقوم به المسخر المسكين دون مقابل ، فهو لا يحصل وهو في موقع العمل حتى على أكل بطنه إلا بشق الأنفس ، من الإهمال وسرقة القوت وسوء الاستعمال ، ثم انه قد يحبس أياماً وأشهرأ وهو في هذا الوضع ، لا يدفع له شيئاً ليستعين به في تمشية أموره ، أو في إعالة عائلته البعيدة عنه ، اذا كان متزوجاً ، أو معيلاً لأهله ، وطالما تعرض للمرض ، ومنهم من كان يموت من الارهاق والجوع ، ولذلك ، كان الهرب من السخرة شيئاً مألوفاً ، على الرغم من تشديد الحراسة على معسكرات العمل ومواضع تجمع المسخرين ، وعلى الرغم من العقوبات الشديدة التي تفرض على الهارب في حالة القبض عليه .

١ تاج الفروس (٣/٢٦٠) ، (سخر) .

٢ Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٣ القاموس (٤/٣١٦) ، تاج العروس (١٠/١٩٢) ، (شبا) .

وكانت الحكومات تسرف في استخدام السخرة وتشتط، فتتنجز بالسخرة كثيراً من الأعمال التي هي من صميم عملها وواجبها . ولن يتأثر بالسخرة إلا الطبقات الفقيرة التي لا تملك دفاعاً عن نفسها ، ولا تجد من يساعدها ويعاونها . أما سادات القبائل ووجوه البلد والأشراف وأصحاب الأرض، فلا تقع السخرة عليهم ، وإنما يرسلون ما يطلب منهم من أتباعهم للقيام بالأعمال المطلوبة ، وقد يسخرونهم لأداء أعمال خاصة بهم ، لا صلة لها ولا علاقة بالأعمال العامة وبالنفع العام . ثم إن مفهوم القيام بالأعمال العامة وبالاشتغال بمشاريع النفع العام ، لا يطبق لدى هذه الحكومات ولدى بعض الحكومات حتى في هذه الأيام إلا على هذه الطبقات الفقيرة ، فعليها وحدها القيام بهذه الواجبات . ومثل هذه النظرة إلى السواد الأعظم من الأمة ، جعل هذا السواد يكره حكوماته ، ويكره الحاكمين ، ويتهرب من الخدمة ما أمكنه ذلك ، لأنه لا يشعر بحكومة تعطف عليه ، ولا بحاكمين ينظرون إلى مصالحه ، وإنما هم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم هم الناس ، وأما أبناء الشعب فلأنما خلقوا لخدمته ليس غير .

ولما قام أبرهة باصلاح سد (مأرب) ، طلب من الأقبال وسادات القبائل وأصحاب الأرض مدةً بالمسخرين ، فأرسلوا إليه ما طلب منهم ، واشتغلوا في اصلاح السد وفي العمل على رتق ما صدع منه . فقاموا بنقل الحجارة الصلدة من مواضع مقالع الحجر ، وعملوا مسخرين في أعمال البناء ، ولم يدفع لهم شيئاً سوى الأكل ، وقد بقوا هناك حتى تم العمل ، فسمح لهم بالعودة إلى ديارهم .

والمفروض في أخذ المسخرين من المدن والقرى والقبائل ، أن يكون ذلك متناسباً مع عدد السكان ، وعدد رجال القبيلة . فالمدينة الكبيرة تقدم عدداً يزيد على ما تقدمه المدينة الصغيرة أو القرية ، والقبيلة الكبيرة تقدم عدداً يزيد على عدد ما تقدمه القبيلة الصغيرة ، غير أن ذلك لا يطبق بصورة عملية ، فالعادة أن تفرض الأعمال الشاقة على الضعفاء والفقراء ، ورُبَّ قرية تقدم من المسخرين ما يزيد على ما تقدمه مدينة كبيرة . وهكذا الحال بالنسبة إلى القبائل الضعيفة والقبائل القوية .

وقد كان الرقيق في أوائل من استجاب الى الإسلام ، تخلصاً من رق العبودية ، كان العبد إذا استطاع التخلص من سيده ، ودخل في الإسلام صار حراً طليقاً . وهذا مما أغضب سادة قریش وغيرهم من الملأك أصحاب العبيد، وجعلهم يقولون: إن محمداً قد أفسد علينا عبيدنا . ولما حاصر الرسول (الطائف) نزل اليه رقيق من رقيق أهل الطائف ، فأسلموا واعتقوا^١ ، وجعل الرسول ولاء هؤلاء العبيد لساتهم حين أسلموا^٢ ..

١ البلاذري ، فتوح (٦٧) .

٢ الاصابة (٢/٤٥٤) ، (رقم ٥٤٤٥) .

الفصل العاشر بعد المئة

الاتاوة والمكس والاعشار

والإتاوة : الرشوة والعطاء والخراج ، يقال أدى إتاوة أرضه أي خراجها ، وضربت عليهم الإتاوة ، أي الجباية^١ . وهي ما كان يفرضه الملوك وأصحاب الأرض وسادات القبائل من حقوق على رعاياهم وأتباعهم ، ويجبرونهم على أدائها لهم . وهي بالطبع جباية مكروهة ، كان الناس يتهربون منها كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وبتهربون من رؤية وجوه عاملها ، الذين كانوا يكرهونهم كرهاً شديداً لاشتطاطهم عليهم ، وتعسفهم بهم ، وأخذهم أكثر مما يجب أخذه في أغلب الأحوال، ليأكلوا منها ما يتمكنون من أكله ، فقد كانت الجباية من موارد الرزق الحرام والكسب الغير المشروع للجباة .

ويقال للخراج والإتاوات (الطعم) ، يقال فلان تجبى له الطعم ، أي الخراج والاتاوات . ويقال جعل السلطان ناحية كذا طعمة لفلان ، أي مأكلة له . وفسر بعضهم الطعمة بشبه الرزق وبالمأكلة^٢ . وفي هذا التفسير تفسير لوجهة نظر الجاهليين والإسلاميين بالنسبة إلى الاتاوة وكل أنواع الجباية، كانوا يرون أنها مأكلة للحكام ورزقاً يأخذونه من أتباعهم ، ليعتاشوا به مع ما يعتاشون عليه من ارزاق، مثل الاتجار في السوق واستثمار الملك ، بينما لا ينال الأتباع منه أي شيء ، إلا بتوسل واستعطاف ودعاء ومدح وتمرغ على أعتاب أبواب الحكام .

١ تاج العروس (٧/١٠) ، (أتو) .

٢ تاج العروس (٣٧٨/٨) ، (طعم) .

و (المكس) هو ما يأخذه الماكس من جباية من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية ، أو الدراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق . والمكوس ، هي الضرائب التي كان يأخذها العشرون ، والمكس النقص ، وبين المكس والنقص صلة وعلاقة ، فتأدية المكس ، هو نقص يصيب مال المؤدي للمكس . وقد أشير إليه في شعر (جابر بن حني) التغلبي ، الذي يقول :

أفي كسل أسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم^١

ومعنى هذا أن الناس كانوا يدفعون إتاوة في أسواق العراق ، يدفعون عن كل ما يبيعونه مكساً هو درهم . وهو مكس يزيد بزيادة ثمن البيع ، فإذا كان ثمن المباع كثيراً ، زاد مكسه ليتناسب مع الثمن .

وتقابل لفظة (مكس) لفظة « Telos » في اليونانية ، و « Toll » في الانكليزية . ويقال للموضع الذي تمكس البضائع والسلع فيه « Telonion »^٢ . ويجب أن نميز بين هذه الضريبة وبين لفظة « Tribute » التي هي في مقابل « Mas » ، لأن المكس ، ضريبة تؤخذ عن السلع وعن حق مساهمة الحكومة في الأرباح ، بينما الثانية ضريبة اجبارية تؤخذ من الناس^٣ . وقد ترجمت لفظة « Tribute » بـ (جزية) وجباية واتاوة في اللغة العربية . يقال جبي الخراج جباية . وورد في شعر للجعدي :

دنانير يجبيها العباد وغلصة على الأزد من جاء امرئ قد تمهلاً

ونجد علماء اللغة يعملون لفظة (الماكس) في مرادف لفظة (العشار) . وعرفوا المكس ، بأنه ما يأخذه العشار ، وهو ماكس ، فالعشار هو الماكس ، وورد في الحديث : لا يدخل صاحب مكس الجنة . قيل صاحب مكس هو العشار^٤ . والعشار هو قابض العشر ، والعشر أخذ واحد من عشرة . فالماكس ، إذن هو الجاهلي القابض للمكس ، وهو العشر ، أي عشر ما يباع ، وقد غلبت عليه

١ تاج العروس (٢٤٩/٤) ، (مكس) ، المخصص (٢٥٣/١٢) .

٢ Hastings, p. 948.

٣ Hastings, p. 948.

٤ تاج العروس (٦٥/١٠ وما بعدها) ، (جبي) .

٥ تاج العروس (٢٤٩/٤) ، (مكس) .

لفظة (العشار) لأنه يأخذ العشر ، عشر أموال الناس ، ولأنه يعشرهم . وقد كان (العشر) ، من أهم سمات الجاهلية ومعالمها ، « وفي الحديث إن لقيم عاشرأ فاقتلوه ، أي إن وجدتم من يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيماً على دينه ، فاقتلوه ، لكفره أو لاستحلاله لذلك إن كان مسلماً وأخذه مستحلاً وتاركاً فرض الله ، وهو ربع العشر »^١ .

فالمكس ، إذن هي الضرائب التي تؤخذ عن المبيعات والمشتريات ، أي عن التجارة ، يجبيها جباة المكس ، أي العشارون من الأسواق ومن المواضع المخصصة لممر التجار بها على الحدود ، ولا صلة لهذا العمل بعمل جباية الجزية والخراج .

ولفظ (الإتاوة) و (العشر) و (المكس) والجزية من الألفاظ التي لا يشك في كونها كانت معروفة عند الجاهليين . وقد أشرت الى ورود لفظة (الإتاوة) في شعر (جابر بن حني التغلبي) . ووردت في شعر للجعدي . هو :

موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطيناً يسألون الاتاويا

أي هم خدام يسألون الخراج^٢ . وكانت الكلمة على ما يظهر عامة ، بمعنى ضريبة من غير تعيين .

وأما (الخراج) ، فللعلماء في أصلها ومعناها كلام . وقد وردت لفظة (خراجاً) في القرآن الكريم . وردت في سورة الكهف : « فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً »^٣ . وقد قرأها بعض المفسرين (خراجاً) ، وذهبوا الى أنها بمعنى الأجر ، وقال بعض منهم إن الخراج عند العرب هو الغلة^٤ . ووردت في سورة (المؤمنون) : « أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين »^٥ . وفسر العلماء اللفظتين بمعنى الأجر^٦ .

١ تاج العروس (٣/٤٠٠) ، (عشر) .

٢ تاج العروس (٧/١) ، (اتو) .

٣ الكهف ، الرقم ١٨ ، الآية ٩٤ .

٤ تفسير الطبري (١٦/١٩) .

٥ المؤمنون ، الرقم ٢٣ ، الآية ٧٢ .

٦ تفسير الطبري (١٨/٣٣) ، روح المعاني (١٨/٤٨) .

وذهب علماء اللغة الى ان الخرج بمعنى الإتاوة تؤخذ من أموال الناس ، كالخراج ، وهما واحد لشيء يخرج منه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم . وقال بعضهم : الخراج الفيء والخرج الضريبة والجزية . وذكروا ان الخراج السذي وظفه (عمر) على السواد وأرض الفيء ، فإن معناه الغلة أيضاً ، لأنه أمر بمساحة السواد ودفعها الى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة يؤدونها كل سنة ، ولذلك سمي خراجاً ، ثم قيل بعد ذلك للبلاد التي فتحت صلحاً . ووظف ما صولحوا عليه على أراضيهم خراجية، لأن تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذي ألزم به الفلاحون وهو الغلة ، لأن جملة معنى الخراج الغلة . وقيل للجزية التي ضربت على رقاب أهل الذمة خراج ، لأنه كالغلة الواجبة عليهم ، وفي الأساس : ويقال للجزية الخراج ، فيقال أدى خراج أرضه والذمي خراج رأسه . وعن ابن الأعرابي الخرج على الرؤوس والخراج على الأرضين . وقال الرافعي : أصل الخراج ما يضره السيد على عبده ضريبة يؤديها اليه ، فيسمى الحاصل منه خراجاً . وقال القاضي : الخراج اسم ما يخرج من الأرض ثم استعمل في منافع الأملاك كربع الأرضين وغلة العبيد والحيوانات ^١ .

والخراج ، هو (طسقا) « Tasqa » في التلمود، و« Maddata » (مدائاً) في الموارد السريانية النصرانية ^٢ . ولفظة (طسقا)، هي من الألفاظ الإرامية الأصل. وتعرف ضريبة الأرض بـ « Halk' » و « Halak » وبـ « Minda » (ميندا) وبـ « Midda » في لغة بني إرم . ووردت باسم (طسقا) وبـ (منائا ذ — ملكا) « Mnata d-Malka » في التلمود ، وباسم (طسقا) و (مدائاً) « Maddata » في السريانية ^٣ . ولفظة (طسقا) معروفة في العربية كذلك ، فهي عندهم (الطسق)، وتؤدي المعنى ذاته المفهوم منها في التلمود . ذكر علماء العربية أن الطسق ، ما بوضع من الخراج المقرر على الجربان . وكتب (عمر) الى (عثمان بن حنيف) في رجلين من أهل المدينة أسلما لإرفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسق من أرضيهما . وذكر بعض علماء اللغة أنها لفظة معربة أو مولدة ^٤ . فهي ضريبة الأرض . وتقابل

- ١ تاج العروس (٢/٢٨) ، (خرج) .
- ٢ Die Araber, I, S., 632, G. Wldengren, The Status of the Jews in the Sassanian Empire, p. 149.
- ٣ Die Arabe, I, S., 632, Brockelmann, Lexi. Syriac., 374.
- ٤ تاج العروس (٦/٤٢٣) ، (الطسق) .

(فورس) « Phoros » في اللغة اليونانية . وتؤخذ عيناً في الغالب ، أي غلة ^١ .
وأما الجزية ، فقد ذكر العلماء ، أنها خراج الأرض ، وما يؤخذ من الذمي .
ورد في الحديث : ليس على مسلم جزية ، وورد : من أخذ أرضاً بجزيتها ^٢ ،
وورد في القرآن الكريم : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ^٣ . وقد ذكر المفسرون ان الجزية الخراج
عن الرقاب ^٤ . ويظهر من الحديث ومن كتب الفقه ، ان المراد بها ضريبة الرأس .
ولما كتب الرسول الى (المنذر بن ساوى) ، بشأن أتباعه ، قال له : « ومن
أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية » ^٥ . وقد أمر الرسول عماله بأخذ الجزية
من أهل الكتاب ، ممن يريد البقاء في دينه . فهي اذن ، بهذا المعنى ضريبة تؤخذ
من غير المسلمين ، في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين .

وضريبة الرؤوس معروفة ، وهي تؤخذ من المغلوب على أمره ، ولا سيما بعد
الحروب . فتفرض على المغلوب ضريبة على رأس كل إنسان بالغ . ولذلك أنفت
تغلب من أدائها ، ولم تقبل بتأديتها ، لأن في أدائها مذلة وصغاراً . وهي ضريبة
دائمة ، تلازم من فرضت عليه ما دام في حكم من فرضها ، وهي تختلف عن
الفدية التي تفرض على الأسير لفك أسره ، وعن المبلغ الجماعي الذي يفرض على
المغلوب في مقابل التصالح معه ، وهو ما يعبر عنه في العربية بـ « وصالحهم على
كذا وكذا » يؤدونه جزاء العفو عنهم .

وعبر عن الجزية بلفظة « Keraga » « Keraga » في التلمود .
وبـ « Kesef Rexa » « Kesef Resha » ، أي ضريبة الرأس في الموارد
النصرانية السريانية ، وبـ « Belo » (بلو) في لغة بني إرم وبـ « Kesap Gulgulta »
في التلمود أيضاً ^٦ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (الجزية)
و (جزية) من أصل سرياني هو « Gzita » ، وذهب بعض آخر الى أنها

Hastings, p. 948. ١

٢ تاج العروس (٧٣ / ١٠) ، (جزى) .

٣ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ٢٩ .

٤ تفسير الطبري (٧٧ / ١٠) .

٥ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٣ / ١) .

٦ Die Araber, I, S. 632, Die Aramaische Sprache, I, 149.

من أصل فارسي هو «Gazitak» و (كزید) بمعنى ضريبة يدفعها الذمي ، أي الذي أتمته الحكومة على حياته وماله وعرضه . وذهب بعض آخر الى أنها من أصل عربي^١ . وتقابل هذه الضريبة ما يقال له « Kensos » في اليونانية ، وهي ضريبة كان يأخذها الرومان من اليونان عن رؤوسهم ، وهي لا تدفع غلة أو سلعة وإنما تؤخذ منهم نقوداً ، أي بالعملة الرومانية^٢ .

وقد كانت الحكومات العربية الجنوبية تتقاضى العشر أيضاً عن البيوع وتوسعت حكومة (قتيبان) في العشر ، فجعلته إتاوة كل وارد أو ربح يصيبه الرجل ، سواء أكان ذلك من البيع والشراء أو من الإجارة والإرث والزرع وكل عمل آخر^٣ . ويظهر أن العشر، قد أخذ عن الزرع أيضاً في حكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) أيضاً ، وفي حكم الحبش على اليمن . وقد وردت لفظة (عشر) و (عشورت) في كتابات المسند ، وتعني العشر، الذي نبهت عنه^٤ .

وأشار (بلينيوس) ، الى العشر ، فذكر ان العرب الجنوبيين كانوا يعشرون اللبان وما تنتجه بلادهم من بخور ، يعشرهم رجال الدين باسم الإله (سن) (سين)^٥ . ومعنى هذا ان المعبد كان يعشر المتمكنين من أصحاب الحاصل ، فيأخذ منهم عشر غلتهم من هذه المواد . وأعتقد انهم كانوا يعشرون كل مال يدخل اليهم ، ولا يقتصر هذا التعشير على المواد المذكورة ، أي على الغلة الزراعية ، بل يشمل ذلك كل ربح مهما كان نوعه، جاء عن الزراعة أو التجارة . وهذا التعشير لكل شيء ، كان متبعاً عند غير العرب كذلك^٦ . ونجد (صموئيل) يهدد شعبه بأنه سيعشر زرعه وكرومه وغنمه، ويأخذ جواريه وعبيده وشبانه وبناته، فيجعلهم عبيداً له ، يسخرهم كالحمير إن لم يستجيبوا له ، ويسمعوا لما طلبه منهم^٧ .

Die Araber, I, S., 633, C. Brockelmann, Lexl. Syriac., (1928), 111, G. ١

Widengren, p. 154. غرائب اللغة (٢٢٣) . ٢

Hastings, p. 948. ٣

راجع الفقرة الخامسة من النص المرسوم بـ : Glaser 1601 ٤

Rhodokanakis, Katab. Texte, I, S. 7. ٥

Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S., 58. ٦

Pliny XII, 65. ٧

Hastings, p. 944. صموئيل الازل ، الاصحاح الثامن ، الاية ١١ - ١٧ ، ١

صموئيل الاول ، الاصحاح الثامن ، الاية ١ وما بعدها . ٢

والعشر ، معروف عند غير العرب أيضاً ، وهو يقابل (اش - رو - و)
« Isch-ru-u » في الآشورية ، أي (عشر) ، وهو ما يدفع عن الأموال والذهب
عندهم، و (مَعَشِير) « Ma'asher » في العبرانية ، وقد جرى التعشير عندهم قبل
أيام موسى ، ونص عليه في التوراة . فكانوا يقدمون عشر أموالهم صدقة تزكيتهم ،
يدخل فيه البقر وبقية الماشية ، وتوسع (الفريسيون) في ذلك ، فأدخلوا في العشر،
عشر النعناع والشبث والكمون^١ .

وقد أشير في نصوص المسند الى الضرائب التي كان على المتبايعين في الأسواق
أداؤها الى الحكومة . فعلى كل متعامل في السوق دفع (همد) الى جباة السوق .
والد (همد) ما يؤخذ من المتعاملين في السوق عن اتجارهم بها . فهي ضريبة البيع
والشراء^٢ . وقد حذرت تلك النصوص المخالفين المتهربين من دفع ما عليهم من
الد (همد) بإنزال أقصى العقوبات عليهم بما في ذلك مصادرة أموالهم ، إن حاولوا
أكل حق الحكومة ، والتهرب من دفع حصتها من الربح .

وهناك ضريبة أخرى ذكرت في النصوص كذلك ، هي (فرعم) ، أي
(فرع) . يظهر أنها كانت عندهم تطوعية ، لا يجبر الإنسان على أدائها ، وإنما
هي صدقة يتصدق بها من يشاء .

وقد كانت الحكومات العربية الجنوبية قد عينت جباة يجلسون في الأسواق وعند
مدخل الحدود لجمع الضرائب المفروضة على البيع والشراء والاتجار وحق المرور .
أما ضرائب غلات الأرض ، فلها جباة ، كما كان يلتزمها كبار أصحاب الأرض
وأصحاب الأقطاع ، فيسدفعون للحكومة حصتها من الزرع ، وهم يجبون تلك
الحصة من صغار المزارعين التابعين لهم أو المستأجرين لأرضهم ، فيأخذون منهم
كل ما يمكنهم أخذه للاستثمار به ، واعطاء القليل منه الى الحكومة . وبذلك كان
صغار المزارعين والمستأجرين للأرض يلاقون عتلاً شديداً من الضرائب المفروضة
عليهم .

وقد كان المتولون لأمر الأسواق يأخذون عشور التجار . لهم جباة يجوبون
السوق ، ليأخذوا عشر ما يباع . فكان (الأكيدر) يعشر سوق دومة الجندل ،

١ راجع سفر التكوين ، الاصحاح ١٤ ، الاية ٢٠ ، والاصحاح ٢٨ ، الاية ٢٢ ،
قاموس الكتاب المقدس (١٠٣/٢) ، (عشر عشور أعشار) .

٢ REP. EPIGR. 4337. ٢

وربما يتولاها سادة (كلب) ، أو بعض الغساسنة ، وكان (قنافة) الكلبي ، ممن ينافس الأكيدر على دومة يتولى جباية العشر كذلك . وكذلك كان المتولون لأمر الأسواق الأخرى يأخذون العشر . فالعشر ، الجباية المألوفة التي يدفعها التجار عن تجارتهم في كل ما يبيعون ويشتررون ، وعن مكس السلع التي تنقل لبيعها في الأسواق الخارجية ، فقد كان التجار العرب إذا دخلوا حدود بلاد الشام ، عشرهم رجال المكس على الحدود . وإذا تاجروا في أسواق بلاد الشام عشرهم العشارون في هذه الأسواق .

وكان (زنباع بن روح) ممن يعشر من يمر به بمشارف الشام^١ . وهو من (جذام) . وكان يعمل للحارث بن أبي شمر الغساني . ذكر ان (عمر) خرج تاجراً في الجاهلية مع نفر من قريش ، فلما وصلوا الى فلسطين ، قيل لهم إن (زنباع بن روح) يعشر من يمر به ، فعمدوا الى اخفاء ما معهم من ذهب ، فلما وجده ، أغلظ عليهم في العشر ، ونال من عمر ، فقال (عمر) في ذلك :

متى ألقى زنباع بن عمرو ببلدة لي النصف منه يقرع السن من ندم
ويعلم أن الحي حي ابن غالب مطاعين في الهييجا مضاريب في الهيم^٢

ويقال لعمال العصور والجزية (الحُشَّار) ، وفي حديث وفد ثقيف اشترطوا أن لا يعشروا ولا يحشروا، أي لا يندبون الى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث، وقيل لا يحشرون الى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم، بل يأخذها في أماكنهم^٣ .

وورد في كتاب الرسول لعبد يغوث بن وعلّة الحارثي : « ولا عشر ولا حشر » ، وورد في كتابه الى (يزيد بن المحجل الحارثي) « ان لهم نمرة ومساقيةا ووادي الرحمن من بين غابتهما ، وانه على قومه من بني مالك وعقبة لا يغزون ولا يحشرون » ، وجاء مثل ذلك في كتابه لقيس بن الحصين ذي الغصة : « لا يحشرون ولا يعشرون »^٤ ، ووردت هذه الجملة في كتابه لبني جُعيل من

١ تاج العروس (٥/٤٦١) ، (قرع) .

٢ الاصابة (١/٥٣٣) ، (رقم ٢٨١٧) .

٣ تاج العروس (٣/١٤٢) ، (حشر) .

٤ ابن سعد (١/٢٦٨) .

بلي^١ ، وقد فسّر (ابن سعد) جملة « وانهم لا يحشرون » ، بقوله : « لا يحشرون من ماء الى ماء في الصدقة » ، وعبارة : « لا يعشرون » بقوله : « ولا يعشرون يقول في السنة الامرة » . وفسر (السعاية) الواردة في الكتاب بالصدقة^٢ . وعندني ان الحشر يجب أن يكون في معنى له صلة بالجللاء ، أو بالجمع لسخرة وتكليف بقيام عمل إجباري . وقد ورد في كتب اللغة ان الحشر الجلاء ، ولذلك قيل في بني النضير عندما أجلوا انهم أول حشر حشر الى أرض المحشر ، كما قالوا يوم المحشر وأرض المحشر . والحشر أيضاً بمعنى لإجفاف السنة الشديدة بالمال^٣ . فللفظة اذن علاقة بالاجلاء وبالسخرة وبالندبة الى الحرب أو للقيام بعمل إجباري جماعي . ولا زال أهل العراق يستعملون لفظة (الحشور) في معنى جمع الناس للسخرة ، ولأي عمل تريده الحكومة إجباراً .

و (العشر) كما يتبين من النصوص الجاهلية ومن الموارد الاسلامية ، أقدم ضريبة معروفة عند العرب ، وهي ضريبة عامة تشمل أرباح التجارة ، كما تشمل أرباح الزراعة . وقد عرفت في جميع أنحاء جزيرة العرب . وهي في الواقع من أقدم الضرائب المعروفة في التاريخ فرضتها الحكومات والأديان على الأتباع منذ أقدم العصور .

ولم أقف على وجود (العُشَار) في مكة أو في يثرب أيام الجاهليين ، ولكن هذا لا يعني نفياً لوجود هذه الضريبة عند أهل المدينتين . ولا استبعد وجودها عندهم ، وذلك أنهم كانوا يأخذونها من المتبايعين في الأسواق لصرفها في الشؤون العامة المتعلقة بمجتمعها ، فقد كان لكل سوق في الجاهلية عشارون يجمعون العشر فلا داعي لاستثناء سوق مكة والمدينة من العشر .

وقد سبق لي أن ذكرت أن سادات مكة كانوا قد انفقوا فيما بينهم على أن يقدموا من أموالهم مالا للرفادة ولتحمل الأثاق ونفقات الدفاع عن المدينة . يدفعها كسل انسان حسب قابليته المالية وامكانياته ، ولعلمهم كانوا يأخذون من أرباحهم التي يحصلون عليها من القوافل نصيباً معلوماً قبل توزيعها على المساهمين ، ليكون عوناً للمدينة في تمشية أعمالها وفي الدفاع عن شؤونها .

١ « وأنهم لا يحشرون ولا يعشرون » ، ابن سعد (٢٧٠/١) .

٢ ابن سعد (٢٧٠/١) وما بعدها .

٣ تاج العروس (١٤١/٣) وما بعدها ، (حشر) .

الطعمة :

وترد في كتب أهل الأخبار لفظة (طعمة) ، بمعنى المأكلة ، ورد أن النعمان ابن المنذر جعل لبني لأم من طيء ربع الطريق طعمة لهم لصهر كان لهم عنده أي ان النعمان جعل حق الطريق لهم ، يجبون من المارة جبايتهم فيأخذونها لهم ، ولا يعطونها للملك ، لأنه كان قد تنازل عن حقه فيها اليهم . يقال فلان تجبي له الطعم ، أي الخراج والإتاوات^١ . وكان من عادة الملوك ، التنازل عن حق جباية الإتاوة عن بعض الأرضين أو الطرق لسادات القبائل ، تأليفاً لقلوبهم ، واسكاناً لألستهم ، ولأنهم يعلمون أن نفوذهم على تلك الأرضين أو القبائل لم يكن ثابتاً قوياً ، بل كان بالإسم فقط ، وإنهم لا يتمكنون من أخذ جبايتها ، لذلك كانوا يتظاهرون أمام الناس بالتنازل عن حقهم في تلك الضرائب .

ضرائب الزراعة :

وعلى أصحاب الأرض والمزارعين دفع نصيب الحكومة من الحاصل . وقد عينت الحكومات موظفين لجباية حصتها ، عرفوا بـ (حزرو) في نصوص المسند . وواحدهم (حزر)^٢ . (الحازر) والخارص في لغة القرآن الكريم . ويذكر علماء اللغة ان (الحزرة) من المال خياره . وفي الحديث ان الرسول بعث مصدقاً ، فقال له : لا تأخذ من حزرات أنفس الناس شيئاً ، خذ الشارف والبكر يعني في الصدقة^٣ .

والخرص الحزر والحدس والتخمين . هذا هو الأصل في معناه . ومنه خرص التمر والنخل، لأن الخرص انما هو تقدير بظن لا احاطة . وفاعل ذلك (الخراص). وما يقدر هو خرص الأرض ، وخرص النخل . وكان هؤلاء الخراص يذهبون في المواسم الى البساتين والمزارع لخرصها . وفي الحديث كان النبي يبعث الخراص على نخيل خيبر عند ادراك ثمرها فيحزرونه رطباً كذا وتمراً كذا^٤ .

١ تاج العروس (٣٧٨/٨) ، (طعم) .

٢ Rhodokanakis, Katba. Texte, II, S. 75, 99.

٣ تاج العروس (١٣٨/٣) ، (حزر) .

٤ تاج العروس (٣٨٥/٤) ، (خرص) .

ولا نستطيع أن نأتي بتأريخ ثابت معين عن مبدأ فرض الضرائب الزراعية والضرائب الأخرى في العربية الجنوبية ، ولا في أي مكان آخر من جزيرة العرب ، لعدم ورود نصوص جاهلية عن ذلك . ويظهر ان ما نسميه بالضرائب ، كان في بادئ أمره صدقة يدفعها المتمكن عن نفسه وعن أمواله ، قربة للآلهة وزكاة لنفسه ولأهله ولأمواله ، لترضى عنه الآلهة ، ولتمنّ عليه بالصحة والعافية . ومن هذا القبيل النذور ، التي كان يكثر منها الانسان في السابق فكانت تكون مورداً حسناً من موارد الحكومة والمعبّد . فلما ظهر الملوك ، وصارت الحكومة حكومتهم ، فرضوا ضرائب إلزامية لتكون وارداً يمول الملوك وحكومتهم بما يحتاجون اليه من مال ونفقات .

والضرائب عالية في الغالب ، بالنسبة الى المزارعين المالكين لأرضين صغيرة وللمزارعين الذين يشتغلون بأجور ، أو يستغلون الأرض بعقود فعلي هؤلاء دفع عوائد أخرى الى ساداتهم أصحاب الملك ، والى رجال الدين الذين يطالبون المزارعين بدفع زكاة زرعهم لهم قسراً ، فلا يبقى لدى هؤلاء من غلتهم إلا النزر اليسير الذي لا يكاد يكفيهم . فعاش الفلاح في ضنك من العيش . وهذا مما أثر على الوضع العام للدولة بالطبع .

أما كبار الملاكين وسادات القبائل والأشراف ، فلم يكونوا يدفعون الى حكومتهم إلا جزءاً صغيراً من دخلهم الذي يحصلون عليه من الزرع . فقد كانوا يتحالبون عليها في تقدير غلاتهم ، كما كانوا يحملون المزارعين والمستأجرين لأملاكهم وأفراد قبيلتهم العبء الأكبر في دفع الضرائب . فقد كانوا هم الذين يقومون بجمع الغلة وتوزيعها وافرار حصة الحكومة وحصة المعبد والحقوق الأخرى المترتبة على المزارع . فكانوا يتناولون حصصهم كاملة وزيادة ، ويحملون مزارعيهم ومن يشتغل في خدمتهم دفع حصة الحكومة والمعبّد ، فلا يقع عنهم من باقي الحصة إلا الشيء القليل . يقع ذلك والحكومة عارفة به ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، لنفوذ كبار الملاكين وسادات القبائل وسلطانهم على أتباعهم الموروث من العادة والعرف .

ولضمان تحصيل الحصة من الزرع ، كان جبسة الضرائب يأتون المزارع ، فيأخذون ما قدره وخرصوه من خيار الزرع ويتركون الباقي للفلاح . وقد يشنون حصة الحكومة عند حلول أوان التقدير ويعينونها ، فإذا حان وقت

جمع الحاصل ، جاءوا فأخذوا غلة ما عينوه . ويقولون لهذا الذي تأخذه الحكومة من الغلة (رزم)^١ . يأخذونه وهو بعد على الأرض ، قبل نقله الى موضع التجميع والتخزين .

والمزارع الصغير مغبون في كل شيء ، وكذلك الفلاح . كان على المزارعين والفلاحين أن يبدأوا عملها بالاستدانة من وكلائهم الذين يتوكلون عنهم في تصريف حاصلهم أو من رب الأرض ، فيحملونهم ربا الدين ويتحكمون عندئذ في أمورهم ، ويحصلون منهم على ربح يؤثر عليهم ، حتى اذا انتهى الموسم ، أو حال الحول وجد هؤلاء أنفسهم وقد أثقلتهم ديونهم ، وتكاثرت عليهم التزاماتهم ، وقد صاروا تابعين لأصحاب الأرض ، لا يستطيعون ترك أرضهم إلا بعد ترصيتهم وتسوية ديونهم .

وكما يفعل بعض الناس في الزمن الحاضر من التهرب من دفع الضرائب بمختلف الطرق ، كذلك تهرب الناس في الجاهلية من دفع الضرائب الى الحكومات ، بالرغم من العقوبات الصارمة التي فرضت على المتهربين والمخالفين . وفي ضمن ذلك الاستيلاء على الحاصل الزراعي كله ، وتهديم المذاخر التي قد يخفي فيها الحاصل وتهديم أملاك صاحبه . ونجد في أحد النصوص ان من يخفي حاصله ولا يدفع ما عليه ويخفيه في القنن جمع قنة (قنت) ، أي المخازن ويتستر عليه ، فإنه يصادر عليه ويؤخذ منه ، بل يستولي على كل ما يعثر عليه في المزرعة وي تلف ، ويعاقب بالقتل أيضاً^٢ .

أما بالنسبة الى الضرائب الزراعية عند أهل العربية الغربية أو أهل المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، فلا نملك نصوصاً جاهلية عن هذا الموضوع . ولكننا نجد في القرآن الكريم وفي كتب التفسير إشارة اليها . ورد فيه : « وقالوا هذه أنعام وحرث حيجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ، افتراء عليه . سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء . سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم »^٣ . وورد : « وهو الذي

١ تاج العروس (٨/٣١٠ وما بعدها) ، (رزم) .

٢ REP. EPIGR. 2860, Tome, V, p. 192.

٣ سورة الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٣٨ وما بعدها .

أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهة . كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »^١ . وورد ، « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعيمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون »^٢ . ففي الآيات المذكورة أن أهل الجاهلية ، كانوا جعلوا لله ولشركائه من ثمراتهم وما لهم نصيباً ، فإذا كان يوم حصاد الزرع أو قطف الثمر، أخرجوا من كل عشرة واحداً ، فهي العشور . عشور كل شيء من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو قصب . وأما أموالهم ، فقد جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً ، وأنعاماً لا يذكرون اسم الله عليها^٣ .

ونجد في كتب رسول الله إلى الملوك وسادات القبائل إشارة إلى (العشر) ، أي إلى هذا الحق الذي كانوا قد فرضوه على أنفسهم ، ففي كتابه إلى (عبد يغوث بن ولة الحارثي) : « ان له ما أسلم عليه من أرضها وأشائها ، يعني نخلها ، ما أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأعطى خمس المغنم في الغزو، ولا عشر ولا حشر »^٤ . وفي كتابه لقيس بن الحصين ذي الغصة ، أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نهد : « ان لهم ذمة الله وذمة رسوله ، لا يحشرون ولا يعشرون »^٥ ، وفي كتابه لبني جُعيل : « لهم مثل الذي لهم ، وعليهم مثل الذي عليهم ، وانهم لا يحشرون ولا يعشرون »^٦ . وفي كتابه إلى (العلاء بن الحضرمي) : « وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور »^٧ . وفي كتابه « لبادبة الأسياف ونازلة الأجواف مما حاذت صحار : ليس عليهم في النخل خراص ولا مكيال مطبق حتى يوضع في الفداء وعليهم في كل عشرة أوساق وسق »^٨ ، أي العشر .

-
- ١ سورة الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٤١ .
 - ٢ سورة الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٣٦ .
 - ٣ تفسير الطبري (٨ / ٣٠ وما بعدها) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٨) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٨) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٧٠) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٧٦) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٦) .

ونجد في كتاب رسول الله لعمر بن عبد الجهنّي وبني الحرقة من جهينة وبني الجرهمز : « وما كان من الدين مدونة لأحد من المسلمين قضى عليه برأس المال وبطل الربا في الرهن . وأن الصدقة في الثمار العشر »^١ . فجعل الصدقة بمعنى العشر ، أي زكاة الثمار . ونجد العلماء يجعلون الصدقة زكاة ، والزكاة صدقة ، يفرق الاسم ويفرق المسمى^٢ ، ونجدهم يفرقون بينها في بعض الأحيان ، إذ تكون الصدقة تطوعاً ، بينما الزكاة حكماً مفروضاً ، له حدود معلومة على نحو ما حددته كتب الفقه والأحكام .

وقد كان هذا شأن أهل الحجاز ، ولا سيما أهل يثرب يؤدون عشر حاصل زرعهم ، يوم حصاده وعند الصرام ، وبقوا على حالهم هذه حتى فرضت الصدقة المعلومة ، أي الزكاة ، فسن العشر ونصف العشر ، وترك عشر الجاهلية ، على نحو ما نجده في كتب الفقه والأحكام^٣ . وفي الحديث : فما سقت الأنهار والغيم العشور ، وفيما سقي بالسانية والغروب والدلاء نصف العشر^٤ .

وقد أشير إلى (العشر) في كتاب (عمر) إلى (زياد بن حدير) ، حيث جاء : « أن أقاموا ستة أشهر فخذ منهم العشر ، وإن أقاموا سنة ، فخذ منهم نصف العشر »^٥ . وفي كتاب آخر بعث إليه أيضاً هذا نصه : « لا تعشرهم في السنة الا مرة »^٦ .

وعرف من كان يجمع (الصدقة) في الاسلام بـ (المصدق) . وهو آخذ الصدقات ، أي الحقوق من الإبل والغنم يقبضها ويجمعها ، والمتصدق معطيها^٧ . وقد جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ، فقالوا : إن ناساً من المُصدقين

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) وما بعدها .

٢ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١١٣) .

٣ تفسير الطبري (٤٢/٨) وما بعدها .

٤ صحيح مسلم (٦٧/٣) ، (باب ما فيه العشر أو نصف العشر) ، الاحكام السلطانية (١١٨) ، تاج العروس (٤٠٥/١) ، (غرب) ، (١٨٥/١٠) ، (غرب) .

٥ كتاب الخراج ، للقرشي (١٧٢) ، خورشيد أحمد فارق ، حضرت عمر كره سركارى خطوط (ص ١٣٥) .

٦ كتاب الخراج ، للقرشي (١٧٢) ، خورشيد أحمد فارق (ص ١٣٦) .

٧ تاج العروس (٤٠٦/٦) ، (صدق) .

يأتوننا فيظلموننا ، فقال رسول الله : ارضوا مصدقكم^١ . وقد حث الرسول على إرضاء المصدق^٢ .

و (الساعي) مثل المصدق ، من يستعمل على الصدقات ويتولى استخراجها من أربابها . وفي حديث وائل بن حجر ، ان وائلاً يستسعي ويترفل على الأقيال ، أي يستعمل على الصدقات^٣ . وقد أهمل استعمال لفظة (الساعي) في هذا المعنى فيما بعد ، واستعملت في أمور أخرى ، مثل سعاة البريد . وقيل لمن يتولى أمر الصدقات ويشرف على سعاتها (عامل الصدقة) ، و (عمال الصدقات) .

ونجد في كتب اللغة لفظة (السمرج) ، في معنى له صلة بالضرائب ، يذكر علماء اللغة أنها لفظة فارسية معربة ، تعني استخراج الخراج في ثلاث مرات ، أو اسم يوم ينقذ فيه الخراج ، ويوم جباية الخراج . أو هو يوم للعجم يستخرجون فيه الخراج في ثلاث مرات^٤ . وذكر بعض علماء اللغة ان (السمرج) اسم يوم جباية الخراج للعجم ، وقد عربه (رؤية) ، بأن جعل (الشين) سيناً^٥ .

هذا ونستطيع حصر الضرائب التي كان يدفعها أهل الجاهلية في ثلاثة أصناف : ضرائب الأرض أي ما يؤخذ عن غلة الأرض ، وضرائب الرؤوس أي ما يقال الجزية في الإسلام ، وضرائب التجارة والأرباح . وقد كانت تقدم الى الحكومة أو سادة القبائل ، على شكل نقود ، أو سبائك ذهب أو مصوغات . حيث تحفظ في خزائنها وفي خزائن المعابد في حالة الضرائب التي تدفع الى المعبد^٦ .

وكانت الجباية بأنواعها من المآكل والمطاعم بالنسبة لبعض من يتولون أمرها ، يأكلون ما يتمكنون من أكله ، ويسلمون الباقي الى من عينهم عليها ، ونجد في الموارد الإسلامية اشارات الى الرشوة والمرتشين وآكلي الصدقات والى (المصانعة) أي الرشوة ، يقال صانع الوالي أو الأمير اذا رشاه^٧ .

- ١ صحيح مسلم (٧٤/٣) ، (باب ارضاء السعاة) .
- ٢ صحيح مسلم (١٢١/٣) ، (باب ارضاء الساعي ما لم يطلب حراماً) .
- ٣ تاج العروس (١٧٨/١٠) ، (سعى) .
- ٤ تاج العروس (٦٠/٢) ، (سمرج) .
- ٥ تاج العروس (٦٥/٢) ، (سمرج) .
- ٦ Hastings, p. 944. f.
- ٧ تاج العروس (٤٢٢/٥) ، (صنع) .

الفصل الحادي عشر بعد المئة

النقود

وفي الموارد الاسلامية بعض الأخبار عن نقود كانت متداولة في الحجاز عند ظهور الاسلام . وقد سميت تلك النقود بأسمائها ، وأشير الى وزنها ومقدارها . وعثر الباحثون على نماذج من نقود جاهلية تعود الى عهود مختلفة في مواضع متعددة مختلفة من جزيرة العرب ، قدمت لنا بعض المعارف عنها وعن مصادرها ، فمن الموارد الاسلامية ومن بعض كتابات المستد التي أشير فيها الى نقود جاهلية ومن قطع النقود الجاهلية التي عثر عليها المنقبون ، جمعنا ما سنقول عن نقود أهل الجاهلية .

وقد استعمل أهل العربية الجنوبية النقود في معاملاتهم ، استعملوا نقوداً سكّت من ذهب ، ونقوداً سكّت من فضة ، وأخرى سكّت من نحاس ومن معادن أخرى . وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع . كما تعاملوا بالنقود الأجنبية كذلك ، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية والحبشية والفارسية . وقد عثر على نماذج من هذه النقود في مواضع متعددة من العربية الجنوبية : في اليمن ، وفي حضرموت ، وفي مواضع أخرى . وقد زاد تعامل أهل اليمن بالنقود الحبشية والساسانية في أثناء احتلال الحبش والساسانيين لليمن ، ولا شك .

وفي بعض المتاحف ودور الآثار وعند بعض هواة جمع النقود والأشياء القديمة ، قطع من نقود جاهلية ضربت في العربية الجنوبية ، بعضها من ذهب ، وبعضها من فضة ، وبعض آخر من نحاس ، ومنها الكبير ، ومنها نقود صغيرة دون

على بعضها اسم الملك الذي ضربت في أيامه ، أو الحرف الأول من اسمه ، وعلى بعض آخر رموز وصور ألف العرب الجنوبيون ضربها على النقود ، مثل صورة (أئينة) أو (البوم) وهي من الطيور التي ألف العرب الجنوبيون إظهار صورتها على النقد ، وعلى الحجارة المكتوبة وعلى جبهات البيوت .

والعملة تطور خطير من التطورات التي أثرت في الحياة الاقتصادية للبشر . أحدث اختراعها انقلاباً كبيراً في النظم الاقتصادية والاجتماعية ، ويعدّ إيجادها من المخترعات الكبرى التي لعبت دوراً خطيراً في حياة الإنسان ولا تزال تلعبه . قلصت أعمال المقايضة المرهقة المتعبة، وقضت على التعامل بالوزن في تقدير الأثمان . أعني التعامل بوزن الذهب والفضة ، في تقدير قيم الأشياء ، بأن يعطي لإنسان إنساناً قيراطاً من ذهب ، أو نصف مثقال ، أو مثقالاً مقابل سلعة ثم التساوم على سعرها . أو وزن مثقال من فضة أو أقل من ذلك أو أكثر في مقابل سلعة يريدونها المشتري . وهو نظام سبق نظام النقد ، الذي ولدت منه فكرة العملة . وهو نظام متقدم بالنسبة الى نظم المقايضة التي سبقتها، قلّص من صعوباتها كثيراً، وأراح التاجر في التعامل ، حتى ولدت فكرة سك العملة ، فقلصت منه ومن تعقيداته ، لسهولة التعامل بالعملة ، ولاكتسابها صفة رسمية وسعراً ثابتاً مقررّاً ووزناً معيناً حددته الحكومات .

وفي وسعنا اطلاق مصطلح (النقد الطبيعي) على نظام المقايضة ، أي مبدأ مبادلة سلعة بسلعة . فهو في الواقع نظام يستند على مبدأ التسعير وتثمين السلع وبيع سلعة بثمن سلعة أخرى . ولما وجد الانسان صعوبة كبيرة في التعامل بهذه الطريقة ، هداه عقله وتقدمه الفكري الى ابتداع طريقة التعامل بالذهب والفضة وزناً . فخفف الإنسان بذلك كثيراً من التعقيدات والصعوبات التي كان يجابهها في تعامله بالمقايضة ، فكان إذا أراد شراء حاجة عامل صاحبها بمقدار موزون من الذهب أو الفضة ، يقدمه اليه في مقابل شرائها ، ثم انتقل بعد ذلك الى طريقة سك العملة . فسهل بذلك معاملاته في البيع والشراء كثيراً ، ولا زال هذا النظام سائداً في كل أنحاء العالم ، مع نظام العملة الورقية ونظام التعامل بالصكوك .

وقد تعامل الجاهليون بالطرق الثلاثة المذكورة . تعاملوا بالمبادلة ، أي المقايضة ، وتعاملوا بوزن الذهب والفضة ، وتعاملوا بالعملة . ولما ظهر الاسلام كانت هذه الطرق لا تزال مألوفة عندهم متبعة ، فكانوا يبيعون تمرّاً بتمر ، وشعيراً بشعير ،

وحنطة بحنطة . وقد أُشير الى هذه النوع في كتب الحديث ، وأشرت اليها في باب البيوع . ولم يراع أهل الجاهلية تنوع الصنف في البيع ، كأن يبيعوا حنطة من جنس معلوم بحنطة من جنس آخر ، بل كانوا يبيعون الحنطة بالحنطة من نفس الجنس والنوع ، بوزن مختلف لوجود تباين في الجودة أو تراب أو حبوب غريبة في إحدى الحنطتين . كما تعاملوا بتنوع السلع ، مثل بيع حنطة بشعير وبالعكس ، وبيع تمر بصوف أو بجلود ، وما شاكل ذلك لوجود حاجة ولقلة النقد .

وتعاملوا بوزن الذهب والفضة ، فاشترؤا الرقيق بأواقي يحددونها من ذهب أو من فضة ، وباعوا التجارة بأواقي الذهب والفضة . تعاملوا بالأواقي وبأقل منها وبأكثر حسب قيم الأشياء ودرجة ثمنيتها^١ . ونجد ذكر هذا التعامل في كتب الحديث والفقه ، لما له من دور خطير في معاملات الناس في الجاهلية وفي الاسلام .

و (النقد) في مصطلح علماء العربية تمييز الجيد من الرديء . قال الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف

والنقد اعطاء النقد . ونقد الثمن أعطاه نقداً معجلاً^٢ . ويظهر ان الجاهليين كانوا يطلقون لفظة (النقد) على العملة ، وعلى التعامل بها من أخذ وقبض وتمييز الجيد من الرديء منها .

و (السكة) : حديدة منقوشة كتب عليها ، يضرب عليها الدنانير والدرهم . ومنه الحديث انه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس . أراد بها الدرهم والدنانير المضروبين . سمى كل واحد منها سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة له^٣ .

ونجد في كتب الحديث رواية تذكر ان أول من ضرب الدينار تبع ، وهو

١ « وكانوا يتبايعون بأوزان اصطالحوا عليها فيما بينهم . وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية . والأوقية هي أربعون درهماً ، الاحكام السلطانية (١٥٩) ، (حاشية رقم ١) .

٢ تاج العروس (٥١٦/٢) ، (نقد) .

٣ تاج العروس (١٤٣/٧) ، (سكك) .

(أسعد بن كرب) ، وان أول من ضرب الفلوس وأدارها في أيدي الناس :
(عمرو بن كنعان)^١ .

وقد وردت في كتابات سبئية وقبانية إشارات الى نقود سبئية وقبانية كانت مستعملة في تلك الأيام . ويرجع بعض العلماء تأريخ أقدمها الى حوالى سنة (٤٠٠) قبل الميلاد^٢ . وقد ورد ذكر بعضها مع أسماء ملوك سبئيين وقبانيين ، في تدوين عقود زراعية أو ضرائب في الغالب ، وقد ذكرت حين الإشارة الى دفع مبلغ أو الى تحديد غرامات . ولكن ورود أسمائها في تلك العقود وفي الأوامر الملكية لأولئك الملوك لا يدل على أنها سكنت في أيامهم ، وضربت في عهدهم ، فقد يجوز أن تكون قد ضربت قبل أيامهم بأمد طويل أو قصير ، وأنها كانت مستعملة قبل أيامهم وفي أيامهم في الأسواق ، ولذلك أشير إليها في تلك الكتابات .

ونجد في أحد وجهي بعض النقود رأس رجل ظهرت ملامح وجهه الى العنق، يحيط به غصنا شجر على هيئة دائرة ، وقد تدلى شعر الرأس الى العنق، وظهرت عليه تموجات الشعر على هيئة خصل محفورة . وأما صورة الأوجه ، فهي جانبية اتجاهها نحو اليمين في الغالب . ولولا وجود بعض حروف المسند عليها لحسبتها من النقود المضروبة عند اليونان ، ونجد في الوجه الآخر من النقد صورة البوم في الغالب : جسمها جانبي ، أي قد امتد نحو الجانب . أما الوجه ، ففقد صور وكأنه ينظر اليك ، وقد برزت عيناه بصورة واضحة ظاهرة حتى بدتا في شكل لا يتناسب أحيانا مع حجم الوجه . ومن ينظر الى هذا الوجه يخيل اليه أنه ينظر الى رأسي بومتين لا بومة واحدة^٣ .

وتحمل بعض النقود إشارات ورموزاً لها صلة بديانة العرب الجنوبيين قبل الإسلام ، ومن ذلك ، الهلال ، إشارة الى الإله القمر^٤ . والهلال وفي داخله

١ مسند أبي حنيفة (ص ١٦٣) .

٢ Handbuch, I, S. 96.

٣ انظر اللوح المصورة للنقود الملحق بكتاب :

G. Fr. Hill, A Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, London, 1922.

وسيكون رمزه : Hill

Handbuch, I, S. 35. ٤

أو في مقابله كوكب ذو رؤوس تلتقي بنقطة في الوسط ، وأحياناً على هيئة قرص دون رؤوس . يمكن اعتبارهما أساس الكوكب والهلل (النجمة والهلل) المستعملين في بعض الأعلام الإسلامية واللذين يشاهدان على قبب المساجد ويعتبران عند المسلمين وعند الغربيين شعاراً للإسلام . وهما في الأصل من شعائر الوثنيين الجاهليين . وقد يكون الكوكب ذو الرؤوس أو القرص رمزاً يشير إلى الشمس .

وللعلماء الباحثين في النقود العربية الجنوبية آراء في الحروف المقطعة المضروبة على النقود . وفي الحروف المتصلة المربوطة بعضها ببعض في بعض الأحيان على هيئة الطغراء ، وذهب بعضهم إلى أن هذه الحروف هي الأحرف الأولى لأسماء الملوك الذين ضربت تلك النقود في أيامهم . وذهب آخرون إلى أنها أسماء المواضع التي ضربت فيها تلك النقود . وذهب آخرون إلى أنها رموز الآلهة ، وقد ضربت تبركاً باسمها . ومهما يكن من شيء ، فبين الباحثين في النقود العربية الجنوبية اختلاف في هذا الموضوع ، لم يتوصلوا فيه إلى حل متفق عليه^١ .

ومن الملوك الذين ضربت بعض النقود في أيامهم ، ملك ذكر لقبه وحده ، وهو (ينف) (ينوف) ، دون اسمه الأول الذي يعرف به . وإذا قد تلقب جملة ملوك بهذا اللقب ، فمن الصعب البت في تعيين الملك صاحب هذا النقود^٢ . وملك ذكر اسمه الأول ، وهو : (شمر) ، والظاهر أنه (شمر يهرعش) ملك سبأ وذو ريدان^٣ . و (كرب ال وترينهعم) ، وهو ابن الملك (ذمر على بن) و (عمدن يهقبض) ، و (عمدن بن) ، وملوك آخرون^٤ .

وقد وردت لفظة (بلط) في نصوص المسند، ترجمت بـ (نقد) وبـ « Coin » في الإنكليزية^٥ . و (أبلط) في عربيتنا بمعنى لصق بالأرض وافتقر ، وذهب ماله ، وأفلس . والبلطة المفلس^٦ .

وقد ذكر (نزيه مؤيد العظم) ، أن أهل اليمن يطلقون على النقود لفظة

- | | |
|--|---|
| Hill, XVI. | ١ |
| Hill, p. p. IVII. | ٢ |
| Hill, p. IX. | ٣ |
| Hill, p. IXVIII. | ٤ |
| Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 428, Rhodokanakis, Kaba. Texte, II, S. 25, anm. 3. | ٥ |
| تاج العروس (١١١/٥) ، (بلط) . | ٦ |

(ظلط)^١ . ولعل لهذه اللفظة صلة ببعض أسماء النقود اليابانية قبل الاسلام .
وهناك لفظة أخرى وردت في نصوص المسند ، هي (خبصتم) ، (خبصت) .
ويرى (رودوكناكس) أنها اسم نقد أقل سعراً وثمناً من سعر النقد الذهب ،
وأنه لم يكن من الذهب ولا من الفضة بل من المعادن الأخرى^٢ .

ووردت لفظة (رضيم) (رضى) بعد العدد خمسة ، في نص سبئي . ذكرت
مع العدد في أمر يشير الى غرامة تفرض على المقصر والمتأهل في العمل ، فحمل
ذلك بعض الباحثين على الذهاب الى أنها تسمية لنوع من النقد الذي كان مستعملاً
آنئذ . ولكن هناك من يرى أن اللفظة ليست تسمية وسمة لنوع من أنواع النقود ،
ولأنها هي صفة لها ، بمعنى مرضية ومرض وبمعنى تامة وافية صحيحة ، غير مزيفة
ولا منقوصة في الوزن^٣ .

وإذا كنا لا نستعمل اليوم في لغتنا الألفاظ والتعابير التي تدل على صحة النقود
وسلامتها من الغش والتزوير كثيراً ، فإن القدماء ولا سيما صيارفهم وأصحاب
المال كانوا يستعملونها في معاملاتهم اليومية وفي عقودهم التي كانوا يدونونها ،
لأن سك العملة وضربها لم يكن يومئذ متقناً ولا مضبوطاً من حيث المادة أو الوزن .
وكان من السهل تقليد العملة وغشها والتلاعب بوزنها . ولذلك كان ثمنها عرضة
للتغير والتلاعب بالسعر في بعض الأحيان ، كما كان من السهل غش الناس بإعطائهم
العمل المزيفة ، حتى حفظت كتب الماضين أمثلة عديدة على ذلك ، وكتب القدماء
فصولاً في كشف الغش في النقود وفي معاقبة المسؤولين عنه .

ومن الألفاظ التي استعملها أهل العربية الجنوبية للتعبير عن صحة العملة وسلامتها
من الغش والتي دونوها في كتاباتهم ، لفظة (مصعم) (مصع) ، بمعنى نصع
وخلص ، أي خالصة من كل غش ، صحيحة لا شائبة فيها . ولفظة (رضيم)
المتقدمة ، ولفظة (خبصتم) (خبصت) من هذه التعابير على رأي بعض
الباحثين^٤ .

١ رحلة (٨٥) .

٢ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

٣ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

٤ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 26.

ويلاحظ وجود أثر للسكة اليونانية على السكة العربية الجنوبية . وقد وجد شبه أيضاً بين بعض النقود العربية الجنوبية ونقود الساسانيين . ونظراً الى وجود صلات تجارية بين اليونان والساسانيين والعرب الجنوبيين ، فلا يستبعد تأثير دور ضرب السكة في اليمن وفي حضرموت بطريقة ضرب النقود عند اليونان والساسانيين . ومن أهم ملامح تأثير ضرب النقود بنقود اليونان ، هو وجود صورة (البوم) رمز (أثينة) مطبوعاً على النقود ، على نحو ما طبعت على النقود اليونانية ، حتى صار من الصعب التفريق بينهما ، فكأنما أخذ عمال ضرب النقود قالباً للنقود اليونانية ، ثم حضروا عليه حروف المسند وضربوه^١ . ثم صور الملوك ، وكراسي جلوسهم عليها ، والصولجان الذي بأيديهم ، فكل هذه نقلت نقلاً عن النقود اليونانية .

ولا بد أن تكون في اليمن دور لضرب النقود سكّت فيها عملتهم . وإني لأسفّ إذ لم أقف على كتابات جاهلية فيها ما يفيدنا عن كيفية ضرب النقود عند العرب الجنوبيين أو عند غيرهم وأوزانها وأنواعها ، وما شابه ذلك من أمور تتعلق بها ، وليس لنا من أمل في زيادة علمنا بها غير الترقب والانتظار ، فلعل يقظة العرب تولّي تأريخ العرب القديم ما يستحقه من عناية ورعاية وبحث ، فيجدّون في تتبع مواطن الآثار الغنية المطمورة لاستخراج دفائنها التاريخية الثمينة التي تظهر لنا أموراً كثيرة من تأريخ تلك الأيام .

وقد عثر في بصرى وفي مواضع من المنطقة التي عرفت بـ (المقاطعة العربية) (الكورة العربية) على نقود معظمها من نقود الرومان واليونان ، كما عثر على نقود نبطية . وبذهب بعض الباحثين في النميات ، أن الملك (الحارث الثالث) (٨٧ - ٦٢ ق. م.) ، هو أول ملك نبطي ، أمر بضرب النقود ، أخذ السكة من اليونان أثناء استيلائه على دمشق . وقد عثر على نقد من فئة (دينار) طبع عليه رمز يمثل اتفاق الحارث و (سكاورس) وصورة جمل وشجرة . وعثر على نقود أمر (الحارث) هذا بضربها ، تشبه النقود التي ضربها (ديمتريوس

Carlo Conti Rossini, Monete Sud-Arabiche, Rendiconti della R. Acad. del
Lincei, 30, (1922), p. 239, Handbuch, I, S. 96, 175.

Mardtmann und Mittwoch, Saba. Inschr., S. 8. ٢

الثاني ؟) (الثالث) « Demetrius Eukairos III » بمدينة (دمشق) شهياً كبيراً ، ولهذا يرى الباحثون أنها تقليد ومحاكاة لها . ولم يصل إلينا نقد من نقوده يحمل كتابة مدوّنة بالنبطية ^١ .

وجاد (عبادة) الثالث من ملوك النبط علينا بقطع من النقود ، يرى الملك على أحد وجهيها ومعه صورة امرأة يظن أنها صورة أمه ، وانها تشير الى مبدأ حكمه إذ كان قاصراً ، فكانت أمه تدبر الملك باسمه نيابة عنه ، وذلك بالنسبة الى النقود التي ضربت في أوائل أيام الحكم . وأما في النقود المتأخرة ، فلإنها صورة زوجته ، التي كانت تساعده وتؤازره ^٢ . وتشاهد صورة نسر واقف قابض على جناحيه في الوجه الثاني من أحد النقود ، وعلى طرفي الصورة كتابة ، وصورة رأس رجل في القطعتين المرقعتين (٧) و (٨) يرى أنها رأس الملك وعلى طرفي الصورة كتابات نبطية وتاريخ الضرب .

وتعدّ النقود التي ضربت في أيام (الحارث) الرابع من خير ما ضرب من النقود في أيام النبط ، ولم يعثر على نقد له ضرب في مدينة (دمشق) في المدة التي استولى فيها على تلك المدينة ، وقد ضرب بعضها باسم الملك وباسم زوجته (خلدو) (خلد) ، زوجته الأولى . وصورت صورة زوجته هذه على النقد ، وضرب بعضها باسمه وباسم زوجته الأخرى (شقيلة) وطبعت صورتها على النقد كذلك . وضرب بعض آخر باسم الملك وحده ، وهي مختلفة : بعضها من الفضة ، وبعض آخر من البرونز ، وعلى عدد منها تاريخ الضرب ^٣ .

وضرب اسم (شقيلة) الثانية ملكة النبط مع اسم الملك (ملكو) (مالك) الثاني في نقد وصل إلينا . وقد وصفت في النقود بأنها أخته . أما القطع التي وصلت إلينا ، فبعضها مصنوع من الفضة وبعض آخر من البرنز ، وعلى نقوده شيء من التبديل والتغيير عن النقد الذي ضرب في أيام (الحارث) الرابع ^٤ . وتبورك في بعض النقود مثل نقود (بصرى) بضرب صور الآلهة أو نعوته

G. Fra-Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and ١

Persia, London, 1922, pp. XI, Die Araber, I, S. 298.

Hill, p. XIV, XV, XVI, 4, Pl., 1, 6, 7, 8, Morey, Rev. Num., 1911, p. 79. ٢

Hill, p. XVII, 5, Pl., 9, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, ٣

18, 19, 20, 21, II, 1-12, Dalman, Neue Petra Forschungen, S., 106.

Hill, p. XIX, II, Pl., II, 13-17. ٤

أو رموزها على النقود ، فقد ضرب نعت الإله (دو شرى) (ذو الشرى) على نقد ضرب في (بصرى) . كما أشير الى هذا الإله في نقد ضرب بـ (بصرى) بتصوير منظر من مناظر الاحتفالات السنوية التي كانت تقام في كل عام اكراماً له ، وتعرف بـ « Actia Dusaria »^١ . أما آلهة المدينة التي ضربت صورتها على بعض النقود ، فتشبه صورتها صورة (عشتاروت) (عشتروت) المعروفة بفلسطين وفينيقية . ويظهر أنها (اللات)^٢ . وتشبه في بعض النقود صورة (أثينة) ، وقد دُعيت بـ « Tyche » ، و (أثينة) هي (اللات) عند أهل حوران^٣ .

وعثر في جزيرة (فيلكا) على نقود يونانية من بينها درهم ضرب في عهد الملك (انطيوخس) الثالث من ملوك السلوقيين ، ويعود تأريخ هذا الدرهم الى حوالى السنة (٢١٢) قبل الميلاد . وتبين أن بعض الدراهم قد ضرب في (جرها) « Gerhha » (الجرعاء) ، كما عثر على نقود ضربت من النحاس ، تبين أن قطعة منها ضربت في عهد (سلوقيوس) الأول ، ضربها باسم الملك (الاسكندر) الأكبر ، وأن قطعتين منها ضربتا في أيام (انطيوخس) الثالث . فهي تعاصر الدراهم المذكورة^٤ .

أما أهل الحجاز ، فقد تعاملوا بالنقود الرومية والساسانية : تعاملوا بالدنانير ، وتعاملوا بالدراهم ، وتعاملوا بالدنانق . وتعاملوا بنقود أهل اليمن ، ولعلهم كانوا يتعاملون بنقود أهل الحبشة كذلك . فقد كان أهل مكة خاصة تجاراً يتاجرون مع اليمن ويتاجرون مع العراق وبلاد الشام والحبشة . وتجارهم هذه تجعلهم يستعملون مختلف النقود .

ولم يرد في الأخبار ما يفيد قيام أهل العربية الغربية أو أي مكان آخر في جزيرة العرب بضرب النقود الجاهلية فيها ، لكن ذلك لا يمنع من احتمال عثور النقباء في المستقبل على نقود محلية ضربت في مكة أو في الطائف أو في يثرب أو في مكان آخر ولو على نطاق ضيق محدود .

Hill, p. XXVII. ١

Hill, p. XXIX. ٢

Hill, p. XXX. ٣

٤ نقود يونانية من جزيرة فيلكا ، وزارة التربية والتعليم : قسم الآثار والمتاحف ، مطبعة حكومة الكويت .

وكان تعامل أهل مكة بالدنانير ، ترد اليهم من بلاد الشام ، ولا سيما دنانير هرقل . وبالدرهم الفارسية البغلية ، « فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر . وكان المتقال عندهم ، معروف الوزن ، وزنه اثنان وعشرون قيراطاً إلا كسراً ، ووزن العشرة دراهم ، سبعة مثاقيل ، فكان الرطل اثنتي عشرة أوقية . وكل أوقية أربعون درهماً . فأقر رسول الله « ذلك ومن جاء بعده الى أيام (عبد الملك بن مروان) ، فأمر أن تضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قراريط الدينار^١ . وذكر أن الدنانير التي كانت ترد مكة في الجاهلية رومية ، والدراهم كسروية^٢ . وقد اشتهرت دنانير (هرقل) ، وعرفت بـ (الهرقلية) ، حتى أنها كانت تسمى الدنانير عامة^٣ (الهرقلية)^٤ ، والظاهر ان ذلك بسبب كونها مجلوة^٥ مطبوعة طبعاً حديثاً ، لم تطمس آثارها ولم يمض زمن طويل عليها ، ولأن العرب حصلت في عهده على أكثر دنانيرها ، فنسبتها اليه .

والدينار عملة من الذهب ، عرف علماء اللغة أنها من الألفاظ المعربة ، ولكنهم لم يتأكدوا من أصلها ، فذهبوا الى أنها من أصل فارسي^٦ . وهي معربة من أصل يوناني هو (ديناريوس) « Dinarius » مختصر « Dinarius Aureus » « Aureus Denarius » كما جاء ذلك في تأريخ (بلينيوس)^٧ . والظاهر أن العرب استعملوا التسمية التي كانت شائعة في بلاد الشام ، منذ عهد إصلاح (قسطنطين) الأول (٣٠٩ - ٣١٩ م) لنظام النقد . فأطلقوا على العملة الذهب لفظة دينار . وقد كان أهل الشام قد اقتصروا على لفظة « Dinarius » منذ ذلك العهد^٨ . وقد ورد ذكر الدينار في القرآن الكريم : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه

١ فتوح البلدان (٤٥٢) ، (أمر النقود) ،

Josef Von Karabacek, zur orientalischen Alterumskunde, Wien, 1908,

S. 61.

المختصص (٢٧/١٢) ، جامع الاصول (٣٧١/١) .

٢ فتوح البلدان (٤٥٣) .

٣ « دنانير شيفت من هرقل بروسم » ، الجواليقي (ص ٣٤٩) ، المختصص (٢٢/١٢) ، حاشية على الصفحة ٣٧١ وما بعدها من الجزء الاول من كتاب : جامع الاصول من أحاديث الرسول ، لابن الاثير الجزري .

٤ تاج العروس (٢١١/٣) ، (دينار) .

٥ Pliny, Hist. Nat., Book, XXXIII, 13.

٦ Ency., I, p. 975.

قائماً^١ . والقنطار وزن . وتأويل الكلام أن من أهل الكتاب الذي إن تأمنه على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه ، فلا يؤده اليك إلا بالتقاضي والمطالبة^٢ .

ويعرف (الدينار) ب (العين) . والعين الذهب عامة^٣ ، فكأنهم سموا عيناً ، لأنه من ذهب .

وقد فكر المسلمون قبل (عبد الملك بن مروان) في موضوع النقود ، وفي ضرورة تحويلها الى نقد اسلامي . وكان (عمر) في جملة من فكر في ذلك . انه أراد أن يجعل الدراهم من جلود الإبل ، فلما استشار ذوي الخبرة ، لم يقرّوه على رأيه فأمسك^٤ . وذكر انه أمر بضرب الدراهم ، فضربت سنة ثمان عشرة من الهجرة^٥ . وضرب (عثمان) الدراهم كذلك . ثم ان معاوية ضرب الدراهم السود ، وضرب أيضاً دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً^٦ . وضرب (زياد) النقد كذلك . ولما قام (عبدالله بن الزبير) بمكة ضرب دراهم مدورة . وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة . وضرب (مصعب بن الزبير) دراهم بالعراق ، ثم غيرها (الحجاج) ، حتى استقر الأمر لعبد الملك ، فعرب النقد على نحو ما هو معلوم^٧ .

وقد بقي العرب يتعاملون بالدنانير الرومية الى أيام عبد الملك ، حيث أمر بضرب الدنانير ، فضربت بدمشق . وقد نعت الدينار الجديد ب (أحرش) اذا كانت فيه خشونة لجلده . ومنه الحديث ان رجلاً أخذ من رجل آخر دنانير حرشاً ، وهي الجياد الخشن الحديثة العهد بالسكة التي عليها خشونة النقش^٨ . ومن أسماء الدينار (السكّي)^٩ .

-
- ١ آل عمران ، الآية ٧٥ ، المفردات (١٧١) .
 - ٢ تفسير الطبري (٢٢٥/٣) وما بعدها ، تفسير النيسابوري (٢٢٥/٣) وما بعدها ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٣ تاج العروس (٢٨٨/٩) ، (عين) .
 - ٤ فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر النقود) .
 - ٥ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٠ حاشية) .
 - ٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٠ حاشية) .
 - ٧ الاحكام السلطانية (١٦٠) وما بعدها .
 - ٨ تاج العروس (٢٩٦/٤) ، (حرش) .
 - ٩ تاج العروس (١٤٣/٧) ، (سك) .

وقد ذكر علماء اللغة أن لفظة الدرهم فارسية الأصل ، وقد عربت ، وقالوا في جمعها دراهم ودراهيم^١ . وهو نقد من الفضة . وقد عرف ب (درم) Diram في الفارسية وب (درخمة) (درخما) Drachma في اليونانية . والظاهر أن العرب أخذوا بالتسمية الفارسية . وقد استعملوا في تعاملهم دراهم الفرس ودراهم اليونان .

وأشير الى الدراهم في الآية : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين »^٢ . ويذكر المفسرون أنه كان من عادة الجاهليين التعامل بوزن الدراهم بالأوقاي إن زاد عددها على وزن أوقية، وكان وزن الأوقية أربعين درهماً. فما نقص عن هذا المقدار، جرى التعامل عليه بالعدد ، وما زاد عليه جرى التعامل عليه بالوزن^٣ .

وكانت الدراهم مختلفة كبراً وصغاراً ، فكانوا يضربونها مثقالاً ، وهو وزن عشرين قيراطاً ، ويضربون عشرة قراريط ، وهي أنصاف المثاقيل . وكان أهل الجاهلية يتعاملون بها حسب وزنها . وهي دراهم الأعاجم^٤ .

وقد قسم العلماء الدراهم التي كان يستعملها الجاهليون من أهل مكة وغيرهم الى نوعين : الدراهم السود الوافية ، والدراهم الطبرية العتق . والوافية هي البغلية. وكان لهم دراهم تسمى (جوراقية) . والدراهم الطبرية : ثمانية دوانق ، والدراهم البغلي : أربعة دوانق ، وقيل العكس . والدراهم الجوراني : أربعة دراهم ونصف^٥ .

وورد ان الدراهم كانت في أيام الفرس مضروبة على ثلاثة أوزان: منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطاً ، ودرهم وزنه عشرة قراريط ، ودرهم وزنه اثنا عشر قيراطاً^٦ .

١ قال الفرزدق :

تنفي يداها في كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف
تاج العروس (٢٩٨/٨) ، (درهم) .

٢ سورة يوسف ، الآية ٢٠ ، المفردات (١٦٨) .

٣ تفسير الطبري (١٢/١٠٢) وما بعدها) .

٤ فتوح البلدان (٤٥١) ، (أمر النقود) .

٥ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى الحنبلي (ص ١٠٨ ، ١٥٨ وما بعدها) ، (تحقيق محمد حامد الفقي) ، الاموال ، لابي عبيد (رقم ١٦٢٢) .

٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٥٩) ، الاحكام السلطانية للماوردي (١٥٣) .

وعرفت دراهم الأكاسرة بـ (دراهم الأسجاد) . قيل انها عرفت بذلك ، لأنها كانت عليها صور يسجدون لها ، وقيل : كانت عليها صورة كسرى ، فن أبصرها سجد لها ، أي طأطأ رأسه لها وأظهر الخضوع . وإياها عني الأسود بن يعفر النهشلي في رواية من الروايات بقوله :

من خمر ذي نطف أغنّ منطق وافى بها كدراهم الأسجاد^١

وذكر في رواية أخرى ، ان الأسجاد : اليهود والنصارى ، أو معناه الجزية^٢ .

وكان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم من العين والورق غير خالصة ، إلا انها كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة وكان غشها عفواً لعدم تأثيره بينهم الى أن ضربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص^٣ .

وورد انه كانت باليمن دراهم صغاراً ، في الدرهم منها دانقين ونصف^٤ . وورد ان الدرهم اليمني كان دانقاً^٥ . ويظهر انه كان من أيام الحميريين ، بدليل تسمية (الماوردي) لهذه الدراهم بدراهم حميرية ، وكانت كما يقول قليلة^٦ .

وعلى هذا يكون أهل مكة قد تعاملوا في الجاهلية بعملة الروم ، وبعمة الفرس ، وهي الدراهم على الأكثر ، وبعمة اليمن ، وأشار بعض العلماء الى عملة مغربية ، لم يذكروا عنها شيئاً^٧ .

وذكر أن (عمر بن الخطاب) ، أمر بضرب الدراهم على نقش الكسروية ، وشكلها بأعيانها ، غير أنه زاد في بعضها : (الحمد لله) ، وفي بعضها : (محمد رسول الله) ، وفي بعضها ، (لا إله إلا الله وحده) . وكان ذلك سنة ثمانين عشرة من الهجرة . وفي آخر مدة عمر وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل . فلما بويع (عثمان) ضرب في خلافته دراهم نقشها : (الله أكبر) .

-
- ١ تاج العروس (٣٧٢/٢) ، (سجد) .
 - ٢ تاج العروس (٣٧٢/٢) ، (سجد) .
 - ٣ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) ، لابي يعلى (١٦٣) .
 - ٤ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٥٩) .
 - ٥ المصدر نفسه (ص ١٦٢) ، الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) .
 - ٦ الاحكام السلطانية ، للماوردي (١٥٤) .
 - ٧ شرح النووي على صحيح مسلم (٣٢٣/٤) ، (حاشية على ارشاد الساري) .

وفي عهد (معاوية) ، ضرب الدراهم السود الناقصة من ستة دوانق ، فتكون خمسة عشر قيراطاً ، تنقص حبة أو حبتين . وضرب منها (زياد) ، وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وكتب عليها ، فكانت تجري مجرى الدراهم . ولما قام (عبدالله بن الزبير) بمكة ضرب دراهم مدورة ، وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً ، فدورها عبدالله . وضرب مصعب بن الزبير دراهم بالعراق ، وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل . فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان ، ضرب الدنانير والدراهم في سنة ست وسبعين من الهجرة^١ .

وجاء في رواية أخرى أن أصحاب رسول الله كانوا يتعاملون بدراهم العجم ، فكان إذا زافت عليهم أتوا بها السوق ، فقالوا : من يبيعنا بهذه ؟ وذلك أنه لم يضرب النبي ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا معاوية^٢ . وأن أول من ضرب المنقوشة عبد الملك بن مروان^٣ . ونجد بين العلماء اختلافاً في أول من أمر بضرب الدنانير والدراهم في الاسلام .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أنه كانت لقريش أوزان في الجاهلية ، فدخل الإسلام ، فأقرت على ما كانت عليه ، كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً ، وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً ، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير . وكان لهم وزن الشعيرة وهو واحد من الستين من وزن الدرهم ، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهماً ، والنش وزن عشرين درهماً ، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم ، فكانوا يتبايعون بالنبر على هذه الأوزان . وقد أقرهم الرسول على ذلك^٤ . وكانوا يحتفظون بالأوزان المقررة ، حتى إذا حدث اختلاف على الوزن ، رجعوا الى الوزن المقرر المعبر . وكان (أبو وداعة ابن ضيرة السهمي) يمتلك وزن مثقال في الجاهلية ، يوزن به^٥ .

١ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى الحنبلي (ص ١٦٠ وما بعدها الحاشية) .

٢ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٥) .

٣ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٤) ، وللمقريزي رسالة في النقود القديمة والاسلامية مطبوعة .

٤ فتوح البلدان (٤٥٢ وما بعدها) ، (أمر النقد) .

٥ فتوح البلدان (٤٥٢) ، (أمر النقد) .

وقد كانوا يثلمون أطراف الدينار والدرهم ، أو يقطعونها قطعاً ، فيتعاملون بالقطع حسب الوزن ، ويفعلون ذلك غشاً ، كما كانوا يكسرون النقود ، للتأكد من صحة معدنها ، أو لتحويل الدينار الى تبر^١ . وقد نهى في الاسلام عن التلاعب بالعملة ، مثل قرضهم أطراف الدراهم والدينار بالمقراض ، لغرض الاستفادة من تلك القراضة ، إذ يجمعونها فيسبكونها ، فيخرجون بذلك النقد المقروض عن سعره^٢ .

والدرهم اذا عدل المثقال ، فهو درهم واف ، وهو الذي لا يزيد ولا ينقص بل وفي بزنته^٣ .

وأطلق علماء اللغة على الدرهم لفظة (الورق) ، وعلى الموزر المالك للدراهم المورق ، وسموا الفضة ورقاً^٤ . وقد وردت اللفظة في نصوص المسند ، وكأنها نوع من أنواع العمل ، أو وزن . فورد (خمسي ورقم) ، أي (خمسين ورق)^٥ ، و (عشر ورقم) ، أي (عشر ورق) ، فكأن لفظة (ورق) هنا اسم علم لنوع معين من العملة ، أو وزن معين وعيار كان معروفاً عندهم . وذهب بعض العلماء إلى ان الورق : الذهب . وهذا التفسير ينطبق مع ما ذهب اليه المستشرقون من أن لفظة (ورق) في المسند ، تعني ذهباً . ولو فسرناها بهذا المعنى أيضاً ، فإن ذلك لا يمنع من أن يكون المراد من (ورقم) عملة خاصة ضربت من ذهب . وأرجح ان المراد منها عملة خاصة عرفت بهذه التسمية .

وذكر بعض العلماء أن الورق : المال ، ورجل ورقاق كثير المال . والدراهم بعينها والفضة^٦ .

١ (وفي الحديث : نهى عن كسر السكة الجائزة بين المسلمين الا من بأس ، يعني الدينار والدراهم المضروبة ، أي لا تكسر الا من أمر يقتضي كسرها ، اما لردائها أو في صحة نقدها ٠٠٠ وقيل : كانت المعاملة بها في صدر الاسلام عددا لا وزنا ، وكان بعضهم يقص أطرافها فنهوا عن ذلك) ، اللسان (٢٠ / ٦) ، (بأس) .

٢ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٦) .

٣ تاج العروس (٣٩٤ / ١٠) ، (وفي) .

٤ تاج العروس (٨٥ / ٧) وما بعدها ، المخصص (٢٤ / ١٢) ، « باب بيع الورق بالذهب نسيئة » ، عمدة القارئ (٢٩٦ / ١١) ، اللسان (٣٧٤ / ٠) وما بعدها ، (ورق) .

٥ Rep. Epigr. 4337.

٦ الاشتقاق (١٠٢) .

وأطلق أهل الحجاز على الدرهم والدينار لفظة (الناض) ، وذلك إذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً . وفي حديث (عمر) كان يأخذ الزكاة من ناض المال ، وهو ما كان ذهباً أو فضة ، عيناً أو ورقاً . وقالوا إن النض هو الدرهم الصامت^١ . أما إذا كان الدرهم رديئاً ، فيعبرون عنه بلفظة (بهرج) و (قسي) . فيقولون درهم بهرج ، أي رديء ، وكل مردود عند العرب بهرج ونهريج . وذكر بعض العلماء أن اللفظة فارسية من (نبرة) ، وأنها بمعنى الباطل والردىء، والدرهم البهرج الذي لا يباع به لرداءته ، والذي فضته رديئة وكل رديء من الدراهم وكل مردود عند العرب بهرج^٢ .

وتعرف الدراهم بـ (قطاع) بلغة هذيل^٣ .

ودرهم زائف مغشوش ، مردود لغش فيه . يقال درهم زيف وزائف . وزاف فلان الدراهم جعلها زيوفاً^٤ . ودراهم فسول ، درهم زائفة ، وأفسل عليه دراهمه ، إذا زيفها . « ومنه حديث حذيفة أنه اشترى ناقة من رجلين وشرط لهما من النقد رضاهما ، فأخرج لهما كيساً فأفسلا عليه ، ثم أخرج كيساً فأفسلا عليه ، أي أرذلا وزيفا منها . وأصلها من الفسل وهو الرديء الرذل من كل شيء »^٥ . وكان (عبدالله بن مسعود) يكسر الزيوف وهو على بيت المال^٦ .

ويعبر عن الدراهم الموزونة بـ (دراهم مجربة)^٧ ، لأنها مجربة . وقد ظهر من التجربة أنها صحيحة غير منقوصة .

وقد ورد في الأخبار ، أن الخمسمائة درهم ، كانت تعادل في أيام النبي اثنتي عشرة أوقية ونش^٨ . وأن الدرهم سبعة دوانيق ، وكل عشرة دراهم سبعة

-
- ١ تاج العروس (٩٠/٥) ، (نض) .
 - ٢ تاج العروس (١٠/٢) وما بعدها ، (بهرج) .
 - ٣ تاج العروس (٤٧٤/٥) ، (قطع) .
 - ٤ المخصص (٢٧/١٢) ، تاج العروس (١٣٣/٦) ، (زاف) .
 - ٥ تاج العروس (٥٨/٨) ، (فسل) .
 - ٦ الاحكام السلطانية ، لابي يعلى (١٦٧) .
 - ٧ تاج العروس (١٨١/١) ، (جرب) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٦٢/١) .

مثاقيل^١ . و (النش) نصف أوقية ، وهو عشرون درهماً ، لأنهم يسمون الأربعين درهماً أوقية ، ويسمون العشرين نشاً ، ويسمون الخمسة نواة^٢ .

وقد ذكر علماء اللغة نقداً دعوه (النُمتي) ، وقالوا إنه الدرهم الذي فيه رصاص أو نحاس ، وقال بعض آخر إنه الفلّس من الرصاص بالرومية ، وكانت بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر^٣ . قال النابغة أو أوس بن حجر :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمي سفسير^٤

و (الدائق) من الأوزان ومن النقد . وهو (داناق) ، أيضاً ، من أصل فارسي هو (دانك) في الفهلوية ، ومن Dang و (دانك) Danak في الفارسية ، وهو (دنك) Dank في الآرامية^٥ . وهو يعادل سدس الدينار أو سدس درهم . وكان معروفاً عند أهل مكة في الجاهلية^٦ .

أما (الفلّس) ، فلفظة لاتينية يونانية الأصل ، عربت من أصل Follis اللاتيني ، ويراد بها نقود مسكوكة من النحاس . وقد استعملها العرب في تعاملهم واحتفظوا بالأصل الأجنيبي . وقد كان الفلّس في أيام القيصر (أنستاس الأول) (أنسطاسيوس الأول) (٤٩١ - ٥١٨ م) زهاء ثلاثين غراماً ، ووسم بالحرف M . وظهرت بعد ذلك فلوس بأوزان تقل عن هذه . ولما ضرب المسلمون النقود ، كانت الفلوس في جملة ما ضرب من نقد^٧ .

١ شرح النووي على صحيح مسلم (٤/٣٢٤) ، (حاشية على الإصابة) .

٢ تاج العروس (٤/٣٥٦) ، (نش) .

٣ تاج العروس (٩/٨٥) ، (نم) ، (ن/م/م) ، (١٠/٣٧٨) ، (نمي) ، اللسان (١٢/٥٩٣) ، (نعم) .

٤ تاج العروس (٣/٢٧٢) ، (السفسير) ، (٩/٨٥) ، (ن/م/م) .

٥ Ency., I, p. 912.

٦ اللسان (١١/٣٩٤) ، (دنق) ، القاموس (٣/٢٣٢) ، تاج العروس (٦/٣٤٩) ، (دنق) .

٧ تاج العروس (٤/٢١٠) ، (الفلّس) ، Ency., II, p. 47.

وذكر بعض أهل الأخبار ان (القيراط) جزء من الدينار أو الدرهم . وقد ذكر (القيراط) في الحديث . في حديث رعي الرسول غنم قريش وفي أحاديث أخرى^١ . وذكر بعض العلماء ان العرب لم تكن تعرف القيراط الذي هو من النقد^٢ . وذكر (ابن الأثير) ان القيراط جزء من أجزاء الدينار ، وهو نصف عشرة ، ويظهر أن منهم من كان يستعمله وزناً ، ومنهم من جعله جزءاً من الدينار والدراهم^٣ .

-
- | | |
|---|------------------------|
| ١ | إرشاد الساري (١٢٧/٤) . |
| ٢ | المصدر نفسه . |
| ٣ | تاج العروس (٢٠٣/٥) . |

الفصل الثاني عشر بعد المئة

الصناعة والمعادن والتعدين

الصناعة حرفة الصانع وعمله الصناعة . ورجل صنع ، حاذق في الصناعة، وعماد الصانع على يديه ، يستعملها في صنع الأشياء ، كما يعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى أهم منها أو أي شيء آخر يريده ، أو يطلب منه . وهو بالطبع من أهم العناصر المنتجة اللازمة في الحياة الاقتصادية ، فهو محور الانتاج ، وعلى قدر انتاج أمة ، يقاس غناها ومقدار تقدمها في الحياة وتكون منزلتها بين الشعوب . فبالصناعة يتم تحويل المواد الخام ، الفائضة عن الحاجة ، إلى مواد أخرى أفيد منها ، تستهلك في الأسواق المحلية ، أو تباع في الأسواق الخارجية .

والحرفة ، الطعمة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب . وكل ما اشتغل الإنسان به وضرى به ، أي أمر كان فإنه عند العرب يسمى (صناعة) و (حرفة) . يقولون : صنعه فلان أن يعمل كذا ، وحرفة فلان أن يفعل كذا ، يريدون دأبه وديدنه . ذكر أن (علي بن أبي طالب) ، قال : «لاني لأرى الرجل ، فيعجبني ، فأقول ، هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني»^١ .

و (المهنة) ، عند العرب الحذق بالخدمة والعمل . وامتهنه : استعمله للمهنة

١ تاج العروس (٦/٦٩) ، (حرف) .

وابتذله ، والمأهن : العبد والخدام^١ . والمهنة العمل ، والعامل هو الذي يقوم بعمل ما ، والعملة العاملون بأيديهم ، وهم الذين يرتزقون بعمل أيديهم . والعالة رزق العامل الذي جعل له على ما قلد من العمل . ومن العملة : العاملون في طين ، أو في حفر ، أو في بناء أو غير ذلك . وعامله معاملة سامه بعمل . والاعمال الذين يقومون بما تحتاج اليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك . وما يعطاه العامل من أجر العمل هو (العملة)^٢ .

وأغلب العمالة فقراء لا يملكون شيئاً ، رزقهم بعملهم ، فإذا مرض أحدهم أو أصيب بعاهة انقطع رزقه . ثم إن أجورهم قليلة وأرزاقهم من عملهم شحيحة ، ولذلك كانت حياتهم ضنكة . عليهم العمل قدر الإمكان لإعاشة أنفسهم وذويهم ، والمشي على أرجلهم بحثاً عن عمل . ولهذا فلا عجب إذا ما عرفوا بـ (بني عمل) . و (بنو عمل) المشاة على أرجلهم من المسافرين . الذين وصفهم أحدهم الأعراب فقال :

يبحث بكراً كلما نص ذمل قد احتذى من الدماء وانتعل
ونقب الأشعر منه والأظل حتى أتى ظل الأراك فاعتزل
وذكر الله وصلى ونزل بمنزل يتزله بنو عمل
لا ضفف يشغله ولا نقل^٣

والحرف ، أي العمل باليد من الأمور المستهجنة عند الأعراب ، وعند أكثر العرب أيضاً ، فلا يليق بالعربي الشريف الحر ، أن يكون صانعاً ، لأن الصناعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم ، والمستضعفين من الناس . وقد سبق أن تحدثت عن مكانة الصناع في المجتمع ، وعن ازدياد الناس لهم ، على الرغم من احتياجهم اليهم ، وكونهم الطبقة المنتجة المثمرة في المجتمع : وأن أيديهم هي التي تصنع ما يحتاج الإنسان اليه من حاجات ، ومدحهم الرجل الصنع اليد ، بقولهم : « رجل صنع اليدين » . أي حاذق ماهر في الصناعة مجيد من قوم صنعى الأيدي ،

١ تاج العروس (٣٥٤/٩) وما بعدها ، (مهني) .

٢ تاج العروس (٣٥/٨) ، (عمل) .

٣ تاج العروس (٣٥/٨) ، (عمل) .

حتى أنهم كانوا إذا وصفوا انساناً بالبلاغة ، قالوا : رجل صنع اللسان ، ولسان صنع . قال الشاعر حسان بن ثابت :

أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما أراد لسان حائك صنع^١

ولا تقوم صناعة ، إلا في مكان تتوفر فيه امكانياتها من استقرار وأمن ، ومن وجود حاجة إليها ، ومن توفر المواد الأولية فيها ، والمواد الخام اللازمة لها . ومعنى هذا وجود مكان حضري . أما البداوة ، فحاجاتها الى الانتاج قليلة ، لسداجة الحياة وبساطتها فيها . ولهذا تكون الصناعة فيها بسيطة ، بساطة تتناسب مع بساطة ذلك المجتمع البدوي ، ومع درجة بداوته ، ولهذا تفاوتت مستويات الصناعة البدوية ، بتفاوت مستوى البداوة ، وبتفاوت درجة حاجاتها الى الأشياء . فالبداوة المنعزلة عن الحضارة ، التي قلَّ اتصال أبنائها بالحضر ، وبالعالم الخارجي ، وشحت خبراتها ومواردها الأولية ، لا يمكن أن تظهر فيها صناعة متطورة ، ولا يعقل نموّ عمل مزدهر فيها ، لانعدام الموارد الطبيعية المغذية للعامل ، وللسادات أصحاب المال ، ولعدم وجود حاجة إليها مع تلك البداوة القانعة بالبساطة في الحياة . ومن هنا نجد ، أن الصناعة ، لم تتطور ، إلا في المجتمعات المتطورة ، التي توفرت فيها امكانيات التصنيع ، وشعرت بضرورة الاستفادة من الثروات الطبيعية المتوفرة لديها بتصنيعها ، أي بتحويلها الى موارد أخرى يحتاج إليها ، وتوفرت فيها الوسائل اللازمة لظهور الصناعة .

والمجتمعات البدوية مهما كانت من البداوة أو البدائية ، فإنها لا تخلو من وجود صناعات بها . صناعات بدائية ، هي من ناتج حاجات ذلك المجتمع ، وناتجها يتناسب بالطبع مع حالة تلك البداوة . ولا يصح نفي وجود الصناعة بها .

وقد لعب الرقيق والموالي دوراً كبيراً في أعمال الحرف والزراعة في جزيرة العرب . إذ استخدموا في التعدين وفي الزرع . وقد ذكر (الهمداني) أنه كان بمعدن (شمام) ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، حتى أنه كان لهم بيتا نارٍ يعبدان في ذلك المكان^٢ . وذكر أنه كان بـ (جهران) قوم من وضع

١ تاج العروس (٥/ ٤٢١) ، (صنع) .

٢ الصفة (١٤٩) .

تبع ، أي من الطبقة الوضيعة ، وكذلك بـ (قتاب) ، حيث نسبوا الى (تبع) قوله :

فسكنت العراق خياراً قومي وسكنت النبط قرى قتاب^١

وكان بمدينة العقيق ، وهي معدن، مائتا يهودي^٢ . ولم يذكر (الهمداني) متى كانوا هناك ولا سبب وجودهم بهذا الموضع ، للتجار أو للعمل بالمعدن . وقد نتج من هجرة الأجراء والصناع الى القرى والمدن اختلاط في السكان ، لا يحدث مثله عند أهل الوبير . وهو مما جلب ازدياد الأعراب على الحضر ، فكان سكان (ذمار) جمع من حمير ومن أنفار من الأبناء . وكان أهل (جهران) من بطون حمير ، وقوم من وضيع تبع^٣ . وقد استعمل الهمداني لفظة (أخلاط) للتعبير عن اختلاط سكان موضع ما ، ووجود عناصر متباعدة فيه لا ترجع الى قبيلة واحدة^٤ . واستعمل لفظة (خليط) كذلك^٥ ، لأن مدن اليمن وقراها كانت خليطاً من بطون ترجع الى عشائر مختلفة . وهي سمة الحياة الحضرية ، حيث يفد الناس الى مواضع الحضارة من مختلف البطون والعشائر .

وقد استعمل (الهمداني) لفظة (لحوم العرب) في معنى بطون العرب ، وكذلك لفظة (طخوم) في المعنى ذاته^٦ . وذلك في أثناء حديثه عن المواضع التي اختلط فيها السكان لوجود فرص العمل بها والرزق الوافر الجزيل .

الإجارة :

والأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد^٧ . والاجارة

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الصفة (١٠٤) . |
| ٢ | الصفة (١٥٣) . |
| ٣ | الصفة (١٠٤) . |
| ٤ | الصفة (٩٥) ، (وفيهم أخلاط من بني غيلان ٠٠٠) . |
| ٥ | الصفة (٥٤) . |
| ٦ | الصفة (١٦٥) . |
| ٧ | المفردات (ص ٩) . |

ما أعطيت من أجر في عمل^١ . وهي شرعاً عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة بعوض معلوم^٢ . وهي واسعة تشمل نواحي متعددة من فروع الاستئجار . والأجير ، من يشتغل لغيره في مقابل أجر يدفع له . والأجرة ، الكراء . وهو ما يعطى الأجير في مقابلة العمل^٣ . منهم من يشتغل في الحرف ، مثل النجارة والحدادة والبناء وأمثال ذلك ، ومنهم من يشتغل في الزراعة ، ومنهم من يستأجر لأداء أعمال لأجل ، مثل خدمة القوافل ، أو حراسة زرع وما شابه ذلك ، فإذا انتهى الأجل انتهى العمل .

وما يدفع الى الأجير في مقابل عمله ، يتوقف على الشروط التي اتفق صاحب الأرض مع الأجير عليها . فقد يكون الأجر نقداً ، ويقال لذلك (ورقم) (ورق) في لغة المسند . وهو في القليل ، لقلة النقد آنذاك . وقد يكون حصّة ، أي نصيباً يتفق عليه مع الملاك يؤخذ من الحاصل ، وقد يكون مقايضة ، بأن يدفع للأجير ما يحتاج اليه في حياته من ملابس أو غذاء ، أو حيوان ، وأمثال ذلك ، في مقابل جهده وتعبه .

ومن ذلك استئجار الإنسان للقيام بتنفيذ عقد يحدد ويبين ويتفق عليه ، كأن يقوم برعي النعم والماشية مقابل مبلغ من مال أو شيئاً آخر يتفق عليه ، كالذي روي من أن الرسول رعى غنم قريش على قراريط^٤ . أو استئجار شخص أو أشخاص للعمل في سفينة أو في أرض أو لارشاد قافلة أو نهر الى طريق للوصول الى موضع^٥ . أو استئجار رجل ليعمل عملاً يحدد بأجل ، أي بوقت ، كأن يحدد بالساعات أو النهار أو الليل كالحراسة أو أياماً أو شهوراً أو سنة أو أكثر أو بغير أجل موقوت^٦ . أو استئجار رجل للقيام بعمل محدود معين كالغزو^٧ ، أو الحمل ، أي أن يحمل حملاً ينقله الى موضع يعين له . أو ينقله من مكان الى مكان^٨ .

-
- ١ اللسان (١٠/٤) .
 - ٢ ارشاد الساري (١٢٦/٤) .
 - ٣ تاج العروس (٧/٣) ، (أجر) .
 - ٤ ارشاد الساري (١٢٦/٤) وما بعدها .
 - ٥ ارشاد الساري (١٢٧/٤) وما بعدها .
 - ٦ ارشاد الساري (١٣١/٤) وما بعدها .
 - ٧ ارشاد الساري (١٢٩/٤) وما بعدها .
 - ٨ ارشاد الساري (١٣٥/٤) .

ومن ذلك استئجار النبي (عبدالله بن أريقط) من (بني الدليل) ، ثم من (بني عدي) ليكون هادياً له للطريق يوصله الى يثرب ، فساحل به وبأبي بكر وبعامر بن فهيرة ، حتى بلغ يثرب . وكان قد ساحل ، لأن أهل مكة كانوا يتبعون طريق (بدر) الى المدينة ، فأراد التخلص بذلك من تعقيبهم له^١ . واستئجار المقاتلين ، للقتال عنهم . فقد كان أحدهم يعتذر عن المشاركة بنفسه في القتال لوجود أسباب مانعة ، فيرسل غيره للقتال عنه ، يدفع اليه أجراً عن ذلك^٢ .

و (الكروة) و (الكراء) آجرة المستأجر . والمكاري ، هو الذي يكري دابته لغيره ، في مقابل (كروة)^٣ . والمكارين ، هم الذين يكرون دوابهم ، وتدخل الإبل فيها ، فقد كان من أصحاب الإبل من يكاري لإبله للتجار ولغيرهم تنقلهم الى مسافات بعيدة أو قريبة .

ويستخدم الملاكون وسادة الأرض الأجراء ممن لا أرض لهم ولا مال لديهم يحصلون به على أرض يستغلونها ، في الاشتغال بأرضهم وبمزارعهم لإصلاحها وزرعها وبنائها . ويعرف هؤلاء ب (ملجا) في بعض نصوص المسند . واللفظة من أصل (لجا) التي هي لجا في عربيتنا . ويقم اللاجىء في ملجئه ويتمتع بحماية صاحبه وسيدته ما دام فيه ، يزرع ويبنى لسيدته في مقابل هذه الحماية التي يتمتع بها والحماية التي تحميه من أي ظلم أو اعتداء^٤ .

ويعبر عن الأجراء الذين يستخدمهم الملاكون في زراعة الأرض واستغلالها مقابل أجر يدفع لهم بلفظة (اجرم) في المسند^٥ . أي أجبر وأجراء . والأجراء جماعة كبيرة ، تنقلت من ملك الى ملك ، ومن خدمة سيد الى خدمة سيد آخر ، لتخدم ملاكاً في مقابل أجر يتفق عليه ، وعقد يبرم بين المالك والأجير ، فإذا انتهى العقد أو العمل ، أو رأى المالك انتفاء الحاجة الى خدمة الأجير ، أنهى عمله . وقد كان الأجراء طبقة بائسة لا تملك شيئاً غير عمل يدها ، ولهذا كانت مضطرة بحكم فقرها هذا الى التنقل من مكان الى مكان للحصول على عمل تقنات

١ ارمم الساري (١٢٨/٤) .

٢ ارشاد الساري (١٣٠/٤) .

٣ تاج العروس (٣١٣/١٠) ، (كرى) .

٤ Kat. Texte, II, S. 36.

٥ Jamme, South Arabian Inscriptions, pp. 76, 77.

منه . فكانت من جملة المشكلات الاجتماعية التي تعرضت لها حكومات جزيرة العرب في ذلك العهد .

وجاء في أحد النصوص المعينية : « كل معنم حرم واجرم » ، أي : « كل معين أحرار وأجراء » . ويقصد بـ (كل معين) كل شعب معين^١ . فقسم هذا النص شعب معين الى أحرار ، وإلى أجراء . وهم أكثر حرية من (الأدم) ، أي (العبيد) والرقيق ، لأنهم يشتغلون بأجر ويعقود يتفقون عليها ، فإذا انتهى العقد ، أو حصل خلاف، جاز للأجير الانتقال الى موضع آخر ، أو الى صاحب محل آخر للعمل لديه ، على حين لا يجوز للعبد فعل ذلك ، لأنه ملك يمين . ومن أجراء الزراعة أجراء (المحابنة) ، يؤدون خدماتهم موسم الحصاد ، وينالون أجرهم في مقابل حصاد الحصاد ، حسب ما اتفق عليه . فهم يحصدون الزرع وينقلونه مع سنبله الى موضع تجميعه^٢ . ويكون ذلك في المزارع الكبيرة التي تحتاج الى أعداد كبيرة من حصاد الزرع .

واليمين ، هي في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة ، ولا نكاد نجد في جزيرة العرب مكاناً يسبقها فيها . وهي الأولى في الانتاج أيضاً . وقد عرفت منتجاتها في كل موضع من بلاد العرب . وهي المكان الوحيد فيها ، الذي زادت صادراته فيه على وارداته ، وكان مستواه المعاشي فيه أعلى من المستوى المعاشي لبقية أجزاء جزيرة العرب . وكان مستهلكاً ومنتجاً ، لحاجته الى الاستهلاك . ثم هو المكان الوحيد ، الذي نجد فيه التمايز الطبقي ، والعنعات الطبقيّة واضحة ظاهرة ، لتباين الظروف المعاشية التي عاشت فيها طبقات المجتمع ، فآسياد أغنياء ، وطبقات وسط ، وطبقات فقيرة معدمة ، لا تجد رزقها إلا بشق الأنفس .

ولم تبرز صناعة اليمن في نوع واحد أو في صنف معين ، بل برزت في كل نوع من أنواعها المعروفة في ذلك العهد ، والتي دعت الحاجة الى ظهورها ، والتي وجدت موادها الأولية فيها . مثل صناعة الحديد واستخراج المعادن ، وتحويلها الى مصنوعات ، والنجارة والحياكة ، والدباغة ، والأصباغ والصمغ ، وغير ذلك من صناعات اشتهرت اليمن بها وارتبط اسمها بها .

١ النقش رقم ٥ ، الفقرة ٣ من كتاب خبرة معين (ص ٥)

٢ تاج العروس (١٨٨/٩) ، (حين) .

و (الذهب) هو (ذهبن) في لغة المسند ، أي (الذهب) . ويقال له التبر أيضاً . وذكر أن (التبر) الذي في المعدن ، والذي لم يضرب ولم يصنع^١ . ومن أسمائه (العسجد) . وقيل العسجد اسم جامع يطلق على الجواهر كله كالدر والياقوت^٢ . وذهب (ابريز) ، بمعنى خالص . و (العقيان) ، الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة ، وإنما هو ذهب ينبت نباتاً^٣ . مما يدل على أنهم يقصدون وجود حبيبات منه خالصة في معادنه ، يجمعونها ، فيحصلون عليه من غير نار ولا اذابة حجر . وكانوا يطحنون أحجار الذهب، ويذرون تراب المعدن، لاستخلاص الذهب منه . يقال : « ذريت تراب المعدن ، طلبت ذهبه »^٤ . ويقال لتراب الذهب (السحالة) ، وهي أيضاً قشر البر والشعير والأرز^٥ .

وكانوا يضعون المعدن في التنور ليميع ، ثم يجعلونه في (الكوج) ، ليتخلص المعدن وينقى من الشوائب^٦ .

وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب بها ، مثل موضع (بيشة) أو (بيش) ، وقد كان الناس يجمعون التبر منه، ويستخلصون منه الذهب^٧ . و (ضنكان) ، وكان به معدن غزير من التبر^٨ . والمنطقة التي بين القنفذة ومرسى (حليج)^٩ . وورد أن ب (بيش) عدة معادن^{١٠} . وذكر (الهمداني) أن بقرية (بنات حرب) شيء من الذهب^{١١} . وأن معدن (صعاد)، وهو من ديار (عقيل) هو أغزر معدن في جزيرة العرب ، وهو الذي ذكره

-
- ١ تاج العروس (٢٥٨/١) ، (ذهب) .
 - ٢ تاج العروس (٤٢٢/٢) ، (العسجد) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٩/١٠) ، (عقى) .
 - ٤ تاج العروس (١٣٦/١٠) ، (ذرو) .
 - ٥ تاج العروس (٣٧٢/٧) ، (سحل) .
 - ٦ بلاد العرب (٣٨٠ وما بعدها) .
 - ٧ البلدان (٣٣٣/٢) فما بعدها ، الصفة (١٢٧ ، ١٥٣ ، ٢٥٧) ، المسالك والممالك (١٨٨) ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (٦١ فما بعدها) ، Moritz, S. 105.
 - ٨ الصفة (١٢٠) ، (وضنكان : وهو معدن غزير ولا بأس بتبره) .
 - ٩ Moritz, S. 110, Glaser, Skizze, S. 29.
 - ١٠ تاج العروس (٢٨٥/٤) ، (بيش) .
 - ١١ الصفة (٢٥٧) .

الرسول في قوله: مطّرت أرض عقيل ذهباً . مما يدل على أنه كان معدن ذهب^١.
وقد ذكر بعض العلماء أن العرب تسمي معدن الذهب (خزّية)^٢ .
ومن معادن الذهب ، معدن (القُفاعة)^٣ ، ومعدن (الأحسن) ، (الحسن)
وهو معدن لبني كلاب ، من أول عمل المدينة وأدنى عمل المدينة الى اليمامة^٤ .
ومعدن (المؤخرة) ، وهو من مياه (بني الأضببط) من بني كلاب . وهو
معدن ذهب وجزع أبيض^٥ ، و (ثُخْب) ، وهو جبل بنجد لبني كلاب، عنده
معدن ذهب ومعدن جزع^٦، و (القشّراء)^٧ ، و (خُصْلَة) ، ومعدن (خصلة)
بجذائها ، وكان به ذهب^٨ ، ومعدن (شيبان) ، وبه معادن الذهب والفضة
والصفر^٩ ، ومعدن (موزر) ، بضربة من ديار كلاب^{١٠} ، و (ناضحة) بين
الياممة ومكة^{١١} ومعدن (الهردة)^{١٢} ، ومعدن (المخلقة) ، وهو معدن ذهب
جيد ، بأرض حجور . وقد وصفه الهمداني ، وذكر ما كان يستخرج منه من
الذهب^{١٣} . وقد ضبط معدن الهردة بـ (الهروة) في موضع آخر من (تاج
العروس) ، وقال إنه عند (الحوأب) وبه معدن ذهب^{١٤} ، ومعدن

-
- ١ الصفة (١٧٧) .
 - ٢ كجهينة ، تاج العروس (٢٣٢/١) ، (خزب) .
 - ٣ الصفة (٦٧ ، ٧٣) ، العرب ، السنة الثانية (الجزء الحادي عشر) (آب ١٩٦٨) ،
(ص ٩٨٠ وما بعدها) ، (اشكر الدكتور صالح أحمد العلي على تقديمه هذا العدد
وأعدادا أخرى من هذه المجلة الي للاستفادة منها ، ولتقديمه كتباً أخرى ، لم تكن
متيسرة لدي) ، الصفة (٦٧) .
 - ٤ بلاد العرب ، للحسن بن عبد الله الاصفهاني (ص ٣٧٠ ، ٣٨٧) « ١٩٦٨ » ،
(تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح أحمد العلي) .
 - ٥ بلاد العرب (١٩٨) ، العرب (آب ١٩٦٨) ، (ص ٩٨٤) .
 - ٦ بلاد العرب (١٥٩ ، ١٩٩) ، تاج العروس (١/١٦٢) ، (ثخب) ، العرب (٩٨٤) ،
(آب ١٩٦٨) .
 - ٧ بلاد العرب (١٩٩) ، العرب (٩٧٩ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٨ بلاد العرب (٤٥) .
 - ٩ بلاد العرب (٣٩٨) .
 - ١٠ بلاد العرب (٢٠٠) ، العرب (٩٨٤ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ١١ بلاد العرب (١٦٦) ، العرب (٩٨٥) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ١٢ بلاد العرب (١٥٤) ، تاج العروس (٢/٥٤٦) ، (هرد) ، العرب (٩٨٩) ،
(آب ١٩٦٨) .
 - ١٣ الصفة (١١٣) ، العرب (٩٨٣) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ١٤ تاج العروس (٣/٥٦) ، (بقر) .

(الهجرة) ^١ . ومعدن (الحراضة) ، ويقع بين (ينبع) والمروة معادن للذهب ^٢ ومعدن (الحُفير) بناحية (عماية) وهو معدن ذهب غزير ، ومعدن (الحسن) ، ومعدن (الثنية) ثنية (حصن بن عصام الباهلي) ، ومعدن تياس ، ذهب مخف بنياس ^٣ . و (العقيق) : وهو من معادن الذهب ^٤ . وهو مدينة كان فيها مائتا يهودي ونخل كثير وآبار ^٥ . ومعدن الضبيب ، عن يسار الضبيب ^٦ .

ويظهر أن منجم (مهد الذهب) ، هو المنجم الذي كان لبني سليم ، يعرف باسمهم وقيل له : (معدن بني سليم) (معدن سُليم) ، وقد أقطعه الرسول (بلال بن الحارث) ^٧ . وقد عثرت شركة التعدين السعودية العربية على أدوات فيها استعمالها الأولون قبل الاسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ، مثل رحي وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح ، وشاهدت آثار القوم في حفر العروق التي تكون الذهب . وقد عرف معدن (بني سليم) ب (فران) (قران ؟) ، وقد نسب الى (فران بن بلي) دخلوا في (بني سليم) ، وبأخذ عليه طريق الكوفة الى مكة ^٨ .

وتعرف (الفضة) ، في نصوص المسند ب (صرفن) (الصرف) . والفضة من المعادن المشهورة المعروفة في اليمن . و (الصريف) الفضة الخالصة ^٩ . وقد كانت جزيرة العرب في جملة الأسواق التي موّنت العبرانيين بهذا المعدن ^{١٠} . ومن المواضع التي عرفت بالفضة (عوسجة) في بلاد هذيل . فقد كان

- ١ الصفة (١٥٤) ، العرب (٩٨٩) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (١٥٤) .
- ٢ العرب (٩٩٠) ، (آب ١٩٦٨) .
- ٣ الصفة (١٥٢) ، البلدان (٢٧٧/٢) .
- ٤ الصفة (١٦٦) .
- ٥ الصفة (١٥٣) ، البلدان (٢٧٧/٢) .
- ٦ الصفة (١٥٣) .
- ٧ « بلال بن الحارث بن بجير » ، الاصابة (١٦٨/١) وما بعدها ، (رقم ٧٣٥) ، الصفة (١٣١) ، Naval, p. 517.
- ٨ بلاد العرب (١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣) ، (وفران بن بلي بن عمران بن الحافي في قضاة) ، تاج العروس (٣٠٠/٩) ، (فرن) .
- ٩ تاج العروس (١٦٣/٦) ، (صرف) .
- ١٠ Hastings, p. 619.

معدناً للفضة^١ . ومعدن (شمام) ، معدن فضة ومعدن نحاس وصفر ، « وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، وكان به بيتاً نار يعبدان^٢ » ، ومعدن (شيبان)^٣ ، ومعدن (اليعقوم) .

وقد ذكر (الهمداني) أن بـ (قرية المعدن) ، معدن فضة ، فضة لا نظير لها في الغزر ، وبقرية معدن الرضراض^٤ ، وهو معدن فضة كذلك ، لا نظير له^٥ . وذكر صاحب كتاب بلاد العرب أن (خزبة) معدن من معادن اليمامة ، وكانت جبالها إنما هي فضة ، ثم مسخت معادنها فصارت شيئاً آخر إذا صيرت الى (الكوج) التي كانت تخلص فيه ، وتخلصت تصدعت كتصدع الزجاج ، لا يتنفع بها^٦ .

و (اللجين) الفضة^٧ ، و (الوديلة) القطعة من الفضة ، وقيل السبيكة منها ، وقيل القطعة من الفضة المجلوة ، ولعل ذلك هو الذي حمل الطائيين على تسمية المرأة (الوديلة) ، لأن المرأة في ذلك الوقت صفيحة من المعدن مجلوة ، ينظر فيها^٨ .

وقد كانت السلطات الحاكمة تأخذ (الخمس) من معادن (الفرع) ، و (نجران) ، و (ذي المروة) ، و (وادي القرى)^٩ . مما يدل على ان الناس كانوا يستغلون مناجم هذه الأرضين في الاسلام .

ويظهر ان ما كان يستخرجه أهل الجاهلية من الذهب والفضة من معادنها لم يكن بمقياس واسع وبكميات كبيرة تصلح للتصدير الى الخارج ، بدليل اننا لم نعلم على خبر عنه لا في كتابات المسند ولا في روايات أهل الأخبار ، ثم انهم لو كانوا يستخرجون المعدنين المذكورين بكميات وافرة ، لاستمروا على الاستخراج ولحسنوا كيفية استخلاص المعدنسين المذكورين من معادنها الى ظهور الاسلام ،

-
- ١ تاج العروس (٧٤/٢) ، (عسج) ، بلاد العرب (٢٤١) ، الصفة (١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣) .
 - ٢ بلاد العرب (٢٣٦) ، الصفة (١٤٩ ، ١٥٤) .
 - ٣ بلاد العرب (٣٩٨) .
 - ٤ الصفة (٨١) .
 - ٥ الصفة (٢٠٢) .
 - ٦ بلاد العرب (٣٧٩) وما بعدها .
 - ٧ تاج العروس (٣٣٠/٩) ، (لجن) .
 - ٨ تاج العروس (١٥٣/٨) ، (وذل) .
 - ٩ البلاذري ، فتوح (٢٧) .

ولأشير الى ذلك حتماً في الموارد الاسلامية ، ولما سكنت هذه الموارد عن
الاشارة اليها .

وقد استخدم أهل اليمن الرصاص في كثير من الأعمال ، منها صبه في أسس
الاعمدة، وبين مواضع اتصال الحجارة ، لترتبط بعضها ببعض . وقد عثر المنقبون
على بقايا منه في مواضع متعددة من الأماكن الأثرية باليمن . والرصاص ضربان :
أسود ، وهو الأسرب والآبار ، والأبيض ، وهو القلعي . وقد عرف بالآنك ،
والأسرب ، والأسرف ، والصرفان . وشيء مرصص مطلي به . وكانوا يطلون
الأواني به ، ويشربون بها^١ . وذكر أن (الآنك) ، هو الأسرب ، وهو
الرصاص القلعي ، أو أبيضه ، أو أسوده ، أو خالصه ، وذكر أن الآنك بمعنى
الخالص ، وأنهم كانوا يقولون: هذا رصاص آنك ، بمعنى هذا رصاص خالص^٢ .
وقال بعض العلماء : الانك هو القزدير (القصدير) . وورد في الحديث : من
استمع الى مغنية صب الله الآنك في اذنيه يوم القيامة^٣ . والأسرب ، الآنك ،
وهو الرصاص ، واللفظة من المعربات ، عربت من أصل فارسي^٤ . والأسرف،
لفظة معربة أيضاً ، تعني الآنك ، من أصل فارسي، هو (سرب)^٥ . و(الصرفان)
هو الرصاص القلعي ، وقيل النحاس^٦ . وأرى أن الرصاص القلعي ، هو رصاص
استخرج من (القلعة) موضع باليمن ، بوادي (ظهر) به معدن حديد ، واليه
نسبت السيوف القلعية . زعموا أن (الجن) تغلبت عليه^٧ .

وللحديد معدن في (رُغافة) ، باليمن على مرحلة من صعدة^٨ . وفي (قساس)
ذكر انه جبل بديار بني نمير ، وقيل بني أسد فيه معدن حديد . وذكر أهل
الأخبار اسم موضع آخر عرف بوجود معدن الحديد فيه ، قالوا انه بأرمينية منه

-
- ١ القاموس (٣٠٤/٢) ، تاج العروس (٣٩٧/٤) ، (رص) .
 - ٢ تاج العروس (١٠٤/٧) ، (أنك) .
 - ٣ تاج العروس (١٠٤/٧) ، (انك) .
 - ٤ تاج العروس (٢٩٧/١) ، (سرب) .
 - ٥ تاج العروس (١٣٨/٦) ، (سرف) .
 - ٦ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .
 - ٧ تاج العروس (٤٨٠/٥) ، (قلع) .
 - ٨ العرب (١٩٩ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .

السيوف القساسية^١ . وذكر (الهمداني) أن باليمن معادن حديد غير معمولة بنقم وغمدان^٢ .

ولعل كثرة الحديد باليمن ، واشتهارها به ، جعل أهل الأخبار يروون أن أول من عمل السنان من حديد هو (ذو يزن) (ديرون الحميري)^٣ ، وإنما كانت أسنة العرب من صياصي البقر^٤ . وقد اشتهرت اليمن بسيوفها ، فالسيوف اليابانية هي من السيوف الجيدة التي اكتسبت سمعة طيبة عند الجاهليين .

و (النحاس) الصفر ، وقيل ما سقط من شرار الصفر ، أو الحديد إذا طرق^٥ . والصفر ، النحاس الجيد ، وقيل هو ضرب من النحاس ، وقيل هو ما صفر منه . والصفر الذهب أيضاً^٦ .

واستعملت لفظة (هاع) بمعنى سال وذاب ، في نصوص المسند ، استعملت لمناسبة صب الرصاص الذائب في أسس الأبنية وبين فواصل أحجار الأعمدة ، لتشدها شداً محكماً .

والكبريت من المعادن الموجودة في اليمن . و (ذمار) هي مركزه ومنها يجلب إلى سائر أعمال اليمن^٧ . وذكر أنهم كانوا يكبرتون أباعرهم ، يطلونها بالكبريت مخلوطاً بالدمس والخضخاض ، وهو ضرب من النفط أسود رقيق لا خثورة فيه ، وليس بالقطران ، لأنه عصارة شجر أسود خائر . وكانوا يستحمون في العيون التي يجري منها الماء مشوباً به ، ولها رائحة الكبريت^٨ .

و (الجزع) من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام .

١ قال الراجز :

- أخضر من معدن ذي قساس كأنه في الحير ذي الاضراس
ترمي به في البلد الدهاس
٢ تاج العروس (٢١٧/٤) ، (قس) ، العرب (٩٩٢) ، (آب) (١٩٦٨) .
الصفة (٢٠٢) .
٣ ثمرات الاوراق (١٣٣/٢) ، (حاشية على المستطرف) .
٤ ثمرات الاوراق (١٣٣/٢) ، العقد الفريد (٣٧٠/٣) ، اللسان (٤٥٢/٢) ، الروض
الانف (٩/١) ، تاج العروس (١٤٥/٢) .
٥ تاج العروس (٢٥٤/٤) ، (نحس) .
٦ تاج العروس (٣٣٧/٣) ، (صفر) .
٧ ابن المجاور (١٩٠/٢) وما بعدها) .
٨ تاج العروس (٥٧٥/١) ، (كبرت) .

وقد تحفر عليها كتابة أو صوراً^١ . وقد عثر على فصوص من هذا النوع في مواضع عديدة من الآثار في اليمن وفي العربية الجنوبية والغربية وفلسطين . وذكر علماء اللغة أن الجزع : الحرز الياني الصيني ، وزاد بعضهم الصيني ، فيه سواد وبياض تشبه به الأعين . قيل إنه مُسمّي جزعاً ، لأنه مجزّع ، أي مقطّع بألوان مختلفة . وقد أشير إليه في شعر امرئ القيس^٢ . ومن الجزع : الجزع السماوي ، وهو العشاري من وادي عشار^٣ .

وقد اشتهرت (ظفار) بالجزع . فقليل : (جزع ظفار)^٤ . قيل إنه من (ظفار الحقل) ، قرب صنعاء على مرحلتين منها ، وقيل إنه منسوب إلى (ظفار أسد) مدينة باليمن^٥ . وكان لعائشة عقد من جزع ظفار^٦ . واستخرج أيضاً من جبل شبام^٧ . ومن معادنه معدن صهر ، ومعدن سعوان ، ومعدن عذيق ، بخلاف خولان^٨ . ومن الجزع الموشى والمُسَيَّر ، وهو في مواضع من اليمن ، منها النقي^٩ .

وعرفت اليمن بالعقيق ، تتخذ منه الفصوص ، يؤتى به من اليمن من معدن له على مرحلة من (صنعاء) يقال له (مقرأ) (مقرى) . وهو أجود من عقيق غيرها^{١٠} . ويوجد عقيق آخر يستورد من الشحر . وقد تختم

-
- ١ الإشارة إلى محاسن التجارة (ص ١٨) .
 - ٢ كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب وقال أيضاً :
 - فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشير مخول
 - القاموس (١٢/٣) ، (جزع) ، تاج العروس (٣٠٠/٥) ، (جزع) ، ابن الجاور (١٨٤/٢) .
 - ٣ الأكليل (٣٠/٨) ، العرب (٩٩٨) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٤ قال المرقش الأكبر :
 - تحلين ياقوتا وشذرا وصنعة
 - تاج العروس (٣٠٠/٥) ، (جزع) .
 - ٥ تاج العروس (٣٧٠/٣) ، (ظفر) .
 - ٦ تاج العروس (٣٠٠/٥) ، (جزع) .
 - ٧ ابن الجاور (١٨٤/٢) .
 - ٨ الأكليل (٣٠/٨) ، العرب (٩٩٧ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٩ الصفة (٢٠٢) .
 - ١٠ تاج العروس (١٠٣/١) ، (قرأ) .

به^١ . وذكر انه يستخرج من جبل شبام^٢ . ومن (الهام) ، ومن (الهان) ،
ومن (شهارة) ، ومن قساس^٣ . وذكر (الهمداني) ، ان العقيق الأحمر ،
والعقيق الأصفر العتيقين من ألهان^٤ .

وقد عرف معدن (بقران) بالأحجار التي تستخرج منها الفصوص البقرانية .
وهو في خلاف بني نجيذ من اليمن^٥ . وذكر (الهمداني) ، أن (البقران)
ألوان ، ويبلغ المثلث بها مالا^٦ ، إذ يشتري بأسعار عالية ، وهو أن يكون وجهه
أحمر ، فوق عرق أبيض ، فوق عرق أسود . ويوجد البقران بجبل أنس ، وهو
ينسب الى أنس بن ألهان بن مالك^٦ .

ومن الأحجار الأخرى : الفصوص السعوانية من سعوان ، واد الى جنب
صنعاء ، وهو فص أسود فيه عرق أبيض ، ومعدنه بشهارة ، وعيشان من بلد
حاشد الى جنب هنوم ، وظليمة والجمش من شرف همدان . والعشاري ، وهو
الحجر السماوي^٧ .

ومن الفصوص الثمينة : (الدهنج) كالزمرد ، حصي أخضر تتخذ منه الفصوص ،
وأجوده : (العدسي)^٨ . ومن معادنه حرة بني سليم^٩ ، وحرة النار^{١٠} .

ومن الجواهر الأخرى : (الزمرد)^{١١} والزبرجد^{١٢} ، و (الشذر) ، قطع من
الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة الحجارة ، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل
بها اللؤلؤ والجوهر ، وقيل خرز يفصل بها ، أو اللؤلؤ الصغار^{١٣} .

و (الجمست) معدن يستخرج من (الصفراء) على ثلاثة أيام من المدينة ،

-
- | | |
|----|---|
| ١ | تاج العروس (١٥/٧) ، (عق) . |
| ٢ | ابن المجاور (١٨٤/٢) . |
| ٣ | العرب (٩٩٨) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ٤ | الصفة (٢٠٢) . |
| ٥ | تاج العروس (٥٦/٣) ، (بقر) . |
| ٦ | الصفة (٢٠٢) . |
| ٧ | الصفة (٢٠٢) . |
| ٨ | تاج العروس (٤٦/٢) ، (دهنج) . |
| ٩ | العرب (٩٩٥) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ١٠ | العرب (٩٩٥) ، (آب ١٩٦٨) ، تاج العروس (١٣٥/٣) . (حر) . |
| ١١ | تاج العروس (٣٦٤/٢) ، العرب (٩٩٦) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ١٢ | تاج العروس (٣٦٣/٢) ، (الزبرجد) . |
| ١٣ | تاج العروس (٢٩٤/٣) ، (شذر) . |

وهو في جملة ما يقال له (القوارير)^١ . والبلور ، ويستخرج من البراري من بين الحصى ، ومن (ضهر) ، و (سعوان) ، ومن (عذيقه) بخلاف خولان ، ومن وادي عشار ، ومن الهان ، وشهارة^٢ .

و (الدرة) اللؤلؤة العظيمة ، وما أعظم من اللؤلؤ^٣ . ويستخرج اللؤلؤ من الخليج ، وقد اشتهرت البحرين به منذ أيام ما قبل الإسلام . وأما (الياقوت) ، فأجوده الأحمر الرماني ، وقد استورد من سرنديب (سيلان)^٤ .

والزاج ، مشهور في اليمن ، ويقال له الشب اليمني ، وهو من الأدوية^٥ . و (الشب) ، حجارة يتخذ منها الزاج وما أشبهه ، وأجوده ما جلب من اليمن ، وهو شب أبيض له بصيص شديد ، وقد استعمل في دباغة الجلود . وقد أشير إليه في الحديث . وذكر بعض العلماء ان الزاج كثير الأصناف ، وهو غير الشب ، وينبعثان من معدن واحد ، والشب من المعادن الأربعة التي لم تكمل صورتها ، وهي الزاج والملح والنواذر والشب ، والشب يشبه الزاج وفيه بعض حموضة ، وأما الزاج فحموضته أكثر ، والشب أنواع^٦ . وقد ذكروا انه ماء يقطر ، فيجمد قبل أن يصل الى الأرض ، فيصير هذا الشب اليمني . ومن معدنه (إسبيل) ، جبل من ديار عنس من مذحج ، بقربه مقطر الشب^٧ ، ومعدن الأشعر . ويظهر من أقوال أهل الأخبار انهم كانوا يستخرجونه من (غرض) الجبال ، وهي شقوق تكون في الجبل ، يحفرون بها ، ويستخرجون منها الشب^٨ .

ويطلق العرب على الموضع الذي يستخرجون المعدن منه (المعدن) . وقد عرفوا (المعدن)^٩ بأنه منبت الجواهر من ذهب ونحوه ، ومكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والأشياء . ومنه حديث بلال بن الحرث

-
- ١ تاج العروس ٣/٤٩١ ، (قرر) ، العرب (٩٩٦) ، (آب ١٩٦٨) ،
 - ٢ الأكليل (٣٠/٨) ، العرب (٩٩٧) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (٢٠٢) .
 - ٣ تاج العروس (٢٠٤/٣) ، (در) .
 - ٤ تاج العروس (٥٩٨/١) ، (ياقوت) .
 - ٥ تاج العروس (٥٥/٢) ، (زوج) .
 - ٦ تاج العروس (٣٠٨/١) ، (شبب) .
 - ٧ العرب (٩٩٣) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٨ العرب (٩٩٤) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٩ كمجلس .

أن الرسول أقطعه معادن القبيلة جلسيها وغوريها . وهي المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض^١ . وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام ، وقيل ناحية من نواحي الفرع ، بين نخلة والمدينة^٢ . ومن المعادن : معدن الغاف^٣ ، ومعدن النقرة ، منزل لحاج العراق بين إصاخ وماوان ، وبها سوق ، وبها بركة وثلاثة آبار وآبار صغار للأعراب تنزح عند كثرة الناس ، وعندها تفترق الطريق . فمن أراد مكة نزل المغيثة ، ومن أراد المدينة أخذ نحو العسيلة فترها^٤ . و(العيسان) من معادن بلاد العرب^٥ .

ومن المعادن التي لم يخصص أهل الأخبار نوع معدنها : معدن (البشر)^٦ ، ومعدن النميرة^٧ (التميرة ؟) ، ومعدن (حليت)^٨ ، ومعدن (الخربة)^٩ ، ومعدن (خزبة)^{١٠} ، ومعدن (خصلة)^{١١} ، ومعدن (الشبيكة)^{١٢} ، ومعدن (الشجرتين)^{١٣} ، ومعدن (عراقيب)^{١٤} ، ومعدن (ذي العوسج)^{١٥} ، ومعدن (العيسان)^{١٦} لبني نمير ، ومعدن (عيهم)^{١٧} ، ومعدن (قساس) ، وقد كشف فيه حديثاً معدن الحديد^{١٨} ، ومعدن (الكوكبة) ، ويظهر انه كان

-
- ١ تاج العروس (٢٧٥/٩) ، (عدن) .
 - ٢ تاج العروس (٧٣/٨) ، (قبل) .
 - ٣ تاج العروس (٢١٤/٦) ، (غيف) .
 - ٤ تاج العروس (٥٨٢/٣) ، (نقر) .
 - ٥ تاج العروس (٤١١/٤) ، (العيص) .
 - ٦ بلاد العرب (٧٤) .
 - ٧ بلاد العرب (٣٨٢) ، العرب (٩٨٨) ، (آب ١٩٦٨) .
 - ٨ بلاد العرب (١٠٧) .
 - ٩ بلاد العرب (٣٧٩) .
 - ١٠ بلاد العرب (٣٧٩ ، ٣٨٢) .
 - ١١ بلاد العرب (٣٨ ، ٤٥) .
 - ١٢ بلاد العرب (٢٤١) .
 - ١٣ بلاد العرب (٩٦) .
 - ١٤ بلاد العرب (١٠٧) .
 - ١٥ بلاد العرب (٢١٠) .
 - ١٦ بلاد العرب (٣٧٠ ، ٣٨٢) ، البلدان (٧٥٣/٣) .
 - ١٧ بلاد العرب (١٨٣) .
 - ١٨ بلاد العرب (٢٣٦) .

من معادن الفضة^١ ، ومعدن الزبدة^٢ ، ومعدن النقيب^٣ ، ومعدن (منضج) ، وهو اسم معدن جاهلي بالحجاز عند جوبة ماء عظيمة يجتمع فيها الماء^٤ ، ومعدن اللقط^٥ ، ومعدن (ماوان) ، وهو معدن مشهور^٦ ، ومعدن (النصب) من معادن القبلية^٧ ، ومعدن (النقرة)^٨ ، وب (بيش) ، وهو بخلاف من مخاليف مكة عدة معادن^٩ . ومعدن شمام ، و (بحران) ، وهو بناحية الفرع من الحجاز به معدن للحجاج بن علاط البهري ، له ذكر في سرية (عبدالله بن جحش)^{١٠} ، و (حوراء) بناحية المدينة وبها معدن البرام^{١١} . ومعدن (فران) ، وينسب الى (فران بن بلي بن عمرو)^{١٢} . ومعدن (المحجة) بين العمق وبين أفيعة^{١٣} . ومعدن هبود لبني نمير^{١٤} .

والمالح من المواد التي تاجر بها الجاهليون . وتوجد معادنه في مواضع متعددة من جزيرة العرب . وقد كان بعضهم يستحضره من المياه المالحة ، ومنهم من كان يستخرجه من مناجم تحفر ، فيستخرج منها . وقد ذكر (الهمداني) أسماء مواضع وجدت فيها معادن المالح^{١٥} . وقد أشير في (المسند) الى المالح والى الاتجار به ، والى وجود كيالين كانوا يكيلونه ويرسلونه الى الأسواق لبيعه فيها . ومن أشهر مواضع المالح في اليمن : جبل المالح في بلاد مأرب ، وهو ملح صاف كالبلور ، وكان النبي قد أقطعه (الأبيض بن جبال)^{١٦} .

-
- | | |
|----|--|
| ١ | بلاد العرب (٣٨٢ وما بعدها) . |
| ٢ | بلاد العرب (٣٩٤) . |
| ٣ | بلاد العرب (١٨١) . |
| ٤ | تاج العروس (٢/٢٤٠) ، (نضج) ، العرب (٩٨٤) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ٥ | العرب (٩٨١) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ٦ | العرب (٩٨٢) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ٧ | العرب (٩٨٥) ، (آب ١٩٦٨) . |
| ٨ | ابن خرداذبة (١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٧) ، تاج العروس (٣/٥٨٢) ، (نقر) ، العرب (٩٨٧ وما بعدها) ، (آب ١٩٦٨) ، الصفة (١٨٤ وما بعدها) . |
| ٩ | تاج العروس (٤/٢٨٥) ، (بيش) . |
| ١٠ | تاج العروس (٣/٣١) ، (بحر) . |
| ١١ | تاج العروس (٥/٢٢٩) ، (نبط) . |
| ١٢ | الصفة (١٧٠) . |
| ١٣ | الصفة (١٥٤) . |
| ١٤ | بلاد العرب (٣٨٢) . |
| ١٥ | الصفة (١٥٥) . |
| ١٦ | الصفة (٢٠١) . |

وقد استغل التجار (مكر) في العربية الجنوبية تجارة الملح ، فأخذوا يستغلون مناجمه ، ويحملونه منها قوافل الى الأسواق . ونظراً الى سعة هذه التجارة والى كثرة الملح المستخرج ، ظهرت جماعة عرفت بـ (زلا) (سلا) في لغة المسند، تخصصت بكيال الملح وتعبثته في الجوانق لإرساله الى الأسواق^١ .

الأحجار :

واستفيد من الأحجار في البناء ، ولاسيما في العربية الجنوبية ، إذ كان الحجر مادة البناء عندهم . ويقطع من المقالع قطعاً بعضها ضخمة استخدمت في بناء الأبنية المهمة مثل : قصور الملوك والمعابد والسدود وبيوت السادات .

ولشيت الأحجار ولصقتها بعضها فوق بعض ، استخدم (الجص) ، ويقال له (القص) بلغة أهل الحجاز . واللفظة معربة على ما يذكره علماء اللغة^٢ . و (النورة) حجر يحرق ويستخدم في البناء ، و (البورق) ، وهو حجر يحرق أيضاً ، ويستعمل لتبييض الجدران ، ومواد أخرى تشبه (السمنت) في قوتها وفي صلابتها وفي تثبيت الأحجار بعضها فوق بعض .

ويقال لبعض أنواع الأحجار (المُنْسَى) ، وتعمل منها نصب السكاكين^٣ . و (الشزب) ، حجر يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداخن وقحف^٤ . و (الهيصمي) وهو حجر يشاكل الرخام ، إلا أنه أشد بياضاً يخروط منه كثير من الآنية^٥ .

وقد نحت النحاتون من بعض الحجارة قدوراً للطبخ، عرفت عندهم بـ (البرمة) . وقيل البرمة قدر نحت من حجارة أو عمل من حديد أو نحاس . و (المبرم) صانعها أو من يقتلع حجارتها من الجبال فيسويها وينحتها . وقيل للمعدن الذي تقتلع منه هذه الحجارة : (معدن البرم) و (معدن البرام)^٦ . ومن هذه المعادن

Glaser 1571, Arabien, S. 124.

١ تاج العروس (٣٧٧/٤) ، (جص) .
٢ الصفة (٢٠٢) .
٣ الصفة (٢٠٣) .
٤ الصفة (٢٠٢) .
٥ تاج العروس (١٩٨/٨) ، (برم) ، الصفة (١٢١) .
٦

(قدقد) ، جبل به معدن البرام^١ .

وكانوا يحفرون المعادن ويدخلون المنجم لاستخراج المعدن منه . وقد ينهار المعدن على حافره فيقتله . والى ذلك أشير في الحديث : « المعدن جبار والبشر جبار والعجماء جبار » . ومعناه أن تنفلات البهيمة العجماء فتصيب في انقلاتها انساناً أو شيئاً ، فجرحها هدر ، وكذلك البشر العادية يسقط فيها انسان فيهلك ، فدمه هدر . والمعدن اذا انهار على حافره فقتله فدمه هدر . ومعناه اذا انهار على من يعمل فيه فهلك ، لم يؤخذ به مستأجره^٢ .

النسيج والحياكة :

وقد اشتهرت اليمن عند ظهور الإسلام بالنسيج والحياكة . وهي قد أصدرت أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب الى مختلف أنحاء جزيرة العرب اكتسبت شهرة بعيدة في كل مكان ، لجودة صنعها ونفاضة مادتها . ومن ثياب أهل اليمن الناعمة الثياب التي تعرف باسم (الخال) ، وهو ثوب ناعم ، وضرب من البرود ، وقيل برد أرضه حمراء فيها خطوط سود^٣ . و (الوصائل) ، وهي ثياب يمانية حمراء أو ثياب حمراء مخططة ، أو برود حمراء فيها خطوط خضراء . والعصب ، وهي ضرب من البرود وضرب من الثياب ، يعصب غزلها ، أي يدرج ثم يحاك ، وليس من برود الرقم . وقيل العصب : برود يمانية يعصب غزلها ، أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج ، فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض ، لم يأخذه صبغ وقيل برود مخططة . وورد أن (عمر بن الخطاب) أراد أن ينهى عن عصب اليمن . وقال نبئت أنه يصبغ بالبول ، ثم قال : نهينا عن التعمق . ويدل هذا الخبر إن صح ، على أن البرود العصب ، هي البرود المشدودة المصبوغة بالعصب ، ولا ينبت العصب والورس إلا في اليمن . وهو يسدل أيضاً . على أن العصب

١ تاج العروس (٢/٤٦١) ، (قد) .

٢ تاج العروس (٣/٨٥) ، (جبر) .

٣ قال الشماخ :

وبردان من خال وتسعون درهما على ذاك مقروط من الجلد ماعز

تاج العروس (٧/٣١١) ، (خول) ، (٧/٣١٣) ، (خيل) .

٤ تاج العروس (٨/١٥٦) ، (وصل) .

صبغة تستخرج من نبات العصب ، تصبغ بها البرود ونحوها من الأشياء^١ .
 والمرجل (المرحل) ، ثياب من الوشي فيها صور المراحل^٢ . ويظهر أنها
 المراحل ، جمع (الرجل) . والمرجل (المرحل) برد يمانى ، ومن أمثالهم :
 حديثاً كان بردك مرجلياً ، أي انما كسيت المراحل حديثاً ، وكنت تلبس العباء.
 ويظهر انها كانت موشاة وكانت من ألبسة المترفين ، ففي الحديث : « حتى يبني
 الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحل » ، يعني تلك الثياب ، ويقال لها أيضاً المراحل
 بالجيم^٣ . وذكر ان (المرحل) ، برد فيه تصاوير رحل وما ضاهاه^٤ .
 وقد صورت بعض ثياب أهل الجاهلية ونمقت ، ومنها ثياب صلبت ، أي
 نقشت بالصلبان . وقد نهى الرسول عن لبس هذه الثياب ، وذكر انه نهى عن
 الصلاة بالثوب المصلب^٥ .

والمقطعات من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قص وجباب وسراويلات
 وغيرها ، وما لا يقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والرباط التي لم تقطع وانما
 يتعطف بها مرة ويتلفع بها أخرى . وقيل القصار من الثياب، وبرود عليها وشي^٥ .
 والحبرة، وهي ضرب من ضروب البرود كذلك ، وهي البرود الموشاة المخططة.
 وقيل ضرب من برود اليمن منمر . وذكر أن الحبير الثوب الجديد الناعم . وفي
 حديث أبي ذر : الحمد لله الذي أطعمنا الحبير وألبسنا الحبير^٦ . وفيه دلالة
 على أن (الحبير) من ألبسة المتكئين ، وليس في وسع الفقراء اقتناؤها .
 والمعاجر ، من ضروب الثياب المصنوعة في اليمن . والمعجر ثوب تعجر به
 المرأة، أصغر من الرداء وأكبر من المقنعة . وقيل ثوب يمني يلتحف به ويرتدى^٧ .
 و (السبراء) ، وهي ثياب مخططة ، ونوع من البرود ، فيه خطوط صفر ،

- ١ تاج العروس (١/٣٨٢ وما بعدها) ، (عصب) .
- ٢ تاج العروس (٧/٣٣٩) ، (رجل) ، القاموس (٣/٣٨٢) .
- ٣ قال امرؤ القيس :
- فقمتم بها أمشي تجر وراءنا على أثرنأ أذيال مرط مرحل
 يروى بالحاء والجيم ، أي معلم . تاج العروس (٧/٣٤٧) ، (رحل) .
- ٤ تاج العروس (١/٣٣٧) ، (صلب) .
- ٥ تاج العروس (٥/٤٧٥) ، (قطع) .
- ٦ تاج العروس (٣/١١٨) ، (حبر) .
- ٧ تاج العروس (٣/٣٨٣) ، (عجر) .

أو يخالطه حرير والذهب الخالص ، وقيل ثوب مسير فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، أو خطوط من الذهب . وهي من حلل الأغنياء والكبراء . روي أن (أكيدر) أهدى الى الرسول حلة سبراء ، وفي حديث عمر : رأى حلة سبراء تباع ^١ .

والثياب السحولية ، أثواب كرسف من ثياب (سحول) موضع باليمن تنسج به الثياب السحولية ، وتحمل منه الى سائر الأنحاء . وهي ثياب قطن بيض . قال طرفة :

وبالسفح آيات كأن رسومها يمان وشته ربذة وسحول^٢

وذكر ان السحل ثوب أبيض رقيق من القطن ، أو من الكرسف من ثياب اليمن . والسحيل الخيط غير مفتول ، والغزل الذي لم يبرم ، فأما الثوب ، فإنه لا يسمى سحيلاً ولكن يقال له : السحل ، وقيل : السحيل الخيط غير مفتول ، ومن الثياب ما كان غزله طاقاً واحداً . والمبرم المفتول الغزل طاقين . و (المتأم) ما كان سداه ولحمته طاقين ليس بمبرم ولا مسحل . والسحل والسحيل الحبل الذي على قوة واحدة ، والمبرم الذي على طاقين . وذكر ان السحيل من الحبل الذي يقتل فتلاً واحداً كما يقتل الخياط سلكه ، والمبرم أن يجمع بين نسيجتين فيفتلا حبلاً واحداً ^٣ . ولما توفي الرسول ، كفن في ثلاثة أثواب سحولية ، ويروى في ثوبين سحوليين ^٤ .

وقد اشتهرت عدن بصنع البرود كذلك . ورد في الحديث أن الرسول كان قد استعمل هذه البرود ^٥ . وقد عرفت بـ (العدني) وبـ (العدنيات) . وهي ثياب كريمة نسبت الى عدن ، واشتهرت برياطها ، فقيل : (رياط عدنيات) ^٦ .

-
- ١ تاج العروس (٣/٢٨٧) ، (سير) .
 - ٢ تاج العروس (٧/٣٧٢) ، (سحل) .
 - ٣ تاج العروس (٧/٣٧١) ، (سحل) .
 - ٤ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصرالدين الاسد ، (ص ٦) ، (دار المعارف) بمصر ، تاج العروس (٧/٣٧٢) ، (سحل) .
 - ٥ مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣٨/١٠) وما بعدها .
 - ٦ تاج العروس (٩/٢٧٦) ، (عدن) .

وقد اشتهرت قطر بنوع من الثياب يقال لها : الثياب القطرية ، كما اشتهرت بنوع من النجائب : هي (النجائب القطريات)^١ . وذكر أنها برود من غليظ القطن ، أو هي برود خمر لها أعلام فيها بعض الحشونة . وجاء في الحديث أن الرسول توشح بثوب قطري^٢ .

واشتهرت (هجر) بثيابها كذلك ، واعتبرت من الملابس الفاخرة التي تستحق الإهداء . ولما أرسل الرسول (سليط بن عمرو العامري) الى (هوزة بن علي الحنفي) ، أجاز هوزة (سليطاً) بجائزة وكساه أنوباً من نسج هجر^٣ . وقد اشتهرت برود وثياب اليمن بجودة النسيج وبحسن الصنعة والدقة . كما امتازت بألوانها وبوشبها ، والوشى النمنمة والنقش^٤ . ومنها المرحل ، وهي برد فيه تصاوير رحل ، والمرط المرحلة ، ومنه الحديث كان يصلي وعليه من هذه المرحلات ، يعني المرط المرحلة^٥ .

ومن برد اليمن المعروفة (الخمس) ، ويقال لها أيضاً الخميس . ذكر انه انما قيل للثوب خميس ، لأن أول من عمله ملك باليمن يقال له الخِمس ، أمر بعمل هذه الثياب فنسبت اليه^٦ . و (الفوف) من برود اليمن ، وهي ثياب رقاق موشاة^٧ .

ولأهل المعافر ثياب جيدة ، وهم يستعملون (السكينية) في رؤوسهم ، وهم من حمير ، وملوكهم (آل الكرندي)^٨ .

واشتهرت (صحار) ، قصبة عمان مما يلي الجبل ، بثياب عرفت بها ، فقيل لها (ثوب صحاري) ، وثياب صحارية . وفي الحديث ان رسول الله كفن في ثوبين صحارين^٩ .

وقد اشتهرت (الحيرة) بنوع من الأنماط ، تزين بها الرجال ، حتى عرف

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| ١ | القاموس (١١٩/٢) . |
| ٢ | تاج العروس (٥٠٠/٣) ، (قطر) . |
| ٣ | ابن سعد ، طبقات (٢٦٢/١) . |
| ٤ | تاج العروس (٣٩١/١٠) ، (وشى) . |
| ٥ | تاج العروس (٣٤١/٧) ، (رحل) . |
| ٦ | تاج العروس (١٤٠/٤) ، (خميس) . |
| ٧ | تاج العروس (٢١٥/٦) ، (فوق) . |
| ٨ | الصفة (٩٩) . |
| ٩ | تاج العروس (٣٢٧/٣) ، (صحر) . |

بها ، فقيل : (الحاري)^١ . والنمط ، ظهارة فراش ما ، أو ضرب من البسط ، أو ثوب صوف يطرح على الهودج ، له خمل رقيق . وقيل : ضرب من الثياب المصبغة ، ولا تكاد العرب تقول : نمط ، إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة ، أو صفرة ، فأما البياض ، فلا يقال أنماط^٢ .

وقد اشتهرت صناعة البسط في جزيرة العرب . وهناك أنواع عديدة منها تنسب الى مواضع متعددة . وهي تصنع من الأصواف ومن شعر المعز . ويشتغل بنسجها النساء والرجال . وقد اشتهرت بعضها باسم (العبقرى) و (العباقرى) . وفي الحديث : أنه كان يسجد على عبقرى ، وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش . وذكر بعض العلماء أن (عبقرة) موضع باليمن أو بالجزيرة ، يوشى فيه الثياب والبسط ، ثيابه في غاية الحسن والجودة ، فصارت مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع^٣ .

وقد اشتهرت اليمن بكثرة المشتغلين من أهلها بالحياكة ، وعرفت بها بقية العربية الجنوبية . وقد قيل في انتقاص أهل اليمن وفي النيل منهم ؛ أنهم بين حائك برد وسائس قرد . ونسوة حوائك ، يشتغلن بالحياكة . ورد في شعر ذي الرمة قوله يصف محلة :

كأن عليها سحق لفق تأنقت بها حضرميات الأكف الحوائك^٤

وأشير الى الحياكة في نصوص المسند، إذ كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات في اليمن . وقد عرف (الحائك) عندهم بـ (انم)^٥ . وكان أهل مكة يقصدون اليمن ، فيشترون منها الألبسة اللطيفة الجيدة ويحملونها الى الأسواق لبيعها ، ومنها أسواق بلاد الشام .

وقد نشأت من الألياف والخوص وعيدان بعض الأشجار صناعة ، فاستفيد من خوص الدوم في صنع أحفاش النساء ، والدوم شجر المقل ، واحدها دومة^٦ .

-
- | | |
|---|--------------------------------|
| ١ | تاج العروس (١٦٦/٣) ، (حار) . |
| ٢ | تاج العروس (٢٣٤/٥) ، (نمط) . |
| ٣ | تاج العروس (٣٧٩/٣) ، (عبقر) . |
| ٤ | تاج العروس (١٢٤/٧) ، (حاك) . |
| ٥ | Glaser 1000 A, Arabien, S. 24. |
| ٦ | تاج العروس (٢٩٧/٨) ، (دوم) . |

واستفيد من لحاء الخزم في صنع الحبال ، ويقال لصانعيها (الخزام)^١ ، وسفّ الخوص على هيئة سفرة ، ويقال لذلك السمكة^٢ . وصنعت الحصر من بردي وأسل ومن الخوص^٣ . وقيل للحصير المنسوج من سقف النخل (الفحل) . وأما الحصير المنسوج من الدوم ، فيقال له (الطليل)^٤ . والبارية الحصير . قال بعضهم : الحصير المنسوج من القصب^٥ .

وتاجر أهل اليمن بـ (الخضاب) ، ويكون ذلك بالخناء ، وإذا كان بغير الخناء قيل : صبغ شعره . وذكر أهل الأخبار أن (عبد المطلب) أول من خضب بالسواد من العرب ، وكل ما غير لونه ، فهو مخضوب^٦ . وكانوا يخضبون به الأطراف كذلك^٧ . واختضبوا بـ (الوسمة) كذلك^٨ . وكانوا إذا أرادوا الحصول على لون أسود قاتم ، ليبدو الشعر به أسود ، خلطوا الخناء بالوسمة . والخناء ورق نبات ، وكذلك الوسمة ، يدقان حتى يصيران كالطحين الناعم جداً ، أو يطحنان ، ثم يعجن الطحين بالماء فيخضب به . ويخلطون بالخناء دقيق ورق البشام فيسود الشعر^٩ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | المخصص (١١/١٣٦ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/٢٧٤) ، (خزم) . |
| ٢ | تاج العروس (٩/٣٩٢) ، (سهم) . |
| ٣ | تاج العروس (٣/١٤٣) . |
| ٤ | تاج العروس (٧/٤٢٠) . |
| ٥ | تاج العروس (٣/٦٠ وما بعدها) . |
| ٦ | تاج العروس (١/٢٣٦) ، (خضب) . |
| ٧ | تاج العروس (١/٢٣٦) ، (خضب) . |
| ٨ | تاج العروس (٩/٩٤) ، (وسم) . |
| ٩ | تاج العروس (٨/٢٠٣) ، (بشم) . |

الفصل الثالث عشر بعد المئة

حاصلات طبيعية

الصبغ :

والصبغ ما يلون به . وقد استخرج أهل الجاهلية الأصباغ من بعض النبات ، لاستعمالها في الصناعة أو في البناء وفي صبغ الانسجة . واشتهرت مواضع من جزيرة العرب بمحذقتها في الصباغة ، وباتقانها استخراج الصبغ من النبات وبعض المعادن . وقد كانت سلعة مطلوبة رائجة ، لأنها جيدة ثابتة لا تتغير بسرعة .

وقد عصفرو الجاهليون ثيابهم بالعصفر . وهو نبات ينبت بأرض العرب ، سلافته الجريال ، صبغ أحمر^١ وبزره (القرطم) ، الذي يصبغ به منه^٢ . وصبغوا ب (الفرصاد) ، وهو صبغ أحمر^٣ : وب (الفوة) ، عروق يصبغ بها . وقيل : هي عروق حمر دقاق لها نبت يسمو في رأسه حب^٤ أحمر شديد الحمرة كثير الماء يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذبالاً مظهرة كما تجرّ ثياب الفوة العرس

واستعملت (الفوة) دواءً لمعالجة الجلد^٥ .

-
- ١ تاج العروس (٢٥٥/٧) ، (جَرَل) .
 - ٢ تاج العروس (٤٠٨/٣) ، (عصفر) .
 - ٣ تاج العروس (٤٥١/٢) ، (الفرصد) .
 - ٤ تاج العروس (٢٨٥/١٠) ، (الفوة) .

و (الاحريض) العصف ، يقال حرض ثوبه إذا صبغه بالاحريض^١ .
و (النكع) اللون الأحمر ، وزهرة حمراء يصبغ بها . و (النكعة) ثمر النقاوى ،
وهو نبت أحمر ، ومنه الحديث : كانت عيناه أشد حمرة من النكعة . وهي صمغة
القتاد (القتاد)^٢ . و (الصيرف) صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال^٣ . و (الك) نبت
يصبغ به ، وهو صبغ أحمر يصبغ به جلود البقر والمعز وغيرها ، و (اللكاء) الجلود
المصبوغة بالك^٤ .

وأكثر أصباغهم ، هي أصباغ أخذت من النبات . وهو شيء طبيعي لسهولة
استحصال الأصباغ من النبات ، ولتوفره لديهم في الحضر وفي البر . أما الأصباغ
المستخرجة من المعادن ، فهي أقل بكثير من الأصباغ المستخرجة من النبات ، لما
يحتاج استخراج الأصباغ منها الى مهارة وحذق وتقدم في الصناعة والعلم .

العصير :

والعصير ، هو ما يجلب من الشيء اذا عصرته ، وهو العصاره . ويعصر كل
ماله دهن أو شراب أو عسل ، وأمثاله . و (المعصرة) موضع العصر ، والمعصر ،
ما يعصر فيه العنب ، والمعصار الذي يجعل فيه الشيء فيعصر حتى يتحلب ماؤه .
والعواصر ، ثلاثة أحجار يعصر بها العنب ، يجعلون بعضها فوق بعض^٥ .
وتعصر الأشياء للشرب ، كالخمور والأشربة ، أو للتداوي ، لاستعمال العصير
دواءً يتداوى به ، أو لاستخراج الدهن من المعصور . وقد استعمل المزارعون
المعاصر لعصر الأعناب أو لاستخراج الزيوت من البسذور وتسمى (المعصرة)
(موته) في المسند ، من أصل (وهت)^٦ . ومن معاني هذه اللفظة الضغط
وشدة الدوس ، وهي تستعمل في الحقول كما تستعمل في البيوت وفي محلات الاتجار
بالزيوت .

- ١ تاج العروس (١٩/٥) ، (حرض) .
- ٢ تاج العروس (٥٣١/٥) ، (نكع) .
- ٣ تاج العروس (١٦٤/٦) ، (صرف) .
- ٤ تاج العروس (١٧٤/٧) ، (لك) .
- ٥ تاج العروس (٤٠٥/٣) ، (عصر) .
- ٦ REP. EPIGR. 2876, V. p. 209.

و (القطران) ، عصارة الأهل والارز ، وهو ثمر الصنوبر . يطبخ فيتحلب منه ، ثم يهنأ به الإبل^١ . ويتخذ القطران من الإثرار ، وهو شجر يقتدح سريعاً اذا كان يابساً^٢ . كما يتخذ من العرعر^٣ .

والزفت ، كالقير ، وقيل هو القار ، والزفت المطلق به ، وهو غير القير الذي يقير به السفن ، انما هو شيء أسود أيضاً يمتن به الزقاق الحمر . وقد نهى في الحديث عن المزيت والمقير . والزفت أيضاً دواء . وهو شيء يخرج من الأرض يقع في الأدوية^٤ . وذكر أهل الأخبار ، انهم كانوا يستخرجون (الزفت) من أعجاز شجر (الارز) وعروقه ، وانهم كانوا يستصبجون بخشب الأرز . وقد أشير اليه في الحديث^٥ . وقد استخرجوا الزفت من شجر (التنوب) وغيره من ضروب الصنوبر ، وهو قريب من دهن القطران^٦ .

الزيوت والدهون :

ويستعمل الحضر الزيت في أكلهم وفي تزيت شعرهم ، وفي أمور أخرى . وهم يحصلون عليه من النبات بعصر لب الثمر المنتشع بالزيت . واليمن هي على رأس الأمصار العربية في انتاج الزيت . زيت الزيتون وغيره ، وقد كانت تصدره الى الحجاز والى مواضع أخرى من جزيرة العرب . والزيت في اللغة دهن ، وهو عصارة الزيتون^٧ . ويعد التزيت ، أي التدهن بالزيت الجيد المطيب من علائم النعيم والرفاه .

و (السليط) ، الزيت عند عامة العرب وعند أهل اليمن دهن السمسم ، وقد ذهب بعضهم الى العكس . وقيل هو كل دهن عصر من حب . وذكر أن دهن

-
- ١ تاج العروس (٤٩٩/٣) وما بعدها ، (قطر) ، نهاية الارب (٣٢٣/١١) .
 - ٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٨) .
 - ٣ عرام (٤٠٣) .
 - ٤ تاج العروس (٥٤٦/١) ، (زفت) .
 - ٥ تاج العروس (٣/٤) ، (ارز) .
 - ٦ نهاية الارب (٣٢٤/١١) .
 - ٧ تاج العروس (٥٤٦/١) ، (زيت) .

السسم هو السبرج والحل^١ . و (السبرج) ، هو (الشبرج)^٢ ، دهن السسم^٣ ، و (الحلل) ، هو الشبرج ، أي دهن السسم^٤ .

ومن الدهون ، دهن يستخرجه أهل اليمن من (الكاذى) . والكاذى شجر شبه النخل في أقصى بلاد اليمن ، وطلعه هو الذي يصنع منه الدهن . وذكر أنهم كانوا يقطعون طلع (الكاذى) قبل أن ينشق ، فيلقى في الدهن ويترك حتى يأخذ الدهن ريحه ويطيب^٥ . ودهن الغار ، دهن يستخرج من شجر الغار ، وهو شجر الغار ، وهو شجر له حمل أصفر من البندق أسود يقشر ، له لب يستخرج منه الدهن ، وورقه طيب الريح يقع في العطر ، ويستعمل ثمره في الأدوية . ويستصبح بدهن الغار^٦ .

واستخرج أهل (الشوع) دهنًا منه ، كما يستخرج أهل السسم دهنًا منه . وذكر أن (الشوع) شجر البان ، الواحدة (شوعة) . وهو يربيع ويكثر على الجذب وقلة الأمطار ، وهو مطلوب مرغوب ، فكان الناس يسلفون في ثمره الأموال^٧ . و (البان) ، شجر يستخرج من حب ثمره دهن طيب يستعمل في التدخين وفي معالجة أمراض عديدة . وقد ذكر في شعر (امرئ القيس)^٨ .

وزيت مقنت ، إذا أغلي بالنار ومعه أفواه الطيب ، ودهن مقنت مطيب طبخ فيه الرياحين ، أو خلط بأدهان طيبة . والتفتت جمسم الأفوايه كلها في القدر وطبخها^٩ .

واستخرج من موم العسل شمع ، وهو ما يستصبح به . ويذكر علماء اللغة أن (الموم) لفظة مولدة جاءت من الفارسية ، وأن لفظة (الشمع) لفظة مولدة كذلك^{١٠} . ونظرًا لوجود العسل بكثرة في اليمن وفي (السراة) وفي مواضع أخرى

- ١ تاج العروس (١٥٨/٥) ، (ملط) .
- ٢ كصيقل وزينب .
- ٣ تاج العروس (٦٤/٢) ، (شرح) .
- ٤ تاج العروس (٢٨٦/٧) ، (حلل) .
- ٥ تاج العروس (٣١٢/١٠) ، (كذا) .
- ٦ تاج العروس (٤٥٧/٣) ، (غار) .
- ٧ تاج العروس (٤٠٤/٥) ، (شوع) .
- ٨ تاج العروس (١٤٧/٩) ، (البون) .
- ٩ تاج العروس (٥٧١/١) ، (قت) .
- ١٠ تاج العروس (٤٠٢/٥) ، (شمع) .

من جزيرة العرب في الجاهلية ، فلا استبعد استخدام أهل الجاهليين شمع العسل لصنع الشموع للاستصباح ولأغراض أخرى .

والحرض ، الأشنان تغسل به الأيدي على أثر الطعام . وشجرته ضخمة وربما استظل بها ، ولها حطب وهو الذي يغسل به الناس الثياب . وقد مدح الأشنان النابت بجو الحضارم باليامة . والحرّاض من يحرقه للقلي ، أي الذي يوقد على الحرض ليتخذ منه (القلي) للصباغين . يحرق الحمض رطباً ثم يرش الماء على رماده فينعدق فيصير قليلاً . قال عدي بن زيد العبادي :

مثل نار الحرّاض يجلو ذرى المزن لمن شامه إذا يستطير^١

و (القصيص) نبت ينبت في أصول الكمأة ، يجعل غسلاً للرأس . وقد ذكر في شعر عدد من الشعراء ، منهم امرؤ القيس ، والأعشى وعدي بن زيد العبادي^٢ .

الصمغ :

الصمغ في تعريف علماء العربية : غراء القرظ ، وهو الصمغ العربي ، ولكل شجر صمغ ، وهو نضجه فيسيل منه^٣ . وكانوا يشرطون الشجر ليخرج منه غراءه ، أو كانوا يعصرون بعض النبات ، فيخرج منه عصير ، يستخرجون منه صمغاً . ومن الأشجار التي استخرجوا منها الصمغ (الصاب) ، يشرط فيخرج منه غراء ، وهو شيء مرّ ، ينعقد كالصبر^٤ . واستخرجوا صمغاً من (القرظ) ، وهو شجر معروف في بلاد العرب ، استخرجوه من عصارته ، استفادوا منه في الطب ، دعاه الأطباء الاسلاميون : (أقاقيا)^٥ . و (الصرب) ، صمغ أحمر يستخرج من الطلح ، وقيل هو صمغ الطلح والعرفط ، وهي حمر كأنها سبائك تكسر بالحجارة^٦ .

-
- ١ تاج العروس (١٩/٥) ، (حرض) .
 - ٢ تاج العروس (٤٢٣/٤) ، (قصص) .
 - ٣ تاج العروس (٢٢/٦) ، (صمغ) .
 - ٤ تاج العروس (٣٤٠/١) ، (صوب) ، (٢٢/٦) ، (صمغ) .
 - ٥ تاج العروس (٢٥٨/٥) ، (قرظ) .
 - ٦ تاج العروس (٣٣٤/١) ، (صرب) .

والعرب تسمي صمغ العرفط عسلاً لحلاوته ، وعسل اللبني طيب ، وهو صمغ ينضج من شجرة يشبه العسل لا حلاوة له ، ويتبخر به . وعسل الرمث شيء أبيض يخرج منه كالجمان^١ .

و (الأيدع) ، صمغ أحمر يؤتى به من (سقطرى) ويتداوى به . داووا به الجراح . وذكر ان الأيدع صبغ أحمر ، وهو خشب البقم . وقيل هو دم الأخوين . وقيل الأيدع شجر له حب أحمر يصبغ به أهل البدو ثيابهم . وان البقم يحمل في السفن من بلاد الهند . وقد اشتهرت جزيرة سقطرى بأحسن أنواع الأيدع والصبر ، حتى قيل : صبر سقطرى^٢ . وذكر ان (دم الأخوين) هو (القاطر المكي) ، وهو عصارة حمراء^٣ .

وقد عرفت جزيرة العرب بتصديرها بعض أنواع الصمغ واللثي ، وهو شيء يسقط من شجر السمر ، أو هو ماء يسيل من الشجر كالصمغ ، فإذا جمد ، فهو صمغ صرور . وقيل شيء يسيل من الثام وغيره ، وللعرفط لثي حلو يقال له المغافير^٤ . والمغافير ، هو صمغ شبيه بالناطف ينضج العرفط ، وقد يكون المغفور للعشر والسلم والثام والطلح وغير ذلك . وورد ان المغافير : صمغ الرمث والعرفط ، وذكر أن المغافير عسل حلو مثل الرب إلا انه أبيض^٥ .

و (العلك) ، المضغ ، وصمغ الصنوبر والارزة والفسق والسر والينبوت والبطم ، وهو أجودها . يمزج في القم ، للتسليّة وللمنع العطش بظهور اللعاب في القم ، ولأغراض طبية^٦ . وقد اشتهر علك الضرو ، المستخرج من شجر الضرو ، الذي ينبت باليمن . ويعالج به في الطب^٧ .

و (الكندر) اللبان ، وهو ضرب من العلك ، يستخدم في الطب^٨ . واللبان شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين ولها ورقة مثل ورقة الآس ، وثمره مثل

-
- ١ تاج العروس (١٧/٨) ، (عسل) .
 - ٢ تاج العروس (٥٦٤/٥) ، (أيدع) .
 - ٣ تاج العروس (٥٠١/٣) ، (قطر) .
 - ٤ تاج العروس (٣٢٣/١٠) ، (لثي) .
 - ٥ تاج العروس (٤٥٣/٣) ، (غفر) .
 - ٦ تاج العروس (١٦٤/٧) ، (علك) .
 - ٧ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضري) .
 - ٨ تاج العروس (٥٢٩/٣) ، (الكندر) .

ثمرته ، وله حرارة في الفم . وهي من الصمغ . وذكر أن اللبان شجر الصنوبر^١ .
وذكر أن لحب ثمر اللبان دهن طيب ، وحبّه نافع لمعالجة جملة أمراض جلدية
وأعراض داخلية^٢ . وذكر أن (الشوع) ، شجر اللبان ، أو ثمره . قيل إنّه
يربع ويكثر على الجذب وقلة الأمطار ، والناس يسلفون في ثمره الأموال . وأهل
الشوع يستعملون دهنه ، كما يستعمل أهل السمسم دهن السمسم . وهو جبلي ،
وقيل ينبت في السهل والجبل^٣ .

وورد أن الكندر لا يكون إلاّ بالشحر من اليمن ، ومنابت شجره الجبال ،
وقد استعمل دواءً لمعالجة أمراض عديدة^٤ .

والصبر ، أنواع فيه العربي والأسقطري ، وأجوده (الأسقطري) . وهو
عصارة شجر ، ترك حتى تثخن ، ويشمس حتى يجف . وفي اليمن نوع منه
أحمر ملمع بصفرة^٥ .

و (الضجاج) مثل شجر (اللبان) يكون في أرض عمان . وهو صمغ أبيض
تغسل به الثياب ، فينقيها مثل الصابون^٦ . وذكر أنه ثمر نبت أو صمغ تغسل به
النساء رؤوسهن^٧ .

والمقل ، يستخرج من شجر يشبه الكندر ، طيب الرائحة ، وأكثر نباته فيما
بين الشحر وعمان ، وذكر أن المقل المكّي ، هو صمغ الدوم ، لأن الدوم هناك
يلدرك ويصمغ^٨ .

و (الدبس) عسل التمر وعصارتها ، وهو ما يسيل من الرطب . ويقال
له : (الصقر) في لغة أهل يثرب . وذكر أنه ما سال من جلال التمر . وأطلق
أيضاً على تحلب من الزبيب والعنب^٩ . و (الصقر) عند أهل البحرين ما سال

-
- | | |
|---|----------------------------------|
| ١ | تاج العروس (٣٢٩/٩) ، (لبن) . |
| ٢ | تاج العروس (١٤٧/٩) ، (البون) . |
| ٣ | تاج العروس (٤٠٤/٥) ، (شوع) . |
| ٤ | نهاية الارب (٢٩٩/١١) وما بعدها . |
| ٥ | نهاية الارب (٣٠٤/١١) وما بعدها . |
| ٦ | نهاية الارب (٣٠٩/١١) . |
| ٧ | تاج العروس (٦٨/٢) . |
| ٨ | نهاية الارب (٣٢١/١١) وما بعدها . |
| ٩ | تاج العروس (١٤٥/٤) ، (دبس) . |

من جلال التمر التي كثرت وسلك بعضها على بعض في بيت مخرج تحتها خواب
خضر ، فينعصر منها دبس خام كأنه العسل^١ .

والصيب عصارة ورق الحناء والعصفر ، وقيل هو العصفر^٢ .

الدباغة :

والدباغة حرفة الدباغ ، دبغ الإهاب بمسا يدبغ به^٣ . والإهاب الجلد من
البقر والغنم والوحش ، أو هو ما لم يدبغ^٤ . وقد استخدم الدباغون في ذلك مواد
مختلفة ، بعضها بدائية ، وعالجوا الجلد قبل دبغه لترقيقه وتنظيفه وصقله . وقد
اشتهرت في ذلك جملة مواضع ، منها : مدينة (جرش) ، وهي من مخاليف
اليمن من جهة مكة ، وقد نسب إليها الأدم المعروف بـ (أدم جرش) ، و (أدم
جرشي) ، وهي مدينة تسقى بالآبار ، يستخرج منها الماء بالدلاء ، على الإبل ،
وقد فتحت في حياة النبي في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفبيء ، وأن يتقاسموا
العُشر ونصف العشر^٥ . وقد اشتهرت بإبلها كذلك ، التي نسبت إليها^٦ . ومنها
(صعدة) ، في مخلاف خولان ، وكانت تسمى في الجاهلية (جامع) ، وكان
بها قصر قديم ضخم . ذكر (الممداني) أنها كورة بلاد خولان وموضع الدباغ
في الجاهلية ، وذلك أنها في موطن بلاد القرظ . وقد اشتهرت أيضاً بالنصال^٧ .
ونعتها بأنها « بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء » ، وهي في موطن بلد القرظ ، ربما
وقع فيها القرظ من ألف رطل إلى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدرهم القفلة^٨ .

والأدم من السلع المهمة المشهورة في تجارة أهل الجاهلية . والأديم ، الجلد
الذي قد تمّ دباغه . وقيل الجلد ما كان أو أحمره أو مدبوغه ، وقيل هو بعد

-
- ١ تاج العروس (٣/٣٣٩) ، (صقر) .
 - ٢ تاج العروس (١/٣٣١) ، (صبيب) .
 - ٣ تاج العروس (٦/٨) ، (دبغ) .
 - ٤ تاج العروس (١/١٥١) ، (أهب) .
 - ٥ البلدان (٣/٨٥) .
 - ٦ تاج العروس (٤/٢٨٧) ، (جرش) .
 - ٧ الصفة (٦٦ وما بعدها) .
 - ٨ الصفة (١١٤) .

الافيق ، وذلك إذا تمّ واحمر^١ . ويدخل في الحرف التي تقوم على تحويل الجلد الى سلع ، مثل الأحذية ، وصنع القباب . التي تضرب للملوك وللأشراف امارة على الرئاسة والسيادة . وتصيغ جلودها بلون أحمر في الغالب . وكانت غالية ، لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجاه والمال . فكان سادة مكة إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من آدم^٢ ، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق ، يضربون لهم قباباً ، وأما سائر الناس ، فيضربون لهم بيوت الشعر . وبيوت الشعر أرخص ثمناً من قباب الأدم .

وقد اتخذ العرب بيوتاً من جلد عرفت بـ (القشاعة) و (القشوع) ، وذكر بعضهم أن (القشاعة) بيت من آدم . وربما اتخذوا من جلود الإبل صواناً للمتاع^٣ . وذكر أن البيت من آدم ، هو (الطراف) . وهو بيت من بيوت الأعراب ليس له كفاء ، قال طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد^٤

وقد اشتهرت اليمن بدباغة الجلود وبلاستفادة من هذه الجلود في أغراض مختلفة ، وتصدير الجلود الى أماكن أخرى من جزيرة العرب . ولا تزال اليمن تصنع الجلود على الطريقة القديمة ، وتصدرها الى الخارج . وقد ذكر (ابن المجاور) ان الأديم يدبغ في جميع اقليم اليمن والحجاز ، وانهم يبيعونه طاقات بالعدد ، وقد اشتهرت مكة بدبغ الجلود كذلك ، جلود الجمال والبقر والغزلان^٥ . واشتهرت الطائف في دباغة الجلود كذلك ، وذكر ان مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي فتنبعث منها روائح كريهة مؤذية^٦ . وكانوا يدبغون

-
- ١ تاج العروس (١٨١/٨) ، (أدم) ، الفضليات ، للضببي (٥٦) ، (أحمد محمد شاكر) ، (دار المعارف ١٩٦٤م) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (١/١) ، ص (٤١) .
 - ٣ تاج العروس (٤٦٧/٥) وما بعدها ، (قشع) .
 - ٤ تاج العروس (١٧٩/٦) ، (طرف) .
 - ٥ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة تاريخ المستبصر ، القسم الاول (ص ١٣) .
 - ٦ البلدان (١٠/٦) وما بعدها .

بصورة خاصة الأدم الثقيل المليح^١ . وذكر (الهمداني) ، انها « بلد الدبّاغ » ،
يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة^٢ .

وقد ذكر علماء اللغة أسماء مواد كثيرة استعملت في دباغة الجلود ، وذكروا
أيضاً طرقاً متعددة في كيفية الدبغ وفي أسماء الجلود المدبوغة والمواد التي تصنع من
مختلف الجلود^٣ . والواقع ان اعتماد العرب الجاهليين على الجلود كان كبيراً ، لأنها
كانت متيسرة لديهم ، وهي أسهل في العمل من الخشب أو الحديد أو الأشياء
الأخرى بالنسبة الى عمال جزيرة العرب في ذلك العهد .

و (القرظ) من أهم ما استعمل في دباغة الأدم ، يجلب فيطحن بحجر الطواحين ،
ثم يستعمل في الدباغة . ومن (العقيق) يجلب القرظ الى مكة لاستعماله في الدباغة^٤ .
وقد أشار بعض الأخباريين الى ضخامة حجر الطواحين التي يطحن بها القرظ^٥ .
واستعمل (الغرف) في الدباغة كذلك . وعرفت الجلود التي تدبغ به بالجلود الغرفية ،
ومنها جلود يمانية وجلود بحرانية . وسقاء غربي دبغ بالغرف . وكذلك مزادة
غرفية^٦ .

ومن المواد التي استعين بها في دباغة الجلد : (الدهناء) . وهي عشبة حمراء
لها ورق عراض يدبغ به^٧ ، و (القرضم) قشر الرمان ، ويدبغ به^٨ . و (الشث)
نبت طيب الريح مر الطعم يدبغ به ، قيل ينبت في جبال الغور وتهامة ونجد .
وذكر بعضهم (الشب) في جملة ما كان يدبغ به^٩ . و (الأرطى) شجر دبغ
به ، وعرف الجلد الذي يدبغ به بـ (المأروط) وبـ (الأرطى) ، وبـ (أديم
مرطى)^{١٠} .

-
- | | |
|----|---|
| ١ | ابن المجاور (٢٥/١) . |
| ٢ | الصفة (١٢٠) . |
| ٣ | المخصص (١٠٠/٤) وما بعدها . |
| ٤ | تاج العروس (٢٥٨/٥) ، (قرظ) ، ابن المجاور (٣٢/١) . |
| ٥ | ابن المجاور (٢٠/١٠) . |
| ٦ | تاج العروس (٢٠٩/٦) ، (غرف) . |
| ٧ | تاج العروس (٢٠٥/٩) ، (دهن) . |
| ٨ | تاج العروس (٢٤/٩) ، (قرضم) . |
| ٩ | تاج العروس (٦٢٧/١) ، (شث) . |
| ١٠ | تاج العروس (١٠١/٥) ، (ارط) . |

وعرف الجلد الذي يدبغ بغير (القرظ) بـ (الجلد الحوري)^١ . و (الأفق)
الجلد الذي لم يتم دبأغه ، أو الأديم دبغ قبل أن يخرز أو قبل أن يشق . وقيل
هو ما دبغ بغير القرظ والأرطى وغيرهما من أدبغة أهل نجد ، وقيل هو حين
يخرج من الدبأغ مفروغاً منه ، وقيل رائحته ، وقيل ما يكون من الجلد في
الدبأغ^٢ .

الخمور :

وقد اتخذوا من التمر والكروم والشعير والذرة خوراً ، وذكر ان الخمر
ما أسكر من عصير العنب خاصة . وتستعمل لفظة (الشراب) في معنى الخمر
كذلك . وفي الحديث حرمت الخمر وما شربهم يومئذ إلا الفضيخ البسر والتمر ،
ونزل تحريم الخمر التي كانت موجودة من هذه الأشياء لا في خمر العنب خاصة^٣ .
وأما النبيذ ، فهو ما نبذ من عصير ونحوه ، كتمر وزبيب وحنطة وشعير وعسل ،
يقال نبذت التمر والعنب ، اذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، وقد ينبذ في وعاء
عليه الماء ويترك حتى يفور فيصير مسكراً . وسواء أكان مسكراً أو غير مسكر ،
فإنه يقال له : نبيذ ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ ، كما يقال للنبيذ
خمر^٤ .

ويظهر من كتب الحديث ، ان أكثر خمور أهل المدينة هي خليط من البسر
والتمر^٥ . وأن منهم من كان يخلط الزبيب والتمر ، أو الرطب والبسر . وكانوا
ينتبدونها في الدباء ، والمزفت ، والحنتم ، والنقير ، والمقير^٦ .

وذكر أن الخليفة (عمر) حدد المواد التي تعمل منها الخمور بخمسة أشياء :
الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والعسل . وجعل الخمر ما خامر العقل^٧ .

-
- ١ تاج العروس (١٦١/٣) ، (حور) .
 - ٢ تاج العروس (٢٨٠/٦) ، (أفق) .
 - ٣ تاج العروس (١٧٦/٣) وما بعدها ، (خمر) .
 - ٤ تاج العروس (٥٨٠/٢) ، (نبذ) .
 - ٥ صحيح مسلم (٨٨/٦) .
 - ٦ صحيح مسلم (٩٢/٦) وما بعدها .
 - ٧ صحيح مسلم (٢٤٥/٨) ، (باب في تحريم نزول الخمر) .

وقد ذكر هذه الأشياء لأنها كانت هي الشائعة المعروفة عند أهل مكة ويثرب في ذلك العهد على ما يظهر ، لأن هناك خوراً عملت من غير هذه الأشياء .

وكان لأهل اليمن شراب عرف عندهم بـ (البتع) ، وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، وذكر أنهم كانوا يطبخون العسل حتى يعقد ، فيكون البتع . وشراب عرف بـ (المزر) ، وهو من الذرة ^١ . وخطب (أبو موسى الأشعري) ، فقال : « خمر المدينة من البسر والتمر ، وخمر أهل فارس من العنب ، وخمر أهل اليمن البتع ، وهو من العسل ، وخمر الحبش السكركة » ^٢ . وقد ذكر (ابن عمر) الأنبذة ، فقال : « البتع نبيذ العسل : والجمعة نبيذ الشعير ، والمزr من الذرة ، والسكر من التمر ، والحمر من العنب » ^٣ . وذكر أن المزr نبيذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب ، وقيل نبيذ الذرة خاصة ^٤ . ويظهر أن إطلاق المزr على أنبذة الحبوب ، هو من باب التجوز والتعميم ، وأن الأصل هو نبيذ الذرة .

و (الضري) ، الماء من البسر الأحمر والأصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذاً * .

وقد اشتهرت (درني) بجمورها المصنوعة من الكروم ، وقد ذكرها (الأعشى) في شعره . وكان الأعشى ، يزورها ، وذكر أنها هي (أثافت) التي ذكرها (الأعشى) أيضاً في شعره ، فقال :

أحب أثافيتَ وقت القطاف ووقت عصارة أعناها

وكان كثيراً ما يزورها ، وله بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت من أعناهم ^٥ . وورد أنها من قرى اليمامة ، كما ذكرت ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

-
- ١ صحيح مسلم (٩٩/٦) وما بعدها ، (باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام) .
 - ٢ تاج العروس (٢٦٩/٥) ، (بتع) .
 - ٣ تاج العروس (٥٤١/٣) ، (مزr) .
 - ٤ المصدر نفسه .
 - ٥ تاج العروس (٢٢٠/١٠) ، (ضري) .
 - ٦ الصفة (٦٦) .

وأنا لا أستبعد استخدام الجاهليين للماء في ادارة المطاحن ، وقد ذكر (الهمداني) أن أهل اليمن بأودية : سربة ، وشُرَاد ، وبنا ، وماوة ، والموفد ، وجمع ، ويصيد ، وأودية رعين ، ووادي ضهر ، كانوا يديرون مطاحنهم بالماء . ولم يشير (الهمداني) الى تأريخ استعمال هذه المطاحن التي تدار بالماء ، ولكنني لا أستبعد أخذهم هذه الصناعة من الجاهليين ، وقد أشير الى الطحن والمطاحن والطحين في نصوص المسند . ورد في بعضها ان الحكومات كانت تتقاضى الإتاوة من الناس إما نفداً ، وإما (ورقاً) ، أي ذهباً سبائك ، وإما (طحناً) أي طحيناً ، وهو الدقيق . ويقال له (طحنم) و (طحن) في المسند ، وإما (دعم) ، أي بضاعة ، بمعنى مواد عينية . فذكر (الطحين) في هذه النصوص ، يشير الى وجود المطاحن بكثرة في اليمن ، وربما كانت تصدر الفائض منه الى الخارج .

الفصل الرابع عشر بعد المئة

الحرف

من الحرف المتداولة بين الجاهليين التجارة والحداة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها من حرف يحترفها الحضر في الغالب . أما الأعراب فقد كانوا يأنفون من الاشتغال بها ، وينظرون الى المشتغلين بها نظرة احتقار وازدراء لأنها في عرفهم حرف وضيعة ، خلقت للعبد والرقيق والمولي ، ولا تليق بالحر ، حتى إن الشريف منهم وذا الجاه ، كان لا يحضر وليمة يدعوها اليها شخص من أصحاب هذه الحرف ، استنكافاً وازدراء ؛ لأنه ليس في منزلته ومكانته . وقد كان عمل الرسول كبيراً في نظر رؤساء القوم يومئذ ، حينما جاوز حضور طعام الخياط والصائغ وأمثالهما ، وكان يحضر منازلهم ، فعند القوم ذلك عملاً غير مألوف ومخالفاً للعرف والتقاليد^١ .

وقد كان أكثر أهل القرى ينظرون الى الحرف والمحترفين بها نظرة ازدراء كذلك ، ويأنفون لذلك من التزاوج معهم ، ويعيرون من يتزوج من امرأة أبوها قين أو نجار أو دباغ أو خياط ، ويلحق هذا التعبير الأبناء كذلك . وينظرون هذه النظرة الى المشتغلين بزراعة الحضر مثل البقول في الغالب ، ولا تزال هذه النظرة معروفة في جزيرة العرب وفي أماكن أخرى خارج حدود هذه الجزيرة

١ « وفيه جواز أكل الشريف طعام الخياط والصائغ واجابته دعوته » ، « باب ذكر الخياط » ، عمدة القارئ (١١ / ٢١٠ وما بعدها) .

كالعراق . وهذه هي مشكلة من جملة المشكلات التي أثرت في الاقتصاد العربي وفي الحياة الاجتماعية ، وإن كانت قد أخذت تخف في هذه الأيام .

ولم يكن العرب وحدهم ينظرون الى الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء ، بل كانت شعوب العالم كلها تقريباً تنظر الى طبقة أصحاب الحرف مثل هذه النظرة ؛ لأن الحرف هي من أعمال الطبقات الدنيا من سواد الناس الرقيق والموالي . أما الحُرّ ، فلم يخلق لها ولم تخلق له . كذلك كانت نظرة قدماء اليونان الى هذه الحرف ، لأنها عندهم من الأعمال التي يقوم بها سواد الناس ورقيقهم^١ .

وهذه الحرف لم يختص بها الجاهليون وحدهم، بل كانت عامة معروفة ومتداولة عند جميع الشعوب لتلك العهود. وهي لبساطتها وبداءتها متشابهة، لا تجد اختلافاً في آلاتها وأدواتها المستعملة عند الشعوب . فأدوات النجار تكاد تكون واحدة، سواء أكانت عند النجار العربي الجاهلي ، أو النجار العبراني ، أو النجار النبطي . وكذلك قل عن أدوات الحدّاد والصائغ وغيرهما من الطبقات العاملة التي ترتزق وتعيش على هذه الحرف التي تعتمد على اليد .

ونجد في كتب اللغة والأدب وأمثالها ألفاظاً عديدة معربة ، استعملها أهل الجاهلية وذلك بتعريبها ونقلها من أصول عجمية معروفة ، فيها الفارسي والآرامي واليوناني واللاتيني والحبشي والنبطي . وهي مما يدخل في باب الآلات والأدوات والمآكل والملابس والبيت والثقافة والعلم ، دخلت العربية، لأنها كانت مصطلحات متداولة عند أهلها معروفة ، أخذها العرب منهم باحتكاكهم وتأثرهم بهم ، وقد صقل بعضها وهذب ووسم بسمه عربية ، وأدخل على بعض آخر بعض التعديل ليتناسب مع أسلوب النطق العربي ، وقبل بعض آخر على نحو ما كان في أصله واستعمل في العربية حتى صار في ظن من لا وقوف له على العربية انه عربي صميم .

والألفاظ المعربة التي نعيها ، قديمة ، دخلت قبل الاسلام بمئات السنين . وقد استعملتها الألسن وتداولتها ، وصارت بهذا الاستعمال ألفاظاً عربية مستساغة . ومنها ما هو مستعمل حتى الآن . وجمع هذه الكلمات وضبط معانيها وتبويبها وتصنيفها ، عمل مهم نافع أرجو أن يتهيا له أصحاب العلم والاختصاص ، فيها

نتمكن من الوقوف على الاتصال الفكري الذي كان بين العرب وغيرهم ، وبها
نتمكن أيضاً من الوقوف على مدى الاتصال ومقدار تغلغه في جزيرة العرب .
وبأمثال هذه الدراسة ستمكن أيضاً من تكوين صورة علمية صحيحة للتأريخ الجاهلي
وهي صورة ستغير ، ولا شك ، كثيراً من هذه الآراء القديمة عند كثير من
الناس عن الجاهليين ، تكونت من دراستهم لروايات أهل الأخبار عن العرب قبل
الاسلام .

ولم يخف أمر هذه المعربات عن قدماء علماء اللغة ، فقد أدركوا وجودها
ودخلوها في العربية قبل الاسلام ، وألفوا فيها ، وأشاروا اليها في معجمات اللغة
ووضع بعضهم بحثاً في معربات القرآن . وهي تفيدنا فائدة كبيرة بالطبع في
الوقوف على الصلات الثقافية التي كانت بين العرب والعالم الخارجي قبل الاسلام ،
وإن كانت تلك البحوث والمؤلفات قد كتبت بطريقة ذلك العهد ، استناداً الى
الروايات دون التثبت منها وتعترف أصولها وتتبع مواردها بدراسة اللغات
الأجنبية ومقارنتها ومطابقتها بالأصل . وهي طريقة أوقعتهم في أغلاط ، ولكنها ،
أفادتنا مع ذلك فائدة كبيرة في معرفة هذا الغريب الدخيل ، وفي تكوين رأي في
الدراسات اللغوية عند علماء اللغة القدامى^١ .

وقد عثر الرحالون والمنقبون على ألواح من الخشب وعلى شبابيك ومواد خشبية
أخرى في اليمن وفي حضرموت منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة حفرأ يدل على دقة
الصناعة وإتقان في العمل . وهي شاهد على تمكن النجار من مهنته ، وعلى قدرته
فيها ، وعلى حسن استعماله ليداه وعلى سيطرته عليها في استخدامها للأدوات النجارية
في صنع النفائس والطرائف من الخشب .

والحرف وراثية في الغالب ، يتعلمها الابن عن والده ، وتنحصر في العائلة
فتنتقل من الآباء الى الأبناء . ولا يسمح لغريب أن يتعلم أسرار الحرفة وأن يقف
عليها وخاصة في الحرف المربحة وفي الحرف التي تحتاج الى مهارة ودقة وذكاء خوفاً
من وقوع المنافسة ، وانتقال سر العمل والنجاح الى شخص غريب فينافس أصحاب
الحرفة في عملهم وينتزع منهم رزقهم . لذلك حوفظ على أسرار المهنة ، ولم يبح
بأسرارها حتى لأقرب الناس اليهم ، وفي حالة اكتشاف رجل طريقة جديدة غير

١ العرب ، للجواليقي ، الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (١/٢٣١) .

معروفة في حرفته، فإنه يحتفظ بسرّه حتى لا يتسرب الى الغرباء ومنهم من لا يعلم حتى أولاده سرّ المهنة إلا في حالة شعوره بعجزه عن العمل أو بقرب وفاته ودنوّ أجله، خشية انتقال السر منهم الى غيرهم ، فينافسونهم على رزقهم ومصدر قوتهم من هذا السرّ .

وينضم أصحاب الحرف بعضهم الى بعض مكوثين (صنفاً)، أي طبقة خاصة، تعاون فيما بينها تعاون النقابات الحرفية والمهنية في الوقت الحاضر ، يتولى رئاستها أبرز رجال (الصنف) . وإذا مات أحدهم تعاونوا في تشييعه ودفنه وفي مساعدة أهله ومؤاساتهم . وذلك لحماية رجال الحرفة من كل سوء قد يقع عليها وللمحافظة على حياتهم ، ولا يسمح (الصنف) بدخول غريب بينهم ، لأنهم جماعة ورثت حرفتها ، فلا يجوز لغريب مزاحمتهم فيها .

ويتجمع رجال بعض الحرف في أماكن معينة، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، كأن يتجمع الحدادون في منطقة معينة ، والصاغة في حي ، والصفارون في حي والنجارون في حي ، وذلك للتعاون فيما بينهم ، وتنسب تلك المحلات اليهم .

وقد تشتهر مدينة ما بحرفة من الحرف ، فيكون لمنتجاتها شهرة واسعة وتباع بأسعار عالية . وقد تشتهر منطقة بجملة صناعات . فقد اشتهرت اليمن بالبرود كما اشتهرت بسيوفها ، التي اكتسبت شهرة بعيدة واسعة في كل جزيرة العرب ؛ واشتهرت بعقيقها كذلك وبأنواع أخرى من التجارات . واشتهرت مكة ببعض أنواع العطور واشتهرت ثقيف بالدباغة والأدم .

وقد كانت أجور العمل معروفة عند الجاهليين . فتُدفع للعمال والصناع أجور يومية ، كما تدفع لهم أجور مقطوعة عن عمل معين . وليس لهؤلاء العمال من أتعاب عملهم سوى ذلك الأجر المتفق عليه . أما الرقيق ، فلا يدفع لهم في العادة أي شيء ، سوى ما يقدم لهم من طعام وملبس وحماية . وعليهم في مقابل ذلك الاشتغال بالشغل الذي يوكل اليهم به أسيادهم ، ولا حق له بالنسبة لقوانين ذلك الوقت الامتناع عن القيام بالعمل الذي كلفوا به .

والأجور ، قد تكون يومية وقد تكون سنوية وقد تكون مقطوعة. ولا يشترط في الأجر أن يكون نقداً ، فقد يدفع عينة ، أي مالاً مثل طعام ، أو كساء ، لندرة النقد في ذلك الوقت . ومن أمثلة الحرف التي تدفع عنها الأجور ، حرفة

البناء ، فيُدفع للعامل أجر يومي في الغالب . والنجارة والحصاد ، وتدفع عنها أجور مقطوعة على الأكثر والرعي وأمثال ذلك من حرف ، يقوم بها سواد الناس لاعاشة أنفسهم منها .

ويمكن تصنيف وجمع الحرف التي عرفت عند الجاهليين في حرف النجارة ، وهي تنجير الخشب وتحويله الى متاع وأثاث أو الى عمل البناء أو الى تماثيل وزخارف وما أشبه ذلك ، ثم حرف البناء ، وتتناول كل ما يتعلق بالبناء من أعمال ، ثم حرف الإعاشة ، ثم حرف التعدين والمعادن ، ثم حرف الجلود، وحرف الملابس وحرف التجميل وحرف أخرى .

النجارة :

والنجارة من الحرف القديمة المهمة في المدن . وقد عثر على نماذج من مصنوعات خشبية في اليمن تدل على حذق النجار وذكائه وتقدمه في مهنته . ويظهر من روايات أهل الأخبار أن أهل مكة والمدينة لم يكونوا على حظ كبير في النجارة ، ولذلك كانوا يستعينون بالرقيق وبالأجانب في أعمال نجارتهم كاليهود أو الروم : وفي الذي رواه عن تسقيف الكعبة في أيام الرسول وقبل نزول الوحي عليه ما يدل على ندرة النجارين في مكة في تلك الأيام . ويعلل أهل الأخبار ذلك بسبب أنفة العربي من الاشتغال بالحرف . فاعتمد على الأجانب وأغلبهم من الرقيق في اداء هذه الحرفة .

والنجار ، هو الذي ينجر الخشب . فيقوم بنشره وحفره واصلاحه وعمله على النحو المطلوب وحرفته النجارة . وفي هذا المعنى : نجارة الخشب^١ .

ومادة النجارة ، الخشب . وهو نوعان : نوع مستورد من الخارج ، إما من الهند ، وإما من إفريقية ، وهو من النوع الجيد الصلب القوي المقاوم . وهو ثمين غال . لهذا استعمل في صنع الأثاث الفاخر الثمين وفي الأدوات التي تحتاج الى خشب صلب مقاوم وفي المعابد والقصور وفي الأبنية المهمة ، ومن أهم أنواعه

١ اللسان (١٩٣/٥) ، Hastings, A dictl. of the Bible, I. p. 356.

الساج والآبنوس والعندل . ونوع هو من حاصل أرض جزيرة العرب وناتها . وهو دون الخشب الأول في المقاومة والجودة ، وفي الاستفادة منه في أعمال التجارة لأن معظمه ليس من النوع الناضج الغليظ الصلد القوي ، لا يصلح إلا للأعمال التجارية الاعتيادية وللوقود، ما خلا أنواعاً قليلة منه استخرجت من بعض الأماكن مثل (النضار) ، وهو خشب غليظ بعض الشيء ينبت شجره في غور الحجاز ، وبعض أشجار اليمن والمناطق الجبلية الأخرى^١ .

وترد في كتابات المهند كلمة (عظم) (عض) ، ويراد بها (الخشب) في لهجتنا^٢ ، ترد في كتابات البناء بصورة خاصة ، أي الكتابات التي هي عبارة عن وثيقة بناء ، إذ كان أرباب الدور والأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في البناء ، وفي جملة ذلك الخشب . وقد وردت لفظة (العظم) في كتب اللغة بمعنى خشبة ذات أصابع يذرى بها الطعام^٣ . ويشترك العبرانيون مع العرب الجنوبيين في تسمية الخشب ب (عض)^٤ .

وقد استخدم الخشب في تقوية الجدر ، استخدموا الخشب القوي الصلد منه . ولا تزال آثاره باقية ظاهرة فيما تبقى من أبنية الجاهليين ، وبعضه قوي لم يعث به الزمن فساداً ، ولم يفنه ، كما استخدم في صنع السقوف والأبواب وفي تقوية السلم ، وفي صنع الشبايك وأمثال ذلك من الأعمال التي تدخل في صلب البناء ، وتكون جزءاً منه . وقد استورد معظم هذا الخشب الصلد القوي الساج والآبنوس والصندل^٥ من الهند ومن إفريقية لعدم وجوده في جزيرة العرب ، ولا تزال آثاره وقطع منه باقية على الرغم من مرور مئات من السنين عليه .

واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت وفي كثير من الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان . وقد عثر على بعض مصنوعات من الخشب استخدمت أثنائاً، تدل على مهارة صناعتها وعلى حسن تصرفهم في صنعها وفي هندستها . ويعبر عن الأثاث في المعينية بلفظة (رثد) . وهي في مقابل متاع . وتؤدي أيضاً معنى التنظيم

١ تاج العروس (٣/٥٧١) ، (نضر) .

٢ Rep. Epl., Num. 2789.

٣ تاج العروس (٨/٤٠١) ، (عظم) .

٤ راجع المعجمات في العبرانية .

٥ تاج العروس (٢/٦١) .

٦ تاج العروس (٧/٤٠٨) .

والترتيب وتنسيق الأشياء . وفي المسند لفظة أخرى تؤدي هذا المعنى هي لفظة (رب) ومعناها السناد والاساس أيضاً^١ . وبالمعنى المذكور ترد لفظة (رئد) في عربية القرآن الكريم^٢ .

وقد ذكر في القرآن الكريم أسماء بعض الأثاث ، مثل الأرائك^٣ والسرر^٤ « متكئين على سرر مصفوفة » ، « وسرراً عليها يتكئون » ، و « على سرر موضونة » ، و « على سرر متقابلين » ، و « فيها سرر مرفوعة » ، والكرسي^٥ . وقد تصنع السرر من سعف النخيل ، كما تصنع الكرسي في هذه المادة أيضاً ، وتصنع المشاجب من الأعواد المركبة توضع عليها الثياب^٦ . وإذا بوعد بين الأشياء المنسوج بها السرير أو غيره من سعف النخل ، قيل لذلك مرمل ، فيقال : سرير مرمل ، إذا كان قد نسج وجهه بالسعف ، وبوعد فيه بين الأشياء المنسوج بها^٧ . وقصد بالكرسي ، الكرسي الكبيرة المرتفعة ، وقد استخدم خاصة لجلوس الملوك ، وفي غرف الاستقبال . وقد أشير إلى الكرسي في القرآن الكريم . فورد : « وسع كرسيه السماوات والأرض » .

والعرش من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم كذلك ، وهو من البيت سقفه ، ويجمع على عروش ، والعرش شبه الهودج أيضاً . وقد يصنع من الخشب ، يقوم بصنعه النجار ، وقد يكون من حجارة أو غير ذلك . ومن ذلك العرش الذي يترج عليه الملوك ، والعرش : الخيمة من خشب وثمام ، والثابت أيضاً أي سرير الموت والخشب تطوى به البشر^٨ ، والعرش هو السرير الذي ينام عليه . قد يكون له حاجز يمنع النائم من السقوط ، وقد يكون له حاجز . وهو بهذه التسمية (عرش) عند العبرانيين^٩ .

١ Rhodokanakis, Stud. Lexl., II, S. 53.

٢ شرح القاموس (٣٥٠/٢) .

٣ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ١٤) ، وسيكون رمزه : المفردات ، « وقال الزجاج : فراش في حجلة » . وقيل هو السرير مطلقاً سواء كان في حجلة أو لا . أو كل ما يتكأ عليه » ، شرح القاموس (١٠٠/٧) ، شمس العلوم (٧٢/١) .

٤ المفردات (ص ٢٢٨) .

٥ المفردات (٤٤١) .

٦ جامع الاصول (٣٩٩/٤) ، شرح القاموس (٣٠٩/١) .

٧ جامع الاصول (٣٤٧/٩) ، شرح القاموس (٣٥٢/٧) .

٨ المفردات (ص ٣٣٢) ، تاج العروس (٣٢١/٤) ، (عرش) .

٩ Smith, Vol., I, p. 177.

وقام النجار بصنع أواني الطعام أيضاً ، ولا سيما الأواني الكبار التي تستعمل في إطعام عدد من الناس في المناسبات ، وتدخل بيوت الملوك وسادات القبائل والأغنياء الكرماء في الغالب وفي بعض الظروف والمناسبات ، مثل المآتم والأفراح . ومنها (الجفنة) ، وهي - كما يقول بعض علماء اللغة - أعظم ما يكون من القصاع ، يوضع فيها الطعام ، ليتناول منه عدد من الناس . وقد افتخر الشاعر (حسان بن ثابت) بـ (الجفّنات) دلالة على الكرم والجود^١ . و (القصعة) وهي تلي الجفنة في السعة ، يشبع الضخم منها عشرة أشخاص^٢ . ثم (الصحيفة) وتجمع على (صحاف) وقد وردت في شعر معزّو للأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال

وتصنع من الفضة كذلك ، كما رأينا في هذا البيت المتقدم ، وذكر أنها تشيع خمسة أشخاص^٣ . ويليهما في الحجم والسعة (المشكلة) ، تشيع الرجلين والثلاثة . ثم الصحيفة ، وتشيع الرجل^٤ .

وتصنع بعض هذه الأواني من مواد أخرى ، كالآدم ، أو من المعدن كما قلت في (الصحاف) حيث تصاغ من الذهب والفضة لبيوت الملوك والأمراء والسيوخ والأغنياء .

وقام النجار ، ولا سيما من تخصص بالقداحة منهم ، بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار . والنضار خشب معروف في الحجاز في أيام الرسول يكون بغور الحجاز ، يعمل منه مارقاً واسعاً وغلظ من الأقداح ، وذلك لتحمل هذا الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز . وقد كانوا يذفنون هذا الخشب حتى ينضّر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله في ترقيقه . وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض . ويعبر أيضاً عن الأقداح المنحوتة من الخشب بـ (الخشب)^٥ .

-
- ١ تاج العروس (١٦٢/٩) .
 - ٢ تاج العروس (٤٦٩/٥) ، المغرب (ص ٢٧٤) .
 - ٣ تاج العروس (١٦١/٦) .
 - ٤ تاج العروس (١٦١/٦) .
 - ٥ تاج العروس (٢٣٣/١) ، (٥٧١/٣) .

كما جهز النجارون أصحاب الحرف الأخرى بالأدوات المساعدة التي تساعدهم في حرفهم ، فصنع لأهل الطعام (الروسم) أو (الروشم) ، وهو خشبة فيها كتاب منقوش يختم به الطعام لئلا يسرق منه ، ويستخدمه الحسّاطون وأمثالهم من باعة الطعام ، وقيل : الطابع الذي يطبع به رأس الخاية . واللفظة من الألفاظ المعربة على رأي بعض العلماء^١ . وصنع للمزارعين (النورج) ، وهو المدوس ، يداس به الطعام ، وقد يصنع من الحديد أيضاً^٢ . و (الهاون) ، وهو المهراس والمنحاز ، ويدق به ، وقد أدخل في المعربات . وقد يصنع من حجر^٣ ، فيدق اللحم أو الحبوب فيه لسحقها .

وصنع النجار (الميتدة) ، وهي مطرقة من خشب ، يستعملها الأعرابي بصورة خاصة لدق أوتاد خيمته في الأرض . وتعرف بـ (مقبه) (مقابه) عند العبرانيين^٤ .

وصنع النجار أبواب البيوت ، ويقال للخشبة التي تدور فيها رجل الباب (النجران) . ويقال لأنف الباب الرتاج ، ولترسه القنّاح والنجّاف . وعمل (النجيرة) : السقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره^٥ .

وصنع النجار صناديق من خشب ، لحزن الأشياء فيها ، تقفل بقفل . وقد غني بزخرفتها بتلوينها أو بالحفر على أوجهها ، وذلك بالنسبة للصناديق الثمينة التي تستعملها الطبقات الراقية .

وفي جملة مصنوعات النجار (الحدوج) ، مركب من مراكب النساء يشبه المحفة ، تركبه نساء الأعراب على الإبل . وذكر أن الحدج مركب ليس برجل ولا هودج تركبه نساء الأعراب^٦ . والهودج مركب للنساء مقبب وغير مقبب

١ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٨/٣١٣) .

٢ المعرب (ص ٣٣٥) ، تاج العروس (٢/١٠٥) .

٣ المعرب (ص ٣٤٦) ، « والهاون الذي يدق فيه ، فارسي معرب » ، تاج العروس (٩/٣٦٩) .

٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.

٥ اللسان (٥/١٩٣) .

٦ تاج العروس (٢/١٩) ، (حدج) .

يصنع من العصي ثم يجعل فوقه الخشب فيقرب . وذكر انه يحمل له قبة تستر بالثياب يركب فيه النساء^١ .

ويستعين النجار بجملة أدوات في صنعيته ، بعضها من صنع الحداد ، لأنها من الحديد ، مثل الفأس على اختلاف أنواعها ، والمنشار والمحفزة والمحفار ، والمنقار والمسحل والمثقب والكلبتان والمسامير والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمل في قطع الخشب وفي تنظيمه وصقله وهندسته لجعله صالحاً للعمل^٢ . ونجد في كتب اللغة ألفاظاً عديدة تتعلق بهذا الموضوع .

ومن الأدوات التي يستعين بها النجارون في قياس تربيع الخشب (الكوس) وهي خشبة مثلثة^٣ .

ويستعمل النجار المنشار في قطع الأخشاب والأشجار . ويقال لنحت الخشب النشر كذلك^٤ . أما المنقار ، فهو حديدة كالفأس مستديرة لها خلف ينقر بها ، ويقطع بها الحجارة والأرض الصلبة والخشب^٥ . ولا سيما في نقش الخشب وحفره . والحفزة وتعرف بالمحفار أيضاً ، حديدة يحفر بها الشيء^٦ ، وتستعمل في حفر الخشب لأغراض متعددة ، مثل نقشه أو الكتابة عليه . وأما المسحل ، فالمنحت ، آلة ينحت بها الخشب كالبرد^٧ . والمثقب آلة يثقب بها^٨ . والكلبتان آلة يستعملها النجار والحداد ، يستعملها النجار في اخراج المسامير . ويستعملها الحداد في أخذ الحديد المحمي^٩ . وأما المسامير ، فما يشد به^{١٠} .

ونجد في (الكتاب المقدس) — في التوراة والانجيل — أسماء أدوات عديدة استعملها النجار في عمله ، منها ما استعمل لقطع الخشب واعطائه الشكل المطلوب ،

-
- ١ تاج العروس (١١٥/٢) ، (هدج) .
 - ٢ بلوغ الارب (٣٩٦/٢) وما بعدها .
 - ٣ المعرب (ص ٢٨٨) ، « الكوس : خشبة مثلثة تكون مع النجار يقيس بها تربيع الخشب . وهي فارسية » ، تاج العروس (٢٣٦/٤) .
 - ٤ تاج العروس (٥٦٥/٣) .
 - ٥ تاج العروس (٥٨٠/٣) .
 - ٦ تاج العروس (١٥١/٣) .
 - ٧ تاج العروس (٣٧٢/٧) .
 - ٨ تاج العروس (١٩٦/١) .
 - ٩ تاج العروس (٤٦١/١) .
 - ١٠ تاج العروس (٢٧٨/٣) .

ومنها ما استعمل لنشر الخشب وقصه ، ومنها ما استعمل لثقبه باستعمال المثاقب الآلية أو اليدوية التي تعمل الثقوب بالطرق وبطريقة الحفر ، كما أشير فيه الى المسامير^١ . وقد ذكر في القرآن الكريم ألواح الخشب التي تستعمل في صنع السفن ، و (الدسر) وهي المسامير . والسفن في ذلك العهد من صنع النجارين . وآلات النجارة المذكورة في التوراة وفي الأناجيل ، معروفة ومستعملة عند الجاهليين . وقد تصنع الدسر من الخشب .

وهناك نجارون تخصصوا بصنع القوارب والسفن ، لاستعمالها في صيد السمك وفي البحار للتجارة البحرية والنقل . ونظراً لعدم وجود الأنهر الكبيرة والبحيرات في جزيرة العرب ، انحصرت حرفة صنع القوارب والسفن في السواحل . ويستورد أهل هذه السواحل الخشب القوي الصلد من افريقية والهند لصنع السفن الكبيرة التي يكون في مقدورها الابتعاد عن الساحل والسير الى الأماكن البعيدة .

ولا يستبعد قيام النجار الجاهلي بصنع العربات والمركبات ، وذلك لاستخدامها في السلم وفي الحرب . فقد كان المصريون والعراقيون وأهل بلاد الشام يستخدمونها ، وليس من المعقول عدم وجود علم للجاهليين ولا سيما لأهل اليمن بصنعها والاستفادة منها . والعربة هي (عجله) (ع ج ل ه) عند العبرانيين ونستخدم في نقل الحاصلات . وقد أشير اليها في التوراة^٢ . وقد عرفت ب (مركبه) (مركبه) كذلك ، وب (مركب) أيضاً ، من أصل (ركب) احدى الألفاظ التي ترد في اللهجات السامية . وهي (مركبة) في عربيتنا و (نركبتو Narkabtu) في الآشورية و (مركبثا Markabtha) في السريانية . وقد تعني الحيوان وحده الذي يركب عليه^٣ .

ويراد ب (عجله) ، العربة التي تستخدم في نقل الحاصلات الزراعية في الغالب ، وقد عثر على صور عربات في الآثار المصرية والآشورية واليونانية والرومانية . وبينها عربات استخدمت في القتال . وبعضها مظلات لتحمي ركبائها من الشمس والمطر . ويسحب العربات الزراعية ثور أو ثوران في الغالب . وقد

١ قاموس الكتاب المقدس (٢٣/٢) ، Hastings, p. 53.
 ٢ Gen, XIV, 19, 27, Num., VII, 3, 7, 8, Smith, Dict., Vol. I, p. 281.
 ٣ Ency. Bibl., Vol. I, P. 724, Hastings, Dict., Vol. I, P. 372.
 Ency. Biblica., Vol. I, p. 724 ff.

تستخدم الحمبر والبغال . أما عربات القتال فتجرها الخيل . وقد كانت دواليب العربات من الخشب ، إلا أنها صنعت من الحديد أيضاً . والغالب أن يكون للعربة دولابان ، ولكن العربات ذات الأربعة دواليب كانت معروفة أيضاً ومستعملة ، ولا سيما في أمور النقل . وقد كان الأكاسرة يستعملونها لنقل عوائلهم ، ولها ستائر وسقف^١ .

وذكر علماء العربية أن العجلة : الدولاب^٢ . وأن (المركب) واحد مراكب البر والبحر^٣ . والظاهر أن العجلات والمركبات كانت نادرة الوجود في أكثر مواضع جزيرة العرب . إذ لا نجد لها ذكراً في أخبار الأخباريين عن الجاهليين ولا في كتب اللغة .

الحداذة :

وقد دفعت حاجة الانسان الى المعادن لاستخدامها في أمور حربية وزراعية وفي البيت على انصرافه الى الاشتغال بها لتحويلها الى أشياء نافعة . فظهرت الحداذة والصياغة وأمثالها ، واشتغل بعض الناس بالبحث عن الحديد وعن المعادن الأخرى واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها . كما اشتغلوا في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها . وقد وقع ذلك بين أهل الحضرة في الغالب ، أما أهل الوبر ، الأعراب ، فلبساطة حياتهم لم يشعروا بحاجة لهم الى هذه الصناعات ، وإذا شعروا بوجود حاجة لهم فيها اشتروها من أهل المدن ، واحتقروا الصناعات وأهل الصناعة والمحترفين بالحرف .

ويعرف الحدّاد بـ (القين) كذلك عند الجاهليين^٤ . وهو الذي يعدّ للزراع الأدوات التي تستعمل في حرث الأرض، مثل المسحاة والمحراث والمنجل والأدوات

١ Smith, Dict., Vol. I, P. 295, Hastings, Dict., Vol. I, P. 357,

Ency. Bibl., Vol. I, P. 724.

٢ اللسان (٤٢٨/١١) .

٣ اللسان (٤٣١/١) .

٤ « والحدّاد ككتان معالجته ، أي الحديد ، أي يعالج ما يصنعه من الحرف . ومن المجاز : الحدّاد السجان ؛ لأنه يمنع من الخروج ، أو لأنه يعالج الحديد من القيود » ، شرح القاموس (٣٣١/٢) ، تاج العروس (٣٣١/٢) ، (حدد) .

الأخرى ، يصنعها من الحديد ، كما أنه يعد للحرف الأخرى ولأهل البيوت كثيراً من الآلات، يصنعها من الحديد . وكان فضلاً عن ذلك الخبير الاختصاصي بصنع السلاح على اختلاف أنواعه وتجهيز الحكومات والأفراد بالسلاح الذي يستعمل في الدفاع وفي الهجوم ، لذلك كانت حرفته مهمة خطيرة ، ولا يزال الحداد يعدّ للناس في جزيرة العرب السلاح ، كالسيوف والخناجر والدروع والسكاكين والنصال المعدنية وغير ذلك من أدوات كانت تستعمل في الحروب لذلك العهد ، وسأفرد لها بحثاً خاصاً .

وذكر بعض علماء اللغة أن القين هو العامل بالحديد . وقال بعض آخر : إن القين الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكبر ، ولا يقال للصائغ قين . وذكر بعض آخر أن القين الحداد ، ثم صار كل صائغ عند العرب قيناً . وذكر بعض آخر : أن القين هو الذي يصلح الأسنة، الى غير ذلك من آراء . وكان من بين أصحاب الرسول من كان قيناً ، مثل (خباب بن الارت)^١ ، ذكر أنه كان يشتغل للعاص بن وائل . وكان العاص هذا من الاندقة، ومثله : عقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة ، وأبي بن خلف^٢ . وكان خباب يضرب السيوف الجياد وبدقها ، حتى ضرب به المثل ، ونسبت اليه السيوف^٣ . كما اشتهر بها رجل آخر عرف بـ (ريش المقعد) ، أي النبل . والمقعد اسم رجل كان يرش السهام^٤ . والنبل : السهام ، والنبال صاحب النبال وصانعها ، وحرفته النبال^٥ . وتحبس في الجعبة ، يحملها صاحبها معه ، فإذا أراد الرمي ، فتحها ليستخرج منها ما يشاء .

ومن الحدادين الأعاجم الذين ذكرهم أهل الأخبار ، الأزرق بن عقبة أبو عقبة

-
- ١ تاج العروس (٣١٦/٩) (قين) ، البلاذري (١٧٥/١) وما بعدها .
 - ٢ عمدة القاري (٢٠٨/١١) وما بعدها ، « وخباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة الخزاعي ، وقيل : التيمي ، وهو أصح ، أبو عبدالله ، من السابقين في الاسلام ، وشهد بدرا ، ثم نزل الكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين » ، شرح القاموس (٢٢٨/١) .
 - ٣ تاج العروس (٢٢٨/١) .
 - ٤ تاج العروس (٢٢٨/١) .
 - ٥ تاج العروس (١٢٥/٨) .

الثقفي ، غلام الحارث بن كلدة الثقفي ، ذكر انه كان رومياً حداداً^١ .

ويرجع في رواية تنسب الى (ابن الكلبي) مبدأ الحدادة عند العرب الى (الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه) ، فهو في هذه الرواية أول من عمل الحديد من العرب ، وكان حداداً ، فنسب اليه الحداد ، فقليل لكل حداد : هالكى . ولذلك قيل لبني أسد القيون ، وقال لبيد :

جنوح الهالكى على يديه مكباً يجنلي نقب النصال^٢

وعرف القين الذي يقوم بطبع السيوف وصقلها بـ (الطبّاع) و (الصيقل)^٣ . وقد عرفت اليمن بإجادتها صنع السيوف وطبعها وصقلها ، حتى اشتهرت بذلك في جميع أنحاء جزيرة العرب . واشتهرت السيوف المصنوعة من حديد بيحان بالجوذة ، لجودة حديدتها وقوته^٤ . ومن الأدوات التي يستعملها (الصيقل) في صقل السيوف (المصقلة) ، وهي خرزة يصقل بها^٥ .

ويقال طبع الطبّاع السيف ، أي صاغه ، وكذلك طبع الطبّاع الدرهم . والطبع عند علماء اللغة هو الختم ، والتأثير في شيء ما ، وتصوير الشيء بصورة مثل طبع السكة وطبع الدرهم ، وهو عندهم أعم من الختم وأخص من النقش^٦ . وبعثي الحداد باختيار الحديد عند صنعه السيوف الجيدة الثمينة ، ويخرج منه خبثه ، وينفق جهده في صقل السيف وفي اتقان عمل الحديد الملتهب قبل تبريده ، وإلا صار خشناً قليل الفائدة لا يشتري بثمن جيد . ويقال لهذا النوع من السيوف الخشنة الخشيب ، وتستعمل اللفظة في الضد أيضاً ، فتطلق على السيف الصيقل ، وتطلق على السيف الحديث الصنعة كذلك^٧ .

ومن أنواع الحديد الجيد الذي يستخدمه الحداد في صنع المصنوعات الثمينة ، (الفالوذ) أي (الفولاذ) . ويقال له (بلدو) Poldo في السريانية و (فلده)

-
- ١ البلاذري (١٥٧/١) ، الاصابة (٢٩/١) .
 - ٢ اللسان (٥٠٧/١٠) ، « الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمه » ، العمدة (٢٣٢/٢) .
 - ٣ بلوغ العرب (٤٠١/٣) وما بعدها ، تاج العروس (٤٠٤/٧) .
 - ٤ بلوغ العرب (٢٠٤/١) .
 - ٥ تاج العروس (٤٠٣/٧) .
 - ٦ تاج العروس (٤٣٨/٥) .
 - ٧ تاج العروس (٢٣٣/١) .

(فلداه) في العبرانية . وتصنع منه الأسلحة بصورة خاصة^١ . وهو معروف في العربية ، وعرف بقولهم : « وهو مصاص الحديد المنقى من خبثه »^٢ .

ويستعين الحداد بأدوات في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب . ومن أهم هذه الأدوات (الكير) ، وهو المنفاخ ، وهو زق ينفخ فيه الحداد ، أو جلد غليظ ذو حافات ، يستعمل لاثارة النار وإيقادها ، كي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله ليناً يسهل طرقه واعطاؤه الشكل المطلوب^٣ . والكور وهو مجمرة الحداد وهي مبنية بالطين وبالحجارة ، وتوقد فيها النار ، ويسلط عليها الكير ، ويوضع الحديد على النار ليحمى ويلين^٤ . ومن أصل (كور) (كور) و (كير) ، ويراد بها الموضع الذي تحرق فيه القرابين من بخور وذبائح تهبأ للحرق تقريباً الى الآلهة^٥ . ويعرف الكور بـ (كور) عند العبرانيين . وقد وردت اللفظة في التوراة^٦ .

ويطرق القين الحديد المحمى على (السندان) ، ليحولته الى الشكل الذي يريده . ويعرف بـ (العلاة) أيضاً^٧ .

وقد استغل اليهود انفة أهل المدينة والعرب الصرحاء من الاشتغال بالحدادة ، فاحتكروها لأنفسهم ، وربحوا منها ربحاً طيباً ، وذلك بإننتاجهم الأدوات والآلات الزراعية وبصنعهم الأسلحة اللازمة لكل انسان لحماية نفسه ، مثل صنع السيوف والخناجر والدروع . وقد سلحوا أنفسهم بها ، كما باعوا منتوجهم من غيرهم . وتصنع الدروع من الحديد الثقيل ، كي تقاوم قراع السيوف^٨ . وقد تزداد الدروع ، لتقاوم في الدفاع ، ويقال عندئذ (درع مزروود)^٩ .

والسرد عند علماء اللغة نسج الدرع ، وهو تدخل الخلق بعضها في بعض .

١ Smith, Dict. of the Bible, Vol. III, p. 1377.

٢ اللسان (٥٠٣/٣) .

٣ عمدة القارئ (٢٢٠/١١) ، تاج العروس (٥٣٢/٣) ، مجمع الامثال (٦/١) .

٤ تاج العروس (٥٣٠/٣ ، ٥٣٢) .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 33, 170.

٦ Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 637.

٧ شرح ديوان لبيد (ص ٩٦) .

٨ تاج العروس (٣٢٥/٥) .

٩ تاج العروس (٣٦٣/٢) .

والسرد اسم جامع للدروع وسائر الخلق . وسمي سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفاً كل حلقة بالمسار ، فذلك الخلق المسرد . والمسرد هو المثقب . وهو السرد^١ . ويراد بالحلقة السلاح عاماً ، وقيل : الدرع خاصة ، وإنما ذلك لمكان الدروع ولشدة غناؤه . وقد سمي (النعمان) دروعه حلقة^٢ .

وتصنع النصال من الحديد أيضاً . والنصل حديدة السهم والرمح ، ويقال نصل السيف ونصل السكين . وقد ذكر أيضاً أن نصل السيف حديدة السيف ما لم يكن له مقبض . فإذا كان لها مقبض ، فهو سيف . وقيل : إن النصل السهم العريض الطويل ، والمشتق على النصف من النصل^٣ .

ومن المجاز الحداد السجان ، لأنه يمنع من الخروج أو لأنه يعالج الحديد من القيود . وفي هذا المعنى ورد :

يقول لي الحداد وهو يقودني الى السجن لا تفزع فما بك من باس

والحداد البواب ، لأنه يمنع من الخروج^٤ .

والعتلة : حديدة كأنها رأس فأس عريضة ، في أسفلها خشبة تحفر بها الأرض والحيطان ، وليست بمعقفة كالفأس ، ولكنها مستقيمة مع الخشبة ، أو هي العصا الضخمة من حديد ، لها رأس مفلطح ، يهدم بها الحائط . وقيل : هي يرم النجار^٥ .

ومن مصنوعات الحداد (الإبريم) ، وهو حلقة لها لسان يدخل في الحرق في أسفل المحمل ، ثم تعض عليها حلقتها ، والحلقة جميعها (إبريم) . وقد أدخلها الجواليقي في باب المعربات^٦ من الفارسية . ومن مصنوعات الحداد (المقدحة) ، الأداة التي استعان بها الإنسان في إيجاد النار . وهي حديدة يقدح بها حجر يوضع عليه مادة قابلة للاشتعال ولأخذ النار ، مثل الصوف ، فيورى منها النار^٧ .

-
- ١ تاج العروس (٣٧٥/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٣١٩/٦) .
 - ٣ تاج العروس (١٣٦/٨) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣١/٢) ، (حد) .
 - ٥ تاج العروس (٣/٨) .
 - ٦ المغرب (ص ٢٤) ، تاج العروس (٢٠٢/٨) .
 - ٧ تاج العروس (٢٠٢/٢) .

ويهيء الحدّاد أقفال الأبواب ، وقد يصنعها النجار أيضاً . ويوضع خلف الباب وتد من حديد لتسميرها ، فلا يمكن فتحه^١ ، كما يهيأ البيت بما يحتاج اليه من أدوات تستعمل في الطبخ وفي الغسيل وفي الزينة . ويجهز الرجل والمرأة بالأدوات المساعدة للتجميل كـ (المدرى) ، وهو شيء يسرح به شعر الرأس محدد الطرف من حديد ، وقد يصنع من غيره مثل الخشب . وهو كسنة من أسنان المشط ، أو أغلظ قليلاً ، إلا أنه أطول^٢ .

وقد ذكر أصحاب اللغة بعض أسماء الآلات والأدوات التي كان يستعملها الحدادون في حرفتهم ، نذكر بعضاً منها ، مثل : (القرزم) و (العلاة) . والقرزم لوح الإسكاف المدور . و (المطرقة) ، و (الفطيس) ، وهي أكبر من المطرقة ، وهي (الميفعة) أيضاً . و (المبرد) الذي يبرد به الحديد ، و (البرادة) ما سقط منه^٣ . وأما (فسالة الحديد) فها تناثر من الحديد عند الضرب اذا طبع ، و (المشخذ) مبرد للحديد ، أعظمها وأخشنها . وقال بعض اللغويين : المشخذ المسنن ، و (المفراض) وهو للحديد كالمقراض للشوب ، والمنفاخ (المنفاخة) وهو ما ينفخ به الكبير ، والكبير الذي ينفخ فيه^٤ . وأما المني من الطين ، فهو الكور . و (المشرجع) مطرق لا حروف لنواحيه ، ومطرقة مشرجعة ، مطولة ولا حروف لنواحيها . أما اذا كان الشيء مربعاً ، وقد نحتت حروفه ، قيل له (شرجعة) . و (العسقلان) ، أصغر مطرقات الصائغ . و (الغداف) الحديدية التي يدخل في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة ، والخشبة التي بين يديه . أما (الحيملاج) ، فنفاخ الصائغ ، وهو حديدية مجوفة ينفخ فيها الصائغ ، اذا أراد النفخ في كيره . وله الكلبتان والمثقب^٥ .

وقد وردت في التوراة لفظة (اج ن) (اجن)^٦ ، وهي (اجانة) و (اجان) في العربية . وهي إناء يعجن فيه العجين ، أو يوضع فيه سائل أو أي مادة أخرى .

- ١ المعرب (ص ٢٦٤) .
- ٢ جامع الاصول (٥٧١/٧) .
- ٣ شمس العلوم (١٤٥/١) .
- ٤ المغرب (٢٢٠/٢) .
- ٥ أخذت ذلك من بلوغ الارب (٤٠٣/٣) وما بعدها .
- ٦ Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 533.

ولا تزال الكلمة حية معروفة . وتصنع من المعدن في الغالب ، ولكنها قد تصنع من خشب في بعض الأحيان .

ويستخدم الحداد المطرقة في طرق الحديد المسمى لتحويله الى الشكل المطلوب. ويقال للمطرقة الكبيرة (الفطيس) ، وتقابلها لفظة (بطيش) Pattish ، عند العبرانيين^١ . وقد أشار علماء اللغة الى (الفطيس)^٢ . ويستخدم ال (قدوم) ، وهي مطرقة كذلك ، تسمى بـ (قردم) (قردوم) عند العبرانيين^٣ . وذكر علماء العربية أن (القدوم) التي ينحت بها^٤ .

ومن أنواع المطارق مطرقة دعيت بـ (جرزن) عند العبرانيين ، وتستخدم في القطع : في قطع الأشجار والأخشاب التي تستعمل في البناء . ويرى بعض العلماء أنها أخف من (القردم)^٥ . وبين (جرزن) و (الجرز) اللفظة العربية تقارب وارتباط . وقد ذكر علماء اللغة أن (الجرز) من السلاح ، والعمود من الحديد وأن الجواز بمعنى : قاطع ، ولذلك قالوا سيف جراز ومدقة جراز^٦ . وهي الفأس في العبرانية ، ولعلها بهذا المعنى في العربية أيضاً . وتستخدم لقطع الأحجار والاشخاب ولتكسيرها^٧ .

والمطارق الحديثة المستعملة في الشرق الأوسط وفي بلاد العرب ، لا تزال محافظة على شكلها وهيئتها التي كانت عليها عند الجاهليين وعند غيرهم قبل الاسلام . كما يظهر ذلك من النماذج التي عثر عليها ومن صور المطارق المصورة على بعض الآثار . وبعض هذه المطارق ذات رأسين ، وبعضها ذات حافتين . ويختلف شكلها باختلاف المهمة التي تستخدم فيها . واستخدمت المطارق في الحروب كذلك ، حملها المحاربون معهم في قتال الأعداء وفي فتح الثغرات في الجدر والأسوار وتحطيم الدبابات والآلات الأخرى المستخدمة في حروب تلك الأيام .

١ Hastings Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.

٢ شمس العلوم (١٤٥/١) ، المغرب (٢٢٠/٢) .

٣ Smith, Dict., Vol. I, p. 142.

٤ اللسان (٤٧١/١٢) .

٥ Hastings, Dict., Vol. I, P. 205, Smith, Dict., Vol. I, 141 f.,

٦ Ency. Bibl., Vol. I, p. 392.

٧ اللسان (٣١٧/٥) .

The Bible Dictionary, I, p. III.

الصياغة :

و (الصائغ) ، من يحترف الصياغة ، وذلك في اللهجة العربية الشمالية ، ويشغل في صياغة الذهب والفضة . وقد كان بين أصحاب الرسول من احترف هذه الحرفة . وقد ورد عن أبي رافع الصائغ ان عمر بن الخطاب كان يمازحه بقوله : « أكذب الناس الصواغ ، يقول اليوم وغداً »^١ . وكلام عمر بن الخطاب هذا يدل على أن الصاغة لذلك العهد كانوا يخلفون أيضاً في المواعيد ، ولا يحافظون على الأوقات .

وقد تحدث بعض الكنية اليونان عن أثاث وحلي مصنوعة من الذهب والفضة ، ذكروا أن السبيين كانوا يستعملونها في بيوتهم ، ولكننا لم نقف على شيء مهم من ذلك ، إلا قطعاً متأكلاً من المعدن وصلت إلينا . لتحدث عن عمل الصاغة والحدادين في العربية الجنوبية . وأكثرها من المصنوعات المعمولة من البرنز . فلدينا مصباح من البرنز مصاب ببعض العطب ، عثر عليه في (شبوة) ، على طرفه جسم (أيل) جميل ، صنع وكأنه منتهي للوثوب . وهناك قطع أخرى تمثل احداها جملاً ، وأخرى حصاناً ، كما عثر على عصي مصنوعة من البرنز ، وعلى ألواح من هذا المعدن أيضاً ، عليها كتابات . وهي محفوظة في المتاحف الأوروبية . وهذا الذي عثر عليه هو شيء قليل بالطبع بالنسبة الى ما سيعثر عليه ، متى سمح للآثارين بالبحث عن الآثار والكشف عن المظمور في جزيرة العرب ، ولا سيما في العربية الجنوبية حيث تشاهد تلؤل من الأثرية منتشرة تضم تحتها كنوزاً ثمينة من الآثار .

ويقال للذهب الأنضر ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن لفظة الأنضر اسم للذهب والفضة ، وكذلك النضار . أما النضرة فإنها السبيكة من الذهب . ونضار الجواهر الخالص من التبر^٢ .

وقد عرف التبر ، بأنه الذهب كله ، وقيل : هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض من النحاس والصفرة والشبه والزجاج وغير ذلك مما استخراج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل . وقيل : التبر هو الذهب المكسور ، وقيل الفتات

١ تاج العروس (٢٣/٦) .

٢ تاج العروس (٥٧١/٣) .

من الذهب والفضة قبل أن يصاغا ، فإذا صيغاً فيها ذهب وفضة . وورد التبر ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنائير فهو عين . وقد يطلق التبر على غير الذهب والفضة من المعادن كالنحاس والحديد والرصاص ، وأكثر اختصاصه بالذهب . وورد في الحديث : الذهب بالذهب تبرها وعينها ، والفضة بالفضة تبرها وعينها ^١ . وأما (الجذاذ) ، فإنه حجارة فيها ذهب ، أي الحجر الذي يقلع من مناجم الذهب ، ثم يسحن بالمساحن لاستخلاص الذهب من المواد الأخرى . والمسحنة حجر يدق به حجارة الذهب ^٢ .

والخلي ، ويراد بها ما يزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة ^٣ ، هي من أهم أعمال الصائغ عند الجاهليين ، يقوم بصنعها من الذهب أو الفضة ، ويزينها ببعض الحجارة في بعض الأحيان . وقد اشتهر (بنو قينقاع) في منطقة (يثرب) بإجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها . ومن هذه الخلي ما يعلق على الصدر، ومنها ما يوضع في الأيدي أو في الأصابع ، ومنه ما يوضع حول الساق . وما يعلق في مواضع أخرى من الجسد مثل الأذنين أو الأنف أو على الجبين ، كما ان بعضه مما يحلى به الحيوان أو الأشياء النفيسة في البيت .

ومن الخلي المشهورة عند الجاهليين ، القلادة . وتصنع من الذهب أو الفضة في الغالب ، وقد تكون من ربط حجارة أو عظام أو خرز بعضها الى بعض . وتربط حول العنق ، وتمتدلى على الصدر . عُرِى أن القلادة في اللغة لفظة عامة تطلق على أمور كثيرة . وقد كان الجاهليون يضعون قلادة في عنق البدن ، مثل عروة مزادة ، أو خلق نعل، أو غير ذلك ، ليعلم أنها هدي . كما كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم ، ويعتصمون بذلك من أعدائهم ^٤ .

والأسورة من أدوات الزينة كذلك . وقد استعملها أهل الجاهلية ، تضعها المرأة في يديها . ويذكر علماء اللغة أن (السوار) لفظة معربة، عربت من الفارسية وأصلها في الفارسية (ستوار) ، فأخذها العرب وعربوها . واشتقوا منها (سوّرت

١ اللسان (٨٨/٤) .

٢ المعاني الكبير (٨٤٨/٢) .

٣ تاج العروس (٢٣/٦) .

٤ تاج العروس (٤٧٥/٢) ، جامع الاصول (٤٠٩/٥) .

الجارية) و (جارية مسورة)^١. على أن بعض المحاربين كانوا يستعملون الأسورة، ويتباهون بها في الحروب .

وأما (العصمة) ، فقليل لأنها القلادة ، وقيل لأنها شبه السوار ، توضع حول اليد . وأما المعصم ، فإنه موضع السوار من اليد أو الساعد^٢ . وأما القرط ، فمن حلي الاذن يعلق بشحمة الاذن^٣ ، سواء أكان درّة أم ثومة من فضة أم معلاقاً من ذهب^٤ .

والخلخال من أدوات الزينة التي تستعملها النساء ، يوضع على الساق يصاغ من الذهب أو الفضة^٥ . وقد يحشى بالقصار ، كما تحشى الأسورة أيضاً في بعض الأحيان لتبدو غليظة . ويستعمل القير والقار في طلي السفن ، لمنع الماء من الدخول فيها . والعرب تسمى الخضخاض قاراً ، وهو قطران وأخلاط تنهاها الإبل . وقد ذكر انه صعد يذاب ، فيستخرج منه القار^٦ . ولا يزال أهل البادية والقرى يتحلون بالخلخال . وللأجراس الصغيرة التي تعلق به رنين خاص ونغمات . وهو من أدوات الزينة المستعملة بين شعوب الشرق الأوسط منذ القديم . وقد أشير إليه في التوراة^٧ .

وقد نهى الاسلام تبخر النساء بالخلخال ، واثارتهم نغماتها ، لما في ذلك من اثاره للرجال وتأثير عليهم^٨ .

والخاتم من عمل وصنع الصائغ ، وهو من حلي الاصبع ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب ، مثل الياقوت والماس والشدر وغير ذلك . ويستعمل الخاتم للختم كذلك أي للطبع بدلاً من التوقيع ، وذلك بحفر رمز أو كلمة أو عبارة أو اسم صاحب الخاتم على الخاتم ، فإذا أريد كتابة كتاب أو تصديق قرار أو وثيقة ختم به على

١ تاج العروس (٢٨٣/٣) ، المفردات (ص ٢٤٧) ، جامع الاصول (٤٠٨/٥) .

٢ تاج العروس (٤٠٠/٨) .

٣ جامع الاصول (٥٢٦/٧) ، المغرب (١١٧/٢) .

٤ تاج العروس (٢٠٢/٥) .

٥ قال امرؤ القيس :

كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

تاج العروس (٣٠٩/٧) .

٦ المغرب (ص ٢٦٦) .

٧ Hastings, Dictl. of the Bible, I, p. 99.

٨ السورة ٢٤ الآية ٣١ .

الشيء المراد ختمه ، فيقوم اذ ذاك مقام التوقيع والاعتراف بصحة المذكور ويقال لما يوضع على الطينة وما يحتم على اللبنة الخاتم كذلك^١ . ولذلك عدّ الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك . وختم الملك ، يدل على ارادة الملك ورضائه وأمره . ولذلك قيل : خاتم الملك^٢ .

وقد يصنع الخاتم من الشبه أو الصفر أو الحديد ، ويعمل على صور وأشكال متعددة متنوعة . وقد كان خاتم رسول الله من حديد ملوي ، عليه فضة^٣ .

وفي المتاحف وعند الناس عدد كبير من الأختام، عثر عليها في مواضع متعددة، من جزيرة العرب . وهي تكون عند علماء الآثار دراسة خاصة ، لما كان لها من أهمية عند الشعوب القديمة ولما في بعضها من دقة في الصنعة ومن تفنن وابداع وبعض هذه الأختام مستورد من الخارج وبعضه متأثر بالاختام الأجنبية ، مثل الأختام العراقية أو الأختام اليونانية أو الفارسية .

ويقوم الصائغ بعمل الزينة للرأس ، ومنها التيجان . وقد كان ملوك الحيرة يضعون التيجان على رؤوسهم . وقد ورد في شعر لملك بن نويرة أن تأت النعمان بن المنذر كان من الزبرجد والياقوت والذهب^٤ .

ومن حلي النساء الفتنخ والحُرُص والسخاب والحلق . وقد حلي بها الأولاد كذلك^٥ . وكذلك المسكة من ذهب والسلسلة والأطواق والأجراس والجلجل . ويراد بالفتنخ الخواتيم الضخام . يكون في اليد والرجل ، بفص وبغير فص وقيل الخاتم أياً كان ، أو حلقة من فضة^٦ . وأما المسكة ، فسوار من ذبل أو عاج ، فإذا كانت من غيرهما أضيفت الى ما هي منه^٧ . وتوضع السلسلة في العنق ، وأما الأجراس فتوضع في الأرجل^٨ .

١ تاج العروس (٢٦٦/٨) ، اللسان (١٦٣/١٢) ، « صادر » .

٢ Smith, Vol. III, p. 1044.

٣ جامع الاصول (٤٠٢/٥) .

٤ لن يذهب اللؤم تاج قد حييت به من الزبرجد والياقوت والذهب

المغرب (ص ٣٥٦) ، تاج العروس (١٢/٢) .

٥ جامع الاصول (٤٠٤/٥) وما بعدها .

٦ جامع الاصول (٤٠٨/٥) ، تاج العروس (٢٧٠/٢) .

٧ جامع الاصول (٤٩٣/٥) .

٨ جامع الاصول (٤١٠/٥) .

ومن الحلي : (الحُبلة) ، ضرب من الحلي يصاغ على شكل ثمرة (الحبلَة)
يوضع في القلائد في الجاهلية ^١ .

ويقال للنقوش والزينة المزوقة والتصاوير المموهة بالذهب (الزخرف) . وذكر
علماء اللغة أن (الزخرف) الذهب ، وهو الأصل ، ثم قيل لكل زينة زخرف ،
وكذلك كل شيء مُؤَوَّه به . وقد ورد في كتب الحديث والأخبار أن الكعبة
كانت قد زينت بالزخرف ، أي بنقوش وتصاوير ، وكانت بالذهب . فلما كان
يوم الفتح ، لم يدخل الرسول الكعبة ، حتى أمر بالزخرف فنهى ، وبالأصنام
فكسرت ، فدخل بعد ذلك الكعبة ^٢ .

وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية المصنوعة من الذهب والفضة ،
فاستعملوا الأكواب والأباريق والكؤوس والقوارير والأواني ، وبعضها عليه صور
مرسومة أو محفورة . وقد أشير في القرآن الكريم الى هذه الأواني ، وذكرت في
كتب الفقه ، وقد ورد النهي عن الشرب بأواني الذهب في الحديث ^٣ ، وفي ذلك
دليل على وجودها واستعمالها عند العرب قبل الاسلام .

وقد ذكر علماء اللغة أن من الأواني المستعملة من الفضة الجمام ^٤ ، وعرفوا
الكوب بأنه كوز لا عروة له ، أو هو المستدير الرأس الذي لا خرطوم له .
وقد ذكر في شعر عدي بن زيد العبادي ^٥ ، وفي شعر نفر آخر من الشعراء
الجاهليين ممن ألفوا الحضارة . وورد (أكواب) جمع (كوب) في القرآن
الكريم ، دليل على استعمال أهل مكة للأكواب .

واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية . وتقابل لفظة Cup في الانكليزية .
وقد أخذت من هذا الأصل اليوناني .

والكوب ، هو في معنى (كوس) عند العبرانيين ، أي كأس في عربيتنا .
وتصنع الكؤوس من المعدن ، كما تعمل من الطين . وعملت كؤوس الملوك وكبار

-
- | | |
|---|--|
| ١ | اللسان (١٤٠/١١) . |
| ٢ | تاج العروس (١٢٦/٦) . |
| ٣ | شمس العلوم (١٠٣/١) . |
| ٤ | تاج العروس (٢٣٤/٨) . |
| ٥ | متكئاً تصفق أبوابه
يسمى عليه العبد بالكوب
تاج العروس (٤٦٤/١) . |

الأغنياء من الذهب والفضة . ول بعضها يد أو علاقة ليحمل الكأس بها^١ . وقد ذكرت لفظة (كأس) في القرآن الكريم .

واستعمل أهل مكة الأباريق المصنوعة من الذهب والفضة كذلك . وقد ذهب علماء اللغة الى ان لفظة (ابريق) لفظة معربة ، أصلها فارسي هو : (آب رى) . وقد وردت لفظة (الأباريق) في القرآن ، كما وردت لفظة (ابريق) في شعر منسوب الى عدي بن زيد العبادي^٢ .

وأخذ تجار مكة من الفارسية بعض الألفاظ الحضارية التي لها علاقة بالصياغة ، بحكم اتصالهم بالعراق ، مثل لفظة (زركش) ، وهي من أصل فارسي معناه الراسم والناقش على الذهب^٣ .

وصاغ الصياغ خرزاً من الفضة ، جعلوها على أمثال اللؤلؤ ، وعرفت عندهم باسم (الجمان) . وقد وردت لفظة (جمانة) في شعر منسوب للبيد . وذكر الجواليقي أن اللفظة معربة من أصل فارسي : وانها تكلمت بها العرب قديماً^٤ .

ويصنع الصائغ اطارات للمرائي ، جمع المرأة ، وهي ما تراءيت فيه ، وما ترى فيه صور الأشياء^٥ . وقد يصنع الصائغ المرأة على هيئة سبيكة مصقولة من الفضة اذا نظر اليها بان وجه الانسان . وقد ذكر العلماء نوعاً من المرائي دعوه (السجنجل) ، وقد وردت هذه اللفظة في معلقة امرئ القيس ، وذكر العلماء أن اللفظة معربة من أصل رومي^٦ .

وقام الصائغ بعمل كل ما طلب منه ، فعمل قبعة السيف من الذهب والفضة وزين السيوف بالذهب والفضة ، بل صنع بعضهم أنوفاً من ذهب لمن أصيبت

١ Smith, Vol. I, p. 372.

٢ ودعا بالصبوح يوماً فقامت قينة في يمينها ابريق
تاج العروس (٢٨٦/٦) ، وورد « فجاءت » ، المعرب (ص ٢٣) ، شمس العلوم
(١٤٥/١) .

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٨١ ، تموز ١٩٦٠) .

٤ المعرب (١١٥) ، تاج العروس (١٦٣/٩) .

٥ تاج العروس (١٣٩/١٠) .

٦ المعرب (ص ١٧٩) :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
تاج العروس (٣٧١/٧) .

أنوفهم . فذكر أن صائغاً صنع أنفاً من ذهب لعرفجة بن سعد، وكان قد أصيب أنفه يوم الطلاب في الجاهلية^١ .

وزينت الدروع والدرق بالذهب كذلك. ووجد الصائغ عملاً مهماً له في المعابد، اذ أمدها بزخارف مموجة بالذهب وضعت على أبوابها وعلى الأماكن المقدسة فيها . كما أمدها بالثايل المصنوعة من الابريز والقناديل والمصابيح المصنوعة من الذهب والفضة .

ومن أدوات الصاغة المهمة التي يستعملونها في صناعتهم (الخماييج) ، وهي المنافخ ، وتستخدم في إيقاد النار وفي زيادة لهبها كي تتمكن من صهر المعدن أو جعله ليناً ليحول الصائغ على الشكل الذي يريده^٢ .

ومن الأدوات المصنوعة من الحديد ومن النحاس والبرنز أيضاً (التور)^٣ و (الطست)^٤ و (الطاجن)^٥ ، وهي أوان يوضع فيها الماء في الغالب . وذكر بعض علماء اللغة أنها كلها ألفاظ معربة من الفارسية^٦ .

وقد عرف التور بأنه إناء من الأواني ، وقيل انه إناء من صفر أو حجارة كالإجانة وقد يتوضأ منه^٧ .

ومن الأدوات التي يصنعها النحاسون (القمقم) . ذكر بعض علماء اللغة انه الجرة أو ما يستقى به من نحاس^٨ . واللفظة ما تزال حية معروفة في العراق ،

-
- ١ جامع الاصول (٥/٤١٠ وما بعدها) ، اللسان (٨/٢٥٩) .
 - ٢ المعاني الكبير (٢/٧٦٣) .
 - ٣ المعرب (ص ٨٦) ، (تاج العروس (٣/٧٠) .
 - ٤ المعرب (ص ٨٦) ، (تاج العروس (١/٥٦٣) ، المعرب (٢/١٤) ، فرائد اللغة (ص ٢٣٨) .
 - ٥ « الطجن : القلو ، دخيل في العربية ٠٠٠ والمطجن : كمعظم ، المقلو في الطاجن » ، (تاج العروس (٩/٢٦٨) .
 - ٦ المعرب (ص ٨٦) .
 - ٧ اللسان (٤/٩٦) .
 - ٨ المعرب (ص ٢٦٠) : « والقمقم كهدهد : الجرة عن كراع . وأيضاً آنية من نحاس وغيره ، يسخن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس . قال الاصمعي : هو رومي معرب « كمكم » بكافين عجميتين . وقال عنتره :
وكان رباً أو كحلاً معقداً حش القيان به جوانب قمقم
ومنه استعير لإناء صغير من نحاس أو فضة أو صيني يجعل فيها ماء الورد ، تاج العروس (٩/٣٣) .

تطلق على وعاء يوضع فيه ماء الورد ، يسكب منه في المآتم خاصة .

وقد اشتهرت بعض مواضع اليمن بالمعادن ، وتعرف الأرضين المحتوية على خاماتها بـ (معدن) عند أهل الأخبار . ويذكر بعد هذه اللفظة اسم المكان الذي يوجد فيه المعدن ثم نوعه ، فقد ورد مثلاً (معدن عشم) و (معدن ضنكان) ، وقد اشتهرا بالذهب . وذكر ان ذهبها من النوع الجيد الجليل . أما (معدن القفاعة) ، ففيه ذهب كذلك ، لكنه دون ذهب المعدنين المذكورين ، وهو خير من ذهب (معدن بني محيد)^١ .

وقد استغل الناس مناجم الذهب والفضة والحديد ، وعثر عند بعضها على أدوات استخدمت في إذابة المعدن ، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به . وقد ذكر (فؤاد حمزة) في كلامه على جبل (تهلل) بجوار السودة في عسير ، وبه معدن الحديد^٢ ، أنه عثر فيها على آثار عشرات النقر لإذابة المعادن . وقد كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في هذه النقر ومعه الخشب والأغصان التي توقد لإيجاد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبة المختلطة في خامه . فإذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة التي كانت ممتزجة به ، عولج معالجة خاصة لتنقيته ولإستخراج فحمه والمواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر والثلج بسهولة . وقد يعالج جملة مرّات إن أريد استعماله في أمور تستدعي استعمال حديد نقي صاف في مثل السيوف الجيدة التي يجب صنعها من هذا الحديد .

واستعمل الآتون أيضاً في إذابة المعادن لتنقيتها وإذابتها وإحالتها الى الشكل المطلوب . وتوقد النيران في أسفل الآتون ، لتذيب المعدن وتحيله الى سائل يسيل من فتحة تقع في جانبه ليحوله المعدن الى الشكل الذي يريده . ويخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار ، وتقوم هذه المدخنة في تهوية الموقد في الوقت نفسه . وطريقة إذابة المعادن وتنقيتها هذه ، معروفة عند الرومان واليونان والفرس والعبرانيين . ويطلق العبرانيون على الآتون ، لفظة (أتون) كذلك^٣ .

وأشير الى معادن أخرى في اليمن ، منها : الفضة . وقد وجد في (معدن

١ بلوغ الارب (٢٠٤/١) .

٢ في بلاد عسير : (ص ١١٣ وما بعدها) .

٣ Smith, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 837.

الرصاص) ، موضع بين (فهم) من همدان ، بين خولان العالية ومراد ، ومعها الرصاص ، وعليه كان اعتماد أهل اليمن . وكان في الموضع قرية تسمى (قرية الرصاص) ، وأهلها من العرنيين . وقد ارتدوا ، فقتلهم رسول الله^١ . وعرف الرصاص الخالص بالآنك^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين الى انها من أصل لإرمي هو (أنكو) Anko^٣ .

ومن المعادن : الجزع ، واليقران ، والعقيق ، وهو في مواضع عديدة من اليمن ، بعضه بعدن أبيض ، وبعضه بأرض وادعة بين صنعاء والحجاز ، وفي نجران ويبحان^٤ .

والنحاس ، هو (نحشت) في العبرانية . ويعرف بـ (صبرو) Siparu في البابلية . ومن هذه اللفظة (الصفر) ، المستعملة في العراق بمعنى نحاس^٥ . وذكر علماء اللغة أن النحاس ضرب من الصفر والآنية شديدة الحُمْرة^٦ . وذكروا أن الصفر : النحاس الجيد ، وقيل ضرب من النحاس . والصفار صانع الصفر^٧ .

وقد عرف المشتغلون بالمعادن طريقة خلط المعادن ، فاستعملوها في أغراض شتى . فخلطوا بين الفضة والرصاص أو النحاس في صنع النمي ، وهي الفلوس . وكانت في الحيرة على عهد النعمان بن المنذر^٨ . وخلطوا الحديد بمعادن أخرى ، ليتناسب مع طبيعة الأشياء التي يراد صنعها منه . ويكون خلط المعادن بنسب مقدرة معلومة كي تؤدي الغاية المرجوة منه . ومن هذه المعادن : الشبه . وقد ذكر علماء اللغة أنه ضرب من النحاس يلقي عليه دواء فيصفر^٩ .

وفي العربية لفظة (فولاذ) ، وتعني معنى Steel في الانكليزية ، أي نوعاً خاصاً من أنواع الحديد وتقابل لفظة (فلدو) (بلدو) في السريانية و (فلداه)

-
- ١ بلوغ الارب (٢٠٤/١) .
 - ٢ شمس العلوم (١٠٢/١) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
 - ٤ بلوغ الارب (٢٠٤/١) .
 - ٥ Ency. Bibl., Vol. I, p. 893.
 - ٦ اللسان (٢٢٧/٦) .
 - ٧ اللسان (٤٦١/٤) .
 - ٨ تاج العروس (٨٥/٩) .
 - ٩ اللسان (٥٠٥/١٣) .

في العبرانية . ويظهر أن الفولاذ كان معروفاً عند الشعوب القديمة قبل الميلاد^١ .

ولم يختلف أهل اليمن القدماء عن أهل اليمن المحدثين في طرقهم البدائية في استخراج المعادن واستخلاصها من خاماتها ، ولا يزال أهل اليمن يضرمون النار في الحجارة المحتوية على المعدن ، فيسيل المعدن بتأثير الحرارة ، فإذا سال سكب عليه الماء ، فيبرد ، وتتكون قطع منه ، يستعان بها في صنع ما يحتاجون إليه من آلات وأدوات .

ولا يزال كثير من سكان جزيرة العرب يمارسون الصناعات على الطريقة القديمة ، يعتمدون فيها على الأيدي وعلى الآلات البدائية التي ورثوها من الماضي ، فيدغون الأدم على طريقتهم الموروثة ، ويصنعون سرج الخيل وهوداج الإبل ، والأحذية ، وينسجون الأنسجة من صوف الأغنام أو الماعز أو الوبر ، للملابس ، وللبوتهم التي تنتقل بتقلهم .

والعطارة من الحرف القديمة المعروفة ، وقد ذكرت في التوراة^٢ . والعطار وإن كان اسمه قد جاء من العطر بسبب تعاطيه بيع الطيب والعطور ، يبيع أيضاً مختلف الأعشاب والعقاقير والأدوية . فهو صيدلي في الواقع ، واليه تأتي وصفة الطبيب تعين الأعشاب والعقاقير التي يحتاجها المريض . وقد كان العطارون يبيعون في مكة ويثرب وأماكن أخرى أنواع العطور والطيوب ، وفي جملتها المسك . وقد ضرب الرسول المثل (بصاحب المسك) أي العطار ، إذ جعله مثال الجليس الصالح^٣ للرجل .

ويبيع العطارون عدة أشياء تستعمل في الطب وفي الطعام ، مثل الزعفران والكرم وهو أصغر ، وذكر أنه (الهرد) ، وهو عروق يصنع بها^٤ . ومثل (المصطكا) ، وهو علك رومي ، ويدخل في الأدوية أيضاً^٥ .

وقد يحمل العطارون آلتهم معهم ، يضعونها في خريطة من أدم ، يطلقون

١ Smith, A dictl. of the Bible, Vol., III, p. 1377.

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢٢/٢) .

٣ عمدة القارئ (٢٢٠/١١) .

٤ المغرب (ص ٢٩١) .

٥ المغرب (ص ٣٢٠) .

عليها (القفدانة) و (القفدان) . وهي لفظة فارسية معربة ، وتطلق على المكحلة كذلك كما يقول بعض علماء اللغة ^١ .

حرف الإعاشة :

وأعني بها الحرف التي تهيم الأكل للإنسان من تقديم أكل وشراب وما يتعلق بهما من أعمال مساعدة في تهيئة ذلك . فيدخل فيها طحن الحبوب والطبخ والخبز والأواني التي يوضع فيها الطعام وما شابه ذلك من أمور .

ولا بد للإنسان من سحق الحبوب وطحنها ليكون في إمكانه أكلها والاستفادة منها . لذلك فقد بدقها دقاً بين حجرين أو بآلات صلبة ، ثم يلهم الحبوب المدقوقة لهماً أو يحمصها على النار أو يمزجها بمادة أخرى لتكون طيبة المذاق مستساغة في الطعام . وقد يطحنها طحناً ، أي يحولها إلى دقيق بواسطة : الرحي ، وهي حجران من حيث الأساس أحدهما ثابت وهو الأسفل ، والآخر متحرك وهو الحجر الأعلى وهو أصغر قليلاً من الحجر الأسفل ، به فتحة توضع الحبوب بها فتنزل منها إلى سطح الحجر الثاني ، فتقع بواسطة حركة الحجر الأعلى بين الحجرين وتداس فتسحق ، وبواسطة استمرار الحركة وثقل الحجر الأعلى تتحول الحبوب إلى طحين يخرج من بين الحجرين إلى الخارج حيث يسقط في حفرة أمامية عملت لتجميع الطحين بها ، وذلك فيما إذا كان الحجر الأسفل مبنياً على قاعدة ، أما إذا كان متحركاً فيسقط الطحين على أطراف الرحي على قماش أو أي شيء يوضع تحت الحجر الثاني ، ثم يجمع الطحين .

وهذا النوع من الرحي هو من النوع المحسن الذي يمثل تقدماً في صناعة طحن الحبوب . وقد عثر على نوع هو أبسط من الرحي المتقدمة ، فهو عبارة عن حجر مائل نوعاً ما ، أحد طرفيه مرتفع عن الطرف الآخر ، يوضع الحب عليه ثم يسحق بحجر اسطواناني الشكل في الغالب يمسك بالأيدي من مقبض تحت منه على كل طرف من طرفيه ثم يحرك على الحبوب لسحقها ، وقد يقبض بطرفي الحجر ثم يحرك نحو الأسفل فالأعلى حتى تسحق تلك الحبوب وتتحول إلى طحين .

١ العرب (ص ٢٦٣) ، تاج العروس (٤٧٤ / ٢) .

ولا أستبعد استعمال العرب الجنوبيين للطواحين الكبيرة التي تدار بالماء ، وذلك بالإضافة الى الطواحين التي تديرها الحيوانات ، وذلك لبيع الطحين في الأسواق . وقد كان الناس يستعملون الرحي في الغالب للحصول على الطحين ، فلم يكد يخلو بيت منها ، ولذلك كانت صناعة الرحي من الصناعات النافقة المربحة في ذلك الزمان .

والطحن من الأعمال التي تخصص بها النساء ، وتقوم به الخادومات في البيوت الكبيرة . وقد توضع جملة رحي في البيت الكبير حيث تخبز كميات وافرة من العجين لإعاشة أفراد البيت .

ولمكانة الرحي عند القوم يومئذ ، تخصص أناس باصلاح الحجر لتحويله الى رحي صالحة لطحن الحبوب أو لعمل الزيوت. وليس يصلح كل حجر لأن يكون حجر رحي ، ولهذا فعلى الخبير بالرحى اختيار الحجر الصالح ، ثم عليه اصلاحه ليكتسب الاستدارة وعمل ثقب فيه ونقره وغير ذلك مما يتعلق بهذا العمل . وتكون حجارة الرحي مختلفة في الحجم ، باختلاف العمل الذي يوكل اليها أداؤه . فبعض الرحي كبيرة ثقيلة ذات قطر واسع ، وتستخدم في طحن بعض المواد الصلبة مثل العفص ومواد الدباغة الأخرى والمواد التي تستخدم في إنتاج الزيت والطحين . ويستخدم الحيوان لإدارة مثل هذه الرحي . وقد عثر على حجارة رحي ضخمة استخدمها العرب قبل الإسلام في تلك الأغراض .

وبائع الحنطة يقال له الحنّاط ، يعيش من الإتجار بالحنطة ، وقد يبيع معها الشعير والحبوب الأخرى . وقد ورد ذكر (الحنّاطين) في كتب الحديث^١ .

والخبز في العادة هو من الأعمال البيتية ، أي من الأعمال التي تتم في البيت ، حيث تقوم الزوجة بخبزه ، ويقوم الرقيق أي الخدم بخبزه في البيوت الكبيرة الغنية. وهو من اختصاص النساء .

وقد احترف بعض الناس الخبازة ، وعرف واحدهم بـ (الخباز) ، إذ يصنع الخبز المصنوع من الحنطة أو المصنوع من الشعير أو من الذرة ومن الرز . والخبز على أنواع ، فيه الغليظ وفيه الطري وفيه الناشف ، وفيه ما يضاف اليه

١ العرب (ص ١٤١) ، تاج العروس (١٢١/٥ وما بعدها) .

السكر . وقد ذكر أن من الخبز الغليظ ما يقال له (جردق) و (جردق)
و (الجردقة) ، واللفظة فارسية معربة وأصلها (كرده)^١ .

والخبز المصنوع من الحنطة ، هو أجود أنواع الخبز وأغلاها ، ولذلك يعتبر
خبزها خبز الأغنياء وخبز الطبقة المتوسطة . أما خبز الأعراب والفقراء وأهل القرى
فهو الخبز المصنوع من الشعير أو من الذرة . ويقتات فلاحو بلاد الشام واليمن
بخبز الذرة ، لوجوده بكثرة عندهم ، ولرخص ثمن الذرة بالنسبة إلى القمح . كما
يقتات بعضهم بالخبز المصنوع من (الدخن) ، وهو من الحبوب القديمة وقد أشير
إليه في التوراة^٢ .

ومن أنواع الخبز (المرقق) ، أي الرقاق ، وقد ورد ذكره في كتب الحديث^٣ ،
ويقال له (المرقوق) في بلاد الشام ، ويعرف بـ (رقيق) أي (الرقيق) عند
العبرانيين^٤ . ولا زال معروفاً مستعملاً . ويكون ناشفاً رقيقاً يمكن حفظه وتخزينه
مدة طويلة . ولذلك يدخر للشتاء وللأسفار . ويرقق خبز الرقاق بآلة تسمى :
المرقاق^٥ .

والخبز الجيد هو الخبز المصنوع من الطحين المنقى الصافي من قشرة الحبوب ،
وذلك بنخل الطحين في منخل فيسقط لبّ الطحين ويعزل عن القشرة التي تبقى
في المنخل ، حيث يستعمل لأغراض أخرى كعلف للحيوان ، أو لتنظيف الأواني
وما شابه ذلك من أعمال .

و (الكعك) ، هو نوع من الخبز اليابس . ويحمل في الأسفار أيضاً ، حيث
يبقى مدة طويلة محافظاً على طعمه ونكهته . وقد ذكره بعض اللغويين في المعربات^٦ .
والسميد ، نوع من أنواع الخبز اليابس كذلك .

وقد يحلى الخبز ، بوضع مادة حلوة فيه ، وقد يعجن بالدهن أو الزيت ،

-
- ١ العرب (ص ٩٥ ، ١١٥) ، تاج العروس (٣٠٥/٦) .
 - ٢ حزقيال ، الاصحاح الرابع ، الآية التاسعة ، Hastings, Dict., Vol., I, p. 315 f.
 - ٣ العرب (ص ١٩٧) ، فتح الباري (٤٦٤/٩) ، اللسان (١٢٣/١٠) .
 - ٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 318, Hastings, a dict. of Christ and the Gosple, Vol., I, p. 231.
 - ٥ تاج العروس (٣٥٩/٦) .
 - ٦ تاج العروس (١٧٤/٧) ، العرب (ص ٢٩٧) .

وقد توضع فيه بعض المواد لاعطائه نكهة خاصة ، أو يوضع عليه السمسسم أو غيره ، كما نفعل اليوم .

ويخبز الخبز عند الحضر وأهل الريف في (التنور) . و (التنور) من الألفاظ الواردة في عدد من اللغات السامية ، فهو (تنورو) Tanuru في الآشورية ^١ . و (تنور) في العبرانية ^٢ . والتنور العربي هو نفس البابلي القديم نفسه ^٣ . وقد عيّر (حسان بن ثابت) رهط (النجاشي) الشاعر بأنهم لم يكونوا أهل حرب ولا طعان ولا فرسان ، وإنما هم قوم لا يعرفون غير الأكل والجلوس حول التناير ، يأكلون ما يخبز فيها ^٤ .

وعاش بعض الناس على بيع الحليب واللبن والزبدة والخبز . أما (اللبن) ، فإنه الحليب المثلج ، أي الحليب الغليظ . غلظ بتسخينه وبإضافة خميرة إليه . وأما الزبدة ، فتستخرج من خض الحليب وتحريكه ، فتتجمع مادة دهنه وتكون الزبدة . وأما الخبز ، فإنه من أكل أهل القرى والمدن في الغالب . أما الأعراب ، فلم يستعملوه بكثرة ، ولا زالوا على هذه العادة . وقد يستعمل بعضهم اللبن المجفف ، فبعد تحويلهم الحليب الى لبن ، يحففون اللبن ، ويستعملونه عند الحاجة . وقد ذكر الخبز في التوراة بـ (جيبته) من أصل (جبن) أحد الألفاظ السامية القديمة ^٥ .

ويعيش أناس من الجزيرة ، فكانوا يبيعون اللحم ويتكسبون بهذه الحرفة ، كما كانوا يقومون بالجزارة للناس في مقابل أجر يتقاضونه ، قد يكون نصيباً يدفع اليهم من الذبيحة ، وقد يكون شيئاً آخر يحصل التراضي عليه ^٦ . ولكن العادة أن يقوم الذبائحون بذبح الذبائح لأهل البيوت مقابل دفع شيء اليهم من الذبيحة أو بعض الأشياء التي يحتاجون إليها ، وقد يقوم بالذبح أصحاب البيوت أو الخدم أو الطبّاخون وذلك في العوائل الكبيرة ، ولهذا فحرفة الجزارة لم تكن من الحرف

١ Reallexikon, Bd., I, S. 5 Lieferung, S. 387.

٢ Hastings, A Dictionary of the Bible, p. 315.

٣ Reuther, Innenstadt von Babylon, S. 26, f., 53, 107, 118.

٤ الاطعان ، الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التناير ديوان حسان (ص ٢١٥) « البرقوقي » .

٥ Smith, Vol., I, p. 237.

٦ جامع الاصول (٣٩٦/٤) .

الشائعة ، لا سيما وأن سواد الناس لم يكن في امكانهم تناول اللحوم في كل يوم ، لغلائه بالنسبة لهم ، بل كانوا يعيشون على الخبز وبعض الادم الرخيص ، ولهذا صار الخبز المادة الأساسية في معيشة الإنسان ، ومن هنا قيل له (العيش) ، وقيل للطعام : (العيش) . كما كان اللبن أساساً لمعيشتهم ، وقد يتأدمون بالتمر مع الخبز^١ .

وأحسن اللحوم عند العرب لحوم الإبل ، لا يفضلون شيئاً عليها ، ومنهم من كان يستطيع أكل الضب^٢ . وهم في أكل لحم الجمل على عكس يهود ، الذين يحرمون أكل لحوم الجمل . أما لحوم الغنم والماعز ، فإنها تكون عند أهل القرى والمدن ، حيث يبيعها الجزارون . وقد يأكلون لحوم الخيل . وفي الأدب العربي قصص عن ذبح فرس لضيف قادم ، حين لا يكون لدى المضيف من حيوان سوى الفرس . وقد يأكلون الحمر الوحشية ، والحيوانات الأخرى حيث يصطادونها . أما الدجاج ، فإنه من مأكّل أهل القرى والمدن حيث تربي عندهم ويبيعونها في السوق .

وكان مأكولهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسيق والألبان ، وكان الغالب من أهل باديتهم لا يعاف شيئاً من المأكّل لقلتها عندهم . وكان الاصطياد ديدناً لهم ، وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم ، لاضطرارهم الى النقلة في الغالب وتشاغلهم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً ، ولضيق ذات يدهم ، فكانوا يتغلبون على كل ذلك بالاصطياد وبطاردة الحيوانات بكل طريقة ممكنة لأكل لحومها^٣ .

والطبخة من الحرف التي كانت معروفة عند الجاهليين . وقد ورد في كتب اللغة والأخبار وكتب الحديث أسماء بعض الأطعمة التي كان يستعملها أهل الجاهلية وبينها أسماء أطعمة معربة ، اقتبسها العرب من الفارسية والارمية واليونانية . ومن هذه الاطعمة المعربة ، (الخرديق) (الخردق) ، وهو طعام شبيه بالحساء أو

- ١ اللسان (٣٢٢/٦) .
- ٢ بلوغ الارب (٣٨٠/١) ، وكان الرسول ممن لا يستسيغ أكل العنب ، كتاب التاريخ الكبير ، لابي عبد الله ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) ، (١٧٠/١) ، «طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٣ هـ» .
- ٣ بلوغ الارب (٣٨٠/١) وما بعدها .

(الخزيرة)^١ . وقيل المرفقة بالشحم . ذكر العلماء أنها من أصل فارسي ، هو (خورديك)^٢ . و (الحشنكان)^٣ .

وتقوم المرأة صاحبة البيت بالطبخ ، أما اذا كانت الأسرة غنية موسرة ، فتستخدم طبّاخات للطبخ . وقد يقوم (طبّاخ) بذلك . وفي الولايم الكبيرة حيث يدعى عدد كبير من الناس ، يصعب على الطبّاخات الطبخ بالقدر الكبيرة ، ولهذا يقوم الرجال بذلك .

وقد استخدم أصحاب المال والبراء طبّاخين أعاجم لطبخ الأطعمة لهم ، وذلك لاتقانهم عمل الطبخ ولتفننهم فيه ، ولمعرفتهم بأنواع المأكّل الأعجمية التي لا يعرفها العرب . وقد ذكر أن (عبدالله بن جدعان) جاء بطبّاخ فارسي من العراق ليطبخ له مأكولات لا يعرفها أهل مكة وقد أعجبتة ، ومنها الفالودج ، وهو من مأكولات الفرس .

وتستعمل القدور في طبخ الأكل . والعادة أن تكون هذه القدور من معدن . مثل نحاس أو حديد . ولكنها قد تصنع من الحجارة المنحوتة أو طين مشوي بالنار ، أي قدور من فخار . وتستخدم المقلاة للقلي ، فيقلي فيها أو في القدر ما يراد قليه من لحم أو غير ذلك . وقد يسلق اللحم ، أو الخضّر سلقاً ، ويعبر عن ذلك في العبرانية بلفظة (سلق) كذلك . أما (المرق) ، فيقال له (مرق) في العبرانية كذلك . وقد يهيا الطام بطريقة الشوي على النار ، بأن يشوى اللحم أو السمك على النار ، ويعبر عن ذلك بالشواء . يعلق اللحم أو السمك بعود أو أعواد أو بعمود من حديد ، ثم يقرب من اللهب أو الجمر حتى ينضج اللحم أو السمك فيرفع للأكل .

وقيل للقدّر (البرمة) بلغة أهل مكة والجمع (بَرَام) . وقد وردت لفظة (قدور) في القرآن الكريم : « وجفان كالجوابي وقدور راسيات »^٤ والمفرد : قدر . و (القدير) ما يطبخ في القدر . وقيل ما يطبخ من اللحم بتوابل ، فإن لم يكن ذا توابل فهو طبيخ . والقدّار : الطبّاخ ، وقيل الجزّار ، وقيل الجزّار

١ . المغرب (ص ١٢٨) .

٢ . تاج العروس (٣٢٧/٦) .

٣ . المغرب (ص ١٣٤) .

٤ . اللسان (٨٠/٥) . البيان (١٩/١) .

هو الذي يلي جزر الجزور وطبخها . قال مُهلل :

إنّا لنضرب بالصوارم هامها ضرب القدار تقيعة القدم^١

وعرفت البرمة بقولهم : البرمة : قدر من حجارة والجمع برم وبرام . وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن^٢ .

ويطلق على الحجارة التي تنصب عليها القدر الأثافي ، واحداً ثافي ، وعلى المسافة بين أثافي القدر التي يجتمع فيها الحجر (الرّبعة)^٣ .

وطعام ابن البادية طعام محدود ، لضيق أرضه وسداجة حياته . أما الحضر ، ولا سيما أصحاب الحضارة ومن كان منهم على اتصال بالروم والفرس ، فكانت أطعمتهم متعددة متنوعة ، فيها تفنن ومهارة في الطبخ . وقد يبقى الأعرابي مدة لا يذوق فيها طعاماً مطبوخاً باللحم ، لأن اللحم نادر في البادية ، إلا إذا جاء ضيف فنحر له ، أو وقع له صيد . ولهذا أكل بعضهم الضياء والأرانب والحيوانات الأخرى التي تقع أيديهم عليها ، لحاجتهم إلى اللحم ، وأكلوا الجراد . والأغلب شيء لحوم الصيد ، لسهولة ذلك .

أما الحضر وسادات القبائل وذوو اليسار ، فكانوا يطبخون وقد وردت أسماء بعض أطعمتهم في الشعر وفي الحديث النبوي ، ومنها الثريد وهو لحم مقطّع يغلى في الماء ، وقد يوضع البصل معه أو مادة أخرى ، وبعد نضجه يثرّد خبز ويلقى اللحم والمرق عليه ، فيسمى الأكل ثريداً . وقد كان من الأكل الطيب المحبوب . وقد ذكر في كتب الحديث . ويقدم في الولائم وللضيوف . والخبز ممدوح عند العرب ، ولذلك مدح هاشم حين هشم الخبز . والثريد عام في الأشراف ، يقدمونه للناس ، ويرون أكل الخبز ، سبباً في صفاء العقل . ولهذاذكروا أن كسرى مدحه ، حينما سمع حديث هوزة بن علي الحنفي معه ، فلما رأى رجاجة عقل هوزة وحسن ذكائه ، قال له : « ما غذاؤك ببلدك ؟ » قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز ، لا عقل اللبن والتمر . ويقال : إن عبدالله بن حبيب العبيري ، كان يعاف التمر ، ولا يرغب في اللبن ، ولا يأكل

١ اللسان (٨٠/٥) .

٢ اللسان (٤٥/١٢) .

٣ المخصص (٣٣/١١) .

إلا الخبز ، فقليل في المثل : « أقرى من آكل الخبز » وكان من الأجواد^١ .

وفي كتساب الأغاني : أن كسرى قال كلامه المذكور المتقدم الى غيلان بن سلمة ، وهو من ثقيف ، وكان قد جاء مع أبي سفيان في تجارة الى العراق . وقد خاف أبو سفيان من الفرس ومن احتمال مصادرتهم أموال تجارتهم ، فتقدم غيلان ، ودخل مع الداخلين الى بلاط كسرى ، وتحدث معه ، فأعجب كسرى به ، وأخذ يسأله ، حتى سرّ منه ، فاشتري منه تجارته ، وقال له ذلك القول المذكور ، وكساه ، وبعث له معه من الفرس من بني له أطمأ بالطائف ، فكان أول أطم بني بها^٢ .

وفي المآدب الكبيرة يكون (الثريد) ، هو الطعام الرئيسي . ويهياً بسلق قطع اللحم الملقاة في الماء ، وقد يضاف اليه البصل والحمص ، فإذا سلق اللحم ونضج ، وتولد منه مرق ، ألقى مع مرقه على الخبز المثرود في قصع وصحاف ، ليأكله المدعوون . والثريد من الأطعمة المحببة الى نفوس أهل مكة والحجاز . وقد قدم (ابرهة) الثريد الى الجنود والفعلة الذين أتموا سد مأرب ، وذلك يوم الاحتفال بانتهاء العمل . وقد يقابل ذلك ما يقال له (سلوق) و (سليقوت) عند العبرانيين^٣ . وقد أشير الى الثريد في قصة ذهاب (هاشم بن عبد مناف) الى بلاد الشام ، والتقاءه بهرقل ، وتثريده لمن معه ولأهل مكة .

ولازدراء العرب من يزرعون البقول والخضر ، أحجم الناس عن زراعتها ، فقلّ وجودها في مطابخ أهل الخضر . أما أهل البادية ، فإن ما كلهم تكاد تكون خلواً من الخضر المطبوخة ، لندرة الخضر في البادية ، ولأنها تحتاج الى لحم ، وهو نادر في البادية أيضاً . ثم إن الطبخ المعقد ، لا يناسب الحياة في الصحراء ، لهذا كان المطبخ الجاهلي ، مطبخاً يكاد يكون مستغنياً عن الخضرة المطبوخة باللحم . لا يستثنى من ذلك إلا السادة المتصلون بالروم والفرس وأهل اليمن ، والأغنياء من أهل المدن والقرى ، فقد كان في امكانهم الحصول عليها ، ومن هنا استعملوها في الطبخ ، يطبخونها مع اللحم .

١ مجمع الامثال (٧٣/٢) ، بلوغ الارب (٨٦/١) وما بعدها .

٢ الاغاني (٤٦/١٢) .

٣ Ency. Bibl., Vol., I, p. 888.

لذا صار عماد الأكل الجاهلي والتمر واللبن والسمن والدقيق المصنوع من البر أو الشعير والشحوم والعسل ، وذلك عند أهل الحضرة في الغالب ، والجراد والأقط. وإذا دققنا في قائمة المأكولات الجاهلية ، رأينا موادها لا تتعدى هذه الأشياء ، وهي تختلف باختلاف خلط هذه المواد وباختلاف مزجها وطبخها . ولكنها كلها لا تخرج عن حدود الأشياء المذكورة .

ونجد في قائمة مأكولات أهل الجاهلية أكلات تقوم على استعمال الدقيق في الطبخ . من ذلك الحساء : وهو طبخ يتخذ من دقيق وماء ودهن . وقد يحلّى ويكون رقيقاً يحسى^١ .

وقد يستعمل الدقيق مع الحليب ، بأن يطبخ ، ومن ذلك الحريرة : الحساء من الدسم والدقيق ، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن ؛ وقيل الحريرة من الدقيق والخزيرة من النخال^٢ . وقد عرفت قريش باكتارها من أكل أكلة عرفت بـ (سخينة) ، ولاكتار قريش من أكلها عبرت بها حتى قيل لها (سخينة) . والسخينة أكلة ارتفعت عن الحساء وثقلت عن أن تحسى ، وهي طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وذكر أنها دقيق يُلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى ، وقيل تعمل من دقيق وسمن . وذكر أن الناس يأكلون السخينة في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن أول من لقب قريشاً بـ (سخينة) (خدّاش بن زهير) ، حيث يقول :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الأحنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفّف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

١ اللسان (١٧٧/١٤) .

٢ اللسان (١٨٤/٤) .

٣ اللسان (٢٠٦/١٣) .

إذا ما مات ميت من تميم فسرّك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز ، أو بلحم ، أو بتمر أو الشيء الملفف في البجساد

يريد وطب اللبن ، وأراد الأحنف قول خدّاش بن زهير ، يا شدة ما شددنا..
البيت . وحتى قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لكعب بن مالك الأنصاري:
أترى الله نسي قولك ؟ يعني :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب^١ »

وورد في بعض الروايات أن البيت المتقدم هو من شعر حسّان بن ثابت^٢ .

ومن المآكل التي يأكلها أصحاب العيال إذا غلب عليهم الدهر : النفّثة ،
وهي الحريقة ، أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب حتى تنفث ، ويتحسّى
من نفثتها ، وهي أغلظ من السخينة . وقد قيل عنها : حساء بين الغليظة والرقيقة^٣ .
والحريقة اسم مرادف للنفّثة^٤ .

ومن المآكل الحدرقة . وهي دقيق يلقي على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل
بتمر أو يحسّى وهو الحساء ، فهي مثل السخينة ، والنفّثة والخزيرة والحريرة .
وقيل الحريرة أرق منها^٥ . و (النجيرة) العصيدة : وهي لبن وطحين يخلطان^٦ .
ومنها (الصحية) ، وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق . ومنها (العكيسة) ،
وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب . ومنها (الغريقة) ، وهي حلبة
تضم إلى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والنفساء ، ومنها (الرغيدة) وهي اللبن
الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلحق^٧ .

ومن مآكلهم : (الأصية) ، وهي دقيق يعجن بلبن وتمر ، ومنها (الرهية) ،
وهي برّ يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن . ومنها (الوليقة) وهو طعام

-
- ١ العمدة (٧٦/١ وما بعدها) ، « القاهرة ١٩٦٣ م » .
 - ٢ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، كتاب التأريخ الكبير ، للبخاري (٧٠/١) ، بلوغ الارب (٣٨١/١ وما بعدها) .
 - ٣ اللسان (١٠٠/٢) ، بلوغ الارب (٣٨٣/١) .
 - ٤ اللسان (٤٣/١٠) .
 - ٥ اللسان (١٠٠/٢) ، (٤٠/١٠) .
 - ٦ اللسان (١٩٤/٥) .
 - ٧ بلوغ الارب (٣٨٣/١) .

يتخذ من دقيق وسمن ولبن ، ومنها (الخزيفة) ، وهي شحمة نذاب ويصوب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلبك به ، ومنها (الرغيفة) ، وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة . و (الريكة) ، وهي طعام يتخذ من بر وتمر وسمن . ومنها (التلبينة) ، وهي حُثالة تتخذ من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل . ومنها (الوشقة) ، وهي أن يُغسل اللحم ثم يرفع . و (العثمة) ، طعام يطبخ ويجعل فيه جراد وهو (الغشيمة) أيضاً . و (البغيث) و (الغليث) الطعام المخلوط بالشعير^١ .

و (العريقة) ، وهي شيء يعمل من اللبن . و (البكيلة) السمن يخلط بالأقيط ، وقيل الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت^٢ .

ومن ما كلهم (الخزيرة) ، وهي أن ينصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير ، فإذا نضج ، ذر عليه الدقيق . فإن لم يكن لحم ، فهو عصيدة . وينسب صنعها إلى سويد بن هرمي . ولذلك قال شاعرهم لبني مخزوم :

وعلمتم^٣ أكل الخزير وأنتم على عدواء الدهر صم صلاب^٤

وعرفت الخزيرة : أنها اللحم الغاب^٥ يؤخذ فيقطع صغاراً في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا أميت طبخاً ذر^٦ عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي ادم شيء ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم ، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . وقيل الخزيرة مرقة ، وهي أن تصفى بلالة النخالة ثم تطبخ ، وقيل الخزيرة والخزير الحسا من الدسم والدقيق . وقيل الحسا من الدسم^٧ .

وصنع أهل مكة طعاماً ، عد^٨ عندهم من رقيق العيش ، هو لباب البر^٩ بصغار المعزى^{١٠} .

وهناك أكلات أخرى بسيطة ، مثل أكل تمر مع لبن ، أو الزبد مع الرطب ،

١ بلوغ الارب (٣٨٣/١) وما بعدها .

٢ بلوغ الارب (٣٨٤/١) .

٣ بلوغ الارب (٣٨٤/١) وما بعدها .

٤ اللسان (٢٣٧/٤) .

٥ البيان (١٨/١) ، الحيوان (٤٨١/٥) .

أو خلط لبن بلبن آخر ذكر أسماءها علماء اللغة^١ ، لا أرى حاجة إلى ذكرها ، لعدم وجود أهمية لها وعلاقة كبيرة بهذا الموضوع .

وقد استورد الخضر بعض ما كلهم من الخارج ، لاستساغتهم واستحسانهم ، فقد قيل إن عبدالله بن جدعان سيد قريش كان قد زار العراق ، ودخل قصر كسرى وأكل عنده . وكان في جملة ما أكل (الفالوذج) ، فتعجب منه ، وسأل عنه ، فوصف له . ويقال انه ابتاع غلاماً يصنعه ، وأخذته معه إلى مكة ، وصار يأكله وأمر بوضع موائده بالأبطح إلى باب البيت ، ليأكله الناس ، وكان ممن أكله أمية بن أبي الصلت ، فقال فيه شعراً ومدح صاحبه لجوده وكرمه^٢ :

الى ربح من الشيزى عليها لُبَابُ البُرِّ يُلبِكُ بالشهاد

والربح : الجفنة العظيمة ، والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع ، واللباب : الخالص ، والشهاد : العسل^٣ . وقد نسب (البرقوقي) ذلك البيت الى (ابن الزبعرى) ، عبدالله وهو من الشعراء الذين عرفوا بهجائهم للرسول وبدفاعهم عن المشركين^٤ .

وكان عبدالله بن جدعان من أغنى أغنياء قريش ، جمع مالا عظيماً ، ولكنه كان على خلاف عادة التجار الأغنياء كريماً جواداً متأنقاً ينفق على طعامه وشرابه . كسا بيته بأحسن ما كان في ذلك العهد ، كانت أواني شربه من ذهب ، وفيه ورد في المثل : أقرى من حاسي الذهب^٥ .

ويقال إن ابن جدعان هذا كان في ابتداء أمره صعلوكاً تربّ اليدين ، شريراً فاقطاً ، لا يزال يجني الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه ، وحلف لا يؤويه أبداً ، فخرج في شعاب مكة تائهاً حائراً ، فرأى شقاً في جبل ، فدخل فيه ليستريح ، وإذا به يعثر على مقبرة فيها جثث عليها

١ اللسان (٣٨٤/١) .

٢ مجمع الامثال (٧٣/٢) ، الاغاني (٤/٨) « طبعة ساسي » ،

بلوغ الارب (٣٨١/١) .

٣ البيان (١٧/١) وما بعدها .

٤ البرقوقي (ص ٥٧) .

٥ مجمع الامثال (٧٢/٢) .

ثياب قد بليت ، صارت كالهباء حين لمسها ، ووجد كنزاً حمله معه الى والسده ليسترضيه ، فرضي عنه ، ومن هناك جاء غناه^١ . ويقال إنه كان نحاساً^٢ .

وروي انه مذ هذا الحادث صار يطعم الناس ويفعل المعروف، وصنع له جفنة كبيرة جداً يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، ووضع له جفناً في ردة بيته ليأكل منها من يقصده . وورد ان الرسول ربما كان يحضر طعامه ، وقد رأى جفنته ، واستظل بها لضخامتها^٣ .

ولمكانته هذه ولمنزله في قومه وبين الناس ، آمنت به العرب ، ووثقت به ، فكانت تدفع أسلحتها اليه ، حتى تفرغ من التسوق من سوق عكاظ ومن الحج ، فإذا أرادت الرجوع ، دفع اليها أسلحتها^٤ .

وقد عرف السكر عند الجاهليين ، ويقال له : المبرت بلغة حمير^٥ . ولا يستبعد صناعه في جزيرة العرب أو استيراده من الهند أو من أماكن أخرى . وقد ذكر (ديوسقوريدس) Dioscurides أن في الهند وفي اليمن مادة تشبه الملح في المنظر ، تستخرج من سائل كالعسل^٦ ، وفي هذا الوصف ما ينطبق عل السكر .

حرف أخرى :

ومن الحرف الحلاقة والحجامة . ويجمع الحلاق في الغالب بين حلاقة الشعر والحجامة . ويستعمل الحلاق الموصى والمقص في الحلاقة ، ويتخذ المرأة لإراءة المخلوق شعره وكيفية قصه ، وكذلك يتخذ أدوات زينة وطيب لتهيئ الشخص ، إذ الحلاقة نوع من أنواع الزينة كذلك . وكانت حلاقة الرأس مختلفة ، لا تجري على طريقة واحدة . فلقبائل عادات مختلفة في طريقة حلاقة الشعر وقصه ، كما أن الأعراب يختلفون عن أهل المدن في تنظيم شعر رؤوسهم وحلقاته . وهم يدهنون

١ بلوغ الارب (٨٧/١ وما بعدها) .

٢ المعارف (ص ٢٥٠) .

٣ بلوغ الارب (٨٨/١ وما بعدها) .

٤ الاغانى (٧٦/١٩) .

٥ شمس العلوم (١٤٦/١) ، (البرت بالضم السكر الطبرزد ، باعجام الذال ، وهو لغة اليمن) ، تاج العروس (٥٢٥/١) ، (برت) .

٦ Ency. of Islam, Vol., IV, p. 510.

شعورهم ويتركونها تسدلى في الغالب ، وقد يجعلونها ضفائر وجدائل تتدلى على الاكتاف .

واعتماد الحجام على موسى يشترط به جروحاً خفيفة يمتص منها الدم بكأس من الزجاج توضع فوق الشرط ، ثم يسحب الحجام الهواء من الفتحة الضيقة المتصلة بقناة داخل الكأس ، فيخرج الدم الى داخل الكأس . وقد كانت الحجامة من وسائل التداوي في ذلك الزمن . كذلك عدّ (الفصد) ، وهو اخراج الدم من عرق في اليد ، نوعاً من أنواع المداوة . ويقال للقائم به (الفصاد) . وقد يقوم بذلك الأطباء . واستعمل نوع من الديدان في امتصاص الدم كذلك ، وذلك كنوع من أنواع المعالجات الطبية . ولا تزال هذه الطريقة معروفة عند الأعراب وأهل القرى والمدن . وقد حجّم الرسولَ رجلٌ اسمه (أبو طيبة) ، وأعطاه أجره عليه ^١ ويستعمل الفصاد المبضع في الفصد ^٢ .

وعاش بعض الناس على بيع الخطب ، فكانوا يجمعونه من البادية ومن الجبال ويأتون به إلى المدن والقرى مثل مكة ويثرب فيبيعونه . يقوم بذلك (الخطّابة) ^٣ . وقد نعت امرأة أبي لهب في القرآن الكريم بـ (حمّالة الخطب) ، وذلك على سبيل الازدراء والتحقير . ويشد الخطب ويربط بحبل ، ويوضع على ظهر الدابة ، وقد يحمله الأشخاص لبيعه . والأغلب أن تباع النساء العاقول والخطب .

والرّم من الخطب الذي يعطي ناراً شديدة ذات لهب ، يبيعه الخطابون لأهل المدن ، ويقال له (روتيم) في العبرانية . ويتخذ منه فحم ، وذلك باطفاء ناره قبل احتراقه . فيتولد من ذلك الفحم ^٤ .

ومن أنواع الخطب الأطد ، وهو : (اطد) في العبرانية أيضاً . والعوسج ، والحدق . ويقال له (حدق) في العبرانية كذلك ، والسر ، وهو (شمير) عند العبرانيين ^٥ .

وقد كان أكثر من يتعاطى الطبخ والخبازة والجزارة من العبيد . وقد تخصص

١ عمدة القاري (٢٢١/١١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٣٧/٨) .

٢ المغرب (ص ٣٩) .

٣ المغرب (ص ١٢٦) .

٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 71.

٥ Smith, Dict., Vol., III, p. 1191.

بعضهم بعمل واحد من الحرفة الواحدة ، مثل بيع نوع واحد من الطبخ ، فذكر
ان رسول الله دعا اليه مرة عبداً ، كان يبيع الخرديق^١ . و (القدار) هو
(الجزار)^٢ .

والموقد ، هو الموضع السذي توقد فيه النار ، ويعرف بـ (ميقده) عند
العبرانيين^٣ . وقد كان عرب بلاد الشام والعراق يتخذون الموقد للاصطلاء بها في
أيام الشتاء ، كما يستعمله الطباخ موضعاً للطبخ ، يضع القدور عليه ويشعل فيه
النار .

وقد عاش أناس على كراء الحمير والإبل للمحتاجين الى ذلك ، ويقال لذلك
البرطسة^٤ . ولمكثريها للناس المبرطس^٥ .

وقد احترف بعض الناس حرفة صنع الحصر والسلال والقلل والسرر . صنعوها
من الخوص ومن سعف النخيل . لوجودها بكثرة . وصنعها بعضهم من القصب
وذلك في الأماكن التي تكثر فيها المياه والرطوبة . ولا تزال هذه الحرف قائمة
معروفة. وتصنع بعضها بنسج الخوص أو الألياف كما هو الحال بالنسبة الى (الحصر) ،
جمع حصير المنسوج الذي يبسط في البيوت . وذكر أن الحصير : سقفة تصنع
من بردي وأسل^٦ ثم تفرش^٦ .

ويستخدم (السفت) في حفظ الأوراق والأشياء الثمينة . ويصنع من القصب
والخيزران ومن الخوص أيضاً ، حيث يصف صفاً .

و (القفة) ، نوع من السلال أيضاً . وتكون مختلفة الحجم . وتستخدم في
أغراض متعددة ، ومنها نقل الطين ، وتعرف عند أهل العراق بـ (قفة طين) ،
أو لنقل الأحجار. وتصنع من المعدن أو من الأغصان. وأشير اليها بـ « Kophinoi »
و « Kophinos » « Cophinus » في الأناجيل ، من اليونانية حيث تسمى بـ « Kophinoi »

١ تاج العروس (٦/٣٢٧) .

٢ الفاخر (ص ٩٨) .

٣ Hastings, Dict. of the Bible , Vol., I, p. 72.

٤ شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ١٥٥) .

٥ شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ١٥٥) .

٦ اللسان (٤/١٩٥ وما بعدها) .

« Kophinos » واللاتينية، حيث تسمى بـ « Cophinus »^١. ولعل بين لفظة (قفّة) والتسمية اليونانية اللاتينية صلة. ومن لفظة « Kophinos »، أخذت لفظة « Coffen » أي تابوت. ويلاحظ أن بين هذه اللفظة ولفظة (كفن) العربية، صلة كبيرة كذلك^٢.

وذكر علماء اللغة أن القفّة : الزبيل ، ويسمونّها القفّة ويجعلون لها معاليق يعلقونها بها من آخره الرحل ، يلقي الراكب فيها زاده وتمره ، وهي مدورة . وعرفت أنّها شبه زبيل صغير من خوص يجتنى فيه الرطب وتضع فيها النساء الغزل^٣ . وعرف الزبيل والزنبيل : بالجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه ، والقفّة^٤ .

وأما السلة المصنوعة من الخوص ، فيقال لها (العلاقة) في العراق في الوقت الحاضر . وتكون صغيرة ومتوسطة . أما الكبيرة، فيقال لها (الكوشر) و (الزنبيل)، ويستعملها الحاملون في حمل الأشياء للناس .

وتستعمل السلال المصنوعة من الأعواد ومن أغصان الشجر الطرية في حفظ الأطعمة والمطبوخات ، لدخول الهواء إليها ، ولمنع الطيور والكلاب والقطط من الوصول إليها . وتكون مثل هذه السلال مرتفعة ذات قاعدة أصغر من الوجه العريض الذي يوضع على العرض .

وقد وردت في التوراة والانجيل وفي الكتب اليونانية واللاتينية وفي الآثار المصرية أسماء سلال صنعت في ذلك العهد. تفيدنا في تكوين فكرة عن السلال عند الجاهليين. وقد صنعت بعض تلك السلال من القصب ومن التبن ومن الخوص ومن الأعواد، وهي مختلفة في الأحجام والسعة . ففي التوراة لفظة هي : (س ل) (س ل) ، وهي (السلة) عندنا . والجمع (سلال) . وتصنع في بلاد العرب من الخوص أو من الأغصان الطرية. وتستعمل في نقل الخبز واللحوم والخضر والأشياء الأخرى^٥.

١ Hastings, Dict., vol., I, p. 256, Hastings, Dict. of the Christ, vol., I, p. 174,
Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 171.
٢ The Bible dictionary, vol., I, p. 283.
٣ اللسان (٢٨٧/٩) .
٤ اللسان (٣٠٠/١١) وما بعدها .
٥ Hastings, Dict., vol., I, p. 255, Smith, Dict., vol., I, p. 171, Ency. Bibl., vol.,
p. 499.

وهي مثل الكيس أحياناً ، يمكن ضمها بعضها الى بعض وتكون لها يد تحمل بها . وهي في مقابل (الطبق) عند العراقيين . غير ان الطبق ثابت يصنع من أغصان بعض الأشجار مثل الرمان ، حيث تكون لينة لا تنكسر . ويكون بأحجام متعددة ، منه ما هو صغير الحجم ، ومنه ما هو وسط ومنه ما هو كبير ، يستعمل لنقل الخضر والفواكه من البساتين والحقول الى مواضع البيع . ومنه ما يستعمله القصابون المتجولون لبيع اللحم .

والسرير: المضطجع والذي يجلس عليه ^١ . وكانت أكثر الأسرة مصنوعة من الجريد ، وذلك لتوفر الجريد في كل أنحاء جزيرة العرب ، وقلة الخشب فيها . ولبست العباءة كذلك . تلبس فوق الملابس . وقد ذكر أن رسول الله كان يلبس العباءة ^٢ .

والبيطرة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . وقد كانوا يستعملون الأدوية والكيمي في مداواة الحيوان كما يستعملون بعض الآلات في معالجتها ، مثل (المبزغ) وهو مثل مشرط الحجام ^٣ .

حرف الجلد :

والدباغة حرفة مهمة اشتهرت بها أماكن متعددة من جزيرة العرب ، ولا سيما بعض القرى والمدن مثل الطائف وجرش مواضع متعددة في اليمن وفي العربية الجنوبية . وهي صناعة تقوم على أساس اصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه ، للاستفادة منه في أغراض نافعة . وقد استخدم الدباغون مواداً مساعدة تعين على نشف الصوف والشعر من الجلد بسهولة ، وبدون أذى له أو للجلد ، مثل مادة الجير أو مواد أخرى ، كما استخدموا مواد تساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه ، مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة . وقد أنف كثير من الناس من هذه الصناعة وتجنبوها ، لما ينشأ عنها من روائح كريهة ولاستعمال

١ اللسان (٣٦١/٤) .

٢ البيان (٢٣٦/١) ، (٣٠/٢) .

٣ المغرب في ترتيب المغرب : تأليف أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي المتوفى سنة ٦١٦ ، (ص ٣٧) طبعة حيدر آباد ، تاج العروس (٥١/٣)

الدباغين بها مواد تعدّ نجسة في نظر بعض الأديان . كما منعوا إقامة المدابغ في الأماكن المأهولة المعمورة ، وحرصوا على عزلها وحصرها في الأماكن البعيدة عن أحياء السكّنى ولا سيما سكّنى الطبقات المتنفذة الغنية .

ويقوم الدباغون ببيع ما يدبغونه من التجار . وقد يحمل إلى أسواق بعيدة لاستخدامه في أغراض عديدة ، كتحويله إلى قرب يخزن فيها الماء أو يحمل أو أوعية تحفظ فيها الخمر والسمن والسويق والطيب ، أو أحذية وسيور وغير ذلك من الحاجات . وقد يحوّل الدباغون أنفسهم إلى هذه الأشياء المذكورة . كما تخصص أناس بحرف تحويل الجلود إلى مواد نافعة يستعملها الإنسان في حياته اليومية ، كالمواد المتقدمة والدلاء وأمثال ذلك من أدوات .

والقرب في ذلك الوقت مهمة جداً في حياة الإنسان . فقد كانت مخازن متحركة تخزن فيها أشياء كثيرة ضرورية . فكانت أوعية لحمل الماء في الحضر وفي السفر ، كما كانت الأوعية الرئيسة لحفظ الخمر والأنبذة والزيت والدهون والشحوم والدبس والمواد الغذائية الأخرى . يحتاج إليها الأعرابي في حله وفي ترحاله والحضري في مستقره وفي سفره . كان المصريون واليونان والرومان والعبرانيون يحفظون الخمر والأنبذة في أوعية القرب . وقد أشار إلى ذلك بعض الكتبة القدماء . ويعالج اهّاب القرب معالجة خاصة ليعطي الشراب نكهة طيبة ، ولئلا يتأثر الشراب من رائحة الجلد^١ .

وذكر علماء اللغة أن (القربة) الوطب من اللبن ، وقد تكون للماء ، وقيل هي المخروزة من جانب واحد^٢ .

وأما (الجيراب) فوعاء من اهّاب الشاء لا يُوعى فيها إلا يابس^٣ . فهو وعاء من الجلد إذن خصص لحفظ الأشياء الجافة كالديق وما أشبه لحفظه . كما يقال لوعاء الزاد ، المزود^٤ .

وتدخل المصارين ، وهي أمعاء الحيوانات المذبوحة ، في جملة الأعمال التي

Smith, Dict. of the Bible, vol., I, p. 223.

١ اللسان (٦٦٨/٦) .

٢ اللسان (٢٦١/١) ، تاج العروس (١١٩/١) ، (جرب) .

٣ تاج العروس (٣٦٦/٢) .

يقوم بها الدباغون ، إذ يتعهدونها بالرعاية والعناية والاصلاح ، فينظفونها مما بها من أوساخ ويصلحونها ويعالجونها ، ثم يبيعونها من التجار أو يحولونها إلى مواد نافعة مفيدة ، مثل اتخاذها أوتاراً لآلات موسيقية أو للأقواس لرمي السهام ، أي لأغراض حربية . وكلما كانت العناية شديدة بمعالجة هذه الأمعاء ، كانت الأوتار ذات قابلية كبيرة على الشد والتوتر ، وبذلك يكون مجال رمي السهام بالأقواس كبيراً ، وفائدة القوس في القتال عظيمة . وقد كان القواسون : أي الرماة بالقوس ، قوة ذات أهمية في مصير حرب ما في ذلك العهد .

وتدخل الجلود في أغراض حربية كذلك . فقد استخدمت لحماية الجسم من ضربات السيوف ومن تساقط السهام عليه ، كما استخدمت في صنع الدروع والخوذ الواقية للرأس ، وفي حماية الدبابات والمنجنقات بتغليفها بجلود ثخينة مقاومة . وتعالج بمواد خاصة تكسبها مقاومة خاصة أمام تساقط النار أو الماء الحار أو الزيوت الساخنة عليها ، وقد تعمل ستائر منها يحمي الجنود المشغولون لها تحتها من المواد المقذوفة عليهم . وهناك استعمالات أخرى للجلود أدت للجيش خدمات كبرى في الحروب . فالقرب ، مادة ضرورية في الحرب ، لأنها أوعية ومخازن للماء ، والماء مادة ضرورية للانتصار في الحروب . والراوية وهي المزادة من ثلاثة جلود ، هي مادة ضرورية في الحرب وفي غير الحرب لما تحملها من ماء^١ . وصنعت الدرق من الجلود ، وهي الحقيبة تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولها عقب^٢ . ويراد بالحقيبة التروس من جلود خاصة ، وقيل من جلود الإبل مقورة بلا خشب ولا عقب . وقد كانت معروفة عند الأحباش خاصة^٣ . ويراد بالتروس كل الأسلحة التي يتوقى المحارب بها . والتراسة صنعة التروس ، وأما الصانع ، فهو التراس^٤ .

وتفرغ أناس لاحتراف أنواع خاصة من أعمال الجلود ، فصرف بعضهم نفسه إلى صناعة القرب والدلاء وأدوات السقي ، وتخصص قوم بعمل السروج ونحوها من الأدوات التي تستعمل في الحيوان مثل اللجام و (الرسن) ، كما تخصص آخرون

١ المغرب (ص ٢٢٥) .

٢ تاج العروس (٣٤٢ / ٦) .

٣ المصدر المذكور (٦ / ٦٥) .

٤ تاج العروس (١١٤ / ٤) .

بصنع الأحذية . وذكر بعض العلماء أن بعض هذه الأدوات المصنوعة مثل (الرسن)^١ هي من الألفاظ المعربة ، وان (الرسن) لفظة فارسية الأصل ، وقد عربت في الجاهلية . وتصنع (القباب) ، من الأدم خاصة^٢ . وقد تكون كبيرة ، ولكنها ذات أحجام مختلفة .

ومن الأدوات المصنوعة من الجلد (الجلبان) ، وهي شبه جراب من الأدم ، يوضع فيه السيف مغموداً ، وي طرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلقه بآخر الرحل وواسطته^٣ . والغرز وهو ركاب الرحل الذي تركب به الابل ، ويصنع من الجلد . فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب^٤ . والسقاء وهو ظرف الماء إذا كان من جلد ، ويكون في الغالب من جلد رقيق^٥ . والركوة دلو صغير يشرب فيه ، ويصطحب في الأسفار^٦ . والكنانة وهي الجعبة التي يكون فيها الشاب^٧ ، والقفاز ويعمل للبدن وقد يحشى بالقطن وتكون له أزرار يزر بها على الساعدين من البرد . وقد كان يستعمله النساء^٨ . وأما (الأرندج) و (البرندج) فذكر الجواليقي أنها لفظة معربة ، وأن أصلها (رندة) ، وهي كلمة فارسية ، ويراد بها الجلد الأسود المدبوغ بالعفص حتى يسود . وقد وردت لفظة (أرندج) في شعر منسوب الى الأعشى^٩ .

وتصنع الهمايين من الجلود أيضاً . وقد اشتهرت همايين عجر . واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية^{١٠} . ويراد بالهمايان الكيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

-
- | | |
|----|--|
| ١ | المعرب (ص ١٦٤) . |
| ٢ | تاج العروس (٤١٩ / ١) . |
| ٣ | جامع الاصول (٣٩٧ / ٤) ، تاج العروس (١٨٧ / ١) . |
| ٤ | جامع الاصول (٣٧١ / ٤) ، (٥٠٤) ، تاج العروس (٦٣ / ٤) . |
| ٥ | جامع الاصول (١١٩ / ٦) . |
| ٦ | جامع الاصول (١٢٥ / ٦) . |
| ٧ | جامع الاصول (١١٩ / ٦) . |
| ٨ | جامع الاصول (٣٢٧ / ٩) . |
| ٩ | جامع الاصول (٣٦٥ / ٤) . |
| ١٠ | عليه ديابوذ تسربل تحته أرندج اسكافه يخالط عظمها |
| | المعرب للجواليقي (ص ١٦) ، تحقيق أحمد شاكر ، (القاهرة ١٩٤٢) ، تاج |
| | العروس (٥٠ / ٢) . |
| ١١ | تاج العروس (٣٦٨ / ١) . |

وتحلى الجاهليون بحلي مصنوعة من الجلد أيضاً . ومن هذه الحلي الجمانة : وهي سفينة من آدم ينسج ، وفيها خرز من كل لون ، تتوشحه المرأة ^١ .

ويصنع الخوان من الجلد في بعض الأحيان ، ويراد به ما يؤكل عليه الطعام ، وهو من الألفاظ المعربة ^٢ . وأما الصُّفْن ، فمخرطة الراعي ، يكون فيها طعامه وزاده وما يحتاج اليه . وقيل : هو مثل الركوة ^٣ .

و (العياب) ، هي أوعية من الأدم ، ويقال للواحد منها (عيبة) ، يوضع فيها المتاع والثياب ، وتطلق أيضاً على الزبيل ، الذي ينقل فيه الزرع المحصول إلى الجرين ^٤ . و (الشن) الوعاء المعمول من أدم ، فإذا يبس فهو شن . وفي المثل : « وافق شن طبقه » . يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتها حالة واحدة اتصف بها كل منهما ، وهناك قصص عن أصل هذا المثل ^٥ .

واستعمل النصارى واليهود (الزنار) ، يشدون في وسطهم على القميص أو الثوب أو المسوح الذي يلبسونه ، ويتدلى أحد طرفيه الى قريب من القدمين . ويصنع من الجلد أو الحرير أو القطن أو الوبر أو شعر الماعز . وقد يشد على الوسط عدة مرات . وقد يوضع فيه محل لحفظ منديل فيه ، أو محبرة وحبر اذا كان صاحبه من الرهبان أو الكتاب ، وقد يوضع خنجر أو سلاح حاد فيه . وهو يشبه في فائدته الحزام في الوقت الحاضر . واذا اشتغل الفلاح أو الأعرابي أو غيرهما بعمل ما رفع الطرف الأسفل من قميصه الى الزنار أو الحزام ، ليسهل عليه العمل ، وقد يضع في عبته أي القسم الواقع فوق الزناد من جهة الصدر أشياء عديدة يحملها معه مثل خبزه وطعامه أو نقوده أو أشياء أخرى يحتاج اليها في ترحاله ^٦ .

وقد كان الجاهليون يستفيدون من جلود السمك أيضاً ، يصنعون منها أشياء متعددة . فالسفن مثلاً وهو جلد الأطوم ، وهي سمكة في البحر ذات جلد خشن

١ تاج العروس (١٦٣/٩) .

٢ تاج العروس (١٩٤/٩) .

٣ المغرب (ص ٣٠٤) .

٤ البرقوقي (ص ٥٨) .

٥ اللسان (٢١٤/١٠) .

٦ Hastings, Dict., of the christ, vol., I, p. 498.

يستخرج منه السياط والسهام ، ويكون على قوائم السيوف^١ .
 واستخدم الجاهليون كذلك فراء مختلف الحيوانات في الأيام الباردة ، ومن أنواع
 الفراء نوع يدعى (سبنجوفة) ، وهي من جلود الثعالب ، وهي من الألفاظ
 المعربة^٢ ، ونوع آخر يدعى (الفنك) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفنك
 دابة يفتري جلدها ، وذكر أيضاً أن الفنك جلد يلبس^٣ .

ومن أنواع الفراء (المسائق) وواحدتها (المُستقة) . وقد ورد ذكرها في
 كتب الحديث ، حيث قيل إن الرسول كان يلبس (مستقة) ، كما ذكر أن عمر
 كان يصلي وعليه (مستقة) . وذكر الجواليقي أنها لفظة معربة عن الفارسية ،
 وأنها (مشته) بالفارسية . وقيل : أنها فراء طوال الأكماء^٤ ، وذكر أنها جبة
 واسعة^٥ .

ويقوم صانع الأحذية بصنع الأحذية ، مثل النعال والخف (والففش) أو
 (الكفش) ويراد به الخف أو الخف القصير ، واللفظة من الألفاظ المعربة عن
 الفارسية^٦ . ومن أنواع النعال ، النعال السبئية التي لا شعر لها ، وتصنع من
 جلود البقر المدبوغ بالقرظ^٧ . و (السبب) كل جلد مدبوغ أو المدبوغ بالقرظ ،
 ومنه تصنع النعال السبئية^٨ .

ويقال للخف (الموزج) أيضاً ، وقد ذكر الاسم في كتب الحديث وكذلك
 (الموق) . وذكر أن (الموق الخف الغليظ يلبس فوق الخف) . وقد ذكر
 الجواليقي أن أصل الموزج فارسي هو (موزه) (موزجان) وأدخل الموق
 أيضاً في باب المعربات^٩ . والجمع (أمواق) ، ويظهر من بيت شعر لـ (النمر بن

-
- ١ المغرب (ص ٢٥٥) ، تاج العروس (١٨٧/٨) .
 - ٢ المغرب (ص ١٨٨) .
 - ٣ المغرب (ص ٢٤٨) ، تاج العروس (١٧٠/٧) .
 - ٤ المغرب (ص ٣٠٨) .
 - ٥ تاج العروس (٧٠/٩) .
 - ٦ المغرب (ص ٢٦٨) .
 - ٧ جامع الاصول (٣٩٨/٤) .
 - ٨ قال عنتره :
 - بطل كائن ثيابه في سرحه
 - يحدى نعال السبب ليس بتوام
 - تاج العروس (٥٤٨/١) .
 - ٩ المغرب (ص ٣١١) .

ثولب) ، أن العباديين ، وهم نصارى الحيرة كانوا يمشون بالأسواق^١ . وهناك نوع آخر من أنواع الخفاف ، يقال لها (التسوية) و (القساب)^٢ ، و (النعل) هو لباس الرجل المستعمل عند الجاهليين وعند الساميين . وهو (نعل) أي (نعل) في العبرانية . ولا يزال النعل مستعملاً حتى اليوم . يستعمل في البيت وفي خارجه ، وهو يحمي باطن القدمين من حر الأرض في الصيف ومن الحجارة والمواد المؤذية التي تكون على وجه الأرض . وقد يستعمل نعلًا من خشب ، يستعمله أهل القرى وأهل المدن في البيوت . والعرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك ، وتقدم النعال على سائر أنواع الأحذية^٣ .

ومن أنواع النعال : (النعال السبتية) . وهي المصنوعة من الجلد المدبوغ بالقرظ . وخص بعضهم جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . وقيل نعال سبتية : لا شعر عليها . وذكر أنها نعال أهل النعمة والسعة^٤ .

وعرفت (حضرموت) بنعالها ، فقبل (نعل حضرمي) و (الحضرمي) . وعرفت بأنها النعال المخضرة التي تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين^٥ . وقد تفنن في تزيين وزخرفة الجلود . فذهّبوها ورسموا عليها صوراً ، وضغطوا عليها بآلات لا يبراز بعض الصور عليها . ومن الجلود المذهبة : (المذهب) ، وهي جلود كانت تذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة ، فيرى بعضها في أثر بعض ، فكأنها متتابعة . وقيل سيور تموت بالذهب^٦ .

والجلود التي يستعملها الإسكافي هي : جلود البقر والجمال والغنم والماعز وقد تستعمل جلود الثعابين والسماك إذا كانت كبيرة سمكة ، وذلك بعد إصلاحها ودبغها . ويستعمل الإسكافي والنحات الإزميل . وقد ذكر علماء اللغة أن الإزميل حديدة تجعل في طرف رمح الصيد لصيد البقر : بقر الوحش . والمطرقه^٧ . وهي من الألفاظ المعربة وأصلها (زميلي) « Zmili » في اليونانية^٨ .

- ١ فترى النعاج به تمشي خلفه مشى العباديين في الأسواق
- ٢ العرب ، للجواليقي (ص ٣١١) .
- ٣ البرقوقي (ص ١٤٦) .
- ٤ اللسان (٦٦٧/١١) .
- ٥ اللسان (٣٦/٢ وما بعدها) ، الروض الانف (٧١/١) .
- ٦ اللسان (٢٠٢/٤) ، الروض الانف (٧١/١) .
- ٧ اللسان (٣٩٥/١) .
- ٨ تاج العروس (٣٦٠/٧) .
- ٨ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

الحياكة والنسيج والثياب :

والحياكة والنسيج ، من الحرف التي لا ينظر الى صاحبها نظرة احترام وتقدير في المجتمع العربي القديم ، ويقوم بالغزل النساء في الغالب . والحياكة والنسيج في الحضرة في الغالب . وقد ذكر أهل اللغة أسماء بعض آلات الحياكة والنسيج ، مثل (الحف) وهي الآلة التي تلمظ بها اللحمة أي تلقم وتصفق ليلتقمها السدى . وقيل : الحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب ، وقيل : الحف المنسج^١ . و (الوشعة) وهي المنسج ، وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها ، وتسمى السهم . وقيل لفيفة من غزل ، وتسمى القصبة التي يجعل النسيج فيها لحمة الثوب للنسج^٢ . و (المشعة) ما يلف عليه الغزل^٣ . و (الثاية) التي يثنى عليها الثوب . و (العدل) خشبة لها أسنان ، مثل أسنان المنشار ، يقسم بها السدى ليعتدل . و (الصيصية) عود من طرفاء ، كلما رمي بالسهم فألحمه ، أقبل بالصيصية فأدبر بها ، وقيل : إنها شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة^٤ . و (النير) لحمة الثوب ، وقيل : الخشبة المعترضة التي فيها الغزل . وقد تنسج الثياب على نرين ، ويكون بذلك أصفق وأبقى^٥ . و (الصنار) رأس المغزل^٦ . وأما (المداد) فالعصا في طرفها صنارتان يمدد

١ تاج العروس (٧٢/٦) ، المعاني الكبير (٥٠/١) .

٢ تاج العروس (٥٤٣/٥) .

٣ بلوغ الارب (٤٠٤/٣) .

٤ « والصيصية كذا في سائر النسخ ، وهو خطأ ، أو هو على التخفيف . وفي الصحاح والعباب : والصيصية - شوكة الحائك التي يسوي بها السدى واللحمة ، وأنشد لدريد بن الصخرة :

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقح الصياصي في النسيج الممد

قال ابن بري : حق صيصية الحائك أن تذكر في المعتل ، لأن لامها ياء ، وليس لامها صاداً « تاج العروس (٤٠٥/٤) .

٥ تاج العروس (٥٩٣/٣) .

٦ « قال أبو حنيفة : وهي فارسية معرب جنار ، وقد جرت في كلام العرب . وقال الليث : هو فارسي دخيل . والصنار : رأس المغزل ، ويقال : هي الحديد الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل ، ولا تقل صنارة . وقال الليث : الصنارة مغزل المرأة ، وهو دخيل « تاج العروس (٣٤١/٣) .

بهما الثوب^١ . و (الكفة) الخشبة المعترضة في أسفل السدي^٢ . و (الحاران) يوضعان تحتها ليرفع السدي من الأرض . و (المثلث) قصبات ثلاث . و (المبرم) و (البريم) ، الحبل الذي جمع بين مفتولين ففتلاً حبلاً واحداً . و (المبرم) من الثياب المفتول الغزل طاقين ، ولذلك اطلقت اللفظة على نوع خاص من الثياب . و (الدعائم) خشبات تنصب ويمدّ عليها السدي . و (الشفشقة) قصبة تشق وتوضع في السدي عرضاً ، لينمكّن به من السقي . و (الكحمة) ما يلحم به ، وأداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) ، وهو (النول) أيضاً^٣ .

وأما المادة التي يغزل منها ويحاك وينسج ، فهي الصوف بأنواعه ، وشعر الماعز والوبر والقطن والشاش والبرز والكتان والحريز . وأما التي يغزل بها ، فهي (المغزل)^٤ ومنه نوع بسيط يحمل باليد . وهو قديم جداً معروف في العصور المتقدمة قبل الاسلام ، ولا يزال معروفاً ومستعملاً في الزمن الحاضر ، ومنه ما هو سريع بعض السرعة . وهو على هيئة دولاب يدار بالأرض ، فيكون سريعاً بالمغزل بعض السرعة بالنسبة الى اليد ، ويكون مجال الغزل فيه أوسع من مجال الغزل بالمغزل اليدوي البسيط .

ويلف الغزل على آلة تسمى (المرواة) ، وذلك تمهيداً لتقديمها الى (النساج) لنسجها^٥ .

ويقال للمغزل : « المُرْدَن » أيضاً . وقيل : (المردن) المغزل الذي يغزل به الرदन . والرदन الغزل . وقيل : الغزل يقتل الى قدّام ، وقيل هو الغزل المنكوس ، وثوب مردون : منسوج بالغزل المردون^٦ .
والغزل هو من أعمال النساء في الغالب ، فهي تمسك المغزل وتغزل به . وقد يقوم الرجال بالغزل أيضاً . وهناك أنواع من المغازل وهي متشابهة من حيث

١ « والامدة كالاسنة جمع مداد كسنان ، وضبطه الصاغانى بكسر الصخره ٥٠ سدى الغزل . وهي أيضاً المسالك في جانبى الثوب اذا ابتدئ بعمله » تاج العروس (٤٩٨/٢) .

٢ بلوغ الارب (٤٠٤/٣) وما بعدها .

٣ بلوغ الارب (٤٠٤/٣) وما بعدها .

٤ تاج العروس (٤٢/٨) .

٥ المعاني الكبير (٥٠/١) .

٦ اللسان (١٧٨/١٣) .

الأساس والتصميم . وقد عثر على أنواع منها في مواضع من جزيرة العرب . وفي التوراة وصف لكيفية إعداد الصوف وشعر الماعز للغزل . فقد كان على الغزّال تنظيف الصوف والمادة المراد غزلها قبل غزلها ، وذلك بنثر المادة وتنظيفها من المواد الغريبة المختلطة بها . وقد تضرب بعضاً أو بآلة خاصة ، على نحو ما يفعله (الندّاف) في الوقت الحاضر، لتلطيف المادة المراد غزلها وجعلها سهلة للغزل . وقد تغسل بالماء ثم تنشف ثم تنظف . فإذا وجد أن المادة المراد غزلها صارت نقية صالحة للغزل ، غزلت . وقد عثر على صور لعالم كانوا يقومون بغسل المواد قبل غزلها على نهر النيل ، وقد صورت على جدران مقابر قدماء المصريين^١ .

وأهل الجاهلية مثل من تقدم أيضاً في تنظيف الصوف وشعر الماعز والوبر والكتان وسائر المواد الأخرى المراد غزلها ، كانوا ينظفونها ويمشطونها بأمشاط خاصة ، لاخراج ما قد يعلق بها فيها من مواد غريبة ، ويعالجونها معالجة خاصة . فإذا نظفت وخلصت من الشوائب ، غزلت . وقد كانوا يدقون الكتان لتهترىء أليافه وتنشقق فتنفصل ، ثم يمشط بالمشقة ، حتى يخلص وتبقى فتاته وقشوره ، ويؤخذ الكتان لغزله ونسجه . أما الفتات والقشور ، فهي المشاقة ، وتستعمل في حشو الخفّتان والقبس^٢ .

ويقال لمشاقة الكتان وللخشن من ليف الكتان والقنب (أسطبة)^٣ . ويظهر أنها من أصل يوناني هو « Stippi »^٤ .

وهيأ الفتال (السلك) ، وهو الخيط . وقد يكون من حرير أو قطن أو كتان . وإذا وضع في الخيط الحرز واللؤلؤ ، فيقال لذلك عندئذ (السمط)^٥ . ومن اللوازم المستعملة في البيوت وفي الحياة اليومية والتجارية، الحبال، يستعملونها من لحاء الشجر في بعض الأحيان ، يؤخذ فيدق ويفتل منه حبل ، ويقال لذلك

Hastings, p. 873.

١ المغرب (١٨٦/٢) ، « المشاقة (كتمامة) : ما سقط من الشعر أو الإبريسم والكتان والقطن عند المشط ، أي تخليصه وتسريحه ، وهي المشاقة أيضاً » . تاج العروس (٧٠/٧) .

٢ تاج العروس (٢٩٨/١) .

٣ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

٤ المغرب (ص ٢٦٤) ، « والسلكة (بالكسر) : الخيط الذي يخاط به الثوب ، ج سلك بحذف الهاء ، جمع الجمع : أسلاك وسلوك » . تاج العروس (١٤٤/٧) .

(القَرَآن)^١ ، أو من شعر الماعز أو من الأصواف ، أو من مختلف الألياف المستخرجة من النبات ، أو من الخوص .

أما الخيوط ، فلإنها أدق من الحبل ، وتصنع من الكتان أو القطن أو الصوف أو الحرير ، ويخيط بها . وأما (الاطنب) و (الطنب) ، فلإنها حبال الخيمة ، تستخدم لربط الخيمة . وأما (الوتر) ، فيصنع من أمعاء الحيوانات ، وتوضع في الأقواس ، لرمي السهم ، وتستخدم في الآلات الموسيقية كذلك . وتستخدم الحبال رُبُطاً ، يربط بها . يربط بها الأسرى والمساجين والحيوانات^٢ .

والصوف مادة مهمة في صنع البسط والسجاجيد . وأكثر صوف جزيرة العرب من النوع الخشن ، الذي يصلح لصنع السجاد . وتصنع منه الخيام كذلك . والمستعمل في صنع الخيام هو من شعر الماعز في الغالب . أما أصواف الأغنام ، فتستعمل في الغزل والأنسجة اللطيفة التي تحتاج إلى صوف ناعم ودقيق . ولا يزال أهل البادية يصنعون خيامهم الشهيرة ذات اللون الأسود من شعر الماعز^٣ . وقد كان عماد العبرانيين في نسجهم على الصوف وشعر الماعز والكتان^٤ . وقد عرف البساط الضخم المنسوج من الوبر أو الصوف بـ (الاراخ)^٥ ، ويقال للفسطاط (البلق)^٦ .

وقد اشتهرت اليمن بالغزل والنسيج ، وعرفت بإنتاج بعض البرد التي اختصت بها حتى عرفت بـ (البرد اليمنية) . وهي من الأنواع الغالية الثمينة التي لا يشتريها في العادة إلا المترفون والمرفهون . وقد جعل النبي في جملة ما يدفعه أهل الجزية الثياب عوضاً عن النقد إن لم يكن في قدرة من فرضت عليه الجزية دفعها نقداً^٧ ، كما عرفت بصنع (الحلل) الغالية ، اشتهرت بجميع أنواع الغزل والنسيج ، غزل القطن والصوف والحرير ، وبأنسجة الصوف والقطن والحرير . وقد كان من عادة رؤساء اليمن لبس الملابس الثمينة والحلل الغالية المصنوعة في بلادهم ،

١ المخصص (١١/١٥) ، تاج العروس (٩/٣٠٥) .

٢ Hastings, Dictl. of the Bible, I, p. 479, Smith, Vol., I, p. 352.

٣ تويتشل (ص ٣٣) .

٤ Hastings, p. 873.

٥ شمس العلوم (١/٧١) .

٦ شمس العلوم (١/١٨٥) .

٧ « وعلى كل حال : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثياباً » ، « اسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد » ، ابن هشام (٤/٢٤٢) « القاهرة ١٩٢٦ » ، الطبري (٣/١٥٨) .

كما كانوا يصدرونها الى الخارج لبيعها في مختلف أسواق بلاد العرب وفي العراق وبلاد الشام .

وعرفت دور النسيج في اللهجات العربية الجنوبية بـ (تعمت) . وقد ورد في كتب اللغة: « عمت الصوف والوبر ... لف بعضه على بعض مستطيلاً ومستديراً حلقة فغزله » . وورد : « يعمت الغزل »^١ .

وقد ازدهرت صناعة غزل القطن ونسجه في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في القرن السادس للميلاد^٢ ، فصارت صناعة الغزل والنسيج من أهم الموارد التي يتعيش عليها عدد كبير من الشعب والتي تكون مورداً كبيراً من موارد الدولة . وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم . وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ (تعمت ملكن)^٣ ، أي (المنسج الملكي) و (دار النسيج الملكية) .

وهناك لفظة أخرى في المسند للموضع الذي ينسج فيه وتغزل فيه الغزول ، هي لفظة : (ح ل ل ت) (حلت) . ويرى (رودو كناكس) أنها (حلالة) . وأما النساج ، فيقال له (انم) في المسند^٤ ، وهو للمفرد والجمع^٥ . وعندني ان المراد بـ (ح ل ل ت) (حلت) ، الحلقة . والحلة عند علماء اللغة إزار ورداء ، بُرد^٦ أو غيره . وقيل : الحلل الوشي والحبر والحز ، وقيل : كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو رقيق ، وقيل : كل ثوب له بطانة ، وعند الأعراب من ثلاثة أثواب القميص والإزار والرداء^٧ . فإراد بها الموضع الذي تعمل فيه الحلل .

١ « عمت يعمت عمتا من حد ضرب كما هو مقتضى قاعده . لف الصوف بعضه على بعض مستطيلاً ومستديراً حلقة ، ليجعل في اليد فيغزل بالمدرة ٠٠ والعميتة من الوبر كالفيلة من الشعر ٠ ويقال عميتة من وبر أو صوف كما يقال سبيخة من فطن وسليخة من شعر ٠٠ عمت الوبر والصوف لفه حلقة فغزله كما يفعله الغزال الذي يغزل الصوف ، فيلقيه في يده ٠٠ والاسم العميت ٠٠٠ يعمت يغزل من العميتة ، وهي القطعة من الصوف ٠٠٠ عمت فلان الصوف يعمته عمتا اذا جمعه بعدما يطرقة ، وينعشه ، تم يعمته ليلويه على يده ويغزله بالمدرة ٠٠٠ تاج العروس (٥٦٤/١ وما بعدها) .

٢ Von Kremer, Kulturgeschichte, II, S. 326.

٣ الفقرة الرابعة من النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٤ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 74.

٥ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 27.

٦ تاج العروس (٢٨٣/٧ وما بعدها) ، شمس العلوم (٧٦/١) .

وقد كانت بعض الحكومات تحتكر صناعة بعض أنواع النسيج ، وذلك بصنع أنواع فاخرة منه لاستعمال الملوك ، أو للانعام به على الأمراء والكبراء ورجال الدين كالذي كان في مصر . ويوسم بسمه المعمل وبشعار الحكومة أو الحاكم ، ليكون في علم الناس انه من صنع الحكومة . وقد تبيعه الحكومة للناس . وتعد هذه الأنواع من النسيج من أفخر ما تنتجه المناسج ، ويعرض في السوق .

وقد كان الملوك والكهنة والأغنياء المتأنقون بملابسهم ، يرتدون أنسجة دقيقة مصنوعة صنفاً خاصاً بأيدي ماهرة متقنة لعملها، لا تصنع الا الأنسجة الثمينة الغالية . ومن هذه الأقمشة ما كان يصنع من الكتان الخالص أو الصوف الناعم الرقيق ، ومنه ما كان يصنع من الحرير الخالص أو المخلوط بمسادة أخرى . وقد يقصب القماش بالذهب ، يوشى به ، كألبسة الملوك ورجال الدين الكبار الذين كانوا يرتدون ملابس موشاة ومطرقة في أثناء أدائهم الصلوات واقامة الشعائر الدينية . وقد كان الملوك والكهسان يستوردون الأقمشة الجيدة من أماكن أخرى اشتهرت باتقانها واجادتها صنع الأقمشة الجيدة ، مثل بابل وبلاد الشام والهند ومصر وفارس وغيرها مثل هذه الأغراض^١ .

وقد اشتهرت منسوجات اليمن في كسل مكان من جزيرة العرب ، بجودتها وأناقته ، وظلت محافظة على سمعتها هذه الى الاسلام، فكان أغنياء الحجاز وغيرها من جزيرة العرب يفتخرون بحصولهم عليها ويلبسونها خاصة في أعيادهم ومواسمهم . وكانت البرد المعروفة بـ (الحبر) ، وهي برد موشاة مخططة ، تعد من أثمن البرد اليمنية في القرن السادس والسابع الميلاديين ، ولما قدم وفد نجران على الرسول كانوا يتوشحون بها . ولما توفي الرسول ، ووضع مسجى في ناحية من البيت ، وضعت عليه الحبرة^٢ .

ويقال للشوب الجديد الناعم (الحبر) . وذكر أيضاً ان الحبر البرد الموشى المخطط ، وأن الحبرة ضرب من برود اليمن منمر ، وبائعها حبرى لا حبار^٣ . وتعد (ثياب الحبرة) من الثياب الغالية الجيدة التي يلبسها الأغنياء والسادات ،

Hastings, p. 874.

١ المغرب (ص ١٠٤) ، جامع الاصول (٤٧٨/٧) ، تاج العروس (١١٨/٣) ، (حبر)
شمس العلوم (١٤٤/١) ، الطبقات ، لابن سعد (٣٥٧/١) .
٢ تاج العروس (١٨٨/٣) ، (حبر) ، الطبقات لابن سعد (٣٥٧/١) .
٣

فلما قدم وفد نجران على النبي بالمدينة « فدخلوا المسجد عليهم ثياب الخبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير »^١ .

واشتهرت اليمن بـ (المراحل) ، وهي ضرب من البرود^٢ . وذكر بعض علماء اللغة أن البرد المُرَجَل ، فيه صور كصور الرجال . وورد ثوب مرجل بمعنى معلم^٣ ، وبرد مرجل أي برد فيه تصاوير رحل على تفسير بعض علماء اللغة . وورد المرحلات يعني المرط المرحلة ، وهي الموشاة ، وقد أشير إليها في كتب الحديث^٤ . و (القيصران) وهو ضرب من الثياب الموشاة^٥ . والعصب ضرب آخر من البرود اليمنية يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك وينسج ، فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل : هي برود مخططة^٦ . ويقال ثوب مبرج إذا كان ثوباً ذا تصاوير^٧ .

وقد عرفت (البرد) ، أنها أكسية يلتحف بها ، وقيل إذا جمعل الصوف شقة وله هذب . وقيل : البرد من برود العصب والوشي ، وأما البردة ، فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب ، وأن البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي^٨ .

واشتهر بلد المعافر بنوع من البرد والثياب ، حتى قيل له : برد معافري وثوب معافري^٩ . وأما (الشرعية) فضرب من البرود^{١٠} . وذكر أنها من الثياب الحارية . وإليها أشير في شعر امرئ القيس :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا إلى كل حاري حديد مشطب^{١١}

-
- ١ الطبقات ، لابن سعد (٣٥٧/١) .
 - ٢ المعرب (ص ٢٧٢) ، جامع الأصول (٤٠٨/٤) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٥/٧) .
 - ٤ تاج العروس (٣٤١/٧) .
 - ٥ تاج العروس (٣٤٢/٧) .
 - ٦ تاج العروس (٣٨٣/١) ، المعرب (٤٥/٢) .
 - ٧ شمس العلوم (١٥٤/١) .
 - ٨ اللسان (٨٧/٣) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، (٨٦/١) .
 - ٩ تاج العروس (٤١٢/٣) .
 - ١٠ اللسان (٤٩٤/١) .
 - ١١ العمدة ، لابن رشيق (٢٢٠/٢) .

وعرفت (صنعاء) بوشيهها وبأنواع أخرى من النسيج^١ .
 وعرفت اليمن بنوع من البرود سُمِّيَ (عَصْبِيًّا) لأن غزله يعصب ، أي
 يدرج ، ثم يصيغ . وذكر أنها خاصة باليمن ، لأنها تصيغ بالعصب . ولا يثبت
 العصب والورس إلا باليمن^٢ . وقيل العصب برود مخططة ، اشتهرت بها اليمن^٣ .
 والمسندة والمسندية وأثواب سند ، نوع من البرود الهانية^٤ . والثياب القديمة
 منسوبة الى موضع باليمن^٥ . وثوب (أكباس) (أكباش) من برود اليمن^٦ .
 وهناك ضرب من البرود قيل له (القطرية) والمفرد (قطري) . وكان الرسول
 متوشحاً بثوب قطري . كما كان على عائشة درع قطري ثمنه خمسة دراهم ، وذكر
 أن البرود القطرية حُرِّمَ لها أعلام فيها بعض الخشونة ، وأنها تأتي من (قطر)
 بسيف البحرين^٧ .

وعرفت الأنسجة الهانية المصنوعة من الكتان في كل مكان من جزيرة العرب .
 وقد كانت لباس الأغنياء والوجهاء . وتعطي أنسجة الكتان برودة خاصة في الصيف ،
 ولهذا كانت رائجة في كل مكان . وقد كانت مصر ذات شهرة خاصة في تصدير
 أنسجة الكتان ، فقد كان كتانها لطيفاً ناعماً . ولهذا بيع بثمان مرتفع . وذكر
 علماء العربية أن الكتان لفظة عربية النجار ، سمي بذلك لأنه يُنخَس ويُلقي بعضه على
 بعض حتى يكتن^٨ .

و (البرجد) ، كناية عن كساء ضخم مخطط . وقد ذكر في شعر طرفة^٩ .
 وذكر انه كساء من صوف أحمر^{١٠} .

والعباءة ، هي مقابل (س م ل ه) (سمله) (شمله) عند العبرانيين

-
- ١ نهاية الارب (٣٦٩/١) .
 - ٢ اللسان (٦٠٤/١) ، الروض الانف (٧١/١) .
 - ٣ تاج العروس (٣٨٣/١) ، (عصب) .
 - ٤ اللسان (٢٢٣/٣) .
 - ٥ اللسان (٤٧٢/١٢) .
 - ٦ اللسان (٣٣٩/٦) .
 - ٧ اللسان (١٠٦/٥) .
 - ٨ اللسان (٣٥٥/١٣) .
 - ٩ شرح المعلقات ، للزوزني (ص ٤٨) « دار صادر » ، شمس العلوم (ج ١ ق ١ ص ١٤٩) .
 - ١٠ تاج العروس (٣٠١/٢) ، (البرجد) .

و « Himation » عند اليونان^١، وتلبس فوق الألبسة . وتكون بعضها ثقيلة تصنع من الوبر أو الصوف ، وتستعمل في الشتاء خاصة وفي الأوقات الباردة ، وبعضها خفيف ، يصنع من الصوف أو من شعر الماعز . وتستعمل في الأوقات التي لا يكون فيها البرد شديداً وفي أيام الصيف . وقد يستلقي عليها الانسان ، فتكون بمثابة فراش له . وقد تصنع العباءة من قطعتين من القماش ، وقد تصنع من قطعة واحدة . وهي أحسنها وأغلاها . وتكون عباءة الأغنياء والرؤساء من قماش جيد منسوج نسيجاً خاصاً محلاة في الغالب من ناحية العنق والصدر والجهة العليا من اليدين بخيوط من الحرير أو الذهب يروفها (الرواف) ، بأشكال متعددة فيختلف سعرها لذلك باختلاف الجهد الذي بذله الرواف في تطريزها وفي زخرفتها .

وتصنع أحسن العبايات من الوبر^٢ . وقد تفنن فيها ، وتخصصت بعض الأماكن بنسجها . ولا تزال هذه الصناعة باقية تدر على أصحابها ربحاً يتعيشون منه ، كما تصنع من أوبار الجمال أشياء أخرى عديدة . على أن القرن العشرين قد علم سكان الجزيرة تصدير الوبر الى الخارج الى المعامل الحديثة لاستعماله مع الأصواف في صناعة الغزل والنسيج .

والشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به كالمشملى . والمشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به ، فإذا لفق لفقين . فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل . وقيل المشملة والمشملى : كساء له خل متفرق يلتحف به دون القطيفة . واشتمل الثوب أداره على جسمه كله حتى لا تخرج منه يده^٣ .

وقد ذكر أن الجاهليين كانوا يستوردون الجلب والأردية والأقمصة والأقنعة من بلاد العراق والشأم ، وكانت غالية الثمن وذات قيمة عندهم ، لحسن صنعتهما وإتقان قماشها . وقد كانت للرسول جبة من صنع بلاد الشأم^٤ ، وكان له طيلسان مديح، أي منقوش الأطراف بالديباج^٥ . وفي جملة ما استورد من مصر من ألبسة

١ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 625, Hastings, a dictionary of christ and the Gospels, vol., I, p. 498, ff.

٢ تويتشل (الصفحة ٣٢) ، النسان (١١٨/٤) ، المخصص (١١٨/٤) .

٣ تاج العروس (٣٩٧/٧) ، (شمل) .

٤ عمدة القاري (٣٠٣/٢١) ، « والعجة : ثوب من المقطعات يلبس » ، تاج العروس (١٧٣/١) .

٥ المغرب (ص ١٧٤) .

وثياب ، القباطي وهي ثياب بيض دقيقة رقيقة تتخذ بمصر^١ ، والقسي^٢ وهي ثياب منسوجة من كتان وابريسم مضلعة ، تصدر من مصر ، من قرية تسمى القسي فنسبت اليها .

وقد بقيت مصر تصدر القباطي حتى في الاسلام . وذكر علماء اللغة أن القباطي والثياب القبطية منسوبة الى القبط ، أهل مصر الخالص من ولد القبط بن حام بن نوح على رأي بعض النسابين ، أو من ولد قبط بن مضر بن فوط بن حام على رأي فريق آخر . وذكر أن لفظة قبطية ، وردت في شعر لزهير هو هذا البيت :

لياح كأن بالأنحمة مسبح إزاراً وفي قبطية متجلب^٣

وورد ذكرها في بيت شعر آخر ينسب له أيضاً هو^٤ :

ليأتينك مني منطق قلذع باق ، كما دنس القبطية الودك^٥

وقد ورد ذكرها في كتب الحديث ، فقد ذكر أن الرسول كما (أسامة) قبطية^٦ .

وأشير الى ثياب بيض قيل لها (القبطرى) . وزعم بعض علماء اللغة أن في الكلمة غلط ، وأن الراء زائدة^٧ .

وعرفت بعض الثياب بـ (الأنماط) ، جمع (نمط) ، وهي الثياب المصبغة . وفي حديث (ابن عمر) أنه كان يجلل بدنه بالأنماط . وذكر أن الأنماط ضرب من البسط له خمل رقيق^٨ .

١ المغرب (١٠٧/٢) ، جامع الاصول (٣٩٥/٤) ، اللسان (٣٧٣/٧) .

٢ تاج العروس (٢٠٠/٥) .

٣ اللسان (٣٧٣/٧) .

٤ المصدر نفسه .

٥ اللسان (٣٧٣/٧) .

٦ قال المتنخل :

علامات كتجبير النمط

اللسان (٤١٧/٧) وما بعدها .

ويقال للنمط الزوج كذلك . وقيل الزوج : الديباج واللون^١ .
وأما السبج ، فالسبجة درع عرض بدنه عظمة الذراع ، وله كُمّ صغير نحو
الشبر ، تلبسه ربات البيوت . وقيل هي بردة من صوف فيها سواد وبياض .
وقيل ثوب له جيب ولا كُمّين له ، يلبسه الطيّانون . وقيل هي مدرعة كُمّها
من غيرها : وقيل كساء أسود ، أو القميص . وهي لفظة معربة أصلها بالفارسية
(شبي) . وذكر ان (السباج) ثياب من جلود^٢ .

وقد كانت بعض الثياب المستوردة من بلاد الشام ومصر ومن الأرضين التي
تسودها أكثرية نصرانية ترد وعليها صلبان منسوجة . فلما جاء الاسلام ، وأمر
بطمس الصلبان ، كان الرسول اذا رأى الصليب في ثوب قضبه وقطع موضعه أو
نقشه^٣ .

وإذا كان الحرير المعروف بـ (الخسرواني) ، معروفاً حقاً عند الجاهليين ،
فإنه يدل على أنه كان مستورداً من العراق ، بدلالة اسمه عليه . ويذكر علماء اللغة
أنه منسوب الى الأكاسرة ، وأنه حرير رقيق حسن الصنعة^٤ .

ولفظه (حرير) من الألفاظ المستعملة في العربية ، غير أن من الصعب تعيين
أصلها . وقد ذكر (سترابون) أن اليونان أخذوا الحرير من الهند . ولذلك
أطلقوا عليه لفظة أخذوها من اسم أحد الشعوب الهندية . أما العبرانيون فقد أطلقوا
عليه لفظة (مسي)^٥ . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (سريقوم)
« Sericum » الواردة في النصوص الكلاسيكية تعني الحرير الخام . ووردت في
العبرانية لفظة (دمشق) « Demeshek » ، يرى بعض العلماء أنها تعني حريراً دمشقياً ،

-
- ١ قال الاعشى :
وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة ، مجبو بذاك معاً
وقال لبيد :
من كل محفوف ، يظل عصية زوج ، عليه كله وقرامها
 - ٢ اللسان (٢٩٣/٢) .
 - ٣ اللسان (٢٩٤/٢) .
 - ٤ المعرب (ص ٣٠٥) .
 - ٥ المعرب (ص ١٣٥) ، « والخسرواني (بضم الاول والثالث) : شراب ونوع من الثياب
كالخسروي . قال الزمخشري : منسوب الى خسرو شاه من الأكاسرة » ، تاج العروس
(١٧٦/٣) .
 - ٦ اللسان (١٨٤/٤) ، Hastings, Vol. I, p. 624. (1910).

أي معمولاً بدمشق . وذهب آخرون الى أن اللفظة ، محرفة من لفظة (دمسق) الواردة في العربية ويراد بها نوع من الحرير أو الحرير الخام^١ . والديباج من الثياب المعمولة من الحرير . واللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة^٢ .

ومن الثياب والأقشة التي تحمل اسماً معرباً (الدخدار) . وهو كما يقول (الجواليقي) (تحت دار) بالفارسية . وذكر أنه ورد في هذا البيت منسوب الى عدي بن زيد العبادي :

تلوح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب^٣

وأشير إلى (الديباجة) في شعر (حسان بن ثابت) ، ويراد بها الثياب المتخذة من الابرسم^٤ .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سندس) ، وذهب العلماء إلى ان المراد بها رقيق الديباج ، وذكر بعضهم أنه ضرب من (البزبون) يتخذ من المرعزاء ، واللفظة من الألفاظ المعربة^٥ .

وأما الاستبرق ، فإنه ما خشن من الديباج على رأي بعض العلماء . وأصله من الفارسية ، فهو من المعربات^٦ .

وكان الأغنياء وسادات القبائل يلبسون الألبسة المنسوجة من الحرير ، وهي ثمينة غالية ، يستوردونها من الخارج ، وينسج بعض منها في اليمن . وقد نهي

Smith, Dictl. of the Bible, Vol. II, p. 1310 f.

- ١ المعرب (ص ١٤٠) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، المخصص (٧٦/٤) .
- ٢ المعرب (ص ١٤١) ، « الدخدار ، بالفتح : ثوب أبيض مصون ، أو أسود . وقد جاء في الشعر القديم . وهو معرب تحت دار ، فارسية ، أي يمسكه تحت ، أي ذو تحت . وقال بعضهم : أصله تختار ، أي صين في تحت ، والاول أحسن . » ، تاج العروس (٢٠٣/٣) .
- ٣ البرقوقي (ص ١٤٦) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، (دبج) .
- ٤ المعرب (ص ١٧٧) ، « السندس (بالضم) : البزبون . وقال الليث : انه ضرب من البزبون ، يتخذ من المرعزي ، أو ضرب من البرود . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث الى عمرو (رضي الله عنه) بجبة سندس . قال المفسرون في السندس : انه رقيق الديباج ورفيعه ، وفي تفسير الاستبرق : غليظ الديباج ، ولم يختلفوا فيه . معرب بلا خلاف عند أئمة اللغة ، » تاج العروس (١٦٨/٤) .
- ٥ اللسان (٥/١٠) ، المخصص (٧٦/٤) .

الاسلام عن لبس الحرير ، لما في ذلك من ترف يميت الرجولة ومن تشبهه بمتري العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله في نفوس الفقراء .

ومن أنواع الثياب الجيدة المصنوعة من القز الأبيض (الدمقس) ، وهو ناعم وذكر علماء اللغة أن اللفظة من الألفاظ المعربة القديمة الواردة في شعر لامرئ القيس^١ . ويرى بعض الباحثين أن الدمقس تحريف (مدقس) وهو الحرير الأبيض ، وأن أصلها يوناني هو : « Metaxa »^٢ .

ويعرف الحرير الجيد بالسرق ، وقيل : السرق شقق الحرير أو الأبيض أو الحرير عامة . وذهب بعض العلماء الى أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأن أصلها سره أي جيد . وقد ورد في الحديث : انك في سرقة من حرير ، أي قطعة من جيد الحرير^٣ . ويقال للسرق (سريكون) « Sirikon » « Sericum » في اليونانية^٤ . ويراد بها الحرير عامة . ومن هذا الأصل جاءت لفظة (السرق) على ما أرى .

ويعرف الحرير بـ (مشى) و (دمشق) في العبرانية . وقد ذهب بعض علماء التوراة أن اللفظة (دمشق) صلة بدمشق الموضع المعروف . ودمشق من المواضع المشهورة منذ القديم بنسج الحرير . وذهب آخرون أنها من أصل (دمقس) ، تحرف فصار (دمشق) ولا علاقة لها بدمشق . وأما لفظة (حرير) ، فتعرف بـ « Sericum » عند اليونان واللاتين كما ذكرت . أما لفظة (حرير) المستعملة في العربية ، فإن من الصعب تعيين أصلها والوقت الذي ظهرت فيه^٥ .

والخرز : ثياب تنسج من صوف وإبريسم ، وقيل انه الثياب المعمولة من

١ فظل العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
المعرب (ص ١٥١) ، « الدمقس (كهزبر) ، الابريسم أو القز ٠٠٠ أو الديباج أو
الكتان ٠٠٠ والدمقس والمدقس مقلوب ٠٠٠ وثوب مدمقس منسوج به » ، تاج
العروس (٤/١٥٤ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ٢٥٨) .

٣ تاج العروس (٦/٣٧٩) ، المعرب (ص ١٨٢) ، المخصص (٤/٦٨) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٩) .

٥ Smith, A dict. of the Bible, Vol. III, p. 1310 f.

Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 624.

الإبريسم^١ . وقيل انه الحرير^٢ . وذكر علماء اللغة أن (اللاذ) ثياب من حرير تنسج بالصين ، وأن (الاضريج) الخز الأصفر ، وأن المطرف : ثوب مربع من خز له أعلام^٣ .

وربما كان (الديبوذ) و (الديابوذ) من الثياب التي وصلت إلى الحجاز من الاتصال التجاري بالعراق . واللفظة من المعربات . ذكر الجواليقي انها من الألفاظ الفارسية الأصل ، وان المراد بها ثوب ذو نيرين ، وأورد شعراً للأعشى جاءت فيه هذه اللفظة^٤ .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سرايل) جمع (سربل) . وذكر علماء اللغة أن (السربال) القميص من أي جنس كان^٥ ووردت السربال في شعر منسوب إلى الأعشى :

مقلص أسفل السربال معتمر^٦

وفي هذا المعنى لفظة (سروال) ، والجمع (سراويل) والسربال هو (سربالين) (س ر ب ل ي ن) في العبرانية^٧ . وهو أيضاً (السروال) في العربية و (الشروال) من أصل فارسي . وقريب من السربال والسروال (اللباس) الطويل المستعمل عند أهل القرى والفلاحين وبين كثير من أهل المدن في الوقت الحاضر . يشد عند

١ اللسان (٣٤٥/٥) ، تاج العروس (٣٣/٤) .

٢ المخصص (٦٨/٤) .

٣ المخصص (٦٨/٤) .

٤ المعرب (ص ١٣٨ وما بعدها) ، « الديبوذ : ثوب ذو نيرين . . . معرب ، فارسيته دويوذ (بالضم) ، ونقله الجوهرى عن أبي عبيدة ، وأنشد بيت الأعشى يصف الثور : عليه ديابوذ تسربل تحته أرندج أسكاف يخالط عظما » ،

تاج العروس (٥٦٢/٢) .

٥ المفردات (ص ٢٢٨) .

٦ برصوم : الألفاظ السريانية (ص ٢٥٨) ، « السربال ، بالكسر : القميص أو الدرع أو كل ما لبس فهو سربال والجمع سرايل . قال الله تعالى : وسرايل تقيكم بأسكم . ومنه قول كعب بن زهير :

شم العرابين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرايل . . . وقد تسربل به وسربلته اياه ، ألبسته السربال . ومنه حديث عثمان رضي الله تعالى عنه : لا أخلع سربالا سربلنيه الله تعالى . السربال القميص وكني به عن الخلافة » ، تاج العروس (٣٧٤/٧) .

Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 625 f. ٧

الخصر ثم يعرض وينتهي بفتحيتين ضيقتين لدخول الرجلين منها . ولا زال (الشروال) مستعملاً بين الإيرانيين والأكراد وفي بلاد الشام . وقد ذكر علماء اللغة أن الشروال لفظة معربة من أصل فارسي . وورد « في حديث أبي هريرة : أنه كره السراويل المخرفجة » أي (الواسعة الطويلة)^١ . وقد اشتهر الفرس بلبس السراويل ، والظاهر أن الرسول كره السراويل الواسعة الطويلة ، لأنها كانت من سنة الأعاجم . فأراد عدم التشبه بهم . وأما القميص ، فقد يقال له (الدرع) والسربال^٢ .

وأما (القز) (القهز) ، فهما ثياب صوف كالمرعزي وربما خالطها الحرير^٣ . وأما (الزازفة) ، فثياب بيض من كتان^٤ . وأما (الخنف) فما غلظ من الثياب^٥ . ومن الأكسية (الجودياء) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أنها لفظة معربة عن أصل فارسي أو نبطي ، وذكروا أن الأعشى تصرف بها في شعره فجعلها (اجياد)^٦ . وهناك نوع من أنواع القميص أو البرد المنسوجة من الصوف فيها سواد وبياض يقال لها (سبيج) (السبيج) و (السبجة) و (السبيجة) . وقد ذكر الجواليقي أنها من الألفاظ المعربة^٧ .

والطيلسان : من الألفاظ المعربة ، ويراد بها ثوب يلبس على الكتف ، أو ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة . وذكر أيضاً أنه كساء مدور أخضر ، لا أسفل له ، لحمته أو سداه من صوف^٨ . وقد اشتهرت

-
- ١ اللسان (٣٣٤/١١) .
 - ٢ اللسان (٨٢/٧) ، (٣٢٥/١١) .
 - ٣ المخصص (٦٨/٤) .
 - ٤ النهاية في غريب الحديث (٨٣/١) .
 - ٥ النهاية (٤/١) .
 - ٦ « والجودياء (بانضم) : الكساء ، نبطية او فارسية . وعربها الاعشى فقال :
وبيداء تحسب آرامها رجالات اياد بأجيادها
وأنشد شمس لابي زبيد الطائي في صفة الاسد :
حتى اذا ما رأى الانصار قد غفلت واجتاب من ظله جودي سمور
قال : جودي بالنبطية هي جودياء ، أراد جبة سمور ، تاج العروس (٢/٣٢٨) ،
المعرب (ص ١١١ وما بعدها) .
 - ٧ المعرب (ص ١٨٢) ، تاج العروس (٢/٥٦) .
 - ٨ المعرب (ص ٢٢٧) ، المعرب (٢/١٦) .

الفرس بلبسه ، ويسمى عندهم ب (تالسان) ، حتى استعمل العرب جملة :
« يا ابن الطيلسان » أي يا ابن الأعجمي في الشتم ، وذلك من تطلسهم به^١ .
والساج : الطيلسان الضخم الغليظ ، وقيل : هو الطيلسان المقوّر ينسج كذلك ،
وقيل : هو طيلسان أخضر . وفي حديث ابن عباس ، أن النبي ، كان يلبس
في الحرب من القلائس ما يكون من السيجان الأخضر ، جمع ساج ، وهو الطيلسان
الأخضر ، وذكر (ابن الأعرابي) : السيجان الطيالة السود^٢ .
و (الشوذر) من الألفاظ المعربة القديمة على رأي بعض العلماء ، ويراد بها
الملحفة والإزار^٣ .

وقد اشتهرت اليمن بصنع الأزر ، واشتهرت بهذه الصناعة مواضع أخرى .
وقد كان العراق يصدر الأزر إلى جزيرة العرب . واشتهرت ازره عند العبرانيين .
فأطلقوا عليها (ازرت شنعار) (ازرت شنعر) ، أي (ازر شنعار) .
ويريدون بشنعار ما يقال له أرض بابل . وهو من نسيج جيد مبروم . وقد عرفت
ب (لبلي برمه) « Lubulti birme » ، وعرف النسيج الذي اختص بهذا النوع من
الأزر ب (اشبر برمي) « Ushbar Birmi »^٤ .

و (القهز) و (القهزي) ، ثياب بيض يخلطها حرير . وهي من الألفاظ المعربة .
وذكر بعض علماء اللغة أن الأصل الفارسي هو (كهزانه)^٥ .

والخميصه : ثوب أسود معلم من خز أو صوف . وأما الأنبيجانية فكساء له
خل ، وقيل : الغليظ من الصوف . والفروج : القباء له فرج من وراء أو من
أمام . وأما الميرط^٦ فالكساء يتغطى به^٧ .

ومن أنواع الثياب (القباء) . وقد ذكر بعض العلماء أن اللفظة فارسية الأصل
معربة^٧ .

-
- ١ تاج العروس (١٧٩/٤) .
 - ٢ اللسان (٣٠٢/٢) وما بعدها .
 - ٣ المعرب (ص ٢٠٥) ، « والشوذر : الملحفة معرب ، فارسيته جادر » ، تاج العروس (٢٩٤/٣) .
 - ٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 230.
 - ٥ المعرب (ص ٢٦٣) ، « ثياب تتخذ من صوف أحمر كالمرعزي وربما يخالطه الحرير .
وقيل هو القز بعينه . وأصله بالفارسية كهزانه » ، تاج العروس (٧٢/٤) .
 - ٦ جامع الاصول (٤٩٦/٧) .
 - ٧ المعرب (٢٦٢) ، تاج العروس (٢٨٦/١٠) وما بعدها .

و (النمرق) ثياب لينة بيض ، وهي من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأصلها (نرمه)^١ . وأما (النمرق) و (النمرقة) ، فالوسادة أو الميثرة والطنفسة^٢ .

ولاحتياج الانسان الى الملابس في كل زمن ، كانت حرفة الغزل والحياكة يحترفها كثير من الناس وتعيش عليها أسر عديدة . ويمكن عدّها من أهم الحرف في ذلك العهد ، وعد العمال المشتغلين بها من أكثر عمال الحرف الأخرى عدداً . ولم يكن المتعاطون لهذه الحرف هم أصحاب معامل النسيج ، ولكن أصحابها الأغنياء والتمولون . أما المشتغلون بها ، فعمال يشتغلون فيها بأجر يتقاضونه ، ومنهم من كان رقيقاً مملوكاً يعمل لحساب سيده ومالكه ، في مقابل قيامه بأوده . والقليل من العمال من كان يملك مصانع نسيج ، تعمل له وتدر الربح عليه .

بل كان الملوك يشاركون الشعب في امتلاك دور النسيج وينافسونهم في الإنتاج . وفي نصوص المسند إشارات عديدة الى دور الحياكة والنسيج الملكية ، والى انتاجها واشغالها . ولا يستبعد احتكارهم لها أو احتكار صناعة بعض الأنواع من النسيج وبيع الأقمشة . وقد علمنا في الجزء السابق من هذا الكتاب أن البطالة كانوا قد احتكروا بيع أنواع معينة من النسيج وصناعتها . وقد ظل احتكار حكومات مصر لأنواع معينة من النسيج معروفاً الى الاسلام ، تنسجها في معاملها ، ولا تسمح للأهلين بإنتاجها ، كما فعل ذلك غير المصريين أيضاً . فصناعة النسيج صناعة مهمة ذات أرباح وفوائد، وهي من أهم الصناعات في المجتمع . ولأرباحها هذه ولكونها مورداً مهماً ، فكرت بعض الدول في احتكارها ، للحصول على أرباحها ، كما تفعل الدول في الزمن الحاضر في احتكار بعض الصناعات والمناجم وبعض المصالح العامة مثل سكك الحديد أو التلفون والبرق وغير ذلك لتكون مورداً يمول الدولة بالمال . ومن أسماء القطن (الطوط) ، وقيل : الطوط قطن البردي . وورد في شعر لأمية ابن أبي الصلت :

والطوط نزرعه أغن جرائه فيه اللباس لكل حول يعضد^٣

١ المغرب (ص ٣٣٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/٧٥) .

٢ تاج العروس (٧/٨١) .

٢ تاج العروس (٥/١٧٩) ، (طوط) .

ولم يقتصر عمل الخائك على حياكة الأقمشة ونسجها وحدها ، بل شمل عمله كل شيء يحاك ، مثل البسط والطنافس والسجاجيد و (الدرانك) التي هي نحو من الطنافس والبسط . ويذكر علماء اللغة أن اللفظة من العربيات . وذكر بعض العلماء أن (الدرنوك) و (الدرموك) ضرب من الستور والفرش ، يكون فيها الصفرة والخضرة ، وقال بعض آخر : انه ضرب من الثياب له خمل قصير كخمل المناديل ، وبه شبه فروة البعير . وورد انه الطنفسة والبسط ذات الخمل . وقد تكون كبيرة تفرش البيت^١ . والأنماط ، وهي ضرب من البسط^٢ ، وضرب من الثياب المصبغة ، وثياب من صوف تطرح على الهودج^٣ . والنساجة وهي ضرب من الملاحف المنسوجة^٤ . والقطيفة وهي دثار نخمل . وقيل هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر^٥ . والوسادة وهي المخدة^٦ . والنمرقة وهي الوسادة ، وقيل الصغيرة منها ، أو هي الميثرة ، وتوضع على الرجل كالمرفقة ، غير ان مؤخرها أعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تشد بأخرة الرجل^٧ .

وهناك حرفة أخرى لها علاقة بالنساجة والحياكة ، هي الخياطة^٨ . وحرفة الخياط تحويل الأقمشة الى كسوة ، وصنع الثياب والعائم بتفصيل القماش وقصه ثم خياطته على وفق القياس المطلوب . وهي حرفة تروج في المدن . أما في البادية ، فتقوم المرأة بعمل الضروريات ، ويلتجئ الرجال الى القرى والمدن في شراء ما يحتاجون اليه من ثياب . ونجد بين أسماء الثياب ، ما هو معرب ، مما يدل على أنه منقول مستورد ، وأن الخياطين الجاهليين قد رأوه فقلدوا صنعه .

كذلك نجد بين أسماء أجزاء الثوب أسماء معربة . فذكر علماء اللغة أن (الدخريص) و (التخريص) من المصطلحات المعربة ، وأن أصلها فارسي ، وهي تعني (البنيقة) و (اللبنة) . وقد وردت (الدخارص) في شعر منسوب الى الأعشى^٩ .

-
- ١ المعرب (ص ١٥٢) ، تاج العروس (١٢٩/٧) .
 - ٢ جامع الاصول (٣٩٥/٤) ، تاج العروس (٢٣٤/٥) .
 - ٣ المعرب (٢٣١/٢) ، تاج العروس (٢٣٤/٣) .
 - ٤ جامع الاصول (٣٩٩/٤) .
 - ٥ المعرب (١٢٨/٢) ، تاج العروس (٢٢٤/٦) .
 - ٦ جامع الاصول (٤٠٢/٤) ، تاج العروس (٥٣٤/٢) .
 - ٧ تاج العروس (٨١/٧) .
 - ٨ تاج العروس (١٣١/٥) .
 - ٩ المعرب (ص ١٤٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٩٣/٤) ، (٣٠٠/٦) .

ويعبر عن (الخياط) بلفظة (درز) ، و (بنو درز) الخياطون والحاكّة ^١ .
و (الخياط) الإبرة ^٢ . والإبرة ، هي التي يخاط بها ، وذلك بإدخال الخيط في
سمّها أي في ثقب الإبرة ، وتخييط ما يراد تخييطه بها . والخياطة صناعة الخائط ^٣ .
ويقال للذي يُسوّي الأبر الأبار ^٤ . و (السم) الثقب ، ومنه (سم الخياط) ،
أي سم الإبرة ^٥ . !

ومن أسماء الخياط : (القراري) . قال الأعشى :

يشق الأمور ويختابها كشق القراري ثوب الرذن ^٦

ويعبر عن خياطة الخياط الثوب خياطة متباعدة بـ (شمج) و (شمرج) ،
وذلك بأن يبعد بين الغرز . و (الشمرج) الرقيق من الثياب وغيرها ^٧ .

ويعبر عن الخيط بلفظة (السلك) و (السلكة) ^٨ .

والثوب اللباس ^٩ ، وهو ما يلبس ^{١٠} . ولذلك فهما من الكلمات العامة التي تطلق
على أشياء عديدة . وقد اشتهرت بعض الثياب بكونها ثياب رقاق ، منها (السبوب)
والسب : الشقة البيضاء ، وكذلك الخمار . و (الشف) ، وهو الثوب الرقيق ،
و (اللهله) و (النهنه) ، الثوب الرقيق النسج . وثوب هلهل وهلهال ، رقيق
النسج ، وهو المتدارك النسج ^{١١} .

والمواد التي يستعين بها الخياط في صنع الثياب والاكسية هي الأنسجة المصنوعة
من القطن أو الحرير أو الكتان أو الأصواف أو الشاش أو البز أو الكرباس .

-
- ١ اللسان (٣٤٨/٥) .
 - ٢ بكسر الخاء .
 - ٣ اللسان (٢٩٨/٥) وما بعدها .
 - ٤ اللسان (٤/٤) .
 - ٥ اللسان (٣٠٣/١٢) .
 - ٦ اللسان (١٧٧/١٣) .
 - ٧ اللسان (٣٠٨/٢) وما بعدها .
 - ٨ اللسان (٢٩٨/٥) ، (٤٤٣/١٠) .
 - ٩ اللسان (٢٤٥/١) .
 - ١٠ القاموس (٢٤٨/٢) .
 - ١١ المخصص (٦٣/٤) .

ولفظه (قطن) ، من الألفاظ التي يصعب تعيين أصلها . وقد ذهب كثير من الباحثين الى أنها من أصل هندي . وفي التوراة لفظة (كربس) « Karpas » ، أي الكرباس ، فسرها علماء التوراة بمعنى (قطن) . ولفظة (كرباس) معروفة في العربية . وهي من الألفاظ المعربة المعروفة عند الجاهليين . وترد في لغة بني لأم وفي العبرانية واليونانية واللاتينية . وقد ذهب بعض العلماء ، أنها من أصل سنسكريتي وأنها تعني شجرة القطن . وقد ذكرت اللفظة في تأريخ (هيرودوتس) ، وعرفها اليونان الذين كانوا في حملة الاسكندر الكبير . ودعوها « Carbasus » و « Carbasina » . وقد أشار الى القطن (هيرودوتس) و (سترابو) وصاحب مؤلف « Periplus maris Erythr » و (لوقان) « Lucan » و « Quintus Curtius » وأشاروا الى صلاتها بالهند^١ . واللفظة من الألفاظ الواردة في الفارسية أيضاً . وذهب علماء العربية الى ان الكرباس ثوب من القطن الأبيض معرب عن الفارسية^٢ . وفي حديث عمر : « وعليه قبض من كرايس » ، جمع كرباس وهو القطن^٣ . ومن أسماء القطن الخرفع والخرنغ . وذكر أن (الطوط) ، هو قطن البردي^٤ . والبز عند علماء العربية : الثياب ، وقيل ضرب من الثياب ، وقيل البز من الثياب أمتعة البزاز ، والبزاز بائع البز وحرفته البزازة . والبززة الهيشة والشارة واللبسة^٥ . وذكر ان (البز) ضرب من برود اليمن^٦ . واللباس والألبسة والملبس كل ما يلبس^٧ . والكسوة ، اللباس أيضاً . والكساء واحد الأكسية^٨ . وقد عرفت لفظة الكسوة في العرييات الجنوبية كذلك ، إذ وردت في بعض النصوص : (كسوت) (كشوا) (كشوي)^٩ . وذكر علماء العربية ان الكساء الذي لا بطانة له ، يقال له : (كساء سمط)^{١٠} .

Ency. Bibl., Vol. I, p. 915, Hastings, Dicton. of the Bible, Vol. I, p. 623,

Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 360.

٢ القاموس المحيط (٩٣/٢) ، تاج العروس (٢٣١/٤) .

٣ اللسان (١٩٥/٦) .

٤ المخصص (٦٩/٤) .

٥ اللسان (٣١٢/٥) .

٦ المعاني الكبير (١١٧٥/٣) .

٧ اللسان (٢٠٢/٦) وما بعدها .

٨ اللسان (٢٢٣/١٥) وما بعدها .

٩ Mahram, p. 439.

١٠ اللسان (٣٢٤/٧) .

وفي العبرانية لفظة (بجد) وتقابل (بجاد) و (بجد) في العربية ، وتعني اللباس عامة ، من دون تمييز . أما لفظة (لبوش) ، فهي من أصل (لبس) ، وهي في معنى (لبوس) و (لبس) في العربية ^١ . والبجاد عند العبرانيين من الألبسة التي تستعملها الطبقات الراقية ^٢ .

وذكر علماء العربية أن البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وقيل : إذا غزل الصوف بسرة ونسج بالصيصة ، فهو بجد . ويقال للشقة من البجد : قليح وجمعه (قليح) . وقيل البجاد الكساء ^٣ . وقيل انه من وبر الإبل وصوف الغنم مخيطة ^٤ .

ومن أنواع الأكسية : (المشملة) : كساء يشتمل به دون القطيفة . وذكر المشمل : كساء له خل متفرق يلتحف به دون القطيفة . وورد في الحديث : « ولا تشتمل اشمال اليهود » ، وهو افتعال من المشملة ، وهو كساء يتغطى به ويلتلف فيه ، والمنهي عنه هو التجلل بالثوب وإسباله من غير أن يعرف طرفه ^٥ . وهو (سمله) « Simlah » و « Salmah » عند العبرانيين .

و (البرنس) : كل ثوب رأسه منه ملتزق به دُرّاعة كان أو ممطراً أو جبّة . وذكر أن (البرنس) قلنسوة طويلة ، وكان النساء يلبسونها في صدر الإسلام . وهو من (البرس) ، القطن ^٦ . وعرف بهذه التسمية أيضاً عند العبرانيين ^٧ .

والملاءة : الربطة ، وهي الملحفة والإزار ^٨ . وذكر أن الربطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل : الربطة كلا ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، وقيل : هو كل ثوب لين دقيق . والرائطة : المنديل ^٩ .

١ Ency. Bibl., Vol. I, p. 1135. f.

٢ The Bible Dictionary, I, p. 30.

٣ اللسان (٧٧/٣) .

٤ شرح المعلقات العشر ، للتبريزي (ص ٧٧) .

٥ اللسان (٣٦٩/١١) .

٦ اللسان (٢٦/٦) .

٧ The Bible Dictionary, I, p. 96.

٨ اللسان (١٦٠/١) .

٩ اللسان (٣٠٧/٧) .

والإزار : الملمحفة ، والمثزرة : الإزار^١ . والرداء الذي يلبس ، والجمع أردية^٢ . وذكر أن المثزر من الصوف أو الشعر يؤتزر به ، فإذا انفق فهو (شملة) يشتمل بها الرجل اذا نام بالليل^٣ .

والردن : الكم^٤ . يقال : قيض واسع الردن . وذكر أن الردن مقدم كم القميض ، وقيل هو أسفله ، وقيل : هو الكم كله^٥ .

ويصنع الخياط الهمايين جمع (الهيمان) ، ويراد به الحزام وبه كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط . وقد يصنع من الجلود أيضاً ، وهو من الألفاظ المعربة من الفارسية^٥ .

أما (الكيس) ، فهو لحفظ ولخزن ولحمل الأشياء . ويعرف بـ (كيس) في العبرانية كذلك ، وقد يصنع من الجلد . وأما (الخريطة) ، فإنها (خريط) في العبرانية . وتحفظ فيها الأشياء الثمينة ، وقد تحلى وتزخرف . وأما (الصرة) ، وهي (صرور) في العبرانية ، فلصير الأشياء^٦ . ولا تزال هذه الأسماء مستعملة معروفة .

والجاهليون مثل عرب الاسلام في اختلاف ملابسهم ، فقد كانت ملابسهم تختلف باختلاف منازلهم ودرجاتهم . فللشرفاء والوجهاء أهل المدن والقرى لبس خاص يميزهم عن الطبقات الدنيا من الناس . وللتجار لبس خاص بهم ، أما الأعراب ، فكانوا يتميزون أيضاً بطريقة لبسهم عن أهل المدن والقرى . ثم انهم عموماً كانوا يختلفون في ألبستهم باختلاف أمكنتهم وبحسب درجة اتصالهم واختلاطهم بالأعاجم . فقد كان عرب العراق قد تأثروا باللبسة الفرس وبألبة بني إرم ، فأخذوا منهم . وتأثر عرب بلاد الشام بالروم ، فأخذوا منهم بعض ملابسهم ،

١ اللسان (١٦/٤) وما بعدها .

٢ اللسان (٣١٦/١٤) وما بعدها .

٣ الاغانى (٣٧٢/١) .

٤ اللسان (١٧٨/١٣) .

٥ العرب (ص ٣٤٦) ، « والهيمان دخيل معرب . والعرب قد تكلموا به قديماً ، فأعربوه . ويقال له هيمان أعجر ، وهمايين عجر . وقد جاء ذكر لفظ الجمع في حديث النعمان يوم نهاوند : تعاهدوا هماينكم في أحقيكم وأشساعكم في نعالكم » ، تاج العروس (٣٦٧/٩) وما بعدها .

٦ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 231.

حتى أسمائها ، احتفظوا بها ، وقد حفظتها لنا كتب الاسلاميين . وبعضها لا تزال حية نستعملها هذا اليوم . ولا تختلف ألبسة الرأس المعروفة عند الجاهليين عن ألبسة الرأس المستعملة بين الأعراب وفي قرى جزيرة العرب . ففسد اقتضت طبيعة الصحراء ، أن يحمي الجاهلي رأسه بألبسة واقية تقيه من أذى أشعة الشمس المحرقة ومن الرمال التي تذررها العواصف في العيون وفي الأنوف ، فأوجد لنفسه ألبسة رأس مناسبة له وللبساطة حياته . فستر رأسه بقطعة قماش مربعة الشكل في الغالب ، تمتد على أطرافه ليتلم بها وقت ظهور العواصف وارتفاع الرمال ، أو وقت ظهور السموم ، فيحمي نفسه منها ومن العطش ، كما يحمي مؤخر رأسه من أشعة الشمس ، ولتحميه من البرد في الشتاء كذلك . ويضع فوق هذه القطعة عقلاً ، يصنع من الصوف أو من شعر الماعز أو الوبر ، ليمسك قطعة القماش فلا تسقط . وتعرف قطعة القماش هذه بالكوفية وبـ (الكفية) في الوقت الحاضر ، ويقال لها وللعقال (الكفية والعقال) و (الكوفية والعقال) في اصطلاح المحدثين .

أما عرب بلاد الشام ، فقد كانوا يضعون لباداً فوق رأسهم مصنوعاً من مادة مضغوطة من الصوف أو الوبر ، يشبه ما يسمى بـ (العرقجين) في العراق (العرقية) ، يلف حوله بقماش مختلف الألوان ، قد يمتد أحد طرفيه ، ليستعمل ثاماً للوجه وسترأ للرقبة ، وهو زي الفلاحين والرعاة .

والعمامة من لباس الرأس عند الجاهليين . « والعرب تقول للرجل إذا سَوَدَ : قد عمم . وكانوا إذا سَوَدُوا رجلاً عمموه عمامة حمراء . وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له متوج »^١ . ويقال لها (السباب) كذلك . والعمامة : (السُّب)^٢ .

وعادة صبغ الثياب ، من العادات المعروفة عند العرب قبل الإسلام . وكانوا يستعملون في ذلك أصباغاً مختلفة ، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجنود يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يضعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات^٣ . ولألوان العائم أو الملابس دخل في المناسبات الاجتماعية ، فكانوا يستعملون للحرب مثلاً نوعاً خاصاً من العائم ذوات ألوان خاصة ، تعبر

١ اللسان (٤٢٤/١٢) .

٢ اللسان (٤٥٦/١) ، الروض الانف (٥٩/١) .

٣ المخصص (١٤/١١) .

عن المواقع ، ويستعملون في الأحزان نوعاً خاصاً من العائم والثياب ، وفي الفرح ملابس خاصة ، وهكذا ، كما كانوا يقومون بتجديرها في بعض الأحوال .
ويقوم بصبغ الثياب وقصرها الصباغون، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها . وذكر أن الكهان كانوا لا يلبسون المصبغ^١ ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم أن تابع الكاهن ينفر من الصبغ .
وفي جملة الأصباغ المعروفة والشائعة عند الجاهليين ، العصفر ، وهو نبت أصفر يستخرج منه صبغ أصفر ، تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها . ومن هذه الصبغة جاءت لفظة (المعصفرات) ، ويراد بها الثياب المصبوغة بالعصفر^٢. والورس وهو صبغ أصفر ، يؤخذ من نبت طيب الرائحة تصبغ به الملابس ، فيقال ملحفة مورسة ، إذا كانت مصبغة بالورس^٣ . وقد جاء النهي عن لبس الثياب المعصفرة في الاسلام^٤ .

والثوب الأحمر ، هو الثوب المصبوغ بلون أحمر ، أما (الكرك) ، فالثوب الأحمر كذلك . و (ثوب مشرق) ، ثوب بين الحمرة والبياض ، و (ثوب قتمة) و (مقتوم) ثوب سواده ليس بشديد ، و (ثوب مفروك) ، مصبوغ بالزعفران ، وزبرقت الثوب زبرقة ، صفوته . وقد سمي (الزبرقان بن بدر) بذلك ، لصفرة عمامته^٥ .

ويظهر ان الصباغين كانوا يمتلئون بالموايسد ويخلفون ، لذلك ضرب بهم وبالصباغين المثل في الخلف . وورد في الحديث : « أكذب الناس الصباغون والصواغون »^٦ .

ويستعمل شعر الماعز في الغالب لصنع الخيام، وذلك للأعراب وللتجار والمسافرين وغيرهم . والاتجار بالخيام ، من التجارات التي كانت رائجة يومئذ ويستعمل شيوخ القبائل والرؤساء والملوك خياماً خاصة مصنوعة من أقمشة غليظة تتحمل المطر والعوارض الطبيعية الأخرى ، ولها أسعار غالية عالية ، تختلف باختلاف حجمها

-
- ١ بلوغ الارب (٤٠٧/٣) ، اللسان (٤٣٧/٨) .
 - ٢ جامع الاصول (٣٦٥/٤) .
 - ٣ المغرب (٢٤٦/٢) .
 - ٤ صحيح مسلم (١٤٤/٦) .
 - ٥ المختصر (٩٥/٤) .
 - ٦ اللسان (٤٣٧/٨) .

ونوع القماش المصنوعة منه . ول بعضها قواطع تجزىء الخيمة الى أقسام تكون شبه
غرف يسكن فيها . ويستعمل بعضها مضارب يعقد فيها ديوان الرئيس ، وبعضها
معابد توضع فيها الأصنام والأشياء المقدسة التي تنتقل مع القبيلة ، يحملها الكهنة
معهم . وقد أشير الى هذه الأصنام المتنقلة مع القبائل في الأخبار التي سجلها الآشوريون
عن حروبهم مع الأعراب ، كما كان العبرانيون يصنعون خياماً واسعة تكون مقدسة
لخدمة الرب . ومن الحليم الكبار (الفسطاط) . ويطلق على الأبنية كذلك^١ .

والبساط ، ما بسط . وقد اشتهرت أنواع خاصة من البسط بين الجاهليين .
منها بسط عبقر ، والبساط العبقرى من الأبسطة الجيدة ، ومن عادة العرب أنهم
إذا استحسنوا شيئاً أو عجبوا من شدته ومضائه نسبوه الى (عبقر) . وعبقر
عندهم أرض من أرض الجن . وورد (ثياب عبقرية) نسبة الى عبقر . حتى
قالوا : « ظلم عبقرى » أي شديد فاحش^٢ . ومن أنواع البسط : (النخ) .
وهو بساط طوله أكثر من عرضه ، وهو فارسي معرب ، وجمعه نخاخ^٣ .

وللعرب طرق في هيئة لبسهم وفي كيفية وضعها على أبدانهم ، ولا سيما أهل
الحضر منهم . كما كانوا يكيّفون لبسهم حسب المناسبات في مثل الغارات والحروب
والسفر . ومن ضروب لبسهم ، ما يقال له : (الاضطباع) ، ويقال له :
(التأبط) ، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبيه الأيسر^٤ .

ومن ضروب اللبس : (التفضل) ، وهو التوشح ، أن يخالف اللابس بين
أطراف ثوبه على عاتقه . وأما (الفضلة) فالثياب التي تبتذل للنوم لأنها فضلت
عن ثياب الصرْف^٥ . وعرف التوشح : أن يتوشح بالثوب ، ثم يخرج طرفه الذي
ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقد طرفيهما على صدره .
وقيل : التوشح بالرداء مثل التأبط والاضطباع ، وهو أن يدخل الثوب من تحت
يده اليمنى فيلقيه على منكبيه الأيسر ، كما يفعل المحرم^٦ .

وأما (الاشتمال) ، فهو ادارة الانسان الثوب على جسده كله حتى لا يخرج

١ المغرب (٩٦/٢) ، تاج العروس (١٩٨/٥) وما بعدها .

٢ المخصص (٧٣/٤) .

٣ اللسان (٦١/٣) .

٤ اللسان (٢٥٤/٧) ، المخصص (٩٧/٤) .

٥ اللسان (٥٢٦/١١) ، المخصص (٩٩/٤) .

٦ اللسان (٦٣٣/٢) .

منه يده . وروي أن النبي نهى عن اشتغال الصمّاء . والشملة الصمّاء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل ، وذكر أن اشتغال الصمّاء هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده ولا يرفع منه جانباً ، فيكون فيه فرجة تخرج منها يده ، وهو التلّفع ، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة . وذكر الفقهاء : أن الاشتغال هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو منه فرجة^١ .

(والسند) ، ضرب من ضروب اللبس عند العرب ، وهو أن يلبس قميصاً طويلاً تحت قميص أقصر منه . كما أن السند ضروب من البرود ، وضرب من الثياب . وذكر أن السناد هي الحمراء من جباب البرود^٢ . وإذا نام الشخص وأدخل رأسه في ثوبه قيل لذلك الكبس والكباس^٣ . و (الكمكمة) التغطي بالثياب^٤ .

وقد عرف الجاهليون (الكلل) . و (الكلة) : الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البق^٥ .

ويعبر عن الستر بـ (السجف) ، وهو قماش يستر به . والسجافة السدافة ، أي الحجاب . وكل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق منه سجف . وقيل لا يسمى سجفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين^٦ .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | اللسان (٣٦٨/١١) ، المخصص (٩٧/٤) . |
| ٢ | اللسان (٢٢١/٣) وما بعدها ، المخصص (٩٩/٤) . |
| ٣ | اللسان (١٩٠/٦) . |
| ٤ | اللسان (٥٢٨/١٢) . |
| ٥ | اللسان (٥٩٥/١١) . |
| ٦ | اللسان (١٤٤/٩) . |

الفصل الخامس عشر بعد المئة

قياس الأبعاد والمساحات والكيل

وقد استعمل الجاهليون قياس الأبعاد والوزن والكيل في معاملاتهم . وهي متقاربة بين الشعوب السامية لاختلاط هذه الشعوب بعضها ببعض ، ولمستوى تلك الشعوب في الأيام الماضية ، ودرجتها في الثقافة بالنسبة إلى تلك العهود ، هذا ونجد الأوزان والمكاييل قد تطورت شيئاً فشيئاً ، تطورت بالتدريج من أحوال بدائية حسية يدركها الانسان البدائي ، إلى أن اتخذت أشكالاً تستند إلى أسس علمية . ويستعمل الوزن لقياس الكميات . أما المسافات والأبعاد ، فتقاس بالطبع بمقاييس تستند إلى أساس تقدير الأبعاد .

ويختلف أهل الجاهلية في الكيل والوزن ، اختلاف الناس في هذا اليوم . منهم من يوزن الشيء ، ومنهم من يكيّله كيلاً . كان أهل المدينة يكيلون التمر ، وهو يوزن في كثير من أهل الأمصار . وإن السمن عندهم وزن ، وهو كيل في كثير من الأمصار^١ . وقد يباع الشيء عدداً ، بينما يباع وزناً عند قوم آخرين . والذي يعرف به أصل الكيل والوزن ، أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والمدّ والصاع ، فهو كيل . وكل ما لزمه اسم الأرتال والأواقي والأمناء ، فهو وزن . ودرهم أهل مكة ستة دوانيق ، ودرهم الإسلام المعدلة كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل^٢ .

١ تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) .

٢ تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) ، اللسان (١٤/١٢٥ وما بعدها) .

وقد كان الجاهليون يستعملون المكاييل في الغالب لقياس الجوامد والمائعات على حدّ سواء . وذلك كما يتبين من دراسة أسماء المعايير بالقياس الى المعايير المستعملة عند الرومان واليونان . وكما يتبين من مراجعة معجمات اللغة ، حيث تذكر المقياس في قياس الجوامد أحياناً وفي قياس المائعات أحياناً أخرى . وكما يتبين من عدم تفريق بعض اللغويين بين الوزن والكيل .

وقد جاءت في كتب الحديث والفقه وكتب اللغة أسماء بعض العيارات والموازين التي كان يستعملها العرب قبل الاسلام . ويظهر من هذه الكتب أن هذه العيارات والموازين كانت تختلف باختلاف المواضع ، وإن اتفقت في الأسماء . فبين مكة والمدينة مثلاً اختلاف في تقدير العيارات . كذلك اختلف العرب في وزن الأشياء في بعض الأحيان ، فقد ذكر أن أهل المدينة كانوا يكيلون التمر ، وهو يوزن في كثير من الأمصار . ثم إن بعض المواد تكال وتوزن ، فالسمن يكال في بعض الأماكن ، ويوزن في أماكن أخرى ، ويكال ويوزن في آن واحد في أماكن غيرها^١ . وقد ورد في الحديث : « الوزن وزن أهل مكة ، والمكيال مكيال أهل المدينة »^٢ .

والكيل والوزن سواء في معرفة المقادير . وتعني لفظة (كال) معنى وزن . وقد ورد عن النبي أنه قال : المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة^٣ . وورد : الكيل كيل الطعام ، يقال : كلتُ الطعام إذا توليت ذلك له . وورد في القرآن الكريم : « ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »^٤ . وذلك إن كان مخصوصاً بالكيل ، فحث على تحري العدل . وقد وردت لفظة : (الكيل) و (كيل) و (المكيال) و (كلم) و (اكتالوا) و (نكتل) في مواضع من القرآن الكريم^٥ .

ويعبر عن الوزن وعن قياس الأبعاد بلفظة : (كل) (كال) أي (كال)

-
- ١ تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) .
 - ٢ جامع الاصول (٣٧١/١) .
 - ٣ جامع الاصول (٣٧١/١) ، اللسان (٦٠٥/١١) .
 - ٤ سورة المطففون ، الآية ١ وما بعدها ، المفردات (٤٦٠) .
 - ٥ الانعام ، الآية ١٥٢ ، الاعراف الآية ٨٥ ، يوسف الآية ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٨ ، الاسراء ، الآية ٣٥ ، الشعراء الآية ١٨١ ، هود ، الآية ٨٤ وما بعدها .

في المسند . والوحدة (كلت) أي (كيلة)^١ . أما في عربيتنا ، فقد استعملت في الوزن والكيل^٢ . وجاء الكيل : كيل الطعام^٣ . وورد كال البشر ، أي قدر ما فيها من ماء^٤ . والإسم (الكيلة) ، والكيل ، والمكيل ، والمكيل ، والمكيلة ، ما كيل به حديداً كان أو خشباً . وكال الدراهم والدنانير وزنها .

وفي معنى (كلت) ترد لفظة (سفرت) (سفرة) . وتستعمل خاصة في قياسات الأبعاد ، مثل البعد بين مكانين ، أي المسافات والأطوال فهي بمعنى مرحلة أي وحدة قياسية للبعد . ومعدل ما يسافره الانسان أو تقطعه القافلة في اليوم ، أي السفرة التي تتمكن منها القافلة في اليوم ، فسفرت ، هي سفرة في لغتنا ، أي مرحلة .

وتعد قياسات الأبعاد والموازين والمكاييل البابلية من أهم وأدق المكاييل والأوزان عند الشعوب الشرقية . فقد استند البابليون في قياساتهم هذه الى أسس علمية . وهم في ذلك أدق من قدماء المصريين ، ومن اليهود^٥ .

والعادة قياس الأبعاد الصغيرة والمسافات القصيرة ، بمقاييس تتناسب مع هذه الأبعاد . وذلك باستعمال مقاييس صغيرة مثل الأصبع والشبر والذراع ، صارت أساساً للمقاييس التي تقاس بها المسافات البعيدة ، مثل المسافات بين مراحل السفر أو الأبعاد بين المدن والقرى وما شاكل ذلك . إذ لا بد من اتخاذ وحدة قياسية كبيرة في قياس الأبعاد الطويلة ، لسهولة الضبط والحفظ ، ولهذا اصطلحت الأمم على اتخاذ وحدات كبيرة في قياسات المراحل والأبعاد ، سميتها .

وقاس الجاهليون مساحات الأرضين الزراعية بمقدار البذور المنتورة بمقدار ما يحرقه ثور واحد أو حيوان في نهار . ويراد بذلك متوسط عمل محراث واحد في الأرض . فتقدر مساحة أرض بمقدار كميات البذور التي تنثر في الأرض ، وتذكر عندئذ مقدار كيلات البذور المنتورة ، ويدل عددها على مساحة الأرض .

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 79.

٢ اللسان (٦٠٤/١١) وما بعدها « دار صادر » .

٣ المفردات (ص ٤٦٠) .

٤ اللسان (٦٠٤/١١) « دار صادر » .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 79.

٦ Hastings, p. 907.

ولو تعمقنا في دراسة قياس المسافات ، فإننا نجد أن الانسان قد استعان بأجزاء جسمه في بادئ الأمر في القياسات ، فاستعان بالإصبع ، واعتبره وحدة قياسية صغيرة لقياس البعد، استعمل عرضه كما استعمل طوله . واستعمل (الكف) قياساً للأبعاد كذلك . وهو أربع أصابع عند العبرانيين^١ . واستعمل (الشبر) للأبعاد التي تزيد على الكف . والشبر هو مسافة ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ، ويساوي ثلاث كفوف . ويعدل من ثمانية قراريط الى أحد عشر قيراطاً . واستعملت (الذراع) وجعلوها تعادل شبرين . وتقدر بنحو قدم الى قدمين . ثم (الخطوة) وتعادل ذراعين أو ثلاث أقدام أو اثني عشر كفاً . ثم (القامة) ، وتعادل خطوتين أو أربع أذرع أو ستة أقدام . ثم (القصبية) . وتعادل قامة ونصف قامة ، أو ستة أذرع . وتعادل تسع أقدام أو ستاً وثلاثين كفاً^٢ .

والكف - عند العرب - اليد ، أو منها إلى الكوع^٣ . والشبر ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، ويكال به . ومنه (الشبر) ، كيل الثوب بالشبر ، يشبره شبراً^٤ . والذراع من طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى ، وقيل الذراع والساعد واحد . يقال ذرع الثوب وغيره ، قاسه بالذراع . وهو ما يذرع به من حديد أو قضيب^٥ . و (الباع) ، قدر مد اليدين وما بينهما من البدن ، ويستعمل في قياس الأعماق ، مثل الآبار ، وأعماق الماء^٦ .

والخطوة ما بين القومين^٧ . والقامة عند العرب ، مقدار هيئة رجل ، والبكرة بأداتها ، وقيل : البكرة التي يستقى بها الماء من البئر^٨ . والقامة مقياس أيضاً تقاس به الأعماق^٩ .

- ١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣١) .
- ٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣١) ، Hastings, p. 967.
- ٣ تاج العروس (٦/٢٣٤) ، (كف) .
- ٤ تاج العروس (٣/٢٢٨) ، (شبر) .
- ٥ تاج العروس (٥/٣٣٣) وما بعدها ، (ذرع) .
- ٦ تاج العروس (٥/٢٨٣) ، (بوع) .
- ٧ تاج العروس (١٠/١١٥) ، (خطا) .
- ٨ تاج العروس (٩/٣٦) ، (قوم) .
- ٩ قول أبو ذؤيب :

فلو كان جبلاً من ثمانين قامة وخمسين بوعاً نالها بالانامل
« وفي الديوان : وتسعين باعاً ، وأما بوعاً فانه رواية الاخفش » ، تاج العروس
(٥/٢٨٣) ، (بوع) .

وذكر الذراع في القرآن الكريم في آية : « في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه »^١ . ويعبر به عن المذروع ، أي المسوح بالذراع^٢ . وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الذراع من طرف المرفق الى طرف الإصبع الوسطى^٣ . وذكر بعض العلماء أن الذراع والساعد واحد . وأما المذارعة فالبيع بالذراع^٤ . ويقال ذراع من الثوب والأرض^٥ . فتستعمل المذارعة إذن في الأموال المنقولة التي لها اتساع مثل الثياب والأقشة والخشب وما شابه ذلك ، كما يستعمل في ذرع الأرض . وقد اختلف الذراع الجاهلي عن الذراع في الاسلام^٦ .

والقصبة من أصل « Kas - Pu » في البابلية ، ومعناها (ساعتان) ، أي مسيرة تقطع في ساعتين . وورد « Kas - Pu Kakkari » في النصوص البابلية ، ويراد بالجملة : ما يقابل (قصبة أرض) أو (ميل أرض)^٧ . وقد كان أهل مصر في الاسلام يمسحون أرضهم بقصبة طولها خمسة أذرع بالتجاري ، فتي بلغت المساحة أربعائة قصبة ، فاسمها : الفدان^٨ .

و (الغلوة) ، وكانت مقياساً يونانياً ، وتعادل نحو (١٤٥) خطوة ، أو ثمان ميل . وتسمى (فرسخاً) أيضاً^٩ . وذكر علماء اللغة أن (الغلوة) قدر رمية بسهم ، وتستعمل في سباق الخيل^{١٠} . وقيل هي قدر ثلاثمائة ذراع الى أربعائة ذراع . وذكر بعض علماء اللغة ، أن الفرسخ التام خمس وعشرون غلوة^{١١} .

وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفرسخ ساعة من النهار . وقال بعض آخر انه المسافة المعلومة ، وهو ثلاثة أميال هاشمية أو ستة أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع . واللفظة من الكلمات المعربة ، وهي « Frasong » (فرسنك)

-
- ١ الحاقة ، الآية ٢٣ ، تفسير الطبري (٢٩/٤٠ وما بعدها) ، « بولاق » .
 - ٢ المفردات (١٧٦) .
 - ٣ تاج العروس (٥/٣٣٣ وما بعدها) .
 - ٤ Ency., I, p. 959.
 - ٥ المفردات (١٧٦) .
 - ٦ تاج العروس (٨/١٢٣) ، (ميل) .
 - ٧ Schrader, S. 339.
 - ٨ تاج العروس (٥/٢٠٣) ، (قرط) .
 - ٩ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٢) .
 - ١٠ اللسان (١٥/١٣٢) « صادر » .
 - ١١ تاج العروس (١٠/٢٦٩) ، (غلا) .

في الفهلوية . وقد أشير الى هذا المقياس الفارسي في بعض مؤلفات الكتبة اليونان مثل (هيرودوتس) و (كسينوفون) « Xenophon » . وهو « Farsong » في الفارسية الحديثة . Prasakhä في لغة بني لرم^١ .

وأما (الميل) ، فمقياس روماني . وقد اختلف في طوله ، فقبيل إنه ثلث الفرسخ ، وقيل إنه ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ، وقيل أربعة آلاف خطوة ، كل خطوة ثلاثة أقدام . وقيل إنه سدس الفرسخ . وهو من الألفاظ المعربة ، من أصل « Miloin »^٢ . وذكر علماء اللغة أن الميل هو المنار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض ، وأنه أيضاً الأعلام المبنية على الطرق لهداية الناس^٣ .

وقد استخدم الجاهليون مصطلحات خاصة في تقدير المسافات والأبعاد ، ولا سيما في الأسفار . فاستعملوا مصطلح (مسيرة ساعة) ومسيرة ليلة ومسيرة نهار ومسيرة قافلة وأمثال ذلك . وقصدوا بذلك معدل ما يقطعه الانسان والقافلة في المسدد المذكورة . واستعملوا (البريد) في تقدير الأبعاد والمسافات ، و (البريد) ، فرسخان ، كل فرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع ، أو أربعة فراسخ ، وهو اثنا عشر ميلاً^٤ . وفي الحديث : لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد ، وهي ستة عشر فرسخاً ، وفي كتب الفقه : السفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد ، وهي ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية في طريق مكة^٥ .

وقاس الجاهليون المساحات ، مثل مساحات البيت أو الملك كالأرضين بالذراع ، إن كانت غير كبيرة . أما اذا كانت كبيرة ، فقد قيست بمقدار متوسط ما يحتره (الفدان) في اليوم . وذكر علماء اللغة أن (الفدان) الثوران اللذان يقرنان فيحتر عليهما ، وأن الفدان المزرعة^٥ ، والآلة ، ومقدار محدود من الأرض اصطلاح الناس على تحديد مقدارها^٦ .

١ تاج العروس (٢/٢٧٢ وما بعدها) ، البلدان (١/٣٥) ، « الباب الثالث » ، Ency., II, p. 70, Horn, Grundriss der Iranische Philologie, I, 127.

٢ تاج العروس (٨/١٢٣) ، البلدان (١/٣٦) ، Hastings, p. 968.

٣ تاج العروس (٨/١٢٣) ، (ميل) .

٤ تاج العروس (٢/٢٩٨) ، (برد) .

٥ اللسان (١٣/٣٢١) ، « صادر » ، (فدن) .

٦ تاج العروس (٩/٢٩٩) ، (فدن) .

وتقاس الأرض بالجريب أيضاً . قال علماء اللغة : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقدرة ، كل قفيز منها عشرة أعشراء ، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب . وقيل : الجريب المزرعة ، وقدر ما يزرع فيه من الأرض . وقد استعمل للطعام ولتقدير غلة الأرض ، أي وحدة قياس للأرضين ، ومكيلة في آن واحد^١ . وقال بعض العلماء انه يختلف باختلاف البلدان^٢ .

ومن وحدات القياس في اليمن : (امت) (امت) . وقد ذكرت هذه الوحدة في نصوص المسند . وتقاس بها الأبعاد طولاً وعرضاً^٣ . وذكر علماء اللغة أن (الامت) الحزر والتقدير ، يقال كم امت ما بينك وبين الكوفة ، أي قدر ، وامت القوم امتاً ، إذا حرزتهم^٤ . فللمعنى اذن صلة بالمعنى المفهوم من اللفظة في لغة المسند .

والشوحط من وحدات قياس الأبعاد كذلك . فورد : (سدثي شوحطم) ، أي ستون شوحطاً . وقد ذكر هذا المقياس في كتابات المعينين^٥ . ولعله قصبنة أو خشبة ، حدد طولها ، واعتبرت كالمتر و (الاردة) وحدة أساسية لقياس الأبعاد . و (الشوحط) ، في كتب اللغة ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي ، أو ضرب من النبع تتخذ منه القياس^٦ . فلا يستبعد وجود صلة بين الشوحط الياني، وهذا الشوحط ، وهو اتخذ قصب الشوحط ، مقياساً معيناً محددًا ، لقياس الأبعاد .

وترد في بعض كتابات المسند لفظة (ممد) مع العدد، كأنها استعملت للتعبير عن قياس . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها لا تعبر عن وحدة قياسية قائمة بذاتها ، كما تعبر لفظة قدم أو ذراع ، بل هي تعبر عن معنى عام ، هو مسافة

١ اللسان (٢٦٠/١) ، « صادر » ، (جرب) .

٢ تاج العروس (١٢٩/١) ، المخصص (٢٦٤/١٢) وما بعدها ، برصوم (ص ١٣٦) .

٣ راجع الفقرة الرابعة من النص : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٤ تاج العروس (٥٢٢/١) ، (امت) .

٥ راجع النص الموسوم بـ : Halevy 352

٦ تاج العروس (١٦٥/٥) ، (شحط) .

أو كيل أو وزن . ويفهم ذلك المعنى من مكانة الكلمة وموضعها في الجملة ^١ .
وأما وزن الأشياء ، أي تقدير مقدار ثقلها ، فيختلف في الغالب باختلاف طبيعة الشيء المراد معرفة وزنه وتقدير ثقله . فإذا كان الشيء جافاً قدّر بمعايير خاصة ، وإذا كان سائلاً قدّر بمعايير أخرى . غير أن هذا التفريق ليس يعدّ قاعدة عامة ، وإنما يختلف باختلاف الأماكن والأعراف والعادات . فقد يزن بعض الناس المائعات بمعايير توزن بها الأشياء الجافة عند أناس آخرين ، فالسمن مثلاً يوزن ويكال ، والتمر يوزن ويكال ، وهناك أمثلة عديدة أخرى من هذا القبيل ^٢ .

وأما الأوزان ، أي معرفة الخفة أو الثقل للأشياء التي يراد وزنها لمعرفة مقدارها ، فقد كانت توزن بوضعها في إحدى كفتي ميزان ووضع الأوزان في الكفة الثانية . وقد كانت للأوزان البابلية شهرة ، وعليها كان اعتماد العبرانيين . والميزان الآلة التي يوزن بها . وقد ذكر علماء اللغة أسماء أجزاء الميزان . والميزان الذي كان يستعمله الجاهليون لا يختلف عن الميزان المستعمل عند الشعوب الأخرى . ويقوم الوزن على أساس المعادلة بين الكفتين ^٣ .

ويظهر أن الجاهليين كانوا قد أخذوا الأوزان من العراق ومن بلاد الشام ، واستعملوها كلها وبأسمائها الأصلية ، وذلك بدليل ما نجده في أسماء هذه الأوزان التي استعملوها من مسميات بابلية أو لامية وفهلوية وبونانية ورومانية . لقد أخذوها بتعاملهم مع أهل العراق ومع أهل بلاد الشام ، وأدخلوا مسمياتها إلى لغتهم بعد ادخالهم بعض التحوير والتغيير عليها لتناسب مع النطق العربي . وقد كان لا بد لهم من استخدام تلك الموازين كلها أو أكثرها على حدّ سواء ، لأنهم تعاملوا وتاجروا مع العراق وبلاد الشام منذ القدم . فكان لا بد لهم من التعامل مع كل بلد بموازينه وبمقاييسه، ومن استعمال هذه الأوزان في بلادهم أيضاً بحكم ذلك التعامل والإتجار ، كما نستعمل اليوم الأوزان والمقاييس الأجنبية في التعامل عندنا بدلاً من الموازين والمقاييس القديمة .

١ Rhodokanakis, Kata. Textile, II, S. 34.

٢ اللسان (١٢٥/١٤) .

٣ المخصص (٢٦٣/١٢) .

ومن الأوزان التي يعود أصلها الى الروم : (الرطل) ، وهو « Litra » عند اليونان . والأوقية ، وتقابل « Ounguiya » « Oncia » عند البيزنطيين^١ . و (الدرهم) ، وهو وحدة وزن ، وقطعة نقد ، من « Dhrakhmi »^٢ . (وقيراط) وهو من « Keration »^٣ .

ومن وحدات القياس التي يعود أصلها الى الفارسية : (الدانق) ، فإنه من (دانك) ، وهو سدس الدرهم^٤ . وأما (المثقال) فن أصل آرامي ، من « Matqolo »^٥ .

والقسطاس : الميزان ، ويعبر به عن العدالة ، كما يعبر عنها بالميزان^٦ . ويذكر العلماء ان القسطاس أقوم الموازين^٧ . و (القسط) مكبال يسع نصف صاع . و (الفرق) ستة أقساط . وذكر بعضهم ان (القسط) أربعائة وواحد وثمانون درهماً . والقسط الحصة من الشيء ، والمقدار^٨ .

ويقاس الذهب بالوزن ، وكذلك الفضة ، فكان التجار يحملون معهم الموازين ليزنوا بها هذين المعدنين . وقد كان (الشاقل) هو وحدة القياس للوزن عند الجاهليين . ويقال في العربية : « شقل الدينار وشوقل الدينار » بمعنى وزنه وعاييره وصححه . وجاء أن الشقل : الوزن . يقال : اشقل لي هذا الدينار ، أي زنه^٩ . واللفظة من الألفاظ البابلية التي دخلت الى لغة بني لرم والى العبرانية والعربية^{١٠} .

و (الحبة) من العيارات المستعملة عند الجاهليين والتي بقيت مستعملة في الإسلام كذلك ، ولا تزال تستعمل . أما وزنها فاختلف فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة

-
- ١ غرائب اللغة (٢٥٤) .
 - ٢ غرائب اللغة (٢٥٨) .
 - ٣ غرائب اللغة (٢٦٧) .
 - ٤ غرائب اللغة (٢٢٧) .
 - ٥ غرائب اللغة (١٧٦) .
 - ٦ المفردات (٤١٣) .
 - ٧ المخصص (٢٦٣/١٢) وما بعدها .
 - ٨ تاج العروس (٢٠٥/٥) ، (قسط) .
 - ٩ اللسان (٣٥٦/١١) ، القاموس (٤٠١/٣) .
 - ١٠ غرائب اللغة (ص ١٩١) ، برصوم ، الالفاظ السريانية (ص ٩٧) . Schrader, S. 340.

وقد قدرها بعضهم بعُشر الدانق^١ . وقدرها بعض آخر بسدس ثمن درهم ، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم^٢ .

والقيراط ، هو نصف دانق . وذكر بعض العلماء أنه جزء من أجزاء الدينار ، وهو نصف عشره في بعض البلاد في الإسلام ، وجزء من أربعة وعشرين في بلاد الشام^٣ . وهو عند الروم جزء من أربعة وعشرين من أجزاء شيء . وهو من أصل رومي هو « Keration »^٤ . ويظهر أو وزنه لم يكن ثابتاً ، بل اختلف باختلاف البلدان^٥ .

و (المئقال) من الأوزان القديمة عند العرب ، وقد وردت لفظة (مئقال) في القرآن الكريم بمعنى مقدار ووزن^٦ . ويظن بعض المستشرقين ان (المئقال) من أقدم المعايير عند العرب ، ويستعمله العطارون والصيارفة وباعة اللؤلؤ والحجارة الثمينة . وهو عبارة عن اثنتين وسبعين شعيرة . وفي بعض الموارد : المئقال عشرون قيراطاً . وهو يقابل الـ « Solidus » عند الروم على وفق النظام الذي أقره القيصر (قسطنطين) « Costantine » . وهو نظام اتبع في بلاد الشام، وأقره العرب واستعملوه^٧. واللفظة من الألفاظ المعربة عن الإرمية من أصل (مئقولو) « Matqolo » على بعض الآراء^٨ .

والأوقية من الأوزان التي كانت مستعملة في الجاهلية . وقد اختلف العلماء في ضبط وزنها وتعيين مقداره . فقال بعضهم : هي سبعة مثاقيل ، وإنها أربعون درهماً . وقال بعض آخر : هي أربعون درهماً . وقد ورد في الحديث : ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة^٩ . وفي حديث النبي : انه لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش . قال مجاهد: الأوقية أربعون درهماً ،

١ تاج العروس (٢٠٥/٥) ، Ency., II, p. 185.

٢ القاموس (٣٣٠/٣) ، تاج العروس (١٨٠/٥) ، (دق) .

٣ اللسان (٣٧٥/٧) ، (قرط) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٦٧) .

٥ تاج العروس (٢٠٣/٥) ، (قرط) .

٦ تاج العروس (٢٤٥/٧) ، (ثقل) .

٧ Ency., III, p. 558.

٨ غرائب اللغة (١٧٦) .

٩ تاج العروس (٣٩٦/١٠) ، (وقى) .

والنش^١ عشرون^٢ . وهي تقابل « Uncia » عند الروم .
و (البزمة) وزن ثلاثين درهماً^٣ .

وقد أشير في الحديث الى (نواة من ذهب) ، وقد جعل بعض العلماء النواة زنة ، وقال بعض آخر : النواة من العدد عشرون أو عشرة ، أو هي الأوقية من الذهب أو أربعة دنانير أو ما زنته خمسة دراهم أو ثلاثة دراهم ونصف أو ثلاثة دراهم وثلاث^٤ .

وقد كان الجاهليون يباعون الذهب والفضة بالأوزان التي ذكرتها مثل النواة والحبة والشعيرة والمثقال والأوقية . ولما جاء الرسول المدينة وجد أهلها يباعون اليهود الوقية من الذهب بالدنانير ، فقال لهم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا^٥ وزناً بوزن^٦ » .

وأما الرطل ، فإنه في مقابل « Litra » في اليونانية ، و « Libra » في اللاتينية . وهو قدر نصف (من) . وهو من الأوزان المعروفة عند الجاهليين . وذكر أن الرطل الجاهلي هو ضعف الرطل الإسلامي ، وقد اختلف وزنه عند المسلمين باختلاف الأماكن والمواضع والناس^٧ . وذكر بعضهم : الرطل اثنا عشر أوقية بأوقاي العرب ، والأوقية أربعون درهماً ، فذلك أربعائة وثمانون درهماً^٨ .

وأما (المن) ، « Mnh » « Mina » « Maneh » « Mna » « Mana » (منا) و (منو) « Mnu » في البابلية ، فإنه خمسة عشر شاقلاً ، وعشرون شاقلاً وخمسة وعشرون شاقلاً ، أي انه ورد في ثلاثة أوزان . فعرف كل وزن من هذه الأوزان الثلاثة باسم (من)^٩ . وهو معروف عند قدماء اليونان ، وعند السريان^{١٠} . وهو من الأوزان المعروفة عند العرب الجاهليين .

- ١ اللسان (٤٠٤/١٥) ، «صادر» ، (وقى) ، تاج العروس (٢٠٢/٨) ، (بزم) .
- ٢ تاج العروس (٢٠٢/٨) ، (بزم) .
- ٣ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، عمدة القارئ (١٦٤/١١) .
- ٤ صحيح مسلم (٤٦/٥) وما بعدها .
- ٥ Ency., III, p. 1129.
- ٦ تاج العروس (٣٤٦/٧) ، (رطل) .
- ٧ قاموس الكتاب المقدس (٤٢٥/٢) ،
- ٨ غرائب اللغة (٢٧٠) .

Hastings, p. 970, Shrader, Keil. und das alte Testament, S. 338.

وقد ذكر علماء اللغة انه كيل أو ميزان وهو رطلان^١ .

والقنطار وزن أربعين أوقية من ذهب ، وقيل ألف ومثنا دينار ، وقيل ألف ومثنا أوقية ، وقيل سبعون ألف دينار ، وقيل ثمانون ألف درهم ، وقيل مشة رطل من ذهب أو فضة . وزعم بعض علماء اللغة انه سرياني ، وزعم آخرون انه عربي^٢. ويظهر انه لاتيني الأصل وانه من أصل « Centenarium Pondus » أي وزن يساوي مئة ضعف وزن آخر^٣ . وقد اختلف العلماء في القنطار ، وقد ذكر العلماء آراءهم فيه. ويظهر انهم كانوا قد اختلفوا فيه في الجاهلية كذلك، وسبب ذلك على ما يظهر ، انهم استعملوه وزناً ، أي معياراً ، واستعملوه ثمناً ، أي بمقدار ما يعادله بالذهب والفضة ، وبالنقد ، ثم بالمقايضة ، مثل قولهم انه ملء ثور ذهباً أو فضة^٤ .

وقد ذكر في الآية : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤده لك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً »^٥ . وفي الآية : « وآتيتم إحداهن قنطاراً »^٦ . وورد : « والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة »^٧. وفي الإشارة الى القنطار في القرآن الكريم دلالة على استعماله في الحجاز وربما في أماكن أخرى من جزيرة العرب كذلك .

والقناطر جمع قنطار . ومعنى القناطر المقنطرة : المال الكثير من الذهب والفضة ، والمال الكثير بعضه على بعض . ويظهر من اختلاف المفسرين وسائر العلماء في مقدار القنطار أن العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول هو قدر ووزن ؛ لأن ذلك لو كان محدوداً قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف^٨ .

والمُدّة مكبال ، وهو رطلان أو رطل وثلاث أو ملء كفي الإنسان المعتدل ،

- ١ تاج العروس (٣٥٠/٩) ، « منن » ، برصوم (١٢١) .
- ٢ المخصص (٢٦٦/١٢) .
- ٣ غرائب اللغة (٢٧٩) ، Ency., II, p. 1022.
- ٤ تاج العروس (٥٠٩/٣) ، (قنطر) .
- ٥ آل عمران : الآية ٢٥ .
- ٦ النساء : الآية ١٩ .
- ٧ آل عمران : الآية ١٤ .
- ٨ تفسير الطبري (١٣٠/٣) ، « طبعة بولاق » .

إذا ملاهما ومدّ يده بهما ، وبه سُمّي مدّاً^١ . وقيل هو ربع الصاع ، لأن الصاع أربعة أمداد . وقد اختلف في مقدار المدّ في الإسلام ، وقد ورثوا ذلك من الجاهلية ، فقد اختلفوا في مقداره أيضاً باختلاف مواضعهم^٢ .

والصاع من المكايل التي كان يستعملها أهل الحجاز عند ظهور الإسلام . وقد عرف خاصة عند أهل المدينة . ويأخذ أربعة أمداد . وهو يأخذ من الحبّ قدر ثلثي الصاع في بعض الأماكن . وكان لأهل المدينة صيعان مختلفة . وورد صاع المدينة أصغر الصيعان . كما ورد في كتب الحديث والفقه ، صاع النبي وصاع عمر^٣ وقد كالوا به التمر والحبوب^٤ . وقد اختلف العلماء في مقداره في الإسلام . ومردّد ذلك الى الجاهلية الذين كانوا يختلفون في تقدير الصاع وذكر المفسرون أن (صواع الملك) ، أو (صاع الملك) حسب قراءة (أبي هريرة) كناية عن الصاع الذي يكال به الطعام . وذكر أنه الإناء الذي يكال به الطعام ، وإناء يشرب فيه ، وكان يشرب الملك ، وهو من فضة . وكان للعباس في الجاهلية واحد ، وهو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم^٥ .

والقفيز من المكايل القديمة المستعملة لتقدير كميات الأشياء الجامدة ، ويتسع لنحو عشرة (غالونات) ، وأصله من المكايل البابلية . وقد ذكره المؤرخ (اكسينيفون)^٦ ، وهو عند العرب أصغر من القاب « Cub »^٧ .

والوسق من المكايل التي كان يستعملها العرب قبل الإسلام كذلك . قيل : هو ستون صاعاً . وقيل : هو حمل بعير . وقيل : الوسق مئة وستون منّاً . وقال الزجاج : خمسة أوسق هي خمسة عشر قفيزاً . وكل وسق بالملجم هو ثلاثة أقفزة . وقيل إن الوسق ستون صاعاً . وهو ثلاث مئة رطل وعشرون رطلاً عند

١ القاموس (١/٣٣٧) ، تاج العروس (٢/٤٩٨) ، (مدد) .

٢ تاج العروس (٢/٤٩٨) ، (مدد) .

٣ عمدة القارئ (١١/٢٤٧ وما بعدها) ، جامع الاصول (١/٣٧٤) ، المخصص (١٢/٢٦٤) ، اللسان (١٠/٨٢) ، تاج العروس (٥/٤٢٣) ، (صاع) .

٤ صحيح مسلم (٥/٦ وما بعدها) .

٥ تفسير الطبري (١٣/١٣) ، تفسير القرطبي (٩/٢٣٠) .

٦ Anabasis, I, 5.

٧ J. Abermyer, Die Landschaft Babylonien, S. 221. ff., 241.

أهل الحجاز . وأربع مئة رطل وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد . والأصل في الوسق الحمل . وقيل : الوسق العِدْل ، وقيل : العدلان ، وقيل هو الحمل عامة ^١ .

واستعملوا الحمل كيلاً ، وقد رأينا ان بعضهم عرف الوسق بأنه عدل ، أو عدلان ، وهو مقدار ما يحمله الحيوان . وبهذا المعنى وردت لفظة (الوقر) وتطلق على حمل البغل أو الحمار أو البعير ^٢ ، فهو شيء تقديري غير مضبوط تماماً . وقد ورد في القرآن للكريم : « كيل بعير » ^٣ ، وذلك تعبيراً عن حمل بعير ، وهو مقدار ما يحمل . كما ورد فيه « حمل بعير » في المعنى نفسه ^٤ .

ولا يزال العرف جارياً بين أهل القرى والبادية في البيع (حمولاً) ، جمع (حمل) ، وهو حمل (بعير) أو حمار أو غير ذلك من الدواب التي تنقل الشيء الذي يراد بيعه مثل الملح أو (العوسج) أو (العاقول) أو (حطب البادية) أو الزرع الى الأسواق ، فنباع حملاً لا وزناً ، ويشتره المشترون على هذه الصفة .

وذكر علماء اللغة ، أن الكر ، مكيال لأهل العراق ، وقد أشير اليه في كتب الحديث . وذكر أنه ستة أوقار حمار ، وهو عند أهل العراق ستين قفيزاً . والقفيز ثمانية مكاييك . والمكوك صاع ونصف . وهو ثلاث كيلجات . وذكر (الأزهري) أنه اثنا عشر وسقاً ، كل وسق ستون صاعاً أو أربعون أردباً بحساب أهل مصر ^٥ . وهو (كور) في لغة بني (ارم) ، ويعادل عند أهل بابل وقر ستة حمير ^٦ .

وذكر علماء اللغة ، أن (المكوك) طاس يشرب به أعلاه ضيق ووسطة واسع ، والصاع كهية المكوك . وكان للعباس مثله في الجاهلية يشرب به . وقد ورد في الحديث أن الرسول كان يتوضأ بمكوك . وبيع صاعاً ونصفاً ، أو نصف رطل

-
- ١ اللسان (٢٥٨/١٢) ، المخصص (٢٦٥/١٢) وما بعدها ، المفردات (٥٤٥) ، تاج العروس (٨٩/٧) ، (وسق) .
 - ٢ اللسان (٢٥٨/١٢) ، المخصص (٢٦٠/١٢) .
 - ٣ سورة يوسف ، الآية ٦٥ .
 - ٤ يوسف ، الآية ٧٢ .
 - ٥ شرح القاموس (٥١٩/٣) ، اللسان (١٣٧/٥) .
 - ٦ J. Obermeyer, S. 241.

الى ثمانى أواق، أو يسع نصف الوبة ، والوبية اثنان وعشرون ، أو أربع وعشرون مداً بمد النبي ، أو هو ثلاث كيلجات ، وهو صاع ونصف . والكيلجة تسع مناً وسبعة أثمان مناً . والمنا رطلان ، والرطل اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية أسترار وثلاثاً ، والأسترار أربعة مثاقيل ونصف ، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم ، والدرهم ستة دوانق ، والدانق قيراطان ، والقيراط طسوجان ، والطسوج حبتان، والحبّة سدس ثمن درهم ، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم . وذكر أن الكر : ستون قفيزاً ، والقفيز ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف، وهو ثلاث كيلجات^١ .

والكيلبة مقياس استعمله العبرانيون والجاهليون ، وهي « Seah » ، و « Saton » في اليونانية « Modius » ، وهي تختلف باختلاف اصطلاح الأمم . فالكيلبة العبرانية كبيرة بالمقياس الى الكيلة الرومانية ، وهي تعادل كيلة وربع كيلة رومانية . وتبلغ ثلث (الأيفة)^٢ . وتعادل اثنين وعشرين « Sextari »^٣ . وتستعمل في وزن المواد الجامدة مثل الحبوب .

وأما (الأيفة) « Ephah » ، فكلمة مأخوذة من اللغة المصرية ، ترد كثيراً في العهد القديم . وهي تعادل ثلاث كيلبات « Seah » . وتستعمل لقياس المواد الجافة فقط ، وتقابل « Atrabe » ، و « Metretis » عند اليونان ، وهي مجزأة الى عشرة أجزاء ، يقال للجزء الواحد (العمر) (عومير) (اومير) « Omer » ، أو الكومة . ويقال له (عشر) « Issaron » أيضاً^٤ . وتنقسم الى ستة أقسام كذلك يطلق على كل قسم اسم (سدس)^٥ .

ولعل لأومير (عومير) « Omer » ، صلة بـ (العمر) عند الجاهليين . وهو عندهم قدح صغير يتصافن به القوم في السفر ، اذا لم يكن معهم من الماء

١ تاج العروس (١٨٠/٧) ، (مك) .

٢ التكوين الاصحاح ١٨ ، الآية ٦ ، والاصحاح الثالث عشر ، الآية ٢١ ، قاموس الكتاب

المقدس (٢٨١/٢) ، تاج العروس (١٠٧/٨) ، (كيل) .

٣ Hastings, p. 969.

٤ الخروج ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣٦ ، الخروج ، الاصحاح التاسع

والعشرون ، الآية ٤٠ ، الكتاب المقدس (٢٨١/٢) ، Hastings, p. 969.

٥ Hastings, p. 969.

إلا يسيراً على حصاة يلقونها في إناء ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة فيعطاهما كل رجل منهم . وقيل هو (القعب) الصغير يحمله الراكب معه ، يعلقه على رحله . وقيل : الغمر : أصغر الأقداح . قال أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب الباهلي :

تكفيه حزة فلذان ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر

والغمر يأخذ كيلجتين أو ثلاثاً ، والقعب أعظم منه ، وهو يروي الرجل^١ .
و (الكيلجة)^٢ ، مكيال^٣ .

و (الكر) من المكايل المستعملة عند العبرانيين . وذكر علماء اللغة أن الكر^٤ مكيال لأهل العراق . وقد أشير إليه في كتب الحديث والفقهاء . ويظهر أنه مكيال للمائعات . ورد : إذا كان الماء قدر كرت لم يحمل القدر . ومكيال للجوامد أيضاً . وهو ستة أوقار حمار ، وهو عند أهل العراق ستون قفيزاً . والقفيز ثمانية (مكاكيل) . والمكوك صاع ونصف ، وهو ثلاث كيلجات . وذكر الأزهرى أنه اثنا عشر وسقاً ، كل وسق ستون صاعاً أو أربعون اردباً بحساب أهل مصر^٥ .

واستعمل الجاهليون (الزق) ، وحدة عامة لوزن المائعات . فورد : (زق خمر) مثلاً^٦ . ويستعمل خاصة في الخمور^٧ .

وقد عثر على عدد من قطع الأوزان المصنوعة من الحديد وبعضها من برونز ، وقد استعملت في وزن الأشياء . وقد تأثر بعضها بالعوارض ولعبت الأيدي ببعض آخر . ونأسف على عدم وقوفنا وقوفاً تاماً على أسماء الأوزان ومقدار ثقلها ، لعدم وصول عدد كاف منها إلينا عليه كتابة تشير إلى اسمه ومقدار وزنه ، ولعل الأيام تجود علينا منها بما يحقق لنا هذه المعرفة .

أما (الصبرة) : فما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض .

-
- ١ تاج العروس (٢/٤٥٤) ، (غمر) .
 - ٢ بكسر الكاف وفتح اللام .
 - ٣ تاج العروس (٢/٩١) ، (كلج) .
 - ٤ تاج العروس (٣/٥١٩) ، (كر) .
 - ٥ تاج العروس (٦/٢٧١) .

فهو : الطعام المجتمع كالكومة^١ . ومن ذلك بيع (الصبرة) من التمر . وقد
نسب الاسلام عن هذا النوع من البيع^٢ .

والفالج والفالج مكيال ضخمة ، وقيل هو القفيز . وقد ذكر بعض الباحثين انه
سرياني الأصل ، وأن أصله (فالغا) فعرب . قال الجعدي يصف الخمر :

ألقى فيها فلجان من مسك دا رين وفالج من فلفلٍ ضرم

ومن هنا يقال للظرف المعدّ لشرب القهوة وغيرها (فلجان) ، والعامّة تقول:
فنجان^٣ .

و (الطسق) مكيال أيضاً^٤ . وهو من أصل فارسي ، وذكر أنه مكيال
لكيل الزيوت وكل أنواع الدهن^٥ . وهو ضريبة الأرض كذلك ، أي في معنى
خراج في الإسلام . كتب عمر الى (عثمان بن حنيف) في رجلين من أهل
المدينة أسما : ارفع الجزية عن رؤوسهما وخذ الطسق من أرضيهما^٦ .

والفرق مكيال بالمدينة ، اختلف فيه . فقليل : يسع ستة عشر مدّاً ، وذلك
ثلاثة أصع ، أو يسع ستة عشر رطلاً ، وهي اثنا عشر مدّاً وثلاثة أصع عند
أهل الحجاز . أو هو أربعة أرباع ، وقيل الفرق خمسة أقساط ، والقسط نصف
صاع . وقيل غير ذلك^٧ . وذكر أن (الفرق) هو مكيال لأهل اليمن ، وقد
ذكر في عهد الرسول لقيس بن مالك بن سعد بن لؤي الأرحبي الحميري ، إذ
جاء فيه : « وأطعمه ثلاثمائة فرق من خيوان ، مائتا زبيب وذرة شطران ومن
عمران الجوف مائة فرق بُرٌّ »^٨ .

وقد ذكر بعض علماء اللغة اسم مكيال من مكايل أهل اليمن دعوه (الذهب) ،
ويجمع على أذهاب^٩ .

-
- ١ اللسان (٤/٤٤١) ، « صادر » .
 - ٢ صحيح مسلم (٥/٩ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٢/٨٧) ، (فالج) .
 - ٤ اللسان (١٠/٢٢٥) .
 - ٥ غرائب اللغة (٢٣٨) .
 - ٦ تاج العروس (٦/٤٢٣) ، (الطسق) .
 - ٧ تاج العروس (٧/٤٣) ، (فرق) .
 - ٨ ابن سعد ، الطبقات (١/٣٤١) ، (وفد همدان) .
 - ٩ المخصص (١٢/٢٦٤) .

ومن المكاييل المذكورة في التوراة والمعروفة عند الجاهليين كذلك ، والتي تكال بها الأشياء الجافة : (القبضه) ، أي كومة اليد . والكومة كيله عند الشعوب الأخرى وهي بمعنى (صبرة) . ولا يزال البدو يستعملونها ، ولكنها ليست من المكاييل الرسمية ، بل هي في الواقع كيله عرفية . وهي تختلف في المقدار والكمية بحسب اتساع قبضة اليد^١ . وقد كان الجاهليون يكوّمون ما يريدون بيعه بالتكوم كوماً ، ولا زال هذا البيع معروفاً . وقد كان أهل الجاهلية ، يبيعون قبضة من التمر ، أو قبضة من السويق ، أو الدقيق ، وذلك بحسب ما تقبضه اليد ، أي كفاً منها^٢ .

١ اللاويون : الاصحاح الثاني ، الآية الثانية « كومة من ذهب وكومة من فضة » ، تاج العروس (٥٢/٩) ، (كوم)^{*}
٢ تاج العروس (٧٤/٥) ، (قبض)^{*}

الفهرست

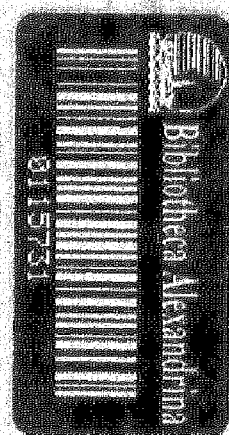
٥	٨٨ . أثر الطبيعة في اقتصاد الجاهليين
٢٤	٨٩ . الزرع والمزروعات
٤٥	٩٠ . الزرع
٥٧	٩١ . المحاصيل الزراعية
٦٦	٩٢ . الشجر
٩٧	٩٣ . المراعي
١١١	٩٤ . الثروة الحيوانية
١٣٠	٩٥ . الأرض
١٥٧	٩٦ . الإرواء
٢١٦	٩٧ . معاملات زراعية
٢٢٧	٩٨ . الحياة الاقتصادية
٢٤٣	٩٩ . ركوب البحر
٢٦١	١٠٠ . التجارة البحرية
٢٨٥	١٠١ . تجارة مكة
٣١٧	١٠٢ . القوافل
٣٣١	١٠٣ . طرق الجاهليين
٣٦٥	١٠٤ . الأسواق
٣٨٧	١٠٥ . البيع والشراء
٤٠٦	١٠٦ . الشركة
٤١٥	١٠٧ . المال

٤٣٨	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١٠٨. أصحاب المال .
٤٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١٠٩. الطبقة المملوكة
٤٧٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١٠. الإتاوة والمكس والأعشار
٤٨٧	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١١. النقود .
٥٠٥	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١٢. الصناعة والمعادن والتعدين
٥٣٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١٣. حاصلات طبيعية
٥٤٣	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١٤. الحرف .
٦٢٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١١٥. قياس الأبعاد والمساحات والوزن والكيل

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور جواد علي

الجزء الثامن



انفصیل
فی
تاریخ العرب قبل الاسلام

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام



General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)

*General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)*

تأليف

الدكتور هوبار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التسجيل	٩٥٣ ٥١
رقم التصنيف	٢ ٥٤
رقم التتبع	١٠ / ٢٢١١٢

الجزء الثاني

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل السادس عشر بعد المئة

الفن الجاهلي

العمارة :

لظهور الفن وازدهاره في مكان ما لا بد من توفر تربة خصبة فيه تنموه بالمواد الأولية اللازمة ، ولا بد من وجود جو يساعد على نمو بذوره وانماؤها وازدهارها .
وجزيرة العرب أرض كما نعلم غلب عليها الجفاف وتحكمت فيها أشعة الشمس المحرقة والسموم الحارة الجافة ، وهي ذات جو مشرق صاف صاح في الغالب ، ولكنه جاف يابس ، لا تبكيه السماء في الغالب إلا بمقدار ، فإذا سالت دموعه، انهمرت انهاراً ، وتحولت الى سيول جارفة عارمة سرعان ما تختفي وتزول ، بأن تغور في باطن الأرض ، وقد تنزل الأمطار نزولاً لا بأس به ، فتخضر الأرض وتنبت الأزهار والأعشاب ، وتضحك ويضحك الناس معها ، وتهيج قرائحهم لفرحهم وطربهم من حصولهم على هذه النعمة الكبرى ، التي لا تدوم طويلاً ، وهذا أمر يؤسف له ، أو قد لا تعود اليهم ثانية إلا بعد أجل ، لانحباس البخار مولد المطر ، فيلجأ المخلوق الى خالقه يتوسل اليه أن يغيثه بانزال الغيث عليه بكل الوسائل التي يتوصل اليها عقله لاقتناعه آلهته بانزال المطر ليغيث الانسان والحيوان والنبات .

ولظهور العمارة وفن النحت والزخرف ، لا بد من وجود أحجار صالحة للبناء أو للنحت والحفر ، حتى يكون في امكان المعمار أو النحات تحويلها الى أبنية أو

أصنام وتماثيل أو ما شاكل ذلك . وأرض سهلة لا حجر طبيعي فيها لا يمكن أن يظهر فيها بناء أو فن إلا اذا كانت قريبة من مواطن الحجر أو من مواطن الحضارة حيث تستوردها عندئذ من تلك الأماكن . لذا نجد الفن الجاهلي قد تركز وانحصر وبرز في العربية الغربية وفي العربية الجنوبية وفي المواضع القريبة من مواضع الحجر ومن أهل المدر في الغالب .

وفي اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبناء وللنحت ، كما توفرت فيها ، المواد المساعدة الأخرى التي تدخل في انشاء العمارات مثل الجبس . ولهذا قامت فيها بيوت مرتفعة ذات طوابق متعددة، ولا يزال أهل اليمن وبعض أهل المواضع الأخرى من العربية الجنوبية يبنون البيوت والقصور المرتفعة السامقة ، وما كان يوسعهم ذلك لولا وجود المواد الصالحة للبناء ، التي تستطيع البقاء ومقاومة الطبيعة أمداً^١ . وبفضل المواد المذكورة بقيت أبنية من أبنية الجاهليين اليانيين الى الإسلام بقيت محافظة على نفسها وعلى شكلها العام ، ولولا يد الإنسان التي لعبت بها وخربت أكثرها لبقيت أزمنة طويلة أخرى ولا شك . ولو كانت تلك الأبنية قد بنيت بالطابوق أو باللبن وبالمواد المستعملة في البناء في وسط وفي جنوب العراق ، لما تمكنت من البقاء طويلاً ، لأنها مواد لا تتحمل معاركة الطبيعة زماناً طويلاً ، لذلك تنهار بسرعة إذا لم ترعاها يد الإنسان دوماً بالاصلاح والتعمير^٢ .

وقد ساعدت وفرة الرخام والحجارة الصلدة في اليمن في التعويض عن استعمال الخشب القوي الصلد في البناء فاستعمل المعمارون الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة وفي « الطارمات » أمام الأبنية ، وفي واجهات المعابد بصورة خاصة ، استعملوها بدلاً من الخشب الذي لا يتحمل الثقل كما يتحملة الحجر ، والذي لا يعمر طويلاً كما يعمر الحجر . وبفضل هذه الحجارة استطاع المعمارون أن يستفيدوا من الماء بإقامة السدود القوية التي تتحمل ضغط السيول العالي عليها ، وهذه ميزة لا نجدتها بالطبع في العراق .

وقد ساعدت طبيعة اليمن عامل البناء في نحت الحجر وقطعه وصقله وتكييفه بالشكل الذي يريده . وتمكن بذلك من وضع أحجار مصقولة بعضها فوق بعض

١ A. Grohmann, S. 140.

٢ A. Grohmann, S. 140.

لتكوين أعمدة منها أو جدر معبد أو حيطان سدود أو قصور بحيث يوضع حجر فوق حجر ، فيجلس فوقه بصورة يصعب على الإنسان أن يتبين منها مواضع اتصال الحجر بعضه ببعض . ولولا وجود الحجر الجيد لديه لما تمكن من القيام بإنشاء الأبنية الضخمة المؤلفة من جملة طوابق والتي قاومت الدهر ، ولكان بناؤه من الطابوق ، أي من اللبن الذي حُجّر بالنار ، والطابوق لا يمكن أن يقوم مقام الحجر في البناء ، ولا أن يقاوم الطبيعة وأن يعمر طويلاً . ونظراً لصغر حجمه بالنسبة الى الحجر ، ولضرورة ربطه بعضه ببعض بمادة ماسكة مثل الجبس فإن البناء به لا يمكن أن يكون متيناً ، ولا يمكن أن يقاوم الرطوبة والعوامل الجوية الأخرى ، فيتآكل ويتداعى ، ولا سيما في المواضع السهلة ذات الرطوبة ، أو التي تتساقط عليها الأمطار بكثرة، فتكون سيولاً عارمة تكتسح ما تجده أمامها من أبنية مبنية بمادة غير متينة متانة الحجر .

وتفيدنا دراسة المباني البانية في الزمن الحاضر فائدة كبيرة في تكوين فكرة عن البناء عن أهل اليمن قبل الاسلام. ففي هذا البناء الذي نراه عناصر عديدة لا تزال حية باقية ، هي من بقايا البناء الباني الجاهلي . وما قاله « الهمداني » في صفة بعض المباني والقصور الجاهلية التي كانت قائمة في أيامه ثم زالت ، ينطبق على أوصاف القصور والمباني القائمة الآن ، كما أن في دراسة أسماء أجزاء البناء وما يستعمل فيه فائدة كبيرة في حل كثير من المعضلات الفنية المتعلقة بفن العمارة عند الجاهليين .

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، ويا للأسف ، بسبب اعتداء الانسان بجهله ، عليها . فقد حملة كسله وجهله على تدمير تلك الأبنية ، لاستعمال حجارتها في بناء بيوت جديدة ولأغراض أخرى . ونجد في الأبنية الحديثة ، وأكثرها أبنية رديئة قبيحة بالقياس الى القصور القديمة ، حجارة ضخمة ، بعضها مكتوب كتابة كاملة انتزعت من الأبنية الجاهلية ، وبعضها ناقص الكتابة لتلف الكتابة المكملة أو لنقلها إلى موضع آخر . ونجد حجارة مكتوبة وقد طليت بالجبس ، لاعطاء الجدار الذي دخلت فيه وجهاً أملس . ونجد في الكتب القديمة مثل كتب الهمداني إشارات الى مثل هذه الأعمال ، التي ما تزال جارية مستمرة بالرغم من قرار الحكومات المعنية بمنع هذه الأعمال . وقد حطمت تماثيل جميلة عثر عليها بين الرمال ولا تزال تحطم ، لأنها في نظر العائرين عليها أصنام لقوم كفرة ، وتماثيل قوم ممسوخين

غضب الله عليهم ، فلا يجوز الاحتفاظ بها ، فهشمت وعبث بها ، وبذلك خسر العرب كنوزاً فنية وذخائر لا تقدر بثمن، كان في وسعنا الاستفادة منها في تدوين تاريخ الجاهليين .

وقد حطمت ودمرت قصور عظيمة في اليمن، بقيت بعضها قائمة الى الاسلام، مثل قصر (غمدان) بصنعاء ، الذي يبالغ أهل الأخبار في وصف ارتفاعه وضخامته، وقد كان مؤلفاً من طبقات بعضها فوق بعض ، ثم هدم وقلّ في الاسلام ، أمر الخليفة (عثمان) بهدمه ، فزال معالمه ، ولو بقي إلى اليوم لكان من المفخرة ، ومثل المعابد الضخمة، وقصور الأسر الحاكمة ، مثل قصر (شمر) بلذي ريدان ، وأبنية أخرى قوضت لأسباب عديدة ، فضاء بذلك علينا تراث مهم . وفعل مثل ذلك في الأبنية الأخرى . ففي العراق مثلاً ، هدمت قصور الحيرة وبيوتها، لاتخاذ حجارها مادة لبناء الكوفة ، و « وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر ، ان المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم »^٢. وقد أضاعت علينا هذه الأعمال معالم قيمة من تراث الجاهليين .

وقد هدم قصر (يهر) (ذي يهر) ببيت حنبل ، وهو أثر جاهلي مهم ، بقي قائماً الى حوالى سنة (٢٩٥) للهجرة ، فأمر بإحراقه (ابن أبي الملاحف) القرمطي ، فأحرق ، وظلت أخشابه تحترق أربعة أشهر على ما يزعمه الرواة ، مبالغة منهم بالطبع^٣ .

ولأهل اليمن عادات جميلة أفادتنا فائدة طيبة ، وذلك بوضعهم على الجدر حجارة مكتوبة تحمل اسم الدار أحياناً واسم صاحبها واسم الإله الذي تترك صاحب المبنى بتقديمه اليه تيمناً به ، حتى الترميمات والاصلاحات التي يقوم بها أصحاب البناء تدون على هذه الحجارة ، ولا سيما الترميمات والاصلاحات التي تدخل على المعابد والمباني العامة ، تعين عليها بدقة تامة ، فيذكر الموضع الذي ابتدأ به والموضع الذي انتهى منه ، ويذكر مقدار ما صرف عليه في بعض الأحيان .

١ تاج العروس (٢/ ٤٤٦) ، (غمد) .

٢ البلاذري ، فتوح البلدان (٢٨٤) .

٣ الاكليل (١٢/ ١) (حاشية رقم ١) .

ومن هذه الكتابات أخذ معظم علمنا بتاريخ اليمن القديم .
ويظهر أن أهل الحجاز لم يكونوا على شاكلة أهل اليمن في بناء البيوت الضخمة من الحجارة والمواد البنائية الأخرى التي يعمّر بها البناء عمراً طويلاً ، بدليل ما نشاهده في اليمن وفي مواطن أخرى من الجزيرة العربية من بقايا معابد ومبانٍ ضخمة ، وعدم وجود شيء من ذلك في الحجاز ، وبدليل ما أورده أهل الأخبار من قصص عن مباني اليمن العادية ، وما شاهدوه من بقاياها في أيامهم هناك ، وهي تتحدث عن فن عمراني متقدم ، على حين خلت أخبارهم من هذا القصص عن الحجاز ، بل يظهر منها أن أكثر أبنية مكة ويثرب لم تكن إلا أبنية صغيرة ضيقة، أكثرها من اللبن أو الطين ، وقد عرشت بجريد النخل وبالعيدان وبالأخشاب المحتطبة من التلال والجبال . وقد عرفت بيوت أهل الحاجة في مكة بـ (عروش مكة) ^١ .

وقد امتازت (يثرب) عن مكة بوجود (الأطم) بها ، والأطم ، هي قصور تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش فيها ساداتها ، وتكون حصوناً لأهل المدينة يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، ويحمون أموالهم بها . وقد بنيت بالآجر واللبن أحياناً ، وبالطين أحياناً أخرى ، حيث يجعل الجدر عريضة ، لتقف صامدة أمام الدهر وأمام المهاجمين ، وتتخذ في أعلى الأطم مواضع يقف عليها المدافعون لرشق المحاصر بالسهم ، أو بالحجارة ، وبصب الماء الحار أو النار عليه ان قرب من جدار الأطم . وقد اتخذت الأطم في يثرب ، لعدم وجود سور حولها يحميها من الأعداء ، ولكونها مكشوفة ، لا تحميها حواجز طبيعية ، يتحصن بها أهل المدينة عند دنو الخطر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من وسيلة سوى بناء هذه الأطم للدفاع عن أنفسهم ، على نحو ما فعل أهل الحيرة في مدينتهم ، حيث بنوا القصور .

وتوجد في أعالي يثرب إلى فلسطين بقايا حصون وقصور ومواضع قديمة ، كانت آهلة عامرة ، أما الآن فلم تبق منها غير بقية من آثارها ، وهي لا تزال مادة (خاماً) لم تكتشف ، ولم تدخلها بعثات علمية منتظمة ، وتشاهد عندها بعض

١ المغرب (٣٧/٢) ، « عروش مكة ، بيوتها لانها كانت عيدانا تنصب ويظال عليها » ، شرح القاموس (٣٢٢/٤) .

أحجار مكتوبة ، بقلم مشتق من المسند ، وباللهجات عربية تختلف عن لهجة (ال) ، أي عن العربية التي نزل بها القرآن ، مما يدل على أنها كانت في الأصل لقبائل كانت لهجاتها لا هي عربية جنوبية ولا هي عربية من عربية أهل البوادي، ولكنها كانت متأثرة بالثقافة التي تدون بالقلم المسند ، ثم تأثرت ببلغة الأعراب الذين جاءوها من البوادي وذلك قبيل الاسلام ، فنزلت هذه المواضع ، وزاحت أهلها، ثم غلبتهم على أمرهم ، فاختلفت اللهجات العربية القديمة، وحلت محلها لهجة (ال). وسيجد المنقبون الذين سيتقبون في المستقبل في هذه المواضع آثاراً ستحدد لهم الاتجاهات الثقافية والحضارية التي دخلت جزيرة العرب ، واللغات التي كانت سائدة فيها .

وفي المسند مصطلحات كثيرة خاصة بالبناء وبالآلات والمواد التي تستعمل فيه، وفي أجزاء البناء . واللهجات العربية الجنوبية هي أغنى بمصطلحات البناء من العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وذلك لأن أهل العربية الجنوبية كانوا حضراً في الغالب وأهل مدر ، حتى أن أعرابهم كانوا يقيمون في أكواخ وعشش ثابتة مستقرة . لهذا كثرت في لغتهم ألفاظ الحضارة التي تقوم على الإقامة والاستقرار. وظهرت عندهم ألفاظ لمواد تستعمل في البناء مثل أنواع الصخور والحجارة ، وكيفية قطعها ، وأنواع الخشب المستعمل فيه ، وآلات القطع أو آلات المعمار وغير ذلك من مصطلحات لا نجد لها مقابلاً في هذه العربية التي نتكلم بها . وذلك لأن حضارة البناء التي ظهرت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية للأسباب المذكورة لم يظهر ما يماثلها في المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، حيث قام عمرانها على المدر بالنسبة للحضر . أي على الأبنية المتخذة من المدر أو من اللبن أو من الآجر. ومثل هذه الأبنية ، لا تحتاج الى مصطلحات والى آلات كثيرة ، ولما كانت الحاجة هي أم الاختراع في اللغات ، لذلك قلّت مصطلحات العمران في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، بينما كثرت فيها مصطلحات أهل الوبر ومصطلحات البدواة ، في مثل أجزاء الخيمة وما يتعلق بحياة الفرس والجمال ، حيث قصرت دونها هنا لغة المسند .

وقد درس الآثاريون في الأيام المتأخرة موضوع الفن العربي الجنوبي ووضهوا بحثاً فيه ، استندت على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في مواطن الآثار أو من ملاحظاتهم للقطع الأثرية وللصور التي أخذت لها . وقد وجد بعضهم مثل

الباحثة (جاكلين بيرين) Jacqueline Pirenne ، ان الحضارة العربية الجنوبية انما برزت وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، برزت بتأثير الحضارة اليونانية - الفارسية عليها . وقد زعمت ان القلم العربي الجنوبي أخذ من القلم اليوناني في ابتداء القرن الخامس قبل الميلاد ، وان عناصر الحضارة العربية الجنوبية ، وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة ، قد عرفت من مناهل يونانية - فارسية . أما ما قبل هذا الوقت ، فلم يكن لشعوب الشرق الأدنى أي أثر حضاري أو ثقافي على أهل العربية الجنوبية^١ .

وقد درست باحثة أخرى موضوع الفن العربي الجنوبي ، هي (برتاسيكال) Berta Segal . ذهب اجتهداها بها إلى أن هنالك مؤثرات حضارية خارجية أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وأرجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيليني ، وأثر سوري حثي وأثر فينيقي وإلى عناصر حضارية أخرى . وذكرت ان هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وتولد من هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين^٢ .

لقد تبين من دراسة الفخار الذي عثر عليه في العربية الجنوبية انه من صنع محلي ومن تصميم محلي أيضاً . وقد تبين أيضاً انه لا يخلو مع ذلك من المؤثرات الأجنبية التي أثرت عليه ، ولا سيما على المظهر الخارجي للفخار في مثل الزخرفة والشكل . فقد أثر الفخار العراقي والسوري على الفخار العربي الجنوبي . ويظهر من الفخار الذي عثر عليه في (هجر بن حميد) ، انه قد تأثر بمؤثرات شمالية سورية وعراقية^٣ .

وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين. وتوجد

Jacqueline Pirenne, La Grèce et Sabe, Paris, 1955, The Bible and the Ancient Near East, by G. E. Wright, p. 313, 319. ١

Berta Segal, Sculpture from Arabia Felix, American Journal of Archaeology, 59, 1955, p. 207., Ars Orientalis, II, 1957, p. 37, Problems of Copy and Adaptation in the second quarter of the First Millennium B.C., American Journal of Archaeology, 60, 1956, p. 165, The Lion Riders from Timna, in Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155, The Bible and the Ancient Near East, p. 319. ٢

The Bible and the Ancient Near East, p. 320, Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 172, 1963, p. 55. ٣

لدينا فكرة عامة عن فن هندسة المعابد ، أخذناها من فحص معابد (حقه) و (مأرب) و (تمنع) و (حريضة) و (خور روري) . وتقدمت معارفنا أيضاً في موضوع أبنية المقابر والأضرحة عند الجاهليين ، وكذلك عن هندسة البيوت . وقد وجد أيضاً أن الفن المعماري قد تأثر بمؤثرات خارجية كذلك . بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقية ويونانية ومصرية ^١ .

ويظهر الأثر اليوناني على سك العملة عند العرب الجنوبيين . فقد ضرب النقد على شاكلة النقد اليوناني ، لا يختلف عنه إلا في وجود الحروف العربية الجنوبية على ذلك النقد . فالنقد العربي الجنوبي ، هو تقليد ومحاكاة للنقد اليوناني ، الذي ظهر في أيام (البطالمة) و (السلوقيين) ، ويكاد يكون قالباً لها ، أضيفت عليه حروف المسند . فالبومة التي تمثل (أثينا) ، والتي كانت تضرب على العملة اليونانية ، ضربت على النقد العربي الجنوبي ، الى غير ذلك من أمور بحث عنها علماء (النميات) .

ولكننا لا نستطيع أن نقول اليوم ان معارفنا عن الحضارة العربية الجنوبية قد تقدمت تقدماً مرضياً ، وانها صارت واضحة مفهومة ، وسوف تبقى معارفنا عن هذه الناحية وعن النواحي الأخرى ناقصة ما دامت أكثر الآثار مدفونة تحت طبقات كثيفة من التربة لم تلمسها الأيدي حتى الآن . لقد تقدمت معارفنا عن هذه النواحي على نحو ما ذكرت بسبب قيام بعض الباحثين المحدثين بالتنقيب في بعض المواضع بصورة جدية علمية وبشيء من التعمق في باطن الأرض ، ويمكن أن نتصور ما سيحصل عليه الباحثون من معلومات عن الجاهلية لو سمح لهم في التنقيب بأسلوب جدي علمي في باطن الأرض وفي مواطن الآثار .

استعمل اللحيانيون لفظة (بنى) (بنا) للتعبير عن بناء شيء . وذلك كما نفعل نحن في عربيتنا . وتشمل اللفظة بناء كل الأبنية ، من بناء بيوت أو قبور أو غير ذلك . وقد وردت في عدد من النصوص ^٢ .

ويعبر عن المبنى بالتعبير نفسه في العربيات الجنوبية ، فيقال (مبنى) . وإذا

١ The Bible and the Ancient Near East, p. 320.

٢ راجع النصوص ١٦ ، ٢٦ ، ٧٤ ، ٩٠ من كتاب : W. Caskel, B. 133.

أريد التعبير عن تقديم البناء الى إله أو جماعة ، كأن يسمى باسم الإله ويحبس عليه ، فيعبر عن ذلك بلفظة (تقدم) أي قدم بهذا المعنى المفهوم منها في عربيتنا ، ومعنى أهلى^١ . وأما الفعل فهو (بنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « عسى وبنى »^٢ ، أي « تملك وبنى » . و (هبنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « هبنا عقبتهن قلت »^٣ ، أي « بنى قلعة قلت » . ويراد بـ (عقبت) (عقبة) القلعة . واللفظة علاقة بكلمة (عقبة) التي نستعملها نحن بمعنى صعوبة وعائق ، ونجمعها على (عقيات) .

واستعمل اللحيانيون لفظة (حفر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا . استعملت لكل أنواع الحفر : حفر الأسس أو الآبار أو العيون ، أو الحفر على الأحجار والخشب ، لغرض النقش والزخرفة ، أو لأي هدف آخر^٤ .

ويشق المعمارون أسساً في الأرض للأبنية الفخمة ، كالبيوت المؤلفة من طبقات عدة كالمعابد ، لتحمل الأرض ثقل البناء . ويختلف عمق الأساس وعرضه باختلاف سمك الجدار وثقل البناء . ويحفر العمال الأرض بالقدر الذي يعينه البناء ، حتى إذا ما بلغوا العمق المقرر ، وضعوا المواد اللازمة كالحجارة أو الكلس المخلوط بمواد أخرى ، ثم يترك الأساس مدة حتى يجف ويستقر ، ثم يقام عليه الجدار . ويقال لهذا الأساس في العرييات الجنوبية (موثر) ، وهي بمعنى (الأس) والأساس والأسس في عربية القرآن الكريم^٥ .

وقد ورد في كتب اللغة ، (الوثير) : الفراش الواطيء ، وكذلك الوثر كل شي جلس عليه أو نمت عليه فوجدته وطيثاً ، فهو وثير^٦ .

وتؤدي لفظة (مبحر) معنى : (أساس) وسناد . فـ (مبحر) كل بناء هو أساسه وسناده في لغة السبئيين^٧ .

-
- ١ راجع السطر الاول من النص الموسوم بـ : ثقب الحجر .
 - ٢ راجع النص الموسوم بـ Glaser 1089, 1660, Halevy 208. وهو من معين
 - ٣ الجملة الثانية من نص أبنه ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
 - ٤ راجع النص ٦١ من كتاب : W. Caskel, S. 133.
 - ٥ شرح القاموس (٩٦/٤) ، ابن سلام ، كتاب الاجتناس من كلام العرب (ص ١٣) .
 - ٦ تاج العروس (٥٩٨/٣) .
 - ٧ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 439.

وترد لفظة (برا) بمعنى بنى وأنشأ وأقام وشقّ وما شابه ذلك^١ . وترد بعدها لفظة : (هشقر) في الغالب . ومن هذا الأصل لفظة : (مبرام) (مبرا) بمعنى برىء من الدين ، وبراءة الذمة^٢ . وترد لفظة (برا) في كتب اللغة بمعنى الخلق . و (البرية) : الخلق ، وأصله الهمن ، والجمع البرايا والبريات . والبرى : التراب^٣ .

وأما (هشقر) فمعناها أكمل الشيء ، وانتهى منه ، وأتمه وغطاه وسره . وهي من أصل : (شقر) ، وترد من هذا الأصل لفظة (تشقر) و (شقرم) ، بمعنى الأعلى والنهاية ، وذلك كما في هذه الجملة : « بتوربهم اد شقرم »^٤ ، أي من الأساس إلى الأعلى ، أو إلى النهاية . و (ربب) معناها الأساس^٥ . أما أعلى البناء ونهايته ، أي تاجه الذي ينتهي عنده ، فيقال له (تفرع) . و (تفرع) نهاية الجدار وأعلاه ، والمكان الذي ينتهي فيه^٦ .

ومن العبارات الواردة في بعض النصوص المتعلقة بالبناء ، هذه العبارة : (بن موثر هو عسدي مريم) ، وهي في معنى العبارة : (بن أشرس عد شقرن) التي ترد في النصوص المعينية ، ومعناها من (الأساس إلى أعلى)^٧ . فلفظة (موثر) وكذلك لفظة (أشرس) هما بمعنى الأساس أي أساس البناء ، و(عد) حرف جرّ بمعنى إلى ، و (مريم) و (شقرن) كلاهما بمعنى أعلى ، أي أعلى البناء .

ويقال لتعليق البناء (تعلی) . أما تقوية البناء والجدر وحمايتها من السقوط ، فيعبر عنه بـ (تصور) ، من أصل (صور) ومعناها وضع أو تدة وأعمدة عند

-
- ١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 87.
 - ٢ المصدر نفسه (ص ٤٧ حاشية ٤٢) . - hodokanakis, Bodenwirtschaft, S. 24.
 - ٣ شرح القاموس (٣٦/١٠) .
 - ٤ الفقرة الخامسة من نص أبنة .
 - ٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 486.
 - ٦ مجلة المجمع العلمي العراقي ، (المجلد الرابع ، الجزء الاول) ، (١٩٥٦) ، (ص ٢٠٧) « السطر ١٠٣ من نص أبرهة » ، Mordtmann und mittwoch, Sab. Inschr., S. 45. f.
 - ٧ راجع النص الموسوم بـ : Sab. Denkma., S., 31, CIH 325. Mordtmann und mittwoch, Alt. Inschr., S. 25.

الجدار أو البناء للتقوية والإحكام^١ . وهي بذلك قريبة من معنى (الظئر) في لهجة القرآن الكريم .

ويعبر عن إتمام بناء ما أو اكمال شيء آخر بلفظة (تقه) و (قه) ، بمعنى (وقه) أي أكمل وأنجز . وهي مرادفة للفظه : (تفرع) ، واللفظه (هوعب) أيضاً . وكلها بمعنى الإنجاز والإكمال والانتهاء من عمل ما . ولفظه (قه) هي من أصل (وقه) . وتعني جملة: (لائقه عن) انتهى^٢ . وقد ذهب (رودو كوناكس) الى أن لفظه (وكن) هي بهذا المعنى أي اكمل وأنجز في بعض الأحيان^٣ .

ويعبر عن اصلاح البناء وترميمه بلفظة (هحدث) ، وهي فعل ماضٍ أي (أحدث) ، ومعناها أقام ورمم وأحدث وأنشأ . أما سقوط حائط أو سقف أو ما شابه ذلك ، فيعبر عنه بلفظة (تل) و (تلت) ، ومن هذا الأصل لفظه (تلو) ، أي الخرائب والتلال ، وتقابلها لفظه (خيل) في المعينية ، و (ذخبل)^٤ ، أي تداعى وسقط ووقع .

وفي معنى الاصلاح والترميم أيضاً لفظه (غوث) الواردة في الكتابات المعينية^٥ . وقريب من هذا المعنى معنى (غوث) في لهجة القرآن الكريم ، ففي الإغاثة معنى المساعدة والاصلاح وترميم التصدع وإصلاحه .

وترد مع هذه اللفظة لفظه أخرى ، هي (سعذب) ، وهي فعل ماضٍ بمعنى أعاد وأرجع الشيء إلى ما كان عليه^٦ ، من أصل (عذب) . وأما حرف السين الداخلة على أول اللفظة فإنه في مقام حرف الهاء في السبئية ، يدخلان على المصدر فيحولانه إلى فعل ماضٍ .

ويقال لمقدم كل بناء (صلوتن) (الصلوة)^٧ . وقد وردت اللفظة في كتابات

١ راجع النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

وكذلك : Rhodokanakis, Stud., II, S. 54.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٧) .

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٥ راجع النص : Glaser 1144, Halevy 353,

Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 31.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

دوتت لمناسبة إقامة سدود كذلك . ووردت في بعض الكتابات هذه الجملة :
(بن ذت هورتن عدي صلوت بين ذن محرمن وميسلن)^١ ، ومعناها : « من
هذه الجهة الخلفية الى الجهة الأمامية أو الصلاة الأمامية بين هذا الحرم وموقد
النار » .

ويقال للجهة الخلفية من البناء (هورتن) . من أصل : (ورت) ، بمعنى
وراء . و (ورة) في لغة أهل العراق ، وذلك كما نرى في هذا النص .

وتؤدي لفظة (صلوت) معنى (فناء) أيضاً ، وقد تؤدي معنى موضع منعزل
أو مكان للصلاة . وقد يراد به فناء يؤدي إلى (مبسل) يقع مقابله تماماً^٢ .

وللفظة (صلوتن) (صلت) (صلوت) معنى آخر بعيد عن هذا المعنى
بعداً كبيراً ، هو (وثيقة) و (شهادة) و (عقد) ، فتكون في معنى (سمع)
و (اسم) التي تطلق على هذا المعنى أيضاً في العرييات الجنوية^٣ .

ويقال للباب (خلف) و (خلفتن) في السبئية . ويراد ب (خلف)
و (خلفتن) (الخلفة) الشباك كذلك^٤ . وقد كان أصحاب القصور يستعملون
الشبايك كثيراً في قصورهم ، ويزينونها بالرخام الرقيق وبالزخارف لتظهر جميلة
خلابة . ويقصد ب (خلف) و (خلفتن) المنافذ الخلفية كذلك .

وتتكون الأبواب من (مصرع) ، أو من (مصرعي) ، ويراد بذلك (مصرع)
واحد أو مصراعان^٥ .

ويعبر عن الباب ب (الخلف) في عربيتنا كذلك^٦ . وأما لفظة (مصرع
الباب) و (المصرع) و (مصراعا الباب) فعروفة في عربيتنا كذلك^٧ .

ويعبر عن الباب العظيم ، أو الباب المغلق وفيه باب صغير : أو عما يغلق به

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 45.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44, Der Grundsatz der affentlichkeit, S. 21, 24,
Stud., I, S. 63.

٤ Rhodkanakis, Stud., I, S. 70. والجملة الرابعة من نص أبنة .

٥ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1144, Halevy 353.

٦ اللسان (٩٣/٩) .

٧ اللسان (١٩٩/٨) .

الباب بلفظة (رتج) (رتاج) في اللحيانية^١ . ولفظة (رتاج) لفظة معروفة في عريبتنا كذلك .

ويعبر عن السلام والدرجات بلفظة (احلين) ، تطلق على السلام من أية مادة مصنوعة ، من الحجر أو الخشب^٢ ، كما يعبر عنها بلفظة (علوم) و (علوه) أيضاً ، لأنها طريق يؤدي إلى أعلى^٣ .

ولفظ (عليّة) ، والجمع (علالي) ، هي عند أهل الحجاز بمعنى غرفة أيضاً ، والجمع (غرف) و (غرفات) . وقد وردت لفظة (غرف) و (غرفات) في القرآن الكريم^٤ .

وعبر عن السقف وسطح البناء بلفظة (ظلن) و (ظلل) أي (الظلة)^٥ و (الظل) . وذلك لاستغلال الإنسان بالسقوف وحمايتها للبيوت والغرف من وهج الشمس .

ويعبر عن الشيء المسقوف مثل ذي سقف أو ما شابه ذلك بلفظة (مسقفن)^٦ ، أي (المسقف) ، من أصل (سقف)^٧ . ووردت لفظة (مسقف) بمعنى الموضع المسقوف^٨ .

ويعرف المكان الذي ينفذ منه النور الى مكان ما (مصبح) في الحضرمية . ويمكن أن نقرأها (مصباح) كذلك . فالمصباح الكوة أو النافذة التي ينفذ منها النور الى مكان ما . والنور هو (صبحت) في الحضرمية ، وذلك كما ورد في هذه الجملة : (صبحت عينو)^٩ ، أي (نور عينه)^{١٠} .

-
- ١ النص رقم ٢٢ و ٨٥ من كتاب : W. Caskel, S. 134.
 - ٢ راجع الجملة الرابعة من النص : Glaser 1144, Halevy 353, Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, Glaser 283, Halevy 238.
 - ٣ Rhodokanakis, Stud., S. 47.
 - ٤ البيان (١٩/١) ، لجنة .
 - ٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 30, 54.
 - ٦ CIH, 182.
 - ٧ Mordmann, Himj. Inschr., S. 36.
 - ٨ Glaser, 799, CIH 132, Rhodokanakis, Stud., II, S. 34.
 - ٩ Oslander 29.
 - ١٠ Rhodokanakis, Stud., II, S. 28.

وأما الموضع الذي ينفذ النور اليه ، ويستقر فيه ، وقد يكون مسقوفاً وربما لا يكون مسقوفاً ، فيقال له (منحل)^١ . وعلى هذا المنحل يكون المصباح أي المنفذ الذي ينفذ النور منه^٢ .

ويعبر عن الجدار والسور بلفظة (جنا) في لغة المسند^٣ .

وقد فسر بعض علماء العرييات الجنوبية لفظة (بره) بمعنى مجاز^٤ . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (ابرى)^٥ ، ولعلها تؤدي معنى خارج كذلك .

وترد لفظة (أدرف) في مصطلحات البناء كذلك^٦ ، وتعني طرف البناء ، وطرف كل شيء . وقد استعملت للتعبير عن تحصين جانب القلعة أو الحصن مثلاً^٧ ، أو تحصين جوانب وأطراف برج ما^٨ .

ويعرف مقدم البناء أو مقدم أي شيء بـ (قدم) وبـ (انف) . أما الجهة المضادة للمقدمة فيقال لها (معذر) ، فعذر أي بناء أو أي شيء هو الجهة الخلفية لذلك البناء أو لذلك الشيء ، كما تطلق هذه اللفظة على الأسوار الخلفية للمدينة^٩ .

ويقال للطابق الأعلى من البناء (علوهو) (علوه)^{١٠} ، و (علين) (عليان) ، لعلوه بالقياس إلى الطابق الذي تحته . أما الطابق الأسفل ، فيقال له (سفله) (سفلهو)^{١١} .

ويقال للبيت إذا كان فوق البيت (عليّة) والجمع (علالي) . وتقابل لفظة (عليّة) لفظة (غرفة) والجمع (غرف) و (غرفات) . والغرفة عليّة من

١ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1089, 1660, Halevy 208.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٣ راجع أيضاً الجملة الثالثة من نص أبنة .

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 38.

٥ المصدر نفسه .

٦ Müller, in DMG., 37, 383, Rhodokanakis, Stud., II, S. 38.

٧ CIH, 197, Glaser 181, Rhodokanakis, Stud., II, S. 38.

٨ Rhodokanakis, Stud., II, S. 64.

٩ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Rhodokanakis, Stud., II, S. 46 f.

١٠ المورد نفسه .

البناء . وسميت منازل اللجنة (غرفاً)^١ .

ويعبر عن العمل الفني المتقن بلفظة (نكل) ، ومن هذا الأصل لفظة (نكلو)
و (نكلتو) في الأشورية^٢ .

وقد كان أصحاب الأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في الأبنية بكل تفصيل
لا يكتفون بذكر أسماء المواد حسب ، بل يذكرون حتى صفاتها . فإذا كان الحجر
غير مهندس ولا مصقول ذكروه ، وإذا كان مصقولاً ومهندساً ومقطوعاً عبروا
عن ذلك بلفظة (تقرر)^٣ .

ويقال للحجارة الحادة أو الملساء (زلت) ، وهي تقابل لفظة (زلّة) في
لهجتنا ، وهي بمعنى أرض ذات حجارة ملساء أو حادة في اللهجتين المعينية والسبئية
كذلك ، وتعني لفظة (صلال) ألواحاً من الحجر في اللهجة الحضرية . وأما
الجمع فهو (ازلت)^٤ .

وتؤدي لفظة (زلت) معنى سيلان الزفت أو القار على أرض ما كأرض
غرفة مثلاً أو أرض شارع أو حمام لتبليط الأرض بهذه المواد . وذلك كما يفهم
من هذه الجملة : (زلت أوسطهس) أي (وزفت أو وقير الأواسط) ،
ويراد بالأواسط وسط الأشياء أو الشيء^٥ .

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع
(جريم) (جرب) . ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضاً . وتوضع هذه
الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع ، فلا تصقل ، ولا تمسح آلات
الصقل . أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها ، فتعرف بـ (منهتم)
(منهمة) . وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى ، وتوضع بينها مواد البناء
التي تلزم تلك الحجارة . والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة

١ البيان والتبيين (١٩/١) « لجنة » ، المفردات (ص ٣٦٥) .

٢ Rhodokanakis, Stud., I, S. 28.

٣ راجع الجملة الثانية من النص الموسوم بـ : Glaser, 1089, 1660, Halevy 208.

٤ CIH, II, p. 23, Rhodokanakis, Stud., II, S. 35.

٥ راجع الجملة الثالثة من النص : Glaser 144, Halevy 353.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.

في جبهة الجدار لتكسبه منظراً جميلاً حسناً ، توضع وراءها الحجارة الأخرى المقطوعة ، وذلك لأن صقل جميع الحجارة التي تدخل في البناء يستنفد وقتاً كبيراً كما يكلف ثمناً باهظاً . ويضع المعمار الحجارة بالطبع وضعاً متناسباً بحيث لا تكون مرتفعة أو منخفضة وتتماثل الفرع ومواضع اتصال الحجارة بمواد البناء التي تلزمه وتمسكه بين الحجارة ^١ .

وقد توضع الحجارة لـ (جرب) على شكل طبقة واحدة في الجدار أو على هيئة طبقات وصفوف للزينة . ونجد هذه الطريقة في أبنية الحبشة كذلك ^٢ .

ومن هذا الأصل جاءت لفظة (جربة) و (جروب) بمعنى المدرجات التي يضعها الفلاحون على الجبل ، وذلك لزرعها بأنواع المزروعات ، ولا سيما الكروم ^٣ . وكذلك الأسوار التي تحيط بالبساتين .

وهناك من يرى أن (منهتم) من (منهمت) (منهمة) تعني على العكس الحجارة المقلوعة غير المصقولة . و (حجر منهوم) بمعنى مقطوع غير مصقول ^٤ .

وهناك لفظة أخرى تطلق على الحجارة المنحوتة المهندسة باليد هي (تقرر) من أصل (تقرر) ^٥ . وهناك نوع آخر من الحجر يقال له (بلق) ^٦ . وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام وحجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج ^٧ .

ويعبر عن قطع الحجارة من الصخر وعن صقلها لجعلها صالحة للبناء ، بلفظة (ائع) في اللحيانية ^٨ . وأرض اللحيانيين أرض صلبة صخرية ، لذلك استخرج اللحيانيون حجر أبنيتهم منها فبنوا بها بيوتهم ، كما نحتوا الصخور وجعلوها على هيئة كهوف لكي تكون ملاجئ لهم .

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, SE 48, 92, Ryckmans 340, BASOR, Nu. 83, 1961, p. 24.

٤ Glaser Zwei Inschriften, 47, Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. f.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 54, 63.

٦ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٧ شرح القاموس (٢٩٨/٦) .

٨ النص ٧٢ من كتاب : W. Caskel, S. 110.

ويعبر عن تكسير الصخور وثقبها وعمل خرق بها بلفظة (جوين) ، وتعني (الجوب) . والجوب هو عمل نقب في الحجر ، أو ممر . وأما لفظة (جوب) فجمع (جوبة) ، ويراد بها الفراغ بين شيئين^١ .

ويُستعان بفؤوس ومطارق في تكسير الحجارة وهندستها واصلاحها لتتخذ الشكل المطلوب . فتستخدم المطارق الثقيلة في كسر الحجارة . وتكون ذات رؤوس مختلفة الأشكال تناسب المهمة التي تؤدي بها . وتستخدم الفؤوس في هندسة جوانب الحجارة وصلقلها ، وهي ذات أشكال مختلفة كذلك ، ، منها ذات رأس حاد نابت يتصل بقاعدة عريضة وتستخدم في نقر الحجارة ، ومنها ذات رأسين حادين عريضين ، ولها خصر في الوسط وتستخدم في شذب أطراف الحجارة وصلقلها . ولا تزال هذه المطارق والفؤوس مستعملة في مثل الأعمال التي قام بها الجاهليون .

ويعبر عن تزيين الحائط وزخرفته بالحجارة أو بالأخشاب التي يوضع بين حجر الجدار وطابوقه بحيث تبرز للعيان وتوضع في أبعاد متناسقة ، يعبر عن ذلك بلفظة (موسم) . ومن هنا لفظة (وسم) التي تعني التزيين والتزييق أيضاً^٢ . فلفظة (موسم) تعني الزخرفة والنقش في البناء^٣ .

وأما الحجارة المصنوعة وما يقال له (طابوق) في العراق ، أي الحجارة المكوّنة من الطين المشوي ، فيقال لها (لبتم) (لبث)^٤ . ويراد بها اللبن كذلك أي الطين المجفف . وعادة مزج الحجارة المصنوعة أي الطابوق بالحجارة الطبيعية المقلوعة سواء أكانت مصقولة أم غير مصقولة هي عادة معروفة في البناء في الشرق^٥ .

وأما اللبن ، أي الطين المجفف بالهواء وبأشعة الشمس والمصنوع بقوالب ولكنه لم يوضع في النار لإحراقه ، فيقال له : (لبن) أيضاً . وقد ورد (لبن شمس) أيضاً^٦ . ويطلق العراقيون لفظة لبنة على اللبن ، وعلى الطابوق أي اللبن المفخور بالنار .

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 63.

٣ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٤ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Sab. Denkm., 31.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, 54.

٦ راجع الجملة الخامسة من النص ، Hommel, Aufs. und abh., S. 167, anm. 5.

وقد عثر المتقنون على لبن جاهلي في أماكن متعددة من جزيرة العرب . وقد كان أهل الحجاز يستعملونه في أبنيتهم ، لم ينفردوا بالطبوع في ذلك وحدهم ، بل كان يفعل ذلك كل الجاهليين ، وقد بني مسجد الرسول باللبن . وكان الرسول ينقله مع الناقلين وهو مختلف الحجم . بعضه واسع ثخين ، وبعضه متوسط أو صغير . ويكثر استعماله في الأمكنة التي تقل فيها الحجارة ، وتنقلب على طبيعة أرضها التربة الطينية ، فيكون من السهل على أهلها إقامة أبنيتهم باللبن بارتفاعات مختلفة تبعاً لمثانة البناء ورغبة صاحب البناء في الارتفاع . وقد عثر على آثار قلاع وحصون وأسوار بنيت باللبن . ويمكن لمثل هذه الأبنية البقاء مدة طويلة ، لجفاف أجواء الشرق الأوسط وقلة الأمطار فيه ، ولا سيما إذا كانت ذات أسس وقواعد وجدر ثخينة وفي أماكن جافة بعيدة عن رطوبة الأرض .

أما الطابوق ، أي الآجر ، فيتكون من طبخ اللبن في الكورة أي الأتون ، أو بتكديس اللبن طبقات وصفوفاً ، ووضع الوقود بينها ، فإذا اشتعلت النار يضلد اللبن ويشوى فيكون آجراً . وطريقة صنع الآجر بإحراق اللبن في الأتون ، لا تزال شائعة معروفة في جزيرة العرب . وهي طريقة صنع الطابوق عند الفراعنة والسومريين والآشوريين والبابليين وغيرهم من الشعوب .

ولم يكن في استطاعة الفقير بناء بيته باللبن أو بالطابوق ، بل كان يشيد بيته بنفسه بالطين ، فيقيم جدره بالطين طبقة طبقة ، إذا جفت طبقة وضع فوقها طبقة أخرى ، وهكذا ، ويسقف بيته بالأغصان ، ويسعف النخل ، ويضع فوقها طبقة من الطين لتخفف عنه وهج الحر في أيام الصيف ، وتمنع عنه سقوط المطر عليه عند نزوله . أما الأعرابي فلم يكن له بيت دائم ، لا من الآجر ولا من اللبن ، بل كان بيته خيمة تنتقل معه حيث يشاء ، يستظل بها وينام تحتها ، فهي بيته الحقيقي .

ويقوى الطين الذي يصنع منه اللبن أو تقام به جدر البيوت أو تفرش به صقوف البيوت بالطين ، يخلط مقدار مناسب منه بالتراب ، ثم يعجن الخليط ويترك مدة حتى يجتم ، ثم يستعمل عندئذ ، فيكون أقوى وأدوم بقاءً من اللبن أو الطوف المصنوعين من التراب الصرف . وهذه الطريقة معروفة أيضاً عند العراقيين والمصريين وعند غيرهم من الشعوب في العهود القديمة ولا تزال مستعملة عند

حَقَّقْتَهُمْ . ويعرف التبن ب (تبن teben) عند العبرانيين^١ .
وتطين جدر البيوت الفقيرة والريفية بالطين ، وذلك لتكون ملئساً خالية من
الثقوب . ويستعمل الطيَّانون آلة تسمى المسجة . ويذكر علماء اللغة أنها يمانية ،
وأنها خشبة يطين بها ، وهي المألجة بالفارسية . ويعبر عن تطين الحائط بلفظة
وسج ، وذلك اذا مسح الحائط بالطين الرقيق . وقد ذكر علماء اللغة أن السجة
والسجة صمان^٢ .

ويقال للحجارة المربعة ، سواء أكانت مقلوعة أم مصنوعة ، (ريعتم) (ريعت)
(ربة) أي (مربعة)^٣ . وهي تدخل في البناء إما مستقلة ، وإما مع أنواع
أخرى من الطابوق والحجارة . وقد توضع على مسافات وأبعاد متناسبة ومتناسقة ،
لتكون نوعاً من أنواع الزخرف في الجدر . وقد ذكر (الحمداني) في صدد ذلك
هذه الجملة : « المكعب وذلك بكعاب خارجة في معارب حجارته على هيئة الدروق
الصغار »^٤ . وهذا النوع من الزخرفة معروف في اليمن . أما في الحبشة ، فقد
كانوا يضعون حجارة منحوتة على هيئة رؤوس قردة للزينة^٥ .

ويعبر عن إدخال الحجارة بين حجارة أخرى للزينة أو الزخرفة أو ملء الفراغ
بين جبهي جدار بحجارة صغيرة لسد الفراغات (ولج) . أما (مولجم) (مولج) ،
فتعني الموضع الذي وضعت تلك الحجارة فيه^٦ . والابلاج هو إدخال شيء في شيء .

وأما الحفر على الحجر أو الجدار ، بقصد التزيين والزخرفة ، فيعبر عنه بلفظة
(فتخ) ، وتقابل بلفظة (بتاخو Patahu) . والحفر والنقش العميق على الحجارة
والطابوق من مذاهب التزيين المتبعة في الشرق حتى الآن . وقد ذهب (رودوكتاكس)
إلى أنها تعني معنى (ولج) كذلك ، أي إدخال الحجارة المحفورة والمنقوشة
والمنحوتة بين حجارة جدار ما مثلاً للتزيين والتزييق^٧ .

Smith, Vol., III, p. 1386. ١

شرح القاموس (٥٦/٢) . ٢

CIH 325. ٣

الاكليل (٨٠) « طبعة Müller ٤

Rhodokanakis, Stud., II, S. 44. ٥

Rhodokanakis, Stud., II, S. 43. ٦

Rhodokanakis, Stud., II, S. 43. ٧

وتؤدي لفظة : (فلزتم) (فلزت) (فلزة) ، معنى : أبعاد وطريق جانبي واختلاء وحفر ونقب . وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات^١ . وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها ، وذلك لربطها وتقويتها ، ويقال لذلك : (صهرم)^٢ من (صهر) ، التي تعني جعل الرصاص مائعا يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته ، أو لأي غرض آخر من هذا الصهر . وقد استعملوا الرصاص المصهور في سدّ (مأرب) كذلك ، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه^٣ .

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون (القيطران) القار في البناء . استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة ، كما استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود . فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من القطران .

وفي معنى (قطر) ترد لفظة (قتر) ، و (قتر) أيضاً . و (القتر) بمعنى الدخان . ومن هذا المعنى جاءت جملة : (قتر اللحم) أي شوي وظهرت رائحته . وفي معنى (قطر) لفظة (هيج) أيضاً . ومعناها (سال) و (ماع) . ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها ، وفي الري لسيلان الماء ، وفي صهر المعادن^٤ .

وفسر بعض الباحثين لفظة (هيج) ، بمعنى بنى ، أي أنشأ بناءً ، وفي مقابل لفظة (برا) في المسند^٥ .

واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب الى الأسس والجدر والسقوف .

والخشب هو (عض)^٦ في العرييات الجنوبية . وقد استعمله العرب الجنوبيون

Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. ١

Rhodokanakis, Stud., II, S. 48. ٢

Wissmann-Hofner, S. 25. ٣

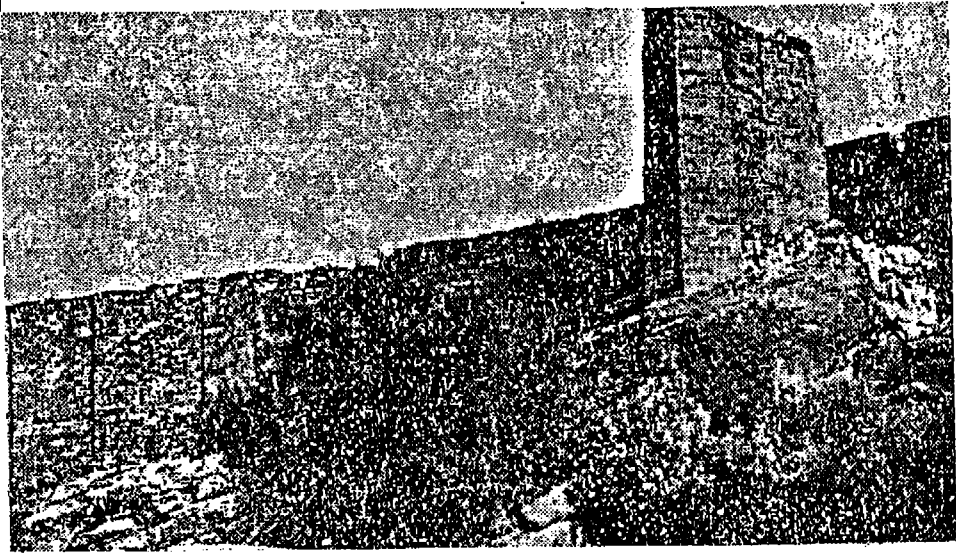
Rhodokanakis, Stud., II, S. 168. ، شرح القاموس (٤٧٩/٣) ٤

Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 427, 433. ٥

Rhodokanakis, Stud., II, S. 26. ٦

في تسقيف بيوتهم ، ولعمل الأبواب ، كما أدخلوها في البناء كذلك لتقويته .
أما لفظة (عضن) (العض) ، فقد ذهب (رودوكناكس) الى أن المراد بها
نوع خاص من الخشب ، نوع ذو رائحة زكية ، يستعمل خاصة للحرق في
مذابح المعابد^١ .

وبلاحظ من فحص بقايا بعض الأبنية القديمة من عهود ما قبل الاسلام أنها
خالية من المواد الماسكة التي توضع عادة بين الحجر لتثبيت بعضها على بعض . ومعنى
هذا أن المهندسين المعماريين كانوا قد وضعوا هذه الحجارة بعضها فوق بعض على
نحو يجعلها كأنها متداخلة بعضها في بعض فتثبت مدة طويلة وتماسك وتصبح وكأنها
قد لصق بعضها ببعض بمادة من المواد المستعملة في العادة في تثبيت الحجارة مثل
الجبص أو الكلس أو الطين ، ويسمى بـ (الخلب) عند أهل اليمن اليوم^٢ .



من بقايا سد مأرب

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢١)

والحجارة التي أقصدها هي صخور اقتطعت من الجبال ، وأكثرها هي صخور
كبيرة وهي بعد أن تسوى وتشذب وتهذب يوضع بعضها فوق بعض بحيث تثبت

١ المصدر نفسه (ص ٣٩) .

٢ المعظم (ص ١٣٣) .

بعامل الثقل وبهذه الطريقة تقام الجُدُر، ويجري ذلك في المباني الضخمة الكبيرة التي تستعمل فيها الصخور . وأما أوجه الجدر من الداخل فقد تملج بمادة كالجص لتجعلها مُلساً ناعمة ، وبذلك تسد الفرج بين محال اتصال الصخور .

واستعملت في مباني أخرى المواد البنائية التي توضع بين الآجر والصخور الصغيرة والحجارة لتثبيتها ولضمان تماسكها . ومن هذه المواد الجص والطين والكلس، وقد تكحل الفواصل التي بين الأحجار بالكلس وبالجص لسدّ الفرج بينها وللزينة أيضاً . وأما الجدر الداخلية فتكسى بطبقة لتجعلها جميلة مُلساً على نحو ما يفعله أهل اليمن وما يفعله غيرهم في الزمن الحاضر . وقد وجدت البعثات الأثرية التي نقتب في العريّة الجنوبية بقايا جدران بيوت ، وقد كسيت بطبقة ملساء من الجص، تدل على مهارة البناء في ذلك الوقت . وقد ترخرف المواضع البارزة من الجدار بزخرف يصنع بقوالب خاصة توضع عليها المادة اللينة التي يراد زخرفتها ، فإذا جفت رفع القالب عنها ، فتظهر بارزة بالحفر التي تكون حولها .

وتكسى الجدر الخارجية للبناء بالجص والكلس في بعض الأحيان . فإذا كسيت بالجص ، ظهرت أيضاً ترى من مسافات بعيدة ، جاء في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمرآ وجلاله كِلْساً فللطير في ذراه وكور^١

وقد ورد أن الجص لغة ، والعرب تسميه القصة^٢ .

ولم يكتفِ المتفنن العربي الجنوبي بإقامة الأبنية حسب ، بل استخدم الحجارة للتعبير عن شعوره وعن خواطره ، ينحتها على الصخور ويثبتها على ألواح الحجر . وإذا كان العربي الصحراوي قد عبر عن شعوره وعن خواطره بالشعر ينظمه أحياناً أو مقاطع أو قصائد ، يسر نفسه بها ، ويسر الآخرين ، فقد عبر العربي الجنوبي عن مشاعره وخواطره بنوع آخر من الشعر ، هو الشعر المادي المتمثل في البناء وفي النحت والتصوير بالإضافة إلى الشعر المعروف الذي لم يترك لنا أثراً مكتوباً منه ويا للأسف .

١ الكامل (٥٩/١) .

٢ شمس العلوم (ج ١ ق ٢ ص ٢٧٩) .

والعربي الجنوبي متفنن بطبعه مذاق ، لم يكتفِ بهندسة الحجارة وصقلها وتزيينها ، بل اهتم بالألوان كذلك وبالمظاهر الخارجية للبناء . فاتخذ الحجارة الملونة للبناء ، وكون منها مناظر متعددة الألوان ، محاكاة للطبيعة ، وتأثيراً على النظر. وبني جدران قصر غمدان من حجارة ذات ألوان مختلفة ، فبنى سافاً بالحجارة البيضاء ، وبني سافاً آخر بحجارة سود ، وبني سافاً ثالثاً بحجر أحمر ، وسافاً آخر بحجر أخضر ، وهكذا ، وذلك إمعاناً في التفنن وفي التزيين ولا شك . وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران بصفائح الذهب والفضة وبالحجارة الكريمة وبسن العاج والأخشاب الغالية الثمينة ، فأكسب البناء روعة وجمالاً وخشوعاً. ونجد ذلك في المعابد وفي القصور^٢ .

واستعمل المعمار العربي الجنوبي الرخام لإكساء أوجه الجدران أو في فرش أرض الغرف والمعابد ليكسبها بهجة وجمالاً ، واستعمله ألواحاً رقيقة تزخرف بالصور والنقوش ، لتعبر عن مباحج الحياة ، كما استعمل ألواحاً رقيقة شفافة منه لتكون مكان الزجاج المستعمل في النوافذ في وقتنا الحاضر . ولا يزال أهل اليمن يستعملون الرخام المرقق في نوافذهم ، توارثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم ، وهو يعطي النافذة رونقاً وجمالاً لا يتوافران في الزجاج .

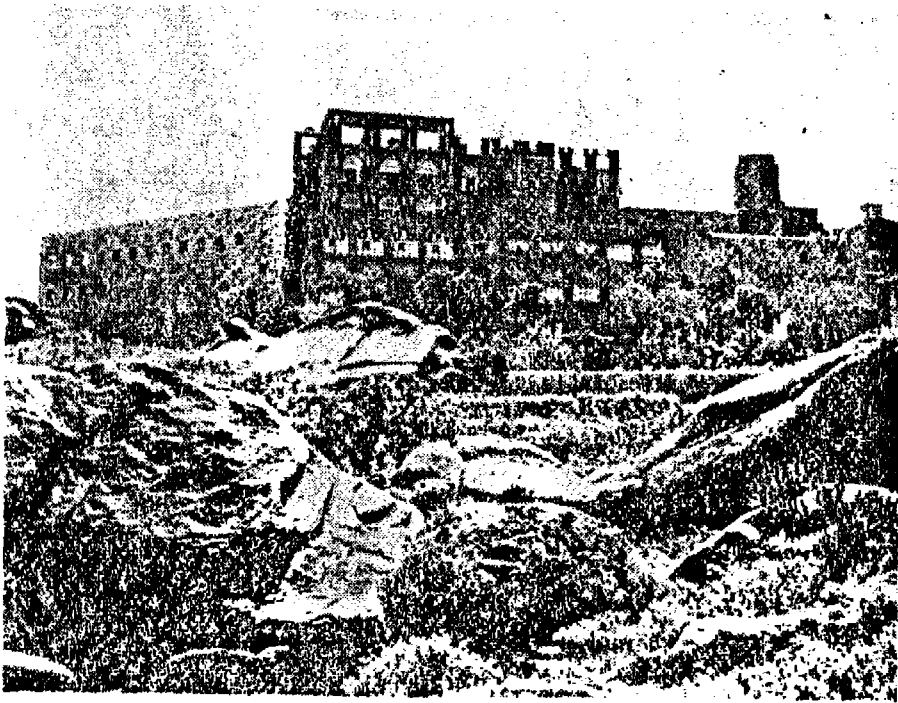
وتكون النوافذ والشبابيك في جدار الغرفة المطل على صحن الدار . أما الجدران المقامة على الطرقات والأزقة ، فتكون خالية منها وذلك لئلا ينفذ منها للصوصل أو الأعداء الى الدار ، وليمنع المارة من التطلع الى داخل الغرف والبيوت . أما البيوت المرتفعة المكونة من طابقين فأكثر ، فقد حليت بالنوافذ ، ومن هذه النوافذ ما كان يصنع من الخشب ومنها ما كان يصنع من الحجارة ، ولا سيما الرخام . وجعل العربي الجنوبي الطوابق العليا مواضع للدفاع عند الحاجة ، ولا سيما في الأماكن المنعزلة النائية ، وجعل لمزارعه مواضع مرتفعة مبنية أو من الأخشاب أو على الأشجار لمراقبة من يحاول السرقة وسلب الفلاح ثمار أتعابه .

والنافذة ضرورية جداً بالنسبة للأبنية العالية التي عرفت بها العربية الجنوبية ،

١ D.H. Müller, Burgen und Schlösser, I, S. 348.

٢ Strabo, X, 778, Hand. der altar, altir., I, S. 146.

وذلك للدفاع بواسطتها عن البيوت ولدخول النور والهواء اليها ، وقد صنعت من لوح مرقق من الرخام ، عملت فيه ثقب ، لدخول الهواء منها . وتعمل الألواح المصنوعة من الرخام ألواحاً رقيقة جداً ، وقد تكون شفافة كالزجاج ، لتسير الغرف . ولا تزال نوافذ بيوت العربية الجنوبية محافظة على طرازها القديم . وقد استخدمت بعض النوافذ الجاهلية في البناء . وقد صنعوا النوافذ من الخشب أيضاً ، زخرفوها بزخارف جميلة وأحاطوها بأحجار أو بمرمر لتمسكها ولتعطيها منظراً جميلاً .



قصر الامام احمد بمدينة « تعز » ، وترى نوافذه وهي ذات طابع يمني قديم
من كتاب : Gunther Pawelke, Jemen. (ص ٥٧)

ويعبر في اللحيانية بلفظة (بت) ، أي (بيت) عن معنيين ، عن معنى (بيت) ، أي موضع سكن ، وعن معنى معبد . وذلك كما في هذه الجملة : « بنو بت هصن لذ غبت »^١ ومعناها : « بنوا بيت هصن لذي غابة » ،

١ النص رقم ٢٦ من كتاب : W. Caskel, S. 88.

و (ذو غابة) هو إله الحيانيين ، أو بتعبير آخر : (بنوا معبد هصن للإله ذي غابة) .

ويعبر عن البناء والبناية بلفظة (مبنى) في لغة سبأ^١ . وهي من أصل (بنا) (بنى) .

وقد ذكر علماء اللغة أسماء الدور بحسب نوع بنائها من حيث المادة أو المساحة أو الارتفاع وغير ذلك . ويقال للدار المنزل كذلك والدارة والمنزلة والمبأة والمعان والوطن والمغنى والثوى والمربع^٢ . والصرح هو كل بناء مرتفع . وأما الأطم والأجم فالحصن .

والدار المسكن والبيت، وترد اللفظة في النصوص اللحيانية ، قال (ابن الكلبي) : « بيوت العرب ستة : قبة من آدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقنة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها » . وقال البغدادي : الخباء بيت يعمل من وبر أو صوف ، أو شعر ، ويكون على عمود أو ثلاثة ، والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . والخيمة في عرف العرب : كل بيت من بيوت الأعراب مستدير ، أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثام ويستظل بها في الحر ، أو أعواد تنصب وتجعل لها عوارض وتغلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . أو عيدان تبنى عليها الخيام ، أو مسا يبنى من الشجر والسعف يستظل به الرجل اذا أورد إبله الماء . والخيمة عند العرب البيت والمنزل وسميت خيمة^٣ لأن صاحبها يتخذها كالمنازل الأصلي . وورد أن الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثام ولا تكون من ثياب ، وأما المظلة ، فمن الثياب وغيرها^٤ .

و (القبة) من البناء ومن آدم . وقيل : القبة من الخباء بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب^٥ . و (المظلة) : الكبير من الأخبية ، قيل : لا تكون إلا من الثياب ، وهي كبيرة ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ،

Jamme, South Arabian. Inscriptions, p. 439.

١ بلوغ الارب (٣/٣٨٩ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (١/٥٢٩) ، (بيت) .
٣ تاج العروس (٨/٢٨٥) ، (خيم) .
٤ تاج العروس (١/٤١٩) ، (قيب) .

وربما كان لها كفاء ، وهو مؤخرها . قال بعض العلماء لا تكون المظلة إلا من
الشعر خاصة . إلى غير ذلك من آراء^١ . والخباء : ما يعمل من صوف أو وبر ،
وقد يكون من شعر ، وقد يكون على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك ، فهو
بيت^٢ .

ويظهر من تضارب آراء العلماء في تعريف الأسماء المذكورة ، أنهم أخذوا
معانيها من موارد مختلفة من رعاة ومن شبه حضر ومن أعراب ، ومن جهات
مختلفة ، فكان كل مورد يفسر الشيء تفسيراً يختلف عنه عند مورد آخر ، فتضاربت
من ثم تلك الآراء .

ويقال لصحن الدار: حُرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها ومجوحنتها.
وفي الدار البيت . والمخدع ، وهو البيت في البيت ، والنفق والسرب ، فالبيت
تحت البيت ويتألف البيت من غرف . والغرفة في أعلى هي (العلية) والجمع علالي.
والخزانة هي التي يحفظ فيها الشيء . والمرقد ، هو المضجع^٣ .

وما يحيط بالبناء هو الحائط والجدار . والأُس هو أصل الحائط . والرهص ،
هو البناء من الطين الموطوء ، ينضد بعضه فوق بعض ، ويقال للنضدة الواحدة
دمص ، أما النضدة السفلى، فيقال لها رهص^٤ . والخط الواحد من الحائط ساف ،
ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف^٥ . وإذا أقيم الآجر بعضه فوق بعض ،
فهو السميطة^٦ . ويقال للحائط حين يبلغ العقد أو الثقيف أو التقييب ، ارتفع
الحائط . ويقال للعقد : عقد الأزج والبيت مغمى إذا سقف بالخشب ، وبيت
مقيب إذا كان ذا قباب . أما إذا كان على هيئة السنام ، فيقال له بيت مسم .
والبرزخ الفرجة بين الأزجَيْن في صهوة البيت ، والمهدف ترس الأزج .

وتقوى الجدر بالأوتاد ، وذلك برز الوتد في الحائط عند البناء ، وقد عثر

-
- ١ تاج العروس (٤٢٧/٧) ، (ظلل) .
 - ٢ تاج العروس (٦٠/١) ، (خبأ) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٣٨٩/٣) .
 - ٤ « والدمص بالكسر : كل عرق من الحائط خلا العرق الاسفل فانه رهص » شرح
القاموس (٣٩٦/٤) ، بلوغ الأرب (٣٩٠/٣) .
 - ٥ شرح القاموس (١٤٧/٦) .
 - ٦ شرح القاموس (١٦١/٥) .

على أوتاد من الخشب مرزوزة في بقايا أبنية السبثيين والمعينيين وغيرهم لتقوية الجدر ، أو لاستعمالها لأغراض أخرى ، مثل تعليق أشياء عليها ، أو استعمالها بمثابة السلالم للتسلق إلى أعلى .

وفي الدار الصُّفَّةُ ، وتسمى بحسب الجهة المتجهة إليها . ويقال صفة فراتية إذا كانت الشمس لا تقع فيها رأساً . و (المقنوعة) مكان ظلّه دائم ويكون بارد الهواء . والزاوية ملتقى الحائطين في البيت . والكوة الثقب في أعالي البيت . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التي في الحائط . ويقال لها الأوقة ويقال بيت مأوق^١ .

ويقال للسطح الإجار والصهوة . وسقف البيت أعلاه الداخل . وأما سمكه ، فما كان بين قراره إلى سقفه . والطاية السطح . والدرج المرتقى إلى السطح إن كان من خشب دعي ب (سلم) . وكل مرقة عتبة . والفرغ الخلاء بين المرقأتين . والعلوة هي أعلى الحائط الذي لا يغمى . والتفاريج والطنف آجر أو نحوه يجتمع به أعلى الحائط ليقبه المطر أن يسيل عليه . وهو الكثة والافريز . والهرادة من الخشب لأعالي الحيطان ، والنجيرة سقيفة بخشب لا يخاطها غيره^٢ .

ويسقف البيت بالخشب ، يوضع عليه عُرْضاً ، ويسمى (العراض) ، ثم تلقى عليه أطراف الخشب الصغار^٣ . وقد يطين ، أو يجهّز ، أو يبنى فوقه ليمنع المطر من السقوط من خلال الخشب على البيت ، وحرّ أشعة الشمس من النفاذ إليه .

وكانت بيوت أزواج النبي من اللبن ، ولها حجر من جريد مطروقة بالطين ، وعلى أبوابها مسوح الشعر^٤ . وهذه كانت صفة معظم بيوت أهل يثرب والمدينة ، ما عدا بيوت الأثرياء ، فقد كانت من حجر وكلس ولها كل وسائل الترفيه والراحة المتوفرة بالقياس إلى ذلك الزمان .

واللبن جمع لبنة . وأما الذي يعمل اللبن ، فهو اللبان . والملمن الآلة التي

١ بلوغ الارب (٣ / ٣٩٠) .

٢ بلوغ الارب (٣ / ٣٩١) .

٣ البرقوقي (ص ١٣٧) .

٤ طبقات ابن سعد (١ / ٤٩٩ وما بعدها) .

يضرب بها . والسابل ، الأداة التي ينقل عليها . والسميقان والأسمقة خشبات يدخلن في السابل . والطوب هو الآجر ، والطباخ هو الذي يطبخ أتونه ، والأطيمة : أتون الجرار والقصاع وأمثالهما . والبلاط : الحجارة تفرش بها الأرض . ويقال أرض مبلطة ، إذا فرشت بالبلاط^١ .

وقد عرف بعض علماء اللغة اللب بأنه المضروب من الطين مربعاً للبناء^٢ ، وتقابل لفظة (اللبنة) كلمة Libbatu في الآشورية ، و (لبتو) و (لبتو) في الإرامية^٣ .

والطيبان ، الذي يعمل الطين ، ويطين الحائط أو السطح ، ويشغل بالطين . والملاط ما رق من الطين . ونحوه السباع . ويقال للبالج الذي يمسح به وجه الحائط المسجّة والمسيعة . وأما الخيط الذي يقدر به البناء ، فيقال له (المطحر) . والشيد والشص الجص . والجصاصة موضع الجص . والملاحة مجعد الملح . والجيسار والكتس الصاروج . والصاروج النورة وأخلاتها . والثلاجة مكبس الثلج^٤ .

وتوضع في سطوح الدور ميازيب لتسيل منها مياه الأمطار إلى أسفل ، وتعرف ب (المئاعب) ، وواحدها (مئعب) ، ويكون من خشب وغيره . ويسيل الماء إلى (البالوعة) ويقال لها (البلوعة) كذلك^٥ . ولفظة (مئزاب) و (مرزاب) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، ولكنها من الألفاظ القديمة الداخلة إلى العربية^٦ . وموضع الطبخ في الدار هو المطبخ . وأما المخبز فهو موضع التنور . ويقال للتنور الوطيس والمهيلم والميسعر كذلك . والكرامة طبق التنور ، والمناقة حجره . وأما الساعور ، فتنور صغير في الأرض^٧ .

١ بلوغ الارب (٣٩١/٣) .

٢ شرح القاموس (٣٢٨/٩) .

٣ برصوم (ص ٢٦٩) .

٤ بلوغ الارب (٣٩١/٣) .

٥ بلوغ الارب (٣٩١/٣) وما بعدها .

٦ المغرب (ص ٣٢٦) ، المغرب (ص ١٤) ، شرح القاموس (٢٦٩/٣) .

٧ بلوغ الارب (٣٩٢/٣) .

والسور هو حائط الحصن والمدن . وأما الربض ، فحائط حول السور . والشرف هو ما أشرف فوق الحائط ، ويتشرف الناس من ورائه ^١ . ويعبر عن (السور) بـ (حل) Hel في العبرانية ، أي (حائل) ، وهو الحائط الذي يحيط بالمدينة ^٢ . وتطلق لفظة (حال) و (حويل) على الحائط ، وعلى الحد الذي يفصل بين ملكين ، لأنه حائل يحول بين الأملاك وبين الأشياء ، فلا تختلط ويمتزج بعضها ببعض ^٣ .

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٢ وما بعدها) .

٢ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 233.

٣ تاج العروس (٧/٢٩٥) ، Rhodokanakis, Stud., II, S., 31.

الفصل السابع عشر بعد المئة

القصور والمحافد والإطام

وقد أورد علماء اللغة العربية ، جملة ألفاظ لها صلة بالمباني الضخمة وبالمباني العالية . منها : (قصر) والجمع (قصور) ، و (محفد) والجمع (محافد) و (أطم) ، و (مجدل) ، و (حصن) و (برج) وغير ذلك من ألفاظ لبعض منها صلة بالناحية الحربية ، لذلك أترك أمرها إلى ذلك الباب ، وسأقتصر هنا على الكلام على المباني الأخرى التي تخص الحياة الاجتماعية في الأكثر .

والقصر البيت الكبير الفاخر ، وتقابل لفظة (قصر) كلمة (قصرو) في لغة بني إرم^١ . وقد أطلقها علماء اللغة على البيوت الكبيرة لأهل الجاهلية في اليمن ، فقالوا : (قصور اليمن) . واشتهر من بينها (قصر غمدان) و (قصر سلحين) ، وقد أطلقها عرب العراق على حصونهم التي كانوا يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، فكانت الحيرة مكونة من (قصور) ، أقامها أشراقها ، واتخذوها بيوتاً لهم ، وحماية لأموالهم ، وملجأ يلجأ إليه أتباعهم عند دنو الخطر ، للدفاع عن سادتهم وعن أموالهم ، يصعدون إلى أعلى القصر ، فيرمون المهاجم بالحجارة والخزف والسهام والنار ، ويصبون عليه الماء الحار . ولما هاجمها (خالد بن الوليد) ، أخذ يحاصرها قصراً قصراً ، ويفتحها ، وبذلك سقطت المدينة ، المؤلفة

١ غرائب اللغة (٢٠١) .

من هذه القصور . ولا تزال اللفظة معروفة في العراق ، فيعرف حصن (الأخضر) المشرف في البادية بـ (قصر الأخضر) ، ويطلق على بعض قرى عين النمر القصور ، لأنها كناية عن بيوت تحمي بـ (قصر) في الأصل^١ .

وتخزن في غرف الطابق الأرضي من القصر الميرة ، وما يحتاج اليه ، وكذلك الماشية ، أما الطابق الثاني ، أو ما بعده ، فيتخذ مسكناً ، لأهل القصر ، وقد تعمل به منافذ صغيرة ، ليرمي منها المدافعون المهاجمين بالسهم وبالحجارة ، لمنعه من الدنو من القصر ، ويدافع عنه من السطح كذلك .

والمحفد من الألفاظ الواردة في كتب اللغة ، وجمعها (محفد) . وتعني في العربية الجنوبية القلعة والحصن ، أي المكان الحصين المنيع الذي يتحصن فيه الجنود للدفاع^٢ . وتعرف بـ (محفدن) في العربية الجنوبية ، أي (المحفد) .

وترد لفظة (صحفت) مع (محفد) . وأما (صحفت) ، فقد فسرت بمعنى المجاز أو الطريق أو المر أو الخندق . وهي في معنى لفظة (ضخف) التي تعني الحفر ، ومنها (مضخفة) التي تعني المسحاة^٣ . ويكون الخندق حول المحفد ، يحميه من غارات الأعداء ، فيحول بينهم والوصول إلى سوره . وتؤدي لفظة (صحفت) معنى ممر في داخل الحصن يربط بين السور وداخل الحصن^٤ .

والمجلد ، هو القصر المشرف^٥ . فهو نوع من أنواع الأبنية الضخمة . وهو الحصن في داخل المدن عند العبرانيين ، ويقابل لفظة Castellum في اللاتينية^٦ . وقد وردت لفظة (مجدل) و (مجادل) أي في صيغة الجمع في النصوص اللحيانية بمعنى البرج والحصن^٧ .

وأما الأطم فالحصن والجمع آطام . وهي القصور والحصون. وقال (الأصمعي)

١ راجع الجزء الثالث من تاريخ الطبري ، في فتوح العراق ، وكذلك فتوح البلدان للبلاذري .

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٤ المصدر نفسه .

٥ شمس العلوم (١٠ ق ٢ ص ٣٠٦) .

٦ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 235.

٧ راجع النص ٢٦ في كتاب : W. Caskel, S. 88.

الآطام الدور المسطحة السقوف ، موشاة أي منقوشة^١ . وهي معروفة عند أهل (المدينة) . وقد تحارب الأوس والخزرج عندها ، فأرخوا بهذا اليوم . وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها ، فأخربت في أيام (عثمان)^٢ .

وتقوى الحصون بسكك الحديد أحياناً ، وبكل وسائل التقوية والإسناد، لتتمكن من الصمود أمام العدو ، ومن تحمل ضربات الآلات التي تستخدم للهدم . ويعبر عن التقوية هذه بلفظة (سكم) ، أي (سك)^٣ .

وقد فسر بعض علماء العربيات الجنوبية لفظة (صرحت) (صرحة) (صرحس) التي ترد في كثير من الكتابات المتعلقة بأعمال البناء ، بالطبقة الثانية من البناء أو أعلى كل بناء^٤ . وفي كتب اللغة : (الصرح : بيت واحد يبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء) ، وقيل (القصر) أو كل بناء عالٍ مرتفع . وفي التنزيل : إنه صرح ممرود من قوارير ، والجمع صروح . وقال بعض المفسرين : الصرح بلاط اتخذ لبلقيس من قوارير^٥ .

وترد لفظة (صرحت) بهذا الشكل في بعض الكتابات ، كما ترد بغير تاء ، أي (صرح) . وقد وردت على هذه الصورة : (صرحس) في بعض الكتابات المعينية ، كما وردت على هذا الشكل : (صرحسن) أي (الصرح) .

والغالب بين علماء اللغة أن الصرح البيت العالي ، وقد قيّد بعضهم ذلك بالبيت العالي المزوق^٦ . وحيث أن البيوت المرتفعة العالية هي في اليمن وفي مواضع من العربية الجنوبية الأخرى في الغالب ، ونظراً لورود اللفظة في كتابات العرب الجنوبيين، فإننا نستطيع أن نقول باحتمال أخذ الحجازيين لفظة (الصرح) و (صرح) من العرب الجنوبيين .

١ الاغانى (١٤/١) ، « طبعة ساسي » ، شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ٨٥) .

٢ التنبيه والإشراف (ص ١٧٦) .

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 32, f., Glaser 1089, 1660, Halevy 203, Glaser 1144, Halevy 353, Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 446.

٥ شرح القاموس (١٧٩/٢) . « الصرح : بيت عالٍ مزوق » ، المفردات (٢٨٠) .

٦ المفردات ، للراغب الأصفهاني (ص ٢٨٠) .

الاعمدة والاسطوانات :

ومن الرخام أقيمت أعمدة جميلة كسيت تيجانها بالنقوش وبالزخرف الأخاذ . وقد تمكن المعمارون من وضع الصخور بعضها فوق بعض وضعاً فنياً في غاية الدقة جعلتها تظهر وكأنها قطعة واحدة . فقد صقلوا الصخور صقلاً تاماً بدقة وعناية ، وجعلوا نهايتها متطابقة تماماً . فإذا جلست بعضها فوق بعض ، انطبقت على بعضها ، وبدت وكأنها قطعة واحدة يصعب التمييز بين مواضع انطباقها . وقد تقرأ أحياناً في أواسط الرخام نُقراً عميقة ، ثبتوا في داخلها أوتاداً من الرصاص أو الحديد ، لتربط بين قطع الرخام ، ولتكون لها سنداً وقوة ، فلا تسقط . وقد وجدت مثل هذه الأوتاد بين الصخور المكونة لسد مأرب^١ ، وكذلك في قصر (غمدان)^٢ .

وأقيمت الأعمدة على قواعد تحمل الصخور الثقيلة المؤلفة منها تربط بينها أوتاد مربعة في الغالب ، وتكون القواعد أكبر حجماً من العمود ليستقر ثقل الأعمدة عليها ، ولتكون أثبت على سطح الأرض . وتقوى هذه القواعد بصب الرصاص عليها . وقد وجد أن المماري العربي الجنوبي تعتمد في جعل الجدران المرتفعة ميّالة إلى الجدار الداخلي كلما ارتفع البناء ، بمعنى أنه يجعل الجدران الخارجية أقرب إلى واجهة الجدران الداخلية في أعالي البناء من القواعد ، فتكون المسافة عندئذ بين الجدارين عند السقف أقرب وأقصر منها عند القاعدة^٣ . ويظهر أنه تعتمد ذلك لأغراض هندسية واقتصادية ، تستدعيها المحافظة على الحجارة من عبث الطبيعة بها وتقوية لها ، وتخفيفاً عنها ، واقتصاداً في مواد البناء .

وأقيمت بعض الأعمدة على أرض البناء رأساً من دون قاعدة بارزة يركز عليها بمعنى أن المعمار لم يجعل قاعدة العمود أوسع وأعرض من هيكل المجموع ، فيظهر العمود وكأنه قد نبت من الأرض .

وقد عثر المنقبون على أنواع متعددة من الأعمدة ، تيجان بعضها مربعة أو

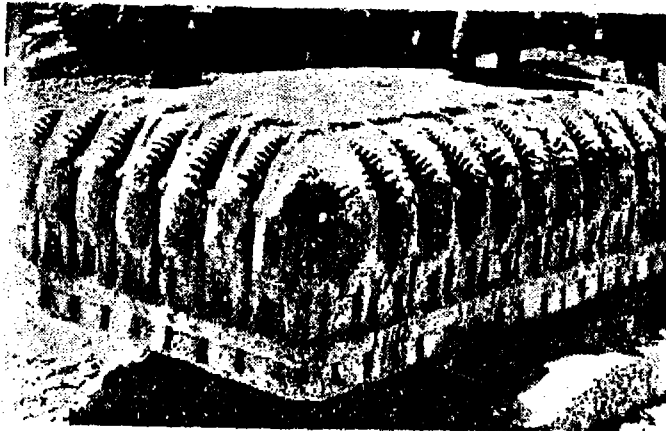
١ Glaser, Relse, S. 60, Hand. der Alt., I, S. 146.

٢ D.H. Müller, Burgen und schlösser, I, S. 345.

٣ Hand-der altar. alter., I, S. 146.

ذات زوايا مستقيمة . منها ما هو بسيط بدون زخرفة ولا نقوش ، ومنها ما هو مزخرف أو عليه بعض النقوش أو بعض الحروف أو الكتابات . ومن جملة الزخرف الذي زين تيجان الأعمدة زخرف يمثل زهرة الزنبق وأنواعاً أخرى من الزهور^١ .

وتمثل الأعمدة المربعة الشكل أو المستطيلة والحالية من الزخرف أقدم أنواع الأعمدة بالنسبة للفن المماري العربي الجنوبي . ونجد نماذج منها في خرائب معبد (قرونو) عاصمة معين . وفي (صرواح) (الخريبة) وفي (مأرب) (حرم بلقيس) (محرم بلقيس)^٢ وقد اقتطع المعمار هذه الأعمدة من الصخور ، كتلاً كتلاً ، ثم أمر بصقلها وتشذيبها حتى حوتها الى قطع أكسبها شكلاً هندسياً ، قواعد مربعة أو مستطيلة ، وضعها بعضها فوق بعض الى الارتفاع المقصود ، مكوناً منها اسطوانة تحمل البناء .



ونرى في هذه الصورة تاج أحد الأعمدة، وقد زخرف بحيث ظهر وكأنه كتلة من رؤوس خرفان أو حيوانات لها قرنان كالوعل وقد أبدع الفنان في حفره حتى ظهر الحجر، كأنه مجموعة حيوانات وقفت بعضها الى جانب بعض ، وزخرفت قاعدة الحجر، كما ترى في الصورة ويظن بعضهم أنه رمز الإله القمر .

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢٤)

١ Land. der alt. ar. I, S. 147, Deutsche Aksum Expedition, II, S. 143. ff.

٢ A. Grohmann, S., 209.

وقد أبدع الفنان في الحفر ، وأجاد في الزخرفة وفي انتقان عمله ، وأعطى عمله روعة ، فترى الحفر على مستوى واحد ، وقد عمل بدقة ومهارة . وانتقان العمل والإبداع في الفن من المزايا التي امتاز بها أهل العربية الجنوبية حتى اليوم .

وهناك أنواع من الأعمدة تتكون من ثمانية أضلاع ، وأنواع أخرى تتكون من ستة عشر ضلعاً ، عثر عليها في مدينة (تلقيم) ، وتتكون تيجانها من ست درجات : ثلاث منها على هيئة نصف أسطوانة : بطونها الى الخارج وقاعدتها العمود ، وثلاث على هيئة صفائح مستطيلة ذات ستة عشر ضلعاً . وقد نحتت هذه التيجان وربت على هذا الشكل : الدرجة السفلى مكونة من مستطيل ذي ستة عشر ضلعاً ، وفوقه درجة على هيئة نصف أسطوانة يليها مستطيل ذو ستة عشر ضلعاً ، وهكذا الى أن ينتهي التاج بالدرجة السادسة للتاج^١ .

وقد عثر على نماذج من الأعمدة المثلثة الأضلاع في معبد (صرواح) بـ (أرحب) ، وفي (حقه) وفي (العرين) وفي (بيت غفر) وفي (سوق النعم) وفي (شبام كوكبان) وفي (مأرب) ، وفي مواضع أخرى . ويرجع عهد هذا النوع إلى ما قبل الميلاد ، ويمتد إلى ما بعده . ويرى بعض الباحثين أن أكثر هذه الأعمدة قد ظهر في فترة من الزمن تقع فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني من بعد الميلاد^٢ .

وقد رأى (كلاسر) Glaser عموداً مثمناً ذا تاج (كورنثي) في مسجد (منقط) بالقرب من (بریم) ، يرى الباحثون انه من صنع عامل يوناني . وهم يرون ان أصله من مدينة (ظفار) التي لا تبعد كثيراً عن هذا المكان ، جيء به من هناك إلى هذا المسجد . وقد كانت (ظفار) مركزاً خطيراً وعاصمة لحميز ، وفيها أسس (ثيوفيلوس) كنيسة حوالي سنة (٣٥٤) للميلاد . وصارت هذه المدينة مركزاً لأسقفية تشرف على نجران وهرمز وسقطرى . وقد عثر في هذا المسجد على قطع أخرى أثرية ، عليها آثار الصليان وكتابات حبشية وآثار أخرى تشير إلى أصل نصراني ، يظهر انها من أيام استيلاء الحبشة على اليمن ، وانها ترجع إلى ما بين سنة (٥٢٥) و (٥٧٠) للميلاد . وفي خلال هذه المدة كان

Hand. der altar. alter., I, S. 148.

A. Grohmann, S. 210.

احتلال الحبشة للعربية الجنوبية^١ .

ولا استبعد أن يكون من بين هذه الأعمدة التي نحت الصليب فوقها ، أعمدة جاهلية أُخذت من المعابد الوثنية ، ثم حفر الصليب عليها ، لتناسب مع الطقوس النصرانية . أو أنها كانت معابد وثنية قديمة ، فلما استولى الحبش على اليمن ، أو عند اعتناق أهل تلك المواضع للنصرانية حولوا تلك المعابد الى كنائس وأحدثوا فيها بعض التكيف والتغيير لتكون في وضع يناسب الكنيسة ، فكان في جملة ما أدخلوه عليها حفر الصليبان على أعمدة تلك المعابد .

وتظهر الأعمدة المكونة من ستة عشر ضلعاً ، وكأنها اسطوانة ، أي عموداً ذا شكل دائري . لأن الأضلاع صارت ضيقة متقاربة أعطت العمود شكل اسطوانة . وقد عثر على نماذج من هذه الأعمدة في مدينة (تلقم) وفي معبد (صرواح) بأرحب ، وفي (صرواح) (الحربية) وفي (القراس) ، وفي جامع المتوكلية بصنعاء^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن الأسطوانات ، أي الأعمدة المدوّرة ذات الشكل الاسطواني التام ، قد ظهرت بعد الأعمدة المذكورة ، وأنها ترجع الى الأزمنة المتأخرة لذلك من تاريخ اليمن^٣ .

ومن العربية الجنوبية انتقلت هذه الأعمدة إلى بلاد الحبشة ، حيث نجدها في معابد الحبشة القديمة . وقد أخذ أهل تلك البلاد هذا النوع من الأعمدة في جملة ما أخذوه من حضارة أهل العربية الجنوبية^٤ . وقد رأينا ان أهل سبأ كانوا قد أقاموا حكومة لهم في إفريقية ، وقد ترك أهل العربية الجنوبية ، ولا سيما أهل سبأ منهم ، آثاراً في اليمن في مختلف النواحي ، ما تزال ظاهرة للعيان .

وقد استعملت الأعمدة المصنوعة من الخشب لحمل السقوف ، ولا سيما في البيوت .

١ Philostorgios, Historia Ecclesiastica, III, 4, Handb. der altar. alter., I, S. 148.

٢ A. Grohmann, S., 210, Rathjens und Van Wissmann, Vorislamische Altertümer, 132, 133, Glaser, Geographische forshungen in Jemen, 1882, 73.

٣ A. Grohmann, S., 210.

٤ Deutsche Aksum — Expedition, II, S. 101. f, 154, ff, Hand. der altar. alter., I, S. 148.

وتوجت هذه الأعمدة بتيجان في الغالب ، جعلت على هيات وأشكال مختلفة . ولا يزال الناس يستعملون هذه الأعمدة في بناء البيوت .

وقد نوّع المعمار هندسة تيجان الأعمدة والأساطين، بأن جعلها أشكالاً وأنماطاً ، راعى وحرص على أن يجعلها تتناسب مع شكل العمود الذي سيوضع التاج فوقه ، أو الاسطوانة التي سيوضع عليها . وقد مرّ هذا التنوع في أدوار وأطوار ، كما مرت صناعة الأعمدة والأساطين هذه الأدوار كذلك . لقد كان التاج في بادئ أمره جزءاً أساسياً من أجزاء العمود ، أي قطعة منه . هي القطعة الأخيرة من قطع العمود . وعلى هذا الجزء أقام قواعد السقف من غير أن يميزه عن الأجزاء الباقية من أجزاء العمود بأي شيء . ثم بدا له أن يجعل للقطعة الأخيرة حافة عليا بارزة ، وأن يجعل أعلاها أوسع من أسفلها الذي هو قاعدة التاج التي تتركز على بقية أجزاء العمود . وذلك لأسباب فنية تتعلق بالبناء وبعقد عقود المعابد.

ثم أخذ يجعل التاج قطعة حجر تكون أوسع مساحة من مساحة القطعة من العمود الذي سيوضع فوقها ، أي أوسع من مساحة العمود نفسه ، وصار يزخرفه ويتفنن في زخرفته، حتى ظهرت عنده جملة تيجان أقيمت عليها سقوف المعابد والقصور .

وقد عثر على تيجان بسيطة هي عبارة عن حجر وضع فوق العمود ، ولكي يربط هذا التاج بالعمود ربطاً محكماً ، ويجلس فوقه جلوساً تاماً هندسياً ، فقد ربط بالعمود بوترد يقوم مقام المسار في ربط أجزاء الخشب بعضها ببعض، يدخل في التاج وفي العمود ليربط بينهما ويجعلها وكأنهما قطعة واحدة من حجر . وقد توضع بين التاج والعمود مادة بنائية لتشد بين الحجرين وتمسك بينهما ، فضلاً عن (المسار) الذي يدخل في الثقب الموجود في الحجرين، إن كان ذلك (المسار) متحركاً أي متنقلاً ، أو في الثقب المحفور في الحجر المقابل ، إن كان ذلك (المسار) أو الوترد ثابتاً وقد نحت في أحد الحجرين حتى صار مرتفعاً كقطب الرحي، ليدخل في التجويف المعمول في الحجر الثاني المقابل وبذلك يماسك الحجران.

وقد وجد (كلاسر) تاج عمود ، ظهر أنه كان مؤلفاً من حجرين ، حجر مربع الشكل أطرافه قائمة الزوايا ، وأضلعه الخارجية عدلة ، ثم حجر آخر أقيم تحته ، أي فوق العمود ، أطرافه الخارجية منحوتة نحتاً جعل الأطراف ماثلة نحو العمود ، أي الى الجهة السفلى^١ . وربما كان هذا النوع من التيجان مرحلة من

A. Grohmann, S., 210.

مراحل تكبير الناج وتطويله بجعله يتألف من جملة طبقات . كما عثر على تيجان جعلت جملة طبقات ، طبقة مصقولة ملساء ، وطبقة منحوتة ومزخرفة زخرفه هندسية أو بأشكال أخرى حسب ذوق المهندس المعمار الذي وضع تصميم المكان . عثر على نماذج أخرى عديدة من التيجان ، تفنن في نحتها وفي تكوينها المعمار . وتمثل بعض منها شخصية ذلك المعمار تمام التمثيل . فهي مستقلة تمثل طابع العمارة العربية الجنوبية . ولكننا نجد بعض التيجان وكأنها تقليد ومحاكاة لتيجان أجنبية . فبينها تيجان تشبه تيجان أعمدة بعض معابد مصر التي تعود إلى ما قبل الميلاد ، ونجد بعضاً وكأنه محاكاة لتيجان يونانية أو رومانية أو فارسية أو حبشية . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن عدداً من تيجان الأعمدة الموجودة اليوم في بعض دور الحكومة بصنعاء، أو في المساجد أو في بعض البيوت هي من أيام الاحتلال الحبشي أو الساساني لليمن . ولا يستبعد أن يكون من بينها تيجان وأعمدة أخذت من كنيسة (القليس)^١ .

ولما كانت العربية الجنوبية على اتصال بالعالم الخارجي ، منذ عصور ما قبل الميلاد، وقد شهدت فتوحاً أجنبية ، كما كانت لها صلات تجارية مع الروم والإفريقيين والهنود والفرس ، فلا يستبعد استخدام العرب الجنوبيين للأعاجم في أعمال البناء ، وتأثرهم بالأساليب المعمارية الأجنبية ، ولا سيما في أثناء الفتح الحبشي لليمن ، فقد ذكر أهل الأخبار أن الحبش استعانوا بفعلة من الروم في بناء (القليس) ، كما أن الروم كانوا قد شيدوا كنائس في عدن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، وقد بنيت هذه الكنائس وفقاً لأسلوب الفن البيزنطي النصراني ولا شك . وقد كان بين الفرس من يحسن البناء ويتقنه ، كما كان لأهل العربية الجنوبية اتصال بالفرس قبل هذا الفتح ، وكانت فيها جاليات منهم ولا سيما في الأقسام الجنوبية الشرقية ، فأثروا بذلك في طراز البناء .

وما قلته من تفنن المعمار العربي الجنوبي في تنوع الأعمدة وتيجانها ينطبق أيضاً على القواعد التي أقيمت الأعمدة عليها . فبعد أن كانت قاعدة العمود أو الاسطوانة بسيطة ، لا تمتاز عن العمود بأي شيء ، بل كانت قطعة واحدة منه ، ليست لها عن بقية الأقسام أية ميزة ، رأى المعمار تمييزها عن بقية الأقسام ، فجعلها أوسع

١ A. Grohmann, S. 218, Sabaelca, I, 119. ff.

من العمود ، وأعطاه أشكالاً هندسية وزخرفية ميزتها عن العمود وعن تاجه .
فنجد قواعد أعمدة على شكل مربع أو على شكل مستطيل أو على شكل دائري .
ثم نجد لها بسيطة تماماً ، ونجدها مزخرفة ومزوقة . ونجدها وقد نحتت على شكل
تظهر وكأنها من طبقات مختلفة .

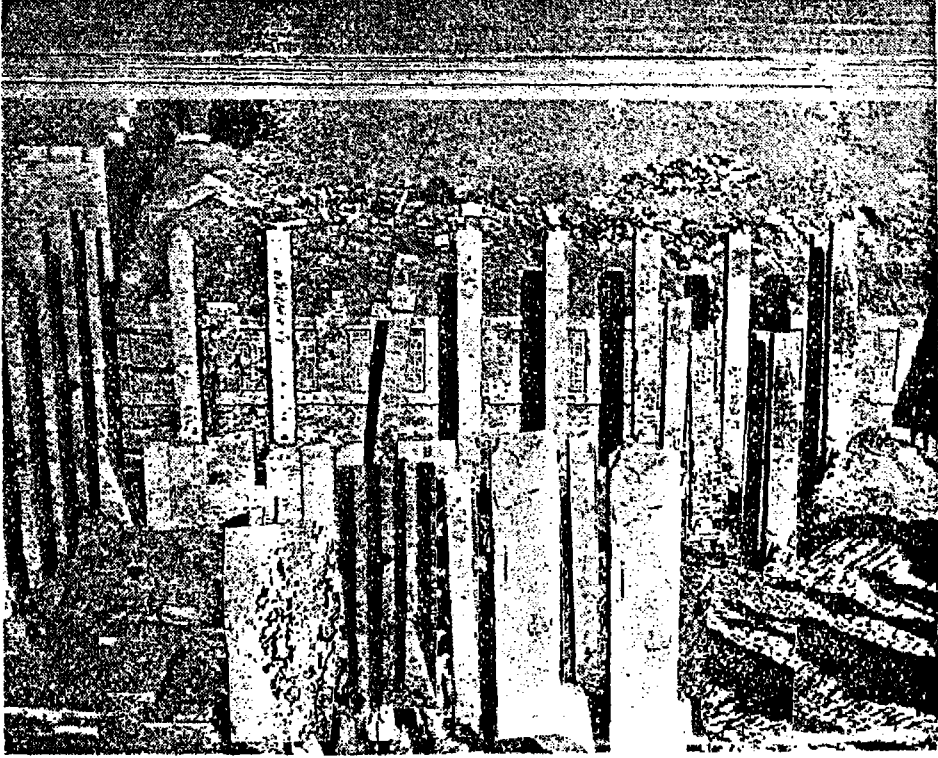
وعلى هذه الأعمدة والتيجان والاسطوانات أقيمت سقوف المعابد والقصور وبيوت
السادات عقدت عقداً على نحو ما نراه في الوقت الحاضر من بناء المساجد وبعض
الأسواق القديمة والأبنية الأثرية . ولا يستبعد استعمال أهل اليمن للقباب في معابدهم
وفي قصورهم ، فإدانة البناء متوفرة عندهم ، والإمكانات الفنية موجودة عند
المعمار العربي الجنوبي . عقدت على عقود وأقواس ينتهي مركز ثقلها بتيجان
الأعمدة أو برؤوس الأعمدة على طريقة بنائهم للمساجد في هذه الأيام .

ولم تجر حتى الآن حفريات علمية واسعة في اليمن وفي بقية أنحاء العربية الجنوبية،
كما أن دراسات المتخصصين الضليعين بعلوم العرييات الجنوبية قليلة ، ولهذا كان
علمنا بالآثار العربية الجنوبية ضحلاً لا يعين على تكوين رأي علمي واضح صحيح
في آثار تلك الأرضين وفي صلة الحضارة العربية الجنوبية بغيرها من الحضارات .

لقد وضع (كلاس) مخططات تقريبية لبعض المعابد والأبنية القديمة في اليمن ،
مثل معبد صرواح ومعبد (محرم بلقيس) حرم بلقيس ، وهو معبد إله سبأ
الرئيس (المقه) وأماكن أخرى ، كما وضع غيره مخططات أخرى . ولكن هذه
الدراسات تقريبية وغير كاملة . ولا بد من وقت للبحث في هندسة هذه الأماكن
بحوثاً علمياً دقيقاً . ومثل هذه البحوث لا تقوم إلا بحفريات عميقة منتظمة . توصلنا
إلى أسس تلك الأبنية وما طمر في الأرض من آثار تتعلق بتلك الأماكن .

وقد تمكن المتقنون في هذا اليوم من تثبيت معالم بعض المعابد ولا سيما معبد
(المقه) بمأرب ، حيث شخصوا بعض معالمه ، إلا أن تحديده بصورة مضبوطة
واضحة ، وتعيين مواضع العبادة فيه ، تحتاج إلى دراسات أثرية واسعة وبمقياس
كبير . فقد أمكن مثلاً تنظيف بعض مواضع معبد (اوم) (اوام) بمدينة
(مأرب) من الأتربة ، لتظهر معالمه ، وأمكن بذلك من الحصول على معلومات
أثرية لا بأس بها عنه ، غير أن معارفنا عنه لا تزال قليلة ، لأن البحث العلمي
لم يتم على هذا المعبد حتى الآن . وترى في الصورة بقايا الأعمدة التي كانت تحمل

سقف المعبد ، كما تشاهد بعض بقايا جداره ، وهو من المعابد المهمة التي كانت في (مأرب) .



معبد أوام بمدينة مأرب
من كتاب Qataban and Sheba (ص ٢٥٧)

وقد نسي اسم هذا المعبد القديم ، الذي كان يسميه السبئيون معبد (أوام) (أوام) . وكانوا يتقربون اليه بالهدايا والنذور ، تقدم باسم رب هذا المعبد : (بعل أوام) . وهو (المقه) إله سبأ الأكبر ، إله القبيلة القديم. وهو القمر. ويسمى معبده في هذا اليوم بـ (حرم بلقيس) وبـ (محرم بلقيس) ، ويقع على مسافة ميلين تقريباً من قرية (مأرب) الحديثة . وتقع معظم ساحة المعبد وجدره وأبنيته تحت الرمال . وما لم ترفع هذه الكثبان الرملية عنه ، فإنه من المستحيل التحدث عنه حديثاً علمياً . وقد سرق الناس أحجار السقوف وأعلى جدار المعبد ، لاستعمالها في البناء ، ولما زار (كلاسر) المعبد ووصفه ، رأى سقف

المعبد ، أي البيت الذي يتعبد فيه ، وكذلك أعالي سوره ، وكانت زيارته له سنة (١٨٨٨ م) ، ولا نجد اليوم من آثار السقف وأعالي الجدران شيئاً ، بسبب سرقة الأحجار ، ولولا الرمال التي غطت الأرض والجدران وساحة المعبد ، وحفظت في باطنها أحجارها وبعض الأعمدة الضخمة التي صعب على الناس قلعها ، لما تبقى من حجارة هذا المعبد شيئاً .

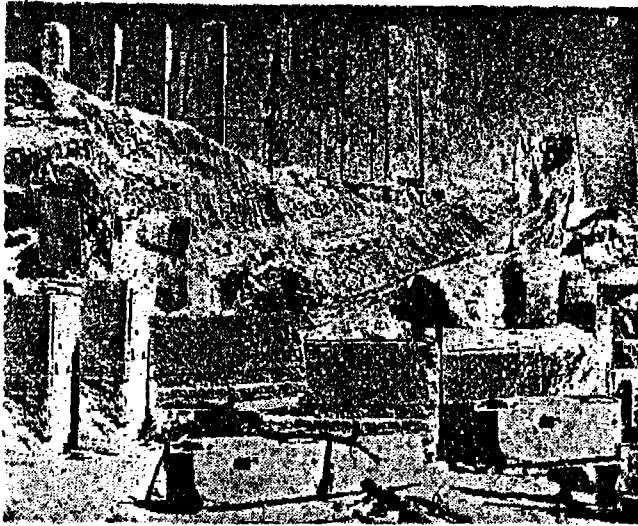


جانب من معبد - أوام -
وترى أبواباً ونوافذ لقاعة
من قاعات هذا المعبد .
ويظن أنها ليست من أصل
المعبد بل أضيفت إليه .
من كتاب
Qataban and Sheba
(ص ٢٧٢)

وقد بني هذا المعبد في أيام (المكربين) ، وقد وجدت فيه كتابة تعود الى أيام المكرب (يدع ايل ذرح بن سمهلي) مكرب سبأ . ويرى (البرايت) أنه حكم في منتصف القرن السابع قبل الميلاد . وربما كان هذا المكرب قد جدد بناء هذا المعبد الذي أقامه مكربون سبقوه في الحكم .

وتجد في هذه الصورة بقايا جدار معبد (اوم) ، وبقايا نوافذ حجرية ، وقد تخللتها ثقوب لدخول الهواء والنور منها ، وقد نقشت وزخرفت . وقد جدد ورمم بناء المعبد مراراً ، وأضيفت عليه جملة زيادات ، كما يتبين ذلك من الكتابات التي عثر عليها المتقنون داخل المعبد، وقد دوت للناسبات التجديد وادخال الإضافات، ثم من طراز الهندسة الذي نراه في البناء ومن تنوع الأحجار ومادة البناء .

وهذه صورة أخرى ، أخذت أثناء قيام بعثة (وندل فيلبس) بأعمال الحفر في معبد (اوام) وترى الأعمدة قائمة ، والعمال يشتغلون في إزاحة الأتربة التي طمرت ذلك المعبد القديم .



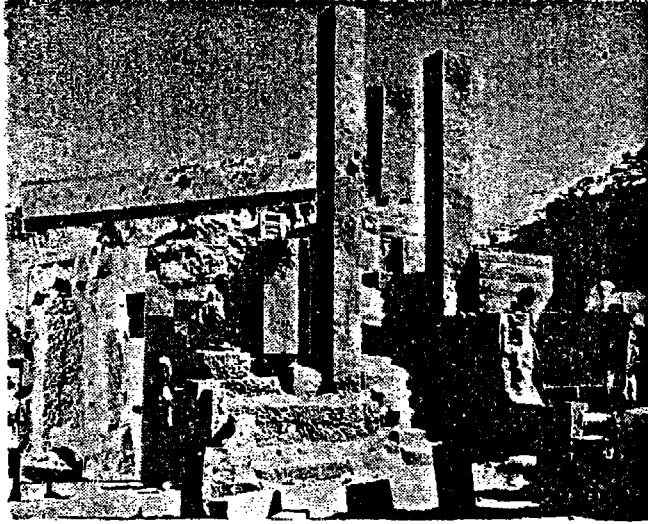
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٥٦)

١ راجع الصفحة (٢١٥ وما بعدها) من كتاب :

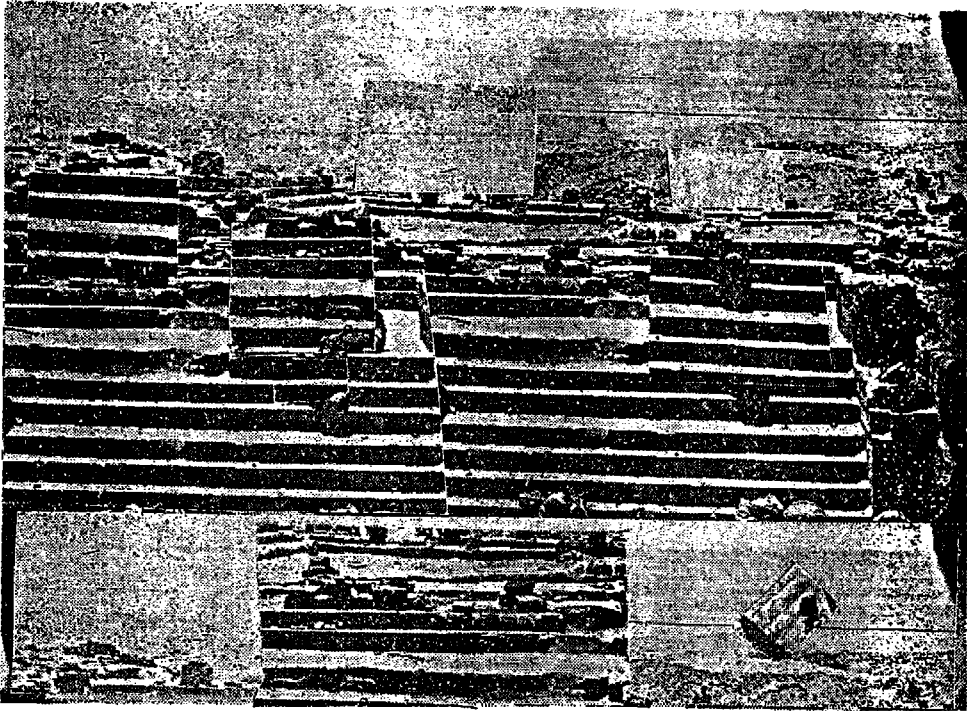
Archaeological Discoveries in South Arabia, 1958, by John Hopkins Press.

للقوف على وصف هذا المعبد .

وهذه صورة أخرى لمعبد (اوم) (اوام) ، في أثناء قيام بعثة (وندل
فيلبس) بالحفر فيه .



ونرى في هذه الصورة أعمال الحفر لبعثة (وندل فيلبس) وهي تجري في معبد
(عثر) بمدينة (تمنع) عاصمة قتيان . ويعود عهده الى القرن الأول قبل الميلاد .



وتوجد في خرائب (مأرب) آثار معبد آخر خصص لعبادة (المقه) كذلك ،
هو معبد (برن) (بران) . ويعرف موضعه بـ (العمائد) عند أهل مأرب الحاليين .
وذلك لوجود أعمدة من أعمدته القديمة ظاهرة على سطح الأرض . ولم يقم العلماء
بالتنقيب عن هذا المعبد المهم .



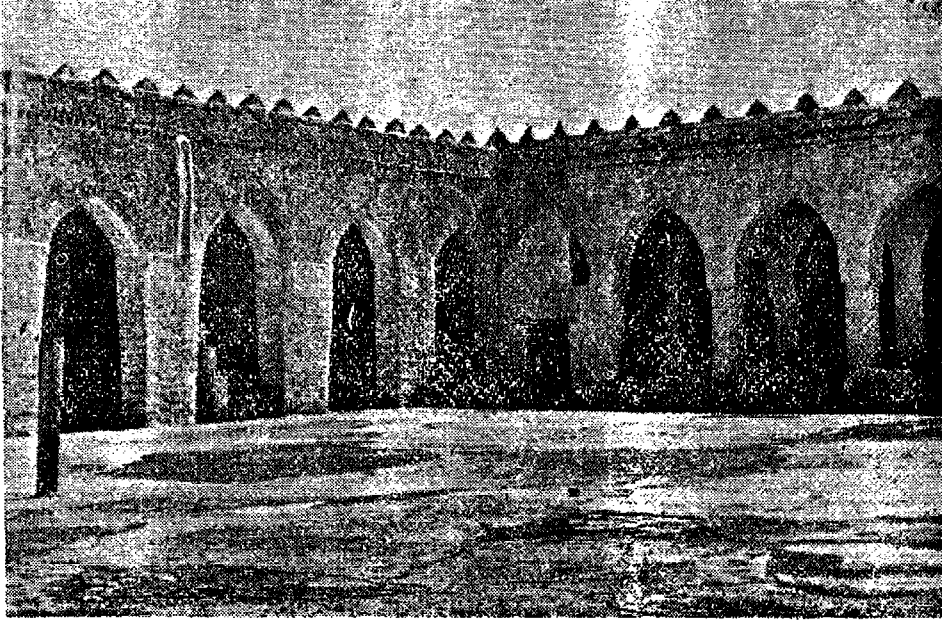
وقد بقيت في
العربية الجنوبية بقية
من أصول الهندسة
المعمارية الجاهلية ،
تظهر معالمها في المباني
الضخمة التي تكون
بيوت الحكام والأسر
الغنية ، والتي تضم
في الغالب أحجاراً
قديمة مكتوبة وغير
مكتوبة ، وتراثاً
قديماً موروثاً ورثه
المعماريون من عرب
ما قبل الإسلام .
وترى في الصورة
نموذجاً من الرياسة
القديمة المتمثلة في
مسجد (الأشرفية)
بمدينة تعز ، وهي
رياسة أخذت من
الفن الجاهلي . وترى
الضريح ، وقد أقيم

ضريح أحد الأئمة في مسجد الأشرفية بمدينة تعز
من كتاب : Günther Pawelke Jemen. (ص ٦٤)

Archaeological Discoveries in South Arabia, pp. 238, A. Jamme, inscriptions
de Al Amyid a Mareb, in Le Muséon, LXVIII, (1955), pp. 317, Jamme 534.

على طراز عربي قديم، لا يشبه الأضرحة التي توجد في البلدان العربية الأخرى، لاستمداده هندسته من هندسة الأضرحة القديمة في العربية الجنوبية .

ونرى في هذه الصورة المأخوذة لجامع (الجندية) فناً ، يختلف عن فن بناء المساجد في العراق أو في بلاد الشام ، فلعمود هذا الجامع ولأعمدته واسطواناته صلة بالأبنية العربية الجنوبية القديمة . وأنت إذا دقت في هذه الصورة ترى طراز بناء القسم الأيمن منها يختلف عن طراز بناء الجزء الأيسر منها، ومع ذلك فإن للطرازين صلة بالفن العربي الجنوبي . وترى سطح السقف ، وقد زين بأفاريز لها صلة بالأفاريز التي كان يعملها العرب الجنوبيون على مثل هذه المواضع من أسوار مدنها ، وأبنيتهم الضخمة من دور وقصور .



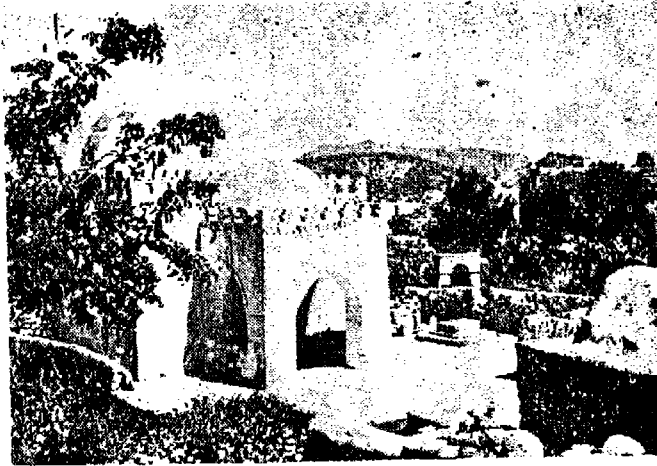
جامع الجندية

من كتاب : (Jamen, das Verbotene land)

لمؤلفه Günther Pawelke (ص ٩٦)

ونرى في الصورة التالية التي هي صورة مسجد بمدينة (تعز) ، فناً ، له جذور وأصول قديمة ، استمد روحه من الفن العربي الجنوبي الذي يعود إلى

أيام ما قبل الاسلام . وهو فن له استقلال في الشخصية ، ومزايا تميزه عن الفن في المواضيع الأخرى من جزيرة العرب. ونرى بعض قباب مساجد اليمن لها شخصية مستقلة ، ترشدنا إلى انها من أصل ذلك الفن الياباني العريق في القدم .



مسجد في تعز

من كتاب (Jamen, das Verbotene land)
لمؤلفه Günther Pawelke (ص ٤٨)

وعندي إن من الواجب في هذا اليوم دراسة الفن المعماري القائم حالياً في العربية الجنوبية ، المتجلى في الأبنية القائمة الباقية التي لها طابع عربي جنوبي خاص ، من قصور ودور ومساجد وأضرحة ، ودراسة فن الزخرفة المتمثلة في النقش على الحجر ، من زخرف قديم وزخرفة حديثة ، ودراسة الأعمال الفنية السائدة اليوم ، مثل النجارة والحفر والنقش والرسم وما شاكل ذلك ، لأن مثل هذه الدراسة تساعدنا كثيراً في الوقوف على الفن العربي الجنوبي .

وقد أبدع أهل العربية الجنوبية في فن الزخرفة . و (الزُخرف) في تفسير علماء العربية الذهب في الأصل ، ثم سميت كل زينة زخرفاً ، ثم شبه كل مموه مزوّر به . وفي حديث يوم الفتح أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحّي وأمر بالأصنام فكسرت . الزخرف هنا نقوش وتصاویر . ومن النقوش التي عثر

١ . تاج العروس (١٢٦/٦) ، (زخرف) .

عليها في العربية الجنوبية نقوش حيوانات وأشجار وصور بشر حفرت على الأحجار أو المعادن أو الأخشاب ، وعلى ألواح من الجبس ، استعملت في أغراض مختلفة للزينة . ومنها أحجار منقوشة ، نقش عليها عناقيد عنب وأغصان وأوراق ، وما شاكل ذلك . وجد علماء الآثار أن بعضاً منها يعود عهده الى القرون الأولى من الميلاد .

وإذا كانت المعابد شاهداً على الفن وعلى التفكير الديني لقوم من الأقوام ، فإن المقابر هي شاهد كذلك على وجهة نظر القوم الى العالم الآخر ، عالم ما بعد الحياة . فما في القبر من أدوات وأشربة وطعام وآنية ، أو من بساطة وسداجة ، تشير الى تفكير القوم في شكل الحياة الآخرة وفي كيفيتها وفي درجة تعلقهم وتمسكهم بالآلهة وبالدين .

وخير مثال على ذلك ، أهرام مصر وآثارها ، فإنها آثار قبورية ، تمثل ميلغ تغفل الدين في نفوس الحاكمين وفي الشعب ، ووجهة نظرهم الى عالم ما بعد الحياة . لقد أنفق الحاكمون على قبورهم أكثر مما أنفقوه على قصورهم في الدنيا . إن بهم - بعد الموت - حاجة الى كل ما يحتاج اليه الإنسان في الحياة . ولهذا ادخروه في هذه المقابر ، ليستفيد منها الميت بعد انتقاله الى العالم الآخر ورجوع الحياة اليه . أما العربي ، فلم يهتم بقبره اهتمام المصري به ، فلم يترك (المكربون) ولا الملوك ولا الأمراء ما تركه الفراعنة والكهان والأمراء في قبورهم ، لا كله ولا بعضه . إنه لم يكن يحفل بالحياة الآخرة احتفال أهل مصر بها ، لذلك نجد قبره ساذجاً ، ثم هو لم يدخل فيه طعاماً ولا شراباً ولا أثاثاً ، ولم يدخل فيه كذلك خدماً وحشياً من بقايا الحاشية المسكينة التي أدخلت الى القبر قسراً لتخدم سيدها في العالم الآخر ، كما خدمته في العالم الأول .

وقد يقال إن لفقر بلاد العرب دخلاً في ذلك ، ولكن ما بال أهل اليمن ، وقد كانوا في سعة وخير ، لا يفعلون في قبورهم بعض ما فعله أهل مصر . وما بال قبور ملوكهم ساذجة ، لا تحوي ذهباً ولا حجارة كريمة ولا تصاوير وتمائيل وتواييت وجثثاً للضحايا التي تدفن مع الميت ؟ إن ذلك ، إن دل على شيء ، فإنما يدل على اختلاف في وجهة نظر القوم عن وجهه نظر المصريين مثلاً

عن الحياة الآخرة . ونحن لا نتكهن في الزمن الحاضر عن وجهة نظرهم في ذلك الزمن ، لعدم وجود كتابات جاهلية أو آثار تتحدث عن تلك الحياة .

وإذا قلنا إن تلك القبور كانت ساذجة خالية من الكنوز التي يجدها الناس في اهرامات مصر ، فإن ذلك لا يعني أن قبور الجاهليين ، كانت كلها خالية من النفائس تماماً. فقد عثر في بعض منها على أساور من ذهب وخواتم وتمائيل وجرار بل وعلى سيوف وخنجر وسكاكين ، وضعت مع الميت في قبره، كما يروي أهل الأخبار أن بعض الجاهليين كانوا يتعقبون المقابر القديمة، فينبشونها لاستخراج ما فيها من أشياء نفيسة ، حتى ذكروا أن ثراء (عبدالله بن جدعان) إنما كان من المقابر القديمة التي كانت بمكة^١ ، ورووا قصصاً عن قبور زعم أن الناس عثروا فيها على كنوز ، وقد سبب هذا القصص إقدام الناس على نبش المقابر الجاهلية لاستخراج ما قد يكون في جوفها من ذهب وكنوز ، مما أفسدها وأزال معالمها وأضاع علينا تراث الجاهليين .

وقد ذكر (أبو علي لغدة) الأصفهاني ، أن « مجلدان هضبة سوداء ، يقال لها بتمة ، وبها نُقِبُ » ، كل نقب قدر ساعة، كانت تلتقط فيه السيوف العادية، والحرز ، يزعمون أن فيه قبوراً لعاد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل »^٢ .

وقد عثر على بعض المقابر الجاهلية في العربية الجنوبية ، ظهر منها أن القبور ساذجة لا تكلف فيها ولا تعقيد في الغالب . ولكنها تختلف باختلاف الأرضين والقبائل وطبيعة الأرض . فقد عثر على قبور اتضح منها أن الجاهليين في بعض أماكن من اليمن ، وضعوا الميت في تابوت قائم الزوايا ، مصنوع من الحجر ، وقد غطي بغطاء من الحجر كذلك . ومثل هذه القبور لا تكون في العادة إلا في الأماكن التي تتوفر فيها الحجارة. أما في الأماكن الصحراوية والبرية التي لا تتوفر فيها مثل هذه الحجارة ، فلم يكن من الممكن وضع الميت في مثل هذا التابوت ، ولهذا كانوا يدفنونه في الأرض في لحد ، ثم يمال على الميت التراب . وقد عثر على جملة قبور تكون مجموعة واحدة يحيط بها حائط معقود بالحجارة يراوح ارتفاعه من متر إلى خمسة أمتار . وهي مدافن أسرة واحدة في الغالب . وقد أشير إلى

١ الروض الانف (٩٢/٢ وما بعدها) .

٢ بلاد العرب (١٣ ، ٣٠) .

أمثال هذه المقابر في الكتابات . كما عثر على قبور هي غرف نحتت في الصخور ، وقد كُتِبَ على باب الغرفة ، أي القبر ، اسم صاحب القبر أو أسماء المدفونين في الغرفة ^١ . وقد وصف (هريس) بعض هذه القبور ^٢ .

وعثر على بقايا مقبرة خارج سور مأرب من ناحية الشمال والغرب ، تبين من فحصها ودراستها ان بعض الموتى قد دفنوا وقوفاً ، وبعضهم قد دفنوا على الطريقة المألوفة أي اضطجاعاً على الأرض . ومن هذه المقبرة العامة الجاهلية حصل (كلاسر) على عدد كبير من شواهد القبور ، التي وضعت فوق قبور أصحابها لتدل عليهم ولتشير إلى صورة صاحب القبر واسمه ^٣ .

وقد عثر في معبد (اوم) (اوام) ، المعروف بمحرم (بلقيس) ، على مقابر ، لها أبواب تؤدي إليها . ذات غرف ، اتخذت مواضع لوضع الجثث بها . وجد أن بعضها كانت مقابر للمكربين والملوك ، فقد عثر على اسم (سمه علي ينف) (سمهعلي ينف) (سمه علي ينوف) ، مكتوباً على حجر في أحد القبور ، وعثر على اسم آخر هو : (يثع امر بين بن يكرب ملك وتر) وهما من الملوك الذين اعتنوا بهذا المعبد ، فأضافوا إليه اضافات ، ولعل الحفريات المقبلة ستكشف عن أسماء ملوك آخرين قبروا في هذا المعبد الكبير ، الذي كان المعبد الرئيسي لشعب سبأ في عاصمته مدينة مأرب (هجرن مربن) ، (هجرن مرب) .

وقد عثر في هذه المقابر على مباخر ، يظهر أنها استخدمت لتبخير القبر عند دفن الموتى ، وفقاً لطقوسهم الدينية ، كما عثر على قطع من الأحجار الكريمة وبعض المصوغات المعمولة من الذهب ، ونظراً لوجودها مبعثرة ، يظن أن الأيدي قد عبثت بها ، فنهبت ما كان أهل الموتى قد دفنوه مع الميت من أشياء ثمينة ^٤ .

ووصف (فون ريده) نوعاً من الأضرحة وجده في (صهوة) بحضرموت . وقد وصفه بأنه بناء على هيئة مكعب ، طول كل ضلع منه زهاء ٢٥ قدماً ، وبارتفاع مماثل . وقد شيد من حجارة مربعة كبيرة ، ويبلغ سمك حائطه قدمين .

Handb. der altar. alter., I, S. 162. ١

W.B. Harris, A Journey through The Yemen, London, 1893, p. 273. ٢

Wissmann-Höfner, S. 28. ٣

Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 235 ٤

وهو مقسم في الداخل الى قسمين . يكون القسم الواحد غرفة يفصل بينها حائط يبلغ ارتفاعه ست أقدام من مدخل البناء . ويتكون السقف من حجارة عرضها قدمان . ونجد في جوانبه ثلاثة أهرام للزخرفة . وعلى البناء كتابة قبورية تشير الى القبر^١ .

ولتخليد ذكرى صاحب القبر ، ولوقوف الناس عليه ، استخدم العرب الجنوبيون كثيرهم شواخص قبور ، هي عبارة عن أعمدة من الحجر رباعية أو غير رباعية يكتب في أعلاها اسم المتوفى . وقد يصور تحت الكتابة صورة تمثل الميت ، أو ترمز إلى شيء ديني . وقد عثر (كلاسر) على عدد من هذه الشواهد القبورية في مأرب^٢ .

وقد تكون الشواخص على هيئة صخور مستطيلة ، يكتب عليها اسم صاحب القبر . وقد تزخرف هذه الصخور . وتنتهي الكتابة بلفظة (صلم) في بعض الأحيان ، بمعنى صنم ، أي صورة ، ويراد بها صورة المتوفى ، أو الرمز الدال على شيء مقدس . وقد تدون الكتابة في القسم الأسفل من الشاهد ، وتخفر الصورة في القسم الأعلى منه . وعثر كلاسر أيضاً على نوع آخر ساذج من الشواهد ، هو عبارة عن نصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط^٣ . وثبت هذه الشواهد في الأرض . وقد وجد لبعضها حافة رقيقة كحد السكين ، وذلك لتسهيل تثبيتها في الأرض ، ومقاومتها لعبث الهواء والآفات الأخرى فيها^٤ .

ويقال للقبر (مبر) و (هقبر) (القبر) في اللحيانية^٥ . وقد عثر المنقبون على أحجار قبور ، كتبت عليها أسماء المتوفى ، وصورت عليها صور تشير الى الميت ، وحفرت عليها بعض الرموز والإشارات المستعملة في طقوسهم الدينية .

وقد وجدت في المقبرة الملكية للملك أوسان تماثيل لبعض ملوك هذه الأسرة الصغيرة التي حكمت مملكة أوسان ، وقد كتبت على قاعدة التماثيل أسماء الملوك ، ويتبين من وجودها في هذه المقبرة ، أن آل الميت دفنوا مع الملك المتوفى تماثلاً

١ A. von wrede, Reise in Hadhramaut, S. 245.

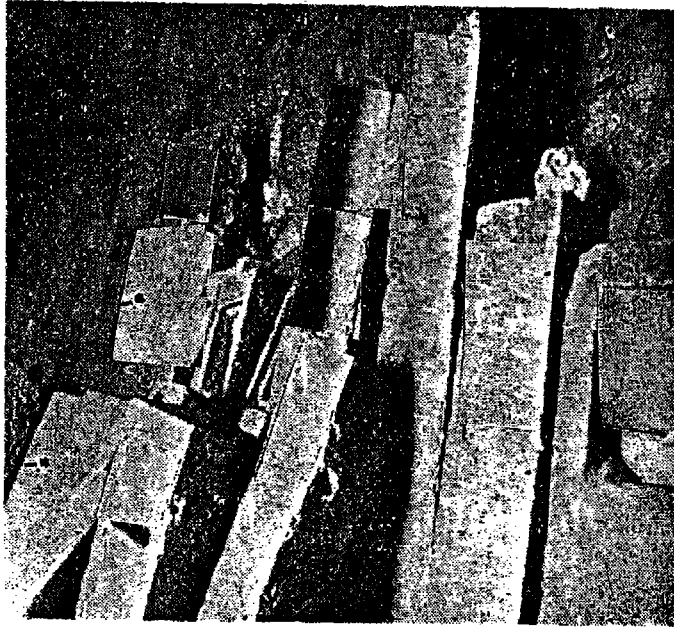
٢ Handb-der altar-alter, I, S. 163, Wissmann-Höfner, S. 28

٣ D.H. Müller, Südarabische Altertuner, S. 50.

٤ Handb-der altar-alter. I, S. 164.

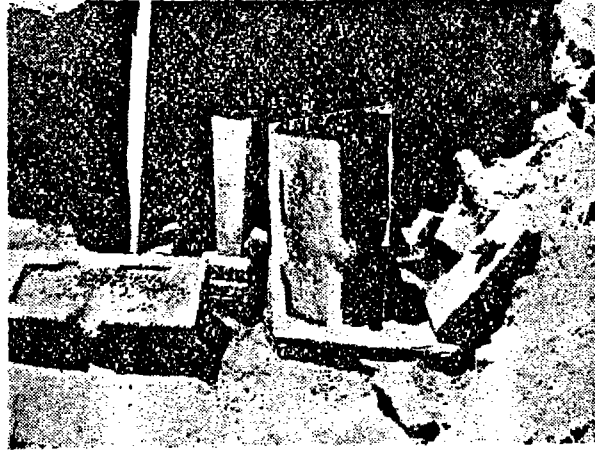
٥ النص رقم ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من كتاب : W. Caskel, S. 99, 133.

له ، ربما ليدل على قبره . وكتب لذلك عليه اسمه ليعرف ، ولم يعثر على مواد أخرى ثمينة، ويظهر أنها كانت موجودة غير أن السرّاق سرّقوها، فلم يبق فيها غير ما فات عنهم ، فلم يصلوا اليه . وقد موّنت المقابر الأخرى التي سلمت علماء الآثار والباحثين بالوواح من الحجر ، نحتت عليها صور المتوفين ، فوضعت شواخص على القبور ، ليعرف بالشاخص صاحب القبر ، كما عثر على مثل هذه الشواخص في باطن القبر ، مما يدل على أنها دفنت مع الميت في القبر .



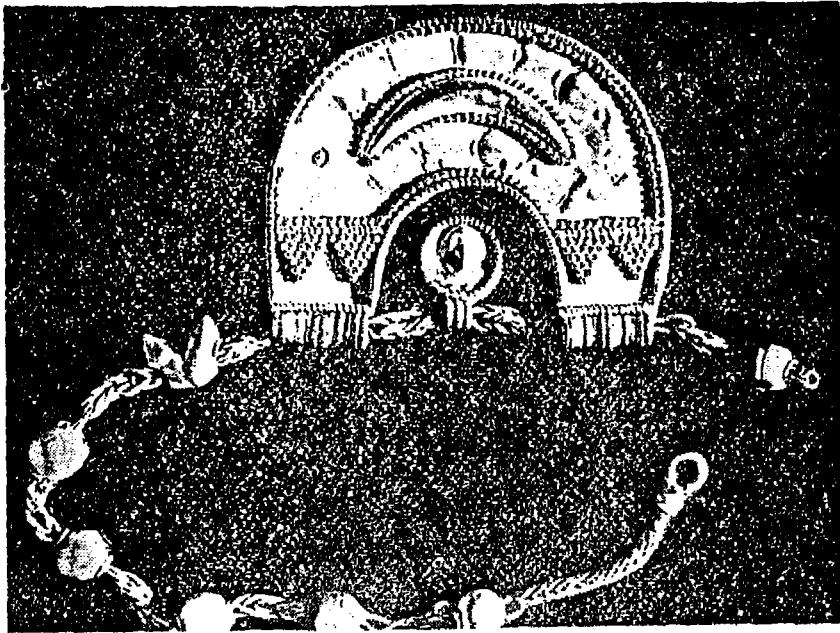
شواخص قبور حاول صانعوها إبراز معالم أصحابها
وقد أبدعوا في بعضها وخابوا في البعض الآخر .
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢٤)

ونرى في الصورة التالية تماثيل صغيرة استخرجت من مقبرة قدممة ، ويلاحظ ان الأنف دقيق ، وقد حفرّت العيون حفراً ، وجعلت واسعة نوعاً ما في بعض التماثيل . وقد نقرت بعض هذه القبور نقرأ في الصخور ، وهي صغيرة لا تتسع إلا لميت واحد ، ولكن المتقنين وجدوا مقابر جماعية ، تضم أفراد العائلة الواحدة .



تمائيل عثر عليها في مقبرة قديمة
من كتاب « Qataban and Sheba » (ص ١١٧)

وعثر في المقابر التي ضمت جدث نساء على أقراط وحلى نسائية ، وعلى أشياء أخرى تستعملها المرأة . وقد أمكن بواسطتها من تشخيص صاحبة القبر ، ومن الوقوف على مكانة أسرتها ومترلتها . وتوجد بعض الحلى في المتاحف ، وهي



قلادة من الذهب الخالص تعود الى القتبانيين ، عثر عليها في مقبرة قديمة عند « تمنع »
من كتاب : « Qataban and Sheba » (ص ١١٦)

جميلة تدل على مهارة (الصائغ) العربي الجنوبي . وفي جملة ما عُثر عليه قلادة ، عمل القسم الرئيسي منها على شكل هلال ، بداخله زخارف ، كما ترى في الصورة السابقة التي عُثر على أصلها في مقبرة قديمة من مقابر (تمنع) عاصمة قتيان .

ووجدت مصوغات أخرى من ذهب ، لا يزال الصاغة يصوغون من أمثالها في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب . منها ما يعلق على الرأس ، ومنها ما يعلق على الرقبة ، ومنها ما يوضع على الزند أو المرفق أو الأرجل ، ويلاحظ ان لفن الصاغة في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية طابع خاص يميزه عن فن الصاغة في البلاد الأخرى . وقد وضع الصاغة شعارات دينية على بعض المصوغات تيمناً وتبركاً بها . ولهذا فن المستحسن مقارنة المصوغات الحالية مع المصوغات الجاهلية التي عُثر وسيُعثر عليها ، للتوصل بهذه المقارنة إلى معرفة تأريخ هذه الحرفة عند العرب .

وقد وجدت مجامر قديمة في مواضع متعددة من اليمن . وقد استعمل بعضها في المعابد ، واستعمل بعض آخر في البيوت حيث يحرق فيها البخور أو بعض الأخشاب ذوات الروائح الطيبة العطرة لتطيب القادم . ولا تزال هذه العادة المعروفة قبل الاسلام مستعملة في اليمن ، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، كما في (بيشة) مثلاً ، وذلك على سبيل التقدير والتكريم والاحترام^١ .

في بلاد عسير : (ص ٦٢) .

الفصل الثامن عشر بعد المئة

الخزف والزجاج والبلور

الخزف : ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً ، وبائعته الخزّاف^١ .
والفخّار : الخزف . وذكر انه ضرب من الخزف تعمل منه الجرار والكيّزان
وغيرها . وورد في القرآن الكريم : « من صلصال كالفخار »^٢ .

والفخّارة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . ومادة الفخار الطين يسوّى على
الشكل المطلوب . فإذا جف ، فخر بالنار . وأواني الشرب أي الجرار هي من
أكثر الفخار استعمالاً حيث يوضع فيها الماء ، والكيّزان^٣ . واستعمل الفخار لخزن
المواد الغذائية أيضاً ، ولحفظ الأشياء الثمينة مثل الذهب والنقود والحلي، ولأغراض
أخرى عديدة ، ويكون في كل الأماكن الأثرية مادة مفيدة للآثارين .

وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى ان (الكوز) لفظة معربة ، عربت عن
الفارسية ، وذهب آخرون إلى انها عربية أصيلة^٤ ، وصانعها هو (الكوّاز) .
وعرف الخزف بأنه كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى صار فخاراً . أما
صاحبه ، فهو الخزّاف^٥ .

-
- ١ اللسان (٦٧/٩) .
 - ٢ الرحمن ، الآية ١٤ ، اللسان (٤٩/٥) وما بعدها .
 - ٣ شرح القاموس (٤٦٦/٣) .
 - ٤ شرح القاموس (٧٦/٤) .
 - ٥ شرح القاموس (٨٤/٦) .

وقد عثر على جرار على هيئة (الثومة) ، أي ذات عتق طويل ، وأما أسفلها فواسع ، في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي بلاد الشام . وتعرف بـ (بقب) و (بقبقة) . وهي (بقب) (بقبوق) في العهد القديم^١ .

وللتربة أهمية كبيرة في صنع الخزف ، ولهذا اشتهرت بعض المواضع ذات التربة الجيدة بجودة فخارها ، فكانت تصدره الى أماكن أخرى . كما أن العناية التي يبذلها الفخار في عجن الطين وفي تنقيته من الشوائب أهمية كبيرة في صناعة الفخارة .

ولم يشر أهل الأخبار الى الآلات التي يستعين بها الخزاف والكواز الجاهلي في صناعته . ولكن سكوتهم هذا لا يكون دليلاً بالطبع على عدم استعانة الفخار والكواز بالآلات ، فليس من المعقول صنع أنواع الفخار بغير آلة . فإن عملها باليد وبغير آلة ، أمر يكاد يكون صعباً . وكل الخزف الذي عثر عليه ، يدل على أنه صنع بآلة ؛ لأنه على شكل منتظم . والآلة التي يستخدمها الخزاف في صناعته ، هي دولاب يدبر قرصاً من الخشب ، يوضع عليه الطين ثم يحرك ، فيدور القرص ويدور الطين الذي عليه معه ، ويعالجه الخزاف بيده ليعطيه الشكل الذي يريده . ولصنع خزف جيد لا بدّ من العناية بالطين ، فيختار ترابه من تربة جيدة خالية من الأملاح والرمال ، ثم يعجن بعناية ، ويترك مدة ليختم جيداً . وإلا كان الخزف رديئاً . وقد يدهن الخزف بعد جفافه بدهن ملون أو ينقش بنقوش ، ثم يفخر بالنار .

واستخدم (الأتون) ، لتحويل المواد التي صنعها الخزاف من الطين الى خزف. والأتون هو (كورة) في أسفله موقد توقد فيه النيران ، ويرتفع لهيبها وتصعد حرارتها من خلال فتحات تكون في قاع الأتون الذي هو سقف الموقد الى أعلى مارة بين مصنوعات الطين الموضوعة في باطن الأتون لتشويها فتتحول بذلك الى خزف وفخار . وتكون الأتونات مرتفعة لها فتحة في أعلاها وفتحة في الجانب تغلق أثناء العمل ، وتفتح بعد نضوج الخزف والفخار . ولا يزال الخزافون والفخارون يصنعون بضاعتهم بهذه الأتونات على النحو المذكور . ويذكر علماء

١ أرميا ، ١٩ ، ١١٠ ، Ency. Bibl. Vol. I, p. 600.

العربية أن الأتون لفظة معربة . وأنها تطلق على أخذود الجبار والجصاص وأتون الحمّام^١ .

وقد كان الجاهليون يدهنون الجرار أحياناً ، لسدّ مساماتها لمنع السوائل من السيلان منها ، فكانوا يضعون النيذ فيها مثلاً والسمن وامثالهما . وصانعها هو الجرّار^٢ . وقد كان أهل يثرب يحملون الخمر في جرار حمر ، يطلقون عليها اسم (الحنتم) ، وذكر ان (الحنتم) الخزف الأخضر أو كل خزف^٣ . وورد : الحنتم جرار مدهونة خضر كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر ثم اتسع فيها فقليل للخزف كله حنتم . وقد نهى عن الدباء والحنتم . وانما نهى عن الانتباز فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها . وقد أشير إليها في شعر للنعمان بن عدي :

من مبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يسقى من رخام وحنتم^٤

وطالما استعملت الجرار لخزن الأشياء النفيسة فيها مثل الذهب والنقود والحلي وما شاكل ذلك ، إذ توضع هذه الأشياء في داخل جرة ثم تسد وتدفن حتى لا يقف عليها اللصوص والطامعون في المال . وقد عثر الجاهليون والمسلمون على كنوز كانت مخبأة في جرار طمرت تحت التراب .

والقلال من صنع الخزاف . وعرفت القلة بأنها الحب العظيم ، وقيل الجرة العظيمة ، أو الجرة عامة . وقيل الكوز الصغير . وذكر أنها إفاء للعرب كالجرة الكبيرة ، إلى غير ذلك من آراء ، يظهر من غربلتها ان القلة جرة كبيرة ، بدليل ما ورد عنها في الحديث من اشارات تفيد كلها ان القلة كبيرة . وقد اشتهرت (هجر) بقلالها ، فقليل (قلال هجر) . وهجر قرية قريبة من المدينة ، وليست هجر البحرين . وكانت تعمل بها القلال . واشتهرت الأحساء بقلالها أيضاً^٥ .

وعرف (الحب) بالجرة الضخمة وبالحايية ، وبأنه الذي يجعل فيه الماء . وذكروا

-
- ١ اللسان (٧/١٣) .
 - ٢ تاج العروس (٩٢/٣) .
 - ٣ المغرب (ص ١٤٢) ، « الحنتم : الجرار الخضر ، كانوا يحملون فيها الخمر » ، جامع الاصول (٥٠٠/٥) .
 - ٤ تاج العروس (٢٦٤/٨) وما بعدها .
 - ٥ اللسان (٥٦٥/١١) .

أنه فارسي معرب^١ . وعرفوا (الخاوية) بالحُب ، سمي بالخواية لأنه يستر الشيء ويخفيه^٢ .

وقد عثر المتقبن على قلل وجرار وكؤوس من خزف ، وجدت على بعضها كتابات ، عثر على كثير منها في المقابر ، مما يدل على أنها دفنت مع الموتى في القبر . وقد يستنتج من ذلك أن أصحاب الموتى كانوا يتصورون أن موتاهم سيحتاجون إليها في حياتهم الثانية لشرب الماء بها ، ولذلك دفنوها معهم ، وقد يدل دفنها معهم ، على أنهم أرادوا بذلك وضع ما كان يستعمله الميت في حياته لإظهار تقديرهم للميت ، وأنهم يتنازلون عنها إليهم ، ولذلك دفنوا معه حليته وسلاحه وما كان عزيزاً عنده ، فقد عثر في المقابر على رؤوس حراب ، وعلى سيوف وخناجر ، وسكاكين ، ولا يعقل دفن هذه الأشياء مع الميت وفي قبره عبثاً ، بل لا بد وأن يكون لهم رأي فيه .

وقد استعملوا القدور المصنوعة من الحجر ، كقدور (البُرَم) المصنوعة من حجر صلد قوي يستخرج من موضع يسمى (المعدي) لا يبعد كثيراً عن الطائف^٣ .

والأعراب أقل من أهل المدر استعمالاً للفقار ، وذلك بسبب وضعه وطبيعة حياته . فالفقار ثقيل وهو سهل الكسر ، ويجب بذل عناية في حفظه ، وحياة الأعرابي حياة تنقل ، ولا توجد لديه أوعية لحفظ الفقار من الكسر ، ولهذا استخدم الأدوات المصنوعة من الجلود والمعدن والخشب بدلاً من الفقار .

ومن أواني الشرب (الراقود) ، وهو دنّ ، يسع باطنه بالقار . وذكر (الجواليقي) أن اللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة^٤ . و (القافزة) ، وهي (القاقوزة) و (القازوزة) . وهي مشربة أو قدح ، أو الصغير من القوارير والطاس^٥ .

١ اللسان (٢٩٥/١) .

٢ اللسان (٦٢/١) .

٣ ابن المجاور (٢٥/١) .

٤ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٣٥٦/٢) .

٥ المعرب (ص ٢٧٣) .



أدوات مصنوعة باليد ، تمثل كفاءة وقدرة العامل اليمني ودقته في الصنعة
من كتاب « اليمن » ، « Yemen » مؤلفه : « Günther Pawelke » (ص ١٦١) .

ولا بد أن يكون بين الجاهليين أناس تخصصوا بصنع الزجاج وعمله ، فقد
عثر على أواني معمولة من الزجاج وعلى قطع زجاج . وقد ذكر علماء اللغة أسماء
أدوات من الزجاج ، مثل (الباطية) ، وهو إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل^١ .
وذكر بعض العلماء أن الباطية شيء من الزجاج عظيم ، يملأ من الشراب ويوضع

١ المعرب (ص ٨٣) .

بين الشَّرب يغرفون منها^١ وهو (الناجود) على رأي بعض علماء اللغة^٢ . وتصنع الأقداح والقوارير والقناديل والأسرجة من الزجاج أيضاً ، والمصباح ، هو السراج يصنع من الزجاج كذلك ، وفيه موضع لموضع الفتيلة عليه ، لتأخذ وقودها الذي يساعد على إدامة اشتعالها منه . وهذا الوقود هو الزيت^٣ .

وقد ذكر الزجاج في القرآن الكريم: « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة »^٤ . وذكر علماء اللغة أن الزجاج : القوارير ، وإن الزجاجة القنديل^٥ . وأن القوارير : أواني من زجاج في بياض الفضة لصفائها^٦ .

والمصباح : السراج ، وهو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره^٧ . وعرف السراج ، بأنه المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل ، والمسرجة التي فيها الفتيل^٨ . و (القنديل) ، لفظة معربة ، عربت عن اللاتينية من لفظة Candela . وتعني مصباح وسراج ونبراس . وتقابل لفظة (نبراس) لفظة (نبرشتا) Nebrastha في لغة بني إرم . ولفظة (منوراه) (منوره) Manorah في العبرانية^٩ .

والقنديل ، لفظة أعجمية تخصصت بالمصابيح المحمولة . وقد يعلق القنديل وقد يتصل برجل تحمله . وتقابل لفظة (نبرشتا) في لغة بني إرم . أي (النبراس) في عربيتنا . و (منوره) (مينوره) في العبرانية . وقد أشير إلى القناديل في التوراة . وتستعمل في المعابد وفي بيوت الأغنياء . وقد تصنع من الذهب والفضة والبرونز ، على أشكال متنوعة^{١٠} .

١ المغرب (ص ٤١) .

٢ شرح القاموس (٣٧/١٠) ، (٥١١/٢) .

٣ شرح القاموس (٥٢/٢) ، (١٧٥) .

٤ النور ، الآية ٣٥ .

٥ اللسان (٢٨٧/٢) .

٦ اللسان (٨٧/٥) .

٧ اللسان (٥٠٦/٢) .

٨ اللسان (٢٩٧/٢) .

٩ Ency. Bibl. Vol. I, p. 644.

١٠ شرح القاموس (٨٨/٨) .

Ency. Bibl. Vol. I, p. 644, ff. Hastings, Vol. I, p. 348.

ومن مصنوعات الزجاج (المرآة) . وهي (مرات) في العبرانية أيضاً . وقد صنعت من المعادن المصقولة كذلك مثل النحاس . ووردت في التوراة لفظة (هجلونيم) فسرّت بمعنى (مرآة اليد)^١ ، وتعني (المجلاة) في عربيتنا . والكأس ، هو إناء الشرب ، يشرب به . ويصنع من مواد مختلفة فقد يكون من الزجاج وقد يكون من معدن مثل الذهب أو الفضة أو الحديد وقد يكون من فخار . ويقال له (كوس) عند العبرانيين^٢ . وقد ينقش ويحلى بزخارف وباللؤلؤ والحجارة الكريمة . وقد ذكر (الكأس) في القرآن الكريم .

والراووق ، المصفاة ، وقيل : الباطية والناجود . وذكر بعض علماء اللغة ان الراووق الكأس . وقد وردت اللفظة في شعر لعدي بن زيد العبادي :

قدمته على عقار كعين الديك صفى سلاقه الراووق^٣

وقد عرف أهل العربية الجنوبية (البلور) لوجوده في اليمن وفي أماكن أخرى . وهم يستخرجونه من نوع خاص من الحجر ويصقلونه بعناية ، والغالب عليه اللون الأبيض غير ان بعضه ذو ألوان أخرى ، هو لون الحجر الذي أخذ منه .

ولا يزال أهل اليمن يمارسون صقل الحجارة الكريمة التي يستخرجونها من بعض الجبال ، مستعملين في ذلك الماء والتراب الناعم على حجارة رملية ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها في صنع الحلي . وهي ذوات ألوان متعددة : بيض وسود وخضر وزرق وصفرة وحمرة ، ومنها ما يجمع عدة ألوان متمازجة . ويعد جبل نغم وجبل الغراس من أهم المواطن التي تستخرج منها مثل هذه الحجارة على مقربة من صنعاء^٤ .

وقد عُني العرب الجنوبيون بشق الطرق وتمهيدها ، ويعمل القناطر والجسور وقد بلطوا بعض الطرق بالحجارة وبمادة تشبه (السمنت) ، وترى اليوم بقايا قناطر عملوها في الأودية للعبور عليها ، وقد دمر الكثير منها بسبب الحروب

١ Hastings, Dict. Vol. II, p. 181.

٢ Hastings, Dictl. of the Bible, Vol. I, p. 533.

٣ شرح القاموس (٣٩٣/٦) .

٤ العظم (الصفحة ١٣٦) .

والاهمال . ونرى في الصورة بقايا قنطرة جاهلية وقد تطرق اليها الخراب من كبر
العمر . وقد عملت على وادٍ يفصل بين الجبال .



منظر طريق جبلي قديم
من كتاب : Jemen (ص ١٣٦)

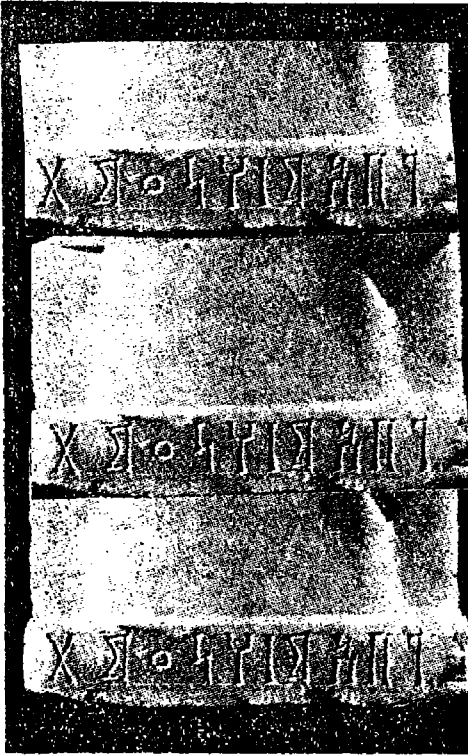
الفصل التاسع عشر بعد المئة

الفنون الجميلة

وبين الآثار التي عثر عليها الرحالون ، أو نقلت إلى بعض متاحف الغرب ، عدد من التماثيل والصور المنحوتة على الحجارة ، وهي قليلة في الوقت الحاضر لا تعطينا فكرة واضحة عن الفن العربي الجنوبي ، وبعضها يمثل فناً عربياً جنوبياً أصيلاً ، فلا يشبه المنحوتات اليونانية أو الرومانية ، أو المصرية ، أو الإيرانية ، أو غيرها ، وبعض آخر له شبه بفن بعض هذه الشعوب ، مما حمل المستشرقين على أن يذهبوا إلى أن هذا التشابه هو نتيجة تقليد ومحاكاة لذلك الفن .

ونلاحظ على هذا التمثال الذي عثر عليه في مقبرة قديمة عند (تمنع) عاصمة (قتيان) ، ويعود عهده إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، ان التمثال حاول جهد إمكانه إعطاء تمثاله الذي صنعه طابعاً عربياً جنوبياً ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، وقد دون في أسفله اسم صاحبه ، وهو (جيا ام هنمت) ، (جيا أوام هنمت) .

ومن الصعب إصدار حكم عام على الفن العربي الجنوبي استناداً إلى هذه التماثيل والصور المنحوتة أو البارزة ، لأنها قليلة غير مغنية وغير كافية لإصدار حكم



تمثال رجل اسمه « جباً أوم هنقمت »
عثر عليه في مقبرة قديمة عند « تمنع »
يعود تاريخه الى القرن الاول أو الثاني
قبل الميلاد .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ١٢٤)

في هذا الموضوع . ثم هي من صنع أيدٍ متعددة ، فيها أيدٍ قوية ذات موهبة ،
وفيهما أيدٍ ضعيفة انتاجها بدائي يشبه فن البدائيين ، لا تناسق فيه ولا تناسب بين
الأجزاء . وقد نشأ ذلك بالطبع عن تفاوت مواهب المشتغلين بهذه الصناعات وعن
وجود أناس اتخذوا الحفر في الممر حرفة يتكسبون بها ، وقد يكون لأنهم ورثوا
تلك الحرفة ، فاشتغلوا بها ، مع عدم وجود قابليات فنية لديهم .

وقد عبر عن النحات ، أي المثال الذي يصنع التماثيل بلفظة (هصنع) ، أي
الصانع في اللغة اللحيانية . ويعبر عن صنع التماثيل بلفظة (نحت)^١ ، أي حسب
تعبيرنا عن نحت التماثيل في الوقت الحاضر . وتطلق لفظة (هصنع) على الرسام

١ راجع النص ٨٣ في كتاب : W. Caskel, S. 118

كذلك وعلى المعيار^١ .

ويلاحظ أن الفن العربي الجنوبي مثل أكثر الفنون الشرقية الأخرى، لا تجاري الفن اليوناني في حياة الجسم في موضوع إبراز جماله^٢ . فإذا ما نظرت الى تمثال أو صورة بارزة أو حفر عربي جنوبي ، ترى فرقاً واضحاً بين عمل الفنان في هذه الصور وعمل الفنان الهليني اليوناني المعاصر له . ففي عمل هذا الأخير نرى عملاً فنياً جميلاً راقياً ، يبرز جمال الفن وروحانية (الفنان) ، وهو عمل يقرب القطعة المعمولة الى قلبك ، ويجعلها تؤثر فيك تأثيراً عميقاً ، على حين لا نرى مثل هذا الإبداع في الفنون الشرقية في الغالب .

وفي الفن اليوناني تناسق وتناسب بين الأجزاء . راعى الفنان فيه النسب الطبيعية للجسم فثقلها في تماثله ، وأظهرها بمظهر يشعرك بقوة فنه وبتمكنه من التعبير عن أحاسيسه . أما الفن الجاهلي ، عموماً عربي جنوبي أو من موضع آخر ، فإنه لم يتمكن من تحقيق هذا التناسق ولا النسب ولا الاتساق والتوازن بين الأعضاء . ولم يتمكن الفنان مع كل ما بذله من جهد من اظهار الجمال الفني على القطع التي صنعها ، ولا من اعطائها حياة ودماً وروحاً أخاذة تجعلك تشعر انك أمام فنان عبر عن إدراكه الفني وعن الحس الذي يشعر به أحسن تعبير بأية طريقة أو مدرسة من مدارس الفن . وبأية وسيلة من وسائل التعبير عن الذوق الفني الذي تملكه الفنان فجعله يعبر عنه بطريقته التعبيرية الخاصة بهذا الانتاج المجسم لروحه والذي نسميه الفن .

ولا تملك المتاحف في الوقت الحاضر تماثيل جاهلية بالحجم الطبيعي للانسان . ويظهر ان اعتبار كثير من الناس للتماثيل أصناماً قد أدى بهم إلى اتلافها والقضاء عليها . وهناك أمثلة عديدة تؤيد هذا الرأي ذكرها القدامى والمحدثون . بل إن هذه النظرة لا تزال عند البعض . ثم إن الناس لم يكونوا يدركون قيمة الأثر في حفظ تاريخ أمتهم ، ولهذا فلم يكونوا يهتمون بالتماثيل ولا بالأحجار المكتوبة ولا بكل أثر من الآثار . وتوجد اليوم قطع تماثيل يظهر أنها من تماثيل حطمها الانسان بيده وهشمها بنفسه ، إما للقضاء على معالم الوثنية المتجسمة في نظره في هذا

١ راجع النص رقم ٣٢ في كتاب : W. Caskel, S. 93

٢ Handb. der altar. alter I, S. 166.

التمثال ، وإما للاستفادة من أحجاره في أغراض البناء أو أغراض أخرى تفيده .
ومن بينها رؤوس تماثيل أو أقدام تماثيل ، أو جسم تماثيل بلا رأس ولا أرجل .
أما التماثيل الصغيرة ، فقد وصل عدد منها دون أن يمسه أي سوء . وقد استخرج
عدد منها من باطن الأرض ، استخرجه المنقبون والمواطنون الذين أخذوا يحفرون
التلوي الأثرية للبحث عن أثر يبعونه لتجار العاديات . ونجد في دور المتاحف وعند
جماع العاديات عدداً منها .

ومن بين التماثيل الكاملة التي تستحق الدراسة والانتباه ثلاثة تماثيل للملك من
مملكة (أوسان) . يبلغ ارتفاع احداها (٨٩) سنتمراً . وقد نحتت من المرمر .
وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور في فن النحت عند العرب الجنوبيين . وقد
حاول النحات جهد امكانه بذل أقصى ما عنده من فن وقابلية وموهبة في اعطاء
هؤلاء الملوك ما يليق بهم من جلال ووقار ومظهر ، وإبراز ملامحهم وملابسهم ،
ولكنه فشل في نواحٍ ووفق قدر استطاعته في نواحٍ . وقد نحت شعر الرأس
وجعله متديلاً طويلاً مجعداً . وجعل للتماثيل قواعد استقرت عليها ، دون عليها
أسماء أصحابها . وقد اختلف الباحثون الذين بحثوا في خصائص النحت البارزة على
هذه التماثيل في تقدير عمرها ، فذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن
السادس أو الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى
القرن الأول قبل الميلاد ، بينما رأى آخرون أنها من نحت القرن الأول بعد
الميلاد .

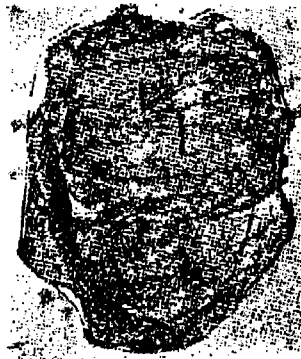
وهناك تماثيل صغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من حجر وبعضها من معدن
تكشف لنا عن عادات وتقاليده المجتمع في ذلك العهد . في مثل الكشف عن الحللي
التي كانوا يحلون بها جيد المرأة وعنقها ، أو التي تحلى بها الأيدي أو الأرجل ،
كما تكشف بعضها عن ملابس المرأة والرجل والأطفال في تلك الأوقات ، ولهذا
فإن لهذه التماثيل أهمية كبيرة لا من الناحية الفنية حسب ، بل من الناحية التاريخية
أيضاً لأنها تتحدث عن العوائد الاجتماعية كذلك .

وتعبر بعض شواخص القبور عن شعور الحزن والأسى في نفس من أمر بحفر

تلك الشواخص أو نحتها . فقد حرص صانعها على أن تكون معبرة عن المناسبة التي عملت من أجلها على أكمل وجه . وأكملها برموز وإشارات دينية لها صلة وعلاقة بالحياة الثانية ، وتزيد في فوائده هذه الشواخص بالنسبة لعمل الباحث ، التماثيل التي وضعت مع الميت في قبره ، لتعبر عنه . فهي تعبر آخر عن هذا الشعور المؤسف في شكل آخر من أشكال الفن .

وقد كانت العادة آنذاك ، دفن تماثيل مع الموتى ، أو صوراً محفورة على الصخر ، فقد عثر في مصر وفي الحجاز وفي بلاد الشام على مثل هذه التماثيل مدفونة في القبور ، على مقربة من الأجداد . بعضها تماثيل رجال وبعضها تماثيل أطفال ، ومن النادر تماثيل نساء ، ولعل ذلك بسبب النظرة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العهد ، من إعطاء الأولوية للرجل في المجتمع ثم للأولاد الذكور .

ونرى في هذه الصورة رأس رجل عربي جنوبي ، حفر النحات عيني الرجل حفراً ، وجعلها واسعة ، فبدت وكأنها قد قلعتا ، وأوصل اللحية بشعر الرأس ، حتى أحاط الشعر بالرأس والوجه ، وصار كأنه هالة . أما القم ، فصغير مفتوح ، ولم يتمكن النحات من حفره حفراً يقارب الطبيعة ، ولم يتمكن كذلك من إبراز معالم الأنف . أما الجبين فأملس ، وأما الوجنتان ، فمساوان كذلك ، وأما الحجر المنحوت ، فن الرخام .



وإذا قارنت هذا التمثال والتماثيل العربية الجنوبية بالتماثيل اليونانية ، أو بالتماثيل اليونانية التي عثر عليها في جزيرة (فيلكا) في الكويت ، تجد فرقاً عظيماً من النواحي الفنية : فالفنان اليوناني له إدراك عظيم للقيم الفنية ، له قدرة عظيمة على

لإبراز الملامح ، وفي تقدير النسب بين الملامح وأعضاء الجسد ، ثم هو متمكن تماماً من كيفية إظهار الحاجبين وحفر الأنف ، وإبراز العينين . ومع مرور مئات السنين على الفن اليوناني ، فإنك تستطيع أن تجد فيه حتى يومنا هذا الإبداع والجمال والاتساق والانسجام . نخذ هذه الصورة ، التي هي تمثال من الطين المحروق ، عثر عليه في جزيرة فيلكا ، ويعود عهده إلى حوالي (٢٠٠) سنة قبل الميلاد ، ثم قارنه بصور التماثيل التي عثر عليها في العربية الجنوبية ترى فرقاً كبيراً جلياً بين الفنانين .



تمثال من الطين المحروق من
القلعة اليونانية حوالي ٣٠٠ ق م من
جزيرة فيلكا .

ولكننا نجد مع ذلك في الفن العربي الجنوبي ، محاولة تستحق التقدير ، تظهر في طموح الفنان العربي الجنوبي ورغبته جهد إمكانه في إظهار شخصيته ومواهبه الفنية ، وهو لو وجد التقدير الذي كانت يظهره اليونان للفن ، لأبدع ولا شك ابتداءً كبيراً في عمله الفني .

وقد عبر الفنان العربي الجنوبي عن مشاعره بطريقة أخرى ، هي طريقة الحفر على الحجر أو المعدن أو الخشب أو أية مادة أخرى يمكن الحفر عليها . وذلك بطريقتين : طريقة الحفر أي نقش الصورة أو ما يراد تخليده أثره على المادة حفرًا كأن تحفر صورة إنسان أو حيوان حفرًا عليها بأن تجعل معالم الصورة محفورة حفرًا عميقًا نازلاً في تلك المادة . فالحفر في هذه الحالة هو رسم محفور . وطريقة الحفر البارز ، وذلك بجعل الأثر المراد تخليده بارزاً ظاهراً فوق سطح المادة التي حفر عليها . وذلك بأن يؤشر معالم ما يراد تخليده ويرسم ، ثم يحفر ما حوله من سطح المادة التي رسم عليها ، فتبرز الصورة وترتفع بهذا الحفر عن سطح تلك المادة .

وعثر على عدد من تماثيل الحيوانات ، نحتت من المرمر ومن أحجار أخرى ؛ فعثر على تمثال بقرة ، وعثرت بعثة (وندل فيلبس) على تماثيل ثيران في خرائب مأرب . كما عثر بعض الباحثين على تماثيل أسود أو خيل . وقد تمكن الفنان من التعبير عن موهبته الفنية في بعض المنحوتات ، وأجاد في إبراز مظاهر بعض أعضاء جسم تلك الحيوانات التي نحتها . وقد وصلت بعض هذه التماثيل وهي مهشمة ، وقد فقدت بعض منها بعض أجزاء جسمها ، فأضاع هذا فقدان على الباحثين إمكانية إعطاء رأي في علمي عن هذه المنحوتات .

ومن الصعاب التي اعترضت (الفنان) العربي الجنوبي مسألة التعبير عن الحركات ، ورسم الأشياء المتجاورة ، والتمييز بين البعيد والقريب ، والتفريق بين المنازل الاجتماعية ، كالسيدة المصونة صاحبة البيت وبين خادمتها . وهي مشكلات تواجه كل فنان، ولا يتغلب عليها بالطبع إلا من له قدرة وعلم بالتصوير والنحت . ومن جملة النواقص التي نلاحظها على الصور المحفورة أن أكثر القطع المحفورة لم تتمكن من التنسيق بين وضع صاحب الصورة . فبينما نجد الوجه مثلاً وهو متجه إلى الأمام ، كأن صاحبها ينظر إليك ، نرى الساقين والقدمين جانبيتين وهذا الوضع لا يتناسب بالطبع مع وضع القسم الأعلى من الجسم .

وقد نشأت عن صعوبة التعبير عن الأشياء المتجاورة، مثل رسم ثورين متجاورين يجران محراثاً ، أو فرسين مربوطتين معاً في محراث، مشكلة لم يتمكنوا من التغلب عليها ، فلبجأوا إلى طريقة بدائية في الغالب ، يتحدث وضعها عن هذا العجز ،

هو رسم أحد الحيوانين مثلاً ، وكأنه تحت الحيوان الثاني المجاور له ، وذلك كما نرى في الصورة التي تمثل فلاحاً يحرقه ويجرّ محراثه ثوران ، فوضع الفنان الثور الجانبي الأيمن فوق الثور الجانبي الأيسر ، ظاناً أن ذلك قد عبر عن هذا الوضع ، فبدأ الثوران وكأن أحدهما قد ركب الآخر^١ .

وقد عثر على لوح يمثل وجه انسان مستدير ، رسم كأنه مع الجبين دائرة كاملة . وقد حفر الشعر على صورة قوس يكاد يحيط بالوجه إلا الحنك ، وقد برز الشعر متموجاً ، وقد فصلت بين الأمواج قواطع جعلت الشعر خصللاً . أما العينان فصغيرتان بالنسبة الى الأنف . وبدا الفم مقفلاً وقد حلق صاحب الرأس ذقنه ، وترك له شاربين طويلين يتصلان بالشعر المتدلي من الرأس . أما الأذنان فقد اختفتا تحت الشعر ولا أثر لها في الصورة . والرقبة غليظة وقد أحاطت بها حيتان ارتفعتا الى أعلى على هيئة قوس . ويظهر في هذه الصورة أثر الفن للساساني^٢ .

وقد عبر النحات عن تجعد شعر الرأس بحفره بصورة تشعرك انه يعبر عن شعر متجعد . وذلك بإحداث ثغرات تظهر الشعر وكأنه عقد ، وقد جعله متدلياً الى الكتفين ، أو نازلاً على الجبين حتى الحاجبين ، ولأجل أن يريك العينين وكأنهما في صورة طبيعية وضع أحجاراً ملونة أو أصباغاً في بعض الأحيان على باطن العين لتظهر التمثال وكأنه بعينين حقيقتين تنظران الى الأشخاص^٣ .

وحال حفر الأزهار وعناقيد العنب ورؤوس الحيوانات وبعض الكروم هي خير من حيث الإفادة من تصاوير الإنسان أو الحيوانات كاملاً . وقد عثر على قطع رسمت فيها التيوس وهي من الحيوانات الكثيرة في اليمن ، وقد رسمت بصورة تتمثل فيها القوة والحيوية^٤ .

وقد استعمل العرب الجنوبيون الكروم كثيراً للزخرفة ، ولا يستبعد ذلك منهم فالكروم من النباتات المحبوبة الكثيرة في اليمن . وقد درّت عليهم أرباحاً طائلة واستعملت للأكل وللشرب . وهي تعطي نبيذاً طيباً وخمراً مشهوراً . فلا غرابة إذا

Handb. der altar. alter. I, S. 167. ١

Hand. der altear. alter. I, S. 168. ٢

Arablen, S. 274 f. ٣

Handb. der altar. alter. I, S. 168, A. Grohmann, Göttersymbole, S. 60. ٤

ما استعملوه بكثرة للزينة ، يحفرون صورهم في اطرار الألواح أو الصور ، أو يكسبون صورهم في الجبس .

وعثر على قطع فنية نفيسة ، من الحجر النفيس الغالي المحفور ، أي من الأحجار الكريمة ، حفرت عليها صور ذات صلة بالأساطير الدينية ، مثل القطعة النفيسة المحفوظة في المتحف البريطاني ، ويظهر أنها من صنع فتان قتباني ، حفر عليها أيلين أو وعلين وقد وقف كل واحد منها على جانب ، وقفا على القدمين الخلفيتين ورقفا القدمين الأماميتين الى أعلى ، وصور النحات القدم المقابل للشخص الذي يقابل القطعة أو ينظر إليها وقد عقف ، أي بوضع منحني . أما القدم المقابل للقدم المعقوف ، فلم يتمكن النحات من اعطائها الوضع الصحيح . ونجد رأسي الحيوانين وقد اتجها الى الداخل ، فكأنهما يريدان الكلام مع بعضهما أو الالتقاء ، ولاظهار قرني الحيوانين معقوفين ، نحت النحات عليها نحوناً على شكل (الجزر) ، أو الورق الرفيع . ووضع للحيوانين ذيلين قصيرين ، وقد جعل آلة الذكر للحيوانين منتصبين . وجعل تحت القدم المرتفع لكل حيوان رمزاً ، له فم مفتوح متصل برقبة أو بجسم ينتهي بدائرة صغيرة ، ثم بما يشبه كرة قائمة على ثلاثة أرجل . ووضع بين الحيوانين (طغراء) قراءته : (اب عم) ، (ابي عم) ، أي (أبى) (عم) (لآله قتباني) .

وبين الأحجار الكريمة المحفورة التي عثر عليها في خرائب اليمن ، أحجار أصلها من العراق ومصر ومن أحجار يونانية من أيام القياصرة ومن العصور الهلينية ، وقد نحتت على بعض منها حروف بالمسند المعبرة عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها^٢ . وهي تستعمل خاتماً في الأصابع ، وتختتم بها الوثائق والرسائل .

وقد وضعوا (الدُمى) على الألواح الأبواب ، إما للزينة ، وإما لدفع الشر والأذى أو للتبرك والتقرب . وقد قيل ان (الدمية) الصورة المصورة أو الصنم^٣ . وقد عرفوا (الدُمى) بالصورة وبالصنم وبالصورة المنقشة بالعاج ، ونحسوه . وعرفوها أيضاً بالصورة المصورة لأنها يتألق في صنعتها ويبالغ في تحسينها^٤ .

١ A. Grohmann, Göttersymbole, 56, Abb. 141, A. Grohmann, S. 241.

٢ A. Grohmann, S. 242.

٣ البرقوقي (ص ٢١٩) .

٤ اللسان (٢٧١/١٤) .

وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الحجر أثاثاً لهم ، ففتحوا منه أسرة وعروشاً .
وقد عثر على قطع من المرمر ، هي من بقايا عروش أو كراسي عملت لبعض
الأغنياء . وعثر على كراسي مصنوعة من أحجار أخرى . كما عثر على صناديق
صنعت من حجر ، وقد زوّقت واجهاتها وزخرفت وحفرت عليها بعض الصور
التي تمثل الأوراق والنباتات والأزهار والنوافذ أو واجهات البيوت^١ .

واتخذوا من الحجارة مذابح Altars . وللمذابح مكانة في الطقوس الدينية ورسوم
العبادة عند الجاهليين . ويقال لها : (مذبحت) و (مذبح) و (حردن) .
تذبح عليها حيوانات كبيرة مثل ثيران . وقد عثر على نماذج منها في مختلف
المعابد^٢ . وقد زين بعض منها وزخرف بصور حيوانات حفرت عليها أو نحتت
كما حفرت عليها رموز لها علاقة بالعبادة والآلهة . وهي تفيدنا من هذه الناحية
في الوقوف على فن الزخرف والنقش وعلى كل ما له من علاقة بالحياة الدينية
عند الجاهليين .

وللمباخر والمجسمات والمحارق أهمية أيضاً بالنسبة لمن يريد الوقوف على الفن
الجاهلي . وقد عرفت المحارق بـ (مصرب) و (مشود) . وهي مواضع لحرق
ما يقدم الى المعبد من ضحايا عليها^٣ . وعرفت المجسمات بـ (مسلم) ، وأما
المبخرة ، فهي (منطر)^٤ . وقد عثر على نماذج عديدة منها . وقد صنعت من
مواد مختلفة من مرمر ومن معادن . مثل البرنز أو الذهب أو الفضة . وقد تفنن
في صنعها ، وبعضها مفتوح ليس له غطاء ، وبعض آخر له غطاء . وقد نقش
على بعض منها اسم الطيب الذي يحرق بالمجمرة ، واسم صاحبها والمعبد أو الإله
الذي خصصت به .

ولم يصل إلينا ويا للأسف من مصوغات الذهب والفضة شيء كثير . والصياغة
صناعة اشتهر بها العرب الجنوبيون ، حتى بالغ في ذلك بعض الكتاب اليونان ،
فأشاروا الى أوانٍ وأثاث وأدوات منزلية أخرى مصنوعة من الذهب والفضة^٥ .

A. Grohmann, S. 243.

Arabien, S. 247 f.

Arabien, S. 248. Rep. Epig. 4708, 4839.

Arabien, S., 248, A. Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiet, I, 115. f.,

C. Thompson, The Tombs and Moon Temple of Hureidha, 49.

De Mari Erythraeo, 2, Strabo, XVI, 778, Handb., I, S. 171.

ولكننا لم نر شيئاً مما ذكروا ، ولم يروا هم ذلك أيضاً بالطبع ، وإنما رووا ذلك عن طريق السماع .

ويعرف الذهب بـ (ذهب) في العرييات الجنوبية . وأما الفضة ، فيقال لها (صرف)^١ . وقد وردت أرض (شبا) في جملة الأماكن التي مونت العبرانيين بالذهب ، حمله اليهم تجار (شبا)^٢ .

وترد في الكتابات جمل مثل : (قدم تمثالاً من ذهب) ، مما يدل على أن العرب الجنوبيين كانوا ينثرون إلى آلهتهم إن منت عليهم وأجابت طلبهم بأن يقدموا لها نذراً هو تمثال من ذهب . غير أن الباحثين لم يعثروا حتى اليوم إلا على عدد محدود من تماثيل صيغت من ذهب ، بل عثروا على تماثيل من البرنز . لذا ذهب بعضهم إلى أن العرب الجنوبيين قصدوا بكلمة (ذهبن) ، أي (الذهب) ، معدن البرنز ، وذهب بعضهم إلى أنهم قصدوا معادن طليت بماء الذهب^٣ .

وفي جملة ما هو محفوظ من أعمال الصاغة ، قلادة جميلة من الذهب عثر عليها في خرائب مدينة (تمنع)^٤ سبق أن وضعت صورتها قبل صفحات . وقلائد أخرى وصفائح من الذهب حفرت عليها صور بعض الحيوانات . كما عثر على معادن مطلية بطبقة من ذهب^٥ .

وقد وصلت قطع فنية نفيسة مصنوعة من المعادن ، تدل على ذوق عال وعلى مهارة في الصناعة واتقان . من ذلك مصباح يضيء بالزيت ، مصنوع من البرنز يتكوى على قاعدة . أما موضع الزيت ، فينسب انسياباً جميلاً ، وقد صنع بشكل متناسق ، وارتفع فوق المصباح من الطرف العريض تمثال (ايل) جميل جداً ربطه بالمصباح حزمة انفتحت عند اتصالها بالمصباح على هيئة أصابع يد . فلما ارتفعت ، اتصل بعضها ببعض على هيئة ضفيرة ، إلى موضع اتصالها بالأيل . وقد انكسرت يدا الحيوان وكانت ممتدة . أما الرقبة والرأس والقرنان ، فقد صنعت بدقة ومهارة ، وعلى الجملة إن القطعة تدل على تطور كبير في فن الصناعات اليدوية عند العرب الجنوبيين ، وذلك كما نراه في الصورة المذكورة .

Rhodokanakis, Stud., II, S. 187.

حزقيال : الإصحاح السابع والعشرون ، الآية : ٢٢ .

A. Grohmann, S. 230.

W. Phillips, Qataban and Sheba, p. 114.

A. Grohmann, S. 242.

ونرى في قطعة أخرى مصنوعة من البرنز فناً وخيالاً ، نرى رجلاً قد وضع على رأسه غطاءً يشبه الخوذة ، وأمسك بيديه أسدين ، فاليد اليمنى أمسكت بيد أسد ، واليد اليسرى أمسكت بيد الأسد الآخر وقد أدار الأسدان رأسيهما إلى الجانبين ، وكأنهما يتلوحيان من شدة القبض عليهما ، وإن كانت لا تمثل أجزاء الأجسام تمثيلاً كاملاً ، تعطي انطباعاً حسناً ، وتعبر عن الفكرة تعبيراً طيباً^١ . وهناك قطعة مصنوعة من البرنز كذلك ، تمثل منظرًا رمزيًا : ففي الوسط راقص يشبه شكله شكل الشيطان في الأساطير ، وقد اتصل فوق رأسه ، وعلى الغطاء عمود يحمل طيراً ماداً جناحيه . ويقابل الطائر أيلان ، انتصب كل أيل على جانب من جانبي الطير ، وكأنهما يتقاتلان ، ويحمل الأيلان حيوانين^٢ . ونرى في هذه الصورة تمثالاً من البرنز لثور يرمز إلى الإله القمر ، وقد عثر عليه في (ظفار) .



تمثال مصنوع من البرونز يمثل
إله القمر عثر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

Handb., I, S. 172.

٢ راجع الصورة المرقمة ٦٨ والمنشورة على الصفحة ١٧٢ من كتاب :
Handb., I, S. 172.

ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس : تظهر على شعر رأسه نتوءات بارزة كأنها الخرز ، ربما تمثل زينة ، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج. أما الوجه ، فلا يمثل وجه أهل اليمن ، بل كأنه يمثل وجهاً لـ (بوذا) ، أي وجهاً متأثراً بالفن الهندي الصيني القديم . الأنف فيه ضخمة ، والفم كبير ، وقد غطى الجسم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل الى الحنك، وتجد القميص مفتوحاً تحت الخصر ، وأما أعلى القميص فمغلق ، وقد شد على الخصر (خنجر) مستقيم، على طريقة أهل اليمن في حمل الخناجر الى هذا اليوم ، وقد مدت اليد اليمنى الى أعلى ، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة . أما اليد اليسرى ، فقد مدت الى أعلى قليلاً ، وكفها مقبوض ، مكورتاً ثقباً ، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب ، أو شيئاً آخر يرمز الى سيادة وامتزلة اجتماعية . ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين ، فهو ضئيل ضعيف . ونجد الأذن صغيرة بالنسبة الى الرأس . وقد وضعت في مقدم الشعر . ونرى ان الوجه حليق ، مما يدل على أن



بعض الناس كانوا يحلقون شعر أوجهم في تلك الأيام . وأما الرقبة فغليظة^١ .
وهناك قطع أخرى هي عبارة عن تماثيل بشر أو حيوانات مثل حيات أو
جمال أو خيل أو جردان وأمثال ذلك ، وقد صنعت من البرنز كذلك ، بعضها
في غاية الجودة والانتقان . ومن بين هذه القطع المتقنة عصا انتهى طرف منها على
هيئة أفعى ، نرى فيها الأناقة والرشاقة ، وعصا أخرى رأسها على هيئة حية
وقد تدلى الى أسفل . والقطعتان من الصناعات المتأخرة ومن أواخر أيام دولة
حمير^٢ .

وبين القطع القديمة المصنوعة من البرنز ، تمثال رجل ماشٍ يبلغ ارتفاعه (٩٣)
ستمتراً ، رجله اليسرى متقدمة على اليمنى ، ويرى القسم الأعلى من الجسم عارياً
إلا من جلد أسد أو فهد لف على الظهر ، ويتصل طرفاه بالصدر . أما الوركان
فقد غطيا بمنثر شد على الجسم بحزام عريض . وقد جعل التمثال الرأس وكأنه
قد غطي بخوذة مجمدة ، كناية عن الشعر ، وقد تدلى على الجبين . ووضع شيئاً
أشبه بالريشة للمحافظة على الشعر ، وجعل للرجل لحية عبر عن تجاعيد شعرها
بعقد . وجعل العينين واسعتين ، أما الأنف فكبير ملتحم ، وأما الفم فصغير .
وأما الجسم عموماً ، فهو نحيف . وقد عثر على هذا التمثال في المدخل المؤدي الى
(حرم بلقيس)^٣ . ويرى بعض الباحثين أنه يعود الى القرن السابع أو السادس
قبل الميلاد . وأن صاحبه كان من كبار الموظفين في أيامه ، وربما كان بدرجة
حامل أختام الملك أو كاتم أسراره ، وقد قدم التمثال تقربة ونذراً الى الإله
(المقة) . ووجد اسم صاحبه مدوناً على الكتف الأيسر منه ، وهو (معدكرب)
(معديكرب)^٤ .

وبين التماثيل المصنوعة من البرنز تمثال امرأة وهي ترقص ، وقد لبست فستاناً
طويلاً يمتد على سروال ، وكأنه يمثل الزي الفارسي القديم ، المعروف في العراق ،

Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 270. ١

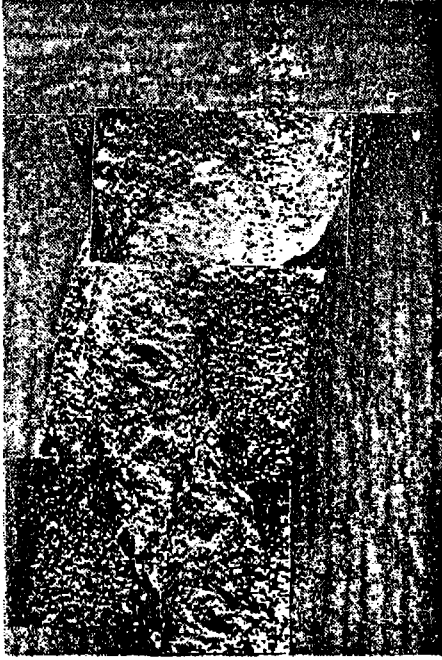
Handb., I, S. 173. ٢

A. Grohmann, S. 232. ٣

Jamme, Sabaean Inscriptions on two Bronze Statues from Marib, JAOS, ٤

77, 1957, 32, 35, A. Grohmann, S. 232.

وقد أبدع صانع التمثال في عمله فجعله حياً ينبض بالحياة ، وقد ضيق خصر المرأة ، وجعل الساقين بعضهما فوق بعض ، ليأخذ جسمها وضع راقصة وهي في حالة رقص ، كما ترى في هذا التمثال .



تمثال من البرونز لراقصة ، عثر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

ونجد في مصنوعات المعادن مصنوعات تتحدث عن وجود أثر عراقي عليها ، ومصنوعات أخرى تشير الى وجود أثر مصري أو يوناني أو هندي عليها . وقد نسب بعض الباحثين وجود هذا الأثر الى الصلات التجارية التي كانت تربط بين الأرضين المذكورة وبين العربية الجنوبية ، كما نسبوه الى أثر الرقيق المشتري من تلك البلاد والمستورد الى العربية الجنوبية ، حيث كلف بأداء الحرف اليدوية . وحيث أن هذا الرقيق كان من بلاد مختلفة ، لهذا ظهر التنوع في هذه الصناعات^١ . ومن المصنوعات البرنزية التي يظهر عليها أثر الفن اليوناني مجموعة التماثيل التي

A. Grohmann, S. 230. ff.

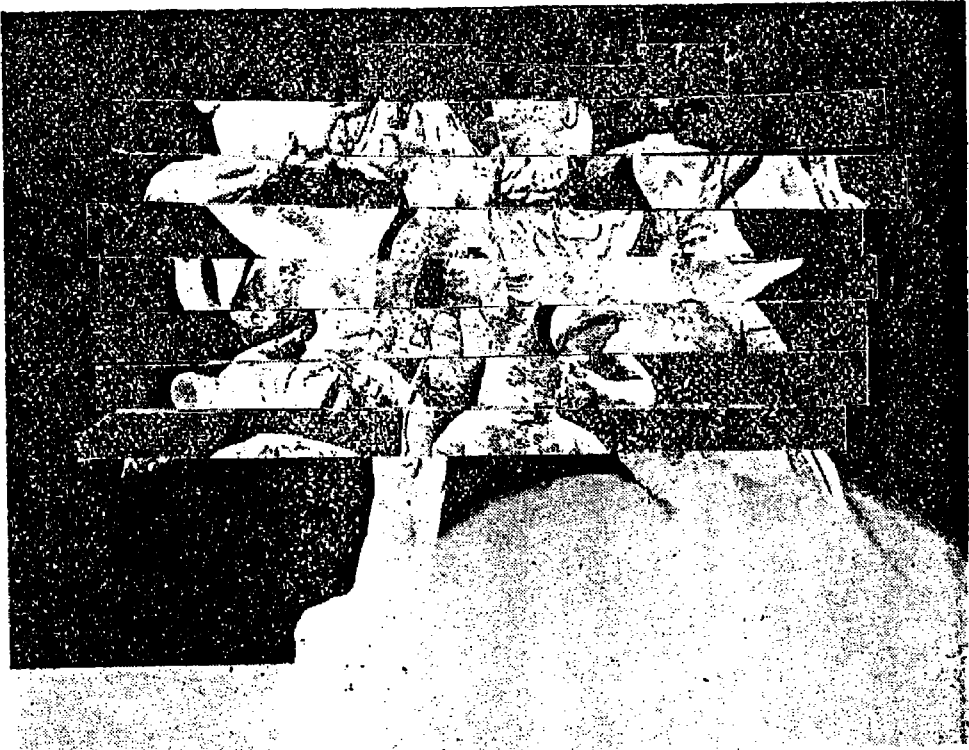
عثر عليها في بيت (يفش) في خرائب (تمنع)^١ ، وتمائيل أخرى حفظت في متحف (صنعاء) . وتمثالين لزنجيين عثر عليها في موضع (نخلة الحمراء) (نخلة الحمراء) على مسافة خمسين كيلومتراً جنوب شرقي (صنعاء) . وتمائيل أخرى لبعض الحيوانات ، مثل تمثال حصان وتمثال آخر لأسد .

والتماثيل البرونزية التي عثر عليها في بيت (يفش) بمدينة (تمنع) ، هي من الآثار المهمة التي عثر عليها في أرض قتبان . ونظراً للأثر (الهليني) البارز على جسم الأسد وعلى وجه راحبه المحافظ على الملامح اليونانية يرى الباحثون أنها من القطع الفنية التي ربما يعود عهدها إلى القرن الأول للميلاد ، حيث كان اليونان إذ ذاك يمحرون عباب البحار ، وكان تجارهم ينقلون المصنوعات اليونانية إلى مختلف الأنحاء من العالم ، لبيعها ولشراء ما يحتاجون إليه من النفائس التي لا توجد في بلاد اليونان وفيما وراءها . والظاهر أن الفنانين العرب ، وقفوا على قطع فنية يونانية ، فقلدوها وعملوا على صنع مثلها، وقد ضربوا على القاعدة الحروف المسندة ، الدالة على صاحب البيت . ومن هذه التماثيل تمثال أسد ، امتطى على ظهره ولد بيده اليمنى لجام ، وبيده اليسرى شيء يشبه القفل ، وقد صنع الأسد وكأنه يريد الوثوب ، وذلك كما تراه في الصورة . وقد قدر تأريخ صنعه فيما بين السنة ٧٥ و ٥٠ قبل الميلاد . ومنهم من يجعله بعد ذلك، أي في القرن الأول للميلاد^٢ .

وقد تبين من هذه التماثيل أن العرب الجنوبيين ، كانوا يتعلون نعالاً على نحو أنعلة هذا اليوم ، وهي سميكة لتقاوم الأرض فلا تأكلها عند المشي ، كما تبين لنا من دراسة هذه التماثيل أن بين ملابس العربية القديمة قبل الإسلام وبين ملابس العرب في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في الوقت الحاضر تشابه كبير . ومن الممكن في هذا اليوم عمل دراسة عن ملابس العرب الجنوبيين بالاستعانة بهذه التماثيل وبالصور المحفورة على الأحجار ، التي تمثل مختلف طبقات المجتمع في ذلك العهد .

Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, I, 155, ff., B. Segall, ١
Sculpture from Arabia Felix, The Hellenistic Period, AJA, 59, (1955), 210. ff.,
Grohmann, S. 234.

Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155. ٢



تمثال الاسد وعليه طفل • وقد أخذت الصورة من كتاب : Qataban and Sheba
لمؤلفه وندل فيليبس (ص ١١٢) •



تمثالان صنعوا من البرنز ، ويرى على التمثال أثر الفن « الهيليني » واضحا بارزا •
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ١٨٩)

أما الخشب المزخرف ، فهو وجه آخر من أوجه الفن وأضرابه ، وقد استعمل في البناء وفي أثاث البيت وفي صنع التماثيل والألواح المكتوبة وفي أغراض أخرى . وقد عثر المتقنون على نماذج منه . ولما كان الخشب معرضاً للتلف والهلاك أكثر من المعدن والحجر ، لذلك فإن يد الطبيعة قد لعبت بالكثير منه ، كما استعملته يد الإنسان قبل الاسلام وبعده في أمور أخرى غير الأمور التي خصصها أصحاب تلك الأخشاب لها ، لذلك زالت معالم الكثير منها ، واستعمل بعض منه في الوقود وفي أعمال البناء . ولا زلنا لا نملك نماذج من الأثاث المعمول من الخشب ، مثل صناديق لحفظ الألبسة والأشياء الأخرى التي تحتاج الى حفظ، وسرر منامة وكراسي وغير ذلك مما يستعمله الانسان في حياته من مصنوعات الخشب .

إن الفنان العربي الجنوبي حاول جهد طاقته لإظهار شخصيته في أعماله الفنية ، وهو وإن كان قد حاكي غيره وقلده في بعض الأمور ، غير أنه نجح في إعطاء فنه صورة المحيط الذي عاش فيه . فرى السحنة اليانية على وجوه بعض التماثيل ، ولا سيما في أوجه الرجال. ونجد الطابع العربي الجنوبي يبرز على بعض المصنوعات. وسوف يزداد علمنا ولا شك في المستقبل بالفن العربي الجاهلي في المستقبل حين تبدأ الأحوال وتقوم البعثات العلمية بالحفر العلمي المنظم في جزيرة العرب ، فربما يعثر على أعمال فنية تغير وجهة نظر العلماء المكتوبة عنه في هذا اليوم .

وأما الحديث عن الفن في الحجاز قبل الاسلام ، فحديث مقتضب مختصر ، لأن البحث العلمي لم يبدأ هناك حتى الآن . فاقصر علمنا عنه على ما ورد في الموارد الاسلامية وحدها . وما ورد في هذه الموارد هو اشارات عارضة ذكرت عرضاً في أحوال لا علاقة لها بالفن بل في البحث عن أمور أخرى ، مثل : فتح مكة ، حيث أشير الى وجود تصاوير وأصنام في الكعبة ، أمر الرسول بطمسها وإزالة معالمها وبكسر كل ما كان هناك من أصنام، ومثل ما جاء في كتب الحديث والفقه عن (الصور والتماثيل) في باب النهي عنها في الاسلام . وذلك يدل على ان بعض أهل مكة وسائر مواضع الحجاز الأخرى ، كانوا يضعون الصور والتماثيل في بيوتهم ، وان طائفة من الناس كانت تصور وتعيش من بيع الصور .، وأن طائفة أخرى كانت تنحت وتعمل التماثيل ، وأن طائفة من النساجين والحياطين كانوا يجعلون صور انسان أو حيوان على الستائر أو الملابس لتزيينها ، فنهى عن

ذلك الاسلام^١ .

ونحن لو أخذنا بروايات أهل مكة عن بناء الكعبة ، خرجنا منها على أن الكعبة لم تكن عند ظهور الاسلام وبعد تعميرها الأخير قبل البعثة ، شيئاً يذكر من ناحية الفن والهندسة المعمارية ، فهي لم تكن سوى بيت مكعب ، تحيط بحرمه البيوت ، ولم يكن الحرم واسعاً وله سور ، وإنما كان ساحة مفتوحة تتجاوز عليها أهل مكة ، فأدخلوا جزءاً منها في بيوتهم ، ولذلك اضطرت الخلفاء إلى توسيعها ، بشراء البيوت المجاورة وهدمها لإعادة ادخالها في الحرم . ونحن لا نجد اليوم أثراً باقياً على وضعه وحاله من آثار الجاهلية سوى (الحجر الأسود) ، وبئر زمزم ، أما الأشياء الأخرى مثل الكعبة ، فإنها من بناء الاسلام .

أما بيوتها ، فلا علم واضح لنا عنها ، لأن أهل الأخبار لم يتحدثوا عنها حديثاً فيه إفاضة ، وقد ورد في خبر لإساءة الجوار لرسول الله ، أن رسول الله كان يجلس تحت ظلة أمام باب داره ، فكان جيرانه يرمونه بالحجارة ، مما يدل على أنهم كانوا يبنون ظلالاً على أبواب بيوتهم يجلسون تحتها على (دكة) ويستظلون بها من حرارة الشمس حين وقوفهم أمام الباب : ولا بد وأن تكون بيوت تجار مكة ، من حجارة وكلس ، وقد تكون من طابقين أو أكثر ، ولكن الأخبار لا تتحدث بحديث مفصل عنها .

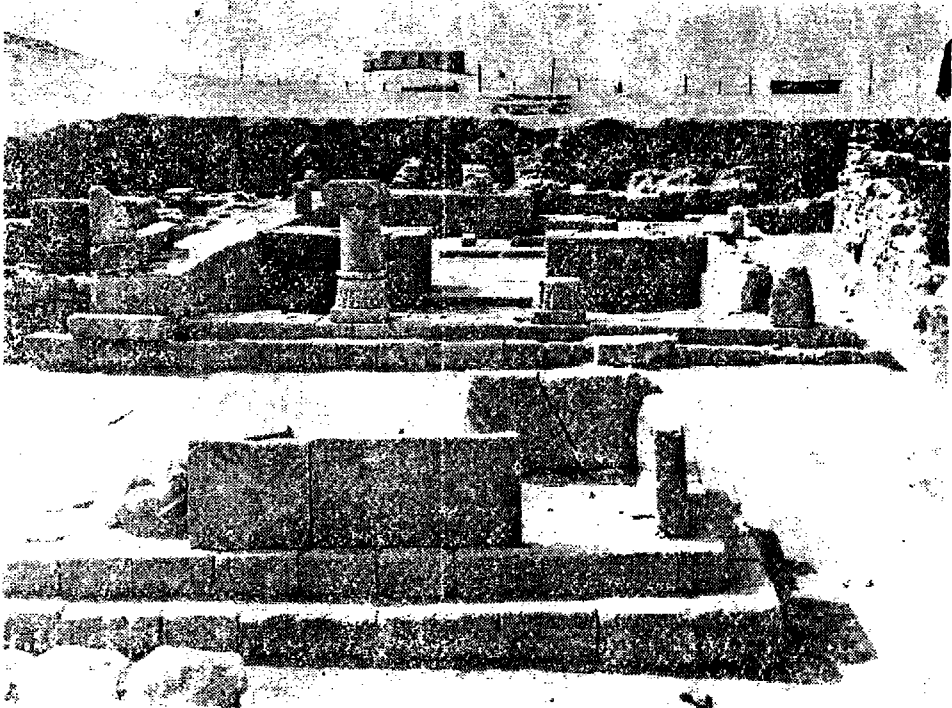
وفي أعالي الحجاز ، آثار من بقايا أبنية ومن تماثيل وكتابات مكتوبة ومن تصاوير نقشت على الصخور ، تعبر عن حالة النقاش الذي نقشها ، وهو من الأعراب . وفي جملة الصور مناظر إنسان يصيد غزالاً ، أو يجاهد في قتل أسد أو حيوان مفترس ، أو فارساً قد امتطى ظهر فرسه : أو مناظر قطعان حيوانات وحشية أو أليفة ، وما شاكل ذلك من مناظر ترم على عيون الرعاة . وبعض هذه الصور مما يعود عهده إلى ما قبل الميلاد . وهي تستحق الدرس وتوجب على عشاق الفن دراسة النواحي الفنية والتعبيرية في هذه الصور المرسومة على الأحجار والصخور . وفي المتحف البريطاني حجر ، رمز إليه بـ B. M. 120928 كتب عليه بالحروف الصفوية (هف زين بن أحرب) أي (هذا لزبان بن أحرب) . وقد حفر صورة جمل تحت الكتابة ، جعله لاعباً بذنبه ، وله سنام ضخم لا يتناسب حجمه

١ تنوير الحوالك (٢ / ٢٤١) ، تاج العروس (٤ / ٤٢٣) ، (قصص) .

مع جسم الجمل ، وله رقبة ورأس ، أقرب إلى رقبة الزرافة ورأسها من رأس ورقبة الجمل . ولكن الرسم لا بأس به بصورة عامة ، إذا أدركنا أن راسمه من الأعراب الذين عاشوا قبل الإسلام .

ونجد في الأحجار الصفوية الأخرى ، صور فرسان ، وهم يتحاربون ، أو يتسابقون ، وصور خيل وحيوانات أخرى . وبعض هذه الصور في غاية من الاتقان والإبداع ، وبعضها تمثل فناً بدائياً ، لكنه يعبر عن وجود قابليسة لدى راسمي هذه الصور الذين كانوا أعراباً يتنقلون في البوادي ، وهم مع ذلك كتبة ، لأننا نجد أسماء من رسم هذه الصور مكتوبة تحتها أو حولها لتدل عليهم .

وأما العربية الشرقية ، فقد عثرت البعثات التي نقيت بها على أعمال فنية عديدة ، وقد عثر في (أبو ظبي) وفي أماكن أخرى من الخليج على آثار لم تكن معروفة من قبل . وقد أشرت في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب إلى عثور المنقبين عن الآثار على آثار مهمة في البحرين وفي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت ، وهي



منظر المعبد الهيليني بعد تنظيفه ، وهو في جزيرة فيلكا وهو من منشورات قسم المتاحف والآثار بدولة الكويت

تشير الى أثر الاختلاط الذي كان بين الهند ، وفارس والروم والعراق وبين سكان الخليج ، قبل الميلاد بعهود طويلة . ولا بد وأن تنبت في هذه الأرضين حضارة مختلطة ، لأنها على ساحل بحر ، وعلى طريق يعتبر من أهم طرق العالم في التجارة وفي المواصلات الدولية في القديم وفي الحديث .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) بقايا معبد يوناني ، بناه جنود الاسكندر حين أقاموا واستقروا بها ، وقد تمكنت البعثة (الدانماركية) التي نقتبت في هذه الجزيرة من العثور عليه ، ونظفت ساحته حتى ظهر على هذه الصورة التي تراها في الصفحة السابقة .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) نقود تعود الى أيام (السلوقيين) خلفاء الاسكندر ، وآثار اليونانيين الذين أقاموا في هذه الجزيرة منذ جاء جيش الاسكندر لفتح الهند . فاستقر قسم منهم بها وأنشأ معبداً فيها ، عثر في أنقاضه على بقايا أعمدة حجرية استخدمت لرفع سقفه ، يظهر عليها الأثر الهليني بكل وضوح ، وعلى أحجار منقورة مزخرفة وعلى كتابات . وقد استخدم الحجر في أعمال البناء ، كما ترى ذلك في الصورة المأخوذة لموضعه ، بعد تنظيفه وإعادة دائرة



تمثال أفروديت ، ويعود عهده الى حوالي السنة ٢٠٠ قبل الميلاد
وهو من منشورات قسم الآثار والمتاحف بدولة الكويت

الآثار والمتاحف في الكويت للأحجار الى مواضعها . كما عثر في هذه الجزيرة على جرار كثيرة تعود الى العهد البرونزي ، تشبه الجرار الخزفية التي لا زال الناس يستعملونها في مواضع متعددة من جزيرة العرب .

ومن أبدع ما عثر عليه في هذه الجزيرة ، تمثال صغير من الطين المحروق يمثل (أفروديت) ، يعود عهده الى حوالى السنة (٣٠٠) قبل الميلاد ، وهو تاريخ انشاء هذا المعبد ، ومغربية جميلة ، تمثل شجرة ، يظهر انها كانت قد وضعت في أعلى واجهة المعبد . وتمثال رأس الاسكندر ، تحيط به الهالة ، وتمثال آخر ، صنع من الطين المحروق ، وعدد كبير من الأختام ، حفرت عليها مناظر مختلفة ، فيها صور حيوانات ، يعود عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد .



تمثال رأس الاسكندر تحيط به الهالة
من منشورات قسم الآثار والمتاحف بدولة الكويت

أما عن الفن العربي في العراق ، فنحن لا نستطيع أن نتكلم عنه إلا بإيجاز مغل ، وسبب ذلك ، أن الحيرة التي كانت عاصمة المناذرة ، والتي كانت من أكبر المستوطنات العربية ، هدمت في الفتح الاسلامي وما بعده لاستخدام طابوقها

وأحشاها في بناء (الكوفة) . فقد بني مسجد الكوفة بأنقاض قصور الحيرة ،
فزالَت بذلك معالم تلك المدينة ، ولم يبق منها أي شيء بتوالي الأيام .

ويظهر من الأخبار الواردة في كتب أهل الأخبار ، أن أهل الحيرة كانوا
يتخذون (إيواءاً) في قصورهم . يجعلونه موضعاً يجلسون فيه . عرف بالإيوان
الحيري . وقد كانوا يزخرفون الجدر باستعمال (الآجر) المزخرف . كما كانوا
يطلون الجدر على الطريقة العراقية القديمة بطبقة من (الجص) ، ليظهر أملس
أبيض ، وكانوا يطلون الجدر الخارجية للبيوت بهذه الطبقة ، ومن هنا بدت
مدينتهم وكأنها مدينة بيضاء ، فقبل لها الحيرة البيضاء .

التصوير :

وقد عثر المنقبون والباحثون عن الآثار القديمة على رسوم بشر وحيوان ونبات
نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة ، يرمز بعض منها الى أمور دينية وأساطير
قديمة . ويعبر البعض الآخر عن مواهب فنية عند حافري هذه الصور ، وعلى
مقدرة تقدر في الرسم ، وعلى وجود ميول فطرية عند أصحابها في الفن ، وفي
محاولة إبراز العواطف النفسية والتعبير بلغة فنية يفهمها كل إنسان ، هي لغة
الرسم والنقش .

وفي أخبار أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا يتقربون الى الصور ، كما كانوا
يزينون بيوتهم بالصور والنسيج المصور ، كما كانوا يستعملون ستائر ذات صور ،
ويلبسون ملابس ذات صور ورسوم . ولما فتح الرسول مكة ، أمر بتحطيم ما كان
بها من أصنام وأوثان . وقد ذكر أهل الأخبار ، انه كانت في الكعبة حمامة من
عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وجد صور الملائكة وغيرهم ، فرأى ابراهيم
مصوراً في يده الأزام يستقسم بها ، وصورة عيسى بن مريم وأمه ، وصورة
الملائكة أجمعين . فأمر الرسول بطمس تلك الصور ، فغسلت بالماء ، ومسحت
بثوب بلّ بالماء ، فطمست ، إلا صورة عيسى بن مريم وأمه ، إذ أمر الرسول
بإبقائها كما تقول بعض الروايات ، فبقيت الى أيام (عبدالله بن الزبير) ، فلما

تهدم البيت ، تهدمت الصورة معه^١ .

وفي شعر (امرى القيس) اشارة الى التصوير . ففي البيت :

بلى ربّ يومٍ قد لهُوت وليلةً بأنسة كأنها خط تمثال

اشارة الى التصوير . فالخط ، الكتابة والرسم ، والتمثال الصورة ، والصنم ، أي التمثال المجسد . والتماثيل الصور . وقد كانوا يصورون الصور ويرسمونها قبل الاسلام^٢ .

ولكننا لا نملك اليوم صوراً زيتية أو صوراً أخرى مرسومة بالألوان أو بالحبر أو الصبغ الأسود على آدم أو قراطيس ، أو الواح ، فإن مثل هذه الصور لا يمكن أن تعمر طويلاً تحت الأتربة لذلك تبلى ، ولا استبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على مثل هذه الصور ، لما ذكرته من وجود الصور والتصوير عند الجاهليين .

وقد كان الجاهليون يقتنون الصور يضعونها في بيوتهم للزينة ، كما كان هناك مصورون يعيشون من بيع الصور التي يرسمونها ، وصنّاع تماثيل ، ينحتونها أو يعملونها بالقوالب يجعل عجين الجبس فيها ، فإذا جفّ أخذ شكل التمثال ، فيباع . وقد أشير الى التصوير وصنع التماثيل في الحديث ، بمناسبة ما ورد فيه من كره الإسلام للتصوير : أو تحريمه كما ذهب اليه البعض ، فقد كره في الاسلام تصوير كل ذي روح ، مثل تصوير إنسان أو حيوان ، وكره بيع المصورات ، واتخاذ التصوير حرفة يتعيش منها . وقد سأل بعض المصورين (ابن عباس) رأيه في التصوير ، وهي حرفته التي كان يتعيش منها ، فنهاه عنها ، إلا إذا صور شجراً أو شيئاً لا روح فيه . وكانت معيشة هذا المصور من صنعة يده ، يصنع التماثيل ويبيعها للناس^٣ .

١ الازرقعي (١٠٤/١ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٨٧/٣) ، ابن هشام ، سيرة (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، حاشية على الروض ، الروض الانف (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (١٠٥/٢) ، نهاية الارب (٣١٣/١٧) ، أمتاع الاسماع (٣٨٥/١) .

٢ الخزانة (٣١/١) ، (بولاق) .

٣ ارشاد الساري (١٠٧/٤) ، (باب بيع التماثيل) .

وقد كانت الوثنية لا تتعارض مع التصوير ، بل كانت تشجعه وتشجع الفنون الجميلة . فقد كانت الأصنام عماد سنتهم ، واليهما كانوا يتقربون ، وكانوا يضعونها في بيوتهم للتقرب اليها والتبرك بها ، كما أنهم لم يكرهوا الغناء ولا الموسيقى ، لما لها من صلة بأعيادها وبالطقوس الدينية .

وقد منع من بيع الأصنام ، أي التماثيل في الاسلام ، كما حرم بيع الصور المتخذة من جوهر نفيس^١ ، وكان بين أهل مكة وغيرها من القرى أناس يتعيشون من بيعها ، ويتفننون في صنعها ، فأتت بذلك هذه الحرفة التي هي من الفنون الجميلة ، مثل التصوير .

١ ارشاد الساري (١١٤/٤) ، (باب تحريم بيع الميثة والاصنام) .

الفصل العشرون بعد المئة

أمية الجاهليين

الشائع بين كثير من الناس ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء وضلالة ، لا يقرأون ، ولا يكتبون ، وان الكتابة كانت قليلة بينهم ، واستدلوا على رأيهم هذا باطلاقهم لفظة (الجاهلية) على ايامهم ، وبما جاء من انهم كانوا قوماً (أميين لا يكتبون) . واستدلوا على ذلك بحديث ذكر ان الرسول قاله ، هو « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »^١ .

وقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن معنى (الجاهلية) ، وعن الآراء التي قيلت فيها ، حديثاً فيه إفاضة وإحاطة ، وقد قلت فيما قلته ان تفسير الجاهلية بالجهل ، الذي هو ضد العلم ، تفسير مغلوط ، وان المراد من الجاهلية السفه والحمق والغلظة والغرور ، وقد كانت تلك أبرز صفات المجتمع الجاهلي آنئذ ، وتحدثت في كتابي : (تأريخ العرب قبل الاسلام) عن معنى الأمية وذلك في اثناء كلامي على أمية الرسول وآراء العلماء فيها من مسلمين ومستشرقين^٢ ، وقلت ان للأمية معنى آخر غير المعنى المتداول المعروف ، وهو الجهل بالكتابة والقراءة . فتمد ذكر (القرآء) وهو من علماء العربية المعروفين ، ان الأميين هم

١ البيان والتبيين (٢٨/٣) ، الصاحبي (١١/٨) ، تفسير القرطبي (٥/٢) ، البقرة الآية ٨٧ ، اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) ، تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .
٢ الصفة ١٣٦ وما بعدها .

العرب الذين لم يكن لهم كتاب^١ . ويراد بالكتاب . التوراة والانجيل . ولذلك نعت اليهود والنصارى في القرآن بـ (اهل الكتاب) ، وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظية (الأميين) الواردة في القرآن الكريم ، وتعني الوثنيين اي جماع قريش وبقية العرب ، ممن لم يكن من يهود وليس له كتاب .

وللعلماء آراء في الأمية ، وذلك لما لها من صلة بالرسول ، ولما كان القرآن قد نعت قوم الرسول بالأميين ، وجعل الرسول أمياً مثلهم ، فقد ذهبوا الى ان العرب كانوا قبل الاسلام أميين بمعنى انهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون إلا من شذ منهم وندر ، وإلا أفراداً من أهل مكة ، زعموا انهم تعلموا الكتابة من عهد غير بعيد عن الاسلام ، ولو أخذنا أقوالهم مأخذ الجد ، وجب علينا القول بأنهم إنما تعلموها في حياة الرسول اي قبل الوحي بسنين ليست بكثيرة ، وان مكة كانت المدينة الوحيدة التي عرفت الكتابة في جزيرة العرب ، وهو كلام لا يقوم على علم . فقد كان يثرّب كتاب يكتبون بكتاب مكة ، وكان في أماكن أخرى كتاب يكتبون بكتابهم أيضاً ، فضلاً عن انتشار الكتابة بالمسند في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب .

والرسول أمي ، لم يقرأ ولم يكتب ، فإذا أراد كتابة رسالة او عهد او تدوين للوحي ، أمر كتابه بالتدوين . على ذلك أجمع المسلمون . وقد وردت في القرآن آيات مثل : « اقرأ باسم ربك »^٢ ، وآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون »^٣ . اخذها البعض على ان فيها دلالة على ان النبي كان يقرأ ويكتب ، واستدل أيضاً ببعض ما ورد في كتب الحديث والسيرة ، وفيه ما يفيد انه كان ملماً بالقراءة والكتابة . كالذي ورد في صلح (الحديبية) انه « هو الذي كتب الكتاب بيده الشريفة . وهو ما وقع في البخاري »^٤ . وما جاء في السيرة لابن هشام : « فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب

١ المفردات (ص ٢٢) .

٢ سورة اقرا ، الآية الاولى .

٣ العنكبوت ، الآية ٤٨ ، تفسير الطبري (٤/٢١) .

٤ الروض الانف (٢/٢٣٠) ، الحلبية (٢٣/٣) وما بعدها .

Nöldeke, Geschichte des Qorāns, I, S. 13.

الكتاب هو وسهيل^١ . وما جاء في البخاري : « وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب ليكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد »^٢ . وقالوا ان في هذا المذكور وفي غيره من مثل ما ورد من ان الرسول « لما اشتد وجهه ، قال : اثنوني بالدواة والكتب اكتب لكم كتاباً لا تضلون معه بعدي أبداً »^٣ ، ومثل ما ورد « في حديث أبي بكر رضي الله عنه ، انه دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده »^٤ ، دلالة صريحة على قدرته على الكتابة والقراءة^٥ .

وللعلماء كلام في الأدلة المذكورة ، ولهم آراء في تفسير الآيات التي تعرضت لموضوع الأمية . والأمي في تفسير علماء اللغة من لا يكتب ، او العي الجلف الجاني القليل الكلام . قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان^٦ ، او الجهل التام بالقراءة والكتابة . « لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب »^٧ ، او لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة^٨ ، او الأمي الذي على خلقه الأمة ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلته . وقد ورد في الحديث : « إنا أمة أمية لا نكتب »^٩ ، او « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »^{١٠} ، او « بعثت الى أمة أمية » ، فذهبوا الى ان العرب كانوا على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى . « وكل شيء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيده على نفسه ولا

1. Nöldeke, I, S. 13.

2. الروض الانف (٢٣٠/٢) ، الطبري (٨٠/٣) ، (السنة السادسة) ، (٦٣٥/٢) (دار المعارف) ، الحلبية (٢٤/١) .

3. البلاذري (٥٦٢/١) ، (اثنوني باللوح والدواة - او بالكتف والدواة - اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) ، (اثنوني اكتب كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً) ، الطبري (١٩٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

4. تاج العروس (٢٣١/٣) ، (زبر) .

5. Nöldeke, I, S. 12. ff.

6. اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .

7. تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .

8. تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .

9. اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .

10. تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) ، المفردات (٢٢) .

اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .

يدرسه احداً من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون «^١ .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (الأمي)^٢ ، و (أميون)^٣ ، و (اميين)^٤ ، ونعت الرسول بـ (النبي الأمي)^٥ ، وردت في سور مكية وفي سور مدنية . وردت لفظة (الأمي) في سورة الأعراف ، وهي من السور المكية ، ووردت لفظة (أميون) و (الأميين) في سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الجمعة ، وهي من السور المدنية . ويلاحظ ان الآيتين المكيّتين ، خاصتان بالرسول ، فنعت فيها بـ (النبي الأمي) ، اما الآيات المدنية ، فقد قصد بها (الأميين) ، الذين ليس لهم كتاب . بمعنى المشركين :

وقد بحث (الراغب الاصبهاني) في معنى (الأمية) فقال : « والأمي : هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل : هو الذي بعث في الأميين رسولا^٦ منهم . قال قطرب : الأمية : الغفلة والجهالة . فالأمي منه ، وذلك هو قلة المعرفة . ومنه قوله تعالى : ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا امانى ، اي إلا ان يتلى عليهم . قال الفراء : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب . والنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، قيل منسوب الى الأمة الذين لم يكتبوا لكونهم على عادتهم . كقولك عامي لكونه على عادة العامة . وقيل : سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له لاستغنائاه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله : سنقرئك فلا تنسى . قيل سمي بذلك لنسبته الى أم القرى «^٧ .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان الأميين من لا كتاب لهم من الناس ، مثل الوثنيين والمجوس ، قال الطبري في تفسير الآية : « وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا »^٨ : « يعني بذلك جل ثناؤه ، وقل

١ البيان والتبيين (٢٨/٣) .

٢ الاعراف ، الآية ١٥٦ وما بعدها .

٣ البقرة ، الآية ٧٨ .

٤ آل عمران ، الآية ١٠ ، ٧٥ ، الجمعة ، الآية ٢ .

٥ الاعراف ، الآية ١٥٦ وما بعدها .

٦ المفردات في غريب القرآن (٢٢) .

٧ آل عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٢٠ .

يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين ، الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أسلمتم .. «^١ . وذهب كثير من المفسرين الى ان الأميين الذين لا كتاب لهم ، اي الذين ليسوا يهوداً ولا نصارى . وورد : « ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم »^٢ . قال الطبري : « وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتموا ، فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ، ونحن اميون ، وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الكتاب »^٣ . فالمسلمون اهل كتاب ، والمجوس اميون كمشركي مكة وبقية العرب المشركين ، لا لكونهم لا يقرأون ولا يكتبون ، بل لأنهم لم يؤمنوا بالتوراة والانجيل .

ويلاحظ ان الآية : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين »^٤ ، والآية : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل »^٥ ، والآية : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا امانى »^٦ ، وكذلك : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم »^٧ ، لا تؤدي معنى الأمية ، بمعنى الأمة الجاهلة بالقراءة والكتابة ، لعدم انسجام التفسير مع المعنى ، وانما تؤدي معنى وثنية ، اي امة لم تؤمن بكتاب من الكتب السماوية ، اي في المعنى المتقدم . «والأمي والأمان -بضمهما- من لا يكتب او من هو على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جبلته . وفي الحديث : إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب . اراد انه على اصل ولادة امهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى .

- ١ تفسير الطبري (١٤٣/٣)
- ٢ روح المعاني (١٧/٢١) وما بعدها ، (كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم اهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لانهم أهل أوثان) ، تفسير الطبري (١٢/٢١) وما بعدها .
- ٣ تفسير الطبري (١٣/٢١) .
- ٤ ال عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٢٠ .
- ٥ ال عمران ، الرقم ٣ ، الآية ٧٥ .
- ٦ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٧٨ .
- ٧ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .

وقيل لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولا ، وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة ، لأنه صلى الله عليه وسلم ، تلا عليهم كتاب الله منظوماً نارة بعد أخرى ، بالنظم الذي انزل عليه ، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، ففي ذلك انزل الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي ان مما حرم عليه صلى الله عليه وسلم : الخط والشعر ، وانما يتجسه التحريم ان قلنا انه كان يحسنها ، والأصح انه كان لا يحسنها ، ولكن يميز بين جيد الشعر وردئه . وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله تعالى من قبله في الآية . فإن عدم معرفته بسبب الاعجاز . فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتباب عرف حينئذ الكتابة . وقد روي عن ابن ابي شيبة وغيره : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب وقرأ ، وذكره مجالد للشعبي . فقال ليس في الآية ما ينافيه . قال ابن دحية : واليه ذهب ابو ذر الفتح النيسابوري والباجي وصنف فيه كتاباً ، ووافقه عليه بعض علماء افريقية وصقلية . وقالوا : ان معرفة الكتابة بعد اميته لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة أخرى بعد معرفة اميته وتحقيق معجزته ، وعليه تنزل الآية السابقة والحديث فإن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة . وصنف ابو محمد بن مفوز كتاباً رد فيه على الباجي وبيّن فيه خطاه ، وقال بعضهم يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف ، كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون ، والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني^١ .

وقد تعرض (الألوسي) لهذا الموضوع في تفسيره الآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد آياتنا إلا الظالمون »^٢ . فقال : « واختلف في انه صلى الله عليه وسلم ، أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب ام لا ؟ فقيل انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة ، واختاره البغوي في التهذيب ، وقال : انه الأصح . وادعى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ، صار يعلم الكتابة بعد ان كان

١ تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .

٢ العنكبوت ، ٢٩ ، الآية ٤٨ ، تفسير الطبري (٤/٢١) ، تفسير الألوسي (٤/٢١) .

لا يعلمها ، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وظهر امر الارتباب تعرف الكتابة حينئذ . وروى ابن ابي شيبة وغيره : ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ . ونقل هذا للشعبي فصدقه ، وقال : سمعت أقواماً يقولونه وليس في الآية ما ينافيه . وروى ابن ماجه عن أنس قال : قال صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أُسري بي مكتوباً على الجنة : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر .

ثم قال : ويشهد للكتابة احاديث في صحيح البخاري وغيره ، كما ورد في صلح الحديبية : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، الحديث .

ومن ذهب الى ذلك ابو ذر عبد بن احمد الهروي ، وابو الفتح النيسابوري ، وابو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني . وصنف فيه كتاباً ، وسبقه اليه ابن منية . ولما قال ابو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسب على المنابر ، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه ، وكتب به الى علماء الأطراف ، فأجابوا بما يوافقهم ، ومعرفة الكتابة بعد اميته صلى الله عليه وسلم ، لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى لكونها من غير تعليم .

وقد رد بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح إنا أمة أمية نكتب ولا نحسب . وقال : كل ما ورد في الحديث من قوله : كتب ، فعناه امر بالكتابة ، كما يقال : كتب السلطان بكذا لفلان . وتقديم قوله تعالى : من قبله علي قوله سبحانه : ولا تخطه كالصريح في انه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقاً . وكون القيد المتوسط راجعاً لما بعده غير مطرد . وظن بعض الأجلة رجوعه الى ما قبله وما بعده ، فقال : يفهم من ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان قادراً على التلاوة والخط بعد انزال الكتاب ، ولولا هذا الاعتبار ، لكان الكلام خلواً من الفائدة . وأنت تعلم انه لو سُلم ما ذكره من الرجوع ، لا يتم امر الإفادة إلا اذا قيل بحجية المفهوم ، والظان ممن لا يقول بحجته .

ثم قال الألوسي في تفنيد هذه الردود ما نصه :

ولا يخفى ان قوله عليه الصلاة والسلام : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، ليس نصاً في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام . ولعل ذلك باعتبار

انه بعث عليه الصلاة والسلام ، وهو واكثر من بعث اليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب اميون ، لا يكتبون ولا يحسبون ، فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد . واما ما ذكر من تأويل كتب بأمر بالمكاتبه ، فخلافاً للظاهر . وفي شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلاً عن القاضي عياض : ان قوله في الرواية التي ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكتب ، كالنص في انه صلى الله عليه وسلم كتب بنفسه ، فالعدل عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه . ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا ^١ .

وبحث (القرطبي) في هذا الموضوع ايضاً ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الضمير في قبله عائد الى الكتاب ، وهو القرآن المنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اي وما كنت يا محمد تقرأ قبله ، ولا تختلف الى اهل الكتاب ، بل أنزلناه اليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك ، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ، ويخط حروفاً لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب ، وكان لهم في ارتيابهم متعلق ، وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به . قال مجاهد : كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم ، لا يخط ولا يقرأ ، فنزلت هذه الآية ؛ قال النحاس : دليلاً على نبوته لقريش ، لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ، وزالت الريبة والشك .

الثانية : ذكر النقاش في تفسير الآية عن الشعبي انه قال : ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب . واسند ايضاً حديث ابي كبشة السلولي ؛ مضمونه : انه صلى الله عليه وسلم ، قرأ صحيفة لعينة بن حصن ، وأخبر بمعناها . قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف ، وقول الباجي رحمه الله منه .

قلت : وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لعلي : اكتب الشرط بيننا : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون : لو تعلم انك رسول الله تابعناك - وفي رواية بابعناك - ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فأمر علياً

١ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن (ص ٣٥٨ وما بعدها)
(الطبعة الثانية) ، (عيسى البابي الحلبي) .

ان يحوها ، فقال علي : والله لا أحياه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرني مكانها ، فأراه فحماها وكتب ابن عبد الله . قال علياؤنا رضي الله عنهم : وظاهر هذا انه عليه السلام محات تلك الكلمة التي هي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده ، وكتب مكانها ابن عبد الله . وقد رواه البخاري بأظهر من هذا . فقال : فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتاب فكتب . وزاد في طريق أخرى : ولا يحسن ان يكتب . فقال جماعة ، بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده ، منهم السمناني وأبو ذر والباجي ، ورأوا ان ذلك غير قاذح في كونه أمياً ، ولا معارض بقوله : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك ، ولا بقوله : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، بل رأوه زيادة في معجزاته ، واستظهاراً على صدقه وصحة رسالته ، وذلك انه كتب عن غير تعلم لكتابة ، ولا تعاطٍ لأسبابها ، وانما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قرأها ، فكان ذلك خارقاً للعادة ، كما انه عليه السلام عليم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب ، فكان ذلك أبلغ معجزاته ، وأعظم فضائله . ولا يزول عنه اسم الأمي بذلك ، ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة : ولا يحسن ان يكتب . فبقي عليه اسم الأمي مع كونه قال : كتب . قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر : وقد أنكر هذا كثير من متفقي الأندلس وغيرهم ، وشددوا النكير فيه ، ونسبوا قائله الى الكفر ، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية ، وعدم التوقف في تكفير المسلمين ، ولم يتفطنوا ، لأن تكفير المسلم كفتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح ، لا سيما رمي من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة ، على ان المسألة ليست قطعية ، بل مستندها ظواهر أخبار آحاد صحيحة ، غير ان العقل لا يحيلها ، وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها .

قلت : وقال بعض المتأخرين من قال هي آية خارقة ، فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر لولا انها مناقضة لآية أخرى وهي كونه أمياً لا يكتب ، وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحدون ، وانحسبت الشبهة ، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية . وانما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضاً . وانما معنى كتب وأخذ القلم ، أي أمر من يكتب به من كتابه ، وكان من كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ، ستة وعشرون كاتباً .

الثالثة - ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين يدي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ألقى الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومدّ الرحمن ، وجود الرحيم . قال القاضي : وهذا وإن لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم ، كتب ، فلا يبعد ان يُرزق علم هذا ، ويُمنع القراءة والكتابة .

قلت : هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفاً واحداً ، وإنما امر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل : فقد تهجى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر الدجال ، فقال : مكتوب بين عينيه ك ا ف ر ، وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه أمياً ، قال الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الآية . وقال : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . فكيف هذا ؟ فالجواب ما نص صلى الله عليه وسلم ، في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً . ففي حديث حذيفة : يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً^١ .

وقد ذهب (الطبرسي) في تفسيره للآية المذكورة الى ان الرسول ساوى قومه في المولد والمنشأ ، لكنه جاء بما عجز عنه الآخرون من كلام الله والنبوة ، فهو أمي مثلهم . ثم عرض رأي (الشريف المرتضى) ، القائل : « هذه الآية تدل على ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة ، فأما بعد النبوة فالذي نعتقه في ذلك التجويز ، لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين . وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ، ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة ، لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوته صلى الله عليه وسلم ، لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة . فأما بعد النبوة ، فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل عليه السلام ، بعد النبوة^٢ .

وتعرض (الجاحظ) لهذا الموضوع أيضاً ، فقال نقلاً عن كلام شيخ من

١ الجامع لاحكام القرآن (١٣ / ٣٥١ وما بعدها) .

٢ الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن (الجزء الثامن من ٢٨٩) .

البصريين ، « إن الله إنما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يعتمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب ، من قيافة الأثر والبشر ، ومن العلم بالأنواء وبالخيال ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلف قول الأشعار ، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب، كان ذلك أدل على انه من الله .

وزعم ان الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبياً ، وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأتمى . فلإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القبائل ليجلي له الكثير ^١ .

وقد رد (الجاحظ) على كلامه هذا ، بقوله : « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يُرد إلا الخير . وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه . ولو زعم ان أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب ، قد كانت فيه تامة وافرة ، ومجموعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة ، وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان اذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، ولو كان في ظاهره ، والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، ما كان ذلك بمانسع من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروهم ومحبوهم . ولكنه اراد ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وان رق ، وليكون ذلك أخف في المؤونة ، وأسهل في المحنة . فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطلق به ، والعادة توأم الطبيعة . فأما في غير ذلك فإنه اذا شاء كان أنطق من كل منطق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف . وكانت آلهة أوفر وأداته أكمل، إلا انها كانت مصروفة الى ما هو أرد .

١ البيان والتبيين (٣٢/٤) .

وبين ان نضيف اليه العجز ، وبين ان نضيف اليه العادة الحسنة وامتناع الشيء عليه من طول المهجران له ، فرق^١ .

ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مُطيل ، وان قصر القول اتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط واقامة الشعر ، فكيف ذهب ذلك المذهب ، والظاهر من امره عليه السلام خلاف ما توهم ؟! ^١ .

فهذا هو رأي الجاحظ في امية الرسول .

واما حديث : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ، فيعارضه حديث آخر ينسب الى الرسول هو : « قرئ اهل الله ، وهم الكتبة الحسبة »^٢ . « ويقال قرئ اهل الله ، لأنهم كتبة حسبة »^٣ . والقرآن الكريم نفسه ، يفند ان قرئاً لم يكونوا يحسنون الكتاب او الحساب ، لما فيه من آيات تناقض هذا الرأي . وفي الحديث ، أحاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها ، لأنها ضعيفة ، ويشبه ان يكون الحديث المذكور واحد منها . ومن هذه الأحاديث الضعيفة ، حديث : « حق الوالد على ولده ان يعلمه الكتابة والسباحة ، والرماية ، وان لا يرزقه إلا طيباً » ، وحديث : « حق الوالد على ولده ان يحسن اسمه ، ويزوجه اذا أدرك ، ويعلمه الكتاب »^٤ . والحديث المذكور من الأحاديث التي يرجع سندها الى (ابي هريرة) وفي الأحاديث المنسوبة اليه احاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها .

ولو أخذنا بالحديث على علته ، وقبلناه دون نقد، كما يفعل كثير من الناس ، وجب علينا القول ان الرسول كان يقرأ ويكتب . ورد : « وذكر صاحب الشرعة ايضاً ، انه صلى الله عليه وسلم ، قال للمعاوية رضي الله عنه ، وهو يكتب بين يديه : ألقِ الدواة ، وحرّف القلم ، وانصب الباء ، وفرّق السين ، ولا تعوّر الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجوّد الرحيم »^٥ ، وانه قال (لزيد بن ثابت) وهو احد كتّابه : « اذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن

١ البيان والتبيين (٣٣/٤) وما بعدها .

٢ الصولي ، أدب الكتاب (٢٨) .

٣ حكمة الاشراف (٦٧) .

٤ الجامع الصغير ، رقم ٣٧٤٢ ، و ٣٧٤٣ ، حكمة الاشراف (٦٦ وما بعدها) .

٥ حكمة الاشراف (٦٧) .

السين فيه ^١ ، فهل يعقل صدور هذا الوصف ، وهذه التسمية للحروف ، وهذه المصطلحات من رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب . وقد روى الرواة هذين الحديثين مع تعارضهما لأقوال العلماء ، ورووا ايضاً ان (ابا ذر) الغفاري سأل الرسول : « يا رسول الله ، كل نبي مرسل يمّ يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله ، اي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج الى آخره . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسع وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا ابا ذر ، والذي بعثني بالحق نبياً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك . من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف ، وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار ابداً ^٢ . وبعد فهل نقبل بحديث من هذا النوع ، وكل ما فيه يطعن في صحته !

ويظهر صراحة من الآية : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ^٣ ، ان مرادها من الأميين ، ليس الجاهل بالكتابة والقراءة ، وانما العرب الذين لم يكن عندهم كتاب منزل من السماء . ودليل ذلك ما اورده (الطبري) في تفسيرها من اقوال وروايات . فقد قال : « والأميون هم العرب » ، قال (قتادة) : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم . قال : كان هذا الحي من العرب امة أمية ليس فيها كتاب يقرأونه ، فبعث الله نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، رحمة وهدى يهديهم به » ، وقال : « كانت هذه الأمة أمية لا يقرأون كتاباً » ، وقال : « انما سميت امة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاباً » ، وقوله : « ويعلمهم الكتاب . يقول ويعلمهم

١ الجامع الصغير (٨٣٥) ، حكمة الاشراف (٦٧) .

٢ صبح الاعشى (٧ / ٣) .

٣ الجمعة ، الآية ٢ .

كتاب الله وما فيه من امر الله ونهيه وشرائع دينه، والحكمة يعني بالحكمة السنن». وقال: «ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة أيضاً، كما علم هؤلاء. يزيكهم بالكتاب والأعمال الصالحة ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع الأولين»، وقال في تفسيره: «وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. يقول تعالى ذكره، وقد كان هؤلاء الأميون من قبل ان يبعث الله فيهم رسولا منهم في جور عن قصد السبيل وأخذ على غير هدى مبين. يقول يبين لمن تأمله انسه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشده»^١. وقال (ابن كثير) في تفسيرها: «وذلك ان العرب كانوا قديماً متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً... فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل لجميع الخلق، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم»^٢. وقال (القرطبي): قال ابن عباس: الأميون العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا اهل كتاب»^٣. فالأميون اذن هم العرب، لأنهم كانوا اهل شرك، وليس لهم كتاب، وليس للفظه صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة والكتابة.

واما حديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. الشهر هكذا وهكذا: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»^٤. وقد نسب سنده الى (ابن عمر)، فحكمه حكم الحديث السابق، وقد فسر الحساب، بأنه حساب النجوم وتسييرها، لا الجهل بالحساب.

وقد ذهب (شبرنكر) الى ان الرسول كان يقرأ ويكتب، وانه قرأ (اساطير الأولين)^٥، و (شبرنكر) من المستشرقين العاطفين: الذين يأخذون بالخبر، مها كان شأنه فينبى حكماً عليه.

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان المقصود من الأميين هنا الوثنيون. وان الأمية هذه اخذت من اليهود الذين كانوا يطلقون لفظه (امت) و (اميم)

١ تفسير الطبري (٦١/٢٨ وما بعدها).

٢ تفسير ابن كثير (٣٦٣/٤).

٣ الجامع لاحكام القرآن (٩١/١٨).

٤ ارشاد الساري (٣٥٩/٣).

٥ Nöldeke, I, S. 16, Ency. of Islam, Vol. IV, p. 1016.

على غيرهم ، يريدون بها الوثنيين . كما في جملة : (امت ها عالولام)
 Ummot ha Olam ^١ . وقد أطلق اليهود على الغرباء وعلى كل من هو غير
 يهودي ، (كوي) Goy للواحد ، و (كويم) Goyim للجمع . وتقابل
 هذه اللفظة لفظة Gentile في اللاتينية . ويقال للغريب عنهم (أخريم) Ahrim
 و Nochrin ، كذلك، تمييزاً لهم عن العبرانيين الذين يذهبون الى أنهم أمة مقدسة
 مفضلة على العالمين ^٢ .

وذهب بعض المستشرقين اليهود الى ان لفظة (الأميين) معربة من اصل (كوى)
 و (كويم) المذكور ^٣ .

والذي أراه ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى
 عدم القراءة والكتابة والجهل بهما ، وانما كانت تعني عندهم : مشركين ووثنيين،
 وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم . والذي نعت الرسول فيه بالأمي ، لأنه
 من العرب ، ومن قوم ليس لهم كتاب ، عرفوا بذلك من قبل اهل الكتاب
 اليهود . أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة ، فقد وقع في الاسلام ، أخذوه من
 ظاهر معنى لفظة (الكتاب) الواردة في القرآن ، فظنوا انها تعني (الكتابة)
 بينما المراد منها الكتاب المنزل ، لعدم انسجام تفسيرها بالكتابة مع معنى الآية ،
 ودليل ذلك انهم لما فسروا (الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في إيجاد
 مخرج لهذا التفسير ، فقالوا ما قالوه في تفسيرها من انها سميت بالأمية لأنها على
 خلقة الأمة ، أو لأنها على الجبلية والفطرة ، وأصل ولادة الأمهات وما شاكل
 ذلك من تفاسير مضطربة باردة ، تخبر ان علماء اللغة لم يجدوا لها أصلاً ووجوداً
 عند الجاهليين فلجأوا الى هذه التعليلات ^٤ . ولو كانت الأمية معروفة عند اهل
 الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من أشعار الجاهليين أو المخضرمين ،
 ولما لجأوا الى هذه التفاسير المتكلفة ، لأن من عادتهم الاستشهاد بالشعر في تفسير

Shorter Ency. p. 764, Horovitz, Koranische Utersuchungen, 1926, S. 51, ١
 Buhl - Shaeder, Das Leben Muhammeds, Leipzig, 1930, S. 56, Nöldeke,
 Geschichte des Qorans, I, S. 14.

The Universe. Jewish Ency. Vol. 4, p. 533. ٢

Torrey, The Jewish foundation of Islam, New York, 1933, p. 38, Abram ٣

I. Katsh, Judalsm in Islam, New York, 1934, p. 75.

٤ تاج العروس (١٩١ / ٨) ، (أمم) .

الألفاظ ، ولا سيما الألفاظ الغريبة ، فعلم استشهداهم بشاهد من شعر او نثر في تفسير الأمية هو دليل على ان اللفظة بهذا التفسير من الألفاظ التي ولدت في الاسلام ، وانها لم تكن عربية خالصة ، وانما سمعوها من اهل الكتاب .

وعندي ان يهود يثرب هم الذين أطلقوا لفظة (الأميين) على العرب المشركين ، على عادتهم حتى هذا اليوم في نعت الغرباء عنهم بألفاظ خاصة مثل (كويم) ، لتمييزهم عن أنفسهم ، باعتبارهم (شعب الله المختار) المؤمن بإله اسرائيل . وما يؤيد هذا الرأي ، اننا نطلق في عربيتنا لفظة (الأمي) على من لا يعرف القراءة والكتابة معاً ، بينما نطلق على الشخص الذي يحسن القراءة ولا يحسن الكتابة قارئ ، او قارئة ، وذلك لوجود جماعة كانوا يحسنون القراءة ، ولكنهم لا يكتبون . ونجد اليوم من النساء من يحسن القراءة ولا يكتبن ، ولما نزل الوحي على الرسول : باقرأ ، قال الرسول : ما أنا بقارئ ، او لست بقارئ ، ولم يقل : أنا أمي ، مما يدل على ان الأمية انما صارت تعبر عن معنى عدم القراءة والكتابة فيما بعد . ثم اننا لا نجد في اللغات القديمة لفظة واحدة في معنى (الأمية) التي نستعملها في عربيتنا في الوقت الحاضر ، أي في معنى الجهل بالقراءة والكتابة معاً ، وانما يقال لا يقرأ او لا يكتب ، او يجهل القراءة والكتابة ، فلا يعقل خروج العربية على هذه القاعدة . واستعمالها الأمية قبل الاسلام مصطلحاً للتعبير عن الجهل بالكتابة والقراءة معاً . ولم أعر في النصوص الجاهلية على هذه اللفظة او على لفظة اخرى تؤدي هذا المعنى .

ولا يعقل ان يكون اليهود او غيرهم قد أطلقوا الأمية على العرب ، بسبب جهل العرب الكتابة والقراءة . فقد كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أمياً ايضاً ، لا يقرأ ولا يكتب ، إلا ان القرآن الكريم أخرجهم من الأميين ، واستثناهم ، وأطلق عليهم (اهل الكتاب) ، وذلك يدل دلالة واضحة على ان المراد من (الأميين) العرب الذين لهم كتاب ، اي العرب الذين لم يكونوا يهوداً ولا نصارى لا من لا يحسن الكتابة والقراءة . والقرآن الكريم هو الذي هداانا الى لفظة (الأميين) فلم ترد اللفظة في نص من نصوص الجاهلية وبفضله ايضاً عرفنا مصطلح (اهل الكتاب) دلالة على اهل الديانتين .

١ إمتاع الاسماع (١٣/١) ، (ثم قال اقراً : قلت ما اقراً) ، تفسير الطبري (١٦١/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٢٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

وأنا لا أريد ان أثبت هنا ان العرب قاطبة كانت أمة قارئة مكتبة ، جاعها يقرأ ويكتب ، وانها كانت ذات مدارس منتشرة في كل مكان من جزيرتهم ، تعلم الناس القراءة والكتابة والعلوم الشائعة في ذلك الزمن ، فقول مثل هذا هو هراء ، ما في ذلك شك ، ولا يمكن أن يدعيه أحد ثم ان شيوع القراءة والكتابة بالمعنى المفهوم عندنا ، لم يكن معروفاً حتى عند أرقى الشعوب إذ ذاك مثل اليونان والرومان والساسانيين في عالم ذلك العهد . فسواد كل الأمم كان جاهلاً لا يحسن قراءة ولا كتابة ، وانما كانت القراءة والكتابة في الخاصة وفي أصحاب المواهب والقابليات الذين تدفعهم مواهبهم ونفوسهم على التعلم والثقف وترغم الحركة الفكرية بين أبناء جنسهم . ومن هنا كانت كل الأمم أمية من حيث الأثرية والغالبية ، انما اختلفت في نسبة المتعلمين والمتخصصين والمجتهدين ودرجتهم فيها . وفي هذا تباين وتختلف أيضاً ، فقد كان اليونان والرومان والعالم النصراني في الدرجة الأولى في العهد الذي قارب الاسلام ، يليهم الفرس واليهود والهنود . أما العرب ، فقد كانوا يتباينون في ذلك أيضاً تبايناً يختلف باختلاف أماكنهم كما سأبين ذلك .

فأهل البوادي ، ولا سيما البوادي النائية عن الحواضر ، هم أميون ما في ذلك من شك ، لأن طبيعة البادية في ظروفها المعلومة لا تساعد على تعلم القراءة والكتابة ، ولا على ظهور العلوم وتطويرها فيها ، غير اننا لا نغني انهم كانوا جميعاً أميين ، لا قارئ بينهم ولا كاتب . فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها مبعثرة في مواضع متناثرة من البوادي ، وفي أماكن نائية عن الحضارة . وهي كتابات أعراب ورعاة إبل وبقر وأغنام ، دونوها تسجيلاً لخاطر ، أو للذكرى ، أو رسالة لمن قد يأتي بينهم ، فيقف على أمرهم ، ومن هنا نستطيع أن نقول ان أعراب الجاهلية ، كانوا أحسن حالاً من أعراب هذا اليوم ، فقد كان فيهم الكاتب القارئ ، الذي يهتم بتسجيل خواطره ، وبإثبات وجوده بتدوينه هذه الكتابات ، وأن الأمية المذكورة لم تكن أمية عامة جامعة ، بل أمية نسبية ، على نحو ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا من غلبة نسبة الأمية على نسبة المتعلمين .

وأما أهل الحواضر ، فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، كما كان بينهم الأمي أي الجاهل بالقراءة والكتابة . كان منهم من يقرأ ويكتب بالقلم المسند ، وكان

بينهم من يقرأ ويكتب بالقلم الذي دون به القرآن الكريم ، فصار القلم الرسمي للإسلام ، بفضل تدوين الوحي به ، كما كان بينهم من يكتب بقلم النبط وقلم بني إرم . وكان بينهم من يكتب ويقرأ بقلمين أو أكثر .

وقد سبق ان ذكرنا ان الأخناف كانوا يكتبون ويقرأون ، ورأينا بعضاً منهم كان يكتب بأقلام أعجمية ، وكان قد وقف على كتب أهل الكتاب ، وكانوا أصحاب رأي ومقالة في الدين وفي أحوال قومهم . وذكرت انهم قالوا عن بعضهم ، مثل (ورقة بن نوفل) ، انه كان « يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »^١ .

وقد ذكر (الهمداني) ان العرب كانت « تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب : صابئاً ، وكانت قریش تسمي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن : صابئاً »^٢ . فالصباء على تفسير (الهمداني) ، هم الكتبة وكل من قرأ الكتب ، وعلى ذلك يكون الخنفاء في جملة الصبابة .

وقد ذكر أهل الأخبار انه كان لدى (الأكاسرة) ديوان خاص يدون فيه كل ما يخص عرب الحيرة وسائر العرب بالعربي ، ويتولى أيضاً ترجمة كل ما يرد الى الدولة بالعربية الى الفارسية ، ويترجم ما يصدر بالفارسية من الحكومة الى العرب بالعربية ، وان في جملة من اشتغل في هذا الديوان وقام بالترجمة فيه (زيداً العبادي) ، أبا الشاعر الشهير (عدي بن زيد العبادي) ، وزعم (ابن الكلبي) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون دواوين فيها أخبارهم ومقدار مدد حكمهم وما قيل في مدحهم من شعر ، وفي خبر صحيفة المتلمس وقراءة أحد غلمان الحيرة للصحيفة التي كان يحملها ما يشير الى معرفة غلمان أهل الحيرة القراءة والكتابة^٣ . وفي كل هذه الروايات والأخبار تفنيد لزعم من ذهب الى ان العرب قبل الاسلام كانوا جميعاً في جهالة وأمية .

١ الاغانى (١٢٠/٣) .

٢ الاكلیل (٤٤/١) .

٣ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣٦٨/٣) وما بعدها .

(فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه) ، (فإذا أنا بغلام من أهل الحيرة يسقي غنمية له من نهر الحيرة ، فقلت : يا غلام . اقرأ ؟ قال : نعم . قلت : اقرأ) مجمع الامثال (٤١٢/١) وما بعدها ، بلوغ الارب (٣٧٤/٣) ، النصرانية وآدابها (١٥٧/١) .

بل ورد في روايات أهل الأخبار في ترجمة عدي بن زيد العبادي المذكور :
 ان كان في الحيرة معلمون ، يعلمون الأطفال القراءة والكتابة ، يذهبون الى بيوت
 الأطفال يعلمونهم ان شاء أهلهم ، أو يعلمونهم في الكتاتيب . وقد ورد أيضاً :
 ان من الكتاتيب ما كانت تعلم بالعربية ومنها ما كانت تعلم بالفارسية . فكان جدّ
 عدي بن زيد العبادي مثلاً ممن تعلم في دار أبيه ، وخرج من أكتب الناس في
 يومه » وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الأكبر . وكان أبوه زيد ممن حذق
 الكتابة والعربية ، ثم علم الفارسية . ولما تحرك عدي ، وأيفع ، طرحه أبوه في
 الكتاب ، حتى اذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية ،
 فكان يختلف مع ابنه ، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم
 الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج مع
 الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالة وغيرها ^١ .

وذكر أهل الأخبار ان (لقيط بن يعمر الإيادي) الشاعر كتب صحيفة الى
 قومه لإياد ، يحذرهم من كسرى ^٢ . وكان كاتباً ومترجماً في قصر كسرى ، يكتب
 من الفارسية الى العربية ومن العربية الى الفارسية ^٣ ، فلما أراد كسرى الانتقام من
 قومه ، كتب اليهم قصيدة في صحيفة ، فيها :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد

وذكر ان (سعد بن ملك) أرسل ابنه (المرقش) الشاعر المعروف وأخاه
 الى رجل من أهل الحيرة ، فعلمها الكتابة ، فكانا يكتبان أشعارهما ، وذكر
 انه كان يكتب بالحميرية ، وانه كتب أبياتاً بها على خشب رحل « الغفيلي الذي
 تركه وحده لما مرض ، فلما قرأوا الكتابة ضربوا (الغفيلي) حتى أقره .

وكان جفينة العبادي ، وهو من نصارى الحيرة ، وظئراً لسعد بن أبي وقاص ،

-
- ١ الاغاني (١٨/٢ وما بعدها ، ١٠١) .
 - ٢ الاغاني (٢٣/٢٠ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) ، بروكلمن ،
 تاريخ آداب اللغة العربية (١١٢/١) ، (المترجم) ، (١٠١/٢ وما بعدها) .
 - ٣ البكري ، معجم (٥٢/١) .
 - ٤ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ، الاغاني (١٣٠/٦) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٣٩/١) .

كاتباً ، قدم المدينة في عهد عمر ، وصار يعلم الكتابة فيها . وقد اتهمه (عبيد الله بن عمر) بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيه ، فقتله وقتل ابنه^١ .

ولما نزل (خالد بن الوليد) الأنبار ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام مجتصر حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها - فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إباد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إباد لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم^٢

ووجد (خالد بن الوليد) أهل (النخيرة) يعلمون أولادهم الكتاب في كنيستها . وهي قرية من قرى (عين التمر) . ومنها كان (حمران) مولى (عثمان بن عفان)^٣ . ولما فتح (خالد) حصن عين التمر ، وغنم ما فيه ، « وجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم »^٤ ، ثم أخرجهم ، فقسّمهم في أهل البلاء ، فكان منهم نصير ، أبو موسى ابن نصير ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وخران مولى عثمان وغيرهم .

فحن في العراق أمام مدارس تعلم العربية في القرى وفي الأماكن التي تكون غالبية سكانها من العرب ، وتعلمهم أمور دينهم من نظر في الأناجيل وفي الكتب الدينية النصرانية والعلوم اللسانية المعروفة الى غير ذلك من علوم ومعرفة وثقافة .

وورد في روايات أهل الأخبار ان عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون . وكان منهم من اذا نظم شعراً دونه ثم ظل يعمل في اصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه الى أن يرضى عنه . فينشده الناس . ومن كان يكتب ويقرأ

-
- ١ الطبري (٤٢/٥) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣ ص ٢٥٨) ، (ليدن) ، البلاذري ، فتوح البلدان (٤٦٠) .
 - ٢ الطبري ، (٣٧٥/٣) .
 - ٣ البلدان (٨٠٧/٤ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (٣٧٧/٣) ، (خبر عين التمر) .

سويد بن الصامت الأوسي ، صاحب مجلة لقمان ، والزبرقان بن بدر^١ ، وكعب ابن زهير^٢ ، وكعب بن مالك الأنصاري^٣ ، والربيع بن زياد العبسي ، وكان هو واخوته من الكلمة . وقد كتب الى (النعمان بن المنذر) شعراً يعتذر اليه فيه^٤.

وذكر ان أهل (دومة الجندل) كانوا يكتبون ويقرأون ، وان أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أحدهم . وورد ان قوماً من (طيء) تعلموا الكتابة والقراءة من كاتب الوحي لهود . وذكر ان (بشر بن عبد الملك) السكوني ، أخو (أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجفن) السكوني الكندي صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانياً ، يأتي الحيرة فيقيم بها الحين ، تعلم الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه ، فرآه (سفيان بن أمية بن عبد شمس) و (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب) يكتب فسألاه أن يعلمها الخط ، فعلمها الهجاء ، ثم أراها الخط ، فكتبا . ثم ان بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم (غيلان بن سلمة الثقفي) ، فتعلم الخط منهم ، وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر ، فتعلم الخط منه (عمرو بن زرارة بن عدس) فسمي عمرو الكاتب . ثم أتى بشر الشام ، فتعلم الخط منه ناس هناك^٥.

وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين : (مرامر بن مرة) ، و (أسلم بن سدره) ، و (عامر بن جدره) ، الذين وضعوا الخط وقاسوا هجاء العريضة على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم أهل الأنبار - رجل من طابخة كلب ، فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يتردد ، فأقام بها ، وعلم الخط قوماً من أهلها^٦.

وقد وصف الشاعر (أبو ذؤيب) الهذلي كاتباً من اليمن وهو يكتب كتاباً ، ولم يكن خط هذا الكاتب بالقلم العربي ، قلم أهل مكة ، وانما كان بقلم أهل اليمن وهو المسند . وذلك كما يظهر من تعابير هذا الشاعر الواردة في شعره ، إذ يقول :

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الآغاني (١٨٠/٢) . |
| ٢ | الشعر والشعراء (٩١/١) . |
| ٣ | ابن هشام (٨٧/٢) وما بعدها . |
| ٤ | الآغاني (٢٢/١٦) وما بعدها ، المرتضى ، أمالي (١٣٦/١) . |
| ٥ | فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر الخط) . |
| ٦ | فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) . |

عرفتُ الديار كرقم الدواة يزبره الكاتب الحميري
برقم ووشى كما زخرفت بميشمها المزدواة الهدي
أدان وأنبأه الأولون أن المدان المليء الوفي
فننم في صحف كالريا طر فيهن إرث كتاب محي^١

وهي قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً ، ذكر في أولها دروس الديار وطموسها
الى أن رثى ابن عمه (نشية) بخمسة أبيات من آخرها^٢ .

ويظهر من هذه الأبيات ان ذلك الكاتب الحميري كان يكتب بالحبر الموجود
في دواة على شيء يصلح للكتابة عليه كأديم أو قرطاس ، ولم يكن يستعمل المزبر
المعمول من حديد لنقش الحروف على الحجر . وهذا مما يدل على ان أهل العربية
الجنوبية كانوا يكتبون على مواد الكتابة الأخرى بالحبر والقلم ، فعل أهل مكة
وأهل الحيرة ودومة الجندل .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، ان رجلين من (بني نهد بن زيد) يقال لهما
(حزن) و (سهل) كانا يكتبان ويقرأان . وكانا قد زارا (الحارث بن
مارية) الغساني ، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، ولهما ظرافة وأدب
وصحبة ، فترلا منزلاً طيباً من قلب الحارث ، فحسدهما (زهير بن جئاب الكلبي)
وكان من ندماء الملك ، فأراد افساد مكانهما عنده ، فقال له : « هما يكتبان
اليه بعورتك وخلق ما يريان منك »^٣ . يريد اخباره انهما كانا يتجسسان عليه
فيكتبان بأخباره الى خصمه (المنذر) الأكبر ، ملك الحيرة ، جد النعمان بن
المنذر .

وأما عرب بلاد الشام ، فلم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن علمهم بالكتابة
والقراءة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون دليلاً على جهلهم بها . ولا سيما انهم
كانوا على اتصال ببني إرم في بلاد الشام وبعرب بلاد العراق ، ثم انه يجوز انهم
كانوا يكتبون بقلم بني إرم ، على عادة معظم شعوب الشرق الأدنى إذ ذاك ،

١ ديوان الهذليين (٦٤/١) .

٢ الخزائن (٢٩١/٣) ، (بولاق) .

٣ الاغانى (١١٨/٥) ، (دار الكتب) .

في الكتابة به ، لأنه كان قلم العلم والثقافة والأدب في ذلك الحين . ثم اننا سمعنا ان ملوكهم المنتصرين كانوا يرأسون مجالس المناظرات في أمور الدين ، ويبحثون مع رجال الدين في موضوعات دينية ، ويدافعون عن مذهب البعاقبة في طبيعة المسيح ، ومثل هؤلاء الملوك لا يعقل أن يكونوا جهلة أميين لا يقرأون ولا يكتبون .

وقد سبق أن تحدثت عن الكتابات الصفوية وعن كتابات عربية شمالية أخرى ، عثر عليها السياح والمستشرقون في مواضع متعددة من (الصفافة) وفي البوادي ، كتبت على صخور وهشيم صخور مشور ، دلّ البحث فيها على انها كتابات أعراب ، كان أصحابها ينتقلون من مكان الى مكان طلباً للمرعى والصيد .

وتدل تلك الكتابات الصفوية على ان أعراب الجاهلية كانوا في أيام الجاهلية أحسن حالاً من حيث علمهم بالكتابة والقراءة من أعراب هذا اليوم . فالكتابات الصفوية الكثيرة المبعثرة في البوادي ، هي كتابات أعراب ، متجولين ، كانوا يرعون الإبل وبقية الماشية ، فكانوا يسلّون أنفسهم بالكتابة والتصوير على الحجارة ، بينما لا نكاد نجد بين أعراب هذا اليوم من يكاد يقرأ ويكتب .

كما تحدثت عن كتابات ثمودية ، وثمود قوم من لبّ العرب ومادة العرب البائدة الأولى في عرف النسابين ، وتحدثت أيضاً عن القلم المسند بلهجاته ولغاته ، فهل يصدق بعد هذا قول من زعم ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء ، لا يقرأون ولا يكتبون .

ولا يعقل أن يكون المذكورون أميين كتبوا للتسلية والتلهية ، وان الأوامر والقوانين التي دوّنها ملوك اليمن قبل الاسلام وأعلنوها للناس بوضعها في المحلات العامة وفي الأماكن البارزة كانت مجرد تفهيم أو تزويق وتزيين ، لا للإعلان وإفهام المواطنين بمحتوياتها . إن تدوين تلك الكتابات ووضع الحجارة الفخمة المكتوبة للإعلان ، دليل على ان في الناس قوماً يقرأون ويكتبون ويفهمون ، وان الحكومات انما أمرت بتدوينها لإعلام الناس بمحتوياتها للعمل بها ، كما تفعل الحكومات في الوقت الحاضر عند إصدارها أمراً أو قانوناً بإذاعته بالوسائل المعروفة على الناس للوقوف عليها ، وان من بين الحجارة الصفوية والحيانية والثمودية المكتوبة ، ما هو رسائل وكتب وجهت الى أشخاص معروفين ، كما نفعل اليوم في توجيه الرسائل الى الأقرباء والأصدقاء .

ووجد عند ظهور الاسلام قوم كانوا يكتبون ويقرأون ويطالعون الكتب بمكة ولهم إلام يكتب أعجمية ، ومن هؤلاء (الأحناف) وقد ذكر عن بعض أنهم كانوا يجيدون بعض اللغات الأعجمية ، وأنهم وقفوا على كتب اليهود والنصارى وعلى كتب أخرى . وفي معركة (بدر) اشترط الرسول على من أراد فداء نفسه ولم يكن موسراً من أهل مكة ، أن يعلم عشرة نفر من المسلمين القراءة والكتابة ، كما كان من عادة أهل مكة تدوين ما يجمعون عليه وما يلزمون أنفسهم به في صحف يختمونها بخواتمهم وبأسمائهم لتكون شواهد على عزمهم كالذي فعلوه في الصحيفة . وذكر أن أمية بن أبي الصلت كان فيمن قرأ الكتب ووقف عليها^١ ، وذكروا غيره أيضاً .

وذكر أهل الأخبار ان قوماً من أهل يثرب من الأوس والخزرج ، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الاسلام ، ذكروا فيهم : سعد بن زرارة ، والمنذر ابن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية أو السريانية ، ورافع بن مالك وأسيد بن حضير ، ومغنى (معن) بن عدي البلوي ، وأبو عيس بن كثير ، وأوس بن خولى ، وبشير بن سعيد ، وسعد بن عباد ، والربيع بن زياد العبسي ، وعبد الرحمن بن جبر ، وعبدالله ابن أبي ، وسعد بن الربيع ، وقد رجعوا أصل علمهم بالكتابة والقراءة الى قوم من يهود يثرب ، مارسوا تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، دعوهم (بني ماسكة)^٢ . ويظهر ، إن صحت هذه الرواية ، ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية أيضاً ، وأنهم كانوا يعلمونها للعرب . وتعرض البلاذري لهذا الموضوع فقال : « كان الكتاب في الأوس والخزرج قليلاً » ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون^٣ . ونجد هذا الخبر في موارد أخرى ، أخذته دون أن تشير الى السند ، فظهر وكأنه حقيقة مسلمة وخبر متواتر ، حتى جاز على المحدثين ، فبنوا عليه حكماً ، هو أن الكتاب كان في يثرب قليلاً ، حتى جاء الاسلام ،

١ المعارف ، لابن قتيبة (ص ٢٨) .

٢ صبح الاعشى (١٥/٣) .

٣ البلاذري ، فتوح (٤٧٩) .

فانتشر بها ، وانه لو كانت الكتابة منتشرة عندهم ، لما كلف الرسول القارئين الكاتين من أسرى بدر، بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة ، فداءً لنفسه من الأسر^١ .

ويظهر أن يهود يثرب ، وربما بقية يهود ، مثل يهود خيبر ، وتيما وفدك ووادي القرى ، كانوا يكتبون بقلمهم ، كما كانوا يكتبون بالعربية ، ويظهر من استعمال (البلاذري) جملة : « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول »^٢ ، أن يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية ، كما كان يكتب بها صبيان المدينة ، وكانوا يعلمون الكتابة لصبيان يثرب في مدارسهم . وفي هذا الخبر وأمثاله دلالة على أن الكتابة كانت معروفة بين أهل يثرب أيضاً قبل الاسلام ، وانها كانت قديمة فيهم ، ولهذا فلا معنى لزعم من قال انها انتشرت بيثرب في الاسلام ، وان الكتابة كانت قليلة بها قبل هذا العهد.

وقصد أهل الأخبار بجملة « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، الكتابة بالخط العربي الشمالي ، لا بالقلم المسند ، لأن هذا هو مرادهم من (الكتاب العربي) و (كتاب العربية) ، ويظهر أن اليهود قد تعلموا الخط العربي من عرب العراق وبلاد الشام ، أو من التجار والمبشرين الذين كانوا يفدون الى الحجاز ، وأما القلم المسند ، الذي هو قلم العرب الجنوبيين ، فلم يكن مستعملاً في يثرب ، وإلا لأشير اليه ، مع انها من القواعد المتعصبة للقططانية ، وحاملة الدعوة الى اليمن قبل الاسلام وفي الاسلام . وهذا يدل على أن المسند كان قد طورد في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن سلطانه كان قد تقلص كثيراً خارج العربية الجنوبية قبل نزول الوحي على الرسول ، وربما كان القلم العربي الشمالي قد دخل العربية الجنوبية أيضاً قبل الاسلام ، فأخذ ينافس المسند فيها ، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها النصرانية وتحكمت في أهلها ، فأخذ النصارى يقاومون ذلك القلم ، لأنه قلم الوثنية ، ويعلمون أولاد النصارى القلم العربي الشمالي ، لأنه قلمهم الذي كانوا يعلمون به في كنائس العرب في العراق وفي دومة الجندل وبلاد الشام .

وقد أطلق العرب على الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي ، وقيل الحساب

١ ابن سعد ، طبقات (الجزء الثاني ، القسم الاول) ، (١٤) .

٢ البلاذري ، فتوح (٤٥٩) ، (المكتبة التجارية) .

أيضاً ، والجَلَد أي الشجاعة ، وقول الشعر ، وأصحاب الشرف والنسب:الكلمة. وجمع بعض أهل الأخبار الى ذلك استواء القامة وكمال الانسان^١ . ومن هؤلاء الكلمة : (سعد بن عبادة بن دليم) سيد الخزرج ، وهو من أسرة غنية تطعم الفقراء ، ولها أطم يأوي اليه الفقراء للأكل . ولما نزل النبي يثرب ، كانت جفنة (سعد) تدور مع النبي ، وكان يعيش كل ليلة أهل الصفة^٢ .

ومن الكلمة : الربيع بن زياد العبسي . وكان هو واخوته من الكلمة^٣ . و (رافع بن مالك) ، و (أسيد بن حضير) ، و (عبدالله بن أبي) ، و (أوس بن خولى) ، و (سويد بن الصامت) ، و (حضير الكتائب)^٤ .

ويظهر من النظر الى قائمة أسماء من أدخلهم أهل الأخبار في الكلمة ، ان الكتابة والرماية والعموم ، لم تكن الشروط الأساسية الكافية ، لكي يعد الانسان كاملاً ، فقد توفرت هذه الشروط في أناس آخرين ، لم يدخلوا مع ذلك في الكلمة ، وانما هنالك أشياء أخرى بالاضافة الى الأمور المذكورة ، هي الشرف وكمال الجسم والعقل والامتناع عن الهجر في الكلام ، والتحلي بالحكمة وبالفطنة واللب وقول الشعر المحكم الحكيم .

وكان (عبد الرحمان بن جبر) ، أبو عبس الأنصاري ، يكتب بالعربية قبل الاسلام . ومات سنة أربع وثلاثين^٥ .

وكان (المنذر) ، (منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوزان) الخزرجي من الكتبة . وكان أحد السبعين الذين بايعوا الرسول ، وأحد النقباء

- ١ المعارف (٢٥٩) ، الاغانى (٢٥/٣) ، (دار الكتب) ، ابن سعد ، طبقات (٥٤٢/٣)
- ٢ ابن سعد طبقات (٦١٣/٣) ، الاصابة (٢٧/٢) ، (رقم ٣١٧٣) ، الاستيعاب (٣٢/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، أسد الغابة (٣٧٨/٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٧٨/٢) ، ابن هشام (٨٩/٢) .
- ٣ أمالي المرتضى (١٣٦/١ ، ١٩٠) ، الاغانى (٢٢/١٦) وما بعدها .
- ٤ فتوح البلدان ٤٥٩ وما بعدها ، ابن سعد ، طبقات (٥٤٢/٣) ، الاصابة (٩٨/١) وما بعدها ، (رقم ٣٣٤) ، تفسير الطبري (٢٣/٤) ، الروض الانف (٢٦٥/١) وما بعدها ، الاغانى (١٦٤/٢) ، ابن هشام ، سيرة (٢٦٥/١) ، (حاشية على الروض) .
- ٥ المعارف (٣٢٦) ، (أبو عيسى) ، الاصابة (٣٨٦/٢) ، (رقم ٥٠٩٧) ، (١٥٠/٤) ، (رقم ٨٨٠) .

الاثني عشر . « وكان يكتب في الجاهلية بالعربية »^١ . قتل يوم بئر معونة .
وكان (أبو جبيرة بن الضحاك) الأنصاري ، ممن يكتب . وقد تولى الكتابة
للخليفة (عمر)^٢ .

وكان (قيس بن نشفة) عم الشاعر (العباس بن مرداس) السلمي ، أو
ابن عمه من الكتبة . ذكر انه كان ممن قرأ الكتب وتأله في الجاهلية . والعباس بن
مرداس نفسه كان كاتباً ، ذكر انه لما سمع ان رجلاً من أهل مكة اشترى إبلاً
لقيس بن نشفة فلواه حقه ، وان (قيساً) قام بمكة يقول :

يا آل فهرٍ كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

بلغ ذلك (عباس بن مرداس) فكتب اليه أبياتاً منها :

وأتت البيوت وكن من أهلها مدداً تلق ابن حرب وتلق المرء عبّاسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت
مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة^٣ .

وفي جملة من كان يكتب ويقرأ من أهل مكة (حرب بن أمية) . واليه
ينسب قوم من أهل الأخبار ادخال الكتابة بين قريش . وهو أبو (أبي سفيان
ابن حرب) ، فهو جدّ (معاوية بن أبي سفيان) . وورد ان الذي حمل
الكتابة الى قريش بمكة (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة) . فهو ناشر الكتابة
على هذه الرواية بين أهل مكة^٤ . والاثنان على رأي أهل الأخبار من أقدم كتّاب
مكة اذن ، بل هما ناشرَا الكتابة بها . وقد ذهب (ابن قتيبة) ان (بشر بن
عبد الملك العبادي) علم (أبا سفيان بن أمية) ، و (أبا قيس بن عبد مناف بن زهرة)

-
- ١ الاستيعاب ٤٣٨/٣ وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٤٤٠/٣) ،
(رقم ٨٢٢٦) .
 - ٢ الجهشياري (١٦) ، الاصابة (٣١/٤) ، (رقم ١٨٨) .
 - ٣ الاصابة (٢٤٩/٣) وما بعدها ، (٧٢٤٤) .
 - ٤ الفهرست (ص ١٣) ، المعارف (٧٣) .

الكتاب ، فعلماً أهل (مكة)^١ . وقد ذكر (السيوطي) عن (أبي طاهر) السلفي في (الطوحيات) بسنده عن (الشعبي) ، انه « قال : أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس » . تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار^٢ .

ولو أخذنا برأي من قال إن (حرب بن أمية) أو (أبو سفيان بن أمية) ، هما أول من علم أهل مكة الكتابة ، نكون قد جعلنا (بني أمية) أول من أدخل القلم الى مكة ، بفضل تعليم (بشر) لهم هذا القلم . ومنهم انتشر بين أهل مكة في عهد غير بعيد عن أيام النبي .

وذكر ان في جملة من كان يكتب قبل الاسلام (عمرو بن عمرو بن عدس)^٣ . وذكر (ابن النديم) ان (أسيد بن أبي العيص) كان من كتّاب العرب . وذكر انه كان في خزانة (المأمون) كتاب بخط (عبد المطلب بن هاشم) في جلد آدم ، فيه ذكر حق (عبد المطلب بن هاشم) من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري ، من أهل وزل صنعاً عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ومّتي دعاه بها أجابه . وكان الخط شبه خط النساء^٤ .

وكان (حفظة بن أبي سفيان) من يحسن الكتابة والقراءة بمكة . فقد ورد في الأخبار انه كتب من مكة الى والده (أبو سفيان) ، وكان إذ ذاك مع العباس بن عبد المطلب بنجران ، يخبره خبر الرسول^٥ . وكان والده يكنى به . وقد قتله (علي بن أبي طالب) يوم (بدر)^٦ .

وكان (بغيض بن عامر بن هاشم) من كتّاب قريش قبل الاسلام . وهو الذي كتب الصحيفة على بني هاشم^٧ . وورد ان (أبا الروم بن عبد شريحيل) واسمه (منصور بن عكرمة) هو الذي كتب الصحيفة^٨ .

-
- ١ المعارف (٥٥٣) .
 - ٢ المزهر (٣٤٢/٢) .
 - ٣ المزهر (٣٥١/٢) ، (النوع الثاني والاربعون : معرفة الكتابة) .
 - ٤ الفهرست (١٣ وما بعدها) .
 - ٥ الاغانى (٢٥٠/٦) ، (دار الكتب) .
 - ٦ نسب قريش (١٢٣) .
 - ٧ كتاب نسب قريش (٢٥٤) .
 - ٨ كتاب نسب قريش (٢٥٥) ، الروض الانف (٢١٩/١) .

وكان (الوليد بن الوليد) وهو أخو (خالد بن الوليد) ممن يكتب ويقرأ ، وكان (خالد) ممن يقرأ ويكتب كذلك . وكان الوليد سبب اسلام (خالد) . فقد كان قد فر من مكة ولحق بالرسول عمرة القضية ، وكتب الى أخيه خالد ، ان الرسول قال له : « لو أتانا ، لأكرمناه ، وما مثله سقط عليه الاسلام في عقله » ، فوقع الاسلام في قلب خالد . وكان سبب هجرته ^١ .

وكان (نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي) القرشي ممن يكتب . أسلم يوم الفتح . وهو الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ^٢ ، أو المصحف له . وذكر انه كان يكتب المصاحف ، وانه كتب المصاحف لعثمان ^٣ ، فيظهر انه كان من نساخ المصاحف ، ينسخها للناس .

وكان (حاطب بن أبي بلتعة) من الكتاب . وكان حليفاً لبني أسد بن عبد العزى ، ويقال حالف الزبير ، وقيل مولى (عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد) . وهو الذي كتب كتاباً الى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله اليهم ، فترلت فيه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم » ^٤ . وقد شهد مع علي بن أبي طالب على كتاب رسول الله لسلمة بن مالك السلمي ، الذي كتب الرسول به اقطاعه ما بين ذات الحناظي الى ذات الأساود ^٥ .

وكان الحكم بن أبي أحيحة سعيد بن العاصي ، وهو الذي سمّاه رسول الله (عبدالله) من اولئك الذين أمرهم الرسول ان يعلم الكتاب بالمدينة . وكان كاتباً قتل يوم (مؤتة) ^٦ .

يقول أهل الأخبار : ولما نزل الوحي كان « في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو العامري من قريش ،

-
- ١ نسب قريش (٣٢٤) .
 - ٢ الاستيعاب (٥١٠/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٥١٥/٣) ، (رقم ٨٦٥٨) .
 - ٤ الاصابة (٢٩٩/١) ، (رقم ١٥٣٨) ، المقرئ ، امتاع (٣٦٢/١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
 - ٦ نسب قريش (١٧٤) .

وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية ،
 وخالد بن سعيد أخوه ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وحويطب بن
 عبد العزى العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ،
 وجهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفاء قريش :
 العلاء الحضرمي ^١ .

ولكننا لو أحصينا أسماء من كان يكتب من أهل مكة، ممن نص أهل الأخبار
 على أسمائهم ، ومن لم ينصوا على اسمهم ، وانما ذكروهم عرضاً في أثناء كلامهم
 عنهم فذكروا أنهم كانوا يكتبون ويقرأون ، لوجدنا ان عددهم أكثر بكثير من
 هذا الرقم المذكور ، رقم سبعة عشر كاتباً ، او بضعة عشر نقرأ ^٢ ، وهو عدد
 ورد إليهم على ما يظهر من خبر آحاد ، انتشر في الكتب، فصار متواتراً منتشرأ
 حتى في كتب المؤلفين في هذا اليوم ، اتخذوه دليلاً على أمية العرب قبل
 الاسلام .

وقد استعان الرسول بقوم كتبوا له ، أشار العلماء الى أسمائهم . منهم من كتب
 له الوحي ، فعرفوا من ثم بـ (كتاب الوحي) . ومنهم من كتب له بريده
 ورسائله، ومنهم من تولى له تدوين المغانم وأموال الزكاة والحرص والصدقة وما الى
 ذلك من امور اقتضاها تطور الظروف والأحوال ، ومنهم مثل (زيد بن ثابت)
 من كتب له بالعربية وبالعبرانية او السريانية . وذكر ان بعضهم كان مثل زيد
 يكتب بغير العربية أيضاً . وكان ممن كتب له : (علي بن ابي طالب) ،
 و (عثمان بن عفان) ، و (معاوية بن أبي سفيان) ، و (حنظلة الأسدي) ،
 و (خالد بن سعيد بن العاص) ، و (ابان بن سعيد) ، و (العلاء بن
 الحضرمي) ، و (عبدالله بن أبي سرح) ^٣ .

وروي ان « أول من كتب له أبي بن كعب ، وكان اذا غاب أبي كتب
 له زيد بن ثابت » ، وكان يكتب في الجاهلية ^٤ .

-
- ١ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .
 - ٢ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) ، العقد الفريد (٢٤٢/٤) .
 - ٣ الطبري (١٧٣/٣) (ذكر من كان يكتب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم) ،
 التنبيه والإشراف (٢٤٥ وما بعدها) ، الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد
 الفريد (٢٤٦/٤) .
 - ٤ الطبري (١٧٣/٣) ، (دار المعارف) ، المعارف (١١٢ وما بعدها) .

وجاء في ترجمة أنس بن مالك : أن أمه جاءت به يوم قدم الرسول يثرب وقالت له : « يا رسول الله ، هذا ابني وهو غلام كاتب »^١ . ومعنى هذا أن غلام يثرب كانوا يقرأون ويكتبون .

وقد ورد في أخبار (بدر) أنه كان في أسرى قريش قوم يقرأون ويكتبون ، وقد أمر رسول الله بفك رقاب هؤلاء الأسرى على أن يكون فداؤهم تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة^٢ . وقد علم كل واحد منهم صبيان يثرب الكتابة فانتشرت الكتابة بينهم^٣ .

وذكر أن ممن كتب لرسول الله : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوام ، وخالد وابان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلة الأسدي ، والملاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبدالله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، والمغيرة بن شعبه ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت ، ومعقيب بن أبي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبدالله ابن الأرقم الزهري . وذكر أن عدد من كتب للرسول ثلاثة وأربعون كاتباً^٤ .

وأول من كتب للنبي من قريش (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) ، وأول من كتب له مقدمه المدينة (أبي بن كعب) ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان . وهو من كتاب الوحي والرسائل . وقد كان (عبدالله بن الأرقم الزهري) من كتاب الرسائل للرسول ، وأما الكاتب لعهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح ، فعلي بن أبي طالب^٥ . وقد وردت في أواخر بعض كتب الرسول أسماء كتاب تلك الكتب .

وفي طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر بتدوينه رسول الله لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة ، كتبه (عثمان بن عفان)^٦ .

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى (١٠/٧) .
 - ٢ طبقات (١/٢ ص ١٤) .
 - ٣ امتاع الاسماع (١٠١/١) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٤٦/٤) .
 - ٥ الاستيعاب (٣٠/١) ، الجهشياري ، (١٣) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .

وكان (علي بن أبي طالب) من كتاب الوحي ، والكاتب لعهود الرسول
إذا عهد ، وصلحه إذا صالح^١ . ذكر أنه تعلم الكتابة وهو صغير ، ابن أربع
عشرة سنة ، تعلمها في (الكتاب)^٢ .

وكان من كتاب رسول الله الذين كتبوا له الرسائل الى سادات القبائل يدعوهم
فيها الى الاسلام : خالد بن سعيد بن العاص^٣ ، والمغيرة بن شعبة^٤ ، ومعاوية^٥ ،
وعبدالله بن زيد^٦ ، وأبي بن كعب^٧ ، وعلي^٨ . وجهم بن الصلت^٩ ، والأرقم
ابن أبي الأرقم المخزومي^{١٠} ، والزبير بن العوام^{١١} ، والعلاء بن الحضرمي^{١٢} ،
وعقبة^{١٣} ، والعلاء بن عقبة^{١٤} ، وعثمان بن عفان^{١٥} ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري^{١٦} ،
وثابت بن قيس بن شماس^{١٧} .

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، من كتاب الرسول ، وقد كان أول مرتد
في الإسلام . ارتد وكان قد خالف في كتابه إمامه ، فأنزل الله فيه آيات من
القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب ، فلما كان يوم (الفتح) التجأ^{١٨} الى
(عثمان) أخوه من الرضاعة فأجاره ، واستجار له (عثمان) عند النبي فأجاره له .
وقد عينه (عثمان) عاملاً على مصر ، وافتتح إفريقيا ، ومات سنة ست وثلاثين ،

-
- ١ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ الفصول المختارة ، للمفيد (٦٦/٢) ، (النجف) .
 - ٣ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٥/١) ، (٢٧١) .
 - ٤ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٦/١) ، (٢٦٨) .
 - ٥ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٦/١) ، (٢٦٧) .
 - ٦ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) .
 - ٧ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) ، (٢٧٨) .
 - ٨ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٧/١) .
 - ٩ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٨/١) ، الاصابة (٢٥٧/١) ، (١٢٥٦) .
 - ١٠ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٨/١) ، (٢٦٩) .
 - ١١ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٩/١) .
 - ١٢ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٩/١) ، (٢٧١) .
 - ١٣ ابن سعد ، الطبقات (٢٧١/١) .
 - ١٤ ابن سعد ، الطبقات (٢٧١/١) ، (٢٧٣) .
 - ١٥ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٤/١) .
 - ١٦ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٦/١) .
 - ١٧ ابن سعد ، الطبقات (٢٨٦/١) .
 - ١٨ رسائل الجاحظ (١٨٨/٢) .

أو سبع وخسين ، أو تسع وخسين^١ . وروي أنه كان أول من كتب له من قریش^٢ .

وهناك رواية يرجع سندها الى (أنس بن مالك) ، تذكر أن « رجلاً كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سمياً بصيراً ، كتب سمياً علماً ، وإذا أملى عليه سمياً علماً ، كتب سمياً بصيراً . وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان من قرأهما قرأ قرآناً كثيراً ، فتنصر الرجل ، وقال إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد .. قال : فات^٣ . ولا نعرف كاتباً ينطبق عليه هذا الوصف سوى (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) . فهو المراد بهذه القصة . وهي قصة لا يمكن أن تكون صحيحة ، لأن ارتداد (عبدالله) إنما كان بمكة ، فدلّل النص عليه في سورة الأنعام^٤ ، وهي سورة مكية ، فكيف يكون قد قرأ سورة البقرة وآل عمران ، ثم تنصر ، وهما سورتان مدينتان .

وفي (عبدالله) نزلت الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال : أوحى إليّ ولم يوحّ إليه شيء . ومن قال : سأُنزل مثل الذي أنزل الله »^٥ ، على رأي أكثر المفسرين . « كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملي عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول نعم سواء . فرجع عن الإسلام ، ولحق بقریش . وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول : نعم سواء . ثم رجع الى الإسلام قبل فتح مكة » . وورد في رواية أخرى : « وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سمياً علماً ، كتب هو علماً حكماً : وإذا قال : علماً حكماً ، كتب سمياً علماً ، فشك وكفر . وقال : إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحى إليّ وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . قال محمد : سمياً علماً . فقلت أنا : علماً حكماً .

-
- ١ الاصابة (٣٠٩/٢) ، (رقم ٤٧١١) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) ، البلاذري ، انساب (٣٥٨/١) ،
الجهشياري (١٣) .
 - ٣ السجستاني ، المصاحف (٣) .
 - ٤ اسباب النزول (١٦٥) .
 - ٥ الانعام ، الآية ٩٣ .

فلحق بالمشركن ، ووشى بعمّار وجبير عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعذبوا^١ .

وورد في رواية أخرى : « كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم يكتب له شيئاً ، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين : ولقد خلقنا الإنسان من سلاله . أملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله : ثم أنشأ خلقاً آخر ، عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت عليّ ، فشك عبدالله حينئذ ، وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحى إليه ، ولئن كان كاذباً ، لقد قلت كما قال . وذلك قوله : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . وارتد عن الإسلام^٢ .

وورد أنه كان يقول : كنت أصرف محمداً حيث أريد . كان يملئ عليّ عزيز حكيم ، فأقول : أو عليم حكيم ، فيقول : نعم كلّ صواب . فهدر النبي دمه^٣ . وذكر أنه « قال لقريش : أنا آتني بمثل ما يأتي به محمد . وكان يملئ عليه الظالمين ، فيكتب : الكافرين ، يملئ عليه سميع عليم ، فيكتب : غفور رحيم وأشبه ذلك . فأنزل الله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إليّ ، ولم يوح إليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله بقتله ، فكلّمه فيه عثمان بن عفّان ، فأمر رسول الله بتركه^٤ .

وقد ذكر (الجاحظ) أنه « كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخالف في كتابة املائه . فأنزل الله فيه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافراً^٥ . والصحيح أنه هرب ، فلما كان يوم الفتح أمن النبي الناس إلا أربعة نفر وامرأتين . عكرمة ، وابن خطل ، ومقيس ابن صبابه ، وابن أبي سرح ، فأما عبدالله فاخْتَبأ عند عثمان ، فجاء به حتى

١ تفسير الطبري (١٨٠/٧ وما بعدها) .

٢ أسباب النزول (١٦٥) .

٣ المعارف (١٣٠ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (٣٩٣/١) .

٤ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، المعارف (٣٠٠ وما بعدها) .

٥ ذم أخلاق الكتّاب ، رسائل الجاحظ (١٨٨/٢) .

أوقفه على النبي ، وهو يبايع الناس ، فاستجار له عثمان ، فأجاره . وعاش وشهد فتح مصر مع (عمرو بن العاص) ، وأمره (عثمان) على مصر . واختلف في وفاته ، فقيل مات سنة (٣٦ هـ) وقيل عاش الى سنة تسع وخمسين . وكان أخاً لعثمان في الرضاعة ^١ .

وكان (جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب) ، ممن تعلم الخط في الجاهلية ، فجاء الاسلام وهو يكتب ، وقد كان كتب لرسول الله ^٢ . ذكر انه كان هو و (الزبير بن العوام) يكتبان أموال الصدقات ^٣ . وهو الذي كتب كتاب الرسول الى (يحنه بن رؤبة) بتبوك ، وكتابه ليزيد بن الطفيل الحارثي ^٤ .

وذكر اسم (الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي) في جملة من كتب للرسول . ففي طبقات ابن سعد ، أنه كتب له كتابه لعبد يغوث بن وعلة الحارثي ^٥ ، وكتابه لعاصم بن الحارث الحارثي ^٦ ، وكتابه للأجوب ، رجل من (بني سليم) ^٧ . وكان اسمه (عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) ، ويكنى (أبا عبدالله) . كان من السابقين الأولين ، قيل أسلم بعد عشرة ، وقيل قبل ذلك . وكان رسول الله يجلس في داره التي على (الصفا) ، حتى تكاملوا أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً (عمر) فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا ، وأقطعه النبي داراً بالمدينة ^٨ .

و (عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم) من كتاب الرسول كذلك . كان يجب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك

-
- ١ الاصابة (٣٠٩/٢) ، (رقم ٤٧١١) ، أسد الغابة (١٧٣/٣) ، الاستيعاب (٢٨١/١) .
 - ٢ الاصابة (٢٥٧/١) ، (رقم ١٢٥٦) ، فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، الاستيعاب (٢٤٩/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، (كتاب من حضر من الكتاب) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) وما بعدها .
 - ٨ الاصابة (٤٢/١) وما بعدها ، (رقم ٧٣) .

فيكتب ويحتم ولا يقرأه لأمانته عنده . « قال عمر : كتب الى النبي ، صلى الله عليه وسلم كتاب . فقال لعبدالله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني . فأخذ عبدالله الكتاب فأجابهم ، ثم جاء به ، فعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبت . قال عمر : فقلت : رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كتبت ، فما زالت في نفسي يعني حتى جعلته على بيت المال »^١ . وكتب لأبي بكر وعمر ، وكان على بيت المال أيام عمر ، وكان أميراً عنده . وذكر أنه كان إذا غاب عن الرسول ، وغاب زيد بن ثابت ، واحتاج الرسول أن يكتب الى أحد أمر من حضر أن يكتب . فن هؤلاء عمر وعلي وخالد بن سعيد والمغيرة^٢ .

وكان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين الناس المدائنات وسائر العقود والمعاملات^٣ . وذكر ان (عبدالله بن الأرقم) الزهري ، كان من المواظمين على كتابة الرسائل عن النبي^٤ .

وكان (حنظلة بن الربيع بن صيفي) الأسدي ، من كتاب الرسول ، وقد نعته الطبري بـ (كاتب النبي)^٥ . وعرف بـ (الكاتب) . وهو من (بني أسيد) ، وبني أسيد من أشراف تميم . وهو ابن أخي (أكثم بن صيفي) حكيم العرب^٦ . وقد عرف بـ (حنظلة الكاتب)^٧ . وذكر انه كان « خليفة كل كاتب من كتاب النبي ، اذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له : ألزمني ، واذكرني بكل شيء لثالثه . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا أذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه » . ومات بمدينة الرها^٨ .

-
- ١ الاصابة (٢٦٥/٢) ، (رقم ٤٥٢٥) ، نزهة الجليس (٦٥/٢) .
 - ٢ الاصابة (٢٦٥/٢) ، (رقم ٤٥٢٥) .
 - ٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الطبري (٥٧٠/٣) « دار المعارف » ، المعارف (٢٩٩ وما بعدها) .
 - ٦ الاستيعاب (٢٧٨/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٧ فتوح البلدان (٤٥٩) ، الاصابة (٣٥٩/١) ، (رقم ١٨٥٩) .
 - ٨ الجهشيارى (١٣) .

ومن كتاب الرسول : (شرحيل بن حسنة) الطائفي . ويقال الكندي^١ ،
ويقال التميمي^٢ . وهو ممن سيره (أبو بكر) في فتوح الشام . وكان أميراً على
ربع من أرباع الشام لعمر بن الخطاب ، وقد مات في طاعون (عمواس) .

وكان (خالد بن سعيد بن العاص) (خالد بن سعيد بن العاصي) ممن
كتب للرسول . كتب له كتابه الى (بني عمرو بن حمر)^٣ . وهو من السابقين
الأولين . وقد استعمله الرسول على صدقات منجج^٤ وعلى صنعاء ، فلم يزل
عليها الى أن مات رسول الله^٥ . وكان له اخوة هما : أبان وعمرو بن سعيد بن
العاص ، وكانا ممن عملا للرسول . فلما توفي الرسول ، رجعا مع خالد عن أعمالهم ،
فخرجوا الى الشام^٦ ، وفي جملة ما كتبه خالد ، كتاب الرسول لبني أسد^٧ ،
وكتابه للعداء بن خالد بن هوذة ومن تبعه من عامر بن عكرمة^٨ ، وكتابه لراشد
ابن عبد السلمي ، وكتابه لحرام بن عبد عوف من (بني سليم)^٩ ، وكتابه
لبني غاديا ، وهم قوم من يهود ، وكتابه لبني عريض ، قوم من يهود^{١٠} ،
وكتابه لثقيف^{١١} ، وكتابه لسعيد بن سفيان الرعلي^{١٢} .

وكان (أبان بن سعيد بن العاص) (العاصي) ، وهو أخو خالد ، ممن
أسلم بعد هجرة الرسول إلى يثرب . ويقال أيام خيبر . وكان هو الذي تولى
إملاء مصحف عثمان على زيد بن ثابت ، يوم جمعه في خلافة عثمان ، أمرهما
بذلك عثمان . وذلك في رواية من جعله حياً إلى أيام الخليفة (عثمان) . وزعم في

-
- ١ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) .
 - ٢ الاصابة (١٤١/٢) ، (رقم ٢٨٦٩) ، الاستيعاب (١٣٨/٢) وما بعدها ،
(حاشية على الاصابة) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، الجهشيارى (١٢) .
 - ٤ الاصابة (٤٠٦/١) ، (رقم ٢١٦٧) ، الاستيعاب (٣٩٨/١) وما بعدها ،
(حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الاستيعاب (٤٠٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ الاصابة (٥٣٢/٢) ، (رقم ٥٨٤٨) ، الاستيعاب (٤٠٠/١) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .
 - ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
 - ٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .
 - ١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
 - ١١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
 - ١٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

روايات أخرى انه قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة ، أو يوم اليرموك . وقيل قتل يوم مرج الصفر . وذكر في رواية انه توفي سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان^١ .

وكان (طلحة) من الكتبة^٢ . وهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان تاجراً ، وكان عند وقعة بدر في تجارة في الشام . ولما قلم المدينة آخى النبي بينه والزبير^٣ . وذكر انه آخى بينه وبين (كعب بن مالك) حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وكان من الأغنياء ، كانت غلته ألفاً وافيأ كل يوم . والوافي وزنه وزن الدينسار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية^٤ .

والزبير بن العوام في جملة من كتب للرسول . كتب له كتابه لبني معاوية بن جرول الطائيين^٥ .

و (أبو عبيدة بن الجراح) ، من هذه الجماعة الكاتبة القسارثة . وهو من الأوائل الذين دخلوا في الاسلام ، كان إسلامه قبل دخول النبي دار (الأرقم) : وقد آخى الرسول بينه وبين (سعيد بن معاذ)^٦ .

و (العلاء بن الحضرمي) ، وهو (عبدالله بن عماد) ، وكان أبوه قسداً سكن مكة وحالف حرب بن أمية ، وكان للعلاء عدة إخوة منهم : (عمرو بن الحضرمي) ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مال خمس في المسلمين ، ويسببه كانت وقعة بدر . وقد استعمل النبي (العلاء) على البحرين^٧ . وهو الذي كتب للرسول كتابه لبني معن الطائيين^٨ ، وكتاباه لأسلم من خزاعة^٩ . وكان

١ الاصابة (٢٤/١) ، (رقم ٢) .

٢ المزهر (٣٥١/٢) .

٣ الاصابة (٢٢٠/٢) ، (رقم ٤٢٦٦) .

٤ الاستيعاب (٢١٠/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .

٦ الاصابة (٢٤٣/٢) ، (رقم ٤٤٠٠) ، الاستيعاب (٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٧ الاصابة (٤٩١/٢) ، (رقم ٥٦٤٤) .

٨ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) ، (صادر) .

٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

أخوه (ميمون بن الحضرمي) صاحب بئر (ميمون) التي بأبطح مكة، احتضرها في الجاهلية . وذكر (المسعودي) أن العلاء ربما كتب بين يدي النبي مع (ابان ابن سعيد) ^١ .

و (يزيد بن أبي سفيان) أخو (معاوية) من الكتاب كذلك توفي سنة (١٨) أو (١٩) للهجرة ^٢ . وهو ممن أسلم يوم الفتح . وقد كان عمر قد استخلفه على (الشأم) بعد وفاة (معاذ) ، فلما مات استخلف أخاه (معاوية) ^٣ .

وكان (معاوية بن أبي سفيان) من كتبة الرسول . وذكر أنه كان (من الكتبة الحسبة الفصحاء) ^٤ . ومعنى هذا أنه كان يتقن الكتابة والحساب . ولم يذكر من ذكر سيرته متى تعلم الكتابة . ولا استبعد أن يكون قد تعلمها بمكة قبل دخوله في الإسلام . وهو ممن ولد قبل الإسلام وأسلم عام الفتح . فتكون كتابته للرسول اذن بعد هذا العام . ومن كتبه التي كتبها للرسول كتابه لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي ^٥ ، وكتابه لبني قرة بن عبدالله بن أبي نجيح النبهانين ^٦ ، وكتابه لعتبة بن فرق ^٧ ، وكتابه لوائل بن حجر لما أراد الشخصوص الى بلاده ^٨ .

وذكر (المسعودي) أن (معاوية) كتب للرسول قبل وفاته بأشهر ^٩ . و (المغيرة بن شعبة) من دهاة العرب وشياطينهم . أسلم قبل عمرة الحديبية . وكان يقال له (مغيرة الرأي) . وكان رسول (سعد) الى (رستم) ، أصيبت عينه باليرموك ، وروي انه كان أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من سلم

- ١ التنبيه (٢٤٦) .
- ٢ الاصابة (٦١٩/٣) ، (رقم ٩٢٦٧) .
- ٣ الاستيعاب (٦١٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ الاصابة (٤١٢/٣ وما بعدها) ، (رقم ٨٠٧٠) الاستيعاب (٣/٣٧٥ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشيارى (١٢) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/١) .
- ٧ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٢٨٧/١) .
- ٩ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

عليه بالامرة^١ . وهو الذي كتب كتاب رسول الله الى أهل نجران^٢ . وكتابه ليزيد بن المهجّل الحارثي . وكتابه لبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث^٣ ، وكتابه لبني جوين الطائيين ، وكتابه لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي^٤ ، وكتابه لبني الجرّمز بن ربيعة ، وهم من جهينة^٥ . وذكر انه والحصين بن نمير كانا يكتبان ما بين الناس^٦ .

و (معقيب) ابن أبي فاطمة ، من (ذي أصبح) وقيل من (بني سدوس) ، وكان حليفاً لبني عبد شمس . أسلم بمكة . وقد ولاه (عمر) بيت المال ، ثم كان على خاتم (عثمان)^٧ . وورد انه كان حليف بني أسد ، وكان يكتب مغام رسول الله^٨ .

وكان (عقبة بن عامر بن عيس) الجهنّي الصحابي المشهور من الكتاب . وصف بأنه « كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعراً كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن » . وعثر على مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف (عثمان) « وفي آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده »^٩ . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر الرسول بكتابه لعوسجة بن حرمة الجهنّي في آخره : « وكتب عقبة وشهد »^{١٠} .

وجاء في خبر ضعيف أنه كان للرسول كاتب يقال له (السجل) ، وكتائباً يقال له : « ابن خطل » يكتب قدام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا نزل : غفور رحيم ، كتب رحيم غفور ، وإذا نزل : سميع علیم ، كتب علیم سمیع . وفيه : فقال ابن خطل : ما كنت أكتب إلا ما أريد ، ثم كفّر ولحق بمكة .

١ الاصابة (٤٣٢/٣) ، (رقم ٨١٨١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) ، (صادر) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) ، (صادر) .

٤ الطبقات (٢٦٩/١) ، (صادر) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٦ الجهشيارى (١٢) .

٧ الاصابة (٤٣٠/٣) ، (رقم ٨١٦٦) .

٨ الجهشيارى (١٢) .

٩ الاصابة (٤٨٢/٢) ، (رقم ٥٦٠٣) .

١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قتل ابن خطل ، فهو في الجنة . فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة ^١ . وهذا وهم ، وقد خلط صاحب هذا الخبر بين (عبدالله بن أبي سرح) وبين (ابن خطل) الذي لم يرد في الأخبار أنه كتب للرسول .

وذكر (ابن دحية) أن في (بني النجار) كاتباً كان يكتب الوحي للرسول ثم تنصر ^٢ . وهو خبر لا نجده في الموارد الأخرى ، ولم ينص على اسم الكاتب ، والأغلب في نظري أنه من الأخبار الموضوعة ، وضع على بني النجار للإساءة اليهم ، وضعه من كان يتحامل عليهم .

ويظهر أن كتاب الرسول قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم، أو أن الرسول هو الذي وزع تلك الأعمال عليهم ، بحيث خصص كل واحد منهم بعمل من الأعمال . فقد روي أن علياً وعثمان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وأن خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية يكتبان بين يديه في حوائجه ، وأن المغيرة بن شعبه والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وأن عبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . وأن زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وأن معيقب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغام رسول الله . وأن حنظلة بن الربيع (ربيعة) بن المدقع بن أخيه أكم بن صيفي الأسدي (الأسدي) ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي ، إذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه . وقال له : الزمني واذكرني بكل شيء لثلاثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا اذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه ^٣ . فهو كاتب عام يكتب للرسول في كل أموره ، وهو خليفة كل الكتاب . ولهذا غلبت عليه لفظة (الكاتب) . وقد كانت وفاته في خلافة (عمر) ، ومات في (الرها) من بلاد مصر ^٤ .

١ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٢ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٣ جهشياري (١٢ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، المعارف (١٣٠) .

٤ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) . المعارف (١٣٠) .

وذكر أن (المغيرة بن شعبة) و (الحصين بن نمير) يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه^١ .

و (حذيفة بن اليمان) (توفي سنة ٣٦ هـ) ممن يكتب خرص النخل^٢ . وخصص (المسعودي) عمله بخرص الحجاز^٣ .

وذكر (عبدالله بن زيد) الضمري في جملة كتّاب رسول الله الي الملوك^٤ . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أرسله رسول الله (لمن أسلم من حدّس من لحم) ، كتبه له (عبدالله بن زيد)^٥ .

وكان (العلاء بن عتبة) فيمن كتب للنبي . وذكر أن الرسول كان يبعثه والأرقم في دور الأنصار . وكانا يكتبان بين الناس المداينات والعهود والمعاملات^٦ . وفي جملة ما كتبه للرسول كتابه لبني شَنخ من جهينة^٧ ، وكتابه للعباس بن مرداس السلمي ، أنه أعطاه (مدفوءاً)^٨ . وذكر أنهما كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء^٩ .

و (أبي بن كعب بن قيس) من كتّاب الوحي ، وهو من يثرب من (بني النجار) من (الخزرج) . وقد عرف بـ (سيد القراء) ، وكان أقرأ الناس للقرآن . وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله . وكان ممن كتب للنبي قبل (زيد بن ثابت) ومعه أيضاً . وذكر انه كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة ، وأول من كتب في آخر الكتاب : « وكتب فلان » وكان اذا لم يحضر دعا رسول الله (زيد بن ثابت) فكتب . وكان وزيد يكتبان الوحي

١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، نهاية الارب (٢٣٦/١٨) وما بعدها .

٢ المعارف (١١٤) ، نهاية الارب (٢٣٦/١٨) .

٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .

٤ الاصابة (٣٠٥/٢) ، (رقم ٤٦٩٠) .

٥ الطبقات (٢٦٦/١) وما بعدها .

٦ الاصابة (٤٩١/٢) وما بعدها ، (رقم ٥٦٤٩) .

٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .

٩ الجهشيارى (١٢) .

بين يدي الرسول ، ويكتبان كتبه الى الناس وما يقطع وغير ذلك^١ . ونجد في طبقات ابن سعد ، صور كتب دوتها أبي للرسول ، منها كتابه لخالد بن ضماد الأزدي ، وكتابه لعمر بن حزم ، وهو عهد يعلمه فيه شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده ، حيث بعثه الى اليمن^٢ ، ومنها كتابه لجنادة الأزدي^٣ ، وكتابه للمندر ابن ساوى ، وكتابه الى (العلاء بن الحضرمي) ، بشأن ارسال ما تجمع عنده من الصدقة والعشور^٤ ، وكتابه لجماع في جبل تهامة كانوا قد غصبوا المارة من كنانة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد^٥ ، وكتابه لبارق من الأزدي . وقد شهد على صحته أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليان^٦ .

وزيد بن ثابت من الأنصار ، من (بني النجار) . ولما قدم الرسول المدينة استكتبه ، فكتب له الوحي ، كما تولى له أمر كتابة الرسائل . ذكر أنه تعلم الكتابة على أسرى (بدر) في جماعة من غلمان الأنصار . فقد « كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت ممن علم » . وذكر أنه جاء الى أبيه وهويبيكي ، فقال ما شأنك ؟ قال : ضربني معلمي ، قال : الخبيث يطلب بذحل بدر^٧ ، والله لا تأتيه أبداً^٨ .

وروي أنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، وقال لا آمن أن يبدلوا كتابي^٩ . فتعلم كتابهم ، وتولى أمر كتابة رسائل الرسول اليهم ، والرد على رسائلهم^{١٠} . ونسب اليه اتقانه الكتابة بلغات أخرى . ذكر المسعودي منها : الفارسية والرومية والقبطية والحبشية . وأنه تعلم

-
- ١ الاستيعاب (٢٧/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣١/١) ، (رقم ٣٢) ، فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) ،
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/١) ، المعارف (٢٦١) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١ وما بعدها) .
 - ٧ امتاع الاسماع (١٠١/١) ، الطبقات (١٤/٢) ، الجهشيارى (١٢) .
 - ٨ امتاع الاسماع (١٨٧/١ ، ١٩٤) ، السجستاني ، المصاحف (٣) .
 - ٩ فتوح البلدان (٤٧٣ وما بعدها) .

ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، وكان يكتب الى الملوك ويحجب بحضرة النبي ويرجم له ^١ وقيل إنه كان من أعلم الصحابة بالفرائض ^٢ . وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك . وتولى جمع القرآن في أيام أبي بكر ، بتكليف من الخليفة . وذكر أنه كان « رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض » ^٣ . وقد عرض زيد القرآن على رسول الله ، « وكان آخر عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن على مصحفه ، وهو أقرب المصاحف من مصحفنا » ^٤ .

وكان حين قدم رسول الله المدينة ابن احدى عشرة سنة . وكان يوم (بعث) ابن ست سنين وفيه قتل أبوه . ويظهر انه كان قد تعلم الكتابة وهو صغير . ذكر انه أتى يزيد النبي مقدمه المدينة ، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأ عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمنهم على كتابي . فتعلمها ، وتولى الكتابة بالعبرانية أو السريانية بين الرسول واليهود ، فضلاً عن كتابة رسائله وما ينزل عليه من الوحي حين يكون عنده . لذلك عدّ من البارزين في قراءة القرآن . وبرز في القضاء والفتوى والفرائض ، وعدّ من أصحاب الفتوى ، وهم ستة : عمر وعليّ وابن مسعود وأبي وأبو موسى ، وزيد بن ثابت . وهو الذي جمع القرآن ^٥ .

وهو الذي جمع القرآن في عهد (أبي بكر) ، وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى أو اثنتين ، أو خمس وخمسين . وفي خمس وأربعين قول الأكثر . وذكر ان حسان رثاه بقوله :

-
- ١ التنبية (٢٤٦) ، فتوح البلدان (٤٧٩) ، السجستاني ، المصاحف .
تقييد العلم (٥١) .
 - ٢ الاستيعاب (٢٩/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٥٤٣/١) وما بعدها ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (٥٣٢/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ المعارف (٢٦٠) .
 - ٥ الاصابة (٥٤٣/١) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (٥٣٢/١) ، (حاشية على الاصابة) ، نزهة الجليس (٦٥/٢) ، أسد الغابة (٢٢١/٢) وما بعدها .

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت^١

وعهد رسول الله الى (زيد) احصاء الناس والغنائم ، وتقسيمها عليهم حسب حصصهم^٢ .

وكان (ثابت بن قيس بن شماس) الأنصاري ممن كتب للرسول . كتب له كتابه لوفد ثُمالة والحدّان . وقد شهد على الكتاب ووقع عليه (سعد بن عبادة) ، و (محمد بن مسلمة)^٣ . وكان خطيب الأنصار . وقد قتل يوم اليمامة^٤ . وهو الذي أمره الرسول أن يجيب على خطاب خطيب (تميم) ولسانها الناطق (عطاردة ابن حاجب) . فكان خطيب المسلمين^٥ .

و (محمد بن مسلمة) ، هو من الأوس . ولد قبل البعثة ، وهو أول من سُمّي في الجاهلية محمداً . أسلم قديماً على يدي (مصعب بن عمير) ، وأخى الرسول بينه وبين (أبي عبيدة) . واستخلفه الرسول على المدينة في بعض غزواته . وقد كتب للرسول كتابه لمهري بن الأبيض . توفي سنة (٤٣) أو (٤٦ هـ)^٦ .

وكان (أوس بن خولي) من كتّاب يثرب ، ولما كان صلح (الحديبية) وأراد الرسول تدوين الصلح « دعا أوس بن خولي يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا ابن عمك عليّ » ، أو عثمان بن عفان ، فأمر عليّاً فكتب^٧ . وهو من الخزرج . ولما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين آخى بينه وبين شجاع بن وهب^٨ . وكان من (الكلمة) ، ولما قبض الرسول وأرادوا غسله ، حضرت

-
- ١ الاصابة (٥٤٤/١) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الطبري (٤٢١/٢) ، (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) ، تهذيب الاسماء واللغات ، للنووي (٢٠٠/١) وما بعدها ، تهذيب التهذيب ، للعسقلاني (٣٩٩/٣) ، (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ) ، اليعقوبي (١٥٧/٢) ، (١٩٥) ، (هوتسما) ، ابن هشام ، سيرة (١١/٣) ، (مطبعة حجازي بالقاهرة) .
 - ٢ امتاع الاسماع (٤٢٦/١) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) ، (٣٥٤/١) ، (صادر) .
 - ٤ الاصابة (١٩٧/١) ، (رقم ٩٠٤) .
 - ٥ الطبري (١١٦/٣) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات) .
 - ٦ الاصابة (٣٦٣/٣) وما بعدها ، (رقم ٧٨٠٨) ، ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) ، (٣٥٥/١) ، (صادر) .
 - ٧ امتاع الاسماع (٢٩٦/١) .
 - ٨ الاصابة (٩٥/١) وما بعدها ، (رقم ٣٣٤) .

الأنصار ، وأبت على المهاجرين إلا أن يحضر منها أحد ، فقبل لهم : اجتمعوا على رجل منكم ، فاجتمعوا على أوس بن خولي ، فحضر غسل رسول الله ودفنه مع أهل بيته . وتوفي في خلافة عثمان^١ .

وكان (عبدالله بن رواحة) الخزرجي من كتّاب الرسول ومن الشعراء المعروفين يثرب ومن السابقين الأولين من الأنصار وأحد النقباء ليلة العقبة . وكان الرسول يقول له : « عليك بالمشرّكين » ، فينظم الشعر فيهم . وكان يناقض (قيس بن الخطيم) في حروبهم ، ولما دخل الرسول مكة في عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ، وهو يقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم فضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ومدح الرسول ، وكان من جيد مدحه له قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهته تنبيك بالخبر^٢

وذكر بعض أهل الأخبار أنه لما نزلت : « والشعراء يتبعهم الغاؤون . قال عبدالله بن رواحة : قد علم الله أنني منهم ، فأُنزل الله : إلا الذين^٣ آمنوا وعملوا الصالحات »^٤ . وسورة الشعراء التي فيها آية : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » وما بعدها ، من السور التي نزلت بمكة إلا هذه الآية وما بعدها ، وهي أربع آيات في آخرها ، نزلت بالمدينة في شعراء الجاهلية ، ثم استثنى منهم شعراء المسلمين منهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فقال تعالى : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي متقلب ينقلبون ، فصار الاستثناء ناسخاً له من قوله والشعراء يتبعهم الغاؤون^٥ .

١ الاستيعاب (٤٩/١) ، (حاشية على الإصابة) .

٢ الإصابة (٢٩٨/٢) وما بعدها) .

٣ في الإصابة (ان الذين) ، وهو غلط مطبعي .

٤ الشعراء ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .

٥ الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص ١٥١ وما بعدها) ، (حاشية على أسباب النزول) ، (القاهرة ١٣١٥ هـ) .

وهناك كتبة آخرون كتبوا الكتاب والكتابين والثلاثة للرسول، ذكر (المسعودي) أنه لم يثبت أسماءهم في جملة أسماء من كتب للرسول لأنه لم يكتب من أسماء كتاب الرسول إلا من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف الى جملة كتابه^١.

وذكر ان كتاب النبي كانوا يكتبون بالخط المقور ، وهو النسخي . أما الخط (المبسوط) ويسمى باليابس ، فقد استعمل في النقش على الأحجار وأبواب المساجد وجدران المباني ، وفي كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرف ، وغلب عليه اطلاق لفظ (الكوفي)^٢.

وكان بشير بن كعب العدوي ممن قرأ الكتب^٣ . وذكر أنه كان من التابعين^٤. وكان (عبدالله بن عمرو بن العاص) ممن قرأ الكتب ، وكان يكتب الحديث بين يدي رسول الله ، ويقرأ بالسريانية^٥.

وذكر أهل الأخبار ان رجلاً من أهل اليمن كان يقرأ الكتب ، وان امرأة اسمها (فاطمة بنت مر) ، كانت قد قرأت الكتب كذلك^٦.

وكان من النساء من يحسن القراءة والكتابة . منهن : (الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس) القرشية العدوية . من رهط (عمر)^٧ . أسلمت قبل الهجرة ، وهي من المهاجرات الأول . وكانت من عقلاء النساء ، وكان (عمر) يقدمها في الرأي . وكان رسول الله يزورها ويقبل عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه . وقد أمرها الرسول أن تعلم (حفصة) الكتابة ، فعلمتها ،

-
- ١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .
 - ٢ حنفى بك ناصف (٦١ وما بعدها) .
 - ٣ بضم أوله مصغرا ، الاصابة (١٨٣/١) ، (رقم ٨٢٢) .
 - ٤ الاصابة (١٧٧/١) ، (رقم ٧٧٨) .
 - ٥ المعارف (٢٨٧) ، الاصابة (٣٤٣/٢) ، (٤٨٤٧) ، الاستيعاب (٣٣٨/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ الروض الانف (١٠٤/١) .
 - ٧ فتوح البلدان (٤٧٧ وما بعدها) ، (٤٥٨) ، (المكتبة التجارية) .

كما علمتها (رقية) تسمى (رقية النملة)^١ . وقد تعلمت الكتابة في الجاهلية^٢ . وكانت (حفصة) زوج النبي وابنة (عمر) تكتب^٣ . وكانت (أم كلثوم) بنت (عقبة) تكتب^٤ . وكذلك كانت (عائشة بنت سعد) ، و (كريمة بنت المقداد)^٥ ، و (شميلة)^٦ .

وورد ان (عائشة) زوج الرسول ، انها كانت تقرأ المصحف ولا تكتب^٧ . ولا شك في انها تعلمتا القراءة في الاسلام .

وورد في بعض الأخبار أن العرب كانت تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئاً . وكانت قريش تسمي النبي أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً^٨ .

وقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم ، فكان غلمانهم يتعلمونها ويرددون قراءة ما يكتبون ويقرأون وقد أشير الى ذلك في شعر (لبيد) فورد :

فنعا ف صاراة فالقنان كأنها زبر يرجعها وليد يمان
متعود لحن يعيد بكفه قلماً على عُسب، ذبلان وبان^٩

والزبر : الكتب ، فقال : كأن تلك المنازل كتب يرددها وليد يمان ، أي غلام يمان ، لأن الكتاب فيهم ، لأنهم أهل ريف . متعود لذلك : فهم ، ولحن : بمعنى فهم، يعيد بكفه قلماً ، يكتب في العُسب والبان . وكانوا يكتبون في العُسب والبان والعرعر^{١٠} . فيظهر من ذلك أن أهل اليمن ، حتى غلمانهم ، كانوا يكتبون ، ويردد الأبطال الكتب ، لحفظها ولتعلمها ، على نحو ما يفعلون في الكتابيب هذا اليوم .

-
- ١ الاصابة (٣٣٣/٤) ، (رقم ٦٢٢) .
 - ٢ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٣ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٤ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٥ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٦ البلاذري ، أنساب (١٣٧/١) ، الاصابة (٣٣٥/٤) ، (رقم ٦٣٢) .
 - ٧ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٨ الاكليل (٤٤/١) .
 - ٩ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٣٨) ، (طبعة الكويت ١٩٦٢) .
 - ١٠ المصدر نفسه .

ويظهر أن ثقيفاً كانت قد حذقت الكتابة وبرزت بها . فقد ورد أن عمر بن الخطاب قال : « لا يملن في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ، وأن عثمان ابن عفان قال : « اجعلوا المملي من هذيل والكااتب من ثقيف »^١ . وذكر أن (غيلان بن سلمة بن معتب) ، وهو ممن أسلم يوم الطائف ، كان كاتباً كما كان معلماً^٢ .

وورد في الأخبار أن الجاهليين كانوا يضعون الكتب التي ترسل الى الملوك من الآفاق ، على لوح ضمت اليه ألواح من جوانبه ، فلا تمسها إلا يد الملك ، يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء ويجيب على ما فيها . وفي هذا الخبر دلالة على شيوع الكتابة والمراسلات عند الجاهليين ، وعلى وجود ديوان خاص لدى الملوك ، يتولى النظر في المراسلات . وفي هذا المعنى ورد في شعر لبيد :

أو مذهبٌ جدد على ألواح من الناطق المبروز والمختوم^٣

ويظهر ان قوماً من الشعراء كانوا يكتبون ويقرأون . ومنهم من كان على ثقافة وعلم . ورد في شعر للشاعر (لبيد) قوله :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زُبر تجدّ متونها أعلامها^٤

ولا يمكن صدور هذا البيت ، إلا من رجل كاتب له ذكاء حاد ، وربما كان ذلك الشاعر كاتباً يدون شعره ويحفظه عنده ، فوصفه مثل هذا للطلول ، لا يمكن أن يقال إلا من رجل له علم بالكتابة ، وحقق ودراية . وفي البيت الآتي :

فدافع الرِيَّانُ عُرِّيَّ رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سِلامها

إشارة الى الكتابة كذلك ، فالوحي هو الكتابة ، والسلام الحجارة ، أي كان

١ ابن فارس ، الصحابي (٢٨) .

٢ المحبر (٤٧٥) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٩) .

٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٩) ، بلوغ الارب (٣ / ٣٦٧ وما بعدها) .

ما بقي من رسمها بعد أن عريت ، مثل ما يبقى من الكتابة في الأحجار^١. ويؤخذ من ذلك ان الحجارة كانت - كما ذكرت في مواضع من هذا الكتاب - مادة من مواد الكتابة عند الجاهليين .

وفي شعر لبيد :

فتعاف صارة فالفنسان كأنها زُبر يرجعها وليد يمان
مُتعود لحنٌ يعيد بكفّه قلماً على عُصب ، ذبلن وبان^٢

دلالة واضحة على إلمامه بالكتابة والقراءة ، وعلى وقوفه على خط أهل اليمن ، وعلى دراسة غلمان اليمن للزبر ، وهي الكتب .

بل ورد : ان لبيداً كان يدون شعره ، ويهذهبه بعد كتابته ، وانه كان يكتب . روي : « ان عمر بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يطلب اليه أن يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الاسلام . فأجابه الأغلب ، ورد عليه لبيد قائلاً : ان شئت ما عفى عنه - يعني الجاهلية - فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام . فانطلق ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها ، وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر . فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص عطاء الأغلب خمس مئة ، وجعلها في عطاء لبيد^٣ .

وكان الشاعر (المرقش) ، وهو من شعراء الحيرة ، كاتباً قارئاً ، تعلم الكتابة والقراءة في (الحيرة) مع أخيه (حرملة) عند رجل من أهل الحيرة^٤ . وكذلك كان الشاعر (لقيط بن يعمر الإيادي) كاتباً قارئاً ، وقد عرف بين أهل الأخبار بـ (صحيفته) التي أرسلها الى قومه (إياد) ، ينذرهم فيها بعزم (كسرى) على غزوهم ، وهي قصيدة افتتحت بهذا البيت :

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٧) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ١٣٨) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ٢٨ ، ٣٦) ، الاغانى (١٣١/١٥) .

٤ الاغانى (١٣٠/٦) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إيراد^١

ويجب ألا ننسى الشاعر : (أمية بن أبي الصلت) الذي لم يكن كاتباً قارئاً حسب ، بل كان واقفاً على كتب أهل الكتاب كذلك ، وكان يقرأها ، ويقتبس منها ، وقد استخدم في شعره ألفاظاً ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب^٢ .

ونضيف الى من تقدم : (الزبرقان بن بدر)^٣ ، و (النابغة الذبياني)^٤ و (الربيع بن زياد العبسي)^٥ ، و (ليبد بن ربيعة العامري)^٦ ، و (كعب ابن زهير بن أبي سلمى)^٧ .

ودعوى ان الجاهليين كانوا أميين وعلى الفطرة والبلدية ، لا يحسنون كتابة وقرأة خلا نقر بمكة وأشخاص يئرب ، دعوى باردة سخيفة ، لا يمكن لمن له إلمام بأحوال الجاهلية أن يصدق بها . فأهل الأخبار الذين يروون هذه الرواية ، يعودون فيخطئون أنفسهم ، بسرد أسماء رجال من جزيرة العرب ومن العراق وبلاد الشام ، ذكروا انهم كانوا يقرأون ويكتبون ، بل ذكروا أكثر من ذلك ، ذكروا ان منهم من كان يقرأ العبرانية أو السريانية ، كالأحناف ، ثم انهم يذكرون أخبار مراسلات سادات القبائل في مختلف مواضع جزيرة العرب مع الرسول ، ومكاتبة مسيلمة مع النبي وتأليفه كتاباً زعم انه وحي نزل عليه من السماء مثل ما نزل على الرسول ، فهل يعقل بعد ذلك ، قول قائل ان العرب كانوا أميين ، خلا نقر . وقد رأينا انهم تركوا آلاف الكتابات باللهجات العربية

-
- ١ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، الاغاني (٢٤/٢٠) ، مختارات ابنن الشجرى (٢ وما بعدها) .
 - ٢ ابن هشام ، سيرة (٤٨/١) ، الاغاني (١٢٣/٣) ، (١٢١/٣ وما بعدها) ، (١٢٩/٤) ، ابن قتيبة ، المعارف (٢٨) ، ابن سعد ، الطبقات (٣٧٦/٥) ، المزهر (٣٠٩/٢) .
 - ٣ الاغاني (١٨٠/٢) .
 - ٤ البغدادي ، الخزانة (٣٩٢/٢ وما بعدها) .
 - ٥ الاغاني (٢٢/١٦ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٣٦/١) .
 - ٦ ابن قتيبة ، الشعر (٢٣٣ وما بعدها) ، الخزانة (٢١٥/٢) .
 - ٧ ابن قتيبة ، الشعر (٩١/١) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤) .

الجنوبية وبالشمودية واللحيانية والصفوية ، بل قد نجد الكتابة في بعض قبائل الجاهلية مثل قبائل الصفاة ، أكثر اتساعاً وانتشاراً مما عليه الحال بين قبائل هذا اليوم .

وبعد ، فالأمية الجماعية التي فرضها أهل الأخبار على الجاهليين ، فجعلوهم أميين مائة بالمائة ، لم تكن أمية صحيحة ، وإنما جاءت من وهم في فهم المراد من المواضع التي أشرت إليها من القرآن ، بدليل مناقضة أهل الأخبار أنفسهم ، بذكر أسماء من ذكرناهم ومن لم نذكرهم ممن كان يقرأ ويكتب بهذا القلم العربي الذي دون به القرآن . وبدليل ما أوردته من أقوال المفسرين في الأمية ، من أنها الوثنية ، لا الأمية بمعنى الجهل بالكتابة والقراءة حقاً ، لعدم انسجام هذا المعنى مع تفسير الآيات ، ثم إن القرآن الكريم حين تعرض للأمية ، بمعنى عدم القراءة والكتابة ، قال : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تنلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذأ لأرتاب المبطلون »^١ . فعبّر بذلك تعبيراً مبيناً عن معنى عدم القراءة والكتابة ، بأفصح عبارة ، فقال : « وما كنت تنلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك » ، ولو كانت الأمية بهذا المعنى لما أهمل ذكرها في هذا المكان . ومن ذلك الوهم جاءت الأحاديث الضعيفة من أنه كان من أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ، ولعاطفة دينية ، شددوا في أمية العرب ، فجعلوها جميعاً أميين ، لظهار معجزة للرسول - هو في غنى عنها - في أنه ظهر بالنبوة في أمة أمية ، وجاء من الله بأحسن بيان ، وهي حجة له على أهل الكتاب والمشركين .

وبعد ، فقد فهمنا من روايات أهل الأخبار ، ان أهل مكة انما تعلموا الكتابة في عهد غير بعيد عن الاسلام . فهل يعني هذا انهم لم يكونوا يحسنون الكتابة والقراءة قبل هذا العهد أبداً ؟ والذي أراه ان ذلك شيء غير معقول ، وان أهل مكة كانوا يكتبون ويقرأون ، كانوا يكتبون بالمسند ، القلم الذي كتب به أكثر أهل جزيرة العرب قبل الاسلام ، بدليل ما نقرأه في كتب أهل الأخبار من زعمهم ان أهل مكة كانوا يجدون بين الحين والحين كتابات مدونة بالمسند في مقبرة

١ العنكبوت ، الآية (٤٦ وما بعدها) .

مكة القديمة وفي مواضع أخرى منها ، وفي عثور الناس على هذه الكتابات دلالة على ان سكان مكة كانوا يكتبون بالمسند أو بأقلام مشتقة منه ، ولا يعقل عدم استعمال أهل الحجاز لهذا القلم ، وقد وجدنا انه والأقلام المشتقة منه ، قد كونت قلم أهل هذه البلاد قبل الاسلام ، والظاهر انهم وجدوا ان القلم الذي كان يكتب به النبط وبقية العرب ، مثل عرب الحيرة ، كان أسهل استعمالاً ومرونة من القلم المسند البطيء الحركة ، وانه لا يأخذ حجماً كبيراً بالقياس الى الخط العربي الجنوبي ، لذلك فضلوه على هذا القلم ، واستعملوه عوضاً عنه ، دون أن يجروا عليه تحويراً أو تغييراً ، لإصلاح ما فيه من خلل ، فلما جاء الاسلام ، أجرى عليه ما أجرى من تحوير وتغيير وتطوير .

الفصل الحادي والعشرون بعد المئة

الخط العربي

للعلماء الذين اشتغلوا في موضوع نشوء الخط عند البشر ، والقلم الأول الذي تفرعت منه سائر الأقلام ، نظريات في تأريخ الكتابة وظهرها ، وفي المراحل التي مرّت عليها من أول عهد مرت فيه وهو عهد الكتابة الصورية Pictography الى وصولها الى مرحلة الحروف . وهذه النظريات مع أنها مرت بمناقشات وبحوث وتحددت حتى أصبحت معروفة عند علماء الخطوط ، لم تستقر حتى الآن . لأن ما وصل الينا من نماذج كتابية أثرية ، لا يكفي لابتداء رأي مقبول أو رأي قاطع في أصل الخط وفي منشئه وفي الأمة التي أوجدته . ولا أعتقد أن في امكان أحد القطع في ذلك ، ما لم يعثر المتقّبون في المستقبل على نماذج عادية غير معروفة ، تكون كافية لإبتداء رأي علمي في هذا الموضوع .

واختراع الكتابة من الاختراعات الكبرى التي غيرت مجرى البشر، وهو اختراع لا تقل أهميته عن أعظم الاختراعات والاكتشافات والمغامرات التي قام بها الانسان منذ يومه الأول حتى هذا اليوم . ومنها هروب الانسان من أحضان أمه الأرض ، وعقوفه بحقها ، والتبطر بها ، وذهابه الى القمر ثم الى ما وراء القمر من عوالم سابعة راقصة في هذا الذي نسميه السماء . ونحن لا نحفل اليوم بموضوع أهمية اختراع الكتابة ، بالنسبة الى تقدم العقل البشري ، ولا يعرف معظم الناس عنه أي شيء ، ولا يحفلون به ، لأنه صار من القديم البائد . وكل قديم بائد يكتب عليه النسيان . وسيأتي يوم ولا شك ينسى فيه الجءون من بعدنا يمّشات وبآلاف

من السنين ، يوم هروب الإنسان من الأرض ، ولا ينظرون إليه إلا كما ينظر الإنسان الأمي الجاهل الى مبدأ الكتابة أو الى اختراع النار أو اختراع الطباعة أو غير ذلك من المخترعات التي إذا مضى وقت طويل على اختراعها نسيها ذاكرة البشر ، ونسيت كل أثر تركته في تطور حياة هذا الإنسان المغامر المغرم بالبحث عن المجهول .

ولعلي لا أخطأ إذا قلت إن الإنسان قد فكر في الكتابة منذ أيامه الأولى أي منذ شعر بنفسه ، وصار يُعبر عما في ذاته ، فكر بها لأنه كان في حاجة الى تسجيل أعماله ومعاملاته وكلامه ، ليتمكن من تذكرها عند الحاجة والى مراجعتها. كما فكر في تسجيل حوادثه وشعوره وتأثره بالمرئيات الجميلة أو المحزنة، وبالحواطر التي كانت تمر عليه ، وبكل إحساسه وعواطفه . وكان كلما تقدم عقله وتوسعت مداركه شعر بحاجة الى تدوين أعماله وأحاسيسه ، فعمد الى الطرق البدائية في التدوين ، ثم طورها تدريجياً حتى وصل الى مرتبة الكتابة الصورية ، أي أنه استخدم الصور في مقام الألفاظ. بأن يرسم صورة ، فإذا رآها أحد عرفها وسماها باسمها. وعرفت هذه الطريقة بالكتابة الصورية . غير أن هذه الطريقة وإن عبرت بعض التعبير عن مشاعر الكاتب ، إلا أنها كانت عاجزة عن التعبير عن الأمور الروحية وعن الألفاظ المعنوية ، وعن الأمور الحسائية وغير ذلك . لذلك لم يقنع بها بل أخذ يشحذ ذهنه لإيجاد طريقة أخرى مختصرة وبسيطة ولها قابلية على رسم المعاني والاحساس، فأوجد من الكتابة الصورية ، اختزالاً نسميه : الكتابة المقطعية. أي انه اختزل الصور ، وجزأها الى مقاطع . وأخذ منها مقاطعها الأولى. فسمّاها بأسمائها الأصلية . فوصل بذلك الى مرحلة المقاطع . وتمكن بسليقته وبذكائه من تحليل الأسماء والألفاظ التي يراد تدوينها الى مقاطع ، وتدوين أي كلمة بمقاطعها التي تتألف منها . وقد سهلت هذه المرحلة عليه كتابة الكلمات التي تعبر عن الآراء ومن تسجيل جمل وصفحات فيها ألفاظ مادية محسوسة وألفاظ ليست بمسميات لأشياء مادية وإنما هي تعبير عن معان وإحساس . مثل موت وحياة ورأي وما شاكل ذلك . إلا أنه وجد أن هذه الطريقة لا تزال طريقة صعبة عسيرة ، وأن على الإنسان أن يحفظ صور ماثت من العلامات التي تعبر عن المقاطع لتدوين رسالة. لذلك فكر في اختزالها أيضاً وفي غربتها وجزم المقاطع للوصول الى الجذور الأساسية للألفاظ وقد نجح في عمله هذا فتوصل إلى إيجاد الحروف . فبلغ بذلك النهاية .

وهي المرحلة الحقيقية للكتابة . وبذلك استطاع أن يدوّن كل ما يدور بخلده من آراء بحروف ، يضعها بعضها الى بعض ليولد منها الألفاظ التي تدوّن بعضها الى بعض لتعبر عما يريد الكاتب تدوينه .

وما ذكرته يمثل مجمل رأي العلماء في تطور الكتابة من الرموز والعلامات البدائية الى بلوغها مرحلة الكمال والتمام . وقد أخذوا رأيهم هذا من الصور والنقوش التي عثر عليها في الكهوف وعلى الصخور وفي المقابر في مختلف أنحاء العالم . ولكن رأيهم هذا يتشعب ويتضارب عندما يتعرض للأصل الذي أوجد الحروف ، والمكان الذي صار له شرف إيجاد الكتابة ، وحل المشكلة المستعصية التي دوخت الانسان ، مشكلة تدوين ما يدور بخلده بيسر وسهولة . فذهب بعض الباحثين الى ان الكتابة انما ظهرت في العراق ، وذهب بعض آخر الى انها ظهرت في لبنان ، وذهب بعض الى انها من نبت أرض النيل ، وذهب آخرون الى انها من ثمرات جزيرة (كريت) . ولكل رأي ودليل وحجة تقوم على دراسة الكتابات والنصوص التي عثر عليها في تلك الأرضين .

والذين يرون ان العراق هو وطن الكتابة الأول ، يرون ان الخط انما ظهر بتأثير عبادة النجوم ، وذلك في أرض (كلديا) ، وكان الكهنة قد وضعوا رموزاً للنجوم ، ومن تلك الرموز أخذت الأبجدية الأولى ، وتفرعت الألفباء السامية الغربية التي صارت أمماً لمجموعة من الأبجديات ، ومن قائل هذه النظرية والمدافعين عنها المستشرق (هومل) ^١ .

وهناك طائفة من العلماء رأيت ان الأبجدية الأولى هي وليدة أرض النيل . وأن الذين أوجدوا الأبجدية انما أخذوها منها . وكان المصريون قد استعملوا في بادئ أمرهم الكتابة الصورية ، ثم اختزلوها وأولدوا منها (الكتابة الهيروغليفية) . وهي كتابة متطورة متقدمة بالنسبة الى الكتابة الصورية . وقد صارت هذه الكتابة أمماً لأقدم الكتابات . إذ تعلمها أهل (سيناء) وأهل بلاد الشام ، ثم اختزلوها وجزموها ، حتى أوجدوا من هذا الجزم الحروف الهجائية ^٢ .

Grundriss, I, S. 97, Geschichte Babylonien und Assyrien, S. 50.

Ency. Britanica, Vol. I p. 680, Hubert Grimme, Die Lösung des Sinal-schriftproblems, S. I, A.H. Gardiner, « The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet », in the Journal of Egyptian Archaeology, 1916.

وعثر المنقبون في طور سيناء في (سراييط الخادم) على كتابة قديمة يعود عهدها الى سنة (١٨٥٠) قبل الميلاد ، دفعت بعض العلماء مثل (مارتن اشبرنكلنك) على القول بأن هذه الكتابة هي وليدة الكتابة الهيروغليفية ، وانها الحلقة المفقودة التي توصل بين الهيروغليفية وبين مرحلة الحروف . وذهب الى ان العمال الذين كانوا يشتغلون في مناجم طور سيناء انما اهتموا الى التدوين بالحروف من معرفتهم للهيروغليفية . إذ اختزلوا المقاطع ، وأخذوا بالجزء الأول من كل مقطع وسمّوا ذلك الجزء باسم من أسماء الصور بلغتهم ، فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كونت الأبجدية الطورسينائية ، بلغ عددها اثنين وعشرين حرفاً ، أصبحت نموذجاً للأبجديات الأخرى التي اعتمدت عليها ^١ .

وقد انتشرت هذه الأبجدية من (طور سيناء) الى الشرق فوصلت الى الشام وجزيرة العرب ، وصارت أصل الأبجديات في هذه الأماكن غير انها لم تستعمل في العراق ، حيث كانت الكتابة المسمارية ، ولا في مصر ، حيث كانت الكتابة (الهيروغليفية) . وقد تغيرت أشكالها باستعمالها الطويل ، وتحرفت بمرور الزمن ، وتبدلت الأسماء التي وضعها كتاب طور سيناء لحروفهم ، كما تبدلت من حيث الترتيب وبذلك تولدت منها أقلام جديدة ^٢ .

ورأى بعض العلماء ان الخط الكنعاني الذي هو من الخطوط القديمة ، قد اشتق من الخط الهيروغليفي ، لوجود شبه بين الحروف الكنعانية وبعض الصور الهيروغليفية . ورأى بعض آخر انه مشتق من الكتابة المسمارية . ورأى آخرون انه اشتق من الأبجدية (الطورسينائية) ، إذ يصعب تصور اشتقاق الخط الكنعاني من الهيروغليفية رأساً لبعدهما بين الكتابتين، وإن كان هناك شبه بين بعض الحروف الكنعانية والصور الهيروغليفية . ومن الخط الكنعاني تولدت بعض الأقلام السامية المتأخرة ^٣ . وذهب باحثون الى أن الفينيقيين هم أول من اخترعوا الأبجدية ، ومن هذه الأبجدية الفينيقية تولدت الأبجديات الأخرى ، وذهب قسم منهم الى أن الفينيقيين، إنما أخذوا أبجديتهم هذه من الهيروغليفية ، بأن شذّبوها وجزّموها مقاطعها، وأولدوا

١ Martin Sprengling, The Alphabet : its Rise and development from the Sinal Inscriptions, Chicago, 1931, The Universal Jewish Ency. I, p. 198.

٢ The Universal Jewish Ency. I, p. 198.

٣ The Jewish Quarterly Review, XII, (1950), 83-109, 159-179.

منها الحروف^١. ونظراً الى وجود هوة كبيرة بين الكتابة الفينيقية وبين الهيروغليفية ، رأى بعض الباحثين ، أن الفينيقيين ، إنما أخذوا خطهم من الخط الطورسينائي ، ثم طوروه وحسنوه وأوجدوا منه خطهم الذي أولد جملة خطوط .

وطائفة أخرى من العلماء ، رأيت أن وطن (الألفباء) الأول هو جزيرة قبرس أو جزيرة كريت ، حيث عثر فيها على نماذج قديمة للكتابة اتخذوها حجة يستند اليها في هذا الرأي . وقد زعم أصحاب هذه النظرية أن أهل ساحل البحر الأبيض إنما تعلموا الكتابة من أهل (كريت) أو (قبرس) . وذلك باحتكاكهم بهم ، وبهجرة الفلسطينيين Philistines ، من جزيرة (كريت) الى سواحل فلسطين التي عرفت باسمهم (فلسطينة) Philistia ، ثم أطلقت على المنطقة التي قيل لها فلسطين كلها . ومن الفلسطينيين أخذ الفينيقيون الأبجدية^٢ .

وقد عثر الباحثون على عدد من الكتابات القديمة في جزيرة (كريت) ، تبين من دراسة بعض منها أنها مكتوبة على طريقة الكتابة الهيروغليفية ويرجع عهدها الى ما بين (٢٠٠٠) الى (١٦٠٠) قبل الميلاد . كما عثروا على كتابة صورية يعود عهدها الى حوالي السنة (١٧٠٠) قبل الميلاد . وعثروا على كتابات أخرى حملتهم على القول بأن (كريت) كانت الموطن الأول للكتابة ، ومنها انتقلت الكتابة الى مواضع أخرى من البحر الأبيض^٣ . كما بينت ذلك في الفقرة السابقة .

وقد عثر المستشرق (كلود شيفر) M. Claude Schaeffer ، المعروف بتنقيبه عن النصوص (الغاريتية) Ugarit في شهر (نوفبر) من عام ١٩٤٩ م على آجرة صغيرة من الصلصال المفخور بالنار حجمها (٥) سنتيمترات في ١٥ ملمتراً في موضع (رأس الشجرة) الواقع على مسافة عشرة أميال من شمال اللاذقية ، ظهر أنها على صغرها وتفاهتها البادية عليها من أهم ما عثر عليه من نصوص . فهذه الآجرة الصغيرة التي لا تلفت اليها الأنظار هي لوح في

١ الدراسات الادبية ، الجامعة اللبنانية ، السنة الثانية ، العدد الاول ، ١٩٦٠ م (ص ٤٤ وما بعدها) .

Ency. Brita., I, p. 680, A.H. Gardiner, The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet, in the Journal of Egyptian Archaeology, 1916, M. Dunand, Byblia

Grammata, Beyrouth, 1945, p. 71.

Ency. Brit. I, p. 680, Hastings, p. 672, Ency. Bibl., p. 3434. ٢

The Art of Writing, Unesco, p. 8. ٣

غاية من الأهمية كتبت عليه الأبجدية (اليغاريتية) المؤلفة من ثلاثين حرفاً ، وهي على الرغم من صغر حروفها مكتوبة كتابة واضحة بخط قوي جلي . وقد كان العلماء يبحثون عن هذه الأبجدية بكل شوق ، والظاهر ان أحد الطلاب كتبها على هذا اللوح ، ويرجع عهده الى القرن الرابع قبل الميلاد^١ .

وهذه الأبجدية (اليغاريتية) مكتوبة كتابة اسفينية ، ولذلك رأى بعض الذين بحثوا في (اليغاريتية) انها وليدة الكتابة المسارية . ورأى بعض آخر انها متأثرة بلهروغليفية من حيث تكوين الحروف الصامتة . وأما من ناحية الرسم ، فإنها متأثرة بالكتابة المسارية . وتتألف من ثلاثين حرفاً ، فهي تتضمن جميع الحروف في الأبجديات السامية الشمالية الغربية المكونة من اثنين وعشرين حرفاً صامتاً . ونجد انها أوردت هذه الحروف على ترتيب الأبجدية الإرمية والعبرانية ، خلا انها وضعت خمسة أحرف أخرى لم ترد في العبرانية بين هذه المجموعة ، فتكون منها سبعة وعشرون حرفاً تضاهي الأبجدية الكنعانية ، ثم أضاف اليها كتبة (اليغاريتية) أحرفاً أخرى ، فأصبح مجموع الحروف ثلاثين حرفاً تألفت منها الأبجدية (اليغاريتية)^٢ .

نرى مما تقدم ان آراء علماء الخط تكاد تتفق على ان مخترعي الأبجديات هم أناس يجب أن يكونوا من أهل الشرق الأدنى أو من حوض البحر الأبيض ، من أهل جزيرة (كريت) أو (قبرس) . وآراؤهم هذه هي بالنسبة الى الأقلام المشهورة التي لا تزال مستعملة وحية معروفة مثل الخطوط المستعملة في اوروبة ، وفي اميركا ، ومثل الخط العربي والعبراني والسرياني وبالنسبة الى أقلام أخرى ماتت ، غير ان العلماء المتخصصين يعرفون عنها شيئاً ويقرأون نصوصها مثل الكتابات المسارية وأمثالها . إلا ان هناك أقلاماً هي قديمة أيضاً، ولها أهمية كبيرة ،

١ راجع وصف هذه الاجرة الصغيرة والابجدية (اليغاريتية) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : ج٤ مجلد ٢٥ (١٩٥٠ م) ، (٦٢ وما بعدها) ،

The Glasgow Herald, Saturday March 4, 1950, Manchester Guardian Weekly, March 23rd, 1950, p. 13, BOASOR, NUM : 118, April 1950, p. 12.

The Glasgow Herald, Saturday March, The 4th., 1950, BOASOR, NUM : 118, April 1950, p. 12, Le Muséon, LIX, (1946), 1-4, p. 95, C.H. Gordon, Ugaritic Grammer, Analecta Orientalia, 20, Roma, 1939, p. 69, Caude F. A. Schaeffer, The Cuniform Texts of Ras Shamra Ugarl, London, 1939.

ونصوص وكتابات ، لذلك يجب البحث عنها ، لمعرفة تأريخها ودرجة صلتها بالأقلام التي نتحدث عنها . للوقوف على البواعث التي دفعت أصحابها على إيجادها والمراحل التي مرت بها . فليس من الصواب إهمال تلك الأقلام وغض النظر عنها باعتبار أنها أقلام بعيدة عن أعلامنا ، وهي تمثل ثقافة بعيدة عن ثقافتنا .

كذلك يجب البحث عن الرسوم والرموز والإشارات التي سجلها الإنسان البدائي للتعبير عن نفسه ولتخليد ما كان يدور بخله . ومقارنة ذلك مع أمثاله في كل أنحاء العالم . فإذا فعلنا ذلك وجمعنا كل الأقلام القديمة مثل أقلام الصين والهند وبقية أقلام أقطار آسية وأقلام إفريقية وأميركا ، ودرسناها دراسة علمية . صار في إمكاننا تكوين رأي عام علمي تقريبي عن تأريخ ظهور الخط عند البشر : متى كان ذلك وأقدم من بدأ به ، مع بذل الجهد للبحث عن نماذج جديدة من الخطوط في كل مكان من العالم لتزيد بها على علمنا المتجمع من الكتابات التي وصلت إلينا ولا نضيف عليه علماً جديداً وليكون حكماً قريباً من المنطق والعلم .

والرأي عندي أنه لأجل الإحاطة بتأريخ تطور الخط ، لا بد من الاستمرار في البحث عن كتابات أخرى جديدة ومن دراسة مظاهر أشكال الحروف وكيفية ترتيبها وكيفية النطق بها ، أي الإحاطة بأسماء الحروف . فإن هذه الأمور تساعدنا كثيراً على فهم تطور الخط عند البشر وعن صلتها ببعضه ببعض ومن التوصل الى نتائج علمية قيمة ، لا تقاس بالنتائج التي تبنى على مجرد الظن والتخمين والتصور .

والذي نلاحظه اليوم أن حروف الخطوط السامية المستعملة عند الغربيين ، تكاد تتفق في أسمائها وفي ترتيبها ، ويشير هذا التشابه الى وحدة الأصل ، وإلى أن الأبجديات المذكورة قد تفرعت كلها من شجرة واحدة ، ونبتت من منبع واحد . فكلها تبتدىء بحرف واحد ، هو (الألف) وكلها تجعل الباء حرفاً ثانياً ، ثم ان في وحدة تسمياتها مع اختلاف اللغات التي تدون بها دليلاً كافياً على إثبات أن هذه الأبجديات هي من أصل واحد . وعلى أن الأسماء الحروف علاقة وثيقة بالصورة وبالكتابة الصورية للغة الأم التي اخترعت تلك الحروف وأوجدتها من مرحلة المقاطع . وإذا ثبتنا أسماء الحروف، وعرفنا من أين أخذت ، وإذا استطعنا العثور على أقدم نص للأبجدية، يكون في إمكاننا ابداء رأي علمي في منشأ الحروف وفي المكان الذي كان له شرف إيجادها ، أو الأماكن التي ساهمت بصور مستقلة

في إيجاد الحروف . وهذا ما أراه . لأنني أعتقد أن الانسان فكّر في أول ما فكر به في إيجاد وسيلة يسجل بها أعماله وأفكاره ، وأن تفكيره هذا لم ينحصر في بقعة واحدة ، بل وجد في كل مكان . حتى في البيئات البدائية، إذ نجد الشعوب البدائية تتخذ وسائل للتعبير عن آرائها وعن تدوين أفكارها بطرق تتفق مع مستواها العقلي ودرجتها في الثقافة .

والحرف الأول، وهو الألف ، يعني (ثوراً) ، ولذلك مثل في الهيروغليفية وفي كتابة طور سيناء بشكل رأس ثور، وأما الحرف الثاني، وهو الباء أو Beth ، فإنه يعني (بيتاً)، وقد صور في الهيروغليفية وفي كتابة طور سيناء بشكل يصور مقدمة بيت . وأما الحرف الثالث ، وهو الجيم ، فإنه (كمل) (كيمل) ، أي الجمل، وصورته لا ترمز الى الجمل رمزاً تاماً . وأما حرف الدال، فيقال (دالت)، ومعناه باب . وأما حرف الهاء، فإنه من He (هي) بمعنى شباك . وأما الواو ، فهو يشير الى وتد . وأما الزاي، فإنه من زين بمعنى سلاح . وأما الحاء ، فإنه من (حيث) بمعنى حائط . وأما الياء ، فإنه من (يود) بمعنى يد أو يد مفتوحة . وأخذ حرف الكاف من (كاف) (كف) بمعنى كف اليد ، أو يد مقبوضة . وأما حرف اللام ، فإنه من (لمد) (لمد) ، ومعناه عصا لضرب الثور . وأما الميم ، فإنه من (ميم) بمعنى ماء . وأما النون ، فإنه من نون بمعنى سمكة . وأما حرف السين فهو سامخ ، بمعنى آلة يعتمد عليها كالعصا . وقد أخذ حرف العين من عين ، عين الانسان . وأخذ الفاء من فم (فم) Pe بمعنى فم ، وأخذ حرف الصاد من (صادى) ، بمعنى صياد . وحرف القاف من قوف Kof بمعنى الرأس الى الخلف ، وحرف الراء ، من ريش بمعنى رأس ، وحرف الشين من (شين) (شن) بمعنى سن . وأما التاء ، فمن كلمة (تاو) (تو) بمعنى علامة أو صليب ، وهكذا .

ولمسألة ترتيب الحروف أهمية كبيرة لا تقل عن أهمية أسماء الحروف . ويظهر ان ترتيب (أبجد هوز حطي ... الخ) ، وهو ترتيب سار عليه العرب أيضاً ، هو ترتيب قديم . وقد عرف عند السريان وعند النبط والعبرانيين، وعند (بني لرم) ويظن انهم أخذوه من الفينيقيين . وقد سار عليه الكنعانيون أيضاً ، غير انهم

زادوا عليه الأحرف التي اقتضى وجودها في طبيعة لغتهم . وقد وضع علماء العربية بعد (قرشت) التي يمثل حرف التاء فيها آخر حروف الأبجدية الحروف التي لم ترد في ترتيب (أبجد هوز) ، وهي موجودة في العربية ويقال لها (الروادف)^١. أما الترتيب السائر اليوم في كتابة الحروف العربية مبتدئين بالألف ومنتهاين بالياء ، فهو ترتيب اسلامي ، وقد وضع على ما يخيل إلي لتيسير حفظ أشكال الحروف للطلاب ، لأنه راعى الجمع بين الحروف المتشابهة ، ولم يتجنب مع ذلك الترتيب الأصل المراعى في نظام (أبجد هوز) تجنباً تاماً . وضعه (نصر بن عاصم) في أيام الحجاج .

ومن الفينيقيين الذين كانوا يقطعون البحار والبراري للأنجار مع مختلف الشعوب ، انتشرت الكتابة بالحروف الى حوض البحر الأبيض . فقد كان تجارهم يسجلون ما يبيعون ويشتررون ليضبطوا بذلك أعمالهم ، فظن من كان يتعامل معهم من اليونان وغيرهم أنهم كانوا يقومون بأعمال سحرية . ولما عرفوا أنهم انمسا يكتبون ذلك لضبط أعمالهم وتجارهم تعلموا منهم سر الكتابة . ثم سرعان ما أخذوا يكتبون . وبذلك انتشرت الكتابة في اوروبا . ويظهر ان انتقال الخط الى اوروبا كان في القرن العاشر قبل الميلاد^٢. وقد حافظ اليونان القدامى على أشكال الحروف الفينيقية وعلى طريقتهم في التدوين من اليمين الى اليسار . وحافظوا على أسماء الحروف كذلك . ثم وجد اليونان ان الحروف الفينيقية هي حروف صامتة ولا توجد فيها حروف تعبر عن الحركات . فأكملوها بإضافة الحركات اليها . ثم طوروها بالتدريج . وكان في جملة التطورات الابتداء بالكتابة من اليسار نحو اليمين . وعن اليونان أخذ الرومان وغيرهم من الشعوب الأوروبية الكتابة ، وأخذ كل قوم منهم يوجد منها طرقة جديدة في الخط حتى صارت على نحو ما هي عليه في هذا اليوم .

الخط العربي :

والعرب من الشعوب التي عرفت الكتابة ومارستها قبل الإسلام بزمان طويل كذلك . بل عرفوا الكتابة قبل الميلاد ببضع مئات من السنين . وقد عثر في مواضع

Ency. I, p. 68.

The Art of Writing, Unesco, 36.

من جزيرة العرب على كتابات دونت باليونانية وبلغات أخرى . وتبين من دراسة النصوص الجاهلية ، ان العرب كانوا يدونون قبل الاسلام بقلم ظهر في اليمن بصورة خاصة ، هو القلم الذي أطلق عليه أهل الأخبار (القلم المسند) أو (قلم حمير) . وهو قلم يباين القلم الذي نكتب به الآن . ثم تبين أنهم صاروا يكتبون في الميلاد بقلم آخر ، أسهل وألين في الكتابة من القلم المسند ، أخذوه من القلم النبطي المتأخر وذلك قبيل الاسلام على ما يظهر . كما تبين ان النبط وعرب العراق وعرب بلاد الشام كانوا يكتبون أمورهم بالإرمية وبالنبطية ، وذلك لشيوخ هذين القلمين بين الناس ، حتى بين من لم يكن من (بني إرم) ولا من النبط ، كالعبرانيين الذين كتبوا بقلم لإرمي الى جانب القلم العبراني ، ولاختلاط العرب الشماليين ببني إرم واحتكاكهم بهم ، مما جعلهم يتأثرون بهم ثقافياً ، فبان هذا الأثر في الكتابات القليلة التي وصلت إلينا مدونة بنبطية متأثرة بالعربية .

ويظهر من عثور الباحثين على كتابات مدونة بالمسند في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، ومنها سواحل الخليج العربي ، بعض منها قديم وبعض منها قريب من الاسلام ، ان قلم المسند ، كان هو القلم العربي الأصيل والأول عند العرب . وقد كتب به كل أهل جزيرة العرب ، غير ان التبشير بالنصرانية الذي دخل جزيرة العرب ، وانتشر في مختلف الأماكن ، أدخل معه القلم الإرمي المتأخر ، قلم الكنائس الشرقية ، وأخذ ينشره بين الناس لأنه قلمه المقدس، الذي به كان يكتب رجال الدين . ولما كان هذا القلم أسهل في الكتابة من المسند ، وجد له أشياء وأتباعاً بين من دخل في النصرانية وبين الوثنيين أيضاً ، لسهولة في الكتابة، غير انه لم يتمكن مع ذلك من القضاء على المسند إذ بقي الناس يكتبون به . فلما جاء الاسلام ، وكتب كتبة الوحي بقلم أهل مكة لتزول الوحي بينهم . صار قلم مكة هو القلم الرسمي للمسلمين ، وحكم على المسند بالموت عندئذ، فأت ونسيه العرب ، الى أن بعثه المستشرقون ، فأعادوه الى الوجود مرة أخرى، ليترجم لنا الكتابات العادية التي دونت به .

وهناك أقلام عثر عليها المستشرقون في أعالي الحجاز ، تشبه القلم المسند شيئاً كبيراً ، لذلك رأى الباحثون أنها من صلب ذلك القلم ومن فروعه للشبه المذكور، ولأنها متأخرة بالنسبة له ، فلا يمكن أن تكون هي الأم . وقد سمي قلم منها بالقلم الثمودي نسبة الى قوم ثمود ، وسمي قلم آخر بالقلم اللحياني ، نسبة الى

(الحيان) . وعرف القلم الثالث بـ (الكتابة الصفوية) ، نسبة الى أرض (الصفاة) الأرض التي عثر بها على أول كتابة مكتوبة بهذا القلم .

وقد عرف علماء العربية القلم المسند ، ومنهم حصل هذا القلم على اسمه : ولكنهم لم يعرفوا من أمره شيئاً يذكر . وكل ما عرفوه عنه أنه خط أهل اليمن القديم ، وأنه خط حمير . وأن قوماً من أهل اليمن بقوا أمدأ يكتبون به في الإسلام ويقرأون نصوصه . كما عرفوا القلم الذي دوت به القرآن الكريم . ودعوه (القلم العربي) او (الخط العربي) حيناً و (الكتاب العربي) أو (الكتابة العربية) حيناً آخر تمييزاً له عن المسند^١ . ولم يشيروا الى أسماء خطوط جاهلية أخرى .

وقد تكلم (الهمداني) ومشايخه من قبله عن المسند ، كما أشار اليه (ابن النديم) ، وذكر أن نماذج منه كانت في خزانة (المأمون) . غير أن علمهم به لم يكن متقناً على ما يظهر من نقولهم عنه . كما تحدثت عن ذلك في أثناء كلامي عن (الهمداني) . ولم يكن لهم إدراك عن كيفية تطوره . وقد دعوه بالخط الحميري . وعرفوه بأنه خط مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم . قال (أبو حاتم) هو في أيديهم الى اليوم باليمن^٢ . هذا ولم أجد في المؤلفات الإسلامية المعروفة في هذا اليوم ما يفيد بأن أحداً من العرب الإسلاميين كان له علم متقن بالعربيات الجنوبية ، أو كان له علم بتاريخ العربية الجنوبية القديم ، وفي الذي ذكره عن الخط المسند وعن لغات العرب الجنوبيين وتأريخهم تأييد لما أقوله .

والعرب تسمي (الكتاب العربي) أي خطنا : (الجزم) ، وذكروا أنه إنما سمي جزمًا لأنه جزم من المسند ، أي قطع منه ، وهو خط حمير في أيام ملكهم^٣ ولا أستبعد احتمال كون كلمة (الجزم) تسمية ذلك القلم في الجاهلية ، وأما تفسير

١ الفهرست (ص ٦ فما بعدها) ، صبح الاعشى (١١/٣) ، الصاحبى في فقه اللغة ، لابن فارس (ص ٧ وما بعدها) ، تاريخ الخط العربى وآدابه ، تأليف محمد بن طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط ، مكة ، ١٩٣٩ م ، البلاذري ، فتوح (٤٧٦ وما بعدها) ، الجهشيارى ، الوزراء (١٢، ١ وما بعدها) ، السجستاني ، كتاب المصاحف (٤ وما بعدها الصولي ، أدب الكتاب (٢٨ - ٣١) ، القاهرة (١٣٤١ هـ) ، الابحاث ، السنة ١٩٥٢ م ، الجزء الاول (ص ١١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٤٠/٤ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٣٨٢/٢) ، (سند) .

٣ اللسان (٩٧/١٢ وما بعدها) ، (جزم) ، تاج العروس (٢٢٨/٨) ، (جزم) .

أهل الأخبار لسبب التسمية ، فهو من نوع التفسير المعروفة المألوفة عن أهل الأخبار ، يضعونها حيناً بجانبهم شخص يريد معرفة سبب تسمية شيء بالاسم الذي عرف به . ودليل ذلك ما ذكره (البطليوسي) من أن أهل الأنبار كانوا يكتبون المشق ، وأن أهل الحيرة كانوا يكتبون (خط الجزم) وهو خطهم ، وهو الذي صار خط المصاحف^١ . و (المشق) في تفسير علماء العربية مدّ حروف الكتابة^٢ ومعنى هذا أن خط أهل الأنبار ، كان متصل الحروف ممدودها ، بينما غلب على القلم الحيري ، الشكل الترييعي الجاف ذو الزوايا للحروف . وهو شكل تكون الكتابة به أبطأ من الكتابة بالقلم المشق . ونظيره هو القلم الكوفي في الإسلام ، الذي اختص بأنواع معينة من أغراض الكتابة، ومنها الكتابة على الأحجار والخشب. ونظراً لبطء الكتابة به على الغالب لم يستعمل بكثرة في الكتابة .

ولعل سبب اختلاف قلم الأنبار عن قلم أهل الحيرة ، هو في المنبع الذي استقى كل من أهل المدينتين قلمه منه . فقد استعمل نصارى العراق في كتبهم الطقوسية القلم (السطرنجيلي) ، المشتق من القلم التدمري . وكتبوا به الأناجيل والكتب المقدسة وأحجار المباني ، مثل الأحجار التي توضع فوق أبواب المعابد كالكنائس أو البيوت أو القبور وما شاكل ذلك . وهو خط ثقيل يحتاج الى بذل وقت في نقشه الى جهد في حفره على الخشب أو الحجر ، بل وفي الكتابة به أيضاً . واستعملوا قلماً آخر أسرع منه وأسهل وأطوع في الكتابة به من (السطرنجيلي) ، كتبت به الأعمال التجارية والمخابرات والرسائل والكتب ، كتبوا به بقلم القصب وبالحرير . فكان منه خط النسخ^٣ .

هذا وقد كتب التبط بقلمين كذلك: قلم قديم ، ثقيل في الكتابة تكثر فيه الخطوط المستقيمة والزوايا والترييعات فهو على شاكله (السطرنجيلي) ، والخط الكوفي . كتبوا به على الأخشاب والحجارة والمعادن والصخور ، حيث حفروا الكتابة حفرأ ، كما استعملوه في ضرب نقودهم . وهو ثقيل في الكتابة لذلك لم يستعمل في الأغراض اليومية كتدوين المعاملات التجارية والمراسلات وما شاكل

١ الاقتضاب (٨٩) .

٢ ناج العروس (٧٠/٧) ، (مشق) .

٣ الابحاث ، السنة ١٩٥٢ م ، الجزء الاول (ص ١٥) .

ذلك من أمور تستدعي السرعة ، بل استخدم الكتاب قلماً آخر لهذه الأغراض ، هو القلم المدور الذي يشبه النسخ ، والذي نستطيع أن نسميه (المشق) ، قلم أهل الأنبار . وهو قلم متأخر ظهر عندهم بعد القلم الأول^١ .

ونجد أكثر شعوب الشرق الأدنى على هذه العادة في اتخاذ قلم خاص يكتبون به الكتب المقدسة والأحجار التذكارية، التي توضع فوق أبواب المعابد وفي داخلها أو على القبور للذكرى والتأريخ . لذلك يجتهد فيه أن يكون مزوقاً ذا زوايا وتريعات وزخرف ونقوش ، باعتبار أنه إنما يدون للتخليد ولتدوين شيء مقدس ثمين . ومن هذه النظرة تولدت طريقة رسم الحروف الأولى لكلمات الجمل أو عنوان الفصول بحروف بارزة مغايرة للحروف الأخرى التي تدون بها الكلمات التالية . واتخذوا أقلاماً أخرى راعوا فيها السهولة والليونة في الكتابة . لتدوين الكتب الأخرى التي لا صلة لها بالدين ولتدوين الأعمال اليومية . جعلوا حروفها مدورة أو مقوسة ، ليتمكن الكتابة بها بسهولة بدون حاجة الى بذل عناية في رسم خطوطها المستقيمة والمربعة والزوايا التي تكون الحروف .

وقد تحدث (الجاحظ) عن الخط ، فقال : « وليس في الأرض أمة بها طريق أو لها مسكة ، ولا جيل لهم قبض وبسط ، إلا ولهم خط . فأما أصحاب الملك والملكة والسلطان والجباية ، والديانة والعبادة ، فهناك الكتاب المتقن ، والحساب المحكم ، ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنم كذا كيف كان ، قال ذلك الهيثم بن عدي وابن الكلبي^٢ . فالخط العربي الجاهلي ، قلان : جزم ومسند ، ولا ثالث لها . المسند خط العربية الجنوبية وخط من كتب بهذا القلم من بقية أنحاء جزيرة العرب ، والجزم ، خط أهل مكة والمدينة وعرب العراق وغيرهم من العرب الشماليين .

ولما كان عرب العراق قد خالطوا بني إرم وأخذوا من ثقافتهم ، ومنهم من اعتنق دينهم ، فدخل في النصرانية . فلا أستبعد استعمالها قلمين ، أو أكثر في الكتابة . قلم روعي فيه ما رآه نصارى العراق في (السطرنجيلي) ، والمسمى أيضاً

١ الأبحاث ، ١٩٥٢ ، (ص ١٤ وما بعدها) .

٢ الحيوان (٧١/١) ، البلاذري ، فتوح (٤٧٦ وما بعدها) ، السجستاني ، المصاحف (٤ وما بعدها) ، خليل يحيى نامي ، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، بجامعة القاهرة ، مايو ١٩٣٥ م .

بالخط الرهاوي ، وقلم آخر استعملوه للكتابات السريعة . ولا أستبعد احتمال كتابة أهل الأنبار أو أهل الحيرة أو غيرهم من عرب العراق بالقلمين معاً . القلم الذي دعاه البطليوسي بالمشق ، وهو على حد قوله قلم أهل الأنبار ، والقلم الحيري ، وهو الجزم على رأيه أيضاً . ويذكر ان القلم السطرنجيلي قد استنبط في مطلع القرن الثالث للميلاد . وقد استنبطه (بولس بن عرقا) أو (عتقا الرهاوي) . وشاع استعماله بين الناس^١ .

هذا وللعلماء المسلمين مؤلفات في تأريخ الخط العربي وتطوره ، ولهم نظريات وآراء في منشأ الخط ، منها آراء تنسب الى (ابن الكلبي) ، وهو في مقدمة علماء الأخبار في هذا الباب . واليه يرجع أكثر من جاء بعده في رواية أخباره عن منشأ الخط ، وعن كيفية تطوره حتى بلغ مبلغه هذا في الاسلام . ومنها آراء تنسب الى غيره كابن عباس^٢ .

ونستطيع تلخيص وجهات نظرهم في منشأ الخط العربي في الملخصات الآتية :

(١) كان منشأ الخط في اليمن ، ثم انتقل منه الى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ، ومنهم تعلمه أهل الأنبار، ومنهم تعلمه جماعة نقلوه الى الحجاز . فالأصل ، على رأي هؤلاء ، هو القلم المسند وكان كما يقولون بالغاً مبلغ الاتقان والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف^٣ .

(٢) أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ ، وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند ، سمي بذلك لأنهم كانوا يسندونه الى (هود)^٤ .

(٣) أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل (حرب بن أمية) وقد

-
- ١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، (١٩٥٩ م) ، (ص ٤٢١) .
 - ٢ راجع ادب الكتاب للصولي (٢٨ وما بعدها) ، والفهرست لابن النديم (وما بعدها) وحكمة الانراق الى اختراق الافاق ، للسيد مرتضى الزبيدي ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة (ص ٥٠ وما بعدها) ، البلاذري فتوح البلدان (٤٧٦ وما بعدها) ، والجهشياري ، الوزراء (٢٥١ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٩/٣ وما بعدها) ، السجستاني ، المصاحف (٤ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٠٣/٣) الزهر (٣٤٩/٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .
 - ٣ الزهر (٣٤٩/٢) ، مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .
 - ٤ صبح الاعشى (٩/٣) .

أخذها من طاريء طراً على مكة من اليمن . وقد أخذ ذلك الطاريء علمه بالكتابة من كاتب الرحي هود^١ .

(٤) أول من كتب بالعربية اسماعيل^٢ . كتب على لفظه ومنطقه موصولاً ، حتى فرق بينها ولده هميسع وقيذر^٣ .

(٥) أول من وضع الكتاب العربي نفيس ، ونضر ، وتيا ، ودومة . هؤلاء ولد اسماعيل ، وضعوه موصولاً ، وفرقه قادور بن هميسع بن قادور^٤ .

(٦) إن نفيس ، ونضر ، وتيا ، ودومة ؛ بي لإسماعيل ، وضعوا كتاباً واحداً وجعلوه سطرأ واحداً غير متفرق ، موصول الحروف كلها ، ثم فرقه نبت ، وهميسع ، وقيذر ، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر^٥ .

(٧) كان قلم (الجزم) في نظر بعض العلماء أساس القلم العربي وقد سمي بالجزم ، لأن مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره وعامر بن جدره ، وهم من طيء من بولان ، سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة . فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام . وقد اقتطع مرامر الخط من المسند فسمي الجزم ، لأنه جزم أي اقتطع ، ولذلك قيل له الجزم قبل وجود الكوفة ؛ فتعلمه منهم أهل الأنبار ، وتعلمه منهم أهل الحيرة وسائر عرب العراق ، وتعلمه من أهل الحيرة بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق ، فتعلم حرب منه الكتابة ، ثم سافر معه بشر إلى

١ صبح الاعشى (١٠/٣) .

٢ صبح الاعشى (١٠/٣) ، المزهر (٣٤٢/٢) ، (وعنه عليه الصلاة والسلام ، أنه أول من كتب بالعربية اسماعيل) ، الروض الانف (١٠/١) ، الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب (أو ما بعدها) .

٣ المزهر (٣٤٢/٢) ، (كان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل - عليه السلام - وضعه على لفظه ومنطقه) ، الصاحبى (٣٤) .

٤ الفهرست (ص ١٣) ، (الكلام على القلم العربي) .

٥ حكمة الاشراق ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة (ص ٦٤) ، صبح الاعشى (٩/٣) .

مكة فتعلم منه جماعة من أهلها ، فلهذا أكثر الكتاب من قریش^١ .

(٨) أول من وضع الخط العربي (أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت) ، وهم قوم من الجيلة الأخيرة ، وقيل : لأنهم بنو المحصن بن جندل ابن يصعب بن مدين ، وكانوا نزولاً مع عدنان بن أد ، فكان (أبجد) ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكلمن وسعفص وقرشت ملوكاً بمدين ، وقيل ببلاد مضر ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وحدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم ، وهي التاء والتاء والذال والطاء والضاد والغين فسموها الروادف^٢ .

(٩) أول من وضع الخط العربي وألف حروفه ستة أشخاص من طسم ، كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد ، وكانت أسماؤهم : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهي تُخذ ضغط^٣ .

(١٠) أول من خط هو : مرامر بن مرة من أهل الأنبار ، وقيل إنه من بني مرة . ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس . ذكروا أن قریشاً سئلوا : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار^٤ .

(١١) تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار وخرج الى مكة وتزوج (الصهباء بنت حرب بن أمية) . وتعلم منه حرب ، ومنه ابنه سفيان ، ومنه ابن أخيه معاوية بن أبي سفيان ، ثم انتشر في قریش ، وهو الخط الكوفي الذي استنبطت منه الأقلام^٥ .

-
- ١ الفهرست (ص ٦) منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم (ص ٩٨) ، المزهر (٣٤٦/٢) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة ، حكمة الاشراق (ص ٦٥) ، صبح الاعشى (٤٢١/١) الجهشيارى ، الوزراء (١) ، تاج العروس (٩٠/٣) ، (جدد) .
 - ٢ المزهر (٣٤٨/٢) ، الفهرست (ص ١٢) ، (الكلام على القلم العربي) ، العقد الفريد (٢٤٢/٤) ، نزهة الجليس (٦٣/٢) .
 - ٣ نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة ، حكمة الاشراق (ص ٦٤) ، صبح الاعشى (٩/٣) ، نزهة الجليس (٦٣/٢) وما بعدها ، الفهرست (١٢) ، (الكلام على القلم العربي) .
 - ٤ نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة ، حكمة الاشراق (ص ٦٥) ، ابن خلكان ، (٣٤٦/١) ، عيون الاخبار (٤٣/١) (الكتب والكتابة) .
 - ٥ نوادر المخطوطات ، المجموعة الخامسة ، حكمة الاشراق (ص ٦٤) وما بعدها ، صبح الاعشى (١٠/٣) ، الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتب (٢) وما بعدها .

(١٢) كان الكتاب العربي قليلاً في الأوس والخزرج ، وكان يهودي من يهود ماسكة قد علمها ، فكان يعلمها الصبيان ، فجاء الاسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون ، منهم سعد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، يكتب الكتابين جميعاً العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد ابن حضير ، ومعن بن عدي ، وأبو عبس بن كشم ، وأوس بن خولي ، وبشير بن سعد^١ .

(١٣) أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان ، وبولان قبيلة من طيء ، نزلوا مدينة الأنبار ، وهم مرامر بن مُرّة ، وأسلم بن سدرّة ، وعامر بن جدرة ، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، ثم قاسوها على هجاء السريانية . فأما مرامر ، فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام ، ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه^٢ .

(١٤) أول من كتب الكتاب العربي ، رجل من بني النضر بن كنانة ، فكتبته العرب حينئذ^٣ .

(١٥) رأى نفر من العلماء ان أهل مكة انما تعلموا الكتابة من إياد أهل العراق وكانوا يكتبون ، ورووا في ذلك شعراً زعموا ان (أمية بن أبي الصلت) قاله ، منه :

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم^٤

(١٦) أول من وضع حروف ا ب ت ث نفر من أهل الأنبار من إياد القديمة ، وعنهم اخذت العرب^٥ .

١ صبح الاعشى (١١/٣) .

٢ صبح الاعشى (٨/٣) ، العقد الفريد (٢٤٢/٤) .

٣ صبح الاعشى (٩/٣) ، (رجل من بني مغلدة بن النضر بن كنانة) ، الفهرست (١٣) .

٤ بلوغ الارب (٣٦٩/٣) ، الروض الانف (٤٣/١) .

٥ الفهرست (ص ١٣) .

(١٧) الذي حمل الكتابة الى قريش بمكة ، أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ،
وقيل حرب بن أمية ^١ .

(١٨) من حير تعلمت مضر الكتابة العربية ^٢ .

(١٩) أصل الخط العربي من الأنبار ، وانما سكن الأنبار والخيرة بقايا العرب
العاربة وكثير من المستعربة فنقلوا ذلك ^٣ .

(٢٠) وضع الكتاب العربي عبد ضخم ويض ولد أميم بالحجاز ، ولهم يقول
حاجز الأزدي :

عبد بن ضخم إذا نسبتهم ويض أهل العلو في النسب
ابتدعوا منطقاً لخطهم فبين الخط لهجة العرب ^٤

(٢١) أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها ، آدم - عليه
السلام - قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ، فلما أصاب الأرض
الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه ، فأصاب إسماعيل - عليه السلام - الكتاب
العربي ^٥ .

(٢٢) أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة ، رجل من أهل الأنبار . ومن
الأنبار انتشرت في الناس .

(٢٣) تعلمت قريش الكتابة من الخيرة ، وتعلم أهل الخيرة الكتابة من الأنبار ^٦ ،
وذكر بعض علماء العربية أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ،
وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ^٧ .
وهذه هي آراء علماء العربية في أصل الخط عند العرب ، وفي كيفية منشئه
وظهوره .

-
- ١ الفهرست (ص ١٣) .
 - ٢ مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .
 - ٣ الاكلیل (٧٨/١) فما بعدها .
 - ٤ الاكلیل (٧٨/٦) .
 - ٥ الصاحبی (٣٤) ، المزهري (٣٤١/٢) .
 - ٦ ابن رسته ، الاعلاق (١٩٢) .
 - ٧ الصاحبی (٣٥) .

وقد ذكر (ابن النديم) مختلف الروايات التي كانت شائعة في أيامه عن القلم العربي . وذكر منابعها أحياناً وأهمل ذكرها أحياناً أخرى . وفي جملة من أشار اليهم (ابن عباس) ، فنسب اليه قوله إن أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان على نحو ما ذكرت قبل قليل^١ . و (محمد بن إسحق) و (ابن الكلبي) ، و (ابن الكوفي) ، و (كعب الأحبار) و (مكحول) و (عمر بن شبة) في كتاب مكة ، و (ابن أبي سعد)^٢ . وذكر أنه كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم . فيه حق عبد المطلب على رجل من حمير ، عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة . وكان خطّه شبه خط النساء . وذكر أن من كتاب العرب أسيد بن أبي العيص . وأن الناس عثروا على حجر كان على قبره كتب عليه اسمه^٣ .

ولدينا رأي آخر يقول : « كانت الكتاب في العرب من أهل الطائف ، تعلموها من رجل من أهل الحيرة ، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار »^٤ . وهو رأي نبغ من المتابع المتقدمة .

وقد جزم قوم من العلماء أن أول من كتب بالعربية (مُرامر بن مرة) ، (مُرامر بن مُرة) ، وذهب قوم أن أول من كتب بخطنا (عامر بن جدرة) ، وتوقف قوم هل هو خلاف أو يمكن التوفيق . وذهب آخرون إلى أن أول من كتب بالخط العربي عامر بن جدرة ومرامر بن مرة الطائيان ، ثم (سعد بن سبل)^٥ . وقال (شرقي بن القطامي) أن أول من وضع خطنا هذا رجال من طيء منهم مرامر بن مرة . قال الشاعر :

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب

وانما قال وآل مرامر ، لأنه كان قد سمي كل واحد من أولاده بكلمة من أبجد ، وهي ثمانية . وأول من كتب بالعربية مرامر بن مرة من أهل الأنبار ،

-
- ١ الفهرست (ص ١٢) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) .
 - ٣ الفهرست (ص ١٣ وما بعدها) .
 - ٤ اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .
 - ٥ تاج العروس (٩٠/٣) ، (جدر) ، حكمة الاشراف (٦٥) ، ابن خلكان ، وفيات (٣٤٦/١) .

ويقال من أهل الحيرة . ويقال انه سئل المهاجرون من أين تعلمتم الخط؟ فقالوا:
من الحيرة . وسئل أهل الحيرة من أين تعلمتم الخط ؟ فقالوا : من الأنبار^١ .
والذين يذكرون ان (بشر بن عبد الملك) أخو (أكيدر بن عبد الملك)
الكندي صاحب (دومة الجندل) ، الذي تعلم الكتابة من أهل الأنبار ، وخرج
الى مكة ، فتزوج (الصهباء بنت حرب بن أمية) أخت (أبي سفيان) ،
وعلم جماعة من أهل مكة الكتابة ، فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش ،
يروون شعراً لرجل من أهل دومة الجندل ، زعموا انه قاله لإظهاراً لمنة قومه على
قريش ، هو :

لا تبحدوا نعاء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهرأ
أناكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتمو ما كان بالمال مهملاً وطامتمو ما كان منه منفرا
فأجريت الأقالم عوداً وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند الحي حير وما زبرت في الصحف أقيال حميرا^٢

فبشر بن عبد الملك ، هو الذي نقل (الجزم) الى (مكة) . والجزم هو
الخط الذي دوت به القرآن : أي القلم الذي نكتب به اليوم . فأغنى به أهل
مكة عن الكتابة بقلم المسند قلم حير الثقيل ، وصاروا يكتبون بالقلم وبالجبر ، على
طريقة الفرس والروم يدوتون به أموالهم . ويظهر من ذلك أن القلم المسند ، كان
ثقيلاً في الكتابة ، ولهذا وجد أهل مكة صعوبة في تدوين أمورهم به ، فعدلوا
عنه الى القلم الجزم .

ولو صح هذا الشعر ، فإن البيت الأخير منه يدل على أن أقيال حير وغيرهم
كانوا يكتبون بخطهم : المسند على الصحف ، وأنه قد كانت عندهم كتابات
دوتها به بالجبر والقلم على الصحف والأدم ومواد الكتابة الأخرى ، ولم يكونوا
يكتفون بالكتابة به على الأحجار فقط ، لأننا نجد أن كتاباتهم الواصلة إلينا إنما

١ تاج العروس (٣ / ٥٤٠) ، (مرر) ، المزهر (٢ / ٣٤٧) .

٢ المزهر (٢ / ٣٤٧) .

قد كتبت بهذه الطريقة حسب . وسبب عدم وصول هذه الصحف إلينا ، أنها من مادة سريعة العطب ، لذلك لم تتمكن من المحافظة على حياتها فذهبت مع أهلها ، وقد يعثر على شيء منها مدفون تحت الأرض بصورة يمكن أن يستفاد منها كما استفيد من المسند المنقوش على الحجر .

وورد ان رجلاً قال لابن عباس : « معاشر قريش ، من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، تجمعون منه ما اجتمع ، وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام ؟ قال : أخذناه من حرب بن أمية . قال : فمن أخذه حرب ؟ قال : من عبدالله بن جدعان ، قال : فمن أخذه ابن جدعان ؟ قال : من أهل الأنبار ، قال : فمن أخذه أهل الأنبار ؟ قال : من أهل الحيرة ، قال : فمن أخذه أهل الحيرة ؟ قال : من طارئ طراً عليهم من اليمن من كندة . قال : فمن أخذه ذلك الطارئ ؟ قال : من الخفلاجان بن الوهم كاتب الوحي لهود عليه السلام »^١ .

وذكر بعض العلماء ان أول من وضع الخط العربي وألف حروفه وأقسامه ستة اشخاص من طسم ، كانوا نزولاً عند عدنان بن أد ، وكانت اسمائهم : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعقص ، قرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على اسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في اسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف ، وهي : نخذ ضظغ^٢ .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (كلمن) كان رئيس ملوك مدين الذين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم ، وقد هلكوا يوم الظلة ، فقالت ابنة كلمن ترثي اباها :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الختف ناراً وسط ظله
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة^٣

١ المزهري (٣٤٩/٢) .

٢ حكمة الاشراف (٦٤) ، (ستة اشخاص من طميم) ، نزهة الجليس (٦٣/٢) .

٣ نزهة الجليس (٦٣/٢) ، المزهري (٣٤٨/٢) .

كلمون هد ركني هلكه وسط المحلة

ويوم الظلة غيم تحته سموم ، او سحابة أظلتهم ، فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالتهم من الحر ، فأطبقت عليهم^١ . وقد أشير الى عذاب يوم الظلة في القرآن الكريم^٢ . وذكر أن هذا العذاب أصاب قوم (شعيب) لتكذيبهم رسالته ، فرفع الله غمامة فخرجوا اليها ليستظلوا بها فأصابهم بها عذاب عظيم . التهمت عليهم وأحرقتهم^٣ . ولما كان أبجد هوز ملوك مدين ، وأهل مدين هم قوم شعيب ، ربط أهل الأخبار مصيرهم بمصير قوم شعيب ، وجعلوا نهايتهم يوم الظلة . فالكتابة على رأي هؤلاء تعود الى هؤلاء الملوك ، الذين هلكوا بذلك اليوم .

ورويت الآيات على هذه الصورة :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الـ حتف تحت ظله
كونت ناراً ، وأضحت دار قومي مضمحلة^٤

ووردت على هذه الصورة :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحلة^٥
سيد القوم أتاه الحنف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة^٦

وقد تعرض (المسعودي) لموضوع الحروف ، فقال : « وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ومنفصلة ، فمنهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل ، وأحرف

١ تاج العروس (٤٢٧/٧) ، (ضلل) .

٢ الشعراء ، ٢٦ ، الآية ١٨٩ .

٣ تفسير الطبري (٦٦/١٩) وما بعدها .

٤ اليعقوبي ، مروج (١٢٩/٢) ، (دار الاندلس) ،

كلمون هدم ركني هلكه وسط المحلة

المزهر (٣٤٨/٢) ،

٥ ابن امي هدم ركني ، تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (بجد) .

٦ تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (بجد) .

الجميل على أسماء هؤلاء الملوك ، وهي التسعة والعشرون حرفاً التي يدور عليها حساب الجمل » . « وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج ، وهي أرض الطائف ، وما اتصل بذلك من أرض نجد ، وكلمن وسعفص وقرشت ملوكاً بمدين ، وقيل : ببلاد مصر ، وكان كلمن على ملك مدين ، ومن الناس من رأى أنه كان ملكاً على جميع من سمينا مشاعاً متصلاً على ما ذكرنا ، وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم^١ .
وأورد (المسعودي) أبياتاً زعم أن (المنتصر بن المنذر المديني) قالها في هؤلاء الملوك ، هي :

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة أتيت بها عمرأ وحي بني عمرو
هم ملوكوا أرض الحجاز بأوجه كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
ملوك بني حطّي وسعفص ذي الندى وهوز أرباب البنية والحجر
وهم قطنوا البيت الحرام ورتبوا خطورا وساموا في المكارم والفخر^٢
وقد وردت في (تاج العروس) على هذا النحو ، وقد نسب قولها الى رجل من اهل مدين ، ذكر انه قالها يرثيهم :

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة سبقت بها عمرأ وحي بني عمرو
ملوك بني حطّي وهوز منهم وسعفص اهل في المكارم والفخر
هم صبحوا اهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس او مطلع الفجر^٣

وروي ان (عمر بن الخطاب) لقي أعرابياً فسأله هل تحسن القراءة؟ فقال : نعم . قال : فاقرأ أم القرآن ؟ فقال الأعرابي والله ما أحسن البنات فكيف الأم ! فضربه عمر بالدرة وأسلمه الى الكتاب ليتعلم . فكث حيناً ثم هرب ، ولما رجع لأهله أنشداهم :

-
- ١ مروج ، للمسعودي (١٢٨/٢) ، (دار الاندلس) .
 - ٢ المسعودي ، مروج (١٢٩/٢) ، (دار الاندلس) ، حفي بك ناصف (٤٧) ، (اورد الابيات مع بعض الاختلاف) ، المزهري (٣٤٨/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (ببجد) .

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رقي صحيح وآيات القرآن مفصلات
فخطوا لي أبا جاد وقالوا : تعلم سعفصاً وقريشات
وما أنا والكتابة والتهجي وما حظ البنين مع البنات^١

ويرجع أهل الأخبار (الروادف) ، أي الحروف : الثاء ، والحاء ، والذال ،
والضاد ، والظاء ، والغين الى أيام الملوك المذكورين في بعض الروايات . وهي
حروف لم ترد في تركيب الأبجديات السامية القديمة ، لأنها غير واردة في أكثر
لهجاتها ، لذلك وضعها أهل الأخبار في آخر الأبجدية ، فأكملوا بذلك الأبجدية
العربية . وقد ألحقها الكتاب بها بعد أن تبين لهم بالطبع أن في العربية حروفاً غير
موجودة في الأبجدية المذكورة ، فأوجدوها بوضع علامات على الحروف المذكورة
التي لم تكن معلمة ، فعبرت عن أسماء الحروف الناقصة واستعملوها في الكتابة
دون أن يعملوا على إيجاد حروف جديدة للتعبير عن الحروف الناقصة .

ولعلماء العربية مثل (سيبويه) والمبرد والسيراfi وغيرهم آراء في الأسماء المذكورة
يفهم منها ان منهم من جعل بعض تلك الأسماء مثل (أبا جاد) و (هواز)
و (حطيا) أسماء عربية ، وبعضاً منها مثل : سعفص وكلمن وقرشبات أعجميات:
ومنهم من جعلها أعجميات^٢ . ويظهر من مراجعة آرائهم هذه انهم كانوا قد
عرفوا ترتيب حروف الأبجدية على النحو المتقدم ، فلما قرأوها على انها كلمات ،
كما كان يفعل (بني إرم) وغيرهم في تعليمهم الكتابة والقراءة للمبتدئين تولد
عندهم هذا القصص ، الذي قد يكون مصدره قصص قديم . ثم تولد لديهم
قصص كونهم ملوكاً من مدين ، أو رجالاً من أهل الأنبار الى آخر ما رأيناه
من قصص عن منشأ الحروف ، ليجدوا بذلك مخرجاً في تعليل تلك التسميات .

وذكر بعض أهل الأخبار أن أول من أتى أهل مكة بكتابة العربية (سفيان
ابن أمية بن عبد شمس) ، ثم انتشرت^٣ .

-
- ١ تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (بجد) .
 - ٢ نزهة الجليس (٦٤/٢) ، المزهر (٣٤٧/٢) .
 - ٣ نزهة الجليس (٦٤/٢) .

وترجع أسانيد الروايات المذكورة الى (عبدالله بن عباس) ، و (كعب
الأخبار) ، و (الشعبي) و (أبي ذر) ، و (عوانة) ، و (ابن الكلابي) ،
و (الشرقي بن القطامي) ، و (الأصمعي) و (الهيثم بن عدي)^١ .

ويظهر من هذه الروايات ومن روايات أخرى أن رأي علماء العربية أن الخط
العربي لم يكن أصيلاً في الحجاز ، وإنما دخله من اليمن ، أو من العراق أو
أرض مدين . وأن أهل مكة إنما تعلموه من الأماكن المذكورة ، في وقت غير
بعيد عن الاسلام ، لا يمكن أن يرتقى عنه بأكثر من قرن ، إن لم يكن أقل
من ذلك ، وفقاً لرواياتهم هذه . وأن أقدم من كتب به هم أهل مكة . ولذلك
قدم أهل الأخبار خط أهل مكة على سائر الخطوط التي عرفت في الإسلام . وجعلوه
أول الخطوط العربية وبعده المدني ، أي خط أهل المدينة^٢ .

أما أن أصله من اليمن فدعوى لا يمكن الأخذ بها ، لأن أهل اليمن كانوا
يكتبون بالمسند ، والمسند بعيد عن هذا القلم الذي يسميه أهل الأخبار : القلم
العربي أو الكتاب العربي أو الخط العربي بعداً كبيراً . وقد بقوا يكتبون بقلمهم
هذا زمناً في صدر الإسلام . ثم ان الروايات التي ترجع علم مكة بالخط الى اليمن ،
هي آحاد بالنسبة الى الروايات الأخرى التي تنسب أخذ الخط من العراق .

وأما دعوى مجيئه من مدين ، أي من أعالي الحجاز الى مكة ، فدعوى أراها
غير مستبعدة . لأن أهل هذه المنطقة كانوا قبل الميلاد وبعده من النبط . والنبط
هم عرب . وقد سبق ان تحدثت عنهم . وكانوا يكتبون بخط أخذ من قلم
(بني لرم) ، حروفه منفصلة ومتصلة : وترتيب أبجديته هو ترتيب (بني لرم)
أي (أبجد هوز) . وقد طوروه بعض التطوير ، فصار الكاتب يكتب به بالحبر
بسرعة ، وهو سريع وسهل أيضاً عند حفره على الحجر أو المعدن أو الخشب ،
ويناسب التاجر والكاتب ورجل الفكر . وقد وصلتنا كتابات كثيرة كتبت به .
وفي ضمنها الكتابات الخمسة التي اعتبرها العلماء النموذج الأول والأقدم للكتابات
المدونة بلغة قوم كانوا يتكلمون بالعربية ، غير ان عريتهم كانت متأثرة بالنبطية
عند الكتابة . أو انهم كانوا يكتبون بالنبطية ، غير ان نبطيتهم لم تكن صافية

١ المزهر (٣٤١/٢) ، (النوع الثاني والاربعون : معرفة كتابة اللغة) .

٢ الفهرست (١٤) ، (الكلام على القلم الحميري) .

نقية ، بل كانت متأثرة بلغتهم اليومية العربية . وفي ضمنها كتابة (النارة) التي يعود عهدها الى سنة (٣٢٨) للميلاد ، وكتابة (حرّان اللجا) التي هي أقرب هذه الكتابات الى عربيتنا . ونظراً الى ما نجده من تشابه في رسم الحروف بين أقدم الكتابات العربية وبين الخط النبطي ، وفي قواعد الإملاء وترتيب الأبجدية ، فلا يستبعد أن يكون أهل مكة قد أخذوا هذا الخط فكتبوا به . باحتكاكهم بأهل أعالي الحجاز وبلاد الشام حيث كانوا يتاجرون معهم ، أو بمجيء النبط اليهم للإتجار تعلمه أهل مكة منهم .

وذهب الدكتور (خليل يحيى نامي) ، الى أن أصل الكتابة العربية من الحجاز ، لما كان للحجاز من مكانة روحية عند العرب ولاشتغالهم بالتجارة . والمكانة الروحية والتجارة تستدعيان القراءة والكتابة أخذوها من التجار النبط الذين كانوا يتوافدون عليهم للإتجار أو من اختلاطهم بالنبط أثناء ذهابهم الى بلاد الشام . فهو يرى أن الخط النبطي هو والد الخط العربي ، ودليله أن ترتيب الحروف على طريقة أبجد هوز ، وترتيبها من حيث حساب الجمل ، أي جعل كل حرف من حروف أبجد هوز في مقابل رقم حسابي ، يردان في عربيتنا على نحو ما ورد عند النبط . مما يدل على أن الخط العربي أخذ من ذلك الخط ، أضف الى ذلك تشابه رسم الحروف المنفصلة والمتصلة في القلمين^١ .

وأما موضوع أخذ أهل مكة خطهم المذكور من العراق ، فرأي لا أستبعده أيضاً ، فقد كان عرب العراق يكتبون ، ولهم مدارس لتعليم الكتابة ملحقة بالكنائس والأديرة ، وقد كان بين أهل مكة وبين عرب العراق ولا سيما الأنبار والخيرة اتصال تجاري وثيق ، وكان تجار مكة يأتون بتجارهم الى الخيرة وقيمون بها ، فلا يستبعد تعلمهم أو تعلم بعضهم الخط من أهل الخيرة ومن أهل الأنبار . كما كان للتبشير يد في نقل هذا الخط الى الحجاز وربما الى مواضع أخرى من جزيرة العرب . وقد كان هؤلاء المبشرون يكتبون بقلم نبطي أو بقلم إرمي متأخر ، وهو والد القلم العربي الذي نكتب به . وقد كان المبشرون من أهل العراق نشطون في التبشير في جزيرة العرب ، فلا يستبعد أن يكون من بينهم مبشرون حبريون

١ خليل يحيى نامي ، مجلة كلية الاداب ، الجامعة المصرية ، ١٩٣٥ م ، مجلد ٣ ، جزء ١ (ص ١٠٢ وما بعدها) .

نقلوا الكتابة الى (دومة الجندل) والحجاز ومواقع أخرى من جزيرة العرب .
وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان كتبة الوحي ، إنما كتبوا بخط أخذ من
(الجزم) ، أي من خط أهل الحيرة . وذلك بحكم اتصال أهل مكة بالحيرة ،
اتصالاً تجارياً ، فتعلموه منهم^١ . فهم يوافقون بذلك بعض الروايات العربية التي
ترجع علم أهل مكة بالكتابة الى الحيرة .

وقد بقي أهل الحيرة يكتبون للولاء ، ويقرأون عليهم ما يرد اليهم من رسائل
أهل العراق وبلاد الشام ، وذلك لحسن خطهم واتقانهم الكتابة . فكان لأبي موسى
الأشعري كاتب ، ولما سأله (عمر) عن سبب اتخاذه كاتباً من النصارى أجابه :
(له دينه ولي كتابته) . ولما أراد (عمر) اختيار كاتب حاذق حافظ ذكر له
غلام نصراني من أهل الحيرة^٢ .

ومما بلغت النظر ويسترعي الانتباه ، هو أن المنطقة التي يذكر أهل الأخبار
أنها كانت الأرض التي نبت بها الخط العربي ، وهي الأنبار والحيرة ، لم تعط
الباحثين حتى الآن أي نص مكتوب . كما أن مكة المدينة الآخذة للخط لم تعطنا
أيضاً أي نص جاهلي مكتوب . مع أن نصوص هذه الأرضين تمنا بصورة خاصة ،
لما لها من علاقة بالخط العربي الذي نتكلم عنه ، وباللغة التي نزل بها القرآن
الكريم ونظم بها الشعر الجاهلي ، وبالأدب الجاهلي . فلم لم تصل نصوص الينا
من العراق ولا من مكة مع أن أهل مكة كانوا يكتبون عند ظهور الإسلام ،
وكذلك أهل الحيرة كانوا يكتبون ، ولهم دواوين في أخبارهم ، رجّع اليها
ابن الكلبي ، كما نص على ذلك . هل سبب عدم وصولها ، أن الذين كتبوا بهذا
القلم إنما كتبوا على مواد سريعة التلف وبالجبر ، ولذلك ، تلفت ، ولم تتمكن
من العيش طويلاً . كما تلفت مخطوطات أهم منها شأناً مثل النسخ الأولى للقرآن
الكريم ، والنسخ الأصلية من رسائل وكتب الرسول الى الملوك والأمراء والى أصحابه .
وكذلك مخطوط الخلفاء الراشدين وسجلات دواوينهم وما شاكل ذلك من وثائق .
قد يكون ما ذكرته هو السبب في عدم وصول نص من هذه الأرضين الينا ،
وقد تكون هنالك أسباب أخرى . على كل ، علينا ألا نياس من المستقبل ، فلعل

Die Araber, II, S. 357.

١
٢ عيون الاخبار (٤٣/١) .

الباحثين سينقبون في باطن الأرض وينبشون الأماكن الأثرية فيجدون أشياء ، هي تحت قشرة الأرض في الوقت الحاضر . فيكون من يأتي بعدنا سعداء بالطبع لوقوفهم على أشياء حرمنا من رؤيتها نحن فصرنا في جهل من أمرها ، وصاروا هم في نعيم من العلم .

وقد ذهب (جرجي زيدان) الى أن المصريين الذين تحضروا وأقاموا في العراق وفي بلاد الشام ، اقتبسوا الكتابة من جيرانهم ، فكتب منهم من كتب بالعبرانية وكتب منهم من كتب بالسريانية ، ولكن القلمين النبطي والسرياني ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الإسلامية ، فتخلف عن الأول الخط النسخي (الدارج) وعن الثاني الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الإسلام الحيري نسبة الى الحيرة ، وهي مدينة عرب العراق قبل الإسلام وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها .

ومعنى ذلك أن السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السرياني ، في جملتها قلم يسمونه (السطرنجيلي) كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس ، فاقتبسه العرب في القرن الأول قبل الاسلام ، وكان من أسباب تلك النهضة عندهم وعنه تخلف الخط الكوفي . وهما متشابهان الى الآن^١ .

ثم تعرض الى ناقل الخط الى مكة ، فقال : « واختلفوا فيمن نقله الى بلاد العرب ، والأشهر أن أهل الأنبار نقلوه ، وذلك أن رجلاً منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، تعلم هذا الخط من الأنبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان والد معاوية ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثُر من يكتب بمكة من قريش عند ظهور الإسلام ، ولذلك توهم بعضهم أن أول من نقل الخط الى العرب سفيان بن أمية^٢ .

ولما أراد ابداء رأيه في أصل الخط العربي جمع بين الرأيين : الرأي القائل أن أصل الخط العربي من العراق ، والرأي القائل أن أصله من حوران ، فقال : « والخلاصة على أي حال ان العرب تعلموا الخط النبطي من حوران في أثناء

١ تأريخ التمدن الاسلامي (٥٨/٣) ، (الخط العربي) .
٢ تأريخ التمدن الاسلامي (٥٨/٣) ، السجستاني ، المصاحف (٤) .

تجاراتهم الى الشام ، وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبل الهجرة بقليل ، وظل الخطان معروفين عندهم بعد الإسلام . والأرجح أنهم كانوا يستخدمون القلمين معاً: الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الأسفار المقدسة النصرانية ، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي - فضلاً عن شكله - أن الألف اذا جاءت حرف مدّ في وسط الكلمة تحذف، وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية، وكان ذلك شائعاً في الإسلام ، وخصوصاً في القرآن، فيكتبون (الكتب) بدل (الكتاب) ، و (الظلمين) بدل (الظالمين)^١ .

والقلم الكوفي هو من أقدم الأقلام العربية الإسلامية . وهو كما ذكرت قبل صفحات ، قريب الشبه بالقلم السطرنجيلي ، قلم المصاحف عند نصارى العراق ، ومن أجلّ أعلامهم لاستخدامه في كتابة الكتابات الدينية ، ومنها الأناجيل . وقد أخذ من القلم الحيري على ما يظهر ، لأن أهل الحيرة كانوا يكتبون (الجزم) ، والجزم وليد السطرنجيلي ، ذلك لأن الكوفة نشأت في خلافة (عمر) ، فانتقل اليها في جملة من انتقل اليها أهل الحيرة ، الكتاب بالقلم الجزم . ولهذا صار قلم الكوفة ثقيلاً في الكتابة ذا زوايا مربعة وحروفاً مستقيمة ، والكتابة تميل الى التربع^٢ . وقد أخذ من (الجزم)^٣ ، ونسب الى الكوفة لظهوره لأول مرة بها في الإسلام .

ولا يستبعد أيضاً أخذ أهل مكة خطهم المدور المسمى (النسخ) من (حوران) أو من (البتراء) و (العلا) فبين مكة والمكانين المذكورين اللذين سكن بهما النبط اتصال وثيق . أو من الحيرة أو الأنبار . فالخط المدور هو قلم النبط المتأخر ، وقلم كتبه العراق أيضاً ، وهو والد القلم (النسخ) . ومن الخطأ اعتبار (النسخ) وليد الخط الكوفي^٤ . لأن الخط الكوفي هو الجزم أو قلم آخر مثله اشتق من القلم المربع الزوايا (السطرنجيلي) ، بينما النسخ وليد القلم المدور الذي أستطيع تسميته

١ تاريخ التمدن الاسلامي (٥٩/٣) .

٢ الابحاث ، ١٩٥٢ م ، (١٥ ص) .

٣ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، ١٩٥٢ م ، (ص ٤٢١) .

٤ الابحاث ، ١٩٥٢ م (١٥ ص) .

بالمشق مجارة للبطلنوسي ، الذي شخصه بأنه قلم أهل الأنبار .

ويرى بعض الباحثين أن القلم العربي قد أخذ من قلم بني إرم . وذلك أن السريان الذين هم من (بني إرم) كانوا قد طوروا القلم الإرمي ، وكتبوا بقلمين : قلم قديم كتبت به الأناجيل والكتب المقدسة ، وهو المربع ، ذو الحروف المستقيمة ذات الزوايا المربعة ، الذي هو الخط (الاسطرنجيلي) ، وقلم سهل ذو حروف مستديرة أي على شكل أقواس ، هو قلم النسخ . وقد عرف العرب القلمين وكتبوا بهما ، فسموا السهل النسخ والآخر الكوفي^١ .

وحجتهم في ذلك ان القلم العربي أخذ بترتيب (أبجد هوز حطي) ، وهو ترتيب وجد في لغة (بني إرم) ، كما أخذ بهذا الترتيب بحساب الجمل . وهو ترتيب موجود عند بني إرم أيضاً . كما أخذ بقواعد من قواعد رسم الحروف في الإملاء موجودة في خط (بني إرم) ، مثل قاعدة ربط أو فصل الحروف عند تدوين الكلمة ، وقاعدة حذف الألف عند وقوعه في وسط الكلمة ، في رحمان ومساكين ويتامى ومساجد وكتاب وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ، فلما كتبت في خط المصاحف بدون ألف . ومثل حذف ألف فاعل وتفاعل في السريانية وفي العربية أيضاً ، كما في بارك حيث كتبت (برك) في خط المصاحف ، ومثل حذف الألف من ضمير الجمع المتكلم (نا) ، كما في (أرسلناك) و (اصطفيناه) و (بشرناه) ، في موضع (أرسلناك) و (اصطفيناه) و (بشرناه) ، وذلك في خط المصاحف ، وحذف ألف جمع المؤنث السالم في السريانية وفي العربية ، كما (صدقت) و (طيبت) ، بدلاً من صدقات وطييات . ومن هذا القبيل أيضاً ، تدوين (شهد) و (كفهرين) ، بدلاً من شاهد وكافهرين . ومثل حذف ياء المتكلم في السريانية وفي القلم العربي القديم ، كما في كتابة يرب في موضع يا ربي^٢ .

ورأيت ان القول الجزم في أصل قلم أهل مكة ، هل هو من العراق أو من بلاد الشام ، يجب أن يكون للكتابات . فتي عثرنا على كتابات مدونة بالعربية

١ الدراسات الادبية ، العدد الاول ، السنة الثانية ، ١٩٦٠ م (ص ٧٦ وما بعدها) ،
(مقال للدكتور أنيس فريجة) .

٢ الدراسات الادبية ، السنة الثانية ، العدد الاول (ص ٧٦ وما بعدها) .

بالحيرة أو بالأنبار أو بالأماكن الأخرى من العراق تعود الى الجاهلية والى صدر الاسلام وعلى كتابات مثلها من حيث الزمن يعثر عليها في بلاد الشام وفي الحجاز أو نجد أو أي مكان آخر من جزيرة العرب ، وقارناها بعضها ببعض ، وطابقنا فيما بين خطوطها ورسم حروفها وما شاكل ذلك ، جاز لنا حيثنشد القول بأصل قلم مكة والأفلام الأخرى المشابهة له . وبأصل اللغة التي دونت به، ومزاياها والأماكن التي كانت تتكلم بها . وعندئذ نحل مشكلة أصل اللغة العربية الفصحى أيضاً ، وهي من أهم مشكلات تأريخ الأدب الجاهلي ولا شك .

وأما جمهرة المستشرقين المعاصرين الذين عنوا بدراسة تطور الخطوط السامية ، ومنشأ الخطوط العربية ، فقد رأوا ان الخط العربي الذي دون به القرآن أخذ من الخط النبطي المتأخر الذي كان يستعمله النبط ، وهو خط تولد من القلم الإرمي المنفرع من الفينيقية على رأي المستشرق (هومل)^١ . وقد استعمل في تيماء وبين النبط الذين كانوا يقيمون في أعالي الحجاز وفي سينا^٢ . وقد عثر على كتابات دونت به في مواضع مختلفة من الحجاز واليمن .

وسند القائلين بهذا الرأي ودليلهم هو عدد من الكتابات عثر عليها السياح ، كتبت بلهجة غير بعيدة عن اللهجة العربية التي نزل بها القرآن، وبحروف مرتبطة، وبالقلم النبطي المتأخر الشبيه جداً بأقدم الخطوط العربية ولا سيما الكوفية منها . ومن مميزاته ارتباط بعض حروفه ببعض وكتابة بعض الحروف في نهاية الكلمة بشكل يختلف عن رسم الحروف التي من نوعها المستعملة في أوائل الكلمة أو أساسها .

ولهذه الكتابات على قلة عددها أهمية كبيرة لدى العلماء ، لما لها من خصائص ومميزات لغوية تفيّد في دراسة تطور اللهجات العربية ، وفي دراسة تطور القلم العربي . وقد تكون مقدمة لعدد آخر من الكتابات المكتوبة بهذا الخط .

Ency. Brita., I, p. 684, Grundriss, I, S. 154.

ناصر النعشبندي ، منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، مجلة سومر ، كانون الثاني ١٩٤٧ م ، (١٢٩ وما بعدها) ، خليل يحيى نامي ، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، المجلد الاول ، الجزء الاول ، مايو ١٩٣٥ م .

Ency. Brita., I, p. 684.

وأقدم هذه الكتابات الكتابية التي يقال لها كتابة (أم الجبال) الأولى ويعود تأريخها الى سنة (٢٥٠) أو (٢٧٠) للميلاد . وقد وضعت شاهداً على قبر (فهر برسلي) (فهر بن سلي) مربي (جدبعت) (جدمت) (جدمعة) (جدمعة ملك) (تنوخ) (تنوخ) ، وعثر عليها في موضع يقال له (أم الجبال) ، في جنوب حوران من أعمال شرق الأردن^١ . ويعتقد (ليمان) ، أن تأريخ هذا النقش لا يبعد كثيراً عن تأريخ كتابة أخرى هي كتابة النارة (ن م ر ت) . ونجد في هذه الكتابة حروفاً غير مرتبطة وحروفاً مرتبطة مشابهة لبعض حروف الخط الكوفي . وقد كتبت بالإرامية ، ومع ذلك فإن لها أهمية لوجود أسماء عربية فيها ، ولأن القبائل العربية الشمالية كانت تستعمل الإرامية في الكتابة^٢ .

وقد عثر الباحثون على كتابات معدودة سبقت هذه الكتابة ، دُوِّنت بالقلم النبطي أيضاً ، هي كتابة عثر عليها في (وادي المكتب) في طور سيناء ، يعود تأريخها الى سنة (١٠٦) من سقوط (سلع) ، المقابلة لسنة (٢١٠) للميلاد، وكتابة ثانية يعود تأريخها الى سنة (١٢٦) من سقوط (سلع) أي سنة (٢٣٠) للميلاد . وقد وجدت في وادي فران بطور سيناء كذلك ، وكتابة ثالثة هي من كتابات (طور سيناء) أيضاً ، وقد أرخت بسنة (١٤٨) من سقوط (سلع) أي سنة (٢٥٣) للميلاد ، وكتابة رابعة عثر عليها في الحجر ، وتأريخها سنة (١٦٢) من سقوط (سلع) ، أي سنة (٢٦٧) للميلاد .

ولكن هذه الكتابات بعيدة بعض البعد عن القلم العربي ، وأما لغتها فنبطية ، ونجد نص (الحجر) (مدائن صالح) ، وقد حوى كلمات كتبت بقلم ثمودي . ولذلك فإن له ميزة من هذه الناحية على الكتابات الأخرى ، ومنطقة الحجر من

١ السامية (١٣٩) ، (سنة ٢٧٠) ، خليل يعحى نامي : أصل الخط العربي وتطوره الى ما قبل الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، مايو ١٩٣٥ ،
De Vogue, Syrie Centrale, Inscriptions Sémitique, PL. 15, 11.

٢ السامية (١٤٠) ، مجلة سومر (م ٣ ، ح ١ ، كانون الثاني ١٩٤٧ ، ص ١٣٠) ،
Nabia, 4, Littmann, Nabataen Inscriptions from the Southern Hauran,
Princeton University Expeditions to Syria, in 1904-1905, and 1909, p. 37,
Cantanean, Nabatéen et Arabe, pp. 72-79, Institut d'Etudes Orientales,
Annales, I, 1934-1935.

المناطق التي عثر فيها على عدد من كتابات قوم ثمود . ونظراً الى أن خط نص (أم الجمال) أقرب الى الخط العربي من الكتابات المذكورة التي سبقتها ، لذلك قدمته عليها .

ونلي كتابة أم الجمال الأولى في الزمن كتابة النارة ، وقد عثر عليها المستشرق الفرنسي (دوسو) M. René Dussaud في النارة في الحرة الشرقية من جبل الدروز ، و (النارة) قصر صغير كان للروم . وجدها على قبر امرئ القيس الأول ابن عمرو ملك العرب المتوفى في يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ ، المقابلة لسنة ٣٢٨ للميلاد ، وقد دونت سنة الوفاة ، وهي سنة تأريخ الكتابة كذلك وفقاً لتقويم (بصرى) وهو التقويم الذي كان يستعمله عرب هذه الأطراف ونبطها . وتعد هذه الكتابة أول كتابة وأقدم كتابة عثر عليها حتى الآن مدونة باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن ، وإن كتبت بالقلم النبطي المتأخر وبأسلوب متأثر بالإرامية ^١ .

وعثر على كتابة في خرائب (زبد) بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب ، كتبت بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ، يرجع تأريخها الى سنة (٦١٢) للميلاد (٨٢٣) للتقويم السلوقي ^٢ . والمهم عندنا هو النص العربي ، ولا سيما قلمه العربي . أما من حيث مادته اللغوية ، فإن أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة ^٣ . وقد قرأ العالم (ليدزبارسكي) الكلمة الأولى منه (بسم) . أما الكلمة الثانية ، فهي (الإله) فأصبح مطلع النص : (بسم الإله) ، فإذا كانت القراءة هذه صحيحة ، تكون لكلمة (بسم الإله) أهمية كبيرة في موضوع الفكرة الدينية . أما العالم (ليتمان) فقد قرأ الكلمة الأولى منه (بنصر) ، فتكون فاتحة النص : (بنصر الإله) ^٤ .

١ Fritz Hommel ,Grundriss der Geographie und Geschichte des alten Orients, München, 1904, BD., I, S. 155, Dussaud, Les Arabes en Syrie, p. 34, Nabla, p. 4, Revue Archéologique, 31 Série, XLI, (1911), p. 411.

٢ Grundriss, I, S. 156, E. Sachau, Eine Dreisprachige Inschrift aus Zebad : Monatsberichte der Preussische Akademi der Wissenschaften, Berlin, 10 Febr. 1881, S. 169, Zur Trilinguis Zebedaea, in ZDMG., 36, 1882), S. 345 - 352.

٣ السامية (١٩١) • Lidzbarsky, Handbuch der Nordsemit. Epigraphik, Weimar, 1898, S. 484, Ephemeris, Giessen, 1902, BD., 2, S. 35.

٤ السامية (١٩١) • A. Littmann, in Rivista degli Studi Orientali, 1911, p. 195.

وقد دون النص العربي على هذه الصورة :

١ - ..م الإله سرحو بر امت منفو وهني برمر القيس .

٢ - وسرحو بر سعدو وسترو وشريحو بتميمي .

ومعناه : بسم الإله . سرحو بن أمت منفو ، وهني بن امرئ القيس ،
وسرحو بن سعدو ، وستر (ستار) (ساتر) وشريح . أتموا .

والنص العربي ، ليس ترجمة للنص السرياني أو اليوناني ، لذلك ذهب بعض
الباحثين الى احتمال كونه متأخراً بالنسبة الى النصين المذكورين ، أي انه كتب
بعدهما . وهو يتناول تخليد عمل المذكورين في بناء الكنيسة .

وعثر المستشرقون في حرّان اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز على كتابة
أخرى مدونة باليونانية والعربية قيل لها (نقش حرّان) ، وقد وضعت فوق
باب كنيسة ، وصاحبها (شرحيل بر ظلمو) (شرحيل بن ظالم) (شرحيل بن
ظالم) ، ويعود تأريخ الكتابة الى عام (٤٦٣) من (الأندقراطية الأولى) ، وتقابل
سنة (٥٦٨) للميلاد^١ . أما النص العربي ، فقد أرخ بسنة (٤٦٣) أيضاً ،
وأضيف الى هذا التأريخ عبارة (بعد مفسد خير بعم) أي (بعم) . ومعنى هذا
ان حدثاً تاريخياً كان قد وقع قبل هذا التأريخ بسنة صار الناس هنالك يؤرخون
به ، فأرخ النص به . ويرى (ليتمن) ان ذلك يعني وقوع غزو على خير ربما
قام به أحد ملوك غسان^٢ .

وهذا النص هو من أهم النصوص المتقدمة وأكثرها قيمة بالنسبة لمؤرخ اللغة
العربية ، لأنه نص دون بلهجة القرآن الكريم ، باستثناء أثر سهل للنبطية برز
عليه . ولأهميته هذه أدوته على نحو ما جاء في النص العربي : (انا شرحيل بر
(بن) ظلمو بنيت ذا المرطول (سنت) سنة ٤٦٣ بعد مفسد خير (بعم)
(بعم) . فأنت أمام نص عربي واضح ، تفهمه من دون صعوبة ولا مشقة .

١ السامية (١٩٢) .

Nabia p. 5, Dussaud, Mission, p. 324, Grundriss, S. 156, Schröder, in ZDMG.

38, (1884), p. 530.

٢ السامية (١٩٢) .

A. Littmann, In Revist, 1911, p. 195, Nabia, p. 5, Littmann, in Zeitschrift
für Semitistik und verwandte, Gebiete, Leipzig, 1922, VII, S. 197.

على حين نجد النصوص الأخرى وقد كتبت بنبطية متأثرة بالعربية الشمالية بعض التأثير . ولهذا فإني أفرّق بين هذا النص وبين النصوص السابقة له ، وأعدّه أول نص وصل إلينا حتى هذا اليوم كتب بلهجة عربية القرآن الكريم .

وتعد الكتابة التي عثر عليها في موضع (أم الجبال) وقيل لها كتابة (أم الجبال الثانية) تفريقاً لها عن كتابة أم الجبال الأولى ، أحدث ما عثر عليه من كتابات بهذا القلم الذي نتحدث عنه ، وباللهجة النبطية المتأثرة بلهجة القرآن ، أو باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن . وهي لا تحمل تاريخاً . غير أن من عالج أمرها من المستشرقين يرى أنها تعود إلى القرن السادس للميلاد^١ . ولغتها قريبة من اللغة العربية المعروفة ، كما أنها متحررة من النبطية والإرمية إلى حد كبير .

وعثر في اليمن على بعض كتابات نبطية لعلها من آثار التجار النبط الذين كانوا يذهبون إلى اليمن بقصد التجارة ، ولا سيما في القرنين الأولين للميلاد ، أو من آثار تجار أهل الحجاز أو من أهل اليمن ، كانوا قد تعلموا الكتابة بهذا القلم الذي أخذ ينتشر بعد الميلاد لأنه أسهل في الاستعمال من المسند الذي يحتاج إلى دقة في الرسم ، وإلى بطلان في الكتابة . ولوحظ أن إحدى هذه الكتابات كتبت بالقلم النبطي المتأخر الذي يشبه القلم الذي استعمل في نقش (فهر بن سلي)^٢ .

ولكن العلماء لم يتمكنوا من العثور على عدد كاف من الكتابات المدونة بهذا القلم، تكفي لإصدار حكم علمي عن وقت دخول القلم النبطي المتأخر إلى الحجاز واليمن ومدى انتشاره بين الناس . ولما كان القلم النبطي المتأخر قد ظهر بعد الميلاد على رأي أكثر العلماء ، يكون هذا الخط قد وصل الحجاز واليمن بعد الميلاد بالطبع بالاتصال التجاري والقوافل السّبي كانت تقوم برحلاتها بين اليمن وبلاد الشام ، وبواسطة النصرانية التي وجدت لها سبيلاً إلى اليمن .

ويلاحظ أن السّدين كتبوا بالقلم العربي الشمالي ، الذي أخذ منه قلم مكة ، هم من العرب النصاري في الغالب ، فأهل الأنبار ، والحيرة ، وعين الشمس ،

^١ Nabia, p. 5, PL. 15, Littmann, in Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, 1922, VII, 197-204.

^٢ Nabia, p. 5, PL. 15, Littmann, in Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, 1922, VII, S. 197-204.

ودومة الجندل ، وبلاد الشام ، كانوا من النصارى ، فلا استبعد احتمال استعمال رجال الدين للقلم السرياني المتأخر ، الذي كوّن القلم النبطي في كتابة العربية ، حاجتهم الى الكتابة في تعليم أولاد النصارى الكتابة ، وتثقيفهم ثقافة دينية ، فكانوا يعلمونها في المدارس الملحقة بالكنائس ، وربما نشروها في البحرين ، أي في سواحل الخليج حيث كانت هنالك جاليات نصرانية ، وفي الأماكن الأخرى من جزيرة العرب التي كانت النصرانية قد وجدت سبيلاً لها بينها ، ولا استبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على كتابات مطمورة كتبت بهذا القلم .

ونفيدنا دراسة شكل خط هذه النصوص فائدة كبيرة في الوقوف على تطور الخط العربي ، فبين رسم هذه الخطوط وبين رسم أقدم الخطوط العربية الإسلامية تقارب كبير ، يشير الى اشتقاق القلم الذي دوّن به الوحي من هذا القلم ، وهو القلم الذي كان يكتب به عرب العراق كذلك على ما أرى . وهو قلم وصل بين حروفه ، وفصل في مواضع أخرى . وهو يختلف بذلك عن القلم المسند الذي استعمل حروفاً منفصلة فقط ، ولم يعرف الحروف المتصلة ، كما ان شكل حروفه بعيد جداً عن شكل حروف هذا القلم ، وهو أسهل وأسرع في الكتابة على الكاتب من المسند .

ونرى في هذه الصورة التي تضم رسم الحروف في الخط النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، تشابهاً كبيراً في الشكل ، ينبثق بوجود نسب بين القلمين ، وان القلم العربي القديم ، قد تولد منه . ولا أستبعد ان يكون قلم أهل الحيرة هو هذا القلم نفسه ، استعملوه في تدوين العربية . وقد رأينا ان النصوص القليلة المكتوبة بنبطية متأثرة بالعربية ، قد كتبت بهذا القلم ، وبينها نص (الهار) الذي هو شاخص قبر (امرىء القيس) أحد ملوك الحيرة .

ولاني لا أستبعد احتمال عثور المنقبين والباحثين في المستقبل على كتابات عربية قديمة تعود الى الجاهلية الملاصقة للإسلام والى أيام الرسول بكثرة تمكن العلماء من وضع رأي واضح عن منشأ وتطور الخط العربي القرآني .

وقد استعملت جملة (الخط العربي القرآني) ، لأن القرآن هو في الواقع صاحب الفضل على هذا الخط في تخليده وتثبيتته لأمر الرسول بتدوين الوحي به ، اي بهذا القلم العربي القديم الذي أتحدث عنه ، الذي أخذه أهل مكة عن أهل

(الحيرة) ، أو عن (بشر بن عبد الملك) السكوني ، من (دومة الجندل) على رواية أهل الأخبار . واني أرى ان للبحث عن الكتابات العربية القديمة في الحجاز وفي (دومة الجندل) و (الحيرة) و (الأنبار) و (عين التمر) ، وفي القرى العربية الأخرى التي أقيمت على الفرات وفي بلاد الشام أهمية كبيرة بالنسبة لبحثنا في تأريخ نشوء وتطور الخط العربي القرآني ، لأنني أكره الطرق التي يأخذ بها بعض الباحثين من اللجوء الى الحدس والظن في وضع آراء علمية قاطعة ومهمة ، مثل الخط ومنشئه وتطوره وما شابه ذلك ، لمجرد رأي ورد عند أهل الأخبار ، أو ظن مال اليه عالم ، وعندني ان آراء مثل هذه يجب ألا تقال إلا باستناد على دليل مادي ملموس ، مثل أثر ، أو مصدر تأريخي قديم محترم .

والصورة التي نراها في الصفحة المقابلة تمثل نماذج من القلمين : القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ، مأخوذة من مختلف الصور الأصلية التي عثر عليها العلماء في مختلف الأنحاء من العراق وبلاد الشام وجزيرة العرب .

ويرى المستشرق (وايل) Weil أن الترتيب الذي يرد للحروف العربية على طريقة : (أبجد هوز حطي ... الخ) ، هو ترتيب أخذته العرب من النبط أو اليهود ، وقد أخذه النبط والعبرانيون من القلم الإرمي . وتشير هذه الطريقة بكل جلاء الى اشتقاق القلم العربي من القلم النبطي المتفرع عن الخط الإرمي^١ . أما الترتيب الذي عند الكنعانيين ، فهو هذا الترتيب مع زيادة الأحرف التي اقتضى وجودها في طبيعة لغتهم . ويرى بعض العلماء أن العبرانيين أخذوا ترتيبهم هذا من الكنعانيين^٢ . ونجد هذا الترتيب عند الفينيقيين أيضاً ، ولهذا يرى بعض الباحثين أن العبرانيين والآراميين أخذوا الكتابة من الفينيقيين ، وأخذوا منهم استعمال الحروف للعدد أيضاً ، على نحو ما نجده في العربية من استعمالها في حساب الجمل^٣ .

وقد وضع علماء العربية بعد (قرشت) التي يمثل حرف (التاء) فيها آخر حروف الأبجدية التي بلغ عدد حروفها اثنان وعشرون حرفاً ، الحروف التي لم ترد

1 Ency. I, p. 68.

2 السامية (١٠٢) .

3 الأبحاث ، (١٩٥٢ م) (١ ص ٥ وما بعدها) .

في هذه الأبجدية ، ولكنها ترد في العربية ، ودعواها بـ (الروادف)^١ . وضعوها بصورة ينفي عنها كل نشازٍ قد يظهر بين رسمها ورسم الحروف الأخرى ، وذلك باعتمادهم على تكرار الحرف ، وبذلك أولدوا الروادف المذكورة^٢ .

ويظهر من الروايات العربية القديمة أن كتاب الجاهلية المتصلة بالإسلام وكتاب صدر الإسلام كانوا يسيرون في تعلم الكتابة على طريقة (أبجد هوز) أي على طريقة الآراميين والنبط والعبرانيين . وقد ورد في الأخبار أن الناس في أيام (عمر ابن الخطاب) ، كانوا يتعلمون الكتابة على طريقة (أبجد هوز) . قال (القلقشندي) : « وقد جاء أنها كانت تُعلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويشهد لذلك قول الأعرابي في أبياته :

أتيت مهاجرين فعَلَّمُونِي ثلاثة أسطرٍ متتابعات
وخطروا لي أباجاد وقالوا : تعلم سجعاً وقريشات^٣ »

والترتيب الذي يعمل به الآن في البلاد العربية من الابتداء بالألف ثم بالباء ، فالتاء ، فالثاء ، فالجيم ، فالحاء ، فالخاء ... هو ترتيب وضع في زمن (عبد الملك بن مروان) ، عمل به (نصر بن عاصم) ، و (يحيى بن يعمر) العدواني . وقصد به ضم كل حرف الى ما يشبهه في الشكل ، وقد ساد هذا الترتيب ومشي. وجرى عليه أصحاب الصحاح ولسان العرب والقاموس ، وتاج العروس، وأصحاب معاجم اللغة في هذا اليوم^٤ .

أما ما ورد في بعض الروايات من ان (أبا ذر الغفاري) سأل رسول الله عن الحروف ، فقال له انها تسع وعشرون ، وانها نزلت على ترتيب : (ا ب ت ث ج) ، أي على الترتيب الذي نسير عليه في الوقت الحاضر ، وانه عجب من قول الرسول له انها تسع وعشرون ، لأن حروف العربية هي ثمان وعشرون ،

Ency. I, p. 68.

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ١٩٥٩ م ، (ص ٥٧٦) .

٢ صبح الاعشى (١٩/٣) .

٣ حفني بك ناصف ، تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية ، (القاهرة ١٩٥٨ م) ،
(الطبعة الثانية) ، (الكتاب الاول) ، (ص ٢٧) .

ومن تأكيد الرسول له انها تسع وعشرون ، نزلت كلها على آدم^١ . فخير غير صحيح ولا يُعول عليه ، وهو موضوع ، لما ذكرته من ان الترتيب المذكور انما ظهر في الاسلام .

هذا وإن مما يؤسف له كثيراً اننا لا نملك اليوم كتابة واحدة من الكتابات المدونة في أيام الرسول ، ولا نملك اي نسخة من نسخ القرآن او من صحفه المدونة في ايامه . فلا نملك اليوم نسخة حفصة للقرآن الكريم ، ولا نسخة (عثمان ابن عفان)^٢ ولا النسخ التي دوت بأمره لتوزع على الأمصار ، ولا أية نسخ أخرى من النسخ التي دوتها الصحابة لأنفسهم. ولا نملك النسخ الأصلية للمراسلات التي كان يأمر الرسول بتدوينها لترسل الى الملوك او سادات القبائل والأمراء . نعم يقال إن هناك نسخاً من المصاحف ترجع الى ايام الخلفاء ، وقد دوت بعض منها بأقلام أجلة الصحابة ، وان هناك بقية من رسائل الرسول وان هناك كتابات يرجع تأريخها الى أيام الرسول^٣ ، ولكن المتبحرين في العلم العارفين بكيفية تثبيت أعمار الوثائق لم يتمكنوا من البت في صحة هذه الدعاوى ، ولم يقطعوا بصحة هذه الوثائق . لذلك فليس لنا أمام هذه الحجج التي أبدت عن هذه الآثار سوى التحفظ والتوقف عن ابداء رأي فيها ، فلعل الأيام تهيء للقادمين من بعدنا وثائق جديدة تعود الى الأيام التي نبحث فيها .

هذا وان من الممكن التثبت في الوقت الحاضر من صحة الوثائق المنسوبة الى أيام الرسول او أيام من جاء بعده ، بعرضها على الفحوص المخبرية الحديثة ، التي باستطاعتها تقدير أعمارها ، وتثبيت أسنانها ، ولكني لا أعلم ان أحداً عرض هذه الوثائق لمثل هذه الفحوص .

هذا وللمادة التي دوت عليها تلك الكتابات ولندرة الورق إذ ذاك ولغلاء ثمنه ، ولعدم ادراك الناس في ذلك الوقت لأهمية حفظ الوثائق ، ولتعرض تلك الوثائق الى عوامل عديدة من عوامل التلف والبلل مثل الحريق والماء والأرضة وما شاكل

- ١ صبح الاعشى (٧/٣ وما بعدها) ، (المسلك الثاني في وضع الحروف العربية) .
- ٢ ليس فيما يقال عن وجود نسخة عثمان من مصحف عثمان في « استانبول » أو في أماكن أخرى أساس من الصحة ، وانما هو زعم من غير دليل .
- ٣ M. Hamidullah, Some Arabic Inscriptions of Medinah of the Early Years of Hijrah, Islamic Culture, Vol. 13, NUM : 4, 1939, p. 427.

ذلك ، دخل ولا شك في اختفاء الخطوط القديمة التي دوت في الجاهلية المتصلة بالاسلام وفي صدر الاسلام ، مما أضاع علينا فوائد كثيرة كنا سنتفع بها لو كنا نملك تلك الوثائق ، ولكن من يدري فلعل الأيام ستعطف على الباحثين المساكين المتعطشين دوماً الى الوقوف على أخبار الماضين ، فتقدم لهم وثيقة او جملة وثائق تكون خير هدية لهؤلاء ، لا يوازيها في نظرهم اي ثمن من الأثمان التي تقاس بالورق وبالجنهات او الدولارات .

ولكني أود أن أبين ان هذه الحقبة من الجاهلية المتصلة بالاسلام وكذلك أيام الرسول وأيام الخلفاء الراشدين هي حقبة شحيحة جداً بالكتابات ، فما عثر عليه من الكتابات فيها محدود ، مع انها من أهم الأزمنة بالنسبة لنا لأنها ذات صلة وعلاقة مباشرة بظهور الاسلام . وينطبق ما أقوله هنا على كتابات المسند كذلك وعلى الكتابات المدونة باللهجات الجاهلية الأخرى ، ولجميعها أهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخ الذي يريد شرح تأريخ تلك الأيام التي ظهر فيها الاسلام . وفي جملة هذا التأريخ تأريخ تطور الخطوط العربية .

واذا كان ما ذكره الدكتور (م . حميد الله) عن الكتابات التي وجدها على الطرف الجنوبي لجبل سلع في المدينة المنورة ، والتي يرى ان تأريخها يرجع الى غزوة الخندق ، اي الى السنة الخامسة من الهجرة ، صحيحاً من الوجهة العلمية ، فإننا نكون أمام أقدم كتابات عثر عليها حتى الآن بعربية القرآن الكريم^١ . وهي ستفيد الباحثين ولا شك في التعرف على تأريخ تطور الخط العربي ، وعلى أساليبه . وربما يعثر الباحثون في المستقبل على كتابات قد تكون أقدم من هذه أو من أيامها ، لأن البحث عن الكتابات والآثار بصورة منتظمة وعلمية لم يأخذ مجراه في الحجاز حتى الآن .

وأشار (عثمان رستم) Osman R. Rostem الى وجود كتابات بخط كوفي ومخطوط عربية أخرى في جبل سلع وفي وادي العقيق وعند جبل أحد وفي مواضع أخرى في مؤلفه عن الكتابات المدونة على الصخور في الحجاز ، لكنه لم يشر الى تواريخ تلك الكتابات ولم ينشر صورها كلها^٢ . هذا وقد أشار غيره الى وجود هذه

M.Hamidullah, In Islamic Culture, Vol. 13, Num : 4, October, 1939, p. 427.

Rock Inscriptions in The Hijaz, Le Caire, MCMXLVIII.

الكتابات . إلا أن أكثر ما كتب عن هذا الموضوع ، لم يكتب بقلم أصحاب الاختصاص ولم يصور تصويراً جيداً أو يدرس دراسة علمية في مكان وجوده . ثم إن معظم الكتابات لا تزال مهمة غير مصورة ولا منقولة مستنسخة ، لذلك فإن إبداء رأي علمي عن أصلها وتطورها غير ممكن في الوقت الحاضر . ولعل الحكومة السعودية ستهتم بهذه الناحية المهمة ، فترسل إلى الباحثين العرب والمسلمين أو المستشرقين تستفتيهم في أمر هذه الكتابات . بعد أن تطلب من المتخصصين دراستها في مكانها وأخذ صور جيدة لها ، وطبع نسخ بواسطة الجبس أو بوسائل أخرى لهذه الكتابات ، ليكون من الممكن دراستها دراسة علمية .

الإعجام والحركات :

ولا بد لي هنا من التعرض لناحيتين مهمتين من نواحي تطور الخطوط عند العرب . هما : الإعجام والحركات .

ويراد بالإعجام ، تنقيط الحروف المرسومة بشكل متقارب أو بشكل واحد ، لتمييزها بعضها عن بعض . وذلك لأن هذه الحروف مثل الباء والتاء والياء، والجيم والحاء والهاء، والذال والذال، والراء والزاء، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، والفاء والقاف ، إذا كتبت من غير نقط صار من الصعب على الإنسان التمييز بينها لأنها تكتب بشكل واحد ، فيلزم على القارئ عندئذ الرجوع إلى علمه في اللغة وسليقته في الفهم لإدراك المعنى ، لأنها بشكل وبرسم واحد . فالباء والتاء والياء بل وحرفا النون والياء أيضاً ، إذا كتبت في الكلمة ولا سيما في الوسط ، بغير نقط ، صار من الصعب تمييز هذه الحروف بعضها عن بعض ، وإدراك المعاني الصحيحة والمراد من الكتابة نتيجة لذلك . فالتغلب على هذه المشكلة أعجم علماء الخطوط بعض هذه الحروف ، بوضع نقط فوقها أو تحتها لتمييزها بعضها عن بعض ، وعرف هذا التنقيط بالإعجام^١ .

وقد وقع الإعجام في الإسلام على رأي أكثر العلماء . بعمل أبو الأسود الدؤلي

١ اللسان (٣٨٨/١٢) ، (عجم) ، صبح الاعشى (١٥٥/٣) ، مفتاح السعادة (٨٠/١) .

والخليل بن أحمد الفراهيدي وآخرون في قصص لا علاقة لذكره في هذا المكان . وهو مكان خصص لأقلام الجاهلية . أما بالنسبة الى الجاهلية ، فإننا لا نملك وثيقة معجزة . ونقش (حران اللجا) المكتوب بعربية شمالية مشوبة بالنبطية ، خال من الاعجاز أيضاً ، وكذلك النقوش الأخرى المكتوبة بالنبطية المتأثرة بالعربية الشمالية . ولهذا فإنني لا أستطيع الادعاء بأن الإعجاز كان معروفاً بالقلم العربي المكي الجاهلي ولا بغيره من الأقلام العربية الجاهلية .

غير أن هناك رواية تنسب لابن عباس ، تزعم أن الثلاثة الذين هم من بولان من طيء ومن أهل الأنبار ، لما وضعوا الحروف وضعوها مقطعة وموصولة ، ثم وضع أحدهم وهو (عامر) الاعجاز^١ . أي ان العرب وضعوا الاعجاز في الوقت الذي اخترعوا فيه قلمهم العربي ، وجاء في كتاب النشر في القراءات العشر : « ثم إن الصحابة رضي الله عنهم ، لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرصة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما أدخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين .. »^٢ . وفي هذا الخبر دلالة على معرفة الصحابة بالنقط والشكل.

وهناك خبر يرفع سنده الى (ابن مسعود) ، يذكر أنه قال : « جوتوا القرآن ليربو فيه صغيركم ، ولا ينأى عنه كبيركم » . وقد شرح الزمخشري ذلك بقوله : « أراد تجريدته من النقط والفواتح والعشور لئلا ينشأ نشء^٣ فيرى أنها من القرآن »^٤ . فيفهم من هذا الخبر أن التنقيط كان معروفاً ، وأن (ابن مسعود) عرفه ، وأنه رأى تجريد القرآن من النقط ليصرف الصغير همه في فهمه فهماً عميقاً وفي إدراكه إدراكاً صحيحاً عن دراسة ، لأن تجريده يحمل الطالب على بذل الجهد في فهم غامضه ومشكله ومعناه فيرسخ فهمه في عقله ، أما إذا كانت الحروف معجزة ومشكلة ، فلا يجد الطالب ما يحمله على بذل الجهد وإجهاد نفسه لفهم القرآن . فتفتر همته عن فهمه ، ولا يبذل نفسه بذلاً مرضياً في تعلم كتاب الله .

١ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) ، (الكلام على القلم العربي) .

٢ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر (٣٢ وما بعدها) ، مصادر الشعر الجاهلي (٣٥) ، للدكتور ناصر الدين الأسد .

٣ الزمخشري ، الفائق (١٨٦/١) ، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (٩٣) .

وخبر آخر يدل على وجود الإعجام عند العرب ، رواه (سفيان بن عيينه) ،
يفيد ان (زيد بن ثابت) نقّط بعض الحروف^١ .

وورد ان بعض الباحثين عن الكتابات الاسلامية القديمة عثروا على آثار للنقط
في بعض الوثائق القديمة . فقد ذكر الدكتور (جروهمن) انه وجد في وثيقة من
وثائق البردي المدونة بالعربية واليونانية ويعود تأريخها الى سنة (٢٢) للهجرة حروفاً
منقطة^٢ . وهذا التنقيط إن صح وثبت ، فإنه يدل على وجود التنقيط في هذا
العهد . كذلك ذكر (مايس) G. C. Miles انه وجد حروفاً منقطة في كتابة عثر
عليها قرب الطائف يعود عهدها الى سنة (٥٨) للهجرة^٣ . وإذا صح ان هذه
النقط قديمة قدم الخط ، فإن معنى هذا ان الكتابة على الحجر قد عرفت التنقيط
أيضاً في هذا العهد وقبله ، إذ لا يعقل أن تكون أول كتابة على الحجر استخدمت
التنقيط .

ونسب بعض أهل الأخبار الإعجام الى (أبي الأسود الدؤلي) ، كما نسبوا
اليه النقطة وهو وهم وقعوا فيه من عدم ادراكهم للعمل الذي قام به (أبو الأسود)
فظنوا انه استعمل النقطة في الحالين: في النقطة الذي هو الشكل، وفي النقطة الذي هو
الإعجام . والذي عليه الجمهور أن الإعجام كان من عمل (نصر بن عاصم) .
فلما كثّر الخطأ في قراءة القرآن بسبب عدم تمييزهم بين الحروف المتشابهة، وتفشي
وباء الجهل بعدم التمييز في القراءة بين الحروف المتشاكلة (فزع الحجاج الى
كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات تميزها بعضها من بعض ،
فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقطة أفراداً وأزواجاً ، وخالف بين
أماكنها ، بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، فغير الناس بذلك
زماناً لا يكتبون إلا منقوطة ، فكان التصحيف مع استعمال النقطة أيضاً يقع ،
فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقطة بالإعجام^٤ .

١ معاني القرآن ، للفراء ، (١ / ١٧٢ وما بعدها) .

٢ Grohmann, From the World of Islamic Papyri, PL. II, A, pp. 82, 113-114.

٣ G. C. Miles, Early Islamic Inscriptions Near Taif in the Hijaz,
in JNES, 7, 1946.

٤ ابن خلكان (١ / ١٢٥) ، تاريخ التمدن الاسلامي (٣ / ٦١) اللسان العربي ، ١٩٦٩ م
(ص ٥٢) .

وذكر ان (نصر بن عاصم) و (يحيى بن يعمر) ، وكانا ممن أخذوا العلم عن أبي الأسود الدؤلي^١ تقطاً الإعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط استاذهما أبي الأسود ، التي كانت بمداد يخالف المداد الذي كتب به الكلام . « وقد انتشرت تلك الطريقة وأضاف إليها الناس علامة التنوين فكانت نقطتين الواحدة فوق الأخرى ، وزاد أهل المدينة التشديد فجعلوها قوسين يجملان فوق المشدد المفتوح ، وتحت المكسور ، وعن يسار المضموم ، ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس ، والكسرة تحت حذبه والضممة على شماله ، ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة ، وأبقوه على أصله مع الفتحة . وزاد أهل البصرة السكون فجعلوه جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه »^٢ .

والمشكلة الثانية في العربية ، هي مشكلة الحركات ، أي كيفية النطق بحروف الكلمة وبأواخر الكلم ليظهر المعنى حسب موقع الكلم من الاعراب . والعربية من اللغات العالمية التي احتفظت بخاصية الاعراب بينما تركتها لغات أخرى كانت لغات معربة في الأصل . لأن إهمال الحركات فيها يؤدي الى وقوع أخطاء كبيرة في فهم معنى الكلام ، لذلك وجب التغلب على هذه المشكلة بوضع علامات تعبر عن الحركات .

وسبب وجود هذه المشكلة في العربية ، هو أن أقلام العربية القديمة هي مثل الأقلام السامية الأخرى مؤلفة من حروف صامتة فقط ، ولا توجد فيها حروف تمثل الحركات ، تكتب في الكلمة . كما هو الحال في اليونانية وفي اللاتينية وفي الأبجديات الغربية الأخرى المشتقة منها ، فيقرأ الإنسان الكلمة قراءة صحيحة بغير خطأ لوجود حروف الحركات مع الحروف الصامتة ، ويكتب كتابة صحيحة ، لأنه حين يكتب الكلمة ويلفظها يكتبها بحروف صامتة وبحروف الحركات . ويذكر أهل الأخبار أن العرب كانوا يفهمون معنى الكتابة بحدة ذكائهم وبطبعهم وسليقتهم فلم يخطئوا في فهم المعنى ، فلم يجدوا حاجة الى الشكل ، فلما جاء الإسلام ، ودخل الأعاجم بكثرة فيه واختلطوا بالعرب واختلط العرب بهم ، فشا اللحن في الكلام ،

١ الفهرست (ص ٦٨) ، (تسمية من أخذ النحو عن أبي الاسود الدؤلي) ، « ويقال : أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الاسود الديلي ، من تلقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه » ، حكمة الاشراف (٨١) .
٢ اللسان العربي ، ١٩٦٩ م (ص ٥٢) .

وظهرت الحاجة الى تقويم الألسنة فوضع أبو الأسود الدؤلي مبادئ النحو والشكل. أي علامات الحركات. وسلك الناس طريقته ووسع من جاء بعده جادة هذا العلم، حتى صار من أهم العلوم عند العرب .

وعلىنا أن نفرّق بين التنقيط أي الإعجام عند العرب وبين التنقيط عند غيرهم من الشعوب السامية . فالتنقيط عند العرب هو لتوضيح الحرف . بمعنى تعيينه وتثبيته لتمييزه عن الحرف الآخر المشابه له . أما في اللغات السامية الأخرى، فقد استعمل التنقيط فيها للتعبير عن الحركات . فالحركات في بعض اللغات السامية يعبر عنها بنقاط توضع فوق الحرف أو تحته . كما استعملت الخطوط المستقيمة وما يشبه الضمة للتعبير عن الحركات عند بعض لغات أخرى . ولم يستعمل الإعجام أي تنقيط الحرف لتمييزه عن حرف آخر مشابه له إلا في القليل ، وذلك بسبب أن الحروف عندها غير متشابهة كثيراً ، ولذلك فلا يلتبس أمر قراءتها على أحد، فلم تظهر الحاجة فيها الى إزالة اللبس بالتنقيط . ومن هنا اختلف مبدأ التنقيط في العربية عن مبدأ التنقيط في اللغات السامية الأخرى .

والتنقيط في كلتا الحالتين أي في حالة استخدامه للتعبير عن الحركات ، أي الشكل ، أو في حالة استعماله للإعجام ، أي لتمييز الحروف المتشابهة ، هو عمل متأخر عن الكتابة عند العرب وعند غيرهم . وسبب ذلك ان الكتابة صنعة اختص بها رجال الدين والعلماء والمثقفون ثقافة عالية ، وهم طبقة خاصة كانت فوق مستوى الجماهير ، وكان من مصلحتهم حصرها بأنفسهم وبأولادهم وجعلها صنعة خاصة بهم جهد الامكان . وعدم السماح لغيرهم من سواد الناس بتعلمها وممارستها . بأن جعلوها أديباً وقواعد وشروطاً يجب أن تتوفر فيمن يمارس هذا الفن . جمعوها في (أدب الكاتب) أو (أدب الكتاب) . وكان في جملة قواعد هذا الأدب تصعيب الصنعة وتعقيدها حتى لا يطرّقها إلا الذكي الأريب . واتخاذ أقلام خاصة ، يكون لكل قلم قواعده وأصوله في رسم الحروف ، وإهمال التنقيط أو الشكل ، لأن من مستلزمات الكاتب أن يكون فطناً يستنبط المعنى بذكائه يربط الكلمات بعضها ببعض . وهو ما يعجز عنه القارئ الكاتب الاعتيادي . فتجريد الكتابة من النقط والشكل امتحان يميز الكاتب العالم عن غيره ممن تعلم كيف يقرأ ويكتب وكفى . حتى لقد وقر في ذهنهم ان من ينقط الكتابة ويشكلها ويرسلها الى كاتب ، فكأنما أراد بذلك إهانة ورميه بالجهل والغباء ، إذ عني بهذا التنقيط والتشكيل ان

المرسل اليه لا يفهم المعنى إلا إذا نقتط له الكلمات ، فكيف الحال اذن اذا كانت الرسالة ممن هو دون من أرسلت اليه في المنزلة والمكانة ، ومن رجل من طبقة سوية الى رجل أعلى طبقة منه . فكان من أدب الكتاب عندهم الترفع عن مستوى القراء الكاتبين ، بترك النقط والشكل . كانوا يقولون : « كثرة النقط في الكتاب سوء ظن في المكتوب اليه » . نظر (عبدالله بن طاهر) خط كتاب وقع اليه ، فقال : « ما أحسنه لولا كثرة شونيزه أي نقطه »^١ .

غير ان الحاجات دفعت بالناس ولا سيما بذوي الأعمال منهم الى التماس أيسر الطرق وأبسطها في تدوين أمورهم . فاخترلوا الخطوط وبسطوها ودفعوا التعسير بالتيسير . وكان من التيسير ، وضع علامات للحركات ونقط للإعجام . أما اليونان فصاغوا من الحركات حروفاً كتبوها جنباً الى جنب مع الحروف الصامتة ، فحلّوا بذلك أهم مشكلة من مشكلات الكتابة . وأما الشعوب السامية ، فانخذت التنقيط والعلامات فوق أو تحت الحرف أو في داخله لتمييز بذلك حرفاً متشابهاً عن الحرف الذي يشابهه ، او لتعيين حركته . وأما الحبشية ، التي أخذت قلمها من المسند ، فاتبعت طريقة اليونان وتغلبت بذلك على المشكلتين وظهرت بذلك أقلام شعبية تنقط وتشكل ، استعملها السواد ، أما أرباب العلم من الكتاب ، فقد أبوا كتابة الكتب المقدسة وكتب العلم والتراث بخطوط السواد ، وأبوا إلا الكتابة بالقلم القديم ، والمحافظة على الضبط القديم ، لأنه في نظرهم جزء من النصوص فلا يمكن اجراء أي تغيير عليها . أما ما سوى ذلك فدوّن بالأقلام الشعبية التي أوجدتها ضرورات التيسير وتطور الزمن .

وأغلب روايات اهل الأخبار أن الخط العربي الأول لم يكن مشكلاً . وأن الشكل إنما وجد في الإسلام . وكان موجدّه (أبو الأسود الدؤلي) المتوفى سنة (٦٩) للهجرة ، فاستعمل النقط بدل الحركات ، ثم أبدل (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، النقط برموز أخرى هي الفتحة والكسرة والضمة . ويرى بعض الباحثين أن نقط (ابو الأسود الدؤلي) ، هو على نحو النقط في الخط النسطوري السرياني ، ويحتملون تعلمه قاعدة التنقيط منهم^٢ . وكان عندهم نقط كبيرة

١ تاريخ التمدن الاسلامي (٦٢/٣) .
٢ الابحاث ، ١٩٥٢ م ، (١ ص ١٩) .

توضع فوق الحرف او تحته لتعيين لفظه او تعيين الكلمة الواقع هو فيها: اسم هي أم فعل أم حرف . مثل قولهم : كتب ، فيمكن ان تكون اسماً جمع كتاب ، او فعلاً ماضياً معلوماً أو مجهولاً ، وكان عندهم ايضاً نقط هي حركات وضعها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن . وهي عبارة عن نقط كانت ترسم في حشو الحروف ، ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم الى اليوم . فالظاهر أن أبا الأسود اقتبس هذه الحركات ، ويؤيد ذلك انه لما أراد التنقيط أتوه بكتاب فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ؛ وإذا ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف . فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط ، والغالب ان يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية ، وجدوه في جامع عمر وبجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم ، ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون ، فالتقطت فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة ، وبين يدي الحرف ضمة كما وصفها أبو الأسود^١ .

ويرى بعض المستشرقين أن ضبط الكتابة العربية قد بدى به قبل الإسلام^٢ . وذلك لأن عرب العراق وعرب بلاد الشام كانوا يكتبون بالسريانية ، وقد عرفت السريانية مشكلة الشكل وعالجتها ، فلا بد وأن يكون العرب الذين أخذوا قلمهم من السريانية او النبطية المتأخرة قد وقفوا على المشكلتين فعالجوهما على نحو ما .

وأود ان أبين بهذه المناسبة ان تنقيط (ابو الأسود) للحروف لم يكن إعجاباً ، بل كان شكلاً ، اي ضبط حركة الحرف من حيث الضم او الفتح او الكسر او السكون حسب تكوين الحروف للكلمة . فهذا كان تنقيط (ابو الأسود اللؤلؤي)^٣ أما شكل الوقت الحاضر ، فهو من اختراع (الخليل بن احمد الفراهيدي) . ولذلك يجب علينا التفريق بين تنقيط (ابو الأسود) ، وبين الاعجام الذي هو

-
- ١ تاريخ التمدن الاسلامي (٦٠/٣ وما بعدها) ، الفهرست (ص ٦٦) ، الدراسات الادبية السنة الثانية ، العدد الاول ، ١٩٦٠ م ، (ص ٨٣) .
 - ٢ الابحاث ، ١٩٥٢ م (١ - ص ٢٠) .
 - ٣ الفهرست (٦٦) ، (في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم) ، (الفن الاول) .

تنقيط الحروف المتشابهة لإزالة اللبس بينها ، ثم التفريق بين شكل (ابو الأسود) وبين شكل (الخليل بن أحمد) واضع الشكل المتبع الآن ، لموت طريقة (ابو الأسود) ، في الشكل ، وتخصيص النقط بالاعجام ، ومن هنا وقع البعض في لبس من أمر النقط والاعجام ، فلم يفرقوا بينها . والصحيح هو ما قلته من ان النقط هو الشكل في الأصل ، فبهذا المعنى كان في أيام (الدؤلي) الى أن قامت الحركات التي هي الضمة والفتحة والكسرة مقام نقط الدؤلي ، فوجد الناس في الحركات سهولة مكتبتهم من التفريق بين إعجام الحروف وتشكيلها ، فخصصوا النقط بالإعجام والحركات بالشكل ، وبذلك زال اللبس الذي أدى الى وقوع أخطاء في فهم المراد من الإعجام ومن الشكل الذي هو الحركات .

والتنقيط من الأمور التي كان يراعيها العبرانيون منذ القديم في قراءة التوراة . فقد كانوا ينقطون بعض حروف الكلمات لتنبيه القارئ الى أهمية الكلمة ولما كانت المقدسة، وعرف هذا التنقيط بـ *Puncta extraordinaria* عند رجال الدين. فقد نقطوا لفظة (عانقه) في الآية : « فبادر عيسو وتلقاه وعانقه وألقى بنفسه على عنقه وقبله وبكى »^١ ، ونقطوا لفظة (فاعني) ، من الآية : « والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فاعني من كتابك الذي كتبت »^٢ ، ولفظة (بمحوها) في الآية : « فيكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ويمحوها بالماء المر »^٣ ، وقد فعل ذلك في الأناجيل أيضاً ، كما في لفظة (محا) الواردة في الآية : « ومحا الصلح الذي كان علينا بموجب الأقضية الذي كان لهلاكنا وأخذ من الوسط وسمّره في الصليب »^٤ . ثم زاد علماء التوراة وكتّابها زيادات أخرى في أصول التنقيط ووضع العلامات الخاصة على الحروف التي هي الإعجام ، وصيروها علماً خاصاً بالتوراة أشير اليه في (السوفيريم) وفي التلمود .

ونجد في (انجيل متى) إشارة الى التنقيط في الحروف ، جاء : « الحق أقول لكم : انه الى أن تزول السماء والأرض ، لا تزول ياء أو نقطة واحدة من

١ سفر التكوين ، الاصحاح (٣٣) ، الآية ٤ .

٢ الخروج ، الاصحاح ٣٢ ، الآية ٣٢ .

٣ سفر العدد ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢٣ .

٤ رسالة القديس بولس الى أهل كورنثي ، الاصحاح الثاني ، الآية ١٤ .

Hastings, p. 979. ٥

الناموس حتى يتم الكل ^١ . وفي هذه الآية إشارة الى تدقيقاتهم في الكتابة، وتمييزهم بين حرف وآخر بالنقط ^٢ .

وكان كتاب الأناجيل والكتب المقدسة ، اذا أضافوا كلاماً من عندهم على النص ، أو فسروا لفظة من ألفاظه ، كتبوه بخط ثخين عريض ، ليتبين للقارى ان ما هو مدون ليس من صلب الكتاب المقدس ، وانما هو إضافة لتفسير أو لشرح ^٣ .

وأود أن أبين ، ان موضوع النقط الذي هو الإعجام وموضوع الشكل من الموضوعات التي لم تدرس دراسة كافية علمية حتى الآن . وهما مما لا يمكن البت فيها الآن ، إلا إذا عثر على كتابات جاهلية عربية وعلى كتابات تعود الى أيام الرسول وما بعده ، وإلا بعد نشر ما ألفه العلماء عن النقط والشكل . فقد ألف العلماء في ذلك كتباً ، أشار اليها (ابن النديم) ، فقال : « الكتب المؤلفة في النقط والشكل للقرآن : كتاب الخليل في النقط ، كتاب محمد بن عيسى في النقط ، كتاب اليزيدي في النقط ، كتاب ابن الأنباري في النقط والشكل ، كتاب أبي حاتم السجستاني في النقط والشكل بمجداول ودارات ، كتاب الدينوري في النقط والشكل » ^٤ .

وهناك مؤلفات أخرى دونت في (لامات القرآن) ^٥ ، وفي هجاء المصاحف ^٦ ، وفي اختلاف المصاحف وأمثال ذلك ^٧ ، تفيدنا كلها في تكوين رأي عن تطور الخط العربي في أوليات أيامه ولا سيما في صدر الاسلام .

وقد سار الخط العربي الشمالي على نسق أغلبية الخطوط السامية مثل الخط النبطي والإرمي والعبراني فاتجه من اليمين الى اليسار . ونظراً لوجود حروف منفصلة

-
- ١ الاصحاح الخامس ، الآية ١٨ .
 - ٢ قاموس الكتاب المقدس (٤٣١/٢) ، .
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٥٢/٢) ، .
 - ٤ الفهرست (ص ٥٩) ، (كتاب النقط والشكل) ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، الفهرست (ص ٧١) .
 - ٥ الفهرست (٦٠) .
 - ٦ الفهرست (٦١) .
 - ٧ الفهرست (٦٠) .

وحروف متصلة فيه ، دونت كتابة الكلمات فيه بالجمع بين النوعين من الحروف ، وبذلك سهل أمر الكتابة بهذا القلم ، وصار على غرار القلم النبطي في السرعة . وللتمييز بين الكلمات ، لم يستعمل الخطوط العمودية النازلة بين الكلمات للفصل بينها ، على نحو ما كان في المسند ، بل سار على طريقة النبط في وضع فراغ صغير مناسب بين كل كلمة وأخرى ، دلالة على انفصالها بعضها عن بعض . أما المسند ، فقد اشتهر عند علماء العربية بأنه خط حمير ، ولذلك قال له بعضهم (الخط الحميري) ، و (القلم الحميري)^١ ، كما قال له المستشرقون فيما بعد . وهي تسمية مغلوطة على كل حال ، لأن الحميريين لم يكونوا أول من أوجد هذا الخط ، لقد سبقهم في استخدامه السبثيون والمعينيون وأقوم عربية أخرى ، وقد عرفه بعض علماء العربية بقوله : « المسند : خط الحمير مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم ، قال ابو حاتم : هو في أيديهم الى اليوم باليمن »^٢ . وقد ذكر (ابن خلدون) أن حمير كانت تمنع من يريد ان يتعلم المسند إلا بإذنها^٣ .

والأبحاث التي قام بها الباحثون عن الخط العربي قبل الإسلام ، لا تزال في مراحلها الأولى ، ولا يمكن في نظري نضج هذه البحوث والوصول الى نتائج علمية مرضية إلا إذا قام المتخصصون بالتنقيب تنقيباً علمياً في جزيرة العرب كلها ، وهذا ما يستغرق بالطبع وقتاً طويلاً . ولا يستبعد أن يتوصل المنقبون الى معرفة أبجديات واقلام قد تكون اقدم عهداً من هذه الأقلام التي تحدثت عنها ، وقد يجدون أقلاماً أخرى جديدة تسمى بأسماء جديدة ، قد تغير من هذه النظريات العلمية التي تلوكها ألسنُ العلماء في هذا اليوم . فقد عثر على نصوص يظهر أنها بقلم ثمودي في موضع (ينبع النخل) الذي يبعد مسافة أربعين كيلومتراً عن (ينبع)^٤ . كما وجدت كتابات بخطوط جاهلية وبخط عربي من صدر الإسلام في (جبل سلح) عند المدينة ، وفي (وادي العقيق) الذي لا يبعد كثيراً عن المدينة^٥ . وكذلك في (وادي رانونا) الواقع جنوب المدينة على مسافة ثمانية

١ اللسان (٢٢٤/٣) ، (صادر) ، (حمير) .

٢ مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .

٣ مقدمة ابن خلدون (ص ٣٤٩) .

٤ Rock Inscriptions in the Hijaz, A Report by Osman R. Rostem, p. 2.

٥ Rostem p. 4.

كيلومترات ، حيث وجدت نقوش صور حيوانات كذلك^١ . وفي (الصويدة) ، و (بستان شهار) ، وهو موضع يقع على مسافة كيلومترين جنوب الطائف ، حيث يذكر من رآه انه وجد فيه كتابات تظهر وكأنها كتابات يونانية^٢ . ووجدت كتابات بعضها بدائية او من شكل جديد في مواضع أخرى من الحجاز، قد تكون أقلاماً جديدة ، كتبت بلهجات لا نعرف عنها اليوم شيئاً .

لقد كان من الشائع بين الباحثين ان المنطقة الواقعة فيما بين المدينة والطائف منطقة فقيرة بالكتابات ، ولكن عثور بعض الباحثين على كتابات ثمودية وعلى كتابات أخرى وفي ضمنها كتابات قديمة تمثل أقدم أنواع الخط الذي دوت به القرآن الكريم ، قد مزق حجب ذلك الشائع ، وسوف يقف الباحثون ولا شك على كتابات أخرى جديدة في مواضع أخرى من الحجاز ولا سيما في المواضع الواقعة على طرق القوافل القديمة . وعندئذ سيزيد علمهم عن الأقلام العربية الجاهلية وعن علم الناس بلهجات العرب قبل الاسلام، ولا سيما بلهجات أهل الحجاز لما في ذلك من فائدة في الوقوف على اللغة التي نزل بها الوحي .

هذا - وأعود فأقول - إن من الخطأ مجارة أهل الأخبار رأيهم في أن الكتابة العربية كانت قد نقلت أول ما نقلت الى مكة ، ثم انتشرت منها الى (يثرب) وإلى الأماكن الأخرى . إذ يروي أهل الأخبار أنفسهم أنه كان يثرب قبل الإسلام رجال كانوا يقرأون ويكتبون بهذا القلم ، ومنهم من كتب للرسول . وأما ما ذكروه من أن الرسول طلب من أسرى (بدر) ممن لم يكن يستطيع فداء نفسه ، تعليم عشرة أطفال من أهل يثرب القراءة والكتابة في مقابل فك أسرهم ، فليس فيه دليل على عدم وجود قارئين كاتبين بها ، وإنما فعل النبي ذلك لتكثير الكتابة فيها ، ولنشر التعليم بين المسلمين .

وقد أخطأ (ريجس بلاشير) في رأيه القائل : « لدينا مصادر أكثر قدماً ، تدفعنا الى الاعتقاد بأنها كانت كثيرة الاستعمال في الطائف بعكس انتشارها في المدينة الذي لقي صعوبات » ، ثم قال في الملاحظة (٥) : « من الجائز أن يكون اليهود قد قاوموا انتشار الطريقة الكتابية العربية » ، واستدل على الحالتين باستعانة

١ المصدر السابق .

٢ المصدر السابق (ص ١١) .

الرسول بأسرى بدر لتعليم المسلمين القراءة والكتابة ، لأن المصادر المحلية كانت غير كافية^١ . ولا أعرف شيئاً عن المصادر القديمة التي ذكر أنها تشير الى كثرة الكتابة بالطائف ، عكس المدينة ، لأنه لم يشر إليها ، وإنما قال قولاً عاماً ، لم يؤيده بذكر اسم المورد الذي استقرى رأيه منه . ولعله قصد ما ورد في حديث تدوين القرآن من اجعلوا المحلي من قريش ، أو من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، وهو حديث لا صلة له بقلة أو بكثرة انتشار الكتابة في مكان ، ثم إنه يتناول مكة كذلك ، كما يتناول المدينة ، ونحن لو أحصينا عدد من كان يكتب من أهل يثرب من الصحافة لما وجدناه يقل عن عدد كتاب الطائف قبل الإسلام ، بل هو فوقه بكثير ، كما رأينا فيما سلف . أما قوله : من الجائز أن يكون اليهود قد قاوموا انتشار الكتابة في يثرب ، فيخالفه ما ورد في الأخبار من أن احسد يهود (بني ماسكة) كان يعلم أهل يثرب الكتابة ، وتعلم أهل يثرب الكتابة بالعربية ، لا يضر اليهود شيئاً ، حتى يقاوموا تعلمها ، بل ربما كان العكس هو الصحيح ، لأن في تعلمهم الكتابة والقراءة يجعلهم أقرب الى التفكير والتأمل والاستقرار والميل الى الهدوء والوقوف على الكتب من الجبهة الأميين ، الذين تتحكم العواطف والعنجهيات في عقولهم ، فتبعدهم عن حياة الهدوء والمسألة .

ولم يصل الى علمي ان أحداً من الباحثين قد تمكن حتى الآن من الحصول على كتابات في العربية الجنوية مدونة بهذا القلم الذي نكتب به ، ولكن هذا لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم استعمال أهل تلك البلاد له ، فقد يجوز أن يكونوا قد استعملوه في أمورهم التجارية وفي مراسلاتهم وأعمالهم الأخرى ، استعمال أهل مكة ويثرب له ، إلا انه لم تبق منه بقية بسبب كونه قد كتب على الأدم والمواد الأخرى السريعة التلف ، فلم تبق منه بقية ، شأن كتابات أهل مكة ويثرب المكتوبة على هذه المواد . إذ لا يعقل عدم وصول هذا القلم الى نجران والى صنعاء والى الأماكن التي وجدت النصرانية سبيلاً لها بينها ، وقد كان النصراني يكتبون به ، وهم من أهم العناصر التي أدخلته الى جزيرة العرب .

إن القلم الذي دون به الوحي ، والذي صار بفضل القلم الرسمي للعرب ولعدد كبير من الشعوب الاسلامية ، حمل في نفسه مثل أكثر الخطوط السامية وغيرها ،

١ تاريخ الادب العربي (٧٤) .

نقاط ضعف ، عولجت بعضها وتغلب عليها ، كما في موضوع تشابه الحروف مثل الباء والتاء والثاء ، حيث تغلب عليها بالتنقيط ، وكما في كيفية التلغظ بالحركات ، حيث عولج بوضع علامات لها فوق أو تحت الحروف ، ومثل حرف (المد) والتنوين ، وأمثال ذلك ، مما جعل قارئ الكتاب يلاقي صعوبة كبيرة في قراءة الخط وفي فهم المراد منه ، تجلت في المحاولات التي ظهرت في صدر الاسلام لإصلاح هذا الخلل ، الذي ورد اليهم من نقلهم الخط نقلاً ، دون اجراء اصلاح عليه ، ومع ذلك فلا تزال هناك مواطن ضعف فيه يجب التغلب عليها ، نجدها مدونة في البحوث التي تقرأها بين الحين والحين في موضوع إصلاح الخط العربي ، لا مجال لسردها ولسرد حججها وأدلتها في هذا المكان .

أصل الخط :

ولقد اهتم المسلمون في موضوع أصل الخط عند البشر وفي منشئه وكيفية ظهوره . وذهبوا الى ان أول من وضع الخطوط آدم ، كتبها في طين وطبخه ، فلما أظلم الأرض الفرق أصاب كل قوم كتابهم . وقيل (أخنوخ) ، وهو (ادريس)^١ . وقالوا : « كان ادريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها ، وكان من قبله يلبسون الجلود »^٢ . وعرف عندهم ب (هرمس الأول) ، « وهو المثلث النعم ، فإنه كان قبل الطوفان . ومعنى هرمس لقب ، كما يقال قيصر وكسرى . وتسميه الفرس في سيرها اللهجد ، وتفسيره ذو عدل . وهو الذي تذكر الحرائية نبوته . وتذكر الفرس أن جده كيومرث ، وهو آدم . ويذكر العبرانيون أنه أخنوخ . وهو بالعربية ادريس »^٣ . وقالوا : « إن ادريس أول من درس الكتب ، ونظر في العلوم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو

١ صبح الاعشى (٦/٣ وما بعدها) ، حكمة الاشراق ، للزبيدي (٦٤) ، (نوادر المخطوطات) .

٢ عيون الاخبار (للدينوري ٤٣/١) ، (الكتاب والكتابة) .

٣ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء (ص ٣٠ وما بعدها) ، (ابنهجهذ) ، ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء (ص ٥ وما بعدها) .

أول من خاط الثياب ولبسها^١ . وذكروا أنه عرف بـ (هرمس الهرامسة) ،
تميزاً له عن (هرمس الثاني) ، وهو (هرمس البابلي) ، وعن (هرمس
الثالث) ، وهو (هرمس المصري)^٢ . وانه هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس .
ومعنى أرميس عطارده وانه بالعبرانية (خنوخ) وعُرب (أخنوخ) . وسماه الله
في كتابه العربي المين ادريس . وان معلمه اسمه (اغثاذيمون) المصري . الى غير
ذلك من قصص^٣ نجده في كتب أهل الأخبار .

وهو في زعم أهل الأخبار (أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش
ابن شيت بن آدم) . ومولده بمصر في مدينة (منف) . ووصفوه وصفاً كأنهم
كانوا معه وقد شاهدوه وجالسوه ، فقالوا : « كان عليه السلام رجلاً آدم اللون
تام القامة ، أجلح ، حسن الوجه ، كث اللحية ، مليح التخاطيط ، تام الباع ،
عريض المنكبين ، ضخيم العظام ، قليل اللحم ، براق العين أكحل ، متأنياً في
كلامه ، كثير الصمت ، ساكن الأعضاء ، اذا مشى أكثر نظره الى الأرض ،
كثير الفكرة ، به حدة وعبسة ، يحرك اذا تكلم سبابته »^٤ . وكان كثير الأسفار :
زار الهند ، وجاء الى فارس وبابل . وعرف بـ (ارمس) عند اليونان . وهو
« اسم عطارده . ويسمى عند اليونان أطرسمين »^٥ . « استخرج سائر الصنائع
والفلسفة والطب »^٦ . وهو الذي علم (اسقليبوس) الطب .. وهو أول من تكلم
في شيء من الطب على طريق التجربة وامام الطب ، وأبو أكثر الفلاسفة^٧ .
« وأول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية ، وان جده كيومرث ،
وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار ، وهو أول من بنى المياكل ومجدد الله فيها ،
وأول من نظر في الطب وتكلم فيه . وانه ألّف لأهل زمانه كتباً كثيرة ، وأشعاراً

-
- ١ . ابن أبي أصيبعة ، عيون الانبياء (ص ٣٢) ، ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء
(ص ٥ وما بعدها) .
 - ٢ . ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء (ص ٨ وما بعدها) ، ابن القفطي ، تاريخ الحكماء
(ص ٢ وما بعدها) .
 - ٣ . ابن القفطي ، طبقات الاطباء والحكماء (ص ٢) .
 - ٤ . ابن أبي أصيبعة ، عيون (٣١) .
 - ٥ . ابن أبي أصيبعة ، عيون (٣١) .
 - ٦ . المصدر نفسه (ص ١٢) .
 - ٧ . ابن أبي أصيبعة ، عيون الانبياء (ص ٢٩ وما بعدها) .

موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء الأرضية والعلوية . وهو أول من أنذر بالطوفان ، ورأى ان آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار ، وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هناك الأهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي ، وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم وصوّر فيها جميع الصناعات وصناعاتها نقشاً ، وصوّر جميع آلات الصناعات ، وأشار الى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم ^١ .

ونسبوا له النبوة والقول بالتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على الزهد والعدل والصيام أياماً معروفة في كل شهر والجهاد على الأعداء وإيتاء الزكاة معونة للضعفاء ، وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة والحمار والكلب . وحرّم المسكر من كل شيء من المشروبات ، وشدد فيه أعظم تشديد ، وجعل لهم أعياداً كثيرة ، وقربانات . ورتّب الناس ثلاث طبقات : كهنة وملوكاً ورعية . وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك ، لأن الكاهن أقرب الى الله من الملك والرعية ^٢ .

و (هرمس) من (أرمس) Ermis ، اسم إله من آلهة اليونان . ويقابل الإله (ثحوت) Thot عند قدماء المصريين . وينسب المصريون اليه اختراع كل علم . ويقابل Mercurius عند الرومان . وهو (عطارد) عند العرب . وقد عرف عند المسلمين بـ (هرمس المثلث النعم) وبـ (المثلث النعم) ، وقد أخذ ذلك عن اليونانية ، إذ لقب فيها بـ (طريسيميغيسطيس) Hermes Trismegistes ومعناه ثلاثي التعليم . وقد عرّبوه فجعلوه (اطرسمين) ^٣ . وقد وقف المسلمون على قصص قديم شاع بين البابليين والمصريين والعبرانيين واليونان والرومان والفرس عن أصل المعرفة وكيف ظهرت بين البشر ، فزجوا بينها وجسموها في قصص ادريس . وفي جملة ذلك اختراع الكتابة ، فنسبوا اليه .

ولأهل الأخبار آراء في كيفية ظهور الكتابة عند كل أمة من الأمم . أخذوها من أهل الكتاب أيضاً ومن القصص والأساطير . فذكروا مثلاً ان الله أرسل ملكاً

١ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء (ص ٣٢) .

٢ ابن القفطي ، تاريخ الحكماء (٥ وما بعدها) .

٣ ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء (ص ٦ وما بعدها) ، Shorter Ency. p. 158 .

اسمه (سيمورس) ، علم آدم الكتابة السريانية ، على ما في أيدي النصارى . وتفرعت منها ثلاثة أقلام ، وهي : المفتوح ويسمى اسطرنجالاً ، وهو أجلّها وأحسنها ، ويقال له الخط الثقيل ونظيره قلم المصاحف . والتحرير المخفف ، ويسمى اسكوليثا ، ويقال له الشكل المدور ، ونظيره قلم الوراقين . والسرطا وبه يكتبون الترسل ، ونظيره في العربية الرقاع^١ . وذكروا ان أول من كتب بالفارسية (جم الشيد بن اونجهان) (جمشيد) (جم شيد) ، « وكان ينزل أسان من طساسيج تستر ، فزعمت الفرس انه لما ملك الأرض ودانت له الجن والانس وسخر له ابليس ، أمره ان يخرج ما في الضمير الى العيان فعلمته الكتابة^٢ . وزعموا ان أول من كتب بالعبرانية عابر بن شالغ ، وضع ذلك بين قومه فكتبوا به^٣ . وزعموا ان اليونان لم يكونوا يعرفون الخط حتى ورد رجلان من مصر ، يسمى أحدهما قيمس والآخر أغنور ومعهما ستة عشر حرفاً ، فكتب بها اليونانيون ، ثم استنبط أحدهما أربعة أحرف ، فكتب بها . ثم استنبط آخر يسمى سمنويسدس أربعة آخر ، فصارت أربعاً وعشرين^٤ .

ترى مما تقدم أن أهل الأخبار أخذوا أخبارهم المتقدمة عن نشوء الخط ، من أهل الكتاب ومن الأساطير المترسبة من القصص الساذج القديم الذي كان شائعاً عند الشعوب القديمة ، ثم صاغوه صياغة اسلامية ، دون نقد ولا تمحيص ، ومراجعة لاستخراج عناصر الساذجة والخرافات منها ، وسبب ذلك أن ملكة النقد كانت هزيلة عندهم ، وقد تقبلت كل ما سمعته من (أهل العلم الأول) دون نقد ولا تمحيص ، تقبلت حتى الخرافات والأباطيل المخالفة لأبسط قواعد المنطق والعقل .

قلم النبط :

وقلم النبط هو على عكس الأقلام العربية الأخرى التي عرفناها ، وهي : المسند ، والقلم الشمودي ، والصفوي ، واللحياني ، قلم يرجع أصله الى القلم الذي ينتمي اليه قلم بني لرم وقلم تدمر ، والى المجموعة السامية الشمالية للخطوط . وقد تطور

-
- ١ الفهرست (٢٤) .
 - ٢ الفهرست (ص ٢٥) .
 - ٣ الفهرست (ص ٢٨) .
 - ٤ الفهرست (ص ٢٩) .

القلم النبطي ، كما تطور غيره من الخطوط ، فصار له قلم قديم وقلم متأخر ، امتاز بميله الى ربط حروفه بعضها ببعض ، حتى اكتسب شكلاً يمكن قراء القلم العربي الشمالي من التعرف عليه بسهولة ، وبعد استعراض قليل له . وقد عمل مهندسو هذا الخط في تمديد بعض الحروف نحو اليسار ، حتى ابتعدت عن سمياتها في الأبجدية الإرمية بعض البعد .

إن هذا التطور الذي مرّ به الخط النبطي، يظهر لنا أن النبط لم يكونوا يقنعون بالأخذ والاقتباس ، وإنما كانوا يكتفون ما يتلقونه من غيرهم ويطورونه حتى يكتسب شخصية خاصة مستقلة .

هذا ولا بد لي من الإشارة الى أن الألف في اللهجة النبطية قد تقوم مقام الهززة في أبجديتنا في بعض الأحيان، وقد تقوم مقام المدة (آ) A عند وجودها في وسط اللفظة وفي نهايتها . وقد يحل محلها الحرفان ال (و) وال (ي) كما في (روفو) في موضع (رأفو) ، و (رُأف) و (اروس) في موضع (أرأس) . ولما كانت الألف من الحروف الساكنة في الأبجديات السامية في الغالب ، فاستعملها في موضع الألف الممدودة وإحلال بعض حروف العلة في موضعها في النبطية وفي بعض الأبجديات السامية ، يدل على أن الأبجديات السامية المتأخرة نظرت إليها على أنها من حروف العلة المعبرة عن بعض الأصوات^١ .

وحرف ال (ج) هو (كيمل) في الأبجديات السامية ، وهو قريب في النطق من الكاف (ك) (كاف) الفارسية . غير أن الكتابات النبطية المتأخرة استعملت هذا الحرف في مواضع كثيرة على نحو نطقنا بالجم في عريتنا^٢ .

١ Nabataen Inscriptions, Leiden, 1914 ,p. 37 ff, in Publ. of the Princ. Univ. Archae. Exped. to Syria, Section A ,Semitic Inscriptions, p. XXV.

٢ المصدر نفسه .

الفصل الثاني والعشرون بعد المئة

المسند ومشتقاته

والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطي المتأخر ، وهو أقدم الأقلام التي عرفت في جزيرة العرب حتى الآن . وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة ان استعماله لم يكن قاصراً على اليمن حسب ، بل لقد كان القلم المستعمل في كل أنحاء بلاد العرب . وقد استعمله العرب في خارج بلادهم أيضاً ، لأنه قلمهم الوطني الذي كانوا به يكتبون فعثر في موضع قصر البنات على طريق (قنا) على كتابات بهذا القلم^١ ، كما عثر على كتابة بهذا القلم كذلك بالجزيرة كتبت « في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس » . وهي ليست بعد سنة (٢٦١) قبل الميلاد بأي حال من الأحوال^٢ . وعثر على كتابات بالمسند في جزيرة (ديلوس) من جزر اليونان^٣ .

Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 56, M.A.S. Tritton. Nous Signale deux Graffites, Publiés par A. E. P., Weigall, Travels in the upper Egyptian Deserts, London and Edinbourg, 1909, PL. IV, Fig. 13, 14, H.A. Winckler, Rock Drawings of Southern upper Egypt. I, London, 1928, Site I, p. 4, Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII, (1935) p. 228, J. Leibovich, Les Inscriptions Protosinaitiques, Le Caire, 1934.

F. V. Winnett, « The Place of the Minaeans in the History of Pre-Islamic Arabia », in BOASOOR, Num : 73, February, 1939.

المصادر المذكورة .

وذكر السائح الانكليزي (وليم كنت لوفتس) William Kennett Loftus انه لاحظ فجوة في (وركاء) Uruk في العراق ، فبحث فيها ، فبين له انها كانت قبرا وجد في داخله حجر مكتوب بالمسند ، فيه : ان هذا قبر (هتسر بن عيسو بن هتسر)^١ .

ولهذه الكتابة المدونة بالمسند ، أهمية كبيرة جداً ، لأنها أول كتابة وجدت بهذا الخط في العراق . وهي تشير الى الروابط الثقافية التي كانت بين اليمن والعراق ، والى وجود أشخاص في هذا المكان كانوا يستعملون المسند ، سواء أكانوا عراقيين أم يمانيين .

وقد عثر على كتابات بالمسند في مواضع من الحجاز ، ويظهر أنه كان قلم الحجازيين قبل الميلاد . وقد وصل هذا القلم الى بلاد الشام . فقد عثرت بعثة علمية قامت بأعمال الحفر في ميناء (عصيون كبر) (عصيون جابر) Ezion Geber على جرار عليها كتابات بحروف المسند رأى بعض العلماء أنها معينة ، تفصح عن الأثر العربي في هذا الميناء المهم الذي حاول سليمان أن يجعله ميناء اسرائيل على البحر الأحمر^٢ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن غير أهل اليمن ، لم يكونوا يستعملون المسند في كتابتهم ، ولا يتعاطونه ، كالذي يستفاد من قصة (قيسة بن كلثوم السكوني) ، وكان ملكاً وقع في أسر بني عامر بن عقيل ، فذكر انه كتب بالسكين على مؤخرة رجل أبي الطمحان حنظلة بن الشرقي أحد بني القين بالمسند ، يخبر قومه بوقوعه في الأسر . ولم يكن أحد من غير أهل اليمن يكتب بالمسند ،

1 Travels and Researches in Chaldaea and Susiana, by W. K. Loftus, London, MDCCCLVII, p. 233, Corpus Inscriptionum Semiticarum, IV, As NUM : 699.

2 لم يعين موضع المكان بالضبط ولا يبعد كثيراً عن (أيلة) على خليج العقبة ومنهم من يظن أنه كان عند موضع (عين الغديان) الذي هو على بعد عشرة أميال من البحر في قعر (وادي العرب) . وكان (خليج العقبة) على ما يظن بعض العلماء يمتد قديماً الى هذا الموضع ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) ،
Ency. Bibl., p. 1472, BOASOOR, NUM : 75, p. 19
NUM : 71, p. 15, Revue Biblique, XLVIII, 1939, p. 247, Asia, May, 1939, p. 294.

فلما قرأه القوم ، ساروا الى بني عامر ، وفتكوا بهم ، وأنقذوا قيسبة منهم^١ .
ورواية أهل الأخبار هذه لا يمكن أن تكون دليلاً على عدم وقوف غير أهل
اليمن على المسند في العهود البعيدة عن الإسلام . ولا على عدم استعمالهم لذلك القلم
في حياتهم اليومية . لأن علم أهل الأخبار بأحوال الجاهليين لا يرتقى كما سبق أن
قلت الى عهود بعيدة عن الإسلام ، ولأن في أكثر الذي ذكره عنهم ، قصص
ونسج خيال ، يستوي في ذلك حتى ما ذكره عن الجاهلية الملاصقة للإسلام ،
ثم إن في الذي عثر عليه السباح من كتابات مدونة بالثمودية أو بأقلام أخرى
مشتقة من قلم المسند ما يفند الرواية المذكورة في عدم استعمال غير أهل اليمن
للمسند وفي عدم وقوفهم عليه . ويمكن حمل كلامهم في عدم استعمال أهل الحجاز
أو غيرهم للمسند على أيام الجاهلية القريبة من الإسلام . حيث ظهر القلم العربي
الشامي .

والرواية لا يمكن أن ترتقي الى زمن بعيد عن الاسلام . فنحن نعلم ان
(حنظلة بن شرقى) المعروف بالطمحن ، وهو من (بني القين بن جسر)^٢
كان شاعراً فاسقاً من المخضرمين . وكان نديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ،
ثم أدرك الاسلام^٣ ، ولو صدقت الرواية المذكورة وأخذنا بها ، وجب ان تكون
الكتابة قد وقعت قبيل الاسلام ، ومعنى ذلك ان (قيسبة) وهو من (بني السكون)
كان يكتب بها ، أي ان المسند كان معروفاً ويكتب به خارج اليمن في هذا
العهد ، ولهذا يكون قول (الاصبهاني) : « وليس يكتب به غير أهل اليمن » ،
مغلوطاً ، لأن (قيسبة) لم يكن من أهل اليمن ، حتى يصح قوله .

وكشفت العروض ونجد وأماكن أخرى عن سر كان العلماء يبحثون عنه في
شوق ، فقدمت للعلاء عدداً من الكتابات المدونة بالمسند ، وبذلك ثبت علمياً ان
(المسند) كان معروفاً قبل الاسلام في كل جزيرة العرب ، وربما كان القلم العام
للعرب قبل المسيح ، اي قبل ظهور أقلام أخرى ولدت على ما يظن بعد الميلاد.
ففي سنة ١٩١١ للميلاد عثر (الكابتن شكسبير) Capt. W.H. Shakespear^٤ على

١ (وليس يكتب به « أي بالمسند » غير أهل اليمن) ، الاغاني (١٢٥ / ١١) .

٢ الاشتقاق (٣١٧) .

٣ الخزائن (٤٢٦ / ٣) ، الشعر والشعراء (٣٠٤ / ١) ، المؤلف (١٤٩) ، الاغاني
(١٢٥ / ١١) ، السرط (٣٣٢) .

٤ BOASOOR, Nub. 102, (1946), p. 4.

كثابتين بالمسند في موضع (حنا) (الحناة)^١ وفي خرائب (ثج) (ثاج) التي تبعد خمسين ميلاً تقريباً عن ساحل الخليج وزهاء مئة ميل من شمال غربي القطيف^٢ . وقد نشر ترجمة الكتابين (ماركليوث)^٣ . وعثر بعد ذلك على كتابة أخرى في موضع (ثج) (ثاج) دخلت في ملك أمير الكويت ، وقد نشر ترجمتها (ركنس)^٤ . وهي حجر قبر لشخص من قبيلة (شذب) . وعثر على كتابة أخرى في هذا الموضع ، وقد بلغ عدد ما عثر عليه في هذا المكان أربع كتابات^٥ .

وعثر عمال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية (أرامكو) في أثناء الحفر على مقبرة من (عين جوان) (جون) (جاوان)^٦ عام ١٩٤٥ للميلاد على حجر مكتوب تكسرت بعض أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، اتضح بعد أنه حجر قبر لامرأة يقال لها (جشم بنت عمرت) (عمرت) بن تيمو من أسرة (عور)

١ (حنا : لعل صوابها الحناة ، واحدة الحناة بتسهيل الهمزة كما هي عادة عرب هذا الزمان في الكلمات المهموزة . والحناة : موضع يقع غرب بلدة الجبيل - المعروفة قديماً باسم (عينين) الواقعة على البحر الشرقي (الخليج الفارسي) . وتبعد الحناة عن الجبيل ٨٣ كيلومتراً ، وتقع على مر الطريق منه ومن الظهران والأحساء ولن يقصد الكويت أو العراق أو نجدا) ، كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ، (عينين) ، البلدان (٢٥٨/٦) .

٢ (ثاج بالجم : قال الغوري : يهمز ولا يهمز عين من البحرين على ليال . وقال محمد ابن ادريس اليمامي : ثاج قرية بالبحرين) ، البلدان (٢/٣) ، (ثج) ، وهي التي وردت في الشعر العربي القديم . وفي ياقوت مهموزة . ولكن العرب في هذا العهد لا يهزونها . وثاج : موضع فيه سكان وزروع قليلة ، يقع بقرب الحناة في الجنوب الغربي منها بمسافة لا تتجاوز عشرة كيلومترات) ، كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ، البكري ، معجم (٣٣٣/١) .

٣ Douglas Crruthers , « Captin Shakespear's Last Journy » , in the Geographical Journal, LIX, (1922), 321-323, Corpus Inscriptionum Semiticarum, Nos. 984 - 985.

Ryckmans, in Le Muséon, L, p. 239, Ryckmans 155.

٥ Le Muséon, L, p. 237, Ryckmans 155.

٦ (عين جوان - الصواب : جاوان) ، ويقع موضع جاوان في داخل الرأس المعروف حديثاً باسم (رأس تنورة) في الجهة الشمالية منه على ساحل البحر ، بعد مدخل الرأس ببضعة كيلومترات . وكانت عينه تسقي نخيلاً وزروعاً ولكن ماءها قل ، حتى زالت مزروعاتها . كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م .

(آل عور) من قبيلة شذب^١.

واستخرج (كورنول) P.B. Cornwall لوحاً مكتوباً بالمسند كان مدفوناً في أحد بساتين القطيف ، دفنه أصحاب البستان ، وقد ذكر أنه نقل من جزيرة (ثاروت) أو من موضع لا يبعد كثيراً عن القطيف ، وقد وجد أن هذا اللوح هو مثل الألواح التي عثر عليها قبلاً ، شاهد قبر ، وضع على قبر رجل يقال له (ايليا بن عيني بن شصر من أسرة سمم من عشيرة ذال من قبيلة شذب)^٢ . ويرى بعض الباحثين أن صاحب القبر كان نصرانياً ، عاش في القرن الخامس أو السادس للميلاد .

وعثر على شاهد قبر آخر مدون بالمسند ، هو شاهد قبر (شبام بنت صحر ابن عنهل بن صامت) من قبيلة (يدعب) ، وجد على مقربة من القطيف^٣ . و (يدعب) بطن من بطون قبيلة (شذب) . ويظهر أن قبيلة (شذب) كانت من القبائل المعروفة في العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، ولا تحمل الكتابة تأريخاً ، ويرى الذين درسوها أنها تعود الى القرن السادس للميلاد . وأما الرقم الذي ذكر في نهاية النص وهو رقم (٩٠) ، فالظاهر أنه يشير الى عمر صاحبة القبر^٤ .

هذا ما عثر عليه من كتابات بالمسند في العروض . وأما في أواسط جزيرة العرب وفي باطنها وفي الأماكن التي لم يكن يتصور العثور فيها على أثر لحضارة ، فقد عثر فيها على كتابات بهذا القلم كذلك ، وهذه الكتابات أهمية كبيرة ؛ لأنها أول وثيقة تاريخية لا يتطرق إليها الشك ، ترد إلينا عن هذه المناطق التي لم يرد لها ذكر مفصل عند المؤرخين السابقين ، لأنها أول دليل عملي يثبت انتشار هذا الخط في أواسط جزيرة العرب . عثر (فلي) في هذه المناطق على فخار وآثار

١ BOASOOR, NUM : 102, April 1946, p. 4, « A Himjaritic Inscription from the Persian Gulf Region », by F.V. Winnett, BOASOOR, Supplementary Studies Nos. 7-9, « The Early Arabian Necropolis of Ain Jawan », by Richard Lebron, 1950.

٢ Geographical Journal, Vol. CVII, 1-2, 1946, « Ancient Arabia : Explorations in Hasa, 1940-1941 », by P.B. Cornwall, p. 44.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٥) .

٤ المصدر نفسه .

أرسلها الى المتحف البريطاني ظهر أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد . ويظن من فحصها انها من آثار السبثيين^١ . كما عثر على كتابات وصور ، وبقايا مقابر وعظام .

وقد صور (فليبي) بعض الكتابات ، وصور بعضاً آخر رجال شركة البترول العربية السعودية الذين وصلوا الى هذه المواضع للبحث عن البترول . وقد وصلت تصاوير عدد منها الى العلماء فنشروا نصوصها وترجموها ، مثل كتابات (القرية) أو (قرية الفاو) التي سبق أن تحدثت عنها . وقد وجد اسم الصنم (ود) مكتوباً بحروف كبيرة بين تلك الكتابات^٢ ، وحيث أن هذه الكنوز الثمينة إنما عثر عليها ظاهرة على سطح الأرض ، وحيث أن الباحثين لم يفحصوا الكهوف فحصاً دقيقاً ، ولم ينظفوها من الأتربة والرمال التي في داخلها ، فإننا نأمل العثور على أشياء ثمينة ذات بال بالنسبة للتأريخ الجاهلي إذا اهتمت الحكومة العربية السعودية بهذا الأمر ، وقامت بتجهيز بعثة علمية من المتخصصين بالآثار العربية ، أو سهلت للعلماء والبعثات سبل الوصول إليها ، وحافظت على تلك الآثار من التلف وعبت العابثين .

ووجد (فليبي) كهوفاً ومقابر في مواضع أخرى من (وادي الفاو) ، وقد وجدت حيطان بعض الكهوف (سردب) (سرداب) مكسوة بالكتابات (والوسم) والتصاوير المحفورة . ويظهر أن أبنية ضخمة كانت في هذه الأماكن^٣ .

وعثرت شركة (أرامكو) على رأس نحت من الحجر في (القرية) كتب عليه بالمسند أنه (ثار ونفسي علزن بن قلزن غلوني)^٤ ، أي (اثر وقبر علزان ابن قلزان الغلوني) . كما وجدت كتابات بهذا القلم عند جبل عبيد وفي حصن ناطق وفي شمال موضع (خشم كعدة) على مسافة (١٠٠) كيلومتر من شمال قرية

١ « A Further Journey across the Empty Quarter », by W. Theslger, in Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 21.

٢ Geographical Journal, CXIII, (149), p. 91.

٣ Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 90, Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 87.

٤ Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 87, Qariya, I, Philby 221a.

القاو في وادي الدواسر^١ ، وفي (وادي هبن) (حبن)^٢ على (١٢٠) ميلاً شمال شرقي عدن^٣ . وفي (عين قرية) على (٣٠) ميلاً تقريباً من شمال (زفر) وفي (منخلي) في جنوب خشم العرض حيث يعتقد البدو أن هذا الموضع هو بئر من آبار عاد^٤ .

لم يفسر علماء العريضة سبب تسمية (المسند) مسنداً ، وقد قرأت لإسرائيل ولفنسون تعليلاً لتسمية هذا القلم مسنداً ، فقال : « والخط المسند يميل الى رسم الحروف رسماً دقيقاً مستقيماً على هيئة الأعمدة . فالحروف عندهم على شكل العمارة التي تستند الى أعمدة . وعلى العموم فإن لحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن .

ومن أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة ، أي ان الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند الى أعمدة .

وقد تنبه علماء المسلمين الى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظة المسند ؛ لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة الى أعمدة »^٥ .

وهو رأي سبقه اليه (ليدزبارسكي) Lidzbarski إذ أشار الى أثر العمارة والأعمدة في شكل هندسة حروف الخط المسند وهو تفسير يشبه تفاسير الأخباريين واللغويين للأسماء والأعلام التي لا يعرفون من أمرها شيئاً ، فيلجأون الى الخيال ليتكرر لهم سبباً وتعليلاً يناسب الكلمة، ويتصورون عندئذ أنهم قد أوجدوا السبب، وأن من يأتي بعدهم سيكتفي بذلك ويأخذ به .

وكذلك كوّنت كلمة (المسند) في مخيلة (اسراييل ولفنسون) ولدى (ليدزبارسكي) فكرة استناد خطوط الحروف وقيامها بعضها الى بعض استناد المباني،

-
- | | |
|--|---|
| Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 99, Philby, Wadi Dewasir, I, | ١ |
| هكذا ورد في مجلة (Le Muséon) (هبن) (Haban) بدون نقطة أو علامة تحت حرف H تدل على أنه (هاء) . ولعل الكلمة (الحبن) ، وهو موضع ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ٦٨) . | ٢ |
| Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 103. | ٣ |
| Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 31, 34. | ٤ |
| تأريخ اللغات السامية (٢٤٣ وما بعدها) . | ٥ |
| Lidzbarski, Ephemeris, I, S. 114, Hommel, Grundriss, Erste Halfte, S. 146. | ٦ |

وقد وجدا من مباني اليمن وقصورها ما قوى هذا الخيال عندهما ، مع ان كلمة (المسند) التي تطلق في المؤلفات العربية الاسلامية على خط أهل اليمن قبل الاسلام لا علاقة لها بالقصور والمباني، واستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها الى بعض ، وانما تعني شيئاً آخر ، تعني خط أهل اليمن القديم لا أكثر ولا أقل . وكلمة (مسند) (مزند)^١ في العربية الجنوبية تعني (الكتابة) مطلقاً ، وقد وردت في مواضع متعددة من الكتابات والنقوش ، فورد في نص أبرهة مثلاً (سطرو ذن مزندن) ، وترجمتها : (سطروا هذه الكتابة) ، وتؤدي كلمة (سطرو) المعنى نفسه الذي يرد في لغتنا ، وهو : (سطروا) ، اي كتبوا ودوتوا ، فكلمة (مزندن) التي صارت (المسند) في عريبتنا تعني في العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط او الكتابة في لغة القرآن ، ولم تكن مخصصة عند البانين بخط حبر ، او غير حبر، وانما حدث هذا التخصيص في المؤلفات الاسلامية فصار فيها (المسند) اسم علم لخط حبر وحده . ولا ندري متى حدث ذلك : أحدث في الجاهلية المتصلة بالاسلام أم في الاسلام ؟

واذا كان هذا التخصيص قد وقع في الاسلام ، فإننا لا نستطيع أيضاً التكهن عن الوقت الذي ظهر فيه هذا التخصيص ، لأننا لا نملك مصادر اسلامية تشير الى هذا ولا مؤلفات من صدر الاسلام يمكن ان نجد فيها ما نبحت عنه . ويتألف المسند من تسع وعشرين حرفاً، وأبجديته مثل الأبجديات السامية الأخرى من حيث أنها تتألف من الحروف الصامتة ولا حركة في الكتابة فيها ولا ضبط في أواخر الكلمات ولا علاقة للسكون او للتشديد . ويفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها فاصل هو خط مستقيم عمودي . وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما في اللغات الأوروبية .

ومما يلاحظ على الكتابات المعينية انه لم يطرأ عليها تغيير كبير في العهود التي مرت بها . أما الكتابات السبئية ، فيمكن التمييز بين القديم منها والمتأخر في الأسلوب ، وفي شكل الكتابة^٢ .

١ بحرف الزاي في لغة أهل اليمن لا السين .

٢ غويدي : المختصر في علوم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، (ص ٣) ،

Höfner, Altsüdarabische Grammatik, Leipzig, 1943, Weber, S. 12,
Pfannmüller, S. 86, Mordtmann, Beiträge zur Münäischen Epigraphik,
Weimar, 1896.

وللمسند ميزات امتاز بها عن القلم العربي ، فحروفه منفصلة ، وهي بشكل واحد لا يتغير بتغير مكان الحرف من الكلمة . فإذا جاء الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها ، كتب بشكل واحد . وقد جعلت هذه الخاصية لهذا القلم ميزة أخرى ، هي ميزة الكتابة به من أي جهة شاء الكاتب ان يبدأ بها . فله ان يكتب من اليمين الى اليسار وله أن يكتب من اليسار الى اليمين ، وله ان يمزج بين الطريقتين ، بأن يكتب على الطريقة الخلونية ، من اليمين الى اليسار ، ثم من اليسار الى اليمين ، ثم من اليمين الى اليسار ، أو العكس ، وله أن يكتب من أعلى الى أسفل أو العكس وهكذا ، ثم ان حروفه غير متشابهة لذلك لم يعرف المسند الإعجام ، ولو كتب له ان يكون قلم المسلمين ليشر لنا اليوم وقتاً ومالاً في موضوع الطباعة به . ولكنه أبطأ في الكتابة نوعاً ما من الخط العربي لشكل حروفه الضخمة بالنسبة الى الحروف العربية المختزلة ، فالخط العربي يمتاز عليه بهذه الناحية فقط . أما موضوع الشكل ، فالمسند غير مشكول ، بل يكتب بحروف صامتة فقط .

وفي القرن التاسع عشر وما بعده كشف المستشرقون النقاب عن أقلام أخرى لم يعرفها علماء العربية ، هي : القلم الثمودي ، والصفوي ، والحياتي . وكتابات أخرى كتبت بلهجات محلية عثر عليها في الجوف ، وفي الحجر وفي العلا ، وفي مناطق أخرى كجبل شبحان ، وكوكبان ، وجبل شمر ، لها بعض الخصائص والمميزات اللغوية . والظاهر ان خط هذه الكتابات كان مستعملاً بين السواد في الأمور الشخصية^١ .

أما القلم الثمودي ، فقد عثر على كتاباته في العربية الغربية ، وفي الجمهورية العربية السورية وفي المملكة الأردنية الهاشمية وفي الحجاز ، فقد عثر على كتاباته في مواضع متعددة من الحجاز ، فيما بين المدينة ومكة وعلى مقربة من الوجه والطائف ، وفي (ربيع الزلالة) عند السيل الكبير على طريق الطائف

Grundriss, I, S. 147, Transaction of the 9th Inter. Congr. of Orientalists, Vol. I, p. 86, (London), 1893, Über die Protoarabischen Inschriften, in Aufs und Abh., S. 41, 161, Saudarabische Chrestom., S. 6, Lady A. Blunt, A Pilgrimage to Nejd, London, 1881, Vol. 2.

مكة^١ . وعثر على كتابات ثمودية في (حائل) وأماكن أخرى من نجد وفي اليمن . وفي هضبات شبه جزيرة سيناء^٢ .

هذا وقد عثر على كتابات ثمودية كثيرة في (ريع الزلالة) (سيل الغربان) ، الى الشمال من الطائف على مسافة أربعين كيلومتراً منها^٣ . وفي وادي (الاب)^٤ ، وفي مواضع أخرى من الحجاز ونجد ، مما يدل على انتشار الثموديين في مواضع واسعة من جزيرة العرب .

وأما القلم الصفوي ، فقد عثر عليه في منطقة الصفاة شرقي الشام ، وفي بادية الشام ، ولا يعني هذا ان هنالك قبائل كانت تسمى قبائل صفوية ، بل هو اصطلاح أطلقه المستشرقون على الخطوط التي وجدت في ناحية الصفاة ، وهي تشتمل على كتابات قريية من كتابة لحيان وثمود . كما عثر على كتابات صفوية في مواضع من بادية العراق ، ويوجد عدد منها في ملك مديرية الآثار القديمة العامة في العراق^٥ . كما عثر على عدد كبير منها في المملكة الأردنية الهاشمية . وقد نشرت نصوص بعض منها في جريدة الآثار للمملكة الأردنية الهاشمية^٦ .

والموطن الرئيسي للكتابات اللحيانية هو منطقة العلا ، ولا سيما موضع (الخريبة) والصخور الواقعة الى شرقه ، حيث عثر فيها على مئات من الكتابات التي تعود

١ (عقبة الزلالة ، الواقعة بين مكة وبين الطائف ، وهي تنية ينحدر منها القادم من الطائف على السيل الكبير) ، الموضع المعروف قديماً باسم (قرن المنازل) وتبعد عن هذا الموضع خمسة كيلومترات تقريباً وتقع في شرقيه ، وتسمى الآن (الريع الصغير) . وقد شاهدت بقربها بينها وبين السيل الكبير جبلا فيه كتابات كوفية قديمة . وحدثت بأن (فلبي) رأى في تلك الجهة تمثالا من الصخر منحوتا في الجبل يمثل رجلا واقفا ، وانه اطلع على كتابات قديمة في تلك الجهة) ، كتاب من السيد حمد الجاسر ، تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ،

٢ نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب ، القاهرة ، ١٩٤٣ م ، (ص ١٠٩) ،
E. Littmann, Entzifferung der Thamudenischen Inschriften, 1904, Hubert
Grimme, Die Lösung des Sinalschriftproblems, Die Althamudische
Schrift, Münster, 1926.

٣ A. Grohmann, Arabic Inscriptions, Louvain, 1962, p. 2.

٤ كتابات من الادب ، للدكتور عبدالرحمن الانصاري ، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ، المجلد الاول ، السنة الاولى (١٩٧٠) ، (ص ١١٣ وما بعدها) .

٥ راجع نشرات مديرية الآثار القديمة في العراق ومجلة سومر .

٦ Annual of the Department of Antiquities of Jordan.

الى شعب لحيان^١ .

والأقلام الصفوية والثمودية والحيانية ، مثل المسند ، ليس لها علامات لا للفتح ولا للكسر ولا للضم ولا للاشباع ولا لاتحاد الفتحة والواو والباء (أي الإمالة Diphthong) الخ ... كما ان حروفها تأخذ صوراً متعددة ، فإرد الحرف الواحد في كل قلم من الأقلام المذكورة بصور مختلفة ، ولذلك تجابهنا صعوبات كبيرة في محاولتنا قراءة الكلمات والجمل قراءة صحيحة. ويحتاج القارئ الى مران طويل ودراسات اللهجات العربية الأخرى لضبط الكلمات في هذه اللهجات، ومعرفة معانيها .

وقد لاحظ المستشرقون مشابهة كبيرة بين الأقلام المذكورة وبين المسند ، كما وجدوا هذه المشابهة بين عدد من الأقلام التي استعملت في غير جزيرة العرب والمسند، وبعد مقابلات بينها ودراسات ذهبوا الى تفرعها من المسند . وهذه الأقلام المذكورة كلها متأخرة عن المسند ، وتعود تواريخ قسم منها الى ما قبل الميلاد ، ومنها ما يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد .

ومما يلاحظ على هذه الأقلام اختلاف صور أكثر الحروف فيها ، فقد تكون للحرف صورتان ، وأحياناً ثلاث صور أو أكثر ، غير ان هذا الاختلاف ليس كبيراً في الغالب بحيث يتعذر معه تمييز أشكال الحرف الواحد ، ولا نجد فيها الوضوح والبساطة التي نجدها في المسند ، كما لا نجد فيها هذه الخطوط المستقيمة المنقوشة بدقة وعناية في الكتابات المعينية او السبئية او الحضرمية او القتبانبة او الحميرية ، فكأن كتابهم كانوا يرون العجلة في الكتابة والاسراع في التسطير لضيق الوقت ، لذلك لم تكن حروفهم دقيقة واضحة .

وأما الأقلام التي تشبه حروفها المسند . واستعملت عند أقوام عاشوا في أقطار لم تكن من جزيرة العرب ، فمنها التلم الحبشي القديم ، وقد عثر على كتابات به في منطقة (بحا) (بها) Jeha ، وهي تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية، وقلمها هو القلم السبئي القديم ، وفي (اكسوم) وتعود الى القرن الرابع للميلاد^٢ ،

١ Ency. Vol. 3, p. 26, Müller, Epigraphic Denkmäler aus Arabien, XXXVII, 1889, Jaussen and Savignae, Mission Archéologique en Arabie, I, Paris, 1909, p. 263, Vol. II, p. VIII-XIV, 27-77, 361-534, Lidzbarski, Ephemeris für Semit. Epigraphic, II, 23-48, 345-361, III, 214-217, F.V. Winnet, A Study of Lihyanite and Thamudic Inscriptions, Toronto, 1937.

٢ السامية (٢٥٧) . Grundriss, I, S. 148.

وكتابات نصرانية كتبت باللهجة (الجعزية) وتعود الى القرن الخامس للميلاد^١ . وقد استعملت في هذه الكتابات الجعزية الأصوات مع الحروف ، وبذلك اختلفت عن الأبجديات السامية التي استخدمت الحروف الصامتة حسب ، وذلك بإضافة شيء يشبه الحركات في صلب الحروف يقرأ معها ولا تفهم هي بدونها^٢ . ومع ذلك احتفظت بالأشكال الأصلية للحروف العربية الجنوبية ، ولم تبعد عنها كثيراً . ويمكن إدراك أثر المسند في الكتابة الحبشية المستعملة في الوقت الحاضر دون كبير عناء .

وذهب كثير من المستشرقين الى أثر المسند نفسه أو بالواسطة في عدد من الأقلام الأخرى ، منها كتابات عثر عليها في إفريقية Merotische Schrift في إحدى اللهجات الكوشية أو النوبية^٣ . والخط البربري القديم الذي يعود الى أيام قيصرية رومة . والقلم البراهمي (Brahma Script - Devanagari Alphabet) ، حيث نلاحظ شبهاً كبير بين حروف هذا القلم والمسند. ولا يستبعد أثر المسند فيه ؛ لأن العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جداً^٤ .

يظهر أن المسند كان القلم الرئيسي في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن جزيرة العرب كانت تكتب به قبل المسيح . وأن أقلاماً تفرعت منه قبل المسيح وبعد المسيح ، لأسباب لا تزال غير واضحة ، وقد تكون لأشكال الحروف التي تتطلب دقة في الرسم علاقة بذلك ، فالكتاب الى ابتكار أشكال مرنة لا تحتاج الى عناية في الرسم ، فاستخدموها في الكتابة لسهولة استخدامها . فتولدت منه الكتابات المذكورة .

١ Grundriss, I, S. 148, D.H. Muller, Epigr. Denkmäler aus Abessinien, Wien, 1894, Tafel, II, IV.

٢ السامية (٢٥٦) ، Grundriss, I, S. 148, Glaser, Die Altabess. Inschr. von Marib, in ZDMG., Bd., 50, (1896), S. 468, Die Abessinier in Arabien und Afrika, München, 1895, S. 168.

٣ R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, VI, Bd., I-II in Bd., XI, Grundriss, I, S. 149.

٤ Grundriss, I, S. 149, Isaac Taylor, The Alphabet, Vol. 2, p. 314, Georg Buhlets, Indian Brahma Alphabet, Wien, 1895, p. 2, Ency. Brit. I, p. 683.

أصل القلم المسند :

ذكرت أن أكثر المستشرقين رأوا أن القلم العربي الذي دوتن به القرآن الكريم، أخذ من القلم النبطي المتأخر . أما المسند ، فقد رأى كثير منهم أنه اشتق من الأبجديات السامية الشمالية كذلك^١ . وذهب بعضهم أن أنه تفرع من الأبجدية السينائية ومنهم من قال إن الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت من نفس الأصل الذي أوجد الخط الفينيقي ، فهي لذلك من أقدم الأبجديات المعروفة^٢ . ونحن إذا أنعمنا النظر في شكل الأبجدية الطورسينائية والمسند، نجدهما لا تشابهان إلا في رسم حرفين أو ثلاثة^٣ . وتكون الأبجدية الطورسينائية من اثنين وعشرين حرفاً كالفينيقية والعبرانية . أما الأبجدية العربية الجنوبية ، فتتألف من تسعة وعشرين حرفاً ، أي بزيادة سبعة أحرف على أبجدية طور سيناء .

وحجة القائلين أن المسند قد أخذ من القلم الفينيقي ، وأن الأبجدية الفينيقية هي أقدم الأبجديات وأم الأبجديات^٤ . ولكننا إذا أنعمنا النظر في رسم حروف الأبجديتين، نجد التشابه بينها في هيئة الحروف ورسمها ليس كبيراً ، كما أن الأبجدية العربية الجنوبية تزيد عليها في سبعة أحرف، وهذه الأحرف الزائدة لا تختلف عن الأحرف المشتركة بين الأبجديتين في هندسة الرسم والشكل . فلعل الأبجديتين قد تفرعتا من أصل واحد^٥ ، فلا يعد المسند لذلك فرعاً نبت من الفينيقية .

وزعم نفر من الباحثين في تطور الخط أن المسند مشتق من القلم الكنعاني ، ولكن بعض علماء العربية الجنوبية ينكر هذا الرأي . إذ يرى أن المسند أقدم عهداً من الأبجدية الكنعانية ، وأن الكتابات العربية الجنوبية أقدم زمناً من أقدم الكتابات الكنعانية، فلا يصح إذن القول بأن المسند مشتق من القلم الكنعاني . ومما يلاحظ على الأبجديتين أن الأبجدية الكنعانية يعوزها من الحروف : ذ ، ض ، ظ ، س (سامخ) ، ث ، غ . ولكن الأبجديتين تشتركان اشتراكاً تاماً في الحروف : ج ، ط ، ل ، ن ، ع ، ش ، ق ، ت ، و . وتختلفان في بعض الحروف

BOASOOR, NUM : 118, April 1950, p. 13. ١

Background, p. 11. ٢

Ency. Brita. I, p. 680. ٣

Lidzbarski, Ephemeris, I, S. 109, The Art of Writing, p. 11. ٤

Grundriss, I, S. 145. ٥

اختلافاً كبيراً ، وليس بمستبعد أن تكون الأبجديتان قد تفرعتا من أصل واحد .
والرأي عندي ان من الصعب البت في الوقت الحاضر في موضوع أصل المسند ،
لأن صور الأبجديات القديمة الواصلة إلينا لا تزال قليلة ، ولا نجد بين صورها
وبين صور المسند تشابهاً كبيراً بحيث يمكن ان نستنبط من هذا التشابه حكماً يفيدنا
في تعيين أصل المسند . والتشابه بين حروف قليلة لا يمكن ان يكون سبباً للحكم
باشتقاق خط من خط . وعندني ان الأبجدية العربية الجنوبية تمثل مجموعة خاصة ،
تفرعت من أصل لا نعرف من أمره اليوم شيئاً ، لأن شكل حروف المسند لا يشبه
شكل حروف الأبجديات المعروفة ، فلننتظر فلعل المستقبل يكشف للعالم النقاب عن
أبجديات مجهولة ^١ .

ولا يعقل بالطبع ان يكون أهل العربية الجنوبية قد أوجدوا خطهم من العدم ،
من غير استعانة بعلم مسبق عن الحروف والأبجديات ، بل لا بد ان تكون أبجديتهم
قد أخذت من أبجدية أخرى ، ومن فرع من فروع الخط الذي أوجدته البشرية ،
ودليل ذلك ان أسماء الحروف الأساسية التي ترد في كل أبجدية هي واحدة ، وفي
وحدة الأسماء دلالة على وجود أصل واحد ، تفرعت منه الخطوط . والمسند بالنسبة
لنا ، هو خط قائم بذاته ، يشابه الخط الحبشي ، ومن فروعه الأبجدية اللحيانية
والثمودية والصفوية . فكل هذه الأبجديات هي من فصيلة واحدة رأسها المسند ،
أما ما فوق المسند ، فلا نعرف من أمره أي شيء .

وفي المسند حرف لا وجود له في أبجديتنا يكون على هذا الشكل :



وهو بين الزاي والسين ، ولذلك يجعله البعض سينا حين يتقلون نص كتابة
عربية جنوبية الى عربيتنا ، او الى اللغات الأوروبية . كما يقرأ حرف الجيم (ج)
« گيا » في المسند على نحو نطق المصريين بهذا الحرف في لسانهم .

ومن القلم المسند أخذ الأحباش قلمهم الذي يكتبون به ، نقله اليهم السبئيون

١ السامية (٢٤٢ فما بعدها) .

الذين هاجروا الى الحبشة قبل الميلاد وأقاموا لهم حكومة هناك وأثروا في الأبحاش، فكان من تأثيرهم فيهم هذا القلم الحبشي .

وحروف المسند منفصلة غير متصلة ، أعني انها ليست كحروف الأبجدية التي نكتب بها ، بل الحروف فيها مستقل بعضها عن بعض غير متصل به . ولتمييز الكلمات بعضها عن بعض ، وضع الكتاب خطوطاً مستقيمة عمودية تشير الى انتهاء الكلمة والى ابتداء كلمة جديدة . وتبدأ الكتابة عندهم من اليمين في العادة، وتنتهي في اليسار ، غير أنهم قد يكتبون من اليسار أيضاً ، وينتهون بالسطر في اليمين . وقد يمزجون بين الطريقتين فيبتدئون في اليمين مثلاً وينتهون بالسطر في اليسار ، ثم يبدأون في السطر الذي يليه من اليسار ، وينتهون في اليمين ، ويبدأون بالسطر الذي يليه من اليمين لينتهي باليسار، ويبدأون في الثالث من اليسار وينتهون باليمين، وهكذا حتى تنتهي الكتابة . أما اذا ابتدأوا بالكتابة من اليسار ، فينتهون بالسطر في اليمين ، ثم يبدأون في السطر الثاني باليمين لينتهوا به في اليسار ، وليبدأوا بالسطر الثالث من اليسار ولينتهوا به في اليمين ، وهكذا يسرون على هذا المنوال حتى تنتهي الكتابة . ويلاحظ ان لشكل حروفهم خاصية جعلتها تصلح لأن يكتب بها في أول الكلمة او في وسطها او في أواخرها من دون حاجة لاجراء اي تعديل على جسم الحرف العام ، لأنها حروف منفصلة غير مربوطة . وهي تمتاز من هذه الناحية عن حروف أبجديتنا ، التي ترتبط فيها الحروف ، فتستعمل حرف العين مثلاً في أول الكلمة بصورة تختلف عن صورة هذا الحرف اذا استعمل في الوسط، وتستعمل هذا الحرف في آخر الكلمة بصورة تختلف عن استعماله في أول اللفظة او في وسطها ، أي انها تحدث تغييراً على جسم الحرف . ولهذا الخاصية صار في الامكان الابتداء بحروف المسند من أية جهة أراد الكاتب أن يكتب بها من ناحية اليمين او من ناحية اليسار ، او بالجمع بين الطريقتين من غير أي تأثير في قابلية القارئ على القراءة ، كما صار من السهل على المبتدئ بالكتابة والقراءة تعلم الخط بالمسند بكل سهولة ، لوجود شكل واحد لا يتغير للحروف . فهو لهذا صار أسهل تعلماً من الخط الذي نكتب به الآن ذي الأشكال المتعددة الحروف، كما انه خال من التنقيط الموجود في عربيتنا لتمييز الحروف المتشابهة في هذا الشكل بعضها عن بعض ، وهو مما سبب لنا مشاكل خطيرة في كيفية ضبط الحروف والألفاظ ، عند وقوع التصحيف ، بسقوط نقطة من الكتابة سهواً ، او بوضع

النقطة في موضع يجب ألا توضع فيه ، او بوقوع سهو في عدد النقط .
وقد راعى الكتاب استعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات مراعاة تامة ،
لأنها هي العلامة الوحيدة التي ترشد القارئ الى انتهاء لفظة وابتداء لفظة جديدة ،
ولم يخطر ببالهم وضع فراغ بين نهاية كلمة وابتداء كلمة جديدة ، أو لأنهم لأمر
ما لم يستعملوا هذا الفراغ خشية حصول التباس قد يفسد على القارئ قراءته ،
وقليلاً ما خالف كتابهم هذه الطريقة فأغفلوا وضع هذه الأعمدة الفاصلة . ولم
يستعمل كتابهم علامة ما دالة على انتهاء جملة وابتداء جملة أخرى جديدة أو
انتهاء فصل وابتداء فصل جديد ، كذلك لم يستعملوا ما نستعمله نحن في الزمن
الحاضر من علامات فواصل لأداء معاني خاصة يقتضيها الكلام وعلامات استفهام ،
لأن هذه الأشياء من الأمور المتأخرة التي أدخلت على الكتابات الغربية ، ولم تكن
معروفة عند الأقدمين .

وحروف المسند حروف غير مشكلة ، فليس فوقها أو تحتها حركات كما هي
الحال في عربيتنا حين نرغب في تحريك الحروف . وهي غير منقطعة كذلك فلا
نقط فوق بعض الحروف أو تحتها لتمييزها عن غيرها من الحروف المشابهة لها كما
هي الحال في أبجديتنا أيضاً ، ولم يرمز عن الحركات بحروف أو برموز تستعمل
مع الحروف الصامتة داخل الكلمة ليتمكن بها القارئ من النطق بالكلمة النطق
الصحيح كما حدث ذلك في الأبجديات اللاتينية، وفي الأبجديات الأخرى التي سارت
على نهجها وسبيلها، ولم يرمزوا عن حرف المد بشيء ولا عن السكون أو التشديد .
وهذا مما جعلنا في حيرة من النطق بكلماتهم نطقاً صحيحاً مضبوطاً ، وجعل القارئ
الحديث يذهب مذاهب مختلفة في كيفية ضبط الكلمة وفي كيفية النطق بها . فلفظة
مؤلفة من حروف صامتة وحدها ، لا يمكن أن ينطق بها النطق الصحيح المضبوط
ولا يمكن معرفة معانيها بسهولة ، وقد ولدت هذه الطريقة مشكلات كثيرة لنا
من حيث التوصل الى معرفة نحو تلك اللهجات وصرفها^١ .

ولا توجد في المسند علامة لتشديد الحرف ، وقد يكتب الحرف مرتين كما
هي الحال في الأبجديات الأوروبية للدلالة على أن الحرف مشدد^٢ ، ويكون ذلك
في الكتابات المعينية^٣ .

١ غويدي ، المختصر (ص ٣) .
٢ المصدر نفسه .

واقْتِصار الكُتَّاب على استعمال الحروف الصامتة وحدها ، جعل من العسير علينا البت في كيفية النطق بالكلمات والتعرف بسهولة على مواضع الكلم من الإعراب . ولولا الاستعانة باللهجات العربية الباقية المستعملة في اليمن ، وبلغه القرآن الكريم ، وبالمعجمات ، وباللغة الحبشية ، لكان من الصعب على القارئ للكتابات العربية الجنوبية التوصل الى فهم معانيها والى قراءتها قراءة مضبوطة أو قريبة من القراءة الصحيحة ، والتوصل الى استخراج القواعد منها . فبفضل هذه المواد المساعدة ، تمكنا من الوصول الى ما توصلنا اليه عن تلك اللهجات المكتوبة بالقلم المسند^١ .

ومن جملة المسائل التي جعلت فهم النصوص العربية الجنوبية أمراً صعباً على الباحث في بعض الأحيان ، اشتغالها على اصطلاحات غير موجودة في العربية ، وعلى كلمات غير موجودة في اللغات السامية الأخرى ثم إن بعضها قد كتب كتابة موجزة صيرتها غامضة غير مفهومة ، ولهذا اضطر علماء العربيات الجنوبية الى تلخيص معناها على وجه التقريب^٢ .

وبما يؤسف عليه كثيراً أن كتبه المسند لم يتركوا لنا كتابة تشير الى ترتيب حروف الهجاء عندهم ، وأسمائها التي كانت تعرف بها عند قرائهم وكتّابهم . وعدم وصول كتابة بهذا الموضوع منهم إلينا ، خسارة كبيرة ، إذ أصبح من الصعب التحدث عن كيفية ظهور الخط بين العرب الجنوبيين وعن صلاته بالخطوط الأخرى ، وبنا أشد الحاجة الى معرفة كيفية توصل الإنسان الى هذا الاختراع العظيم الذي غيّر تأريخ البشرية وأحدث فيها انقلاباً لا يدركه المرء إلا إذا تصور البشرية وهي جاهلة لا تحسن قراءة ولا كتابة ، فوالذي كان يمكن ان نعرفه لولا وجود هذه العلامات الصغيرة المحدودة التي نسميها حروفاً والتي نكتب بها وندوّن بها كل ما يجول في خواطرنا من آراء دون أن نعرف عظم قيمة هذه العلامات التي ميزت الانسان عن الحيوان ، ورفعته عنه الى أعلى الدرجات !

ولو قدر للعلماء الحصول على ألواح فيها الأبجديات مرتبة بحسب الطريقة التي كانت تسير عليها الشعوب القديمة في تعلمها ، وخاصة اذا كانت مقرونة بأسمائها التي كانت تعرف بها ، لصار في وسع العلماء التوصل الى نتيجة علمية مقبولة

Hofner, S. 15.

٢ ونغنسون ، السامية (٢٤٦) .

بشأن نشأة الخط وتطوره . فإن في استطاعتهم عند ذاك الحكم - من نظرهم الى أقدم هذه الكتابات والى أصول كلمات المسميات - على أقدم مكان ظهرت فيه تلك الكتابة ، وعلى تعيين اسم الشعب الذي كان له شرف هذا الاختراع . وهو اختراع لم يظهر بالطبع فجأة الى العالم ، أي انه لم يكن من ابتكار رجل واحد فاجأ الناس به ، بل هو اختراع مرت عليه قرون حتى بلغ ما بلغه من شكل الحروف . مرت في مراحل كثيرة بدائية في بادىء الأمر ، ثم انتقل من تلك الأشكال الى أشكال أرقى منها ، حتى اهتدى عقل الانسان الى معرفة الحروف . ولم يتوصل بالطبع الى هذه المرحلة بسهولة ، إذ يقتضي ذلك وجود علم عند الانسان عن تكون الكلمات من حروف ، وهو لم يتوصل الى هذا العلم إلا بعد تعب استمر قروناً ، وبتعاون كتّاب مختلف الشعوب لتحليل كلمات الانسان الى عناصرها الأولى ، وعناصرها الأولى هي هذه الحروف .

وقد كان من الضروري وضع أسماء للحروف ، ليميز بها حرف عن حرف آخر . وقد وضع مخترعو الحروف تلك الأسماء ، وهي أسماء لا تزال البشرية تعيدها مع شيء من الاختصار والتحريف ، وقد يمكن التوصل من تلك الأسماء الى أسماء تلك الشعوب القديمة التي ساهمت وعملت في ترقية ذلك الاختراع العظيم . فإن لتلك الأسماء علاقة وصلة بمسميات مادية ، وبالإمكان تشخيص مواطن تلك المسميات بالرجوع الى الأماكن التي عرفت واشتهرت بها ، ومن ثم نتوصل الى تعيين تلك الشعوب على وجه التقريب .

وتختلف أشكال حروف المسند اختلافاً كبيراً عن حروفنا المألوفة التي نكتب بها . ولما كانت هذه الحروف حروفاً منفصلة غير متصلة كما هي الحال في حروفنا ، فهي لذلك في أثناء كتابة الكلمات لا تتصل ببعضها ولا يلتقي فيها حرف بحرف آخر . ولهذا السبب كان شكل الحرف في المسند لا يتبدل ولا يتغير بتغير موضعه في الكلمة ، بل يحافظ على وضعه في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها ، إلا في بعض الأحيان حين يكتبون من اليسار نحو اليمين ، فيغيرون اتجاه الحرف بأن يجعلوه نحو اليمين .

وقد يتحد حرف النون الساكن مع الحرف الذي يليه ويسقط من الكتابة ، ففي كلمة (بنت) أسقط الكتّاب حرف النون من الكلمة ، واكتفوا بهذا الشكل : (بت) أي بالحرفين الباء والتاء ^١ .

١ غويدي (ص ٤) .

والى القارئ أشكال حروف المسند مرتبةً على ترتيب حروف الهجاء التي نسير
عليها في زمنا :

ضى	ا
ط	ب
ظ	ث
ع	ش
غ	ج
ف	ح
ق	خ
ك	د
ل	ذ
م	ر
ن	ز
ه	س
و	ش
ى	ص

✕ : وليس لهذا الحرف مقابل في عربيتنا وهو بين السين والزاي

ولا توجد في المسند تاء قصيرة ، أي التاء التي نكتبها تاء قصيرة في أواخر
الكلم . فالتاء هي تاء طويلة أبدأ ، وردت في أول الكلمة ، أو في وسطها ،
أو في آخرها ، فلفظة (سنة) تكتب (سنت) ، و (عمرة) ، اسم امرأة ،
يكتب (عمرت) ، وهكذا .



وهناك كتابات برزت حروفها ، وذلك ان كاتبها خطها على الحجر أولاً ، ثم حفر ما حولها وفي باطنها بمنزبر صلد ، أو بسكين أو بآلة حادة ، فظهرت الكتابة بارزة ، وقد استخدمت مثل هذه الكتابات لتوضع على أبواب المعابد وعلى واجهات الدور وفي المناسبات التذكارية، كما فعل الاسلاميون في كتاباتهم التخيلية التي وضعوها على واجهات القصور والمساجد والأبنية المهمة، أما الكتابات المحفورة فقد استخدمت في الأعمال الاعتيادية في الغالب ، وهي أسهل في الكتابة من الكتابة البارزة ، ولا تحتاج الى وقت طويل يصرفه الكاتب على الحفر لابرار الحروف .

وأما الفاصل الذي يفصل بين الكلمات ، فهو على هذا الشكل :



ويعبر عن العدد من الواحد الى الأربعة بخطوط عمودية ، فيرمز الخط العمودي الواحد عن (الواحد) ، ويرمز الخطان العموديان المتوازيان عن الرقم (٢) ، وإذا أرادوا كتابة الرقم (٣) وضعوا ثلاثة خطوط عمودية متوازية للدلالة عليه . أما الرقم (٤) ، فيمثل بأربعة خطوط عمودية متوازية . وأما الرقم (٥) فيرمز عنه بالحرف (خ) الذي هو الحرف الأول من كلمة (خمس) . وإذا أرادوا الإشارة الى الرقم (٦) وضعوا خطأ عمودياً على الجانب الأيسر لحرف (الخاء) الذي يرمز عن الخمسة ، ومن هذا الحرف والخط العمودي الكائن مكانه في موضع العشرات بالقياس الى حسابنا يتكوّن الرقم (٦) . وإذا أرادوا الرقم (٧) وضعوا خطين عموديين على الجانب الأيسر للحرف خمسة ، فيعبر هذا المجموع المكون من الخاء ومن الخطين العموديين المستقيمين عن الرقم (٧) . وإذا أرادوا الرقم (٨) ، وضعوا على الجانب الأيسر من الحرف خاء ثلاثة خطوط تشير الى الرقم (٣) ، فيتكون بذلك من حرف الخاء الذي يرمز عن الخمسة ومن الثلاثة، المجموع ثمانية ، وهو الرقم المطلوب . أما الرقم (٩) ، فيتكون من مجموع رقم (٥) الذي يرمز عنه الخاء ومن الرقم (٤) الذي تمثله خطوط عمودية أربعة . وأما الرقم عشرة ، فيرمز عنه بحرف العين الذي يمثل الحرف الأول من كلمة عشرة . وأما الرقم (١٠٠) فيرمز عنه بالحرف الأول من الكلمة مئة ، أي بحرف الميم . وأما الرقم (١٠٠٠) فرمز عنه بالحرف ألف ، أي بالحرف الأول من الكلمة أيضاً، فيلاحظ

من هنا أن العرب الجنوبيين استعملوا الحروف الأولى من أسماء بعض الأرقام عوضاً عن الأرقام نفسها، ولم يتبعوا الطرق التي نتبعها اليوم في كتابة أمثال هذه الأعداد .

والظاهر أن استعمالهم حرف الخاء مقام العدد (٥) ، جعلهم يحارون بعض الحيرة في التعبير عن العدد (٥٠) الذي يبدأ مثل العدد (٥) بحرف الخاء ، فتخصيص هذا الحرف بالعدد (٥) جعل من غير الممكن تخصيصه بالعدد (٥٠) كذلك . ولما كان من الصعب كتابة الـ (٥) عشر مرات للتعبير عن العدد (٥٠) الذي هو حاصل جمع عشر خمسات خاصة لأن هذا العدد يتضاعف ويتكرر ، فكروا في حل آخر يحل لهم هذه المشكلة . مشكلة إيجاد حرف أو علامة ترمز عن الرقم (٥٠) . وقد وجدوا ذلك الحل من حقيقة العدد (٥٠) الرياضية . فالعدد (٥٠) هو نصف الـ (١٠٠) كما هو معلوم . ولما كان حرف الميم يرمز عن المئة ، والمئة هي حاصل جمع خمسين مع خمسين ، فيكون حرف الميم هو حاصل جمع خمسين مع خمسين . ولما كان حرف الميم في المسند هو على شكل خط عمودي يرتكز عليه مثلثان قاعدتهما ملتصقة على ذلك العمود ، فإن كل مثلث من ذينك المثلثين يعبر في الواقع عن الرقم (٥٠) ، فهداهم تفكيرهم هذا إلى رفع المثلث الأسفل ليبقى مثلث واحد هو المثلث الأعلى مرتكراً على الخط العمودي ، ليعبر عن قيمته المتبقية وهي خمسون ، وصار هذا الرمز الذي هو نصف حرف الميم رمزاً عندهم للعدد (٥٠) . وبذلك أوجدوا لهم حلاً لتلك المشكلة التي لا بد أنها شغلت بال كتابهم مدة من الزمن .

وأما الأعداد التي تلي العشرة فيبدأ بها بحرف العين أولاً ومعناه عشرة ، ثم تليه بقية الزيادة أي مقدار زيادة ذلك العدد عن العشرة . فإذا أرادوا الرقم (١١) مثلاً بدأوا بحرف العين ، ثم وضعوا بعده أي على يساره خطأ عمودياً واحداً بمعنى واحد ، ويكون المجموع أحد عشر . أما إذا أرادوا الرقم (١٢) ، فإنهم يضعون مستقيمين عموديين على يسار حرف العين ليدل ذلك على عشرة زائد اثنين وهو اثنا عشر . وإذا أرادوا (١٣) وضعوا ثلاثة خطوط عمودية مستقيمة لتدل عليه . أما إذا أرادوا (١٤) فإنهم يضعون أربعة خطوط عمودية ، ليكون مجموعها مع العشرة أربعة عشر . أما إذا أرادوا (١٥) ، فإنهم يكتبون حرف العين ثم يضعون من بعده وعلى جهة يساره حرف الخاء الذي هو بمعنى خمسة . وإذا أرادوا (١٦) وضعوا بعد حرف العين ما يرمز عن الستة ، وهكذا بقية الأعداد

الى العدد (١٩) . أما العدد (٢٠) فإنهم يكتنون عنه بكتابة حرف العين مرتين ، ومعنى ذلك عشرة مضافاً إليها عدد عشرة والجمع عشرون. وإذا أرادوا الرقم (٢١) كتبوا حرف العين مرتين ليرمز عن العشرين ثم وضعوا خطأ عمودياً واحداً على جهة يساره ليرمز عن الرقم (١) ، فيكون المجموع عشرين وواحداً ، وهكذا يكتبون بقية الأعداد ابتداء بالعشرين أي بحرفي العين مضافاً العدد المقصود حتى الرقم (٣٠) فيضعون له ثلاثة أحرف من حرف العين . أما الـ (٤٠) فيضعون له أربعة أحرف من حرف العين ، ثم يستمرون على طريقتهم في العدد بعد الأربعين على الطريقة المألوفة في الابتداء بالعدد العشرات ، ثم كتابة الرقم المقصود الذي هو دون العشرة من بعده الى الرقم التاسع والأربعين . فإذا أرادوا الرقم (٥٠) وضعوا الرمز الخاص الذي تحدث عنه ، وهو نصف حرف الميم . أما الرقم (٦٠) فيرمز عنه بهذا الرمز ، أي نصف حرف الميم مضافاً اليه الحرف عين رمز العشرة ليشير الى مجموع العددين وهو ستون . أما الرقم (٧٠) فيتكون من هذا الرمز مضافاً اليه حرفان للعين . وأما الرقم (٨٠) فيكون بإضافة ثلاثة أحرف عين على الجهة اليسرى للرقم (٥٠) . وأما الرقم (٩٠) فيتكون من رمز (٥٠) مع إضافة أربعة أحرف عين اليه .

وتكتب الأرقام ما بعد المئة الى الألف على الترتيب الآتي : يكتب الحرف رمز المئة في الأول ، ثم يوضع الرقم الذي يلي المئة على جهة يساره على النحو الذي شرحته الى حد الرقم (١٩٩) فإذا أرادوا كتابة (٢٠٠) كتبوا حرفي ميم ، وإذا أرادوا (٣٠٠) وضعوا ثلاثة أحرف من حروف الميم ، وإذا أرادوا (٤٠٠) وضعوا أربعة أحرف من حروف الميم ، وإذا أرادوا (٥٠٠) وضعوا خمسة أحرف من حروف الميم ، وهكذا تزداد كتابة الميم بزيادة عدد المئات حتى تصل الى تسع ، ويكون الرقم عندئذ تسع مئة . أما الألف، فيرمز عنه بحرف الألف كما ذكرت . وطريقة التعبير عن الأعداد في حالة الآحاد وفي العشرات وفي المئات هي طريقة واضحة مفهومة بعض الفهم كما رأينا ، إذ عبر عن الأرقام من واحد الى أربعة بخطوط مستقيمة ، وعبر عن الخمسة بحرف الخاء تزداد عليه خطوط بزيادة الأرقام المطلوبة، حتى تصل الى الرقم (١٠) ، فيعبر عنه بحرف عين . وفي باب العشرات يقدم حرف العين الذي هو عشرة على الأرقام المقصودة التي هي دون العشرة ، وتتبع هذه الطريقة الى المئة . أما في حالة المئات الى الألف فيبتدئ العدد بالمئات،

ثم تليه العشرات ، فالآحاد ، فهو في نفس المبدأ الذي وضعه علماء الرياضيات عندهم للعشرات ، أي على قاعدة تفضيل العدد الأكبر من ناحية العد على العدد الأصغر ، فقدموا العشرات على الآحاد ، وقدموا المئات على العشرات ، ثم الآحاد . أما في حالة الأعداد الالوف ، فلم يتقيد كتاب حسابهم بهذه القاعدة ، بل ساروا على طرق أخرى ، فكتبوا حروف الالف بعد الأعداد الالوف التي أرادوا كتابتها . فلتعبير عن ألفين وضعوا حرفي ألف ، وهما مجموع ألف مع ألف أخرى ، وللتعبير عن ثلاثة آلاف وضعوا ثلاثة أحرف ألف ، وهكذا ساروا في كتابة بقية الأعداد الآلاف . غير أنهم ساروا على طريقة أخرى في كتابة العدد ستة عشر ألفاً مثلاً . فوضعوا ستة أحرف ألف ، ووضعوا الى الجانب الأيسر من الحرف الألف الأخير الحرف عين رمز العشرة ، وقد رمزت العشرة هنا عن العدد (١٠٠٠٠) ، ورمزت الحروف الستة عن (٦٠٠٠) ، ومن مجموع الستة آلاف والعشرة آلاف يتكون العدد (١٦٠٠٠) . وفي كتابة العدد (٣١٠٠٠) كتبوا حرفاً واحداً من حروف الألف ليدل على الرقم ألف ، ووضعوا على الجهة اليسرى منه ثلاثة أحرف عين وتعني ثلاثين ألفاً . ومن الألف والثلاثين ألفاً يتكون العدد (٣١٠٠٠) . أما في حالة كتابة الرقم (٤٠٠٠٠) ، فقد اكتفوا بكتابة أربعة أحرف من حروف العين ، مع أن هذه الأحرف تعني مجموع أربع عشرات ، أي أربعين ، بينما أرادوا بهذه الأحرف العدد (٤٠٠٠٠) في هذا الموضع . أما في رقم مثل (٤٥٠٠٠) ، فقد كتبوا خمسة أحرف من حروف الألف أولاً ، ثم وضعوا أربعة أحرف من العين في أيسر آخر ألف ، والمجموع هو خمسة آلاف وأربعون ألفاً . وفي الرقم (٦٣٠٠٠) وضعوا ثلاثة أحرف من (الألف) لتعني ثلاثة آلاف ، ووضعوا نصف حرف ميم وهو رمز الخمسين ، وفي أيسره حرف العين رمز العشرة ، وبذلك عبروا عن الستين . ولورود هذا الرقم بعد عدد آلاف قصدوا به ستين ألفاً . ومن مجموع ثلاثة آلاف والستين ألفاً ، يتكون العدد ثلاثة وستون ألفاً . وقد اكتفوا في كتابة الرقم (١٥٠٠٠٠) بكتابة الرمز الخمسين وهو نصف حرف ميم ، ووضعوا الى الأيسر منه حرف ميم رمز المئة ، وقصدوا بذلك خمسين ومئة ألف . ولو كانوا قد كتبوا حرف الميم أولاً ، ثم وضعوا نصف حرف الميم الى يساره ، لكان حاصل جمع العددين خمسين ومئة . وبتقديم نصف حرف الميم وبتغيير اتجاهه مثلثي حرف الميم ومثلث نصف حرف الميم بجعله نحو اليمين ،

عبروا عن الرقم (١٥٠.٠٠٠) . أما في كتابتهم الرقم ٢٠٠.٠٠٠ ، فقد كتبوا ميمين ، وقد عبر كل ميم في هذا الموضع عن مئة ألف .

ويرى بعض المتخصصين بقراءة النصوص العربية الجنوبية ان كتاب المسند لم يتركوا كتابة حروف الألف التي تشير الى الأعداد الآلاف إلا إذا كان العدد مدوراً ، وآلفاً خالية من الأرقام الآحاد ، كما رأينا في الرقم (٤٠.٠٠٠) ، و (١٥٠.٠٠٠) ، و (٢٠٠.٠٠٠)^١ .

وقد سار كتاب المسند على قاعدة كتابة الرقم افظاً ، أي كتابة مقداره بالكلمات ، وتدوين المقدار المكتوب بعد الرقم ، وقد حملهم على اتباع هذه الطريقة خوفهم من الوقوع في الخطأ في قراءة الأرقام والرموز التي خصصوها بالأرقام ، كما انهم اصطلمحوا على رسم مستطيل تتخلله خطوط تجعله على هيئة شبك تقريباً ، يوضع في أيمن الرقم ، أي قبل ابتدائه ، ومستطيل آخر يوضع في يسراه أي في نهاية الرقم تماماً للدلالة على ان ما هو مكتوب بين هذين الرقين هو عدد ، وبذلك تسهل قراءته .

ولم يصل إلينا ان كتاب المسند استخدموا علامات خاصة بكسور الأعداد ، كالأنصاف أو الأرباع أو الأثلاث أو الأخماس أو ما شاكل ذلك ، او انهم استعملوا علامات خاصة للجمع او الطرح او القسمة او الضرب او علامات للتربيع او للجدور وأمثال ذلك من العلامات المستعملة في علوم الرياضيات . وقد عبروا عن كسور الأعداد بذكر ألفاظها . واذا لم تصل إلينا كتابات في موضوعات رياضية ، فلا نستطيع ان نجزم في موضوع أمثال هذه العلامات عند العرب الجنوبيين . فلعل الأيام تكشف لنا عن كتابات رياضية ترينا ان رياضيي العرب الجنوبيين كانوا أرقى كمبراً مما نظن الآن .

وللوقوف على صور الأعداد عند العرب الجنوبيين أدون نماذج من الأرقام ، مقرونة بما يقابلها من الأرقام التي نستعملها عندنا في الحساب :

$00 = <$	$1 = 1$
$100 = <1$	$11 = 2$
$1100 = <<$	$111 = 3$
$11100 = <3$	$1111 = 4$
$111100 = <4$	$4 = 0$
$400 = <0$	$14 = 7$
$1400 = <7$	$114 = 8$
$11400 = <8$	$1114 = 9$
$111400 = <9$	$0 = 10$
$000 = 4$	$10 = 11$
$0000 = 5$	$110 = 12$
$4 = 0$	$1110 = 13$
$04 = 7$	$11110 = 14$
$004 = 6$	$40 = 10$
$0004 = 8$	$140 = 17$
$00004 = 9$	$1140 = 18$
$4, 4 = 10$	$11140 = 19$
$44, 44 = <10$	

$$\begin{aligned}
& \text{B B B} = 4.. \\
& \text{B B B B} = 5.. \\
& \text{B B B B B} = 6.. \\
& \text{B B B B B B} = 7.. \\
& \text{B B B B B B B} = 8.. \\
& \text{B B B B B B B B} = 9.. \\
& \text{H} = 1... \\
& \text{H H} = 2... \\
& \text{H H H} = 3... \\
& \text{H H H H} = 4... \\
& \text{H H H H H} = 5... \\
& \text{H H H H H H} = 6... \\
& \text{H H H H H H H} = 7... \\
& \text{H H H H H H H H} = 8... \\
& \text{H H H H H H H H H} = 9... \\
& \text{O H H H H H H} = 17... \\
& \text{O O O H} = 21... \\
& \text{O O O O} = 25... \\
& \text{O O O O H H H H H} = 30... \\
& \text{O 9 H H H} = 74... \\
& \text{B P} = 100... \\
& \text{B B} = <...
\end{aligned}$$

وأما الفواصل التي تشير الى الأرقام وتوضع في أول الرقم وعند انتهاءه، فهي على هذا الشكل :



ومادة الكتابة عند العرب الجنوبيين ، هي الحجارة والصخر والخشب والمعادن، يكتبون عليها بالحفر ، ولم أسمع أن أحداً من الآثاريين حتى الآن عثر على كتابات بالمسند مدونة بالحبر على القراطيس والجلود والرق أو على ورق البردي على نحو ما كان يفعل المصريون وغيرهم . والظاهر أنهم لم يكونوا يتبعون طريقة كتاب بابل في الكتابة على ألواح الطين التي تجفف بعد ذلك بالشمس أو بالنار ، فتكون كتابة ثابتة مدونة على مادة صلبة ، لأن الباحثين لم يعثروا على كتابات بالمسند مدونة على هذه الطريقة .

غير ان عدم وصول كتابات بالمسند مدونة على القراطيس او الجلود ، لا يعني ان العرب الجنوبيين لم يكونوا يعرفون الكتابة عليها وعلى مواد مشابهة لها ، إذ لا يعقل عدم وقوف العرب الجنوبيين على استعمال الجلود والقراطيس وعظام الحيوانات مادة للكتابة ، وقد كان استعمالها في العالم يومئذ شائعاً معروفاً . ومرد السبب في عدم وصول شيء من الكتابات المدونة على تلك المواد ، الى قابلية هذه المواد للتلف ، وحاجتها الى العناية الشديدة ، بدليل عدم وصول شيء ما من الكتابات المدونة على الجلود وعلى جريد النخل وعلى اللخاف والعظام والقراطيس من صدر الاسلام ومن أيام الرسول خاصة مع أهميتها وقديسيتها . وليس في استطاعة أحد أن ينكر ان القرآن الكريم قد كتب على هذه المواد المذكورة ، وان الرسول قد أمر فكتبت له عدة كتب وعقود ومواثيق ، ولكن بادت أصولها .

والبحث في أصل المسند مثله في أصل الخط، ما زال موضع جدل بين العلماء الباحثين في العربيات الجنوبية . فمنهم من يرجع أصله الى الخط الفينيقي ، ومنهم من يرجعه الى كتابات سيناء حيث عثر فيها على كتابات قديمة جداً يعدها الباحثون أقدم عهداً من الكتابات العربية الجنوبية ، وقد وجد بين بعض حروف هذه الكتابات وحروف المسند شبه جعلهم يذهبون الى اشتقاق المسند من خطوط سيناء^١.

Driver, Semitic writing from Pictograph to Alphabet, London, 1954, pp. 123.

ومنهم من يذهب الى اشتقاق المسند من الخط الكنعاني، للتشابه بين بعض حروف الخطين . وللتوصل الى معرفة منشأ الخط المسند ، لا بد من تعيين تأريخ لأقدم كتابة مدونة بالمسند ، ولم يتفق العلماء على تأريخ ثابت معين . انما رجع بعضهم تأريخ أقدم الكتابات الى سنة ١٥٠٠ أو ١٣٠٠ قبل الميلاد ، على حين لم يرتفع آخرون بتأريخ أقدم كتابة عثر عليها بالمسند الى أكثر من ٧٠٠ أو ٨٠٠ قبل الميلاد . ولضبط هذا التأريخ أهمية جد عظيمة في البحث عن أصل منشأ ذلك الخط . ثم انه لا بد في تعيين أصل الخط المسند من النص على أسماء الحروف نصاً ليس في أمره شك ، ثم لا بد أيضاً من النص على نظام ترتيب حروف المسند عند العرب الجنوبيين . وكل هذه الأمور غير متفق عليها ، واذن فليس من الممكن في مثل هذه الظروف التوصل الى حل علمي يوافق عليه جميع الباحثين في العرييات الجنوبية .

واذا كان أغلب الكتابات في موضوع واحد ، هو التقرب الى الآلهة بهدايا وبندور ، كان أسلوبها يكاد يكون واحداً ، فهي تبدأ عادة باسم المهدي أو بأسماء المهدين ، ثم يعقب ذلك فعل يشير الى التقديم مثل استعمال فعل قدم أو أهدى وما شاكل ذلك من أفعال مناسبة ، ثم اسم الإله أو أسماء الآلهة التي قدمت لها الهدايا ، يليها بيان السبب الذي من أجله قدمت ، مثل شفاء من مرض أو وفاء لنذر ، أو طلباً من الإله أو الآلهة ان تطيل عمر المهدي ، أو تشفيه من مرضه ، أو لتحل له مشكلاً وقع فيه أو مشكلات تحيط به .

القلم اللحياني :

ومن القلم المسند اشتق القلم اللحياني ، والقلم الشمودي ، والقلم الصفوي، وذلك لأن القلم المسند متقدم في الوجود على هذه الأقلام ، فلا يمكن أن يكون قد أخذ منها . ثم إن المناطق التي وجدت فيها الكتابات اللحيانية والكتابات الشمودية ، كانت في حكم المعينين والسبثيين ، بدليل عثور العلماء على كتابات معينة فيها . وهذه الكتابات أقدم عهداً من الكتابات اللحيانية والشمودية ، ولذلك ذهب الباحثون في اللحيانيات والشموديات الى اشتقاق خطها من الخط المسند .

ولم ينقل أهل أعالي الحجاز القلم المسند نقلاً تاماً ، بل عدلوا بعض حروفه

وغيّروا فيها بعض التغيير . فظهر من ذلك القلم اللحياني والقلم الشمودي ، غير أننا نجد أن كتابات القلم اللحياني تختلف بعض الاختلاف . وقد قسمها (ورنر كاسكل) الى نوعين : كتابات لحيانية متقدمة ، وكتابات لحيانية متأخرة . وقد بني تقسيمه هذا على أساس قدم الكتابات وتأخرها في التاريخ . والواقع أننا نجد الكتاب قد تحرروا في كتابة حروفهم في جميع العهود ، في العهد المتقدم وفي العهد المتأخر ، بحيث لم يتركوا لنا مجالاً للأخذ بهذا التقسيم . فنراهم وقد كتبوا بعض الحروف بأوضاع قد تزيد على الخمسة . غير أننا إذا ما تصفحنا هذه الحروف المختلفة الأشكال، لا نجد لها تختلف اختلافاً بيناً ، إنما يرجع هذا الاختلاف في الواقع الى ضعف وقوة يد الكاتب الذي حفر تلك الكتابات على الحجارة أو الخشب أو المواد الأخرى التي حفر الكتابة فيها . فنهم من كان قوياً في حفره للحروف ، ومنهم من كان ضعيفاً ، فبان هذا الاختلاف في هيئات رسم الحروف . ومن هنا أرى ان اختلاف صور الحروف ، لا يدل حتماً على تطور الخط ، بقدر ما يدل على مهارة أو ضعف الكاتب في الكتابة .

والقلم اللحياني مثل المسند خال من الشكل ، وخال من الرموز أو الحروف التي تشير الى المد أو التشديد أو الإشباع أو الإشمام أو الإمالة وما شابه ذلك . وقد أوجد هذا النقص لقراء الكتابات اللحيانية مشكلات كثيرة في فهمها وفي ضبط الكلمات والأسماء فيها . فلفظة (زد) مثلاً المكتوبة بحرفين ، قد تقرأ على أشكال مختلفة ، قد تقرأ (زَد) و (زِد) و (زُذ) و (زاد) و (زِيد) و (زود) ، الى غير ذلك من أشكال . وهي قد تكون اسماً ، كما قد تكون فعلاً أو مصدرأ ، وعلى القارئ استخراج نوعها من موقعها في الجملة ومن مقتضى الحال . ومثل ذلك عن (شم) التي تعني (شيم) اسم رجل ، و (كتب) بمعنى (كاتب) اسم رجل أيضاً ، مع أن للكلمة عدة معانٍ يفهمها الانسان من موقع اللفظة في النص .

ولم يتقيد كتاب الكتابات اللحيانية تقيداً تاماً بكتابة الفواصل العمودية التي تستعمل للفصل بين الكتابات ، كما تقيد بها كتاب المسند . غير أنهم لم يسيروا في كتاباتهم على وتيرة واحدة ، فنراهم يخالفونها أحياناً فيفصلون الألفاظ بفواصل . وقد رفعت الفواصل عن الألفاظ المؤلفة من مقطع واحد ، مثل مع ، وكتبت مع اللفظة التي تليها . أما إذا اجتمعت لفظتان ، كل واحدة منهما ذات مقطع

واحد مثل (و) حرف عطف و (ل) فالكتاب يكتبونها على طريقة كتاب المسند أي ممزوجتين ، على هذا الشكل : (ول)¹ .

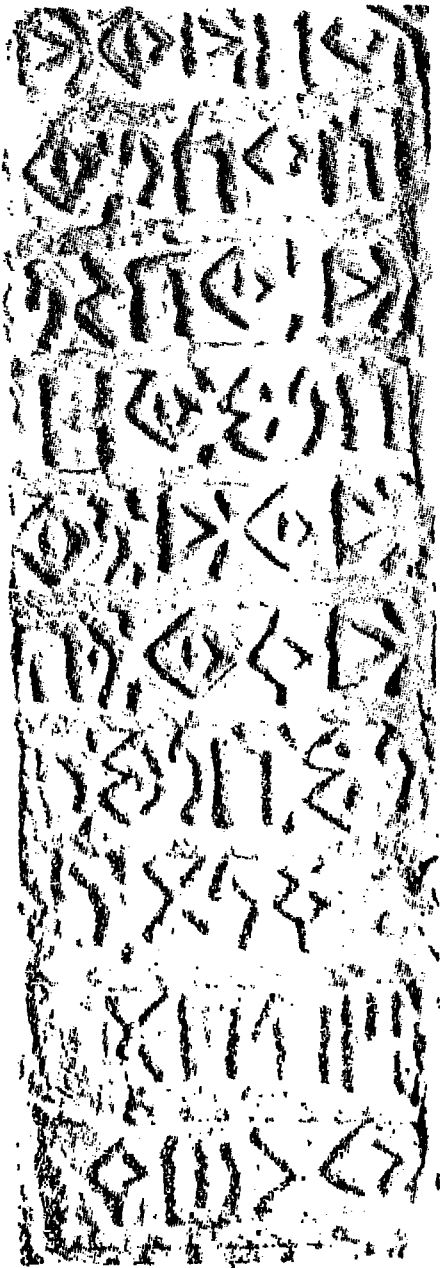
ونجد في هذه الصورة كتابة للحيانية متأخرة ، يظهر منها وكأن صاحبها قد كتبها على عجل ، فالخط فيها سريع ضعيف يدل على عجلة ، والحروف غير واضحة ، وقد كتبت بطريقة الحفر بقلم من حديد أو سكين أو آلة حادة أخرى على الحجر ، حفرأ سريعاً ، كما نكتب بسرعة في القلم . ومن هنا يختلف القلم للحياني عن القلم المسند ، يختلف عنه في عدم تمسك كتابه بكتابة الحروف بصورة واضحة بينة وبخط قوي واضح يقرأ بسهولة . ولعل لموقع اللحيانيين ولموقع من كتب مثلهم بسرعة وبغير نظام ثابت وتقيد بهندسة الحروف وأشكالها ، فيما بين الأبجديات الشمالية ، والأبجدية العربية الجنوبية أثراً في هذا التغير ، إذ نكاد نلمس من قراءتنا لهذه الخطوط أنها تحاول الهروب من نظام المسند ، المستند على الشكل الهندسي المرتب للحروف ، الذي يفصل بين الحروف ، والذي يحتاج الكاتب فيه الى التأني في كتابة الحرف ، فيضيع بعض الوقت بسبب ذلك ، كما يحتاج الى إشغال مكان واسع للحروف . بينما نرى الأبجديات الشمالية تقلص من حجم حروفها وتحاول جهد إمكانها ربطها بعضها ببعض اختصاراً في الوقت وفي المكان وفي الجهد . وحروف هذه الأبجديات وإن بقيت محافظة على استقلالها وعلى أشكالها الدالة على أنها من نبت المسند، إلا أنها اتخذت صوراً متعددة، كما أنها لم تتقيد بما تقيد به المسند في نظامه من السير على طريقة السطور ، وهو نظام يسهل على القارئ قراءة الكتابة من اليمين الى اليسار ، أو من اليسار نحو اليمين ، أو بطريقة (حلزونية) ، بل خرجت على هذا النظام ، ولا سيما في حالة الكتابات الشمودية والصفوية ، فكتبت بصور غير منتظمة ، على صورة هلال ، أو كرة ، أو نسيج العنكبوت ، مما جعل من الصعب على القارئ فهم الكتابة ، ويظهر ان ذلك انما وقع بسبب ان الكتبة كانوا من الرعاة أو الفلاحين ، وان الكتابات التي عثر عليها هي من

كتاباتهم ، وقد كتبوها تعبيراً عن خاطر عنّ لهم ، فهي لا تمثل اذن كتابات رسمية أو كتابات جماعة من المثقفين الذين يعتنون بحسن الخط ، وانما هي خواطر دونت على أي حجر وجدّه الكاتب ، ودوتها بالشكل الذي وجدّه يناسب ذلك الحجر .

وهذه الكتابة التي تراها في هذه الصورة هي كتابة محفورة على لوح من الحجر ، وهي من الكتابات اللحيانية المتأخرة ، المحافظة على نظام السطور . وخطها وإن كان ضعيفاً غير أنه واضح نوعاً ما ونجد الشبه كبيراً بينه وبين المسند .



كتابة لحيانية متأخرة: (من كتاب: Caskel, Nr. 2)



كتابة لحياينة قديمة

من كتب : Caskel, Nr. 1

أما هذه الصورة ، فتمثل كتابة
لحياينة قديمة ، وقد تفنن في كتابتها
كاتبها ، وحفر الحروف فيها حفرأ
جعلها بارزة ، وقد حافظ فيها على
نظام السطور . ونرى الشبه بين
أشكال هذه الحروف وأشكال المسند
بيناً ، إذ لم تكن الكتابات اللحيانية
القديمة قد ابتعدت بعد بعداً كبيراً
عن الخط العربي الجنوبي .

الخط الثمودي :

والخط الثمودي مثل الخط المسند والخط اللحياني والخط الصفوي ، خال من الشكل ومن التشديد ومن الإشباع ومن علامات للحركات تكتب مع الحروف في صلب الكلمة . ولهذا يلاقي قارئه من الصعوبات ما يلاقيه قارئ القلم المسند والقلم اللحياني . فكلمة (بت) يمكن أن تقرأ بأوجه متعددة كأن تقرأ (بات) فعلاً ماضياً ، و (بيت) اسماً . ولفظة (عف) ، تكتب بهذه الصورة ، ويقصد بها (عوف) إن كتبت مع الأسماء . ولفظة (زد) هي (زيد) ، ولفظة (تم) هي (تيم) ، ولفظة (منت) هي (مناة) ، وقد يراد بها (منيت) ، أي المنية . وجملة (قنص اسد) تحتل أن تكون على هذا النحو : (قنص أسد) ، وقنص اسم رجل ، وهو مبتدأ خبره (أسد) . ويحتمل أن تكون على هذه الصورة : (قنص أسداً) فتكون جملة فعلية (قنص) فيها فعل ماضٍ ، والفاعل مستتر تقديره هو ، وأسداً مفعول به .

غير أن بعض الكتابات قد استعملت حروف العلة : الواو والألف والياء ، في بعض الأحيان لسد النقص الحاصل من عدم وجود الحركات ، كما في (نور) ، و (اموت) (أموت) حيث قامت (الواو) بأداء واجب الـ (او) (ü) وكما في لفظة (دين) ، وعظيم ، حيث قامت الياء بأداء الحركة (إي) (i) (ي) ، وكما في (موت) (بيت) و (عليت) بمعنى كنت معتلاً ، و (رضو) اسم (الإله) ، و (مو) بمعنى ماء ، و (لي) بمعنى (لي) ، و (ذي) بمعنى (هذا) ، و (اتا) بمعنى (أتى) ، وأمثال ذلك . غير أن هذا الاستعمال لم يكن عاماً ، وإنما كان خاصاً يرد في بعض الكتابات . ونجد هذه الكلمات التي ذكرتها ، خالية من الحروف المذكورة ، في نصوص أخرى ، مما يدل على أن هذه حالات كتابية خاصة ، ولم تكن قاعدة عامة متبعة في كل الكتابات .

ومن مميزات القلم الثمودي أنه لم يتقيد باستعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات ، ولهذا نجد الحروف والكلمات متصلة بعضها ببعض في كثير من الكتابات لا يفصل فاصل بينها . وقلما نجدها تستعمل بعض العلامات مثل النقط أو الخطوط الصغيرة لتحديد الجمل . ثم إنه أطلق لنفسه العنان في اتباع الجهة التي يسير عليها

الخط ، فتراه تارةً يسير سيرنا في الخط ، أي من اليمين الى اليسار وباتجاه أفقي ، وتارة أخرى يتجه من اليسار الى اليمين . وأحياناً من أعلى الى أسفل ، ومن أسفل الى أعلى في أحيان أخرى ، كما تراه يتخذ شكل قوس في بعض الأحيان ، أو أشكالاً أخرى ، كأن يمزج بين هذه الطرق بحسب رغبة الكاتب وشكل المادة التي يكتب عليها . وعلى قارئ النص لذلك الانتباه الى هذه الاتجاهات ، لمعرفة مبدأ الكلام من متنها .

ونجد بعض الكتابات الثمودية ، وكأنها رموز أو طغراء ؛ إذ نجد حروفها وقد تداخل بعضها في بعض ، أو بعض حروف منها وقد تشابكت بحيث يصعب على القارئ حلها . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها نوع من (الوسم) ، غير أن من المهتمين بالثموديات من لا يوافقونهم على هذا الرأي ، وإنما يرون أنها تمثل رموزاً دينية ، أو الأحرف الأولى من أسماء كاتبيها ، أو أسماء بعض الآلهة ، أو ما شاكل ذلك مما كان له معنى معروف في نفوس أصحابه ، وقد خفي ذلك علينا ، لعدم وجود مفاتيح لدينا تحل لنا هذه الكتابات المتخذة طابع الرموز والإشارات .

ونجد الكتابات الثمودية تعاف بعض حروف الكلمات أحياناً وتختزلها ، كما في (ب) ، التي تعني (ابن) ، فقد تركت حرف النون واكتفت بالباء . ويستطيع القارئ ادراك معنى (ب) من القراءة . وكما في (ل) بمعنى (لنا) و (لي) ، و (ب) بمعنى (بي) ، أي انها تقطع الضمير اللاحق بحرف الجر في بعض الأحيان .

الأبجدية الصفوية :

والأبجدية الصفوية مثل الأبجدية اللحيانية والأبجدية الثمودية ، أصلها من القلم العربي الجنوبي . وهي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، غير ان كتاب هذا القلم قد تلاعبوا به كما تلاعب كتاب القلم اللحياني والثمودي بحروف المسند ، وأوجدوا لهم منها أشكالاً أخرى ميزتها عن الأصل ، فأخذ الحرف الواحد أشكالاً

متعددة ، تباعد أشكال بعضها تباعداً كثيراً عن الأصل ، حتى عسرت على القارئ قراءة النص ، وهذا مما أوجد مشاكل لقراء هذه النصوص في قراءتها قراءة صحيحة .

و (هاليفي) الذي هو أول من تمكن من تشخيص الأبجدية الصفوية ، وأول من سماها بهذه التسمية ، لم يتوفق في الواقع إلا في معرفة (١٦) حرفاً من الحروف الثمانية والعشرين التي تتكون منها الأبجدية الصفوية . أما الحروف الباقية ، فقد أخطأ في تشخيصها ، حتى جاء (بريتوريوس) فتمكن من تشخيص خمسة أحرف أخرى ، كما تمكن الأستاذ (ليمان) من تشخيص هوية سبعة أحرف ، فاكتمل العدد ثمانية وعشرين حرفاً^١ .

ومن الصعوبات التي تعترض قارئ الكتابات الصفوية في قراءة هذه الكتابات وفي فهمها أن للحروف فيها كما قلت آنفاً جملة رسوم ، وإن بعض رسوم الحرف الواحد هي رسوم لحرف آخر . فبعض صور الباء هي أيضاً صور للظاء ، ولهذا قد تقرأ (باء) ، كما تقرأ (ظاء) . ويتشابه كذلك رسم الخاء مع التاء ، واللام مع النون ، والهاء مع الصاد ، وكذلك رسوم حروف أخرى ، فكانت من هذا كله صعوبات كبيرة تعترض الباحث في قراءة هذه النصوص وفي تثبيت معناها ، ولا سيما أن هذه الأبجدية هي كالأبجديات الأخرى خالية من الشكل ومن التشديد ومن حروف العلة في أكثر الأحيان ومن المقاطع ، فلا فرق فيها في الكتابة بين الفعل والاسم والفاعل والمفعول به ، وفيها مصطلحات وتراكيب نحوية غير معروفة في عربيتنا أو في اللهجات السامية الأخرى . وعلى الباحث لإعمال ذكائه في كشف المعاني ومواقع الكلم في هذه النصوص .

وهناك صعوبة أخرى تعترض الباحث في قراءة النصوص الصفوية تكمن في عدم وجود قاعدة معينة للابتداء في الخط . فالكاتب بهذا القلم حر كما يظهر من

Semitisk, Dritter Band, Zweiter und Dritter Abschnitt, 1945, S. 213.

١ ربه ديسو ، العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ٦٥ وما بعدها) ، (تعريب عبد الحميد الدواخلي) .

الكتابات في اختيار الجهة التي يبدأ بها في الكتابة ، فله أن يبدأ بكتابه من اليمين الى اليسار ، أي على نحو ما نفعله نحن في كتابتنا وعلى نحو ما فعله أكثر كتّاب المسند ، وله أن يكتب من اليسار الى اليمين ، أي على نحو ما يفعله الكتّابون بالأبجدية اللاتينية ، وله ان يمزج بين الطريقتين كما رأينا ذلك في بعض كتابات المسند ، كما ان له أن يبدأ بالكتابة من أعلى الى أسفل ، وله أن يعكس الوضع فيكتب من أسفل الى أعلى ، وله أن يبدأ بالكتابة من أيسر الجهة السفلى للحجر ويتجه الى اليمين ، ثم الى اليسار وفي أي اتجاه أحب واشتهى ، وله أن يختار العكس ، أو أية جهة شاء ، حتى انك ترى بعض الكتابات وكأنها خيوط متداخلة ، وعلى القارئ ان ينفق جهداً طويلاً في استخراج رأس الخيط واستلله للوصول الى متناه .

والكتابات الصفوية مثل الكتابات الثمودية والحيانية هي في أمور شخصية، فهي إما في بيان ملكية شيء ، أو في تعيين قبر أي كتابات قبورية ، أو في رجاء وتوسل الى الآلهة . وإما تسجيل خاطر ، مثل تذكر أهل أو صديق أو حبيبة أو نزول في مكان أو في تعليق على كتابة قديمة . وكتابات مثل هذه تكون قصيرة في الغالب ، وقد تكون من كلمة واحدة في بعض الأحيان . ولما كان معظمها في هذه الأمور ، صارت أساليبها في الإنشاء متشابهة ، لا تختلف أحياناً إلا في أسماء أصحابها . وهي لذلك لا تفيدنا كثيراً من ناحية الدراسات اللغوية ، غير أنها مع ذلك أفادتنا فائدة كبيرة في نواحي أخرى ، من مثل الكشف عن أسماء آلهة العرب الجاهليين، أو أسماء القبائل والأشخاص والنبات والحيوان وبعض العادات وغير ذلك مما يتصل بحياة العرب قبل الإسلام .

والصفوية مثل اللهجات العربية الأخرى في خلوتها من الشكل ، لذلك تجابه الباحث في قراءة كتاباتها ما يجابه قارئ اللهجات الأخرى من مشكلات في فهم الكتابات فهماً صحيحاً واضحاً ، فلا بدّ من الاستعانة بعربية القرآن الكريم وباللهجات السامية لفهمها فهماً صحيحاً . ولم يحفل الكتاب بتثبيت الحروف في صلب الكتابة باعتبارها تعبيراً عن الحركات ، ولم يستعملوا المقاطع المعبرة عن الأصوات ، لضبط النطق . وقد يكتب فيها الحرف مرتين في مواضع نستعمل لها الشدة في عريبتنا : ومادة الكتابات الصفوية ، هي الحجارة الطبيعية بأشكالها المختلفة ، يأخذها الكاتب فيحفر عليها بآلة ذات رأس حاد الكلمات التي يريد تدوينها . أما الورق أو المواد المشابهة الأخرى المستعملة في الكتابة ، فلم يعثر على شيء منها مكتوب بهذه الأبجدية .

ويجب ان أبين ان هذه الكتابات اللحيانية والثمودية ، والصفوية ، لا تعني انها خطوط (بني لحيان) ، و (قوم ثمود) بالضرورة ، فبين الكتابات المنسوبة الى مجموعة من هاتين المجموعتين ما لا يمكن عده من كتابة قوم من (بني لحيان) ولا من قوم ثمود ، وإنما هي من كتابات قبائل أخرى ، وقد أدخلت في الخط اللياني او في القلم الثمودي ، لمجرد تشابه الخط . وقد ذكرت ان الكتابة الصفوية ، انما عرفت بهذه التسمية ، بسبب عثور العلماء عليها في (الصفاء) في الغالب ، فنسبوها الى هذه الأرض ، مع انها قبائل وعشائر مختلفة . ويلاحظ ان التباين في أشكال الحروف داخل المجموعة الواحدة مثل اللحيانية ، والثمودية والصفوية ، لا يقل عن التباين الذي نراه بين صور الحروف المكونة لهذه المجموعات . فأنت ترى في هذه الصورة وقد كتب حرف الألف في الصفوية بصور متباينة ، تكاد تجعل من الصعب التوصل الى انها تمثل كلها هذا الحرف ، ثم ترى الحرف نفسه في (الثمودية) ، وقد كتب بصور متباينة ، ويقال نفس الشيء بالنسبة لهذا الحرف في الكتابة اللحيانية . ونجد هذا التباين في كل الحروف الباقية كذلك . أما المسند ، فلا نجد فيه هذا التباين ، مما يحملنا على ارجاع سببه الى ضعف وقوة يد الكتاب ، والى تباين القلم الذي يكتب به . فالمسند قلم ، استعمل في تدوينه قلم حاد قوي ، حفر الكتابة على الحجر حفراً وبغاية ، بسبب انها وثائق وكتابات ذات أهمية بالنسبة لكتابتها ، أما الأقلام الأخرى ، فقد استعملت في التعبير عن خواطر في الغالب : لذلك سجلها كاتبها بأي أداة وجدها او

كانت عنده تؤدي الى إحداث خدش أو حفر على المادة التي وجدها أمامه صالحة للكتابة ، فنقش عليها رأيه بسرعة وبغير تأنق ، فظهرت الخطوط متباينة متغيرة لهذا السبب ، كما ترى في هذه الصورة :

الأقلام الصفوية والشمودية واللحيانية والعربية الجنوبية والعبرانية

א	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת
ב	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ג	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ד	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ו	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ז	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ח	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ט	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
י	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
כ	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ל	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
מ	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
נ	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ס	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ע	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
פ	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
צ	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ק	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ר	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ש	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	
ת	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת	

۴	۳	۲	۱
لحياني هيند	عبراني	ثمودی	صفوي

الترقيم :

لقد تحدثت عن الترقيم عند الصفويين ، وذكرت أنهم ساروا فيه من الواحد الى الخمسة على أساس وضع خطوط عمودية ، يمثل كل خط منها العدد (١) . فإذا أرادوا كتابة الرقم (١) ، وضعوا خطاً واحداً يمثله . وإذا أرادوا كتابة (٢) ، وضعوا خطين عموديين . وإذا أرادوا العدد (٣) ، وضعوا ثلاثة أعمدة . وإذا أرادوا العدد (٤) ، كتبوا أربعة خطوط عمودية . وأما إذا أرادوا الرقم (٥) وضعوا خمسة خطوط .

وكتابة الأرقام من المسائل العويصة التي جابهت الكتاب في الأزمنة القديمة . وقد كان كتابهم يكتبون بالحروف ، ولكنهم كانوا إذا أرادوا تدوين الأرقام تحيروا: هل يكتبونها كتابة بالحروف أو يجعلون لها رموزاً خاصة تشير الى الأعداد . وقد وجدنا أن العرب الجنوبيين كانوا قد اختاروا الخط العمودي لتمثيل الرقم (١) ، فإذا أرادوا الرقم (٢) ، وضعوا خطين ، وإذا أرادوا الرقم (٣) ، وضعوا ثلاثة خطوط . وإذا أرادوا الرقم (٤) ، وضعوا أربعة خطوط . ولصعوبة الاستمرار على هذه الطريقة ، بسبب كبر الأعداد ، اختاروا الحرف الأول من لفظة خمسة وهو الخاء لتمثيل العدد (٥) ، واختاروا الحرف (ع) وهو الحرف الأول من العدد عشرة لتمثيل هذا العدد ، واختاروا رموزاً أخرى كما رأينا لمعالجة مشكلة العدد عندهم ، فحلوا بذلك عقدة الترقيم بعض الحل، ولم يبلغوا منه التمام .

وقد اختارت بعض الشعوب النقاط ، بدلاً من الخطوط . فالرقم (٧) مثلاً تمثله سبع نقط، والرقم (٣) تمثله ثلاث نقط . وسارت شعوب أخرى على طريقة الخطوط فرمزوا عن الرقم (٥) بخمسة خطوط ، وعن الرقم (١٠) بعشرة خطوط عمودية ، وعن الرقم (١٥) بخمسة عشر خطاً عمودياً . ودفعتهم صعوبة كتابة الأرقام الكبيرة بهذه الطريقة ، الى التفكير في طريقة أخرى تكون مختصرة بعض الاختصار وسهلة في التعبير عن قيم الأرقام ، فاختر بعضهم النقطة رمزاً عن العدد (١٠) ، واختار بعض آخر خطاً أفقياً ليكون ذلك الرمز ، وبذلك سهلت عليهم كتابة الأرقام الآحاد مع العشرات . فإذا أرادوا كتابة الرقم (١٠) ، وضعوا نقطة واحدة (٠) أو خطاً أفقياً على هذا الشكل - ليشير الى الرقم (١٠) ، وإذا أرادوا الرقم (١١) ، كتبوه على هذه الصورة : (١٠) أو (١ -) .

وإذا أرادوا الرقم (١٥) ، كتبوه على هذا الشكل (١١ ١١١٠) او على هذا الشكل : (١١ ١١١ -) .

وغير الفينيقيون وبنو إرم وأهل تدمر بعض التغيير في شكل الخط الأفقي الدال على العدد (١٠) ، بأن جعلوا في طرفه الأيمن خطاً ممتداً الى الأسفل قليلاً على شكل زاوية متجهة نحو اليسار . ثم أجرى النبط تعديلاً يسيراً في هذه العلامة الجديدة بأن جعلوا رأسها متجهاً الى أعلى اليمين ، اي نحو الزاوية اليمنى للمادة التي يكتب عليها . أما مؤخرتها ، فقد وجهوها نحو الجهة الجنوبية اليسرى^١ .

وقد سار الفينيقيون وبنو إرم على طريقة الترقيم بالخطوط العمودية للأعداد من (١) الى العدد (٩) . ولتسهيل قراءة الأعداد التي تزيد قيمتها العددية على ثلاثة ، جعلوا كل ثلاثة خطوط متقاربة، بحيث تظهر في شكل مجموعة واضحة ، وتمثل هذه المجموعة الرقم (٣) ، ووضعوا على يسار هذه المجموعة ما يكملها لتكوين العدد المطلوب . فكانوا اذا أرادوا مثلاً كتابة الرقم (٥) ، كتبوه على هذه الصورة : (١١ ١١١) اي الرقم (٣) الذي تمثله ثلاثة خطوط عمودية منضمة بعضها الى بعض ، ثم الرقم (٢) الذي يمثله خطان منضمان^٢ ، وبين هذين الرقمين فراغ قليل يفصل بين العددين . واذا أرادوا الرقم (٦) كتبوه مجموعتين متجاورتين ، كل مجموعة ذات ثلاثة خطوط منضمة ، وبين المجموعتين فراغ صغير . غير ان بعض الكتابات كتبت الرقم (٦) على هذا الشكل : ١١١ ١١١ أي انها وضعت الرقمين ثلاثة أحدهما فوق الآخر ، ليشير هذا الوضع الى حاصل جمع العددين ، وهو ستة^٣ .

وقد اصطلح النبط على اتخاذ علامة خاصة بالعدد (٤) جعلوها على هيئة الناء في المسند ، أي على هذا الشكل : (X) ، كما اصطلحوا على اتخاذ علامة أخرى خاصة بالرقم (٥) ، شكلها قريب من شكل الرقم (٥) في الحروف اللاتينية ، اي على هذا الشكل تقريباً : (5) . على حين رمز غيرهم مثل أهل تدمر عن الرقم (٥) برمز يشبه حرف الـ (Y) في الأبجدية اللاتينية . فإذا أرادوا كتابة

Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik, Weimer, 1898, S. 198.

المصدر نفسه (ص ١٩٩) .

الرقم (٦) ، وضعوا الرقم الذي يرمز عن العدد (٥) ، ووضعوا خطأ على يساره ليشير بذلك الى العددين خمسة زائداً واحداً (٥ + ١) (١ ٧) ومجموعهما ستة . واذا أرادوا الرقم (٧) ، كتبوا خمسة زائداً خطين يوضعان على يسار الرقم (٥) ، ليتكون من العددين العدد (٧) ، (١١ ٧) ، وهكذا الى العدد (٩) .

وقد سار الكتاب في ترقيم الأعداد التي بعد العشرة على طريقتهم التي اتبعوها في السير أفقياً في الترقيم ، إلا في حالات قليلة ساروا على طريقة وضع الأرقام بعضها فوق بعض ، وجعلوا للرقم (٢٠) علامة تتألف من نقطتين إحداها فوق الأخرى ، او من خطين أفقيين أحدهما فوق الآخر على شكل علامة مساوي (=) في علم الحساب ، أو من علامة تشبه حرف الشين في المسند (ʒ) ، او من علامة تشبه حرف الـ (N) في اللاتينية . ووضع النبط للعشرين علامة تشبه الـ (3) اللاتيني في بعض الأحيان ، وتشبه الرقم (8) اللاتيني في أحيان أخرى، غير أنهم فتحوا النهاية السفلى من الرقم (8) جعلوها مفتوحة في الغالب .

وتكتب الأعداد الآحاد على الجهة اليسرى من العشرات ، فإذا أردنا كتابة الرقم (١١) ، كتبنا الرقم (١٠) أولاً ثم العدد (١) من بعده ويكتب الى يسار الرقم (١٠) . فإذا أردنا كتابته على الطريقة الفينيقية او الإرمية ، كتبناه على هذه الصورة : (١ -) . واذا أردنا كتابته على طريقة أهل تدمر او طريقة النبط ، وضعنا العلامة التي وصفناها الخاصة بالعشرة ، ووضعوا الى يسارها خطأ واحداً يمثل العدد (١) ، واذا أرادوا العدد (١٢) ، وضعوا خطين بعد الرقم (١٠) ، واذا أرادوا (١٣) وضعوا ثلاثة خطوط . واذا أرادوا (١٤) ، وضعوا أربعة خطوط . أما اذا أرادوا الرقم (١٥) ، فإن منهم من وضع خمسة خطوط بعد الرقم عشرة كما كان يفعل الفينيقيون ، ومنهم من اتبع هذه الطريقة وطريقة تمثيل العدد بخطوط ، فوضع خمسة عشر خطأ لهذا العدد . ومنهم من وضع بعد العلامة الخاصة بالرقم (١٠) العلامة الخاصة بالرقم (٥) كالنبط وأهل تدمر .

أما مكررات العشرة ، فتكتب على هذه الصورة . إن كان العدد العشرات من الأعداد الزوجية فيكتب العدد بقدر احتواء العدد المراد تسجيله على العدد عشرين . فإذا أردنا كتابة الرقم (٤٠) ، كتبنا الرقم (٢٠) مرتين . وإن كان

العدد (٦٠) ، كتبنا العدد (٢٠) ثلاث مرات . وإن كان العدد (٨٠) ، كتبناه أربع مرات . أما إذا كان العدد العشرات من غير الأعداد الزوجية كما في مثل ثلاثين ، فإننا نكتب العدد (٢٠) أولاً ثم نضع الرقم (١٠) على يساره، فيتكون من مجموع قيمة العددين (٣٠) . أما إذا أردنا الرقم (٧٠) مثلاً ، كتبنا العدد (٢٠) ثلاث مرات ، ثم العدد (١٠) على الجهة اليسرى من الأرقام الثلاثة . وقد كتب هذا العدد في بعض الكتابات الإرمية بست نقط : ثلاث نقط في أعلا وثلاث نقط في أسفلها ، ونقطة على الجهة اليسرى من المجموعتين وفي مقابل الموضع الوسط الذي يكون الحد الفاصل بين المجموعتين وعلى هذا الشكل (١٠٠٠٠) .^١

أما العدد مئة ، فقد رمز عنه بعلامات متعددة ، منها هذه العلامات : (١٠) و (٥) و (٣) . ونرى أن العلامة الأولى هي توسيع للرقم الذي رمز اليه عن العشرة . وقد اتخذ النبط علامة تشبه الرقم (٩) ، أو الحرف (p) في اللاتينية . وقد سبق أن ذكرت ان العرب الجنوبيين كانوا قد اتفقوا على اعتبار الحرف الأول وهو الميم من لفظة مئة هو الرمز الذي يشير الى العدد ، واعتبروا نصف هذا الحرف رمزاً على العدد (٥٠) باعتبار ان الخمسين نصف المئة، فنصف الحرف ميم هو رمز عن هذا العدد .

أما العدد الألف ، فقد وجدت له في بعض الكتابات علامات خاصة . وقد رمز عنه الفنيقيون وبنو إرم بعلامة هي عبارة عن خط مائل يتصل به ما يشبه نصف القوس من جهة اليمين ، ورأس الخط مائل الى اليمين ، أما أسفله فتجه نحو اليسار^٢ .

ولم ترد في الكتابات الصفوية أرقام كثيرة ، لذلك لا نستطيع أن نحكم على طريقتهم في الترقيم وفي العد . غير أن في استطاعتنا القول ، استناداً الى هذه النماذج القليلة التي وصلت اليها ، أنهم اتبعوا في الترقيم الطريقة النبطية وطريقة أهل تدمر ، ولم يتبعوا طريقة العرب الجنوبيين في تدوين العدد . ويمكن ارجاع سبب ذلك الى اتصالهم اتصالاً مباشراً بالنبط وبأهل تدمر ، والى تأثيرهم بثقافتهم .

١ راجع الالواح الخاصة الملحق بكتاب M. Lidzbarski والخاصة بالنصوص .
٢ راجع آخر المصور الملحق بكتاب M. Lidzbarski اللوح الخاص بالارقام .

جدول الأرقام

Nubatisch.	Ägyptisch.	Arabisch.	Phönizisch.	
ⲁ	ⲁ	1	1	1
Ⲃ	Ⲃ	2	2	2
ⲃ	ⲃ	3	3	3
Ⲅ	Ⲅ	4	4	4
ⲅ	ⲅ	5	5	5
Ⲇ	Ⲇ	6	6	6
ⲇ	ⲇ	7	7	7
Ⲉ	Ⲉ	8	8	8
ⲉ	ⲉ	9	9	9
Ⲋ	Ⲋ	10	10	10
ⲋ	ⲋ	11	11	11
Ⲍ	Ⲍ	12	12	12
ⲍ	ⲍ	13	13	13
Ⲏ	Ⲏ	14	14	14
ⲏ	ⲏ	15	15	15
Ⲑ	Ⲑ	16	16	16
ⲑ	ⲑ	17	17	17
Ⲓ	Ⲓ	18	18	18
ⲓ	ⲓ	19	19	19
Ⲕ	Ⲕ	20	20	20
ⲕ	ⲕ	21	21	21
Ⲍ	Ⲍ	22	22	22
ⲍ	ⲍ	23	23	23
Ⲏ	Ⲏ	24	24	24
ⲏ	ⲏ	25	25	25
Ⲑ	Ⲑ	26	26	26
ⲑ	ⲑ	27	27	27
Ⲓ	Ⲓ	28	28	28
ⲓ	ⲓ	29	29	29
Ⲕ	Ⲕ	30	30	30
ⲕ	ⲕ	31	31	31
Ⲍ	Ⲍ	32	32	32
ⲍ	ⲍ	33	33	33
Ⲏ	Ⲏ	34	34	34
ⲏ	ⲏ	35	35	35
Ⲑ	Ⲑ	36	36	36
ⲑ	ⲑ	37	37	37
Ⲓ	Ⲓ	38	38	38
ⲓ	ⲓ	39	39	39
Ⲕ	Ⲕ	40	40	40
ⲕ	ⲕ	41	41	41
Ⲍ	Ⲍ	42	42	42
ⲍ	ⲍ	43	43	43
Ⲏ	Ⲏ	44	44	44
ⲏ	ⲏ	45	45	45
Ⲑ	Ⲑ	46	46	46
ⲑ	ⲑ	47	47	47
Ⲓ	Ⲓ	48	48	48
ⲓ	ⲓ	49	49	49
Ⲕ	Ⲕ	50	50	50
ⲕ	ⲕ	51	51	51
Ⲍ	Ⲍ	52	52	52
ⲍ	ⲍ	53	53	53
Ⲏ	Ⲏ	54	54	54
ⲏ	ⲏ	55	55	55
Ⲑ	Ⲑ	56	56	56
ⲑ	ⲑ	57	57	57
Ⲓ	Ⲓ	58	58	58
ⲓ	ⲓ	59	59	59
Ⲕ	Ⲕ	60	60	60
ⲕ	ⲕ	61	61	61
Ⲍ	Ⲍ	62	62	62
ⲍ	ⲍ	63	63	63
Ⲏ	Ⲏ	64	64	64
ⲏ	ⲏ	65	65	65
Ⲑ	Ⲑ	66	66	66
ⲑ	ⲑ	67	67	67
Ⲓ	Ⲓ	68	68	68
ⲓ	ⲓ	69	69	69
Ⲕ	Ⲕ	70	70	70
ⲕ	ⲕ	71	71	71
Ⲍ	Ⲍ	72	72	72
ⲍ	ⲍ	73	73	73
Ⲏ	Ⲏ	74	74	74
ⲏ	ⲏ	75	75	75
Ⲑ	Ⲑ	76	76	76
ⲑ	ⲑ	77	77	77
Ⲓ	Ⲓ	78	78	78
ⲓ	ⲓ	79	79	79
Ⲕ	Ⲕ	80	80	80
ⲕ	ⲕ	81	81	81
Ⲍ	Ⲍ	82	82	82
ⲍ	ⲍ	83	83	83
Ⲏ	Ⲏ	84	84	84
ⲏ	ⲏ	85	85	85
Ⲑ	Ⲑ	86	86	86
ⲑ	ⲑ	87	87	87
Ⲓ	Ⲓ	88	88	88
ⲓ	ⲓ	89	89	89
Ⲕ	Ⲕ	90	90	90
ⲕ	ⲕ	91	91	91
Ⲍ	Ⲍ	92	92	92
ⲍ	ⲍ	93	93	93
Ⲏ	Ⲏ	94	94	94
ⲏ	ⲏ	95	95	95
Ⲑ	Ⲑ	96	96	96
ⲑ	ⲑ	97	97	97
Ⲓ	Ⲓ	98	98	98
ⲓ	ⲓ	99	99	99
Ⲕ	Ⲕ	100	100	100
ⲕ	ⲕ	101	101	101
Ⲍ	Ⲍ	102	102	102
ⲍ	ⲍ	103	103	103
Ⲏ	Ⲏ	104	104	104
ⲏ	ⲏ	105	105	105
Ⲑ	Ⲑ	106	106	106
ⲑ	ⲑ	107	107	107
Ⲓ	Ⲓ	108	108	108
ⲓ	ⲓ	109	109	109
Ⲕ	Ⲕ	110	110	110
ⲕ	ⲕ	111	111	111
Ⲍ	Ⲍ	112	112	112
ⲍ	ⲍ	113	113	113
Ⲏ	Ⲏ	114	114	114
ⲏ	ⲏ	115	115	115
Ⲑ	Ⲑ	116	116	116
ⲑ	ⲑ	117	117	117
Ⲓ	Ⲓ	118	118	118
ⲓ	ⲓ	119	119	119
Ⲕ	Ⲕ	120	120	120
ⲕ	ⲕ	121	121	121
Ⲍ	Ⲍ	122	122	122
ⲍ	ⲍ	123	123	123
Ⲏ	Ⲏ	124	124	124
ⲏ	ⲏ	125	125	125
Ⲑ	Ⲑ	126	126	126
ⲑ	ⲑ	127	127	127
Ⲓ	Ⲓ	128	128	128
ⲓ	ⲓ	129	129	129
Ⲕ	Ⲕ	130	130	130
ⲕ	ⲕ	131	131	131
Ⲍ	Ⲍ	132	132	132
ⲍ	ⲍ	133	133	133
Ⲏ	Ⲏ	134	134	134
ⲏ	ⲏ	135	135	135
Ⲑ	Ⲑ	136	136	136
ⲑ	ⲑ	137	137	137
Ⲓ	Ⲓ	138	138	138
ⲓ	ⲓ	139	139	139
Ⲕ	Ⲕ	140	140	140
ⲕ	ⲕ	141	141	141
Ⲍ	Ⲍ	142	142	142
ⲍ	ⲍ	143	143	143
Ⲏ	Ⲏ	144	144	144
ⲏ	ⲏ	145	145	145
Ⲑ	Ⲑ	146	146	146
ⲑ	ⲑ	147	147	147
Ⲓ	Ⲓ	148	148	148
ⲓ	ⲓ	149	149	149
Ⲕ	Ⲕ	150	150	150
ⲕ	ⲕ	151	151	151
Ⲍ	Ⲍ	152	152	152
ⲍ	ⲍ	153	153	153
Ⲏ	Ⲏ	154	154	154
ⲏ	ⲏ	155	155	155
Ⲑ	Ⲑ	156	156	156
ⲑ	ⲑ	157	157	157
Ⲓ	Ⲓ	158	158	158
ⲓ	ⲓ	159	159	159
Ⲕ	Ⲕ	160	160	160
ⲕ	ⲕ	161	161	161
Ⲍ	Ⲍ	162	162	162
ⲍ	ⲍ	163	163	163
Ⲏ	Ⲏ	164	164	164
ⲏ	ⲏ	165	165	165
Ⲑ	Ⲑ	166	166	166
ⲑ	ⲑ	167	167	167
Ⲓ	Ⲓ	168	168	168
ⲓ	ⲓ	169	169	169
Ⲕ	Ⲕ	170	170	170
ⲕ	ⲕ	171	171	171
Ⲍ	Ⲍ	172	172	172
ⲍ	ⲍ	173	173	173
Ⲏ	Ⲏ	174	174	174
ⲏ	ⲏ	175	175	175
Ⲑ	Ⲑ	176	176	176
ⲑ	ⲑ	177	177	177
Ⲓ	Ⲓ	178	178	178
ⲓ	ⲓ	179	179	179
Ⲕ	Ⲕ	180	180	180
ⲕ	ⲕ	181	181	181
Ⲍ	Ⲍ	182	182	182
ⲍ	ⲍ	183	183	183
Ⲏ	Ⲏ	184	184	184
ⲏ	ⲏ	185	185	185
Ⲑ	Ⲑ	186	186	186
ⲑ	ⲑ	187	187	187
Ⲓ	Ⲓ	188	188	188
ⲓ	ⲓ	189	189	189
Ⲕ	Ⲕ	190	190	190
ⲕ	ⲕ	191	191	191
Ⲍ	Ⲍ	192	192	192
ⲍ	ⲍ	193	193	193
Ⲏ	Ⲏ	194	194	194
ⲏ	ⲏ	195	195	195
Ⲑ	Ⲑ	196	196	196
ⲑ	ⲑ	197	197	197
Ⲓ	Ⲓ	198	198	198
ⲓ	ⲓ	199	199	199
Ⲕ	Ⲕ	200	200	200
ⲕ	ⲕ	201	201	201
Ⲍ	Ⲍ	202	202	202
ⲍ	ⲍ	203	203	203
Ⲏ	Ⲏ	204	204	204
ⲏ	ⲏ	205	205	205
Ⲑ	Ⲑ	206	206	206
ⲑ	ⲑ	207	207	207
Ⲓ	Ⲓ	208	208	208
ⲓ	ⲓ	209	209	209
Ⲕ	Ⲕ	210	210	210
ⲕ	ⲕ	211	211	211
Ⲍ	Ⲍ	212	212	212
ⲍ	ⲍ	213	213	213
Ⲏ	Ⲏ	214	214	214
ⲏ	ⲏ	215	215	215
Ⲑ	Ⲑ	216	216	216
ⲑ	ⲑ	217	217	217
Ⲓ	Ⲓ	218	218	218
ⲓ	ⲓ	219	219	219
Ⲕ	Ⲕ	220	220	220
ⲕ	ⲕ	221	221	221
Ⲍ	Ⲍ	222	222	222
ⲍ	ⲍ	223	223	223
Ⲏ	Ⲏ	224	224	224
ⲏ	ⲏ	225	225	225
Ⲑ	Ⲑ	226	226	226
ⲑ	ⲑ	227	227	227
Ⲓ	Ⲓ	228	228	228
ⲓ	ⲓ	229	229	229
Ⲕ	Ⲕ	230	230	230
ⲕ	ⲕ	231	231	231
Ⲍ	Ⲍ	232	232	232
ⲍ	ⲍ	233	233	233
Ⲏ	Ⲏ	234	234	234
ⲏ	ⲏ	235	235	235
Ⲑ	Ⲑ	236	236	236
ⲑ	ⲑ	237	237	237
Ⲓ	Ⲓ	238	238	238
ⲓ	ⲓ	239	239	239
Ⲕ	Ⲕ	240	240	240
ⲕ	ⲕ	241	241	241
Ⲍ	Ⲍ	242	242	242
ⲍ	ⲍ	243	243	243
Ⲏ	Ⲏ	244	244	244
ⲏ	ⲏ	245	245	245
Ⲑ	Ⲑ	246	246	246
ⲑ	ⲑ	247	247	247
Ⲓ	Ⲓ	248	248	248
ⲓ	ⲓ	249	249	249
Ⲕ	Ⲕ	250	250	250
ⲕ	ⲕ	251	251	251
Ⲍ	Ⲍ	252	252	252
ⲍ	ⲍ	253	253	253
Ⲏ	Ⲏ	254	254	254
ⲏ	ⲏ	255	255	255
Ⲑ	Ⲑ	256	256	256
ⲑ	ⲑ	257	257	257
Ⲓ	Ⲓ	258	258	258
ⲓ	ⲓ	259	259	259
Ⲕ	Ⲕ	260	260	260
ⲕ	ⲕ	261	261	261
Ⲍ	Ⲍ	262	262	262
ⲍ	ⲍ	263	263	263
Ⲏ	Ⲏ	264	264	264
ⲏ	ⲏ	265	265	265
Ⲑ	Ⲑ	266	266	266
ⲑ	ⲑ	267	267	267
Ⲓ	Ⲓ	268	268	268
ⲓ	ⲓ	269	269	269
Ⲕ	Ⲕ	270	270	270
ⲕ	ⲕ	271	271	271
Ⲍ	Ⲍ	272	272	272
ⲍ	ⲍ	273	273	273
Ⲏ	Ⲏ	274		

ولما كانوا محتاجين الى تدوين الأرقام اضطروا الى اقتباس طريقة النبط وأهل تدمر في كتابة الأعداد بالأرقام .

وتجد في الجدول المقابل كيفية تدوين الأرقام في الفينيقية والآرامية، والتدمرية ، والنبطية . وهي تختلف اختلافاً بيناً عن صور الأرقام التي نستخدمها اليوم في عربيتنا . ونلاحظ أن من بين الترقيم في المسند ، وبين الترقيم في هذه الأبجديات تشابه كبير الى حد الرقم (٤) ، ثم يختلف ، فقد أخذ العرب الجنوبيون الحرف الأول من لفظة (خسة) ، وجعلوه رمزاً الى العدد (٥) ، بينما اتبع الباقون طريقة التخطيط بالرقم (١) الى العدد (٩) في الفينيقية ، ثم بدلوا الطريقة . وسلكت هذا المسلك الأبجدية الآرامية ، أما الأبجدية التدمرية والأبجدية النبطية ، فقد اتبعتا سبيلاً آخر ، فيه اختلاف في بعض الأعداد ، ولكن بينهما تجانساً بوجه عام . مما يدل على أنهما أخذتا الترقيم من منبع واحد .

الفصل الثالث والعشرون بعد المئة

الكتابة والتدوين

لا خلاف في أن التدوين كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام ، بدليل ما تحدثنا عنه من وجود الألوف من النصوص الجاهلية التي عثر عليها في العربية الجنوبية وفي العربية الغربية وفي أنحاء أخرى من جزيرة العرب . كتبت بلهجات عربية متنوعة ، تختلف عن عربية القرآن الكريم ، اختلافاً متبايناً ، أقربها إلى عربيتنا الكتابة التي سميت بـ (نص النارة) أو كتابة النارة ، التي هي شاهد قبر (امرئ القيس) ، المتوفى سنة (٣٢٨) للميلاد ، والكتابات الأخرى التي كتبت بعده^١ .

ولا خلاف بين العلماء في أنهم لم يتمكنوا حتى الآن من العثور على أي نص جاهلي مكتوب بهذه اللهجة التي نزل بها القرآن ، والتي ضبط بها الشعر الجاهلي ، لا من الجاهلية البعيدة عن الإسلام ، ولا من الجاهلية القريبة منه ، مع أنهم تمكنوا من العثور على كتابات جاهلية مدونة بلهجة عربية أخرى ، تعود إلى عهد لا يبعد كثيراً عن الإسلام ، مثل النص المعروف بنص (حران) المدون سنة (٥٦٨ م) .

ولذا صح أن الكتابة المعروفة بـ (أم الجبال) الثانية ، هي كتابة جاهلية

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١ / ١٨٩ وما بعدها) .

أصيلة ، تكون أول نص يمكن أن نعتبره بحث وحقيقة من النصوص المدونة بلغة القرآن والشعر الجاهلي . ويرجع العلماء الذين درسوه تأريخه الى أواخر القرن السادس للميلاد . وقد جاء فيه :

- ١ - الله غفرا لآله
- ٢ - بن عبيده كاتب
- ٣ - الخليدا على بنى
- ٤ - عمرى كتبه عنه من
- ٥ - يقروه^١

ولكن عبارة واسلوب تدوين الكتابة ، يوحيان للمرء ، أنها من الكتابات المدونة في الإسلام . وأنا أشك في كونها من مدونات أواخر القرن السادس للميلاد ، حتى إذا ذهبنا أن صاحبها كان نصرانياً ، وأن لفظة (غفرا) من الألفاظ الدينية التي كان يستعملها النصارى ، فلا غرابة من ورودها في نص جاهلي ، لأنها كتابة نصرانية . وحققت أن أسلوبها يفصح عن اسلوب الكتابات الإسلامية القديمة التي دوت في صدر الاسلام . وقد تكون في القراءة بعض الهفوات والشطحات ، على كلّ فإن الزمن بين العهدين غير بعيد ، ثم ان استعمال (التاء القصيرة) في (عبيدة) الاسم الوارد في السطر الثاني من النص لم يكن معروفاً في هذا العهد ولا في صدر الاسلام ، لذلك أرى أنها من الكتابات الإسلامية . وفيها هفوات . وبناءً على ما تقدم نقول إننا لم نتمكن من الحصول على نص جاهلي مدون بلغة عربية قرآنية ، لا شك في أصالته ، ولا شبهة في كونه جاهلياً . وأن أقدم ما عثر عليه من كتابات بهذه العربية ، هي كتابات دوت في الاسلام . في رأسها الكتابات التي عثر عليها مدونة على جبل (سلع) قرب المدينة ، يرى (الدكتور حميد الله) أنها ترجع الى السنة الخامسة للهجرة^٢ .

ثم الكتابة التي كتبت على شاهد قبر رجل اسمه (عبدالله بن خير) ، أو (عبدالله بن جبر) الحجازي أو الحجري ، المحفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة

١ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (الشكل رقم ٥ مقابل الصفحة ٧٣)
٢ H. Hamidullah, Some Arable Inscriptions of Medinah of the Early Years of Hijrah, in Islamic Culture, Vol. 13, No. 4, 1939, p. 427.

ويعود عهدها الى (جمادى الآخرة) من سنة احدى وثلاثين^١ .

ولا خلاف بين الباحثين في أن كل ما وصل إلينا من نصوص جاهلية إنما هو بلغة النثر ، إذ لم يعثر حتى الآن على نص مكتوب شعراً . ونظراً الى وجود التدوين عند أصحاب هذه النصوص ، ونظراً لأن الشعر ، شعور ، لا يختص بإنسان دون إنسان ، وبالعرب دون عرب ، فأنا لا استبعد احتمال ، تدوين الجاهليين الشعر أيضاً ، مثل تدوينهم لخواطيرهم وأمورهم نثراً . دوتوه بلهجاتهم التي كتبوا بها . وهي بالنسبة لهم لهجاتهم الفصيحة المرضية . أما سبب عدم وصول شيء مدون منه إلينا ، فقد يعود حسب رأيي ، الى أن تدوين الشعر والنثر يكون في العادة على مواد قابلة للتلف ، مثل الجلود والخشب والعظام وما شاكل ذلك ، وهي لا تستطيع مقاومة الزمن ، لا سيما إذا طمرت تحت الأتربة ، ثم هي معرضة لالتهام النار لها عند حدوث حريق ، أو للتلف إن أصابها الماء ، أضف الى ذلك أنهم كانوا يغسلون الجلد المكتوب ، للكتابة عليه مرة أخرى ، لغلاء الجلود ، وهو ما حدث عند غير الجاهليين أيضاً . ونجد في المؤلفات الاسلامية أمثلة كثيرة على غسل الصحف المكتوبة للكتابة عليها من جديد . ورسائل النبي وكتبه وأوامره الى عماله ورسله على القبائل ، فقد فقدت وضاعت مع ما لها من أهمية في نظر المسلمين ، وقل مثل ذلك عن كتب الخلفاء ، فلا نستغرب إذن ضياع ما كان مدوناً من شعر جاهلي ، فقد نص مثلاً على ان الشاعر (عدي ابن زيد) العبادي ، وكان كاتباً مجوداً بالعربية وبالفارسية حاذقاً باللغتين قارئاً لكتب العرب والفرس ، كان يدون شعره وهو في سجن النعمان ويرسل به الى الملك ، يتوسل اليه فيه أن يرحم به ، وأن يعيد اليه حريته ، وكان الشعر يصل الى الملك ، فلما طال سجنه صار يكتب الى أخيه أبي بشعر^٢ ، لم تبق من أصوله المكتوبة أية بقية ، وقد ضاعت أصول شعره المكتوب المرسل الى النعمان كذلك ، حتى أننا لا نجد أحداً من رواة شعره يروى أنه رجع اليها فنقل منها ، مما يبعث على الظن أنها فقدت منذ عهد بعيد عن بداية عهد التدوين .

وبدفعنا موضوع التدوين الى البحث عن تدوين الأدب والعلم عند الجاهليين ،

١ ولفنسون ، السامية (٢٠٢) .

٢ الطبري (١٩٧/٢ وما بعدها) ، (ذكر خبر ذي قار) .

وعما إذا كان للجاهليين أدب منشور وعلم مدون ؟ لقد ذهب بعض الباحثين الى وجود هذا الأدب عند أهل الجاهلية ، وتوقف بعض آخر ، فلم يبد رأياً في الموضوع ، وتوسط قوم ، فقالوا باحتمال وجود تدوين أو شيء منه عندهم ، إلا أنهم أحجموا عن الحكم على درجة تقدمه واتساعه في ذلك العهد . لعدم وجود أدله ملموسة يمكن اتخاذها سنداً لابتداء رأي واضح علمي في هذا الموضوع .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أنه لو كانت هنالك مدونات في الأدب ، لما خفي ذكرها وطفئ اسمها حتى من ذاكرة أهل الأخبار ، ومن أحاديث الرواة . إنه لو كان أهل الجاهلية قد زاولوا التأليف وتدوين العلم ، لما اقتصر علم أهل الأخبار في الأدب على ذكر قطع من الحكم ، يشك في صحتها ، وعلى إيراد الشعر رواية وعلى رواية بعض القصص والأمثال ، وسردهم كل شيء يتعلق بأمر الجاهلية رواية . وانه لو كان لديهم تأليف منظم ، لسار على هديهم من جاء بعدهم في الاسلام ، ولسلخوا مسلكتهم في التدوين : تدوين الكلام المنشور وتدوين الكلام الموزون المقفى ، وحيث أن أحداً لم يذكر اسم مدون من مدونات أهل الجاهلية ، وحيث أن المسلمين لم يشرعوا بالتدوين إلا بعد حين ، فلا يمكن لأحد النص بكل تأكيد على وجود تدوين عند الجاهليين^١ .

ولم نعث على خبر في كتب أهل الأخبار يفيد أن أحداً من الرواة والعلماء أخذ نص كلام حكيم من حكماء الجاهلية ، أو خبر أو شعر من صحف جاهلية ، أو من كتب ورثوها من ذلك العهد . هذا (قس بن ساعدة) الأيادي ، مع ما قيل عنه من أنه كان كاتباً قارئاً للكتب ، واقفاً على كتب أهل الكتاب ، خطيباً عاقلاً حكيماً ، وإن العرب كانت تعظمه وضربت به شعراؤها الأمثال ، وأنه كان خطيب العرب قاطبة ، نجدهم يختلفون في خطابه المعروف ، ويروونه بمختلف الروايات ، حتى ذكر أن الرسول كان قد سمعه ، وسمع خطابه ، فلما جاء ذكره ، وأراد أن يتذكر خطابه ، وجد بين الصحابة اختلافاً في تلاوته ، لأنه لم يكن مدوناً ، ولو كان مدوناً لم يختلف فيه^٢ .

١ هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام (٢٩٤ وما بعدها) ، (دار العلم للملايين) .

٢ الاصابة (٢٦٤/٣) ، (رقم ٧٣٤٢) .

وليس في الأخبار عن الجاهلية خبر يفيد أن السدنة أو غيرهم من الساهرين على الأصنام والأوثان وبيوتها ، ألفوا كتباً في الوثنية وفي أحكامها وقواعدها . أما اليهود والنصارى ، فقد كان لهم علماء يشرحون للناس في معابدهم أحكام دينهم ، ويعلمونهم الكتابة والقراءة وما في كتبهم المقدسة من أوامر ونواه . فكان « أبو الشعثاء ، وهو رجل ذو قدر في اليهود ، رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة »^١ . وهو من يهود بني ماسكة . وكان آخرون بينهم يعلمونهم أحكام دينهم في بيت المدارس .

وفي لغة الجاهليين مفردات تستعمل في القراءة والكتابة ، مثل : قلم ، وقرطاس ، ودواة ، ومداد ، ولوح ، وصحف ، وكتاب ، ومجلة ، وغير ذلك لا يشك في استعمال الجاهليين لها ، لورودها في القرآن الكريم . وورودها فيه ، دليل على استعمالهم لها . وورد بعضها أيضاً في الحديث النبوي وفي الشعر الجاهلي . ويفيدنا حصر هذه الألفاظ وضبطها في تكوين رأي علمي صحيح سديد في الكتابة والقراءة عند الجاهليين ، والمؤثرات الخارجية التي أثرت في العرب في هذا الباب ، وفي تكوين رأي قاطع في الجهة التي أمدت العرب كثيراً أو قليلاً بعلمهم في قلمهم العربي الشمالي الذي يكتب به الى هذا اليوم .

وأعتقد ان من واجب علماء العربية في هذا اليوم ، العمل على حصر ألفاظ العلوم والحضارة والثقافة التي ثبت لديهم استعمال الجاهليين لها ، وتعيين تأريخ استعمالها وأصولها التي وردت منها إن كانت أعجمية دخيلة ، والاستشهاد بالأماكن التي وردت فيها ، ففي هذا العمل العلمي ، مساعدة كبيرة للباحثين على تشعب علومهم وموضوعاتهم في الوقوف على تطور الفكر العربي قبل الإسلام . ولا أقصد الإحاطة بالمفردات الواردة في الشعر الجاهلي أو القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو معجمات اللغة وغيرها من الموارد الإسلامية وحدها ، بل لا بد من إضافة المفردات الواردة في الكتابات الجاهلية التي عثر والتي سيعثر عليها الى تلك المادة لأنها مادة العصر الجاهلي وجرثومة اللغة ، وبدونها لا تسعنا الإحاطة بلغة أهل الجاهلية ويتطور فكرهم أبداً .

ومن يراجع الموارد العربية وعلى رأسها المعجمات ، يدرك الصعوبات التي يلاقيها

١ الإغاني (١٥ / ١٦) .

المرء في الحصول على مادة ما، لعدم وجود الفهرسة للألفاظ والمواد في معظم هذه الموارد ، فعلى المراجع قراءة صفحات وأجزاء أحياناً للحصول على شيء زهيد . ولهذا زهد معظم المؤلفين في مراجعة ما هو مطبوع مع أهميته ودسم مادته ، لأن الصبر قاتل ، والاكتثار من المراجعة عمل شاق مرهق ، والحياة تستلزم السرعة والانتاج بالجملة . وقد ماتت همم الماضين ، وحلت محلها عجلة المستعجلين الذين يريدون الانتاج السريع الخفيف الجالب للاسم والمال .

وبعض الألفاظ الخاصة بالكتابة والقراءة ، هي ألفاظ معربة ، وإن وردت عند الجاهليين واستعملت قبل الاسلام بزمان طويل ، عرّب بعضها عن اليونانية ، وعرّب بعض آخر عن الفارسية أو السريانية أو القبطية ، وذلك بحسب الجهة التي ورد منها المعرب ووجد سبيله الى العربية ، ويمكن التعرف عليه بمقابلة اللفظ العربي مع اللفظ المقابل له عند الأمم المذكورة ، وبضبط الزمن الذي استعمل فيه والظروف المحيطة به ، للتأكد من أصله ، فقد يكون عربياً أصيلاً انتقل من العرب الى تلك الأقوام ، وقد يكون العكس ، نتمكن من الحصول على دراسة علمية قيمة في باب المعربات والتبادل الفكري بين الجاهليين والأعاجم .

والقلم ، هو من أدوات الكتابة المذكورة عند الجاهليين . وقد ذكر في القرآن الكريم . أقسم به في سورة (ن والقلم) ، وعظم وفخم شأنه في سورة العلق^١ . يكتب به على الورق والرق والجلود والقراطيس والصحف ومواد الكتابة الأخرى ، وكان يتخذ من القصب في الغالب ، فتقطع القصبه قطعاً يساعد على مسكه باليد ، ثم يبرى أحد رأسها ، ويشق في وسطه شقاً لطيفاً خفيفاً يسمح بدخول الحبر فيه ، فإذا أريدت الكتابة به ، غمس في الحبر ، ثم كتب به . ويعرف هذا القلم بقلم القصب ، تمييزاً له عن الأقلام المستعملة من مواد أخرى .

ولفظه (القلم) من الألفاظ المعربة عن أصل يوناني ، فهو (قلاموس) في اليونانية ، ومعناها القصب ، لأن اليونان اتخذوا قلمهم منه^٢ .

١ سورة العلق ، الآية ٤ ، سورة القلم ، الآية ١ ، لقمان ، الآية ٢٧ ، المفردات (ص ٤٢٢) ، (شر) القاموس (٣١/٩) ، صبيح الاعشى (٤٣٤/٢) وما بعدها .
٢ الأب رفاثيل نخلة اليسوعي (ص ٣٦٦) ، فرائد اللغة (ص ٢٩٣) ،
Ency. II, p. 675.

وينبت القصب في مواضع من جزيرة العرب حيث تتوافر المياه . وقد أشار (بلينيوس) Pliny ، في تأريخه الى قصب Kalamus عربي ، وقصب ينمو في الهند ، وذكر أنهم يستعملونه في عمل الأنسجة .

وهناك نوع من القصب قوي متين ، يطول فيستعمل في أغراض متعددة ، يقال له (قنا) ، ومنه (القنى) و (القناة) التي يستعملها المحاربون ، وتعرف بـ (قنة) في العبرانية . وكانوا يستوردونه من (صور)^١ .

وقد وردت لفظة (القلم) و (قلم) في شعر عدد من الشعراء الجاهليين في شعر ليبيد وعدي بن زيد العبادي والمرقش وأمية بن أبي الصلت وغيرهم ممن وقفوا على الكتابة وكانت لهم صلوات بالحضارة وبأصحاب الديانات . وذكر أن الخط يكون بالقلم^٢ .

ويعرف القلم بـ (المِزْبَر) كذلك ، من أصل زبر بمعنى كتب . وقد ذكر في الحديث النبوي^٣ . ويعرف بـ (المِرْقَم) أيضاً^٤ ، إذ هو أداة للرقم ، أي الكتابة .

ويقطّ القلم بمقطعة^٥ ، وتستعمل السكين في بريه أيضاً . ويعتني بذلك حتى يكون القلم جيداً سهلاً في الكتابة^٦ . ويقال للسكين : المديّة على بعض لهجات العرب^٧ . والقلم قبل أن تبريه : أنبوبة ، فإذا بريته ، فهو قلم . وما يسقط منه

١ Smith, Dictionary of the Bible, I, p. 241.

٢ قال عدي :

ما تبين العين من آياتها غير نؤى مثل خط بالقلم
الاغاني (١١٩/٢) ، سمط اللآلي (٨٧٦) .
وورد في شعر لامية بن أبي الصلت :

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم
سيرة ابن هشام (٤٨/١) ، بلوغ الارب (٣٦٩/٣) ، المرزباني ، معجم (٢٠١) ،
الاغاني (١٢٧/٦) ، النقائض (١٠٦) ، شرح المعلقات ، للتبريزي (١٢٨) .
٣ صبح الاعشى (٤٣٤/٢) ، المفردات (ص ٢١٠) ، الفائق (٥٢٢/١) ، تاج
العروس (٢٣١/٣) ، (زبر) .

٤ بلوغ الارب (٣٧٢/٣) ، تاج العروس (٣١٦/٨) ، (رقم) .

٥ شرح القاموس (٢٠٧/٥) .

٦ السمعاني ، أدب الاملاء والاستملاء (ص ١٦١) .

٧ صبح الاعشى (٤٥٥/٢) وما بعدها .

عند البري: البراية^١ . والمِقط^٢ : ما يقط عليه . والقط : القطع عرضاً ، والقَد^٣ : أن يقطع الشيء طولاً^٤ .

وهناك أنواع أخرى من الأقلام غير قلم القصب ، صنعت من الحديد . وقد استعمل العبرانيون وغيرهم أقلاماً من حديد ذات رؤوس من الماس ، ليكتب بها على صفائح من الحجر أو من المعدن ، كما استعملوا القلم الحديد أو القلم الرصاص وأقلاماً من معادن أخرى للكتابة بها على صفائح من الخشب مغطاة بشمع . ولهذا القلم رأسان : رأس محدد للكتابة ، ورأس مفلطح لمحو الغلطات وتسوية سطح الشمع ثانية ، كما استعملت الفرشاة لرسم الحروف^٥ . واستعمل أيضاً ريش الطيور . وقد عرف القلم المصنوع من الحديد بـ (عيت) ET عند العبرانيين^٦ .

وذكر ان (زيد بن ثابت) دخل على رسول الله وهو يملي في بعض حوائجه ، فقال : « ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي به »^٧ .

وقد استعملوا السكين والآلات الحادة في الكتابة على الخشب أو الحجر ، كما استخدموا الفحم وكل ما يترك أثراً على شيء ، مادة للكتابة . وذلك حين يعزّ لهم خاطر أو حين يريدون ابلاغ رسالة أو تقييد أمر هام ، مثل وقوع اعتداء على شخص ، فيكتب ما وقع له ، وهو لا زال متمكناً من الكتابة ، على ما قد يكون عنده ، حتى يعلم بمصيره من قد يمر به ميتاً^٨ . وقد حفر (قيسبة بن كلثوم السكوني) على رحل (أبي الطمحان القيني) رسالة ، دوتها بسكين^٩ . ودوت أحدهم ، وهو محتضر ، خبر قتله على راحلة قاتله ، بعد أن غافله ، ذكر فيها اسم قاتله^{١٠} . وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل ، توصل فيها كاتبوها بمختلف الوسائل لا يصل رسالتهم الى من يريدون وصولها لهم . وقد وصلت بعضها وجاءت بالنتائج التي كان يريدونها أصحابها منها .

١ بلوغ الارب (٣/٣٧٠ وما بعدها) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢٣) ، HASTINGS, p. 981.

٣ Hastings, p. 981.

٤ عيون الاخبار (٤٢/١) .

٥ ابن سعد ، الطبقات (٣/٣ ص ١٥١) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

٦ الاغانى (١١/١٣١) .

٧ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

وأما المادة التي يكتب بها ، فهي عديدة ، أهمها : الجبر ، ويعرف أيضاً بالمداد^١ . ويصنع من مواد متعددة تترك أثراً في المادة التي يكتب عليها . من ذلك الزاج وسخام المصابيح ، يمزج مع مادة لزجة مثل صمغ العفص أو صمغ آخر ، فيكتب به . ولما كان الجبر أسود ، قيل له (ديو) في العبرانية ، وقد عرف بهذا المعنى أي (سواد) في اليونانية كذلك^٢ . وعرف بـ Atramentum في اللاتينية ، وهي في المعنى نفسه^٣ .

وقيل للمداد (نِقَس) ، وقد وردت اللفظة في بيت شعر للشاعر (حميد بن ثور) حيث قيل إنه قال :

لمن الديار بجانب الحبس كخط ذي الحاجات بالنقس^٤

وأشير الى (المداد) في شعر لـ (عبدالله بن عنمة) ، حيث يقول :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل^٥ كما رُددَ في خط الدواة مدادها^٦

وقد ذكر (المداد) في القرآن : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر ، قبل أن تنفذ كلمات ربي »^٧ ، « يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات ربي لنفد ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي »^٨ ، فالمداد إذن من الألفاظ التي كانت مستعملة قبل الإسلام .

وقد صنّع الجبر من مواد مختلفة ، صنعه العبرانيون من سخام المصابيح ، أما المصريون فصنعوه من مواد متعددة ، فصار اتقن من المداد العبراني ، ولذلك حافظ على بريقه ولونه ، كما أنه لا يمحي بسهولة ، بينما كان الجبر العبراني

١ شرح القاموس (٤٩٨/٢) ، (١١٧/٣) ، المفردات (ص ١٠٤) .

٢ بلوغ الأرب (٣٧٢/٣) ، Smith, A Dict., III, p. 1802.

٣ Hastings, A Dictionary, II, p. 472.

٤ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، للدكتور ناصر الدين الأسد (ص ١٠٠) .

٥ الفضليات (٧٤٣) .

٦ الكهف ، الآية ١٠٩ .

٧ تفسير الطبري (٣١/١٦) ، صبح الأعشى (٤٧١/٢) .

قابلاً للغسل بكل سهولة^١ . ولا نجد بين العلماء اتفاقاً في أصل معنى (الحبر) ، مما يدل على أن اللفظة^٢ من المعربات . أما المداد ، فذكر علماء اللغة ، أنه ما مددت به السراج من زيت ونحوه ، ثم خص بالحبر . والظاهر أنها أخذت من سخام الزيت الذي يحترق في السراج ، وأنها تعني (سواد) ، على نحو ما نجده في لفظة Melan اللاتينية ، التي تعني السواد ، سواد السراج ، وخصصت بالحبر^٣ .

وليست لدينا أخبار عن كيفية صنع الحبر عند الجاهليين ، ولم يصل إلينا نص جاهلي مدون بالحبر نتمكن بتحليل مادته من الوقوف على تكوينه . ولكننا نستطيع أن نقول إن حبر الجاهليين لم يكن يختلف عن أنواع الحبر المستعملة عند الشعوب الأخرى في ذلك العهد وأبسطها الحبر المصنوع من الفحم المسحوق ، مضافاً إليه الماء وقليل من الصمغ في بعض الأحيان . والحبر المصنوع من بعض المواد المستخرجة من زيوت بعض الأشجار وعصاراتها ، أو من مسحوق عظام الحيوانات المحروقة أو من بعض الأوراق المؤكسدة بالحديد وبيعض المعادن . ويراد بالحبر، الحبر الأسود في الغالب ، غير أن القدماء كانوا يستعملون أصباغاً مثل الأحمر والأخضر ، في تدوين الشروح والملاحظات والأمور المهمة التي تلفت النظر ، كما استعملت في التصوير وفي رسم بعض الرسوم التوضيحية ، كما يظهر ذلك من الأوراق القديمة التي عثر عليها في مصر وفي اليونان وغير ذلك من الأماكن . وقد ورد في كتب الحديث النبوي وموارد إسلامية أخرى ، أن الجاهليين كانوا يستعملون الصور والنقوش . ويريدون بالنقش تلوين الشيء بلونين أو عدة ألوان . ويقولون له : النمنمة كذلك^٤ . وكان منهم مصورون يصورون الإنسان والحيوان والأشجار وغير ذلك . وقد نهى الرسول عن تصوير كل ما هو ذو روح . وهذا التحريم هو دليل شيوع التصوير واستعمال الصور عند الجاهليين .

ويحفظ الحبر في أداة ، يقال لها (الدواة) و (المحبرة)^٥ ، يحملها الكاتب

Hastings, p. 383. ١

٢ تاج العروس (٤٩٨/٢) ، (مدد) .

Hastings, p. 383. ٣

٤ شرح القاموس (٣٥٨/٤) وما بعدها

٥ تاج العروس (١٣٣/١٠) ، تفسير ابن عباس (٤٥١) .

٦ تاج العروس (١١٧/٣) .

معه ، فيعلقها بحزامه ، أو يضعها تحت ثيابه ، ويكون لها غطاء يمنع الحبر أن ينساب منها ، ويكون بها تجويف تخزن فيه الأقلام والمقطة . وقد تكون المحبرة كأساً صغيرة ذات غطاء يخزن الحبر فيها . وقد عرفت لذلك بـ (كست هسفر) (كاست هاسيفر) ، أي (كأس الكتاب) في العبرانية ^١ . وقد بقي الكتاب وطلاب العلم والعلماء يستعملون تلك المحابر القديمة الى عهد قريب ، إذ حلت محلها الأقلام الحديثة المحملة بالحبر ، وما زال بعض رجال الدين ومن يعنون بحال الخط وتحسينه يستعملون أقلام القصب والحبر القديم على الطريقة القديمة المذكورة.

وقد عرفت المحبرة الكبيرة التي يحفظ فيها الحبر والأقلام والمقطة ومواد الكتابة الأخرى بـ (قلمارين) . (قلماريون) (ق ل م ري ن) في (المشنا) أي المقلمة في العربية ، تمييزاً لها عن أداة أخرى عرفت بـ (ترنتوق) ، وهي مقلمة توضع فيها الأقلام والمبراة . وهناك لفظة أخرى ، هي (لبلرين) وتقابل Libelari في اللاتينية يطلقها المتأدبون على المقلمة ^٢ .

وقد أشير الى الدوي ، أي المحابر في بيت شعر ينسب لأبي ذؤيب :

عرفت الديار كخط الدوي ي حبره الكاتب الحميري^٣

وذكر أن من أسماء المحبرة (ن) وأن (ن والقلم) بمعنى الدواة والقلم ^٤ .

وقد كان من عادة الكتّاب ترميل الكتابة لتجف ، وكانوا يضعون الرمل في إناء خاص ثم يذرون منه شيئاً على الكتابة .

وأما المواد التي يكتب عليها ، فعديدة ، تتوقف على ظروف المكان ومقدرة أهله المالية ، منها الحجر والخشب ومختلف أنواع المعادن والطين وورق الشجر والجلود والقرطيس واكتاف الإبل والخاف والعصب والقضم وغير ذلك ^٥ . والى الحجر المكتوب ، يعود الفضل الأكبر في حصولنا على معارفنا عن عرب اليمن

١ Smith, A Dictlon., I, p. 1802.

٢ Smith, A Dictlo., III, p. 1789.

٣ النسان (٢٧٩/١٤) .

٤ اللسان (٤٢٧/١٣) ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، للفيروز آبادي (٤٥١) .

٥ الفهرست (ص ٣١ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٤٧٥/٢) ، الفائق (١٥٠/٢) .

قبل الإسلام ، وعرب بلاد الشام وأعالي الحجاز . فلولا له لكان علمنا بهم نزرأ يسيراً .

والعسب ، جريد النخل ، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص . ولوفرته في الحجاز استعمله كتاب الوحي وحفظه القرآن في تدوين الوحي عليه . وقد رجع إليه زيد بن ثابت في جملة ما رجع إليه من مواد يوم كُتِف جمع القرآن الكريم^١ . وقد ورد (عسيب يمانى) في شعر لامرئ القيس ، هو قوله :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبورٍ في عسيب يمانى^٢

وقد ورد عن (زيد بن ثابت) ، ان (أبا بكر) لما أمره بجمع القرآن ، أخذ يتبعه من (الرقاع والعسب واللخاف) ، واللخاف : حجارة بيض . وورد في حديث (الزهري) : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن في العسب والقضيم والكرانيف »^٣ .

وذكر (ليلى) العسب في شعره حيث ورد :

متعود لحنٌ يعيد بكفه قلماً على عسب ذبلان وبان^٤

والجريد من مادة التدوين عند أهل الحجاز . والجريدة السعفة ، بلغة أهل الحجاز ، وفي الحديث : كتب القرآن في جرائد ، جمع جريدة^٥ .

واستعمل (الكرناف) (الكرانيف) و (الكرب) مادة للكتابة كذلك . وقد ورد أن كتبة القرآن استعملوا الكرانيف مادة لتدوين الوحي^٦ . والكرانيف والكرب ، أصول السعف الغلاظ العراض التي تلاصق الجذع ، وتكون على هيئة الأكتاف^٧ . قال الطبري قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « ولم يكن

١ صبح الاعشى (٤٧٥/٢) ، تاج العروس (٣٨١/١) ، (عسب) .

٢ ديوان امرئ القيس (١٢٠) ، تاج العروس (١٢٩/٥) .

٣ الفائق (١٥٠/٢) .

٤ الامالي (٥/١) .

٥ النسيان (١١٨/٣) وما بعدها ، (جرد) .

٦ تفسير الطبري (٦٣/١) ، الفائق (١٥٠/٢) .

٧ تفسير الطبري (٦٣/١) .

القرآن جمع ، وإنما كان في الكرائيف والعسب ^١ .

واستعمل الجاهليون كتف الحيوان أيضاً ، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان للكتابة عليه ، وقد كتب عليه كتبة الوحي . وفي الحديث : ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده. أو ائتوني باللوح والدواة والكتف^٢. ولما كانت العظام مادة مبدولة ميسورة في استطاعة الكاتب الحصول عليها بغير ثمن ، وهي صالحة للكتابة بكل سهولة على شكلها الطبيعي أو بعد صقل وتشذيب قليلين ، لذلك استعملها الكتاب بكثرة . فكانت مادة مهمة استعملها كتبة الوحي في تدوين القرآن . وقد ذكر (ابن النديم) أن في جملة العظام التي كتب عليها العرب : أكتاف الإبل^٣ .

وكانوا إذا كتبوا في الأكتاف حفظوا ما كتبوه في جرة أو في صندوق حتى يحفظ ، ويكون في الامكان الرجوع اليه . وقد كانت الأكتاف في جملة المواد المكتوبة التي استنسخ (زيد بن ثابت) منها ما دون من القرآن .

واستعملوا الجلود مادة من مواد الكتابة : الجلد المدبوغ والجلد الغير المدبوغ . وقد كانوا يدبغون الجلد أحياناً ويصقلونه ويرققونه حتى يكون صالحاً مناسباً للكتابة . وقد يدبغونه ويصبغونه ، وقد ذكر علماء اللغة أنواعاً من أنواع الجلود التي استعملوها في كتابتهم ، منها :

القضم ، جمع قضم ، الجلد الأبيض يكتب فيه . وقيل الصحيفة البيضاء ، أو أي أديم كان . وقد أشير اليه في شعر للناطقة :

كان مجرّ الرامسات ذبولها عليه قضم نحقته الصوانع^٤

وأشير الى (القضم) و (القضيمة) في شعر (زهير بن أبي سلمى)^٥ ، وفي شعر (امرئ القيس)^٦ .

-
- ١ تفسير انطبري (٦٣/١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٢٩/٦) ، الطبري (١٩٣/٣) (حوادث السنة الحادية عشرة) .
 - ٣ الفهرست (ص ٣١) .
 - ٤ تاج العروس (٢٩/٩) ، (قضم) ، الفائق (١٥٠/٢) .
 - ٥ ديوان زهير (٢٣١) .
 - ٦ ديوانه (ص ٨٦) .

ويظهر من تفسير العلماء للكلمة ، ان (القصيم) الصحف البيضاء المستعملة من الجلد . وذلك بأن تقطع وتصل حتى تكون صالحة للكتابة . وقد ورد ان كتابة الوحي استعملوا القصم في جملة ما استعملوه من مواد الكتابة^١ .

وأما الأدم ، وهي الجلود المدبوغة ، فقد كانت مثل القصم من مواد الكتابة الثمينة . وقد استعان بها كتبة الوحي في تدوين القرآن^٢ . كما كانت مادة لتدوين المراسلات والعهود والمواثيق^٣ . وقد أشير الى (الأديم) في شعر للمرقش الأكبر^٤ : وذكر ان بعضه كان أديماً أحمر ، أي مدبوغ بمادة حمراء ، ومن أنواعه (الأديم الخولاني) . والظاهر انه كان من أوسع مواد الكتابة استعمالاً في أيام الجاهلية وصدر الاسلام، لوجوده عندهم ، ولرخص ثمنه بالنسبة الى الورق المستورد من مصر أو من بلاد الشام^٥ . وقد جاء في بعض الأخبار ان بعض مكاتبات الرسول كانت في الأدم^٦ .

وكان الدباغون يدبغون الأهب ويصلحونها بصقلها ، فإذا دبغ الإهاب صار أديماً . وقد ذكر ان أهل مكة كانوا يشترون قطع الأديم، ويكتبون عليه عهودهم ومواثيقهم وكتبهم . ولما توفي (سعيد بن العاص) جاء فتي من قريش يذكر حقاً له في كراع من أديم بعشرين ألف درهم على (سعيد) ، بنحط مولى لسعيد كان يقوم له على بعض نفقاته ، وبشهادة (سعيد) على نفسه بنحطه . فأعطي حقه على ما كان مدوناً في قطعة الأديم^٧ .

وذكر بعض علماء اللغة أن القرطاس : الكاغد ، يتخذ من بردي يكون بمصر . وذكر بعض آخر أن القرطاس الصحيفة من أي شيء كانت ، يكتب فيها ،

- ١ الفائق (١٥٠/٢) .
- ٢ تفسير الطبري (٥٩/١) ، السجستاني ، كتاب المصاحف (٢٣ وما بعدها) .
- ٣ نسب قريش ، لنزيري (١٧٧ وما بعدها) .
- ٤ الدار وحش والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم المرزباني ، معجم (٢٠١) ، الاغانى (١٢٧/٦) . وورد : (الدارقق) ، عوضاً عن (الدار وحش) ، المفضنيات (ص ١١١) (بقلم السندوبي) (القاهرة ١٩٢٦ م) ، البيان والتبيين (٣٧٥) .
- ٥ تقييد العلم (٧٢/٢٥٢) ، مسند أحمد (١٤١/٤) ، الطبقات (٥٤/٧) ، نسب قريش (١٧٧ وما بعدها) ، المصاحف (٢٣ وما بعدها) .
- ٦ صبح الاعشى (٤٧٥/٢) .
- ٧ نسب قريش (١٧٧ وما بعدها) .

والجمع قراطيس^١ . وقد وردت لفظة (قراطاس) و (قراطيس) في القرآن الكريم^٢ .
وورود اللفظة في القرآن الكريم دليل على وقوف العرب عليها . وهي من الألفاظ
التي دخلت الى العربية من مصر أو من بلاد الشام ، حيث استورد أهل مكة
والعربية الغربية مختلف التجارة منها ، ومنها القراطيس ، ويعرف القراطاس في
اليونانية بـ Khartis^٣ .

ويظهر أن أهل بلاد الشام كانوا قد استعملوا اللفظة اليونانية ، فلما نقل الجاهليون
القراطاس منهم وتعلموه عنهم ، استعملوا المصطلح اليوناني بشيء من التحريف
والتحويل ليناسب النطق العربي . وقد نص بعض علماء اللغة على أن اللفظة من
الألفاظ المعربة^٤ .

وتقابل لفظة (قراطاس) لفظة Papyri في اللغة الانكليزية . وقد كان القدماء
في مصر وفي حوض البحر المتوسط يكتبون على القراطيس . وهي على صورة
لفات تلف كالأسطوانة تحفظ في غلاف حذر تلفها وتمزقها . وأسفار اليهود هي
على هذه الصورة^٥ . ولا زالت معابدهم تستعمل توراتهم المكتوبة على هيئة (سقر)
أي مكتوبة على هيئة صفحات متصلة ببعضها ببعض على شكل اسطوانة ، يسحب
أحد طرفيها الذي يوصل باسطوانة أخرى ، ثم يقرأ من السفر .
وذكر علماء اللغة أن (الرقاع) ، هي القراطاس^٦ .

ووردت لفظة (رق) في القرآن الكريم : « والطور وكتاب مسطور في رق
منشور »^٧ . وقد فسر العلماء الرق بأنه ما يكتب فيه شبه الكاغد ، أو جلد رقيق

-
- ١ المفردات (ص ٤٠٩) ، تاج العروس (٢١٥/٤) ، صبح الاعشى (٤٧٤/٢) ،
الجواليقي (ص ٢٧٦) ، شفاء الغليل (ص ١٥٩) ، ابن خلدون ، مقدمة (٤٧٠)
وما بعدها . Ency., II, p. 1036.
 - ٢ (ولو نزلنا عنك كتابا في قراطاس فلمسوه بأيديهم) ، الانعام ، الآية ٧ ، (قل من
أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا) ، الانعام ، الآية ٩ ، صبح الاعشى (٤٨٥/٢) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٤) ، فرائد اللغة (ص ٢٧٧) .
 - ٤ الجواليقي (٢٧٦) ، الخفاجي ، شفاء الغليل (ص ١٥٩) .
 - ٥ Hastings, p. 676, 978.
 - ٦ تاج العروس (٣٦٠/٥) .
 - ٧ سورة الطور ، الآية ٢ وما بعدها .

يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء^١ . وقد اشتهرت جملة مواضع في الحجاز وفي اليمن بترقيق الجلد ودباغته ، ليصلح للعمل ، وفي جملته الرق المستعمل في الكتابة . ويعرف الرق بـ (ر ق و) Raqo و (ر ق) Raq في الإرامية . وتؤدي اللفظة في هذه اللغة المعنى نفسه المفهوم منها في عربيتنا ، ولهذا ذهب بعض العلماء الى ان اللفظة من أصل إرمي^٢ . ومن أجود أنواع الرق ، الرق المعمول من جلد الغزال . وذكر ان الصحابة أجمعوا على كتابة القرآن في الرق ، لتيسره عندهم ، ولطول بقاء الكتابة فيه^٣ .

وقد كان الكتاب يستعملون الرق في المراسلات وفي السجلات وفي الكتب الدينية . فقد استعمل الفرس جلود البقر المدبوجة لكتابة كتبهم الدينية عليها ، واستعمل العبرانيون جلود الغنم والمعز والغزال لكتابة التوراة والتلمود عليها . وقد اشترطوا في الجلود أن تكون من جلود الحيوانات الطاهرة . استعملوها صحائف منفصلة ، واستعملوها صفائح على هيئة الكتب ، كما استعملوها مدورة ملفوفة قطعة واحدة يتصل كل رأس منها بقضيب ، فتكون لفتين متصلتين ، وذلك بربط قطع الجلود بعضها ببعض وتثبيتها لتكون صحيفة واحدة طويلة مستطيلة ، يقال لها (مجلوت) (م ج ل و ت) ، أي المجلة ، من أصل (ج ل ل) ، بمعنى لف وأدار^٤ .

وفي الشعر الجاهلي إشارات الى استعمالهم (الرق) في كتاباتهم . وقد أشار بعضهم الى سطور الرق ، وكيف رقصها كاتبها ونمق الكتابة مسطرها . وكيف خط مملي الكتاب ما أريد لإملاؤه في الرق . وقد عبر عن الخطاط الذي خط السطور على الرق بالمرقش وبالكاتب^٥ . ومن أنواع الرق الجيد الرق المصنوع بـ (خولان) والذي عرف بـ (الأديم الخولاني)^٦ .

- ١ المفردات (ص ٢٠٠) ، شرح القاموس (٣٥٨/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٤/٢) بلوغ الارب (٣٧٨/٣) .
- ٢ برصوم (ص ٧٣) ، غرائب اللغة (ص ١٨٣) .
- ٣ صبح الاعشى (٤٧٥/٢) .
- ٤ Smith, A Dictio., III, p. 1802.
- ٥ ديوان الهذليين (٧٠/٣) ، الأمدى ، المؤلف والمختلف (٢٧) ، ديوان طرفسة (٦٨) ، ديوان حاتم الطائي (٢٣) .
- ٦ تقييد العلم (٧٢) .

ونجد الشاعر المخضرم (معقل بن خويلد) الهذلي ، يشير الى (ملي كتاب)
ملي على كاتب ، يخط على رق ، وذلك بقوله :

فلاني كما قال مملي الكتاب ب في الرق إذ خطه الكاتب
يرى الشاهد الحاضر المطمئن من الأمر ما لا يرى الغائب^١

ومعقل من سادات قومه ، ومن شعرائهم المعروفين ، وكان أبوه رفيق (عبد
المطلب) الى (أبرهة)^٢ .

وأما (القتب) ، فالإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير^٣ . ويصنع من
الحشب . وقد كتب الناس على (القتب) . وقد استخدم (الرجل) مادة للكتابة
عليها ، عند الحاجة والضرورة^٤ .

وقد استعملت الألواح مادة للكتابة ، ومن هذه الألواح ما صنع من الحجر ،
بنشر الحجر وصقله ، ومنها ما صنع من الحشب ، ومنه من لوح الكتف أي
العظم الأملس منه . واللوح كل صفيحة عريضة خشباً أو عظماً^٥ . وأشهر في
القرآن الكريم الى اللوح ، فورد : « بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ »^٦ .
وورد « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة »^٧ وغير ذلك . فيظهر من
ذلك أن الألواح كانت تكتب فيحفظ بها ما يراد حفظه من آراه وأفكار .

وقد كان بعض الصحابة والتابعين يستعملون الألواح لتقييد ما يريدون حفظه
وتقييده من أقوال الرسول ومن سيرته أو غير ذلك . فذكر أن (ابن عباس)
كان يأتي (أبا رافع) ويسأله : ما صنع رسول الله يوم كذا ؟ ومع ابن عباس
ألواح يكتب فيها . وأن مجاهداً كان يسأل (ابن عباس) عن تفسير القرآن

١ ديوان الهذليين (٧٠/٣) .

٢ الاصابة (٤٢٥/٣) ، (رقم ٨١٣٧) .

٣ تاج العروس (٤٣٠/١) وما بعدها ، (قتب) ، السجستاني ، المصاحف (٢٠) .

٤ ابن سعد ، انطبقات (٢/٣ ص ١٥١) ، تقييد العلم (١٠٢) .

٥ المفردات (ص ٤٧٢) ، تاج العروس (٢١٨/٢) ، صبح الاعشى (٤٧٢/٢) وما
بعدها ، شمس العلوم (٣٤/١) .

٦ البروج ، الآية ٢١ وما بعدها .

٨ البروج ، الآية ٢١ وما بعدها .

ومعه ألواح ، يكتب فيها ما يمليه عليه ^١ . وعرف اللوح بـ (السبورجه) ، وهي لفظة فارسية الأصل ^٢ .

وقد ورد في حديث زيد بن ثابت عن جمع القرآن أنه جمعه من الرقاع والأخاف والعُسب . وقصد بالأخاف حجارةً بيضاً رقائقاً ، واحداً لحقة ^٣ . كان يكتب عليها أهل مكة .

والحجارة هي المورد الرئيسي الذي استخرجنا منه علمنا بتاريخ العرب الجنوبيين وبتاريخ أعالي الحجاز وأماكن أخرى من جزيرة العرب. ويضاف الى ذلك الصخور الصغيرة والحصي الكبيرة، فقد نقش عليها الجاهليون أوامرهم وأحكامهم وخواطرمهم ورسائلهم وذكرى نزولهم في مكان ، فالفضل يعود الى هذه الكتابات في حصولنا على أخبار الجاهليين المذكورين .

وقد كتبوا على الخزف ، وبقي الناس يكتبون على الحجارة والخزف الى الاسلام . فقد كان (أبو الطيب) اللغوي ، وهو (عبد الواحد بن علي) ، يعلق عن (أبي العباس) ثعلب على خزف ، ثم يجلس فيحفظ ما دونه عليه ^٤ . ويقال لما يكتب في الحجارة وينقش عليها (الوحي) . والوحي الكتابة والخط . وهذا المعنى ورد في شعر شعراء جاهليين واسلاميين ، مثل شعر (لبيد) ، حيث قال :

فدافع الرِيَّانُ عُرِّيَّ رَسْمَهَا خَلْقاً كما ضمن الوحي سلامها ^٥

وشعر (زهير) حيث يقول :

لمن الديار غشيتها بالفدقد كالوحي في حجر المسيل المخلد ^٦

-
- ١ تفسير الطبري (٣١/١) ، البغدادي ، الخطيب ، تقييد العلم ، (تحقيق يوسف العش) ، (دمشق ١٩٤٩) (ص ٩١ وما بعدها) .
 - ٢ تقييد العلم (٧٢) .
 - ٣ تاج العروس (٢٤٤/٦) ، الفهرست (٣١) .
 - ٤ رسالة الغفران (٦٣) .
 - ٥ اللسان (٣٧٩/١٥) (صادر) ، البرقوق (ص ١٤) .
 - ٦ ديوان زهير (١٢٦ ، ١٥٠) .

وأما الورق ، فأريد به جلود رقاق يكتب فيها ، ومنها ورق المصحف^١ . ويظهر أنهم أطلقوا اللفظة على القطع الرقيقة من الجلود أو من المواد الأخرى التي كانوا يكتبون عليها ، تشبيهاً بورق الشجر . ولذلك فإنها لا تعني نوعاً معيناً من الورق . كما يجوز أن يكون المراد من الورق المستورد من بلاد الشام أو من مصر ، أو المصنوع من صقل الكتان ونسيج القطن وغير ذلك .

ولقلة وجود القصب الصالح لصنع الورق في جزيرة العرب ، لا نستطيع أن نذهب إلى وجود صناعة ورق من هذه المادة في هذه البلاد، بل كانوا يستوردونه من مصر مصدر الورق المصنوع من القصب ، والمعروف بـ (البايروس) .

والصحيفة المبسوطة من الشيء ، والتي يكتب فيها ، والكتاب ، وجمعها صحائف وصحف ، ومنها « إن هذا لفي الصحف الأولى : صحف إبراهيم وموسى^٢ » ، و « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيمة »^٣ . وقد أشير إلى الصحيفة في كتب السيرة حين اتفقت قريش على مقاطعة بني هاشم ، وكتب بذلك صحيفة ، كتبها (بغض بن عامر بن هاشم) ، أو (منصور بن عبد شريحيل) المعروف بأبي الروم على بعض الروايات^٤ . والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين . والتصحيح قراءة المصحف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه^٥ .

وقد قيل للقرآن : المصحف ، وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين^٦ . ونقرأ في الأخبار أن بعضاً من الصحابة والتابعين كانوا يملكون صحيفة أو صحفاً دونوا فيها حديث الرسول أو أمراً من مور الشعر وأخبار العرب وأمثال ذلك . فكان (عبدالله بن عمرو بن العاص) قد كتب حديث الرسول في صحيفة ، وقد أذن الرسول له أن يكتب حديثه فيها^٧ .

-
- ١ تاج العروس (٨٦/٧) ، المغرب (٢٤٦/٢) ، صبح الاعشى (٤٧٦/٢) .
 - ٢ سورة الأعلى ، الآية ١٨ وما بعدها .
 - ٣ سورة البينة ، الآية ٢ وما بعدها .
 - ٤ نسب قريش (ص ٢٥٤ وما بعدها) ، ابن هشام (٣٧٥/١ وما بعدها) .
 - ٥ المفردات (ص ٢٧٦) ، المغرب (ص ٢٩٨) ، تاج العروس (١٦١/٦) ، صبح الاعشى (٤٧٤/٢ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (٣٧١/٣) .
 - ٦ اللسان (١٨٦/٩) وما بعدها .
 - ٧ تذكرة الحفاظ (٥/١) .

وقد أُشير إلى الصحيفة في شعر (المتلمس)^١ ، ويظهر من الشعر الذي ذكرت اللفظة فيه ، أنه قصد بها رسالة ، أي كتاباً أمر ملك الحيرة (عمرو بن هند) بتدوينه ، وأعطاه إليه ، ليحمله إلى عامله على البحرين على نحو ما ورد في خبره. كما أُشير إلى الصحيفة في شعر شعراء آخرين^٢ .

ويقال للصحيفة طرس ، ويجمع على طروس^٣ . ويقال إن الطرس الصحيفة المكتوبة^٤ ، وقيل: الكتاب المحو الذي يستطاع أن تعاد فيه الكتابة. والتطريس: فملك به . وطرس الباب سوّده ، والطلس : كتاب لم ينعم محوه ، فيصير طرساً . والتطريس إعادة الكتابة على المكتوب المحو^٥ .

ورأى بعض العلماء أن الصحف ما كان من جلود^٦ . وذهب بعض آخر ، إلى أنها من جلد أو قرطاس . وأن القرطاس والصحيفة ، هما في معنى واحد ، وهو الكاغد^٧ .

وذكرت (الصحيفة) في شعر للقيط بن يعمر الإيادي ، هو قوله :

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد

وذلك في قصيدته التي كتبها اليهم ، يخبرهم فيها بمسير (كسرى) عليهم ، ويحذرهم من قدومه^٨ .

١ أودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حياته المتلمس
ألق الصحيفة ، لا أبأ لك أنه يخشى عليك من الجبا النقرس

...

ورهننني هندا ، وعرضك في صحف تلوح كأنها خلل

٢ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ص ١٣٢) ، الاغانى (١٣٥/٢١) .
الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، ديوان قيس بن الخطيم (١٩) ، ديوان الهذليين (٦٤/١) ، المرزباني ، معجم (٣٠٤) ، الاصمعيات (٦٣) .

٣ صبح الاعشى (٤٧٦/٢) .

٤ فرائد اللغة (ص ٢٧٧) ، ورد في شعر للبيد :

فأجازني منه بطرس ناطق وبكل أطلس جوبه في المنكب

شرح ديوان نبيد (ص ١٥٥) .

٥ بلوغ العرب (٣٧١/٣) ، الاقتضاب (٩٣) ، الفائق (٨١/٢) ، اللسان (١٢١/٦) ،
تاج العروس (١٧٧/٤) (طرس) .

٦ بلوغ العرب (٣٧١/٣) ، مبادئ اللغة (ص ٩٠) ، (مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ) .

٧ صبح الاعشى (٤٧٤/٢) .

٨ الشعر والشعراء (١٢٩/١) ، الاغانى (٢٣/٢٠) .

كما ذكرت في شعر لعدي بن زيد العبادي ، وصف فيه قصة (الزباء)
و (جذيمة) و (قصير) ، حيث يقول :

ودست في صحيفتها اليه ليملك بضعها ولأن تديننا^١

وكان من عادة أهل الجاهلية تدوين أحلافهم في صحف ، توكيداً للعهد ،
وتشبيهاً له . وقد أشير الى ذلك في الشعر وفي الأخبار . ورد في شعر قيس بن
الخطيم :

لما بدت غدوة جباههم حنت إلينا الأرحام والصحف^٢

وأشير إليها في شعر ينسب لدرهم بن زيد الأوسي ، يخاطب الخزرج بما كان
بينهم من عهود ومواثيق ، إذ يقول :

وإن ما بيننا وبينكم حين يقال الأرحام والصحف^٣

ولما قاطعت قريش (بني هاشم وبني المطلب) ، كتبت بذلك كتاباً عرف
ب (صحيفة قريش) ، وختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعلقوها في سقف الكعبة ،
وقيل : بل كانت عند أم الجلاس مخربة الحنظلية ، خالة أبي جهل ، وقيل
عند هشام بن عبد العزى^٤ .

وترد الصحف بمعنى الوثائق ، وكل تسجيل يراد الاحتفاظ به للرجوع إليه
عند الحاجة ، فالديون تسجل في صحف وكتب ، والأمور الهامة تسجل فيها
كذلك ، هذا (علباء بن أرقم بن عوف) الشاعر الشكري ، يذكر ديناً دوتن
في صحيفة ، فيقول :

أخذت لدين مطمئن صحيفة وخالفت فيها كل من جار أو ظم^٥

-
- ١ الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، الاغانى (١٠١/٢) .
 - ٢ ديوان قيس (١٩) .
 - ٣ مصادر الشعر الجاهلي (٦٦) .
 - ٤ امتاع الاسماع (٢٥/١) .
 - ٥ الاصمعيات (٦٣) ، الخزائن (٣٠٤/٢) ، (٣٦٥/٤ ، ٣٨٤) ، المرزباني ، معجم
(١٦٩) ، (فراج) .

وقد ورد ذكر صحف الدين هذه في كتاب الرسول الى ثقيف، إذ جاء فيه :
«وما كان لثقيف من دين في صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم»^١.
وذكر أن الناس كانوا يكتبون بالمهراق قبل القراطيس في العراق . وقد ذكر
(المهرق) في شعر حسّان :

كم للمنازل من شهر وأحوال كما تقادم عهد المهرق البالي^٢

وكانوا يغسلون الصحف المكتوبة للاستفادة منها ، بكتابة شيء جديد يراد
كتابته عليها ، وذلك لغلاء مادة الكتابة وصعوبة الحصول عليها ، فيطمسون معالم
الكتابة السابقة بغسلها بالماء مثلاً ، فإذا جفت كتبوا عليها. وقد تسبب هذا الغسل
الى وقوع خسارة كبيرة بالنسبة لتدوين العلم ، إذ غسل هذا الماء مادة علمية ثمينة
كانت ستفيدنا كثيراً بالطبع لو بقيت مدونة على الصحف . ففخرنا نحن خسارة
ثمينة ولا شك لا نعوض .

واستعمل الجاهليون السبورة في الكتابة . ويريدون بها جريدة من الألواح من
ساج أو غيره ، يكتب عليها . فإذا استغنوا عنها محوها ، وهي معربة . وقد
رواها جماعة من أهل الحديث (ستورة) . وبهذا المعنى وردت السفورة ، وهي
معربة كذلك^٣ .

والمهراق من الألفاظ المعربة ، يرى علماء اللغة أنها من الفارسية ، وإن أصلها
(مهر كُرد) (مهر كرد) ، أي صُقلت بالخرز . وقد عرفها بعض علماء
اللغة بأنها ثياب بيض أو حرير أبيض ، تسقى بالصمغ وتصفّل ، ثم يكتب عليها .
وقيل : هي الصحف ، الواحد مهرق . وذكر الجاحظ أن الكتب لا يقال لها
مهراق ، حتى تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، أو ميثاق وأمان^٤ .

١ الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية (١٦٠) .

٢ تاج العروس (٩٥/٧) ، (هرق) .

٣ شرح القاموس (٢٥٣/٣) ، (٢٧٠) .

٤ قال الحارث بن حلزة اليشكري :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهراق الفرس
المعرب (ص ٣٠٣ وما بعدها ، الحيوان (٧٠/١) (تحقيق عبدالسلام هارون) ،
صبح الاعشى (٤٧٦/٢) ، المفضليات (ص ٥٣) (طبعة السنوبي) ، غرائب
اللغة (ص ٢٤٦) ، شرح ديوان الحماسة (١٣٠/٤) ، شرح القصائد العشر
(٢٦٨) (الطبعة المنيرية) ، المخصص (٣٤٠/٤) ، آياتها كمهراق الحبش (،
تاج العروس (٩٥/٧ وما بعدها) ، (هرق) ، الحيوان (٧٠/١) ، اللسان
(٣٦٨/١٠) ، (هرق) .

ويظهر من الشعر المنسوب للحارث بن حلزة الشكري ، ان أصل المهارق من الفرس ولهذا عبر عنها بقوله : (كمهارق الفرس) . ولعله قصد كتباً وصحفاً دينية من ديانتهم المجوسية . وقد وردت اللفظة في شعر ينسب للأعشى^١ وفي شعر آخر ينسب للحارث بن حلزة الشكري المذكور^٢ .

قال (الجاحظ) : « والمهارق ، ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، وميثاق ، وأمان » . وقال قبل ذلك : « لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكل إقطاع ، وكل انفاق ، وكل أمان . وكل عهد وعقد ، وكل حوار وحلف ، ولتعظيم ذلك ، والثقة به والاستناد اليه ، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والمهدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة ، في شأن بكر وتغلب :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدّم فيه ، العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي ، وهل ينقض ما في المهارق الأهواء^٣ »

وقد أشار (الحارث بن حلزة) الشكري الى (مهارق الفرس) ، وذلك في قوله :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس^٤

ونوع آخر من (المهارق) عمل من الكرايس ، أي من الثياب المصنوعة من الكرباس وهو القطن الأبيض ، وذلك بسقي الكرباس ، بصمغ أو بإطلائه بشيء آخر يسد المسامات ، ثم يصقله بالحرز^٥ . فهو إذن من النوع الجيد الغالي بالنسبة

-
- ١ ديوان الأعشى (٢٢٩) (القاهرة ١٩٥٠ م) ، أدب الكتاب (١٠٦) ، (واذا تنوشد) ، اللسان (٣٦٨/١٠) ، (هرق) .
 - ٢ حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق (الأهواء ؟ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٧) ، المفضليات (٢٥) ، شرح المعلقات ، للتبريزي (٢٦٨ وما بعدها) .
 - ٣ الحيوان (٦٩/١) وما بعدها .
 - ٤ المفضليات (١٣٢) .
 - ٥ شرح المعلقات (٢٠٠ وما بعدها ، ٢٦٨ وما بعدها) .

الى مواد الكتابة ، ولذلك كانوا يستعملونه في الأمور الكتابية الجليلة .

وقد أشير في شعر (الأسود بن يعفر) الى سطور يهوديين في مهرقيهما مجيدين في الكتابة ، هما من أهل (تيماء) أو من (أهل مدين)^١ . ولم يشر الى نوع القلم الذي كتب به ، وأغلب الظن أنه قلم عبراني .

وقد استعمل الجاهليون (الصكوك) في تعاملهم . وذكر علماء اللغة أن (الصك) الذي يكتب للعهد ، وكانت الأرزاق تسمى صكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة . ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك ، وذلك أن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً ، فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ، ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه ، فنهوا عن ذلك لأنه يبيع ما لم يقبض . وذكروا أن اللفظة من الألفاظ المعربة ، أصلها فارسي^٢ . واستعملت الصكوك في الدين . فورد (صك دين)^٣ .

وقد أمدتنا جزيرة العرب بحجارة كثيرة مكتوبة، ولكنها لم تمدنا باللبن المكتوب أو الطين المكتوب المشوي بالنار إلا في النادر . مع أن الكتابة على الطين أسهل من الكتابة على الحجر . ولعل وجود الحجر بكثرة في العربية الغربية والجنوبية ومقاومة الحجر للبلل والتلف هما اللذان دفعا أهل هذه البلاد على تفضيل الحجر في الكتابة على الطين . ولا يستبعد عثور الآثاريين والمنقبين في المستقبل على كتابات جاهلية مسجلة على الطين ولا سيما في المناطق الماحلة أو التي يقل فيها وجود الحجر، هي الآن مطمورة في باطن الأرض .

وأعطوا للصحف أسماء اذا كانت قد كتبت في أغراض خاصة . فإذا كانت الصحيفة اعطاء أرض لشخص ، كإقطاعه أرضاً ، يعطى الشخص صحيفة مدونة بذلك ، تثبت له تسجيل الأرض المقطعة باسمه يقال لها (الوصر) و (الاصر) . وقد ذكر علماء اللغة ان الاصر : العهد والعقد . وقيل العهد الثقيل^٤ . وان

١ سطور يهوديين في مهرقيهما مجيدين من تيماء أو أهل مدين

مصادر الشعر الجاهلي (٨٢) .

٢ اللسان (٤٥٧/١٠) ، (صكك) ، مفاتيح العلوم (ص ٣٨) .

٣ مجالس ثعلب (٢٧) .

٤ تاج العروس (١٤/٣) ، (أصر) .

(الوصر) الصك الذي تكتب فيه السجلات . والأصل اصر ، سمي به لأن الأصر العهد ويسمى كتاب الشروط كتاب العهد والوثائق، ويطلق غالباً على كتاب الشراء. قال علي بن زيد :

فأيكم لم ينله عرف نائله دثراً سواما وفي الأرياف أوصاراً^١

أما اذا كانت الصحيفة صحيفة جوائز ، كان يعطي الملك جوائز لأصحابه وأتباعه ، قيل للصحف التي يدون قدر الجائزة أو نوعها عليها القطوط والمفرد : القط . وقد ذكرها الأعشى في شعره :

ولا الملك النعمان يوم لقيته يأمته يعطي القطوط ويأفق^٢

وورد ذكرها في شعر المتلمس ، إذ قال :

وألقيتها بالثني من جنب كافر كذلك ألقى كل قط مضلل^٣

وقد عرفت (القط) انها الصك بالجائزة ، وهي الصحيفة للانسان بصلة يوصل بها . وقيل القط الصحيفة المكتوبة وكتاب المحاسبة . قيل : سميت قطوط لأنها كانت تخرج مكتوبة في رقاع وصكاك مقطوعة^٤ .

وقد كانت الحاجة تدفع الكتاب الى تدوين ما يريدون تقييده وكتابته على ملابسهم وعلى راحة أيديهم ، بل على نعالهم أحياناً . روي عن (سعيد بن جبير) انه قال : « كان ابن عباس يملئ علي في الصحيفة حتى أملأها وأكتب في نعلي حتى أملأها »^٥ . وقد كانوا يكتبون على الهودج أو على أي شيء يجدونه أمامهم ، مثل الرحل ، لندرة الورق عندهم ولحاجتهم الى تسجيل ما يسمعون ، أو ابلاغ قومهم بسر أو برسالة ، فيغافل المرسل من يعرف أنه قاصد الجهة التي يريد

١ تاج العروس (٦٠٢/٣) ، (الوصر) .

٢ تاج العروس (٢٠٩/٥) ، (قطط) .

٣ البطليوسي ، الإقتضاب (٩٣) ، مصادر الشعر (٧٠ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٢٠٩/٥) ، (قطط) .

٥ تقييد العلم (١٠٢) .

فيحفي بسكينه على الراحلة ما يريد تبليغه من سر^١ . وورد عن (سعيد بن جبير) قوله « كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفتي حتى أملاًها ، ثم أكتب في ظهر نعلي ، ثم أكتب في كفي » . وروى أنهم كانوا يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء ، وان (الزهري) ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة ان يفوته^٢ .

ولفظه : (كتب) التي نستعملها اليوم ، ومن أصلها اشتقت لفظة (كتابة) و (كتاب) وكاتب وأمثالها ، هي من الألفاظ العربية الشمالية المعروفة المتداولة عند الجاهليين . وقد وردت لفظة (كتاب) بمعان متعددة ، منها هذا المعنى المعروف ، ومنها الصحيفة مع المكتوب فيها . وقد قصد بها التوراة في مواضع من القرآن الكريم . وأريد بـ (أهل الكتاب) اليهود والنصارى ، أهل التوراة والانجيل^٣ .

وقد استعملت اللحيانية لفظة (كتب) أيضاً ، فوردت في عدد من الكتابات . وعبرت عن (الكتابة) و (الخط) بلفظة (هكتب)^٤ . والهاء أداة للتعريف عندهم ، ويجوز أنهم كانوا ينطقون بها على هذه الصورة : (هكتاب) ، أو (هاكتاب) ، أي : (الكتاب) و (الكتابة) .

ومتى فكر الإنسان في الكتابة تذكر (القراءة) . فالكتابة التدوين ، والقراءة قراءة الشيء المدون . ولهذا يقال : القراءة والكتابة ، كما يقال : قارئ كاتب ، أي يحسن ويحيد الحالتين . فقد كان البعض يقرأون ولا يكتبون . روي أن (عائشة) كانت تقرأ المصحف ، ولا تكتب ، وأن (أم سلمة) كانت مثلها تقرأ ولا تكتب^٥ .

ونجد لفظة (كتاب) في شعر عدد من الشعراء الجاهليين . وقد استعمل (عدي ابن زيد العبادي) (كتاب الله) في شعره^٦ ، ولما كان هذا الشاعر نصرانياً ،

-
- ١ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ، الطبقات (٢/٣ ص ١٥١) ، تقييد العلم (١٠٢) ، المصاحف (٢٠) .
 - ٢ تقييد العلم ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ .
 - ٣ المفردات (ص ٤٣٤ وما بعدها) .
 - ٤ راجع النصين ٤٨ و ٤٩ من كتاب : Lihyanis, S. 99.
 - ٥ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
 - ٦ وناشدتنا بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفع شعراء النصرانية (ص ٤٧٢) .

يكون قصد ب (كتاب الله) الإنجيل ولعله قصد التوراة والإنجيل معاً . وجاءت جملة : (آيات الكتاب) في شعر (تميم بن أبي بن مقبل العامري)^١ . أما زهير ، فقد استعمل لفظة (كتاب) أيضاً في معنى الشيء الذي يكتب ويدون عليه ليحفظ لوقت الحساب^٢ .

وتؤدي لفظة (كتاب) معنى رسالة . فقد كانوا يطلقون على الرسالة لفظة (كتاب) ، والجمع (كتب) . ومن ذلك ما ورد في خبر (كتب رسول الله الى الملوك)^٣ و (خبر كتاب مسيلة الى رسول الله والجواب عنه)^٤ . ولفظة (دفتر) ، في معنى جماعة الصحف المضمومة ، وهي الكرايس^٥ . وفي قول عمرة : « ولو انطبق عليكم الدفتر » ، يعني ولو أن تكتبوا آخر الناس^٦ . ولا أظن أن اللفظة قد دخلت العربية في أيام عمر ، بل لا بد وأن تكون من الألفاظ المستعملة في الجاهلية . وذكر أن الدفتر جريدة الحساب والكراسة^٧ .

والكراسة الجزء من الصحيفة والكتاب . يقال : « هذا الكتاب عدة كرايس » ، و (كراس أسفار)^٨ . وترد اللفظة في لغة بني لرم ، بمعنى (كتيب) وجزء من كتاب يحتوي في الغالب ثمانى ورقات^٩ .

وكانوا يسجلون عقودهم وأخبارهم في كتب ، أي صحف ، من ذلك ما ورد في قصة النعمان مع (الحارث بن ظالم) ، فقد ورد أنه كتب اليه كتاباً وكان يومئذ بمكة يؤمنه إن عاد اليه ، فلما جاء الى (النعمان) ، وقال له : أنعم صباحاً أبيت اللعن ، انهزه الملك بقوله : لا أنعم الله صباحك . فقال الحارث : هذا كتابك ! قال النعمان : كتابي والله ما أنكره أنا كتبه^{١٠} . وكان (عبد الرحمن ابن عوف) ، قد كاتب (أمية بن خلف) في أن يحفظه في صاغيته بمكة ،

-
- ١ جمهرة أشعار العرب (٣١٨) .
 - ٢ يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم ديوان زهير (١٨) .
 - ٣ تاريخ الطبري (٦٤٤/٢) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (١٤٦/٣) وما بعدها .
 - ٥ النسان (٢٨١/٤) ، (دفتر) .
 - ٦ تاج العروس (٢٠٩/٣) ، (دفتر) .
 - ٧ تاج العروس (٢٠٩/٣) ، (دفتر) .
 - ٨ تاج العروس (٢٣٢/٤) ، (كرس) .
 - ٩ غرائب اللغة (٢٠٣) .
 - ١٠ الاغانى (١٢٠/١١) .

وأن يحفظه في صاغيته بالمدينة ، وكتبها هذه المكاتبة في كتاب^١ .
وترد لفظة (كتاب) بمعنى اعلان واحقاق حق ، كالذي ورد في خبر (رؤيا)
(عاتكة بنت عبد المطلب) ، عن مصير معركة (بدر) ، وقول قریش
للعباس : « يا بني عبد المطلب ! أما رضيم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم !
قد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال : انفروا من ثلاث ، فسنربص بكم هذه
الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك
شيء ، نكتب عليكم كتاباً انكم أكذب أهل بيت في العرب »^٢ .

ويعبر عن الكتابة بالخط ، وتعني لفظة خطأ ، كتب . في القرآن الكريم :
« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك »^٣ . وقد عبر عنها
بالقلم كذلك ، فقيس : القلم العربي ، والقلم الحميري . ويراد بالقلم الحميري
المسند ، ويقولون له الخط المسند كذلك . وقد بقي ناس من أهل اليمن يكتبون
به في الإسلام^٤ . وقد وردت لفظة (هخطط) ، أي الخط والرسم ، في النصوص
الصفوية^٥ . وهذا يدل على أن هذه اللفظة هي من الألفاظ التي كان يستعملها
العرب الشماليون . والهاء في (هخطط) أداة التعريف (ال) في عربيتنا .

وتعبر كلمة (سطر) عن معنى خط وكتب . و (السطر) الخط والكتابة .
ووردت لفظة (يسطرون) في القرآن الكريم في سورة (ن) بمعنى يكتبون^٦ . ووردت
لفظة (سطر) في نص (أبرهة) بهذا المعنى أيضاً . كما نجد في نصوص عربية
جنوبية أخرى ، مما يدل على ورودها في اللهجات العربية الجنوبية كذلك . وتقابلها
لفظة (سرتو) Serto و (سورتو) Sourto من الفعل (سرت) Srat
في الإرمية . ومن هنا ذهب بعض الباحثين في الإرمية الى أن (سطر) العربية هي

١ الزمخشري ، الفائق (٢٦/٢) .

٢ ابن هشام (٦٢/٢) ، (حاشية على الروض) .

٣ سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ ، المفردات (ص ١٥٠) .

٤ تاج العروس (٣٨٢/٢) ، (سبند) .

٥ CIH, Pars Quinta, I, p. 27, NU : 141, Dunand, 1249a, p. 385, NU : 3943,
J. Ryckmans', Inscriptions Saffaitiques, Louvain, 1951, p. 3, Littmann, Safa.,
p. 80, 82.

٦ سورة القلم ، الرقم ٦٨ ، الآية ١ وما بعدها .

(كلمة سريانية الأصل)^١ . وهو رأي يمثل وجهة نظر طائفة من الباحثين ترجع أصول أكثر المصطلحات الحضارية والثقافية الواردة في العربية الى أصل سرياني . وفيه تسرع وبعد عن العلم .

والسطر ، الصف من الشيء . والتسطير ، كتابة بسطور ، أي الخط والكتابة^٢ . وقد كان معظم الجاهليين يجعلون كتابتهم سطوراً سطراً فوق سطر ، ليكون من الممكن تتبع الكتابة إلا بعض الكتابات الصفوية والشمودية والحيانية التي اتخذت أشكالاً مختلفة ، تارة على هيئة هلال ، وتارة أخرى على شكل دائرة ، وحيناً على شكل غير منسق ولا منظم ، إذ كان أصحابها رعاة في الغالب متنقلين ، فلم تكن كتابتهم متقنة ، كما أنهم لم يكونوا يملكون ورقاً وقرطاساً ، فكتبوا على أية حجارة وجدوها ، فاختلف شكل الخط لذلك .

والتسطير التخطيط . أي تدوين السطور وتخطيطها على شكل خطوط . ومن المجاز خططت عليه ذنوبه ، أي سطرت^٣ . ووردت لفظة (اسطرن) (الأسطر) بمعنى الوثيقة والسطور في كتابات المسند^٤ .

ونجد في شعر للشاعر (الشماخ) ، وصفاً للخط ، كتبه حبر بتياء من أسطر ، عرض فيها وأنبج . إذ يقول :

أتعرف رسماً دارساً قد تغيراً بذروة أقوى بعد لبلى وأقفرأ
كما خط عبرانية يمينه بتياء حبر ثم عرض أسطرا

« والتعريض أن يشجع الكاتب ولا يبين الحروف ولا يقوم الخط »^٥ .

وترد لفظة : (النقش) بمعنى الكتابة والتدوين والتخطيط . ورد : رجّع النقش ، والوشم ، والكتابة : ردد خطوطها ، وترجيّعها أن يعاد عليها السواد مرة بعد أخرى . ومنه رجع الواشمة . قال لبيد :

١ برصوم (ص ٨٣) ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي ، غرائب اللغة العربية (بيروت ١٩٠٧) (ص ١٨٧) ، Smith, A Dictio. III, p. 1789.

٢ تاج العروس (٢٩٦/٣ وما بعدها) ، (سطر) .

٣ تاج العروس (١٣١/٥) ، (خط) .

٤ Le Muséon, 1953, 1-2, p. 114.

٥ تاج العروس (٥٠/٥) ، (عرض) .

أو رجع واشمة أسف تؤورها كففا ، تعرض فوقهن وشامها

وقول زهير :

مراجع وشم في نواشر معصم^١ .

وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (زَبَر) . و (الزبر) الكتابة . ويذكر علماء اللغة أنها تعبر عن معنى النقش في الحجارة كذلك . وأما (المزبر) ، فهو (القلم) . كما ذكرت ذلك قبل قليل . وقد ورد في حديث وفاة الرسول انه دعا بدواة ومزبر ، أي قلم^٢ . وذكر ان الزبور الكتاب^٣ . وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم . فلفظة (زبر) بالفتح اذن فعل ماضٍ بمعنى كتب ، وفي هذا المعنى أيضاً لفظة (ذَمَرَ) . فنقول (ذمرتُ الكتاب) ، أي زبرته وكتبته^٤ . وقصد بـ (الزبور) في القرآن الكريم ، المزامير ، أي (مزامير داوود) . وتقابل لفظة (زمره) (زمراه) في العبرانية^٥ .

ويظهر من البيت المنسوب الى لييد :

فنعاف صارة فالقنان كأنها زبر يرجعها وليد يمان^٦

ومن البيت المنسوب الى (أبي ذؤيب) :

عرفت الديار كرقم الدواة يزبرها الكاتب الحميري^٧

ان أهل اليمن كانوا قد اشتهروا بالكتابة والقراءة بين الجاهليين وان ولدان أهل اليمن كانوا يرجعون أي يقرأون ويكررون ما هو مزبور أمامهم لحفظه . وأن (الكاتب الحميري) ، أي كاتب أهل اليمن كان معروفاً مشهوراً ، يحمل

١ اللسان (١١٥/٨) ، (رجع) .

٢ تاج العروس (٢٣١/٣) ، (زبر) .

٣ بلوغ الارب (٣٧١/٣) .

٤ الاشتقاق (ص ٣٠) .

٥ A Dictionary of Islam, p. 698.

٦ ديوان لييد (١٣٨) .

٧ ديوان الهذليين (٦٤/١) .

الدواة ويكتب بها على مادة الكتابة . « قال أعرابي حيري : أنا أعرف تزبرتي أي كتابتي^١ .

وأشير الى (خط زبور) في شعر امرئ القيس :

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان^٢

وذكر علماء اللغة أن (الزبور) الكتاب ، وفي هذا المعنى ورد قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تحذ متونها أقلامها

وذكروا أن الزبور قد غلب على كتاب (داوود) ، أي (المزامير) ، وكل كتاب زبور . وقيل : هو الكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية^٣ .

واستعمل (الهمداني) جملة : (زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية) ، وقال إن (أبا نصر) الحنبلي ، كان قد قرأها وكان بجائنة عالماً بها . وقد فرّق بين (الزبر) وبين (المساند)^٤ ، مما يدل على أنه قصد بالزبر شيئاً آخر يختلف عن المساند ، ربما أراد بالزبر صحفاً أو مجموعة صحف ، أو كتاب ، أما المساند ، فالكتابات المدونة على الحجر .

ومن المصطلحات المعبرة عن معنى كتب ونقش وختم لفظة (رقم) . و(كتاب مرقوم) ، بمعنى مكتوب ، وأما المِرْقم فالقلم ، لأنه يرقم به^٥ . وذكر بعض علماء اللغة أن الرقم : الخط الغليظ ، وقيل : تعجيم الكتاب . وقد ورد في القرآن الكريم : (كتاب مرقوم)^٦ . وذكر أن : (الرقم) ، الكتاب . والكتابة والختم^٧ .

١ الامالي ، لنقالي (١٧٢/٢) .

٢ ديوان امرئ القيس (١٢٥) .

٣ تاج العروس (٢٣١/٣) ، (زبر) ، راجع معلقة لبيد .

٤ الاكنيل (١٣/١) .

٥ تاج العروس (٣١٥/٨) وما بعدها ، (رقم) ، التهانوي ، كشاف اصطلاحات

الفنون (٦٥٢/١) .

٦ سورة المطففين ، الآية ٩ ، المفردات (٢٠١) .

٧ بلوغ الأرب (٣٧١/٣) ، اللسان (٢٤٨/١٢) وما بعدها .

« وفي الحديث أنه كان يسوي الصفوف حتى يدعها مثل القدح أو الرقيم ، أي مثل السهم أو سطر الكتابة » . وليس بين الرقوم والخطوط فرق^١ .

يقول علماء العربية : « ورقم الكتاب : أعجمه وبيّنه ، أي نقطه وبين حروفه . وكتّاب مرقوم : قد بيّنت حروفه بعلاماتها من التنقيط »^٢ . وإن الإعجام التنقيط بالسواد ، مثل التاء عليها نقطتان^٣ . وأن التنقيط بمعنى وضع النقط على الحروف ، أي إعجامها^٤ . وبحملنا قولهم هذا على الذهاب إلى أن الإعجام كان معروفاً بين الجاهليين .

وفي هذا المعنى ، أي الرقم والترقيم والرقيم ترد لفظة (الترقيـن) ، و (الرقـن) ، و (المرقون) ، و (الرقين) . و (ترقيـن الكتاب : المقاربة بين السطور . وقيل نقط الخط واعجامه ليتبين ، وأيضاً تحسين الكتاب وتزيينه)^٥ . « والترقين تسويد مواضع في الحسابات لثلاث يتوهم أنها بيضت كيلا يقع فيه حساب »^٦ .

وقد وردت لفظة (المنمق) وجملة (الكتاب المنمق) في شعر ينسب لسلامة ابن جندل ، هو :

لمن طللٌ مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصُّليب فطرق^٧

وذكر علماء اللغة أن معنى (نمق) كتّب . فيقال : نمق الكتاب ينمقه ، أي كتبه وحسنه وزينه بالكتابة وجوده^٨ . وفي هذا المعنى نبى ، فيقال : نبى الكتاب ونمقه إذا سطره^٩ . أما لفظة ، دبج ، فتعني النقش والتزيين^{١٠} .

١ اللسان (٥٥٦/٢) ، الحيوان (٧٠/١) .

٢ تاج العروس (٣١٥/٨) ، (رقم) .

٣ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .

٤ تاج العروس (٢٣٤/٥) ، (نقط) .

٥ تاج العروس (٢١٨/٩) ، (رقن) .

٦ المصدر نفسه .

٧ الاصمعيات (١٤٦) ، (دار المعارف) .

٨ قال النابغة :

كان مجر الرامسات ذبولها عليه قضيم نمقته الصوانع

٩ تاج العروس (٨١/٧) ، (نمق) .

١٠ تاج العروس (٧٤/٧) ، (نبى) .

١١ تاج العروس (٣٧/٢) ، (دبج) .

وذكر علماء العربية ان (الرقش) الخط الحسن ، وان الرقش والرقيش : الكتابة والتنقيط ، وان (رقش) ، بمعنى نقط الخطوط والكتاب . وأن الرقيش: التسطير في الصحف^١ . ويظهر ان للكلمة علاقة بتنميق الخط وتحسينه وتجويده ، وان الخط المرقش ، هو الخط المنعم المزوّق المنقط المعنى به . قالوا : ومن هنا سمي الشاعر (المرقش) مرقشاً . وهو المرقش الأكبر عم (المرقش الأصغر) . ويدل هذا التفسير لمعنى (الرقيش) على ان التنقيط كان معروفاً عند الجاهليين . ورووا له قوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم^٢

وقد وردت لفظة (رقش) في شعر ينسب للأخنس بن شهاب التغلبي ، هو :

لابنة حطّان بن عوف منازل كما رقش العنوان في الرق كاتب^٣

كما وردت في شعر لطرفة ، هو :

كسطور الرق رقصه بالضحي مرقش يشمه^٤

و (اللق) الكتابة في لغة (بني عقيل) ، وسائر (قيس) يقولون : اللق : المحو . وقال بعضهم : « لقه بعدما نغمه ، أي محاه بعدما كتبه » . فهو ضد . يقال لقه اذا كتبه ولمقه اذا محاه^٥ .

و (النبق) الكتابة ، مثل النمق . ونبق الكتاب ونمقه اذا سطره^٦ .

و (القرمطة) في الخط دقة الكتابة وتداني الحروف والسطور ، وقرمط الكاتب إذا قارب بين كتابته . وكان الامام (علي) ، يقول للكاتب : « فرج ما بين السطور وقرب بين الحروف »^٧ .

-
- ١ اللسان (٣٠٥/٦) ، تاج العروس (٣١٤/٤) ، (رقش) .
 - ٢ الاصمعيات (٢٣٧) ، (دار المعارف) ، تاج العروس (٣١٤/٤) ، (رقش) .
 - ٣ الخزائن (١٦٥/٣) .
 - ٤ الامالي ، لنقالي (٢٤٦/٢) .
 - ٥ تاج العروس (٦٣/٧) ، (لقي) .
 - ٦ تاج العروس (٧٤/٧) ، (نبق) .
 - ٧ تاج العروس (٢٠٤/٥) ، (قرمط) .

و (النمنمة) ، خطوط متقاربة قصار ، وكتاب منمنم ، منقش ، ومقرش ومزخرف ، أي به زخرفة . ولكل وشي نمنمة . فيظهر من ذلك أن بعض صحف وكتب أهل الجاهلية كانت منمنمة ذات رقوش ونقوش ووشي . وقد نعت (الجاحظ) الخط المسند بـ (المنمنم)^١ .

ويعبر عن الكتابة بلفظة (النقر) على سبيل المجاز. وقد ورد (نقر في الحجر) بمعنى كتب^٢ ، وذلك لأن الحجر المكتوب ، هو حجر منقور ، ظهرت الكتابة عليه بطريقة النقر . وكل ما ورد إلينا من الكتابات الجاهلية قد كتب على الحجر أو الخشب بالنقر والحفر .

والمشق السرعة في الكتابة . وقيل مشق الخط يمشقه مشقاً : مدّه . فالمشق الخط الممدود الذي كتب بسرعة وبعبلة . ولذلك عبّر عن القلم السريع الجري في القرطاس بـ (قلم مشاق)^٣ . وورد أن أهل الأنبار كانوا يكتبون بالمشق . وهو خط فيه خفة^٤ .

ويعبر عن الكتابة الفاسدة المكتوبة بخط رديء فاسد بـ (كتابة مخربشة) وبـ (كتاب مخربش)^٥ . وبهذا المعنى أيضاً (الخرمشة) . فالخرمشة والخرمشة في معنى واحد^٦ .

وقد كانوا يستسخرون الكتب والصحف والأسطر كما تفعل. فقد ورد أن منهم من استنسخ كتباً في الجاهلية والاسلام ، أي ينقلون الكتابة نقلاً بنصها وحروفها حرفاً حرفاً حتى تكون عند الناقل نسخة كاملة تامة للكتابة التي نقل عنها. والكاتب ناسخ ومتسخ . والاستنساخ اكتاب كتاب عن كتاب حرفاً حرفاً . وفي هذا المعنى ورد في القرآن : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » ، أي نستنسخ ما تكتب الحفظة^٧ .

-
- ١ اللسان (٥٩٢/١٢) وما بعدها ، (نم) ، تاج العروس (٨٥/٩) ، (نم) ، الحيوان (٧١/١) .
 - ٢ تاج العروس (٥٨٠/٣) ، (نقر) .
 - ٣ اللسان (٣٤٤/١٠) وما بعدها ، (مشق) ، تاج العروس (٧٠/٧) ، (دمشق) .
 - ٤ الاقتضاب (٨٩) ، المصاحف ، للسجستاني (١٣٤) .
 - ٥ اللسان (٢٩٥/٦) ، تاج العروس (٣٠٤/٤) وما بعدها ، (خريش) ، (خرمش) .
 - ٦ اللسان (٢٩٥/٦) .
 - ٧ الجاثية ، الآية ٢٩ ، تفسير القرطبي (١٧٥/١٦) ، قال ابن عباس : هل يكون النسخ الا من كتاب ، تاج العروس (٢٨٢/٢) ، (نسخ) .

وترد لفظة (الترقين) ، بمعنى ترقين الكتاب وهو ترتيبه ، وقيل (رَقَن الكتاب) قارب بين سطوره ، والترقين في كتاب الحسابات . والمرقين : الكاتب^١ . وقال بعضهم : « الترقين خط يخط في التأريخ أو العريضة اذا خلا باب من السطر ، لكي يكون الترتيب محفوظاً به . وهو بمنزلة الصفر في حساب الهند وحساب الجمل ، واشتقاقه من (رقان) وهو بالنبطية الفارغ^٢ » . وقيل الترقين : نقط الخط وإعجابه ليتبين ، وتسويد مواضع في الحسابات لئلا يتوهم انها يبيضت كيلا يقع فيه حساب^٣ .

ولفظة (قرأ) من الألفاظ الجاهلية المعروفة . وهي أصل لمعان عديدة ذوات صلة بالقراءة . وتعبّر جملة (قارأه مقارأة وقراء) عن معنى دراسة . ومن الأصل المتقدم قارئ وقراء وقراءة^٤ . ولفظة (اقرأ) ، هي أول لفظة نزل بها الوحي ، وأول كلمة من القرآن . كما ذكر ذلك أكثر المفسرين وأصحاب كتب السير والاختبار^٥ . كما وردت لفظة (قارئ) في حديث أول نزول الوحي على الرسول . وفي تفسير سورة (اقرأ) . وأما (المقارئ) فبمعنى الذي قرأ الكتب^٦ .

وتؤدي لفظة (تلا) معنى قرأ ، والتلاوة القراءة^٧ . وترد لفظة مبروز بمعنى مشهور ، استشهد على ذلك بشعر للبيد ، هو :

الناطق المبروز والمختوم^٨ .

ومن أصل (درس) المدرس ودارس ومدارس ومدراس ، وهي تقابل (درش) في العبرانية والسريانية . وقد ذكر علماء اللغة أن المِدرّاس الموضع الذي يدرس فيه كتاب الله ، ومنه مدرّاس اليهود ، وأن المدارس والدارسة القراءة ، وأن المدرّاس

-
- ١ اللسان (١٨٥/١٣) ، (صادر) ، (رقن) .
 - ٢ مفاتيح العلوم (٣٩) .
 - ٣ تاج العروس (٢١٨/٩) ، (رقن) .
 - ٤ تاج العروس (١٠١/١) ، (قرأ) .
 - ٥ راجع تفسير سورة : اقرأ باسم ربك .
 - ٦ تاج العروس (١٥٠/٤) ، (درس) .
 - ٧ تاج العروس (٥٢/١٠) وما بعدها ، المفردات (ص ٧٤) .
 - ٨ شمس العلوم (١٤٦/١) .

صاحب دراسة اليهود ، كما ذكروا أن الآية : « وليقولوا دارست » في قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، معناها « قرأت على اليهود وقرأوا عليك » ، وتعني دارس النبي اليهود . وقيل: دارست ذاكرتهم^١ . و (المِدْرَاس) ، من (مدرّش) في العبرانية ، وتعني المدارس بالمعنى العام . وخصصت بالشروح والتفاسير التي وضعها الأحبار على الأسفار^٢ . وتؤدي لفظة (درس) و (درش) الدراسة العميقة للفهم والتعلم ، فهي أعمق غوراً من معنى قرأ . وقد كان العبرانيون يعبرون بها عن دراسة الشريعة والتوراة .

وقد كان (عمرو) من (بني ماسكة) ، وهو المعروف بـ (أبي الشعثاء) قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة . وكان ذا قدر فيهم^٣ .

وقد أشار علماء اللغة الى كتب كانت عند الجاهليين ذكروا أنها عرفت عندهم بالرواسيم جمع رسوم^٤ ، ولم يذكروا محتوياتها ومضامينها . و (الراشوم) في السريانية لوح منقوش تحتم به البيادر من (رشمو) Rouchmo بمعنى العلامة . والآلة (رشمه) Rshme كما أن (رشم) Rshme معناها رسم ، ومنها الراسم والمرسوم المستعملتان في النصرانية في رسم الأسقف^٥ . ولا أستبعد أن يكون مراد تلك الكتب كتباً دينية مستعملة عند النصارى الجاهليين .

وعرفت لفظة (الوضائع) عند الجاهليين ، فذكر علماء اللغة أن الوضعية كتاب فيه الحكمة . وقد ورد في الحديث: إنه نبي وإن اسمه وصورته في الوضائع^٦ . وقد ذكر علماء اللغة أن (السفر) الكتاب الذي يسفر عن الحقائق . وقيل الكتاب الكبير ، والجزء من أجزاء التوراة . وأما (السقرة) فبمعنى الكتبة ، وسفر الكتب كتبها . وقد ذكر علماء اللغة أن السفر ، يقابلها (سافرا) بالنبطية^٧ .

-
- ١ تاج العروس (١٥٠/٤) (درس) ، أساس البلاغة (٢٦٨/١) ، برصوم (ص ٦١) .
 - ٢ A Religious Ency. III, p. 1504.
 - ٣ الاغانى (١٥/١٦) .
 - ٤ تاج العروس (٣١٢/٨) .
 - ٥ برصوم (ص ٧٣ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ١٨٣) .
 - ٦ تاج العروس (٥٤٥/٥) ، اللسان (٣٩٩/٨) ، (صادر) ، (وضع) .
 - ٧ تاج العروس (٢٧١/٣) ، (سفر) .

وقصد ب (أسفار) الواردة في القرآن الكريم ، التوراة . وب (سفرة) كناية^١ .
وقد قال السيوطي : إن الأسفار الكتب ، والكتاب بالنبطية يسمى سفراً^٢ .

وقد وردت لفظة (هسفر) أي (السفر) في اللهجة الصفوية بمعنى الكتابة .
فورد في أحد النصوص (وعور لذ يعور هسفر)^٣ ، ومعناها (وعورٌ للسدي
يُعوَرُ الكتابة) ، وبعبارة أوضح (وعور للسدي يوزي هذه الكتابة) . والعور
في اللهجة الصفوية بمعنى عوارة أي أذية وأذى . ولا بد أن يكون مدلول (سفر)
عندهم كمدلول كتب في عربيتنا . وقد وردت لفظة (سفر) بمعنى كتابة وخط
في نصوص أخرى ، إذ ورد فيه : « ووجد سفر دده »^٤ ، أي « ووجد كتابة
أبيه » . و « ووجد خط أبيه » .

وترد اللفظة في العبرانية أيضاً . فلفظة (س ف ر) (سافور) تعني يخط
ويكتب ومن هذا الأصل (سيفير) Sepher ويراد بها كتاب . كتاب يلف
فيكون على هيئة شيء ملفف ، أو أوراق تجمع بعضها الى بعض وتربط^٥ .
ومن العبرانية أخذ السريان لفظة (سفرو) Sefro بمعنى سِفَر . ومن هذا
الأصل (سفر) Sfar بمعنى درس وكتب وتفقه وتعلم . وأما Sofro
فبمعنى الكتّاب ، أي المسجلون والفقهاء والأساتذة ورؤساء ، والجمع (سوفرة)
Sofre . وأما Sofroutho فهي الكتابة ، أي حرفة الكاتب والفقهاء والعلم
والحذاقة^٦ . وعرف علماء اليهود حملة الشريعة بـ (سوفيريم) Sopherim ،
لأنهم يكتبون الشريعة^٧ .

-
- ١ المفردات (ص ٢٣٣) .
 - ٢ المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية
والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية ، دمشق ١٣٤٨
(ص ١١) .
 - ٣ CIS, Pars Quinta, Tome, I, p. 13, NUM : 58, p. 23, NUM : 105, Dunand, 1229.
 - ٤ CIS, Pars Quinta, Tome, I, p. 19, NUM : 93, p. 19, NUM : 93, p. 1, NUM : 94,
95, Littmann, Saf. p. 27.
 - ٥ Hastings p. 981.
 - ٦ برصوم (ص ٨٤ وما بعدها) غرائب اللغة (ص ١٨٧) .
 - ٧ Smith, A Dictio., III, p. 1162.

و (السفسير) الكتاب ، و (السفاسرة) أصحاب الأسفار ، وهي الكتب .
وبه فسر قول (أبي طالب) عم النبي :

فإنني والسوايح كل يوم وما تتلو السفاسرة الشهود^١

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (السجل)^٢ ، وذهب بعض المفسرين الى انها بمعنى الصحيفة والكتاب^٣ . وذهب بعض آخر الى انها حجر يكتب فيه ، أو كل ما يكتب فيه^٤ . ولكنهم لم يذكروا شكل السجل وهيأته . وقد جعلها بعض العلماء من الألفاظ المعربة . ورجع السيوطي أصلها الى الحبشية ، فقال انها عندهم بمعنى الرجل^٥ . وذهب بعض آخر الى انها من أصل فارسي^٦ . ولا تزال اللفظة حية مستعملة في الدوائر ، وتطلق على الأضابير والأوراق المحفوظة بين دفتين في دوائر الحكومات والشركات والأعمال الأخرى ، كما تؤدي لفظة (مسجل) و (يسجل) معنى مكتوب ويكتب . فلفظة سجّل اذن بمعنى كتب ودوّن . واللفظة من الألفاظ المعربة عن اللاتينية ، محرقة من Sigillum بمعنى ختم ، أي ختم العقود والوثائق وأمثال ذلك^٧ . ولا علاقة لها بالحبشية أو الفارسية . وقد تعني عند العرب كتاب العهد^٨ . وذكر بعضهم ان (السجيل) ، اسم كاتب للنبي^٩ .

وروي ان السجل : الكتاب يكتب للرسول أو المخبر أو الرّحال أو غيرهم باطلاق نفقته حيث بلغ فيقيمها له كل عامل يجتاز به . والسجل أيضاً المحضر يعقده القاضي بفصل القضاء^{١٠} . وهذه المعاني ، هي من المعاني المتأخرة التي عرفت وشاعت في الاسلام . والظاهر ان أهل مكة لم يكونوا على علم تام بمعنى اللفظة ،

-
- ١ تاج العروس (٢٧٢/٣) ، (سفر) .
 - ٢ الانبياء ، الآية ١٠٤ .
 - ٣ الطبرسي (٦٦/٧) ، الاتقان (٢٣٦/١) ، تفسير الطبري (٧٨/١٧) .
 - ٤ المفردات (ص ٢٢٣) ، الاب هنريكوس لامنس اليسوعي ، فرائد اللغة في الفروق المطبعية الكاثوليكية (بيروت ١٨٨٩) (ص ١٢٠) مادة ٤٦٢ .
 - ٥ المتوكلي (ص ٥) ، الاتقان (٢٣٦/١) .
 - ٦ الاتقان (٢٣٦/١) .
 - ٧ غرائب (ص ٢٧٨) ، فرائد اللغة في الفروق (ص ١٣٠) ، Ency., IV, p. 403 .
 - ٨ بلوغ الارب (٣٧١/٣) .
 - ٩ تاج العروس (٣٧٠/٧) ، (سجل) .
 - ١٠ مفاتيح العلوم (٣٨ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣٤٧/١١) ، سورة الانبياء (١٠٤) .

لذلك اختلفوا في تفسيرها اختلافاً يرد في كتب التفسير في تفسير معنى (السجل) .
ولا أستبعد استعمال الجاهليين للكتب التي تلف لفاً ، وذلك لسهولة المحافظة
عليها ونقلها ، كالذي كان يفعله العبرانيون ولا يزالون يفعلونه في كتبهم المقدسة .
ولا أستبعد أن يكون السجل المذكور في القرآن الكريم على هذا الشكل إذ يطوى
ويلف لفاً ، وتوضع الكتب داخل غلاف للمحافظة عليها ، وقد زين أهل الكتاب
أغلفة كتبهم المقدسة بمبالغة في احترامها وتقديسها وتعظيمها . وإذا أرادوا فتحها ،
أخذوها باحترام وتبجيل وقبلوها ، ثم تلوا منها على المتعبدين ما شاؤوا .

وإذا ثبت أن لفظة (مصحف) هي من الألفاظ الجاهلية ، فإن ذلك يدل
على أن المصاحف ، أي الكتب المؤلفة من صحائف منضدة ومجلدة بين دفتين ،
كانت معروفة عند الجاهليين . وأنا لا شك لدي في وجودها بهذا المعنى في أيام
الرسول . غير أننا نلاحظ أن المسلمين خصصوا (المصحف) بالقرآن الكريم .
و (المصاحف) بالقرايين جمع قرآن . وحين يقولون (خطوط المصاحف)^١ ،
فإنهم يقصدون كتابة القرائين .

ولفظة (القرآن) ، و (قرآن) ، نفسها تدل على وقوف الجاهليين على
المعنى المفهوم من اللفظة ، وهو القراءة . ولا بد أن يكون منهم من سمع من
اليهود لفظة (مقرا) التي تعني القراءة و (قرآن) ، أي تلاوة الكتاب المقدس
وقد كانوا يتداولونها فيما بينهم ، ومنهم يهود اليمن والحجاز .

وترد لفظة (الفهرس) في العربية ، وهي من الألفاظ المعربة . ذكر بعضهم
أنها الكتاب الذي تجمع فيه الكتب^٢ . وعرفت كلمة (الفهرست) ، ب (ذكر
الأعمال والدفاتر تكون في الديوان ، وقد يكون لسائر الأشياء)^٣ . وهي من
الألفاظ المعربة عن الفارسية ، بمعنى جدول ، ومواد كتاب أو نحوه^٤ . ولكننا
لا نستطيع اثبات أنها من الألفاظ التي عرفت بهذا المعنى عند الجاهليين .

وذكر أن (الديوان) ، مجتمع الصحف ، وأنها لفظة فارسية معربة . وفي

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الفهرست (ص ١٥) ، تاج العروس (١٦١/٦) ، (تصحف) . |
| ٢ | اللسان (١٦٧/٦) ، (فهرس) (صادر) ، تاج العروس (٢١١/٤) ، (فهرس) . |
| ٣ | مفاتيح العلوم (٣٩) . |
| ٤ | غرائب اللغة (٢٤٠) . |

الحديث : « لا يجمعهم ديوان حافظ » . وقيل الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء . وأول من دوت الدواوين عمر . وذكر بعض العلماء ان الديوان الدفتر ثم قيل لكل كتاب . وقد ينحصر بشعر شاعر معين وبمجموع الشعر^١ .

و (التأريخ) و (الإراجة) : شيء من كتب أصحاب الدواوين ، و(الأوارجة) من كتب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه^٢ . وقيل : التأريخ لفظة فارسية ، معناها النظام ، لأن التأريخ يعمل للعقد لعدة أبواب يحتاج الى علم جملها ، لأن التأريخ يعمل للعقد شبيهاً بالأوراج ، فإن ما يثبت تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوقاً ليسهل عقده بالحساب . وهكذا يعمل التأريخ^٣ .

والدفتر جماعة الصحف المضمومة ، وواحد الدفاتر^٤ . وهي من الألفاظ المعربة عن الفارسية . ومعناها في الفارسية كتاب وسجل وحساب . ومن هذا الأصل لفظة (دفتر خانة) ، أي البيت الذي تحفظ فيه الدفاتر والوثائق ونحوها ، ولفظة (دفتر دار) ، بمعنى الخازن ، وخازن الدفاتر^٥ . وهما مصطلحان استعملتا في الإسلام .

والكراسة واحدة الكراس والكراريس من الكتب^٦ . فهي مجموعة صفحات وجزء من كتاب . لأن الكراسة من الكتاب ، والكتاب مجموع كرايس^٧ . وقد ذكر علماء اللغة أن المجلة ، الصحيفة يكتب فيها شيء من الحكمة . وقال أبو عبيدة : كل كتاب عند العرب ، فهو مجلة^٨ . وقد وردت هذه اللفظة في شعر النابغة ، هو :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فإيرجون غير العواقب^٩

-
- ١ اللسان (١٦٦/١٣) ، (دون) ، تاج العروس (٢٠٤/٩) ، (دون) .
 - ٢ اللسان (٢٠٨/٢) ، (صادر) ، (أرج) .
 - ٣ مفاتيح العلوم (٣٧) .
 - ٤ اللسان (٢٨٩/٤) ، (صادر) (دفتر) .
 - ٥ غرائب اللغة (٢٢٨) .
 - ٦ اللسان (١٩٣/٦) ، (كرس) .
 - ٧ تاج العروس (٢٣٢/٤) ، (كرس) .
 - ٨ شمس العلوم (الجزء الاول - القسم الثاني) ، (ص ٢٨١) .
 - ٩ برصوم (ص ١٦٣) ، بلوغ الأرب (٣٧١/٣) ، ويروى محلثهم بالحاء ، أي أنهم يحجون فيحلون مواضع مقدسة) ، تاج العروس (٢٦١/٧) ، (جلد) .

وقد قال النابغة ذلك في مدح الغساسنة . ولما كان الغساسنة نصارى ، فالمراد من المجلة إذن في هذا المكان ، الكتب المقدسة . وتخصيص علماء اللغة المجلة بالصحيفة التي يكتب فيها الحكمة ، هو تفسير نشأ عن عدم فهمهم للكلمة . وذلك أنها من الألفاظ المستعملة عند أهل الكتاب بمعنى كتاب ملفوف على طريقة تلك الأيام في استعمال الكتب الملفوفة ، فظنوا أنها نوع خاص من الكتب خصص بالحكمة ، لوجود مواعظ وحكم فيها ، يستعملها رجال الدين في مواعظهم ، ففسروها بهذا التفسير .

وقد أشير في كتب السير والأخبار الى (مجلة لقمان) ، وقيل : إنها حكمة لقمان . وأشير الى أمثال لقمان^١ . والمجلة هي (مكلوت) : و (مكلتو) Magaltho في العبرانية والسريانية^٢ . ويراد بها كرّاس ملفوف وملف مخطوطات ، وكتاب من أصل Golo بمعنى لف^٣ . وقد ذكر أن (سويد بن الصامت) كان يملك (مجلة لقمان) ، (حكمة لقمان) ، وأنه لقي الرسول يوماً ، فدعاه الرسول الى الإسلام فقال له سويد : لعل الذي معك مثل الذي معي . وكانت معه (مجلة لقمان) (حكمة لقمان) . فقال له الرسول : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أحسن منه وأفضل^٤ .

و (سويد بن الصامت) المذكور ، رجل مثقف مهذب ، ذو علم وفهم في أيامه وبين قومه . وقد عرف عندهم بالكامل ، للخلال الحميدة التي كانت فيه . ولا يلقب ب (الكامل) في الجاهلية إلا من كانت له صفات معينة . وصفه صاحب كتاب الأغاني ، فقال : « وكان يقال له الكامل في الجاهلية . وكان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجحاً رامياً سمّوه الكامل . وكان سويد أحد الكلمة »^٥ .

وكان كما يذكر أهل الأخبار حكيماً كثير الحكم في شعره ، حتى قيل إن قومه انما سمّوه (الكامل) لحكمة شعره وشرفه فيهم . وقد رووا له شعراً في ذلك .

١ Ency., II, p. 53.

٢ برصوم (ص ١٦٣) .

٣ غرائب اللغة (ص ١٧٧) .

٤ البلاذري (٢٣٨/١) ، الروض الانف (٢٦٥/١) .

٥ الاغانى (١٦٤/٢) (طبعة الساسي) .

هذا ويشك في اسلام (سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة) الأوسي ، إذ ذكر انه لما انصرف من مقابلة الرسول له ، عاد الى قومه بيثرب فقتل^١ . قتله (المجذر) في الجاهلية^٢ .

وأنا لا أستبعد احتمال قدوم يوم ، قد يعثر فيه الباحثون على وثائق تبين ان عرب العراق كانوا قد وضعوا أسساً لقواعد العربية ، وكانوا أصحاب رأي في أساليب الكتابة وصوغ الكلام بنوعيه : من نثر وشعر . إذ لا يعقل في نظري أن يكون ظهور علوم العربية في العراق قبل الأمصار الاسلامية الأخرى ، طرفة من غير سابقة ولا أساس . وأن يكون تفوق الكوفة والبصرة على المدن الاسلامية الأخرى وفي ضمنها مدن جزيرة العرب في علوم العربية صدفة وفجأة ومن غير علم سابق ولا بحث في هذه الموضوعات قبل الاسلام . انني أعتقد ان علم العروض وعلم النحو وعلم الصرف وسائر علوم العربية الأخرى لم تظهر في العراق إلا لوجود أسس لهذه العلوم فيه تعود الى أيام ما قبل الاسلام ، وهذه الأسس القديمة الجاهلية هي التي صيرت العراق الموطن الأول لهذه العلوم في الاسلام . وانني لا أستطيع أن أتصور ان في مقدور انسان مهما أوتي من العلم والذكاء ، استنباط أوزان الشعر وبحوره من فقرات مطارق النحاسين أو من التأمل والتبصر ، فشخص مثل هذا ، لا بد وأن يكون قد وقف على البحور وأوزان الشعر وعلى مقدمات وبحوث في موضوع الشعر ، منها استنبط علم العروض ، وقل هذا الشيء عن علم النحو وعن سائر علوم العربية الأخرى .

وقد كان العبرانيون يكتبون التوراة على جلود البقر، ثم يلفونها لفاً على قضيب أو قضيبين تكون لفة واحدة أو لفتين متصلتين بعضها ببعض ، ويطلقون عليها (مجلوت) (مكلوت) . وتعني لفظة (كلل) لف ودور^٣ . وقد كانت كتب ذلك العهد تكتب وتلف بهذه الطريقة ، فلا يستبعد وجود هذه المجلات ، أي الكتب الملفوفة عند الجاهليين .

وقد أورد الأخباريون نصوص رسائل نسبوها الى بعض الملوك الجاهليين وسادات القبائل ، وهي رسائل مسجعة في الغالب موجزة . وفي اثناء حديثهم عن رسائل

١ الإصابة (١٣٢/٢) ، (٣٨١٨) .

٢ الإصابة (٣٤٣/٣) وما بعدها ، (رقم ٧٧٢٨) .

٣ Smith, A Dictlon. I, p. 1802.

الرسول الى قبصر وكسرى ذكروا ان الصحابة أشاروا على الرسول ان يتخذ خاتماً يختم به كتبه ، لأن الروم لا يقرأون كتاباً غير مختوم . ويظهر من كلامهم هذا ان أهل مكة لم يكونوا يختمون رسائلهم بخاتم، وإنما كانوا يكتفون بتدوين الاسم . والذي يتبين لي من ملاحظتهم هذه عن الروم انهم قصدوا بالخاتم الختم ، على الكتب ، اضافة الى الاسم ، وهو ما يقال له Sigillum عندهم، كما أشرت الى ذلك آنفاً . وهو يقابل ختم الدوائر في الزمن الحاضر ، وطبع شعار الدائرة على الورق ، ليكون ذلك تعبيراً عن صفة الورقة الحكومية . فالغاية من إشارة الصحابة على الرسول بختم كتابه ، هو اكسابه صفة رسمية ، ليكون ذلك متفقاً مع طريقة الروم . ولا بد أن يكون رؤساء مكة قد راعوا هذا الأسلوب في مراسلاتهم مع البيزنطيين .

وقد استعمل الخاتم في الغالب لتصديق الأوراق الشخصية والمعاملات الحكومية. فإذا أريد تصديق معاملة أو ارسال كتاب أو ختم صندوق ، ختم بالخاتم ، وعلى الخاتم شيء من الكتابة يأمر صاحب الخاتم بحفرها ، كي يظهر أثرها على الورق أو الشمع أو الطين . وكان منح الخاتم لموظف دليلاً على منحه الثقة وتعيينه في وظيفته التي اختير لها ^١ .

وقد كان رجال التجارة والأعمال وأصحاب المصالح يشتون أعمالهم وعقودهم في صحف وكتب . وإذا أرادوا عقد عقد ، مثل اتفاق على شيء أو تدوين ميثاق ، دونه على صحيفة وأشهدوا على ذلك ، ليكون أوثق وأثبت للعقد. وقد عرف كتاب الشراء بالعهد ^٢ . وأما كتاب العهد ، فهو ما يعهد به. وقد وردت في القرآن الكريم إشارة الى الكاتب بالعدل . أي الكاتب الذي يتولى كتابة العهود والمواثيق بين الناس .

وقد ورد في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ : ان الرسول قال : « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه » ^٣ ، أي : ان الكاتب اذا انتهى من كتابة كتابه ، فليضع التراب عليه ، ليجفف جبره .

١ قاموس الكتاب المقدس (٤٠٥/١) ، ، Smith, A Diction., III, p. 1188.
٢ بلوغ الارب (٣٧١/٣) .
٣ البيان (٢٠٤/٣) .

الفصل الرابع والعشرون بعد المئة

الدراسة والتدريس

الكتائب :

وفي العربية لفظة (الكتاب) ، ويراد بها في عرف هذا اليوم المدرسة التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة . وهي من الألفاظ العربية المستعملة في العهود الأولى من الاسلام . وعندى انها من الألفاظ العربية التي كانت مستعملة في الجاهلية ، وهي في معنى بيت (ها سيفر) Beth Ha-Sepher أي (بيت الكتاب) في العبرانية . وقد كان العبرانيون يطلقونها على المدارس التي تدرس القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة ، تتميززاً لها عن المدارس التي تعلم الديانة والعبرانية والمعارف التي لها علاقة بالديانة . ويطلقون عليها (بيت هامدراش) Beth Ha-Midrash أي (بيت المدراس) ، و (بيت ها تلمود) ، أي (بيت التلمود) في بعض الأحيان^١ .

وقد ذكر بعض أهل الأخبار أسماء جماعة ذكروا انهم كانوا من المعلمين في الجاهلية وكانوا من أصحاب الوجاهة والمكانة ، منهم على سبيل المثال : (بشر ابن عبد الملك السكوني) ، أخو (أكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، و (سفيان بن أمية بن عبد شمس) ، و (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة)

Hastings, A Dictionary of Christ. and the Gospels, I, p. 222.

و(عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد) ، وقد كان يسمى (الكاتب) ، و (غيلان ابن سلمة بن معتب الثقفي) وهو مخضرم^١ ، مما يدل على وجود المدارس والتعليم عند الجاهليين .

وقد ورد ان الرسول أمر (عبدالله) واسمه الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية ، بأن يعلم في الكتاب بالمدينة^٢ . كما ورد ان (جفينة) ، وهو من نصارى الحيرة ، جاء المدينة فصار يعلم الكتابة بها^٣ . وورد في رواية ان (علي بن أبي طالب) اختلف الى الكتاب ، فتعلم الكتابة به وله ذؤابة وهو ابن أربع عشرة سنة^٤ . وورد ان رجلاً نزل بوادي القرى ، وعلم الخط بها^٥ . وورد ان غلاماً جاء « يبيكي الى أبيه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : ضربني معلمي ، قال : الخبيث !! يطلب بذحل بدر ، والله لا تأتيه أبداً »^٦ . واذا صح هذا الخبر ، نكون قد عثرنا على كلمة (المعلم) بالمعنى المفهوم منها في الوقت الحاضر في الأيام الأولى من ظهور الاسلام .

وورد أن (عبدالله بن سعيد بن العاص بن أمية) ، كان ممن أسر يوم بدر ، فأمره الرسول أن يعلم عشرة من غلمان الأنصار الكتابة ، ويخليه لسييله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار . وكان كاتباً محسناً^٧ . غير أن الموارد الأخرى ، تذكر أنه كان قدم على رسول الله مهاجراً ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : الحكم . أنت عبدالله . فغير رسول الله اسمه^٨ . وتذكر أنه أمره أن يعلم الكتاب بالمدينة وكان كاتباً . وتذكر أنه قتل يوم بدر شهيداً . أي إن اسلامه كان قبل يوم بدر . ولكن أكثر الروايات تذكر أن وفاته تأخرت^٩ . وذكر بعض أهل الأخبار ، أن المدينة كانت متأخرة بالنسبة الى مكة في الكتابة

-
- ١ المحبر (ص ٤٧٥) ، الاعلاق النفيسة ، لابن رسته (٢١٦) .
 - ٢ ابن حزم ، جمهرة (٧٣) .
 - ٣ الطبري (٤٢/٥) ، ابن سعد ، طبقات (٣ القسم الاول ص ٢٥٨) .
 - ٤ الفصول المختارة من العيون والمحاسن ، للشيخ المفيد ، النجف (٢/٦٦) .
 - ٥ فتوح البلدان (٤٧٧) .
 - ٦ امتناع الاسماع (١٠١/١) .
 - ٧ المشرق ، السنة العاشرة (٤٧٨) .
 - ٨ الاستيعاب (٣١٢/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٩ الاصابة (٣٤٣/١) ، (رقم ١٧٧٧) .

والقراءة . بل ذهب بعضهم الى أنه لم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة^١ .
وكلامهم هذا يصطدم مع ما ذكره أنفسهم من أن (سويد بن الصامت) الأوسي ،
وسعد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وغيرهم ممن أشرت
اليهم في مواضع أخرى من هذا الكتاب ، كانوا من الكتاب .

وفهم من قول (الشمّاخ) :

كما خط عبرانيةً بيمينه بتياء حَبْرٌ ثم عرض أسطرا

أن هذا الشاعر كان قد زار تياء ، وقد وقف على خط اليهود ، ورأى أحدهم
وقد عرض أسطر الكتابة ودونها بيمينه^٢ . وقد وصف غيره كتابة اليهود وتعلمهم
الخط في مدراسهم بالمستوطنات اليهودية .

وكانوا يستعينون بصبيان الكتاب في بعض الأحيان لكتابة جملة نسخ مما يراد
نشره وإذاعته أو حفظه . فورد أن النجاشي الشاعر ، لما هجا (بني النجار)
من الأنصار شكوا ذلك الى حسان ، فقال قصيدة في هجائه وفي هجاء قومه ،
ثم « قال اكتبوها صكوكاً وألقوها الى صبيان المكاتب ، فامرّ بضع وخمسون
ليلة حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بالنجاشي موثقاً معهم » ، وذلك للإعتذار
اليه واسترضائه^٣ .

وقد كان للديانتين اليهودية والنصرانية فضل كبير على أهلها في نشر الكتابة
والعلوم بينهم إذ صارت معابدهم مدارس يتعلم فيها الناس أصول ديانتهم ومبادئ
المعرفة والكتابة والقراءة لمن يرغب من الأطفال ، كما أدت حاجة الديانتين الى
رجال دين يقومون بتثقيف الناس وتعليمهم أصول دينهم ونشر ديانتهم بين الوثنيين،
أو بين أصحاب الديانات الأخرى، الى تكوين معاهد خاصة لتخريج هؤلاء الرجال،
ألحقت بالمعابد ، درسوا فيها الكتب المقدسة وما وضع عليها من تفاسير وشروح،
ومما يتعلق بشرحها من دراسة للغات وفلسفة وجدل وأمور أخرى لها علاقة وصلة
بالديانات . وقد كان من بين هؤلاء الرجال أناس أذكىاء ذوو نظر واسع ، فلم

١ امتناع الاسماع ، للمقريري (١٠١/١) .

٢ ديوان الشمّاخ (٢٦) ، ديوان زهير (٥) .

٣ شرح ديوان حسان (ص ٢١٣ وما بعدها) (البرقوقي)

يكتفوا بحفظ ما ورد اليهم ، وبالتعصب لكل ما تلقنوه، بل تتبعوا ثقافات غيرهم وعلومهم ، ودرسوا اللغات والفلسفات الأخرى، وكونوا لهم آراء خاصة اعتمدت على استعمال العقل والمنطق ، فظهر النقد عندهم ، والنقد يخلق الرأي .

والبيت هو المدرسة عند الجاهليين وعند غيرهم من شعوب ذلك الزمن ، فيه يتعلم الطفل ، واليه يرد المعلم لتعليم أولاد الموسرين ما يحتاجون اليه من كتابة وعلم بأجرة تدفع اليه ، وفيه قد يتعلم الطفل الكتابة من الرقيق المجلوب الذي كان له حظ من العلم . وفيه تشرف أمه على تربيته وادارته ما دام صغيراً ، ثم يشرف عليه أبوه فيلقنه شؤون الصنعة وأمور الحياة متى تجاوز الخامسة أو السابعة من عمره.

وفي البيوت والطرقات والأزقة يلعب الأطفال ، أما الشبان، فقد كانوا يتبارون بالألعاب في الساحات العامة خارج المدن ، والقرى في الغالب . يتسابقون بركوب الخيل وبالمصارعة وبالجري وبرمي السهام . وقد يخرجون الى الصيد ولا يزال أطفال جزيرة العرب يلعبون بعض الألعاب التي كان أطفال الجاهلية وشبانهم يلعبونها قبل الاسلام .

وقد قامت المعابد بدور فعال ناشط في نشر القراءة والكتابة . واذا كنا نجهل اليوم موقف معابد الوثنيين من تعليم القراءة والكتابة بها ، فإننا لا نستطيع أن ننكر موقف (الكنيس) و (المدراس) (المدارس) عند اليهود ، و (الكنائس) عند النصارى من تنشيط التعليم ونهضة الأطفال لتعلم القراءة والكتابة ، لخدمة الدين ، أو للأغراض التثقيفية والشؤون الخاصة بالحياة . وقد قام (المدراس) وقامت الكنيسة بدور فعال في تعليم الناس أمور دينهم وشرح ما ورد في التوراة وفي الانجيل الى المؤمنين بهما . فقد كان أحبار يهود (يثرب) وقرى (وادي القرى) يجلسون في المعابد ليفسروا للناس أحكام شريعة يهود .

والمدراس ، لفظة عبرانية الأصل ، هي (مدرش) Midrash ، وتعني بحث وشرح نص . وقد أطلقت على المكان الذي تدرس فيه التوراة . فصار بمثابة المدرسة ، يقصده اليهود للتحقق فيه والتعلم ، وقد قصده الجاهليون أيضاً ليسمعوا ما عند يهود . كما قصده المسلمون . وقد كانت لليهود جملة بيوت عبادة يجلس فيها أحبارهم للافتاء ولشرح الكتب المقدسة لتلاميذهم وللناس . فكانت بيوت عبادة ومدارس للتعليم .

وقد كان الجاهليون يسألون اليهود عن تواريخ الماضين وقصص الأولين والأنبياء والمرسلين . وعن بعض المشكلات الدينية مثل الحياة بعد الموت وأمثال ذلك مما تعرضت له اليهودية . وقد لجأ اليهم أهل مكة الوثنيون يسألونهم عن أشياء عويصة لليهود علم بها ، ليمتحنوا بها الرسول^١ .

وقد ورد في الأخبار أن « بعض اليهود قد علم كتاب العربية . وكان يعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون »^٢ .

وقياساً على ما نعرفه من تخصيص الكنائس مواضع خاصة ملحقة بالكنائس لتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، فإننا نستطيع أن نقول إن الكنائس التي كانت في جزيرة العرب في نجران مثلاً أو في صنعاء أو في عدن أو في قطر ، لم تكن مستثناة من هذه العادة . وإن كنا لا نملك دليلاً نستند إليه في إثبات قيام الكنائس في جزيرة العرب بتعليم الأطفال القراءة والكتابة .

أما بالنسبة لكنائس العرب في العراق ، فإن لدينا شواهد بينة تثبت قيام الكنائس بتعليم الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ الدين . وثبت وجود مكان خاص خصص بالأطفال ليتعلموا فيه . فقد جاء في أخبار (عين التمر) أن خالد بن الوليد لما دخل حصن عين التمر وغنم ما فيه وجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم^٣ . وذكر أن تلك البيعة كانت في القفيرة من أطراف عين التمر^٤ .

وورد في الأخبار أن من أهل الحيرة من كان يتعلم العربية ، يقرأ بها ويكتب ويفقه ويتأدب ، كالذي حدث لزيد والد (عدي بن زيد العبادي) ، ولابنه (عدي) ، وأن منهم من كان يتعلم الفارسية ، إذ فيها جماعة من الفرس ، ومنهم من يتعلم الإرمية ، لغة (بني إرم) ، ومنهم من تعلم العربية والفارسية وأجاد بها كتابة ونطقاً ، وتولى الكتابة بهما عند الفرس مثل (عدي بن زيد

-
- ١ ابن هشام (٢٧٤/١) .
 - ٢ فتوح البلدان (٤٧٩) ، المعارف (١٩٢) ، الطبري (٣٧٧/٣) ، (دار المعارف) ، البلدان (٨٠٧/٤) وما بعدها ، الاغانى (١٠١/٢) ، المجلد لعمر بن متى (٣١) ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٧١ .
 - ٣ الطبري (٣٧٧/٣) (دار المعارف بمصر) .
 - ٤ البلدان (٨٠٧/٤) وما بعدها .

العبادي (وابنه (زيد بن عدي) وغيرهما من آل (زيد) والعبادين نصارى
الحيرة^١

ولما فتح خالد (الأنبار) : « رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم :
ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا ، فكانت
أوائلهم نزلوها أيام يختصر حين أباح العرب ، ثم لم نزل عنها ، فقال : ممن
تعلمتم الكتابة ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ، وأنشده قول الشاعر :

قسومي إياد^٢ لو أنهم أم^٣ أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم^٤

وهو شعر نسب قوله الى الشاعر (أمية بن أبي الصلت) ، ذكر أنه مدح
به بني إياد^٢ . ومعنى هذا ، أن (بني إياد) كانوا قد عرّفوا بالكتابة في
العراق ، ولهذا وضعوا هذه القصة في كيفية نشوء الكتابة العربية ، وإياد من
القبائل العربية القديمة التي نزحت من البحرين الى العراق .

وقد كان العرب في الأنبار ، والحيرة ، وعين التمر والمواضع الأخرى يحتمون
بأبنية محصنة ، يقيم بها ساداتهم ، وتكون مواضع دفاعهم أيام الخطر ، يقولون
لها (القصور) . وقد كانت الحيرة مؤلفة من جملة (قصور) ، ولا يزال عرب
القرات يطلقون لفظ (القصر) على المواضع الحصينة القائمة في البادية ، لصد
غارات المهاجمين ، مثل (قصر الأخيضر) ، و (قصر العين) ، في ناحية
(عين التمر) . وتحتمي الكنائس وبيوت الناس بهذه القصور ، ولما فتح (خالد
ابن الوليد) (عين التمر) ، بعث الى (كنيسة اليهود ، فأخذ منهم عشرين
غلاماً وصار الى الأنبار^٤ ، وهو خطأ ، لأن الذي نجده في الموارد الأخرى ،
أن (خالد بن الوليد) ، لما فتح حصن (عين التمر) وجد في كنيسة جماعة
يتعلمون سباهم ، فكان من ذلك السبي : (حمران بن أبان بن خالد) التمري ،

١ الاغاني (١٠١/٢) .

٢ الطبري (٣٧٥/٣) ، (حديث الانبار) .

٣ ابن هشام ، سيرة (٤٨/١) .

٤ اليعقوبي (١٢٣/٢) ، (النجف ١٩٦٤) .

و (سيرين) أبو (محمد بن سيرين) المشهور بتفسير الأحلام ، و (أبو عمرة) جدّ (عبد الأعلى) الشاعر ، و (يسار) جدّ (محمد بن اسحاق) صاحب (السيرة) ، و (نصير) أبو (موسى بن نصير)^١ ، وذكر (الطبري) أن (خالد بن الوليد) وجدّه في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رهن ، فقسّمهم في أهل البلاد^٢ . وقد كان كل هؤلاء من الكتاب القارئين للانجيل الدارسين لعلوم الدين ، فأسلموا وبرز أبناؤهم في المجتمع الاسلامي .

وفي خبر (وفد نجران) الذي قدم على الرسول ، إفادة بوجود مواضع لتعليم أمور الدين ، وتثقيف الناس بما يلزم من ثقافة ، فقد ورد أن أسقف نجران كان حبرهم ، وإمامهم ، وصاحب مدارسهم (صاحب مدراسهم)^٣ ، أي الموضع الذي يتدارسون فيه ، والغالب أن يكون ذلك المكان في الكنيسة على الطريقة المتبعة في ذلك العهد ، كما صار المسجد موضعاً للتعليم .

وقد كان يهود الحجاز والمواضع الأخرى من جزيرة العرب يلحقون بكنائسهم كتباً يعلمون به أطفالهم أصول القراءة والكتابة ، كما كان أحبارهم يتخذون به مجلساً لتعليم اليهود أمور دينهم وللافتاء بينهم في أمور الشرع ، وقضّ ما قد يقع بينهم من خلاف . وكذلك كان شأن نصارى العرب اتخذوا من كنائسهم مواضع للتدريس ولتعليم القراءة والكتابة كالذي رأيناه بين نصارى العراق . ولا استبعد احتمال اتخاذهم مدارس في قرى البحرين ، التي كانت بها جاليات نصرانية كبيرة وكذلك في اليمامة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وأصول الدين .

مواد الدراسة :

لم نعر على أي نص جاهلي فيه شيء عن التدريس وعن مواد الدراسة عند الجاهليين لنستنبط منه مادة عن الدراسة عند عرب الجاهلية ، غير أننا إذا ما

١ البلاذري ، فتوح (٢٤٨) .

٢ الطبري (٣٧٧/٣) .

٣ طبقات ابن سعد (٣٥٧/١) (طبعة صادر) .

أخذنا بما جاء في الموارد النصرانية الشرقية عن التربية والتعليم عند نصارى العراق وعن مواد المعرفة التي كانوا يعلمونها للتلاميذ ولطلاب المدارس العالية ، فإننا نستطيع أن نقول إن مدارس الأنبار والحيرة والقرى العربية الأخرى، لا بد وان تكون قد سارت وفقاً لمنهج أهل العراق في تعليم أبنائهم في ذلك الوقت . من تعليم مبادئ القراءة والكتابة وإجادة الخط وشيء من الحساب والأمثال والحكم ومبادئ الدين . وهي المواد الرئيسية التي كانت تعلم في الكتاتيب في بلاد الشرق الأوسط في ذلك الوقت ، والتي لا تزال تدرس في الكتاتيب القديمة حتى اليوم .

والعادة في الكتاتيب حتى الآن في تعليم الخط للأطفال ، أن يخط المعلم أو (خليفته) أو من يقوم مقامه من التلامذة المتقدمين ، سطرّاً من الحكم والأمثال أو من الكتب السماوية ، لينقش التلميذ سطوراً مثلها على لوح يحاول الاجادة جهد امكانه في كتابتها لتقوية يده على الخط . وقد كان العبرانيون يعلمون الآيسة : « رأس الحكمة مخافة الرب » ، « رأس الحكمة معرفة الله » ، « مخافة الرب رأس الحكمة »^١ ، في أول ما كانوا يعلمونه لتلامذتهم^٢ . ويعلمونهم أمثال ذلك من الحكم والأمثال الواردة في التوراة . ولا يستبعد أن تكون هذه الأمثال والحكم في مقدمة ما كان يدرسه المعلمون اليهود في مستوطناتهم في بلاد العرب بتياء ووادي القرى وقرى المدينة .

وورد ان نصارى العراق ، درسوا في مدارسهم لغة بني إرم ، لغة الثقافة والعلم آنذاك ، درسوا مفردات اللغة وقواعدها وأصولها ، وعلموا معها مبادئ العربية وقواعدها وآدابها في الأرضين التي كانت غالبية سكانها من العرب^٣ . ونجد في الموارد النصرانية اشارات تشير الى تدريس العربية في الأنبار وفي الحيرة . ولا يعقل أن يكون المراد من العربية ، الكتابة والقراءة بها فقط ، بل لا بد وأن يُعلم معها شيء من أصول الكتابة من كيفية قط القلم ورسم الحروف ، وأنواع الخطوط ، ثم الأمثال والحكم ، وقواعد اللغة وآدابها ، أي منهج المدارس المقرر في الشرق الأدنى في ذلك العهد . وقد كان رجال الدين يسرون عليه ويتبعونه في مدارسهم . وكان لهم علم بقواعد وبلغة بني إرم .

١ سفر الامثال ، الاصحاح الاول ، الآية ٧ .
 ٢ Hastings, p. 204.
 ٣ تاريخ كلدو وآثور (٧/٢) .

أما عن تعليم الأطفال في جزيرة العرب ، فلا نستطيع التحدث عنه بصورة جازمة لعدم ورود شيء عن ذلك في الكتابات الجاهلية أو في روايات أهل الأخبار. ويمكن أن نقول باحتمال تعليم الأطفال في المواضيع التي وجدت النصرانية اليها سبيلاً ، مثل مدينة (نجران) وبعض مواضع من سواحل الخليج ، على النمط الذي كان متبعاً عند نصارى العراق وبلاد الشام من تعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحسين الخط ومبادئ أمور الدين . ثم المعارف العالية مثل اللغة والعلوم اللاهوتية والطب وما شاكل ذلك ، للمتفوقين من الطلاب من أصحاب المواهب والقابليات ، وذلك لأن الكنيسة كانت تتبع نظاماً واحداً في التعليم ، ولأن الذين كانوا يبشرون بالنصرانية بين العرب ، كانوا من أهل العراق في الغالب ، وقد درسوا عرب العراق وعرب مواضع أخرى في جزيرة العرب ، وقد درسوهم على طريقة تدريس الكنيسة الشرقية ، فيحتمل لذلك أن يكون التدريس على نمط واحد في مدارس الكنيسة ، ولا أستبعد احتمال تدريس السريانية لهؤلاء الطلاب ، باعتبار أنها لغة الدين وتساعد في فهم الأناجيل والكتب النصرانية والعلوم .

وقد ورد أن : عمر بن الخطاب ، كان يقول في تربية الأولاد وتنقيفهم : « علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليشوا على الخيل وثباً ، ورووهم ما يجمل من الشعر »^١ . وذكر أنه كتب الى الأمصار : « أما بعد ، فعلموا أولادكم العوم والفروسية ، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر »^٢ ، وأن الرسول دعا لمعاوية ، فقال : « اللهم علمه الكتاب والحساب »^٣ . ويظهر أن هذا التوجيه في تربية النشء كان معمولاً به عند الجاهليين .

ويظهر أن الحث على تعلم السباحة ، إنما ظهر في الاسلام ، بعد الفتوح ، وذلك بعد أن اتصل العرب بالأنهار الواسعة العميقة والبحار ، فأجبرهم الواقع على تعلم العوم . ونجد (الحجاج) يقول لمعلم ولده : « علّم ولدي السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم »^٤ .

١ المبرد ، الكامل (١٥٥/١) .

٢ البيان (١٨٠/٢) ، (١١٦/٢) ، (القاهرة ١٩٣٢ م) .

٣ البيان (١١٦/٢) ، (١٩٣٢ م) .

٤ البيان (١٧٩/٢) .

وقد كان (عمر) يتهيب البحر ، فأوصى قواد جيشه بالتأني في ركوب البحر ، خشية غرق المسلمين .

والمثل والشعر من أهم المواد التي كان يعتني بها الجاهليون . وكان أهل الكتاب يعتنون بالمثل وبما ورد في الكتب المقدسة من حكم ، وبالشعر كذلك في تعليم أطفالهم في الكتاتيب .

وذكر (الهمداني) ، أن (عمر بن الخطاب) ، قال : « تعلمون من النجوم ما تهتدون به ، ومن الأنساب ما تعارفون به وتواصلون عليه ، ومن الأشعار ما تكون حِكْمًا ، وتدلكم على مكارم الأخلاق »^١ .

ويقوم بالتعليم معلمون . امتهنوا التعليم واتخذوه حرفة لهم . ومنهم من اتخذ حرفة رئيسية له ، إذ كان يمارس حرفاً أخرى ، ليتمكن بذلك من إعاشة نفسه . ولما كان التعليم الابتدائي الذي يقوم على تعليم الخط والقراءة والكتابة وبعض المبادئ الأخرى شيئاً بسيطاً لا يحتاج إلى علم وكبير ومعرفة ، لذلك لم يشترط في متعاطيه أن يكون من أصحاب العلم ، بل قام به من وجد في نفسه قابلية تعليم الأطفال من رجال الدين ومن غيرهم ، على نحو ما نجده في المدارس القديمة التي تقوم بتعليم الأطفال القراءة والكتابة لهذا اليوم .

ولم يرد في الكتابات الجاهلية شيء يتعلق بأسماء المعلمين الجاهليين . لذلك لا نستطيع أن نذكر اسم معلم من معلمي الجاهلية بالاستناد إليها . أما أهل الأخبار ، فقد تعرض نفر منهم لذكر بعض المعلمين الذين عاشوا قبل الإسلام ، والذين أدرك بعض منهم الإسلام . فذكر (محمد بن حبيب) في الفصل الذي سماه : (أشراف المعلمين وفقهاؤهم) ، اسم (بشر بن عبد الملك السكوني) أخو (أكيدر ابن عبد الملك) صاحب (دومة الجندل) ، فذكر أنه كان في جملة المعلمين^٢ . واليه ينسب أهل الأخبار نشر الكتابة بمكة على نحو ما بينت ذلك في موضوع تأريخ الخط .

وأشار (ابن حبيب) إلى (أبي قيس بن عبد مناف بن زهرة) ، وهو جاهلي ، على أنه من أشراف المعلمين . كما أشار إلى (عمرو بن زرارة بن عدس

١ الاكليل (٦/١ وما بعدها) .

٢ المحبر (٤٧٥) .

ابن زيد) ، وهو جاهلي كذلك في جملة من أشار اليهم من المعلمين . وذكر انه كان يسمى (الكاتب) . وأشار أيضاً الى (غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي) ، وهو من المخضرمين . على انه كان من أشرف المعلمين^١ . وهو من الشعراء الحكماء ، إذ كان أحد حكام (قيس) في الجاهلية . وكان أحد وجوه ثقيف ، وقيل انه أحد من نزل فيه : « على رجل من القريتين عظيم » ، وانه كان صاحب تجارة ، وقد سافر في قوم من تجار ثقيف وقريش وعلى رأسهم (أبوسفيان) الى العراق ، للتجارة ، فوصلوا الى (كسرى) فتكلم معه باسم التجار ، فأعجب به ، واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وبعث معه من بني له اطمأ بالطائف ، فكان أول اطمئني بها . وذكر ان كسرى لما كلمه ووقف على حكمته قال له : « هذا كلام الحكماء ، وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك ؟ قال : خبز البر ، قال : هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر »^٢ . في حديث يقصه أهل الأخبار وكأنهم كانوا شهداء عيان .

ولا بد وأن يكون في ثقيف قوم كانوا مهرة في الكتابة ، لهم خط حسن وإملاء صحيح ، وذلك فيما اذا أخذنا بصحة الأخبار الواردة عن تدوين القرآن وجمعه من قولهم إن الخليفة (عمر) أو (عثمان) ، قال : « اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف » ، إذ لا يعقل النص على أن يكون الكاتب من ثقيف من غير سبب ، اللهم اذا اعتبرنا الخبر من الموضوعات التي صنعت في أيام الحجاج ، للتقرب اليه ، ولرفع شأن ثقيف ، بعد أن ظهرت أخبار في أيامه ، رجعت نسب ثقيف الى قوم ثمود ، وصيرت (أبا رغال) خائن العرب الى غير ذلك من أخبار تحدثت عنها في أثناء حديثي عن ثمود وعن قبيلة ثقيف .

وكان (جفينة) العبادي من أهل الحيرة ، وكان نصرانياً ، قسّم المدينة ، وأخذ يعلم بها الكتابة في أيام الخليفة (عمر) . وكان ظئراً لسعد بن أبي وقاص . فاتهمه (عبدالله بن عمر) بمشايعة (أبي لؤلؤة) على قتل أبيه فقتله^٣ .

١ المحبر (٤٧٥) .

٢ الاصابة (١٨٦/٣ وما بعدها) ، (رقم ٦٩٢٦) ، الاستيعاب (١٨٦/٣ وما بعدها) ، حاشية على الاصابة .

٣ فتوح البلدان (٤٦٠) ، (أمر الخط) ، ابن سعد ، الطبقات (٣ القسم الاول ص ٢٥٨) ، الطبري (٤٢/٥) .

وورد في كتب الحديث « عن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، أنه قال :
أتانا معاذ بن جبل ، رضي الله عنه باليمن معلماً وأميراً »^١ . وقد أرسل الرسول
معاذاً الى اليمن ليعلمهم الفرائض وأحكام الدين . وإذا صح النص ، صار دليلاً
على شيوع لفظة (معلم) في ذلك العهد .

ووردت لفظة (المعلم) في رسائل (عمر) الى عماله ، ففي رسالة له (الى
أهل الكوفة) : « إني قد بعثت اليكم عمار بن ياسر أميراً ، وعبدالله بن مسعود
معلماً ووزيراً »^٢ . وأراد بلفظة المعلم ، من يعلم الناس ويرشدهم ويفقههم في
أمور الدين . وكانوا يطلقون على من يعلم الكتابة في (الكتاب) : معلم كتاب .
والكتاب والمكتب ، الموضع الذي يتعلم به .

ولست أعلم شيئاً عن مدى تقدم علم الحساب عند الجاهليين . وكل ما أستطيع
أن أقوله ، هو أنهم كانوا يعلمون أولادهم مع الخط مبادئ الحساب المعروفة ،
وهي الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وذلك لحاجتهم اليها في حياتهم اليومية ،
ولا سيما بالنسبة الى التجار أصحاب المصالح الكبيرة ، إذ تدفعهم الحاجة الى ضبط
أعمالهم وحسابهم . وقد ذكر أهل الأخبار أن الجاهليين استعملوا حساب عقود
الأصابع في حسابهم : فوضعوا كلاً منها بإزاء عدد مخصوص ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع
آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوفاً فما
فوقها بيد واحدة . وقد أشير الى حساب اليد في الحديث ، كما استعملوا العد
بالحصى ، وبه يحسبون المعدود^٣ . والعد برسم خطوط ، فيدل كل خط على
عدد ، ومجموع الخطوط هو المعدود .

وورد في الأخبار ان الرسول دعا لمعاوية بقوله : « اللهم علّمه الكتاب
والحساب »^٤ ، وقد نعت بأنه كان من الكتبة الحسبة الفصحاء^٥ ، والحديث المذكور
من أحاديث أهل الشام^٦ ، ولهم أحاديث أخرى في الثناء على (معاوية) ، وهي

-
- ١ ارشاد الساري (٤٢٩/٩) .
 - ٢ خورشيد احمد فاروق ، حضرت عمر (١١٦) ، (رقم ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٣٧٩/٣) وما بعدها .
 - ٤ البيان والتبيين (١١٦/٢) .
 - ٥ الاصابة (٤١٢/٣) (رقم ٨٠٧٠) .
 - ٦ الاستيعاب (٣٨١/٣) (حاشية على الاصابة) .

من الأحاديث التي أوجدتها العصبية السياسية ، على نحو ما نجد من أحاديث في (عبدالله بن عباس) وفي العلويين . وقد روي الحديث المذكور في حق أشخاص آخرين . وقد وضعت أحاديث في مدح معاوية وبني أمية . وأرى أن الحديث المذكور وضع في مقابل حديث « اللهم علمه الحكمة » ، الذي روي أن الرسول قاله في (ابن عباس) ، وحديث : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » أو « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » ، و « اللهم بارك فيه وانشر منه » ، وأحاديث أخرى ذكر أنها قيلت فيه ^١ .

وأما ما نسب الى الرسول من قوله : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا » فإنه حديث ضعيف ، وقد ورد أيضاً أن رجلاً قال : ما كنت أظن أن عدداً يزيد على ألف ^٢ ، وهو قول ينطبق على حالات فردية لأعراب ، ولا يمكن أن ينطبق بالنسبة للحضر ، ولا سيما لأهل مكة الذين كانت لهم تجارة ضخمة وقوافل تذهب الى مختلف الأنحاء ، تحمل تجارة تقدر أثمانها بعشرات الألوف ، فهل يعقل صدور مثل هذا الحديث من الرسول ؟

وقد كان الجاهليون يراسلون بينهم ، فيكتبون كتباً الى من يريدون مراسلته . والكتاب هو صحيفة قد تكون من جلد ، أو من مادة أخرى . وقصد ذكر أن الرسول كتب كتاباً الى (بني حارثة بن عمرو بن قريظ) ، فأخذوا الكتاب وغسلوه ، ثم رقعوا به دلوهم ^٣ . ويدل هذا على أن الكتاب كان صحيفة من جلد .

والرسائل من حقول التدوين المهمة عند الجاهليين . وهي رسائل قد تكون في أمور خاصة ، كرسائل أب الى ابنه أو العكس ورسائل أصدقاء وأقارب من ذوي الأرحام ، وهي تتناول مسائل شخصية خاصة بهم المتكاتبين . وقد تتناول الأحداث التي يكون لها شأن عند الناس وخطر ، فيكتب المتكاتبون عنها ، لما فيها من أهمية ولذة بالنسبة لهم . وقد تكون الرسائل إخبارية ، كأخبار عن تجارة ومعاملة أو عن حدث وقع أو غزو أو قرب وقوع حرب أو اخبار بهجوم عدو ومقدار قوته وما شاكل ذلك من أمور ، ذات أهمية خاصة ، بالنسبة للمرسل اليهم .

١ الاصابة (٢ / ٥٠٠) .

٢ الاحكام السلطانية (١٩٢) .

٣ امتاع الاسماع (١ / ٤٤١) .

ونجد في كتب أهل الأخبار صور رسائل في أمور ذات طابع إخباري . منها رسائل دوتت بعبارات واضحة صريحة ، يظهر أن أصحابها كانوا مطمئنين من عدم إمكان ستوطها في أيدي عدوة فتقف على ما جاء فيها ، لذلك كتبوها بعبارات مفهومة مكشوفة . ومنها ما كتبت شعراً كالذي روي من ارسال شعر كتبه (لقيط بن يعمر الإيادي) لقومه يحذرهم فيه من كسرى^١ . أو نثراً وقد كتبها أصحابها على شيء لا يلفت النظر . كحدوج الجبال المسافرة الى جهة معينة ، لتقرأ هناك ، أو رسائل لا تلفت النظر ولكنها ذات معان مفهومة عندما ترسل اليه ، وقد تحمل الرسالة لرسول لينقلها شفاهاً الى من يراد اخبارهم خبراً ، وذلك في الأمور الهامة بالطبع ، التي لا يمكن الإفصاح عنها ، لما لها علاقة بحروب أو غزو أو وضع أسير واقع في عذاب أسر أسريه ، ويريد ابلاغ أهله بذلك ليخلصوه من وضعه السيء .

ومن رسائل الإخبار : الرسائل التي كتبها المسلمون المتخفون أو المشركون الميالين للمسلمين على قريش ، يخبرون فيها الرسول وأصدقائهم المسلمين بأمر قريش وعورتهم واستعدادهم ليكونوا على حذر منها ، والرسائل التي كتبها بعض المسلمين الذين لم يكن الاسلام قد تمكن بعد من قلوبهم ، أو كتبوها شفقة لبعض أصدقائهم من المشركين عن الاسلام والمسلمين . ومنها كتاب (حاطب بن أبي بلتعة) الى صفوان بن أمية وسهل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل . يقول فيه : إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد بكتابي اليكم » . وأعطى الكتاب الى امرأة من مزينة ، وجعل لها مبلغاً من الدنانير على أن تبلغه قريشاً ، وقال : أخفيه ما استطعت ، ولا تمري على الطريق فإن عليه حرساً . فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها وسلكت على غير نقب ، فبلغ الرسول أمرها ، فأرسل من قبض على الرسالة . وتوسل حاطب الى الرسول ، بأن يعفو عنه ، لأنه كان رجلاً ليس له في القوم أصل ولا عشيرة ، فصاروا له أهلاً واعتبروه ولداً فصانعهم فعفا عنه . ونزل الوحي في شأنه في سورة الممتحنة^٢ .

١ ابن قتيبة ، الشعر (٩٧ وما بعدها) ، الاغانى (٢٣/٢٠ وما بعدها) .

٢ الآية ١ ، امتاع الاسماع (٣٦٣) .

وفي كتب السير والتواريخ إشارات الى مخبرات أرسلها مسلمون الى ذوي رحهم ، يطلبون اليهم الدخول في الاسلام ، وبأن الرسول سيعفو عنهم ويففر لهم ما بدر منهم من إساءة اليه إن جاءوا اليه مسلمين ، من ذلك ، ما كتبه (بجير) الى أخيه (كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، يطلب منه الدخول في الاسلام ، والتوبة ، وإلا فصيره كمصير (ابن خطل) الذي كان يمعن في هجاء الرسول ، فقتل^١ . ومن ذلك كتاب (الوليد بن الوليد) الى أخيه (خالد بن الوليد) ، يدعو الى الاسلام ، فجاء مسلماً^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا يستفتحون كتبهم بجملة : (باسمك اللهم) ، ويذكر بعضهم ان أمية بن أبي الصلت كان هو الذي ابتدع هذه البدعة . فشئت بين الناس . وصارت سنة لأهل مكة في تدوين رسائلهم . فجعلوها في أول كتبهم . فكانت قریش تكتب بها . وبها افتتح الرسول كتبه في بادئ أمره ، ثم أبدلت باسم الله بعد نزول سورة هود ، ثم باسم الرحمن ، بعد نزول سورة اسرائيل ، ثم بسم الله الرحمن الرحيم ، بعد نزول سورة النمل^٣ .

وكان من رسم الجاهليين اذا كتبوا أن يبدأوا بأنفسهم من فلان الى فلان . ونجد هذا الأسلوب في كتب رسول الله^٤ .

وتختم الرسالة بخاتم كاتبها أو بتدوين اسمه في نهايتها . كأن يقول : (وكتب فلان) أو (كتب فلان) . وقد ورد في كتب السير ، ان الرسول حين هم بتوجيه الكتب الى قيصر وكسرى وغيرهما ، قيل له : إن الروم لا يقرأون كتاباً غير مختوم بختم صاحب الرسالة ، فأمر بصنع خاتم له ، ختم به كتبه . وورد ان قریشاً حين ائتمرت بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، وكتبت بذلك صحيفة ، ختمت عليها ثلاثة خواتم ، وعلقوها في سقف الكعبة^٥ .

١ الاصابة (٢٧٩/٣) ، (٧٤١٣) .

٢ نسب قریش (٣٢٤) .

٣ الجهشيارى (١٢ وما بعدها) ، الاقتضاب ، للبطلوسى (١٠٣ وما بعدها) ، أدب الكتاب ، للصولي (٣١) ، الاغانى (١٢٣/٣) ، تفسير الطبري (٥٩/١٩) وما بعدها ، تفسير الطبري (١٢١/١٥) وما بعدها .

٤ القرطبي ، الجامع (١٩٢/١٣) وما بعدها .

٥ امتاع الاسماع (٢٥/١) .

وأشير الى الخاتم في شعر لامرئ القيس . فورد فيه :
ترى أثر القَرْح في جلده كنقش الخواتم في الجرجس

والجرجس : الشمع ، وقيل هو الطين الذي يختم به ، وقيل هو الصحيفة .
وبكل من ذلك فسر قول الشاعر المذكور^١ . ومن معاني (الجرجس) البعوض
الصغير^٢ . ويظهر ان اللفظة من المعربات ، عربت عن الإرمية . فهي تعني البعوض
الصغير ، اذا قيل Gargso ، وهي تعني الصلصال والطين الذي يختم به اذا قيل
Garguecto^٣ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان أول من ختم رسائله (عمرو بن هند)^٤ .
وذكر علماء اللغة ان خاتم الملك الذي يكون في يده يسمى (الحليق) . وأنشدوا
في ذلك :

وأعطى منا الحلق أبيض ماجد رديف ملوكٍ ما تغب نوافله

كما أنشدوا بيتاً للشاعر جرير ، ذكر فيه (الحلق) : حلق المنذر بن محرق
إذ قال :

فماز يحلق المنذر بن محرق فتي منهم رخو النجاد كريم^٥

وذكر أيضاً ان الحلق خاتم من فضة بلا فص^٦ . ويظهر من ذلك ان الملوك ،
كانوا يصطنعون خاتماً لهم ، يكون دليلاً على صدق رسائلهم وأوامرهم ، يحملونه
معه ، أو يودعونه عنه كاتم أسرارهم ، وعلى ذلك جرى الأمر في الاسلام .
فقد سار الخلفاء على سنة الرسول من اتخاذ خاتماً يختم به الرسائل ، والكتب
والأوامر ، وبقي الأمر كذلك عند من جاء بعده من الخلفاء .

-
- ١ ديوان امرئ القيس (١٠٢) ، (سندوبي) ، الاقتضاب ، للبطلينوسي (٩٧)
برواية أخرى ، تاج العروس (١١٨/٤) ، (الجرجس) .
 - ٢ تاج العروس (١١٨/٤) ، (الجرجس) .
 - ٣ غرائب اللغة (١٧٦) .
 - ٤ الاقتضاب ، لبطلينوسي (١٠٤) .
 - ٥ تاج العروس (٣٢٤/٦) ، (حلق) .
 - ٦ تاج العروس (٣٢٤/٦) ، (حلق) .

والخاتم ما يوضع على الطينة وما يختم به . والخاتم الطين أو الشمع أو الخبز أو أي مادة أخرى تترك أثراً يختم بها على الشيء^١ . وختم الأوراق والرسائل من العادات القديمة المستعملة عند الشعوب . ويقوم الخاتم مقام التوقيع في وقتنا الحاضر : وختم رسالة معناه المصادقة عليها وتصديقها . واستعمل الخاتم في ختم الأوراق العامة والأوراق الشخصية والعقود والمعاملات . وكان الشخص إذا أراد إرسال رسالة ختمها ، ولذلك كانوا يحملون خواتمهم معهم ، إما في جيوبهم وإما في أصابعهم وقد يضعونها في سلسلة يعلقونها حول أعناقهم^٢ . .

وقد صنع الخاتم من مواد مختلفة . صنع من ذهب ومن فضة ومن معدن آخر ومن الحجر . وقد كتب على بعض الخواتم اسم صاحبه ، ونقشت أمثلة وحكم وعبارات دينية أو أسماء الآلهة على بعض الخواتم . كما حفرت على بعض منها صور ترمز الى رموز مقدسة أو صور حيوانات . وعثر على خواتم في العربية الجنوبية ، وبها فصوص من أحجار ثمينة من أحجار اليمن الشهيرة . وقد كان يستعملها الناس إذ ذاك في التوقيع على رسائلهم ومخابراتهم ومعاملاتهم . ولا زال الناس يعثرون على خواتم جاهلية في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية ، فيستعملونها لترزين أصابعهم بها .

وبعد أن تختم الرسالة ، توضع داخل ظرف ، حتى لا يطلع عليها أحد ثم يغلق ، ثم يختم على موضع فتحه بالطين أو على المواضع التي يحتمل أن يفتح منها حتى تكون في مأمن تام . فلا يقف عليها إلا من أرسلت له . فإذا وصلته ، ووجد أن خاتمها سليم ، كسره ، ليستخرج الرسالة من ظرفها . وكانت الكتب على هيئة لفائف . وكان من عادة الشعوب القديمة أن المكتوب إذا أريد إرساله الى شخص من طبقة أدنى من طبقة الكاتب ، أي صاحب الرسالة ، أرسل المكتوب اليه منشوراً ، أما إذا كان المكتوب الى شخص مكافئ لصاحب الكتاب أو أعلى منزلة منه ، أرسل مختوماً وموضوعاً في كيس^٣ .

ولحماية الأشياء من التطاول والتجاوز عليها لجأوا الى طبعها وختمها ، فختموا

١ تاج العروس (٢٦٦/٨) ، (ختم) ، اللسان (١٦٣/١٢) ، (ختم) .

٢ Hastings, p. 833.

٣ نحميا ، الاصحاح السادس ، الآية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٥٣/٢) .

الأكياس التي تملأ بالنقود أو بأي شيء آخر ، وختماوزق الحمرة حتى لا يتناول عليه متناول . قال الأعشى :

وصهباء طاف يهوديها وأبرزها وعليها ختم^١

كما ختموا الطعام بالروسم ، وهو خشبة مكتوبة بالنقر . أو لويح فيه كتاب منقور ، تحتم به الأكداس^٢ . وقيل له (الروشم) أيضاً في لغة السواد^٣ . وكلمة (رشم) ، تعني (كتب) في الإرمية . و (راشوم) ، بمعنى لوح منقوش تحتم به البيادر في لغة بني إرم ، Rouchmo ، وتعني علامة^٤ .

وكان من عادتهم ختم الأمور المهمة أيضاً خشية ضياعها أو التناول عليها أو لحفظها . فلما كتب أهل مكة فيما بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ألا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى 'يسلموا اليهم محمداً . كتبوا بذلك صحيفة ختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعلقوها في سقف الكعبة^٥ . ويظهر أنهم بعد أن كتبوا الصحيفة وضعوها في ظرف ثم سدّوه وختموا عليه ثلاثة خواتيم ، حتى لا يفتح الظرف . أو أنهم طووها بعد أن كتبوها ثم ختموا عليها حتى لا تفتش ، فلما أرادوا فتحها وجدوا أنها قد تهرأت وتلفت من فعل لعب الأرضة بها . ويجوز أنهم ختموا عليها ثلاثة خواتيم ، بخواتيم الكتبة الثلاثة الذين نسبت كتابتها الى كل واحد منهم ، بحسب اختلاف الروايات . وهم : منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم ، أو النضر بن الحارث ، أو بغيض بن عامر بن هاشم .

الكاتب :

والكاتب في اصطلاحنا هو الذي خصص نفسه بالكتابة ، أو من يقوم بعمل

-
- ١ مصادر الشعر الجاهلي (٧٦) .
 - ٢ تاج العروس (٣١٢/٨) ، (رسم) .
 - ٣ تاج العروس (٣١٣/٨) ، (رسم) .
 - ٤ غرائب اللغة (١٨٣) .
 - ٥ امتاع الاسماع (٢٥/١) .

كتابي، أو من اشتهر وعرف بحذقه في فن الكتابة. وذكر علماء اللغة أن الكاتبين، هم الكتبة وحرفتهم الكتابة. وذكروا أن الكاتب في أيام الجاهلية : العالم. «وفي كتابه الى أهل اليمن : قد بعث اليكم كاتباً من أصحابي. أراد عالماً سمي به لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة»^١. والواقع أن نسبة العلم للكتاب، لم تكن نظرة أهل الجاهلية وحدهم بالنسبة الى كتابهم، بل كانت وجهة نظر شعوب العالم كلها الى الكتبة في ذلك العهد. لأن أكثر كتاب تلك الأيام كانوا من أبناء العوائل المتمكنة ومن أبناء طبقة رجال الدين، وكانوا يتعلمون الى جانب الكتابة في الغالب علم اللسان، كالعربية بالنسبة الى العرب والإرامية بالنسبة الى بني إرم، وشيثاً من الأدب من منظوم ومنثور وحساب وأمثال وحكم، لذلك يخرج المتعلم، وقد تثقف بثقافة تجعله فوق مستوى أقرانه، فيكون بعلمه هذا أعلم من غيره وأدرك منهم بشؤون الحياة. ومن هنا صار أعلم من بقية الناس. ونظر اليه نظرة تقدير وتبجيل.

ومن هنا نجد أن الأحناف، وهم الدعاة الى الإصلاح والى رفع مستوى الحياة في الجاهلية، كانوا كلهم من الكتاب بالعربية. وقد نسب إليهم أنهم كانوا يكتبون ويقرأون بالعبرانية أو بالسريانية أو باللغتين أيضاً، كما عرف عن بعض الخطباء والشعراء أنهم كانوا يقرؤون ويكتبون، ومنهم من كان له اطلاع على الثقافات واللغات الأعجمية حتى بان ذلك على كلامه المنظوم أو المنثور، وخير مثال على هؤلاء : عدي بن زيد العبادي، وأمية بن أبي الصلت والأعشى وليد.

وقد عرفت حرفة احتراف الكتابة بين الجاهليين أيضاً، كالذي كان من أمر (زيد) والد (عدي بن زيد العبادي) مع الفرس، وكالذي كان من أمر ابنه عدي نفسه مع الفرس أيضاً، ثم ما كان من أمر ابن عدي معهم. وكالذي كان من أمر (لقيط بن يعمر الإيادي)، وغيرهم. وقد رأينا ان الناس أطلقوا على (حنظلة بن الربيع)، كاتب الرسول (الكاتب)، حتى عرف به (حنظلة الكاتب)، لأنه كان قد قضى معظم وقته في الكتابة للرسول، فكان يكتب له اذا غاب كاتب من كتابه عنه. فهؤلاء اذن، هم كتاب، صارت الكتابة حرفة لهم، ولا بد وأن نتصور أنهم كانوا قد أتقنوا حرفة لهم لطول مراتبها

١ تاج العروس (١/٤٤٥)، (كتب) .

وخبروها على خير وجه . ومن المؤسف ، اننا لا نملك نماذج من رسائلهم ولا من خطوطهم في هذا اليوم . كما لا نملك من خطوط غيرهم شيئاً ، وسبب ذلك هو ندرة مواد الكتابة وغلائها بالنسبة لذلك الوقت ، فكانوا يغسلون الصحيفة المكتوبة ويمحون ما كتب عليها ، ليكتبوا عليها من جديد ، ثم عدم ادراك الناس إذ ذاك لأهمية وقيمة الوثائق ، حتى بالنسبة الى الوثائق المهمة كرسائل الرسول وأوامره وأحاديثه وأمثال ذلك ، فضاعت الأصول بسبب هذا الإهمال، وهي أصول سريعة التلف ، لأنها كتبت على الجلود وعلى مواد تبلى بسرعة ، وتحتاج الى عناية وحرص كي تحافظ على حياتها مدة طويلة .

وقد سار الكتاب الجاهليون على الجادة التي سلكها الكتاب الآخرون الكاتبون بالأقلام السامية من عدم وضع علامات للحروف المتشابهة مثل الباء والتاء والثاء ، بحيث أنهم كانوا اذا كتبوها ، لم يضعوا عليها نقاطاً لتمييز حرف منها عن حرف مشابه له أو علامة أخرى فارقة ، تفرق هذا الحرف عن الحرف الآخر . كما ساروا على الجادة التي سار عليها غيرهم من عدم وضع علامات خاصة بالحركات . فكتبوا ما كتبوا من غير إعجام ولا حركات . تاركين أمر القراءة الصحيحة وفهم المكتوب الى علم القارئ وفهمه وذكاؤه وحذقه باللغة وبالمهنة . ولعلمهم فعلوا ذلك محاكاة لغيرهم مثل الكتبة النبط والآراميين والعبرانيين ، الذين تمسكوا بهذا الأسلوب ، على اعتبار أنه سنة قديمة ورثت عن الآباء ، وقد كتبت بها الكتب المقدسة . أو لأن القسارى يجب أن يكون عالماً بفنه بارعاً به ، فلا يكتب له بما يشعره أن مستواه في فهم المكتوب ، هو مثل مستوى سائر الكتبة ، ممن تعلموا القراءة والكتابة وكفى . فكتبوا من غير إعجام ولا حركات . وقد جعلوا ذلك خاصة في مخاطبة ذوي المكانة والحكم ، أما إذا كان الانسان المكتوب اليه من سواد الكتاب القراء ، فكانوا يبيحون لأنفسهم حرية إعجام الكتابة وتحريكها . ومن هنا أيضاً ، ظهرت نماذج من الخطوط، خصصت بكتاب العامة .

وكانوا يميزون بين الخطوط، ويرجحون الخط القوي السوي على الخط الضعيف . والخط الجيد هو الخط الذي يوجد فيه . ولا يستبعد أن تكون لهم مدارس في كيفية تدوين الخط . فقد أطلقوا على خط أهل الأنبار المشق . وقد عرفوا هذا الخط ، بأنه فيه خفة . ولا يعقل بالضبط أن يكون هذا الخط خطأ رديئاً ولهذا سمي مشقاً ، بل هو طريقة خاصة من طرق رسوم الخطوط التي امتازت بمسـد

الحروف وبخفتها في الكتابة أي سهولتها ، ولا تزال هذه الطريقة المعروفة بـ (خط المشق) معروفة . وهي تستعمل عند الخطاطين في كتابة بعض الأمور التي يناسبها هذا الخط . ذكر أن الخليفة (عمر) ذكره فقال : « شرّ الكتابة المشق وشر القراءة الهذمة »^١ . لما في الاثنين من السرعة والتسرع . فالهذمة السرعة . وذكر أيضاً أن (ابن سيرين) كره كتابة المصاحف بالمشق^٢ . والنوع الثاني الذي نعرفه من أنواع الخطوط ، هو الجزم . وهو خط أهل الحيرة . وهو خط المصاحف^٣ .

ويجب أن نضيف الى هذين القلمين قلم أهل مكة ، الذي دعاه (ابن النديم) بـ (الخط المكي) ، ثم الخط المدني . وقد ذكر ان ما بعدهما الخط البصري ثم الكوفي . وهما خطان اسلاميان ، وان كنت لا أستبعد من كونهما قد أخذنا من خط عرب العراق في الجاهلية ، ولعلها قد طعما بشيء من قلم أهل مكة أو المدينة . وقد وصف (ابن النديم) بعض خصائص القلم المكي والقلم المدني ، فقال : « فأما المكي والمدني ، ففي ألفاته تعويج الى يمنة اليد وأعلى الأصابع وفي شكله انضجاع يسير^٤ . ويمكن استخراج بعض خواص رسم خطوط أهل الحجاز في القرن الأول للهجرة من الكتابات التي عثر عليها بعض الباحثين في مواضع متعددة من الحجاز ، والتي قد يعثر عليها في المستقبل .

والصفة التي يذكرها (ابن النديم) عن ألفات أهل مكة وأهل المدينة ، تدل على ان أهل المدينتين قد أخذوا خطهم من أهل العراق والنبط ، لأن الصورة المذكورة هي صورة كتابة الألف في الخط الشمالي ، ولم يعدل الألف بحيث صير مستقيماً إلا في الاسلام.

وأنا لا أستبعد احتمال تدريس مبادئ اللغات وبينها مبادئ اللغة العربية في الحيرة وفي الأنبار وفي مواضع حضرية أخرى ؛ فليس يعقل اقتصار التعليم في هذه المواضع على تعليم الخط والقراءة ثم لا يتجاوزهما الى مراحل أخرى ومراقي أرفع . خاصة وأن السريانيين كانوا قد اقتبسوا من اليونان اجرومية النحو وأصول

-
- ١ الصولي ، أدب الكتاب (٥٦) .
 - ٢ تاج العروس (١٠١/٩) ، (هذمة) ، المصاحف ، للسجستاني (١٣٤) .
 - ٣ الاقتضاب ، للبطلاني (٨٩) .
 - ٤ الفهرست (١٤) .

الشعر وفلسفة قواعد اللغات بترجماتهم الكتب اليونانية الى اللغة السريانية . وأن
جاعة من النصارى العرب كانوا يزورون القسطنطينية وبلاد الشام ويقرأون الكتب
الدينية من آرامية ويونانية للتعلم والثقف ، وهؤلاء هم الذين تولوا تثقيف أبنائهم
العرب وتعليمهم . وأناس من هذا الطراز لا بد وأن يكونوا قد تأثروا بما تعلموه
من اليونان ومن السريانية فطبقوه على العربية ، ووضعوا القواعد لصيانة الألسنة
ولتقويمها ، وسلكوا سبلاً في البيان ترتفع فوق مستوى تفكير السواد والسوقة
بدرجات . وترجموا الموضوعات الدينية ولا سيما الكتب الدينية الى الناس لتفقيهم
بأمور دينهم .

ورجل مثل (عدي بن زيد العبادي) ، ولّي ديوان الرسائل والانشاء عند
كسرى وهو ديوان مهم ، لم يكن القرس يسلمون أمره إلا لرجل أديب حاذق،
لا يعقل أن يكون مجرد قارئ خطاط ناقش للحروف ، لا بد وأن يكون صاحب
فن وحذق له أسلوب في تنميق الكلام والتجوير ، قوي البيان ، يكتب وفق قواعد
اللغة وأصولها . درس القواعد والأدب وأساليب العرب والعجم في التعبير والبيان،
فصار من ثم كاتباً بالعربية وبالفارسية كما يذكر أهل الأخبار .

الفصل الخامس والعشرون بعد المئة

الكتاب والعلماء

والعلم المعرفة . ورجل عالم وعليم ، صاحب معرفة ، وأصحاب المعرفة والعلم هم العلماء . ويقال في جمع عالم : علام ، كجهال في جاهل . قال يزيد بن الحكم :

ومسترق القصائد والمضاهي سواء عند علام الرجال^١

وذكر علماء اللغة ان (النافع) العالم ، وقيل هو المبين للأمور ، وقيل هو الذي قتل الأمر علماً . قال شقران السلاماني :

إن الذي ربيضاً أمره سرّاً وقد بين للنافع
لكالتي بحسبها أهلها عذراء بكرأ وهي في التاسع^٢

والعلامة ، والعلام ، والتعلمة ، والعلامة : العالم جدّاً ، وذلك للمبالغة في سعة علم العالم . وذكر علماء اللغة ان « العلامة والعلام : النسابة »^٣ ، ويظهر أنهم انما قالوا ذلك ، بسبب ان النسب كان عند الجاهليين من أهم علومهم التي

١ تاج العروس (٤٠٥/٨) ، (علم) .

٢ تاج العروس (٥٢٠/٥) .

٣ تاج العروس (٤٠٦/٨) ، (علم) .

برعوا وتخصصوا بها ، حتى صار النسب مرادفاً للعلم عندهم . وفي القرآن : « انما يخشى الله من عباده العلماء »^١ ، و (علماء بني اسرائيل)^٢ ، وألفاظ كثيرة لها صلة بالتعلم والعلم ، وفي ورودها فيه دلالة على وقوف الجاهليين على العلم والتعلم وعلى وجود العلماء عندهم .

وترد لفظة (الكاتب) بمعنى العالم . « قال الله تعالى : أم عندهم الغيب ، فهم يكتبون »^٣ ، وفي كتابه الى أهل اليمن : قد بعثت اليكم كاتباً من أصحابي ، أراد عالماً ، سمي به لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة ، والكاتب عندهم العالم . والاكاتب الإملاء . تقول : اكتبني هذه القصيدة ، أي املأها علي^٤ ، و (الكاتب) عند الشعوب الأخرى ، بمعنى العالم كذلك ، وقد كانت للكتاب منزلة كبيرة في مجتمعهم ، إذ كانوا يعدون من الطبقات العالية الممتازة . وذلك لأن الكاتب لا يكون كاتباً إذ ذاك ، ولا ينال العلم ، إلا إذا كان من الطبقة العالية المتمكنة ومن أسرة عرفت بالعلم . والعلم إذ ذاك محصور في العوائل ، وفي رجال الدين وفي الطبقة التي تتولى الكتابة في قصور الملوك .

ونجد في القرآن لفظة : (كتب) و (كَتَبَتْ) و (كَتَبْتَ) و (كَتَبْنَا) ، و (كتبناها) ، و (فسأكتبها) ، و (تكتبوه) ، و (نكتب) ، و (يكتب) ، و (يكتبون) و (أكتب) ، و (فاكْتُبها) ، و (فاكْتُبوه) ، و (كُتِبَ) و (سكتب) ، و (اكتبها) ، و (فكاكتبوهم) ، و (كاتب) ، و (كاتباً) و (كاتبون) ، و (كاتبين) ، و (الكتاب) ، و (كتاباً) ، و (كتابك) ، و (بكتابهم) ، و (كتابنا) ، و (كتابه) ، و (كتابها) ، و (كتابي) ، و (كتابيه) ، و (كُتِبَ) ، و (كُتِبَ) ، و (مكتوباً) . وفي ورود هذه الألفاظ فيه معبرة عن معان مختلفة لها صلة بالكتابة وبالعلم ، دلالة على أن الجاهليين كانوا على علم ، وأنهم كانوا يكتبون في أغراض مختلفة من أغراض الحياة ، وأنهم لم يكونوا على نحو ما يقص عنهم أهل الأخبار من الجهل والامية .

١ فاطر ، الآية ٢٨ ، تفسير الطبري (٨٦/٢٢) ، تفسير الألوسي (١٧٦/٢٢) .

٢ الشعراء ، الآية ١٩٧ .

٣ الطور ، الآية ٤١ ، القلم ، الآية ٤٧ .

٤ تاج العروس (٤٤٥/١) ، (كتب) .

وذكر علماء اللغة ان (الشهر) وجمعها (شهور) بمعنى العالم ، واستشهدوا على هذا المعنى بيت شعر ينسب الى أبي طالب ، هو :

فلاني والضوايح كل يوم وما يتلو السفاسرة الشهود^١

قال الصاغاني : هكذا أنشده الأزهري لأبي طالب ، ولم أجده في شعره^٢ .
ولكن الرواة يروونه على هذا النحو :

فلاني والسوايح كل يوم وما تتلو السفاسرة الشهود^٣

والسفاسرة أصحاب الأسفار ، وهي الكتب ، والشهود أنسب في تفسير الشعر من الشهور ، لأننا لا نعلم ان أحداً قال إن الشهر : العالم ، وأرى ان تصحيحاً قد وقع في البيت حول حرف (الدال) (راء) ، ففسرت لفظة الشهور بالعلماء ، لعدم تصادم هذا التفسير مع المعنى ، وفي العربية مئات الأمثلة على مثل هذا التصحيح .

وترد لفظة (الفقه) بمعنى العلم بالشيء والفهم له . ويظهر ان الجاهليين كانوا يستعملون لفظة (فقه) ومشتقاتها في معان لها صلة بالعلم . ودليل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من قوله « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين »^٤ ، ومن ورود (تفقهون) ، و (تفقه) ، و (يفقهوا) ، و (يفقهون) ، و (يفقهوه) في مواضع منه . وورد في كتب اللغة والأدب والأخبار : « فقيه العرب : عالم العرب » ، و « فقهاء من العرب »^٥ . وورد في الحديث : « أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون »^٦ ، أي الثرثارون المدّعون العلم والفقه .

ويفهم أيضاً من روايات أهل الأخبار ، انه قد كان للجاهليين أئمة وفقهاء يقضون بينهم ، ويفتون في دينهم ، ويحافظون على دينهم . فهم عندهم سدتهم وأمنائهم . وقد ذكر (ابن حبيب) أسماء نفر من (تميم) تولوا الموسم والقضاء

-
- ١ تاج العروس (٣/ ٢٧٢ ، ٣٢٠) ، (سفر) ، (شهر) .
 - ٢ تاج العروس (٣/ ٣٢٠) ، (شهر) .
 - ٣ تاج العروس (٣/ ٣٧٢) ، (سفر) .
 - ٤ التوبة الرقم ٩ ، الآية ١٢٢ .
 - ٥ اللسان (١٣/ ٥٢٢) ، (فقه) .
 - ٦ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ٢٤٢) .

بعكاظ . فكانوا يجلسون في مكان من السوق ، بين المتخاضعين وللافتاء فيما يشكّل عليهم من أمر دينهم . وكان منهم من تخصص بالإجازة بالموسم . ومنهم من تخصص بالفتيا والقضاء . ومنهم من جمع بين الاثنين^١ .

وأنا لا أستطيع أن أتحدث عن كتب ومؤلفات نقول إن الجاهليين كتبوها بالعربية على نمط اليونان واللاتين والقرس والسريان في الكتابة والتأليف ، ذلك لقصور علمنا في الموضوع ، ولعدم وصول أي خبر إلينا عنه حتى الآن .

نعم ، لقد أشرت الى وجود ما يسمى (مجلة لقان) و (حكمة لقان) والى كتب امتلكها بعض الجاهليين ، إلا أن الاخباريين لم يصفوا كيف كانت مجلة لقان ، ولم يتطرقوا الى ما كان فيها ، كما أن الظواهر تشير الى أن تلك الكتب هي مؤلفات جيء بها من بلاد الشام والعراق واليمن ، أغلبها في موضوعات دينية وتأريخية وقصص . وأما لغتها ، فيظهر أن بعضها بعربية القرآن الكريم ، كمجلة لقان ، وبعضها بلغة بني إرم .

أما ما قيل له (الأساطير) أو (كتب الأساطير) ، فهو كتب قصص وسمير وحكايات وتواريخ . وتدل التسمية على أنها من أصل يوناني ، هو : Historia و Storia في اللاتينية وتعني التاريخ ، عربت فصارت (أسطورة) وجمعت على أساطير، واستعملها الجاهليون استعمال اليونان واللاتين ، أي أرادوا بها تواريخ الماضين وحكاياتهم وقصصهم .

وأما ما قيل له (السفسارة) ، فالسفسير الحاذق بالشيء . والسفسارة أصحاب الأسفار ، وهي الكتب . والكلمة من أصل (إرمي) على رأي علماء اللغة . و (سفسير) بمعنى (سمسار) في لغة (بني إرم) ، أي المساوم^٢ . والظاهر أن (السفسارة) ، من (سفر) ، و (سفر) (سيفير) بمعنى كتاب في عدد من اللغات السامية . وتقابل (سفرو) في لغة بني إرم ، بمعنى كتاب^٣ . وقد كان بمكة وبغيرها رجال يتلون الكتب ويقرأون أسفار أهل الكتب من دينية وغيرها قبل الإسلام وفي الإسلام . « وفي الحديث : لا تعلموا أبكار أولادكم كتب

١ المحبر (أئمة العرب) ، (ص ١٨١ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ١٨٧) .

٣ غرائب اللغة (ص ١٨٧) .

النصارى : يعني أحداثكم^١ . وفي هذا الحديث إن صح دلالة على ان قراءة الكتب كانت منتشرة في ذلك العهد . ولا تعني جملة (كتب النصارى) الكتب الدينية بالضرورة ، إذ قد تعني كل ما كان يتداوله النصارى من كتب في ذلك العهد . وقد يكون من بينها مؤلفات في الفلسفة وفي الطب وفي فروع المعرفة الأخرى التي كان الناس يتدارسونها إذ ذاك .

وفي الآية : « وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » . قل : أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض . إنه كان غفوراً رحيماً^٢ ، دلالة صريحة على وجود الكتب والأساطير عند الجاهليين . فلما نزل القرآن ، قال المشركون : « إن هذا إلا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين ، يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم . اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم ، من يهود ، فهي تملى عليه ، يعنون بقوله : فهي تملى عليه ، فهذه الأساطير ، تقرأ عليه ، من قولهم أملت عليك الكتاب ، وأملت بكرة وأصيلاً » ، يقول وتملى عليه غدوة وعشياً . وقوله : قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض . يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، بل هو الحق أنزله الرب الذي يعلم سر من في السموات ومن في الأرض ولا يخفى عليه شيء^٣ . وزعموا ان الرسول اكتتب القرآن من (أساطير الأولين) ، وهي أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الأعاجم ، « فهي تقرأ عليه أو كتبت له^٤ » ، وقالوا : « ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم^٥ » . وكانوا يروون الأساطير وأحاديث الخلق ، وهي الخرافات من الأحاديث المفتعلة ، فرمى المشركون الرسول بهذه الفرية^٦ .

١ تاج العروس (٥٧/٣) ، (بكر) .

٢ الفرقان ، الآية ٥ .

٣ تفسير الطبري (١٣٧/١٨) وما بعدها .

٤ تفسير النيسابوري (١٢٥/١٨) وما بعدها ، (حاشية على تفسير الطبري) ، تفسير الألوسي (٢١٣/١٨) .

٥ تفسير الطبري (٦٠/١٩) ، تفسير الألوسي (١٠٠/١٩) .

٦ اللسان (٨٨/١٠) ، (خلق) .

وقد ذهب (شبرنكر) - وهو من الزاعمين أن الرسول كان يكتب ويقرأ - إلى أن النبي قرأ كتاباً في العقائد والأديان وأخبار الماضين ، وقد زعم أن اسم هذا الكتاب هو : (أساطير الأولين)^١. وقد أخذ رأيَه هذا من الآية : « وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً »^٢ . وهذه السورة هي من السور المكية . فهي تشير إلى زعم قريش في أن القرآن ، هو شيء اكتتبه الرسول ، وقد أملى عليه من الأساطير . وقد سبق أن قالوا إنه يتعلمه من أناس عاونوه وساعدوه عليه . قالوا إن هذا القرآن « إفاك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين يعني أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم ، من يهود ، فهي تملى عليه . يعنون بقوله : فهي تملى عليه ، فهذه الأساطير تقرأ عليه ، من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمليت ، بكرة وأصيلاً . يقول وتملى عليه غدوة وعشيًا » ، « وأعانه عليه قوم آخرون . يقول : وأعان محمداً على هذا الإفك الذي افتراه يهود »^٣ . وقد رد على هذا الرأي (نولدكه) في كتابه : (تأريخ القرآن) ، وعده قولاً لا أهمية له^٤ .

وقد ذكر علماء اللغة أن الأساطير هي الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها ، وهي جمع (أسطار) و (أسطير) و (أسطور)^٥ . واللفظة من الألفاظ العربية . وهي Istoriya (استوريا) في اليونانية ، و Historia في اللاتينية ، وقد أطلقت عندهم على كتب الأساطير والتاريخ . ويظهر أن الجاهليين قد أخذوها من الروم قبل الإسلام ، واستعملوها بالشكل المذكور وبالمعنى نفسه ، أي في معنى تأريخ وقصص .

ولا أستبعد وجود الكتب التاريخية باليونانية وباللاتينية في مكة ، فقد كان في مكة وفي غير مكة رقيق من الروم ، كانوا يتكلمون بلغتهم فيما بينهم وينطقون

١ Noldeke I, S. 16, Ency. of Islam vol. IV, p. 1016.

٢ الفرقان ، الآية ٥ .

٣ تفسير الطبري (١٣٧/١٨ وما بعدها) ، أسباب النزول ، للنيسابوري (١٦٠) .

٤ Noldeke, I, S. 17.

٥ تاج العروس (٢٩٧/٣) ، المفردات (٢٣١) ، البياضوي ، تفسير (١٤٤/١) ،

تفسير الطبرسي (٣٢/٧) ، (٦٦/١٤) .

بها إذا تلاقوا ، كما كانوا يحتفظون بكتبهم المقدسة ، ويكتب أخرى مدونة بلغتهم . وقد ذكر علماء التفسير اسم رجل زعمت قریش أنه كان هو الذي يعلم الرسول ويلقنه القرآن . وإليه الإشارة في الآية : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي »^١ . وهي في سورة النحل ، وسورة النحل من السور المكية . « كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمداً هذا القرآن عبد رومي » ، « وكان صاحب كتب ، عبد لابن الحضرمي » . « فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين يدخل عليه . وحين يخرج من عنده ، فقالوا : انما يعلمه »^٢ .

وقد ذهب (شرنكر) الى وجود (صحف ابراهيم) عند الجاهليين ، زعم ان الرسول قرأها وأخذ منها . وقد رد على رأيه هذا (نولدكه) ، بقوله : لو فرضنا أن محمداً أخذ من هذه الصحف ، ونسبه لنفسه وادعاه ، على أنه وحى أوحى الله به إليه ، لو فرضنا ذلك ، فإن من غير المعقول عندئذ ذكر محمد لتلك الصحف في القرآن . لأن ذكرها فيه معناه إرشاد الناس الى المورد الذي أخذ منه واتهام نفسه ، ولهذا فلا يعقل الأخذ بكلام (شرنكر)^٣ .

وورد في كتب أهل الأخبار أن (الأحناف) كانوا يقرأون الكتب ، وتبحروا في التوراة والانجيل ، ومنهم من وقف على لغة (بني إرم) وعلى العبرانية . ومن هؤلاء (ورقة بن نوفل بن أسد) ، « الشاعر صاحب العلم في الجاهلية . وكان قد قرأ الكتب وتبحر في التوراة والانجيل ، وهو الذي لقينته خديجة في أمر النبي »^٤ .

وورد في بعض الأخبار في تفسير الآية : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً »^٥ ان هذه الآية إنما نزلت في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السمر والأحاديث القديمة ، ويضاهون بها القرآن ، ويقولون إنها أفضل منه^٦ . وفي هذا الخبر دلالة على وقوف الجاهليين

١ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .

٢ تفسير الطبري (١٤ / ١١٩ وما بعدها) .

٣ Noldeke, I, S. 17, Sprenger, Lebens Muhammad, II, S. 367.

٤ الاشتقاق (١٠٢) .

٥ سورة لقمان ، الآية ٦ .

٦ العقد الفريد (٩ / ٦) .

على الكتب واستعمالهم لها ، وخاصة كتب السمر والأحاديث القديمة ، إذ لا يعقل أن يكون شراؤهم لها حادثاً طارئاً ، ظهر عندهم بنزول القرآن .

وذكر بعض المفسرين أن الآية المذكورة نزلت في حق « النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس ، فيشتري كتب الأعاجم : رسم واسفنديار فيحدث بها قریشاً . وقيل كان يشتري المغنيات ، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به الى قيته ، فيقول اطعميه واسقيه وغنّيه ، ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلاة والصيام ، وأن تقاتل بين يديه »^١ .

وإذا صح ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن هذه الآية قد نزلت بحق (النضر) لأنه كان يعاند الرسول ويعارضه وقت يكون مجتمعاً بنفر من الناس يلقي عليهم مبادئ الإسلام ، فيقرأ عليهم من كتب الأعاجم ومن قصص : رسم واسفنديار فإن ذلك يدل على أنه كان يتقن الفارسية ، وأنه كان يمتلك كتب الفرس ويقرأ بها وهو بمكة ، وترجم ما جاء فيها لمن يتجمع حوله . وأنه اشترى جملة كتب خلال تجاراته مع العراق .

فنحن اذن أمام أقدم مترجم يعمل الينا خبره من مترجمي العرب قبل الإسلام بمكة . يقوم بترجمة كتب من الأعجمية الى العربية . ويكون بذلك قد سبق المسلمين بزمان طويل في ترجمة كتاب رسم واسفنديار الى العربية . غير أننا يجب أن نتحفظ ونحترز كثيراً في قولنا هذا . فنحن لا نقصد أنه ترجم كتاب رسم واسفنديار ترجمة تدوين وتحرير ، وبالتمام والكمال . فقول مثل هذا يكون قولاً جزافاً ، لا يستند الى علم أو دليل إن قلته . وإنما أقصد ترجمة شفوية على نحو ما ذكره وأورده المفسرون وأصحاب السيرة . وقد ترجم هذا الكتاب في الإسلام . ترجمه جبلة بن سالم^٢ .

ولا أعتقد أن رجلاً مثل الحارث بن كلدة الثقفي ، أو ابنه النضر ، وهما من العلماء بالطب ، لم يرجعا الى مؤلفات في الطب مدونة بلغة من اللغات الأعجمية ، للحصول على علمها في الطب . وكيف يمكن ذلك ، وقد درساً في مدرسة لم تكن

١ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (٥٢/٢١) ، سيرة ابن هشام

(٣٨٢/١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٥٢/١٤) .

٢ الفهرست (٤٣٨) .

مدرسة عربية ، هي مدرسة (جنديسابور) ، عرفت واشتهرت في الطب . وقد كان عماد دراستها في الطب ما ألفه اليونان ، وما نقله منها علماء السريان . ولا أعتقد أنهما كانا في جهل بمؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهما ممن بنوا صنعة الطب ، ووضعوا فيها المؤلفات . بل لا أعتقد أن رجالاً في مكة أو في يثرب أو الطائف كانوا على جهل بأسماء مشاهير حكماء اليونان ، وبينهم من كان له اتصال ببلاد الثقافة والعلم وبالأجانب على نحو ما ذكرت ، وإن اغفل عن ذكرهم أهل الأخبار .

ويظهر من روايات أهل الأخبار — مثل رواية ابن الكلبي عن وجود دواوين فيها ما مدح به آل لخم وما قيل فيهم من شعر ومقدار ما حكم كل واحد منهم ، وروايات غيره عن تدوين الشعر قبل الاسلام — أن الجاهليين كانوا قد شرعوا في تدوين الأخبار والشعر وما لفت انتباههم قبل الاسلام ، وقد يكون ذلك قبيل الاسلام بعهد غير بعيد ، وأن التدوين كان بهذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، أو بلهجات قريبة منها . ومعنى هذا أن هذه اللهجة كانت قد اكتسبت قوة في هذا العهد ، حملت الناس على التدوين وعلى نظم الشعر بها . ولكن الذي رفعها وجعلها لغة للعرب أجمعين ، هو القرآن الكريم من غير شك ، فبفضله صارت هذه اللغة لغة للعرب كلهم ولغة المسلمين الدينية .

ويظهر من القرآن الكريم أن هذه اللغة كانت قد عرفت ألفاظ الحضارة والفكر في يوم نزوله ، ولورودها فيه . ولورودها فيه أهمية كبيرة في إعطاء فكرة عن مستوى أهل الحجاز العقلي في ذلك اليوم ، ففيه ألفاظ مثل العلم والعلماء والحكمة والأساطير والأمثال الخ ... وألفاظ ذات صلة بالكتابة والتدوين تحدثت عنها ومصطلحات أخرى ، ولا يمكن ورود مثل هذه الكلمات في لغة قوم ما ، ما لم يكن لهم أو لجماعة منهم على الأقل ، حظ من ثقافة وتفكير وعلم .

ولا أقصد أن الجاهليين استعملوا تلك الألفاظ بمدلولها المفهوم في الزمن الحاضر ، أو بالمعاني المفهومة منها عند اليونان . فلفظة (علم) مثلاً ، لا تعني علماً بالمصطلح الحديث أي في مقابل Science في الانكليزية ، وإنما تعني المعرفة عامة . ولفظة (علماء) ، لا تعني المشتغلين بالعلوم خاصة أي ما يقال لهم Scientist في الانكليزية ، وإنما يراد بهم العارفون أصحاب المعرفة والفهم . وقد صار للفظتين مدلولان خاصان في العصر العباسي ، ولكن هذا لا يعني أن لفظة (علم) أو (علماء) ، لم تكن تعني معنى خاصاً عند الجاهليين ، وإلا ما استعملت للتعبير

عن معان معينة في القرآن الكريم ، وما ميز القرآن الكريم والحديث النبوي العارفين
بلفظة علماء ، لتمييزهم عن السواد . وبهذا المعنى وردت لفظة (عالم) وعلم عند
العبرانيين^١ .

ولا أستبعد تأثر المثقفين الجاهليين ومن كان على اتصال بالعجم وباليهود والنصارى
بالآراء الفلسفية والدينية وبالجدل الذي وقع بين المذاهب النصرانية في أمور عديدة.
فقد خالط الجاهليون ، ولا سيما في بلاد العراق وبلاد الشام ، أقواماً عديدة ذات
ثقافات متباينة ، واحتكوا بها ، وأخذوا منها ، فلا يعقل ألا يتأثروا ببعض
آرائهم في الكون وفي الحياة وفي سائر نواحي التفكير . وقد وردت في شعر الأعشى
وفي شعر ليبيد ، فكرتان متناقضتان عن الجبر والاختيار ، فذهب الأعشى في
هذا البيت :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل ل ولى الملامسة الرجال

مذهب القائلين بالاختيار، أي أن الانسان مختار قادر على أفعاله . أما الأعشى
فذهب مذهب الجبرية القائلين بأن الإنسان مُجْبَر ، مسير ، وذلك في قوله :

إن تقوى ربنا خير نقل وبإذن الله ربي وعجل
من هداه سُبُل الخير اهتدى ناعم البال، ومن شاء أضل^٢

وقد سبق أن ذكرت في مواضع متعددة من هذا الكتاب أن أكثر من نُسِب
إلى التوحيد ، أي من ينعتهم أهل الأخبار بالحنفاء ، كانوا يقرأون ويكتبون ،
وكانت عندهم كتب أهل الكتاب ، وإن أكثرهم كانوا أصحاب رأي وفكر في
الخلق وفي هذا العالم. ولكنهم لم يدخلوا في يهودية ولا في نصرانية، لأنهم لم يجدوا
في الديانتين شيئاً يفرج ويرفه عما كان يحول في رؤوسهم من آراء ومقالات عن
الخالق والكون . وقد جالس هؤلاء رجال اليهود والنصارى ، وتكلموا معهم في
أمور عديدة من أمور الفكر والدين في جزيرة العرب وفي بلاد العراق وبلاد الشام.
وينسب لجندب بن عمرو بن حمزة ، وهو من دوس ، أنه كان يقول في الجاهلية:

١ Hastings, Dict. of the Bible, p. 831.

٢ العقد الفريد (٣٧٨/٢) ٠

إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو . ثم جاء الى الرسول ، فأسلم . وقد ذكر أن ورقة بن نوفل، وهو واحد من المذكورين ، كان قد قرأ الكتب وكتب بالعبراني أو السرياني ، وإنه كتب بالسريانية (العبرانية) من الإنجيل ما شاء أن يكتب . وكان قد امتنع عن أكل ذبائح الأوثان^١ . وذكر أيضاً : أن زيد بن عمر بن نفيل ، وهو ممن كان على الحنيفية ، كان ينتقد قريشاً ، ولا يأكل ذبائحها ، لأنها ذبحت للأصنام والأوثان^٢ ؛ وأن عبدالله بن عبد الملك بن عبدالله بن غفار المعروف بأبي اللحم الغفاري كان يأبى أن يأكل اللحم ، ولهذا سمي : (أبي اللحم) . وكان شريفاً شاعراً . وقد أسلم : وشهد حيناً^٣ . وكان لكل هؤلاء وقوف على كتب أهل الكتاب ، ولهم علم بأفلامهم .

وقد ذكر أهل الأخبار أن وهب بن منبه وأخاه كانا يستوردان الكتب القديمة من بلاد الشام . ويرد مصطلح (الكتب القديمة) في كتب السير والأخبار^٤ . وهب بن منبه وأخوه من المسلمين ، ولكن استيرادهما للكتب ، لم يكن بدعاً واكتشافاً منها ، بل لا بد أنه كان قديماً معروفاً عند الجاهليين .

وقد ذكر أهل الأخبار عبد عمرو بن صيفي النعمان المعروف بأبي عامر الراهب في جملة من كان يناظر أهل الكتاب، ويتبع الرهبان ، ويألفهم ، ويكثر الشخوص الى الشام . ومن هنا قيل له : الراهب^٥ . وقد علم بذلك علم أهل الكتاب .

وورد أن أهل الكتاب ، وهم اليهود ، كانوا يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم^٦ ، وورد جواز تفسير التوراة والإنجيل باللغة العربية^٧ . وكان اليهود يجادلون رسول الله في أمور الدين ، وقد أشير الى جدالهم له في القرآن الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا

١ الاغانى (١٤/٣) ، (١٢٠/٣) ، (٥٢/١٢) .

٢ الاغانى (١٥/٣) وما بعدها .

٣ الاصابة (١٣/١) ، الاستيعاب (١١١/١) (حاشية على الاصابة) .

٤ شرح القاموس (٤٢١/٥) .

٥ نسب قريش (ص ٢٨١) .

٦ ارشاد الساري (٤٦٦/١٠) .

٧ المصدر نفسه (ص ٤٦٥) .

منهم . وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ^١ ، وكانوا يستعينون في جلدلهم بالتوراة ، يفسرونها بالعربية للمسلمين ^٢ . وقد فسر بعضهم الآية : « ليقولوا دارست » ، « بقوله : قرأت على اليهود وقرأوا عليك » ، وفسرها بعضهم بذاكرتهم ، أو قرأت كتب أهل الكتاب ^٣ ، فنحن إذن أمام أقدم أخبار تشير إلى ترجمة العهد القديم إلى العربية ، ليفهمها العرب المشركون . وقد كان جدال اليهود مع النبي على أمور واردة في التوراة ، فلا بد وأنهم كانوا يستعينون بالترجمة في هذا الجدل .

وفي أخبار أهل الأخبار هذه مواضع تثير التساؤل وتوجه الانتباه إلى قضية وقوف أهل الجاهلية وصدر الإسلام على كتب أهل الكتاب ، ونقلهم عنها وشرحهم لبعض ما نقلوه باللغة العربية . فقد وقفنا تَوَّراً على ما ورد عن بعض الأحناف من وقوفهم على كتب أهل الكتاب ومن معرفتهم بالعبرانية والسريانية ، وقد وقفنا من أخبارهم على أن (عبدالله بن عمرو بن العاص) كان قد قرأ (الكتاب الأول) ^٤ . وأنه كان يقرأ بالسريانية ^٥ ، وأنه استأذن رسول الله في أن يكتب ما سمعه منه ، فأذن له ، فدوَّنه في صحيفة سماها : (الصادقة) ^٦ ، وروي أنه كان يقرأ الكتابين : التوراة والإنجيل ^٧ . وأنه « كان فاضلاً عالماً قرأ الكتاب واستأذن النبي في أن يكتب حديثه ، فأذن له ، فكتب عنه حديثه وحفظ عنه ألف مثل ^٨ . وروي أنه كان على علم بالمشاة ، و (المشاة) (المشنا) في تفسير التوراة ، وأنه جمع كتباً حصل عليها يوم (اليرموك) ، وكان له علم بها ^٩ . وروي أن (عمر) انتسخ كتاباً من كتب أهل الكتاب ووضعه في أدب ، وجاء به إلى رسول الله ، فقال له : « ما هذا في يدك يا عمر ؟ قال : يا رسول

-
- ١ العنكبوت ، الآية ٤٦ .
 - ٢ تفسير الطبري (٢/٢١ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (١٥٠/٤) ، (درس) .
 - ٤ الطبقات (٢٦٧/٤) (صادر) .
 - ٥ الطبقات (٢٦٦/٤) (صادر) ، المعارف (٢٨٧) .
 - ٦ الطبقات (٢٦٢/٤) (صادر) .
 - ٧ الاصابة (٣٤٣/٢) ، (رقم ٤٨٤٧) .
 - ٨ الاستيعاب (٣٣٩/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٩ تاج العروس (٦١/١٠) ، (ثنى) .

الله كتاب استنسخته لتزداد به علماً الى علمنا . فغضب رسول الله حتى احمرّت وجنتاه » . وورد أيضاً أن رجلاً من (بني عبد القيس) سكنه بالسوس ، كان قد نسخ (كتاب دانيال) ، وكان يقرأه ويفسره للناس ، وذلك في أيام عمر ، فنهاه عن ذلك ، وشدد عليه في وجوب محو ما كتبه ^١ . وورد أن (عمر) كتب الى عامله (أبي موسى الأشعري) كتاباً نسخته : « لغسلوا دانيال بسدر وماء الریحان » ^٢ .

وورد أن (عمر بن الخطاب) ، قال للنبي : انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فنهى الرسول عن ذلك ^٣ .

ويرد امم (كتاب دانيال) في خبر آخر ، فقد ورد عن (عمرو بن ميمون الأودي) ، أنه كان جالساً مع قوم ، فجاء رجل ومعه كتاب ، فقالوا له : ما هذا الكتاب : قال كتاب دانيال ^٤ .

ولم يرد اسم (دانيال) في القرآن ولا في الحديث ، ولكنه معروف جداً عند المسلمين ، بأنه نبي ، وله قصص في أخبار الرسل والأنبياء ^٥ . وقد وصلتهم قصصه ممن أسلم من يهود ومن اليهود الذين عاشوا بين الجاهليين وبين المسلمين . حيث اكتسبت رؤيا (دانيال) وتنبؤاته وتفسيره لحلم (نبوخذ نصر) شهرة خاصة عند يهود ، وانتقلت منهم الى المسلمين . ويعد (دانيال) أحد الأنبياء الأربعة الكبار ، وتولى مناصب عالية عند البابليين والميديين (الماديين) ، وقد اشتهر بتعبير الرؤيا وبالتنبؤ عن المستقبل ^٦ ، والظاهر أن شهرته هذه عند أهل الكتاب ، أكسبته منزلة خاصة عند المسلمين .

وورد أن (ابن قرة) جاء بكتاب من بلاد الشام الى (عبدالله بن مسعود) ، وكان قد أعجب به ، فأمر (عبدالله بن مسعود) بطست فيه ماء ، محاً به أثر الكتابة ^٧ .

١ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم (٥١) .

٢ كنز العمال (٣١٠/٦) ، خورشيد أحمد (١٣٢) ، القسم العربي (رقم ٢٤١) .

٣ الفائق (٢١٨/٣) .

٤ تقييد العلم (٥٦ وما بعدها) .

٥ راجع قصص الانبياء (ص ٢٣١) .

٦ قاموس الكتّاب المقدس (٤٣٢/١) وما بعدها .

٧ سنن الدارمي (١٢٣/١) ، تقييد العلم (٥٣) .

وذكر أن (عمر بن الخطاب) قال: « أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه ظهرت في أيديكم كتب ، فأحيتها الى الله أعد لها وأقومها ، فلا يبقين أحدٌ عنده كتاب إلا أتاني به ، فأرى فيه رأسي . فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ؛ فأتوه بكتبهم . فأحرقها بالنار »^١ . ويظهر أن هذه الكتب هي من كتب أهل الكتاب ، فعندنا أخبار عديدة تذكر حصول الصحابة على كتب كثيرة وقعت اليهم في الغزوات والحروب التي جرت في بلاد الشام .

وقد ورد في شعر بعض الشعراء الجاهليين ما يفيد وقوف أصحاب ذلك الشعر على كتب أهل الكتاب . كالزبور و (خط زبور) و (مصاحف الرهبان) و (التوراة) و (المجلة) أي الانجيل وأمثال ذلك ، مما يدل على أنهم كانوا قد وقفوا على خبرها وشأنها ، وأن اليهود والنصارى وهم عرب على اليهودية والنصرانية كانوا يتداولونها فيما بينهم ، باعتبار أنها كتبهم المقدسة^٢ .

وقد وجد المسلمون مصاحف لليهود في مستوطناتهم فيها التوراة وفيها كتبهم الأخرى . فذكر ان المسلمين لما فتحوا (خبر) « وجمعت مصاحف فيها التوراة، ثم ردت على اليهود »^٣ .

وأنا لا أستبعد احتمال ترجمة الكتاب المقدس بقسميه ، كلاً أو جزءاً منه الى العربية ، فقد كان اليهود — كما سبق أن قلت — يفسرون ليهود يثرب ولعربها التوراة وكتبهم الدينية بالعربية، كما كان المبشرون يفسرونه بالعربية؛ وقد رأيت ان قريشاً اتهموا الرسول بأنه كان يستمع الى رجل نصراني ، وبأخذ منه . وانهم ذكروا ان الأحناف كانوا يقرأون التوراة والانجيل ، وان عرب العراق كانوا يدرسون في الكنائس والأديرة بالعربية ، فلا أستبعد احتمال وجود ترجمات عربية للكتب الدينية قبل الاسلام ، تلفت لأسباب عديدة ، منها انها لم تكن اسلامية، ولأسباب أخرى ، فلم تصل البنا لذلك .

وقد ورد في بيت شعر ينسب الى (بشر بن أبي خازم) ، ذكر كتاب كان عند بني نعيم ، إذ جاء فيه :

١ تقييد العلم (٥٢) .
٢ خزانة الادب (١١/٣) ، ديوان السموال (١٢) ، اللسان (١١٣/١٢) «صادر» .
٣ امتاع الاسماع (٣٢٣/١) .

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخليل بالركض المعار^١

ولو أخذنا بظاهر العبارة ، دل البيت على وجود كتاب عند بني تميم ، قد يكون صحيفة وقد يكون كتاباً مؤلفاً من صفحات . ولو أخذنا بالتأويل وقلنا معناه : وجدنا هذه اللفظة مكتوباً ، ان أحق الخليل بالركض المعار، انتهى وجود كتاب لديهم^٢ . وقد نسب هذا البيت الى (الطرماح بن حكيم) ، وهو شاعر اسلامي . واذا صح ان هذا البيت هو من شعر الطرماح ، جاز أخذ لفظه (كتاب) بالمعنى الحقيقي ، إذ كانت الكتب معروفة في هذا الوقت .

وجاء في كتاب (إمتاع الأسماع) ، أن الرسول « كتب هذه السنة المعادل والديات ، وكانت معلقة بسيفه »^٣ . وأشار الطبري الى هذه الصحيفة بقوله : « وقيل : ان هذه السنة كتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المعادل فكان معلقاً بسيفه »^٤ ، والسنة المشار اليها هي السنة الثانية من الهجرة . والخبر أشبه ما يكون بخبر (الصحيفة) المنسوبة الى (علي بن أبي طالب) ، فقد ورد في (صحيح البخاري) : « عن أبي جحيفة ، قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قال : قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكالك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر » . وورد أنها « كانت معلقة بقبضة سيفه . إما احتياطاً أو استحضاراً » ، وورد « فأخرج كتاباً من قراب سيفه »^٥ . ويكاد يكون الخبر واحداً ، فالصحيفة صحيفة المعادل والديات ، وموضعها في الخبرين السيف ، معلقة به ، أو في قرابه . ويظهر من روايات أخرى أن فيها أحاديث عن الرسول : مثل : المدينة حرام ما بين عاثر الى كذا ، فن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فن أخضر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس

١ المفضليات (٩٨) ، الموشح (١٧٩) ، تاج العروس (٤٣٤/٣) ، (غير) .

٢ (فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة) ، المرزباني ، الموشح (١٧٩) .

٣ المقرئزي ، إمتاع الاسماع (١٠٧/١) .

٤ الطبري (٤٨٦/٢) .

٥ ارشاد الساري (٢٠٣/١) وما بعدها .

أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » . وورد انه كان فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل^١ .

ولم نجد في الأخبار ما يفيد أن الصحابة كانوا على علم بصحيفة النبي ، ولو كانت للرسول صحيفة فيها أحكام المعامل والديات ، كان الرسول قد علقها على سيفه ، دلالة على اهتمامه بها ، لما سكنت عنها الصحابة ، مع ما لها من الأهمية بالنسبة لاصدار الأحكام ، ولأنها يجب أن تكون المرجع المطاع الثاني بعد القرآن. ولذلك فأنا أشك في أمر هذه الصحيفة ، وفي صحيفة الإمام كذلك المأخوذة من كلام الرسول ، ولو كانت صحيفة الإمام ، هي صحيفة الرسول نفسها، صارت اليه بعد وفاته ، لما سكنت الأخبار من الإشارة اليها وعن انتقالها الى (عليّ) لما لها من أهمية ، ولا سيما بالنسبة الى الشيعة الذين يفتشون عن هذه الأمور باعتبارها منقبة تضاف الى مناقب الامام، وحجة في اثبات إمامته واعتماد الرسول عليه وحده. ولو كانت الصحيفة صحيفة الامام، دونها بنفسه ، معتمداً على حديث الرسول، وكانت عنده معلقة بسيفه ، حرصاً عليها ، لتكون معه وتحت متناول يده ، يراجعها متى شاء، فلا يعقل أن تكون مقتصرة على المعامل والديات وأسنان الإبل ، وهي أمور يعرفها الامام ، وهو فقيه ، ومرجع من مراجع الافتاء ، دون حاجة الى أن يكتبها في صحيفة يحرص على حملها معه معلقة بسيفه ، ثم إنها إذا كانت على هذه الأهمية بالنسبة للإمام ، لما تركها أصحابه ، فلم ينقلوها بالنص والحرف، وهي أخطر وثيقة ، مع أنهم رووا عنه أحاديث كثيرة ، حتى نسب الناس له خطباً وأشياء لا يصح صدورها منه . ومنها صحيفة تسمى : (الصحيفة الكاملة، أو زبور آل محمد وإنجيل أهل البيت^٢) .

ورأيي ان ما ورد من ان الخليفة (أبو بكر) كان يمتلك صحيفة فيها حديث الرسول^٣ ، هو خبر غير صحيح كذلك ، ولو كانت لديه صحيفة ، لما خفي أمرها عن الصحابة ، فلم يحفظوها ولم ينقلوها عنها . وأما ما ورد من أمر صحيفة

١ الكافي للكليني ، (٨٥) ، الارشاد (٢٥٨) ، أبورية ، أضواء على السنة المحمدية (٩٤ وما بعدها) .

٢ بروكلمن (١٨٣/١) .

٣ الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٥/١) .

(عبدالله بن عمرو بن العاص) ، المسماة بالصحيفة الصادقة ، وما كتب فيها من حديث الرسول ، ومن انه قد جمع ألف مثل من أمثال الرسول^١ ، وما ورد من صحيفة (همام بن منبه) ، المسماة بالصحيفة الصحيحة ، فقد بحث في أمر هذه الصحف العلماء^٢ .

وقد عدّ (الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان) التميمي المجاشعي ، في جملة علماء العرب وحكامهم . قال عنه بعض العلماء : « وكان عالم العرب في زمانه »^٣ . كان عالماً بالنسب وبأخبار الناس ، ولهذا كانوا يتنافرون اليه . وكان شريفاً في الجاهلية والاسلام . وقد حكم في المناقرة التي وقعت بين (جرير بن عبدالله) البجلي ، وبين (خالد بن أرتطاة) الكلبي . وكان (خالد) زعيم (قضاعة) يومئذ ، فنفر (الأقرع) جريراً على خالد ، بمضر وربيعة^٤ . وكان من المؤلفة قلوبهم^٥ .

والنسب هو من أهم المعارف التي عرف بها أهل الجاهلية . وهو علم يرتقي الى عهد بعيد عن الاسلام من دون شك ، لما له من تماس مباشر بحياتهم الاجتماعية وبنظمتهم السياسية ، ولأنه الحماية بالنسبة الى الجاهلي في تلك الأيام . وأستطيع أن أدخل في علم النسب ، العلم بأنساب الخيل ، فقد عتوا بالخيول عناية كبيرة ، وحفظوا أنسابها ، ووضعوا شجرات أنساب لها . كما عتوا بأنساب الإبل ، لما لهذا النسب من صلة بالاصالة وبسعر بيعها وشرائها . ونجد في الأخبار ما يشير الى وجود أناس تخصصوا بحفظ نسبها .

والنساب : العالم بالنسب ، وهو النسابة . أدخلوا الهاء للمبالغة والمدح . « وفي حديث أبي بكر ، رضي الله عنه : وكان رجلاً نساباً ، النسابة : البلخ العالم بالأنساب »^٦ .

-
- ١ الاصابة (٢/٣٢٣) ، (رقم ٤٨٤٧) ، الاستيعاب (٢/٣٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثامن والعشرين (١٩٥٣) .
 - ٣ الخزائن (٣/٢٩٦) ، (بولاق) .
 - ٤ الخزائن (٣/٢٩٦ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٥ الاصابة (١/٧٢) ، (رقم ٢٣١) .
 - ٦ اللسان (١/٧٥٦) ، (نسب) .

والنسب : نسب القرابات . يكون بالآباء ، ويكون بالقبائل ، ويكون الى البلاد ، ويكون في الحرف والصناعة^١ .

وقد نبغ بين القبائل والقرى أناس تخصصوا بحفظ النسب ، منهم من برع في حفظ نسب قبيلته ، ومنهم من برع في حفظ أنساب جملة قبائل ، ومن اشتهر وعرف من قريش بحفظ النسب وبالعلم به ، (أبو بكر) . وكان علمه بعلم الأنساب ، ثم بأمور الناس ، ثم الشعر . قيل إنه « كان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كان منها من خير أو شر » ، وقيل إنه كان أنسب العرب ، وأعلم قريش بأنسابها ، وأنسب هذه الأمة^٢ . و « كانت قريش تألف منزل أبي بكر ، رضي الله عنه ، لخصتين : العلم والطعام »^٣ . ولما أمر الرسول حسان بن ثابت بالرد على شعراء قريش قال له : « إئت أبا بكر ، فإنه أعلم بأنساب القوم منك . فكان يمضي الى أبي بكر ليقفه على أنسابهم » . فلما سمعت قريش شعر (حسان) ، قالت : « إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة »^٤ . ولما مرّ بالناس في معسكرهم بالجرف ، جعل ينسب القبائل^٥ .

وكان (جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف) ، وهو أحد أشراف قريش وحلمائها من علماء النسب في قريش ، وكان ممن أخذ النسب من أبي بكر . وكان ممن يؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب عامة^٦ .

وعرف (أبو جهم بن حذيفة) القرشي العدوي بعلمه بالنسب ، وكان من المعمرين في قريش . عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام . وكان من مشيخة قريش وصاحب النبي^٧ . وكان أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب^٨ .

-
- ١ اللسان (٧٥٥/١) ، (نسب) ، تاج العروس (٤٨٣/١) ، (نسب) .
 - ٢ الاصابة (٣٣٤/٢) ، (رقم ٤٨١٧) ، البيان والتبيين (٣١٨/١) .
 - ٣ البيان والتبيين (٧٦/٤) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٣٥/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الفائق في غريب الحديث (١٨٤/١) .
 - ٦ الاصابة (٢٢٧/١) ، (رقم ١٠٩١) ، الاستيعاب (٢٣٢/١) ، (حاشية على الاصابة) ، كتاب نسب قريش (٢٠١) ، البيان والتبيين (٣١٨/١) ، تاج العروس (٤٤/٦) ، (ألف) .
 - ٧ نسب قريش (٣٦٩) .
 - ٨ الاصابة (٣٥/٤) ، (رقم ٢٠٧) .

ومنهم : (مخزومة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف) . وقد أخذ عنه النسب . وكان عالماً بأنصاب الحرم^١ . قال عنه (أبو عبدالله المصعب بن عبدالله الزبيري) « وكان له سر وعلم ، وكان يؤخذ عنه النسب »^٢ ، وقد أرسله (عمر) مع (سعيد بن يربوع) ، و (أزهر بن عبد عوف) ، و (حويطب بن عبد العزى) لتجديد أنصاب الحرم ، فجددوها ، ويقال إن (عثمان) بعثهم كذلك . وهو راوي خبر قصة استسقاء (عبد المطلب) ، وما ورد فيه من الشعر^٣ .

قال (الجاحظ) : « أربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار ، وعلماءهم بالأنساب والأخبار : مخزومة بن نوفل بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبي طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه وحمقوه »^٤ . و (حويطب) من مسلمة الفتح ومن المؤلفات قلوبهم^٥ . ومات زمان معاوية ، وهو ابن عشرين ومائة سنة . وباع من معاوية داراً بالمدينة بأربعين ألف دينار^٦ . وتوفي سنة (٥٤ هـ)^٧ .

وروي أن غنائم الحيرة لما وصلت الحيرة وفيها سيف النعمان بن المنذر، استدعى (عمر) (جبيراً) ، فسأله عن نسب (النعمان) فقال له : أنه أشلاء فنص بن معد . فأعطاه سيفه ، وذكر أنه كان أنسب العرب ، وعنه أخذ (سعيد بن المسيب) النسب^٨ .

ومن نسابي قريش (عقيل بن أبي طالب) . ولما وضع (عمر) الديوان ، استعان بعقيل ومخزومة ، وجبر في ترتيب عطاء الناس على منازلهم ، فبدأوا ببني هاشم^٩ . وعقيل هو أخ (علي بن أبي طالب) ، ذكر أنه « كان عالماً بأنساب

-
- ١ الاصابة (٣/٣٧٠) ، (رقم ٧٨٤٢) .
 - ٢ نسب قريش (٢٦٢) .
 - ٣ الاصابة (٣/٣٧٠) ، نكت الهميان (٢٨٧) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢/٣٢٣) .
 - ٥ البيان والتبيين (٢/٣٢٣) .
 - ٦ نسب قريش (٤٢٥ وما بعدها) .
 - ٧ الاصابة (١/٣٦٣) ، (رقم ١٨٨٢) .
 - ٨ الاصابة (١/٢٢٧) ، (رقم ١٠٩١) ، الاستيعاب (١/٢٣٢ وما بعدها) ، حاشية على الاصابة (، الفائق (١/٦٠٨ وما بعدها) ، البيان والتبيين (١/٣٠٣) .
 - ٩ ابن سعد ، المجلد الثالث ، الجزء الاول (٢١٢) .

قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة » ، فهو من شيوخ العلم الذين نصبوا أنفسهم لتعليم الأنساب والمآثر والمثالب . قيل « كان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم في المنافرات: عقيل ، وغرمة ، وحويطب ، وأبو جهم . وكان عقيل يعد المساوي ، فن كانت مساويه أكثر يقر صاحبه عليه ، ومن كانت محاسنه أكثر يقره على صاحبه »^١ ، ونظراً لتكلمه مع الناس وتحدثه عن مساويهم فقد عودي وحقى^٢ .

وقد صار مسجد الرسول في المدينة موضع دراسة للمسلمين ، فقد رأينا (حسان ابن ثابت) ، وهو ينشد الشعر فيه ، وهذا (عقيل) يعلم الناس الأنساب فيه ، وهناك غيرهما من كان يعلم الناس في هذا المسجد .

ومن عرف واشتهر بعلم النسب، وأخذ النسب عن الجاهليين ، دغفل السدوسي من بني شيان ، وعيمرة أبو ضمضم ، وابن لسان الحمرة من بني تيم اللات ، وزيد بن الكيس النمرى ، والنخار بن أوس القضاعي ، وصعصعة بن صوحان، وعبدالله بن عبد الحجر بن عبد المدان ، وعبيد بن شريه وغيرهم^٣ .

وذكر عن (دغفل بن حنظلة) النسابة السدوسي الشيباني ، انه كان عالماً بالعربية والأنساب والنجوم ، وقد اغتلبه النسب . وقد أعجب به (معاوية) لما سأله أموراً كثيرة في هذه العلوم^٤ . ولا بد وأن يكون قد أخذ علمه ممن أدرك الجاهلية من رجال ، ومن عاصر الرسول . وذكر انه و (زيد بن الكيس) النمرى ، كانا ممن أثارا أحاديث عاد وجرهم ، ولذلك قال فيها الشاعر :

أحاديث عن أبناء عادٍ وجرهم يثورها العضان زيد ودغفل^٥

وروي ان معاوية « قال لدغفل بن حنظلة النسابة . تيم ضبطت ما أرى ؟

-
- ١ الاصابة (٤٨٧/٢) ، (رقم ٥٦٣٠) .
 - ٢ البيان والتبيين (٣٢٤/٢) ، نكت الهميان (٢٠٠) .
 - ٣ الاصابة (٤٦٤/١) ، (رقم ٢٣٩٩) ، البيان والتبيين (١١٨/١) ، بلوغ الارب (١٩٦/٣) ، التمدن الاسلامي (٤٠/٣) وما بعدها ، الفهرست (١٣٧) وما بعدها ، البيان والتبيين (٣٢٢/١) وما بعدها .
 - ٤ الاصابة (٤٦٤/١) ، (رقم ٢٣٩٩) ، الاستيعاب (٤٦٧/١) .
 - ٥ العسكري ، جمهرة (١١٣/٢) ، (رقم ١٣٥٨) ، الميداني (٢٤/٢) .

قال : بمفاوضة العلماء . قال : وما مفاوضة العلماء ؟ قال : كنت اذا لقيت عالماً أخذت ما عنده ، وأعطيته ما عندي ^١ . وذكر ان (أبا بكر) ، سأل قوماً من (ربيعة) عن نسبهم ، وفيهم (دغفل) ، وكان غلاماً إذ ذاك ، فلما انتهى أبو بكر من استجوابهم ، سأل (دغفل) عن نسبه ، فأفحمه ^٢ .

وقد اشتهر (دغفل) في النسب ، حتى ضرب به المثل في النثر وفي الشعر بسعة علمه به ، وقد ذكره (الفرزدق) بقوله :

أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة في الصحيفة دغفل
أن ابن ضبّة كان خير والدأ وأتم في حسب الكرام وأفضل ^٣

ونجد اسمه في شعر شعراء آخرين ^٤ .

وكان ممن أدرك النبي ، ولم يسمع منه . واسمه (الحجر بن الحارث) الكنانى؛ ودغفل لقب له ^٥ .

وكان (صحرار) العبدي من النسابين البلغاء ، وله مع (دغفل) محاورات . وكان من المقربين الى معاوية ومن المطالبين بدم (عثمان) ^٦ .

و (صعصعة) بن صوحان) العبدي ، وكان مسلماً في عهد رسول الله ولم يره . وشهد صفين مع (علي) ، وكان خطيباً فصيحاً ، له مع معاوية مواقف . « قال الشعبي : كنت أنعلم منه الخطب » ^٧ . وله اخوة ، منهم (سيحان بن صوحان) العبدي ، كان أحد الأمراء في قتال في أهل الردة ^٨ ومنهم (زيد بن صوحان) وكان سيداً في قومه ، وقد شهد الجمل مع (علي) ^٩ .

-
- ١ الفائق (٣٠٤/٢) .
 - ٢ الفائق (٨٤/٣) .
 - ٣ النقائض (١٨٩/١) .
 - ٤ ديوان القطامي (٣١) ، البيان والتبيين (٣٢٢/١) وما بعدها .
 - ٥ الفهرست (١٣٧) ، (المقالة الثالثة) .
 - ٦ الاصابة (١٧٠/١) ، (رقم ٤٠٤١) .
 - ٧ الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٣٠) .
 - ٨ الاصابة (١٠٢/٢) ، (رقم ٣٦٣٠) .
 - ٩ الاصابة (٥٦٥/١) وما بعدها ، (رقم ٢٩٩٧) .

ومن نسائي (كلب) : (محمد بن السائب) الكلبي ، وابنه (هشام بن محمد بن السائب) ، و (شرقي بن القطامي)^١ ، و (الشرقي بن القطامي) ، اسمه (الوليد بن الحصين) ، وقد اتهم بالكذب^٢ . وقد ذكر (الجاحظ) و (ابن النديم) أسماء عدد ممن عرفوا باشتغالهم بالأنساب

وقد برز بعض النسابين في ذكر مثالب الناس ، وقد كان (عقيل بن أبي طالب) منهم ، كما ذكرت . ويذكر ان (زياد بن أبيه) كان أول من ألف كتاباً في المثالب ، ودفعه الى ولده ، قائلاً لهم : استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم^٣ . ومن طلاب المثالب وناشرها بين الناس (أبو عبيدة معمر بن المثنى) التيمي ، من تيم قريش . وكان مكروهاً فلما مات لم يحضر جنازته أحد ، لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره^٤ .

وعند الشعر عند أهل الجاهلية علماً من علومهم ، يقوم عندهم (مقام الحكمة وكثير العلم) ، « ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر . فيه كانوا يختصمون وبه يتمثلون ، وبه يتفاضلون ويتقاسمون ، وبه يتناضلون ، وبه يمدحون ويعابون »^٥ . وقد أوردوا أسماء أشخاص عرفوا بسعة علمهم وبتبحرهم بالشعر .

الملاحن والألغاز :

ومما أثر عن أهل الجاهلية مما يتعلق باستعمال الذكاء والفطنة واختبار العلم ، الملاحن والألغاز . واللحن عند العرب الفطنة . وقد وضع (ابن دريد) كتاباً في الملاحن ، سماه : (كتاب الملاحن)^٦ . وقد كانت العرب تتعمد الملاحن وتقصدها ، إذا أرادت التورية أو (التعمية)^٧ . وقد ذكر أهل الأخبار أنهم

-
- ١ البيان والتبيين (٣٢٢/١) .
 - ٢ الفهرست (١٣٨) .
 - ٣ الفهرست (١٣٧) ، (المقالة الثالثة) ، تهذيب الاسماء واللغات للنووي (٢٥٩/١) .
 - ٤ كتاب المعارف لابن قتيبة (١٧٦) ، بروكلمن (٢٥٠) .
 - ٥ الفهرست (٨٥) .
 - ٦ الأيقوبي (٢٣٠/٢) ، (النجف ١٩٦٤ م) .
 - ٧ المزهر (٥٦٧/١) وما بعدها .
 - ٨ المصدر نفسه .

استعملوها استعمال (الشفرة) ، أو الرسائل السرية المعماة في نقل الأخبار ، كالذي روه من أن طيشاً أسرت رجلاً شاباً من العرب ، فقدم أبوه وعمه ليفدياه ، فاشتطوا عليها في القداء ، فأعطيا لهم به عطية لم يرضوها ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبلي طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم ، ثم انصرفا .

فقال الأب للعم : لقد ألقيتُ الى ابني كلمة ، لئن كان فيه خير لينجون . فما لبث أن نجا وأطرد قطعة من إبلهم ، فكأن أباه قال له : إلزم الفرقدين على جبلي طيء فلنهما طالعان عليها لا يغيان عنه^١ .

وروا قصصاً أخرى من هذا القبيل^٢ ، تحل تحايل الناس إذ ذاك في كيفية إبلاغ خبر ، أو إيصال رسالة من أسير وقع في أسر ، أو من شخص اعتدى عليه ، أو من رجل طعن ، فأراد إبلاغ قومه باسم طاعته . فيعمد الشخص الى الكلام المعمى الدال على سداجة ، لإيصاله الى أهله ، لعلمه بأن في وسع أهله استنباط أغازه وحل معماه .

وأما الأغاز ، فهي لامتحان الذكاء في الغالب ، ولتمضية الوقت والتسلية . وتكون شعراً كما تكون نثراً^٣ . و (الألفوزة) ما يعمى به من الكلام^٤ .

-
- ١ المزهر (٥٦٧/١) .
 - ٢ المزهر (٥٦٨/١) وما بعدها .
 - ٣ المزهر (٥٧٨/١) وما بعدها .
 - ٤ تاج المروس (٧٨/٤) ، (اللغز) .

الفصل السادس والعشرون بعد المئة

الفلسفة والحكمة

أما مؤلفات في العلوم والفلسفة ، منقولة عن اليونانية أو اللاتينية الى العربية ، فلا أدري أن أحداً من أهل الأخبار ذكر وجودها عندهم بلغة بني لرم ، أو بلغة اليونان ، ذلك لأن المثقفين وأصحاب الرأي والعزم كانوا على اتصال بالعالم الخارجي ، وكانوا يدارسون الأعاجم ويأخذون عنهم ، وقد درس بعضهم في مدارس الفرس والعراق وبلاد الشام، ولغة الدراسة في تلك البلاد السريانية واليونانية والفارسية ، فلا يستغرب أن يكون من هؤلاء من درس بلغة من هذه اللغات في الحجاز أو في اليمن . أما في بلاد العراق وبلاد الشام ، فالأمر لا يحتاج فيها الى نظر ، فقد رأينا أن عربها أسهموا في الحركة العلمية قبل الاسلام لكنهم أسهموا بلغة السريان ، لا باللغة العربية ؛ لأن العربية لم تكن عربية واحدة يومئذ ، وإنما كانت جملة لهجات ، ثم إنها كلها ، لم تكن قد وصلت الى درجة من الاستعمال والانتشار تجعلها لغة للترجمة والتأليف .

الحكمة :

وأما (الحكمة) ، فقد ذكر أهل الأخبار أمثلة عديدة منها زعموا انها لحكماء جاهليين ، أوردوا أسماءهم ، ولكنهم لم يفيضوا في بيان سيرهم وتراجم حياتهم ،

بعض ما نسب اليهم سجع قصير ، وبعضه كلام منظوم وبعضه مثل " زعم انهم ضربوه فساد بين الناس .

وقد اشتهر الشرق بالحكمة ، وهو ما زال على حبه لها باعتبارها أداة للتعليم والتثقيف . والحكيم ، هو (حكيمو) Hakimo في الإرمية ، بمعنى عالم^١ . ونرى في التوراة اصحابات مثل : الأمثال وأيوب ونشيد الأنشاد وغيرها ، ملئت حكمة . والحكيم هو (حكميم) عند العبرانيين . وأما الحكمة ، فهي : (حوكماه) (حوكمه) Hokhmah^٢ .

و (الحكيم) في تعريف علماء اللغة العالم وصاحب الحكمة ، المصيب برأيه ، الذي يقضي على شيء بشيء ، فيقول : هو كذا وليس بكذا . وهو الذي يحسن دقائق الصناعات ويتقنها . وقد ورد في الحديث : إن من الشعر لحكمة ، أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنها ، قيل أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس . ويروى إن من الشعر لحكمة . وقد سمي الأعشى قصيدته المحكمة حكيمة ، أي ذات حكمة ، فقال :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلنتها ليقال من ذا قالها^٣

وقالوا ان من معاني : الحكيم الحاكم ، وهو القاضي ، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ، وان الحكمة : العدل ورجل حكيم ، عدل حكيم . وان (المُحكّم) هو الشيخ المجرب المنسوب الى الحكمة ، ولذلك يقال للرجل اذا كان حكيماً : قد أحكمته التجارب . والحكيم : المتقن للأمور^٤ . وفي هذه التعاريف دلالة على انهم كانوا يسمون الحكمة بالتبصر في الأمور ، وباستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها ، والحكم بموجبها ، ومن هنا أدخلوا الحكم بين الناس ، والنظر في الأحكام في جملة أمور الحكمة .

وليس هذا الرأي ، هو رأي العرب وحدهم . فقد كان هذا الرأي معروفاً

١ غرائب اللغة (ص ١٧٩) .

٢ Hastings, Diction., I, p. 648, A Dictionary of christ, and the Gospels, Vol., II, p. 825. ff., B.W. Anderson, understanding the old Testament, p. 467.

٣ تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حكم) .

٤ اللسان (١٤٠/١٢ وما بعدها) .

عند غيرهم أيضاً. فنجد الحكماء عندهم حكماً يحكمون في الخصومات وفي المنازعات: بفضل ما أوتوا من فطنة وصبر وذكاء وعلم ، وهي من أهم صفات الحكم . ونجد في أدب الشرق الأدنى القديم أشخاصاً مثل (أحيقار) الشهير ، يجمعون بين الحكم والحكمة ، وقد ضرب بهم المثل في نجاحهم في إصدار الأحكام .

والحكم في الشرق بمنزلة الفيلسوف عند اليونان . وما (ارسطو) الفيلسوف اليوناني الشهير وكذلك أفلاطون ، غير حكماء في نظر الشرقيين . ولذلك ادخلوا في (الحكماء) . والحكيم هو مؤدب ومرشد وواعظ يعظ الناس ويرشدهم في هذه الحياة ، وهو خير مستشار في كل شيء ، لأنه بفضل ما يملكه من عقل ومن تجربة يستطيع أن يفصل بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ . ولذلك كان الحكماء هداة قومهم واساتذتهم وفلاسفتهم ، أقوالهم حكمة للناس ودرس في كيفية السير في العالم .

ولكننا لا نستطيع أن نرادف بين (الحكمة) وبين (الفلسفة) . فبين الاثنين فرق كبير في المفهوم . ولا يمكن أن نقول إن الفلسفة بالمعنى اليوناني ، هي في مفهوم (الحكمة) عند شعوب الشرق الأدنى . لأن بين الفيلسوف وبين (الحكم) تباين كبير في أسلوب البحث وفي كيفية التوصل الى النتائج والمعرفة وفي مفهوم كل واحد منهما لهدف الآخر ، وفي الغاية المقصودة من كل منهما . فالغاية من الحكمة العبرة والإعطاء والأخذ بما جاء فيها من حكم ، أي غايات عملية وتأديبية ، بينما الغاية من الفلسفة البحث عن معنى الحكمة وعما يكون وراء الطبيعة من خفايا غير مكتشفة وأسرار^١ .

وقد وردت لفظة (الحكمة) في القرآن الكريم^٢ . وقد ذكر العلماء أن الحكمة اسم للعقل ، وإنما سمي حكمة لأنه يمنع صاحبه من الجهل^٣ . فالحكمة إذن ، هي بمعنى العلم والتفقه . وهي بذلك ذات حدود واسعة ، بل لا نكاد نجد لها حدوداً معينة فاصلة ، فقد شملت أموراً كثيرة ، أطلقت على رجال اشتهروا بالحكم بين الناس ، أي بالبت فيما ينشأ بينهم من شجار وخصومة . وأطلقت على أناس ذكر

١ Hastings, p. 975.

٢ وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، راجع المعجم المفهرس (ص ٢١٣ وما بعدها) .

٣ غريب القرآن ، للسجستاني (ص ١١٨) ، (سنة ١٩٢٤) .

أنهم كانوا كهاناً ، وأطلقت على جماعة عرفت بأن لها رأياً في الدين ، وأطلقت على نفر كان لهم رأي في المعالجة والتطبيب ، وأطلقت على نفر عرفوا بقراءة الكتب القديمة ، أي الكتب السماوية وغيرها مما كان عند يهود والنصارى وعند الروم والفرس ، وأطلقت على غير ذلك ، فهي إذن كما ترى ذات معان واسعة شاملة .

ويلاحظ ان القرآن الكريم ، قد أورد لفظة (الحكمة) بعد لفظة (الكتاب) وفي حالة العطف ، أي على هذه الصورة : (الكتاب والحكمة) ، واستعملها بعد لفظة (المالك) في الآية : « وقتل داود جالوت وآناه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء »^١ . واستعملها مفردة كما في « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »^٢ ، وفي مواضع أخرى . وقد ذهب المفسرون الى ان المراد من الكتاب القرآن ، ثم اختلفوا في معنى الحكمة ، فمنهم من قال انها السنة ، ومنهم من قال المعرفة بالدين والفقه ، ومنهم من قال : الحكمة العقل في الدين ، أو الاصابة في القول والفعل ، الى غير ذلك من أقوال^٣ ، تدل على ان تفسيرها بمعنى السنة والتفقه في الدين من التفسيرات التي ظهرت في الاسلام . أما معناها عند الجاهليين ، فكان بمعنى الخبرة المكتسبة من الملاحظات العميقة الى الأشياء ، أو المستخلصة من التجارب ، وبمعنى العلم والرأي الصائب . وبهذا المعنى جاءت الحكمة عند الساميين . فقد كان الحكيم عندهم العالم الذكي الفطن السدي ينظر بعين البصيرة الى أعماق الأمور بتؤدة وتبصر وأناة ، فيبدي رأيه في كل شيء في هذه الحياة ، من سياسة واقتصاد ، ومن أمور تخص السلم أو الحرب ، أو الخدع ، والحكم بين الناس . ولهذا كان الحكماء في أعلى الدرجات في مجتمعهم من ناحية الثقافة والرأي .

ويظهر من دراسة ما ورد في المؤلفات الإسلامية عن الحكمة والحكماء أن الجاهليين أرادوا بالحكمة حكايات وأمثلة فيها تعليم ووعظ للإنسان ، يقولونها ليتعظ بها في حياته وليسير على وفق هدى هذه الحكم . وهي حكم حصلت من تجارب عملية ، ومن ملاحظات وتأملات في هذه الحياة . ولهذا نسبوا الحكمة الى

-
- ١ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٥١ .
 - ٢ البقرة ، الآية ٢٦٩ .
 - ٣ تفسير الطبري (٤٣٦/١) .

أناس مجربين أذكاء لهم صفاء ذهن وقوة ملاحظة مثل : (أكثم بن صيفي)
و (قس بن ساعدة الإيادي) وغيرهما ممن سيأتي الكلام عليهم . روي أن (عمر
ابن الخطاب) قال لكعب الأحبار وقد ذكر الشعر : « يا كعب ، هل تجد
للشعراء ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل ،
أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا
العرب »^١ . فالعرب هم أصحاب حكمة وأمثال على رأي (كعب الأحبار)
ان صح ان هذا القول المنسوب اليه هو من أقواله حقاً ، والأمثال باب من أبواب
الحكمة ، بل تكاد تؤدي معناها عند الجاهليين ، فالحكيم عندهم هو الذي ينطق
بالحكم يقرنها بالأمثال ، وبالقصاص والنوادر .

وإذا بحثت عن الحكمة في العهد القديم تجدها في الأمثال ، وفي سفر أيوب ،
وفي نشيد الانشاد ، وفي سفر الجامعة والحكمة وفي (سيراخ) ، وفي حكمة
(سليمان) التي هي في المزامير^٢ . وهي أمثال في الغالب نبعت من تجارب أخذ
الebraيون بعضها من غيرهم ، ونبت بعض آخر من تجاربهم الخاصة ، وظهرت
عندهم أمثال إنسانية عامة تخطر على بال كل إنسان ، فهي عامة مشتركة ، لم
يأخذها قوم من قوم ، وإنما هي خاطرات وتجارب تظهر لكل إنسان ، فضرب
بها المثل في كل لسان .

ونحن لا نملك في هذا اليوم كتابة جاهلية ، فيها حكم من حكم الجاهليين .
وكل ما ورد إلينا من حكمهم مأخوذ من موارد إسلامية . ولذلك صار كلامنا
على الحكمة في الجاهلية مثل كلامنا على سائر معارف الجاهليين ، ضيقاً محدوداً ،
منبعه ما ورد عنها عند المسلمين .

ويظهر من بعض الحكم المنسوبة إلى الجاهليين ، أنها ترجع إلى أصل يوناني ،
حيث نجدها مدونة في كتب فلاسفتهم مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو ، مما يدل
على أنها دخلت إلى العربية عن طريق الترجمة من اليونانية أو من السريانية ، وعن
طريق بلاد الشام في الأغلب ، حيث كانت الثقافة اليونانية قد وجدت لها سبيلاً
هناك ، بحكم خضوعها لليونانيين قبل الميلاد وبعد الميلاد ، وبحكم وجود جاليات
يونانية كبيرة هناك .

١ العمدة (ص ٢٥) ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢ Hastings, p. 975.

ويظهر من دراسة بعض آخر من الحكم المنسوبة الى الجاهليين انها من أصل فارسي . ولا يستبعد أن تكون قد دخلت من الأدب الفارسي القديم الى عرب العراق ، وقد عاشوا قبل الاسلام في اتصال وثيق مع الفرس. وكان بعض العرب قد أتقنوا الفارسية وأجادوا فيها ، كما ان من الفرس من كان قد تعلم العربية وبرع فيها . ثم إن بين ذوق العرب والفرس تشابه في نواح من الأدب ، ولهذا كان أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي أكبر وأظهر من أثر الأدب اليوناني فيه.

ونجد في الحكم المنسوبة الى (أحيقار) ، شبهاً لها في الحكم العربية القديمة ، وترجمة أصيلة لبعض حكمه أحياناً . خذ قوله : « يا بني إذا أرسلت الحكيم في حاجة ، فلا توصه كثيراً ، لأنه يقضي حاجتك كما تريد . ولا ترسل الأحمق ، بل امض أنت واقض حاجتك »^١ . ولو درست بقية حكمه ، وما ورد في الحكم المنسوبة الى الجاهليين ، ترى شبهاً كبيراً في المعنى بل وفي اللفظ في الغالب ، مما يدل على أنها ترجمة أخذت من السريانية فعربت ونسبت الى الجاهليين ، أو أن الجاهليين وقفوا عليها فصاغوها بلسانهم ، فنسبت اليهم . وأكثر حكمه موجهة الى ابن اخته (نادان) ، حيث يعظه فيقول : « يا بني ... » .

غير أن علينا ألا ننسى ، بأن من الحكم ، ما هو عام ، يرد على خاطر أغلب الشعوب ، وعلى لب أكثر الناس ، حتى وان لم يكونوا من المثقفين الدارسين . لأنه مما يتشارك فيه العقل الإنساني ، فيكون عالمياً إنسانياً . ولهذا ، فنحن لا نستطيع أن نردّه الى أحد ، ولا أن نرجعه الى مرجع معين . ولا نستطيع أن نقول ان العرب أخذوه من غيرهم ، أو أن الأعاجم أخذوه من العرب . بسبب ما ذكرته من كونه من نتاج عقل واحد ، هو القاسم المشترك بين عقول الإنسان .

واذا صح ما روي من أن (سويداً بن الصامت) المعروف بـ (الكامل) ، كان يملك (مجلة لقمان) ، وقد أراها الرسول مقدمه عليه بمكة ، وما ذكر من انها كانت في الحكمة^٢ . فتكون هذه المجلة ، أو الكتاب ، أقدم شيء يصل اسمه اليينا من الكتب التي تداولها أهل الجاهلية . ولم يذكر الرواة - وبإلأسف -

١ أغناطيوس افرام الاول برصوم ، اللؤلؤ المكنون في تاريخ العلوم والاداب السريانية (٦٧) ، (حصص ١٩٤٣) ، تاريخ كلدو وآثور (١١٣/١ وما بعدها) ، (٤٠/٢) .

٢ الروض الانف (٢٦٥/١) .

محتويات تلك المجلة ونوع الحكم التي احتوتها .

فقد روي « ان سويد بن صامت قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشرفه ونسبه ... فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سمع به ، فدعاه الى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله عليّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله القرآن ، ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه . وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث ان قتلته الخزرج ، وكان قتله قبل يوم بعث^١ .

والمجلة : الصحيفة فيها الحكمة ، وكل كتاب عند العرب مجلة^٢ ، وقيل : « كل كتاب حكمة عند العرب مجلة » . قال النابغة :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قوم فما يرجون غير العواقب^٣

وبالنظر الى اشتهار لقمان في الأدب العربي بالحكمة عن طريق ضرب الأمثال . ونظراً لظهور أمثال كثيرة في الإسلام نسبت اليه ، فلين من المحتمل أن تكون تلك المجلة التي زعم أنها كانت عند (سويد) مجموعة من حكم وأمثال . لا ندرى من جمعها فنسبها اليه ، لعدم اشارة أهل الأخبار الى ذلك ، ولا يستبعد أن تكون هذه الأمثال من الأمثال المنتزعة من التوراة أو من الإنجيل أو من كليهما ، فدوّنت في مجلة أي في كراسة أو كتاب فنسبها أهل الأخبار اليه . نظراً لما جاء في القرآن الكريم من نسبة الحكمة اليه . وقد تكون تلك المجلة مسن حكم الحكيم (أحيقار) ، الحكيم الشهير صاحب الأمثال الذي كان مقرباً الى الملك (سبحاريب) ومستشاراً له . فله في أدب (بني إرم) ذكر خاص ، وله أمثال في الإرمية طبعت وترجمت الى جملة لغات . وعرفت أمثاله في العربية كذلك ، في أبيام

١ ابن هشام ، سيرة (٢٦٥/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الفائق (٢٠٦/١)

٢ تاج العروس (٢٦١/٧) ، (جلد) .

٣ الفائق (٢٠٦/١) .

الجاهلية ، فأشار (عدي بن زيد العبادي) اليه والى قصته ^١ .

ولقمان : شخصية ذكرت في القرآن ، وفي القرآن الكريم سورة سميت باسمه . ووروده في كتاب الله ، دليل على وقوف الجاهليين بقصصه وشيوع خبره وأمره بينهم . ونجد في كتب التفسير والأدب والأخبار وكتب المعمرين قصصاً عنه ^٢ . وقد عرف بـ (لقمان الحكيم) . وقد بحث عنه المستشرقون ، وحاولوا تحليل القصص الوارد عنه وإرجاعه الى أصوله . وقد بحث في ذلك المحدثون في مصر وفي غير مصر من البلاد العربية ^٣ .

قال (الجاحظ) : « وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر لقيم بن لقمان في النباهة والقدر ، وفي العلم والحكم ، وفي اللسان والحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون . ولا ارتفاع قدره وعظيم شأنه ، قال النمر بن ثولب :

لُقيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابناً
ليالي حق فاستحضنت عليه فغرّ بها مظماً
فغرّ بها رجل محكم فجاءت به رجلاً محكماً

وقد أشار (المسيب بن علس) الى (لقمان) في شعره ^٤ ، كما ذكره (لييد ابن ربيعة) الجعفري في شعره كذلك ^٥ ، وأشار اليه (يزيد بن الصعق) الكلابي في شعره هو :

-
- ١ الحماسة ، لنبحري ، (٨٦) ، (بيروت ١٩١٠ م) .
 - ٢ « لقمان بن عاد » ، مجمع الامثال (٣٠٣/١) .
 - ٣ فجر الاسلام (٧٨/١ وما بعدها) ، الدكتور عبد المجيد عابدين ، الامثال في النشر العربي القديم مع مقارنتها في الاداب السامية الاخرى (ص ٤٣ وما بعدها) ، مجمع الامثال ، للميداني (٣٧/١) .
 - ٤ البيان والتبيين (١٨٤/١) .
 - ٥ البيان والتبيين (١٨٨/١) .
 - ٦ البيان والتبيين (١٨٩/١) .

إذا ما مات ميت من تميم فسرّك أن يعيش فجىء بزادٍ
بخبز أو بلحم أو بتمرٍ أو الشيء الملقّف في البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عادٍ

وقيل إن هذا الشعر هو لأبي مهوش الفقعسي^١.

وورد ذكر (لقمان) في شعر (أفنون) التغلبي^٢ ، وفي شعر (سا
ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة)^٣ ، وفي شعر شعراء آخرين .

وعرف لقمان عند الجاهليين كذلك بالنباهة والذكاء وبالعلم وبقوة اللسان
وبخلال أخرى يرون أنها من سجايا الحكماء ، حتى زعم أن أختاً له ،
مُحَمَّقة ، تحايلت عليه ، فاتصلت به اتصال الزوجات ، طمعاً في الحصول
ولد ذكي حكيم منه يكون على شاكلته ، فأحبلها بولد عرف بـ (لقيم)
في شعر ينسب إلى النمر بن تولب. ولأهل الأخبار قصص عنه وعن أخت له :

وذكر (الجاحظ) أن (لقمان) قتل ابنته ، وهي صحر أخت لقيم ، و
حين قتلها : ألت امرأة ! وذلك أنه كان قد تزوّج عدة نساء ، كلهن
في أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل من الجبل ، كان أول من تلقاه صحر
فوثب عليها فقتلها^٤ وقال : وأنت أيضاً امرأة ! وللجاحظ قصص عنه^٥.

وفي سورة (لقمان) ، « ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر لله ، و
يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد . وإذ قال
لابنه ، وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم »^٦ .
إذن حكيم من الحكماء ، وهب الحكمة وصواب الرأي . له ولد وعظه ونه

١ المرزباني ، معجم (٤٨٠) ، البيان والتبيين (١/١٩٠) ، الخزائن (٣/٢٩)

اللاقتضاب (٣٨٨) ، العقد الفريد (٣/١٤٢) .

٢ البيان والتبيين (١/١٩٠) .

٣ المصدر نفسه (١/١٩٠) .

٤ بلوغ الأرب (٣/٢١٢) وما بعدها .

٥ الحيوان (١/٢١) .

٦ المحاسن والاضداد (١٣٣) .

٧ الآية ١٣ وما بعدها .

وفي كتب قصص الأنبياء وكتب الأخبار والأدب وصايا لقمان ، وعظ بها ابنه ، وأدبه ، هي قطع في التأديب وفي قواعد السلوك^١ .

وفي جملة ما رواه أهل الأخبار من حكمه ان مولاه قال له يوماً « اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها . قال : أخرج أطيّب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب . ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها . فقال : اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب . فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيّب مضغتين فيها ، فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما . فقال له لقمان : انه ليس من شيء أطيّب منها اذا طابا ، ولا أخبث منها اذا خبثا^٢ .

وقد ذكر أهل الأخبار امرأة يقال لها : (صحر بنت لقمان) ، قالوا : انها اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة والحكمة ، وان العرب كانت تتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها . وقالوا انها كانت ابنة لقمان ، ومنهم من زعم انها اخته لا ابنته^٣ .

وذكر أهل الأخبار أن (لقمان) هو ممن آمن ب (هود) ، وأما لقمان المذكور في القرآن ، فهو غيره . وكان لقمان القرآن ابن أخت أيوب ، او ابن خالته ، وقيل كان من ولد (آزر) ، وأدرك داوود وأخذ منه العلم ، وكان يقفي قبل مبعث داوود ، فلما بُعث قطع الفتوى ، وكان قاضياً في بني اسرائيل ، وكان حكيماً ولم يكن نبياً . وورد أنه كان راعياً أسود . فرزقه الله العتق ، وقيل : كان أسود من سودان مصر خياطاً ، وقيل كان نجاراً^٤ . وذكر (الجاحظ) : أن (لقمان) من السودان ، وهو الذي يقول : ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الخوف ، والأخ عند حاجتك .

وقال لابنه : إذا أردت أن تحالط رجلاً فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك وإلا فأحذره .

١ العقد الفريد (١٥٢/٣) .

٢ تفسير الطبري (٤٣/٢١) وما بعدها .

٣ بلوغ الأرب (٣٤٢/١) .

٤ الخزانة (٧٨/٢) ، (بولاق) .

ولم يرووا ذلك عنه إلا وله أشياء كثيرة . وأكثر من هذا مدح الله إياه وتسميته الحكيم ، وما أوصى به ابنه ^١ .

ويشبه قصص (لقمان) وما يضرب على لسانه من أمثال ، قصص (إيسوب) عند الأوروبيين . وهو الباحث عن الحكمة عن طريق ضرب الأمثال وقول الألغاز والقصص ^٢ . وقد رأى بعض الباحثين أن لأمثال لقمان وحكمه صلة بـ (إحيقار) . وذهب بعض المستشرقين إلى وجود صلة بين لقمان وبين بعض الشخصيات القديمة التي يرد اسمها في الأدب القديم مثل Prometheus و Alkmaion و Lucian و (سليمان) ، وبلغام .

وقد ضرب (أبو الطمّحان حنظلة بن الشرقي القيني) المثل بتشتت حي لقمان، وبتفوقهم أفرأقا اذ يقول :

أمست بنو القين أفرأقا موزعة كأنهم من بقايا حي لقمان^٣

وقد اشتهر (سليمان) عند العرب بالحكمة أيضاً ، فعرف عندهم بـ (سليمان الحكيم) ، وقد أشير إليه في القرآن الكريم . وكان اليهود والنصارى هم نقلة أخبار هذه الحكمة إلى الوثنيين . وكان يهود المدينة مصدر هذه الأخبار بالدرجة الأولى ، فقد كانوا يحكم اختلاطهم بأهل يثرب قد أذاعوا بينهم قصصاً اسرائيلياً، ومنه قصص داوود وسليمان .

و (سليمان) أحكم الحكماء عند اليهود . يذكرون « أن حكمته فاقت حكمة جميع العلماء في عصره . وكان أحكم من جميع الناس »^٤ . ويذكرون أنه ألف الأمثال . ونطق بثلاثة آلاف مثل ، وألف خمس نشائد^٥ . ووضع نشيد الأنشاد والجامعة . وزادت حكمة سليمان وانتشر خبرها في كل الأنحاء بحيث أتى أناس من الأبعد ليشاهدوها وكانوا يمتحنونه بمسائل عسرة^٦ ، في جملتهم ملكة سبأ

١ رسائل الجاحظ (١٧٩/١) ، (فخر السوّدن على البيضان) .
٢ Shorter Ency., p. 290.

٣ البيان (٨٨٧/١) وما بعدها ، الخزائن (٤٢٦/٣) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٥٧٩/١) ، (سليمان) .

٥ الملوك الاول ، الاصحاح الرابع ، الآية ٣٢ .

٦ الايام الثاني ، الاصحاح التاسع ، الآية ٦ ، قاموس الكتاب المقدس (٥٧٩/١) ، (سليمان) .

التي سمعت بحكمته فجاءت تمتحنه كما جاء ذلك في التوراة .
وتقترن لفظة (مجلة) عادة بالحكمة . قال علماء العربية : « والمجلة ، بفتح
الميم ، الصحيفة فيها الحكمة »^١ ، وقد تتألف من (صحف) . و (الصحيفة)
الكتاب . وذكر علماء اللغة ان « الوضيعة : كتاب تكتب فيه الحكمة .. وفي
الحديث انه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع »^٢ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (قيس بن نثبة) ، كان منجماً متفلسفاً في
الجاهلية . وهو ممن أدرك أيام الرسول^٣ . وذكر أنه من (بني سليم) ، وانه
كان يعرف الرومية والفارسية ويقول الشعر^٤ . وانه جاء الى الرسول « بعد الخندق
فقال : إني رسول من ورائي من قومي ، وهم لي مطيعون وإني سائلك عن
مسائل لا يعلمها إلا من يوحى اليه ! فسأله عن السموات السبع وسكانها وما
طعامهم وما شربهم ، فذكر له السموات السبع والملائكة وعبادتهم ، وذكر له
الأرض وما فيها فأسلم ورجع الى قومه ، فقال : يا بني سليم ! قد سمعت ترجمة
الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاويل حمير ، وما كلام محمد يشبه شيئاً
من كلامهم فأطيعوني في محمد فإنكم أخواله فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا وإن
تكن الأخرى ، فإن العرب لا تقدم عليكم . فقد دخلت عليه وقلبي عليه أقسى
من الحجر ، فما برحت حتى لان بكلامه . وقيل عنه إنه كان يتأله في الجاهلية
وينظر في الكتب ، فجاء الى الرسول لما سمع به ، وسأله ، فأمن به . ولعلمه
سماه رسول الله : (جبر بن سليم) ، وكان إذا افتقده يقول : يا بني سليم
أين جبركم . وهو عم الشاعر العباس بن مرداس ، أو ابن عمه . ولما أسلم قال
قال هذه الأبيات :

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لأماني ولديني
ذاك امرؤ نازعته قول العدا وعقدت فيه يمينه يميني
قد كنت آمله وانظر دهره فالله قدر أنه يهديني
أعني ابن آمنة الأمين ومن به أرجو السلامة من عذاب الهون

-
- ١ تاج العروس (٢٦١/٧) ، (جلد) .
 - ٢ تاج العروس (٥٤٥/٥) ، (وضع) .
 - ٣ تاج العروس (٩٥/٨) ، (كحل) .
 - ٤ البلدان (٢٥٠/٢) .

وذكر أنه كان قد قدم مكة في الجاهلية فباع إبلًا له فلواه المشتري حقه ، فكان يقوم فيقول :

يا آل فهر كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

فسمع به عباس بن مرداس ، فكتب إليه أبياتاً منها :

وائت البيوت وكن من أهلها وددًا تلقى ابن حرب وتلقى المرء عباسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه . وقال : أنا لك جار ما دخلت مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة^١ .

وذكر ان (أبا العاصي بن أمية بن عبد شمس) ، كان حكيماً . وقد عدّ من حكماء قريش وشعرائهم^٢ . كما ذكر ان (الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية) الأموي ، وكان من الكتاب بمكة في الجاهلية ، والذي علم الكتابة بالمدينة بأمر الرسول ، كان يعلم الحكمة^٣ . وذكر (ابن حبيب) ، ان (الحكم بن سعيد) كان من أمراء الرسول (على قرى عربية)^٤ ، وذكر أيضاً ان الرسول سمّاه (عبدالله وجعله يعلم الحكمة) ، وقد استشهد يوم مؤتة^٥ .

ويظهر ان الحكمة المنسوبة الى (قيس بن نسيبة) ، أو الى (الحكم بن سعيد) كانت نوعاً من العلوم التي يدرسها الفلاسفة والحكماء في ذلك الوقت ، أي علوماً يونانية ، وتأملات وملاحظات عن هذا العالم ، فهي دراسة منظمة تختلف في طرازها عن الحكمة القائمة على القصص وضرب الأمثال . وقد تكون قد أخذت من الكتب اليونانية أو السريانية ، أو الفارسية ، فقد رأينا أهل الأخبار يذكرون ان (قيس بن نسيبة) كان يعرف الرومية والفارسية ، كما ذكروا مثل ذلك عن النضر بن حارث بن كلدة وعن الأحناف ، وأنا لا أستبعد احتمال ذلك ، لأن

١ الاصابة (٢٤٩/٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٢٤٤) .

٢ كتاب نسب قريش (٩٩) ، المعارف (٧٣) .

٣ الاصابة (٣٤٣/١ وما بعدها) ، (رقم ١٧٧٧) .

٤ المعبر (١٢٦) .

٥ المعبر (٤٦٠) .

بعضهم كان قد وصل العراق وبلاد الشام وخالط الأعاجم ، كما كان من الأعاجم من سكن مكة والقرى العربية الأخرى لأغراض مختلفة ، ومنهم من كان على فقه معلوم قومه ، ومعرفة علمية بلغتهم ، فلا يستبعد إذن تعلم من كان فيه ميل من العرب الى العلم والثقافة ، العلم والفلسفة والنظر من تلك البلاد التي زاروها ، ومن هؤلاء .

وذكر ان (النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) العبدري القرشي كان من حكماء قريش . وقد استشهد يوم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة . وكان أخوه (النضر بن الحارث) ، شديد العداوة للرسول ، فقتله علي يوم بدر كافراً ، قتله بالصفراء^١ .

وروى (عمران بن حصين) ، (عمران بن الحصين) ، حديثاً عن رسول الله ، هو : « الحياء لا يأتي إلا بخير » ، فقال « بشير بن كعب ، وكان قد قرأ الكتب : إن في الحكمة : أن منه ضعفاً . فغضب عمران ، وقال : أحدثك بما سمعت من النبي ، وتحذني عن صفحتك هذه الخبيثة »^٢ . ويظهر ان (بشيراً) هذا كان ممن طالع كتب أهل الكتاب ووقف على الحكمة .

وقد ذكر الأخباريون أسماء أناس آخرين عرفوا بالحكمة كذلك ، مثل : أكثم بن صيفي التميمي ، من رؤساء تميم ومن (حكام العرب)^٣ . ويلاحظ أن الأخباريين يخطئون في الغالب بين الحكم والحاكم ، فيجعلون (حكام العرب) من (حكماء العرب) ويذكرون أحكامهم في باب الحكم . كذلك نسبوا معظم خطباء الجاهلية الى الحكمة كذلك ، مما يدل على أن للحكمة عند الأخباريين معنى واسعاً ، يشمل كل ما فيه عظة وتعليم . وقد كان العبرانيون وبقية الساميين يجعلون الحكماء من طبقة الحكماء ، لأن الحاكم لا بد وان يكون حكماً ، أي مدركاً فطناً نافذاً الى بواطن الأمور ، يحكم عن عقل ناضج وعن رأي مصيب ، فهم أولى وأقدر على ابداء الأحكام الصحيحة من غيرهم ، ولهذا نجد ارتباطاً كبيراً في المعنى وفي اللفظ بين لفظي حاكم وحكيم .

١ الاستيعاب (٥٣٥/٣ وما بعدها) ، الاصابة (٥٢٥/٣) ، (رقم ٨٧١٣) .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (١٦٨ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (١٧٢/٣ وما بعدها) .

ومن حكام العرب الذين ذكرهم أهل الأخبار ، ونسبوا اليهم الحكم والاصابة في الرأي وصدق الأحكام (عامر بن الظرب العدواني) حكيم قيس ، وقد عدوه (من حكماء العرب ، لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً) . وقالوا : انه هو المراد في قول العرب : « إن العصا قرعت لذي الحلم » . أما (ربيعة) ، فتقول : انه (قيس بن خالد بن ذي الجدين) . وأما تميم ، فتنسب هذا الفخر الى رجل منها هو (ربيعة بن نخاشن أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم) . وأما اليمى ، فتقول : انه (عمرو بن حمزة الدوسي) ، ويذكر بعض آخر انه (عمرو بن مالك بن ضبيعة ، أخو سعد بن مالك الكناني)^١ .

وفي كتاب (العقد الفريد) ، قصة اجتماع وقع بين عامر بن الظرب العدواني وحمزة بن رافع الدوسي وبين ملك من ملوك حمير ، ورد فيها : أن الملك قال لهما : تساءلا ، حتى أسمع ما تقولان ؟ ودون رواية هذه القصة ما جرى في الاجتماع من أسئلة وأجوبة. ومدارها خاطرات عن الحياة وعن الناس وعن الأدب ، بالسجع المألوف^٢ . وبما جاء فيها ان أحكم الناس « من صمت فاذكر » ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر » ، وان أجهل الناس من رأى الخرق مغنياً ، والتجاوز مغرماً^٣ .

وذكر أنه كان قد جمع قومه (عدوان) ، فنصحهم بقوله : « يا معشر عدوان : الخير ألوف عروف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، ولاني لم أكن حكماً حتى صاحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم » . وكان كما يقول (ابن حبيب) ، آخر حكام العرب وقضاتهم وأئمتهم قبل انتقال الحكومة الى (بني تميم) بعكاظ^٤ ، وروي له حكم في (الخنثى) ، وأيسد الإسلام حكمه^٥ . ورووا له شعراً في الخمر ، يقول فيه :

-
- ١ « ان العصا قرعت لذي الحلم » ، مجمع الامثال (٣٩/١ وما بعدها) ، الامدى ، المؤلف (ص ١٥٤) .
 - ٢ العقد الفريد (٢٥٥/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الامالي (٢٧٦/٢ وما بعدها) .
 - ٤ الامالي (١٥٧/٢) ، البيان والتبيين (٤٠١/١) ، (١٩٩/٢) .
 - ٥ المحبر (١٨١) .
 - ٦ المحبر (٢٣٦) .

إن أشرب الخمر أشربها للذمة وإن أدعها فلاني ماقت قال
لولا اللذأة والفتيان لم أرها ولا رأني إلا من مدى الغسال
سئالة للفتى ما ليس يملكه ذهابة بعقول القوم والمال
مورثة القوم أضغاثاً بلا أحن مزرية بالفتى ذي النجدة الحال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي

وفيه يقول ذو الاصبغ العدواني :

ومنا حكم يقضي فلا ينقضي ما يقضي^٢

ومن حكمه: « الرأي نائم ، والهوى يقظان ، فمن هنالك يغلب الهوى الرأي »^٣ .
وله جواب على خطاب (صعدة بن معاوية) حين جاء اليه ليخطب ابنته^٤ .
وكانت له بنت عدت من حكميات العرب ، حتى جاوزت في ذلك مقدار
(صحر بنت لقمان) ، و (هند بنت الحس) ، و (جمعة بنت حابس بن
مُليل) الاياديين^٥ .

وذكر أهل الأخبار أن من حكام تميم في الجاهلية : أكم بن صيفي، وحاجب
ابن زرارة ، والأقرع بن حابس ، وربيع بن مخاشن ، وضمرة بن ضمرة .
ويذكرون أن (ضمرة) حكم ، فأخذ رشوة ، فغدر . والغدر عيب كبير ، ومن
أذم الصفات عند الجاهليين^٦ .

وقد نسب أهل الأخبار حكماً وأمثلة لأكم بن صيفي ، منها المثل : « مقتل
الرجل بين فكّيه » يعني لسانه^٧ ، ومن الأقوال المنسوبة اليه ، قوله : « تناءوا
في الديار ، وتواصلوا في المزار »^٨ ، وقوله : « تباعدوا في الديار تقاربوا في

-
- ١ المحبر (٢٣٩) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٦٤ / ١) ، (حاشية ٣) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢٦٤ / ١) .
 - ٤ البيان (٧٧ / ٢) .
 - ٥ البيان والتبيين (٣٨ / ٣) .
 - ٦ مجمع الأمثال (٤١ / ١) .
 - ٧ خلق الانسان (ص ١٩٥) .
 - ٨ البيان والتبيين (٢٥٥ / ٣) .

المودة^١. وقد عدّ أسلوب كلامه من أرشق أساليب الفصحاء ، ومن أحكم كلام ، فيه نصائح وحكم مع بلاغة متناهية وفصاحة . ونسبوا له خطباً منمقة^٢ ، هو في نظري من هذا النثر المصنوع ، الذي وضع على لسانه في الاسلام .

وقد اشتهرت (تميم) بكثرة حكمائها^٣ ، ونلاحظ ان هؤلاء الحكماء كانوا حكاماً كذلك ، يحكمون بين الناس فيما يقع بينهم من شجار . ومعنى هذا ان بين الحكمة والحكم عند العرب الجاهليين صلة متينة . وقد رأيت ان تيمماً كانت قد احتكرت لنفسها الحكومة في سوق عكاظ على ما يذكره أهل الأخبار . وهم من القبائل المتقدمة بالنسبة الى القبائل الأخرى التي كانت عند ظهور الاسلام ، انتقلت اليها هذه الحكومة من (بني عدوان) ، الذين كان آخر حكامهم (عامر بن الظرب) العدواني .

وقد كان لاتصال أهل الأخبار بتميم ، دخل ولا شك في كثرة أسماء حكمائها التي وصلت الينا من خلال دراستنا لكتبهم ، فقد كان اتصالهم بها أكثر من اتصالهم بأية قبيلة أخرى ، لوجودها على مقربة من الكوفة والبصرة ، ولذلك أكثروا اللغة عنها ، حتى صرنا نعرف من أمور نحوها ولغتها ما لا نكاد نعرفه عن نحو ولغة أية قبيلة أخرى . ولرجال تميم خطب طويلة ، في الحكم ، هي تأملات وخطرات وضعت على ألسنتهم في الاسلام ، إذ لا يعقل كما سبق أن قلت في مواضع متعددة من هذا الكتاب وصول نصوص نثر ، بهذا النوع من الضبط والتحري عن أهل الجاهلية حتى نحكم بصحة نصوص ما نسب الى حكماء تميم . نعم قد يقول قائل ، ان الشاعر (بشر بن أبي خازم) كان قد أشار الى (كتاب بني تميم)^٤ ، فلا يستبعد أن يكون (بنو تميم) قد سجلوا خطب وأشعار سادتهم فيه ، ولكني أقول إن من العلماء من نسب هذا الشعر الى (الطرماح ابن حكيم) وهو شاعر إسلامي ، توفي في حوالى السنة (١٠٥) ، واننا حتى لو فرضنا أن ذلك الشعر هو للطرماح ، وأنه يدل على وجود كتاب قديم عند

١ البيان (٧٠/٢) .

٢ بلوغ العرب (١٧٢/٣) .

٣ Goldziher, History of classical Arabic Literature, p. 7.

٤ المفضليات (٩٨) ، الامثال ، للميداني (١٣٧/١) ، العسكري ، جمهرة الامثال (٢٨٩) .

(بني تميم) ، فإننا لا نستطيع ان نأخذ بالظن ، ونقول بصحة مثل هذه الخطب المنسوبة الى خطباء وحكماء تميم لمجرد وجود اشارة الى كتاب عندهم لا نعرف من أمره شيئاً ، غير اشارة الى اسمه وردت في شعر ، لا ندري مبلغ درجته من الصحة والاصالة .

ومن نسبت اليه الحكمة (الأفوه الأودي) ، وهو شاعر اسمه (صلاة بن عمرو) من (أود) . وله قصيدة دالية ، فيها رأيه في الحكم وفي الناس وفي الخير والشر^١ . وذكر انه هو القائل :

ملكنا ملك لقاح أول وأبونا من بني أود خيار^٢

والعادة أن تنسب الحكم الى المسنين ، وقلم نجد حكماً صادرة من شبان وأحداث وذلك ان العقل لا يكتمل إلا بتكامل العمر وبتقدم الانسان في السن ، وبتقدمه في السن تزيد تجاربه واختباراته في هذه الحياة ، فيكون عندئذ أهلاً للنطق بالحكمة . ولم يكتف أهل الأخبار ببلوغ الحكماء سن الشيخوخة الطبيعية ، بل صيروا عمر معظم المعمرين فوق المئة ، بل جعلوها مئاث . وعمر مثل هذا كفيل بأن يكون مصدرأ للحكم والأمثال . ونجد في (كتاب المعمرين من العرب) للسجستاني أمثلة من عمر هؤلاء الحكماء .

١ الاغاني (٤٤/١١) ، الشعر والشعراء (١١٠) ، ديوانه ، الامالي ، للقالبي
(٢٢٨/٢) ، تاريخ آداب اللغة العربية ، لزيدان (١٣٤/١ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٢٩٢/٢) ، (أود) .

الفصل السابع والعشرون بعد المئة

الامثال

و (المثل) لون من ألوان الحكمة . وهو يقابل (مثل) في العبرانية، ومعنى آخر هو الحكمة والأساطير والقصص ذو المغزى . ولا يشترط في المثل أن يكون نثراً ، فقد يكون شعراً . وفي الموارد الاسلامية أمثلة جاهلية كثيرة من النوعين، لم يصل أي مثل منه مدوناً في نص جاهلي^١ .

وللحكماء المذكورين أمثلة كثيرة ترد في كتب الأدب والمواعظ والأمثال . وقد شرح غرضها أصحاب الموارد التي ذكرتها، وتعرض الرواة للقصص المروي عنها . غير ان من الصعب التثبت من صحة نسبة تلك الأمثال الى أولئك الحكماء والتثبت من صحة هذا القصص المروي عنها .

وكلمة المثل من المائلة . وهو الشيء المثل لشيء يشابهه ، والشيء الذي يضرب لشيء مثلاً^٢ ، فيجعل مثله^٣ ، والأصل فيه التشبيه : ويقابله (مثل) (مشال) Mashal في العبرانية ، و Parable في اليونانية ، ومعناها المائلة والمشابهة ، أي المعنى الوارد للفظ في العربية . والغاية من الإهداء بما فيه من حكمة ومن

١ « والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله » ، اللسان (١١/٦١٠ وما بعدها) « صادر » ، نهاية الارب (٢/٣ وما بعدها) ، كتاب جمهرة الامثال ، لابي هلال العسكري ، (القاهرة ١٩٦٤ م) ، (٧/١) .
٢ اللسان (١١/٦١٠ وما بعدها) ، (مثل) .

حسن توجيهه ، ومثل أخلاقية السير على هديها في الحياة^١ . وقد ضربت التوراة الأمثال للناس للاتعاظ بها والأخذ بما فيها من عبر . ورد في سفر (حزقيال) : « هوذا كل ضارب مثل يضرب مثلاً عليك قائلاً : مثل الأم بنتها »^٢ ، وجاءت الأمثال في الأناجيل فورد : « في هذا يصدق القول : إن واحداً يزرع وآخر يحصد »^٣ .

وقد لخص الاصحاح الأول من سفر (الأمثال) الغاية من ضرب الأمثال بقوله : « لمعرفة حكمة وأدب ، لادراك أقوال الفهم ، لقبول تأديب المعرفة والعدل والحق والاستقامة ، لتعطي الجهال ذكاءً والشاب معرفة وتدبراً ، لفهم المثل واللغز أقوال الحكماء وغوامضهم : مخافة الرب رأس المعرفة . أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب »^٤ . فالأمور المذكورة ، تمثل الغاية التي يتوخاها ضراب الأمثال من الأمثال : وقد جعلت أسفار الأمثال المثل : مخافة الرب رأس المعرفة أول أمثالها : وهو في العربية : رأس الحكمة مخافة الله .

ونجد في سفر (أمثال) كلاماً للحكماء ، هو مزيج من أمثلة وحكم وألغاز ، دون أن يشير الى أسماء أصحابه^٥ ، ونجد مثل ذلك في الأدب العربي . وقد اشتهر أبناء الشرق بالحكمة عند العبرانيين .

والمثل بعد ، هو عقل ضاربه ، وثقافة البيئة التي ظهر فيها . ولهذا نجد الأمثال متباينة مختلفة حسب تنوع القوم الذين ظهر بينهم . ففي البيئة التجارية يكون المثل من هذه البيئة في الأغلب ، وفي البيئة الزراعية يكون المثل مشرباً بروح المزارعين ، وفي البادية تكون الأمثال ذات طبيعة بدوية . ومن هنا اختلفت أمثال قريش عن أمثال الأعراب ، وأمثال عرب العراق عن أمثال أهل العربية الجنوبية ، وهكذا . ولهذا فإن للمثل في نظر المؤرخ قيمة كبيرة من حيث انه يرشده الى مظاهر تفكير من ضرب بينهم ، ويعرفه بمبلغ ثقافة قائله .

ولما كانت الأمثال مرآة لعقلية زمانها ولعقلية من ينسب قول المثل اليه ، أو من

Hastings, p. 767.

١ حزقيال ، الاصحاح السادس عشر ، الاية ٤٤ .
٢ انجيل يوحنا ٤ ، الاية ٣٧ .
٣ أمثال ، الاصحاح الاول ، الاية الاولى وما بعدها .
٤ أمثال ، الاصحاح الثاني والعشرون ، والاصحاح الرابع والعشرون .

ضرب به المثل . تباينت في البلاغة وفي قوة التعبير وعمق المعنى ، وفي الفكرة ، فصار بعضها آية في الحكمة وفي قوة البيان وفي عمق المغزى والمعنى ، وصار بعض منها بسيطاً تافهاً . ونجد هذه الحالة في أمثال كل الأمم . إذ إن المثل لا يصدر عن طبقة معينة ، بل قد يأتي من رجل جاهل بسيط ، وقد ينسب إلى غبي بليد أو إلى شخص من سواد الناس اتخذ رمزاً للتعبير عن ناحية من نواحي الحياة ، أو نموذجاً يعبر عن طبقة من الطبقات . وإنما المهم في رواج المثل وفي بقائه ، أن يكون منبعثاً عن واقع حال ، معبراً عن رأي سديد ، قصير قدر الامكان مركزاً له وقع حسن على السمع ، يصلح أن يكون مثلاً لكل زمان ومكان . فيروج ويدوم ، وقد يتخذ مثلاً من أمثلة الحكمة ، وهو كلما قصر ، سهل حفظه وطال عمره .

وأفضل المثل السائر ، أوجزه ، وأحكمه أصدقاه ، وقولهم : مثل شرود ، وشارد ، أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد . وقد تأتي الأمثال محكمة إذا تولوها الفصحاء من الناس ، وإذا جاءت في الشعر ، سهل حفظها ^١ .

والأمثال مادة مهمة غنية في الأدب الجاهلي والاسلامي . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة ضربت للناس للتفكير والتعقل ، وهي تدل على ما لها من أهمية تعليمية في العقل العربي . والأمثال المضروبة مرجع لمن يريد الوقوف على بعض الأمثلة التي استعملها الجاهليون . وفي الحديث النبوي مادة مهمة تمتد هذا الباحث بمادة غزيرة عن المثل عند الجاهليين ^٢ .

و هذه الأمثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية بغير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ^٣ . فالأمثال اذن عند الجاهليين نوع من أنواع الحكمة السائرة بين الناس . يقولها السيد والمسود ، البارز والхамل ، وهي تحفظ بسهولة ولا يحتاج المرء لتعلمها الى

١ العمدة (١ / ٢٨٠ وما بعدها) .

٢ المستطرف في كل فن مستظرف (١ / ٢٧ وما بعدها) .

٣ المزهر (١ / ٢٣٤) .

مهارة وذكاء . وكان لحفاظ الأمثال مقام عندهم ، لأنهم ممن وهبوا بياناً ناصعاً وقوة في اللسان، تمكن صاحبه من ضرب المثل في موضعه ، ومن قوله في مكانه . والعادة أن يكثر الحكماء من الأمثال في كلامه ، لأنها المادة التي يستعين بها في إظهار حكمته وعقله ، يضيف عليها أمثالا من عنده ، هي من وحي تجاربه وقوة ملاحظته .

وقد وردت كلمة (مثل) و (أمثال) في مواضع كثيرة من القرآن ، وفي ورود الكلمتين بهذه الكثرة دلالة بالطبع على ما كان للمثل من أهمية كبيرة عند الجاهليين . وفيه أمثلة كثيرة ضربت للعبارة والتذكير ، لتكون درساً يتعظ به أولو الألباب . ويلاحظ ان العرب يضعون لفظة (ضرب) قبل كلمة المثل في الغالب ، ورد في القرآن الكريم « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً^١ » ، و « ضرب الله مثلاً^٢ » ، وورد « وضربنا لكم الأمثال^٣ » ، و « فلا تضربوا الله الأمثال^٤ » ، و « تلك الأمثال نضربها للناس^٥ » ، وفي مواضع أخرى منه . وضرب المثل ايراده ليتمثل به ويتصور ما أراد المتكلم بيانه للمخاطب . يقال : ضرب الشيء مثلاً وضرب به وتمثله وتمثل به . وضرب المثل اعتبار الشيء بغيره وتمثله به^٦ . وقد أشاد العلماء بما للأمثال من أهمية في الحث على إصلاح النفس ، فقال بعضهم : « انما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً » ، وقال بعض آخر : « ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقريب ، وتقريب المراد من العقل ، وتصويره بصورة المحسوس ... الخ » . وروي ان الرسول قال : « إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال^٧ » . وجعل (الماوردي) الأمثال من أعظم علم القرآن^٨ .

١ ابراهيم ، الرقم ١٤ ، الآية ٢٤ .

٢ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٧٥ وما بعدها ، ومواضع أخرى .

٣ ابراهيم ، الرقم ١٤ ، الآية ٤٥ .

٤ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٧٤ .

٥ الحشر ، الرقم ٥٩ ، الآية ٢١ .

٦ تاج العروس (٣٤٧/١) ، (ضرب) .

٧ السيوطي ، الاتقان (٣٨/٤) .

٨ المصدر نفسه .

والرسول أمثال كثيرة ، وذكر عن (عمرو بن العاص) ، أنه حفظ عن النبي ألف مثل^١ . ونجد في كتب الأمثال أمثالا^٢ نسبت الى الرسول . منها : « إن من البيان لسحرا »^٣ ، و « إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم »^٤ . و « إياكم وخضراء الدمن »^٥ ، و « من كثر كلامه كثر سقطه »^٦ ، و « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، ويروى أنه من أمثلة أهل الجاهلية^٧ . وقد نسبت أمثلة جاهلية أخرى الى الرسول .

والأمثال أقوال مختصرة ، يراعى في وضعها الإيجاز والبلاغة والتأثير . وقد يكون المثل كلمتين ، وقد يكون أكثر من ذلك . ولكن العادة ألا يكون طويلاً ، لأن طول المثل يفقده روعته وتأثيره ، فلا يكون مثلاً ، ولا يمكن حفظه عندئذ فيضيع . ويراعى أن يكون سجعاً أو طباقاً . وأن يرتب في جمل متوازية بسيطة العبارة ، أو مزدوجة أو أكثر من ذلك قليلاً . وأن تكون هنالك مناسبة بين الجمل حتى يبدو المثل جميلاً متناسقاً .

والقاعدة في الأمثال ألا تغبر ، بل تجري كما جاءت . وقد جاء الكلام بالمثل وأخذ به وإن كان ملحوناً . لأن العرب تجري الأمثال على ما جاءت ، ولا تستعمل فيها الإعراب^٨ . والأمثال قد تخرج عن القياس ، فتحكى كما سمعت ، ولا يطرد فيها القياس ، فتخرج عن طريقة الأمثال . « قال المرزوقي : من شرط المثل ألا يغبر عما يقع في الأصل عليه »^٩ .

وقال المرزوقي « في شرح الفصيح : المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسله بذاتها ، فتسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردت فيه الى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يوجه الظاهر الى

-
- ١ الاستيعاب (٣٣٩/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ العسكري ، جمهرة الامثال (١٣/١) .
 - ٣ المصدر نفسه (١٦/١) .
 - ٤ العسكري ، جمهرة (١٧/١) ، الميداني (٢١/١) ، المستقصى (١٨٠) .
 - ٥ العسكري ، جمهرة (١٩/١) .
 - ٦ العسكري ، جمهرة (٥٨/١) ، الميداني (١٩٤/٢) ، الفاخر (١٤٧) ، السيوطي ، الجامع الصغير (١٨٨/١) .
 - ٧ المزهر (٤٨٧/١) ، (النوع الخامس والثلاثون . معرفة الامثال) .
 - ٨ المزهر (٤٨٧/١) وما بعدها .

أشياه من المعاني ، فلذلك تُضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها ، واستجيز من الحذف ومُضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام^١ .

ويلاحظ ان العرب قد أجازت لضارب المثل الخروج فيه على قواعد اللغة ، كما أجازت ذلك للشاعر بدعوى ضرورات الشعر، ليستقيم الشعر مع القوافي والوزن . أجازته في المثل لأنه قد يصدر شعراً ، وقد يصدر سجعاً ، وقد يصدر من أفواه أناس جهلة لا يبالون بالقواعد ، أو ليس لهم علم بها ، وقد يصدر من قبيلة لا تتبع في لغتها قواعد الإعراب .

ونجد في كتب الأمثال وفي كتب الأدب أمثالاً وضعت لأغراض مختلفة، يغلب عليها الطابع التعليمي ، أي تعليم من يقرأها حكمة الحياة ، وتجارب الماضين حتى يُستفاد ويُتَعَزَّ . بعض منها نابع من محيط البداوة ومن الطبيعة الأعرابية ، وبعض منها تجارب عملية عامة تنطبق على كل الناس وتصلح لكل الأوقات^٢ .

والأمثال عند بعض الشعوب صنف من أصناف الشعر ، لما فيها من الخصائص المتوفرة في الشعر عندهم . وقد روعي في المثل بصورة عامة أن يكون قصيراً موجزاً وبلغياً معبراً عن حكمة ، فيه نغمة وترنيم . ليؤثر في النفوس . ويحمل الطبع قائل المثل على مراعاة هذه الأمور من غير تفكير ولا تصنع ، وهو إذا كان صادراً من قلب وسجية ، ومعبراً عن نفس جياشة وعن حس بشري عام، يشعر به كل إنسان تقبله الناس بسرعة ، ووجد له مجالاً من الانتشار ، وعمر عراً طويلاً .

والأمثال ، هي في صدر المؤلفات التي وضعها المسلمون ، فقد روي : أن عبيداً بن شَرِيَّةَ الجُرْهُمِي ، وهو من أهل (صنعاء) باليمن ، من أوائل المؤلفين في الأخبار وملوك العرب والعجم ، ألف كتاب (الأمثال) وقد رآه (ابن النديم) في نحو خمسين ورقة . كذلك ألف صحاح بن العباس العبدي ، وهو من بني عبد القيس ، ومن أدرك الرسول ، (كتاب الأمثال)^٣ . وذكروا

١ المزهر (٤٨٦/١ وما بعدها) .

٢ الامالي (١١/٢ ، ٢٨ ، ٥١ ، ٧٧ ومواضع أخرى) ، المستطرف (٢٧/١) وما بعدها ، المزهر (٤٨٨/١ وما بعدها) .

٣ الفهرست (ص ١٣٨) ، ابن الاثير (١٤٩/١) .

ان (عِلَاقَةُ الْكَلَابِي) جمع الأمثال في عهد يزيد بن معاوية^١ ، وأن (المفضل الضبي) (١٦٨هـ) من مشاهير علماء الكوفة في الشعر واللغة ألف كتاباً في الأمثال دعاه : كتاب الأمثال^٢ ، وأن أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣هـ) (٢٢٤هـ) ، ألف كتاباً في الأمثال كذلك^٣ .

وَأَلَفَ (يونس بن حبيب) (١٨٣ هـ) كتاباً دعاه (كتاب الأمثال)^٤ ، وأَلَفَ (أبو المنهال) كتاباً في الأمثال ، حرف بـ (كتاب الأمثال السائرة) وقف عليه (ابن النديم)^٥ ، ولأبي عبيدة (٢٠٩ هـ) (٢١٠ هـ) (٢١١ هـ) كتاب في الأمثال ، عرف بكتاب الأمثال^٦ ، وللأصمعي (٢١٧ هـ) كتاب في الأمثال كذلك^٧ ، وللشورى ، وهو ممن أخذ عن الأصمعي كتاب في الأمثال^٨ ، ولأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان ، من تلامذة الأصمعي ، كتاب في الأمثال^٩ . وأَلَفَ غير هؤلاء من العلماء كتباً في هذا الموضوع طبع بعض منها فنال شهرة ، مثل كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، وكتاب مجمع الأمثال للميداني (٥١٨ هـ)^{١٠} ، وقد أخذ (أبو هلال العسكري) أمثالاً وردت في كتاب لحمزة الأصبهاني في الأمثال ، وهو كتاب توجد نسخة خطية منه في القاهرة^{١١} .

وبين المؤلفات في الأمثال رسالة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي

١ الفهرست (٩٠) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١ / ٢٦١) ، فجر الاسلام (ص ٦١) « الامثال » ، « الطبعة العاشرة » .
Wüstenfeld, Geschichtsschr., 11, Goldziher, Muh. Stud., II, 204.

٢ الفهرست (١٠٨)

٣ الفهرست (١١٢)

٤ الفهرست (٦٩)

٥ الفهرست (٧٨)

٦ الفهرست (٨٥)

٧ الفهرست (٨٨)

٨ الفهرست (٩١)

٩ الفهرست (٩٢)

١٠ كارلو نلينو ، تاريخ الاداب العربية (٩٦) .

١١ العسكري ، جمهرة (١ / ٦) ، (حاشية رقم ٥) .

(٣٩٥ هـ) ، طبعت بعنوان : (كتاب أبيات الاستشهاد)^١ ، دون فيها بعض الشعر الذي استشهد به الناس في أمثالهم . ورسالة أخرى ألفها (أبو العباس محمد بن يزيد المسبرد) الأزدي (٢٨٥ هـ) ، بعنوان : « رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها »^٢ .

وهناك مؤلفات عديدة أخرى ، وضعت في الأمثال . وفي إقبال المؤلفين على التأليف بها بهذه الكثرة ، دلالة على ما كان للمثل من أهمية ، وعلى ما كان له من قيمة في نظر أهل الجاهلية . حفظوه حفظهم للشعر ، بل أكثر من الشعر ، لأنه يرد على كل لسان ، يرد على لسان الحكيم البليغ كما يرد على لسان الغبي والجاهل ، ثم إنه توجيه وتربية وتعليم ، فلا نستغرب إذن إذا ما وجدنا كتب الأمثال في صدر الكتب التي ظهرت في الاسلام . وقد رأيت أنها ظهرت في عهد (معاوية) وبأمره ، فهي بحق من أوائل المؤلفات التي وصلت إلينا بالعربية . وكان معاوية مولعاً بسماع الأمثال والقصص وأخبار الماضين والشعر .

والأمثال ، هي أيضاً مادة مهمة لفهم التاريخ الجاهلي . فقد تعرض جامعوها لأصل المثل وللأسباب مضربه ، وجاؤوا بشروحاتهم هذه بمادة تأريخية استعنا بها على فهم مواضع من ذلك التاريخ . ولكننا يجب أن نأخذ هذه الأمثال وشروحها بحذر . ففي أكثر الشروح تكلف وضعف ، يدلان على عدم امكان الاعتماد عليها في تكوين حكم علمي .

ونجد في الأمثال الجاهلية أمثالاً ضربت بالناس ، مثل : أسخى من حاتم ، وأشجع من ربيعة بن مكرم ، وأدهى من قيس بن زهير ، وأعز من كليب وائل ، وأوفى من السمائل ، وحجام سابط ، وقوس حاجب ، وغيرها . ونجد أمثالاً تمثل فيها باليهائم ، وغير ذلك . ولكل مثل قصة تروي منشأ ضرب ذلك المثل وما وراءه من خبر . وهي تعبير عن روح الزمان الذي قيل فيه وعن نفسية المتمثلين به . وكثير من الأمثال الجاهلية ما زالت دائرة على ألسنة الناس . وفي وجودها دلالة على ان الأحوال التي قيلت فيها لا تزال قائمة ، ودليل ذلك اعتبار الناس بها والاستشهاد بها في المناسبات .

١ سلسلة نواذر المخطوطات (المجموعة الثانية) ، (١٣٧ وما بعدها) ، (تحقيق عبد

السلام هارون) ، (القاهرة ١٩٥١ م) .

٢ نواذر المخطوطات (المجموعة الثانية) ، (١٦٣ وما بعدها) .

وبين أمثال العرب أشعار جاهلية الأصل صارت مثلاً ، ولا يزال بعض منها حي يضرب به مثل ، لما فيه من حكمة ومن ملاءمة لكل وقت وزمان^١. وضرب المثل بعجز البيت أحياناً أو بجزء منه ، كما في المثل : « بعض الشر أهون من بعض » . فهو من بيت ينسب لطرفة هو :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض^٢

ومن الأمثلة القديمة المشهورة حتى اليوم : (آخر الدواء الكي) ، و (آخر الطب الكي) ، زعم أنه من أمثلة (لقمان بن عاد) . وقد ذكر (الزمخشري) سبب ضرب (لقمان) له ، وأورد له كلاماً مع امرأة خانت زوجها ، وكلاماً مع زوجها وكيف عرفه فأرشدته الى خيانتها له^٣. وأورد مثلاً ضرب بكثرة أكل (لقمان) ، هو: آكل من لقمان . وكانوا يزعمون أنه كان يتغذى بجزور، ويتعشى بأخرى ، ويتخلل بحوار . وانه ضاجع امرأته يوماً ، وقد أكل جزوراً ، وأكلت فصيلاً ، فما قدر على الإفضاء اليها ، فقال : كيف أفضي اليك وبينني وبينك بعيران^٤ .

ويظهر من القصص المنسوب اليه ، أنه قد انتزع من قصص قديم ، كان معروفاً عند الجاهليين ، مروياً بينهم . فإذا أعدنا قصته المذكورة مع المرأة ، وقد رواها (ابن الكلبي) عن (عوانة)^٥ نجدتها وقد غصت بالأمثلة ، وبطريقة الجاهليين في التفسير والتعليل ، مما يجعل الإنسان يرى أنها من القصص الجاهلي القديم ، الذي احتفظ بمعناه ومضمونه ، وإن صيغ بلغة حاكية .

ورواها لقس بن ساعدة الايادي ، أمثالاً ، منها : إذا خاصمت فاعدل ، وإذا قلت فاصدق ، ولا تستودعن سرك أحداً ، فإنك ان فعلت لم تزل وجلاً ، وكان بالخيار ، إن جنى عليك كنت أهلاً لذلك ، وان وفى لك كان الممدوح

١ المستطرف (١ / ٣٠ وما بعدها) .

٢ العسكري ، جمهرة (١ / ٦٧) .

٣ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب (١ / ٣) ، (حيدر اباد الدكن ١٩٦٢ م) ، العسكري ، جمهرة (١ / ٩٧ ، ٤٢٦) .

٤ المصدر نفسه (ص ٧) .

٥ العسكري ، جمهرة (١ / ٤٢٤ وما بعدها) .

دونك . وكن عف العيلة ، مشترك الغنى تسد قومك . الى غير ذلك من أمثال نسبوها اليه ^١ .

وفي (كتاب الجوهرة في الأمثال) من (العقد الفريد) ، باب خاص عنوانه : « أمثال أكرم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي » ^٢ . وهي تستحق الدرس والنقد ، لمعرفة أصولها وعلاقة هذه الأمثال بالأدبين العربي والفارسي .

ونجد في كتب الأدب طائفة من الأمثال في الأدب والحكمة ، نسبت الى (أكرم بن صيفي) ، منها : رب عجلة تهب ريثاً ، وادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل ، والمرء يعجز لا المحالة ، ولا جماعة لمن اختلف ، ولكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح فإنه كفى بالمشرفية واعظاً ، وأسرع العقوبات عقوبة البغي ، وشر النصرة التعدي ، ورب قول أنفذ من صول ، والحر حر وإن مسه الضر ، والعبد عبد وإن ساعده الجد ، وإذا فزع القواد ذهب الرقاد ، ورب كلام ليس فيه اكتتام ، وحافظ على الصديق ولو في الحريق ، وليس من العدل سرعة العدل ، وليس ييسر تقويم العسير ، وإذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة ، ولو أنصف المظلوم لم يبق فينا ملوم ^٣ .

وليس في امكان أحد اثبات ان هذه الأمثال وغيرها هي لأكرم بن صيفي حقاً ، وبينها أمثال انسانية عامة نجدها عند مختلف الأمم ، وبينها أمثال قيلت في اليونانية وفي بعض اللغات الأخرى قبل أيام (أكرم) بزمان طويل . إلا ان نسبة هذه الأمثال اليه ، تشير الى انه كان من حكماء الجاهلية البارزين ومن ذوي الرأي والحكمة عند قومه .

والأمثال النابعة من صميم الحياة الانسانية ومن التجارب العملية ، والاختبارات الطويلة ، تكون ذات طبيعة حكيمة عامة ، فتظهر لذلك عند كل الناس ، وتخرج على كل لسان ، فلا يمكن أن يقال إنها من مخترعات الأمة الفلانية ، ومن مبتكرات العقل الفلاني ، لأنها كما قلت خواطر إنسانية ، تخطر على بال كل

١ العسكري ، جمهرة (٢٤٩/١) ، الميداني (٧٣/١) .

٢ العقد الفريد (٦٣/٣) وما بعدها ، ومن أمثاله : « مقتل الرجل بين فكيه » و « ربما أعلم فأذر » ، يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم لما يحذر من عاقبته ، العقد الفريد (٨١/٣) .

٣ المزهر (٥٠١/١) وما بعدها .

شخص ، له رأي سديد ، وفكر صائب . وإن نسبت الى شخص معين ، لذلك يصعب علينا إرجاع الأمثال الانسانية العامة الى جماعة معينة . قال (الجاحظ) : وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثلة سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل ^١ .

ومن أمثال أهل الجاهلية : إن من البيان لسحراً ، وإن الجواد قد يعثر ، وإن البلاء موكل بالمنطق ، وإن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك . وأنف في السماء وأنف في الماء . وأجع كلبك يتبعك ، واشتدي أزمة تنفرجي ، ورب رمية من غير رام ، ورب أكلة تمنع أكالات ، واستراح من لا عقل له ، وسبق السيف العدل ، الى غير ذلك من أمثلة ^٢ .

ومن الأمثال الجاهلية الباقية حتى اليوم المثل : مواعيد عرقوب ، مثل يضرب لمن يعد ولا يفي . فقد ورد في شعر المتلمس ، إذ قال :

الفسر والآفات شيمته فافهم فعرقوب^٣ له مثل

وورد في شعر كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

قيل : عرقوب رجل من خيبر ، كان يهودياً وكان يعد ولا يفي ، فضربت به العرب المثل . وقيل : رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها . فلما أطلعت أتاه للعدة ، فقال : دعها حتى تصبح بلحاً ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصبح زهواً ، فلما أزهرت قال : دعها حتى تصبح رطباً ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصبح تمرأ ، فلما أثمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجذها ، ولم يعط أخاه منه شيئاً ، فصار مثلاً ، وفيه يقول الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه يثرب

١ البيان والتبيين (٢٧١/١) .

٢ المستطرف (٢٨/١ وما بعدها) .

وقال آخر :

وأكذب من عرقوب يثرب لهجة^١ وأبين شؤماً في الحوائج من زُحل^٢

وذكر ان اسمه (عرقوب بن صخر) ، أو (عرقوب بن معبد (معبد) بن أسد) ، رجل من العالقة على القول الأول . قاله ابن الكلبي ، وعلى القول الثاني ، فهو رجل من (بني عبد شمس بن سعد) ، وقيل انه كان من الأوس . كان أكذب أهل زمانه ، ضربت به العرب المثل في الخلف^٣ ، فقالوا : مواعيد عرقوب^٤ .

ومن الأمثال القديمة : صحيفة المتلمس ، روى ان الرسول كتب كتاباً لعيينة بن حصن ، فلما أخذه ، قال : « يا محمد أتراني حاملاً الى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس » . هي إحدى الصحيفتين اللتين كتبها (عمرو بن هند) لطرفة والمتلمس ، الى عامله بالبحرين في إهلاكها ، وخيلها انهما كتابا جائزة ، فنجى المتلمس عمله على الحرم وهربه الى الشام ، وسارت صحيفته مثلاً في كل كتاب يحمله صاحبه يرجو منه خيراً وفيه ما يسوءه^٥ .

ومن الأمثلة القديمة (عتقاء مغرب) ، والمثل به « طارت به عتقاء مغرب » زعموا انه طائر كان على عهد (حنظلة بن صفوان الحميري) نبي أهل الرس عظيم العتق ، وقيل كان في عتقه بياض ولذلك سمي عتقاء، اختطف غلاماً فأغرب به ، ولذلك سمي المغرب ، فدعا عليه حنظلة فرمى بصاعقة . وقد ذكر المثل في الشعر^٦ .

ومن الأمثال الجاهلية الحية التي لا تزال ترزق ، المثل : « تسمع بالمعيدي خير^٧ من أن تراه » . يضرب مثلاً لمن خبره خير من مرآه . ذكر (ابن الكلبي) ان هذا المثل ضرب (للصقعب بن عمرو) النهدي . قاله له النعمان بن المنذر . وقال (المفضل) : المثل للمنذر بن ماء السماء ، قاله لشقة بن ضمرة سمع بذكره ، فلما رآه اقتحمته عينه فقال : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فأرسلها مثلاً^٨

-
- ١ المزهري (١/٤٩٤ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (١/٣٧٨) ، (عرقب) .
 - ٣ الفائق (٢/١٣) .
 - ٤ الزمخشري ، المستقصى (٢/١٥٠) .

فقال : له شقة : آيت اللعن ! إن الرجال ليسوا بجُزُر يراد منهم الأجسام ،
وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فذهب مثلاً ، وأعجب المنذر بما رأى من عقله
وبيانه ، ثم سمّاه باسم أبيه فقال : أنت ضمرة بن ضمرة . وقيل إن المثل للنعمان
ابن المنذر ، قاله لشقة بن ضمرة^١ .

وقد أورد (ابن الكلبي) قصة تأريخ المثل على هذا النحو : قال : وفد
(الصقعب بن عمرو) النهدي في عشرة من (بني نهد) على (النعمان بن المنذر)
وكان (الصقعب) رجلاً قصيراً دميماً تقتحمه العين ، شريفاً بعيد الصوت ،
وكان قد بلغ النعمان حديثه ، فلما أخبر النعمان بهم قال للأذن : إئذن للصقعب ،
فنظر الأذن الى أعظمهم وأجملهم ، فقال : أنت أنت الصقعب ؟ قال : لا .
فقال : الذي يليه في العظم والهيئة : أنت هو : فقال : لا . فاستحيا فقال :
أيكم الصقعب ؟ فقال الصقعب : هأنذا ! فأدخله الى النعمان ، فلما رآه قال :
تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ! فقال الصقعب : آيت اللعن ! إن الرجال
ليسوا بالمسوك يستقى فيها ، انما الرجل بأصغريه بلسانه وقلبه ، إن قاتل قاتل
بجنان ، وإن نطق نطق ببيان . فقال له النعمان : قلله أبوك ! ثم سأله أسئلة امتحنه
بها ، ليرى عقله ، فكان يجيبه أحسن جواب . فقال له النعمان : أنت أنت !
فأحسن صلته وصلة أصحابه^٢ .

وينسب المثل : « ألوى بعيد المستمر » ، الى (النعمان بن المنذر) ، وأخوه
(طُفيل الغنوي) فأدخله شعره^٣ . ومن الأمثلة الشهيرة القديمة قولهم : « على
أهلها جنت براقش » ، يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه^٤ .

وينسب المثل : « إن الشقي وافد البراجم » لعمر بن هند ، ملك الحيرة ،
حلف ليقتلن مائة من تميم ، فقتل تسعة وتسعين رجلاً منهم إحراقاً بالنار ، وبقي
واحد ، فلما دنا رجل من البراجم من الملك ، وسأله عن أهله ، ففسال : من

١ الخزانة (١٥١/١) ، (بولاق) .

٢ المزهر (٤٩٥/١ وما بعدها) ، العمدة (٢٨٥/١) .

٣ الفيتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر

العسكري ، جمهرة (٣٢/١ وما بعدها) .

٤ العمدة (٢٨٥/١) .

البراجم ، قال : إن الشقي وافد البراجم ، وأمر به فألقي في النار^١ .

ومن الأمثال المشهورة قولهم : « عند جهينة الخبر اليقين » . وقيل : « عند جهينة الخبر اليقين » (حُفِينَة) . وكان من حديثه أن (حصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب) خرج ، ومعه رجل من (جهينة) يقال له (الأخنس) فترلا مترلاً ، فقام الجهني الى الكلابي فقتله ، وأخذ ماله ، وكانت أخته (صخرة) بنت (عمرو) تبكيه في المواسم ، وتسأل عنه فلا تجد من يُخبرها ، فقال الأخنس فيها :

كصخرة إذ تسائل في مراح وفي جَرَمٍ وعلمها ظنون^٢
تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين^٣

ومن أمثالهم المشهورة قولهم : بمثل جارية فلتزن الزانية ، وذلك أن (جارية بنت سليط بن الحرث بن يربوع بن حنظلة) كان أحسن الناس وجهاً وأمدهم قامة ، وأتى سوق عكاظ فأبصرته فتاة من خثعم فأعجبها فتلطفت له ، حتى وقع عليها ، فعلمت منه ، فلما ولدت أقبلت هي وأمها وخالتها تلتمسه بعكاظ ، فلما رأته الفتاة قالت : هذا جارية ! فقالت أمها : بمثل جارية فلتزن الزانية سراً أو علانية ، فذهب مثلاً^٤ .

ونسب المثل : « أرسل حكيماً ولا توصه » الى (الزبير بن عبد المطلب)^٥ ، ونسب المثل « استنوق الجمل » لطرفة بن العبد^٦ . ومن الأمثلة القديمة : « على أهلها دلت براقش » ، و « عش رجلاً تر عجباً »^٧ ، و « العصا من العصية » و « أعز من كليب وائل » ، و « أعز من بيض الأنوق » و « أعز من

١ العسكري ، جمهرة (١٢١/١) ، (يذكر ٩٨ شخصاً ، ثم يتم العدد ، يذكر هذا الرجل ، ثم اكمله بالحمراء بنت خمرة ، حيث أحرقها ، وتحلل من يمينه ، وتذكر الموارد الأخرى خلفه . وقد تحدثت عن هذا المثل) .

٢ المزهر (٤٩٨/١) وما بعدها ، العسكري ، جمهرة (٤٤/٢) .

٣ المزهر (٤٩٩/١) .

٤ العسكري ، جمهرة (٩٨/١) .

٥ العسكري ، جمهرة (٥٤/١) ، الاغانى (١٣٢/١) ، الشعر والشعراء (١٣٥/١)

٦ العسكري ، جمهرة (٥٢/٢) وما بعدها ، اليسدني (٣١٠/١) ، الحيوان

(٢٦٠/١) ، العقد الفريد (٥٤/٣) .

الغراب الأعصم » ، و « أنصف القارة من رامها » . والمثل : « أرسل حكيماً ولا توصه » ، هو في الواقع مثل قديم ، لا بد وأن يكون قد وضع في العربية ، قبل أيام (الزبير) ، إذ ينسب الى الحكيم (أحقار) ، وربما نقل من السريان الى العرب .

وقد ضرب المثل بشخصيات جاهلية ، تركت أثراً في أيامها ، فضرب بها المثل . مثل : « أبلغ من قس » ، ويراد به قس بن ساعدة الخطيب الشهير ، وأعيان من باقل . وهو رجل من إباد ، وقيل من ربيعة . اشترى ظيباً بأحد عشر درهماً ، فمرّ بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد يديه وأخرج لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبي حين مد يديه ، وكان تحت ابطيه^١ . وضرب المثل ببخل مادر ، فقيل : أبخل من مادر ، وبفصاحة سحبان ، فقيل : أخطب من سحبان ، وهو القائل :

لقد علم الحي اليمانون أنني اذا قلت أما بعد أني خطيبها^٢

وضرب الجاهليون الأمثال بكل ما وجدوه حولهم من حيوان ومن نبات وصخور . ولذا نجد على أمثالهم طابع محيطهم ، فالحيوان الذي ضربوا به المثل ، هو من حيوان جزيرة العرب ، ومن النوع المألوف عندهم ، مثل الضب والحية والعنز والإبل وما الى ذلك . ومن هنا اختلفت أمثلة الأعراب أهل البادية عن أمثلة الحضرة ، أهل المدر ، لاختلاف طبيعة البادية عن طبيعة الريف ، ولوجود أشياء في أحدهما يندر وجودها في المحيط الآخر .

وفي شعر (عني بن زيد) العبادي أمثلة كثيرة ، تميز شعره عن شعر بقية الشعراء الجاهليين . ولو درسنا شعره ، نجد أن فيه ما يشير الى مواعظ ترد في النصرانية كما ترد على خاطر كل إنسان يصاب بنكبة ، فتهد مشاعره فتجعله ينظر الى الدنيا نظرة زاهد فيها ، ولا استبعد احتمال تأثره بالكتب التي كان قد وقف عليها ، فقد كان نصرانياً « وقد قرأ كتب العرب والفرس »^٣ . ولم يذكر أهل

١ المزهري (١/٥٠٣) .

٢ المزهري (١/٥٠٤) .

٣ الطبري (٢/١٩٣) ، (دار المعارف) .

الأخبار شيئاً عن (كتب العرب) ، هل أريد بها كتب دينية وضعت في العربية ، أم قصد بها كتب في القصص والأمثال وفي الشعر والأخبار وما شابه ذلك ، ولعلهم أرادوا بكتب الفرس ، الكتب التي تبحث عن قصص ملوكهم . وقد ترجم قسم منها في الاسلام ، وقصص الأساطير . وقد رأينا أنها كانت معروفة عند العرب وإن (النضر) كان يقص منها لأهل مكة ، وكانوا يسمونها الأساطير . ونجد في شعر الشعراء الآخرين أمثلة عديدة دخلت شعرهم ، أخذوها ممن المثل السائر ، ومن الحكم التي كانت شائعة في أيامهم ، أو من القصص ، أو من مبتكراتهم ومخترعاتهم ، ولا تزال بعض الأمثال الشعرية حية ترزق ، يضرب بها الناس المثل فيما يريدون التمثيل به .

ومن الموارد التي أمدت الأدب الجاهلي بالمثل ، الكهان ، وكلام الكهان قصير مسجع يحيل الى الرمز والألغاز ، يتجنب الصراحة ، لتكون فيه قابلية التفسير والتأويل واعطاء كثير من الاحتمالات ، وذلك لما تقتضيه طبيعة الكهانة من تأويل التكهّن حسب الأحوال والمناسبات . ونجد في كتب الأدب أمثلة عديدة منسوبة الى هؤلاء الكهان . ولما كان كلامهم مسجوعاً ، قيل له : « سجع الكهان » . وقد جاء في الحديث النبوي : « هذا من سجع الكهان »^١ . وفي الكهان جماعة من الكاهنات ، عرفن بالتكهّن ، مثل : الشعثاء الكاهنة ، وطريفة ، ويذكرون أنها هي التي أنذرت عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه ، وأخبرته بخراب سد مأرب^٢ ، وزبراء الكاهنة^٣ ، وسلمى الهمدانية الحميرية^٤ ، وعفراء الكاهنة الحميرية^٥ ، وفاطمة بنت مر الخثعمية ، وقد ذكروا أنها كانت قد قرأت الكتب^٦ .

ومن الأمثلة الواردة في كتب الأدب : « إن العصا من العصية » ، وهو مثل ينسب الى (الأفعى الجرهمي) ، وهو من الكهان . قاله لما احتكم اليه أولاد (نزار) بمدينة النجران^٧ . و « الصيف ضيعت اللبن » ، وأول من قاله (عمرو)

-
- ١ بلوغ الأرب (٢٧٢/٣) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٨٣/٣) وما بعدها .
 - ٣ بلوغ الأرب (٢٨٨/٣) وما بعدها .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٩٥/٣) وما بعدها .
 - ٥ بلوغ الأرب (٢٩٦/٣) وما بعدها .
 - ٦ بلوغ الأرب (٣٠٥/٣) وما بعدها .
 - ٧ نهاية الأرب (٧/٣) وما بعدها .

ابن عدس^١ ، والمثل « أوسعتهم سباً وأودوا بالایل » وينسب الى (كعب بن زهير بن أبي سلمى)^٢ ، والمثل « ان الشقي وافد البراجم »^٣ . الى غير ذلك من أمثلة تجدها في كتب الأمثال والأدب . ولا يزال بعضها حياً يتمثل الناس به . وبعض منه يرد على لسان كل إنسان . أي أمثلة تنطبق على كل البشر ، لأنها صادرة من نفس انسانية عامة ، فلا تعدّ من الأمثلة المحلية أو القومية ، أي أمثلة نبعت من محيط أمة معينة . لذلك نجد لها شبيهاً عند أمم أخرى . ولا نستطيع أن نقول إن الأمة أخذتها من تلك .

-
- ١ نهاية الارب (١٣/٣) وما بعدها .
 - ٢ نهاية الارب (١٧/٣) .
 - ٣ نهاية الارب (١٨/٣) .

الفصل الثامن والعشرون بعد المئة

القصص

والقصص ، مظهر من مظاهر الفكر الجاهلي ، أشير اليه في القرآن الكريم ، وكان شائعاً عند الجاهليين . ودراسته تمكن الدارس من تحليل عقلية صاحب القصص ، وفهم عقلية الزمن الذي شاع فيه . وقد ورد في المؤلفات الاسلامية شيء منه ، وفي بعضه ملامح يمكن ارجاعها الى عناصر أعجمية : دينية ، وغير دينية ، تسرب الى الجاهليين من اتصالهم بالأعاجم ، واتصال الأعاجم بهم .

والقصص البيان ، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها . وقيل : القاص يقص القصص لأتباعه ، خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً . وقد كان القصص شائعاً متفشياً بين الجاهليين والاسلاميين ، وكانوا يقبلون عليه اقبالاً شديداً ، ومن هنا ورد في الحديث « ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا . وفي رواية لما هلكوا قصوا ، أي اتركوا على القول وتركوا العمل ، فكان ذلك سبب هلاكهم ، أو بالعكس ، لما هلكوا بترك العمل أخلدوا الى القصص »^١ . ولما نزل القرآن : « قالوا : يا رسول الله : لو قصصت علينا ، قال : فتزلت : نحن نقص عليك أحسن القصص »^٢ . وذكر ان أصحاب رسول الله سأله أن يقص عليهم ، فتزل : « نحن نقص عليك أحسن القصص » ،

١ تاج العروس (٤ / ٤٢٢) ، (قصص) .
٢ سورة يوسف ، الآية ٣ ، تفسير الطبري (٩٠ / ١٢) .

« من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم » . وورد أنهم قالوا له :
« يا رسول الله ! حدثنا فوق الحديث ودون القرآن ، يعنون القصص » فأُنزل
الله الآية المذكورة^١ . وفي هذا اللاحاح على الرسول بأن يقص عليهم ، دلالة على
مدى حب الجاهليين واعجابهم بالقصص .

وللجاهليين غايات من الاستماع الى القصص ، منها : العبرة والاتعاظ . وإلى
ذلك أشير في القرآن الكريم : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب »^٢ .
وقد كان في مكة وفي غيرها قوم يقصون على الناس ويعظونهم ، ولما جاء الاسلام
كانوا على عادتهم يقصون لإثارة العقول الى أنباء الماضين وأخبار السالفين ، ولإثارة
تفكيرهم في الكون وفي الخلق وفي شؤون الحياة ، كالذي يظهر من القرآن الكريم :
« فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »^٣ و « نحن نقص عليك أحسن القصص »^٤
و « تلك القرى نقص عليك من أنبائها »^٥ . ويدخل في هذا النوع القصص الذي
يدخلونه في باب (الحكمة) ، ومعناه القصص التعليمي ، الذي يتعظ به ،
ويستفاد منه ، إذ يعد دروساً تعلم الانسان في حياته وترشده الى النجاح ، ويشمل
قصص الماضين ، ما قاموا به من خير ، وما عملوا في أيامهم من شر ، فأصابعهم
من أجله الهلاك وسوء المصير ، وقصص الأشخاص ، أما القصص المروي على
ألسنة الحيوانات على نمط قصص (كليله ودمنة) ؛ فإننا لا نجد منه مادة غزيرة
في القصص المروي عن الجاهليين ، وهو قليل المادة أيضاً في الأدب الاسلامي
ولا سيما في القصص الطويل . وقد نجد بقايا قصص على ألسنة الحيوانات مروباً
في كتب الأدب ، لكنه من النوع القصير الذي لا يمثل نفساً طويلاً في القصص .
وأغلب الظن انه منتشر من قصص قديم ، فقد طوله ، بسبب قدمه ، فبقيت منه
هذه البقايا .

ومن أبواب القصص ، المقال على ألسنة الحيوانات ، كالقصص المقال على
لسان (النعامة) ، من انها ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين . والقصص

-
- ١ تفسير الطبري (٩٠/١٢) .
 - ٢ يوسف ، الآية ١١١ .
 - ٣ الاعراف ، الآية ١٧٦ .
 - ٤ يوسف ، الآية ٣ .
 - ٥ الاعراف ، الآية ١٠١ .

الذي وضعوه عن الغراب ، وعن الضفدع ، والهدهد ، والهدليل ، وغير ذلك مما يميل اليه العامة بصورة خاصة ، لما يتركه من أثر في نفوسهم^١ .

ومن القصص ، قصص الملوك والأبطال وسادات القبائل والأيام ، ويلعب قصص الأيام الدور الأول في هذا القصص ، لما له من أثر في العصبية . وكان هذا القصص من أحب القصص الى نفوسهم ، وقد زوّق ونمّق ، وتولى قصه قصاصون كانت لهم مواهب خاصة وقابلية على القص والتأثير في النفوس ، وكان أصحاب الرسول حين يتسامرون يتناشدون الشعر ويتذاكرون الأيام ، جرياً على سنتهم في الجاهلية ، وقد استمر هذا القصص الى عهد قريب ، ولا زال معروفاً في القرى وفي بعض الأقطار العربية ، لا سيما في أيام رمضان ، حيث تقرأ قصص أبو زيد الهلالي وقصة عنزة وغيرها في المقاهي ، يقرأها قصاصون متخصصون بأسلوب مؤثر جذاب ، يتلاعبون به في عقول السامعين ، ويثيرون فيهم الخماس ، ينصتون بكل خشوع الى صوت القاص ، يريدون منه سماع المزيد من الأخبار .

وفي قصص أهل الأخبار المنسوب الى الجاهلية ، قصص عن الأسفار وعن مشقات السفر وعن الأهوال التي كان يلاقيها المسافرون في ذلك العهد من الجن والسعال والغيلان ، وقد رصع بأبيات من الشعر وبقصائد أحياناً ، في وصف تلك المخلوقات الرهيبة المفزعة ، ولم ينس بعض هذا القصص من ايراد شعر لها في محاوراة الأشخاص الذين تعرضوا لها ، تجد فيه الجن والسعال والغيلان،تنظم الشعر بلسان عربي مبين ، وتجيّب فيه الشعراء بشعر مثل شعرهم ، قد تظهر رقة وأدباً فيه ، مع ما عرف عن هذه القوى من الميل الى الأذى والشر .

وفي قصصهم قصص له أصل تاريخي ، لكنه لم يحافظ على نقاوته وأصله ، وانما غلب عليه عنصر الخيال فحوّله الى أسطورة ، رصعت بالشعر في الغالب ، وبالجنس ، لتثير الغرائز ، فتقبل الأنفس على سماعها ، ومن هذا القبيل قصص طسم وجديس^٢ ، وقصص الزباء ، والتبابعة ، والأقوام الغابرة ، حيث تجد قصصهم في كتب الأخبار والأدب .

وفي أبواب القصص ، باب للمجون والحلاعة ، وأحاديث الهوى والتشبيب .

١ فجر الاسلام (٦٦) ، (١٩٦٥ م) .

٢ المحاسن والاضداد (١٣٨) .

وهو باب يقدم على سماعه الشبان ، طلاب هذا الفن في هذا الدور من أدوار الحياة ، أما الشبيبة ومن تقدمت بهم السن ، فإن الجنس ، يكون قد ابتعد عنهم وتركهم في الغالب ، وما تمسكهم به وهم في أرذل العمر ، إلا من باب التذكير بأيام الزمان ، وذكريات الشباب ، لتطرية العمر ، والترويح عن كربة التقدم في السن .

والقاص من الشخصيات المحيية الى نفوس الجاهليين ، يقص على أبناء حية القصص المسلية ، مستمداً مادته من الأساطير والحرفات السائرة المتنقلة بين الأمم ، ومن الأخبار والأحاديث الخرافية والتأريخية المأثورة عن العرب ، أو عمن جاورهم . ومن ذلك قصص الأقوام القديمة التي بقيت ذكرياتها في أذهان الجاهليين ، وقصص الملوك مثل الزباء ، التي كيفت قصتها ، وابتعدت عن التأريخ وقصص جذيمة الأبرش ، وقصير ، وعمرو بن عدي ، والتبابعة وغير ذلك من قصص ، له أصل تأريخي ، لكنه تغير وتبدل حتى صار من الأساطير . وهو يصلح أن يكون اليوم موضع دراسة خاصة للوقوف على مقدار عناصر الابتكار والخيال فيه ، ومقدار التحوير الذي ألمَّ به ، وسببه ومن أدخله عليه من جاهليين أو مسلمين .

وقصص النوادر والنكات من القصص المعروفة عند أهل الجاهلية . وقد اتخذ الملوك والأشراف لهم نداء عرفوا بإغراقهم في قول الملح والنوادر والأمور الغريبة المضحكة ، حتى اشتهر أمرهم بين الناس ، وحتى بالغ الناس في نسبة النوادر اليهم ، وحوّلوا بعضهم الى شخصيات أسطورية ، من كثرة ما تقولوا عليهم وما نسبوه اليهم . ومنهم من سجلت كتب أهل الأخبار والأدب أسماءهم ، لما حصلوا عليه من شهرة بين الناس في أيامهم . منهم (سعد) المعروف بـ (سعد القرقرة) هازل (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة ، كان يضحك منه^١ . ذكر أنه كان من أهل (هجر) ، فدعا النعمان بفرسه اليعصوم ، وقال له : اركبه واطلب الوحش ، فقال سعد اذن والله أصرع . فأبى النعمان إلا أن يركبه . فلما ركبته سعد نظر الى بعض ولده قال : وا بابى وجوه اليتامى ، ثم قال : نحن بغرس السودي^٢ أعلمنا منّا بركض الجياد في السدف^٣

١ تاج العروس (٤٨٩/٣) ، (قرر) .
٢ تاج العروس (١٣٦/٦) ، (سدف) .

وفيه قال الشاعر (أبو قُرْدُودَة) ، وكان (سعد القرقرة) قد أكل عند النعمان بن المنذر مسلوخاً بعظامه :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذئب له ظئر وأخوال^١

ومنهم (النعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحرث) من (بني النجار) من يثرب ، المتوفى في أيام (معاوية) . كان هازلاً ومازحاً لطيفاً . ذكر أنه كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي ، فيقول ها أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطلب نعمان بشمها أحضره الى النبي ، وقال : اعط هذا ثمن متاعه ، فيقول : أולם تهده لي ! فيقول : إنه والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحبيت أن تأكله ، فيضحك ويأمر لصاحبه بشمته . ودخل أعرابي على النبي ، وأناخ ناقته بفنائه ، فقال بعض الصحابة للنعمان لو عقرتها فأكلناها ، فلما قد قرمنا الى اللحم . ففعل . فخرج الأعرابي وصاح واعقراه يا محمد ! فخرج النبي ، فقال : من فعل هذا ؟ فقالوا النعمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها فوقعه جريده . فأشار رجل الى النبي حيث هو فأخرجه ، فقال له : ما حالك على ما صنعت ؟ قال : الذين دلوك علي يا رسول الله ، هم الذين أمروني بذلك . فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك ، ثم غرمها للأعرابي . وروي أن (مخزومة بن نوفل) كان قد كبر وقد عمي ، فقام في المسجد يريد أن يبول ، فصاح به الناس المسجد المسجد ! فأخذه نعمان بيده وتنحى به ، ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد فقال له : بل ههنا . فصاح به الناس . فقال : ويحكم فمن أتى بي الى هذا الموضع ! قالوا : نعمان . قال : أما إن الله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت . فبلغ ذلك نعمان . فكث ما شاء الله ، ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد . فقال لمخرقه : هل لك في نعمان . قال : نعم . فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان ، وكان إذا صلى لا يلتفت . فقال : دونك هذا نعمان فجمع يده بعصاه فضرب عثمان فشجه ، فصاحوا به ضربت أمير المؤمنين^٢ .

١ الحيوان (١٤٧/١) .

٢ الاصابة (٥٤٠/٣) ، (رقم ٨٧٩٠) .

وروي ان (أبا بكر) خرج تاجراً الى (بصرى) ومعه (نعيان) و (سويبط ابن حرملة) ، وكان (سويبط) على الزاد ، فجاءه (نعيان) ، فقال : أطعمني . فقال : لا ، حتى يجيء (أبو بكر) ، فقال : لأغيطانك ، فذهب الى ناس جلبوا ظهراً . فقال : ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً ، وهو ذو لسان ولعله يقول أنا حر ، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه لا تفسدوا عليّ غلامي . فقالوا : بلى نبتاعه منك بعشر قلائص ، فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلها ، ثم قال : دونكم هو هذا . فجاء القوم . فقالوا : قد اشتريناك ، فقال سويبط : هو كاذب أنا رجل حر . قالوا : قد أخبرنا خبرك ، فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به . وجاء أبو بكر ، فأخبر . فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه . فضحك النبي وأصحابه من ذلك حولاً^١ .

وبعض القصص الشائع المتواتر عن الجاهليين ، مثل قصة يومي البؤس والنعيم ، وقصة (شريك) مع الملك (المنذر) ، وقصة (سهار) وأمثال ذلك ، قصص وان اقترن بأسماء جاهلية ، إلا ان أصوله غير عربية ، دخلت العرب من منابع خارجية ، من منابع يونانية وفارسية ، ونصرانية ، وهو أيضاً من القصص الوارد عند شعوب أخرى ، بدليل وجود شبه ومثيل له في أساطير الأعاجم ، وفي حكايات النصارى^٢ .

وقاص ذلك اليوم ، هو أديب الحي ، وأديب القوم ، وهو لا بد أن يكون من أصحاب المواهب والفطنة، ومن رزق موهبة التأثير على القلوب بفضل ما رزق من حسن عرض الكلام وتخريج القصص ، وتنسيقها . واطهار الأدوار البارزة للأبطال ، وعرضها بأسلوب مشوق مرغّب ، تنسي السامع كل شيء إلا تنبّع الحكاية . ولا بد وأن يُملّح القاص قصصه بادخال شيء من الشعر فيها ، لا سيما شعر الفرسان والحروب والمغامرات .

ولا نعرف من أسماء قصاص الجاهلية أسماء كثيرة، وأشهر اسم نعرفه هو اسم (النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) . (النضر بن الحارث

١ الاستيعاب (٥٤٣/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ فجر الاسلام (٦٧) ، (١٩٦٥ م) .

ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي^١ ، وكان من (شياطين قريش) ، أي أذكيائهم ، ومن يؤذون الرسول ، وكان يحدث قريشاً بأحاديث رستم واسفنديار وما تعلم في بلاد فارس من أخبارهم^٢ ، ويزعم ان في استطاعته ان يأتي بمثل ما أتى به الرسول من أمر القرآن ، فأشير اليه في الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إليّ ولم يوح اليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله »^٣ ، وذكر ان كل ما ذكر في القرآن من (الأساطير) ، فإنما قصد به (النضر) ، وقد نزلت في حقه ثماني آيات^٤ ، تدل على انه كان يتحدى الرسول ويخاصمه ويقول في القرآن انه من صنع محمد ، وكان يأتي بقصص يزعم انه يضاهي بها كتاب الله . وقد أرسلته قريش مع (عقبة بن أبي معيط) الى يهود (يثرب) ليأخذوا منهم من أمور التوراة والدين ما يجادلوا به الرسول ، فعلموهما ما يجب أن يسألا به ، فجاءا وسألا الرسول وحاججاه ، وقد أشير الى هذه المحاججة في القرآن^٥ .

وقد أمر الرسول بقتل (النضر) ، فقتله (عليّ) وهو بالصفراء ، فقالت فيه (ليلي) ابنته ، أو (قتيلة) ابنته ، وهي ابنته في رواية ، أو أخته في رواية أخرى ، شعراً تبكيه وتتوجع فيه على قتله . أوله :

يا راكباً ان الأثيل مظنة من صُبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها مَيْتاً بأن قصيدة ما ان تزال بها الركائب تحفوق
فليسمن النضر ان ناديتـه إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
قسراً يقاد الى المنية متعباً رَسَفَ المقيد وهو عان موثق
أحمد هـا أنت ضنّ نجبية في قومها والفحل فحل معرق

-
- ١ الاشتقاق (٩٩) ، كتاب نسب قريش (٢٥٥) ، ابن هشام (١٨٨/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ الروض الانف (١٨٨/١) .
 - ٣ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ٩٣ ، الروض الانف (١٨٩/١) ، ابن هشام (١٨٩/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) .
 - ٤ ابن هشام (١٩٠/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٥ ابن هشام (١٩٠/١) ، (حاشية على الروض) .

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المحق
فالنضر أقرب من تركت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق^١

وورد اسم رجل أدخل للمسلمين القصص الديني ، هو (تميم بن أوس بن
خارجة) الداري^٢ ، ذكر أنه أسلم سنة تسع من الهجرة ، وأنه كان نصرانياً ،
وانه لقي النبي ، فقص عليه قصة الجساسة والدجال . وذكر انه كان يترهب
ويسلك مسلك رجال الرهبانية حتى بعد إسلامه ، وانه استأذن الخليفة (عمر) أو
الخليفة (عثمان) في أن يذكر الناس في يوم الجمعة ، فأذن له ، فكان يقصر
في مسجد الرسول . وكان بذلك أول من قص في الإسلام . وروي أنه أول من
أسرج السراج في المسجد^٣ . وكان قد قدم مع أخيه (نعيم) الداري في وفد
الداريين على الرسول منصرفه من تبوك^٤ . وكان مقامه في الشام ، وربما وضع
القصص على اسمه^٥ .

وهذا النوع من التذكير والوعظ والارشاد القائم على الترغيب والترهيب يذكر
أساطير الأولين والقصص والحكايات والغرائب والعجائب والقصص المتعلقة بالحيوانات
أو المدون على ألسنتها، هو نوع من الوعظ الذي كان يقوم به رجال الدين اليهود
والنصارى في تهذيب أبناء دينهم وفي ارشادهم الى سواء السبيل، على نحو ما كانوا
يتخيلونه ويتصورونه . ومن مدرستهم في الوعظ ، تعلم صاحبنا تميم علمه هذا على
ما يظهر .

ويمكن الوقوف على طبيعة قصص (تميم) ونوعيته وعلى درجة ثقافته ومقدار
عقليته بالرجوع الى ما نسب اليه من قصص ، وما ورد على لسانه من وعظ .
ولكننا لا نجد في الكتب مادة من قصصه تكفي للحكم بموجبها على نوعيته . ولكننا

- ١ البيان (٤٣/٤ وما بعدها) ، الحصري ، زهر الاداب (٢٧/١) ، الاغانى (٩/١) ،
العمدة (٣٠/١) .
- ٢ « تميم بن أوس بن خارجة ، وقيل خارجة بن سود ، وقيل سواد بن جذيمة بن دراع
ابن عدى بن الدار ، أبو رقية الداري » ، الاصابة (١٨٦/١) ، (رقم ٨٣٧) .
- ٣ الاصابة (١٩١/١) ، أسد الغابة (٢١٥/٢) ، ابن سعد ، الطبقات (٧٥/١) .
- ٤ الاصابة (٥٣٦/٣) ، (رقم ٨٧٧٠) ، صحيح مسلم ، شرح النووي ، (٥/٤٢٠)
وما بعدها .
- ٥ مسالك الابصار (١٧٢/١) ، البخلاء (٣١٣) .

The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XIX, No. 3-4, (1941).

لا نستبعد أن يكون قد خلط بين القصص النصراني وبين الأساطير العربية . فقد كان نصرانياً ، يسمع أقوال وعناظ الكنائس ، فتعلم منهم ، وطبق ما تعلمه في الاسلام .

وذكروا ان (الأسود بن سريع بن حمير (خير) بن عبادة بن النزال (التميمي السعدي ، كان قاصاً ، وكان شاعراً مشهوراً ، وهو من الصحابة ، وكان أول من قص في مسجد البصرة . قيل انه مات سنة اثنتين وأربعين^١ . ولعله كان من النصاري كذلك .

وينبغي أن نشير الى قاص آخر هو (عبيد بن شرية الجرهمي) ، وان كان من المتأخرين . فقد كان في أيام (معاوية) ، وقد كان من الملازمين له . وكان الخليفة يحسن اليه ، ويتلذذ بسماع قصصه عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبليبل الألسنة ، وأمر افتراق الناس في البلاد . وهو شخص لا نعرف من أمره شيئاً يذكر . وذكر (ابن النديم) أنه عاش الى أيام (عبد الملك بن مروان) ، وأن معاوية أمر غلمانه بتدوين ما كان يقصه وينسب اليه . وله من الكتب : كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين^٢ .

١ الاصابة (٥٩/١ وما بعدها) ، (رقم ١٦١) ، الاستيعاب (٧٢/١) ، البيان والتبيين (٦٧/١) .
٢ الفهرست (ص ١٣٨) .

الفصل التاسع والعشرون بعد المئة

الطب والبيطرة

والطب من العلوم المطلوبة في كل زمان ومكان ، لما له من صلة بحياة الانسان .
ولعلماء اللغة آراء في معنى (الطب) وقد ذكروا أن من المجاز : الطب بمعنى
السحر ، قال ابن الأست :

ألا من مبلغ حسان عني أطب كان داؤك أم جنون^١

فوجدوا أن بين الطب والسحر صلة . وهو تعبير عن مداواة الأمراض في
السابق بالسحر ، فقد كان الساحر طبيباً ، يداوي المرض ويشفي المريض بسحره ،
وكذلك كان الكهان يداوون المرضى ، ولا زال الناس يعتقدون بأثر السحر في
مداواة المرض ، فيراجعون من يدعي العلم بالسحر لنيل الشفاء^٢ .

وكان الطب ، في ذلك الزمان ، شرف ، فللطبيب مكانة كبيرة عند الجاهليين .
قال (المرتضى) في حديثه عن زهير بن جناب : « كان سيد قومه ، وشريفهم ،
وخطيبهم ، وشاعريهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم . والطب في ذلك الزمان

١ وورد : « أسحر كان طبك » ، تاج العروس (١ / ٣٥١) ، (طب) .

٢ ارشاد الساري (٨ / ٣٦٠) .

شرف ، وحازي قومه ، والحزاة الكهان ^١ . فهو قد جمع خللاً كثيرة وفي جعلتها الطب والكهانة . وقد كان الكهان يداون المرضى ، فكان كهنة مصر يعالجون المرضى ويطيبونهم ، لاعتقادهم ان الأمراض هي من الآلهة ، تصيب الانسان فلا تشفيه منها إلا التوسلات اليها باشفائه ، وحيث ان المقربين اليها هم الكهنة ، لذلك لجأ المرضى اليهم لاشفائهم . ونجد في النصوص العربية الجنوبية توسلات كثيرة وتضرعات الى الآلهة ، لأن تمنّ على المتوسلين اليها بالصحة والعافية ، وبالشفاء من الأمراض التي نزلت بهم ، وأن تحميهم من الأوبئة التي تفشت بين الناس ، فأخذت تميتهم .

ولا بد وأن يكون السحرة والحزاة والكهنة في الجاهلية ، هم الذين مارسوا الطب ، وعالجوا المرضى ، بالسكر وبالأدعية ، أو بالأدوية التي أخذوها عن سبقهم ومن تجاربهم الخاصة . ونحن نأسف لأن نقول إن النصوص الجاهلية لم تعطنا حتى الآن نصوصاً طبية ، أو نصوصاً فيها وصفات أدوية الشفاء من الأمراض .

والطب ، هو من فروع العلم المحظوظة بالنسبة الى فروع العلم الأخرى عند الجاهليين . فقد أشير اليه ، وأشير الى اسم نفر من الأطباء ، هم : الحارث بن كلدة الثقفي ، والنضر بن الحارث ، و (ابن أبي رمة التميمي) و (ضماد) وكلهم ممن عاصر الرسول وأدرك زمانه ، وبفضل هذه المعاصرة ، ذكرت أسماءهم في كتب الحديث والسير والأخبار ، ولولاها لكان شأنهم شأن غيرهم ممن لم يصل اسمهم الى أحد ، فصاروا نسياً منسياً .

وذكر ان رجلاء جاء الى النبي ، فرأى بين كتفيه خاتم النبوة . فقال : إن أذنّت لي عاجتها فإني طبيب . فقال له النبي ، طيبها الذي خلقها ، معناه العالم بها خالقها الذي خلقها لا أنت ^٢ .

أما الحارث بن كلدة الثقفي ، فإنه من ثقيف ومن أهل الطائف . ذكر أنه سافر إلى البلاد، وتعلم الطب بناحية فارس على رجل من أهل جُندِسابور، وغيرها.

١ أمالي (٢٣٨/١) .

٢ اللسان (٥٥٣/١) ، (طب) ، تاج العروس (٣٥٢/١) ، (طب) ، « فان يك بك طب داويتك ، فاني أطب العرب » ، الطبري (٢٩٧/٢) .

وتمرّن هناك ، وطب بأرض فارس ، وعالج وحصل له بذلك مال ، وعرف الداء والدواء . وكان صاحب حسن مرهف ، وموسيقياً يضرب بالعود . تعلم ذلك بفارس واليمن .

قيل إن سعد بن أبي وقاصٍ مرض بمكة ، فعاده رسول الله ، فقال له : أدعُ الحارث ، فإنه يتطبب . فعاده الحارث وداواه فشفاه . ونسبوا له كلاماً مع كسرى أنو شروان . وقيل : إنه هو القائل : « الطب : الأزم ، والبطنة بيت الدواء ، والحميّة رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد » ، وأشياء أخرى تنسب إلى فلاسفة متقدمين ، ولحكّماء من العرب غير الحارث^١ .

وقيل إن من حكمه : « خير الدواء الأزم ، وشرّ الدواء إدخال الطعام على الطعام » . وقيل إنه وصى ولده بقوله : « يا بني عود نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجبال . إن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت بطيناً فقد نفسك مع الزمى »^٢ . ومن حكمه قوله : « لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفقى ، ولا من الفاكهة إلا النضيج »^٣ .

وقد نسبوا إلى الحارث كتاباً ، هو كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنو شروان^٤ ، ولم يثيروا إلى مضمونه ومحتوياته وحججه . والظاهر أنه هذه المحاورة التي دجّوها في ترجمته ، ونسبوها إليه ، وزعموا أن كسرى أمر بتدوين ما نطق به^٥ .

١ عيون الانباء لابن أبي أصيبعة (١٠٩/١ وما بعدها) ، أخبار الحكماء (ص ١١١ وما بعدها) ، ابن صاعد (ص ٤٧) ، ابن جليجل (ص ٥٤ وما بعدها) ، ابن القفطي تاريخ الحكماء (ص ١٦١ وما بعدها) ، ابن العبري (ص ١٥٦ وما بعدها) ، ابن حجر ، الإصابة (٢٨٨/١) ، بلوغ الارب (٣٢٨/٣ وما بعدها) ، شرح ديسوان لبيد (ص ١٠٢) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٥٦) .

٣ المحاسن والاضداد (١١٠) .

٤ عيون الانباء (١١٠/١ وما بعدها) .

٥ ابن أبي أصيبعة (١١٢/١) ، بلوغ الارب (٣٢٨/٣ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣٧٣/٦) .

وقد ذكر أن الحارث بن كلدة كان شاعراً ذا حكمة في شعره ، وقد أورد
الآحدي له أبياتاً في أثناء ترجمته له^١ . وذكره (أبو العلاء المعري) في (رسالة
الغفران) ، ونسب له قوله :

فما غسل ببارد ماء مزن على ظمأ ، لشاربه يُشَاب
بأشهى من لقيمك اليناً فكيف لنا به ومتى الإياب^٢

وذكر الأخباريون ، ان (الحارث) هذا ، كان قد داوى الملك (أبا جبر)
الكندي ، وكان ملكاً شديد البأس ، فخرج الى كسرى يستجيشه على قومسه
فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) سمّوه ، ثم تركوه وعادوا ،
فسار (أبو جبر) الى (الطائف) ، ليداويه (الحارث بن كلدة) ويشفيه ،
فداواه فبرئ وارتحل يريد اليمن فنكس ومات . فرثته عمته (كبشة)^٣ .

وقد عاصر رسول الله ، وفي بعض الروايات أنه أسلم ومات مسلماً في خلافة
(عمر) ، وأنه أكل مع (أبي بكر) وأنه شهد ان (ابا بكر) مات مسموماً^٤
وأنه خرج مع النساء حينما حاصر المسلمون الطائف سنة تسع للهجرة . وأنه عاش
الى أيام معاوية في رواية . وان (آل نافع) و (آل أبي بكر) كانوا يزعمون
أنهم من نسله^٥ .

وأما النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي فهو ابن خالة الرسول . وكان النضر
قد سافر البلاد أيضاً كأبيه ، واجتمع بالأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر
الأخبار والكهنة ، واشتغل وحصل من العلوم القديمة ، واطلع على علوم الفلسفة
وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره وكان يؤاتي
أبا سفيان في عداوة النبي ، ويحسده ، ويكثر الأذى له ، ويتكلم فيه بأشياء
كثيرة ، ويحط من قدره عند أهل مكة . فلما كانت وقعة بدر ، كان على رأس

١ المؤلف والمختلف (ص ١٧٢) .

٢ (١٦٦) ، (تحقيق بنت الشاطي) .

٣ نزهة الجليس (٤٨٤/١) .

٤ الطبري (٤١٩/٣) « ذكر مرض أبي بكر ووفاته » .

٥ الاشتقاق (ص ١٨٥) ، مختصر ابن العبري (ص ١٥٦) ، أخبار الحكماء ، لابن

القفطي (١٦١) ، Die Araber IV, S. 33.

المشركين ، فوقع أسيراً ، ولما كان الرسول بالصفراء أو الأثيل ، أمر بقتله ، فقتل^١ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار (النضر بن الحارث) على هذه الصورة :
 (النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار)^٢ ، وقالوا إنه من
 أشرف قريش وأسيادها ، وكان من مطعمي (بني عبد الدار)^٣ ، ونصوا أنه
 « كان من كفّار قريش شديد العداوة لرسول الله »^٤ ، وأنه كان ابن خالصة
 الرسول ، ولهذا فلا يمكن أن يكون هذا النضر ابناً للحارث بن كلدة الثقفي ،
 الذي هو (الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج) على رواية من ضبط نسبه من
 أهل الأخبار . ثم إن (الحارث بن كلدة الثقفي) ، لم يخلف إلا ابنة يقال لها
 أزدة ، على ما ذكره (أبو عبيدة)^٥ ، لذلك فلا يمكن أن يكون (النضر بن
 الحارث) ابناً له ، كما ذهب إلى ذلك (ابن أبي أصيبعة) وغيره^٦ ، لا سيما
 وإن (ابن أبي أصيبعة) نفسه قد جعله في عداد المشركين من قريش الذين
 آذوا الرسول ، وذكر أنه ابن خالة النبي ، وأنه آذاه وساهم مع المشركين في
 معركة بدر ، فأُسر . وأن أخته (قتيلة) قد رثته بشعر دونه ، كما دونه غيره^٧ .
 وما دونه عنه ، دونه غيره من ترجمة (النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد
 مناف بن عباد) القرشي ، وتجده مذكوراً مع شعر الرثاء في كتاب (نسب قريش)

١ عيون الانباء (١١٣/١ وما بعدها) ، البلاذري (١٤١/١) ، شمس العلوم (٧٩/١)
 بلوغ العرب (٣٣٥/٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٩٩) . شرح نهج البلاغة ،
 لابن أبي الحديد (٣٤٨/٣) ، البيان والتبيين (٢٣٦/٢) ، (٤٣/٤) ، (عبد
 السلام هارون) ، البلدان (١١٢/١) ، شرح ديوان الحماسة ، للتريزي . حاشية
 الشهاب على تفسير البيضاوي (٤١/٤) .

٢ نسب قريش ، للزبيري (٢٥٥) ، ابن هشام ، سيرة (٣٢٠/١) ، (النضر بن
 الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) .

٣ سيرة ابن هشام (٣٢٠/١) ، (٣٢٠/٢) .

٤ الاشتقاق (٩٩) .

٥ الاشتقاق (١٨٥) .

٦ الاشتقاق (١٨٥) .

٧ عيون الانباء (١٦٧) ، (النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي) .

٨ عيون الانباء (١٦٧ وما بعدها) ، سيرة ابن هشام (٢٩٧/٢ وما بعدها) .

للزبيري^١. وهو من العلماء بنسب قريش ومن المتقدمين على (ابن أبي أصيبعة)^٢. وفي رواية يرجع سندها الى (الكلبي) و (مقاتل) ، أن في حق (النضر ابن الحارث) ، نزلت الآية « ومن الناس من يشتري لهو الحديث »^٣. فقد قيل : « إنه كان يخرج تاجراً الى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ، ويقول لهم : إن محمداً ، عليه السلام ، يحدثكم بحديث عاد وحمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة ، فيستملحون حديثه ويتركون اسماع القرآن »^٤. وقد نزلت في حقه ثماني آيات^٥، يفهم من تفسير علماء التفسير لها ، أنه كان ذكياً لبقاً و (شيطاناً) من شياطين قريش ، له علم بالشعر وأخبار الأمم ، يراجع أخبار اليهود وعلماء النصرانية ، ليزيد بذلك علماً على علمه، وكان يعتقد لذكائه وعلمه أنه أحق بالدعوة من النبي ، وحسده وصار يعاكسه في كل مكان .

ووصف بأنه صاحب أحاديث ونظر في كتب الفرس . كان يحدث ، ثم يقول : أينما أحسن حديثاً : أنا أم محمد ؟ ويقول : إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين . وقيل : إنه كان يقول إنما يعينه على ما يأتي به في كتابه هذا جبر ، غلام الأسود بن المطلب ، وعداس غلام شيبه بن ربيعة ، ويقال : غلام عتبة ابن ربيعة ، وغيرهما . فأنزل الله : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين »^٦. وكذلك قال الذين كفروا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاؤوا ظلمات وزوراً . وقالوا : أساطير الأولين ، اكتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً^٧، وروي أنه كان يحدث قومه أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار^٨. وعلى هذا ، فلم يكن النضر ، في عداد الأطباء ، وإنما كان في عداد الواقفين

١ (ص ٢٥٥) .

٢ (١٥٦ - ٢٣٦ هـ) .

٣ سورة لقمان ، الآية ٦ .

٤ أسباب النزول (٢٥٩) ، (سورة لقمان) .

٥ سيرة ابن هشام (٣٢٠ / ١) وما بعدها .

٦ النحل ، الآية ١٠٣ .

٧ الفرقان ، الآية ٤ وما بعدها ، البلاذري (١٤١ / ١) .

٨ ابن هشام (٣٢٠ / ١) .

على أساطير الفرس ولغتهم ، ولا تستبعد مع ذلك عنه مزاوله الطب ، لأن المثقفين في ذلك الوقت ، كانوا يعالجون ويدرسون مختلف العلوم والمعرفة .

وأما ابن أبي رمثة التميمي ، فكان طبيباً على عهد الرسول مُزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح^١ . ولم يذكروا عنه شيئاً غير هذا المذكور . وذكر من الأطباء طبيب يقال له ابن حذيم ، من تيم الرباب . قيل : إنه حاز على شهرة واسعة بين الجاهليين ، وأنه ذكر في شعر لأوس بن حجر ، هو :

فهل لكم فيها إليّ ، فلاني طبيب بما أعيانا النطاسي حذيماً^٢

وزعم انه كان أطب العرب ، . وأنه كان أطب من الحارث بن كلدة ، حتى ضرب بطبه المثل ، فقيل : أطب من حذيم . وذكر أنه كان بارعاً في الكي ، فقيل : أطب في الكي من ابن حذيم^٣ . وقيل هو انه كان من (تيم الرباب) وكان متطبياً عالماً ، وهو أقدم من الحارث بن كلدة . وقد جعله بعضهم (ابن حذام) (ابن حاتم) الشاعر المذكور في شعر (امرئ القيس) ، وهو خطأ ورد من باب التصحيف^٤ .

ويظهر من كتب الحديث والأخبار والتراجم ، ان هناك نفرأ آخرين مارسوا التطبيب في أيام النبي . فقد أشير الى نفر من قبيلة أنمار زاولوا الطب في أيام الرسول^٥ . وذكر ان النبي بعث الى أبي بن كعب طبيباً ، فقطع له عرقاً ، وكواه عليه^٦ .

وأشير الى اسم طبيب آخر ، عرف بـ (ضهاد بن ثعلبة الأزدي) ، ذكر أنه كان يداوي ، وأنه جاء الى رسول الله^٧ . وأنه كان صديقاً للنبي في الجاهلية ،

-
- ١ عيون الاطباء لابن أبي أصيبعة (١١٦/١) ، ابن جليل (ص ٥٧) ، ابن صاعد (ص ٤٧) ، ابن القفطي (٤٣٦) ، تهذيب التهذيب (٩٧/١٢) ، مسند ابن حنبل (١٦٣/٤) ، اللسان (٢٣٢/٦) .
 - ٢ تاج العروس (٣٣٨/٨) ، (حزم) .
 - ٣ بلوغ الارب (٣٣٧/٣) .
 - ٤ الخزائن (٢٣٢/٢) ، (بلاق) .
 - ٥ ابن جليل (ص ٥٤) .
 - ٦ ابن جليل (ص ٥٨) ، زاد المعاد (٨٤/٣) .
 - ٧ نهاية الارب (٧/١٨ وما بعدها) ، (٣٥٠/١٧) .

وكان من أزد شنوءة . وكان رجلاً يتطبب ويرقي ويطلب العلم ، ويداوي من الريح . وقد أسلم . وكان محترماً مقدراً . ذكر أن بعضاً بعثه رسول الله أو أبو بكر ، مرتباً ببلاد ضماد ، فلما جاوزوا تلك الأرض . وقف أميرهم ، فقال : أعزم على كل رجل أصاب شيئاً من أهل هذه الأرض إلا رده ، لمكانة هذا الرجل ولشرفه ولصداقته للرسول ^١ . « وروي أنه قدم مكة معتمراً ، فسمع كفار قريش يقولون : محمد مجنون ، فقال : لو أتيت هذا الرجل فداويته . فجاءه فقال له : يا محمد إني أداوي من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك . فتشهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً ، فقال : أعيدها عليّ ، فأعادها عليه فقال : لم أسمع مثل هذا الكلام قط ، لقد سمعت الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا قط ^٢ .

ولا يستبعد تعلم هؤلاء الأطباء في جنديسابور مركز الطب والعلوم في الانبراطورية الساسانية ، أو في أماكن من بلاد الشام ، فقد كان الطبيب الحاذق محتاجاً في هذا اليوم الى تعلم هذا العلم في أماكن متعددة للاستفادة من تجارب الأطباء . وقد كان السفر متصلاً غير منقطع ، فلا يستبعد قدوم الأطباء وطلاب الطب من جزيرة العرب الى هذه الأماكن للتعلم فيها .

واشتغلت النساء بالمعالجة والتطبيب أيضاً . فقد قامت (ربيعة) تداوي جرحى المسلمين يوم ذهابهم الى (بني قريظة) ^٣ . وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . وكانت لها خيمة في المسجد ، مسجدة الرسول بيثرب تداوي بها الجرحى . ولما جرح (سعد بن معاذ) يوم الخندق ، قال رسول الله : « اجعلوه في خيمة ربيعة التي في المسجد حتى أعوده من قريب » ، وكان الرسول يزوره في خيمتها في الصباح وفي المساء ^٤ . واشتهرت (زينب) ، وهي من (بني أود) بالطب . كانت تطب وتعالج العين والجراح ^٥ .

-
- ١ الاصابة (٢٠٢/٢) ، (رقم ٤١٧٧) ، الاستيعاب (٢٠٩/٢) ، حاشية على الاصابة .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٤١/٤) .
 - ٣ نهاية الارب (١٩١/١٧) .
 - ٤ الاصابة (٢٩٥/٤) ، (رقم ٤٢٤) .
 - ٥ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٤٠/١) ، (١٩٥٧ م) .

والوجع المرض المؤلم^١ ، والعرب تسمي كل مرض وجعاً^٢ ، ويعبر عنه بالسقام كذلك^٣ . وذكر أن (الوعك) الحمى أو ألمها وأذاها ومغثها في البدن ، وذكر ان الوعك لا يكون إلا من الحمى دون سائر الأمراض^٤ .

وقد عالج الأطباء الجروح بوضع الخرق بعضها فوق بعض على الجرح ، أي بتضميده بها ، ويقال لذلك (الغميل) . وكانوا إذا ارادوا تعريق المريض ، غملوه^٥ ، أي غطوه بالثياب ليعرق ، فيشفى من البرد والزكام . والضهاد العصابة أو الخرقه تشد فوق الجرح أو الرأس ، أو أي موضع من الجسم يشتكي من وجود ألم به ، فكانوا يضمّدون الرأس للصداع ، كما كانوا يضمّدون العين ، بوضع الدواء في العين ، أو على الخرقه ثم تضميد العين بها ، ورد ان (طلحة) ضمد عينيه بالصبر ، كذلك كانوا يضعون الأدهان على الضهاد، لتضميد الجروح ، أو الأورام أو موضع الألم^٦ .

ويذكر علماء اللغة أن (النطاسي) ، العالم الشديد النظر في الأمور^٧ ، فهي بمعنى الخاذق . ويقال : طبيب نطيس ونطاسي ، وورد : نطس الأطباء . وهي أكثر ما ترد مع الأطباء ، للدلالة على الخدق والفهم في هذه الصناعة . وذكر علماء اللغة ان اللفظة من المعربات ، عربت من أصل (نسطاس) ، وهي من لغة الروم . والنطس الأطباء الخذاق ، والعالم بالطب بالرومية^٨ .

ولعدم وصول كتب أو صحف أو أحجار لها علاقة بالطب عند الجاهليين ، اضطررنا الى أخذ معارفنا في الطب من الموارد الاسلامية ، مثل كتب التفسير والحديث والادب ، ففيها إشارات الى بعض الامراض ، وفي بعضها إشارات الى معالجة بعض منها . هذا ، وتفيدنا الموارد الاعجمية في هذا الباب كثيراً ،

-
- ١ تاج العروس (٥/ ٥٣٣) ، (وجع) .
 - ٢ ارشاد الساري (٨/ ٣٤٣) .
 - ٣ تاج العروس (٨/ ٣٣٦) ، (سقم) .
 - ٤ ارشاد الساري (٨/ ٣٤٣) ، تاج العروس (٧/ ١٩٢) ، (وعك) .
 - ٥ تاج العروس (٨/ ٥٠) ، (غمل) .
 - ٦ تاج العروس (٢/ ٤٠٥) وما بعدها ، (ضمد) .
 - ٧ بلوغ العرب (٣/ ٣٣٨) .
 - ٨ تاج العروس (٤/ ٢٥٨) ، (نسطاس) ، (نطس) ، (٦/ ٣١٠) .

لورود أمراض فيها وطرق معالجة ، كانت معروفة وشائعة في الشرق الأوسط قبل الإسلام . ونجد في المعجمات الخاصة بالعهدين القديم والجديد وفي تواريخ الطب القديم معلومات ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلينا ، لأنها تعيننا على تكوين رأي في الطب عند الجاهليين .

والمذكورون ، هم أطباء نشأوا في المدن ، وأقاموا في الحضر ، وتعلموا من أطباء محترفين . أما الأعراب ، فقد كان لهم أطباء ، ولكن طبهم ، هو طب العرف والعادة . طب موروث ، يداوي بالوصفات التي داوى بها الآباء والأجداد ، دون تغيير وتبديل وجدل ونقاش . ولهذا ، فهو طب بدائي تقليدي موروث ، يعتمد في مداواته على قدرة القبيلة ، وعلى ما يجده الطبيب حوله من نبات وأعشاب وحيوان ونار فيداوى بها . وما زال الأعراب على طبهم هذا ، يداوون به على نحو ما داوى أجدادهم وأجداد أجدادهم في الإسلام وقبل الإسلام .

وليس لطب البادية اتصال بالطب الخارجي ، إلا ما كان من طب القبائل القاطنة على مقربة من الحواضر ، أو القبائل التي كان لها اتصال مباشر منتظم أو غير منتظم بالعالم الخارجي . فقد تسرب إلى علم (العوارف) فيها نفح من الطب الغريب ، عالج به (عوارف) القبيلة ، واستمروا على المعالجة به ، حتى صار سنة لهم وطباً قليلاً . ومن أهم صفات الطب القبلي ، انه طب لا يثق إلا بنفسه ، ولا يرى الشفاء إلا من أطبائه وبأدويته المتعارفة عنده . والمريض الأعرابي لا يعمل إلا بطب أصحاب الخبرة من الشبية والعجائز الذين عرفوا بممارستهم معالجة المرضى : وللسن عندهم قيمة في نجاح المعالجة والحصول على الشفاء ، فالسن تجربة وعلم . ولذلك فللمسن المعالج الذي يرجع إليه عند الشكاية من الألم والمرض ، تأثير كبير على المريض من الناحية النفسية ، لاعتقاده بأن السنين تزيد في خبرة الانسان وتضيف إلى علمه القديم علماً جديداً . لذلك يثق المرضى به ، مع ان طب الأعراب ، لا يعرف البحث والمطالعة لزيادة العلم ، ولا يركن إلى التجديد بالحصول على معارف طبية جديدة ، بدراسة أثر أعشاب البادية بصورة مستمرة في شفاء المرضى واستخلاص النتائج من مراقبة تأثير الدواء على حالة المريض .

وقد عرف طب البادية بـ (طب الأعراب) وبطب البادية ، وعرف دواء الأعراب بدواء أهل البادية . وهو دواء نابت من محيطهم يستند على المعالجة بالأعشاب وبالرماد وبالألبان وبأبوال الإبل وبالحرز . ومن أدويتهم (النهاء) دواء

يكون بالبادية يتعالجون به ويشربونه . ويظهر انه من حجر يقول له (النهاء) ، وهو حجر أبيض أرخى من الرخام ، يكون بالبادية ، ويجاء به من البحر . وضرب من الحرز^١ .

و (العقار) و (العقاقير) الأدوية . وقيل ما يتداوى به من النبات أو أصولها والشجر^٢ . و (العقار) في الآرامية ما يتداوى به من النبات ، أي دواء^٣ . وطب مثل هذا ، لا يمكن أن يأتي بنتائج إيجابية في معالجة الأمراض الصعبة العسيرة ، وفي حالات مرضية مهمة جداً في نظر بعض الناس ، ولا سيما مشايخ القبائل ، كالعقم وتقوية الشهوة الجنسية ، ولهذا كانوا يلجأون الى أطباء الحضرة . وقد أدرك الرهبان والمبشرون أثر هذه الحالات المرضية ، ولا سيما الأمراض النفسية منها في نفوس أولئك الرؤساء ، وجلهم ممن درس الطب وقرأ الكتب المؤلفة فيه ومارسه عملياً ، فذهبوا بأنفسهم الى القبائل للتبشير ، وعالجوا الرؤساء معالجة نفسانية في الغالب ، وأثروا فيهم ، ونجحوا في مثل هذه الحالات في كسب عطفهم عليهم وتأييدهم لهم ، وفي الدخول في جوارهم ، للقيام بالتبشير . ونجد في التنف الباقية عن حياة المبشرين الذين بشروا بين العرب قصصاً من هذا النوع روي في معالجة بعض الرؤساء ، يذكر أنهم نجحوا في معالجتهم وأن نجاحهم هذا هو كرامة ومعجز قد تمت بفضل الله ومنة المسيح .

ويكون الشفاء عند العرب في ثلاثة : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . وإذا عجز الطبيب من اشفاء مريضه بما عنده من وسائل لجأ الى (الكي) ، ولذلك جاء : « آخر الدواء الكي » . وكان أهل الجاهلية يرون انه يحسم الداء بطبعه فيبادرون اليه قبل حصول الاضطراب اليه ويعالجون به أكثر الأمراض . وروى في الحديث قوله : « الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنهى أمي ثمن الكي »^٤ .

والعسل من الأدوية والوصفات التي أمر بها الأطباء في معالجة بعض الأمراض ، ولا سيما أمراض المعدة ، عولج به وحده ، وعولج به ممزوجاً بمواد أخرى ،

-
- ١ تاج العروس (٣٨٢/١٠) ، (نهى) .
 - ٢ تاج العروس (٤١٧/٣) ، (عقر) .
 - ٣ غرائب اللغة (١٩٦) .
 - ٤ ارشاد الساري (٣٦١/٨) « كتاب الطب » .

لتكوين عجائن ولصقات منه^١ . واستعملت العجائن المكونة من الدقيق والتمر والسمن في معالجة أمراض الجلد وآلام المفاصل ، والتزلات . كذلك استعملت لصقات كونت من مواد أخرى في معالجة مثل هذه الأمراض . والمناقيع هي من طرق المعالجة أيضاً ، ومنها مناقيع الخل والزيت .

وقد ورد في رواية : ان الرسول أرسل عكة غسل الى لييد الشاعر الشهير حين علم بمرضه ، فشرب منها ، وبرى^٢ ، وفي هذا الخبر دلالة على تداويهم بالعسل .

وقد أقام أهل مكة والحجاز وزناً كبيراً للمداواة بالعسل . ونجد في كتب الحديث وفي كتب الأدب والأخبار إشارات الى هذه المداواة . وقد استعملوا العسل في مداواة « المبطون » الذي يشتكي بطنه من الاسهال المفرط ، ومن سوء الهضم ، لإخراج الفضول المجتمعة في المعدة وفي الأمعاء^٣ .

وفي جملة معالجات الأطباء ووصفاتهم للمرضى ، استعمال الحجامة ، أي استخراج مقدار من الدم بكأس يسحب هواؤها بالمص ، فيخرج الدم من الشروط التي عملت في ظهر الرقبة . وقد استخدموها في معالجة الرأس والشقيقة والصداع^٤ . والفصد . واستعمال ديدان خاصة لامتصاص الدم^٥ . والشقيقة صداع يصيب شقي الرأس ، وان أصاب الصداع قنة الرأس أحدث داء البيضة . وأما الصداع فهو عام^٦ .

والفصد ، هو شق العرق لإخراج مقدار من الدم للمعالجة من بعض الأمراض.

-
- ١ عمدة القاري (٢٣٢/٢١) ، « عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل » العقد الفريد (٢٧٣/٦) .
 - ٢ شرح ديوان لييد (ص ٢٥ مقدمة) .
 - ٣ ارشاد الساري (٣٧٨/٨ ، ٣٦٣) .
 - ٤ عمدة القاري (٢٤٢/٢١ وما بعدها) ، « أن عينة بن حصن دخل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يحجم في ناس رأسه » فقال : ما هذا ؟ قال : هذا خير ما تداويتم به ، « الحجامة والكلي » ، العقد الفريد (٢٧٥/٦ وما بعدها) ، ارشاد الساري (٣٧٠/٨) .
 - ٥ عمدة القاري (٢٣٠/٢١ وما بعدها) .
 - ٦ ارشاد الساري (٣٧٠/٨) .

وقد عرف عند العرب كما عرف عند غيرهم^١. وقد داووا الصبيان بـ (الفصيدة) تمر يعجن ويُسَّاب، أي يخلط بدم^٢. والظاهر أن هذا الدم، هو من دم الفصد. وقد كان الجاهليون يأكلون دم الحيوان، يحففونه بعد خلطه مع مادة أخرى، أو وضعه في أمعاء ليَجف فيؤكل، أو مع الشعر ثم يأكلونه، ومنهم من كان يشرب الدم، للقوة. و « وفي حديث عكرمة: كان طعام أهل الجاهلية العلهز. قال ابن الأثير: هو طعام من الدم والوبر »، وذلك أن يخلط الدم بالوبر، أو الصوف ينفش ويشرب بالدماء ويشوى ويؤكل. وقد نسب أكله إلى الفقراء وإلى أيام المجاعة، وزعم أنهم كانوا يخلطون فيه القردان. أو دم الحلم. ونسب أكله إلى القحطانيين، وذلك في شعر هجاء، هو:

وإن قرى قحطان قرف وعلهز فأقبح بهذا ويح نفسك من فعل^٣

وهو من الشعر المنبعث عن عاطفة العصبية ولا شك.

وكان الفصد عند العرب من جملة وسائل القتل التي تستعمل في قتل الملوك والأشراف. تمييزاً لهم عن السوق وسواد الناس الذين يقتلون بحدّ السيف. فقد كان الشريف إذا سقط في أيدي عدوّه ووجد نفسه أنه مقتول لا محالة، أوصى بإسقاؤه الخمر، حتى يسكر، فيخف بذلك ألمه ثم يفصد عرق اليد فيخرج منه الدم حتى يموت ميتة الأشراف.

واستعمل الكي في معالجة أمراض المفاصل، مثل الرثيّة «الروماتزم»، وقد برع في ذلك الأعراب بصورة خاصة. وهو معالجة أخذ بها أطباء أهل الوبر أيضاً، وطريقتهم هي كي الجزء المريض بحديدة محماة، أو بحجر محمى. وقد استعمل الكي أيضاً في معالجة الجروح والقروح ووجع الرأس. وفي العربية مثل قديم: له علاقة به، هو: آخر الدواء الكي. فالكي اذن معالجة يلجأ إليها حينما يعيا الدواء عن الشفاء. واستعمل في معالجة الاستسقاء. بالكي على البطن^٤. وينسب أهل الأخبار المثل المذكور إلى (لقمان بن عاد)^٥. وفي نسبتهم هذه المعالجة إليه

١ اللسان (٣٣٦/٣)، (فصد) .

٢ اللسان (٣٣٦/٣)، (فصد)، تاج العروس (٤٥٣/٢)، (فصد) .

٣ تاج العروس (٦١/٤)، (العهز) .

٤ الفاخر (ص ٥٨، ١٢٦) .

٥ الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب (٣/١)، (حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ م) .

دلالة على قدمها عند العرب . وهي معالجة لا زال الأعراب يستعملونها في مداواة أمراض عديدة عندهم ، لا سيما في معالجة أمراض الروماتزم . وقد ورد أن (خباب بن الارت) اكتوى في بطنه سبع كيئات^١ .

و (الرثية) وجع المفاصل واليدين والرجلين ، وقيل وجع الركبتين والمفاصل ، أو ورم وظلاع في القوائم ، أو هو كل ما منعك من الالتفات أو الانبعاث من كبر أو وجع^٢ .

وقد استعملوا (الكي) للشوكة . والشوكة حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . وقد كوى (أسعد بن زرارة) من الشوكة^٣ . وقيل الشوكة داء كالطاعون ، وكانوا يسكنون الشوكة بالرقى كذلك^٤ .

والبصل والثوم والكمون والكرفس والخردل هي من النباتات التي عولج بها ، فاستعمل البصل لمعالجة التزلات الصدرية وبعض أنواع الحميات وللقيء على الديدان في داخل الجسم . واستعمل الثوم لمعالجة أمراض المعدة والديدان أيضاً ، وفي معالجة أمراض القلب^٥ . واستعمل الكمون في معالجة التزلات الصدرية كذلك . وهو من الأدوية المعروفة عند غير العرب أيضاً ، فقد كان العبرانيون يستطبون به^٦ ، وكانوا يحصلون عليه بواسطة الفينيقيين والعرب . وأحسنه هو الكمون المستورد من (سيلان)^٧ . وعالجوا به في الادرار ، وفي مطاردة الريح في المعدة وللهم^٨ . وعولج بالسنا والشبرم والزبيب ، ويرون أن الزبيب يذهب النصب ، ويشد العصب ، ويطفىء الغضب ، ويصفي اللون ، وبالسفرجل ويرون أنه يشد القلب ، ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر^٩ . وعالجوا بالتين ، استعملوه لمعالجة الإمساك والكبد والطحال^{١٠} ، وعالجوا بالرمان^{١١} .

- ١ ارشاد الساري (٣٥٦/٨) .
- ٢ تاج العروس (١٤٤/١٠) ، (رثى) .
- ٣ الطبري (٣٩٨/٢) ، النهاية لابن الاثير (٢٤٠/٤) وما بعدها .
- ٤ تاج العروس (١٥٢/٧) ، (شوك) ، اللسان (٤٥٥/١٠) ، (شوك) .
- ٥ « الثوم : ويسمى ترياق البدو » ، شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ٢٧٠) .
- ٦ The Bible Dictionary, I, p. 275.
- ٧ تاج العروس (٣٢٢/٩) ، (كمن) .
- ٨ W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 330.
- ٩ تاج العروس (٣٢٢/٩) ، (كمن) .
- ٩ العقد الفريد (٢٧١/٦) وما بعدها .
- ١٠ تاج العروس (١٥٤/٩) ، (التين) .
- ١١ تاج العروس (٢١٩/٩) ، (رمان) .

و (الحُلْبَةُ) من النبات الذي عولج به في أمراض كثيرة ، فعولج به أمراض الصدر مثل الربو والسعال والبلغم ، وعولج به الكبد والمثانة والبواسير وآلام الظهر . وذكر أن (الحلبة) طعام أهل اليمن عامة ، وبالغوا في فوائدها حتى روي أن حديثاً ورد فيها : « لو يعلم الناس ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً »^١ .

وتطيب بالسعوط والنشوق . وقد استعملوا لذلك جملة مواد ، منها : دهن الخردل ، ودهن البان ، والقسط الهندي والبحري ، وبالعود الهندي والكافور . وقد استخدم العود الهندي في معالجة ذات الجنب^٢ . ويرى بعض الباحثين أن النشوق من أصل آرامي هو (نسكو Nosko) من Nsk بمعنى أسال في شيء ، أي دواء يسكب في الأنف^٣ . واستخدم (السنبِل) ، وهو نبات طيب الرائحة في التدوي كذلك ، ويعرف بـ (سنبل) في السريانية أيضاً^٤ .

وذكر أن (السعوط) اسم الدواء يصب في الأنف . وذلك بأن يوضع الدواء في إناء يجعل فيه السعوط ويصب منه في الأنف ويقال للإناء المسعط والسعيط والمُسَظْ . ويستعمل السعوط من مختلف الدهون . وقد استعمل في مداواة (العذرة) ، وهو وجع يأخذ الطفل في حلقه ، يهيج من الدم أو في (الحرم) الذي هو بين الأنف والخلق ، وهو سقوط اللهاة . وقيل قرحة تخرج بين الأنف والخلق تعرض للصبيان غالباً عند طلوع العذرة . وهي خمس كواكب تحت الشعري . أي العبور وتطلع وسط الحرم^٥ .

و (القسط) عود يجاء به من الهند ، فعرف لذلك بالقسط الهندي ، وعود يوثى به من اليمن ، ويعرف بالقسط البحري . وعود عرف بـ (قسط أظفار) وقسط عرف بـ (القسط المر) وهو كثير ببلاد الشام . ويقال للقسط (الكست) و (كشت) . وذكر أن الرسول أشار إلى (القسط) فقال : « عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به من العذرة ويلد به من ذات

-
- ١ تاج المروس (٣١٢/٢) ، (طبعة الكويت) ، (٢٢٢/١) ، (حلب) .
 - ٢ عمدة القاري (٢٣٨/٢١) وما بعدها ، العقد الفريد (٢٧٥/٦) ،
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٠٧) .
 - ٤ غرائب اللغة (ص ١٨٩) .
 - ٥ اللسان (٣١٤/٧) وما بعدها ، (سعط) .
 - ٦ ارشاد الساري (٣٦٧/٨) .

الجنب^١ . وقد استعمل القسط بخوراً ودواء . وهو من نبات أصله من الهند ، يقال له (قسطس) ، وهو معروف عند غير العرب أيضاً ويداوى به^٢ .

وعالجوا بـ (العيد) ، شجر جبلي ضمدوا بلحائه الجرح الطري فيلثم^٣ . وبـ (السنّي) ، نبت يتداوى به . وقد جاء ذكره في الحديث . وقد خلطوه بالحناء لتقوية اللون وتسويده^٤ . وداووا بـ (السعتر) (الصعتر)^٥ ، وبالقرطم ، في معالجة أمراض عديدة^٦ .

وقد كانت النساء تعالج الصبيان من العذرة بالغمز ، وذلك أن المرأة كانت تأخذ خرقة فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في حلق الصبي وتعصر عليه ، فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته^٧ .

وعرف (الدرياق) (الترياق) في التطيب به . استعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، والعرب تسمي الخمر (ترياقاً) و (درياقاً) لأنها تذهب بالهم . و (الترياق) ، فارسيّ معرب . ويقال درياق . بالدال أيضاً . « وفي الحديث إن في عجوة العالية ترياقاً . الترياق ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين »^٨ .

والبلسم ، من المواد المهمة في المعالجات الطبية ، وقد اشتهر كثيراً في الطب القديم ، ليس عند العرب فقط ، ولكن عند أكثر الأمم الأخرى . اشتهر في معالجة الجروح خاصة ، إذ هو مادة صمغية تضمد بها الجراحات . ووطنه بسلاد الحبشة ، واشتهر من أنواعه الجيدة (بلسم جلعاد) عند العبرانيين ، وهو ذو رائحة عطرة . وقد مدحه الأطباء وأثنوا عليه في معالجة الأمراض والجروح^٩ . وذكر علماء اللغة أن (البلسم) ، هو (البلسام) وهو البرسام ، والموم .

١ ارشاد الساري (٣٦٧/٨) ، اللسان (٣٧٩/٧) .

٢ غرائب اللغة (٢٦٥) .

٣ تاج العروس (٤٣٨/٢) ، (عود) .

٤ تاج العروس (١٨٥/١٠) ، (سنّي) .

٥ تاج العروس (٢٦٩/٣) ، (السعتر) .

٦ تاج العروس (٢٤/٩) ، (قرطم) .

٧ ارشاد الساري (٣٦٩/٨) .

٨ اللسان (٣٢/١٠) ، (ترق) .

٩ قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥/١) . Hastings, p. 872. f.

والبلنسم: القطران^١ . و (البلسم) هو (بلسمون) ، و (بلسان) Valsamon^٢ .
وقد استعمل لحاء (العقد) لتضميد الجرح الطري ، فيلتحم لخاصية فيه^٣ :
وعالجوا بـ (البان) ، وهو شجر معروف ، ذكر في شعر (امرئ القيس) ،
ولحب ثمره دهن ، وحبته نافع للبرش ، والنمش ، والكلف ، والحصف ،
والبيهق ، والسعفة ، والجرب ، وتقشر الجلد ، واستعمل في الاسلام لمداواة أمراض
عديدة^٤ .

و (السفوف) كل دواء يؤخذ غير معجون ، مثل سفوف حب الرمان وغيره^٥ .
وترد اللفظة في الآرامية بالمعنى نفسه ، وهي من المعربات عنها^٦ .

واستعملت الزيوت في معالجة عدد من الأمراض والجروح ، فاستعملت في معالجة
البطنة مثلاً^٧ . وقد تخلط بغيرها ، كالخمر أو الخل أو الملح ، وقد تغلى ثم توضع على
الجرح لقطع التزيف منه ولتقيمه . والمعالجة بالزيوت ، قديمة معروفة عند المصريين
والعبرانيين واليونان وغيرهم ، أشير إليها في كثير من الموارد القديمة^٨ . وعولج
(الباسور) بدهنه بزيت الزيتون^٩ .

وعالجوا باستعمال (الحبة السوداء) . استعملوها قليلاً ، وأكلاً ولطوخاً ،
كما سحقوها وخلطوها بالزيت لاستعمالها قطرات في معالجة أمراض الأنف . وقد
كانوا يبالغون في منافعها ، فاستعملوها في معالجة أمراض كثيرة باطنية وخارجية^{١٠}
وذكروا أن الرسول قال : « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء ، إلا^{١١}
السام » ، والسام الموت^{١٢} .

وعولج بالألبان ، ولا سيما ألبان الإبل . وهم يفضلون لبن الإبل على سائر

١ تاج العروس (٢٠٦/٨) ، (بلسم) .

٢ غرائب اللغة (٢٥٥) .

٣ تاج العروس (٤٢٧/٢) ، (عقد) ، (٤٣٨/٢) ، (عود) .

٤ تاج العروس (١٤٧/٨) ، (بون) .

٥ تاج العروس (١٣٩/٦) ، (سف) .

٦ غرائب اللغة (١٨٧) .

٧ The Bible dictl., vol., II, p. 154.

٨ العقد الفريد (٢٧٤/٦) .

٩ عمدة القاري (٢٣٥/٢١) وما بعدها .

١٠ ارشاد الساري (٣٦٥/٨) وما بعدها .

الألبان^١ . وقد عولج به مختلف الأمراض ، ومن ذلك (السقم)^٢ .
وعالجوا بأبوال الإبل . أيضاً . وورد في شعر (لييد بن ربيعة العامري) أنهم
عالجوا ببول الإبل ، وكانوا يغلوها أحياناً ليشربها المريض^٣ .

وعولج بـ (التليينة) ، حساء من نخالة ولبن وعسل ، وقيل حساء يتخذ من
ماء النخالة فيه لبن . وذكر أنها تُجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن وتنظف
المعدة^٤ . وعالجوا بالحساء لغسل البطن وتنظيفها من سوء الهضم^٥ .

وعولج بإهراق الماء على المريض ، وذلك في أمراض الحمى ، وفي الأمراض
التي يشعر المريض بأن في جسمه حرارة والتهاباً ، فيجلس على كرسي ويصب
الماء عليه ، حتى يخفف من شدة حرارة المريض^٦ . كما عولجت الحمى بنصح
المريض بالكثير من شرب الماء البارد وغسل الأطراف^٧ .

وللمحافظة على الأسنان ولظهورها بيضاء نظيفة ، استعملوا السواك وبعض
الأعواد لاستخراج الفضلات التي تتخلل الأسنان ، وما زال الحجاج يستوردون
المساويك من مكة . وقد اشتهرت مكة منذ الجاهلية بالسواك ، يستخرج من أغصان
أشجار تنبت هناك ، لأغصانها رائحة طيبة ، وتساعد على تبييض الأسنان . ومن
المواد التي عملت منها المساويك : البشام ، والضرو ، والعثم ، والأراك ، والعرجون ،
والجريد ، والإسحل^٨ .

وقد حث الاسلام على تنظيف الأسنان بالمسواك . ورد في الحديث : « السواك
مطهرة للفم » أي يطهر الفم . وأشار الى المسواك في الشعر ، إذ ورد :

وكان طعم الزنجبيل ولذة صهباء ساك بها المسحرفاها

-
- ١ عمدة القاري (٢٣٤/٢١) وما بعدها .
 - ٢ ارشاد الساري (٣٦٤/٨) .
 - ٣ شرح ديوان لييد (ص ١١٦) ، عمدة القاري (٢٣٤/٢١) وما بعدها ، ارش
الساري (٣٦٤/٨) وما بعدها .
 - ٤ ارشاد الساري (٣٦٦/٨) وما بعدها ، اللسان (٣٧٦/١٣) ، (لبن) .
 - ٥ ارشاد الساري (٣٦٦/٨) وما بعدها .
 - ٦ ارشاد الساري (٣٧٧/٨) .
 - ٧ ارشاد الساري (٣٨١/٨) .
 - ٨ البيان (١١٤/٣) .

وهو للشاعر (عدي بن الرقاع) ، وورد في شعر آخر :

إذا أخذت مسواكها ميحت به رضاياً كطعم الزنجبيل المعسل^١

واستعمل الإثمد والكحل في معالجة الرمذ^٢ ، كما استعملوا قطرات من أدوية استحضروها مثل ماء الكمأة في معالجة أمراض العين^٣ . وذكر ان الإثمد يحدّ البصر ، ويقوي النظر^٤ .

والكحل ، من جملة مواد تطيب العيون ، ومن جملة وسائل الزينة كذلك . يستعمله الرجال والنساء . وقد كان معروفاً عند الشعوب الأخرى ، يصنع من حرق اللبان أو قشور اللوز، ومن السخام المتبقي من حرق بعض الدهون والزيوت^٥ . وقد عرفت مكة بصنع الكحل قبل الإسلام ، ولا تزال مشهورة به . وقد كان الناس يحملون المكاحل في جيوبهم ويحتفظون بها في بيوتهم ، يعملونها من القرون أو المعادن ، ويبالغ الأغنياء منهم في زخرفتها وفي تزيينها للتبجح بها عند اخراجها أمام الناس^٦ .

ونصحوا بتنقيط نقط من ماء بارد في العين عند النهوض من النوم ، لجلائها وإزالة الغشاوة عنها ، كما نصحوا بوضع القدمين واليدين في ماء بارد أو حار ، وذلك لمعالجة العين ، ولمعالجة القدمين واليدين أيضاً . وقد عرف العبرانيون هذه المعالجة كذلك^٧ .

وكانوا يعالجون الماء الأسود الذي يحدث في العين بالنقب ، أي القدح . وقد ورد في حديث (أبي بكر) أنه اشتكى عينه فكره أن ينقبها^٨ . و (الناقب)

١ تاج العروس (١٤٦/٧) ، (سوك) .

٢ عمدة القارئ (٢٤٥/٢١) ، ارشاد الساري (٣٧٣/٨) .

٣ عمدة القارئ (٢٤٨/٢١) ، « ان الكمأة من اكمن ، وماؤها شفاء للعين ، وهي شفاء من السم » ، العقد الفريد (٢٧٢/٦) .

٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول ، (ص ٢٦١) ، « عليكم بالاثمد عند النوم ، فانه يحد البصر ، وينبت الشعر » العقد الفريد (٢٧٣/٦) .

٥ The Bible dictio., vol., II, p. 234.

٦ Hastings, Dict., vol., I, p. 814.

٧ Ency. of Relig. knowledge, vol., III, p. 1456.

٨ تاج العروس (٤٩٣/١) (نقب) .

و (الناقبة) داء يعرض للإنسان من طول الضجعة ، وقيل هي القرحة التي تخرج بالجنب^١ . وعالجوا الماء الأبيض باستعمال الأشياء الرفيعة الحادة مثل السكين أو العاقول ، لرفع الغشاء الرقيق وسحبه عن العين ، بعد اكتمال نزول الماء بها .

ولقطع نزيف الدم المنبعث من الجروح ، استعمالوا الرماد^٢ ، والزيت المغلية تسكب على الجرح ، لقطع نزيف الدم . أما التزيف النازل من الأنف ، وهو الرعاف ، فقد استخدموا الماء البارد لقطعه . وقصد عرفوا كذلك ربط الجروح بشدة حتى يقف الدم فينقطع ، واستعملوا الضماد والمناديل لمنع الدم من الخروج ، ومن ذلك قولهم : ضمد الجرح ، أي شده^٣ . واستعملوا حرق الحصى والمواد القابلة للاشتعال لاستعمال رمادها لقطع النزيف^٤ ، أو وضع الملح على الجرح لايقاف نزيف الدم منه . ولمعرفة عمق الجروح ومقدار غورها ، استعمالوا آلة يسمونها المسبار^٥ . والمسبار^٦ ، فتيل يجعل في الجرح^٧ . ويعبرون عن مداواة الجرح بقولهم أسا الجرح^٨ ، أي داواه وشفاه^٩ .

وقد عولج الإمساك بالحقن ، أي حقن المريض ، وباستعمال المسهلات لتليين المعدة^{١٠} .

والباسور من الأمراض المعروفة عند الجاهليين ، وقد أشير إليه في كتب الحديث^{١١} . « وفي حديث عمران بن حصين ، وكان مبسوراً ، أي به بواسير » . واللفظة معربة . والبواسير جمع (باسور)^{١٢} . والباسور علة تحدث في حوالى المقعدة ، وعلة تحدث في المآقي ، وفي اللثة^{١٣} .

-
- ١ تاج العروس (٤٩٣/١) ، (نقب) .
 - ٢ عمدة القاري (٢٥٣/٢١) ، صحيح مسلم (١٧٨/٥) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ١٩٣) .
 - ٤ ارشاد الساري (٣٨٠/٨) .
 - ٥ المغرب (٢٤٠) .
 - ٦ ككتاب ، المعاني الكبير (٩٨٣/٢) .
 - ٧ شرح القاموس (٢٥٣/٣) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
 - ٩ المغرب (١٣٣) ، تاج العروس (١٨٢/٩) ، (حقن) .
 - ١٠ صحيح البخاري (٤٨١/٢) ، الجمهرة (٢٥٥/١) ، المغرب للجواليقي (٥٨) .
 - ١١ تاج العروس (٤٢/٣) ، (بسر) .
 - ١٢ تاج العروس (٥٦٤/٣) ، (نسر) .

وعولجت الأورام التي تصيب الجلد بالمناقيع واللصقات ، ولا سيما اللصقات الحارة ، كي تعجل في اخراج الصديد من العضو المتورم . واستعملت هذه اللصقات من سحق بعض الحبوب ذات المادة الدهنية ، مثل حب الكتان أو حب البخور ، وبعد سحقها توضع على النار ثم تفرغ في قماش لتوضع فوق الورم لازالته ، وتحويله الى صديد . واستعملت من مواد أخرى مثل التمر مع الزبد وأمثالها ، وكلها على أساس ان الدفء الذي يكون فيها يسبب زوال الورم وتحول الدم الفاسد الى صديد يخرج أو يجف .

واستعمل (الزقوم) في معالجة الجروح . وهو مرّ شديد المرارة ، وأشير الى (شجرة الزقوم) و (شجر من زقوم) في القرآن الكريم^١ ، ولما نزلت الآية لم تعرف قریش معنى الكلمة ، « فقال أبو جهل : إن هذا الشجر ما ينبت في بلادنا ، فمن منكم يعرف الزقوم ؟ فقال رجل قدم عليهم من أفريقية : الزقوم بلغة أفريقية : الزبد بالتمر . فقال أبو جهل : يا جارية هاتي لنا زبداً وتمراً نزدقه ، فجعلوا يأكلون منه ويقولون : أفبهذا يخوفنا محمد في الآخرة ! »^٢ . والزقوم تبات بالبادية له زهر باسميني الشكل . وقيل شجرة غبراء صغيرة الورق مدورتها لا شوك لها ذفرة مرة لها كعابر في سوقها كثيرة ولها وريد ضعيف جداً يحرسه النحل ونورها بيضاء ورأس ورقها قبيح جداً . وفي أريجها شجرة يقال لها الزقوم لها ثمر كالتمر حلو عفص ، ولنواه دهن عظيم المنافع في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والتقرس وعرق النساء ، وذكر أن أصلها من الهند ، جاءت به بنو أمية من أرض الهند وزرعته بأريجها^٣ .

وعولجت كسور العظام بالجائثر ، وبالدلك ، ووضع المناقيع فوق العضو المصاب عظمه بالكسر ، والجبيرة : العيدان التي تجبر بها العظام ، وذلك بعد جبر المعبر لها^٤ .

ومن المصطلحات الطبية المتعارفة عند الجاهليين : (البطنة) ، وهي التخممة .

١ الصافات ، الآية ٦٢ ، الدخان ، الآية ٤٣ ، الواقعة ، الآية ٥٢ .

٢ تاج العروس (٣٢٦/٨) ، (زقم) .

٣ تاج العروس (٣٢٦/٨) ، (زقم) .

٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٢٩٧) .

وتعالج بالحمية وبالمنقعات والحقن . وقد عرف الجاهليون أثر المعسدة في الصحة العامة ، فعُدّت بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء .

والأمراض التي تعرض لها الجاهليون عديدة ، منها : العمى ، والعمور ، والتهاب العيون ، والرمد ، ومنها : ما يصيب الجلد ، مثل البرص والوضح ، والبهق ، والحكة ، والدمامل ، والبثور ، والجرب ، والقرح ، ومنها أمراض داخلية ، مثل أوجاع المعدة والكبد واليرقان والصداع والشقيقة ، وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام ، والفالج ، والسل ، والحمى ، وأمراض أجهزة البول والبرداء . وأمراض القلب والرعدة والجنون والأمراض العصبية الأخرى وغير ذلك من أمراض لا تزال معروفة .

ومن الأمراض المعروفة عند الجاهليين البرص ، وهو مرض يصيب الجلد ، وهو غير الجذام ويطلقون عليه (الوضح) كذلك ، لياض يظهر في ظاهر البدن^١ ومنه قيل لجذيمة الأبرش جذيمة الوضح^٢ . وقد كان معروفاً في الشرق الأدنى ، وأشير إليه في التوراة ، وهو نوع من (البسورياس) Psoriasis أو (اللبرا) Lepra, Leprosy^٣ . ويظهر أنه كان كثير الانتشار ، وممن أصيب به (الحرث ابن حلزة الإشكري)^٤ ، وجماة آخرون من الأشراف والمعروفين ذكرهم أهل الأخبار^٥ .

وقد نعت البرص ببعض النعوت ، ف قيل لمن به برص (المحجل)^٦ ، و (الوضح) ، و (الوضح) البرص . وقد كان الناس يكرهون مجالسة البرص خشية العدوى ، فكان الملك (عمرو بن هند) يتجنب مؤاكلة البرص ، ويأمر بنضح الأمكنة التي يجلسون عليها حذر العدوى^٧ . وكانت قريش قد أخرجت (أبا عزة ، عمرو

١ تاج العروس (٣٧٣/٤) .

٢ « ويكنى به عن البرص ، ومنه قيل لجذيمة الأبرش : الوضح . وسيأتي الكلام عليه وفي الحديث : رجل بكفه وضح ، أي برص » تاج العروس (٢٤٧/٢) .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٢٠/١) وما بعدها ،
The Univer. Jewish Ency., 7, p. 434.

٤ شرح المعلقات السبع ، للزوزني « دار صادر » (ص ١٥٤) .

٥ المحبر (ص ٢٩٩) وما بعدها .

٦ المحبر (ص ٣٠١) .

٧ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٥٤) .

ابن عبدالله بن عمير بن وهيب بن حذافة) ، وهو من البُصر ، من مكة مخافة العدوى ، فكان يكون بالليل في شُعَف الجبال ، وبالنهار يستظل بالشجر^١ . وأما الجذام ، فإنه من الأمراض المعدية ، وقد كان معروفاً بين الجاهليين ، وقد ورد النهي عن الاختلاط بالمجذومين في حديث : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » مما يدل على شدة عدواه واختلاط المجذومين بين الناس في ذلك العهد . وذكر علماء اللغة أن الجذام علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله ، فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها ، وربما انتهى الى تقطع الأعضاء وسقوطها عن تفرح^٢ .

و (البهق) ، هو مرض جلدي أيضاً ، يترك بياضاً في الموضع المصاب من الجلد ، وهو (زرعة) في العبرانية . ويدعى Leprosy^٣ . وقد كانت أمراض الجلد من الأمراض المتفشية بالنسبة الى تلك الأزمنة ، لقلة العناية الطبية والفقير وعدم توفر وسائل النظافة والتنظيف بين معظم الناس . ولسوء تغذيتهم بسبب فقرهم العام .

و (السفعة) من أمراض الجلد ، وهي سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة ، تظهر في الوجه . وقد علل حدوثها بإصابة العين^٤ . والثؤلول ، بثر صغير صلب على صور شتى تصيب الجسد^٥ . وقد مات (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) من ثؤلول كان برأسه ، حلقة حلاق فقطعه فمات منه^٦ .

ومن الأمراض الخطيرة التي أشير إليها في كتب الحديث والأخبار : الحمى ، وقد كانت شديدة الانتشار في المدينة^٧ ، حتى أضعفت أجسام معظم أهل المدينة والمهاجرين . وهي علة يستحرم بها الجسم . وقد أهلكت كثيراً من الناس ، ولذلك

١ المحبر (ص ٣٠٠ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢٢٣/٨) ، تفسير الطبري (٢٠٠/٣٠) .

٣ Hastings, A Dictionary of Christ and The Gospels, II, p. 24.

٤ ارشاد الساري (٣٩٠/٨) .

٥ تاج العروس (٢٤٣/٧) ، (تنال) .

٦ الاصابة (٩٠/٤) ، (رقم ٥٣٨) .

٧ « والحمى والحمية : علة يستحرم بها الجسم من اللحم ، قيل سميت لما فيها من الحرارة المفرطة ، ومنه الحديث : الحمى من فيح جهنم » ، تاج العروس (٢٦١/٨) (حمم) .

قيل : الحمى رائد الموت ، أو بريد الموت ، وقيل : باب الموت^١ . وقد اشتهرت خيبر بنوع خاص من الحمى عرف باسمها ، فقيل : حمى خيبرية وحمى خيبر وحمى خيبري^٢ . وذكر علماء اللغة أسماء للحمى تحكي صفاتها وكيفية ظهورها وتحكمها في البدن ، فقالوا : حمى الغب ، وذلك اذا أخذت المريض يوماً وتركت يوماً^٣ ، وحمى الريع ، وحمى الصالب ، وهي الحمى التي يكون معها صداع ، والنافض ، والراجف التي تكون معها رعدة ونفضة ، وحمى مغبطة ومردمة ، أي دائمة عليه لا تغلق ، وتسمى الحمى المطبقة أيضاً ، والوعك الحمى ، وحمى الروح ، وحمى الدق أن يغمى عليه في الحمى ، والورد هو يوم الحمى . ويقال للعرق الذي يتصبب من الحمى : الرُحَصاء ، ولأول ما يحس بالحمى : المَسى^٤ . ويقال في السريانية للحمى (حمتو) Hemto بمعنى حرارة^٥ .

وذكر أن (حمى صالب) ، أو (الصالب) حمى معها حر شديد وليس معها برد . وقال بعض علماء اللغة : الصالب من الحمى الحارة خلاف النافض . وقيل هي التي فيها رعدة وقشعريرة^٦ . و (الحمة) في تعريف العلماء علة يستحرق بها الجسم ، سميت لما فيها من الحرارة المفرطة ، ولما لما يعرض فيها من الحميم ، وهو العرق . ورد في الحديث : الحمى من فيح جهنم^٧ .

وقد لاقى الرسول^٨ والصحابة شدة من (حمى) المدينة، وقد ذكر أن (أبا بكر) كان إذا أصابته الحمى - وكانت تزوره مناوبة - قال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

١ تاج العروس (٢٦١/٨) ، (حمم) .

٢ وقال الشاعر الاخنس بن شهاب :

كما اعتاد محموماً بخيبر صالب ، تاج العروس (١٦٩/٣) .

٣ تاج العروس (٤٠٣/١) ، (غب) .

٤ بنوغ العرب (٣٣٩/٣) وما بعدها .

٥ غرائب اللغة (ص ١٧٩) .

٦ تاج العروس (٣٣٨/١) ، (صلب) .

٧ تاج العروس (٢٦١/٨) ، (حمم) .

٨ ارشاد الساري (٣٤٩/٨) وما بعدها .

وكان بلال ، إذا أقلعت عنه الحمى ، يقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
بوادٍ وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل تبدون لي شامة وطفيل

وكان عامر بن فهيرة ، يقول :

قد وجدت الموت قبل ذوقه كسل امرئ مجاهد بطوقه
كالثور يحمي جسمه بروقه^١

الى غير ذلك مما يخبر عن شدة وقع تلك الحمى في أجساد المهاجرين ، ولم
رأى الرسول ما حلّ بصحابته من هذه الحمى ومن ضمجرهم من الإقامة يثير
بسببها توسل الى الله أن يخفف عنهم أذاها وأن يزيل عنها هذا المرض و
يرأها منه^٢ .

ويقسم العرب الحمى الى نوعين : حمى يشعر الانسان فيها بحرارة شديدة تصيب
الجسم ، قد تجعله يتصبب عرقاً من شدة وقع الحمى على الجسم ، ولا يكون ما
برد ، وقد يصاب المريض بها بصداخ ووجع شديد في الرأس ، وحمى يش
الانسان فيها بنفضة ورعدة وقشعريرة ، يقال لها (نافض) و (النافض)
و (حمى نافض)^٣ ، وهي حمى الرعدة ، لوجود رعدة وقشعريرة بها تصيب
الجسم^٤ . ويقول العرب لقرة الحمى ومسها في أول ، عدتها (العرواء) ، وق
أول ما تأخذ من الرعدة^٥ . ويقال لهذه الحمى (الراجف) ، لأنها ذات رع
ترجف مفاصل من هي به^٦ . و (القعتاع) ، وهي حمى نافض تقعقع الأضراس^٧
و (القفة)^٨ .

١ ارشاد الساري (٣٤٧/٨) .

٢ اللهم حجب الينا المدينة كحبتنا مكة أو أشد ، اللهم وصحبها وبارك لنا في مد
وصاعها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ، ارشاد الساري (٣٤٧/٨) .

٣ تاج العروس (٩٢/٥) ، (نفض) .

٤ تاج العروس (٣٥٤/٢) ، (رعد) .

٥ تاج العروس (٢٣٩/١٠) ، (عرى) .

٦ تاج العروس (١١٣/٦) ، (رجف) .

٧ تاج العروس (٤٧٧/٥) ، (قع) .

٨ تاج العروس (٢٢٥/٦) ، (قف) .

وقد كانت الحمى منتشرة في المواضع التي تكون فيها الينابيع والمستنقعات والمياه الآسنة الواقعة وما شاكل ذلك من أمكنة ، ولما كان العرب في حاجة شديدة الى الماء ، كانوا يشربون منها اضطراراً ، فأصيبوا بسبب ذلك بأنواع من الأمراض : وقد كانت وسائل مقاومة البعوض الناقل للحمى غير معروفة ، كما ان وسائل العناية بالصحة وتنظيف الجسم لم تكن متوفرة عندهم بسبب فقر أكثرهم ، لذلك صارت أجسامهم معرضة لمختلف الأمراض ، ولا سيما بين أهل المدر الذين لم تكن بيوتهم صحية ، ولا مياههم نقية ، وكانت بيوتهم ضيقة غير صحية ، فكانوا يصابون بالسل وبالأأمراض الأخرى ، أكثر من الأعراب المتباعدين في السكن ، والذين لا يعرفون البعوض ، ويستنشقون الهواء النقي ، وتقيهم الشمس من شر الجراثيم .

والذئبة ، وهي داء يأخذ بالخلق ، وقد كان معروفاً بين الجاهليين ، وكانوا يعالجونها بالكبي . ذكر أن الرسول كوى (أسعد بن زرارة) في حلقه من (الذئبة) ، وقيل (الشوكة)^١ . وأنه عاد (البراء بن معرور) ، وأخذته الذئبة ، فأمر من لعطه بالنار^٢ :

وقد أشير الى مرض عرف بـ (خبط) في نصوص المسند ، وقد فسر أنه برد شديد في الرأس^٣ .

وقد كانت الأوبئة تفتك بالناس فتكاً ، فكان الأغنياء والموسرون يفرون من الأماكن المزدحمة الى أماكن بعيدة ، ويلجأون إلى الصحارى ابتعاداً عن المصابين بها . وكانوا يرجعون أسبابها وأسباب الأمراض عموماً الى غضب الآلهة على الناس ، وإلى أرواح شريرة تصيب الجسم من الأكل والشرب ، وإلى أنواع من الهوام والحشرات . ومن أشهر أنواع هذه الأوبئة الطاعون والجذري والهيضة .

والطاعون المرض العام والوباء ، وقد أشير اليه في كتب الحديث . ويظهر انه كان منتشراً معروفاً في الحجاز وفي سائر أنحاء جزيرة العرب آنذاك . وقد جعل

١ اللسان (٤٣٨/٢) ، (ذبح) ، الإصابة (٥٠/١) ، (رقم ١١١) .

٢ اللسان (٤٣٨/٢) ، (ذبح) .

٣ Mahram, p. 437.

٤ تاج العروس (٢٦٩/٩) ، « طاعون عمواس » في أيام عمر ، ارشاد الساري

(٤٨٣/٨) وما بعدها .

بعض العلماء الطاعون نوعاً من أنواع الوباء ، وفرّق بينهما بعض علماء اللغة ، وجعلوا الوباء المرض العام عامة ، مهما كان ، مثل انتشار الحمى والجُدري والطاعون والزلات والحكة والأورام . وقد ذُكرت الأوبئة في كتب الحديث^١ . و (الدبل) الطاعون^٢ .

ونسب الجاهليون حدوث الطاعون الى (وخز الجن) ، فهو يقع لأن الجن تطعن الشخص وتخزه فيصاب بالطاعون . وقد أشار الى هذا الرأي (حسان بن ثابت) ، أشار اليه في أثناء حديثه عن أعاصير نزلت بـ (بصرى) وبـ (رمح) وعن (دخان نار) ، حتى أثرت في كل قصر ومترل في ذينك المكانين ، ثم أعقب ذلك (وخز جن بأرض الروم)^٣ ، أي بلاد الشام وفيها المكانان المذكوران إذ كانت تحت حكم الروم ، كما أشار الى هذه الفكرة شاعر آخر اسمه (الغساني)^٤.

ونجد في كتابات المسند إشارات الى أوبئة تكتسح البلاد فتفني عدداً كبيراً من الناس . فوجد فيها أن فلاناً يحمّد آلهته لأنها منت عليه بالعافية وأنقذته من الوباء الذي تفشى في أيامه فأهلك الناس. وقد كان القدراء من الناس يهربون من الأرضين الموبوءة الى أرضين أخرى بعيدة سالمة ليتخلصوا من الوباء . ونجد في الكتابة الموسومة بـ (CIH 343) رجلاً اسمه (يحمّد) يشكر إلهه (تألب ريام) ، لأنه منّ عليه بالعافية وشفاه من المرض الذي نزل به في وباء انتشر فيما بين (هوزن) (هوازن) (هوزان) و (سهرتن) (سهرت) . وقد كانت الأوبئة تكتسح المناطق الواقعة عند قواعد الجبال وفي المناطق الحارة الرطبة ، ولا سيما التهائم . وتقع (هوزن) (هوزان) (هوازن) عند مرتفعات (حراز)^٥ .

وقد كانت الحروب من المصادر التي غدت العربية الجنوبية بمسادة دسمة من الأوبئة . فقد كانت تأتي على عدد كبير من الناس ، فتتركهم جثثاً تتعفن على ظاهر الأرض ، كما كانت تأتي على مواطن السكن ومواضع المياه وتأتي على كل

-
- ١ شرح لقاموس (١٣٠/١) .
 - ٢ تاج العروس (٣١٧/٧) ، (دبل) .
 - ٣ فاعجل القوم عن حاجاتهم شغل من وخز جن بأرض الروم منكور البرقوقي (ص ٢١٩) .
 - ٤ البرقوقي (ص ٢١٩) ، ديوان حسنان (ص ٧٩) « هرشفلد » .
 - ٥ Beiträge, S. 119.

ما يملكه الناس ، وتزيد في مشكلة الفقير مشكلة ، وتبعد الناس عن النظافة ، فتتهيء بذلك للأوبئة أمكنة جيدة ، للتعلم بها كيف تشاء . ودليل ذلك ما نجده في كتابات المسند من اشارات الى أمراض وأوبئة تعم المناطق المنكوبة بالحروب ، حيث تكتسح من الأحياء ، ما لم يتمكن السيف من اكتساحه منهم .

وذكر الأخباريون نوعاً من البثور يخرج بالبدن ، دعوه : العدسة ، عرفوه أنه : بثرة صغيرة شبيهة بالعدسة ، تخرج بالبدن مفرقة ، كالطاعون ، فتقتل غالباً ، وقلما يسلم منها . وقد رمي بها أبو لهب فمات . والظاهر أن هذا المرض كان منتشراً بمكة ، فقد روي أن قريشاً كانت تتقي العدسة ، وتخاف عدواها^١ .

وقد كان الجاهليون يعرفون عدوى بعض الأمراض ، فكانوا يتجنبونها ولا يقتربون من المريض المصاب بها ، ويطلقون عليها العدوى^٢ ، فكانوا إذا أصيبوا بأوبئة ، فرّوا الى أماكن بعيدة سليمة تهرباً منها ، وحجروا على المريض ، لئلا يقترب منهم ، فينتقل المرض اليهم . وذلك لما كانت الجاهلية تعتقده في بعض الأمراض من أنها تعدي بطبيعتها ، مثل الجدام^٣ .

والحصبة ، من الأمراض المعروفة عند الجاهليين^٤ . وكذلك الجدري . وقد ذكر بعض الأخباريين أن أول جدري ظهر هو ما أصيب به أبرهة^٥ . وهو قول من هذه الأقوال المعروفة عند الأخباريين ، فالجدري من الأمراض القديمة المعروفة عند الجاهليين قبل أبرهة بزمان .

وذكر ان العرب عاجلت الحصبة والجدري بمحاررة الشجر ، وبالحنظل والحرم^٦ .

و (السل) من الأمراض المعروفة بين الجاهليين . ذكر بعض أهل الأخبار انه عرف ب (داء الياس) ، لأن (الياس بن مضر) أول من مات من السل ، فسمي بذلك ، وسمي ب (ياس)^٧ .

١ تاج العروس (١٨٦/٤) ، الاشتقاق (ص ١٤٣) .

٢ شرح القاموس (٢٣٤/١٠) .

٣ ارشاد الساري (٣٧٣/٨) .

٤ شرح القاموس (٢١٤/١) .

٥ شرح القاموس (٨٩/٣) .

٦ الاشتقاق (ص ١٠١) .

٧ الروض الانف (٧/١) ، تاج العروس (٣٧٨/٧) ، (سئل) .

ومن العلل : البرقان ، والصداع ، و (الشقيقة) ، وهو وجع يكون في شق الرأس ، و (السعال) وجع في الصدر ، والزكام ، والزحير ، والحصر وهو انقباض البطن ، والأسر وهو احتباس البول والحصى في مجرى البول ، والحكة ، والحصف ، والحمرة ، والشرى ، والحياق ، والقوباء ، والثؤلول ، والعُرس وهو الجرب الأبيض ، وداء الثعلب ويصيب الشعر ، وداء القيل ويعتري الرجلين ، والدَوَّار ، والهيفة ، وتسمى الفضجة ، والنملة ، وهي بثور صغار مع ورم يسير ثم تتفرح فتسعى وتتسع ، وتسمى أيضاً الذباب ، والجنون والحدرد ، والقالج ، والحزاز وهي القشرة التي تصيب الرأس ، والحذبة ، والطرش ، والطلق ، والجشاء ، والباسور ، والناسور ، والبهق ، والكلف ، والمغس ، والمغص ، والاستسقاء ، والإغماء ، والاختلاج ، والبخر ، والفواق ، والجشاء ، والقلس^١ .

وعرفت القوباء بأنها الحزازة ، وذكر أنه كانت بوجه أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لحيان المأربي السبتي حزازة ، توسعت فالتقمت أنفه^٢ . والقوباء هو الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه ، يتقشر ويتسع ، يزعمون أنه يعالج بالريق . وقالوا :

يا عجباً لهذه الغليظة هل تغلبن القوباء بالريقة^٣

ودم الملوك ، دواء ينفع ويفيد في معالجة من يعضه كلب كلب في نظر الجاهليين . فإذا أصيب إنسان بداء الكلب ، فشفاؤه بمعالجته بدم الملوك . وقد عرفه (ابن دريد) بقوله : « والكلب داء يصيب الناس والإبل شبيه بالجنون . وكانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجل الكلب ، قطروا له دم رجل من بني ماء السماء ، وهو عامر بن ثعلبة الأزدي ، فيسقى ، فكان يشفى منه . قال الشاعر : دماؤهم من الكلب الشفاء »^٤ .

وكانوا إذا خافوا على المرأة الحامل ، ووجدوا أن ولدها ميت في بطنها ،

١ بلوغ الارب (٣/٣٣٩ وما بعدها) .

٢ الاصابة (١/١٧) .

٣ تاج المروس (١/٤٤١) ، (قوب) .

٤ الاشتقاق (ص ١٤) .

استخرجوه منها . وجوزوا قيام الرجل بذلك . وعبروا عن ذلك بـ (السطو)^١ .

ويلعب التطبيب بالسحر والرقى والتعويد ذوراً خطيراً في حياة الجاهليين ، كما يظهر ذلك من الأخبار الواردة في كتب الحديث والأدب ، حتى عدّ السحر نوعاً من الطب^٢ . وقد منع الاسلام أكثرها وحرّمها ، ومع ذلك بقيت حية مستعملة بين الأعراب والجهلة من أهل القرى الذين لا تساعدهم أحوالهم المعاشية على مراجعة الأطباء . ويقوم هذا التطبيب على التأثير في المريض ، واستعمال بعض الخرز أو عظام بعض الحيوانات والسحر ، بحجة وجود علاقة بين المرض والأرواح ، وأن هذا النوع من التطبيب يطرد الروح الخبيثة التي تدخل الجسم فتصيبه بالمرض من ذلك الجسم . وهذا الرأي في المرض ، رأي شرقي قديم ، سيطر على كل الشعوب القديمة . فقد كان في رأي الأطباء ، أن المرض روح شريرة تستولي على الجسم المريض بدخولها فيه ، وإن واجب الطبيب العمل بعلمه وبفنه لاخراج الروح الشريرة من الجسم^٣ .

وفي جملة الوسائل التي استعملت لمكافحة المرض والتغلب على الأرواح الشريرة أو النظر ، أي إصابة الإنسان بالعين من حاسد تصيب عينه إصابة مؤذية ، الاستعانة بالرقى والتعاويد . وقد كان العبرانيون يطلقون على التعاويد لفظة (حرط)^٤ ، وهي أنواع ، بعضها على هيئة قلب يعلق بسلسلة في العنق ، ويتهدل القلب الى الصدر ، فيكون من جملة وسائل الزينة ، وبعضها يربط بالعصد وفي مواضع أخرى من الجسم .

ولم يقتصر الجاهليون في اتخاذ هذه الوسائل على حماية أنفسهم فقط ، بل اتخذوها لحماية ما يملكونه أيضاً من حيوان وزرع وملك ، فعلقوا العظام أو المعادن أو نعل الحيوان مثل نعل الفرس ، ورسّموا العين واليد على الجدر وفوق الأبواب ، لحمايتها من العيون المؤذية ومن حسد الحاسدين ، ولا يزال الناس يستعملونها لحماية أنفسهم ومقتنياتهم من الاصابة بأذى العين وبحسد الحاسدين .

١ تاج العروس (١٧٧/١٠) ، (سطا) .

٢ عمدة القاري (٢٦٣/٢١ وما بعدها) شرح القاموس (٣٥١/١) .

٣ A. Jeremias, Altorientalische Geisteskultur, S. 55. ff., The Universal Jewish

Ency., Vol., 7 pp. 434.

Hastings Dict., Vol. I, p.88. ٤

والجنون وسائر الأمراض العصبية معروفة بين الجاهليين أيضاً ، وهم يعدونها من الأمراض التي تحدث للإنسان بسبب دخول الجنون والشیاطین في جسد الإنسان فتتملكه ، ولا يمكن شفاء من أصابه مس من الجنون أو لوثة في العقل ، إلا بإخراج الأرواح المسيطرة على المريض من جسده. ولذلك كان علاج هذه الأمراض من واجب الكهان والسحرة في الغالب ، بسبب كونها أمراضاً لم تقع من آفة في الجسد ، وإنما وقعت من عارض خارجي ، هو دخول الأرواح إلى الأجساد ، ومهمة إخراج تلك الأرواح من وظائف المذكورين .

وقد عالج العرب الجنون والخلل بشرب دماء من دماء الملوك . ومن أقوالهم: دماء الملوك شفاء من عضمة الكلب الكلب والجنون والخلل . ومعالجة داء الكلب ، بلعق دم الملوك أو الأشراف من الأدوية المشهورة عند الجاهليين في مداواة هذا المرض . ونسب إلى (الخليل بن أحمد) « أنه قال : دواء عضمة الكلب الكلب الذراريح والعدس والشراب العتيق . وقد ذكر كيف صنعته وكم يشرب منه وكيف يتعالج به »^١ . وذكر أهل الأخبار أن (الأسود بن أوس بن الحمرة) أتى (النجاشي) فعلمه دواء الكلب ، وقد ورث ولده هذا الدواء . ومن ولده (المحل) . وقد داوى (عتيبة بن مرداس) فأخرج منه مثل جراء الكلب^٢ . و (الأسود بن أوس) ، هو من (بني الحمرة) ، وهم من (ثعلبة بن يربوع) . وقد ذكر (ابن دريد) ، أن (الأسود بن أوس) تعلم من (النجاشي) ، دواء الكلب ، وأن نسله يداوون به العرب إلى اليوم ، أي إلى يومه ، وقد صار منهم اليوم إلى (بني المحل) ، فهو فيهم أيضاً^٣ .

وقد ظن الجاهليون أن النوم يؤدي إلى امتداد السم في جسد اللديغ ، فكانوا يعلقون الجلاجل والحلي على اللديغ ثم تحرك لثلاً ينام فيذب السم في جسده^٤ . ويقولون أنه إذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرعاث ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم . قال النابغة :

١ عيون الأخبار (٧٩/٢) .

٢ عيون الأخبار (٨٠/٢) .

٣ الاشتقاق (١٣٨) .

٤ المعاني الكبير (١٠٠٨/٢) .

يسهد في وقت العشاء سليمها الحللى النساء في يديه قعاقع^١

وفي جملة ما داووا به الخلدل الذي يصيب الرجل ، انهم كانوا يذكرون أحب للناس الى الشخصص ، فيذهب الخلدل عنه^٢ .

وزعموا انه اذا ظهرت بشفة الغلام بشور ، يأخذ منخلًا على رأسه ويمر بين بيوت الحي ، وينادي : الحلا الحلا ، فيلقى في منخله من هاهنا ثمرة ، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فإذا امتلأ ، نثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحلا^٣ .

وإذا أراد أحدهم دخول قرية ، فيخاف وباءها ، أو جنها ، فله سبيل سهل يحميه ويقيه ، هو أن يقف على باب القرية والموضع الذي يريد دخوله ، ثم ينهق نهيق الحمار، ثم يعلق عليه كعب أرنب ، فيدخل عندئذ الموضع دون خوف . فقد فعل ما يتقي به الأذى والسوء . ويسمون ذلك التعشير . قال عروة بن الورد :

لعمري لئن عشت من خشية الردى نهاق الحمير لإنني لجزوع^٤

وإذا أردت المرأة المقلاة أن يعيش ولدها ، ففي إمكانها ذلك اذا تخطت القليل الشريف سبع مرّات، وعندئذ يعيش ولدها . وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :

تظل مقاليت النساء يطلأنه يقطن ألا يلقى على المرء مثرر^٥

والجاهليون ، مثل غيرهم من شعوب ذلك الزمن ، وفي جملتهم العبرانيون ، كانوا يرون أن الأمراض هي غضب يسلطه الآلهة على الانسان لتنتقم منه ، لسبب ما ، مثل عدم قيام المريض بواجباته تجاهها ، ولهذا كانوا يسرعون بتقديم النذور والقرايين اليها ترضية لها . ويرد المرض اليهم ، بتسلط الهوام وبعض الديدان والأرواح الشريرة على الانسان ، فتصيبه بالمرض . ولهذا كان الطب من واجب

١ نهاية الارب (١٢٤/٣) .

٢ نهاية الارب (١٢٥/٣) .

٣ نهاية الارب (١٢٥/٣) .

٤ نهاية الارب (١٢٥/٣) ، بلوغ الارب (٣١٥/٢) .

٥ نهاية الارب (١٢٤/٣) .

الكهان ورجال الدين بالدرجة الأولى ، هم يداوون المريض ويعطونه الوصفات التي يعتقدون أن فيها الشفاء للمريض ، كما كانوا يعتقدون بالنظر ، أي بإصابة الإنسان ، فيلحقه المرض^١ .

وقد مارس التطبيب بين العرب المبشرون ، وذلك بعد الميلاد بالطبع، وأكثرهم من الأعاجم ، وكانوا قد درسوا الطب وتعلموه على الطريقة اليونانية في الغالب ، فلما أرسلوا الى بلاد العرب أو جاءوا هم أنفسهم للتبشير ، مارسوا تطبيب المرضى ، وقد شفوا جماعة من سادات القبائل ، وأثر شفاؤهم هذا عليهم فاعتنقوا النصرانية. واشتهر (العباديون) بالتطبيب كذلك^٢ ، ولعل ذلك بعامل تنصرهم ، فقد كان أكثر رجال الدين النصارى يدرسون مختلف العلوم ، وفي جملة ذلك الطب ، ومنهم من ترجم كتب العلوم اليونانية إلى السريانية ، فدرس العباديون هذه العلوم . وكان طبهم مبنياً على العلوم والتجارب السابقة ، ومتقدماً جداً بالنسبة إلى طب أهل البادية ، لذلك نجح المبشرون والنصارى في معالجة أمراض الأعراب ، ولا سيما سادتهم ، الذين صاروا يقصدونهم لنيل الشفاء على أيديهم . ومن ثم اشتهر النصارى بالطب ، ولما جاء الاسلام ، كان أكثر الأطباء من النصارى ، وعلى أيديهم تخرج الأطباء المسلمون .

وقد استخدم الجاهليون النساء لتمرير الجرحى في غزواتهم ، وقد فعل المسلمون فعلهم . قالت (بنت معوذ بن عفراء) : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة »^٣ . وقد كان في مسجد الرسول موضع يعالج فيه المرضى والجرحى ، وكان الرسول والصحابة يتفقدون المرضى النازلين به^٤ .

وليس في الموارد المتوفرة لدينا ما يدل على إقدام الأطباء الجاهليين على التشريح ، للاستفادة منه في زيادة علمهم بالطب . وقد كانت شعوب الشرق الأدنى تنفر من تشريح الإنسان ، وتعدّه مثله واهانة للمتوفى ، وعملاً مخالفاً لأحكام الدين ،

١ Hastings. Dict. of the Bible, p. 597. ff.

٢ الفاخر (ص ٥٨) .

٣ ارشاد الساري (٣٦١/٨) .

٤ كتاب الجهاد .

ولذلك نهت عنه^١. والجاهليون لا يختلفون من هذه الناحية عن غيرهم إن لم يزيدوا عليهم في هذه الأمور التي يعدونها حرمة وكرامة للإنسان. وتشريح الميت وتقطيع بعض أجزاء جسمه، اعتداء على حرمة الميت، وإهانة له ولأهله الأحياء، ولهذا لا نطمع في الحصول على موارد قد تفيد بوجود خبرة علمية عند الأطباء الجاهليين ناتجة من تجاربهم وبحوثهم التي حصلوا عليها من التشريح.

ولم يرد البنا أي شيء مفيد في الكتابات الجاهلية عن الطب والأطباء، وإن أملنا الوحيد في الحصول على معارف عن الطب، متوقف على المستقبل يوم يقوم علماء الآثار بالتنقيب تنقيباً علمياً عميقاً في باطن الأطلال الأثرية، للكشف عن تأريخ الماضين. وعندئذ يكون من الممكن العثور على نصوص قد تكشف النقاب عن الطب الجاهلي وعن العلوم الأخرى وعن مختلف نواحي الثقافة عند الجاهليين.

ويقال للمرض (مرضم) أي مرض في الكتابات الجاهلية^٢. وتؤدي لفظة (حلصم) (حلظم) (حلظ) معنى مرض ووباء^٣. ويتبين من بعض الكتابات أن أوبئة شديدة وأمراضاً مهلكة كانت تقع في بعض الأحيان، ففتك بالناس. وقد كانوا يتجنبونها بالتضرع إلى الآلهة للرحمة بهم وتخليصهم من الضر، كما كانوا يتركون المدن والأماكن المزدحمة إلى محلات بعيدة مكشوفة غير موبوءة حتى ينكشف الوباء. وفي جملة هذه الأوبئة الطاعون.

ويعبر عن المرض في المسند بلفظة أخرى هي (شين)، وهي في معنى (شعين) Sha'en في الآثيوبية و (سيعون) Se'on في العبرانية و (شينو) Shenu في البابلية^٤، وذلك كما في هذا النص السبئي: «تشين شين أرجلهو»^٥، أي

١ Hastings, Dict., p. 598.

٢ Rhodokanakis, Katab. Texte, II, S. 33, Jamme, Sabaen Inscriptions, p. 441.

٣ خليل يحيى نامي، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها، (ص ٣٦)، السطر السادس من النص رقم ٢٢.

Rhodokanakis, Kata. Texte, II, S. 33, CIH, 407, Mardtmann und mittwoch, alt. Inscr., S. 47.

٤ Repe. Epi. Seml., Tome VII, Prim. Livr., p. 30. f. Num. 3991.

٥ المصدر نفسه، الفقرة: ٧.

المرض الذي مرض أرجله ، و (تشين) بمعنى المرض . وكما في هذه الجملة : « بن هوت تشين »^١ ، أي « في هذا المرض » و « من هذا المرض » . وتعني (تشين) أذى ومكروه ومعنى سوء كذلك ، وهي في عربيتنا العراقية ضد (الزين) أي الحسن ، فنقول : زين وشين ، أي حسن وقبيح ، أو جيد ومكروه .

ووردت لفظة (عوس) بمعنى وباء أو طاعون . وأما (خوم) ، فتؤدي معنى (وخم) و (خامة) ، ويراد بها انتشار الأمراض والأوبئة ، أي وباء . جاء في بعض النصوص (عوس ذكون بأرضين) ، أي (الأوبئة التي انتشرت بالأرضين)^٢ . وورد (خوم وعوس وموت كون بأرضين)^٣ ، أي (الوخامة) (الوخم) والأوبئة والوفيات التي تفشت في الأرض . ورد « كن ضلم وعوسم باشعين وهكرن » ، أي « وكانت أو تفشت أمراض وأوبئة بالقبائل والمدن »^٤ . وورد « خوم ذكين بكل أرضين » ، أي « الوخامة (أوبئة) تفشت في كل أرض »^٥ . ويفهم من هذه النصوص أن العربية الجنوبية ، كانت معرضة لأوبئة عامة ، تأتي فتكتسح البلاد اكتساحاً ، تيمت الأعراب ، أبناء القبائل ، كما تيمت أهل المدن ، فتشمل مناطق واسعة من البلاد . وقد كانت تظهر خاصة بعد الحروب التي كانت تفي القرى والمدن ، وتدمر مواضع المياه ، وتترك الجثث ملقاة على سطح الأرض حتى تنتن وتجيّف ، فتتفشى منها الأمراض ، وتظهر الأوبئة ، وتتسرب إلى مواضع نائية لتضيف إلى خسائر الحرب خسائر أخرى فادحة في الأرواح .

وقد وردت في نصوص ثمودية اشارات إلى أمراض كانت معروفة في ذلك الوقت^٦ .

١ المصدر نفسه ، الفقرة : ١٢ .

٢ خليل يحيى نامي ، نقوش عربية جنوبية ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ١٩٣٧ ، (ص ١ ، ١٣ قسم ٢ ، ١٦) ، (١٩٥٤) (ص ٢١ وما بعدها) .

CIH 81, 4, Jamme 645, Ma. Mb. 275.

Ja 645, 13-14. ٣

CIH 541, 72-73. ٤

Rep. Eplg., 4138, 4-5. ٥

Grimme, S. 40. ٦

وفي العربية ألفاظ عديدة تعبر عن الأوجاع والآلام والأمراض والأسقام التي تصيب الإنسان ، وتستعمل للتعبير عن منزلة ودرجة من درجات الأمراض التي تصيبه ، من نفسية وغير نفسية . وتحديد مدلولاتها وحدودها ، يفيدنا كثيراً في تكوين رأي في مدى تأثير الجاهليين بالنواحي الطبية والنفسية في ذلك العهد .

وقد كان الختان شائعاً بين العرب ، ويستعمل (الموسى) للختان ، ولوقف الدم تستعمل أدوية خاصة من مراهم ومواد ، كما يستعمل الضماد أيضاً . ولم يكن الختان من أعمال الطبيب ، إنما يقوم به الختان ، والحلاقون والحجّامون .

وقد عرف الجاهليون طريقة تغطية بعض العيوب أو الإصابات التي تلحق بأعضاء الجسم ، بالاستعانة بالوسائل الصناعية ، فشدوا الأسنان وقووها بالذهب ، وذلك بصنع أسلاك منه تربط الأسنان ، أو بوضع لوح منه في محل الأسنان الساقطة ^١ . واتخذوا أنوفاً من ذهب ، لتغطية الأنف المقطوع ، كالذي روي عن عرفة بن أسعد من أنه اتخذ أنفاً من ذهب ، وكان قد أصيب أنفه (يوم الطلاب) في الجاهلية ^٢ .

وتخصص نفر من الجاهليين بمعالجة الحيوان ، وهم البيطرة ، يعالجون أمراضها فيصفون الأدوية ، يقال للواحد منهم البطير والبيطر والبيطار ، وقد أشير إليهم في أشعار الجاهليين ^٣ . ويعالجون الجروح التي تصيبها . وفي جملة ما كانوا يعالجون به الكي ^٤ . والمعالجة باستعمال القطران ، وذلك بطلي الحيوان المريض به ^٥ . ومن هذه الأمراض الجرب . ويقال للحيوان المطلي بالقطران (المقطور) أما إذا كان أنثى ، مثل ناقصة ، فيقال : « مقطورة » ^٥ . ويقال إن الجرب ، هو العُرّ . والعُرّ يثر في الإبل ، ويعالج بالقطران . قال علقمة الفحل :

قد أدبر العُر عنها وهي شاملها من ناصع القطران الصرف تدسيم ^٦

١ المعارف (ص ٨٢) .

٢ العقد الفريد (٣٥٤/٦) ، الطبقات ، لابن سعد (٤٥/٧) .

٣ تاج العروس (٥١/٣) ، (بطر) .

٤ تاج العروس (٥٠٠/٣) ، (قطر) .

٥ شرح ديوان لبيد (ص ١٢٢) .

٦ الفاخر (ص ٦٦) .

وكان بعضهم إذا وقع العُرّ في إبلهم ، « اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل ، فكروا مشفره وعضده وفخذة ، يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العُرّ عن إبلهم » . ويقال لهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى : قال النابغة :

وكلفني ذنب امرئ وتركته كذي العُرّ يكوى غيره وهوراتع^١

والهناء : ضرب من القطران تطلّ به الإبل ، لمعالجة الجرب وغير ذلك . ويقال للجرب عند أول ظهوره : النقب^٢ . ويقال للبعير المهنوء بالقطران (المشوف)^٣ .

وعالجوا أمراض الجلد التي تصاب بها الإبل بطلبها بالنفط . ويقال لذلك : (الكحيل)^٤ .

ومن الأمراض التي تصيب (الإبل) مرض (الدبرة) ، يظهر في سنام الإبل فلا يزال يأكل سنامه حتى يُحَبّ ، أي يقطع ، وإلا نزل على السناسن فيصيبها ويموت الحيوان . وإذا كان السنام مكشوفاً ، فإن الطيور تنقره فيتأذى الحيوان ويتألم وقد يموت ، ولعل ذلك هو الذي حمل الجاهليين على التشاؤم من (الأخيل) وبعض الطيور الأخرى التي كانت تحط على ظهور الإبل فتنقر سنامها . ويقال للجمل الذي يقطع سنامه (الأجب)^٥ .

ومن الأمراض التي كانت تصيب الإبل (السوآف) ، وقد عرف بأنه داء يصيب الإبل فتهلك^٦ . و (الجارود) ، وهو مرض معد ، إذا فشا أهلك الإبل . وقد ظهر في (بكر بن وائل) ، فأهلك إبلها . وهم يعلمون انه من

-
- ١ نهاية الارب (١٢٣/٣) ، اللسان (٢٣٠/٦ وما بعدها) ، صبيح الاعشى (٣٩٨/١ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣٠٦/٢) .
 - ٢ البيان (١٠٧/١) .
 - ٣ شرح ديوان لبید (ص ١١٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣٢/١) ، (صبيب) .
 - ٥ شرح ديوان لبید (ص ١) .
 - ٦ الاشتقاق (٣١١/٢) .

الأمراض التي تعدي ، وتنتقل بالعدوى^١ . وذكر أهل الأخبار ان (الجارود العبدى) ، وهو رجل من الصحابة من عبد القيس ، إنما سمي (جاروداً) لأنه فرّ يابله إلى أخواله من (بني شيبان) ويابله داء ، ففشا ذلك الداء في إيسل أخواله فأهلكها ، وفيه يقول الشاعر :

لقد جرّد الجارودُ بكر بن وائل

ولذلك سمي المشؤوم جاروداً^٢ .

ومن أمراض الدواب مرض يقال له (العقل) ، يصيب رجل الدابة ، إذا مشت ظلمت ، وأكثر ما يعتري في الشتاء^٣ . ومرض (الحلمة) ، دودة تقع في جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل ، وقيل : دودة تقع في الجلد فتأكله ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل وبقي رقيقاً . وقيل : القراد أول ما يكون صغيراً ققامة ، ثم يصير حنافة ، ثم يصير قراداً ، ثم حلمة^٤ .

وكانوا ينقون رحم الفرس أو الناقة من النطف ، ويخرجون الولد من بطن الفرس أو الناقة ويعبر عن ذلك بلفظة (مسى)^٥ .

ويذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (ييطار) ، هي من أصل يوناني ، هو

Ippiyatros^٦ .

ومن الذين عرفوا بين الجاهليين بمعرفتهم بالبيطرة (العاص بن وائل) ، وكان يعالج الخيل والإبل^٧ . وقد برع البيطرة بمعرفتهم خاصة بالخيل والإبل ، لأنها أئمن أموال العرب . وعناية العرب بالخيل ، هي التي حملت الإسلاميين على وضع مؤلفات خاصة فيها . ومن جملة من ألف في الخيل (أبو عبيدة)

١ الاشتقاق (ص ١٩٨) .

٢ اللسان (١١٦/٣) ، (صادر) ، (جرد) .

٣ اللسان (٤٦٣/١١) ، تاج العروس (٢٨/٨) ، (عقل) .

٤ تاج العروس (٢٥٦/٨) ، (حلم) .

٥ تاج العروس (٣٤٢/١٠) ، (مسى) .

٦ غرائب اللغة (ص ٢٥٦) .

٧ المعارف (٥٧٦) ، (اخراج ثروت عكاشة) .

و (أبو زيد الأنصاري) و (الأصمعي) وآخرون^١ . وللأصمعي كتاب في الإبل^٢ ،
ولأبي عبيدة كتاب في الإبل كذلك^٣ . ولأبي زيد الأنصاري كتاب في هذا
الموضوع أيضاً . ولأحمد بن حاتم مثله ، وقد ألف غيرهم في الإبل وفي حيوانات
أخرى^٤ . وقد طبعت بعض هذه الكتب .

-
- | | |
|---|------------------------------|
| ١ | الفهرست (ص ٨٥ وما بعدها) . |
| ٢ | الفهرست (ص ٨٨) . |
| ٣ | الفهرست (ص ٨٦) . |
| ٤ | الفهرست (ص ٨٧ وما بعدها) . |

الفصل الثلاثون بعد المئة

الهندسة والنوء

ولا بد أن يكون للجاهلين علم بطرق السيطرة على المياه ، وبطرق استنباطها والاستفادة منها . ففي مواضع من اليمن والحجاز والعربية الجنوبية آثار سدود مثل سد مأرب ، لا يمكن أن تكون قد أنشئت بغير علم ودراية وخبرة . ففيها فن في كيفية جمع المياه في خزاناتها ، وفن في كيفية تصريفها وتوزيعها وقت الحاجة بقدر ، وفيها أبواب تتحكم في سير الماء . كذلك كان لهم علم في حفر الآبار وإنشاء الصهاريج لجر المياه إلى الأماكن التي تحتاج إليها . وقد اشتهرت ثقيف بعلمها بطرق استنباط المياه . واشتهرت قبائل أخرى بهذا العلم أيضاً ، وذكر أن بعضها كانت تتفرس وتحبس بوجود الماء من نظرها إلى لون التربة ومن شمها ومن علامات أخرى عرفوها وأدركوها بالتجربة .

ونجد اليوم بقايا سدود استخدمت لحبس (السيول) للاستفادة منها في الشرب وفي الزراعة . وتقع أكثر هذه السدود في الأودية التي تكون مسایل تسيل منها الأمطار المتساقطة في موسمي المطر في العربية الجنوبية . فتعمل الأحباس بين طرفي الوادي لتحبس الماء ، فلا يندفع إلى المواضع المنخفضة فيذهب عبثاً ، وبذلك يرتفع مستواه ، فيسقي الزرع على جانبيه ، وتعمل سواقي لتسيل منها المياه إلى الأماكن المنخفضة التي تقع تحت هذه الأحباس وهكذا تسقى بقية المزارع. وتختلف هذه الأحباس من حيث جودة العمل والاتقان ، فبعضها أحباس بدائية بسيطة ،

عملت من الأتربة ، أو من الأحجار والصخور ، على شكل (سكر) ، يمنع الماء من المرور ، وبعضها عملت بصورة فنية متقنة من الحجر الموضوع بعضه فوق بعض ، مع استخدام مواد ماسكة لشد الحجر بعضه إلى بعض ، وقد يطل السد بمادة تمنع الماء من اللعب به . وتعمل به منافذ ذات أبواب ، تسد وتفتح حسب الحاجة للتحكم بالماء . وتلاحظ بقايا هذه السدود اليوم في وادي مبلقه ، وفي وادي بيجان ، وفي وادي حريب ، وفي أودية أخرى عديدة .

أما أهل المواضع المرتفعة مثل الهضاب والجبال ، فقد عمدوا الى عمل حواجز وحوايط منخفضة ، لمنع المطر من الانحدار ، إذ تحصره هذه الحواجز ، فيسيل الى المزارع ليسقيها ، وقد تعمل له نجار ليسييل الزائد منه والذي لا يحتاج اليه الى أسفل ، فلا يغرق الزرع . وقد يوجه الى كهوف وآبار محفورة وكهاريس ، لتمتليء بالماء ، للاستفادة منه في مواسم انحباس الأمطار .

وتوجد في المعابد فوهات تدفع مياه الأمطار حين سقوطها الى مجاري بنيت تحت الأرض تؤدي الى صهاريج تخزن فيها مياه الأمطار . وقد عثرت بعثة (وندل فيلبس) الأميركية على مواضع خزن الماء في معبد مأرب المعروف في الكتابات بمعبد (اوم) ، (اوام) المخصص لعبادة (المقه) إله سبأ الرئيس . ونجد مثل هذه المخازن في المعابد الأخرى أيضاً . وخزن الماء على هذه الطريقة ، أسلوب متبع في فلسطين وفي المواضع الأخرى ذات الأرض الصلدة الحجرية ، حيث تنقر الأرض وتعمل بها كهوف كبيرة تخزن فيها المياه ^١ .

وقد تخصص قوم وتفرسوا بمعرفة مواطن المياه واستنباطها وساعدوا في حفر الآبار وفي حفر القنى وإنشائها . وفي كتب اللغة أُلْفَظْتُ على الأدلاء الخبراء أصحاب العلم بمواضع وجود الماء في باطن الأرض ، مثل جواب الفلاة ، وذلك لأنه كان لا يحفر صخرة إلا أمائها ، والقناقن ، وهو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الأرض في حفر القنى ، والعياف ، وقد تحدثت عنها وتطلق أيضاً على الدليل الذي يعرف موضع الماء من الأرض ^٢ .

والماء في الأرضين الجافة القاحلة ، نعمة كبرى وحياة لأهلها ، فكانوا يفرحون

Archaeological Discoveries in South Arabia. p. 226.

١
٢ المخصص (٣٥/١٢ وما بعدها) .

ويشكرون آلهتهم ويتقربون اليها بالذبائح والندور عند عثورهم على الماء في الأرضين التي يحفرون فيها الآبار . ولهذا قدسوا الآبار وأسبغوا عليها القدسية ، وتقربوا لها بالندور والهدايا، وعدوا مياهها شافية نافعة مقدسة . والبئر ثروة تدر على أصحابها المال . وقد يبارك الكهان والرؤساء تلك الآبار ، لتنعم على أصحابها بالماء الغزير . وقد كان (المحققون) (محققين) ، وهم الرؤساء عند العبرانيين ، يحضرون الاحتفالات ، ويشكرون إله إسرائيل عند ظهور الماء في الآبار، على نحو ما يفعله العرب في مثل هذه الأحوال^١ .

وقد لجأ الجاهليون الى التحايل في استصلاح الماء الأجاج أو الكدر ، للاستفادة منه في الشرب ، فذكر إذا كانت بهم حاجة ماسة الى الماء ، ولم يجدوا إلا ماء البحر أو الماء الأجاج المالح ، وضعوه في قدر ، ووضعوا فوق القدر قصبات وعليها صوف منقوش ، ثم يوقد تحت القدر ، حتى يرتفع البخار ، فيدخل مسامات الصوف ، ويمتلئ به . فإذا كثر ، عصر في إناء ، ولا يزال على هذا الفعل حتى تتجمع كمية من الماء العذب ، وترسب الأملاح في القدر . وذكر أيضاً أنهم كانوا يحفرون في الشاطئ حفرة واسعة ، لترشح اليها ماء البحر ، ثم الى جانبها وقريب منها حفرة أخرى لترشح اليها الماء من الثانية ، ثم تحفر حفرة ثالثة ، وهكذا حتى يعذب الماء .

أما الماء الكدر ، فقد كانوا يتخلصون من كدرته بإلقاء مواد فيها لتعلق الكدرة بها ، فإذا رسبت ، رسبت الكدرة معها ، وبذلك يتبقى الماء . وفي جملة المواد التي استعملوها الجمر الملتهب ، يلقي به في الماء ، فإذا انطفأ وتحول الى فحم ، أخذ معه ما يجده من الكدرة ، فيصفو بذلك الماء ، واستعملوا نوعاً من الطين وسويق الحنطة^٢ .

وقد عرفت هذه الفراسة ، فراسة استنباط الماء من الأرض ، بالآمارات الدالة على وجوده ، على نحو ما ذكرت من شم التربة ، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بمراقبة حركات الحيوان ، ويقال لها : الريافة^٣ .

١ Ency. Bibl., vol., I, p. 515.

٢ بلوغ الارب (٣٩٦/١) .

٣ بلوغ الارب (٣٤٣/٣) .

وتوجد اليوم آبار قديمة في مواضع مختلفة من جزيرة العرب عميقة جداً ، ولا زال الناس يستقون منها الماء . وهي عادية ، أي قديمة تعود إلى ما قبل الاسلام . وكانت عليها مستوطنات تعيش على ماء هذه الآبار . ولهذا فلا غرابة إذا ما وجدنا القدماء يقدسون الآبار ويعتبرونها من مصادر الحياة بالنسبة لهم ، لأنها تمدهم وتمد لبلهم وكل ماشيتهم بعرق الحياة وروحها . ويدل عمقها على مقدار ما بذله الحفارون من جهد حتى توصلوا إلى تلك الأعماق بوسائلهم البدائية التي كانت متوفرة عندهم في ذلك العهد .

والآبار هي من مصادر الحضارة والتحضر في جزيرة العرب ، فلولاها ولولا موارد الماء الأخرى ، لما ظهرت المستوطنات ، ولما ظهر زرع ، ولما عاش ضرع . ولهذا صارت البوادي أرضين قفراً لا يسكنها ساكن إلا إذا استنبط ماء فيها ، أو سقط غيث عليها . ولقيمة الماء في حياة جزيرة العرب ، نجد نصوص المسند تذكرها وتشير إلى الأرضين التي تسقى منها ، وتعتبرها من مصادر النعمة والثراء . ولأهمية الماء ، كانوا يتقربون إلى آلهتهم بالقرايين وبالأدعية والتوسلات ، لأن تمنحهم المطر ، وتسقي أرضهم على أحسن وجه ، وقد كان من واجب رجال الدين الاستسقاء ، وذلك بأن يتوسلوا إلى آلهتهم بأن تمنّ على عبيدها بالمطر ، يقومون به بإجراء طقوس دينية خاصة ، وربما استعانوا بالسحر في هذا الاستسقاء . وقد كانت الشعوب الأخرى تستسقي كذلك ، وتستعين بالسحر في إرضاء الآلهة لكي تنزل الغيث على المحتاجين إليه . وقد عرف الاستسقاء بمكة وعند سائر العرب ، كما تحدثت عن ذلك في مواضع من هذا الكتاب . والأغلب أن الكهنة كانوا هم الذين يقومون بالاستسقاء ، لأنه من صميم أعمالهم وواجباتهم^١ .

وقد سبق أن تحدثت عن شق الطرق في الهضاب وفي جبال اليمن ، لايصال القرى والمدن بعضها ببعض . وقد أبدع المهندسون في ذلك الوقت في شق الطرق في المناطق الجبلية ، ويسمونها (مسبا)^٢ ، ولا تزال آثار بعض منها موجودة حتى اليوم . ووردت لفظة (مذهب) في نصوص المسند ، بمعنى الممر والطريق والمعبر^٣ .

١ Rhodokanakis, Katab. Texte., II, S. 53, amm. 2, 5, R. Smith, Religion der Semiten, S. 59, Goldziher, im Festschrift für Th. Nöldeke, S. 309.

٢ راجع النص رقم ٤٦٢٤ المنشور في الصفحة ٢٧٦ من كتاب : REP. EPIG., VII, II.

٣ Jamme 618, 16, Mahram, p. 119.

وقد قام المهندسون بإصلاح الطرق ، ونجد لفظة (درك) Derek في العبرانية بمعنى (الطريق)^١ . والدرك في العربية أسفل كل شيء ، ومراتب المبوط^٢ ، ولعلها في الأصل الطريق المنحدر إلى أسفل . وأما السيل ، فالطريق . وتقابل هذه اللفظة لفظة (شيل) في العبرانية^٣ . و (السراط) (الصراط) الطريق الممهّد المعبد ، واللفظة من الألفاظ المعربة عن اللاتينية ، من أصل Strata ، بمعنى طريق مبلط ، وطريق كبير واضح^٤ .

النوء والتوقيت :

ومعارفنا بالأنواء والتوقيت عند الجاهليين قليلة ضحلة . وهي مبثّرة في كتب اللغة والأدب وفروع المعرفة الأخرى ، مثل كتب الجغرافيا والأنواء . ولم يصل إلينا شيء منها في نصوص المسند . غير أن ما نجده في المؤلفات المذكورة على قلته وضآلته يدل على أن الجاهليين كانوا أصحاب عناية ودراية بالأنواء والتوقيت وأنهم كانوا على علم أو شيء من العلم بالأنواء عند غيرهم ، مثل أهل العراق أو أهل بلاد الشام . ولعلهم كانوا على اتصال مباشر أو بالواسطة بعلم اليونان واللاتين بالأنواء .

وعدم وصول شيء - في كتابات المسند - من علم النجوم والأنواء وما يتعلق بعلم الفلك ، لا يمكن أن يكون دليلاً بالطبع على عدم وجود علم لأهل العربية الجنوبية الجاهليين بالفلك ، ولا يعقل ألا يكون لهم علم به . فقد كان العرب الجنوبيون أصحاب زراعة وتجارة ، وكانوا يركبون البحر . وركوب البحر يحتاج إلى علم بالنجوم وبتقلبات الجو كما كانت ديانتهم تقوم على أساس تقديس النجوم . ولهذا الملاحظات لا بد أن يكون لأهل اليمن وغيرهم من أهل العربية الجنوبية علم بالأنواء . وقد يعثر في يوم ما على نصوص مدوّنة بلهجاتهم فيها شيء مما من أمر هذا العلم .

Hastings, extra volume, p. 368. ١

٢ تاج انروس (١٢٧/٧) ، (درك) .

Hastings, extra volume, p. 368. ٣

٤ غرائب اللغة (٢٧٨) .

والتوء عند الجاهليين هو النجم إذا مال للغروب ، أو هو سقوط النجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيقه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق . وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو التوء . وبعضهم يجعل التوء هو السقوط . وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد الى الساقط منها ، فتقول : مطرنا بنوء كذا^١ . قال الشاعر :

ينعى امرءاً لا تغب الحيّ جفنته إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر^٢

وذكر أن من طلوع كل نجم الى طلوع رقيقه ، وهو النجم الآخر الذي يليه ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ، ما خلا الجبهة ، فإن لها أربعة عشر يوماً ، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة . وذلك لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً . وذكر بعض العلماء أن العرب لا تستيء بالنجوم كلها ، إنما يذكر في الأنواء بعضها . وقال (ابن الأعرابي) : « لا يكون نوء حتى يكون مطر معه ، وإلا فلا نوء »^٣ .

وقد زعموا ان لكل نوء أثر في هذا الكون وفي الانسان . فإذا حدث شيء ووقع أمر نسبوه إلى نوءه . وفي جملة ما نسبوا أثره إلى الأنواء : حدوث المطر ، فإذا أمطرت السماء نسبوا المطر إلى أثر النجم الطالع في ذلك الوقت . فيقولون مطرنا بنوء كذا . وقد ذهبوا إلى أن الأنواء (٢٨) نوءاً أو نجماً اعتقدوا أنها علة الأمطار والرياح والحر والبرد^٤ . وقد ذكروا الأنواء الممطرة ومواسم المطر^٥ . ونظراً إلى أن السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً ، فيكون مجموع أيام السنة (٣٦٥) يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثني عشر^٦ . ونظراً لأهمية المطر في حياة جزيرة العرب ، اهتموا بمراقبة مظاهر الأنواء

-
- ١ تاج العروس (٤٧٢/١) وما بعدها ، المخصص (١٣/٩) وما بعدها ، العمدة (٢٥٣/٢) .
 - ٢ الخزائن (٩٣/١) ، (بولاق) .
 - ٣ تاج العروس (٤٧٣/١) « الكويت » ، العمدة (٢٥٣/٢) .
 - ٤ زيدان : تاريخ ادب اللغة العربية (٢٠٢/١) .
 - ٥ تاج العروس (٤٧٣/٢) .
 - ٦ العمدة (٢٥٣/٢) .

وألوان السحب ، وقد علمتهم تجاربهم ان السحب البيضاء ، لا تكون ممطرة ، وأن السحب السوداء تكون هطلة ، تهطل الأمراض وتغيث الناس^١ .

هذا وتجد للسحب أسماء كثيرة من حيث ترتيبها وأوصافها وقرهسا أو بعدها عن الأرض ومن حيث لونها واحتمال وجود الغيث فيها^٢ . وفي كثرة هذه الأسماء دلالة على شدة اهتمام العرب بالسحاب لما له من أثر في حياتهم ، لا سيما بالنسبة الى نزول الغيث . فقد كانوا يستسقون بالنوء، ويرجعون سبب سقوط المطر إليه .

ولتعارض عقيدة الجاهليين هذه مع عقيدة الإسلام في الخلق والأسباب ، جاء النهي عنها في الإسلام . ورد في الحديث : « من قال سقينا بالنجم ، فقد آمن بالنجم وكفر بالله »^٣ . وجعلت الأنواء من الأمور الثلاثة التي عرفت بالجاهلية والتي نهى عنها الإسلام : الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء^٤ .

وكانوا يكرهون نوء السماء ، ويقولون فيه داء الإبل ، قال الشاعر :

ليت السماء ونوءه لم يخلقسا ومشى الأفرق في البلاد سلماً^٥

والسماء ، سماكان : الأعزل والرامح وهما نجمان نيران : وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معه . ويقال لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها . وهو من منازل القمر ، والرامح ليس من منازل ولا نوء له ، وهو إلى جهة الشمال . والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب . وهما في برج الميزان . ويقول الساجع : إذا طلع السماء ، ذهب العكاك ، فأصلح قتاك ، وأجد جذاك ، فإن الشتاء قد أتاك^٦ .

وقد تخصص قوم بالنوء ، ورد أن (عمر بن الخطاب) « نادى العباس : كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً

١ الميداني (١٠٩/٧) .

٢ نهاية الارب (٧٢/١٠) وما بعدها .

٣ تاج العروس (٤٧٤/١) « الكويت » .

٤ الأنواء (ص ١٣) وما بعدها .

٥ نهاية الارب (١٢٦/٣) .

٦ تاج العروس (١٤٤/٧) وما بعدها .

بعد وقوعها . فوالله ما مضت تلك السبع^١ حتى غيث الناس^٢ . وكانوا إذا أرادوا الوقوف على ظواهر الجو لجأوا إلى العالمين بالأنواء ، وكانوا إذا أرادوا التعبير عن خبير بها ، قالوا مثلاً : « ما بالبادية أنواء منه ، أي أعلم بالأنواء منه »^٣ . وذكر أهل الأخبار أن (الحارث بن زياد بن ربيع) ، لم يكن في الأرض عربي أبصر منه بنجم^٤ .

واعتقاد راسخ مثل هذا في الكواكب والنجوم ، لا بد أن يحمل الجاهليين على تتبع ما ورد عند الأمم الأخرى من علم الأنواء ، للاستفادة منه في حياتهم العملية ، وقد عاش بينهم عدد كبير من اليهود ، وهؤلاء علم أيضاً بالأنواء ، ولهم اهتمام بهذا العلم ، لما له من علاقة بشؤونهم الدينية . ثم كان بينهم نصارى وقفوا على هذا العلم أيضاً ، وكان هؤلاء قد هضموا علم الشرقيين به وطعموا علمهم وعلم الشرقيين بما ورد في كتب اليونان واللاتين من علم به .

وقد اتخذ الجاهليون النجوم دليلاً لهم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر . وقد أشير إلى ذلك في سورة الأنعام : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر »^٥ . ولا بد للاهتداء بها من الوقوف عليها ، ووضع أسماء لها ، وتعيين البارز منها ، ووضع معالم لها ، ليكون في الامكان معرفتها ومعركة اتجاهات السير بها ، والاستعانة بها وبالجهاز الأربع في معرفة الاتجاه المؤدي إلى المكان المراد . فكانوا إذا سألهم سائل عن طريق قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » ، أو « خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها .. »^٦ إلى آخر ذلك من إشارات تفيد استدلالهم بالنجوم والكواكب وبالمطالع لمعرفة الطرق .

وفي الشعر الجاهلي أبيات تشير إلى اهتداء الناس في سيرهم بالنجوم فورد في شعر لسلامة بن جندل في المسير ليلاً :

ونحن نعشو لكم تحت المصاييح

-
- ١ تاج العروس (٤٧٤/١) .
 - ٢ تاج العروس (٤٧٤/١) .
 - ٣ الاشتقاق (٢٣٩) .
 - ٤ الانعام ، سورة رقم ٩٧ .
 - ٥ البيروني ، الآثار الباقية (٢٣٨) ، تاريخ التمدن الاسلامي (١٥/٣) .

ويقصد بالمصاييح الكواكب^١

وقد سار أهل الجاهلية مثل غيرهم من الأمم القديمة على فكرة تقسيم السماء الى (بروج) . وقد أشير إلى البروج في القرآن في سورة الحجر : « ولقد جعلنا في السماء بروجا^٢ » ، وفي سورة البروج : « والسماء ذات البروج^٣ » . وقد قسم اليونان واللاتين السماء الى (بروج) . وعرف كل برج عندهم بلفظة : (بركس) ، Burgus . ومن هذا الأصل أخذت لفظة (البرج) و (البروج) . أخذت إما من اللاتينية أو اليونانية مباشرة ، وإما من السريانية بالواسطة^٤ ، وذلك قبل الإسلام بأمد ، فتعربت وصارت من الألفاظ العربية الأعجمية الأصل ، مثل ألفاظ أخرى دخلت العربية من أصل يوناني ولاتيني قبل الاسلام بسنين .

وللكواكب أفلاك تدور فيها ، وقد أشير إليها في القرآن ، فورد : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون »^٥ . وهي عندهم مدارات دائرية على هيئة حجر الرحى ، تدور الشمس والقمر والكواكب بها ، كل في فلك مقدر له^٦ .

ويرى (نالينو) ، ان ما ورد في القرآن الكريم عن (البروج) ، وكذلك ما ورد في الخطبة المنسوبة إلى قُس بن ساعدة الإباضي من قوله : « وسماء ذات أبراج » لا يعني بالضرورة وقوف الجاهليين على البروج الاثني عشر ، وأخذهم بهذه النظرية الفلكية ، وذلك لأمر ذكرها ، وحجج أوردها . وفي جملتها أن أسماء كل البروج ، ما عدا الجوزاء مترجمة من أسمائها اليونانية والسريانية . ثم إن هذه البروج لم تكن ذات فائدة عملية للجاهليين ، ولهذا لا يحتمل اهتمامهم بها ، وأخذهم بها ، ولا سيما ان معارفهم الفلكية لم تكن واسعة عميقة . ولهذا ذهب إلى أن ما ورد في القرآن عن البروج ، لا يراد به الصور المعروفة الموجودة عند

١ الانواء (ص ١٨٦) .

٢ السورة رقم ١٦ .

٣ سورة البروج .

٤ كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين ، تأليف عبد الرحمن بن عمر الرازي الصوفي ، المطبعة العثمانية ١٩٥٤ م ، كتاب الانواء (ص ط) ، المخصص (١٢/٩) Ency., I, p. 796, Fränkel, Die Aramaische Fremdwörter in Arabisch, S. 235.

٥ الانبياء ، الآية ٣٣ ، تفسير الطبري (١٦/١٧ وما بعدها) .

٦ تفسير الطبري (١٦/١٧ وما بعدها) ، الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠٢) .

اليونانيين والتي وقف عليها العرب في عصور الترجمة ، وإنما هي مجرد نجوم .
وقد استشهد ببعض مقطعات من كتب التفسير ، في تفسير لفظة (البروج)^١ .
وقد ذكر (الطبري) أن (البروج) الواردة في (سورة البروج)^٢ الكواكب ،
والنجوم ، والأصوب : منازل الشمس والقمر ، « وذلك أن البروج جمع برج ،
وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ، ومن ذلك قول الله : ولو كنتم
في بروج مشيدة . وهي منازل مرتفعة عالية في السماء . وهي اثنا عشر برجاً ،
فسير القمر في كل برج منها يومان وثلاث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ، ثم
ثم يستمر ليلتين . ومسير الشمس في كل برج منها شهر »^٣ .
ونسب الى أمية بن أبي الصلت علم بالبروج والكواكب ، وقد ورد في
الأخبار : أن الرسول أنشد قوله :

زُحَلٌ وثور تحت رجل يمينه والتسر للأخرى وليث يرصد

وفي هذا البيت ، إن صح قول الرواة ، أن الرسول أنشده دلالة على وقوفه
على شيء من هذا بالفلك .

ويذكر العرب ان القمر يأخذ كل ليلة في منزل من المنازل حتى يصير هلالاً ،
وقد أشير إلى المنازل في القرآن : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم »^٤ . والمنازل ثمانية وعشرون منزلاً في كل شهر يترها القمر^٥ . وكل من
الشمس والقمر يجريان في فلكهما ، « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا
القمر ينبغي له أن يدرك الشمس ، وكل في فلك يسبحون »^٦ . والعرب تزعم أن
الأنواء المنازل ، وتسميها نجوم الأخذ ، لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها
حتى يصير هلالاً ، وهي منسوبة إلى البروج الاثني عشر . وفي كل برج من

-
- ١ نالينو (ص ١٠٨ وما بعدها) .
 - ٢ البروج ، الرقم ٨٥ .
 - ٣ تفسير الطبري (٨١/٣٠) ، تفسير النيسابوري (٥٩/٣٠) ، (حاشية على تفسير
الطبري) ، تفسير ابن كثير (٤٩١/٤) .
 - ٤ الاصابة (١٢٩/١) .
 - ٥ سورة يس ، الآية ٣٩ .
 - ٦ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠١) .
 - ٧ تفسير الطبري (٥/٢٣ وما بعدها) .

البروج متزلان وثلاث من منازل القمر ، وهي نطاق الفلك ، والفلك مدار لها .
وإنما سمي فلکاً لاستدارته ^١ .

وأول ما يعد العرب من (المنازل) (الشرطان) ، وهما كوكبان يقال هما
قرنا الحمل ، ويسمیان النطح والناسطح ، وبينهما في رأي العين قاب قوسين ،
وأحدهما في جهة الشمال والآخر في جهة الجنوب وإلى جانب الشمال كوكب صغير
يعد معها أحياناً فيقال الأشرط ، وقد يعرف بـ (الأشرط) . و (الشرطان)
نجمان من الحمل ، وهما قرناه ، وإلى جانب الشمالي منهما كوكب صغير ^٢ . ومن
العرب من يسمي هذه النجوم الثلاثة الأشرط . وقيل هما أول نجم الربيع ، ومن
ذلك صار أوائل كل أمر يقع أشرطه ^٣ ، والربيع أول الأزمنة للعرب ، فيه
الخير والبركة لهم . وإذا نزلت الشمس بهذا المنزل فقد حلت برأس الحمل ،
وهو أول نجوم فصل الربيع ، وعند ذلك يعتدل الزمان ، ويستوى الليل والنهار
فإذا استوى الزمان ، يليه نهاية الربيع ، وعودة العرب إلى الأوطان . « يقول
ساجع العرب : إذا طلع الشرطان استوى الزمان وحضرت الأوطان ، وتهادت
الجيران . أي : رجع الناس إلى أوطانهم من البوادي بعد ما كانوا متفرقين في
النجم » ^٤ .

ثم (البطين) ، وهو ثلاثة كواكب خفية ، ويقال : هي بطن الحمل ،
ثم (الثريا) ، وهي أشهر منازل القمر ، ويسمونها : النجم . وقد أكثر
الشعراء من التشبيه بها ^٥ . ولهم في فعلها أسجاع . منها : « إذا طلع النجم ،
فالحر في حلم ، والعشب في حطم ، والعانة في كدم » ، و « إذا طلع النجم
عشاء ، ابتغى الراعي كساء » ، و « إذا طلع النجم غدبة ابتغى الراعي
شكبة » ^٦ .

وعرفت (الثريا) بـ (كيمه) Kimah عند العبرانيين وعند السريان ، وعرفت

-
- ١ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠١) .
 - ٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠٢) .
 - ٣ تاج العروس (١٦٦/٥ وما بعدها) ، (شرط) .
 - ٤ الجمان (٢٠٢ وما بعدها) .
 - ٥ المصدر نفسه (٢٠٣ وما بعدها) .
 - ٦ الجمان (٢٠٦ وما بعدها) .

بـ (النجم) كذلك^١ . وقد ذكرت بـ (النجم) وبـ (النجم الثاقب) في القرآن الكريم . وقد ذكرت الثريا في شعر امرئ القيس^٢ ، وفي شعر (قيس بن الأسلت) ، و (قيس بن الخطيم) ، و (أحيحة بن الجلاح)^٣ ، كما ذكرت في شعر شعراء آخرين من جاهليين وإسلاميين .

^١ ويرى العرب أن لها أثراً في الصحة وفي وقوع الأوبئة . وأوياً أوقات السنة عندهم ما بين مغيبها إلى طلوعها . « قال طيب العرب : اضمنوا ما بين مغيب الثريا إلى طلوعها ، وأضمن لكم سائر السنة . ويقال : ما طلعت ولا نأت إلا بعاهة في الناس والإبل وغروبها أعوه من شروقها » . وفي الحديث : « إذا طلع النجم لم يبق في الأرض من العاهة شيء إلا رُفِعَ . فإنه يريد بذلك عامة الثمار ، لأنها تطلع بالحجاز وقد أزهى البسر ، وأمنت عليه الآفة وحلّ بيع النخل »^٤ .

ثم الدبران ، وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع الثريا ، ثم الهقعة ، وهي ثلاث كواكب صغار ، يقال أنها رأس الجوزاء ، ثم الهقعة ، وهي كوكبان أبيضان ، ومنها الشعرى العبور ، التي ذكرت في القرآن : « وانه هورب الشعرى »^٥ ، وكان من العرب من يتعبد لها ، وأول من عبدها (أبو كبشة) ، الذي كان المشركون ينسبون الرسول إليه . والغميضاء ، والنثرة^٦ ، ثم الطرف ، ثم الجبهة ، ثم الزبرة ، ثم الصرفة ، ثم العواء ، ثم السماك الأعزل ، ثم الغفر ، ثم الزباني ، ثم الإكليل ، ثم القلب ، ثم الشولة ، ثم العولة ، ثم النعائم ، ثم البلدة ، ثم سعد الذابح ، ثم سعد بلّح ، ثم المرع ، ثم سعد السعود ، ثم سعد الأخبية ، ثم الحواء ، ثم الفرغ المقدم ، ثم الفرغ المؤخر ، ثم بطن الحوت^٧ .

وقد جعلوا لكل منزل من المنازل المذكورة أثراً في حياة الناس ، يتمثل في أسجاعهم المروية في كتب الأدب وفي كتب الأنواء . أخذوها من الظروف والأحوال

١ Hastings, Dict., Vol., I, p. 192.

٢ إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

٣ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠٤) .

٤ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٠٤) .

٥ الجمان (٢٠٧) .

٦ النجم ، الآية ٤٩ .

٧ الجمان (٢١١ وما بعدها) .

٨ الجمان (٢١١ وما بعدها) .

والتجارب العملية التي كانت تقع لهم عند طلوع الكواكب المذكورة. ففسبوا الفعل اليها ، من جفاف ورطوبة وحرّ وبرد ، وهطول مطر أو انحباسه ومن حصول أوبئة إلى غير ذلك من أثر .

ويظهر من دراسة ما ورد عن أنواء أرباع السنة وعن عدة المنازل وصفاتها ومن الأسماء التي أطلقت عليها على أن الجاهليين كانوا على علم بها وبالبروج^١ . فالمصطلحات المستعملة في هذه الأنواء وكذلك الأسماء هي مصطلحات أخذها المسلمون من لغة أهل الجاهلية ، وأخذهم لها عنهم ، كلاً أو بعضاً ، هو دليل على وجود علم للجاهليين بالأنواء والفلك . ولا يستبعد ذلك عنهم ، لأن الجاهليين كانوا في حاجة شديدة إلى معرفة الأنواء وعلم الفلك ، وقد كان لأهل العراق ولأهل بلاد الشام علم بها ، يعود بعضه إلى البابليين ويعود بعض آخر إلى اليونان ، وقد كان السريان يدرسون الفلك ، والعرب على اتصال بهم ، ولا سيما عرب النصارى مثل أهل الحيرة ، حيث درسوا علوم تلك الأيام ، ولما كانت معارف الأنواء والفلك ضرورة لهم ، فلا يستبعد أخذ الجاهليين معرفتهم بها من المكانين .

والأجرام السماوية هي كواكب ونجوم ، وقد أشير إليها في القرآن الكريم . و (الكوكب) من التسميات التي ترد في اللهجات السامية الأخرى. فهي (كوكب) (كوكاب) في العبرانية ، و (كوكبا) في السريانية ، و (كوكب) في الحبشية ، و (ككبو) Kakkabu في الآشورية^٢ . ويراد بالكوكب النجوم المتحركة التي تتغير مواضعها . أما الأجرام التي تبدو ثابتة لا تترك محلاتها ، فهي النجوم.

وقد اشتهرت مجموعة من النجوم باسم (بنات نعش) عند العرب. ولا تزال هذه التسمية دائرة على ألسنة الناس يطلقونها على المجموعة نفسها المعروفة بهذه التسمية عند الجاهليين ، وللأخباريين قصص أوردوه عن هذه التسمية يرجع إلى ما قبل الاسلام . وتعرف بنات نعش ب (عش) (عاش) و (عيش) عند العبرانيين^٣ .

وعرفت مجموعة أخرى من النجوم باسم (جبار) . وتسمى (جبارا) Gabbara

١ العمدة (٢٥٢) « باب ذكر منازل القمر » .

٢ Hastings, Dict., Vol., I, p. 191.

٣ Hastings, Dict., Vol., I, p. 191.

في السريانية ، وب (نفله) Niphla في الكلدانية ، و (فسيل) في العبرانية .
ويظهر انها من الأبراج السماوية القديمة المعروفة عند الساميين^١ .

وعرفت (زُحَل) و (سهيل) عند الجاهليين كذلك . وكذلك (عشتار) معبودة
العرب الجنوبيين . و (العقرب) أحد البروج .

وقد وردت في سفر (أيوب)^٢ جملة (حدرى تيمان) ، ومعناها (الخادر
الجنوب) أو (مخادع الجنوب)^٣ ، مما يدل على أن المراد بها نجوم تقع في
الجنوب ، أي في جنوب فلسطين . وقد ورد في العربية (وسهيل يمان) ، أي
جنوبية ، وذلك بالنسبة الى أهل الحجاز .

و (الزُّهْرَةُ) ، هي من الكواكب الظاهرة البارزة التي تعرف بسهولة . وهي
(هيلل) عند العبرانيين .

وهناك كوكب اسمه Kaawanu عند الآشوريين . ويراد به (كيون) Kiyyun
عند العبرانيين . ويقابل (كيوان) في العربية . وهو معروف عند المنجمين .
ومن العربات^٤ . والساطرون ، من الكواكب المعبودة عند بعض الشعوب السامية^٥ .

أما الشمس ، فهي أعرف الأجرام السماوية ، وبها استدل على الوقت على
الساعات والأيام والسنين والمواسم . وفي القرآن الكريم آيات توضح لنا رأي الجاهليين
في الشمس .

وأما القمر ، فمن آلهة العرب الجنوبيين البارزة . ويعرف عندهم بـ (هلال)
أي (هلال) . والقمر من التسميات العربية الشمالية . وأما الهلال ، فإنه القمر
في أيامه الأولى عند أهل الحجاز . وللقمر أسماء نطقت بها العرب . فمنها :
الطوس والباهر والغاسق والزيرقان والواضح والزمهرير والسنّار والساهور^٦ . والساهور
هو القمر في الآرامية ، من Sahro^٧ .

Hastings, Dict., Vol., I, p. 192.

١ أيوب ، الاصحاح التاسع ، الآية التاسعة .

Hastings, Dict., Vol., I, p. 192.

Hastings, Dict., Vol., I, p. 193.

Hastings, Dict., Vol., I, p. 193.

٦ نهاية الارب (١/٥١ وما بعدها)

٧ غرائب اللغة (١٨٩) .

وقد اشتهر بعض الجاهليين بعلمهم بمواقع النجوم ، منهم : (بنو مرة بن همام الشيباني) و (بنو مارية بن كلب)^١ .

الكسوف والخسوف :

والكسوف والخسوف من الظواهر المعروفة عند الجاهليين . وقد وعدّ وقوعها من الأمارات التي تشير إلى وقوع حوادث جسيمة في العالم . شأنهم في ذلك شأن شعوب العالم الأخرى في ذلك العهد .

فقد كان بعض الجاهليين يرى أن كسوف الشمس آية دالة على موت رجل عظيم . فقد ورد أن الشمس كسفت في عهد رسول الله ، ووافق ذلك موت إبراهيم بن رسول الله ، فقال الناس : انما كسفت الشمس لأجله . فقال النبي : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى يخوف بهما عباده ، وانهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »^٢ . وقد حدث ذلك في المدينة . وورد في الاخبار أن الانصار كانوا يقولون في النجم الذي يرمى به ، مات ملك ، ولد مولود^٣ . وكانوا يتصورون أن الكهان كانوا يستعينون على معرفة المغيبات والخفايا بواسطة شياطينهم الذين كانوا يصعدون إلى السماء فيأخذون أخبارهم . وأن الرعد صوت الموكل بالسحاب يزجر السحب من أن تخالف أمره ، حيث يسوقها من بلد إلى بلد كما يسوق الراعي إبله^٤ .

ويظهر من الموارد الإسلامية أن الجاهليين كانوا يثبتون الوقت بموقع ظل الشمس . ويستعين أهل البادية بالظل ، ظل إنسان أو عصا أو ظل خيمة ، ويدركون من هذا الظل مقدار الوقت بصورة تقريبية . وعلى هذا المبدأ قدر الفقهاء أوقات الصلاة . ولا يستبعد استعانة أهل القرى والمدن بمزاويل ثابتة في تقدير الوقت . وذلك بأن تخطط درجات على جدار ثابت أو على أرض ، أو تعمل فتحات في

١ البيروني (٢٤١) ، زيدان : اداب اللغة (٢٠٦/١) .

٢ نهاية الارب (٤٨/١) .

٣ نهاية الارب (٨٧/١) .

٤ نهاية الارب (٨٨/١ وما بعدها) .

جدار ، ويعين الوقت برؤية ظل قضيب أو عمود مثبت على الدرجة المرسومة أو الفتحة ، ويستدل من الظل على منزلة الساعة من النهار .

وقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الشعوب يلجأون الى المتفرسين في دراسة الأجرام السماوية لمعرفة الأمور الخافية عليهم من حاضر ومستقبل ، وذلك بالاستدلال عليها من ظواهر الكواكب والنجوم . والكهان ، هم المتخصصون بهذه المعرفة عند الجاهليين ، فكانوا يتنبأون لهم بما سيقع من أمور وأحداث بالاستدلال بحركات تلك الأجرام ، وبما تجمع عندهم من فراسات وتجارب ورثوها في هذا الشأن . وقد كان الجاهليون يسالغون في ذلك كثيراً ويؤمنون بالتنجيم وبتأثير الطالع في حياة الانسان، ولهذا ذم الاسلام المنجمين وكذبهم ومنع المسلمين من التصديق بهم .

وكان لأهل الجاهلية رأي في تساقط الشهب والنيازك ، ويرون ان لتساقط النجوم أثر في الإنسان وفي العالم . ذكر أنهم كانوا يرون أنه إذا انقض شيء من البروج الاثني عشر ، فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقض منها شيء ، بل رأوا انقضا من النجوم وسقوطها ، فإن ذلك يدل على حدوث أمر عظيم في الدنيا^١ .

التوقيت :

وقد اهتم الجاهليون بأمر التوقيت ، أي تعيين الأوقات وضبط الأزمنة ، لعوامل ضرورية عديدة . فالزراعة خاضعة لتقلبات الجو وتبدل المواسم ، والاعیاد وكثير من الشعائر الدينية وأمور العبادة لها علاقة بالتوقيت كذلك ، كما أن للتجارة وللسير في البر وفي البحر صلة كبيرة بمعرفة الأنواء . ولهذا عنوا بتتبع سير الكواكب ودراسة ملامح السماء وظواهر الطبيعة التي لها علاقة بالرياح والأمطار وبأمثال ذلك للاستفادة منها في الحياة العملية .

ويحدثنا الجاحظ في كتاب الحيوان عن حاجة الأعرابي إلى معرفة حال السماء وتقلبات الجو ، فيقول : « عرفوا الآثار في الارض والرمل ، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ، لأن كل من كان بالصحابيح الأماليس ، حيث لا أمانة ولا هاوي مع حاجته إلى بعد الشقة ، مضطر إلى التماس ما ينجيهِ ويؤديه . ولحاجته

١ تفسير القرطبي ، الجامع (١٧ / ٨٢ وما بعدها) ، (سورة والنجم) .

إلى الغيث ، وفراره من الجذب وضنه بالحياة ، اضطرتة الحاجة إلى تعرف شأن الغيث ، ولأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من الكواكب ، ويرى التعاقب بينها والنجوم الثابت فيها ، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فardاً ، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً^١ . وفي هذا وفي غيره تفسير لسبب اهتمام الجاهليين بالتوقيت ودراسة الأنواء^٢ .

وقد اعتبر القدماء أمر التوقيت من واجبات رجال الدين ، فكان رجال المعابد والكهّان هم الذين يقومون بضبط الوقت وتثبيت الأعياد وأوقات العبادة . ظلّوا على ذلك أمداً طويلاً ، ولا تزال آثار ذلك باقية حتى اليوم . وكان هؤلاء الرجال قد احتكروا المعرفة والعلم لاعتقاد الناس أنهم أقرب البشر إلى الآلهة ، وأن ما يتكلمون به إنما هو وحي منها ، يوحى إلى هؤلاء ، فعلمهم اذن تابع من مصدر صادق لا يتطرق إليه الشك .

وإذا كانت كتابات المسند لم تتحدث عن الموقتين ضباط الزمن في العربية الجنوبية ، فإننا لا نعتقد بشذوذ العرب الجنوبيين عن غيرهم في هذا الباب ، خاصة وأننا نرى أن الكهان وسدنة الكعبة ومن لهم صلة بالأصنام ، كانوا هم الذين يقومون في الحجاز بضبط المواقيت والتسييء ، فليس بمستبعد أن يختص رجال الدين في العربية الجنوبية بالتوقيت .

١ مقدمة كتاب الأنواء في مواسم العرب ، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتييبة الدينوري ، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، سنة ١٩٥٦ م (ص ١ وما بعدها) ، وسيكون رمزه : الأنواء .
٢ العمدة ، لابن رشيق (٢٥٢/٢) « القاهرة ١٩٦٤ م » .

الفصل الحادي والثلاثون بعد المئة

الوقت والزمان

يقول علماء العربية : الوقت مقدار من الزمان ، وكل شيء قدرت له حيناً ، فهو موقت . والوقت تحديد الاوقات كالتوقيت^١ . واختلفوا في الزمان ، فقالوا : الزمان الدهر ، وعارضه آخرون . إذ قالوا : يكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر والدهر لا ينقطع. والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه^٢ ، ويظهر أن بين العلماء خلافاً في تحديد المراد من اللفظتين ثم في تحديد معنى كل لفظة منهما ، وفي معنى (الدهر) ، وذلك بسبب مسألة القدم والحدوث ، وما للتفسير من صلة بهما ، وأثر ذلك في مسائل ذات صلة بعلم الكلام .

وروي عن الرسول قوله : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » ، وفي رواية أخرى : « فإن الله هو الدهر » ، وورد في الحديث عن (أبي هريرة) ، « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وإنما أنا الدهر . أقلب الليل والنهار »^٣ . فالدهر الزمان الطويل ، أو الدائم . وقد عبر عنه في الاسلام بالأبدية ، التي هي الله .

ويقاس الوقت بالسنين . والسنة أطول وحدة قياسية له . وتنقسم الى أجزاء .

-
- | | |
|---|----------------------------------|
| ١ | تاج العروس (٥٩٤/١) ، (وقت) . |
| ٢ | تاج العروس (٢٢٧/٩) ، (زمن) . |
| ٣ | تاج العروس (٢١٨/٣) ، (دهر) . |

ولفظة (سنة) من الألفاظ العربية القديمة ، وترد في جميع لهجات الجاهليين ، وهي من الألفاظ السامية التي ترد في كل لغاتها ، مما يدل على أنها من الكلمات السامية القديمة . ويعبر عن كثرة السنين بمصطلحات ، مثل : (عصر) ، وهو كل مدة ممتدة غير محدودة تحتوي على أُم تنفرض بانقراضهم ، وفي القرآن الكريم : « والعصر إن الإنسان لفي خسر »^١ . وقد ذهب بعض المفسرين الى أن (العصر) الدهر^٢ . وتقابل لفظة (العصر) لفظة (دور) Dor في العبرانية . ومنها جملة (دور وآدهور) Dor Wadhor ، بمعنى الدهر والدهور ، أي الزمان الدائم . وذلك بالنسبة لله^٣ . لأن الزمن لا شيء بالنسبة له . « لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل »^٤ ، و « أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد »^٥ . وقد أيد القرآن الكريم هذا المعنى ، فذكر أن الوقت لا شيء بالنسبة الى أبديته : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »^٦ .

ولفظة سنة لفظة عربية شمالية ، ترد في عربية القرآن الكريم ، كما ترد في النصوص العربية الشمالية ، مثل نص التارة الذي يعود عهده إلى سنة (٣٢٨) للميلاد ، ونص (حرّان) الذي يعود تأريخه إلى سنة (٥٦٨) للميلاد ، أي إلى عهد لا يبعد كثيراً عن أيام مولد الرسول . وقد كتبت لفظة (سنة) على هذه الصورة (سنت) ، أي بالتاء المبسوطة . وقد وردت هذه اللفظة في الكتابات الصفوية وفي اللهجات العربية الشمالية الأخرى أيضاً^٧ .

ولدينا لفظة أخرى مرادفة للسنة هي العام ، فيقال لعامنا هذا ، أي لستنا .

-
- ١ سورة والعصر ، تاج العروس (٤٠٤/٣) ، (عصر) .
 - ٢ تفسير الطبري (١٨٧/٣٠) .
 - ٣ « من دور الى دور » ، Hastings, p. 288. المزمور العاشر ، الآية ٦ ، « وخلاصي الى دور الادوار » ، اشعيا ، الاصحاح ٥١ ، الآية ٨ ، المزمور التسعون ، الآية ١ .
 - ٤ المزمور التسعون ، الآية ٤ .
 - ٥ رسالة القديس بطرس الثانية ، الاصحاح الثالث ، الآية ٦ .
 - ٦ سورة الحج ، الرقم ٢٢ ، الآية ٤٧ .
 - ٧ « سنت حرب نبط » ، « سنة حرب النبط » « سنة محاربة النبط » ، تأريخ اللغات السامية (ص ١٨٠) .

وذكر علماء اللغة ان العام أخص مطلقاً من السنة ، فتقول كل عام سنة ، وليس كل سنة عاماً . وذكر بعض العلماء أن العام كالسنة ، لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الجذب والشدة ، ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة ، والعام فيما فيه الرخاء والخصب . وقال بعض آخر : السنة أطول من العام ، وهي دورة من دورات الشمس ، والعام يطلق على الشهور العربية بخلاف السنة . وذكر بعضهم أن العام لا يكون إلا شتاءً وصيفاً ، وانك إذا عددت اليوم إلى مثله فهو سنة^١ .

وقد وردت لفظة (عوم) في نص واحد من نصوص المسند ، بمعنى سنة ، أي في معنى (عام) في لساننا^٢ . ولكن الغالب أن يعبر عن السنة بلفظة (خرف)، أي (الخريف) ، ويظهر أنهم أطلقوا على السنة (الخريف) ، لأن الخريف هو من أبرز المواسم في العربية الجنوبية وله أهمية خاصة بالنسبة لهم ، ولذلك غلبوا التسمية على كل العام .

و (الحول) السنة اعتباراً بانقلاب الشمس ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها . وقد وردت في القرآن الكريم . ويظهر أنها من الألفاظ الجاهلية القديمة . والحولي: ما أتى عليه حول من ذي حافر وغيره ، ويقال جمل حولي ونبات حولي^٣ .

وذكر علماء اللغة أن (الخريف) السنة والعام ، أي بالمعنى المفهوم من اللفظة في كتابات المسند . وذهب بعض العلماء إلى أن الخريف هو الفصل المعروف . وأما ورود اللفظة بمعنى السنة والعام في أحاديث الرسول ، فلأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة ، ولذلك قصد باللفظة المسافة تقطع من الخريف إلى الخريف ، وهو السنة^٤ .

ويستعمل العرب الجنوبيون لفظة (خرف) (خريف) في مكان سنة في لغتهم . وترد في النصوص المؤرخة ، حيث تفيد تواريخ حادث ما وتثبيته بذكر السنة التي وقع بها من سني الملك أو الرئيس الذي أرخ الحادث به . فيكتب :

١ تاج العروس (٤١٢/٨) .

٢ Le Muséon, 66, p. 119, Beeston, p. 20, 44, CIH. 575, 8, Rep. Epig. 2958 A.

٣ تاج العروس (٢٩٣/٧) .

٤ تاج العروس (٨٣/٦) .

(ب خرف ..) (بخرف ..) ، أي (بسنة ...) ، ثم يذكر بعدها اسم المؤرخ به . كما ترد بمعنى الخريف ، الفصل المعلوم من السنة .

وتؤدي لفظة (كبر) معنى سنة في بعض الأحيان ، وقد رأينا أن اللفظة تعني (كبير) ، وهي كناية عن وظيفة كبيرة في الحكومة ، والظاهر أن الناس قد تجوزوا في الاصطلاح ، فأطلقوه بمعنى السنة ، لأنهم كانوا يؤرخون بسني حكم الكبراء ، فصاروا يطلقونها على السنة أيضاً ، ويفهم معناها عندئذ من الجملة . كما في جملة : « عد ورخ وكبر نجو ذت هقنين »^١ ، ومعناها : « إلى شهر وسنة إعلان ذلك التملك »^٣ .

وتؤدي لفظة (الحقبة) معنى السنة عند بعض علماء اللغة ، وتجمع على حقب، وذكر أن الحقب ثمانون سنة ، وقيل أكثر ، والجمع أحقاب . وتؤدي لفظة (الحجة) معنى السنة كذلك^٣ .

وتتألف السنة عند العرب وسائر العجم من اثني عشر شهراً^٤ ، وأيام السنة ثلثمائة وأربعة وخسون يوماً ، تنقص عن السرياني أحد عشر يوماً وربيع يوم ، لأن أيام السنة عند السريان ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربيع يوم . وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء وهو التأخير^٥ .

الفصول الأربعة :

وتقسم السنة إلى فصول أربعة بحيث يتكون كل فصل من هذه الفصول من ثلاثة أشهر ، تكون ربع السنة . وهذه الفصول هي : الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف . ويقال للصيف القيظ أيضاً^٦ . ويظهر من هذه التسميات ومن هذا النوع من التقسيم أنه تقسيم بني على أساس التقويم الشمسي ، لا التقويم

١. M. Tawfik, Les Monuments de Main, Plate, 32, fig. 65. (Cairo 1951).

٢. Beeston, p. 20.

٣. المخصص (٦٦/٩ وما بعدها) .

٤. مروج الذهب (١٧٧/٢) .

٥. مروج الذهب (١٨٨/٢) ، (ذكر سني العرب وشهورها) .

٦. Reste, S. 95.

القمرى . وهو تقسيم بقى مستعملاً فى الاسلام ، مع أن التقويم الرسمى الاسلامى هو تقويم قمرى ، لأنه تقسيم طبيعى مبني على طبيعة التغير الذى يطرأ على شهور السنة . ولو بني تقسيم الفصول على الشهور القمرية ، لما كان فى الامكان السير عليه بالقياس إلى الحياة العملية المبنية على الزرع والتجارة والتنقل فى المراعى، وكل هذه لها علاقة بتبدل طبيعة الشهور .

والتقسيم المذكور قائم على أساس ملاحظات الانسان للطبيعة ودراسته لها، وعلاقة البرد والحر بحياته وبزرعه وحيوانه . فقسم السنة إلى موسمين : موسم زرع يبذر فيه ويزرع ، وموسم حصاد يحصد فيه زرعه ويحني ثمره . وهو موسم يبدأ فيه الزرع بالافول وبالذبول ، حتى إذا ما جاء البرد ، تساقط فيه الورق ، وتعتري الأشجار من الخضرة ويقابل هذا البرد الحر ، وهو موسم واضح ظاهر فى جزيرة العرب حياته فيها أطول من بقية الفصول . فأدرك الانسان من تأثير الطبيعة عليه وجود أربعة فصول . وقد عبرت التوراة عن هذه الفصول بقولها : « مدة كل أيام الارض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل »^١ .

ولكن الواضح من الفصول فى بلاد العرب : الصيف . ويستأثر بالنصيب الاكبر من السنة، لامتداد حره ، ثم الشتاء . ولذلك نجد الناس يقسمون السنة إلى نصفين : صيف وشتاء .

ونجد هذه الفكرة عند العبرانيين كذلك، فالصيف والشتاء هما الفصلان الواضحان البارزان عندهما . ويسمى الصيف بـ (قيز) (قيض) عندهم ، أي بالتسمية الواردة عند العرب ، أما الشتاء ، فهو (خرف) فى العبرانية^٢ .

وبعض العرب يقسم السنة نصفين : شتاءً وصيفاً ، ويقسم الشتاء نصفين ، فيكون الشتاء أوله ، والربيع آخره . ويقسم الصيف نصفين ، فيجعل الصيف أوله ، والقيظ آخره^٣ .

وذكر أهل الاخبار وعلماء اللغة أن العرب تبتدىء بفصل الخريف وتسميه

١ التكوين ، الاصحاح الاول ، الاية ١٤ ، الاصحاح الثامن ، الاية ٢٢ ، قاموس الكتاب المقدس (٤٧٨/٢) .

٢ W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 315.

٣ الانواء (ص ١٠٤) ، بلوغ الارب (٢٤٤/٣) .

الربيع ، لأن أول الربيع ، وهو المطر ، يكون فيه ، ثم يكون بعده فصل الشتاء ثم يكون بعد الشتاء فصل الصيف ، وهو الذي يسميه الناس الربيع ، وقد يسميه بعضهم الربيع الثاني ، ثم يكون بعد فصل الصيف فصل القيظ ، وهو الذي يسميه الناس الصيف^١ . وذكر (اليعقوبي) أن العرب اختلفت « في أسماء الأزمنة الأربعة : فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمي ، وهو الخريف ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، ثم القيظ ، ومنهم من يعد الأول من فصول السنة الربيع ، وهو الأشهر والأعم ، والعرب تقول : خرفنا في بلد كذا ، وشتونا في بلد كذا ، وتربعنا في بلد كذا ، وصيفنا في بلد كذا »^٢ .

وأول وقت الربيع عندهم ، وهو الخريف ، ثلاثة أيام تخلو من أيلول . وأول الشتاء عندهم ثلاثة أيام تخلو من كانون الأول . وأول الصيف عندهم ، وهو الربيع الثاني ، خمسة أيام تخلو من آذار . وأول وقت القيظ عندهم أربعة أيام تخلو من حزيران . والخريف عندهم المطر الذي يأتي في آخر القيظ ، ولا يكادون يجعلونه اسماً للزمان^٣ .

وهناك أسماء أخرى لهذه الفصول ، فـ (الصفرية) هو الجزء الأول من السنة وسمي مطره الوسمي ، والشتاء هو الجزء الثاني منها . أما الصيف فهو الجزء الثالث . وأما الجزء الرابع ، فهو القيظ ، وسمّوا مطره الخريف . وقد حددوا مبدأ كل فصل ومنتهاه بالفصول .

وهناك كما يتبين من روايات علماء اللغة اختلاف في تشخيص الربيع ، منهم من يذهب إلى أنه الفصل الذي يتبع فيه الشتاء ، ويأتي فيه الورد والنور ، « ومنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده . ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف . ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمي الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني . وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع »^٤ .

١ الانواء (ص ١٠٤ وما بعدها) ، المخصص (٧٩/٩ وما بعدها) .

٢ مروج (١٩٢/٢) .

٣ الانواء (ص ١٠٤ وما بعدها) .

٤ بلوغ الأرب (٢٤٣/٣ وما بعدها) ، صبح الأعشى (٤١٤/٢ وما بعدها) .

وهناك من يجعل السنة ستة أزمنة : الوسمي ، والشتاء ، والربيع ، والصيف ،
والحميم ، والخريف^١ . وحصة كل زمن من هذه الأزمنة شهران .

وذكر بعض العلماء أن السنة عند العرب ستة أزمنة : شهران منها الربيع الأول
وشهران صيف وشهران قيظ وشهران الربيع الثاني ، وشهران خريف وشهران
شتاء . وذكر بعضهم أن السنة أربعة أزمنة : الربيع الأول وهو عند العامة الخريف ،
ثم الشتاء ، ثم الصيف وهو الربيع الآخر ، ثم القيظ . وهذا هو قول العرب
في البادية . والربيع جزء من أجزاء السنة ، وهو عند العرب ربيعان : ربيع
الشهور وربيع الأزمنة . فربيع الشهور شهران بعد صفر . سمي بذلك لأنها حداً
في هذا الزمن فلزمها في غيره . ولا يقال فيها إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع
الآخر . وأما ربيع الأزمنة . فربيعان : الربيع الأول وهو الفصل الذي يأتي فيه
النور والكمأة ، وهو ربيع الكلا . والربيع الثاني ، وهو الفصل الذي تدرك فيه
الثمار . ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار ، وهو الخريف :
الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمأة والنور الربيع
الثاني . وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع^٢ .

وقسم بعضهم الشتاء الى ربيعين : ربيع الماء والأمطار وربيع النبات لأن فيه
ينتهي النبات منتهاه . والشتاء كله ربيع عند العرب لأجل الندى^٣ .

ويظهر من المسند أن العرب الجنوبيين كانوا يقسمون السنة الى فصول كذلك ،
وأنهم كانوا مثل غيرهم يقسمونها الى فصول أربعة : الشتاء والربيع والصيف
والخريف . ولا يعني هذا التقسيم الرباعي أن الجو في العربية الجنوبية أو في أي
مكان آخر في جزيرة العرب كان يختلف اختلافاً واضحاً يبتاً من حيث التطرف
أو الاعتدال باختلاف هذه الفصول الأربعة ، وأن شهور الفصول هي متساوية
بالفعل ، وأن عدة كل فصل ثلاثة أشهر ، بل هو في الواقع تقسيم علمي نظري.
أما من الناحية العلمية ، فإن فصلي الصيف والشتاء هما أبرز الفصول وأوضحهما

-
- ١ بلوغ الارب (٢٤٤/٣) ، صبح الاعشى (٤٠٥/٢) .
 - ٢ تاج العروس (٣٤٠/٥ وما بعدها) ، (ربيع) ، صبح الاعشى (٤١٥/٢ وما
بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٣٤٠/٥) ، (ربيع) .

في جزيرة العرب كلها . ولا سيما فصل الصيف الذي يعدّ أطول الفصول وأوضحها فيها . وهذا هو الذي دفع العرب ولا شك الى تقسيم السنة الى نصفين ، شتاء وصيف . يبتدئون بالشتاء ويجعلونه النصف الأول ، ويبتدئ عندئذ منهم بابتداء النهار في القصر وابتدائه في الزيادة . وأما الصيف ، فيبدأ عند انتهاء النهار بالطول وابتدائه بالنقصان^١ .

والشتاء هو (صرين) في المسند . أما الربيع ، فهو (دثا) . وأما الصيف ، فـ (قيضن) ، أي القيظ ، وأما الخريف ، فـ (خرفن) ، أي الخريف^٢ . ويذكر علماء اللغة أن القيظ هو أشد الحرّ ، وأن الخريف ليس في الأصل باسم للفصل ، إنما هو اسم لمطر القيظ ، ثم سمي الزمان به فجري^٣ .

وترتبط مسميات الفصول ارتباطاً متيناً مع مواسم الحصاد . ففي أحد النصوص : (صريم وقيضم)^٤ ، ومعناه (شتاء وصيف) ، ويظهر أن صاحبه قصد من لفظة (صريم) الحصاد الذي يتم في أول موسم الشتاء^٥ . وأما (قيض) ، فهو الصيف ، حيث تشتد الحرارة فيه . وفي نص آخر : (قيض ودثا وصرم وميلم)^٦ وكلمة (ميلم) يجب أن تؤدي معنى الخريف ، إذ القيض ، هو الصيف و (دثا) الربيع و (صرم) الشتاء ، فتكون لفظة (ميلم) بمعنى الخريف إذن ، وربما الحصاد ، أي الحصاد الذي يجمع في آخر الشتاء ، قبل هطول أمطار الربيع^٧ .

وفي الربيع والخريف تتساقط الأمطار الفصلية في العربية الجنوبية ، تتساقط الأمطار الربيعية في شهري آذار ونيسان . وأما أمطار الخريف القوية الثقيلة ، فتعطل في تموز (جولاى) وآب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) . وتعرف أمطار الخريف فتسمى بـ (خرف) (خريف) . دعياً بذلك لتزولها في هذين الموسمين . وإلى هذين الفصلين أشار (بلينيوس) Pliny حين قال إن العرب الجنوبيين

١ المخصص (٧٩/٩) ، الانواء (ص ١٠٤ وما بعدها) .

٢ Mitt., S. 62, 65, 71, Rep. Epl., 4250.

٣ المخصص (٨٠/٩) .

٤ Rep. Eplg. 4230/8.

٥ Beeston, p. 20.

٦ CIH 174/4.

٧ Beeston, p. 20.

يسمّون غلة البخور التي يجمعونها في فصل الخريف باسم *Dathiathum* ، ويسمون الغلة التي تجمع من هذه المادة في فصل الصيف بـ *Carfiathum* . والكلمة الأولى هي تحريف للفظ (خريف) . وأما الثانية ، فتحريف للفظ (دثا) ، أي الربيع^١ . وقد دخلت التسميتان بواسطة التجارة والتجار الى اليونان ، ولا شك . وهما تسميتان واضحتان صحيحتان .

وتؤدي لفظتا (دثا) و (خرفن) معنى الأمطار الموسمية في الغالب ، أي أمطار الربيع وأمطار الخريف في بعض الكتابات^٢ . وقد تؤدبا معنى (الغلات) أي (فرع) ، التي تجمع في موسمي الربيع والخريف^٣ .

ولدينا نص طريف يفيد أن أصحابه قد أذنبوا بعدم إيفائهم بما نذروه لآلهتهم وكان عليهم الوفاء به في (ذ موصم) كما عاهدوا آلهتهم . ولمخالفتهم عهدهم هذا ، أرسلت الآلهة عليهم سيلاً جارفاً من أمطار شديدة سقطت في موسمي الربيع والخريف ، فأثقلت زرعهم وأصابتهم بضرر كبير ، واعترافاً منهم بتقصيرهم هذا وبذنبهم ، كتبوا النص المذكور ، وقدموا نذرهم كاملاً ، راجين من الآلهة الصفح عن ذنبهم والعفو عنهم ، وأن تبارك في زرعهم ، وأن تعوضهم عن خسارتهم التي أصابتهم بغلة وافرة وحاصل غزير^٤ .

الشهور :

وتألف السنة عند العرب الشماليين من اثني عشر شهراً ، وقد أشير الى ذلك في القرآن : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله . يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم »^٥ . وهو التقسيم الشائع المعروف عند بقية الساميين واليونان وغيرهم . والمعمول به حتى اليوم . ولم ترد إشارة الى هذا التقسيم في نصوص المسند ، ولكن ورود ذكر السنين والشهور في كتابات

Pliny, Hist. Nat., XII, 60, Beesten, p. 19, CIH 540, 547.

CIH 547, 540.

CIH 2.

CIH 547, Beesten, p. 20 f.

التوبة ، رقم ٩ ، الآية ٣٧ ، ابن الجداي (٣٠) .

المسند ، واستعمال العرب الشماليين وغيرهم التقسيم الاثني عشري للسنة ، يحملنا على القول إن العرب الجنوبيين كانوا يقسمون السنة الى اثني عشر شهراً أيضاً ، وإن لم ينص على ذلك في النصوص .

وقد لاحظ (رودوكناكس) أن المزارعين المحدثين في العربية الجنوبية يسرون بموجب تقويم فلكي Sidereal Calender ، يقسم السنة الى ثمانية وعشرين شهراً ، مدة كل شهر ثلاثة عشر يوماً ، فاستنتج من ذلك احتمال كون هذا التقويم من بقايا تقويم عربي جنوبي كان العرب الجنوبيون يسرون عليه قبل الإسلام . ولهذا رأى أن (ذ فرع) و (ذا جي) (ذا جو) ، لا يمثلان شهرين من شهور السنة ، وإنما يمثلان وقتاً من أوقات العمل والزرع ، بالمصطلح المستعمل الآن في العربية الجنوبية ، أي جزئين من (٢٨) جزءاً من أجزاء السنة^١ . وذهب (بيستن) الى احتمال تقسيم العرب الجنوبيين للشهر الى ثلاثة أقسام ، يتكون كل قسم منها من عشرة أيام^٢ .

ويرى (رودوكناكس) أن سنة العمل عند القبائل تبدأ باليوم الأول من شهر (ذ فرعم) (ذو فرعم) (ذو الفرع) ، وتمتد الى اليوم السادس من (ذ فقحو) ، ويرى أن السنة عند الفلاحين ، تتكون من (٣٦٠) يوماً ، أما الأيام الباقية وهي ما بين (٥) و (٦) ، فتضاف الى أحد الأشهر وتأخذ اسمه ، فتكون السنة بهذا العمل سنة شمسية كاملة . ويحتفل الفلاحون عند انتهاء تقويمهم الزراعي بانتهاء السنة ، حيث يعيدون عيداً يسمونه (مصب) ، (مصوب) ، ويعد شهر (فرعم) الشهر الأول من السنة الزراعية ، حيث تزهو الأشجار ، وتظهر الأوراق . وتختلف هذه السنة عن سني التقويم الرسمي الذي تسير عليه الحكومة في جباية استحقاقها من حاصل الزرع^٣ .

والإلهال هو المبدأ الذي سار عليه الجاهليون في تعيين أوائل الشهور^٤ . فإذا اختفى القمر في آخر الشهر ولم يظهر ، خرجوا لمراقبة الهلال وتثبيت مبدأ الشهر .

-
- ١ Beeston, p. 4, R.B. Serjeant, Star Calendero and an Almanac from South West Arabia, in Anthropos, Bd. 49, 1954, S. 433.
 - ٢ Beeston, p. 5.
 - ٣ Rhodokanakis, Katab. Texte II, S. 19 ff.
 - ٤ صبح الاعشى (٣٦٩/٢) ، نهاية الارب (١٥٦/٣) .

وقد كانوا يعدون الرؤية من الحوادث المؤثرة في حياة الشخص . من حيث جلب النحس والسعادة للمستهل . ولهذا كانوا ينظرون الى المناظر الجميلة حين الاستهلال ، لاعتقادهم أن ذلك يجلب لهم البركة والخير . والشهر كما جاء في الحديث : « مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين »^١ ، أي يوماً .

ويعبر عن الشهر بلفظة (ورخ) في العرييات الجنوبية . والجمع (اورخم) (اورخ) . ولفظة (ورخ) تعني القمر في عربية القرآن الكريم . وهي من الألفاظ السامية القديمة ، وتؤدي معنى (ارخ) وتأريخ أيضاً^٢ . فكان العرب الجنوبيون إذا أرادوا التأريخ بالأشهر ، قالوا : « ورخ كذا ... » ، أي « شهر كذا ... » . والتأريخ بالشهور لا يعني أن العرب الجنوبيين أو غيرهم من العرب ، كانوا لا يؤرخون إلا بالتقويم القمري ، وأنهم لم يكونوا يستعملون غير هذا التقويم . فقد كان غيرهم يؤرخون بالشهور القمرية كذلك ، وكانوا مع ذلك يؤرخون بالتقويم الشمسي ، أو بالتقويمين .

ولا تعني لفظة (ورخ) التي هي (الشهر) أن العرب الجنوبيين كانوا يتبعون تقويمياً قرياً ، بسبب أن لفظة (ورخ) تعني (قر) في الأصل ، فالانكليز يستعملون لفظة Month بمعنى الشهر ، وهي من أصل Moon أي القمر ، ومع ذلك فإن شهورهم شمسية ، ولفظة (الشهر) نستعملها في عربيتنا ، هي في معنى (ورخ) في الأصل . فالشهر : القمر ، والهلال^٣ . أي مرادف (ورخ) تماماً . وقد سمي الشهر به ، لأنهم كانوا يوقتون به ، فالمدة التي تمضي بين هلال وهلال جديد ، هي شهر . نسي المعنى الأصلي للكلمة ، وبقي الاصطلاح ومن ذلك قولهم : أشهروا ، بمعنى أتى عليهم شهر ، وشاهره مشاهرة وشهارة ، استأجره للشهر^٤ .

ووردت لفظة (شهر) بمعنى هلال في العرييات الجنوبية ، وذلك كما في هذه الجملة : « بيوم شهرم ويوم ثنيم ذنم »^٥ ، أي « يوم الهلال ، ويوم

١ ارشاد الساري (٣٥٩/٣) .

٢ نص ابنة Rhodokanakis, Stud. II, S. 48, Bruno Meissner Supplement
nyu den Assyrischen Worterbüchern, Leiden, 1891, S. 16.

٣ تاج العروس (٣٢١/٣) ، (شهر) .

٤ تاج العروس (٣٢١/٣) ، (شهر) .

٥ Jamme 651, 19.

المطر الثاني » ، أو بعبارة أخرى « يوم الاهلال ، وزمان سقوط المطر الثاني » .

وقد وردت في كتابات المسند أسماء عدد من الأشهر ، يتبين من دراستها أن بعضها وارد في نصوص لهجتين مثل لهجة معين وسبأ ، ولهجة سبأ وقتبان ، مما يدل على أنها كانت مشتركة ومستعملة عند المعينيين والسبئيين ، أو عند السبئيين والقتبانين . ولكن الأغلب انفراد كل لهجة بتسمية شهر ، بدليل ما نجده في كتابات كل لهجة من اللهجات التي نعرفها من أسماء أشهر لا ترد في الكتابات الأخرى . ومن الأشهر المشتركة التي ورد اسمها في كتابات سبئية ومعينية ، شهر (ذ دثا) وشهر (ذ سحر) ، وقد ورد اسمه في كتابات سبئية وقتبانية ، و (ذ أبهى) (ذ أبهو) ، وقد ورد في كتابات معينة وسبئية وقتبانية كذلك^١.

وعثر على أسماء هذه الشهور في النصوص المعينية : (ذ أبهى) (ذو أبهى) ، و (ذ أبرهن) ، و (ذ اثرت) ، (ذو عشرة) ، و (دثا) ، و (ذ حضر) ، و (ذ طنفت) ، و (ذ نور) ، و (ذ سمع) ، و (ذ شمس)^٢ .

ومن الشهور الواردة في كتابات السبئيين المتقدمة : (ورخ ذ أبهى) ، أي شهر ذو أبهى ، و (ورخ ذ دثم)^٣ ، و (ورخ دثا) ، (ذ دثا) ، و (ورخ ذ نيلم) ، و (ورخ ذ نسور) ، و (ورخ ذ سحر) ، و (ورخ ذ فلسم) ، و (ورخ ذ قيضن) ، و (ورخ صربن) ، و (ورخ صر) ، و (ورخ ذ الالت) ، و (ملت)^٤ ، و (ذ عثر) ، و (ذ موصم) ، و (ذ مخضدم)^٥ . وشهور أخرى .

أما الشهور : (ورخن ذ الالت) ، و (ورخ ذ داون) و (ورخسو ذ حجتن) و (ورخ ذ خرف) و (ورخو ذو مذران) و (ورخن ذ مهلتن) و (ورخن ذ محجتن) و (ورخ ذ معن) و (ورخ ذ صربن) و (ورخو

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي (٢٣٤/٥ وما بعدها) ،

Rhodokanakis, Kataba. I, S. 133, Beeston, p. 10,

Rhodokanakis, Studi. II, S. 141, Sab. Denkm. 21, CIH 380.

Beeston, p. 10.

٢ Rhodokanakis, Studi. II, S. 75 ZDMG. 29. « بورخ ذ دونم » ،

Beeston, p. 12 f.

٣ CIH 547.

ذ قبضن) و (ورخ ذ ثبن) ، فإنها من الشهور الواردة في الكتابات السبئية المتأخرة^١ .

ويظهر من اسم الشهر (ورخن ذ الالت) (ذ الالت)^٢ ، و (ورخن ذ حجتن) ، أن لها صلة بالحياة الدينية عندهم . فورخن ذ الالت معناه شهر الآلهة . فالظاهر أنه شهر خصص بالآلهة ، كانوا يتقربون فيه إليها بالنذور مثلاً أو العبادة . فهو شهر مقدس ، ربما يكون مثل شهر (رمضان) في الإسلام . وأما (ورخن ذ حجتن) ، فعناه (شهر الحج) ، فهو شهر يحج فيه الى الأصنام ، على نحو (شهر ذي الحجة) في الإسلام .

أما الشهور القتبانية التي وردت أسماءها في كتاباتهم ، فهي : (ورخن ذ أبو) و (ورخن ذ برم) و (ورخن ذ بشم) و (ورخن ذ مسلعت) و (ورخن ذ سحر) و (ورخن ذ عم) و (ورخن ذ تمنع) و (ورخن ذ فرعم) ، و (ورخ ذ فقهور)^٣ . ويلاحظ أن اللهجة القتبانية تضع حرف (و) في نهاية (أبو) (فقهي) ، فتقول : (ذ أبو) ، و (ذ فقهور) بدلاً من (ذ أبو) و (ذ فقهي) كما هو الحال في اللهجات الأخرى ، مما يدل على أن هذا الحرف ، هو من خصائص هذه اللهجة^٤ .

وذكر (بيستن) أن الكتابات الحضرمية لم تذكر من أسماء الشهور إلا اسم شهر واحد ، هو (ورخن ذ صيد)^٥ .

ويلاحظ ورود لفظي (قد من) و (اخرن) مع أسماء بعض الأشهر كما في هذه الجملة : (ورخ ذ نسور قد من) و (ورخ ذ نسور اخرن) ، و (ورخن ذ برم قد من) ، و (ذ برم اخرن)^٦ . ومعناها : (شهر

Beeston, p. 13 f. ١

Jamme 642, 6, Mahram, p. 141. ٢

Rhodokanakis, Katab. I, S. 96, II, S. 5, Glaser, 1396, 1310, Die inschrl. an der Mauer von Kohlan — Tamna' 1924, S. 15, SE80, Beeston, p. 11 f. ٣

Beeston, p. 41, note : 4. ٤

Beeston, p. 15. ٥

Rhodokanakis, Die Inschrl. an der Maner von Kohlan — Timna' 1924, S. 52 ff., Glaser 1609, Beeston, pp. 11, 13, REP. EPIG. 3688, 3879. ٦

ذو نسر الأول) و (شهر ذو نسر الثاني) و (ذو نسر الآخر) ،
و (شهر ذو برم الأول) و (شهر ذو برم الآخر) . وذلك أن لفظة :
(قد من) تعني (الأقدم) و (الأول) . وأما (اخرن) ، فتعني المتأخر
والثاني والآخر . وذلك كما تفعل نحن اليوم إذ نقول (شهر ربيع الأول)
و (شهر ربيع الآخر) و (جمادى الأولى) و (جمادى الآخرة) في التقويم
الهجري ، و (كانون الأول) و (كانون الثاني) في التقويم الميلادي .

ويتبين من استعمال اللفظتين المذكورتين أن بعض العرب الجنوبيين ، ويجوز
أن يكونوا كلهم ، كانوا كالعرب الشماليين ومثل بعض الساميين ، قد استعملوا
اسماً واحداً لشهرين ، وللتفريق بينهما أطلقوا لفظة (قد من) بعد اسم الشهر
الأول ، لتمييزه عن سميّه الشهر التالي له ، ولفظة (اخرن) أي المتأخر والتالي
أو الثاني بعد اسم الشهر الثاني لتمييزه عن الأول المتقدم عليه .

ويظن أن شهر (ذو برم اخرن) ، (ذو برم الآخر) (ذو برم التالي)
أو (الثاني) إنما هو من شهور (الكبس) ، ولهذا فهو لا يكون في كل سنة ،
بل في السنين المكبوسة فقط^١ .

ويظهر من دراسة بعض الأسماء أن لبعضها معاني ذات علاقة بالجو ، وبعض
آخر علاقة بالحياة الدينية أو بالناحية الزراعية . ومن النوع الأول : (ذو دثا) ،
(ذو دثا) وله معنى الربيع ، وهو مثل شهر (ربيع الأول) أو (ربيع الآخر)
في التقويم الهجري . فـ (دثا) هو الربيع في المسند^٢ . وأما شهر (ذو خرف)
فإن له صلة بموسم الخريف ، وقد يكون من شهور هذا الموسم . و (خرف)
بمعنى (الخريف) الموسم المعروف بلغتنا ، وبمعنى سنة^٣ . وأما شهر (ذقيضن)
فإنه من أشهر القيظ ، والقيظ هو الحر ، فهو شهر من أشهر الصيف .
و (القيص) ، بمعنى الصيف كذلك ، والموسم الذي تنضج ثمار الصيف فيه^٤ .
ومن الشهور التي لها علاقة بالزراعة ، شهر (ذو مدرن) ، (ذو مدران)

Beeston, p. 12. ١

Jamme 610, 615, 618, 623, 627, 628, 650, 661, 666, 704. ٢

Mahram, p. 437. ٣

Mahram, p. 447. ٤

(ذو مذران) ، ومعناه شهر البذر ، ولعله دعي بذلك لأن الزراع كانوا يبنرون بذورهم للزرع فيه . وشهر (ذ صرين) ، (ذو صرين) . وهو من أشهر الخريف ، قد يكون في أوله وقد يكون في أواخره ، أي في ابتداء الشتاء ، وهو يقابل شهر (صراب) من الأشهر المستعملة في العربية الجنوبية في أيامنا هذه . و (صرين) (صراب) ، بمعنى أثمار الخريف وحاصل الخريف ، أي غلة الخريف^١ .

ويرى بعض الباحثين أن لشهر (ذ ثبتن) علاقة بالزراعة كذلك ، وأنه يعني الشهر الذي تنهطل فيه الأمطار ، وتجمع فيه السيول لخزنها في السدود ، وأن لشهر (ذ مهلتن) علاقة بالزراعة كذلك ، وأن في معناه (المهلة) أي التأخير في عمليات الزرع أو جمع الحاصل^٢ .

ويظن أن للشهرين (ذ دونم) (ذ دنم)^٣ و (ذ نيلم) علاقة بالزراعة كذلك . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن معنى (دونم) (دينم) الدين ، وأن المراد بها الشهر الذي تجمع فيه ديوان المعبد . أي ضرائب المعبد . وذهب بعض آخر إلى أن اللفظة من أصل (دون) ، ومعناها الإرواء والإسقاء ، وأن لهذا الشهر علاقة اذن بشؤون الري . وأما (ذ نيلم) ، فإنه شهر حصاد الغلات وجمع الحبوب^٤ .

ومن الشهور التي لها علاقة بالحياة الدينية ، (ذ عثر) و (ذ الآلت) و (ذ حجتن) و (ذ محجتن) و (ذ شمسي) وغيرها . وشهر (ذو عثر) منسوب إلى الإله (عثر)^٥ . وأما (ذ الآلت) ، فبين الدلالة على المعنى الديني كذلك . فإنه يعني شهر الآلهة . وأما (ذ حجتن) و (ذ محجتن) ، فهو مثل شهر (ذي الحجة في التقويم الهجري وفي معناه . وأما (ذ شمسي) (ذو شمس) فيجوز أن يكون نسبة إلى الآلهة الشمس من الناحية الدينية ، ويجوز أن يكون نسبة إلى الشمس من ناحية تأثيرها في الجو ، أي من ناحية تأثير حرارة

١ Jamme 594, 617, 631, 651, 655, 719.
٢ Beeston, p. 17.
٣ « ورخ ذ دنم » Jamme 633, 16'.
٤ Beeston, p. 17.
٥ Jamme 611, 7-8, Mahram, p. 108.

أشعتها في الناس وفي المزروعات . وذلك بكونه من أشد الشهور حرّاً ، فيكون هذا الشهر بذلك من أشهر الصيف .

ويفهم من جملة : « ورخ ذ هبس وعثر » ، أن هناك شهراً اسمه شهر (هوبس وعثر) ، أو شهراً اسمه (هوبس) ، نسبة إلى الإله (هوبس) وشهراً آخر اسمه (عثر) ، نسبة إلى الإله (عثر)^١ . وورد اسم الشهر (ورخ ذ عثر) في جملة نصوص^٢ .

والأشهر التي لها صلة بالحياة الدينية ، هي : (شهر الآلهة) (ورخ ذ الال) (ذالالت) ، و (شهر ذ حجت) ، (ورخ ذ حجت) ، و (شهر ذ محجت) ، (ورخ ذ محجت) ، أي شهر المحجة . ويصعب في الوقت الحاضر علينا تثبيت أوقات هذه الأشهر المقدسة بالنسبة للمواسم ولترتيب الشهور ، لعدم وجود أدلة يمكن أن نستخرجها من النصوص لتثبيت زمن الحج عندهم مثلاً ، أو زمن الشهر المخصص للآلهة .

ونجد أسماء بعض الشهور مثل : (ذ سمع) ، تمثل صفة من صفات الآلهة . ف (ذ سمع) يعني (ذو السمع) ، فالآلهة تسمع الناس وتجب دعواتهم . كما نجد أسماء شهور أخرى تشير إلى أمور دينية وطقوس . مثل شهر (ذ حضر) ، فإنه شهر الأضاحي ، من (حضر) بمعنى ضحى ، أي ذبح ذبيحة للآلهة ، ومثل شهر (ابر) ، ومعناه (شهر حرق البخور) ، أو تقديم النذور ، أو النذور التي تقدم لمحارق الآلهة . وربما أدى اسم شهر (ذ نور) هذا المعنى أيضاً ، ف (نور) بمعنى نار . فيكون المعنى شهر النيران .

وقد ورد اسم الشهر (ورخ ذ ملت) ، (ورخ ذ مليت) في عدد من النصوص^٣ . وهو من الأشهر التي لها صلة بموسم الزرع والمواسم . وهذه الأشهر هي : (ذ دثسا) ، و (ذ ملت) (ذ مليت) ، و (ذ قيصن) ، و (ذ دنم) (ذ دونم) ، و (ذ نيلم) . ومن الشهور الواردة في نصوص (هرم) ، شهر (ذ سلام) (ورخ ذ سلام) .

١ راجع السطر ٧ - ٨ من النص : Jamme 611, MaMB 277.

٢ Jamme 567, 6-7, 607.

٣ Jamme 613, 10, 653, 10, 14.

وهناك احتمال بأن : (ذ موص ب م) ، و (ذ عثر) ، و (ذ مخضدم) ، هي أسماء شهور كذلك . وقد ورد : (حين ذ مخضدم قد متن) ، مما يدل على أن اسم هذا الشهر هو مؤنث ، وهو الشهر الأول ، لوجود لفظة (قدمتن) وأن هنالك شهراً آخر ، يمكن تسميته بـ (حين مخضدم الثاني)^١ .

ويظهر من أسماء هذه الشهور المتقدمة ، أن العرب الجنوبيين ، كانوا يسمون بعض أشهرهم بما يقع فيها من حوادث مهمة ، مثل موسم جمع الديون أو التعبد للآلهة أو لإله معين ، أو للحج إلى المعابد ، أو بالظواهر الطبيعية التي تمتاز بها مثل الحر أو البرد ، أو بموسم الصيد .

وقد حاول (بيستن) تثبيت بعض شهور العرب الجنوبيين بالنسبة إلى المواسم وإلى الأشهر المستعملة في الوقت الحاضر ، فذهب إلى أن شهر (ذ ثبتن) قد يكون هو شهر آذار أو شهر نيسان ، وأن شهر (ذ قيصن) ، أي شهر القيظ ، بمعنى الحر ، الذي يقابل (رمضان) قد يكون شهر (ميس) أو حزيران ، وأن شهري (ذ خرف) ، و (ذ مدرن) قد يكونا تموز إلى ايلول ، وأن شهر (ذ داون) ، قد يكون شهر (اكتوبر) (تشرين الأول) ، وأن شهر (ذ صربن) قد يكون شهر (نوفمبر) (تشرين الثاني) ، وأن شهر (ذ معن) قد يقابل شهر (ديسمبر) ، أي (كانون الأول)^٢ .

وليس في إمكاننا في الزمن الحاضر وضع تقاويم ثابتة كاملة للشهور في العربية الجنوبية . نعم ، يمكننا تثبيت بعضها استناداً إلى معاني أسمائها كما رأينا ذلك فيما تقدم ، وذلك بأن نجعل الشهر الفلاني في الفصل الفلاني من فصول السنة مثلاً . ولكننا عاجزون عن ترتيب كل الشهور الإثني عشر ترتيباً زمنياً صحيحاً لنقص في علمنا بالشهور . ومن أجل الوصول إلى ذلك ، لا بد من أن نثريث حتى تنهياً لنا نصوص كثيرة جديدة ، قد تكون من بينها نصوص فلكية ، أو نصوص أخرى ترد فيها أسماء شهور جديدة ، وأسماء شهور مرتبة ترتيباً زمنياً يساعدنا على ترتيبها وتنظيمها في تقاويم منتظمة لمختلف القبائل العربية الجنوبية ودويلاتها . ولا بد لي هنا من الإشارة إلى وجوب الاستعانة بالتقاويم المستعملة عند بقية الساميين

Beeston, p. 12. ١

Beeston, p. 24. ٢

وعند القبائل العربية الشمالية وعند القبائل الإفريقية التي كانت لها صلات بالعرب الجنوبيين ، لمطابقة شهورها على شهور التقويم العربية الجنوبية وتثبيتها عندئذ على هذا الأساس .

ولم ترد في كتابات المسند أسماء الشهور المستعملة عند الشعوب السامية الشمالية ، وهي : نيسان ومايس وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار .

ويظهر أن سنة العرب الجنوبيين ، كانت تتكون من (٣٦٠) يوماً ، مقسمة على اثني عشر شهراً ، ولأجل جعل هذه السنة سنة طبيعية كاملة ، متفقة مع الدورة السنوية الحقيقية للأرض ، كانوا يعالجون ذلك بالكبس . إما بكبس بقية الأيام على السنة نفسها ، ويتم ذلك في كل سنة ، وإما بإضافة شهر إضافي على التقويم في نهاية كل ثلاث سنين^١ .

وربما يدل اسم الشهر (ذ برم اخرن) ، (ذو برم الآخر) ، وهو من شهور قتيان ، على انه شهر كبس ، يضاف إلى سنة الكبس لتكون سنة شمسية تامة . وربما أدى اسم الشهر : (ذ نسور اخرن) ، وهو من شهور السبثيين هذا المعنى كذلك . وهناك شهر اسمه (بين خرفنهين) أي (بين الشهرين) ، ربما يدل على الكبس ، وإضافة شهر بين الشهرين ، لتكون السنة كاملة ، أي كبس شهر على السنة الاعتيادية ، فتكون عدتها ثلاثة عشر شهراً ، وذلك بعد السنين اللازمة ، لإصلاح التقويم ، حتى يكون مطابقاً لدورة الأرض حول الشمس^٢ . وقد كان العبرانيون يضيفون شهراً على تقويمهم بسبب أن الشهور الاثني عشر القمرية لم تكن إلا (٣٥٤) يوماً وست ساعات ، فنقصت بذلك السنة اليهودية أحد عشر يوماً عن الرومانية ، ولسبب ذلك أدخل اليهود شهراً ثالث عشر كل ثلاث سنوات ، سموه (فيادارا) ، أي (آذار الثاني) ، وهكذا جعلوا طول السنة القمرية يعادل الشمسية تقريباً^٣ .

وقد ورد في النصوص اللحيانية اسم (منر) ، يظهر أنه اسم شهر ، يقال

١ Beeston, p. 18.

٢ Beeston, p. 18.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٦٣٩ وما بعدها) .

له (منر) ، أي (منير)^١ . واسم آخر هو (سمر) ، يظهر انه اسم شهر كذلك .

أما النصوص العربية الشمالية ، فهي بخيلة كل البخل في ايراد أسماء الشهور ، فلم يرد في النصوص العربية الخمسة المدونة بعربية قريبة من عربية القرآن الكريم من أسماء الشهور ، إلا اسم شهر واحد ، هو (كسلول) . وقد ورد اسمه في (نص النارة) . ويقابل هذا الشهر ، كانون الأول . وبدل استعمال النص لهذه التسمية على أن العرب الشماليين ، كانوا يستعملون التقويم البابلي في التاريخ .

و (كسلول) ، هو الشهر التاسع من الشهور المتداولة في العراق وفي بلاد الشام . وأصله (كسلو) ، وهو بابلي . وهذه الشهور هي : نيسان ، وزيو ، وسيوان ، وتموز ، وآب ، وأيلول ، وإيثانيم ، وبول ، وكسلو ، وطيبيت ، وشباط ، وآذار . وهي الشهور المقدسة عند العبرانيين^٢ . ويقال لشهر نيسان شهر (أبيب) ، ولشهر (زيف) (أيارا) ، وأما (سيوان) فهو (سيوان) وتموز هو تموز ، وآب هو آب ، وأما أيلول فهو أيلول ، وأما إيثانيم فهو تشرى (تشرى) و (تشريتو) ، وأما (بول) فهو مرشوان ، وكسلو هو (كسلو) ، و (طيبيت) هو (تبت) ، ويسمى ب (تمطرو) أيضاً . وأما (شباط) فهو (سبت) (شبات) ، وأما (آذار) فهو آذار^٣ .

وقد ذكر الأخباريون أسماء أشهر ترك استعمالها في الاسلام ، ذكروا انها كانت مستعملة عند قدماء الجاهلية ، وهم العرب العاربة ، كما ذكروا أسماء شهور قالوا انها كانت أسماء الشهور عند ثمود ، وأسماء شهور قالوا انها الشهور التي كان يستعملها العرب عند ظهور الاسلام .

أما الشهور التي زعموا انها كانت شهور العرب العاربة ، فهي : المؤتمر ، وقد زعموا انه في مقابل المحرم ، وناجر ، وهو في موضع صفر ، وخوآن (وروي خوآن) ويقابل ربيعاً الأول ، ووبصان (ويقال صوان وبصان) ، وهو في مقابل ربيع الآخر ، والحين أو شيبان ، وهو جمادى الأولى ، وملحان وهو

١ Caskel, Lihyān, S. 129, 127.

٢ قاموس الكتاب المقدس (٦٣٩/١) ، (شهر) ، Hastings, p. 936.

٣ The Bible Dictionary, vol. II, p. 182.

جمادى الآخرة ، والأصم ، وهو شهر رجب ، وعادل (عادل) ، وهو شعبان ، وناقق ، وهو شهر رمضان ، ووعل وهو شوال ، وورنة ، وهو ذو القعدة ، وبرك وهو ذو الحجة . وذكر بعضهم أن خوّاناً اسم يوم من أيام الأسبوع ، وأن شينان اسم كانون الأول ، وأن ملحاناً هو كانون الثاني . وهذا الترتيب الذي ذكرته هو كما جاء في رواية ابن سيدة^١ .

وذكر الفراء أن من العرب من سَمَّى المحرم المؤتمر ، وصفر ناجراً ، وربيع الأول خواناً ، وربيع الآخر بصان أو وبصان أو بوصان، وجمادى الأولى الحنين^٢ ، وجمادى الآخرة ورنة (ورنى) ، ورجب الأصم ، وشعبان وعلاً ، ورمضان ناتقاً ، وشوال عادلاً ، وذو القعدة هُواعاً ، وذو الحجة بركا^٣ . وذكرها غيره على هذا النحو : المؤتمر وهو المحرم ، وناجر وهو صفر . وخوّان ، وهو ربيع الأول ، ووبصان وهو ربيع الآخر ، وحنين وهو جمادى الأولى . وربى ورنة لجمادى الآخرة . والأصم وهو رجب . وعادل وهو شعبان وناقق وهو رمضان . ووعل وهو شوال ، وورنة وهو ذو القعدة ، وبرك وهو ذو الحجة^٤ .

ورتب المسعودي أسماء الشهور الجاهلية على هذا النحو : ناقق ، وثقيل ، وطلیق ، وناجر ، وسماح (أسلخ) ، وأمنح (أميح) ، وأحلك ، وكسع ، وزاهر ، وبرط ، وحرف ، ونعس . وجعلها في مقابل المحرم ، وصفر ، فبقية الشهور . وذكر أن (نعساً) هو ذو الحجة^٥ .

ورتبها البيروني على هذا النحو : المؤتمر ، وناجر ، وخوّان (حوّان) ، وصوان ، وحتم أو حنين ، وزبّاء ، والأصم ، وعادل ، وناقق ، وواغل ، وهواع أو رنة ، وبرك^٦ .

- ١ المخصص (٤٣/٩) ، الايام والليالي والشهور ، للفراء ، القاهرة ، ١٩٥٦ م (ص ١٨) ، المزهر (٢١٩/١) .
- ٢ بالفتح وبالضم ، المرزوقي (٢٧٩/١ وما بعدها) ، المزهر (٢٢٠/١) ، نزهة المجلس (٢١٨/١) .
- ٣ الايام والليالي والشهور ، للفراء ، (ص ١٧ وما بعدها) .
- ٤ صبح الاعشى (٣٧٨/٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٠/٣) ، (أمر) .
- ٥ مروج الذهب (١١٠/٢) ، (١٩١/٢) ، (دار الاندلس) .
- ٦ الاثار الباقية (٦٠/١) « طبعة سنخاو » ، « لايبزك ١٨٧٦ م » ، التقاويم (ص ١٦٧) .

ورتبها آخرون على هذا النحو : مؤتمر ، وناجر ، وحوآن (بالخاء المهملة والخاء المعجمة) ، وصوان ويقال فيه وبصان ، ورُبى ، وأيدة ، والأصم ، وعادل ، وناطل ، وواغل ، وورنة ، وبرك^١ . أو على هذا النحو : ناتق ، ونقيل ، وطلق ، واسنح ، وانخ ، وحلك ، وكسح ، وزاهر ، ونوط ، وحرف ، ويغش .

وذكرها بعض آخر على هذا النحو : مؤتمر ، وناجر ، وحوآن ، وصوان ، أو (وبصان) ، و (حنين) ورُبى ، وأيدة ، والأصم ، وعادل ، وناطل ، وواغل ، وورنة ، وبرك . أو هي : ناتق ، ونقيل ، وطلق ، وأسح ، وأنخ ، وحلك ، وكسح ، وزاهر ، ونوط ، وحرف ، ويغش . وهناك من يقول : مؤتمر ، وناجر ، وحوآن ، وصوان ، وحنم ، وزبا ، والأصم ، وعادل ، وناتق ، وواغل ، وهواع ، وبرك ، وما شاكل ذلك . وهناك آراء أخرى في ترتيب هذه الشهور وفي ضبط هذه الأسماء^٢ .

وذكر علماء اللغة أن الخالص من الشتاء عند العرب شهران ، يطلقون عليهما (قاحاً م) ، ويقال للشهرين : ملحان وشيبان^٣ .

ويسمّون شهري القيظ الذي يخلص فيها حرّه ، شهري ناجر ، وذكر أنهما : وقدة وعكّان . وهذان الشهران هما بيضة الصيف^٤ .

وذكر علماء اللغة كذلك ، أن شهرا (قاح) شهرا الكانون لأنهما يكره فيهما شرب الماء الا على ثقل : قال مالك بن خالد الهذلي :

فتى ما ابن الأغرة إذا شتونا وحب الزاد في شهري قاح^٥

و (ملحان) اسم شهر جمادى الآخرة ، سمي بذلك لايضاضه ، قال الكميت :

-
- ١ نهاية الارب (١٥٧/١) .
 - ٢ وسيان وبصان اذا ما عدته وبرك لعمرى في الحساب سواء صبح الاعشى (٣٦٨/٢) وما بعدها) ، تاج العروس (٤٤٤/٤) ، اللسان (٣٧٤/٨) .
 - ٣ الانواء (ص ١٠٥ وما بعدها) ، المرزوقي (٢٧٩/١) .
 - ٤ الانواء (ص ١٠٦ وما بعدها) .
 - ٥ تاج العروس (٢٠٩/٢) .

إذا أمست الآفاق حمراً جنوبها لشييان أو ملحان واليوم أشهب

شييان جادى الأولى ، وقيل كانون الأول ، وملحان كانون الثاني^١ . وورد أن (شييان) ، شهر فيه برد وغيم وصراد ، و (قماح) أشد الشهور برداً . وهما اللذان يقول من لا يعرفهما كانون الأول وكانون الثاني^٢ .

ويتبين من البيت المنسوب الى (الكُميت) انهما كانا معروفين في أيامه .

وأما شهور ثمود على حد زعم الأخباريين ، فهي : موجب ، وموجسر ، ومور (مورد) ، وملزم ، ومصدر ، وهوبر ، وهوبل ، وموها ، وذيمر (ديمّر) ، ودابر (دابل) ، وحيقل ، ومسيل (مسيل)^٣ . وضبطها بعض آخر على هذا النحو : موجب ، وموجز ، ومورد ، وملزج ، ومصدر ، وهوبر ، ومويل ، وموهب ، وذيمر ، وجيقل ، ومجلس ، ومسبل^٤ . وموجب هو المحرم ، وموجر هو صفر . ويذكرون انهم كانوا يبدأون في تقويمهم بذيمر ، وهو شهر رمضان ، فيكون أول شهور السنة عندهم^٥ .

وذكر أن (مُصنِّدِر) من أسماء جادى الأولى^٦ .

ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر التأكيد على أن هذه الشهور ، هي شهور (ثمود) ، كما لا نريد أن نقف منها موقفاً سلبياً ، فنقول إنها من مخترعات أهل الأخبار ، وضعوها على لسانهم وضعاً . وعندى أن من الخير لنا في الوقت الحاضر وجوب البحث عن كتابات ثمودية علنا نجد فيها أسماء أشهرهم .

أما الشهور التي ذكر الأخباريون أنها كانت مستعملة عند العرب حين ظهور الإسلام ، فهي : المحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وربيع الثاني ، وجادى

- ١ تاج العروس (٢٣٠/٢) ، (ملح) .
- ٢ وقد أعاد ذكر بيت الكُميت ولكن على هذه الصورة :
إذا أمست الافاق غربا جنوبها بشييان أو ملحان واليوم أشيب
- ٣ تاج العروس (٣٢٨/١) ، (شاب) .
- ٤ بلوغ الأرب (٧٦/٣) وما بعدها ، الاثار الباقية (٦٣/١) ، صبح الاعشى (٣٦٨/٢) .
- ٥ المرزوقي (٢٨٣/١) .
- ٦ بلوغ الأرب (٧٦/٣) وما بعدها .
- اللسان (٤٥٠/٤) ، (صدر) .

الأولى، وجادى الآخرة، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة. زعموا أن أسماءها وضعت على هذه الصورة باتفاق حال وقعت في كل شهر منها، فسمي الشهر بها عند ابتداء الوضع. وذكروا التعليل الذي روه عن كل تسمية. وذكروا أيضاً أن أول من سماها بهذه الأسماء هو كلاب بن مرة. ومن هذه الشهور أربعة حرم لا يجوز فيها غزو ولا قتال^١. وقال (الطبري): « وكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع، وربيع، وجادى، وجادى، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة^٢. »

ويذكر الأخباريون أن الاسم القديم للمحرم هو صفر، وأنه كان يعرف عندهم بـ (صفر الأول)، ثم قيل له (المحرم). وقد عرف الشهران: المحرم وصفر لذلك بـ (الصفرين)^٣. ويظن أن هذه التسمية الجديدة: أي المحرم لصفر الأول إنما ظهرت في الإسلام^٤. وذهب بعض علماء اللغة إلى أن لفظة (موجب) هي الاسم العادي للمحرم. أي التسمية القديمة لهذا الشهر عند قدماء العرب^٥. فلفظة (محرم) اذن، لم تكن تسمية لذلك الشهر، وإنما كانت صفة له، لحرمته، ثم غلبت عليه، فصارت بمنزلة الاسم العلم عليه. وأما اسمه عند الجاهليين، فهو: صفر، أي صفر الأول، تمييزاً له عن صفر الثاني، الذي اختص بهذه التسمية أي (صفر) بعد تغلب لفظة (المحرم) على صفر الأول. بحيث صار لا يعرف إلا به، فصار صفر لا يعرف بعد ذلك إلا بـ (صفر). وقد تغلبت لفظة (محرم) عليه، لأنه شهر من الأشهر الحرم، فهو (صفر)

١ بلوغ الأرب (٧٨/٣)، صبح الاعشى (٣٦٤/٢) وما بعدها، نهاية الأرب (١٥٨/١) .

٢ تفسير الطبري (٩٢/١٠)، صبح الاعشى (٣٧٤/٢) وما بعدها .

٣ « اللهم اني قد أحللت لهم أحد الصفرين . الصفر الاول، ونسأت الآخر العام المقبل، ابن هشام (٤٥/١)، « أول من نسا الشهور »، اللسان (١٣٣/٦)، البخاري (٢٥٧/٢)، تاج العروس (٣٣٦/٣) .

٤ تاج العروس (٣٣٦/٣) .

Reste, S. Raccolta, vol. V, p. 169, Winckler, Zur Altarabischen Zeitrechnung, in Altorientalische Forschungen, II, Reihe, Bd. 2, S. 324, 1900, Arabisch — Orientalisch, Berlin, 1901, S. 81, in MFG., VI, 4-5, 1901.

٥ تاج العروس (٥٠٢/١) .

المحرم ، تمييزاً له عن (صفر) الثاني ، الذي لم يكن من الأشهر الحرم . ثم غلب المحرم عليه ، وماتت لفظة صفر منه . قال (السخاوي) : « إن المحرم سمي بذلك لكونه شهراً محرماً ، وعندى انه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه ، لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاماً وتحرمه عاماً »^١ .

وذكر أن المحرم لم يكن معروفاً في الجاهلية ، « وإنما كان يقال له ولصفر الصفرين ، وكان أول الصفرين من أشهر الحرم ، فكانت العرب تارة تحرمه ، وتارة تقاتل فيه ، وتحرم صفر الثاني مكانه » ، « فلما جاء الإسلام ، وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسيء ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم ، شهر الله المحرم »^٢ .

ويتبين من دراسة أسماء هذه الشهور أن منها ما هو تكرار للاسم الواحد، وهي ربيع الأول وربع الثاني وجادى الأولى وجادى الآخرة ، ومجموعها أربعة أشهر، فهي ثلث السنة إذن . وتقع في النصف الأول من السنة وعلى التوالي ، تليها أشهر مفردة ، ثم شهران يبتدىء اسمها المركبان بكلمة (ذو) ، وهما : ذو العقدة . وذو الحجة ، وهما آخر شهور السنة . وإذا صحت رواية من قال ان الاسم القديم للمحرم هو صفر الأول ، كانت الأشهر المكونة للنصف الأول من السنة أشهراً مزدوجة تتألف من ثلاثة أزواج ، هي : صفران وربيعان وجاديان^٣ .

وإذا درسنا أسماء هذه الشهور الجاهلية التي ذكرها أهل الأخبار ، وجدنا أنها لا تشبه أسماء الشهور البابلية ولا الشهور السريانية والعبرانية . وهي لا تشبه كذلك أسماء الشهور الواردة في المسند . فليس في الذي بين أيدينا من أسماء للشهور العربية الجنوبية على اختلافها ما يشبه هذه الشهور .

وقد انتبه علماء العربية الى أن أسماء بعض الأشهر التي استعملت في الاسلام ، مثل رمضان ، لا تنطبق مع المعاني التي يفهم منها ، فرمضان من الرمض ، وهو الحر الشديد ، مما يدل على انه من أشهر الصيف ، بينما هو شهر متنقل ، يأتي في كل المواسم ، فلجأوا الى تعليل مصطنع ، على عاداتهم عند وقوفهم على اسم لا يعرفون عن أصله شيئاً ، فقالوا : « يقال انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة

١ تفسير ابن كثير (٣/٣٥٤) .

٢ المزهر (١/٣٠٠) .

٣ Reste, S. 95, Shorter, p. 409.

القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر ، فسمي بذلك ^١ ، ولم يعرفوا أن ذلك بسبب اتباع الاسلام التقويم القمري ، مما دعا الى تحرك الشهور وتقلها في الفصول ، لكون الشهور القمرية غير ثابتة على نعط الشهور الشمسية .

ويبدأ الجاهليون بالمحرم ، فهو أول السنة عندهم ^٢ ، وهو أيضاً الشهر الأول من شهور السنة الهجرية في الاسلام . وأرى ان اتخاذ المسلمين للمحرم ، مبدءاً للسنة الأولى من الهجرة ، وجعله الشهر الأول من التقويم الهجري ، هو من الأمور التي أبقاها الاسلام من أمور الجاهلية ، لأن هجرة الرسول الى المدينة لم تكن في شهر (محرم) حتى نقول إن المسلمين جعلوا (المحرم) الشهر الأول من السنة الهجرية ، لهذه المناسبة ، إذ كانت الهجرة في شهر ربيع الاول ، وأرخ بها ^٣ ، لذلك يكون ابتداء بشهر محرم ، هو اقرار لما كان عليه الجاهليون من ابتدائهم بـ (محرم) ، مبدءاً لشهور السنة . وقد قيل إن وصوله المدينة كان يوم الاثنين الثامن من ربيع الاول ؛ وقيل لثني عشرة منه ، وقيل دخل لئال ربيع الاول ، وقيل غير ذلك ^٤ .

وقد أورد العلماء شروحاً وتفسيرات لمعاني الشهور المتقدمة الجاهلية ، والشهور التي استعملت في الإسلام واقترنت بالتقويم الهجري . فذكروا مثلاً أن المؤتمر معناه أن يأتى بكل شيء مما تأتى به السنة من أقصيتها . وناجر من النجر ، وهو شدة الحر ، وخوان من الخيانة ، وصوان من الصيانة ، والزباء بمعنى الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه وتكاثفه ، والبائد سمي لأنه كان يبيد فيه كثير من الناس ، وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ ما كان لهم من الثأر والغارات قبل دخول شهر رجب وهو شهر حرام ، والأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخل على شراب ولم يدعوه ، وذلك لهجومه على شهر رمضان ، وكان يكثر في رمضان شربهم

- ١ المزهري (٢٢٠/١) .
- ٢ مروج الذهب (١٨٨/٢) ، (ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها) .
- ٣ تاريخ الطبري (٣٨/٤) ، اليعقوبي (١٣٥/١) ، « أيام عمر بن الخطاب » ، ابن هشام ، سيرة (١٥/٢) ، (حاشية على الروض) .
- ٤ امتاع الاسماع (٤٤/١) .

للخمر ، لأن ما يتلوه شهور الحج ، وناطل مكيال للخمر ، سمي لإفراطهم في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال ، والعاذل من العدل ، لأنه من أشهر الحج ، وكانوا يشتغلون فيه عن الناطل ، والرنة كانت الأنعام ترن فيه لقرب النحر ، وبرك سمي لبروك الإبل إذا أحضرت المنحرا .

وعللوا تسمية المحرم بهذا الاسم ، لكونه من جملة الحرم ، وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية ، وشهري الربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار ، وهو نسبة الى طبع الفصل الذي نسميه نحن الحريف ، وكانوا يسمونه ربيعاً ، وشهري جمادى لجمود الماء فيها ، ورجب لاعتمادهم الحركة فيه ، لا من جهة القتال ، أو لخوفهم إياه ، يقال : رجبت الشيء ، اذا خفته ، وشعبان لتشعب القبائل فيه ، ورمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر ، وشوال لارتفاع الحر ، وادباره ، وذو القعدة للزومهم منازلهم ، وذو الحجة لحجهم فيه ٢ .

وعلل بعضهم تسمية الأشهر بقوله : سمي المحرم محرماً تأكيداً لتحريمه ، لأن العرب كانت تتقلب به ، فتحله عاماً وتحرمه عاماً ، وسمي صفر بذلك ، لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار . وشهر ربيع الاول ، سمي بذلك ، لارتباعتهم فيه ، والارتباع الإقامة في عمارة الربيع ، وربيع الآخر كالاول . وجمادى : سمي بذلك لجمود الماء فيه . ورجب من الترجيب ، وهو التعظيم . وشعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة . ورمضان من شدة الرضاء ، وهو الحر . وشوال من شالت الإبل بأذنانها للطراق ، وذو القعدة ، لقعودهم فيه عن القتال والترحال ، وذو الحجة : لايقاعهم الحج فيه ٣ .

ويظهر من تفسير أسماء بعض الأشهر وتعليلها أن لتسمياتها علاقة بالمواسم وبالعوارض الطبيعية الجوية مثل البرد والحر والاعتدال في الجو ، وأن مسمياتها ، أي الشهور المسماة بها ، كانت شهوراً ثابتة في الاصل ، وإلا فلا يعقل تفسيرها

- ١ الاثار الباقية (٦١/١) ، المرزوقي (٢٧٥/١ وما بعدها) .
- ٢ الاثار الباقية (٦٠/١) ، الفراء (ص ٩ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٧٨/٣) ، المسعودي ، مروج (١٨٨/٢ وما بعدها) ، (ذكر سنن العرب وشهورها وتسمية أيامها وليالها) ، وتجد تفسيرات عديدة أخرى في تعليل تسمية هذه الأشهر ، تدل على أنها مما وضعه الرواة فيما بعد ، حينما احتاج الناس الى التعرف على سبب التسميات ، صبح الاعشى (٣٧٥/٢ وما بعدها) .
- ٣ ابن كثير (٢٥٤/٢) ، المسعودي ، مروج الذهب (١٨٨/٢ وما بعدها) .

بغير هذا التفسير . فكيف يسمى رمضان رمضان مثلاً لمرض الحجارة من شدة الحر فيه ، إن لم يكن ثابتاً وشهراً من أشهر الصيف الحارة ؟ وكيف يسمى جادى بجادى لجمود الماء فيه ، إن لم يكن هو والشهر التالي له والمسمى بجادى الآخرة ثابتين ، ومن أشهر الشتاء ؟ وهكذا يجب أن يقال عن بقية الشهور ، وإلا لم يصح ما قيل فيها من التفسير^١ . وقد فطن (المسعودي) إلى ذلك فقال : « وجادى ، لجمود الماء فيها في الزمان الذي سميت به هذه الشهور ، لأنهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك »^٢ . فأدرك أن شهور العرب في الجاهلية كانت أشهراً تمثل ظواهر طبيعية مثل الحرارة والبرودة في الأصل ، لكنه لما وجد - كما وجد غيره أيضاً - أن أوقات الشهور هي متغيرة ، بحيث لا تستقر على قرار في المواسم ، ذهب إلى أن الجاهليين لم يكن لهم علم بأن الحر والبرد يدوران ، مع أنهم كانوا على علم تام بذلك ، فكانت أشهرهم ثابتة ، ولم يفتن المسعودي إلى ذلك ، لأنه أخذ حكمه من الوضع الذي كانت عليه الأشهر في الاسلام ، ولم يفتن إلى أن إبطال النسيء في الاسلام ، هو الذي أطلق هذه الحرية للأشهر فصارت تدور بحرية وتدخل في كل المواسم ، ولم تنقيد بالوقت الذي خصصت به . ولما تكلم (المسعودي) عن الشهور قال : « شهور الروم مرسومة على فصول السنة دون شهور العرب : وشهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة ولا على حساب سنة الشمس ، بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة في غيره من فصول السنة »^٣ .

وبعد شهر شوال أول شهر من أشهر الحج ، وكانت العرب تنظير من عقد المناكح فيه ، وتقول : إن المنكوحة تمتنع من ناكحها ، ولذلك كانت الجاهلية تكره التزويج فيه لما فيه من معنى الاشالة والرفع الى أن جاء الاسلام بهدم ذلك^٤ .

الاسبوع :

ويقسم الشهر الى أربعة أقسام ، كل قسم منها هو اسبوع ، ويتكون من

- ١ الاثنا عشر ابقية (٦٢/١) .
- ٢ المسعودي ، مروج (١٨٩/٢) ، تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) وما بعدها .
- ٣ مروج (١٩٢/٢) .
- ٤ ناج العروس (٤٠١/٧) ، (شول) ، صبح الاعشى (٣٧٦/٢) .

سبعة أيام . وتعزى فكرة هذا التقسيم الى البابليين . ولكن ضبط الأسابيع وتتابعها على النحو المعروف حتى اليوم هو نظام ظهر بعدهم بأمدة^١ . وقد ذكر الاسبوع (شبوعة) Shabu'a في التوراة ، في سفر التكوين^٢ . وعلى أساس الجمع بين السبت اليهودي وقصة الخلق ، نظم الاسبوع بحسب العرف الشائع اليوم^٣.

ولا أعرف للاسبوع اسماً في المسند ، إذ لم ترد لفظة (اسبوع) أو أية لفظة أخرى مرادفة لها في تلك النصوص^٤ . غير أن هناك نصاً من نصوص قوانين البيع والشراء ، ذكر أن إنساناً إذا اشترى حيواناً ، ثم مات ذلك الحيوان بعد سبعة أيام من يوم البيع ، فلا يكون البائع مسؤولاً عن وفاته ، ولا يتحمل أي ضرر عنها^٥ . ففعل النص على هذه الأيام السبعة ، يشير الى وجود فكرة الاسبوع عند العرب الجنوبيين .

وقسم الجاهليون الشهر الى عشرة أقسام . يتألف كل قسم منها من ثلاث ليالٍ . هي : غرر . والغُرر : ثلاث ليالٍ من أول كل شهر . وغرة الشهر ليلة استلال القمر^٦ . ونفل أو شهب وتسع أو بهر . وهي الليلة السابعة والثامنة والتاسعة^٧ وعشر وبيض ودرع وظلم وحنادس أودهم ودادىء (دادأ) ومحاق^٨ . ويذكر أهل الأخبار ، أن العرب في الجاهلية إذا كان يوم المحاق من الشهر بدر الرجل الى ماء الرجل اذا غاب عنه فيتزل عليه ويسقي به ماله ، فلا يزال قيم الماء ذلك الشهر وربّه حتى ينسلخ ، فإذا انسلخ كان ربّه الاول أحق به . وكانت العرب تدعو ذلك المحيق^٩ .

Universal Jewish Encyclopaedia, vol. 10, p. 482.

٢ التكوين الاصحاح السابع ، الاية ٤ وما بعدها ، والاصحاح الثامن الاية ١٠ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٧٩/١) .

٣ Universal Jewish Encyclopaedia, 10, p. 482.

٤ Beeston, p. 3.

٥ Rep. Epigr. 3910.

٦ اللسان (١٥/٥) ، (غرر) .

٧ اللسان (٨١/٤) ، (بهر) .

٨ اللسان (٥٨/٦) ، (حندس) ، اللسان (٣٣٩/١٠) ، (محق) ، (أسماء أيام الاسبوع وأسماء العدد وتفسير معانيها) ، لانيس فريجة ، الابحاث ، السنة (١١) الجزء الاول (١٩٥٨ م) (ص ٣٢) .

٩ اللسان (٣٣٩/١٠) ، (محق) .

وذكر بعض أهل الاخبار ، أن العرب كانت « تسمي الثلاث الأولى من ليالي الشهر ، فتقول : ثلاث غرر ، والثلاث التي تليها ثلاث سمر ، والثلاث التي تليها ثلاث زهر ، والثلاث التي تليها ثلاث درر ، والثلاث التي تليها ثلاث قر ، وثلاث بيض ، وتقول في النصف الثاني من الشهر في الثلاث الأول ثلاث درع ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث ظلم ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث حناديس ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث دوازي ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث محاق . وقيل انه يقال لليالي الشهر : ثلاث هلال ، وثلاث قر ، وست نقل ، وثلاث بيض ، وثلاث درع ، وثلاث بهم ، وست حناديس ، وليلتان داريتان ، وليلة محاق^١ .

الأيام :

واليوم في عرف علماء اللغة من طلوع الشمس الى غروبها^٢ . ولكنهم يتوسعون في معناه أيضاً ، فيقصّدون به معاني أخرى ، مثل الدهر . أما في الاصطلاح فإنه جزء من أيام الاسبوع والشهر والسنة . وهو ليل ونهار، وهما مجتمعان يكونان اليوم . فاستعمل اليوم على وجهين : أحدهما أن يجعل اسماً للنهار خاصة : والوجه الآخر أن يكون اليوم اسماً للمدة الجامعة للزمانين جميعاً ، أعني الليل والنهار^٣ . واعتبر الجاهليون مبدأ اليوم من وقت غروب الشمس . وأما انتهاءه فبابتداء الغروب التالي له . فصار اليوم عندهم بليته من لدن غروب الشمس عن الأفق الى غروبها من الغد ، فصارت الليلة عندهم قبل النهار^٤ .

ولهذا السبب غلبت العرب الليالي على الايام في التأريخ ؛ « لأن ليلة الشهر سبقت يومه ، ولم يلدها ، وولدتها ، ولأن الاهلة لليالي دون الايام ، وفيها دخول الشهر »^٥ . والعرب تستعمل الليل في الاشياء التي يشاركه فيها النهار ، فيقولون :

- ١ مروج (١٩٥/٢) ، وتختلف هذه التسميات باختلاف روايات أهل الاخبار ، صبح الاعشى (٣٧٠/٢) وما بعدها .
- ٢ اللسان (٦٤٩/١٢) « صادر » يوم ، صبح الاعشى (٣٣٩/٢) .
- ٣ الازمنة والانواء ، لابن الاجدابي (ص ٢٨) ، (الدكتور عزة حسن) ، (دمشق ١٩٦٤ م) .
- ٤ الاثار الباقية (٥/١ وما بعدها) ، ابن الاجدابي (٢٨) .
- ٥ بلوغ الارب (٢١٦/٣) .

أدركني الليل بموضع كذا ، وصمنا عشراً من شهر رمضان ، وإنما الصوم للأيام ، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان^١ .

أما اليونان ، فقد عدّوا مبدأ اليوم عند شروق الشمس ، وأما منتهاه فابتداء شروق آخر ، وذلك بخلاف الرومان الذين عدّوا منتصف الليل هو ابتداء اليوم . ومنتهاه عند منتصف ليل نال له^٢ . وقد عدّ التقويم العبراني (لوح) ، مبدأ اليوم من وقت غروب الشمس . وأما انتهاءه فابتداء الغروب التالي له^٣ .

وذكر أن العرب خصصوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة كآخر ليلة منه ، فإنها تسمى (السرار) لاستمرار القمر فيها ، وتسمى (الفحمة) أيضاً لعدم الضوء فيها ، ويقال لها البراء ، وكآخر يوم من الشهر ، فإنهم يسمونه النحر ، وكالليلة الثالثة عشرة ، فإنها تسمى السواء ، والرابعة عشرة ليلة البدر^٤ .

وقد عرف اليوم بـ (يوم) في نصوص المسند كذلك . كما وردت فيها لفظة (ليل) ، أي (ليل) للتعبير عن الليل ، أي اللفظة ذاتها التي تستعملها عربية القرآن الكريم . ووردت فيها لفظة (صبحم) بمعنى صبح وصباح . ولا بد أن تكون في لهجات العرب الجنوبيين مسميات لأقسام الليل والنهار على نحو ما نجده في عربية القرآن الكريم . ولا يستبعد أن يظفر بها الباحثون بعد قيام العلماء بحفريات علمية منظمة في العربية الجنوبية .

وقد أوردت كتب اللغة والاختبار أسماء الأيام التي كان يستعملها بعض الجاهليين ، ويتبين منها أن الجاهليين كانوا يسمون الأيام بأسماء مختلفة متباينة بحسب تباين الأماكن والقبائل . وقد ماتت تلك الاسماء الجاهلية ، وحلت محلها أسماء متأخرة لم تكن معروفة عند قدماء الجاهليين . فأسماء الأيام عند بعض الجاهليين ممن أخذ علماء اللغة عنهم ، هي كما زعموا : (شيار) ويراد به السبت ، وأول ويراد به الأحد ، وأهون ، وأوهد ويراد بها يوم الاثنين ، وجبار ويراد به الثلاثاء ، ودبار ويراد به الأربعاء ، ومؤنس ويراد به الخميس ، وعروبة أو العروبة

١ بلوغ الارب (٢١٦/٣) .

٢ Dictionary of Classical Antiquities, p. 110.

٣ The Jewish Encyclopaedia, III, p. 501.

٤ الآثار الباقية (٦٤/١) .

أي بالتعريف ويراد به الجمعة^١ .

وقد جمعت أسماء الايام القديمة المذكورة في هذين البيتين :

أؤمل أن أعيش ، وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار ، فإن أفقه فؤنس فالعروبة أو شيار

وهي أبيات ، يرى بعض علماء اللغة انها موضوعة^٢ . وقد زعم (ابن كثير)
أن البيتين المذكورين من شعر العرب العرباء المتقدمين^٣ .

وقد نسب بعض هذه الأخبار هذه الأيام إلى العرب العاربة من بني قحطان
وجرهم الأول^٤ .

ويذكر علماء اللغة أن أيام الاسبوع المعروفة والمتداولة عندنا في الزمن الحاضر ،
وهي : الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت ، هي أسماء
إنما عرفت وظهرت في الإسلام^٥ . ولكنهم لم يذكروا ، ويا للأسف ، متى كان
ظهورها ولا في أية سنة كان ذلك ، أكان ذلك في مكة أي قبل الهجرة أم بعد
الهجرة الى المدينة ؟ وقد ذكر (المسعودي) هذه الايام ، ثم قال : « وكانت
العرب تسميها في الجاهلية : الاحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ،
والاربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار »^٦ .

١ المخصص (٤٢/٩) ، « أسماء الايام في الجاهلية » ، نهاية الارب ، للنويري
(١٤٢/١) ، مروج الذهب (١١٠/٢) ، الآثار الباقية (٦٤/١) ، الايام والليالي
والشهور للقراء (ص ٦) ، شرح القاموس (٥٤٩/٢) ، (٣٠٦/٥) ، صبح
الاعشى (٣٥٤/٢) ، نهاية الارب (١٤٨/١) ، بلوغ الارب (٢٧٣/١) ، المزهر
(٢١٩/١) ، Ency. IV, p. 1210 .

٢ اللسان (٥٩٣/١) ، (عرب) ، المسعودي ، مروج (١٩١/٢) ، تفسير ابن كثير
(٣٥٥/٢) ، صبح الاعشى (٣٦٥/٢) ، اللسان (٢٧٥/٤) ، (دبر) ، نزهة
الجليل (٢٩١/١) ، وتجد بعض الاختلاف في النص .

٣ تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢) .

٤ صبح الاعشى (٣٦٤/٢) .

٥ الآثار الباقية (٦٣/١ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢٧٣/١ وما بعدها) ، الابحاث
(١٩٥٨ م) (ح ١ ص ٣٣) ، نهاية الارب ، للنويري (١٤٢/١) .

٦ المسعودي ، مروج (١٩١/٢) .

وهناك من اللغويين والأخباريين من يرى أن هذه الأسماء المتداولة مروية عن أهل الكتاب ، وأن العرب المستعربة لما جاورتهم أخذتها عنهم ، وأن العرب العاربة لم تكن تعرف هذه الأسماء^١ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن الأيام المذكورة ، هي ما نطقت به العرب المستعربة من ولد إسماعيل ، وهي مروية عن أهل الكتاب ، وأن العرب المستعربة لما جاورتهم أخذتها عنهم ، وأن الناس قبل ذلك لم يكونوا يعرفون إلا الأسماء التي وضعتها العرب العاربة ، وهي أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت^٢ .

ولا يملك الاخباريون دليلاً مقنعاً يثبت لنا بجلاء أن أيام الاسبوع المعروفة اليوم إنما وضعت في الاسلام . وفي رواياتهم عن يوم الجمعة ما يخالف زعمهم هذا . ثم إن كلمة (السبت) وردت في آية مكية^٣ . وورودها في آية مكية دليل على وقوف أهل مكة عليها ومعرفتهم بها . أما لفظة (الجمعة) ، فقد وردت في سورة مدنية ، أي أنها نزلت بعد الهجرة^٤ .

وعندي أن أسماء أيام الاسبوع المستعملة عندنا كانت معروفة في يثرب وفي مكة قبل الاسلام . وقد تعلمها أهل يثرب من اليهود ، من اختلاطهم بهم . فإن هذا الترتيب للاسبوع مبني على قصة الخلق الواردة في التوراة . ولا بد لذلك المستعملي هذا الترتيب من أن يكونوا قد تعلموه من مصدر يهودي أو من مصدر له صلة باليهود ، أو من النصارى الساكنين بيثرب أو بمكة . فإننا نعرف أن العبرانيين كانوا لا يسمون أيام الاسبوع بأسماء خصوصية ، ولكنهم كانوا يعدونها بحسب ترتيبها ، فيقولون اليوم الأول والثاني والثالث كما هو في العربية ، إلا يوم الجمعة والسبت ، فقد كانوا يسمون الجمعة (عريب شبات) Ereb Shabat ، ومعناه (مساء السبت) و (عشية السبت) . وأما السبت ، فهو (شبت) (شبات) ومعناه الراحة Rest ، وذلك لاعتقادهم ولما ورد في سفر التكوين : أن الله خلق العالم في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع . فسموا هذا اليوم :

١ بلوغ العرب (٢٧٥/١) .

٢ صبح الاعشى (٣٦٥/٢) .

٣ النحل : الآية ١٢٤ .

٤ الجمعة : الآية ٩ .

(يوم الراحة) (يوم ها - شبات) yom ha-shabbat . واختصرت
ب (شبات) أي السبت^١ .

ولست أعرف نصاً من نصوص المسند ، ورد فيه اسم معين ليوم من أيام
الاسبوع، مثل الجمعة أو السبت أو الاحد وغير ذلك . وكل ما نعرفه من النصوص
أن العرب الجنوبيين كانوا يذكرون موقع اليوم من الشهر ، فيكتبون في اليوم
السابع من الشهر الفلاني ، أو في اليوم الخامس عشر منه ، أو في اليوم العشرين
منه ، وهكذا . وذلك لتعيين مكان اليوم من الشهر . وطريقتهم هذه طريقة
معروفة عند الساميين وعند غيرهم ، وهي لا تزال مستعملة حتى في هذه الأيام
كتابة وفي الاستعمال الاعتيادي وفي التورخ ، وذلك للسهولة والاختصار .

ولا نستطيع أن نتحدث عن اليوم المهم في الاسبوع مثل يوم السبت عند اليهود
أو يوم الأحد عند النصارى وعند الوثنيين ، وإن كان في بعض الروايات ما
يفيد أن يوم الجمعة كان من الايام المعظمة في نظر قريش ، وقد عرف عندها
بـ (يوم العروبة) ، وكانت تجتمع في كل جمعة الى كعب بن لؤي بن غالب
فيخطب فيها ، وأنه هو الذي سمي يوم العروبة يوم الجمعة ، وذلك لتجمع الناس
حوله في ذلك اليوم^٢ .

وقيل : إن يوم الجمعة لم يعرف بهذا الاسم إلا في الاسلام^٣ . وأن الانصار
هم الذين بدلوا اسم (يوم العروبة) فجعلوه (الجمعة) ، ذلك أنهم نظروا
فإذا لليهود يوم في الاسبوع يجتمعون فيه ، وللنصارى يوم يجتمعون فيه هو الاحد ،
فقالوا : مالنا لا يكون لنا يوم كيوم اليهود أو النصارى ، فاجتمعوا الى سعد
ابن زُرارة ، فصلى بهم ركعتين وذكرهم ، فسموا ذلك اليوم يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه ، وأنزل الله سورة الجمعة ، فهي على حد قول أصحاب هذه الرواية أول
جمعة في الإسلام^٤ . وقد انتبه بعضهم الى خطأ رأي من ذهب الى أن يوم
الجمعة إنما سمي بهذه التسمية في الاسلام ، فقال إن يوم الجمعة كان يسمى بهذا

The Jewish Encyclopedia, Vol., III, p. 502, Art : Calender.

١ تاج المروس (٣٠٦/٥) ، بلوغ الارب (٢٧٣/١) .

٢ الايام والليالي (ص ٦) .

٣ صبح الاعشى (٢٦٣/٢) ، بلوغ الارب (٢٧٤/١) .

الاسم قبل أن يصلي الأنصار الجمعة^١ .

وقد انتبه علماء العربية الى اسم (يوم عروبة) ، فقالوا : هو اسم قديم للجمعة .
(وكأنه ليس بعربي)^٢ . و (عروبة) بمعنى غروب في السريانية وفي العبرانية ،
وقد سمي اليوم السابق للسبت (عروبة) ، لأنه غروب ، أي مساء نهار مقدس^٣ .
وذكر أهل الأخبار ، أن كل أربعاء يوافق أربعاً من الشهر ، مثل أربع
خلون ، وأربع عشرة خلت ، وأربع عشرة بقيت ، وأربع وعشرين ، وأربع
بقيت ، فهي : (أيام نحسات)^٤ . ونظراً لورود الاشارة الى هذه الأيام في
كتب أهل الأخبار ، ولاعتقاد الجاهليين بالنحس ، وبوجود نجمين للسعد وللنحس ،
كما في قول الشاعر :

يومين غيمين ويوماً شمسا نجمين بالسعد ونجماً نحسا^٥

فإن في استطاعتنا القول بوجود الأيام النحسات عند الجاهليين .

ويقسم النهار والليل الى اثني عشر قسماً ، كل قسم منها ساعة ، فيكون
مجموع ساعات اليوم أربعاً وعشرين ساعة . وساعتنا المعروفة مأخوذة من الساعة
السومرية البابلية ، فقد قسم البابليون الليل والنهار الى ساعات متساوية هي اثنتا
عشرة ساعة لكل من الليل والنهار ، وجرى الناس على هذا التقسيم حتى اليوم^٦ .
وذكر بعض علماء اللغة أن (الآناء) الساعات . وكان الجاهليون اذا شغلوا
انساناً بالساعات ، قالوا لذلك (المساوعة)^٧ .

ويروي الأخباريون أن العرب وضعت لساعات النهار والليل أسماء غير مستعملة
عندنا ، فأما ساعات النهار ، فهي : (الدرور) (الدرور) ثم للبزوع (البزاع) ،
ثم الضمحي ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم الدلوك ، ثم العصر ،
ثم الأصيل ، ثم الصبوب : ثم الحدود ، ثم الغروب . ويقال فيها أيضاً : البكور

١ صبح الاعشى (٣٦٣/٢) .

٢ اللسان (٥٩٣/١) ، (عرب) .

٣ الابحاث ، السنة (١٩٥٨م) ، (١ ص ٤٨) .

٤ المسعودي ، مروج (١٩١/٢) .

٥ تفسير الطبري (٦٧/٤) .

٦ Alfred Jeremias, Handbuch der Altorientalischen Geisteshtur, Leipzig,

1929, S. 29.

٧ المخصص (٤٤/٩) .

ثم الشروق ، ثم الاشرار ، ثم الرأد ، ثم الضحى ، ثم المتنوع ، ثم الهاجرة ،
ثم الأصيل ، ثم العصر ، ثم الطّفل ، ثم العشي ، ثم الغروب^١ .

وأما ساعات الليل ، فهي على حد قولهم : الشاهد^٢ ، ثم الغسق ، ثم العتمة ،
ثم الفحمة ، ثم الموهن ، ثم القطع ، ثم الجوسر (الجوس) (الجوشن) ، ثم
العبكة ، ثم التبشير ، ثم الفجر الأول ، ثم المعترض ، ثم الإسفار . وأساء أخرى
يذكرها اللغويون^٣ ، حيث يروون أن الجاهليين كانوا يقسمون اليوم الى أربع
وعشرين ساعة . غير ان من الصعب العثور على دليل يفيد وجود هذا التقسيم
عندهم^٤ .

ويقول أهل مكة بوجود فجرين ، أحدهما قبل الآخر . فالفجر الأول هو
الفجر الكاذب ، ويسمى (ذنب السرحان) لدقته . والفجر الثاني هو الفجر
الصادق ، ويقال له (المستطير) ، ومنه الحديث : « ليس بالمستطيل ، يعني
الفجر الأول ، ولكن المستطير » ، يريد المنتشر الضوء . ومع طلوعه يتبين الخيط
الأبيض من الخيط الأسود^٥ .

وهناك شفقان ، أحدهما قبل الآخر : الشفق الأحمر ، والشفق الأبيض . وهو
يغرب في نصف الليل^٦ .

ويقال لليوم الذي يسبق اليوم الذي نحن فيه . يوم أمس ، أو الأمس ، ونهار
أمس . أما البارحة ، فيراد بها أقرب ليلة مضت ، أي الليلة الماضية . وأما اليوم
الذي يلي اليوم الذي نحن فيه ، فهو نهار الغد ، والغد ، وبكرة .

-
- ١ بلوغ الارب (٢٧٤/١) ، صبح الاعشى (٣٤٨/٢) ، نهاية الارب (١٤٧/١) .
 - ٢ « الشاهد يوم الجمعة ٠٠٠ وصلاة الشاهد صلاة المغرب ٠٠٠ » ، تاج العروس
(٣٩٢/٢) .
 - ٣ بلوغ الارب (٢٧٤/١) ، « الهتكة » ، صبح الاعشى (٣٤٨/٢) .
 - ٤ Ency., IV, p. 1210.
 - ٥ الانواء (ص ١٤٣) .
 - ٦ الانواء (ص ١٤٣ وما بعدها) .

الفصل الثاني والثلاثون بعد المئة

الاشهر الحرم

قسم الجاهليون شهور السنة الى قسمين : أشهر اعتيادية هي ثمانية شهور . وأشهر أربعة حرم مقدسة خصت بألهتهم ، لا يجوز فيها قتال ولابغي ولا انتهاك لحرمت . وكانوا يقاتلون في الشهور الثمانية يغزون بعضهم بعضاً ، ويغرون بعضهم على بعض . ثم يتوقفون عن القتال في الشهر الحرم الباقية .

والأشهر الحرم هي أربعة : ثلاث متواليات سرد ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر منفرد هو شهر (رجب)^١ . فهي ثلث السنة اذن . وكان الجاهليون يعظمونها ، ولا يستبيحون القتال فيها ، حتى إن الرجل يلقي فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيج ، استعظاماً لحرمة هذه الأشهر التي هي هدفة تسريح فيها القبائل فتتصرف الى الكيل والامتيار والذهاب الى الأسواق، وهي آمنة مستقرة لا تخشى اعتداءً ولا هجوماً مفاجئاً . وتحريم هذه الأشهر ضرورة من الضرورات استوجبتها طبيعة الحياة في البادية ، فأهل البادية بما هم فيه من فقر وضنك عيش يتنافسون فيما بينهم ويتقاتلون على الكلاً والماء وعلى أخذ حق المرور من القوافل وعلى الغزو والغارات يعيشون . وحياة عاصفة هذا شأنها لا بد لها من فترة تسريح

١ بلوغ الارب (٨٢/٣) ، روح المعاني (٩٠/١٠) ، كتاب الازمنة والامكنة للمرزوقي (٢٢١/١ وما بعدها) ، (طبع حيدرآباد الدكن ١٣٣٢ هـ) ، تفسير الطبري (٨٨/١٠) ، تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢) .

فيها ، وتمتار فيها ، وتصفتي فيها حسابها بدفع أثمان الديات بهدوء وبتسوية المشكلات بالمساومة والمفاوضة ، وتلك الفترة هي الأشهر الحرم .

هذا ما يذكره ويرويه العلماء عن الشهور بصورة عامة . ويجب حمل كلامهم هذا على قریش ومن والاها، وعلى القبائل التي كان للعلماء اتصال بها وعلم بأنخبارها أما القبائل البعيدة عنهم ، والقبائل التي لم يتصلوا بها اتصالاً وثيقاً ، فنحن لا نستطيع أن ندخلهم في هذا الكلام فنقول انهم كانوا يحرمون أشهراً ويحرمون أخرى ، لعدم وجود دليل لدينا يثبت ذلك ، وسنبقى على رأينا هذا حتى يظهر لنا دليل يؤيده أو ينفيه .

والمذكورون قوم يحرمون إذن شهوراً ويحلّون أخرى ، لا يقاتلون ولا يغزون في شهور ، حرمة وتقديساً لها ، إلا عن ضرورة ولجاجة ، ويقاتلون ويغزون في الأشهر الأخرى المتبقية من السنة ، فيقصرون نشاطهم في الغزو وفي الأخذ بالشر على أشهر الحل فقط .

قال (الطبري) في تفسيره الآية : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد »^١ : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، وهي الأربعة التي عدت لك ، يعني عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعاً الأول ، وعشراً من شهر ربيع الآخر . وقال قائلو هذه المقالة : قيل لهذه الأشهر الحرم ، لأن الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم إلا بسبيل خير »^٢ . وقال (النيسابوري) في تفسيرها : « واختلفوا في الأشهر الأربعة ، فعن الزهري أن براءة نزلت في شوال ، والمراد : شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وقيل : هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر . وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وحرّم قتلهم وقتالهم ، أو سميت حرماً على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها . وقيل : ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الأول ، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان .

١ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ٥ .

٢ تفسير الطبري (١٠ / ٥٦) .

ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة ^١ . فدخل صفر وربيع الأول وربيع الآخر في الأشهر الحرم، حسب هذه الروايات . مع أنها ليست من الأشهر الحرم المقررة المعروفة عند الجاهليين . وقد رأيت تعليل ذلك في تفسير (النيسابوري) لها، وهو فعل عامل النسيء .

ولما وصل (الطبري) الى الآية : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض . منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم » ^٢ ، قال : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً . منها أربعة حرم متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . وهو قول عامة أهل التأويل » ^٣ . وقال (النيسابوري) : « منها أربعة حرم : ثلاثة سرد ، أي مسرودة : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد هو رجب » ^٤ . وورد في خطبة الوداع : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهراً . منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ^٥ . فهذه هي الشهور الحرم . أما ما تقدم ، فقد كانت محرمة بموجب ما كان قد وقع عليها بفعل النسيء . فقد كانت العرب قد نسأت النسيء ، فكانوا يحجون في كثير من السنين ، بل أكثرها في غير ذي الحجة ^٦ .

وعرف المحرمون للأشهر الحرم بـ (المحرمين) ، وبـ (البسل) أيضاً . ذكر ان من معاني (البسل) : الحرام والشجاعة ، وهي معاني نجدها في لفظي (حرم) و (حرم) . وذكر علماء اللغة ، أن « البسل ثمانية أشهر حرم كانت لقوم لهم صيت . وذكر انهم من غطفان وقيس . يقال لهم : الهبات » ^٧ . وذكر أن البسل : (بني عامر بن لؤي) ^٨ ، أو (عوف بن لؤي) ، أو (مرة بن

-
- ١ تفسير النيسابوري (٣٧/١٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٢ التوبة ، رقم ٩ ، الآية ٢٦ .
 - ٣ تفسير الطبري (٨٨/١٠) .
 - ٤ تفسير النيسابوري (٧٩/١٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٥ تفسير ابن كثير (٣٥٣/٢) .
 - ٦ تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) .
 - ٧ تاج العروس (٢٢٧/٧) ، (بسل) .
 - ٨ تاج العروس (٢٢٧/٧) ، (بسل) .

عوف بن لوى) . وكانوا يحرمون ثمانية أشهر من السنة . وقد امتنعت بعض القبائل من الاغارة عليهم في هذه الأشهر^١ . فالبسّل اذن جماعة تعظم ثمانية أشهر من السنة ، وتجرمها فلا تقاتل فيها . فهم يختلفون اذن عن (المحرمين) من قريش ومن دان بدينهم في انهم يحرمون ثمانية أشهر من أشهر السنة ويجلون الأربعة الباقية ، أي على العكس منهم ، يفعلون ذلك تعمقاً وتشديداً^٢ .

والبسّل كما يتبين من تفسير علماء اللغة لها : الحرام . ولهذا قالوا : الإيسال : التحريم . ومن ذلك قيل للأشهر الحرم (البسّل) . وهي الأشهر الثمانية التي حرمها قوم من (غطفان) و (قيس) . وبهذا المعنى وردت في قول الأعشى :

أجارتكم بسّل علينا محرم وجارتنا حلّ لكم وحليها^٣

وذكر أنها تعني الحرام وأيضاً الحلال . وهي من الأضداد^٤

فنحن اذن أمام طائفتين من العرب المحرمين للشهور . طائفة اقتصرت على تحريم أربعة أشهر من السنة ، جعلتها أشهراً حرماً . وطائفة جعلت عدة الشهور الحرم ثمانية ، وعدة الشهور الحل أربعة ، وهم أقل عدداً من الطائفة الأولى .

ولكننا نجد طائفة أخرى من الجاهليين ، اشتهرت بحرمة كل الأشهر ، فلم تحرم أي شهر من شهور السنة ، ولم تعترف لها بقدسيته ، وسأوت بين جميع أشهر السنة ، بأن أحلتها كلها ، فعرفوا بالمحلين وهم عكس (المحرمين) . فقد نص أهل الأخبار على وجود قوم من العرب هم : خثعم وطيء ، ذكروا أنهم كانوا يستحلون الأشهر الحرم فيقاتلون فيها ، ولا يقدسونها ولا يراعون للحرم ولا للأشهر الحرم حرمة . وذكر بعضهم أن أحياء من قضاة ويشكر والحارث بن كعب كانوا على مذهب هؤلاء^٥ . فهم لا يفرقون بين الأشهر ، ولا يميزون

١ أبو ذر ، شرح السيرة (٧٨/١) ، ابن كثير ، البداية (٢٠٤/٢) ، القلاعي ، الاكتفاء (٧٨/١) ، Kister, p. 141.

٢ تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢) .

٣ تاج العروس (٢٢٧/٧) ، (بسّل) .

٤ المصدر نفسه .

٥ تاج العروس (٢٤١/٨) ، (حرم) ، الجاحظ ، الحيوان (٢١٦/٧) وما بعدها ،

النجيري (١٢) ، المحبر (٣١٩) ، الأزرق (٣٤١/١) .

بينها ، وهي كلها في نظرهم سواء . فلا يؤمنون بوجود أشهر حرم مقدسة ، ولا بوجود أشهر حل ، بل الأشهر عندهم كلها حلال . ولا يمتنعون من القتال في أي يوم أو شهر من السنة . فهم اذن على تقيض (المحرمين) للأشهر المعظمين للحرم وللأشهر الحرم ، قوم لا عهد لهم ولا ذمة بالنسبة الى شهور السنة .

والظاهر ان (المحلين) كانوا يتحارثون بالمحرمين وبغيرهم في الأشهر الحرم ، ولما كان من شرع (المحرمين) الامتناع عن القتال في تلك الأشهر ، فللدفاع عن النفس أباح النساء لمقلديهم المحرمين مقاتلة المحلين اذا تعرضوا لهم . إذ جاء : « كان الذين ينسأون الشهور أيام الموسم يقولون : حرمتنا عليكم القتال في هذه الشهور إلا دماء المحلين . فكانت العرب تستحل دماءهم في هذه الشهور »^١ . وجاء : « ولاني قد أحللت دماء المحلين من طيء وخثعم ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم اذا عرضوا لكم »^٢ .

ويجب أن نضيف على هؤلاء طائفة من العرب من ذي البانة والصعاليك وأصحاب التطاول ، وأمثالهم ممن كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للأشهر الحرام قدراً^٣ . فكانوا يغيرون في هذه الأشهر ويحلون القتال فيها وفي كل وقت ، كما كانوا لا يؤمنون على الحرم . فإذا وجدوا فرصة سرقوا في الحرم وأخذوا ما يقع في أيديهم دون استحياء ولا مبالاة بحرام وحلال ، نظراً لما هم فيه من جوع وفاقة وحاجة ، دفعتهم الى الكفر بكل قانون وعقيدة وعرف .

ويجب أن نضيف الى المحلين العرب الذين لم يكونوا على دين أهل الشرك ، مثل النصراني واليهود . فقد كانت النصرانية قد وجدت سبيلها بين تغلب، وشيبان، وعبد القيس ، وقضاعة ، وغسان ، وسليح ، والعباد ، وتنوخ ، وعاملة ، ولخم : وجندام . وكثير من بلحارث بن كعب ، وبعض طيء وتميم . فهؤلاء لم يكونوا على شرك ، لذلك لم يراعوا حرمة تلك الأشهر ، ولم يحجوا الى محجبات المشركين ، وإنما كانوا يتقربون الى قبور شهداء الكنيسة والى أضرحة القديسين ،

١ تاج العروس (٢٤٤/٨) ، (حرم) .

٢ نقلا عن مخطوطة أنساب الاشراف على رواية : Kister, p. 142.

٣ ثمار القلوب (٨٨) ، Kister, p. 143.

٤ الحيوان (٢١٦/٧) ،

ولهم أعيادهم الخاصة بهم لا يقاتلون فيها إلا دفاعاً عن نفس ، ولم يقيم اليهود كذلك لتلك الأشهر المقدسة حرمة ، إذ كان السبت ، يوم راحة بالنسبة لهم ، لا يحل فيه قتال ، وكذلك كانت أعيادهم أيام حرمة ، لا يجيزون فيها قتال ، أي مهاجمة أحد ، إلا إذا هوجموا ، فيحل عندئذ لهم القتال دفاعاً عن نفس ، ولما وقعت المناوشات بينهم وبين المسلمين كانوا يتجنبون فيها القتال أيام السبت والأعياد .

وذكر أن قريشاً، كانت لا تتاجر إلا من ورد إليها في مكة في الأشهر الحرم . لا تبرح دارها ولا تتجاوز حرمة . وذلك لتحمسها في دينها والحب لحرمة . وكانت تخاف على تجارتها من لصوص الطرق وصعاليك الأعراب وطلاب الطلاب وذوiban العرب ، لأنهم كانوا يرون للشهور الحرم حرمة، ولا للشهر الحرم قدراً ، ولا للحرم حرمة ، فأعطت الإيلاف ، والفت القبائل ، وقاومت بذلك المحليين . وقد قسم (المرزوقي) العرب الى ثلاثة أهواء بالنسبة الى أشهر الحج . منهم المحلون ، الذين كانوا يستحلون الكعبة والأشهر الحرم ويسرقون ويقتلون في (الحرم) ، ومنهم من يحرم الشهور الحرم ، ومنهم (أهل هوى) على شرع (صلصل) . وهو (صلصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف) من بني عمرو بن تميم^١ . وهو الذي أحل للعرب قتال المحليين في الأشهر الحرم^٢ . وكان من حكام العرب ومفتوهم ومن اجتمع له الموسم والقضاء في عكاظ .

والمحرمون هم : الخمس والحلة . أما (المحلون) ، فالقبائل التي لم تحرم حرمة الكعبة ولا الأشهر الحرم ، أي أولئك الذين أباح النساء دمهم ، وجوزوا قتالهم في الأشهر الحرم . وأما أولئك الذين كانوا على شرع (صلصل) ، فلا ندري مذهبهم وهواهم ، فلم يتحدث (المرزوقي) عنهم^٣ . وقد كان (صلصل) ممن اجتمع له الموسم وقضاء عكاظ من بني تميم^٤ . ولم يذكر (ابن حبيب) الأمور التي أوجدها وأحدثها ، حتى كوّن له طائفة خاصة لها رأي في الحرم وفي الأشهر الحرم .

١ المرزوقي ، الامكنة (١٦٦/٢) ، المحبر (١٨٢) وما بعدها ، Kister, p. 143.

٢ Kister, p. 143.

٣ Kister, p. 144.

٤ المحبر (١٨٢) وما بعدها .

وتجوز مقاتلة (المحليين) في الأشهر الحرم ، هو دفاع عن النفس ، وضرورة واجبة . لذلك نص عليه النساء في أمرهم السنوي الذي يعينون فيه (النسيء) في الموسم ، ليقف الناس على موعد الأشهر الحرم ومكانها من السنة في السنة المقبلة . إذ لا يعقل بالنسبة للمحرمين الامتناع من قتال مقاتل في الأشهر المذكورة ، لأنها أشهر حرم مقدسة . وإلا عرّضوا أنفسهم وأهلهم وأموالهم الى التهلكة ، خاصة وان المقاتلين هم من أهل عقيدة مخالفة لعقيدتهم تمام المخالفة ، فسرعة الدفاع عن النفس أباحت لهم حق قتال المحليين .

ويلاحظ ان شهري ذي القعدة وذو الحجة هما الشهران الأخيران من السنة ، يليهما في الحرمة الشهر الأول من السنة الجديدة وهو المحرم ، فهذه الأشهر الثلاثة هي في الواقع زمن واحد متصل . أما (رجب) ، فهو الشهر الوحيد المنفرد بالحرمة . ولذلك عرف بـ (رجب الفرد) ، و (بالفرد) . وقد علل أهل الأخبار سبب ذلك بقولهم : « وانما كانت الأشهر المحرمة : أربعة . ثلاثة سرد وواحد فرد ، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة ، فحرم قبل أشهر الحج شهراً ، وهو ذو القعدة ، لأنهم يقعدون فيه عن القتال . وحرم شهر ذي الحجة ، لأنهم يوقعون فيه الحج ويشغلون فيه بأداء المناسك . وحرم بعده شهراً آخر ، وهو المحرم ، ليرجعوا فيه الى أقصى بلادهم آمنين ، وحرم رجب في وسط الحول ، لأجل زيارة البيت والاعتبار به لمن يقدم اليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ، ثم يعود الى وطنه فيه آمناً »^١ .

ولكن تعليل أهل الأخبار لحرمة (رجب) التعليل المذكور لا يتناسب مع تعليلهم لحرمة الأشهر الثلاثة المحرمة ، فإذا كانوا قد حرموا ذا القعدة والمحرم بسبب الاستعداد للحج ، وبسبب العودة منه الى ديارهم كما زعموا ، فإن تحريم (رجب) بسبب مجيء العرب فيه من أقصى جزيرة العرب للعمرة فيه ، يستوجب أيضاً اعطاء المعتمرين مدة مناسبة قبله وبعده للاعتبار فيه ، حتى يضمنوا ذهابهم الى مكة وعودتهم منها بأمان ، فالسفر سفر واحد لا يتغير من حيث الطول أو القصر في موسم الحج أو في موسم العمرة ، لأن المسافات لا تتبدل بتبدل الطقوس الدينية ، ولو عللنا سبب اطالة تحريم الأشهر الثلاثة بسبب الحج ووجود الأسواق،

١ تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢) .

أي لعوامل اقتصادية ومنافع مادية ، جاز قبول هذا التعليل ، ولكن لم يفعلوا هذا الفعل بالنسبة لرجب ، الذي تحتاج العمرة فيه الى مدة أطول من الشهر للوصول في خلالها من أقصى مكان في جزيرة العرب الى مكة ، وللعودة منها الى مواطنهم ، إذ لا يعقل أبداً بلوغ مكة والعودة اليها سالمين الى مواطنهم في العربية الجنوبية أو الخليج أو العراق في خلال شهر واحد ، بل هو في نظري زعم من مزاعم أهل الأخبار . وما كان الحج الى مكة إلا من القبائل القريبة منها ، وإنما صار الحج اليها عاماً ومن كل مكان في الاسلام وبفضله وحده . وعندي أن شهر رجب ، كان شهراً مقدساً محرماً ، تعتر فيه العتائر ، عند قبائل مضر وقبائل ربيعة ، وهما حلفان في الأصل ، وقد تناول قبائل متجاورة ، ثم انفصل ، فصار ربيعة ومضر . وفي هذا الشهر كانوا يتقربون الى (الله) بالعتائر ، ومنهم من يعتمر ، فيبقى بمكة ما يشاء ، ولم تكن العمرة على شاكلة الحج من حيث العدد والكثرة ، بل كانت قاصرة على المتمكنين الذين لهم عهود ومواثيق مع أهل مكة وغيرها من سادات قبائل مضر وربيعة ، فلا خوف على أمثال هؤلاء من الرجوع الى وطنهم في أي وقت شاؤوا ، إذ لا يطمع فيهم طامع بسبب ما كانوا يحملونه من تجارة ، كالذي كان يفعله التجار الذين يذهبون الى الاتجار بالأسواق وفي جعلتها سوق مكة في موسم الحج الذي هو تجارة وحج ، لأنهم كانوا من عامة القبائل ومعهم تجارة ، فكان من الضروري تطويل الموسم ليكون أمناً لهم بحميتهم من الأذى الى عودتهم الى مواطنهم .

وفي هذه الأشهر الحرم تعقد الأسواق مثل سوق عكاظ وذي المجاز وذي المجنة ودومة الجندل وغيرها ، فيقصدها الناس من مواضع بعيدة ، وتكتظ أرضها بمجموع غفيرة لم تكن تقصدها في غير هذه (المواسم) .

وقد عرف شهر (ذو القعدة) بهذا الاسم ، لأن الناس - كما يقول علماء اللغة - كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو والميرة وطلب الكلا ويحجون في ذي الحجة^١ . وهو تفسير أخذ من ظاهر التسمية ، ودليل ذلك قولهم : « لقعودهم فيه عن القتال والترحال »^٢ . فالقعود فيه عن القتال جائز بالنسبة للمحرمين ،

١ تاج العروس (٤٦٩/٢) ، (قعد) ، تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) .

٢ تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) .

ولكن قعودهم عن الترحال خطأ ، إذ كانوا على العكس يتهيأون فيه للأسفار الى الاتجار والحج ، فهو شهر ترحال لا شهر قعود وجلوس .

وأما (ذو الحجة) ، فقد عرف بذلك لايقاعهم الحج فيه . وقد رأينا ان في نصوص المسند اسم شهر عرف بـ (ذ حجت) ، أي (ذي الحجة) ، وبـ (ذ محجت) ، أي (ذي المحجة) ، مما يدل على أن له صلة بالحج . ولم تعين نصوص المسند موسم حج العرب الجنوبيين ، ولم تذكر اسم محجتهم ، ولكننا نستطيع أن نقول أنها كانت الى محجات آلهتهم المعروفة المنصوص عليها في نصوصهم ، وهي غير آلهة أهل مكة من غير شك .

وقد ذكر بعض علماء اللغة أن العرب كانت تسمي شهر رجب (رجب الأصم) و (المحرم) ، وذكر بعض آخر أن المحرم لم يكن يعرف بهذا الاسم إلا في الاسلام ، فقد كان الجاهليون يسمونه صفراً . ولذلك كان في تقويمهم صفران ، كما كان عندهم شهران باسم ربيع الأول وربيع الآخر ، وشهران باسم جمادى الاولى وجمادى الآخرة . وصفر الأول هو المحرم في عرفنا ، وصفر الآخر هو صفر في اصطلاحنا اليوم . وقد كان الجاهليون يؤخرون المحرم الى صفر في تحريمه ، فيكون شهراً حراماً^٢ .

ويظهر أن لدخول (ال) أداة التعريف على (المحرم) أهمية في تثبيت هذا الشهر ، فإن اللفظة (محرم) دلالة دينية ، يراد بها كل شهر من الأشهر الحرم . فكل شهر من هذه الشهور الحرم هي محرم وحرام ، ومن ضمنها (المحرم) . وقد دخلت (ال) على هذه اللفظة لتخصيصها وجعلها علمية خاصة بهذا الشهر . وإلا دخلت على الشهور الأخرى العلمية ، مثل رجب وشعبان ورمضان وصفر ، فلا يقال فيها الرجب والشعبان والرمضان والصفر ، بل يقال قدم شهر رجب . وقدم شعبان وشهر رمضان وصفر . وهذا يفسر قول (ابن كثير) : «وعندي

1 REP. EPIG. 4176/7.

٢ تاج العروس (٢٣٦/٣) ، (٢٤٠/٨) وما بعدها) ، (حرم) ، قال حميد بن ثور :
رعين المرار الجون من كل مذنب شهور جمادى كلها والمحرم
وقال آخر :
أقمنا بها شهري ربيع كلاهما وشهري جمادى واستحلوا المحرم
تاج العروس (٢٤١/٨) (حرم) .

أنه سمي بذلك ، تأكيداً لتحريمه ، لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاماً وتم عاماً^١ أي انه كان قلقاً متنقلاً ، ولم يكن ثابتاً ، ثم ثبت في الإسلام .

وقد ورد في كتب الحديث أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء ، كما اليهود يصومون ذلك اليوم . ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم . الرسول حين قدم المدينة وجد اليهود يصومونه . وأن الرسول كان يصومه الجاهلية أيضاً . ولما قدم المدينة ، كان يصومه ، وأمر بصيامه . فلما فر رمضان ، ترك عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه^٢ . وورد «أن قر كانت تعظم هذا اليوم ، وكانوا يكسون الكعبة فيه ، وصومه من تمام تعظيمه ولكن انما كانوا يعدون بالأهلة ، فكان عندهم عاش المحرم . فلما قدم المدينة وجدهم يعظمون ذلك اليوم ويصومونه ، فسألهم عنه ، فقالوا : هو اليوم^٣ نجي الله فيه موسى وقومه من فرعون^٤ .

وذكر أيضاً : أن رسول الله ، كان يتحرى يوم عاشوراء على سائر الأيام وكان يصومه قبل فرض رمضان . فلما فرض رمضان ، قال : من شاء صامه ومن شاء تركه ، وبقي هو يصومه تطوعاً ، فقليل له : « يارسول الله انه تعظمه اليهود والنصارى ، فقال ، صلى الله عليه وسلم : اذا كان العام المقبل شاء الله صمنا اليوم التاسع ، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله^٥ » .

ويرجع حديث صيام قريش يوم عاشوراء الى (عائشة) ، وقد رواه : (عروة بن الزبير بن العوام) . فقد روى انها « قالت : كان يوم عاشوراء يصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله يصومه . فلما قدم المدينة صامه و الناس بصيامه ، فلما فرض رمضان ، ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه و شاء تركه^٥ . » ويروى أيضاً عن معاوية ، فقد ورد عن (حميد بن عبد الر ابن عوف انه سمع معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، يوم عاشوراء

-
- ١ ابن كثير ، تفسير (٣٥٤/٢) .
 - ٢ جامع الاصول (١٩٩/٧) وما بعدها ، تاج العروس (٤٠٠/٣) ، الازمنة والامم للمرزوقي (٧٢٦/١) وما بعدها .
 - ٣ زاد المعاد (١٦٤/١) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٤١٧/٢) وما بعدها ، امتاع الاسماع (٦٠/١) ، زاد المعاد (١٦٤/١)
 - ٥ ارشاد الساري (٤٢١/٣) .

عام حج على المنبر ، يقول : يا أهل المدينة أين علماءكم ؟ سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر ^١ .

وقد حاول شراح حديث (عائشة) إيجاد مخرج له ، فقالوا في شرح : « كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية » ، « يحتمل أنهم اقتدوا في صيامه بشرع سالف ، ولذا كانوا يعظمونه بكسوة البيت الحرام فيه » . وقد وضع بعضهم بعد « وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يصومه » جملة (في الجاهلية) . وحاولوا إيجاد مخرج آخر لحديث (معاوية) ، بقولهم : « والظاهر أن معاوية قاله لما سمع من يوجبه أو يحرمه ، أو يكرهه ، فأراد إعلامهم بنفي الثلاثة ، فاستدعاؤه لهم تنبيهاً لهم على الحكم أو استعانة بما عندهم على ما عنده » . وقالوا : « ان معاوية من مسلمة الفتح ، فإن كان سمع هذا بعد اسلامه ، فلأنما يكون سمعه سنة تسع أو عشر ، فيكون ذلك بعد نسخه بإيجاب رمضان ، ويكون المعنى لم يفرض بعد إيجاب رمضان ، جمعاً بينه وبين الأدلة الصريحة في وجوبه ، وان كان سمعه قبله فيجوز كونه قبل افتراضه ^٢ . ثم ذكروا بعد هذين الحديثين ، حديثاً يناقضهما تماماً ، وهو أن النبي حين قدم المدينة فرأى اليهود تصوم ، فقال : ما هذا الصوم ، قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى . قال النبي : فأنا أحق بموسى منكم فصامه ، وأمر بصيامه ^٣ . وهو حديث للعلماء عليه كلام .

وحديث معاوية لا يدل على صوم قريش ليوم عاشوراء في الجاهلية ، وقد استدلل به (ابن الجوزي) على أن صوم عاشوراء لم يكن واجباً ، ولا يفهم منه أبداً أن قريشاً كانوا يصومونه قبل الإسلام . ولو كان معروفاً لما خفي أمره عليه وعلى غيره من قريش ، وحديث (عائشة) حديث مفرد ، ويجوز أن يكون قد وضع على لسانها ، ولا يعقل انفرد بها به وعلمها وحدها بصيام قريش في ذلك اليوم ، وخفاء أمره على غيرها من الرجال والنساء ممن عاش معظم حياته في الجاهلية .

-
- ١ ارشاد الساري (٤٢٢/٣) .
 - ٢ ارشاد الساري (٤٢٢/٣) .
 - ٣ ارشاد الساري (٤٢٢/٣) .

ويوم (عاشوراء) هو يوم (ع ش و ر) 'Ashura' (عشور) (عشورا) عند العبرانيين ، ويقع في اليوم العاشر من شهر (تشرى) ^١ . وهو يوم خاص بيهود . وأنا أشك في صحة رواية أهل الأخبار القائلة ان قريشاً كانوا يصومونه في الجاهلية ، إذ ما هي صلة قريش الوثنيين الذين لم يكونوا من أهل الكتاب بصيام يوم هو من صميم أحكام ديانة يهود . ومما يؤيد رأيي ، هو ان أهل الأخبار أنفسهم يذكرون ان الرسول « حين قدم المدينة ، رأى يهود تصوم يوم عاشوراء ، فسألهم ، فأخبروه انه اليوم الذي غرق الله فيه آل فرعون ، ونجى موسى ومن معه منهم ، فقال : نحن أحق بموسى منهم ، فصام ، وأمر الناس بصومه . فلما فرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه » ^٢ . فلو كان الصيام معروفاً عند قريش ، لما سأل الرسول يهود يثرب عن صومهم صيام عاشوراء ، وما جاء من قوله : « نحن أحق بموسى منهم ، فصام ، وأمر الناس بصومه » الى أن فرض رمضان ، فرفع عنهم صومه ، وجعلهم أحراراً إن شاءوا صاموه وإن شاءوا أفطروا ، أي صار تطوعاً ، وهو حديث يشك فيه العلماء كذلك . وهذه الرواية تناقض تماماً رواية صيام قريش يوم عاشوراء . ثم اننا لا نجد في القرآن ولا في الحديث — غير حديث عائشة — ما يشير الى وجود ذلك الصوم بمكة قبل الهجرة ، ولو كان معروفاً لما سُكت عنه . ويرجع بعض المستشرقين دعوى صيام قريش لذلك اليوم الى محاولة ارجاع الأصول الاسلامية الى الحنيفية القديمة والى قدماء العرب ثم الى ابراهيم ، فصبروا قريشاً تصوم عاشوراء لارجاع الصيام الى أصل قديم ^٣ .

ولا يعقل وجود الصيام عند المشركين ، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب ، وانما كان الصيام معروفاً عند الاحناف لاتصالهم بهم ، وتأثرهم بكتبهم وبما كان عندهم من أحكام ، ومن ذلك ترههم وزهدهم ، وقد كان الرهبان يكثر من الصوم والاعتكاف .

وأنا لا استبعد أن لفظة (محرم) هي نعت لهذا الشهر لا اسماً له ، عرف بها لكونه شهراً حراماً . تقع عليه الحرمة ، ومن حرمة أن الجاهليين كانوا يبتدئون

Shorter Ency., p. 47. ١

الطبري (٤١٧/٢) . ٢

Shorter Ency. p. 48. ٣

ستهم به . فالمحرم ، هو أول شهر من شهور السنة في حسابهم ، ولابتدائهم به ، فقد تكون له حرمة خاصة عندهم .

وقد نسب أهل الأخبار شهر رجب الى مضر ، فقالوا رجب مضر ، وقد أشير الى ذلك في الحديث أيضاً ، مما يدل على أن هذا الشهر هو شهر مضر خاصة . وقد ذكر العلماء أنه إنما عرف بذلك لأنهم كانوا أشد تعظيماً له من غيرهم ، وكأنهم اختصوا به^١ . وذكروا أيضاً أنهم كانوا يرجون فيه ، فيقدمون الرجبية ، وتعرف عندهم بالعتيرة ، وهي ذبيحة تنحر في هذا الشهر . ويقال عن أيامه هذه أيام ترجيب وتعتبر^٢ .

ويذكر علماء الأخبار أن تأكيد الرسول على « رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » في خطبة حجة الوداع ، هو أن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجباً ، فعرف من ثم ب (رجب ربيعة) ، فوصفه بكونه بين جمادى وشعبان تأكيداً على أنه غير رجب ربيعة المذكور الذي هو بين شعبان وشوال . وهو رمضان اليوم^٣ . فرجب إذاً عند الجاهليين رجبان : رجب مضر ورجب ربيعة ، وبين الطائفتين اختلاف في مسائل أخرى كذلك .

ومما يؤيد ان شهر (رجب) كان شهر مضر المحرم عندهم بصورة خاصة ، ما ورد في أقوال علماء التفسير من ان (الشهر الحرام) الوارد في الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ، ولا الهدي ولا القلائد »^٤ ، هو شهر (رجب) ، وهو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال^٥ . وما ورد في الآية :

- ١ « رجب مضر : إنما اضيف رجب الى هذه القبيلة ، لانهم كانوا يحافظون على تحريمه ، أشد من سائر العرب » ، عمدة القاري (٤٢/١٨) ، تاج العروس (٢٦٦/١) وما بعدها (، روح المعاني (٩٠/١٠) .
- ٢ تاج العروس (٧٢/٣) .
- ٣ الروض الانف (٣٥١/٢) (حجة الوداع) ، بلوغ الارب (٧٢/٣) ، تفسير الطبري (٨٨/١٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢) ، « وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ، ابن هشام ، سيرة (٣٥١/٢) ، (حاشية على الروض) .
- ٤ المائدة ، الرقم ٥ ، الآية ٢ .
- ٥ تفسير الطبري (٣٦/٦ وما بعدها) ، روح المعاني (٤٧/٦) .

« يسألونك عن الشهر الحرام . قتال فيه ؟ »^١ ، واجماع علماء التفسير والأخبار على انه شهر (رجب) ، وان الآية نزلت في أمر قتل (ابن الحضرمي) في آخر يوم من جمادى الآخرة ، وأول ليلة أو يوم من رجب . وقد كان المسلمون يهابونه ويعظمونه ، وكان النبي يحرم القتال في الشهر الحرام ، حتى نزلت الآية في حق القتال فيه وفي بقية الشهور . وقد ذهب المفسرون أيضاً الى ان (الشهر الحرام) ، هو كل شهر حرام من هذه الأشهر الأربعة ، وان الآية لا يراد بها التخصيص ، وان ما ذكر من انه شهر رجب ، فلأجل وقوع الحادث المذكور فيه^٢.

وعرف (رجب) بـ (منصل الآلة) والآلة والألال في الجاهلية . أي مخرج الاسنة من أماكنها . كانوا إذا دخل رجب نزعوا أسنة الرماح ونصال السهام ابطلاً للقتال فيه ، وقطعاً لأسباب الفتن بجرمته ، فلما كان سبباً لذلك سمي به ، اعظماً له ، فلا يغزون ولا يغير بعضهم على بعض^٣ . وعرف أيضاً بـ (منزع الأسنة) للسبب المذكور .

ومن دلائل حرمة شهر (رجب) ومكانته العظيمة عند أهل الجاهلية ، تقديمهم العتائر فيه والاضاحي التي عرفت عندهم بـ (الرجبية) ، ووقوع أكثر المناسبات الدينية فيه . وقد نعت هذا الشهر بـ (الاصم) ، فقليل له (رجب الاصم) ، لعدم سماع استغاثة أو قعقعة سلاح فيه^٤ ، لان العرب كانت لا تفرع فيه الاسنة ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيه ، فلا يهيمجه ، تعظيماً له^٥ . وعرف بـ (رجب الفرد) وبـ (الفرد) ، لانفراده وحده من بين الأشهر الحرم الأخرى^٦ .

ويرى (وهوزن) ، استناداً الى بعض الموارد اليونانية وغيرها ان العرب كانوا يحرمون شهراً واحداً منفرداً ، هو (رجب الفرد) ، وهو من شهور الربيع ، وشهرين آخرين متصلين يقعان في القيظ ، أي في أوج الصيف . أما الشهر الثالث

-
- ١ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢١٧ .
 - ٢ تفسير الطبري (٢٠١/٢) وما بعدها .
 - ٣ تاج العروس (١٣٧/٨) ، (فصل) .
 - ٤ تاج العروس (٣٨٠/٣) ، (عتر) ، اللسان (٥٣٧/٤) ، المعاني الكبير (١١٣/٢) .
 - ٥ تفسير الطبري (٢٠١/٢) .
 - ٦ تاج العروس (٢٤١/٨) ، (حرم) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (٨٥/١) .

الذي ألحق بالشهرين ، فصارت به ثلاثة أشهر حرم متسلسلة متداخلة ، فقد حرم في عهد متأخر لا يبعد كثيراً عن الاسلام ، وهو المحرم^١ .

وبلاحظ ان الموارد الاسلامية قد وضعت بعض الأحداث المهمة في شهر محرم مثل صوم يوم عاشوراء ، ومثل اختيار القدس قبله للمسلمين ، فقد ذكروا ان ذلك كان في اليوم السادس عشر من المحرم ، ومثل ذكرهم ان وصول حملة الفيل الى مكة كان في اليوم السابع عشر منه ، وان ابتداء السنة الهجرية ، كان في أول المحرم^٢ ، مع اننا لو دققنا ذلك تدقيقاً عميقاً ، وجدنا ان أكثر هذا المروي لم يثبت وقوعه في هذا الشهر .

ونجد في كتب الحديث والأخبار ما يفيد بأن الجاهليين كانوا يعظمون شهري شعبان ورمضان تعظيماً يكاد يضاهي تعظيمهم للأشهر الحرم . وسبب ذلك في نظري ، هو بفعل النسيء في الشهرين ، وتلاعبهم بالأشهر وتسميتهم لها تسميات كيفية ، ووقوع ذلك التلاعب على الشهرين المذكورين دون بقية الشهور . وقد يكون بسبب أن العرب كانوا يقدسون الشهرين ويحرمونها أيضاً ، وأن قریشاً كانت تحترمها أيضاً ، ومن هنا فضل شعبان ورمضان على بقية الأشهر الثمانية مع انها من الأشهر الاعتيادية على حسب رواية أهل الأخبار . ولم يدخلوها في جملة الأشهر الحرم . ونجد للشهرين حرمة كبيرة في الاسلام .

وقد كان عرب العراق وبادية الشام يتجنبون أيضاً مثل عرب الحجاز القتال في أشهر معينة ، لأنها أشهر مقدسة حرم عندهم ، كما يفهم ذلك من مؤلفات الروم والسيريان . فقد أشار المؤرخ (افيغانوس) Epiphanius الى وجود شهر عند العرب ، قال إن العرب تحتفل فيه ، وهو عندهم شهر مقدس ، ويقع في شهر تشرين الثاني ، ويريد به شهر (ذي الحجة) على ما يظن . وقد دعي بـ (حمجت) في بعض الموارد اليهودية^٣ . كما ذكر (بروكويوس) Procopius أن عرب المناذرة لم يكونوا ليحاربوا في شهورهم المقدسة ، وقال إنهم كانوا قد جعلوا شهرين في السنة حرماً لأنهم لا يغزون فيها ولا يقاتلون

Reste, S. 100.

Shorter, p. 410.

Aboda Zara, II b., Epiphanius, Haer., 51, 24.

بعضهم بعضاً ، ويقعان في تموز وآب^١ . وذكر (فوتيوس) أن العرب يحجون الى معبدهم مرتين في السنة: مرة في وسط الربيع عند اقتران الشمس ببرج الثور ، وذلك لمدة شهر واحد ، ومرة أخرى في الصيف ، وذلك لمدة شهرين^٢ . وفي هذه الإشارات معلومات قيمة ، تشير الى وجود الاشهر الحرم عند العرب الشماليين . ويفهم منها أن الاشهر الحرم كانت ثابتة لا تتغير ، فلا يقع حجهم مرة في شتاء ومرة في صيف ، وأخرى في ربيع ، ومرة في خريف . فحجهم ثابت ، وأشهرهم ثابتة . ومما يؤسف له أن أولئك المؤرخين لم يشيروا الى أساء المواضع التي كانوا يحجون اليها .

الشهور الحل :

وأما الشهور الثمانية الاخرى ، غير الحرم ، فهي : صفر ، وشهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوال . وقد استحل فيها القتال والغزو .

وقد عرفت هذه الشهور : الحرم منها والشهور الحل بشهور معد^٣ . وكان أهل مكة يستعملونها عند ظهور الاسلام . والظاهر ان القبائل المجاورة لمكة كانت تستعملها أيضاً . وهذه الأشهر أرخت رسائل الرسول وأوامره ، وصارت باستعمال الرسول لها الشهور الرسمية في الاسلام ، عليها يسير كل المسلمين على اختلاف ألوانهم حتى اليوم لما لها من صلوات بأمور دينهم في مثل الصوم والحج .

وصفر ، هو الشهر الذي يلي المحرم . « قال بعضهم : انما سمي لأنهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع ، وقيل لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا ، وروي عن رؤبة انه قال : سموا الشهر صفراً لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفراً من المتاع ، وذلك ان صفراً بعد المحرم ، فقالوا صفر الناس منا

١ Reste, S. 100. f., De Bello Persl., 11, 16, Photius, Bibl. Cod., 3.

٢ Reste, S. 101, Winckler, Alt. Orient. Forsch., II, Reihe, I Band, S. 336.

٣ قال قائل من بني كنانة :

السنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما
تاج العروس (٢٢/٤) .

صفر^١ . وكانوا اذا جمعوا المحرم مع صفر ، قالوا : صفران . وفي ذلك قول أبي ذؤيب :

أقامت به كمقام الحنيف شهري جمادى وشهري صفر^٢

وكان أهل مكة يفتتحون سنتهم بالمحرم . فهو أول شهر عندهم من أشهر السنة . وقد أقر الإسلام هذا المبدأ ، فجعل المحرم أول شهر من شهور السنة الهجرية^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن أول من سمي الشهور المحرم وما بعده بأسمائها هذه هو (كلاب بن مرة)^٤ .

١ تاج العروس (٣/٣٣٦) ، (صفر) .

٢ المصدر نفسه .

٣ « قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في تأريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإن ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهرين وأيام ، هي اثنا عشر ، وذلك أن أول السنة المحرم ، وكان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، بعد مضي ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرخ التأريخ من وقت قدومه ، بل من أول تلك السنة » ، الطبري (٢/٣٨٨ وما بعدها) ، « ذكر الوقت الذي عمل فيه التأريخ » ، روح المعاني (١٠/٩٠ وما بعدها) ، الأيام والليالي والشهور (ص ٩) ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، المرزوقي (١/٢٨٣) ، Reste, S. 97.

٤ بلوغ الأرب (٣/٧٨) .

الفصل الثالث والثلاثون بعد المئة

النسيء

عرف علماء العربية النسيء بقولهم : « والنسيء المذكور في قول الله تعالى :
انما النسيء زيادة في الكفر^١ . شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية ، فنهى الله
عز وجل عنه في كتابه العزيز حيث قال : انما النسيء زيادة في الكفر ، الآية ،
وذلك انهم كانوا اذا صلدوا عن منى يقوم رجل من كنانة ، فيقول : أنا الذي
لا يرد لي قضاء ، فيقولون : أنسنا شهراً ، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها
في صفر فيحل لهم المحرم^٢ . وعرف النسيء بأنه تأخير بعض الأشهر الحرم الى
شهر آخر . وذلك من (نساء) . والنساء تأخير الوقت^٣ . وجعله بعضهم بمعنى
(الكبس) ، المعروف^٤ . وقد ذهب العلماء الى أن النسيء كل زيادة حدثت
في شيء ، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء^٥ . فالنسيء
تأخير حرمة المحرم الى صفر ، وجعل المحرم شهراً حلالاً ، يجوز لهم القتال
فيه ، لأنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم ، لا يغيرون فيها

-
- ١ التوبة ، الآية ٣٧ ، تفسير الطبري (٩١/١٠) ، روح المعاني (٣٨/١٠) ، تاج العروس (٤٥٦/١) ، (طبعة الكويت) ، اللسان (١٦٧/١) ، الكشف (٢٣/٢) ، صبح الاعشى (٣٦٦/٢) ، (صادر) ، المختار من صحاح اللغة (٥٢٠) .
 - ٢ اللسان (١٦٧/١) ، (صادر) ، تاج العروس (٤٥٦/١) ، (الكويت) .
 - ٣ المفردات (٥١١) ، الروض الانف (٤١/١ ، ٨٥) .
 - ٤ ابن الاجدابي (٣٠) .
 - ٥ تفسير الطبري (٩١/١٠) ، القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (١٣٧/٨) .

ولا يغزون ، ومعاشهم على الغارات والغزو . ففعلوا النسيء ، لإحلال ذمتهم من حرمة محرم ، ولتجوز القتال فيه ، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زماناً ، ثم يزول التحريم الى المحرم ، ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة^١ . وقد عرف بعض العلماء النسيء بأنه تأخير حرمة شهر الى شهر آخر^٢ . و « العرب تقول : نسأ الله في أجلك ، وأنسأ الله أجلك ، أي أخر الله أجلك »^٣ .

فهم كانوا يستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ، ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه ، وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلّوا باتباعهم هذا التجويز . بأن جعلوا الشهر الحرام حلالاً ، إذا احتاجوا الى القتال فيه ، وجعلوا الشهر الحلال حراماً ، ويقولون شهراً شهراً بشهر ، وإذا لم يحتاجوا الى ذلك لم يفعلوه^٤ . فكانوا « يحجون في كثير من السنين ، بل أكثرها في غير ذي الحجة »^٥ ، ومن هنا تلاعبوا بالأشهر وأخرجوها عن حقيقتها ، بأن جعلوا الشهر الحرام حلالاً والشهر الحلال حراماً ، فخالفوا بذلك ما اتفق عليه من تحريم أشهر بعينها هي من الأشهر الحل ، ومن تحليل أشهر هي الأشهر الحرم .

وإذا أخذنا بما جاء على لسان بعض الشعراء عن النسيء ، مثل قولهم :

ألسنا الناسئين على معدّ شهور الحل نجعلها حراما

وقول أحدهم :

وكنا الناسئين على معدّ شهورهم الحرام الى الحليل

-
- ١ تفسير الطبرسي (٩/٥) ، (طبعة طهران) ، الامالي ، للنقالي (٤/١) .
 - ٢ تفسير الرازي (٥٥/١٦) ، تفسير البيضاوي (٢٥٣/١) وما بعدها ، الكشف (٣٨/٢) ، التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٥/٢) ، تفسير القاسمي (٣١٤٣/٨) .
 - ٣ الامالي ، للنقالي (٤/١) .
 - ٤ تفسير الطبرسي (٢٩/٥) ، (طهران) .
 - ٥ تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) .

وقول الآخر :

نشوا الشهور بها^١ وكانوا أهلها من قبلكم والعزم يتحول^٢

واعتبرناه صحيحاً ، نستنتج منه أن النسيء كان خاصاً بمحج (مكة) ، وبالقبائل التي عرفت بقبائل (معد) . وقد عرفنا قبائل وعشائرها وفي جملتها قريش .

وإذا أخذنا النسيء بهذا المعنى ، صار معناه مجرد تبديل شهر بشهر ، وتأخير حرمة شهر الى الشهر الذي يليه . وليس هذا بزيادة ، أي زيادة أيام أو شهر على شهور السنة ، وهي الأيام التي تتخلف فيها السنة القمرية عن السنة الشمسية ، لتساوى بها ، فتثبت الأشهر في مواضعها من الفصول ، وهو ما يعبر عنه بالكبس فليس هذا النسيء كبساً إذاً .

وقد تعرض (البيروني) لموضوع النسيء عند العرب ، فقال : « وكانوا في الجاهلية يستعملونها على نحو ما يستعمله أهل الاسلام . وكان يدور حجبهم في الأزمنة الأربعة . ثم أرادوا أن يحجوا في وقت ادراك سلعمهم من الادم والجلود والثمار وغير ذلك ، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة ، وفي أطيب الأزمنة وأخصبها . فتعلموا الكبس من اليهود المجاورين لهم . وذلك قبل الهجرة بقريب من مئتي سنة . فأخذوا يعملون بها ما يشاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهراً بشهورها اذا تم ... ويسمون هذا من فعلهم النسيء ، لأنهم كانوا ينسأون أول السنة في كل سنتين أو ثلاث شهراً ، على حسب ما يستحقه التقدم »^٣ .

وتعرض (ابن الأجدابي) لموضوع (الكبس) والسنة (الكبيسة) عند العبرانيين واليونانيين كذلك ، فقال : « وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل مثل هذا ، وتزيد في كل ثلاثة من سنيها شهراً ، على نحو ما ذكرناه عن العبرانيين واليونانيين . وكانوا يسمون ذلك النسيء . وكانت سنة النسيء ثلاثة عشر شهراً قريية . وكانت

١ مرجع الضمير فيه « مكة » .

٢ الامالي ، للقالبي (٤/١) .

٣ الآثار الباقية (١١ ، ١٢ ، ٦٢ ، ٣٢٥) ، ابن الأجدابي (٣٢) ، القانون المسعودي (٩٢ ، ١٣١) ، التفسير الكبير ، للرازي (٤٤٧/٤) ، روح المعاني (٩١/١٠) وما بعدها .

شهورهم حيثئذ غير دائرة في الأزمنة ، كان لكل شهر منها زمن لا يعدوه . فهذا كان فعل الجاهلية حين أحدثوا النسيء ، وعملوا به . فلما جاء الله تعالى بالإسلام بطل ذلك ، وحرم العمل به . فقال : إنما النسيء زيادة في الكفر^١ . وقال عز وجل : إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله^٢ . فسنة العرب اليوم اثنا عشر شهراً قرية دائرة في الأزمنة الأربعة^٣ .

والنسيء الذي ذكره (البيروني) و (ابن الأجدابي) ، هو كبس صحيح ، وليس مجرد تقديم شهر وتأخير آخر على نحو ما رأيت . غايته تثبيت الأزمنة ، وجعل الحج في موسم ثابت معين ، فلا يكون في شتاء مرة ، وفي صيف مرة أخرى ، وفي ربيع مرة ، وفي خريف مرة أخرى ، يجعل السنة سنة قرية شمسية على نحو فعل يهود بستانهم . وهو بهذا المعنى في رواية (المسعودي) . فقد قال : « وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء وهو التأخير ، وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر »^٤ .

وكان النسيء الأول للمحرم ، فسمي صفر به . وشهر ربيع الأول باسم صفر ثم والوا بين أساء الشهور . وكان النسيء الثاني لصفر ، فسمي الذي كان يتلوه بصفر أيضاً . وكذلك حتى دار النسيء في الشهور الاثني عشر ، وعاد الى المحرم ، فأعادوا بها فعلهم الأول . وكانوا يعدون أدوار النسيء ، ويحددون بها الأزمنة ، فيقولون : قد دارت السنون من زمان كذا الى زمان كذا دورة . فإن ظهر لهم مع تقدم شهر عن فصله من الفصول الأربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقيّة فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها ، كبسوه كبساً ثانياً . وكان يبين لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي عليه السلام ، وكانت نوبة النسيء كما ذكرت بلغت شعبان ، فسمي محرماً ، وشهر رمضان صفرأ ، فانتظر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حيثئذ حجة الوداع ، وخطب بالناس ، وقال فيها : « ألا ، وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات

١ سورة التوبة ، الآية ٣٧ .

٢ التوبة ، الآية ٣٦ .

٣ ابن الأجدابي (٣٣) .

٤ مروج الذهب (١٨٨/٢) ، (ذكر سني العرب وشهورها) .

والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي يدعى شهر مضر الذي جاء بين جمادى الآخرة وشعبان ، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون^١ . ومنذ ذلك الحين ترك النسيء . « وعنى بذلك ان الشهور عادت الى مواضعها ، وزال عنها فعل العرب بها . ولذلك سميت حجة الوداع الحج الأقوم . ثم حرم ذلك ، وأهل أصلاً^٢ . وقد ذكر (المسعودي) ان عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهراً^٣ . وتقسم السنة الى اثني عشر شهراً ، هو تقسيم قديم يعود الى ما قبل الميلاد .

وذكر أن نسيء العرب كان على ضربين : أحدهما تأخير شهر المحرم الى صفر . لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات ، والآخر تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً ، حتى يدور الدور فيه الى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود الى وقته^٤ . وهذا الرأي يلخص ما أورده أهل الأخبار في النسيء . ويتلخص في شيئين : النسيء تأخير الشهور ، وذلك بإحلال شهر في مكان شهر آخر ، للاستفادة من ذلك في التحليل والتحريم ، والنسيء بمعنى الكبس ، وهو إضافة الفرق الذي يقع بين السنة الشمسية والسنة القمرية الى الشهور القمرية لتلافي النقص الكائن بين السنتين ، ولتكون الشهور القمرية بذلك ثابتة لا تتغير ، تكون في مواسمها المعينة ، فلا يقع حادث في شهر من شهورها في الشتاء ، ثم يتحول بمرور السنين ، فيقع بعد أمد في الصيف أو في الربيع ، كما يقع ذلك في الشهور القمرية الصرفة المستعملة في الاسلام .

وتسمى الطريقة الثانية ، وهي إضافة فرق الأيام بين السنتين الشمسية والقمرية الى السنة القمرية . (الكبس) في اصطلاح العلماء . وقد كانت شهور اليهود ، وهي شهور قمرية : تساوي (٣٥٤) يوماً وست ساعات ، فهي لذلك أنقص بأحد

- ١ امتناع الاسماع (٥٣١/١) ، ويختلف هذا النص في مختلف الموارد ، راجع عمدة القاري (٤١/١٨) ، مجالس ثعلب (١٢١) ، سيرة ابن هشام (٣٥١/٢) ، حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (٣٥١/٢) .
- ٢ الآثار الباقية (٦٢/١) وما بعدها ، روح المعاني (٩١/١٠) وما بعدها .
- ٣ مروج الذهب (١٧٧/٢) ، ذكر سني العرب والعجم وشهورها .
- ٤ بلوغ الارب (٧١/٣) ، نهاية الارب (١٦٦/١) وما بعدها .

عشر يوماً عن السنة الرومانية ، فأدخلوا شهراً ثالث عشر في كل ثلاث سنوات ، سموه (فيادار) أو (آذار الثاني) ، وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية^١ . وقد ذكر (المسعودي) ، أن أيام السنة « ثلثائة وأربعة وخمسون يوماً ، تنقص عن السرياني أحد عشر يوماً وربع يوم ، فتفرق في كل ثلاث وثلاثين سنة ، فتتسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز ، وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً ، وتسميه النسيء وهو التأخير »^٢ . وذكر (القلقشندي) ، أنهم كانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوماً ، حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود الى وقته ، فلما كانت سنة حجة الوداع ، وهي تسع من الهجرة ، عاد الحج الى وقته اتفاقاً في ذي الحجة كما وضع أولاً ، فأقام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيه الحج ، ثم قال في خطبته التي خطبها يومئذ : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، بمعنى أن الحج قد عاد في ذي الحجة^٣ . وذكروا ان المشركين كانوا « يحجون في كل شهر عامين ، فحججوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور كلها حتى وافقت حجة أبي بكر التي حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم ، في العام المقبل حجة الوداع فوافقت ذا الحجة ، فذلك قوله في خطبته : ان الزمان قد استدار ... الحديث . أراد بذلك أن أشهر الحج رجعت الى مواضعها ، وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء^٤ .

ورود في خبر يرجع سنده الى (لياس بن معاوية) ، أن المشركين كانوا « يحسبون السنة اثني عشر شهراً وخمسة عشر يوماً ، فكان الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة ، وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوماً ، فحج أبو بكر سنة تسع في ذي القعدة بحكم الاستدارة ، ولم يحج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما كان في العام المقبل وافق الحج ذا الحجة في العشر ، ووافق ذلك الآهلة^٥ . وقد ورد في الحديث : « الشهر هكذا وهكذا ، يعني

١ قاموس الكتاب المقدس (٦٣٩/١ وما بعدها) .

٢ مروج (١٨٨/٢) ، (ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها) .

٣ صبح الاعشى (٣٩٧/٢) .

٤ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن (١٣٧/٨) .

٥ المصدر نفسه (١٣٨/٨) .

مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين^١ ، كما ورد : « شهران لا ينقصان شهراً رمضان وذو الحجة »^٢ . فإذا أخذنا بذلك ، كان الفرق بين أيام السنة الله وأيام السنة الشمسية ، هو ما يجب اضافته على السنة القمرية لتكون سنة شمسية ذات أشهر ثابتة .

وإذا صحت رواية بعض الأخباريين عن إضافة الجاهليين أحد عشر يوماً ، السنة القمرية ، ليضمنوا بذلك ثبات الأشهر ، وعدم تغير أوقاتها . فإن يكون كبساً صحيحاً بالمعنى المفهوم من الكبس ، مؤدياً للغاية المتوخاة منه . وع تكون سنة أولئك الجاهليين المستعملين للكبس سنة قمرية شمسية . وأنا لا أستبـه شيوعها عند أهل المدينة ، بسبب اختلاطهم باليهود ، ولا أستبعد كذلك اتفا مع يهود يثرب في استعمال السنة المستعملة عند اليهود نفسها ، وابتدائهم بالث الذي كان يبدأ به أولئك اليهود .

ويؤيد هذه الرواية ما ذكره أهل الأخبار كلهم من ان الغاية التي حلت العاه بالنسيء على استعمالهم له « انهم كانوا يحبون ان يكون يوم صدرهم عن ا في وقت واحد من السنة » فكانوا ينسثونه . والنسيء التأخير ، فيؤخرونه في سنة أحد عشر يوماً ، فإذا وقع في عدة أيام من ذي الحجة ، جعلوه في ا المقبل لزيادة أحد عشر يوماً من ذي الحجة ، ثم على تلك الأيام يفعلون كذا في أيام السنة كلها . وكانوا يحرمون الشهرين اللذين يقع فيهما الحج ، والشهر ال بعدهما ، ليواطئوا في النسيء بذلك عدة ما حرم الله . وكانوا يحرمون رجاً ك وقع الأمر . فيكون في السنة أربعة أشهر حرم^٣ .

أما التفسير الأول للنسيء ، وهو تفسيره بمعنى تحليل شهر محرم ، وتحريمه حلال ، وتأخير شهر وتقديم شهر ، فإنه لا يحقق ما ذكر من رغبة الناس بر في حجهم في وقت ثابت لا يتغير ولا يتبدل ، لأن الحج يتغير فيه ، فيك أحياناً في الصيف ، وأحياناً في الشتاء ، وأحياناً في الربيع ، وأحياناً في الخريف وهذا لا يتفق مع زعم أهل الأخبار في السبب الذي دعا الى الأخذ بالنسيء . والنسيء بهذا التفسير ، لا يفيد إلا من ناحية التحايل والتلاعب في إيجاد

١ ارشاد الساري (٣٥٩/٣) .

٢ المصدر نفسه .

٣ تاج العروس (١٢٥/١) ، (نسا) .

مشروعة في تجويز القتال في بعض الأشهر الحرم ، وذلك كأن تكون قبيلة قوية تريد القتال في شهر محرم ، لاستعدادها له فيه فتعتمد الى هذا الحل ، والتحليل على العرف بالتوصل الى (القلمس) لتغيير الشهور ، فيصير الشهر الحرام حلالاً ، وبذلك يتاح لها القتال فيه .

ولاني أرى في هذا التفسير تكلفاً ظاهراً ، وهو يعارض مع ما ذكر من الغاية من النسيء . وإذا جاز إحداثه في سنة ما للغايات المذكورة ، فلا يعقل إحداثه في كل سنة بانتظام . وإلا لم يبق له معنى ما ولا فائدة ترجى عندئذ منه .

وقد جاء معنى النسيء في الآية : « إنما النسيء زيادة في الكفر ، يفضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ومحرمونه عاماً . ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين »^١ . فقال بعض علماء التفسير : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً ، فيجعلون المحرم صفرأ ، فيستحلون فيه الحرمات ، فأنزل الله إنما النسيء زيادة في الكفر^٢ . « وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر . ثم يسمون رجب جمادى الآخر ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالاً ، ثم يسمون ذو القعدة شوالاً ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبي بكر ، رضي الله عنه ، الآخر من العامين في ذي القعدة ، ثم حج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حجته التي حج ، فوافق ذا الحجة ، فذلك حين يقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في خطبته إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض »^٣ . فالنسيء هو المحرم ، وكان يحرم المحرم عاماً ، ويحرم صفر عاماً ، وزيد صفرأ في آخر الأشهر الحرم ، وكانوا يؤخرون الشهور

١ التوبة ، الآية ٣٧ .

٢ تفسير الطبري (٩٣/١٠) .

٣ تفسير الطبري (٩٢/١٠) وما بعدها ، تفسير النسفي (١٢٥/٢) وما بعدها ، تفسير ابن كثير (٣٥٣/٢) وما بعدها ، تفسير القرطبي (١٣٧/٨) وما بعدها .

حتى يجعلوا صفر المحرم ، فيحلوا ما حرم الله . وكانت هوازن ، وغطفان ،
وبنو سليم ، يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية^١ . وهكسدا
كانوا يجعلون سنة المحرم صفراً ، فيغزون فيه ، فيغنمون فيه ويصبيون ويحرمونه
سنة^٢ . وذكر أنهم كانوا يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون
صفراً^٣ .

وقد تحدث (الطبرسي) عن النسيء فقال : « قال مجاهد : كان المشركون
يحبسون في كل شهر عامين ، فحجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم
عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي
قبل حجة الوداع في ذي القعدة ، ثم حج النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
في العام القابل حجة الوداع ، فوافقت في ذي الحجة ، فذلك حين قال النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، وذكر في خطبته ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السماوات والأرض . السنة اثنا عشر شهراً . منها أربعة حرم . ثلاث متواليات :
ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .
أراد عليه السلام الأشهر الحرم رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة
وبطل النسيء^٤ » .

وهذا الفعل الذي هو النسيء ، هو الذي جعل العلماء يقولون : إن الصفر
النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، وهو تأخيرهم المحرم الى صفر في تحريمه
ويجعلون صفراً هو الشهر الحرام^٥ . فهم يدخلون شهراً جديداً على السنة بعد
ذو الحجة ، يكون مقامه بين هذا الشهر وبين شهر صفر الأول ، الذي هو
المحرم من الأشهر الحرم . وبذلك يكونون قد فصلوا بين الأشهر الحرم الثلاثة ،
بأن جعلوا شهراً حلالاً جديداً بين الشهرين المحرمين : ذو القعدة وذو الحجة ،
وبين الشهر الثالث المتصل بهما ، وهو المحرم ، ففصل عن الشهرين ، وصار
وحيداً . فعلوا ذلك ليحافظوا على وقت الحج ، يجعله ثابتاً . ولما كان ذلك معناه

-
- ١ تفسير الطبري (٩٢/١٠) وما بعدها .
 - ٢ تفسير الطبري (٩٢/١٠) .
 - ٣ تفسير ابن كثير (٣٥٧/٢) .
 - ٤ تفسير الطبرسي (٢٩/٥) .
 - ٥ تاج العروس (٣٣٦/٣) ، (صفر) .

تغيير حرمة الأشهر الحرم الثلاثة بجعل الشهر الحلال شهراً حراماً ، والشهر الحرام حلالاً ، حرم النسيء في الاسلام . فابتعدت السنة بذلك عن السنة الشمسية ، وصار الحج يدور باختلاف المواسم ، لأن السنة صارت سنة قمرية . وبذلك تغير وقت الحج عما كان عليه في الجاهلية ، فلم يعد ثابتاً على نحو ما كان عليه عند الجاهليين . وفراراً من اسم النسيء ، الذي هو زيادة في الكفر ، كانوا في صدر الاسلام يسقطون عند رأس كل ثلاث وثلاثين سنة عربية ، سنة ويسمونها : سنة الازدلاق لأن كل ثلاث وثلاثين سنة عربية تساوي اثنتين وثلاثين سنة شمسية تقريباً^١ .

مبدأ النسيء :

ويرجع أهل الأخبار مبدأ ادخال النسيء الى الجاهليين الى (عمرو بن لحي) أو الى (القلمس) ، وهو (حذيفة بن ققيم بن عامر بن الحارث) ، أو (حذيفة بن عبد بن ققيم)^٢ ، أو (نعيم بن ثعلبة)^٣ ، أو (قلع بن حذيفة بن عبد بن ققيم) ، أو آخرون^٤ . وذلك ان العرب كانوا لا يكبسون ، الى أن جاورتهم اليهود في يثرب ، فأرادوا « أن يكون حجههم في أخصب وقت من السنة وأسهلها للتردد في التجارة ، ولا يزول عن مكانه ، فتعلموا الكبس من اليهود »^٥ . فصار النسيء عادة من عادات العرب منذ ذلك الحين الى منعه في الاسلام .

وكانت النساة في بني مالك بن كنانة ، وكان أولهم القلمس حذيفة بن عبد ابن ققيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ثم ابنه قلع بن حذيفة ، ثم عباد بن قلع ، ثم (قلع بن عباد قلع) ثم أمية بن قلع

- ١ صبح الاعشى (٣٩٨/٢) .
- ٢ بلوغ الارب (٧١/٣) ، نهاية الارب (١٦٥/١) ، (حذيفة بن عبد بن نهم بن عدي ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة) ، المحير (١٥٧) ، تاج العروس (٢٢٢/٤) ، تفسير الطبرسي (٢٩/٥) ، (طبعة طهران) .
- ٣ الروض الانف (٤١/١) ، تفسير الطبرسي (٢٩/٥) ، (طهران) ، تفسير الخازن (٢٢١/٢) ، تفسير القاسمي (٣١٤٣/٨) ، البحر المحيط (٣٩/٥) .
- ٤ تاج العروس (٤٥٦/١ وما بعدها) ، (الكويت) .
- ٥ بلوغ الارب (٧١/٣) .

ثم عوف بن أمية ، ثم جنادة بن أمية بن عوف بن قلع^١ . وذكر أن أول من نسيء قلع ، نساء سبع سنين ، ونساء أمية لإحدى عشرة سنة^٢ . وذكر عن (ابن اسحاق) أن أول من نساء عند العرب (القلمس) ، وهو (حذيفة بن عبد فقيم ابن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة) ، ثم قام بعده على ذلك ابنه (عباد) ، ثم من بعد عباد ابنه (قلع بن عباد) ، ثم ابنه (أمية ابن قلع) ، ثم ابنه (عوف بن أمية) ثم ابنه (أبو ثمامة) (جنادة بن عوف) ، وكان آخرهم وعليه قام الإسلام^٣ . وذكر (القرطبي) عن (ابن الكلبي) أن « أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة ، يقال له : نعيم بن ثعلبة ، ثم كان بعده رجل يقال له : جنادة بن عوف ، وهو الذي أدركه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقال الزهري : حي من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس ، واسمه حذيفة بن عبيد . وفي رواية مالك بن كنانة . وكان الذي يلي النسيء يظفر بالرياسة لتريس العرب إياه . وفي ذلك يقول شاعرهم :

ومنّا ناسيء الشهر القلمس

وقال الكميت :

ألسنا الناسئين على معدّ شهور الخلل نجعلها حراما^٤

وذكر (اليقوبي) ، أن أول من نساء الشهور : (سريز بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة) . وهو والد (هند) التي تزوجها (مرة بن كعب) ، فولدت له (كلاباً) . وشرف (كلاب بن مرة) وجلّ قدره واجتمع له شرف الأب ، وهو (كعب بن لؤي) ، الذي كان أول من سمي يوم الجمعة بالجمعة ، وكانت العرب تسميه (عروبة) ، وشرف الجلد من قبل الأم ، لأنهم كانوا

- ١ تاج العروس (٤٥٧/١) (١٢٥/١) ، (نساء) ، مروج الذهب (٣٦٧/١) وما بعدها ، بلوغ الارب (٧٢/٣) ، نهاية الارب (١٦٦/١) ، (حذيفة بن عبد بن نهم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة) ، (المحبر (١٥٧) .
- ٢ تاج العروس (٤٥٦/١) ، تفسير الطبرسي (٢٩/٥) وما بعدها ، تفسير سورة التوبة ، الآية ٣٦ وما بعدها ، تاج العروس (١٢٤/١) ، (نساء) .
- ٣ تفسير ابن كثير (٣٥٧/٢) .
- ٤ تفسير القرطبي (١٣٨/٨) .

يُحْجِزُونَ الْحَجَّ وَيُحْرِمُونَ الشُّهُورَ وَيَحْلُلُونَهَا ، فَكَانُوا يَسْمُونَ النِّسَاءَ وَالْقَلَامِسَ^١ .
 وذكر (الزبيرى) ، ان (سريراً) أول من نسا الشهور ، وقد انقضى سريراً ،
 ونسا الشهور بعده ابن أخيه القلمس ، واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث
 ابن كنانة . ثم صار النسيء في ولده . وكان آخرهم جنادة بن عوف^٢ ، وهو
 (أبو ثمامة) . وورد في رواية أخرى ، ان آخرهم هو (فقيم بن ثعلبة) ،
 أو هو غيره . وقد ذكروا أن (أبا ثمامة) ، وهو (جنادة بن أمية) من بني
 (المطلب بن حذان بن مالك بن كنانة) ، من نساء الشهور على معد ، كان
 يقف عند (جمرة العقبة) ويقول : اللهم اني ناسىء الشهور وواضعها مواضعها
 ولا أعاب ولا (أحاب) أجاب : اللهم لاني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت
 صفر المؤخر ، وكذلك في الرجعين ، يعني : رجبا وشعبان . ثم يقول : انقروا
 على اسم الله تعالى . وفيه يقول قائلهم :

ألسنا الناسئين على معد^٣ شهور الحل نجعلها حراما^٤

وذكر أن أول من نسا بعد (القلمين) القلمسين : (حذيفة بن عباد نعيم
 ابن عدي) ، و (زيد بن عامر بن ثعلبة) (وهو القلمين بن عامر بن ثعلبة)
 (عباد بن حذيفة) ، ثم (قلع بن عباد) ، ثم (أمية بن قلع) ، ثم (عوف
 ابن أمية) ، ثم (جنادة) فأدركه الإسلام^٥ .

وذكر (الطبري) ، « أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني ، كان يوافي
 الموسم كل عام ، وكان يكنى أبا ثمامة ، فينادى : ألا ان أبا ثمامة لا يجاب
 ولا يعاب ، ألا وان صفر العام الأول حلال ، فيحله الناس ، فيحرم صفر عاماً
 ويحرم المحرم عاماً^٥ . ودعاه بـ (أبي ثمامة صفوان بن أمية) ، أحد (بني فقيم

١ اليعقوبي (٢٠٧/١) ، (طبعة النجف) .

٢ نسب قريش (ص ١٣) .

٣ تاج العروس (٢٢٢/٤) ، (القلمس) ، تاج العروس (١٢٥/١) ، (نسا) ،
 ينسب هذا البيت الى « عمير بن قيس بن جذل الطعان » ، اللسان (١٦٧/١) ،
 (صادر) ، نهاية الارب (١٦٦/١) .

٤ الاصابة (٢٤٨/١) ، (رقم ١٢٠٧) .

٥ تفسير الطبري (٩١/١٠) .

ابن الحارث ، ثم أحد بني كنانة ^١ . وذكر أنه « كان رجل من بني كنانة ، يأتي كل عام في الموسم على حمار له ، فيقول : أيها الناس ، اني لا أعاب ولا أجاب ، ولا مردّ لما أقول . انا قد حرمتنا المحرم ، وأخرنا صفر . ثم يجيء العام المقبل بعده ، فيقول مثل مقالته . ويقول إنا قد حرمتنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله : ليواطئوا عدة ما حرم الله ^٢ » . وكان هذا الرجل يقال له : القلمس ^٣ .

وكان آخر النساء ، (جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد) بن حذيفة بن عبد بن ققيم بن عدي بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة) ، أبو (ثمامة) ^٤ (أبو أمامة) الكناني . نسا الشهور أربعين سنة ، وأدرك الاسلام . وكان أبعد النساء ذكراً ، وأطولهم أمداً . وذكر ان اسمه (أمية بن عوف بن جنادة بن عوف بن عباد بن قلع بن ققيم بن عدي بن عامر ابن الحارث بن ثعلبة) ^٥ ، وذكر أيضاً انه (القلمس بن أمية بن عوف بن قلع ابن حذيفة بن عبد بن ققيم) ^٦ .

وورد في خبر ينسب الى (ابن عباس) ، انه قال : النساء في كندة ^٧ . وانهم كانوا النساء الأول ، قبل المذكورين ^٨ . وذهب (الجاحظ) الى ان النسبي كان في كنانة ، وأما السدانة ، فكانت في (مرّ بن أد) « من رهط صوفة والرئييط منها أصحاب المزدلفة ، وكانت عدوان وأبو سيارة عميلة بن أعزل ، تدفع الناس » ^٩ . ويكاد يكون الاجماع على أن النسبي كان من حق (كنانة) ، لم يتولّه غيرهم .

وذكر أن النسبي ، كان يحل للمحرمين قتال (خثعم) و (طيء) ، « لأنهم كانوا لا يحرمون الأشهر الحرم ، فيعيرون فيها ويقاتلون . فكان من نسا الشهور

-
- ١ تفسير الطبري (٩٢/١٠) .
 - ٢ تفسير الطبري (٩٢/١٠) .
 - ٣ تفسير الطبري (٩٣/١٠) ، تفسير ابن كثير (٣٥٦/٢) وما بعدها .
 - ٤ تاج العروس (١٢٤/١) ، (نسا) ، (٤٥٦/١) ، « طبعة الكويت » ، نهاية الارب (١٦٦/١) ، الروض الانف (٤٢/١) .
 - ٥ الاصابة (٢٤٨/١) ، (رقم ١٢٠٧) .
 - ٦ نهاية الارب (١٦٦/١) ، تاج العروس (١٢٤/١) ، (نسا) .
 - ٧ اللسان (١٦٧/١) ، (صادر) .
 - ٨ الازرقعي (١١٨/١) .
 - ٩ الحيوان (٢١٥/٧) .

من الناسئين يقوم ، فيقول : إني لا أحاب ولا أعاب ، ولا يرد ما قضيت به ، وإني قد أحلت دماء المحللين من طيء وختعم ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم إذا عرضوا لكم ^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن أولئك الناسئين كانوا ناهين في قومهم ، لهم مركز عظيم وشأن . فكان (القلمس) ، مثلاً ملكاً في قومه ، وهو من بني كنانة ^٢ ، وكان عالم قومه وفقههم في الدين ، وكان الذي يلي النسيء يظفر بالرياسة لتريس العرب إياه ^٣ . ويظهر أنهم كانوا أصحاب علم ونظر ومكانة محترمة ، في أمور الدين ، في قومهم وفي القبائل التي تنحج الى مكة .

وكلمة (قَلَمَس) على ما يتبين من روايات الأخباريين ، لم تكن اسم علم ، وإنما هي لفظة يراد بها عند الجاهليين ما يراد من معنى الفقيه والمفتي في الاسلام ^٤ . وقد ذكر علماء اللغة أن من معاني القلمس : السيد العظيم ، والرجل الخبير المعطاء والمفكر البعيد الغور ، والداهية من الرجال ، ونحو ذلك من معان تشير الى صفات عالية في الرجل الذي أطلقت عليه ، وقد تكون بمعنى العالم العارف ، وقد أطلقت بصورة خاصة على هذه الجماعة ، لسعة علمها بهذا الموضوع وغيره ، ولوقوفها على التوقيت وعلم الفلك في تلك الأيام ^٥ . وقد تكون لفظة من جملة الألفاظ المعربة التي دخلت العربية قبل الإسلام .

وطريقة الناسيء في اعلانه النسيء على الناس في الحج ، أن يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذي لا يرد لي قضاء ، فيقولون : أنسنا شهراً ، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر فيحل لهم المحرم ^٦ . وهذا الرجل هو الناسيء ، أو أن يدعو الناسيء الناس في آخر موسم الحج الى الاجتماع حوله ، فإذا اجتمعوا ارتقى موضعاً مرتفعاً ظاهراً ، أو قام على ظهر جملة ليراه الناس ثم يقول بأعلى

-
- ١ تاج العروس (١٢٥/١) ، (نسا) .
 - ٢ المعاني الكبير (١١٧١/٣) ، المحبر (١٥٦ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٧٢/٣) .
 - ٣ تفسير القرطبي (١٣٨/٨) .
 - ٤ المحبر (ص ١٥٦) ، تاج العروس (٢٢٢/٤) ، (القلمس) ، تفسير الطبري (٩٣/١٠) .
 - ٥ راجع معنى « القلمس » في اللسان (١٨٢/٦) .
 - ٦ تاج العروس (٤٥٦/١) (الكويت) .

صوته : « اللهم إني لا أعاب ولا أحاب ، ولا مردّ لما قضيت . اللهم ، إني أحللت شهر كذا (ويذكر شهراً من الأشهر الحرم ، وقع اتفاقهم على شن الغارة فيه) ، وأنسأته الى العام القابل ، أي أخرت تحريره ، وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقي ، فكانوا يحلّون ما أحل ويحرمون ما حرم » . فإذا انتهى من هذا الخطاب وأمثاله ، أباحوا لأنفسهم الغارة في ذلك الشهر ، وغزوا من نوا غزوه . فإذا جاء العام القابل ، نهض الناس ليقول : إن آهتكم قد حرمت عليكم الشهر الفلاني ، وهو الشهر الذي أحله في العام الماضي فحرّموه ، فيحرّمونه^١ .

وورد في بعض الروايات ، انه كان يقوم فيقول : « إني لا أحاب ولا أعاب ولا يرد ما قضيت به ، وإني قد أحللت دماء المحلّين من طيء وختعم ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم اذا عرضوا لكم » . وذلك لما ذكر من عدم تحرّم طيء وختعم للشهور الحرم ، فكانوا يغيرون ويقاتلون فيها ، ولذلك استثناهم القلامسة من عدم مقاتلتهم في تلك الشهور ، وذلك لضرورات الدفاع عن النفس^٢ .

وقد نسب الى بعض القلامسة شعر ، قيل انهم قالوه يفتخرون فيه باحتكارهم النسيء ، وبارشادهم الناس الى مناسك دينهم ، وقيادتهم الحجاج ، يسرون تحت لوائهم ، يبينون لهم شهور الحل والأشهر الحرم ، كما ورد شعر منسوب الى بعض كنانة يفتخر فيه بأن قومه ينسئون الشهور على معدّة ، فيجعلون شهور الحل حراماً والشهور الحرام حلالاً^٣ .

وقد قال (عمير بن قيس بن جذل الطعان) ، شعراً افتخر فيه وتعرض لأمر النسيء ، فكان مما جاء فيه قوله :

ألسنا الناسئين على معدّة شهور الحلّ ، نجعلها حراماً

١ المعاني الكبير (١١٧١/٣) ، بلوغ الارب (٧٣/٣) ، نهاية الارب (١٦٦/١) ، « أنا الذي لا أعاب ولا أحاب ؟ ولا يرد لي قضاء ، فيقولون : نعم . صدقت أنسأنا شهراً ، أو أخر عنا حرمة المحرم ، واجعلها في صفر وأحل المحرم ، فيفعل ذلك » ، تفسير الطبرسي (٢٩/٥) ، (طهران) .

٢ تاج العروس (٤٥٧/١) ، (الكويت) ، مادة : « نساء » .

٣ تاج العروس (٤٥٧/١) .

٤ اللسان (١٦٧/١) ، ونسبه (الطبرسي) الى الكميت ، تفسير الطبرسي (٢٩/٥) ، (طهران) ، تفسير ابن كثير (٣٥٦/٢) ، سنن ابن ماجه (١٨٠/٥) ، السنن الكبرى (١٦٥/٥) .

وقال بعض بني أسد :

لهم ناسي^١ يمشون تحت لوائه يحل إذا شاء الشهور ويحرم^٢

وقال آخر :

نسوء الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعز لم يتحول^٣

وقد نسب (القرطبي) البيت :

ألسنا الناسين على معدة شهور الحل ، نجعلها حراما

الى الكميت^٤ .

وقد استمرت طريقة النسيء هذه الى أيام الإسلام ، فحجّ أبو بكر في السنة التاسعة من الهجرة ، فوافق حجه ذا القعدة ، ثم حج رسول الله في العام القابل الموافق للسنة العاشرة للهجرة ، المصادفة لسنة (٦٣١) للميلاد ، فوافق عود الحج في ذي الحجة . ثم نزل الحكم بإبطال النسيء في الآيات : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين . إنما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤوا عدة ما حرم الله ، فيحلّوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين »^٥ . وخطب الرسول في جموع الحجاج خطبته الشهيرة التي بيّن فيها مناسك الحج وسننه وأموراً أخرى أوضحها لهم ، فكان مما قاله لهم : « أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر ، وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن

١ تاج العروس (٤٥٧/١) ، (الكوكيت) .

٢ تفسير بحر المحيط (٣٩/٥) .

٣ تفسير القرطبي (١٣٨/٨) .

٤ سورة التوبة : الآية ٣٦ وما بعدها ، راجع تفسير الطبري (٩١/١٠ وما بعدها) ،

تفسير الرازي (٤٤٦/٤ وما بعدها) ، تفسير الطبرسي (٢٣/٣ وما بعدها) ،

الكشاف (١٥٠/٢ وما بعدها) .

عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً^١ . فألغى الإسلام منذ ذلك الحين النسيء ، وثبت شهور السنة وجعل التقويم القمري هو التقويم الرسمي للمسلمين .

وروي كلام الرسول عنه على هذه الصورة : « أيها الناس . ان انسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطأوا عدة ما حرم الله ، فيحللوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم . ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان^٢ . فألغى الإسلام منذ ذلك الحين النسيء ، وجعل التقويم القمري الخالص هو التقويم الرسمي للمسلمين .

ويظهر من القرآن الكريم ان سبب تحريم النسيء في الإسلام هو تلاعب القلامسة بالشهور ، بتحريمهم شهراً حلالاً في عام ، ثم تحلياهم له في العام القابل . فأزال الإسلام ذلك التلاعب بتحريم النسيء ، واتخاذ السنة سنة قرية ذات اثني عشر شهراً لا غير . كما صيرها الجاهليون ثلاثة عشر أو أربعة عشر شهراً^٣ . ولما كان الزرع يعتمد على المواسم الطبيعية ، وعلى الأشهر الشمسية ، لذلك صار اعتماد المزارعين في الزرع وفي الحصاد على الشهور الشمسية ، أي على السنة الشمسية . أما الأمور الدينية ، مثل الحج والصيام ، فالاعتماد بالطبع على الشهور القمرية^٤ .

واتخاذ التقويم القمري تقويماً رسمياً للإسلام ، هو من السمات التي امتاز بها الإسلام عن الجاهلية ، واعتبر من النقاط الفاصلة التي فصلت بين الجاهلية والإسلام . وهكذا زال الكبس كما زال النسيء عن السنة القمرية وعن الشهور لتحويلها الى سنة شمسية على نحو ما رأيناه من فعل الجاهليين .

ويرى بعض المستشرقين أن النسيء والناسيء من الألفاظ المعربة عن العبرانية .

١ ابن الاثير (١٢٦/٢) ، الواقدي (٤٣١) (طبعة ولهوزن) ، ابن كثير (٣٥٣/٢) وما بعدها) ، وقد رويت خطبة الرسول بصور مختلفة ، اختلافا يدل على أن الرواة لم يكونوا قد دونوا النص ، وإنما رووا عن ذاكرة وحفظ ، فاختلّفوا من ثم في رواية النص .

٢ ابن هشام (٣٥١/١) ، (حاشية على الروض الانف) .

٣ بلوغ الأرب (٧١/٣) ، روح المعاني (٩٣/١٠) وما بعدها .

٤ Caetani, I, 356, Buhl, Muhammed, S. 350, H. Winckler, in Arabisch — Semitisch Orientalisch, 85. ff., Berlin, 1901.

وقد دخلت الى العربية بتأثير يهود يثرب . والناسي^١ عند اليهود هو الرئيس الديني . وكان يقوم عندهم بتقديم وتأخير الشهور ، ويعين مواعيد الأعياد والصيام ، ويذيع النتيجة بواسطة وفود الى الطوائف اليهودية المختلفة^٢ . والناسي يقابل رئيس قبيلة عند بني اسرائيل^٣ ، وهذا التعريف ينطبق تماماً مع ما ذكره أهل الأخبار عن (الناسي) عند الجاهليين .

وقد بحث عدد من المستشرقين في حساب السنين عند الجاهليين وفي النسيء ، فجاءوا بأراء متباعدة غير متفقة ، لكل واحد منهم رأي ومذهب في طريقة العرب قبل الإسلام في حساب الشهور وفي السنين القمرية والشمسية والكبس والنسيء . وقد ناقشها ولخصها (نالينو) في كتابه : « علم الفلك تأريخه عند العرب في القرون الوسطى » . وهو ممن يرون أن البحث في هذا الموضوع صعب عسير ، وأن البت فيه غير ممكن في الزمن الحاضر ، لقلة الموارد وعدم وجود أخبار وروايات واضحة صريحة يمكن أن يستند إليها في ابداء رأي علمي ناضج في الموضوع^٤ .

والذي أراه ان أهل الحجاز كانوا يتبعون التقويم الشمسي مع مراعاة الإهلال ، أي تقويماً شمسياً قرياً ، بدليل ان لأسماء الأشهر علاقة بالجو من برد وحر ، وربيع وخريف . فقد ذكر علماء اللغة ان الربيع انما سمي ربيعاً ، لارتباعهم فيه والارتباع الإقامة في عمارة الربيع ، وأن (جهادى) سمي بذلك لجمود الماء فيه ، أي انهما من أشهر الشتاء . قال الشاعر :

وليلة من جهادى ذات أندية لا يبصر العبد في ظلماتها الطنبا
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا^٥

وأن رمضان من شدة الرمضاء ، وهو الحر . ولا يعقل أن تكون هذه التسميات قد جاءت عفواً ومن غير ارتباط بحالة من حالات الطبيعة . وقد انتبه المتقدمون

-
- ١ ولفنسون : تأريخ اليهود في بلاد العرب (ص ٨١) .
 - ٢ الخروج ، الاصحاح ٣٤ ، الآية ٣١ ، العدد ، الاصحاح ٧ ، الآية ٣٢ ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (ص ٨١) .
 - ٣ (ص ٩٤ وما بعدها) .
 - ٤ تفسير ابن كثير (٢ / ٣٥٤) .

اليها ، فقال بعضهم « وكانت الشهور في حسابهم لا تدور » ، ولكن بعضهم لم يقبل بذلك إذ قال : « وفي هذا نظر ، إذ كانت شهورهم بالأهلة ، فلا بد من دورانها » ، وقال في تفسير اسم جادى « فلعلهم سمّوه أول ما سمى عند جمود الماء في البرد »^١ .

والذي أراه ان تلك الأشهر كانت ثابتة لا تدور ، بمعنى انها كانت ثابتة في مواسمها ، يسرون بموجبها في زراعتهم وفي أسفارهم ، ولكنهم كانوا يسرون على الإهلال ، أي الشهور القمرية في أمورهم الاعتيادية وفي الأعمال المالية ، مثل الديون ، حيث يسهل تثبيت المدة بعدد الأهلة ، ومن هنا اختلط الأمر على أهل الأخبار فخلطوا بين التقويمين ، بسبب عدم وضوح الروايات . وكان شأنهم في ذلك شأن العرب الشماليين الذين كانوا يحجون في وقت واحد ثابت ، هو في شهر (ذي الحجة) ، الذي تحدث عنه في مكان آخر ، وشأن العرب الجنوبيين الذين كانوا يحجون في شهر (ذي الحجة) الذي كان وقته ثابتاً أيضاً ، فلا يكون في صيف ، ثم يكون في ربيع أو في خريف أو في شتاء ، ولا يعقل خروجهم على هذا الاجماع الذي نراه عند العرب الشماليين ، أي عرب بلاد العراق وعرب بلاد الشام ، ويفردون وحدهم باتخاذ تقويم قري بحت .

ما ذكرناه عن النسيء وعن الكبس يخص عرب الحجاز ، وأهل مكة بصورة خاصة ، ولا يتناول العرب الجنوبيين . ولا عرب بقية أنحاء جزيرة العرب ، لعدم وجود أخبار لدينا عنها تتناول المواضع الأخرى ، لا في النصوص الجاهلية ولا في أخبار أهل الأخبار . ولكن الذي يظهر من النصوص العربية الجنوبية المتعلقة بالزراعة ومن أسماء الشهور ، أنها كانت شهوراً ثابتة ، أي شهوراً شمسية لا قمرية ، وأن السنة التي كانوا يسرون عليها سنة شمسية ، غير أن هذا لا يمنع مع ذلك من سيرهم على مبدأ الإهلال في حياتهم الاعتيادية ، أي على الشهور القمرية ، بحيث تكون الرؤية مبدئاً للشهور . وذلك لوضوح الأهلة وإمكان رؤيتها بسهولة وتثبيت الأوقات بموجبها ، بمعنى أنهم كانوا يسرون على التقويمين : التقويم الشمسي في الزراعة وفي دفع الغلات ، والتقويم القمري في الأمور الاعتيادية .

١ تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) .

ولا نستطيع أن نتحدث عن كيفية احتساب العرب الجنوبيين للسنة الشمسية ، ولا عن الكبس عندهم ، لعدم ورود شيء عنها في النصوص .

ويظن أن سنة العرب الجنوبيين كانت من (٣٦٠) يوماً ، مقسمة الى اثني عشر قسماً ، أي شهراً ، نصيب كل شهر منها (٣٠) يوماً . وحيث أن هذا المقدار من الأيام ، وهو (٣٦٠) يوماً هو دون الأيام التي تمضيها الأرض في دورانها الحقيقي حول الشمس ، لذلك كانوا يعوضون عن الفرق إما بإضافة الأيام اللازمة على أيام السنة لتكبسها فتجعلها مساوية للسنة الطبيعية ، وذلك في كل سنة ، وإما بإضافة شهر كبيسة مرة واحدة في نهاية كل ست سنوات^١ .

ويظن (بيستن) ، أن القبتانيين قد أخذوا بالطريقة الثانية : طريقة إضافة شهر زائد كامل على التقويم في كل ست سنوات ، لتتبادل السنة بذلك مع السنة الطبيعية ، وان ذلك الشهر المضاف هو الشهر المسمى بـ (ذ برم اخرن) ، أي بـ (ذى برم الآخر) ، أو (ذى برم الثاني) ، عند القبتانيين وبشهر (ذنور اخرن) ، أي (ذى نور الآخر) ، أو (ذى نور الثاني) عند السبثيين .

ووردت في إحدى الكتابات جملة (بين خرفهن) ، أي بين السنتين . وقد رأى (ونكلر) ، أنها تعني الأيام التي تضاف الى نهاية السنة لكبسها حتى تكون سنة طبيعية كاملة . أي سنة شمسية ، ولذلك عُبر عنها بـ (بين السنتين) ، أي الاضافة التي توضع فيما بين السنتين . السنة المتقدمة والسنة التالية لها^٢ . وذهب (كريمة) الى أنها تعني شهراً ، هو الشهر الذي يضاف على التقويم لكبس السنتين ، ويرى (بيستن) ، ان هذا الرأي يصعب قبوله ، لأنه لو كان شهراً كاملاً ، لسموه باسم معين ، أو لرمزوا اليه برمز يميزه عن شهور السنة الأخرى ، كأن يقولوا له (اخرن) ، أي الآخر ، أو الثاني^٣ .

أما اليهود ، يهود جزيرة العرب ، فقد كانوا يسلكون طريقتهم الخاصة في

Beeston, p. 18. ١

Winckler, Altorientalische Forschungen, II, (1900), S. 351. ٢

Beeston, p. 43. ٣

التوقيت ، ويسلكون منهجهم في تعيين الشهور ، كما يتأيد ذلك من الأخبار التي نجدها عنهم في كتب الأخباريين .

وأما النصارى العرب ، فقد كانوا يتبعون التقاويم الشرقية ، ويسرون على الشهور السريانية المعروفة ، وعلى وفق شعائر الكنيسة ، ويحتفلون بأعيادهم على وفق ما ثبت عندهم في كنيستهم . وقد أشير إليها في بعض الشعر الجاهلي وفي كتب الأخباريين .

الفصل الرابع والثلاثون بعد المئة

التقاويم والتواريخ

التقاويم :

هناك نوعان من السنين : سنين بنيت على أساس الشهور القمرية التي تثبت بمراقبة القمر ، وستتها سنة قريّة Lunar Year . والتقويم الذي يقوم عليه تقويم قري . وسنن بنيت على أساس شمسي Solar Year . والتقويم القائم عليها ، تقويم شمسي ، شهوره ثابتة لا تتغير . وعدة الشهور عند العرب اثنا عشر شهراً ، سواء كانت السنة شمسية أم قريّة^١ .

ولقد قلت فيما سبق : يظهر من النصوص الجاهلية ، أن أهل العربية الجنوبية كانوا يعملون بالتقويم الشمسي ، وفقاً للمواسم الزراعية ، لأننا نراهم في هذه النصوص يزرعون ويبنون ويحصدون في شهور معينة ، ويدفعون الضرائب في مواسم ثابتة ، كما نرى أن أسماء الشهور ، عندهم ذات معان متصلة بالطبيعة ، مثل الجفاف ، والمطر ، والحر ، والبرد ، والربيع ، والخريف ، ولو كانت سنتهم سنة قريّة محضة ، لما سموا أشهرهم بأسماء اشتقت من الحر والبرد واعتدال الجوّ وحلول الخريف ، إذ لا يعقل وقوع المعاني المذكورة مع تغير الشهور وعدم استقرارها على حال من الأحوال . إلا أن تواريخهم بالسنة الشمسية ،

١ اليقوبي (١٧٧/١) .

لم يمنعهم من التورخ بالتقويم القمري في أمورهم الاعتيادية ، كما في وفاء الديون ، وأخذ الديات ، والبيع والشراء ، والأسفار ، لوضوح الشهر القمري ، وامكان حساب الأهلة وضبط عددها بسهولة ويسر ، فيسهل على المتعاقدين التعاقد بموجب عدد الأهلة ، أما الزراعة ، وتربية الحيوان ودفع الضرائب وما شابه ذلك ، فلا صلة لها بالأهلة، وإنما صلتها بالمواسم والفصول ، وهي من مكونات السنة الشمسية. إذن كان العرب الجنوبيون يؤرخون ويعملون بتقويمين : تقويم قري ، وآخر شمسي .

استعمل العرب الجنوبيون التقويم الشمسي في الزراعة ، واستعملوا التقويم القمري للأغراض التي ذكرتها ، والتقويم النجمي ، أي التقويم الذي يقوم على رصد النجوم لأغراض دينية وللوقوف على الأنواء الجوية لما لها من صلة بالزراعة وبالحياة العامة^١ .

ويتبين من النصوص الثمودية والدحيانية والصفوية ، ومن النصوص النبطية ، ومن نص الهارة ، ان أصحابها كانوا يتعاملون وفقاً للتقويم الشمسي في الأمور التي لها اتصال مباشر بالطبيعة ، ووفقاً للتقويم القمري في الأمور الأخرى، بسهولة ضبط الأهلة ، وتحقيق العقود بموجبها . وإذا كان الحال على هذا المنوال عند هؤلاء وعند العرب الجنوبيين ، فبإمكاننا القول ان بقية الجاهليين ، ممن لم يتركوا لنا نصوصاً ، كانوا يتبعون التقويمين كذلك ، جرياً على سنة الناس في ذلك العهد ، ومنهم الأعاجم ، من اتباعهم التقويمين المذكورين في تنفيذ العقود والالتزامات وفي ضبط الأزمنة .

ومما يؤيد اتباع العرب الشماليين للتقويم الشمسي ، ما ذكره الكتاب اليونان واللاتين ، من أن العرب كانوا يقيمون طقوسهم الدينية ويؤدون شعائرتهم المقدسة كالخج الى المحجبات في أوقات ثابتة ، فقد ذكر (أفيفانيوس) ، ان للعرب شهراً يحجون فيه الى محجباتهم ، ويقع ذلك في شهر (تشرين الثاني)^٢ ، كما

Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen, Band., 2 S. 145, Sab. Denkm., S. 21, Glaser, Zwei Inschriften, S. 47, Note 7, ZDMG., 46, 322, Glasser, Die Sternkunde der Südarabischen Qabylen in SBWA., Winckler, AOF., 2, S., 351.

Epiphanius, Haer., 51, 24, Reste, S. 85, 100, Ency. Religi., 10, p. 10.

ذكر (بروكوبيوس) ، أن العرب كانوا قد جعلوا شهرين في السنة حراماً لأهلهم لا يغزون فيها ولا يهاجم بعضهم بعضاً ، ويقعان في تموز وآب^١ ، وذكر (فوثيوس) ، أن العرب كانوا يحتفلون مرتين في السنة بالحج إلى معبدهم المقدس: مرة في وسط الربيع عند اقتران الشمس ببرج الثور ، وذلك لمدة شهر واحد ، ومرة أخرى في الصيف ، وذلك لمدة شهرين^٢ . وفي هذه الاشارات إلى الأشهر المقدسة ، وإلى كونها ثابتة لا تتغير بتغير المواسم ، دلالة على سير العرب في تقويمهم ، وفقاً للتقويم الشمسي .

وقد عرف التأريخ عند الجاهليين ، بدليل عثور الباحثين على نصوص كثيرة مؤرخة . وقد زعم علماء اللغة « أن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وأن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب »^٣ ، وفي كلامهم صحة ، إذا كان قصدهم التأريخ العام للعالم ، الذي يبدأ وفقاً لما جاء عند أهل الكتاب من الخلق وظهور آدم فالأنبياء والرسل والملوك إلى أيامهم ، وفيه خطأ ، إذا قصدوا به ، التأريخ مطلقاً ، أي تثبيت الوقت ، على نحو ما نفهم من قولنا أرخت الحادث ، وأرخت الكتاب ، فقد عرف التأريخ عند الجاهليين ، بدليل وروده في نصوصهم . واستعملهم لفظة (بورخ) ، للتأريخ . وكلمة (ورخ) ، من الكلمات الواردة بكثرة في النصوص ، ومنها لفظة (توريخ) و (ورخ) بمعنى أرخ في عربيتنا . ولفظة (أرخ) نفسها هي من هذا الأصل .

وقد عرف (الجاحظ) أن الجاهليين كانوا يؤرخون إذ قال : « وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقة مركبة في البنيان ، فربما كان الكتاب هو الناتئ ، وربما كان الكتاب هو الحفر ، إذا كان تأريخاً لأمر جسيم ، أو عهداً لأمر عظيم ، أو موعظة يرتجى نفعها ، أو أحياء شرف يريدون تخليد ذكره ، أو تطويل مدته ، كما كتبوا على قبة غمدان ... وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر ، وعلى الأبلق الفرد ... يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الدروس ،

١ Procopius, II, p. 16.

٢ Reste, 101, Winckler, Alt. Orient. Faroch., II, Reihe, 1 Band, S. 336.

٣ تاج العروس (٢/٢٥٠) ، (أرخ) .

وأجدر أن يراها من مرة بها ، ولا تنسى على وجه الدهر ^١ .

ثم قال : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها ... ثم إن العرب أحببت أن تشارك العجم في البناء ، وتنفرد بالشعر ، فبنوا غمدان ، وكعبة نجران وقصر مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب ، والأبلى الفرد ، وفيه وفي مارد ، قالوا : تمرد مارد وعز الأبلق ، وغير ذلك من البنيان ^٢ . ثم تعرض لأهمية الكتب ولشأنها في تخليد الذكرى ، فقال : « والكتب بذلك أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر ، لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يمتوا ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المسدن وأكثر الحصون ، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم في أيام الاسلام ، كما هدم عثمان صومعة غمدان ، وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان ^٣ .

وتتناسب أساليب التأريخ مع درجة عقلية المؤرخ ومستواه العقلي ، لذلك نجد التواريخ بالأمور العادية البسيطة بين الرعاة والأعراب والسوقة من الناس ، بينما نجد غيرهم ممن هم فوقهم درجة في العقل والثقافة يؤرخون بمناسبات لها شأن وأهمية ، مثل التقويم العامة المهمة ، المثبتة بمبدأ ، حيث يؤرخ بموجبها .

وقد تبين لنا من دراسات نصوص المسند ، أن أصحابها استعملوا جملة طرق في تأريخهم للحوادث ، وتثبيت زمانها ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث في أيام الملك فلان ، من غير تعيينه بسنين ، وذلك كما في هذا المثل : « بيوم اليفع يشر ملك معن ^٤ » ، أي « بيوم اليفع يشر ملك معن » ، و « بيوم يذمر ملك وترال ^٥ » . ومعناهما في « أيام حكم اليفع يشر ملك معن » ، أو « وكان ذلك في حكم اليفع يشر ملك معن » بالنسبة للفقرة الأولى و « في أيام يذمر ملك وترال » ، أو « في حكم يذمر ملك وترال » ،

- ١ الحيوان (٦٨/١ وما بعدها) ، المحاسن والاضداد (٣) ، (مجلس الكتابة والكتب) .
- ٢ الحيوان (٧٢/١) .
- ٣ الحيوان (٧٣/١) .
- ٤ REP. EPL 2869.
- ٥ المصدر نفسه الرقم ٢٧٤٠ ، Beeston, p. 26

أو « وكان ذلك في أيام حكم يذمر ملك وترايل » بالنسبة للجملة الثانية . فلم يذكر النص السنة التي دون فيها النص ، أو أرخ فيها النص من سني حكم الملك المذكور . وهي سنون قد تكون قصيرة ، وقد تكون طويلة . ولقطة (يوم) هي بمعنى : (حكم) و (أيام) .

وقد يؤرخ بحكم موظف من كبار موظفي الحكومة من حملة درجة (كبير) (كبير) ، مثلاً ، أو غيرها من الدرجات العالية في الحكومة أو في المجتمع . كما أرخوا بأيام الرؤساء والسادات وأرباب الأسر . وليس العرب الجنوبيون بدءاً في هذا الباب ، فقد كان غيرهم يؤرخ بهذه الطرق ، وذلك قبل توصلهم الى اتخاذ تقويم واحد ثابت له بداية معينة تؤرخ به .

والغالب ذكر اسم الشهر مع حكم الكبير أو الرئيس أو أي انسان آخر ، كما في هذا المثال : « بورخ ذو طنفت ذو كبير أيتم ذو عرقن »^١ ، ومعناها « شهر ذو طنفت من كباره أيتم ذو عرقن » ، وبعبارة أوضح « شهر ذو طنفت من حكم الكبير أيتم ذو عرقن » ، و (ذو طنفت) ، اسم شهر من الشهور .

والكتابات المؤرخة بهذه الطريقة ، على انها أحسن حالاً في نظرنا من الكتابات المهمة التي لم يؤرخها أصحابها بتاريخ ، إلا اننا قلما نستفيد منها فائدة تذكر . إذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئاً عن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة ، أو حكمه ، أو زمانه ، أو زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هذه الكتابات ان شهرة الانسان لا تدوم ، وأن الملك فلاناً ، أو رب الأسرة فلاناً ، أو الزعيم فلاناً سينسى بعد أجيال ، وقد يصبح نسياً منسياً ، لذلك لا يجدي التأريخ به شيئاً ، وذاكرة الانسان لا تعي إلا الحوادث الجسام . لهذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هذه الطريقة ، وإن استفدنا منها في أمور أخرى لا صلة لها بتثبيت تواريخها .

وقد تجمعت لدينا أسماء أشخاص أرخ الناس بأيامهم لأنهم كانوا أصحاب جاه ونفوذ ، لكننا لا نعرف اليوم من أمرهم شيئاً ، لأن النصوص لم تذكر شيئاً

REP. EPI. 3608, 3, Beeston. p. 26.

عنهم ، وعن أيامهم، منهم : (عم على) من (آل رشم) من عشيرة (قفعن)^١ ، و (موهب ذو ذرحن) ، أي (موهب ذو ذرحان)^٢ . و (غوث ايل) من (آل بيحان) (بيحن)^٣ . و (شهر يجر)^٤ ، و (ذران) (ذرءان)^٥ ، و (اب على بن شحز) ، أي (أبو على) من قبيلة (شحر)^٦ . وكل هؤلاء الذين أرخ بهم هم من قتيان .

ومن الأسر التي أرخ بأيامها أسرة (نبط) و (مبخط)^٧ و (حزفرم كبير خلل) (حزفر كبير خليل) و (حذمت) و (فضحم)^٨ .

كما تجمعت لدينا أسماء عدد من الأشهر في اللهجات العربية الجنوبية المختلفة ، تحتاج الى دراسة لمعرفة ترتيبها بالنسبة للمواسم والسنة. ويظهر انهم كانوا يستعملون أحياناً مع التقويم الذي يؤرخ بحكم الرجال ، تقويمياً آخر هو التقويم الحكومي ، وتختلف أسماء شهور هذا التقويم عن أسماء شهور التقاويم التي تؤرخ بالرجال^٩ .

وقد تغير الحال في كتابات المسند منذ سنة (١١٥) قبل الميلاد ، على رأي غالبية الباحثين ، أو السنة (١٠٩) على رأي (ريكنسن) ، إذ أرخت بتقويم ثابت أرخت بموجبه الى قبيل الاسلام . مبدأه سنة سقوط حكومة سبأ وتكوين حكومة (سبأ وذى ريدان) ، على رأي بعض علماء العرييات الجنوبية ، فأرخ

١ السطر الثاني والعشرون من النص المنشور في :

Rep. Epig., VI, I, p. 218, Glaser, Alt. Nachr., S. 162. ff. Grundriss, S. 33, Glaser 2566.

٢ راجع نهاية الفقرة ٦ وأول الفقرة ٧ من النص Glaser 1601. Rhodokanakis, K.T.B., I, S. 8. ff.

٣ Rep. Epig., 3693, Tome VI, II, p. 275.

٤ Rhodokanakis, K.T.B. I, S. 122. f., Rip. Epig. 3663, Tome VI, II, p. 259.

٥ SE. 80a, Glaser 1398, 1609, Rep. Epig. 3879, Vol., VI, II, p. 334.

٦ Halevy 504, Rhodokanakis, K. T.B., I, S. 34, II, S. 7.

٧ A.F.L. Beeston, Epigraphic South Arabian Calenders and Datings, London, 1956, A.G. Lundin, Eponymat Sabéen et Chronologie Sabéene, 26, Congr. Intern. des Orientalistes, Conf. Prés. par la délégation de l'URSS, Moscou, 1963, Le Muséon, 1964, 3-4, p. 429.

٨ Le Muséon, 1964, 3-4, p. 496.

٩ Rhodokanakis, KTB., I, S. 81. f.

بهذا الحادث ، ولا سيما في الكتابات الرسمية المتأخرة ^١ . ويرى (بيستن) ان مبدأ هذا التقويم غير مضبوط ، وأن مبدأه فيما بين السنة ١١٨ - ١١٠ قبل الميلاد . ويرى أيضاً ان العرب الجنوبيين لم يؤرخوا به في هذا العهد ، لأن النصوص التي تعود الى القرن الأول قبل الميلاد كانت لا تزال تؤرخ بالتأريخ القديم ، أي بالتواريخ الغير الثابتة ، مثل التأريخ بأيام الملوك والكبراء والكهنة وأمثالهم ، فلو كانوا يؤرخون به لما أهملوه . ويرى انهم انما أرخوا به بعد ذلك ، في حوالي القرن الثالث للميلاد .

وقد ساعدنا هذا التقويم على تثبيت تواريخ عدد من النصوص أرخت بموجبه ، وعلى معرفة تأريخ هذه الحقبة التي أرخت بها . ولكن النصوص المؤرخة قليلة العدد ، ثم إننا لا نملك نصاً واحداً منها من ابتداء العهد بالتأريخ به ، كذلك لا نملك نصوصاً مؤرخة يعود عهدها الى قبيل الميلاد ، أو الى القرن الأول أو الثاني منه .

وأقدم نص مؤرخ بهذا التقويم ، هو النص الموسوم بـ CIH 46 ، وتاريخه سنة (٣٨٥) من هذا التقويم ، وهو يساوي السنة (٢٧٠) أو (٢٧٦) للميلاد . وهو من أيام الملك (يسرم يهنعم) (ياسر يهنعم) ملك سبأ وذوي ريدان وابنه (شمر يهرعش) . ويراد بهما (ياسر يهنعم) الثاني و (شمر يهرعش) الثالث على رأي (فون وزمن) ^٢ . ونص آخر للملك (ياسر يهنعم) ، تاريخه سنة (٢٧٤) أو (٢٨٠) للميلاد . والنص الموسوم بـ MM 150 = CIH 448 ، وهو يساوي سنة (٢٨١) أو (٢٨٧) بعد الميلاد .

وهناك نصوص مؤرخة أخرى من أيام الملك (شمر يهرعش) ، ونصوص من بعد أيامه حتى أيام تملك الحبشة لليمن . أما ما بعد أيام الحبشة في اليمن ، أي أيام استيلاء الفرس عليها ثم أيام دخولها في الإسلام ، فلم يعجل إلينا منها نص ، لا مؤرخ ولا غير مؤرخ ^٣ .

Mordtmann und Eugen Mitwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg, 1931, ١
S. I.
Le Muséon, 1964, 3-4, p. 484, Jamme, Sabaeen Inscriptions, p. 353. ٢
Mordtmann und Eugen Mitwoch, Sabäische Inschriften, Hamburg, 1931, ٣
S. I.

وآخر هذه النصوص المؤرخة ، هو النص الموسوم بـ CIH 525 ، وتاريخه سنة (٦٦٩) من التاريخ الحميري ، وهو يقابل سنة (٥٥٤) للميلاد . ويمكن أن نقول إن هذا النص هو آخر نص مؤرخ عثر عليه لا في المسند وحده ، بل في كل اللهجات العربية الأخرى ، وهو أقرب تلك الكتابات عهداً بالاسلام .

ويلاحظ ان بعض الكتابات المؤرخة تذكر لفظة (بورخ) أو (ورخسن) (ورخ) ، ثم تذكر بعدها اسم الشهر الذي أرخ النص به ، ثم عدد السنين بالنسبة للتقويم . ويراد بها معنى (شهر) ، وذلك كما في هذه العبارة : « ورخسن ذو سحر .. » ، أي « في شهر ذو سحر .. » ، و « بورخ ذو خرف .. » ، أي « بشهر ذو الخريف .. » ، أو « بورخ ذمعن » ، أي « بشهر ذي معان .. » « بشهر ذي معين » ، « بشهر ذي معون » ، وهناك كتابات مؤرخة استعملت لفظة « (ورخهو) بمعنى (وتاريخه) . كما في هذه الجملة : « ورخهو ذلثي وستي وست ماتم »^١ ، أي « وتاريخه لاثني وستين وست مئة » ، وبعبارة أوضح : « وتاريخه لسنة اثنين وستين وست مئة » . فاستعملت لفظة (ورخهو) اذن ، بالمعنى العلمي الذي نستعمله اليوم حين نؤرخ عهودنا ووثائقنا ، فتقول : (أرخت بـ ..) أو (تأريخها ..) .

وترد لفظة (خرفن) ، أي سنة قبل عدد السنين في بعض النصوص ، مثل : « خرفن ذلثت واربعي وخمس ماتم »^٢ ، ومعناها : « السنة الثالثة والأربعين بعد الخمس مئة » ، وقد تلحق لفظة (خرفتم) ، بعد عدد السنين . كما في هذا المثال : « ورخهو ذ حجتن ذل اربعي وست ماتم خرفتم »^٣ . ومعناه : « تأريخه أو شهره ذو الحججة لأربع وستائة سنة » . وتقابل هذه السنة سنة (٤٨٩) أو (٤٩٥) للميلاد .

ويلاحظ أن النصوص السبئية المؤرخة قد أرخت بتقويمين : تقويم عرف بـ (خريفتم بن خريف نبط) ، (خرفتم بن خرف نبط)^٤ ، أي بـ (سنين

١ CIH 541, Glaser 618.

٢ Ryckmans 534, Beeston, p. 57.

٣ CIH 621, Beeston, p. 37, Glasr, Die Abessinier in Arabien und Afrika, 1896,

S. 152, Zwei Inschriften, S. 88.

٤ REP. EPIGR. 4196.

من سنة نبط) ، ومعناه أن هذه السنين المذكورة ، هي وفقاً للتقويم الجاري على سني (نبط) ، أو تقويم (نبط) ، وتقويم آخر قدرت السنين فيه وفقاً لسني (مبحض بن أبجض) ، (ذبحرفن ذل بن خرف مبحض بن أبجض)^١ . ويشير ذلك الى وجود مبدأين للتأريخ عن السبتيين : التأريخ بتقويم (نبط) ، والتأريخ بتقويم (مبحض بن أبجض) . وذلك في الكتابات التي تعود الى القرن الثالث ونهايته لما بعد الميلاد . كالكتابات التي تعود إلى أيام (ياسر يهنعم) و (شمر يهرعش) ، أما الكتابات المتأخرة ، فقد اختفت منها هاتين التسميتين ، ويظن أنهم أخذوا بالتأريخ بتقويم (مبحض) ولذلك اهلوا الإشارة الى الاسم ، لأنه كان معلوماً عندهم . ويرى (بيستن) أن الفرق بين التقويمين هو قرابة نصف قرن أو ثلاثة أرباع قرن^٢ .

وأسلوب التأريخ في النصوص السبئية المتأخرة هو أن تذكر لفظة (ورخن) أولاً ، ثم اسم الشهر من بعده ، ثم السنة ، كأن تقول : « ورخن ذ مذران ذل ٣١٦ خرفم بن خرف نبط »^٣ ، أي « وبشهر ذ مذران ل ٣١٦ سنة من سنة نبط » ، أو « وبأريخ ذ مذران من سنة ٣١٦ من سني نبط » ، أو مثل « ورخهو ذ داوان ذ لخرفين ذ اربعت وسبعي وخمس ماتم » ، أي « وشهره ذ داوان للسنيين التي هي ٥٧٤ »^٤ ، أو « وتأريخه ذ داوان للسنة ٥٧٤ » ، ومثل : « خرفن ذل ثلاث واربعي وخمس ماتم » ، أي « سنة ٥٤٣ »^٥ ، ومثل : « وخرفهو ذ حجت ذ اربعي وست ماتم خرفم »^٦ ، أي « وشهره ذو الحجة لأربعين وستائة سنة » ، أو « وتأريخه ذو الحجة الموافق ل ٦٤٠ سنة مضت » ، ومثل : « وخرفهو ذ ثني وستي وست ماتم »^٧ ، أي « وتأريخه لاثنين وستين ومائة »^٨ .

CIH 46, 448, REP. EPIGR. 3866, Beeston, p. 36.	١
Beeston, p. 36.	٢
REP. EPIG. 4196.	٣
Ryckmans 520.	٤
Ryckmans 534.	٥
CIH 621.	٦
Ryckmans 506.	٧
Beeston, p. 73.	٨

ومن الغريب ان أهل الأخبار قد أغفلوا الإشارة الى هذا التقويم فلم يذكروا عنه شيئاً ، ولم يشرروا الى أن العرب الجنوبيين كانوا يؤرخون به ، مع أهميته وكونه تقويمياً رسمياً .

هذا ، وان في استطاعتنا القول بأن اليمن لم تسر رسمياً على التقويم العبراني أو التقويم النصراني ، حتى في أيام احتلال الحبش الأخسیر لليمن ، أو في أيام استيلاء الفرس عليها ، وذلك بدليل تورينج أبرهة عامل الحبشة على اليمن ، وهو نصراني ، نصوصه بالتقويم الياني المستعمل في اليمن الذي تحدثت فيما سلف عن مبدئه ، مع أنه حاكم اليمن وممثل الحبش فيها وهو نصراني . وبدليل تورينج عدد من كتابات المسند المتأخرة من عهد لا يبعد كثيراً عن الاسلام بهذا التقويم . وليس بالتقويمين المذكورين ، أو بأي تقويم آخر من التقاويم المستعملة عند الشرقيين .

ولكن ما أذكره لا يعني بالطبع عدم احتمال تورينج يهود اليمن أو نصاراها أو غيرهم بتقاويم أخرى ، مثل التقويم العبراني أو الميلادي ، أو غيرهما . وما أقوله هو عن التقويم الرسمي المدون في المسند ، وربما سيعثر في المستقبل على نصوص تعود الى عهد احتلال الحبش لليمن ، يرد فيها التأريخ بأيام الحبش فيها ، أو بالتأريخ الرسمي الذي كان يتبعه الأحباش في مملكتهم .

أما العرب الشماليون ، عرب العراق وبادية الشام وبلاد الشام ، فلم يرد اليينا من نصوصهم المؤرخة إلا عدد محدود ، منها نص النارة الذي يعود عهده الى السنة (٣٢٨) للميلاد . وهو مؤرخ بتقويم بصرى ، وبصرى مركز مهم ، كان يقصده عرب الحجاز للتجارة وقد وصل اليه النبي . وكان عرب هذه المنطقة يؤرخون به . ويبدأ هذا التقويم بدخول بصرى في حوزة الروم سنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد ، أي السنة التي تم فيها القضاء على حكومة النبط والحقا (بتر) بـ (الكورة العربية)^١ .

ولهذا فإذا أردنا تحويل سنة من السنين التي أرخ بها وفقساً لتقويم بصرى ، فعلينا اضافة الرقم (١٠٥) أو (١٠٦) على سني تقويم بصرى ، فيكون حاصل

الجمع السنة وفقاً للتقويم الميلادي تقريباً . فتأريخ نص النجارة هو سنة (٢٢٣) من تقويم بصرى ، وقد أضفنا اليه الفرق وهو (١٠٥) ، فصار الحاصل (٣٢٨) ، وهو ما يقابلها من سني الميلاد .

وقد أرخت كتابة (حرّان) اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقراطية الأولى ، وهي تقابل سنة ٥٦٨ للميلاد ، والأندقراطية هي دائرة ثمانية سنين عند الرومانيين ، وكانت تستعمل في تصحيح تقويم السنة . أما النص العربي فقد أرخ بسنة (٤٦٣) ، بعد مفسد خيبر بعام . ويراد بمجملته : « بعد مفسد خيبر بعم » ، غزوة قام بها أحد أمراء غسان أو غيره لخيبر ، وذلك في رأي الأستاذ (ليّمان)^١ . وعندني ان السنة (٤٦٣) ، التي أرخ بها النص العربي ، هي من سني تقويم بصرى ، بدليل اننا لو أضفنا اليها الرقم (١٠٥) المذكور ، صار الحاصل (٥٦٨) ، وهو كناية عن سني الميلاد ، المقابلة لسني بصرى . وعلى ذلك يكون تدوين هذا النص قد تم بعد غزو خيبر بعام ، أي ان هذا الغزو قد وقع سنة (٥٦٧) للميلاد . وقد كان (الحارث بن جبلة) يحكم (غسان) آنذاك ، فتصدق رواية (ابن قتيبة) حينئذ التي تذكر انه غزا خيبر ، وسبأ أهلها ثم أعتقهم بعدما قدم الشام^٢ .

وقد استعمل التقويم الذي يؤرخ بحكم (الاسكندر) تقويمياً عند اليونان وفي بلاد الشام ، وعند عرب بلاد الشام أيضاً . ومبدأه الأول من شهر نيسان لسنة (٣١١) قبل الميلاد^٣ ، ونجد أثر التأريخ بهذا التقويم في الروايات التي يرويها أهل الأخبار عن عرب بلاد الشام والعراق . وقد بقي الناس يؤرخون به الى أن حل التقويم الميلادي محله ، فنسي ذلك التقويم . وذكر (المسعودي) أن ما بين الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون^٤ .

وقد كان الصفويون مثل غيرهم يؤرخون بالحوادث التي يكون لها شأن عندهم،

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١٨/١) ، السامية (١٩٢) ،
Rivista degli stud. Orientali, 1911, p. 195.

٢ المعارف (٦٤٢) .

٣ Die Araber, II, S. 236, Hastings, extra Volume, (1904), p. 483.

٤ مروج الذهب (١٨٣/٢) وما بعدها) ، (ذكر شهور السريانيين) .

مثل حروبهم بعضهم مع بعض ، أو حروبهم مع غيرهم مثل النبط أو الروم . وقد أرخ بعضها بـحوادث ذات صفة خاصة وعائلية ، مثل (سنة قتله خاله) ، أو (سنة وفاة والده) . وهي حوادث لا يمكننا الاستفادة منها في استنباط تأريخ منها ؛ لأننا لا نعرف من أمرها شيئاً . غير أن هنالك نصوصاً مؤرخة أفادتنا بعض الإفادة في الوقوف على التوقيت عند الصفويين . ففي نص لرجل اسمه (انعم بن فخش) ، ما يفيد أنه استولى على غنائم (سنة الحرب مع النبط) . ويقصد بسنة الحرب مع النبط ، السنة التي قضى فيها الرومان على مملكة النبط ، وهي سنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد . وقد صارت هذه السنة مبدءاً للتأريخ في (بصرى) ، وعند العرب الصفويين^١ .

ولدينا نص صفوي آخر ، أرخ بـ « سنت حرب همدى ال روم » ، أي « سنة محاربة الميدين الروم » ، أو « سنة حرب الميدين الروم » . ويرى (ليمان) انه قد توصل الى ضبط تأريخ هذه الحرب . وهناك نص أرخ بـ « سنت قتل ال حمد » ، ويظن انه يشير الى معركة دارت على قبيلة تسمى (آل حمد) . وصاحب النص رجل من قبيلة تسمى (الرحبة)^٢ ، ولا زال الأعراب يؤرخون بأيام قتالهم بعضهم مع بعض .

ونحن لا نعلم اليوم كيف كان يؤرخ أهل الحيرة أو الغساسنة ، لعدم ورود نصوص مدونة عن ذلك سوى ما ذكرته من نص النمار المؤرخ بموجب تقويم بصرى . ولا أستبعد احتمال استعمال أهل الحيرة التقاويم العراقية أو الفارسية التي كانت شائعة عندهم في ذلك العهد أساساً للتأريخ . وقد يكون من بينها التقويم النصراني بالنسبة للنصارى ، وينطبق ذلك على نصارى الغساسنة أيضاً ، كما لا أستبعد استعمال الغساسنة لتقويم الروم . وللتقاويم العربية المألوفة التي تستعمل الأساليب المحلية في تثبيت التواريخ . ويظهر من تأريخ (ابن الكلبي) لحوادث الحيرة وعرب العراق بتقويم الساسانيين لتواريخ ملوكهم ، ان أهل الحيرة كانوا قد دونوا تواريخهم بموجبها ، ولكن هذا لا يمنع من احتمال أخذ ابن الكلبي أقواله في تواريخهم من تواريخ الفرس ومن روايتهم رأساً ، فلا يكون عندئذ ذكره

١ رينيه ديسو ، العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٣) .

٢ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .

لتواريخهم دليلاً على تأريخ أهل الحيرة بتقويم الفرس .

ويروي أهل الأخبار أن العرب كانوا يؤرخون بالحوادث العظام التي تحدث لهم ، من ذلك عام الخنن . وهو عام وقع فيه كما يقولون مرض خطير عضال فتك بالناس وبالإبل ، فأرخوا به ، ورووا في ذلك شعراً للناطقة الجعدي^١ . وقد وقع زمن الخنن في عهد المنذر بن ماء السماء ، وماتت الإبل منه . فصار ذلك تأريخاً لهم^٢ . ويظهر أنه كان وباء فتك بالناس وبالإبل ، وانتشر في العراق وفي نجد ، فأرخ به لأهميته بالنسبة لهم ، والتأريخ بالأوبئة شيء مألوف ، وأهل بغداد كانوا يؤرخون بطاعون وقع عندهم في عهد العثمانيين وقبل الحرب العالمية بسنوات ولا زال الشية يؤرخون به .

وكان أهل مكة يؤرخون بما يقع عندهم من أحداث جسيمة ، فإذا أرخوا بحادث ومضى عهد عليه ، ووقع لهم حادث آخر أكثر أهمية وشعبية منه ، أرخوا به . فتوالت لهم عدة تواريخ ، نسخت بعضها بعضاً ، فأرخوا كما يذكر أهل الأخبار بعام رئاسة عمرو بن ربيعة المعروف بعمر بن لحي ، وهو الذي يقال انه بدل دين ابراهيم ، وحمل من مدينة البلقاء صنم هُبل^٣ ، وعمل إسافاً ونائلة ، وذلك كما يقال في زمن (سابور ذي الأكثاف) . وأرخوا بعام موت كعب بن لؤي الى عام الغدر ، وهو الذي نهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك حمير الى الكعبة من الكسوة ، ووثب بعض الناس على بعض في الموسم . ثم أرخوا بعام الغدر الى عام الفيل الذي أرخوا به^٤ . قال (الجاحظ) : « ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب عامة ، ويحضر كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي الى عام الفيل »^٥ .

١ فمن يحرص على كبري فائني من الشبان أيام الخنن

بلوغ الارب (٢١٤/٣ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (١٩٣/٩) (خنن) ، بلوغ الارب (٢١٤/٣) ، اللسان (١٤٣/١٣)

« صادر » ، (خنن) .

٣ الآثار الباقية (٣٤/١) .

٤ البيان والتبيين (٣٥١/١) .

وذكر (اليقوبي) ، أن قريشاً كانوا يؤرخون بالسنين ، يؤرخون بموت (قصي) لجلالة قصي عندهم ، فسنة وفاته هي مبدأ تأريخهم الى أن كان عام الفيل ، فأرخوا به لاشتجار ذلك العام^١ .

وذكروا أنهم أرخوا بعام وفاة هشام بن المغيرة المخزومي، وهو والد أبي جهل، وكان من رؤساء بني مخزوم ، وله صيت عظيم بمكة ، كما كان سيد قريش في زمانه^٢ . وقد مات بالرافع ، ذكر أنه كان آخر من مات به من سادة قريش . وزعموا أن الرافع من منايا (جرهم) أيام جرهم ، وأنه أهلكهم ، فأرخوا به . قال بشير بن الحجير الإيادي :

ونحن إباد عبادُ الإله ورهط مناجيه في سَلَم
ونحن ولاية حجاب العتيق زمان الرافع على جرهم^٣

وورد (زمان النخاع) في موضع (زمان الرافع) ، وهو داء أيضاً ، زعم أنه فلك بجرهم ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبان^٤ . فهو وباء أيضاً زعم أن الناس أرخوا به .

وأرخوا بعام الفيل ، بقوا يؤرخون به الى أن أرخ بالهجرة^٥ . وقد ترك الحادث أثراً مهماً في ذاكرة قريش ، ولهذا ذكروا به في القرآن ، حتى يتعظوا به . ويجعلون عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان ، وقبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بـ (أبي قابوس) بنحو من سبع عشرة سنة ،

-
- ١ اليقوبي (٤/٢) ، (مولد رسول الله) .
 - ٢ بلوغ العرب (٢١٥/٣) ، (واتخذت قريش موته تاريخاً) . وله يقول بجير بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير :
 - فأصبح بطن مكة مقشعرا كان الارض ليس بها هشام ،
المحبر (١٣٩) .
 - ٣ الحيوان (١٥١/٦) .
 - ٤ الحيوان (١٥١/٦) .
 - ٥ بلوغ العرب (٢١٥/٣) .

وهي احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر على دارا ، وهي سنة ألف وثلثمائة وستة عشر لابتداء ملك بخت نصر^١ . وهو العام الذي ولد فيه الرسول على أغلب الروايات .

وأرخت قريش بيوم الفجار وبحلف الفضول . وكانوا يسمون السنين بالحوادث الخطيرة الجلييلة التي تقع فيها . وقد فعل ذلك المسلمون أيضاً في صدر الإسلام ، فسموا كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها للنبي . فسموا السنة الأولى للهجرة سنة الأذن ، والثانية سنة الأمر بالقتال ، والثالثة سنة التمهيج ، والرابعة سنة الترفة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الاستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشر سنة الوداع، فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة^٢ .

وأما الأعراب ، فتواربهم برئاسة ساداتهم ، وبالأحداث التي تقع لهم من أفراح وأتراح ، ومن غزو أو نكبة ، وبالعوارض الطبيعية ، مثل سقوط مطر غزير ، أو انحباسه مدة طويلة ، أو هزة أرضية ، أو ظهور جراد ، أو وقوع وباء ، وما أشبه ذلك من أمور . وهم على هذا النوع من التأريخ حتى اليوم .

وليس في الذي رواه أهل الأخبار عن أهل الجاهلية ما يشير الى وقوف العرب على كتب في التأريخ يونانية أو لاتينية أو سريانية أو عبرانية ، أو على معربات لها . وليس في كل الذي ذكره اسم مؤرخ من المؤرخين الذين نجلتهم الشعوب المذكورة . غير ان هذا لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم وقوفهم على تواريخ تلك الأمم وأخبارهم ، ففي القصص المنسوب الى الجاهليين ، قصص يدل على انه مأخوذ عن تلك الأمم مستورد منها . ثم ان أهل الأخبار أنفسهم أشاروا الى نقر ذكروا عنهم انهم نظروا في كتب الأساطير ورووا منها أخبار العجم ، والى نقر ذكروا عنهم انهم نظروا في الكتب القديمة وحذقوا لغات أهل الكتاب ، ورووا في شعرهم أو في كلامهم شيئاً مقتبساً من قصص أهل الكتاب ، يضاف

١ امتاع الاسماع (٤/١) .

٢ الآثار الباقية (٣٤/١) .

الى ذلك وجود الكنائس والنصرانية في بلاد العرب . والتأريخ ، ولا سيما تأريخ الكنيسة موضوع مهم من الموضوعات التي استعان بها المبشرون ورجال الدين في الوعظ والارشاد . ولا يستبعد أن تكون كتب التأريخ التي كتبها آباء الكنيسة ، مثل (أوسبيوس القيصري) وأمثاله ، في جملة الكتب التي استعانت بها الكنيسة لافهام الناس تأريخها وتطورها وتطور العالم على نحو ما دوتوه بالاستناد الى التوراة والانجيل .

الفصل الخامس والثلاثون بعد المئة

اللغات السامية

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى وكذلك سائر لهجات العرب الأخرى ، هي فروع من مجموعة لغات عرفت عند المستشرقين بـ (اللغات السامية) . وقد أولع بعض المستشرقين بدراسة هذه اللغات ، فألفوا فيها كتباً وأبحاثاً ، وأنشأوا مجلات عدة تفرغت لها ، وما زالوا يسعون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات « Semitistik » . وهي تتناول بالدرس كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية : تتناولها بغض النظر عن وجود اللغة أو عدمه في هذا اليوم ، فالبحث علم ، والعلوم تبتغي المعرفة دون قيد بزمان أو مكان .

ويتفق علماء الساميات بمجهوداً كبيراً في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة ، وما بينها وبين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه ، ومجال بحثهم في تقدم وتوسع ، خاصة بعد أن أخذ هؤلاء العلماء بأساليب البحث الحديثة التي تعتمد على الفحوص والاختبارات والملاحظات والنقد^١ .

وقد جاءت نظرية (اللغات السامية) من التسمية التي أطلقها (شلوتسر) « Schlözer » على العبرانيين والفينيقيين ، والعرب والشعوب المذكورة في التوراة على أنها من نسل (سام بن نوح)^٢ . ولم تقم نظرية التوراة في حصر اولاد

١ Theodore Nöldeke, Sketches from Eastern History, Beirut, 1963, p. 1.

٢ الاصحاح العاشر من سفر التكوين .

سام على أساس عرقي ، بل بنيت على عوامل جغرافية وسياسية ، ولهذا أدخلت
الغيلاميين واللوديين « Lud » في أبناء (سام) ، مع أنها ليسا من الساميين ،
ولا تشابه لغتهما لغة العبرانيين^١ .

والقاربة بين اللغات السامية واضحة وضوحاً ينياً ، وهي أوضح وأمتن وأوثق
من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات الهندوأوروبية
« Indoeurpaichen Sprachen » أو الهندوجرمانية « Indogermanischen Sprachen »
على حد تعبير بعض العلماء^٢ . وقد أدرك مستشرقو القرن السابع عشر بسهولة
الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين اللغات السامية ، وأشاروا إليها ، ونوهوا
بصلة القرى التي تجمع شملها . بل لقد سبقهم الى ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات
السنين هدامم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج والى التنويه بها . فقد
تحدث عالم يهودي اسمه : (يهودا بن قريش) « Jehuda ben Koraish » ، وهو
ممن عاشوا في أوائل القرن العاشر ، عن القاربة التي تجمع بين اللغات السامية ،
وعن الخصائص اللغوية العديدة المشتركة بين تلك الألسن ، كما أبدى ملاحظات
قيمة عن الأسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات^٣ .

والأساس الذي بني عليه رأي العلماء في حشر من يرون حشره في عائلة
الساميات ، أو إخراج من يرون إخراجه منها ، هو قرب لغة من يرون فحصه
لترشيحه لعضوية تلك العائلة من اللغات السامية ، أو بُعد لغته عنها ، ثم قرب
عقلية من يرون إدخاله في السامية من العقلية العامة التي رسمت حدودها لعقلية
الساميين ، من دين وأساطير وحياة اجتماعية وأدب ونحو ذلك مما يحدد عقليات
الناس . وهذه الطريقة يبحث العلماء اليوم موضوع الساميات^٤ .

١ Theodore Nöldeke, Die Semitischen Sprachen, Leipzig, 1899, S. I, Richard
J.H. Gotthell, Semitic Literatures, p. 1, The Columbia University Press, 1911.

٢ Theodore Nöldeke, Die Semitischen Sprachen, S. II,
وسيكون رمزه : 'Sprachen

Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semi-
tischen Sprachen, Bd. I, S. I.

٣ Sprachen, S. 2, Grundriss, I., S. I, Gelger, Ursprung der Sprache, 1869, 22.

٤ Richard Hartmann und Helmuth Schell, Beiträge Zur Arabistik, Semitistik
und Ielamwissenschaften, Leipzig, 1944, S. 3 ff.

وقد حملت الخصائص المشتركة والألفاظ المهمة الضرورية لشؤون الحياة التي ترد في كل اللهجات السامية بعض العلماء على تصور وجود لغة أم ، في الأيام القديمة ، تولدت منها بعوامل مختلفة متعددة مجموعة (اللغات السامية) . ويؤدي تخيل وجود هذه الأم الى تخيل وجود موطن قديم للساميين كان يجمع شملهم ، ويوحد بين صفوفهم ، الى أن أدركتهم الفرقة لعوامل عديدة ، فاضطروا الى الهجرة منه الى مواطن جديدة ، والى التفرق ، فكانت هذه الفرقة إيداناً بتبلبل السنة البابليين ، وسبباً الى تفرق ألسنتهم وظهور هذه اللغات .

ولا يعني تصور وجود لغة سامية أم « Ursemitish » على رأي بعض العلماء ضرورة وجود لغة واحدة بالمعنى المفهوم من اللغة الواحدة ، كانت أمأ حقيقة لجميع هذه اللغات البنات . بل الفكرة في نظرهم مجرد تعبير قصد به شيء مجازي هو الإفصاح عن فكرة تقارب تلك اللغات وتشابهها ، واشتراكها في أصول كثيرة اشتراكاً يكاد يجمعها في أصل واحد ، ويرجعها إلى شجرة واحدة هي الشجرة الأم . فالسامية الأولى أو السامية الأم ، أو السامية الأصلية ، هي بهذا المعنى تعبير مجازي عن أقدم الأصول المشتركة التي جمعت بين اللهجات السامية القديمة في الأيام القديمة ، أيام كان المتكلمون بها يعيشون في أمكنة متجاورة وفي اتصال وتقارب عبر عنه بفكرة النسب المذكور في التوراة^١ .

وليس من السهل علينا أن نتصور كيف كانت اللغة السامية الأولى . ولكننا لا نستطيع - بسبب قدم زمان هذه اللغة إن كانت هناك لغة سامية أولى وبسبب الأحوال البدائية التي كانت تحيط بالمتكلمين بها شأن البشرية جمعاء في ذلك العهد ولقلة مستلزمات المعيشة يومئذ وانخفاضها - أن نتصور أن هذه اللغة كانت واسعة جداً بمفرداتها غنية بمسمياتها ، وفي قواعد صرفها ونحوها وفي أساليب بيانها ، لأن ما نذكره لا يمكن أن يتوفر إلا في مجتمع متطور متقدم ، وإلا بعد تطور مستمر أمداً طويلاً ، ولم يكن الساميون الأولون في ذلك العهد على درجة كبيرة من التطور والتقدم ، حتى تكون لغتهم الأولى على نحو ما نذكره من اتساع وارتقاء .

وتسوقنا إشارتنا العابرة هذه الى السامية الأم الى الإشارة الى الوطن السامي الأول الذي عاش فيه الساميون . أيام اجتماعهم وتكتلهم في وطن واحد ، وأيام

١ جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام (١/١٦٦ وما بعدها) ، (٧/١٠ وما بعدها) .

تكلمهم بلسان واحد أو بالسنة متقاربة متشابهة ، يفهم أحدهم الآخر بيسر وسهولة .
ثم عن الأيام التي نزلت فيها المكاره على أولئك الساميين القدماء فأجبرتهم على
ترك ذلك الوطن في دفعات وفي هجرات متعددة والارتحال عنه الى مواطن أخرى
جديدة .

وقد اختلف العلماء في تعيين الموطن الأصلي للساميين ، وذهبوا في ذلك مذاهب ،
نخرجنا الحديث عنها عن صلب موضوعنا هذا . والمفروض في هذا الوطن أن
يكون المهمل الأول الذي ضم الشعوب السامية ، والمكان الذي اتصلت فيه تلك
الشعوب بعضها ببعض ، الأثر الذي نراه في اللغة وفي الدين وفي النواحي العقلية
وما شاكل ذلك .

وبما أن من غير الممكن التعرف على اللغة السامية الأم ، لأن الكتابة لم تكن
معروفة في ذلك العهد ، فكّر المستشرقون في دراسة أقرب اللغات السامية الى
الأصل ، فذهب بعضهم الى أن العبرانية هي أكثر تلك اللغات شبهاً بالسامية
الأولى ، وهي لذلك أقرب بنات سام اليها . وذهب آخرون الى تقديم لغة بني إرم
على غيرها جاعلين إياها البنت الأولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية أكثر
من اجتماعها في أية لغة أخرى ، ولهذا استحققت في رأيهم هذا التكريم والتقديم .
وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الأخرى ، لمحافظة أكثر من
بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الأولى وعدم اتصالها منها وتركها لها .
كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي
زالت من قواعد بقية اللغات . غير أن هذه الامتيازات والخصائص التي تتمتع بها
هذه اللغة ، يقابلها من جهة أخرى مميزات في العربية لانجدها في اللهجات السامية
الباقية ، مما يبعث على الظن أنها طرأت عليها فيما بعد ، وأن اللغة العربية قد مرت
بأدوار تطورت فيها كثيراً ، والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الأصل .
ثم اننا نجد في العبرانية وفي لغة بني إرم قطعاً من الكلام قديماً جداً لا نجد له
مثيلاً في العربية ، وهذا مما يدعو الى حساب اللغتين المذكورتين أقدم عهداً من
اللغة العربية . غير اننا لا نستطيع مع كل ذلك أن ننكر أن معرفتنا وإحاطتنا باللغة
العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا وإحاطتنا ببقية اللغات السامية . ومن هنا صارت
اللغة العربية بلهجاتها المتعددة حقلاً مهماً لإجراء التجارب والاختبارات في ميدان

مقارنات اللغات السامية ودراستها ، فيه من الامكانيات والقابليات ما لا نجده في بقية الحقول^١ .

وقد ذهب (نولدكه) الى أن من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية ، وذلك بأن تأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بألفاظها وما الى ذلك، ثم تقارن ما سجلناه بما يقابله في بقية اللغات السامية ، لنقف بذلك على ما بين هذه اللغات من مفارقات ومطابقات. ولا بأس في رأيه من الاستعانة باللهجات الحالية أيضاً ، لأنها مادة مساعدة جداً ومفيدة كثيراً في الكشف عن خصائص اللغات السامية وعن مميزاتها وتطورها في مختلف العصور . وفي رأيه ان دراسة من هذا النحو ليست بالأمر اليسير ، فإنها تتطلب جلدأ وعلماً وإحاطة باللغات السامية كلها وبآثارها القديمة ، وأن يقوم بها علماء لغويون متخصصون ، على جانب كبير من العلم والذكاء والإحاطة بالساميات^٢ .

وليس بين اللغات السامية لغة واحدة تستطيع أن تدعي انها سامية صافية نقية ، وانها لم تتأثر قط باللغات الأخرى التي تنتمي الى مجموعات لغوية غير سامية . وقضية صفاء لغة ما من لغات العالم وخلوها من الألفاظ والكلمات الغريبة ، قضية لا يمكن أن يقولها رجل له إلمام بعلوم اللغات ولو يسيراً جداً . واذا كانت اللغات السامية قد تأثرت باللغات الأخرى بسبب اختلاط الشعوب واتصال ألسنتها بعضها ببعض نتيجة ذلك الاختلاط ، فإن من الطبيعي أن تكون اللغات السامية قد أثرت بعضها في بعض ، ولهذا نجد في كل لغة من اللغات السامية ألفاظاً أخذتها من لغة ما من لغات أبناء سام .

وخير ما يمكن أن نفعله الآن في موضوع اللغة السامية وأقرب اللغات السامية اليها ، هو ان نقوم باستخلاص القديم المشترك من كل اللغات السامية ، ثم نكون من هذا المجتمع لغة نعدّها أقرب اللغات السامية صورة الى اللغة السامية الأولى . وتعدّ للضائر وأسماء العدد وأسماء أعضاء الجسم الأساسية المهمة وجملة ألفاظ تخص الحياة الانسانية الأساسية ، مثل بيت وسماء وأرض وجمل وكلب وحرار وعدد

١ Sprachen, S. 5 ff.

٢ Sprachen, S. 7.

من حروف الجر ، من جملة القديم المشترك في جميع اللغات السامية أو في أكثرها ، وهو لذلك يفيدنا من هذه الناحية كثيراً في تكوين فكرة عن اللغة السامية القديمة وعن أقرب اللغات السامية الى الأصل .

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى قسمين : لغات سامية شمالية ، ولغات سامية جنوبية . ويقسم بعض العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين : مجموعة شرقية ، ومجموعة غربية . ويقصدون بالمجموعة الشرقية اللغات السامية المتركة في العراق ، ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركة في بلاد الشام . وقد تأثرت كل مجموعة من المجموعتين بالمؤثرات اللغوية والحضارية للمكان التي عاشت فيه ، ومن هنا حدث بعض الاختلاف بين الجماعتين .

ومن أهم الخصائص التي امتازت بها اللغات السامية من غيرها من اللغات :

اعتمادها على الحروف الصامتة « Konsonant » = « Consonant » أكثر من اعتمادها على الأصوات « Vocal » = « Vokale » ، فترى أن أغلب كلماتها تتألف من اجتماع ثلاثة أحرف صامتة . أما الأصوات ، فلا نجد لها حروفاً تمثلها في اللغات السامية . وهي بذلك على عكس اللغات الآرية التي اهتمت بالأصوات ، فدونتها مع الحروف الصامتة. وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك الى الاستزادة من الحروف ، فزادت في عددها عن العدد المألوف في اللغات الآرية ، وأوجدت لها حروفاً للتفخيم والترقيق وإبراز الأسنان والضغط على الحلق^١ .

ويتولد في اللغات السامية من تغيير حركات الأحرف الثلاثية الصامتة وتبديلها، معان جديدة . ولهذا كان من أهم واجبات الأصوات في اللغات السامية تغيير حركات الحروف لتوليد معان جديدة . فالأحرف الثلاثة الصامتة لإذن هي التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ، ولكن مفاهيم هذه الأصول الثلاثية لا تبقى على حالها متى تغيرت حركات هذه الحروف . فكلمة (فعل) المؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة ، هي حروف الفاء والعين واللام ، هي أصل ، غير أن هذا الأصل غير ثابت . بل هو عرضة للتغيير، ويكون تغييره بتغيير حركات أحرفه ، فإذا تغيرت

١ ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية (ص ١٤) ،

Brockelmann, Grundriss, I, S. 5.

حركات هذه الأحرف تغيرت معانيها حتماً . فكل تغيير إذن في حركات أحرف الأصل يعقبه تغير في معنى ذلك الأصل . فلفظة (فَعَّلَ) ، تختلف في المعنى عن لفظة (فَعَّلِ) ، واللفظتان (فَعَّلَ) و (فَعَّلِ) تختلفان أيضاً في المعنى عن معنى لفظة (فَعِّلَ) . وقد تولد هذا الاختلاف من تغير حركات حروف الأصل وتبديلاً .

ومن الممكن إحداث معانٍ جديدة في اللغات السامية ، وذلك بإضافة زوائد تتألف من حرف أو أكثر إلى الأصول الثلاثية ، فيتبدل بذلك معنى الأصل . فإذا أضفنا حرف الألف بين حرفي الفاء والعين من (فعل) ، تغير المعنى ، وصارت اللفظة (فاعل) ، وإذا وضعنا حرف الواو بين حرفي العين واللام من فعل ، تغير المعنى ، وصارت اللفظة (فعول) ، وهكذا .

فنرى مما تقدم ان المعاني المشتقة من الكلمات ذات الأصل الثلاثي مهما تغيرت وتولدت نتيجة لتغيير حركات تلك الحروف الثلاثة الصامتة ، فإنها لا تتصل من هذه الحروف ولا تتركها ، بل تبقى في صلب كل كلمة ، مهما صار معناها . فكلمة (قتل) العربية مثلاً المؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة ، يمكن أن تولد منها معاني جديدة ، أي كلمات جديدة ، بتغيير هذه الأحرف الثلاثة ، أو بادخال زوائد عليها ، أو بتشديد بعض حروفها كما ذكرت ، غير اننا لا نستطيع أن نترك حرفاً من هذه الأحرف الثلاثة التي هي الأصل .

فألفاظ مثل قاتل، وقتيل، وقتال، ومقتول ، وقتل ، وقتل ، وقتل ، وكلها مشتقة من الأحرف الصامتة الثلاثة : القاف والتاء واللام ، لم نتمكن من الاستغناء عن حرف من هذه الأحرف الثلاثة ، بل اضطررنا الى ابقائها كلها فيها . إلا أنا أجبرنا على التفريق بينها بسبب دخول الزيادات^١ .

وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات ، أي وصل كلمة بأخرى ، لتكون من الكلمتين كلمة واحدة يكون لها معنى مركب من معنى الكلمتين المستقلتين كما في اللغات الآرية . وأما ما نراه من عدد كلمتين مضافتين كلمة واحدة تؤدي معنى واحداً ، فإن هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد في اللغات

Semitistik, Dritter Band, Erster Abschnitt, 1953, S. 10 ff.

السامية ، لم يكن معروفاً عند أجدادهم القدماء^١. وهو معروف في اللغات الآرية، كما في حالة الـ « Genitive » في اللاتينية حيث تتولد معان جديدة بإضافة لفظية الى لفظة أخرى ، فتتولد من هذا التعاقب دلالة جديدة لمعنى جديد .

هذا ، ونجد أن بين اللغات السامية وبين اللغات الآرية اختلافات في كثير من الأمور ، فاللفظة في اللغات السامية ذات مدلول عام ، وقد يكون لها جملة مدلولات تدل على معان عامة مطلقة ، أما اللغات الآرية ، مثل السنسكريتية ، واليونانية ، والألمانية ، فكل جذر فيها هو كلمة ذات معنى مقيد محدود ، أخذت منه المصادر والنوعت. وهناك اختلافات أخرى في موضوع الـ « Conjunctions » والـ « Substantive » والـ « Syntax » ، والـ « Interdependence of sentences » وغير ذلك من أمور يعرفها علماء اللغات والنحو والصرف .

ويرى العلماء أن الفعل قد تطور في اللغات السامية تطوراً خطيراً ، استغرق قروناً طويلة ، وأن ما نعرفه من تقسيم الأفعال الى ماضٍ ومضارع وأمر، لم يكن معروفاً على هذا النحو عند قدماء الساميين . ويرى بعضهم أن الصيغة الأصلية للفعل إنما كانت صيغة الأمر ، فهذه الصيغة هي أقدم صيغ الأفعال عند الساميين. وقد كانت هذه الصيغة تستعمل للدلالة على جميع صيغ الفعل من الماضي والمضارع والأمر ، ثم تخصصت فصارت تشير الى حدوث الفعل في صيغة الأمر ، وذلك بعد ظهور صيغتي المضارع والماضي .

ومن صيغة فعل الأمر ، اشتق فعل المضارع . وذلك بزيادة حرف على أول لفظة فعل الأمر ، لتدل على حالة الإسناد الى الفاعل أو الضمير مثلاً . وقد سبقت هذه الزيادة الزيادة التي لحقت آخر الفعل ، فن فعل (قم) مثلاً تولد الفعل (أقوم) و (يقوم) و (نقوم) و (تقوم) ثم يقومون وتقومون^٢ .

ومن علماء اللغات من يرى أن صيغة المضارع كانت أمدأ تدل على جميع الأزمنة ، وأن هذا الأداء كان مستعملاً عند قدماء الساميين استعمال اللغة الصينية

١ Brockelmann, Grundriss, I, S. 5.

٢ ولفنسون ، السامية (ص ١٥) ، The Bible Dictionary, Vol. II, p. 429.

واللغة الهندوجرمانية الأصلية له^١ .

ونجد اليونانية تغير معاني الفعل بإدخال حرف الجر عليه ، فإذا دخل حرف جرّ على الفعل تغير معناه .

ويظن ان الكلمات المؤلفة من حرفين صامتين ، أي الألفاظ الثنائية الأصل مثل أب وأم وأخ وبد ، كانت أقدم من الأفعال المشتقة من ثلاثة أحرف مثل فعل ، صنع ، أكل ، ذهب ، وأن الأفعال الثلاثية أقدم من الأفعال الرباعية . وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان الأفعال الرباعية المؤلفة من أربعة أحرف كانت مؤلفة في الأصل من حرفين اثنين ، ثم تطورت بالاستعمال في خلال العصور الطويلة حتى صارت رباعية الأصل^٢ .

وفي العبرانية صيغتان للفعل الماضي : الصيغة المألوفة للماضي ، وصيغة ثانية مشتقة من المضارع مع إضافة واو العطف ، وهي صيغة قديمة جداً . وهي موجودة في البابلية القديمة وفي الكنعانية العتيقة . ولعلها كانت صلة بين المضارع وبين الماضي . وليس لهذه الصيغة وجود في العربية الشمالية وفي العربية الجنوبية والحبشية وفي لغة بني لارم^٣ .

ويلاحظ ان العبرانية تشارك اللهجات العربية الجنوبية في أمور عديدة غير معروفة في عربية القرآن الكريم ، كما توجد أوجه شبه بين ألفاظ حبشية وعبرانية^٤ .

وللدلالة على الجمع استعملت العبرانية حرفا (يم) للمذكر ، و (واو وتاء) للمؤنث . أما الآرامية ، فاستعملت حرفا (ين) علامة للجمع ، وأما العربية فاستعملت (الواو والنون) للجمع المذكر السالم ، و (الألف والتاء) في الجمع المؤنث السالم ، وهناك جموع تكسير كثيرة كثرة لا نكاد نرى لها مثيلاً في اللغات السامية الأخرى^٥ . وذلك بسبب أن هذه الجموع هي في الواقع جموع وردت في لهجات عربية متعددة ، وردت سماعاً ، فلما جمعها علماء العربية ودونوها

-
- ١ المصدر السابق (ص ١٦) .
 - ٢ ولفنسون ، السامية (١٧) .
 - ٣ ولفنسون ، السامية (١٦) .
 - ٤ ولفنسون ، السامية (١٩) .
 - ٥ ولفنسون ، السامية (١٩) .

في كتب اللغة والمعاجم ، لم يشيروا الى أسماء من كان ينطق بها ، فظن انها جموع استعملت في هذه العربية التي نزل بها الوحي .

ومن أهم الاختلافات التي نراها بين اللغات السامية . اختلافها في التعريف . فبينما نرى بعض اللغات كالآشورية والبابلية والحيشية لا أداة للتعريف فيها ، نرى العبرانية وبعض اللهجات العربية مثل الثمودية واللحيانية تستعمل حرف ال (هـ) أداة له ، تضعه في أول الكلمة ، وبينما نرى السبئية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى تستعمل أداة أخرى للتعريف هي حرف (النون) ، تضعها في آخر الكلمة المراد تعريفها ، نجد العربية الفصحى تستعمل (ال) أداة للتعريف ، تضعها في أول الكلمة . وتشارك السريانية العربيات الجنوبية في مكان أداة التعريف ، فكانها عندها في نهاية الكلمة أيضاً ، غير أنها تختلف عنها في استعمالها أداة أخرى هي حرف ال (هـ) أي الواو .

وقد درس بعض المستشرقين أوزان الأسماء في اللغات السامية ، كما درسوا اشتقاقها وأصولها التي أخذت منها ، وبحثوا في حالات التصغير أي في الأسماء المصغرة وطرق التصغير عند جميع الساميين ، والأسماء البسيطة والأسماء المركبة ، ليستخرجوا منها قواعد قدماء الساميين في كيفية تكوين الأسماء ، ولا سيما تلك الأسماء التي ترد في جميع اللغات السامية . ففي اللغات السامية أسماء مشتركة ترد في كل اللغات ، منها ما هو بسيط مؤلف من كلمة واحدة ، ومنها ما هو مركب ، أي أسماء مؤلفة من أكثر من كلمة بطريقة الإضافة . ودراسة هذه الأسماء بأنواعها ، تفيدنا كثيراً في الوقوف على العقيدة السامية وعلى الخواص المشتركة التي كانت تربط بين الساميين .

ونجد الإعراب في اللغة العربية الفصحى ، ويذهب العلماء الى أن الإعراب كان موجوداً في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من أكثر تلك اللغات . ونرى له أثراً يدل عليه في العبرانية في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية ، فإن هاتين الحالتين تدلان على وجود الإعراب في أصولها القديمة^١ .

١ ولفنسون ، السامية (ص ١٥) .

ونجد العربية ذات حروف يزيد عددها على حروف اللغات السامية الأخرى . ولعلّ اللغات الأخرى كانت تملك حروفاً أخرى ، ثم قلّ استعمالها فزالت من أبجديتها ، ولم تبقى لها حاجة بها . فالعبرانية لا تملك الحروف : (ذ) ، (ع) ، (ظ) ، و (ض) . والبابلية لا تملك أيضاً الحروف : العين والحاء والغين والهاء وهي من أحرف الخلق ، ولا الأحرف : الطاء والظاء والصاد ، وهي من أحرف التضخيم والتفخيم ، ولا القاف . ونجد يهود السامرة لا يستعملون حرف السين^١ . وهناك أمثلة أخرى تثبت حدوث تطور في عدد الحروف في اللغات السامية ، مما سبب حدوث اختلاف في عددها، ولهذا حدث هذا الاختلاف الذي نراه ونلاحظه بين أبجديات تلك اللغات .

ونجد العربية الجنوبية تملك حروفاً لا تملكها العربية الفصحى ، وذلك بسبب اختلاف طبيعتي اللهجتين .

ولا بد أن تكون هنالك عوامل عديدة دعت الى حدوث تغيير في عدد الحروف في لغات الساميين . وقد عزا بعض الباحثين سقوط الأحرف التي ذكرتها من الكتابة البابلية الى استعمال البابليين للكتابة المسارية^٢ . غير أن هذا رأي يجب أن يدرس بعناية ، وأن يكون مبنياً على دراسات عديدة أصيلة ، ليكون في الامكان تكوين رأي صحيح في هذا الموضوع .

واللغة العربية اليوم ، هي من أعظم اللغات السامية الباقية ، بكثرة من يتكلم ويكتب بها ، وبكثرة ما ألفت ودوّن بها . وهي تستعمل اليوم قلماً اشتق من قلم سامي شمالي ، وكان لها في الماضي قلم قديم كان مستعملاً عند العرب من أيام ما قبل الميلاد الى ظهور الاسلام ، مات بسبب اتخاذ الاسلام القلم الجزم قلماً للوحي ، ودوّن به القرآن الكريم ، فصار بذلك القلم الشرعي الرسمي ، وأما بذلك الأفلام الجاهلية الأخرى المشتقة من القلم (المسند) . ونجد في المعاجم اللغوية مئات الألوف من الألفاظ المعبرة عن معان ، وقد قدّر بعض العلماء عدد ألفاظ العربية بنحو من (١٢٣٠٥٠٥٢) كلمة^٣ . ويعود سبب غناها في الألفاظ الى

١ ولفنسون ، السامية (١٩ وما بعدها ، ٣٩) .

٢ ولفنسون ، السامية (٣٩) .

٣ The Bible Dictionary, Vol. I, p. 101.

كثرة وجود المترادفات فيها ، التي هي من بقايا لغات قبائل ، وإلى خاصية جذور الكلم فيها في توليد الألفاظ الجديدة بتحريك هذه الجذور .

وهناك لهجات تستحق الدراسة ، فهي من اللهجات السامية المتفرعة عن لهجات قديمة ، وهي لهجات منبوذة لم يحفل بها علماء اللغة ، مثل اللهجة (الأمهرية) واللهجة (المهرية) لغة أهل (هرر) . وهي من بقايا لهجات لم يعتن بها العلماء إلا منذ احتكاك الغربيين بالمتكلمين بها . ومع ذلك فلا تزال البحوث العلمية عنها قليلة .

الفصل السادس والثلاثون بعد المئة

العربية لسان آدم في الجنة

رأى علماء العربية أن العربية قديمة ، وهي في نظرهم أقدم من العرب أنفسهم ، فلما كان آدم في الجنة كان لسانه العربية ، ولما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ، فلما تاب رد الله عليه وعلى بعض أحفاده العربية . ونظرية ان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة كان عربياً ، فلما بعد العهد وطال ، حرّف وصار سريانياً ، وكان يشاكل اللسان العربي ، إلا انه محرف ، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح إلا رجلاً واحداً يقال له جرهم ، فكان لسانه لسان العرب الأول ، فلما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته ، فنههم صار اللسان العربي في ولده عوّص أبي عاد وعييل، وجاثر أبي ثمود وجديس، وسميت عاد باسم جرهم ؛ لأنه كان جدّهم من الأم ، وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشذ بن سام ، الى أن وصل الى يشجب بن قحطان من ذريته وكان باليمن ، فترل هناك بنو اسماعيل ، فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي^١ .

وقد تحدث (المعري) على لسان (آدم) في موضوع لسانه ، وما روى من شعر نسب اليه ، فجعله يقول : « أيتّم إلا عقوقاً وأذية ، إنما كنتُ أتكلم

١ « عن ابن عباس ، ان آدم عليه السلام ، كان لفته في الجنة العربية ، فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ، فلما تاب رد الله عليه العربية » المزهرة (٣٠ / ١) .

بالعربية وأنا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض ، نقل لساني الى السريانية ، فلم أنطق بغيرها الى أن هلكت ، فلما ردني الله - سبحانه وتعالى - الى الجنة ، عادت على العربية ، فأني حين نظمت هذا الشعر : في العاجلة أم الآجلة ؟^١ . وذلك ردّاً على من زعم أن آدم كان يعرف الشعر العربي ، وقد نظم شعره بالعربية ، ورووا له شعراً زعموا أنه قاله لتأييد صحة دعواهم .

وقد ذهب قوم من العلماء الى أن لغة العرب ، هي أول اللغات ، وكل لغة سواها حدثت بعدها إما توقيفاً أو اصطلاحاً ، واستدلوا بأن القرآن كلام الله هو عربيّ ، وهو دليل على أن لغة العرب أسبق اللغات^٢ .

ومنهم من قال : لغة العرب نوعان :

أحدهما : عربية حمير ، وهي التي تكلموا بها من عهد هود ومن قبّله ، وكانت قبل اسماعيل .

والثانية : العربية المحضة التي نزل بها القرآن ، وأول من أنطق لسانه بها إسماعيل ، فعلى هذا القول يكون توقيف اسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين : إما أن يكون اصطلاحاً بينه وبين جرهم النازلين عليه بمكة ، وإما أن يكون توقيفاً من الله^٣ .

والعربية المحضة هي العربية الخالصة ، وهي العربية الأصلية عربية اسماعيل ، وقد نعتت بالعربية المتينة . قالوا : أول من فُتق لسانه بالعربية المتينة اسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة^٤ . روي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلا : قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، ثم قال : ألهم اسماعيل هذا اللسان إلهاماً »^٥ . والعربية التي تكلم بها (اسماعيل) والتي نزل بها القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي ، تختلف عن عربية حمير وبقياء جرهم^٦ ، وذكر أن (عمر بن الخطاب) ،

١ رسالة الغفران (٣٦١ وما بعدها) .

٢ المزهر (٢٨/١) .

٣ المزهر (٢٨/١) .

٤ المزهر (٣٤/١) .

٥ المزهر (٣٣/١) .

٦ المزهر (٣٣/١) .

قال للرسول : يا رسول الله ؛ مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ فقال رسول الله : كانت لغة بني اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظتها^١ .

والعربية بعد ، في اصطلاح أئمة العربية : العربية المتينة . أما عربية أهل اليمن : عربية أبناء قحطان فعربية أخرى . وعلى هذا فنحن أمام عربيتين : عربية قحطانية ، وعربية عدنانية اسماعيلية . وبالعربية المتينة تكلم عرب الحيرة ، كما يظهر ذلك من خبر دوتنه (الجاحظ) في كتابه (البيان والتبيين) ، والطبري في تأريخه ، فقد ذكر (الجاحظ) ان (خالد بن الوليد) سأل (عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيان بن ببيعة) : « أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا . قال : فحرب أنتم أم سلم ؟ قال : سلم^٢ ، أو انه قال لهم : « ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل ! فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عسدي : ليدلك على ما نقول انه ليس لنا لسان إلا بالعربية^٣ . فلسان أهل الحيرة عربي ، ليس لهم لسان سواه . بها كانوا ينظمون الشعر وبها كتبوا . فهذه العربية هي عربية الحيرة وعرب العراق .

وساير كثير من المستشرقين علماء العربية في تقسيم اللهجات العربية الى عربيتين : عربية جنوبية ، هي العربية القحطانية . وعربية شمالية ، هي عربية القبائل العدنانية . ولكل مجموعة لهجات محلية ، لم تكن تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً ، وتباين بوناً شاسعاً ، وانما اختلفت في أمور بسيطة من الفروق اللسانية ، بحيث لا نستطيع أن نضعها في مجاميع لغوية جديدة^٤ .

ومن الكتابات الجاهلية التي يعود عهد بعض منها الى ما قبل الميلاد ، حصل الباحثون على علمهم بلغة العرب الجنوبيين وبحضارتهم ، وقد تبين لهم منها أن تلك الكتابات تمثل لغة متطورة ذات قواعد نحوية وصرفية ، وانها كانت لغة التدوين

١ المزهر (٣٥/١) .
٢ البيان والتبيين (١٤٨/٢) ، أمالي المرتضى (٢٦١/١) .
٣ الطبري (٣٦١/٣) وما بعدها .
٤ Ignace Goldziher, History of Classical Arabic Literature, P. 2, (1966).

عندهم ، وقد استعملت مصطلحات فنية تدل على وجود حضارة لدى الكاتبين بها ، وقد دام التدوين بها الى ظهور الاسلام^١ .

أما علمنا بقواعد نحو وصرف اللغة العربية الشمالية ، التي نسميها اللغة الفصحى ، فستمد من الموارد الإسلامية فقط ، لعدم ورود نصوص جاهلية مدونة بها . ولهذا اقتصر علمنا بها على ما جاء عنها في الموارد الإسلامية ليس غير . أما النصوص المحدودة القصيرة ، التي تبدأ بنص النارة ، وتنتهي بكتابة (حران اللجا) التي يعود عهدها الى سنة (٤٦٣) من سقوط (خبر) (خير) ، المقابلة لسنة (٥٦٨) للميلاد ، فإنها وان كانت قد كتبت بعربية قريبة من العربية المحضة ، إلا أنها تمثل في الواقع لهجة من اللهجات العربية الشمالية ، متأثرة بالإرامية (النبطية) ولذلك لا أستطيع اعتبارها نصوصاً من نصوص العربية الفصحى الخالصة ، ثم إنها قصيرة أطولها نص النارة ، المدون بخمسة سطور فقط . ويعود عهده الى سنة (٣٢٨) للميلاد . ولهذا لم نتمكن من استنباط شيء مهم منها ، يفيدنا في تعيين صرف ونحو العربية الفصحى ، أو هذه العربية التي دوت بها . ولهذا الأسباب صار علمنا اليوم بقواعد ونحو كتابات المسند ، والكتابات الثمودية والحيانية والصفوية والنبطية ، مستمد من موارد هي أقدم جداً من الموارد الإسلامية ، يعود تاريخ بعض منها الى ما قبل الميلاد . ووثائق هذه العربيات جاهلية أصيلة ، لا يشك أحد في أصالتها ، أما العربية الفصحى فنصها الوحيد ، الذي لا يشك أحد في أصالته هو القرآن الكريم ، فلا نص بها قبله ، وهو أطول نص ورد إلينا بهذه العربية وبسائر العربيات الأخرى بغير استثناء .

هذا وقد سبق لي أن تحدثت في الفصل الأول من هذا الكتاب عن تحديد لفظة العرب ، وعن معانيها ، وعن ورودها في مواضع من القرآن ، مثل : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين »^٢ . وفيه « وانه لتنزِيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »^٣ . وفيه : « أعجمي وعربي

١ Ignace Goldziher, History of Classical Arabic Literature, P. 2.

٢ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .

٣ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٩٣ وما بعدها .

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء»^١ . وفيه : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^٢ . و « كذلك أنزلناه حكماً عربياً »^٣ . و « كذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد »^٤ . و « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون »^٥ . و « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون »^٦ . وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً »^٧ . و « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^٨ . و « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا »^٩ .

فاللسان الذي نزل به القرآن ، هو اللسان العربي « الفصحى الكامل الشامل ليكون بيناً واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً الى المحجة »^{١٠} . وقد نزل « محكماً معرباً »^{١١} . وذلك تمييزاً لهذا اللسان عن ألسنة الأمم الأخرى التي نسبت الى العجمة ، فصارت ألسنتها ألسنة أعجمية^{١٢} .

فاللغة العربية إذن ، هي لغة (العرب) ، وبهم سميت وعرفت فأخذت تسميتها من اسمهم . وقد عرفنا أن المدلول الأول للفظ (العرب) هو البداوة والأعرابية ، ثم توسع في مدلولها ، حتى شمل كل سكنة جزيرة العرب من بدو وحضر ، فأهل المدر عرب ، وأهل الوبر عرب كذلك ، وعرف أهل البوادي بالأعراب ، تمييزاً لهم عن أهل القرى ، أي الحضر ، وصارت اللفظة سمة خاصة بهم . أما لسانهم ولسان الحضر ، فهو اللسان العربي وكفى .

ووسمت هذه العربية بسمة أخرى ، صارت ترادفها حتى اليوم ، هي (العربية الفصحى) و (اللغة الفصحى) ، يريدون بها هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم .

-
- | | |
|----|---|
| ١ | فصلت ، الرقم ٤١ ، الآية ٤٤ . |
| ٢ | يوسف ، الرقم ١٢ ، الآية ٢ . |
| ٣ | الرعد ، الرقم ١٣ ، الآية ٣٧ . |
| ٤ | طه ، الرقم ٢٠ ، الآية ١١٢ . |
| ٥ | الزمر ، الرقم ٣٩ ، الآية ٢٨ . |
| ٦ | فصلت ، الرقم ٤١ ، الآية ٣ . |
| ٧ | الشورى ، الرقم ٤٢ ، الآية ٧ . |
| ٨ | الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٣ . |
| ٩ | الاحقاف ، الرقم ٤٦ ، الآية ١٢ . |
| ١٠ | تفسير ابن كثير (٣/٣٤٧) ، (تفسير سورة الشعراء) . |
| ١١ | تفسير ابن كثير (٢/٥١٨) ، (تفسير سورة الرعد) . |
| ١٢ | الجزء الاول (ص ١٣ وما بعدها) من هذا الكتاب ، والجزء الاول من كتابي القديم : تاريخ العرب قبل الاسلام . |

تميزاً لها عن بقية اللغات واللهجات . والفصح والفصاحة البيان^١ . وبما أن اللغة العربية بيئة بليغة قيل لها ذلك . وهي في معنى (لسان عربي مبين) ، أي لسان عربي فصيح أو بين . وبذلك لا ينصرف الذهن الى لغات العوام ولا الى لهجات القبائل في الجاهلية أو لغات أهل العربية الجنوبية ، لأنها لا تتصف بصفة الفصاحة في نظر علماء اللغة .

واللغة العربية التي نكتب بها ، لغة واسعة ، ما في سعتها من شك : ألفاظها كثيرة ، حتى لتجد فيها مئات وعشرات من المسميات وضعت كلها لمسمى واحد على ما يذكره أهل اللغة . فلأسد وللفرس وللجمل ولل سيف وما يتعلق بها ألفاظ كثيرة ، تجدها في كتب اللغة والمعجمات . ونحن لا نريد الشك في ذلك ، ولكننا إذا أردنا أن نبحث بأسلوب علمي حديث مستند الى لهجات القبائل ، والى ما ورد في النصوص الجاهلية ، فإننا سنضطر الى القول بأن هذه الكثرة من الألفاظ ليست مسميات لشيء واحد في لغة واحدة ، هي لغة القرآن الكريم ، وإنما هي مسميات لذلك الشيء في لهجات عربية أخرى ، جمعها علماء اللغة في الاسلام من أفواه أناس ينتمون الى قبائل متعددة ، أشاروا الى أسماء القبائل التي تكلمت بها أحياناً ، ولم يشيروا اليها في أغلب الأحيان . فذهبت بين الناس على أنها مسميات لمسمى واحد في لغة واحدة ، هي هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، أي أنهم جعلوها من الألفاظ المترادفة .

ولم تعين الموارد الأعجمية شكل اللغة العربية ، ولم تنص على لسان واحد من ألسنة العرب ، على أنه اللسان العربي الفصيح العام الذي كان يتكلم به كل العرب . ولم يعين القرآن هوية اللسان العربي ، ولم يخصه بلسان معين من ألسنة العرب المتعددة ، وإنما جاءت التسمية فيه عامة شاملة ، لا تخص لساناً واحداً ، ولا لغة معينة محددة . قال المفسرون في تفسير الآية : « وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً » ، « فأنزلنا هذا القرآن عربياً اذ كانوا عرباً »^٢ ، وقالوا في تفسير الآية : « وكذلك أنزلناه حكماً عربياً » ، « كذلك أيضاً أنزلنا الحكم والدين حكماً عربياً » وجعل ذلك عربياً ووصفه به لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عربي

١ تاج العروس (١٩٧/٢) ، (فصح) .

٢ تفسير الطبري (١٥٩/١٦) .

فنسب الدين اليه ، اذ كان عليه نزل فكذب به الأحزاب «^١ ، وقالوا في تفسير الآية : « وكذلك أوحينا اليك قرآنًا عريباً لتتذر أم القرى ومن حولها » : « يقول تعالى ذكره وهكذا أوحينا اليك يا محمد قرآنًا عريباً بلسان العرب لأن الدين أرسلتك اليهم قوم عرب فأوحينا اليك هذا القرآن بألستهم ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره لأننا لا نرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم ، لتتذر أم القرى وهي مكة وما حولها »^٢ .

وقال (الطبري) في مقدمة تفسيره « فإن كان ذلك كذلك ، وكان غير مبين منا عن نفسه من خاطب غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب ، كان معلوماً انه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب ، ولا يرسل الى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان ويان يفهمه المرسل اليه ، لأن المخاطب والمرسل اليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به اليه فحالته قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة اليه وبعده سواء ، إذ لم يفسده الخطاب والرسالة شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً . والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت اليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث والله تعالى عن ذلك متعال . ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله : وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . فغير جائز أن يكون به مهتدياً من كان بما يهدى اليه جاهلاً . فقد تبين اذن بما عليه دللنا من الدلالة ان كل رسول لله جل ثناؤه أرسله الى قوم ، فإنما أرسله بلسان من أرسله اليه ، وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها الى أمة ، فإنما أنزله بلسان من أرسله اليه ، وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها الى أمة فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله اليه . واتضح بما قلنا ووصفنا ان كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عريباً ، فبيّن ان القرآن عربي . وبذلك نطق محكم تنزيل ربنا ، فقال جل ذكره : إنا أنزلناه قرآنًا عريباً

١ تفسير الطبري (١٣/١١٠) .

٢ تفسير الطبري (٦/٢٥ وما بعدها) .

لعلكم تعقلون ، وقال : وانه لتتزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ^١ .

وقد تعرض علماء العربية لمعنى (العجم) والعرب ، فقالوا : (العجم) خلاف العرب ، والأعجم من لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب ، ومن في لسانه عجمة وإن أفصح بالعربية ، « وفي التتزيل : ولو نزلناه على بعض الأعجمين ^٢ . وكل من لم يفصح بشيء فقد أعجمه ، وأعجم الكتاب خلاف أعربه ، أي نقطه بالنقط ، وورد في شعر قيل هو لرؤية ويقال للحظيئة :

الشعر صعب وطويل سالمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

ومنه :

والشعر لا يطيعه من يظلمه يريد أن يعربه فيعجمه

أي يأتي به أعجمياً ، يعني يلحن فيه ، وقيل يريد أن يبينه فيجعله مشكلاً لا بيان له ^٣ .

وقالوا : العرب خلاف العجم ، ورجل معرب ، إذا كان فصيحاً وان كان عجمي النسب . والإعراب الإبانة والإفصاح عن الشيء . وأن يعرب بن قحطان هو أول من تكلم بالعربية ، وأول من انعدل لسانه عن السريانية الى العربية ، وبه سمي العرب عرباً . وقيل : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلا قرآناً عربياً لقوم يعلمون تم قال : ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً » ، وقيل إن يعرب أول من نطق بمنطق العربية ، وإسماعيل هو أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن ^٤ . الى غير ذلك من أقوال تحاول ربط لفظة (العرب) بالإعراب والإفصاح والإبانة ، وربط العربية ، أي لسان العرب بقحطان ، وبإسماعيل ، ووراء كل هذه الأقوال المصطنعة عصبية تتحزب لقحطانية

-
- ١ تفسير الطبري (٥/١ وما بعدها) .
 - ٢ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٩٨ ، تفسير الطبري (٦٩/١٩ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .
 - ٤ تاج العروس (٣٧٦/١) ، (عرب) .

أو لعدنانية ، التي هي اصطنعت هذه الأقوال في الاسلام ، وحذلقه مصطنعة باردة استغلت المجانسة اللفظية بين عرب ويعرب وأعرب ، لإيجاد صلة بين معاني هذه الألفاظ وفي جذورها .

وتشمل لفظة (العجم) كل من ليس بعربي ، وهي في مقابل لفظة : « Barbarian » في اللغة الانكليزية المأخوذة من أصل يوناني، وهي لا تعني المتوحشين وإنما (أعاجم) و (غرباء) بتعبير أصح ، الذين كانوا لا يحسنون التكلم بلغة المهلبين ، بل كانوا يرطنون في كلامهم ، ويتكلمون بلهجات رديئة ، ثم أطلقها اليونان على كل من لا يحسن التكلم باليونانية وعلى كل من يتكلم بلغة غير يونانية. ولما دخل اليونان في حكم الرومان ، صارت الكلمة تطلق على كل الشعوب الأخرى التي لا تتكلم باليونانية ، أو اللاتينية^١ . ولا استبعد احتمال مجيء هذه النظرية عند العرب من اليونان ، وإن كان اليونان ، لم ينفردوا بها وحدهم ، فقد كانت الشعوب القديمة تعرف مثل هذه المصطلحات ، ومصطلح : (كويم) « Goim » العبري ، الذي يعني « Gentiles » في الانكليزية ، وغرباء ، وشعوب، ومشركين عبدة أصنام^٢ ، يعبر عن هذه النظرة . فكل الشعوب باستثناء (العبرانيين) هم (كويم) ، والعبرانيون هم المتكلمون بالعبرانية، وغيرهم هم الذين لا يتكلمون بها .

ولفظة (العجم) ، وإن كانت لفظة عامة ، قصد بها كل من هو ليس بعربي ، لكنها أطلقت في الغالب على الفرس واليونان ، وهم أرقى الشعوب التي احتك بها العرب في ذلك الوقت . وأطلقت على الفرس بصورة خاصة ، لما كان للساسانيين من اتصال خاص بالعرب قبيل الاسلام . أما سكان إفريقيا ، فلم تطلق عليهم هذه اللفظة إلا قليلاً ، لأن العرب لم ينظروا اليهم نظرة احترام ، ولهذا عرفوا عندهم بالعبيد ، وبالحيش ، وبالسودان . وقد نعتوا بالطمطمانيصة ، فورد (طمطم^٣ حبشيون) ، بالنظر الى لغتهم ، وعدم تمكنهم من الافصح بالعربية . وقد ورد في معلقة (عنتره) : (أعظم طمطم) ، في هذا البيت :

تأوى له قلص النعام كما أوت حرق يمانية^٤ لأعجم طمطم^٥

Hastings, P. 84. ١

Hastings, P. 303. ٢

البيت الـ (٢٥) من المعلقة . ٣

ومن القرآن واللغة استنبط علماء اللغة قولهم في أن العربية من الإبانة والإفصاح ،
وانها انما دعيت بذلك لأن (يعرب بن قحطان) كان أول من أعرب بلسانه
فنسب هذا اللسان اليه . فقد رأينا ان الآيات المتقدمة التي أشرت اليها ، ذكرت
ان القرآن نزل بلسان عربي مبين ، وقد جعلته في مقابل اللسان الأعجمي ،
فاستنتجوا منها ان العربية بمعنى الإفصاح والإبانة ، وان التسمية انما جاءت من
هذا القبيل ، مع ان الوصف راجع للغة القرآن ، لا للعربية نفسها ، ثم وجدوا
أن الإعراب في اللغة بمعنى الإفصاح والإبانة ، فربطوا بين هذه اللفظة وبين لفظة
(العرب) ، وقالوا ان (عرب) بمعنى فصيح ، وأن (العرب) من هذا الأصل ،
مع انهم يذكرون أيضاً ان تعرب معناها أقام بالبادية ، وأن تعرب واستعرب ،
بمعنى رجع الى البادية بعد ما كان مقيماً بالحضر فلحق بالأعراب . وأن تعرب
بمعنى تشبه بالعرب وتعرب بعد هجرته ، أي صار أعرابياً ، وأن في الحديث :
ثلاث من الكبائر ، منها التعرب بعد الهجرة ، وهو أن يعود الى البادية ويقيم مع
الأعراب ، بعد أن كان مهاجراً ، وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من
غير عذر يعدونه كالمرتد ، ومعنى هذا ان صلتها بالأعرابية وبـ (العرب) بمعنى
البدو أهل البادية ، أقرب الى المنطق والمعقول من صلتها بالإبانة والفصاحة ، أي
الإعراب . وقد سبق أن ذكرت ان معنى اللفظة في النصوص الآشورية وفي كتب
اليونان واللاتين والعبرانيين والسريان ، وفي المسند ، هو (البداوة) والأعرابية
لا غير ، ثم أطلقت على جميع سكة جزيرة العرب ، لغلبة الحياة الأعرابية عليها
حتى صارت لفظة (العربية) بمعنى بلاد العرب ، تدخل فيها مواطن أهل المدر
وأهل الوبر ، وصارت لفظة (العرب) علماً على جنس وقوم .

وإذا أخذنا بهذا التفسير التاريخي المستمد من النصوص ، لزم علينا القول إن
العربية من (عرب) (العرب) ، أهل العربية ، وهم (الأعراب) ، وقد أطلقت
على ألسنتهم جميعاً من غير تمييز ، فكل لهجات العرب : لهجات بدو أو لهجات
حضر ، هي لهجات عربية ، لأنهم عرب ومن سكة بلاد العرب ، ولهذا عرفت
(جزيرة العرب) كلها (بالعربية) في كتب اليونان واللاتين على نحو ما تحدثت
عن ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ، لا نستفي منها لهجة من اللهجات ،
مهما كان قربها أو بعدها من العربية التي نزل بها الوحي .

فما ذكره علماء اللغة من تخريج في وجه تسمية العرب بهذا الاسم ، من اشتقاق اللفظة من (عربية) التي قالوا إنها باحة العرب ، أو من (يعرب) ، أو من اعراب لسانهم ، أي ايضاحه وبيانه ، لأنه أوضح الألسنة وأعربها عن المراد بوجوه من الاختصار ، أو بما شاكل ذلك ، هو كله تخريج متكلف ، يمثل تخبطهم فيه ، كتخبطهم في تفسير الأسماء التي لم يعرفوا من أصلها شيئاً ، فوضعوا لها تخريجات أوجدوها لإظهار علمهم بها ، ووقوفهم عليها ، وعلى كل شيء قديم^١ .

وفي العربية الحالية : الإعراب . وهو تغير أواخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . احتفظت العربية به على حين فقدته معظم اللغات السامية ، باستثناء البابلية القديمة^٢ . ويظهر من القرآن ومن الشعر الجاهلي ، أن الإعراب كان من سمة هذه اللغة التي نزل بها الوحي .

ويرى بعض المستشرقين أن الإعراب كان موجوداً في جميع اللغات السامية ، ثم خف حتى زال من أكثر تلك اللغات . ونرى له أثراً يدل عليه في العبرانية في حالي المفعول به وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية ، فإن هاتين الحالتين تدلان على وجود الإعراب في أصولها القديمة^٣ .

ولعلماء العربية بحوث مستفيضة في (الإعراب)^٤ ، كما إن للمستشرقين بحوثاً فيه . وقد ذهب بعض منهم الى أن بعض اللهجات العربية القديمة ، مثل لهجة قریش لم تكن معربة ، أو أنها لم تكن على هذا النحو من الإعراب الذي ثبته وضبطه علماء العربية في الاسلام ، حتى ذهب (كارل فولرس) الى أن القرآن لم يكن معرباً في أول أمر نزوله ، لأنه نزل بلسان قریش ، وهو لسان غير معرب ، وإنما أعرب حين وضع علماء اللغة والنحو قواعد العربية على وفق لغة

-
- ١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٤٣/١) .
 - ٢ العربية ، ليوهان فك (ص ٣) ، السيوطي ، الاشباه والنظائر (٧٢/١ وما بعدها) ، الخصائص (٣٤/١) ، السيوطي ، الحاوي للفتاوي ، (٢٦٩/٢ وما بعدها) .
 - ٣ تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي (٣١/٧) .
 - ٤ راجع الفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون (١٢١/١) ، حيث تقف على أسماء بعض المؤلفات التي ألفت في اعراب القرآن .

الأعراب المعربة ، التي أخذوها من تتبعهم الشعر الجاهلي وكلام الأعراب^١ .
وقد لمس (كاله) هذا الموضوع كذلك ، وتطرق الى ما ورد في الرواية
من أخبار تحث المسلم على وجوب مراعاة قواعد الإعراب عند قراءته القرآن .
فاستنتج منها ان كتاب الله لم يكن عند نزوله معرباً ، فلما جعل الإعراب من
سمات العربية ، أعرب وفقاً لقواعده . وساق دليلاً على رأيه هذا ما ورد من
آراء بهذا الموضوع للفرّاء (٢٠٧هـ) . وهو يرى ان علماء العربية استنبطوا قواعد
الإعراب من الشعر ومن لغات الأعراب ، ثم ضبطوا بها النص القرآني بموجبها ،
وبذلك سعوا لخدمة القرآن^٢ .

وقد خالف (كاير) « R. Geyer » و (نولدكه) « Th. Nöldeke » رأى
(فولرس) ، وذهب الى أن ما ذهب اليه من أن القرآن لم يكن معرباً ، ثم
أعرب ، رأي لا يؤيده دليل ، لا من حديث ولا من خبر أو لغة ، وذهب الى
احتمال حدوث اختلاف في القراءات ، بسبب كون الحروف صامتة ، فلما كان
الرسول يتلو القرآن ، وكان الصحابة يدونونه بحروف صامتة ، لا حركات فيها
ولا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها من بعض ، وقع اختلاف في التلفظ
بسبب عدم وجود الحركات ، ووقع اللحن من بعضهم في القراءة ، ولكن القرآن
معرب ، وآية ذلك وجود آيات عديدة لا يمكن فهم معانيها إلا بقراءتها معربة^٣ .

ففي القرآن آيات لا تترك مجالاً للشك في أنه نزل معرباً ، ففي آية « إنما
يخشى الله من عباده العلماء »^٤ ، وفي آية « أن الله بريء من المشركين ورسوله »^٥ ،
وآية « وإذا ابتلى إبراهيم ربه »^٦ ، وآية « وإذا حضر القسمة أولوا القربى »^٧ ،
وغیرها ، براهين واضحة تفيد أن موقع الكلم فيها كان معرباً ، وأن هذا التركيب
الذي تختلف معانيه باختلاف تحريك أواخر كلمه ، لا بد وأن يكون كلاماً معرباً

١ K. Vollers, Volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien.

Strassburg, 1906, Shorter Ency., p. 276.

٢ يوهان فك ، العربية (٥ حاشية) .

Shorter Ency., p. 276.

٣ سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

٤ التوبة ، الآية ٣ .

٥ البقرة ، الآية ١٢٤ .

٦ النساء ، الآية ٨ .

في أصله ، وليس من التراكيب التي أصلحت فيما بعد وفقاً لقواعد الإعراب^١ .
وروي ان أعرابياً سمع إماماً يقرأ : « ولا تُنْكِحُوا » المشركين حتى يؤمنوا ،
بفتح تنكحوا ، فقال : سبحان الله هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ! فقل
له : إنه لحن والقراءة : « ولا تُنْكِحُوا » ، فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه
بعدها إماماً ، فإنه يحل ما حرم الله^٢ .

والعربية المحضنة ، هي عربية معربة ، فيها كل خصائص الإعراب ، غير ان
الإعراب يتباين فيها بعض التباين بحسب تباين اللهجات ، نقول ذلك استناداً الى
ما ضبطه علماء اللغة من وجوه الاختلاف بين لغات العرب . ونرى أثر الإعراب
في النص المعروف بنص (حران) لصاحبه (شرحيل بن ظلمو) (شرحيل بن
ظالم) ، ففي جملة (بنيت ذا المرطول) الواردة فيه ، والمكتوبة بصيغة المفعولية
بنصب لفظه (ذا) لوقوع الفعل عليها ، دلالة على وجود الإعراب في لغة هذا
النص . أما جملة (انا شرحيل بر ظلمو) ، فقد دونت وفقاً لقواعد النبطية
لا العربية الفصيحة ، مما يدل على تأثر الكاتب باللهجة النبطية .

أما بالنسبة الى عربية المسند ، فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجود من يتكلم
بها على نحو ما كانت في الجاهلية من الصفاء والأصالة ، ولأن المسند لا يستعمل
الحركات في الكتابة ولا أية علامة تدل على تغير أواخر الكلمات ، فلا ندري كيف
كانوا يحركون أواخر الكلم ، وعلى معرفة هذه الحركات يتوقف بالطبع معرفة
وجود الأعراب من عدم وجوده في لهجة من اللهجات .

وأما بالنسبة الى النبطية ، وهي لهجة عربية شمالية ، أقرب الى العربية الفصحى
من العرييات الجنوبية ، فقد ذهب الباحثون في قواعدها ، الى أن أواخر الكلمات
فيها ، تتغير فيها بحسب مواقعها من الإعراب ، حتى ذهب بعضهم الى وجود
الحركات فيها ، وهي الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب ، والكسرة
في حالة الجر ، غير أنهم لم يكونوا يعقبون هذه الحركات بالنون .

والإعراب وإن سقط اليوم من لغاتنا الدارجة ، ومن لهجات الأعراب ، غير
أن هنالك قبائل في جزيرة العرب ، لا تزال تتكلم بلهجة عربية معربة ، إعرابها

١ يوهان فك ، العربية (٣ وما بعدها) .

٢ عيون الاخبار (١٦٠ / ٢) .

موافق لإعراب هذه العربية الفصحى . ونحن نأسف لأن علماء العربية في هذا اليوم ، لم يهتموا حتى الآن بدراسة لهجات هذه القبائل ، ودراسة أصولها وأنسابها ، ولم يعتنوا بوضع خريطة بمواضع القبائل موزعة على حسب لهجاتها وخصائص ألسنتها ، في الماضي وفي الحاضر ، مع ان في وضع هذه الخرائط أهمية كبيرة في تعيين لغات العرب ، وفي كيفية تثبيت المناطق التي انتشرت فيها العربية الفصحى ، والمناطق التي لا تزال تتحدث بها بطبيعتها ، لا عن دراسة وتمرين .

والعربية لغة واسعة ، « قال بعض الفقهاء : كلام العرب لا يحيط به إلا نبي »^١ . و « أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير »^٢ . وفي كلام علماء اللغة هذا حق ، فالألفاظ وهي مادة اللغة وسداها ولحمتها لا يمكن أن يساير عمرها عمر اللغة ، فمنها ما يموت ، لذهاب الحاجة إليه ، ومنها ما يقل استعماله فيهمل ، ومنها ما يولد ، لظهور الحاجة إليه ، وقد تتبدل معاني الألفاظ وتتغير ، الى غير ذلك من أمور تطرأ على الألفاظ بحث عنها علماء اللغة ، وهي لا تدخل في موضوعنا هذا ، في هذا المكان .

هذا وليس من السهل على أحد التحدث في هذا الوقت عن مبدأ نشوء العربية الفصحى ، وعن الأدوار التي مرت عليها حتى بلغت المرحلة التي وصلت إليها بتثبيتها في القرآن الكريم . وذلك بسبب عدم وجود نصوص جاهلية مدونة بهذه اللهجة . فالقرآن الكريم هو الذي ثبتها وعرفنا عليها ، وبفضل كونه كتاباً مقدساً أقبل العلماء على دراسة لغته ، واضطروا على جمع قواعدها ، فصارت لغتنا الفصحى ، أما الشعر الجاهلي ، فمع أنه أقدم عهداً من القرآن ، لكنه ثبت ودون بعده ، إذ لم يصل إلينا حتى الآن أي أثر منه مدون تدويناً جاهلياً ، ولهذا فالقرآن والشعر هما أقدم ما عندنا من نصوص بهذه العربية في النثر وفي النظم ، ولولاهما لما كان في وسعنا الوقوف عليها .

ولعريتنا بعد ، في نظر علماء العربية خصائص ومميزات ، ميزتها كما يقولون عن بقية اللغات منها : اتساعها من حيث المفردات ، ومنها تخصصها دون غيرها

١ المزهري (٦٤/١) ، الصاحبى (٤٧) .
٢ المزهري (٦٦/١) .

على حدّ قولهم بالاعراب ، ومنها ، تفردوا بالترادفات ، وبالأضداد ، أضف الى كل ذلك اتساع حجم قواعد نحوها وصرفها . قال (ابن فارس) : « فلما خصّ — جل ثناؤه — اللسان العربي بالبيان علّم ان سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه . فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كل من افهم بكلامه على شرط لغته فقد بين ، قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أنحس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يُسمى متكلماً ، فضلاً عن أن يسمى بيناً أو بليغاً .

وإن أردت أن سائر اللغات تبين لإبانة اللغة العربية فهذا غلط ، لأننا لو احتجنا الى أن نعبر عن السيف وأوصافه بالفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذلك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ « ١ .

المترادفات :

وفي العربية ألفاظ عديدة يراد بها معنى واحد ، فللعسل (٨٠) اسماً ، وللأسد (٣٥٠) ، وقيل (٥٠٠) ، وقيل (٦٧٠) ، وللحية (٢٠٠) ، وقيل (٥٠٠) ، وللدهية (٤٠٠) ، وقيل أربعة آلاف ، وللحجر (٧٠) ، وللكلب (٧٠) ، ولل سيف (٣٠) ، وقيل (١٠٠٠) ، وللناقة (٢٥٥) ، وللبعير (١٠٠٠) ، وللشمس (٥٢) ، وللخمر (١١٠) ، وقيل (٢٠٠) ، وللبر (٨٨) ، وللماء (١٧٠) وغير ذلك ، وخاصة ما يدخل في باب الصفة ، وما يدخل في باب الميل الجنسي ، فلا تكاد تتصفح مادة في معجم ، حتى تصيب من مترادفاته لفظاً أو أكثر^٢ .

ويقال لهذه الألفاظ التي تدل على شيء واحد : (المترادفات) . والمترادف

١ الصاحبي (٤٠ وما بعدها) .

٢ الرافعي (١٩٣/١) ، المزهر (٤٠٧/١) ، « جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين » « حفظت للحجر سبعين اسماً » ، الصاحبي (٤٤) .

أن تكون أسماء لشيء واحد ، وهي مولدة ومشتقة من تراكم الأشياء^١ . وعرف بعض العلماء المترادف ، بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد^٢ . ولعلماء اللغة كلام في المترادفات . منهم من يقول بالمترادفات ، وبأن الألفاظ وإن اختلفت فإنها ترجع الى معنى واحد ، ومنهم من أنكر الترادف ، وزعم ان كل ما يُظن من المترادفات ، فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات^٣ ، وان في كل واحدة معنى منها معنى ليس في الأخرى^٤ . ومن قال بالترادف ، نظر الى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع نظر الى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات . وجعل بعضهم هذا قسماً آخر ، سماه المتكافئة^٥ .

والذين ينكرون الترادف ، يقولون : إن كثرة الألفاظ للمعنى الواحد إذا لم تكثر بها صفات هذا المعنى كانت نوعاً من العبث تجل عنه هذه اللغة . ويرون أن كل لفظ من المترادفات فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة ، وان كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ففي كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه^٦ .

وهم يعتبرون المترادفات أسماء تزيد معنى الصفة ، ويختلفون بذلك عن غيرهم ممن أنكر الترادف وقالوا إن الموضوع للمعنى الأصلي اسماً واحداً والباقي صفات له لا أسماء ، فأسماء السيف كلها أصلها السيف وسائر صفات له ، كالهند ، والصارم والعضب وغيرها^٧ ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج ، وكادت تتجرد هذه الألفاظ من تلك الفروق والأوصاف بالاستعمال ، وغلبت عليها الإسمية^٨ .

ومذهب آخر يرى إثبات الترادف ، لكنه يخصه بإقامة لفظ مقام لفظ آخر لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد . كما يقال أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق

-
- ١ تاج العروس (١١٦/٦) ، (ردف) .
 - ٢ المزهر (٤٠٢/١) .
 - ٣ المزهر (٤٠٣/١) .
 - ٤ المزهر (٤٠٥/١) .
 - ٥ المزهر (٤٠٥/١) .
 - ٦ الرافعي (١٩٠/١) .
 - ٧ الرافعي (١٩٠/١) .
 - ٨ محمد هاشم عطية ، الأدب العربي (٣٧) .

الفتق ، وشَعَبَ الصدع ، ونحوها . أما اطلاق الأسماء على المسمى الواحد ، فيسمونه المتوارد : كالخمر ، والعقار ، والليث ، والأسد .

ومنهم من أثبت الترادف مطلقاً بدون قيد ولا اعتبار ، ولا تقسيم ، وعليه أكثر اللغويين والنحاة^١ .

ومن أهم أسباب الترادف في العربية ، ان العرب كانوا قبائل لها لهجات وألسنة مختلفة ، فتباينت بتباين ألسنتها أسماء الأشياء . فالسكين لغة في المدينة ، والمدينة لغة في السكين عند دوس . وفي حديث أبي هريرة : « والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ » ، وذلك حين قدم من دوس ولقي الرسول ، وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولني السكين ، فلم يفهم ما المراد باللفظ ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، فقال : ألمدية تريد ؟ وأشار اليها فقبل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم السكين ، والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ^٢ . فقد تكون قبيلة استعملت كلمة لم تستعملها الأخرى ، أو استعملت غيرها ، خصوصاً وان بعض البيئات الطبيعية والاجتماعية لقبيلة قد تخالف ما للقبيلة الأخرى ، فقبيلة على الساحل وأخرى في جبل ، وثالثة في بادية ، وقد تأخذ قبيلة اسماً من الأعاجم لشيء لم يعرف اسمه عندها فتعربه ، فيكون اسماً له ، وقد تأخذ قبيلة اسماً أو أسماء توجد في لسان قبيلة أو ألسنة قبائل أخرى ، فلما جمع علماء اللغة ألفاظ العربية ودونوها ، ولم يفتنوا الى أصلها ولا الى القبائل التي استعملتها ، ولا الى تأريخها ، لعدم وجود هذا النحو من البحث عندهم في ذلك الوقت ، فدونت على أنها مترادفات ، وهم في ذلك على صواب ، ولكنهم كانوا على خطأ ، من حيث أنهم لم يدركوا انها كانت لغات قبائل ، وان جمعهم للألفاظ ، وإهمالهم الإشارة الى أسماء القبائل المتكلمة بها ، جعلها مترادفات بالمعنى الذي ذهبوا هم اليه . وبذلك اتسعت مادة مفردات المعجم العربي اتساعاً كبيراً ، وهو في حقيقته حاصل جمع لهجات ، أخذ من اختلاف الألسنة ومن مختلف اللهجات ، فضم كله الى معجم العربية ، وظهر على انه مفردات هذه العربية ، لعدم إفصاح علماء اللغة

١ الرافعي (١٩١/١) .

٢ تاج العروس (٢٣٨/٩) ، (سكن) ، الإصابة (٢٠٠/٤) وما بعدها) ، (رقم ١١٩٠) ، الاستيعاب (٢٠٠/٤) وما بعدها) ، (حاشية على الإصابة) ، فجر الاسلام (٥٢) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢١٤/١) .

عن أصل كل مترادف وعن اللسان الذي نطق به في الغالب، فعمي الأمر علينا ،
وصرنا نعتبر هذه الألفاظ التي تقصد مسمى واحداً من المترادفات .

ويرى بعض علماء اللغة أن من أسباب وقوع الترادف أن الصفات قد تتحول
بتفشي الاستعمال وبكثرة ورودها على الألسنة فتتزل هذه الصفات منزلة الحقائق
العرفية^١ . وقد تضخمت كتب اللغة كثيراً بكلمات استعملها الشعراء وصفوا لأشياء ،
فذكرها اللغويون على أنها أسماء لتلك الأشياء ، « فثلاً إذا أطلق شاعر كلمة
الطيبصم على الأسد من الهضم وهو الكسر ، وأطلق عليه آخر الهراس من الهرس ،
وهو الدق ، وضع أصحاب المعاجم الكلمتين على أنهما اسمان مرادفان للأسد^٢ .

ولا يعدّ ثراء لغة بكثرة مفرداتها ومترادفاتها دليلاً على ثراء تلك اللغة ، ولا
إمارة على تقدمها من الناحية العقلية ، فإن اللغة تستمد مادتها من جميع محصولات
اللغة الخاصة بالحرف ، والمهن ، وبالحياة الروحية ، كما تستمدّها من جميع لهجات
القبائل ، وما نجده من كثرة مفردات ومترادفات في العربية ، لا يعود الى كون
هذه العربية لغة قبيلة واحدة ، أو عرب من العرب ، وإنما بسبب كونه حاصل
جمع لغات ، جمعه العلماء من ألسنة متعددة فدوّنوه ، فظهر الشيء الواحد وقد
يكون له عشرة أسماء أو أكثر من ذلك أو أقل حسب كثرة أو ندرة استعماله بين
العرب ، فما كان مألوفاً عندهم ، وكانوا في حاجة ماسة اليه ، وكان استعمالهم
له كثيراً ، وفوائده بالنسبة لهم عديدة ، كثرت مسمياته ، بل مسميات أجزائه
كما كثرت عندهم صفاته ، التي تتحول بمرور الزمن الى أسماء ، ولهذا نجد في
العربية كثرة من الأسماء والألفاظ ، هي في الأصل صفات ونعوت لخصائص
أشياء^٣ .

ومن أمثلة المترادفات في العربية : القمح ، والبر ، والحنطة ، قال علماء
اللغة : القمح : البر ، لغة شامية ، « وأهل الحجاز قد تكلموا بها ، وقد تكرر
ذكره في الحديث . وقيل لغة قبطية^٤ » ، والبر بالضم الحنطة ... قال المتنخل
الهذلي :

- ١ المزهري (٤٠٢/١ وما بعدها) ، الرافعي (١٩٢/١) .
- ٢ فجر الاسلام (٥٤) .
- ٣ بروكلمن (٤٣/١) .
- ٤ تاج العروس (٢٠٨/٢) ، (قمح) .

لا درّ درّتي إن أطعمت نازلکم قرف الحتی وعندي البر مكنوز

قال ابن دريد : « البر أفصح من قولهم الحنطة واحدته بُرة »^١ ، « والحنطة بالكسر البر الحب المعروف »^٢ . وهي في الواقع ألفاظ وردت في لغات ، حين ضبطها علماء اللغة ، فات عليهم أنها لم تكن مستعملة في كل لغات العرب ، وإنما هي في لغات بعض منهم . فالقمح مثلاً ، لفظة وردت في لغات عرب الشام والحجاز ، لأنها من أصل آرامي ، هو (قححو)^٣ ، وقد كان أهل الحجاز في الجاهلية يستوردون القمح من بلاد الشام ، فأبقوا التسمية الآرامية على حالها ، بعد أن أجروا عليها بعض التعديل . وأما (الحنطة) ، فنجد لها مقابلاً في العبرانية هو « Chittah » في العبرانية^٤ ، مما يدل على أن اللفظة كانت مستعملة في العربية الغربية . وأما لفظة (بُر) ، فهي من الألفاظ التي وردت في نص (أبرهة) ، فهي لغة يمانية وحجازية ، وقد نص علماء اللغة على ورودها في لغة أهل الحجاز، وربما أخذوها من أهل اليمن ، الذين عرفوا بزراعتهم للبر قبل الاسلام . ووردت لفظة (بُر) بمعنى حنطة في النص الموسوم بـ « Jamme 670 » إذ ورد فيه : (برم وشعرم على أرضهمو)^٥ ، أي (حنطة وشعير في أرضهم) (حنطة وشعير من أرضهم) .

ومما يكثر في هذه العربية (المشترك) ، وحده : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة . ولعلماء اللغة بحوث فيه ، فمنهم من يؤيد وقوعه ومنهم من ينكر : ومن المشترك : العم ، فالعم أخو الأب ، والعم : الجمع الكثير ، ومشى ، فشى يمشي من المشي ، ومشى إذا كثرت ماشيته ، وللنوى مواضع ، وللروبة والرؤية معان ، وللأرض معان ، ولللفظة الهلال معان ، ولللفظ العين معان كثيرة ومواضع عديدة ، إلى غير ذلك من ألفاظ تجدها في كتب اللغة^٦ .

- ١ تاج العروس (٣٨/٣) ، (بر) .
- ٢ تاج العروس (١٢١/٥) ، (حنط) .
- ٣ غرائب اللغة (٢٠٢) .
- ٤ راجع سفر التكوين ، الاصحاح ٣٠ ، الآية ١٤ ، سفر الخروج ، الاصحاح ٣٤ ، الآية ٢٢ ، الأصل « العبري » .
- ٥ السطر ٢٦ - ٢٧ من النص .
- ٦ المزهري (١/٣٦٩) ، (النوع الخامس والعشرون) .

وفي العربية : الأضداد . وهو أن يكون للكلمة معنى ، ثم يكون لها معنى آخر مضاد له . وهو ما اتفق لفظه واختلف معناه ، مثل جلل للكبير والصغير ، وللعظيم وللحقير . ومثل الجون ، للأسود والأبيض . والقوي ، للقوي والضعيف ، والرجاء للرغبة والخوف . والبسل للحلال والحرام . والناهل للعطشان ، والناهل الذي قد شرب حتى روي . والسدفة في لغة تميم : الظلمة ، والسدفة في لغة قيس : الضوء . واللمق : الكتابة في لغة بني عقيل ، والمحو في سائر قيس . والجادى : السائل ، والمعطي . والرس : الإصلاح بين الناس ، والإفساد أيضاً . والشرى : رُذال المال ، وأيضاً خياره . الى غير ذلك من أمثلة ذكرها علماء العربية ^١ .

ولبعض علماء العربية قصة يضربونها مثلاً على الأضداد ، فيقولون : « خرج رجل من بني كلاب ، أو من سائر بني عامر بن صعصعة ، الى ذي جدن ، فأطلع على سطح ، والملك عليه ، فلما رآه الملك اختبره ، فقال له : ثبّ أي اقم . فقال : ليعلم الملك لاني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح : فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ! إن الوثب في كلام نزار الطمر . فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ؛ من ظفر حمر . أي من أراد أن يقيم بظفار فليتكلم العربية ^٢ . ورواها (السيوطي) في كتابه (المزهر) الذي أخذت منه القصة بهذا الشكل أيضاً : « وروي أن زيد بن عبدالله بن دارم ، وفد على بعض ملوك حير ، فألقاه في مُتصيد له على جبل مشرف ، فسلم عليه واثنسب له ، فقال له الملك : ثبّ ، أي اجلس ، وظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل ، فقال : ستجدني أيها الملك مطوعاً ؛ ثم وثب من الجبل فهلك . فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة . فقال : أما إنه ليست عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر . أي فليتعلم الحميرية ^٣ . وذكر أن « عامر ابن الطفيل (قدم على الرسول ، فوثبه وسادة ، والوثاب الفراش بلغة حير .

١ المزهر (٣٨٧/١) ، (النوع السادس والعشرون : معرفة الأضداد) .

٢ المزهر (٣٩٦/١) وما بعدها) .

٣ المزهر (٢٥٦/١) وما بعدها) ، تاج العروس (٤٩٩/١) ، (وثب) ، الصاحبى (٥١) ، الفائق (١٤٤/٣) .

وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو موثبان، يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو^١. ومن الأضداد ألفاظ قليلة ، واضحة الضدية يطلقها الناس على الضد لاعتبارات لديهم ، مثل اطلاق لفظة (البصير) على الأعمى ، و (السليم) على اللديغ . ولعلماء العربية بحوث وآراء في علة ظهور الأضداد . منهم من يرى ان الحرف اذا وقع على معنيين متضادين ، فالأصل للمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك الصريم ، يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع . وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره^٢ ، فلما سجل علماء اللغة مفردات الألفاظ لم يسجلوا في الأكثر اسم القبيلة أو القبائل التي كانت تنطق بها ، فظن أن هذا التضاد هو مما وقع هذه العربية ، وانما هو في الأكثر حاصل جمع لغات .

وقد أنكر ناس مذهب الأضداد ، ومذهبهم ان الشيء لا يمكن أن يدل على الشيء وضده ، وأن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد ، ومن هؤلاء : (أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه) ، (توفي نيف وثلاثين وثلاثمائة) ، وهو من علماء البصرة ومن المتعصبين لأهل البصرة ، وهو صاحب مؤلف في الأضداد ، ذكره (ابن النديم)^٣ ، فهو ممن ذهب الى انكسار الأضداد ، وأثبته آخرون قائلين : يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد من قبيلتين . وأن المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين^٤ . ومن المثبتين له : قطرب ، وابن الأنباري ، و (ابن فارس) ، وغيرهم^٥ .

وقد ألفت في الأضداد قوم من العلماء ، منهم : أبو علي محمد بن المستنير ، ويقال أحمد بن محمد ، ويقال الحسن بن محمد ، المعروف بقطرب المتوفى سنة

-
- ١ الصاحبى (٥١) .
 - ٢ المزهر (٤٠٠/١) وما بعدها .
 - ٣ الفهرست ٩٩ وما بعدها ، المزهر (٣٨٧/١) .
 - ٤ المزهر (٣٩٦/١) .
 - ٥ المزهر (٣٨٧/١) .
 - ٦ المزهر (٣٨٧/١) وما بعدها .

(٢٠٦) للهجرة ، فله كتاب في هذا الموضوع ، يسمى : كتاب الأضداد ، كما أن له كتاباً مهماً في علل النحر ، اسمه كتاب العلل في النحر ، وله مؤلفات أخرى ذكرها (ابن النديم)^١ . ومنهم (الأصمعي)^٢ ، و (التوزي) ، وهو (أبو محمد عبدالله بن محمد بن هارون) المتوفى سنة (٢٤٠ هـ)^٣ ، و (ابن السكيت)^٤ ، و (السجستاني)^٥ ، وابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) ، صاحب مؤلف في الأضداد دعاه (ابن النديم) كتاب الأضداد في النحر . وهو ممن اشتغل بجمع دواوين من أشعار العرب الفحول^٦ ، وغيرهم .

وعدت علماء اللغة القلب ، والإدغام ، والابدال من خصائص العربية التي امتازت بها على اللغات الأخرى^٧ . وهي أمور تحتاج الى دراسة عميقة ، لأن دراسة علماء اللغة لها ، لم تنبعث عن دراسات علمية لبقية اللهجات ، ثم انها ملاحظات سطحية أخذت من أشخاص ، وليس من دراسة لقبيلة كلها ، إذ كان ذلك إذاك لأمراً غير ميسور ولا ممكن . ولو درسنا الأمور المذكورة ، نجد انها حاصل لهجات ، لا من تبديل شخص لحرف أو قلبه حرفاً أو ما شاكل ذلك ، واتباع الناس بعد ذلك له .

ومما يلاحظ في هذه العربية هو كثرة ما فيها من جموع التكسير . وقد نجد فيها لفظة واحدة ، وقد جمعت في عدة جموع ، وهو دليل في نظري على انه من بقايا اللهجات . فلما شرع العلماء بالتدوين ، وراجعوا الشعر والأخبار ، والأعراب ، وجدوا أمامهم جموعاً لكلمة واحدة ، فسجلوها دون أن يشيروا الى الجهة التي أخذوا الجمع منه ، والى قبيلة الأعرابي الذي نطق لهم به ، فظن انها جموع هذه العربية ، ولا يعقل أن تكون كل هذه الجموع حاصل لغة واحدة . وهي

-
- ١ الفهرست (٨٤) ، المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٢ الفهرست (٨٨) ، المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٣ المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٤ الفهرست (١١٤) ، المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٥ الفهرست (٩٣) ، المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٦ الفهرست (١١٨) ، المزهر (٣٩٧/١) .
 - ٧ الصاحبى (٤٠ وما بعدها) .

سماعية سمعت من أبناء القبائل فجمعت ، وهي لم تخضع لذلك لأحكام القياس والقواعد المألوفة .

ومن هذا القبيل بعض الجموع الملحقه بجمع المذكر السالم ، مثل : أرضون ، وأهلون ، وعالمون ، وسنون ، ومثون ، وعضون ، وعزون ، فهذه من بقايا قواعد قديمة ، ترجع الى لهجات ، حين شرع علماء اللغة في تدوينها لم يفتنوا الى تدوين اسم اللسان الذي نطق بها .

وطبيعي أن تكون العربية فقيرة في الألفاظ التي لا تدخل معانيها في ضمن حياة أهلها ، كألفاظ الترف التي ينعم بها المنغمسون في الحضارة ، والألفاظ المستعملة في الحكومات وفي أنواع الدواوين والصناعات وما شاكل ذلك مما يكون عند الحضرة ، ولا يألفه أهل الوبر ، لعدم وجوده عندهم ، ولكن العربية ، إذا شعرت بالحاجة إليها ، أو اضطرت الى استعمالها ، أخذ أهلها أسماءها عن يعرفها ، واستعملوها معربة أو بأصولها في لغتهم ، ومن هنا كثرت الدخيل في العربية في الإسلام^١ .

وحيث أن اللغة دلالة على طراز حياة الأمة وعلى مقدار درجة حياتها العقلية ، نجد العربية غنية غنى مفرطاً في الحدود التي رسمتها لهم بيئتهم ، فهم أغنياء في الجمل ، يعرفون كل جزء منه ، وقد وضعوا ألفاظاً لكل عضو من أعضائه مهما دق فيه . وهم أغنياء فيما يتعلق بالصحراء وفي المطر ، وفي كل شيء يتصل بحياتهم ، فهي من هنا لغة تمثل عقلية المتكلمين بها ، غلبت مصطلحات البداوة فيها على مصطلحات الحضارة ، سنة كل أمة تكون حياتها على هذا النمط من المعيشة .

وليست اللغة العربية غنية بمفرداتها فحسب ، بل بقواعد نحوها وصرفها أيضاً ، فمجموع التكسير وأحياناً الأفعال كثيرة كثيرة زائدة عن الحاجة^٢ . وهي « غنية باشتقاقها وتصريف كلماتها ، فوضع صيغة فعلية لكل زمن ، والمشتقات العديدة للدلالة على أنواع مختلفة من المعاني والأشخاص ، كل هذا يشعرونا شعوراً تاماً بغنى اللغة وصلاحياتها للبقاء^٣ .

-
- ١ فجر الاسلام (٥٥) .
 - ٢ فجر الاسلام (٥٤) .
 - ٣ فجر الاسلام (٥٥) .

وليس غنى العربية بالمفردات بدليل حتمي على سعة هذه اللغة . وإنما هو غنى نتج من حاصل لغات العرب ومن كثرة تعدد لهجاتهم . فلما كانت القبائل تتصل بعضها ببعض وتكوّن مجموعات وكتل وأحلاف سياسية ، للدفاع عن نفسها وللغزو ، ولما كان الشعراء وسادات القبائل وغيرهم ، يزورون غيرهم ويتنقلون من مكان الى مكان ، وقد يقيمون اقامة طويلة في مكان ما ، يجاورون ويوالون ، اشتبكت ألسنتهم ، فأخذت وأعطت ، وزاد هذا الاشتباك حدة ، تنافس المناذرة والغساسنة على الزعامة ، وتدخل الروم والفرس والحش في شؤون جزيرة العرب ، ويحيي المبشرين النصارى الى القبائل للتبشير بينها ، واختلاط اليهود بالعرب ، وهم أصحاب دين ، واختلاط التجار الأعاجم بالعرب في السواحل وفي البواطن ، وسفر أهل القرى وسادات القبائل الى الشام والعراق للتجارة وللزيارة وللترويح عن النفس ، وأمثال ذلك ، فكان أن أوجد كل هذا المذكور وغيره وعياً وحساً وشعوراً بوجود التكتل والتجمع وبأنهم من أمة واحدة ، وبأن في حياتهم التي يحيونها من جميع نواحيها ما يحتاج الى اصلاح وتغيير ونظر . وقد تجسد هذا الوعي في لغاتهم التي تقاربت ، وفي آراء الأحناف وأصحاب الرأي ، وفي أقوال الحكماء ولا سيما المتأهين والمتعقلين منهم ، وفي الشعر الجاهلي ، ولا سيما في شعر أولئك الشعراء الذين زاروا الحضر واتصلوا بأهل الحضارة ، وجالسوا أهل الدبانات واطلعوا على مقالاتهم وآرائهم وكتبهم ، فنجد فيه أثر الأخذ والتأثر ، حتى في استعمال الألفاظ ، إذ سمحوا لأنفسهم باستعمال الألفاظ الأعجمية ، كما في شعر الأعشى وأمية بن أبي الصلت ، الذي أدخل ألفاظاً في شعره غير مألوقة عند العرب .

ثم جاء الإسلام ، بكتاب سماوي ، صار لسانه لسان المسلمين ، فظهرت الحاجة الى التدوين والبحث والتنقيب لشرح كتاب الله وحديث رسوله وتفسير أحكام الله . فكان حاصل ذلك علوم اللسان . من مفردات جمعت من القرآن ومن الحديث ومن الشعر ومن ألسنة العرب ، ضبطت في كتب اللغة والمعاجم ، وكوّنت بذلك هيكل العربية الفصيحة . وهو بناء عملاق لم يعمل من مادة واحدة ، وإنما من مواد أساسية عديدة ، هي لهجات القرآن والشعر ولغات القبائل التي رجّع علماء اللغة الى أفرادها واليها للأخذ منها ، فهذا الغنى الملحوظ في مفردات العربية الفصحى ، إذن هو غنى سببه كونه حاصل لغات قبائل ، لا حاصل لغة واحدة أو لسان عربي معين .

وتولدت في الاسلام معان خاصة لألفاظ جاهلية غلبت عليها واختصت بها ،
والى معانيها الجديدة قصد في الاسلام ، كما ماتت ألفاظ جاهلية أماتها الاسلام ،
بسبب انها كانت تؤدي معاني خاصة بالنسبة لذلك الوقت ، فقد روي ان النبي
قال : « لا تقولوا دعدع ولا لعل ، ولكن قولوا : اللهم ارفع وانفع . فلولاً
أن للكلمتين معنى مفهوماً عند القوم ما كرهها النبي »^١ ، وروي انه نهى عن
قول : خبثت نفسي ، واستأثر الله بفلان^٢ .

ومن الألفاظ الاسلامية : المؤمن ، والمسلم ، والكافر ، والمنافق^٣ ، ومخضرم ،
وصلاة ، وصوم ، وغير ذلك . ومن الألفاظ التي كانت فرالت يزوليل معانيها :
المرباع ، والنشيطه ، والفضول ، والإتاوة ، والحلوان ، وأبيت اللعن ، والنوافج ،
للإبل تساق في الصداق ، وحجراً محجوراً ، لمعتين : الحرمان ، اذا سئل الانسان
قال : حجراً محجوراً ، والوجه الآخر الاستعاذه^٤ ، وأنعم صباحاً ، وأنعم مساء ،
وأنعم ظلاماً ، وعموا صباحاً ، وعموا ظلاماً ، اذ حل السلام محلها في الاسلام^٥ .
وظهرت الحاجة في الوقت نفسه الى وضع قواعد في نحو وصرف هذه اللغة ،
لصيانة اللسان من الخطأ ، ولتعلم الأعاجم بها كيفية النطق بفصاحة وسلامة بهذا
اللسان الجديد عليهم . فكان ما كان من وضع النحو مستعينين بالأسس النحوية
(الغراما طيقية) ، التي كانت قد وجدت سبيلها الى العراق من أصول قديمة ،
ثم بتتبع كلام العرب وبلاستقراء ، وقياس القواعد بعضها على بعض وبالتعليل ،
يعللون النحو ويعتبرون به كلام العرب ، ثم لم يكتفوا بذلك كله ، فأخذوا دروب
البادية ، للأخذ عن القبائل التي اشتهرت بالفصاحة وبالمحافظة على سلامة لسانها ،
وتلقوا الأعراب الذين يطرأون من البادية على الحضر ، فأخذوا من هؤلاء ومن
هؤلاء علماً كثيراً باللغة وبالشعر وبالعريب وبالنوادر وبكل ما يتصل بالعربية من
أسباب حتى جمعوا ما جمعه من تراث هذه اللغة الخالد في بطون الكتب .

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الصاحبي (٧٠) . |
| ٢ | الصاحبي (٩٢ وما بعدها) . |
| ٣ | الصاحبي (٧٩) . |
| ٤ | الصاحبي (٨٩ وما بعدها) . |
| ٥ | المزهر (٢٩٤/١ وما بعدها) ، (النوع العشرون : معرفة الألفاظ الاسلامية) . |

الفصل السابع والثلاثون بعد المئة

لغات العرب

قال (الطبري) في تفسيره : « كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام »^١ . وأن ألسنتهم كانت كثيرة كثرة يُعجز عن احصائها^٢ . وقد ذكر غيره مثل ذلك ، ذكر أن لغات العرب كانت متباينة ، وأن بعضها كانت بعيدة بُعداً كبيراً عن عريبتنا ، كالألسنة العربية الجنوبية ومنها الحميرية . قال (ابن جني) : « وبعد فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة بن نزار »^٣ ، وقال (أبو عمرو بن العلاء) : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » . وذكر (ابن فارس) ، أن ولد (اسماعيل) ، يريد بهم العدنانية « يعبرون ولد قحطان أنهم ليسوا عرباً ويحتجون عليهم بأن لسانهم الحميرية ، وأنهم يسمّون اللحية بغير اسمها مع قول الله - جل ثناؤه - في قصة من قال : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، وأنهم يسمون الذئب القلوب مع قوله : وأخاف أن يأكله الذئب ... وما أشبه ذلك »^٤ . وقد عرف ذلك الكتبة (الكلاسيكيون) وغيرهم . فذكر مؤلف كتاب

١ تفسير الطبري (٩/١) ، (بولاق) .

٢ تفسير الطبري (١٥/١) .

٣ الخصائص (٣٩٢/١) ، « وقال أبو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عريبتهم بعريبتنا » ، ابن سلام ، طبقات (٤ وما بعدها) .

٤ الصاحبي (٥٥) .

(الطواف حول البحر الأريتري) « Periplus mare Erythrae » أن سكان سواحل البحر الأحمر الذين كانوا يقيمون بين مدينة « Leuke Kome » ، وميناء « Muza » يتكلمون بلهجات مختلفة ولغات متباينة ، قلّ منهم من يفهمها عن الثاني ، وبعضها بعيد عن بعض بعداً كبيراً^١ . وقد عاش مؤلف هذا الكتاب في القرن الأول للميلاد ، والساحل الذي ذكره هو ساحل الحجاز .

وأصبح اليوم من الأمور المعروفة أن أهل العربية الجنوبية كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها في تلك الأرضين ، وهي بلسان مباين لعريتنا ، حيث تبين من دراستها وفحصها أنها كتبت بعربية تختلف عن عربية الشعر الجاهلي ، وبقواعد تختلف عن قواعد هذه اللغة^٢ . وهي لو قرئت على عربي من عرب هذا اليوم ، حتى إن كان من العربية الجنوبية ، فإنه لن يفهم منها شيئاً ، لأنها كتبت بعربية بعيدة عن عربية هذا اليوم ، وقد ماتت تلك العربية ، بسبب تغلب عربية القرآن عليها .

كما عثر في العربية الغربية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب على نصوص معينة ولحيانية وثمودية وغيرها ، وهي مختلفة بعضها عن بعض ، ومختلفة أيضاً عن (العربية) لغة القرآن الكريم .

ومع إدراك الرواة وعلماء اللغة وجود الخلاف في ألسنة العرب ، فإنهم لم يدوتوا اللهجات على أنها لهجات مستقلة ذات طابع لغوي خاص ، لها قواعد نحوية وصرفية ، تختلف اختلافاً متبايناً عن نحو وصرف عربية القرآن الكريم ، وإنما تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام ، وأشياء أصابوها في أشعار العرب مما صحت روايته قُبيل ذلك . أما سواد ما كتبوه ، فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعه منهم ، وهو بلاريب من بقايا اللهجات التي كانت لعهد الجاهلية^٣ .

على أنهم لم يدوتوا من كل ذلك إلا كفاية الحاجة القليلة في تصارييف الكلام أو ما تنهض به أدلة الاختلاف بين العلماء المتناظرين من شواهد في الغريب والنادر وفي القواعد . أما تدوين اللهجات على أنها أصل من أصول اللغة ، وأما تسجيل

١ The Periplus of the Erythraean Sea, 24.

٢ الصفحة (١٣٤) .

٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١/١٢٣ وما بعدها) .

قواعد صرف ونحو تلك اللهجات ، فهذا ما لم يحفل به أحد ، ولم يقدم عليه عالم فيما نعلم من أخبار الكتب التي وصلت إلينا ، لأن أكبر غرضهم من جمع اللغة وتدوينها يرجع الى علوم القرآن والحديث ، ولغتهما اللغة الفصحى ، اللغة التي تعلق على اللغات ، أما ما دونها فلغات دونها في المتزلة والفصاحة ، وألسنة شاذة غير فصيحة ، ليس من اللائق بالعالم إضاعة وقته في البحث عنها ، وفي التنقيب في قواعد نحوها وصرفها ، وهي فوق ذلك لغات بطون وعشائر وقبائل ومواضع ، ليس لها أتباع كثيرون ، وقد أقبلوا على استعمال عربية الاسلام ، وفي إحياء العربيات الأخرى إحياء للجاهلية^١ .

« رأينا علماء اللغة وأهل العربية قد طرحوا أمثلة اختلاف اللغات في كتبهم ، فلا قيمة لها عندهم إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم ، لأنهم لم يعتبروها اعتباراً تاريخياً ، فقد عاصروا أهلها ، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تأريخها لمن بعدهم ، ولو أن منهم من نصب نفسه لجمع هذه الاختلافات وإفرادها بالتدوين بعد استقصائها من لهجات العرب ، وتمييز أنواعها بحسب المقاربة والمباعدة ، والنظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها والتي تتباعد ، وتعيين منازل كل طائفة من جزيرة العرب والرجوع مع تأريخها الى عهدها الأول الذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل أنسابها ، لخرج من ذلك علم صحيح في تأريخ اللغة وأدوار نشأتها الاجتماعية ، يرجع اليه على تطاول الأيام وتقدم الأزمنة ، ولكان هذا يعد أصلاً فيما يمكن أن يسمى تأريخ آداب العرب ، يفرعون منه ويحتدون مثاله في الشعر وغيره من ضروب الأدب .

ولكن القوم انصرفوا عن هذا وأمثاله لاعتقادهم أصالة اللغة ، وإنها خلقت كاملة بالوحي والتوقيف ، وإن أفصح اللهجات إنما هي لهجة اسماعيل عليه السلام ، وهي العربية القديمة الجيدة كما قال سيبويه^٢ .

« وعلى هذا اعتبروا لهجات العرب لعهدهم كأنها أنواع منحطة خرجت عن أصلها القرشي بما طرأ عليها من تقدم العهد وعيب التاريخ ، فلم يجيشوا ببعضها إلا شاهداً على الفصاحة الأصلية في العربية وخلوها من التنافر والشذوذ ، وتعاماً

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١٢٣/١ وما بعدها) .

٢ الرافعي (١٢٣/١ وما بعدها) .

على الذي جمعه من أصول العربية ، وتفصيلاً لكل شيء إلا التاريخ^١ .
 « ومع أن الرواة قد وضعوا كتباً كثيرة ومصنفات ممتعة في قبائل العرب
 ومنازلها وأنسابها وأسمائها واشتقاق الأسماء وألقابها ومدحها وأشعارها وفرسانها
 وأيامها ، ونحو ذلك مما يرجع الى التاريخ المتحدد ، فلو أنهم اعتقدوا اللغات
 بسبب من ذلك ولم يعرفوها بالوصف الديني الثابت الذي لا يتغير في حقيقته ،
 لأجروها مجرى غيرها من آثار التاريخ ، ولكن ذلك الزمن قد طوي بأهله ،
 ولحق فرعه بأصله ، فبقي ذلك الخطأ التاريخي كأن صوابه من بعض التاريخ الذي
 هو حديث الغيب^٢ » .

ويستمر (الرافعي) في حديثه هذا ، فيقول : « نقول هذا وقد قرأنا ما
 بين أيدينا من كتب الفهرست والتراجم والطبقات على كثرتها ، وتبيننا ما يسرد
 فيها من أسماء الكتب والأصناف ، عسى أن نجد من آثار أحد الرواة أو العلماء
 ما يدل على وضع كتاب في تاريخ لهجات العرب وتمييز لغاتها على الوجه الذي
 أومأنا اليه ، أو ما عسى أن نستدل به على أنهم كانوا يعتبرون ذلك اعتباراً
 تاريخياً ؛ ولكننا خرجنا منها على حساب ما دخلنا فيها : صفر في صفر ؛ ولم
 يزدنا تعداد أسماء الكتب علماً بموت هذا العلم وأنه لا كتب له ، للسبب الذي
 شرحناه من اعتبارهم أصالة العربية^٣ » .

وفي كتاب (الفهرست) لابن النديم ، وفي المؤلفات الأخرى أسماء كتب وضعها
 علماء اللغة في اللغات ، من ذلك (كتاب اللغات) ليونس بن حبيب (١٨٣ هـ)
 من علماء العربية ، وكان أعلم الناس بتصاريف النحو^٤ ، و (كتاب اللغات)
 لأبي زيد الأنصاري (٢١٥ هـ)^٥ ، و (كتاب اللغات) للأصمعي (٢١٣ هـ) ،
 (٢١٧ هـ)^٦ ، و (كتاب اللغات) لابن دريد (٣٢١ هـ)^٧ ، و (كتاب

-
- ١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٣٤/١) .
 - ٢ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٣٤/١) .
 - ٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٣٤/١ وما بعدها) .
 - ٤ الفهرست (ص ٦٩) .
 - ٥ الفهرست (٨٧) .
 - ٦ الفهرست (٨٨) .
 - ٧ الفهرست (٩٧) .

اللغات) لأبي عمرو الشيباني (٢١٣ هـ)^١ ، و (كتاب مجرد الغريب) على مثال العين وعلى غير ترتيبه ، « وأوله هذا كتاب ألفه في غريب كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين » ، وهو لعلي بن الحسن ، ويكنى أبا الحسن الهنائي^٢ ، و (كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات) لعمر بن شبة (٢٦٢ هـ)^٣ ، الى غير ذلك من مؤلفات دونت في هذا الباب .

لكننا لا نستطيع أن نتحدث عما عالجته من موضوعات وعما ورد فيها من بحوث ، بسبب اننا لا نملك نسخاً منها ، فلا ندري إذا كانت قد وضعت في خصائص لغات العرب من نحو وصرف ومفردات ، أم أنها ألفت في الشواذ والنوادر وفي الأضداد واختلاف الألفاظ، وما يتعاور الأبنية من الاختلاف الصرفي والنحوي، لأن كل وجه من ذلك إنما هو أثر من لغة . والأصح ، أنها لم توضع في خصائص لغات الجاهليين وفي قواعد نحوها وصرفها لضبطها ، كالذي فعلوه في دراسة عربية القرآن الكريم ، فهذا عمل كبير ، يحتاج الى استقرار وتتبع لألسنة العرب في الجاهلية وعند ظهور الإسلام ، وإنما كانت قد ألفت فيما جاء في الشعر الجاهلي وفي نوادر الأعراب وكلامهم من اختلاف وتغاير وشواذ ، مما يغاير لغة القرآن الكريم . ودليل ذلك ، أننا نرى أن المؤلفات التي نقلت من تلك الكتب في باب لغات العرب ، لم تتحدث بشيء عن أصول نحو وصرف تلك اللغات ، وإنما تحدثت عن أمور ذكرت أنها خرجت فيها على قواعد العربية الفصحى ، وشذت بها عنها ، مما يدل على أن علماء اللغة لم يوجهوا عنايتهم نحو تلك اللغات لدرسها بذاتها دراسة مستقلة ، كما فعلوا بالنسبة للعربية الفصحى وإنما أرادوا إظهار بعض مواضع خلافاً مع العربية ، أو مواضع الاتفاق معها لإثبات قاعدة نحوية أو صرفية ، أو لإظهار سمو هذه العربية وعلوها على العربيات الأخرى من حيث السليقة والذوق والسلامة .

وقد بني سبب إهمالهم اللهجات الأخرى ، على اعتقادهم أنها لهجات رديئة فاسدة ، وأن اللغة الفصحى هي اللغة الوحيدة التي يجب حفظ قواعدها والعناية بها ، لأنها لغة القرآن الكريم ، وأن البحث في اللهجات الأخرى يؤدي الى تثبيت

-
- ١ الفهرست (١٠٧)
 - ٢ الفهرست (١٣٠)
 - ٣ الفهرست (١٦٩)

لغات فاسدة الى جانب لغة الوحي ، ولم يكن هذا عملاً مطاقاً ولا مقبولاً بالنسبة الى ذلك الوقت . ولذلك انحصر عملهم في المجال اللغوي على التوسع والتبسط في هذه اللغة التي أسموها اللغة العالية أو الفصحى ، وعلى ما تحتها من لهجات ، وما اختلفت فيه بعضها عن بعض ، وهي لهجات كانت قريبة من مواطن علماء اللغة ، أما اللهجات البعيدة عنهم ، فلم تنل منهم أية رعاية أو عناية ، ونجد مواضع الاختلاف مسجلة في كتب اللغات والنحو وشواهد في كتب النوادر والغريب ، ومجالس العلماء ، حيث كانوا يتباحثون في أمور اللغة والشعر وأيام العرب وما كان يتلذذ بسماعه الخلفاء والحكام الذين كانوا يثيرون من يستمعون اليه ، مما حمل العلماء وأهل الأخبار على تطلب الغريب والتفسير عن الشارد والمأرب للتفوق به على أصحاب الحرفة المتنافسين فيما بينهم في عرض بضاعتهم على أصحاب الحكم والمال . وأجمل ما ذكره هنا علماء العربية من مواضع اختلاف العرييات الأخرى عن العربية المحضة في الأمور الآتية :

أحدها الإختلاف في الحركات ، نحو نَسْتَعِين ونِسْتَعِين بفتح النون وكسرها . فهي مفتوحة في لغة قريش ، وأسد وغيرهم يكسرها ، ونحو الحِصَاد والحِصَاد . والوجه الآخر ، الإختلاف في الحركة والسكون نحو مَعَكُمْ ومَعَكُمْ . ووجه آخر هو الإختلاف في إبدال الحروف ، نحو : أولئك وأولائك . ومنها قولهم : أن زيداً وعن زيداً .

ومن ذلك : الإختلاف في الهمز والتلين نحو مستهزئون ومُسْتَهْزِؤْنَ . ومنه : الإختلاف في التقديم والتأخير ، نحو صاعقة وصاقعة . ومنها : الإختلاف في الحذف والاثبات ، نحو استحيت واستحيت ، وصددت وأصددت .

ومنها : الإختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً مُعْتَلّاً ، نحو أمّا زيد ، وأبما زيد .

ومنها : الإختلاف في الإمالة والتفخيم مثلل قضى ورمى ، فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل .

ومنها : الإختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله فنهم من يكسر الأول ، ومنهم من يضم ، نحو اشترؤا الضلالة .

ومنها : الاختلاف في التذكير والتأنيث ؛ فإن من العرب من يقول : هذه البقر ، وهذه النخل ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذا النخل .

ومنها : الاختلاف في الإدغام نحو : مهتدون ومُهَدَّون .

ومنها : الاختلاف في الإعراب نحو : ما زيد قائماً ، وما زيد قائم ، وإن هذين ، وإن هذان . وهي بالآلف لغة لبني الحارث بن كعب .

ومنها : الاختلاف في التحقيق والإختلاس نحو : يأمرُكم ويأمرُكم ، وعُفِّيَ له ، وعُفِّيَ له .

ومنها : الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أُمَّةٌ وهذه أُمَّتٌ .

ومنها : الاختلاف في الزيادة نحو : أنظرُ ، وأنظُرُ .

ومن الاختلاف اختلاف التضاد ، وذلك كقول حمير للقائم : ثب ، أي اقم ، وثب بمعنى اقفز^١ .

ومنها الاختلاف في الكلمة ، فقد يقع فيها ثلاث لغات ، نحو : الزُّجَاج ، والزَّجَاج ، والزَّجَاج . وقد يقع في الكلمة أربع لغات ، نحو الصَّدَاق ، والصدَّاق ، والصدقة ، والصدقة . ويكون فيها خمس لغات ، نحو : الشَّمَل ، والشَّمَل ، والشَّمَل ، والشَّمَل . ويكون فيها ست لغات ، نحو : قُسْطَاس ، وقِسْطَاس ، وقِسْطَاس ، وقِسْطَاس ، وقِسْطَاس ، وقِسْطَاس ، ولا يكون أكثر من هذا^٢ .

ومنها الاختلاف في صورة الجمع ، نحو أسرى وأسارى ، ومنها الاختلاف في التحقيق والاختلاس ، نحو يأمرُكم ويأمرُكم ، وعُفِّيَ وعُفِّيَ له . ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أمه وهذه أمت . ومنها الاختلاف في الزيادة نحو : أنظر وأنظور^٣ .

وقد أشار (أبو العلاء) المعري في رسالة الغفران الى أن (عدي بن زيد) العبادي ، كان يجعل (الجيم) (كافاً) ، فيقول : (يا مكبور) يريد (يا مجبور) ، « وهي لغة رديئة يستعملها أهل اليمن . وجاء في بعض الأحاديث

١ المزهري (٢٥٥/١) وما بعدها ، الصاحبى (٤٣ ، ٤٨ وما بعدها) .

٢ المزهري (٢٦٠/١) .

٣ الصاحبى (٥٠) ، المزهري (٢٥٦/١) .

ان الحارث بن هانيء بن أبي شمر بن جبلة الكنسي ، استلحم يوم ساباط ، فنادى : يا حُكْرُ يا حُكْرُ ، يريد يا حجر بن عدي الأدبر ، فعطف عليه فاستنقذه ، ويكب في موضع يجب ^١ . و(الحارث بن هانيء) من كندة ، وهو من الصحابة ، وكندة من العربية الجنوبية في الأصل ^٢ ، فلا يستبعد منه نطق الجيم كافاً على الطريقة المصرية في الوقت الحاضر ، إذ يقول العرب الجنوبيون (هكر) في موضع (هجر) ، ولكن (عدي بن زيد) من (تميم) ، وليست (تميم) من العربية الجنوبية ، ثم إن (المعري) ، يقول عنه : « فيقول عدي بعبادته يا مكبور لقد رزقت ما يكب أن يشغلك عن القريض » ^٣ ، أي : « يا مجبور لقد رزقت ما يجب أن يشغلك عن القريض » فجعل قلب الجيم كافاً من سمات لغة العباديين .

ولخص بعض العلماء الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب ، في سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص : الوجه الأول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسماك وبالعكس ، وكالعهن المنفوش ، قرأها (ابن مسعود) كالصوف المنفوش . الثاني : ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه . الثالث : تقديم وتأخير ما في الكلمة ، نحو : سلب زيد ثوبه ، وسلب ثوب زيد . وأما في الحروف نحو : أفلم يئأس الذين ، وأفلم يئأس . الرابع زيادة حرف أو نقصانه نحو : ماله وسلطانيه ، وفلا تكُ في مِرْية . الخامس : اختلاف حركات البناء نحو نحسين بفتح السين وكسرها . السادس : اختلاف الأعراب نحو ما هذا بشر بالرفع . السابع : التفعيم والإمالة . وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة . والتفعيم أعلى وأشهر عند فصحاء العرب . فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب ^٤ .

وجمع (مصطفى صادق الرافعي) أنواع الاختلاف الواردة في كتب اللغة ، فحصرها في خمسة أقسام :

- ١ رسالة الغفران (٢٠١) .
- ٢ الاصابة (٢٩٢/١) ، (رقم ١٥٠٢) .
- ٣ رسالة الغفران (٢٠٠/١) .
- ٤ تفسير النيسابوري (٢٢/١) ، (حاشية على تفسير الطبري . بولاق) .

- ١ - لغات منسوبة ^٢ملقبة .
- ٢ - لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إبدال الحروف .
- ٣ - لغات من ذلك في تغير الحركات .
- ٤ - لغات غير منسوبة ولا ملقبة .
- ٥ - لغة أو لغة في منطق العرب^١ .

النوع الأول :

وقد عدّه علماء اللغة من مستبشع اللغات ، ومستبشع الألفاظ ، ولذلك أطلقوا على اللغات التي تمارسها : اللغات المذمومة^٢ ، من ذلك :

(الكشكشة) وهي ابدال الشين من كاف المخاطب للمؤنث خاصة ، كعليش ومنش وبش ، في عليك ، ومنك ، وبك ، في موضع التأنيث ، أو زيادة شين بعد الكاف المجرورة . تقول عليكش ، واليكش ، وبكش ، ومنكش ، وذلك في الوقف خاصة . ولا تقول عليكش بالنصب . وقد حكى كذا كش بالنصب . وإنما زادوا الشين بعد الكاف المجرورة لتبين كسرة الكاف فتؤكد التأنيث ، وذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقت فاحتاطوا للبيان أن أبدلوها شيئاً ، فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة ، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً . وربما زادوا على الواو في الوقف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً ، فإذا وصلوا حذفوا الجميع وربما ألحقوا الشين فيه . وذكر أن (الكشكشة) في بني أسد وفي ربيعة . « وفي حديث معاوية تياسروا عن كشكشة تميم ، أي ابدلهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث^٣ .

« و الكشكشة في ربيعة ومضر . يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً . فيقولون رأيتكش ومررت بكش . والكسكسة فيهم أيضاً ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها شيئاً في المذكر^٤ . « وورد : « والكسكسة لغة لتميم لا لبكر ، كما

-
- ١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١/١٣٧ وما بعدها) .
 - ٢ الصاجي (٥٣) ، المزهري (١/٢٢٢ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٤/٣٤٥) ، (كشش) ، الصاجي (٥٣) ، المزهري (١/٢٢٢ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، تاريخ آداب العرب (١/١٣٨) ، (لمصطفى صادق الرافعي) ، المزهري (١/٢٢١) .

زعمه ابن عباد ، وإنما لهم الكشكشة بإعجام الشين . هو إلحاقهم بكاف المؤنث سيناً عند الوقف دون الوصل . يقال : اكرمتكس ومررت بكس ، أي أكرمتك ومررت بك . ومنهم من يبدل السين من كاف الخطاب ، فيقول أبوس وأمس ، أي أبوك وأمك . وبه فسر حديث معاوية رضي الله عنه تياسروا عن كسكسة بكر . وقيل : الكسكسة هوازن ^١ . « ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل ويسكنها في الوقف ؛ فيقول : مينش وعليش ^٢ » .

والديش بالكسر : الديك ، لغة فيه عند من يقلب الكاف شيناً ، شبه كافه بكاف المؤنث لكسرتها ^٣ .

وذكر (السيوطي) أن الكسكسة في ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر سيناً ^٤ . وذكر بعضهم أن الكشكشة في لغة تميم ، والكسكسة في لغة بكر . وذكر بعضهم أن الكسكسة لبكر لا لربيعة ومضر، وهي زيادة سين بعد كاف الخطاب في المؤنث لا في المذكر ^٥ .

« والوتم في لغة اليمن ، يجعل الكاف شيئاً مطلقاً . كليش اللهم ليش . ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة ^٦ . وقيل : « الوتم في لغة اليمن ، تجعل السين تاءً كالثلاث في الناس ^٧ » . « والشنشنة في لغة اليمن ، تجعل الكاف شيئاً مطلقاً كليش اللهم ليش ، أي لييك ^٨ » .

وقد استشهد علماء اللغة على الوتم بشعر نسبوه الى (علباء بن أرقم) هو :

يا قبح الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

-
- ١ تاج العروس (٢٣٤/٤) ، (كس) ، الصلحي (٥٣) .
 - ٢ المزهر (٢٢١/١) ، (النوع الحادي عشر) .
 - ٣ تاج العروس (٣١٢/٤) ، (الديش) .
 - ٤ المزهر (٢٢١/١) .
 - ٥ الرافعي (١٣٨/١) .
 - ٦ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) .
 - ٧ المزهر (٢٢٢/١) .
 - ٨ المزهر (٢٢٢/١) .

فاستعمل الناس بدل الناس ، والأكيات بدل الأكياس . ولكن الشاعر من (بكر) لا من حبر^١ .

و « الفحفحة في لغة هذيل ، يجعلون الحاء عيناً . والوكم والوهم كلاهما في لغة بني كلب . من الأول يقولون : عليكم وبكم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة في موضع عليكم وبكم ، ومن الثاني يقولون : منهم وعنهم وبينهم ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة^٢ . » وهم يكمون الكلام بكسر الكاف من يكمون ، أي يقولون السلام عليكم بكسر الكاف^٣ . ومن أمثلة الفحفحة قولهم عياة في موضع حياة ، وعلى لغتهم قرأ (ابن مسعود) عتّى عيين في قوله تعالى : حتى حين . فكتب اليه (عمر) إن القرآن لم ينزل على لغة هذيل ، فأقرىء الناس بلغة قريش^٤ . ومن الفحفحة قولهم : العسن في الحسن ، واللعن في اللحم . وذكر أن ثقيفاً كانت تفحّض في كلامها ، فتقول عتي في موضع حتى . وقد ورد في (تاج العروس) ، أن (الوكم) « لغة أهل الروم الآن »^٥ ، ولعل هذه اللغة إنما جاءتهم من (كلب) ، وهم من عرب بلاد الشام القدماء .

« قال الفرّاء : حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلاً وثقيفاً ، فإنهم يقولون : عتي . قال : وأنشدني بعض أهل اليمامة :

لا أضع الدلو ولا أصلي عتي أرى جلّتها تولي
صوادراً مثل قباب التل^٦

قال أبو عبيدة : من العرب من يقول : أقم عني عتي آتيك ، وأنى آتيك ؛ بمعنى حتى آتيك ، وهي لغة هذيل^٦ .

و (العجمجة) في قضاة كالنعنة في تميم . يحولون الياء جيماً مع العين .

١ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٢٣) .

٢ تاج العروس (٨ / ١) ، (المقصد الخامس) ، المزهر (٢٢٢ / ١) .

٣ تاج العروس (٦٩ / ٩) ، (وكم) .

٤ الفائق (١١٣ / ٢) .

٥ تاج العروس (٦٩ / ٩) ، (وكم) .

٦ الفائق (١١٤ / ٢) .

يقولون : هذا راعج خرج معج ، أي راعي خرج معي^١ . وقيل : « العجمجة في قضاة . يجعلون الياء المشددة جياً . يقولون في تميمي تميمج »^٢. وكانت قضاة إذا تكلموا غمغمو ، فلا تكاد تظهر حروفهم . وقد سمى العلماء ذلك غمغمة قضاة^٣ .

والاستنطاء ، قول أنطى بدل أعطى . « قال الجوهري : هي لغة اليمن : وقال غيره : هي لغة سعد بن بكر . والجمع بينها أنه يجوز كونها لها » ، وقيل : « هي لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار يجعلون للعين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ... وهؤلاء من قبائل اليمن ، ما عدا هذيل . وقد شرفها النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى الشعبي أنه صلى الله عليه وسلم ، قال لرجل : أنطه كذا وكذا ، أي اعطه . وفي حديث آخر أن مال الله مسؤول ومنطى ، أي معطى . وفي حديث الدعاء : لا مانع لما أنطيت . وفي حديث آخر : اليد المنطية خير من اليد السفلى . وفي كتابه لوائل : وأنطوا الشبجة . وفي كتابه لتميم الداري : هذا ما أنطى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخره . ويسمون هذا الانطاء الشريف . وهو محفوظ عند أولاده . وقرئ بها شاذاً إنا انطيناك الكوثر »^٤ .

وعرفت لغة (بهراء) بوجود (التلتلة) بها . وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون ، مثل كسر تاء تعلم ، في موضع الفتح . وكسر التاء من (تكتب)^٥ . وذلك أنهم يكسرون أحرف المضارعة مطلقاً . « ونسب ابن فارس في فقه اللغة هذا الكسر لأسد وقيس ، إلا أنه جعله عاماً في أوائل الألفاظ ، فقل له بقوله : مثل تعلمون وتعلم وشيعير وبيعير »^٦ .

وعرفت « القطعة في لغة طيء : وهي قطع اللفظ قبل تمامه ، فيقولون في

-
- ١ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، (٧١/٢) ، (عج) ، المزهر (٢٢٢/١) .
 - ٢ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، المزهر (٢٢٢/١) .
 - ٣ الرافعي (١٣٩/١) .
 - ٤ تاج العروس (٣٧٢/١٠) ، (نطا) ، المزهر (٢٢٢/١) .
 - ٥ تاج العروس (٢٤١/٧) ، (تل) .
 - ٦ الرافعي (١٤٠/١) .

مثل يا أبا الحكم : يا أبا الحكا . وهي غير الترقيم المعروف في كتب النحو ، لأن هذا مقصور على حذف آخر الاسم المنادى ، أما القطعة فتتناول سائر أبنية الكلام^١ .

ومن لغة تميم كسر الشين في شهيد ، وكذا كل فعيل حلقي العين سواء كان وصفاً كهذا ، واسماً جامداً كرغيف وبعير . « قال الهمداني في اعراب القرآن : أهل الحجاز وبنو أسد يقولون رحيم ورغيف وبعير بفتح أوائلهن . وقيس وربيعه وتميم يقولون : رحيم ورغيف وبعير بكسر أوائلهن . يقال السهيلي في الروض : الكسر لغة تميم في كل فعيل عين فعله همزة أو غيرها من حروف الحلق ، فيكسرون أوله كرحيم وشهيد . وفي شرح الدرديدية لابن خالويه : كل اسم على فعيل ثانيه حرف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين كبعير وشعير ورغيف ورحيم . وحكى الشيخ النووي في تحريره عن الليث أن قوماً من العرب يقولون ذلك وإن لم يكن عينه حرف حلق ككبير وكريم وجيل ونحوه . قلت : وهم بنو تميم كما تقدم^٢ .

ومما اختلفت به تميم عن قريش أنها تذكر السوق والسبيل والطريق والزقاق والصراط والكلاء ، وهو سوق البصرة ، أما أهل الحجاز فذكرون الكل^٣ .

ومن ميزات لهجة تميم ، أنها تنطق بالهمزة إذ وقعت في أول الكلمة عيناً . فيقولون في أسلم عسلم ويسمي العلماء ذلك (العتنة) . « وعننة تميم ابداهم العين من الهمزة . يقولون : عن موضع أن » . « قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم أن ، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عيناً . يقولون أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا الى الألف . وفي حديث قيلة : تحسب عين نائمة ، وفي حديث حصين بن مشمت أخبرنا فلان عن فلاناً حدثه . أي أن فلاناً حدثه . قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : كأنهم يفعلونه لبجح في أصواتهم . والعرب تقول : لأنك ولعنك ، بمعنى لعلك . قال ابن الأعرابي لعنك لبني تميم ، وبنو تميم الله بن ثعلبة يقولون رعنك . ومن

١ الرافعي (١/١٤٠) .

٢ تاج العروس (٢/٣٩١) ، (شهد) .

٣ تاج العروس (٦/٣٧١ ، ٣٨٧) ، (زق) ، (ساق) .

العرب من يقول رغتك بمعنى لعلك^١ . « قال الفرّاء : العننة في قيس وتميم .
تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً ، فيقولون في انك عنك وفي أسلم عسلم^٢ . »

وذكر ان العننة في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم ، وقيل في لغة
قضاة أيضاً ، وفي لغة أسد ومن جاورهم ، يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً ،
فيقولون في انك عنك ، وفي أسلم عسلم ، وفي أذن عذن ، وفي ظننت أنك
ذاهب ، ظننت عنك ذاهب^٣ .

ومن مواضع الاختلاف بين لغة أهل الحجاز ، ولغة تميم ، الاختلاف في عمل
ما وليس التافيتين . وتردد الكلمة بين الإدغام والقلك ، وبين الإتمام والنقص ،
أو بين الصحة والإعلال والإعراب والبناء ، فثلاً أهل الحجاز يفكون المثليين من
المضارع المجزوم بالسكون وأمره ، وتميم تقولها بالإدغام ، وخثعم وزبيد تنقص
نون من الجارة ، فيقولون : خرجت ملييت في قولهم : خرجت من البيت
وغيرهم يتمها^٤ .

و (ضللت) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع . وهذه هي اللغة
الفصيحة ، وهي لغة نجد . و « ضللت تضل مثل مللت تمل ، أي بكسر العين
في الماضي وفتحها في المضارع ، وهي لغة الحجاز والعالية . وروى كراع عن
(بني تميم) كسر الضاد في الأخيرة أيضاً . قال اللحياني : وبها قرىء قوله
تعالى : قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي . الأخيرة قراءة أبي حيوة ، وقرأ
يحيى بن وثاب اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد . وهي لغة تميم . قال ابن سيده :
وكان يحيى بن وثاب يقرأ كل شيء في القرآن ضللت وضللنا بكسر اللام . ورجل
ضال تال^٥ . و (الضلالة والتلالة)^٦ .

واللخاخانة العجمة في المنطق ، وهو العجز عن ارداف الكلام ببعضه ببعض .
ورجل لخلخاني غير فصيح . ويعرض ذلك في لغة أعراب الشحر وعمان . كقولهم

- ١ تاج العروس (٢٨٣/٩) ، (عنن) .
- ٢ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس في بيان الافصح) .
- ٣ المزهر (٢٢١/١) ، الصاحبي (٥٣) .
- ٤ محمد هاشم عطية ، الأدب العربي وتاريخه (٣٩) .
- ٥ تاج العروس (٤١١/٧) ، (ضلل) .
- ٦ تاج العروس (٢٤١/٧) ، (قل) .

في ما شاء الله مشا الله^١ . والطمطانية تعرض في لغة حير ، كقولهم طابم هوا ، أي طاب الهواء^٢ . « وطمطانية حير بالضم ما في لغتها من الكلمات المنكرة ، تشبيهاً لها بكلام العجم . وفي صفة قریش ليس فيهم طمطانية حير ، أي الألفاظ المنكرة المشبهة بكلام العجم »^٣ . وذكر أن الطمطانية كانت أيضاً عند بعض عشائر طيء ، « وهي ابدال لام التعريف ميأ . فيقولون في السهم والبر والصيام : امسهم ، وامبر ، وامصيام ، وهذا ليس ابدالاً ، وإنما هي لهجة يمنية ، إذ كانوا يُعرفون بالألف والميم ، ولعل في ذلك ما يدل على صحة ما ذهب إليه النسابة من أن طيء قبيلة يمنية »^٤ . ولكن حير لا تعرف بالألف والميم ، وإنما تعرف بـ (ان) (ن) ، تضع هذه الأداة في آخر الكلمة التي يراد تعريفها . ولهذا ، أخطأ من ذهب الى أن هذه الطمطانية ابدالاً ، أو « ليس ابدالاً » ، وإنما هي لهجة يمنية ، إذ كانوا يعرفون بالألف والميم^٥ ، لما ذكرته مسن أن التعريف يلحق في الحميرية أواخر الكلم ، ولا يكون في أولها ، ويكون بالأداة (ن) (ان) ، لا بالألف واللام ، كما هو الحال في عربيتنا ، وإن التنكير عندهم يكون بإلحاق حرف (الميم) أواخر الألفاظ التي يراد تنكيرها ، ولم يصل الى علمي أن أحداً من الباحثين عثر على نص جاهلي في العربية الجنوبية عرف بـ (ال) أداة التعريف في عربية القرآن الكريم .

ومن الشائع بين الناس ، أن الرسول قال : « ليس بمبرم صيامم فم سفر » ، أي « ليس من البر الصيام في السفر »^٦ ، وعندني ان هذا الحديث من الأحاديث الضعيفة أو المكدوبة ، وقد وضع ليكون شاهداً على (الطمطانية) المذكورة ، جاءوا به شاهداً على تكلم الرسول بلسان حير ، ولكن لسان حير لم يكن يعرف الغير معرف بهذه الأداة من التعريف ، وقد يكون لهجة من لهجات بعض القبائل على نحو ما نسب الى بعض عشائر طيء ، كما ذكرت ذلك قبل قليل .

-
- ١ تاج العروس (٢٧٧/٢) ، (لخ) ، المزهر (٢٢٣/١) .
 - ٢ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، « طاب امهواء : أي طاب الهواء » ، المزهر (٢٢٣/١) ، (معرفة الردى المذموم من اللغات) .
 - ٣ تاج العروس (٣٨١/٨) ، (طم) .
 - ٤ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٢٣) .
 - ٥ شوقي ضيف (١٢٣) .
 - ٦ تاج العروس (٣٧/٣) ، (برر) .

ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة . ومنهم من يستعمل الحرف الذي بين القاف والكاف كما في لغة تميم ، والذي بين الجيم والكاف في لغة اليمن ، وإبدال الياء جيماً في الاضافة نحو غلامج ، وفي النسب نحو بصَّرَج وكوفج^١ . ومن ذلك الحرف الذي بين الباء والفاء ، مثل بور اذا اضطروا قالوا : فور^٢ .

ومن النوع الثاني ، وهو الخاص بلغات منسوبة غير ملقبة عند العلماء : إبدال (فقيم) الياء جيماً ، ولغتهم في ذلك أعم من لغة قضاة التي مرت في النوع الأول ، لأنها غير مقيدة ، فيقولون في بُحْتَى وعليّ ؟ بُحْتَجْ وعَلَجْ^٣ . وحجتج في حجتى ، وبج في موضع بي . « وقال ابن فارس في فقه اللغة : إن الياء تجعل جيماً في النسب عند بني تميم ، يقولون غلامج ، أي غلامي ، وكذلك الياء المشددة تحول جيماً في النسب ، يقولون بَصَّرَج وكوفج في بصري وكوفي . وعكس هذه اللغة في تميم - على ما نقله صاحب المخصص - وذلك انهم يقولون : صِهْرِي والصهاري ، في صهريج والصهاريج^٤ » .

في لغة مازن يبدلون الميم باءً والباء ميماً ، فيقولون في بكر : مكر ، وفي اطمئن اطمئن ، ويقولون بااسمك ؟ مكان مااسمك ؟

وفي لغة طيء يبدلون تاء الجمع هاءً إذا وقفوا عليها ، إلحاقاً لها بتاء المفرد ؛ وقد سمع من بعضهم : دفن البناه من المكرماه ، يريد : دفن البنات من المكرمات . وحكى قول بعضهم : كيف البنون والبناه ، وكيف الإخوه والأخواه ؟

وفي لغة طيء أيضاً يقلبون الياء ألفاً بعد إبدال الكسرة التي قبلها فتحة ، وذلك من كل ماضٍ ثلاثي مكسور العين ، ولو كانت الكسرة عارضة كما لو كان الفعل مبنياً للمجهول ، فيقولون في رضى وهُدَى : رَضَا وهُدَى ، بل ينطقون بها قول العرب : فرس حَظِيَّة بظيَّة فيقولون : حظاة بظاة ، وكذلك الناصاة ، في الناصية .

ومن لغتهم أنهم يحذفون الياء من الفعل المعتل بها إذا أكَّد بالنون ، فيقولون

١ المزهر (٢٢٢/١) وما بعدها) .

٢ الصاحبى (٥٤) .

٣ الرافعى (١٤١/١) وما بعدها) .

في اخشَيْنَ وارمينَ : اخشنَ وارمنَ . وجاء في الحديث على لغتهم : « لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجللحاء من الشاة القرناء تنطحها » . وتنسب هذه اللغة الى فزارة أيضاً .

وورد في بعض الروايات أنهم يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاءً ، فيقولون هينَ فعلت ، يريدون إن فعلت^١ .

وورد أن بعض (طيء) كان يقلب (العين) همزة ، فيقول : دأني بدلاً من دغني .

وفي لغة تميم أنهم يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي إذا كانت عينه ياءً على أصل الوزن بدون حذف ، فيقولون في نحو مَبِيع : مبيوع ، ولكنهم لا يفعلون ذلك إذا كانت عين الفعل واواً إلا ما ندر ، بل يتبعون فيه لغة الحجازيين ، نحو : مقول ، ومصوغ .

وفي لغة هذيل لا يبقون ألف المقصور على حالها عند الاضافة الى ياء المتكلم ، بل يقلبونها ياءً ثم يدغمونها ، توصلًا الى كسر ما قبل الياء ، فيقولون في عصاي وهواي : عَصَيَّ وهَوَيَّ . ولا يفعلون ذلك إذا كانت الألف في آخر الاسم للتثنية ، كما في نحو (فَتَيَّاي) ، بل يوافقون اللغات الأخرى .

وفي لغة فزارة وبعض قيس ، أنهم يقلبون الألف في الوقف ياءً ، فيقولون : الهدى وأفعى وحبل ، في مكان الهدى وأفعى وحبل .

ومن تميم من يقلب هذه الألف واواً ، فيقول : الهدو ، وأفعو ، وحبلو . ومنهم من يقلبها همزة ، فيقول : الهدأ وأفعأ وحبلأ .

في لغة خثعم وزبيد يحذفون نون (مِن) الجارة إذا وليها ساكن . وقد شاعت هذه اللغة في الشعر واستخفها كثير من الشعراء فتعاوروها^٢ .

في لغة (بلحارث) (بلحارث) يحذفون الألف من (على) الجارة واللام الساكنة التي تليها ، فيقولون في على الأرض علأرض .

في لغة قيس وربيعة وأسد ، وأهل نجد من بني تميم ، يقصرون (أولاء) التي يشار بها للجمع ويلحقون بها (لأمأ) ، فيقولون : أولالك .

١ الرافعي (١٤٢/١) .

٢ الرافعي (١٤٣/١) وما بعدها .

في لغات أسماء الموصول :

بلحرت بن كعب وبعض ربيعة يحذفون نون اللذين والذين في حالة الرفع .
وتميم وقيس يشبتون هذه النون ولكنهم يشددونها ، فيقولون : اللذان واللتان ،
وذلك في أحوال الإعراب الثلاث .

وطيء تقول في السذي : ذو ، وفي التي ذات ، ولا يغيرونها في أحوال
الإعراب الثلاث رفعاً ونصباً وجراً^١ . وقد عرفت بـ (ذي) الطائية . وترد (ذو)
(ذو) هذه بهذا المعنى في الصفوية والحيانية والشمودية .

في لغة ربيعة يقفون على الاسم المتوّن بالسكون في كل أحوال الإعراب ،
فيقولون : رأيت خالدً ، ومررت بخالدً ، وهذا خالدً ، وغيرهم يشاركونهم إلا
في النصب .

وفي لغة الأزدي يدلون التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة ، فيقولون :
جاء خالدو ، ومررت بخالدي .

وفي لغة سعد يضعفون الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها إلا إذا كان
هذا الحرف همزة أو كان ما قبله ساكناً ، فيقولون : هذا خالدً ، ولا يضعفون
في مثل رشا وبكر .

في لغة بلحرت وخثعم وكنانة ، يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً ، فيقولون في
اليك وعليك ولديه : إلّاك ، وعلاك ، ولداه ، ومن لغتهم أيضاً إعراب المثني
بالألف مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً ، وذلك لقلبهم كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها
ألفاً ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان .

وورد في بعض الروايات أن بني سعد بن زيد مناة ، ولحم ومن قاربها ،
يبدلون الحاء هاءً ، فيقولون في مدحته ، مدهته . وأن بني أسعد بن زيد مناة
ومن وليهم يبدلون من الهاء فاءً ، فيقولون فودج في موضع هودج .
وورد أن أزد شنوءة تقول : تفكهون ، وتميم يقولون : تفكنون ، بمعنى
تعجبون^٢ .

وورد أن (الكلايين) يلحقون علامة الإنكار في آخر الكلمة ، وذلك في

١ الرافعي (١٤٤/١) .

٢ الرافعي (١٤٥/١) وما بعدها .

الاستفهام إذا أنكروا أن يكون رأي المتكلم على ما ذكر في كلامه أو يكون على خلاف ما ذكر .

فإذا قلتَ : رأيت زيداً ، وأنكر السامع أن تكونَ رأيته ، قال : زيداً
لأنه ! بقطع الألف وتبيين النون ، وبعضهم يقول : زيد نيه ! كأنه ينكر أن
يكون رأيك على ما ذكرت^١ .

وذكر (الرافعي) الأمور التالية على النوع الثالث ، من تغيير الحركات في
الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات :

هَلَمْ في لغة أهل الحجاز تلزم حالة واحدة بمنزلة رويد ، على اختلاف ما
تسند إليه مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، مذكراً أو مؤنثاً ؛ وتلزم في كل ذلك الفتح ؛
وفي لغة نجد من بني تميم تتغير بحسب الإسناد ، فيقولون : هَلَمْ يا رجل ، وهلمني ،
وهلما ، وهلموا ، وهلممُنْ ؛ وإذا اسندت لمفرد لا يكسرونها . فلا يقولون :
هَلِمَ يا رجل ، ولكنها تكثر في لغة كعب وغنى .

وفي لغة تميم يكسرون أول فَعِيل وفَعِيل إذا كان ثانيهما حرفاً من حروف
الحلق الستة ، فيقولون في لَئِم ونَحِيف ورَغِيف وبَخِيل : لَئِم ، ونَحِيف بكسر
الأول ، ويقولون : هذا رجل لِعِبٌ ، ورجل مَحِكٌ ، كسل ذلك بالكسر
وغيرهم بفتححه .

في لغة خزاعة يكسرون لام الجر مطلقاً مع الظاهر والضمير ، وغيرهم يكسرها
مع الظاهر ويفتحها مع الضمير غير ياء المتكلم ؛ فيقولون : المَالِ لِكَ وَلِهْ .
هَاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقاً إذا وقعت بعد ياء ساكنة ،
فيقولون : لَدَيْهِ وَعَلَيْهِ ؛ ولغة غيرهم كسرها .

في لغة الحجازيين يحكون الاسم المعرفة في الاستفهام إذا كان علماً كما تُنطق
به ، فإذا قيل : جاء زيد ، ورأيت زيداً ، ومررت بزید ، يقولون : من
زيد ؟ ومن زيداً ؟ ومن زيد ؟ أما إذا كان غير علم : كجاءني الرجل ، أو
كان علماً موصوفاً : كزيد الفاضل ، فلا يستفهمون إلا بالرفع ، يقولون : من
الرجل ؟ ومن زيد الفاضل ؟ في الأحوال الثلاث .

١ (الرافعي ١/١٤٦ وما بعدها) .

واذا استفهموا عن النكرة العربية ووقفوا على أداة الاستفهام ، جاءوا في السؤال بلفظة (مَنْ) . ولكنهم في حالة الرفع يلحقون بها واواً لمجانسة الضمة في النكرة المستفهم عنها ، ويلحقون بها ألفاً في حالة النصب ، وياءً في حالة الجر ، فإذا قلتَ : جاءني رجل ، ونظرت رجلاً ، ومررت برجل ، يقولون في الاستفهام عنه : مَنْ ؟ ومَنَّا ؟ ومَنِي ؟ وكذلك يلحقون بها علامة التأنيث والثنية والجمع . فيقولون : مَنْه ؟ في الاستفهام عن المؤنثة ، ومنان ؟ ومنين ؟ للمثنى المذكر ، ومَنْتان ؟ ومَنْتين ؟ للمثنى المؤنث : ومنون ؟ ومنين ؟ للجمع المذكر ، ومنات ؟ للجمع المؤنث . وهذا كله اذا كان المستفهم واقفاً ، فإذا وصل أداة الاستفهام جردها عن العلامة ، فيقول : مَنْ يا فتى ؟ في كل الأحوال .

وبعض الحجازيين لا يفرق بين المفرد وغيره في الاستفهام ، فيقول : مَنْ ، ومنا ، ومَنِي ، لإفراداً وتثنية وجمعاً في التذكير والتأنيث .

وحفظ عن أهل الحجاز أنهم يعاقبون أحياناً بين الواو والياء ، فيجعلون احداهما مكان الأخرى ، فيقولون في الصَّوْغ : الصياغ ، وقد دوتخوا الرجل وديتخوه . وسمع عن بعض أهل العالية قولهم ، لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، أي يضيرني ، وسمع عن قوم قولهم : في سريع الأوبة : سريع الآية . ومنهم من يقول في المصايب : مصاوب ، ويقول حكوت الكلام ، أي حكيته . وأهل العالية يقولون : القصوى ، ويقول أهل نجد : القصيا .

وقد وردت أفعال ثلاثية تُحكى لاماتها بالواو والياء ، مثل عزوت وعزيت ، وكنوت وكنيت . وهي قريب من مائة لفظة .

في لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم ، يسكنون المتحرك استخفافاً ، فيقولون في فَخَذ ، والرجُل ، وكرمٌ ، وعليمٌ : فَخَذٌ ، وكرمٌ ، والرجُل ، وعلمٌ . وهذه اللغة هي في كثير من تغلب . ثم اذا تناسبت الضمتان أو الكسرتان في كلمة خففوا أيضاً ، فيقولون في العُنُق والإبِل ، العُنُق ، والإبل .

وحكى أن في لغة أزد السراة تسكين ضمير النصب المتصل^١ .

١ الرافعي (١٠١/١) وما بعدها .

ولبعض القبائل لغات في كلمات : فتميم نجد يقولون "نهر" ، للغدير ، وغيرهم يفتحها . والوتر في العدد حجازية ، والوتر بالكسر في الدّاحل : الثّار ، وتميم تكسرها جميعاً ، وأهل العالية يفتحون في العدد فقط .

ويقال وتَد ، ووتَد ، وأهل نجد يدغمونها فيقولون . وَد . وبعض الكلايين يقولون : الدّواء ، وغيرهم يفتحها . والعرب يقولون "شواظ" من نار ، والكلايين يكسرون الشين .

والحجازيون يقولون لعمرى ، وتميم تقول : وعلي . واللص في لغة طيء ، وغيرهم يقول : اللّص .

وهناك لغات في الإعراب :

فتستعمل (هذيل) (متى) بمعنى (من) ويجرون بها ، سمع من بعضهم قوله : أخرَجها متى كُمّه ، أي من كُمّه .

وفي لغة تميم ينصبون تمييز (كم) الخبرية مفرداً ، ولغة غيرهم وجوب جرّه وجواز افراده وجمعه ، فيقال : كم درهم عندك ، وكم عبيد ملكك ! وتميم يقولون : كم درهماً ، وكم عبداً !

في لغة الحجازيين ينصب الخبر بعد (ما) النافية نحو : ما هذا بشراً ، وتميم يرفعونه .

في لغة أهل العالية ينصبون الخبر بعد إن النافية ، سمع من بعضهم قوله : إن أحدٌ خيراً من أحدٍ إلا بالعافية .

الحجازيون ينصبون خبر ليس مطلقاً ، وبنو تميم يرفعونه إذا اقترن بإلا ، فيقول الحجازيون : ليس الطيب إلا المسك ، وبنو تميم : إلا المسك .

في لغة بني أسد يصرفون ما لا ينصرف فيما عِلّة منعه الوصفية وزيادة النون ، فيقولون : لست بسكران ، ويلحقون مؤنثه التاء ، فيقولون : سكرانة .

في لغة ربيعة وغم يبنون (مع) الظرفية على السكون ، فيقولون : ذهبَ مَعَهُ ، وإذا وليها ساكن يكوسرها للتخلص من التقاء الساكنين ، فيقولون ذهبَ مع الرجل .

في لغة (بني قيس بن ثعلبة) يعربون (لدُنْ) الظرفية ، وعلى لغتهم قرىء (من لدنه علماً) ، وغيرهم يبينها .

الحجازيون يبنون الأعلام التي على وزن فعّال : كحذام ، وقطام ، على الكسر في كل حالات الإعراب ؛ وتميم تعربها ما لم يكن آخرها راءً وتمنعها من الصرف للعلمية والعدل ، فإذا كان آخرها راء كوبار ، اسم قبيلة وظفار اسم مدينة فهم فيها كالحجازيين .

وتعرب هذيل (الذين) اسم الموصول لإعراب جمع المذكر السالم ، فيقولون :

نحن الدّون صبحوا الصّباحا يوم النّخيل غارة ملحاحا

ومن لغة هذيل أيضاً، فتح الياء والواو في مثل بيّضات ، وهيآت ، وعورات ، فيقولون : يبيّضات ، وهيآت ، وعورات ، وبقية العرب على إسكانها ^١ .

وذكر (الرافعي) بعض الأمثلة على المثال الرابع من قبيل : إبدالهم أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء ، كقولهم في الثعالب والأرانب والضفادع : الثعالي والأراني والضفادي . وقد يبدلون بعض الحروف ياء كقولهم في سادس : سادي ، وفي خامس : خامي ^٢ .

ومن العرب من يجعل الكاف جيماً ، فيقول مثلاً : الجعبة ، في الكعبة ، وبعضهم ينطق بالناء طاء : كأفلطني ، في أفلتي ، وهي لغة تميمية .

وتقول بعض العرب أردت عنّ تفعل كذا ، وبعضهم يقول : لأتّي ، في (لعتي) . وفي لعل لغات يقولها بعض العرب دون بعض ، وهي : لعتي ، ولعني ، ولعتي ، ولعني ، ولعني . ورعّ ، ورعّ ، ورعّ ، وعنّ ، وأن ، ولعاء .

وورد تلعم وتلعزم في لغة بعض الناس ، وتضيفت الشمس للغروب ، وتضيفت ^٣ .

وفي (عند) لغات ، هي : عِندي ، وعُندي ، وعُندي ، وفي لدن ثماني

١ الرافعي (١٥٣/١) وما بعدها .
٢ الرافعي (١٥٥/١) .
٣ الرافعي (١٥٧/١) .

لغات ، وهي لَدُنْ ، وَلَدُنْ ، وَلَدَى ، وَلَدُ ، وَلَدَنْ ، وَلَدَنْ ، وَلَدُ ، وَلَدَى ، وفي (الذي) : الذي ، والَّذِ ، والَّذِ ، والَّذِي ، وفي التثنية اللذان ، واللذان ، والَّذا ، وفي الجمع : الذين ، والذون ، والملاءون ، والملاء ، واللاتي ، - باثبات الياء في كل حال - والألى ، وللمؤنث اللاتي ، والملاء ، واللاتي : واللت ، واللت ، واللتان ، واللتا ، واللتان ، وجمع التي اللاتي ، واللات ، واللواتي ، واللوات ، واللوا ، والملاء ، واللات^١ .

ومن لغات (هو) و (هي) : هُوَ ، وهِيْ ، وهُوَ ، وهِيْ .

ومن لغات لاجرم : لاجرَ ، ولا ذا جرم ، ولا ذا جر ، ولا إن ذا جرم ، ولا عِنْ ذا جرم .

ومن لغات نعم ، حرف الإيجاب : نَعِمْ ، ونَعِيم ، ونَحَم .
وبعض العرب يبدل هاء التأنيث تاءً في الوقف ، فيقول : هذه أمت ، في أمة ، وبقرت في بقرة ، وآيت في آية^٢ .

وذكر (الرافي) ان النوع الخامس ، هو النوع الخاص باللغة من المتكلم .
كالألفاظ التي وردت بالراء والغين وبجروف أخرى^٣ .

ومن مواضع الاختلاف التي ذكرها (الرافي) ، والتي وقعت في القرآن بسبب القراءات : تحقيق الهمز وتخفيفه ، والمد والقصر ، والفتح والإمالة وما بينهما ، والاظهار والادغام ، وضم الهاء وكسرها من عليهم وإليهم وإلحاق الواو فيها وفي لفظي منهمْ وعَنهمْ ، وإلحاق الياء في اليه وعليه وفيه ، ونحو ذلك ، فكان كل أهل لحن يقرءونه بلحونهم^٤ .

والتضجيع : الإمالة ، وكانت تميم وقيس وأسد تميل إلى إمالة الألف ، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يُميلون ، ويظهر أن ذلك لم يكن عاماً في القبيلة الواحدة ، فقد كان بعض منها يميل وبعض منها لا يميل ، وفي ذلك قول سيبويه :

-
- ١ الرافي (١٥٧/١) وما بعدها .
 - ٢ الرافي (١٥٩/١) .
 - ٣ الرافي (١٥٩/١) وما بعدها .
 - ٤ الرافي (٤٩/٢) .

« اعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب من يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه . وكذلك من كان النصب في لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر (الإمالة) فإذا رأيت عربياً كذلك فلا ترينه خلط في لغته ولكن هذا من أمرهم »^١ .

وذكر (ابن فارس) ، ان من اختلاف العرب في لغاتهم ، اختلافهم « في التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول : هذه البقر ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذه النخيل ، وهذا النخيل » ، واختلافهم « في الإعراب ، نحو : ما زيد قائماً ، وما زيد قائم ، وإن هذين ، وإن هذان ، وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب » ، واختلافهم « في صورة الجمع ، نحو أسرى وأسارى »^٢ . وفي هذه اللغة فسر المفسرون الآية : « إن هذان لساحران » ، اذ قالوا إنها نزلت على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، « وهم يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف . وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث ابن كعب :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لناباه الشجاع لصمما^٣

ويظهر من اختلاف العلماء - الذي رأيناه - في نسبة الأمور المذكورة الى السنة القبائل وفي عدم اتفاقهم في كثير من الحالات في تثبيت اللغات المذكورة الى قبيلة معينة أو حصرها في قبائل وترددهم في أقوالهم ، ان ما ذكره من اختلاف لم يكن حاصل دراسة استقرائية عميقة ، وانما هو حاصل اتصال بأفراد أو بعدد قليل من الأعراب ومن المدعين بالعلم في السنة العرب ، ولهذا نجد التناقض بادياً في أقوالهم ، وصارت دراساتهم المتقدمة ناقصة غير كاملة ، لا تتناول إلا أموراً جانبية لا تمس صلب اللغة ولا تنال قواعد في الصميم . وعلى علماء اللغة في الوقت الحاضر واجب الخروج على الجادة القديمة التي يسرون عليها اليوم في دراسة

١ العصر الجاهلي ، دكتور شوقي ضيف (١٢٢) .

٢ الصاحبي (٤٩ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (١٣٦ / ١٦) .

اللغة ، بالذهاب بأنفسهم من جديد الى مواطن اللغة، للأخذ من أحجارها المكتوبة إن وجدت ومن ألسنة الأحياء الباقين ، أخذاً علمياً مقروناً بدراسات حديثة مبنية على تسجيل الأصوات ، للاستعانة بها في الكشف عن لغات العرب بأسلوب علمي حديث .

ويلاحظ أيضاً أن علماء اللغة ، قد جمعوا بعض الملاحظات التي ظهرت لهم، من دراساتهم للغة أهل الحجاز ، ولغة تميم . فسجلوها في كتب اللغة والقواعد ، وقد أشرت إليها فيما تقدم بإيجاز . وإذا قلت أهل الحجاز ، فلا أعني لغة قريش وحدها ، وإنما لغات القبائل الحجازية ، التي تكون مجموعة القبائل الساكنة في الحجاز . فإن العلماء حين شرعوا بتدوين اللغة ، وجدوا ان لغة أهل مكة لم تعد صافية نقية بسبب اختلاط أهلها بالأعاجم ، وظهور الفساد على لسانهم ، لذلك ، لا نجد لهم ذكراً بارزاً عند علماء اللغة ، وإنما حل محلهم مصطلح : أهل الحجاز. ويظهر ان عرب (تميم) من علماء اللغة ، ووجود عدد من عشائرها في العراق على مقربة من المصريين ، ونزول رجال منها البصرة والكوفة ، ثم اشتها رجاا من تميم بالفصاحة والبلاغة والخطابة قبل الاسلام ، كل هذه وأمر أخرى مكنت العلماء من تسجيل ملاحظات كثيرة عن لغة تميم ، زادت بكثير عن الملاحظات التي دونتها عن القبائل الأخرى ، وقد ذكر العلماء في مقابلها ما كان يختلف فيه أهل الحجاز عنهم ، فتجمعت لدينا بذلك ملاحظات لغوية ونحوية ميزت لهجات تميم عن لهجات (أهل الحجاز) ، وبعض القبائل الأخرى . وقد دخلت هذه الفروق في قراءة القرآن ، فقرأ بعض القراء على لغة الحجازيين ، وقرأ بعض آخر الآيات نفسها على لهجة تميم . كل قرأ على لسانه وتمسك بقراءته ، وقد ساعد ذلك عدم وجود الحركات الضابطة للحروف ، ولو كانت هناك حركات في مبدأ التدوين تضم الحرف أو تكسره أو تفتححه ، لضاق نطاق هذا الاختلاف إذ كان على الناس القراءة وفقاً للمصحف المحرك المشكل الذي اتخذ إماماً لهم ، ولكن عدم وجود مصحف إمام استعمل الشكل والإعجام ، سهّل ظهور القراءات .

والخلاف بين (أهل الحجاز) (لغة أهل الحجاز) وبين (تميم) ، هو خلاف في إطار مجموعة واحدة من القبائل ، هي مجموعة (مضر) . فالقبائل الحجازية التي ذكروها هي قبائل مضرية ، و (تميم) من قبائل مضر كذلك ،

في عرف أهل الأنساب . وكان بين أهل مكة ، أي (قريشاً) وبين (تميم) اتصال وثيق قبل الاسلام ، وكانت بينهم مصاهرة . وقد عرفت (تميم) واشتهرت بالفصاحة ، ولو أخذنا برأي أهل الأخبار ، وبما ذكروه عن فصاحة (تميم) وعن كثرة وجود الخطباء والشعراء فيهم ، وعن حكومتهم في (عكاظ) ، وبما ذكروه عن (قريش) فإننا نخرج بنتيجة هي أن (تميم) ، كانت أكثر شهرة في بضاعة الكلام من (قريش) ، وهي نتيجة تناقض زعمهم أن قريشاً كانت أصفى العرب لغة ، وأن لسانها هو اللسان العربي الفصيح الذي نزل به القرآن ، وأنها كانت تجتبي أحسن الألفاظ وأعذبها من بين سائر لغات العرب حتى صار لسانها أفصح الألسنة ، وذلك بدليل استشهاد علماء اللغة بلغة تميم من نثر وشعر في شواهدهم وأدلتهم على قواعد اللغة ، كثرة لا تقاس بها الشواهد التي استشهد بها العلماء على ضبط اللغة والقواعد ، المنتزعة من لسان قريش .

ولو استقصينا ما دونه علماء اللغة عن مواطن الاختلاف بين لغات العرب ، نصل الى نتيجة أخرى ، هي ان لغات كثير من القبائل تميل الى ترجيح كفة (لغة تميم) على لغة أهل الحجاز ، ففي الفتح والكسر ، كما في (الوتر) و (الوتر) ، نجد الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم وأسد وقيس^١ . وقد قرأ بالقراءتين في سورة : « والفجر . وليالٍ عشرٍ . والشفع والوتر »^٢ . قال (الطبري) : « واختلف القراء في قراءة قوله والوتر ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض قراء الكوفة بكسر الواو . والصواب من القول في ذلك ، أنها قراءتان مستفيضتان معروفتان في قراءة الأمصار ، ولغتان مشهورتان في العرب فبأيتها قرأ القارئ فصيب »^٣ . فنرى من رواية (الطبري) المذكورة أن غالبية القراء ، انما قرأت بقراءة تميم وأسد وقيس ، وان كانت القراءة الثانية التي هي بالفتح لغة مكة صحيحة .

والقبائل : (تميم) و (قيس) و (أسد) ، هي من القبائل التي أكثر علماء العربية أخذ اللغة عنها ، ونصّبوا على اسمها بالذات ، فقالوا : « والذين

١ الامالي ، للقالبي (١٣/١) .

٢ سورة الفجر ، الرقم ٨٩ ، الآية ٣ .

٣ تفسير الطبري (١١٠/٣٠) .

عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ^١ . فهي في مقدمة القبائل التي ركن إليها علماء اللغة في أخذ اللغة عنهم ، يليهم هذيل ، فكنانة ، وبعض الطائيين .

ومعنى هذا أن بناء العربية ، الذي قام به علماء اللغة ، إنما أخذ معظم مادته من لغات القبائل الثلاث المذكورة ، وهي قبائل أقامت في مواضع متجاورة منذ القدم، وكانت بطونها قد توغلت في بوادي العراق في الجاهلية القريبة من الاسلام وفي الاسلام ، وفي البحرين ونجد وبعض مناطق اليمامة . فهي تكون جزءاً كبيراً من جزيرة العرب والعراق .

ولتجاور القبائل الثلاث المذكورة في القديم ، أثر كبير في تشابك اللغات وفي تقاربها ، لأن للجوار أثراً خطيراً في تطور اللغة ونموها . ونحن في حاجة اليوم الى وضع صورة مضبوطة لتوزع القبائل في الجاهلية في جزيرة العرب وبادية الشام على مرّ الأدوار ، لتتمكن بواسطتها من تتبع الأثر السياسي والثقافي لهذه القبائل وذلك فيما قبل الاسلام ، ومن دراسة ما ذكره علماء اللغة من فروق بين اللغات بصورة علمية دقيقة مضبوطة ، بتسجيل كل ما ذكره واحصائه بالضبط ، ثم تطبيق ما ذكره على مواطن هذه القبائل التي ضبطت ضبطاً صحيحاً على هذه الصورة . ونجد في كتب اللغة والمعاجم أموراً لغوية كثيرة ، مبعثرة لم يشر إليها العلماء إلا عرضاً ، مثل قول بني أسد (يبيجع) بكسر أوله ، مع عدم قولهم (يعلم) استقلاً للكسرة على الباء وأمثال ذلك ^٢ ، مما يحتاج الى جمع وتصفية للوقوف على قديم اللغات .

وقد عرفت (بنو أسد) بـروزها في شقي الكلام : الشعر والنثر . « قال يونس بن حبيب : ليس في بني أسد إلا خطيب ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر أو رام ،

١ المزهر (٢١١/١) .

٢ تاج العروس (٥٣٣/٥) ، (وجع) .

أو شديد العدو^١ . وهي قبيلة شهيرة . أرى أنها قبيلة « Asatani » المذكورة في جغرافية (بطليموس)، بين « Iodistae » التي تقع أرضها شمال « Asatani » ، وهي (جديس) ، وقبيلة « Mnasemanes » التي تقع منازلها في شمال غربها في خريطة بطليموس ، وبين « Laeni » و « Thaemae » الواقعتين الى الشرق منها ، وموضع « Baeti fl. Fontes » الواقع الى الجنوب وقبيلة « Thanuitae » التي تقع منازلها جنوبي هذا الموضع ، ثم موضع « Salma » ، وهو في الخريطة موضعان : موضع يقع شمالي « Mnasaemanes » ، وموضع يقع جنوب غربي « Baeti fl. Fontes »^٢ .

وأما (هذيل) ، فواطنهم (جبال هذيل)^٣ ، وهم جيران (سعد بن بكر)^٤ وجيران (كنانة)^٥ ، و (هوازن) ، وهي كلها من القبائل التي أثنى العلماء على لغتها . وهذيل من قبائل مضر ، ومن القبائل التي اعقرت في الشعر^٦ ، وقد استشهد العلماء بشعر شعرائها في اللغة وفي القواعد ، ومن هنا عدت في القبائل التي أخذ علماء العربية اللغة منها . وأما (سعد بن بكر) ، و (كنانة) ، و (هوازن) فهي مثل (قريش) و (هذيل) من مجموعة (خندف) من (مضر) .

وأما (بعض الطائيين) الذين أخذ عنهم علماء العربية العربية ، فقد نص العلماء على أسمائهم حين استشهدوا بشعر شعرائها . وطيء ، من القبائل البانية في عرف النسابين . وهم من القبائل القديمة التي كان لها شأن يذكر قبل الاسلام ، بدليل أن (بني لرم) والفرس ، أطلقوا على العرب عموماً كلمة (طيايه) (طيايو) من أصل (طيء) اسم هذه القبيلة . وأن العبرانيين أطلقوا (طيعا) (طي ي ع ا) ، (طيايا) (طيايه) في مرادف (عرب) مما يدل على أنها كانت أقوى قبائل العرب

١ البيان والتبيين (١ / ١٧٤) .

٢ راجع خريطة « بطليموس » ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣ / ٣٧١) .

٣ بلاد العرب ، للاصفهاني (١٤) وما بعدها ، ٢٠ وما بعدها ، ٢٣ وما بعدها ، ٢٥ وما بعدها ، ٣٢) .

٤ المصدر نفسه (ص ١٣ وما بعدها) .

٥ كذلك (ص ١٩ وما بعدها ، ٢١ وما بعدها) .

٦ تاج العروس (٨ / ١٦٦) .

قبل الاسلام بزمان طويل^١ ، وربما كان هذا شأنهم قبل الميلاد .

ولا يفهم من أقوال علماء اللغة عن لغتهم ، أنها كانت ذات صلة بالعربيات الجنوبية ، وأما ما ذكروه من (ذي) التي نعتوها بـ (ذي) الطائية ، فليس لها صلة بـ (ذ) الواردة في العربيات الجنوبية ، وإنما هي سمة خاصة بلهجة (طيء) التي هي من العربية الشمالية ، أو من مجموعة عربية (ال) في اصطلاحي الذي أطلقته على العربية الشمالية ، لامتيازها بأداة التعريف هذه عن بقية اللهجات العربية التي استعملت أداة أخرى للتعريف . ولهذا فإن قبيلة (طيء) هي قبيلة عربية من القبائل المتكلمة بعربية (ال) ، وإن عدّ النسابون نسبها من الجنوب .

وما ذكرته من فروق واختلاف ، فإنما هو مما يتناول الاختلاف الكائن بين اللهجات العربية الشمالية ، وأكثره مما يتناول لهجات القبائل في عهد التدوين ، في الأيام التي ظهر فيها الوعي بوجوب تسجيل علوم اللغة وضبطها ، فكان أن أخذ علماء اللغة من الفصحاء ومن اشتهر بالعلم باللغة من الصحابة والتابعين ، كما أخذوا من الأعراب الذين كانوا يقدون على البصرة والكوفة ، وهم من قبائل مختلفة ، لكنهم على الأكثر من أعراب البوادي القريبة من العراق ، ومن القبائل الضاربة في البادية ، فقد ذهب قوم من علماء اللغة الى البادية معدن اللغة للأخذ من ألسنة أهلها مباشرة ، ولاستقراء لهجاتها للتوصل بذلك الى معرفة اللغة والقواعد . فكان من هذا الجمع ومن مراجعة القرآن والشعر والحديث ، هذا المدون في الكتب من علوم العربية . فهو كله إذن تدوين ظهر في الاسلام .

ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن ذهاب عدد كبير من العلماء الى البوادي لدراسة لهجات القبائل ، كما لا نستطيع التحدث عن الطرق والأساليب التي سلكوها في جمع اللغة وفي البحث عنها وأخذها من أفواه أصحابها ، لعدم وجود شيء من ذلك في الموارد الموجودة لدينا الآن . نعم لقد ذكروا أن أقدم من ذهب الى البادية : يونس بن حبيب (١٨٣ هـ) ، و (خلف الأحمر) (١٨٠ هـ) ، و (الخليل ابن أحمد) (١٧٥ هـ) ، و (أبو زيد) الأنصاري (٢١٥ هـ) ، و (الكسائي) (١٨٩ هـ) الذي ذهب الى وادي الحجاز ونجد وتهامة ، ورجع وقد أنفد خمس

١ الجزء الاول من هذا الكتاب (ص ٣١) .

عشرة قنية من الجبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ^١ ، ولكننا لا نعرف شيئاً عن بحوثهم وعن استقراءاتهم ولا عن طرقهم التي اتبعوها في بحثهم وتقديرهم عن اللغة ، والأغلب أنها تناولت الغريب والشعر ، ثم إننا لا نستطيع التحدث عن هذه الرحلات بشيء من الاطمئنان والثقة ، لما قد يكون في كلام رواتها من المبالغة والاضافة والافتعال بسبب العصبية الى المدينة والى العلماء .

ويلاحظ ان معظم الملاحظات المدونة عن اللغات تناولت قبائل ألف علماء العربية الأخذ عنها والاستشهاد بكلامها ، وهي قبائل يرجع النسابون نسبها على طريقتهم الى (معد) ، ويظهر من ملاحظات العلماء عن لهجاتها انها كانت تتكلم بلهجات متقاربة ، ترجع الى المجموعة التي تستعمل (ال) أداة للتعريف . أما القبائل التي رجع أهل النسب نسبها الى قحطان ، والتي استشهد بشعرها فهي : الأزد ، وحير ، وبعض طيء ، وخثعم . أما كندة ، ومنها الشاعر (امرؤ القيس) ، فلا نجد لها ذكراً في هذه اللغات ، وإن استشهد بشعر شاعرها وبشعر غيره من شعراء هذه القبيلة ، وقد أشير الى اليمن ، ولكنهم لم يذكروا قصدهم منها ، ويظهر انهم أرادوا بهم أعراب اليمن ، وهم مهاجرون في الأصل هاجروا من باطن الجزيرة الى اليمن بعد أن ضعف الحكم فيها على أثر تدخل الحبش في شؤون اليمن وتقاتل الملوك بعضهم مع بعض ، مما أفسح المجال للأعراب بدخول العربية الجنوبية ، فكوتوا قوة خطيرة فيها ، أشير اليها في كتابات المسند بـ (واعربهم) . (واعربهمو) كما أشرت الى ذلك في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

ولا تزال بعض اللهجات باقية ، تتكلم بها القبائل على سليقتها الأولى ، وآسف لأن أقول ان علماء العربية في الوقت الحاضر ، لم يوجهوا عنايتهم نحوها لدراساتها قبل انقراضها وزوالها ، مع ان دراستها من الأمور الضرورية بالنسبة لهم ، لأنها تساعد في تعيين أصول العرييات وفي تثبيت المجموعات اللغوية العربية ، وقد نستنبط منها أموراً علمية كثيرة فات على علماء العربية القدامى يومئذ تسجيلها ، لأنها لا تزال باقية ، فبواسطة الطرق الحديثة في البحث يمكن العثور على ما فات على أولئك العلماء من أمور .

١ الزايعي ، تاريخ آداب العرب (١ / ٣٤٤ وما بعدها) .

وقد لاحظ (فؤاد حمزة) ، ان أهل نجد أصرح في الوقت الحاضر لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالأجانب ، وبعد أولئك عن كل تلك العوامل . ولكن أفصح اللهجات وأقربها الى الفصحى هي اللهجات البجائية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز واليمن . وقد ذكر انهم يتكلمون الألفاظ من خارجها الصحيحة ، ويتكلمون بما هو أقرب الى الفصحى من سواه . ويتكلم بعض البداءة منهم بكلم معرب فصيح^١ .

ولاحظ أن لغات القبائل لا تزال مختلفة ، فمنهم من يقلب (الجيم) ياء فيقول : (المسيد) ، بدلاً من (المسجد) ، وهم قوم من اليمن والنمور في وادي محرم ، ومنهم من يقلب القاف والكاف (تس) ، فيقول (حكي) (حنسي) ، وهم من أهل نجد ، ومنهم من يقلب (الكاف) (تش) ، فيقول : (بكى) (بتش) ، ومنهم من يقلب (القاف) (كافاً) مفخمة ، فيقول (كال) في موضع (قال) ، وهي من لغات أهل نجد ، ومنهم من يقلب (الكاف) (سيناً) ، فيقول (عبيسي) ، في موضع (عبيكي) ومنهم من يقلب (القاف) (جيماً) ، فيقول (العجير) في موضع (العقير) ، ومنهم من يقلب (الظاء) (لاماً) ، فيقول (اللهر) في موضع (الظهر) ، ومنهم من يقلب (الضاد) (لاماً) ، فيقول (الليف) في موضع (الضيف) ، ومنهم من يجعل (الياء) بين الألف والياء ، فيقول (امطير) في موضع (مطير)^٢ .

ويلاحظ أن قبائل العراق لا تزال تستعمل مثل هذه اللهجات وغيرها ، فيستعمل بعضها حرف العين في موضع الهمزة ، فيقولون (سعال) في موضع (سؤال) وتستعمل بعض القبائل حرف (الياء) في موضع (الميم) ، فتقول (يومن) ، في موضع (مومن) ، أي (مؤمن) ، وغير ذلك ، وتستعمل بعضها الياء في موضع (الجيم) ، فتقول : (ربال) في موضع (رجّال) ، أي (رجل) .

وذكر ان أهل اليمن يستعملون (الميم) في موضع (ال) أداة التعريف ، فيقولون (أم بيت) في موضع (البيت)^٣ . وقد أشير في الحديث الى هذه

١ قلب جزيرة العرب (٩٩) .

٢ قلب جزيرة العرب (١٠٠) .

٣ قلب جزيرة العرب (١٠٠) .

اللغة ، ويظهر أنها لغة خاصة ، ربما كانت حاصل ادغام حرف الجر (من) في الكلمة التي دخلت عليها ، ف (أم بيت) ، هي (من البيت) أو أنها لهجة من اللهجات التي تكلم بها أهل اليمن الشماليون ، جعلت (الميم) أداة للتعريف . لأننا نعلم - كما سبق أن ذكرت - أن حرف (الميم) أداة للتذكير في اللهجات العربية الجنوبية ، فيقال (ييم) في موضع (بيت) ، وتلحق آخر الاسم . أما أداة التعريف فحرف (ن) يلحق آخر الكلمة كذلك ، ولا يدخل على أولها كما في (ال) ، يقال (بيتن) في موضع (البيت) ، و (ملكن) في مقابل (الملك) .

وذكر (فؤاد حمزة) أن قبيلة (فهم) ، وتقع منازلها اليوم بين بني ثقيف شمالاً والجحادلة غرباً ، تتكلم بعربية قريية جداً من العربية الفصحى ، وهي مشهورة بالفصاحة^١ .

وفي العربية الجنوبية قبائل تتكلم اليوم بلهجات يرجع نسبها الى اللهجات العربية الجنوبية القديمة ، لأن في ألفاظها وفي تراكيب جملها ، ودراستها في هذا اليوم ، ضرورة لازمة لمن يريد الوقوف على تأريخ اللغة العربية قبل الإسلام ، ومن الضروري كذلك وجوب دراسة اللهجات (الشمرية) و (المهريّة) و (السواحلية) و (السقطرية) ، ولهجات السواحل الأفريقية المقابلة لجزيرة العرب للوقوف على تطور اللغات العربية الجنوبية ، وعلى حل رموزها التي لا تزال مغلقة غير معروفة عند علماء هذا اليوم . لما لهذه اللهجات من صلات بالعربيات المذكورة .

وأرى من الضروري دراسة اللهجات العربية الحالية في كل مكان من أمكنة جزيرة العرب ، ولا سيما في المواضع التي استخرج العلماء من باطنها نصوصاً مدونة بلهجات عربية قديمة ، مثل أعالي الحجاز لتتمكن بهذه الدراسة من حلّ معضلات تلك الكتابات ومن تكوين رأي علمي واضح عن تطور تلك اللهجات فيما قبل الاسلام .

وأرى من الضروري في هذا اليوم وجوب تأليف معجم لغوي ، يضم اللهجات العربية القديمة ، أي اللهجات الجاهلية التي وردت في النصوص الجاهلية ، للوقوف عليها ، ولا سيما على اللفظ الغريب منها ، ومقارنتها بالألفاظ التي ترد في اللهجات

١ قلب جزيرة العرب (١٧٨) .

العربية الأخرى لإحياء ما يمكن احياؤه من الميت منها ، واستعماله في هذا اليوم ،
للأشياء التي قصرت العربية الفصحى عن وضع مسميات لها، أو أن مسمياتها حوشية،
لا تنسجم مع الذوق ، وادخال الألفاظ الواردة في النصوص في المعاجم الموسعة
العلمية التي تؤرخ الألفاظ ، بأن تشير الى ورودها لأول مرة في الشعر أو في
النصوص الجاهلية . كما أرى من الضروري وجوب العناية بدراسة ما ذكره العلماء
عن اللهجات دراسة علمية نقدية تقوم على المقابلة والمطابقة والمقارنة باللغات الأخرى
مع تسجيل قواعدها حسبما أمكن .

الفصل الثامن والثلاثون بعد المئة

لغة القرآن

ولتشخيص لغة القرآن صلة كبيرة في تعيين وتثبيت المراد من العربية الفصيحة أي العربية الميينة . ولهذا فأنا مضطر الى التعرض لها ، وإن كان الموضوع بحثنا إسلامياً ، فأقول نزل القرآن منجماً (بلسان عربي مبين) . ولكن العرب كانوا ولا زالوا يتكلمون بلهجات ، فبأية لهجة من لهجاتها نزل القرآن الكريم ؟

لقد تطرق (الطبري) في مقدمة تفسيره الى هذا الموضوع بعد أن تعرض لرأي من زعم أن في القرآن كلاً أعجمياً ، وأن فيه من كل لسان شيئاً ، فقال : وقال أبو جعفر : قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ، على أن الله جلّ ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغتها . فنقول الآن : إذا كان ذلك صحيحاً في الدلالة عليه ، فبأي ألسن العرب أنزل ؟ بألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله جلّ ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عربياً ، وأنه أنزل بلسان عربي مبين ، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً ، لم يكن السبيل الى العلم بما عني الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه إلاّ بيان من جعل اليه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا كان ذلك كذلك ،

وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه، صلى الله عليه وسلم ، بما حدثنا خلاد بن أسلم، قال : حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة ، قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمرء في القرآن كافر^١ ، ثلاث مرّات . فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردّوه الى عالمه^٢ .

واستمر الطبري بعد ذلك في تعداد الطرق التي ورد فيها هذا الحديث : حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ورواية بعض الأخبار الواردة في حدوث اختلاف بين الصحابة في حفظ بعض الآيات وقراءتها . ثم خلاص بعد هذا السرد الى نتيجة ، هي أن القرآن « نزل باللسن بعض العرب دون اللسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم هي ببعض اللسن التي نزل بها القرآن دون جميعها »^٣ ، فلم يجزم بتعيين اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم .

وحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » حديث معروف مشهور ، يرد في كتب التفسير وفي كتب المصاحف والقراءات . ورد بطرق متعددة ، وبأوجه مختلفة . وهذه الطرق والأوجه ، وإن اختلفت في سرد متن الحديث وفي ضبط عباراته ، قد اتفقت في الفكرة ، وخلاصتها نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف . ويقصدون بالحرف وجهاً من أوجه الألسنة ، أي لهجة من اللهجات^٤ .

أما رجال سند هذا الحديث ، فعديدون ، وفي حال بعضهم كابن الكلبي وأبي صالح مغز^٥ . وهم جميعاً يرجعون سندهم الى جماعة من الصحابة ، هم نهاية سلسلة السند ، قالوا : إنهم سمعوا الحديث من الرسول ، ويعنون بهم : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبا بكرة ، وأبا جهم ، وأبا سعيد

١ تفسير الطبري (٩/١ وما بعدها) .

٢ تفسير الطبري (٢٥/١) .

٣ تفسير الطبري (٩/١) ، تاج العروس (٦٨/٦) ، (حرف) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٣ وما بعدها) ، الصاحبى (٥٧) .

٤ تفسير الطبري (٢٣/١) .

الخدري ، وأبا طلحة الأنصاري ، وأبا هريرة ، وأبا أيوب ، وجملتهم واحد وعشرون صحابياً على بعض الروايات^١ .

وورد في الحديث ، حديث آخر يرجع سنده الى (ابن عباس) فيه تأييد له ، نصه أن رسول الله قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف » ، وحديث آخر ، نصه : « إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددتُ إليه : أن هونَ على أمي ، فأرسل إليّ : أن أقرأ على حرفين ، فرددتُ إليه : أن هونَ على أمي ، فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف » ، وحديث ثالث نصه : « إن جبريل وميكائيل أتاني ، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ؛ فقال جبريل : أقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف » ، « وفي حديث أبي بكره عنه : فنظرت الى ميكائيل فسكت . فعلمت أنه قد انتهت العدة »^٢ . وهناك أحاديث أخرى بهذا المعنى^٣ .

ونجد في كتب التفسير والحديث والأخبار أحاديث وأقوالاً تشير الى أن بعض الصحابة كانوا يقرأون قراءات متباينة وكانوا يتعززون بقراءتهم ويتمسكون بها ، ومنهم من كان يقرأها على الرسول فلم يعترض عليها ، بل روى أنه قال : « اقرأوا كما علمتم »^٤ . وروى أنه « جاء رجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقرأني عبدالله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وعليّ الى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان بما علم كل حسن جميل » . ورووا على لسان عمر بن الخطاب قوله : « سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم . فلما سلم ، لبيته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأنيها

١ السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن (١٣١/١) .
٢ السيوطي ، الاتقان (١٣١/١) وما بعدها ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٤) .
٣ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٣٢) وما بعدها .
٤ تفسير الطبري (٩/١) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأني سورة الفرقان ! قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر . اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تبسر منها ^١ . وكالذي ذكروه من أن رجلاً قرأ عند (عمر) فغير عليه ، « فقال : لقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يغير عليّ » . فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى .. فوقع في صدر عمر شيء . فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك في وجهه .. فضرب صدره . وقال : أبعد شيطاناً ! قالها ثلاثاً . ثم قال : يا عمر : إن القرآن كله صواب ، ما لم يجعل رحمة عذاباً ، أو عذاباً رحمة ^٢ .

وروي « أن رجلين اختصما في آية من القرآن وكل يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه ، فتقارأا الى أبيّ فخالفها أبيّ فتقارأوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم أنك أقرأته ! فقال لأحدهما : اقرأ ، قال : فقرأ ، فقال : أصبت . وقال للآخر : اقرأ ، فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه ، فقال : أصبت . وقال لأبيّ : اقرأ ، فخالفها . فقال : أصبت . قال أبيّ : فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دخل في أمر الجاهلية . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدري ، وقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم . قال : ففِضْتُ عرقاً ، وكأني أنظر الى الله قرعاً ، وقال :

١ تفسير الطبري (١٠/١) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٢ وما بعدها) ، الإصابة (٥٧١/٣) ، (٥٧١/٣) ، (رقم ٨٩٦٥) .

٢ تفسير الطبري (١٠/١) .

إنه أتاني آت من ربّي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : ربّ ، خفف عن أمّي . قال : ثم جاء ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمّي . قال : ثم جاء الثالثة ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّي . قال : ثم جاءني الرابعة ، فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة مسألة الخ^١ .

وروي عن زيد بن وهب ، قال : أتيت ابن مسعود استقرئه آية من كتاب الله ، فأقرأنيها كذا وكذا . فقلت : إن عمر أقراني كذا وكذا خلاف ما قرأها عبدالله . قال : فبكى حتى رأيت دموعه خلال الحصى ، ثم قال : إقرأها كما أقرأك عمر ، فوالله لمي أبين من طريق السيلحين^٢ .

وأورد العلماء أحاديث أخرى بهذا المعنى ، تظهر كلها وقوع الخلاف بين الصحابة في قراءة القرآن ، وعلم الرسول به ، وتجوزة لهم القراءة بقراءتهم كل إنسان بما علم^٣ .

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال . جمعها القرطبي على خمسة وثلاثين قولاً^٤ ، وجعلها (السيوطي) على نحو أربعين قولاً^٥ ، تحدث هو وغيره عنها ، والحديث عنها في هذا الكتاب يخرجنا من حدود بحثنا المرسومة ، وهو التأريخ الجاهلي ، لذلك فسوف لا أتكلم في هذا المكان إلاّ عن الأقوال التي عينت تلك الأحرف ونصت على أسمائها بالنص والتعيين ، فأقول :

قد رأينا الأحاديث المذكورة والأخبار المروية ، وهي عامة ، لم تنص على أن المراد من الأحرف السبعة حرفاً معيناً ، ولساناً خاصاً من ألسنة العرب ، غير أننا نجد أخباراً ، نصت على تلك الأحرف وعينتها وشخصتها ، إذا تتبعنا سندها

١ تفسير الطبري (١٤/١) .

٢ ابن سعد (٢٧٠/١) ،

٣ تفسير الطبري (٩/١ وما بعدها) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٥ وما بعدها) .

٤ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٤ وما بعدها) ، السيوطي ، الاتقان (١٣٨/١) .

٥ السيوطي ، الاتقان (١٣١/١) .

ورجالها نجدها تنتهي بـ (ابن عباس) . وأكثر القائلين بها هم من علماء العربية مثل (أبو عبيد) و (أبو عمرو بن العلاء) وثعلب ، والأزهري ، وسند هذه الأخبار (الكلبي) عن (أبي صالح) عن (ابن عباس) ، أو عن (قتادة) عن ابن عباس ، وأمثال ذلك من طرق . فقد ورد عن (ابن عباس) قوله : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال أبو عبيد : والعجز ، هم بنو سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم : عليا هوازن . ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ، يعني بني دارم^١ ، « وأخرج أبو عبيد من وجه آخر ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب قريش وكعب خزاعة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش ، فسهلت عليهم لغتهم »^٢ .

« وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهذيل ، وتمر ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر »^٣ . وذكر بعض آخر أنه نزل بلغة قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتمر ، واليمن^٤ وسعد بن بكر ، هم من عليا هوازن^٥ . ومعنى هذا أنه نزل بلغات عدنانية ولغات قحطانية ، أي بجميع ألسن العرب .

وقد تعرض (الطبري) للأقوال المذكورة ، فقال : « وروى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله ، وذلك أن الذي روي عنه أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن : الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روي عنه أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة : قتادة ، وقاتادة لم يلقه ولم يسمع منه »^٦ . وقد ضعف (ابن الكلبي) ، ورفض علماء

-
- ١ تفسير الطبري (٢٣/١) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٦٧) ، السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) ، الصاحبي (٥٧) .
 - ٢ تفسير الطبري (٢٣/١) ، السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) .
 - ٣ السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) .
 - ٤ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٧٣) .
 - ٥ المزهري (٢١٠/١) وما بعدها .
 - ٦ تفسير الطبري (٢٣/١) .

الفقه والحديث الأخذ عنه^١ .. وضعف (أبو صالح) كذلك واتهم بالكذب :
« قال ابن معين : إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء^٢ » .

وأما (قتادة) ، فذكر (الطبري) عنه أنه لم يلق (ابن عباس) ، ولم يسمع منه^٣ فحديثه عن ابن عباس إذن مما لا يجوز الأخذ به .. فروايته : « نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة » ، رواية لا يعتمد عليها لهذا السبب . ولقتادة رواية أخرى بهذا المعنى نسبها الى (أبي الأسود الدؤلي) ، زعم أنه قال : « نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي » . وقد علق (خالد ابن سلمة) على هذا الكلام فقال : « ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين؟ وإنما نزل بلسان قريش » . قال مخاطباً به (سعد بن ابراهيم)^٤ . وقد رمي قتادة بالتدليس^٥ .

ويتهي سند هذا الحديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » الى (أبي هريرة)^٦ ، وقد كثر القول عن أبي هريرة ، وأكثر (أبو هريرة) الحديث عن رسول الله ، حتى قال الناس أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ، وكان يقول لهم : « اني كنت امرأ مسكيناً ، أصعب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني . وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم » ، وذكر أن مسند « تقي بن مخلد » احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر^٧ : وقد يكون بعض ما أسند إليه مما أكثر عليه ، أكثره عليه من جاء بعده ، ثم إن علينا نقد حديثه ، فليس هو بمشروع ولا معصوم ، حتى نقبل منه كل ما روي عنه^٨ . بل روي أن (عمر بن الخطاب) قال له : « أكثرت يا أبا هريرة من الرواية ، وأحر

١ ميزان الاعتدال (٢٥٦/٣) ، لسان الميزان (١٩٦/٦) .

٢ ميزان الاعتدال (١٣٧/١) وما بعدها .

٣ وقد تحدثت عنه بالمناسبة في بحث « موارد تأريخ الطبري » المنشور في مجلدات مجلة المجمع العلمي العراقي ، تفسير الطبري (٢٣/١) .

٤ تفسير الطبري (٢٣/١) .

٥ ميزان الاعتدال (٣٤٥/٢) .

٦ تفسير الطبري (٩/١) وما بعدها .

٧ الاصابة (٢٠٢/٤) ، (رقم ١١٩٠) .

٨ محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية ، وكتابه شيخ المضيرة .

بك أن تكون كاذباً على رسول الله . ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفية الى بلاده .

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد : لترك الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس^١ .

وهناك رأي ثالث يقول إنه نزل بلغة مضر ، لقول (عمر) : نزل القرآن بلغة مضر وعيين بعضهم - فيما حكاه - ابن عبد البر السبع من مضر ، أنهم هذيل ، وكنانة ، وقيس ، وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمه ، وقريش . فهذه قبائل مضر ، تستوعب سبع لغات^٢ . وذكر أن (عمر) لما أراد أن يكتب الإمام ، أقعد له نقرأ من أصحابه ، وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر^٣ . ولما كانت القبائل المذكورة من مجموعة (مضر) ، تكون لغة القرآن ، وفقاً لهذا الرأي لغة مضر ، لا لغة قريش ، وروي عن (عبدالله بن مسعود) ، أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر^٤ .

وعندنا أخبار أخرى تفيد أن القرآن إنما أنزل بلغة قريش . من ذلك ما روي من قول عمر : « لا يملين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش ، أو غلمان ثقيف »^٥ . وفسروا ذلك بأنه يعني أن القرآن إنما نزل بلغة قريش . وما روي من قول (عثمان) للرهط القرشيين الذين أوكل اليهم جمع القرآن وكتابته : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فلما أنزل بلسانهم . ففعلوا^٦ » ، وما روي عنه أيضاً ، من أنه لما استفتى في اختلاف

١ أضواء على السنة المحمدية (٢٠٠ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، الاتقان (١/١٣٦) .

٣ ابن كثير ، فضائل القرآن (٢٠) .

٤ الصاحبى (٥٧) .

٥ ابن كثير ، فضائل القرآن (٢٠) ، « وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان

قريش وثقيف » ، الصاحبى (٥٧ وما بعدها) ، السجستاني ، المصاحف (١١) ،

السيوطي ، اتقان (١/٥٩) .

٦ ابن كثير ، فضائل القرآن (٣١) ، (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من

عربية القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن أنزل بلسانهم » ، المصاحف

(٢٠) .

(زيد) مع الرهط في كتابة (التابوت) أيكتبونه بالتاء أو الهاء ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، وقال زيد إنما هو التابوه ، قال : « اكتبوه بلغة قریش ، فإن القرآن نزل بلغتهم »^١ ، وما روي عنه أيضاً من قوله للرهمط الذين أمرهم بكتابة القرآن : « إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن ، فاكتبوها بلسان قریش ، فإن القرآن نزل بلسانهم ففعلوا »^٢ .

واستنكر (ابن قتبية) قول من قال إن القرآن نزل بلغات أخرى ، فقال : « لم ينزل القرآن إلا بلغة قریش » ، واحتج بالآية : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »^٣ . واحتج آخرون بقول (عمر) لعبدالله بن مسعود : « إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرىء الناس بلغة قریش »^٤ .

وروي في (البخاري) ، أن القرآن نزل بلسان قریش والعرب . وقریش خلاصة العرب^٥ . وذكر بعض العلماء أنه نزل « بلغة الحجازيين إلا قليلاً » ، فإنه نزل بلغة التميميين كالادغام في : ومن يشاق الله ، وفي : ومن يرتد منكم عن دينه ؛ فإن ادغام المجزوم لغة تميم ، ولهذا قل ، والفك لغة الحجاز ولهذا كثر^٦ .

وذكر بعض العلماء « إن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي : قریش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ، وكندة ، وتميم ، وحير ، ومدين ، ولخم ، وسعد العسيرة ، وحضرموت ، وسدوس ، والعاملة ، وأنمار ، وغسان ، ومذحج ، وخزاعة ، وغطفان ، وسبأ ، وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلب ، وطيء ، وعامر ابن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجذام ، وبلي ، وعذرة ، وهوازن ، والنمر ، والهامة »^٧ .

-
- ١ ابن كثير ، فضائل القرآن (٣٥) ، تفسير النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٤/١) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
 - ٢ ابن كثير ، فضائل القرآن (١٩) ، ارشاد الساري (٨/٦) وما بعدها .
 - ٣ السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) .
 - ٤ الفائق (١١٣/٢) .
 - ٥ ابن كثير ، فضائل القرآن (١٩/١) وما بعدها .
 - ٦ السيوطي ، الاتقان (١٠٣/٢) .
 - ٧ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٧٤) ، السيوطي ، الاتقان (١٠٢/٢) ، الصاحبى (٥٨ وما بعدها) .

وذكروا أن مما وقع في القرآن من غير العربية : الفرس ، والروم ، والنبط ،
والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط^١ .

وقال بعض العلماء : « انزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من
العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها
على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته الى
لغة أخرى للمشقة ، ولما كان فيهم من الحميّة ، ولطلب تسهيل فهم المراد^٢ » .

وذهب (الباقلائي) الى أن « معنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش ، أي
معظمه ، ولم يقدّم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : قرآناً
عريباً ، ولم يقل قرشياً ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً
يعني حجازها ويمناها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : قال : لأن لغة
غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتتحقيق الهمزات فإن قريشاً لا تهمز ،
وقال ابن عطية : قال ابن عباس : ما كنت أدري معنى فاطر السماوات والأرض ،
حتى سمعت أعرابياً يقول لبشر ابتداء حفرها : أنا فطرته^٣ » .

وسند القائلين : ان القرآن نزل بلسان قريش ، كون الرسول من مكة، ومكة
موطن قريش . فلا بد من نزول كتاب الله بلسانهم ، ليكون حجة عليهم واعجازاً
لفصحائهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم^٤ » ، فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش^٥ ، ولما جاء في الأخبار
التي رويت عن (عمر) و (عثمان) من أنه نزل بلسان قريش .

ومن حججهم أيضاً مسا رووه عن (أبي عبيد الله) من قوله : « أجمع
علمائنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً
أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة . وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من
جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ،
فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته . فكانت وفود العرب من

-
- ١ السيوطي ، الاتقان (١٠٢/١) ، الصاحبى (٦١) .
 - ٢ السيوطي ، الاتقان (١٣٦/١) .
 - ٣ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .
 - ٤ سورة ابراهيم ، الآية ٤ .
 - ٥ السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) .

حجّاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم. ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وتسميها أهل الله، لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام، ولم تشبههم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة، فضيلة من الله جل ثناؤه، لهم وتشريقاً، إذ جعلهم رهط نبيّة الأذنين وعترته الصالحين. وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تختاروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخبروا من تلك اللغات الى نخائزهم وسلاتقهم التي طُبّعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عننة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس^١.

وروي عن (قتادة) قوله : « كانت قريش تجتبي ، أي تختار ، أفضل لغات العرب ، حتى صار أفضل لغاتهم لغتهم ، فنزل القرآن بها^٢ . »

ثم إنها كانت بعيدة عن الأعاجم ، فصان بعدها عنهم لسانها عن الفساد ، وحفظها من التأثير بأساليب العجم ، حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية^٣ .

ولكننا نجد خبراً يذكر أن (عثمان) قال للرهط الذين أمرهم بجمع القرآن وكتابته : « اجعلوا الملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف^٤ » ، وليست هذيل ولا ثقيف من قريش . ونجد خبراً آخر يذكر أنه كانت غمجمة في لغة قريش ، والغمجمة من اللغات الرديئة التي أخذها علماء اللغة على اللغات العربية الأخرى^٥ ، فكيف تنفق الغمجمة مع ما ذكره من صفاء ونقاء وسهولة وبيان لغة قريش ! ثم نجد خبراً يذكر أن الخليفة (أبو بكر) ، لما همّ بجمع القرآن ، بعد إلحاح

١ الصاحبى (٥٢ وما بعدها) ، (باب القول في أفصح العرب) ، المزهر (١ / ٢١٠) ، غريب القرآن (١٠ / ١) .

٢ اللسان (٧٧ / ٢) ، (٥٨٨ / ١) ، (صادر) ، (عرب) .

٣ مقدمة ابن خلدون ، الفصل الثامن والثلاثون من القسم السادس ، الهلال ، السنة ٢٦ ، (أكتوبر ١٩١٧ م) ، (٤٣ / ١) .

٤ الصاحبى (٥٨) .

٥ تاج العروس (٦ / ٩) ، (غمم) .

(عمر) عليه بذلك ، « أجلس خمسة وعشرين رجلاً من قريش ، وخمسين رجلاً من الأنصار ، وقال : اكتبوا القرآن ، واعرضوا على سعيد بن العاص ، فإنه رجل فصيح »^١ ، ولو كان القرآن قد نزل بلغة قريش ، لما اختار هذا العدد الكثير من الأنصار ، وهم من غير قريش ، ومن منافسي مكة في الجاهلية والاسلام ، إن صح هذا الخبر ، الذي أشك في صحته .

ثم نجد خبراً آخر يناقض الخبر المتقدم ، يقول : « لما كتبت المصاحف عُرِضَتْ على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيروها ؛ فإن العرب ستغيرها - أو قال ستعربها - بألسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل ، لم توجد فيه هذه الحروف »^٢ . وهو خبر أشك في صحته ، وللعلماء فيه آراء .

وأما ما قالوه من اختلاف (زيد) مع النفر القرشيين الذين أشركوا معه في جمع القرآن من كتابة (التابوت) بالناء أو بالهاء ، وكان من رأيه كتابتها (التابوه) ، ومن رأي (عثمان) (التابوت)^٣ ، فقد ذكر العلماء أن (التابوه) لغة في التابوت أنصارية^٤ . واللفظة هي من العربيات ، أخذها الأنصار من العبرانية ، فهي عندهم (ت ب هـ) (ط ب هـ) « Tebh » « Teba » بمعنى صندوق^٥ . وقد كتبت في القرآن بالناء . وقد وردت اللفظة في سورة (طه) ، وهي مكية^٦ ، ووردت في سورة البقرة وهي مدنية^٧ .

وأقرب الأقوال المذكورة الى المنطق ، هو قول من قال إنه نزل بلسان عربي وكفى . فاسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً ، يعني حجازها وبعثها وكل مكان آخر من جزيرة العرب^٨ ، ثم ما بالناء نفس ونقول ، ونلف ونذور في تفسير : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وهو حديث ، روي بروايات

-
- ١ . يعقوبي (١٢٥/١) ، (خلافة أبي بكر) .
 - ٢ . السيوطي ، الاتقان (٢٧٠/٢) .
 - ٣ . الزينة (١٤٦/١) .
 - ٤ . تاج العروس (٥٣٢/١) ، (تبت) .
 - ٥ . غرائب اللغة (٢١١) .
 - ٦ . السورة رقم ٢٠ ، الآية ٣٩ .
 - ٧ . السورة رقم ٢ ، الآية ٢٤٨ .
 - ٨ . ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .

تحتاج الى نقد ، وفيها ضعف ، وأخبار ضعيفة ، لا تقف على قدميها ، ثم نترك كتاب الله القائل : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »^١ ، و « هذا لسان عربي مبين »^٢ و « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^٣ ، و « كذلك أنزلناه حكماً عربياً »^٤ ، و « كذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد »^٥ ، و « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون »^٦ ، و « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون »^٧ ، و « كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً »^٨ ، و « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^٩ ، « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا »^{١٠} ، « ولم يقل قرشياً »^{١١} ، ولو نزل بلغة قريش لما سكنت الله تعالى عن ذلك ، لما في التنويه بلسانهم إن كان أفصح السنة العرب من حجة على العرب في فصاحته وبيانه وكونه معجزة بالنسبة لقريش ، أفصح الناس وألسنهم ، وليس بكلام العرب عامة الذين هم على حد قول أهل الأخبار دون قريش في اللغة والكلام .

وما آية : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومسه ليبين لهم »^{١٢} ، إلا دليلاً وحجة على نزول القرآن بلسان العرب ، لا بلسان قريش ، أو بلسان قبيلة معينة ، أو قبائل خاصة . فالآية تقول : « ما أرسلنا الى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولاً إلا بلسان الأمة التي أرسلناه اليه ولغتهم ، ليبين لهم . يقول : ليفهمهم ما أرسله الله اليهم من أمره ونهيهِ وليثبت حجة الله عليهم

-
- ١ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٩٥ .
 - ٢ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .
 - ٣ يوسف ، الرقم ١٢ ، الآية ٢ .
 - ٤ الرعد ، الرقم ١٣ ، الآية ٣٧ .
 - ٥ طه ، الرقم ٢٠ ، الآية ١١٣ .
 - ٦ الزمر ، الآية ٢٨ .
 - ٧ فصلت ، الرقم ٤١ ، الآية ٣ .
 - ٨ الشورى ، الرقم ٤٢ ، الآية ٧ .
 - ٩ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٣ .
 - ١٠ الاحقاف ، الرقم ٤٦ ، الآية ١٢ .
 - ١١ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .
 - ١٢ سورة ابراهيم ، الآية ٤ .

ثم التوفيق والخلدان بيد الله ^١ . ولما كان النبي عربياً ، وقد نعت في القرآن بأنه « النبي الأمي » ^٢ ، الذي أرسله الله الى الأميين ، « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » ^٣ ، والأميون هم العرب ، العرب كلهم ، ولما كان الله قد أرسله الى قومه العرب ، وجب أن يكون الوحي بلسانهم المفهوم بينهم ، بلسان طائفة منهم ، يؤيد ذلك ما ورد في القرآن الكريم نفسه من أنه نزل بلسان عربي مبين . « قال الأزهري : وجعل الله ، عز وجل ، القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً ، لأنه نُسبه الى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب ، في باديتها وقراها ، العربية ، وجعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً لأنه من صريح العرب » ^٤ . وقال (ابن خلدون) : « إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه » ^٥ . وقال (الطبري) في تفسيره للآية : « انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » ^٦ ، « يقول تعالى ذكره : انا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربياً على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه . وذلك قوله عز وجل لعلكم تعقلون » ^٧ .

« قال ابن أبي داود في المصاحف : حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز : أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ولهذا نذبه عثمان فيمن نذب لكتابة القرآن ^٨ . ونعت أنه كان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة وفي هذه الإشارة دلالة على أن لهجة الرسول ، لم تكن لهجة عامة قريش ، وإنما كانت بالعربية التي نزل بها القرآن ، ولهذا نص على أن لهجة (سعيد) كانت

-
- ١ تفسير الطبري (١٢١/١٣) .
 - ٢ الأعراف ، الآية ١٥٧ وما بعدها .
 - ٣ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .
 - ٤ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) .
 - ٥ المقدمة (٣٦٧) ، (١٩٣٠ م) .
 - ٦ سورة يوسف ، الآية ٢ .
 - ٧ تفسير الطبري (٨٩/١٢) .
 - ٨ الاصابة (٤٥/٢) ، (رقم ٣٢٦٨) .

مشابهة للهِجَة الرسول ، وكان من أفصح رجال قريش ، ولو كانت عربية القرآن عربية قريش ، لما كان هنالك معنى لقولهم : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ، إذ لو كانت عربية القرآن عربية قريش ، انص عليها ، ثم لكان في وسع أي رجل كاتب من قريش ، تدوينه ، لفصاحة قريش ، ولكن سعيداً كان من فصحاء قريش ، لأنه كان يتكلم بعربية فصيحة ، هي العربية التي نزل بها القرآن ، والتي عرف فصحاء قريش فصاحتها ، فاعترفوا لذلك بنزوله بأفصح لغة وأبين بيان .

وقد ذهب (نولدكه) الى أن القول بنزول القرآن بلسان قريش ، إنما ظهر في العصر الأموي ، لإظهار عصبية منها على الأنصار . ونظراً لكون القرآن كتاب الله فلا دعاء نزوله بلغة قريش أهمية كبيرة بالنسبة لهم ، ولتأييد سياستهم المناهضة للأنصار وللقحطانيين^١ .

ويلفت حديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » النظر إليه حقاً ، فقد حصر القراءات في (سبعة أحرف) . والأحرف الألسنة ، مع أن العلماء يذكرون أن في القرآن من كل لغة ، وأن فيه خمسين لغة^٢ . فإذا كان فيه هذا العدد أو نحوه ، فما بال هذا الحديث يحصرها في سبعة فقط لا تزيد ولا تنقص وهي أحرف ثبتها العلماء ونصوا على أسمائها نصاً . هل أخذوا هذا الحديث من (السبع المثاني) في القرآن الكريم ، من قوله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »^٣ . أو أخذوه من عدد سبعة الذي يرد في مواضع عديدة من القرآن الكريم ؟ مثل سبع سموات^٤ ، وسبع سنابل^٥ ، وسبع سنبلات^٦ ، وسبع بقرات^٧ ، وسبع سنين^٨ ،

١ ولفنسون ، السامية (٢٠٧) ،

٢ « وقال أبو بكر الواسطي في كتابه : الارشاد في القراءات العشر : في القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ٠٠٠ الخ » ، السيوطي ، الاتقان (١٠٢/٢) .

٣ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٧ ، تفسير الطبري (٣٥/١٤ وما بعدها) .

٤ البقرة ، الآية ٢٩ .

٥ البقرة ، الآية ٢٦١ .

٦ يوسف ، الآية ٤٣ .

٧ يوسف ، الآية ٤٣ .

٨ يوسف ، الآية ٤٧ .

وسبع شداد^١ ، والسموات السبع^٢ ، وسبع ليال^٣ ، وسبعاً شداداً^٤ ، وسبعة أبواب^٥ ، وسبعة أبحر^٦ ، والعدد سبعة هو عدد الأيام التي أتم الله فيها الخلق كله ، وعدد أيام الأسبوع ، ونحو ذلك . والعدد سبعة عدد لعب دوراً خطيراً عند الشعوب القديمة ، فالأرض سبع طبقات ، والسموات سبع طباق ، وأنغام الموسيقى سبعة ، والعدد سبعة عدد مقدس ، لعب دوراً في الرياضيات القديمة وفي نظريات (فيثاغورس) ، وعيون الشعر الجاهلي هي سبعة ، هي القصائد السبع الطوال ، أو المعلقات السبع ، فهل اقتصر الحديث على هذا العدد لسبب من هذه الأسباب أو ما شابهها ، من أسباب ؟

وقد ذهب بعض العلماء الى أن العدد سبعة لا يمثل حقيقة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة . ولفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين . ويرده ما في كتب الحديث والأخبار من النص على العدد سبعة بصورة لا تقبل الشك في أن المراد منه حقيقة العدد وانحصاره ، ثم تعيين هذه الكتب اللهجات السبع بالأسماء^٧ ، وقد ألف (الصفدي) كتاباً في عدد السبعة ، سماه (عين النبع على طرد السبع) قال فيه إن السبعة جمعت العدد كله ، وهذا العدد يمثل الكمال ، فأنا لا استبعد أن يكون هذا الحديث قد جاء من هذه الفكرة^٨ .

القراءات السبع :

ومن الأحرف السبعة ظهرت نظرية القراءات السبع ، القراءات المعتمدة المعتمدة عند القراء ، وهي ترجع الى أئمة ارتبطت القراءات بأسمائهم ، وعليها يقتصر في

-
- | | |
|---|---|
| ١ | يوسف ، الآية ٤٨ . |
| ٢ | الاسراء ، الآية ٤٤ ، المؤمنون الآية ٨٦ ، فصلت ، الآية ١٢ ، الملك ، الآية ٣ ، نوح ، الآية ١٥ . |
| ٣ | الحاقة ، الآية ٧ . |
| ٤ | النبأ ، الآية ١٢ . |
| ٥ | الحجر ، الآية ٤٤ . |
| ٦ | لقمان ، الآية ٢٧ . |
| ٧ | السيوطي ، الاتقان (١٣١/١ وما بعدها) . |
| ٨ | الرافعي (٥٤/٢) . |

القراءات . وهي نتيجة تطور سابق لقرّاء سبقوا هؤلاء الأئمة الذين اعتمد عليهم في القراءات^١ ، وعلى قراءاتهم يقرأ من يستحق لقب (مقرئ) أو (قارئ)^٢ ، وإن كانت هنالك روايات تزيد بعض الزيادات على هذه القراءات .

ولأجل تكوين فكرة علمية صحيحة عن هذه الأخبار وعن درجة سعة هذا الاختلاف ومقدارها وما يجب أن يقال فيها ، لا بد من نقد كل ما ورد في هذا الباب من حديث وروايات ، وغربلته غربلة دقيقة . وتكون أول هذه الغربة في نظري بنقد سلسلة رجال السند ، أي الرواة ، لمعرفة الروابط التي كانت تربط بينهم وصلة بعضهم ببعض وملاقاتهم ، وما قيل وورد فيهم ؛ إذ نسبت أحاديث إلى أشخاص قيل إنهم رويوها عن أناس ثقات ، ثبت من النقد أن بعض رجال السند لم يلتقوا في حياتهم بمن حدثوا عنهم كما في حديث قتادة عن ابن عباس ، أو أنهم رويوا ما رويوه تسرعاً وبدون سند أو إجازة لمجرد سماعهم برواية أولئك الأشخاص لتلك الروايات^٣ .

ثم إن هذا النقد لا يكفي وحده ، بل لا بد من نقد متن الحديث من حيث لغته وأسلوبه ومضمونه وروحه ، ومن حيث انطباق بعض الروايات على جوهر القرآن الكريم وما عرف عن الرسول . فبهذا النقد للمتن ، نتمكن من الحكم على إمكان صدور الحديث عن الرسول أو عدمه .

وبعد كلّ ما تقدم ، علينا حصر أمثلة الاختلاف التي ذكرها العلماء ، وضبط كل ما ورد في الأخبار من هذا القبيل ، لنتمكن من الحكم على مقدار ما اختلف فيه وسعته ودرجة موافقته لما جاء في ذلك الحديث وفي تلك الأخبار ، ثم دراسة هذه الكلمات التي قيل إنها تمثل لهجات قبائل وأنها حرف من هذه الأحرف السبعة المذكورة في الحديث .

لقد تلخص (ابن قتيبة) الأحرف السبعة بالأوجه التي يقع بها التباير :
فأولها : ما تتغير حركته ، ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : ولا يضار
كاتب^٤ بفتح الراء وضمة .

١ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله (١٢١) ، النشر (٣١/١) وما بعدها .
٢ كولدزير ، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (٣٧) .
٣ تفسير الطبري (٢٣/١) ، (٧٢/٢٥) ، المذاهب الإسلامية (٨١) وما بعدها .

وثانيها : ما يتغير بالفعل مثل بَعَدَ وبعَد ، بلفظ الطلب والماضي .
 وثالثها : ما يتغير باللفظ مثل : نُشِزْهَا ونُشْرِهَا بالراء المهملة .
 رابعها : ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل طلع منضود وطلع منضود .
 خامسها : ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: وجاءت سكرة الموت بالحق، وجاءت سكرة الحق بالموت .
 وسادسها : ما يتغير بالزيادة والنقصان ، مثل : وما خلق الذكر والأنثى ، والذكر والأنثى ، بنقص لفظ ما خلق .
 سابعها : ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى ، مثل : كالعهن المنفوش، وكالصفوف المنفوش^١ .

وأجمل (ابن الجزري) الأوجه السبعة ب :

- ١ - وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو : البخل بأربعة أوجه ، وبحسب بوجهين .
- ٢ - أو بتغير في المعنى فقط نحو : فتلقى آدم من ربه كلمات ، برفع آدم ونصب لفظ كلمات وبالعكس .
- ٣ - وأما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو : تبلو ، وتتلو .
- ٤ - وعكس ذلك ، نحو بصطة وبسطة ، ونحو الصراط والسرائط .
- ٥ - أو بتغيرهما نحو فامضوا ، فاسعوا .
- ٦ - وإما في التقديم والتأخير ، نحو فيقتلون ، ويقتلون ، بفتح ياء المضارعة مع بناء الفعل للفاعل في إحدى الكلمتين، وبضمها مع بناء الفعل للمفعول في الكلمة الأخرى .
- ٧ - أو في الزيادة والنقصان .

وقد أوجز (أبو الفضل) الرازي ، الحروف السبعة في :

- ١ - اختلاف الأسماء من أفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث .
 مثل : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، قرىء هكذا جمعاً ،
 وقرىء لأمانتهم بالإفراد .

١ الزرقاني ، مناهل (١٥٢) .

٢ - اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ، ومضارع ، وأمر . مثل : فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا ، قرىء هكذا بنصب لفظ ربنا على أنه منادى ، ويلفظ باعد فعل أمر ، وبعبارة أنسب بالمقام فعل دعاء . وقرىء هكذا : ربنا بَعَدَ برفع رب على أنه مبتدأ ويلفظ بَعَدَ ، فعلاً ماضياً مضعف العين جملته خبر .

٣ - اختلاف وجوه الإعراب . مثل : ولا يُضَارَّ كاتب ولا شهيدٌ . قرىء بفتح الراء وضمهما ، فالفتح على أن لا ناهية ، فالفعل مجزوم بعدها ، والفتحة الملحوظة في الراء هي إدغام المثلين . أما الضم فعلى أن لا نافية ، فالفعل مرفوع بعدها .

٤ - الاختلاف بالنقص والزيادة . مثل : وما خلقَ الذكرَ والأنثى ، قرىء بهذا اللفظ . وقرىء أيضاً والذكرِ والأنثى ، بنقص كلمة ما خلق .

٥ - الاختلاف بالتقديم والتأخير . مثل : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وقرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٦ - الاختلاف بالإبدال . مثل : وانظر الى العظام كيف ننشرها ، بالزاي ، وقرىء ننشرها بالراء . ومثل : وطلح منضود ، بالخاء ، وقرىء طلع بالعين . فلا فرق في هذا الوجه أيضاً بين الاسم والفعل .

٧ - اختلاف اللغات ، أي اللهجات ، كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإظهار ، والإدغام ونحو ذلك^١ .

ونحن إذا تعمقنا في درس مواضع الاختلاف ، وهي أهم ما يتصل بلهجة القرآن الكريم ، وسجلناها تسجيلاً دقيقاً شاملاً ، نجد أنها ليست في الواقع اختلافاً في أمور جوهرية تتعلق بالوحي ذاته ، وإنما هي في الغالب مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصية القلم الذي دوّن به القرآن الكريم . فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابهة ، والمميز بين الحروف المتشابهة هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد كما يقول العلماء ، ثم إن هذا القلم كان خالياً في بادئ

١ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٤٨ وما بعدها) .

أمره من الحركات ، وخلق الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أي كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلم من الإعراب^١ .

كل هذه الأمور وأمور أخرى تعرض لها العلماء ، أحدثت في الغالب القسم الأعظم مما يعدّ اختلافاً في القراءات .

ويعود القسم الباقي من مواضع الاختلاف الى سبب أراه لا يتعلق أيضاً بمن النص ، وإنما هو ، كما يتبين من الإمعان في دراسته ومن تحليل الآيات المختلف فيها ، زيادات وتعليقات من ذهن الحفاظ والكتاب على ما أتصور ، لعدم وضوح المعنى لديهم ، لعلها كانت تفسيراً أو شرحاً لبعض الكلم دونت مع الأصل ، فظنت فيما بعد من الأصل . وإثبات التفسير مع المتن ، جائر على بعض الروايات^٢ .

ويعود قسم آخر منه الى استعمال كلمات قد تكون مخالفة لكلمة من حيث شكلها ، ولكنها متفقة معها في معناها ، والى استعمال كلمات متباينة في الشكل وفي المعنى . وهذا القسم هو ، ولا شك ، أهم أقسام الاختلاف ، واليه يجب أن توجه الدراسة .

هذه الأمور المذكورة ، نحصر جميع ما ورد من اختلاف في كلمات أو آيات من القرآن الكريم . أما ما ذكره العلماء من الأوجه التفسيرية للحديث : حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ومن جعلها خمسة وثلاثين وجهاً أو سبعة أوجه أو أقل من ذلك أو أكثر^٣ ، فإنها تفاسير متأخرة ، وأوجه نظر قيلت لإيجاد مخارج مسوغة لتفسير هذا الحديث .

ويصعب في هذا الموضع ذكر أمثلة لهذه الأمور ، فهي عديدة كثيرة ، ذكرت في كتب المصاحف وفي كتب التفسير ، وأورد شواهد منها (كولد تزهر) في كتابه عن (المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن) ، يمكن الاطلاع عليها في الصورة

-
- ١ الهمداني ، الاكليل (١٢٢/٨) ، المذاهب الاسلامية (٤ وما بعدها) .
 - ٢ « جواز اثبات بعض التفسير على المصحف ، وإن لم يعتقده قرآناً » ، المذاهب الاسلامية (١١ وما بعدها) ، الزرقاني على الموطأ (٢٥٥/١) .
 - ٣ النشر (٢١/١ وما بعدها) ، السيوطي ، اتقان (٧٨/١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٦/١) .

العربية له المطبوعة بمصر^١ . فمن أمثلة الاختلاف الحادث من الخط (تستكبرون)
 بالباء الموحدة و (تستكثرون) بالثاء المثلثة في الآية : « ونادى أصحاب الأعراف
 رجالاً يعرفونهم بسيماهم ، قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تستكبرون »^٢ .
 و (بشرأ) أو (نشرأ) في الآية : « وهو الذي يرسل الرياح بشرأ بين
 يدي رحمته »^٣ . وكلمة (إياه) في الآية : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه
 إلا عن موعدة وعدها إياه » ، إذ وردت أيضاً (أباه) بالباء الموحدة^٤ .
 وأمثال ذلك مما كان سببه النقط .

وبعد ملاحظة ما تقدم ، وحصر كل ما ورد في المصاحف وما قرأه القراء
 من قراءات ، نجد أن ما يختص منه باللهجات وباللغات قليل يمكن تعيينه ، ومعظمه
 مترادفات في مثل : أرشدنا واهدنا ، والعين والصوف ، وزقية وصيحة ، وهلم
 وتعال وأقبل ، وعجل وأسرع^٥ ، والظالم والفاجر ، وعنى وحتى^٦ ، وأمثال ذلك .
 وهذه الأمثلة هي كلمات مختلفة لفظاً ، ولكنها في معنى واحد . وهي كما ترى
 مفردات لا دخل لها في قواعد اللهجات .

وأما الاختلاف في الاظهار ، والإدغام ، والإشمام ، والتفخيم ، والترقيق ،
 والمد ، والقصر ، والإمالة ، والفتح ، والتحقيق ، والتسهيل ، والإبدال . فهذا
 ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى ؛ لأن هذه الصفات المتنوعة
 في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً^٧ ، وليس هو من قبيل الاختلاف
 المؤثر في قواعد اللهجة ، إنما هو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج حروف
 الكلمات ، فلا يصح أن يعد فارقاً كبيراً يمكن أن يكون حداً يفصل بين اللهجات ،
 بحيث يصيرها لغة من اللغات ، ثم إن بعضه يعود الى الخط ، وبعضه الى التجويد ،

١ (القاهرة ١٩٤٤ م) ، (علي حسن عبدالقادر) .

٢ الأعراف ، آية ٤٨ .

٣ الأعراف ، آية ٥٧ .

٤ التوبة ، آية ١١٤ .

٥ النشر (٢٩/١ وما بعدها) ، القرطبي (١٦/١) ، السيوطي ، اتقان (٧٩/١ وما
 بعدها) .

٦ مباني (٩) ، Noldeke, Geschichte, I, 51.

٧ النشر (٢٦/١ وما بعدها) .

أي طريقة التلاوة والأداء^١ .

وللحكم على أصل المترادفات ، يجب مراجعة سلسلة السند للوصول الى صحة تسلسل الأخبار من جهة ، والى معرفة راوي الخبر والقبيلة التي هو منها لمعرفة القراءة التي قرأها ، وهل هي من لهجة قبيلته ، أم هي مجرد كلمة من اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم نفسها ، تلقاها القارئ على الشكل الذي رواها في قراءته .

لقد أشار العلماء الى أمثلة من كلمات غير قرشية وردت في القرآن الكريم ، ذكروا أنها من لهجات أخرى ، ومنها : الأرائك ، ولا وَزَرَ ، و (حور) ، وأمثال ذلك رجع بعضهم أصولها الى خمسين لهجة من لهجات القبائل ، كما أشاروا الى وجود كلمات معربة أخذت من لغات أعجمية مثل الرومية ، والفارسية ، والنبطية ، والحبشية ، والسريانية ، والعبرانية وأمثال ذلك^٢ ، وأتقوا في ذلك كتباً ، منها : كتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة (٢٢٣ هـ) (٨٣٨ م) ، واسمه : « رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل »^٣ ، وكتاب لغات القرآن ، لأبي زيد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٤ هـ) (٨٢٩ م)^٤ ، وغيرهما . ولكن بحوث هؤلاء العلماء انحصرت في دراسة المفردات ، أي الكلمات لا غير . ثم إن الذين تناولوها لم يكن لهم علم بأكثر اللغات التي رجعوا أصولها اليها ، ولا سيما اللغات الأعجمية مثل الرومية ، والسريانية ، والنبطية ، والحبشية . غير أن من الجائز أن يكون هؤلاء قد سمعوا عنها من الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام . ولكن طريقة السماع هذه لا تكفي لإعطاء حكم على أصل لغة ، بل لا بد من وجود علم ومعرفة بقواعد تلك اللغة وتأريخها وتطورها ، والإحاطة بالعلاقات التاريخية بين العرب وغيرهم قبل الإسلام لمعرفة كيفية دخول تلك الكلمات الى العرب ، وإيجاد وجه صحيح للمقارنة بين اللغتين . وهذا ما لم يحدث في تلك الأيام .

- ١ راجع بعض الامثلة في (ص ٧) من كتاب المصاحف : للسجستاني « تحقيق آرثر جفري » ، (القاهرة ١٩٣٦ م) .
- ٢ السيوطي ، اتقان (٢٢٩/١ وما بعدها) .
- ٣ طبع مع كتاب الديريني المسمى (التيسير في علم التفسير) ، في القاهرة سنة ١٩١٠ هـ ، ومع تفسير الجلالين المطبوع في القاهرة كذلك سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٤ الفهرست (٥٥) .

ولما كانت قراءة عبدالله بن مسعود من القراءات المشهورة المعروفة ، وكان عبدالله بن مسعود من قبيلة هذيل^١ ، وجب علينا البحث في لهجة هذيل لمعرفة خصائصها ومميزات ما انفردت به عن غيرها من اللهجات . وهذيل من القبائل التي عرفت بجودة لهجتها ، في تدوين القرآن الكريم^٢ . ولذلك رأى الخليفة عثمان أن يكون الملى من هذيل والكاتب من ثقيف . وقد ذكرت لهجتها في جملة اللهجات التي نص عليها في الحديث المذكور على نحو ما أشرت إليه ، كما أخرجت عدداً من الشعراء جمع بعض العلماء أشعارهم في ديوان ، وقد طبع في القاهرة ديوان شعراء هذيل^٣ . ويفيدنا شعر هؤلاء الشعراء بالطبع في الوقوف على لهجة هذه القبيلة . ولكن هذا الشعر هو مثل شعر سائر الشعراء الجاهليين الآخرين ، مصقول مهذب ، هذب على وفق قواعد اللغة العربية التي ضبقت في الإسلام ، ثم هو مضبوط برواية رواة هم في الأغلب من غير هذيل . ولهذا قلنا نجد في شعر هؤلاء الشعراء وغيرهم ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية ، حتى أننا لا نستطيع في هذه الحالة أن ندعي أن هذا الشعر هو بلهجة هذيل . وقد حرمتنا العقل الوقوف على لهجات القبائل التي أخرجت أولئك الشعراء ومعرفة مؤثراتها في شعر أولئك الشعراء .

ومن أهم الأمثلة التي أوردها العلماء في قراءة (ابن عباس) مما له علاقة باللهجات ، قراءته كلمة (حتى) (عتي) في الآية : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنّه حتى حين »^٤ . وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن هذه القراءة هي بلهجة هذيل^٥ ، وأن (عتي) هي (حتى) عند هذه القبيلة ؛ ذلك لأن هذه القبيلة تستعمل حرف العين بدلاً من الحاء في لهجتها^٦ . ولم يشر

١ طبقات ابن سعد (١٥/١) ، (١٠٥/٣) ، عيون الاخبار (٣٧٣) .
Ency., 2, 403, Goldziher, Vorlesungen, S., 65.

٢ الصاحبى (٢٨) ، « وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف »
وقال عثمان : اجعلوا المحلى من هذيل ، والكاتب من ثقيف ، Rabin, p. 79.

٣ الخصائص (١٣٠/١) ، ديوان الهذليين : القاهرة ١٩٤٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٤ سورة يوسف الرقم ١٢ ، آية ٣٥ .

٥ البيضاوي (٤٦٠/١) ، ابن مالك ، التسهيل (٥٧) .

٦ المزهر (١٣٣/١) ، (٢٢٢/١) ، (القاهرة ١٩٥٨ م) ، (الباب الحادي عشر) ،
Rabin, p. 84.

العلماء الى موضع أخرى استعمل (ابن مسعود) فيها كلمة (عتي) في موضع (حتى) الواردة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، كما أننا لم نجد في كتب اللغة المتقدمة إشارة الى استبدال هذيل حرف العين بحرف الحاء . ونظرية (فحفحة) هذيل ، رأي متأخر لم يقرن بأدلة وأمثلة ، فهو رأي لا يمكن الأخذ به ^١ . وأظن أن هذه القراءة المنسوبة الى (ابن مسعود) ، هي من القراءات المتولدة من حدوث اشتباه في القراءة ، من جراء عدم حصول التمييز بين (العين) و (الحاء) في (حتى) . ووقوع الاشتباه بين الحرفين في ابتداء الكلمات ، أمر ليس بصعب ، وإلا فلم انفرد ابن مسعود في هذا الموضع فقط ، باستعمال (عتي) ، ولم يستعملها في المواضع الأخرى وهي كثيرة في القرآن الكريم ؟

نعم ، لقد ورد في روايات ابن مسعود قرأ (نحم) بدلاً من (نعم) في القرآن الكريم ^٢ ، وأنه قرأ (بُحْرَ) عوضاً عن (بُعْثَر) ^٣ . وهذه الروايات تناقض الروايات السابقة التي تزعم أنه قرأ (عتي) في موضع (حتى) في الآية المذكورة ، إذ نجده في هذه الروايات يقرأ (العين) حاءً ، أي عكس تلك القراءة المنسوبة اليه . ثم إن المفسرين وعلماء القراءات ، لم يشيروا الى قراءات أخرى له من هذا النوع قلب فيها حرف العين حاءً مع تعدد ورود حرف العين في القرآن الكريم .

وهناك روايات تفيد أن أسداً وتيمياً استعملوا حرف الحاء في موضع العين في بعض الحالات ، فقالوا : (مَحْمَهُم) بدلاً (مَعْمَهُم) و (أَحْمَهُد) في موضع (أَحْمَهُد) ^٤ . ولكنها لم تشر الى أمثلة أخرى من هذا القبيل . وهذان المثالان لا يكفيان بالطبع لإعطاء حكم في هذا الإبدال عند القبيلتين . ولكن هنالك رواية متأخرة لا نعرف مرجعها تفيد أن هذا الإبدال واقع في لهجة سعد بن بكر ، وهي قبيلة تقع موطنها في شمالي المدينة ^٥ . ولكن ما صلة ابن مسعود بهذه القبيلة وهو

١ Rabin, p. 85.

٢ المغني (٢٥ / ٢) .

٣ « أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور » ، العاديات ، الرقم ١٠٠ ، الآية ٩ ،

Rabin, p. 85. Beck, in Orientalia, vol., XV, 182.

٤ Rabin, p. 85.

٥ المصدر نفسه .

من هذيل ؟ هل نفترض أنه أخذ قراءته تلك من أفواه رجال هذه القبيلة ؟ إذا أخذنا بهذا الظن ، وجب علينا اثبات ذلك بدليل ، وذكر أسماء الصحابة الذين أخذ ابن مسعود منهم قراءته . ويجب حينئذ رجوع تلك القراءة الى أولئك الصحابة لا الى ابن مسعود . والواقع أننا لا نستطيع أبداً الاثبات بدليل ما يثبت احتمال هذيل حرف العين في كلامها في موضع الحاء وبالعكس .

ورأيي أن ما نسب الى ابن مسعود في هذه القراءة أو القراءات الثلاث ، سببه وهم وقع فيه مَنْ نسب تلك القراءة إليه ، وهو ناتج من كتابة المصحف المنسوب إليه . وإلا ، فلا يعقل أن يقتصر ابن مسعود على هذه القراءة أو القراءات التي هي ليست من لهجة أهل مكة ولا أهل يثرب ولا هذيل ، ثم يترك سائر المواضع . ولا يعقل كذلك تلفظ الرسول بهذه اللهجة الشاذة التي لا نعرف من كان يستعملها على وجه ثابت ، وقد نزل القرآن بأفصح اللهجات .

والى أمثال هذه القراءات الشاذة ، التي يجب نقدها وتمحيصها بعناية ، استند (كارل فولرس) في نظريته القائلة بحدوث تغيير في نص القرآن الكريم . وهي نظرية لم يُقرّها عليه بعض كبار المستشرقين . ولو فحصت ودققت ، لتبين أنها بنيت على روايات لا تثبت أمام التمحيص ، أخذها لمجرد ورودها في الكتب . ولكن ليس كل ما يرد في الكتب بأمر مسلم به .

وقد بحث العلماء في اللغات التي وقعت في القرآن بغير لغة قريش ، وفي جملتها لغة حمير ، ورجعت الى بحوثهم ، فوجدت أن ما نسب الى الحميرية من كلمات ، لا يحمل طابع الحميرية ، وليس من لغة العرب الجنوبيين بشيء . وقل مثل ذلك عن لغة (جرهم) ، فقد دونوا ألفاظاً زعموا أنها وردت بلغة (جرهم) ، ونحن نعلم من أقوال أهل الأخبار أنفسهم أن (جرهما) كانوا من الشعوب العربية البائدة التي هلكت قبل الاسلام بزمن طويل . وقد ماتت لغتهم معهم بالطبع ، فكيف تمكن العلماء من تشخيص هذه الألفاظ ومن إرجاعها الى جرهم ؟ وقد وجدت أيضاً أن ما ذكروه من أمثلة أخرى على لغات القبائل التي وردت ألسنتها في القرآن هو من هذا القبيل ، ولا سيما القبائل المألوفة مثل (مدين) ، فالعلماء الذين شخّصوا تلك اللهجات التي زعموا أنها وردت في القرآن ، يذكرون أن بعض أصحاب هذه اللهجات هم من العرب البائدة ، فهم ممن ماتوا وبادوا ، وماتت

لغتهم بموتهم ، فما يذكرونه من ألفاظ لغاتهم الواردة في القرآن ، هو مما لا أصل له إذن . ثم لأنهم نسبوا ألفاظاً الى (حمير) ، وجدنا أنها ليست حميرية أبداً ، أضف الى ذلك أنهم لم يدرسوا العرييات الجاهلية دراسة علمية ، ولم يكن لهم علم بها ، ولهذا فما ثبتوه ودوتوه عن اللغات العربية في القرآن ، لا يمكن الأخذ به ، لأنه لا يستند على علم بالموضوع ، ولا على دراسات لتلك اللهجات .

ومن أمثلة ما ذكروه على أنه من لسان (حمير) ، الأرائك ، ولا وزر ، بمعنى لا جبل ، وحر ، وهو ، بمعنى المرأة ، ولا تفشلا ، وعثر ، وسفاهة ، وزيلنا ، ومرجواً ، وإمام وغير ذلك^١ ، وذكروا أن (باءوا) ، وشقاق ، وخيراً وكذاب ، وأراذلنا ، ولقيفاً ، وغير ذلك من لغة جرهم^٢ ، وهي كلها من تخرصات من نسبها الى جرهم ، لما قالوه أنفسهم من هلاك جرهم قبل الاسلام بزمان طويل ، فن أبليغهم اذن أن هذه الألفاظ من ألفاظ جرهم ، ولم نزلت في القرآن ، وقد نزل الوحي للأحياء وليس للأموات !

وقد ذهب البعض مذهباً بعيداً في اللغات الواردة في القرآن ، فذهب الى أن (غساق) ، بمعنى المتن بلسان الترك ، وهو بالطخارية^٣ ، وأن (سيدها) زوجها بلسان القبط ، وأن (الأرائك) بالحيشية ، وأن (سبجى) بلسان الحبشة ، وأن (الجبت) الشيطان بلغة الحبش ، وأن (حرم) بمعنى وجب بالحيشية ، وأن (سكر) ، بمعنى الخلل بلغة الأحباش ، وأن (سينين) بمعنى الحسن بلسان الحبشة ، وأن (شطر) حبشية ، وان (العرم) حبشية ، وأن قنطار بلسان أهل إفريقية ، الى غير ذلك من ألفاظ^٤ .

ونجد رواية تذكر أن الصحابة لما تشاوروا في أمر تسمية القرآن ، ما يسمونه؟ فقال بعضهم : سموه السفر ، قال ذلك اسم تسميه اليهود ، فكروهوه ، فقال رأيت مثله بالحيشة يسمى المصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف^٥ ، فجعلوا اللفظة حبشية .

-
- ١ المزهري (٩٣/٢) وما بعدها .
 - ٢ المزهري (٩٥/٢) وما بعدها .
 - ٣ الاتقان (١١٥/٢) .
 - ٤ الاتقان (١٠٩/٢) وما بعدها .
 - ٥ السيوطي ، الاتقان (١٦٦/١) .

ولو درسنا الألفاظ المعربة المذكورة ، نجد أن العلماء قد أخطأوا في تشخيصها وخططوا في الغالب بين أصولها ، بسبب أنهم لم يكونوا يحسنون اللغات الأعجمية ، ما عدا الفارسية ، وأنهم لم يراجعوا أهل العلم والتخصص في اللغات الأعجمية ، من رجال الدين من أهل الكتاب ، أو المتبحرين بالأدب من الروم والسرمان ، بل اكتفوا بمراجعة أياً كان ممن كانوا يعرفونهم من نصارى ويهود ، وحيث أنه لم يكن لدى هؤلاء علم المتبحرين في الدين والأدب ، جاءت أجوبتهم فجسة أو مغلوطة ، ودوت على هذه الصورة .

ونظراً لعدم وقوف العلماء على اللغات العربية الجنوبية ، جعلوا ألفاظاً عربية واردة في القرآن مثل (العرم) لفظة حبشية^١ ، مع أنها لفظة عربية جنوبية ، مدونة في النصوص ، وجعلوا ألفاظاً أخرى من هذا القبيل ، من الألفاظ المعربة عن لغات أعجمية .

وقد اتخذ بعض العلماء حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف دليلاً على نزول القرآن بلغة قريش ، فقد قالوا : إن الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن واقعة كلها في لغة قريش ، ذلك أن قريشاً كان قد داوروا بينهم لغات العرب جميعاً وتداولوها ، وأخذوا ما استملحوه من هؤلاء وهؤلاء في الأسواق العربية ومواسمها ، وأيامها ووقائعها ، وحجها وعمرتها ، ثم استعملوه وأذاعوه ، بعد أن هذبوه وضقلوه . وبهذا كانت لغة قريش مجمع لغات مختارة منتقاة من بين لغات القبائل كافة ، وكان هذا سبباً من أسباب انتهاء الزعامة اليهم ، واجتماع أوزاع العرب عليهم ، ومن هنا شاعت الحكمة أن يطلع عليهم القرآن من هذا الأفق ، وأن يطل عليهم من سماء قريش^٢ .

وهو استنتاج غير مقنع ، لما أورده العلماء أنفسهم من أقوال وتفسير للحديث المذكور ، ولما أورده من أن الصحابة من قريش ، كان يشكل عليهم اللفظ من القرآن مثل (أبا) فيسألون عنه ، لأنه لم يكن من لغة قريش . فقد ذكروا أن (عمر) ، قرأ (عبس وتولى) حتى أتى على هذه الآية : وفاكهة وأباً ، فقال : قد علمنا الفاكهة فما الأب^٣ . ثم قال : لعمرك يا ابن الخطأب ان هذا

١ الاتقان (١٠٩/٢) .

٢ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٨٣) .

لهو التكلف . وذهب البعض الى أن المراد من اللفظة ما أنبت الأرض للأنعام ، وذكر بعض العلماء أنها بلغة الحبش^١ . وذكروا أشياء أخرى من هذا القبيل ، تعارض قبول هذا الاستنتاج .

والذي أراه أن نص القرآن يعارض حديث الأحرف السبعة ، ففيه : « بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ »^٢ ، وفيه : « قل : ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن اتبع إلا ما يوحى إليّ ، اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم »^٣ وفيه « إنا نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . فليس للرسول أن يغير أو يبدل ما نزل به الوحي عليه ، ثم إنه كان لا ينتهي من الوحي ، حتى يأمر من يكون عنده بتدوينه بلسانه حال نزوله عليه ، وإذا لم يكن هناك كاتب أمر من يستدعي له كاتباً ليدونه ، فكيف يتفق ذلك مع هذا الحديث ، ومع الأمثلة التي ذكروها في القراءات ؟ ورد أن الرسول علم (البراء بن عازب) دُعَاء فيه : « ونبئك الذي أرسلت » ، فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله قال : « ورسولك الذي أرسلت » ، فلم يوافقه النبي على ذلك ، بل قال له : « لا ، ونبئك الذي أرسلت » . وهكذا نهاه أن يضع لفظة رسول ، موضع لفظة نبي ، مع أن كليهما حق لا يحيل معنى ، إذ هو رسول ونبي معاً ، فكيف كان يُجيز أن يوضع في القرآن مكان عزيز حكيم ، غفور رحيم ، أو سميع علیم ، وكيف نقبل هذه الرواية التي تذكر أن (عبدالله بن مسعود) أقرأ رجلاً كلمة (الفاجر) بدلاً من كلمة الأثيم في الآية : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، مع ورود المنع عن تغيير أي حرف من حروف القرآن ، وهل يعقل قيام (ابن مسعود) بذلك ، وسكوت الصحابة عن عمله ، لو صح أنه فعل ذلك .

ولو كان القرآن قد نزل بلغة قریش وحدها ، فلم كان الصحابة من قریش مثل (أبو بكر) و (عمر) وغيرهما ، يتحيزون في تفسير ألفاظ وردت فيه ، أو يلجأون الى الشعر يستعينون به في تفسير القرآن ، والشعر هو شعر العرب ، لا شعر قریش وحدها . قال (ابن عباس) « إن الشعر ديوان العرب » ، وكان

-
- ١ عبس ، الآية ٣١ ، تفسير الطبري (٣٨/٣٠) ، الاتقان (١٠٨/٢) .
 - ٢ البروج ، ٨٥ ، الآية ٢٢ .
 - ٣ يونس ، ١٠ ، الآية ١٥ .
 - ٤ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٨١ وما بعدها) .

إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعراء ، وقال : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً »^١ .

قال (ابن قتيبة) : « العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض ، والدليل عليه قول الله عز وجل : وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم^٢ ... ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله : إنك أتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقاً . فقال : إن ربي علمني فتعلمت » .

-
- ١ مقدمات في علوم القرآن (١٩٨ وما بعدها) .
 - ٢ العمدة (٣٠/١) .
 - ٣ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية .

الفصل التاسع والثلاثون بعد المئة

العربية الفصحى

نطلق اليوم على العربية التي ندون بها أفكارنا : (العربية الفصحى) ، وهي كما نعلم لغة الفكر والإدارة في العالم العربي . والعربية الفصحى ، هي لغة الفصاحة والبيان ، ومدار تركيب الفصاحة على الظهور والإبانة . يقال : أفصح إذا تكلم بالفصاحة . وفصح الأعجمي فصاحة ، إذا تكلم العربية وفهم منه^١ . وهي اللغة العربية العالية التي لا تدانيها لغة عربية أخرى من اللغات العربية الباقية ، واللسان الذي يحاول أن ينطق به كل مثقف مهذب ، وأن يؤلف ويعبر عن مراده به .

وعرفت العربية الفصيحة بالعربية العالية ، وكان علماء اللغة إذا سموها كلمة بسمه الفصاحة ، قالوا : كلمة فصيحة ، وكلمة عالية ، وإذا سموها بالضعف وبالركاكة ، قالوا : ليست بعربية فصيحة ، أو ليست بالعالية . « قال ابن سيده : أشكد لغة ليست بالعالية »^٢ . وقالوا في (لغة رديئة) ، وقالوا : « وهي لغة أهل العالية »^٣ . « والعالية ما فوق أرض نجد الى تهامة والى مسا وراء مكة ، وهي الحجاز وما والاها .. وقيل عالية الحجاز ، أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً وهي بلاد واسعة ، والمسمى بالعالية : قرى بظاهر المدينة المشرفة ، وهي العوالي ،

-
- ١ تاج العروس (١٩٧/٢) ، (فصيح) .
 - ٢ تاج العروس (٣٩٠/٢) ، (شكك) .
 - ٣ تاج العروس (٢٢٨/٢) ، (ملح) .

وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية ، والنسبة اليها عالي على القياس ، ويقال أيضاً علوي بالضم ، وهي نادرة على غير قياس ^١ . وعرفت هذه العربية العالية بالعربية المينة ، دعت بذلك ، لأن (اسماعيل) أول من فتق لسانه بها ، فأبان وأفصح ^٢ ، وأرى أنها إنما نعتت بذلك ، من القرآن الكريم ، ففيه « بلسان عربي مبين » ^٣ ، و « هذا لسان عربي مبين » ^٤ . وقصد العلماء من قولهم : « ليست بالعالية » ، بمعنى ليست بفصيحة ، ولم يقصدوا النسبة الى (العالية) التي هي الأرض المذكورة . غير أننا نجدهم أحياناً يقصدون بها أهل العالية ، فرى (الطبري) يذكر في تفسيره في قراءة « فيسحتكم » : « والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . غير أن الفتح فيها أعجب إليّ ، لأنها لغة أهل العالية . وهي أفصح ، والأخرى وهي الضم في نجد » ^٥ . والعالية ما فوق أرض نجد الى أرض تهامة والى ما وراء مكة . وهي الحجاز وما والاها . وقيل : عالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً ، وهي بلاد واسعة ، والمسمى بالعالية قرى بظاهر المدينة المشرفة ، وهي العوالي . « وعليها مضر بالضم أعلاها ، وقيل قريش وقيس ، وما عداهم سفلى مضر » ^٦ .

ونجد علماء العربية يستعملون مصطلح : « وليس بالعالي » ، أو « ليس في اللغة العالية » ، و « الفصح ... » ، أو « والفصحاء يقولون » ^٧ ، في تقييم الكلم ، كما استعملوا : « وليس بالمعروف » ، أو « والأول أعلى » ، و « لغة مجهولة » ، أو « متروكة » ، أو « بمحتمل أن يكون من أمثلة المنكر » ، و « كلام قديم قد ترك » ، و « وهذا لا يعرف في أصل اللغة » ، أو « المعروف » ^٨ ، وأمثال ذلك من مصطلحات للتعبير عن درجة الكلمة ومكانتها

١ تاج العروس (١٠ / ٢٥٠) ، (علا) .

٢ المزهر (٨١ / ١) .

٣ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٩٥ .

٤ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .

٥ تفسير الطبري (١٦ / ١٣٦) .

٦ تاج العروس (١٠ / ٢٥٠) وما بعدها ، (علو) .

٧ المزهر (١ / ٢١٥) وما بعدها .

٨ المزهر (١ / ٢١٤) وما بعدها .

في مقاييس علماء اللغة من حيث الفصاحة والركاكة وما بينها من درجات. والفصيح في نظر علماء العربية « ما كثر استعماله في ألسنة العرب ودار في أكثر لغاتهم ، لأن تكراره على الألسنة المستقلة بطبيعتها في سياسة المنطق دليل » على تحقيق المناسبة الفطرية فيه ^١ .

ويسوقنا البحث في موضوع اللغة العربية الفصحى الى التفكير في موضوع له صلة وثيقة بهذا الموضوع ، بل هو في الواقع جزء منه ، هو : لغة الأدب عند الجاهليين ، وهل كان لأهل الجاهلية لسان عربي واحد مبين ، استعملوه في التعبير عن عواطفهم شعراً أو نثراً ؟ وإذا كان لهم ذلك اللسان ، فهل كان فوق سائر لهجاتهم المحلية أو لهجات القبائل المتعددة ؟ أو أنه كان لهجة خاصة ؟ وإذا كان لهجة عالية خاصة ، فلهجة من يا ترى كانت هذه اللهجة ؟ وبأي موطن ولدت ؟ وهل كانت لهجة عامة مستعملة عند العرب عامة ، من عرب جنوبيين وعرب شماليين ، أو أنها كانت لهجة خاصة بالعرب الشماليين ؟ ثم هل كانت هذه اللهجة هي العربية التي نزل بها القرآن ، أم كانت عربية أخرى لا صلة لها بها ؟ أماتها الإسلام كما أمات أموراً من أمور الجاهلية ، لصلتها بالوثنية ، وأحل محلها لغة القرآن ، لغة قريش ؟ ثم هل كانت هذه العربية ، هي عربية الشعر ، بمعنى أن الشعراء كسانوا إذا أرادوا النظم ، نظموا شعرهم بهذه اللغة العالية ، متجاهلين لغتهم القبلية ، لأنها لغة الأدب الرفيع ، وبها كان يخطب الخطباء ؟

لقد عني عدد من المستشرقين بالإجابة عن أمثال هذه الأسئلة ، فكتب (نولدكه) ، رأيه في الموضوع في كتابه : تاريخ القرآن في باب القراءات واللهجات التي نزل بها القرآن الكريم ، كما تطرق اليه أيضاً في أثناء كلامه على الشعر الجاهلي ولغة الأدب عند الجاهليين ، وخلاصة رأيه أن الفروق بين اللهجات في الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات لم تكن كبيرة ، وأن اللهجة الفصيحة شملت جميع هذه اللهجات ^٢ . وذهب (غويدي) الى أن اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها ، ولكنها لم تكن لهجة معينة لقبيلة معينة ^٣ .

١ المظهر (١٢٦/١) .

٢ Nöldeke, Geschichte des Korans, Zweite Auflage, Erste Teil, S., 42, Neue Beiträge zur Semitischen sprachwissenschaft, Strassburg, 1910, S. I - 14.

٣ Guidi, Mix. Ling., Torino, 1901, p. 323.

ورأى (نلينو) ، أن العربية الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية ، وتهدبت في مملكة كندة وفي أيامها ، فأصبحت اللغة الأدبية السائدة . وعزا سبب ذلك الى ملوك هذه المملكة الذين أغدقوا على الشعراء وشجعوهم مما كان له وقع في نفوسهم ، ثم الى توسع رقعة هذه المملكة التي ضمت أكثر قبائل معدة ، وكان لها فضل توحيد تلك القبائل وجمع شتاتها ، فشاعت هذه اللهجة على رأيه في منتصف القرن السادس للميلاد ، وخرجت خارج نجد ، وعمت معظم أنحاء الجزيرة ولا سيما القسم الجنوبي من الحجاز الذي فيه يثرب ومكة والطائف ، مع بقاء اللهجات العامية في منطق الناس المعتاد ، وكان للعواصم المشهورة والملوك الحيرة وغسان شأن لا ينكر في هذا الانتشار السريع العجيب^١ .

وذهب (هارتمن) « Hartmann » و (فولرس) « Völlers » الى أن العربية الفصحى هي لهجة أعراب نجد واليامة ، غير أن الشعراء أدخلوا عليها تغييرات متعددة^٢ . وذهب (لندبرك) « Landburg » الى أن الشعراء هم الذين وضعوا قواعد هذه اللهجة ، وعلى قواعدهم سار المتأخرون ، ومن شعرهم استخرجت القواعد ، ومن قصائدهم تلك استنبط العلماء أصول النحو .

وزعم (فولرس) ، أن القرآن لم يتزل بلغة أعراب نجد واليامة ، وإنما نزل بلغة أهل مكة ، أي لغة قريش ، وهي لغة لم تكن معربة ، وإنما كانت لغة محلية ، فلما دوت قواعد العربية وثبتت طبق الاعراب على القرآن ، وصقلت لغة قريش وفقاً لهذه القواعد .

ولم يعين (فيشر) اللهجة التي نبتت منها العربية الفصحى ، غير أنه رأى أنها لهجة خاصة^٣ . ولـ (بروكلمن) و (ويتزشتاين) آراء في نشوء هذه اللغة وتطورها ، ولكنها لم يتحدثا عن علاقتها ببقية اللهجات^٤ .

ذهب (بروكلمن) الى أن لغة الشعر الجاهلي لا يمكن أن يكون الرواة والأدباء

١ الهلال ، السنة السادسة والعشرون ، أكتوبر ١٩١٧ ، (ص ٤٧ وما بعدها) ، جواد علي ، في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

٢ Völlers, Völkssprache, S., 184.

٣ Rabin, p. 17.

٤ Rabin, p. 17.

اخترعوها على أساس كثرة من اللهجات الدارجة ، ولكن هذه اللغة لم تكند تكون لغة جارية في الاستعمال العام ، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات ، وإن غدتها جميع اللهجات^١ .

وذهب (برجيه) الى أن العربية كانت لهجة قبلية صغيرة وصلت في وقت من الأوقات بفضل ظروف محلية الى درجة من الكمال خارقة للعادة ، وهي مدينة بانتشارها الى الاسلام^٢ .

و (ريجيس بلاشير) من المستشرقين الذين أيدوا رأي من ذهب الى وجود لغة عالية عند أهل الجاهلية ، فقال : « إن وجود لهجات ولغة عليا ليس فيه شيء مخالف للعادة ، كما أن نمو لهجة شعرية ليس فيه أيضاً شيء خارق »^٣ . واللغة المذكورة لهجة شعرية تنطبق على اللهجات المحلية ، بل هي امتداد لها ، « وهي في الجملة موضوعة للأغراض النبيلة والتعبير الفني عن بعض أنواع التفكير » ، لها خصائص اللهجات في وسط الجزيرة وشرقيها ، ولم تكن هذه اللهجة العالية قاصرة في الاستعمال على أهل جزيرة العرب ، بل كانت لغة الشعر أيضاً عند عرب العراق وعرب بلاد الشام . ولهذا كان الشعر مفهوماً عند جميع الجاهليين ، أينما كانوا : سواء كانوا في جزيرة العرب ، أم في العراق وفي بلاد الشام . وكانت الفوارق بين هذه اللهجة وبقية اللهجات تختلف تبعاً للمجموعات اللغوية . فالفارق ضئيل بينها وبين لهجات أواسط جزيرة العرب وشرقيها ، ولها خصائص الأقسام الشرقية والوسطى من جزيرة العرب . وكان الشاعر ، يتزح دوماً الى الابتعاد عن مؤثرات لهجته القبلية ، والارتفاع عنها ، الى لغة الشعر المتعارفة بين الجاهليين آنذاك ، لكونها اللغة الرفيعة في نظر أهل الجاهلية ، وكانت تدل على تهذيب الشاعر وسمو مداركه وثقافته^٤ .

ويرى (بلاشير) أن علماء اللغة والنحويين أخذوا بضبط قواعد اللغة ، غربلوا اللهجات ، وتوغلوا بين الأعراب مدفوعين بعقلية تنهيج وتنقية اللغة مما أدى بهم

١ بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (٤٢/١) .

٢ ريجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي (٨٦) .

٣ تاريخ الأدب العربي (٨٨) ، (تعريب ابراهيم كيلاني) .

٤ ريجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي (٨٧ وما بعدها) .

الى توحيد لغتي القرآن والشعر الجاهلي ، في الوقت الذي نظموا فيه واستخرجوا قواعد العربية الفصحى ، مما أدى الى إضاعة أشياء قليلة من اللهجة الشعرية الجاهلية في سبيل التوفيق بينها وبين لغة القرآن . وما العربية الفصحى الحالية إلا لهجة ولدت من لغة الشعر ولغة القرآن ، والقرآن والشعر الجاهلي المضبوط في شكله الحاضر لا يمثلان اللغة الشعرية في شكلها القديم ، وإنما يتعدان بعض الابتعاد عن تلك اللهجة ، بسبب ما فعله علماء النحو والصرف ، في تلك اللهجة من تشذيب وتهذيب لتلتئم مع لغة القرآن ومع قواعدها وقواعد لغة الشعر التي رسخها علماء اللغة .

وأما رأي علماء العربية ، فخلاصته أن لغة قريش هي الأصل ، « وإنما صارت لغتهم الأصل ، لأن العربية أصلها اسماعيل عليه السلام ، وكان مسكنه مكة »^١ . وعندهم ان العربية قحطانية وحيرية وعربية محضة ، وبهذه الأخيرة نزل القرآن ، وقد انفتحت بها لسان اسماعيل^٢ ، وهي العربية الفصحى ، لسان اسماعيل ، ألهم بها اسماعيل إلهاماً^٣ . روي عن (عمر) أنه قال : « يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ » قال : كانت لغة اسماعيل قد درّست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفظتها ، فحفظتها^٤ . وهم يقولون إن : « أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم » ، أو أن « أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم » ، بل تجاوز بعض منهم ، وبالحق حتى زعم أن « العرب كلها ولد اسماعيل ، إلا حمير وبقايا جرهم » ، وأن العربية الصحيحة الفصيحة هي العربية التي نزل بها القرآن ، أما لسان حمير وأقاصي اليمن ، فليس « بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا »^٥ .

ورأيهم أن قريشاً أفصح العرب السنة ، وأصفاهم لغة ، وأنقاهم لساناً ، « وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب ، واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشاً قطان حرمه ، وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من

-
- ١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٨٠/١) .
 - ٢ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٨٠/١) .
 - ٣ المزهر (٣٢/١) وما بعدها .
 - ٤ المزهر (٣٤/١) وما بعدها .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٤) وما بعدها .

حُجَّاجُهَا وَغَيْرِهِمْ يَفْدُونَ إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ ، وَيَتَحَاكِمُونَ إِلَى قَرِيشَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَكَانَتْ قَرِيشَ ، مَعَ فَصَاحَتِهَا وَحَسَنِ لُغَاتِهَا ، وَرَقَّةَ أَلْسِنَتِهَا ، إِذَا أُنْتَهَمَ الْوُفُودُ مِنَ الْعَرَبِ تَخَيَّرُوا مِنْ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ أَحْسَنَ لُغَاتِهِمْ ، وَأَصْفَى كَلَامِهِمْ ؛ فَاجْتَمَعَ مَا تَخَيَّرُوا مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ إِلَى سُلَاقَتِهِمْ الَّتِي طَبَعُوا عَلَيْهَا ؛ فَصَارُوا بِذَلِكَ أَفْصَحَ الْعَرَبِ .

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ فِي كَلَامِهِمْ عَنَعَةً تَمِيمَ ، وَلَا عَجْرَفِيَّةَ قَيْسَ ، وَلَا كَشْكَشَةَ أَسَدَ ، وَلَا كَسْكَسَةَ رِبِيعَةَ ، وَلَا كَسْرَ أَسَدَ وَقَيْسَ ^١ .

« وَقَالَ أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ : كَانَتْ قَرِيشَ أَجْوَدَ الْعَرَبِ انْتِقَاداً لِلْأَفْصَحِ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَأَسْهَلَهَا عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ النُّطْقِ ، وَأَحْسَنَهَا مَسْمُوعاً ، وَأَبَيَّنَهَا إِبَانَةً عَمَّا فِي النَّفْسِ » ^٢ . وَقَالَ ابْنُ خُلْدُونَ : كَانَتْ لُغَةُ قَرِيشَ أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْرَحَهَا لِبَعْدِهَا عَنْ بِلَادِ الْعَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ، فَصَانَهَا بَعْدَهَا عَنْ الْأَعَاجِمِ مِنَ الْفُسَادِ وَالتَّأَثُّرِ بِأَسَالِيبِ الْعَجَمِ ، حَتَّى إِنْ سَاطَرَ الْعَرَبُ عَلَى نِسْبَةٍ بَعْدَهُمْ مِنْ قَرِيشَ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِلُغَتِهِمْ فِي الصَّحَّةِ وَالْفُسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ ^٣ .

وَرَوَى أَنَّ (مَعَاوِيَةَ) قَالَ يَوْمَاً : « مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ قَائِلٌ : قَوْمُ ارْتَفَعُوا عَنْ لُحْلُخَانِيَةِ الْفُرَاتِ ، وَتَيَسَّمَنُوا عَنْ عَنَعَةِ تَمِيمَ ، وَتَيَاسَرُوا عَنْ كَسْكَسَةِ بَكْرٍ ، لَيْسَتْ لَهُمْ غَمْغَمَةٌ قَضَاعَةً ، وَلَا طَمْطُمَانِيَّةَ حَمِيرَ . قَالَ : مِنْ هُمْ ؟ قَالَ : قَرِيشَ » ^٤ . وَقَالَ (ثَعْلَبُ) : « ارْتَفَعَتْ قَرِيشَ فِي الْفَصَاحَةِ عَنْ عَنَعَةِ تَمِيمَ ، وَكَشْكَشَةِ رِبِيعَةَ ، وَكَسْكَسَةِ هَوَازِنَ ، وَنَضْجِجِ قَيْسَ ، وَعَجْرَفِيَّةَ ضَبَّةَ ، وَتَلْتَلَةَ جِهْرَاءَ » ^٥ . وَوَرَدَ كَلَامُ (مَعَاوِيَةَ) مَعَ الْأَعْرَابِيِّ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ : أَنَّ (مَعَاوِيَةَ) « قَالَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : قَوْمُ ارْتَفَعُوا عَنْ فِرَاتِيَةِ الْعِرَاقِ ،

١ المزهري (٢٠٩/١) وما بعدها ، (الفصل الثاني في معرفة الفصيح من العرب) ،
الصاحبي في فقه اللغة (٥٢) ، (تحقيق مصطفى الشويخي) .

٢ المزهري (٢١١/١) .

٣ ابن خلدون ، مقدمة (٤٠٩) ، « الفصل الثاني والثلاثون من الفصل السادس » .

٤ البيان والتبيين (٢١٣/٣) .

٥ مجالس ثعلب (٨١) ، المزهري (٢١١/١) ، ابن جنس ، الخصائص (٤١١) ،
الصاحبي (٤٤) ، الخزائن (٥٩٥/٤) وما بعدها .

وروي : لخلخانية العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن كسكسة تميم ، ليست فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك قريش . قال : صدقت . ممن أنت ؟ قال : من جرم ^١ . والخلخانية اللكنة في الكلام ، والغمغمة : ألا يبين الكلام ، والطمطانية : العجمة . « قال الأصمعي : وجرم : فصحاء العرب . قيل : وكيف وهم من اليمن ؟ فقال : لجوارهم مضر ^٢ » فضرهم أهل الفصاحة على رأيه .

وروي « عن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، انه قال : قريش هم أوسط العرب في العرب داراً ، وأحسنه جواراً ، وأعربه ألسنة . وقال قتادة : كانت قريش تجني ، أي تختار أفضل لغات العرب ، حتى صار أفضل لغاتها لغتها ، فترل القرآن بها ^٣ .

وقد استدلووا نزول القرآن بلغة قريش بأدلة أخرى ، منها قول عمر : « لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف ^٤ .

وزعموا ان العرب « كانت تعرض أشعارها على قريش ، فا قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردّوه منها كان مردوداً ، فقدم علقمة بن عبدة التميمي ، فأنشدهم قصيدته : هل ما علمت وما استودعت مكتوم . فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته : طحا بك قلب في الحسان طروب ، فقالوا : هاتان سمط الدهر ^٥ . فا كان علقمة ولا غيره ليكلف نفسه مشقة الذهاب الى قريش ، والى سوق عكاظ ، لو لم تكن لغتها أفصح لغات العرب وأعلبها وأسلسها ، ولو لم يكن لها علم بالشعر يفوق علم غيرها به .

وزعموا أيضاً أن العرب كانوا في جاهليتهم يقول الرجل منهم الشعر فلا يعبا به ولا ينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج ، فيعرضه على أندية قريش فإن استحسّنوه روى ، وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى

-
- ١ الفائق (٤٥٩/٢) .
 - ٢ المصدر نفسه .
 - ٣ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) ، (طبعة دار صادر) ، تاج العروس (٣٧٤/١) ، (عرب) .
 - ٤ الصاحبى (٥٧ وما بعدها) .
 - ٥ الأغاني (١١٢/١٢) .

ينظر اليه ، وإن لم يستحسنوه طرح وذهب فيما يذهب. وقال « أبو عمرو بن العلاء: كانت العرب تجتمع في كل عام وكانت تعرض أشعارها على هذا الحي من قريش^١. وكان العرب يعلقون أشعارهم بأركان الكعبة ، كما فعل أصحاب المعلقات السبع، وإنما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من له قدرة على ذلك بقومه وبعصيته ومكانه في مضر^٢ .

فقريش أفصح العرب ، ومعدن الفصاحة ومركزها وينبوعها ، ثم من جاورهم وقاربهم ، ثم من جاء بعد هؤلاء ، فكلما بعد قوم عن قريش ، بعدت لغتهم عن الفصاحة ، ولهذا كان احتجاج علماء اللغة بلغات العرب على نسبة بعدهم عن قريش ، « فاعتبروا لغة قريش أفصح اللغات وأصححها ، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف ، وهذيل ، وخزاعة ، وبني كنانة ، وغطفان ، وبني أسد ، وبني تميم . ثم تركوا الأخذ عن بعد عنهم من ربيعة، ولخم ، وجذام ، وغسان ، وإياد ، وقضاعة ، وعرب اليمن ، لجاورتهم الفرس^٣ ، والروم ، والحبشة »^٣ .

وأما رأي المحدثين من علماء العربية عندنا ، فهو رأي الموافق المؤيد . هذا الدكتور (طه حسين) يقول في كتابه : (في الأدب الجاهلي) : « أما أن هذه اللغة العربية الفصحى التي نجدتها في القرآن والحديث وما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبي وأصحابه لغة قريش ، فما نرى أنه يحتمل شكاً أو جدلاً ؛ فقد أجمع العرب على ذلك بعد الإسلام ، واتفقت كلمة علمائهم وروائهم ومحدثيهم ومفسريهم على أن القرآن نزل بلغة قريش ، أو قل على أن هذا الحرف الذي بقي لنا من الأحرف السبعة إنما هو حرف قريش. وقد يكون من التكلف والتحذلق أن يجمع العرب كافة على أن لغة القرآن هي لغة قريش . وألاً يظهر في العصر الاسلامي الأول ولا في أيام بني أمية ولا في أيام بني العباس من ينكر هذا أو يجادل فيه رغم ما كان من الشعوية الأعجمية ومن الشعوية الحميرية ومن الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، ثم يزعم زاعم أن هذه

١ خزانة الادب (٨٧/١) .

٢ مقدمة ابن خلدون (٥٠٩/١) ، (١١٥) .

٣ الرافعي (٢٥٩/١) .

اللغة ليست لغة قريش ، وإنما هي لغة قبيلة أخرى مها تكن هذه القبيلة «^١ .
ثم يمضي قائلاً : « فنحن مضطرون أمام هذا الاجماع من جهة ، وأمام
قرشية النبي من جهة أخرى ، وأمام نزول القرآن في قريش من جهة ثالثة ، وأمام
فهم قريش للفظ القرآن في غير مشقة ولا عنف من جهة رابعة ، وأمام اتفاق
القرآن في اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبي القرشي ومن الرواية عن
أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، الى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة
قريش .

ستقول : ولكن هذه اللغة قد كانت تفهم في غير قريش من قبائل الحجاز
ونجد ، ومن هذه القبائل المضري كقيس وتميم ، ومنها اليمني كخزاعة والأوس
والخزرج ، بل منها قبائل لم تكن عربية بوجه من الوجوه وهي هذه اليهودية
التي كانت تستعمر شمال الحجاز . ولكنك تعرف رأينا في النسب وفي انتهاء هذه
القبائل الى اليمن أو الى مضر . ومع هذا فقد قلنا إن لغة قريش سادت قبيل
الاسلام . ونحن إن فكرنا عرفنا ان سيادة اللغات إنما تتصل عادة بالسيادة السياسية
والاقتصادية . فلنبحث عن البيئات الممتازة من الوجهة السياسية والاقتصادية في شمال
البلاد العربية قبيل الاسلام .

الحق اننا لا نستطيع أن نفكر في هذه السيادة الفارسية في الحيرة أو هذه السيادة
الرومية في أطراف الشام ، فقد كانت هناك أسر عربية تمثل هذه السيادة ، وكانت
لهذه الأسر ضروب من السلطان ، ولكن هذه الأسر لم تكن فيما يظهر حجازية ،
ولم تكن بيئاتها بيئات عربية خالصة ، إنما كانت بيئات مختلطة أقرب الى الأعجمية
منها الى أي شيء آخر . فلم تبق إلا بيئات أربع : بيئة كندية في نجد ، ولكن
هذه البيئة كانت يمنية إن صح ما زعم الرواة والمؤرخون . وسيادتهم لم تطل ولم
يكن لها من الضخامة ما يمكنها من أن تسلط سلطانها السياسي والاقتصادي والديني
على شمال البلاد العربية . وبيئة أخرى قرشية في مكة ، كان لها سلطان سياسي
حقيقي ، ولكنه قوي في مكة وما حولها ، وهذا السلطان السياسي كان يعتز
بسلطان اقتصادي عظيم ، فقد كان مقدار عظيم جداً من التجارة في يد قريش ،
وكان هذا السلطان يعتز بسلطان ديني قوي مصدره الكعبة التي كان يحج اليها أهل

١ طه حسين ، في الأدب الجاهلي (١٠٥) .

الحجاز وغير أهل الحجاز من عرب الشمال . فقد اجتمع لقريش اذن سلطان سياسي واقتصادي وديني . وأخلق بمن تجتمع له هذه السلطات أن يفرض لغته على من حوله من أهل البادية . وبيئة ثالثة هي بيئة الطائف ، كان لها شيء من السلطان الاقتصادي ولكنها لم تكن تداني البيئة المكية . وبيئة رابعة في شمال الحجاز ، هذه هي البيئة العربية في يثرب وما حولها . ولكننا نظن ان أحداً لا يفكر في أن يقول ان هذه العربية الفصحى كانت لغة هؤلاء الناس من اليهود أو من الأوس والخزرج فضلاً عن أن هذه البيئة على ثروتها وقوتها لم تكن تداني قريشاً فيما كان لها من سلطان .

لغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى ، فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية . وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب ، كما كان الحج ، وسيلة من وسائل السيادة للغة قريش ^١ .

وبعد أن انتهى (الدكتور طه حسين) من إصدار قراره ، قال : « ولكن ما أصل لغة قريش ؟ وكيف نشأت ؟ وكيف تطورت في لفظها ومادتها وآدابها حتى انتهت الى هذا الشكل الذي نراه في القرآن ؟ » . وكان جوابه على هذه الأسئلة قوله : « كل هذه مسائل لا سبيل الى الإجابة عليها الآن ، فنحن لا نعرف أكثر من أن هذه اللغة لغة سامية تتصل بهذه اللغات الكثيرة التي كانت شائعة في هذا القسم من آسيا . ونحن نكاد نأبى من الوصول في يوم من الأيام الى تأريخ علمي يحقق لهذه اللغة قبل ظهور الإسلام . وكيف والقرآن أقدم نص صحيح وصل إلينا في هذه اللغة ، ونحن نرى اللغة فيه كاملة متقنة تامة التكوين قد تجاوزت الوجود الطبيعي الى هذا الوجود الفني الراقي الذي يظهر في الآداب ^٢ .

وخلاصة رأي (الدكتور طه حسين) أن عربية قريش هذه ، التي نزل بها القرآن الكريم ، إنما سادت قبيل الاسلام ، ولم تكن سيادتها تتجاوز الحجاز . إذ يقول : « فالمسألة إذن هي أن نعلم : أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية وأخضعت العرب لسلطانها في الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده ؟ أما نحن

١ في الأدب الجاهلي (١٠٦ وما بعدها) .

٢ في الأدب الجاهلي (١٠٧) .

فنتوسط ونقول : انها سادت قبل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل الى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية . ولكن سيادة لغة قريش قبيل الإسلام لم تكن شيئاً يذكر ولم تكد تتجاوز الحجاز . فلما جاء الإسلام عمت هذه السيادة وسار سلطان اللغة واللهجة مع السلطان الديني والسياسي جنباً الى جنب ^١ .

وكان المرحوم (مصطفى صادق الرافعي) ، قد تعرض لهذا الموضوع وبحث فيه قبل (الدكتور طه حسين) ، في كتابه : « تأريخ آداب العرب » ، الذي طبعه سنة (١٩١١ م) ، فذهب مذهب الأسلاف في أن العربية بدأت بـ (اسماعيل) فلما خرج أولاده من ديارهم وانشعبت قبائلهم ، تنوعت لهجاتهم ، وتباينت ألسنتهم ، حتى ظهرت قريش من بينهم ، فأخذت وأعطت ، وهذبت الألسنة واستخلصت منها أعذبها وأسمأها ، ثم لا تزال تهذب في اللغة وتشذب حتى بلغت بها الكمال عند ظهور الإسلام ، بتزول الوحي بها . وكانت القبائل : « بطائعها متباينة اللهجات ، مختلفة الأقيسة المنطقية المودعة في غرائزها ، فكان قريش يسمعون لغاتهم ويأخذون ما استحسَنوه منها فيديرون به ألسنتهم ويجرون على قياسه ، ولو كانوا بادين كسائر القبائل ما فعلوه ، ولكن نوع الحضارة الذي اكتسبوه من تأريخهم ألان من طباعهم وكسر من صلابتهم ، فاتفقت في ذلك حياتهم اللغوية وحياتهم الاجتماعية القائمة بالتجارة وتبادل العروض مع أصناف الناس . فلما اجتمع لهم هذا الأمر ارتفعت لغتهم عن كثير من مُستبشع اللغات ومستقبجها ، وبذلك مروا على الانتقاد حتى رقت أذواقهم ، وسمت طبائعهم ، وقويت سلاقتهم ، وحتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عما في النفس ^٢ .

فهذا دور من أدوار تهذيب اللغة وتنقيتها ، قامت به قريش ، قامت به في مسكنها وموطنها مكة ، وقامت بدور آخر ، كان آخر الأدوار التي قامت فيها قريش في تهذيب العربية ، هو الدور العُكاظي ، وهو « حالة من أحوال الحضارة ، ولذلك اقتضى الصناعة اللسانية ، فكان العرب يرجعون الى منطق قريش ، كما

١ في الأدب الجاهلي (١٠٥) .

٢ الرافعي تأريخ آداب العرب (١ / ٨٥ وما بعدها) .

كان هؤلاء يبالغون في انتقاد اللهجات وانتقاء الأوضح منها . وهذا هو الدور الأخير من أدوار التهذيب اللغوي إذ يدخل في حالة عامة يشيع فيها المنطق الفصيح وتبلغ بها اللغة درجة عالية من النشوء ليس بعدها إلا موت الضعيف وتحوله الى شكل أثري لا منفعة منه للمجموع المكوّن على هذه الطريقة ، ولكنه يدل على أصل التكوين «^١ .

ثم توتج عمل قريش في تهذيب اللغة بتزول القرآن بلسانها « فإن هذا القرآن لو لم يكن بلسان قريش ما اجتمع له العرب البتة ولو كانت بلاغته مما يميمت ويحيي ، ثم كانوا لا يعدون في اعتبارهم اياه انه ضرب من تلك الضروب التي كانت لهم من خوارق العادات : كالسحر والكهانة وما اليها ، وهو الذي افترته قريش ليصرفوا به وجوه العرب ويميلوا رؤوسهم عن الإصغاء الى النبي «^٢ . ثم « ان القرآن لو نزل بغير ما ألفه النبي صلى الله عليه وسلم ، من اللغة القرشية وما اتصل بها ، كان ذلك مغمزاً فيه ، إذ لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه ، وبين ما ياثرونه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فيهون ذلك على قريش ، ثم على العرب ، فيجدون لكل قبيلة مذهباً من القول فيه ، فتتشق الكلمة ، ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء ، الى حال لا يلتئم عليه أبداً ، ولو أن شاعراً من شعرائهم ظهر فيهم بدين خيالي وأقامهم عليه ، لكان في الرجاء والاحتمال أن يستجيبوا له دون صاحب القرآن الذي ينزل عليه بلغة غير لغة قبيلته «^٣ .

ومجمل حجج الباقيين القائلين ان العربية الفصحى هي عربية قريش ، ان قريشاً « كانت مهوى أفئدة العرب في الجاهلية ، وكان لها عليهم نفوذ واسع بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي، إذ كانت حارسة الكعبة بيت عبادتهم، وكانت قوافلها تجوب أنحاء الجزيرة العربية، وكان العرب يجتمعون اليها في أعيادها الدينية وفي أسواقها القريبة والبعيدة .

ومعنى ذلك ان هنالك أسباباً دينية واقتصادية أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات

-
- ١ تأريخ آداب العرب (٨٧/١ وما بعدها) ، (أسواق العرب) .
 - ٢ تأريخ آداب العرب (٤٦/١) .
 - ٣ المصدر نفسه (٤٧/١) .

القبلية في الجاهلية ، وقد تداخلت فيها أسباب سياسية ، فإن القبائل العربية كانت ترى تحت أعينها هجوم الدول المجاورة من الفرس والروم والحبش على أطرافها ، كما كانت ترى هجوم الديانتين المسيحية واليهودية على دينها الوثني ، فتجمعت قلوبها حول مكة ، وهوت أفئدتها إليها . وبذلك كله تهباً للهجة القرشية أن يعلو سلطانها في الجاهلية اللهجات القبلية المختلفة ، وأن تصبح هي اللغة الأدبية التي يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم . وقد تدل على ذلك بعض الدلالة سوق عكاظ ، فقد كانت سوقاً أدبية كما كانت سوقاً تجارية ، وكان الخطباء يرتجلون فيها خطبهم وينشد الشعراء قصائدهم ، ولم يُروَ ذلك عن سوق سواها ، وما يدعم هذا الدليل ما قاله الرواة من أن العرب « كانت تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً » ، وما ردّوه منها كان مردوداً فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمي ، فأنشدهم قصيدته : هل ما علمت وما استودعت مكتوم . فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته : طحا بك قلبٌ في الحسان طروب ، فقالوا : هاتان سمطا الدهر .

واذن فنحن لا نعدو الواقع اذا قلنا إن لهجة قريش هي الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب ، بل في كل القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقاً ، وفي اليمامة والبحرين ، وسقطت الى الجنوب وأخذت تفتحهم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة في أطرافها الشمالية حيث منازل الأزرد وخثعم وهمدان وبني الحارث بن كعب في نجران . وما يؤكد ذلك ان الوفود اليمنية التي وفدت على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يحدثنا رواية الأخبار والسيرة النبوية انها كانت تجد صعوبة في التفاهم معه ، وأيضاً فإنه كان يرسل اليهم دعاة يعظونهم ويعلمونهم الشريعة الاسلامية من مثل معاذ بن جبل ، ولو انهم لم يكونوا يعرفون العربية الفصحى لكان ارسال هؤلاء الدعاة عبثاً . وكل هذه دلائل تدل على أن حركة تعريب واسعة في الجنوب حدثت قبيل الاسلام .

أما في الشمال فقد كانت الفصحى معروفة في كل مكان ، وكان الشعراء يتخذونها لغة لشعرهم ، وما يدل على ذلك دلالة قاطعة سرعة استجابتهم للقرآن الكريم ودعوته ، فإنهم كانوا يفهمونه بمجرد سماعه ، فإذا عرفنا أنه نزل بلغة قريش نتحم أن تكون هي اللغة الأدبية التي كانت سائدة ^١ .

١ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٣٣) وما بعدها .

وبعد ، فلقد عرضت عليك رأي المستشرقين في العربية العالية : عربية القرآن الكريم ، وعربية الشعر الجاهلي . ثم عرضت عليك رأي علماء العربية فيها من متقدمين ومن معاصرين ، وقد رأينا أن المستشرقين وعلماء العربية معاً ، لم يستندوا كلهم على سند جاهلي مكتوب ، ولا على نص مدون بهذه العربية ، لسبب واحد مفهوم معقول ، هو عدم ورود نصوص جاهلية مدونة بهذه اللغة فلم يكن أمامهم من سبيل سوى اللجوء الى الموارد الإسلامية للاستعانة بهديها في استنباط رأي علمي بهذا الموضوع ، وهذا ما فعلوه .

أما قول علماء العربية إن عربية القرآن الكريم عربية (إسماعيلية) ، بمعنى أنها عربية أخرى تختلف عن عربية العرب الجنوبيين ، فرأي مقبول ، على شرط أنه اصطلاح يعبر عن معنى اصطلاح عليه . فقد أشير الى (الإسماعيليين) في التوراة . وهم - كما سبق أن قلت - قبائل عربية شمالية كانت تقطن في القسم الشمالي الغربي من جزيرة العرب ، وكانت حدودهم الغربية على اتصال بالعبرانيين . ولا أعتقد أن أحداً من أصحاب الفقه في العربية ، يركبه الشطط فيقول إنه نزل بلغة عربية جنوبية ، أو بلغة ثمود أو لحيان أو الصفويين ، أو يقول إن الشعر الجاهلي ، قد نظم بلهجة من هذه اللهجات ، فكلام مثل هذا ، حتى لو صدر من أحد ، فإنه هراء يدل على جهل قائله بأبسط الأشياء .

وأما دعوى أن هذه العربية وحدها هي العربية الفصيحة الصحيحة ، وأن ما عداها من عرييات ، فلغات فاسدة رديئة ، فدعوى يمكن قبولها والتسليم بصحتها ، لو ان في وسع القائلين بها اثباتها بالأدلة المادية الملموسة ، أي بأدلة النصوص الجاهلية المكتوبة ، مع اثبات ان هذه اللغة الفصيحة كانت وحدها لغة الأدب والتدوين عند جميع العرب ، وان الجاهليين كانوا لا يكتبون إلا بها ، وأن ما سواها من اللهجات ، كانت لهجات كلام ، أي لغات العامة والسواد ، تكلموا بها كما نتكلم نحن اليوم فيما بيننا بلهجات محلية ، نسميها لهجات عامية ، فإذا كتبوا كتبوا بالعربية الفصيحة . ولكنهم عاجزون عن اثبات ذلك ، ثم ان النصوص الجاهلية تناهض دعواهم هذه ، فكل ما لدينا من نصوص جاهلية ، مكتوب بلهجات عربية أخرى ، خلا خمسة نصوص كتبت بعربية نبطية ، أي بعربية فيها ألفاظ واردة في العربية الفصحى ، ولكن الإرامية أو النبطية متحكمة في أسلوبها وفي قواعدها وفي الكثرة الغالبة من كلماتها بحيث تمنعها من أن تعدّ في عداد العربية

الفصيحة . لذا ، فنحن لا نخالف المنطق والعلم ، إن أظهرنا اعتراضنا عليها ورفضناها ، وما كان لنا لنعترض عليها ، لو ان الأمر كان على العكس ، لو ان غالبية النصوص الجاهلية كانت بهذه اللغة ، أو ان بعضاً منها على الأقل ، ولو بعضاً قليلاً ، كان بهذه العربية الخالصة ، أو اننا لا نملك نصاً جاهلياً بتاتاً ، بأية عربية كانت ، لا بهذه العربية ، ولا بالعربيات الأخرى ، أما وأن لديننا اليوم الألوف من النصوص الجاهلية ، وهي كلها بلهجات عربية أخرى ، ولا نملك نصاً واحداً مدوناً بهذه العربية الخالصة ، لذا ، فنحن لا نظلم أنفسنا ، ولا نظلم غيرنا ، ان رفضنا دعواهم المذكورة ، وقلنا ان اللغات التي موثقتا بالنصوص المذكورة ، هي لغات فصيحة بالنسبة للناطقين بها ، وفي نظرنا أيضاً ، وهي لغة أدب بالنسبة لأصحابها الكاتبين بها .

والقول بأن العربية الفصيحة هي وحدها العربية الصحيحة السليمة الفصيحة ، وأن ما عداها من لغات عربية فلفغات رديئة فاسدة ، أو أنها دونها في الفصاحة ، قول يمكن قبوله بالنسبة لأيام الإسلام ، حيث صارت هذه العربية لغة الدين والحكم والفكر ، بها تقوم الألسنة ، وبها يدون الناس آراءهم . أما بالنسبة الى أيام الجاهلية ، فإننا لا نستطيع التسليم به ، لسبب بسيط ، هو أن أهل العربية الجنوبية مثلاً ، كانوا يكتبون وينطقون بلغاتهم ، فلفغاتهم هي لغة التدوين والأدب عندهم ، بقوا يكتبون بها ، الى أن دخلوا في الاسلام ، فأبدلوا عندئذ بهذه العربية ، بحكم الدين . ودليل ذلك ، هذه النصوص المتأخرة المكتوبة بالمسند ، والتي لا يبعد تأريخها عن الاسلام كثيراً . فلو كانوا يرون أن هناك عربية أفصح منها ، أو أنهم كانوا يعلمون أن هناك عربية أرفع من عربيتهم شأناً ، يدون ويكتب بها بقية عرب الجزيرة وأنها لغة الثقافة والعلم ، لما نبذوها وعدلوا عنها الى عربيتهم ، وشذوا عن بقية اخوانهم العرب ، بتمسكهم بالكتابة بها وحدها . وينطبق هذا القول على قوم ثمود والصفويين والحيانيين والنبط ، فقد كتب كل قوم منهم بلغتهم ، ولم يكتبوا بهذه العربية ، وتدوينهم بلغاتهم ، دليل على ثبوت فصاحتها عندهم ، وليس في قول (ابو عمرو بن العلاء) : « ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا »^١ ، ما يدل على ازدياد شأن الحميرية ، أو

١ طبقات ابن سلام (٤ وما بعدها) .

الغرض منها ، وإنما هو تعبير عن حقيقة تاريخية ، هي أن الحميرية عربية أخرى ، وهي حقيقة لا يجادل على صحتها أحد ، كما أن التمودية واللحيانة والصفوية والنبطية عرييات أخرى . وكل هذه العرييات ، هي عربيات فصيحة بالنسبة لأصحابها ، لأنها لغة التدوين عندهم ، حيث لم يكن لأهل جزيرة العرب ، لغة أدب واحدة ، دون بها جميع الجاهليين ، حتى نقول إن النصوص الخارجة عليها ، أي النصوص المدونة بلهجات أخرى ، هي نصوص عوام وسواد ، كتبوا بلغاتهم كما يكتب العامة بلغاتهم هذا اليوم ، مع وجود العربية الفصيحة .

وأما قولهم ان هذه اللغة العربية الفصحى هي لغة قريش ، لاجتماع العرب كافة على ان لغة القرآن هي لغة قريش ، وعدم ظهور أحد أنكر هذا الاجماع ، أو جادل فيه ، رغم ما كان من الشعبية الأعجمية ومن الشعبية الحميرية ، ومن الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر^١ ، فقول لا يستند الى حجج تاريخية جاهلية ، بل هو يصطلم مع واقع النصوص الجاهلية الواصلة الينا ، وبعضها نصوص لا تبعد عن الاسلام بكثير ، وقد كتبت كلها بلهجات تختلف عن هذه اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن ، وفي اختلافها عنها دلالة ، على أن الشعوب التي تثبت تلك النصوص لم تكن تكتب بعربية القرآن . وفي هذه الدلالة تفنيد لقول من قال « إن لهجة قريش هي الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب ، بل في كل القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقاً ، وفي اليمامة والبحرين ، وسقطت الى الجنوب وأخذت تفتح الأبواب على لغة حبر واليمن ، وخاصة في أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبنو الحارث بن كعب في نجران »^٢ ، ثم انني لم أتمكن من العثور على هذا الاجماع الذي أجمع العرب كافة عليه ، والذي لم يعارضه أحد حتى من الشعبيين والحاقدين على قريش ، وإنما وجدت القرآن ، وهو خير الشاهدين يقول : « وهذا لسان عربي مبين »^٣ . و « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »^٤ .

١ طه حسين : في الأدب الجاهلي (١٠٥) .

٢ العصر الجاهلي ، شوقي ضيف (١٣٤) .

٣ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .

٤ يوسف ، الرقم ١٢ ، الآية ٢ .

« وكذلك أنزلناه حكماً عربياً »^١ . « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً »^٢ الى غير ذلك من آيات نصت نصاً صريحاً على أن لسان القرآن هو اللسان العربي ، فعينته بذلك وثبته ، ولم أجد في القرآن آية واحدة ذكرت انه نزل بلسان قريش ولو كان قد نزل بلسانهم وكان لسانهم خير الألسنة وأفصحها ، لما سكنت عن ذلك ، لما في النص عليه من أهمية ، بالنسبة الى العرب والى قريش المكابرين المناهضين للرسول ، ثم اني وجدت أن العلماء يذكرون أن في القرآن لغات أخرى ليست من لغة قريش ، وأن فيه ألفاظاً هي بلغة تميم ، أو بلغات أخرى مخالفة للغة قريش وأهل الحجاز ، وإن لهم آراء في الأخبار الواردة في انه نزل بلغة قريش ، مثل أخبار تنسب الى (عمر) تارة ، وتنسب الى (عثمان) والى غيره تارة أخرى ، وهي أخبار لا ندري مبلغ درجتها من الصحة أو الباطل ، يظهر انها وضعت تحت تأثير من العصبية السياسية التي ظهرت منذ أيام الرسول فيما بين الأنصار والمهاجرين ، ثم صارت عصبية قحطانية يمانية ، جعلت العرب عربين : فإما الى قحطان وإما الى عدنان ، وليس بينها جد ثالث .

ثم إنه لو كان قد نزل بلسان قريش ، وكان لسان قريش أفصح ألسنة العرب وأبينها وأبلغها وأكملها ، ولذلك كان نزوله بها حجة للخصوم وإفحاماً للمشركين وإخراجاً لهم وإعجازاً لهم ، فلم لم يذكر القرآن ذلك ، ولم يبين أنه نزل بلسان قريش أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، وإنه نزل بلسانهم ليكون حجة عليهم وإعجازاً لهم في أن يأتي أبلغهم بآية مثل آياته ، وفي ذكر قريش اذن إفحام لكل العرب . ولكننا نجد على العكس يخاطب قريشاً والعرب بقوله : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله »^٣ ، و « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله »^٤ ، فهو يحاججهم على أن يأتوا بمثله ، وباللسان الذي نزل به ، وهو لسان عربي مبين ، لا لسان بعض منهم ، أي بلسان قريش . ولو كان لسان هذا البعض هو أكمل الألسنة وأبلغها وأعذبها وأسلسها وأنقاها كان من الضروري ذكر ذلك إفحاماً للخصوم ،

-
- ١ الرعد ، الرقم ١٣ ، الآية ٣٧ .
 - ٢ الشورى ، الرقم ٤٢ ، الآية ٧ .
 - ٣ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٣ .
 - ٤ الاسراء ، الآية ٨٨ .

فعدم النص على ذلك اللسان ، هو أبلغ جواب على أنه لم يتزل به ، وعلى أن لسانهم المذكور لم يكن أكمل لسان عربي .

وأما العوامل التي أوجدها المحدثون في تفسير سبب سيادة لغة قريش على غيرها من اللغات عند ظهور الاسلام ، وهي: السيادة السياسية ، والسيادة الاقتصادية والسيادة الدينية ، وهي عوامل تتصل بها عادة سيادة اللغات^١ ، فهي عوامل وضعوها وضعاً وتخلوها من غير سند أو دليل ، أقاموها على تصورات أخذوها من أقوال لأهل الأخبار، لا يركن إليها ، ولا يعتمد عليها . وقد حاولت جهدي أن أعر في مؤلفات القائلين بها على سند واحد يثبت سيادة قريش السياسية على غيرها من القبائل عند ظهور الاسلام ، سيادة قوة وفتح ، أو سيادة نفوذ واعتبار فلم أجد فيها دليلاً واحداً يمكن أن يكون حجة لإثبات تلك السيادة . وكل ما وجدته فيها أحكاماً عامة مطلقة لم تقم على حجة ولا دليل^٢ . ثم راجعت الموارد القديمة عليّ أجد فيها شيئاً ، يثبت هذا التفوق ، فلم أجد فيها أي شيء أيضاً يدل عليه ، بل وجدت العكس ، وجدت أن سادات مكة مثل عبد المطلب وغيره كانوا يراجعون حكام اليمن ويتقربون اليهم ، لينالوا منهم العطف والرعاية، والهبات والألطف ، وكانوا إذا سمعوا بنبوء ملك منهم كرسي الحكم ، ركضوا اليه يهنئونه ، داعين له بالعمر الطويل ، وبالتوفيق في الحكم ، ثم وجدت فيها أن ساداتها كانوا يراجعون حكام العراق وبلاد الشام واليمن والحبشة ، ويتوددون اليهم بالهدايا ، لكسب عطفهم ، وللحصول على مساعدات منهم ، لتيسير سبل الاتجار مع الأرضين التي كانوا يحكمونها ، وأنهم كانوا يصانعون سادات القبائل ويؤلفونهم ، لضمان حق مرور تجارتهم بأرضهم بأمن وسلام ، في مقابل اتاوات تدفع لهم ، أو هدايا تحمل اليهم ، ثم رأيت ما كان من أمر (هاشم) واخوته من عقدهم الإيلاف السذي أشير اليه في القرآن^٣ . ثم وجدت ان أهل الأخبار يقولون ان (قيصر) أعان قصياً على خزاعة^٤ ، وأن (عثمان بن الحويرث)

١ في الأدب الجاهلي (١٠٦ وما بعدها) .

٢ في الأدب الجاهلي (١٠٥ وما بعدها) ، شوقي ضيف (١٣١ وما بعدها) .

٣ سورة قريش ، الرقم ١٠٦ .

٤ المعارف (٦٤٠) ، جواد علي ، المفضل (٣٩/٤) .

قد توسط لدى البيزنطيين لتنصيب نفسه ملكاً على مكة^١. ورأيت أن أهل الجاهلية، كانوا يعيرون قريشاً بأنها لا تحسن القتال، وأنها تجاري وتساير من غلب، وأنها لا تخرج إلاً بخفارة خفير، وبحلف حليف، وبحبل من هذه الحبال التي عقدتها مع سادات القبائل. فلما سمع (النعمان بن قبيصة بن حية الطائي) ابن عم (قبيصة بن إياس بن حية الطائي) صاحب الحيرة، بـ (سعد بن أبي وقاص)، سأل عنه، فقيل: «رجل من قريش»، فقال: أما إذا كان قرشياً فليس بشيء، والله لأجاهدنه القتال. إنما قريش عبيد من غلب، والله ما يمنعون خفيراً، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير^٢، فهل في هذا الكلام بعد - إن صح بالطبع - ما يشير إلى نفوذ سياسي.

بل وجدت أن أهل الأخبار يذكرون أن (قصي بن كلاب)، وهو مجمع قريش وموطد حكمها على مكة إنما بسط نفوذه عليها بمساعدة الروم له، حيث يقولون: «وجاء قصي بن كلاب، فجمع معداً - وبذلك سُمِّيَ مجمعاً - واستعان ملك الروم فأعانه، وحارب الأزد فغلبهم واستولى على مكة^٣. وكان الأزد على حد قول هذه الرواية قد طردوا جرهم عن مكة واستولوا عليها، فجاء (قصي) وأزاحهم عنها، بمعونة (ملك الروم)، فأكانت قريش لتريجهم عنها لولا هذه المعونة، وقوم يستعينون بالأجانب للاستيلاء على قرية فقيرة هي كل ما ملكوا هل يعقل بعد أن يكون لهم نفوذ سياسي على النحو الذي تصوره وذكره!

وقد وجدت أنهم كانوا يصطنعون الأحابيش والقبائل، للدفاع عن مدينتهم، وأنهم استعانوا بالقبائل يوم (الأحزاب) في قتالهم المسلمين. وليس في هذا الاصطناع دلالة على سيادة سياسية، وإنما هو دليل الضعف وشراء القلوب وتأليفها بالمال. فإذا كان في هذا الشراء معنى السيادة السياسية، فهو اذن أمر آخر. وقد رأينا أنهم كانوا يصانعون الصعاليك والخلعاء، للاستفادة منهم، وللاستعانة بهم في حماية أنفسهم^٤، ورأينا أن قريش الظواهر كانوا يفخرون على قريش مكة

١ الفصل (٣٩/٤) .
٢ الطبري (٥٧٢/٣) وما بعدها ، (دار المعارف) ، الفصل (٣٧/٤) .
٣ الخزائن (٣٢٤/٢) ، (هارون) .
٤ رسائل الجاحظ (٧٠) ، (السندوبي) ، جواد علي ، الفصل (٦٨/٤) .

بأنهم أصحاب قتال ، وانهم يقاتلون عنهم عن البيت^١ ، ثم رأينا أشياء أخرى من هذا القبيل ، تدل كلها على ان قريشاً كانوا ضعفاء غير محاربين ، شأن كل الحضرة ، بالنسبة الى الأعراب ، وانهم عمدوا لضعفهم هذا الى رشوة سادات القبائل بالهدايا وبالمال وبإشراكهم برأسمال قوافلهم ، لتأمين مرور أموالهم وتجاراتهم بأرضهم بأمن وسلام . فهل يقال بعد كل هذا انه قد اجتمع لقريش سلطان سياسي ، صار في جملة عوامل سيادة لغة قريش في جزيرة العرب قبيل الاسلام^٢ ونحن نعلم ، ان من أهم مقومات السيادة السياسية ، ضرورة وجود القوة العسكرية ، فالقوة العسكرية ، هي التي بسطت اللغة اليونانية في العالم القديم ، وهي التي نشرت اللغة اللاتينية في أنحاء الانبراطورية الرومانية ، وهي التي أوصلت اللغة العربية في آسية الى حدود الصين ، وفي اوروبا الى الأندلس وسواحل المحيط ، وهي التي جعلت الانكليزية اليوم لغة عالمية ، فكيف نتصور اذن خضوع العرب الشماليين قبل الاسلام أو قبيله ، للغة قريش ، مع ما نعرفه من ضعف قريش في قدرتها على القتال ، ولا سيما في ذلك العالم الذي كان القتال فيه شيئاً مألوفاً ، بل هو عنده من مستلزمات الحياة ، لأنه من وسائل الرزق بالنسبة للأعراب المساكين الذين حرمتهم الطبيعة من خيراتها ، بل حتى من ضروريات الحياة ، عالم لا يحترم فيه إلا القوي الجبار .

ونحن إذا أخذنا بأثر السلطان السياسي في سيادة اللغات ، وجب علينا حينئذ البحث عن البيئات التي جمعت بين القوة والرهبة العسكرية والنفوذ السياسي ، وهي بيئات توفرت في اليمن ، وفي مملكة الحيرة ، التي بلغت حدودها في أيام (امرى القيس) صاحب نص السنارة ، المتوفى سنة (٣٢٨ م) حدود نجران ، والتي هيمنت على اليمامة والبحرين . وملوك الحيرة ، عرب ، لغتهم ولغة أتباعهم العربية . ففي مثل هؤلاء ، الذين كان لهم سلطان سياسي وسلطان عسكري ، يجب التفكير لا في أناس حضر مسلمين قليلين مثل قريش ، ونحن نعلم أن قريشاً كانوا يتوددون الى ملوك الحيرة ، والى ساداتها ، وأن شعراء جزيرة العرب كانوا يقصدونهم من مختلف أنحاءها ، باستثناء العربية الجنوبية ، لإنشادهم شعرهم في مدحهم ،

١ جواد علي ، المفصل (٢٨ / ٤) .

٢ طه حسين ، في الأدب الجاهلي (١٠٦) .

رجاء تحقيق مطلب ، أو نيل جائزة ، كما كانت الوفود تقدم اليهم ، وتخطب أمامهم ، وكان لهم ديوان بالعربية وبالفارسية ، لكتابة الرسائل الى عملهم على الأمصار والى سادات القبائل بالعربية ، والى الفرس بالفارسية ، كما كان الفرس يكتبون اليهم بالعربية ، كما أجمعت على ذلك الموارد العربية والموارد الفارسية التي نقل منها المؤرخون أخبار الحيرة الى العربية. وكان لهم - كما يقول أهل الأخبار - ديوان شعر فيه أشعار الفحول وما مدح به النعمان بن المنذر وأهل بيته^١ ، وكانت لهم مدارس تدرس الأطفال العربية ، وكذلك كانت لأهل الأنبار ولأهل عين الثمر مدارس تدرس العربية ، كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب ، ولما جاء (خالدة بن الوليد) الى الحيرة وسأل سادتها : « ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل ! فقالوا له : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقالوا له : ليدلك على ما نقول انه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقتم^٢ . فقال تكلم (خالدة) معهم بالعربية ، وتفاهم معهم وأيدهم في أن لسانهم هو اللسان العربي الذي لا لسان لهم غيره ، كما أن لسانه هو اللسان العربي . وبهذا اللسان كان يتكلم ملوك الحيرة ويسمعون الشعر ، ويخاطبون الوفود وأتباعهم ، وبه كانوا أنفسهم ينظمون أشعارهم ، لم يجدوا صعوبة في التفاهم مع أحد ، ولم يجد أهل مكة ولا غيرهم ممن كان يأتي الحيرة ، صعوبة في التخاطب والتفاهم مع أهلها ، فهل يعني هذا أن أهل الحيرة ، كانوا يتكلمون بلغة قريش وأنهم بفضل تكلمهم بهذه اللغة كانوا يتفاهمون مع الوافدين اليهم من مكة وغيرها من أنحاء جزيرة العرب ! وأنهم لو لم يكونوا يعرفون عربية قريش ، لكان أمر التفاهم معهم صعباً ! اذن فعربية أهل الحيرة ، هي عربية قريش ، أخذوها منهم بسبب نفوذهم السياسي ، وغلبة لسانهم على ألسنة العرب ! ولكن لو كان الأمر كذلك ، فلم كان جواب أهل الحيرة لخالدة حين سألهم : ويحكم ما أنتم ! أعرب ؟ نحن عرب عاربة وأخرى متعربة ، وليدلك على ما نقول ، إنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، ولم يقولوا له ، إنه ليس لنا لسان إلا

١ ابن جني ، الخصائص (٣٩٢/١ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات (٢٣) .

٢ الطبري (٣/٣٦١) ، (حديث يوم المقر وفم فرات بادقلي) .

بالقرشية ، أو بعربية قريش أو بعربية قومك ، وأمثال ذلك من عبارات يقتضيها الموقف للتقرب من القائد المنتصر ، ولإثبات أنهم مثله ، وهو قرشي يتكلمون بعربيته القرشية المبينة ! فهل يعتزون بتكلمهم بلسان قريش ، أفصح ألسنة العرب ويتباهون به ! ولو كان ذلك اللسان لسان الأدب الرفيع عندهم لما سكتوا من تسميته بلسان قريش أبداً !

ثم خذ ما ذكره أهل الأخبار عن فتح (الأنبار) تراهم يقولون : « ولما اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمن أهل الأنبار وظهروا ، رأهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا ، فكانت أوائلهم نزلوها أيام يختصر حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها ، فقال : ممن تعلمت الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إباد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إباد لو انهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق اذا ساروا جميعاً والخط والقلم

ولو كان أهل الأنبار يكتبون بلغة قريش ، لما قال أهل الأخبار ان (خالد) وجدهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها، ولقالوا حتماً انهم كانوا يكتبون بلسان قريش. ثم ان نصهم دوماً على ان لسانهم كان عريباً ، وديوان أهل الحيرة انما كان بالعربية ، وان كتابتهم انما كانت بالعربية ، دليل في حد ذاته على ان المراد بالعربية ، العربية المطلقة ، لا المقيدة ، أعني عربية قريش .

الحق أقول : انني اذا فكرت تفكير علماء العربية المحدثين ، الذين نسبوا تفوق اللغات على اللهجات الى السيادة السياسية والسيادة الاقتصادية وأمثال ذلك من سيادات ، فلاني لن أفكر في موطن أينعت فيه العربية في تلك الأيام سوى بلاد الشام والعراق ، فقد أمدتنا بلاد الشام بنصوص وإن كانت - كما سبق أن قلت - قد دونت بلهجة نبطية ، لكنها لم تتمكن مع ذلك من التستر على لهجة أصحابها الأصلية ، ففي نص (الهارة) مثلاً الذي يعود تأريخه الى سنة (٣٢٨ م) ، عبارات مثل (ملك العرب كله) ، و (ملك الاسدين ونزرا وملوكهم) ،

١ الطبري (٣/٣٧٥) ، (حديث الأنبار) .

و (هرب مذحجو) ، و (مدينة شمر) ، و (ملك معدو) ، و (نزل
 بنيه الشعوب) ، و (فلم يبلغ ملك مبلغه) ، و (هلك سنة) ، يفهم منها
 بكل جلاء ووضوح ان أصحابها كانوا يتكلمون بلهجة عربية شمالية ، هي هذه
 اللهجة التي نسميها العربية الفصيحة ، والتي تستخدم (ال) أداة للتعريف . وفي
 نص (شرحيل بن ظالم) ، الذي يعود تأريخه الى سنة (٥٦٨) للميلاد الذي
 هو : « انا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر
 بعام » ، وهو نص لا يبعد عن ميلاد الرسول إلا بستين ، نرى عربية (ال)
 واضحة ظاهرة طاغية على هذا النص ، بحيث تشعر ان النص وان كان كالنص
 السابق قد دون بلهجة متأثرة بالنحو النبطي ، غير ان أصحابه كانوا يتكلمون
 بعربية شمالية ، فهم اذن ممن كانوا يتكلمون بعربية (ال) بكل تأكيد ، بدلالة
 هذه النصوص . وعربية (ال) هي عربية الشعر الجاهلي .

وحيث ان صاحب نص (الهارة) هو الملك (امرؤ القيس) ، من ملوك
 الحيرة ، وقد كتب أصحابه شاهد قبره ، باللغة التي بينتها ، ووضعوه على قبره ،
 فلغة أصحابه اذن ، هي لغة (ال) ، أي العربية الفصيحة . فنحن نستطيع أن
 نستنبط من ذلك ، ان عرب الفرات في العراق كانوا يتكلمون بهذه اللغة في القرن
 الرابع للميلاد ، أي قبل أن تظهر سوق (عكاظ) ، وقبل أن يولد (النابغة)
 الذبياني ، حاكم هذه السوق على زعم أهل الأخبار ، وقبل أن تقوم قريش
 بالغربة المزعومة للغة ، وقبل بروز قريش وولادة (قصي) بزمن طويل .

ثم إن ملوك الحيرة على الأخص ثم ملوك الغساسنة كانوا كعبة الشعر والشعراء ،
 اليهم كان يذهب الشعراء ، يقفون على أبوابهم ساعات وأياماً ليسمح لهم (الحاجب)
 بالدخول على الملك لإنشادهم أشعارهم أمامهم ، وقد كانوا قد اتخذوا - كما يقول
 أهل الأخبار - أياماً يسمح فيها للشعراء للتباري في انشاد أشعارهم أمامهم ،
 وعرض ما عندهم من بضاعة نفيسة في الشعر ليراها الشعراء المجتمعون عنده ،
 ولم نسمع أن الشعراء كانوا يقصدون تجار قريش للتباري أمامهم بإنشاد الشعر ،
 أو أنهم كانوا قد اتخذوا موسماً يقصده الشعراء من سائر أنحاء جزيرة العرب للتباري
 بقول الشعر ، لا في موسم الحج ولا في غيره . إن سادة مكة تجار ، والتاجر
 لا يعرف إلا الكسب وجمع المال ، وما شأنه وبضاعة الشعر ! لقد كان ملوك
 الحيرة وملوك الغساسنة قدوة للملك بني أمية ولبني العباس في تبنّيهم الشعر والشعراء ،

وفي ترويج سوقه وتنشيطه ، وإعطائه قوة وصوله ، قد يكون عن طبيعة فيهم وطبع ، وقد يكون عن سياسة وغرض ، لاتخاذ الشعراء محطات اذاعة أو صحف للترويج بسياسة ملك ، وللحط من شأن خصمه ومنافسيه ، وللرد على الشعراء المعارضين . على كل فقد كانوا يستدوقون الشعر ويميزون الجيد منه من الفاسد ، ويظهرون عيوبه أمام الشعراء ، ويحسنون الى الشعراء من أجاد منهم ، ومن لم يجد ، فكان هذا التشجيع في جملة العوامل المشجعة على نظم الشعر . وإذا كان لبني أمية فضل على الشعر الجاهلي بالاستماع اليه من أفواه الرواة ، وبالحث على حفظه وتدوينه . وإذا كان لبني العباس فضل على الشعر والعربية والعلوم بتشجيعهم العلماء واستدعائهم الى مجالسهم للاستماع اليهم ، فصاروا بذلك جميعاً حماة العربية ، فإن ملوك الحيرة وملوك عرب الشام ، كانوا قد مهدوا الجادة قبلهم لمن ذكرت ، ورفعوا بعملهم المذكور من مستوى العربية ، وعملوا عملهم في صقلها وفي توحيدها ، وفي تقريب الألسنة بعضها من بعض والناس على دين ملوكهم ، وأكثر شعراء الجاهلية كانوا على اتصال إما بهؤلاء الملوك ، وإما بأولئك .

وإذا أضفنا الى هذا التشجيع ، والسيادة السياسية التي كانت للملوك الحيرة على نجد والبحرين ، عامل التقدم الثقافي الذي كان لعرب الحيرة والأنبار والقرى العربية في العراق وفي بلاد الشام على أهل البوادي ، بل وعلى أهل مكة كذلك ، الذين تعلموا خطهم من أهل الحيرة ، لزم علينا القول ان العربية المينة التي درست في مدارس عرب العراق ، كانت قد تقدمت في العراق أكثر من أي مكان آخر في جزيرة العرب بالنسبة لأيام الجاهلية ، ولعل هذا التقدم هو الذي أكسب العراق شرف وضع علوم العربية ، وتفردته من بين سائر الأقطار الإسلامية ، بجمع الشعر الجاهلي وقواعد العربية وعلوم الشعر واللغة ، وإلا فلا يعقل ظهور هذه العلوم في هذه الأرضين من غير ماضٍ ولا علم سابق ، ولا أسس بني عليها المسلمون بناءهم الجديد .

وأما ان تلك السيادة السياسية ، كانت في حدود ضيقة ، في حدود القبائل القريبة من قريش ، والمواضع التي كانت لها مصالح بها ، فذلك موضوع آخر ، له ما يبرره ، فقد كان لسادات مكة مصالح اقتصادية في الطائف ، وكان لهم أملاك وبساتين ، ولهم بيوت يقضون بها صيفهم ، كما كانت لهم مصالح مشابهة مع المواضع الأخرى ومع القبائل ، لا مجال لتكرانها أبداً . ولكن ما صلة هذه

الأمور باللغة ، ومن قال من القدماء إن قريشاً فرضت لغتها على أهل تلك المواضع والقبائل فرضاً ، أو أن أدباء تلك المواضع أو تلك القبائل ، أخذوا لغة أدبهم من قريش ؟ أو أن سياسة قريش كانت ذات نفوذ واسع عميق ، تركت أثراً كبيراً في النفوس جعلت العرب من أجل ذلك يمجّدون لغة أهل مكة ، ويعتبرونها اللغة العالية ، أما لغاتهم فلغات رديئة دونها في المتزلة والمكانة ، مع أننا نعلم ما للعصبيات القبلية من أثر في التعصب إلى اللهجات ، ثم أننا نرى أن كتب أهل الأخبار واللغة ، تذكر أن القبائل التي كانت تجاور مكة ، كانت تتكلم بلهجاتها الخاصة بها ، وأن أهل الطائف ، أي ثقيف ، كان لهم لسانهم الخاص ، وأن (أهل الحجاز) ، أي قريش وغيرهم ، كانوا يتكلمون بلهجات خاصة ، سمّاها علماء اللغة لغات (حجازية) ، ولم يسموها (قرشية) ، ولو كانت تلك اللهجات ، لغة قريش ، لما دعاها العلماء (لغة أهل الحجاز) ، أو (حجازية) ، وقالوا : (ما الحجازية) ، وعلى (لغة أهل الحجاز) ، ولقالوا : (لغة قريش) وعلى (لغة قريش) ، وهكذا ، أضف إلى ذلك أننا قلنا نقرأ أمثلة على اختلاف لغة قريش عن بقية لغات العرب ، وإنما نقرأ أمثلة على اختلاف لغة أهل الحجاز مما يدل على وجود فرق بين اللغتين ، وأن لغة قريش ، لهجة من لهجات أهل الحجاز ، لا أنها الأصل . وقد رأينا وجود (الغمغة) في لغة قريش ، وقد نص علماء اللغة أنفسهم على وجودها في تلك اللغة^١ .

ثم من في استطاعته اليوم اثبات أن عرب اليمامة أو عرب نجد ، أو عرب البوادي ، كانوا تحت تأثير لغة قريش ، أو تحت تأثيرها السياسي ، ولذلك كانوا ينظمون شعرهم بها ، ويخطبون بها ، والنصوص التي عثر عليها في اليمامة وفي مواضع من نجد تثبت خلاف ذلك ، تثبت بالدليل القاطع أن لهجة نصوصهم لم تكن على شاكلة لغة قريش ، فكيف نصدق رأي من يرى أن أعراب باطن جزيرة العرب ، كانوا ينظمون الشعر بلسان قريش ! مع وجود هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها ، والتي لا يزال العلماء يعثرون عليها إلى يومنا هذا ، لا في نجد واليمامة والبحرين فقط ، وإنما في أرض الحجاز نفسها ، وعلى مسافات غير بعيدة من يثرب ومن مكة ، ومن الطائف ، وهي بلهجات تختلف عن لهجة

١ « الغمغة : الكلام الذي لا يبين ، ومنه صفة قريش فيهم غمغة » ، تاج العروس (٦/٩) ، (غم) .

القرآن الكريم ، ويحفظ يختلف عن الخط الذي دون الوحي به ! وليست هذه النصوص مغرقة في القدم ، حتى يعترض معترض ، فيقول اننا نقول : إن لغة قریش ، صارت لغة الشعر ، ولغة الأدب ، مع ظهور الشعر الجاهلي ، أو قبله بزمن غير بعيد ، لأن بين هذه النصوص ، نصوص لا يرتقي عهدها عن الاسلام إلا بزمن يسير !

وأما ما يقصونه علينا من نفوذ السلطان الاقتصادي الذي كان لقریش وعسن أثره في سيادة لهجة قریش على لهجات العرب ، فأنا أقرأ أن مكة كانت مدينة تجار وتجارة ، وبيع وشراء ، واستيراد وتصدير ، وليس من حق أحد أن ينكر ذلك ، بعد أن نص القرآن على اتجارهم ، وعلى وجود رحلتين لهم : رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف . وبعد أن زخرت كتب الأخبار والتأريخ بأخبار تجارة رجالها . ولكن هل كانت مكة ، المدينة المتاجرة الوحيدة في جزيرة العرب ؟ والجواب : كلا ، فقد كانت لأهل اليمن تجارة مع مختلف أنحاء جزيرة العرب ، وكان سادات اليمامة والبحرين من الأثرياء الثقال في بلادهم ، وكانوا أصحاب تجارات ، وكانت اليمامة خاصة ، ريف مكة تمونها بالميرة والمنافع ، وكان ساداتها إذا غضبوا عليها قطعوا الميرة عنها ، فيصيبها من ذلك غم كبير ، وتضطر عندئذ الى مصالحتهم . فلما جاءهم ثمامة بن أثال الحنفي ، سيد أهل اليمامة ، وقالوا له : « يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك ، قال : لا أدري ما تقولون ، إلا أنني أقسمت برب هذه البنية لا يصل اليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً من آخركم . وكانت ميرة قریش ومنافعهم من اليمامة ، ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم ، فلما أضر بهم ، كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها ، وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا ، فإن رأيت أن تكتب اليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل ، فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن خل بين قومي وميرتهم »^١ . وكان تجار البحرين يحملون تجارتهم من أقشة ومن تجارة البحر الى مكة ، كما كان ملوك الحيرة يعيشون بلطائهم الى الأسواق ومنها سوق عكاظ ، وكان الحضرة وأهل القرار في كل جزيرة العرب تجاراً ، ومنهم أهل

١ الاستيعاب (٢٠٦/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

يثرب ، ويهودها ويهود وادي القرى ، ويعود سبب اشتهار مكة بالتجارة دون غيرها من قرى ومدن جزيرة العرب ، الى القرآن الكريم ، فإليه وحده يعود فضل اشتهارها بالتجارة ، لما جاء فيه من ذكر عن قساوة تجار قريش وغلظهم تجاه الفقراء ، ومن أكلهم أموال اليتامى والأرامل والبنات ، ومن تعاطيهم الربا ، ومن اتجارهم برحلي الشتاء والصيف الى غير ذلك من أمور حلت علماء التفسير والأخبار على التنقيح عن أخبار تجارة مكة وعلى جمع ما حصلوا عليه في كتبهم ، ولو نزل في القرآن الكريم شيء عن تجارة وتجار مواضع أخرى مسماة باسمها لخصت تلك المواضع بعنايتهم من دون شك ولا ريب ، ثم إن مدينة الرسول ، وقد اشتغل الرسول نفسه بالتجارة ، وكان والده وبقية عشيرته تجاراً ، وكانت زوجته خديجة تاجرة ، فحمل كل هذا علماء السيرة على البحث عن تجار مكة وعن تجارتها قبل الإسلام ، وعن المواضع التي تاجروا معها . فظهرت مكة من ثم وكأنها المدينة الوحيدة التاجرة في جزيرة العرب !

وأما ما يذكرونه عن النفوذ الديني الذي كان لقريش على العرب ، فالذي أعرفه من أمر الدين عند أهل الجاهلية ، أنهم كانوا بين مشرك ، وهم الكثرة الكاثرة ، وبين يهود ، وهم قلة ، وبين نصارى ، وهم أكثر من اليهود عدداً ، وبين جالية مجوسية ، قلدها في دينها نفر من العرب لا يعبأ بعددهم . أما الشرك ، فقد تتبعناه في الجزء السادس من هذا الكتاب ، فوجدنا ان لكل قبيلة صنماً ، كانت تتقرب اليه وتندر له وتستعين به في حربها وغزوها ، ولم تكن العرب تمحج الى صنم واحد ، هو صنم قريش ، بل كانت تمحج الى أصنامها ، ووجدنا ان (هبل) هو صنم أهل مكة وكفى . ثم رأينا ان لأهل نجران كعبة ، ولأهل يثرب محجة ، ولإياد كعبة ، ولثقيف محجة ، وللقبائل الأخرى محجات ، وللنبط محجة ، ولأهل العربية الجنوبية معابدهم ، ولم نقرأ في أي نص من نصوص أهل الجاهلية أنهم حجوا الى مكة ، أو ان أحداً منهم ذهب اليها لغرض من الأغراض الدينية أو أي غرض آخر ، ولم يرد اسم مكة في أي نص من هذه النصوص . ولم نسمع في أخبار أهل الأخبار ، ان قوافل من عرب العراق أو عرب بلاد الشام أو نجد أو العروص ، كانت ترحل في موسم الحج الى مكة لفرض تأدية الحج ، أو أداء العمرة في رجب ، ولم أقف على اسم ملك من ملوك الحيرة قيل انه حج الى مكة ، ولم أقف على اسم ملك من ملوك كندة أو بقية العرب ذكر انه حج

في جاهلية الى مكة ، اللهم إلا ما زعموه من حج التبابعة اليها ، وقد تعرضنا لطبيعة أمثال هذه الدعاوى القحطانية التي وضعتها العصبية الى اليمن في الاسلام ، وكلها أساطير وخرافات . ولو كان الحج الى مكة عاماً عند كل مشركي جزيرة العرب ، لما سكنت الأخبار عن ذكر من كان يفد الى الحج من الأماكن البعيدة ، ولظهر أثره في الشعر على الأقل .

وأما اليهود والنصارى والمجوس ، فقد كانوا على دينهم ، لا يحجون البيت ولا يتقربون اليه . فلهم عبادتهم الخاصة بهم . فلا نفوذ لقريش اذن عليهم من ناحية الدين .

نعم ، قد يقال لي : ولكن ما قولك في هذا الاجماع الذي نراه في كتب التواريخ والأخبار من حج التبابعة الى مكة ومن تقربهم الى الكعبة بالكسوة والأطاف ، وقد كانوا أول من كساها من العرب ؟ ثم ما قولك في هذا الشعر الذي قالوه في مدح البيت وفي التقرب اليه وفي الايمان بالله وبرسوله قبل ظهوره بل قبل مولده بمئات من السنين ؟ ثم ماذا تقول من اشادة (عدي بن زيد) العبادي بالبيت وقسمه به في شعره ، وهو يخاطب النعمان بن المنذر ، الملك الغاضب عليه^١ ؟ وماذا تقول في قول القائلين ، من الشعراء الجاهليين الآخرين في تعظيم البيت وفي التقرب اليه ، وقسمهم به^٢ ؟ ومن مجيء العرب الى مكة من كل حذب وصوب للعمرة أو للحج ؟ ثم ماذا ستقول في أشياء أخرى من هذا القبيل تفند كلها قولك ، وتثبت وجود نفوذ قريش على القبائل وخضوع القبائل لها في أمور الدين ؟

أما حج التبابعة البيت ، فهو حج ولد في الاسلام ، أولدته العصبية القحطانية العدنانية ، التي تحدثت عنها ، وأما الكسوة ، فهي من مولدات ومخترعات هذه العصبية أيضاً . وأما الشعر الذي نسب الى التبابعة ، فهو من فصيلة الشعر الذي روي على لسان آدم وهايل وقايل والجن^٣ ، وأما المحجات ، فقد بحثت عنها في الجزء السادس من هذا الكتاب^٤ . وقد سبق لي أن تحدثت عن مخترعات أخرى

١ تاج العروس (٥٣٤/٥) ، (ودع) .

٢ مثل زهير ، والناطقة ، وعوف بن الاحوص ، جواد علي ، المفضل (٤٣٠/٦) .

٣ (ص ٤٤٤ وما بعدها) .

كثيرة غير هذه ، أوجدتها العصبية القحطانية العدنانية ، منها خلق أنبياء قحطانيين ، وجعل العربية الأولى ، عربية قحطانية ، وجعل العرب العدنانيين عربياً مستعربة ، الى غير ذلك من ابتكارات أوجدها القحطانيون ، بعد أن ذهب الحكم منهم ، وصاروا تبعاً لقريش في الاسلام ، فأخذوا ينشئون الماضي ويبحثون في الدفاتر العتيقة ، ويضعون ويفتعلون ، للغض من خصومهم ، ولإظهار أنهم كانوا هم اللب والأصل ، وان خصومهم جاء اليهم الحكم عفواً ، من غير أصالة ولا مجد تليد ، فهم أصل كل مجد وفخار .

وقد تعرض العلماء لهذا الموضوع القائم على العصبية ، فقال (ابن فارس) : « فأما من زعم أن ولد اسماعيل - عليه السلام - يعيرون ولد قحطان أنهم ليسوا عرباً ويحتجون عليهم بأن لسانهم الحميرية ... فليس اختلاف اللغات قادحاً في الأنساب . ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لغة . مع أن قحطان تذكر أنهم العرب العاربة وأن من سواهم العرب المتعربة ، وأن اسماعيل - عليه السلام - بلسانهم نطق ، ومن لغتهم أخذ ، وإنما كانت لغة أبيه صلى الله عليه وسلم ، العربية »^١ . فأنت أمام رأيين متناقضين ، يدعي أصحاب كل رأي منها أنهم هم العرب ، وأن لسانهم هو اللسان العربي الفصيح المبين ، وأن من سواهم فغم ، وأصحاب السنة فاسدة رديئة .

وأما ما زعموه وحكوه عن أدوار تهذيب اللغة ، ومن انفتاح العريضة بلسان اسماعيل الى اختتامها بالدور العكاظي ، وهو آخر أدوار التهذيب اللغوي ، فأقول انها أقوال بنيت على أخبار صنعتها العواطف والمشاعر العصبية الضيقة التي ظهرت بأجلى مظاهرها في صدر الإسلام ، عصبية قبلية قديمة كانت بين يثرب ومكة ، أو بين اليمن ومكة ، إزدادت شدة وقوة في الإسلام ، بسبب استيلاء قريش على الحكم ، فاستغلت العواطف الدينية لتأييد هذه العصبية السياسية ، بجعل قريش تاجرة جزيرة العرب ، وزعيمتها في اللغة ، وموطن الفصاحة والبلاغة ، وجميع علماء اللغة الذين كانوا يأخذون ويعطون ويقررون كل ما هو سلس من الكلم وما هو بليغ وفصيح ، حتى جعلوا كلام الله المنزل على رسوله بلسان عربي مبين ، لسان قريش ، والله تعالى يقول : « قرآناً عربياً ، ولم يقل قرشياً »^٢ .

١ الصاحبي (٥٦) .

٢ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .

والعربية عربية العرب جميعاً من أنصار ومهاجرين ، أهل بادية وقرى . » قال الأزهري : وجعل الله عز وجل^١ ، القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً ، لأنه نسبة الى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب ، في باديتها وقراها العربية ، وجعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً لأنه من صريح العرب^٢ . فلسان القرآن ، لسان العرب جميعاً من مهاجرين وأنصار ، لا لسان قريش خاصة ، والنبي وإن كان من قريش ، لكنه كان عربياً من صريح العرب ، ودعوته ، لم تكن دعوة ضيقة خاصة بقريش ، إنما كانت دعوة عامة جاءت الى كل العرب ، قوم النبي ، ولهذا نزل بلسانهم وبهذا جاءت الآية : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »^٣ ، ثم الى الناس عامة لحديث : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة »^٤ .

وأما ما زعموه من تخير قريش وانتقائها أفضل لغات العرب ، حتى صار لسانها أعرب الألسنة ، فزعم بني علي خبر^٥ روي عن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، انه قال : قريش^٦ هم أوسط العرب في العرب داراً ، وأحسنه جواراً ، وأعربه ألسنة^٧ ، وعلى خبر ينسب الى قتادة نصه : « كانت قريش نجيتي ، أي تختار ، أفضل لغات العرب ، حتى صار أفضل لغاتها لغتها ، فنزل القرآن بها^٨ . وهو خبر لا زال يردد ويكرر يوضع بين أقواس تارة وبغير أقواس تارة أخرى ، استشهاداً به حتى وكأنه صار آية نزلت من السماء ، مع كون (قتادة) من الضعفاء ، وقد تحدث عن (ابن عباس) مع انه لم يلتق به ، ونسب له أقوالاً شاعت بين الناس ، مع انه لم يره ولم يسمع منه ، فهل يؤخذ بعد بقوله على انه حجة ، أو كأنه آية نزلت من السماء ! وهل نقبل خبره عن

-
- ١ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) .
 - ٢ سورة ابراهيم ، الآية ٤ ، تفسير الطبري (١٣/١٢١) ، تفسير الألوسي (١٣/١٦٦) .
 - ٣ تفسير ابن كثير (٥٢٣/٢) ، (سورة ابراهيم) .
 - ٤ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) .
 - ٥ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) .

اجتباء قريش أفضل لغات العرب ، على انه حجة يستدل بها على أدوار التهذيب ! وأنت لو رجعت الى خير : « أجمع علماءنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم ان قريشاً أفصح العرب وأصفاهم لغة . وذلك ان الله - جل ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم .. الخ »^١ ، تجده منقولاً نقلاً حرفياً في كل موضع تعرض الى أفصح العرب ، أو العربية الفصحى ، أو اللغة التي نزل بها القرآن ، بسند أحياناً وبغير سند أحياناً أخرى ، حتى ظهر وكأنه خبر متواتر ، وإجماع لم يخرج عليه عالم من العلماء ، فأخذ به المحدثون ، وقالوا قولهم المذكور ، ولكنك لو تتبعته الخبر ، وعملت رأيك في حرفية نصه في كل الموارد ، ثم وقفت على آخر مورد قديم ذكره ، ترى انه خبر آحاد ، ورواية واحدة ليس غير ، اكتسب هذا الاجماع بسبب وروده بالحرف في تلك المؤلفات ، فهو لا يفيد قطعاً ، وانما حكمه حكم الأخبار الآحاد .

ثم ان ما ذكروه من صفاء لهجة قريش ومن فصاحتها ، يعارضه قولهم بوجود (غمجمة) في لغتها . فقد قالوا : الغمجمة : « الكلام الذي لا يبين ، ومنه صفة قريش فيهم غمجمة »^٢ ، كما يعارضه قولهم بوجود التضجيع في لغة قريش ، فلما تحدث (ثعلب) عن معاييب اللغة ، قال : « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وتلتله بهراء ، وكسكسة ربيعة ، وكشكشة هوازن ، وتضجع قريش ، وعجرفية ضبة »^٣ ، مما يدل على انه قصد به (تضجع قريش) ، عيباً من العيوب في الفصاحة . وفي وصف لغة قريش بالتضجع مناقضة لابتداء كلامه ب « ارتفعت قريش في الفصاحة عن .. » ، كما لا يخفى . وعلماء العربية والأخبار يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، وهو شيء مألوف عندهم ، لأنهم كانوا يعتمدون الى الرواية والاملاء عن ظهر قلب في الغالب ، لا عن كتاب مسدود وصحف مكتوبة ، فلا غرابة ان ظهر هذا التباين في كلامه في هذا المكان .

١ . الصاحبى (٥٢) .

٢ . تاج العروس (٦/٩) ، (غمم) .

٣ . المزهر (٢١١/١) .

ثم ان علماء العربية ، حين يبحثون في النحو أو في الصرف ، أو في مفردات اللغة عن الغريب والشاذ ، يذكرون فيما يذكرون لغة قريش ، ولغة أهل الحجاز ، فيقولون : « ... لغة قريش »^١ ، و « بلغة قريش » : كما يقولون : « لغة تميم » ، ولغة طيء ، ولغة يمانية ، ولغة أسد ، وغير ذلك . ولكنهم يقولون أيضاً : « يقول أهل الحجاز : قَتَرَ يَقْتِر ، ولغة فيها أخرى يَقْتَرُ بضم التاء ، وهي أقل اللغات »^٢ ، وجاء : « وفي أمالي القالي : لغة الحجاز ذَأَى البَقْلُ يَذَأُ ، وأهل نجد يقولون : ذَوَى يَذَوِي »^٣ الى غير ذلك ، وفي ذكرهم لغة قريش ولغة أهل الحجاز ، مع اللغات الأخرى في مثل هذه المواضع دلالة بينة على ان العربية الفصحى ليست عربية قريش ، وإنما عربية أخرى ، هي العربية التي نص عليها في القرآن ، أي العربية التي نزل بها الوحي ، وإلا كان من السخف ذكر لغة قريش ، حين الإشارة الى الغريب والشاذ ومواضع الاختلاف .

وأما استشهادهم بحديث : « أنا أفصح العرب ، بيد اني من قريش » أو « أنا أفصح العرب ، بيد اني من قريش ، واني نشأت في بني سعد » ، أو « أنا أفصح من نطق بالضاد ، بيد اني من قريش »^٤ ، لإثبات أن قريشاً كانوا أفصح العرب ، بل أصل الفصاحة ، فالحديث من الأحاديث الغربية الضعيفة ، رواه أصحاب الغريب ، كما نص على ذلك العلماء^٥ ، فهو لا يفيد حكماً علمياً لضعفه هذا ، ولا يصلح أن يكون أساساً لاستشهاد . وقد يكون من موضوعات العصبية العدنانية القحطانية ، وقد يكون من الأحاديث التي رويت من باب الاشادة بقريش لكونهم قوم الرسول ، وبالإشادة بذكرهم وتعظيمهم في كل شيء وجعل لسانهم أفصح الألسنة خادمة في رأيهم للإسلام وللرسول وللقرآن الكريم . وليس هذا بشيء غريب ، فقد عهدنا أهل الأخبار يروون شعراً ونثراً على ألسنة التبابعة والأقوام الماضية بل والجن والكهان في الحث على الإيمان بالرسول ، قبل ميلاد

-
- ١ تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) ، المزهر (٢١٥/١) .
 - ٢ المزهر (٢١٥/١) وما بعدها .
 - ٣ المزهر (٢١٥/١) .
 - ٤ المزهر (٢٠٩/١) وما بعدها ، مجالس ثعلب (١١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، وورد « ميداني » ، (من أجل اني) ، أنا أفصح العرب ، تربيت في أخوالي بني سعد ، بيد اني من قريش .
 - ٥ المزهر (٢٠٩/١) وما بعدها .

الرسول يزمن ، وقبل ظهور الاسلام . وهو مقبول عندهم ، ودليل ذلك تسطيره في كتبهم وروايتهم له .

ولو تجوزنا وقبلنا بالحديث ، واعتبرناه حديثاً صحيحاً ، فإننا لا نستطيع مع ذلك أن نفهم منه ما فهموه هم من أنه عنى أن قريشاً أفصح العرب ، وأنه صار أفصح العرب ، من أجل أنه من قريش ، لأن معنى (بيد) على تفسير علماء العربية هو : (غير) و (على) ، والأول أعلى . « يقال رجل كثير المال ، بيد أنه بخيل . معناه غير أنه بخيل »^١ ، ولو أخذنا بالتفسيرين المذكورين قلنا يجب أن يكون معنى الحديث على هذا النحو : « أنا أفصح العرب ، غير أنني من قريش ، واني نشأت في بني سعد » ، أو « أنا أفصح العرب ، على أنني من قريش ، واني نشأت في بني سعد » ، ومعناه بعبارة مبسطة أنا أفصح العرب ، وإن كنت من قوم منهم ، هم قريش ، لهم لسانهم ، وقد نشأت في بني سعد . وقريش كما تعلم بعض العرب ، لا كل العرب . وليس في هذا المعنى أية دلالة على تخصيص قريش بالفصاحة ، وعلى أن لسانها أفصح الألسنة . وكل ما فيه إشادة بفصاحة الرسول وحده ، وإفادة بأنه أفصح العرب ، فلا أحد أفصح وأنطق منه ، فهو حديث يفيد التخصيص لا التعميم ، وهو خاص بفصاحة الرسول . وهو لذلك لا يمكن أن يكون حجة على تفضيل لسان قريش على الألسنة الأخرى ، ولأجل تحويله إلى حجة فستروا لفظة (بيد) تفسيراً جعل الفصاحة للرسول ولقومه فقالوا : « ويأتي بيد بمعنى : من أجل . ذكره ابن هشام »^٢ ، فصار معنى الحديث : « أنا أفصح العرب ، من أجل أنني من قريش ، واني نشأت في بني سعد بن بكر » . فالرسول وفق تفسيرهم هذا ، أفصح العرب من أجل أنه من قريش ، وفصاحته مستمدة منهم ومن (بني سعد بن بكر) ، وصارت قريش في نظرهم أفصح العرب لساناً ، وأصفاهم لغة . مع أنهم يذكرون فيما يذكرون عن كلام الرسول ، أن (عمر بن الخطاب) قال للرسول يوماً : « يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من ظهورنا .. »^٣ ، وإن رجلاً آخر سأله بقوله : « يا رسول الله ما أفصحك ! فإنا رأينا الذي هو أعرب منك .

١ تاج العروس (٣٠٨/٢) ، (باد) .
٢ تاج العروس (٣٠٨/٢) ، (باد) .
٣ المزهر (٢٠٩/١) .

قال : حق لي ، فلأنما أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين . وقال الخطابي : اعلم ان الله لما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه ، ونصبه منصب البيان لدينه ، اختار له من اللغات أعربها ، ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمدّه بجوامع الكلم . قال : ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في متقدم كلامها ، كقوله : مات حتف أنفه ، وحي الوطيس... الخ^١ . وفي حديث (عمر) إن صح : « ولم تخرج من بين أظهرنا^٢ صراحة بتعجب عمر من هذه الفصاحة التي كانت للرسول مع أنه لم يخرج من بين أظهرهم ، أي من مكة ، ولو كان لسان قريش أفصح الألسنة لما قال عمر للرسول قوله المذكور ، الذي يدل على أن الفصاحة في خارج قريش ، وعند الأعراب . وفي جواب الرسول على الرجل من قوله : « حق لي ، فلأنما أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين »^٣ ، - إن صح هذا الحديث - تفصيلاً لقول القائلين بتزوله بلغة قريش ، ولو كان قد نزل بلغتهم لقال : « بلسان قرشي مبين » ولم يقل أحد من العلماء إن اللسان العربي ، هو لسان قريش ، بل نجدهم يقولون دائماً : لسان قريش ، ولغة قريش ، ونزل بلسان قريش ، ويذكرون هذا اللسان مع الألسنة الأخرى ، مثل لسان تميم ، وهذيل ، وبني سعد بن بكر .

وأما ما قالوه من أن الوفود اليمنية التي وفدت على الرسول ، لم تجد صعوبة في التفاهم معه، وإن الرسول حين أرسل معاذ بن جبل الى اليمن ليعظهم ويعلمهم ما وجد صعوبة في التفاهم معهم ، وأنهم لو لم يكونوا يعرفون العربية الفصحى ، لكان لإرسال هؤلاء الدعاة عبثاً ، « وكل هذه دلائل تدل على أن حركة تعريب واسعة في الجنوب حدثت قبيل الاسلام »^٤ ، فيعارضه ما ذكره من أنه « حين جاءته وفود العرب ، فكان يخاطبهم جميعاً على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم ، وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية ، على حين ان أصحابه رضوان الله عليهم ومن يفد عليه من

١ المزمهر (٢٠٩/١) .

٢ المزمهر (٣٥/١) .

٣ المزمهر (٣٥/١) .

٤ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٢٢ وما بعدها) .

وفرد العرب الذين لا يوجه اليهم الخطاب ، كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة ، حتى قال له علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وسمعه يخاطب وفد بني نهد : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفرد العرب بما لا نفهم أكثره ! فكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوضح لهم ما يسألونه عنه عما يجهلون معناه من تلك الكلمات ، ولكنهم كانوا يرون هذا الاختلاف فطرياً في العرب فلم يلتفتوا اليه ^١ . وفي هذا الخبر - إن صح - دلالة على الضد ، دلالة على ان العرب كانت على سجيتها ولسانها في كلامها ، وانها لم تكن تنطق بلسان قريش بل بألسنتها ، وإلا لما تعجب علي وغيره من كيفية تفاهم الرسول مع القبائل وعدم تمكنهم هم من فهم كلامهم ، مع انه واياهم من أب واحد ، أي من قريش . ثم من أكد لنا ان معاذ بن جبل ، وهو من الأنصار لم يجد صعوبة في تفاهمه مع أهل اليمن ، وان وفود اليمن لم تجد صعوبة في تفاهمها مع الرسول ، ومن أين جاء هذا التأكيد ؟ والذي نعلمه ان الموارد لم تتحدث عن ذلك ، بل الذي رأيناه هو العكس ، وهو ما ذكرته في خبر علي مع النبي . أما لو أخذنا بما نجده في الموارد من كلام الوفود مع الرسول وجواب الرسول على كلامهم ، وكله بهذه العربية المبينة ، فقد قلت مراراً إن الصحابة في ذلك الوقت لم يكونوا يدنون محاضر جلسات الرسول مع الوفود ، ولا كلام الوفود مع الرسول ، بل ولا كلام الرسول وحده ، أي حديثه ، وان ما نقرأه من نصوص لا يمثل الأصل ، وربما مثل المعنى ، وقد يكون لا هذا ولا ذاك ، وانما روايات موضوعة ، قد يحتمل أن يكون مع الوفود أناس يحسنون التكلم بالعربية المبينة ، وان بين أصحاب النبي من كان من العربية الجنوبية ومن القبائل التي كانت تتكلم بلهجات متباينة ، فكانوا يقومون له بدور التفاهم والتقريب بين كلام الرسول وكلام الوفود .

وأما ما زعموه من دور (عكاظ) في تهذيب اللغة ، وأثر قريش فيه ، فمثلن كان لعكاظ أثر في تباري العرب في النثر وفي الشعر ، فإنك لا تستطيع إرجاع هذا الأثر الى عمل وفعل جماعة معينة ، وليس في الذي تحدث به الرواة من أخبار عن (عكاظ) ما يحصر فعل هذا التهذيب بقريش ، وما قريش إلا كغيرهم من

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١ / ٣٣٥) ، (رواية اللغة) .

قصائد هذا المكان من حيث المجيء للبيع والشراء والإتجار . لم تكن الحكومة لهم بعكاظ ، وإنما كانت لتعظيم ، وتتميم من أشهر الناس في فنون الخطابة والكلام . ودليل ذلك ، ما يورده أهل الأخبار عن خطبائهم وحكمائهم من كلام ، وما ينسبونه إليهم من حكم وخطب بليغة ، ثم إن هذه السوق لم تظهر إلا في أيام الرسول وقبل خمس عشرة سنة من الإسلام . وقيل إنها اتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وتركت عام خرجت الحرورية بمكة مع (المختار بن عوف) سنة تسع وعشرين ومائة^١ . وقد ذكر أهل الأخبار أن (عكاظ) سوق «كانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ، أي يتفاخرون ويتناشدون مما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون» ، وأنهم كانوا «يقيمون شهراً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون شعراً ، فلما جاء الإسلام هدم ذلك»^٢ ، وذكروا أن الشاعر النابغة الذبياني كان يأتيها فينشد الناس من شعره ، «وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم الشعراء ، ثم جاءت الخنساء السلمية^٣ فأنشده»^٤ ، وذكروا أن في شعر (أمية بن خلف) الخزاعي ، إشارة إلى مكانة هذه السوق عند الشعراء ، حيث يقول :

ألا من مبلغ حسان غني مغلفة تدب إلى عكاظ

فأجابه (حسان) في أبيات تشير أيضاً إلى هذه الأهمية ، وذلك بقوله :

أتاني عن أمية زور قول وما هو في الغيب بندي حفاظ
سأنشر إن بقيت لكم كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ
قواني كالسلاح إذا استمرت من الصم المعجزة الغلاظ^٥

فلم يشر حسان إلى أثر قریش في هذه السوق ، ولم يشر أمية إلى قریش كذلك ، والذي يفهم من الشعرين أن ذكر عكاظ فيهما ، هو بسبب تجمع الناس في هذه

١ الخزانة (٢/٥٠٣ وما بعدها) ، (بولاقي) .

٢ تاج العروس (٥/٢٥٤) ، (عكظ) ، اللسان (٧/٤٤٨) ، (عكظ) .

٣ الشعر والشعراء (١/٢٦١) ، (خنساء بنت عمرو) .

٤ تاج العروس (٥/٢٥٤) ، (عكظ) .

السوق ، فما يقال فيها ويصرخ على رؤوس الأشهاد ينتشر في كل مكان ، ويأتينا صدهاء بين الحاضرين ، ثم يذهب الى الغائبين ، ولهذا كانت أيضاً الموضع الذي يعلن فيه الناس خلع من يريدون خلعه للتبرؤ من جرائمه ، شأنها في ذلك شأن (سوق مجنة) ، وهي أيضاً من أسواق الجاهلية وكانت على أميال من مكة^١ ، وأنت ترى ان (حسان) قد ذكر أنه سينشر شعره فيها وفي عكاظ . مما يدل على أنها كانت ذات أهمية أيضاً من حيث النشر والاعلان ، وأنها مثل عكاظ ، ومثل أي سوق أخرى كبيرة من حيث تجمع الناس فيها والاعلان عما يقع لهم من أحداث .

وأما ما ذكره من انشاد حسان للنابغة شعره :

لنا الجففات الغر يلعلن بالضحى وأسيافنا يقطرون من نجدة دما

ومن رد النابغة عليه بقوله : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفنانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فحكاية شك فيها العلماء ، وإن كان هذا الشاهد من شواهد سيبويه . لأن الاعتراض لا يدور على الشاهد ، وإنما على القصة . وقد ذهب بعض العلماء الى أنها خبر مجهول لا أصل له . وهناك قوم أنكروا هذا البيت أصلاً ، ومنهم من روى ملاحظة النابغة المزعومة بشكل آخر^٢ ، وفي الشكلين ما يوحي الى ان القصة مفتعلة ، وضعها الرواة لإيجاد مخرج للبيت .

ولم أجد في المراجع المعتبرة القديمة نصاً ، يفيد ان الأمر كان لقريش في الحكم بين الشعراء أو الخطباء في سوق عكاظ . والنابغة الذي جعلوه حكماً يحكم في أمر الشعر لم يكن من قريش ، بل هو من (بني ذبيان) ، وهو الحكم الوحيد الذي نص أهل الأخبار على اسمه . وزعموا انه كانت له قبة حمراء من آدم ، وكان ينشد شعره ، واليه تتحاكم الشعراء في أيهم أشعر ، وكل الشعراء الذين ذكروهم هم : الأعشى ، والخنساء ، وحسان في قصة منمقة طريفة^٣ . ولم أعثر حتى الآن على اسم حاكم آخر ، آلت اليه حكومة الشعر في عكاظ ، لا من قريش ولا من غير قريش . فأين اذن موقع قريش في هذه السوق من الإعراب .

١ تاج العروس (١٦٤/٩) ، (جنن) .

٢ خزانة (٤٣٠/٣) وما بعدها .

٣ المزهرة (٨٩/١) .

وأما ما زعمه بعض أهل الأخبار من ان العرب في الجاهلية كان يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض ، فلا يُعْبَأُ به حتى يأتي مكة فيعرضه على قريش ، فلئن استحسّنه روي وكان فخراً لقائله ، وإن لم يستحسّنه طُرِحَ وزُهِبَ فيما ذهب ، وما روي عن (أبي عمرو بن العلاء) من قوله : كانت العرب تجتمع في كل عام بمكة ، وكانت تعرض أشعارها على هذا الحي من قريش ^١ . فروايات من نوع الروايات التي لا تتمكن من الوقوف على أرجلها ، ولم نجد في كتب التأريخ والأخبار ما يؤيدها ، وضعت لتبرير القصص الذي نسجوه عن أسطورة تعليق المعلقات . ثم إننا لم نسمع بخبر الشعر الذي استحسّنه وأجازوه ، غير شعر المعلقات ، ولو كان ما نسب الى (أبي عمرو بن العلاء) أو غيره حقاً ، من استحسان شعر وطرح شعر ، لما سكت رواة الشعر من الإشارة الى الشعر الذي استحسّنه أهل مكة فنال بذلك شرف الاختيار والسيادة والرفعة ، ولما غصوا النظر غصاً تاماً عن الإشارة الى الشعر الذي لم يستحسّنه فسقط وذل ، وفي ذكر الشعر الفاضل أهمية كبيرة في نظر الشعراء الخصوم ، وفي نظر القبائل التي كانت تبحث وتتجسس على المفوات والسقطات لاتخاذها مغزاً تنال بها القبائل بعضها بعضاً ! ثم كيف سكنت قريش عن هذا الشرف الذي كان لها قبل الاسلام ، وقد روي أنها نظرت فإذا حظها في الشعر أيام الجاهلية قليل ، فاستكثرت منه في الاسلام ، وأنها أضافت كثيراً الى شعر (حسان) للإساءة اليه ، ولو كان هذا الشرف المزعوم ، لما سكتوا عنه ، ولما سكت من تبسط في تأريخ مكة ، أو كتب في السيرة عن الإشارة اليه ، لما فيه من أهمية كبيرة بالنسبة للتأريخ ، ثم اننا لا نجد في القرآن الكريم شيئاً يشير الى ذلك ، مع تعرضه للشعراء ، كما لا نجد في كتب الحديث أي شيء يدل على وجوده ، مع أنها تعرضت للشعر ، ولسماع الرسول له ، وقد ذكرت أنه كان يسأل الصحابة أن ينشدوا شعر الشعراء له ، الى غير ذلك مما هو مدوّن في بطون هذه الكتب .

وأما ما زعموه من ان العرب كانت تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردوه منها كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمي ، فأنشدهم قصيدته : هل ما علمت وما استودعت مكتوم ، فقالوا :

١ الرافعي ، تاريخ آداب اللغة (١٨٦/١) .

هذا سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام المقبل ، فأنشدتهم قصيدته : طحا قلب في الحسان طروب ، فقالوا : هاتان سمطا الدهر ^١ . فخر آحاد ، وان تواتر في الكتب ، لم يروه (ابن سلام) ولا (ابن قتيبة) ، وهو من نوع خبر تعليق المعلقات من الموضوعات التي أولدها أهل الأخبار .

وفي الجدل الذي وقع بين علماء النحو وغيرهم في جواز أو عدم جواز الاحتجاج بالشعر على غريب القرآن ومشكله ، دلالة بينة على اجماع الطرفين على ان كتاب الله انما نزل بلسان عربي مبين ، ولم يتزل بلسان قريش ، الذي هو حرف من اللسان العربي . فقد قال المنكرون للاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، ان معنى ذلك جعل الشعر أصلاً للقرآن ، مع ان الشعر مذموم في القرآن والحديث ، فردّ عليهم القائلون به بقولهم : « ليس الأمر كما تزعمون من انا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن ، بل أردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى قال : إنا جعلناه قرآناً عربياً ^٢ ، وقال : بلسان عربي مبين ^٣ .

وقال ابن عباس : « الشعر ديوان العرب ؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ^٤ . »

ولو كان القرآن قد نزل بلسان قريش ، لما احتاج الناس الى الشعر للاستشهاد به على فهم المشكل والغريب ، وكان عليهم الرجوع الى شعر قريش ونثرهم للاستشهاد به في توضيح ما فيه من مشكل وغريب ، لا الى شعر العرب وكلامهم من غير قريش ، ثم ان في قولهم بوجود مشكل وغريب فيه ، وحروف خفي أمر فهمها على العلماء ، هو دليل في حد ذاته على انه لم ينزل بلسان قريش ، وانما بلسان عربي مبين ، فلو كان قد نزل بلسانهم لما خفي أمره على رجالهم ، من مثل أبي بكر وعمر وغيرهما من رجال قريش .

ونجد في المسائل المنسوبة الى (نافع بن الأزرق) ، التي سألتها على ما يذكر الرواة (ابن عباس) في تفسير القرآن بالشعر ، دلالة على أنه كان يرى أن

-
- ١ الاغاني (١١٢/٢١) .
 - ٢ الزخرف ، الاية ٢ .
 - ٣ النحل ، الاية ١٠٣ .
 - ٤ السيوطي ، الاتقان (٥٥/٢) .

القرآن إنما نزل بلسان عربي ، لا بلسان قريش ، فقد روي ان (نافع بن الأزرق) قال لـ (نجلدة بن عويمر) : « قم بنا الى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما اليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأيتنا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال : ابن عباس : سألني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : عن اليمين وعن الشمال عزين^١ ، قال : العزون : الحلق الرقاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ؛ أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عزيزنا^٢

وهي أسئلة مهمة اقترن جواب كل سؤال منها بشعر ، من شعر شعراء الجاهلية والمخضرمين مثل : (عبيد بن الأبرص) ، و (عنصرة) ، و (أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب) ، و (لييد) ، و (طرفة بن العبد) ، و (مالك ابن عوف) ، و (عبدالله بن الزبرعى) ، و (حسان بن ثابت) ، و (عدي ابن زيد) العبادي ، و (أمية بن أبي الصلت) ، و (أبو ذؤيب) ، و (أبو محجن الثقفي) ، و (امرؤ القيس) ، و (الأعشى) ، و (النابغة) ، و (حمزة بن عبد المطلب) ، و (زيد بن عمرو) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (زهير بن أبي سلمى) ، و (عمرو بن كلثوم) ، و (عبيد بن الأبرص) ، و (كعب بن مالك) ، و (أحيحة الأنصاري) ، و (بشر بن أبي خازم) ، و (مالك بن كنانة) ، و (أبو طالب) ، و (مهلهل) ، و (الخطيئة) ، و (أوس بن حجر) ، وشعر آخر لشعراء لم يشر الى أسمائهم ، وإنما كان يقول : « أما سمعت قول الشاعر » ، وقد أمكن تشخيص بعضه ، ولم يهتد الى قائل البعض الآخر ، كما استشهد بشعر نسبه الى التبابعة^٣ . وهي أجوبة مهمة ، ان صح بالطبع انها صحيحة ، وأنها من أسئلة (نافع) وأجوبة (ابن عباس) ، تفيد في تشخيص ذلك الشعر : وفي تثبيته ، وإن كان من الصعب علينا التصديق

١ المارج ، الاية ٣٧ .

٢ السيوطي ، الاتقان (٥٥/٢) وما بعدها .

٣ السيوطي ، الاتقان (٥٦/٢ - ٩٠) .

بصحة هذه الأسئلة والأجوبة ، التي أرى أنها وضعت في أيام العباسيين ، ويمكن بالطبع التوصل الى تثبيت زمان وضعها ، بالبحث عن أقدم مورد وردت إشارة فيه اليها ، فحينئذ يمكن تعيين الزمان الذي وضعت فيه بوجه تقريبي .

وفي تفسير الغريب والمشكل من القرآن بالشعر ، وقول علماء التفسير إن اللفظة من ألفاظ قبائل أخرى غير قرشية ، وفي استفهام رجال قريش ، وفي جملتهم رجال كانوا من أقرب الناس الى الرسول ، مثل (أبي بكر) و (عمر) عن ألفاظ وردت في القرآن لم يعرفوا معناها ، مثل (أبتاً)^١ ، وفي رجوع (ابن عباس) الى الأعراب ، يسألهم عن ألفاظ وردت في القرآن أشكل عليه فهم معناها ، وفي اعتماده في تفسيره للقرآن على الشعر ، أقول في كسل هذا وأمثاله دلالة واضحة على ان القرآن لم ينزل بلسان قريش ، وانما نزل بلسان العرب ، ولو كان قد نزل بلغة قريش ، كان استشهاد العلماء بالشعر وبلغات العرب في تفسير القرآن شيئاً عبثاً زائداً، وكان عليهم تفسيره وتبيين معناه وتوضيحه بالاستشهاد بلغة قريش وحدها ، لا بالشعر الجاهلي الذي هو شعر العرب ، وبكلام العرب .

ولو رجعنا الى كتب التفسير والسير ، نجد انها قد فسرت الغامض من ألفاظ القرآن بالشعر . فقد استعان قدماء المفسرين في تفسير لفظة (سجي) بالشعر ، فأورد (الطبري) مثلاً بيتاً من شعر (أعشى بني ثعلبة) في تفسير معناها ، هو قوله :

فاذنبا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا

ويقول أحد الرجاز :

يا حبذا القمرء والليل الساج وطرق مثل ملء النساج^٢

واستعان (ابن هشام) ببيت شعر لأمية بن الصلت ، في تفسيرها ، وهو قوله :

إذ أتى موهنا وقد نام صبحي وسجا الليل بالظلام البهم^٣

١ « وفاكهة وأبا » سورة عبس ، الآية ٣١ ، الاتقان (٤/٢) .

٢ تفسير الطبري (١٤٥/٣٠) .

٣ سيرة (١٦١/١) ، (حاشية على الروض) .

وفسر (الطبري) (عائلا) بقول الشاعر :

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل^١

ونجد في تفسير الطبري ، وفي كتب التفسير الأخرى أمثلة لا تعد ولا تحصى من هذا القبيل ، فسر فيها العلماء غريب ألفاظ القرآن وما صعب فهمه من الألفاظ بالشعر ، حتى لا تكاد تقرأ صفحة أو جملة صفحات من كتب التفسير ، إلا وتجد فيها شعراً ، استشهد به في تفسير كلمة أشكل فهمها على العلماء ، فاستعانوا بالشعر لتوضيح معناها^٢ .

ولم يقف الاستشهاد بالشعر الجاهلي على الناحية المذكورة وحدها ، بل استعين به في تفسير وتعليل أمور أخرى وردت في القرآن أشكل فهمها على العلماء ، من ذلك أوجه العربية وقواعد النحو ، فلما استقرى علماء العربية الشعر الجاهلي ولغات العرب ، واستنبطوا منها القواعد ، وجدوا ان بعضها لا يماشى مع ما جاء في كتاب الله ، فعمدوا الى التأويل والبحث عن مخرج يوجهون ما جاء فيه وفق قواعد النحو التي قرروها ، ولا سيما المواضع التي اختلف علماء النحو فيها ، وجاءوا فيها بآراء مختلفة ، في التوفيق بين القراءات في القرآن مثلاً ، أو في الأمور المعضلة منه بالشعر ، فقد اختلف قراء مكة ، وقراء البصرة ، والكوفة والشام في الآية : « فلا اقتحم العقبة » ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة^٣ . وأورد (الطبري) آراء علماء اللغة والنحو ، ثم استشهد بقول طرفة بن العبد :

ألا أيها الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي^٤

وأورد (الطبري) بيتين من الشعر للنابعة في تأويل الآية : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف ترضى » ، اختلف

١ تفسير الطبري (١٤٩/٣٠) .

٢ أورد « الطبري » آراء المفسرين المختلفة في تفسير لفظة : « عضين » ، وللتوكيد على المعنى جاء بالشعر في تفسيرها ، راجع تفسيره (٤٥/١٤) ، (بولاق) .

٣ سورة البلد ، رقم ٩٠ ، الآية ١١ وما بعدها .

٤ تفسير الطبري (١٣٠/٣٠) ، بولاق .

في تأويلها علماء النحو^١ . وأورد بيتاً شاهداً على جواز وضع (افعل) في موضع (فعيل) الوارد في تفسير كلمة واردة في سورة « الليل اذا يغشى »^٢ . وهناك مواضع كثيرة اختلف علماء النحو في تأويلها بالنسبة لمذاهبهم في أوجه النحو ، فاستشهد كل عالم منهم بشاهد من الشعر ، لتأييد رأيه في صحة ما ذهب اليه على زعمه ، وقلما استشهد المفسرون والعلماء بشعر من شعراء قريش ، أو بكلام من كلامهم ، في تفسير القرآن ، فلو كان كتاب الله قد نزل بلغتهم لكان من اللازم ، ايجاد مخارجه بالاستشهاد بلغة قريش ، لا بالشعر الجاهلي وبكلام القبائل الأخرى .

وأنا لا ابتعد عن الصواب ، إذا ما قلت إن القرآن قد ساعد في جمع الشعر الجاهلي وفي حفظه ، بسبب اضطرار العلماء على الاستعانة به ، في دراسة كتاب الله وفهمه ، وفي تثبيت قواعد اللغة التي وضعت لتحسين العربية ، وجعلها في متناول يد من لا علم له بها ، يستعين بها على النطق بها ، وفقاً لمنطق العرب ، وربما حمل ذلك البعض على انتحال الشعر للاستشهاد به في ايجاد مخرج في تأويل آية أو تفسير كلمة وردت في كتاب الله .

إذن فقول من يقول ان لغة القرآن هي لغة قريش ، وإن لغة قريش هي العربية الفصحى ، وانها لغة الأدب عند الجاهليين ، قول بعيد عن الصواب ، ولا يمكن أن يأخذ به من له أي إلمام بتاريخ الجاهلية ووقوف على نصوص الجاهليين ، أخذ من روايات آحاد ، وجدت لها انتشاراً في الكتب القديمة بنقلها بعضها عن بعض من غير نص على اسم السند والمرجع ، فصارت وكأنها أخبار متواترة صحيحة أضاف المحدثون عليها عامل النفوذ السياسي والاقتصادي، والديني ، لإكساء الفكرة القديمة ثوباً جديداً يناسب العصر الحديث ، لتأخذ شكلاً مقبولاً . أما لو سألتني عن لغة القرآن الكريم ، فأقول إن القرآن قد ضبطها وعينها ، إذ سمّاها (لساناً عربياً) ، واللسان العربي ، هو لسان كل العرب ، لا لسان بعض منهم ، أو لسان خاصة منهم ، هم قريش ، ولو كان هذا اللسان ، هو لسان قريش لتزل النص عليه في كتاب الله .

١ والليل ، الرقم ٩٢ ، الآية (١٩ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٤٦/٣٠) ، (بولاق) .

٢ تفسير الطبري (١٤٥/٣٠) .

إن قريشاً قوم من مضر في رأي علماء الأنساب ، فلسانهم على هذا لسان من ألسنة مضر . وقد ورد « عن ابن مسعود : أنه كان يُستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر »^١ ، وورد عن (الأصمعي) قوله : « جرم : فصحاء العرب . قيل : وكيف وهم اليمن ؟ فقال : لجوارهم مضر »^٢ . فإذا كانت الفصاحة والعربية في مضر، فحري إذن نزول القرآن بلغة مضر ، لا بلسان قريش .

لقد تمسك علماء اللغة بقول بعضهم : « أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومخالفهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب ، واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشاً قطآن حرمه ، وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخبروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخبروا من تلك اللغات إلى سلاتقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب »^٣ . كما تمسكوا بقولهم : « كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها لإبانة عما في النفس ، والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ من حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ، ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقيبط ، ولا من قضاة ، وغسان ، وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر

-
- ١ المزهري (٢١١/١) .
 - ٢ الفائق (٤٥٩/٢) .
 - ٣ المزهري (٢١٠/١) .

لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين
مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من
بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمخالطتهم تجار اليمن
المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين
ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم ، والذي
نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها عِلماً وصناعة هم
أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب ^١ . وعلى ذلك « ما عرض
للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخلط ، ولو علم ان أهل
المدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ
عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر ، وكذا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة
أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها ،
لوجب رفض لغتها ، ترك تلقّي ما يرد عنها » ^٢ .

« وقد شك بعضهم في هذا القول ، لأن قريشاً كانت تسكن مكة وما حولها
وهم من أهل المدر ، وقريش تجار ، والتجارة تفسد اللغة ، وكان هذا مما عيب
على اليمن من ناحية لغتهم ، لأن رسول الله نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن
واسترضع فيهم ، فتعلم الفصاحة منهم ، وأن كثيراً من غلمان قريش في عهد
محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يُرسل الى بني سعد لتعلم اللغة والفصاحة ، ومن
أجل هذا ظنوا أن هذا الرأي موضوع لإعلاء شأن قريش في اللغة ، لأن رسول
الله منهم .

والذي يظهر لي أن سلامة اللغة من دخول الدخيل فيها أمر غير الفصاحة ،
وأن سلامة اللغة كانت في بني سعد خيراً مما هي في قريش لأنهم أهل وبر ،
وأبعد عن التجارة وعن الاختلاط بالناس ، وعلى العكس من ذلك قريش فهم
أهل مدر ، وكثير منهم كان يرحل الى الشام ومصر وغيرها ويتاجر مع أهلها ،
ويسمع لغتهم ، فهم من ناحية سلامة اللغة ينطبق عليهم ما انطبق على غيرهم ممن
خالط الأمم الأخرى » ^٣ .

١ المزهر (٢١١/١) وما بعدها ، (٣٤٣) .

٢ الخصائص (٤٠٥/١) .

٣ ضحى الاسلام (٢٤٧/٢) .

فما قالوه من ان الاتصال والاختلاط بالأعاجم ، يولد الفساد في اللغة ، يتناول قريشاً قبل غيرهم من العرب نظراً لما كان لهم في الجاهلية من اتصال ببلاد الشام واليمن ، وبالعراق وبالحبشة ، ولوجود جاليات أعجمية ، وعدد كبير من الرقيق بينهم ، وما وجود المعربات في لغتهم إلا حجة على تأثر لسانهم بالأعاجم وأخذهم منهم ، فهل يمكن أن يكون لسان قريش اذن أصفى ألسنة العرب وأنقاها مع وجود هذه الأمور التي أخذناها من ألسنة أهل الأخبار ؟

الفصل الاربعون بعد المئة

اللسان العربي

والآن فلسان من ، هو هذا اللسان العربي ، لقد علمنا انه لم يكن لسان العرب الجنوبيين ، ولا لسان قوم تمود أو اللحيانيين، أو الصفويين ، لأن نصوصهم تثبت انه قد كان لهم لسان آخر ، يختلف عن هذا اللسان . وذكرنا انه ليس بلسان قريش ، وانما قريش كغيرهم عرب من العرب ، فهل هو لسان العدنانيين؟ وجوابنا : كلا ، فقد علمنا ان العدنانية عصبية ظهرت في الاسلام، وانها مضرية سميت عدنانية ، وقلنا ان الثقات من الرواة وقفوا في ذكر النسب عند (عدنان) ورووا ان النبي نهى عن الانتساب الى ما بعده ، وقلنا ان اسمه لم يرد في شعر شاعر جاهلي ، خلا ما نسب الى الشاعر (العباس بن مرداس) ، من قوله :
وعك بن عدنان الذين تلعبوا بمذحج حتى طردوا كل مطرد^١

وما نسب الى ليبد ، وهو من المخضرمين ، من قوله :

فإن لم تجد من دون عدنان والدا^٢

وقلنا أشياء أخرى تثبت ان (العدنانية) لم تظهر إلا في الإسلام ، وان اسم

١ وفي رواية بغسان ، مكان « بمذحج » ، ابن هشام (٦/١) ، ابن سلام ، طبقات (٥)

٢ طبقات ابن سلام (٥) .

(عدنان) لم يكن معروفاً في الجاهلية ، وربما ظهر قبيل الاسلام ، ولهذا فلا يعقل أن تكون العربية ، عربية العدنانيين .

إذن ، فهل هي عربية مضر ؟ فقد ورد في الأخبار أن (عمر بن الخطاب) ، « لما أراد أن يكتب الامام ، أقعد له نقرأ من أصحابه ، وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر »^١ ، ونجد أهل الأخبار يذكرون أنه قال : « لا يملين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش ، أو غلمان ثقيف »^٢ . وليس بين الخبرين تناقض ، لأن قريشاً من مضر ، فيمكن حمل الخبرين على أنها قصداً شيئاً واحداً ، هو أن القرآن نزل بلسان قريش ، وقريش من مضر ، ولكن مضر قبائل عديدة ، سبق أن تحدثت عنها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، فيجب أن يكون نزول القرآن إذن بلغات هذه القبائل على هذا التفسير ، وتكون العربية الفصحى إذن عربية (مضر) ، أي عربية القبائل التي يرجع أهل الأخبار نسبها الى (مضر) ، أو حلف مضر بتعبير علمي أصح ، وليست عربية جماعة معينة منها ، مثل قريش .

ولكن أهل الأنساب ، يجعلون لمضر أخاً هو (ربيعة) ، وأخوين آخرين ، هما (إياذ) و (أثمار) على رأي من جعل (أثماراً) ابناً من أبناء نزار ، فما هو حال لسانهم ؟ هل يعدّ لسانهم لسان مضر ، أم كانت لهم السنة أخرى ؟ أما النصوص الجاهلية ، فلا جواب فيها على هذا السؤال ، لأنها لا تعرف عن لسان هؤلاء الأخوة شيئاً ، ولم يرد فيها أي شيء من أسمائهم وأسماء قبائلهم ، ثم إن هذه القبائل لم تترك لنا كتابة نستنبط منها شيئاً عنهم ، إذن فنحن لا نستطيع أن نتحدث عنهم ولا عن لسانهم بأي شيء يستند الى دليل جاهلي مكتوب . وأما الموارد الاسلامية ، فتجعل لسانهم لسان مضر ، وكيف لا تجعل لسانهم مثل لسان مضر ، وهم اخوة من أب واحد . فإذا قلنا إن لسان مضر ، هو اللسان العربي الفصيح ، وجب علينا القول بأن لسان إخوته كان مثل لسانه ، وإذن فاللسان العربي الفصيح ، هو لسان هذه المجموعة المكونة من ولد (نزار) وهي من ولد اسماعيل في النهاية على رأي أهل النسب والأخبار .

١ ابن كثير ، فضائل القرآن (٢٠) .

٢ ابن كثير ، فضائل (٢٠) ، المزهر (٢١١ / ١) .

اذن فنحن أمام مجموعتين من العربيات ، مجموعة تكون العربية الجنوبية ، ومجموعة تكون العربية الشمالية ، وهي عربية الاسماعيليين ، وذلك على مذهب أهل الأخبار .

أما أنا ، فأسمي هذه العربية ، عربية (ال) ، من سمة (ال) أداة التعريف التي تنفرد وتتميز بها عن بقية المجموعات اللغوية العربية : مجموعة (ن) (ان) ، أي المجموعة العربية الجنوبية ، ومجموعة (هـ) (ها) ، أي المجموعة التي تعرف الأشياء بهذه الأداة : (هـ) (ها) ، وتشمل اللحيانية ، والشمودية ، والصفوية . فكل منا استعمل (ال) أداة للتعريف ، هو في نظري من الناطقين بهذه اللغة مهما كان نسبه وفي أي مكان كانت اقامته ، ولذلك فالعربية الفصحى هي عربية مضر وعربية ربيعة ، وعربية إياد وعربية أنمار وعربية كلب وكندة والأزد وكل المستعملين لهذه الأداة ، حتى يظهر المستقبل نصوصاً جديدة ، قد تأتي بأداة أخرى لتكون مجموعة جديدة من المجموعات اللغوية .

نعم إن عربية (ال) لهجات ، لها خصائص ومميزات ، تحدثت عن بعضها في فصل (لغات العرب) ، ولكن الفروق بينها لا تختلف عن الفروق التي نجدها بين لهجات مجموعة (ن) ، أو بين لهجات مجموعة (هـ) ، لأنها فروق ليست كبيرة بحيث ترتفع الى مستوى الاستقلال عن بقية اللهجات .

العربية الشمالية والعربية الجنوبية :

وقد اصطلاح المستشرقون على رجع اللغات التي ظهرت في جزيرة العرب الى أصليين : أصل شمالي يقال للغات التي تعود اليه : اللغات أو اللغة العربية الشمالية ، وأصل جنوبي يقال للغات التي ترجع اليه : اللغات أو اللغة العربية الجنوبية^١ . وهذا التقسيم التقليدي للهجات العرب إنما خطر ببال المستشرقين من النظرية العربية الاسلامية التي ترجع العرب الى أصليين : أصل عدناني ، وأصل قحطاني . ونظراً الى عثورهم على كتابات عربية جنوبية تختلف في لغتها وفي خطها عن العربية القرآنية ، رسخ في أذهانهم هذا التقسيم ، وقسموا لغات العرب الى مجموعتين لسهولة البحث حين النظر في اللغات واللهجات .

Ignace Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 2.

وبين العريتين تباين واختلاف ، ما في ذلك من شك . من ذلك ان الفعل في العرييات الجنوبية وليد المصدر ، وان أداة التعريف فيها تكون في أواخر الكلم ، لا في أوائلها كما هو الحال في عرييتنا ، وان حرف (الميم) هو أداة التنكير في العرييات الجنوبية ، الى فروق أخرى ، تحدثت عنها في الجزء السابع من كتابي القديم (تأريخ العرب في الاسلام) .

ولذا كنا لا نزال في جهل عن حقيقة اسم (عدنان) ، الذي لم نثر عليه حتى اليوم في نص من نصوص المسند ، فإن في وسعنا التحدث عن (قحطان) ، الذي سبق أن أشرت الى أن أهل الأنساب أخذوه من التوراة . فهو اسم مها قيل فيه ، فقد أخذ من مصدر قديم يعود الى ما قبل الميلاد . ثم انه أورد في النص العربي الجنوبي السدي وسم بـ (Jamme 635) ، السدي دونه قائد الجيش (أبكرب أحرس بن ابل) ، (أبكرب أحرس بن ابل) ، أو (أبكرب أحرس) من (آل ابل) (آل ابال) ، وذلك لمناسبة عودته سالماً من حرب قادها بأمر ملكه وسيدته الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذو ريدان ، ابن الملك (علهان نهفان) ملك سبأ وذو ريدان . وقد شمل القتال أرضاً واسعة ، هي (أشعران) ، أرض الأشعرين و (بحر) ، والقبائل القاطنة حول مدينة (نجران) ، ثم الأحباش الذين كانوا يحاربون معهم ويؤازرونهم في قتالهم ضد السبئيين ، ثم سكان مدينة (قرتم) (قرية) الذين كانوا من (كاهل) (كهلم) ، ثم في الصدامين اللذين وقعا مع (ربعت) (ربعة) (ذ آل ثور) ، (ربعة) من (آل ثور) ، ملك (كدت) (كندة) وقحطان (قحطن) ، وكذلك ضد (أبل) أي سادة مدينة (قرتم)^١ .

وفهم من النص ان (ربعت ذ الثورم) ، هو اسم رجل ، اسمه (ربعة) من (آل ثور) . وكان كما يقول النص ملكاً على (كندة) و (قحطان)^٢ . ويذكر أهل الأخبار ، ان (كندة) اسم قبيلة وأبو حي من اليمن ، وهم من نسل (ثور بن مرة بن أدد بن زيد) ، وقيل (بنو مرتع بن ثور) ، أو

١ الاسطر ٢٢ - ٢٩ من النص .

٢ السطر ٢٦ - ٢٧ من النص ، (ربعت ذ الثورم ملك كدت وقحطن) ،
REP. EPIG. 4304.

(كندة بن ثور) ، وقبل ان ثوراً هو مرتع ، وكندة هو أبوه ، الى غير ذلك من آراء^١ ، تربك ان شيئاً من الواقع كان عند أهل الأخبار عن هذه القبيلة ، غير انهم لم يكونوا يعرفون شيئاً واضحاً عنه . وترى من هذا النص ان (آل ثور) اسم أسرة كانت تحكم قبيلتي (كدت) (كندة) و (قحطان) ، وان رئيسها إذ ذاك هو (ربعة) الذي لم يرد اسم والده . وقد جعل أهل الأخبار من (آل ثور) رجلاً جعلوه أباً لقبيلة كندة ، ثم حاروا في نسبه . ويتبين من هذا النص ان (قحطان) كانوا في هذا العهد تحت حكم (ربعة) الذي هو من (آل ثور) .

وقد جعل (جامة) حكم (شعر أوتر) الذي سبق أن تحدثت عنه بتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب^٢ في حوالى السنة (٦٥) قبل الميلاد^٣ ، وقد بنيت آراء بقية الباحثين في وقت حكمه ، فنكون بذلك قد وقفنا على اسم قحطان وكندة في نص يعود عهده الى حوالى القرن الأول قبل الميلاد . وقد كانتا مثل أهل (قرية) وأهل (نجران) في حرب مع السبئيين . وهذا النص هو أقدم نص عربي جنوبي وصل فيه اسم (قحطان) و (كدت) (كندة) إلينا حتى الآن .

ونحن لا نستطيع أن نتحدث عن لهجة (قحطان) و (كدت) (كندة) ، وذلك بسبب عدم وصول كتابات منها إلينا ، ولكننا لا نستبعد احتمال كون لغتها من مجموعة اللغات العربية الجنوبية ، لأن مواطنها كانت في العربية الجنوبية في هذا العهد ، أما بطون (كندة) التي نزلت (نجداً) والتي ذهب بعضها الى العراق ، فنحن لا ندري إذا كانت لهجتها قد تغيرت ، فصارت عربية شمالية ، بدليل نظم (امرئ القيس) الكندي وبقية شعراء الكندة الشعر بهذه العربية ، أم أنها كانت تتكلم بالعريتين ، إلا أن شعراءها كانوا ينظمون الشعر بالعربية المعهودة مجازة للقبائل الشمالية التي كانت تجاورها والتي احتكت بها ، وقد تكون هذه البطون قد هاجرت من العربية الجنوبية قبل الميلاد ، فأقامت بنجد ، وتعربت من ثم بالعربية الشمالية ، وقد تكون (كدت) قبيلة عربية جنوبية غير (كندة) ،

١ تاج العروس (٤٨٧/٢) ، (كند) .

٢ (ص ٣٦٩ وما بعدها) .

٣ JAMME, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, p. 391.

بقيت في اليمن الى الاسلام ، إذ ورد اسمها في نص (أبرهة) أيضاً ، ونظراً الى التشابه فيما بين (كدت) (كدة) و (كندة) ربط النسابون بين الإثنين، وجعلوا نسب كندة (كدت) . فتكون (كندة) بذلك من القبائل العربية الشمالية، و (كدت) من القبائل العربية الجنوبية ، أقول هذه الآراء على سبيل الاحتمالات لأنني من الأشخاص الذين يكرهون البت في الأمور العلمية لمجرد حدس أو ظن، ومن غير دليل علمي مقنع . والبت في مثل هذه الأمور لا يكون مقبولاً عندي إلا إذا استند على نص جاهلي ، أو بدليل معقول مقبول ، وحيث أننا لا نملكه الآن ، فأترك هذه الاحتمالات الى المستقبل علّه يتمكن من العثور على نصوص جاهلية تكشف القناع عنها ، وتأتي الينا بالجواب الواضح الصحيح .

ولكننا نجد في الوقت نفسه - وكما سبق أن ذكرت - ان هنالك لهجات عربية مثل الثمودية والصفوية ، تستعمل (الهاء) أداة تعريف بدلاً من الألف واللام في عربيتنا ، فيقال (هملك) ، و (هدار) بمعنى (الملك) و (الدار) . وذلك كما في العبرانية ، إذ تستعمل الهاء فيها أداة للتعريف ، ويقوم (ذ) فيها مقام الاسم الموصول كما عند طيء في قديم الزمان ، الى خصائص أخرى تجعلها مجموعة أخرى لا هي عربية جنوبية ولا هي عربية شمالية .

كما تبين من دراسة بعض الكتابات الجاهلية ، مثل الكتابات التي عثر عليها في (القرية) وفي جبل (عبيد) ، وفي شمال خشم كمدة ان لها خصائص انفردت بها عن المجموعتين ، وقد وردت فيها أسماء كثيرة لم ترد في الكتابات العربية الجنوبية وفي عربية (ه) ، مما يجعلها أهلاً لأن تكون موضع دراسة خاصة في المستقبل ، لعلها تكون مجموعة لغوية جديدة قائمة بذاتها ، أو حلقة مفقودة بين اللغات الجاهلية المندثرة .

ووجود مثل هذا التباين الذي اكتشف من الكتابات ، هو الذي دفعني الى التفكير في اعادة النظر في تقسيم اللغات العربية الى مجموعتين، وعلى التفكير بتقسيمها الى مجموعات ذات خصائص لغوية متشابهة، تستنبط بالدرجة الأولى من أداة التعريف التي هي المميز الوحيد الذي يميز بين لهجات الجاهليين .

ونلاحظ ان عربية ال (ن) (ان) مصطلحات غير موجودة في العربية الفصيحة لكنها موجودة في العبرانية . وفيها عدد غير قليل من الكلمات المجهولة في اللغات

السامية الأخرى ، صعب على العلماء إدراكها بسبب ذلك ، فاكثفوا باستخلاص معناها من وضعها في الجمل ، وذلك بصورة تقريبية^١ . كما نلاحظ ان الأسماء فيها ، تختلف عن الأسماء المعروفة عند العرب الشماليين ، وان الأسماء الواردة في كتابات المسند المتأخرة ، تختلف بعض الاختلاف عن الأسماء الواردة في النصوص القديمة ، فقد تغلبت البساطة على الأسماء المتأخرة ، حتى صارت تشاكل أسماء العرب الشماليين المألوفة عند ظهور الاسلام . وقد لاحظ (الهمداني) هذه الظاهرة ، فعبر عنها بقوله : « فربما نقل الاسم على لفظ القدمان من حير ، وكانت أسماء فيها ثقل فخففها العرب وأبدلت فيها الحروف الدلعية ، وسمع بها الناس مخففة مبدلة . فإذا سمعوا منها الاسم الموفر ، خال الجاهل انه غير ذلك الاسم وهو هو^٢ . وخير ما يمكن أن نفعله في نظري لمعرفة المتكلمين بالعربية الفصحى ، هو أن نقوم بالبحث عن الخصائص النحوية والصرفية واللفظية التي تميزها عن بقية العربيات ، فإذا ضبطناها استطعنا تعيين من كان يتكلم بها . ولما كنا لا نملك نصوصاً جاهلية مدونة بها ، صار من الصعب علينا التوصل الى نتائج علمية إيجابية مرضية ، تحدد القبائل والأماكن التي تكلمت بها تحديداً صحيحاً مضبوطاً ، غير أن المثل العربي يقول : ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فإذا عسر علينا الحصول على نتائج كلية مقنعة ، فلا بأس من الرضا بالحصول على جزء أو بعض من نتائج قد تقدم لنا معرفة وعلماً . ونحن إذا سرنا وفق حكمة هذا المثل ، ودرسنا خصائص هذه العربية ، نجد أن من أولى ميزاتها استعمالها (ال) أداة للتعريف ، تدخلها على أول الأسماء المنكرة ، فتحيلها الى أسماء معرفة ، بينما نجد العربيات الأخرى التي عثر على نصوص جاهلية مدونة بها تستعمل أدوات تعريف أخرى . ولما كنا نعرف المواضع التي عثر فيها على هذه النصوص ، صار في إمكاننا حصرها ، وبذلك نستطيع التكهن عن المواضع التي كان يتكلم أهلها بالعربية التي تستعمل (ال) أداة للتعريف ، أي هذه العربية الفصحى . ولما كانت العربية الجنوبية قد استعملت الـ (ن) (ان) أداة للتعريف ، تلحقها في أواخر الأسماء المنكرة ، وحيث أننا لم نتمكن حتى الآن من الحصول على نص في هذه الأرضين استعمل (ال) أداة للتعريف فباستطاعتنا القول : إن سكانها لم يدوتوا بالعربية القرآنية ،

١ ولفنسون ، السامية (٤٦ وما بعدها) .

٢ الاكليل (١٣/١) .

بل كان تدوينهم وكلامهم بالعربية الجنوبية التي كانت تضم جملة لهجات . ولما كان آخر نص عثر عليه مدون بالمسند ، يعود تأريخه الى سنة (٥٥٤) للميلاد ، صار في إمكاننا القول بأن العربية الجنوبية كانت وبقيت لساناً للعرب الجنوبيين الى ظهور الاسلام .

ونظراً لعثور الباحثين على كتابات مدونة بالمسند ، في (القرية) أو (قرية الفأو) وفي مواضع أخرى من (وادي الفأو) ، وفي مواضع من (وادي الدواسر) ، وفي مواضع تقع جنوبي خشم العرض ، فإن في استطاعتنا القول إن أهل هذه الأرضين كانوا يكتبون بالمسند^١ ، ويتكلمون بلغات عربية جنوبية ، اختلفت بعض الاختلاف عن العربيات الجنوبية المستعملة في العربية الجنوبية . فهي إذن من المناطق التي لم يتكلم أهلها بالعربية القرآنية . ونظراً لما نجده من وجود بعض الاختلاف بين عربية هذه المنطقة وعربية العربية الجنوبية ، فلإننا نستطيع القول بأنها تكون مرحلة وسطى بين العربيات الجنوبية والعربية القرآنية ، وحيث أن كثيراً من هذه الكتابات لم يكتب لها النشر ، ولوجود كتابات أخرى لم يتمكن الباحثون من نقشها أو تصويرها ، فن المحتمل في رأيي مجيء يوم قد يعثر فيه على لهجات جديدة ، قد تزيع الستار عن أسرار اللغات عند الجاهليين ، وقد تكون مجموعات لغوية جديدة من مجموعات اللغات العربية عند أهل الجاهلية .

وقد عثر في العربية الشرقية على كتابات جاهلية مدونة بالمسند هي وإن كانت قليلة ، إلا أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للباحث في تأريخ تطور الكتابة عند العرب ، وللباحث في اللهجات العربية الجاهلية . فقد ثبت منها أن أصحاب هذه الكتابات كانوا يتكلمون بلهجات غير بعيدة عن اللهجة العربية القرآنية ، وإن كتبوا بالمسند . ويلاحظ من النص الذي هو شاهد قبر رجل اسمه (ايليا بن عين ابن شصر) أنه استعمل لفظة (ذ) بمعنى (من) ونأسف لأن هذه النصوص القليلة قصيرة ، وفي أمور شخصية ، قد حلت من أداة التعريف ، لذلك لا نستطيع تثبيت لهجتها بصورة أكيدة^٢ .

-
- ١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٢/١) .
 - ٢ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١٩٥/١) وما بعدها .
 - ٣ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١٩٣/١) وما بعدها .

واستناداً الى النصوص الثمودية واللحيانية والصفوية ، التي استعملت ال (هـ)
(ها) أداة للتعريف ، نستطيع أن نقول إن أصحاب هذه اللهجات يكوّنون
مجموعة من اللغات قائمة بذاتها ، تختلف عن العربية الجنوبية وعن العربية القرآنية .
وهي تشارك العبرانية في استعمال الأداة المذكورة في التعريف ، ولكنها تقارب عربية
(ال) في استعمال المفردات .

وأما النبط ، وهم عرب من العرب الشماليين ، فقد استعملوا أداتين للتعريف ،
أداة هي حرف الألف الممدود اللاحق بآخر الاسم ، مثل (ملكا) بمعنى (الملك) ،
و (مسجدا) ، بمعنى (المسجد) ، وأداة أخرى ، هي أداة (ال) التي
نستعملها في عربيتنا . وفي استعمال النبط لأداتين للتعريف ، دلالة على تأثرهم
بالآراميين وبالعرب المتكلمين باللغة العربية القرآنية ، أو العرب المستعملين لأداة
التعريف (ال) بتعبير أصح . والنبطية نفسها ، لغة وسط ، جمعت بين الآرامية
والعربية ، فبينما نجدها تستعمل الآرامية ، اذا بها تخلط معها ألفاظاً وتراكيب عربية
فصيحة . وذلك بسبب اختلاط النبط بالآراميين وتأثرهم بثقافتهم ، واحتكاكهم
بالأعراب ، وكونهم عرباً في الأصل^١ . ومعنى هذا ان العرب الذين كانوا يجاورون
النبط ، وهم عرب البوادي كانوا من المتكلمين بأداة التعريف (ال) ، سمة
العربية الفصيحة .

وأما النصوص المدونة بنبطية مشوبة بمصطلحات عربية ، وأهمها نص (حران)
الذي يعود تأريخه الى سنة (٣٢٨) للميلاد ، فإنه يفصح عن قوم عرب أو نبط
لاستعمالهم (ال) أداة للتعريف في الألفاظ : (التج) بمعنى (التاج) ، وفي
(الأسدين) ، بمعنى (أسد) ، وفي (الشعوب) . وأرجح كونهم عرباً ،
لاستعمالهم جملاً عربية فصيحة بينة في هذا النص ، مثل : (ملك العرب) ،
و (مدينة شمر) ، و (نزل بنيه الشعوب) ، و (فلم يبلغ ملك مبلغه) ،
فهذه جمل عربية ، أصحابها عرب ، وإن كتبوا بالنبطية ، وقد تفصح عن عربية
أهل الحيرة في ذلك الوقت ، لأن الملك المتوفى ، وهو (امرؤ القيس) ، هو
من ملوك الحيرة ، والنص المكتوب ، هو شاخص قبره ، فمن المعقول تصوراً أن
الكتابة كتبت بلغة أهل الحيرة في ذلك العهد^٢ .

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٠٥/٧ وما بعدها)
٢ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٧٣/٧ وما بعدها)

ويظهر من استعمال كتابة (زبد) التي يعود عهدها الى سنة (٥١٢) للميلاد ،
لجملة « بسم الإله » ، أن صاحبها وان كتب بالنبطية ، غير أنه كان من النبط
المستعملين لـ (ال) أداة للتعريف . وأما الكتابة المعروفة بكتابة (حزان) ، فإنها
أقرب هذه النصوص الى العربية القرآنية . كما يتبين ذلك من نصها العربي ، وهو :
انا شرحيل بر ظلمو ، بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ ، بعد مفسد خير بعم .
أي : (أنا شرحيل) (شرحيل) بن ظالم ، بنيت هذا المرطول سنة ٤٦٣ ،
بعد خراب (غزو) خير بعام . ويقابل تأريخ هذا النص سنة (٥٦٨) للميلاد^١ .
وعربية هذا النص ، عربية واضحة ، ليس فيها ما يحاسب عليه بالقياس الى
عربيتنا ، إلا جملة (بر ظلمو) المكتوبة على وفق القواعد النبطية . ويلاحظ
أنها استعملت (ال) أداة للتعريف ، ولاحظت قواعد النحو في جملة : « بنيت
ذا المرطول) المستعملة في عربيتنا ، مما يدل على أن صاحبها كان يراعي الإعراب
في لسانه . وأنه من قوم كانوا يراعون قواعد الإعراب في كلامهم .
إذن فنحن أمام قوم عرب ، نبط ، لسانهم العربي من مجموعة (ال) ، أي
من العربية المستخدمة لـ (ال) أداة للتعريف ، منازلهم أطراف بلاد الشام ،
وشواطئ الفرات العريضة . وإذا تذكرنا أن السريان كانوا على الحيرة (حبرتا
دي طيابة) ، وأنهم كانوا يطلقون لفظة (طيابة) في مرادف (عرب) ،
عرفنا إذن ، أن أهلها كانوا من العرب^٢ ، ولما كان نص (الهمزة) قد كتب
بنبطية متأثرة بعربية (ال) ، نستطيع أن نقول ان عرب الحيرة كانوا من المتكلمين
بهذه العربية .

يتبين لنا مما تقدم ، ان العرب الذين كانوا يقطنون الحيرة والأنبار، أو عرب
العراق بتعبير أصبح ، ثم عرب بلاد الشام ، وعرب البوادي ، وجزيرة العرب
باستثناء المواضع التي أمدتنا بالكتابات ، كانوا يتكلمون بعربية (ال) أي العربية
التي نزل بها القرآن الكريم ، ودون بها الشعر الجاهلي . وهي عربية أساسية ،
جمعت شمل لغات ولهجات ، على نحو ما وجدنا في العربية الجنوبية من اشتغالها على
جملة لهجات ، وما وجدناه في اللهجة العربية الشمالية الغربية ، المستعملة لـ (هـ)
(ها) أداة للتعريف .

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٨٠/٧) .
٢ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٥٦/٣) .

فأهل نجد وبادية الشام ، وعرب العراق وبلاد الشام والحجاز ، كانوا هم المتكلمين بهذه العربية التي تعرف النكرة بأداة التعريف (ال) ، وذلك قبل الاسلام ، أما المواطن الأخرى ، فلها لهجاتها الخاصة ، وبينها لهجات تأثرت بخصائص مجموعة (ال) . وقد غلب الاسلام هذه العربية على اللهجات الأخرى ، فصارت الأكثرية تتكلم بها ، إلا في المواضع المنعزلة ، التي بقيت شبه مستقلة ، حيث احتفظت ببعض خصائص لهجاتها القديمة ، كالذي نراه اليوم في مهرة وفي الشحر وفي مواضع أخرى من العربية الجنوبية التي تتكلم بلهجات لا نفهمها عنهم هي من بقايا اللهجات الجاهلية .

وللوقوف على خصائص اللهجات المكونة لعربية الـ (ن) (ان) ، أرى ان من الضروري وجوب ارسال بعثات علمية الى العربية الجنوبية لدراسة اللهجات المحلية ، وهي عديدة وتسجيلها على الأشرطة من أفواه المتكلمين بها ، ولدراسة قواعدها النحوية والصرفية وأصول نظم الشعر عند المتكلمين بها ، وتفيدنا دراسة نظم الشعر — خاصة — عند العرب الجنوبيين الحاليين فائدة كبيرة في الوقوف على أسس نظم الشعر عندهم أيام الجاهلية ، وعلى الفروق الكائنة بين نظمهم قبل الاسلام ، ونظم بقية العرب الجاهليين . ولا بد أيضاً من مقارنة نظمهم في الوقت الحاضر ، بنظم الأعراب في المملكة العربية السعودية ، للوقوف على الفروق بين النظمين ، وستكون هذه الفروق هادياً لنا في الوقوف على الفروق التي كانت بين النظم عند شعراء الجاهلية في بلاد الشام والعراق ونجد والبحرين واليامة والحجاز والعربية الجنوبية .

وسوف تساعدنا دراسة لهجات المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة التي كانت تعرف بـ (ادوم) في التاريخ ، وكذلك لهجات أعالي الحجاز في الوقت الحاضر ، فائدة كبيرة في الوقوف على خصائص لهجة عربية الـ (هـ) (ها) ، وفي استنباط قواعدها منها . فلا بد وأن تكون في اللهجة (البلقاوية)^١ ، وفي اللهجات المحلية الأخرى بقايا من تلك اللغة ، مندمجة مع عريضة (ال) التي تغلبت على لسانهم منذ الفتح الاسلامي الذي بدأ لتلك البلاد عام (٦٣٣) للميلاد^٢ . ولا بد من دراسة

١ نسبة الى البلقاء

Andrzej Czapkiewicz, Sprachproben Aus Madaba, Polska Akademia Nauk,

Krakow, 1960.

أصول نظمهم في لغاتهم الدارجة هذه للإهتمام بها على أصول النظم عندهم قبل الاسلام ، وعلى المؤثرات التي أثرت على نظمهم في الوقت الحاضر ، مع دراسة خصائص نظمهم وما يمتاز به عن أصول النظم عند بقية العرب في الوقت الحاضر أيضاً .

ولما كنا لا نملك نصوصاً جاهلية بعربية (ال) غير ما ذكرته من النصوص النبطية المشوبة بعربية (ال) . ولما كانت هذه العربية ذات لهجات ولغات، عرفت أسماؤها وضبطت في الاسلام، وبينها فروق ومميزات ، كما بينت ذلك في الملاحظات البسيطة السطحية التي جمعها عنها علماء العربية، ولما كنا لا نملك عن هذه اللهجات غير تلك الملاحظات التي أوجزتها في فصل : لغات العرب ، فإن من اللازم ضم دراسة ما سيقوم به علماؤنا في المستقبل عن اللهجات الحالية في مختلف أنحاء جزيرة العرب الى دراسة العلماء المتقدمين ، لتكمل احدهما الأخرى ، وستتولد منها ولا شك دراسة علمية قيمة ، تفيدنا في الإهتمام الى معرفة خصائص اللغات العربية قبل الإسلام .

لقد توصلت من دراسة ملاحظات أولئك العلماء ، الى أن هذه اللهجات لم تكن تختلف في كيفية النطق بالحروف ، وفي القواعد الصرفية فقط ، لكنها كانت تختلف فيما بينها في القواعد النحوية أيضاً ، مثل حذف الياء من الفعل المعتل بها إذا أكد بنون في لغة طيء وفزارة^١ ، ومثل (ذو) الطائية التي يلازم اعرابها بالواو في كل موضع^٢ ، ومثل إعراب المثني بالآلف مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً ، في لغة بلحريث ، وخثعم ، وكنانة^٣ ، ومثل (هَلُمَّ) في لغة أهل الحجاز التي تلزم حالة واحدة على اختلاف ما تسند اليه مفرداً أو مثني أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً ، وتلزم في كل ذلك الفتح ، بينما تتغير بحسب الإسناد في لغة نجد من بني تميم^٤ ، الى غير ذلك من أمور تحدثت عنها في فصل : لغات العرب ، وهي لو جمعت في مكان واحد ودرست بعناية ودقة ، دلت على أن الفروق بين هذه اللهجات في القواعد هي أعمق بكثير مما يظن .

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٤٢/١) .

٢ المصدر نفسه (١٤٤/١) .

٣ كذلك (١٤٥/١) .

٤ أيضاً (١٤٨/١) .

ومع وجود هذه الاختلافات والفروق ، كان بإمكان المتكلمين بهذه اللغات الثانوية المتفرعة من المجموعات اللغوية ، التفاهم فيما بينهم ، كما يتفاهم العراقيون والمصريون وأهل المغرب بعضهم مع بعض مع تكلمهم باللسنة ذات لهجات مختلفة . فكان في استطاعة أهل نجد التفاهم مع عرب الحيرة ، وفي استطاعة أهل مكة التفاهم مع أهل الحيرة ، والعكس بالعكس ، مع وجود صعوبات بالطبع في فهم النطق باللهجة ، وفي إدراك مخارج بعض الحروف واختلاف القبائل في النطق بها ، ووجود كلمات غريبة في لغة ، قد لا توجد في لغة أخرى . إلا أن هذه الفروق لم تكن شديدة عميقة ، بحيث جعلت فهم العرب بعضهم بعضاً أمراً صعباً ، أو صيرت اللغات وكأنها لغات أعجمية ، لا يفهم المتخاطبون بها أحدهم الآخر . ودليل ذلك أننا نجد الوفود التي وفدت إلى المدينة ، لمبايعة الرسول على الإسلام ، تكلم الرسول وتفاهم معه ومع أصحابه ، وتخطب أو تنشد الشعر أمامه ، وهو يفهمهم ، وهم يفهمونه من دون صعوبة ولا كلفة كبيرة ، لأن أمر هذه اللغات لم يكن على نحو ما تصوره بعضهم من التباين والاختلاف ، والبعد بين الألسنة . اللهم إلا ما كان من أمر أهل العربية الجنوبية ، فقد كانوا يرطنون ، بدليل ما جاء في كتاب رسول الله إلى (عياش بن أبي ربيعة المخزومي) حين أرسله برسالة إلى أبناء (عبد كلال) الحميري ، فقد قال له فيها : « وهم قارئون عليك ، فإذا رطنوا ، فقل : ترجموا »^١ . وربما كان منهم من لا يفقه عربية المسلمين ، الناطقين بعربية (ال) ، فكان يترجم لهم بعض من لهم علم وفقه بالعربيات الجنوبية وبعربية القرآن .

وبدليل ثانٍ ، هو أن المسلمين لما حاصروا القصر الأبيض من قصور الحيرة ، سمعوا أهل القصر ، يصرخون : « عليكم الخزازيف » ، « فقال ضرار : تنحوا لا ينالكُم الرمي ، حتى ننظر في الذي هتفوا به ، فلم يلبث أن امتلأ رأس القصر من رجال متعلقي المخالي ، يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخزف »^٢ ، فلم يفهم المسلمون معنى (الخزازيف) في بادئ الأمر لكنهم عرفوا أنهم يعنون شيئاً له صلة بالدفاع عن القصر ، ثم عرفوه ، بعد نزول سيل من (الخزف) عليهم . وكان أهل (الحيرة) ينطقون بالعربية ، فلما قال

١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٢/١) ، (بيروت ١٩٥٧ م) .

٢ الطبري (٣٦٠/٣) وما بعدها .

(خالد بن الوليد) لأصحاب عدي بن العبادي : « ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل ! فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي : ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت ^١ . وقد كانت لهم مدارس تدرس العربية ، كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، ومنهم أخذ أهل مكة كتابتهم ، كما يذكر ذلك أهل الأخبار . فنحن نجد أن العرب كانوا يتكلمون على مقتضى سجيته التي فطروا عليها ، ومع ذلك فقد كانوا يتفاهمون ويدركون المعاني ، ولو كانوا من قبائل متباعدة ، ومن أماكن متناثرة . « قال ابن هشام في شرح الشواهد : كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات ^٢ .

ولما حاصر (خالد بن الوليد) الأنبار ، « تصايح عرب الأنبار يومئذ من السور ، وقالوا : صبح الأنبار شر ^٣ . ولما اطمأن بالأنبار « وأمن أهل الأنبار وظهروا ، رأيهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب . نزلنا الى قوم من العرب قبلنا ^٤ . فأهل الأنبار مثل أهل الحيرة عرب ، كانوا يتكلمون العربية ، وهي عربية فهمها خالد ومن كان معه من رجال قبائل ، ولو كانت عربيتهم عربية قريش ، لما سكتوا من النص عليها ، لما في ذلك من تقرب الى قريش . قال الأزهري : « وجعل الله ، عز وجل القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً ، لأنه نسيبه الى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغته لسانهم لغة العرب ، في باديتها وقراها العربية ، وجعل النبي ، صلى الله عليه وسلم عربياً ، لأنه من صريح العرب ، ولو أن قوماً من الأعراب الذين يسكنون البادية حضروا القرى العربية وغيرها ، وتناؤا معهم فيها ، سموا عرباً ولم يسموا

١ الطبري (٣/٣٦١) ، (حديث يوم المقر وفم فرات بادقلي) .

٢ المزهر (١/٢٦١) .

٣ الطبري (٣/٣٧٤) .

٤ الطبري (٣/٣٧٥) .

أعرباً » . « والعربية هي هذه اللغة » . « والعرب : هذا الجيل »^١ .
 أما لو سألتني رأيي في هذه الخطب التي دوتها أهل السير والتواريخ والأخبار
 للوفود التي وفدت على الرسول لمبايعته ، أو عن حديث الصحابة معه قبل الهجرة
 أو بعدها ، فأقول لك بكل صراحة ، إن هذه النصوص : نصوص كلام الرسول
 مع الصحابة ، ونصوص كلام الصحابة معه ، هي نصوص وردت البنا بأفواه
 الرواة ، كلامها كلامهم ، وعباراتها عباراتهم ، أما المعاني ، أي المضامين ،
 فهي التي أخذت بالرواية ، وفي بعضها زيادات أو نقصان ، ظهرت بسبب طبيعة
 الاعتماد على الذاكرة لا الكتابة والتدوين . فنحن إذن أمام نصوص ، لا يمكن أن
 نقول إنها أصيلة ، لأنها لم تؤخذ من محاضر جلسات ، ولا من كتاب كانوا
 يكتبون كل ما كان يقع ويحدث ، وينقلون الكلام نقلاً أميناً صادقاً ، كما ينقل
 الشريط المسجل للأصوات ، أصوات المتكلمين ، وإنما رويت بعد الحادث بأمد ،
 قد يكون قصيراً وقد يكون طويلاً ، وبعضها أحاديث شخصية ، ليست مهمة ،
 وقد تكون من الموضوعات ، ولا غرابة في ذلك فكتب التراجم والحديث والسير ،
 مليئة بتكذيب كثير من هذه الأمور ، التي افتعلت ، إما من الرواة أنفسهم ،
 وإما من أئمتهم ، وإما عصبية ، أو عن مذهب وعقيدة .

أفصح العرب :

وموضوع أفصح العرب موضوع لا أرى أنه قد كان لأهل الجاهلية علم به ،
 إذ كان لكل قوم منهم لسان يستعزون به ويتعصبون له ، يرون أنه لسانهم العزيز .
 ولا يكون فصاحة إلا إذا كان هنالك لسان أدب رفيع ، يكون له رجال الأدب
 من ناثرين وشعراء ، يكون لساناً مقررّاً محترماً يتبعه الجميع ، تعقله وحدة شاملة
 وشعور بوجود أواصر دم وتاريخ واحد وثقافة واحدة ، وقلم يكتب به ، فإذا
 اجتمعت كل هذه وأمثالها وأضيفت إليها وجود حكومة كبيرة تتخذ ذلك اللسان
 لساناً عاماً لها ، ثم تقوم بتشجيع الأدباء والعلماء وتحسن إليهم ، صار ذلك اللسان
 اللسان المحفوظ المأثور المقدم على سائر الألسنة ، وصارت اللهجات الأخرى ،

١ اللسان (١ / ٥٨٦ وما بعدها) ، (عرب) .

السنة ثانوية بعده ، تعدّ دون اللغة المذكورة في الرتبة والمنزلة والفصاحة ، كما حدث في الاسلام ، حيث اعتبر اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم ، لسان الاسلام والمسلمين ، لسان الدين والدولة ، به تكتب دواوين الدولة ، وبه يؤلف العلماء ويكتب الأدباء ، وينظم الشعراء ، وبموجب قواعده المقررة يتعلم اللسان كيفية الكتابة والنطق ، من خالفها أو أخذ بألفاظ خارجة على قواعد نحوها وصرفها عدّ عامياً جلفاً من سواد الناس وسوقتهم .

ومدار الفصاحة في نظر علماء العربية كثرة استعمال العرب للكلمة ، سئل (أبا عمرو بن العلاء) : « كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : أحملُ على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات . فسا أكثرت العرب من استعماله من غيره ، فهو فصيح . وأما الفصاحة في المفرد : فخلوصه من تنافر الحروف ، ومن الغرابة ، ومن مخالفة القياس اللغوي . والتنافر ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعُسر النطق بها ، مثل (الهعخ) و (مستشزر)¹ . والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ، فيحتاج في معرفتها الى أن ينقر عنها في كتب اللغة ، أو أن تكون قليلة الاستعمال ، وأضاف بعضهم الى ما تقدم : ألا تكون الكلمة مبتدلة² . وآراء أخرى لا مجال للبحث عنها في هذا الكتاب ، لعدم وجود مكان في حدوده .

وقد وضعت هذه الحدود في الاسلام ، أما ما قبله فلا علم لنا برأي الجاهليين في الفصاحة وفي الفصح ، ولكننا نستطيع بالقياس الى ما عندنا من كتابات ، أن نقول : إن العرب الجنوبيين كانوا يدنون بلهجاتهم المعروفة ، وهي : المعينية والسبئية والحضرية والقتبانية ، وفقاً لقواعد لهجاتهم وبألفاظهم ، فهي بالنسبة لهم لغاتهم الفصيحة ، لغة التدوين والكلام ، ولما قضى السبثيون على استقلال حكومات معين وحضرموت وقيطان وأوسان ، وتكونت منها حكومة واحدة ، ضعفت الخصائص اللغوية التي ميزت لهجات هذه القبائل بعضها عن بعض ، واندمجت

١ من قول امرئ القيس :

غدائره مستشزرات الى العلا

المزهر (١٨٥/١) .

٢ المزهر (١٨٤/١) وما بعدها .

بلغة السبثيين التي صارت لغة الحكومة ، وصار العرب الجنوبيون يكتبون بها الى ظهور الاسلام . فهذه اللغة ، هي اللغة الفصحى عندهم وقلمها هو المسند .

أما بالنسبة الى العرب الآخرين ، فالظاهر أن عربية (ال) ، كانت قد تغلبت عند ظهور الاسلام على العربيات الأخرى ، وفي ضمنها عربية الـ (هـ) (ها) ، وذلك بقوة وضخامة القبائل المتكلمة بها ، وباستعمال حكومة الحيرة وحكومة الغساسنة وحكومة كندة لها ، مما جعل الخطباء والشعراء والكهنة والسحرة على النطق بها ، وبلهجاتهم الخاصة بهم ، وهي لهجات كانت متقاربة لكنها تختلف فيما بينها في استعمال بعض الألفاظ وفي كيفية النطق بالكلم ، أي في مخارج الحروف ، وفي خصائص نحوية وصرفية ، إلا أن هذه الفروق والاختلافات لم تخرجها مع ذلك عن وحدة اللغة ، وهي كلها في نظر أصحابها عربية فصيحة ، وقد كانت تتقارب باحتكاك القبائل بعضها ببعض ، وبتوسع نفوذ ملوك الحيرة في جزيرة العرب ، وبتنقل الشعراء والخطباء بين القبائل ، وبتأثر العرب بالأحداث السياسية العالمية ، وبظهور النزعة الى تكوين حكومات مدنية تحل محل الحكومات القبلية الضيقة ، وبتوغل المبشرين والمثقفين العرب بين القبائل ، يدعونهم الى النصرانية التي كانت قد جاءت من الحيرة ، بنصرانية شرقية عربية ، متأثرة بالإرمية ، لكنها اضطرت الى التعرب بالتدريج ، وبقي الحال على هذا المنوال إلى أن ظهرت كلمة الاسلام بلغة (ال) ، فصارت بتزول الوحي بها أفصح ألسنة العرب ، وصار قلمها قلم الاسلام المقرر . وبذلك نبذ المسند ، وماتت الكتابة به منذ ذلك الحين ، ومات التراث العربي الجنوبي بموت لسانه وقلمه .

وبانتصار الاسلام على الشرك ، والاسلام دين ودولة ، دعوته الى (أمة) ، المواطنون فيها اخوة ، وله لسان ، هو اللسان الذي نزل به القرآن ، صار هذا اللسان أفصح الألسنة منذ ذلك الحين ، بل لسان أهل الجنة ، وصار من الواجب على المسلمين تثبيت قواعده ودراسته لفهم كتاب الله المنزل به ، خدمة لدين الله الذي شرف هذا اللسان باتخاذ لساناً له . ورعاية قلمه الذي ثبت كتاب الله ، وقام العلماء بضبط قواعده وجمع مفرداته ، والبحث في كل ما يتعلق باللسان من علم . قام بهذه المهمة علماء المصيرين : البصرة والكوفة ، وكان لا بد لهم من رسم حدود ، ومن وضع قواعد في كيفية تثبيت العربية ، وفيمن يصح أخذ هذه القواعد من ألسنتهم ، الى غير ذلك من أمور اتبعوها في جمع علوم العربية .

وحين تُشرع بوضع قواعد العربية ، كان الاسلام قد حطم حدود جزيرة العرب ، وتخطاها ، قد غلب الساسانيون ، وأبعد الروم عن بلاد الشام ومصر وما وراءها ، وقد جمع العرب بالأعاجم ، والعجم بالعرب، وشبك ألسنة الأعاجم بلسان العرب ، ولسان العرب بألسنة العجم ، واضطر العلماء الى وضع قواعد فيمن يجب أخذ لسان العرب منهم من العرب ، وفيمن لا يجوز الأخذ منهم ، بسبب اتصالهم بالعجم ، وما طرأ على لسان بعضهم من خبث نتيجة لهذا الاتصال. فكانت تعاليمهم ألا تؤخذ العربية إلا من عرب بقوا بمعزل عن الأعاجم ، فلا « يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقيط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عُمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبيشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم ، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها عالماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب »^١.

وذكر أن قريشاً كانوا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وأجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، أما الذين نقل عنهم اللسان العربي من « قبائل العرب ، هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم »^٢ . وروي أن أفصح العرب علياً هوازن ، وسفلى تميم^٣ .

وروى (الجاحظ) أن (معاوية) قال يوماً : « من أفصح العرب ؟ فقال

-
- ١ المزهري (٢١٢/١) .
 - ٢ المزهري (٢١١/١) .
 - ٣ المصدر نفسه .

قائل : قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفُرات ، وتيامنوا عن عنعنّة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغمة قضاة ولا طمطمانيّة حبر . قال : من هم ؟ قال قريش ^١ .

وقد تحدث (الجاحظ) عن أثر المحيط في تكوين اللغة ، فقال : « وكاختلاف ما بين المكّي والمدني ، والبدويّ والحضري ، والسهليّ والجبلي ، وكاختلاف ما بين الطائيّ الجبلي والطائيّ السهلي ، وكما يقال : ان هذيلاً أكراد العرب ، وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين من نزل الحزّون ، وبين من نزل النجود وبين من نزل الأغوار .

وزعمت أن هؤلاء وان اختلفوا في بعض اللغة ، وفارق بعضهم بعضاً في بعض الصور ، فقد تماثلت علياً تميم ، وسفلى قيس ، وعجز هوازن وفصحاء الحجاز ، في اللغة ، وهي في أكثرها على خلاف لغة حبر ، وسكان مغاليف اليمن ، وكذلك في الشمال والأخلاق . وكلهم مع ذلك عربيّ خالص ، غير مشوب ولا مملّح ولا مدرّج ولا مزيج . ولم يختلفوا اختلاف ما بين بني قحطان وبني عدنان ، من قبل ما طبع الله عليه تلك البريّة من خصائص الغرائز ، وما قسم الله تعالى لأهل كلّ جيزة من الشكل والصورة ومن الأخلاق واللغة ^٢ .

فرأى (الجاحظ) ان بين العدنانيين والقحطانيين فروقاً كبيرة في اللغة ، غير ان بين كلّ مجموعة من هاتين المجموعتين فروقاً لغوية ، كالذي أورده من أمثلة على الفروق التي تكون بين من يتزل الجبال ، أو من يتزل السهول ، وبين من يتزل النجود ، ومن يتزل الأغوار ، ثم الخلافات التي تقع بين بطون القبائل عند تشتتها وتفرقها . ثم تحدث عن لغة علياً تميم ، وسفلى قيس ، وعجز هوازن ، ولغات أهل الحجاز . وهي قبائل تحدث عنها علماء اللغة .

وقد ذكر (الرافعي) ان « الفصاحة اشتهرت في مضر ، حتى عرفت اللغة بالمضربة ، ومن أشهر قبائلها كنانة - ومن بطونها قريش - ثم تميم ، وقيس ، وأسد ، وهذيل ، وضبة ، ومزينة ^٣ . وقال أيضاً : « وأفصح القبائل الذين

١ الجاحظ (٢١٣/٣) .
٢ رسائل الجاحظ (١٠/١) وما بعدها ، (مناقب الترك) .
٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٢٥/١) .

هم مادة اللغة فيما نص عليه الرواة : قيس ، وتميم ، وأسد ، والعجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف . قال أبو عبيدة : وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيداني من قريش ، واني نشأت في بني سعد بن بكر - وكان مسترضعاً فيهم - وهم أيضاً الذين يقول فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ^١ .

« وتلك القبائل كلها كانت تسكن في بوادي نجد والحجاز وتهامة ، وقد بقيت معادن الفصاحة زمناً بعد الاسلام ، واليها كان يرجع الرواة ، حتى إن الكسائي لما خرج الى البصرة فلقي الخليل بن أحمد ، وجلس في حلقة ، قال له رجل من الأعراب : تركت أسداً وتيمماً وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة ! فقال لل خليل : من أين أخذت علمك ؟ قال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فخرج اليهم ولم يرجع حتى أنقذ خمس عشرة قنينة جبراً في الكتابة عن العرب .

ولم تزل هوازن وتميم وأسد متميزة بخلوص النية وفصاحة اللغة الى آخر القرن الرابع للهجرة ^٢ .

وقد ترك الأخذ عن (حاضرة الحجاز) أي مكة « لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم » ^٣ ، فلم يأخذوا منهم . وقد قرأنا قبل قليل أسماء القبائل التي أدخلها علماء اللغة في القائمة السوداء المقاطعة التي لم يجوزوا الأخذ منها ، وذلك حين شروعه بتدوين اللغة أيضاً للسبب المذكور وهو اتصالها بالأعاجم ، وتأثر ألسنتها بلغات من اتصلت بهم من عجم .

واللغات في نظر (ابن جني) على اختلافها كلها حجة « ألا ترى أن لغة الحجاز في إعمال ما ، ولغة تميم في تركه ، كل منهما يقبله القياس ، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبيتها ، لأنها ليست أحق بذلك من الأخرى ، لكن

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٢٧/١) وما بعدها .

٢ المصدر نفسه (١٢٨/١) .

٣ المزهر (٢١٢/١) .

غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد ان أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد نسباً بها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا ^١ .

أعود الآن فأكرر ما سبق أن قلته من اننا اليوم في حاجة ماسة ، الى وجوب تسجيل كل ما أورده علماء اللغة عن لغات العرب ولهجاتها ، فصيحة كانت تلك اللغة أو رديئة ، ولا سيما في الأمور التي شذت فيها هذه اللهجات بعضها عن بعض ، في الشعر أو في النثر ، تسجيل كل الأسماء الجاهلية التي عرف بها العرب قبل الاسلام ، مع بيان أسماء الرجال الذين تسموا بها وأسماء القبائل التي هم منها ، والمواضع التي كانوا بها ، لتعرف بذلك على أصول هذه القبائل ، والأماكن التي جاءت منها ، والأثر الذي تأثرت به من القبائل المجاورة لها ، فنحن نعرف اليوم ، ان أهل العربية الجنوبية ، كانت لهم أسماء وردت في المسند لم تكن شائعة بين العرب الشماليين ، وقد كانت خاصة بهم ، ثم نعرف اليوم ان الأسماء الواردة في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة المقاربة للإسلام ، اختلفت بعض الاختلاف عن الأسماء القديمة المركبة المضافة ، مما يدل على وقوع تغير في الذوق اللغوي عند العرب الجنوبيين قبيل الاسلام ، وعلى الميل الى اختزال الأسماء وتبسيطها ، على نحو ما كان عند العرب الشماليين ، ومثل هذه الدراسة ، تكون ذات قيمة كبيرة في الوقوف على التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية التي مرت على جزيرة العرب قبيل ظهور الاسلام . وهذا التغير الذي أشير اليه هو شيء طبيعي ، وقع قبل الاسلام ، كما وقع في الاسلام ، فقد ماتت الأسماء الجاهلية ، مثل (امرؤ القيس) ، و (معدي كرب) ، و (شرحبيل) ، و (شرحبيل) ، و (عبد عوف) ، و (عبد مناة) ، و (عبد أسد) ، في الاسلام ، وحلت محلها أسماء إسلامية ، وماتت ألفاظ جاهلية ، بسبب إماتة الاسلام لها ، أو إعراضه عن استعمالها ، أو بسبب تغير الذوق ، فلم تعد تصلح للاستعمال ، وولدت ألفاظ إسلامية لم تكن معروفة عند الجاهليين ، ونشأت معان جديدة لألفاظ جاهلية قديمة لم تكن تعبر عن هذه المعاني قبل الاسلام .

كذلك ، نحن في حاجة الى تدوين شعر الشعراء على حسب القبائل التي ينتمي اليها قالة الشعر ، لنتمكن بذلك من دراسة خصائص شعر كل قبيلة ، وما ورد

فيه من لغتها ، على أن نهتم بصورة خاصة ، بالأصول الأولى لهذا الشعر ، أي بأقدم الروايات التي ورد فيها ، ثم ندون الى جانبها الروايات المختلفة التي ورد فيها على ألسنة علماء الشعر واللغة ، والتعديلات التي أدخلها العلماء عليه ، لنرى ما فعله العلماء في الشعر الجاهلي، وطبيعة ذلك الشعر بالنسبة الى اللغات ، وخصائص كل شعر .

ونجد في كتاب (الإكليل) ملاحظات ثمينة تفيدنا كثيراً في دراسة اللهجات العربية الجنوبية ، وقد أخذها من كلام الناس في أيامه . من ذلك ما ذكره في كتابه (الإكليل) من قوله نقلاً عن كلام (أبي نصر) : « إن حمير تطرح مثل هذه الألف في كلامها ، فنقول : إذا أردت أن تقول للرجل : اسمع واذهب : سَمِعْ وَذِهَبْ ، وَغَضِبْ فِي غَضَبٍ وَشَرِبْ فِي اشْرَبْ »^١ . وهي لغة لا تزال تستعمل في بعض القبائل اليمنية^٢ . ومن ذلك استعماله لفظة (القدمان) في قوله : « وقرأ زهير حمير القديمة ومساندها الدهرية ، فربما نقل الاسم على لفظ القدمان من حمير ، وكانت أسماء فيها ثقل فخففتها العرب وأبدلت فيها الحروف الذلقية ، وسمع بها الناس مخففة مُبدلة . فإذا سمعوا منها الاسم الموفر ، خال الجاهل أنه غير ذلك الاسم ، وهو هو »^٣ . ولفظة (القدمان) من الألفاظ العربية الجنوبية التي ترد بكثرة في كتابات المسند ، ترد مع أسماء بعض الأشهر التي يتكرر اسمها ، على نحو قولنا في العربية : (ربيع الأول) و (ربيع الثاني) ، و (جادي الأولى) و (جادي الآخرة) ، فيستعملون (قدمان) (للأول ، أي الأقدم والمتقدم ، ويستعملون (آخران) (للثاني ، أي الآخر والمتأخر ، وتعني (قدمان) القدماء والقدامى كذلك .

ونجد في ثنايا كتابه مصطلحات وألفاظاً أخرى من هذا القبيل استعملها هو ، أو نقلها عن غيره ، أو من الكتب ، وهي ترجع الى اللهجات العربية القديمة ، وقد لا نجد لها وجوداً في معاجم اللغة . كذلك يجب البحث في كتب (سعيد ابن نشوان) الحميري وفي كتب غيره من المؤلفين من أهل العربية الجنوبية الى يومنا هذا ، لنلتقط ما قد يكون في ثناياها من كلم عربي جنوبي قديم ، ومن

١ الاكليل (٤٨/٢) .

٢ المصدر نفسه (هامش رقم ٤) .

٣ الاكليل (١٣/١) .

أمثلة وجمل ، وأسماء أشهر وغير ذلك ، إضافة الى دراسة لهجات الأحياء منهم ،
ووجوب الحفر حفراً علمياً في مواضع الآثار لاستخراج ما فيها من نفائس مكتوبة
أو غير مكتوبة لتعيننا في الوقوف على أصول لغة العرب الجنوبيين قبل الإسلام .

ولا بد لنا اليوم من وجوب القيام بمسح لغوي جغرافي ، للغات جزيرة العرب
ولقبائل العراق وبلاد الشام ، لمعرفة ما تبقى عندها من أثر للهجتها القديمة . مسح
عام لكلامها الذي تنطق به ، ولشعرها الذي تنظمه في الوقت الحاضر ، وللأسماء
الغريبة التي تتسمى بها ، ومسح مثل هذا سيعين الباحثين كثيراً في الوقوف على
أسرار اللهجات العربية قبل الإسلام .

الفصل الحادي والاربعون بعد المئة

المعربات

والاختلاط بين الأمم ، بمختلف وسائله ، ومن ذلك الاتصال التجاري، يؤدي الى حدوث تفاعل في اللغة ، فقد يولد هذا الاحتكاك ألفاظاً جديدة يطلقونها على أشياء لم يكن لأهل تلك اللغة علم بها ، وقد يضطر أصحابها الى استعمال المسميات الأجنبية كما هي ، أو بشيء من التبديل والتغيير ليناسب النطق بتلك اللغة . وقد وقع ما أقوله في كل اللغات ، ويقع الآن أيضاً ، وسيقع في المستقبل الى ما شاء الله ، لا استثناء في ذلك ، ولا تفاضل ، ولا امتياز . فاللغات كلها ، ومنها اللغة العربية في جاهليتها واسلاميتها ، تخضع لهذا الحكم والقانون .

وليس الأخذ والعطاء دليلاً على وجود نقص في لغة ما ، أو وجود ضعف في تفكير المتكلمين بها . فكل اللغات مهما بلغت من النمو والكمال والسعة ، لا بد لها من أن تأخذ وأن تطور مدلول مفرداتها أو تضع مفردات جديدة لأمر لم تكن معروفة وموجودة عندها . ولا نعرف لغة ما من اللغات الميتة أو الحية ، انفردت بنفسها انفرداً تاماً ، فلم تأخذ شيئاً ولم تعط شيئاً .

والعربية بجميع لهجاتها وألسنتها مثل اللغات الأخرى، وفي جملتها اللغات السامية أخذت وأعطت ، قبل الاسلام وبعد الاسلام ، ولا تزال تأخذ وتعطي ما دام أصحاب اللسان العربي باقين في هذا الكون . والأخذ والعطاء ووضع مفردات جديدة في لغة ما ، هما من دلائل الحيوية ومن أمارات القوة والتكامل في تلك

اللغة . ومن دلائل هذا الأخذ والعطاء ، ما حدث في العصور الإسلامية : من أخذ وعطاء بين العربية واللغات الأعجمية ، فطعمت العربية الفارسية والتركية والرومية وغيرها بمادة غزيرة من الكلمات ، كما أخذت هي حاجتها منها . ومن دلائله أيضاً ما يقع اليوم من وضع المصطلحات لمعاني لا عهد للعربية بها من قبل كمخترعات تظهر دوماً ومعاني علمية ليس للعلماء عهد بها ، ولا بد من وضع ما يقابلها في العربية ، بوضع لفظ عربي ، أو تعريب المصطلح وتكييفه وفق النطق العربي إن كان من غير الممكن إخضاعه للمفردات العربية .

وقد يزعم هذا الرأي فريقاً من الناس يذهبون الى أن العربية لغة نقية صافية لم تتأثر بغيرها من اللغات ، فلم تأخذ من اللغات شيئاً ، ولم يدخل اليها لفظ أجنبي ، أو ان ما دخل اليها من دخيل معرب هو قليل ، وهم في منطقهم هذا محافظون متزمتون لا يعترفون بنظرية الأخذ والعطاء في اللغات . فإذا قلت لهم إن اللفظة الفلانية لفظة معربة وأصلها أعجمي ، أجابوك : ولكنها وردت في القرآن الكريم ، ووردت في شعر فلان ، وفلان من الشعراء الجاهليين . وإذا قلت لهم : ولكن دخولها العربية كان قبل الاسلام بزمان ، وقبل ذلك الشاعر بزمان طويل ، وأن الجاهليين نسوا أصلها واستعملوها استعمال الألفاظ العربية ، فحكمها اذن حكم الألفاظ العربية في أيام ذلك الشاعر ، وعند نزول الوحي ، أجابوك أيضاً : وكيف نؤمن أنها معربة ، أفلا يجوز أن تكون عربية في الأصل ، وقد أخذها الأعاجم أنفسهم من العربية ، ومن أين لك الدليل على العكس ؟ وإذا ذكرت لهم أن اللفظة الفلانية عبرانية في الأصل أو سريانية أو كلدانية ، قالوا : وكيف تثبت ذلك ، وهذه اللغات والعربية كلها من أصل واحد ودوحة واحدة ، فلم تحكم بأنها من أصل سرياني أو عبراني أو كلداني أو غير ذلك ، ولا تحكم بأنها عربية أصيلة ، وإن وجودها في تلك اللغات ، هو بسبب اشتراكها والعربية في الأصل السامي . فهي في العربية أصيلة اذن ، وهي في تلك اللغات أصيلة أيضاً وقديمة بسبب مشاركتها للعربية في الأصل السامي .

وقد فات مثل هؤلاء ان القدامى من العلماء لم يفقههم أمر هذه المعربات، فأشاروا اليها ، ومنهم جمهور أصحاب كتب التفسير والحديث والمعجمات، وأن من العلماء من ألفت في هذا الموضوع ، فألفت أبو منصور المعروف بالجواليقي كتاباً في هذا

الباب دعاه : (العرب من الكلام الأعجمي)^١ . ولم ينتقده مع ذلك علماء يومه ، ولا من جاء بعده لإقدامه على تأليف كتابه هذا ، ولم يقل أحد انه كان جاهلاً أو متحاملاً على العربية ، مسيئاً إليها ، لأنه أنكر أصول الألفاظ المذكورة في مؤلفه ، فعدّها أعجمية معربة مع انها عريضة أصيلة ، لا شك في عريبتها ولا شبهة . قال (الجاحظ) : « ألا ترى ان أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمّون البطيخ الخريز ، ويسمّون السميط الرزق ، ويسمّون المصوص المزور ، ويسمّون الشطرنج الاشرنج ، في غير ذلك من الأسماء »^٢ . ونجد في تفسير (الطبري) ، وهو من العلماء الثقات المحققين وفي تفاسير غيره من العلماء المدققين إشارات الى أصول ألفاظ وردت في كتاب الله ذكروا انها من العربات ، وقد نصّوا على أصولها التي أخذت منها ، حسب علمهم واجتهادهم في ذلك الوقت ، لم يجدوا في ذلك بأساً ولا انتقاصاً لحزمة القرآن ، أو مساً به .

وفي القرآن — كما يذكر العلماء — أكثر من مائة لفظة معربة ، نصّوا على أصولها حسب علمهم واجتهادهم واستفسارهم من الأعاجم ، وهي كلمات دخل بعضها العربية قبل الاسلام بعهد طويل لعدم وجود مثيل لها في لغة العرب ، فأخرجتها العرب على أوزان لغتها وأجرتها في فصيحها ، فصارت بذلك عريضة ، وانما وردت في القرآن لأنها كانت قد تعربت وجرت عند العرب مجرى الفصيح ، ولم تكن لديهم ألفاظ غيرها^٣ . وفي بعض هذه العربات ألفاظ لم تكن مألوفاً أو معروفة عند الوثنيين ، لأنها من ألفاظ أهل الديانات ، ونظراً لكونها تعبر عن أمور دينية ضرورية لا مثيل لها في العربية ، وكان من اللازم تعليم الناس أياها ، لذلك وردت في القرآن .

وقد رجع العلماء أصول العربات الواردة في القرآن الى لغات كانت شائعة آنذاك ومعروفة للعرب ، أخذها العرب منها باحتكاكهم بأهلها ، مثل اليونانية ، والفارسية ، والسريانية ، والعبرانية ، والحبشية ، والهندية ، والقبطية ، والنبطية ،

١ العرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، لابي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٦١ .

٢ البيان والتبيين (١٩/١) .

٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٥٨/٢) .

حتى ذهب (أبو ميسرة) ، وهو من العلماء التابعين الى أن « في القرآن كل لسان » ، وروى مثله عن (سعيد بن جبير) ، و (وهب بن منبه)^١ . ولو راجعنا أقوال العلماء في هذه المعربات التي درسوها وتحدثوا عنها لوجدنا أنهم قد أخطأوا في تشخيص الكثير منها ، فلم يتمكنوا من الوقوف على أصولها ، لعدم معرفة أكثر علماء العربية اللغات الأعجمية . نعم تمكن العارفون منهم بالفارسية من تشخيص المعربات عن الفارسية ، غير أن منهم من زاد عليها وبالق فيها ، فأدخل في المعرب عن الفارسية ما ليس من الفارسية بشيء . وأدخل ألفاظاً عربية أصيلة في طائفة المعربات ، مع أنها عربية جاهلية ، وردت في نصوص المسند وفي النصوص الأخرى^٢ ، وسبب ادخالهم لها ضمن المعربات ، هو عدم احاطتهم باللهجات العربية الجنوبية ، وباللهجات الجاهلية الأخرى . فتخطوا في تعيين الأصول ، فرى بعض منهم يرجع معرباً الى أصل عبراني ، وتجد آخر يرجعه الى أصل يوناني ، بينما يرجعه ثالث الى أصل حبشي ، وقع ذلك بسبب عدم وقوف العلماء على اللغات الأجنبية واكتفائهم بالاستفسار من الأعاجم ، ممن لم يكن لهم علم بعلوم اللغات ، وإنما كانوا يعرفون الكلام بها ، إذ لم يكونوا من أصحاب النضلع والتخصص ، كما أن عصبية البعض منهم للسانهم دفعتهم أحياناً الى الاختراع وصنع الأجوبة الكاذبة ، يضاف الى ذلك عامل الادعاء بالعلم والفهم ، مما يحمل صاحبه على الوضع والكذب .

وبين الباحثين في المعربات الواردة في القرآن جدل في وجود المعرب فيه ، منهم من قال بوجوده ، ومنهم من رد القول به ومنعه ، فقال : « انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فنزعم ان فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم ان كذا بالنبطية ، فقد أكبر القول » ، وقالوا : « ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن انها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك ، انما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد » . وبالق بعضهم في نفي المعربات ، حتى قال : « كل هذه الألفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جداً ، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر

١ السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن (١٠٦/٢) ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .
٢ راجع الاتقان (١٠٨/٢ وما بعدها) ، حيث تجد أمثلة عديدة على ما أقول .

الجللة ، وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح ^١ .

والذين ذهبوا الى وقوعه فيه ، يرون بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً . وعلل بعضهم سبب وقوعه في القرآن بقوله : « إن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن ، انه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبا كل شيء ، فلا بد أن تقع فيه الاشارة الى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء ، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب » ، « وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل الى كل أمة ، وقد قال تعالى : وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو » ^٢ . وقال (ابن سلام) : « والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك ان هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربت بالستها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق . ومال الى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون » ^٣ .

وقال (ابن النقيب) : « من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة ، انها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير » ^٤ . فهو من الذين يرون ان في القرآن كل لسان .

ولا يقوم جدل المانعين من وقوع المعرب في القرآن ، أو القائلين به على أساس اختلافهم في وقوع المعرب في العربية ، وانما انصب كل اختلافهم على وقوع المعرب في كتاب الله . فالمانعون يقولون — كما رأينا — ان الله يقول : « قرآناً عربياً » ^٥ و « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أعجمي »

-
- ١ السيوطي ، الاتقان (١٠٥/٢) وما بعدها .
 - ٢ السيوطي ، الاتقان (١٠٦/٢) وما بعدها .
 - ٣ المصدر نفسه (١٠٨/٢) .
 - ٤ السيوطي ، الاتقان (١٠٦/٢) .
 - ٥ يوسف ، الآية ٢ .

وعربي^١ ، فكل ما فيه هو عربي اذن ، والذين يجيزونه ، يقولون إن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألستها وحوّلتها عن ألفاظ المعجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية صادق^٢ . فالخلاف اذن خلاف عقائدي لا صلة له باللغة ، وبوقوع المعرب أو عدم وقوعه في العربية .

وهناك فريق آخر جماعته من المحدثين في الغالب ومن غير العرب ، ذهب مذهباً معاكساً لمذهب من ذكرت تماماً . تطرف في رأيه تطرفاً مسرفاً وبالغ في أحكامه مبالغته منكراً . رَجَعَ ألفاظاً عربية استعملها الجاهليون الى أصول أعجمية ، وادعى انها من الألفاظ المعربة عن السريانية أو اليونانية أو اللاتينية أو العبرانية أو الفارسية ، لمجرد ورودها أو ورود مشابه لها في تلك اللغات ، وحجته في ذلك أن الجاهليين أميون أعراب وثنيون ، وأن الألفاظ التي رأوا عجمتها هي ألفاظ حضارة لها مدلولات دينية أو سياسية أو اجتماعية أو حرفية أو غير ذلك ، ولهذا لا يمكن أن تكون من صميم العربية ، بل لا بد أن تكون طارئة عليها دخيلة في الأصل ، ثم عربت . وفي هؤلاء المتعصب لجنسيته ، مثل أن يكون سريانياً أو يهودياً ، لهذا رجع تلك الألفاظ الى لغته لتعصبه لها، والمتأثر بنظرية جهل الجاهليين وعدم وجود أي علم أو ثقافة لديهم ، والمتعصب على الاسلام ، لهذا رجع أكثر الألفاظ الحضارية الى النصرانية أو اليهودية أو الفارسية ، لإثبات أخذ الاسلام منها، وتعلم الرسول ديانته من تلك الديانات .

أما البحث العلمي الخالص ، فهو ما كان بعيداً عن كل الميول والانجساعات والنزعات ودوافع التعصب ، قائماً على الحقائق والوقائع وفكرة البحث عن الحق للتوصل اليه . فالرأيان في نظري باطلان ، بعيدان عن جادة العلم . وواجب الباحث في مثل هذه الأمور أن يترث أولاً ، وألاً يبت في قرار إلا اذا كان متأكداً من سلامة السبل التي سار عليها في الوصول الى قراره ، ولا سيما أن العربية والعبرانية والسريانية كلها من هذا الأصل الذي يطلق علماء الأجناس واللغات عليه :

١ فصلت ، ٤٤ .

٢ السيوطي ، الاتقان (١٠٨ / ٢) :

الأصل السامي ، وتشترك كلها أو أكثرها في كثير من الألفاظ ، والحكم بأن هذه أخذت من هذه أو تلك ، حكم فج ناقص إذ لم يستند الى موارد ونصوص مرتبة ترتيباً تاريخياً . ثم ان العربية ليست عربية واحدة ؛ فإن هناك ألسنة عربية أخرى ، مثل عربيات اليمن ، وهي لهجات عربية قديمة ذات نصوص يعود تأريخ بعضها الى ما قبل الميلاد ، فلا يجوز التعميم بالاستناد الى لغة القرآن الكريم وحدها ، بل لا بد من تتبع ما جاء في اللغات العربية الأخرى . أضف الى ذلك أن أهل اليمن كانوا أصحاب حضارة وحضارتهم أرقى وأعلى درجة من حضارة بعض الساميين . ولذلك يدفعنا الواجب الى دراسة ما جاء في نصوصهم من ألفاظ ومسميات وآراء ومقارنتها بما جاء في النصوص الواردة في اللغات السامية الأخرى ، للحصول على رأي علمي في هذه الأمور . ولكننا مع ذلك نحن في وضع لا نتمكن فيه من البت في هذه الأمور ، لأن ما لدينا من نصوص جاهلية أغلبه من النوع الذي عثر عليه على ظاهر الأرض ، لأن الظروف لم تمكن العلماء حتى الآن من التنقيب تنقيباً علمياً عميقاً في باطن مواطن الآثار ، لاستخراج المطمور من الكتابات والآثار الأخرى ، والغالب أن يكون المطمور ذا أهمية كبيرة ، وسيعين المؤرخين في كتابة الأجزاء المفقودة من تأريخ العرب قبل الاسلام . وقد يكون من بين ما يعثر عليه ما هو أقدم من النصوص التي بين أيدينا . وعلى هذه النصوص ان رتب ترتيباً زمنياً يوثق به ، يمكن أن يكون اعتمادنا في تثبيت المفردات ، وفي تعيين زمن استعمالها في العربية وفي كونها عربية أصيلة أو معربة .

إن وجود المعربات دليل على اتصال الجاهليين بغيرهم ، واتصال غيرهم بهم . وعلى الروابط الفكرية التي كانت بين العرب وبقية الساميين ، وبين العرب والشعوب الأخرى وجمعها وتصنيفها لذلك في مجموعات حسب الموضوعات يعطينا رأياً عن النواحي التي تأثر بها الجاهليون في أمور الحياة . غير ان هذا العمل عمل شاق ، ويجب أن يستند الى معجيات جامعة مرتبة ترتيباً تاريخياً ، تذكر الكلمة ، ثم تذكر أصلها ومن أي أصل أخذت وفي أي زمن كان ذلك ، وأول من استعمالها أو أقدم نص عربي وردت فيه ، وفي أي معنى استخدمت ، وهكذا . ولكننا لا نملك ، ويا للأسف ، مثل هذه المعجيات . وكل ما لدينا معجيات قديمة ، لم تنته لهذه الأمور ، ولم تميز الجاهلي من الاسلامي ، ولا اللفظ الوارد في عربية القرآن الكريم من اللفظ الوارد في اللهجات العربية الأخرى . فذكرت الألفاظ

الواردة في اللهجات العربية الأخرى على أنها مرادفات ، ترد في عربيتنا على حين أنها مسميات للشيء ذاته في اللغات العربية الأخرى .

والذين يقولون بعدم وقوع المعرب في كلام العرب ، كأنهم يتصورون ان العرب كانوا معزل عن العالم وانقطاع عن الناس . ولهذا لم يتأثروا بغيرهم ، ولم يؤثر في غيرهم ، وأن عرقهم لذلك بقي صافياً نقياً سليماً ، لم تدنسه أعراق أعجمية ، ولم يمازج دمهم دم غريب ، ولم تدخل لغتهم لفظة غريبة، بل بقيت نقية صافية على ما خلقها الله يوم خلق اللغات . وقد تكون في اللغات الأخرى ، كلمات دخيلة ، أما العربية فحاشاها من ذلك !

وهؤلاء لا يدرون انه قد كانت في سواحل جزيرة العرب قبل الاسلام مستوطنات يونانية ، نشأت في مواضع عديدة من سواحل البحر الأحمر وسواحل البحر العربي والخليج العربي ، وقد بقي أصحاب تلك المستوطنات في مستوطناتهم فلم يعودوا الى ديارهم ، ونسوا أصولهم وعاداتهم ، وصاروا عرباً مثل سائر العرب، يرجعون أنسابهم الى أصول عربية على عرف العرب والأعراب . وأن منهم من بقي عرقه للدساس يحن الى أصله، فقد ذكر المؤلفون اليونان ان بعض القبائل العربية الساكنة على السواحل ، كانوا يرحبون ببعض اليونان ، لاعتقادهم انهم يجمعهم واياهم صلب واحد .

يضاف الى ذلك الرقيق من الجنسين ، وقد كانت بلاد العرب تجلب عدداً كبيراً منه في كل عام ، تشتريه من أسواق العراق ومن أسواق بلاد الشام ، وتوكل اليه القيام بأعمال مختلفة ، ولا سيما الأعمال التي تحتاج الى خبرة ومهارة فنية ودراية . ونحن نعلم أن العربي الصريح بأنف من الاشتغال بالحرف وزراعة الخضر ، ولذلك وُكِّلَ الى هذا الرقيق أمر القيام بها ، فأدخل الى العربية كثيراً من الألفاظ الخاصة بالزراعة والحرف ، لم تكن معروفة في العربية ، كما سأحدث عن ذلك فيما بعد .

يضاف الى ذلك أيضاً، التجارة . فقد كان التجار من عرب وغرباء يتعاطونها في جزيرة العرب وفي خارجها ، يصدرون منها حاصلاتها وما تجمع فيها من سلع مستوردة من سواحل افريقية الشرقية والهند ، ويأتون اليها بما تحتاج اليه قبائلها وأهل مدنها وأهل افريقية من بضائع مصنوعة أو منسوجة من حاصل الانبساطوريتين

الساسانية والرومية والأرضين المصاحبة لهما . ومن الطبيعي أن يؤدي ذهاب التجار العرب الى أسواق العراق وبلاد الشام ، واحتكاكهم بالفرس والروم ، الى الوقوف على أحوالهم والاتصال بهم والأخذ منهم والتأثر بثقافتهم وحضارتهم واقتباس ما يلائمهم منهم ؛ ومن الطبيعي أن يؤثر التجار الروم والفرس بعض التأثير في نفوس زملائهم العرب في الأماكن التي ولجوها من جزيرة العرب ، وأن ينقلوا اليهم شيئاً من آرائهم وأفكارهم وتجاربهم في الحياة، وأن يعطوهم شيئاً من مصطلحات لغتهم التي لا تعرفها العربية ، ومن الأسماء الخاصة بالتجارة وبال بضائع التي يأتون بها الى جزيرة العرب لبيعها في أسواقها .

وكان للمبشرين شأن مهم في نقل التراث اليوناني والإرمي الى جزيرة العرب في أيام الجاهلية ، وبجهادهم المضني المتواصل وعملهم المتوالي، دخلت النصرانية في أماكن متعددة قاصية من بلاد العرب، حتى تمكنوا من تنصير قبائل وأمرء ورؤساء قبائل ، بطريقتهم الخاصة في الاقتناع والتأثير ، وبالتطبيب ، وبالتقرب الى ضعاف الحال من الناس. وقد اتبعوا في التبشير وفي إدارة المؤسسات التبشيرية النظم الإدارية والدينية المتبعة في الكنيسة ، فجعلوا (بيت قطرايا) ، أي (قَطْرًا) الموضع المعروف اليوم على ساحل الخليج ، كرسياً لـ (مطرابوليطي) ، يقيم فيه ، ويشرف على إدارة خمسة أساقفة ، يقيمون في (ديرين) و (مشمهيخ) أي (سماهيچ) وهجر وبلاد (مازون) و (حطا) المسماة (يسط أردشير)^١ ، وهي الخطّ .

وفي موضع مثل نجران غلبت النصرانية على أهلها، نظمت الكنيسة شؤون المدينة، فتولى رئيسها الديني ، وهو بدرجة (أسقف) ، الأمور الدينية ، وتولى (السيد) أمور الحرب وإدارة المسائل الخارجية المتعلقة بعلاقة نجران بغيرها، وتولى (العاقب) الأمور الداخلية ، وهم جميعاً يؤلفون معاً مجلس المدينة فيديرون معاً أمور الناس، وينظرون في كل ما يحدث بينهم من نزاع وخصومات . وهكذا نظمت العلاقات بين كنيسة المدينة وحكامها ، وانسجم الحكم بين الجماعتين .

وقد أدخل التبشير ألفاظاً يونانية وسريانية ترد في الديانة وفي الحياة اليومية الى

١ أدي شير ، تاريخ كلدو وآثور ، المجلد الثاني ، (المقدمة) .

اللغة العربية ، ولا سيما المصطلحات الخاصة بتنظيم الكنيسة وبالحياة النصرانية ، كما كان لبعض الشعراء الجاهليين يد في إدخال بعض المصطلحات النصرانية الى العربية ، كالذي نجده في شعر (امرئ القيس) والأعشى وعدي بن زيد العبادي وغيرهم من كلمات ترد بكثرة عند النصارى ، نتيجة اتصالهم واحتكاكهم بهم ، فصارت بذلك تلك الكلمات من المعربات .

ويضاف الى من ذكرنا اليهود ، فقد كان لهم أثر في الجاهليين ، في يهود العربية الغربية خاصة ، أي في الحجاز ، في البقعة الممتدة من (يثرب) حتى بلاد الشام ، وفي اليمن . فقد سكن اليهود في هذه المواضع ، وبنوا لهم مستوطنات فيها ، واختلطوا بعربها ، واحترفوا الحرف كما ذكرت ذلك في الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وقد كانت (مدرشات) اليهود في يثرب وفي المستوطنات اليهودية الأخرى تلقن اليهود أحكام دينهم ، وتعلم أطفالهم القراءة والكتابة . وقد قصدها العرب وجلسوا فيها يستمعون الى يهود . وقد شاهدها الرسول بعد هجرته الى المدينة ، وحضر جدلاً كان قد وقع بين جماعة من يهود ، كما حضرها أبو بكر ونفسر آخرون من الصحابة . وكان أحبارهم يدرسون فيها ويفتون ، كما كانوا يقيمون الصلوات واحتفالات الأعياد في (الكنيس) . ومن هؤلاء اليهود ومن (مدرساتهم) انتقلت الألفاظ العبرانية الى العربية فعربت ، وفي جملة ذلك لفظة (مدراس) ، و (سفر) ، و (تورا) ، و (تابوت) ، و (حبر) ، و (كاهن) وغير ذلك من مصطلحات ، لأكثرها صلة بشؤون الدين .

ان الحاجة ، هي التي تحمل الناس على الأخذ والعطاء ، وبها تفسر اقتباس العرب للمعربات . فأسماء بعض الآلات والأدوات والطرق الفنية والأنسجة الدقيقة المصنوعة من الحرير وأسماء المأكولات النفيسة وأسماء النبات التي هي من أصل شمالي وبعض المشروبات وما شابه ذلك ، إنما دخلت العربية وعربت لأسباب عديدة ، أهمها أن الحياة في جزيرة العرب حياة عادية ، تكاد تجري على وتيرة واحدة ، فلم تساعد على ظهور الأمور المذكورة ، فاضطر الناس بحكم الحاجة الى أخذها من غيرهم واستيراد أشياء مادية وغير مادية من جيرانهم ، حتى في الأمور الفكرية والروحية ، مثل المعربات الدينية ، فإنها خضعت لحكم الحاجة ، فالنصارى

العرب استعملوا معربات من أصل سرياني ، لأنهم اضطروا الى استعمالها ، لأنها تعابير دينية لا وجود لها عند العرب الوثنيين أولاً ، ثم هي مصطلحات رسمية كنسية ، لم تتساهل الكنيسة في تغيير أسمائها ، ولهذا استعملها العرب على النحو المرسوم ، كما يستعمل الأعاجم المسلمون المصطلحات العربية ، لأنها مصطلحات اسلامية ليس لها مقابل في لغتهم ، أو لأنها مصطلحات دينية نحب المحافظة على تسميتها وان وجد لها مقابل في لغات الأعاجم .

وأكثر المعربات الجاهلية ، هي من أصل يرجع الى لغة بني لرم أو الى لغة الفرس ، ثم تليها المعربات المأخوذة من لغات أخرى مثل اليونانية والعبرانية واللاتينية والحبشية والقبطية ، وكثير من الألفاظ اليونانية إنما دخل الى العربية عن طريق السريانية ، فقد كان السريان قد أدخلوها في لغتهم ، لأنها لم تكن معروفة عندهم ، ومن لغتهم هذه تعلمها الجاهليون .

والمعربات السريانية الأصل ، هي في الزراعة في الغالب ، وفي التوقيت ، ثم في موضوعات دينية وصناعية وتجارية وفي أمور أخرى . أما المعربات عن الفارسية فهي في موضوعات زراعية كذلك وفي أسماء المأكول والملبوس وأمور اجتماعية . وأما المعربات عن العبرانية ، ففي أمور خاصة بسكنائهم بين العرب وبأمور دينهم وشؤونهم . وأما المقتبس عن اليونانية فهو في أمور حركية ، وفي مصطلحات دينية ومصطلحات زراعية ومصطلحات تستعمل في شؤون البحر وما شاكل ذلك .

وتفسير وجود المعربات السريانية والفارسية بنسبة تزيد على نسبة وجود المعربات الأخرى ، هو ان المتكلمين بلغة بني لرم كانوا مزارعين في الغالب ، وكانوا على اتصال بالعرب ، وقد خالطهم العرب وعاشوا بينهم ، واقتبسوا منهم ، حتى انهم كتبوا بلسانهم ، ودخل الكثير منهم في دينهم ، دين النصرانية ، ولا سيما قبيل الاسلام . وقد كانت أحوالهم الاجتماعية مشابهة للأحوال الاجتماعية عند العرب ، ولا سيما عرب بلاد الشام والعراق . ووضع مثل هذا يؤدي بالطبع الى الاقتباس والأخذ والعطاء . وأما الفارسية ، فقد كان الفرس يحتلون بلاد العراق وكان لهم نفوذ على العربية الشرقية ، وقد استولوا على اليمن قبيل الاسلام ، ولهم تجارة مع أهل مكة وأماكن أخرى ، وبحكم هذه الصلات دخلت في العربية ألفاظ فارسية وصارت في عداد المعربات .

ونحن اذا تتبعنا صورة توزع المعربات بين العرب ، نجد ان توزيعها يختلف باختلاف الأمكنة ، فهناك أمكنة تأثرت بالمعربات الفارسية بالدرجة الأولى، وهناك مواضع تأثرت بالمعربات السريانية في الأكثر ، وهناك أقاليم تأثرت بالمعربات عن اليونانية أو الحبشية بالدرجة الأولى. ثم نجد ظاهرة أخرى في كيفية توزع المعربات وظهورها ، هي ظاهرة الحاجة والظروف السائدة في مكان ما. فيمكننا اذن ارجاع تأثير لهجات العرب الجاهليين بالمؤثرات اللغوية الأعجمية اذن الى عاملين : عامل الاختلاط بالأعاجم عن طريق الجوار أو السكن معهم في موضع واحد ، واستخدامهم لهم ومجيء الأجانب من تجار ومبشرين اليهم ، وعامل الحاجة التي كانت تدفع الى أخذ أشياء غير معروفة في بلاد العرب ، فتدخل العربية بأسمائها الأعجمية ، فإذا انقضى زمن عليها ، تدخل في ضمن اللسان العربي وتعرب ، حتى ليخيل الى من لا يعرف أصلها انها عربية الأصل والنجار .

ولما تقدم نرى ان المعربات عن السريانية والفارسية هي أظهر وأبرز في لهجات عرب العراق من المعربات الأخرى، وان المعربات عن السريانية واليونانية – اللاتينية أبرز وأوضح في لغة عرب بلاد الشام من المعربات المنقولة عن الفارسية أو الحبشية. وان المعربات عن الحبشية واللهجات الافريقية ، هي أوضح وأكثر ظهوراً في لهجات العرب الجنوبيين من المعربات الأخرى ، وذلك بسبب اختلاط العرب الجنوبيين بأهل الساحل الافريقي الشرقي ووجود جاليات افريقية في العربية الجنوبية وجاليات عربية جنوبية في السواحل الافريقية المقابلة منذ أيام ما قبل الميلاد ، فأدى هذا الاختلاط والتجاور الى الأخذ والعطاء في اللغة . كما نجد المعربات عن الهندية والفارسية والإرمية ظاهرة بارزة على السنة أهل الخليج ، لاتصالهم بالهند وبفارس وبالعراق .

وأما مثال ظهور المعربات بسبب الحاجة ، فهو ما نجده في لهجة أهل يرب وما حولها من مؤثرات فارسية وسريانية في الزراعة بصورة خاصة وفي نواح أخرى من نواحي الحياة الاجتماعية ، فقد استعمل أهل المدينة ألفاظاً فارسية في لهجتهم ، بسبب حاجتهم وظروفهم . فأرضهم أرض خصبة ذات آبار ومياه ، ولما كانوا في حاجة الى أيدي عاملة لتشغيلها لاستغلال مواردها استعانوا بالرقيق، وكان معظم الرقيق الذي جيء به ، من رقيق العراق الذي يرجع الى أصل فارسي ، أو نبطي متأثر بالفارسية ، لرخص ثمنه بالنسبة الى رقيق الروم، ولفطنته ولمهارته في الحرف

بالنسبة لرقيق افريقية ، وعن طريق هذا الرقيق دخلت المعربات الفارسية والنبطية المستعملة في الزراعة وفي أمور أخرى عرف بها الفرس والنبط الى (يثرب)^١ .
أما أهل مكة ، فلم تظهر المعربات الزراعية عندهم ، لعدم وجود حاجة لهم اليها ، بل استخدموا معربات أخرى في الأمور التي كانوا بحاجة اليها ، والتي لم يكن لها وجود عندهم ، وقد دخلت اليهم من أماكن مختلفة ، كان لهم تعامل معها ، ومن الرقيق والتجار الغرباء الذين كانوا يعيشون بها .

ولبعض المحدثين بحوث في الدخيل من السريانية على العربية ، من جعلتها بحث للمستشرق (فرنكل) Fränkel ، دعاه (الألفاظ الآرامية الدخيلة على العربية) المستشرقون في هذا الباب . كما ان لآباء الكنيسة الشرقيين مؤلفات وبحوثاً في الألفاظ السريانية في العربية ، وضعوها بالعربية ، نشر بعضها في مجلة المشرق ، ونشر بعض آخر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ونشر بعضه في كتب ، مثل كتاب : (غرائب اللغة العربية) ، تأليف الأب رفائيل نخلة اليسوعي ، وفيه باب خاص بالكلمات الدخيلة في العربية الداخلة فيها من الآرامية والعبرانية والفارسية واليونانية ومن التركية واللاتينية والايطالية والفرنسية ومن لغات أخرى^٢ .
وفي بعض هذه البحوث تسرع في الأحكام ، إذ فيها ألفاظ نسبت الى أصل سرياني ، وهي من الألفاظ الواردة في اللهجات العربية القديمة ، وفيها مما يرد في العربية وفي اللغات السامية الأخرى ، لأنه من المشترك الذي يرد في أصول الساميات .

وقد رأيت اختيار ألفاظ في الزراعة أو ألفاظ لها علاقة بها ، من القائمة التي أوردتها (الأب رفائيل نخلة اليسوعي) ، للألفاظ الآرامية الداخلة في العربية ، وذلك للوقوف عليها ، ولتكوين فكرة عنها ، وبعض هذه الألفاظ هو في رأيي مما استعمله العرب قبل الإسلام ، ووارد في النصوص الجاهلية ، فمن الصعب ارجاعه الى أصل آرامي من غير نص أو دليل منطقي مقبول ، وبعضه من النوع الوارد في العربية وله أصل عربي ، فلا يمكن أن يقال إنه من أصل آرامي ،

١ البيان والتبيين (١٠ / ١) .

٢ المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

لمجرد وجود مرادف له أو لفظ مقارب له ، وبعض آخر هو من الألفاظ التي
ترد في كثير من اللغات السامية فلا يجوز تخصيصه بالسرياني ، وارجاع أخذ العرب
له من هذا الأصل .

ومن اللهجات في الزراعة وما يتعلق بها وبالفواكه والحبوب والأزهار وما شاكل
ذلك : (آس) وهو من أصل سرياني هو (اسو) ، و (أب) بمعنى ثمرة من
(أبو) ، و (ارف) و (أرفى) من أصل سرياني كذلك بمعنى قسم
الأرض وحددها ، ومن يمسح الأرض ويحددها . و (أكثار) بمعنى حرث ،
أي من يحرث الأرض من أصل Akoro ، و (أنوب) ، من (أبوبو)
Aboubo بمعنى قصبة وأنبوب أجوف وما بين عقدتين من القصب ، و (اندر)
بمعنى بيدر ، من (ادرو) Edro و (باسور) بمعنى عنب غير ناضج ،
و (باكورة) ويراد بها أول الثمر من Bakorto و (بطيخ) ، أي البطيخ من
fatiho ، و (بور) صفة للأرض من (بورو) bouro و (بيب) ، بمعنى
قناة ويمجرى الماء الى الخوض من أصل (بيبو) bibo ، و (بيدر) من
bayt-edro و (تب) من (تبنو) ، و (نخم) بمعنى حدة من أصل (نخومو)
thoumo و (ترعة) ، بمعنى قناة عميقة من (ترعتو) و (توت) من
touto و (ثوم) من toumo و (جن) من أصل goubno
والجريب من gribo ، و (جرام) بمعنى نواة من أصل garmo ، و (الجرن)
ويراد به حجر منقور للماء وغيره من Gournو ، و (الحب) بمعنى الجرة الكبيرة
من (حبو) Houbo و (حمص) من (حمصو) Hemso و (حندقوق) من
Handqouqو ، و (خبيص) ، بمعنى حلوى مخبوضة ، من طحين وسمن وعسل
وأصلهما (حييصو) Habiso ، و (الخردل) من (حردلو) Hardlo ،
و (خس) من (خسو) Haco ، و (الخوص) الذي يكون على السعف
من (حوصو) Houso ، والخوخ من Houho و (الدبرة) البقعة المزروعة
أي الحقل من (دبرو) dabro و (دبس) أي الدبس من debcho و (دبق)
من debeq و (درس) ، كأن نقول درس الحنطة من drach و (دقلة)
أي نخلة من deqlo و (رُب) وهو ما يكثر من عصير الثمار من أصل Raubo
و (رحى) من Rahyo و (رمآن) من أصل Roumono و (ريحان)
من Rihno و (زبن) بمعنى باع الثمر على شجره من Zaban بمعنى باع

و (زبون) بمعنى مشتري من Zobouno و (زفت) من أصل Zefto و (زق) من Zeqo و (زمارة) ، قصبة يزرع بها من Zamorto و (زيت) من Zayto و (زيتون) من Zaytouno و (سكة) مثل سكة المحراث من Sekto و (سكر) ما يسد به النهر ، من Chakro و (سلاء) أي شوك النخل من Salwo و (سماء) من أصل Sawmoqo ، وسنبل الحنطة من Seblo و (سنبل) بمعنى نبات طيب الرائحة من Sanboul و (شتلة) ما قلع من النبات ليغرس في مكان آخر من أصل Chetlo ، و (شرعوف) نبات وثمر من أصل Sour'afu و (شالم) و (شولم) و (شيلم) من Chaylmo و (صعتر) من Setro و (صفصاف) من Safsofo و (مطمورة) ، وهي حفرة تحفر في الأرض يوسع أسفلها لحفظ الحبوب من matmourto و (عذق) أي عنقود عنب أو نخل من (عذق) daq و (عقص) من 'afso ، و (عقار) خمر ونبات يتداوى به ، وقد سمي العرب الخمر دواء من أصل 'egro ، و (عنب) من 'enbo ، و (عنقر) جذر القصب من 'eqoro بمعنى جذر و (عود) وهو العود الذي يتبخر به من 'ouda و (غابة) من أصل 'obto بمعنى غابة كثيرة الأشجار ، وغدير بمعنى نهر وبركة يتركها السيل من gadiro ، و (غرب) نوع من الحور من أصل 'arbo ، و (فجل) من fouglo ، وفدان من أصل fadno ، و (فرث) ، من ferto و (الفروج) من Farougo ، و (الفرخ) من farahto و (فرع) بمعنى غصن من (فرعو) Fer'o ، و (فقح) مثل (فقح النبات) بمعنى أزهر من أصل (فقح) fqah ، و (فقاح النبات) أي زهره من أصل (فقحو) fagho ، و (فقد) ، بمعنى شراب من زبيب أو عسل من (فقودو) fqodo ، و (فُل) وهو زهر يشبه الياسمين من (فلو) Falu ، و (قثاء) من qtouto ، و (قش) من qecho ، و (قصر) وهو ما يبقى في الغربال من النفاية ، من أصل (قصرو) qisro أي قشرة الحنطة ، و (القطران) وهو سائل زيتي يستخرج من بعض الأشجار من أصل (قطرون) qotron ، و (القفيز) وهو مكيال من (قفيزو) qfizo ، و (ققص) من (قفسو) qafso ، و (قلة) بمعنى جرة كبيرة من (قلتو) qoulto ، و (قح) أي حنطة ، من (قحو) qamho ، و (كاث) وهو ما ينبت مما انتثر من الزرع المحصود من koto ، و (كدّاس) الحب المحصود المجموع من

(كدينخو) qdicho ، و (كرت) بمعنى حمل ستة أوقار حمار ، أو ستون قفيزاً من (كورو) Kouro ، و (كرب) من أصل (كرب) Krab ، و (كُرات) من Karoto ، و (كرخ) بمعنى أجرى وحول من (كرخ) Krak ، و (كرفس) من (كرفسو) Krafso ، و (كزبرة) من (كوزبرتو) Kouzbarto ، و (كمثرى) من (كومترو) Komatro ، و (معين) نعت للماء الجاري على وجه الأرض من (مينو) m'ino ، و (نجر) من (نجر) Nagar ومنها النجار ، و (نشوق) من (نسكو) Nosko ، و (نظر) بمعنى حرس من (نظر) Ntar ومنها الناظر أي الحارس ، و (نُطَّار) وهو ما يكون على هيئة رجل ينصب بين الزرع لإخافة الطيور وإبعاد الحيوانات المضرّة به من (نوطورو) notoro ، و (نيطل) بمعنى دلو من (نطلو) notlo ، ونعناع من mon'o ، و (نورج) سكة المحراث من (نورجو) Norgo ، و (نير) وهي خشبة معترضة في عنقي ثورين يجران محراثاً من (نيرو) Niro ، و (هرطان) من qourtomo ، وبل ووابل بمعنى المطر الشديد من (ييل) Yibal ، و (ورد) من (وردو) Wardo ، و (وسق) بمعنى حمل بعير من (وسقو) Wasqo ، و (يتوع) ، كل نبات له لبن ، أي سائل أبيض في داخله يشبه اللبن من (يتوعو) Yatou'o .^١

وقد وردت لفظة (الأب) في القرآن الكريم: « وفاكهة وأبا . متاعاً لكم »^٢. وقد ذكر ابن (عمر) قال : « قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ » قال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف »^٣ ، وقد اختلف المفسرون في المراد منها ، مما يدل على أن اللفظة لم تكن معروفة عندهم معرفة واضحة ، وفي كلام عمر : « إن هذا هو التكلف » ، أو قوله : « ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا »^٤ دلالة على عدم وضوح معناها عنده وعند الناس . وهي بمعنى (ثمرة) في الإرمية من

١ غرائب اللغة (من الصفحة ١٧٢ الى الصفحة ٢١٠) .

٢ عبس ، الآية ٣١ ،

٣ تفسير الطبري (٣٨/٣٠) ، تفسير الألوسي (٤٧/٣٠) ، تفسير ابن كثير (٤٧٢/٤)

وما بعدها) .

٤ تاج العروس (١٤٢/١) ، (أب) .

Ebo ، وقد ذهب العلماء الى أن (الأب) ما تنبت الأرض للأعنام والماشية^١ ، فهي في معنى آخر ، يخص العشب والكأ وما تنبته الأرض ليعلفه الحيوان في رأي غالبية العلماء ، غير المعنى الوارد لها في السريانية .

وأما (الأرف) ، فبمعنى تقسيم الأرض وتحييدها ، ويقال لمن يمسح الأرض ويعين حدودها (ارفو) Arfo في الأرمية^٢ ، وقد ذكر علماء اللغة أن الارف الحدود بين الأرضين ، أو معالم الحدود بين الأرضين . « وفي حديث عثمان رضي الله عنه ، الارف تقطع الشفعة ، وهي المعالم والحدود . هذا كلام أهل الحجاز ، وكانوا لا يرون الشفعة للجار »^٣ .

وأما (الأكار) فيذكر علماء اللغة أنها من أصل (أكر) ، بمعنى (حفر) ، والأكار بمعنى الحفّسار والحرّاث والزراع . ومن ذلك حديث « أبي جهل : فلو غير أكار قتلني » ، أراد به احتقاره وانتقاصه^٤ . وتقابل هذه اللفظة لفظة (اكورو) Akoro في الأرمية التي هي « اكار »^٥ .

وبين الألفاظ التي ذكرتها ألفاظ لا يوجد دليل على أنها معربة من أصل لارمي لأننا نجد ان لها جذراً عربياً ، وهي ليست من المسميات التي لم يعرفها العرب حتى نقول انها استوردت من الخارج ، أو ان الحاجة حملت العرب على تعلمها من الرقيق الذي كان عندهم أو من المبشرين أو التجار الغرباء .

وأما المعرب عن الفارسية مما يخص الزراعة ، فأكثره في أسماء أثمار أو أزهار أو روائح وعلطور ، مثل (الخربز) بمعنى البطيخ ، من أصل (خربوزة) . وفي الحديث عن أنس قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز والرطب » . وفي حديث عن عائشة : « يأكل البطيخ بالرطب »^٦ . و (السيسنبر)

-
- ١ الموارد المذكورة .
 - ٢ غرائب اللغة (١٧٢) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩/٦) ، (أرف) .
 - ٤ تاجر العروس (١٧/٣) ، (اكر) .
 - ٥ غرائب اللغة (١٧٣) .
 - ٦ الجواليقي : المعرب (ص ١٣٧) ، فتح الباري (٤٩٦/٩) ، عون المعبود (٤٢٧/٣) وما بعدها .

نوع من الريحان^١ ، و (الجبل) بمعنى الورد^٢ ، و (الجلاب) أي ماء الورد . وقد وردت اللفظة في حديث عائشة عن الرسول^٣ . وذلك دليل على ان اللفظة كانت معروفة قبل أيام الرسول . ويلاحظ ان لفظة (بطيخ) هي من الألفاظ المعربة كذلك ، عربت من أصل (فطيخو) بلغة بني لارم^٤ .

وقليل منه ما يخص آلات الزراعة أو الأرض ، مثل (بستان) والجمع (بساتين)^٥ ، وذلك لأن غالبية الذين كانوا يفلحون الأرض ويزرعونها في العراق وفي بلاد الشام ، هم من بني لارم أو من المتكلمين بلغتهم ، وباحتكاك العرب بهم تعلموا أسماء الآلات والأدوات وطرق حرث الأرض وزرعها ، وأسماء كثير من الزروع ومقاييس الأرض وطرق الاستفادة من الأرض ، فدخلت الى العربية . أما الفرس في العراق ، فلم يكونوا يباشرون زراعة الأرض وفلاحتها في العراق ، وإنما كان (مرازبتهم) وأثريائهم يمتلكون الأرضين الواسعة ، ويسخرون أهل البلاد في استغلالها لهم ، ولهذا لم تترك لغتهم أثراً كبيراً يشبه الأثر (الإرمي) من ناحية الزراعة في العربية .

أما المعربات في الزراعة عن اليونانية ، فأقل عدداً ، إذ لم يكن العرب على اتصال مباشر بالمزارعين اليونان ، لهذا لم يأخذوا عنهم كثيراً . والمعروف من المعربات في هذا الباب هو في أسماء نمر نبات أو بذور ، أو ما يتعلق بحاصل عنب ، مثل الخمر ، فقد كان أهل الحجاز يستوردون الخمر من بلاد الشام ، وقد تعلمها أهل هذه البلاد من الروم بأسمائها اليونانية . ولما أخذها العرب من بلاد الشام ، حرفوا الأسماء بعض التحريف لتلائم المنطق العربي .

ومن هذه المعربات : (الاسفنت) : وهي أجود الخمر المطيب من عصير العنب ، من أصل (افستين) Apsinthion ، كان الخمر يطيب به^٦ . و (خندروس) ، ويراد بهسا نوع حنطة ، أو حنطة مجروشة من أصل Khandhros^٧ ، و (خندريس) ويراد بها خمر معتقة ، ونعت الخمر مصنوعة من

- ١ الجواليقي (ص ٨٠ ، ١٠٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٥) .
- ٢ الجواليقي (ص ١١٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٣) .
- ٣ الجواليقي (ص ١٠٦) فتح الباري ، لابن حجر (٣١٧/١) ، المزهري (٢٧٦/١) .
- ٤ غرائب اللغة (١٧٤) .
- ٥ الجواليقي (ص ٥٣) .
- ٦ الجواليقي (ص ١٨) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .
- ٧ غرائب اللغة (ص ٢٥٧) ، « وأخبرنا عن يعقوب أن « الخندرس » : القديمة . يقال : حنطة خندريس ، أي قديمة » ، الجواليقي (ص ١٢٥) .

الكرم اسمه ^١ Kantharios . و (زنجبيل) ، وهي من أصل zinguiveri . ومن الألفاظ الواردة في القرآن الكريم . وقد ذكرت في شعر منسوب الى الأعشى ^٢ . و (القرنفل) ، من أصل ^٣ Kariofillon . و (كافور) من Kafoura . وفي السريانية qafouro ^٤ . و (المسطار) ، ويراد بها الخمر التي اعتصرت من أبكار العنب حديثاً ^٥ ، وأصلها (مسطس) Moustos ^٦ . و (نرجس) من أصل ^٧ Narkisos .

وبلاد الشام أكثر شهرة من العراق في الأعتاب ، وهي مادة صالحة لصنع أنواع متعددة من الخمور . أما أهل العراق ، فقد استخرجوا خمرهم من التمر ، فلم يعرف لهذا السبب بتنوع الخمور . وقد استغل سكان جزيرة العرب التمور أيضاً لاستخراج الخمور منها ، وذلك في الأماكن التي تكثر فيها النخيل ، وتقل أشجار الكروم . ولا اتصال الحجاز ببلاد الشام بالقوافل الكبيرة ، كانت الخمور من أهم السلع التي تستوردها القوافل من تلك البلاد .

ومن الألفاظ الآرامية التي دخلت في العربية ، ولها معان دينية لفظة (أبل) بمعنى تنسك من «ébal» ، و (تأبل) بمعنى (حزن) من «étébal» ، و (أبيل) بمعنى راهب من (أبيلو) «abilo» الإرمي بمعنى ناسك وراهب ^٨ . وقد جعلها (الجواليقي) فارسية الأصل ^٩ ، وهو خطأ منه . و (الباعوث) ، صلاة لثاني عيد الفصح في بعض الطوائف من أصل «bo'outo» بمعنى صلاة وطلب ^{١٠} ، و (برخ) بمعنى زيادة ونماء من (برختو) bourhto بمعنى بركة وعطية ^{١١} . و (البيعة) من (بيعتو) Bi'to ^{١٢} . و (الدنج) ، ويراد بها عيد الغطاس ،

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٥٧) .
 - ٢ الجواليقي (ص ١٧٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٥٩) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٥) .
 - ٤ غرائب اللغة (ص ٢٦٧) ، الجواليقي (ص ٢٨٥ وما بعدها) .
 - ٥ الجواليقي (ص ٣٢١) .
 - ٦ غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .
 - ٧ غرائب اللغة (ص ٢٧١) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
 - ٩ الجواليقي (ص ٣٠) .
 - ١٠ الجواليقي (ص ٥٧) ، غرائب اللغة (ص ١٧٣) .
 - ١١ الجواليقي (ص ٨١ وما بعدها) ، وغرائب اللغة (ص ١٧٤) .
 - ١٢ الجواليقي (٨١) ، غرائب اللغة (ص ١٧٥) .

من أصل (دنحو) denho^١ . و (دير) أي بيت الرهبان ، من أصل دار^٢ .
و (ديراني) نسبة الى (دير) ، من أصل Dayronoyo^٣ . و (ربّاني) ،
بمعنى عالم بشرية اليهود ، وحاخام أي معلم من أصل (ربونو) Rabono^٤ .
و (روح القدس) من (روح قدشو) Rouhqoudcho^٥ . و (مزموور) من
(مزمورو) Mazmouro^٦ . و (سُلاق) عيد صعود السيد المسيح، من Souloqo
أي صعود^٧ . و (صلاة) من (صلوتو) Slouto^٨ . و (قس) (قسيس)
من (قشيشو) Qachicho^٩ . و (القوس) ويراد بها الصومعة ، من أصل
Kaucho ، بمعنى عزلة^{١٠} . و (ناقوس) من أصل noqoucho^{١١} .
وهناك ألفاظ أخرى لها معان دينية ، لم تكن شائعة معروفة إلا بين النصارى،
لذلك لم أرَ حاجة الى الاشارة اليها ، ثم إن من الصعب البرهنة على أنها كانت
مستعملة عند النصارى الجاهليين .

وبعض الألفاظ المذكورة معروف ، وقد ذكر في الحديث ، وهذا مما يدل
على شيوعه عند أهل الحجاز عند ظهور الاسلام ، وبعضه مما ورد في القرآن الكريم
من آيات تعرضت للنصرانية في ذلك العهد .

وباتصال العرب باليهود في الحجاز ، دخلت في العربية ألفاظ ومصطلحات
دينية ، عربت ، مثل : (آمين) من أصل (امن)^{١٢} ، و (اسرائيل)
و (اسرائيلين) من (يسرائيل) (يسرائيل)^{١٣} ، و (تابوت) (تبه)^{١٤}

-
- ١ الجواليقي (ص ١٤٤) ، الاثار الباقية (ص ٢٩٢ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ١٨١) .
 - ٢ الجواليقي (ص ١٨٧) ، غرائب اللغة (ص ١٨٢) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ١٨٢) .
 - ٤ غرائب اللغة (ص ١٨٢) .
 - ٥ غرائب اللغة (ص ١٨٤) .
 - ٦ غرائب اللغة (ص ١٨٥) .
 - ٧ الجواليقي (ص ١٩٦) ، غرائب اللغة (ص ١٨٨) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ١٩٣) .
 - ٩ غرائب اللغة (ص ٢٠١) .
 - ١٠ الجواليقي (ص ٢٧٨) ، غرائب اللغة (ص ٢٠٢) .
 - ١١ الجواليقي (ص ٣٣٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٠٨) .
 - ١٢ غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ١٣ الجواليقي (ص ١٣ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ١٤ غرائب اللغة (ص ٢١١) .

بمعنى صندوق خشب و (تلمود)^١ و (تورا) من (تورا) بمعنى تعليم وشريعة^٢ ، و (جهنم) من (جي هنم) ، بمعنى وادي هنم ، وهو جنوب أورشليم ، أي القدس ، وقد كثر فيه قبل الميلاد إحراق الأطفال تضحية لإله العمونيين^٣ . و (حبر) من (حبر) (ح ب ر) بمعنى (الرفيق) في الأصل، ثم خصصت^٤ بعالم . و (اسرافيل) من (سرافيم) (س ر ف ي م) ، ملك من الملائكة الكبار^٥ . و (سبت) اسم يوم ، من (شبت) بمعنى يوم الراحة، واستراح^٦ . و (سبط) ، قبيلة من قبائل اليهود الاثني عشر ، من (شبط)^٧ ، و (مدراس) ، بمعنى معهد تدرس فيه التوراة ، من (مدرش) ، (مدراش) ، أي بحث وشرح نص^٨ .

ولفظه (نبي) (نابی) Nabi المستعملة في عربيتنا من الألفاظ الواردة في التوراة ، وردت (٣٠٠) مرة في مواضع مختلفة منها^٩ . وتورد في لغة بني لرم أيضاً ، حيث وردت على هذه الصورة : Nbiyo^{١٠} . وقد ذكر علماء اللغة أنها من المعربات^{١١} .

وأخذت العربية من العبرانية ألفاظاً قليلة ذات صلة بالحريف ، مثل (تابوت) بمعنى صندوق من (تبا) Teba ، ويراد بها معنى صندوق في العبرانية^{١٢} . و (فطيس) من (بطيش) Pattich بمعنى مطرقة^{١٣} . و (قدوم) من (قردم) (قردوم) qardom بمعنى فأس ، و (كرز) من (كرز) بمعنى فأس كبيرة^{١٤} .

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ٣ الجواليقي (ص ١٠٧) ، غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ٤ ولفنسون ، اليهود في جزيرة العرب (ص ٢٠) .
 - ٥ الجواليقي (ص ٨) ، غرائب اللغة (ص ٢١٢) .
 - ٦ غرائب اللغة (ص ٢١٢) .
 - ٧ غرائب اللغة (ص ٢١٢) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ٢١٣) .
 - ٩ Hastings, p. 767.
 - ١٠ غرائب اللغة (ص ٢٠٦) .
 - ١١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٢٠٥ / ١) .
 - ١٢ غرائب اللغة (ص ٢١١) .
 - ١٣ غرائب اللغة (ص ٢١٢) .
 - ١٤ المصدر نفسه .

وقد احترف اليهود الحدادة والصياغة والنجارة في الحجاز ، وتكسبوا منها ، ورآهم الجاهليون ، وهم يعملون بآلاتهم ، فتعلموا منهم أسماء الآلات المذكورة وغيرها ، واستعملوها على النحو المذكور .

وبلاحظ ان الباحثين في المعربات من المستشرقين والشرقيين ، رجعوا أصول ألفاظ يهودية الى السريانية ، وهي يهودية في الأصل ، وقد أخذتها السريانية من العبرانية بواسطة النصرانية ، بدليل ورودها في اليهودية قبل ظهور النصرانية بزمان. أما المجوسية ، ديانة الفرس ، فلم تترك أثراً يذكر في العربية من ناحية المعربات ذات المعاني الدينية ، لقلة اتصال العرب بها، وعدم اهتمام المجوس بنشر دينهم ، وقلة عددهم في جزيرة العرب . ولهذا كانت أكثر الألفاظ الدينية التي عرفها الجاهليون ، قد دخلت فيهم من اليهودية والنصرانية، بسبب اتصال اليهودية والنصرانية بالجاهليين اتصالاً مباشراً .

ولفظة (المجوسية) نفسها هي من الألفاظ العربية ، فهي من أصل Magush في الفارسية القديمة ، و Mugh في الفارسية الحديثة ، و Maghos في اليونانية ، وقد انتقلت من الإرامية الى العربية^١ . وفي الحديث : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يمجسانه ، أي يعلمانه دين المجوسية »^٢ . وذكر أن اللفظة قد وردت في بيت شعر جاهلي هو :

أحار أريك برقاً هباً وهناً كنار مجوس تستعر استعاراً

يقال إن صدر البيت لامرئ القيس وعجزه للتوأم اليشكري ، « قال أبو عمرو ابن العلاء : كان امرؤ القيس مبعثاً عريضاً ينازع كل من قال إنه شاعر، فنازع التوأم اليشكري ، فقال له : إن كنت شاعراً فليط أنصاف ما أقول وأجيزها ، فقال : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أصاح أريك برقاً هباً وهناً

فقال التوأم :

كنار مجوس تستعر استعاراً

١ Shorter Ency., p. 298. غرائب اللغة (٢٦٩) .

٢ تاج العروس (٢٤٥/٤) ، (مجس) .

فقال أمرؤ القيس :

أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوأم :

إذا ما قلتُ قد هداً استطارا »

الى آخر الشعر^١ . وإذا صح هذا التمليط ، تكون هذه اللفظة قد وردت فيه لأول مرة في شعر جاهلي .

ومن الألفاظ التي لها صلة بالمجوسية لفظة (موبد) و (موبدان) ، بمعنى الرئيس الديني للمجوس . من أصل (موبد) ، بمعنى كاهن ورجل دين عند الفرس القدماء^٢ .

وفي باب المأكولات والمشروبات وما يتعلق بهما ، نجد المعربات عن الفارسية أبرز وأظهر من المعربات المأخوذة من لغة بني لأم ، أو من لغة الروم واللغات الأعجمية الأخرى . ف (الباذق) ، وهو ضرب من الأشربة ، من أصل فارسي ، هو (باده) (باده) بمعنى خمر ، أي شراب مسكر^٣ . ولفظة (باطية) ويروا بها إزاء زجاج للشراب ، من أصل (باديه) أي جرة^٤ . و (البالغاء) ، بمعنى الأكارع من أصل (پاها) بمعنى أرجل^٥ . و (الجلاب) أي مساء الورد ، من أصل (كُلبُ آب) ، و (كُلبُ) بمعنى ورد ، و (آب) بمعنى ماء^٦ . و (الجوزينج) (الجوزينق) من الحلوات ، وتعمل من الجوز . من أصل (كوزينة)^٧ . و (الخريز) البطيخ ، من أصل (خربوزة)^٨ و (الخشكنان)^٩ ، و (الخشكار) ،

١ اللسان (٦ / ٢١٣ وما بعدها) ، (مجس) .

٢ غرائب اللغة (٢٤٦) .

٣ المعرب ، للجواليقي (ص ٨١) ، غرائب اللغة (ص ٢١٧) ، الخفاجي ، شفاء الغليل وما دخل في كلام العرب من الدخيل .

٤ المعرب (ص ٨٣) ، غرائب اللغة (ص ٢١٨) ، الدراسات الادبية ، ١٩٥٣ ، الجزء (٢ و ٣) ، (ص ٩) ، التبادل اللغوي بين العربية والفارسية ، لجلال الدين همايوني ، السنة الثانية ١٩٦١ م ، (ص ٣٧٥) ، (صور من التعريب ونقل المعاني من الفارسية الى العربية) .

٥ المعرب (ص ٥١) ، غرائب اللغة (ص ٢١٨) .

٦ المعرب (ص ١٠٦) ، ابن حجر ، الفتح (٣١٧ / ١) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٣) .

٧ المعرب (ص ٩٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٤) .

٨ المعرب (ص ١٣٧) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٥) .

٩ المعرب (ص ١٣٤) .

أي خبز مصنوع من قشر الحنطة والشعير ، من أصل (خشك) ، بمعنى يابس وآرد ، بمعنى طحين^١ . و (خوان) بمعنى مائدة^٢ ، و (دوق) بمعنى لبن استخرج زبده ، من أصل (دوغ) ، بمعنى لبن حامض^٣ . و (فالوذج) (الفالوذ) (الفالوذة) ، نوع من الحلواء ، من أصل (فالوده) (بولاد)^٤ . ويذكر أهل الأخبار : أن عبدالله بن جدعان كان يطعم العرب هذا الطعام ، فدح^٥ . و (القند) ، السكر^٦ ، و (الكعك) ، من أصل (كاك)^٧ . و (اللوزينج) نوع من الحلواء ، من أصل (لوزينه)^٨ ، و (الأنبار) أهراء الطعام ، واحدها (نَبْر) ، و (أنابير) جمع الجمع^٩ ، من أصل (انباشتن) بمعنى خزن^{١٠} . و (الدرمك) ، وهو الدقيق الأبيض ، أي لباب الدقيق ، و (الجردق) ، و (السميد)^{١١} .

و (السكباچ) ، وهو لحم يطبخ بخل ، من أصل (سرکه باچه) ، و (السكبينج) دواء ، وصنف شجرة بفارس ، و (السكرجة) قصاع يؤكل فيها صغار^{١٢} ، و (الزيرباج) ، و (الاسفيداج) ، و (الطباهج) ، و (النفرينج) من ألوان الطبخ^{١٣} .

وسبب ذلك ان الفرس كانوا أرفع مستوى من بني لرم في الحياة الاجتماعية ، وأكثر تقدماً في الحياة البيئية منهم ، فتفننوا في المأكول والملبس، وتنوعوا في المطبخ واقتنوا في تنوع الأكل ، وأوجدوا لكل طعام اسماً ، لم تعرفه لغة بني لرم ،

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٢٦) .
 - ٢ المغرب (ص ١٢٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٦) ، الخفاجي (ص ٨٧ وما بعدها) .
 - ٣ المغرب (ص ١٥٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٩) .
 - ٤ المغرب (ص ٢٤٧) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٩) .
 - ٥ مجمع الامثال (٧٣/٢) .
 - ٦ المغرب (ص ٢٦١) ، غرائب اللغة (ص ٢٤١) .
 - ٧ المغرب (ص ٢٩٧) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٣) .
 - ٨ المغرب (ص ٢٩٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٤) .
 - ٩ المغرب (ص ٢٠) ، غرائب اللغة (ص ٢١٧) .
 - ١٠ غرائب اللغة (ص ٢١٧) .
 - ١١ المزهر (٢٧٥/١) .
 - ١٢ تاج العروس (٥٩/٢) ، (سكبيج) .
 - ١٣ المزهر (٢٧٦/١) .

لأنهم لم يكونوا يعرفون تلك الأطعمة ، وباحتكاك العرب بالفرس وبيئتهم الذين اقتبسوا من الفرس بعض تلك المأكولات تعلموا منهم أنواع الأطعمة ، وأخذوا منهم أسماءها أيضاً ، ودخلت على بعضها الصنعة ، لتحويلها وفق قواعد النطق العربي .

وينطبق ما قلته عن المعربات الفارسية في الأكل والمشروبات وما يتعلق بهما ، على المعربات من الفارسية في العطور والروائح والطيب وما يتعلق بها ، وعلى بعض العوائد الاجتماعية ، ولا سيما بين العرب الذين كانوا على اتصال مباشر بالفرس . فقد تأثروا بحكم هذا الاتصال بهم ، واقتبسوا منهم بعض عوائدهم ، مثل استخراج ماء الورد المسمى (جلاب) ، وهو (ماء الورد) للتطيب به^١ . وقد وردت لفظة (الجلب) ، ومعناها الورد في بيت شعر للأعشى^٢ . وكذلك (الجلسان) ، وقد ذكر ان (الجلسان) من (كلشان) (كلشن) ، أي ما ينثر من الورد على الحاضرين في العرس ، وذكر أنها الورد ، أو قبة يجعلون عليها الورد^٣ . و (الققمق) ، قنينة لماء الزهر أو نحوه (ققمة)^٤ . وتعني لفظة كوكوميون Koukkoumion ، وهي (ققسم) وعاء من نحاس لتسخين الماء في اليونانية^٥ . ولعل إحدى اللغتين قد استعارتها من الأخرى . وقد رجع بعض علماء اللغة اللفظة إلى الرومية ، أي اليونانية ، وذكر ان اللفظة وردت في بيت شعر لعنتره^٦ . و (مسك) من (مشك)^٧ . و (نافجة) وعاء المسك ، من أصل (نافه) من (ناف) بمعنى سره^٨ .

واستعارت العربية من الفارسية ألفاظاً من الألبسة والأنسجة والخياطة ، وذلك

- ١ المعرب (ص ١٠٦) .
- ٢ وشاهدنا الجلب والياسمين والمسمعات بقصاها .
المعرب (ص ١١٥) .
- ٣ المعرب (ص ١٠٥ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٣) .
- ٤ المعرب (ص ٢٦٠) ، غرائب اللغة (ص ٢٤١) .
- ٥ غرائب اللغة (ص ٢٦٦) .
- ٦ وكان رباً أو كحيلاً معقداً حش الوقود به جوانب قمقم
المعرب (ص ٢٦٠) .
- ٧ المعرب (ص ٣٢٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٥) .
- ٨ المعرب (ص ٣٤١) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٦) .

مثل (ابرسم) وهي من أصل (أبرشم)^١ و (استبرق) من أصل (استبرك) ،
 أي ثوب حرير مطرز بالذهب^٢ . وقد ذكر علماء اللغة أنها من (استفره)
 و (استروه)^٣ . و (يركان) (برنكان) ، كساء ، من (برنيسان)^٤ .
 و (تخريص) (دخريص) من أصل (تبريز)^٥ ، وورد أن (البنيقة) معربة
 كذلك من أصل (بنيك) في معنى (التخريص) و (الدخريص)^٦ . و (جريان)
 ويراد بها جيب القميص من أصل (كريبان)^٧ ، و (الجوالق) ، من أصل
 (كوال) (جوال) ، ومعناها عدل كبير منسوج من صوف أو شعر^٨ .
 و (الخسرواني) ، وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة ، وهو منسوب الى الأكاسرة
 أي الملوك^٩ . و (الدخدار) وهو الثوب ، من أصل (تحت دار)^{١٠} .
 و (الديباج) من أصل (ديوباف) أي نساجة الجن^{١١} ، و (السبيج) ،
 وهو قميص بلا كمين ولا جيب ، من أصل (شبي) ، أي ليلي^{١٢} . و (سربال) ،
 من أصل (سربال)^{١٣} . و (سروال)^{١٤} . و (الشوذر) الملحفة والإزار ،
 من أصل (جادر)^{١٥} . و (الطيلسان) من (طيلسان) (تالسان)^{١٦} .
 و (الفرند) ، الحرير من (برند)^{١٧} . و (الكرباس)^{١٨} ، ثوب خشن مسن
 (كرباس)^{١٨} .

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢١٦) ، المغرب (ص ٢٧) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ٢١٦) .
 - ٣ المغرب (ص ١٥) .
 - ٤ المغرب (ص ٥٦) ، غرائب اللغة (ص ٢١٨) .
 - ٥ المغرب (ص ٨٧ ، ١٤٣) ، غرائب اللغة (ص ٢٢١) .
 - ٦ المغرب (١٤٣) .
 - ٧ المغرب (ص ٩٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٢) .
 - ٨ المغرب (ص ١١٠) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٤) .
 - ٩ المغرب (ص ١٣٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٥) .
 - ١٠ المغرب (ص ١٤١) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٧) .
 - ١١ المغرب (ص ١٤٠) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٩) .
 - ١٢ المغرب (ص ١٨٢ وما بعدها) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٣) .
 - ١٣ غرائب اللغة (ص ٢٣٣) .
 - ١٤ المغرب (ص ١٩٦) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٤) .
 - ١٥ المغرب (ص ٢٠٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٧) .
 - ١٦ المغرب (ص ٢٢٧) ، الجمهرة ، لابن دريد (٤١٣/٣) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٩) .
 - ١٧ المغرب (ص ٢٤٣) ، غرائب اللغة (ص ٢٣٩ وما بعدها) .
 - ١٨ المغرب (ص ٢٩٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٢) .

وقد عرف الجاهليون ألقاب بعض القادة العسكريين والاداريين في الانباطوريتين اليونانية والفارسية ، فأدخلوها في العربية ، لأنها ألقاب رسمية نعت بها أولئك الموظفون الكبار ، وعرفوا بعض الرتب الكنسية كذلك . فها دخل الى العربية من اليونانية واستعمل عند الجاهليين لفظة (بطريق) ، من أصل Patrikios^١ . وقد وردت في بعض الرسائل المنسوبة الى الغساسنة، ويراد بها درجة قائد في الانباطورية البيزنطية . ولفظة (أسقف) ، وقد ورد في كتب السير : ان وفد نجران حين قدم على الرسول ، كان يتألف من رؤساء المدينة أصحاب الحل والعقد ، ويلقبون بـ (السيد) و (العاقب) و (الأسقف) . والسيد عندهم صاحب رحلتهم ، والعاقب أميرهم وصاحب مشورتهم الذي يصدر عن رأيه ، والأسقف حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم^٢ . ولفظة (أسقف) هذه من أصل يوناني هو Episkopos^٣ .

وأما (قيصر) التي يراد بها في العربية (انباطور) الروم ، أي ملكهم ، فإنها من أصل لاتيني هو (سيسر) Caesar . وترد في كتب السير في معرض الكلام على الكتب التي أرسلها الرسول الى الروم والفرس والحبيشة وبعض الأمراء^٤ .

ومن المصطلحات المأخوذة من الفارسية في هذا الباب ، (الأسوار) ، وهو الرامي ، وقيل الفارس، وقائد الفرسان^٥ ، من أصل (أسب سوار) ، و (اسب) الحصان ، و (سوار) على ظهر أي راكب ، ومعناها راكب الحصان أي فارس^٦ ، وتجمع (أسوار) على (أساورة) . وترد في الكتب أحياناً مضافة (أساورة الفرس) ، وتجمع على (أساور) و (أساورة) أيضاً ، وقد وردا جميعاً في الشعر^٧ .

وأما (الأشائب) ، ومفردها (أشابة) ، فعنها الأخلاط من الناس من

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٥٥) .
 - ٢ طبقات ابن سعد (٢٥٧/١) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .
 - ٤ طبقات ابن سعد (٢٥٩/١) .
 - ٥ الجواليقي (ص ٢٠ وما بعدها) ، الجمهرة (٢١٥/٢) ، اللسان (٥١/٧) .
 - ٦ غرائب اللغة (ص ٢١٦) .
 - ٧ الجواليقي (ص ٢٠ وما بعدها) .

أصل (آشوب) . وذكر أنها عربية خالصة، من (أشب الشيء) بمعنى خلطه^١. وترد لفظة (أنبار) و (الأنبار) ، وتعني أهراء الطعام ويقال للواحد (نبر) أيضاً وأما (الأنابير) جمع الجمع . وقد اشتهر موضع (الأنبار) على نهر الفرات على مقربة من الفلوجة ، وكان مأهولاً بالعرب عند ظهور الإسلام ، وقد ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب أن بعض أهل الحجاز ينسب أخذ أهل مكة الكتابة الى قوم منهم ذكروا أنهم تعلموها من أهل الأنبار^٢ .

و (الإيوان) في العربية ، الرواق . وهو مكان متسع من بيت تحيط به ثلاثة حيطان ، من أصل (أيوان) eyvan^٣ . وأما (الدهقان) ، فحاكم إقليم ، من (ده) بمعنى ضيعة و (خان) بمعنى رئيس قبيلة ، وذلك في الفارسية القديمة . وقد وردت اللفظة في بيت شعر للأعشى . وتجمع على (دهاقين)^٤. وأما (كسرى) ، فملك من ملوك الفرس ، وهو (خسرو) Khosrow في الفارسية . ولكن الجاهليين جعلوا اللفظة لقباً للملوك إيران ، يقابل (شاه) أي الملك ، وصارت عندهم مثل : (قيصر) للروم ، وتبّع لليمن ، والنجاشي للحبشة^٥ . وأما (المرزبان) ، فالرئيس من الفرس ، وتفسيرها (حافظ الحد) في مقابل حاكم ووالي ولاية ، وتجمع على (المرازبة)^٦ .

وأما لفظة (الهريذ) وتجمع على (الهرايزة) ، فعادم النار عند المجوس . وقيل: رئيس خدام النار الذين يصلون بالمجوس ، وقد تكلمت بها العرب قديماً . وقد وردت هذه اللفظة في بيت شعر لامرئ القيس^٧ . وأما (موبد) و (موبدان) فحاكم المجوس ، بمثابة القاضي عند المسلمين ، من (موبد) وهو الكاهن ورجل دين عند المجوس^٨ .

-
- ١ الجواليقي (ص ٢٧) . غرائب اللغة (ص ٢١٦) .
 - ٢ الجواليقي (ص ٢٠ ، ٢٩) . غرائب اللغة (ص ٢١٧) .
 - ٣ الجواليقي (ص ١٩) ، غرائب اللغة (ص ٢١٧) .
 - ٤ الجواليقي (ص ١٤٦) ، اللسان (٢١/١٧) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٩) .
 - ٥ الجواليقي (٢٧١ ، ٢٨٢) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٢) .
 - ٦ الجواليقي (ص ٣١٧) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٥) .
 - ٧ الجواليقي (ص ٣٥١) ، غرائب اللغة (ص ٢٤٨) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ٢٤٦) .

أما أسماء النقود ، فإنها معربات يرجع أصلها الى الفارسية أو اليونانية أو اللاتينية . فقد كان الجاهليون يتعاملون مع الفرس والأرضين الخاضعة للامبراطورية الرومية ، ولهذا تعاملوا بنقود هاتين الامبراطوريتين . وهي نقود مضروبة من المعادن . وتعاملوا بها في بلادهم أيضاً كما نتعامل نحن بالنقود الأجنبية . ف (النمّي) مثلاً ، هي فلوس رصاص كانت تتخذ أيام ملك بني المنذر ، يتعاملون بها في الحيرة ، هي من أصل رومي ، أي يوناني ، هو noummiyon . وقد وردت في بيت للنابعة :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمّي^١ سفيراً
وقد نسب هذا البيت لأوس بن حجر أيضاً^٢ .

فيظهر من ذلك ان (بني المنذر) كانوا قد أخذوا اللفظة من اليونانية ، أي من نقود نحاس ضربها الروم ، فضربوها هم في الحيرة ، وتعامل بها الناس . وأما (الدينار) ، وهو نقد كان معروفاً متداولاً بين الجاهليين ، مستعملاً في أسواق مكة وبقية مواضع الحجاز وجزيرة العرب عند ظهور الاسلام . وقد ذكر في القرآن الكريم^٣ ، فإنه نقد روماني يساوي عشرة دراهم ، ويعرف بـ denarius في اللاتينية^٤ .

وأما (الدرهم) فاسم نقد يوناني ، يسمى دراخي dhrahmi في اليونانية، وقد شاع استعماله إذ ذاك . وقد وردت التسمية في بيت شعر هو :

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم^٥

ويفيد هذا البيت أن الحكومة كانت تأخذ إتاوة من الأسواق من التجار والباعة، وأن ما يباع يدفع عنه مكس ، قدره درهم^٦ .

-
- ١ الجواليقي (ص ١٨٥) ، اللسان (٣٤٣/١٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٧١) .
 - ٢ الجواليقي (ص ١٨٥ ، ٣٣٠) .
 - ٣ آل عمران ، الآية ٧٥ « ومنهم من أن تأمنه بدينار » .
 - ٤ الجواليقي (ص ١٣٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٨) ، « وقيل : أصله بالفارسية دين آراي : الشريعة جاءت به » ، المفردات في غريب القرآن (ص ١٧١) .
 - ٥ الجواليقي (ص ١٤٨) .
 - ٦ « الدرهم الفضة المطبوعة المتعامل بها » ، المفردات في غريب القرآن (ص ١٦٨) .

ولفظه (مكس) ، هي أيضاً من الألفاظ العربية ، عربت من أصل
(مكسو) Makso في لغة بني إرم^١ .

و (الدائق) فقد أخذت تسميته من الفارسية ، من (دانك)^٢ . وقد بقي
مستعملاً في الاسلام . وقد عرف الخليفة (أبو جعفر المنصور) ب (الدوائقي)
نسبة الى هذا النقد .

وأما (الفلس) وتجمع على (فلوس) ، فإنه نقد من نحاس ، وأصله في
اليونانية (فولس) follis^٣ . وقد عبر عنه بمعنى نقود أيضاً ، ف قيل في العامة
(فلوس) ، وقصد بها نقود .

ومن المعربات المستعملة في تقويم النقد وفحصه ، لفظة (شقل) بمعنى الوزن^٤ ،
أي وزن النقد لمعرفة مقدار معدنه المؤلف منه . ولفظة (قسطار) ، ومعناها ناقد
الدراهم ، أي الناقد الماهر العارف بالنقد ، من أصل لاتيني هو quaestor^٥ .

وتظهر هذه المعربات ان أهل الحجاز ونجد والعرب الشماليين كانوا قد استعملوا
النقد البيزنطي والساساني في أسواقهم وفي تجارتهم ، وكانوا عالة على الأعاجم في
استعمال النقد . وذلك مما يدل على ان تعاملهم التجاري مع الانباطوريين كان
وثيقاً . وقد بقيت هذه النقود الأعجمية مستعملة في الاسلام كذلك، وبقيت أسماءها
حية حتى بعد تعريب النقد ، ولا يزال اسم الدينار والدرهم والفلس الى هذا
اليوم .

أما العرب الجنوبيون ، فكان لهم نقد خاص بهم . تحدثت عنه في الجزء الثامن
من كتابي : تأريخ العرب قبل الإسلام . وقد ذكرت أن بعض العلماء رجح
تأريخ أقدم نقد عربي جنوبي عثر عليه سنة (٤٠٠) قبل الميلاد^٦ . ويظهر أن
أهل الحجاز لم يتعاملوا به كثيراً ، بدليل عدم وجود ذكر له في المؤلفات الاسلامية ،
وفي الأخبار الواردة عن أيام الرسول . وقد ذكرت أن أسماء تلك النقود أسماء

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٠٦) .
 - ٢ الجواليقي (ص ١٤٥) ، غرائب اللغة (ص ٢٢٧) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٣) .
 - ٤ غرائب اللغة (ص ١٩١) .
 - ٥ الجواليقي (ص ٢٦٣) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٩) .
 - ٦ الجزء الثامن (ص ٢٠٠ وما بعدها) .

عربية جنوبية لا صلة لها بأسماء النقود التي تحدثت عنها ، ومن تلك الأسماء :
 (بلط) ويجمع على (بلطات) ، وهو اسم نقد من ذهب . و (خبصت)
 (خبصة) ، نقد من نحاس ، و (رضى) ، قيل إنها اسم نقد ، وقيل لأنها
 صفة للنقد . بمعنى رضية وصحيحة غير مزيفة ولا منقوصة ، لأن النقد كان على
 أساس الوزن والنوع في ذلك العهد . وذكرت أيضاً بعض الألفاظ التي استعملوها
 في الصيرفة وفي نقد النقود .

ومن الألفاظ اللاتينية التي دخلت الى العربية (لبرجد) ، وهو ثوب مزدان
 بالذهب ، وثوب غليظ مخطط من أصل Paragauda^١ . و (برذون) من أصل
 burdo و Burdonis^٢ ، و (دينار) من أصل denarius ، وهو نقد من
 المعدن^٣ ، و (سجل) وقد تحدثت عنها^٤ و (سجلّاط) من أصل (سجلّاطس)
 Sigillatum ، ثياب كتّان موشاة ، وكأن وشيها خاتم وتزدان بصور صغيرة^٥ .
 و (سجنجل) ، وتعني المرأة ، أو سبيكة فضة مصقولة ، استعملت استعمال
 المرأة ، من أصل Sexaangulus التي تعني (المسدس الزوايا) في اللاتينية . وقد
 وردت في بيت لامرئ القيس^٦ . و (الصراط) ، بمعنى الطريق ، من أصل لاتيني
 هو Strata بمعنى طريق كبير مبلط^٧ . وقد عرف الرومان ببراعتهم في شق الطرق
 العسكرية لاستعمالها في التجارة وفي الأغراض العسكرية . و (الصاقور) الفأس
 لكسر الحجارة ، من أصل لاتيني هو Securis^٨ .

ويظهر أثر الأخذ من اليونانية واللاتينية والفارسية والارمية في المكايل والموازن
 كذلك ، وذلك عند عرب الحجاز ونجد والعراق وبلاد الشام . أما عرب الجنوب
 فقد كانت لهم أسماء للمكايل والموازن خاصة بهم ، اختلفت عن الأسماء المستعملة
 عند العرب الشماليين المذكورين وذلك كما تحدثت عنها في الموضوع الخاص بالمكايل

-
- ١ غرائب اللغة (ص ٢٧٧) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ٢٧٧) .
 - ٣ الجواليقي (ص ١٣٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٨) .
 - ٤ « والسجيل ، حجر وطني مختلط ، وأصله فيما قيل فارسي » ، المفردات في غريب القرآن (ص ٢٢٣) .
 - ٥ الجواليقي (ص ١٨٤) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٨) .
 - ٦ الجواليقي (ص ١٧٩) ، غرائب اللغة (ص ٢٧٨) .
 - ٧ غرائب اللغة (ص ٢٧٨) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ٢٧٨) .

والموازين عند الجاهليين في الجزء الثامن من كتابي : تأريخ العرب قبل الإسلام^١.
ومن هذه المعربات (المُدَّة) ، وهو نوع مكيال للحبوب ، وهو من أصل
لاتيني هو Modius^٢ و (الجريب) ، من أصل إرمي هو (جريبو) Gribo^٣.
و (الرطل) من أصل يوناني هو : Litra^٤ ، و (الأوقية) من أصل يوناني
هو uncia, ounguiya^٥ ، و (مثقال) من أصل matqolo ، وهو وزن في
الإرمية^٦ . و (قيراط) ، وهو جزء من أربعة وعشرين من أجزاء شيء ،
أو حبة واحدة من أربعة وعشرين حبة . وكان القدماء يزنون بالحب . واللفظة
من أصل يوناني هو Keration^٧ . و (قنطار) ، وهو مئة رطل ، من أصل
لاتيني هو Centenarium Pondus^٨ . و (الكرو) ، وهو ستة أوقار حمار ، وهو
مكيال لأهل العراق ، وقد ورد ذكره في الحديث ، هو (كرو) Kouro في
لغة بني إرم^٩ . وغير ذلك من أسماء ذكرتها في الجزء الثامن من هذا الكتاب .
ولا حاجة بنا الى إعادة ذكرها .

وأخذت العربية من اللغة (السنسكريتية) بعض الألفاظ الخاصة بالمحاصيل
الخاصة بالهند ، مثل القلقل وبعض الأسماء المتعلقة بالتوابل والعقاقير والأطياب
والجواهر^{١٠} .

وقد أشار علماء اللغة الى ألفاظ شائعة على الألسنة ، لكنها أعجمية الأصل
تأتي في نوع المعرب . ذكر (الثعالبي) أمثلة منها في كتابه (فقه اللغة) ، وقال
عنها أنها : « أسماء فارسيته منسية وعربيته محكية مستعملة ، هي : الكف ،

-
- ١ (الصفحة ٤١٠ وما بعدها) .
 - ٢ غرائب اللغة (ص ٢٨٠) .
 - ٣ غرائب اللغة (ص ١٧٦) .
 - ٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٨) .
 - ٥ العرب قبل الاسلام (٤١٤/٨) ، Ency. Islam, II, p. 1025 .
 - ٦ غرائب اللغة (ص ٢٥٤) .
 - ٧ غرائب اللغة (ص ١٧٦) .
 - ٨ غرائب اللغة (ص ٢٦٧) .
 - ٩ غرائب اللغة (ص ٢٧٩) .
 - ١٠ العرب قبل الاسلام (٤١٩/٨) .
 - ١١ غرائب اللغة (ص ٢٠٣) .
 - ١٢ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (٢٠٥/١) .

الساق ، الفرش ، البزاز ، الوزان ، الكيال ، المساح ، البياع ، الدلال ،
الصراف ، البقال ، الجمال ، الحمال ، القصاب ، البيطار ، الرائص ،
الطراز ، الخراط ، الخياط ، القزاز ، الأمير ، الخليفة ، الوزير ، الحاجب ،
القاضي ، صاحب البريد ، صاحب الخبر ، السقاء ، الساقى ، الشراب ،
الدخل ، الخرج ، الحلال ، الحرام » الى غير ذلك من ألفاظ تجدها في كتابه
وفي كتب اللغة التي نقلت منه^١ .

وفي بعض الذي ذكره ، ما هو فارسي حقاً ، أو من مصدر أعجمي آخر ،
لم يعرفه (الثعالبي) ، لأنه لم يعرف من اللغات الأعجمية غير الفارسية ، فنسب
أصل تلك الألفاظ إليها ، ولكن البعض الباقي هو عربي ، ما في أصله العربي
من شك ، ولا يمكن أن يكون من المعربات .

ونجد في المعاجم وفي كتب اللغة كلاماً عن هذه المعربات ، ففي كتاب (المزهر)
وكتب اللغة المعتبرة صفحات نص فيها على الألفاظ المعربة من مختلف اللغات^٢ .
فلا أرى بي حاجة هنا الى ذكر تفاصيل أخرى عن الألفاظ المعربة بتفصيل كل
ما نص عليه العلماء من المعربات . ولكني أود أن أبين ان علماء اللغة لم يكفوا
على علم باللغات الأعجمية ، ولذلك لم يتمكنوا من رجوع المعربات الى أصولها
الحقيقية ، فأخطأوا في ذكر الأصول . ونظراً الى ان فيهم من كان يتقن الفارسية
فقد رجع أصول كثير من الألفاظ الى أصل فارسي ، لأنه وجد أن الفرس نطقوا
بها ، ولم يعلموا انهم أخذوها هم بدورهم من غيرهم ، فصارت من لغة الفرس ،
أو انهم وجدوا بعض الألفاظ قريبة من أوزان الفارسية للكلمات ، فظنوا انها
فارسية ، مع انها من أصل آخر . وفعل بعض منهم ذلك عصبية منهم الى الفارسية
لأنهم من أصل فارسي ، فتمحلوا لذلك تكثيراً لسواد المعربات من لغة الفرس
وتعصباً لهم^٣ .

وفي شعر الأعشى معربات عديدة مقتبسة من الفارسية ، قد يكون أخذها من
عرب الحيرة وبقية عرب العراق ، وقد يكون أخذها من الفرس مباشرة لاتصاله

١ المزهر (١٢٣/١) .

٢ المزهر (٢٧٥/١) وما بعدها .

٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٢٠٦/١) .

واختلاطه بهم في العراق . واقتبسها إما ليحكي عما شاهده ورآه في العراق ، فاستعمل الألفاظ الفارسية الشائعة هناك ، وإما أن يكون قد تعمد إدخالها في شعره ليُري الناس أنه حاذق بثقافة الفرس واقف على حضارتهم ولغتهم ، كالذي يفعله بعض من يدرس في بلاد الغرب من استعماله ألفاظاً أعجمية في لغته ليلمح للناس بأنه قد تثقف بثقافة الأجانب ، وتلك في نظره ميزة يفتخر بها على الناس .

وقد زعم أن الأعشى رحل الى بلاد بعيدة ، فبلغ عمان وحمص وأورشليم وزار الحبشة وأرض النبط وأرض العجم ، وقد ذكر ذلك في بيتين من الشعر^١ . والى زيارته هذه للعراق ولأرض العجم ينسب أهل الأخبار ورود الألفاظ الفارسية في شعره .

وفي بعض المعجمات وكتب اللغة مثل لسان العرب والمعرب للجواليقي ، أبيات للأعشى يرد فيها وصف لأحوال الفرس وعرب العراق ، وقد استعمل فيها ألفاظاً فارسية لها مناسبة وصلة بذلك الوصف . منها ما يتعلق بالملايس ، ومنها ما يتعلق بالأشربة والخمور والأفراح ، ومنها ما يتعلق بالمناسبات مثل الغناء والأعياد^٢ .

وشاعر آخر نجد في شعره معربات فارسية ، هو (علي بن زيد العبادي) . وهو من أهل الحيرة ، المقربين الى ملوكها والى الفرس ، الحاذقين بالعربية وبلغة الفرس . وقد كان كاتباً باللغتين ، كما كان أبوه بليغاً باللسانين ، وتولى رئاسة ديوان العرب عند الأكاسرة . وهو نصراني ، ولهذا استعمل في شعره ألفاظاً نصرانية اقتبست من السريانية ، وأشار بحكم نصرانيته الى عادات نصرانية ، كما كان حضرياً مترفاً غنياً أدخل الى بيته وسائل الترف والراحة المعروفة في ذلك اليوم ، ولهذا فإن لجمع شعره جمعاً تاماً ونقده وتحليله واستخراج صحيحه من منحوه أهمية كبيرة في اعطاء رأي عن الحياة الفكرية والثقافية لعرب العراق قبيل الاسلام .

وبعد ، فإن اللغة التي بحثت عن وجود المعربات فيها ، هي اللغة العربية التي

١ عمان فحمص فأورشليم
وأرض النبط وأرض العجم

وطوفت للمال آفاقه
أتيت النجاشي في داره

راجع ديوان الاعشى ، المعرب (ص ٣٢) .

٢ المعرب (ص ١٦ ، ١٨ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٧٩) ومواضع أخرى .

نزل القرآن بها . أما اللهجات والألسنة العربية الجنوبية ، فإن أثر هذه المعربات فيها كان قليلاً ، ونجد في كتاباتها ألفاظاً عربية جنوبية ، مكان تلك المعربات . ومعنى هذا بُعد تلك اللهجات عن المؤثرات الأعجمية الشمالية . وسبب ذلك رقي المتكلمين بها ، وتقدمهم في الحضارة بالقياس الى بقية سكان جزيرة العرب والى ابتكارهم أنفسهم لكثير من الأشياء ، فكان من الطبيعي أن تكون أسماؤها بلغسة الصانعين لها .

ولدي ملاحظة ، هي ان وجود المعربات في العربية الحجازية ، يدل دلالة صريحة واضحة ، على ان المتكلمين بها كانوا قد تأثروا بالحضارات الشمالية أكثر من تأثرهم باخوانهم العرب الجنوبيين ، وان اتصالهم الفكري كان بالشمال أكثر منه بالجنوب ، ولا يقتصر هذا التأثير على المعربات فقط، بل يشمل كل المؤثرات الثقافية الأخرى ، كالذي رأيناه في مواضع متعددة من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب . فكاننا أمام ثقافتين مختلفتين وشعبين متباينين ، بالرغم من اتصال حدود الحجاز باليمن ، وقرب المسافة بينهما ، حتى اللغة نجد بوناً شاسعاً بينها وبين اللغات العربية الجنوبية ، وهذا ما حمل بعض العلماء على القول : ما لغة حير بلغتنا ، ولا لسانهم بلساننا ، ففرق بين اللسانين .

أما (أمية بن أبي الصلت) فقد وردت في شعره معربات من أصل سرياني في الغالب ، يظهر أنه أخذها من المنابع النصرانية التي قيل إنه وقف عليها . فقد ذكر أنه كان قد قرأ كتب أهل الكتاب ، ووقف على أخبارهم وعقائدهم ، وإن اتصاله بهم أثر في رأيه الذي كونه لنفسه في الأديان . وأرى أن من اللازم توجيه العناية لدراسة ما تبقى من شعره للوقوف على أصوله ، وعلى درجة تأثره بالتيارات الفكرية والآراء الدينية لأهل الكتاب ، وعلى الألفاظ المعربة عن السريانية أو غيرها التي ترد في شعر هذا الشاعر ، وذلك بعد التأكد من صحة الشعر .

ومن المعربات الواردة في شعر (أمية) لفظة (تلاميذ) جمع تلميذ ، وذلك في هذا الشعر المنسوب اليه :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد
وبها تلاميذ على قدفاتها حبسوا قياماً فالفرائص ترعد

وفي هذا الشعر :

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها لم ينتقص علمه جهل ولا هرم
لا كشفت مرة عنا ولا بليت فيها تلاميذ في أفقائهم دغم

وذكر أن (المتلمذ) الواردة في شعر ينسب له أيضاً ، بمعنى متلمذ ، وأن لفظة (التلاميذ) قد ترخم في الشعر على (تلام) ، كما جاء في شعر (الطرماح) ، و (غيلان بن سلمة) الثقفي ، وهو من الشعراء المخضرمين^١ . ووردت لفظة (التلاميذ) في شعر ليبيد ، في هذا البيت :

فالماء يجلو متونهم كما يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشياً^٢

وقد ذكر علماء اللغة أن التلاميذ : غلمان الصاغة ، وهي فارسية^٣ .

معرفة المعرب :

قال علماء العربية : تعرف عجمة الإسم بوجوه :

- (١) النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية .
- (٢) خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو لإبريسم ، فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي .
- (٣) أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس ، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .
- (٤) أن يكون آخره زاي بعد الدال ، نحو مهندز ، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية .
- (٥) أن يجتمع فيه الصاد والجيم ، نحو الصولجان والجص .

١ رسالة التلميذ ، للبغدادي ، نواذر المخطوطات (المجموعة الثانية) (ص ٢٢٢ وما بعدها) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٣١) ، القصيدة رقم ٤ ، البيت ٢٠ .
٣ شرح ديوان لبيد (٣١) ، رسالة التلميذ (٢٢١) .

(٦) أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق، والجردقة، والجرموق ، والجوسق،
والجلاهيق ، وجلنبيق .

(٧) أن يكون خماسياً أو رباعياً عارياً عن حروف الذلاقة ، وهي : الباء ،
والراء ، والفاء ، واللام ، والميم ، والنون . فإنه متى كان عريباً ، فلا
بد أن يكون فيه شيء منها . نحو سفرجل ، وقِرطَعْب ، وجحمرش .

هذا وقد تتبع بعض علماء العربية كلام العرب ، فوجدوا بعض حالات إذا
اجتمعت فيها حروف معينة دلت على أصل أعجمي ، من ذلك قولهم :

(١) الجيم والتاء لا تجتمعان في كلمة من غير حرف ذي لقي ، ولهذا ليس
الجبب من صميم العربية .

(٢) الجيم والطاء لا تجتمعان في كلمة عربية ، ولهذا كان الطاجن والطيجن
مولدين ، لأن ذلك لا يكون في كلامهم الأصلي .

(٣) لا تجتمع الصاد والطاء في كلمة من لغتهم ، أما الصراط ، فصاده من
السين .

(٤) ينذر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ محصورة : كورّل ونحوه .

(٥) قال (البطليوسي) : لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل،
ولذلك أبى البصريون أن يقولوا بغذاذ .

(٦) ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة ، الشينات كلها
في كلام العرب قبل اللامات^١ .

أقسام الأسماء الأعجمية :

« قال أبو حيان في الارتشاف : الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم
غيرته العرب^٢ وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصل والزائد والوزن حكم

١ المزهر (٢٦٨/٢ وما بعدها) ، الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٢٠٢/١ وما
بعدها) .

أبنية الأسماء العربية الوضع ، نحو درهم وبهرج . وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله ، نحو آجر وسفسير . وقسم تركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ، وما ألحقوه بها عد منها ؛ مثال الأول خراسان ، لا يثبت به فعّالان ، ومثال الثاني : خُرَّم ألحق بسَلَم ، وكُرْكُم ألحق بقمقم^١ .

إبدال الحروف :

وهناك حروف لا تتكلم بها العرب إلاّ ضرورة ، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف الى مخارجها ، وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل (بور) إذا اضطروا قالوا (فور) . لأن (بور) ليس من كلام العرب . وحرف (ب) حرف غير عربي . وقد يحولون الـ (پ) الى (ب) ، كما في (سابور) ، وأصله (شاپور) .

وقد يحول حرف الـ (پ) الى (P) الى (ف) عند تحويل الأعلام الأجنبية الى عربية . مثل Platon ، اسم الفيلسوف اليوناني ، (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م) الذي حول الى (افلاطون) . وذلك بتحويل حرف (الباء) الى (ف) ، وبتحويل حرف (التاء) الى (طاء) . وقد اتبع العربون قاعدة تحويل (التاء) الواردة في الأعلام الأعجمية الى حرف (طاء) في الغالب ، فحول Aristotèlès (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) الى (أرسطوطاليس) . و Plotinos الاسكندراني (٢٠٥ - ٢٧٠ م) ، الى (فلوطين) . ولو زالت هذه الطريقة معروفة فـ (سهران) عاصمة ايران ، هي (طهران) .

والعرب يعربون الشين سيناً ، فيقولون : نيسابور ، وهي نيشابور . وقد أبدلوا بالإضافة الى حرف (الشين) حرف (الباء) (باءً) . فالأصل (نيشابور) ، ومثل ذلك : (سابور) ، فالأصل هو (شاپور) .

« وقال بعضهم : الحروف التي يكون فيها البديل في المعرب عشرة : خمسة يُطرد إبدالها ، وهي : الكاف ، والجيم ، والقف ، والباء ، والفاء . وخمسة

١ المزمهر (٢٦٩/١ وما بعدها) .

لا يطرد إبدالها ، وهي : السين ، والشين ، والعين ، واللام ، والزاي .
فالبدل المطرد : هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم : كُرْبِج ،
الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم ، فأبدلوا فيه الكاف ؛ أو
القاف نحو قريق . أو الجيم نحو جَوْرَب ، وكذلك فِرند هو بين الباء والقاء
فرقة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها القاء . وأما ما لا يطرد فيه الإبدال ،
فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل أبدلوا السين من الشين ، والعين
من الهمزة ، وأصله إسمائيل . وكذلك قفشليل أبدلوا الشين من الجيم واللام من
الزاي ، والأصل قفجليز . وأما القاف في أوله فتبدل من الحرف الذي بين
الكاف والجيم ' .

الفصل الثاني والاربعون بعد المئة

النثر

النثر هو الكلام المرسل الذي لا يتقيد بالوزن والقافية ، وهو الجزء المقابل للشعر ، من أجزاء الكلام . وهو أقدر من الشعر على إظهار الأفكار وعلى التعبير عن الرأي ، وعلى الإفصاح عن علم ومعرفة ، لكونه كلاماً مرسلًا حرًا لا يتقيد بقيود ، خالياً من الوزن والقافية ومن المحافظة على القوالب ، إلا أنه دون الشعر في التأثير في النفوس وفي اللعب بالعواطف ، لما في الشعر من سحر الوزن والقافية ، والإنشاد بأنغام متباعدة مؤثرة ، لا سيما إذا ما اقترن بعزف على آلات طرب . ولوجود القافية والوزن في الشعر ، ولكونه أبياتاً ، سهل حفظه ، وصار من الممكن تخزينه في الذاكرة أمداً طويلاً ، ومن هنا امتاز على النثر ، الذي لا يمكن حفظه بسهولة ، ولا تخزينه في الذاكرة ، لعدم وجود مقومات الخزن المذكورة فيه . والنثر الذي نقصده ونعنيه ، هو النثر الذي يبحث عنه مؤرخ الآداب ، لكونه قطعة فنية ، تعبر عن عاطفة إنسانية ، وعن مظاهر الجمال والذوق والتأثير في النفوس ، فيه صياغة وفن في حبك القول ، وتفنن في طرق العرض ، وإغراء في تنميق الكلم ودبج الكلمات ، وجلالة وطلاوة وسحر وبيان ، فهو كلام عال لا يشبه كلام العامة ، ولا مما يتخاطب به الناس ، ولا مما يتعامل به في التجارة والمكسب أو في الدوائر ، وإنما هو من قبيل كتب الأدب ، ومن قبيل الأمثال والخطابة والمراسلات الأدبية وما شاكل ذلك من وجوه . ولهذا ، نستبعد من هذا النثر ، ما وصل إلينا من نصوص جاهلية ، لأنها كتبت في أغراض أخرى ،

كتبت في تقديم نذور ، وفي معاملات : من بيع وشراء ، وتثبيت ملك ، أو تحديد حدود ، أو في قوانين وأوامر ، ولم تكتب في أغراض أدبية خالصة .

وبين أيدينا خطب طويلة ومتوسطة وقصيرة ، نسبها الرواة الى خطباء جاهليين ، زعموا أنهم كانوا في أيامهم آية في الفصاحة والبلاغة والبيان ، وأساطير وقصص زعم أهل الأخبار أنها أخبار صحيحة وروايات مروية ، وأصول منافرات ومفاخرات ومعاتبات ومشاتمات ، زعموا أنها جرت في الجاهلية ، وانتقلت أصولها بنصها وفصها وحروفها وكلمها من رواها الى الإسلاميين ، فدوت في كتبهم ، كما روى حكماً وأمثالاً وأقوالاً ، زعموا أنها لحكام من أهل الجاهلية حفظها الناس حفظاً ، ورووها رواية رجلاً عن رجل ، وجيلاً عن جيل ، حتى وصلت مرحلة التدوين . وكل هذا المسجل الذي نتحدث عنه ، هو من مدونات أهل الإسلام ، ليس فيه من مدونات أهل الجاهلية أي شيء .

وبين هذا النثر ، خطب متممة مزوقة ، نسبت الى ملوك وسادات العرب البائدة ، الذين بادوا قبل الإسلام بعهد طويل ، ومات معهم أدبهم بالطبع ، وخطب نسبت الى التبابعة ، وقد هلكوا أيضاً قبل الاسلام ، وكلام نسب الى أنبياء جاهليين ، والى الجن أيضاً ، رواه أهل الأخبار ، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الإفصاح عن كيفية وصول تلك الخطب وذلك الكلام اليهم ، مع أنهم كرروا القول بأن كلام بعضهم كان كلاماً آخر يخالف كلامنا ، وأن عربيتهم لا تشاكل عربيتنا ، فكيف نقلوها ودوتوها إذن في الاسلام ؟ ان ثراً من هذا النوع هو نثر مصطنع بالطبع صنع على لسان أولئك الماضين ، من غير شك ولا شبهة ، فهو من هذه الناحية مكذوب مرفوض .

وأما النثر المنسوب الى العرب الذين عاشوا قبيل الاسلام ، أو أدركوا الاسلام ، فالصحيح فيه أقل من المصنوع ، خاصة نصوص الخطب والحكم والمواعظ ، والقصص والأيام ، والوفادات والخطب الطويلة ، لأن من المستحيل على الذاكرة ، حفظ الكلام المشور بالحروف والكلمات حفظ أشرطة التسجيل له أو للغناء أو الموسيقى ، مهما وهب الله تلك الذاكرة من قوة في قدرة الأخذ والحفظ . ثم هي إذا حفظته اليوم ، فلا بد وأن تتعثر به غداً ، ثم يزداد تعثرها به بعد ذلك . هذا رسول الله يذكر (قس بن ساعدة الإيادي) ، فيقول : « رحم الله قساً كأنني أنظر

اليه على جمل أورك ، تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه ^١ ، وإذا راجعت نص خطبة (قس) في الموارد ، تجد الرواة على اختلاف شديد فيما بينهم في ضبط نصها ^٢ ، وهذا حديث رسول الله التام ، أي المروي بالنص ، وبالطرق الصحيحة تراه يرد أحياناً بعبارات مختلفة مع اتحاد المعنى ، مما يدل على أن رواه قد أجهدوا أنفسهم جهد طاقتهم في حفظه ، لكنهم عجزوا عن حفظه حفظ الكتاب للمكتوب .

خذ صيغ الشهادات في الصلاة مثلاً ، وهي قصيرة العبارة ، لا طول فيها ، تجد الصحابة والفقهاء يختلفون مع ذلك في ضبطها ، فترى نص تشهد (ابن مسعود) يختلف بعض الاختلاف عن نص تشهد (ابن عباس) ، وعن نص تشهد (عمر) ، وعن نص تشهد (أبي سعيد الخدري) ، وعن تشهد (جابر) ، مع قول (ابن مسعود) : « علمني رسول الله تشهد وكفني بكفته ، كما يعلمني السورة من القرآن » ، وقول (أبي سعيد الخدري) : « وكنت لا نكتب إلا القرآن والشهد » ، وقول (جابر) : « كان رسول الله يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن » ^٣ ، بل خذ القرآن ، وهو كتاب الله المحفوظ المدون ، الذي حفظه بعض الصحابة ، وتلوه على الرسول ، وحرصوا على المحافظة على نصه حرصهم على حياتهم ، بل أشد منها ، ودوتوه ساعة الوحي ، وأمام الرسول ، ظهرت مع ذلك فيه قراءات ، بسبب اختلاف مدارك الصحابة في فهمه وفي حفظه ، وبسبب اللهجات وعيوب الخط ، فإذا كان هذا ما حدث في أيام الرسول وبعد وفاته بقليل ، وقد وقع في أعز كلام بالنسبة للمسلمين ، فهل يعقل بعد التصديق بصحة النصوص المروية لخطب طويلة ، زعم أنها قيلت في قصور كسرى ، أو بحضرة ملوك الحيرة ، أو الغساسنة ، أو تبايعة اليمن ، أو الكلام المروي عن قوم عاد وثمود ، وقوم لوط ، وغيرهم وغيرهم ممن هلكوا وبادوا قبل الاسلام بزمن طويل .

ثم كيف نصدق بخطب زعم أنها قيلت في الجاهلية ، مثل خطبة (النعمان بن المنذر) أمام كسرى ، أو خطب الوفد الذي أرسله هذا الملك الى (كسرى) ليكلمه في أمر العرب ^٤ ، وهي خطب طويلة منمقة ، على حين يذكر العلماء ان

- ١ الاصابة (٢٦٥/٣) ، (رقم ٧٣٤٣) .
- ٢ الجزء السادس من هذا الكتاب (ص ٤٦٤ وما بعدها) .
- ٣ أبورية ، أضواء على السنة المحمدية (٨٢ وما بعدها) .
- ٤ بلوغ الارب (١٤٧/١ وما بعدها) .

« الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى ». وسبب ذلك ، أنهم وجدوا أن من غير الممكن إثبات النص بالرواية من غير تبديل ولا تغيير قد يقع عليه ، وخشية وقوع هذا الخطأ في كلام الرسول ، وهو أعز كلام ، وعليه ترتب الأحكام في الحلال والحرام ، جوزوا الرواية بالمعنى. ولهذا تركوا الاستشهاد بالحديث « على لإثبات القواء- الكلية في لسان العرب »^١ ، ولو وثق العلماء من أن لفظ الحديث ، هو لفظ الرسول حقاً « لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية . وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواية جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم لم يقل بتلك الألفاظ جميعها ، نحو ما روى من قوله : زوجتكها بما معك من القرآن ، ملكتكها بما معك من القرآن ، خذها بما معك من القرآن ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فتعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يتلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا يجوز أن يقال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ ، فأنت الرواة بالمرادف ، ولم تأت بلفظه إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيما تقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة والانتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعنى . وأما من ضبط اللفظ فبعيد جداً ، لا سيما في الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثوري : إن قلت لكم اني أحدثكم كما سمعت ، فلا تصدقوني ، إنما هو المعنى . ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى »^٢ . « وفي سنن الترمذي ، عن مكحول عن واثلة بن الأسقع قال : اذا حدثناكم على المعنى فحسبكم ، ورواية الذهبي في سير أعلام النبلاء : اذا حدثنكم بالحديث على معناه فحسبكم »^٣ .

لقد وجد الصحابة أن من الصعب عليهم حفظ كلام الرسول بالنص والحرف، وهم معه في كل وقت ، يحدّثهم ويحدثونه ، فيشق عليهم ضبط كلامه ، وهم لا يكتبونه ولا يكررونه عليه ، وليس من الممكن أن يجلس رسول الله ، ثم يطلب من أصحابه إعادة كل كلام كلمهم به ، فسأله أحدهم : « يا رسول الله نبي أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعك منك ، يزيد حرفاً أو ينقص

١ خزانة الادب (٥/١) ، (طبعة بولاق)
 ٢ خزانة الادب (٥/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، أعلام النبلاء ، للذهبي (٢٥٩/٣) .
 ٣ أبورية ، أضواء على السنة المحمدية (٨١) .

حرفاً . فقال : اذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس^١ .
 وكان من الصحابة من يروي حديثه تاماً ، ومنهم من يأتي بالمعنى ، ومنهم من
 يورده مختصراً ، وبعضهم يغير بين اللفظين ويراه واسعاً اذا لم يخالف المعنى .
 وروي عن (مكحول) ، « قال دخلت أنا وأبو الأزهر على وأثلة بن الأسقع
 فقلنا له : حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ليس فيه ولا تزيد ولا نسيان !
 فقال : هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً ؟ فقلنا : نعم ومسا نحن له بحافظين
 جداً . إنا نزيد الواو والألف وننقص ، فقال : هذا القرآن مكتوب بين أظهركم
 لا تألونه حفظاً ، وانكم تزعمون انكم تزيدون وتنقصون ، فكيف بأحاديث سمعناها
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عسى ألا يكون معنا لها منه إلا مرة واحدة ؟
 حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى .

وكان ابن أبي ليلى يروي الشيء مرة هكذا ومرة هكذا بغير إسناد ، وانما
 جاء هذا من جهة حفظه ، لأن أكثر من مضى من أهل العلم كانوا لا يكتبون ،
 ومن كتب منهم فإنما كان يكتب لهم بعد السماع ، وكان كثير منهم يروي بالمعنى
 فكثيراً ما يعبر عنه بلفظ من عنده فيأتي قاصراً عن أداء المعنى بتمامه ، وكثيراً
 ما يكون أدنى تغيير له محيلاً له وموجباً لوقوع الإشكال فيه ، وقد أجاز الجمهور
 الرواية بالمعنى^٢ .

ولتجوزهم رواية الحديث بالمعنى ، لم يحتج أئمة النحو المتقدمين من المصريين
 بشيء من الحديث في النحو ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن
 العرب « ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث ، لكان الأولى في
 اثباته فصيح اللغة كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب^٣ » .
 جرى على ذلك الواضعون الأولون لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب
 كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصرة ،
 والكسائي ، والفراء ، وعلي بن المبارك الأحمر ، وهشام الضرير من أئمة الكوفة .
 فعلوا ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى

١ انراقي ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣ / ٥٠) ، أبورية (٧٨) .

٢ أبورية ، أضواء على السنة المحمدية (٨١) .

٣ الخزانة (٤ / ١) وما بعدها .

القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية^١ .

وإذا كان هذا موقف ذاكرة الصحابة من كتاب الله ومن حديث رسوله ، فهل يعقل أن تكون حافظتهم أقوى وأشد حفظاً وأكثر دقة في رواية كلام هو دون كلام الله وكلام رسوله ، فنصدق قول من قال إن (سلمة بن غيلان) الثقفني مثلاً دخل في ناس من العرب على كسرى ، فطُرح لهم مخاضٌ عليها صورته ، فوضعوها تحتهم ، إلا سلمة بن غيلان فإنه وضعها على رأسه ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : ليس حق ما عليه صورة الملك أن يبتذل ، وما أجد في جسدي عضواً لا أكرم ولا أرفع من رأسي فجعلتها فوقه . فقال له : ما أكلك ؟ فقال : الحنطة . فقال : هذا عقل الحنطة^٢ . أو أن نصدق بكلام وفد (طي) إلى (سواد بن قارب) الدوسي ، وامتحانهم إياه ، ثم جوابه المسجع على سجعهم^٣ ، أو كلام الكاهنة (عفراء) الحميرية^٤ ، أو كلام (ابنة الخس)^٥ ، أو كلام (عبد المطلب) ، وغيره من سادات قريش مع تبابعة اليمن وحكامها الحبش ، وهو كلام مضبوط بالحروف والكلمات ، ترويه كتب أهل الأخبار على أنه كلام صحيح صادق ، لم ينله تغيير ولا اعتراه تبديل ، وكأنه قد سجل على شريط (تسجيل) ، أو على اسطوانة ، لم تلعب بها يد إنسان .

جاء في (لسان العرب) : « قيل لسيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الأُمِّي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة ، لأنه ، صلى الله عليه وسلم ، تلا عليهم كتاب الله منظوماً ، تارة بعد أخرى ، بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، وكان الخطيب من العرب ، إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص^٦ » ، فإذا كان هذا شأن الخطيب ،

-
- ١ الخزانة (٥/١) .
 - ٢ المصون (١٩٨) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٢٩٩/٣) وما بعدها .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٩٦/٣) .
 - ٥ في جملة كتب « ثعلب » : كتاب : تفسير كلام ابنة الخس ، الفهرست (١١٧) ، (الفن الثاني من المقالة الثانية من كتاب الفهرست في أخبار العلماء) .
 - ٦ اللسان (٣٤/١٢) .

وهو مرتجل الخطبة ، وصاحبها لا يستطيع إعادة نصها ، فكيف يكون حال السامع الذي يسمعها سماعاً ولا يكتبها على صحيفة ، فهل يجوز اذن لنا التصديق بصحة نصوص هذه الخطب الجاهلية وما يروونه عن الجاهليين من أدب منشور !

السجع :

وقد جعل (الجاحظ) كلام العرب أنماطاً ، جعله « في الأشعار ، والأسجاع ، والمزدوج ، والمنثور »^١ .

والسجع في تعريف العلماء له : الكلام المقفى ، أو موالاة الكلام على روي واحد . وقيل : السجع أن يأتلف أواخر الكلم على نسق كما تأتلف القوافي . وسجع يسجع سجعاً : نطق بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن^٢ . وقد ألف (الكهان) النطق بالسجع ، حتى غلب على كلامهم ، واختص بهم ، كما اختص الشعر بالشعراء ، فعرف لذلك بـ (سجع الكهان) . « ولما قضى النبي صلى الله عليه وسلم ، في جنين امرأة ضربتها الأخرى ، فسقط ميتاً بغرة على عاقلة الضاربة ، قال رجل منهم : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صباح ، فاستهل . ومثل دمه يطل . قال صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الكهان . وفي رواية : إياكم وسجع الكهان . وفي الحديث انه ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن السجع في الدعاء . قال الأزهري : انما كره السجع في الكلام والدعاء لمشاكلة كلام الكهنة وسجعهم فيما يتكهنونه ، فأما فواصل الكلام المنظوم الذي لا يشاكل السجع ، فهو مباح في الخطب والرسائل^٣ . وروي الحديث على هذه الصورة : « اقتتل امرأتان من هذيل ، فرمت احدهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقضى رسول الله ان دية جنيها غرة ، عبد أو وليدة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها . وورثها ولدها ومن معهم . فقال حمل بن النابغة المذلي : يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ، فقتل ذلك يطل ، فقال رسول

١ الحيوان (٢١٦/٧ وما بعدها) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٢ تاج العروس (٣٧٦/٥) ، (سجع) .

٣ تاج العروس (٣٧٦/٥) ، (سجع) .

الله ، صلى الله عليه وسلم : انما هذا من اخوان الكهان ، من أجل سجعه الذي سجع^١ .

قال الجاحظ في معرض كلامه على السجع وقول الرسول : أسجع كسجع الجاهلية^٢ . « وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم رثياً من الجن ، مثل حازي جهينة ، ومثل شقّ وسطيح ، وعزّي سكمة ، وأشباههم : كانوا يتكهنون ، ويحكمون بالأسجاع ، كقول بعضهم : والأرض والسماء والعقاب الصقعاء ، واقعة بيقعاء ، لقد نفر المجدد بني العُشراء ، للمجدد والسناء .

وهذا الباب كثير . ألا ترى أن ضمرة بن ضمرة ، وهرم بن قطبة ، والأقرع ابن حابس ، ونفيل بن عبد العزى ، كانوا يحكمون ، وينفرون بالأسجاع ؟ وكذلك ربيعة بن حذار .

قالوا : فوق النهي في ذلك الدهر ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها في صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة ، زال التحريم .

وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم^٣ .

وقد كان الكهان حكماً كذلك ، يفصلون في الخصومات بين الناس . يأتي اليهم المتخاصمون ، وبعد أن يؤكدوا لهم رضاهم وقناعتهم بحكمهم ، يحكمون بينهم فيما يرونه . ويتسبب الناس الى الكهان إدراك الغيب برئي يأتي اليهم فيلقي لهم بما يراه ويعلمهم من المغيبات عما يسألون ، ولذلك ورد : أن الكهانة هي ادعاء علم الغيب ، كالإخبار بما سيقع ، وورد : الكاهن القاضي بالغيب ، وكل من أدل بشيء قبل وقوعه^٤ .

-
- ١ شرح الامام النووي على صحيح مسلم (١٩٦/٧) ، (حاشية على ارشاد الساري) ، صحيح مسلم (١١٠/٥) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٨٧/١) ، (لجنة) .
 - ٣ البيان (٢٨٩/١) وما بعدها (لجنة) ، (عبد السلام هارون) .
 - ٤ بلوغ الارب (٢٦٩/٣) .

ويفهم من روايات أهل الأخبار ومن كتب الحديث والموارد الأخرى ، أن الكهانة كانت شائعة في الناس، فكانوا يقصدونهم في كل شيء لاستشارتهم وللأخذ برأيهم وللفضل في الخصومات والمنازعات . وقد منعها الاسلام ، حتى ورد في كتب الحديث : إن من أتى كاهناً أو عرافاً فقد كفر^١ .

ونجد في بطون الكتب أمثلة من سجع الكهان . وهو يستحق الدرس والبحث، لتحليل عناصره ، وبيان صدقه من كذبه ، وصحيحة من فاسده . وفي بعضه مثل ما نسب الى (زبراء الكاهنة) ، محاكاة لأسلوب السور القصيرة من القرآن الكريم^٢ . وهو مرحلة مهمة من مراحل تطور أسلوب الكلام عند العرب ، وهو حري اذن بالدراسة والبحث .

وقد أشير الى قول الكهان في القرآن الكريم في آية : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون »^٣ ، و « انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون »^٤ . فقد زعموا انه كاهن ، وزعموا انه مجنون^٥ ، فوبخوا لزعمهم هذا ، وقيل لهم ان « محمداً ليس بكاهن فتقولوا هو من سجع الكهان »^٦ . وكانت قریش يدعون انهم أهل النهي والأحلام^٧ ، « فقال الله أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناماً بكماً صماً ، ويتركوا عبادة الله ، فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياههم »^٨ ، فانزعجوا منه وقالوا عنه انه كاهن ، وانه شاعر ، وانه مجنون . وفي آتهمهم الرسول بأنه كاهن ، وبأن القرآن « هو من سجع الكهان »^٩ ، دلالة على وجود السجع عند الجاهليين ، وانه كان من نمط الكلام السذي اختصوا به . فلا مجال اذن للشك في وجود السجع عندهم ، وان كنا نشك في صحة نصوص السجع المنسوب اليهم .

-
- ١ بلوغ الارب (٢٧٠/٣) .
 - ٢ راجع كلامها لجماعة من قضاة في بلوغ الارب (٢٨٨/٣ وما بعدها) .
 - ٣ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٢٩ .
 - ٤ الحاقة ، الرقم ٦٩ ، الآية ٤٢ ، تفسير الطبري (٤١/٢٩) .
 - ٥ تفسير الطبري (١٩/٢٧) .
 - ٦ تفسير الطبري (٤١/٢٩ وما بعدها) .
 - ٧ تفسير النيسابوري (٢٥/٢٧) ، (حاشية على الطبري) .
 - ٨ تفسير الطبري (١٩/٢٧) .
 - ٩ تفسير الطبري (٤١/٢٩) .

ويذكر أهل الأخبار ، أن (ضماداً) لما قدم مكة معتمراً ، « سمع كفار قريش يقولون : محمد مجنون . فقال : لو أتيت هذا الرجل فداويته ، فجاءه فقال له : يا محمد إني أداوي من الريح ، فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك . فتشهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً فقال : أعدّها عليّ ، فأعادها عليه ، فقال : لم أسمع مثل هذا الكلام قط ، لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا قط »^١ . فالكهنة والسحرة والشعراء هم طبقة خاصة ، كانوا يؤثرون في عواطف السامعين باستعمالهم أسلوباً خاصاً من الكلام ، هو أسلوب السجع ، بالنسبة الى الكهنة والسحرة ، والشعر بالنسبة الى الشعراء . أما الخطباء ، فقد كانوا سجعاً في الغالب ، لكنهم كانوا يستعملون المرسل من النثر أيضاً بأساليبه المختلفة .

وقد ذكر (الجاحظ) أن (الكهان) كانوا « يتكهنون ويحكمون بالأسجاع »^٢ ، هذه (زبراء) تنذر (بني رثام) ، عن أنباء ستقع ، فتقول « واللوح الخافق والليل الغاسق ، والصبح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوداق ، إن شجر الوادي ليأدو ختلاً ، ويحرق أنياباً عُصلاً ، وإن صخر الطود لينذر ثكلاً ، لا تجدون معه معلاً ، فوافقت قوماً أشارى سكارى ، فقالوا : ربح خجوج ، بعيدة ما بين الفُرُوج ، أنت زبراء بالأبلى التوج . فقالت زبراء : مهلاً يا بني الأعزة ، والله إني لأشم ذفر الرجال تحت الحديد ، فقال لها فتي منهم يقال له هُذَيْل بن منقذ : يا خذاق ، والله ما تشمين إلا ذَفَر لبطيك ، فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوي أسنانهم ، فانصرفت منهم أربعون رجلاً وبقي ثلاثون فرقدوا في مشربهم ، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعم فقتلوهم أجمعين »^٣ .

وهذا كاهن (بني أسد) (عوف بن ربيعة) ، يأتيه (رثبه) ، فيتكهن لقومه قائلاً : « يا عبادي ! قالوا : لبيك ربنا ، قال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب ، لا يعلق رأسه الصخب ، هذا دمه ينشعب ، وهذا غداً أول من يُسلب ، قالوا : من هو يا ربنا ؟ قال :

١ ابن سعد ، طبقات (٢٤١/٤) ، (الطبقة الثانية من المهاجرين والانصار) .

٢ البيان والتبيين (٢٨٩/١) وما بعدها .

٣ الامالي للقالبي (١٢٦/١) وما بعدها .

لولا : أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم انه حجر ضاحية . فركبوا كل صعب
وذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجَر فهُجِمُوا على قَبته « ١ » .
وهذا (خنافر بن التوعم) الحميري الكاهن ، وكان قد أوتي بسطة في الجسم ،
وسعة في المال ، وكان عاتياً ، يأتيه (رثيه) بعد غيبة طويلة ، فيقول :
(خنافر) فيجيبه : (شصار ؟) ، فقال : « اسمع أقل » ، قال خنافر :
قل اسمع ، فقال : عه تغم ، لكل مدة نهاية ، وكل ذي أمد الى غاية . قال
خنافر : أجل ، فقال : كل دولة الى أجل ، ثم يتاح لها حول ، انتسخت
التَّحَل ، ورجعت الى حقائقها الملل ، انك سَجِرٌ موصول ، والنصح لك مبذول ،
واني آنست بأرض الشام ، نقرأ من آل العُدَام ، حكاماً على الحكام ، يذبرون
ذا رونق من الكلام ، ليس بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فأصغيت
فزجرت ، فعاودت فظلفت ، فقلت بـمَ تَهيمنون ، ولألام تعرون ؟ قالوا :
خطابٌ كبار ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار ، عن أصدق الأخبار ،
واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار النار ، فقلت : وما هذا الكلام ؟ فقالوا :
فرقان بين الكفر والايمان ، رسول من مضر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ،
فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجاً قد دَثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن
ازدجر ، أَلِفَ بالآي الكبر ، قلت : ومن هذا المبعوث من مضر ؟ قال :
أحمد خير البشر ، فإن آمنت أعطيت الشبر ، وإن خالفت أصليت سقر ، فأمنت
يا خنافر ، وأقبلت اليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل مؤمن طاهر ،
وإلا فهو الفراق ، لا عن تلاق ، قلت : من أين أبغي هذا الدين ؟ قال :
من ذات الإحرئين ، والنفر البانين ، أهل الماء والطين ، قلت : أوضح ، قال :
الحق يثرب ذات النخل ، والحرّة ذات النعل ، فهناك أهل الطول والفضل ،
والمواساة والبذل ، ثم امس عني . فبت مذعوراً أراعي الصباح ، فلما برق لي
النور امتطيت راحتي ، وأذنت أعبدي ، واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف ،
فرددت الإبل على أربابها بحولها وسقابها ، وأقبلت أريد صنعاء ، فأصبت بها
معاذ بن جبل أميراً لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبايعته على الاسلام
وعلمني سوراً من القرآن ، فمن الله عليّ بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة .

وهكذا أسلم - على حد قول أهل الأخبار - والفضل يعود في ذلك الى (رثيه)
 (شصار) الذي أسلم قبله ، وهو من الجن ، والجن مثل البشر ، منذ ظهر
 الاسلام بين مسلم وكافر . ولما أسلم (خنافر) ، قال شعراً يحمده الله فيه على أن
 من عليه بالاسلام ، ويذكر (رثيه) (شصار) بالخير ، إذ لولاه لكان في
 نار جهنم^١ .

وأستدوا له قوله :

ألم ترَ أن الله عاد بفضله وأنقذ من لفح الجحيم خنافرا
 دعاني شصار للّي لو رفضتها لأصليت جمرأ من لظى الهون جائرا

وهو خبر يرجع سنده الى (ابن الكلبي) . وقد ذكر في الأخبار المشورة
 لابن دريد . وقد ذكر انه أسلم على يد معاذ بن جبل باليمن^٢ . لا أدري كيف
 حفظه (ابن الكلبي) ورواه عن والده ، الذي صنعه ووضعه ، إلا أن يكون
 والده قد حضر المحاورة فكان يسجلها ، وهو ما يعد من المستحيلات .

وقد أمانت الاسلام (الكهانة) ، فقد اجتثها وحاربها ، وحث على نبذ سجع
 الكهان وأساليب الكهان في الملبس ، فكان منهم من قاوم ، ثم انخلد ، بدخول
 قومه في دين الله ، فدخل معهم فيه . وفي كتب أهل الأخبار قصص على نمط
 قصة اسلام (خنافر) ، وكلام دار بينهم وبين (رثيهم) ، دونه أهل الأخبار
 بالحروف والكلم ، لم يتركوا منه حرفاً ، وكأنهم كانوا كتاب ضبط محضر جلسات
 أمروا بتدوين كل محضر ساعة وقوعه . وتجد أخبار الكهان ، وما لاقوه من
 عنت من (رثيهم) حين أدركوا الاسلام ، وما أخبروا به من قرب ظهور الرسول
 كأخبار العراف اللهي (العائف)^٣ ، و (الغيطة) الكاهنة^٤ ، والكاهن (خطر)^٥ ،

١ الامالي (١/١٣٤ وما بعدها) .

٢ الاصابة (١/٤٥٧) ، (٢٣٤٢) ، الاستيعاب (١/٤٥٩ وما بعدها) ، (حاشية على
 الاصابة) .

٣ ابن هشام ، سيرة (١/١١٨) ، (حاشية على الروض) ، (١/١٣٥ وما بعدها) ،
 (أخبار الكهان) .

٤ ابن هشام (١/١٣٧) ، الروض الانف (١/١٣٧) .

٥ ابن هشام (١/١٣٨) .

والكاهن (سواد بن قارب) الدوسي^١ ، و (ابن الهيبان)^٢ ، والمأمور الحارثي^٣ ، وغيرهم وغيرهم .

ولسجع الكهان ، طريقة خاصة به ، ميزته عن سجع غيرهم ، فهو قصير الفقرات ، يلتزم التقفية وتساوي الفواصل من كل فقرتين أو أكثر ، يعتمد الى الألفاظ العامة المبهمة المعماة ، والى تكوين الجمل الغامضة ، ليتمكن تأويلها تأويلات متعددة ، وتفسيرها بتفاسير كثيرة ، لا تلزم الكاهن ، فيقع في حرج ، كالذي يقع لو تكلم بكلام واضح صريح . فيظهر بمظهر الجاهل الكاذب . أما السجع المنسوب الى الخطباء ، فققره أطول ، وكلمه أوضح ، طويل النفس ، متحرر نوعاً ما من قيود سجع الكهان ، بين الفقر تطابق في الطول ، وفي فقره ييسان مشرق ، فواصله كفواصل الشعر من دون وزن . جهد صاحبه أن يجعل الفواصل واضحة صافية ، ذات مقاطع مستقلة في الغالب بمعناها ، وينتهي الكلام بانتهائها من غير التزام قافية ، وقد يكون مرسلًا ، خالصاً من تساوي الجمل والتزام القافية ، فهو بين سجع وازدواج وترسل . وقد يكون مزدوجاً ، فهو سجع خفيف مقبول .

وبالاضافة الى السجع ، واستعمال الألفاظ الغامضة المبهمة ، والإيماء والرموز والتكنية عن الأشياء ، تهرباً من التصريح ، وحذر افتضاح الأمر ، كان الكاهن يلحف في الأسئلة ويمعن في الاستفسار ، حتى يستنبط من ذلك بفطنته وذكاائه ما يريد السائل ، فيعطيه جواباً مائعاً ، شأن جواب السحرة والعرافين ، كما كان يعتمد الى القسم بظواهر الطبيعة من كواكب ونجوم، وشمس وقمر، ورياح وعواصف وسحب ، وليل ونهار ، وشجر وحجر، وأمثال ذلك مما نجده في خطبهم وأقوالهم ، وهو شيء يلفت النظر ، ويبعث على التعجب من قسم القوم بهذه الأمور . ولكن المتتبع الدارس لعقائد القوم في الجاهلية ، ولحياتهم الاجتماعية لا يعجب من ذلك ، كما لا يعجب من قسمهم بالخبز ، والملح ، واللبن ، والقوس ، والعصا ، فإن لهذه الأمور وأمثالها معاني عميقة عند أهل الجاهلية ، فقدت أكثريتها معانيها في

١ ابن هشام (١٤٠/١) .

٢ ابن هشام (١٤١/١) .

٣ الامالي (٢٧٦/١) ، الاغاني (٧٠/١٥) .

الاسلام ، بسبب إبطاله لتلك العقائد ، وان بقي حشد منها في نفوس الناس الى هذا اليوم ، بسبب رسوخه في العقل والدم .

وفي القرآن قسم بالسما ، وبالعاديات ، وبالتين والزيتون ، وبغير ذلك^١ ، ذهب المفسرون في سبب القسم بها مذاهب ، ففسروا وتأولوا ، ولو فكروا ان هذا النوع من القسم ، هو أسلوب من أساليب العرب في القسم قبل الاسلام ، وأن القرآن انما نزل بلسان العرب ، ولذلك اتبع طريقتهم في القسم ، لأنه خاطبهم على قدر عقولهم وبلغتهم ، عرفوا السبب ، ولا زال الأعراب على سجيتهم القديمة في القسم بهذه الأشياء ، يقسمون بها كما يقسم المتحضر بأعر شيء عنده .

والسجع في الواقع باب من أبواب الشعر ، والمرحلة الأولى من مراحلها ، والبذرة التي أنبتت الشعر العربي . ويتكون من فقرات . واذا أخذنا الشعر البدائي الذي يكون المرحلة الأولى من الشعر ، نرى انه لا يختلف اختلافاً كبيراً عن السجع . و (الكلام المسجع) ، هو ضرب من ضروب الشعر عند غير العرب . وقد طور الشعراء السجع ، وأوجدوا منه الشعر ، واذا درسنا أول الشعر العبراني ، أو أوليات الشعر عند الشعوب السامية ، وعند الشعوب الآرية ، نجد انه نمط من أنماط هذا الكلام الذي نسميه (السجع)^٢ . وهو لا زال يعد شعراً عند كثير من شعوب هذا اليوم .

والمزاوجة والازدواج بمعنى واحد . وازدواج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن^٣ ، والازدواج لون من ألوان الإفصاح عن الشعور بأسلوب من أساليب الأدب المنثور ، أخف على النفس من السجع ، وأسهل انقياداً لأنامل الكتاب منه . وهو على كل حال لون من ألوانه ، خففت قيود قوافيه ، حتى صار على هذا الشكل . ومن الازدواج قول أحد بني أسد يخاطب رجلاً شيخاً مات ابن له : « اصبر أبا أمامة ، فإنه فرط افترطته ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته » . فقال مجيباً له : « ولد دفتته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعيدته ، والله لئن لم أجزع النفس ، لا أفرح بالمزيد »^٤ .

١ تفسير الطبري (١٥٣/٣٠) وما بعدها .

٢ Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 8.

٣ تاج العروس (٥٥/٢) ، (زوج) .

٤ البيان والتبيين (١١٦/٢) .

وقد تحدث (الجاحظ) في أثناء حديثه عن الشعوبية ومطاعنها على خطباء العرب عن أساليب الجاهليين في الكلام في أمورهم الجليلة مثل المنافرة والمفاخرة ، وعقد المعاقدة والمعاهدة وأمثال ذلك ، ثم عن أخذهم المخصصة ، عند مناقلة الكلام ، فقال : « ومطاعنهم على خطباء العرب : بأخذ المخصصة عند مناقلة الكلام ، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى ، والمنثور الذي لم يُقف ، وبالأرجاز عند المنح ، وعند مجاثاة الخصم ، وساعة المشاورة ، وفي نفس المجادة والمحاورة . وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة ، واستعمال المنثور في خطب الجمالة ، وفي مقامات الصلح ، وسلّ السخيمة ، والقول عند المعاقدة والمعاهدة ، وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته ، حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف ، ولا التماس قافية ، ولا تكلف لوزن . مع الذين عابوا من الإشارة بالعصي ، والالتكاء على أطراف القسي ، وخذّ وجه الأرض بها ، واعتمادها عليها إذا اسحفرت في كلامها ، وافتتت يومَ الحفل في مذاهبها ، ولزومهم العائم في أيام الجموع ، وأخذ المخاصر في كل حال ، وجلوسها في خطب النكاح ، وقيامها في خطب الصلح وكل ما دخل في باب الجمالة ، وأكد شأن المحالفة ، وحقق حرمة المجاورة ، وخطبهم على رواحلهم في المواسم العظام ، والمجامع الكبار ، والتماسح بالأكف ، والتحاليف على النار ، والتعاقد على الملح ، وأخذ العهد المؤكّد واليمين الغموس ، مثل قولهم ما سرى نجم وهبت ريح ، وبـل بحر صوفة ، وخالفت جرة درة ^١ . فنحن إذن أمام طرق من الكلام ، كل طريق منها يؤدي الى نوع من الكلام ، يستخدم في حالة من الحالات ، فمساجلة الخصوم ، تكون بالموزون والمقفى ، والمنثور الذي لا يقفى ، أي المرسل ، أما في حالة الشدة والعمل ، مثل المنح ، أي الاستقاء من البشر ، وفي حالات البناء ورفع الحجر ، وفي القتال ، فتستعمل الأرجاز ، لتنشيط المهمة . وأما السجع ، فيستعمله الكهان ، ويستخدم في المنافرة والمفاخرة ، وأما المنثور ، أي الكلام المرسل ، الخالي من السجع والازدواج ، فيستعمل في الجمالة ، أي تحمل ديات قوم لا مال لهم ، فيقوم غيرهم بتحمل مبلغ الدية ، وفي مقامات الصلح ، ودفن الأحقاد والصغائن ، الى غير ذلك من حالات . فالسجع ، إذن غير النثر ، وغير

١ البيان والتبيين (٣/٥ وما بعدها) .

المزوجة ، وغير الرجز . وقد جعل (الجاحظ) الكلام المنشور : أسجاعاً ،
وازواجاً ، ومثوراً^١ . فهذه في نظره أساليب النثر .

وأنا إذ أصف أسلوب النثر عند الجاهليين ، لا أعني اني أثق بصحة هذا
النثر المنسوب اليهم ، وأثبت صحة نصه ، وإنما أنا أصفه مستنداً في وصفي هذا
على المدون المعمول عليهم ، الوارد اليينا في بطون الكتب ، لأنه وإن كان في
نظرنا مصنوعاً موضوعاً ، لكنه صيغ على كل حال وفق أسلوب الجاهليين ،
وعلى نمط كلامهم ، إذ لا يعقل أن يكون الرواة قد اخترعوا تلك الأنماط من
الكلام اختراعاً ، وأوجدوها من العدم ابتعاداً ، فهم إذ وضعوا على ألسنة أهل
الألسنة من العرب ، فإنما وضعوا عن تقليد ومحاكاة ، وعلى نمط كلام سابق كان
مألوفاً عند أهل الجاهلية الذين أدركوا الاسلام . ودليل ذلك أثره في خطب الخطباء
الذين خطبوا أمام الرسول ، وفي خطب الخطباء الذين عاشوا في صدر الاسلام .
فأنا حين أرفض النصوص ، لا أزعم انه لم يكن لهم نثر ، وإن النثر إنما ظهر
وعرف في الاسلام ، بل أقر انه قد كان لهم نثر ، وكانت لهم خطب وكان لهم
كلام ، ولكن أقول إن هذه النصوص المثبتة المدونة ، هي نصوص لا يجوز
العقل أن تكون صحيحة أصيلة مضبوطة ، لما قلته من عدم قدرة الذاكرة على
المحافظة على أصالة النثر .

وأود أن أستثني الأمثال الجاهلية من هذا التعميم الذي عممته على نصوص النثر
الجاهلي ، فالأمثال بحكم إيجازها وكثرة انتشارها على الألسنة ، ولكونها أداة تعليمية
تحفظها الذاكرة ، ولا تخطئ فيها كثيراً ، حافظت لذلك على أصلها ونصها ،
ودليل ذلك أننا لا نزال نضرب الأمثال بها حتى اليوم ، ثم إن منها ما قد ضرب
به مثلاً في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي خطب الخلفاء الراشدين
وكتبتهم ، ولهذا فنحن لا نبتعد عن العلم إن قلنا بصحتها من حيث النص والمعنى ،
أي من حيث الضبط بالكلم ومن حيث المحافظة على المعنى^٢ . أما بقية النثر ،
فأنا على رأيي من عدم إمكان القول بصحة نصوصه ، وإن كنت أوافق على جواز
بناء بعض النصوص على معان جاهلية ، فيكون النص في هذه الحالات من وضع

١ البيان والتبيين (٢٨/٤) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٢٩/١) .

الرواة ، أما المضمون فجاهلي ، تطور وتزوق حسب الأفواه التي روته ودبجته ، بحيث ظهر على الصورة التي وصلت إلينا .

وإذا كان الحال على هذا المنوال ، فأين يا ترى نجد النثر ؟ وجوابي أنك لا تجد النثر الصحيح المنشور بهذه العربية البينة الفصيحة إلا في القرآن الكريم . فالقرآن الكريم ، لكونه كتاب الله وقد دوت ساعة نزوله ، دونه كنية عند نزول الوحي ، وأخذته عنهم كنية آخرون وحفظه الحفاظ ، وقرأ الكثير منهم ما كتبه من أي أو ما حفظه منها ومن السور على الرسول ، فأيد قراءتهم ، وثبت كتابتهم ، فهو لهذا الكتاب الوحيد المنزل بلسان عربي مبين . لا شبهة في ذلك ولا شك . أرشدنا إلى أساليب الجاهليين في فنون القول ، بمخاطبته لهم بلسانهم وبطرق بياهم ، وبأسلوب محاججتهم ، وضرب لهم الأمثال بأمثالهم ، كي تكون عبرة مقبولة عندهم ، ومخاطبهم على قدر عقولهم ، بلسان عربي مبين ، يفهمه كل العرب ، ففيه إذن نجد نثر العرب ، وإن كان هو أبغ النثر ، وفيه نجد حياة الجاهليين وعقليتهم .

وقد وصف (الجاحظ) أسلوب القرآن بقوله : « خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منشور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج »^١ .

ثم نجد هذا النثر في الحديث ، في الحديث النبوي ، وفي الحديث موضوع وضعيف ، إلا أن فيه ما لا يشك في صحته . وفيه ما روي بالمعنى ، لتجوزهم الرواية عن الرسول بالمعنى ، خشية الخطأ في النص ، والتقول عليه ، ومن تقل على رسول الله متعمداً ، تبوأ مقعده في النار . وقد روي الحديث رواية ، أي مشافهة ، غير أن من العلماء من ذكر أن (عبدالله بن عمرو بن العاص) ، كان قد كتب حديث الرسول ، وذلك أنه استأذنه في أن يكتب حديثه فأذن له . وروي عنه أنه قال حفظت عنه ألف مثل ، وروي عن (أبي هريرة) قوله : « ما أجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أكثر حديثاً مني ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو ، فإنه كان يكتب »^٢ . ولكننا لم نسمع بما حل

١ البيان والتبيين (٣٢) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ١٩٥٩ م) .
٢ الاستيعاب (٣٣٩ / ٢) ، (حاشية على الإصابة) ، الإصابة (٣٤٣ / ٢) ، (رقم ٤٨٤٧) .

بالصحف التي دون بها (عبدالله) حديث الرسول ، ولا أدري اذا كان ما روي عنه في المساند ، مثل مسند (أحمد بن حنبل) قد نقل من تلك الصحيفة نقلاً أم رواية^١ .

وهناك روايات تذكر ان (همام بن منبه) ، أخذ عن (أبي هريرة) ، حديث رسول الله ، وكتب ما أخذه في صحيفة عرفت بـ (الصحيفة الصحيحة) في مقابل (الصحيفة الصادقة) المنسوبة لعبدالله بن العاص ، ونجد نقولاً منها في البخاري ، وفي مسند (أحمد بن حنبل)^٢ . وقد نشرت هذه الصحيفة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق^٣ . وهذه الصحيفة ، إن صح أنها من وضع (همام بن منبه) ، وأنها أصيلة ، ذات أهمية كبيرة بالطبع ، لأنها أقدم صحيفة نعرفها في الحديث بعد صحيفة (عبدالله بن عمرو بن العاص) ، وإن كانت دونها في المنزلة ، لأنها أخذت عن لسان (أبي هريرة) ، وأخذ (عبدالله) حديثه من فم الرسول ، ومن الجائز أن يكون حديث أبي هريرة بلسانه ، أما حديث (عبدالله) ، فربما كان بلسانه أيضاً ، غير انه كان ينقله من فم الرسول فيحفظه ثم يدونه ، فهو أقرب الى الصحة من صحيفة (همام) . وربما كان (عبدالله) ، قد دون حديثه بحضرة الرسول ، فإن هذا الموضوع ، لا زال مجهولاً ، لم يبحث بحثاً علمياً صحيحاً ، وهو ينتظر من الباحثين من يقوم بالبحث عنه .

ويظهر من أحاديث تنسب الى الرسول مثل حديث : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فن كتب عني غير القرآن فليمحه »^٤ ، ومن أخبار تنسب الى (أبي بكر) و (عمر) في النهي عن كتابة الحديث ، مثل ما نسبوا الى (عمر) من انه كتب الى الأمصار من كان عنده شيء من الحديث فليمحه ، ومن انه أنشد الناس أن يأتوه بصحف الحديث ، فلما أتوه بها أمر بتخريقها ، ثم قال :

- ١ راجع في موضوع الحديث : أبورية ، أضواء على السنة المحمدية .
- ٢ مسند الامام أحمد بن حنبل (٣١٢/٢ وما بعدها) ، لقد تحدثت عن « همام بن منبه » في أثناء حديثي عن « موارد تاريخ الطبري » ، المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الاول فما بعده .
- ٣ المجلد الثامن والعشرين (١٩٥٣) ، (الجزء الثاني والثالث) ، مصادر الشعر الجاهلي (١٤٦) .
- ٤ أبورية ، أضواء (٤٦) .

مثناة كمشاة أهل الكتاب ! ومثل ما نسب الى (علي) من قوله : « اعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فحاه ، فإنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم »^١ ، وأمثال ذلك مما نسب الى الصحابة في النهي عن كتابة الحديث ، وفي الحث على تحريق ما قد كان عندهم من صحف وكتب أو إحراقه ، انه قد كان عند الصحابة صحف فيها حديث رسول الله كتبت في أيام الرسول وبعده ، كانوا يراجعونها ويستعزون بها ، وكان في بعضها ما يشك في صحته وفي صدوره من الرسول ، ولخوف الرسول وصحابته من أن يأتي يوم تكون فيه تلك الصحف مرجعاً للناس مثل رجوعهم للقرآن ، يتخذونها سنداً لهم ، اتخذ اليهود للمثناة ، أي (المثنى) ، أمروا بانلأفها وبالنهي عن التدوين . والاكفاء بالحديث مشافهة ، وينشره بالرواية . وهي طريقة غير مأمونة أيضاً ، فالتدوين أضمن منها وأسلم ، ولكنها طريقة كانت متبعة في ذلك الحين ، لأسباب لا أستطيع أن أتحدث عنها في هذا المكان ، لأن الحديث عن تدوين حديث رسول الله وعن ورود النهي عن تدوينه يخرجنا عن الحدود المرسومة لهذا الكتاب . على كل فإن أخذ المحدثين بمبدأ رواية حديث الرسول بالمعنى ، كان هو السبب الذي حمل علماء النحو واللغة على عدم الاستشهاد به في شواهد القواعد واللغة ، كما بينت ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وفي رسائل الرسول وكتبه ووضاياه وخطبه وأوامره ، وفي خطب الوفود التي كانت تغد عليه ، وفي خطب الصحابة ، أمثلة على طبيعة وأسلوب الخطب عند الجاهليين ، ولا سيما القديم من تلك الخطب الذي ألقاه الخطباء أمام الرسول قبل دخولهم في الاسلام ، فهو في الواقع استمرار لأسلوب الخطاب في الجاهلية ، ألقى بالطريقة المألوفة عندهم التي تمثل التفكير الجاهلي ، والعقلية الجاهلية أيام ظهور الاسلام . وإن كنت أشك في صحة كثير من الخطب والرسائل المنسوبة الى الرسول ذلك لأننا إذا درسنا فصوص هذه الرسائل ، نجد أصحاب السير والتواريخ يروونها بصور مختلفة ، وفي اختلافهم هذا ، دلالة على أن الرواة لم ينقلوها من أصل مكتوب ، وإنما أخذوا النص بطريق المعنى والرواية ، فوقع من ثم هذا الاختلاف . أضف الى ذلك فعل التزوير ، فقد نص المؤرخون وأرباب السير على أن بعض

١ المصدر نفسه (٤٦ وما بعدها) .

أهل الكتاب وسادات القبائل والرجال ، قدموا للخلفاء كتباً مزورة فيها إقرار قرار وإحقاق حق ، للمطالبة بتنفيذ ما جاء فيها ، وفي حديث : « من كذب على متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار »^١ ، وحديث آخر يشبهه هو : « إن الذي يكذب عليّ يبيّن له بيتاً من النار » ، وأحاديث أخرى من هذا القبيل^٢ ، دلالة على وقوع الكذب على الرسول في حياته وبعد وفاته .

وقد ورد أن الرسول « حين جاءته وفود العرب ، فكان يخاطبهم جميعاً على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم ، وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية ، على حين أن أصحابه رضوان الله عليهم ومن يفد عليه من وفود العرب الذين لا يُوجّه إليهم الخطاب كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة : حتى قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسمعه يخاطب وفد بني نهد : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوضح لهم ما يسألونه عنه مما يجهلون معناه من تلك الكلمات ، ولكنهم كانوا يرون هذا الاختلاف فطرياً في العرب فلم يلتفتوا إليه »^٣ .

فإذا كان الأمر من اختلاف لغات العرب على هذا النحو ، وإذا كان الصحابة ومنهم الخلفاء ، وهم على ما هم عليه من فصاحة وبلاغة ، لم يفهموا كلام الوفود ، فهماً صحيحاً ، حتى كان الرسول يفسر لهم ما كان يقوله للوفود ، وما كانت الوفود تقول له ، فكيف نصدق بصفة نصوص خطبهم وكلامهم ، وقد ألفت بلهجاتهم الخاصة ، ولم يكن هناك كتابة ولا مدونون ، يدونون محاضر جلسات الرسول مع الوفود ، ومحاضر كلامه معهم ، وما كان يقع بحضوره من نقاش وكلام ؟

وأنت إذا راجعت خطب الرسول التي خطبها في (حجة الوداع) تجدها وقد

-
- ١ خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات (١٢٢) ، (تحقيق اكرم ضياء العمري) ، (من كذب علي ، فليتبوأ مقعده من النار) ، « والله ما قال متعمداً ، وأنتم تقولون متعمداً » ، أبورية ، أضواء (٦٢) .
 - ٢ أبورية ، أضواء (٥٩ وما بعدها) .
 - ٣ الرافعي (٣٢٥ / ١) .

رويت بصور مختلفة^١ ، وفي هذا الاختلاف دلالة بيّنة على أنها لم تنقل من أصول مكتوبة ، وإنما أخذت من الأفواه ، وإلا لما جاز عقلاً وقوعه أبداً . وسبب ذلك ، أن الناس في ذلك الوقت ، لم يكونوا قد تعودوا لا في الجاهلية ولا في الاسلام اتخاذ كتاب لتدوين ما كان يقع لهم من أحداث ، ولم يكن عندهم مراسلون يرافقون الملوك والحكام وسادة القبائل والوفود ، لوصف مواكب الملوك ومشاهدهم وحروبهم ، وخطبهم ومفاوضاتهم مع سادات القبائل . وكذلك كان الحال في الاسلام ، بل ولا رواية لهم ذاكرة قوية ، لحفظ أحاديث المجالس والأحداث ، واداعتها بين الناس ، لأن العناية بحفظ الأحداث والتواريخ وتخليدها تقتضي وجود وعي بأهمية تدوين التاريخ ، ولم يكن هذا الوعي معروفاً آنذاك . ولهذا جاءت أخبار الحوادث عن طريق شهود عيان رووا ما شاهدوه لأصحابهم ، كما يروي أي إنسان ما قد يقع له من أمور لأصدقائه، وهؤلاء قصوا تلك المرويات على أصحابهم وعلى من جاء بعدهم بلغتهم ، وبهذه الطريقة وصلت الأخبار الى المدونين عندما بدأ بالتدوين. وليس من المعقول بالطبع محافظة الذاكرة على النصوص الأصلية للخطب والكلام ، ولقول الراوي الأول للأحداث . وليس من المعقول أيضاً وصولها سالمة نقية من كل تغيير أو تبديل أو تحريف ، ولا سيما في الأمور العاطفية التي تضرب على أوتار العصبية . ولهذا الأسباب وغيرها فنحن لا نستطيع الاطمئنان إلى صحة هذه الأخبار المروية من الأفواه ، لما يحتمل أن يكون قد وقع فيها من زيف أو من تحريف عن عمد أو من غير عمد . ولو كانت الذاكرة تعي كل كلام وتحفظ كل حديث بالحرف والكلمة ، لما أجاز العلماء رواية حديث الرسول بالمعنى ، إذ كان من الصعب حفظه بالحرف . ولا أظن أن أحداً يقول إن حفظ أخبار الجاهلية ونصوص كلام رجالها، أهم عند العرب من حفظ حديث الرسول .

وأنا أشك في صحة أكثر ما نسب الى (مسيلمة) من كلام وقرآن . وهو (مسيلمة بن حبيب الحنفي) ، المكنى بـ (أبي ثمامة) ، والمنعوت بين

١ راجع كتب السير والتواريخ في خطبة الوداع ، الطبري (١٤٩/٣ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣١/٢) ، ابن الاثير (١٤٦/٢) .

المسلمين بـ (الكذاب)^١ . واسمه الصحيح (مسلمة) ، وقد صغر في الاسلام ، ازدراءً بشأنه . فقد روي انه صنع قرآناً مضاهاة للقرآن ، غير انهم لم يتحدثوا بشيء عن قرآنه . واذا صح ما ذكره أهل الأخبار من انه ادعى الوحي بمكة أو باليمامة قبل الاسلام ، وانه نزل على نفسه آيات زعم انها تنزل من الرحمان ، فيكون قد باشر بتأليف قرآنه قبل الوحي^٢ .

وذكر ان في حقه نزلت الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إليّ » ، ولم يوح اليه بشيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله^٣ . فقد ذكر علماء التفسير ان عبارة : « أو قال أوحى إليّ » ولم يوح اليه بشيء^٤ ، نزلت في مسلمة أخي بني عدي بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به . ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أخي بني عامر بن لؤي ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يلي : عزيز حكيم ، فيكتب : غفور رحيم فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول : نعم سواء ، فرجع عن الاسلام ، ولحق بقريش . وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوله ثم أقول لما أكتب ، فيقول : نعم سواء^٥ .

وكان من حديث (مسلمة) ان قريشاً قالت للرسول : « بلغنا انه انما يعلمك هذا رجل باليمامة ، يقال له الرحمان ، وإنا والله ما نؤمن بالرحمان أبداً »^٦ ، وذكر أهل الأخبار ان قريشاً « حين سمعت : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال قائلهم : دق فوك ، انما تذكر مسلمة رحمان اليمامة »^٧ ، لأنهم كانوا قد سمعوا بدعوته الى عبادة الرحمان ، قبل نزول الوحي على الرسول . وورد « انهم لما

١ « وهو مسلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان ابن ذهل ، بن الدول بن حنيفة . يكنى أبا أمامة ، قيل أبا هارون ، وكان يسمى بالرحمان فيما روى عن الزهري قبل مولد عبدالله والد النبي » ، الروض الانف (٣٤٠/٢) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، (كذاب اليمامة) ، مروج الذهب (٣٠٣/٢) ، المعارف (٩٧ ، ١٧٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٤ ، ٤٥٤) ، اليعقوبي (١٢٠/٢) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

٢ تحدثت عنه بتفصيل في الجزء السادس من هذا الكتاب في فصل : أنبياء جاهليون .

٣ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ٩٣ .

٤ تفسير الطبري (١٨١/٧) .

٥ تفسير الطبري (١١١/١٥) .

٦ اليعقوبي (١٢٠/١) ، الروض الانف (٣٤٠/٢) .

سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتندرون ما الرحمن ؟
هو كاهن اليمامة ! . وقد قالوا لمسيلمة : رحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان
اليمامة^١ .

وأنا لا أستبعد احتمال مجيئه الى مكة قبل الاسلام . فقد ذكر انه تزوج (كبشة)
(كيسة بنت الحارث بن كريض بن حبيب بن عبد شمس)^٢ ، وهي من مكة ،
فلا يعقل عدم مجيئه الى مكة وإقامته بها بعض الوقت ، ومجيئه اليها بين الحسين
والحسين . ومن هنا كان لأهل مكة علم بدعوة مسيلمة الى عبادة (الرحمان) .

وقد زعم أنه « كان يقول : أنا شريك محمد في النبوة ، وجبريل عليه السلام
ينزل عليّ كما ينزل عليه ، وكان رجال بن عنفوة من رائي نبله ، والحاطين
في حبله ، والساعين في نصرته . وكان مسيلمة يقول : يا بني حنيفة ، ما جعل
الله قريشاً بأحق بالنبوة منكم ، وبلاذكم أوسع من بلادهم ، وسوادكم أكثر من
سوادهم ، وجبريل ينزل على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم . ولما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وجد الناس يتذاكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول
بني حنيفة فيه ، فقام يوماً خطيباً ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه . أما بعد ،
فإن هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه كذاب في ثلاثين كذاباً قبل الدجال ،
فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب ، وأظهروا شتمه وغيبه وتصغيره ، وهو باليمامة
يركب الصعب والذلول في تقوية أمره ، ويعتصد برجال بن عنفوة ، وهو ينصره
ويذب عنه ويصدق أكاذيبه ، ويقرأ أقاويله التي منها : والشمس وضحاها ،
في ضوئها ومنجلاها . والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها
وأطفأ نورها فحشاها »^٣ .

« ومنها : سبح اسم ربك الأعلى ، الذي يسر على الحُبلى ، فأخرج منها
نسمة تسعى ، من بين أحشاء ومعى ، فنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم

-
- ١ الخزانة (٢٨٥/٢) ، (هارون) .
 - ٢ كتاب نسب قريش (٣٠) ، الروض الانف (١٩٨/٢ ، ٣٤١) ، المحبر (٤٤٠) ،
امتناع الاسماع (٢٤٧/١) ، كتاب نسب قريش (١٤٧) ، الجزء السادس من هذا
الكتاب (ص ٩٦) .
 - ٣ ثمار القلوب (١٤٦ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣٥٩/١) ، المعارف (١٧٨) ،
التنبيه ، للمسعودي (٢٤٧) .

من يعيش ويبقى الى أجل ومنتهى ، والله يعلم السرّ وأخفى ، ولا تخفى عليه
الآخرة والأولى .

ومنها : اذكروا نعمة الله عليكم واشكروها ؛ إذ جعل لكم الشمس سراجاً ،
والغيث ثجاجاً ، وجعل لكم كباشاً ونعاجاً ، وفضة وزجاجاً ، وذهباً وديباجاً ،
ومن نعمته عليكم أن أخرج لكم من الأرض رماناً ، وعنباً ، وريحاناً ، وحنطة
وزؤناً .

وكان أبو بكر إذا قرع سمعه هذه الترهات يقول : أشهد أن هذا الكلام لم
يخرج من لثته ^١ .

« وكان رجال بن عتقة صاحب مسيلمة قدم المدينة مراراً ، وقرأ القرآن
وأظهر الإيمان ، وأسرّ الكفر . ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما هو
جالس في أصحابه ، إذ سمع وطئاً من خلفه ، فقال : هذا وطء رجل من أهل
النار ، فإذا هو رجال بن عتقة . فلما قدم وقد حنيفة على النبي صلى الله عليه
وسلم - وفيهم مسيلمة إلا انه لم يلقيه - وأظهروا الاسلام وأرادوا الانصراف ،
أمر لهم عليه الصلاة والسلام بجوائز كعاداته في الوفود ، وقال : هل بقي منكم
أحد ؟ قالوا : لا ، إلا رجل منا يحفظ رجالنا - يعنون مسيلمة - فقال صلى
الله عليه وسلم : ليس بشرّكم مكاناً . فلما رجع الوفد الى مسيلمة وقد بلغه كلام
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : قد سمعتم قول محمد في : ليس بشرّكم
مكاناً ، وقد أشركني في الأمر بعده ، فعليكم به . ولما انصرفوا الى اليمامة أعلن
مسيلمة النبوة ، وادعى الشراكة ، وقتل أهل اليمامة ، وانقسموا بين مصدق
ومكذّب ، وراضٍ وساخط . وكتب مسيلمة الى النبي صلى الله عليه وسلم ،
كتاباً قال فيه : الى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله ، أما بعد ،
فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ،
ولكن قريشاً قومٌ يعتدون ولا يعدلون . وختم الكتاب وأنفذه مع رسولين ، فلما
قرئ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لهما : ما تقولان ؟ قالا :
نقول ما قال أبو ثمامة ، فقال : أما والله لولا ان الرسل لا يقتلون لقتلتكما .

١ ثمار القلوب (١٤٧ وما بعدها) .

وأمل في الجواب : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ولما صدر الرسولان الى مسيلمة الكذاب افتعل كتاباً يذكر فيه انه جعل له الأمر من بعده ، فصداقه أكثر بني حنيفة .

وبلغ من تبركهم به انهم كانوا يسألونه أن يدعو لمريضهم ، وبيارك لمولودهم ، وجاءه قوم بمولود لهم فمسح رأسه فقرع . وجاءه رجل يسأله أن يدعو لمولود له بطول العمر ، فمات من يومه .

وكان ثمامة بن أثال الحنفي يقشع جلد من ذكر مسيلمة ، وقال يوماً لأصحابه : إن محمداً لا نبي معه ولا بعده ، كما ان الله تعالى لا شريك له في ألوهيته ، فلا شريك لمحمد في نبوته . ثم قال : أين قول مسيلمة : يا ضفدع نقي نقي ، كم تنقين ! لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين ، من قول الله تعالى الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم : حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير . فقالوا : أوقع بمن يقول مثل ذلك مع مثل هذا !^١ .

وقد روي قول (مسيلمة) في الضفدع على هذا النحو : « يا ضفدع بنت ضفدعين : نقي ما تنقين . نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين »^٢ . وروي أن وفد اليمامة لما قدم على (أبي بكر) بعد مقتل مسيلمة ، « قال لهم : ما كان صاحبكم يقول ؟ فاستغفوه من ذلك ، فقال : لتقولن . فقالوا : يا ضفدع نقي كم تنقين ، لا الشارب^٣ تمنعين ، ولا الماء تكدرين ... في كلام من هذا كثير . فقال أبو بكر : وبحكم ! إن هذا الكلام لم يخرج من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم »^٤ ؟ ، أو أنه قال : « هذا كلام ما أتى من عند إل ، أي من عند الله . وهو في الأسماء الأعجمية لإيل ، مثل إسرافيل ، وجبريل ، وميكائيل ، وإسرائيل ، وإسماعيل »^٥ . وقيل الإل

١ ثمار القلوب (١٤٨ وما بعدها) .

٢ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٠/٢) .

٣ في الاصل « الشارب » ، وفي الموارد الاخرى الشارب .

٤ ألفائق (١٢٢/٣) .

٥ الاكليل (٧/٢) .

الربوبية ، والأصل الجيد والمعدن الصحيح ، أي لم يجرى من الأصل الذي جاء منه القرآن . ويجوز أن يكون بمعنى النسب والقرابة ، من قوله تعالى : « لا يرقبون في مؤمن إلاّ » ولا ذمة » . وقول حسّان :

لعمرك إن إلّاك من قریش كإلّ السقب من رأل النعام^١

وقد ذكر (الطبري) في مقدمة تفسيره ، أن القرآن لما نزل على الرسول ، « أقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص ، إلا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه غير قادر عليه ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستوراً ومن عي لسانه ما كان مصوناً ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالخايزات خبزاً ، والثارادات ثرداً ، واللاقات لقماً ... ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة »^٢ . والطبري وإن لم يصرح باسم قائل هذه الحماقات ، لكنه قصد به مسيلمة من غير شك .

أما أن تلك الآيات آيات قاطا (مسيلمة) حقاً ، فتلك قضية لا يمكن إثباتها ، فلما قتل ، وضع أصحابه عليه أموراً كثيرة ، قد يكون في جملتها هذه الآيات . أما قرآنه الذي قيل إنه وضعه يضاهي به القرآن ، فقد هلك بهلاكه ، ولم أجد أحداً ذكر أنه وقف عليه ، ونقل منه ، ولعله كان كلاماً لم يسجل في حياة مسيلمة ، وإنما كان محفوظاً في صدر صاحبه وفي صدور أتباعه ، ودخل من دخل من أصحابه في الاسلام طمس أثر ذلك القرآن .

وقد دوّن (الرافعي) الآيات التي أخذتها من تفسير الطبري ، على هذه الصورة : « والمُبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخوايزات خبزاً ، والثارادات ثرداً ، واللاقات لقماً ، إهالة وسمناً ... لقد فضلتكم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ،

١ الفائق (١٢٣/٣) .

٢ تفسير الطبري (٥/١) .

والمُعتر فَأَوَّه ، والبಾಗಿ فَنَاوْثُوهُ «^١ ..

ونسب (الرافعي) له قوله : « والشاءِ وألوانها ، وأعجبها السود وألوانها ،
والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، انه لعجب محض ، وقد حرم المذق فما لكم
لا تجمعون .

وقوله : « الفيلُ ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم
طويل » . وروي انه « جعل يسجع لهم الأساجيع ويقول لهم فيما يقول مضاهاة
للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق
وحشا «^٢ ، أو انه قال : « ألم ترَ الى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها
نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى «^٣ . روي انه قال هذه الآيات لسجاح
لما أراد الدخول بها ، فقالت : « وماذا أيضاً ؟ قال : أوحى إليّ : ان الله
خلق النساء أفرأجاً ، وجعل الرجال لمن أزواجاً ، فنولج فيهن قُعباً إيلاجاً ، ثم
نخرجها اذا نشاء لإخراجاً ، فينتجن لنا سخلاً انتاجاً . قالت أشهد انك نبي ،
قال : هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وبقومك العرب ! قالت : نعم ،
قال :

ألا قومي الى النيك فقد هُي لك المضجع
وإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت سلقنأك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلاثيه وإن شئت به أجمع

قالت : بل به أجمع . قال بذلك أوحى إليّ . فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت
الى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحق فاتبعته فتزوجته ،
قالوا : فهل أصدقتك شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعي اليه ، فقيبح بمثلك
أن ترجع بغير صداق ! فرجعت ، فلما رآها مسيلمة أغلق الحصن ، وقال :
ما لك ؟ قالت أصدقتني صداقاً ، قال : من مؤذذك ؟ قالت : شبت بن ربعي

١ تاريخ آداب العرب (١٧٩/٢) .
٢ سيرة ابن هشام (٣٤١/٢) ، (حاشية على الروض) ، ابن كثير ، البداية
(٣٢٦/٦) ، الباقلاني ، اعجاز (٢٤٠) .
٣ الباقلاني ، اعجاز (٢٤٠) .

الرياحي ، قال : عليّ به ، فجاء ، فقال : نادِ في أصحابك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر ^١ . وأما (سيف) فذكر انه صالحها « على أن يحمل اليها النصف من غلات اليمامة ، وأبت إلا السنة المقبلة يسلفها ، فباح لها بذلك ، وقال : خلفي على السلف من يجمعه لك ، وانصرفي أنت بنصف العام ، فرجع فحمل اليها النصف ، فاحتملته وانصرفت به الى الجزيرة ^٢ .

وذكر أن (سجاح) لما دخلت قبة (مسيلمة) ، « قالت له : اخبرني بما يأتيك به جبريل ؟ فقال لها : اسمعي هذه السورة : انكن معشر النساء خلقتن أمواجاً ، وجعل الرجال لكن أزواجاً ، يولجن فيكن إبلجاً ، لا ترون فيه فتوراً ولا إعوجاجاً ، ثم يخرجونه منكن إخراجاً ، فقالت له : صدقت ، والله إنك لنبي مرسل » ، وهي قصة أخذت من موارد سابقة ، مثل الطبري ، غير أنها غيرت فيها بعض التغيير ، تنتهي بأنه رفع عن قومها صلاة العشاء والصبح لأجل المهر ^٣ .

وزعم أن « من قرآن مسيلمة الذي يزعم أنه نزل عليه ، لعنة الله عليه : والنازعات نزعاً ، والزارعات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات ذرواً ، فالطاحنات طحناً ، والنازلات نزلاً ، فالجامعات جمعاً ، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خبزاً ، والشاردات ثرداً ، فالآكلات أكلاً ، والماضغات مضغاً ، فالبالعات بلعاً ^٤ .

وقد اتخذ قتل (مسيلمة) فخراً ، فادعى قتله بنو عامر بن لؤي ، وادعى بعض الخزرج قتله ، وادعى (بنو النجار) قتله ، وادعى (حبشي) قاتل حمزة قتله ، وكان (معاوية يدعي قتله) ويدعي ذلك له (بنو أمية) . وذكر أن (عبد الملك بن مروان) قضى لمعاوية بقتل مسيلمة ، وهو قضاء سياسي لا أصل له بالطبع .

١ الطبري (٢٧٣/٣ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٧٥/٣) .

٣ نزهة الجليس (٤٧٣/١) وما بعدها .

٤ نزهة الجليس (٤٧٤/١) .

٥ البلاذري ، فتوح (٩٩) .

ويظهر ان بني حنيفة بقوا على تعلقهم بمسيلمة ، حتى بعد مقتله وذهاب أمره . ففي خبر ينسب الى (ابن مُعَيْز) السعدي انه مر على مسجد بني حنيفة ، فسمعهم يذكرون (مسيلمة) ، ويزعمون انه نبي ، فأتى (ابن مسعود) فأخبره ، فبعث اليهم الشرط ، فجاءوا بهم فاستتابوا فخلّوا عنهم ، وقدم (ابن النواحة) فضرب عنقه^١ . هذا ، ويدل تعلق (بني حنيفة) وغيرهم من عرب اليمامة بمسيلمة ، واسمائتهم في الدفاع عنه ، وتذكيرهم له حتى بعد هلاكه ، على انه كان شخصية مؤثرة قوية ، سحرت أتباعها ، حتى انقادوا له هذا الانقياد . وقد نص (ابن حجر) على قتل (ابن مسعود) لابن النواحة ، إلا انه لم يذكر ان ذلك كان بسبب اعتقاده بنبوة (مسيلمة) ، وانما ذكر انه « كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدالله بن مسعود ، فلم يتب فقتله على كفره وردّته »^٢ . واسم (ابن النواحة) (عبادة بن الحارث) أحد بني عامر بن حنيفة^٣ .

ويروى ان (الأخطل) الضبي ، قال في مسيلمة :

لهفأ عليك أبا ثمامة لهفأ على رُكني^٤ ثمامه
كم آية لك فيهم كالبرق يلمع في غمامه

وكان (الضبي) شاعراً ، زعم انه ادعى النبوة ، وكان يقول : لمضر صدر النبوة ، ولنا عجزها ، وقد ضرب عنقه (عمر بن هبيرة) ، ومن شعره :

لنا شطر هذا الأمر قسمة عادل متى جعل الله الرسالة تُرتباً^٥

أي راتبة في واحد .

وسئل (الأحنف بن قيس) رأيه في مسيلمة ، فقال : « ما هو بني صادق ولا بمتنبى حاذق »^٥ .

١ الفائق (٦٠٣/١) ، الاصابة (١٤٣/٣) ، (رقم ٦٦٥١) .

٢ الاصابة (١٤٣/٣) ، (رقم ٦٦٥١) .

٣ البلاذري ، فتوح (٩٧) .

٤ المؤلف (٢٢) .

٥ أمالي المرتضى (٢٩٢/١) .

وأنا لا استبعد ما نسب الى (مسيلمة) من دعوى نزول الوحي عليه ، وتسمية ذلك الوحي (قرآنًا) أو كتاباً أو سفرًا ، أو شيئاً آخر ، ولكنني استبعد صحة هذه الآيات التي نسبتها الكتب اليه ، وأرى أن أكثرها ورد بطريق آحاد ، فلما نقلها الخلف عن السلف ، وكثر ورودها في الكتب ظهرت وكأنها أخبار متواترة ، وصارت في حكم ما أجمع عليه . وقد رويت بعض الآيات مثل : آية الضفدع ، بصور متعددة مختلفة ، مع أنها أشهر وأعرف آية أو آيات نسبت اليه ، فما بالك بالآيات الأخرى ، ثم إننا نجد الرواة يتقاضون أنفسهم كثيراً فيما نسبوه اليه ، وبعضهم مما لا يعقل صدوره من مسيلمة ، مثل شعره الذي قاله لسجاح ، حين أراد الدخول بها . وهل يعقل أن يقول إنسان يدعي النبوة مثل هذا الكلام الفاحش أمام الناس ، ليدون ويسجل عليه !

وقد ذكر (ابن النديم) أن لابن الكلبي مؤلفاً خاصاً ألفه في مسيلمة دعاه : « كتاب مسيلمة الكذاب » ، لم يصل إلينا ، وله كتاب آخر في بني حنيفة اسمه : « كتاب أيام بني حنيفة » ، وهم قوم مسيلمة ، وكتاب دعاه : « كتاب أيام قيس بن ثعلبة »^١ .

وزعم أن من كلام (طليحة) الأسدي الذي قاله لأصحابه : « والحمام واليام ، والصرد والصفوأم ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليلغن ملكنا العراق والشام »^٢ .

وروى (الطبري) سجعاً من سجع (سجاح) ، وكانت نصرانية راسخة في النصرانية ، قد علمت من علم تغلب ، هو قولها لأتباعها : « عليكم باليامة ، ودفوا دفيق الحامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » ، فلما جاءت مع قومها اليامة ، قال لها مسيلمة : « لنا نصف الأرض ، وكان لقريش نصفها لو عدلت ، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش ، فحباك به ، وكان لها لو قبلت . فقالت : لا يرد النصف إلا من حنف ، فاحل النصف الى خيل تراها كالسيف . فقال مسيلمة : سمع الله لمن سمع ، وأطعمه بالخير إذ طمع ، ولا زال أمره في كل ما سرّ نفسه يجتمع . رأىكم ربكم فحياكم ، ومن وحشة

١ الفهرست (ص ١٤٨) .

٢ الطبري (٣ / ٢٦٠) ، (دار المعارف) .

خلاكم ، ويوم دينه أنجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والأمطار .

وقال أيضاً : لما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفت ، وأيديهم طفلت ، قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار تصومون يوماً ، وتكلفون يوماً ، فسيحان الله ! اذا جاءت الحياة تحيون ، والى ملك السماء ترقون ! فلو انها حبة خردلة ، لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور .

وكان مما شرع لهم مسيلة ان من أصاب ولداً واحداً عقياً لا يأتي امرأة الى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ، حتى يصيب ابناً ثم يمك ، فكان قد حرّم النساء على من له ولد ذكر^١ .

وبلاغة الكلام معروفة عند الجاهليين ، فقد كانوا يتعتون المتكلم الجيد بالبليغ ، وفي القرآن الكريم : « وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً »^٢ . والبليغ الفصيح الذي يبلغ بعبارة كنهه ضميره ونهاية مرامه^٣ . سأل (معاوية) (صحرار بن عياش) العبدى^٤ ، ما البلاغة ؟ فقال : لا تخطيء ولا تبطيء . أو أنه قال له : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن لا تبطيء ولا تخطيء . وكان قد دهش من فصاحته وبلاغته ، فقال له : ما هذه البلاغة فيكم ؟ قال : شيء يختلج في صدورنا فتقذفه كما يقذف البحر بزبدته^٥ .

وقد ميز (الطبري) وغيره من العلماء بين الخطباء وبين الفصحاء والبلاء ، فالخطباء هم من جماعة صناع الكلام ، وصناعتهم صناعة الخطب ، وذكر بعدهم (البلاء) ، صناع البلاغة ، ثم (الشعر) والفصاحة ، فجعل للشعر في مقابل الفصاحة ، ثم السجع والكهانة ، وقال : « كل خطيب منهم وبليغ ، وشاعر منهم

١ الطبري (٢٧١/٣) وما بعدها .

٢ النساء ، الرقم ٤ ، الآية ٦٢ .

٣ تاج العروس (٤/٦) ، (بلغ) .

٤ « صحرار بن عباس ؟ » .

٥ تاج العروس (٥/٦) ، (بلغ) ، الاصابة (١٧٠/٢) ، (رقم ٤٠٤١) .

وفصيح^١، فالخطيب هو الذي يخطب باسم الوفد أو القوم ، وله لذلك عندهم مقام جليل ، لأنه عقل من يتكلم باسمهم ولسانهم ، والبلغ من يتحدث ويتكلم في المجالس والأندية ، بكلام بليغ رصين ، والفصيح من يفصح ويعرب بلسانه ، ونجدهم يقولون أحياناً خطيب فصيح ، وشاعر فصيح ، فالفصاحة صفة تلحق بالمتكلم نائراً كان أو كان شاعراً .

وللبيان عند العرب مقام كبير . وقد أشاد القرآن بالبيان ، فقال : « الرحمن علّم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان »^٢ . فجعل البيان في جملة ما علمه الله الانسان . ونعت القرآن بأنه نزل « بلسان عربي مبين »^٣ ، ووصف القرآن بقوله : « طس، تلك آيات القرآن وكتاب مبين »^٤ . وينسب الى الرسول قوله : « إن من البيان لسحراً »^٥ . وورد في المثل : « جرح اللسان كجرح اليد . هو في شعر امرئ القيس » . يضرب في تأثير الوقعية^٦ ، وفي أثر القول في فعل الناس .

وروي أن ذوي الفهم والعلم من قريش تأثروا ببلاغة القرآن وفصاحته، فروي أن (الوليد بن المغيرة) ، وكان من بلغاء قريش وفصائحهم ومن علمائهم بالشعر، لما دخل على (أبي بكر) يسأله عن القرآن « فلما أخبره خرج على قريش . فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة ، فوالله ما هو بشعر ، ولا بسحر ، ولا بهنذي من الجنون » ، أو أنه قال لما سمع القرآن : « والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس بشعر وان له حللوة ، وإن عليه لطلاوة ، وانه ليعلو وما يعلى، وما أشك أنه سحر » ، أو أنه قال : « سمعت قولاً حلواً أخضر مثمراً ، يأخذ بالقلوب . فقالوا : هو شعر . فقال : لا والله ما هو بالشعر ، ليس أحد أعلم بالشعر مني ، أليس قد عرضت عليّ الشعراء شعرهم ! نابغة وفلان وفلان . قالوا : فهو كاهن . فقال : لا والله ما هو بكاهن ، قد عرضت

١ تفسير الطبري (٥/١) .

٢ سورة الرحمن ، تفسير الطبري (٦٧/٢٧) .

٣ النحل ، الاية ١٠٣ ، الشعراء ، الاية ١٩٥ .

٤ النمل ، الاية ١ .

٥ البيان والتبيين (٣٤٩/١) ، العسكري ، جمهرة (١٣/١) .

٦ الزمخشري ، المستقصى (٥٠/٢٠) ، (رقم ١٨٧) .

عليّ الكهانة . قالوا : فهذا سحر الأولين اكتبه . قال : لا أدري إن كان شيئاً
فعسى هو اذا سحر يؤثر ^١ ، او أنه قال أشياء أخرى من هذا القبيل ، اتفقت
في المعنى والمقصد ، واختلفت في العبارات .

كما روي أن قوماً من قريش ومن غيرهم ، أسلموا بتأثير بيان القرآن عليهم ،
فقد روي أن (عمر بن الخطاب) أسلم على ما يقال حين سمع القرآن . روي
عنه انه قال : « خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدته قد
سبقني الى المسجد ، فقمّت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من
تأليف القرآن . فقلت هذا والله شاعر ، كما قالت قريش . فقرأ : انه لقول
رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون . فقلت كاهن . قال :
ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون حتى ختم السورة . قال : فوقع الاسلام في
قلبي كل موقع ^٢ . وهي رواية تخالف ما جاء في خبر اسلامه ، من انه كان
قد خرج يريد قتل الرسول ، فتلّقه (نعيم بن عبد الله) النحام ، وكان من
المسلمين ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال له : « اريد محمداً هذا الصابىء
الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها ، وعاب دينها وسب آلهتها ، فاقتله » ،
فقال له (نعيم) : « أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل
بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت
الخطاب ، فقد والله أسلموا وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما » ، فرجع عمر
عامداً الى أخته وختنه وعندهما (خباب بن الارت) معه صحيفة فيها (طه)
يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، أخذت (فاطمة) الصحيفة . فلما دخل
(عمر) ، قال : ما هذه الهينة التي سمعت ؟ قالوا : ما سمعت شيئاً ، ثم قال
لأخته : اعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأونها أنظر ما هذا الذي جاء به محمد .
فأبت أخته اعطاءها إلا أن يغتسل ، فاغتسل عمر ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه)
فقرأها وتأثر بها فأسلم ^٣ .

-
- ١ تفسير الطبري (٩٨/٢٩ وما بعدها) ، سورة المدثر .
 - ٢ الاصابة (٥١٢/٢) ، (رقم ٥٧٣٨) ، الروض الانف (٢١٨/١) ، ورووا له شعرا ، ذكروا أنه قال بعد اسلامه ، رواه « ابن اسحاق » الروض الانف (٢١٨/١) .
 - ٣ ابن هشام (٢١٦/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٢١٦/١) .

ورروا أن (سويد بن الصامت) ، صاحب صحيفة لقمان ، كان ممن أعجب بالقرآن ، ورووا أن (جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل) ، وكان من أكابر قريش ومن علماء النسب ، قدم على النبي ، فسمعه يقرأ (الطور) ، فأثرت القراءة فيه ، وقد أسلم فيما بعد ، بين الحديبية والفتح ، وقيل في الفتح^١ .

والفصاحة في معنى البلاغة ، فهي مرادف لها في الاستعمال . والفصيح هو البين في اللسان والبلاغة ، ولسان فصيح ، أي طلق^٢ . وقد اشتهر (قس بن ساعدة الياضي) في الفصاحة حتى ضرب به المثل فيها ، فقيل : أفصح من قس ، وأنطق من قس^٣ ، وأبين من قس ، أي أفصح^٤ ، وأبلغ من قس . وقد ذكره (الأعشى) بقوله :

وأبلغ من قس وأجرأ من الذي بلدي الغيل من خفان أصبح خادرا

كما ذكره الخطيب بقوله :

وأبلغ من قس وأمضى إذا مضى من الريح إذ مسّ النفوس نكالها^٥

ونسبوا الى (قس) قوله ينصح ولده : « إن الميعا تكفيه البقلة . وترويه المذقة ، ومن عيرك شيئاً ففيه مثله ، ومن ظلمك وجد من يظلمه ، ومتى عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك ، وإذا نهيت عن شيء فانه نفسك ، ولا تجمع ما لا تأكل ، ولا تأكل ما لا تحتاج اليه ، وإذا ادخرت فلا يكونن كترك إلا فعلك . وكن عف العيلة ، مشترك الغنى ، تسد قومك . ولا تشاورن مشغولاً وإن كان حازماً ، ولا جائعاً ، وإن كان فهماً ، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً ، ولا تضعن في عنقك طوقاً لا يمكنك نزعها إلا يشق نفسك . وإذا خاصمت فاعدل ،

١ الاصابة (٢٢٧/١) ، (رقم ١٠٩١) ، الاستيعاب (٢٣٢/١) وما بعدها .

٢ تاج العروس (١٩٧/٢) ، (فصيح) .

٣ الزمخشري ، المستقصى (٣٩٣/١) ، (رقم ١٦٧٧) .

٤ المصدر نفسه (٣٢/١) ، (رقم ٩٩) ، العسكري ، جمهرة (٢٤٩/١) ، (رقم ٣٣٦) .

٥ المستقصى (٢٩/١) ، (رقم ٨٨) .

وإذا قلت فاقصد. ولا تستودعن أحداً دينك وإن قربت قرابته ، فإنك إذا فعلت ذلك لم تزل وجلاً ، وكان المستودع بالخيار في الوفاء والغدر ، وكنت له عبداً ما بقيت . وإن جئني عليك كنت أولى بذلك ، وإن وقى كان الممدوح دونك»^١.

وقد اشتهرت (إيراد) بالفصاحة والبيان ، وبقدرة في اللسان . وقد ظهر منهم جملة خطباء^٢ . واشهرت (بنو أسد) بالخطابة كذلك ، قال (يونس بن حبيب):
« ليس في بني أسد إلا خطيب ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر أو رام ، أو شديد العدو »^٣ .

والآن ، وبعد أن انتهينا من الكلام على النثر ، نقول هل كان للجاهليين أدب منشور ؟ أي مدونات من الأدب المنشور . لقد ذهب البعض الى انه لو كان للجاهليين أدب منشور مدون ، لعدّ عجباً اختفاء آثاره هذا الاختفاء الكلي ، حتى من أحاديث العرب المنقولة^٤ . والواقع ان من غير الممكن في الوقت الحاضر البت علمياً في هذا الموضوع ، لأننا لا نملك أدلة علمية ، لنستنبط منها أحكاماً تؤيد أو تنفي وجود التدوين في الجاهلية . أما مسألة عدم ورود نصوص أدبية منشورة إلينا ، أو عدم ورود إشارات الى وجودها في الجاهلية ، فإنها أمور لا يمكن أن تكون حجة على إثبات عدم وجود التدوين عند الجاهليين ، إذ لا يجوز أنها كانت ، ولكنها تلفت ، بسبب كونها كانت مكتوبة على مواد سريعة التلف ، فهلكت ، كما هلكت مدونات صدر الاسلام ، حيث لم يصل من أصولها إلا النزر اليسير ، وهو نزر يشك في أصالته وصحته .

وذهب بعض الى وجود أدب منشور ، إذ لا يعقل وجود أدب منظوم ، ثم لا يكون للعرب أدب منشور . ويتجلى طراز هذا الأدب في الأمثلة والحكم المنسوبة

١ أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري ، المصنوع في الادب (الكويت ١٩٦٠) ،

(ص ١٧٩ وما بعدها) .

٢ البيان والتبيين (٤٢/١ وما بعدها) .

٣ البيان والتبيين (١٧٤/١) .

٤ هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام (ص ٢٩٤ وما بعدها) ، (دار العلم

للملايين) ، (بيروت ١٩٦٤) .

الى الجاهليين . أما مؤلفات وكتب ، وصحف مدونة فلم يصل منها إلينا أي شيء . ولكن ذلك لا ينفي عدم وجودها عند أهل الجاهلية . وقد تحدثت عن موضوع التدوين عند الجاهليين في موضع آخر من هذا الكتاب .

وللجاحظ رأي في كلام العرب ، فهو يرى أن « كل شيء للعرب وإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجلالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى الكلام » فتأتيه المعاني أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده ، على حين يكون كلام العجم « عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي ، وطول خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب »^١ . وقد حصر أصناف البلاغة عند العرب بالقصيد والرجز ، وهما من الشعر ، وبالمشور ، وهو الكلام المرسل ، وبالأسجاع ، وبالمزدوج وما لا يزدوج من الكلام^٢ .

أما موضوع وجود ترجمات جاهلية عربية للتوراة والانجيل والكتب الشرعية الأخرى المعتبرة عند أهل الكتاب ، فموضوع لم يتفق عليه الباحثون حتى الآن . نعم ورد في الأخبار أن الأحناف كانوا قد وقفوا على كتب الله ، وقرأوها بالعبرانية وبالسريانية ، وأنهم كتبوا بهما بالعربية^٣ ، ولكن هذه الأخبار غامضة غير واضحة ، يجب أخذها بحذر ، كما ورد أن بعض الرقيق من أهل الكتاب ممن كان بمكة كان يقرأ كتاب الله ، وكانت قريش ترى رسول الله يمر عليه ويجلس عنده ويستمع إليه ، فقالت إنما يتعلم (محمد) منه^٤ ، ولكن الأخبار الواردة عن هذا الموضوع لا تشير الى أن هذا الذي زعم أنه كان يعلم الرسول ، كان قد دون ترجمته كتب الله ، أو تفاسيرها بالعربية ، وأن الناس قد وقفوا عليها .

وأما ما ورد من أمر (عمرو بن سعد بن أبي وقاص) (عمرو بن سعد

١ البيان والتبيين (٣ / ٢٨ وما بعدها) .

٢ البيان والتبيين (٣ / ٢٩) .

٣ Georg Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, I, S. 34

٤ النحل ، الآية ١٠٣ ، تفسير الطبري (١٤ / ١١٩ وما بعدها) .

بر أبي وقاص (المذكور في تأريخ (ميخائيل السوري) (المتوفى سنة ١١٧٩ للميلاد) البطريق (البطريارك يوحنا) بطريق البعاقبة ، ترجمة (الانجيل) من السريانية الى العربية ثم ما جاء من وقوع خلاف بين (عمرو) وبين (البطريارك) بشأن الترجمة ، ثم من استعانة (البطريارك) بعد ذلك برجال من (تنوخ) ، و (عاقولا) ، و (طيء) ، كانوا يتقنون العربية والسريانية للقيام بالترجمة . ولترجمة التوراة ، مع رجل يهودي ، فإنه خبر غير مؤكد ، وقد شك فيه بعض الباحثين ، وربما وضع اللطعن في (البطريارك) ، وضعه خصومه عليه^١ .

ولم تأت جهود (بومشارك) وتلامذته بنتائج مؤكدة مقبولة عن اثبات وجود كتب للصلاة بالعربية ، ترجمت من السريانية اليها قبل الاسلام^٢ . ومن المحتمل أن رجال الدين كانوا يعظون نصارى العرب في الجاهلية بالعربية ، أما نصوص الصلاة ، فكانوا يلقونها عليهم بالسريانية . وربما كان الحال على هذا المنوال بالنسبة الى رجال الدين المتقنين مع الأعراب ، فقد كانوا يتنقلون معهم ، يعلمونهم ويرشدونهم بالعربية ، ولكنهم لم يكونوا قد ترجموا كتب الصلوات ترجمة مدونة بلغتهم . وقد ورد ان رجال الدين كانوا يحملون (الدفة) معهم ، حيث تحل القبائل ، لترتيل الصلوات على المذابح المتنقلة ، فعل ذلك رجال الدين مع (بني ثعلب) وقبائل من اليمن وغيرها^٣ . وينطبق ما أقوله على العرب الجنوبيين أيضاً ، فلم يعثر حتى الآن على دليل يثبت وجود ترجمات بعربية جنوبية للتوراة أو الإنجيل أو الكتب الدينية الأخرى . ولكن هناك أخباراً يذكرها أهل الأخبار تشير الى وجود مثل هذه الترجمات ، غير اننا لا نتمكن من التسليم بها ، لما فيها من عناصر تدعو الى الشك في أمرها وعدم إمكان الأخذ بها في الوقت الحاضر .

١ Michael der Syrer, chronique de Michel le Syrien, II, p. 326, Paris, 1855,
Georg Graf, I, 35, F. Nau, un Colloque du Patriarche Jean avec l'emir des
Agaréens in Journal Asiatique, II, Ser., 5, (1915), 225 - 279.

وقد جعله « عمرو بن العاص » ، وجعله « لامانس » « سعيد بن عامر » .

٢ Islamic, 4 (1931), 562. ff.

٣ Georg Graf, I, S. 38.

وقد ورد ان عرب بلاد الشام من لحم وجذام وغسان وقضاة وتغلب وكلب وغيرهم ، « وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية »^١ ، وقُصد بالعبرانية السريانية ، ولهذا لم يأخذ علماء اللغة عنهم . غير أنهم لم يسيروا الى ما كانوا يقرأون ، ويظهر أنهم قصدوا بذلك الصلوات والكتب المقدسة ، يقرأونها عليهم بالسريانية وربما ترجموا ما قرأوه عليهم الى العربية .

الفصل الثالث والاربعون بعد المئة

الخطابة

والخطابة وجه آخر من أوجه النشاط الفكري عند الجاهليين . وقد كان للخطيب عندهم ، كما يقول أهل الأخبار ، مقام كبير للسانه وفصاحته وبيانه وقدرته في الدفاع عن قومه والذب عنهم والتكلم باسمهم ، فهو في هذه الأمور مثل الشاعر ، لسان القبيلة ووجهها . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء جماعة من الخطباء ، اشتهروا بقوة بيانهم وبسحر كلامهم ، وأوردوا نماذج من خطبتهم . ومنهم من اشتهر بنظم الشعر ، وعد من الفحول ، مثل عمرو بن كلثوم^١ .

قال (الجاحظ) : « وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم اليه أحوج لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر^٢ . وذكروا ان الشعراء كانوا في أرفع منزلة عند العرب ، وما زال الأمر كذلك حتى أفضى الشعر الى قوم اتخذوه أداة للتكسب وسعوا به في كل مكان ، فوضعوه أمام الملوك والسوقة ، سلعة في مقابل ثمن ، واستجداء لأكف الناس ، فأنف منه الأشراف وتجنبه السادة ، ونهت الخطابة . وصار للخطيب شأن كبير ، ارتفع على شأن الشاعر . ولخص (الجاحظ) ذلك بقوله : « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم الى الشعر

١ بلوغ الارب (١٧٤/٣) .

٢ البيان والتبيين (١١٤) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .

الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوتهم ومن غزاهم ،
ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويباهم شاعر غيرهم فيراقب
شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخلوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق ،
وتسرعوا الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ^١ .

وكانوا يحبّون في الخطيب أن يكون جدير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت .
وأن يكون مؤثراً شديداً التأثير في نفوس سامعيه حتى يسحرهم ويأخذ بالباهم .
وكانوا يجعلون مثل هؤلاء الخطباء ألسنتهم الناطقة إذا تفاخروا أو حضروا المجالس
أو تفاوضوا في أمر ، أو أرادوا تأجيج نيران الحروب ، أو عقد صلح ، أو
البت في أي أمر جليل . ولذلك صارت الخطابة من امارات المتزلة والمكانة ،
فصارت في ساداتهم وأشرفهم الذين يتكلمون باسمهم في المحافل والمجامع العظام .

وقد ذكر (الجاحظ) ، أن حمل العصا المخصصة دليل على التأهب للخطبة .
والتهيؤ للإطناب والإطالة ، وذلك شيء خاص في خطباء العرب ، ومقصود عليهم ،
ومنسوب اليهم . حتى أنهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم ، إلفاً لها ،
وتوقفاً لبعض ما يوجب حملها : والإشارة بها ^٢ . ولا يخطب أحدهم إلا وعنده
عصاً أو مخضرة ، جرى على ذلك عرفهم حتى في الاسلام . قال عبد الملك
ابن مروان : لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي ، وأراد معاوية
سحبان وائل على الكلام ، فلم ينطق حتى أتوه بمخضرة ^٣ . وكانوا يعتمدون على
الأرض بالقسي ، ويشيرون بالعصا والقنا ، ومنهم من يأخذ المخضرة في خطب
السلم ، والقسي في الخطب عند الخطوب والحروب . وذكر أن من عوائلهم أن
يكون الخطيب على زي مخصوص في العمامة واللباس ^٤ . وأن يخطب الخطيب وعلى
رأسه عمامة ، علامة المكانة والمتزلة عند الجاهليين . وذكر أيضاً أن من عوائلهم
ألا يخطب الخطيب وهو قائد إلا في خطبة النكاح . كما ذكر أن منهم من كان

١ البيان والتبيين (٢٤١/١) .

٢ البيان والتبيين (٦١) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية
١٩٥٩ م) ، البيان والتبيين (١١٧/٣) ، (هارون) .

٣ البيان والتبيين (١١٩/٣) وما بعدها .

٤ بلوغ الارب (١٥٢/٣) وما بعدها ، البيان (٣٧٠/١) وما بعدها .

يخطب وهو على راحلته^١ . وذكر (الجاحظ) أن الشعوية طعنت على « أخذ العرب في خطبها المخرصة والقناة والقضيب ، والانتكاء والاعتماد على القوس ، والخذل من الأرض ، والإشارة بالقضيب » . وذكر أن من المستحسن في الخطيب أن يكون جهوري الصوت ، قليل التلفت ، نظيف البزة ، وأن يخطب قائماً على نشز من الأرض ، أو على راحلته ، وأن يحتجز عمامته ، ويكمل هذه الخصال شرف الأصل وصدق اللهجة^٢ .

وقد كان بين الخطباء من كان يقول الشعر بالإضافة الى علو شأنه بالنثر. غير ان العادة ، ان الشعراء لم يبلغوا في الخطابة مبلغ الخطباء ، وأن الخطباء دون الشعراء في الشعر . « ومن يجمع الشعر والخطابة قليل »^٣ . ومن الشعراء الخطباء: (عمرو بن كلثوم) التغلبي ، و (زهير بن جناد) ، و (ليبد)^٤ ، و (عامر ابن الظرب العدواني)^٥ .

وذكر (الجاحظ) ان العرب استعملت الموزون ، والمقفى ، والمنثور في مساجلة الخصوم ، والرجز ، في الأعمال التي تحتاج الى تنشيط وبعث همة ، وعند مجازاة الخصم ، وساعة المشاورة ، وفي نفس المجادلة والمحاورة ، واستعملت الأسجاع عند المناقرة والمفاخرة ، واستعملت المنثور في الأغراض الأخرى^٦ ، وقال أيضاً: « وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجابة فكرة ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذي اليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالاً ، وتثال عليه الألفاظ انثيالاً ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه أحد من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ،

١ البيان (١١٨/١) ، (٢٠/٢) .

٢ البيان والتبيين (٢٢) ، (بيروت ١٩٥٩ م) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر ، المطبعة الكاثوليكية) ، البيان والتبيين (٦/٣ وما بعدها) .

٣ البيان والتبيين (٤٥/١) .

٤ . ومن شعر ليبد ، قوله :

وأخلف قسا ليتني ولو أنني

البيان والتبيين (١٨٩/١ ، ٣٦٥) .

٥ البيان والتبيين (٣٦٥/١) .

٦ البيان والتبيين (٦/٣ وما بعدها ، ٢٨) .

وهم عليه أقدر ، وله أقهر ، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أبسر من أن يفتقروا الى تحفظ ، ويحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتلدى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب^١.

ويظهر ان من الخطباء من استعمل السجع في خطبه ، ولا سيما في المفاخرات والمنافرات وأمور التحكيم^٢ ، وهو في الغالب . ومنهم من كان يستعمل الكلام المرسل وذلك في الأمور الأخرى . ولغلبة السجع على الخطب ، قال بعض علماء اللغة : « الخطبة عند العرب : الكلام المنشور المسجع ونحوه »^٣.

وقسم (الجاحظ) الخطب على ضربين ، فقال : « اعلم ان جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين ، منها الطوال ، ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به ، وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة ، ومتشاكلاً في استواء الصنعة ، ومنها ذات الفقر الحسان والتف الجياد . وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ ، وإنما حفظه التخليد في بطون الصحف . ووجدنا عدد القصار أكثر ، ورواة العلم الى حفظها أسرع »^٤.

وقد اقتضى النظام الاجتماعي والسياسي في الجاهلية أن يقيم العرب للخطابة وزناً خاصاً في المفاوضات السّي تكون في داخل القبيلة للنظر في أمورها وفي شؤونها الخاصة بها في أيام السلم وفي أوقات الغزو والغارات ، في حالتي الهجوم والدفاع . وأقاموا لها وزناً خاصاً بالمناسبة للمفاوضات التي جرت بين القبائل ، أو بين القبائل والملوك . ثم في المفاخرات وفي المنافرات . فكل هذه الأمور وأشباهها استدعت ظهور أناس بلغاه اعتمدوا على حسن تصرفهم في تنظيم الكلم وفي تنسيق الجمل وفي التلاعب بالألفاظ للتأثير على القلوب والأخذ بمجامع الأبواب . فرب كلمة كانت تقيم قبيلة وتقعدها لتلاعب الخطيب بقلبها بسحر بيانه وفي كيفية اختيار ألفاظه واستخدامه مواضع الإثارة التي يعرف أنها ستثير النار الدفينة في أفئدة سامعيه.

-
- ١ البيان والتبيين (٢٨/٣ وما بعدها) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٩٠/١) .
 - ٣ تاج العروس (٢٣٨/١) ، (خطب) .
 - ٤ البيان والتبيين (٧/٢) .

ولهذا كانوا لا يختارون لمن يتكلم باسم قومه إلا من عرف بسحر لسانه وقوة
بيانه، ليتمكن بما وهب من مرونة وتفنن في كلامه من التغلب على خصمه وافحامه،
ولما مات (أبو دليجة) (فضالة بن كلدة) رثاه (أوس بن حجر) بكلمة
مؤثرة تعبر عن مبلغ شعوره وشعور قومه للفاجعة الأليمة التي جعلت قوم الخطيب
في لبس وبلبال ، لعدم وجود من سيحل محله في الدفاع عنهم ، اذ حفلوا لدى
الملوك ، فيقول :

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ^١ أسوا من الخطب في لبس وبلبال
أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا لدى الملوك ذوي أيد وافضال^٢

وندخل في الخطباء جماعة عرفت بإلقاء المواعظ والنصائح في أمور الدين
والأخلاق والسلوك وفي التفكير ، وهم قوم تأثروا بالمؤثرات الثقافية التي كانت
في أيامهم بسبب وجود اليهود والنصارى بينهم، وبسبب اتصالهم بالرهبان والمبشرين
في داخل جزيرة العرب وفي خارجها ، فأخذوا يحثون قومهم على التعقل والتأمل
والتفكير في أمور دينهم ودنياهم ، وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام والتقرب
الى الأوثان ، وهي حجارة صلبة ، أو من خشب أو معدن لا يسمع ولا يجيب.
وينسب اليهم ، انهم كانوا على دين ابراهيم، على السنة العربية الأولى دين الفطرة
دين التوحيد . وينسب اليهم أيضاً ، انهم كانوا يقرأون ويكتبون ، لا بالعربية
وحدها ، بل بالعبرانية والسريانية أيضاً ، وانهم كانوا يتدارسون التوراة والانجيل
وكتب الأنبياء ، الى غير ذلك من دعاوى قد تكون وضعت عليهم . وهم قوم
سبق أن تحدثت عنهم ، وقلت عنهم انهم الأحناف .

واذا درسنا الأغراض التي توخاها أهل الجاهلية من الخطابة ، نجدها تكاد
تتجمع في الأمور الآتية : التحريض على القتال، وإصلاح ذات البين ، ولم شعث ،
لكثرة ما كان يقع بينهم من تنافر وتشاحن ، ثم السفارات الى القبائل أو الملوك،
لأغراض مختلفة ، مثل التهئة والتعزية ، أو طلب حاجة ، وحل معضل ، أو
إنهاء خصومة ، ثم الجلوس لحل الديات وإنهاء نيران الثأر ، ثم التفاخر والتنافر
والتباهي بالأحساب والأنساب والمآثر والجاه والمال ، ثم في الوفادات حيث تقتضي

١ كارلو فالينو (٩٨) ، ديوان أوس (١٠٣) ، نقد الشعر لقدامة (٣٥) .

المناسبة لإلقاء الخطب ، أو في الحث على التعقل والتفكر وتغيير رأي فاسد ، كما في خطب قس بن ساعدة الإيادي وفي خطب الأحناف ، ثم في المناسبات الأخرى مثل تعداد مناقب ميت ، أو خطب الإملاك وما الى ذلك .

ومن أشهر الخطب المنسوبة الى الجاهليين ، الخطب التي زعم ان (أكثم بن صيفي) ، و (حاجب بن زرارة) ، وهما من (تميم) ، و (الحارث بن ظالم) ، و (قيس بن مسعود) ، وهما من (بكر) ، و (خالد بن جعفر) ، و (علقمة بن علاثة) ، و (عامر بن الطفيل) من (بني عامر) ، قالوها في مجلس كسرى ، يوم أرسلهم (النعمان بن المنذر) اليه ، ليريه درجة فصاحة العرب ومبلغ بيانهم وعقلهم ، مما أثار إعجاب (كسرى) بهم ، حتى عجز عن تفضيل أحدهم على الآخر ، مما جعله يقر ويعترف بذكاء العرب وبقوة بيانهم وبقوة عقلهم ، فقديرهم لذلك حق قدرهم وأكرمهم . وهي خطب مصنوعة موضوعة ، قد تكون من وضع جماعة أرادت بها الرد على الشعوبيين الذين كانوا ينتقصون من قدر العرب ، ومن لسان العرب ، ومن دعوى الإعجاز في لغتهم ، فصنعت هذا المجلس ، وعملت تلك المحاور والخطب في الرد عليهم ، وهي تتناول صميم ذلك الجدل .

وأكثر ما نسب الى زيد وأمثاله من الأحناف مختلف ، وضع عليهم فيما بعد . وأكثر ما ورد عنهم في شرح حياتهم هو من هذا النوع الذي يحتاج الى إثبات . وقد ذكر أهل الأخبار أسماء نفر من الجاهليين قالوا عنهم إنهم كانوا من خطباء الجاهلية المشهورين المعروفين ، وقد أدخلوا بعضهم في المعمرين . والمعمر في عرفهم من بلغ عشرين ومئة سنة فصاعداً ، وإلا ، لم يعدوه من المعمرين^١ . وعلى رأس من ذكروا : (دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم الحميري) ، فهو إذن من حمير . وقد ذكر أنه عاش أربع مئة سنة وستاً وخمسين سنة ، ونسبوا اليه وصية أوصى بها بنيه^٢ . ولكنهم لم يذكروا متى عاش ، وفي أي زمان مات ، وكيف أوصى بنيه بهذه اللهجة الحجازية ، لهجة القرآن الكريم ، وهو من حمير ، وحمير لها لسانها وكتابتها .

١ بلوغ العرب (١٥٧/٣) وما بعدها .

٢ بلوغ العرب (١٥٧/٣) وما بعدها .

وذكر أهل الأخبار اسم (زهير بن جنتاب بن هبل) في ضمن المشهورين في قوة البيان والفصاحة والمنطق عند الجاهليين ، ويذكرون أنه كان على عهد (كليب ابن وائل) ، وأنه كان لسداد رأيه كاهناً ، ولم تجتمع قضاة إلا عليه وعلى (رزاح بن ربيعة) ، وقالوا إنه : « كان سيد قومه وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى الملوك ، وطبيبهم ، وحازي قومه ، وفارس قومه ، وله البيت فيهم والعدد منهم »^١ . وقد ذكروا له وصية أوصى بها بنيه ، وأبيات شعر ، زعموا أنه نظمها .

وذكروا أيضاً (مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معديكرب بن مضحى) ، زعموا أنه كان قبلاً حذباً على عشيرته ، محباً لصلاحهم . وكان من أفصح الفصحاء وأخطب الخطباء ، وزعموا أيضاً أنه أصلح بين القبيلتين : (سبيع بن الحرث) و (ميثم بن ميثم بن ميثم بن ميثم) ، وأوردوا ما دار بينهم من نقاش وحوار^٢ ضبطوه وسجلوه ، حتى لكان كاتب ضبط كان حاضراً بينهم كُلف تسجيل محضر ذلك الحديث .

وعدّ (الحارث بن كعب المدحجي) من هذه الطبقة البليغة التي اشتهرت بسحر البيان . وقد زعم أهل الأخبار أنه كان على دين (شعيب) النبي ، وهو دين لم يكن قد دخل فيه غيره وغير (أسد بن خزيمه) و (تميم بن مر) . وقد ذكروا له وصية لأبنائه ، أوصاهم بها حين شعر بدنو أجله ، بعد أن عاش على زعمهم ستين ومئة سنة^٣ .

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن هذا الدين ، دين شعيب . وليس في الوصية المنسوبة إليه ما يميزه عن غيره من الخطباء ، مثل قس بن ساعدة الأيادي أو غيره من المتألهين الرافضين لعبادة الأوثان .

وعدّ علماء الأخبار كعب بن لؤي في جملة الخطباء القدماء ، وذكروا أنه كان يخطب على العرب عامة ، ويحضر كنانة على البر . وكان رجلاً طيباً خيراً ،

١ الاغانى (٩٣/٢١ وما بعدها) . بلوغ العرب (١٥٩/٣) .

٢ بلوغ العرب (١٦١/٣ وما بعدها) .

٣ بلوغ العرب (١٦٤/٣) .

فلما مات ، أكبروا موته ، فلم تزل كثانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي الى عام القيل^١ .

وكان ابن عمار عمرو بن عمار الطائي خطيب مذحج كلها ، وكان شاعراً كذلك ، فبلغ النعمان حسن حديثه ، فاستدعاه ، وحمله على منادمته . وكان النعمان أحر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ، قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادمته ، ولكنه لم ينته ، فلما قتله النعمان ، رثاه أبو قردودة ، وهجا النعمان^٢ .

وعدّوا (عبد المطلب) في جملة خطباء قريش ، الذين كانوا يخطبون في الملمات وفي الأمور العظيمة ، وكان وافد أهل مكة على ملوك اليمن ، فإذا مات ملك منهم ، أو تولى ملك منهم العرش ، ذهب الى اليمن معزياً ومهتئاً . فهو خطيب القوم اذن^٣ .

ومن خطباء (غطفان) في الجاهلية : (خويلد بن عمرو) ، و (العُشراء بن جابر) من (بني فزارة) ، وخويلد خطيب يوم الفجار^٤ .

وأما بقية من ذكر أهل الأخبار من خطباء الجاهلية ، فهم : (أبو الطمّحان القيني) ، واسمه حنظلة بن الشرقي من (بني كثانة بن القين)^٥ ، و (ذو الاصبع العدواني) وهو من حكام العرب كذلك^٦ ، و (أوس بن حارثة)^٧ ، و (أكم ابن صيفي التميمي) ، وهو من حكام العرب أيضاً . وقد ذكر ان (يزيد بن المهلب) كان يسلك طريقته في خطبه ووصاياه^٨ ، و (عمرو بن كلثوم) ، وهو من الخطباء الشعراء البارزين في الفنين . وقد ذكروا له خطبة نصح ووصية ذكروا انه أوصى بها بنيه ، في الأدب والسلوك^٩ ، و (نعيم بن ثعلبة الكنانسي) ،

-
- ١ البيان (٣٥١/١) ، (هارون) .
 - ٢ البيان (٢٢٢/١) وما بعدها ، (٣٤٩) ، البيان والتبيين (٣٤٩/١) ، (هارون) .
 - ٣ الاشتقاق (٤٣) .
 - ٤ البيان والتبيين (٣٥١/١) .
 - ٥ بنوغ الارب (١٦٨/٣) وما بعدها .
 - ٦ بنوغ الارب (١٦٩/٣) وما بعدها .
 - ٧ بنوغ الارب (١٧٠/٣) وما بعدها .
 - ٨ بنوغ الارب (١٧٢/٣) وما بعدها .
 - ٩ بنوغ الارب (١٧٤/٣) .

وكان ناسئاً ، ينسئ الشهور ، وقيل : انه أول من نسأها . وكان يخطب في الموسم^١ ، و (أبو سئارة العدواني) ، واسمه (عميلة بن خالد الأعزل)^٢ ، و (الحارث بن ذبيان بن لجأ بن منهب الياني)^٣ .

وفي الملمات والأوقات العصيبة وفي الوفدات على الملوك يُختار خيرة الخطباء المتكلمين المعروفين بأصالة الرأي وبسرعة البديهة والجواب ، ليبيضوا الأوجه ، ويؤدوا المهمة على أحسن وجه . ولما قدم النعمان بن المنذر الحيرة ، بعد زيارته لكسرى ، وتفاخره عنده بقومه العرب ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم ، بعث الى أكنم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، والى الحارث بن عباد (الحارث بن ظالم) ، وقيس بن مسعود البكرين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المري ، وهم خيرة من عرفهم في أيامه بالأصالة في الرأي وبقوة البيان ، وطلب منهم الذهاب الى كسرى والتكلم معه ، ليعرف عقل العرب وصفاء ذهنها . فذهبوا وتكلموا ، فأعجب بهم ، وقدرهم حق تقدير^٤ .

وذكر عن حاجب بن زرارة : أنه وفد على كسرى لما منع تمجئاً من ريف العراق ، فاستأذن عليه ، وتحدث معه ، فأرضاه ، وأذن عندئذ لتميم أن يدخلوا الريف . وقد وفد ابنه عطارد على كسرى أيضاً بعد وفاة والده^٥ .

وأدرك (الربيع بن ضبيع الفزاري) الاسلام كذلك ، ويذكر أهل الأخبار أنه أدرك أيام عبد الملك بن مروان^٦ . وإذا كان هذا صحيحاً ، فيجب أن يكون قد عاش معظم أيامه في الاسلام . أما في الجاهلية ، فقد كان طفلاً ، أو شاباً ، وإن ذكر أهل الأخبار أنه كان من المعمرين .

-
- ١ بلوغ الارب (١٧٥/٣) وما بعدها .
 - ٢ بلوغ الارب (١٧٦/٣) .
 - ٣ بلوغ الارب (١٧٧/٣) وما بعدها .
 - ٤ العقد الفريد (٤/٢) وما بعدها « وفود العرب على كسرى » .
 - ٥ العقد الفريد (٢٠/٢) .
 - ٦ بلوغ الارب (١٦٦/٣) ، أمالي المرتضى (١٨٣/١) ، الاقتضاب (٣٦٩) ، الدرر اللوامع (٢١٠/١) .

ومن الخطباء عطار بن حاجب بن زرارة ، وقد خطب أمام الرسول^١ .
ومن خطباء غطفان في الجاهلية : خويلد بن عمرو ، والعشراء بن جابر بن عقيل^٢ .
وكان الأسود بن كعب ، المعروف بالكذاب العنسي ، الذي ادعى النبوة من
الخطباء كذلك^٣ .

وذكر أهل الأخبار اسم : (قيس بن عامر بن الظرب) ، و (غيلان بن
سلمة الثقفي) في جملة حكام العرب . وذكروا أنه كان قد خصص يوماً له
يحكم فيه بين الناس ، ويوماً ينشد فيه شعره . وذكروا من حكام قريش عبد
المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، وأبى طالب والعاص بن وائل^٤ .

وعدا (قيس بن زهير العبسي) من خطباء الجاهلية المعروفين ، وقد ذكروا
عنه أنه جاور (النمر بن قاسط) بعد (يوم الهبأة) ، وتزوج منهم . ثم
رحل عنهم إلى (غمار) ، فتنصر بها ، وعف عن المآكل ، حتى أكل الخنظل
إلى أن مات^٥ . وله أمثلة مذكورة في كتب الأمثال^٦ . وقيل فيه : « أدهى من
قيس بن زهير » ، ومن أقواله : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ،
وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت » ، وله أمثال عديدة^٧ . وذكر أنه طرد إبلاً
لبنى زياد ، وباعها من عبدالله بن جدعان ، وقال في ذلك شعراً^٨ .

وأما (سحبان بن زفر بن إياس) المعروف بـ (سحبان بن وائل الباهلي) ،
فلأنه خطيب ضرب به المثل في الفصاحة فيقال : (أخطب من سحبان وائل) ،
و (أفصح من سحبان وائل) ، و (أنطق من سحبان) ، و (أبلغ من
سحبان) ، لمن يريدون مدحه واعطاءه صفة البيان . وذكر أنه عاش في الجاهلية

-
- ١ البيان (٣٢٨/١) .
 - ٢ البيان (٣٥٠/١) وما بعدها .
 - ٣ البيان (٣٥٩/١) .
 - ٤ مجمع الامثال (٤١/١) .
 - ٥ بلوغ العرب (١٦٥/٣) وما بعدها .
 - ٦ أبو هلال العسكري ، جمهرة الامثال (٢٦٨/١ ، ٢٩٩) .
 - ٧ جمهرة الامثال (٤٥٧/١) .
 - ٨ جمهرة الامثال (٣٤٤/١) .

وعاش في الاسلام حتى أدرك أيام معاوية^١ . وقد عرف بخطبته (الشوهار) ، قيل لها ذلك لحسنها . وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب^٢ . « وكان اذا خطب لم يعد حرفاً ولم يتلعم ، ولم يتوقف ، ولم يتفكر بل كان يسيل سيلاً »^٣ . وقد ورد انه توفي سنة (٥٤ هـ)^٤ .

ذكر انه دخل على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا ، لعلمهم بقصورهم عنه ، فقال :

لقد علم الحي الجانون انني اذا قلت أما بعد اني خطيبها

فقال له معاوية : أخطب ، فطلب عصا ، فلما أحضرت له خطب جملة ساعات ، فقال له معاوية : أنتَ أخطب العرب ، قال : أو العرب وحدها ، بل أخطبُ الجن والانس^٥ .

وقد اشتهرت إيراد وتتم بالخطابة وبشدة عارضة خطبائها وبقوة بيانهم^٦ . وقد ذكر ان معاوية ذكر تيمماً ، فقال : « لقد أوتيت نعيم الحكمة ، مع رقة حواشي الكلم »^٧ . وهناك قبائل أخرى أخرجت خطباء مشهورين ، نسبت اليهم خطب بليغة . وقد يكون من الأعمال المفيدة النافعة ، وضع دراسة خاصة بعدد الخطباء الذين نبغوا في القبائل ، وبدراسة خطبهم ، وبمساكن أولئك الخطباء ومهاجر قبائلهم ، فإن دراسة علمية مثل هذه تعيننا كثيراً على الوقوف على تطور هذه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، والقبائل التي تكلمت بها سليقة وطبعاً .

وذكر (الجاحظ) أن شأن (عبد القيس) عجب ، « وذلك أنهم بعدد

-
- ١ بلوغ الارب (١٥٦/٣) ، تاج العروس (٢٩٤/١) ، (سحب) ، ثمار القلوب (١٠٢ وما بعدها) .
 - ٢ البيان (٣٤٨/١) ، (لجنة) ، وعرفت خطبة قيس بن خارجة بالعذراء .
 - ٣ الاصابة (١٠٨/٢) ، (رقم ٣٦٦٣) .
 - ٤ كارلو نالينو (١١٨) .
 - ٥ أبو هلال العسكري ، جمهرة الامثال (٢٤٨/١ وما بعدها) .
 - ٦ البيان والتبيين (٥٣/١) .
 - ٧ البيان والتبيين (٥٤/١) .

محاربة إيراد تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين ، وهم من أشعر قبيل في العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية وفي معدن الفصاحة . وهذا عجب ^١ . وذكر (الجاحظ) أن (معاوية) كان يعجب من فصاحة (عبد القيس) ، ولما اجتمع بـ (صحار ابن العباس) (صحار بن العياش) ، المعروف بـ (صحار العبدي) ، عجب من بلاغته وفصاحته ، فقال له ، ما هذه البلاغة فيكم ؟ قال : شيء يختلج في صدورنا ، فنقذفه كما يقذف البحر بزبدته . قال : فما البلاغة ؟ قال : أن تقول فلا تبطىء ، وتصيب فلا تخطىء ^٢ . وورد في (كتاب الحيوان) ، للجاحظ ، أنه قال له : وما الإيجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطىء ، وتقول فلا تخطىء ^٣ . وله كلام فيها يجب أن يقال عند تذكر الاحسان ^٤ .

وكان نسابة ، وله مع (دغفل) النسابة محاورات ^٥ . وقد ذكر (ابن النديم) ، أن له من الكتب : (كتاب الأمثال) ^٦ ، وقد أشاد (الجاحظ) بعلمه في الأنساب ، وذكره فيمن ذكر ممن ألف في كتب النسب ، من أمثال (ابن الكلبي) ، و (الشرقي بن القطامي) ، و (أبي اليقظان) ، و (أبي عبيدة) ، و (دغفل بن حنظلة) النسابة : و (ابن لسان الحمرة) ، و (ابن النطاح) اللخمي ^٧ .

وكان لبني عبد القيس ، اتصال بمكة قبل الاسلام ، لهم معها تجارة . يرسلون اليها التمر والملاحف والسياب والتجارة المستوردة من الهند . وقد أشير اليها في خبر إسلام (الأشج) : (أشج) عبد القيس ، واسمه (المنذر بن عائذ بن الحارث بن المنذر بن النعمان) العبدي . فقد أرسل ابن أخته (عمرو بن عبد القيس) .

-
- ١ البيان والتبيين وأهم الرسائل ، انتقاء الدكتور جميل جبر ، (بيروت ١٩٥٩ م) ، المطبعة الكاثوليكية) ، (ص ٢٤) .
 - ٢ الاصابة (١٧٠/٢) ، (رقم ٤٠٤١) ، البيان والتبيين (٩٦/١) ، المصون (١٣٩) .
 - ٣ الحيوان (٩٠/١) وما بعدها .
 - ٤ الحيوان (٣٦٧/٣) .
 - ٥ الاصابة (١٧٠/٢) ، (رقم ٤٠٤١) .
 - ٦ الفهرست (١٢٨) ، (المقالة الثالثة) .
 - ٧ الحيوان (٢٠٩/٣) .

الى مكة عام الهجرة ، ومعه تجارة من تمر وملاحف ، فلقبه النبي ، وهدها الى الاسلام ، وكان مثل قومه نصرانياً ، فأسلم ، وتعلم سورة الحمد واقرأ باسم ربك ، فلما باع تجارته وعاد، أخبر خاله (الأشج) بإسلامه ، فأسلم وكنم إسلامه حيناً ، فلما كان عام الفتح ، خرج مع وفد من أهل (هجر) وعبد القيس ، وصل المدينة ، وقابل الرسول ، وأعلنوا إسلامهم ، فقدموا بلادهم ، وحوّلوا (البيعة) مسجداً^١ .

ومن اشتهر من (بني عبد القيس) بالخطابة والقصاحة : (صعصعة بن صوحان) العبدى ، وأخواه : (سيحان) و (زيد) . وقد شهد (صفتين) مع (علي) ، وكانت له مواقف مع معاوية ، وقد مات في خلافته . وقال الشعبي كنت أنعلم منه الخطب « ، وله شعر^٢ .

وذكر في أثناء تحدث أهل الأخبار عن (الردة) وادعاء (لقيط بن مالك) الأزدي النبوة ، ان (الحارث بن راشد) ، و (صيحان بن صوحان) العبدى جاءا على رأس مدد من (بني ناجية) و (عبد القيس) ، لمساعدة (عكرمة) و (عرفجة) ، و (جبير) ، و (عبيد) ، فاستعلاهم ، فلما وصل المدد انهزم (لقيط) ، وقتل ممن كان معه عشرة آلاف^٣ . ولعل (صيحان) هذا هو أخ (صعصعة بن صوحان) .

ومن منازل (عبد القيس) (دارين) و (الزارة) ، وكان بها رهبان وبيع^٤ ، ويظهر ان النصرانية كانت متفشية بين (عبد القيس) ، وردت اليها من العراق . وكان (بنو عبد القيس) من العرب المتحضرين بالنسبة الى أعراب البوادي ، ولهم اتصال بالعالم الخارجي ، وقد قام المبشرون بنشر الكتابة بينهم ، ولا بد وأن تكون كتابتهم بالقلم العربي الشمالي ، الذي كان يكتب به النصارى العرب . ونجد في قرى البحرين أناساً من مختلف الأجناس ، بسبب اتصالها بالبحر

-
- ١ الاصابة (١٧١/٢) ، (رقم ٤٠٤١) ، (٥/٣) ، (رقم ٥٩٠٣) .
 - ٢ الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٣٠) ، البيان (٩٦/١) ، جمهرة الامثال (١٤٤/٢) .
 - ٣ الاصابة (١٩٣/٢) ، (٤١٣٣) .
 - ٤ الاصابة (١٧١/٢) ، (رقم ٤٠٤١) .

وجيء الأقوام إليها من الهند وإيران والعراق ، فظهرت فيها ثقافة ، امتصت غذاءها من مختلف الثقافات .

وهناك من اشتهر بالخطابة وكان قريب عهد من الاسلام ، أو أدركه وأسلم ، منهم : (قس بن ساعدة الإيادي) . وقد رآه الرسول ، وسمعه يتكلم ، وهو راكب على جمل أورق . ويذكر أن الرسول قال : « يرحم الله قساً ، إنني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده »^١ . وقد عدّه بعض الباحثين من النصارى ، ولكن معظم أهل الأخبار يرى أنه كان على الحنيفية ، أي على التوحيد ، لا هو من يهود ، ولا هو من النصارى^٢ .

وقد ذكر أهل الأخبار أنه « كان من حكماء العرب وأعقل من سمع به منهم وهو أول من كتب من فلان الى فلان ، وأول من أقر بالبعث من غير علم ، وأول من قال : أما بعد ، وأول من قال : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر »^٣ . وأنه أول من خطب على شرف ، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا^٤ . وكان أحكم حكماء العرب ، وأبلغ وأعقل من سمع به من إياد . وبه ضرب المثل في الخطابة والبلاغة^٥ . روي أن الرسول سمع كلام (قس ابن ساعدة) الإيادي ورواه ، ذكر (الجاحظ) أن رسول الله « هو الذي روى كلام (قس بن ساعدة) وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته ، وهو الذي رواه لقريش والعرب ، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه »^٦ . وذكر في موضع آخر من كتابه (البيان والتبيين) أن الرسول قال : « رأيتُه يسوق بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعُوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . »

١ - بلوغ الأرب (١٥٥/٣) ، نزهة الجليس (٤٢٩/١) .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - مجمع الامثال (١١٧/١) ، جمهرة الامثال (٢٤٩/١) .

٤ - الاغانى (٤٠/١٤ وما بعدها) ، الخزائن (٩٠/٢) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٥ - نمار القلوب (١٢١ وما بعدها ، ١٢٧) .

٦ - البيان والتبيين (٥٢/١) .

وهو القائل في هذه : آيات "محكمات" ، مطر "ونبات" ، وآباء وأمهات ،
 وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبر وأثام ، ولباس ومركب ، ومطعم ومشرب ،
 ونجوم تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج ،
 وسماء ذات أبراج . ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ،
 أم حبسوا فناموا .

وهو القائل : يا معشر إباد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد . أين
 المعروف الذي لا يشكر ، والظلم الذي لم يذكر ، أقسم قس قسماً بالله ، إن لله
 ديناً هو أرضى له من دينكم هذا .
 وأنشدوا له :

في الذاهين الأولين من القرون لنا بصائر
 لما رأيت موارداً للموت ليس لها بصائر
 ورأيت قومي نحوها يمضي الأصغر والأكابر
 لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
 أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم ضائر^١

وقد اشتهر قس بخطبته التي خطبها بسوق عكاظ ، وبآيات من الشعر رويت
 عن (أبي بكر الصديق) . وبفصاحته وبلاغته ضرب المثل ، فقيل : « أبلغ من
 قس »^٢ . وقد استشهد ببعض شعر (قس) في كتب الشواهد^٣ . وذكر أنه أول
 من قال : أما بعد في العرب .

وفي رواية من روايات أهل الأخبار : أن أول من قال : « أما بعد » ،
 هو كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة^٤ . زعيم
 قريش ، وأحد خطبائها المشهورين .

-
- ١ البيان والتبيين (٣٠٨/١) .
 - ٢ مجمع الامثال (١١٧/١) ، البيان والتبيين (٣٠٩/١) .
 - ٣ الخزائن (٢٦٣/١) ، (بولاق) .
 - ٤ المرزباني ، معجم الشعراء (ص ٣٤١) ، الخزائن (٣٤٧/٤) ، (بولاق) ،
 (الشاهد السابع والستون بعد الثمانمائة) .

وذكر بعض أهل الأخبار : أنه قيل لقُس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة :
قال : معرفة الرجل نفسه ، قيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند
علمه . قيل له : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ^١ .

وقد وردت في الخطبة المنسوبة الى قس بن ساعدة الإيادي هذه الجملة : « إن
في السماء خبراً » . ويلاحظ أن العبرانيين كانوا يراقبون السماء لأخذ الأخبار عما
سيقع لهم من أحداث منها . وقد تخصص بذلك نفر منهم ، عرفوا بـ (خبري
شمايم) ، أي المخبرون عما يقع في السماء ، و (قسري شمايم) ، أي قراء
السماء ^٢ . وكان العرب يراقبون السماء كذلك ، استطلاعاً للأخبار ، وفي الجملة
المنسوبة الى (قس) تعبير عن ارتقابه وقوع أمر مهم .

و (قس) من المعمرين ، زعم بعض أهل الأخبار أنه عمر سبعمائة سنة ،
وزعم بعض آخر أنه عاش ثلثمائة وثمانين سنة ، « وقال المرزباني : ذكر كثير
من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » . وقال بعضهم أنه أدرك نبينا ، وسمعه ،
وجعله بعضهم في الصحابة ، وأماته بعضهم قبل البعثة . وقال قوم إنه
أول من آمن بالبعث من أصل الجاهلية ^٣ . وفي الذي يرويه أهل الأخبار عن
خطبة قس ورواية النبي لها تصادم في الروايات . وقد ذكر ذلك العلماء ^٤ ، واني
أرى أن القصة موضوعة ، وهي من هذا النوع الذي وضع للتبشير بقرب ظهور
دين جديد .

وقد أشير الى قس في أبيات نسبت الى الخطيئة والأعشى وليد . وقد ضرب
الخطيئة به المثل في البيان ، وبقوة تأثيره في نفوس السامعين . أما الأعشى فقد
وصفه بالحلم ، وأما ليبد فقد قال فيه :

وأخلفن قساً ليتني ولعلني وأعيا على لقمان حكم التدبر

١ العقد الفريد (٢٥٤/٢) .

٢ Hastings, Dict., Vol., I, p. 194.

٣ الخزانة (٨٩/٢) وما بعدها ، (عبد السلام محمد هارون) ، البيان والتبيين
(٥٢/١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، الخزانة (٢٦٣/١) ، (بولاق) .

٤ السيرة الحلبية (٢١٠/١) ، اللآلئ (٩٥/١) .

فيقولون : وانما قال ذلك ليبد ، لقول قس :

هل الغيب معطى الأمن عند نزوله بحال مسيء في الأمور ومحسن
وما قد تولى فهو لا شك فائت فهل يتفعني ليتني ولعلني ؟

ونسبوا اليه أبياتاً من الشعر^١ .

وورد ان (الجارود بن عبد الله) من (بني عبد القيس) ، وكان سيداً في
قومه لما قدم على رسول الله ، وأسلم مع قومه ، قال له الرسول : « يا جارود
هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول
الله ، وأنا من بين يدي القوم كنت أقضو أثره . كان من أسباط العرب
فصيحاً ، عمر سبعائة سنة ، أدرك من الخواريين سمعان ، فهو أول من تأله من
العرب ، كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليلغن الكتاب أجله وليوفين
كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادكار وليالٍ خلا لهنّ نهارُ

في أبيات آخرها :

والذي قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدى واعتبار

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه
بسوق عكاظ على جمل أورك ، وهو يتكلم بكلام ما أظن اني أحفظه . فقال
أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، فإنني أحفظه : كنت حاضراً ذلك
اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم
فانتفعوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، الى
آخر ما أورده من الوعظ^٢ .

و (الجارود) ، هو (بشر بن عمرو بن حنش بن النعمان) ، وقيل هو

١ المرزباني ، معجم (ص ٣٣٨) .

٢ الخزائن (٨٩/٢) ، سيرة ابن سيد الناس (٦٩/١) .

(أبو المَعْلَى) ، (الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة)^١ ، وقيل : (الجارود بن المَعْلَى) ، ويقال ابن عمرو بن المَعْلَى ، وقيل الجارود بن العلاء ، وقيل الجارود بن عمرو بن حنش ، وقيل اسمه بشر بن حنش ، الى غير ذلك من أقوال تدل على اضطراب أهل الأخبار في معرفته ، وكان نصرانياً ، وكان شاعراً ، وأوردوا له شعراً يعلن إيمانه بالرسول ، وبأنه حنيف حيث كان من الأرض . قيل إنه قتل بفارس في أيام عمر سنة (٢١) ، وقيل بقي الى خلافة عثمان^٢ .

وذكر (الجاحظ) أن من خطباء العرب : (الصباح بن شفي) الحميري ، زعم أنه كان من أخطب العرب ، وقيس بن شماس ، وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي ، فقد أوكله الرسول بالرد على خطاب من كان يخطب أمامه من الوفود ، فهو الناطق باسمه بالنثر ، كما كان (حسان) الناطق باسم الرسول شعراً . وذكر أن من خطباء العرب (الأسود العنسي) ، و (طليحة ابن خويلد) الأسدي ، تنبأ في خلافة أبي بكر في بني أسد بن خزيمه ، وعاضده (عيينة بن حصن) الفزاري ، فوجه (أبو بكر) اليه خالد بن الوليد ، فهزمه ، وأسر (عيينة) سنة (١١) للهجرة ، وقد أسلم (طليحة) ، واستشهد بنهاوند سنة (١١) من الهجرة^٣ . وذكر (الجاحظ) : (مسيلمة) بعد (طليحة) ، فقال : « وكان مسيلمة الكذاب ، بعيداً عن ذلك كله »^٤ ، أي انه نفى الخطابة عنه .

ومن الخطباء النابهن أصحاب الرأي والبيان ، خطيب عاش في الجاهلية والاسلام وقد أسلم وحسن إسلامه ، هو : سهيل بن عمرو الأعلم ، أحد بني حِمْيَل بن معيص . يقال انه كان مؤثراً جداً ، أخاذاً يأخذ بعقول الناس ، حتى ذكر ان عمر قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، انزع ثنيتيه السفليتين حتى يدلغ لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

-
- ١ خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات (٦١) .
 - ٢ الاصابة (٢١٨/١) ، (رقم ١٠٤٢) .
 - ٣ البيان والتبيين (٣٥٩/١) .
 - ٤ البيان والتبيين (٣٥٩/١) .

لا أمثل ، فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً . دعه يا عمر ، فعسى أن يقوم مقاماً تحمده . فلما هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قام خطيباً ، فقال : « أيها الناس ، إن يكن محمد قد مات ، فالله حي لم يموت ، وقد علمتم أنني أكثركم قتباً في برّ ، وجارية في بحر ، فأقروا أميركم وأنا ضامن ، إن لم يتم الأمر ، أن أردّها عليكم » . فسكن الناس^١ .

وهو الذي قال يوم خرج آذن عمر ، وبالباب عينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وفلان ، وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين سلمان ؟ أين عمار ؟ فتمعرت وجوه القوم ، فقال سهيل : لم تتمعر وجوهكم ؟ دُعُوا ودعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لما أعدّ الله لهم في الجنة أكثر^٢ . وفي هذا الجواب دلالة على عقيل فاهم للواجب مدرك لمهمات رئيس الدولة ، ولما يجب أن تقوم الحكومة عليه ، لا يبالى بالنعنات القديمة وبالعرف القبلي الجاهلي .

وروي « أنه لما هاج أهل مكة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتد من ارتد من العرب ، قام سهيل بن عمرو خطيباً . فقال : والله إني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها ، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم - يعني أبا سفيان - ، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكنه قد جثم على صدره حسد بني هاشم . وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمدينة^٣ . وقد كان مخلصاً في عقيدته مطيعاً لأمر الحاكم ، ذكر أنه حضر « الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو

-
- ١ البيان (٣١٧/١) ، (من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ، الإصابة (٢٩/٢) ، (رقم ٣٥٧٣) ، الاستيعاب (١٠٧/٢) وما بعدها ، البيان والتبيين (٥٨/١) ، (عبد السلام محمد هارون) .
 - ٢ البيان (٣١٧/١) « لجنة » .
 - ٣ الاستيعاب (١٠٩/٢) ، (حاشية على الإصابة) ، البيان والتبيين (٣١٧/١) .

وأبو سفيان بن حرب ، وأولئك الشيوخ من قريش ، فخرج آذنه . فجعل يأذن لأهل بدر ، لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم . وكان قد أوصى بهم . فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم قط ! انه ليؤذن هؤلاء للعبيد ونحن جلوس ، لا يلتفت إلينا ! فقال سهيل بن عمرو ، وقال الحسن : ويا له من رجل ، ما كان أعقله ، أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً ، فاغضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم . أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فواتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون فيه . ثم قال : أيها القوم ! إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم شهادة ، ثم نفّض ثوبه وقام ولحق بالشام^١ . فالرجل مؤمن ، صاحب مبدأ ، يرى الفضل لأصحابه بأعمالهم ، لا بالرياسة والنسب والجاه ، كما كان يريد أبو سفيان وقومه .

وقد نعت بـ (خطيب قريش)^٢ ، لفصاحته وقوة بيانه ، ولهذا اختارته قريش ليكون لسانها حين فاوضت الرسول على الصلح في الحديبية . وقد تكلم فأطال الكلام وتراجع مع الرسول حتى وافق على تدوين كتاب الصلح^٣ . وكان هو لسان قريش يوم وضع الرسول يده على عضادتي باب الكعبة ، فقال : « ما تقولون » ؟ فقال سهيل : « نقول خيراً ونظن خيراً » ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت^٤ .

وتعد (ابنة الحس هند الإيادية) ، وهي بنت (الحس بن حابس) ، رجل من إياد ، من النساء المعروفات بالفصاحة . وقد روي عنها الأمثال . وذكر ان والدها هو (حس بن حابس بن قريظ) الإيادي . وقال بعض أهل الأخبار ان ابنة الحس من (العالقي) . والإيادية هي (جمعة بنت حابس) الإيادي ،

١ الاستيعاب (١٠٩/٢) وما بعدها .

٢ الإصابة (٩٢/٢) ، (رقم ٣٥٧٣) .

٣ الطبري (٦٣٣/٢) وما بعدها .

٤ الإصابة (٩٢/٢) ، (رقم ٣٥٧٣) .

وكلتاها من الفصاح . وذكر بعض آخر ، ان الصواب ان ابنة الخس المشهورة بالفصاحة واحدة ، وهي من (بني إيراد) . واختلف في اسمها ، ف قيل هند وقيل جمعة . ومن قال انها بنت حابس ، فقد نسبها الى جدها^١ .

ومن ضرب به المثل في الفصاحة (سحبان بن زفر بن إياس) الوائلي ، وائل باهلة . خطيب مفصح يضرب به المثل في البيان ، أدرك الجاهلية وأسلم ، ومات سنة (٥٤ هـ)^٢ . شهرته في الاسلام ، كشهرة (قس) في الجاهلية . واشتهر (هيزان بن شيخ) (هيزان بن سنج) ، بكونه خطيب (عبس) ، وذكر أن النبي قال للنابغة الجعدي : لا يفضض الله فاك ، وقال لهيزان : رب خطيب من عبس^٣ .

والخطابة عند الجاهليين حقيقة لا يستطيع أحد أن يجادل في وجودها ، ودليل ذلك خطب الوفود التي وفدت على الرسول ، وهي لا تختلف في أسلوب صياغتها وطريقة إلقائها عن أسلوب الجاهليين في الصياغة وفي طرق الإلقاء . ثم إن خطب الرسول في الوفود وفي الناس وأجوبته للخطباء ، هي دليل أيضاً على وجود الخطابة بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة عند الجاهليين . بل نجد أن الخطابة كان لها شأن في الحياة العربية في الجاهلية وفي الاسلام . ففي المناسبات مثل عقد زواج ، لا بد للخطيب من خطبة يخطبها أمام العروس والحاضرين ، يذكر فيها مناقب موكله ومناقب الأسرة التي رغب العروس في مصاهرتها ولعلها هي التي حملت الناس على نعت هذه المناسبة بـ (الخطبة) و (بخطبة العروس) ، حتى قيل : « جاء يخطبُ فلانة لفلان » ، وان فرق العلماء بين (الخطبة) التي هي الموعظة والكلام ، وبين (الخطبة) التي هي طلب المرأة ، بالحركة ، فذكروا أن الأولى هي بضم الخاء والثانية بكسرها^٤ .

-
- ١ تاج العروس (١٣٧/٤) ، (خس) .
 - ٢ الخزائن (٣٤٦/٤) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢٧٣/١) ، الاصابة (٥٨١/٣) ، (رقم ٩٠٢٨) .
 - ٤ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ١٥٠) .

ونجد في كتب الأدب والأخبار نصوص خطب نسبت الى خطباء جاهليين ، يخرج المرء من قراءتها ومن قراءة ما ذكره أهل الأخبار عنها ، بأنها نصوص دقيقة تمثل الأصل تمام التمثيل ، أو كأنها نسخ استنسخت عن نسخ أصلية كتبها الخطباء بأنفسهم ، أو دوتها كتاب شهود كانوا حضوراً وقت القاء الخطب . ونحن وإن تعودنا على اعتبار هذه الخطب ، وكأنها خطب أصيلة لا شك عندنا في أصالتها ولا شبهة . لكننا لا نستطيع اقناع أنفسنا ولا غيرنا بصحة رأينا هذا . وإذا كنا قد قبلنا ما قيل لنا عن الشعر الجاهلي ، فإننا لا نتمكن من قبول ما يذهب اليه الأدباء المقلدون من أن الخطب المنسوبة الى خطباء الجاهلية ، هي نصوص دقيقة صحيحة ، أو ان أكثرها صحيح لا شك لأحد في صحته ، وذلك لأسباب : منها ما ذكره أهل الأخبار أنفسهم من قولهم « وكان الخطيبُ من العرب اذا ارتجل خطبةً ثم أعادها زاد فيها ونقص »^١ ، ثم ما نجده من اختلاف في رواية خطبة (قس بن ساعدة) ، ومنهم أناس حضروا خطابه ، فكيف نصدق صحة نصوص خطب لأناس جاهليين تبلغ عدة صفحات .

وكيف يصدق انسان بصحة ما ينسب الى الجاهليين من خطب وأقوال ، وهو يعلم ان خطبة (حجة الوداع) ، قد اختلف الرواة في رواية نصها اختلافاً كبيراً^٢ ، واذا كانوا قد اختلفوا في ضبط نص خطبة تعد من أهم خطب الرسول ، لما جاء فيها من بيان وأحكام ، وكلام الرسول أفضل كلام للمسلم ، فهل يعقل أخذ موضوع صحة نصوص خطب الجاهليين ، على انه كلام صحيح بالنص والحرف والمعنى ! واذا كان المسلمون قد جوزوا رواية حديث رسول الله بالمعنى ، لصعوبة الرواية بالحرف والكلم والنص ، فهل يعقل ضبط الناس لخطب الجاهليين ، ضبطاً تاماً كاملاً بالحرف والمعنى ، مع ان كلام أهل الجاهلية لا يقاس بكلام الرسول في نظر المسلمين من دون شك .

١ اللسان (٣٤/١٢) ، (أمم) .

٢ راجع نصها في تاريخ اليعقوبي (٩٩/٢ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

والأمر بالنسبة للشعر الجاهلي من حيث الصنعة والافتعال أهون أمراً في نظري من موضوع الخطب الجاهلية ، فالشعر كلام موزون مقفى وهو غير طويل ، يمكن حفظه بسهولة ، ويمكن تخزينه في الذهن أمداً طويلاً ، أما النثر ، فليس من السهل حفظه حرفياً ؛ وإذا حفظ ، فلا يمكن للذاكرة معها كانت قوية أن تحافظ على صفاته الى أجل طويل ، لا سيما اذا كانت الخطب طويلة ، لا تعاد قراءتها إلا في المناسبات . وللسبب المذكور وخوف المسلمين من القول على الرسول بما لم يقله من حروف وألفاظ وجمل ، جوتوا رواية حديثه بالمعنى ، لصعوبة حفظ النص ، فهل تعد خطب الجاهليين أكثر أهمية من حديث الرسول ، حتى نقول انها نصوص مضبوطة صحيحة ، لا غبار على صحتها ، ولا شك من نصها !

وطابع الخطب ، السجع وقصر الجمل والإكثار من الحكم والأمثال ، والتفصيل والإزدواج . ويرد غالب السجع في كلام الكهان لذلك وسم بهم ، فقيل (سجع الكهان) . والسجع في كلام العرب أن يأتلف أواخر الكلم على نسق كما تأتلف القوافي ، وأن يكون في الكلام فواصل كفواصل الشعر من غير وزن . وذكر أن الرسول قال لأحدهم وكان يتكلم سجعاً : أسجع كسجع الكهان ! وفي رواية لإياكم وسجع الكهان ، وفي الحديث أنه نهى عن السجع في الدعاء . وإنما كره السجع في الكلام لمشاكلته كلام الكهنة^١ . قال (الجاحظ) : « وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أن كهّان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رثيلاً من الجنّ ، مثل حازي جهينة ، ومثل شق وسطيح ، وعزى سلمة وأشباههم ، كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع ؛ كقوله : والأرض والسماء ، والعقاب الصقعاء ، واقعة بيقعاء ، لقد نفر المجدُ بني العشاء ، للمجد والستاء » . « فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم

١ تاج العروس (٣٧٦/٥) ، (سجع) .

وفي صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم . وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكون في ذلك الخطب أسجاع كثيرة ، فلا يهنؤنهم^١ . واتباع الخطباء في الاسلام وبعض الكتاب اسلوب السجع في خطبهم وفي كتبهم ، ولا زال السجع محبوباً عند كثير من الناس ، ولهذا فهم يكتبون به .

وأغلب الخطباء هم سادات قبائل وأشراف من أهل القرى ومن أصحاب المكنانة والجاه والكهنة والحكام . ومنازلهم تحتم عليهم الخطابة في المناسبات ، لأنهم أسنة قومهم ، فللكلام أثر في نفوس العرب ، يثير الحرب ويهدى الأعصاب ويعقد السلم ، ويفض المشكل ، فصار من ثم للخطيب أثر كبير في الجاهلية . وكانت القبائل تفتخر بكثرة ما عندها من خطباء . وذكر (الجاحظ) أن رجلاً من حمير قام في مجلس لمعاوية اجتمع فيه الخطباء ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكيال ، عليهم المقال ، وعلينا الفعال^٢ . ومعناه : إنا لا نستطيع الكلام كما يفعل غيرنا ، ولذلك فأنا لا أريد أن أتسابق معهم ، ثم اننا معشر عمل لا قول . و (الكيال) ، بمعنى الجمال ، جمع جمل ، نطق بها بالكاف على لغة أهل اليمن القديمة ، لأن لسان حمير ينطق الجيم كافاً مفخمة .

ويلاحظ أن أكثر الذي ذكره أهل الأخبار من كلام الخطباء ، هو وصايا زعم أهل الأخبار أن أولئك الخطباء أوصوا بها أبناءهم ، وذلك حين تقدمت بهم السن ، وحين شعروا بدنو أجلهم . وهي تمثل خلاصة تجارب الموصى ومجمل ما حصل عليه من اختبارات في هذه الحياة . وهي على الجملة حكم ، وآراء في الدنيا ، ومواعظ ، لا تخطر إلا على بال رجل سئم من الحياة ويشس منها ، أو من زاهد متصوف متدين يؤمن بإله وبحساب وكتاب ، وجد ان الحياة مدبرة ، وانها زائلة فانية ، لا تدوم لأحد ، لذلك يريد أن يوصي أبناءه بما وجدده فيها وخبره ورآه .

ولم يهمل أهل الأخبار ذكر أهل العبي والبلادة ، وهم على قلتهم وضآلة

١ البيان والتبيين (٢٩٠/١) .
٢ البيان والتبيين (٣٩٨/١) .

عددهم مجتمع خاص قائم بذاته ، فأشاروا الى نوادرهم وبعض قصصهم، وجعلوا رأسهم وحامل لوائهم في الجاهلية شخصاً ضربوا به المثل في العي ، دعوه (باقلاً) وجعلوه من قيس بن ثعلبة . وقالوا : إن من حماقته وعيّه أنه اشترى عتراً من الأطباء بأحد عشر درهماً ، فقيل : بكم اشتريتها ؟ فأطلق كفيّه ومدّ أصابعه وأخرج لسانه ، أي يعبده بلسانه وأصابعه ، فنفرت العترة ، فعير بذلك : وفيه يقول الشاعر :

يلومون في حمقه باقلاً^١ كأن الحياقة لم تخلق^٢

١ شمس العلوم (الجزء الاول ، القسم الاول (ص ١٧٩) .

فهرست

۵	الفن الجاهلي	۱۱۶
۳۴	القصور والمحافد والآطام	۱۱۷
۵۸	الخزف والزجاج والبلور	۱۱۸
۶۶	الفنون الجميلة	۱۱۹
۹۱	أمية الجاهليين	۱۲۰
۱۴۴	الخط العربي	۱۲۱
۲۰۲	المسند ومشتقاته	۱۲۲
۲۴۸	الكتابة والتدوين	۱۲۳
۲۹۱	الدراسة والتدريس	۱۲۴
۳۱۳	الكتّاب والعلماء	۱۲۵
۳۳۶	الفلسفة والحكمة	۱۲۶
۳۵۴	الأمثال	۱۲۷
۳۷۱	القصص	۱۲۸

٣٨٠	.	.	.	.	.	.	.	.	١٢٩. الطب والبيطرة
٤١٩	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٠. الهندسة والنوء
٤٣٦	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣١. الوقت والزمان
٤٧١	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٢. الأشهر الحرم
٤٨٨	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٣. النسيء
٥٠٩	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٤. التقاويم والتواريخ
٥٢٥	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٥. اللغات السامية
٥٣٧	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٦. العربية لسان آدم في الجنة
٥٦٢	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٧. لغات العرب
٥٩٥	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٨. لغة القرآن
٦٢٤	.	.	.	.	.	.	.	.	١٣٩. العربية الفصحى
٦٧١	.	.	.	.	.	.	.	.	١٤٠. اللسان العربي
٦٩٤	.	.	.	.	.	.	.	.	١٤١. المعربات
٧٣٣	.	.	.	.	.	.	.	.	١٤٢. النثر
٧٧١	.	.	.	.	.	.	.	.	١٤٣. الخطابة



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

General Organization

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء التاسع

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الرابع والاربعون بعد المئة

الاعراب والعريية واللحن

ولا بد لنا وقد تحدثنا عن لغات العرب وعن العريية الفصحى من التحدث عن (الإعراب) لما له من صلة بها . فأقول الإعراب في تعريف علماء اللغة : الإبانة والافصاح عن الشيء . يقال للعربي : أعرب لي أي بين لي كلامك . وأعرب الكلام وأعرب به بيته . روي عن النبي أنه قال : « الثيب تعرب عن نفسها » ، أي تفصح . وفي رواية أخرى : الثيب يعرب عنها لسانها ، والبكر تستأمر في نفسها . وإنما تُسمي الإعراب إعراباً لتبيينه وإيضاحه . ومن هنا يقال للرجل السذي أفصح بالكلام : أعرب . ويقال أعرب الأعجمي إعراباً ، أي أفصح وأبان . وعَرَبَهُ : علّمه العريية . « وفي حديث الحسن أنه قال له البّتي : ما تقول في رجل رُعِفَ في الصلاة ؟ فقال الحسن : إن هذا يُعَرَّبُ الناس ، وهو يقول رُعِفَ ، أي يعلمهم العريية ، إنما هو رَعِفَ » . وتعرب واستعرب أفصح ، قال الشاعر :

ماذا لقينا من المُستعربين ومن قياسِ نَحْوِهِمْ هذا الذي ابتلعوا^١

وعرف الإعراب ، بأنه أن لا تلحن في الكلام . يقال أعرب كلامه إذا لم

١ اللسان (٨٨٨/١ وما بعدها) ، (عرب) ، تاج العروس (٣٧٠/١ وما بعدها) ، (عرب) .

يلحن في الإعراب^١ . فربطوا هنا بين الإعراب واللحن . وذكروا أيضاً « أن الإعراب الذي هو النحو ، إنما هو الإبانة عن المعاني والألفاظ »^٢ ، « وإنما سمي الإعراب إعراباً ، لتبيينه وإيضاحه »^٣ ، « وعرب منطقته أي هذبه من اللحن »^٤ . وروي عن (أبي هريرة) قوله : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » ، والمراد بالغريب أن تكون اللفظة حسنة مستغربة في التأويل ، لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس . وقد عدّوا من ذلك في القرآن كله سبعة لفظة أو تزيد قليلاً^٥ .

ورد في تأريخ (الطبري) أن رجلاً من العباديين مرّ بجمع من المسلمين أصابوا جراباً من (كافور) فحسبوه ملحاً ، فأخذوا يلقون منه في طعامهم ، فقال لهم : « يا معشر المعربين ، لا تفسدوا طعامكم ، فإن ملح هذه الأرض لا خير فيه »^٦ ، فاستعمل المعربين في معنى العرب ، ولعل العباديين ، وهم نصارى الحيرة كانوا يطلقون على العرب الخلص معربين ، لوضوح لسانهم بالنسبة لغيرهم ممن كان لا يعرب على طريقة العرب الخلص من أهل البوادي .

وقد ذهب (ابن فارس) الى وجود (الإعراب) عند العرب العاربة ، إذ يقول : « وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا نصباً ولا همزاً »^٧ . وقد رد على من أنكر وجود الإعراب عند العرب قبل الاسلام^٨ ، وأورد حديثاً في ذلك ، إذ قال : « وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أعربوا القرآن »^٩ . وقد ورد أن (عمر بن الخطاب) ، وجه كتاباً الى (أبي موسى) الأشعري ، عامله على البصرة فيه : « أما بعد ، فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ،

-
- ١ تاج العروس (٣٧٢/١) ، (عرب) .
 - ٢ تاج العروس (٣٧١/١) ، (عرب) ، اللسان (٥٨٩/١) ، (صادر) ، (عرب) .
 - ٣ اللسان (٥٨٨/١) ، (عرب) .
 - ٤ المصدر نفسه (٥٨٩/١) ، (عرب) .
 - ٥ الرافعي (٥٧/٢) .
 - ٦ الطبري (٤٩٧/٣) .
 - ٧ الصاحبى (٣٥) .
 - ٨ الصاحبى (٣٧ وما بعدها) .
 - ٩ الصاحبى (٦٦) ، (أعربوا القرآن ، فاني عربي) ، الزينة (١١٧ وما بعدها) .

وأعربوا القرآن ، فإنه عربي ، وتعددوا فلانكم معديون ^١ ، ووجه اليه كتاباً آخر فيه « أما بعد ، فتفقهوا في الدين ، وتعلموا السنة ، وتفقهوا في العربية ، وتعلموا طعن اللرية ، وأحسنوا عبارة الرؤيا ، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب ^٢ . غير ان من العلماء من فسّر الإعراب في القرآن بأن المراد به معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن ^٣ .

وعرف الإعراب ، بأنه : « الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيز فاعل من مقول ، ولا مضاف من منعت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد . وذكر بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالإخبار . وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً ، لأننا نقول : أزيدُ عندك ؟ وأزيداً ضربت ؟ فقد عمل الإعرابُ وليس هو من باب الخبر ^٤ ، فبالإعراب تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ^٥ . وأنواع الإعراب رفع ، ونصب ، وجر ، وجزم ، فالإعراب عبارة عن الحركات ^٦ . وقد جعل الإعراب من العلوم الجلية التي اختصت بها العرب ^٧ . والإعراب في الواقع ، هو التعرب ، أي التكلم بالعربية وفق طريقة العرب الخالص في مراعاة أواخر الكلم ، ومراعاة التصرف الإعرابي .

والإعراب في نظري ، أن يتكلم الانسان بطريقة العرب في كلامهم ، وذلك بأن يبين وفقاً لقواعد لسانهم ، وقد عرفنا ورود لفظة (عرب) و (عربية) في النصوص الآشورية واليونانية والسريانية ، فالإعراب إذن من هذا الأصل ، أي من العربية ، ثم اطلق على النطق وفقاً لأساليب العرب في كلامهم ووفقاً لقواعد لسانهم .

-
- ١ كنز العمال (٢٢٨/٥) ، خورشيد أحمد فارق ، حضرت عمر (١٣٥) ، (القسم العربي) .
 - ٢ حضرت عمر (١٣٩ وما بعدها) ، (القسم العربي) .
 - ٣ السيوطي ، الاتقان (٣/٢) .
 - ٤ ابن فارس ، الصاحبى (٦٦ ، ٧٧) .
 - ٥ الصاحبى (١٩٠ وما بعدها) .
 - ٦ السيوطي ، الاشباه والنظائر (٧٢/١) وما بعدها .
 - ٧ المزهري (٣٢٧/١) .

والوقوف على معنى : (العربية) ، يجب الرجوع الى ما ورد عنها في الأخبار .
فقد ورد أن الرسول « دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجلٍ ، فقال :
ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، رجل علامة ، قال : وما العلامة ؟ قالوا :
أعلم الناس بأنساب العرب ، وأعلم الناس بعربية ، وأعلم الناس بشعر ، وأعلم
الناس بما اختلف فيه العرب ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هذا علم
لا ينفع وجهل لا يضر »^١ . وهو خبر يرجع مسنده الى (أبي هريرة) .

ووردت اللفظة في روايات أخرى يرجع الرواة زمانها الى أيام الخليفة (عمر بن
الخطاب) . فقد روي عن (عثمان المهري) ، انه قال : « أتانا كتاب عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء ، ويذكر فيها :
تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة »^٢ . « وقد روي أن أعرابياً
سمع قارئاً يقرأ : إن الله بريء من المشركين ورسوله ، بجرّ رسوله ، فتوهم
عطفه على المشركين . فقال : أو بريء الله من رسوله ؟ فبلغ ذلك عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية »^٣ . وروي
أن الخليفة المذكور ، كتب الى (أبي موسى الأشعري) ، يوصيه ، فكان
مما قاله له : « خذ الناس بالعربية ، فإنه يزيد في العقل ويثبت المروءة »^٤ .
ونسبت الى (عمر) رسائل أخرى ، ذكر انه وجهها الى عامله المذكور فيها :
« أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، واعربوا القرآن فإنه عربي
وتعددوا فإنكم معدون »^٥ ، و « أما بعد : فتفقهوا في الدين ، وتعلموا السنة ،
وتفهموا العربية ، وتعلموا طعن الدوبة ، وأحسنوا عبارة الرؤيا ، وليعلم أهر الأوسد
أهل البصرة الإعراب »^٦ ، أو انه قال : « تفقهوا في الدين ، وأحسنوا عبارة
الرؤيا ، وتعلموا العربية »^٧ . وفسّر (الحسن) العربية ، بأنها التنقيط ، أي

-
- ١ ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين (٨٧/١) .
 - ٢ صبح الأعشى (١٦٨/١) .
 - ٣ صبح الأعشى (١٦٩/١) .
 - ٤ اللسان (١٥٥/١) ، (مرأ) ، تاج العروس (١١٧/١) ، (مرأ) ، خورشيد أحمد
فارق (١٤١) ، (النص العربي) .
 - ٥ كنز العمال (٢٢٨/٥) ، خورشيد أحمد فارق (١٣٩) ، (النص العربي) .
 - ٦ القفطي ، انباه (١٦/١) ، خورشيد أحمد فارق (١٣٩) .
 - ٧ السجستاني ، المصاحف (١٤٢) .

ان ينقط المصحف بالنحو^١ . وذكر ان النبي قال : « عليكم بتعلم العربية ، فإنها تدل على المروءة وتزيد في المودة^٢ . وروي أن عمر كتب : « أما بعد : فلإني أمركم بما أمركم به القرآن ، وأنهاكم عما نهاكم عنه محمد ، وأمركم باتباع الفقه والسنة والتفهم في العربية^٣ » ، و « مر من قبلك بتعلم العربية ، فإنها تدل على صواب الكلام ، ومرهم برواية الشعر ، فإنه يدل على معالم الأخلاق^٤ » .

وورد أن (عبدالله بن مسعود) كان يتعاطى العربية والشعر ، وقد كان يسأل في ذلك (زر بن حبيش) ، وكان من أعرب الناس^٥ . « قال عاصم : كان من أعرب الناس . وكان ابن مسعود يسأله عن العربية^٦ » . وورد : « كان بعض اليهود قد علم كتاب بالعربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول^٧ » . وورد أن أهل الحيرة كانوا يتعلمون (العربية) في الكتاتيب ، وإن لهم ديواناً يكتب بالعربية ، كما كان للفرس ديوان يدون الرسائل الى العرب بالعربية ، وأن أهل الأنبار كانوا يكتبون بالعربية ويتعلمونها .

وبعد ، فما هي تلك العربية التي كان (العلامة ؟) المزعوم يعلمها في المسجد وكان من أعلم الناس بها ؟ وما هي تلك العربية التي كان الخليفة يوصي حكامه وأصحابه بأخذ الناس بها ؟ أو العربية التي علمها اليهود يثرب ؟ عربية بمعنى الإبانة والافصاح وتحريك الفم تحريكاً كفيلاً بإخراج الحروف من مخارجها لإخراجاً واضحاً ؟ أم عربية أخرى ؟ أم عربية الكتابة . أي تعليم الخط ، أم بالمعنى الذي دفع (أبا الأسود) على وضع العلامات لضبط الحركات ولصيانة الألسنة من الوقوع في اللحن . ولو سألتني رأيي ، لقلت لك حالاً : إنها العربية الثانية . العربية الكفيلة بضبط الألسنة وتعليمها كيفية النطق الصحيح وفقاً لقواعد العربية ، أي الإعراب وتفسير معاني الألفاظ ، أي اللغة ، وأوضح دليل على ما أقوله ، ما جاء في الرواية المتقدمة من أن (عمر بن الخطاب) لما سمع خطأ الأعرابي

-
- ١ السجستاني ، المصاحف (١٤٢) .
 - ٢ الفائق (١٥٣/٣) .
 - ٣ خورشيد أحمد فارق (١٤٠) ، (النص العربي) .
 - ٤ كنز العمال (٢٤١/٥) ، خورشيد أحمد فارق (١٤٠) .
 - ٥ ابن سعد (٧١/٦) .
 - ٦ الاصابة (٥٦٠/١) ، (رقم ٢٩٧١) .
 - ٧ فتوح البلدان ، للبلاذري (٤٥٩) ، المعارف لابن قتيبة (١٩٢) .

الفاحش في قراءة الآية أمر « أن لا يقرأ القرآن إلاّ من يحسن العربية » ، ومن وصيته بأخذ الناس بالعربية، ومن قوله أيضاً : « تعلموا الفرائض والسنن واللتحن كما تعلمون القرآن » ، و « تعلموا اللحن في القرآن كما تتعلمونه ، يريد تعلموا لغة العرب في القرآن » ، أو : « تعلموا اللحن والفرائض فإنه من دينكم »^١ . فلم يكن خطأ (الاعرابي) هو خطأ في كيفية اخراج الحروف من مخارجها ، ولا في كيفية الافصاح وإبانة الكلم ، وإنما في جره رسوله ، وتوهمه عطفها على المشركين ، مما أخرج الآية الى عكس ما أراده الله منها . أي غلطه في اللغة ، ولهذا فزع الخليفة فحث الناس على تعلم العربية ، لتكون دليلاً لمن يتعلمها وهادياً له في صون لسانه من الوقوع في الخطأ ، وفي هذا الحث دلالة على وجود علم سابق عند العرب بكيفية حفظ الألسنة من الوقوع في الخطأ ومجانبة القواعد العامة. ويعود هذا العلم الى ما قبل الإسلام .

أضف الى ذلك ما ذكرته سابقاً من قول عمر : « أما بعد : فنفقهوا في الدين ، وتعلموا السنة ، وتفهموا العربية ، وتعلموا طعن اللرية ، وأحسنوا عبارة الرؤيا ، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب »^٢ . فإذا صح هذا الخبر دل على وجود الإعراب في زمن عمر ، وعلى ان المراد من الإعراب الذي كلف (أبا الأسود) أن يعلم أهل البصرة به ، هو النحو ، أي قواعد صيانة اللسان من الوقوع في الخطأ في الكلام .

ولو تساهلنا فأخذنا (العربية) الواردة في قول (عمر) وغيره بالمعنى اللغوي الظاهر من اللفظة ، وهو الإفصاح والإبانة وإخراج الكلم حسب أصول النطق عند العرب ، فإن هذا المحمل يحملنا على الذهاب الى وجود علم سابق ، كان الناس يراعونه ويسبرون بمقتضى اعتباراته وقواعده في كيفية النطق بالكلم ، ويسمونونه : العربية .

ويتبين مما ذكره أهل الأخبار من أن (أبا الأسود) « كان أول من وضع العربية »^٣ ، أن مرادهم من العربية المذكورة هذه العلامات التي تدل على الرفع

١ اللسان (٣٨١/١٣) ، (لحن) ، صبح الاعشى (١٤٨/١) .

٢ القفطي ، انباه (١٦/١) ، خورشيد أحمد فارق (١٣٩) .

٣ المعارف (٤٣٤) ، الصاحبى (٣٧) .

والنصب والجزم والضم والفتح والكسر والسكون، تلك العلامات التي استعملها في المصحف ، وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعدُ وسمّوا كلامهم نحواً سحبوا اسم النحو على ما كان قبل من أبي الأسود^١ . وهذا المعنى نستطيع فهم ما ورد في الحديث والأخبار من وجوب الإعراب في القرآن . أي إظهار حركات الكلم عند القراءة . فالعربية ، تعني النحو .^٢ ولما وضع أبو الأسود النحوَ وأطلق عليه لفظ العربية ...^٣ ، كان يقصد منه صيانة اللسان من الخطأ ، والنطق بصحة . فقد ورد أن الرسول قال : اعرّبوا القرآن ، أو اعرّبوا القرآن فإنه عربي ، وأن (عمر بن الخطاب) قال : تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه^٤ ، وروي أنه قال : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض^٥ .

وبهذا المعنى وردت (العربية) في حديثهم عن الشاعر (عدي بن زيد) العبّادي ، فقد ذكروا أنه تعلم (العربية) في كتاب بالحيرة حتى غدا من أكتب الناس بها ، فلما حذق ومهر فنه بالعربية ، أرسل إلى كتاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة^٦ . وذكروا أنه قرأ كتب العرب والفرس^٧ ، إذ لا يعقل أن يكون مرادهم تعلم حروف الهجاء وحدها ، أو الخط ، أو مجرد معاني الألفاظ .

وقد تحدثت عن التنقيط عند أهل الكتاب في أثناء حديثي عن نشأة الخط العربي . ويظهر أن كتاب المصاحف ، لم يكونوا على اتفاق في موضوع العواشر، أي تشير القرآن ، والتنقيط والخواتم ، والفواتح ، والألفاظ المفسرة في المصحف ، بدليل ما ورد عنهم من اختلاف رأي في هذا الموضوع ، ففهم من كان يأمر بتجريد القرآن من كل ذلك ومنهم من جوّز ، ومنهم من كره فقط القرآن بالنحو^٨ .

-
- ١ ضحى الاسلام (٢٨٧/٢) .
 - ٢ الرافعي ، تاريخ أداب العرب (١/٣٢٦) .
 - ٣ الزينة (١١٧ وما بعدها) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢/٢١٩) .
 - ٥ الاغانى (٢/٩٦ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (١/٤٤١) .
 - ٦ الطبري (٢/١٩٣) ، (دار المعارف) .
 - ٧ السجستاني ، المصاحف (١٣٨ وما بعدها) .

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى جملة « يريد أن يعربه فيعجمه » الواردة في شعر ينسب لرؤبة ويقال للحطيئة ، هو :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الخضيض قدمه

وقوله :

والشعر لا يستطيعه من يظلمه يريد أن يعربه فيعجمه

فذهب بعضهم الى أن مراد الشاعر أنه يأتي به أعجمياً ، يعني يلحن فيه ، وقيل يريد أن يبيّنه فيجعله مشكلاً لا بيان له ، وقيل أزال عجمته بالنقط^١ .
والذي أراه أن قول العلماء : « المعجم النقط بالسواد مثل التاء عليها تقطنان ، يقال : أعجمت الحرف والتعجم مثله » ، وقولهم : « معجم الخط هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط » ، تقول : أعجمت الكتاب أعجمه إعجاماً^٢ ، هو تعريف يجب أن يكون قد وضع بعد وضع الإعجام ، أي التنقيط ، فإذا كان الإعجام من وضع (أبي الأسود) الدؤلي ، فيجب أن يكون ظهوره منذ أيامه فما بعد ، أما إذا كان قبله فيجب أن يكون من مصطلحات الجاهليين .

ويذكر علماء اللغة أن « أعجم الكتاب خلاف أعربه » أي نقطه » فأزال الكاتب عجمة الكتاب بالنقط^٣ . ومعنى هذا أن النقط قد أزال العشاة عن الحروف المعجمة ، أي المتشابهة في الشكل ، بوضع النقط فوقها ، فصارت حروفاً معربة واضحة . ولولا الإعجام لما استبان الكلام ، ولوقع سوء الفهم والبس في كثير من الألفاظ التي ترد فيها الحروف المعجمة ، ففي الإعجام لبس ووقوع في خطأ ، وفي اللحن مثل ذلك أيضاً ، ولهذا أرى وجود صلة كبيرة بين اللحن ، الذي هو الخطأ في الكلام ، بسبب الجهل بالاعراب . وقد رأيت قول العلماء : « أعجم الكتاب خلاف أعربه » ، أي وضحه وصححه بالنقط . فبين الاثنين ترابط في الأصل ، فالاعجام خلاف الاعراب ، واللحن خلاف الإعراب كذلك .

-
- ١ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .
 - ٢ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .
 - ٣ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .

وقد صار النقط ، أو وضع الحركات على الحروف لإرشاد القارئ الى القراءة
الفصيحة الصحيحة ، ضرورة لازمة ، بدونها قد يخطئ الانسان فهم المعنى ، وقد
يقع في أخطاء جسيمة لو أخليت الكتابة من النقط والإعجام . وقد ضرب العلماء
الأمثال على أخطاء وقع بها الناس بسبب طريقة الكتابة القديمة التي لم تكن تشتمل
الحروف ولا تعجمها ، فكان القارئ يقع في أخطاء .

والإعراب بعد ، لا يختص بالعربية وحدها ، بل نجد آثاره في لغات سامية
أخرى ، وانما ظهر وعرف في عربيتنا ، لأن اللغات الأخرى قد ماتت في الغالب ،
فلم يبق أحد من الناطقين بها ، لتبين كلامه ، ولأن نصوصها غير مشكلة ، وهي
خالية من الحروف التي تدل على الشكل والحركات ، لذلك لا نستطيع التحدث
عن وجود الإعراب بها . ولكن بعض النصوص البابلية تشير الى وجود الإعراب
بها . واللاتينية مع انها من اللغات الآرية فهي لغة معربة ، يراعي الكاتبون والمتكلمون
بها خصائص الإعراب ، واليونانية القديمة هي معربة كذلك . ويخيل لي ان معظم
لغات الأدب في العالم القديم كانت تراعي الإعراب ، لترفع بذلك عن السهولة
العامة ، ولتكون اللسان الرفيع الذي يخاطب الانسان به أربابه ، ثم خفت حدة
الإعراب فيما بعد ، مجارة لتطور العقل الانساني . ونجد معظم الشعوب في الوقت
الحاضر ، تبسط لغتها وتحتزل قواعدها وجمل كلامها ليتناسب الكلام مع عقليته
السرعة التي أخذت تسيطر على الانسان الحاضر .

وما قلته عن اللغات الأخرى من صعوبة التكلم عن إعرابها ، بسبب عدم وجود
نصوص مشكلة عندنا تشير الى طرق الإعراب بها ، ينطبق كذلك على اللغات
العربية الجنوبية ، وعلى اللغات الأخرى ، مثل الصفوية ، والتمودية واللحيانية ،
لعدم وجود الحركات بها أو العلامات الدالة على الإعراب . وخلو هذه اللغات من
العلامات التي تقوم الإعراب ، لا يمكن أن يتخذ دليلاً على عدم وجوده في تلك
اللغات ، لأن العاد في الإعراب ، هو بالنطق في اللسان ، وهو ما لا يمكن
استخراجه من الكتابة العربية الجنوبية ، فاللسان هو الذي يشكل ويحرك الألفاظ
وفق مقتضيات قواعد الألسنة . أما النبطية ، وهي من اللهجات العربية الشمالية ،
ففيها ظواهر بارزة تشير الى انها كانت لغة معربة ، وهي في نظري أقرب اللغات
العربية الجاهلية الى عربية القرآن الكريم ، فالأسماء في النبطية ، معروفة في عربيتنا
قليلة في العرييات الأخرى ، وهي قريبة من هذه العربية في أمور أخرى نحوية وصرفية .

اللحن :

من معاني اللحن : اللغة . « روي أن القرآن نزل بلحن قريش ، أي بلغتهم . وفي حديث عمر رضي الله عنه : تعلموا الفرائض والسنة واللحن ، بالتحريك ، أي اللغة ^١ ، ومنه قول (عمر) : « تعلموا الفرائض والسنة واللحن ، كما تعلمون القرآن » ^٢ . ومن معانيه الخطأ في الكلام . « قال أبو عبيد في قول عمر رضي الله تعالى عنه : تعلموا اللحن ، أي الخطأ في الكلام لتحترزوا منه » ، وورد : « وأما قول عمر رضي الله عنه : تعلموا اللحن والفرائض ، فهو بتسكين الحاء ، وهو الخطأ في الكلام ... قال أبو عدنان : سألت الكلايين عن قول عمر : تعلموا اللحن في القرآن كما تعلمونه ، فقالوا : كُتب هذا عن قوم ليس لهم لغو كلغونا ، قلت : ما اللغو ؟ فقال : الفاسد من الكلام . وقال الكلايون : اللحن : اللغة . فالمعنى في قول عمر : تعلموا اللحن فيه ، يقول : تعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم » ^٣ ، « وجاء في رواية تعلموا اللحن في القرآن كما تعلمونه ، يريد تعلموا لغة العرب بإعرابها » ^٤ ، ووردت اللفظة بمعان أخرى . وقد أجمل العلماء ما جاء فيها من معان بستة معان : الخطأ في الإعراب ، واللغة ، والغناء ، والقطعة ، والتعريض ، والمعنى .

وقد ذكر أن الرسول لما أرسل (سعد بن معاذ) ، وهو يومئذ سيد الأوس و (سعد بن عباد) ، وهو يومئذ سيد الخزرج إلى (كعب بن أسد) ، وكان قد نقض عهده الذي عهده للرسول وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ، قال لما : « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقاً فالحنوا إليّ لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فبايتنا وبينهم فاجهروا به للناس » ، فلما أتياهم وجداهم على أخبث ما بلغها

-
- ١ اللسان (٣٨٠/١٣) وما بعدها ، (لحن) ، تاج العروس (٣٣١/٩) ، (لحن) ، الفائق (٩٩/٢) ، (٤٥٧/٢) .
 - ٢ الأماشي ، للقالبي (٥/١) ، السيوطي ، الاتقان (٢٦٠/٢) .
 - ٣ اللسان (٣٨٠/١٣) وما بعدها ، (لحن) ، تاج العروس (٣٣١/٩) ، (لحن) .
 - ٤ اللسان (٣٨١/١٣) ، (لحن) ، تاج العروس (٣٣١/٩) ، (لحن) .
 - ٥ اللسان (٣٨١/١٣) ، (لحن) ، تاج العروس (٣٣١/٩) ، (لحن) .

عنهم ، نالوا من رسول الله ، « وقالوا : من رسول الله ! لا عهد بيتنا وبين محمد ولا عقد » ، فلما عادا الى رسول الله قالوا : « عضل والقارة . أي كغندر عضل والقارة » ، فاللحن هنا بمعنى الإيماء والاشارة والرمز^١ ، فاللحن هنا أن تريد الشيء فتورى عنه^٢ .

والذي أريده من اللحن ، الخطأ في الكلام ، والزيف عن الإعراب ، وهو معنى لا نستطيع فهمه من النصوص الجاهلية ، نخلو تلك النصوص من الحركات ، ومن الاشارة الى قواعد لغاتها . ولذلك فلا مناص لنا لفهمه إلا بالرجوع الى الموارد الإسلامية . وهي تذكر أن اللحن بهذا المعنى ، لم يظهر إلا في الاسلام ، ظهر بسبب دخول الأعاجم في دين الله ، واختلاطهم بالعرب ، وأخذهم لغتهم واتصال العرب بهم ، ففسدت الألسنة ، وظهر اللحن بين الموالي وبين العرب . وقد عيب ظهوره في العربي ، حتى عير من ظهر اللحن على لسانه ، فلما فشا وكثر ، صار شيئاً مألوفاً حتى غلب على ألسنة الناس . وهم يذكرون ان العربي القح الأصيل ، لم يكن يخطيء في كلامه ، لأنه يتكلم عن طبع وسجية ، ومن كان هذا شأنه ، لا يقع اللحن في كلامه ، أو لأنهم كانوا يتأملون مواقع الكلام ويعطونه في كل موقع حقه وحصته من الإعراب عن ميزة وعلى بصيرة^٣ .

يقول العلماء : وكان أول لحن ظهر بين العرب على عهد النبي ، فقد رووا أن الرسول سمع رجلاً يقرأ فلحن ، فقال : ارشدوا أخاكم ، أو ارشدوا أخاكم فإنه قد ضل^٤ ، ثم فشا وانتشر في مواضع الاختلاط خاصة ، حيث اختلط العمجم بالعرب ، كالعراق وبلاد الشام ومصر ، حتى دخل أعمال الحكومة ، فأخطأ الكتاب في النحو ، وأفحشوا في الإعراب ، فكتب كاتب من كتاب (أبي موسى) الأشعري كتاباً فيه ، (من أبو موسى ...) أو ما شابه ذلك من خطأ في القول ، فكتب (عمر) الى عامله : « سلام عليك . أما بعد ،

-
- ١ الروض الأنف (١٩٠/٢) ، ابن هشام ، سيرة (١٩٠/٢) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ الأمالي ، للقالبي (٦/١) .
 - ٣ الرافعي (٢٤٠/١) ، « وبهذا الاعتبار نقطع بأن اللحن لم يكن في الجاهلية البتة » ، الرافعي (٢٤٢/١) .
 - ٤ كنز العمال (١٥١/١) .
 - ٥ ابن جني ، الخصائص (٨/٢) ، (دار الكتب) .

فاضرب كاتبك سوطاً واحداً ، وآخر عطاءه سنة ١ : أو : « إذا أذاك كتابي هذا ، فاجلده سوطاً واعزله عن عملك » ٢ ، أو « قنع كاتبك سوطاً » ٣ ، أو : « ان كاتبك الذي كتب إليّ لحن ، فاضربه سوطاً » ٤ ، وذكر (الجاحظ) ، أن (الحصين بن أبي الحر) كتب الى (عمر) كتاباً « فلحن في حرف منه ، فكتب اليه عمر : أن قنع كاتبك سوطاً » .

وسبب ذلك أنهم كانوا يرون ان اللحن عيب مشين . قال « عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، والعجب آفة الرأي . وكان يقال : اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه » ٥ .

ولا يمكن تفسير قول القائل ان « اللحن بمعنى الخطأ محدث ، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلّموا بطباعهم السليمة » ٦ ، الا أن يكون مراده أن الجاهليين كانوا يتكلمون بطباعهم السليمة بلغاتهم ، كل يتكلم بلغته ، ووفق سجيته ولسانه الذي أخذه من بيته ، فهو ينطق وفق ما سمع وحفظ ، فلا يلحن في الكلام بلسانه الذي أخذه من أهله ، وهو رأي أقول انه على الجملة مقبول معقول . أما اذ أريد به ، أن العرب كانوا جميعاً يتكلمون بلسان واحد ، فلا يخطئ أحدهم فيه ولا يلحن ، فإن ذلك يتعارض مع قولهم بوجود اللغات ، وبأن تلك اللغات كانت تتباين في أمور كثيرة في جملتها قواعد في النحو والإعراب ، كما في (ذي) الطائفة ، وفي اعراب المثني بالآلف مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً وذلك في لغة (بلحرث) و (خثعم) و (كنانة) ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان ٧ ، وكما في (كم) الحبرية ، حيث ينصب (بنو تميم) تمييز (كم) ، ولغة غيرهم وجوب جره وجواز لإفراده وجمعه ، وكما في إعراب (الذين) من أسماء الموصول إعراب جمع المذكر السالم في لغة

-
- ١ مراتب النحويين (٦) ، الرافعي (٢٤٣/١) .
 - ٢ كنز العمال (٢٢٤/٥) ، حضرت عمر (١٣٧) ، (القسم العربي) .
 - ٣ أدب الكتاب ، للصولي (١٢٩) ، حضرة عمر (١٣٨) .
 - ٤ حضرت عمر (١٣٨) .
 - ٥ البيان والتبيين (٢١٦/٢) .
 - ٦ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (٢٣٩/٥) .
 - ٧ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٤٤/١ وما بعدها) .

(هذيل) ، أو (حقيبل) وفي قول بعضهم هذه النخيل وقول بعض آخر هذا النخيل الى غير ذلك من مواطن خلاف وتباين بحث فيها العلماء^١ ، لا مجال للبحث فيها في هذا المكان ، ووجود هذا الاختلاف ، هو دليل في حد ذاته على خروج القبائل على قواعد اللغة ، والخروج على القواعد هو اللحن .

لقد أقر علماء العربية بوجود خلاف بين القبائل المتكلمة بلهجات عربية شمالية ، وقد أشرت الى مواضع ذكروها في هذا الباب ، وكشف علماء النحو عن خلاف في قواعد النحو ، في مثل اختلاف القبائل في التذكير والتأنيث ، كما في مثل الطريق والسوق والسبيل والتمر ، فهي ألفاظ مؤنثة عند أهل الحجاز ، وهي مذكرة عند قبائل أخرى ، وكشفوا عن أمور أخرى ، إن تكلم المتكلم أو كتب بها عدّ صدور ذلك لحناً منه ، فهل يعدّ العربي المتكلم بلهجة من هذه اللهجات المخالفة مخالفاً لقواعد العربية ، أي لحناً ، كما نعدّ الأعجمي الذي يقع في الخطأ نفسه ، أم نعدّه فصيحاً ، عربي اللسان والسليقة ؟ أما الأعجمي الذي يقع في الخطأ ذاته فنعدّه لحناً لحنه !

لقد ذكروا ان الرسول « حين جاءته وفود العرب ، فكان يخاطبهم جميعاً على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم ، وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية ، على حين ان أصحابه رضوان الله عليهم ومن يفد عليه من وفود العرب الذين لا يوجه اليهم الخطاب ، كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة ، حتى قال له علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وسمعه يخاطب وفد بني نهـد : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره ؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوضح لهم ما يسألونه عنه مما يجهلون معناه من تلك الكلمات^٢ ، فهل يعقل بعد ، أن يقال إن العربي كان لا يلحن ولا يخطئ في كلامه ولا يزيغ عن العربية المبيّنة ، والعرب هم على ما هم عليه من اختلاف اللهجات ، الذي يدفع حتماً على وقوع اللحن ، لو تكلموا بالعربية القرآنية ، أي هذه العربية التي يسميها علماء اللغة لغة قريش ، والتي هي اللسان العربي المبين على تسمية القرآن لها .

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١ / ١٢٠ وما بعدها) .

٢ المزهر (١ / ٣٢٥) .

ثم كيف تفسر حديث : « ارشدوا أخاكم » ، أو « ارشدوا أخاكم فإنه قد ضل » مع قولهم إن العربي لا يخطيء في كلامه ولا يلحن ، لأنه يتكلم عن طبع وسليقة ، ولم يكن هذا الذي لحن أمام الرسول ، أعجمياً ، وإنما كان عربياً ، فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف وقع اللحن إذن ؟ ثم كيف تفسر خبر سماع الإمام (علي) أعرابياً ، وهو يلحن في القرآن ويقرأ : « لا يأكله إلا الخاطئين »^١ ، أو خبر ذلك الأعرابي الذي قرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بالجر ، لأن رجلاً من أهل المدينة أقرأه إياها على هذا النحو ، فبلغ ذلك (عمر) ، فأمر ألا يقرء القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو^٢ ، والأعراب هم لب العرب ، وصفوتهم في الكلام ، فكيف وقع هذا الأعرابي في اللحن يا ترى ؟ ثم كيف تفسر قول من زعم أن في القرآن آيات فيها لحن ، مثل : إن هذان لساحران^٣ ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة^٤ ، وإن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^٥ ، ومواضع أخرى تحتاج إلى تأويل ليستقيم لأعرابها^٦ ، أو إلى إصلاح املائها لتتجر من اللحن^٧ .

ثم كيف اختلف قراء القرآن في نصب (الطير) في الآية : « يا جبال أوبي معه والطير » أو رفعها^٨ ، واختلافهم في ضم الفاء أو فتحها في الآية : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم »^٩ ، واختلافهم في بناء الفعل للمجهول أو للمعلوم في الآية : « ألم غلبت الروم »^{١٠} ، وغير ذلك من مواضع اختلاف ، اختلف فيها القراء ، مع كونهم من العرب الأقحاح .

ثم كيف تفسر اضطراب العلماء وذهابهم مذاهب في قراءة الآية : « قالوا :

- ١ نزهة الألباء (٨) ، (محمد أبو الفضل إبراهيم) .
- ٢ المصدر نفسه .
- ٣ طه ، الآية ٦٣ .
- ٤ النساء ، الآية ١٦٢ .
- ٥ المائدة ، الآية ٦٩ .
- ٦ السيوطي ، الاتقان (٢ / ٢٦٩) .
- ٧ السيوطي ، الاتقان (٢ / ٢٧١) .
- ٨ سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٠ ، تفسير الطبري (٢٢ / ٤٦) وما بعدها .
- ٩ التوبة ، الآية ١٢٨ ، تفسير الطبري (١١ / ٥٥) ، تفسير الألوسي (١١ / ٤٧) .
- ١٠ سورة الروم ، الرقم ٣٠ ، الآية ١ وما بعدها .

إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم ويذهبا بطريقتكم المثلى ^١ ،
وتأويلهم القراءة جملة تأويلات ، لأن القاعدة النحوية تقول : « ان هذين »
بينما القراءة : « إن هذان » ، فعللها جملة تعليلات ، منها أن هذه القراءة
تولت بلغة (بني الحارث بن كعب) ومن جاورهم يجعلون الاثنين ، أي المثني
في رفعها ونصبها وخفضها بالألف ، كما في قول بعض (بني الحارث بن كعب) :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لتأباه الشجاع لصماً

وقيل إن هذه القراءة ، هي قراءة بلحارث بن كعب ، وخثعم ، وزيد ومن
وليهم من اليمن ^٢ . ونسبها (الزجاج) الى كنانة ، وابن جني الى بعض
بني ربيعة ^٣ .

ثم ما ورد في خبر آخر عن سعيد بن جبير ، من قوله : « في القرآن أربعة
أحرف لحن : الصابئون ^٤ ، والمقيمين ^٥ ، وفأصدق وأكن من الصالحين ^٦ ،
وإن هذان لساحران ^٧ الى غير ذلك من أخبار . ثم ما ورد من قول (عثمان) :
« إن في القرآن لحناً ، وستقيمه العرب بألستها » ، وأمثال ذلك ^٨ ، وما ذكر
من أن (أبا بكر) ، كان يستحب أن يسقط القارئ الكلمة من قراءته على
أن يلحن فيها ^٩ ، أفلا يدل هذا الخبر ، على أن اللحن كان معروفاً ومتفشياً في
عهد (أبي بكر) ، وما روي في رواية تقول : « لما كتبت المصاحف عرضت
على عثمان رضي الله عنه ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيروها
فإن العرب ستغيرها ، أو قال ستعربها بألستها » ، لو كان الكاتب من ثقيف

-
- ١ سورة طه ، الرقم ٢٠ ، الآية ٦٣ .
 - ٢ تفسير الطبري (١٣٦/١٦ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير النيسابوري (١١٨/٦) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، السيوطي ،
الاتقان (٢٧٣/٢) .
 - ٤ المائدة ، الرقم ٥ ، الآية ٧٢ .
 - ٥ النساء ، الرقم ٤ ، الآية ١٦١ .
 - ٦ المنافقون ، الرقم ٦٣ ، الآية ١٠ .
 - ٧ سورة طه ، الرقم ٢٠ ، الآية ٦٣ ، السيوطي ، الاتقان (٢٧٣/٢) .
 - ٨ المصاحف (٣٣) ، السيوطي ، الاتقان (٢٧٢/٢ وما بعدها) .
 - ٩ الرافعي (٢٤٠/١) .

والملي من هذيل لم يوجد فيه هذه^١ ، ثم ما ورد من وقوع اللحن من عرب
أفحاح ، ومنهم من ولي الحكم وإدارة أمور المسلمين^٢ ، ومنهم ابنة (أبي الأسود
الدؤلي) التي لحقت أمامه ، فعمل باب التعجب على ما يزعمه الرواة^٣ .

وتوحي الأحاديث الواردة في الحث على إعراب القرآن ، والكتب التي ألفها
العلماء في إعرابه ، أن من العرب : من أهل مدبر وأهل وير ، من كان يقرأ
القرآن بغير إعراب ، إما لأن لغته لم تكن معربة ، وإما لأن إعرابها كان
لا يتجانس مع إعراب القرآن ، وسببه أن الجاهليين لم يكونوا يتقيدون جميعاً
بقواعد الإعراب ، فمنهم من كان يتحلل منه ، ومنهم من يعمل به وفق قواعد
لغته ولهجته ، ودليل ذلك قراءة الصحابة القرآن بألسنتهم ، مما سبب في ظهور
مشكلة القراءات ، وهذا ما أخاف الصحابة ، وجعلها تخشى من احتمال ظهور
قرائن مختلفة ، مما حل (عثمان) على توحيد لغة القرآن ، وتدوين كتاب الله
حسب التوصيات التي أعطاها إلى اللجنة التي كلفها بتدوينه .

أضف إلى ذلك ما نجده في الكتب من إجازة إصلاح اللحن والخطأ في الحديث.
من مثل ما نسب إلى الأوزاعي من قوله : « لا بأس بإصلاح اللحن والخطأ في
الحديث » ، وقوله : « اعربوا الحديث فإن القوم كانوا عرباً » ، ومثل ما
نسب إلى (يحيى بن معن) من قوله : « لا بأس أن يقوم الرجل حديثه على
العربية » وإلى (ابن أبي رباح) حين مثل عن الرجل يحدث بالحديث فيلحن ،
هل يحدث به كما سمع منه أم يعرب ، فقال لسائله : لا ، بل اعربه . وما ورد
في أقوال العلماء في جواز أو عدم جواز إصلاح اللحن في الحديث ، واختلافهم
فيه^٤ ، هو دليل على أن من العرب من كان يقع في اللحن أيضاً ، وإن اللحن لم
يقع من الأعاجم وحدهم .

١ مفتاح السعادة (٢٧٧/٢) .

٢ « وزعم المدائني أن خالد بن عبدالله قال : ان كنتم رجبون فانا رمضانيون . ولو لا
أن تلك العجائب قد صحت عن الوليد ما جوزت هذا على خالد » ، البيان والتبيين
(٢١٦/٢) .

٣ « كان الذي حدها على ذلك أن ابنته قالت له : يا أبت ما أشد الحر ، وكان في شدة
القيظ . فقال ما نحن فيه ! فقالت : إنما أردت أنه شديد . فقال : قولي : ما أشد ،
فعمل باب التعجب » ، الإصابة (٢٣٣/٢) ، (رقم ٤٣٢٩) .

٤ محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية (١٠٨ وما بعدها) .

ثم ان من غير المعقول ألا يقع اللحن من أهل اليمن ومن بقية عرب العربية الجنوبية ، السدين كانوا يتكلمون باللسنة عربية جنوبية ، رأينا أنها تختلف عن عربيتنا في مفردات الألفاظ وفي قواعد النحو والصرف .

إن كل من صدر منهم اللحن ، ممن أشرت اليهم وممن لم أشر ، كانوا من العرب ، منهم من كان من أهل المدر ، ومنهم من كان من أهل الوبر ، بهم بدأ اللحن ، أما لحن العجم ، فقد بدأ بعد اللحن الذي ظهر في أيام الرسول ، وفي أيام (عمر) بدأ بالطبع بالفتوح ، فلحن العرب اذن أقدم عهداً من لحن العجم ، يؤيد ذلك ما يرويه العلماء من وقوع الشعراء الجاهليين في أخطاء نحوية ، هي لحن وخروج على القواعد في نظرهم . والشعراء الجاهليون عرب ، ومن لسانهم استمد علماء النحو نحوهم وصرفهم . فقد زعموا ان (النابغة) أخطأ في قوله : « في أنيابها السم نافع » ، ولحن لحناً شنيعاً ، وكان عليه أن يقول : « في أنيابها السم نافعاً »^١ ، أخطأ ولحن على زعمهم ، مع ان كلامه حجة عندهم ، واستشهدوا به في قواعد النحو والصرف .

وأخذ (حفص بن ابي بردة) ، وهو من أهل الكوفة ومن أصحاب (حماد) الراوية على (المرقش) ، انه كان يلحن ، زعم انه لحن في شعره ، وقد أشير الى زعمه هذا في شعر هجاء هجوه به ، هو :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كثير العود عما تتبع
تتبع لحناً في كلام مرقش وخلقك مبني على اللحن أجمع
فعيناك إقواء وأنفك مكفأ ووجهك لإبطاء فانت المرقع^٢

وزعم علماء الشعر ، أن (امرأ القيس) حامل لواء الشعر ، ومن جاء بعده من الشعراء ، مثل (النابغة) ، و (بشر بن أبي خازم) ، و (الأعشى) ، أقروا في شعرهم ، والإقواء : هو اختلاف إعراب القوافي ، وهو أن تختلف حركات الروي ، فبعضه مرفوع وبعضه منصوب أو مجرور . ويكثر وروده في

١ ضحى الاسلام (٢٨٨/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٦٠١/٢) ، المرزباني ، معجم (٢٨٠) ، السمط (٣٩/٣) ، يوهان فك (٦٤) ، (فعيناك اقواء) ، البيان والتبيين (٢١٥/٢) ، الشعر للشاعر « البردخت » ، وهو « علي بن خالد الضبي العكلي » ، العقد الفريد (٤٨١/٢) .

اجتماع الرفع مع الجر ، واما الإقواء بالنصب فقليل . وهو في نظرهم عيب^١ . وزعموا أن بعضاً من شعراء الجاهلية أكفأوا في شعرهم . والإكفاء ، المخالفة بين حركات الروي رفعاً ونصباً وجرأ ، أو المخالفة بين هجائها ، أي القواني ، فلا يلزم حرفاً واحداً تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت ، ومثله أن يجعل بعضها ميماً وبعضها طاء ، وقال بعضهم : الإكفاء في الشعر هو التعاقب بين الراء واللام والنون . وهو أحد عيوب القافية الستة التي هي : الإيطاء ، والتضمين ، والإقواء ، والإصراف ، والإكفاء ، والسناد^٢ .

وقد روى أهل الأخبار قصة زعموا أنها وقعت للناطقة ، وكان لا يعرف شيئاً عن إقوائه بشعره ، فلما وقعت له عرف به فعافه ، ذكروا ان الناس خافوا تنبيه الشاعر إلى إقوائه ، وبقي هو عليه ، حتى دخل يثرب ، فأرادوا إظهار عيبه له فأمرؤا قينة لهم ان تغنيه شعره ، فغنته :

أمن آل مية رائح أو مغندي عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك حدثنا الغراب الأسود^٣

ففظن اليه ولم يعد الى إقواء . قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان ، الناطقة وبشر بن أبي خازم ، فأما الناطقة فدخل يثرب فغنى بشعره ففظن فلم يعد للإقواء ، وأما بشر ، فقال له أخوه سودة : انك تقوي ، قال : وما الإقواء ؟ قال : قولك :

ألم ترَ أن طول الدهر يُسلى ويُنسى مثل ما نسيت جذامُ

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم الى البلد الشامِ

فلم يعد للإقواء^٤ .

١ تاج العروس (٣٠٧/١٠) ، (قوى) .

٢ تاج العروس (١٠٨/١) ، (كفا) .

٣ الشعر والشعراء (١٠٦/١) ، (دار الثقافة) .

٤ الشعر والشعراء (١٩٠/١) ، (دار الثقافة) ، الخزائن (٢٦٢/٢) .

ورويت قصة لإقواء (بشر بن أبي خازم) بشكل آخر ، فقد زعم ان أخاه
(سودة) قال له : إنك تقوي ، قال : وما الإقواء ؟ قال : قولك :

ألم ترَ أن طولَ الدهر يُسلي وينسي مثل ما نسيت جُذامُ

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم الى البلد الشامِ

فلم يعد للإقواء ١ ، أو أن أخاه (ميمر) ، قال له : « أكفأت وأسأت .
فقال : وما ذلك ٢ ؟ » .

وقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فزعموا أن المصاحف لما كتبت « عرضت على
عثمان ، فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : لا تغيروها ، فإن العرب ستغيرها
— أو قال ستعربها — بألستها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل
لم توجد هذه الحروف ٣ ، وقد كان كل من اختارهم الخليفة لكتابه القرآن من
خالص العرب ، ولم يكن من بينهم من هو من المولدين أو الموالي ، وقد كانوا
من الفصحاء الألباء ، فكيف وقع منهم اللحن إذن ؟

بل زعموا أن (عمر) ضرب أولاده لما لحنوا ، وأن (معاوية) كلم (عبيد الله
ابن زياد) ، فوجده كيساً عاقلاً على انه يلحن فكتب الى والده بذلك ٤ ، وزعموا
ان (الحجاج) كان يلحن ، زعموا انه لحن في القرآن ، فقرأ : « إنا من
المجرمون متقنون ٥ » ، وزعموا انه لحن في آيات أخرى ٦ ، والحجاج من ثقيف ،
ولم يكن أعجمياً ، حتى يظهر اللحن منه ، مع انهم جعلوه أحياناً من أفصح
العرب ، ومن لم يلحن في حياته في جد ولا هزل . قال (الأصمعي) : « أربعة
لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن

١ الشعر والشعراء (١٩٠/١) ، الموشح ٥٩ ، الخزانة (٢٦٢/٢) وما بعدها .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (٤٩) .

٣ السيوطي ، الاتقان (٢٧٠/٢) .

٤ الفائق (٩٩/٢) ، البيان والتبيين (٢١٠/٢) ، الخزانة (١٤/٣) ، (بولاق) .

٥ البيان والتبيين (٢١٨/٢) ، (عبد السلام هارون) .

٦ ابن سلام ، طبقات (٦) ، نزهة الألباء (١٦) وما بعدها .

يوسف ، وابن القرية . والحجاج أفصحهم ^١ . وزعموا ان (الوليد بن عبد الملك) ، وأخاه (محمد بن عبد الملك) كانا لحّانين ^٢ . ذكر ان (الوليد) خطب الناس يوم عيد ، فقرأ في خطبته « يا ليتها كانت القاضية ، بضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز : عليك وأراحنا منك ^٣ . ورووا قصصاً عن لحنه . وذكر أن (عبد الملك) قال : « أضر بالوليد حبنا له ، فلم نوجهه الى البادية » يقصد انه كان يلحن بسبب عدم ارساله الى الأعراب ليأخذ عنهم اللسان الفصيح . وقد كان أخوه محمد لحّاناً كذلك ، وذكر انه لم يكن في ولد عبد الملك أفصح من هشام ومسلمة ^٤ . قال (الجاحظ) : « وكان الوليد بن عبد الملك لحنه ، فدخل عليه أعرابي يوماً ، فقال : أنصفني من ختني يا أمير المؤمنين . فقال : ومن ختتك ؟ قال : رجل من الحي لا أعرف اسمه . فقال عمر بن عبد العزيز : ان أمير المؤمنين يقول لك : من ختتك ؟ فقال : هوذا بالباب . فقال الوليد لعمر : ما هذا ؟ قال : النحو الذي كنت أخبرتك عنه . قال : لا جرم : فلاني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه ^٥ . وذكر (الجاحظ) أمثلة على اللحن ^٦ . وروى أن كتب (الوليد) كانت تخرج ملحونة . فسأل (اسحاق بن قبيصة) أحد موالي (الوليد) ما بال كتبكم تأتين ملحونة وأنتم أهل الخلافة ؟ فأخبره المولى بقولي ، فإذا كتابٌ قد ورد عليّ : أما بعدُ فقد أخبرني فلان بما قلت ، وما أحسبك تشك أن قريشاً أفصح من الأشعرين ، والسلام ^٧ .

وقد ورد في شعر (مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري) قوله :

وحديثُ الذّه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

وقد ذكر أنه لم يرد اللحن في الإعراب الذي هو ضد الصواب ، وإنما أراد

-
- ١ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (٥٨) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٠٥ / ٢) .
 - ٣ الرافعي (٢٤٦ / ١) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢٠٤ / ٢) وما بعدها ، (٢١٦) .
 - ٥ المحاسن والاضداد (٦) .
 - ٦ المصدر نفسه .
 - ٧ البيان والتبيين (٢٠٥ / ٢) .

الكتايبه عن الشيء والتعريض بذكره ، والعدول عن الافصاح عنه . قيل :
تكلمت (هند بنت أسماء بن خارجة) ، أخت الشاعر المذكور فلهنت ، وهي
عند الحجاج ، فقال لها : أتلهن وأنت شريفة في بيت قيس ؟ فقالت :
أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية ؟ قال : وما هو ؟ قالت : قال :

منطق صائب وتلحن أحيسا نأ ونخير الحديث ما كان لحننا

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن في القول ، إذا كتى المحدث عما
يريد ، ولم يعنِ اللحن في العربية ، فأصلحي لسانك . غير أن منهم من رأى
أن المراد بهذا اللحن ، اللحن المخالف لصواب الاعراب^١ .

وقد ذكر (السهيلي) ، أن الجاحظ قد أخطأ حين قال في كتابه (البيان
والتبيين) ، أن الشاعر لم يقصد اللحن الذي هو الخطأ في الكلام وإنما أراد
استملاح اللحن من بعض نسائه ، وخطأه في هذا التأويل^٢ ، قال : فلما حدث
الجاحظ بحديث (الحجاج) ، قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أألف كتاب
البيان ، ما قلت في ذلك ما قلت ! فقال له : أفلا تغيره ؟ فقال : كيف وقد
سارت به البغال الشهب ، وانجد في البلاد وغار . و قال السيرافي : ما
عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضده ، فإن اللحن عدول
عن طريق الصواب ، والنحو قصد الى الصواب^٣ .

وذكروا أن بعض شعراء الدولة الأموية كان يلحن ، ومن وقع منه اللحن
(الفرزدق) . روى أن (عبدالله بن يزيد الحضرمي) البصري ، كان ينتقده
ويتعقب لحنه ، فهجاه الفرزدق ، بقوله :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى المواليا

فقال له الحضرمي : لحت . ينبغي أن تقول مولى موال^٤ .

١ أمالي المرتضى (١٥/١) ، الامالي ، للقالى (٥/١) .

٢ البيان والتبيين (١٤٧/١) .

٣ الروض الانف (١٩٠/٢) .

٤ الرافعي (٢٥٦/١) .

« وقالوا : تريخ ابن جؤية في اللحن ، حين قرأ : هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ، وجعلوه حالاً ، يعني : أطهر . وليس هو كما قالوا ... »^١ ،
و « تكلم معاوية بن صعصعة بن معاوية يوماً ، فقال له صالح بن عبد الرحمن :
لحنت . فقال له معاوية : أنا ألحن يا أبا الوليد ، والله لترك بها جبريل من
الجنة »^٢ .

وقد فشا اللحن وانتشر حتى بين العلماء ، وبين علماء النحو واللغة أيضاً ، حتى
غلط بعضهم بعضاً ، ونسب بعضهم اللحن الى البعض الآخر ، قال (ابن فارس) :
« وقد كان الناس قديماً يمتنعون اللحن فيما يكتبونه أو يقرأونه اجتنابهم بعض
الذنوب . فأما الآن ، فقد تجوزوا حتى إن المحدث يحدث فيلحن ، والفقيه يؤلف
فيلحن ، فإذا نُبِّها قالوا : ما ندري ما الإعراب ! وإنما نحن محدثون وفقهاء »^٣ .
ولما كثر اللحن في الحديث ، جوزوا إعرابه . قال (الأوزاعي) : « لا بأس
بإصلاح اللحن والخطأ في الحديث » ، وقال أيضاً : « اعربوا الحديث فإن القوم
كانوا عرباً » . وقال (النضر بن شميل) : « كان هشيم لحناً ، فكسوت لكم
حديثه كسوة حسنة ، يعني بالإعراب »^٤ .

وبعد ، فقد رأيت من روايات أهل الأخبار أنفسهم ، أن اللحن لم يكن
قاصراً على المعجم ، بل كان قد عرف بين العرب كذلك ، وعلى هذا يجب ألا
نلقي مسؤولية ظهوره على الأعاجم ، بل على العرب أولاً ، لأنهم هم الذين
بدأوا باللحن ، بدأوا به قبلهم بأمد طويل ، لحنوا في الجاهلية ، أي قبل دخول
العجم في الاسلام . فنحن ننظم الأعاجم اذن ، إن ألقينا على عاتقهم مسؤولية
إشاعة اللحن بين العرب . ولكن هل يعقل وقوع اللحن من عرب كالجاهليين ،
ومن شعراء فحول ، استمد علماء اللغة قواعد النحو والصرف من شعرهم مثل
(النابغة) الشاعر المعظم ، أو من غيره ؟ لقد سبق أن ذكر علماء اللغة أن
العربي ، لا يزال في كلامه وحاشا له أن يلحن أو يخطيء في لسانه ، لأنه إذا
تكلم تكلم عن سليقة وطبع ، وقد حماه الله من الوقوع في زلل الكلام ! إذن فكيف

١ مجالس ثعلب (٤٣) .

٢ مجالس ثعلب (٤٧) .

٣ انصاحي (٦٦) .

٤ أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية (١٠٨ وما بعدها) .

نفسر ما ذكروه من وقوع النابغة في اللحن ، ومن وجود الإقواء في شعره وفي شعر غيره ، ومن ظهور اللحن في أيام الرسول ؟ هل نرجع ذلك الى خطأ الرواة في رواية شعر النابغة وأمثاله ، أو نرجع ذلك الى التزوير ، فنقول إن ذلك الشعر مفتعل ، وإنه ليس من شعر النابغة ، وإنما هو شعر منحول وضع عليه ، ومن ثم وقع الخطأ . ولكن الذي نعرفه أن من كان ينحل العرب الشعر وينسبه للجاهليين ، كان من أنفن الناس لشعر الجاهلية ومن أعرف الناس بالعربية ، ومن البارعين الحاذقين بقواعدها ، وأناس على هذا الطراز من الفهم والعلم ، هل يعقل وقوع مثل هذا الغلط منهم ؟ أو هل نرجع ذلك الى الخطأ في التدوين والاستساخ ، ولكن كيف غفل العلماء من النص على ذلك ؟

وجوابي أن القول بأن اللحن بمعنى الخطأ في الكلام ، يستوجب وجود لغة فصيحة ذات قواعد نحوية وصرفية مقدرة ومقننة وثابتة تعدّ اللغة الفصيحة العالية في نظر أصحابها ، من يخالف قواعدها يعدّ لحناً لا يحسن القول ولا الكلام . وهو قول لا يعارضه أحد بالنسبة الى وجوده في الاسلام ، بعد أن فرض الاسلام دين الله على المؤمنين به كتاباً سماوياً ولساناً عربياً مبيناً ، تثبتت قواعد نحوه وصرفه في الاسلام . فن سار عليها عدّ فصيحاً ، ومن خالفها عدّ لحناً عاماً . أما بالنسبة لأهل الجاهلية ، فالقول بوجود اللحن عندهم ، يقتضي التسليم بوجود لغة فصيحة عليا لديهم ، لها قواعد مقررة ، من تكلم وفقها عدّ فصيحاً ، حسب درجة إعرابه وملكنه في اللغة ، ومن خالفها عدّ عاماً جلفاً . وقد أكد علماء اللغة ، وجود هذه العربية الفصيحة ، التي هي عندهم عربية قريش ، عند ظهور الاسلام ، وقالوا : إن بها كان نزول عربية القرآن ، وبها نظم الشعر الجاهلي ، وبها نثر الكلام الجاهلي المنشور . أما اللحن ، فقد أنكروا وجوده ، ولم يسلموا بوقوعه ، وحجتهم ما ذكرته من أن العربي فصيح بطبعه ، اذا تكلم تكلم عن سجية فيه وسليقة ، لم يلحن ولم يخطئ في كلامه في الجاهلية ، الى أن كان الاسلام ، فاختلط العرب بالأعاجم ، ودخل الغرباء بين العرب ، ففسد الطبع وظهر الخطأ في اللسان ، وفشا اللحن .

وقد يعقل تصور وجود هذه العربية الفصحى ، اذا افترضنا - مع المفترضين الأخباريين - ان تلك العربية ، هي عربية أهل مكة ومن عاش حولهم ، وإنها كانت عربية قريش ، وأن المتكلمين بها كانوا بشراً عصموا عن الخطأ في اللسان

وجبلوا على التكلم بها على الفطرة ، ولكننا لا نستطيع القول انها كانت عربية كل عرب جزيرة العرب ، إذ رأينا العرب الجنوبيين ، وقد كانوا يتكلمون بلغات أخرى ، ووجدنا عرب أعالي الحجاز ، ولهم ألسنة تباين عربية القرآن ، ورأينا للقبائل لهجات ، تختلف بدرجات عن هذه العربية . فكيف يتصور اذن اتفاق العرب كلهم على التكلم بلسان قريش ، وبغير خطأ أو زلل في اللسان .

وفي قلمي علماء اللغة وجود اللحن عند الجاهليين تعارض مع رواياتهم القائلة بوجود الإقواء والإكفاء في شعر بعض الشعراء الجاهليين ، وبلحن (النابغة) في قوله : « في أنيابها السم نافع » ، وبلحن الأعرابي في حضرة الرسول ، وتباين لغات العرب ، تبايناً تحدثت عنه في فصل (لغات العرب) وقد وقع في كثير من صميم خصائص اللغات ، ومن بينها أمور تخص قواعد الإعراب ، وفيه تعارض أيضاً مع القرارات الشهيرة والشاذة للقرآن ، وبينها أمور تخص قواعد النحو والصرف والإعراب ، وفيه تعارض مع ما ذكره من أن « أطراف الجزيرة لم تكن خالصة العروبة في القديم ، بل كان أهلها مغلوبين على أمرهم ؛ فلم يكن لهم من معنى اللغة إلا تعاور المنطق والاستبداد بالكلمات يتلقفونها ممن حولهم ، لأن ملكات الوضع العربي فيهم غير صحيحة ، وشروطه غير تامة ، وليس كل عربي الجنس عربي اللسان ، وإلا فما بال الحميريين ومن قبلهم من الأمم السالفة ؟^١ .

وكيف يعقل قلمي اللحن عن العرب مع وجود اللغات ، ووجود التعارض والإختلاف بين بن قواعد هذه اللهجات ، هل يعقل أن يتكلم العربي الجنوبي ، باللغة العربية الفصحى من غير خطأ ولا لحن ، ولسانه غير لساننا ، وعربيته غير عربيتنا ، وقواعده على خلاف قواعدها ، وإعرابه على خلاف إعرابنا ، كما أثبت ذلك بالبرهان القاطع من الكتابات الجاهلية ، وبأقوال علماء العربية أنفسهم ، وفي مقدمتهم (أبو عمرو بن العلاء) ، القائل : « ما لسان حمير بلساننا ، ولا لغتهم بلغتنا » . ثم اننا إذا أخذنا القراءات المتنوعة التي قرئ بها القرآن ، والشواهد الشعرية الكثيرة التي أوردها علماء العربية والنحو على الشواذ ، وما يذكره العلماء من خلاف في النحو ، فإننا لا يمكن تفسير خروجها على القواعد إلا بأنها أثر من أثر بقايا اللهجات . وخروجها على القواعد ، هو لحن . ومن خرج على

١ الرافعي (٢٥٨/١) .

القواعد عدّ لحناً ، مهما كان عصره أو جنسه ، جاهلياً كان أم مسلماً ، عربياً كان أم أعجمياً ، لأن اللحن لا يختص بعصر أو جنس .

ان ما دعوه باللحن ، وما أخذوا الأعاجم عليه ، من عدم تمكنهم من النطق ببعض الحروف ، أو من وقوعهم في أخطاء نحوية ، نراه قد وقع للعرب الفصحاء في الجاهلية وفي الإسلام ، فما كان ينطقه بعض العرب من اشمام للضاد صوت الزاي ، أو من النطق بالجيم (كافاً) على اللهجة المصرية ، يعدّ لحناً ، لا صدر من أعجمي ، اما ان صدر من عربي ، فلا يقال لذلك لحناً ، بل يقال انه لغة من لغات العرب . واذا تصورنا ان عربية الجاهليين ، كانت عربية عالية واحدة ، على نحو ما يراه أهل الأخبار وعلماء اللغة ، وجب اعتبار هذه اللغات لغات عامية ، المتكلم بها خارج على قواعد اللغة ، فهو ممن يلحن ويخطئ سواء كان عربياً ، أم أعجمياً ، جاهلياً أم اسلامياً ، فنحن نتكلم هنا عن اسلوب كلام ، لا عن رسّ وأصل .

انا حين نقول ان اللحن لم يكن معروفاً بين أهل الجاهلية ، نكون قد حصّناهم بالعصمة : بعصمة اللسان ، ونكون قد جعلناهم بذلك شعباً مختاراً ، فضل بعصمة لسانه على ألسنة سائر البشر، ولكن العلم لا يعرف عصمة ولا حصانة في لسان ، وهو يرى ان اللحن لا بد وأن يقع عند أي شعب ، أو قوم ، أو قبيلة ، حتى ان كانت القبيلة في سرة البادية ، وفي معزل ناء ، لأن الطبيعة توجد من اختلاف قابليات أفراد القبيلة ومن اختلاف مستوى عقلياتهم وثقافتهم وتباعده سكنهم بعضهم عن بعض ، خروجاً على اللسان ، فيظهر اللحن الشاذ ، ويزر النشاز في اللغة ، مهما كان موطن هذه القبائل ، في جزيرة العرب أو في أي موضع آخر من العالم ، فاللحن ، أي التبليل في الألسنة من الأمور الطبيعية ، التي توجد في طبيعة البشر وطبيعة الاقليم ، وأمور أخرى بحث فيها علماء اللغة والاجتماع ، ولا يمكن أن يكون العرب بمنجاة منها !

لقد تحير (السيوطي) وغيره في تفسير خبر ورد عن (سعيد بن جبير) من انه « كان يقرأ : والمقيمين الصلاة ، ويقول : هو لحن من الكاتب » . فقال : « وهذه الآثار مشكلة جداً ، وكيف يظن بالصحابة أولاً انهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللدّ ! ثم كيف يظن بهم ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أنزل ، وحفظوه ، وضبطوه ، وأتقنوه » .

ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ! ... الخ «^١ ، وفي بعض هذه القراءات خطأ حصل من الكتابة ، قال « هشام بن عروة عن أبيه ، قال : سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى : إن هذان لساحران^٢ ، وعن قوله تعالى : والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة^٣ . وعن قوله تعالى : إن الذين آمنوا ولآلئهم هادوا والصابثون^٤ ، فقالت : يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب اخطأوا في الكتاب «^٥ ، أي من الرسم ، وهو في الأكثر ، فهذا الخطأ في الرسم القديم للكتابة ، هو الذي جعل العلماء يسمونه لحناً ، وهو ليس بلحن في الأصل ، وإنما جاء اللحن من قراءة القراء بألحانهم ، أي على حسب لغاتهم، وإلا فلا يعقل تطاولهم على القرآن بقراءتهم له قراءة مخالفة للإعراب ولما نزل به الوحي. وهكذا كان الأمر بالنسبة للمواضع الأخرى مثل : « اثنتا عشرة عيناً^٦ ، فقد قرئ بسكون الشين وهي لغة تميم ، وكسرها وهي لغة الحجاز ، وفتحها وهي لغة^٧ ، ومثل (الصراط) ، فقد قرأت بالسين وبالصاد ، والقراءتان لهجتا قبائل ، ومثل (حتى) ، فقد قرئت (عتي) ، قرأها (ابن مسعود) على لسانه ، إذ كان من هذيل .

وقد ذكر (المعري) أمثلة على قراءات في القرآن قرأها علماء مشهورون مثل (حمزة بن حبيب)، هي منكرة في نظر غيره من العلماء ، « ينكرها عليه أصحاب العربية ، كخفض الأرحام في قوله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، وكسر الياء في قوله تعالى : وما أنتم بمصرخي ، وكذلك سكون الهمزة في قوله تعالى : استكباراً في الأرض ومكر السيئ ، وجاء بأمثلة أخرى من قراءات غيره للقرآن^٨. والخلاف الذي نلاحظه في أمور النحو بين علماء أهل البصرة وعلماء أهل الكوفة ، في مثل عمل الأسماء والأدوات : أدوات الجرّ ، أو الخفض ، وأدوات النصب ، وأدوات الجزم ، وأمثال ذلك ، هو في حدّ ذاته دليل على وجود إعراب متعدد

-
- ١ السيوطي ، الاتقان (٢٧٠/٢) .
 - ٢ طه ، ٦٣ .
 - ٣ النساء ، الآية ١٦٢ .
 - ٤ المائدة ، الآية ٦٩ .
 - ٥ السيوطي ، الاتقان (٢٦٩/٢) .
 - ٦ البقرة ، الآية ٦٠ .
 - ٧ السيوطي ، الاتقان (٢٧٧/٢) .
 - ٨ رسالة الغفران (٣٦٧ وما بعدها) .

للعرب ، وقف العلماء على شيء يسير منه ، فوقعوا من ثم في بلبلة من أمره ، بسبب عدم اهتمامهم بأمر تلك اللغات ، واقتصرهم في جمعهم قواعد النحو على لهجات الأعراب الذين اتصلوا بهم ، فظهر لهم وكأنه نشاز ، ولو فطنوا يومئذ الى أنه من إعراب لغات ، لكان حكمهم حكماً آخر ولا شك . ومن هؤلاء الأعراب الذين أخذ عنهم البصريون : قيس ، وعميم ، وأسد ، « فإين هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب ، والتصريف . ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم »^١ ، والقبائل المذكورة باستثناء الطائيين ، هم من مجموعة (مضر) ، وليس فيها قبيلة من (ربيعة) ، لذلك نستطيع القول ان العربية قد بنيت على لهجات مضر ، وحيث أن علماء اللغة أهملوا لغات القبائل الأخرى وبينها قبائل من مضر كذلك ، فلم يأخذوا منها إلا عرضاً ، تولد من عملهم هذا بناء العربية على تلك اللهجات وبموجب اجتهاد واستقصاء أولئك العلماء ، فظهر من أجل ذلك الغريب والنشاز ، والاختلاف في الإعراب ، الذي أشار الى قسم منه العلماء ، وهو الذي احتاجوا اليه للاستشهاد به في الشواهد والمناظرات ، وأكثره من لغات مضر ، وأهملوا الباقي ، ولو هم سجلوا كل ما عرفوه من نشاز لتجمع من ذلك تراث كبير كثير من تراث اللغات الجاهلية من اختلاف في لغة وقواعد اعراب وصرف .

لقد تمسكت القبائل بقواعد ألسنتها حتى في الاسلام ، فكان أفرادها ينطقون بلهجتهم ، من ذلك ما ذكره (الزجاجي) من اختلاف (عيسى بن عمر) الثقفى ، و (أبو عمرو بن العلاء) في رفع أو نصب : « ليس الطيب إلا المسك » ، ومن احتكامها الى (أبي المهدي) ، فلما ذهبوا اليه وجداه لا يرفع ، فلما حاولا اقناعه بالرفع ، أبى عليها ذلك وقال : « لا ، ليس هذا من لحن ولا من لحن قومي » ، فلما ذهبوا الى (المتجسع) التميمي ، وجداه لا ينصب وأبى إلا الرفع ، وذكر (الزجاجي) : « ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع »^٢ . وقع ذلك في الاسلام وبعد تثبيت القواعد ، وكان هذا حال قبائل الحجاز ، وحال تميم في الجاهلية ولا شك ،

١ السيوطي ، الاقتراح (١٩) .
٢ مجالس العلماء (١ وما بعدها) .

فهل يعد هذا الاختلاف دلالة على عدم وجود اللحن عند أهل الجاهلية ، أم يعدّ دليلاً على وجوده عندهم ؟

لقد أدى اقتصار العلماء في أخذهم العربية عن القبائل التي ذكروها وفي تمسكهم برأيهم في أن تلك القبائل ، هي صاحبة اللغة الفصيحة ، الى نبذ اللهجات العربية الأخرى ، لاعتبارهم اياها لهجات مستقبة ، ولغات حشوية ، فخسرت العربية بذلك خسارة كبرى ، وظهر بسبب ذلك التناؤد في مذاهب علماء العربية ، بسبب اعتمادهم على لغات معينة محدودة ، وليس على كل اللغات العربية القريبة من لغة القرآن ، ليمكنوا بذلك من استقرارها كلها واستنباط القواعد الكلية منها :

ومن جملة الأمور التي يجب أن نشير اليها وننتبه اليها ، هو أن علماء العربية حين كانوا يشيرون الى لهجة من اللهجات ، مثل لهجة أهل الحجاز ، أو لهجة هذيل ، أو تميم ، وأمثالها ، كانوا يشيرون اليها بالتعميم ، مثل : جاء هذا على لغة أهل العالية : أو على لغة أهل الحجاز ، أو على لغة تميم ، مع ان حكمهم هذا لم يؤخذ من دراسة لغة القبيلة المشار اليها ، وانما أخذ من لسان أعرابي أو أكثر ، بينما الحكم على منطق لإنسان واحد أو اثنين أو ثلاثة ، لا يمكن أن يتخذ حجة للحكم على منطق قبيلة بأكملها ، أضف الى ذلك أن القبائل الكبيرة ، كانت موزعة منتشرة ، والحجاز ، وحده ذو قبائل كثيرة ، متعارضة اللغات ، فكيف يقال : جاء هذا على لغة أهل الحجاز ، وكانت أسد وتميم متجزئة منتشرة في مناطق واسعة ، وهذا مما جعل لهجاتها تتأثر بالاقليمية وبالجزوار ، فلم يكن لها لسان واحد ، غير أن علماء العربية لم يفتنوا الى هذه الأمور ، فوقعوا من ثم في أخطاء ، فأخذوا من بعض تميم ، ونسبوا ما أخذوه على كل تميم مثلاً .

ثم إنهم لم يستخلصوا النحو من القرآن رأساً ، وقد كان عليهم الاعتماد عليه أو لأنهم انما اتخذوا النحو لصيانة اللسان من الخطأ في القرآن وفي لغة التثريب ، وانما مالوا عنه الى الشعر ، والى كلام أعراب من قبائل معينة وثقوا بصحة كلامهم وزاد ابتعادهم عن الاسلوب العلمي ، بأخذهم بالعصية العلمية ، فظهرت الآراء المتعصبة للمدن وللعلماء ، فهذا رجل محب للبصرة ، مفرط في حبها ، لا يقدم على علمائها عالم ، وهذا كوفي متعصب لنحو الكوفة ولعلم الكوفة ، لا يقدم على أهل الكوفة أحداً . ثم زاد هذا التعصب المتعصب للعلماء ، فهذا تلميذ عالم يتعصب له ، ويأخذ برأيه كأنه رأى نزل من السماء ، وهذا عالم كبير يعيب علم عالم

منافس له ، ويتهجم هو وتلامذته عليه ، وهذا نخوي يعيب نحو الآخرين ، وقد دفعت هذه العصبية ، بعض العلماء الى الابتعاد عن العلم ، باللجوء الى الوضع والافتعال والاثام ، لإفحام الخصوم ، حتى جاء بعضهم بشواهد نحوية وصرفية مفتعلة ، ويشهود من الأعراب ، تكلموا باطلاً لتأييد علم على علم ، وفي المسألة الزنبورية التي وقعت بين سيويه والكسائي ، وفي مجالس الجدل التي تجادل فيها العلماء في محضر الخلفاء في قضايا النحو واللغة والشعر أمثلة عديدة على ما أقول^١ .

وعندي أن ما نسب الى بعض الشعراء الجاهليين من وقوعهم في أغلاط نحوية أو لغوية أو شعرية ، لم يكن خطأ بالنسبة لهم ، وإنما بان الخطأ عند علماء العربية ، حين قاسوا الشعر بمقياس واحد ، هو العربية التي جمعوا قواعدها ودونوها في الاسلام ، والعروض الذي ضبطه (الخليل) ومن جاء بعده ، ولو كانوا قد درسوا لهجات القبائل ، وعلموا أن الشعراء ، كلهم أو بعضهم كان ينظم شعره بلسانه ، وان الشعر الجاهلي ، جاء بألسنة متعددة ، لعلموا إذن سر وقوع هذا الاختلاف في الشعر ، ولأراحوا أنفسهم من دراسة كثير من هذا الغريب والشاذ الذي أدخلوه كتب النحو واللغة ، بعد صقل الشعر وتهذيبه . وقد فطن الى ذلك (المعري) ، فاعتذر عما نسب الى (امرئ القيس) من خروج عن القواعد بسوء الرواية وبالتصحيف^٢ ، وبأنهم في الجاهلية كانوا لا يعدون ذلك خروجاً على قاعدة ، وإنما كان ذلك شيئاً مألوفاً عندهم ، فلما جاء « المعلمون في الاسلام » « غيروا على حسب ما يريدون »^٣ ، وجعله يقول عن (الاقوياء) : « لا نكرة عندنا في الإقواء » واعتذر عما نسب الى غيره من الشعراء من عيوب أحصاها علماء الاسلام عليهم ، بأن قال إن هذه لم تكن من العيوب في أيامهم ، وإنما هي صارت عيوباً في الإسلام .

لقد اعتمد علماء العربية على الشعر الجاهلي وعلى لغات العرب التي وثقوا منها في جمع قواعد العربية وتثبيتها ، كما استشهدوا بالقرآن ، الذي نزل بلسان عربي مبين ، والذي ثبت العربية . أما (الحديث) ، فقد اختلفوا في جواز الاستشهاد

١ راجع مجالس العلماء

٢ رسالة الغفران (٣١٣ وما بعدها) .

٣ رسالة (٣١٧ وما بعدها) .

٤ رسالة (٣٢٠) .

به ، وذلك لأن الحديث لم ينقل كما سمع من النبي وإنما روي بالمعنى ، ولهذا فإن أئمة النحو المتقدمين من المصرين : البصرة والكوفة لم يحتجوا بشيء منه ، وقد جوز بعض العلماء الاستشهاد به على تقدير التسليم بأن النقل كان بالمعنى ، إنما كان في الصدر الأول ، وقبل تدوينه في الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ ، ولهذا يجوز الاحتجاج به ، لأن السلاطع العربية لم تكن قد فسدت بعد . وموضوع الخلاف ، هو ان النقل لم يكن بالحرف ، وإنما بالمعنى ، ولو كان بالأول لما وقع الخلاف في وجوب الاستشهاد به ، ولجى ذلك مجرى القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية بموجبه . قال « سفيان الثوري : إن قلت لكم اني أحدثكم كما سمعت ، فلا تصدقوني ، إنما هو المعنى . ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى »^١ . وقد وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ، ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب ، فدخل من ثم هذا اللحن في الحديث ، ولهذا امتنع علماء المصرين من الاستشهاد بالحديث في النحو . وقد جوز بعض المتأخرين الاستشهاد بالأحاديث والأمثال النبوية الفصيحة ، ولم يجوزوا الاستشهاد في غير ذلك^٢ للسبب المذكور . هذا وقد ألف العلماء كتباً عديدة في إعراب القرآن وفي معانيه وغريبه ، وصل بعض منها إلينا . وقد أشار (ابن النديم) الى أسماء عدد من تلك المؤلفات^٣ . وهي مرجع هام بالنسبة لعلماء العربية ، لورود آراء لغوية ونحوية قيّمة فيها ، تفيد في شرح النحو العربي .

-
- | | |
|---|-----------------------------|
| ١ | الخزانة (٥/١ وما بعدها) . |
| ٢ | الخزانة (٦/١ وما بعدها) . |
| ٣ | الفهرست (٦٠) . |

الفصل الخامس والاربعون بعد المئة

النحو

والنحو في اللغة الطريق والجهة والقصد، ومنه نحو العربية . وهو اعراب الكلام العربي . أخذ من قولهم : انتحاه إذا قصده . وهو انتحاء سميت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره ليلحق به من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها ، وإن لم يكن منهم أو ان شذ بعضهم عنها ردّ به اليها . وهو في الأصل مصدر شائع ، أي نحوت نحواً ، كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل مع العلم . وقيل لقول علي بن أبي طالب بعدما علم الأسود الاسم والفعل وأبوأبا من العربية : « انح هذا النحو »^١ . أو لأن أبا الأسود لما وضع ما وضع في النحو وعرضه على (علي) ، قال (علي) له : « ما أحسن هذا النحو الذي نحوت » ! ولذلك سمي النحو نحواً^٢ . ولكننا نجد (الجاحظ) يشير الى وجود اللفظة في أيام (عمر) ، إذ يقول : « وقال عمر رضي الله عنه : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض »^٣ ، ويشبه هذا الخبر خبراً آخر نسب

-
- ١ اللسان (٣١٠/١٥) ، (نحا) ، تاج العروس (٣٦٠/١٠) ، (نحا) ، الفهرست (ص ٦٥) ، (المقالة الثانية من كتاب الفهرست) ، (ابن الانباري نزهة) (٣) وما بعدها ، (المثل السائر (٧) ، الجمحي ، طبقات (ص ٥) ، ابن خلكان (٢٤٠/١) ، ارشاد (٢٨٠/١) .
 - ٢ ابن الانباري ، نزهة (٤ وما بعدها) ، (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، (القاهرة ١٩٦٧ م) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢١٩/٢) .

اليه أيضاً ، فقد ذكروا أنه قال : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »^١ ،
وانه قال : « تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن »^٢ . ويظهر
أن الكتاب قد صحفوا في خبر (عمر) ، فخلطوا بين (اللحن) و (النحو) ،
وعلى كل فإن بين اللفظتين صلة . وإذا صح خبر (الجاحظ) ، واعتبرنا لفظة
(النحو) لفظة صحيحة غير محركة ، دلت على وجود هذه التسمية علماً لهذا العلم
في أيامه ، وقبل أيامه ، أي في أيام الجاهليين .

والجمهور من أهل الرواية ان النحو علم ظهر في الاسلام . ظهر بظهور الحاجة
الماسة اليه لضبط اللسان وصيانيته من الخطأ ، ولتعليم الأعاجم نطق الكلام بالعربية .
ورجع أكثرهم مصدره وأساسه الى الإمام (علي بن أبي طالب) ، ويقولون ان
أبا الأسود الدؤلي (٦٩ هـ) أخذ هذا العلم عنه . وان الإمام ألقى عليه شيئاً من
أصول النحو . فاستأذن التلميذ أستاذه أن يصنع نحو ما صنع ، فأذن له به ، فسمي
ذلك نحواً^٣ . وذكر بعضهم ان الإمام دفع الى أبي الأسود رقعة مكتوباً فيها :
« الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ
به ، والحرف ما أفاد معنى . واعلم ان الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، واسم
لا ظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر . ثم وضع
أبو الأسود بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام ، الى أن وصل الى
باب إن وأخواتها ما خلا لكن ، فلما عرضها على عليّ أمره بضم لكن اليها ،
وكلمها وضع باباً من أبواب النحو عرضه عليه »^٤ . وذكر بعض آخر ان أول من
أسس العربية وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها ، أبو الأسود الدؤلي ،
وضع العربية « حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ، فكان سراة الناس
يلحنون ، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب ،

١ الزينة (١١٧ وما بعدها) .

٢ الامالي ، للقالبي (٥ / ١) ، الاتقان (٢ / ٢٦٠) .

٣ الفهرست (٦٦) ، الروض الانف (٩٦ / ١) ، ابن خلكان (٦٦٢ / ١) ، الحلبي ،
الزبيدي ، طبقات (١٣ وما بعدها) ، الفائق (٦١١ / ١) ، طبقات ، ابن سلام (٥) ،
ياقوت ارشاد (٢٨٠ / ٤) ، المثل السائر (٧) .

٤ ضحى الاسلام (٢٨٥ / ٢) ، (القاهرة ١٩٦١) ، ابن الانباري ، نزهة (٤ وما
بعدها) .

والجزم^١ . وقال (ابن قتيبة) : « وهو أول من وضع العربية »^٢ . وذكر (ابن حجر) ، انه أول من وضع العربية ونقط المصاحف^٣ . وروى (ابن النديم) ان أربعة أوراق ، وجدت فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود الدؤلي ، وكانت بخط (يحيى بن يعمر) ، وتحت هذا خط علان النحوي ، وتحت هذا خط النضر بن شميل^٤ . ففي هذه الأوراق دلالة على ان هذه الأوراق من كلام (أبي الأسود) ، وانه كان صاحب علم النحو .

وروى (ابن النديم) رواية أخرى ، ذكر فيها أن (الطبري) قال : « إنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام ، وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو . قال أبو الأسود : واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع ، فسمي ذلك نحواً . وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود الى مارسه من النحو . فقال أبو عبيدة أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود ، وكان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي كرم الله وجهه الى أحد ، حتى بعث اليه زياد أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ويعرف به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ إن الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر ، فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا فرجع الى زياد ، فقال : افعل ما أمر به الأمر فليغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول ، فأتى بكتاب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر . قال أبو العباس المبرد أحسبه منهم ، فقال أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وان ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف . فهذا نقط أبي الأسود . قال أبو سعيد رضي الله عنه ويقال : إن السبب في ذلك أيضاً أنه مرّ بأبي الأسود سعد ، وكان رجلاً فارسياً من أهل زندخان ، كان قدم البصرة مع جماعة من أهله فدنوا من قدامة بن مظعون وادعوا أنهم أسلموا على يديه ، وانهم بذلك من مواليه . فر سعد هذا بأبي الأسود وهو يقود فرسه . فقال : مالك يا سعد لم لا تركب ؟ قال : إن فرسي ضالغ أراد

١ ضحي الاسلام (٢٨٧/٢) .

٢ المعارف (ص ٣٣٤) .

٣ الاصابة (٢٣٣/٢) ، (رقم ٤٣٢٩) .

٤ الفهرست (ص ٦٧ وما بعدها) .

ظالماً . قال فضحك به بعض من حضره . فقال أبو الأسود هؤلاء الموالي قد
رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو عملنا لهم الكلام . فوضع
باب الفاعل والمفعول ١ .

« وقيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ - يعنون النحو - فقال :
لقنت حدوده من علي بن أبي طالب - عليه السلام - وكان أبو الأسود من
القراء ، قرأ على أمير المؤمنين عليه السلام ٢ .

وتذكر رواية أخرى ، ان (أبا الأسود) دخل على (علي) فوجده مطرقاً
مفكراً ، فسأله عن سبب ما به ، فذكر له أمر اللحن وما فشا من الخطأ في
ألسنة الناس ، وانه يريد أن يصنع كتاباً في أصول العربية ، فانصرف عنه ، وهو
مغموم ، ثم عاد اليه بعد أمد ، فألقى الإمام عليه رقعة كتب فيها : « الكلام
كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ به ،
والحرف ما أفاد معنى » ، ثم أمره أن ينحو نحوه ، وان يزيد عليه ، فجمع
(أبو الأسود) أشياء وعرضها عليه ، فكان من ذلك حروف النصب ، فذكر
منها : إن ، وأن ، وليت ، ولعل ، وكأن ، ولم يذكر لكن ، فأشار الإمام
عليه بإدخالها عليها ٣ .

وذكر (ابن الأنباري) (٥٧٧ هـ) ، « ان من وضع علم العربية ، وأسس
قواعده ، وحدد حدوده ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
وأخذ عنه أبو الأسود » . « وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم ، ما روى
أبو الأسود ، قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : اني تأملت
كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم - فأردت أن
أضع لهم شيئاً يرجعون اليه ، ويعتمدون عليه ، ثم ألقى إليّ الرقعة ، وفيها

١ الفهرست (٦٥ وما بعدها) ، القفطي ، انباه الرواة (٦/١) ، (ذكر أول من وضع
النحو) ، أخبار النحويين ، للسيرافي (١٦ وما بعدها) ، الاصابة (٢٣٣/٢) ،
(٤٣٢٩) .

٢ القفطي ، انباه الرواة (١٥/١) .

٣ القفطي (٤/١) ، (ذكر أول من وضع النحو) ، معجم الادباء (٤٩/١٤) ، ابن
الانباري ، نزهة الالباء (٥) .

مكتوب : الكلام كله اسم ، وفعل ، وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ به ، والحرف ما جاء لمعنى . وقال لي : أنصح هذا النحو ، وأضف إليه ما وقع اليك ، واعلم يا أبا الأسود ان الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وأنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المبهم .

قال أبو الأسود: فكان ما وقع لي : إن وأخواتها ما خلا لكن ، فلما عرضتها على علي رضي الله عنه ، قال لي : وأين لكن ؟ فقال ما حسبتها منها، فقال : هي منها فألحقها ، ثم قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت ، فلذلك سمي النحو نحواً^١ .

وتذكر رواية أن (أبا الأسود) ، وضع بابي العطف والنعت ، ثم بابي التعجب والاستفهام ؛ الى أن وصل الى باب إن وأخواتها^٢ .

وهناك رواية تنسب الى الأصمعي تذكر أنه قال : « سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : جاء أعرابي الى علي عليه السلام ، فقال ، السلام عليك يا أمير المؤمنين . كيف تقرأ هذه الحروف ؟ لا يأكله إلا الخاطون ، كلنا والله يخطو ، قال : فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : يا أعرابي : لا يأكله إلا الخاطون . قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان الله ليظلم عباده ، ثم التفت أمير المؤمنين الى أبي الأسود الدؤلي ، فقال : إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم ، ورسم له الرفع والنصب والخفض^٣ » .

و « روي من حديث علي رضي الله عنه مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ : إن الله بريء من المشركين ورسوله : حتى قال الأعرابي : برئت من رسول

١ ابن الانباري ، نزهة (٤ وما بعدها) .
٢ ابن الانباري ، نزهة (٥) ، (حاشية رقم ٢) .
٣ الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية ، لابي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٧٢) ، (تحقيق حسين بن فيص الله الحرازي) ، (دار الكتاب العربي) ، (١٩٥٧) ، عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (٥٢) ، ابن الانباري ، نزهة (٨) .

الله ، فأنكر ذلك علي عليه السلام ، ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه ما لا يجهل موضعه ^١ .

ونجد رواية أخرى تذكر أن (أبا الأسود) ، كان أول من وضع العربية ، وأول من أملى في الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، والنصب ، والرفع ، والجر ، والجزم . وكان قد أخذ العلم من (علي بن أبي طالب) . وحدث أن ابتته لحنت في فعل التعجب ، فقالت لأبيها وكان اليوم حاراً شديد الحر : « ما أشد الحر » ، وكانت تقصد « ما أشد الحر » ، أي على باب التعجب . فلما علم (أبو الأسود) بخطأها ، نبهها إلى موضع الخطأ . ثم ذهب إلى (زياد) وإلى البصرة ، وطلب منه السماح بوضع علم النحو ، فلم يسمح له . ولما أخطأ رجل أمام (زياد) ، كبر عليه ذلك فوضع (أبو الأسود) قواعد النحو . فأخذ عنه (الليثي) هذا العلم ووسعه ، ثم وسعه (عيسى بن عمر) في كتابيه الجامع والمكمل ^٢ .

ورويت قصة وضع النحو بشكل آخر ، « روي أيضاً أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود ، وقال له : يا أبا الأسود ، إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ، ويعرب به كتاب الله تعالى ! فأبى أبو الأسود ، وكثره إجابة زياد إلى ما سأل ، فوجه زياد رجلاً وقال له : اقعد على طريق أبي الأسود ، فإذا مر بك ، فاقرأ شيئاً من القرآن ، وتعمّد اللحن فيه . فقعد الرجل على طريق أبي الأسود ، فلما مر به رفع صوته فقرأ : إن الله بريء من المشركين ورسوله « بالجر ، فاستعظم أبو الأسود ذلك ، وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ! ورجع من حاله إلى زياد ، وقال : يا هذا ، قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن ، فابعث إلي ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس ، فقال :

١ الخصائص (٩/٢) .

٢ القفطي ، انباه الرواة على أنباه النحاة (١٦/١) ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م) ، الزبيدي ، طبقات النحويين واللغات (١٣) ، (القاهرة ١٩٥٤) ، طبقات ، لابن سلام (٥) ، العسكري ، المصون (١١٨) ، John A. Haywood, Arabic Lexicography, Leiden, 1965, p. 12. f.

خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فإذا فتحتُ شفتي فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضمنتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فإن أتيت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ^١ .

« وقيل : إنه دخل الى منزله ، فقالت له بعض بناته : ما أحسن السماء ! قال : أي بنية نجومها ، فقالت : إني لم أجد أي شيء منها أحسن ؟ وإنما تعجبت من حسنها ؛ فقال : إذا فقلولي ما أحسن السماء ! فحينئذ وضع كتاباً ^٢ .

و « قيل : وأتى أبو الأسود عبد الله بن عباس ، فقال : إني أرى السنة العرب قد فسدت ؛ فأردت أن أضع شيئاً لهم يقرّون به ألسنتهم . قال : لعلك تريد النحو ؛ أما إنه حق ، واستعن بسورة يوسف ^٣ . و « قال أبو حرب بن أبي الأسود : أول باب رسم أبي من النحو باب التعجب . وقيل : أول باب رسم باب الفاعل والمفعول ، والمضاف ، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم ^٤ .

« ومن الرواة من يقول : إن أبا الأسود هو أول من استنبط النحو ، واستخرجه من العدم الى الوجود ، وأنه رأى بخطه ما استخرجه ، ولم يعزه الى أحد قبله ^٥ . وكان « أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها ^٦ . وروي عن (أبي سلمة موسى بن اسماعيل) « عن أبيه ، قال : كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة ^٧ .

وتذكر رواية ان (أبا الأسود) الدؤلي ، انما وضع النحو بأمر من الخليفة (عمر) ، روت ان أعرابياً قدم المدينة في خلافته ، فقال : « من يقرّني شيئاً مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد بريء الله من رسوله ! إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه ! فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي ، فدعاه فقال : يا أعرابي : أبرأ من رسول الله !

-
- ١ ابن الانباري ، نزهة (٩) ، الاصابة (٢٣٣/٢) ، (رقم ٤٣٢٩) .
 - ٢ القفطي ، انباء الرواة (١٦/١) ، الاصابة (٢٣٣/٢) ، (رقم ٤٣٢٩) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ كذلك .
 - ٥ القفطي ، انباء الرواة (٧/١) .
 - ٦ المصدر نفسه (١٤/١) .
 - ٧ ابن الانباري ، نزهة (١٠) .

فقال : يا أمير المؤمنين ، اني قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ، فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله ، فقلت : أو قد برىء الله تعالى من رسوله ! إن يكن بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه . فقال له عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منه . فأمر عمر رضي الله ألا يقرء القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو ^١ .

وذكر أن (عمر بن الخطاب) كتب الى (أبي موسى) الأشعري ، كتاباً فيه : « أما بعد : فتفقهوا في الدين وتعلموا السنة ، وتفهموا العربية ، وتعلموا طعن اللرية ، وأحسنوا عبارة الرؤيا ، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب » ^٢ . ويفهم من هذا الكتاب ، أن (أبا الأسود) ، كان على علم بالنحو وبالإعراب قبل أيام (علي) ، ولهذا طلب الخليفة من عامله أن يكلف (أبا الأسود) بتعليم أهل البصرة الإعراب .

ويظهر من الرواية التي ذكرتها عن التقاء (أبي الأسود) بعبدالله بن عباس ، وقوله له : « إني أرى ألسنة العرب قد فسدت ؛ فأردت أن أضع شيئاً لهم يقرءون به ألسنتهم » ومن رد (عبدالله بن عباس) عليه بقوله له : « لعلك تريد النحو » ^٣ ، أن (ابن عباس) ، كان على علم بالنحو ، ودليل ذلك نصه على اسمه ، مما يدل على أنه كان معروفاً . وذلك إن جاز لنا التصديق بصحة هذه الرواية ، التي أرى أنها من المصنوعات .

وكان (أبو الأسود) مثل غيره من العرب الفصحاء يكره اللحن واللحانين . روي عنه أنه ذكر اللحن ، فقال : « إني لأجد اللحن غمزاً كغمز اللحم » ^٤ . ولأبي الحسن أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة ، وهو كما نعلم من مشاهير علماء اللغة ، رأي طريف في منشأ هذا العلم خلاصته : ان أبا الأسود كان

-
- ١ ابن الانباري ، نزهة (٨) ، الكشف ، للزمخشري (١٩١/٢) .
 - ٢ القفطي ، انباء الرواة على انباء النحاة (١٦/١) ، خورشيد أحمد فاروق ، حضرت عمر كي سرकारी خطوط (دهلي ١٩٥٩) ، (ص ١٣٩ وما بعدها) ، (القسم العربي) ، John A. Haywood, Arabic Lexicography, p. 14.
 - ٣ القفطي (١٦/١) .
 - ٤ عيون الاخبار (١٥٨/٢) .

أول من وضع العربية ، لكن هذا العلم قد كان قديماً ، وأنت عليه الأيام ، وقلّ في أيدي الناس ، ثم جدده هذا الإمام^١ . فأبو الأسود الدؤلي هو مجدد هذا العلم وباعثه ، وليس موجدته ومخترعه .

فنحن اذن أمام رأي جديد ، رأي يرجع علم العربية الى ما قبل الاسلام وكفى لكنه لم يفصل ولم يشرح ولم يتعرض لموضوع متى كان ظهور هذا العلم في القديم وكيف وجد وهل كان للألسنة الأعجمية كاليونانية أو السريانية أثر في ظهوره ونشوته ؟ ثم انه لم يتعرض للأسباب التي جعلت الأيام تأتي عليه حتى قلّ في أيدي الناس ، الى أن ظهر أبو الأسود فأعاده الى الوجود ، ولم يذكر كيف عثر أبو الأسود على هذا العلم ومن لقنه به حتى بعثه وجدده ؟

تعرض (ابن فارس) لبحث منشأ علم النحو في أثناء كلامه على الخط العربي فقال : « وزعم قوم ان العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا هزاً^٢ . وهو يرى ان رأيهم باطل ، وان بين العرب من كان يقرأ كما كان بينهم من كان أمياً ، وجاء بأمثلة في تفنيد دعواهم ، ثم خلص الى هذه النتيجة : « فلما لم نزع من ان العرب كلها - مدراً ووبراً - قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها . وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم ، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة^٣ . ثم قال : « والذي نقوله في الحروف ، هو قولنا في الإعراب والعروض ، والدليل على صحة هذا وان القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقرئ قصيدة الخطيئة التي أولها :

شافتك أظعان لليلي دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب نجيء مرفوعة ، ولولا علم الخطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد لا يكاد يكون .

فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية ،

١ . الصحابي (ص ٣٧ وما بعدها) .

٢ . الصحابي (ص ٣٥) .

٣ . (ص ٣٦) .

وأن الخليل أول من تكلم في العروض ، قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول :
إن هذين العلمين قد كانا قديماً ، وأنت عليهما الأيام وقلاً في أيدي الناس ، ثم
جددتهما هذان الإمامان . وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب^١ .

وقال (ابن فارس) : « ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم
العربية كتابتهم المصحف على الذي يعمله النحويون في ذوات الواو والياء ، والمحز ،
والمد ، والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا
الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل : الخبء ، والدفاء ، والملاء^٢ . »

وقد استخدم (ابن فارس) لفظة (العربية) في معنى : الإعراب . وذكر
لفظة (النحو) قبل كلمة : (الإعراب) ، حيث قال كما ذكرت ذلك قبل
قليل : « وانهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً^٣ . وذكر
غيره أيضاً أن (أبا الأسود) « أول من وضع العربية ، و « أول من نقط
المصحف ووضع العربية^٤ . وقد استنتج المرحوم (أحمد أمين) من ذلك الاستعمال
أنهم يعنون بالعربية هذه العلامات التي تدل على الرفع والنصب والجر والجزم والضم
والفتح والكسر والسكون والتي استعملها أبو الأسود في المصحف ، وأن هذه الأمور
لما توسع العلماء فيها بعد وسموا كلامهم (نحواً) سحبوا اسم النحو على ما كان
قبل من أبي الأسود وقالوا : انه واضع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع
وما صنعوا ، وربما لم يكن هو يعرف اسم النحو بتاتاً^٥ . ففرق (أحمد أمين)
بين (العربية) و (النحو) ، وجعل للعربية سابقة على علم النحو ، وجعل النحو
وليداً ولد من العربية . وهو رأي لا يتفق مع رأي (ابن فارس) ، الذي نص
على النحو بذكر اسمه ، كما نص على الإعراب من بعده .

هذا هو المشهور المعروف المتداول بين أكثر الناس عن منشأ علم النحو . وقد
تعرض (ابن النديم) لهذا الموضوع فقال : « قال محمد بن اسحاق : زعم
أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ، وأن أبا الأسود أخذ ذلك
عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام » ، ثم روى روايات أخرى ،

١ . الصاحبى (ص ٣٧ وما بعدها) .

٢ . الصاحبى (٣٩) .

٣ . ضحى الاسلام (٢٨٧/٢) ، الاصابة (٢٣٣/٢) ، (رقم ٤٣٢٩) .

٤ . ضحى الاسلام (٢٨٧/٢) .

تذكر ان غيره قام برسم النحو ، إذ قال : « وقال آخرون رسم النحو نصر بن عاصم اللؤلؤي ، ويقال اللبثي . قرأت بخط أبي عبد الله بن مقلة عن ثعلب ، انه قال : روى ابن ابي لهيعة عن أبي النضر ، قال : كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية ، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء »^١.

وقد رد (ابن الأنباري) على من ذهب الى أن علم النحو من صنع رجل آخر غير (أبي الأسود) ، إذ قال : فأما زعم من زعم ان أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ونصر بن عاصم فليس بصحيح ، لأن عبد الرحمن بن هرمز ، أخذ النحو عن أبي الأسود ، وكذلك أيضاً نصر بن عاصم أخذه عن أبي الأسود ، ويقال عن ميمون الأقرن^٢ . وكان قد ذكر ما ورد في الأخبار من قيام (أبي الأسود به) ، ثم رجحها على غيرها بقوله : « والصحيح ان أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن الروايات كلها تُسند الى أبي الأسود ، وأبو الأسود يسند الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فإنه روي عن أبي الأسود انه مثل فقيل له : من أين لك هذا النحو ؟ فقال : لَقَعْتُ حُدُودَهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »^٣.

ويلاحظ ان الذين رجعوا سبب وضع النحو الى الخطأ في قراءة الآية : « إن الله بريء من المشركين ورسوله »^٤ ، قد اختلفوا فيما بينهم في العهد الذي لحن فيه قارئ الآية في قراءتها ، فمنهم من جعله في عهد (عمر)^٥ ، ومنهم من صبره في عهد (علي)^٦ ، ومنهم من رجعه الى أيام (زياد بن أبيه) ، فأنت أمام رواية واحدة ، لكنك تراها وقد نسبت الى ثلاثة عهود، ومثل هذا الاختلاف أمر غير غريب بالنسبة الى مراجعي الموارد الاسلامية ، إذ نجد فيها أمثلة كثيرة من أمثاله ، ويظهر ان الرواة تلاعبوا في الخبر ، فنسبه كل واحد منهم الى عهد لغاية أرادها ، من هذا التحريف والتغيير .

-
- ١ الفهرست (ص ٦٥) .
 - ٢ نزهة الالباء (١٠) ، (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) .
 - ٣ المصدر نفسه (١١) .
 - ٤ النبوة ، الآية ٣ .
 - ٥ نزهة (٨) .
 - ٦ الخصائص (٩/٢) .

وفد رجح (أحمد أمين) نسبة النحو الى أبي الأسود ، اذ يقول : « ويظهر لي ان نسبة النحو الى أبي الأسود لها أساس صحيح ، وذلك ان الرواة يكادون يتفقون على ان أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط، وأنه ابتكر شكل المصحف ... وواضح ان هذه خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون التشو ، ويمكن أن تأتي من أبي الأسود ، وواضح كذلك ان هذا يلفت النظر الى النحو وعلى هذا فن قال ان أبا الأسود وضع النحو ، فقد كان يقصد شيئاً من هذا ، وهو انه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا تكون فتحة موضع كسرة ، ولا ضمة موضع فتحة ، فجاء بعد من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق ، فاخترع تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ، والاسم الى ظاهر ، ومضمر ، وغير ظاهر ولا مضمر ، وباب التعجب وباب إن ه^١ .

وقال : « فالذي يظهر أنهم يعنون بالعربية هذه العلامات التي تدل على الرفع والنصب والجر والجزم والضم والفتح والكسر والسكون والتي استعملها أبو الأسود في المصحف ، وان هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد وسموا كلامهم نحواً سجدوا اسم النحو على ما كان قبل من أبي الأسود ، وقالوا : انه واضع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا ، وربما لم يكن هو يعرف اسم النحو بتاتاً ... فالظاهر ان عمله كان في أول الأمر ساذجاً بسيطاً ، وهو وضع علامات الرفع والنصب وما اليهما ولم يزد على ذلك ، فلما سمي العلماء بعد بعض ضروب الرفع فاعلاً ، وبعض ضروب النصب مفعولاً ، قالوا : ان أبا الأسود وضع باب الفاعل والمفعول ، وان كان أبو الأسود نفسه لم يعرف فاعلاً ولا مفعولاً ، بل ربما لم يعرف أيضاً رفعاً ولا نصباً ، فإنهم يروون انه قال لكاتبه : اذا رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه ، وإن ضمنت في فانقط بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت . وهو تعبير ساذج يتفق وزمن أبي الأسود ه^٢ .

ولإبراهيم مصطفى ، رأي قريب من رأي (أحمد أمين) . فهو يرى ان المصطلحات والقواعد التي ذكر ان (أبا الأسود) وضعها بأمر (علي) لا يمكن

١ ضحى الاسلام (٢٨٦/٢) وما بعدها .
٢ ضحى الاسلام (٢٨٧/٢) وما بعدها .

أن تتفق وزمنه ، لأن المصطلحات النحوية انما ظهرت في وقت متأخر . ويذكر ان الآراء النحوية ، لم تظهر أيضاً في عهده ، بدليل اننا لا نجد في كتاب سيبويه ولا في كتب النحو الأخرى رأياً له . ويستتج من ذلك ان عمل أبي الأسود ، كان وضع الإعراب وضبط المصحف^١ .

وقد درس المستشرقون موضوع نشأة علم النحو وأصله ، ففهم من قال انه نقل من اليونان الى بلاد العرب ، وقال آخرون برأي علماء العربية، من انه عربي الأصل والنجار ، وقد نبت كما تنبت الشجرة في أرضها . وتوسط آخرون ، فقالوا : انه كان من إبداع العرب ، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق ، تعلموا أيضاً شيئاً من النحو ، وهو النحو الذي كتبه (ارسطوطاليس) ، وبرهان هذا ان تقسيم الكلمة يختلف ، قال (سيبويه) : « فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » ، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام الى اسم وكلمة ورباط ، أي الاسم هو الاسم ، والكلمة هي الفعل ، كما يقال له في اللغات الأوروبية Verb ، والرباط هو الحرف، كما يقال له في اللغة الأوروبية Conjunction أي ارتباط ، وهذه الكلمات اسم وفعل ورباط ، ترجمت من اليوناني الى السرياني ، ومن السرياني الى العربي ، فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو ، أما كلمات اسم وفعل وحرف فلانها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت^٢ .

ثم ان (القياس) هو من أهم الأسس والأصول في المنطق اليوناني ، وحيث انه كان من أهم أدوات علماء النحو في تفريع علم النحو ، حتى صار من مميزات مدرسة البصرة ، والبصرة غير بعيدة عن (جنديسابور) وعن مدارس نصرانية ، كان فيها علماء يدرسون علوم اليونان ، ومنها المنطق والنحو ، فلا يستبعد تأثير (أبي الأسود) اللؤلؤي ومن جاء بعده بهذه الدراسات ، ودليل ذلك ، هو ظهور هذا العلم في البصرة دون سائر المدن الأخرى ، ومنها مدن الحجاز مهد الاسلام .

ويرى (فون كريمر) ، ان ما يقال من أن ظهور اللحن ، كان السبب في

١ مجلة كلية الآداب ، المجلد العاشر (ص ٧١) ، (ديسمبر ١٩٤٨ م) .

٢ ضحى الاسلام (٢٩٢/٢ وما بعدها) .

وضع النحو ، دعوى لا يعول عليها ، ولا أساس لها ، وانما هو وليد الحاجة التي أحس بها الأعاجم من آراميين وفرس ، لتعلم العربية ، وللتكلم بها على وجه صحيح^١ .

وقد ألّف بعض المستشرقين بحثاً في موضوع النحو العربي ومدارسه ، منهم المستشرق (فلوكل)^٢ ، و (هول)^٣ ، و (رايت)^٤ ، وغيرهم ، وقد تطرقوا فيها الى قواعد العربية وآراء علمائها فيها .

وقد ذهب بعض المحدثين مذهب المستشرقين القائلين بتأثر النحو العربي بالنحو اليوناني ، وذلك لأمر ، منها : ان تقسيم الكلم المألوف المتبع في النحو ، هو تقسيم يوناني ، واعتبار القياس أصلاً من أصول النحو ، ووجود مدارس سريانية كانت تدرس علوم النحو في مدارسها عند ظهور الاسلام ، ووجود يونان وأديرة في العراق ، فهذه الأسباب وأشبابها تحمل الانسان على القول ان النحو العربي قد تأثر بالنحو اليوناني وبمنطق (ارسطو) خاصة ، لا سيما وان النحو قد ظهر في العراق ، وهو ملتقى الحضارات . وقد تأثر خاصة في عهد (الخليل بن أحمد) الذي كانت له صلات وثيقة مع العلماء السريان ، مثل حنين بن اسحاق وأضرابه ، حتى ذهب بعض الباحثين الى وقوف (الخليل) على اللغة اليونانية .

وقد ذهب (مصطفى نظيف) الى أن (يعقوب) الرهاوي ، كان من معاصري (أبي الأسود) الدؤلي ، وكان من تلامذة (سويرس سيخت) ، ومن البارعين في الفلسفة والنحو والتأريخ ، ومن المؤلفين في النحو السرياني ، ومن الذين أدخلوا التنقيط والحركات . وكان في البصرة ، والبصرة ملتقى الثقافة ، وحولها أديرة ومدارس ، وهي غير بعيدة عن (جنديسابور) ، فلا يستبعد ان تأثر (أبي الأسود) بهذه التيارات اليونانية التي كانت هناك^٥ .

١ فون كريم ، الحضارة الاسلامية ، (٩٠) ، (تعريب مصطفى بدر) .

٢ Flügel G., Die Grammatischen Schulen der Araber, 1862.

٣ M. S. Howell, Grammar of the Classical Arabic Language, 7 Vols., Allahabad, 1880-1911.

٤ W. Wright, Arabic Grammar, Cambridge, 1896-8.

٥ مجلة المجمع اللغوي ، المجلد السابع (ص ٢٤٨) ، عبد المال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (٥٥) .

وأنا على رأي (ابن فارس) القائل ان الإعراب كان قديماً عند العرب ،
قدم معرفتهم بالحروف ، وان علم العربية كان قديماً ، ثم جده (أبو الأسود
الدؤلي) على نحو ما حكىته من قوله في ذلك قبل قليل^١. وعندي ان علم (العربية)
كان معروفاً في العراق ، وانه كان يدرس في مدارس الحيرة وعين التمر والأنبار
وربما في مواضع أخرى ، كانت غالبية سكانها من العرب النصارى، كان يدرسه
لهم رجال الدين ، الذين كانوا يتقنون الإرمية ، وكانوا قد أخذوا علومهم في
النحو من اليونان ، بتأثير النصرانية ودراسة الأناجيل والكتب الدينية المؤلفة
باليونانية . ولما كان أهل المواضع المذكورة من العرب ، فلا يستبعد ظهور جماعة
من رجال الدين النصارى العرب ، اتخذت من مبادئ النحو التي وضعت للسريانية
والمقتولة عن اليونانية ، قواعد لضبط العربية بموجبها ، كما ضبطوا الكتابة بها
بالأبجدية التي صارت الأبجدية التي انتشرت بين أهل مكة ويثرب وأماكن أخرى.
وبين هذه الأبجدية وبين العربية ، من حيث هي قواعد صلة متينة . فلا يستبعد
قيام رجال الدين بتعليم العربية والخط للعرب ، لأنهم كانوا يقومون بالتبشير ، وكان
من مصلحتهم نشر الكتابة بين من يبشرون بينهم ، وتعليمهم أصول اللغة، ليكون
في وسع من يعتنق النصرانية تثقيف المشركين ، وكانت هذه طريقتهم في التبشير
في المواضع الأخرى من العالم .

وأنا لا أستبعد احتمال وقوف (علي بن أبي طالب) ، أو (أبو الأسود)
الدؤلي على تقسيم الكلم الى اسم وفعل وحرف . وفقاً عليه باتصالهم بالحيرة أو
بعلماء من أهل العراق كانوا على علم النحو وعلوم اللغة في ذلك العهد ، وقد كان
ذلك في الأسس والمبادئ ، فلما جاء الاسلام ، وأخذ المسلمون علم العربية عن
المتقدمين ، زادوا فيه وفرغوا واستقصوا وقاسوا ، وأخذوا من كلام العرب ومن
الشعر ، حتى تضخم النحو فبرز على الصورة التي نجلدها في (كتاب) سيبويه
وفي الكتب التي وضعت بعده .

ومما يؤسف له كثيراً ان المؤرخين اليونان واللاتين والسريان لم يذكروا أي شيء
عن علوم العربية عند العرب ، وفي ضمنهم المؤرخون الذين أرخوا تاريخ الكنيسة
والنصرانية ، بسبب انهم لم يكونوا يحفلون كثيراً بأمور العرب، وأكثر ما ذكروه

١ الصاحبي (٣٨ وما بعدها) .

عنهم انما تناول الغزوات التي كانت تقوم بها القبائل على حدود الانبراطوريتين ، فأضاعوا علينا بذلك فوائد كبيرة ، كان يمكن الاستفادة منها في تدوين تأريخ ظهور الكتابة وعلوم العربية عند العرب . أما الموارد الاسلامية ، فقد رأينا رأيها في أول ظهور النحو ، وقد رأيناه حاصل روايات مضطربة ، يكتنفها غموض ، ثم هي عاجزة في النهاية عن بيان كيفية توصل الإمام (علي) أو (أبو الأسود) الى استنباط هذا التقسيم الثلاثي للكلم ، ثم البحث في (العطف) و (النعت) والتعجب والاستفهام ، وباب إن وأخواتها ، والفاعل والمفعول ، ونحو ذلك من قواعد ، لا يمكن لإنسان استنباطها بمفرده من غير علم سابق له بقواعد اللغات ، مما أوتي ذلك الانسان من ذكاء خارق وقوة إبداع !

وأنا لا أستطيع أن أتصور ان انساناً يستطيع أن يجلس بمفرده ثم يحيل النظر في محيط اللغة التي يتكلم بها قومه ، وهو غير مسلح بعلم سابق باللغات ولا بمعرفة مسبقة بقواعدها . ثم تتأثر عليه المعرفة ويستخرج منها بنفسه القواعد المذكورة ، ثم يضع لأبوابها تلك الأسماء التي لا يمكن لأحد وضعها إلا اذا كان ذا علم بقواعد اللغات عند الأمم الأخرى ، لأنها مصطلحات علمية منطقية ، لا يمكن أن تخرج من فم رجل لا علم له بمصطلحات علوم اللغة والمنطق ، ولأنها ليست من الألفاظ الاصطلاحية البسيطة التي يمكن أن يستخرجها الانسان من اللغة بكل سهولة وبساطة حتى نقول انها حاصل ذكاء وعقل متقد . وكيف يعقل أن يتوصل رجل الى استنباط ان الكلمة إما اسم ، أو فعل ، أو حرف ، ثم يقوم بحصرها هذا الحصر الذي لم يتغير ولم يتبدل حتى اليوم ، بمجرد إجابة نظر وإعمال فكر ، من دون أن يكون له علم بهذا التقسيم الذي تعود جذوره الى ما قبل الميلاد . ثم كيف يتوصل الى إدراك القواعد المعقدة الأخرى التي لم يبتدعها انسان واحد ، وانما هي من وضع أجيال وأجيال ، اذا لم يكن له علم بفلسفة الفعل وعمل الفاعل وما يقع منه الفعل على المفعول ، وكذلك الأبواب المذكورة التي لا يمكن أن يتوصل اليها عقل انسان واحد أبداً .

لقد كان للبابليين ولغيرهم من أهل العراق علم باللغات ، وكان لهم أساس في النحو وفي دراسة اللغة ، كما كان لليونان ولغيرهم علم بالمنطق والنحو واللغات ، وصل الى العراقيين قبل النصرانية وبعدها ، بطرق لا مجال للتحدث عنها في هذا المكان . وبقي هذا العلم العراقي اليوناني الى الاسلام ، ومنه جاء في نظري علم

النحو وعلوم العربية ، وبسببه صار العراق القطر الاسلامي الأول الذي نبت فيه علم العربية والنحو ، لا بسبب لحن وقع من أعاجم ، أو من أعراب جهلاء ، ولا بسبب تلك القصص التي ساقوها في أسباب اختراع النحو ، وإنما بسبب وجود علم سابق في العربية عند أهل الحيرة والأنبار والقرى العريضة الأخرى ، وبسبب ظهور الحاجة إليه ، لتعليم العرب وغيرهم أصول لغتهم وكيفية صيانة اللسان من الوقوع في الخطأ ، فكان ما كان من وقوف (علي) أو (أبو الأسود) ، وهما من أصحاب الذكاء الخارق والتعطش الى البحث والاستقصاء ، فأخذاه ، وتوسع من جاء بعدهما في تفريعه وفي تثبيته في كتب ، كملت وتمت بالتدرج ، فهي من حاصل ذلك التراث العربي الجاهلي .

ولسابقة العراق هذه في الجاهلية بزّ سائر الأقطار الاسلامية في علوم العربية ، حتى (يثر) و (مكة) ، وهما موطننا الاسلام ومهبطه ، لم يتفاساه فيها . قال (السيوطي) : « فأما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا نعلم بها إماماً في العربية . قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة . وكان بها ابن دأب ، يضع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسبه الى العرب ، فسقط وذهب علمه ، وخفيت روايته »^١ . « ومن كان بالمدينة أيضاً عليّ الملقب بالجميل ، وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً^٢ . وأما مكة ، فكان بها رجل من الموالي يقال له : ابن قسطنطين ، شدا شيئاً من النحو ووضع كتاباً لا يساوي شيئاً » . وفي انفراد العراق ، وتفوقه على غيره من الأمصار في هذه العلوم ، دلالة على وجود البذور القديمة لها في هذه الأرض قبل الاسلام ، فلما دخل العراق في الاسلام أينعت واتسعت ، فكان ما كان من ظهورها فيه .

وقد تأثر النحاة والمناطق في الاسلام بمنطق (أرسطو) . هذا الإمام (الشافعي) يشير الى تأثر القوم بمنطقه ، إذ قال : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب ، وميلهم الى لسان أرسطوطاليس »^٣ . وقد توفي الشافعي سنة (٢٠٤)

١ المزهر (٤١٣/٢) وما بعدها .

٢ المزهر (٤١٤/٢) .

٣ السيوطي ، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام (١٥) ، (علي سامي النشار) ، مطبعة السعادة) .

للهجرة^١ ، فلا بد اذن من أن يكون ميل الناس الى هذا المنطق قد كان هذا العهد . ولعله قصد بـ (لسان أرسطوطاليس) العلوم اللسانية التي كان قد برع بها اليونان . فتكلموا عن أقسام الكلمة وعن بناء التركيب القياسي وعن الموضوع والمحمول وأنواع الإعراب بحسب لغتهم وعن النعت والضمائر والأفعال وما الى ذلك من قواعد .

و (أبو الأسود) الدؤلي ، هو (ظالم بن عمرو بن سفيان) ، أو (عمرو ابن ظالم بن سفيان) أو (عويمر بن ظليم) ، من أشياع (علي بن أبي طالب) ومن أصحابه . استعمله (عمر) و (عثمان) على البصرة ، ثم استعمله (علي) عليها بعد (ابن عباس) . وقد ذكر (أبو عبيدة) ، انه كان كاتباً لابن عباس على البصرة ، وكان (ابن عباس) يكرم (أبا الأسود) لما كان عاملاً بالبصرة لعلّي ويقضي حوائجه . وقد اشترك مع (علي) في وقعة صفين . ويذكر انه توفي في وباء سنة (تسع وستين) ، وقيل مات بعد ذلك ، توفي بالبصرة . قال عنه (الجاحظ) : « أبو الأسود الديلي ، معدود في طبقات الناس ، وهو فيها كلها مقدم ، ومأثور عنه الفضل في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعية ، والبخلاء ، والصلح الأشراف »^٢ . وله أجوبة مسكتة مع معاوية ، ومع أشخاص آخرين أرادوا التحرش به^٣ ، تدل على بديهة وذكاء .

ولأبي الأسود الدؤلي شعر ، وقد طبع شعره في ديوان ، وقد استشهد به في شواهد اللغة والنحو ، ونجد نتفاً منه في الكتب التي تعرضت لسيرته^٤ ، وليس

١ الفهرست (٣٠٩) .

٢ وقد اختلف في اسمه ، ف قيل أيضاً « عمرو بن عمران » ، و « عثمان بن عمرو » ، الاصابة (٢٣٣/٢) ، رقم ٤٣٢٩ ، أدب الكاتب ، لابن قتيبة (٦١١) ، الخزانة (١٣٦/١) ، (بولاق) ، الاغانى (١٠٥/١١) وما بعدها ، انباء الرواة (١٢/١) وما بعدها ، المرزباني ، معجم (٢٤٠) ، السمط (٦٦) ، تهذيب ابن عساكر (١٠٤/٧) ، الشعر والشعراء (٦١٥/١) .

٣ أمالي المرتضى (٢٩٣/١) وما بعدها .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٥٤٢/٢) وما بعدها ، ٩٣٤ ، الخزانة (١٣٦/١) وما بعدها ، كتاب خلق الانسان ، لابي محمد ثابت بن ثابت (٢٤١) ، (الكويست ١٩٦٥) ، (عبد الستار أحمد فراج) ، خلق الانسان ، للاصمعي (٢١٢) ، المخصص (١٨/٢) .

شعره على مستوى رفيع من الوجهة الفنية ، ولا يتعرض للأحداث التاريخية التي وقعت في أيامه^١ .

وقد أخذ عن أبي الأسود جماعة من التلامذة ، صاروا من مؤسسي علم النحو عند العرب ، ومن مبويه ومصنفيه . منهم ابنه (عطاء) . وكان قد بعج العربية وبرز بها^٢ . ومنهم (يحيى بن يعمر) وهو من عدوان بن قيس ، وكان عدده في (بني ليث بن كنانة) ، ولقي ابن عباس وابن عمر ، وروى عنه قتادة . ومنهم (عنبة بن معدان) ، المعروف بـ (عنبة القيل) ، ويقال ان (نصر ابن عاصم) أخذ عن أبي الأسود^٣ ، وأخذ عن (نصر) (أبو عمرو بن العلاء) البصري ، وأخذ عن (أبي عمرو) (الخليل بن أحمد) ، وأخذ عن الخليل (سيويه) ، وأخذ عن سيويه (الأخفش)^٤ . ومن أخذ عن أبي الأسود : (ميمون الأقرن) ، و (عبد الرحمن بن هرمز)^٥ .

وفي رواية : ان الذي برع بعد أبي الأسود ميمون الأقرن ، وبعده ميمون عنبة القيل ، وبعده عبدالله بن أبي اسحاق ، فقياس وأكثر ، ثم برع بعده أبو عمرو بن العلاء ، ولحقه الخليل بن أحمد ، إلا أن نظر أبي عمرو أقدم من نظر الخليل .

ثم أتى الخليل في النحو بما لم يأت بمثله أحد قبله في تصحيح القياس، والطلاقة والتصريف .

وكان يونس في عصر الخليل ، وبقي بعده مدة طويلة ، ويقال ان سيويه مات قبل يونس .

وكان عيسى بن عمر في عهد أبي عمرو وعهد الخليل ، وكان بارعاً أيضاً^٦ . وكان (عنبة) القيل ، من أبرع أصحاب (أبي الأسود) الذين كانوا

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٢/١) .

٢ القفطي ، انباه الرواة (٢١/١) .

٣ الفهرست (٦٨) ، (تسمية من أخذ النحو عن أبي الاسود الدؤلي) .

٤ القفطي (٦/١) .

٥ ابن الانباري ، نزهة (١١) ، طبقات ، لابن سلام (٥) .

٦ العسكري ، المصون (١١٩) .

يتعلمون منه العربية^١. وذكر ان الناس اختلفوا اليه بعد (أبي الأسود) ، وكان من بينهم (ميمون الأقرن) الذي كان من أبرع أصحابه . وقد ذكرت رواية تنسب الى (أبي عبيدة) اسم (ميمون الأقرن) قبل عنبسة^٢ .

وأما (نصر بن عاصم) اللبني (٨٩ هـ) (٩٠ هـ) ، فإنه كان فقيهاً عالمًا بالعربية ، فصيحاً قرأ القرآن على (أبي الأسود) ، وقرأ (أبو الأسود) على (عليّ) ، فكان (أبو الأسود) أستاذه في القراءة^٣ .

و (ابن أبي اسحاق) الحضرمي ، هو (أبو بحر عبدالله بن أبي اسحاق) (١١٧ هـ) ، وكان قسماً بالعربية والقراءة ، شديد التجريد للقياس . ويقال انه كان أشد تجريداً للقياس من (أبي عمرو بن العلاء) ، وكان (أبو عمرو ابن العلاء) أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها . ويقال انه أول من علل النحو . وكان قد قرأ على (يحيى بن يعمر) ، وعلى (نصر بن عاصم) ، وزعم انه كان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل^٤ .

وأما (يحيى بن يعمر) العدواني ، (١٢٩ هـ) ، فكان عالمًا بالعربية والحديث ، لقي (عبدالله بن عمر) ، و (عبدالله بن عباس) وغيرهما من الصحابة . وكان يستعمل الغريب في كلامه^٥ . وقد لحق بخراسان ، وكتب ليزيد ابن المهلب ، ألحقه بها (الحجاج)^٦ .

وكان (عيسى بن عمر) النخعي (١٤٩ هـ) ، ثقة عالمًا بالعربية والنحو والقراءة ، وصنف كتابين في النحو ، يسمى أحدهما : الجامع ، والآخر الإكمال ، وقد ذكرهما (الخليل بن أحمد) بقوله :

-
- ١ ابن الانباري ، نزهة (١٢ وما بعدها) ، انباه الرواة (٣٨١/٢ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٢٣٣/٢) .
 - ٢ ابن الانباري ، نزهة (١٣ ، ٤٠٦) .
 - ٣ ابن الانباري ، نزهة (١٤) ، انباه الرواة (٣٤٣/٣) ، بغية الوعاة (٣١٣/٣ وما بعدها) .
 - ٤ ابن الانباري ، نزهة (١٨ وما بعدها) ، انباه الرواة (١٠٤/٢ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٤٠/٢) ، المزهرة (٣٩٨/٢ ، ٤٢٣) ، طبقات ، لابن سلام (٦) .
 - ٥ بغية الوعاة (٣٤٥/٢) ، المزهرة (٣٩٨/٢ وما بعدها) ، ابن الانباري ، نزهة (١٦ وما بعدها) .
 - ٦ طبقات ، لابن سلام (٦) .

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقر

وبلغ النحو درجة كبيرة من التقدم ، حين انتقلت الزعامة فيه الى (الخليل
ابن أحمد) الفراهيدي ، الذي « كان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح
القياس »^٢ . فهو الذي بسط النحو ومدّ أطنابه وسبب عله ، وفتق معانيه ،
وأوضح الحِجَاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده . ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً
أو يرسم منه رسماً ... واكتفى في ذلك بما أوحى الى سيبويه من علمه ، ولقته من
دقائق نظره ونتائج فكره ، ولطائف حكمته ، فحمل سيبويه ذلك عنه ونقله ،
وآلف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم قبله ، وامتنع على من تأخر بعده «^٣ :
وقد كان علم الخليل ، في جملة المناهج التي غرّف منها (سيبويه) في كتابه :
الكتاب . وقد ذكر (سيبويه) اسمه في (٤١٠) مواضع من كتابه ، وأشار الى
آرائه دون أن يذكر اسمه في (١٧٤) مكاناً آخر ، وهو وان لم يشر الى اسمه ،
لكن العلماء ذكروا انه قصده »^٤ .

وأورد (سيبويه) له في كتابه آراء استاذه في إعراب آيات من القرآن الكريم ،
وتأويلها ، كما جاء له بشواهد من الشعر في شرح قواعد نحوية ، منها أشعار
نص على أسماء قائلها ، مثل أمية بن أبي الصلت ، وطرفة والنابعة والأعشى ،
وغيرهم . ومنها أشعار لشعراء مخضرمين واسلاميين ، ومنها أشعار لم يذكر أسماء
أصحابها »^٥ .

ونعت بأنه « نحوي عروضي ، استنبط من العروض وعله ما لم يستخرجه
أحد ، ولم يسبقه الى علمه سابق من العلماء كلهم . وقيل انه دعا بمكة أن يرزق

١ ابن الانباري ، نزهة (٢١ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١ / ٢٣٧ وما بعدها) .

٢ الفهرست (٧٠) .

٣ « كلما قال سيبويه سألته ، أو قال : قال من غير أن يذكر قائله ، فهو الخليل » ،
ابن الانباري ، نزهة (٥٥) ، السيوطي ، بغية (٢٤٤) .

٤ Wolfgang Reuschel, Al-Halll ibn Ahmad der Lehrer Sibawaih's, Als
Grammatiker, Berlin, 1959, S. 9.

وسأرمز اليه بـ : Reuschel.

٥ Reuschel, S. 55, 59.

علماً لم يسبق اليه أحد ، ولا يؤخذ إلا عنه ، فرجع من حجه ، ففتح عليه بالعروض^١ . وذكر انه كان « الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليه » ، « وكان أول من حصر أشعار العرب » . دخل عليه ولده وهو يقطع العروض ، فخرج الى الناس وقال : إن أبي قد جنّ ، فدخل الناس عليه فرأوه يقطع العروض ، فأخبروه بما قال ابنه ، فقال له :

لو كنت تعلم ما أقول علرتني أو كنت تعلم ما تقول عدلتك
لكن جهلت مقالتي فعدلنتي وعلمت أنك جاهل فعدلتك^٢

ويظهر من دراسة (كتاب) (سيبويه) ان أثر (الخليل) عليه كان كبيراً ، لا يدانيه أثر أي عالم آخر عليه ، وان علم الخليل بالنحو ، كان غزيراً جداً ، يؤيده استشهاد (سيبويه) بآرائه أكثر من استشهاده برأي أي عالم آخر من علماء هذا العلم ، مثل (أبو عمرو بن العلاء) (١٥٤ هـ) ، و (عيسى بن عمر الثقفي) ، (١٤٩ هـ) ، و (يونس بن حبيب) ، (١٨٢ هـ) . ويظهر ان (الخليل) لم يدون علمه بالنحو في رسائل أو كتب ، وانما كان يعلم من يقصده مشافهة^٣ ، فكان تلامذته يسمعون ويحملون العلم عنه ، وذلك على طريقة أكثر العلماء في ذلك العهد .

وللخليل بعد ، آراء خاصة في النحو ، ونجد (الخوارزمي) يتكلم في الفصل الثاني من فصول النحو ، بقوله : « في وجوه الإعراب وما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد »^٤ ، مما يشير الى وجود آراء خاصة له به ، أشير إليها في كتب النحو ، وربما وضعها بعضهم في مؤلفات خاصة بآرائه في النحو . ومن آرائه استعماله مصطلح الرفع في الاسم المضموم المنون ، ومصطلح الخفض في الاسم المجرور المنون ، والنصب في الاسم المفتوح المنون ، على حين يسمي بقية الحركات

١ التقطى ، انباه الرواة (٣٤٢/١) .

٢ ابن الانباري ، نزهة (٤٥ وما بعدها) ، انباه الرواة (٣٤١/١) وما بعدها ، بقية الوعاة (٥٥٧/١ وما بعدها) ، المزهر (٤٠١/٢ وما بعدها) ، مراتب التحوين (٢٧ وما بعدها) .

٣ Reuschel, S. 63. f, John Sib, Sibawaihs Buch über die Grammatik, Berlin, 1884 — 1900, Bd., I, 2, I, 2.

٤ مفاتيح العلوم (٣٠) .

العارية من التنوين في الأحوال والصيغ المختلفة بأسماء الحركات العامة ، أي :
الضم ، والكسر ، والفتح ، كما انه يسمى بالجر حركة الكسر التي تربط بين
آخر الصيغة الفعلية وبين همزة الوصل . ولا يوجد عنده ما يدل على تأثير النظرية
القائلة بأن اختلاف حركات الكلمات المتصرفة متوقف على العامل النحوي ، إلا في
الفرقة التي جعلها بين التوقيف ، أي عدم الحركة في أواخر الحروف وما شاكلها ،
والجزم ، أي سكون الفعل المجزوم^١ :

وكان سند علماء العربية ومنبعهم الذي أخذوا منه علمهم في وضع قواعد العربية
كتاب الله والشعر وكلام العرب . ويكون كلام العرب ، المنبع الأول الذي استمدا
منه علمهم في اللغة وفي وضع القواعد ، وهو ما أخذ عن القبائل والأفراد ، ونجد
للهجاء أهل الحجاز وتتم أهمية كبرى في كتب الشواهد والقواعد^٢ . ونظراً لاعتماد
العلماء على هذا المورد أكثر من غيره ، وقعوا في مشاكل ، جعلتهم يتحايلون في
حلها ، ويرجعون الى التأويل والتفسير ، من ذلك ما وقعوا فيه من عدم تمكنهم
من التوفيق بين القواعد التي وضعوها ، وبين ما جاء في القرآن أو الشعر من أمور
لا تتسجم مع هذه القواعد . وكل هذه الموارد المذكورة ، هي موارد أخذ منها
بالسمع ، وهناك قواعد وضعها العلماء قياساً على كلام العرب ، استنبطوها بطريق
(القياس) . و (القياس) من أهم الميزات التي ميزت البصرة على الكوفة في
وضع قواعد اللغة .

والقياس ركن من ركنين مهمين ، قام عليها علم النحو . أما الركن الأول ،
فهو السماع . وللدور الخطير الذي قام به القياس في تكوين أصول وقواعد النحو ،
قال المستشرقون وغيرهم بتأثير النحو العربي بمنطق (ارسطو) . ومن أخذ وعمل
به في النحو (عبدالله بن أبي اسحاق) الحضرمي ، قيل عنه « وكان شديد
التجريد للقياس . ويقال انه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو بن العلاء »^٣ .
وفرع النحو وقاسه^٤ ، وكان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل^٥ .

١ مفاتيح العلوم (٣٠) ، يوهان فك ، العربية (١١) .

٢ Reuschel, S. 63.

٣ نزهة (١٨) ، مراتب النحويين (١٨) ، بغية (٤٠ / ٢) .

٤ المزهر (٣٩٨ / ٢) .

٥ ابن سلام ، طبقات (٦ وما بعدها) .

وكان (الخليل بن أحمد) رأس العاملين بالقياس في فتاوى النحو . كان قياساً بارعاً فيه . قيل عنه « انه سيد قومه ، وكاشف قناع القياس في علمه »^١ . وقد تأثر (سيبويه) بقياس الخليل ، فاستعمله في تثبيت العربية . فتجد في كتابه جملاً مثل : « والقياس كذا » أو « والقياس يأباه » و « سألت الخليل عن قول العرب ما أميلحه ، فقال : لم يكن ينبغي أن يكون في القياس لأن الفعل لا يحقر ، وانما تحقر الأسماء »^٢ .

وقد انقسم علماء اللغة والنحو الى فئتين بالنسبة لاستعمال القياس في اللغة والنحو . ولكن الأغلبية معه ، وقد وقع فعلاً ، وأثر في وضع القواعد أثراً خطيراً . فيه أوجد النحاة كليات القواعد . « قال ابن الأنباري : اعلم ان انكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره . وينسب الى الكسائي انه قال :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر يتفع^٣

ولعلماء اللغة ، كلام طويل في مدى جواز استعمال القياس ، وفي حالة ورود السماع ، لأن اللغة في نظر بعض منهم مماع ، فإذا كانت مماعاً ، وجب الأخذ بالسماع ، فإذا ورد السماع بطل القياس^٤ . وقد تحدث العلماء عنه . قال (ابن فارس) : « أجمع أهل اللغة — إلا من شذ عنهم — ان لغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض » . غير انه قال : « وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياساً لم يقسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب ان اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن »^٥ .

ولابن جني رأي في القياس . قال : « واعلم انه اذا أداك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت

-
- ١ الخصائص (٣٦٦/١) وما بعدها .
 - ٢ ضحى الاسلام (٢٩٢/٢) .
 - ٣ ضحى الاسلام (٢٨١/٢) .
 - ٤ البغدادي ، خزنة (٥٥٩/٣) ، أحمد تيمور باشا ، السماع والقياس (١١) .
 - ٥ الصاحبى (٦٧) ، المزهر (٣٤٥/١) وما بعدها .

عليه الى ما هم عليه ، فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته ، فأنت فيه مخير ، تستعمل أيهما شئت ، فإن صح عندك ان العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة وأعددت ما كان قياسك أذاك اليه لشاعر مولد ، أو لساجع ، أو لضرورة ، لأنه على قياس كلامهم ^١ .

والاجماع ان النحو لم يجمع ولم يرتب ترتيباً علمياً إلا في الاسلام ، وإلا في أيام العباسيين ، حيث أظهر علماء العربية نشاطاً عظيماً في تتبع القواعد واستنباطها من المظان التي أشرت اليها . وقد استقر وثبت ، بعد أخذ وردّ بين علمائه في المسائل الفرعية التي أثارت الاختلاف فيما بينهم ، فكانت ردود ومخطئة بعض منهم لبعض ، ثم استقر في كتب تمثل اليوم ثروة قيّمة تقدر في هذه اللغة الواسعة الثرية بألفاظها وبقواعدها .

ولا بد في نظري لمن يريد فهم النحو العربي فهماً صحيحاً واضحاً ، من دراسة نحو اللغات الجاهلية من عربية جنوبية ومن ثمودية ولحيانية وصفوية ونبطية ، لأنها وإن فارقت العربية القرآنية في أمور ، إلا أنها عربية في النهاية ، ودراستها تفيدنا فائدة كبيرة في الوقوف على تأريخ تطور عربيتنا والعربيات البعيدة عن الاسلام ، وهي كما نعلم من أقدم اللهجات العربية التي أفادتنا في تقديم كتابات مدونة في تلك الأيام ، يعود تأريخ بعض منها الى ما قبل الميلاد . وقد تحدثت عن نحو اللهجات العربية الجاهلية وعن أمور من صرفها في الجزء السابع من كتابي الأول المعروف بتاريخ العرب قبل الاسلام ، المطبوع ببغداد .

هذا وقد عثر حديثاً على آثار في إمارة (أبي ظبي) وفي مواضع أخرى من سواحل الخليج ، قد تقدم لنا علماً جديداً عن لهجات عربية قديمة لا نعرف اليوم من أمرها شيئاً ، وبذلك يتسع علمنا عن لهجات العرب قبل الاسلام ، وقد نستطيع بواسطتها الوقوف على كيفية تطور اللغة العربية القرآنية وعلى حصر المواضع التي كان سكانها يتكلمون بها ، أو بلهجات قريبة منها .

بل أرى ضرورة دراسة اللغات السامية للاستفادة من هذه الدراسة المقارنة في فهم خصائص اللغة العربية ولحل بعض مشاكلها في النحو والصرف والألفاظ . وقد بذل المستشرقون - والحق يقال - جهوداً يشكرون عليها في دراسة هذه اللغات دراسة مقارنة . ولدينا اليوم مؤلفات كثيرة في هذه الدراسة ، تعرضت

١ الخصائص (١٢٦/١) .

للحروف بنوعها، الحروف الصامتة « The Consonant Sounds » ، والحروف المتحركة « The Vowels » ، والضمائر، والأسماء الموصولة وأدوات الوصل، والأسماء، وللجموع والأفعال ، ولحروف الجر ، وغير ذلك من الموضوعات التي تجدها في الكتب التي بحثت عنها^١ .

ومن أهم الموضوعات التي يجب توجيه العناية إليها ، موضوع : علم الأموات (Phonology) بالنسبة الى اللغات السامية ، مثل دراسة مخارج الحروف، والحركات، والإمالة، والتفخيم، والإشمام في العربية على وجه خاص ، ثم دراسة صرف هذه اللغات « Morphology » ، مثل جذور الألفاظ التي يغلب عليها الطابع الثلاثي « Triconsonantal » المكون من الحروف الصامتة ، بينما تقل فيها الجذور المكونة من حرفين صامتين أو من أربعة حروف صامتة . ومثل دراسة كيفية تكون الأسماء ، وأبنيتها ، ودراسة الجنس في هذه اللغات ، والعلامات التي تميز الجنس : المؤنث عن المذكر ، ثم العدد : المفرد ، والمثنى ، والجمع . جموع التذكير وجموع التأنيث ، وجموع التكسير ، ثم الظرف ، وحروف الجر ، والعطف ، ودراسة الأفعال بأنواعها ، وحالات الجمل ، وغير ذلك من أمور تخص علم اللغات^٢ .

١ E. Renan, *Histoire Générale des Langues Semitiques*, Paris, 1855, William Wright, *Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages*, Amsterdam, 1966, Zimmern *Vergleichende Grammer D. Semitischen Sprache*, Berlin, 1898, De Lacy O'leary, *Comparative Grammar the Smitic Languages*, London, 1923.

٢ وللوقوف على أسماء المؤلفات الموضوعية في مثل هذه الدراسات أرجح الرجوع الى المصادر الآتية :

H Zimmern, *Vergleichende Grammatic der Semitischen Sprachen*, Berlin, 1898, Barth J., *Sprachwissenschaftliche Untersuchungen zum Semitischen*, Leipzig, 1907-11, G. Bergsträsser, *Einführung in die Semitischen Sprachen*, München, 1928, C. Brockelmann, *Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen*, 2 Bande, *Semitische Sprachwissenschaft* 2 Auflage, Leipzig, 1916, P. Dhorme, *Langues et Ecritures Sémitiques*, Paris, 1930, Fleisch, *Introduction à l'étude des Langues Sémitiques*, Paris, 1947, I. H. Gray, *Introduction to Semitic Comparative Linguistics*, New York, 1934, B. Spuler, *Handbuch der Orientalistik*, III, *Semitistik*, Leiden, 1953-54, J. H. Kramers, *De Semietische Talen*, Leiden, 1949, Levi Della Vida, *Lingustica Semitica*, Roma, 1961, Nöldeke, *Beiträge zur Semitischen Sprachwissenschaft*, Strsbourg, 1904, *Neue Beiträge zur Semitischen Sprachwissenschaft*, Strasbourg, 1910, G. Rolandi, *Le Lingue Semitiche*, Torino, 1954, Sabatino Moscati, *An Introduction to the Comparative Grammer of the Semitic Languages, Phonology and Morphology*, Wiesbaden, 1964.

وقد عالج بعض العلماء موضوعات خاصة من موضوعات النحو والصرف، مثل موضوع الفعل في اللغات السامية^١. وموضوع الصلة بين العرييات الجنووية وبين اللغة الحبشية^٢. والصلة بين العربية وبين اللغات السامية الأخرى، أو بين لغة سامية ولغة سامية أخرى من حيث قواعد النحو والصرف^٣.

-
- G Bertin, Suggestions on The Voice — Formation of the Semitic Verb, In ١
Journal of the Royal Asiatic, vol. XV, 4. Frithiof Rundgren, Erneuerung des
 Verbalaspekts' im Semitischen Funktionell-Diachronische Studien zur
 Semitischen Verblehre, Upsala, 1963, G. R. Castellino, The Akkadian Per-
 sonal Pronouns and Verbal System in the light of Semitic and Hamitic,
 1962, Barth J., Die Nominalbildung in den Semitischen Sprache, Leipzig,
 1894, Hurwitz, Root Determinatives in Semitic Speech, New York, 1913.
 A. Murtonen, Early Semitic, A Diachronical Inquiry into the Relationship ٢
 of Ethiopic to the other So-Called South-East Semitic Languages, Leiden,
 1967.
 De Lagarde, Übersicht Über die im Aramaischen, Arabischen und Heb- ٣
 raischen Übliche Bildung der Nomina, Göttingen, 1889 Barth, Die Nomi-
 nalbildung in den Semitischen Sprachen, Leipzig, 1889.

الفصل السادس والاربعون بعد المئة

الشعر

الشعر والحكم والكهانة والخطابة وأضرابها ، هي أهم المظاهر التي نحدد لنا معالم العقلية الجاهلية ، وتعطينا فكرة عامة عن العقل الجاهلي .

أما الشعر الجاهلي ، فلم يصل إلينا من الجاهلية مدوناً قط ، وإنما وصل إلينا مدوناً في الاسلام . وأقصد أننا لم نعر حتى الآن على أي شيء منه مكتوباً بقلم جاهلي ، أو محفوراً على نص جاهلي . وكل ما نحفظه ونعرفه من ذلك الشعر ، هو مما وصل إلينا بقول الاسلاميين .

والعلماء ، من اسلاميين قدامى ومحدثين ، ومن مستشرقين ، آراء في هذا الشعر . منهم من يبالغ في اليقين ، فيرى ان كل ما وصل إلينا منه صحيح ، ومنهم من يبالغ في الشك ، فيرى ان أكثر ما وصل هو شعر متحلل فاسد موضوع ، وضع لأغراض عديدة يذكرونها : دينية وسياسية وجنسية وغير ذلك ، ومنهم من يتوسط فيرى أن فيه الصحيح وفيه الفاسد المدسوس ، وان من الخير البحث فيه من نواح متعددة ودرسه دراسة علمية حديثة ونقده نقداً علمياً لتمييز صحيحه من فاسده ، ولكل فريق حجج وأدلة مدونة ، وكتب أفردوها ، فيها رأيهم وحججهم ، إليها استحسن رجوع من يريد الوقوف على تلك الآراء .

ومن الكتب المؤلفة في الأدب الجاهلي ، واشتهرت خاصة بين أدباء العربية بنقد الشعر الجاهلي وبتوجيه الشك الى صحة أكثره ، فأثارت لذلك ضجة كبيرة

كتاب ألفه الدكتور طه حسين في العربية بعنوان : « في الأدب العربي » . وقد ردّ عليه أدباء عديدون في مصر وغيرها من البلاد العربية الأخرى . وقد أوضح الدكتور في كتابه العوامل التي حملته على تكوين رأيه المذكور في الأدب الجاهلي .

وليس مرجع هذا الاختلاف هو في حقيقة وجود شعر جاهلي أصلاً ، أو في عدم وجوده . فوجود شعر للجاهليين ، حقيقة لا يشك فيها أبداً ، لأن الجاهليين هم مثل سائر الناس ، لهم حسّ ولهم شعور ، وما دام الحس موجوداً ، فلا بد أن يظهر على شكل شعر أو نثر . وإنما الاختلاف هو في هذا الشعر المروي لنا ، والمدون في بطون الكتب . هل هو جاهلي حقاً ، أو هو منحول فاسد محمول على الجاهليين ؟ أو وسط بين بين ، وفي كمية الصحيح منه . بالنسبة الى مقدار الفاسد منه ؟ هذا موضع الاختلاف بين العلماء .

وقد وصف القديس (نيلوس) المتوفى حوالى السنة ٤٣٠ للميلاد غارة بدوية على دير سيناء ، وقعت سنة ٤١٠ م ، وتحدث عن تغني الأعراب بأشعارهم وهم يستقون الماء^١ . كما أشار المؤرخ (سوزيموس) الى تغني العرب بأشعارهم وذلك في المعارك التي وقعت بينهم وبين الروم في حوالى سنة (٤٤٠ م) ، وهي أغاني تشبه الأشعار التي كان يتغنى بها الأعراب في حروبهم وغزواتهم ، مثل يوم ذي قار^٢ ، والمعارك التي وقعت في فتوح العراق والشام . ولا زال الأعراب يترنمون بالشعر عند غزوهم بعضهم بعضاً ، لأن الشعر عندهم سلاح مهم من أسلحة القتال .

ثم إن شعر المخضرمين ، هو في حد ذاته دليل على وجود شعر سابق جاهلي ، فشعر مثل هذا لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة من غير شعر سابق ومن غير شعراء ماضين مهّدوا الجادة لمن جاء بعدهم ووضعوا لهم البحور المعروفة ، وقد وجدها المخضرمون ، فنظموا عليها .

وفي القرآن الكريم سورة تسمى (سورة الشعراء)^٣ ، وهي تدل على كثرة الشعراء ، وعلى تأثر الناس بهم ، وعلى تأثير شعرهم في النفوس وتلاعبه بأفئدة

١ غرونيباوم (١٣٣) .
٢ غرونيباوم (١٣٤) ، Die Araber, II, S. 330.
٣ رقم السورة (٢٦) .

الجاهليين . وتجاسر بعض الكفار على الرسول ، فوصفوه بأنه شاعر . ووصفه بهذه الصفة دليل على ما كان للشعر من أثر في نفوس القوم . وقد ورد في الحديث : ان الرسول قال : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكماً » ، أو ان من الشعر لحكمة^١ . وفي الأخبار انه كان يرفع أناساً ويذل آخرين ، وإن من الناس من كان يشتري ألسنة الشعراء . وورد في الحديث ، ان الرسول ذكر الشعر فقال : « إن من الشعر لحكمة ، فإذا ألْبَسَ عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإنه عربي »^٢ . ووردت عنه أحاديث أخرى في حق الشعر^٣ .

وورد في خبر آخر ان (العلاء بن الحضرمي) ، لما وفد على رسول الله ، قال له الرسول : أتقرأ شيئاً من القرآن ؟ فقرأ سورة عبس ، ثم زاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحبل نسمة تسعى بين شراسيف وحشى ، فقال رسول الله كف فإن السورة كافية ، ثم قال : أتقول شيئاً من الشعر ؟ فأنشده :

وحيّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم تحيتك الأدنى فقد يدبغ النعل
فإن دحسوا بالكره فاعفُ تكرمًا وإن أخنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي : إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكماً^٤ .

وورد أن الرسول كان يسأل الصحابة أن يسمعه شعرأ ، سأله مرة (الشريد ابن سويد) الثقفي أن ينشده شيئاً من شعر أمية بن أبي الصلت ، فأنشده مائة بيت ، فقال الرسول : كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم ، أو ان كاد ليسلم^٥ . وكان الرسول يقول : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لييد : ألا كل شيء

- ١ بلوغ الارب (١٣٤/٣) .
- ٢ اللسان (٤١٠/٤) ، (شعر) ، العملة (ص ٢٧) ، (اذا اشتبه عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في الشعر) ، مجالس ثعلب (٣١٧) .
- ٣ العملة (ص ٢٧) .
- ٤ بلوغ الارب (١٣٣/٣) وما بعدها ، (ان من الشعر حكما ، وإن من البيان لسحرا) وفي هذه الابيات روايات متباينة ، عيون الاخبار (١٨/٢) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، كنز العمال (١٧٨/٢) .
- ٥ ارشاد الساري (١٠٠/٩) وما بعدها ، الاصابة (١٤٦/٢) ، (رقم ٣٨٩٢) ، الزهر (٣٠٩/٢) ، (مائة قافية) ، ابن سعد ، (٣٧٦/٥) . صحيح مسلم (٤٨/٧) ، (كتاب الشعر) .

ما خلا الله باطل ، أو ان أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء
ما خلا الله باطل^١ .

وورد أنه استشهد ببيت شعر لطرفة بن العبد ، هو :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم ترو^٢

وورد أنه جلس في مجلس من الخزرج ، فاستنشدهم شعر : (قيس بن الخطيم) ،
فأنشدوه بعض شعره^٣ . وللرواة أخبار عديدة تشير الى سماع الرسول الشعر والى
وقوفه عليه وعلمه به ، وأنه كان يكلف الصحابة بأن ينشدوه من شعر الشعراء ،
وذكر أنه نهى من رواية رثاء (أمية بن أبي الصلت) قتلى قريش في معركة
بدر ، لما فيها من رثاء لمشركين ومن تحريض على الإسلام^٤ . وورد أن الشاعر
(العباس بن مرداس) ، شهد مع النبي حيناً على فرسه (العبيد) ، فأعطاه
النبي أربع قلايص ، فقال :

أجعل نهي ونهب العيسد بين عينيه والأقرع
وكانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر في الأجرع

فقال الرسول : اقطعوا عنا لسانه^٥ . ولسانه هو شعره .

وروي عن (عمر) قوله : « نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها
الرجل أمام حاجته فيستتر بها الكريم ، ويستعطف بها اللثيم ، مع ما للشعر من
عظم المزية ، وشرف الأبية ، وعز الأنفة ، وسلطان القدرة^٦ » .

وقديماً قال ابن عباس : « إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله ، فاطلبوه في

-
- ١ ارشاد الساري (١٠١/٩ وما بعدها) ، صحيح مسلم (٤٩/٧) ، (كتاب الشعر)
 - ٢ معجم الشعراء (٢٠٢) .
 - ٣ الاغانى (٧/٣) .
 - ٤ الاغانى (١٢٢/٤ وما بعدها) ، الفائق (٥٢/٣) ، الاغانى (٢٤٣/٨) ، ابن
سعد (٣٧٦/٥) ، المزهر (٣٠٩/٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٦٣٤/٢) ، الاشتقاق (١٨٨) .
 - ٦ بلوغ الارب (٨٢/٣) .

الشعر ، فإنه ديوان العرب ^١ . وقيل إنه - أي ابن عباس - ما فسر آية من كتاب الله ، إلا نزع فيها بيتاً من الشعر . وروي أن غيره كان يحفظ شيئاً وافراً من الشعر ، الشعر المروي عن أناس عاشوا قبل الاسلام وأناس أدركوا الاسلام ، وأنهم كانوا يتداولونه ويتطارحونه ويحفظونه لصلته بكل فرد منهم . ففيه أخبار القبائل وأيام العرب وما قيل فيهم من مدح أو ذم ، والحق أننا بفضل هذا الشعر حصلنا على كثير من هذا القصص المنسوب الى أهل الجاهلية ، وبفضله عرفنا أخبار الشعراء والقبائل والأيام والحروب ، فهو كما قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب مورد مهم رئيسي يرد منه المؤرخ في تدوينه تأريخ العرب قبل الإسلام .

ونحن لا نكاد نقرأ قصة من قصص (أيام العرب) ، إلا ونجد فيها شعراً ، ينسب الى بطل من الأبطال الذين ساهموا فيها ، أو من شاعر يذكر قومه أو خصوم قومه أو خصومه بالأيام التي انتصروا فيها على خصومهم . وقد ساعد هذا الشعر على تثبيت تلك الأيام في ذاكرة رواتها ، حتى وصلت الى أيام التدوين فدونت ، على نحو ما نقرأها في هذا اليوم .

ثم ان كتب الأدب بأنواعها مملوءة بأخبار المساجلات والمطارحات التي وقعت بين الشعراء قبيل الاسلام وفي أيام الرسول والخلفاء . وقد رويت فيها أشعار وقصائد لشعراء جاهليين ، ولشعراء مخضرمين . وقد تحدث معظم المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام عن ذكرياتهم في الجاهلية ، ورووا ما نظموا فيها من أشعار وما وعوه من المناسبات التي نظموا فيها . ثم ان هذه الكتب مملوءة أيضاً بأخبار مجالس سمر تناولت الحوادث والأيام والشعر والشعراء ، وفيها نقد ومفاضلات لما ذكر في تلك المجالس من شعر . وقد روي : ان الرسول كان يجالس أصحابه ويتحدث معهم ويصغي اليهم ، ويستمع الى ما يروونه وما يتذكرونه من الشعر ^٢ ، وروي : ان الخطيئة ، وهو شاعر معروف ، كان يتذاكر الشعراء ويحفظ أشعارهم ^٣ . وقيل للحسن البصري : « أكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

١ المزهري (٤٧٠/٢) ، الاخبار الطوال (٣٣٢) ، طبقات الشعراء ، للجمحي (ص ١٠) بلوغ العرب (٨٢/٣) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٦/١) ، العمدة (٣٠) ، التبريزي ، شرح الحماسة (١ وما بعدها) .

٢ الاغانى (٥٥/١٥) .

٣ الاغانى (٩٤/١٥) .

يمزحون ؟ قال : نعم ويتقارضون ، أي يقولون القريض وينشدونه . والقريض الشعر^١ . وروي أن أصحاب رسول الله ، كانوا يتناشدون الأشعار ويذكرون أمر جاهليتهم ، وأن رسول الله كان يجالسهم في المسجد ، وهم يتناشدون الشعر وأشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم^٢ . وعن (أبي سلمة) : « لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متحزقين ولا متهاوتين ، كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم على شيء من أمر دينه دارت حاليق عينه كأنه مجنون^٣ » .

وقد ذكر أن من الأعاجم من تعلم الشعر العربي ورواه وعشقه ، فزعم (ابن الكلبي) مثلاً أن (خُرَّخسرة) ، وهو ابن (المروزان) ، كان قد تعرب ، أعجبه العربية فتعلمها وروى الشعر ، وكان والياً على اليمن في عهد (كسرى) ، ثم بلغ (كسرى) تعربه ، وروايته الشعر ، وتأدبه بأدب العرب ، فغزله ، وولى باذان^٤ .

وللشعر أثر خطير في نفوس العرب ، كان يهز عواطفهم هزاً ، ويفعل فيهم فعل السحر ، فلا عجب إذا ما قرن (رؤية) الشعر بالسحر ، وجعله مثله في التأثير لتلك العلة :

لقد خشيتُ أن تكون ساحراً راوية مرّاً ومرّاً شاعراً^٥

قال (الجاحظ) : « وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر^٦ » .

وقد بقي أثر الشعر هذا في نفوس الناس حتى بعد زوال الجاهلية ودخول الناس في الاسلام . فكان مدح الشاعر لقوم ، من المآثر والمفاخر ، وكان ذمه

-
- ١ اللسان (٢١٩/٧) ، الفائق (٣٣٩/٢) .
 - ٢ ابن سعد ، الطبقات (٢/١) ص ٩٥ وما بعدها .
 - ٣ الفائق (٢٥٧/١) .
 - ٤ الطبري (٢١٥/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٥ العمدة (٢٧/١) .
 - ٦ البيان والتبيين (٨٣/٤) .

مما يشين ويسيء الى المهجو . فلما هجا (جرير) (بني نمر) بقوله :

فغض الطرف انك من نمرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخذ بنو نمر يتسبون الى (عامر بن صعصعة) ، ويتجاوزون أباهم نمرأ الى أبيه ، هرباً من ذكر (نمر) وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة . مع انهم كانوا قبل ذلك اذا مثل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بني نمر ، وكانوا جمرة من جمرات العرب . وكان أحدهم اذا رأى نمرياً وأراد نبزه والإساءة اليه قال له : غمض وإلا جاءك ما تكره ، وهو انشاد هذا البيت^١ . وصار الرجل من بني نمر اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بني عامر^٢ !

قال الجاحظ : « وفي نمر شرف كثير . وهل أهلك عنزة ، وجرمأ ، وعكلاء ، وسلول ، وباهلة ، وغنيأ ، إلا الهجاء ! »

وهذه قبائل فيها فضلٌ كثيرٌ وبعض النقص ، فحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء . وهل فضح الحبطات ، مع شرف حسكة بن عتاب ، وعباد بن الحصين وولده ، إلا قول الشاعر :

رأيت الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم^٣

وقد هُجيت فزارة بأكل أير الحمار ، وبكثرة شعر القفا . وكان (حلف) الفزاري قد أطعم جردان الحمار ، فقتل الذي أطعمه . وقال : طاح مرقه ، فلهبت مثلاً . ففزارة تعبر بذلك الى اليوم . قال الشاعر :

إن بني فزارة بن ذبيان قد سبقوا الناس بأكل الجردان

وقال آخر :

أصيحانية عُلّت يزُبد أحب اليك أم أير الحمار^٤ ؟

-
- ١ الخزاعة (٣٥/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، البيان والتبيين (٣٥/٤) .
 - ٢ البيان والتبيين (٣٥/٤ ، ٣٨) .
 - ٣ البيان والتبيين (٣٦/٤ وما بعدها) .
 - ٤ الاشتقاق (١٧٣/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣٨/٤ وما بعدها) ، الخزاعة (٣٩٥/١) ، سمط اللآلئ (٨٦٠) .

وبين الشعر والسحر صلة ، حتى ذهب بعض الباحثين في الشعر الى أن الشعر هو فن من الفنون التي كان يمارسها السحرة في التأثير في مشاعر الناس ، إذ كانوا يتخلونه وسيلة من وسائل التأثير في النفوس ، لما يستعملونه فيه من كلام مؤثر ساحر يترك أثراً خطيراً في نفس سامعه . ولهذا عدّوا السحرة في جملة أوائل من كان ينظم الشعر من القدماء ، كما ذهب بعض الباحثين الى أن الشعراء كانوا (أهل المعرفة) والفهم ، لما كان لهم من ذكاء وصفاء ذهن في فهم تجارب الحياة ، وفي نظم خلاصة تلك التجارب على شكل علم أو حكم تنفيذ في التهذيب وفي التوجيه وفي وعظ الناس، ولهذا كان لهم رأي في السياسة في السلم وفي الحرب.

وفي كتب الأدب والأخبار أمثلة كثيرة عن أثر الشعر في القبائل وفي الأشخاص من مدح وذم ، برينا كيف كان العرب يتأثرون به ، وكيف كان يلعب دوراً خطيراً في حياتهم ، والعرب قوم عاطفيون ، تلعب العاطفة دوراً خطيراً في حياتهم، وما الشعر إلا نتيجة لهذا الطبع المتوارث في العربي . وقد كان أثر الشعر في المغازي وفي الحروب أثر السيف في الحصوصم ، يحرض المقاتلين على الاستبسال في القتال . ولما وقعت الوقائع بين المسلمين والفرس ، لعب الشعر والنثر دوراً خطيراً فيها ، ففي يوم (أرماث) مثلاً ، أرسل سعد الى قادة الكلام ، من رجال النثر والشعر ، يدعوهم الى استخدام سلاحهم في هذه المعارك ، فكان ممن حضر عنده : (طليحة) ، و (قيس بن هبيرة) الأسدي ، و (حذيفة) ، و (غالب) ، و (عمرو بن معديكرب) ، و (ابن الهذيل) الأسدي ، و (عاصم بن عمرو) ، و (ربيع بن البلاد) السعدي ، و (ربيعي بن عامر) وهم من الخطباء ، و (الشماخ) ، و (الحطيثة) ، (أوس بن مغراء) ، و (عبدة بن الطيب) وأمثالهم ، وهم من الشعراء ، فلما تجمعوا ، قال لهم (سعد) : « قوموا في الناس بما يحقّ عليكم ويحقّ عليهم ، عند مواطن البأس ، فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرصوهم على القتال »^١ . فالشعر سلاح ماضٍ عند العرب ، مثل الأسلحة الأخرى وربما كان أمضى منها أثراً في نفوسهم لما كان يفعله فيهم ، وكذلك النثر من أثر في النفوس يحملهم

على الإقدام وعدم التهيب من الموت .
ونحن لا نعرف حرباً أو غزواً وقع للعرب ، ثم لم يقترن خبره بشعر أو أبيات
منه ، فقد كان المحاربون ، محاربون خصومهم بألستهم وبسيوفهم وبسهامهم
ورماحهم في الوقت نفسه ، وقد رأينا أنه قد كان للشعر الفضل الأكبر في كثير
من الأحيان في حفظ أخبار الحروب وبقاء ذكرها الى هذا اليوم . ونستطيع القول
بأن قسطاً كبيراً من الشعر الجاهلي ، هو من شعر القتال . ولذلك نستطيع جعله
صنفاً قائماً بذاته نسميه شعر القتال والحروب .

ومن هذا الأثر الذي كان يعرفه الشعراء حق المعرفة ، كانوا يستعملون ويرفعون
به عن غيرهم ، كتب (هودّة بن عليّ) الحنفي ، الى النبي يمجّيه على رسالته
التي أرسلها اليه : « ما أحسن ما تدعو اليه واجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم
والعرب تهاب مكانسي ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك »^١ ، فهو شاعر قومه
وخطيبهم ، وله مكانة في العرب ، فهو يرى ان يميز عن غيره بميزات تمنح له ،
وكان الشعراء يمتنون على قومهم بأنهم ألستهم المخرسنة الناطقة المهاجمة المدافعة ،
فهم من الطبقة المثقفة الممتازة التي حظيت بالتقدير ونالت الاحترام ، بسبب قدرة
اللسان ، وأثر الشعر في الناس .

ولا زال الشاعر ينال مكانة محترمة عند أهل الحضرة وعند أهل الوبير ، فهو
لسان القبيلة حتى اليوم ، يدافع عنها ، ويهجو أعداءها ، ويردّ على شعراءها ،
ويشيد بفعال قومه . وللهجاء عندهم مكانة ، إلا انها أخذت تنزل عن مكانها ،
بفعل الحضرة الذي أخذ يغزو البوادي ، وتغير العقلية ، وعدم الاهتمام بالقيـل
والقال ، مما أثر على مكانة الشعر والشاعر أيضاً ، فلم يعد الناس يحشون لسان
الشاعر ، كما كانوا يحشونه أيام الجاهلية ، يوم كانوا يسترضون الأعشى والخطيبه ،
خوفاً من لسانيهما السليطين .

ويطلق على الشعر الذي قيل قبل الاسلام : الشعر الجاهلي ، لأنه قيل في الجاهلية
التي شرحنا معناها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأصحابه كلهم ممن عاشوا
وماتوا قبل الاسلام . أما الذين أدركوا الاسلام وأسلموا ، فهم الشعراء المخضرمون

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٢/١) ، (ذكر بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
الرسـل بكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام) .

لأنهم أدركوا عهدين ، فعاشوا رداً من عمرهم في الجاهلية، وقضوا البقية الباقية من حياتهم في الاسلام .

وإذا قلنا الشعر الجاهلي ، أو شعر الجاهليين ، فلا نريد أو يريد أحد منا الغرض من شأنه ، أو الخط من قدره ، فإننا على العكس ، نجد علماء الشعر والأدب ، يرفعون من قدره ، ويرون انه الأوج الذي بلغه العرب في الشعر ، ولا سيما الشعر المختار منه مثل المعلقات ، فقد بلغ القمة في نظرهم ، وقد بلغ من تقدير بعضهم للشعر الجاهلي ، انهم كانوا « أحياناً يذهبون بعيداً في تدقيقهم الى حد التهوين من قيمة شاعر لا يمكن إنكار تفوقه ، لمجرد أن ولادته كانت بعد ظهور الاسلام »^١ .

وروي أن عمر قال : « الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أعلم منه » وأنه كتب الى (أبي موسى الأشعري) : « مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب »^٢ . ولقد قال الجاحظ : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها ، وعلى أن الشعر يُفيد فضيلة البيان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة المأثرة ، على السيد المرغوب اليه ، والممدوح به »^٣ . وقال العسكري : « لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبت آدابها ومستودع علومها »^٤ ، والشعر هو ديوان تسجيل من لا تسجيل له ، لجأت اليه الشعوب القديمة حين لم تعرف الكتابة ، ليقوم مقام الكتابة في تخليد المآثر والأحداث وما يستجد لها من أمور عظام ، بما فيه من أثر على القلب ، ومن نعم يساعد على الحفظ ، فقام الشعر عند العرب مقام الكتابة ، قبل أن تنفشي الكتابة بينهم^٥ .

والواقع ان هذا الشعر الجاهلي قد أفاد المؤرخ الباحث في تأريخ الجاهلية فائدة

١ بروكلمن (٣٦/١) .

٢ العمدة (٢٨) .

٣ الحيوان (٧٢/١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، المحاسن والاضداد (٣) .

٤ كتاب الصناعتين (١٠٤) .

٥ كارلو نالينو (٩٥ وما بعدها) ،

لا تقدر بشئ ، وربما زادت فائدة هذا الشعر من الوجهة التاريخية على فائدته من الوجهة الأدبية ، لأنه حوى أموراً مهمة من أحداث العرب الجاهليين ، لم يكن في وسعنا الحصول عليها لولا هذا الشعر^١ .

ولكن كثيراً من هذا التراث الذي أريد تخليد عمل العرب به قد ضاع ، قبل الإسلام ، بسبب عدم تدوينه وتخليفه في كتاب واعتماد الناس في روايته على الحافظة وحدها ، والحافظة لا تحفظ المحفوظ لأمد طويل ، فضاع منه ما ضاع ، ووصل بعض منه بصورة يرتاب منها ، وآفة كل ذلك هو المرض الذي يصيب الذاكرة : مرض النسيان . « قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري ؛ فالكتاب أحب إليّ من الحفظ . لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام^٢ » .

والشعراء الجاهليون كثيرون ، ونجد في كتب اللغة والمعاجم ، أسماء شعراء ، لم يرد لهم خبر في موارد أخرى ، ذكروا لمناسبة الاستشهاد بشعرهم ، ونجد في كتب السير والرجال أسماء رجال لهم شعر ، لم يرد اسمهم في كتب الشعر . قال (ابن قتيبة) : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره في التنقيب عنهم ؛ واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها^٣ » .

وأنت إذا قرأت بعض الكتب مثل كتاب : (الاشتقاق) ، و (المحبر) ، وكتب المجالس والأمالي والشواهد ، نجد أمامك أسماء عدد كثير من الشعراء الجاهليين ، لم يرد اسمهم في كتب الشعر الجاهلي ، ولم يحفل بهم علماء الشعر مع أنهم كانوا في أيامهم من الشعراء المعروفين ، وقد قص على أنهم كانوا من الشعراء .

١ Charles James Lyall, Ancient Arabian Poetry, London, 1930, p. Introduction.

٢ الحيوان (٤١/١) ، (نعت الكتاب) .

٣ الشعر والشعراء (٨/١) .

ولا أجد في كلام قدماء العلماء القائل ان الذي وصل الينا من أمر الشعر الجاهلي والشعراء الجاهليين ، هو قليل جداً من كثير جداً ، وأن الذي فات عن علم العلماء من أمر الشعراء الجاهليين أكثر بكثير مما بقي ، أية مبالغة أو تهويل ، لأننا نجد في الموارد التي نتحدث عن الصحابة أو عن الأخبار ، أسماء رجال كانوا شعراء ، لا نجد لها وجوداً في كتب الشعر ، ثم ان علماء الشعر أنفسهم يعترفون في كتبهم ودفاترهم ، انهم لم يدونوا من أسماء الشعراء إلا من اشتهر أمره وعرف بغزارة شعره ، أما من كان دون هؤلاء ، فإنهم لم يتحرشوا بهم ، إذ لو تعرضوا بهم لاحتاجوا الى تدوين كتب ضخمة في الشعر والشعراء . أضف الى ذلك موت ذكر كثير من الشعراء ، بسبب عدم وجود التدوين قبل أيام التدوين وعجز الذاكرة عن المحافظة على أسماء الشعراء وعلى شعرهم الى أمد طويل . ثم ان الشعر سليقة عند العرب ، وبديهة ، وقلماً تقرأ اسم رجل من أهل الجاهلية ، إلا وقد نسب له أهل الأخبار البيت أو البيتين ، أو أكثر من ذلك من الشعر .

ونحن لا نذكر هنا من الشعراء إلا من نبه منهم، وترك أثراً في الأدب العربي الى يومنا هذا .

وقد جرت العادة بأن يدرس الشعر الجاهلي على أسلوب الجادة القديمة ، بالاعتماد على الروايات المدونة عنه في الموارد الإسلامية القديمة ، وهي روايات لاقت رواجاً كبيراً بين المعنيين في الشعر الجاهلي ، حتى صارت في درجة القضايا البديهية المسلم بصحتها ، مع أنها في الواقع أخبار آحاد ، وردت في كتب اسلامية قديمة نقلها عنها المؤلفون المتأخرون عن المؤلفين القدماء . مع أن الصحيح هو في وجوب درس الشعر الجاهلي ، على ضوء شعر المخضرمين والشعراء الاسلاميين الذين عاشوا في صدر الاسلام ، وعلى ضوء الدراسات المعروفة عن الشعر عند الساميين ، مثل شعر السريان الذي يأخذ أيضاً بالوزن والقافية وله مصطلحات قديمة في الشعر تعود الى ما قبل الاسلام ، ثم الشعر العبراني والشعر البابلي وشعر بقية الساميين .

وفي دراسة شعر القبائل الحاضرة المتزوية في جزيرة العرب ، فائدة كبيرة في تشخيص الشعر الجاهلي ، لأنها — ولا سيما القبائل التابعة في العربية الجنوبية — لا زالت تنظم الشعر متأثرة بالقوالب القديمة وبيحور جاهلية لم يحفل بها (الخليل) أو أنه لم يقف عليها ، ففات أمرها على العلماء ، وعدت من الشعر العامي المبتلل .

الذي لا يليق بالعالم المتزن أن يحفل به . وقد تفيدنا دراسة شعر القبائل العربية ، الناطقة بلهجات بعيدة عن عربيتنا بعض البعد ، فائدة كبيرة في الحكم على طبيعة ونوع الشعر عند العرب الجنوبيين قبل الاسلام ، فألسنة هذه القبائل هي من وحي الألسنة العربية الجنوبية الجاهلية ، ونظم الشعر بها بأسلوب خاص وبيحور متميزة ، هو دليل قاطع على وجود الشعر عند العرب الجنوبيين ، وهو شعر لا نعرف اليوم من أمره أي شيء ، لعدم وصول نماذج مدونة منه البنا حتى الآن ، ولعدم اهتمام العلماء القدامى به ، لاختلافه عن عريسة القرآن الكريم ، وفي الشعر الجاهلي القديم الذي نجد نماذج منه في المؤلفات اليبانية ، مثل مؤلفات (الهمداني) ، فائدة في تشخيص الشعر الجاهلي الجاهلي ، وإن كان هذا الشعر قد صيغ وفقاً للشعر العربي القرآني ، بفعل دخول أهل العربية الجنوبية في الاسلام ، وأخذهم بلغة القرآن الكريم .

ولا استبعد احتمال ترك علماء الشعر واللغة كثيراً من الشعر الجاهلي ، لأنه شعر لم ينظم وفق عريسة القرآن الكريم أو وفق البحور (الكلاسيكية) المعروفة التي اعتبرت الصور الرفيعة لبحور الشعر العربي الصحيح ، نبلوه لأنه كان في أعينهم من الشعر العامي المبذول الذي لا يليق بالعالم المدقق توجيه عنايته اليه ، على نحو ما فعلوه بالنسبة الى اللهجات العربية الأخرى التي كانت تختلف عن العربية المألوفة التي أخذوها من أفواه القبائل التي اعتبروا لسانها هو اللسان العربي الفصيح ، وأما ما سواها فألسنة رديئة لا يؤخذ بها ولا يحتاج بما ورد فيها من ثمر أو نظم .

خبر شعراء الجاهلية :

وقد حصلنا على أسماء شعراء الجاهلية من الموارد الاسلامية ، فقد ذكرت ان النصوص الجاهلية لم تتعرض لأمر الشعر الجاهلي ولا للشعراء الجاهليين . ونجد أسماء هؤلاء الشعراء في مختلف الموارد ، في كتب الأدب وفي ضمنها دواوين الشعر ، وفي كتب النثر الباحثة عن الشعر ، وفي كتب التفسير والحديث واللغة والمعاجم ، بل وفي الشعر الجاهلي كذلك ، إذ ذكر بعض أسماء الشعراء . ونجد في شعر بعض الشعراء الذين ظهروا في العصر الأموي أسماء شعراء جاهليين ، فنجد في شعر للفرزدق أسماء شعراء جاهليين ، إذ يقول :

وهب القصائد لي النوايح^١ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول
 والفحل علقمة^٢ الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
 وأخو بني قيس^٣ وهن قتلنه ومهلل الشعراء ذاك الأول
 والأعشيان كلاهما ومرقش وأخو قضاعة قوله يتمثل
 وأخو بني أسد^٤ عبيد^٥ إذ مضى وأبو دؤاد قوله يتمثل
 وابنا أبي سلمى^٦ زهير وابنه وابن الفريفة حين جد^٧ القول
 والجعفري وكان بشر قبله لي من قصائده الكتاب المجلل
 ولقد ورث^٨ لآل أوس^٩ منطقاً كالمسم خالط جانيه الخنظل
 والحرثي أخو الحباس^{١٠} ورثته صدعاً كما صدع الصفاة المعول^{١١}

ونجد في شعر (جرير) الذي نقض على الفرزدق قصيدته المذكورة ، وفي شعر (سراقة) البارقى ، ذكراً لأسماء بعض الشعراء الجاهليين إذ يقول :

ولقد أصبت من القريض طريقة^{١٢} أعيت مصادرها قرين مهلهل
 بعد امرئ القيس المتوّه باسمه أيام يهذي بالدخول فحول
 وأبو دؤاد كان شاعر أمة أفكّت^{١٣} نجومهم ولما يأفل
 وأبو ذؤيب قد أذل صعا به لا ينصبتك رابض لم يذل
 وأرادها حسان يوم تعرضت بردى يصفق بالرحيق السلسل
 ثم ابنه من بعده فتمنعت وإخال^{١٤} أن قرينه لم يخذل
 وبنو أبي سلمى^{١٥} يقصر سعيهم عنا كما قصرت ذراعاً جرول
 وأبو بصير^{١٦} ثم لم يبصر بها إذ حل^{١٧} من وادى القريض بمحفل
 واذكر ليبدأ في الفحول وحائماً يلومك الشعراء إن لم تفعل
 ومُعقراً فاذكر وإن ألوى به ريب المنون وطائر بالأخيل
 وأميّة البحر الذي في شعره حكم كوحى في الزبور مفصل
 والينمري على تقادم عهده ممن قضيت^{١٨} له قضاء الفيصل

١ ديوان الفرزدق (٧٢٠) ، النقائض (١٨٩/١) وما بعدها .

واقذف أبا الطمحان وسط خوانهم وابن الطرامة شاعر لم يُجهل
لا والذي حجت قريش بيته لو شئت إذ حدثتكم لم آثل
ما نال بحري منهم من شاعرٍ ممن سمعت به ولا مستعجل^١

وجمع رواة الشعر شعراً^٢ الشعراء الجاهليين وأخبارهم من موارد متعددة ، من
الشعراء أنفسهم ، مثل الخطيئة الذي أدرك الاسلام ، ومثل حسان وبقية الشعراء
المخضرمين ، فقد أمدوا الخلفاء وعشاق الشعر بأخبار من تقدم عليهم من الشعراء ،
وبما حفظوه من شعرهم ، وبما استحسّنوه من أشعارهم ، كما موتوهم بأخبارهم
التي بقيت عالقة في أذهانهم عن الجاهلية ، وعن أيامهم في الإسلام . كما جمعوا
أخبارهم من أبناء الشعراء الجاهليين ومن ذوي رحمتهم وآلهم ، ونجد في كتب
الأخبار والأدب أخباراً كثيرة من شعراء جاهليين^٣ ، نقلها الرواة من أبناء أولئك
الشعراء ، أو من ذوي قرابتهم ، فقد جاء قسط كبير من شعر الشاعر (تميم
ابن مقبل) عن ابنته أم شريك ، وجاء جزء من شعر (حاتم) وأخباره عن
ابنه (علي)^٤ .

وأخذ الرواة شعر الشعراء الجاهليين من قبائلهم كذلك ، فقد كان في القبيلة
من يحفظ شعر شعرائها أو شعر البارزين منهم . وقد رأينا كيف استعزت تغلب
بقصيدة (عمرو بن كلثوم) فكانت ترددها دوماً حتى عييت على ذلك^٥ ، وكان
في القبائل الأخرى من حفظ شعر شعرائها ، ونجد كتب الأدب والأخبار تنص
على أسمائهم ، فتذكر اسم الشخص ، وتنص على اسم قبيلته ، وقد تذكر جملاً
مثل « سمع أشيخاً من طيء »^٦ ، أو « حدثني الطائيون »^٧ ، وأمثال ذلك ،
من جمل تنص على اسم المورد الذي استقى منه الرواية خبره أو شعر الشاعر
من القبيلة .

ونجد في كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (٨٢٣١) ، وفي

-
- ١ ديوان سراقة (٦٤ وما بعدها) .
 - ٢ ديوان حاتم (٣١) .
 - ٣ الاغانى (٥٤ / ١١) .
 - ٤ المعمرين (٧٢) .
 - ٥ ديوان حاتم (٣٠) .

كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، أسماء شعراء جاهليين ، وقد أخذوا علمها بهم ممن تقدم عليهم فألف قبلهم في موضوع الشعر والشعراء ، ودون (اليعقوبي) في تأريخه جريدة بأسماء شعراء العرب ، وقد جعل أولهم (امرئ القيس) ، وذكر (النابغة) الذي يلي بعده ، وانتهى بالمخضمين^١ ، ولكنه لم ينص على اسم المورد الذي أخذ تلك الأسماء منه .

ولا نجد بين أسماء الشعراء الجاهليين اسم شاعر واحد نظم شعره وعاش في العربية الجنوبية أو نظم بلهجة متأثرة باللهجات العربية الجنوبية، فأكثر من ذكروهم من الشعراء إنما هم من الشعراء الذين قضوا أكثر حياتهم خارج العربية الجنوبية، وقد كان في هذه العربية شعراء ولا بد ، فليس من المعقول خلوها من الشعر والشعراء ، ولكن علماء العربية لم يعتنوا إلا بشعراء القبائل التي احتكوا بها والتي أخذوا العربية عنها ، والتي اعتبروا لسانها من أفصح ألسنة العرب ، فضاغ بسبب ذلك شعر القبائل التي كانت بعيدة عنهم أو التي كان لسانها بعيداً بعض البعد عن العربية التي ارتضوها والتي نزل بها القرآن الكريم .

ولا نجد في الشعر الجاهلي الواصل إلينا شعراً نظم في أغراض دينية وثنية ، أي في عبادات القوم قبل الاسلام ، اللهم إلا ما نسب إلى بعض الشعراء الأحناف من شعر فيه تحنف ، وإلا ما نسب إلى بعض آخر من شعر فيه اشارات عابرة إلى عقائد يهودية أو نصرانية . أما شعر وثني خالص، من شعر فيه ترنيم بالأصنام والأوثان ، وتحميد لها وتقديس ، أو وصف لطقوس دينية وثنية ، فهو شعر لم يصل إلينا منه شيء ، وسبب عدم وصوله إلينا هو الاسلام ، الذي اجتث كل ما يمت إلى الوثنية بصلة قريبة ، وقضى عليه ، فامتنع المسلمون من رواية هذا النوع من الشعر .

الشاعر :

والشاعر متعاطي الشعر ومحترفه ومن يقوله ، أو يكثر القول منه . ذكر علماء اللغة أنه إنما سمي شاعراً ، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره ، أي يعلم ، أو لفطنته^٢.



- ١ اليعقوبي (٢٣٠/١ وما بعدها) ، (شعراء العرب) .
- ٢ تاج العروس (٣٠١/٣) ، (شعر) ، العملة (١١٦/١) .

ومن هنا قال البعض ان الشعراء في الجاهلية كانوا أهل المعرفة ، يعنون أنهم كانوا من أثقف أهل زمانهم ، وأنهم كانوا على مستوى عالٍ في الفكر والرأي وفي فهم الأمور^١ .

وجعلوا للشعراء مزايا ، ومنحهم العلماء امتيازات خاصة ، وقالوا عنهم : « الشعراء أمراء الكلام ، يقصرون الممدود ، ويمدّون المقصور ، ويقدمون ويؤخرون ، ويؤشرون ويؤشرون ، ويختلسون ويعيرون ويستعبرون . فاما لحن في إعراب ، أو إزالة كلمة عن نهج صواب ، فليس لهم ذلك »^٢ .

وفي كتب أهل الأخبار أخبار تدل على اعتداد الشعراء بأنفسهم من ناحية الرقي العقلي ، وعلى تقدير الناس لمدارك الشعراء . جاء أن « الطفيل الدوسي قدم مكة ورسول الله بها ، فحلّده رجال من قريش من سماع النبي حتى لا يتأثر بقوله . قال الطفيل : فما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ، ثم قلت في نفسي : وائكل أمي ! والله إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما بمنعني من أن أسمع هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته »^٣ ، وجاء في خبر آخر ، « ان الطفيل لما قدم مكة ، ذكر له ناس من قريش أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وسأله أن يختبر حاله فأثابه فأنشده شعره ، فتلا النبي الإخلاص والمعوذتين فأسلم »^٤ . وفي هذا الخبر ان صح دلالة على تقدير الناس لفطنة الشاعر ولسمو مداركه . وقد رأينا ما كتبه (هودّة بن علي) الحنفي ، للرسول من أنه شاعر قومه وسيدهم ، ونجد في خبر (جلاس بن سويد) الصامت الأنصاري ، أن قومه أتوا عليه « فقالوا : إنك امرؤ شاعر .. »^٥ ، وفي هذه الأخبار وغيرها دلالة على أن الشعراء كانوا يرون أنفسهم فوق الناس في الفطنة والفهم ، وأن الناس كانوا يرون هذا الرأي فيهم ، لما يجدونه فيهم من فطنة وذكاء .

١ فجر الاسلام (٥٥ وما بعدها) .

٢ المزهر (٤٧١/٢) .

٣ ابن هشام ، سيرة (٢٣٥/١) ، فجر الاسلام (٥٦) .

٤ الاصابة (٢١٧/٢) ، (رقم ٤٢٥٤) ، الاستيعاب (٢٢٣/٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٥ الاصابة (٢٤٣/١) ، (رقم ١١٧٦) .

ولا يعني هذا ان الشعراء كانوا كلهم من أرقى الناس عقلاً ، ومن أفهم الناس إدراكاً ، ومن أعلمهم بالأمور وأبصرهم بالمعرفة ، فينبههم ولا شك تفاوت في الإدراك ، وفي مجتمعهم من هو أرقى منهم عقلاً وأكثر منهم إدراكاً ، وهم مع ذلك لا يقولون الشعر أو لا يمارسونه ، مثل الحكام والكهنة ، وأصحاب الآراء . وانما الشعر ، ملكة ، لا تكون إلا عند صاحب حس مرهف ، ولا تظهر إلا في انسان ذكي فطن لبيب ، يذلل الألفاظ والآيات ، لتنصاع لإرادته ، فيخرجها أحياناً وقصائد تعبر عن مشاعره ومداركه . فالشاعر من هنا من أذكى الناس ، ومن أهل الإدراك والمعرفة .

والشعراء ككل البارزين من طبقات مختلفة تباينت في السويات ، منهم من نبت من عائلة شريفة ، ومنهم من نبت من عائلة أعرابية ، ومنهم من نبغ من بيت فقير . وقد سمي أهل الأخبار شعراء بأسمائهم كانوا من أشرف قومهم ، وسموا شعراء كانوا من أوساط أقوامهم ، أو من النابتة . فالنبوغ لا يختص بجماعة دون جماعة ، ولا بطبقة دون طبقة .

وشعر الشاعر هو دليل عقلية ومقدار مداركه ، ولهذا تباين واختلاف ، فنجد في شعر شعراء البادية الروح الأعرابية والحشونة تتجسم في المعاني وفي الألفاظ ، ونجد في شعر الحضرة أثر النفس الحضريّة ، ونرى في شعر الجوابين القاصدين للملوك ، والذاهبين الى الحضرة والأعاجم ، أثر اختلاطهم بهم في شعرهم ، كما هو في شعر الأعشى .

والشعراء الجاهليون ، هم من قبائل متعددة ذات لهجات وحروف في الكلام مختلفة ، ولكننا نرى أن لغة شعرهم وطريقة نظمهم واحدة ، لا فرق فيها بين قحطاني وعدناني ، ولا بين شاعر من عرب العراق أو بلاد الشام وشاعر من أهل اليمن أو الحجاز أو نجد . ومعنى هذا ان الشعراء كانوا اذا نظموا شعراً ، نظموا ببحور معروفة مقررة ، وبلغة عالية ، سمت فوق لهجات القبائل ، على نحو ما نفعل في الزمن الحاضر من استعمال لغة عربية فصيحة هي لغة القرآن الكريم في النظم والنثر والاذاعة وما شابه ذلك من وسائل الإيضاح والإعلان ، ومن استعمال لهجات محلية في الحياة اليومية الاعتيادية في مثل البيت والسوق والتفاهم بين الناس .

ولكن هذا لا يعني أن الشعراء لم يكونوا ينظمون الشعر بألستهم القبلية ،

ووفق قواعد منطقهم ، فقد ثبت من أقوال علماء الشعر ، ومن أخبار أهل الأخبار أن الجاهلين كانوا ينظمون بلهجاتهم ، وكان نظمهم مفهوماً عند غيرهم ، وقد تحتاج الاذن الى تأمل وتفكير ، لإدراك كلمات ومعاني ذلك الشعر . قال (ابن هشام) في شرح الشواهد : « كانت العرب ينشد بعضهم شعراً بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات »^١ . فالشاعر التميمي ، ينظم بلهجته ، والشاعر الأسدي ينظم بلهجة بني أسد قومه الذين ولد بينهم ، والشاعر الثقفي ينظم بلهجة ثقيف ، ولكنه إذا أنشده في غير قومه ، فهم وعرف معناه ، وإن احتجج الى ترويع أو تعديل في بعض الأحيان .

ودليل ما أقول : هو ما نجده في شعر الشواهد من اضطراب في القواعد ، وخروج على أصول النحر والصرف ، وورود ألفاظ في الشعر الجاهلي دعاها علماء اللغة غريبة أو وحشية ، أو ألفاظ خاصة ذكروا أنها وردت في شعر الشاعر ، لأنها من ألفاظ قبيلته ، التي انفردت بها دون سائر القبائل ، ولو كان نظم الشعر بغير لغة القبائل ، لما شاهدنا فيه هذه الخصائص اللسانية التي وجدها علماء اللغة في شعر بعض الشعراء ، ولجاء الشعر كله بلا خصائص قبلية وبلا ألفاظ غريبة ، أما وقد صقل العلماء الشعر وحسنوا في بعض ألفاظه ، وتقحروا منه ما تقحوه ، فإن ذلك دليل في حد ذاته على أن الشعراء كانوا ينظمون الشعر بألسنتهم ، وهي غير متباينة تبايناً كبيراً ، فلما ضبطه العلماء ، ودونوه ، هذبوا ما شذت منه وفق القواعد التي تثبتت في الاسلام . ففي الأخبار أن رواة الشعر ، كانوا يحرون تغييراً في نصوص الشعر ، لتحسين الشعر وتخليصه ، فقد رووا أن (الأصمعي) رفع لفظة (زنديه) من هذا البيت المنسوب الى (امرئ القيس) :

رب رام من بني ثعلب مخرج زنديه من ستره

فجعله كفيه^٢ ، ورووا اجراء اصلاحات أخرى ، أدخلها علماء اللغة على شعر امرئ القيس وغيره ، اقتضتها قواعد الاعراب أو البلاغة والبيان^٣ .

١ المزهري (٢٦١/١) ، (النوع السادس عشر) .

٢ الموشح (٢٢) .

٣ الموشح (٢٢ ، ٢٨ ، ٨٥ ، ٩٥) ، مجالس ثعلب (٤٨١) .

ونجد في (رسالة الغفران) ملاحظة طريقة عن التغيير الذي كان يجريه (المعلمون) في نصوص الشعر ، فقد تصور ان (امرئ القيس) قد سئل عن كيفية وجود (الزحاف) في شعره ، ثم أجاب على لسانه بقوله : « فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت في الجاهلية إلا بزحاف :

لك منهن صالح

وأما المعلمون في الاسلام ، فغيّروه على حسب ما يريدون ^١ .

وورد ان رواة الشعر كانوا يتقحون حتى في شعر الشعراء الاسلاميين، وحثتهم في ذلك ان « الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء » ^٢ . وقد يقوم بذلك رواة الشاعر نفسه . ورد ان رواة الفرزدق كانوا « يعدلون ما انحرف من شعره » ، وأن رواة جرير ، فعلوا مثل فعلهم في إصلاح شعر صاحبهم ^٣ .

والتصحيح المذكور، وان كان جزئياً ، تناول ألفاظاً في الأكثر، لكنه في الواقع تحريف وتزييف ، وتغيير للنصوص وتبديل لها ، حرماناً من الوقوف على قواعد اللهجات العربية عند الجاهليين ، بسبب ان المعدلين المصححين ، لم يشيروا في كثير من الأحيان الى المواضع التي غيروها وأجروا التصحيح فيها ، ولو فعلوا ذلك ، لكان الأمر علينا سهلاً هيناً ، إذ يكون في وسعنا إرجاع الأمور الى نصابها والوقوف على النصوص، وإن كان عملهم هذا هو عمل مخالف للذمة والحق، حتى في هذه الحالة ، لأن من قواعد الأمانة وجوب المحافظة على الأصل .

وعندي أن اللغة التي نظم بها الشعر الجاهلي هي لغة الأعراب ، وهي أصل اللغة العربية ، ولغة أهل البوادي والقرى التي غلّتها البادية بالسكان . ولهذا قال (الجاحظ) : « ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعربياً » ^٤ ، دلالة على ما للبادية والبدواة من صلة به . ولهذا أيضاً جعل العلماء مقياس الشعر أن يكون عربياً بالفاظ نجدية ، أي أعربية خالصة ، وهذه العربية كانت تمتد فتشمل لغة أعراب بادية الشام ، بما في ذلك قرى الفرات العربية ، التي جاء سكانها العرب

١ رسالة الغفران (٣١٨) .

٢ الموشح (١٢٥) .

٣ الاغانى (٢٥٨/٤) .

٤ البيان والتبيين (٩٤/١) .

من البادية . ولهذا أيضاً حفلوا بالشعر الصلب الصلبد ، المنظوم بألفاظ بدوية صميحة تمثل الغلظة والشدة والمتانة ، ولم يميلوا الى شعر شعراء أهل القرى ، لأنه شعر سهل سلس ، خال من صلابة البوادي ومن غلظة الشعر الأعرابي .

وشعراء الجاهلية بعد ، إما شعراء ظهوروا بين أهل الوبر ، فهم شعراء أعراب يمثل شعرهم نَفَسُ البادية : وطبيعة البداوة وعقليتها ، وإما شعر أهل مدر ، وهم الحضرة ، المستقرون ، وسكان القرى . ولشعر شعرائهم طابع خاص يمثل الطبيعة الحضرية حسب درجاتها ومراتبها واختلاط أهلها بالأعاجم ، أو انغزالهم في مستوطنات حضرية ظهرت في البادية . فمن سافر من شعرائهم واختلط بالأعاجم ، وشاهد بلاد الشام والعراق ، تأثر بما شاهده ، فبان ذلك الأثر في شعره ، كما يظهر ذلك في شعر الأعشى ، وعدي بن زيد العبادي ، وأمية بن أبي الصلت .

وطبيعي أن يكون بين الشعراء تنافس وتحاسد وتقديم وتأخير وتفضيل . وفي كعب الأدب أمثلة على منافرات ومناظرات جرت بين شعراء ، لبيان رأيهم في شعر شعراء آخرين . وطبيعي أيضاً أن يكون بين شعراء الجاهلية كالذي وقع في كل زمان ومكان ، شعراء فحول ، وشعراء دونهم في المترلة والدرجة وفي القدرة في الشعر .

وذكر أن شعراء الجاهلية كانوا يتفاخرون بعضهم على بعض ، ويتعارضون في قول الشعر ، ويمالطون . والمالطة : أن يقول رجل نصف بيت لئيمه الآخر ، ويقال لذلك التمليط ، وأن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً ، لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه^١ ، وهو نوع من التفاخر والتنافر والتعجيز وإظهار النفس بالتغلب على المنافس .

وللشعراء بعد منازل في قول الشعر ، فمنهم الشاعر الفحل ، الذي لا يبارى ، ذكر أنهم كانوا لا يسمون الشاعر فحلاً ، إلا إذا كانت له حكمة . ومنهم الشاعر الخنذيد . والخنذيد : الفحل ، والشاعر المجيد الملق ، وتطلق اللفظة أيضاً على الخطيب البليغ المفوه المصقع وعلى العالم بأيام العرب وأشعارهم^٢ . وقيل :

١ العمد (٢٠٢/١) ، (٩١/٢) ، « مالط فلان فلانا اذا قال هذا نصف بيت وأتمه الاخر بيتا » يقال ملط له تمليطاً ، اللسان (٤٠٩/٧) ، (ملط) .
٢ تاج العروس (٥٦١/٨) ، (الخنذيد) ، المزهرة (٤٨٩/٢) .

الشاعر الخنذيد ، هو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .
والفلق ، هو الذي لا رواية له ، إلا أنه مجود كالخنذيد في شعره ، وقيل :
هو الذي يأتي في شعره بالفلق ، وهو العجب . ثم يليه الشاعر فقط ، وعرفوا
الشاعر ، أنه الذي لم ينعته علماء الشعر بنعت من هذه النعوت ومن كان فوق
الرديء بدرجة . وأما الشعور ، فهو لا شيء ، والشويعر ، هو من كان دون
الشاعر في الشعر^١ . ويذكرون أن الشعراء أربعة . ذكروا في شعر ، ينسبه بعضهم
الى الخطيئة ، هو :

الشعراء فاعلمن أربعة فشاعر لا يرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المعمة وشاعر آخر لا يجري معه
وشاعر يقال خمر في دعه

وقالوا : رابع الشعراء ، لإزدراء وتحقير^٢ :

يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعت أني مفحم لا أنطق^٣

وقسم بعض العلماء الشعراء : ثلاث طبقات : شاعر ، وشويعر ، وشعور^٤ .
وروا : أن امرأ القيس بن حجر أطلق لفظة (الشويعر) على (محمد بن
حمران بن أبي حمران) ، وهو ممن سمي محمداً في الجاهلية ، وهو شاعر قديم ،
فقال فيه :

أبلغنا عني الشويعر أني عمد عين نكبتهن حزيماً

فسمي بهذا البيت الشويعر^٥ .

قال (الجاحظ) : « والشعراء عندهم أربع طبقات . فأولهم : الفحل الخنذيد .
والخنذيد هو التام . قال الأصمعي : قال رؤبة : الفحولة هم الرواة . ودون الفحل

-
- ١ العملة (١١٤/١) وما بعدها .
 - ٢ العملة (١١٤/١) وما بعدها ، البيان والتبيين (٩/٢) ، المزهري (٤٩٠/٢) وما بعدها .
 - ٣ البيان والتبيين (١٠/٢) ، الخزائن (١٣٠/١) .
 - ٤ البيان والتبيين (١٠/٢) الآمدي ، المؤلف (١٤١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٦/١) .

الحنليذ الشاعر المُقلِّق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعور . ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

يارابع الشعراء كيف هجوتني وزعمتَ أني مفحم لا أنطق

فجعله سكيناً مخلفاً ومسبوقاً مؤخرأ .

وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاث : شاعر ، وشويعر ، وشعور . قال : والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران ، سمّاه بذلك امرؤ القيس بن حجر^١ .

ويظهر من القول المنسوب الى (رؤية) ، ان الشعراء الرواة ، كانوا في نظره أرفع منزلة من بقية الشعراء ، ولعل ذلك بسبب طول حفظهم للشعر ، مما أكسبهم علماً وخبرة ومراًناً به ، فصارت صياغتهم له أعلى من صياغة الشعراء الذين لم يكونوا يحفظون شعر غيرهم من الشعراء ، ولم يكن لهم علم بأساليب غيرهم من الشعراء . فبسبب الحفظ ، طوّعوا الشعر والكلم وركبوا ظهره بكل سهولة، حتى صار طوع أيديهم .

والتقسيم المذكور هو تقسيم اسلامي ، كما ان تقسيمهم الشعراء الى سبع طبقات هو تقسيم اسلامي كذلك . فقد قسموهم الى أصحاب المعلقات ، وأصحاب المجهرات ، وأصحاب المنتقيات ، وأصحاب المذهبات ، وأصحاب المراثي ، وأصحاب المشويات ، وأصحاب الملهمات^٢ .

عدد الشعراء :

وقد أحصى بعض الباحثين المحدثين عدد أسماء الشعراء الجاهليين الذين ذكروا في كتب الأدب ، فيبلغ عدد ما أحصوه (١٢٥) شاعراً^٣ . وهناك أسماء جاهليين استشهد الرواة ببيت أو بأبيات من شعرهم في كتب الأدب واللغة ، لو أحصوا

١ البيان والتبيين (٩/٢ وما بعدها) .

٢ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٩/١ وما بعدها) .

٣ زيدان ، (٧٧/١) تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

واعتبرناهم من ضمن الشعراء ، لاضطررنا إلى تغيير هذا الرقم ، بإضافة هؤلاء عليهم . ومع ذلك ، فإننا لا نستطيع القول بأن هذا الرقم هو رقم نهائي ومضبوط لشعراء الجاهلية ، فالمنطق يحملنا على تصور وجود عدد آخر من الشعراء فات خبرهم عن رواة الشعر ، لأسباب عديدة ، منها قدم أولئك الشعراء ، بحيث لم تتمكن ذاكرة حفظة الشعر من استيعابهم ، ثم بعد بعضهم عن الأرضين السحي حصر علماء الشعر فيها نشاط بحثهم عن الشعر الجاهلي وعن شعرائه ، ثم كون قسم منهم من الشعراء المحليين ، أو الشعراء المقلين الذين لم ينتشر شعرهم بين الناس .

وقد فطن الى ذلك القدماء ، فقال (أبو عمرو بن العلاء) : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير »^١ ، وذكر غيره ان العلماء على حرصهم على العناية بجمع شعر الشعراء ، لم يتمكنوا مع ذلك من جمع أشعار قبيلة واحدة ، فكيف بشعر كل القبائل^٢ ! والواقع ان في العرب قابلية على قول الشعر ، وبين الصحابة عدد كبير نظموا شعراً روي في الكتب، ومع ذلك ، فلم يعدّهم العلماء في جملة الشعراء ، وكذلك الحال بالنسبة الى أهل الجاهلية ، فقد كان بينهم عدد كبير ينظم الشعر .

انشاد الشعر :

وللشعراء طريقة خاصة في انشاد الشعر . يذكرون ان الشاعر منهم كان اذا أراد إلقاء شعر ، تهيأ لذلك واستعد له ، وأظهر للناس انه يريد إلقاء شعر. ومن أصولهم في الإلقاء أن ينشد الشاعر شعره وهو قائم^٣. وأن يلبس الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهور^٤ .

وذكر أن من عادة الشعراء في الهجاء ، أن أحدهم كان إذا أراد الهجاء

١ المزهري (٤٧٤/٢) ، ابن سلام ، طبقات (٢٣) .

٢ الشعر والشعراء (٨/١) وما بعدها .

٣ العمدة (٢٦/١) .

٤ البيان والتبيين (٦٠) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٩ م) ، البيان والتبيين (٣/١١٥) ، (هارون) .

« دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة »^١ . وقد ذكر (المرتضى) ، في خبر وفود العامرين على النعمان بن المنذر ، وكان فيهم (ليث بن ربيعة) ، وهو يومئذ غلام له ذؤابة ، وكان القيسيون قد صدوا وجه النعمان عنهم ، فأرادوا تقديم (ليث) لبرجز بالربيع بن زياد رجلاً مؤثلاً ممضاً ، وكان هو الذي صرف الملك بالطعن فيهم وذكر معايبهم ، فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان . فقام وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلًا واحدة على فعل شعراء الجاهلية إذا أرادت الهجاء ، ثم أنشد رجزه الذي أثر في النعمان ، حتى صار سبيًا في أبعاد (الربيع ابن زياد) عنه^٢ .

وإذا أراد شاعر إنشاد شعره ، وقف وأنشد شعره ، بأسلوبه الخاص في الإنشاد^٣ . وقد يترغمون في إنشادهم ليكون الإلقاء أوقع أثراً في نفوس السامعين . وقد يلقي راوية الشاعر شعر شاعره إذا كان أقدر منه على الإنشاد . وذكر أن (النشيد) هو الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضاً ، ومنه نشد الشعر وأنشده ، إذا رفعه . وأنشد بهم ، هجأهم . « وفي الخبر أن السليطين قالوا لفسان : هذا جرير ينشد بنا ، أي يهجوننا »^٤ . ولا تخلو الإنشاد من الترنم على اللحن الذي يتسمع به الطبع ، ومن مد الصوت ، ليكون للشعر وقع على نفوس سامعيه ، وتأثير جميل على المنصتين له .

وذكر أن الشعراء كانوا لا ينشدون إلا قياماً ، وقد يعلو أحدهم موضعاً مشرفاً ، أو يركب ناقته ، ليدل على نفسه ، ويعلم أنه المتكلم دون غيره ، وكذلك كان يفعل الخطيب^٥ . وقد استدلل بعض المستشرقين من هذا الوصف على أن الشعراء إنما أخلوا تقليد هم هذا من السحرة : الشعراء الأوائل ومن الكهنة ، لأن السحرة والكهنة كانوا ينظمون الشعر وينشدونه على هيئة خاصة ، يلبسون فيها أردية خاصة ويقفون في وضع خاص حين إنشاد الشعر .

-
- ١ أمالي المرتضى (١٩١/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١٩١/١) ، الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٢٣/٣) .
 - ٣ العمدة (٢٦/١) .
 - ٤ اللسان ٤٢٢/٣ وما بعدها ، (نشد) .
 - ٥ العملة (٢٦/١) .

وذكر ان الملوك كانوا يجلسون خلف الستور حين يستمعون الى شاعر . فروي ان (عمرو بن هند) كان يسمع الشعراء من وراء سبعة ستور^١ . وان الشاعر (الحارث بن حنظلة) اليشكري لما طلب قومه منه انشاد قصيدته أمام (عمرو بن هند) ، قال لهم : « والله لاني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور ، وينضح أثري بالماء ، اذا انصرفت عنه ، وذلك لبرص كان به » . فلما سمع قصيدته أمر برفع الستور ستراً ستراً ، حتى صار مع الملك في مجلسه ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء .. « وأمره أن لا ينشد قصيدته إلا متوضئاً »^٢ .

ولكن العادة أن الشاعر يقف أمام الملك ، الذي قد يكون جالساً على سرير ، فينشده شعره بعد أن يكون قد استأذنه بذلك . وقد يكون في المجلس جملة شعراء ، أذن لهم بالدخول عليه جملة واحدة ، لينشدوا الملك شعرهم وما جاءوا به من شعر في مدح . ويكون المجلس عامراً بأهل الخطوة من المقربين الى الملك ومن الشعراء الملازمين له . وكانت مجالس ملوك الحيرة ، عامرة بهذه المناسبات ، أكثر بكثير من مجالس الفساسة ، لغلبة النزعة الأعرابية على ملوك الحيرة وقلة تأثيرهم بالحضارة ، وتغلب الحياة الحضرية على الفساسة وتأثيرهم بالحياة اليومية لأهل الشام ، وبتزعة الروم في الحكم وفي آداب السلوك ، حتى أنهم كانوا يتلذذون في الاستماع الى غنائهم ، ولهم قيان في قصورهم وبيوتهم يغنين لهم بغناء الروم .

وكان من عادة الأعراب الطواف حول قبة الملك مع رفع الصوت بالرجز ، ليسمع الملك صوت الراجز ، فلذا عرفه أو أعجبه رجزه ، اذن له بالدخول . وكان الملوك يضربون قبة على أبوابهم ، يقعد فيها الناس حتى يؤذن لهم^٣ وقد يكون هذا الرجز مقدمة لدخول الشاعر على الملك حتى يلقي عليه ما يكون نظمه في مدح وفي ملح آله من شعر .

وكان من عادة الملوك وسادات القوم والأشراف أنهم اذا سمعوا الشاعر ، واستحسنوا شعره ، طربوا حتى يظهر الطرب عليهم وأظهروا استجابتهم لشعره ، وربما شربوا اذا كانوا في مجلس الشرب ، وأدنوا الشاعر اليهم ، وأسقوه من

١ شرح المعلقات ، للزوزني (١٥٤) ، (صادر) .
٢ شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٣٧٩ وما بعدها) ، (معلقة عمرو بن كلثوم التقيي) .
٣ الخزائن (١٥٨/٤) ، (بولاق) ، (الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمائة) .

شراهم حتى يطرب : وقد يطلبون من الشاعر إعادة إنشاد الأبيات المستجادة . وكان الشاعر يستأذن صاحب المجلس أولاً ليمسح له بإنشاده شعره . ولما استأذن (النابغة) الجمدي رسول الله ، أن ينشده شعره ، قال له الرسول : أجدت لا يفضض الله فاك ، أي لا يكسر أسنانك ، والقسم هنا الأستان^١ . ولا زال الناس يرددون هذه العبارة وعبرة : أعده أحسنت وأجدت ، أو أعد أعد ، يقولونها بحماس وبصوت مرتفع ارتفاعاً يتناسب مع حسن الاستحسان اذا قال الشاعر قولاً يستجده العارفون بالشعر .

سوق عكاظ :

ومن مرويَات أهل الأخبار ، ان الشعراء الجاهليين كانوا يفلدون الى عكاظ ، فيتعاطفون ، أي يتفاخرون ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ، ثم يتفرقون^٢ . وذكر ان (النابغة) الديلمي ، كان ممن يأتيها ، فتضرب له قبة حمراء من آدم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وكان ممن تحاكم اليه ، الأعشى ، أبو بصير ، فأنشده ، ثم أنشده (حسان بن ثابت) ، ثم الشعراء ، ثم جاءت (الخنساء) فأنشدته ، فقال لها (النابغة) : والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت انك أشعر الجن والإنس . فقال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك . فقبض النابغة على يده ، ثم قال : يا ابن أخي ، انك لا تحسن أن تقول مثل قولتي :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء : أنشديه ، فأنشدته ، فقال : والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك ، فقالت له الخنساء : والله ولا ذا خصيف^٣ .

-
- ١ تاج العروس (٦٩/٥) ، (فض) .
 - ٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) ، معجم البلدان (٢٠٣/٦) ، البلدان (٧٠٤/٣) ، اللسان (٤٤٧/٧) ، (عكظ) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٦١/١) ، الاغانى (١٩٤/٨) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٦/١) وما بعدها ، تاج العروس (٢٥٥/٥) .

وروي أن (حسان) كان قد أنشده شعره :

لنا الجففات الغُر يلعن بالضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً واكرم بنا ابناً

فقال له (النابغة) : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جففاتك وسيوفك، وفخرت
بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك^١ .

وهو خبر مصنوع ، شك فيه العلماء ، « قال أبو علي : هذا خبر مجهول
لا أصل له »^٢ . وقد روي عن الآمدي قوله : « أجمعت العرب على فضل
النابغة الذبياني ، وسألته أن يضرب قبة بعكاظ ، فيقضي بين الناس في أشعارهم
لبصره بمعاني الشعر ، فضرب القبة وأتته وفود الشعراء من كل أوب » . ثم
ذكر القصة ، وروي أن الذي فتنه حسناً وعاب عليه بيته ، هو الخنساء^٣ .
والقصة مطعون فيها . « حكى ابن جني عن أبي علي الفارسي ، أنه طعن في
صحة هذه الحكاية »^٤ . فالقصة موضوعة، وما هذا القصص المروي عن (عكاظ)،
إلا من روايات أهل الأخبار ، وضعوه مع قصصهم الموضوع عن اختيار قريش
للغة ، وتخبرها أحسن الألفاظ ، وتحكيها في الشعر .

وذكر أن (عمرو بن كلثوم) كان ممن حضر سوق عكاظ ، وقد أنشد
فيها قصيدته الشهيرة :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقي خمور الأندرينا

وهي معلقته الشهيرة ، وهي قصيدة طويلة ، ذهب الكثير منها ، قيل إنها
كانت تزيد على ألف بيت . وقد ذكر أن الرسول سمع الشاعر ينشد قصيدته هذه
بسوق عكاظ^٥ .

-
- ١ العسكري ، المصون (٣ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣ / ٤٣٠ وما بعدها) ، ديوان
حسان (٣٧١ وما بعدها) ، الاغاني (١٨٠ / ٧) .
 - ٢ خزانة الادب (٣ / ٤٣١) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١ / ٢٥٦ وما بعدها) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١ / ٢٥٧) .
 - ٥ الاغاني (١١ / ٥٤) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١ / ١٢٢) .

ولم نسمع ان أحداً من الشعراء حكم في الشعر في سوق عكاظ قبل (النابغة) ولا بعده . وسوق عكاظ سوق لم تقم إلا قبيل الاسلام ، ولعل هذا التحكيم من القصص الذي أوجده أهل الأخبار ، وقد يكون (النابغة) قد نظر حقاً في شعر (حسان) ، ولكن ذلك لا يمكن أن يعد حكومة دائمة لسوق عكاظ ، اختصاصها النظر والتحكيم في شعر الشعراء الجاهليين ، وإذا كان (النابغة) حاكم سوق عكاظ حقاً ، فلم لم نسمع بأحكام أخرى له في حق شعر شعراء آخرين ، ما دام كان يحضرها في كل عام ، وتضرب له قبة من آدم ، يجعلها مقراً له ولحكومته ، ولمن يحضر اليه من الشعراء رجاء النظر في شعره .

وذكر ان القبائل كانت تفتد الى (عكاظ) وتبحث عن مختلف الأشياء وتداول أشياء قيصة أو محمودة ، وان الرسول حضرها ، للدعوة الى الاسلام .

ولم نسمع بأن الشعراء كانوا يتوافدون الى مكة موسم الحج ، لإنشاد شعرهم ، على نحو ما ذكر عن سوق عكاظ ، مع أن موسم الحج من المراسم المعهودة بالنسبة الى قريش والى من كان يعيش حولها من قبائل ، وشرف إلقاء الشعر في موسم الحج أسمى ولا شك من شرف إلقائه بسوق عكاظ وفي الأسواق الأخرى ، فلو كان الشعراء كما زعم أهل الأخبار يقيمون وزناً كبيراً لحكم قريش في أشعارهم ، فلم لا نجد في أخبارهم خبراً يشير الى تجمع الشعراء في مكة للتباري في انشاد الشعر وفي الحصول على شرف التقدير والتقييم من قريش ، ليتباهى الفائز بالتقدير على سائر أقرانه الشعراء ؟ ثم لم لم نسمع بأسماء القصائد التي نالت منهم شرف التقدير والتعظيم ، خلا المعلقات السبع ، التي شك في صحة تعليقها حتى المحافظين من أمثال المرحوم (الرافعي) !

يثرب :

وإذا كانت سوق عكاظ موضع تحكيم على النحو الذي رأيناه ، وإذا كانت مكة ، قد نظرت في شعر شاعر ، أو شاعرين ، فقد كانت يثرب موضع تقدير

١ التاريخ الكبير (٢٢٣/١) ، البداية والنهاية (١٤١/٣) ، معجم البلدان (٧٠٤/٣) ، الاغانى (٦/١١) ، المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة (١٥١٤/٣) وما بعدها ، (القاهرة ١٩٥٢) .

وتقييم للشعر كذلك . فقد ذكر أهل الأخبار ان « النابغة قدم المدينة ، فدخل السوق ، فترل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول :

عرفت منازلًا بعريتنا فاعلى الجزع للحى المبين

حتى اذا انتهى من شعره ، قال ألا رجل ينشد ؟ فتقدم (قيس بن الخطيم) فجلس بين يديه وأنشده قصيدته التي مطلعها : « أتعرف رسماً كاطراد المذهب » حتى فرغ منها ، ثم استمع الى شعر حسان . وذكر انه قال لكل واحد منها : « أنت أشعر الناس »^١ .

وروي ان (النبي) وضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبي^٢ ، وذلك لما كان للشعر من أثر في نفوس الناس آنذاك . وقد تخصص أناس بإنشاد الشعر ، كانوا رواة شعر ، ينشدون شعر غيرهم أو شعرهم بأسلوب مؤثر ، ذكر ان منشداً أنشد يوماً رسول الله :

لا تأمن وإن أمسيتَ في حرم حتى تلاقي ما يمضي لك الماني
فالخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان^٣

تطواف الشعراء :

وكان الشعراء يتنقلون من مكان الى مكان ، فكان (الأسود بن يعفر) ، « يكثر التنقل في العرب يجاورهم ، فيلزم ويحمد »^٤ ، وجاب (الأعشى) معظم أنحاء جزيرة العرب والعراق وبلاد الشام ، وكان النابغة يتنقل ، فيزور ملوك الحيرة والغساسنة ، ويسافر الى مكة وسوق عكاظ ، وكان (عمرو بن كلثوم) من المتنقلة كذلك ، وقد علمت أمر (امرئ القيس) وتنقله بين القبائل ، وأمر

-
- ١ الاغاني (١٠/٣) ، (دار الثقافة) .
 - ٢ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) .
 - ٣ الفائق (٥٢/٣) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (٣٣) .

(الصعاليك) ، الذين كانوا يتنقلون من مكان الى مكان للحصول على رزقهم ، وأمر (حسان) وقصده ملوك الغساسنة ووصلوه الى الحيرة ، بل اننا لا نكاد ندرس حياة شاعر جاهلي ، حتى نراه جواباً ، منتقلاً من مكان الى مكان، حتى صار التنقل من سبياء الشاعر عند الجاهليين ، وكان هدفهم في الدرجة الأولى ملوك الحيرة ثم ملوك الغساسنة ، أما ملوك اليمن ، فقلما نجد في أخبار الشعراء وصولهم اليهم وانشادهم شعرهم أمامهم ، وذلك بسبب أن لسانهم كان لا يشاكل لسان الشعراء ، وأما ما نسب اليهم من شعر ، وما قيل من مدح بعض الشعراء لهم ، فهو من القصص الذي لا يرجع الى أصل ، إلا ما ذكر من شعر في مدح بعض أدواء اليمن، فإن هؤلاء لم يكونوا ملوكاً ، وإنما كانوا سادة مواضع وقبائل تقع شمال اليمن في الغالب ، وقد كانت على صلة بالعرب الشماليين ، وبلغة (ال) في ذلك الحين ، ومع ذلك فإن صلتهم بهم لم تكن على نمط صلة الشعراء بسادة العرب الشماليين .

كان الشاعر يتنقل بين القبائل ، فيترل على ساداتها ويحل في ضيافتهم ، يقصد ملوك الحيرة خاصة ، لما كان لهم من نفوذ في جزيرة العرب ، ولينال عطاياهم، أو ليتوسط في حل ما بين الملوك وما بين قبيلة الشاعر، أو قبائل أخرى من أمور معقدة ومشكلات مستعصية ، كما كان يزور الريف والقرى للميرة ولنيل هبات ساداتها من تمر أو دقيق أو أي شيء آخر يكون عند الخضر . فيمدح ويذم ، ويشيد شعره في أسواق القرى وفي نواديها ومجتمعاتها ، فكان سوق (يثرب) ، وهو المحل الذي يتجمع فيه الناس للبيع والشراء الموضع الذي يقصده الشاعر لإنشاد شعره به ، ثم حل مسجد الرسول محله في الاسلام .

وقد ورد في الشعر الجاهلي ذكر بعض المواضع التي نزل بها الشاعر ، أو التي ارتحل اليها ليزورها ، وقد طمست أسماء بعض منها ، وبقيت أسماء بعض آخر . وقد أمدتنا هذه الأسماء بمادة طيبة ، أفادتنا في الحصول على معارف تاريخية وجغرافية عنها . ففي شعر (الأعشى) ، وهو من الشعراء المتنقلة الذين أكثروا من الأسفار ، وتنقلوا من مكان الى مكان ، نجد أسماء أماكن عديدة وردت في شعره ، مثل (عانة) ، و (بابل) ، و (الحيرة) ، ومواضع في البصرة وفي اليمن . وتطرق في شعره هذا الى أحوال من مر بهم ، وذكر أسماءهم وأسماء قبائلهم ، فصار شعره لذلك مورداً هاماً بالنسبة لنا ، أفادنا في الوقوف على

نواح مهمة من التاريخ الجاهلي .

رحل (الأعشى) الى الغساسنة ملوك عرب الشام ، والى المناذرة ملوك عرب العراق ، والى (قيس بن معديكرب) ، والى (ذي فائق) في اليمن ، والى (بني الحارث بن كعب) في نجران ، فدحهم ونال عطاءهم ، وأقام عندهم يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي^١ ، مما يدل - إن صح هذا الخبر - على تأثير سادة نجران بالثقافة الرومية ، التي ربما أخذوها عن طريق ارتباطهم بالروم بروابط النصرانية ، وعلى وجود جالية من الروم في نجران أو رجال دين من الروم ، عينتهم الكنيسة لتعليم الناس أمور الدين ، فقد كان الروم يرسلون رجال دينهم الى هذه المواضع والى غيرها للتبشير ، ولأغراض سياسية في الوقت نفسه . ونجد في شعر (الصعاليك) أسماء المواضع التي غزوها ، والطرق التي سلكوها في طريقهم الى الغارات ، أو في طرق عودتهم منها الى ديارهم ، ونظراً الى كثرة تنقلهم وخبرتهم بالمواضع ، وبأبعادها وبأصحابها ، لما في هذه الخبرة من العلاقة بنجاح سوقهم وتجارتهم ، أفادتنا إشارتهم الى المواضع والقبائل فائدة كبيرة إذ حصلنا بواسطتها على معارف عن أحوال أهل الجاهلية ، ساعدتنا في سد بعض الثلم الكثيرة من ثلم بنيان التاريخ الجاهلي .

طبائع الشعراء :

والشعراء في الطبع مختلفون ، منهم من يسهل عليه المديح ويغسر عليه الهجاء ، ومنهم من تيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل ، ومنهم من يحسن الوصف ، فإذا صار الى المديح والهجاء ، أو الى الحكم والموعظة ، خانه الطبع ، وتأخر عن غيره من الفحول^٢ . ومن هنا لم يبرز فحول الجاهلية ، ومن عدّ في الطبقة العليا من طبقات الشعراء في كل درب من دروب الشعر وطرقه وفنونه . بل ظهوروا وبرزوا في أمور ، وتأخروا أو لم يبرزوا في أمور أخرى ، فذكروا مثلاً^٣ ان (النابغة) الجعدي ، كان أوصف الناس لفرس^٤ . وورد عن (ابن الأعرابي) قوله :

١ الاغاني (٣٠/٦) .

٢ الشعر والشعراء (٣٧/١) ، (الثقافة) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .

« لم يصف أحد قط الخليل إلا احتاج الى أبي دواد ، ولا وصف الحُر إلا احتاج الى أوس بن حجر ، ولا وصف أحد النعامة إلا احتاج الى علقمة بن عبدة ، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج الى النابغة الذبياني »^١ .

وقد قال من قدّم (امرأ القيس) على غيره من الشعراء ، انه « سبق العرب الى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء ، منه استيقاف صحبه والبكاء في الديار ، ورقة النسب ، وقرب المأخذ ، وشبه النساء بالظباء والبيض والخليل والعقبان والعصي ، وقيد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسب وبين المعنى ، وكان أحسن طبقة تشبيهاً »^٢ . فهذه هي المزايا التي ميزت شعره عن شعر غيره من الجاهليين .

وقال علماء الشعر الذين قدّموا النابغة على غيره ، انه كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلم بيتاً ، كان شعره كلام ليس فيه تكلف^٣ . وأما الذين قدّموا (زهيراً) على غيره ، فقالوا : « كان زهير أحكمهم شعراً وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح »^٤ .

وقلما نجد الشاعر الجاهلي يعنى بوصف الطبيعة أو مظاهرها بشعر خاص ، كأن يصف المطر وحده ، أو الشمس والكواكب والأجرام السماوية ، أو الجبال أو السهول أو الحيوانات أو النباتات ، وصفاً خاصاً لا يهرب منه الى أمور أخرى لا صلة لها بهذا الوصف ، ثم إنه قلما يتعمق في الوصف ، فيصف الأجزاء والفروع وكل ما في الموصوف من مميزات ، وهو إذا وصف الطبيعة ، أو تعرض لوصف مشهد بارز منها أثر عليه ، فإنه لا يفرد ذلك الوصف في كلمة خاصة به لا يشاركه فيها مشارك بحيث يكون شعره وصفاً خاصاً بالطبيعة ، وإنما يقحم الوصف في القصيدة جرياً على العرف الشعري الذي سار عليه الشعراء ، وليس عن عمد وتقصد لوصف ما يراد وصفه بالذات . ثم هو لا يصف من الشيء الموصوف ككل ، وإنما يصف منه ما يلتفت نظره ، وما يؤثر على حسه وبصره . فهو إذا وقف

١ الاغاني (٩٣/١٥) .

٢ ابن سلام ، طبقات (١٦) وما بعدها .

٣ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

٤ ابن سلام ، طبقات (١٨) .

أمام شجرة لا ينظر إليها ككل ، إنما يستوقف نظره شيء خاص فيها ، كاستواء ساقها أو جبال أغصانها ؛ وإذا كان أمام بستان لا يحيطه بنظره ، ولا يلتقطه ذهنه كما تلتقطه (الفوتوغرافيا) ، إنما يكون كالنحلة يطير من زهرة الى زهرة فيرتشف من كل رشفة .

هذه الخاصة في العقل العربي هي السر الذي يكشف لك ما ترى في أدب العرب - حتى في العصور الإسلامية - من نقص ، وما ترى فيه من جبال . فأما النقص فما تشعر به حين تقرأ قطعة أدبية - نظماً أو نثراً - من ضعف المنطق ، وعدم تسلسل الأفكار تسلسلاً دقيقاً ، وقلة ارتباطها بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، حتى لو عمدت الى القصيدة - وخاصة في الشعر الجاهلي - فحذفت منها جملة أبيات أو قدمت متأخراً أو أخرت متقدماً ، لم يلحظ القارئ أو السامع ذلك - وإن كان أدبياً - ما لم يكن قد قرأها من قبل^١ .

« وهذا النوع من النظر هو الذي قصر نفس الشاعر العربي ، فلم يستطع أن يأتي بالقصائد القصصية الوافية، ولا أن يضع الملاحم الطويلة كالإلياذة والأوديسا. أما ما أفادهم هذا النوع من التفكير ، وخلع على آدابهم جلالاً خاصاً، فذلك ان هذا النظر لما انحصر في شيء جزئي خاص جعلهم ينقلون الى باطنه ، فيأتون بالمعاني البديعة الدقيقة التي تتصل به ، كما جعلهم يتعاضدون على الشيء الواحد ، فيأتون فيه بالمعاني المختلفة من وجوه مختلفة ، من غير إحاطة ولا شمول ، فامتلاً أدبهم بالحكم القصار الرائعة والأمثال الحكيمة . وأتقنوا هذا النوع الى حد بعيد ، غنيي به عقلهم ، وانطلقت به ألسنتهم ، حتى لينهض الخطيب فيأتي بخطبته كلها من هذه الأمثال الجيدة القصيرة ، والحكم الموجزة الممتعة ، فلكل جملة معان كثيرة تركزت في حبة ، أو بخار منتشر تجميع في قطرة . ولما جاء الاسلام تقدم هذا النوع من الأدب ، واقتبسوا كثيراً من حكم الفرس والهند والروم^٢ . وأكثر الوصف الوارد في الشعر الجاهلي ، وصف لم يرد لأن الشاعر قصده وأراد ، وإنما هو وصف ورد عرضاً في القصيدة على النسق الذي زعموا أن (امرأ القيس) وضعه وحاكاه فيه غيره ممن عاصره أو جاء بعده من الشعراء .

١ فجر الاسلام (٤٢ وما بعدها) ، (الطبعة العاشرة ١٩٦٥) .

٢ فجر الاسلام (٤٣ وما بعدها) .

فالشاعر يبدأ بتذكر الديار وبالبكاء على الأحبة وعلى من فارقه ، فيدفعه ذلك الى الوصف ، بأبيات يجعلها مقدمة لغرض آخر ، فهي إذن مقدمة ، وليست غاية ، ثم هو إذا افتخر وأراد الاشادة بنفسه وبما قام به من عمل بطولي ، لم يصف نفسه وصفاً شاملاً عاماً ، وإنما يصف من نفسه بعض ما يعجبه وما يريد التبرج به ، من مغامرات عجيبة قام بها ، ومن صبر وتحمل للجوع وللمشقات وللأهوال ومن عدم تهيب من اقتحام الصحارى الموحشة المخوفة ، وحده ، لأنه لا يرهب أحداً ، ولا يخشى وحشاً ، فإذا جابهه وحش ، وصفه وصفاً ، لا يتعدى التواحي الخاصة التي يراها تظهر شخصيته وتبرز شجاعته ثم يبالغ ويبالغ في وصف المخاطر والمهالك التي لم يبال بها ، للوصول الى هدفه . وهو اذا اصطاد صيداً ، بالغ في الجهد الذي صرفه في صيده ، ونوه بجودة حصانه ، وبالطريقة التي صاد بها فريسته .

وهو اذا ما أراد مدح انسان ، قدم لمدحه مقدمة تزيد على شعر المدح في الغالب ، يذكر فيها الأهوال والمخاطر وحرّ الشوق ، والتلهف الشديد وما شاكل ذلك من أمور ، لتكون شرح حال له يبين مبلغ حبه له واختلاصه لمن سيمدحه ، ذي الجود والكرم والسخاء ، الذي يجود بماله وبما عنده ، ولا يحسب لنفسه ولأهله حساباً ، يجود خاصة في السنة الجهاد ، وفي مواسم القحط والبرد الشديد حيث تموت الماشية والأنعام ، ومع ذلك فإن المدوح ، لا يعأ بكل ذلك ، ويسخر من الخوف من العواقب السيئة التي ستحق به إن بذر ماله . وقد يبالغ الشاعر نفسه في مدح نفسه ، ويشيد بسخائه وجوده ، ويتخذ من ذلك قصص شجار يقع بينه وبين زوجه في الغالب ، يشاركها ولدها فيه ، بسبب تبذير الرجل لما عنده من مال ، وعدم اهتمامه بما سيحق بأهله من جوع وفقر .

وهو اذا تغزل ، فوصف محبوبته ، وإنما يصف منها ما يلفت نظره ، من أجزاء في الجسد ، أو لون أو ما شاكل ذلك مما يلفت نظره ، وقد يقارن بينها وبين بعض الحيوانات التي تعجبه مثل المها والظباء ، والحيل والعقبان ، وقد زعم

١ غرونيباوم (١٦٠ وما بعدها) ،

G. E. Von Grunebaum, Die Wirklichkeitswelt der Früh-arabisch Dichtung,
Wien, 1937, S. 148. f.

أهل الأخبار ان (امرأ القيس) كان قد سبق العرب الى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء ، منها انه شبه النساء بالأمور المذكورة، فصار تشبيهه هذا لمن سنة لمن جاء بعده من قالة الشعراء^١. وقد يصف الليل وشدة طوله وسهره فيه ومبلغ ما ألم به من أرق لفراق محبوبته ، أو من شدة تذكره لها ، وقد يذكر حزنه على فراقها وكيف انه كان يقضي ليلته ساهراً يناجي نجوم السماء ، ويعدها ، ينتظر ذهاب كابوس ليله عنه حتى يترأى له نور الصباح ، وفيه الأمل والرجاء. ووصفه كله ، ليس وصفاً كلياً عاماً محيطاً ، وإنما وصف جزئي ، جاء تعبيراً عن خاطر الشاعر ومحاكاة للطريقة التقليدية التي توارثها الشعراء بعضهم عن بعض. وقد برز بعض الشعراء في وصف بعض الحيوانات ، كما أشرت الى ذلك في مواضع سابقة ، فقد اشتهر (أبو ذؤاد) بوصف الخيل ، حتى صيّر بطل الشعراء في هذا الميدان ، واشتهر النابغة الجعدي بوصف الفرس ، واشتهر أوس ابن حجر بوصف الحمر ، وعرف علقمة بن عبدة بوصف النعامة^٢. وقد وصف غيرهم من الشعراء هذه الحيوانات وغيرها ، كما نجد ذلك في الأشعار المنسوبة اليهم .

ومن أبرز المواضيع التي تطرق اليها الشعراء في وصفهم لمظاهر الطبيعة: المطر، والنخيل، والسحب ، ومشاهد من فصول الشتاء ، والغدران ومواقع المياه والسيول والنحل والعسل البري ، وبعض الصخور الغريبة ، والطيور ، أما البحر والسفن ، فإردان على لسان الشعراء الساكنين على السواحل ، حيث يرون البحر وسفنه^٣ . ولكننا لا نجد وصفاً خاصاً بهما ، يظهر فيه تأثر الشاعر وإحساسه بالبحر ، أو بالسفن ، من حيث هي سفينة ، وإنما ذكر وهماً عرضاً على سبيل الفخر، ولأمر عرضية أخرى . فالوصف الجاهلي لعناصر الطبيعة خالياً من المشاعر الخاصة ، ومن التصورات المعبرة عن إلهام الشاعر الذاتي^٤ .

وذكر أن من الشعراء من كان يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ، ولا يستبهر بالفواحش ولا يهتم في الهجاء ، ومنهم من كان ينمي على نفسه ويتعهر ،

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٢٧) ، الاغانى (٩٣/١٥) .
 - ٣ غرونيوم (١٦٢) .
 - ٤ غرونيوم (٦١) .

ومنهم امرؤ القيس والأعشى^١ ، وأن منهم من كان يأتي بالحكم في شعره ، مثل :
 زهير والأفوه الأودي ، وعلقمة بن عبدة ، وعبيد بن الأبرص ، وعدي بن
 رعاء الغساني وغيرهم . والحكمة عندهم ، هي خلاصة تجارب الشاعر في هذه
 الحياة ، وما حصل عليه من رأي استوحاه من الواقع أو من أفواه الناس وتجاربهم .
 وهي بديهة من البديهيات صيغت شعراً . قد يبدع في صياغتها الشاعر ففسير بين
 الناس مثلاً ، كقول (عدي بن رعاء) الغساني :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء^٢

ويظهر من بيت ينسب الى (زهير) ، هو :

ما أرانا نقول إلا مُعاراً أو مُعاداً من لفظنا مكروراً

إن شعراء الجاهلية كانوا قد وصلوا الى حالة جعلتهم يقلدون من سبقهم في
 الشعر ويحاكون طرقهم في النظم ، فهم يعيدون ويكررون ما قاله الشعراء قبلهم .
 وهو كلام يؤيده قول علماء الشعر في القصيدة ، من انها كانت تسير على هدى
 الشعراء السابقين في نظمها من بدء بذكر الديار والبكاء على الأحبة والأطلال الى
 غير ذلك من وصف ، حتى صارت هذه الجادة ، جادة يسير عليها كل شاعر ،
 مما أثر على البراعة والابتكار وجعل الشعر قوالب معروفة معينة ، يختار الشاعر
 قالباً منها ليعبر به عما يريد أن يقوله نظماً . ومن هنا ثار (أبو نواس) وأضرابه
 من الشعراء الاسلاميين على (التقليد) في النظم ، لتبدل العقلية وتغير الزمن ، وإن
 كنت أجد في هذه الثورة مبالغة وإفراطاً في الاهتمام . فالقصيدة الجاهلية وإن غلب
 عليها التقليد والمحاكاة ، مما ضيق عليها المعاني ، إلا انها لم تكن كلها على نمط
 واحد على نحو ما يقوله علماء الشعر والأدب ، كان الشعراء يراعون الوزن والقافية
 والروي ، وهي أمور ميزت الشعر العربي عن غيره ، ولكنهم كانوا يتحللون
 فيما عدا ذلك ، فيأتون بالمعاني التي تدركها عقولهم ، وهي معان استمدت من
 المحيط ، وهو محيط واحد ، ألهم الشعراء شعرهم ، فن ثم تقارب الإلهام وقربت
 المعاني ، ولو تعددت طبيعته ، لما غلب على شعر أولئك الشعراء ما نأخذه عليهم

١ ابن سلام ، طبقات (١٤) .

٢ الاصمعيات (١٧١) .

وقد كان تغير وتنوع معاني الشعر في الاسلام ، نتيجة حتمية لتغير المحيط .

المغلوبون :

ومن الشعراء من كان لا يستطيع الوقوف أمام خصمه ، فيغلب ، فذكر ان (النابغة) الجعدي ، كان يختلف الشعر مغلباً . وكانت العرب اذا قالت مغلباً فهو مغلوب ، واذا قالت غلب ، فهو غالب ، وقد غلبت عليه (ليلي الأخيلية) و (أوس بن مغراء) القريني^١ . وذكروا ان (تميم بن أبي مقبل) وهو شاعر (خنذيد) مُغَلَّب عليه النجاشي ، ولم يكن اليه في الشعر ، وقد قهره في الهجاء ، ثم هاجى النجاشي عبد الرحمان بن حسان فغلبه عبد الرحمان ، وكان ابن مقبل جافياً في الدين . وكان في الاسلام يبكي أهل الجاهلية ويذكرها ، فقبل له تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم ، فقال :

وما لي لا أبكي الديار وأهلها وقد زارها زوار عك وحيرا
وجاء قطا الأحياب من كل جانب فوقع في اعطائنا ثم طيرا^٢

ومن المغلبين : الزبرقان ، غلبه عمرو بن الأهم ، وغلبه المخبيل السعدي ، وغلبه الخطيئة ، وقد أجاب الإثنين ولم يجب الخطيئة^٣ .

والهجاء فن ، لا يستطيع كل شاعر أن يبرز فيه ، لما يجب أن يكون في الشاعر من ذكاء وسرعة خاطر وقابلية على إسكات الخصوم . ولهذا كان يخشى جانب الهجاء فلا يتعرض له إلا من وهب قابلية على الهجاء . وإلا غلب على أمره ، وصار من المغلبين^٤ ، وهو من أهم أبواب الشعر عند الجاهليين ، لما له من أثر في حياتهم ، حيث يغض من منزلة المهجو .

وذكر أن الشعراء كانوا ينازعون بعضهم بعضاً على التقدم في الشعر ، فذكر أن (امرأ القيس) نازع (الحارث بن التوأم) اليشكري ، فقال : إن كنت

١ ابن سلام ، طبقات (٢٦ وما بعدها) ، العمدة (١٠٤ / ١) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٣٤) .

٣ العمدة (١٠٧ / ١) .

٤ العمدة (١١١ / ١ وما بعدها) .

شاعراً ، فأجز أنصاف ما أقول فأخذنا يتسابقان في ذلك^١ . وذكر أن (عبيد بن الأبرص) الأسدي ، لقي (امرأ القيس) يوماً ، فقال له عبيد : كيف معرفتك بالأوابد ؟ فقال له : إلتى ما شئت ، وأخذنا يتسابقان . وكان آخر ما أجاب به (امرؤ القيس) هذا البيت :

تلك الموازين والرحمان أنزلها ربّ البرية بين الناس مقياساً^٢

وهو بيت مفصوح ، يحدثك عن أصله وفصله ، وعن هذه القصة ، وقد فات وضاع القصة أن هذا الشعر لا يمكن أن يقع من شاعر جاهلي ، لا سيما إذا كان على شاكلة امرئ القيس .

والآيات الجيدة من الشعر ، في نظر نقدة الشعر هي الآيات التي إذا سمعت صدر البيت فيها ، عرفت قافيته^٣ .

بدء الشاعر :

يبدأ الشاعر بالشعر بعد إحساسه بوجود مبول له الى الشعر ، تدفعه دفعا على الاقبال عليه ، فيبدأ بحفظ الشعر المقال ، وينظمه ، ويكون هذا النظم نظماً تجريبياً غير متقن في بادئ أمره ، ويقال لهذه المرحلة (الغزومة) . و (الغزومة) أن يقول الشاعر الشعر قبل أن يستحكم طبعه وتقوى قريحته^٤ . فإذا قوي به وتمكن منه صار من الشعراء المجيدين .

وقد كان الشاعر الجاهلي مثل الشاعر الاسلامي ، يبدأ لكي يكون شاعراً بحفظ شعر غيره ، ولا سيما شعر المشهورين من الشعراء المتقدمين عليه ، حتى يرويه رواية ، وقد يتصل بشاعر يعجبه من شعراء قبيلته أو من غيرهم ، فيلازمه ويأخذ عنه شعره ، حتى يصير راوية له ، ومتى شعر هذا الراوية الحافظ لشعر غيره ، ان عوده قد استوى ، وأن له قابلية في النظم ، أظهر شعره للناس ، وربما بعد

١ الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر (١٦ وما بعدها) .

٢ المصدر نفسه (١٧ وما بعدها) .

٣ البيان والتبيين (١ / ١١٦) .

٤ الخزائن (١ / ٢٢٠) .

أن يكون قد وجد التشجيع ممن اتصل بهم من الشعراء ومن المتلوقسة للشعر ، العارفين به ، ولما كانت الشاعرية موهبة يصقلها المران ومرور الزمن ، فإن كثيراً من الشعراء نظموا الشعر وهم صغار ، ولا سيما أولئك الذين نشأوا في بيت برز به شاعر ، أو في بيوت عرفت بنبوغ جماعة من أفرادها بنظم الشعر، فهناك بيوت معرقة توارثت الشعر أباً عن جد . وقد سبق أن ذكرت قول (رؤبة) : « الفحولة هم الرواة »^١ ، أي ان فحول الشعراء هم الذين كانوا في بادئ أمرهم رواة شعر .

فحفظ الشعر وروايته هو مران كان لا بد منه لتهيئة شاعر فحل . وقد وجدت هذه النظرة عند الفرس كذلك ، قال صاحب (چهار مقالة) : « ولا يبلغ الشاعر هذه المنزلة إلا أن يحفظ في عنفوان الشباب وريق العمر عشرين ألف بيت من أشعار المتقدمين ويجعل نصب عينه عشرة آلاف كلمة من آثار المتأخرين ويدم القراءة في دواوين الأئمة ويلتقط منها ليعلم كيف تصرفوا في مضايق القول ودقائق الكلام حتى يرتسم في طبعه صور الشعر وطرائقه ، ويتجلى له مزايا الشعر ونقائصه ، فيرتقي قوله ويعلو طبعه . فإذا رسخ طبعه في نظم الشعر ، وانتقاد له الكلام عمد الى علم الشعر وقرأ العروض... وقرأ نقد المعاني والألفاظ والسرقات والتراجم وأنواع هذه العلوم على أستاذ يحذقها ليكون جديراً بالأستاذية »^٢ . وهذا الرأي الفارسي الاسلامي ، يمثل ولا شك رأي قدماء الفرس كذلك .

ولم يكن الشاعر الجاهلي يعرف بالطبع هذه العلوم والقيود التي عرفت وشاعت في الإسلام ، بل لم يكن الشاعر العربي الإسلامي ليحفل بالعروض وعلوم البيان والبديع ، لأن الشعر طبع وموهبة ، وإذا لم تكن الموهبة موجودة في إنسان، فلن يكون هذا الشخص شاعراً موهوباً مرموقاً مهما حفظ من الشعر ، وبلغ من علم العروض ومن علوم الصناعة الأخرى التي لها مساس بالشعر . فقد برز شعراء جاهليون قالوا شعراً وهم بعد أحداث ، واشتهروا به بين قومهم وهم بعد شباب . وطرفة الشاعر المشهور ، كان لا زال شاباً حين قتل ، ومع ذلك ، نجد تربيته بعد امرئ القيس في ترتيب المعلقات ، وفي تربيته هذا دلالة على تقدير قصيدته، واشتهار أمره بالشعر . وقد نظم (الخليل بن أحمد) شعراً ، وهو صاحب

١ البيان والتبيين (٢/٩ وما بعدها) .

٢ غرونيباوم (٤٨) .

العروض ، ونظم غيره من فحول هذا العلم ، ومن فحول اللغة شعراً ، لم يعد من عيون الشعر العربي ، ونظم الفقهاء شعراً عرف بين ققاده الشعر ، وأهل البصر به بـ (شعر الفقهاء) ازدراء به . بل نجد الشعراء الإسلاميين يهزأون من قواعد العروض .

ألقاب الشعراء :

ويذكر أهل الأخبار ويؤكدون ان أهل الجاهلية لقبوا شعراءهم بألقاب ، مثل : المهلهل ، والمرقش ، وذا القروح ، والمثقب ، والمنخل ، والمنخل ، والأفوه ، والنابعة . قيل عن المهلهل ، انه انما سمي مهلهلاً لهللة شعره ، أي رفته وخفته ، وقيل لاختلافه ، وقيل : بل سمي بذلك لقوله :

لما توكل في الكراع شريدهم هلهلت أنار جابراً أو صنبلاً
وقيل لأنه كان أول من هلهل الشعر وأرقه وألان ألفاظه^١ .

وذكر ان (المرقش) الأكبر ، انما عرف بذلك ، بقوله :

الدار قمر والرسوم كسما رقص في ظهر الأديم قلم
أو لأنه كان قد غني بتنميق شعره ورقشه^٢ .

وروي ان لقب (المثقب) العبدى ، انما جاءه من قوله :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون^٣

وعرف المتلمس بهذا الاسم بقوله :

فهذا أوان العريض حياً ذبابه زنايسيره والأزرق المتلمس^٤

-
- ١ العملة (٨٦) ، (ويروي لما توغر) و « لما توغر في الكلاب هجينهم » ، و (توغر) ، المزهر (٤٣٤/٢) ، الاغانى (٥٧/٥) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، تابع العروض (٣١٤/٤) ، (رقص) ، البيان والتبيين (٣٧٥/١) ، المفضليات (٤١٠/١ ، ٤٨٥) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٣١١/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١١٤/١) ، البيان والتبيين (٣٧٥/١) .

وعرف الممزق بهذا اللقب لقوله :

فإن كنت مأكولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^١

وعرف (النابغة) بالنابغة بقوله :

وحلت في بني القين بن جسر وقد نبغت لنا منهم شئون^٢

وذكر أن (منبه بن سعد) ، إنما عرف بـ (أعصر) ، بقوله :

أعبر إن أباك غير لونه مرّ الليالي واختلاف الأعصر

وان معاوية بن تميم ، إنما عرف بـ (الشقر) بقوله :

قد أحمل الرمح الأصم كعوبه به من دماء القوم كالشقرات^٣

وأن (خالد بن عمرو بن مرة) ، إنما قيل له (الشريد) ، بقوله :

وأنا الشريد لمن يعرفني حامي الحقيقة ما له مثل

وأن (صريم بن معشر) التغلبي ، إنما عرف بـ (أفنون) بقوله :

منيتنا الودّ يا مضمون مضمونا أزماننا إن للشبان أفنوناً^٤

وأن معاوية بن مالك ، سمي معود الحكام لقوله :

أعود مثلها الحكام بعدي إذا ما الأمر في الأشياخ ناباً^٥

وذكر (الجاحظ) ، أن (عمرو بن رباح) السلمي أبو خنساء ابنة عمرو ،

غلب عليه الشريد ، لقوله :

تولي إخوتي وبقيت فرداً وحيداً في ديارهم شريداً^٦

١ الشعر والشعراء (٣١٤/١) ، البيان والتبيين (٣٧٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٩٨/١) ، المزهرة (٤٣٢/٢ ، ٤٣٦) .

٣ المزهرة (٤٣٤/٢) .

٤ المزهرة (٤٣٥/٢) .

٥ المزهرة (٤٣٦/٢) .

٦ البيان والتبيين (٣٧٥/١) .

وعرف (خدّاش بن بشر) ، (خدّاش بن لييد بن بيبه) ، (خدّاش بن بشر بن خالد بن بيبه) من بني مجاشع بالبعيث ، لقوله :

تبعت مني ما تبعت بعدما أمرت جبالي كل مرتها شزارا^١

وذكروا ان (الفند) ، واسمه (شهل بن شيبان) ، انما سمي الفند ، لأنه قال يوم (قضية) : أما ترضون أن أكون لكم فينداً . وأن طفيلاً الغنوى ، انما عرف بالمحبر ، لتحسينه الشعر^٢ ، وأن علقمة بن عبدة ، انما لقب بالفحل ، لأنه تزوج امرأة امرئ القيس ، بعد أن حكمت له بتفوقه على زوجها في الشعر أو لأنه كان في قومه علقمة آخر عرف بـ (علقمة) الحصي ، وان (الأعشى) انما عرف بصنّاجة العرب ، لكثرة ما تغنت العرب بشعره^٣ ، وأن عنتره انما لقب بالفلمحاء لفلحة كانت به^٤ .

وأما الأغربة من الشعراء ، فهم عنتره ، وخفاف بن ندبة السلمي ، وأبو عمير ابن الحباب السلمي ، وسليك بن السلكة ، وتابط شرأ ، والشتفري ، وكلهم من الشعراء الجاهليين^٥ .

الى آخر ما ذكره من تعليقات عن أسباب تلقيب الشعراء الجاهليين بألقابهم التي عرفوا بها ، تجدد بقيتها مدونة في كتب الأدب واللغة والأخبار^٦ .

ولعلماء الشعر بعد ، آراء في أحسن وأجود ما قيل من شعر في فن واحد من فنون الشعر ، فليل أرثي بيت قيل في الجاهلية ، قول أوس بن حجر :

أيتها النفس اجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

١ وقيل : سمي البعيث لقوله :

تبعت مني ما تبعت بعدما استمر فؤادي واستمر عزيמי

البيان والتبيين (١ / ٢٠٤ ، ٣٧٤) ، المؤتلف (٥٦) .

٢ المزهر (٢ / ٤٣٠) .

٣ المزهر (٢ / ٤٣١) .

٤ المزهر (٢ / ٤٣٢) .

٥ المزهر (٢ / ٤٣١) .

٦ المزهر (٢ / ٤٣٦ وما بعدها) .

وهذا على رأي الأصمعي^١ ، وقدم غيره قول عبدة :
فما كان قيس^٢ هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما^٣

ومنهم من قدم شعر الخنساء^٤ .

وقيل إن قول امرئ القيس في الماء ، هو أحسن ما قيل فيه^٥ . وإن وصف
(أوس بن حجر) للسحاب ، هو أحسن ما قيل فيه^٦ ، وإن أهجى بيت قالته
العرب ، قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء^٧ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا^٨

وأن أمدح بيت قالته العرب قول زهير :

تراه إذا ما جثته متهللاً كأنك معطيه الذي أنت سائله

وبيت النابغة :

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب^٩

ولكنك لو أطلت النظر في كتب الأدب ، تراها تختلف في هذا الاختيار وفي
اسم الشاعر ، وسبب ذلك اختلاف أمزجة العلماء ، واختلاف وجهات نظرهم في
نقد الشعر^{١٠} .

وللعلماء كلام في أوصاف الشعراء للدرع ، أو للفرس ، أو للنجوم والكواكب ،
أو للدنيا إلى غير ذلك من أشياء^{١١}

١ ديوان أوس (١٣) ، المصون (١٦) .

٢ المصون (١٦) .

٣ المصون (١٧) .

٤ المصون (١٨) ، ديوان امرئ القيس (١١١) .

٥ المصون (١٩) .

٦ ديوان الأعشى (١٩) .

٧ « كأنك » ، (لائق) ، ديوان النابغة (١٣) ، المصون (٢١ وما بعدها) .

٨ راجع المصون (٢٢ وما بعدها) ، ترى العلماء يختلفون في أمدح بيت ورد في شعر
الجاهليين .

٩ المصون (ص ٢٤ فما بعدها) .

وقد عرفت القصائد التي يكون الشاعر فيها منصفاً في شعره ، بالمنصفات ، والمنصفة هي القصيدة التي يكون الشاعر فيها قد أنصف من تحدث عنه ، فإذا كان في فخر واستعلاء على قوم ، فخر بقومه ، وذكر في الوقت نفسه فضائل خصوم قومه ، وشجاعتهم واستبسالهم في معاركهم مع قومه . ومن المنصفات قصيدة (العباس بن مرداس) السينية التي قالها في يوم (تثليث) ، حيث غزت (سُليم) مراداً ، فجمع لهم (عمرو بن معديكرب) ، قالتقوا بتثليث ، فصبر الفريقان ، ولم تظهر طائفة منها بالأخرى ، فصنع العباس بن مرداس قصيدته المذكورة ^١ .

وزعم علماء الشعر ، ان الشعراء الجاهليين كانوا في سرقة الشعر مثل الشعراء الاسلاميين ، فقد كان منهم من يسطو على شعر غيره ، فيدخله في شعره ، وينحله نفسه ، أو يضمن شعره من معانيه ، ولهم في ذلك بحوث . وذكروا ان من الشعراء الاسلاميين من سطا على شعر الشعراء الجاهليين ، أو أخذ منه ^٢ .

الشهرة بالشعر

يقول الرواة والعلماء بالشعر : من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل ، ومن أراد النسيب والغزل من شعر العرب الصلب ، فعليه بأشعار عُدرة والأنصار ، ومن أراد طرف الشعر وما يحتاج الى مثله عند محاوراة الناس وكلامهم فذلك في شعر الفرسان .

وأشعر الفرسان : دريد بن الصمة ، وعنترة ، وخفاف بن ندبة ، والزبرقان ابن بدر ، وعروة بن الورد ، ونهيك بن إساف ، وقيس بن زهير ، وصخر ابن عمرو ، والسليك بن سلكة ، وأنس بن مدركة ، ومالك بن نويرة ، ويزيد ابن الصعق ، ويعدّ من الفرسان الأشراف ، ويزيد بن سنان بن أبي حارثة ^٣ .

١ العمدة (٢١٧/٢) .

٢ المصون (٦٦ وما بعدها) .

٣ المصون (١٧٣ وما بعدها) .

التكسب بالشعر

يذكر أهل الأخبار أن العرب كانت لا تتكسب بالشعر ، أنفة وتعزراً ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنع مكافأة عن يد لا تستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظماً لها . بقوا على ذلك دهوراً ، حتى نشأ النابغة الذبياني فدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته ، وله مال يكفيه ، فسقطت منزلته ، وكسب مالاً جزيلاً حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيها من عطايا الملوك . وذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر ما فيه قبح من مجاملة الحاجب ومجاملته والتودد إليه تقريباً وتزلفاً ليوصله إلى النعمان ، ومن دس الندماء على ذكره بين يديه ، وما أشبه ذلك^١ . هذا ، وإنما امتدح ملكاً ، فكيف بشاعر يمدح من هم دون الملوك والأشراف من السوقة وسواد الناس ، طمعاً في صلة وعطاء^٢ !

وتكسب زهير بن أبي سلمى يسيراً مع (هرم بن سنان) ، ونال (أمية ابن أبي الصلت) عطايا (عبدالله بن جدعان) لمدحه إياه ، فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلاد ، وقصد حتى ملك العجم فأثابه ، لعلمه بقدر ما يقول عند العرب ، واقتداء بهم فيه ، على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له ، بل استخف به واستهجنه لكنه حذا حذو ملوك العرب^٣ .

ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط الهمة فيه ، حتى مقت وذل أهله ، واستصغر شأنه ، وعرف بتكسبه بشعره^٤ .

وقد عيب « من تكسب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة ، وجوائر الملوك والسادة ، في قصائد السباطين »^٥ . وإنما المقبول ما جاء بما لا يزري بقدر ولا مروءة ، مثل الفتلة النادرة ، والمهمة العظيمة ، وعن باب التودد والتلطف

١ بلوغ الارب (٩٠/٣ وما بعدها) ، العمدة (٨٠/١) .

٢ العمدة (٤٠/١ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٩١/٣) ، العمدة (٨١/١) .

٤ العمدة (٨١/١) .

٥ البيان والتبيين (١٣/٢ وما بعدها) .

والتذكر ، فأما من وجود الكفاف والبلغة فلا وجه لسؤاله بالشعر^١ .

ومن هنا زعم أهل الأخبار أن أشراف أهل الجاهلية ، كانوا بأنفون من قول الشعر ، وكانوا ينهون أولادهم من قوله ، فلما خالف (امرؤ القيس) ، وهو شريف وابن ملك ، أمر والده من وجوب ترك الشعر ، واستمر على قوله ، طرده بسببه من بيته ، وأخرجه من داره ، فصار من الضلّيلين ، وهو زعم عارضه (ابن رشيّق) وردّ عليه بقوله : « وقد غفل أكثر الناس عن السبب ، وذلك أنه كان خليعاً ، منهتكاً ، شبيب بنساء أبيه ، وبدأ بهذا الشر العظيم ، واشتغل بالخمير والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ، ليس من جهة الشعر ، لكن من جهة الغي والبطالة ، فهذه العلة ، وقد جازت كثيراً من الناس ومرت عليهم صفحاً^٢ . فلم يكن طرد امرئ القيس من بيت أبيه أذن بسبب قوله الشعر ، وإصراره عليه ، وإنما بسبب أعماله من خلاعة وتهتك واستهتار ، وهي أعمال تنافي أخلاق الأشراف .

وقد قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل ، مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل . وإنه أسنى مروءة الدني ، وأدنى مروءة السري . وقيل أن الشريف كان يتحاشى قول الشعر ، ويمنع أولاده من قوله . لأن قول الشعر مثلبة للرجل الشريف . وقد فسر هذا الزعم بعض العلماء بقوله : « إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به ، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذ مكسباً ، كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ، هذا ، وإنما امتدح قاهر العرب ، وصاحب البؤس والنعيم^٣ . مدحه ولم يكن في حاجة إليه ، وكان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأواني من عطاء الملوك . وبين الشعراء الجاهليين من كان من السادة الأشراف ، ولم يجد مع ذلك غضاضة في قوله الشعر ،

١ بلوغ الارب (٩١/٣ وما بعدها) .

٢ العمدة (٤٣/١) .

٣ في قول « ابن رشيّق » « وصاحب البؤس والنعيم » هفوة ، لأن صاحب البؤس والنعيم ، هو « المنذر بن ماء السماء » ، وصاحب النابغة هو « النعمان بن المنذر » ، العمدة (٤١/١) ، البيان والتبيين (٢٤١/١) .

ومن غض من قدره ، هو من استجلى شعره ، واتخذ شعره سبيلاً من أسباب التكسب .

وما يقوله أهل الأخبار عن التكسب بالشعر يمثل وجهة نظرهم حسب ، وهو رأي لا أساس له ، بسبب أن علمهم بالشعر لا يستند الى دليل جاهلي مكتوب ، وإنما هو من رواية ولدت في الإسلام لاكتها الألسن ، وتناولتها الكتب ، حتى صارت في حكم الإجماع ، يردده الخلف عن السلف الى هذا اليوم . والشعراء في نظرنا قبل النابغة وبعده بشر ، فيهم المترفع وفيهم المستجدي الذليل ، الذي لا يبالي أن تمتهن كرامته في سبيل الحصول على مال . وإذا كان في هذا اليوم شعراء يمدحون ويذمون لغاية الكسب والحصول على مغنم ، فلم نجعل شعراء ما قبل أيام النابغة الذيناني ملائكة ، لا يمدحون إلا الشريف المستحق للمدح ، ولا يذمون إلا الحقير الذي يستحق الدم ، وما شعراء تلك الأيام ، إلا كشعراء أيام النابغة ، وما بعده ، فيهم الشاعر المترفع ، وفيهم الشاعر المترذل ، وفيهم من لا يبالي بشعره ، يمدح اليوم هذا ، ثم لا يبالي من ذمه بعد حين . وفي حقهم جميعاً جاء في القرآن : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون »^١ ، ونحن نظلم (النابغة) ان جعلناه أول المتكسبين بالشعر ، ونخرج عن المنطق ان ذهبنا هذا المذهب .

وذكر ان ممن رفعه الشعر من القدماء : (الحارث بن حلزة) البشكري ، وكان أبرص ، فلما أنشد الملك (عمرو بن هند) قصيدته :

آذنتنا بينها أسماء رُبّ ثاوٍ عِلّ منه الثواء

وبينه وبينه سبعة حجب ، فما زال يرفعها حجاباً فحجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينها حجاب ، ثم أدناه وقربه . وأمثاله ممن رفع من قدرهم الشعر كثير^٢ .

وروا ان المعلق كان ممن رفعه الشعر بعد الحمول، وذلك ان الأعشى قدم مكة

١ سورة الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .

٢ العمدة (٤٣/١) وما بعدها .

وتسامع الناس به ، وكانت للملحق امرأة عاقلة ، وقيل بل أم ، وكان الملحق فقيراً خامل الذكر ، ذا بنات ، فأشارت عليه ، أن يكون أسبق الناس اليه في دعوته الى الضيافة ، ليمدحهم ، ففعل ، فلما أكل الأعشى وشرب ، وأخذت منه الكأس ، عرف منه انه فقير الحال ، وانه ذا عيال ، فلما ذهب الأعشى الى عكاظ أنشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشوق

ثم مدح الملحق ، فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون الى الملحق يهتفون به ، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته ، لمكان شعر الأعشى^١. هذا ما يرويه أهل الأخبار عن أثر الشعر في الناس . وروي أن الأعشى أنشد قصيدته المذكورة (كسرى) ، فقال : « إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص »^٢ .

« قال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم الى الشعر الذي يُقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق ، وتسرعوا الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » ، ولقد وضع قولُ الشعر من قدر النابغة الذبياني ، ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة البيان »^٣ .

ويذكر الرواة أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به ، وفرحت بنبوغه ، وأتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر ، وتباشروا به لأنه حماية لهم ، ولسانهم الذاب عنهم المدافع عن أعراضهم وأحسابهم وشرفهم بين الناس . وكانوا لا يهناون إلا بغلام يولد أو فرس تُنتج

١ العمدة (٤٩/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٠/١) .

٣ البيان والتبيين (٢٤١/١) ، العمدة (٨٢/١) وما بعدها .

أو شاعر ينبح فيهم^١ . فالشاعر هو صحيفة القبيلة و (محطة إذاعتها) ، وصوته يحط ويرفع ويخلد لا سيما إذا كان مؤثراً ، فيرويه الناس جيلاً بعد جيل .

وكان أثره في الناس أثر السيف في الحروب ، بل استخدمه المحاربون أول سلاح في المعارك . فبدأ الفارس بالرجز ، ثم يعمد الى السيف أو الرمح أو آلات القتال الأخرى . ولأثره هذا ، ورد في الحديث عن الرسول قوله : « والذي نفسي بيده ، لكأنما تنضحونهم بالنيل بما تقولون لهم من الشعر »^٢ مخاطباً بذلك شعراء المسلمين ، الذين حاربوا الوثنيين بهذا السلاح الفتاك ، سلاح الشعر . وقد كان الوثنيون قد أشهروه أيضاً وحاربوا به المسلمين .

وطالما قام الشعراء بدور السفارة والوساطة في النزاع الذي كان يقع بين الملوك وبين القبائل ، أو بين القبائل والقبائل ، فلما أسر (الحارث بن أبي شمر) الغساني (شأس بن عبدة) في تسعين رجلاً من (بني تميم) ، وبلغ ذلك أخاه (علقمة بن عبدة) ، قصد (الحارث) ، فمدحه بقصيدته :

طحا بك قلبٌ بالحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب

فلما بلغ طلبه بالعفو عن أخيه وعن بقية المأسورين ، قال الحارث : نعم وأذنبة ، وأطلق له شأساً أخاه ، وجاعة أسرى بني تميم ، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم^٣ .

ولم يقل أثر الشاعر في السلم وفي الحرب عن أثر الفارس ، الشاعر يدافع عن قومه بلسانه ، يهاجم خصومهم ويهجو ساداتهم ، ويحث المحاربين على الاستماتة في القتال ، ويبعث فيهم الشهامة والنخوة للإقدام على الموت حتى النصر ، والفارس يدافع عن قومه بسيفه ، وكلاهما ذاب عنهم محارب في النتيجة . بل قد يقدم الشاعر على الفارس ، لما يتركه الشعر من أثر دائم في نفوس العرب ، يبقى محفوظاً في الذاكرة وفي اللسان ، يرويه الخلف عن السلف ، بينما يذهب أثر السيف ،

-
- ١ بلوغ الارب (٨٤/٣) ، العمدة ، (٤٩/١ ، ٦٥) ، المزهر (٢٣٦/٣) ، العقد الفريد (٩٣/٣) .
 - ٢ الاغانى (٢٦/١٥) .
 - ٣ العمدة (٥٧/١) ، (أسرة الحارث بن أبي شمر الغساني مع سبعين رجلاً من بني تميم) ، الشعر والشعراء (١٤٧/١ وما بعدها) .

بذهاب فعله في المعركة ، فلا يترك ما يتركه شعر المديح أو الهجاء من أثر في النفوس ، يهيجها حين يذكر ، وكان من أثره ان القبائل كانت اذا تحاربت جاءت بشعرائها ، لتستعين بهم في القتال . فلما كان يوم (أحد) ، قال (صفوان ابن أمية) لأبي عزة عمرو بن عبدالله الجمحي : « يا أبا عزة انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : فاعنا بنفسك فلك الله عليّ إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ، شعراً الى السير مع قريش لمحاربة المسلمين^١ .

وكان للرسول شاعره (حسان بن ثابت) يدافع عن الإسلام والمسلمين ، وكان للمشرّكين من أهل مكة شاعرهم (عبدالله بن الزبير) يرد عليه ويهاجم المسلمين في السلم وفي المعارك ، وقد دوّنت كتب السير والأخبار والتواريخ أشعارهم وما قاله أحدهم في الآخر ، وقد فات منه شيء كثير ، نص رواة الشعر على أنهم تركوه لما كان فيه من سوء أدب وخروج على المروءة . وكان الى جانب الشعارين شعراء آخرون ، منهم من ناصر المسلمين لأنسه كان منهم ، ومنهم من ناصر المشرّكين لأنه كان منهم . بل كان المحاربون إذا حاربوا ، فلا بد وأن يبدأوا حربهم بتنشيطها وبتصعيد نارها برجز أو بقريض .

ومن خوفهم من لسان الشاعر ، ما روي من فزع (أبو سفيان) ، لما سمع من عزم (الأعشى) على الذهاب الى يثرب ومن اعداده شعراً في مدح الرسول ، ومن رغبته في الدخول في الإسلام . فجمع قومه عندئذ ، وتكلم فيما ستركه شعر هذا الشاعر من أثر في الاسلام وفي قريش خاصة إن هو أسلم ، ولهذا نصّحهم أن يتعاونوا معه في شراء لسانه وفي منعه من الدخول في الإسلام بإعطائه مائة ناقة فوافقوا على رأيه وجمعوا له ما طلبه ، وتمكن أبو سفيان من التأثير عليه ، فعاد الى بلده (منفوحة) ومات بها دون أن يسلم^٢ .

قال (الجاحظ) : « ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ، ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم

١ الروض الانف (١٢٦/٢ وما بعدها) ، (غزوة أحد) .
٢ الشعر والشعراء (١٣٦ وما بعدها) ، زيدان ، آداب (١١٩/١) .

إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة ، كما صنعوا
بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب^١ . و (عبد يغوث
ابن وقاص) شاعر قحطاني ، كان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيد قومه
من (بني الحارث بن كعب) ، وهو الذي قادهم يوم الكلاب الثاني فأسرته
بنو تيم وقتلته . وهو من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والاسلام ، منهم
(اللجلاج) الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه (مسهر)
فارس شاعر ، ومنهم من أدرك الاسلام : (جعفر بن علي بن ربيعة بن الحارث
ابن عبد يغوث) ، وكان شاعراً صعلوكاً^٢ .

ولما مدح (الحطيئة) (بغيض بن عامر بن لاي بن شماس بن لاي بن أنف
الناقة) ، واسمه (جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن
تميم) ، وهجا (الزبرقان) ، واسمه (الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن
خلف بن عوف بن كعب) ، صاروا يفخرون ويتباهون بأن يقال لهم (أنف
الناقة) ، وكانوا يعيرون به ويغضبون منه ، ويفرقون من هذا الاسم ، حتى ان
الرجل منهم كان يسأل ممن هو فيقول من (بني قريع) فيتجاوز جعفر أنف
الناقة ، ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب ، الى أن قال (الحطيئة) هذا الشعر
فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهازة ، إذ قال :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا^٣

وقد تعزز الأعشى على قومه ، وبين مكان فضله عليهم ، إذ كان لسانهم
الذئاب عنهم المدافع عن أعراضهم ، الهاجي لأعدائهم بشعر هو كالمقراض يقرض
أعداء قومه قرصاً .

وادفع عن أعراضكم وأعيركم لساناً كمقراض الخفاجي ملحجاً^٤

-
- ١ البيان والتبيين (٤٥/٤) .
 - ٢ الخزائن (٣١٧/١) ، (بولاق) .
 - ٣ قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
البيان والتبيين (٣٨/٤) ، (هارون) ، الاشتقاق (١٥٦) ، زهر الاداب (١٩/١) ،
الخزائن (٥٦٧/١) ، العمد (٥٠/١) .
 - ٤ ديوان الاعشى (١١٧) ، القصيدة ١٤ ، البيت ٣١ .

وذكر أن (بني تغلب) كانوا يعظمون معلقة (عمرو بن كلثوم) ويروونها صغاراً وكباراً ، حتى هجاءهم شاعر من شعراء خصومهم ومنافسيهم : بكر بن وائل ، إذ قال :

ألمى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً منذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم^١

ولسلاطة ألسنة بعض الشعراء ، ولعدم تورع بعضهم من شتم الناس ومن هتك الأعراض ، ومن التكلم عنهم بالباطل ، تجنب الناس قدر إمكانهم الإحتكاك بهم ، وملاحظاتهم والتحرش في أمورهم ، خوفاً من كلمة فاحشة قد تصدر منهم ، تجرح الشخص الشريف فتدميه ، و « جرحُ اللسان كجرح اليد » ، كما عبر عن ذلك (امرؤ القيس) أحسن تعبير^٢ . ولأمر ما قال طرفه :

رأيت القوافي تلتجن مواجلاً تَضَيِّقُ عنها أن تَوَلَّجها الإبر

وفي هذا المعنى دون (الجاحظ) هذه الأبيات :

وللشعراء ألسنةٌ حدادٌ على العوراتِ موفية دليله
ومن عقل الكريم إذا اتقاهم وداراهم مداراةً جميله
إذا وضعوا مكايهم عليه - وإن كذبوا - فليس لمن حيله^٣

و « كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالماً بالشعر ، قليل التعرض لأهله : استعداه رهط تميم بن أبي مقبل على النجاشي لما هجاءهم ، فأسلم النظر في أمرهم إلى حسان بن ثابت ، فراراً من التعرض لأحدهما ، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمنقلد من جهة الصناعة ، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - أبصر من عمر رضي الله عنه بوجه الحكم ، وإن اعتل فيه بما اعتل^٤ .

-
- ١ الاغانى (٥٤/١١) ، الاشتقاق (٢٠٤) ، وقد روى هذا الشعر بأوجه مختلفة ، البيان والتبيين (٤١/٤) .
 - ٢ العمدة (٧٨/١) .
 - ٣ العمدة (٧٨/١) .
 - ٤ العمدة (٥٢/١ ، ٧٦) ، (باب تعرض الشعراء) .

« وكذلك صنع في هجاء الخطيئة الزبرقان بن بدر : سأل حسان ، ثم قضى على الخطيئة بالسجن »^١ ، وقد كان عمر قد كره أن يتعرض للشعراء ، فاستشهد حساناً ، فلما بين حسان رأيه في الشعر ، انقذ حكمه ، فتخلص (عمر) بعرضه سليماً^٢ .

و (تميم بن مقبل بن عوف بن حنيف) العجلاني ، من الشعراء الذين أدركوا الاسلام فأسلم ، وكان يهاجي (النجاشي) ، فهجاه (النجاشي) يوماً ، فاستعدى (تميم) (عمر) عليه . فلما قرأ (النجاشي) على (عمر) ما قاله في (تميم) أمر بضربه وحبسه . وكان يبكي أهل الجاهلية^٣ .

« وسئل أبو عبيدة : أي الرجلين أشعر : أبو نؤاس ، أم ابن أبي عيينة؟ فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء ، فقليل له : سبحان الله كأن هذا ما تبين لك ! فقال : أنا ممن لم يتبين له هذا ١٩ »^٤ وذلك خوفاً ولا شك من لسان الشاعر الحي . «ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تجنب الأشراف ممازحة الشاعر خوف لفظة تسمع منه مزحاً فتعود جداً »^٥

وكانوا يهابون الشاعر الهجاء البذيء اللسان المتمكن من شعر الهجاء ، أكثر من غيره من بقية الشعراء ، لما كان يتركه هجاؤه من أثر فيهم ، حتى الشعراء البارزون كانوا يتقون شر الشاعر الهجاء ويتعدون عنهم . فلما هجا (عبدالله بن الزبرى) ، بني قصي ، خاف قومه من هجاء (الزبرى بن عبد المطلب) ، فرفعوه برمته الى (عنتبة بن ربيعة) ، فلما وصل اليهم أطلقه (حمزة بن عبد المطلب) وكساه ، وكان (الزبرى) غائباً بالطائف ، فلما وصل مكة وبلغه الخبر هجا قوم (ابن الزبرى) هجاء مرأ^٦ ، بقوله :

فلولا نحن لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

-
- ١ العملة (٧٦/١) ، ابن سلام ، طبقات (٢٥) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٤٠/١) .
 - ٣ الاصابة (١٨٩/١) ، (رقم ٨٦٢) ، البيان (٢٣٩/١) ، الخزائن (١١٣/١) .
 - ٤ العملة (٧٦/١) .
 - ٥ العملة (٧٧/١) .
 - ٦ العملة (٦٥/١) وما بعدها .

ثيابهم سَمالٌ أو طمارٌ بها دسم كما دسم الحَميت
ولكنّا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت

وكان عبدالله بن الزبعرى قد قال حين أطلقه حمزة :

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وإن صالحت لإخوانها لا ألومها
فودّ جناة الشرّ أن سيوفنا بأيماننا مسلولة لا نشيمها
فإن قصيماً أهل عزّ ونجدة وأهل فعال لا يرام قديمها
همُ منعوا يومي عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها^١

ونظراً لأثر شعر الهجاء في الناس ، من أفراد وقبائل ، صاروا يصطنعون الشعراء ويحسنون جهدهم اليهم خشية ألسنتهم ، يفعلون ذلك بشعرائهم وبشعراء القبائل الأخرى ممن يخشون سلاطة ألسنتهم . يفعلون ذلك حتى إذا كان الشاعر قد أساء اليهم ، على أمل التكفير عن ذنبه ، بمدحهم بشعر ينفي أثر ما قاله فيهم من هجاء . حتى أنهم كانوا يغفون عن شاعر قد يقع أسيراً في أيديهم ، إذا أعطاهم العهود والمواثيق ألا يعود الى هجوهم ، وألا يقول شعراً في ذمهم . وقد يغدقون عليه بالهدايا والألطاف تأليفاً للسانه ، وأملأ في مدحه لهم ، والقاعدة عندهم ان أثر الهجاء يمحوه المدح .

وبين الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي فروق واضحة في الأسلوب وفي الاتجاه وفي الجزالة واختيار الكلمات ، اقتضتها طبيعة اختلاف الزمان وتغير الحال واتصال العرب بغيرهم ، وخلود أكثرهم الى الحضارة ، الى غير ذلك من أسباب .

ومما امتاز فيه الشعر الجاهلي عن الشعر الاسلامي ، هو أن شعراءه كانوا من العرب ، إلا بضعة شعراء ، كانوا من أصل خليط ، مثل الأغربة ، الذين كانت أمهاتهم من أصل افريقي . ولا أعلم اسم شاعر جاهلي ، يرجع أصله الى فارس أو الروم ، إلا ما ذكره (ابن الكلبي) من أمر (خرخرسة) . أما في الاسلام فقد زاحم الفرس بصورة خاصة العرب على تراثهم التليد ، وهو الشعر ، برز منهم فيه فحول ، طوروا الشعر ولوتوه ، وأضافوا اليه معاني جديدة ، اقتضتها

١ بلوغ العرب (٨٤/٣ وما بعدها) .

طبيعة الامتزاج بين العقليتين والتطور الاجتماعي الجديد الذي ظهر في المجتمع الجديد، مجتمع العرب والموالي .

ولعلماء الشعر آراء في الشعر الجاهلي وفي شعراء الجاهلية ، وفي شعرهم وفي الاستشهاد بالشعر الجاهلي . ولهم آراء في ذلك دونوها في كتبهم . من ذلك أن العرب كانت لا تروي شعر شاعر ، أو لا تعجب به إذا كانت ألفاظه ليست بنجدية . ذكروا أن « العرب لا تروي شعر أبي دواد وعدي بن زيد . وذلك لأن ألفاظها ليست بنجدية »^١ . وذكروا عن شعر (عدي بن زيد العبادي) ، أن « العرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية . وكان نصرانياً من عبادة الحيرة قد قرأ الكتب »^٢ . وقالوا عنه أيضاً « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة »^٣ .

وجزالة الألفاظ وشدة وقعها على الأسماع وغرابتها ، هي من أهم المعايير التي اتخذها علماء الشعر في تقدير قيم الشعر الجاهلي، والقصيدة الجيدة الحسنة هي القصيدة الجزلة الفخمة الألفاظ التي لا تتسم بالسهولة والليونة ، والتي لا تفهم إلا بالرجوع إلى الشروح والتعليقات والإيماءات والإشارات . ومن هنا فوقوا شعر الأعراب على شعر الحضر ، لوجود لين في شعر أهل المدر ، ولسهولة ، ومن هنا قالوا: إن في شعر قريش ليناً وسهولة ، وفي شعر أهل الحيرة وأهل القرى مثل ذلك . وقد تعرض (ابن رشيق) لموضوع الشعر الجاهلي القديم والشعر الإسلامي المحدث ، فقال : « إنما مثل القدماء والمحدثين كممثل رجُلين ابتداء هذا بناء فأحكمه وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن »^٤ .

الخمر والشعر :

وقد كان الشعراء يقبلون على شرب الخمر ، إقبال أكثر الجاهليين على شربها

-
- ١ الشعر والشعراء (١٢١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١١٥) ، الاغانى (٩٣ / ١٥) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١١١) .
 - ٤ العمدة (٥٧ / ١) .

لتنسيهم همومهم وفقيرهم ، حتى أن منهم من كان يبيع ما عنده ليشتري الخمر . وقد كان الشعراء يشربون ليستوحوا الوحي من الشرب ، حتى أن الأعشى لما قدم ليسلم ، فقيل له ان الاسلام يحرم الخمر ، توقف ، ولم يسلم ، إذ شق عليه هذا التحريم ، ولم يتمكن بعضهم من تركها ، فحدّوا على شربها . وقد هرب (ربيعة بن أمية بن خلف) الجحفي ، من بلاد الاسلام ولحق بالروم ، لأن عمر جلده الحدّ في الخمر ، وكان من آنف العرب وأسخاهم ، فحلف أن لا يقيم بأرض حد فيها ولا يدين من حده ، فحمله الأنف الى أن أتى الروم فأت بها نصرانياً^١ . ويروى انه قال :

لحقت بأرض الروم غير مفكر بترك صلاة من عشاء ولا ظهر
فلا تتركوني من صبح مدامةٍ فا حرم الله السلاف من الخمر
إذا أمرت تيم بن مرة فيكم فلا خير في أرض الحجاز ولا مصر
فإن يك اسلامي هو الحق والمهدي فإنني قد خلّيته لأبي بكر

ويذكر (المعري) انه قد جرى له مع (أبي بكر) خطب ، فلحق بالروم^٢.

شيطان الشاعر :

ولا بد لي هنا من أن أشير الى ما كان يعتقده الجاهليون من أن الشعراء كانوا يستلهمون وحيهم بالشعر من (شيطان) ، كنّوا عنه بـ (شيطان الشاعر) . فقالوا : « لكل شاعر شيطان » . وهم يعبرون بذلك عن الحس الذي يصيب كل انسان حساس شاعر عندما يهز مشاعره وإحساسه شيء ما يؤثر عليه فيستولي على عقله وشعوره ويستهويه ، ولا يتركه يستقر ويهجع حتى يعبر عن شعوره هذا الذي سيطر عليه وملكه ، بشعر يأتيه وكأنه وحي يتزل عليه تنزيلاً ، وعندئذ فقط يستقر ويهجع ، بعد أن يكون قد نسب هذا الشعور المرهف الذي ألمّ به الى وحي (شياطين الشعر) .

١ الاشتقاق (٨٠ وما بعدها) ، الاغانى (١٣ / ١١٢) .

٢ رسالة الغفران (٤٤٠ وما بعدها) .

وكان الكهنة ، يقولون في الجاهلية : إن الشياطين كانت تأتيهم^١ ، فهم مثل الشعراء يعتقدون بأن وحياً يوحى إليهم بما يقولونه للناس ، يتجلى لهم على صورة (رثي) ، الرثي يقول سجعاً ، والشيطان ينظم شعراً .

وقد بلغ من اعتقاد بعضهم بوجود (شياطين الشاعر) أن رويوا قصصاً تذكر كيف أن (شياطين الشعر) كانوا يعلمون الشعراء قول الشعر حين ينحسب الشعر عنهم وحين تقف قريحتهم حتى ليصعب على الشاعر أن ينظم بيتاً واحداً ، حتى إذا حار في أمره ، استجار بشيطانه وتوسل إليه لإتقاده من محنته ، فيرق شيطانه عليه ، ويلقي عليه الشعر إلقاءً فيأتي على لسان الشاعر وكأنه سيل متدفق . ولاعتقاد الشعراء هذا بوجود قرين لهم من الشياطين، أو من الجن ، سموا شياطينهم بأسماء ، فكان اسم شيطان الأعشى (مسحلاً) ، وقيل هو تابعه وجنيّه الذي كان يوحى إليه بالشعر . كما أشار هو إليه في شعره :

دعوت خليلي مسحلاً ، ودعوا له جهنم ، جدعاً للهجين المذمم^٢

وللأعشى أشعار أخرى ذكر فيها فضل شيطانه عليه في قول الشعر . من ذلك قوله :

وما كنت ذا قولٍ ولكن حسبني إذا مسحل يبري لي القول أنطق
خيلان فيما بيننا من مودةٍ شريكان جنيّ وإنس موفق^٣

وجنيّه هو الذي حباه بموهبة الشعر ، وبفيض الخواطر ، ينظمه كلاماً محبوباً ، فهو يشكره ويفديه بنفسه :

حباني أخي الجنيّ نفسي فداؤه بأفيح جيّاش العشيات مرجم^٤

واسم هاجس الأعشى وشيطانه (مسحل بن أوثانة) ، وكان هو الذي يلقي الشعر على لسان الأعشى . وقد رآه (الأعشى) ودخل خبائه وهو من شعر ،

-
- ١ مجالس نعلب (٢٠) .
 - ٢ اللسان (٣٣١ / ١١) ، ثمار القلوب (٧٠) ، (جهنم جدعا) الحيوان (٢٢٦ / ٦) .
 - ٣ ثمار القلوب (٧٠) .
 - ٤ ثمار القلوب (٧٠) ، الحيوان (٢٢٦ / ٦) .

وكان الأعشى في أول أرض اليمن يريد الذهاب الى (قيس بن معدى كرب) بحضرموت . فضل طريقه ، فأبصر هذا الخباء ، فذهب اليه ، وسأله الشيخ أن يشده شعراً ، فكان اذا تلا عليه مطلع القصيدة أوقفه ، واستدعى جارية من جواربه لتتلو عليه بقية القصيدة ، حتى سقط في يدي الأعشى وتخير ، واغتشته رعدة ، فلما رأى الشيخ ما حل به ، قال : « ليفرج روعك أبا بصير ، انا هاجسك مسحل بن أوثانة الذي ألقى على لسانك الشعر » . ثم ودعه وأرشده الطريق^١ .

وكان للأعشى شيطان ، اسمه (جهنم) ، وهو تابعة ، أي شيطانة أنثى . وكان لقب (عمرو بن قطن) من (بني سعد بن قيس بن ثعلبة) ، وكان يهاجي الأعشى ، وقال فيه الأعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعواله جهنم جدعاً للهجين المذل^٢

وقيل إن (جهنم) كان شيطان الأعشى الأول ، ثم اتخذ الأعشى مسحلاً بعده^٣ .

وزعم ان (امرئ القيس) كانت له قصائد ومطارحات مع (عمرو الجني) . وان اسم شيطان (امرئ القيس) هو (لافظ بن لاحظ) . وان اسم شيطان (عبيد بن الأبرص) هو (هبيد) ، وهو اسم شيطان (بشر بن أبي خازم ؟) (بشر بن أبي خازم) كذلك . وان اسم شيطان (النابغة) الذيباني ، هو (هاذر بن ماهر) . وان اسم شيطان (المخبل) السعدي ، هو (عمرو)^٤ .

وقد بقي هذا الاعتقاد في شياطين الشعراء الى الإسلام ، فكان الشيطان الذي يلقي الشعر الى (جرير) ، هو (ابليس الأباليس) ، وكان اسم شيطان الفرزدق (عمرو) ، واسم شيطان بشار بن برد (شتقناق) . وكان جني (حسان) وصاحبه الذي يوحى اليه الشعر من (بني شيبان) ، « وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر ، وتلقنّها إياه ، وتعينها عليه ، وتدعي أن

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٩٦٨/٢) وما بعدها .
 - ٢ تاج العروس (٢٣٥/٨) ، (جهنم) .
 - ٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٥٠/٣) .
 - ٤ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٥١/٣) ، الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر (٨) .

لكل فحل منهم شيطاناً يقول الشعر على لسانه ، فن كان شيطانه أمرد كان شعره أجدود^١ ، وورد أن (الفرزدق) كان يرى أن للشعر شيطانين ، يدعى أحدهما (الهوبر) والآخر (الهوجل) ، فن انفرد به (الهوبر) جساد شعره وصح كلامه ، ومن انفرد به (الهوجل) فسد شعره^٢ .

وقد زعم (أبو النجم) أن شيطانه الذي يوحى اليه الشعر شيطان ذكر ، أما شياطين بقية الشعراء فأنث :

لاني وكلّ شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما يراني شاعر إلا استتر ففعل نجوم الليل عاين القمر^٣

وقال آخر :

لاني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوءة عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن^٤

وروي ان السعلاة لقيت (حسان بن ثابت) في بعض طرقات المدينة ، وهو غلام قبل أن يقول الشعر ، فبركت على صدره ، وقالت أنت الذي يرجو قومك أن تكون شاعرهم ؟ قال : نعم . قالت : فأنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد وإلا قتلتك ، فقال :

إذا ما ترعرع فينا الغلام فأن يقال له من هو
إذا لم يسد قبل شد الأزار فذلك فينا السدي لاهو
ولي صاحب من بني الشيصبان فحيناً أقول وحيناً هو^٥

فعلت سبيله . فهذه الأبيات هي على زعم أهل الأخبار أول شعر حسان . قالها بوحي من شيطانه : (الشيصبان) .

-
- ١ ثمار القلوب (٦٩ وما بعدها) .
 - ٢ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٥١/٣) .
 - ٣ الحيوان (٢٢٩/٦) ، ثمار القلوب (٧١) ، ديوان المعاني (١١٣/١) ، الراغب ، محاضرات (٢٨٠/١) .
 - ٤ ثمار القلوب (٧٢) . الخصائص (٢٢٥/١) .
 - ٥ الخزائن (٤١٨/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وليس هذا الشيطان الذي تصوره الجاهليون ، يلهم الشعراء وحيهم ويلقي اليهم الشعر إلقاء بقذفه في قلوبهم ، ليخرج على ألسنتهم ، هو من وحي الجاهليين ومن تخيلاتهم وتخرصاتهم وحدهم ، بل هو شيء معروف عند غيرهم أيضاً . فقد تصور اليونان أن للشعر آلهة تقذف الشعر في نفوس الشعراء ، فينطلق على ألسنتهم^١. والرثي الذي يوحى الى (الكاهن) علمه بالكهانة ، هو ضرب من هذه الشياطين التي تخيلوها للشعراء ، فيفضل (الرثي) يقول الكاهن سجد له لمن يطلب منه أن يتكهن عن أمر سأله عنه ، وهو يجيب السائل بما يلقيه رثيه عليه . يلقيه سجعاً ، أما شيطان الشاعر ، فيلقيه على شاعره شعراً ، ومن هنا وقع الفرق بين قول الشاعر وبين قول الكاهن .

وكانوا يسمون الشعراء (كلاب الحمي) ، وهم الذين ينبحون دونهم ، ويحمون أعراضهم . وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

وقد هرت كلاب الحمي متاً وشذبنا قتادة من يلينا^٢

وأما (كلاب الجن) ، فشعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ويحمون أعراضهم^٣ .

١ B. Snell, Die Entdeckung des Geistes, Hamburg, 1946, S. 117. ff.

٢ الحيوان (٣٥٠/١) .

٣ الراعي ، تاريخ آداب العرب (٥٢/٣) .

الفصل السابع والاربعون بعد المئة

حد الشعر

عرف علماء العربية الشعر بقولهم : « الشعر : منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية ، وإن كان كل علم شعراً من حيث غلب الفقه على علم الشعر » . وعرف (الأزهري) الشعر بقوله : « الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ، والجمع أشعار ، وقائله شاعر ، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره ، أي يعلم »^١ . وعرفه (ابن خلدون) بقوله : « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العربية المخصوصة به » . فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ، ويشترط أيضاً استقلال كل بيت منها بغرضه^٢ .

وعرف بأنه الكلام المقفى الموزون قصداً ، والتقيد بالقصد مخرج ما وقع موزوناً إتفاقاً ، فلا يسمى شعراً^٣ . وقد قصد بهذا التعريف الإسلامي ، إخراج من قال الشعر إتفاقاً لا عن قصد واحتراف . بل عفواً وسجية . ولما جاء في القرآن الكريم ، من رمي المشركين للرسول بأنه شاعر بقول الشعر ، فنزل الوحي

-
- ١ اللسان (٤١٠/٤) ، (صادر) ، (شعر) ، الصاجي ، (٢٧٣) .
 - ٢ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٥٩/١) .
 - ٣ ارشاد الساري (٨٨/٩) .

ببقي ذلك عنه . وحدد العلماء صفة الشاعر بأنه الذي يحترف الشعر ويقول قصداً ، حتى لا تنطبق هذه الصفة على من يقول سطرأ بوزن اتفاقاً من غير قصد^١ .

وقد عرفه بعضهم بقوله : « الشعر كلام موزون مقفى ، دال على معنى ، ويكون أكثر من بيت »^٢ . وهو تعريف وضعه علماء الشعر في الإسلام ، وهو لا ينطبق بالطبع على وصف الشعر عند الأعاجم من الآريين والساميين ، لأن الشعر عند هذه الأمم مفاهيم أخرى ، تختلف باختلاف وجهة نظرها الى الشعر . فقد يكون الشعر سجماً عند الأمم الأخرى ، وتعدّ الأمثال عند بعض الشعوب في جملة أبواب الشعر^٣ ، كما أنه لا يمكن أن ينطبق على الشعر الجاهلي القديم ، إذ ليس في استطاعة أحد حق التحدث عن الشعر الجاهلي المتقدم على شعر أقدم من وصل اسمه إلينا من الشعراء الجاهليين ، لعدم وجود نصوص مدونة أو مروية عن ذلك الشعر ، وما دما لا نملك نصوصاً منه ، فلا حق لنا اذن في التحدث عنه .

وعندي ان الشعر الجاهلي المروي والمدون في المؤلفات الاسلامية يبحوره المعروفة إنما يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل تطور هذا الشعر ، أي مرحلة الكلام الموزون المقفى الدال على معنى ، ولكننا لا نستطيع كما قلت سابقاً الزعم بأن الشعر الجاهلي الأقدم كان على نفس هذه البهور ، أي انه كان متمسكاً بالوزن والقافية إذ من الجائز أن يكون قد كان على شاكلة الشعر القديم الذي نظمته الشعراء الساميون ، من عدم تقيد بالقافية ووزن الأبيات ، كما نجد ذلك في العبرانية وفي اللغات السامية الأخرى وإنما كانوا يراعون فيه النغم ، بحيث يتغنى به ، أو التأثير في العواطف ، بمراعاة نسق الكلام المبني على البلاغة . ولهذا عدّ السجع نوعاً من أنواع الشعر ، لأن في السجع من الوصف والعاطفة والحس ومعالجة الموضوع ، ما يجعله شعراً ، وفي بعضه نغم يجعله صالحاً لأن يتغنى به ، وبين الغناء والشعر صلة ونسب . وقد جعل بعض العلماء الشعر وليداً من أولاد الغناء ، لأن الشعوب القديمة كالبابليين ، والمصريين ، واليونان ، والعبرانيين ، كانت تفرق شعرها بالموسيقى ، وعرف هذا الشعر بالإنشاد ، وقد كان الإنشاد في المعابد ، نوعاً من

١ . الصاحبي (٢٧٣) .

٢ . المزهري (٢/٤٦٩) ، (النوع التاسع والاربعون : معرفة الشعر والشعراء) .

٣ . The Bible Dictionary, II, p. 305.

التراثيل الموجهة الى الآلهة ، كما كان يستخدم في الحروب . ولهذا رأى العلماء ان الموسيقى ، اولدت الإنشاد ، والإنشاد هو والد الشعر .

والشعر معروف عند كل شعوب العالم ، معروف موجود حتى عند الشعوب البدائية ، لأنه نوع من أنواع التعبير عن الحس . والإنسان مهما كانت ثقافته ومنزلته لا بد له من التعبير عن إحساساته بمختلف الصور ، وبشئ الوسائل ، من كلام أو تدوين أو نقش أو صراخ أو غناء أو رمز ، الى غير ذلك من الأنواع ، وفي جملتها الشعر . فهو لا يخص إذن شعباً معيناً ، ولا جنساً خاصاً ، إنما هو تعبير إنساني ، يؤديه كل إنسان ، متى كانت عنده المواهب ووجد عنده الحس المرهف الذي يدفعه الى تأليف الشعر دفعاً ، يؤديه على نحو ما يتأثر به إحساسه وذوقه ، في أسلوب يختلف عن الكلام المعتاد المؤلف ، ولكنه ليس على نمط واحد عند جميع البشر ، فقد يكون الشعر شعراً عند أمة ، وهو ليس شعراً عند أمة أخرى ، والمصطلح العربي الذي ذكرته للشعر ، يختلف عن المصطلح المفهوم للشعر عند اليونان مثلاً أو عند الرومان أو عند البابليين ، كما أن أبوابه وأنواعه قد تختلف بين أمة وأخرى .

فقد كان العبرانيون يحبون الشعر ، حب العرب له ، ويقولون له : (هـ - ش) ، أي الشعر وكانوا ينظمون أشعاراً رتلوها في مختلف المناسبات ، في الأفراح وفي الأتراح في المدح وفي الهجاء ، وفي الغزل وفي الوصف ، وفي تمجيد الرب ، وكانوا يستعينون بالشعر في القتال ، ينشدونه في قتالهم ويجعلونه عوناً لهم في شحذ الهمم وفي تقوية العزائم للنصر ، كما نرى ذلك في أسفار التوراة^١ . ونجد ثلث التوراة شعراً ، لا سيما في أسفار أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد . وفي مواضع من (التكوين) وكتب الأنبياء . ولكن شعرهم ليس وزناً وقافية ، على نمط الشعر العربي ، بل هو شعر من طراز آخر . هو شعر بالنسبة للعبرانيين ، وهو ليس بشعر بالنسبة لمصطلحنا المحدد للشعر .

وقد بدأ الشعر بداية متحررة ، فلم يكن الإنسان في بادئ أمره بالشعر يتقيد بالوزن والقافية ، وإنما كان يميز بينه وبين النثر بالنغم الذي يجعله فيه ، وبالتبرات

١ الخروج ، الاصحاح ١٥ ، والقضاة ، الاصحاح الخامس وفي المزامير .

التي يخرجها خارج الغناء ، ولهذا نجد المقطوعات الشعرية القديمة التي وصلت إلينا مدونة في كتابات مختلف الشعوب لا تشبه الشعر المعروف ، إذ فيه تحرر ، وفيه اعتماد على الترتم والإنشاد وعلى فن الإلقاء ، أما الاعتبارات الفنية المعروفة ، فهي من عمل الشعراء المتأخرين الذين أحلّوا الوزن محل الإلقاء ، ووضعوا قواعد فنية في نظم الشعر . فلم تكن الأبيات الشعرية في الشعر القديم متساوية ، ولم تكن هناك قوافي بالضرورة ، حتى أنك لا تستطيع تمييز القطعة الشعرية عن غيرها ، إلا بالإنشاد^١

والشعر من أقدم الأحاسيس التي عبر بها الإنسان عن نفسه ، فهو يعبر عن عواطفه وعن أحاسيسه ، من سرور أو حزن ، أو ألم ، وعن اهتمامه بالأمر وعن تصورات ، وعن كل ما يدور في رأسه من أمور تسترعي حسه ، فيشعر عندئذ بالترفيه عنه بإخراجها كلاماً فيه نغم « Rhythm » ، أي إيقاع ووزن ، وفيه توازن ونظام بين أجزائه ، على غرار ما يفعله الراقص في رقصه ، من اقران رقصه بحركات موزونة . وهو من العواطف المولودة في الإنسان . ولهذا تعدّ العواطف التي يعبر بها الإنسان عن نفسه شعراً ، وإن خرجت بغير بحر ، وبدون وزن ولا قافية . ففي كلام (سارة) : « وقالت سارة قد أنشأ الله لي فرحاً فكل من سمع يفرح لي » ، وقالت من كان يقول لإبراهيم إن سارة سترضع ابناً . فقد ولدت ابناً في شيخوخته^٢ ، وفي الآيات : « ثم أخذت مريم النبية أخت هارون الدفء في يدها وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص . فجاءتهن مريم : سبحوا الرب ، لأنه قد تعظم بالمجد . الفرس وراكبه طرحها في البحر »^٣ ، وفي مباركة يعقوب أبنائه عند شعوره بدنو أجله ، وفي كلام موسى حين قهر (فرعون) ، معان شعرية ، وتعد من أقدم أنواع الشعر السامي التصويري .

وذلك لأن الشعر السامي القديم ، لم يكن يتقيد بالقافية (Rhyme) ، ولا بالتفعيلات (Feet) أو بالمقاطع القصيرة « Short Syllables » ، وإن حاول ولا سيما

١ Hastings, Dictionary of the Bible, Vol., IV, p. 7.

٢ التكوين ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٦ وما بعدها .

٣ الخروج ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٢٠ وما بعدها .

فيما بعد ، أن يضع في كل شطر أو بيت عدداً من الكلمات أو المقاطع ، يعادل ما يضعه في الشطر أو البيت الثاني منها ، ليتولد من ذلك الوزن^١ .

ويقسم الغربيون الشعر عادة الى « Epic » ، وهو شعر الملاحم ، حيث يمتاز بطول قصائده وفخامة أسلوبه، وبقصصه الذي يدور حول أبطال الملحمة والأحداث التي تعرض لها هذا النوع من الشعر . وشعر يقال له « Dramatic » ، وهو شعر مسرحي ، أي تمثيلي . وشعر يقال له « Lyric » ، وهو شعر غنائي . وشعر يقال له « Didactic » ، وهو شعر تعليمي ، أريد به التعليم ووعظ الانسان . ونجد النوع الأول منه عند اليونان والرومان والهنود والفرس والألمان وهم من الشعوب الهندوأوروبية ، أي الشعوب الآرية .

ولا نجد من شعر الملاحم ، ومن شعر (الدراما) في التوراة ، ولكننا نجد ما يشبه (الدراما) « Semi Dramatic » في سفر أيوب . ويكثر الشعر (الغنائي) المعد للترتيل والترنيم Lyric فيه . ففي كلمات موسى على البحر الأحمر ، التي تمثل غناء النصر « Triumphal Odes » ، وفي غناء (دبوره) « Deborah » ، وفي المزامير ، أشعار غنائية معدة للترتيل^٢ .

وقد أشير إلى إنشاد الشعر جماعة في التوراة ، فلما وصل العبرانيون الى (البشر) التي قال الرب فيها لموسى اجمع الشعب حتى أعطيهم ماءً ، «حينئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد: اصعدني يا بشر تجاوبوا لها . بشر احتضرها الرؤساء ، احتضرها أشراف الشعب بمخصرة عصيهم»^٣ . وقد لازم الترنم الشعر منذ أوائل أيامه ، ففي الترنم به تقوية له . وما النغم سوى (إيقاع) يجعله نوعاً من أنواع الغناء (نوطته) التفعيلات التي تكون بحوره في الأدب العربي . ولهذا نجد الشعر قد رافق الغناء بل هو نوع منه منذ نشأته .

ونجد القديس (نيلوس) « Nilus » (المتوفى حوالي سنة ٤٣٠ م) ، يصف غارة بدوية على دير سيناء وقعت سنة ٤١٠ م ، وتحدث في أثناء حديثه عنها عن إنشاد الأعراب أناشيد بترانيم عندما كانوا يأخذون الماء ، وهي ترانيم لم يشر

John D. Davis, A Dictionary of the Bible, London, 1958, p. 616. ١

John D. Davis, A Dictionary of the Bible, p. 616. ٢

العدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ١٦ وما بعدها . ٣

القديس الى نوعها ، ولكني لا استبعد أن تكون من الرجز ، الذي يقال في المناسبات ، في استنباط الماء ، وفي حفر الآبار ، أو رفع الأثقال ، أو في بناء ، وأمثال ذلك مما لا يزال مألوفاً ، ويشاهد حتى بين أهل القرى . وإن كان بعضها ترانيم غير فنية ولا مصقولة ، ولكنها ذات ايقاع على كل حال^١ .

ومن هذا القبيل الأشعار التي أنشدتها العرب في انتصارهم على الرومان سنة ٣٧٢ م ، والتي أشار اليها المؤرخ (سوزومن) في كتابه (تأريخ الكنيسة) ، فقد ذكر أن العرب كانوا ينشدون الشعر في قتالهم هذا مع الرومان^٢ . والواقع أننا لا نكاد نقرأ خبر معركة إلا ونجد الشعر فيها في مقدمة الأسلحة التي تستخدم فيها ، وقد يسبق السيف في الضرب ، حيث يخرج الفارس وهو يرتجز رجزاً يشيد فيه بنفسه ، وبقومه ، مهوناً من أمر من سينازله ثم يقابله من يتبارى معه برجز آخر ، يشيد فيه بنفسه ، رداً على خصمه .

والشعر العبراني القديم نوعان : النوع المعد للترتيل ، والنوع التعليمي . ومن النوع الأول المزامير ، ومن النوع الثاني الأقسام الشعرية من كتب الأنبياء . والمزامير « Psalms » ، هي من أفصح الأشعار الدينية في التوراة ، وهي تعبر عن الحس الديني عند الانسان ، وعن شعور البشر تجاه خالقهم ، وهي تمجيد وحده له ، واعتراف بضعف الانسان تجاه خالقه ، فهو يرقل فيها حمد الله والثناء عليه . أما الأمثال والجامعة ، وبعض أقسام كتب الأنبياء ، فهي وإن كانت دينية في الأصل ، إلا انها وضعت لغايات تعليمية ، لإرشاد الناس وتقديم النصيح لهم .

ولا توجد القوافي والبحور في هذا الشعر ، ومع ان بعض الأشعار العبرانية قد نظمت أحياناً على الحروف الأبجدية ، لكن أشطرها لم تتضمن عدداً مائلاً من المقاطع ، ليتولد منها الوزن ، أي النغم . وانما نظمت على مقابلة الأفكار في الشطر الأول والثاني ، أو في الشطرين الأولين والثالث . وقد يشرح فكر الشاعر على نوع مقابلة فكرين ، إما لوجه المشابهة بينهما ، وإما لوجه المخالفة بينهما . ومن أمثلة أوجه المشابهة :

١ غرونيباوم (١٣٣ وما بعدها) .

٢ غرونيباوم (١٣٤) .

فن هو الانسان حتى تذكره
أو ابن آدم حتى تفتقده^١

وما جاء في المزمور التاسع عشر من قوله :

السموات تحدث بمجد الله
والفلك يخبر بعمل يديه
يوم الى يوم يذيع كلاما
وليل الى ليل يبدي علما^٢

ومن أوجه المخالفة بينها :

لأن عاملي الشر يقطعون
والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض^٣

وما جاء في الأمثال :

الجواب اللين يصرف الغضب
والكلام الموجع يهيج السخط
لسان الحكماء يحسن المعرفة
وفم الجهال ينبع حماقة^٤

وقد ذهب بعض العلماء الى وجود (التفاعيل) « Feet » و (الوزن) « Metre » في الشعر العبراني، وذهب بعض آخر الى علم وجود التفاعيل فيه ، وذهب بعض الى وجود القافية « Rhyme » والوزن « Rhythm » في الشعر العبراني . وهو شعر يختلف عن شعرنا المألوف ، وهو وإن أمكن تقسيمه الى أشطر وأبيات ، إلا أن له خصائص يختلف بها عن الشعر العربي . فنرى مثلاً أن الأبيات في

١ المزامير ، المزمور الثامن ، الآية ٤ .

٢ الآية ١ وما بعدها .

٣ المزمور ٣٧ ، الآية ٩ .

٤ الامثال ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١ وما بعدها .

القصيدة العبرانية غير متساوية ، فقد يطول فيها بيت ، وقد يقصر فيها بيت آخر .
وقد ترتب الأبيات على ترتيب حروف الهجاء ، كما في الأمثال وفي المزامير^١ .
ومن أهم أبواب الشعر العبراني ، باب يقال له : « Parallelism » في الانكليزية ،
أي التطابق . وهو أنواع . وقد بحث فيه العلماء^٢ .
وقد يكون الشعر على صورة أفكار متسلسلة متتابعة ، فتتقدم الفكرة تدريجياً ،
وتوضح الأبيات التالية السابقة مثل :

ناموس الرب كامل يرد النفس
شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً
وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب
أمر الرب طاهر ينير العينين
خوف الرب نقي ثابت الى الأبد
أحكام الرب حق عادلة كلها
أشهى من الذهب والابريز الكثير
وأحلى من العسل وقطر الشهاد^٣

ومن أنواع الشعر في التوراة ، ما نقول له (ترادف المتطابقات)
« Synonymous Parallelism » ، وذلك أن تكون فكرة الشطرين مترادفة ، وكذلك
المصطلحات الواردة فيها ، فترتبط فكرة الشطر الأول بالشطر الثاني من البيت ،
مثل : « وقال لآمك لامرأته عادة وصلّة : اسمع قولي يا امرأتي لآمك واصغيا
لكلامي . انني قتلت رجلاً لجرحي وفني لشدخي »^٤ ، فالشطر الأول هو :
« وقال لآمك ... الخ » ، والشطر الثاني المتمم هو : « انني قتلت رجلاً
لجرحي » ، ومثل : « انقذ من السيف نفسي . من يد الكلب وحيدتي ، خلصني
من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لي »^٥ . ومثل :

١ The Bible Dictionary, Vol., II, p. 305. ff.

٢ John D. Davis, A Dictionary of the Bible, p 616.

٣ المزمور ١٩ ، الآية ٧ - ١٠ ، قاموس الكتاب المقدس (١ / ٦٢١) .

٤ التكوين ، الاصحاح الرابع ، الآية ٢٣ .

٥ المزامير ، المزمور ٢٢ ، الآية ٢٠ وما بعدها .

كيف ألعن من لم يلعنه الله
وكيف اشتهم من لم يشتمه الرب^١

وما نقول له ب (تناقض انتطابقات) ، أو (تضاد المتطابقات)
« Antithetic Parallelism » . وذلك أن يكون الشطر الثاني مثل الشطر الأول في
احتوائه على الحقيقة ، أي الفكرة ، ولكنه جاء بها بصورة أخرى ، أي متضادة
Contrast . فالشكل متطابق تماماً ، وأحد جزئي الشطر مترادف ، أما الجزءان
الآخران ، فتعارضان . وأكثر ما يقع ذلك في المثل :

الابن الحكيم يسرّ أباه
والابن الجاهل حزن أمه^٢

ونوع آخر يقال له (الايقاع المتصاعد) ، أو (الوزن الصاعد) ،
« Ascending Rhythm » « Stair-like » ، وهو شعر يرد في الشطر الثاني منه
جزء مما ورد في الشطر الأول ، أو مختصر الشطر الأول ، ليضاف عليه شيء
جديد . مثل :

حتى يعبر شعبك يا يهوه
حتى يعبر الشعب الذي اقتنيت^٣

ونوع يقال له (المتطابقات المركبة) « Synthetic Parallelism » أو « Constructive »
وذلك بأن يكون ما يرد في الشطر الثاني مخالفاً ، أو على الأكثر لما ورد في الشطر
الأول . على أن المتطابقات في الشرطين تكون موجودة . مثل :

لا تجاوب الجاهل حسب حماقته
لئلا تعدله انت
جاوب الجاهل حسب حماقته
لئلا يكون حكيماً في عيني نفسه^٤

-
- | | |
|---|--|
| ١ | العدد ، الاصحاح ٢٣ ، الآية ٨ ، |
| ٢ | الامثال ، الاصحاح العاشر ، الآية ١ . |
| ٣ | الخروج ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١٦ . |
| ٤ | الامثال ، الاصحاح ٢٦ ، الآية ٤ . |

ومثل : ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد .

من هو هذا ملك المجد . رب الجنود هو ملك المجد . سِلاه^١ :
ومن النوع المعروف بـ « Progressive Parallelism » ، ما ورد في (أيوب)
من قوله : « هناك يكف المنافقون عن الشغبِ وهناك يستريح المتعبون . الأسرى
يطمئنون جميعاً ، لا يسمعون صوت المسخر . الصغير كما الكبير ، والعبد حرّ
من سيده »^٢ . وقد جاء الشطر الثاني بمعان ايضاحية جديدة ، لها صلة بما ورد
في الشطر الأول من معنى^٣ .

ومن النوع الذي يقال له : « Climatic Parallelism » ، ما ورد في (الزمير) :
« صوت الرب يولد الأيبل ، ويكشف الوعور وفي هيكله الكل قائل المجد .
الرب بالطوفان جلس ويجلس الرب ملكاً الى الأبد . الرب يعطي عزاً لشعبه ،
الرب يبارك شعبه بالسلام »^٤ ، وقوله : صوت الرب بالقوة . صوت الرب
بالجلال . صوت الرب مكسر الأرض ويكسر الرب أرض لبنان ، ويمرحها مثل
عجل . لبنان وميريون مثل غرير البقر الوحشي »^٥ . حيث تعاد الألفاظ فيه
حسب سلم ارتفاع المعاني .

ويتكون الـ « Parallelism » في العادة من بيتين ، أو شطرين ، فهو من
نوع (دوبيت) ، « Distich » ، غير أنه يتكون أحياناً من ثلاثة أبيات
« Tristichs » ، ومن أربعة أبيات « Tetrastichs » ، ومن خمسة أبيات
« Pentastichs » .

ولا يرد الشعر العبراني على صورة مقطوعات أو قصائد بالضرورة ، ومع
ذلك فقد ورد في بعض الزمير على شكل قصيدة مكوّنة من ثلاثة أقسام متساوية
يربط بين أجزائها رابط ، هو بيت مكرر « Recurring Verse » . ونرى أن
أحد الزمير قد تألف من ثلاث مقطوعات ، كل قطعة منها بثلاثة أبيات ، وفي

-
- ١ الزمير ، المزمور ٢٤ ، الآية ٩ وما بعدها .
 - ٢ أيوب ، الإصحاح الثالث ، الآية ١٧ وما بعدها .
 - ٣ John D. Davis, A Dictionary of the Bible, p. 616.
 - ٤ الزمير ، المزمور ٢٩ ، الآية ٩ وما بعدها .
 - ٥ الزمير ، المزمور ٢٩ ، الآية ٥ وما بعدها .

نهاية كل مجموعة علامة (سلاه) «Selah»^١ . وقد تنتهي المجموعتان بعبارة تتكرر على نحو موصول في قصيدة أو أغنية «Refrain» .

ونجد في المزامير شعراً ورد منظوماً على ترتيب الأبجدية ، فقد ورد مكوناً من اثنتين وعشرين قطعة ، أي بعدد حروف الهجاء ، تكونت كل قطعة منها من ثمانية أبيات «Verses» ، وتبدأ كل قطعة بالحرف العدي . ونجد ان الـ «Lamentations» ، قد رتب على الحروف^٢ ، وهي مقاطع شعرية حزينة ومراثي «Eligies» تمثل شعر المراثي الأصيل «Threnody» في العبرانية . ويتوقف وزنها على بناء كل بيت . ولكن البيت فيها لا يشبه بيت الشعر في اللغة اللاتينية من نوع الأبيات المكونة من ستة تفاعيل «Hexameter» ، أو من الخماسي التفاعيل «Pentameter» ، وانما يتكون من خمسة ألفاظ أو ستة أو سبعة، مكونة ما يعادل أحد عشر مقطعاً «Syllables» . يتكون كل بيت منها من شطرين غير متساوين أحدهما من ستة ، والآخر من خمسة ، أو من أربعة والآخر من ثلاثة ، يفصل بينهما الاحساس والقواعد النحوية^٣ .

ونجد Sirach من أسفار (الأبوكريفا) «Apocrypha» ، وقد نظم على هيئة (دوبيت) Stichoi من حيث الوزن وعدد المقاطع . وهو من الشعر التعليمي: «Diadactic»^٤ .

وقد قسم بعض العلماء الشعر العبراني الوارد في التوراة الى أقسام : شعر يتمثل بما ورد منه في أسفار (أيوب) «Job» وفي نشيد (سليمان) ، ونوع يتمثل بما جاء في (المزامير) وهو شعر غنائي ، أي يتغنى به ، وقد ينشد على إيقاع (المزمار) ، وهو يقال له «Lyric» في الإنكليزية ، وشعر ثالث يتمثل في (الأمثال) وفي أسفار الحكمة «Ecclesiasticus» التي هي في التهذيب وفي تعليم الإنسان «Didactic» ، وفي الحكم الموجزة المفيدة (Sententious) . والنوع الأول هو شعر فني ، وأما النوع الثاني فمختصر موجز ، نظم لينشد ، ولكل قسم طرق وبحور^٥ .

-
- ١ المزامير ، المزمور الرابع والعشرون ، المزمور السادس والثلاثون .
 - ٢ John D. Davis, A Dictionary of the Bible, p. 616.
 - ٣ Hastings, p. 527
 - ٤ Hastings, Vol., 4, p. 7.
 - ٥ The Bible Dictionary, Vol., II, p. 305.

ولأجل إحلال الإيقاع أو النغم في الشعر، فقد يضطر أحياناً إلى مزج كلمتين قصيرتين ، ليتلفظ بهما ككلمة واحدة . كما يفعل ذلك لأسباب أخرى منها مراعاة (القافية) التي يقال لها (ميقف) (مقف) « Maqqeph » في العبرانية . أما إذا كان العكس ، وذلك بأن تكون الكلمة ثقيلة وطويلة ، فقد تقرأ وكأنها ذات مقطعين ، أو جزءين .

وإذا كان الشعر مؤلفاً من أبيات عديدة ، تكون وحدة واحدة ، فيطلق عليها (مقطوعة شعرية) « Strophe » . ولكن المراد بها في الغالب القطعة الكبيرة من الشعر ، أي (القصيدة) . وأما الشعر القصير ، المؤلف من بيتين ، أي من (دوبيت) وهو يقال له « Couplet » أو « Distich » في الانكليزية ، فإنه يكون الطابع الغالب على الشعر في هذه اللغة . يتكون من « Parallelism » ، أي (موازنات) أو (متطابقات) . وقد نظمت الأشطر والأبيات ، بحيث تتناسب فيما بينها في الألفاظ والجمل والمعاني . فيرد في الشطر الثاني جزء مما ورد في الشطر الأول بنصه أو باختيار لفظة منه ، لتذكير القارئ بالشطر المتقدم، فيتخبط مراد ذلك الشطر^١

ونجد في التوراة قطعاً عدّها العلماء مقطعات شعرية ، بينما هي خالية من النغم ، أي الوزن ، ونجد قطعاً ذات نغمة موسيقية ، أي ذات وزن ، فهي من الشعر الصحيح ، المقرون بنغم . والنوع الأول هو نثر « Prose » خالص ، لكنه يمتاز عن النثر المألوف باستعماله المجاز والاستعارة والكناية والتعابير الفنية والألفاظ المؤثرة في التعبير عن الرأي . فهو يعبر عن شعور عميق كامن في النفس بأسلوب أدبي رفيع لذلك عدّ من الشعر ، مع انه نثر في الواقع .

ويتكون البيت من شطرين . ومن مقاطع « Stanza » ومن « Strophe » ، أي مقطوعة . ويتكون الشطر والبيت من مقاطع ، أي من ألفاظ نظمت بعضها الى بعض بحيث اذا ما قرئت بصوت مرتفع ، فإنها تقرأ بنغمه ، وبموسيقى مؤثرة . ويقتضي ذلك تنظيم الألفاظ والمقاطع بشكل منسق ذي نغم ، لتتولد منه موسيقى الشعر . فالشعر ارتباط وثيق بالموسيقى والغناء . ونجد موسيقى الأشطر والأبيات متناسبة ومن إيقاع واحد ، أي من (بحر) واحد ، وتحافظ القطعة الشعرية ،

Hastings, p. 737, «Poetry».

على هذه الموسيقى ، حتى لا يقع تنافر فيها ، فتبدو متنافرة نائية على السمع ، فلا تعد شعراً من صميم الشعر .

ويدخل (الترنيمة) في باب الشعر الذي يقرأ مع الموسيقى ، وتعد (الأمثال) في جملة أنواع الشعر . ونظراً لعدم وجود نصوص شعرية في العبرانية ، وفي اللغات السامية ، مدونة بصورة واضحة تبين مقاطعها كيفية التغني أو النطق بها ، ونظراً لجهلنا أصول الإيقاع عند القدماء وطرق الغناء التي تغني بها ، ليس من السهل علينا في الوقت الحاضر ابداء رأي واضح عن الشعر عند قدماء الساميين ، وفي جملتهم العرب بالطبع .

فنحن لا نعرف اليوم عن الشعر العربي القديم ، الذي سبق الإسلام بعصور كثيرة ، أي شيء . وليس في النصوص الجاهلية التي وصلت إلينا ، نص فيه شعر أو فيه تلميح عنه . وكل ما يقال عنه ، هو حدس وتخمين وظن وقياس قيس على ما نعرفه عن الشعر عند بقية الساميين ، وما نعرفه عن ذلك الشعر هو بحد ذاته شيء قليل . وما لم يعثر على نصوص شعرية جاهلية ، فإن من غير الممكن التحدث عنه بشيء ذي بال .

والشعر هو شعور وتعبير عن أحاسيس وخواطر قائله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن يتناسب مستواه من الرقي أو السذاجة مع مستوى الشاعر العقلي . ومعنى هذا أنه بدأ ساذجاً بسيطاً ، ثم نما وتطور بنمو وبتطور عقل قائله . وعلى هذا ف شعر كل أمة بدأ كما يبدأ كل مولود ساذجاً بسيطاً ، ثم نما وتطور ، وهو لا يزال يتطور ما دام العقل الانساني خاضعاً لسنة التطور ، وما دام الانسان حياً . ولد من هذا الكلام الاعتباري المرسل المنشور ، بأن ميز عنه بعض التمييز ، ثم زادت هذه الميزات أو العلامات الفارقة ، حتى صار صنواً للنثر ، بحيث صار الكلام : نثراً ونظماً .

وقد أشير الى (الشعراء) في العهد الجديد ، أي في الانجيل . ورد في (أعمال الرسل) « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد . كما قال بعض شعرائكم أيضاً »^١ . مما يدل على أهمية الشعراء في ذلك العهد .

١ أعمال الرسل ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ٢٨ .

والشعر أوقع أثراً على النفس من النثر ، لما فيه من سحر النغم ومن جاذبية في الموسيقى ، ومن توازن وتطابق في بنائه ، ومن انسجام في تكوين أجزائه ، بحيث إذا أسقط جزء من شطري بيت أو وضع جزء غريب في موضع الساقط ، وهو ليس في وزنه اختل التوازن فيه أي النغم : ولهذا اقترن الشعر بالغناء ، لوجود النغم فيه ، والنغم من أسس الغناء . فكان الشاعر يترنم بشعره ويتغنى به ، ويقراه بنغمة خاصة ليؤثر بذلك على سامعيه ، وقد يقرن ترنيمة هذا بتحريك رأسه أو يديه أو جسمه من شدة انفعاله وتأثره بشعره ، ليؤثر بذلك في السامعين فيشبه موقفه هذا موقف السحرة في الأيام القديمة . ونظراً لتغني اليونان والرومان عند تلاوتهم أشعارهم ، قالوا : غنى شعراً ، بمعنى نظم شعراً^١ ، أو قال شعراً أو صنع شعراً . ونحن نقول في عربيتنا « أنشد شعراً ، نريد : قال شعراً ، وقرأ شعراً ، وأنشد الشعر ، قرأه ، وأنشد بهم ، أي هجاهم . » وفي الخبر أن السليطين قالوا لغسان هذا جرير ينشد بنا ، أي يهجوننا . وتناشدوا أنشد بعضهم بعضاً^٢ . و « النشيد رفع الصوت . قال أبو منصور : وإنما قيل للطالب ناشد لرفع صوته بالطلب ، وكذلك المعرّف يرفع صوته بالتعريف يسمى منشداً . ومن هذا انشاد الشعر ، إنما هو رفع الصوت^٣ . وفي هذا التفسير دلالة على أن الشعراء كانوا يرفعون صوتهم عند قولهم الشعر وترنمون به ، والترنم والتريل والإنشاد من ألوان الغناء . ولا استبعد كون قدماء الشعراء الجاهليين كانوا يترنمون في أشعارهم ، أي أنهم كانوا ينشدونها انشاداً ، بطريقة غنائية ، قد تصاحب بألة موسيقية ، وربما كانوا يتغنون بالشعر أمام الأصنام ، تمجيداً لها وتقرباً إليها ، ومن هنا جاء مصطلح : « أنشد شعراً » ولا استبعد أن يكون هذا شأن العرب الجنوبيين في معابدهم ، نظراً لما كان لهم من معابد ضخمة وطقوس دينية وتقرب إلى الأصنام .

ولا يستبعد احتمال ترنيم بعض الشعراء الجاهليين شعرهم على نغم آلة من آلات الطرب ، على نحو ما يفعله اليوم بعض الشعراء الذين ينشدون أشعارهم بالعامية على (الرباب) (الربابة) ، ينشدونه عند أبواب البيوت في الأعياد وفي المناسبات ،

١ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٦٤/١) .
٢ تاج العروس (٥١٤/٢) ، (نشد) .
٣ تاج العروس (٥١٤/٢) ، (نشد) .

يستجدون به أصحاب البيت والناس الذين قد يجتمعون حولهم لسماع الغناء . وقد يكون هؤلاء من ترسبات أولئك الشعراء الجاهليين .

وقد بدأ الشعر بداية أي شعر آخر ، بدأ بداية بسيطة ، بدأ جملاً مقفاة ، الكلام فيه يوالي بعضه بعضاً على روي واحد ، أي سجعاً^١ . أو كلاماً يشبهه ، فيه نغم وإيقاع وتعبير عن إحساس . ثم تفنن فيه ، وزيدت أنغامه ، أي بحوره وأغلبها من الأنغام البسيطة السهلة ، المتناسبة مع الحياة الأولية ، ثم تقدم بتقديم الحياة ، واتخذ صوراً متعددة تتناسب مع حياة الأمم وظروفها وعقلياتها ، وماتت أوزان ، وتولدت أوزان ، وظهرت فيه أساليب عند أمة ، لم تعرف عند أمم أخرى ، لاختلاف الحياة والأذواق والأجواء التي يولد فيها الانسان .

والشعر الجاهلي الواصل اليانا ، إما أبيات ، نسبت الى شعراء ، وقد لا تنسب ، وإما جملة أبيات يقال لها (قطعة) « Fragment » ، وإما (قصيدة) « Ode » وهي ما زاد عدد أبياتها على حدود القطعة التي رسمها لها علماء الشعر .

وقد لعب (السجع) دوراً هاماً في حياة الجاهليين ، تكلم به الكهان بصورة خاصة ، ولهذا اشتهر وعرف باسمهم ف قيل : « سجع الكهان » . ونطق به الخطباء ، وقد تعمقوا فيه فاستعملوا أقصى ما ملكته بلاغتهم من أساليب التأثير على النفوس ، لسحر عقول المستمعين لهم . فصار نوع من أنواع الكلام المقفى ، ظاهره القافية والروي ، وباطنه سحر معاني الشعر . فهو في الواقع شعسر مقفى ينقصه الوزن ليكون شعراً تاماً . و (الروي) ، حرف القافية ، الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد^٢ . فلما أضيف اليه النغم ، أي الوزن صار شعراً ، له أوزان وبحور ، على نغمها ينظم الشاعر شعره .

والسجع ، وان ظهر في عريبتنا كلام مقفى خال من الوزن ، إلا أنه في الواقع كلام موزون ، روعي فيه ، أن يكون الشطر الثاني من الجملة مواز أي مساو للشطر الأول منها ، بحيث يكون بوزنه ويقافيته . ومن هنا عدّ شعراً عند الأمم الأخرى لأنك إذا قرأت السجع الأصيل المعنى به ، أو السجع الذي استرسلت به السليقة ، والخارج من قلب إنسان ذي حس مرهف ، تجد فيه الميزان الصحيح

١ تاج العروس (٣٧٥ / ٥) ، (سجع) .

٢ تاج العروس (١٥٩ / ١٠) ، (روي) .

والمقابلة التامة والمطابقة الصحيحة بين الأجزاء ، كل كلمة فيه تقابل كلمة مثلها ، وكل عيار فيه يقابله عيار في وزنه وثقله . وفي معانيه معان شعرية وسحر بيان ، ثم إنك إذا قرأته بصوت مرتفع ، وبحركات صوتية ذات ترنم ، بنغم فيه حركات وسكنات ، صار شعراً . ومن هنا رمت قريش الرسول بقول الشعر ، وبأنه شاعر لما سمعت القرآن . فرد عليهم بقوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »^١ . و « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون »^٢ .

وما كانت قريش لترمي الرسول بقول الشعر ، وترغم ان القرآن شعر أو أن فيه شعراً ، لو أنها كانت تعتبر الشعر الكلام الموزون المقفى حسب ولا غير ولا تدخل التخيل فيه ، أي المعنى الشعري . ومن هنا قال المفسرون : « لأن انتفاء الشعرية عن القرآن أمر كالبين المحسوس . أما من حيث اللفظ فظاهر ، لأن الشعر كلام موزون مقفى ، وألفاظ القرآن ليست كذلك ، إلا ما هو في غاية الندرة بطريق الاتفاق من غير تعمد . وأما من جهة التخيل ، فلأن القرآن فيه أصول كل المعارف والحقائق والبراهين والدلائل المفيدة للتصديق إذا كان المكلف ممن يصدق ولا يعاند . وانتفاء الكهانة عنه أمر يفتقر الى أدنى تأمل يوقف على أن كلام الكهان أسجاع لا معاني تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها »^٣ . وهذا المذهب الذي ذهب قريش فيه في تفسير الشعر ، هو الذي حمل علماء التفسير على الاحتراس كثيراً في تفسير معنى الشعر وفي تحديده ، وتحديد مفهوم الشاعر . فقالوا : « الشعر وهو الكلام المقفى الموزون قصداً . والتقييد بالقصد مخرج ما وقع موزوناً اتفاقاً ، فلا يسمى شعراً ، وما يجوز من الرجز ، وهو نوع من الشعر عند الأكثر »^٤ .

على أن علماء العربية لم يغفلوا أو لم يشاءوا أن يخفوا حقيقة واقعة ، هي أن

-
- ١ سورة يس ، الآية ٦٩ ، تفسير الطبري (١٨/٢٣) ، ابن كثير ، تفسير (٥٧٨/٣) وما بعدها .
 - ٢ الحاقة ، الآية ٤٠ وما بعدها ، تفسير الطبري (٤١/٢٩) ،
 - ٣ تفسير النيسابوري ، (٣٧/٢٩) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (بولاق) ، (وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ، ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر ، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال) ، تفسير ابن كثير (٥٧٨/٣) ، (في تفسير سورة يس) .
 - ٤ ارشاد الساري (٨٨/٩) .

في القرآن آيات ، إذا تأملت فيها وجدتها وكأنها شعر منظوم ، أو من قبيل الشعر المنشور . مثل سورة الانفطار :

إذا السماء انفطرت
وإذا الكواكب انتثرت
وإذا البحار فجرت
وإذا القبور بعثرت
علمت نفس^١ ما قدمت وأخرت^١

والجواب على ذلك، ان ما نجده في القرآن من آيات تبدو وكأنها شعر موزون ، هو من قبيل ما يقع في كلام الناس عفواً ومن غير عمد من كلام ، لو تأملت فيه وجدته كلاماً موزوناً ، ولكن لم يقصد به أن يكون شعراً ، والشعر لا يعدّ شعراً إلا إذا كان قد صدر عن تفكير وعمل خاطر ، وإعمال رأي ، ومن رجل اتخذ الشعر صنعة له .

وليس لدى أي أحد علم بكيفية تطور الشعر العربي من حالته البدائية الى بلوغه درجة البحور . ولا يستطيع أحد اثبات أن هذه البحور التي ثبتها (الخليل) والأخفش ، وحدداها ، هي كل بحر الشعر الجاهلي ، فربما وجدت بحر أخرى لم يصل خبرها الى علم هذين العالمين أو غيرهما ، ولا سيما في الشعر القبلي الذي لم يشتهر أمره ، ولم يعرف إلا بين السواد ، ومنه الشعر العامي ، أي الشعبي ، أو المحلي ، المنظوم باللهجات الخاصة ، إذ لا يعقل عدم وجود شعر شعبي في ذلك العهد ، نظمه سواد الناس ، على غرار الشعر العامي الذي يقال له الشعر النبطي في جزيرة العرب ، فالشعر هو شعور ، ولا يقتصر الشعور على طبقة من الناس دون أخرى .

ونحن لا نملك في الوقت الحاضر تعريفاً علمياً للشعر ، نستطيع أن نقول بجزم وبأكيد انه من تحديد الجاهليين له . والتعريف المألوف له ، هو كما ذكرت تعريف اسلامي محض . وقد رأينا كيف احترس علماء التفسير في تعريفه ، فقيّدوه بكونه « الكلام المقفى الموزون قصداً » لإخراج ما وقع موزوناً من الكلام اتفاقاً

١ سورة الانفطار ، ٨٢ ، الآية ١ - ٥ .

من الشعر ، وهو ما وقع في القرآن وفي كلام الرسول ، مما يدل على ان العرب في أيام الرسول كانوا أوسع إدراكاً لمفهوم الشعر من الاسلاميين ، وانهم كانوا يدخلون فيه ما أخرجه من جاء بعدهم في الاسلام منه ، بسبب فرية قريش على القرآن والرسول . وبسبب هذه الفرية ، وقع جدل فيما بين الاسلاميين في موضوع الرجز ، هل هو شعر ، أو هو باب خاص من أبواب الكلام لا يدخل في باب الشعر ، لثبوت ورود الرجز على لسان الرسول !

وقد أدرك العلماء ان هنالك فروقاً بين العرب وبين العجم في نظرتهم الى الشعر. قال (الجاحظ) في معرض كلامه على ميزات اللسان العربي وتفوقه على ألسنة الأعاجم : « والأمثال التي ضربت فيها أجود وأسير . والدليل ان البديهة مقصور عليها ، وان الارتجال والاقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الروم والفرس شعراً ، وكيف صار النسيب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم انما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يصاب في العرب إلا القليل اليسير ، وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون »^١ . فهذا رأي (الجاحظ) في الشعر العربي وفي الشعر عند الأعاجم .

وللشعر أوزان ، هي بحوره . ضبطها (الخليل بن أحمد) القراهيدي في الاسلام ثم من جاء بعده . استنبطت من الشعر المؤلف الذي كان سائداً في أيامه ، وضبطت بأوزان هي (التفعيلات) . بيد أننا لا نستطيع أن نقول إن الأوزان التي ضبطها الاسلاميون ، تمثل جميع بحور الشعر الجاهلي ، وأن علماء الشعر كانوا قد استعرضوا كل ذلك الشعر ، وحصلوه حصراً ، ودرسوه درساً ، فوجدوه لا يخرج خارج هذا الحصر ، فلم يفقههم منه ولا بحر واحد . فقول مثل هذا لا يمكن أن يقال ، وهل هنالك من دليل يؤيده ويستنده ؟ وأنا لا استبعد احتمال عدم وقوف علماء الشعر على بحور أخرى ، لم يصل علمها اليهم بسبب موتها قبل الإسلام ، أو لقلة من كان ينظم بها ، ألا لأنها كانت من الأشعار التي لم يصل علمها الى علماء الشعر ، لكونها من أشعار العرب الجنوبيين الذين كانوا يتكلمون

١ البيان والتبيين (٣٣) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٩ م) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .

باللهجات العربية الجنوبية، أو لكونها أشعار مناطق بعيدة لم يألّف علماء اللغة والشعر الذهاب إليها ، أو لأنها من الشعر (العامي) ، البعيد عن العربية المصطفاة ، ولأسباب أخرى .

ونجد في خبر : (هبيب بن مالك) الهبي ، المعروف بـ (هب) ، سجعاً ورجزاً ، نستطيع أن نقول انه — إن صح — يمثل مرحلة من مراحل الشعر عند الجاهليين ، تفيدنا دراستها فائدة كبيرة في الوقوف على تطور الشعر الجاهلي . فقد ذكر انه سمع الكاهن (خطر بن مالك) ، وكان من أعلم كهان (بني هب) ، يقول :

عودوا الى السحر اتوني بسحر
أخبركم الخبر أخير أم ضرر
أم لأمن أو حذر

وذكر انه سمع الكاهن يقول :

أصابه أصابه خامره عقابه
عاجله عذابه أحرقه شهابه
زايله جوابه يا ويله ما حاله
بلبله بلباله عاوده خباله
فقطعت حباله وغبرت أحواله

ثم أمسك طويلاً ، وهو يقول :

يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤمن والسدان
قد منع السمع عتاة الجان بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتزويل والقرآن
وبالهدى وفاصل الفرقان تبطل به عبادة الأوثان

ثم قال خطر :

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خير نبي الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس^١

١ الاصابة (٣١٢/٣) ، (رقم ٧٥٦٤) ، الاستيعاب (٣١٢/٣ وما بعدها) ،
(حاشية على الاصابة) .

وهو كلام مصنوع ، لكنه يفيدنا مع ذلك في الوقوف على نماذج من الشعر ،
روعي في صنعه محاكاة طريقة الكهان في نظم الكلام . فهو يفيدنا من هنا في
الوقوف على أسلوب من أساليب نظم الكهان في أيام الجاهلية ، كما انه يفيدنا في
دراسة موضوع صلة الكهانة والسحر بالشعر .

والشعر بعد ، تعبير عن الخواطر والأحاسيس وخوارج النفوس ، فلا يمكن
أن تنحصر أغراضه في غرض واحد ، لأن التعبير عن الحياة العامة للإنسان يحتاج
الى ألوان كثيرة من ألوان التعبير الشعري ، والشعر الجاهلي على كونه ضيقاً ،
لضييق أفق الحياة الجاهلية وبساطتها ، فقد تنوعت فنونه ، تنوعاً انبثق من صميم
حياة الجاهليين ، وأدى بذلك المعاني التي كانت تتطلبها حياتهم أداءً يتناسب مع
درجة عقليتهم ومستواهم المعاشي وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية . وقد استعرض
الإسلاميون تلك الأغراض التي قيل الشعر فيها فحصرها (أبو تمام) وهو نفسه
من مشاهير الشعراء في الاسلام في عشرة أبواب: هي الحماسة ، والمراثي ، والأدب ،
والتشبيب (النسب) ، والهجاء ، والإضافات ، والصفات ، والسير ، والملح ،
ومعرفة النساء . وجعلها غيره : الغزل ، والوصف ، والفخر ، والمدح ، والهجاء ،
والعتاب ، والاعتذار ، والأدب ، والحمريات ، والأهديات ، والمراثي ، والبشارة ،
والتهاني ، والوعيد ، والتحذير ، والتحريض ، والملح ، وباب مفرد للسؤال
والجواب^١ . وحصرها (ابن رشيق) في النسب ، والمدح ، والافتخار ، والرثاء ،
والإقتضاء ، والاستنجاز ، والعتاب ، والوعيد ، والانذار ، والهجاء ، والاعتذار^٢ .
وورد في (ديوان المعاني) ان « أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : المديح ، والهجاء ،
والوصف ، والتشبيه ، والمراثي ، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار ،
فأحسن فيه »^٣ .

وقد تعرض (أبو العباس ثعلب) ، لهذه الأغراض فجعلها : الأمر والنهي ،
والإخبار ، والاستفهام . وهذه الأغراض الأساسية للشعر تنفرع الى المديح ،
والهجاء ، والرثاء ، والاعتذار ، والغزل ، والتشبيه ، والوصف^٤ . وجعل

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٧١/٣) .

٢ العمدة (١١٣/٢) وما بعدها ، (باب في أغراض الشعر وصنوفه) .

٣ ديوان المعاني (٩١/١) .

٤ جوستاف فون جرونباوم ، حضارة الاسلام (٣٣٣) .

(أبو هلال العسكري) أغراض الشعر : المديح ، والهجاء ، والفخر ، والغزل ، وجعلها : المديح ، والهجاء ، والرثاء ، والغزل ، والوصف ، في موضع آخر^١ .

ونلاحظ ان بعض هذه الأبواب مثل الفخر والمدح والهجاء ، عامرة ، وبعض منها فقيرة ، حتى لا نكاد نجد فيها مما يخص الشعر القصصي Epique غير نزر يسر ، وفي هذا القليل ما هو مشكوك في صحته . وأما الشعر الديني الخاص بالأصنام والأوثان ، فلا نجد منه في الشعر الواصل إلينا لا قطعة ولا قصيدة . ولا يعقل بالطبع ألا يكون للجاهليين شعر في هذا الباب ، إذ كانوا يتوسلون ويلوذون بها ويتقربون إليها بالنذور ، فلا يعقل ألا يكون لهم شعر في آلهتهم . ولا يعقل أيضاً قول من قال إن الجاهلي رجل مادي ، لم يحفل بالدين ولا بالمعاني الروحية ولا بالآلهة ، وهو من أبعد الناس عن الدين والتدين ، لذا لم يحفل بها في شعره . فلو كان الجاهلي على هذا النحو المذكور من الابتعاد عن الدين والتدين ، لما تقرب إليها بالنذور وبالقرايين وهو فقير محتاج ، وبالحنج ، وهي عبادات لا يمكن أن ينكر وجودها عند الجاهليين أحد ، لورود ذكرها في النصوص الجاهلية ، وفي القرآن الكريم . والذي أراه ان سبب عدم وصول شيء من الشعر الديني الوثني الجاهلي إلينا ، لا يعود الى تقصير الجاهليين في هذا الباب ، بل الى انصراف الرواة عنه ، وامتناعهم من تدوينه بسبب الاسلام ، لأنه من صميم ديانة أهل الجاهلية التي اجتثها الاسلام ، إلا أن يكون ذلك الشعر من النوع الذي يتفق مع مبادئ الاسلام ، أو لا يتعارض معها ، فلم يجدوا غضاضة من روايته ، ولذلك رووه .

وقد ذكر علماء الشعر « أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وبكى وشكا ، وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلاً وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ، ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه »^٢ . وذكر أن (امرأ القيس) « أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى في الدمن ، ووصف

١ ديوان المعاني (٣١/١ ، ٩١) ، حضارة الاسلام (٣٣٣) .

٢ الشعر والشعراء (٢٠/١) .

ما فيها ، ثم قال : دع ذا - رغبة عن المنسبة - فتبعوا أثره ، وهو أول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والظباء والطير ، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف . وكان أول من بكى الديار^١ .

والشاعر المجيد عندهم « من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفس ظمأ إلى المزيد »^٢ . وليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكي عند مُشَيِّد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافي ، أو يرحل على حمارٍ أو بغل ويصفها ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، أو يرد على المياه العذاب الجوارى ، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي ، أو يقطع إلى الممدوح منابت الزجس والآس والورد ، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيع والحنوة والعرارة^٣ .

وقد جعل علماء الشعر (النسيب) باباً من أبواب الشعر ، ودعاه بعضهم (التشبيب) ، وجعل بعضهم (الغزل) باباً من أبواب الشعر ، بأن أدخل (النسيب) فيه^٤ . وطالما نجد الناس يخالطون بين الغزل والنسيب والتشبيب . والغزل في رأي بعض علماء اللغة اللهو مع النساء ، وقيل محادثة النساء ، وقيل : الغزل والنسيب هو مدح الأعضاء الظاهرة من المحبوب أو ذكر أيام الوصل والهجر أو نحو ذلك ، وذكر بعضهم أن الغزل والنسيب والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وقيل : إن النسيب والتشبيب ، والغزل ثلاثتها متقاربة ، ولهذا يعسر الفرق بينها حتى يظن أنها واحد . وذكر أن النسيب التغزل ، وإن قول الرجل نسب الشاعر بالمرأة ، بمعنى شبب بها في الشعر وتغزل وذلك في أول القصيدة ، ثم يخرج إلى المديح ، والنسب هو الغزل في الشعر ، والنسيب في الشعر ، هو التشبيب فيه^٥ ، والتشبيب : ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ، ويكون في ابتداء القصائد ، وسمى ابتداؤها

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٨/١) ، (دار الثقافة) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢١/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٢/١) .
 - ٤ العمدة (١٢٠/١) وما بعدها .
 - ٥ تاج العروس (٤٣/٨) ، (غزل) .
 - ٦ تاج العروس (٤٨٣/١) ، (نسب) .

مطلقاً وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. وقيل تشبيب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء^١. ولو دققنا النظر في معاني هذه المصطلحات ، نجد أن هناك فرقاً بين الغزل وبين النسب ، والتشبيب في الأصل ، غير أن الناس خلطوا بين معانيها ، فلم يفرقوا بينها . فالنسيب مصطلح استعمل في الشعر للتعبير عن ذكر الديار والأحبة في ابتداء القصيدة ، فكأنه أخذ من النسب ، حيث يقص الشاعر نسب أحبته ومكانهم ، ومرايع الأحباب ومنازلهم واشتياق المحب الى لقاءهم ووصالهم وغير ذلك مما فصلوه وسموه التشبيب^٢ ، فهو ليس بغزل إذن ، فقول امرئ القيس :
قفأ نبك من ذكرى حبيب ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لا يعدّ غزلاً بالمعنى المفهوم من الغزل ، وإنما هو تذكر وتوجع على الأحبة والأصدقاء ، لفارقتها الديار ، وتركه الأحباب . أما الغزل ، فهو شيء آخر ، يمثل عاطفة الحب نحو المرأة ، وما يتعلق بها ، وهو ما يقال له : Love Poem في الانكليزية . وأما التشبيب ، فهو تذكر أيام الصبا والشباب ، والغزل فيه لما فيه من المغازلة والمنادمة^٣ ، ونظراً لما بين هذه الأمور من تداخل ، تداخلت المعاني في الإسلام ، وأخذت تعني معاني متقاربة ، أو شيئاً واحداً .

وشعر الهجاء « Lampoon » ، هو من أهم أبواب الشعر المهمة عند الجاهليين. ويتناول هجاء ادشخاص وهجاء القبائل . ونظراً لما كان يتركه الهجاء من أثر في النفوس ، كان قوم الشاعر يروونه ويحفظونه للحط من شأن المهجو . ولهذا الأثر الخطير الذي كان يتركه الهجاء في المهجو من كسر في الاسم وتحطيم في المنزلة ، فسّر (كولدزيهر) لفظة (قافية) بمعنى (تحطيم القفى) ، أي (تحطيم الجمجمة). وذهب الى ان القافية ، كانت بهذا المعنى في الأصل ، ثم فسرها العلماء بعد ذلك تفسيرهم المألوف ، وهو تفسير مخالف للأصل^٤ .

قال أهل الأخبار : « وليس في العرب قبيلة إلا وقد نبيل منها ، وهجيت ،

١ تاج العروس (٣٠٨/١) ، (شبيب) .

٢ تاج العروس (١٦/١) ، (نسب) .

٣ تاج العروس (٤٨٣/١) ، (نسب) .

٤ Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 9.

وعبرت ، فحطّ الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف موضع الرمية .

فن الذين لم يُحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ، وبكر بن وائل ، وأسد بن خزيمه ، ونظراؤهم من قبائل اليمن .

ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزق - على تقدمهم في الشجاعة والفضل - أحياء من قيس : (نحو غنى وباهلة) ، (ونحو محارب بن خصفة ابن قيس عيلان ، وجسر بن محارب) ، (ومن ولد طابخة بن الياس بن مضر : تميم وعُكل ابنا عبد مناة بن أد) ، (وعدي بن عبد مناة) ، كانوا قطيناً لحاجب بن زرارة ، وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر ، والحبطات . ولم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم^١ .

وقد تعرض (الجاحظ) لهجاء الشعراء للأشراف ، فقال : « وإذا بلغ السيد في السؤدد الكمال ، حسده من الأشراف من يظن أنه الأحق به ، وفخرت به عشيرته ، فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه . ومن طلب عيباً وجده . فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره ، وجد من يغلف فيه ويحمّله عنه . ولذلك هُجّي حصن بن حذيفة ، وهُجّي زرارة بن عدس ، وهُجّي عبدالله بن جدعان ، وهُجّي حاجب بن زرارة^٢ . فالحسد في نظر (الجاحظ) من جملة عوامل الهجاء . فالنباهة والشرف والظهور في المجتمع من العوامل التي تكون سبباً دافعاً إلى الهجاء ، بسبب داء الحسد ، ولهذا أمن الخامل من هجاء المهجائين ، وسلم من أن يضرب به المثل في قلة ونذالة وبخل ، إذ ليس فيه ما يحمل الشاعر على النيل منه وعلى ما يغيظه ، ولا يحسده حاسد ، حتى يدفع الشاعر على التحرش به وهجائه . وقد هجيت قبائل بأقذع أنواع الهجاء مع ما لها من شرف وفضل ومكانة وخير عيم ، بسبب حسد الحساد ، وغيظ القبائل الضعيفة . أو التي لا خير فيها منها ، فتحرش شعراؤها بها ، ودفع الحسد المهجائين إلى هجائها ، على كونهم من غمار الناس ومن الخاملين في الحسب والنسب^٣ .

١ العملة (١٨٢/٢) وما بعدها) .

٢ الحيوان (٩٣/٢) .

٣ الحيوان (٣٥٧/١) وما بعدها) .

وقد هجيت الملوك ، فتناولتهم ألسنة الهجائين ، ولا سيما أولئك الملوك الذين رزقوا طبعاً حاداً ، وعصباً حساساً متوتراً ، مثل عمرو بن هند ، والنعمان بن المنذر الذي نال أكبر نصيب من الهجاء . ومما قيل فيه :

ملكٌ يلاعب أمه وقظينتهُ ربحو المفاصل أيره كالمرود

وقد نسب قوله الى (النابغة) الذبياني ، ويمكن أن يكون قد صنعه غيره ودسه عليه حسداً له ، للإيقاع به عند الملك . ونسب اليه قوله :

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصانغ الجبان الجهولا
من يضر الأدنى ويعجز عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلاً

وقيل ان قائل تلك الأبيات هو : (عبد قيس بن خفاف) التميمي ، قاله على لسانه للإيقاع بينه وبين النعمان^٢ .

وللهجاء عند الجاهليين وقع شديد . ولقد بكى قوم من الأشراف من شدة هول الهجاء عليهم^٣ . ولما أمنت قريش في هجاء الرسول والمسلمين ، وجندت الشعراء للنيل من الاسلام ، أعد الرسول (حسان بن ثابت) ، و (كعب بن مالك) ، و (عبدالله بن رواحة) للرد عليهم ، وقد قال الرسول لحسان : « اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك^٤ » ، وقال : « إن قوله فيهم أشد عليهم من وقع النبل^٥ » . وكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكران مثالبهم . وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع ، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم . وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم . قلما أسلموا وفقهوا ، كان أشد القول عليهم ،

-
- ١ الشعر والشعراء (٩٩/١) ، (لعن الله ثم ثنى بلعن) ، الحيوان (٣٧٩/٤) ، الاغاني (١٥٨/٩) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٩٩/١) ، الحيوان (٣٧٩/٤) .
 - ٣ الحيوان (٣٥٧/١) وما بعدها .
 - ٤ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) .
 - ٥ الاستيعاب (٣٣٧/١) ، (حاشية على الاصابة) .

قول عبدالله بن رواحة ^١ . وورد ان الرسول قال لحسان : « هيج الفطاريف
على بني عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام ، في غيش الظلام » ^٢
وفي هذا المعنى ورد في شعر (عبد قيس بن خفاف) البرجمي :

فأصبحتُ أعددت للنائب
تعرضاً بريئاً وعضباً صقيلاً
ووقع لسان كحد السنان ورعاً طويلاً القناة عسولاً ^٣

وفي هذا المعنى ورد أيضاً قول طرفة :

بحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

وقول امرئ القيس الكنلبي :

ولو عن نثاً غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد

وقول طرفة :

رأيت القوافي يتلجن موالجاً تضايقُ عنها أن تَوَلَّجها الإبر

وعكس (الهجاء) هو شعر الفخر والمدح ، وله أهمية عند العرب لا تقل عن
أهمية الهجاء ، لما له من مكانة في المجتمع . وقد لعب دوراً خطيراً في السياسة
كذلك ، ولا زال يلعب دوره هذا فيها الى هذا اليوم . ولا يعني هذا المدح أن
الشاعر كان صادقاً للهجة في مدحه ، مخلصاً في مدحه لمن مدحه ، انما المدح هو
في مقابل إحسان أو طلب إحسان في الغالب ، فإذا قطع المحسن إحسانه عن الشاعر
أو اذا حرض انسان الشاعر على من مدحه وأعطاه ليهجوه ، هجاه ، وقد يهجو
بأقذع هجاء ، ومن هنا كان الأشراف وأصحاب التستر ، يتعدون عن الشعراء ،
لا يريدون مدحهم ولا حدهم ، لأنهم لا يعلمون متى سينقلب الشاعر عليهم ،

-
- ١ الاستيعاب (٣٣٧/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ البيان والتبيين (٢٧٣/١) .
 - ٣ الفضليات (٣٨٦) .
 - ٤ الحيوان (١٥٦/١) ، ديوان طرفة (٦١) .
 - ٥ الحيوان (١٥٦/١) .
 - ٦ الحيوان (١٥٨/١) .

فيهجوهم بأشد هجاء ، أو ينهش أعراضهم ، لتقصيرهم في اعطائه المال . ومن هنا نعتوا بالثلون وبالكلب : « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون »^١ .

وسبب هذا التلون عامل اقتصادي ، فقد كان الشاعر مثل غيره من الناس يتعيش بشعره ، يئذه لمن يعطيه ، ويحجبه عن لا يعطيه ، وإذا مدح أمل الإثابة ، ليعيش عليها ، وإن حرم منها ، أو وجد أن شاعراً آخر نال من ممدوحه أكثر مما أعطاه غضب ، وقلب مدحه ذماً ، فيشتمه ويتقص من شأنه وإن كان قد أغرق بالأمس في مدحه له . وقد يثيره حساد الممدوح ، بأن يعطوه أكثر مما أعطاه ممدوحه ، فيغريه المال ، ولا يجد عندئذ رادعاً أخلاقياً يمنعه من التهجم عليه ومن هجائه بأقبح هجاء ، فال موضوع موضوع مال ، ولو كان للشعراء ثراء وغنى أو سوق رائجة تباع فيها دواوينهم ، لما ركب الشاعر ولا شك هذا المركب ، ولما تزلف وتقرّب ، ولكان حاله حال الشعراء الغربيين . يعتمدون على الرأي والفكرة والإبداع والفن ، فيشتري الناس شعرهم للاستمتاع به ، فما يهمهم لذلك مدح هذا أو ذاك .

ويرى (بروكلمن) أن « كثيراً ما كان الشاعر يتجه بفنه أيضاً الى مدح بطل أو أمير من قبيلته ، ولكنه لم يكن يفكر قديماً في الجائزة الرنانة ، التي نزلت بمكانة شعراء المديح المحترفين في بعض الأحيان - منذ عهد النبي - الى درك المتسولين بالغناء »^٢ . وهو يجاري بذلك أهل الأخبار القائلين بأن الشعراء المتقدمين لم يكونوا يمدحون طمعاً في منعم ومال ، وإنما كانوا يمدحون عن رأي ، وإن أول من تسول بشعره الأعشى ، فحط بعمله هذا من قدر الشعراء ، ثم أفرط الخطيئة في ذلك ، حتى أهان نفسه ، فصبروا المتقدمين من الشعراء ملائكة ، ورموا الأعشى بخطيئة التسول ، بأن جعلوه رأس المتسولين ، وما الأعشى إلا بشر ، وما المتقدمين عليه إلا بشر مثله ، فإن تسول الأعشى ، فن يثبت أنه كان أول من تسول ، وإن خطيئة التسول لم تكن معروفة بين المتقدمين عليه .

والرثاء Elegy من سنن الجاهليين القديمة ، يقال رثيت الميت رثياً ورثاء

١ سورة الشعراء ، رقم ٢٦ ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .

٢ بروكلمن (٥٧/١) .

ورثاية ، ومراثاة ، ومراثية ، بمعنى بكيته وعددت محاسنه ، أو نظمت فيه شعراً ، والمراد به المدح^١ . وهو من أبواب الشعر المهمة كذلك ، لما كان لثناء الميت من أهمية كبيرة عند أهل الجاهلية . وقد كانوا يوصون أهلهم بأن يقيموا (النياحة) عليهم ، ليقال فيها ما يقال من الشعر في حقهم^٢ . ونجد في الشعر الجاهلي قصائد وأشعاراً في الرثاء . وقد نبغت النساء الرثائيات في هذا الباب ، واستنبطن فيه أساليب بديعة لم يتنبه لها الفحول لما طبعن عليه من رقة الطباع وشدة الجزع في المصائب ، وصدق الحس ، ورقة العاطفة^٣ . وقد جمع الأب (لويس شيخو) مراثي الشعراء الجاهليات ، في كتاب ، جمع فيه مراثي إحدى وستين شاعرة عدا شعر الخنساء . والخنساء ، هي من أشهر شاعرات الرثاء ، اشتهرت برثاء أخويها: صخر ومعاوية^٤ .

وشعر الرثاء وإن كان من واجب النساء النائحات في الغالب ، وقد بلغ الغاية في شعر (الخنساء) ، إلا أنه كان من واجب الشعراء كذلك . فلكثير من الشعراء رثاء لآبائهم ولاخوانهم ولأقاربهم ولأصدقائهم ولذوي الفضل عليهم ، وقد ترك (أوس بن حجر) جملة مراثي رائعة، وترك غيره قصائد في رثاء الملوك وسادات القبائل والآباء والأخوة ، ويلاحظ أن رثاء الشعراء إنما كان في رثاء الأموات الرجال في الغالب ، وذلك نابع عن طبيعة المجتمع ، التي تمجد الرجل، ولا ترى ذكر النساء الحرائر إلا في المدح والفخر .

أما شعر التوجع والتألم « Elegies » و « Threnody » الذي نجده في كتاب (المراثي) « Lamentations Book » ، المنظوم في الكارثة التي أنزلها (مختصر) في اليهود عام (٥٨٦) قبل الميلاد ، فلا نجد مثله في الشعر الجاهلي ؛ إنما نجد أحياناً في النكبات التي كانت تحلّ بالقبائل بسبب الغارات والغزوات ، وأروعها ما جاء في رثاء قتلى بدر . وهو ذو طابع شخصي في أكثر الأحيان ، إذ يدور حول افعال الشاعر وتأثره لمصرع شخص كان يحبّه أو يقدره . ويدخل ما وضع

١ تاج العروس (١٤٤ / ١٠) ، (رثى) .

٢ Goldziher, History of classical Arabic Literature, p. 9.

٣ لويس شيخو ، رياض الادب في مراثي شواعر العرب (ص ١) ، (بيروت ١٨٩٧ م) .

٤ كارلو ناليتو (٨١) .

من شعر حول تخرب سدّ مأرب ، وأمثال ذلك في هذا الباب بالطبع .
وقد رثى بعض الشعراء أنفسهم حين شعروا بدنو أجلهم ، ونجد في كتب
الشعر والأدب شعراً من هذا النوع ، فكأن الشاعر أراد أن يفتتح به رثاء الرائيات
والناتحات ، ليكون لهن مقدمة ينسجن عليها شعرهن في رثائه .

وتعدّ (المراثي) من عيون الشعر والتراث الخالد عند الشعوب القديمة ، ولا زال
الناس يقيمون للرثاء وزناً كبيراً ، لأنه تخليد وتقدير لشأن الميت . ونجد في الأدب
القديم مكانة كبيرة له فيه . وفي التوراة وصف لرثاء الناس لموتاهم . وهو سجع
أو رجز يناسب ظروف الميت وحاله ومكانته ، يرثم بأنغام حزينة مؤثرة ، ومنه
جاء شعر المراثي . ويلاحظ ان شعر الرثاء في العريية لا يختلف من حيث الوزن
عن بقية الشعر ، فهو يقال في كل البحور ، والفرق بينه وبين غيره هو في المعنى ،
وفي غلبة التوجع والألم فيه على المعاني الأخرى .

ولم يصل إلينا شعر جاهلي طويل ، مؤلف من مئات أو آلاف من الأبيات ،
مثل الشعر القصصي الذي نجده عند الشعوب (الآرية) في سرد حكايات الآلهة
والأبطال والحروب ونحو ذلك ، ومثل الشعر الغنائي « Lyrique » ، ومثل الشعر
التمثيلي « Dramatique » ، الذي يستند على التمثيل والحوار والغناء ، وشعر
الجاهليين شعر قصير في الغالب ، لا تتجاوز القصيدة فيه ، وهي أطول قطعة من
الشعر مائة بيت .

أما القصة الشعرية القصيرة ، فنجدها في قصيدة الأعشى التي وصف فيها وفاء
السموأل . ونجد في شعر (عدي بن زيد) قصصاً قصيرة عن أحداث تاريخية ،
أوردها في شعره على سبيل العظة والاعتبار ، كما نجد في شعر (أمية بن أبي الصلت)
قصصاً ، أخذ بعضه من قصص أهل الكتاب ، وأخذ بعض آخر منه من أساطير
العرب القديمة . وكل هؤلاء هم ممن نستطيع أن نقول عنهم إنهم من الحضرة ،
أو من المتأثرين بعقلية أهل القرى والحضارة . ويمكن عدّ قصة الأعشى عن
السموأل من هذا النوع المسمى « Ballad » في الانكليزية . ويرى (بروكلمن)
أن « محاولة الأعشى إنشاء شعر القصة La Ballade واختراع أسلوب الملحمة ،
في إشادته بوفاء سموأل ، فقد بقيت عملاً فذاً لم ينسج أحد على منواله »^١ .

١ بروكلمن (٦٢/١) .

ونجد في شعر للناطقة قصة (زرقاء اليمامة) ، وقصة الحية ، إذ يقول :

تذكر أنتي يجعل الله فرصة^١ فيصبح مال ويقتل^٢ واتره^٣
فلما وقاهما الله ضربة^٤ فأسه وللبر عين لا تغمض^٥ ناظره
فقال: معاذ الله أعطيك^٦ إنني رأيتك غدّاراً يمينك^٧ فاجره
أبى لي قبر^٨ لا يزال مقابلي وضربة فأس^٩ فوق رأسي فاقره

والقصة : ان بلدة امتنعت على أهلها بسبب حية غلبت عليها ، فخرج أخوان يريدانها ، فوثبت على أحدهما فقتلته ، فتمكن لها أخوه في السلاح ، فقالت : هل لك أن تؤمني فأعطيك كل يوم ديناراً ؟

فأجابها الى ذلك حتى أئثرى ، ثم ذكر أخاه ، فقال : كيف يهتوني العيش بعد أخي ؟ فأخذ فأساً وصار الى جحرها ، فتمكن لها ، فلما خرجت ضربها على رأسها ، فأثر فيه ولم يعم ، ثم طلب الدينار حين فاته قتلها ! فقالت : إنه ما دام هذا القبر بفنائني وهذه الضربة برأسي فلست آمنك على نفسي ! وكانت العرب تضرب أمثالا^{١٠} على السنة الهوام^{١١} .

ولاحية قصص عند الشعوب القديمة ، وقد صوروها بصور مختلفة ، وأشير اليها في التوراة . وقد جعلت رمزاً للحيل والإغراء والشر والغدر^{١٢} ، والأرجح ان واضح القصة التي نظمها شعراً على لسان الناطقة ، انما أخذها من أهل الكتاب . ونجد لـ (عمرو بن آلة بن الخنساء) شعراً حكى فيه قصة (سابور) ، و (الحضرمي) ، منه :

ألم يبتلك^{١٣} والأنباء تنمسي^{١٤} بما لاقت سراة بني العبيد^{١٥}
ومصرع ضيزن^{١٦} وبني أبيه^{١٧} وأحلاس الكتائب من شريد^{١٨}
أتاهم^{١٩} بالفيول مجلات^{٢٠} وبالأبطال سابور الجنود^{٢١}
فهدم من أواسي الحضرمي^{٢٢} صخرأ^{٢٣} كأن ثقالة زير الحديد^{٢٤}

١ الشعر والشعراء (٩٦ / ١) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٤٠٠ / ١) .

٣ الروض الانف (٥٩ / ١) .

وقد لعبت قصة فتح (سابور) (شابور) للحضر ، دوراً خطيراً في قصص
الجاهليين . فقد وردت في شعر (أبي دواد) ، الذي يقول :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون
صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون^١

ونجد (عدي بن زيد) العبادي ، يذكر قصة الحضر في شعره كذلك. ذكرها
في القصيدة التي تنسب إليه ومطلعها :

أرواح مودع أم بكور فانظر لأي ذاك تصير

ثم يذكر القصيدة ، ويصف قصر الحضر ، ثم يذكر قصصاً آخر أوردته على
سبيل العظة والاعتبار ، قالها وهو في سجنه ، للتأثير على النعمان لحمله على
الغفر عنه^٢ .

وذكر (عدي بن زيد) الحضر في شعر آخر ينسب إليه ، منه :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيد مناكبها
ريية لم توق والدها لحينها إذ أضاع راقبها
إذ غبته صهباء صافية والخمر وهل يهيم شاربها
فكان حظ العروس إذ جثر الصبح دماء تجري سبائبها
وخرّب الحضر واستييح وقد أحرق في خدرها مشاجبها^٣

وقد ورد في هذه القصيدة :

ما بعد صتماع كان يعمرها ولاة ملك جزل مواهبها
رفعها من بني لدى قزع المزن وتنلدى مسكاً محاربها
محضوفة بالجبيل دون عرى الكائد ما ترتقي غواربها
يأنس فيها صوت النهام إذا جاوبها بالعشي قاصبها
سأقت إليه الأسباب جند بني الأحرار فرسانها مواكبها

١ الروض الانف (٥٦/١) .

٢ الروض الانف (٥٨/١) .

٣ ابن هشام ، سيرة (٥٩/١) ، (حاشية على الروض) .

وفوزت بالبغال توسق بالحتف وتسعى بها توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف المنقل مخضرة كئابها
يوماً ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هاربها
وكان يوماً باقي الحديث وزالت أمة ثابت مرتبها
وبدل الفيح بالزرافة والأيام جون جمّ عجائبها
بعد بني تبع نخاورة قد اطمأنت بها مرازبها^١

والأعشى ، ممن أدخل قصة الخضر في شعره أيضاً ، تطرق في شعره الى
محاصرة المدينة ، وكيفية عشق (نضيرة بنت الضيزن) لسابور لما أبصرته، فقال:

أقفر الخضر من نضيرة فالرباع منها فجانب الثرثار^٢

ثم تطرق الى اقامة (شاهبور) (شابور) (سابور) حولين في الخضر ،
ثم الى ما لاقته (نضيرة) من جزاء ، بسبب خيانتها لوالدها ، وذلك بقوله :

ألم ترَ للخضر إذ أهله بنعمي وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنو د حولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة أناب اليه فلم ينتقم^٣

ونجد قصة (الغار) مسجلة في شعر . ومجمل القصة ان رجلاً من (بني ضبة)
كان له في الجاهلية سبعة بنون ، فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون ، فأووا الى غار
فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعاً ، فلما استراث أبوهم أخبارهم اقتفى
آثارهم حتى أتى الى الغار فانقطع الأثر ، فأيقن بالشر ، فرجع وأنشأ يقول :

أسبعة أطواد وسبعة أبحر أسبعة آساد أسبعة أنجم
رزئتهم في ساعة جرعتهم كؤوس المنايا تحت صخر مرضم

وتأتي أبيات بعدهم في وصف حزنه ، ثم لم يلبث أن مات كمداً^٤ .

-
- ١ ابن هشام ، سيرة (٥٣/١) وما بعدها .
 - ٢ الروض الأنف (٥٦/١) .
 - ٣ سيرة ابن هشام (٥٩/١) .
 - ٤ الامالي ، للقالبي (٦١/١) .

ويجب ألا ننسى شعر المعارك والحروب ، وهو شعر نستطيع أن نسميه شعر (الحماسة) . فالعادة عند العرب أنهم ينشدون الشعر عند الغزو وفي أثنائه ، وفي المعارك والحروب . فالمقاتل حين يندفع بين المحاربين ليقاتل خصمه ، ينشد شعراً يفتخر فيه بنفسه وبعبيرته وبقبيلته ، ويكون في الغالب من الرجز ، لأنه شعر سهل مطاوع ، يصلح لمثل هذه المواقف ، ونجد في أخبار الأيام وفي الفتوح الإسلامية شعراً وافراً من شعر المعارك من الرجز ومن محور الشعر الأخرى .

ومن أبواب الشعر عندهم : شعر الوصايا والحكم . فنجد بين الشعر المنسوب إلى الجاهليين شعراً فيه وصايا يوصي الشاعر بها ولده وأقاربه أو عبثته بخلاصة ما حصل عليه ذلك الشاعر في حياته من تجارب . كما نجد بينه حكماً عرف بها بعض الشعراء مثل زهير بن أبي سلمى ، والأفوه الأودي وآخرون .

وقد تغنى الجاهليون بشعرهم ، فكانوا ينشدونه بنغم خاص ، قد يصحب بآلة موسيقية ، وقد يشربون ويغنون ، أو يسمعون مغنياً يغنيهم بشعر . فلما انتهى (خالد بن الوليد) إلى (سوى) وأهله من بهراء ، وجد ناساً منهم يشربون خمرأ لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ، ومغنيهم يقول :

ألا عتلاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري^١

ونجد في الأخبار أن ملوك الحيرة والغساسنة والأثرياء كانوا يستمعون إلى الغناء وهو شعر ينشد على نغم ، توقعه قينة على آلة من آلات الموسيقى ، مثل الصنج والبربط ، والدف ، والمزهر ، وآلات أخرى أخذت من الروم والفرس ، وقد سبق أن تحدثت عن وجود قينتين بمكة كانتا لعبدالله بن جدعان ، تغنيان له ، واتخذ غيره من الموسرين والشعراء قياناً ، يغنيهم الأغاني ، وأكثرهم من الموالي من روم وفرس .

والغناء كلام يجب أن يتماشى مع النغم ، ولهذا ينظم نظماً يتناسب مع الإيقاع . ونجد عند اليونانيين شعراً ينظم للغناء خاصة ، يقال له (الشعر الغنائي) « Lyric » ،

١ الطبري (٤١٧/٣) ، فتوح البلدان (١١٨) ، (ذكر شخص خالد بن الوليد إلى الشام وما فتح في طريقه) .

وهو يختلف عن الشعر المألوف الذي لا يمكن أن يتغنى به دائماً لثقله ، وعدم اتساقه مع الإيقاع . ونجد في التوراة شعراً نظماً خصيصاً للإنشاد وللتغني به ، وهو يختلف في نظمه عن الشعر المألوف .

ولم يشر أهل الأخبار الى وجود شعر من هذا النوع عند الجاهليين ، وإن ذكروا ان الجاهليين كانوا يتغنون بالشعر ، وكانت قيامهم يتغنين بشعر الشعراء . ومعنى هذا انهم كانوا يغنون ببجور الشعر المألوفة ، لا بشعر غنائي خاص . ونجد في خبر (أحد) ان (هنداً) قامت في النسوة اللواتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضونهم ، فقالت (هند) فيما تقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش السمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وتقول :

وبها بني عبد الدار وبها حماة الأدبار
ضرباً بكل بتاراً

فهذا شعر ، ينسجم التغني به مع الإيقاع على الدفوف ، ووزنه يناسب ذلك النغم ، لكنه ليس من شعر الغناء الخالص ، الذي يتناسب مع الألحان المبنية على ارتفاع وانخفاض الصوت ، وعلى التغير في النبرات ، وعلى الجرّ والمطّ ، والقصر والجزم ، وما شاكل ذلك من حركات يقتضيها إيقاع اشتراك جملة آلات دفعة مع الشعر الذي يتغنى به في وقت واحد ، وربما اشترك في الغناء جملة مغنين .

ويذكر أهل الأخبار أن الغناء قديم في الفرس والروم ، ولم يكن للعرب إلا (الحدا) و (النشيد) وكانوا يسمونه (الركبانية) ، وأول من نقل الغناء العجمي الى العربي من أهل مكة سعيد بن مسجع ، ومن أهل المدينة سائب خاثر ، وأول من صنع المزج طويس^٢ ، وهو كلام قصد به أن الغناء العربي

١ الطبري (٥١٢/٢) .

٢ نهاية الارب (٢٣٩/٤) .

قبل الإسلام لم يكن كثير التنوع ، وإنما كان مقصوراً على طرق معينة ، ثم تطور في الإسلام بدخول الأعاجم فيه ، وباحتكاك العرب بهم . فالشعر الجاهلي إنما كان يتغنى به بتلك الطرق المحدودة . ونحن لا نستطيع البت في هذا الموضوع ، لأنه من أخبار أهل الأخبار ، ولكن لا يعقل في نظري أن يقتصر غناء الحضرة على هذه الأنغام البدوية ، وبينهم مغنون أعاجم وقيان استوردن من فارس والروم ، وكنّ يحسنّ الغناء ، ويتغنين بالشعر ، فكان لعبدالله بن جدعان قيتان أعجميتان ، تغنيان له ولضيوفه ، وكان لغيره قيان ، وقد ورد أن بعضهن كن يغنين بهجاء الرسول . ثم إن ملوك الحيرة كانوا على اتصال بغناء القرس وغناء بني لرم والنبط ، فلا يعقل الا يتأثروا بدروب غناء الأعاجم ، فيدخلوها في غنائهم ، وينوعوا في التغني بالشعر ، والا يبرز بينهم من يضع أشعاراً تنسجم مع ألحان الغناء .

وكان من غناء العرب (النصب) ، وقد عرف به الأعراب ، وهو غناء يشبه الحداء ، إلا أنه أرق منه . وهو العقيرة . يقال : رفع عقيرته إذا غنى النصب^١ . فهو غناء يتغنى به بشعر على طريقة معلومة ، اشتهرت بها العرب ، أهل البوادي .

وقد لعب الجمل دوراً خطيراً في الشعر الجاهلي ، وكيف لا يستأثر بمكانة مهمة في الشعر الجاهلي ، وهو مرافق الأعرابي ، والحيوان الوحيد الذي رضي بمصاحبته ومرافقته في الصحاري الموحشة المتعبة ، ولهذا نال حقه من المدح والثناء عليه ، كما ألهم مشاعر الأعرابي فجعله يصفه في شعره ، وصفاً كاد يحيط بجميع أجزاء جسمه^٢ ، وحظيت الخيل بمكان مرموق أيضاً في مملكة الحيوان المذكورة في الشعر ، فالفرس لا يكون فارساً إلا بفرسه ، وكان يقدم فرسه على نفسه وأهله في الطعام ، لأهمية الفرس في حياته ، فلا عجب اذا ما أبدع الشاعر الجاهلي في وصف الفرس ، وأشاد بذكر الخيل في شعره . وحظيت الحيوانات الوحشية مثل المها والظباء ، والحمار الوحشي ، والأسود ، على مكانة في الشعر الجاهلي كذلك ، لما لها من صلة بحياة العربي .

يقول (بروكلمن) : « والقصيد ، المؤلفة على نظام دقيق ، ينبغي استهلاكها

١ اللسان (٧٦١/١ وما بعدها) ، (نصب) .

٢ بروكلمن (٥٦/١) .

بالنسب ، والحنين الى الحبيبة النائية ، ذلك الحنين الذي يعترى الشاعر عند رؤية أطلالها الدائرة وهو راكب في القفار . ثم يتحول الشاعر في تخلص نموذجي من موطن لوعته وذكرياته الى وصف مسيره في المفاوز دون انقطاع ، وهو وصف قد يخرج أحياناً الى مجرد تعداد لأسماء ما يجتازه من أماكن . ثم يخلص من ذلك الى وصف راحلته ، فإذا هو عمد في هذا الوصف الى تشبيه راحلته ببعض حيوان الوحش استطرد أحياناً الى وصف هذا الحيوان وصفاً شاملاً . ثم لا يتجه الشاعر الى التعبير عن حقيقة قصده إلا في آخر القصيدة .

هذا المنهج لا بد أن يكون قد رسخ منذ زمن طويل . وقد ذكر امرؤ القيس سلفاً له في الشكوى والبكاء على الأطلال ، يدعى : ابن خدام ، وإن لم يستطع أدباء العصر العباسي تعيين هذا الشاعر . وتوسع المتأخرون هذا المنهج ولم يكادوا يجسرون على تغييره ^١ .

وقد أكثر الشعراء من استعمال بعض الجمل في افتتاح شعرهم ، مثل (بانت سعاد) . ذكر أن (بندر الأصبهاني) كان يحفظ تسعة قصيدة أول كل منها (بانت سعاد) ^٢ .

والشعر الجاهلي ، شعر صلد متين ، يميل الى الرصانة والى استعمال اللفظ الرصين ، الذي يغلب عليه طابع البداوة ، وشعر هذا طابعه ، لا يمكن أن يتحرر ، وأن يعبر عن المعاني بحرية ، إذ يكون الشاعر مقيداً بقيود الخضوع للعرف وللشكليات التي اصطلاح عليها الشعراء والناس ، ولهذا لم يتمكن الشعراء من التطرق الى مختلف المعاني والتصورات الإنسانية ، وصار الطابع الغالب عليه هو الطابع اللغوي ، فخشونة الشعر ، وجزالته وغرابته ، من مميزات هذا الشعر ومن محبباته الى النفوس ، وكما كان الشعر غريباً وبألفاظ غريبة ، نال التقدير والاستحسان ، لقد عمل (الأصمعي) قطعة كبيرة من أشعار العرب ، لكنها لم تنل الاستحسان ولم يرض عنها العلماء لقلة غريبها واختصار روايتها ^٣ . والشعر الذي ينال التقدير ، هو الشعر الخشن ، الذي روي بألفاظ نجدية ، ولذلك لم يحفل العلماء بشعر عدي بن زيد ،

١ بروكلمن (٦٠/١) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٥٢٩/٢) .
٣ الفهرست (٨٩) .

لأن فيه ليونة^١ ، والعلماء يبحثون عن الشعر الخشن ، الذي على العالم أن يفكر فيه ويعمل رأيه فيه طويلاً ، ويفكر ويغوص فيه حتى يجد معناه .

واشتهر بعض الشعر بشهرة عرف ونعت بها ، مثل قصيدة : (سويد بن أبي كاهل) ، واسمه (عطيف بن حارثة) الشكري ويقال الواثلي ، ويقال الغطفاني ، التي عرفت بـ (اليتيمة) ، وهي قصيدة عينية . قيل عرفت بذلك لما اشتملت عليه من الأمثال . وهو من الشعراء المخضرمين^٢ . وعرفت القصيدة التي نظمها (خدائش بن زهير) ، في هشام والوليد ابنا (المغيرة) المخزوميان ، وفي (عبدالله بن جدعان) بالمنصفة^٣ . وذلك لإنصافه خصومه في شعره . ومن المنصفات قول (المفضل) النكري :

كأن هزينا يوم التقينا هزير أباءة فيها حريق
وكم من سيد متاً ومنهم بلدي الطرفاء منطقته شهيقي^٤

لقد مر الشعر بمراحل ، سنة كل شيء في هذه الدنيا . بدأ بدائياً لبداء أصحابه ، ثم تطور بتطور الناس ، تطور من حيث معانيه وأفكاره ، وتطور من حيث قوالبه وأشكاله ، أي بمحوره . واقتضى هذا التطور ومرور الزمن وتغير الانسان ، ظهور أوزان جديدة ، أوجدتها الشعراء هروباً من التقليد ، وخروجاً على التقاليد ، وابتداعاً من الشاعرية ، لتقدم لعشاق الشعر لوناً جديداً من ألوان النظم ، يمتاز على المعروف المألوف المتوارث ، بنفس جديد ، وبموسيقى حديثة تناسب الزمان والمكان ، كما هو شأن الشعر عند كل أمة ، فتعددت ألوانه وبمحوره ، حتى اذا كان الاسلام ضببطت ألوانه في محور جمعها (علم العروض) المعروف .

أما أسماء أولئك المجددين في الشعر الجاهلي ، فقضية لا يمكن البت بها ، ولا اصدار حكم فيها . فنحن لانعرف من أمر الشعر الجاهلي إلا هذا الذي يرويه أهل الأخبار عنه ، وهو لا يستند — كما قلنا — الى سند جاهلي مدون ، ولا الى كتاب من كتب أهل الجاهلية ولا الى ديوان من دواوينهم ، بل روي رواية وحكي

-
- ١ الشعر والشعراء (١٥٠/١) ، (دار الثقافة) .
 - ٢ الاغانى (١٦٥/١١) ، الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢١) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٣٣) .
 - ٤ الاصمعيات (٢٣٣) .

حكاية ، وأقام الاسلاميون على هذا المروي قواعد نظرياتهم في الشعر الجاهلي . ولم يرد في هذا المروي أي شيء عن كيفية ظهور بحور الشعر الجاهلي ، ولا عن جدد وأوجد هذه البحور . وليس لنا أي أمل في إمكان الحصول في المستقبل على علم جديد عن تطور ذلك الشعر وعن ابتكار رجاله الجاهليين فيه ، ما دام سند علمنا هذا المورد القائم على الرواية القديمة . أما إذا عثر على نصوص مدفونة عربية جاهلية أو أعجمية فيها بحوث عن الكلام المنظوم عند العرب ، فذلك شيء آخر بالطبع . ومثل هذه النصوص هي التي يكون في وسعها وحدها تقديم صورة علمية واضحة عن الشعر الجاهلي .

ومن رأى بعض أهل الأدب ، « أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فيكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ... لأن التشبيب قريب من النفوس ، لا تظ بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم ، حلال أو حرام . فإذا استوثق من الاصفاء إليه ، والاستماع له ، عقب بإعجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهو ، وسرى الليل وحرّ الهجير ، وانضاء الراحلة والبعر . فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأمل ، وقرر عنده ما ناله من المكارة في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغر في قدره الجزيل .

فالشاعرُ المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل ، فيمل السامعين ، ولم يقطع بالنفوس ظمناً إلى المزيد ^١ .

وزعموا أن هذا كان نهج شعراء الجاهلية في نظم شعرهم ، ونهج شعراء صدر الاسلام ، حتى اختلط العرب بالعجم ، وانتقل العرب من حياة إلى حياة ، وظهر الشعراء الأعاجم الذين لم يتمكنوا من غسل أدمغتهم من المعاني الأعجمية ، ومن التفكير الأعجمي ، فنظموا الشعر بالعربية ، ولكن بمعان أعجمية جديدة ، وجاءوا

١ الشعر والشعراء (١/٢٠ وما بعدها) ، (دار الثقافة) .

ومن تأثر بالحضارة العربية الجديدة التي ظهرت في البلاد المفتوحة بآراء مستجدة ،
وظهر التجديد في الشعر العربي ، وابتعد بذلك عن أسلوب الشعر الجاهلي .

ويتوقف طول الشعر وقصره على (نفس الشاعر) ، أي على الظروف النفسية
التي تحيط بالشاعر حين ينظم شعره ، وبالمؤثرات التي أثرت عليه . وقد سئل
(أبو عمرو بن العلاء) ، « هل كانت العرب تطيل ؟ قال : نعم ليسمع منها .
قبل : هل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . ويستحب عندهم الإطالة
عند الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب والإصلاح بين القبائل كما فعل زهير
والخارث بن حلزة ومن شابهها ، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع والطوال
للمواقف المشهورة »^١ .

وقد ذهب (غرونيوم) الى امكانية تقسيم الشعر الجاهلي الى مدارس أدبية
متميزة ، جعلها ستة مدارس أو اتجاهات أو مذاهب بتعبير أصح . تضم الشعراء
الذين ولدوا ما بين سنة ٤٤٠ و ٥٣٠ م على وجه التقريب . « وليس معنى هذا
أنه ليس هنالك شعراء تتجافى طبيعتهم أنفسهم عن مثل هذا التقسيم وتشذ عنه .
فإن الشعراء الصعلوكيين الشهيرين تأبط شراً والشنفرى ، هما المثالان البارزان على
مثل هذه المواهب الفردية . ولعل من أمتع الأمور ، ما يتجلى في آثار تلك الفئة
من الشعراء ، الذين عاشوا في بلاط الحيرة ، من مظاهر الحضارة الساسانية .
فأبو دؤاد الأيادي (حوالى ٤٨٠ - ٥٥٠ م) ، والشاعر النصراني عدي بن زيد
(حوالى ٥٤٥ - ٥٨٥ م) ، يتجلى في شعرهما خليط من العقلية البدوية والتفكير
الحضري . وطرفة (حوالى ٥٣٥ - ٥٣٨ م) وكذلك الأعشى ، ينقلان الى
العراق سياقاً فنياً آخر للمدرسة أخرى ينتمي أعلامها الى قبيلة قيس بن ثعلبة ، من
بنو بكر بن وائل ، هذا وليس من شك في أن الأعشى هو أكبر مالك لأزمة
اللغة بين شعراء الجاهلية ، وإن المشاهد البهجة في قصائده تتم عن تأثير الشعراء
الساسانيين . ثم إن امرأ القيس بن حجر الأمير الكندي (حوالى ٥٠٠ - ٥٤٠ م)
أشهر شعراء العرب الجاهليين وأبعدهم أثراً ، قد كان نظير طرفة ، صاحب إحدى
القصائد النموذجية المعروفة بالمعلقات . ومعاصره عبيد بن الأبرص يمثل قمة مدرسة
أخرى من هذه المدارس .

١ العملة (١٢٤/١) ، بلوغ العرب (٨٣/٣) .

وقبل أن يتجرم القرن السادس ، كانت وحدة اللغة واتساق الاسلوب ، قد قطعاً مرحلة واسعة نحو التبلور . وقد تداخلت هذه المدارس عن طريق تجمع المقدرات وتوارد الصور الشعرية ، لكن هذا التطور لم يتسع فيشمل جماعات الشعراء التي عاشت الى جانب التيار الرئيسي الذي جرى فيه الشعر العربي . وأهم مدارس هذا العصر المتأخر هي مدرسة الشعراء الهذليين التي برزت آثارها ما بين سنة ٥٥٠ - ٧٠٠ م . وكان من الموضوعات التي اختصت بها هذه الجماعة وصف النحل والعسل . ومثل هذه الأوصاف قد استتبعت ضرباً من الخصبوبة في مشاهد الطبيعة لا سيما حيث ألحت بالشاعر الرغبة في جمع العسل البري .

ويشتمل ديوان الهذليين على قصائد كثيرة لأفراد ما نظموا الشعر إلا لماماً . ولا بد ههنا من التأكيد أنه كان الى جانب الشعراء (المحترفين) ، عدد عظيم من الشعراء (الهواة) والذين عمدوا ، بين الفينة والفينة ، الى التعبير بالشعر عن عواطفهم ورغباتهم . وهذا يعلل لنا ما نلجده دائماً من أبيات هي من حيث التأريخ وليدة عصر واحد ، لكنها ليست كذلك من حيث درجة الاتقان . فشعر غير المحترفين يغلب أن يكون دون شعر المحترفين بنحو من جيل على أقل تقدير . ولما لم تكن هذه الظواهر قد أخذت حتى الآن بالاعتبار الكافي ، فقد ساعد ذلك على استمرار الاعتقاد بمجمود الشعر القديم في سياقه الموحد . وقد بقي في مؤخرة الركب - لكن ثقافياً لا فنياً - الرجز الذي هو أقرب الى الأدب الشعبي . على أن الفاصل ما بين الرجز والقريض - وهو الشعر بالمعنى المعروف - قد ظل حاداً الى عهد متأخر جداً^١ .

وبعد، فهناك مسائل تتصل بتطور الشعر الجاهلي أرى ان من المستحيل حلها في الوقت الحاضر ، لعدم وجود أدلة علمية مقبولة يمكن أن يركن اليها لحل ما عندنا من عقد مستعصية ، مثل نشأة وتطور الشعر العربي ، وكيف نشأت القصيدة ، وعدد الأوزان والبحور العروضية التي سار عليها الجاهليون في وزن الشعر، والتزام القافية أو عدم التقيد بها في الشعر ، ومتى نشأت القصيدة ، ثم هل كانت لغة الشعر لغة واحدة ، خاصة كما نراها في الشعر الجاهلي المدون ، أم لم تكن، وانما كان الشعراء ينظمون بلهجاتهم من الوجهة اللفظية والنحوية والصرفية ، ولكن علماء

١ غرونيباوم (١٤٠ وما بعدها) .

الشعر في الاسلام ، هذبوا تلك الأشعار حتى جعلوها بلهجة واحدة ، هي اللهجة التي وصلت إلينا ، وإذا كان هذا هو ما جرى ، فما هي نسبة التحوير التي أوقعها العلماء على ذلك الشعر ؟

القديم والحديث :

مشكلة القديم والحديث ، وتصادم الحديث مع القديم ، وتفضيل الناس القديم على الحديث ، من المشاكل التي شغلت الانسان منذ ظهوره على سطح الأرض حتى اليوم . فالحديث ينافس القديم ، ليحل محله ، والقديم يصر على حقه في البقاء وفي جدارته في الخلود . والجيل الجديد يريد أخذ القيادة من الجيل القديم ، والجيل القديم لا يريد إعطائها لأحد إلا إذا كان من جيله ، لأنه أقدر في نظره على إدراك الأمور، وأكثر تجارباً وخبرة وحكمة من الأحداث جماع الجيل الجديد، مع ان كل قديم هو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله ، وكل جديد سيصير قديماً بالنسبة الى من يأتي بعده ، ولسبب آخر ، هو ان القديم، هو الحاضر المتنفذ ، فلا يهون عليه التنازل عن حقه لمستجد .

وقد شغلت هذه المشكلة أذهان الجاهليين ولا شك ، كما شغلت أذهان الاسلاميين . فشعراء العصر الأموي ، كانوا يرون في شعرهم إبداعاً لم يكن عند من سبقهم من المخضرمين والجاهليين ، غير ان الناس في أيامهم ، لم يكونوا يعطون شعرهم من التقدير ما أعطوه للشعر القديم ، كانوا يرونه (مولداً) بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين .

وكان الشعر القديم ، هو الشعر الممتاز المقدم عند علماء الشعر واللغة ، فكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته » لكنه لم يستشهد به ، ولم يجعل الجيد الممتاز من الشعر المولد في منزلة الشعر القديم ، لسبب واحد هو قديم الشعر الجاهلي . « قال الأصمعي : جلست اليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامي ، وسئل عن المولدين ، فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ،

ليس النمط واحداً ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح ، وقطعة نطع . هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : الأصمعي ، وابن الأعرابي ، أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم مَنْ قبلهم ، وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم الى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ، ثم صارت لاجاجة^١ .

وقد رجّع (الجاحظ) سبب هذا الركض وراء الشعر الجاهلي الى لاجاجة علماء اللغة في البحث عن كل شعر يستفاد منه في الشواهد ، إذ يقول : « ولم أرَ غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أرَ غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ، ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل »^٢ . ويقول : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي ، فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، (الألفاظ والمعاني العربية) ، فسألت الأنخض ، فلم يعرف إلا إعرابه ، فسألت أبا عبيدة فرأيت لا ينفذ إلا فيما انصل بالأخبار ، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب ، كالحسن بن وهب وغيره »^٣ .

لقد كان القدم ، هو المقياس الأول في تقدير الشعر في ذلك الحين . فالشعر القديم محبوب مطلوب ، مقدم على الحديث ، مهما كان في الشعر الحديث من إبداع في المعنى وفي القالب . قال عبدالله التميمي : « كنا عند ابن الأعرابي ، فأنشد رجل شعراً لأبي نواس أحسن فيه فسكت . فقال له الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : فقال : بلى ، ولكن القديم أحب الي »^٤ .

وقد بلغ من تعظيم بعضهم للقديم ، أنهم كانوا يرون المعاني على مقادير أصحابها من الشعراء ، فالمعنى الذي يكون لامرئ القيس يكون كامرئ القيس في اعتباره وإجلاله وتحميه أن يتلقى بالرد والمواجهة ، ولذا فشا الغلط بينهم في تفسير الشعر وأخذ منه التصحيف كل مأخذ^٥ .

فالقدم وحاجة العلماء الى الشعر القديم للاستشهاد به ، والبحث عن الغريب ، كانت كلها من العوامل التي أعطت للشعر القديم منزلة لم ينلها شعر المعاصرين ،

-
- ١ العملة (٩٠/١ وما بعدها) ، الخزانة (٣/١ وما بعدها) .
 - ٢ البيان (٢٤/٤) .
 - ٣ الرافعي (٤٢١/١) .
 - ٤ الموشح ، للمرزباني (٣٨٤) .
 - ٥ الرافعي (٤٢٠/١) .

فأغاظ ذلك الشعراء المحدثين ، وجعلهم يحقنون على علماء اللغة ، ويسخرون منهم ومن عروضهم ونحوهم ، ولم يخفف من غلواء هؤلاء العلماء إلا تغير الزمن ، وبرز الأدباء الذين نظروا الى الأدب نظرة أخرى ، نظرة تقدر (الجيد) من الشعر من غير نظر الى زمانه أو قائله .

ولابن قتيبة رأي في الشعر يخالف رأي (أبي عمرو بن العلاء) وأصحابه ، رأيته في قيمة الشعر رأي الجاحظ الذي ذكرته ، وقد عرضه بقوله : « رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله .

ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجية في أوله .

وقال : « ولم أسلك ، فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلّد ، أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين . وأعطيته كلاً حظّه ، ووفرت عليه حقه »^١ .

قال خلف الأحمر : قال لي شيخ من أهل الكوفة : أما عجبت من الشاعر قال :

أُنبتَ قيصوماً وجُثجاثا

فاحتُمِلَ له ، وقلت أنا :

أُنبتَ إجاباً وتفاحا

فلم يُحتمَل لي ؟^٢ .

ومن شدة عجب الناس بالشعر الجاهلي أنهم جعلوه انموذجاً لشعرهم ودليلاً لهم

١ الشعر والشعراء (١ / ١٠ وما بعدها) ، (دار الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ٢٢) .

وهادياً في أصول نظم الشعر ، من محافظة على مظهر القصيدة وعلى (عمود الشعر). وجعلوا الشكل الخارجي ، الذي رسم للقصيدة من ذكر الدبار والدمن والآثار الى آخر ما قالوه عن ترتيب المراحل التي يجب أن تمر بها القصيدة ، ثم عمود الشعر مقياسين ، قاسوا بموجبها الشعر الجيد من الشعر الرديء ، وميزوا بينها بهذين المقياسين . « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمناً الى المزيد »^١ .

وكان (الجاحظ) وهو من شيوخ الأدباء ، يرى مذهب الأديب في تقدير الشعر وتثمينه ، يرى أن الشعر بمواضع الحسن منه ، وبالمعاني الجليلة التي فيه ، وعلى الألفاظ العذبة التي تشتمله ، وفي ذلك يقول: « وقد أدركت رواة المسجدين والمريدين ؛ ومن لم يروِ أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة - فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفقر والتف من كل شيء ، ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسب عباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحر نسب الأعراب ، فصار زهدهم في نسب العباس بقلدر رغبتهم في نسب الأعراب ، ثم رأيتهم منذ سنين وما يروى عندهم نسب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتياني متغزل .

وقد جلست الى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نعيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد الى شعر في النسب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله .

ولم أرَ غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أرَ غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ، ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم - فقد طالت مشاهداتي لهم - لا يقفون على الألفاظ المتخيرة والمعاني المتشعبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك

١ الشعر والشعراء (٢١/١) .

الجيد، وعلى كل كلام له ماء وروث ، وعلى المعاني التي ان صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم ، وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ ، وأشارت الى حسان المعاني . ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم ، وعلى ألسنة حذاق الشعر أظهر ؛ ولقد رأيت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر ، وربما خُيل إليّ أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أن يقولوا شعراً جيداً ، لمكان إغراقهم في أولئك الآباء ، ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة، لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعتُ من أبي عبيدة ، ومن هو أبعدُ في وهمك من أبي عبيدة ١ .

وكانت نظرة المبالغة هذه في تقدير الشعر القديم من جملة العوامل التي حملت جهابذة العلماء الخبراء بأساليب الشعر الجاهلي المتقنين له على وضع الشعر على ألسنة الجاهليين وعلى اذاعته ونشره بين الناس . فقد وجدوا ان سوقه رائجة ، وان ما يقدمونه منه لطلابه يقدر تقديرأ عظيماً ، وان ما ينظمونه هم وينشرونه باسمهم لا ينال مثل ذلك التقدير . وقد يحفل به . وان بعض خلفاء بني أمية كان لهم عشق خاص بشعر الجاهلية ، وانهم كانوا يبحثون عنه ، واذا سمعوا بوجود راوية عرف بحفظه ذلك الشعر ، أرسلوا اليه ، ليتحفهم بما عنده ، ثم يجزلون له العطاء ، على حين كانوا لا يعطون على الشعر الذي ينظمونه أو ينظمه الشعراء الأحياء إلا قليلاً ، وإلا اذا كان مدحاً لهم وتزلفاً اليهم . فدفعهم حرصهم المادي هذا على صنع الشعر وإسناده الى الشعراء الجاهليين . وهم لو نسبوه اليهم لصار فخراً لهم ، يشمنه لهم من يجيء بعدهم ، ولكنهم ما كانوا ليحصلوا عليه شيئاً مغرباً ، ففضلوا المادة على الشهرة التي تأتي اليهم بعد الموت .

وقد اتخذ بعض علماء الشعر ورجال الأدب موقفاً وسطاً بين المحدثين ، من الشعراء الذين قيل لشعرهم : المولد، وبين الشعراء المتقدمين ، فقال (ابن رشيق) : « ليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً سفسفاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ، ولا أعرابياً جافاً ، ولكن حال بين حالين .

١ البيان والتبيين (٢٣/٤ وما بعدها) ، الرافعي (٤٢٣/١ وما بعدها) .

ولم يتقدم امرؤ القيس والنايفة والأعشى إلا بجلاوة الكلام وطلاوته ، مع
البعد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولاً عنهم ،
إذ هو طبع من طباعهم ، فالمولد المحدث - على هذا - إذا صح كان لصاحبه
الفضل البين بحسن الاتباع ، ومعرفة الصواب . مع أنه أرق حَوْكاً ، وأحسن
ديباجة^١ .

١ العمدة (١ / ٩٣) .

الفصل الثامن والاربعون بعد المئة

القريض والرجز والقصيد

ويقال للشعر : القريض وهو الاسم كالقصيد ، والقريض : قول الشعر خاصة ،
والتقريض صناعته . وقد فرّق (الأغلب العجلي) بين الرجز والقريض بقوله :

أرجزاً تريد أم قريضاً ؟ كليهما أجيدُ مستريضاً^١

وقد ورد أن أصحاب رسول الله كانوا يتقارضون ، أي يقولون القريض
وينشدونه . وورد أن (المنذر) ملك الحيرة حين أراد قتل (عبيد بن الأبرص)
قال له : أنشدني من قولك ، فقال عبيد : حال الجريض دون القريض ، فذهب
قوله مثلاً^٢ . و « قال النحاس : القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي
ليس برجز »^٣ .

ويلاحظ أن العرب وإن قالوا : « نظمتُ الشعر ونظمته » ، وقصدوا

١ اللسان (٢١٨/٧) وما بعدها ،

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

الأغاني (٩٧/١٤) ، تاج العروس (٧٥/٥) ، (قرض) .

٢ اللسان (٢١٨/٧) وما بعدها ، (قرض) .

٣ العمدة (١٨٤/١) .

بـ (النظم) الشعر ، وعرفتوا الشعر بأنه « منظوم الكلام »^١ ، غير أنهم كانوا يقولون أيضاً : « قال شعراً » ، و « وهو يقول الشعر » ، وفي القرآن : « وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون »^٢ ، و « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون »^٣ . ويقولون : قول شاعر .

والشعر في تعريف علمائه : « منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية » ، وهو « الكلام المقفى الموزون قصداً »^٤ ، ومن صيروا الكلام نوعين : كلام منظوم ، وكلام منثور . والفرق بينهما هو في وجود الوزن والقافية في الشعر ، وفي عدم وجودهما في الكلام المنثور . وتوجد هذه النظرة عند (أفلاطون) ، و (فيثاغورس) ، وهي تختلف بعض الاختلاف عن رأي (أرسطو) في الشعر^٥ .

« وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً أو قطعاً ، وأنه إنما قصّد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصّده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخسون سنة . ذكر ذلك الجهمي وغيره . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً ، وكان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أتى العجاج فافتنّ فيه فالأغلب العجلي والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد »^٦ .

والقصيد من الشعر ما تمّ شطر أبياته ، سمي بذلك لكماله وصحة وزنه . قال (ابن جني) : « سمي قصيداً لأنه قصد واعتمد وإن كان ما قصر منه واضطرب بناؤه نحو الرمل والرجز شعراً مراداً مقصوداً . وذلك ان ما تمّ من الشعر وتوفر أثر عندهم وأشدّ تقدماً في أنفسهم بما قصر واختل ، فسمّوا ما طال ووفر قصيداً ، أي مراداً مقصوداً ، وإن كان الرمل والرجز أيضاً مرادين مقصودين ،

١ اللسان (٥٧٨/٠) .

٢ الحاقة ، الآية ٤١ .

٣ الشعراء ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .

٤ اللسان (٤١٠/٤) ، (شعر) ، الصاحبى (٢٧٣) ، ارساد الساري (٨٨/٩) .

٥ Poetics, C. I, (1447A), Borinski, Die Antike in Poetik und Kunsttheorie, I, 43.

٦ بلوغ الأرب (٨٣/٣) ، العمدة (٨٩/١) وما بعدها ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

والجمع قصائد^١ . وذكر علماء الشعر : « سمي الشعر التام قصيداً ، لأن قائله جعله من بابه قصيداً ولم يحتسه حسيّاً على ما خطر بباله وجرى على لسانه ، بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده ، ولم يقتضبه اقتضاباً ، فهو فعل من القصد » . وقالوا شعر قصيد اذا تقح وجود وهذب^٢ .

جاء في قول شاعر :

قد وردت مثل الباني المزهاز تدفع عن أعناقها بالاعجاز
أعيت على مقصدنا والرجاز

يقال : أقصد الشاعر وأرمل وأهزج وأرجز ، من القصيد والرمل والهزج والرجز^٣ .

والرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء ، وهو الذي يرغبون به في عملهم وسوقهم ويتحدون به . هذا هو تعريفه عند بعض العلماء . وعرفه بعضهم : أنه بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفرداً ، وتسمى قصائده أراجيز ، واحدها أرجوزة ، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ، ويسمى قائله راجزاً كما يسمى قائل بحور الشعر شاعراً وعرفه آخرون أنه شعر ابتداء أجزائه سبيان ثم وتد، وهو وزن سهل في السمع ويقع في النفس^٤ . وذكر أن كل شعر تركيب الرجز سمي رجزاً^٥ . والرجز في الوقع سجع موزون . ونجد شبهاً في التوراة ، حيث ورد على ألسنة الحكماء العبرانيين في سفر الأمثال^٦ وعلى لسان بلعام الحكيم^٧ ، الذي جعله بعض العلماء لقمان الحكيم المذكور في القرآن .

-
- ١ تاج العروس (٤٦٧/٢) .
 - ٢ المصدر نفسه (٤٦٨/٢) .
 - ٣ تاج العروس (٤٦٦/٢) .
 - ٤ اللسان (٣٥٠/٥) وما بعدها ، (رجز) ، البيان والتبيين (١٨٤/٢) ، (١٣١٣) ، العملة (١٢١/١) وما بعدها ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية (١٨٦) .
 - ٥ اللسان (٣٥١/٥) .
 - ٦ الأمثال ، الاصحاح ٢١ ، الآية ٢٧ وما بعدها .
 - ٧ العدد ، الاصحاح ٢٢ ، الآية ٥ وما بعدها .

وذكر بعض العلماء ان الرجز انما سمي رجزاً لأنه تتوالى فيه في أوله حركة وسكون ثم حركة وسكون الى أن تنتهي أجزاؤه ، يشبه بالرجز في رجل الناقة ورعلتها ، وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن^١ ، وقيل سمي بذلك لتقارب أجزائه واضطرابها وقلة حروفه ، وقيل لأنه صدور بلا أعجاز. وقيل الرجز ضرب من الشعر معروف وزنه مستفعلن ست مرات ، فابتداء أجزائه سيبان ثم وقد ، ولذلك جاز أن يقع فيه المشطور وهو الذي ذهب شطره والمنهوك ، وهو الذي قد ذهب منه أربعة أجزاء وبقي جزءان^٢ . وذهب بعض العلماء الى ان الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور ، والمنهوك ، والمقطع^٣ .

وهو تام ومختصر . والمختصر ، أنواع : المجزوء والمشطور والمنهوك . وذكر ان الذي جرى على لسان الرسول من الرجز ضربان : المنهوك والمشطور^٤ .

والأرجوزة القصيدة من الرجز ، وهي كهياة السجع إلا انه في وزن الشعر ، والجميع أراجيز . ويسمى قائله راجزاً ورجزاً ، ورجازة ، ومرئجز^٥ . وقد فرق علماء الشعر بين الشاعر والراجز ، فأطلقوا لفظة (الشاعر) على من ينظم الشعر ، أي (القصيد) ، وأطلقوا كلمة (الراجز) على من يرتجز الرجز . فنجدهم يقولون : الأغلب الراجز ، والعجاج الراجز ، وأبو الزحف الراجز ودكين الراجز وغيرهم^٦ .

وقد اختلف العلماء في طبيعة الرجز ، فمنهم من جعله شعراً صحيحاً ، وضرباً من الشعر ، معروف وزنه ، ومنهم من جعله صنفاً من أصناف الكلام قائماً بنفسه ليس بشعر ، ولا بسجع ، وإنما مجازة مجاز الشعر . ونسب الى (الخليل) قوله : الرجز شعر صحيح في رواية ، وقوله : إنه ليس بشعر ، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث في رواية أخرى^٧ . ومردّد اختلافهم فيه هو ما ورد على لسان الرسول من الرجز المنهوك والمشطور ، وما ورد في القرآن الكريم من قوله : « وما علمناه

-
- | | |
|---|--|
| ١ | اللسان (٣٥١/٥) ، (رجز) . |
| ٢ | تاج العروس (٣٦/٤) ، (رجز) . |
| ٣ | العمدة (١٨٢/١) . |
| ٤ | اللسان (٣٥١/٥) . |
| ٥ | تاج العروس (٣٧/٤) ، (رجز) . |
| ٦ | الشعر والشعراء (٤٩٣/٢ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥٧٨) . |
| ٧ | تاج العروس (٣٦/٤) ، (رجز) ، اللسان (٣٥٠/٥) ، (رجز) . |

الشعر وما ينبغي له ^١ ، و « انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون » ^٢ . وما ورد في كتب الحديث والأخبار من أن الرسول لم يكن ينشد الشعر ولا يقوله وينظمه ، لأنه لم يكن شاعراً وما كان له أن يقوله ، وأنه إذا استشهد بالشعر ، لم يقمه على وزنه ، وإنما كان ينشد الصدر أو العجز ، ثم يجيء بالنصف الثاني على غير تأليف الشعر ، لأن نصف البيت لا يقال له شعر ولا بيت ، ولو جاز أن يقال لنصف البيت شعراً لقليل لجزء منه شعر . وقد جرى على لسان النبي : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . فلو كان شعراً لم يجر على لسانه ^٣ . وجاء على لسانه .

هل أنت إلا اصبعٌ دميت وفي سبيل الله ما لقيتُ

فالرجز اذن ليس شعر .

وقد ردّ من يقول إن الرجز شعر على قول من يقول إنه ليس بشعر ، بقوله : « معنى قول الله عزّ وجلّ : وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، أي لم نعلمه الشعر فيقوله ويتدرب فيه حتى ينشئ منه كتباً ، وليس في انشاده صلي الله عليه وسلم البيت والبيتين غيره ما يبطل هذا لأن المعنى فيه أنا لم نجعله شاعراً ^٤ ، مطبوعاً على نظم الشعر وقوله ، ولهذا فلا صلة لموضوع أصل الرجز ، هل هو نوع من الشعر ، أو ليس بنوع منه مع ما جاء من نفي الشعر عن الرسول .

وورد في الحديث ، ان الرسول كان يرتجز برجز (عبدالله بن رواحة الأنصاري) الشاعر النقيب ، وهو ينقل التراب يوم الخندق ويقول :

-
- ١ سورة يس ، الآية ٦٩ ، تفسير الطبري (١٨/٢٣) ، تفسير الألوسي (٤٣/٢٣) .
 - ٢ الحاقة ، الآية ٤٠ وما بعدها ، تفسير الطبري (٤١/٢٩) ، تفسير الألوسي (٥٢/٢٩) .
 - ٣ تاج العروس (٣٦/٤) ، (رجز) ، ارشاد الساري (٨٨/٩) ، اللسان (٣٥٠/٥) ، (رجز) .
 - ٤ العمدة (١٨٥/١) .
 - ٥ تاج العروس (٣٦/٤) وما بعدها ، (رجز) ، اللسان (٣٥٠/٥) وما بعدها ، تفسير القرطبي (٥٢/١٥) وما بعدها .

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا^١

ورويت الأبيات بصورة أخرى . فقد روي انه « لما خرج عامر بن الأكوع
الى خيبر جعل يرجز بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسوق به الركاب ، وهو
يقول :

تا الله لولا الله ما اهتدينا وما تصدقنا ولا صلينا
الكافرون قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أينا
ونحن عن فضلك ما استغينا فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا^٢

وموضوع أصل الرجز اذن ، موضوع ظهر في الاسلام ، لما ورد في الأخبار
من ارتجاز الرسول بعض الرجز ، ولما ورد في القرآن الكريم وفي الحديث من نفي
قول الشعر ونظمه عنه . فرأى فريق من العلماء لإخراج الرجز من الشعر ، لما يبتته
من أسباب . ورأى فريق آخر ، ان الرجز جزء من الشعر ، وان ارتجاز الرسول
الرجز ، لا يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم ، لأن الرسول لم يتدرب عليه
ولم يتعلمه ولم ينشأ منه أراجيز ، وانما ارتجز منه قليلاً من غير قصد ولا عمد ،
ولا علاقة لذلك بالانكباب على تعلم الشعر والتخصص به . والدليل على ان الرجز
نوع من أنواع الشعر ، هو ما يرويه أهل الأخبار أنفسهم من أن قريشاً اجتمعوا
الى (الوليد بن المغيرة) وكان ذا سن فيهم ، ليتدبروا أمر الناس اذا حضر
الموسم ، ولإيجاد جواب موحد لهم في أمر القرآن وفيما يجب قولهم فيه . فلما قالوا
له : نقول انه قول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهـان
فما هو بزممة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون
لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول
شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه

١ ارشاد الساري (١٥٧/٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٦/١) وما بعدها .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٧/١) .

ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر^١ . فالرجز - إن صح هذا الخبر - هو مثل
الفرج والقريض والمقبوض والمبسوط صنف من أصناف الشعر ، ولون من ألوانه ،
ومن هذه الأصناف المذكورة تكون الشعر في نظر الجاهليين .

فالرجز إذن صنف من أصناف الشعر ، وبجر من بحوره ، له وزن وإيقاع ،
هكذا كانت نظرة أهل الجاهلية إليه . وهو في الواقع شعر . و « الرجز شعراء
عند العرب وفي متعارف اللسان »^٢ .

« وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز ، ألا ترى أن
كل مقصد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز
يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عمّ المقصد والراجز فهو بالمقصد أعلق ،
وعليه أوقع ، فليل لهذا شاعر ، ولذلك راجز ، كأنه ليس بشاعر ، كما يقال
خطيب أو مرسل أو نحو ذلك »^٣ .

ولسهولة الرجز على اللسان لم ينظر إليه نظرة إكبار مثل نظرهم إلى الشعر .
هذا (أبو العلاء) المعري ، يجعل جنة الشعراء جنة سامقة ، لها بيوت عالية ،
أما جنة الرجز ، فجنة أبياتها ليس لها سموق أبيات الجنة ، جعل فيها : أغلب
بني عجل ، والعجاج ، ورؤية ، وأبو النجم ، وحيد الأرقط ، وعذافر بن
أوس ، وأبو نخيلة ، ثم يقول : « تبارك العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث
المروي : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها . وإن الرجز لمن سفاسف
القريض ، قصرتم أيها نفر فقصر بكم »^٤ .

وبعد الرجز من أقدم أنواع الشعر ، ومن أبسطه وأيسره على الإنسان . ثم
هو خفيف على النفس ، فيه طرب وتأثير ، وهو مطاوع يؤدي أغراضاً مختلفة ،
ويصلح لأن يعبر عن أحاسيس متنوعة ، حتى يكاد أن يكون مطيعة الشعراء ،
يركبها كل من له طبع وذوق وحس مرهف ، ومن هنا صار شعر من كان
لا يقول الشعر أو لا يحضره إلا في الملل والأزمات .

-
- ١ الروض الأنف (١٧٣/١) ، اللسان (٣٥٠/٥) .
 - ٢ العمدة (١٨٥/١) .
 - ٣ العمدة (١٨٦/١) .
 - ٤ رسالة الغفران (٣٧٣ وما بعدها) .

وهو في نظري أقدم من (القصيد) ، لأنه أبسط منه وأسهل على النظم ، فهو يمثل المرحلة الأولى من مراحل الشعر المألوف . وقد تكون سهولته في النظم ، هي التي جعلت كبار الشعراء يأنفون من النظم به ، فهو باب يمكن أن يلجّه الشعراء الصغار ، وربما يتغلبون به على كبار أهل القصيد ، ولعل سهولته هذه قصرت في عمره ، إذ جعلت الذاكرة تنساه بسرعة ، لسهولته هذه ، كما يسرع نسيان السجع والكلام الاعتيادي من الذاكرة . فضاع بسبب ذلك الرجز الجاهلي ، ولم تبق منه غير بقية قليلة .

واستعمل الرجز في أحوال البديهة والارتجال ، وقد ارتجز في القتال ، وفي الحداء والمفاخرة ، وما جرى هذا المجرى ، واستعمل في الأعمال التي تحتاج إلى تنشيط واثارة همم ، لما فيه من ملاءمة لذلك . فلما بنى المسلمون مسجد الرسول بالمدينة ، وكان الرسول يحمل (اللبن) معهم ، كان الصحابة يرتجزون الرجز لإثارة الهمم وللتخفيف من وطأة العمل . قال « أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز اليتيم والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فاخر، حتى كان العجاج أول من أطاله وقصّده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد . فكان في الرجز كأمريء القيس في الشعراء ... وقال غيره : أول من طوّل الرجز الأغلب العجلي ، وهو قديم ، وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ، ولا أظن ذلك صحيحاً ، لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك »^١ .

ويعد (الأغلب بن جشم بن عمر بن عبيدة بن حارثة العجلي) أول من نما بالرجز منحى القصيد ، فأسبغه وأطاله . وهو من المخضرمين . وقد قتل بنهارند سنة (٥٢١هـ) . وهو الذي جاء إلى (المغيرة بن شعبة) ، فقال له :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هينا موجوداً

وكان الخليفة (عمر) - على ما يذكره أهل الأخبار - كتب إلى المغيرة وهو

١ العمدة (٨٩/١ وما بعدها) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الأغاني (١٦٤/١٨) .

على الكوفة أن استنشد من قبلك من الشعراء عما قالوه في الإسلام مكان الشعر ، فكتب بذلك الى (عمر) فكتب اليه أن أنقص من عطاء الأغلب خمسمائة فزدها في عطاء ليبيد^١ .

وروي أن (العجاج) ، وهو (عبدالله بن ربيعة بن ليبيد بن صخر بن كثيف بن عمرو) أبو الشعثاء التميمي ، والد الشاعر (ربيعة) ، هو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد ، وجعل له أوائل^٢ . وهو من شعراء الإسلام ، وكان يفد على ملوك بني أمية من أمثال الوليد بن عبد الملك^٣ ، وسليمان بن عبد الملك^٤ . وهو قليل ورود في شعر الشعراء الجاهليين ، فقلما استعمل (نوابغ الشعراء في زمان الجاهلية) « الرجز » ، كأنه ليس أهلاً لمتزلتهم. بقي ديوان امرئ القيس لا نعر إلا على أربع مقطعات صغيرة منه . أعني اثنتين من المشطور واثنتين من غير المشطور . وأكثر من امرئ القيس ارتجاءً لبيد بن ربيعة من الذين أدرکوا الإسلام تنسب اليه خمس عشرة مقطعة في الرجز المشطور ، تدور على المفاخرة والحكمة والمعاتبة والمديح والرثاء ، وتشتمل إحداها وهي أطولها على ستة عشر بيتاً .

أما دواوين النابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة الفحل ، فلا شيء فيها من الرجز . وعلى كل حال لم يكن الارتجاء في زمان الجاهلية إلا بصفة قطع صغيرة يقولها الناس غالباً في الهجاء أو في الحرب وعند اللقاء . أما في القرن الأول للهجرة ، فأخذ بعض الشعراء من الفحول ينظمون الشعر في ذلك البحر المحقّر فإلى هذا التغير أشار ابن رشيقي القيرواني في كتاب العمدة حين قال : قال أبو عبيدة إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصّده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها

-
- ١ المؤلف والمختلف (٢٢) ، طبقات الشعراء (١٤٨ وما بعدها) ، الأغاني (١٦٤/١٨ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (٢٢٥/١) ، الشعر والشعراء (٥١١/٢) ، الإصابة (٧١/١) ، (رقم ٢٢٥) ، الخزانة (٢٣٣/١) ، أسد الغابة (١٠٥/١) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤٩/١) .
 - ٣ بروكلمن (٢٢٦/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٤٩٣/٢) .

وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجز
كامرئ القيس في الشعراء . وقال غيره أول من طوّل الرجز الأغلب العجلي ،
وهو قديم . وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ، ولا أظن ذلك صحيحاً ،
لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم
من ذلك .

ولكن لا شك في وقوع سهو في آخر كلام ابن رشيّق ، لأنه من الواضح
أن الجمحي إنما أراد بقوله استعمال بحر الرجز في نظم الشعر مثل القصائد ، فليس
من الممكن أن رجلاً عالماً بتاريخ الشعر ودقائقه مثل الجمحي جهل ما هو متداول
عند كل العلماء أن الرجز من أقدم فنون الشعر عند عرب الجاهلية . وقول الجمحي
صواب تؤيده عدة نصوص منها شهادة العجاج من أشهر شعراء الأراجيز السدي
قال مفتخراً :

وإن يكنْ أُمسَى شبابي قد حَسِرَ وفترت مِنّي البواني وفتر
لاني أنا الأغلبُ أضحى قد نُشِرَ

يعني أنه أحيا طريقة شعر الأغلب . وهو الأغلب بن جشم العجلي عاش في
الجاهلية مدة وأدرك الاسلام وأسلم وله شعر في سجاح لما تزوجت مسيلمة
الكذاب^١ .

و (المزج) نوع من أعاريض الشعر ، من الأغاني وفيه ترنم^٢ . وهو باب
معروف من أبواب الشعر عند الجاهليين ، كباب الرجز ، بدليل جعل (الوليد
ابن المغيرة) إياه صنفاً من أصناف الشعر . وقد عرف من كان يقول المزج بـ (المزاج)
و (أهزج) إذا هزج المزج ، أي قال به . والمزاجون طبقة امتازت عن
غيرها بقولها المزج ، وكانوا يرددونه ترديد الغناء ، ولذلك عدّ من الأغاني ،
وقالوا : المزج صوت مطرب . قيل سمي بذلك تشبيهاً بهزج الصوت ، وقيل
لطيه لأن المزج من الأغاني^٣ . فهي إذن من الشعر الغنائي « Lyric » .

١ كارلو ناليو ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٨٦ وما بعدها) .

٢ اللسان (٣٩٠/٢) وما بعدها ، (هزج) .

٣ تاج العروس (١١٦/٢) ، (هزج) .

وقد استعمل العرب الهزج في أناشيد التنشيط للقتال ، وفي المناسبات العامة ، مثل الأفراح ، والتجمعات ، حيث يترنم القوم جاعة بأنغام الهزج ، فالهزج شعر مقرون بغناء وترنيم .

و (الرمل) من الشعر كل شعر مهزول غير مؤتلف البناء . قال بعض العلماء عنه : « وأما الرمل فإن العرب وضعت فيه اللفظة نفسها ، عبارة عندهم عن الشعر الذي وضعه أهل الصناعة ، لم ينقلوه نقلاً علمياً ولا نقلاً تشبيهاً . وبالجملة فإن الرمل كل ما كان غير القصيد من الشعر وغير الرجز »^١ . وقد أخذ علماء العروض اللفظة والمعنى كما سمعوها من العرب ولم يحدثوا عليها أي تغيير . مما يدل على أنه كان من الأبواب المميزة المعروفة عند الجاهليين . وذلك مثل الرجز والقصيد^٢ ، والمقبوض والمبسوط ، على نحو ما ذكرت قبل قليل .

وأما (القصيد) من الشعر ، فإتم شطر أبياته أو شطر أبيته ، سمي بذلك لكماله وصحة وزنه . سمي قصيداً لأنه قصد واعتمد ، وإن كان ما قصر منه واضطرب بناؤه نحو الرمل والرجز شعراً مراداً مقصوداً ، وذلك إن ما تم من الشعر وتوفر أثر عندهم وأشد تقدماً في أنفسهم مما قصر واختل ، فسموا ما طال ووفر قصيداً، أي مراداً مقصوداً، وإن كان الرمل والرجز أيضاً مرادين مقصودين^٣ . وقيل « القصيد من الشعر المنتقح المجود المهذب الذي قد أعمل فيه الشاعر فكرته ولم يقتضبه اقتضاباً كالقصيدة »^٤ .

والقصيد ، جمع القصيدة ، وقيل : الجمع قصائد وقصيد . سمي قصيداً لأن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار ، وقالوا : سمي الشعر التام قصيداً لأن قائله جعله من بابه فقصد له قصداً ولم يحتسه حسياً على ما خطر بباله وجرى على لسانه ، بل روي فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضاباً^٥ . ويقال قصد الشاعر وأقصد ، إذا أطال وواصل عمل القصائد . والذي في العادة أن يُسمى ما كان على ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر قطعة ، فأما ما زاد

١ اللسان (٢٩٦/١١) ، تاج العروس (٣٥١/٧) ، (رمل) .

٢ اللسان (٢٩٦/١١) .

٣ اللسان (٣٥٤/٣) ، (قصد) ، تاج العروس (٤٦٧/٢) ، (قصد) .

٤ تاج العروس (٤٦٨/٢) .

٥ اللسان (٣٥٤/٣) ، (قصد) .

على ذلك فإنما تسميه العرب قصيدة^١ . « وقيل : إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإبطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس .. ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بيت واحد . ويستحسنون أن تكون القصيدة وترّاً ، وأن يتجاوز بها العقد ، أو توقف دونه^٢ . فالقصيدة إذن كلمة طويلة بالنسبة إلى القطعة ، فيها وحدة أطول هي وحدة القصيدة ، التي تعرف بمتافيتها^٣ . ويعبر عنها بلفظة (كلمة) (الكلمة) مجازاً ، كما عبر عنها في المؤلفات القديمة^٤ .

وينسب إلى (الأخفش) قوله : « القصيد من الشعر هو الطويل ، والبسيط التام ، والكامل التام ، والمديد التام ، والوافر التام ، والرجز التام ، والخفيف التام ، وهو كل ما تغنى به الركبان ، ولم نسمعهم يتغنون بالخفيف^٥ . » (والقصيد) مواصلة الشاعر عمل القصائد وإطالته كالإقصاد . قال الشاعر :

قد وردت مثل الباني المزهار تدفع عن أعتاقها بالاعجاز
أعيت على مقصدنا والرجاز^٦

وكلمة (قصيدة) من الكلمات المستعملة في الشعر الجاهلي . جاء أن أحد شعراء (بكر بن وائل) سخر من تغلب لما كانت تتباهى به من ترديدها لقصيدة شاعرها (عمرو بن كلثوم) في مدح نفسه وقومه ، فقال :

ألمني بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم^٧

وورد في شعر للمسيب بن علس قوله :

فلاهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعقاع^٨

-
- | | |
|---|---|
| ١ | اللسان (٣٥٥/٣) ، تاج العروس (٤٦٧/٢) ، (قصد) . |
| ٢ | العمدة (١٨٩/١) . |
| ٣ | بروكلمن (٥٨/١) . |
| ٤ | الآمدي ، المؤلف (١٠٦) ، ابن سلام ، طبقات (٢٧) ، ابن سعد (١٧٦/٣) . |
| ٥ | تاج العروس (٤٦٧/٢) ، (قصد) . |
| ٦ | تاج العروس (٤٦٦/٢) ، (قصد) . |
| ٧ | الآغانى (٥٤/١١) . |
| ٨ | المفضليات (٦٢) . |

فاللفظة إذن من الألفاظ التي استعملها الجاهليون ، بمعناها المفهوم . وقد بحث في أصلها علماء اللغة ، وذهبوا في تفسيرها مذاهب^١ . وللمستشرقين كلام في أصلها وفي معناها . ذهب بعض منهم إلى أنها من القصد والغرض ، وأنها قيلت في شعر الطلب أولاً ، ثم أطلقت على كل شعر آخر ، ولهذا اقترح بعضهم ترجمتها بـ (شعر الطلب) أو (شعر التسول) ، وعارض هذا التفسير بعض آخر ، لأن التسول في رأيهم لم يكن الغرض الأول من نظم الشعر ، وإنما كان غرضاً من أغراضه ، ثم إن أقدم الشعراء الذين قصّدوا القصائد لم يكونوا من الشعراء المتسولين ، وإنما كانوا من المترفعين المتعاليين ، ولهذا رفضوا تفسير القصيد بشعر التسول والطلب^٢ ، وقال (بروكلمن) : « إذا صح أن لفظ القصيد بعيد القدم ، فمن الممكن أن يكون الغرض والقصد بحسب الأصل غرضاً من أغراض السحر ، وكثيراً ما صار غرضاً سياسياً في وقت متأخر ، ثم صار يستعمل بأوسع معاني الكلمة في جميع أغراض الحياة الاجتماعية ، وإن كان من الحق أنه استعمل أيضاً منذ عهد قديم في أغراض أنانية محضة »^٣ .

وتعرف (القصيدة) بـ (القافية) كذلك . واستشهد العلماء على ذلك بقول الخنساء :

فنهكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وبقول آخر :

نبئت قافية قيلت تناشدها قوم سأترك في أعراضهم ندبا

وذكروا ان (القافية) في قول حسان بن ثابت :

فنهكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

قد تعني (القصيدة) ، وقد تعني البيت منها . « قال الأزهري : العرب

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٥٩/١) ،
Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 10.

٢ بروكلمن (٥٩/١) .

تسمي البيت من الشعر قافية ، وربما سموا القصيدة قافية ، ويقولون رويت لفلان كذا وكذا قافية^١ . والقافية هي (ميقف) في العبرانية .

وأطلقت على القصيدة لفظة (كلمة) ، وقد استعملها (ابن سلام) في مواضع من كتابه (طبقات الشعراء) . فتجده يقول : « ومن شعر حسان الراثع الجيد ما مدح به بني جفنة من غسان ملوك الشام في كلمة » ، ثم ذكر القصيدة ، ثم يقول : « وقوله في الكلمة الأخرى الطويلة »^٢ ، و « قال في يوم أحد كلمة قال فيها »^٣ ، ويقول « وكان أبو الصلت بمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة في كلمة قال فيها »^٤ ، و « السموأل بن عادياض يقول في كلمة له طويلة »^٥ ، ووردت في مواضع عديدة أخرى بهذا المعنى وفي بقية كتب الشعر والأدب .

وتألف القصيدة من أبيات . والبيت هو بيت الشعر^٦ . ويتكون البيت من شطرين . و (الشطر) نصف الشيء . فشطر البيت نصفه^٧ . والبيت في القصيدة الجاهلية وحدة معنوية مستقلة قائمة بذاتها ، إذا انتزعت بيتاً منها ، أو تركت بيتاً ، أو قلمت فيها بيتاً على بيت ، أو أخرت في أبياتها ، فلأنك لا تكاد تفصم عرى القصيدة ولا تؤثر على ترابط معناها في الغالب ، لأن كل بيت منها وحدة قائمة بذاتها لا تتصل بما قبلها أو بما بعدها إلا بسبب الوزن والقافية .

وقد عرفت بعض الأبيات بالأوابد . والأوابد من الشعر : الأبيات السائرة كالأمثال^٨ . وذكر أن الأوابد الشوارد من القوافي^٩ ، ورد في كتب اللغة : « ومن المجاز أبد الشاعر يأبد أبوداً ، إذا أتى العويص في شعره . وهي الأوابد والغرائب وما لا يعرف معناه على بادئ الرأي »^{١٠} .

-
- ١ تاج العروس (١٠ / ٣٠٠) ، (قفو) .
 - ٢ (ص ٥٣ ، ٥٤) .
 - ٣ طبقات (٥٨) .
 - ٤ طبقات (٦٦) .
 - ٥ طبقات (٧١) .
 - ٦ تاج العروس (١ / ٥٣٠) ، (بيت) .
 - ٧ تاج العروس (٣ / ٢٩٨) ، (شطر) .
 - ٨ العملة (٢ / ١٨٥) .
 - ٩ اللسان (٣ / ٦٩) ، (أبد) .
 - ١٠ تاج العروس (٢ / ٢٨٦) وما بعدها ، (أبد) .

وتكون القصائد طويلة في الغالب ، أما (القطع) ، فهي أقصر من القصيدة . وقد كان (ابن الزبيرى) ، لا ينظم القصائد الطوال ، ويميل الى القطع ، وكان عذره « ان القصار أولج في المسامع ، وأجول في المحافل » . وللشعراء الطوال والقصار ، كل حسب المناسبة^١ . وقد اختتمت بعض القصائد الجاهلية بالحكم والأمثال وبالأقوال المأثورة . وللقصائد الطوال المحبوبة حبكاً حسناً ، والمنظومة نظماً جيداً ، سابقة وقدم على مثيلاتها من القصائد الوسط أو القصيرة ، ومن هنا اختار (حماد) الراوية (السبع الطوال) (السبع الطول) من الشعر الجاهلي ، وزعم في أصلها ما زعم . ونظم القصيدة الطويلة ، يحتاج الى نفس طويل ، وإلى تمكن من الشعر ، وإلا أصابها الوهن والعجز ، ومن هنا عدّ أصحاب المطولات الجيدة من أحسن الشعراء .

وقد ذهب (غرونيبوم) الى أن القصيدة العاشرة من القصائد المنسوبة الى (عمرو بن قتيبة) ، ربما تكون أقدم قصيدة تامة وصلت الينا من الشعر الجاهلي ، « على أنها لم تكن بعد نفي بجميع مقتضيات النقاد النظريين ، لأنها لا تشمل ، في الأبيات التسعة عشر التي تلي النسيب ، إلا على وصف سحابة ممطرة ، ومدح رجل يدعى امرأ القيس بن عمرة . ولو أن هذه القصيدة تأخرت عن العصر ، بوقت قصير ، لاعتبرت أثراً غثاً . وليس السبب في ذلك أن عدد أبيات القصيدة من بعد قد ازداد الى ضعفين أو ثلاثة أضعاف ، أو بلغ أو جاوز المائة ، وإنه هو في كثرة المشاهد التي حشدت حتى تحققت هذه المنظومات الرائعة . ومن شواهد ذلك قصيدتان للأعشى (حوالى ٥٦٥ - ٦٢٩ م) هما الأولى والسادسة من ديوانه ، وأولى قصائد أبي ذؤيب الهللي (ت حوالى ٦٥٠ م) ، وفيها تصوير لسلطة القدر المحتوم في ثلاثة مشاهد مؤثرة تمثل مصرع حمار الوحش القوي وثور الوحش الهائج ، والفارس الشاكي السلاح المستجن بدرعه . وإذا كان الحافظ لقول القصيدة هو وفاة ابن الشاعر ، فقد جمعت هذه القصيدة جمعاً موقفاً بين مزايا المراثية وخصائص القصيدة^٢ .

وقد بلغ الشعر الجاهلي ذروته عند ظهور الاسلام . كان الشعراء في هذا العهد ينظمون القصيد ببحوره التي ضببط وثبتت في الاسلام ، في مقاصد أشرت اليها

١ العمدة (١٨٦/١ وما بعدها) .

٢ غرونيبوم (١٣٩) .

في موضع آخر من هذا الجزء من الكتاب ، كما كانوا قد طوّروا الرجز وتفننوا فيه . وقد أدى ظهور الاسلام الى إحداث تغير في نمط نظم القصائد ، لأن الاسلام حدث تأريخي جاء برأي في شؤون الحياة جديد ، فكان لا بد للشعراء من مجاراة هذا التيار الفكري ، لا سيما بعد خروج العرب من جزيرتهم وانتشارهم في أرضين جديدة غنية ، وحكمهم لأقوام كانت لهم حضارة ، فكان لا بد من تأثر النفس بالوضع الجديد ، والشعر تعبير عن النفوس والأحاسيس .

والقافية من الشعر الذي يقفو البيت ، سميت قافية لأنها تقفوه ، أو لأن بعضها يتبع أثر بعض . وقيل : هي آخر كلمة في البيت ، أو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وهو المسمى رويًا . وعرف (الخليل) القافية بقوله : « القافية من آخر حرف ساكن فيه ، أي في البيت ، الى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن »^١ . وأرى ان هذا التعريف قد أخذه (الخليل) من أهل الكتاب . فالقافية بهذا التعريف تقابل Maqqeph (مقف) (مقيف) عند العبرانيين^٢ ، و (المقيفات) هي التي تحدد الشعر ، وتجعل من الكلام المؤلف من (مقيفات) شعراً ، ولا يستبعد استعمال الجاهليين لهذا المصطلح استعمال العبرانيين والسيان له ، فلما دون (الخليل) علم العروض أخذ هذا المصطلح منهم ، ودليل ذلك ورود لفظة (قافية) و (القوافي) في الشعر قبل أيام الخليل^٣ ، ثم اختلاف العلماء وتباين آرائهم في معنى القافية^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن (مهلهل بن ربيعة) ، وهو خال (امرئ القيس) الشاعر ، وجد (عمرو بن كلثوم) هو أول من قصد القصائد . وقد قال (الفرزدق) فيه :

ومهلهل الشعراء ذاك الأول^٥

فهو أول شعراء القصائد ، وهو متقدم على (امرئ القيس) .

-
- ١ تاج العروس (٣٠٠/١٠) ، (قفو) .
 - ٢ Hastings, p. 737.
 - ٣ تاج العروس (٣٠٠/١٠) ، (قفو) .
 - ٤ نزهة الجليس (١٢٠/١) .
 - ٥ العمدة (٨٧) ، الشعر والشعراء (١٦٤) .

ويرى (فون غرونباوم) ان الشعراء حرصوا منذ حوالى السنة ٥٠٠ م على التصريح في المطلع ، ثم التزم قافية واحدة في جميع أبيات القصيدة ، من أولها الى آخرها ، بحيث يسوغ القول : إن القافية الواحدة أدل على وحدة القطعة الشعرية من المعاني الواردة فيها .

« ويتجلى في أقدم المحفوظ من الشعر العربي تنوع عظيم في الوزن ، وصقل بارع في التعبير اللغوي . وهذا يعني أنه كان قد نشأ ، قبل ذلك ، مذهب شعري ينص على التنوع والصقل المشار اليهما . وأخذت الأقطار المختلفة تؤثر أوزاناً مختلفة ، ويكاد يكون من المرجح أن الفرس قد تركوا ، في شعر الأقدمين من شعراء العراق ، تأثيراً بالغاً في الطريقة الفنية . فهناك وزن على الأقل ، امتاز بهما هؤلاء الشعراء هما الرمل والمتقارب ، وربما زدنا اليهما الخفيف . ويبدو أنها جميعاً اقتبست من أصول فارسية بهلوية ، وحورت بما يلائم الأوضاع العربية .

وربما كان للسريان فضل ما في وضع المصطلحات الفنية الأولى مثل كلمة (البيت) أي (الخيمة) لتدل على الوحدة الجزئية من القصيدة . لكن كان لنظرية الفن العروضي ، على العموم نشأة مستقلة ، فالخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ - ٧٩١ م) ، وضع قواعد العروض العربي بعد ذلك بزمان طويل ، وقد بقيت قواعده معتمد الأدباء عبر القرون . فقد أقر الخليل ستة عشر وزناً ، واطرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها . ثم إنه جرى على طريقة ، جرى عليها النحاة من بعد في الرمز الى صيغة اللفظة ، فأشار الى وحدة الإيقاع الشعري بصيغة مشتقة من فعل « ١ » .

وقد تكلف الناس كثيراً ، وحملوا أنفسهم حملاً ثقيلاً ، باعتذارهم عن أمور متكلفة وردت في شعر زعم انه كان للقدماء من الشعراء ، فالتصريح مثلاً ، اذا كثر استعماله في القصيدة دل في نظر العلماء بالشعر على التكلف ، إن كان من المحدثين ، أما اذا كان من المتقدمين ، فلا يعد متكلفاً في نظرهم ، واعتلوا عنه بأنه جرى على عادة الناس ، لئلا يخرج عن المتعارف . ومن هذا القبيل التصريح المنسوب الى امرئ القيس :

١ غرونباوم (١٣٤ وما بعدها) .

تروح من الحى أم تبتكر وماذا عليك بأن تنتظر
أمرخ^١ خيامهم أم عشر أم القلب في إثرهم منحدر
وشاقلك بعن الخليط الشطر وفيمن أقام من الحى هر^٢

ونسبوا الى (امرئ القيس) (المسمط) من الشعر . والشعر المسمط الذي يكون في صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ، وتجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيد حتى تنقضى . وقيل : أبيات مشطورة تجمعها قافية واحدة ، وهو الذي يقال له عند المولدين (المخمس) . ومن أنواعه المسبح والمثنى ، وقيل المسمط من الشعر أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات . وقيل المسمط من الشعر ما قفى أرباع بيوته وسمط قافية مخالفة . يقال : قصيدة مسمطة وسمطية . ومن الشعر المسمط المنسوب الى امرئ القيس قوله :

ومستلثم كشتت بالرمح ذيله أقمت بعضب ذي سفاسق ميله
فجعت^٣ به في ملتقى الخيل خيله تركت عتاق الطير تحجل حوله
كأن على أثوابه نضح جريال

ونسب له قوله :

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرايع من هند خلعت ومصايف^٤ يصيح بمغناها صدى وعواضف
وغيرها هوج^٥ الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال^٦

وتعرض (المعري) للتسميط في رسالة الغفران ، حين التقى بامرئ القيس ، فسأله : « أخبرني عن التسميط المنسوب إليك ، أصبح هو عنك ؟ وينشده الذي يرويه بعض الناس :

١ العمدة (١٧٤/١) .

٢ تاج العروس (١٦١/٥) ، (سمط) ، (كان على سرباله ، نفح جريال) ، اللسان ٣٢٢/٧ وما بعدها) ، (سمط) .

يا صحننا عرجوا تقف بكم أسج
مهرية دُلُج في سيرها مُعج
طالت بها الرجل
فعرّجوا كلهم والمهم يشغلهم
والعيس تحملهم ليست تعللهم
وعاجت الرمل
يا قوم إن الهوى إذا أصاب الفتى
في القلب ثم ارتقى فهدّ بعض القوى
فقد هوى الرجل

فيجيب (المعري) على لسانه بقوله : « لا والله ما سمعت هذا قط ، وإنه
لقرى لم أسلكه ، وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام ،
ولقد ظلمني وأساء إليّ ! أبعد كلمتي التي أولها :

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وقولي :

خليلي مرّاً بي على أم جندب لأقضي حاجات القواد المعذب

يقال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهذا الوزن من أضعف
الرجز ،^١ .

ونسبوا إليه كثرة التصريح في غير أول القصيدة ، وكثرة استعمال الضرب
المقبوض في الطويل ، وكثرة الإقواء في القافية^٢ . ويعد الإقواء من عيوب الشعر ،
غير أننا لا نستطيع مجازاة علماء العروض في هذا الرأي ، إذ يجوز ألا يكون الإقواء
عيباً عند أهل الجاهلية ، وإنما صار عيباً في الإسلام ، بعد تثبيت قواعد اللغة
والبحور . ونجد هذا الرأي مثبتاً في رسالة الغفران .

١ رسالة الغفران (٣١٩ وما بعدها) .

٢ بروكلمن (٩٩/١) .

ولا يمكن أن نصور ان القصائد الجاهلية الطويلة قد نظمت على نحو ما يروها أهل الأخبار ، دون اجراء أي تغيير أو تحوير عليها . فقد كان الشاعر يفعل فينظم قصيدته ويحفظها راويته ويذيعها بين الناس ، ثم يحدث أن تخطر له خواطر أو يسمع نقداً لبعض أبياتها ، أو توجيهاً يبيده له بعض أصدقائه أو يسمع تنبيهاً موجهاً اليه بوجود شيء في قصيدته غفل عنه ، فيجري بعض التغيير عليها من تعديل أو زيادة أو نقصان ، قد يحفظ ويروى ، وقد يهمل ويترك ، ولهذا فنحن لا نستطيع الإدعاء : ان نظم القصائد كان نظماً تاماً ، لم يشمله أي تعديل أو تبديل، وان الشاعر لم يكن ينشد قصيدته إلا بعد أن يكون قد اطمأن منها وضبطها ضبطاً تاماً .

« ومن الشعراء من يحكم القريض ولا يحسن من الرجز شيئاً ، ففي الجاهلية منهم : زهير ، والنابغة ، والأعشى . وأما من يجمعها فامرؤ القيس وله شيء من الرجز ، وطرفة وله كمثل ذلك ، وليد وقد أكثر »^١ .

وليس في استطاع أحد اثبات ان البحور المدونة في علم العروض ، هي كل محور الشعر الجاهل وأوزانه ، لم يهمل منها وزن ، ولم ينس منها بحر ، لأن على من يدعي هذه الدعوى ، إثبات ان الاسلاميين الذين جاءوا بعد الجاهليين قد أحاطوا علماً بكل الشعر الجاهلي ، وانهم أحصوه عدداً ، فلم يتركوا منه بيتاً ولا قطعة ولا قصيدة . وعلماء الشعر ينفون ذلك ويقولون : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنقذ عمره في التنقيح عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولا أحسب أجداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها »^٢ .

ويرى (غرونبوم) أن الشعر الجاهلي قد تطور : « وتتجلى فيه معالم التطور بصورة واضحة : فن ذويان اللهجات المتعددة في لغة واحدة ، تجمع فيها تراث المدارس المختلفة واللهجات المتباينة بصورة متزايدة حتى تحقق حوالى سنة ٦٠٠ ، الى زيادة القيود في نظام العروض الفني ، فإن ظفر بعض الفئات باستنباط تعابير

١ البيان والتبيين (٨٤/٤) .

٢ الشعر والشعراء (٧ وما بعدها) ، (دار الثقافة) .

جديدة لم تلبث أن شاعت تدريجياً في أوساط أخرى ، وأخيراً الى اتجاه سياق الشعر نحو الإتساع وعدد أبيات القصيدة الى الازدياد . إن تحليل هذا النمو السريع نسبياً ، على ضوء ما نعرفه عن المخلفات القديمة ليحملنا على الاعتقاد بأن وضع تأريخ معين يحدد بدء الشعر العربي الفني أمر متعذر ، ولكن الغالب على الظن أن أوائل هذا الشعر لا تتخطى أقدم المدونات التي بلغتنا بزمان طويل . وهذا الحكم إنما ينطبق على الطبقة الشعرية الثالثة والأخيرة لا غير . ولئن تعاصرت هذه الطبقات الشعرية الثلاث معاً في الفترة الجاهلية المذكورة ، فن البدهي أنها لم تبرز الى الوجود في وقت واحد^١ .

التمليط :

وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر أيهما يتقطع قبل صاحبه^٢ ، وفي الحكاية أن امرأ القيس قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعراً كما تقول فلتط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال نعم . فقال امرؤ القيس :

أحار ترى بريقاً هبّ وهنا

فقال التوأم اليشكري :

كنار مجوس تستعر استعاراً

فقال امرؤ القيس :

أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوأم :

إذا ما قلتُ قد هدأ استطاراً

فقال امرؤ القيس :

كان هزيمه بوراء غيث

١ غرونيباوم (١٣٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (٤٠٩/٧) ، (ملط) .

فقال التوأم :

عشارٌ وإلهٌ لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس :

فلما أن علا كفي أضاخ

فقال التوأم :

وهت أعجازُ ربيِّه فحارا

فقال امرؤ القيس :

فلم يترك بذات السر ظيباً

وقال التوأم :

ولم يترك بمجهلتها حارا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتنه ، ولم يكن في ذلك الحرّس من يمانته ، آلى
ألا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر .

وذكر ان شعر التوأم في هذا التمليط ، أقوى من شعر امرؤ القيس ، لأن
امراً القيس مبتدئ ما شاء ، وهو في فسحة مما أراد ، والتوأم محكوم عليه بأول
البيت ، مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ، ومن ههنا عرف له امرؤ
القيس من حق المماننة ما عرف . ونازع أيضاً علقمة بن عبدة ، فكان من غلبة
علقمة عليه ما كان^١ .

والمماننة المعارضة في جدل أو خصومة ، والمباهاة في الجري أو في الشعر ، بأن
يمانن شاعران أو أكثر ليتبين أيهم أشعر^٢ .

وقد تمتحن الشعراء بعضهم بعضاً قول الشعر، كأن يقول أحدهم بيتاً أو نصف
بيت ، ثم يقول لصاحبه : أجز ، ليقدم مثله ، قيل : قال زهير بن أبي سلمى
بيتاً ثم أكلدى ، ومرّ به النابغة الذبياني ، فقال له : يا أبا أمامة ، أجز ، قال :
ماذا ؟ قال :

١ العمدة (٢٠٢/١) وما بعدها ، (٩١/٢) .

٢ تاج العروس (٢٤٠/٩) ، (متن) .

تزال الأرض إما مت خيفاً ونحياً ما خييت بها ثقيلاً
نزلت بمستقر العز منها

فإذا قال ؟ فأكلدى النابغة أيضاً ، وأقبل كعب بن زهير ، وهو غلام ،
فقال له أبوه : أجز يا بُني ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ومن الثاني
قوله : نزلت بمستقر العز منها ، فقال كعب :

فمنع جانبيها أن يزولا^١

ومن الإجازة قول حسان بن ثابت :

متاريك أرباب الأمور اذا اعترت أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها

وأجبل ، فقالت ابنته : يا أبت ، ألا أجز عنك ، فقال : أو عندك ذاك؟
قالت : بلى ، قال : فافعلي ، فقالت :

مقاويل للمعروف خرس عن الحنا كيرام^٢ يعاطون العشيرة سؤلها

فحمى حسان عند ذاك ، فقال :

وقافية مثل السنان ردفها تناولت^٣ من جو السماء نزولها

فقالت ابنته :

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها^٤

١ أما لي المرتضى (٩٧/١ وما بعدها) .
٢ العمدة (٨٩/٢) .

الفصل التاسع والاربعون بعد المئة

العروض

والعروض ميزان الشعر، سمي به لأنه به يظهر المتزن من المنكسر عند المعارضة بها . وذكر الأخباريون جملة تفسيرات لسبب تسميتهم العروض عروضاً ، منها أنه علم الشعر ، ألهم الخليل به بمكة ، ومكة من العروض ، فقليل لهذا العلم عروضاً^١ ، ومنها أنه سمي عروضاً لأن الشعر يعرض عليه ، ومنها أنه إنما عرف بعروض الشعر ، بقولهم : فواصل أنصاف الشعر ، وهو آخر النصف الأول من البيت . فالنصف الأول عروض ، لأن الثاني يبنى على الأول، والنصف الأخير الشطر . أو لأن العروض طرائق الشعر وعموده مثل الطويل ، فيقال هو عروض واحد . واختلاف قوافيه يسمى ضرباً^٢ . أو لأنه إن عرف نصف البيت، وهو العروض سهل تقطيع البيت حيثئذ ، ولذلك قيل له العروض^٣ . وذهب البعض الى أنه إنما عرف بذلك من العرض ، لأن الشعر يعرض على هذه الأوزان فما وافق كان صحيحاً وما خالف كان سقيماً . وقيل من العروض ، أي الطريق التي في الجبل ، والمراد الطريق التي سلكتها العرب ، وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت الشعر ، شبهوا العروض الذي يقيم وزنه بالعروض ، وهي الخشبة المعترضة

-
- ١ تاج العروس (٤١/٥) ، (عرض) .
 - ٢ اللسان (١٨٤/٧) ، (عرض) .
 - ٣ الخوارزمي ، مفتاح العلوم (٥١) .

في سقف البيت ، كما شبهوا الأسباب بالأسباب والأوتاد بالأوتاد ، والفواصل بالفواصل^١ . وعلم العروض ، هو علم الشعر والقافية ، ويرادفه علم الوزن : وزن الشعر ، ويدل اختلافهم الشديد في تعريفه على عدم وجود رأي واضح عند العلماء عن منشأه وعن كيفية ظهوره^٢ .

وعندي ان في اختلاف العلماء هذا الاختلاف الشديد في سبب تسمية العروض عروضاً ، دلالة على ان اللفظة من الألفاظ التي كانت مستعملة قبل الاسلام، وانما لم تكن من وضع (الخليل) ، وانما كانت لفظة قديمة جاهلية قصد بها النظر في الشعر والتبصر بدروبه وأبوابه وطرقه ، فلو كانت الكلمة اسلامية ومن وضع (الخليل) لما وقع بينهم هذا الاختلاف ، وما كان (الخليل) ليهمل السبب الذي حمله على اختيار هذه التسمية ، ولسأله العلماء حتماً عن السبب الذي جعله يسمي هذا العلم عروضاً ، فقد عودنا العلماء ، انهم اذا وقفوا أمام أمر قديم جاهلي ، وهم لا يعرفون من خبره شيئاً ، جاءوا بأراء متباينة وبتعليقات مختلفة ، لبيان العلل والأسباب . ولو كان العروض من العلوم أو المسميات التي وضعت في الاسلام ، لما اختلفوا في تعريفه هذا الاختلاف ، وفي اختلافهم هذا الاختلاف في تعريفه ، دلالة على قدمه قياساً على ما عرفناه عنهم ، من اختلافهم في تفسير المصطلحات والمسميات القديمة .

وقد قال قوم في الإسلام لا حاجة الى العروض ، لأن من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفاً ، ومن نظم بالطبع السليم والسليقة جاء شعره طبعياً سليماً^٣ . ولا بد وأن تكون هذه المعارضة قد ظهرت بعد ظهور علم العروض وتدوينه وتثبيت قواعده ، ومحاولة العروضيين فرض سلطان قواعدهم على الشعر والشعراء ، ولما كان الشعراء ينظمون الشعر بسليقتهم وفق عرفهم الذي ألفوه وتعودوا عليه ، وعن طبع وموهبة فيهم ، لم يحفلوا بالعروض ، وصار العروض علماً يحفظه من لا يقرض الشعر الرفيع العالي المنبعث عن شاعرية وعاطفة وهيجان خاطر ، وصار شعر العروضي شعراً متكلفاً في الغالب ، لا يداني شعر الشعراء

١ نزهة الجليس (١١٥/١) .

٢ Ency., Vol., I, p. 463.

٣ نزهة الجليس (١١٦/١) .

الذين يقولون الشعر ، وهم أحرار طلقاء ، لعدم وجود الموهبة الشعرية فيهم ، والبصر بالعروض يجعل من حافظه شاعراً .

والمعروف بين الناس أن العروض وضع في الإسلام ، وضعه (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم) الفراهيدي الأزدي اليماني (١٠٠ - ١٧٠ ، ١٧٥)^١ . استخرج الأوزان ، ودون البحور ، « وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس . وهو أول من استخرج العروض وحسن به أشعار العرب »^٢ . وقد عرف بـ (صاحب العروض)^٣ . وقيل عنه : كان « الغاية في تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليقه »^٤ ، وهو أول من استخرج علم العروض ، وضبط اللغة ... وكان أول من حصر أشعار العرب ... روي عنه أنه كان يقطع العروض فدخل عليه ولده في تلك الحالة فمخرج الى الناس وقال : إن أبي قد جنّ . فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض فأخبروه بما قال ابنه ، فقال له :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما أقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذلتك*^٥

و (الخليل) نفسه من الشعراء ، وقد أورد العلماء له شعراً^٦ . وقد أورد (ابن قتيبة) له أبياتاً ، عقب عليها بقوله : « وهذا الشعر يبين التكلف رديء الصنعة . وكذلك أشعار العلماء ، ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة ، كشعر الأصمعي ، وشعر ابن المقفع ، وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمر ، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً^٧ .

وقد تعرض (أبو الحسين أحمد بن فارس) لموضوع نشأة النحو والعروض في الاسلام ، فقال : « فإننا لم نزع ان العرب كلها - مدراً ووبراً - قد عرفوا

-
- ١ الفهرست (٦٩ وما بعدها) ، (المقالة الثانية) ، القفطي ، انباء الرواة (٣٤٢/١)
 - ٢ الفهرست (٧٠) .
 - ٣ السيوطي ، بغية (٢٤٣) ، ياقوت ، ارشاد (١٨١/٤) ، ابن الانباري ، نزهة (٥٥) .
 - ٤ نزهة الالباء ، لابن الانباري (٢٩) ، (بغداد ١٩٥٩ م) .
 - ٥ نزهة الالباء (٢٩ وما بعدها) ، (بغداد ١٩٥٩ م) .
 - ٦ المحاسن والاضداد (٥٠) ، الشعر والشعراء (١٦/١) ، (٦٣٠/٢) .
 - ٧ الشعر والشعراء (١٦/١) .

الكتابة كلها والحروف أجمعها . وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم :
فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة ، وأبو حية كان أمس ، وقد كان قبله
بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، كاتبون . « أف يكون جهل أبي حية بالكتابة حجة على
هؤلاء الأئمة ؟

والذي نقوله في الحروف ، هو قولنا في الإعراب والعروض . والدليل على
صحة هذا وإن القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقرئ قصيدة الخطيئة التي أولها:

شأقتك أظعان ليلى إلى دون ناظرة بواكر

فنجد قوافيها كلها عند الترخم والإعراب نجيء مرفوعة ، ولولا علم الخطيئة
بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد
لا يكاد يكون .

فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية ،
وأن الخليل أول من تكلم في العروض ، قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول
إن هذين العلمين قد كانا قديماً ، وأنت عليها الأيام ، وقلنا في أيدي الناس .
ثم جددهما هذان الإمامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب . وأما العروض
فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا
القرآن قالوا — أو من قال منهم — أنه شعر . فقال الوليد بن المغيرة منكراً عليهم ،
لقد عرضت ما يقرأه محمد على أقرء الشعر : هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم
أره يشبه شيئاً من ذلك . أف يقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحر الشعر ؟ وقد
زعم ناس أن علوماً كانت في القرون الأوائل والزمن المتقدم ، وأنها درست
وجددت منذ زمان قريب ، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة . وليس
ما قالوا ببعيد^١ .

« ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف
على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر . فكتبوا ذوات

١ (ص ٣٦ وما بعدها) .

الباء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا همزة اذا كان ما قبلها ساكناً في مثل (الحباء) و (الدفاء) و (الملاء) فصار ذلك كله حجة ، وحتى كره العلماء ترك أتباع المصحف من كرهه ^١ .

فابن فارس إذن من الذين رأوا أن العرب الجاهليين كانوا على علم بالعربية ويعروض الشعر ، قبل (أبي الأسود الدؤلي) و (الخليل بن أحمد الفراهيدي) . وأن فضل الرجلين على العلم ، إنما هو في جمع علم الأوائل وتشبيته وتدوينه ، وهو فضل لا يتقصه عليها متقص . وهو استنتاج يتفق مع قواعد المنطق تمام الاتفاق . لأن من غير المعقول أن يضع إنسان قواعد لغة أو قواعد شعر ، من غير أن يكون له علم سابق بأنواع الكلام وباختلاف الاقراء وبالأسس اللغوية والنحوية التي لا بد من تعلمها حتى يتمكن المرء من بناء قواعد أساسية عليها ومن حصر دائرة العلم والإحاطة بأغصان شجرة ذلك العلم ، ويكاد يكون من المستحيل وضع قواعد العربية ، أو علم العروض على النحو الذي يعرضه علينا علماء اللغة والشعر ، من رجل لا علم مسبق له بقواعد اللغة وبأمور الشعر .

وفي خبر أن رسول الله دخل المسجد فرأى رجلاً يحدث الناس بأنساب العرب وأيامها وبالأشعار ، والعربية ، فقال رسول الله : « ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه ، وإنما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاها فهو فضل » ^٢ . والأمور المذكورة هي مما كان يتحدث به أهل العلم والثقافة من الجاهليين . والشعر في طليعة تلك الموضوعات ، ولا يراد به انشاده فقط ، بل كانوا ينشدونه ويذكرون المناسبات المتعلقة به ومزايه وعيوبه ، ولا أعتقد ان المراد بالعربية مجرد تفسير المفردات ، بل كل ما يخصها من أمور . وفي جملة ذلك أخطاء القول ، وقواعد العرب في القول .

ويذكر أهل الأخبار ان الذي حمل (الخليل) على وضع العروض ، هو انه مر بسوق الصفارين أو بحارة القصارين ، فسمع الدق بأصوات مختلفة ، فأعجبه ، وقال : والله لأضعن على هذا المعنى علماً غامضاً ، فصنع هذا العروض على حدود

١ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (٣٨ وما بعدها) .

٢ الكليني (١٢) .

الشعر وجعل بحورها ستة عشر بحراً^١. وهي قصة باردة من قصص أهل الأخبار، فقد كانوا يضعون مثل هذا القصص حين يسألون عن أمور ، لا يكون لهم علم بها ، وهل يعقل أخذ الخليل بحوره من دق مطارق الصفارين المزعجة ، التي تخرش الأذن ، وتبعد الانسان عن التفكير ، وتطير من الدماغ ما قد يكون فيه من علم . فالقصة من مخترعات أهل الأخبار وضعوها في إيجاد سبب لوضع هذا العلم ، فربطوا بين دق مطارق الصفارين وبين تقطيع الشعر .

ولا يعقل في نظري أن يكون الخليل قد وضع العروض من غير علم مسبق بأصول نظم الشعر عند أهل الجاهلية . إذ لا يمكن للحس المرهف وحده أن يبتكر العلم ابتكاراً من غير علم مسبق وقواعد سابقة وأصول مقررة معروفة . ولا يعقل أن يكون الخليل قد وضع الأسماء والمصطلحات والتعاريف بنفسه من غير رجوع الى علم سبق للشعراء الجاهليين أن وضعوه ، ومن رجوع الى قواعد ومصطلحات سبق ان كانت مقررة ، ففي أخبار أهل الأخبار أن أهل الجاهلية كان لهم علم بالشعر ، كالذي ذكرته من مثل « حال الجريض دون القريض » ، وما روي على لسان (الوليد بن المغيرة) من قوله في اتهام قريش للرسول من أنه شاعر : « لقد عرفت الشعر ورجزه وهزجه وقريضه فما هو به »^٢ . وما روي عن إسلام (أبي ذر الغفاري) : « ومن قول أخيه (أنيس) له : « لقيت رجلاً على دينك يزعم أن الله أرسله » فلما سأله (أبو ذر) « فما يقول الناس ؟ قال : يقولون ساحر كاهن شاعر . وكان أنيس أحد الشعراء ، فقال : والله لقد وضعت قوله على اقراء الشعر فلا يلتزم على لسان أحد ، أي على طريق الشعر وبحوره »^٣ . وقد ورد أن أهل (يثرب) كانوا يعرفون (الاقواء) و (الإكفاء) في الشعر ، وكانوا يعدونها من عيوب الشعر^٤ . وقد علمنا أن مصطلح (الرجز) و (المزج) و (الرمل) و (القصيد) وأمثال ذلك هي من مصطلحات أهل الجاهلية . ثم إن أكثر مصطلحات العروض هي مصطلحات كانت معروفة في الجاهلية ، وقد أخذت

١ نزهة المجلس (١٢٤/١) .

٢ اللسان (٣٥٠/٥) .

٣ الطبقات (٢٢٠/٤) « صادر » ، تاج العروس (٣٧١/١) « الكويت » ، الفائق (٥١٨/١) ، تاج العروس (١٠٣/١) ، (قرأ) ، الاصابة (٨٨/١) ، (رقم ٢٨٩) .

٤ الموشح (٥٩) .

من حياتهم ، فهي ليست بمصطلحات مبتكرة ، حتى نقول إن الخليل أوجدها من عنده ، وإن علم العروض علم مستحدث نتيجة لذلك ، أوجده الخليل بملاحظاته وذكاائه من دون علم سابق بأصول الشعر .

وورد أيضاً ، ان (عتبة بن ربيعة) لما مدح القرآن ، لما تلاه رسول الله ، قالت له قريش : هو شعر ، قال : لا لأنني عرضته على أقرء الشعر ، فليس هو بشعر . أقرء الشعر : طرائقه وأنواعه^١ . وسئل (الخطيئة) عن (زهير بن أبي سلمى) ، فقال : « ما رأيت مثله في تكفيه على أكتاف القوافي ، وأخلده بأعنتها حيث شاء^٢ » . وكلام مثل هذا لا يمكن أن يصدر إلا من رجال لهم علم بالشعر وبدرابه وبحوره وأنواعه .

والذي أراه ، ان شعراء الجاهلية كان لهم علم سابق بالشعر وضعوه قبل الاسلام ، ولهم قواعد ورثوها من أسلافهم القدماء في كيفية نظم الشعر ببحور . كانوا يعرفون البحور ، وربما كانوا قد وضعوا لها أسماء ، على نحو ما يفعله شعراء الشعر العامي في هذا اليوم ، وأكثرهم ممن لا يحسن الكتابة والقراءة ، غير أنهم يعرفون طرق الشعر العامي ودروبه ، سموها بأسماء ، وعرفوها ، ووضعوا لها أوزاناً وزنوا بها شعرهم ، وحكموا بموجبها حكمهم على الشعر ، فتراهم ينتقدون شاعراً فيرفعون شعره ، أو يذمونهم ، يزنون حكمهم بميزان علمهم المتوارث والمتعارف عليه عن الشعر . وقد وضع بعض المحدثين كتباً في هذا الشعر ، وفي ضبط دروبه وتسجيل قواعده . والذي فعله (الخليل) لا يخرج عن هذا العمل ، حصر وسجل ما كان معروفاً بين الشعراء عن بحور الشعر وأبوابه وقواعده ، ثم جمعه في كتاب فعدّ بعمله هذا مؤسس علم العروض . وإنما هو في الواقع جامع شتات هذا العلم ومسجل قواعد الشعر وبحوره . فهو بذلك أول من فعل هذا الفعل على ما أعلم . وهو عمل يشكر بالطبع عليه .

والذي أعانه وساعده على هذا الحصر والجمع ، هو وجوده في العراق ، وكان أهل العراق يتدارسون النحو والشعر واللغة قبل الاسلام . كانوا قد نقلوا الى

١ اللسان (١٥ / ١٧٥) ، (قرأ) ، (اقرأ الشعر أنواعه وطرقه وبحوره) ، تاج العروس (١ / ١٠٣) ، (قرأ) ، الفائق (١ / ٥١٨) ، ابن سعد ، طبقات (٤ / ١ ص ١١٦ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١ / ٨١) .

السريانية - لغة الثقافة والعلم - علم اليونان باللغة والنحو والشعر ، فساعدتهم هذا النقل على تهذيب ما ورثوه من رجالهم من علم بهذه المعارف ، وقاسوه بأقيسة ونظموه تنظيماً علمياً ، وظلوا يتداولونه ، فلما دخل منهم من دخل في الاسلام ، أو احتك بالمسلمين ، وكان عند العرب كلام في اللغة وفي الشعر ، ولا سيما عند عرب العراق النصارى ، فلا يستبعد عرض هؤلاء ما كان عندهم من علم باللغة والشعر الى من كان له ميل لمثل هذه الدراسات ، كأبي الأسود الدؤلي والخليل ابن أحمد ، فصار هذا العرض سبباً لظهور الأسس في النحو وفي العروض . وقد أدرك ذلك العلماء ، فقال (الصفدي) : « إن الشعر اليوناني له وزن مخصوص ولل يونان عروض لبحور الشعر . والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل ، قلت ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شيء من ذلك أعانته على ابراز العروض الى الوجود »^١ . فهو من ثم « أول من استخرج علم العروض وحصر أشعار العرب فيها »^٢ ، ولكنه لم يكن مخترع هذا العلم وموجده من العدم . وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان (عروض) Prosody (أرسطو) هو الذي علّم (الخليل) طريقة وضع (العروض) واستنباط تفاعيل الشعر وبحوره^٣ .

ولابن خلكان رأي طريف في المنبع الذي استمد منه (الخليل) علم العروض ، تراه يتحدث عنه فيقول : « وله معرفة بالإيقاع والنغم ، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض ، فلماهما متقاربان في المأخذ »^٤ . وكان الخليل صاحب علم بالموسيقى ، ومن بين كتبه (كتاب النغم) ، فرجل ذو علم بالموسيقى ، ويتقاطيعها وأوزانها ، يكون له ميل الى الشعر وأوزانه ، خاصة وأن بين الشعر والغناء والموسيقى روابط قديمة . فقد « كانت العرب تغني النصب ، وتمدّ أصواتها بالنشيد ، وتزن الشعر بالغناء . فقال حسان :

تغنّ بالشعر إمّا أنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضماره^٥

١ نزهة الجليس (١١٦/١) .

٢ نزهة الجليس (١٢٤/١) .

٣ Freytag. Darstellung d. Arabi, Verskunst, S., 18, William Lindsay Alexander,

A Cyclopaedia of Biblical Literature, Vol., I, p. 188.

٤ ابن خلكان (٢١٦/١ وما بعدها) .

٥ المرزباني ، الموشح (٣٩) .

وروي أن الخليفة (عمر) قال يوماً للناطقة الجعدي : « أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك . فأسمعه كلمة له ، قال له : وإنك قائلها ؟ قال : نعم . قال : لطالما غنيت بها خلف جبال الخطّاب ^١ . فإذا كان العرب قد وزنوا الشعر بالغناء ، فلا يستبعد أن يكون الخليل قد ألهم من فعل العرب هذا قبله . وقد ذكرت في الجزء الخامس من هذا الكتاب ^٢ ، أنه قد كان للشعر علاقة كبيرة بالغناء ، فالغناء هو التغني بالشعر ، ولذلك قالوا : تغنى بالشعر ، وفلان يتغنى بفلاتة إذا صنع فيها شعراً . وله علاقة بالخداء أيضاً . قالوا : حدا به ، إذا عمل فيه شعراً ^٣ . فالغناء نغم ووزن ويكون لذلك بكلام موزون . وهو الشعر الذي يناسب نغم الغناء . قال (الجاحظ) : « العرب تقطع الألحان الموزونة ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في الوزن اللحن ، فتضع موزوناً على غير موزون ^٤ . وقال (ابن رشيق) : « وزعم صاحب الموسيقى أن ألد الملاذ كلها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان والأشعار معايير الأوتار لا محالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضعة من قدره ، مستخدمة له ، نازلة به مسقطه لمروءته . ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم ، وتكسوه جلالة الحكمة ^٥ .

ولا يستبعد تغني الشعراء الجاهليين بشعرهم ، واستعمالهم آلات الموسيقى مثل الرباب لترافق غنائهم بشعرهم ، كما يفعل شعراء البادية في هذه الأيام . وقد ذكر ان الشاعر (عروة بن أذينة) ، وهو من شعراء العصر الأموي « كان شاعراً لبقاً في شعره ، غزلاً . وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره في حدائنه وينحلها المغنين ^٦ . وكان من شعراء المدينة ^٧ .

-
- ١ العقد الفريد (٩٠/٤) .
 - ٢ (ص ١٠٥ وما بعدها) .
 - ٣ اللسان (١٣٥/١٥) ، (غنى) ، تاج العروس (٢٧٢/١٠) .
 - ٤ رسائل الجاحظ (١٥٨/٢) .
 - ٥ العمدة (٢٦/١) .
 - ٦ العقد الفريد (٩٦/٤) .
 - ٧ الاغانى (١٠٥/٢١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٤٨٣/٢ وما بعدها) ، المرتضى ، أمالي (٤٠٨/١ وما بعدها) ، السمط (٢٣٦) ، درة الغواص (١٣٥) ، المعارف (٤٩٢) .

ومن آيات علم الجاهليين بصناعة الشعر وبفنونه وحذقهم بأساليبه ، استعمالهم محور الشعر حسب المواقف والمناسبات واتخاذهم الإيقاع والنغم وجرس الألفاظ أساساً في النظم ليكون الشعر مطابقاً للمناسبة التي سينظم لها . فللغناء محور ، وللقائل محور تثير القلوب وتلهبها ، وللسفر وزن ، وللمناسبات المؤلة مثل الرثاء والتوجع وزن يناسبها ، وكل ذلك ناتج عن طبع وتطبع وعلم بالمناسبة ، وقد أشير الى هذا الاستعمال في الأخبار . وهذه المناسبات هي التي خلقت تلك البحور .

ومن آيات علم الجاهليين بالشعر ، ما نقرأه في الأخبار عن علم أهل الجاهلية بطرائق الشعر وأبوابه وبعيوبه وضعفه ، ومن أخذهم على الشعراء في أيام الجاهلية وقوعهم في الأخطاء ، أو مخالفتهم لأصوله ونغمه وخروجه على ما هو متعارف عليه . وأمثال ذلك مما يدل على ان الشاعر وإن كان ينظم الشعر عن طبع وسليقة ، وعن موهبة كامنة فيه ، لكنه كان يراعي في نظمه قواعد موروثه معلومة ، وأصولاً محفوظة ، على نحو ما نراه اليوم عند الشعراء الشيعيين ، الذين ينظمون الشعر العامي (الشعر النبطي) ، المقال باللهجات العامية ، وفق قواعد مقررّة عندهم معروفة ، وأبواب مسماة عندهم موسومة ، يحفظونها حفظاً ، لأنها هي غير مدونة ، ثم إن أكثرهم ممن لا يقرأ ولا يكتب .

ومما يؤيد هذا الرأي ما جاء في (لسان العرب) : « قال أبو الحسن الأخفش : النصبُ في القوافي ، أن تسلم القافية من الفساد ، وتكون تامة البناء ، فإذا جاء ذلك في الشعر المجزوء ، لم يُسم نصباً ، وإن كانت قافيته قد تمت ، قال : سمعنا ذلك من العرب ، قال : وليس هذا مما سمى الخليلُ ، وإنما تؤخذ الأسماء عن العرب »^١ . فالأسماء والأصول أخذت من العرب ، ومعنى هذا أنه قد كان للعرب علم سابق بأصول الشعر وقواعده ، وقد تمكن (الخليل) بذلكه وبتتبعه للعلوم من جمع تلك القواعد ، في العروض ومن أخذ ما كان عند الشعراء والعارفين بفنونه من مصطلحات وعلم ، فكوّن من كل ذلك : العروض .

هذا وإن المعلوم أن (أرسطو) كان قد ألف كتاباً في الشعر وفي العروض Prosody وقد تطرق فيه الى الوزن Metre أي وزن الأبيات والقصيدة ، كما تكلم عن (التفعيلات) ، وعن أنواع النظم ، وقد درس كتابه علماء ذلك الوقت ،

اللسان (١ / ٧٦١) ، (نصب) .

ووقف عليه السريان قبل الإسلام ، ونقل الى العربية في الإسلام ، قال (ابن النديم) : « الكلام على أبوطيقا : ومعناه الشعر، نقله أبو بشر متى من السرياني الى العربي ، ونقله يحيى بن عدي »^١ . وتوجد ترجمة كتاب (الشعر) ، في العربية مطبوعة في هذا اليوم ، وثبت أيضاً ان البابليين وغيرهم من أهل العراق ، كانوا قد وضعوا قواعد في نظم الأشعار وفي تأليف أبياتها ، وفي أصول نظمها ، فلا استبعد وصولها الى المتأخرين من العراقيين الذين عاشوا الى أيام الإسلام ، فوقف عليها (الخليل) ، واستنبط منها فكرته في وضع العروض .

والذي أراه أن للبت في منشأ علم العروض ، لا بد من البحث عن المصطلحات العربية الجاهلية التي كانت شائعة عند العرب في الجاهلية وعند ظهور الإسلام ، عن تكوين الشعر وأصول نظمه ، ثم تتبع مصطلحات الشعر عند الساميين ، مثل الكلدانيين والعبرانيين ومقارنة مسمياتها بالمسميات العربية المنسوبة الى (الخليل) ، لمعرفة صلتها بعضها ببعض . ومن دراسة البحور ، وتفاعيلها ، وأصول نظمها ، فقد ثبت أن لتلك الشعوب قواعد في نظم الشعر ، راعاها الشعراء في نظمهم شعرهم^٢ .

ولفظه (بحر) و (البحور) المستعملة في العروض ، هي من الألفاظ المعروفة عند الجاهليين . ورد في كتب اللغة ان الشاعر اذا اتسع في القول، قالوا استبحر^٣ . ولما جاء (الحارث بن معاذ بن عقراء) على (حسان بن ثابت) ليستحبه في هجاء (النجاشي) الذي هجا الأنصار ، ألقى عليه (حسان) ثمانية أبيات ، ثم توقف ومكث طويلاً على الباب يقول : والله ما أبحرت^٤ . وذكر ان (أبا بكر) كان يقدم النابتة على غيره من الشعراء ، فلما سئل عن ذلك قال : « هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بجزاً ، وأبعدهم قعراً »^٥ . ومن هذا المعنى أخذ مصطلح (بحر) و (بحور الشعر) و (بحور العروض) .

وكان الجاهليون أصحاب علم اذن بطرق الشعر ويبحوره وبمقاصده وانحائه ،

١ الفهرست (ص ٣٦٣ وما بعدها)

٢ Otto Weber, Die Literatur der Babylonier und Assyrier, Leipzig, 1907, S. 35.

٣ اللسان (٤٤/٤)

٤ خزائن الادب (٥٥/٤ وما بعدها) ، ديوان حسان (١٣١ وما بعدها)

٥ العمدة (ص ٩٥ ، ١٣٦ وما بعدها)

وكانوا يطلقون على أنواعه وعلى ما ذكرت (أقرأ الشعر)^١ . وكانوا ينقحونه ويحككون به حتى يرضون عنه . ويقال للشعر الذي لم يحكم ولم يجود (شعر خشيب) و (شعر مخسوب) ، عكس الشعر المنقح المجود . ورد على لسان (جندل بن المثنى) قوله :

قد علم الراسخ في الشعر الأرب
والشعراء أنني لا أختشب
حسرى رذاياهم ولكن اقتضب^٢

والأقراء في الشعر طرائقه وأنواعه ، واحدها قرو وقرى^٣ .

والإكفاء أحد عيوب القافية الستة التي هي : الإبطاء ، والتضمين ، والإقواء ، والاصراف ، والإكفاء ، والسناد . وقد عرفه العرب القصحاء ، بأنه الفساد في آخر البيت والاختلاف . وكانوا يقولون لمن يخالف بين حركات الروي : (أكفاً) أو (أكفاً الشاعر) . وقد كان (النابغة) يكفىء في شعره . وقد نبه إلى ذلك ، فتجنب بعضه وهذا به^٤ .

والإقواء عيب آخر من عيوب الشعر . وللنابغة في هذا خبر. فلما دخل (يثر) وأنشد داليتة المشهورة ، عيب عليه فيها ، فلم يفهم موطن العيب فيه ، وهو (الإقواء) ، فلما غنته المغنية بالقصيدة مطلّت واو الوصل ، فأحس بالإقواء واعتذر منه وغيره فيما يقال إلى قوله :

وبذاك تتعاب الغرابِ الأسودِ

ثم قال : « دخلت يثر وفي شعري صنعة ، ثم خرجت منها وأنا أشعر العرب »^٥ . وكان (بشر بن أبي خازم) يقوي في شعره كذلك^٦ . وذكر أن

-
- | | |
|---|---|
| ١ | تاج العروس (٣٧١/١) « الكويت » . |
| ٢ | تاج العروس (٣٥٤/٢) . |
| ٣ | تاج العروس (٢٩٣/١٠) ، (قرو) . |
| ٤ | تاج العروس (٣٩٦/١) « الكويت » ، العمدة (١٦٤/١) وما بعدها ، الموشح (٦٠) . |
| ٥ | اللسان (٢٠٩/١٥) وما بعدها ، الشعر والشعراء (٣٩/١ ، ١٩٠) ، (دار النقافة) ، الموشح (٥٩ وما بعدها) . |
| ٦ | الموشح (٦٠) . |

أخاه قال له : انك تقوي^١ .

وبينما نرى أهل الأخبار يرمون (النابغة) بالوقوع في الإكفاء وفي الإقواء ، وبعدم إدراكه للإقواء مع تلميح الناس له ، حتى دبر أهل يثرب حيلة ، أظهرت لإقواءه له ، فعلمه ، وخرج ، وهو يقول : « دخلت وفي شعري صنعة ، ثم خرجت منها وأنا أشعر العرب » ، يذكرون ان (أبا ذكوان) ، وهو من العلماء بالشعر يقول : « ما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال : لو أراد كاتب بليغ ان ينشر من هذه المعاني ما نظمته النابغة ما جاء به إلا في أضعاف كلامه . وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس »^٢ .

والإقواء أن تختلف حركات الروي ، فبعضه مرفوع وبعضه منصوب أو مجرور . وقيل نقصان الحرف من الفاصلة يعني من عروض البيت . وأقوى في الشعر ، خالف بين قوافيه . وقيل هو رفع بيت وجر آخر . وذكر ان الإقواء كثير في كلام العرب ، لكن ذلك في اجتماع الرفع مع الجر وأما الإقواء وان كان عيباً لاختلاف الصوت به ، فإنه قد كثر في كلامهم^٣ ، وكان « أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء : هو اختلاف الإعراب في القوافي ، وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مخفوضة . كقول النابغة :

قالت بنو عامر : خالوا بني أسدٍ يا بؤس للجهل ضراراً لأقوامٍ

وقال فيها :

تبدو كواكبُه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلامُ^٤

« وبعض الناس يسمي هذا الإكفاء : ويزعم أن الإقواء نقصانُ حرف من فاصلة البيت ، كقول حَجَّـل بن فضلة ، وكان أسر بنت عمرو بن كلثوم وركب بها المقاوز ، واسمها النوار :

١ الشعر والشعراء (١٤٦) .

٢ انباه الرواة (١٠/٣) ، ديوان المعاني (١٧/١) ، المصون (١٥٦) ، بغية الوعاة (٣٧٥) .

٣ تاج العروس (٣٠٧/١٠) ، (قو) .

٤ الشعر والشعراء (٣٩/١) ، (دار الثقافة) .

حَنَّتْ نَوَارَ وَلَاتَ هَنَّا حَنْتَ وبدا الذي كانت نوار أجتت
لما رأت ماء السَّلا مشروباً والفرت يُعصرُ في الإناء أُرنت

سمي اقواء لأنه نقص من عروضه قوة . . وكان يستوى البيت بأن تقول:
مشرباً^١ .

وقد تعرض (المعري) لموضوع الاقواء وأمثاله في رسالة الغفران ، إذ يسأل
(امرأ القيس) عنه ، ثم يجيب على لسانه . يقول للشاعر : « كيف يُنشد :
جالت لتصرعني فقلت لها: قري لني امرؤ صرعي عليك حرام

أقول : حرامٌ فتقوي ؟ أم تقول : حرام فتخرجه نخرج حذامٍ وقطام ؟
وقد كان بعض علماء الدولة الثانية يجعلك لا يجوز الاقواء عليك . فيقول امرؤ
القيس : لا نكرة عندنا في الاقواء^٢ . فهو يرى ان الاقواء لم يكن منكراً عند
أهل الجاهلية : وإنما عيب عليه في الإسلام .

ومن مصطلحات علماء الشعر : (الإيطاء) ، قال العلماء : أطأ كرر القافية
لفظاً ومعنى مع الاتحاد في التعريف والتذكير ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس
بإيطاء ، وكذا لو اختلفا تعريفاً وتذكيراً . وقال بعضهم الإيطاء رد كلمة قد
قفيت بها مرة نحو قافية على رجل وأخرى على رجل فهذا عيب عند العرب ،
لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك . ووجه استقباح العرب الإيطاء، انه دال
عندهم على قلة مادة الشاعر ونزارة ما عنده حتى اضطر الى إعادة القافية الواحدة
في القصيدة بلفظها ومعناها فيجري هذا عندهم مجرى العي والحصر ، وأصله أن يطاء
الانسان في طريقه على أثر وطىء قبله فيعيد الوطء على ذلك الموضع ، وكذلك
إعادة القافية من هذا . وقال (أبو عمرو بن العلاء) : « الإيطاء ليس بعيب عند
العرب ، وهو إعادة القافية مرتين » ، أما اذا كثر الإيطاء في قصيدة مرات فهو
عيب عندهم^٣ .

١ الشعر والشعراء (٣٩/١ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (٣٢٠) .

٣ اللسان (٢٠٠/١) ، (وطىء) ، تاج العروس (١٣٥/١) ، (وطىء) ، الشعر

والشعراء (٤١/١) .

والمضمن من الشعر ما لا يتم معناه إلا في البيت الذي بعده . وقد اختلف العلماء فيه ، فمنهم من عدّه عيباً ، ومنهم من لم يعدّه عيباً ، ويراها مذهباً أجازته العرب لسببين : السماع ، والآخر القياس . أما السماع فلكثرته ما يرد عنهم من التضمين ، وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعاً دلت به على جواز التضمين عندهم . وحجة من قال بتقييد التضمين : ان كل بيت من القصيدة شعر قائم بنفسه ، فمن هنا قبح التضمين شيئاً . وقد أوردوا للناطقة ولغيره من الشعراء أمثلة من التضمين^١ . وهو بهذا المعنى معروف عند غير العرب من الساميين والآريين ، إذ ان الأبيات عندهم ترتبط معانيها بعضها ببعض ، فلا يفهم معنى بيت إلا بالبيت الذي يليه . ولهذا تكون أبيات القطعة أو القصيدة مرتبطة بعضها ببعض ، ولا سيما في أشعار الملأحم والغناء .

والإصراف في الشعر ، إذا أقوي فيه وخولف بين القافيتين^٢ . وأما السناد ، فاختلاف الأرداف . وقال (الأخفش) أما ما سمعت من العرب في السناد ، فإنهم يجعلونه كل فساد في آخر الشعر ولا يجدون في ذلك شيئاً وهو عندهم عيب^٣ . وقد أشير إليه في قول الشاعر :

فيه سناد واقواء وتحريد^٤ .

وتحريد الشيء تعويجه .

وقيل : السناد : هو أن يختلف إردافُ القوافي ، كقولك علينا في قافية وفينا في أخرى^٥ .

وقد تحدث (الجاحظ) عن الأوتاد ، والأسباب ، والحرم والزحاف ، فقال : « وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرباز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكر الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر

-
- ١ اللسان (٢٥٨/١٣) وما بعدها ، (ضمن) ، تاج العروس (٩/٢٦٥) ، (ضمن) ، العملة (٨٤/٢) ، (باب التضمين والاجازة) .
 - ٢ اللسان (١٩٣/٩) .
 - ٣ اللسان (٣٢٣/٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٤٠/١) .

الأوتاد ، والأسباب ، والحرم ، والزحاف . وقد ذكرت العرب في أشعارها السيناد ، والإقواء ، والإكفاء ، ولم أسمع بالإبطاء . وقالوا في القصيد ، والرجز ، والسجع ، والخطب ، وذكروا حروف الروي والقوافي ، وقالوا هذا بيتٌ وهذا مصراعٌ^١ .

وقد أباح علماء الشعر للشاعر ما لم يبيحوه للنائر من (ضرورة) دعوها : (ضرورة الشعر) . وقد جاءوا بأمثلة على ذلك ، اعتلروا عن بعضها ، وأوجدوا لها مخارج في الإعراب ، وعدّوا بعضاً منها من (العيب في الإعراب)^٢ ، وورد : « الشعراء أمراء الكلام ، يقصّرون الممدود ، ويمدّون المقصور ، ويقدمون ويؤخرون ، ويومنون ويشيرون ، ويختلسون ويُعبرون ويستعيرون . فإما لحن في إعراب ، أو لإزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك »^٣ .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع (العروض) ، فقال : « وعلى الرغم من انه لا تزال تعوزنا بحوث شاملة لفن العروض عند قدامى الشعراء ، يمكن أن نقرر اليوم بحق ان هذا الفن كان يعتمد عندهم على قواعد ثابتة . نعم نجد في بعض قصائد الشعراء الأقدمين أبياتاً خارجة عن العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد ، وما وضعه سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط في كتابه العروض ، كما في قصائد المرقش الأكبر ، وعبيد ، وعمرو بن قتيبة ، وامرئ القيس ، وسلمى ابن ربيعة . ويبدو ان هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة من النمو لم تقف على كنهها بعد .

وبذل الشعراء المتأخرون محاولات للتخلص من قوانين العروض العربي ولكنهم قلما خرجوا عليه^٤ .

وقد تعرض (الهمداني) لموضوع الشعر العربي وقواعد العروض ، وخروج الشعر على سلطة هذا العلم ، فقال : « أنشدني سعيد بن أبحر الهمداني ، وكان شاعراً بدوياً مطبوعاً :

-
- ١ البيان والتبيين (١٣٩/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٤٢/١) وما بعدها .
 - ٣ المزهر (٤٧١/٢) .
 - ٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٥٤/١) .

يا سمع يا بصري لو جاءكم خبري لكان في عنبر ناع على كُور
وفي بني عامر ناع على خاطرٍ وفي قرى صافر حزن وتبشير
وكان للجاهلية الجهلاء مذهب في الشعر من الأزحاف وغيره ما يستنكره الناس
اليوم كقول علقمة :

ومنا الذي نودي بسبعة آلاف غلاماً صغيراً ما يشد لزارا
وكقوله :

كان به سيد حلاجل تُصر من دونه الطروق
وقول بعض حمير في أيام جديس ، النصف الأول من روي والنصف الآخر
من روي ، قصيدته :

لله عينا من رأى حسان قتيلاً في سالف الأحقاب
ومن ذلك شعر مالك بن الحصيص اللعوي ، وهو قديم في حلف ربيعة ،
وأوله :

أنا مالك وأنا الذي جددت حلفا لكنسدة قبلنا قد كان سلفا

الشعر ، وفي وزنه زيادة حرفين ^١ .

وقد يحسن العلماء في المستقبل بدراستهم لما ورد في مؤلفات الهمداني وغيره من
شعر قديم ينسب الى قدماء شعراء اليمن وإلى الشعراء اليابانيين والعرب الجنوبيين
عامة الذين نظموا بأسلوبهم الخاص ، لما في هذه الدراسة من فائدة كبيرة في إعادة
بناء نظريات العلماء الحالية عن الشعر الجاهلي .
وفي الدواوين وكتب الأدب أمثلة على أمور خرج فيها الشعر على قواعد العروض
أو النحو . من ذلك قول امرئ القيس :

كان أباناً في أفانين ودّقه كبير أناس في بجاد مزمل

١ الاكليل (٤٩/٢ وما بعدها) .

فقد ضم اللام في نهاية البيت ، وهي مكسورة في المعلقة جميعها^١ . ورووا
أموراً أخرى وقعت في شعره أيضاً^٢ ، وفي قصيدة (عبيد بن الأبرص) :
أقفر من أهله ملحوبٌ فالقطيباتُ فالذنوبُ

فهي من مطلع البسيط ، قلما يخلو بيت منها من حذف في بعض تفاعيله أو
زيادة^٣ . وفي قصيدة المرقش الأكبر :

هل بالديار أن تجيب صممٌ لو كان رسمٌ ناطقاً كلمٌ

فهي من السريع ، وقد خرجت شطور أبياتها على هذا الوزن ، كالشطر الثاني
من هذا البيت :

ما ذنبنا في أن غزا ملكٌ من آل جفنة حازمٌ مرغمٌ

فإنه من الكامل^٤ . ورووا اضطراباً وقع في شعر (علي بن زيد العبادي) ،
على النحو المذكور ، خرج فيه من السريع إلى وزن المديد^٥ ، وفي شعر غيره
كذلك مثل فونية (سلمي بن ربيعة) :

إن شواءً ونشوة وخبيب البازل الأمون

فهي خارجة عن عروض الخليل^٦ .

ورروا وقوع مثل ذلك في قصيدة علي بن زيد العبادي :

تعرف أمس من ليس الطلل من الكتاب الدارس الأحول

١ دكتور شوقي ضيف : العصر الجاهلي (١٨٥) .

٢ راجع قصيدته :

عيناك دمعها سجال كان شأنيهما أوشال

ديوانه ١٨٩ ، العصر الجاهلي (١٨٤) .

٣ العصر الجاهلي (١٨٤) .

٤ المصدر نفسه .

٥ كذلك .

٦ كذلك (ص ١٨٥) .

فهو من وزن السريع ، وخرجت بعض شطورها على هذا الوزن كالشطر الثاني من هذا البيت :

أنعم صباحاً علقمَ بن عدي أثويتَ اليومَ أمَ ترحلُ

فإنه من وزن المديد^١ .

وتستحق هذه الأمور وأمثالها أن تكون موضع دراسة خاصة ، لما لها من أهمية في تكوين رأي علمي دقيق عن تطور العروض في الجاهلية . ولا يعقل في نظري أن يكون الشاعر الجاهلي قد كان بغفلة عن تلك الأمور التي عدّها الإسلاميون من مواطن الاضطراب والخروج عن القواعد . وإذا قسنا هذا الخروج في الوزن على مقاييس وزن الشعر عند الساميين ، نرى أنه لم يكن خروجاً ، لعدم تقييد ذلك الشعر بالوزن في كل القطعة أو القصيدة ، وإنما كانوا يتقيدون بوزن البيت ، فالقطعة أو القصيدة عندهم منسجمة ذات نغم ووزن وإن تكونت من بحر أو من جملة بحور ، وربما كان هذا شأن القصيدة عند الجاهليين كذلك . ثم أنه في هذه الاضطرابات دلالة على أن في العروض الجاهلي ما فات أمره عن علم (الخليل) ، وأن العروض الاسلامي لا يمثل كل عروض الشعر الجاهلي .

وللخليل كتاب في العروض ، اسمه (كتاب العروض) لا أعرف من أمره شيئاً . وهو أول كتاب ألف في هذا الباب ، وحمل هذا الاسم ، على ما أعلم ، وله كتاب اسمه (كتاب النغم) ، وكتاب آخر اسمه (كتاب الإيقاع) ، وكتاب اسمه : (كتاب الشواهد) ، وكتاب اسمه (كتاب النقط والشكل) ، وكتاب باسم (كتاب فائت العين)^٢ .

ولأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (٨٢١٥) ، (٨٢٢١) ، وهو أحد أصحاب (سيبويه) ، كتاب في العروض ، اسمه : (كتاب العروض)^٣ .

١ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٨٥) .

٢ الفهرست (٧١) .

٣ الفهرست (٨٤) .

وعرف (الخليل) بسعة علمه باللغة ، واليه ينسب وضع أول معجم في اللغة العربية ، هو كتاب (العين) . وقد نظمت حروفه على ما يخرج من الحلق واللاهوت^١ . وهو ترتيب يرى بعض المستشرقين احتمال أخذ (الخليل) له من ترتيب الأبجدية السنسكريتية وذلك عن طريق (خراسان) التي لها صلة وثيقة بثقافة الهند^٢ . وقد نسب بعض العلماء كتاب العين الى غيره ، نسبة الى (الليث بن نصر بن سيار) الخراساني ، ومنهم من زعم أن (الخليل) عمل قطعة من كتاب العين من أوله الى حرف الغين وكمله (الليث) ولهذا لا يشبه أوله آخره^٣ .

وقد كان للهند حب شديد للشعر ، وقد نظمت كتبهم الدينية شعراً ، وقد أدرك (البيروني) الواسع الاطلاع بأحوال الهند هذا الحب الشديد له ، فقال : « أكثر الهنود يهتمون لمنظومهم ويحرصون على قراءته ، وإن لم يعرفوا معناه ، ويفرقون أصابعهم فرحاً به ، واستجادة له ، ولا يرغبون في المنشور وإن سهلت معرفته » . وقد كانوا يزنون شعرهم بميزان ، ف « عملوا من التفعيلات قوالب لأبنية الشعر ، وأرقاماً للمتحرك منها والساكن ، يعبرون بها عن الموزون ، فكل ذلك سمي الهند لما تركب من الخفيف والثقيل » أسماء يشيرون بها الى الوزن المقروض^٤ . فإذا كانت للهند تفعيلات وزنوا بها شعرهم ، وهي أقدم عهداً من تفعيلات (الخليل) ، أفلا يجوز أن يكون (الخليل) قد اقتبس تفعيلاته من تلك التفعيلات ، وبين الهند و (الابله) التي حلت البصرة محلها في الاسلام اتصال جد قديم ، وقد كان بين سكانها عدد كبير جاءوا قبل الاسلام من الهند .

وحيث أن العلماء ينصون على أن (الخليل) ، هو موجد البحور المعروفة في العروض ، وهو وازنها ، وحيث أن أساس المعايير التي قيست بها الأبيات ، للوقوف على البحور هي (فعل) فيجب أن تكون هذه التسمية من ابتكاراته إذن . ولم أجده أحدًا وضح كيف اهتدى الخليل الى إيجاد هذا المعيار ، ولم

١ الفهرست (٧٠ وما بعدها) .

٢ John A. Haywood, Arabic Lexicography, p. 8.

٣ القفطي ، انباء الرواة (٣٤٣/١) ، الزهر (٧٦/١) .

٤ البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة (٦٦) .

سمّاه هذه التسمية ، إن من المستحسن في نظري الاهتمام بهذا الموضوع ، ودراسة موازين الشعر عند الهنود ، لمعرفة أسماء معايير الشعر عندهم ، للوقوف عليها ، فقد تكون لهذه التفعيلات صلة بتفعيلات شعر الهنود . ويلاحظ أن (ابن جني) ، كنّى بالتفعيل عن تقطيع البيت الشعري ، لأنه إنما نزنه بأجزاء مادتها كلها (فعل)^١ .

١ تاج العروس (٦٥/٨) ، (فعل) .

الفصل الخمسون بعد المئة

البصرة والكوفة

لا بد لنا من التعرض لأثر البصرة والكوفة في عمل القواعد وفي رواية الشعر الجاهلي ، إن أردنا فهم هذا الشعر وكيف جمع ودون ، وكيف نحل المنحول منه ، فقد كان للمدينتين الأثر الأكبر في جمع هذا الشعر وفي تدوينه ونحله . ولا بد من التحدث أولاً عن أثر العصبية القبلية في هاتين المدينتين . فقد بنيتا على أساس هذه العصبية . فلما بنيت الكوفة ، جعلت قسمين : قسم لليمن ، وقسم لئزار ، وكانت الأغلبية لليمن . ووزعت المحلات والسكك حسب القبائل^١ ، وكذلك كان الأمر بالبصرة حين شرع ببنائها ، فقد روعي في بنائها ، توزيع أحيائها على حسب النسب والقبائل^٢ ، فكانت عصبية الحلي للعشيرة أولاً ، وللقبيلة ثانياً ، ثم للمدينة ثالثاً . وهكذا غرست بذور العصبية في أرض المدينتين ، منذ شرع بوضع أساس التأسيس .

وتجسدت العصبية القبلية في العصبية للمدينة ، فتعصب عرب الكوفة ومواليها للكوفة ، وتعصب عرب البصرة ومواليها للبصرة ، « يفخر كل منهما بطبيعة الأرض وموقعها الجغرافي ، ويفخر كل بما كان على يده من فتوح البلدان ، ويفخر كل بمن نزل عندهم من صحابة رسول الله ، ويعبر كل الآخر بما نبت عنده من

١ البلاذري ، فتوح البلدان (٢٧٤) ، (تمصير الكوفة) ، (طبعة رضوان محمد

رضوان) .

٢ البلاذري (٣٤١) ، (تمصير البصرة) .

دعاة للضلالة ، وأخيراً كانوا يتفاخرون بالعلم . وظهرت هذه المفاخرات العلمية والمناظرات وتعصب كل مدينة لعلمائها ، ظهوراً يبتأ في كثير من فروع العلم ، فالبصريون والكوفيون في المذاهب الدينية وعلم الكلام ، والبصريون والكوفيون في الأدب ؛ يقول أعشى همدان :

اكسع البصريّ إن لاقيته لأنما يكسع من قلّ وذلّ
واجعل الكوفي في الخيل ولا تجعل البصريّ إلا في النفل
وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثونه وفقى أبيض وضاح رفل
جاءنا مخطر في سابعة فذبحناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نعمة الله الأجل^١

والكوفة بظاهر الحيرة . المدينة التي كان يقصدها الشعراء والتجار ، وفيهم تجار مكة وأشرافها ، مثل عبدالله بن جدعان ، وأبو سفيان . ومنها انتقل الخط إلى مكة، على حد قول أهل الأخبار، ومنها انتقلت النسطورية إلى العرب الساطرة ، وقد اشتهرت برجال برزوا فيها في العاوم الدينية النصرانية وبالعلوم اللسانية في لغة بني لرم ، وبكنائسها وبأديرتها التي كانت تعلم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة ، وتهيء الطلاب للتبحر في علوم الدين وفي العلوم الدنيوية المعروفة في ذلك الوقت، ولما أنشئت الكوفة انتقلت إليها بأبنيتها وأناسها، فقد هدمت منازلها ونقلت حجارتها إلى الكوفة ، لتبنى بيوتها بها ، وانتقل أهلها إلى الكوفة ، لأنها أخذت مكانها في الحكم ، وصارت مقر الولاية ، فشاع أهلها أهل الكوفة في السكن وفي الالتفاف حول قصر الوالي ، وانتقل ما كان قد تبقى من بقية علم من الحيرة إلى الكوفة كذلك ، وتجمّع في هذا الذي نسميه بعلم أهل ، أو بمدرسة الكوفة .

وقد كان في أهل الحيرة قوم من النبط ، أي من بني لرم أهل العراق ، وقوم من الفرس ، فتأثر لسان أهلها العرب بلسان النبط وبلسان العجم، كما تأثروا بحياة الحضارة والاستقرار ، فلان لسانهم وسهل منطقهم^٢ ، وثقل نطقهم بالعربية،

١ فجر الاسلام (١٨١) ، البلدان ، لابن الفقيه (١٦٣ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٣١) .

فلم يعد ينطق لسانهم نطق الأعراب من حيث الوضوح والإفصاح^١ . والذي عند علماء العربية ان في لسان الأعراب جفاء وشدة وغلظة ، دخلت عليه من خشونة البادية ومن طباعها ، فإذا خالط أهل البادية البلديين والأعاجم ، لان جفاؤهم وسهل لسانهم ، فيتعد بذلك عن اللسان العربي القح ، ولهذا طلب علماء اللغة جُفَاءَ الأعراب وأهل الطبائع المتوقفة ، وأخذوا عن القبائل التي بعدت عن أطراف الجزيرة ، وبقيت في سرّة البادية أو فاضت حوايلها ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف^٢ .

أما البصرة ، فأخذت مكانة (الأبلّة) المدينة الشهيرة المعروفة باسم (أبولم) Ubulum في الكتابات الأكاديمية ، وب Apologus (أبولوكس) في النصوص الكلاسيكية^٣ ، وهي أقرب الى جزيرة العرب من الكوفة ، ولها اتصال ببلاد الخليج وبالهند ، فكانت سفن الهند وسيلان تأوي اليها ، وسكن قوم من الهند بها ، كما سكن بها قوم من الفرس ، خالطوا العرب ، ولعلّي لا أخطئ إذا قلت ان شأن الموالي بالبصرة كان أقوى منه بالكوفة ، لاتصال البصرة بالهند وببلاد فارس ، وبعد الكوفة عنها ، وقد أثر هذا الاتصال في لسان عرب البصرة ، مما أدى الى ظهور اللحن في الكلام ، وظهور أثر للغات أهل الهند في لسان أهل (الأبلّة) ثم البصرة ، بسبب نزوح جاليات كبيرة من الهند الى (الأبلّة) ، وذلك قبل الاسلام .

وأما (بغداد) التي ظهرت بعد المدينتين بأمد ، فقد أسسها (أبو جعفر المنصور) العباسي ، فإنها كانت مدينة مُلك ، ولم تكن مدينة علم ، وما فيها من العلم ، فعجلوب للخلفاء وأتباعهم ، « قال أبو حاتم : أهل بغداد حشو عسكر الخليفة ، لم يكن بها من يُوثق به في كلام العرب ، ولا من تُرتضى روايته ، فإن ادعى أحد منهم شيئاً رأيتُه مغلطاً صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة »^٤ . وللأصمعي كلام يستهزئ به على علم أهل بغداد . قال « خرجت الى بغداد وما فيها أحد

١ الشعر والشعراء (١٥٠/١) ، (وكان « عدى بن زيد » يسكن بالحيرة ، ويدخل الارياض ، فنقل لسانه) .
٢ الرافعي (٣٤٣/١) .
٣ كتابي هذا ، الجزء الثاني (ص ٢٠) .
٤ المزهر (٤١٤/٢) .

يحسن شيئاً من العلم ، لقد جاءني قوم يسألوني عن الجعطرى ، فأخبرتهم أنه
المكتل . قالوا : وما المكتل ؟ قلت : هو العضل ! قالوا : وما العضل ؟
وكان بقربي يقال ضخم ، فقلت : هو مثل ذلك البقال ! فرووا عني ^١ .

ونجد (المعري) يتهم رواية بغداد بعدم الفهم في الشعر ، ترى رأيه هذا
فيهم في رسالة الغفران ، حيث يسأل (امرأ القيس) : « يا أبا هند ، ان
رواة البغداديين ينشدون في قفا نك ، هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها ، أعني
قولك :

وكان ذرى رأس المجير غدوة

وكان مكاكي الجواء

وكان السباع فيه غرقى

فيقول : أبعد الله أولئك ! لقد أساءوا الرواية . وإذا فعلوا ذلك فأني فرق
يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن
القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم ، وهيئات هيئات ^٢ .

وأما المدن الأخرى ، فلم تبلغ في العلم شأو البصرة والكوفة ثم بغداد . فلم
يعترف أحد من علماء العربية بوجود امام في العربية بدمشق أو يثرب أو مكة .
وقد زعم (الأصمعي) ، انه أقام بالمدينة زماناً ما رأى بها قصيدة واحدة صحيحة
إلا مصحفة أو مصنوعة ، وكان بها (عيسى بن يزيد بن بكر بن داب) المعروف
بابن داب ، يضع الشعر وأحاديث السمر ، وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر .
وكان بها (علي) الملقب بالجميل ، وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً .

« وأما مكة ، فكان بها رجل من الموالي ، يقال له : ابن قسطنطين ، شدا
شيئاً من النحو ، ووضع كتاباً لا يساوي شيئاً ^٣ .

وقد دفعت العصبية الى المدن ، أهل المدينتين على التحاسد والتفاخر والتنافر ،
فادعى أهل كل مدينة انهم أرسخ علماء من أهل المدينة الثانية ، وانهم أكثر إحاطة

١ الرافعي (٤٠٤/١) .

٢ رسالة الغفران (٣١٣) وما بعدها .

٣ المزهر (٤١٣/٢) وما بعدها .

به من خصومهم ، ومن ثم صار أهل الكوفة يتمرأون بخصومهم ، فينتقصونهم ويلصقون بعلماهم وبعلمائهم التهم ، ويغمزون فيهم ، وصار أهل البصرة يكيّدون لأهل الكوفة وينتقصونهم ، وكانوا « يرون ان أصحابهم لو ركبوا في نصاب رجل واحد ما بلغوا أن يعدلوا أضعف رجل في البصرة ، وقد رموهم في باب الكذب بقمص الحناجر ، والأخذ عن كل بر في الرواية وفاجر ، وجعلوهم من علماء الأسواق ، وتلامذة الأوراق »^١ . ووجدت هذه المنافسة أرضاً صالحة في قصور الخلفاء والوزراء والأكابر ببغداد ، حتى تحولت الى مؤامرات ومهاترات ، ابتعدت عن أدب العلم والعلماء ، حتى نزلت أحياناً الى درك مهاترات العامة : والى التزوير ، والاستعانة بالشهود الزور لتأييد عالم على عالم ، كالذي وقع في المسألة الزنبورية في الخلاف الذي كان بين سيويه والكسائي .

وقد وقعت العصبية بين المدينتين حتى في قراءة القرآن ، ففضل أهل كل مدينة قارئ مدينتهم ، واعتبروا قراءة صاحبهم أحسن القراءات ، فأهل الكوفة يتعصبون لقراءة (عبدالله بن مسعود) ويرون أن مصحفه أصح المصاحف ، وأهل البصرة يتعصبون لأبي موسى الأشعري ، ويأخذون بقراءته وبلحنه ، « وكانوا يسمون مصحفه لباب القلوب »^٢ . والكوفيون يكتبون والضحي بالياء ، وأهل البصرة يكتبونها بالألف^٣ .

وكانت أولية العربية بالبصرة ، « لأن أبا الأسود الدؤلي قد نزل بها وأخذ عنه جماعة هناك ، فكان كل أصحابه الذين شققوا العربية بعده بصريين ، ثم انتقل النحو الى الكوفة » . ثم استفاض نحو الكوفيين ، فنبغ فيه من سكنة الكوفة أبو جعفر الرؤاسي ، ومعاذ الهراء ، واضع التصريف ، والكسائي ، والقراء^٤ . وذكر أنه لم يعلم أن أحداً من علماء البصريين أخذ شيئاً من النحو واللغة عن أحد من أهل الكوفة ، بينما أخذ الكوفيون عن أهل البصرة ، وما من أساتذتهم أحد إلا وقد تلمذ لبصري^٥ . وقد قدم (ابن سلام) أهل البصرة على غيرهم في

-
- ١ الرافعي (٤٢٩/١) .
 - ٢ الرافعي (١٧/٢) .
 - ٣ المقتنع (٣٥) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (٣٥) .
 - ٤ الرافعي (٤٣٠/١) وما بعدها .
 - ٥ الرافعي (٤٣٢/١) وما بعدها .

العربية ، قال : « وكان لأهل البصرة في العربية قدمة بالنحو وبلغات العرب والغريب عناية »^١ . و (ابن سلام) نفسه من علماء البصرة ، ومن المتعصبين لها على أهل الكوفة .

وروي أن (أبا الخطاب) المعروف بالأخفش ، وهو من علماء البصرة ، كان أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها^٢ ، فلأهل البصرة قدمة على أهل الكوفة في هذا المضمار .

ومن أهم ميزات أهل البصرة ، هو استعمالهم القياس في النحو ، فقد سبقوا به أهل الكوفة . أما أهل الكوفة ، فقد أخذوا بالقياس في الفقه . فالقياس من أهم وسائل استنباط الأحكام الشرعية في فقه (أبي حنيفة) ، وهو من علماء الكوفة . كان علماء البصرة يطبقون القياس على النحو واللغة ، فما يسمعون يقيسونه على ما جمعه من قواعد استنبطوها من القرآن ومن الشعر ومن لغة العرب ، ثم يحكمون حكمهم عليه . أما أهل الكوفة ، فقد تحرروا منه ، وكانوا على ما قيل عنهم ، يأخذون بالشاذ والغريب ، ولو خالف القياس . ومن هنا اتهموا بالضعف ، وبعدم التروي في البحث والاستقصاء ، وبالأخذ بالخبر من غير نقد ولا تمحيص . وهو اتهام ، قد يكون للعاطفة يد فيه . وقد صار هذا القياس سبباً في إخضاع اللغة إلى حكم قواعد ثابتة اتفق عليها ، استنبطت من الاستقراء ، ومن تطبيق حكم القياس عليها ، إلا أنه صار في الوقت نفسه سبباً في إهمال اللهجات المخالفة التي سماها العلماء لغات شاذة أو غريبة ، وتركها لعدم استحقاقها في نظرهم شرف التسجيل والتثبيت ، ولم يقدروا آنذاك أهميتها بالنسبة لمن يريد تتبع تأريخ لغات العرب وتطورها منذ الجاهلية إلى الإسلام .

وكان لأهل البصرة ميزة قربهم من أعراب نجد والبوادي ، فكانوا يأخذون منهم القواعد واللغة ، أما أهل الكوفة ، فقد اعتمدوا على أشباه الأعراب من المقيمين في أطراف البادية ، وهم ممن رفض أهل البصرة الأخذ عنهم ، لأنهم

١ طبقات (٥) .

٢ المزهر (٢ / ٤٠٠) .

من خالط أهل الريف ، وأقاموا على أطراف الخواضر^١ . كما أن قياس أهل البصرة في النحو ، بني على قواعد بنوها هم وأقاموها ، وفق دراساتهم ، وأخذهم عن الأعراب من نثر وشعر ، ولهذا سخرروا من علم أهل الكوفة ومن علم علمائهم في النحو ، وتتجلى سخريتهم في أشعار نظموها في أهل الكوفة وفي شيخهم (الكسائي) . ترى استهزاء أهل البصرة بعلم وبقياس وبعلماء أهل الكوفة في مثل هذا الشعر :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لفي أشياخ قطربل
فكلهم يعمل في تقض ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأشياعه يرقون في النحو الى أسفل^٢

وتراه في شعر آخر ، هو :

وقل لمن يطلب علماً ألا ناد بأعلى شرف ناد
يا ضيعة النحو ، به مغرب عنقاء أودت ذات إصعاد
أفسده قوم وأزروا به من بين أغتام وأوغاد
ذوي مرء وذوي لكنة لثام آباء وأجداد
لهم قياس أحدثوه هم قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو ، وإن عمروا أعمار عاد ، في أبي جادا

والكسائي ، الذي طعن البصريون في علمه ، وقدموا صاحبهم (سيبويه) عليه ، ناظر خصمه محضرة (الرشيد) أو في مجلس البرامكة على رواية ، وغلبه بمؤامرة يقال إنها حكيت ، للإيقاع به . وذلك في المسألة التي عرفت بـ (المسألة الزنبورية) في كتب العلماء^٣ . وكان (الكسائي) قد أخذ النحو عن (أبي جعفر) الرؤاسي ، وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو ، وقيل إن كل ما في كتاب سيبويه : « وقال الكوفي كذا ... » إنما عني به الرؤاسي هذا ، وكتابه يقال

-
- ١ نزهة الالباء (١٠٨) ، بغية ، للسيوطي (٣٣٦) ، ارشاد (٢٩٠/٧) ، يوهان فك (٦٢) .
 - ٢ السيرافي ، أخبار النحويين (٢٣) ، يوهان فك (٦٢) .
 - ٣ مجالس العلماء (٨ وما بعدها) ، السيوطي ، الاشباه والنظائر (١٥/٣) .

له القيصـل ، وكان له عم يقال له معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوي مشهور ، وهو أول من وضع التصريف . وقد طعن رواة البصرة في علم (الرؤاسي) . قال (أبو حاتم) : « كان بالكوفة نحوي يقال له : أبو جعفر الرؤاسي ، وهو مطروح العلم ليس بشيء ، وأهل الكوفة يعظمون من شأنه ، ويزعمون أن كثيراً من علومهم وقراءتهم مأخوذ عنه »^١ .

وسبقت الكوفة البصرة في رواية الشعر ، وقد خاطب (علي بن أبي طالب) أهل الكوفة بقوله : « إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزيزين ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار »^٢ ، فالأمثال والشعر من أهم الموضوعات التي كان يتدارسها أهل الكوفة في أيام نشأتها الأولى ، فهم على سفن الجاهليين في ضرب الأمثال ورواية الشعر . روي أن المفضل كان يروي للأسود بن يعفر ثلاثين ومائة قصيدة ، وكان أهل الكوفة يروون له أكثر من غيرهم ، ويتجاوزون فيه أكثر من غيرهم^٣ ، وقد انفردوا برواية شعر امرئ القيس ، خلا نتف أخذت من أبي عمرو بن العلاء وبعض الرواة الأعراب^٤ . وروي أن « الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بين في دواوينهم »^٥ . وقد زعم أهل الكوفة ، أن علمهم بالشعر القديم ، إنما ورد إليهم من (الطنوج) ، وهي الكراريس التي أمر (النعمان بن المنذر) بتدوين أشعار العرب عليها ، وما مدح به هو وأهل بيته ، ثم أمر بدفنها في القصر الأبيض ، فلما كان (المختار ابن أبي عبيد) ، احتضرها ، فأخرج تلك الأشعار ، فنظم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة »^٦ .

وكان حماد الراوية رأس أهل الكوفة في رواية الشعر وتدوينه ، فقد بلغ الغاية في العلم بشعر الجاهليين . يقابله فيه (خلف الأحمر) عند أهل البصرة ، وكان خلف أول من أحدث السماع في البصرة ، « وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع

-
- ١ المـزهر (٤٠٠/٢) .
 - ٢ الرافعي (٣٨٢/١) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٣٤) .
 - ٤ الرافعي (٤٣٢/١) .
 - ٥ المـزهر (٤٠٧/٢) .
 - ٦ الخصائص ، لابن جني (٣٩٢/١) .

منه الشعر ، ثم تابعه البصريون فأخذوا عن حماد بعد ذلك ، لانفراده بروايات من الشعر ، فإنه هو الذي أخذ عنه كل شعر امرئ القيس ، إلا شيئاً أخذوه عن أبي عمرو بن العلاء ^١ . وذكر ان (الخثعمي) ، و (أبا البلاد) كانا من رواة أهل الكوفة في الشعر قبل (حماد) ، وكانا في خلافة عبد الملك بن مروان ^٢ .

ونسب الى بعض العلماء اضافتهم البيت أو الأبيات على ألسنة الشعراء ، لتوجيه الحجة وترتين الخبر ، والاستشهاد على قاعدة نحوية أو صرفية . وذكر ان بعضاً منهم قد اعترف بذلك ، وأقر الوضع ^٣ . وفي هذه الاعترافات المنسوبة اليهم ، ما هو باطل مصنوع ، صنعه عليهم حسادهم ومنافسوه في الصنعة ، ورموه بين الناس على انه إقرار من أولئك العلماء بالوضع ، ولا يعقل صدور مثل هذه الاعترافات منهم ، لشهرتهم ولمكانتهم بين الناس ، ولخوفهم من السمعة السيئة ، واشتعارهم بالكذب والانتحال . وليس معنى هذا انهم لم يضعوا ولم يصنعوا شيئاً على الشعر الجاهلي ، انما أشك في صحة ما قيل على ألسنتهم من اعترافهم بالدس والوضع .

وذكر أن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابعة ^٤ . وقد كان من اللازم أن يتعصب أهل الكوفة لامرئ القيس ، فقد روى أكثر شعره حماد ورواة آخرون من أهل الكوفة . وقد كان (يونس بن حبيب) ، وهو من البصريين ومن المتعصبين لمدينته يقول : « يا عجبا للناس ، كيف يكتبون عن حماد وهو يصحف ويكذب ويلعن ويكسر » ^٥ .

وقد اتهم الكوفيون بأنهم كانوا أكثر الناس وضعا للأشعار التي يستشهد بها ، « لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولاً يقاس عليها » . « وأول من سنّ لهم هذه الطريقة شيخهم الكسائي ، قال ابن درستويه : كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه ، فأفسد النحو بذلك » . و « قال الأندلسي في شرح المفصل : والكوفيون لو سمعوا

-
- ١ الرافعي (٤٣٢/١) .
 - ٢ المصدر نفسه .
 - ٣ الرافعي (٣٨٣/١) وما بعدها .
 - ٤ طبقات ، ابن سلام (١٦) .
 - ٥ رسائل الجاحظ (٢٢٦/١) ، (كتاب البغال) .

بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّأوا عليه ، بخلاف البصريين ^١ .

وانهموا انهم كانوا يصنعون الشاهد من الشعر فيما لا يصيبون له شاهداً اذا كانت العرب على خلافهم ، ولذلك تجدد في شواهدهم من الشعر ما لا يعرف قائله ، بل ربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر ^٢ ، وربما أخذوا من العرب المتحضرة ، ومن أجل هذا وأمثاله كان البصريون يغمزون على الكوفيين فيقولون : نحن نأخذ اللغة عن حَرَشَةِ الضَّبَابِ وأكلة اليرابيع وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز والكوامخ ^٣ . ومن الأعراب الذين أخذ (الفراء) ، عالم الكوفة بعد الكسائي عنهم اللغة ، (أبي الجراح) ، و (أبي مروان) ، وأهل البصرة يمتنعون من الأخذ عن أمثال هؤلاء الأعراب ، ولا يرون في قولهم حجة . وقال أبو حاتم : اذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، وحكيت عن العرب شيئاً ، فلما أحكيه عن الثقات منهم ، مثل أبي زيد ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحلة العلم ، ولا التفت الى رواية الكسائي ، والأحر والأموي ، والفراء ، ونحوهم ^٤ .

وانهموا بأنهم كانوا يكثرّون من الشعر ، يقولونه على السنة الشعراء ، قال (ابن سلام) في أثناء حديثه عن (الأسود بن يعفر) الشاعر الجاهلي : « وذكر بعض أصحابنا انه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومائة قصيدة ، ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه . وقد علمت ان أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي ، ويتجاوزون في ذلك أكثر من تجوزنا ^٥ . وكان الأسود ، يكثر التنقل في العرب يجاورهم ، فيزدحم ويحمد . وله في ذلك أشعار . له قصيدة جيدة ، طويلة رائعة تعد من أول الشعر ، وهي :

نام الخليّ فما أحس رقادي والهمّ محتضر لديّ وسادي^٦

-
- ١ الرافعي (٣٧٠/١) .
 - ٢ الرافعي (٣٧٠/١) وما بعدها .
 - ٣ الرافعي (٣٧١/١) .
 - ٤ المزهر (٤١٠/٢) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٣٣) وما بعدها .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٣٣) .

ونسنع قصصاً عن تغليط علماء البصرة والكوفة بعضهم البعض ، فنجد خلفاً الأحمر ، وهو شيخ البصرة في الشعر ، يذكر أنه أخذ على (المفضل) الضبيّ في يوم واحد تصحيح ثلاثة أبيات^١ . ونجد (الأصمعي) ، وهو من علماء البصرة كذلك ، يحمل على علم (الضبي) في الشعر ، ويرميه بعدم الفهم^٢ . ونجد قصصاً روي عن علماء مشاهير مثل (ثعلب) وغيره ، يحمل فيه أولئك العلماء بعضهم على بعض ، وينقص بعضهم على البعض الآخر^٣ .

ونحن إذا أردنا الوقوف موقفاً علمياً ، فلا نستطيع إلا أن نقول: إننا لا نستطيع تبرئة أهل الكوفة من الصنعة والوضع ، كما لا نستطيع تبرئة أهل البصرة منها ، لأن في كل مدينة من المدينتين منافسات بين العلماء ، وتزاحم على الرئاسة، وحسد، يدفع الإنسان على الوضع والصنعة والأخذ بالخبر مهما كان شأنه لإفحام الخصوم ، والتغلب عليهم . فإذا كان (حماد) عالم الكوفة في الشعر من الوضعين ، وكان يصحف ويكذب ويلحن ويكسر^٤ ، فقد كان (خلف الأحمر) ، وهو عالم البصرة ، مثله في الصنعة والوضع والكلب . وكان (شوكر) وهو من أهل البصرة ، ومن رجال المائة الثانية ، ممن يضع الأخبار والأشعار ، وفيه يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن دأب^٥

وقد نقح علماء الشعر من المدرستين والمدارس الأخرى ما أخذوه من الشعر الجاهلي ، وأجروا على ما لا يتفق منه والقواعد التي ثبتوها للتحو وللعرض تهدياً وتشدياً ، وعابوا منه أموراً مثل الإقواء والزحاف ، واختلال الوزن ، وما شاكل ذلك . وقد تحدث عن ذلك (المعري) في رسالة الغفران ، وهو شاعر ومن نقدة

-
- ١ المصون (١٩١ وما بعدها) .
 - ٢ المصون (١٩٢ وما بعدها) .
 - ٣ المزهر (٢٠٢/١ وما بعدها) .
 - ٤ رسائل الجاحظ (٢٢٦/١) ، (كتاب البغال) .
 - ٥ لسان الميزان (١٥٨/٣) ، (٤٠٩/٤) ، رسائل الجاحظ (٢٢٥/١) ، (كتاب البغال) .

الشعر ، في أحاديثه التي وضعها على ألسنة الشعراء في الجنة أو في النار ، وفي أسئلته التي وجهها إليهم ، أو وجهها غيره إليهم . كما في استفساره من (امرئ القيس) عن رواة أهل بغداد في انشادهم أبياتاً من قصيدته : « قفا نبك بزيادة الواو في أولها ، فوضع الجواب على لسانه ، بقوله : « أبعد الله أولئك ! لقد أساءوا الرواية . وإذا فعلوا ذلك فأني فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم ، وهيئات هيئات ! »^١ . ثم يقول : « لو شرحتُ لك ما قال النحويون في ذلك لعجبت »^٢ .

ونرى (المعري) يوجه أسئلة الى (امرئ القيس) ، فيقول له : « أخبرني عن كلمتك (الصادية) ، و (الضادية) ، و (التونية) التي أولها :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان ؟

لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمعُ ، كقولك :

فإن أمسٍ مكروباً فيا رب غارةٍ شهدتُ على أقبٍ رِخو اللبانِ

وكذلك قولك في الكلمة الصادية :

على نقتق هيقٍ له ولعرسه بمنقطع الوعشاء بيضٌ رصيص

وقولك :

فأسقي به أختي ضعيفةً إذ نأت وإذ بعدَ المزدارُ غير القريضِ

في أشباه لذلك ، هل كانت غرائركم لا تحس بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مغامض الكلام وأنتم عالمون عما يقع فيه ؟ كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

١ رسالة الغفران (٣١٣ وما بعده) .

٢ رسالة الغفران (٣١٤) .

يطلب شأوَ امرأين قدّما حسباً نالا الملوك ، وبذّا هذه السُّوقا

فإن الغزائر تحسُّ بهذه المواضع ^١ .

ثمَّ يجيب (المعري) على لسان (امرئ القيس) بقوله : « أدركنا الأولين من العرب لا يحفلون بمجيء ذلك ، ولا أدري ما شجن عنه » فأما أنا وطبقتي فكنا نمرّ في البيت حتّى نأتي إلى آخره ، فإذا فنى وقارب ، تبين أمره للسامع ^٢ .

ثمَّ نراه يسأل (امرئ القيس) عن قوله :

ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ ولا سيما يوم بسدارة جلجل

أنتشده : لك منهنّ صالحٍ ؟ أم تنشده على الرواية الأخرى . فيجيب على لسانه بقوله : « أما أنا فما قلتُ في الجاهلية إلا بزحاف :

لك منهنّ صالحٍ

وأما المعلمون في الإسلام ، فغيروه على حسب ما يريدون ^٣ .

وقد سأله (المعري) عن الشعر المسمط المنسوب اليه ، فأنكر على لسانه أن يكون قد سمع به قط ، قائلاً : « وانه لقري لم أسلكه ، وان الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظلمني وأساء إلي ^٤ . ولما سأله عن (الإقواء) في شعره ، قائلاً له : « وقد كان بعض علماء الدولة الثانية يجعلك لا يجوز الإقواء عليك » ، أجاب على لسانه : « لا نكرة عندنا في الإقواء ^٥ .

وقد كان من أصعب الأشياء على بعض رجال المدرستين ألا يجيبوا على أسئلة توجه اليهم لإجابة تفيد بوجود علم لهم عنها ، ولهذا كانوا يعمدون الى الصنعة والافتعال . نجد ذلك عند أهل الأخبار ، وعلى رأسهم (ابن الكلبي) ، كما نجد ذلك عند رواة الشعر مثل حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، كما نجده عند علماء

١ رسالة الغفران (٣١٥ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (٣١٧) .

٣ رسالة الغفران (٣١٧ وما بعدها) .

٤ رسالة الغفران (٣١٩) .

٥ رسالة الغفران (٣٢٠) .

اللغة . وقد أشرت في صفحات هذا الكتاب الى أمثلة عديدة من هذا القيسيل ، اضطر فيها المجيب على افتعال جواب وصنعه ، ليظهر نفسه بمظهر العارف بكل شيء .

ويجب الانتباه الى ان علماء البصرة أو الكوفة أو غيرهم ، مهما سموا في العلم وارتفعوا ، فإنهم بشر ، لم يرزقوا العصمة ، وهم في التأثير والافتعال مثل أي كائن حي ، فقد يتأثر عالم من عالم متقدم عليه ، فيحاول الغمز في علمه أو الطعن به . قال علي بن العباس : « رأيتي البحري ومعي دفتر ، فقال : ما هذا ؟ فقلتُ شعر الشنفرى . قال : والى أين تمضي ؟ قلت أقرأه على أبي العباس أحمد بن يحيى . قال : رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام ، فلم أر له علماً بالشعر مرضياً ، ولا تقدراً له ، ورأيتُه ينشد أبياتاً صالحة ويعيدها ، إلا أنها لا تستوجب التردد والإعجاب فيها »^١ . وروى (أحمد بن يحيى ثعلب) ، خبر مناظرات وقعت بين (أبي عمرو الشيباني) ، والأصمعي ، ترينا مبلغ التنافس الذي كان بين العالمين ، واستهتار الأصمعي بخصمه ، استهتاراً تجاوز الحد^٢ .

وقد حاول (السيوطي) إيجاد عذر لغمز العلماء بعضهم في بعض ، بأن قال : « فإن قلت : فإننا نجد علماء هذا الشأن من البلدين ، والمتحلين به من المصريين كثيراً ما يهجن بعضهم بعضاً ، فلا يترك له في ذلك سماً ولا أرضاً ؟ قيل : هذا أدل دليل على كرم هذا الأمر ونزاهة هذا العلم ، ألا ترى انه إذا سبق الى أحدهم ظنة ، أو توجهت نحوه شبهة سُبَّ بها ، وبريء الى الله منه لمكانها ، ولعل أكثر ما يرمى بسقطة في رواية ، أو غمرة في حكاية ، محمي جانب الصدق فيها ، بريء عند الله من تبعثها ؛ لكن أخذت عنه إما لاعتناق شبهة عرضت له ، أو لمن أخذ عنه ، وإما لأن ثالبه ومتعبيه مقصر عن مغزاه ، مغموض الطرف دون مداه ، وقد عرض الشبهة للفريقين ، ويعترض على كلا الفريقين » ، ثم أخذ يعتذر عن ذلك ، بأنه وقع في سبيل العلم والحق ، ثم قال : « وإذا كانت هذه المناقضات والمناقسات موجودة بين السلف القديم ... جاز مثل ذلك أيضاً في علم العرب »^٣ .

١ المصون (٤) .

٢ المصون (١٩٣) وما بعد .

٣ المزهر (٤١٦/٢) وما بعدها .

ومن هنا يجب الاحتراس كثيراً حين قراءتنا الطعون التي ترد على ألسنة العلماء يطعن فيها بعضهم ببعض ، فأكثر هذا المروي عنهم ، صادر عن طبيعة بشرية ، تظهر بين الزعماء نتيجة التنافس الذي يقع بينهم على الزعامة والصدارة ، ولو في زعامة العلم . ولا تقتصر هذه الطعون والمغامز على طعن علماء البصرة بعلماء أهل الكوفة ، أو العكس ، بل نجدتها بين علماء المدينة الواحدة أيضاً ، لأن الموضوع موضوع زعامة ورئاسة ، والتحاسد بين المتحاسدين لا ينحصر بقوم دون قوم ، وقد يقع بين الاخوة الاشقاء .

الفصل الحادي والخمسون بعد المئة

العصبية والشعر

رأيت أن أهل الكوفة كانوا يفضلون بعض الشعراء الجاهليين على غيرهم ، وأن أهل البصرة كانوا يرجحون غيرهم عليهم ، فلا يرون التقدم لمن اختارهم أهل الكوفة ، ورأيت أن أهل الحجاز يقدمون شعراء آخرين على الشعراء الذين قدمهم أهل الكوفة أو أهل البصرة .

وموضوع من هو أشعر شعراء أهل الجاهلية ، موضوع تضاربت فيه الآراء كثيراً ، وكثرت فيه الأقوال ، لما له من تماس بروح العصبية ، والعصبية اذا دخلت قضية أفسدتها . ثم انه قائم على أحكام الأذواق ، وأذواق الناس في الشعر وفي النوق والتذوق متفاوتة متباينة ، ثم هو لا يستند الى أسس مقررّة تعود الى أيام الجاهلية ، كتقد علمي ودراسة عامة شاملة قام بها الجاهليون في أيامهم ، وانما مرجعه أقوال قيل انها صدرت من خبراء الشعر وعلمائه ، لا أدري مقدار ما فيها من صدق أو كذب . وكل ما أستطيع ان أقوله : انها آراء دونت في الاسلام ، وهي مرسلة ، محمولة على المبالغة في الاستحسان لقصيدة أو لقطعة أو لبيت ، بل ولنصف بيت أحياناً ، وهي تمثل استذواقاً شخصياً ، لحالة من الحالات ، لا لغالب شعر الشاعر وعامة ما روى عنه ، ولما فيه من فن وإبداع ، ثم انك تجدها أحياناً متناقضة متضاربة ، تجد رواية تقول إن الشاعر الفلاني ، أو عالم الشعر فلان قال : أشعر الناس فلاناً ، ثم تجد رواية ثانية تذكر انه قدم شاعراً آخر محلّه فجعله أشعر الشعراء ، ثم لا تلبث أن تجد رواية ثالثة ، تذكر

أنه اختار شاعراً غيرهما ، فجعله أشعر شعراء الجاهلية ، وأشعر الناس ، فتحتار في أمر هذا التناقض ، كيف وقع ، وكيف حدث والحاكم رجل واحد ؟ هل وقع هذا حقاً ، أو أنه كان من وضع المتعصبين للشعراء ، أرادوا تقديم شاعر لهم على سائر الشعراء ، فاحتاجوا الى حجة وسند واثبات ، لإثبات دعواهم ، وتأكيدها ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى عالم معروف وصنع قوم غيرهم مثل مسا صنعوا ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى هذا العالم أيضاً ، فمن ثم تعددت الأقوال وتصادمت ، فليس للعلماء اذن يد في هذا التناقض أو أي ذنب ، وإنما الذنب هو ذنب المختلفين الذين دسوا دسهم على العلماء .

وقد لا يكون للإختلاق يد في ظهور هذا التناقض ، وإنما سببه ، أن شخصاً يُسأل عن شاعر ، فيخطر بباله خاطر عن شعره ، جعله يستعذبه أو يستعذب جزءاً منه ، يراه أنه أحسن ما قيل من نحوه ، فيرجحه على الجميع ، ويحكم من هذه الناحية على أنه أشعر الناس ، ثم يمضي وقت ، ينسى فيه ما قال ، فيسأله أشخاص : من أشعر الناس : فيتخطر خاطراً ، أو يحمله المجلس الذي كان يدور فيه الحديث إذ ذاك على خاطر ، يحمله على الحكم بتفوق شاعر آخر ، وهكذا ومن هنا كان سبب هذا التناقض والاختلاف في الرأي .

وقد كان من السهل وقوع مثل هذا التناقض ، لأن العلم كان بالمشاهدة ، ولم يكن عن تدوين وقراءة كتب ، وكان بالذاكرة والتذكر ، وكان حكمهم بنصف البيت وبالبيت وبالقطعة وبالقصيدة ، أو بجملة قصائد ، لا بمراجعة شعر كل شاعر ، وبمقابلته بشعر الشعراء الآخرين ، واستنباط ما في مجموع شعر كل شاعر من مزايا ، للمقابلة بينهما . ثم للحكم للمتفوق الأجود . فذلك أمر لم يكن من الممكن حدوثه : لعدم وجود التدوين عندهم ، ثم إنه لم يكن معروفاً عندهم . فلما وقع التدوين ، وأخذ علماء الشعر في التنقيب في كل جهة بحثاً عن الشعر وما قيل فيه ، ظهر ذلك التناقض وبان ، ودون كل ما أمكن تدوينه ، بعد أن ضاع من الشعر ومن الآراء التي قيلت عنه ما ضاع ، وكانت الخلاصة هذا الواصل الينا .

وقد أشار أهل الأخبار الى ما كان للعصبية من أثرها في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض : عصبية قبلية ، وعصبية محلية ، وعصبية منافسة وتراكم على الزعامة . فالقبائل تقدم شعراءها على شعراء غيرها وتجعل في أيديهم ألوية الشعر ، وقيادة الشعراء في معارك القصيد ، وأهل العصبية الى عدنان ، يقدمون شعر (ربيعة) وأولهم

(المهلهل) على غيره، ويرون أنه مفتق الشعر ومهلهل، وأول من قصد القصائد، وأهل اليمن يرون تقدمة الشعر لليمن، يزعمون أنه بدأ في الجاهلية بامرئ القيس، وفي الإسلام بحسان بن ثابت، وفي المولدين بالحسن بن هانيء، وأصحابه : مسلم بن الوليد، وأبي الشيص، ودعبل، وكلهم من اليمن، وفي الطبقة التي تليهم بالطائين : حبيب، والبحري، ويختمون الشعر بأبي الطيب، وهو خاتمة الشعراء لا محالة، ويرجعون نسبه إلى اليمن^٢.

قال (ابن رشيقي) في (العمدة) : « والشعراء أكثر من أن يحيط بهم عدداً، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم، وكثر ذكرهم، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتمعصب له، وقل ما يجتمع على واحد، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء... »^٣.

وكان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس، أما أهل الكوفة فكانوا يقدمون الأعشى، وأما أهل الحجاز والبادية، فقدّموا زهيراً والنابغة. وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً. وهذا ما أتت به الرواية عن (يونس بن حبيب) النحوي^٤.

ولكنك إذا تتبعته وأحصيت ما قيل على ألسنة أهل البصرة أو الكوفة أو الحجاز من أقوال، ترى تناقضاً بين هذه الرواية وبين ما حصلت عليه من دراسة تلك الأقوال. تناقضاً ينبثق أن هذا المروي، هو وجهات نظر وآراء أشخاص، ولا يمثل إجماع أهل الكوفة، أو إجماع أهل البصرة ولا إجماع أهل الحجاز، أو إجماع أهل البادية، ثم هو كله آراء وردت في الإسلام، وإن حاولت إرجاع أصلها إلى الجاهلية.

ويذكر من يقدم (امرأ القيس) على غيره، أن الرسول ذكره يوماً، فقال: « ذلك رجل مذكور في الدنيا، منسي في الآخرة، يجيء يوم القيامة ويبيده »

١ العمدة (٨٦/١ وما بعدها)، (باب تنقل الشعر في القبائل) .

٢ راجع رأي علماء الشعر في أصل نسب المتنبي، العمدة (٨٩/١ وما بعدها) .

٣ العمدة (٩٤/١)، المزهري (٤٧٨/٢) .

٤ ابن سلام، طبقات (١٦)، العمدة (٩٨/١)، المزهري (٤٨٢/٢) .

لواء الشعراء يقودهم الى النار ^١ . أو أنه قال : « إنه أشعر الشعراء ، وقائدهم الى النار . يعني شعراء الجاهلية والمشركين » ^٢ .

وروي أن (عمر بن الخطاب) كان يفضل (امرأ القيس) على غيره ، ذكر أنه قال للعباس بن عبد المطلب ، « وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان عسور أصبح بصر » ^٣ . « يريد أنه أول من فتق صناعة الشعر وفنن معانيها واحتذى الشعر على مثاله » ^٤ . وذكر أن (علي بن أبي طالب) كان يرى له التقدم على غيره ، وذلك بقوله : « رأيت أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة » ^٥ . فأنت ترى أن الرسول وعمر وعلي ، قدّموا (امرأ القيس) على غيره ، وهم من أهل الحجاز . ولكننا نجد في الوقت نفسه رواية تذكر أن (ابن عباس) قال : قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قلت : ولم كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاضل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ^٦ . فهو يفضل في هذه الرواية زهيراً على غيره ، بما فيهم امرؤ القيس ، إذ لم يشر اليه باستثناء .

تم نجد رواية أخرى تذكر أن (عمر بن الخطاب) قال : أي شعرائكم يقول :

ولست بمستبق أحداً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

قالوا : النابغة . قال هو : أشعرهم ^٧ . « وكان أبو بكر رضي الله عنه ، يقدم النابغة ، ويقول : هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعرأ » ^٨ . فأبو بكر وعمر في هذا الموقف سواء ، فضلاً النابغة على سائر الشعراء .

-
- ١ بلوغ الأرب (٩٣/٣) ، المزهر (٤٧٨/٢) .
 - ٢ العملة (٩٤/١) .
 - ٣ العملة (٩٤/١) ، الفائق (٣٤٣/١) .
 - ٤ تاج العروس (٤٧٥/٣) ، (فقر) .
 - ٥ العملة (٤١/١) وما بعدها ، ٩٤ ، تاج العروس (٤١٢/٧) ، (ضلل) .
 - ٦ طبقات ابن سلام (١٨) ، العملة (٩٨/١) ، الفائق (١٦٥/٢) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) .
 - ٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (٧٩/١) وما بعدها .
 - ٨ العملة (٩٥/١) .

ولو استعرضنا رأي الشعراء في أشعر الشعراء ، وجدناه غير متفق ، فقد يفضل شاعر شاعراً ، وقد يخالفه فيه شاعر آخر ، وقد ينسب لشاعر رأي ، ثم ينسب له رأي يخالف . سئل (لييد) : « من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشاب القليل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل - يعني نفسه ^١ . و « روى الجهمي أن سائلاً سأل الفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال : ذو القروح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهم جسدكم بيني أبيهم وبالأشقين ما كان العقابُ

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب :

ويلمها من هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب ^٢ .

وقد سئل الفرزدق مرة : « من أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبي خازم ؛ قيل له : بماذا ؟ قال : بقوله :

ثوى في ملحدٍ لا بُدَّ منه كفى بالموت نأياً واغتراباً

ثم سئل جرير ، فقال : بشر بن أبي خازم ، قال : بماذا ؟ قال : بقوله :

رهين يلى ، وكل فتى سبيلي فشُقي الجيب وانتحبي انتحاباً

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى ^٣ . وقد رأيت أن الفرزدق كان قد سئل السؤال نفسه : من أشعر الناس ؟ فأجاب : ذو القروح ، أي امرئ القيس . بسبب بيت فوقه به على غيره من الشعراء . بينما هو يقدم (بشر بن أبي خازم في هذه الرواية . وينسب أهل الأخبار لجرير رواية أخرى تزعم أنه سئل من أشعر الناس ، فقال : النابغة ^٤ . فخالفت هذه الرواية ما جاء في الرواية الأخرى .

-
- ١ العمدة (٩٥/١) ، المزهر (٤٧٩/٢) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .
 - ٢ العمدة (٩٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) ، المزهر (٤٨١/٢) .
 - ٣ العمدة (٩٦/١) .
 - ٤ العمدة (٩٧/١) .

« وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس، وأضر بهم مثلاً طرفه . وأما شعراء الوقت ، فالفرزدق أفخرهم ، وجريز أمجأهم ، والأخطل أوصفهم »^١ . « وفضل النقاد العرب طرفه على سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق اليه ، ويميل بعضهم الى عدّه أشعر شعراء الجاهلية »^٢ .

« وقيل لكثير أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب »^٣ . فهو رأي قدم الشعراء المذكورين على غيرهم في حالات معينة ، ولم يقدم (امرؤ القيس) على غيره بصورة مطلقة . و « زعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس ، والنابعة ، وطرفة ، ومهلل »^٤ .

« وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي : واسلامي ، ومولد؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، والاسلامي ذو الرمة ، والمولد ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع وبخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر »^٥ .

وحجة من قدم امرؤ القيس على غيره « ان امرؤ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء ، واتبعوه فيها ، لأنه أول من لطف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مأخذ الكلام ، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه »^٦ ، « وكان أحسن طبقته تشبيهاً »^٧ .

١ العملة (٩٦/١) ، المزهر (٤٨١/٢) .

٢ بروكلمن (٩٢/١) .

٣ العملة (٩٥/١) .

٤ العملة (٩٧/١) ، المزهر (٤٨١/٢) .

٥ العملة (١٠٠/١) .

٦ الشعر والشعراء (٤٧٨/١) وما بعدها ، العملة (٩٤/١) ، ابن سلام ، طبقات

(١٦ وما بعدها) ، الرواية يرجع الى « يونس » وقد دونها « ابن سلام » و « ابن

قتيبة » المتوفى بعده (٢٧٦ هـ) ، مع شيء يسير من الاختلاف في النص .

٧ ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) .

ووجد (زهير) له أنصاراً وأعواناً ، من المعجبين به في الاسلام بالطبع ، قدّموه على غيره من شعراء الجاهلية . وقد سبق أن أشرت الى رواية زعمت أن (عمر) فضله على غيره من شعراء أهل الجاهلية^١ . وذكر أن (عكرمة بن جرير) سأل أباه جريراً : من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : ما أردت إلا الإسلام ؟ فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم^٢ . يوزعم أن (ابن عباس) سأل (الحطيئة) عن أشعر الناس ، فقال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفقره ومن لا ينسق الشتم يشتم

وليس الذي يقول :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته ، كما أفسدت جرولاً ، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباكون فلا شك اني أشعرهم . قال ابن عباس : كذلك أنت يا أبا مليكة^٣ . وقائل البيت الأول زهير ، وقائل البيت الثاني هو النابغة .

ولكننا نقرأ في رواية أخرى ما يخالف هذا الرأي ، نقرأ فيها أن سائلاً سأل الحطيئة عن أشعر الناس ، فقال أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعدد الإقتار عدماً ، ولكن فتقد من قسد رزثته الإعدام

وهو رأي لم يقبل به أحد من النقاد^٤ . وجعل بعده (عبيداً)^٥ .

ورجح بعضهم (الأعشى) على غيره ، رجحه الشاعر (الأنخطل) مثلاً ، فزعم أنه قال : « الأعشى أشعر الناس »^٦ . وكان خلف الأحمر يقول : الأعشى

-
- | | |
|---|--|
| ١ | العملة (٩٨/١) . |
| ٢ | العملة (٩٦/١) . |
| ٣ | العملة (٩٧/١) ، المزهر (٤٨١/٢) . |
| ٤ | العملة (٩٧/١) ، المزهر (٤٨١/٢) . |
| ٥ | الشعر والشعراء (٢٤٢/١) ، دار الثقافة ، بيروت . |
| ٦ | العملة (٩٧/١) ، المزهر (٤٨١/٢) . |

أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره ، وكان أبو الخطاب الأنخشي يقدمه جداً ، لا يقدمُ عليه أحداً^١ . « وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة^٢ ، والأربعة ، هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة ، والأعشى ، أو زهير ، والنابعة ، والأعشى ، وعنزة^٣ . « حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفسة : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنزة إذا كلب . وزاد قوم : وجريز إذا غضب^٤ ، « وقيل لكثير ، أو لنصيب ، من أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب^٥ .

وحجة من قدم (الأعشى) ، أنه كان « أكثرهم عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاء ونظراً وصفة كل ذلك عنده^٦ .

ووجد (النابغة) من فضله على غيره من شعراء الجاهلية ، وفيهم الخليفة (أبو بكر) الذي كان يقول عنه « هو أحسنهم شعراً ، وأعلبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً^٦ و (عمر)^٧ والشاعر (جريز)^٨ ، وحجة من قدم النابغة على غيره أنه : « كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحاً ، وهجاء ، وفخراً ، وصفة^٩ ، « وأجزلهم بيتاً . كان شعره كلام ليس فيه تكلف^{١٠} .

وزعم أن (الكميت) كان يقول : (عمرو بن كلثوم أشعر الناس) ،

-
- ١ العملة (٩٥/١) .
 - ٢ العملة (٩٩/١) .
 - ٣ العملة (٩٥/١) .
 - ٤ العملة (٩٥/١) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (١٨/١) .
 - ٦ العملة (٩٥/١) .
 - ٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) .
 - ٨ « وقال جريز : النابغة أشعر الناس » ، المزهر (٤٨١/٢) .
 - ٩ العملة (٩٩/١) .
 - ١٠ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

وأن الشاعر (ذو الرمة) فضل (ليبدأ) على كل الشعراء^١ .

و « كان ابن أبي اسحاق ، وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور ، يقول :
« أشعر الجاهلية مُرَقَش » ، وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر
الناس ؟ فقال : العبد العَجَلاني ، يعني تميم بن أبيّ بن مقبل^٢ ، وهو من
المخضرمين^٣ ، « وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ،
يعني علقمة بن عبدة ، وقيل أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد
امريء القيس ، ما لزهر والنابغة ، والأعشى في النفوس »^٤ .

وذكر (ابن سلام) أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يرى أن (خلدش
ابن زهير) « أشعر في قريحة الشعر من لييد ، وأبى الناس إلا تقديمه لييد .
وكان يهجو قريشاً »^٥ . ولعل هذا الهجاء هو الذي جعل الناس يأبون تقديمه في
الشعر .

وروي عن (الأصمعي) ، أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يقول : « كان
أوس بن حجر فعل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه) ، وذكر عنه أيضاً ،
وقد سئل عن النابغة وزهير ، أنه قال : « ما كان زهير يصلح أن يكون أخيراً
لنابغة ، يعني راوياً عنه » . وروي أن أهل البصرة أجمعوا على امريء القيس
وطرفة بن العبد ، وأجمع أهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى الهمداني ،
وأجمع أهل الحجاز على النابغة وزهير^٦ .

وليونس النحوي رأي في أشعر الشعراء ، قيل إنه سئل « عن أشعر الناس
فقال : لا أومئ إلى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غضب ،
والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب »^٧ . فربط الشاعرية بحالة من الحالات
النفسية . وورد التفضيل على هذا النحو : « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ،

١ المزهر (٤٨١/٢) .

٢ العمدة (٩٧/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .

٣ الشعر والشعراء (٣٦٦/١) .

٤ العمدة (٩٧/١ وما بعدها) .

٥ ابن سلام ، طبقات (٣٢ وما بعدها) .

٦ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) .

٧ ياقوت ، ارشاد (٣١٠/٧) .

زهير إذا رغب ، والتابغه إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . وكان زهير أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ، وأحسنهم تصرفاً في المدح والحكمة^١.

ترى مما تقدم أن موضوع من كان أشعر شعراء الجاهلية موضوع حساس ، لما كان للعصية وللنوق الشخصي دخل فيه ، ثم لأنهم لم يكونوا يحكمون من دراسة الكل ، أي بدراسة كل ما ينسب الى الشاعر من شعر ، وإنما كانوا ربما حكموا على الشاعر بيت أو بيتين ، وحكم مثل هذا لا يمكن أن يتخذ حكماً علمياً ، أضف الى ذلك أنهم لم يميزوا بين ما نسب الى الشاعر من شعر ، وبين ما صح له من شعر ، ولا يكون الحكم في مثل هذه الأمور حكماً علمياً ، إلا بدراسة عميقة لشعر كل شعر ، بعد تمييز صحيحه من فاسده ، ثم مطابقتها ومقابلته بشعر الشعراء الآخرين . الى أمور أخرى من هذا القبيل ، يطرقها نقاد الشعر والأدب ، بمقاييس ثابتة ، أما مقاييس تلك الأيام فقد اختلفت ، وخضعت للعواطف والأهواء ، و (السيوطي) على حق حين يقول في هذا الموضوع : « وهذا يدل على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق »^٢ .

وقد يعتمد علماء الشعر الى بيت من شعر ، فيجعلونه أحسن بيت قيل في الجاهلية ، أو عند العرب ، فقد قالوا : ان الاتفاق قد وقع على أن أمدح بيت الجاهلية ، هو قول زهير :

تراه إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله^٣

ولكنهم قالوا ان الشاعر (دعبل) قال : إن أمدح بيت قالته العرب في الجاهلية قول أبي الطمعمان القيني :

وإن بني أوس بن لأم أرومة
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
علت فوق صعب لا ترام مراقبه
دُجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه^٤

١ بلوغ الارب (٩٨/٣) .

٢ المزهر (٤٨٢/٢) .

٣ بلوغ الارب (٩٩/٣) .

٤ بلوغ الارب (١٢٨/٣) .

وروي عن الأصمعي قوله إن بيت (أبي ذؤيب) الهذلي :
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلى قليل تقنع

هو أبرع بيت قالته العرب^١ .

وقد كان (بشار بن برد) حذراً حين سئل : أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب ؟ فقال : إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد^٢ ، ولكن قد أحسن كل الإحسان لبيد في قوله :

وأكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وإذا رمت رجلاً فارتحل وأعصى من يأمر توصيم الكسل^٣

وقد ذهب علماء الشعر إلى أن أشعر أهل المدر ، أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأن أشعر ثقيف (أمية بن أبي الصلت) . أما أشعر أهل يثرب ، فهو حسان بن ثابت في نظر كثير من رواة الشعر . وورد في بعض الأخبار أنه أشعر أهل المدر^٤ .

نقد الشعر :

وذكر أن الشعراء الجاهليين ، كانوا يراجعون شعر بعضهم بعضاً ، ويتقدونه لما كان بينهم من تسابق على نيل الشهرة والاسم ، أو لما كانوا يجدونه في شعر الشاعر من هنة أو غفلة أو هفوة ، كالذي ذكروه من أمر الشاعر (المتلمس) ، ذكر أن (طرفة بن العبد) ، سمع قوله :

وقد أتتني الهم عند احتضاره بناج عليه الصبغية مكدم

وكان إذ ذاك صبيّاً ، فقال : استنوق الجمل فصار مثلاً^٥ .

-
- ١ بلوغ الأرب (١٤٠/٣) .
 - ٢ بلوغ الأرب (١٣١/٣) .
 - ٣ الأغاني (١٨٠/٣) ، (٣/٤) ، العمدة (٨٩/١) ، (باب تنقل الشعر في القبائل) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١١٥/١) ، ونسب هذا البيت خطأ إلى المسيب بن علس ، الموضح (٧٦) ، الأغاني (٥٥٩/٢٣) .

أو أنهم كانوا ينقلونه عند التحكيم . ليقنع الشعراء بصحة حكم الحكم، كالذي كان من أمر (النابغة) في سوق عكاظ ، وكالذي روي^١ من تنازع (امرؤ القيس) مع (علقمة) الفحل على الشعر ، وقول كل واحد منهما لصاحبه : « أنا أشعر منك » ، ومن قبولهما بتحكيم (أم جندب) ، زوج (امرؤ القيس) بينهما . وقبول (أم جندب) الحكم بينهما . فذكر أنها قالت لهما : « قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة ، فأشدها ، ثم حكمت بترجيح شعر علقمة على شعر زوجها ، وأظهرت لهما العوامل التي حملتها على هذا الترجيح ، فغضب امرؤ القيس عليها وطلقها ، فخلف عليها (علقمة)^٢ . وهي قصة من هذا القصص الموضوع على (امرؤ القيس) .

ويقضي ذلك أن الشعراء كانوا يحفظون شعر غيرهم ، فقد كان منهم من إذا قابل شاعراً ، وجادله في شعره ، أنشده شعره ، وبين له ما يراه فيه من عيوب . وقد رأيت كيف زعموا أن (النابغة) لما جاء (يثرب) ، أراد أهلها أن يظهروا له ما في شعره من (إقواء) ، وهو من عيوب الشعر ، فأمرؤا قيته فغنت به ، وأبانت له موطن الإقواء ، فأحس به ، ويقال له إنه تركه من يومئذ .

أما استحسان العلماء لشعر شاعر ، أو تحيئته أو تسخيفه ونقله ، فقد خضع عندهم لعوامل عديدة، قامت في بادئ أمرها على الذوق والمزاج ، فهذا يستحسن شعراً لورود بيت فيه استحسنة واستعذبه على حين يرى آخر أنه لا يساوي شيئاً ، وليس فيه ما يدعو إلى المدح والثناء عليه ، ثم على العروض ، فنرى العسكري يعترض على اختيار الأصمعي لميمية المرقش ، وقد سبق لابن قتيبة أن اعترض على اختيار الأصمعي القصيدة أيضاً ، وقال الآمدي انه ليس بحاجة إلى ذكر العيوب العروضية فيها لكثرة^٣ ، ثم على النحو والبيان والبديع وغير ذلك من علوم الصناعة التي وضعت في الإسلام ، وقد كان عليهم ملاحظة أن هذه العلوم إنما وضعت أو ثبتت في الإسلام ، وإن الذوق الجاهلي يختلف عن الذوق الإسلامي ، وإن

١ الشعر والشعراء (١/١٤٦ وما بعدها) ، (علقمة بن عبدة) ، الاغانى (٢١/٢٢٥ وما بعدها) ، الموازنة (١/٣٧) .
٢ الصناعتين (٤) ، غرونيباوم (١١٢) .

(الخليل) لم يجمع كل بحور الشعر الجاهلي ، بل طرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها^١ ، ولعله لم يتمكن من الوقوف على أوزان أخرى ، لأنها لم تكن مألوقة بين عرب العراق ، أو لأنها صيغت بلهجات قبائل لم يرتج من شعرها ، لأنه من الشعر القبلي الخاص .

وفضل العلماء الشعر الذي يكون فيه البيت تاماً مستغنياً بمعناه عن غيره ، وقالوا لذلك : البيت المقلد . لأنه قائم بذاته غني عن غيره ، يضرب به المثل^٢ . ولهذا رأوا في القصيدة الجيدة ، أن تكون أبياتها مقلدة ، إذا قدمت بيتاً منها على بيت أو أبيات ، أو إذا أخرت بيتاً منها ، أو حذف بيتاً منها أو أكثر ، فإنها لا تتأثر بهذا التغيير والتبديل . ولعل لهذا الرأي صلة بقولهم : « ومقلدات الشعر وقلائده البواقي على الدهر »^٣ .

وقد أورد (الجاحظ) رأياً في القصيدة لخلف الأحمر ، فقال : « أما قول خلف الأحمر :

وبعض قريض القوم أولاد علة

فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكراً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان^٤ .

وقد رأينا أمثلة كثيرة في استحسان شعر شاعر ، أو في المفاضلة بين شعر الشعراء ، والموازنة بينهم ، وقد بنيت على أبيات ، أعجبت الناقد المفاضل ،

-
- | | |
|---|--|
| ١ | غرونبوم (١٣٥) . |
| ٢ | ابن سلام ، طبقات (١٢٧ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، الجرجاني ، الوساطة (٣٣) . |
| ٣ | تاج العروس (٤٧٥ / ٢) ، (قلند) . |
| ٤ | البيان والتبيين (٦٦ وما بعدها) . |

ففضل شاعره الذي جعله أشعر الشعراء على غيره ، ثم رأيناه نفسه ، لكن في موقف آخر يفضل غيره عليه ، بسبب بيت أو أبيات أعجبه أو أعجبه . وقد تبدلت هذه النظرة في أيام العباسيين ، فنجد لابن سلام مقاييس جديدة في النقد ، وفي وضع الشعراء وتصنيفهم الى طبقات . ونجد لابن قتيبة رأياً في النقد يستند على آراء من تقدم عليه وعلى ملاحظاته الشخصية في النقد والموازنة بين الشعراء ، وقد يخالف غيره على رأيه. خذ ما قاله من نقد مرير في (الاصمعي) حيث يقول :
« ومن هذا الضرب أيضاً قول المرقش :

هل بالديار أن تجيب صمم^١ لو أن حياً ناطقاً كلم^٢
يأبى الشباب الأقورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

والعجب عندي من الأصمعي ، إذ أدخله في متخيره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

النشر مسك^٣ والوجوه دنا نير وأطراف الأكف صم^٤

ويذكر أهل الأخبار أن من الشعراء من كان يستحسن بيت شاعر ، فيسطو عليه . ونجد (ابن قتيبة) يذكر في كتابه (الشعر والشعراء) ما أخذه الشعراء بعضهم من بعض ، فذكر مثلاً أن (طرفة) ، و (النابغة) الجعدي ، والشماخ ، و (أوس بن حجر) ، و (النجاشي) ، وزهير ، والمسيب ، وزيد الخليل أخذوا من شعر (امرئ القيس) ، فظموا في شعرهم^٥ . وإذا صح ذلك ، كان معناه أن أولئك الشعراء كانوا قد حفظوا شعر (امرئ القيس) ، وأنهم كانوا يحفظون أشعار غيرهم من الشعراء المتقدمين عليهم أو المعاصرين لهم ، وبذلك سطوا على ذلك الشعر أو على معناه .

غير أننا لو درسنا الأمثلة التي ذكرها (ابن قتيبة) وغيره على أنها من سرقات الشعر ، نرى أن أكثرها لا يمكن أن يعد سرقة ، لأن للسرقه الشعرية علامات

١ الشعر والشعراء (١٨/١) وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٦٨/١) وما بعدها) .

ولا نكاد نلمس من هذه العلامات شيئاً في الشعر المتهم بأنه شعر مسروق . وإنما نجده من قبيل توارد الخاطر لا غير ، أسرع نقاد الشعر ، فجعلوه سطواً وسرقة . ونحن لا نعلم من أمر نقد الشعر عند الجاهليين إلا ما جاء في الموارد الإسلامية وهو شيء قليل ، وهو شيء لا ندري أيضاً مكانه من الصحة ، وكل ما لدينا من تقسيم للشعراء الى طبقات ومن تفضيل شاعر على شاعر ، ومن تفضيل شعر على شعر هو مما عمل في الاسلام، صنع وفق قواعد نقد دوتها العلماء . وقد ظهرت بواكير النقد العلمي للشعر الجاهلي عند علماء اللغة والنحو والعروض ، ثم تولاهها علماء راعوا أصول البيان والبلاغة والبدیع في نقد الشعر ، ولما كان هذا النقد لا يخص موضوعنا بالذات ، وقد كتب عنه المتخصصون ، فأنا أترك أمره اليهم ، وقد وضعت فيه مؤلفات حديثة ، وضعها عرب ومستشرقون .

أشعر الناس حياً :

ويروي أهل الأخبار أن أشعر الناس حياً هذيل . وقيل : « أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث . وهي : الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ؛ فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة في السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ، أزد شنوءة ، وهم : بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد . وقيل : أفصح الناس : علياً تميم وسفلى قيس ، وقيل : سافلة العالية وعالية السافلة ، يعني : عجز هوازن . وأهل العالية : أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها ، ولغتهم ليست بتلك عند (أبي زيد)^١ .

وبلاحظ أن هنالك قبائل كثيرة لم يروِ علماء الشعر لها شعراً ، أو أنهم رويوا شعراً قليلاً لها ، بينها قبائل كبيرة معروفة ، كان لها تقدم ونفوذ ، مثل : (الغساسنة) و (تنوخ) و (لحم) و (بهراء) ، و (كلب) ، ولا يعقل أن يكون الله قد حرم هذه القبائل من قول الشعر ، فلم يثبت في أرضها شاعر ، ولم يقم بينها من جرى القبائل الأخرى في قول الشعر ، وهم عرب مثل غيرهم ،

١ العملة (٨٨/١ وما بعدها) .

لهم حس وشعور ، فلا يعقل عدم ظهور شعراء بينهم ، ويظهر أن سبب إهمال رواة الشعر لشعر هذه القبائل هو اعتبارهم هذه القبائل دون القبائل الأخرى في اللغة والفصاحة ، لأنهم كانوا على اتصال بالحضر ، فلم يسألوهم ، ولم يقيموا لشعرهم وزناً ، ولهذا لم يصل منه إلينا شيء ، أو إلا القليل منه ، فظهرت تلك القبائل في جملة القبائل المقلّة في الشعر .

وقد روي لبعض الشعراء شعر كثير ، فيه قصائد طويلة ، وصل لنا في دواوين ، أو في كتب الشعر والأدب ، فوقفنا بذلك على شعرهم . وهناك شعراء اشتهر أمرهم وعرف ذكركم ، إلا أن معظم شعرهم قد ذهب معهم ، فلم يبق منه إلا القليل ، بحيث لا يتناسب هذا الباقي منه مع الشهرة التي أحاطت بهم . وقد عرف هؤلاء بالشعراء المقلين^١ .

ومن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد ، وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء . وهي المعلقة :

لحولة أطلال ببرقة شهمد

وله سواها يسير. ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحُمام المري ، والمتلمس ، والمسيب بن علس، ومنهم عنتره ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، وعمرو بن معدي كرب ، والأسعر بن أبي حمران الجعفي ، وسويد بن أبي كاهل ، والأسود بن يعفر^٢ .

الشعر والاسلام:

ورد في الحديث : لأن يمتلىء جوف الرجل قبحاً يتره ، خير من أن يمتلىء شعراً^٣ ، وورد أن رسول الله بينا كان بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد . فقال رسول الله : خلوا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف الرجل قبحاً ، خير له من أن يمتلىء شعراً^٤ . وفي القرآن : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له

١ المزهر (٤٨٥/٢) ، (المقلون من الشعراء) .

٢ العملة (١٠٢/١) وما بعدها .

٣ صحيح مسلم (٥٠/٧) ، (كتاب الشعر) ، زاد المسلم (٣٥٠/١) وما بعدها ، كتاب خلق الانسان (٢٧٥) وما بعدها ، (لابن أبي ثابت) .

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين^١ ، و « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون^٢ » ، و « يقولون أئتنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون^٣ » ، و « أم يقولون شاعر نربص به ريب المنون^٤ » ، و « ما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون^٥ » ، و « الشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون^٦ » .

وورد عن (عائشة) قولها ، وقد قيل لها : « هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه . غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره . فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ! فقال نبي الله : إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي^٧ . وورد في تفسير : « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر^٨ . » بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه ، وقال بعضهم : بل محمد شاعر . وهذا الذي جاءكم به شعر^٩ . وورد في معنى : « ويقولون أئتنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » ، أن قريشاً قالوا : « أترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون ... يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم^{١٠} » . وقالوا في معنى « أم يقولون شاعر نربص به ريب المنون » ، « قال ذلك قائلون من الناس : تربصوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان » ، و « قال قائل منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى

١ سورة يس ، الرقم ٣٦ ، الآية ٦٩ .

٢ الانبياء ، الرقم ٢١ ، الآية ٥ .

٣ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية (٣٦) .

٤ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٠ .

٥ الحاقة ، الرقم ٦٩ ، الآية ٤١ .

٦ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .

٧ تفسير الطبري (١٩/٢٣) ، (بولاق) ، صحيح مسلم (٤٨/٧ وما بعدها) .

٨ تفسير الطبري (٣/١٧) .

٩ تفسير الطبري (٣٣/٢٣) .

يهلك كما هلك من قبله الشعراء زهير والنابعة ، إنما هو كأحدهم ^١ . وفسر قوله تعالى : « وما هو بقول شاعر » ، ب « ما هذا القرآن بقول شاعر » ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر فتقولوا هو شعر ^٢ ، وقوله : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ، « الغاؤون الرواة » ، وذكر أنهم في كل لغو يخوضون ، وإن الله استثنى منهم شعراء المؤمنين ^٣ .

وقد كره ناس الشعر لما ورد عنه في القرآن الكريم وفي الحديث ، وامتنع بعض الشعراء من قوله كالذي ذكروه من ترك لبيد الشعر بعد دخوله في الإسلام ، ومن قوله للخليفة (عمر) أو لعامله على الكوفة ، وقد سأله عما قاله من الشعر في الإسلام : « ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران » ^٤ . وأهمل بعض الصحابة رواية الشعر ، لما فيها من تذكير بأمر الجاهلية وبأيامها ، وأقبل آخرون على القرآن يحفظونه بدلاً من الشعر الجاهلي ، ورأى آخرون أن في حفظه وفي انشاده إثارة لنعرة الجاهلية بعد أن حرمها الله ، كراهية وقوع الفتنة ، وحدث القتال كالذي كان يقع في الجاهلية ، لا سيما ما يتعلق منه بالملاح وبالهجاء وبالأيام ، ولهذا قال (عمر) لحسان بن ثابت يوم مرّ به وهو ينشد الشعر بمسجد رسول الله : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت ^٥ .

فهذا الشعر المفرق المسبب للفتن أو الثالب للأعراض ، هو الشعر الذي كرهه الناس روايته أو نظمه ، ولهذا كان (عمر) يحاسب الهجائين ، فلما هجا (الخطيئة) (الزبرقان بن بدر) ، وشكاه (الزبرقان) عليه ، حكّم (عمر) (حسان بن ثابت) فيه ، فحكم عليه أنه « لم يهجه » ولكن سلح عليه ، فهو أشد إيلاماً من الهجاء ، فحبسه (عمر) ، وقال : « يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين » ^٦ .

١ تفسير الطبري (٢٧/٢٩) .

٢ تفسير الطبري (٢٩/٤٢) .

٣ تفسير الطبري (١٩/٧٩ وما بعدها) ، الصاحب (٢٧٣ وما بعدها) .

٤ الشعر والشعراء (١/١٩٥ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٥ العمدة (٢٨/١) .

٦ الشعر والشعراء (١/٢٤٤) ، (الخطيئة) ، (قال : ذرق عليه) ، ابن سلام

طبقات (٢٥) .

ولما هجا (النجاشي) (بني العجلان) ، فشكوه الى (عمر) ، حكم (عمر) (حستان بن ثابت) ، و (الحطيئة) في أمر هذا الهجاء ، فلما حكما بأنه هجاءهم ، قال له (عمر) : « إن عدت قطعت لسانك »^١ . وروي أن رجلاً مرّ بباب رجل ، وقد كان فتمثل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدي رب البيت عليه (عمر) ، فأمر به (عمر) فحذ^٢ .

وذكر أن النبي قال : « من قال في الاسلام هجاء مقدعاً فلسانه هدر »^٣ . وأنه لما بلغه هجاء الأعشى (علقمة بن علاثة العامري) ، نهى أصحابه أن يرووا هجاءه^٤ . وروي أن المنع عن رواية الشعر ، كان خاصاً بالشعر الذي هجي به النبي^٥ .

ولما هجا (ضابيء بن الحارث) وكان رجلاً بذياً كثير الشر ، وكان بالمدينة صاحب صيد وصاحب خيل ، قوماً من (بني نهشل) استعدوا عليه (عثمان) فحبسه^٦ . فكان حبسه لهجائه لا لشعره .

ومع ذلك ، فقد نهجى الشعراء في أيام الأمويين وتنازعوا فيما بينهم ، وتناول بعضهم على بعض ، وجرأت السياسة هذا الهجاء وأمدته بوقود يزيد في حدته حدة ، لعصبية وسياسة ، وتجراً البعض في هجاء الحكومة وفي هجاء المعارضين ، رحرص (يزيد بن معاوية) الشاعر (الأخطل) على هجاء الأنصار ، وفي محيط مثل هذا المحيط ، انقسم الى أحزاب وفرق ، متخاصمة شديدة عنيفة في الخصومة ، لا بد وأن يجد الشعر فيه أرضاً طيبة ، ومنبتاً خصباً مساعداً . فكانت للشعراء حرية في النيل بعضهم من بعض ، واستفاد خلفاء بني أمية من ذلك ، بتحريض شعرائهم على عض خصومهم ، مما لا مجال للبحث عنه في هذا المكان .

١ الشعر والشعراء (٢٤٨/١) ، (النجاشي) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .

٣ العمدة (١٧٠/١) .

٤ الفائق (٦٦٤/١) .

٥ الفائق (٣٨٩/٢) .

٦ ابن سلام ، طبقات (٤٠) .

وكان (عمر) قد نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم ، لما في ذلك من الفضيحة ، وكان الشعراء يكتفون عن النساء بالشجر وبالنخلة ، لثلاث شهر المرأة ، وخوفاً من أهلها وقرابتها^١ .

أما الشعر الآخر ، الذي لم يكن ينال الناس ، ولا يتذكر الأصنام والأوثان وأمور الجاهلية التي حرمها الإسلام ، فلم يتعرض له الإسلام بسوء ، بل كان الرسول نفسه يسمع الشعر، ويطلب من الصحابة انشاده له ، وقد ورد أن الرسول سمع (عمرو بن كلثوم) ، وهو بعكاظ ينشد معلقته الشهيرة^٢ ، وسمع شعر (أمية بن أبي الصلت) كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، واستمع الى شعر (قيس بن الخطيم) ، والى شعر شعراء آخرين ، وكان يستملحه ويستعذبه ، ولا سيما شعر الحكمة والإرشاد . « جاء النابغة الجعدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من الشعر ما عفا الله عنه ؟ قال : نعم . قال : أنشدني منه ، فأنشده :

ولما لقوم ما نعوذ خيلنا . إذا ما التقينا أن نعيد وتنفرا ،

فلما أنشده قوله :

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرنا
ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكلنا

قال رسول الله : « لا فض الله فاك »^٣ .

ومن سياء اهتمام الاسلام بأمر الشعر ، أن الشعر الجاهلي انما دون وثبت في أيامه . وأن الصحابة كانوا يحفظونه ويروونه ، وأن دواوينه ، انما ظهرت في أيام الأمويين . فلم يحرم الاسلام الشعر ، ولم يظهر كرهه له ، وانما كره الشعر الوثني الذي مجد الوثنية ، فطرح ولم يرو ، ولعل هذا هو السبب الذي جعلنا لا نقرأ في كتب الأدب والأخبار شعراً فيه إشادة بصنم ، أو بأمر من أمور

١ الخزانة (١٩٣/٢ وما بعدها) .

٢ الاغانى (١٧١/٩ وما بعدها) ، (ساسي) ، (٥٤/١١) .

٣ رسائل الجاحظ (٣٦٣/١ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .

الجاهلية المناهضة للإسلام . وقد روي عن النبي قوله : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » ، أو قال : حكماً^١ ، وأنه أمر حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحه ، وكعب بن مالك بهجاء قريش . وأنه قال لحسان : اهجوا قريشاً ، فإنه أشد عليها من رشق النبل^٢ .

وقد اعتذر العلماء عن سبب نفي الشعر عن الرسول ، بأن الشاعر ، لا يكاد يكون إلا مادحاً ضارحاً ، أو هاجياً ذا قذع ، وهذه أوصاف لا تصلح للنبي ، ثم إن فيه إيقاعاً ، والإيقاع ضرب من الملاهي ، ومن هنا لم يصلح الشعر للرسول^٣ . وقد بحث (القرطبي) في موضوع نفي الشعر عن الرسول ، فرجع ذلك الى أربع مسائل : الأولى أنه كان لا يقول الشعر ولا يزنه ، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلاً كسر وزنه ، وإنما كان يحرز المعاني فقط ، وذلك رداً لقول من قال من الكفار انه شاعر ، وإن القرآن شعر . وقد كان ربما أنشد البيت المستقيم في النادر^٤ .

الثانية : أصابته الوزن أحياناً لا يوجب انه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحياناً من ثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :

هل أنت إلا إصبعٌ دُميت وفي سبيل الله ما لقيتِ

وقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعر ولا في معناه ، كقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، وقوله : « نصر من الله وفتح قريب » ، وقوله : « وجفان كالجواب وقدور راسات » الى غير ذلك من الآيات^٥ .

١ . الصاحبي (٢٧٤) .

٢ . السيوطي ، شرح شواهد (٨٥٢/٢) .

٣ . المزهري (٤٦٩/٢) وما بعدها .

٤ . تفسير القرطبي (٥١/١٥) وما بعدها .

٥ . تفسير القرطبي (٥٢/١٥) وما بعدها .

الثالثة : إن ما روي من عدم قوله الشعر ، لا يعني عيب الشعر ، وإنما لنفي الظنة عنه من أنه كان يقول الشعر .

الرابعة : ان قوله تعالى : « وما ينبغي له » ، يعني نقي الشعر عنه ، لئلا يظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر^١

فالرسول لم يكره الشعر لكونه شعراً ، ولم يعبه أو نهى عن قوله ، وإنما كان النهي خاصاً به . قال « الخليل بن أحمد : كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له »^٢ .

١ المصدر نفسه (٥٤/١٥ وما بعدها) .
٢ كذلك (٥٢/١٥) .

الفصل الثاني والخمسون بعد المئة

تدوين الشعر الجاهلي

ليس في الشعر الجاهلي بيت واحد يستطيع أن يثبت أنه كان مدوناً في الجاهلية وإن رواة الشعر وحفظته وجدوده مكتوباً بأبجدية جاهلية ، فقلوه عنها . ولم يتجاسر على ما أعلم أحد من رواة الشعر أو حافظ من حفاظه على الادعاء بأنه نقل ما عنده من شعر جاهلي من ديوان جاهلي ، أو من قراطيس جاهلية ، أو من مادة مكتوبة أخرى تعود أيامها إلى الجاهلية . فكل ما وصل إلينا من هذه البضاعة ، إنما هو من عهد الكتابة والتدوين ، وعهد التدوين لم يبدأ إلا في الاسلام ، وأول تدوين للشعر ، إنما كان في عهد الأمين .

وعدم وصول شعر جاهلي إلينا مدون في أيام الجاهلية ، أو منقول عن مکتوبات جاهلية ، ثم عدم ادعاء أحد من قدماء الرواة أنه قد نقل من دواوين أو قراطيس جاهلية ، يحملنا على القول بعدم تدوين الجاهليين لشعرهم وبعدم اهتمامهم بتسجيله . فلم وقع ذلك ؟ ولم أحجم الجاهليون عن تدوين شعرهم ، وهو تراثهم الخالد وسجلهم وديوانهم الذي به حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله ، وغريب حديث رسول الله ، وآثار صجابه والتابعين ؟ وقال علماء الشعر : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فبجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب

مكتوب ، وألقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم كثير ^١ . « قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير ^٢ .

ومعنى هذا ان الشعر الجاهلي لم يكن مدوناً ، وانما كان محفوظاً في الصدور ، وقد ورد رواية باللسان ، فكانوا يتلونه حفظاً لا عن صحيفة أو كتاب ، يؤيد ذلك ما ورد في الأخبار من ان (بني أمية) ، وقد كانوا شغوفين جداً بالشعر القديم ، ربما اختلف الرجلان منهم في بيت شعر ، فيرسلان راكباً الى (قتادة) يسأله ، عن خبر ، أو نسب ، أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس . ولقد قدم عليه رجل من عند بعض أولاد الخلفاء من بني مروان ، فقال لقتادة : من قتل عمرأ وعامرأ التغلبيين يوم قيضة ؟ فقال : قتلها (جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) . قال فشخص بها ثم عاد اليه . فقال : أجل قتلها جحدر ، ولكن جميعاً ؟ فقال : اعتوراه فطعن هذا بالسنان ، وهذا بالزج فعادى بينهما ^٣ . وعلى ما في هذا الخبر من أثر الصنعة والتكلف ، فإن فيه دلالة على شغف الأمويين بسماع أخبار الأيام الماضية ، وبعدم وجود مدونات في ذلك الوقت ، تضم الشعر والأخبار والنسب ، لذلك ، كانوا يرسلون الى خاصتهم ومن يرون فيه العلم بهذه الأمور للاستفسار منهم عما يريدون الوقوف عليه .

ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد من أن الرسول كان اذا أراد سماع شعر شاعر ، سأل من كان في حضرته من يحفظ من شعر فلان ؟ فينشده عليه من قد يكون حافظاً له ، ثم ما يروى من ان الصحابة كانوا يحفظون الشعر ، ومن انهم كانوا اذا أرادوا الوقوف على شعر شاعر لم يحفظوا شعره ، سألوا غيرهم ممن يحفظه عنه . ولم نسمع في الأخبار ، ان أحداً من الصحابة ، كان يملك ديواناً ، أو كتاباً فيه شعر ، أو خبر ، أو نسب ، وانهم كانوا يرجعون الى المدونات ، في مثل هذه الحالات .

ولكن ما ذهبنا اليه من عدم وجود تدوين للشعر الجاهلي ولأخبار الجاهلية ،

١ المزهري (٤٧٣/٢) وما بعدها ، (ذهاب الشعر وسقوطه) .

٢ المزهري (٤٧٤/٢) ، (ذهاب الشعر وسقوطه) .

٣ العسكري ، التصحيف والتحريف (٤) ، مصادر الشعر الجاهلي (١٩٨) .

تنفيه روايات تزعم ان الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم ، فقد روي ان (النعمان ابن المنذر) أمر « فتُسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن عبيد الثقفي ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفزه ، فأخرج تلك الأشعار ، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة »^١ . وروايات تذكر انه « قد كان عند آل النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه »^٢ . وروايات تقول ان العرب كانت شديدة العناية بشعرها ، مبالغة في المحافظة على الجيد منه ، فأمرت بكتابتها بماء الذهب على القباطي وبتعليقها على الكعبة ، إعجاباً بها وإشادة بذكرها . وقد عرفت تلك القصائد بالذهبيات وبالمعلقات وبالسُموط^٣ . وروايات تذكر ان الملك كان اذا استجديت قصيدة يقول : « علقوا لنا هذه لتكون في خزائنه »^٤ .

وتنفيه أيضاً روايات أخرى تفيد أن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يقرأون ويكتبون ، كالذي جاء عن (عدي بن زيد) العبدي ، وعن (المرقش الأكبر) من أنه كان قد تعلم الكتابة من رجل من أهل الحيرة ، فصار يكتب أشعاره ، وكالذي يظهر من بيت لابن مقبل يفيد أن عرب أواسط جزيرة العرب كانوا يدونون أشعار الشعراء^٥ .. وقد ذكر أن (سعد بن مالك) والد (المرقش) ، أرسله وأخاه الى رجل من أهل الحيرة فعلمها الكتابة^٦ . وروي أنه كان يكتب بالخميرية^٧ ، فلا يعقل إذن أن يدون أمثال هؤلاء الشعراء الكتاب القراء شعرهم ، أو بعض شعرهم المستجاد على الأقل !

وتنفيه الرواية القاطلة إن (لقيط بن يعمر) الإباضي ، كتب قصيدة وأرسلها

- ١ المزهري (٢٤٩/١) ، (النوع الخامس عشر . معرفة المفاريد) ، ابن جني ، الخصائص (٣٩٢/١) وما بعدها ، تاج العروس (٧٠/٢) ، (الطنوج) .
- ٢ المزهري (٤٧٤/٢) ، (ذهاب الشعر وسقوطه) ، تاج العروس (٧٠/٢) ، الجهمي طبقات (١٠) .
- ٣ المزهري (٤٨٠/٢) ، (مشاهير الشعراء) .
- ٤ المزهري (٤٨٠/٢) ، (مشاهير الشعراء) ، العمدة ، لابن رشيق (٩٦/١) .
- ٥ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١٣/١) ، مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الرابع ، الجزء الثاني) ، (١٩٥٦ م) ، (ص ٥٢٢) .
- ٦ الاغانى (١٣٠/٦) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .
- ٧ الشعر والشعراء (١٣٩/١) .

الى قومه (إباد) يحلّوهم فيها من مجيء جيش كسرى اليهم ، للإيقاع بهم ،
وذلك في قصيدته التي استهلها بقوله :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من* بالجزيرة من إباد^١

وتنفيه روايات أخرى تشير الى أن العرب في صدر الإسلام ، كانوا يدونون
الشعر ويوزعونه بين الناس لينتشر بينهم ، فلما هجا (النجاشي) الأنصار ، اجتمع
سادتهم وتذاكروا أمره ، ثم ذهب قوم الى (حسان) ، فنظم شعراً في هجائه ،
كتبه غلمان الكتاب^٢ ، وما كانت الغاية من تدوين الغلمان له ، إلا اذاعته ونشره
بين الناس . وروي أن (عبدالله بن الزبيري) ، و (ضرار بن الخطاب)
الفهري ، قدما المدينة فتلحيا مع (حسان) ، في أمر الشعر ، وقالوا شعراً مما
كانا قالاه في الأنصار ، وكان عمر قد نهى عن رواية شعر المهجاء حذر الفتنة ،
فغضب (حسان) منها ، وذهب الى (عمر) ، فأخبره بما وقع ، فأرسل
وراءهما ، وطلب من حسان أن ينشدهما مما قاله لهما ، فأنشدهما ، فلما انتهى من
إنشاده كتب ذلك ، وحفظ مع شعر الأنصار ، وكانوا يكتبونه حذر بلاه^٣ .
وروي أن (طلحة) ، أنشد قصيدة ، فما زال شائفاً ناقته حتى كتبت له^٤ .

غير اننا اذا ما تتبعنا تأريخ ورود هذا الذي ذكرته عن وجود التدوين في
الحيرة وارتفعنا به حتى نصل به الى أصله ، نجد انه جاء كله تقلاً ، وقد أخذه
المتأخرون عن المتقدمين ، والمتقدمون عن طبقة أقدم ، حتى نصل الى مرجع واحد
هو آخر سلسلة السند ، الذي ينتهي بـ (حماد الراوية) و (ابن الكلبي) .
فحماد هو صاحب الزعم المتقدم ، القائل ان النعمان بن المنذر ، أمر فنسخت له
أشعار العرب في الطنوج^٥ ، وابن الكلبي هو صاحب الخبر القائل ان العرب علقت
القصائد السبع على الكعبة ، وان العرب اختارها من بين القصائد الجاهلية الكثيرة
فوضعتها على أركان الكعبة ، إعجاباً بها وإشادة بذكرها !

١ الشعر والشعراء (١٢٩/١) ، الاغاني (٢٣/٢٠) .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (١٢٥) .

٣ الاغاني (١٤٠/٤) وما بعدها .

٤ الزمخشري ، الفائق (٦٧٧/١) .

٥ المزهري (٢٤٩/١) ، (النوع الخامس عشر) .

وهناك رواية أخرى مشابهة لرواية حماد عن تعليق المعلقات ، يرجع سندها الى (ابن الكلبي) ، هذا نصها : « قال ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ وقيل سنة ٢٠٦ : أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس ، عُلّق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أحدر فعلق الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدّوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا ان عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة »^١ . « وزاد بعضهم انهم كانوا يسجدون لها كما يسجدون لأصنامهم »^٢ . ولابن الكلبي زعم آخر له علاقة بهذا الموضوع ، فقد ذكر انه كان يقول : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى ، وتأريخ نسبهم ، من كتبهم بالحيرة »^٣ .

فنحن اذن أمام رجلين يرجع اليهما خبر وجود تدوين للشعر الجاهلي ، كان أحدهما من أمّرس الناس بالشعر الجاهلي ، وكان ثانيهما من أشهر رجال الأخبار . ولا نعرف أحداً تقدم عليهما : زعم هذا الزعم ، أو ادعى هذه الدعوى ! ثم اننا لا نجد في مؤلف من المؤلفات الاسلامية التي وصلت إلينا ما يفيد ان أحداً قد نقل شيئاً من مدون جاهلي ، أو قرأ فيه ، خلا ما ورد عن (ابن الكلبي) من انه كان يستخرج أنساب آل نصر وتأريخ من حكم منهم ومدد أعمارهم وما الى ذلك من بيع الحيرة^٤ .

ولا يعقل بالطبع تصور انفراد حمّاد وحده بمعرفة أمر ديوان النعمان بن المنذر ، دون سائر الرواة وعشاق الشعر ، وبينهم من كان لا يقل حرصاً ولا تتبعاً له عن حمّاد . ولا يعقل أيضاً تصور بلوغ الحرص والأنانية بآل مروان درجة جعلتهم يضمنون حتى بالتلويح أو بارادة ذلك الديوان الجاهلي بعضهم بعضاً . ولو كان عند آل مروان ذلك الديوان حقاً ، لاقتخروا بوجوده لديهم ، ولعرضوه على الناس ، ولأخلدوا منه الشعر القديم ، ولما استعانوا بالرواة من حمّاد وأمثاله ليرووا لهم الشعر الجاهلي وليجمعوا لهم ذلك الشعر ، وحمّاد نفسه شاهد على ذلك.

-
- ١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٧/٣ وما بعدها) .
 - ٢ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٦/٣) .
 - ٣ تاريخ الطبري (٣٧/٢) .
 - ٤ تاريخ الطبري (٣٧/٢) .

حيث كانوا يستدعونه من العراق ليسألوه أمر شعر ، خفي عليهم ، أو شعر لا يعرفون عنه شيئاً ، ثم كيف يسكت رواة أهل الكوفة عن هذا الديوان ، فلا يشيرون في أخبارهم ورواياتهم اليه ، ولا يلحقون به سندهم في روايتهم للشعر؟ قال (ابن النديم) : « قال أبو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان الى حمّاد وجناد »^١ ، فلو كان لدى آل مروان ديوان جاهلي قديم ، فهل يعقل ترك الوليد ذلك الديوان وذهابه الى حمّاد وجناد يستعين بما عندهما من دواوين شعر ، أو من ديوان شعر ليجمع له ديواناً بأشعار القدماء ، فلما جمع له ديواناً من ديواني حماد وجناد أعادهما عليهما ! ولو فرضنا أنه كان قد استعان بهما ، لأنهما كانا قد جمعا شعر شعراء لم يكن عنده شعرهم ، فإن الرواة ما كانوا ليسكتوا هذا السكوت المطبق عن ذلك، ولقالوا على الأقل إنه قد كان عنده ديوان شعر جاهلي، لكنه لم يكن تاماً ، يضم كل أشعار الجاهليين ، فاستعان بهما لسدّ هذا النقص . ولو كان ديوان حمّاد أو ديوان جناد من دواوين أهل الجاهلية ، لما سكّت العلماء عن ذلك ، ولما سكّت حماد نفسه ، أو جنّاد من التنويه به ، لما لهذا التنويه من أهمية بالنسبة لهما ، ولإثبات أنهما كانا صادقين في رواية الشعر ، وإنهما استقيسا الشعر من منابع أصيلة لا يرتقي إليها الشك .

ثم انه لو كان لحماد أو غيره من أهل الكوفة ديوان جاهلي ، أو ان أهل الكوفة كانوا قد وقفوا على ديوان النعمان بن المنذر أو على كتب من كتب أهل الحيرة في الشعر أو في التواريخ والأخبار ، لما سكتوا عن ذلك أبداً، ولأسندوا روايتهم الى تلك المدونات ، رداً بذلك على أهل البصرة الذين اتهمهم بالافتعال وبنحل الشعر على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وبأخذهم من أفواه أعراب لا يطمئن اليهم ، على الأقل .

إن سكوت الرواة وعلماء الشعر عن أمر هذا الديوان ، واقتصار خبر وجوده على روايات حماد ، يحملنا هذا السكوت الغريب ، على الشك في هذا المروي عنه وعلى التريث ولو مؤقتاً في تصديقه ، حتى يقوم دليل جديد مقنع بوصول شيء من مكتوبات أهل الحيرة الى الاسلاميين يمكننا من إبداء رأي علمي واضح في هذا الموضوع .

وقد سكنت كل الأخبار التي تحدثت عن (طنوج) النعمان بن المنذر ، عن
الجهة التي دخل الديوان في ملكها . كما سكنت عن مصيره النهائي . فأين ذهب
يا ترى ذلك الديوان ؟ ولم لم ينقل منه أحد ؟ ولم لم يشر الى وجوده شخص
آخر غير حماد ؟

ولم أعر حتى الآن على خبر يفيد علم أحد من المتقدمين على حماد بوجود
ديوان شعر جاهلي مدون ، ولا ينقل أحد من الرواة وبضمنهم حماد نفسه من
هذا الديوان أو من ديوان آخر يعود تاريخه إلى أيام الجاهلية . مع أن بين عشاق
الكتب من كان يقتني الكتب والقراطيس القديمة ، ويتهالك ويستهنر في المحافظة
عليها وفي العناية بها ، وبينهم من كان يملك ما شاء الله منها . وقد قص (ابن
النديم) الوراق المتهاك في البحث عن الكتب قصصاً عن القراطيس والكتب
القديمة وعن استهتار الناس بجمع الخطوط العتيقة ، ولم يشر الى عثوره هو أو
غيره على صفحة واحدة مكتوبة قبل الإسلام في الشعر أو في النثر . ولو كان
قد سمع بهذه الأوراق ، لما تركها تمر سبيلها ، فلا يراها أو يسمع عنها ممن
وقف عليها ورآها على الأقل^١ . نعم : ذكر أنه « كان في خزانة المأمون كتاب
مخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من
أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم
فضة كيلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه شهد الله والمملكان . وكان الخط شبه
خط النساء^٢ . وهو خبر تظهر عليه آثار الصنعة ، والوضع .

وقد يكون خبر الديوان ، وخبر (الطنوج) من مفتعلات (حماد) و (ابن
الكلبي) ، لإظهار سبب تفوق أهل الكوفة على أهل البصرة بالعلم بالشعر ، كما
يظهر ذلك جلياً من نص الخبر ، وهو « ومن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من
أهل البصرة^٣ » ، وإظهار سبب تفوق (ابن الكلبي) على غيره من أهل الأخبار
في رواية أخبار ملوك الحيرة ، غير أنني لا أستبعد مع ذلك وجود دفاتر وكتب
في خزائن ملوك الحيرة وفي قصورها وكنائسها ، قد كان فيها شعر ونثر وأخبار

١ الفهرست (٦٧) ، (المقالة الثانية من كتاب الفهرست) .

٢ الفهرست (ص ١٣ وما بعدها) ، (الكلام على القلم العربي) .

٣ الخصائص (٣٩٢/١) .

ومراسلات وسجلات بالأموال وما شابه ذلك ، لوجود ديوان حكومي عندهم تولاه (علي بن زيد) ، ووجود علماء ورجال دين عندهم ألفوا الكتب في أمور الدين وفي العلوم التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، لكنها تلفت وهلكت بسبب الأحداث التي وقعت في الحيرة أيام الفتح الاسلامي لها ، وارتحال الناس عنها وفي جملتها رجال الدين ، وتهدم كنائسها وبيوتها بسبب نقل حجارتها الى الكوفة لبناء بيوتها بها ، مما سبب تلف تلك المدونات المكتوبة على آدم وقراطيس سهلة التلف ، والتي لا يمكن لها مقاومة مثل هذه الأحداث . ولا يستغرب ذلك ، فقد تلفت نسخ القرآن الأولى مثل نسخة (حفصة بنت عمر) ، ونسخة (عثمان) وهلكت رسائل الرسول وكتبه على أهميتها ، وذهبت الصحف القديمة التي دون بها الحديث أو سيرة الرسول ، وغير ذلك، في أيام الراشدين وبني أمية ، فهل يستغرب بعد ذلك ذهاب ما دون في أيام ملوك الحيرة وانطلاس أثره !

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع تدوين الشعر أو عدم تدوينه عند الجاهليين، فقال : « ومن ثم بعد خطأ من مركليوث وطه حسين ان أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكلية ، وربنا على ذلك ما ذهبنا اليه من ان جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم .

ولكن بديهياً ان الكتابة لم تقض قضاء كلياً على الرواية الشفوية . فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ، وينشرها بين الناس ، وربما احتلذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده؛ وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً .

وعن الرواة كانت تنتشر الدراية بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يلج في قبيلة الشاعر نفسه . ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف ، وإن لاحظنا ان ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحصى على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث ^١ .

وقد تعرض المستشرق (كرنكو) لموضوع الكتابة والتدوين عند العرب ، وذهب الى أن نظم الشعر مرتبط بالكتابة ، بدليل أن بعض القوافي تظهر حقيقتها

١ بروكلمن (٦٥/١) .

للعيان أكثر منه للسمع ، بحيث أن الحروف وليست الأصوات ، هي التي تلعب دوراً هاماً في الشعر^١ . غير أن رأيه هذا لم ينل تأييداً من غالبية المستشرقين . وذهب (كولنزيهر) ، الى احتمال تدوين العرب لشعر الهجاء ، لما لهذا النوع من الشعر من أهمية عندهم ، فإن في شعر الشاعرة (ليلي) الأنجيلية :

أتاني من الأنبياء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللاً
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي ، ساء ذلك معملاً^٢

وفي شعر ابن مقبل :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخير بابات الكتاب هجائياً^٣

غير أن بعضهم يرى صعوبة تصور ذلك ، لعدم وجود أدلة مقنعة تثبت هذا الرأي^٤ .

وقد توقف (بلاشير) أيضاً في قضية تدوين الرواة لشعر الشاعر الذي تخصصوا به ، أو برواية شعر أي شاعر كان . يرى احتمال تدوين بعض الرواة الحضر لبعض عيون الشعر ، غير أنه يعود ، فيرى أن ذلك مجرد احتمال ، وإن من الصعب اثباته بأدلة مقنعة ، ويذهب الى أن رواية الرواة ، كانت رواية شفوية كذلك^٥ .

ولا استبعد احتمال تدوين الشعراء الجاهليين الذين كانوا يحسنون الكتابة والقراءة لأشعارهم ، كما لا استبعد احتمال تدوين رواة الشعر للشعر ، ولا سيما ما نبهه وشرف منه ، غير أننا لا يمكن أن نقول إن الشاعر كان إذ ذاك يدون كل شعره ، أو أن الرواة ، كانوا يدونون كل ما حفظوه من الشعر ، لأن هذا النوع من التدوين لم يكن مألوفاً عندهم ، كما كان يكلف ثمناً باهظاً ، لا قبل للشاعر أو الراوية بتحملة ، ثم إن القرطاس كان نادراً عندهم ، والتدوين على

١ بلاشير ، تاريخ الادب العربي (٩٤ وما بعدها) .

٢ المصدر نفسه (ص ٩٨) .

٣ العملة (١٥٩/٢) وما بعدها ، الحيوان (١١٢/٧) ، ديوان ابن مقبل (٤١٠) .

٤ بلاشير (٩٨ وما بعدها) .

٥ بلاشير (١٠١) .

الأدم ، غالباً ، ينسوء بشمته الشاعر أو الراوية ، ويأخذ مكاناً ، ولا سيما إذا كان الشاعر من الأعراب ، وأنا لا استبعد احتمال وجود مثل هذه المدونات عند الحضر ، مثل أهل الحيرة ، لانتشار الكتابة بينهم ولشيوع التدوين عندهم ، ولكن الأحداث وعوامل الطبيعة أتلفت تلك المدونات ، فلم تسقط لهذا السبب في أيدي رواة الشعر والأخبار .

ولا تزال الرواية الشفوية مستعملة حتى اليوم ، مع وجود التدوين وكثرة الورق . فلأغلب شعراء العراق اليوم مثلاً رواة يدونون شعر الشاعر ويحفظونه في الوقت نفسه حفظاً ، فإذا حضروا مجلساً ، وجاء ذكر الشعر ، أو شعر شاعر يروون شعره تلوه حفظاً على السامعين . وفي النجف رواة شعر ، دونوا شعر شعرائها المحدثين مثل الحبوبي وغيره في دواوين ، وحفظوه في الوقت نفسه حفظاً في قلوبهم ، ومنهم من حفظ شعره من غير تدوين له ، وقد يزيد ما يحفظونه على ما هو مدون ، بسبب ان الشاعر قد يحضر مناسبة تهزه فيقول فيها شيئاً ، فيحفظه رواته والمعجبون به ، وقد يقوت تسجيله على رواته الذين يلزمون الشاعر ، فلا يقفون على خبره ، ويدفع الإعجاب بالشاعر المعجبين به على التقاط شعره وحفظه في أدمغتهم حتى كأنهم أشرطة تسجيل حساسة ، لا يفوتها من التسجيل أي شيء .

وبسبب عدم لجوء الجاهليين الى تدوين شعرهم في الغالب ، لأسباب عديدة ، منها ندرة الورق ، وغلاته ، واعتمادهم في حفظه على الذاكرة ، هلك أكثره بموت حفاظه ، وأصيب قسم منه بتحريف وتغيير ، وزيد بعض منه ، ونقص منه بعض آخر ، وصنع شعر على المتقدمين لأغراض مختلفة ، ونسب الشعر الى جملة شعراء ، ورويت أبيات بروايات مختلفة ، وما كان ذلك ليحدث ، لو أنهم كانوا قد عملوا الى تدوينه وتثنيته . « قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه ، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذي صح لها قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لها غيرهن فليس موضعها حيث وضعها من الشهرة والتقدمة . وإن كان ما يروى من الغناء لها فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالها من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول ، ففعل ذلك لذلك ، فلما قلّ كلامها

محمل عليها حمل كثير^١ . وقد ذكر (ابن سلام) ان « عبيد بن الأبرص
قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطييات فالذَنُوب

ولا أدري ما بعد ذلك^٢ .

وذكر أنه قد سقط من شعر شعراء القبائل الشيء الكثير ، وفات على علماء
الشعر منه ما شاء الله ، مما لم يحمله إلينا العلماء والنقلة . وقيل عن الأصمعي :
« كان ثلاثة أخوة من بني سعد لم يأتوا الأمصار ، فذهب رجزهم ، يقال لهم :
منلر ونذير ومنتذر ، ويقال إن قصيدة (رؤبة) التي أولها :

وقائم الأعماق خاوي المخترق

لمتلر^٣ .

وينسب إلى (أبي عمرو بن العلاء) قوله : « لما راجعت العرب في الإسلام
رواية الشعر بعد أن اشتغلت عنه بالجهاد والغزو ، واستقل بعض العشائر شعر
شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائهم ، وكان قومٌ قلت وقائهم وأشعارهم ،
فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ؟ فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم
كانت الرواية بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت ، وليس يشكل على أهل العلم
زيادة ذلك ، ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون ؛ وإنما عضل بهم أن يقول
الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك
بعض الأشكال^٤ .

وقال (ابن قتيبة) : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائريهم وقبائلهم
في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم مُحيط أو يقف من وراء عددهم
واقف ، ولو انقذ عمره في التنقيح عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال .

١ ابن سلام ، طبقات (١٠) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .

٣ الشعر والشعراء (٩) .

٤ المزهري (١٧٤/١ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات (١٤) .

ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها^١ .

وورد عن (أبي عبيدة) قوله : « ان ابن دؤاد بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة ، فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقنا له بحاجته ، فلما فقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ، ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتدي على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهد بها ، فلما توالى ذلك علينا علمنا أنه يفتله^٢ .

وقد ينسب قوم شعراً لشاعر ، بينما ينسب قوم لشاعر آخر ، وقد يختلف في ذلك أهل البادية عن أهل الحاضرة ، فقد روي مثلاً ان أهل البادية من (بني سعد) يروون البيت :

تعلو الذئاب على من لا كلاب له وتتي مريض المستنفر الحامي

للزبرقان بن بدر ، بينما يرويه غيرهم للنايفة . وقد ذكر الرواة ، ان من المحتمل أن يكون (الزبرقان) استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتلباً له ، وقد تفعل ذلك العرب ، لا يريدون به السرقة^٣ . وقد حدث مثل ذلك في بيت شعر هو لأبي الصلت بن أبي ربيعة ، هو :

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

بينما ترويه بنو عامر للنايفة الجعدي^٤ .

ونسب :

وبعد غدٍ ، يا لهف نفسي من غدٍ إذا راح أصحابي ولست برائح

الى (هذبة بن خشرم) ، وعزاه آخسرون الى (أبي الطمحان) من

-
- ١ الشعر والشعراء (٨) .
 - ٢ المزهري (١٧٥ / ١) ، ابن سلام ، طبقات (١٤) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (١٧) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

المخضرمين ، ثرب الزبير بن عبد المطلب^١ .

وروي أن البيت :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وهو بيت ينسب الى (أمية بن أبي الصلت) ، وكان معروفاً عند حفظة الشعر مثل (الحسن بن علي بن أبي طالب) أنه له ، إلا أن الرواة يذكرون أن (النابغة) الجعدي ، قال للحسن : « يا ابن رسول الله ، والله اني لأول الناس قالها ، وان السروق من مرق أمية شعره »^٢ . وروي أيضاً أن البيت :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

هو من قصيدة للنابغة الجعدي ، غير أن قسماً من علماء الشعر يرونها لأمية بن أبي الصلت ، وقسماً آخر ، كان متردداً ، فقد ذكر أن راوية سأل (خلف الأحمر) عن القصيدة ، فقال : للنابغة ، وقد يقال لأمية^٣ . ويظهر من هذين المثليين ، أن الرواة كانوا يخلطون بين شعري الشاعرين .

ومن ذلك نسبة الشعر الذي فيه :

دان مُسَفٍّ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
فن بنجوته كمن بعقوته والمشتكي كمن يمشي بقرواح

الى عبيد بن الأبرص ، أو أوس بن حجر^٤ .

ونسبة الشعر :

والشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

الى رؤبة والى الحطيئة^٥ .

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٧٤/١ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
 - ٤ الحيوان (١٣٢/٦) .
 - ٥ تاج العروس (٣٩٠/٨) ، (عجم) .

ويقع من ذلك شيء كثير مذكور في كتب الشعر والأدب ، وهو يدل على ان الشعر لم يكن مدوناً في بادىء أمره ، وانما كان يروى حفظاً ، ولو كان قد أخذ من كتاب لما جاز عقلاً وقوع مثل هذا الخطأ والاشتباه .

ويحدث ان شاعرين يصنعان قصيدتين من بحر واحد وروي واحد ، فيختلط أمرهما على الرواة ، يدخلون أبياتاً من هذه في تلك ، فتختلط نسبة الأبيات^١ .

وقد وضع على لسان (عدي بن زيد) العبادي شعر كثير . وقد علل (ابن سلام) سبب ذلك بقوله : « كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقته ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلط ، وخلط فيه المفضل فأكثر . وله أربع قصائد غرر وروائع مبرزات ، وله بعدهن شعر حسن^٢ . وقد تكون للعصية يد في هذا الوضع . فعدي من أهل الحيرة ، وقد تعصب أهل الكوفة للحيرة ، إذ انتقل أكثر أهل الحيرة الى الكوفة فأقاموا بها ، وتعصبوا لتأريخهم القديم ، فلعل هذه العصية هي التي حملتهم على وضع الشعر على لسانه لرفع شأن نصارى الحيرة في الشعر .

ومع اشتها الحيرة بالكتابة ، واشتهار (عدي) بها خاصة ، إذ كان من كتاب (كسرى) بالعربية ، فلاننا لم نعثر على خبر يفيد ان الرواة أخذوا شعر (عدي) عن ورقة جاهلية ، أو ديوان جاهلي مدون . ولو كان لعدي ديوان مدون ، لما وقع في شعره ما قاله (ابن سلام) .

وقد يسأل سائل : كيف يعقل أن يضع شاعر مثل حماد الراوية شعراً فحماً جزلاً يستعز به ثم ينسبه الى الجاهليين ؟ ولو نسب الى نفسه لكان اليوم فخراً له ولعداً من أكابر الشعراء فأقول : كان طلب آل مروان للشعر الجاهلي شديداً . وهذا ما صير رواية الشعر من الحرف النافعة التي كانت تدر أرباحاً طيبة لأصحابها تزيد على الأرباح التي يحصل عليها الشاعر من شعره . وقد كسب حماد من حرفته هذه مالاً حسناً . غير أن الإلحاح في طلب هذا الشعر والإغراء الذي أبداه عشاقه للرواة ، أفسد الرواة ، وحملهم على وضع الشعر وحمله على القدماء للحصول على الأجر ، ولنيل الخطوة ، ولإظهار العلم وسعة الحفظ . وقد زاد في هذا الوضع

١ الحيوان (١٣٢/٦) ، (حاشية رقم ٣) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٣١) .

المنافسة الشديدة التي كانت بين الرواة ، فخلقت هذه الظروف وأمثالها شعراً جديداً منحولاً حسب على ملاك شعر الجاهليين .

ونجد في ثانيا كتب الأدب وفي كتب الشعر أشعاراً كثيرة منحولة وضعت قديماً على ألسنة الجاهليين، وضعت لأن الناس كانوا يومئذ في شوق عظيم وتعطش الى سماع أشعار من قبلهم، كانوا يقبلون عليها أكثر من إقبالهم على شعر معاصريهم من الشعراء ، ويجزلون لسه العطاء أكثر من إجزالهم لسماع شعر شاعر معاصر ، إلا ما قد يكون منه في المدح والذم . وكان ربح الراوية القدر المتبحر بالشعر الجاهلي المتجر به العارف بنظم الشعر لا يقبل عن ربح الشاعر العظيم ان لم يزد عليه في أكثر الأحيان . والعادة أن مكافأة الشاعر المعاصر على شعره ، لا تكون إلا في أمور لها صلة بالمجتمع، مثل المدح والهجاء والهزل والاستخفاف والتضحيك، أما في غير ذلك فتقديره الى العلماء وأصحاب الذوق ، وهم لا يشيرون على هذه الأمور إلا قليلاً ، ولهذا يكون تقدير الشاعر الذي لا يمدح ولا يهجو ولا يتقرب لأحد بالأمور المذكورة ، بعد موته في الغالب ، فلا ينال مثل هذا الشاعر من العيش ما يكفيه . ثم إن الراوية مطلوب في كل وقت ، مرغوب فيه ، وسوقه رائجة . فإذا غنت مغنية بيتاً قديماً ، أراد السامعون معرفة صاحبه ، وأكثر الناس خبرة بأصحاب الشعر القديم هم الرواة ، وهم قلة ، لما يجب أن يكون في الراوية من خصائص تجعله من نوادر الرجال . فالذكاء الخارق ، والعلم بالشعر وبأساليبه ، والتمكن من العربية بمفرداتها وبلهجاتها وبالقبائل وبأيام العرب وبأمثال ذلك ، هي من اللوازم التي لا تنهياً لكل إنسان ، ولذلك لم يكن أمثال هؤلاء الرواة إلا أفراداً نص العلماء على أسمائهم نصاً . وقد نالوا في أيامهم شهرة لم تكن أقل منزلة من شهرة أفذاذ الشعراء ، وقد تدرب عليهم فحول الشعراء ، وتخرج من مدرستهم أعظم شعراء العرب في الإسلام . فرواية الشعر إذن وحفظه وصنعه ، لم تكن حرفة سهلة يسيرة ، ولا منزلة صغيرة بالنسبة الى منزلة الشاعر ، إنها لا تقل في السمو عن أرفع منزلة وصل اليها الشعراء في ذلك العهد . ولم يقل دخل الراوية من عطايا الملوك وهداياهم بأقل من دخل الشاعر ، إلا ان لم يزد عليه في بعض الأحيان ، ولهذا فليس بغريب إذا ما رأينا الشاعر ينسب شعره للجاهليين، ويرويه على أنه من شعر شاعر جاهلي قديم ، ولا ينسبه لنفسه .

وأفة ما تقدم عدم التدوين والتقييد ، ولو كان الشعر مدوناً في صحف وكتب ،

ومقيداً على حجر ، لما ضاع هذا الضياع ، ولما اعتوره هذا التغير ، الخطير ، فحور فيه وغير ، وقد أدرك أثر هذا المرض على الشعر ، شاعر اسلامي ، هو ذو الرمة ، فقال : « لعيسى بن عمر : اكتب شعري ، فالكتاب أحب إلي من الحفظ لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام^١ . » وقد كان للشعراء الذين ظهوروا في أيام الأمويين رواة ، يروون شعرهم ، كما كانوا يهدبون ويثقبون ويدخلون بعض التغير عليه ، يعلم الشاعر بموافقته ، لعله فانت عليه ، فقد كان لجرير رواته ، وكان للفرزدق رواته ، وكانوا يقرءون ما انحرف من شعرهم وما قد يكون فيه من سناد وعيوب ، خفي أمرها على الشاعر ، فأدرك أمرها الرواة^٢ .

رواة الشعر :

وقد ذكر علماء الشعر ان الشعراء في الجاهلية كانوا يتخذون لهم رواة يحفظونهم شعرهم حفظاً ويروونه رواية. ومعنى هذا ان أولئك الرواة كانوا يلازمون الشعراء ، فإذا نظم الشاعر شعراً تلاه على رايته ليحفظه فلا ينساه ، وإذا غير الشاعر في شعره أو عدل فيه أشار على رايته بما غير وعدل حتى يعدل هو ويغير في الذي حفظه . فراوية الشاعر ، هو نسخة ثانية حافظة لشعر الشاعر ، أما النسخة الأولى ، فهو الشاعر نفسه . وقد يتهيأ للشاعر جملة رواة . ويقال لمن يحفظ الكثير من الشعر ، وللشعر الرواية هو « رواية للشعر »^٣ .

وأولئك الرواة ، هم دواوين شعر ناطقة ، تحفظ المتن ، أي أصول الشعر ، كما تحفظ المناسبات ، أي الظروف التي قيل فيها ذلك الشعر . وهم أنفسهم ذوو حس مرهف ، وفهم عال للشعر . إذ لا يقبل على رواية الشعر وحفظه إلا أصحاب الحس المرهف الموهوبون ، الذين لهم طبع شاعري ، وميل غريزي فيهم إليه . ولهذا تنتهي الرواية بالرواية في الأغلب الى قول الشعر ونظمه ، فيكون في

١ الحيوان (٤١/١) ، (عبد السلام محمد هارون) .

٢ الاغانى (٢٥٦/٤) وما بعدها .

٣ تاج العروس (١٥٨/١٠) ، (روى) .

عدد فحول الشعراء . والرواية هي تمرين وإعداد لقول الشعر ، وفهم دروبه ، تساعد الموهوب في إظهار مواهبه . « فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلمذة لمن فوقه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون انه اذا كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، واذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل اليه وهو مائل بين يديه ، لضعف آله : كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة . وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ، يريد أنه اذا روى استفحل .

قال يونس بن حبيب: وإنما ذلك لأنه يجمع الى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ... وقال الأصمعي : لا يصبر الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ^١ .

والشعراء جميعاً ، هم في أول أمرهم بالشعر رواة شعر ، ولا يكون الشاعر منهم شاعراً حتى يحفظ الشعر ويرويه، لأن الحفظ يساعده على قول الشعر ونظمه ، ويكون تمريناً له ، ولا زال أمر الشعراء عندنا على هذا النحو ، فأكثر شعرائنا هذا اليوم هم رواة في الأصل ، حفظوا من الشعر ما ساعدهم على النظم، يضاف اليه موهبة الشاعر وسليقته فيه . وقد يقال إن الشاعر الراوية أمكن في الشعر وأقدر عليه من الشاعر ، الذي لا يروي من الشعر إلا يسيراً ، أو لا يحفظ منه شيئاً ، لأن الشاعر الراوية يتعلم من فنون الأقدمين ومن خبرتهم وتجاربهم في النظم ما يخفى على من ليس له علم سابق به .

الشعراء الرواة :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء عدد من شعراء الجاهلية ، بدأوا حياتهم في قول الشعر بروايته وحفظه ، ثم صاروا من أكابر الشعراء . منهم زهير بن أبي سلمى، فقد بدأ حياته في الشعر راوية لشعر (أوس بن حجر) ، وكان أوس راوية

١ العملة (١/١٩٧ وما بعدها) ، (باب في آداب الشاعر) .

الطفيل الغنوي وتلميذه^١ . ومنهم (كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، فقد كان راوية لوالده ، ثم (الحطيئة) ، فقد بدأ الشعر برواية شعر (زهير) وآل زهير^٢ . وكان (زهير) راوية (طفيل) الغنوي أيضاً ، وكان (امرؤ القيس) راوية (أبي دؤاد) الإيادي^٣ ، وكان الأعشى راوية لشعر (المسيب بن علس) ، والمسيب خال الأعشى^٤ .

ولا نكاد نجد شاعراً لم يحفظ شعر غيره من الشعراء المتقدمين عليه ، أو من المعاصرين له . والشاعر العربي حتى اليوم ، لا يكون شاعراً فحلاً في الشعر ، إلا إذا حفظ من شعر غيره من الشعراء للفحول ، فحفظ الشعر يدرجه ويقويه على نظم الشعر ، وكذلك كان أمر الشعراء الجاهليين . ويؤيد هذا الرأي ما نجده في الأخبار من حفظ الشعراء شعر غيرهم ومن مناقشتهم للشعراء في شعرهم ، مما يدل بالطبع على حفظهم له .

قال «رؤية : الفحولة هم الرواة» ، «يريد الذين يروون شعر غيرهم ، فيكثر تصرفهم في الشعر ويقوون على القول»^٥ ، فروايتهم للشعر أكسبتهم علماً بأبوابه وبفنونيه ، ومكنتهم منه حتى صار يخرج على ألسنتهم سهلاً قوياً جيداً ، لما صار لهم من علم به ومران في حفظه .

ويكاد يكون لكل شاعر جاهلي راوية يصحبه ، «يروى عنه أشعاره» ، وينشرها بين الناس . وربما احتلى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده . وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً^٦ . ومن رواة (الأعشى) ، الراوية (عبيد) ، وكان يصحب الأعشى ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل ، وكان يسأله عن شعره وعن معانيه وألفاظه ، وعنه أخذ الرواة مثل (سمك) أخبار الأعشى وشعره^٧ . و (سمك) ، هو (سمك بن حرب) ، وهو من مشاهير الرواة .

١ الشعر والشعراء (٧٦/١) ، بروكلمن (٩٥/١) .

٢ الاغانى (١٦٥/٢) ، (دار الكتب) ، (٩١/٨) .

٣ العمدة (١٩٨/١) ، بروكلمن (٩٥/١) .

٤ الموشح (٥١) ، الشعر والشعراء (١٠٧/١) .

٥ البيان والتبيين (٩/٢) ، العمدة (١١٤/١) ، (باب في الشعراء والشعر) .

٦ بروكلمن (٦٤/١) وما بعدها .

٧ الشعر والشعراء (١٨١/١) .

وكان من رواة (الأعشى) (يحيى بن متى) ، وهو من أهل الحيرة ، وكان نصرانياً عبادياً معمر^١ ، وله رواية آخر اسمه (يونس بن متى)^٢ ، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى كذلك ، وقد يكون هذا الشخص ، هو الأول أي (يحيى) ، حرف النسخ اسمه ، فصار (يونس)^٣ .

ولما كان بعض الرواة من الكتبة ، فلا استبعد أن يكون من بينهم من دون شعر شاعره الى جانب حفظه لشعره ، وذلك ليرجع اليه فيما إذا خاتته حافظته ، أو شك في شيء منه ، أو لإجراء تنقيح في شعر شاعره ، وتوجد روايات تشير الى وقوع مثل هذا التدوين ، غير أننا لا نستطيع أن نسلم بتأكيدها أو أن نقوم بنفيها في الوقت الحاضر ، فثل هذه الأحكام تحتاج الى أدلة قوية مقنعة ، ولا يمكن لنا التسليم بصحة تلك الروايات أو بردها في الوقت الحاضر^٤ .

وقد تخصص بعض الناس برواية شعر جملة شعراء ، وتخصص آخرون برواية شعر قبيلة ، أو شعر جملة قبائل .

ويظهر ان أسلوب الحفظ والتسجيل في الذاكرة ، كان الأسلوب الشائع بين الجاهليين في ذلك الزمن في الإبقاء على النثر أو الشعر ، وقد كان هذا الأسلوب متبعاً عند غير العرب في تلك الأيام ، إذ كانوا يقيمون وزناً كبيراً للرواية ، حتى أنهم كانوا يفضلون الحفظ على القراءة عن كتاب أو صحيفة ، ولا سيما بالنسبة للكتب المقدسة والكتب الدينية الأخرى وفي الأمور النابهة مثل الشعر . يرون ان في القراءة ثواباً وأجرأ عظيماً ، وتعظيماً لشأن المقروء . ولا أستبعد أن تكون هذه النظرة هي التي جعلت أصحاب الرسول يحفظون القرآن ويتلونه تلاوة من غير قراءة عن كتاب ولا نظر في صحيفة ، يتلونه أمام الرسول وبين أنفسهم وبين الناس ، ولا يقرأونه عن كتاب ، مع ان منهم من كان يقرأ ويكتب وقد جمع القرآن . وكان تقدير العالم آنذاك بحفظه ، لا بما يكتبه من صحف وبما يؤلفه من مؤلفات ، ولهذا اشتهر كثير من العلماء بسعة علمهم ، مع أنهم لم يتركوا أثراً مكتوباً ، لأن العلم بالحفظ لا بالتدوين ، وقد يتقص من شأن العالم اذا تلا علمه عن كتاب ،

-
- ١ الاغانى (١١٢/٩) .
 - ٢ العرب ، للجواليقي (٤٦) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢١٦ حاشية ١) ، مصادر الشعر الجاهلي (٢٤٠ وما بعدها) .
 - ٤ بلاشير (١٠١) .

حتى ان كان ذلك الكتاب كتابه ، لأن القراءة عن كتاب لا تدل على وجود علم عند القارئ ، وشأنه اذن دون شأن الحافظ ، الخازن للعلم في دماغه الممل للعلم إملاءً ، وكانوا اذا انتقصوا علماً قالوا : انه يتلو عن صحيفة ، أو يقرأ عن صحيفة أو كتاب ، ومن هنا قيل للذي يقرأ في صحيفة ويخطئ في قراءتها المصحفون ، قال (ابن سلام) : « فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما يروي الصحفيون ما كانت اليه حاجة ، ولا كان فيه دليل على علم »^١ . وقد حمل « ابن سلام على رواية الشعر الذين تداولوه من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وانما العلم علم العلماء بالشعر وأهل الرواية الصحيحة ، أما أهل الصحف ، الذين يروون من صحيفة ، فلا يروى عنهم ، إذ لا يروى عن صحفي »^٢ . وانتقصوا من علم (القاسم بن محمد بن بشار) الأنباري ، ومن روى عنه مثل (أحمد بن عبيد) الملقب (أبا عبيدة) ، لأن هؤلاء (رواية أصحاب أسفار) ، فهم لا يذكرون مع العلماء حفظه العلم^٣ . والرواة أصحاب السفر ، والصحفيون ، انما كانوا يعتمدون على الصحف ، ويحلون منها ، ولذلك فقد يقع اللحن أو الخطأ منهم سهواً ، أما الرواة الحافظ ، فلا يقع ذلك منهم إلا في النادر ، ثم انهم ينشدون الشعر من مخارجه وحروفه ، وهذا هو تفسير قول (ابن سلام) وأضرابه : « ليس لأحد أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى من صحفي »^٤ . وفي جملة ما آخذ به (ابن سلام) الصحفيين ، أي الذين يكتبون ويدونون ما يقال لهم ، دون نقد ، انهم لم يكونوا أصحاب رأي وعلم ، بل كانوا يقبلون كل ما يقال لهم ، كما هو واضح من قوله في (ابن اسحاق) : « فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ، ومثل ما رواه الصحفيون ، ما كانت اليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم »^٥ .

ولهؤلاء الرواة فضل كبير ولا شك على الشعر الجاهلي وعلينا أيضاً ، فبحفظهم لذلك التراث القيم وبإذاعته ونشره بين أبناء زمانهم ، أمكن وصوله الى من جاء بعدهم من عشاق الشعر والتميمين به ، حتى وصل الى أبدي المدونين فدوتوه .

١ المزهري (١٧٤/١)

٢ ابن سلام ، طبقات (٥ وما بعدها) .

٣ المزهري (٤١٣/٢)

٤ طبقات (٥ وما بعدها) .

٥ طبقات (١١) .

وصل بأقواه متعددة ، ومن الصدور ، ولهذا تعددت الروايات واختلفت القراءات وهذا شيء لا بد أن يحدث ، وهو أمر غير مستغرب ، فحفظ الصدور لا يكون كحفظ السطور . ولو كان الشعر قد دوّن في ذلك العهد ، وسجل في صحف ودواوين لما اختلف الرواة الإسلاميون في تدوينه يوم شرعوا في جمع ذلك الشعر وتدوينه في دواوين . فنجد الرواة قد يختلفون في عدد أبيات القصيدة وفي ترتيبها وفي نص البيت ، فترى روايات متعددة تمس بيتاً واحداً ، لا تمس شكل الكلمة ، بحيث نرجع ذلك الى خطأ النساخ ، وإنما تمس اللفظة نفسها ، أو جملة ألفاظ شطر البيت أو البيت نفسه ، وكتب الشعر والأدب مليئة بأمثال هذه الأمور التي هي من حاصل الاعتماد على الرواية الشفوية في حفظ الشعر .

ومتى أنشد شاعر شعره ، وأذاع روايته بين الناس ، حفظ وطار بين طلاب الشعر وعشاقه ، لا سيما إذا كان مما يتصل بالناس . هذا (عميرة بن جعيل) (عميرة بن جعيل) ، يهجو قومه ، ثم يندم على ما قال ، فيقول :

ندمت على شتم العشيرة بعدما مضت واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أسطيع دفعا لما مضى كما لا يردّ الدرّ في الضرع حاله^١

وفي هذا المعنى جاء شعر : (المسيب بن علس) :

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة الى القعقاع
ترد المياه فما تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماع^٢

فالشعر تحمله الرياح وتنشره بين الناس ، فيحفظ ، ويرويه الرواة .

وكما كان لهم فضل على الشعر في تدوينه وتخليفه ، فكذلك كان لهم يد في إفساده وفي غشه وتزييفه . فقد كان منهم من يخلط في الشعر ، ومنهم من كان يضيف عليه أو ينقص منه ، أو يصنع الشعر فينحله الشعراء ، ولما قيل للحطيفة ، وهو من المخضرمين أوصى قال : « ويل للشعر من الرواة سوء »^٣ . وفي قول

١ الشعر والشعراء (٥٤٤/١) ، المفضلية رقم (٦٣) .

٢ المفضليات (٦٢) ، العصر الجاهلي (١٤٢) .

٣ الشعر والشعراء (٢٣٩/١) . (دار الثقافة ، بيروت) .

هذا الشاعر الخبير بدروب الشعر وفنونه ، شهادة كافية على ما كان لرواة الشعر من أثر في رواية الشعر ، غير أن منهم من كان يحسن الشعر ويقومه ، ذكر عن (ابن مقبل) قوله : « لاني لأرسل البيوت عوجاً ، فتأني الرواة بها قد أقامتها »^١ .

وقد تحدث (الجاحظ) عن رواية الشعر في أيامه ، وعن ألوان الشعر التي كان الرواة يبحثون عنها ، فقال : « وقد أدركتُ رواية المسجدين والمريدين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسب الأعراب ، والأرجاز الأعراية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة . ثم استبدوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والتف من كل شيء . ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسب العباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسب الأعراب ، فصار زهوهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسب الأعراب . ثم رأيتهم منذ سنين ، وما يروي عندهم نسب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر ، أو قتياني متغزل .

وقد جلست الى أبي عبيدة ، والأصمعي ، ويحيى بن المنجم ، وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد الى شعر في النسب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله . ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب . ولم أر غاية الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج . ولم أر غاية رواة الأخبار إلى كل شعر فيه الشاهد والمثل »^٢ .

التصحيح والتحريف :

أصل التصحيح أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب . وقد وقع فيه جماعة من الأجلة من أئمة اللغة

١ مجالس ثعلب (٤٨١) .

٢ البيان والتبيين (٢٣/٣) وما بعدها .

وأئمة الحديث، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : من يعرى من الخطأ والتصحيح؟
قال ابن دريد : صحّف الخليل بن أحمد ، فقال : يوم بُغاث بالغين المعجمة ،
وانما هو بالمهملة . أورده (ابن الجوزي)^١ . وهو شيء لا يمكن وقوعه من
الخليل ، صاحب العلم الغزير بأحوال العرب ، وقد يكون من فعل النساخ ، إن
صحح كلام (ابن الجوزي) ، فنسب التصحيح الى الخليل .

وسببه الخط ، إما لتشابه الحروف ، وإما بسبب عدم وجود الحركات ، فن
النوع الأول حديث ينسب الى الرسول هو : « تسمعون جرش طير الجنة » ،
وكان (الأصمعي) قد سمعه في مجلس (شُعْبَة) ، فقال : (جرس) بالسين
لا بالشين^٢ . ومن هذا القليل : ما وقع من تصحيح في شعر للحطيئة هو قوله :

وغررتني وزعت انك لابن بالصيف تامر

أي كثير اللبن والتمر ، وقد قرأ :

وغررتني وزعت انك لا تني بالضيف تامر

أي لا تتواني عن ضيفك بتعجيل القرى اليه .

ومثل ذلك تصحيح الأصمعي في بيت لأوس :

يا عام لو صادفت أرماحنا لكان مثوى خلك الأخرما

فقرأه (الأحرما) ، وانما هو (الأخرما) بالراء ، وهو طرف أسفل الكتف^٣ .

ومن ذلك ما وقع بين الأصمعي والمفضل عند (عيسى بن جعفر) ، فقد ناظر
(المفضل) الأصمعي ، بأن أنشد بيت أوس بن حجر :

وذات هدم عارٍ نواشرها تُصميت بالماء تولياً جلدعا

فقال له الأصمعي : « هذا تصحيح ، لا يوصف التولب بالإجداع ، وانما

١ المزهر (٣٥٣/٢) وما بعدها .

٢ المزهر (٣٥٤/٢) .

٣ المزهر (٣٥٥/٢) .

هو جدعا . الجدع : السوء الغذاء . قال : فجعل المفضل يشغب ، فقلت له :
تكلم كلام النمل وأصب . لو نفخت في شبور يهودي ما نفعت شيئاً^١ .

وقرىء يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب :

بأسفل ذات الدير أفرد جحشها

فقال أعرابي حضر المجلس للقارىء ضللك أيها القارىء ! انما هي ذات
الدير ، وهي ثنية^٢ عندنا ، فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد^٣ .

وقد أوردت الكتب أمثلة كثيرة على التصحيف ، وقع فيه كثير من العلماء ،
من ذلك ما وقع لأبي عمرو وللأصمعي ، ولأبي حاتم ولكبار علماء اللغة ، ويعود
سببه الى التنقيط ، فالحروف مثل الجيم ، والحاء ، والخاء ، تميز بينها النقط ،
فإذا أخطأ الكاتب في وضع النقطة في محلها ، وقع التصحيف . وقد يقع ، ولا
يقع خلل في القراءة ، وإنما يتبدل المعنى ، دون أن يشعر القارىء بوجود ارتباك
في معنى المقروء ، وقد يقع في الأعلام من أسماء الرجال والنساء والأمكنة ، وقد
وقع التصحيف في الكتب بسبب السهو في النسخ ، أو جهل النساخ ، ومن ذلك
ما وقع في كتاب (العين) وفي كتب لغوية وأدبية ثمينة ، أمكن رد بعضه الى
الصحيح ، ولم يمكن تصحيح بعض آخر ، لصعوبة تعيين المراد^٤ .

وقد روى (العسكري) قصة طريفة على التصحيف والتحريف ، ذكر أنه
« كان حيّان بن بشر قد وُلّي قضاء بغداد ، وكان من جملة أصحاب الحديث
فروى يوماً أن عرفة قطع أنفه يوم الكلاب ، فقال له مستمليه : أيها القاضي ،
انما هو يوم الكلاب ، فأمر بحبسه ، فدخل اليه الناس ، فقالوا : ما دهالك ؟
قال : قطع أنف عرفة في الجاهلية ، وابتليت به أنا في الإسلام »^٥ .

١ مجالس العلماء ، للزجاجي (١٤) ، العسكري ، التصحيف والتحريف (١٠٤) ،
الفاضل والمفضول (٨٢) ، المصون (١٩٢) ، الحيوان (٢٥ / ٤) ، انباه الرواة
(٣٠٢ / ٣) .

٢ الشعر والشعراء (٢٧ / ١) .

٣ المزهر (٣٥٣ / ٢) وما بعدها ، النوع الثالث والاربعون معرفة التصحيف
والتحريف) .

٤ المزهر (٣٥٣ / ٢) .

الخلط بين الأشعار :

وبسبب اعتماد الرواة على الذاكرة في حفظ الشعر وروايته ، وأنفسه المتقدمين منهم من تدوينه ، ومن الرجوع الى الصحف ، وقع الخلط في شعر الشعراء ، فصاروا ينسبون شعراً لشاعر ، بينما هو من شعر شاعر آخر . ونجد في كتب الأدب أشعاراً تنسب الى شاعر ، ثم تنسب الى شاعر آخر ، أو الى شاعر ثالث في موضع آخر من الكتاب ، أو في كتب أخرى . وما كان ذلك ليقع ، لو كان القدماء قد أخذوا العلم بطريق الكتابة والتدوين . من ذلك مثلاً الشعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيا بماء فعادا بعد أبوالا

فإنه ينسب لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، وينسبه بنو عامر للتابعه الجعدي^١ . ومن ذلك قصيدة :

تطاول ليك بالأئمد ونام الخلي ولم ترقد

فقد نسبت لامرئ القيس الكندي ، ونسبت لعمر بن معدي كرب ، ونسبت لامرئ القيس بن عانس^٢ .

وللسبب المتقدم وقع خلط في عدد أبيات الشعر ، فقد زاد بعض الرواة في قصيدة شاعر ، بينما نقص رواة آخرون عدد أبياتها ، وقد يدخلون في القصيدة ما ليس منها بسبب اختلاط الشعر على الراوية ، وما كان هذا ليقع لو ورد الشعر مدوناً منذ أيام الجاهلية .

ومن ذلك أيضاً ورود الشعر بروايات وبأوجه مختلفة ، فقد ورد الشعر المنسوب لأفنون التغلبي :

لو أنني كنت من عادٍ ومن أرم غدى سخل ولقمانا وذا جـدن

بروايات مختلفة ، كما قرئت بعض ألفاظه بأوجه مختلفة من أوجه الإعراب^٣ ،

١ المزهر (١٨٣/١) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٧٣١/٢) .
٣ مجالس العلماء (٤٢ وما بعدها) .

وما كان ليقع هذا الاختلاف لو كان الشعر قد ورد مدوناً أولاً ومشكولاً ثانياً، فلما جاء رواية بالألسن وقع فيه هذا الاختلاف . ونجد العلماء يغلط بعضهم بعضاً في اعراب ألفاظ الشعر ، تتغير معانيه بقراءتها بأوجه متعددة من الأعراب ، كما غلط بعضهم بعضاً وهاجم بعضهم بعضاً هجوماً عنيفاً خرج على حدود الأدب واللياقة بسبب الاعجام ، كما في (تعتر) و (تعتر) في بيت الحارث بن الحلزة :

عتاً باطلاً وظلاً كما تعتر عن حجرة الريض الظباء^١

ونجد علماء الشعر والأدب يروون شعر شاعر بصور متباينة في كتبهم ، فنجد (الجاحظ) مثلاً ، يروي أبيات شعر لشاعر ، ثم يرويها بشكل يختلف عما ذكره لذلك الشاعر في موضع آخر من كتابه ، وذلك إما سهواً ، وإما باختلاف رواية ، وأما من وقوع الزلل في اللسان . وتجد وقوع مثل ذلك في كتب اللغة ، فقد ذكر (ابن منظور) بيتاً للأعشى هو :

فأصبح لم يمنع كيد وحيلة بساباط حتى مات وهو محرزق

ثم ذكره بعد سطرين على هذه الصورة :

هنالك ما أغتته عزة ملكه بساباط، حتى مات وهو محرزق^٢

وقد يقع ذلك عن تعمد ، بسبب الاستشهاد في تأييد مسألة نحوية أو لغوية . فقد روي أن سائلاً سأل (أبا عمرو بن العلاء) عن جمع يسد من الإنسان ، فقال : أيسد ، وأنكر أن تكون الأيادي إلا في النعم ، وقال (الأخفش) : « أما إنها في علمه ، غير أنها لم تحضره ، ثم أنشد بيت (عدي بن زيد العبادي) :

أنكرت ما تبينت في أيادي بنا واشناقها الى الأعناق

بينما يروى :

ساءها ما بنا تبين في الأيدي واشناقها الى الأعناق^٣

١ مجالس العلماء (١٨) .

٢ اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .

٣ مجالس العلماء ، للزجاجي (١٦٢) .

وقد كان العلماء يتحذلقون في مثل الأمور، ويبحثون جهدهم عن الشاذ والغريب في الشعر ، بل أخذ بعضهم يفتعل الغريب ، ويضع الشاذ ، فينسبه الى المتقدمين لإفحام الخصم ، ولإظهار قدرته العلمية وبراعته في علوم اللغة أمام الخلفاء والحكام وهذا مما أساء بالطبع الى العلم ، إذ أدى الى دخول المصنوع في الشعر ، والى الإساءة الى سمعة العلماء . وتجدر في (مجالس العلماء) للزجاجي ، مجالس فيها من استهتار كبار العلماء بعضهم ببعض ، ومن وضع أحدهم على الآخر ، ما يبعث على الشفقة على حال قسم منهم ، لما بلغوه في كلامهم وفي تصرفاتهم من الإسفاف بسبب محاولتهم التقدم عند الحكام ، بالمتزلة والجاه ونيل المال .

على كل حال ، فقد خفت فرضى الرواية ، بعد إقبال الناس على التدوين ، وتنجير الشعر وأمالى المجالس وأقوال العلماء وآرائهم على القرايطيس ، خاصة بعد شيوع الاستنساخ وظهور جملة نسخ للكتاب الواحد ، فضبطت بهذه الطريقة الرواية بعض الضبط ، وصرنا أمام روايات متعددة للقطعة أو للقصيدة ، وقد سدد هذه الطريقة وزاد في تثيينها إقبال العلماء على نشر المخطوطات نشرأ حديثاً بواسطة الطباعة فوفرت هذه الطريقة نسخ المخطوطات القديمة للباحثين ، ويسرت لهم بذلك الوقوف عليها مما مكنهم من إبداء نظرهم على ما جاء فيها من روايات عن الشعر العربي القديم .

الفصل الثالث والخمسون بعد المئة

أشهر رواية الشعر

اشتهر (مخزومة بن نوفل بن أهيب « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة) ، وهو من قريش برواية الشعر وبالعلم به . « وكان من مسلمة الفتح ، وله سرّ وعلم ، كان يؤخذ عنه النسب^١ ، ولا سيما نسب قريش إذ كان من العالمين به . وكان عالماً بأنصاب الحرم . فبعثه (عمر) هو وسعيد بن يربوع ، وأزهر ابن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، فجددوها . وكانت أمه (رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف) شاعرة ، وكانت لدة عبد المطلب^٢ .

وعرف (أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف) بالعلم بالشعر . وهو من (بني عدي) . وكان من معمر بن قريش ومن مشيختهم ، وكان أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب . وكان شديد المعارضة ، وكان (عمر) يمنعه حتى كف من لسانه . وكان من مسلمة الفتح ، وكان مقدماً في قريش معظماً ، وكانت فيه وفي بنيه شدة وعرامة^٣ .

وكان (أبو بكر) من الحفاظين للشعر الراوين له ، روى (المطلب بن المطلب

١ كتاب نسب قريش (٢٦٢) ، (وهيب) ، زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (١٠١/١) .
٢ الاصابة (٣٧٠/٣) ، (رقم ٧٨٤٢) .
٣ الاصابة (٣٥/٤ وما بعدها) ، (رقم ٢٠٧) ، الاستيعاب (٣١/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، نسب قريش (٣٦٩ ، ٣٧٢) .

ابن أبي وداعة) عن جده قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبه ، فرّ رجلٌ وهو يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

قال : فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى أبي بكر فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عند مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إتراف
الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي
ويُكَلِّتون جفانهم بسديفهم حتى تغيب الشمس في الرجاف
منهم عليّ والنبي محمد القائلان هلم للأضياف

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « هكذا سمعت الرواة ينشدونه »^١ .

وكان أبو بكر أحد العلماء بالنسب في قريش ، وكانوا إذا أرادوا الوقوف على نسب رجل جاءوا اليه يسألونه ، فهو عالم من علماء قريش فيه .

وكان (عمر بن الخطاب) ممن يحفظون الشعر ، ووصف بأنه كان عالماً به^٢ وبأنه « كان أعلم الناس بالشعر » ، وكان يحكم على الشعر ويتقده ، ولا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر^٣ ، وأنه كان بصيراً به ، حتى قيل عنه إنه كان « لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر »^٤ ، ورووا له أمثلة كثيرة من حفظه للشعر ومن حسن نقده له ، ونفاذه في باطن معانيه ومحاسنه^٥ .

١ الامالي ، للقالبي (٢٤١/١) وما بعدها .

٢ العمدة (٧٦/١) ، البيان والتبيين (٢٣٩/١) .

٣ البيان والتبيين (٢٤١/١) وما بعدها .

٤ البيان والتبيين (٢٤١/١) .

٥ العقد الفريد (١٢٠/٦) وما بعدها .

وذكر أنه كان يقدم (امرأ القيس) على بقية الشعراء^١ .

وكانت (عائشة) من رواة الشعر ، وكانت تحفظ منه ما شاء الله ، قيل أنها قالت : « لاني لأروي ألف بيت للبيد ، وانه أقل مما أروي لغيره^٢ . » وأنها كانت تحفظ من شعر كعب بن مالك شعراً كثيراً ، منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك^٣ ، وكانت تتمثل بالأشعار ، وربما دخل عليها رسول الله ، فوجدتها تنشد الشعر^٤ . قال (أبو الزناد) : « ما رأيت أحداً أروي لشعر من عروة . ف قيل له : ما أرواك ، فقال : روايتي في رواية عائشة ، ما كان يتزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً » ، وورد عن (عروة) قوله : « ما رأيت أحداً أعلم بفقهِ ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة^٥ . » وروي أنها كانت تحث على تعلم الشعر وروايته ، بقولها : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم^٦ . »

وكان (ابن عباس) من رواة الشعر وحفاظه . سأل (عمر) أن ينشده شعراً ، فطلب منه أن يذكر له اسم شاعر لينشد له شعره ، فقال زهير بن أبي سلمى ، فأنشده « الى ان برق الصبح^٧ » ، وزعم انه كان يفسر كلمات كتاب الله بالشعر ، قال (أبو عبيد) « انه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر^٨ . » وزعم أهل الأخبار ان (نافع بن الأزرق) ، و (نجدة بن عويمر) ، سأل (ابن عباس) عن كلمات واردة في القرآن ، فجلس لها بفناء الكعبة ، وأخذ (نافع) يسأله الكلمة تلو الكلمة وهو يشرحها لهم بشعر ، وقد دون نصها العلماء ، أخرج بعضها (ابن الأنباري) في كتاب الوقف ، والطبراني في معجمه الكبير ، ويرجع سند (ابن الأنباري) الى (ميمون بن مهران) ، ويرجع سند (الطبراني) الى (الضحاک بن مزاحم) ، وقد أخذ (السيوطي) بالروايتين وسجلها في كتابه

-
- ١ الاغانى (١٩٩/٨) ، الفائق (٣٤٣/١) .
 - ٢ العقد (١٢٥/٦) .
 - ٣ المزهر (٣٠٩/٢) .
 - ٤ الاغانى (١١٧/٣) .
 - ٥ الاصابة (٣٤٩/٤) ، (رقم ٧٠٤) ، الاستيعاب (٣٤٨/٤) وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ العقد (١٢٥/٦) .
 - ٧ الاغانى (٢٩١/١٠) .
 - ٨ السيوطي ، الاتقان (٥٥/٢) .

(الاتقان في علوم القرآن) ، بعد أن حذف منها نحو بضعة عشر سؤالاً^١ .
وقد وردت هذه الرواية بصور مختلفة^٢ ، وذكر ان (أبا عبيدة معمر بن المثنى) ،
أخذ أسئلة نافع وأدخلها في كتابه في غريب القرآن^٣ .

وكان (معاوية) ممن يروي ويحفظ الشعر الجاهلي ، وقد روي عن حفظه
للشعر الجاهلي واستشهاده به في كلامه شيئاً كثيراً ، فزعموا أنه كان يمتحن الناس
بأشعار الجاهليين ، فإذا وجد في أحدهم علماً بها زاد في عطائه وقدمه عنده
وأجزل عليه^٤ . ورووا أنه كتب الى (زياد) بشأن ابنه ، وقد وجده عالماً
بكل ما سأله عنه إلا الشعر : « ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق
ليرويه فيبر » ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليريه فيقاتل^٥ .
ويروى أنه سأل (عبدالله بن زياد) ، ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت
أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري ، فقال : أعزب ! والله لقد
وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ، ما يمنعني من الإنزمام إلا أبيات
ابن الإطنابة ، وتمثل بها ، ثم كتب الى أبيه أن روه الشعر ، فرواه فما كان
يسقط عليه منه شيء^٦ .

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع الشعر الجاهلي فقال : « والعرب أوعى لما
تسمع ، وأحفظ لما تأثر ، ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها ، وتخلد لها محاسنها .
وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها ، فبنت بذلك لبني مروان
شرفاً كثيراً ومجدداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى^٧ . وقد كان لبني سفيان وآل مروان

-
- ١ الاتقان (٥٥/٢ - ٨٨) .
 - ٢ الكامل ، للمبرد (٥٦٦ وما بعدها) .
 - ٣ السيوطي ، الوسائل في مسامرة الاوائل (١١٢) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (٢٤٣) .
 - ٤ الاغانى (١٠٠/٣ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣٣٣/١) ، (٩/٣) ، الفائق (٢٤٠/١) .
 - ٥ العقد الفريد (١٢٥/٦) .
 - ٦ المزهري (٣١٠/٢ وما بعدها) ، وتروى هذه القصة بروايات أخرى ، راجع المصنون ، للسكري (١٣٦) ، مجالس ثعلب (٨٢) الامالي ، للقالبي (١٥٨/١) ، عيون الاخبار (١٢٦/١) ، ديوان المعاني (١١٤/١) ، المرزباني ، معجم (٩) ، (فراج) ، عيون الاخبار (١٥٩/٣) . مجالس ثعلب (٦٧) ، (عبد السلام محمد هارون) .
 - ٧ البيان والتبيين (٨٨) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ١٩٥٩ م ، المطبعة الكاثوليكية) .

عناية فائقة بالشعر الجاهلي ، فقد كان (معاوية) كما ذكرت يحفظ كثيراً من ذلك الشعر ، وينقب عنه ، وكان يسأل من يجد فيه العلم عنه ، حتى زعم أنه ذكر قصيدتي (عمرو بن كلثوم) و (الحارث بن حنظلة) اليشكري ، وقال كانتا : « من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهرًا »^١ . وزعم أن (بني أمية) « كانوا ربما اختلفوا وهم بالشأم في بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب ، فيبدون فيه بريدًا الى العراق »^٢ ، وأنهم كانوا يسألون الوافدين عليهم من سادات القبائل ومن الأعراب ومن العارفين بالشعر عن الشعراء ، وقد يذكرون بيتاً أو شعراً حفظوه لا يدرون اسم قائله ، فكانوا يستفسرون عن قائله ، وعن المناسبة التي قال الشاعر شعره فيها ، ويحسنون جائرة من له علم بالشعر والأخبار^٣ .

وكان (عبد الملك بن مروان) من العلماء بالشعر الجاهلي ، قيل انه كان يمتحن الناس به ، ومنهم (الحجاج بن أبي يوسف) الثقفي^٤ . وقد ذكر انه استدعى اليه (عامر بن شراحيل) الشعبي ، ليحدثه عن الحلال والحرام ، وعن أشعار العرب وأخبارهم ، وكان (الشعبي) من ذلك الطراز البارع في الشعر وفي أخبار العرب وفي الحلال والحرام^٥ ، وروي ان (عبد الملك) ، كان قد طرح أربعة من شعراء المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة^٦ ، واذا صح هذا الخبر دل على وجود القصائد المسماة بالمعلقات في ذلك العهد .

وروي انه كان يقول : اذا أردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة ، وبأصحاب النخيل من يثرب ، وأصحاب الشعف من هذيل^٧ . ويظهر انه كان من المعجبين بشعر (الأعشى) ، روي انه قال لمؤدب ولده : « أدبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة »^٨ . والأعشى هو من بني قيس بن ثعلبة ،

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الخزانة (١٦٢/٣) . |
| ٢ | العسكري ، التصحيح والتحريف (٤) . |
| ٣ | الآغاني (٩١/٣) . |
| ٤ | ياقوت ، ارشاد (٢٧/١) ، الامالي ، للقالبي (١٥/١) . |
| ٥ | ارشاد (٩٦/١ وما بعدها) ، الخزانة (٢٥٠/٢) ، (هارون) . |
| ٦ | الخزانة (٦١/١) ، الخزانة (٢٨٨/١) ، (بولاق) . |
| ٧ | العقد (١٢٤/٦) . |
| ٨ | جمهرة أشعار العرب (٦٣) . |

وقد كان يقيم وزناً كبيراً للشعر في تأديب الأولاد . فكانت وصيته لمؤدب ولده :
« روههم الشعر ، روههم الشعر ، يمجّدوا وينجّدوا »^١ . وروي أنه تمثّل وهو
بمرضه الذي مات فيه بشعر (ابن قبيشة) ، وذلك أمام (الشعبي) ، فأنشدته
(الشعبي) شعراً من شعر (ليلى)^٢ .

ونجد في الأخبار أن عبد الملك ، كان إذا شك في شعر ، أو أراد الوقوف
عليه وعلى ظروفه ، كتب إلى العلماء به ، يسألهم عنه ، أو يستدعي من يعرف
أن له علماً به ، فيسأله عنه ، أو يسأل آل الشعر أو أحد أفراد قبيلته عنه .
وكان كثير الحفظ له ، حتى كاد لا يدانيه فيه كثير من حفاظ الشعر ، وكان
يجمع إليه الشعراء في يوم ، حتى يستمتع بإنشاد شعرهم ، وشعر المتقدمين عليهم .
وكان له ذوق في الشعر ونقد دقيق له ، ذكر أنه قال يوماً للشعراء وقد اجتمعوا
عنده : « تشبهوننا بالأسد والأسد أنجر ، وبالبحر والبحر أجاج ، وبالجلبل مرة
والجلبل أوعر ، ألقم كما قال أيمن بن خريم » ، ثم ذكر شعره في بني هاشم^٣ .
وقال للأخطل ، وقد كان قد قال له : « يا أمير المؤمنين ، قد امتدحتك
فاستمع مني » ، « إن كنت إنما شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي في مدحتك ،
وإن كنت كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات . فقال الأخطل :
وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال : هي التي تقول :

وما بلغت كفو امرئ متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلت أطول»^٤

ثم قرأ عليه الأبيات . ولما دخل (جرثومة) الشاعر على عبد الملك بن مروان ،
فأنشدته والأخطل حاضر ، « قال عبد الملك للأخطل : هذا المدح ويليك يا ابن
النصرانية »^٥ .

وكان يجمع بين الشعراء ، ويستمتع إلى شعرهم ، يجمعهم حتى إن كانوا

-
- | | |
|---|--|
| ١ | العقد (١٣٥/٦) . |
| ٢ | الخزانة (٢٥١/٢) ، (هارون) . |
| ٣ | المصون في الأدب ، لابي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ص ٦٢) ، (تحقيق
عبد السلام محمد هارون) ، (الكويت ١٩٦٠ م) . |
| ٤ | يعني الخنساء . |
| ٥ | المصون (٦٣) . |
| ٦ | المصون (٦٤) . |

متعادين متنافسين ، فقد جمع بين جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، في مجلس واحد ، وذكر أنه سأل أعرابياً شاعراً عن أهجى بيت في الإسلام ، وعن أرق بيت في الإسلام ، فأشار الى أبيات لجرير، وفضل جريراً عليهما ، فأيده عبد الملك في هذا الرأي^١ .

وقد وصف (عامر) الشعبي ، (عبد الملك بن مروان) وصفاً يدل على شدة إعجابه به ، إذ يقول في وصفه له : « فلما فرغ من الطعام وقعد في مجلسه واندفعنا في الحديث ، وذهبت لأتكلم ، فما ابتدأت بشيء من الحديث إلا استلبه مني فحدث الناس به ، وربما زاد فيه على ما عندي ، ولا أنشدته شعراً إلا فعل مثل ذلك . ففمتني ذلك ، وانكسر بالي له ، فما زلنا على ذلك بقية نهارنا ، فلما كان آخر وقتنا التفت إلي وقال : يا شعبي ، قد والله تبينت الكراهية في وجهك لما فعلت^٢ ، وتدرى أي شيء حملني على ذلك ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : لتلا تقول : لئن فازوا بالملك أولاً^٣ لقد فرزنا نحن بالعلم ، فأردت أن أعرفك أننا فرزنا بالملك وشاركناك فيما أنت فيه^٤ ، ولهذا اجتمع اليه الشعراء وعلماء الأخبار ورواة الناس ، حتى حفلت بهم مجالسه ، وكان يذاكرهم ويحادثهم وينوّه بهم ويدني مجالسهم^٥ . وذكر ان عبد الملك أرسل الى الحجاج أن يرسل اليه (الشعبي) ، فأرسله اليه ، فلما دخل عليه كان (الأخطل) عنده ، فأخذ يسأله عن الشعر ، ويسأل الأخطل عنه ، حتى اذا انتهى ، قال له : يا شعبي ، انما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني ان أهل العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق^٦ . وكان الشعبي قد جعل الخنساء أشعر النساء أما عبد الملك ففضل ليل الأخيلىة عليها . فشق ذلك على الشعبي ، فقال له ذلك القول ، وردد عليه أبيات الأخيلىة حتى حفظها . والرواية المتقدمة التي أخذتها من (الرافعي) هي هذه الرواية بشيء من التغيير .

وكان يتمثل بالشعر الجيد ، ويثني على الحسن منه ، ويحسن نقده . تمثل بشعر

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٤٥/١) وما بعدها .
 - ٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٠٩) .
 - ٣ الرافعي (٤٠٧/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (١٦/٢) وما بعدها .

لهذيل بن مشجعة البولاني ، وقال : « هذا والله شعر الأشراف . نقي عن نفسه الحسدَ واللؤم والانتقام عند الإمكان ، والمسألة عند الحاجة »^١ . وله مجالس كان يسأل فيها الناس عن الشعر ، يمتحنهم ، وذكر أنه سأل رجلاً وهو بالكوفة عن شعر (ذي الاصبع العدواني) وعن أخباره ، وكان من عدوان ، فلما وجدته جاهلاً حط من عطائه^٢ ، وذكر أنه اجتمع بالربيع بن ضبيح الفزاري ، وسأله عن أخباره^٣ ، وأنه كان يبدي ملاحظات قيمة على أشعار الشعراء الجاهليين والمعاصرين له^٤ . وروي أنه كان يبحث عن شعر الشعراء بما فيهم الشعراء المعاصرون له ، فلما قدم (الأجرد) (الأحرذ) ، وهو من شعراء ثقيف في نفر من الشعراء ، قال له : إنه ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته فقلت^٥ .

وكان (الوليد) و (سليمان) ابنا (عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، وذكر أن (الوليد) كان يقدم (النابغة) على غيره من الشعراء ، وكان (سليمان) يقدم (امرأ القيس) ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فبعث الى أعرابي فصيح ، ليكون الحكم بينهما^٦ . ورويت القصة بشكل آخر ، ورد فيها أن (الوليد بن عبد الملك) تشاجر مع أخيه (مسلمة) في شعر (امرئ القيس) و (النابغة) الذبياني في وصف طول الليل أيها أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فصار الحكم بينهما^٧ .

وكان (هشام بن عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، ذكر أنه كتب الى عامله في أشخاص (حماد) الراوية اليه ليبت سمعه لم يعرف اسم قائله .

وكان (الوليد بن يزيد) من المتيمين بالشعر ، وهو نفسه شاعر مجيد ، وكان يستدعي (حماد) الراوية ليسأله عن الشعر ، وقد قتل في سنة ست وعشرين ومائة . وكان منهمكاً في اللهو وشرب الخمر وسماع الغناء ، ذكر انه استفصح

-
- ١ رسائل الجاحظ (١/٣٦٢ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١/٢٤٩ وما بعدها) .
 - ٣ أمالي المرتضى (١/٢٥٣) .
 - ٤ أمالي المرتضى (١/٢٧٨) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢/٦٢٠) .
 - ٦ الزجاجة ، مجالس العلماء (٢٧٢) .
 - ٧ الخزائن (٢/٣٢٥ وما بعدها) .

القرآن ، فخرج له : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد »^١ ، فألقاه ونصبه
غرضاً ورماء بالسهام ، وقال :

تهدّني بجبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٍ عنيدٍ
إذا ما جئت ربك يومَ حشرٍ فقل: يا رب مزقني الوليد^٢

وكان إذا أراد الاستفسار عن شعر جاهلي خفي أمره عليه ، أرسل الى (حماد)
يسأله عنه^٣ ، كما كان يسأل غيره عنه كذلك .

وروي انه نشر يوماً المصحف ، وجعل يرميه بالسهام ، وهو يقول :

تذكرني الحساب ولست أدري أحقاً ما تقول من الحساب
فقل لله يمنعي طعامي وقل لله يمنعي شرابي

وانه قال :

اسقياني وابن حرب واسترانا بلزار
فلقد أيقنت اني غير مبعوث لنار
واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار^٤

الى غير ذلك من أشعار وأخبار ، وروايات تتهجم عليه ، نسبت بعضها الى
أهله وأقاربه ، بل زعم ان الرسول لعنه في حديثه^٥ ، ومثل هذه الأحاديث من
الحديث الموضوع .

-
- ١ ابراهيم ، الآية ١٥ .
 - ٢ الخزانة (٢٢٨/٢) ، (هارون) ، الخزانة (٣٢٨/١) ، (بلاق) .
 - ٣ الخزانة (١٢٩/٤) ، (بلاق) ، وورد بصورة أخرى تختلف بعض الاختلاف عن
هذه الرواية ، أمالي المرتضى (١٣٠/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (١٢٩/١) ، ورويت بصورة أخرى ، الاغانى (٤٦/٧) ، رسالة
الغفران (٤٤٤) .
 - ٥ أمالي المرتضى (١٢٩/١) ، راجع رسالة الغفران حيث تجد بعض اشعاره (٤٤٤
وما بعدها) .

وفي شعر الوليد سلاسة وطبع ، وعدم مبالاة ، فالحياة في نظره ، سماع غناء ،
وخر طيب ، أما الحكم والملك ، فلا يساويان شيئاً :

أنا الأمامُ الوليدُ مفتخراً أجبر بُردِي ، وأسمع الغزلا
أسحب ذيلي الى منازلها ولا أبالي من لام أو عدلا
ما العيش إلا سماعُ مُحسنة وقهوة ترك الفتى ثملا
لا أرتجي الحور في الخلود وهل يأمل حور الجنان من عقلا ؟
إذا حبتك الوصال غانية فجازها بثلها كمن وصلا

ويقال إنه لما أحيط به ، دخل القصر وأغلق بابه وقال :

دعوا لي هنداً والرباب وفرتني ومسمعة ، حسبي بذلك مالا
خذلوا ملككم ، لا ثبت الله ملككم فليس يساوي بعد ذاك عقلا
وخلتوا سبيلي قبل غيري وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا

وكان (ابن شهاب الزهري) من رواة الشعر ، وكان من المؤلفين ، وقد
توفي سنة (١٢٤ هـ)^٢ ، وكان راوية للشعر ، يحفظ الكثير منه ، حتى كان
الأمويون إذا أشكل عليهم أمر من أمور الشعر ، أرسلوا اليه يسألونه عنه^٣ .

وكان (عروة بن الزبير) من رواة الشعر ، ويعد من أشهر رواته عند أهل
الحجاز ، روى عن عائشة ، وكان يقول : « روايتي في رواية عائشة »^٤ ،
وقد روى عن اختها (أسماء) بنت أبي بكر ، روى عنها شعراً لزيد بن عمرو بن
نقيل ، ولورقة بن نوفل^٥ ، وكان يزور آل مروان ، رآه الحجاج « قاعداً مع
عبد الملك بن مروان ، فقال عروة : أنا لا أم لي ! وأنا ابن عجائز الجنة !
ولكن إن شئت أخبرتك من لا أم له يا ابن المتمنية ! فقال عبد الملك : أقسمت
عليك أن تفعل ، فكف عروة . والمتمنية ، هي الفريعة بنت همام ، أم الحجاج

١ رسالة الغفران (٤٤٤ وما بعدها) ، الاغاني (٧/٤٦ ، ٧٣) .

٢ المعارف (٤٧٢) .

٣ الاغاني (٢٤٨/٤) .

٤ الاصابة (٣٤٩/٤) ، (رقم ٧٠٤) .

٥ الاغاني (١٢٤/٣) وما بعدها .

وهي القائلة :

هل من سبيل الى خمرٍ فأشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج^١

وللمتمنية قصة ، لا تخلو أن تكون من وضع أعداء الحجاج .

وقد نسب أهل الأخبار الى بعض رواة الشعر حفظ الشيء الكثير من ذلك الشعر ، نسبوا الى بعضهم حفظ آلاف القصائد عدا القطع والأراجيز . ذكروا مثلاً ان (حماداً) الراوية كان يحفظ (٢٧) قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة^٢ . وان (الأصمعي) ، كان يحفظ (١٦) ألف أرجوزة^٣ ، وان (أبا ضمضم) ، كان يروي لمائة شاعر اسم كل منهم (عمرو)^٤ ، وأن (أبا تمام) حفظ (١٤) ألف أرجوزة من أراجيز الجاهلية غير القصائد والمقاطع^٥ ، الى أمثال ذلك من أرقام لا تخلو من مبالغات أهل الأخبار .

وروي أن فتياناً جاءوا الى (أبي ضمضم) بعد العشاء ، فقال لهم : ما جاء بكم يا خبيثاء ؟ قالوا : جئناك نتحدث ، قال : كذبتم ، ولكن قلتم كبر الشيخ فتلعبه عسى أن نأخذ عليه سقطة ! فأنشدهم لمائة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين ، كلهم اسمه عمرو^٦ . وقال (الأصمعي) : « فعددت أنا وخلف الأحمر فلم تقدر على ثلاثين . فهذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس ، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه من المسمين بهذا الاسم أكثر ما عرفه » .

ولما نشأ التدوين بالمعنى المفهوم من هذه اللفظة في الإسلام ، كان الشعر في طليعة الموضوعات التي عني الناس بها في أيام الأمويين فما بعد . فجمعوا شعر الشعراء على انفراد ، وجمعوا شعر جماعة منهم ، أو شعر قبيلة أو قبائل ، وجمعوا

١ الفائق (٥٢/٣ وما بعدها) .

٢ النجوم الزاهرة (٤٢٠/١) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٧/١) .

٣ ابن خلكان (١٢١/١) ، طبقات الادباء (١٥١) ، زيدان (٧٧/١) .

٤ الشعر والشعراء (٤) . زيدان (٧٧/١) .

٥ ابن خلكان (١٢١/١) ، زيدان (٧٧/١) .

٦ الشعر والشعراء (٩) ، (الثقافة) .

شعر طبقة من الطبقات الاجتماعية ، كما عنوا بالاختيارات وغير ذلك^١ .

وقد أخذ بعض رواة الشعر الجاهلي من منابعه ، أي من القبائل ، « قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : دخل أبو عمرو اسحاق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب »^٢ . (وأبو عمرو) هذا ، هو أبو عمرو الشيباني .

وقد أشار (ابن النديم) والعلماء الذين عنوا بالشعر الى أسماء نفر من العلماء عنوا واشتغلوا بجمع الشعر ، وذكروا أسماء كتبهم واختياراتهم . وقد وصل إلينا بعض ما اشتغلوا فيه وجمعه ، فطبع ، ومنه ما لا زال مخطوطاً محفوظاً في خزائن الكتب . وهو معروف يعرف الناس المواضع التي يوجد فيها ، وقد يها له من يقوم بطبعه وتيسيره بذلك للناس ، غير أننا لا نزال نجهل مصير عدد كبير من الدواوين والأشعار والاختيارات التي ذكر (ابن النديم) وغيره أسماءها مع أسماء جامعها ، لا ندرى إذا كانت اليوم في خزائن الكتب لا يعرف الناس من أمرها شيئاً ، لعدم إحاطة المسؤولين بأمر تلك الخزائن العلم بها ، أو أنها عند أسر لا تعرف من أمر المخطوطات شيئاً ، لجهلها بها وبالعلم ، أو أنها تلفت وولت لعوامل عديدة ، فلا أمل إذن من بعثها ونشرها .

وقد تفرش (الملاحظ) بنموذج من رواة الشعر بالبصرة ، فقال : « وقد أدركت رواة المسجدين والمريدين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والتنف من كل شيء . ولقد شهدتم وما هم على شيء أحرض منهم على نسب العباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسب الأعراب ، فصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسب الأعراب . ثم رأيتهم منذ سنين ، وما يروى عندهم نسب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدا في طلب الشعر ، أو فتياي متغزل .

وقد جلست الى أبي عبيدة ، والأصمعي ، ويحيى بن المنجم ، وأبي مالك

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٧/١) .
٢ نزهة الالباء (ص ٦١ وما بعدها) .

عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فـأرأيت أحداً منهم قصد الى شعر في النسب فأنشده . وكان خلف يجمع ذلك كله ^١ .

ولم يقتصر عمل الراوية على رواية الشعر وإنشاده للناس ، بل كان يقوم أيضاً بشرح غامض ألفاظه وإيجلاء ما قد يكون في الشعر من معان خفية غامضة ، كما كان يقوم بشرح الظروف والمناسبات التي نظم الشعر فيها ، الى غير ذلك من أمور تتعلق بالشعر . ولهذا فإن رواية الشاعر ، هو ديوان حي للشاعر ، فيه كل ما يتعلق بشعر ذلك الشاعر .

ولم يقتصر جمع الشعر على عشاقه ورواته والعلماء به ، أو على الرواة الشعراء ، بل ساهم فيه أناس تخصصوا بأمور أخرى ، كان لاختصاصهم اتصال متن بالشعر ، مثل علماء النسب وعلماء الأيام والأخبار . فقد أمدنا هؤلاء بمادة لا بأس بها من الشعر الجاهلي ، في الجاهلية وفي الاسلام . كانوا إذا تحدثوا عن نسب قبيلة أو عن نسب رجل معروف ، ذكروا ما قيل في حقها أو في حقه من مدح أو هجاء ، وكانوا إذا تكلموا عن أيام الجاهلية ، اضطروا الى سرد ما قال فيها أبطالها وفرسانها من شعر . فقد كان من عادة الأبطال إنشاد شعر التبجح بالنفس وبمفاخرها وبمفاخر القبيلة حين نزولهم ساحة القتال ، وكان من عادة المنتصر تخليد نصره بأشعار يتشددا أبناء القبيلة ، لتكون تسجيلاً لمفاخره بين الناس .

وساهم علماء العربية : علماء اللغة والنحو والتفسير والحديث مساهمة تذكر في تخليد الشعر الجاهلي ، بما جمعوه من شواهد في اللغة وفي النحو وفي الصرف ، وفي تفسير القرآن والحديث من أبيات وقطع بل قصائد أحياناً . فقدموا لنا بفعلهم هذا مادة ساعدتنا في زيادة معارفنا عن شعر ما قبل الاسلام ، وفي ضبط الشعر الوارد في المصادر الأخرى ، وتصحيح ما قد يكون قد وقع في الروايات المتضاربة من أوهام ، كما أمدتنا بمادة لا بأس بها ، بل جديدة ونادرة أحياناً عن أصحاب الشعر وعن المناسبات التي قيل فيها .

وقد تعرض (الجاحظ) لأمر هؤلاء في الشعر ، فقال : « ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب . ولم أر غاية رواة الشعر إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج . ولم أر ، غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه

١ البيان والتبيين (١٠٠) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .

الشاهد والمثل^١ .

يقول (بروكلمن) : « ولم يبدأ جمع الشعر إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد أن معنى التحري في وثوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جماع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجماع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا أنه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما روه للشعراء القدماء أو يزيدوا عليه . فلا عجب إذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والاختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم أنه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبي عبيد .

لقد غير الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا الأشعار القديمة إلى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل ، أكثر مما نستطيع إثباته .

على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منها بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد إلى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشتمل على أسماء أصنام وعبادتها ، وأن أسقطوا أيضاً أحياناً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية^٢ .

ويعود الفضل في جمع الشعر الجاهلي وتلويحه وتخليده إلى مدينتين اشتهرتا بالعلم ، هما : الكوفة والبصرة ، فقد كان علماء هاتين المدينتين في طليعة من عني بجمع الشعر الجاهلي وتقصيه ، ولا نكاد نجد مدينة إسلامية ، بلغت مبلغها في هذه الناحية ، أو تمكنت من مزاحمتها في جمع شتات هذا الشعر وحصره في كتب مدونة صارت مرجعاً للعلماء ولعشاق هذا الشعر إلى يومنا هذا . ونكاد لا نجد كتاباً في الشعر أو في الأدب ، إلا وهو عيال على علم علماء هاتين المدينتين .

١ البيان والتبيين (١٠١) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ م) .

٢ بروكلمن (٦٥/١ وما بعدها) .

الفساسة ، ليجد له مأوى عندهم ، كما فعل النابغة والمثلث . ولما كان الفساسة قد تأثروا بالحياة الحضرية ، أكثر من ملوك الحيرة ، وقد تشربوا بالثقافة البيزنطية ، فعاشوا في بيوت بدمشق بين الحضرة ، وبنوا القصور الكبيرة في القرى التابعة لهم ، وهي مواضع خصبة ، وقد أثثوها على الطريقة الرومية ، وكانوا يسمعون الغناء الرومي ، وكانت مصالحهم بالأعراب وبجزيرة العرب - كما قلت - غير ذات بال ، لم يحفلوا بالشعراء الوافدين عليهم احتفال ملوك الحيرة بهم ، ولم يصدقوا لإغداق المناذرة عليهم ، فصار عدد الشعراء الوافدين عليهم قليلاً إذا قيس بعدد من كان يذهب منهم الى قصور الحيرة ، كما يظهر ذلك جلياً من كتب الأخبار والأدب التي تحدثت عن الشعراء الجاهليين ، ولعل هذا الصدّ عن الشعراء هو الذي حمل (النابغة) على ألا يمكث عند الفساسة طويلاً ، فحمل حمله ، وعاد الى الحيرة معتزلاً الى النعمان عما بدر منه من خطأ ، رامياً سبب ما وقع بينهما من قطيعة الى عمل الوشاة الحساد . ولعله كان أيضاً في جملة العوامل التي جعلت العراق يتقدم على الشام في رواية الشعر الجاهلي وفي نشره ، فنحن لا نكاد نعرف رجلاً من أهل الشام الصميين ، قام بالشعر الجاهلي ، أو بأمر شعراء العرب في الشام من أهل الجاهلية ، كما قام به أهل العراق . ولم تشتهر (دمشق) ولا غيرها من مدن بلاد الشام بما قامت به مدن العراق من جمع الشعر الجاهلي على الرغم من تحمس الأمويين وكلفهم في جمعه وتدوينه .

وقد تعرض العلماء لأمر (المدينة) ، فقالوا : « فأما مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلا نعلم بها إماماً في العربية . قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة .

وكان بها ابن دأب ، يضع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسب الى العرب ، فسقط وزهد علمه وخفيت روايته ، وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، يكنى أبا الوليد ، وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر^١ . وذكر ان في جملة ما صحفه من الشعر ، قول (الحارث بن حلزة) الشكري :

أيها الكاذب المبلغ عنا عبد عمرو وهل بذلك انتهاء

١ المزهري (٤١٣/٢) وما بعدها .

وانما هو : عند عمرو^١ .

وأقدم ما لدينا من مدونات الشعر الجاهلي ، الاختيارات التي جمعها (حماد) الراوية ، المعروفة بـ (المعلقات) ، والتي عرفت بالسموط . ولعلها الديوان الذي ذكر (ابن النديم) انه أرسله الى (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، فاستعان به مع ديوان آخر بعثه اليه (جناد) ، ليجمع منها ومن غيرها ديوان العرب وأشعارها^٢ ، وقد يكون ديواناً آخر أوسع من هذا المجموع .

وبلي هذه الاختيارات ، اختيارات أخرى جمعها رجل من أهل الكوفة أيضاً ، وراوية من رواة الشعر المعروفين هو (المفضل بن محمد بن يعلى) الضبي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ) (٧٨٠ م) ، أو (١٦٨) ، أو (١٧٠ هـ) ، على اختلاف الروايات . وقد اتخذ (المنصور) مؤدباً لابنه (المهدي) فعمل له الأشعار المختارة المسماة المفضليات ، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي . قال : وأول النسخة التي لتأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وإبراق ومرّ طيف على الأهوال طراق^٣

[هذا وقد وقع في الجزء الأول من هذا الكتاب سهو ، إذ سقطت لفظة (مائة) من « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة » ، فصارت على هذا النحو : « وهي ثمان وعشرون قصيدة » ، وقد تزيد وتنقص^٤ ، ولذلك أحببت أن ألفت نظر القراء لإصلاح هذه المفقودة] .

وبلي هذه الاختيارات اختيارات أخرى جمعها (الأصمعي) ، سأحدث عنها أثناء حديثي عنه بعد قليل ، ثم اختيارات أخرى عرفت بـ (جمهرة أشعار العرب) ، قد جمعت في أواخر المائة الثالثة للهجرة . « وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام ، أولها المعلقات السبع ، وتحمل الأقسام الستة الباقية حُلًى من العناوين المختارة

١ المزهري (٣٦٢/٢) .

٢ الفهرست (١٤٠) .

٣ الفهرست (١٠٨) ، الاغانى (١٢٥/٥) ، بروكلمن (٧٣/١) .

٤ (٦٨) .

وهي : المجهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحقات^١ .
 و يسمى جامعها أبا زيد القرشي ، وقيل إن سند رواية أبي زيد هذا ،
 وهو المفضل ، كان في المرتبة السادسة من سلالة الخليفة عمر بن الخطاب ، وإذا
 فلا بد أن حياته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري . على أن كلا الرجلين :
 أبي زيد والمفضل ، مجهول بالكلية فيما عدا ذلك . ويبدو لنا أن تسميتهما موضوعة
 على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه المفضل . ولكن
 لما كان كتاب الجهرة معروفاً لابن رشيقي (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٤ م) ،
 فقد يكون تم تأليفه في ملتقى القرنين الثالث والرابع للهجرة^٢ .

وهناك مجموعات أخرى مثل ديوان الحماسة لأبي تمام (المتوفى ٢٣١ هـ) ،
 وديوان الحماسة للبحري (٢٠٥ - ٢٨٤ هـ) ، وحماسة (الخالدين) ، أو كتاب
 الأشباه والنظائر ، للأخوين : أبي عثمان سعيد (المتوفى حوالي ٣٥٠ هـ) ،
 وأبي بكر محمد (المتوفى ٣٨٠ هـ) ، ومجموعات أخرى معروفة ، مثل كتاب
 (الأغاني) لأبي الفرج الإصبهاني ، ذكرها (بروكلمن) و (جرجي زيدان) ،
 وغيرهما ممن بحث عن الشعر الجاهلي ، فلا حاجة بي إذن إلى ذكرها في هذا
 المكان .

ولم يلزم رواية الشعر الأول وعلماء اللغة والنحو أنفسهم النص على اسم المنبع
 الذي عرفوا الشعر أو الخبر منه ، فصار من الصعب علينا ، بل من غير الممكن
 التعرف على السبيل الذي سلكه هذا الشعر الجاهلي من الجاهلية حتى وصل إلى
 (حماد) الراوية ، أو (خلف) الأحمر ، أو غيرهما من رواة الشعر . ولو
 كانوا قد نصوا عليه ، لأمكن التثبت من صحة الشعر ، بتقيد سلسلة السند ، أو
 المصدر المكتوب إن كان مكتوباً ، فيخفف بذلك من هذا الشك الذي يحوم حول
 صحة المصادر التي أخذ الرواة منها معينهم عن هذا التراث الخالد الجاهلي .

وقد اكتفى الرواة أحياناً بذكر اسم (أعرابي) ، نسبوا أخذ شعرهم أو
 خبرهم إليه ، اتصلوا به أثناء قدومه البصرة أو الكوفة ، أو في أثناء ذهابهم إلى
 البادية لجمع العلم بأخبار العرب وبشعرها القديم منها ، ومعظمهم من قبائل مختارة

١ بروكلمن (٧٥/١) .

٢ بروكلمن (٧٥/١) .

نصوا على اسمها ، مثل تميم ، وأسد ، وهي القبائل التي ارتضى علماء اللغة الأخذ عنها ، وكان بعضهم ممن ترك البادية وعاش في الحاضرتين ، وأظهروا مقدرة وكفاءة في الرد على أسئلة العلماء ، استوجبت توثيقهم وتقديمهم ، حتى صار بعضهم من طبقة العلماء .

ولم يشر العلماء أحياناً الى اسم الأعرابي ، أو الأعراب الذين أخذوا عنهم ، بل اكتفوا بالإشارة الى أنهم سمعوا ما ذكره من (أعرابي) ، أو من (أعرابي) فصيح ، أو من (فصحاء الأعراب) ، أو (فصحاء العرب) . ولا ندرى حال هؤلاء الأعراب وحظهم من العلم والمعرفة بعلوم اللغة ، وبأمر القبيلة في الجاهلية ، وقد يصح الأخذ منهم في أمور لغوية تخص لهجة قبيلتهم ، أما في موضوع الشعر والأخبار ، فهناك مشاكل شائكة تجعل من الصعب قبول روايتهم ، لمجرد أنهم أعراب ، وأنهم أعلم من الحضرة بأمر قبيلتهم ، فبينهم من كان لا يبالي من التحقق بإجابته ، فيجيب حسب مزاجه وهواه .

وقد اشتهر وعرف بعض الأعراب ، حتى دخلت أسماؤهم في الكتب ، وقد دون (ابن النديم) أسماء جماعة منهم في باب دعاه : «أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، وشيء من أخبارهم وأنسابهم»^١ . وقد ذكر ان من بين هؤلاء من كان معلماً ، بعلم الصبيان بأجرة ، ويؤخذ منه العلم ، وكان شاعراً ، مثل (أبو اليبداء) الرباحي ، وهو أعرابي نزل البصرة ، وعلم بها ، و (أبو مالك عمرو بن كركرة) ، وكان يعلم في البادية ويورق في الحضرة مولى بني سعد ، راوية أبي اليبداء ، وكان عالماً باللغة ، وله رأي طريف : «يزعم ان الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء»^٢ ، و (أبو عرار) ، وهو أعرابي من (بني عجل) ، قريب من (أبي مالك) في غزارة علم اللغة ، وكان شاعراً ، وكان ممن يتصل به (جناد) و (اسحاق بن الجصاص)^٣ . ولبعضهم مؤلفات ، ذكر أسماءها (ابن النديم) . وقد أقام معظمهم بين الحضرة ، في المدن المشهورة التي كانت تبحث عن أمثال هؤلاء ، مثل البصرة والكوفة ، ثم بغداد ، وكان أكثرهم ينظم الشعر ، ومنهم من كان كاتباً قارئاً ، طابت له

-
- ١ الفهرست (ص ٧١ وما بعدها) .
 - ٢ الفهرست (ص ٧٢) .
 - ٣ الفهرست (ص ٧٢) .

الاقامة بين الحضرة ، ووجد له الرزق بينهم ، ففضل الراحة وطلب المال على
الاقامة في أرض الشح والفقر .

بعض رواة الشعر :

هناك رجال غلبت عليهم رواية الشعر ، فاشتهروا بها ، مثل حماد الراوية
وخلف الأحمر . غير ان هناك رجالاً ، اشتغلوا بالعربية والنحو ، لا يقل جهدهم
في جمع الشعر الجاهلي عن جهد رواة الشعر ، منهم من جمعه لتفسير كلام الله ،
ومنهم من حفظه للاستشهاد به في ضبط اللغة وقواعد النحو ، حتى أننا لنجد في
كتب اللغة والمعجم وشواهد النحو ، أبيات شعر وقطع لشعراء جاهليين فات
خبرها عن رواية الشعر ، ولهذا فنحن لا نستطيع فصل عمل هؤلاء عن عمل رواة
الشعر ، وعدم الإشارة اليهم في أثناء حديثنا عن العلماء الذين كان لهم فضل جمع
الشعر الجاهلي .

ومن أعرف رواة الشعر الجاهلي ، عامر بن شراحيل الشعبي ، المولود سنة
(٩) للهجرة والمتوفى سنة (١٠٤) أو (١٠٥) للهجرة ، و (أبو عمرو بن العلاء)
المتوفى ما بين السنة (١٥١) والسنة (١٥٩) للهجرة ، وحماد الراوية ، والمفضل الضبي ،
وخلف الأحمر ، وأبو عمرو الشيباني ، المتوفى سنة (٢٠٥) أو (٢٠٦) ، أو
(٢١٣) للهجرة ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة (١٤٦)
للهجرة ، وابنه (هشام بن محمد بن السائب) الكلبي ، وابن الأعرابي ، وابن
السكيت ، المتوفى سنة (٢٤٤) أو (٢٤٦) للهجرة ، والطوسي ، المتوفى في
حوالي السنة (٢٥٠) للهجرة ، والسكري ، المتوفى سنة (٢٧٠) أو (٢٧٥) للهجرة
والمبرد ، المتوفى سنة (٢٨٢) ، أو (٢٨٥) ، أو (٢٨٦) للهجرة^١ ، وغيرهم
من تجد اسماءهم في (الفهرست) لابن النديم وفي الموارد الأخرى . ويعد (أبو عمرو
ابن العلاء بن عمار بن العريان) من (خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن
تميم) المتوفى سنة (١٥٤هـ)^٢ . من أعلم زمانه في الشعر واللغة ، وقد ذكر أن

Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, pp. XXXIX.

١ المعارف (٥٤٠) ، أخبار النحويين ، للسيرافي (٢٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ،
٢ لابن كثير (١١٢/١٠) ، تهذيب الاسماء واللغات (٢٦٢/١) .

اسمه (زبّان بن العلاء بن عمار) المازني^١ . وكان عالماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وكان مشهوراً في علم القراءة والحديث واللغة والعربية^٢ . وقد أخذ الشعر عن أعراب أدركوا الجاهلية ، واثني عليه (الجاحظ) ، وأطرى على علمه ، فقال : « كان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان . حدثني الأصمعي ، قال : جلستُ الى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يخرج بيت إسلامي . قال : وقال مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن أمر فتياننا بروايته . يعني شعر جرير والفرزدق وأشباهما . وحدثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية ، وبالقرآن والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس » ، « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم إنه قرأ^٣ فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية^٤ . »

وقد فسر بعض المستشرقين إحراق (أبو عمرو بن العلاء) لكتبه ، على انه كان نحت تأثير أزمة دينية تدل « على ان أوساط التدين في العراق لا تنظر بعين الارتياح الى التنقيب عن بقايا الوثنية »^٥ . وأشار بعض منهم الى ان الحرق تناول^٦ ما جمعه من الشعر الجاهلي ، وانه كان في أزمة زهدية لينصرف الى دراسة القرآن^٦ . وهو تفسير غريب ، استنتجوه من لفظة (تقرأ) ، أي (تنسك) على ما يظهر ، وليس لهذه اللفظة صلة بالوثنية وبالشعر الجاهلي ، ولو كان الشعر الجاهلي ممقوتاً ، وجمعه وحفظه مذمومين ، لما حفظه الصحابة وترنموا واستشهدوا به ، ثم ان غيره من الزهاد مثل (أبو الأسود) الدؤلي ، كان يحفظ هذا الشعر ويستشهد به ، وقد رأينا ان الرسول ، كان يسمعه ويستشهد به ، ثم ان خبر

-
- ١ المزهري (٣٠٤/٢) ، البيان والتبيين (٣٢١/١) .، الفهرست (٤٨) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٧٠/١) .
 - ٢ نزهة الالبياء (٢٤) ، المقتبس ، للمرزباني (٢٥ وما بعدها) ، ابن خلكان (٣٨٦/١ وما بعدها) ، الذهبي ، العبر (٢٢٣/١) .
 - ٣ تقرأ ، تنسك .
 - ٤ البيان والتبيين (٣٢٠/١ وما بعدها) ، ابن خلكان (٣٧٦/١) .
 - ٥ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (١١٠) .
 - ٦ المصدر نفسه (الحاشية رقم ٤) .

إحراق الكتب ، لا يشير لا تصريحاً ولا تلميحاً الى علاقته بالشعر ، ولعله خبر موضوع ، وضعه (أبو عبيدة) ، لغرض ما ، كأنه كان يريد من وضعه المبالغة في علمه وفي زهده ، أو ان حريقاً غير متعمد أصاب بعض كتبه ، فضخمه ووسعه ، وجعله إحراقاً متعمداً ، إذ لا يعقل أن يقوم هو بإحراق كتبه كلها ، ثم إن قوله : « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت له بيتاً الى قريب من السقف » ، ثم انه تقرأ فأحرقها كلها ، لا يخلو من مبالغة ، فليس من السهل على رجل كتابة هذا القدر من الكتب بالنسبة لذلك الوقت ، حيث كان الورق غالباً ، بحيث تملأ بيتاً الى قريب من السقف ، ثم قيامه بإحراقها كلها يمثل هذه البساطة والسذاجة ، فهي في نظري قصة مصطنعة ، لاحقية فيها . وما يؤيد سذاجة هذه القصة ، هو ان صاحبها عاد فقال انه رجع بعد الى علمه الأول ، فلم يكن أمامه عنده إلا ما حفظه بقلبه^١ ، مما يثبت انه أراد من وضعها المبالغة في علمه ، بزعمه انه كان قد حفظ ما شاء الله من العلم ، ومنه الشعر الجاهلي الذي كان يمجده ، ويرى انه وحده هو الشعر ، ولهذا لم يستشهد أو يحتج ببيت اسلامي ، مهما بلغ الشعر الاسلامي من الجودة والحسن ، لأنه شعر محدث ، والمحدث لا يقاس بالشعر الجاهلي الأصيل ، مهما بلغ من الاتقان .

وقد زعم أنه قال : « ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً ، يعني ما يروى للأعشى من قوله :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلع^٢ »

ولا ندري بالطبع إذا كان هذا الكلام المنسوب الى (أبي عمرو) هو من كلامه حقاً ، أو كان من الكلام المصنوع المنحول عليه . واذا كان صحيحاً ، فان فيه تلميحاً الى أن هناك من قد اتهمه بالوضع ، جرياً على العادة التي كانت اذ ذاك من اتهم العلماء بعضهم بعضاً بالوضع ، فروي هذا الخبر في تبرير ذمته من الوضع ، وإنه لم يضع في حياته إلا البيت المذكور .

و (عوانة بن الحكم بن عياض) الكلبي ، ويكنى (أبا الحكم) ، من هذا

١ البيان والتبيين (١ / ٣٢١) .

٢ المزهر (٢ / ٤١٥) ، الاغانى (٣ / ١٤٣) .

الرعيل الذي كان له فضل في جمع الشعر . كان من علماء الكوفة، راوية للأخبار عالماً بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً . وله كتب . منها كتاب التاريخ وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد ذكر بعضهم أنه (لمنجاب بن الحارث) ، غير أن (ابن النديم) ، نص على أنه لعوانة ، وليس لمنجاب . وذكر (ابن النديم) أنه قرأ بخط (أبي عبدالله بن مقلة) « قال أبو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان الى حماد وجناد »^١ . مما يدل على أن (الوليد) كان قد استعار منها ديواناً كان عندهما في أشعار العرب . ولعل كل واحد منها كان قد جمع ديواناً خاصاً به ، فاستعان (الوليد) بهما في اخراج ديوان واحد يضم ما جاء في الديوانين من شعر . وكانت وفاة (عوانة) سنة (١٤٧ هـ) .

و (المفضل بن محمد بن يعلى الضبي) الكوفي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ) ، (١٦٨ هـ) ، (١٧٠ هـ) ، هو من أصحاب العلم بالشعر ، وكان قد انضم الى جماعة (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن) العلوي ، فظفر به المنصور ، وعفا عنه ، وألزمه ابنه (المهدي) ، وجعله مؤدباً له . وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) ، « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه . والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي . قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عبد مالك من شوق وابراق ومرّ طيف على الأهوال طراق^٢

وذكر (ابن النديم) ان له من الكتب : (كتاب الاختيارات . وقد ذكرناه . كتاب الأمثال . كتاب العروض . كتاب معاني الشعر . كتاب الألفاظ)^٣ . وكتاب الاختيارات ، هو (المفضليات) ، ويظهر انه عرف بـ (المفضليات) نسبة الى الجامع ، فطغت هذه التسمية على الاسم الأصل^٤ .

-
- ١ الفهرست (١٤٠) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٠٨) ، الاغانى (١٢٥/٥) ، ياقوت ، ارشاد (١٧١/٧) ، بغية الوعاة (٢٩٧/٢ وما بعدها) ، انباه الرواة (٢٩٨/٣ وما بعدها) ، ابن الانباري نزهة (٥٦) ، المعارف (٥٤٥) .
 - ٣ الفهرست (١٠٨) .
 - ٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٧٢/١ وما بعدها) .

وكان المفضل عالماً بالشعر ، وكان أوثق من روى الشعر من الكوفيين . ولم يكن أعلمهم باللغة والنحو ، إنما كان يختص بالشعر . وقد روى عنه (أبو زيد) شعراً كثيراً^١ .

ولست هذه القصائد التي يضمها كتاب المفضليات كلها من جمع المفضل وترتيبه على ما جاء في بعض الموارد ، وليس في هذه القصائد المطبوعة في المفضليات إلا سبعون قصيدة هي من اختيار المفضل . أما بقيتها ، فهي زيادات وإضافات وضعت على تلك القصائد^٢ . وليس للمفضل منها على ما جاء في مورد آخر إلا ثمانون قصيدة هي التي أخرجها للمهدي . وأما ما تبقى منها ، فهي من اختيارات الأصمعي ، وهي أربعون قصيدة من مجموع عشرين ومئة^٣ . فيكون ثلثها على وفق هذه الرواية من اختيار المفضل . وأما الثلث الباقي ، فن اختيار الأصمعي^٤ . ولم يذكروا شيئاً عن القصائد الثماني الباقية ، وقد نص (ذيل الأمانى) على أنها مائة وعشرون^٥ .

ويدل هذا الاختلاف على أن رواة المفضليات لم يعتمدوا في روايتهم للكتاب على النسخة الأم ، وهي النسخة التي اختارها المفضل للمهدي . وإلا لما حدث اختلاف بين الروايات في ترتيب القصائد وفي عددها ، أو أن المفضل نفسه لم يدون اختياراته تلك في كتاب ، وإنما اختار ما اختاره دون تدوين ، فكان يمليه على المهدي مجلساً مجلساً ، حتى أكمل تلك الاختيارات ، وأنه ألقى اختياراته هذه على من كان يحضر مجلسه طلباً للشعر في مجالس أيضاً ، فمن هنا وقع هذا الاختلاف . وقد كان يكتفي بإلقاء المختار على طلابه دون شرح . أما الشرح المطبوع ، فليس من شرح الضبي وتفسيره ، وإنما هو من عمل رواة آخرين ورد ذكرهم في مقدمة الكتاب ، وليس للمفضل فيه إلا الاختيارات^٦ .

١ المزهري (٤٠٥/٢ وما بعدها) .

٢ مقاتل الطالبين (١١٩) ، « طبعة طهران » ، المفضليات (الترجمة الانكليزية) .
Vol., II, p. XIV.

٣ ذيل الامالي (١٣٠) ، (دار الكتب المصرية) .

٤ المفضليات (الترجمة الانكليزية) . Vol., II, p. XIV.

٥ ذيل الامالي (١٣٠) .

٦ راجع النص العربي للمفضليات (طبعة لايل) ، (١) .

والشرح المطبوع هو من صنع أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وجمعه ، وقد أخذ من موارد متعددة أشار إليها في الكتاب . وقد رواه عنه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وعنه أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز . وفي جملة من اعتمد عليه أبو محمد صاحب هذا الشرح من شيوخه ، عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي ، وقد أملى عليه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضل « إملاء » ، مجلساً مجلساً ، من أولها إلى آخرها وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي ^١ : كما كان في جملتهم أبو عمرو بندار الكرخي ، وأبو بكر العبدى ، وأبو عبد الله محمد بن رستم ، والطوسي ، وأبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح . من هؤلاء ومن أمثالهم جمع الأنباري هذا الشرح ، وفيهم من هو من الكوفة وفيهم من هو من أهل البصرة وهم من أتباع الأصمعي ، ولهذا نجد رواياته تتداخل فيه من أبيات شعر أو قصائد لم يختارها المفضل ، ومن شرح أو تفسير لكلم غريب .

فالمفضليات وإن نسبت إلى المفضل ، غير أنها في الواقع من جمع الأنباري المذكور ، وقد جمعها من أفواه جملة رجال ، كل واحد منهم له فيها عمل ويد . وفق الأنباري بين تلك القصائد والأشعار وبين هذه الروايات والمعارف الواردة عن الشعر ، وأخرج منها هذا الكتاب الثمين الكبير ^٢ .

وللمفضل أقوال حفظت في كتب أخرى غير هذا الكتاب ، فنجد أبا زيد محمد بن أبي الخطاطب القرشي صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب يذكره في مواضع من كتابه ، ويذكر نتفاً من روايات مستندة إليه ^٣ ، كما نجد الأصبهاني يورد له أخباراً في الشعر في مواضع عديدة من كتابه الأغاني ، ونجد غيرهما من رجال الأدب يشيرون إليه . وفي الموارد التي أشاروا إليها ما يدل على علم واسع له في الشعر وعلى إدراكه في النقد .

وإذا كان ما ذكره (ابن النديم) عن المفضليات من قوله : « هي مائة

١ المفضليات (١) (طبعة لايل) ، (النص العربي) .

٢ جواد علي ، تدوين الشعر الجاهلي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السابع) (الجزء الثاني ص ٥٢٠ وما بعدها) ، (١٩٥٦) .

٣ جمهرة أشعار العرب (القاهرة ١٩٢٦ م) .

وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم وتتاخر ، بحسب الرواية ،
والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وإبراق ومرطيف على الأهوال طراق^١

تكون هذه النسخة أصبح الروايات اذن ، وكان (ابن الأعرابي) المتوفى
سنة (٢٣١ هـ) قد سمع المفضل ، وكان يذكر انه ربيب المفضل ، كانت أمه
تحت^٢ ، فلا يستبعد أن تكون نسخته ، هي النسخة الصحيحة ، لاتصاله به .

وقد ذكر (أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال : أملى علينا أبو عكرمة
الضبي المفضليات من أولها الى آخرها ، وذكر ان المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة
للمهدي ، وقرئت بعد على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . قال ابو الحسن^٣ :
أخبرنا أبو العباس ثعلب ان أبا العالية الأنطاكي والسدري ، وعافية بن شبيب ،
وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي ، أخبروه انهم قرأوا عليه المفضليات
ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره ، وضموه الى المفضليات
وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معاني الشعر وغريبه فكثرت جداً^٤ . وروي
عن (أبي عكرمة) قوله : « مر أبو جعفر المنصور بالمهدي ، وهو ينشد
المفضل قصيدة المسيب التي أولها أرحلت ... فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به
حتى استوفى سماعها ، ثم صار الى مجلس له وأمر بإحضارهما ، فحدث المفضل
بوقوفه واستمعه لقصيدة المسيب واستحسانه اياها ، وقال له : لو عمدت الى أشعار
الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال ، لكان ذلك صواباً !
ففعل المفضل^٥ . »

ويلاحظ ان الرواة مختلفون فيما بينهم في عدد قصائد وقطع المفضليات ، فمنهم
من جعلها مائة وثمان وعشرين قصيدة وقطعة ، كما هي رواية (ابن النديم) ،

١ الفهرست (١٠٨) .

٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .

٣ الاخفش .

٤ ذيل الامالي (١٣٠) .

٥ ذيل الامالي (١٣٠ وما بعدها) .

ومنهم من صبرها مائة وعشرين^١ .

وأما (جناد) (أبو محمد بن واصل) الكوفي مولى بني أسد ، فقد كان على حدّ وصف (ابن النديم) : « أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها » ، غير أنه « لم يكن له علم بالنحو » ، و « كان يلحن كثيراً »^٢ . وهو يعدّ من الكوفيين ، وقد ذكروا أنه كثير الحفظ في قياس حماد الراوية ، وأن أهل الكوفة كانوا يلجأون إليه حين يشكون في شعر وحين يعزب عنهم اسم شاعر فيجدونه حافظاً وبما أرادوه عارفاً . غير أنهم مجمعون على أنه كان لحناً ، « كثير اللحن جداً ، فوق لحن حماد » . وقد ذكروا أمثلة على لحنه ، وعلى عدم وقوفه على العروض ، فكان يخطئ فيه ويخلط في الأشعار^٣ . ومن كان يتقضى علمه ويرى قلة بضاعته في العربية وفي الشعر أيضاً ، (يونس بن حبيب) (١٨٣ هـ) ، وهو كما رأينا من المتحاملين أيضاً على (حماد) ومن المتعصبين للبصرة على الكوفة ؛ ولهذا يكون لتحامله على (جناد) أثر من التعصب للبصريين .

وقد أخذ (الثوري) على أهل الكوفة روايتهم عن (حماد) ، و (جناد) واتكالم عليها ، وهما رجلان « كانا يرويان ولا يدریان ، كثرت رواياتهما ، وقلّ علمهما » ، ومن ثمّ فسدت روايتهم عن الرجلين . غير أن علينا أن نكون حذرين في تقبل هذه المؤاخذه على الكوفيين في رواية الشعر ، فقد كان (الثوري) من جماعة (الأصمعي) حتى كان ينسب إليه . وكان الأصمعي يحمل على حماد ، وعلى أهل الكوفة ، لأنه كان بصرياً ، فلا يستبعد تحمل التلميذ لاستاذه ، وتأثره به ، فقال ما قال جناد وحماد بداعي العاطفة والتعصب للبصريين على الكوفيين . وقد أشرت الى ورود رواية تنسب الى (ثعلب) ذكرت أن (الوليد بن يزيد ابن عبد الملك) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »^٤ ، مما يدل وجود ديوان للشعر عند (جناد) ، لعله كان من جمعه .

١ الفهرست (١٠٨) ، ذيل الامالي (١٣٠) .

٢ « من رواية الاخبار والأشعار ، لا علم له بالعربية ، وكان يصحف ويكسر الشعر ، ولا يميز بين الاعاريض المختلفة ، فيخلط بعضها ببعض » ، ياقوت ، ارشاد (٤٢٥/٢) .

٣ الارشاد (٤٢٥/٢) ، الفهرست (١٤١) .

٤ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .

و (يونس بن حبيب) ، ويكنى (أبا عبد الرحمن) ، المتوفى سنة (١٨٢ هـ)
 (١٨٣ هـ) من رواة الشعر كذلك ، وإن غلب النحو عليه^١ . ذكر أنه كان
 مولى لبني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وذكر أنه من موالي ضبة .
 وقيل عنه : « كان أعلم الناس بتصاريف النحو » . وهو من أصحاب (أبي عمرو
 ابن العلاء) ، وكانت حلقة بالبصرة ، يتتبعها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء
 الأعراب ووفود البادية^٢ . وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها^٣ .

وذكر أن (أبا عمرو) ، وهو (اسحاق بن مراد) ، المعروف بـ (الشيباني)
 مولى (بني شيبان) ، كان عالماً بشعر القبائل . « أخذ عنه دواوين أشعار
 القبائل كلها » . ولما جمع أشعار العرب كانت نيفاً وثمانين قبيلة . وقد توفي
 سنة (٢٠٦ هـ) ، وقيل سنة (٢١٣ هـ)^٤ . وكان قد خرج إلى البادية ليأخذ
 عن الأعراب ، فكان يدون ما يأخذ منهم^٥ .

و (أبو عبيدة : معمر بن المثنى) التيمي ، هو من رواة الشعر وعلمائه ،
 كما كان من علماء اللغة وأخبار العرب وأنسابها ، وقد عرف بالطعن في أنساب
 الناس وبالبحث عن المثالب ، لذلك كرهه الناس ، فلما مات لم يحضر جنازته أحد ،
 لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره . وقد توفي سنة ثمان وقيل تسع ، وقيل
 عشر وقيل إحدى عشرة ومائتين وقيل ثلاث عشرة ومائتين « وكان ديوان العرب
 في بيته »^٦ . وله كتب في الأخبار والحوادث والبيوت والنسب والشعر . وفي جملة
 مؤلفاته شرح ديوان المتلمس^٧ . ونجد له أخباراً عن أيام العرب ، مشتتة في بعض
 كتب الأدب^٨ ، وآراء في الشعر مدونة في تلك الكتب أيضاً .

-
- ١ المعارف (٥٤١) ، بغية الوعاة (٣٦٥/٢) ، مراتب النحويين (٢١ وما بعدها) ،
 المزهري (٣٩٩/٢ ، ٤٢٣) ، ابن خلكان (٤١٦/٢ وما بعدها) .
 - ٢ الفهرست (٦٩) .
 - ٣ ابن الأنباري ، نزهة (٤٩ وما بعدها) .
 - ٤ الفهرست (١٠٧ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (٨٢/١) .
 - ٥ ابن الأنباري ، نزهة (٩٣ وما بعدها) ، انباه الرواة (٢٢١/١ وما بعدها) ، بغية
 الوعاة (٤٣٩/١ وما بعدها) ، المزهري (٤١١/٢ وما بعدها) ، شذرات الذهب
 (٢٣/٢ وما بعدها) .
 - ٦ الفهرست (٨٥) ، المزهري (٤٠٢/٢ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، انباه الرواة
 (٢٧٦/٣ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٢٩٤/٢ وما بعدها) .
 - ٧ بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (٩٤/١) .
 - ٨ بروكلمن (١٢٨/١) ، ابن الأنباري ، نزهة (١٠٤ وما بعدها) .

و (الأصمعي) (عبد الملك بن قريب بن عبد الملك) ، المتوفى سنة (٢١٣هـ)
 (٢١٦هـ) ، (٢١٧هـ) ، من العلماء الحفاظ للشعر ، وقد بالغ مترجموه في
 الثناء عليه ، فزعموا أنه كان يروي على روي كل حرف من حروف المعجم مائة
 قصيدة ، وذكر (ابن النديم) أنه عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب ، ليست
 بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »^١ . ولا تشمل (الأصمعيات)
 إلا على (٧٢) قصيدة وقطعة ، ومجموع أبياتها (١١٦٣) بيتاً ، لكثرة ما فيها من
 المقطوعات . وعدد شعرائها واحد وستون شاعراً ، لم يسم ثلاثة منهم . وبقي
 خمسة مجهولين لا تعرف أسمائهم في الموارد الأخرى . وأكثر الباقيين من الجاهليين ،
 وليس فيها إلا أربعة عشر شاعراً من المخضرمين والإسلاميين . وفيها قصيدة لكل
 من امرئ القيس وطرفة^٢ . وقد نسب (ابن النديم) له كتاباً دعاه : « مصادر
 كتاب القصائد الست »^٣ . وربما كان هو الكتاب الذي نشره (آلورد) برواية
 الأعلام الشمتري بعنوان : دواوين الشعراء الستة^٤ .

وذكر أن (الأصمعي) جمع أشعار (بني جعدة) ، وأشعار الأنصار^٥ وأنه
 جمع (ديوان المتلمس)^٦ ، وديوان امرئ القيس ، وأنه روى شرح هذا الديوان
 لأبي عمرو الشيباني^٧ . وجمع ديوان الفرزدق وجري^٨ .

وروي أن الأصمعي كان « أتقن القوم باللغة ، وأعلمهم بالشعر ، وأحضرهم

-
- ١ الفهرست (٨٨ وما بعدها) ، ابن الانباري ، نزهة (١١٢ وما بعدها) ، بغية
 الوعاة (١١٢/٢ وما بعدها) ، المزهر (٤٠٤/٢ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٧٤/١ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، « وقد
 بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين ، وهي موزعة على ٧١ شاعراً ، منهم
 نحو ٤٠ جاهلياً ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف (١٧٨) .
 - ٣ الفهرست (٨٨) .
 - ٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٨/١) ،
 W Ahlward, The Diwan of the six ancient Arabic Poets, London, 1870.
 - ٥ الاغانى (١٧١/٥) ، (٨٢/١٩ وما بعدها) ، بروكلمن (٨٤/١) .
 - ٦ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٤/١) .
 - ٧ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٠/١) .
 - ٨ المصدر نفسه (٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٢٢) .

حفظاً ، وكان قد تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر^١ . وروي انه كان يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة . وان الرشيد يسميه شيطان الشعر ، وروي انه كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة^٢ .

و (ابن الأعرابي) ، (أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي) ، ممن سمع من (المفضل) الضبي ، وكان يذكر انه ربيب المفضل . كانت أمه تحته . ومات سنة (٢٣١ هـ) . فروايته للاختيارات ، يجب أن تعدّ من أصدق الروايات ، لاتصاله بالمفضل ، ولصلته به . وكان له مجلس ، يحضره طلاب العلم ، يسألونه فيه ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب . وكان ممن لازمه بضع عشرة سنة (أبو العباس) ثعلب . ويذكر (ثعلب) ان شيخه هذا قد أملى على الناس ما يحمل على أجال . لم ير أحد في الشعر أغزر منه^٣ . وقد أورد (ابن النديم) له جملة كتب ، روى بعضها عنه جماعة من مشاهير العلماء ، مثل (الطوسي) و (ثعلب)^٤ . وذكر ان روايته للمفضليات تعدّ من أصح الروايات^٥ . وقد سمع من المفضل الدواوين وصححها ، واعتبر رأساً في كلام العرب ، وكان من أكابر علماء اللغة المشار اليهم في معرفتها^٦ .

وقد رمي بعض من جمع الشعر بالوضع وبانتحال الشعر وإدخاله في شعر القدماء ، واتهموا بدس القصائد عليهم ، أو بزيادتها أو بتقصيص أبيات منها ، أو بإجراء تغيير عليها . وقد تمكن بعض علماء الشعر من الإشارة الى بعض الشعر المصنوع ، أو المدخول ، ولم يتمكنوا من الإشارة الى البعض الآخر منه . ومن هؤلاء الذين عرفوا واشتهروا برواية الشعر وبعلمهم به ، وبصنعهم له ، ودسه بين الناس على أنه شعر قديم : حماد الراوية وخلف الأحمر .

فأما (حماد) الراوية فعلى رأس مشاهير رواة الشعر الجاهلي وحفاظه . وقد كان هو نفسه شاعراً مجيداً يضع الشعر على ألسنة المتقدمين ، لكنه اشتهر بالرواية

-
- ١ المزهري (٤٠٣/٢) .
 - ٢ الرافعي (١٥/٣) .
 - ٣ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
 - ٤ الفهرست (١٠٩) .
 - ٥ ابن الأنباري ، نزهة (٥٦) .
 - ٦ ابن الأنباري ، نزهة (١٥٠ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١٠٥/١ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٦) ، المزهري (٤١١/٢) ، مراتب النحويين (١٤٩ وما بعدها) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٧٥/٥) .

أكثر من اشتهاره بكونه شاعراً . ولد سنة (٧٥) للهجرة (٦٩٤م) بالكوفة، وهو من (الدليم) في الأصل ، وعرف بـ (أبي القاسم) . وعرف والده بـ (سابور ابن المبارك بن عبيد) . سباه (ابن عروة بن زيد الخيل) ، ووهبه لابنته (ليلي) فخدمها خمسين سنة ، ثم ماتت فبيع بمائتي درهم ، فاشتراه (عامر بن مطر الشيباني) وأعتقه . وقيل إن اسم أبي (ليلي) (ميسرة) . وكان حماد ربما لحن في الشيء . وقيل إنه كان لصاً في شبابه ، يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فوجد في بعض سرقاته جزءاً من شعر الأنصار ، فقرأه واستعذبه وحفظه ، ثم اندفع في طلب الشعر وأيام الناس ولغات العرب^١ . وأخذ ينظم الشعر يشبه به مذهب شاعر من الشعراء ويدخله في شعره ، وكان هو بالشعر القديم بصيراً ، وحمل ذلك عنه في الآفاق ، فاختلط شعره بشعر الشعراء الجاهليين، وذاع بين الناس على أنه لهم ، حتى صار من الصعب حتى على نقاد ذلك الشعر والعالمين به ، تمييز الفاسد منه من الصحيح^٢ .

وذكر ان (حماداً) ، هو (حماد بن هرمز) ، وكان (هرمز) من سبي (مكنف بن زيد الخيل) وكان ديلمياً ، يكنى (أباليلى) ^٣ . وإذا أخذنا برواية (ابن النديم) من ان مولد (حماد) كان سنة (خمس وسبعين) ، ومن أن وفاته كانت سنة ست وخمسين ومائة^٤ ، فيكون حينئذ قد عمر (٨١) سنة .

ويذكر (ابن النديم) ان (حماداً) كان في أيام (الوليد بن عبد الملك) ، وعاش الى سنة (١٥٦ هـ) ، وانه كان يقول : « كنت أنشد الوليد الشعر الجيد ، فيطلب مني السفساف فأنشده فيطرب ، فأعلم ان الأمر مدبر ، ثم أنشد المهدي السفساف ، فيطلب مني الجيد الفحل ، فأعلم ان أمرهم مقبل »^٥ . وذكر عنه انه كان يجالس (المهدي) . وذكر ان « الوليد بن يزيد بن عبد الملك

-
- ١ الاغاني (٨٧/٦) ، الخزائن (١٣١/٤) وما بعدها ، (بولاقي) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٤٥/١) وما بعدها ، الفهرست ، لابن النديم (١٤٠) ، الاغاني (١٦٣/٥) ، ابن خلكان (٢٠٥/١) ، (في ترجمة حماد) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، تدوين الشعر الجاهلي ، المجلد الرابع (٢٠٧/٢) وما بعدها ، (١٩٥٦م) .
 - ٢ المعارف (٥٤١) ، ابن الانباري ، نزهة (٣٥) وما بعدها ، الاغاني (٧٠/٦) وما بعدها ، خزائن الادب (١٢٩/٤) وما بعدها ، المزهر (٤٠٦/٢) .
 - ٤ الفهرست (ص ١٤٠) .
 - ٥ الفهرست (ص ١٤٠ وما بعدها) .

جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ورد الديوان الى حماد وجناد^١. ولم يشر (ابن النديم) الذي روى هذا الخبر نقلاً عن رواية تنسب الى (ثعلب) الى ديوان حماد المذكور في أثناء تحدّثه عنه . فلعله قصد (الاختيارات) ، أي القصائد السبع ، وقد يكون قصد ديواناً آخر . ولم نسمع أي خبر عن مصير الديوان الذي جمعه الوليد بن يزيد .

ويذكر (ابن النديم) أنه « لم يُرَ لحامد كتاب ، وإنما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده »^٢ . وهو خبر يظهر أن حماداً لم يؤلف كتاباً ، وإنما كان يروي الشعر رواية ، وعلمه املاء على طلاب الشعر ، فيدوّنونه . أما أن تصنيف الكتب لم يكن معروفاً آنذاك ، وإنما الناس صنفت الكتب بعده ، فيناقضه ما قاله (ابن النديم) نفسه ، من أن (زياد بن أبيه) ، ألف كتاباً في المثالب ، ودفعه الى ولده ، وقال ، استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم^٣ ، ومن أن (عبيد ابن شربة) الجرهمي ، ألف كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين^٤ ، وقد طبع له كتاباً في (حيدر آباد) بالهند ، بعنوان : أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، وهو يشتمل على أسئلة لمعاوية وأجوبة عبيد عليها ، وما قاله من أن (صحاراً) العبدى له كتاب اسمه كتاب الأمثال^٥ ، وما قاله من أن لعوانة بن الحكم بن عياض الكلبي ، المتوفى سنة (١٤٧ هـ) ، أي قبل (حماد) من الكتب : كتاب التاريخ ، كتاب سيرة معاوية وبني أمية^٦ ، أضف الى ذلك ما ألفه (وهب بن منبه) المتوفى سنة (١١٤ هـ)^٧ ، و (أبو مخنف) ، و (ابن شهاب) الزهري ، و (ابن سيرين) وغيرهم^٨ .

وقد روى أهل الأخبار قصصاً عن مدى علم (حماد) بالشعر الجاهلي. وزعموا

-
- ١ الفهرست (ص ١٤٠) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٤٠) .
 - ٣ الفهرست (١٣٧) ، (المقالة الثالثة) ، المعارف (١٧٦) ، النووي ، تهذيب الاسماء واللغات (٢٥٩ / ١) .
 - ٤ الفهرست (ص ١٣٨) .
 - ٥ الفهرست (ص ١٣٨) .
 - ٦ الفهرست (١٤٠) .
 - ٧ بروكلمن (٢٥١ / ١) وما بعدها .
 - ٨ راجع أخبارهم في بروكلمن (٢٥٣ / ١) وما بعدها .

ان خلفاء بني أمية كانوا اذا أشكل عليهم مشكل في الشعر سألوه ، وانهم كانوا يكتبون الى عمالهم بإرساله اليهم لاستفتائه في أمر شعر جاهلي أشكل خبره عليهم وعلى من عندهم من أهل العلم بالشعر . من ذلك ما روه عن (حماد) قوله : « كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته . وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أئق به من اخواني سراً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالوا : يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر الثقفي ، وكان والياً على العراق : فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف . ثم قلت لها تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما ! فقالوا : ما الى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما ، ثم صرت الى يوسف بن عمر ، وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ورمى إلي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر . أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مهنياً يسير عليه ثنتي عشرة ليلة الى دمشق . فأخذت الدنانير ونظرت ، فإذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة ، فتزلت على باب هشام ، واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، واستدنانني فدنوت منه حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان لم أر أحسن منها قط . فقال : كيف أنت وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين . فقال : أتدري فيما بعثت اليك ؟ فقلت : لا . قال : بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله . قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

ودّعوا بالصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدي بن يزيد (؟) العبادي في قصيدة . قال : أشدنيها ، فأنشدته :

بكر العاذلون في وضح الصب ح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبدالله والقلب عنكم موثوق
لست أدري إذا كثر العذل فيها أعذول يلومني أم صديق

قال حماد : فانتھيت فيها الى قوله :

ودّعوا بالصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الـ لديك صفى سلافها الرووق
مرة قبل مزجها ، فإذا ما مزجت لذّ طعمها من يذوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حماد ، سك حاجتك ؟ قلت :
احدى الجاريتين . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، فأقام عنده مدة ،
ثم وصله بمائة ألف درهم ^١.

وكل من تحدث عن حماد من مبغض ومحب ، مجمع على سعة حفظه للشعر
ولحاطته به . وحفظه هذا الشعر هو الذي وسمه بسمة عرف بها طوال حياته وبعد
وفاته ، حتى صار لا يعرف إلا بها ، هي : (الراوية) ، فقليل له حماد الراوية.
ولو جرّد حماد من هذا التعت ، لما صار في الإمكان التعرف عليه . قيل إن
الخليفة (الوليد بن يزيد) قال لحامد الراوية : بمّ استحققت هذا اللقب ، فقليل
لك الراوية ؟ فقال : بأنني أروي لكل شاعر تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً
قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال ، إن هذا العلم وأبيك
كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنني أنشدك على كل
حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون
شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالانشاد . فأنشد الوليد
حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه ، فأنشده
ألفين وتسع مئة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمئة ألف
درهم ^٢.

وفي الأغاني خبر آخر من هذا النوع يطري علم حماد ويثني عليه ، روي

١ نمرات الاوراق ، لابن حجة الحموي (٨١/١) ، (حاشية على المستطرف) ، ابن
الانباري ، نزهة (٣٥ وما بعدها) ، الاغاني (٧٠/٦ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٧١/٦) ، ابن خلكان (١٢٠/٥ وما بعدها) ، الخزانة (١٢٩/٤) وما
بعدها ، (بولاق) ، ياقوت ، ارشاد (٢٥٩/١٠) .

عن الشاعر (مروان بن أبي حفصة) . زعم أنه رآه عند (الوليد بن يزيد) . وكان قد دخل عليه في جماعة من الشعراء ، « وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليد بن يزيد على بيت من شعره ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين ، وهو لجنة لحانة ؟ فأقبل الشيخ علي وقال : يا ابن أخي ، لاني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ، فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل ، قال : أنشد ، فأنشدته قوله :

سل الدار من جنبي حبرٍ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القلبِ المنضج

ثم جزتُ ، فقال لي : قف ، فوقفت ، فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حماد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا ^١ .

وقد كان الخليفة (الوليد بن يزيد) يعطف على حماد كثيراً ، ويشمله برعايته ، ويجالس ، ويتباحث معه في الشعر . وقد كانت إحاطة حماد بالشعر هي السبب في تقديمه الى الخليفة ، إذ كان الوليد من العاشقين للشعر ومن الواقفين عليه المعروفين بسعة العلم به ، وكان هو نفسه شاعراً مجيداً ^٢ . وقد ذكر عنه انه كان يمتلك ديواناً فيه أشعار الفحول ، أو جملة دواوين جمعت أشعار العرب ، كما سبق أن أشرت الى ذلك .

ويروى عن حماد انه كان ذا ذاكرة عجيبة ، وحافظة قوية غريبة في سرعة الحفظ . روي ان (الطرمّاح بن حكيم) قصّ على ابنه هذه القصة ، قال :

-
- ١ الاغاني (٧٢/٦) ، الزجاجة ، مجالس العلماء (٢٧ وما بعدها) .
 - ٢ جمع شعر الوليد بن يزيد ورتبه المستشرق الايطالي ف . جبريالي ، ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م ، بعنوان : ديوان الوليد بن يزيد ، وقدم له المرحوم خليل مردم بك .

أنشدت حماداً الراوية في مسجد الكوفة - وكان أذكى الناس وأحفظهم - قولي:
بان الخليط بسحرة فتبددوا

وهي ستون بيتاً : فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال :
أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردها عليّ كلها
وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ! إن هذا الشعر
قلته منذ أيام ، ما اطلع عليه أحد ، قال : قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ
عشرين سنة ، وإلا فعليّ وعليّ ، فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالسك
بعد هذا أبداً . فأخذ قبضة من حصي المسجد وقال : لله عليّ بكل حصاة من
هذا الحصى مئة حجة إن كنت أبالي ، فقلت ، أنت رجل ماجن ، والكلام معك
ضائع . ثم انصرفت ^١ .

وقد أخذ عن (حماد) أهل المصرين : الكوفة والبصرة ، ومنهم : خلف
الأحر ، وروى عنه الأصمعي شيئاً من شعره . ونسب الى (الأصمعي) قوله :
« كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس ، فهو عن حماد الراوية إلا شيئاً
سمعناه من أبي عمرو بن العلاء » ^٢ .

وللهيثم بن عدي خبر يشيد فيه بعلم حماد وبسعة حفظه له . وهناك أخبار أخرى
في سعة حفظ حماد للشعر ، مدونة في كتب الأدب ، قد نخرجنا سردها من صلب
هذا الموضوع ^٣ .

وقد عرف حماد كذلك بسعة علمه بالعربية ، فقالوا انه « كان من أعلم الناس
بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » . وورد عن الهيثم بن عدي قوله
فيه : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد » ^٤ ، والهيثم راويته وصاحبه .
وروي ان عمرو بن العلاء كان يقدم حماداً على نفسه ، وكان حماد يقدم عمرأ على
نفسه ^٥ ، وعمرو بن العلاء نفسه من شيوخ علماء العربية في ذلك العهد .

-
- ١ الاغاني (٩٤/٦ وما بعدها) .
 - ٢ المزهري (٤٠٦/٢) ، ابن الانباري ، نزهة (٥٩) .
 - ٣ الاغاني (٢٠٩/٢) وما بعدها ، (٧٢/٦) ، (٤٥/٧) ، ٥٦ وما بعدها .
 - ٤ الاغاني (٧٠/٦) وما بعدها ، ياقوت ، ارشاد (٢٦٥/١٠) .
 - ٥ الاغاني (٧٣/٦) .

غير أن هنالك أخباراً تزعم أنه كان « قليل البضاعة من العربية » ، وأنه كان لحناً ، وأنه « حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحف في نيف وثلاثين حرفاً »^١ ، وأنه قرأ « الغاديات ضبحاً » (بالغين المعجمة) ، فسعى به الى (عقبة بن مسلم بن قتيبة) الباهلي ، فامتحنه بالقراءة في المصحف، فصحف في عدة آيات^٢ . ولا استبعد وقوع اللحن منه ، إذ كان من الموالي ، بعد أن وقع اللحن من عرب خلص ومن أنبل الأسر العربية ومن بعض كبار رجال الدولة في ذلك العهد . غير أن في هذا الوارد عن قلة بضاعته في العربية وفي كثرة لحنه وتصحيحه في القرآن الكريم، مبالغات وزيادات ، وضعها عليه حساده ومنافسوه ولا شك ؛ إذ لا يعقل وقوع مثل هذه الأغلاط الشيعة من رجل وصل الى الخلفاء برواية الشعر وبتفسيره وتفسير غريبه، وعرف بين العلماء بسعة علمه بلغات العرب ، حتى كانوا يلجأون اليه في حل مشكلها وغريبها . ولو كان على مثل ما ذكر من اللحن في الكلام والتصحيح فيه ومن قلة بضاعته في العربية ، لما وصل الى الوليد بن يزيد والى هشام والى خلفاء آخرين ، وقد كانوا لا يختارون في الشعر واللغة إلا الفطاحل القديرين . قال المدائني : « وكانت ملوك بني أمية تقدمه ، وتؤثره ، وتستزيده ، فيفقد عليهم ، ويسأله عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون صلته » .

ولم يكن (حماد) عند أهل البصرة ثقة ولا مأموناً ، وكانوا يضعفونه . ذكروا انه كان يصنع الشعر ويقتني المصنوع منه وينسبه الى غير أهله . ورووا ان أعرابياً جاء مجلس (حماد) فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر لمن هي ، فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الأعرابي ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالاً ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة^٣ . وروي انه قدم البصرة على (بلال بن أبي بردة) ، فقال ما أطرفتني شيئاً ، فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الخطيئة مديح أبي موسى . فقال : ويحك يمدح الخطيئة أبا موسى لا أعلم به وأنا أروي للخطيئة ولكن دعها تذهب في الناس^٤ .

-
- ١ ابن خلكان (٢٠٧/١) .
 - ٢ ابن خلكان (١٢٩/٥) ، (حاشية رقم ١) ، (طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعي) ، الموشح للمرزباني (١٩٥) ، (القاهرة ١٣٤٣) .
 - ٣ المزهر (٤٠٦/٢) .
 - ٤ طبقات ، لابن سلام (١٥) .

وقد اتهم (حماد) بالوضع ، قال (محمد بن سلام الجمحي) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . وكان يتحل الشعر غيره ، ويزيد في الأشعار »^١ ، وقال : (يونس بن حبيب) : « لاني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر الشعر ، ويصحف ويكذب »^٢ . وروي عن الأصمعي قوله : « جالست حماداً الراوية ، فلم آخذ عنه ثلاثمائة حرف ، ولم أرض روايته وكان قارئاً »^٣ . وروي عنه أيضاً قوله : « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » ، يعني إذا لم يزد ويتقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان متهاً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وهؤلاء كلهم من رؤساء البصرة في العلم ، وقد كان علماء هذه المدينة يطعنون كما سبق أن قلت في علمه وفي أمانته ، ولكنهم يعترفون مع ذلك بقابليته وبموافقه في الشعر ، حتى زعموا أنه كان إذا صنع الشعر على لسان شاعر جاهلي ، صعب حتى على العلماء ، استخراجه من الصحيح .

وقد أدخله الشريف (المرتضى) في عداد الزنادقة الملحدتين المتهمين في دينهم ، ومنهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان ، وحماد عجرد ، وعبدالله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وبشار بن برد ، ومطيع بن أبياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس الأزدي ، وعلي بن خليل الشيباني ، وقال عن (حماد) : « وأما حماد الراوية ، فكان منسلخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مدمناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور »^٤ . ونقل عن (الجاحظ) انه كان يجتمع مع أمثاله « على الشرب وقول الشعر ، و بهجو بعضهم بعضاً ، وكل منهم متهم في دينه » . وقال عنه : « وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته الى الشعراء المتقدمين ودسته في أشعارهم ، حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حماد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعة فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »^٥ .

-
- ١ طبقات الشعراء (١٤) .
 - ٢ طبقات ابن سلام (١٥) ، المزهري (٤٠٦/٢) .
 - ٣ المعارف (٥٤١) ، المزهري (٤٠٧/٢) .
 - ٤ أمالي المرتضى (١٢٨/١ ، ١٣١ وما بعدها) .
 - ٥ أمالي المرتضى (١٣١/١ وما بعدها) .

و « روي أن هارون الرشيد قال للمفضل بن محمد : كيف بدأ زهير بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم قبل ذلك شيء ينصرف عنه . فقال المفضل : قد جرت عادة الشعراء بأن يقدموا قبل المديح نسيباً ، ووصف لإبل وركوب فلوات ، ونحو ذلك . فكأن زهيراً همّ بذلك ، ثم قال لنفسه : دع هذا الذي هممت به مما جرت به العادة ، واصرف قولك الى مدح هرم . فهو أولى من صرف اليه القول ونظم ، وأحق من بدئ بذكره الكلام وختم . فاستحسن الرشيد قوله . وكان حماد الراوية حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس هذا أول الشعر ، ولكن قبله :

لمن الديار بقنة الحجر

وذكر الأبيات الثلاثة . فالتفت الرشيد الى المفضل وقال : ألم تقل إن (دع ذا ...) أول الشعر ، فقال : ما سمعت بهذه الزيادة إلا يومي ، ويوشك أن تكون مصنوعة . فقال الرشيد لحامد : أصدقني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا زدت هذه الأبيات . فقال الرشيد : من أراد الثقة والرواية الصحيحة فعليه بالمفضل ، ومن أراد الاستكثار والتوسع فعليه بحامد^١ .

والقصة بهذا الشكل مصنوعة ، فالمعروف ان وفاة (حماد) كانت سنة (١٥٦هـ) وان ولاية (الرشيد) للخلافة كانت سنة (١٧٠ هـ) . فلا يعقل التقاء (حماد) بالرشيد أيام خلافته . ومحاطبته له بـ (يا أمير المؤمنين) . ثم إن من الصعب تصور اعتراف (حماد) بإضافة أشعار من عنده على شعر الجاهليين بمثل هذه الصورة والبساطة ، وهو في حضرة خليفة . والأغلب أنها وضعت على حماد من خصومه ، للطعن به ، وللرفع من شأن (المفضل بن محمد) الضبي .

وقد وردت هذه القصة بشكل آخر ، وردت أنها وقعت في أيام (المهدي) ، روي ان جماعة من العلماء « كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحجاب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل ، فحكّت ملياً ،

١ السيوطي ، شرح شواهد (٧٥٤/٢) .

ثم خرج الينا ، ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معها ، فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم انه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب ، فأخبرنا ان المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : اني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعدّ القول في هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً ، إلا أنني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح هرم وقال : (دع ذا) ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : (دع ذا) ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم ، فأسلك عنه . ثم دعا بجناد ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر ؟
قفر بمندفع النحاث من ضفوى أولات الضال والسدر
دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استخلافتك عليه . ثم استحلفه بإيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقته عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . قال له : أصدقني عن حال هذه الآيات ومن أضافها الى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه^١ .

١ الاغانى (٦ / ٨٩ وما بعدها) ، الخزائن (٤ / ١٢٨ وما بعدها) ، (بولاق) .

فأنت ترى أن هذه القصة تكاد تكون القصة السابقة نفسها ، لولا ما أدخل عليها من ذكر اسم (المهدي) بدل الرشيد ومن تزويقات ، وهي أقرب الى الواقع من حيث الزمن من الأولى ، فقد أدرك (حماد) أيام خلافة المهدي . أما من حيث الصحة أو الكذب ، فربما كانت من وضع أعداء حماد عليه ، أو من وضع المتعصبين للمفضل الضبي المرجحين علمه على علم حماد .

وفي القصة الثانية موطن شك أيضاً ، فالمعروف أن خلافة المهدي كانت سنة (١٥٨ هـ) ، وأنه اتخذ داره بعيساباذ بعد توليه الخلافة ، وقد كانت وفاة حماد سنة (١٥٦ هـ) ، أي قبل توليه إمارة المؤمنين . فيظهر أنها من الموضوعات التي وضعت على حماد ، ربما وضعها أصحاب (المفضل) لتعظيم أمر صاحبهم، وللحط من شأن حماد . وقد كان (المفضل) يكره (حماداً) الراوية ، ويطعن في علمه ، بسبب تنافس الرجلين على الزعامة في العلم .

وأكثر هذه التهم التي وجهت الى علم حماد والى جهله بالعربية ، وبالعروض ، إنما هي تهم وجهها اليه أهل البصرة ، عصبية لمدينتهم ولرجالهم ، ومما اتهم (ابن سلام) و (يونس بن حبيب) لحماد ، بالتهم المذكورة ، سوى ترديد لهذه العصبية الضيقة ، وللخصومة على الزعامة التي كانت بين المدينتين . و (يونس ابن حبيب) الذي يحمل على حماد ، ويتهمه باللحن ، قد اتهم نفسه بتهمة اللحن ، اتهمه خصومه أهل الكوفة بالطبع ، ونجد مثل هذه الاتهامات من تجهيل العلماء بعضهم بعضاً بقواعد العربية وبالوقوع في اللحن ، في صفحات الكتب الباحثة في المناظرات وفي التراجم، وفي كتب الأخبار والأدب ، حتى يكاد يكون من الصعب علينا العثور على عالم ، نقول إنه سلم من سهم من سهام النقد والتجريح .

ويظهر ان المنافسة على الزعامة في العلم بالشعر الجاهلي ، جعلت (المفضل الضبي) ينال من (حماد) ، ويظهر أثر هذه المنافسة فيما ينسب الى (الضبي) من أقوال ذكر انه قالها في (حماد) مثل قوله : « قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبداً » . فقليل له : « وكيف ذلك ؟ أخطيء في رواية أم يلحن ؟ قال : « ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم

ناقد ، وأين ذلك ؟^١ .

و (ابن الأعرابي) ، الذي يروي انتقاص (المفضل) الضبي لحما ، هو على ما يذكر ربيب المفضل ، كانت أمه تحته^٢ ، فلا أستبعد تأثيره بحق الضبي على حماد ، بسبب المنافسة التي كانت بينه وبين حماد .

وقد اتهم حماد بالزندقة ، كما اتهم بها حماد عجرد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وعلي بن الحليل ، وصالح بن عبد القدوس ، وبشار ، وأبي نواس . وقد وصف (الجاحظ) الزنادقة بقوله : « ربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له ، ان الزنادقة ظرفاء ، وانهم عقلاء وأدباء ، وانهم عبّاد وأصحاب اجتهاد ، وان لهم البصائر في دينهم ، والبذل لمهجمهم ، وان هناك علماً وتمييزاً ، وإنصافاً وتحصيلاً » ، فيسري اليهم مسرى المهر الأرن ، ويحن اليهم حنين الواله العجول ، ويتصبب فيهم صباية العاشق المتيم ، ويرى انه متى اتهم بهم ، فقد قضى لهم بذلك كله ، فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ، ويرجح عنده أن يزعم انه زنديق . وذكر انه « ما منهم في الظاهر إلا نظيف البزة ، جميل الشكل ، ظاهر المروءة ، فصيح اللهجة ، ظريف التفصيل والجملة ، والله أعلم ببواطنهم وضايرهم . قال أبو نواس ، وكان أيضاً زنديقاً يعدّ فيهم :

تبه مغن وظرف زنديق^٣ .

وكان حماد صديقاً لحمايين آخرين هما حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وكانوا « يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون بالزندقة^٤ » . وقد هجا (حماد بن الزبرقان) (حماداً) الراوية ، فقال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ويقسم وقت صلاته حمادُ
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحدّادُ

١ ياقوت ، ارشاد (١٤٠ / ٤) ، (تحقيق مركليوث) ، الاغاني (٨٩ / ٦) .

٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .

٣ ثمار القلوب (١٧٦ وما بعدها) ، ديوان ابي نواس (٨٩) .

٤ الاغاني (٧٤ / ٦ وما بعدها) ، الحيوان (٤٤٧ / ٤ وما بعدها) .

وأبيض من شرب المدامة وجهه فيأضه يوم الحساب سواد^١

غير أن علينا باعتبارنا من المؤرخين أن نحترز احترازاً شديداً في تقبل كل ما يروى من الأخبار، ولا سيما في المسائل الشخصية، وفي القضايا التي تكتنفها الخصومات في مثل هذه الحالة . فقد كان لحامد خصوم كثيرون من أهل هذا الشأن ، وقد حسدوه على تقدمه وشهرته ، كما كان هو يحسد غيره ولا شك ان تقدم عليه . والانسان مهما تقدم وترفع ، فإنه لا يستطيع أن يجرد نفسه من العاطفة ، ولا سيما عاطفة الدفاع عن النفس وإثبات الشخصية والتنافس مع الآخرين. وقد كان المفضل الضبي — كما ذكرت — في جملة خصوم حماد ، وهو من رؤوس رواة الشعر في تلك الأيام ، وهو نفسه لم يكن من الناجين من هذه التهمة التي اتهم بها حماد .

غير أن هذا لا يعني أن حماداً كان صادقاً في كل ما قاله وفي كل ما رواه، فوضعه للشعر ، وصنعه له ، وحمله على القدماء من المسائل المتواترة التي لا سبيل الى نكرانها ، إنما أريد هنا أن أنبه على ضرورة التأني والتقصي في أثناء مجابهتنا لمثل هذه الأخبار ، لنخرج ما قد بولغ أو زيد فيه ، حتى يكون حكمنا حكماً محايداً ، أو قريباً من الواقع .

وكما استدعى خلفاء بني أمية حماداً للاستفادة منه في الشعر ، كذلك استدعاه خلفاء بني العباس الأوائل ، كالمنصور والمهدي ، ليروي لهم ما كان يحفظه من الشعر والأخبار ، وليتحدث اليهم فيما أشكل عليهم من غريب الشعر. وقد استدعاه الخليفة المنصور مرة ، فأحضر من البصرة . غير أن صلاته بهم لم تكن على ما يظهر على نحو صلاته بالأمويين ، حيث حسب عليهم . واستدعى الى المهدي، كما ذكرت ذلك . ونقرأ في رواية ان (حماداً) قال لإياس بن مطيع ، وقد ذكر صلاته بالعباسيين : « دعني فلان دولتي كانت في بني أمية ، وما لي عند هؤلاء خير »^٢ ، مما يخبر انه كان مجفواً عند بني العباس ، وذكر انه قال لمروان بن أبي حفصة : « ذهب ويحك ما كنت تعهد »^٣ . وقد يكون لتقدم (حماد)

١ الحيوان (٤٤٥/٤) .

٢ الاغانى (٨١/٦) ، (٢٥٣/٨) .

٣ « ذهب ويحك ما كنت تعهد ، ذاك زمان ، وهذا زمان » ، الزجاجي ، مجالس العلماء

(٢٨) ، الخزائن (١٣٠/٤) ، (بولاق) .

في العمر دخل في هذا البعد ، فقد كان قد جاوز السبعين من العمر في أيام المهدي ،
والعمر يؤثر بالطبع في مثل هذه الاتصالات ، التي تحتاج الى همة ونشاط ، وجواب
حاضر وبديهة ، وردّ على منافسين وحساد .

وعاش حماد فشهد سقوط دولة (بني أمية) ، إذ توفي سنة (١٥٦ هـ) ،
وذكر انه أبطل روايته فيما دسه على غيره من الشعراء .

ومن شعر (حماد) قوله :

إذا سرت في عجل فسر في صحابة وكندة فاحذرهما حذارك للخسف
وفي شيمة الأعمى زيار وغيلة وقشب وإعمال^١ لجندلة القذف
وكلّم شرّ على ان رأسهم حميدة والميلاء حاضنة الكيسف
متى كنت في حيي^٢ بجيلة فاستمع فإن لهم قصفاً يدل على حتف
إذا اعتزموا يوماً على خنق زائر تداعوا عليه بالنباح وبالغزف^٣

وقوله مخاطباً الشاعر أبي عطاء السندي :

فا صفراء تكني أمّ عوف^٤ كأن رُجَيْلَتَيْهَا منجلان

وروي أن (أبا العطاء) أحسنّ بدم حماد له ، فأجابه :

أردت زرارة وأزن زنا بأنك ما أردت سوى لساني

أي أردت جرادة ، وأظن ظناً بأنك ما أردت إلا أن تستخرج رطاني . وكان
في لسانه لكنة شديدة ولثغة^٥ .

ويعدّ (ابن كناسة) أبو يحيى محمد بن عبدالله بن عبد الأعلى الأسدي
(٨٢٧ هـ) في جملة الرجال الذين اتصلوا بحماد ورووا عنه . ونجد في الأغاني
جملة أخبار رويت عن حماد في الشعر والأخبار . وابن كناسة نفسه من علماء

١ ارشاد ، لياقوت (١٣٧/٤ وما بعدها) ، شرح المفضليات (٨/٢) ، (لايل) ،
(مقدمة) ، الأغاني (١٦٤/٥ وما بعدها) ، الفهرست (١٤٠) ، بروكلمن
(٢٤٦/١) .

٢ الحيوان (٢٦٦/٢) .

٣ الحيوان (٥٥٨/٥) .

أيامه بالعربية وأيام الناس والشعر ، وقد سمع هشام بن عروة ، وسلمان الأعشى ، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن اسحاق الصاغانى^١. كذلك كان أبو أيوب المديني في جملة من رأى حماداً وروى عنه^٢ .

ومن أصحاب حماد : سالم بن أبي السمحاء^٣ ، والشاعر عمار بن عمرو بن عبد الأكبر المعروف بـ (ذي كنانز) ، وهو من الشعراء المجان المعاقرين للشراب المتهتكين القائلين للشعر الطريف المضحك المستخدمين للسخف فيه لأجل الإضحاك^٤ ، وابن عياش^٥ ، والحسين بن يحيى^٦ ، ومعاوية بن بكر الباهلي^٧ .

ومن أشهر رواة الكوفة بعد حماد (خالد بن كلثوم) الكلبي ، وله صنعة في الأشعار المدونة على القبائل^٨ . وكان لغويّاً راوية لأشعار القبائل وأخبارها ، عارفاً بالأنساب والألقاب وأيام الناس . له كتاب أشعار القبائل يحتوي على عدة قبائل^٩ .

وأما « خلف الأحمر » الذي توفي بعد (حماد) ، سنة (١٨٠ هـ) على رواية : فذكر العلماء انه « لم ير قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر » كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ، ثم تنسك فكان يحتم القرآن كل يوم وليلة ، وبذلك له بعض الملوك مالاً جزيلاً على أن يتكلم في بيت من الشعر شكّوا فيه فأبى^{١٠} . وقيل عنه « كان من أمّرس الناس لبّيت شعر » وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم ...

-
- ١ الاغانى (١٣٥/١) .
 - ٢ الاغانى (٢٦٦/٣) .
 - ٣ الاغانى (٢٦٢/٥) .
 - ٤ الاغانى (٥٦/٧ وما بعدها) .
 - ٥ الاغانى (٦٧/٧) .
 - ٦ الاغانى (٢٨٥/٨) .
 - ٧ الاغانى (٧/١١) .
 - ٨ الرافعي (٣٨٣/١) .
 - ٩ القفطي ، انباء الرواة (٣٥٢/١) .
 - ١٠ المستطرف (٦٠/١) ، (وكان من أمّرس الناس لبّيت شعر » وكان شاعراً ، يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم) ، الفهرست (٨٠) ، (أخبار خلف الأحمر) ، انباء الرواة (٣٤٨/١ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٥٥٤/١) ، المزهر (٤٠٣/٢) .

وله من الكتب : كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر^١ . واسمه (خلف بن حيان) ، وعرف بـ (أبي محرز) ، وكان مولى لأبي موسى الأشعري، وقيل مولى بني أمية ، وأصله من (خراسان)^٢ . وقيل مولى (أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) اعتقه وأعتق أبويه ، وكانا فرغانيين^٣ . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن في شعر العلماء تكلف ، وهو رديء الصنعة ، ليس فيه شيء جاء عن إسماع وسهولة ، كشعر الأصمعي ، وشعر ابن المقفع ، وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمر ، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً^٤ . وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار ، شاعراً كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه . وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين . ويكثر قول الشعر في وصف الحيات ، وأراجيزه في ذلك كثيرة^٥ .

وقد ذكر عنه أنه كان يتلاعب بالشعر الجاهلي ، فيزيد فيه ويتقص . يروى أنه زاد البيت الأول والثالث من قصيدة (زهير بن أبي سلمى) (رقم ٤) في الديوان^٦ . ونسب بعضهم إليه صنع المراثية التي رثى (تأبط شراً) بها أقاربه^٧ . وقد نسب بعض العلماء إليه صنع لأمية الشنفرى^٨، المشهورة بلامية العرب التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فلاني الى قوم سواكم لأميل

وروي عن (الأصمعي) قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابضة هذه القصيدة التي فيها :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمة تحت العجاج، وأخرى تعلقك اللجأ

-
- ١ الفهرست (٨٠) ، المعارف (٥٤٤) ، تهذيب اللغة ، للازهري (٤٠ وما بعدها) ، طبقات ، لابن سلام (٦) .
 - ٢ الفهرست (٨٠) .
 - ٣ المعارف (٥٤٤) ، المزهر (٤٠٣/٢) ، الشعر والشعراء (٦٧٣/٢) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٦/١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٦٧٣/٢ وما بعدها) ، ياقوت ، ارشاد (٦٦/١١) ، نزهة الالباء (٣٧) ، الامالي ، للقالبي (١٥٤/١) ، الزبيدي ، طبقات (١١٣) .
 - ٦ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٥/١) .
 - ٧ المصدر نفسه (١٠٤/١) ، (حاشية رقم ١) .
 - ٨ الامالي ، للقالبي (١٥٧/١) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٦/١) .
 - ٩ الرافعي (٣٨١/١) .

وله قصائد أخرى نص على بعضها العلماء ويبنوا أنها مصنوعة ، وقد وضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً^١ ، وقال الجاحظ : إنه هو الذي أورد على الناس نسيب الأعراب ، وهذا النسب من أرق الشعر قاطبة وما أحرأه أن يكون مصنوعاً^٢ . ولما توفي خلف رثاه أبو نواس بشعر فيه :

أودى جميع العلم مذ أودى خلف من لا يعدُّ العلم إلا ما عرف
قليدماً من العيالم الخسف كنّا متى نشاء منه نفترف
رواية لا تجتني من الصحف^٣

وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته . وله صنعة فيه . وهو أحد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر أحدٌ أشعر منه . وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء ، حتى يشبه بذلك على جلّة الرواة ، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم ، من ذلك قصيدته التي نخلها ابن أخت تأبط شراً ، التي أولها :

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل^٤

جازت على جميع الرواة ، فما فُطِنَ بها إلا بعد دهر طويل بقوله :
خبرٌ ما نابنا مُصنَّعٌ جلّ حتى دقّ فيه الأجل

فقال بعضهم :

جلّ حتى دقّ فيه الأجل

من كلام المولدين . فحيثُتد أقر بها خلف^٥ .

-
- ١ المزهري (٤٠٣/٢) .
 - ٢ الرافعي (٣٨١/١) وما بعدها .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٧٣/٢) ، الحيوان (١٥٤/٣) .
 - ٤ وتنسب أيضاً إلى تأبط شرا ، ديوان الحماسة (٣١٣/٢) ، العقد الفريد (١٥٧/٦) ، الاغانى (٨٧/٦) ، ان بالشعب الى جنب سلع) ، الامالي (١٥٦/١) ، امالي المرتضى (٢٨٠/٢) ، الشعر والشعراء (٦٧٤/٢) .
 - ٥ القفطي ، انباه الرواة (٣٤٨/١) وما بعدها .

كان (خلف الأحمر) رأس البصرة في رواية الشعر وفي البصر به. كما كان (حماد) زعيم الكوفة في هذا العلم . وكان (خلف) نفسه ممن أخذ هذا العلم عن (حماد) ، فهو من أحد تلامذته ورواته وسامعيه . وكان المقدم عند أهل البصرة ، حتى كانوا لا يصدرون الرأي في شعر دونه ، وإذا اختلف علماءهم في شيء منه ، عرضوا خلافهم عليه للبت فيه^١ . وروي انه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك انه جاء الى حماد الراوية ، فسمع منه^٢ .

وقيل عنه إنه كان شاعراً مجيداً جيد الشعر كثيره ، لم يكن في نظرائه أحد يقول مثله الشعر^٣ . ووضع على شعراء (عبد القيس) شعراً كثيراً موضوعاً وعلى غيرهم ، وأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة . وكان (خلف) أخذ النحو عن (عيسى بن عمر) ، وأخذ اللغة عن (أبي عمرو) . ولم يرَ أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان يضرب به المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ، ثم نسك فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه ، فأبى ذلك . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه . وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد . فلما نسك خرج الى أهل الكوفة فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم الى اليوم^٤ . وروي عن خلف قوله : « كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ، وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ، ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حق »^٥ .

ويصعب في الواقع تصديق هذه الرواية المنسوبة الى خلف الأحمر ، فلم يكن حماد يلجأ للمنافسين له على شيء من الفضلة والحق ، حتى نصدق ما ورد في هذا الخبر الآحاد ، الذي هو خبر من أخبار رواة البصرة ، بل نرى من الأخبار

-
- ١ الرافعي (٣٨١/١) .
 - ٢ ابن الأنباري : نزهة (٥٨ وما بعدها) .
 - ٣ المعارف (٥٤٤) .
 - ٤ المزهر (٤٠٣/٢) .
 - ٥ الاغانى (٩٢/٦) ، (١٢٤/٩) .

الواردة عنهم العكس ، نرى فيه الفطنة والخبث الى آخر أيامه . ثم انه كان أقدم وأشهر وأعرف وأحفظ من خلف الأحمر ، وهو في معرفة الشعر وتمييزه أمرس من صاحبه خلف ، فلا يعقل قوات ما نخله (خلف) القدماء على حماد . وقد كان الرواة أنفسهم يتعجبون من مقدرة حماد على التمييز بين الصحيح والفاقد من الشعر ، وعلى إحاطته بأساليب الجاهليين في نظم القريض ، وعلى إتقانه تلك الأساليب ، حتى صار من الصعب على عشاق الشعر التمييز بين ما كان يصنعه حماد على ألسنة الشعراء الجاهليين وبين ما كان من نظمهم حقاً . ولله الأسباب يصعب التصديق بهذا الخبر ، ورأيي انه من وضع أهل البصرة ، وضعوه على حماد ، كرهاً له وللكوفيين . ورواته هم من البصريين .

وما خبر توبة (خلف الأحمر) ، وخروجه الى أهل الكوفة ، ليعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، والتي أدخلها أهل الكوفة في دواوينهم ، وأبوا إصلاحها ، أو حذفها ، سوى قصة فيها الطعن والسخرية بعلم أهل الكوفة وبفهمهم للشعر ، وفيه مدح وتفخيم لعلم خلف بالشعر ، وإن كان لا يخلو من تجريح لخلف نفسه، وفيه مدح لعلم أهل البصرة. ولصدقهم في رواية الشعر والأخبار استهزاء اذن وتعريض بأهل الكوفة ، ليس فوقه استهزاء ، وضعه رجل فيه دعاية وتعصب وتحامل على الكوفيين .

وقد اختص (خلف) بالفروع التي اختص بها حماد بالكوفة ، وبذلك جعل البصرة تنافس الكوفة فيها . اختص بالشعر القديم ، وباللغة ، وبشيء آخر مهم جداً هو وضع الشعر وحمله على ألسنة القدماء ، فصار في هذا الباب بطل البصرة ومثلها ، كما كان حماد بطل الكوفة وزعيم الوضاعين . وقد امتاز خلف على الأصمعي العالم البصري ومعاصره بقدرته على نظم الشعر ، إذ كان هو نفسه شاعراً متمكناً في الشعر ، متقناً لفنونه ، كان من حذقه واقتداره في الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء فلا يفرق بينه وبين القديم . أما الأصمعي ، فلم يبلغ مبلغه فيه ، وإن كان من علماء اللغة والأدب والنحو ومن حفظة الشعر ورواته .

وهناك روايات تنسب الصدق الى خلف ، ثم لا تكفي بذلك حتى يجعله أعرف الناس وأعلمهم بالشعر. وروايات تذكر أنه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وأنه تعلم ذلك من حماد^١ .

١ ياقوت ، ارشاد (١٧٩/٤) .

وكان (الأصمعي) ، وهو من علماء البصرة ، كما ذكرت ، غير راض عن (خلف) ، إذ كان يغمز فيه ، ويتهمه بالكذب . ويظهر أن ذلك بسبب المنافسة على الزعامة في العلم . روي عنه أنه قال في خلف : « رواة غير متقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دُوَاد الإيادي قالها خلف الأحمر . وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، إليها يرجعون ، وبها يفتخرون »^١ . ويريد بهم أهل الكوفة . وذكر (الأصمعي) أيضاً أن خلفاً الأحمر « وضع على شعراء عبيد القيس شعراً موضوعاً كثيراً ، وعلى غيرهم ، عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة »^٢ .

وينسب الى الأصمعي قوله أنه حضر مأدبة « وأبو محرز خلف الأحمر ، وابن منذر معنا ، فقال له ابن منذر : يا أبا محرز ان يكن امرؤ القيس ، والناطقة ، وزهير ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقاً ، فرمى به عليه فلأه ، فقام ابن منذر مغضباً ، وأظنه هجاه بعد ذلك »^٣ . وهذه القصة - إن صحت - تشير الى وجود غلظة في طبع خلف . وهناك أخبار أخرى تؤيد هذا الرأي^٤ .

وقد أشار (ابن النديم) الى كتاب لخلف الأحمر ، أسماه : (كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر)^٥ . وذكر ياقوت الحموي له كتابين : ديوان شعر حملة عنه أبو نواس ، وكتاب جبال العرب^٦ .

ومما يؤسف له حقاً ، هو أن حماداً الراوية ، أو غير حماد ممن رروا عنه ، أو أخذوا عن غيره ، لم يشيروا الى الموارد التي أخذ حماد منها هذا الفيض من الشعر ، كما أنهم لم يشيروا الى الموارد التي استقى بقية رواة الشعر منها مارووه

١ الموشح (٢٠١ وما بعدها) .

٢ مراتب النحويين (٧٥) .

٣ الموشح (٢٩٦) ، الاغانى (١٧/١١) ، ياقوت ، ارشاد (١٧٩/٤) .

٤ « حدثني عمر بن شبة ، قال : أنشد أبو عبيدة خلفاً الاحمر شعراً له ، فقال له خلف : يا أبا عبيدة ، اخبأ هذه كما تخبأ السنور خرماها » الموشح (٣٦٦) وما بعدها .

٥ الفهرست (٧٤) .

٦ ياقوت ، ارشاد (١٧٩/٤) .

من الشعر الجاهلي . ولو ذكروه لأفادونا ولا شك بذلك كثيراً ، إذ يكون في مقدورنا التوصل الى معرفة الأشخاص الذين كان لهم فضل حل هذه الثروة العظيمة من ذلك الشعر . ومما يؤسف له أيضاً هو أن معظم دواوين الشعراء الجاهليين لا يرتفع سندها الى رواة يتقدم عهدهم على عهد حماد . ولو ارتفعت لاستفدنا منها بالطبع كثيراً في معرفة أسماء رواة الشعر الجاهلي وحفاظه وجامعيه وكتبته قبل أيام حماد ، ولعرفنا بذلك شيئاً عن الموارد التي أخذ منها هذا الراوية ذلك الكثر الثمين .

ولا بد من ذكر (السكري) في هذا المكان . وهو (أبو سعيد الحسن بن الحسين) السكري اللخوي ، المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) . فله مؤلفات عديدة عن الشعر ، وشروح للدواوين . منها : شرح أشعار هذيل^١ ، وديوان أبي كبير الهذلي بشرح السكري^٢ ، وكتاب أخبار اللصوص ، جميع فيه أشعار لصوص البدو المشهورين^٣ ، وأشعار اليهود^٤ ، وشرح ديوان زهير^٥ ، وديوان امرئ القيس ، بروايتيه^٦ ، وشرح ديوان حسان ، وقد نقل منه (البغدادي)^٧ ، وديوان الحطيئة ، وهو روايته عن ابن حبيب^٨ ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي^٩ ، وشرحه على ديوان عبدالله بن قيس الرقيبات^{١٠} ، وديوان الأخطل ، وهو روايته عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي^{١١} ، وديوان الفرزدق^{١٢} .

وقد أخذ السكري من الموارد التي ألفت قبله ؛ كما أخذ من علماء المصريين : البصرة والكوفة ، دون تعصب أو تحزب ، وكان راوية البصريين^{١٣} .

-
- | | |
|----|----------------------------------|
| ١ | خزانة (٣١٧/٢) . |
| ٢ | بروكلمن (٨٤/١) . |
| ٣ | بروكلمن (٨٥/١) . |
| ٤ | بروكلمن (٨٤/١) . |
| ٥ | بروكلمن (٩٦/١) . |
| ٦ | بروكلمن (١٠٠/١) . |
| ٧ | خزانة (٣٣٣/٣) ، (٤٤/٤) . |
| ٨ | بروكلمن (١٦٨/١) . |
| ٩ | بروكلمن (١٦٩/١) . |
| ١٠ | بروكلمن (١٩٣/١) . |
| ١١ | بروكلمن (٢٠٨/١) . |
| ١٢ | بروكلمن (٢١٣/١) . |
| ١٣ | نزهة الالباء (١٤٤) وما بعدها . |

الفصل الرابع والخمسون بعد المئة

تنقيح الشعر والدواوين

والذي يطالع كتب الأدب والأخبار، ويقرأ ما ورد فيها عن الشعراء الجاهليين، يخرج منها بانطباع خلاصته ان أكثر شعراء الجاهلية ، لم يكونوا يهذبون شعرهم ، ولم يكونوا يتقفون ، ولم يكونوا يحرون عليه تحويراً أو تغييراً أو تعديلاً ، بعد انشادهم له ، وان أغلبهم كان يقول شعره ارتجالاً من غير تحضير سابق ولا تهية ، فهو من عفو الخاطر . جرت على ذلك سنة الشعراء في الجاهلية ، فكان شاعرهم يرتجل شعره حسب الظروف والمناسبات .

وتصدق دعوى أهل الأخبار هذه في شعر المناسبات وفي المفاجآت ، أي في الحالات التي لا يكون الشاعر فيها على علم مسبق بأنه سيقول فيها شيئاً من الشعر فتضطره المناسبة الى قول شيء منه ، أما في الحالات الأخرى ، فإن دعواهم هذه لا يمكن قبولها ، بسبب اننا نجدهم يذكرون ان الشاعر كان يهيء شعره قبل لقائه ، وانه كان اذا نظم يحفظه رواه ، أو يدونه على صحيفة ، وقد ينقح فيه ويجود ، وان من الشعراء من كان يحرص على ألا يذيع شعره إلا بعد أمد ، وإلا بعد أن يعرضه على خاصته ليرأى رأيهم فيه ، فيغير فيه ويبدل ، فإذا سمع آراءهم وملاحظاتهم ووجدوها وجيهة ، أخذ بها ، وصقل شعره بموجبها ، وعندئذ يذيعه ويعطيه راويته لينشره بين الناس .

جاء في (طبقات الشعراء) أن الرسول سأل (عبدالله بن رواحة) : وكيف تقول الشعر إذا قلت ؟ فأجابته : أنظر في ذلك ثم أقول . فأمره أن

يقول شعراً تقتضيه الساعة ، وأخذ ينظر إليه : فانبعث عبدالله يقول شعراً ، ثم قال : « ولم أكن أعددت شيئاً »^١ . وجاء في كتاب « الشعر والشعراء » عن (الحارث بن حلزة) ، وهو القائل :

أذنتنا بينها أسماء ربّ ثاورٍ يعلّ منه الثواء

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً^٢ . ثم قال : « قال الأصمعي : قد أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ، قال :

فلكنّا بذلك الناس إذ ما ملك المنذر بن ماء السماء

قال أبو محمد: ولن يضر ذلك في هذه القصيدة، لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة^٣ . فاعتذر عن الإقواء بالارتجال ، ومعنى هذا أنه لو كان قد هيأها وأعدّها من قبل ، كما هي العادة لما وقع في الإقواء .

وفي جواب (عبدالله بن رواحة) « لم أكن أعددت شيئاً » ، وفي اعتذار المعتذر عن إقواء (الحارث بن حلزة) ، دلالة بينة على أن الشعراء كانوا يهشون شعرهم وينقحونه قبل إنشاده ، وأنهم كانوا لا يقولون شيئاً منه إلا بعد أن يكون قد اختمر في رؤوسهم ورضوا عنه ، حتى يكون سديداً ، اللهم إلا في المناسبات وفي الظروف الحرجة التي تهز الشاعر فتحمله على نظم الشعر .

وورد أن (الحارث بن حلزة) اليشكري ، قال لقومه ، « وهو رئيس بكر ابن وائل : إني قد قلت قصيدة ، فمن قام بها ظفر بجحته وقلج على خصمه ، فروّاها ناساً منهم ، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مقامه ، قال لهم : والله اني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور ، ويتضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه ، وكان لبرص كان به ، غير اني لا أرى أحداً يقوم بها مقامي ، وأنا محتمل ذلك لكم »^٤ ، مما يدل على أنه كان قد أعدّها ونظمها بعد تروّ ودراسة ، ثم ألقاها على الملك ، مع أننا

١ طبقات (٥٥) ، شرح شواهد ، للسيوطي (٢٩٣/١) ، العمدة (٢١٠/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٢٧/١) وما بعدها ، العمدة (١٩٠/١) .

٣ الخزائن (٥١٩/١) .

فرى الكتب ، تذكر أنه ارتجلها ارتجالاً ، بمعنى أنها كانت من وحي الموقف والساعة ، ولم تكن مهياة من قبل : لأن الارتجال في الكلام ، التكلم من غير تدبر ولا تهيئة سابقة ، وقيل من غير روية ولا فكر^١ . ويظهر أنهم قصدوا بالارتجال إلقاء الكلام من غير نظر الى صحيفة ، وذلك أوقع في النفس عندهم من الإلقاء عن شيء مكتوب ، على الرغم من كون صاحبه قد أعده من قبل وقد حفظه ، كما يفعل شعراء هذا اليوم من إنشادهم شعرهم المنظوم سابقاً من غير نظر في صحيفة ، ليظهر الشاعر وكأنه يرتجله ارتجالاً .

ولا يعقل أن يكون الشعر كله من نتاج المصادفة والمفاجأة ، وانه كان يحفظ على نحو ما قيل وأنشد ، فلم يجز عليه قلم ، ولم ينله تهذيب ولا تشذيب، ولا سيما بالنسبة للقصائد . فقد كان الشاعر ينظم شعره مقدماً في الغالب ، ثم ينشده روايته وجاعته ، لئلا ينساه ، ثم يرى رأيهم فيه ، وقد يزيد هو عليه شيئاً ، وقد ينقص منه شيئاً ، ومن هنا نجد رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد ، وليست لها وحدة مستقلة ولا ترتيب متكامل ، إلا في أحوال نادرة ، ومن ثم اختلفت الرواية عن الشاعر ، فقد يكون أحد الرواة ، قد افترق عن الشاعر وابتعد عنه ، وهو يحفظ شعره على نحو ما سمعه منه ، على حين يكون الشاعر قد أضاف على شعراً شيئاً جديداً ، حفظه عنه غيره من الرواة ، فتسبب ذلك في ظهور الاختلاف في القصيدة الواحدة ، وتكون الرواية القديمة أقصر من الرواية الحديثة في العادة ، لعدم دخول الزيادة التي ترد متأخرة بالطبع على الشعر^٢ . روي عن (ابن مقبل) قوله : « اني لأرسل البيوت عرجاً ، فتأتي الرواة بها قد أقامتها »^٣ . فللرواة إن صح هذا الخبر ، يد في إصلاح الشعر، وفي تغييره ، وفي إقامة ما قد يكون فيه من اعوجاج .

ولا بد للشاعر من إعداد الشعر (القصيد) وتهيئته والنظر فيه قبل انشاده ، كما في شعر المدح والمهجاء ، لما يجب أن يتفنن فيه الشاعر ، وهو على علم أن من سيقصده لمدحه ، قد قصده غيره للغاية نفسها ، وقد يصادف انشاده لشعره

١ تاج العروس (٣٣٧/٧) ، (رجل) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦١/١) .

٣ مجالس ثعلب (٤٨١) .

— وهو ما يقع في الغالب — بحضور عدد آخر من الشعراء المحترفين للشعر ،
المتفنين فيه ، فإذا هو لم يهني شعره من قبل ولم يعرضه على أحد ولم يتفنن فيه ،
ويأتي فيه بغرائب القنون ، ضاع شعره بين بقية الأشعار . فهو مضطر اذن على
إعداد شعره لإعداداً حسناً قبل إنشاده أمام الممدوح ، وحكته وتشذيبه لينال المكاة
المرجوة بين بقية الشعر .

ونجد في شعر ينسب الى (امرئ القيس) ، يذكر فيه ان المعاني كانت
تنثال عليه ، فكان يعمل رأيه فيها ، فيؤخر ويقدم ، ويتخير ما يستجد من غرر
الآيات :

أذود القوافي عني ذيادةً ذباد غلام جريء جرادا
فلما كثرن وعنينني تخبرت منهن ستا جبادا
فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا^١

وقد نسب بعض الرواة هذه الآيات الى غيره .

ولا بد في شعر الهجاء من إعداد ، ولا سيما في شعر الهجاء الذي يعدّ للردّ
على شاعر هجاء ، أو على شعر هجاء سابق ، إذ يجب في هذه الحالة اعداده
بعناية لتحطيم الهاجي وإسقاطه وإخماله ، ويستدعي ذلك عمل الرواية فيه والتأمل
طويلاً ، وإنشاد الشعر مراراً وتكراراً على الرواة والعارفين بالشعر لأخذ رأيهم
فيه . وقد يزيدون عليه وقد ينقصون منه ، فإذا رضي الشاعر عنه ، وقنع به^٢ ،
أنشده أمام الناس ، وقد يكون في المواسم ليسير بين القبائل ، وقد يرسل مكتوباً
الى من يهمهم الأمر ليصل اليهم ذلك الهجاء . وقد يكون الشاعر (تميم بن مقبل)
(تميم بن أبي بن مقبل) ، قد عني هذا المعنى في البيت المنسوب قوله اليه :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخير بابات الكتاب هجائيا^٢

وبابات الكتاب ، سطوره ، وهو بيت لا يخلو من غموض ، حتى ان علماء

١ ديوان امرئ القيس (٦٣) .

٢ ديوانه (ص ٤١٠) ، (الدكتور عزة حسن) ، «تخير آيات» ، العملة (١٦٧/٢) ،

الحيوان (١١٢/٧) .

اللغة اختلفوا في تفسيره ، اختلافاً كبيراً ، وقد يفهم منه أن الشاعر كان قد تخير هجاءه ودونه في وجوه الكتاب ، أي أن الهجاء كان مدوناً بسطور ومكتوباً ، وقد يكون قد أُنذر به وتوعد ، بأن من سيهجوهم إذا لم يكفوا عن سفههم ، فإنه سيدون هجاءه ويثبته في سطور وينشره بين الناس ، فهو ينلّهم به ويتوعدهم وقد أدخله صاحب (العمدة) في « باب الوعيد والانذار » ، وقال : « كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء الاحدوثة ، ولا يملكون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها »^١. وقد اتخذ (كولدزير) هذا البيت دليلاً على وجود التدوين في شعر الهجاء عند العرب ، كما اتخذ من شعر (ليلي الأخيلية) :

أثاني من الأنباء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المدللا
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي، ساء ذلك معملاً^٢

دليلاً آخر على تدوين الهجاء .

وتفتيح الشعر تهذيبه . وأنقح شعره اذا حككه ، أي أزال عيوبه . ولهذا قيل : خير الشعر الحولي المنقح^٣ . فكان الشاعر اذا نظم شعراً أجال بصره به ، ليرى ما فيه من نشاز وعيوب ، فيحك منه ما يحتاج الى حك ، ويجيل بصره به الى أن يعجبه ويرضيه ، فيقوله للناس . وقد ينقحه بعد إلقائه ، إذ قد يسمع نقداً يراه من شاعر أو من العارفين بالشعر ، صائياً ، فينقح الموضع المنتقد . وقد يتبّه الشاعر وهو يقرأ شعره على الملأ ، الى أفكار لم تكن تخطر على باله ساعة نظم شعره ، فينظمها ويضيفها الى ما نظمه .

وكان من الشعراء من يكتب ويقرأ ويدون شعره . ومن هؤلاء (عدي بن زيد العبادي) ، الذي كان يتولى مكاتبة العرب عند (كسرى) ، والذي كان قد حذق الكتابة بالعربية والفارسية^٤ . وهو من شعراء (الحيرة) ، والشاعر

١ العمدة (١٦٧/٢) .

٢ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (٩٨) .

٣ تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (نقح) ، (١٢٢/٧) ، (حك) .

٤ الاغاني (١٠١/٢) وما بعدها .

(سويد بن صامت الأوسي) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (كعب بن مالك الأنصاري) ، وهم من شعراء يثرب^١ ، ولهذا فلا يستبعد وقوع التدوين والتنقيح من هؤلاء الشعراء ومن أمثالهم الذين كانوا يقرأون ويكتبون ، يكتبون شعرهم ، ثم يجيئون النظر فيه ، فيغيرون منه ما شاءوا ويبدلون ما لا يعجبهم منه حتى يستوي ، فيداع .

ولو ذهبنا هذا المذهب وقلنا بصحة المذكور في هذه الروايات ، حق علينا أن نقول إن الشعراء الجاهليين ان لم يكن أكثرهم فبعضهم على الأقل كانوا ينقحون شعرهم ويعيدون فيه ويجبرونه ، حتى يستقيم في نظرهم ويستوي . فإذا رضوا عنه ، أذاعوه عندئذ ، وأنشدوه حين تدعو الداعية إلى الإنشاد . وقد يطول هذا التنقيح ، وقد ينقص . قد يقع في أيام ، وقد يقع في شهر أو شهرين أو حول أو أكثر . ومثل هذا التنقيح والتحريك ، يستدعي وجود تدوين في الغالب ، بأن يدون الشاعر أو راويته الشعر ، ثم يجري التنقيح على المكتوب .

ذكر (ابن قتيبة) ، ان من الشعراء المتكلف والمطبوع . « فالتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، وقفحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهر الحطيطه . وكان الأصمعي يقول : زهر الحطيطه وأشباهها عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيطه يقول : « خير الشعر الحولي^٢ المنقح المحكك » ، وكان زهير يسمى كُبَرَ قصائده : (الحوليات)^٣ . وقد أشار بعض الشعراء الى تنقيحه شعره والى تهذيبه له ، وتحكيكه فيه . منهم الشاعر المخضرم (سويد بن كراع) من (عطل)^٤ ، وكان شاعراً محكماً . فقال في أبيات يذكر تنقيحه شعره :

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سحيراً أو بعيداً فاهجاً

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات (٢/٣ ص ٧٩) ، المجبر (٢٧١ وما بعدها) ، الاغانى (٢٥/٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، البيان والتبيين (١٣/٢) ، (٢٠٤) ، (لجنة) ، البيان والتبيين (٢٠٤/١) ، (هارون) .
 - ٣ الاغانى (١٢١/١١) ، الشعر والشعراء (٥٣٠/٢) ، (الثقافة) .
 - ٤ الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢٢) .

إذا خضت أن تُروى علي رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشمتني خوف ابن عفان ردها فتفتتها حولاً جريداً ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أرَ إلا أن أطيع وأسمعاً^١

وكان هجا قومه ، فاستعدوا عليه عثمان ، فأوعده ، وأخذ عليه ألا يعود^٢ .
فأخذ يهذب شعره ويثقفه خشية الوقوع فيما لا يحمد عليه .

وذكر (ابن قتيبة) أن « المتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً ، فليس
به خفاء على ذوي العلم ، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير ، وشدة
العناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ،
وزيادة ما بالمعاني غنى عنه »^٣ .

وقال : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك
في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي
الغريزة ، وإذا لم يتلعم ولم يتزحر »^٤ .

والتكلف في نظم الشعر شيء مجموع ما في ذلك شك ، لما فيه من تصنع
وتنطع ، وخروج على عفو الخاطر ، وعلى الطبع . أما تهذيب الشعر ومراجعته
وتشذيبه ، والتأني فيه ، والنظر فيه ، لتعييده وتشذيبه ، حتى يكون عذباً نقياً ،
نابعاً عن شاعرية وسليقة ، خالياً من الشطحات والتزوات ، يعجب السامع ، فأمر
آخر ، على ألا يتجاوز الحد ، بحيث يخضع الشعور لاستبداد الصنعة ، فهو عندئذ
معيب . وقد رأى (الأصمعي) ، وهو من نقدة الشعر وعلمائه ، في تثقيب الشعر
وحكته وتشذيبه عبودية للشعر ، انتقد (زهيراً) و (الخطيئة) عليها ، فقال :
« زهير بن أبي سلمى والخطيئة وأشباهها ، عيب الشعر . وكذلك كل من جرد
في جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر حتى يخرج
أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال : لولا ان الشعر قد كان
استعبدهم واستخرج مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ،

١ الشعر والشعراء (٢٣/١) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (٥٣٠/٢) ، (الثقافة) .

٣ الشعر والشعراء (٣٢/١) ، (الثقافة) .

٤ المصدر نفسه (٣٤/١) .

ومن يلتمس قهر الكلام ، واغتصاب الألفاظ ، لدهيوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سهواً ورهواً ، وتنتال عليهم الألفاظ انثيالاً ، وانما الشعر المحمود كشر النابغة الجعدي .. ولذلك قالوا في شعره : مطرفٌ بآلاف ، وخار بواف . وقد كان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء^١ . وقد فسر (ابن قتيبة) الجملة الأخيرة المتعلقة بالنابغة الجعدي ، بقوله : « وكان العلماء يقولون في شعره خار بواف ، ومطرفٌ بآلاف . يريدون ان في شعره تفاوتاً ، فبعضه حد مبرز ، وبعضه رديء ساقط »^٢ .

وجاء في (العمدة) (لابن رشيق) : « وكان الأصمعي يقول : زهير والنابغة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان لإصلاحه ، ويشغلان به حواسهما وخواطرها »^٣ ، فوضع (النابغة) في موضع (الخطيئة) المذكور في (البيان والتبيين) وفي الموارد الأخرى .

قال (السيوطي) : « قال الجاحظ في البيان : كان الشاعر من العرب يُمكث في القصيدة الحول ، ويسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات ، يصير قائلها فحلاً خنذيلاً وشاعراً مفلحاً »^٤ . فالقصيدة الحولية المنقحة المُحكمة ، هي القصيدة التي يتأني بها صاحبها ، فيهدب فيها ويشذب ، حتى يحكمها ، لتصير مماسكة بينة متينة ، ومن هنا قال (الخطيئة) : « خير الشعر الحولي المنقح » ، أو « خير الشعر الحولي المحكك »^٥ . وكانوا يسمون تلك القصائد أيضاً المقلدات^٦ ، والحوليات ، والمنقحات ، والمحكمات . وقد أوجز (السيوطي) كلام (الجاحظ) ، الذي أدرك ما كان يفعله الشاعر بشعره من تغيير وتبديل ومن تنقيح وتجويد ، حتى يرضى عنه . فقال أكثر مما قلله (السيوطي) عنه ، قال إن من الشعراء « من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريئاً وزمناً طويلاً ، يردّد فيها نظره ، ويجل فيها عقله ويقلب فيها رأيه ، إتماماً لعقله ، وتتبعاً على

-
- ١ البيان والتبيين (١٣/٢) « لجنة » ، الشعر والشعراء (٢٢/١ وما بعدها) ، (بيروت ، دار الثقافة) ، (٨١/١ وما بعدها) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢١٠/١) .
 - ٣ العمدة (١٣٣/١) .
 - ٤ شرح شواهد (٢٦/١) ، باختلاف اللفظ ، البيان والتبيين (١٣/٢) .
 - ٥ البيان والتبيين (٢٠٤/١) ، (١٣/٢) .
 - ٦ البيان والتبيين (٢٦/٢) ، (٩/٢) ، (لجنة) .

نفسه ، فيجعل عقله زماناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ١ . يفعلون ذلك ليخرج شعرهم بليغاً بيتاً ، خالصاً نقياً ، حتى ينالوا منه ما يريدون من التأثير في السامع ، ومن استهواء الناس اليهم ٢ وكانوا إذا احتاجوا الى الرأي في معازم التدبير ومهمات الأمور ميّثوا الكلام في صدورهم وقيلّوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثقف وأدخل الكبير وقام على الخلاص أبرزوه محكماً منقّحاً ومُصنّفى من الأدناس مهذباً ٣ ، وقال : « وكانوا يُسمون تلك القصائد الحوليّات والمقلّدات والمنقّحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مقلّداً ٤ » .

والحوليّات ، هي القصائد التي يحول عليها الحول . والمقلّدات ، البواقي من الشعر على الدهر وقلائده ٥ . والمنقّحات ، القصائد المنقّحة المهدّبة المحكّكة . يقال : خير الشعر الحولي المنقّح ، وأنقح شعره اذا حككه ، وأحسن النظر فيه ، وأصلحه وأزال عيوبه ٦ . وقد كان الشاعر يحيل النظر في شعره ، ويفكر فيه ويصلح منه ، قبل أن يعرضه على الناس ، حتى لا يعاب عليه ، فيغض من قدره ، وتهبط منزلته بين الناس ، وتطمع فيه الشعراء . فهؤلاء الشعراء ، هم أصحاب فن ، لا يهمهم الإخراج الكثير ، بل الشعر المحكك المنسق المنقّح ، ولذلك يمحّثون أمدأ يعيدون النظر فيه حتى يعجبهم نظمه ، فيذيعونه عندئذ بين الناس .

وقد عرف (طفيل الغنوي) في الجاهلية بالمحبر ، وذهب علماء الشعر الى انه انما عرف بذلك لحسن شعره ٧ ، وكان مثل زهير والنابعة ٨ في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك ٩ . وقد عرف (ربيعة بن سفيان) الشاعر الفارس بالمحبر ١٠ لتحبيره شعره وتزيينه كأنه حبر ١١ . و (الحطيئة) ، و (النمر بن ثعلب) من هذه الطبقة التي تأتقت في شعرها وثقّفته ١٢ . وقد عرف (النمر بن تولب) بالكيس

-
- ١ البيان والتبيين (٩/٢) .
 - ٢ البيان والتبيين (١٤/٢) ، (٩/٢) ، (هارون) .
 - ٣ البيان والتبيين (١٤/٢) .
 - ٤ تاج العروس (٤٧٥/٢) ، (قلد) .
 - ٥ تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (نقح) .
 - ٦ العمدة (١٣٣/١) ، الشعر والشعراء (٣٦٤/١) .
 - ٧ العمدة (١٣٣/١) ، تاج العروس (١١٩/٣) ، (حبر) .
 - ٨ تاج العروس (١١٩/٣) ، (حبر) .
 - ٩ العمدة (١٣٣/١) .

لحسن شعره^١ : وورد في رواية أخرى انه انما قيل له المحبر لقوله :
سماوته أسمال بردحبر وساثره من أنحى معصب^٢

وكان (طفيل بن عوف بن كعب) (طفيل بن كعب) الغنوي ، أحد
نعات الخيل من الجاهليين ، فعرف بطفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، قيل انه
كان من أوصف الناس للخيل^٣ ، وقد أخذ عنه بعض الشعراء ، مثل النابغة
وزهير . وقيل انه كان ثالث الشعراء الوصافين للخيل^٤ . وقد نشر (كرنكو)
ديواني طفيل والطرماع مع ترجمتهما الى الانكليزية ، وذلك ضمن سلسلة منشورات
(جب)^٥ .

ذكر أن أبا بكر قال يوماً للأنصار : زادكم الله عنا يا معشر الأنصار خيراً ،
فما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فولت
أبوا أن يملونا ولو أن أمتنا تلاقي الذي يلقون منا ملّت

وروي أن معاوية قال : دعوا لي طفيلاً وساثر الشعراء لكم ، وأن عبد الملك
ابن مروان ، قال : من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل .

ومن جيد الشعر المنسوب له ، قوله :

١ الشعر والشعراء (٢٢٧/١) ، العمدة (١٣٣/١) .

٢ الخزانة (٦٤٣/٣) .

٣ « طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان
ابن غني بن أعصر » ، الخزانة (٦٤٣/٣) ، الاغانى (٨٥/١٦ وما بعدها) ،
(ساسي) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٢٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد
(٣٦٢/١) ، ديوان طفيل والطرماع ، (كرنكو) ، (لندن ١٩٢٧) ، بروكلمن
تاريخ الادب العربي (١٢٠/١) ، الشعر والشعراء (٣٦٤/١ وما بعدها) ،
(الثقافة) ، السمط (٢١٠) ، المؤلف (١٤٧) .

٤ بروكلمن (١١٩/١) .

The Poems of T.B. 'A. al-Gh. and at-Tirmmah, ed and transl. by F.
Krenkow, London, 1927 (E. J. W. Gibb Mem. XXV).

لاني، وإن قلّ مالي لا يفارقي مثل النعامة في أوصالها طول
 أو قارح في الغرايبات ذو نسب وفي الجراء مِسْحُ الشدِّ لجفيل
 إن النساء كأشجار نبتن معاً منها المرار، وبعض النبت مأكول
 إن النساء متى يُنهين عن خلق فلأنه واجب لا بدّ مفعول
 لا ينصرفن لرشدٍ إن دعين له وهن بعد ملائم مخاذيل^١

ومن شعره :

وللخيل أيامٌ فن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وقد شرح ديوانه (يعقوب بن السكيت) ، وقد رجع اليه (البغدادي)^٢ .

وقد قسم (ابن رشيق) الشعر الى مطبوع ومصنوع . وه المطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه المدار . والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم ، فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سمّوه صنعة من غير قصد ولا تمثيل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ، ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصدَ أوقات نشاطه فنباطاً عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى للمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلم ببعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئة حسنَ نسقهِ الكلام بعضه على بعض^٣ .

ولم يحب علماء الشعر الشعر المنمق المحكك ، إذا لم تؤثر فيه الكلفة، ولم يظهر عليه العمل ، ولم يخرج عن حدود الطبع . ومن هنا قال بعض الخدّاق بالكلام :
 « قل من الشعر ما يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه . وهذا هو معنى قول

١ الشعر والشعراء (١/ ٣٦٤ وما بعدها) .

٢ الخزّانة (٣/ ٦٤٢) .

٣ العمدة (١/ ١٢٩) ، (باب في المطبوع والمصنوع) .

الأصمعي^١ ، وهو أيضاً معنى (ابن رشيق) وغيره من علماء الشعر ، الذين يريدون شعراً طبيعياً صدر من القلب وعن عفو الخاطر ، لا تعمل فيه ولا تزويق يخرج من الطبع الى الصنعة ، فيكون ثقیل الظل لا تستسيغه الطباع .

ويرى (بروكلمن) أن « القصائد الطوال كالمعلقات ، لم يتم نظمها دفعة واحدة . ومهما كانت القافية كثيراً ما تهدي الشاعر في نظم شعره ، فإنه يجدر بنا أن نتصور نشأة القصيدة في الزمن القديم على غرار ما وصفه (موزل) عند شعراء البادية المحدثين . وعلى ذلك فلا يستبعد محال من الأحوال أن تكون القصيدة من نتاج حول كامل . ومن هنا وجدنا رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد . فقد ينشد الشاعر شعراً لرواته وأحبائه أول الأمر لثلا ينسأه ، ثم يزيد عليه ، لا سيما إذا ذكره أحبائه بشيء غفل عنه ، وربما بدل بعض أبياته بعد ذلك بأخرى لم يسمعها ذووه الأولون ، فتختلف الرواية عن الشاعر . ولا يأبى الشاعر نفسه أن يعترف بأن كل ذلك من بنات أفكاره . وقد يكون ذلك أيضاً هو السبب في أن كثيراً من الشعر القديم لم تبق منه إلا قطع متفرقة^٢ .

ولا يختلف الشاعر الجاهلي عن الشاعر الاسلامي في نظري في تهذيب شعره وتنقيحه . فقد كان للفرزدق الشاعر المشهور الذي حفظ وروى شعر عدد كبير من الشعراء المتقدمين رواية ، كانوا يعدلون ما انحرف من شعره ، ويهذبون ما يحتاج منه الى تهذيب ، وكانوا يروونه . وكان لجرير ، الشاعر الآخر ، وهو خصم الفرزدق ومنافسه في قول الشعر ، رواته ومعدلو شعره . كانوا يقرءون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد^٣ . وإذا كان هذا شأن شعراء أيام الأمويين الذين ورثوا تقاليد الشعراء المخضرمين والجاهليين ، وساروا على هديهم في الشعر ، لا نستبعد إذن لجوء الشاعر الجاهلي ورواته الى التحكيك والتعديل واجراء التهذيب على شعره ، لغفلة قد تكون وقعت له ، وقد فاتت عليه ، أو لمعنى فات عليه ، أدركه رواته عند إنشاده له ، أو غمز به خصومه فاضطر الى اجراء تنقيح عليه لإخراجه بالشكل الذي رآه يصلح فيه .

١ العملة (١٣٣/١ وما بعدها) .

٢ بروكلمن (٦١/١) .

٣ الاغانى (٢٥٦/٤ وما بعدها) ، (دار الكتب) .

وقد حكك وتفتح علماء الشعر ورواته ، ما سمعوه وأخذوه من شعر ، لأنهم وجدوا أنه في حاجة الى تحكيك، أو أنهم رأوا أن فيه خللاً ، وان عليهم واجب إصلاحه وتقويمه . أجروا مثل هذا التنقيح حتى في شعر الشعراء الإسلاميين . (دوي عن (الأصمعي) قوله : « قرأت على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :

فيا لك يوماً خيره قبل شره تغيب واشبه وأقصي عاذله

فقال : وبله ! وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ قلت له : هكذا قرأته على أبي عمرو . فقال لي : صدقت وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح ، مشرّداً الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع . فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال : فيا لك يوماً خيره دون شره .

فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء ، فقلت : لا أرويه بعد هذا إلا هكذا ^١ .

وقد اضطر علماء الشعر الى تنقيح ألفاظ في الشعر بسبب تصحيف أو تحريف وقع عليها بفعل النسخ ، ومثل هذا التنقيح مستساغ بالطبع ، بل واجب لأن فيه إعادة الشعر الى الصواب ، على أن ينص على الأصل الذي كان مكتوباً به ، والتصحيح الذي أدخل عليه ، وعلى السبب الذي حمل العالم على اجرائه عليه .

دواوين الشعر الجاهلي :

ودواوين الشعراء الجاهليين ، الموجودة عندنا هي كلها وبغير استثناء من جمع علماء الشعر الاسلاميين . فلا يوجد من بينها ديوان واحد ذكر انه كان من جمع أهل الجاهلية . وقد شرع بصنع هذه الدواوين في العصر الأموي . وبلغت العناية بها ذروتها في القرن الثالث للهجرة . وقد أبدى علماء العراق من موالي وعرب نفوقاً كبيراً على غيرهم من علماء الأمصار الاسلامية في هذا الباب .

وقد نسب الى (ابن عباس) قوله : « إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله ،

١ ديوان جرير (٤٨٠) ، المرزباني ، الموشح (١٢٥) ، بروكلمن (٦٥ / ١) .

فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب^١ . وإذا صح أن هذا الكلام الذي رواه (عكرمة) عن (عبدالله بن عباس) هو من كلامه نكون قد حصلنا لأول مرة على لفظة (الديوان) ، بالمعنى المفهوم من اللفظة في عرف علماء الشعر والناس . وذكر أن لفظة (الديوان) قد وردت في حديث : « لا يجمعهم ديوان حافظ »^٢ . وإذا صح هذا الحديث وثبت ، يكون ورود اللفظة فيه قبل ورودها في كلام (ابن عباس) ، ومعنى هذا أنها كانت معروفة عند أهل الجاهلية . غير أن ورودها في هذا الحديث لا يعني ديوان شعر ، وإنما الجمع والاحصاء ، وبمعنى كتاب وسجل تدون فيه الأشياء .

وروي أيضاً أن الخليفة (عمر) سأل الصحابة عن هذه الآية : « أو يأخذهم على تخوف » ، فإن ربكم لرؤوف رحيم^٣ ، فخاصوا في معناها ، فخرج رجل ممن كان حاضراً فلقى أعرابياً ، فقال التخوف : التقصص ، وكان ذلك الأعرابي من هذيل ، فقال له : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي :

تخوف الرجل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر : أيها الناس عليكم بديوانكم لا تفضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

ويقال لمجموع الشعر المدون في دفتر أو كتاب (ديوان شعر) . فيقال (ديوان الشاعر) و (دواوين الشعراء) ، و (ديوان فلان) ، و (ديوان طيء) ، و (ديوان الأنصار) ، و (ديوان الشعراء الجاهليين) ، الى غير

-
- ١ « وأخرج أبو بكر الانباري في كتاب الوقف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب » المزهر (٣٠٢/٢) ، (٤٧٠/٢) الاخبار الطوال (٣٣٢) ، (إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً) ، العمدة (٣٠/١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٠٤/٩) ، (دون) .
 - ٣ النحل ، الآية ٤٦ .
 - ٤ تفسير الطبري (٧٧/١٤) ، تفسير النيسابوري ، (٧٠/١٤ وما بعدها) ، وورد فيه أن اسم الشاعر : « زهير » .

ذلك . ويقصدون بذلك مجموعة أشعار جمعت في مجموع . وذكر بعض علماء اللغة ان الديوان « الدفتر » ، ثم قيل لكل كتاب ، وقد يخص بشعر شاعر معين مجازاً حتى جاء حقيقة فيه . فعانيه خمسة : الكنية ومحلم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر . والديوان في الأصل الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية . وأول من وضعه عمر . ويرى علماء اللغة ان اللفظة من الألفاظ العربية عن الفارسية ، وان كسرى كان قد رتب الدواوين لكتابه ولعاملاتهم ، فلما جاء الاسلام، وظهرت الحاجة الى تنظيم العمل . أمر الخليفة (عمر) باتخاذ الدواوين^١ .

واذا حملنا قول أهل الأخبار انه قد كان عند النعمان بن المنذر « ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته »^٢ ، وقولهم ان النعمان ملك العرب كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : ان تحت القصر كترأ ، فاحتفزه ، فأخرج تلك الأشعار^٣ ، على محمل الأخبار التي ظهرت في أيام الأمويين ، التي صنعها وروّجها بين الرواة حماد الراوية وأضرابه فلاننا ثبت بذلك وجود الدواوين بالمعنى المفهوم من الديوان في أيام (حماد) ، وقبل أيامه . ولدينا أخبار أخرى تفيد ان الدواوين قد عرفت قبل أيام حماد .

ويظهر من قول (ابن سلام) : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون . وقال ابن عوف عن ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ... »^٤ أن الدواوين لم تكن موجودة ، وأن الشعر لم يكن مكتوباً في صدر الإسلام ، ولهذا ضاع أكثر الشعر الجاهلي بسبب انهالك حفظه في الحروب

-
- ١ تاج العروس (٢٠٤/٩) ، (دون) ، غرائب اللغة (٢٢٩) .
 - ٢ طبقات الشعراء (١٠) ، المزهر (٤٧٤/٢) .
 - ٣ الخصائص (٣٩٣/١) ، تاج العروس (٧٠/٢) ، (طنج) ، اللسان (١٤٢/٣) ، (طنج) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (١٠) .

وهلاك بعضهم فيها ، ومنها حروب الردّة ، التي هلك فيها جمع من حفاظ الشعر من مسلمين ومن مشركين .

ويظهر مثل ذلك من رواية يرجع سندها الى (ابن سلام) تذكر أنه « كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر فيرسلان راكباً فينخ بيابه يعني قتادة بن دعامة ، فيسأله عنه ثم يشخص »^١ ، ويظهر من هذه الرواية إن صحت أن (قتادة) ، كان من الحافظين للشعر ، وقد عرف بأنه كان صاحب علم بأيام العرب وأنسابها وأحاديثها^٢ ، وله أخبار في تفسير القرآن^٣ ، ونعت بأنه كان من الحفاظ ، قال عنه (السيوطي) : « ولم يأتنا عن أحد من علم العرب أصبح من شيء أتنا عن قتادة »^٤ . وهو من التابعين ، روي عن أنس وابن المسيب ، والحسن البصري ، وروى عنه (سعيد بن أبي عروبة)^٥ . وقد ضرب الجاحظ به المثل في الحفاظ ، إذ قال : « كان يقال ، زهد الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة ، وكلهم من البصرة »^٦ . ويظهر أنه كان يروي الإسرائيليات^٧ . وجمع (سليمان بن عبد الملك) بين قتادة والزهري ، فغلب (قتادة) (الزهري) ، فقليل لسليمان في ذلك ، فقال : إنه فقيه مليح . فقال القحذمي^٨ : لا ، ولكنه تعصب للقرشية ، ولانقطاعه كان اليهم ، ولروايته فضائلهم^٩ . وقد عرف بالنسب^{١٠} ، وهو أحد رواة (رسالة عمر بن الخطاب) الى (أبي موسى) الأشعري في أصول القضاء^{١١} .

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (١٧ وما بعدها) ، المزهر (٣٣٤/٢) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (١٨) .
 - ٣ المزهر (٢٩/١) .
 - ٤ المزهر (٣٣٤/٢) .
 - ٥ المصدر نفسه (حاشية ١) .
 - ٦ البيان والتبيين (٢٤٢/١) ، ثمار القلوب (٩٠) .
 - ٧ البيان والتبيين (١٠٤/١ ، ٢٥٨) ، عيون الأخبار (١٧٩/٢) .
 - ٨ القحذمي : أبو عبد الرحمن بن هشام بن قحذم القحذمي ، من أهل البصرة توفي سنة (٢٢٢) ، لسان الميزان (٢٢٧/٦) .
 - ٩ البيان والتبيين (٢٤٣/١) .
 - ١٠ البيان والتبيين (٣٥٦/١) ، الحيوان (٢١٠/٣) .
 - ١١ البيان والتبيين (٤٨/٢) .

وروى (الجاحظ) « ان رجلاً قتل أخوين في نقاب ، أحدهما بعالية الرمح ، والآخر بسافله . وقدم في ذلك راكب من قبل بني مروان على قتادة يستثب الخبر من قبله ، فأثبته »^١ . وهو يروى عن (ابن عباس)^٢ ، وعن (أبي موسى)^٣ ، ويظهر من الأخبار المنسوبة إليه انه من طراز القصاص ، الذين يروون الأخبار من دون نقد^٤ .

وورد ان الخطاط الشهير (خالده بن أبي الهيجا) ، وهو أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ، وكان من أحسن الخطاطين في زمانه ، كتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك^٥ . واذا صح هذا الخبر ، تكون قد وقفنا على جمع قديم للشعر ، هو في مقدمة المجموعات القديمة للشعر .

لكننا نجد في رواية تذكر ان حماداً الراوية سرق جزءاً من أشعار الأنصار ، فقرأه فاستحلاه وحفظه ، فن ثم صار يطلب الأدب ويحفظ الشعر^٦ . وهي رواية أشك في صحتها ، يظهر انها من موضوعات أعداء حماد ، ولو صحت لكانت دليلاً على وجود ديوان شعر ضم شعر الأنصار . كما نجد في خبر استدعاء (الوليد بن يزيد) له وإرساله إليه بمائتي دينار ، وأمره عامله (يوسف بن عمر) أن يحمله إليه على البريد ، وقوله في نفسه : « لا يسألني إلا عن طرفيه : قريش وثقيف : فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدمت إليه سألتني عن أشعار بلي^٧ ، دلالة على وجود ديوانين كانا عند (حماد) أحدهما ديوان شعر قريش ، والآخر ديوان شعر ثقيف . غير أننا لا نستطيع التأكد من صحة هذا الخبر ، وإن كنت لا أستبعده أيضاً ، لظهور التدوين قبل هذا العهد ، في أيام معاوية مثلاً^٨ .

واذا صح ما ذكره (ابن النديم) من قوله : « قال أبو العباس ثعلب جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ورد

-
- | | |
|---|---|
| ١ | البيان والتبيين (٢٧/٣) . |
| ٢ | الحيوان (١٨٠/١) . |
| ٣ | الحيوان (٢٩٦/١) . |
| ٤ | الحيوان (٥٣٦/٥ ، ٥٣٧) ، (٢٩٣/٤) وما بعدها . |
| ٥ | الفهرست (١٥) ، (خطوط المصاحف) . |
| ٦ | الآغاني (١٦٣/٥) . |
| ٧ | الآغاني (٩٤/٦) . |

الديوان الى حماد وجناد^١ ، فيكون معنى ذلك ، انه قد كان عند (حماد) و (جناد) ديوانان أو دواوين للشعر ، استعارهما منها (الوليد) ، وجمع منها ديوان العرب وأشعارهم ، ثم أعاد الديوانين الى صاحبيهما، ونكون بذلك قد وقفنا على وجود لفظة (ديوان) بالمعنى الاصطلاحي المعروف في أيام الأمويين، ووثقنا من وجود دواوين الشعر في تلك الأيام .

ولم أجد في الدواوين التي وصلت إلينا أو في كتب الأدب إشارات الى اقتباس رواة الشعر وحفظته وجماعه والمعنيين به من هذا الديوان ولا وصفاً لمحتوياته ولما كان بين دفتيه من قصائد وأشعار . ولو وصل إلينا شيء من هذا ، لأفادنا ولا شك كثيراً في التعرف على ذلك الديوان الملكي الذي يجب أن نعده أول ديوان شعر عربي وصل خبره إلينا بكل تأكيد حتى الآن .

ويذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كانوا يملكون دواوين شعر لشعراء جاهليين . ذكر مثلاً أن (الفرزدق) كان يمتلك نسخة من ديوان الشاعر (زهير ابن أبي سلمى)^٢ .

وقد أطلق القدماء مصطلح (دفاتر أشعار العرب) على مدونات الشعر . والدفتر جماعة الصحف المضمومة^٣ ، وقسم (البغدادى) هذه الدفاتر الى قسمين: دواوين ومجاميع . فالدواوين ، هي دواوين الشعراء ، والمجاميع مثل أشعار بني محارب للشيباني ، والمفضليات للمفضل الضبي ، وأشعار الهذليين للسكري، وأشعار لصوص العرب للسكري ، وختار شعر الشعراء الست : امرئ القيس ، والنايفه ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة وشرحها للأعلم الشتمري وغيرها^٤ .

ويظهر أن أول اختيار مدون للشعر عند العرب، كان القصائد المعروفة بالمعلقات اختارها حماد الراوية ، ثم سار من جاء بعده مثل (المفضل) الضبي ، وأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ثم من جاء بعدهما على منهجه في اختيار وانتقاء الشعر والقصائد وجمعها في مجموعات . وقد ذكر (الجمحي) أن (حماداً)

١ الفهرست (١٤٠) .

٢ بلاشير (١٠٦) .

٣ تاج العروس (٢٠٩/٣) ، (دفتر) ، المصون (٤) .

٤ خزنة الادب (٩/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

« كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ... وكان غير موثوق به .
كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار »^١ .

ولم أجد في الكتب المطبوعة التي تحدثت عن حماد ما يفيد اشتغال حماد بتدوين الشعر وإثباته في دواوين . وفي الفهرست عبارة تقطع بعدم ورود كتاب ولا ديوان كان من تأليف حماد أو جمعه ، إذ يقول : « ولم يُرَ لحامد كتاب ، وإنما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده »^٢ . ويفهم بالطبع من كلام (ابن النديم) هذا ان حماداً كان راوية حسب ، يروي للناس ما حفظه من شعر دون أن يعتني هو نفسه بإثباته لما يحفظه في حروف وكلمات . غير انه يجب الاحتراز كثيراً في الأخذ برواية ابن النديم هذه ، إذ لا يعقل إهمال حماد ترتيب ما كان يحفظه من شعر كثير ، وتدوينه وإملاءه . وقد أهمل ابن النديم أسماء كتب عديدة للمؤلفين معروفين ، كما ذكر أسماء علماء لم يشر الى مؤلفات لهم ، مع ان غيره أشار الى مؤلفاتهم ، وقد وصلت بعض منها إلينا وطبعت ، فلا أستبعد أن يكون قول ابن النديم هذا من هذا القبيل .

ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده ، ما ورد في مختارات (ابن الشجري) عن أبي حاتم السجستاني من وجود كتاب لحامد الراوية ، إذ قال : « قال أبو حاتم : هذا آخرها ، وفي كتاب حماد الراوية زيادة » ، وقوله : « قال السجستاني : وفي كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات ، كتبها ليعرف المصنوع »^٣ . وقد أورد ابن الشجري قولتي السجستاني عند إيراد شعر الخطيئة . وكان السجستاني قد أشار الى كتاب حماد هذا ، لوجود أبيات فيه لم يجدها في رواية الأصمعي التي اعتمد عليها لشعر الخطيئة . وقد أورد تلك الزيادات ، ذاكراً أنها مع ذكره لها من المصنوعات المردودات^٤ .

وفي عبارة (ابن النديم) : « ولم يُرَ لحامد كتاب ، وإنما روى عنه الناس

-
- ١ طبقات ، لابن سلام (١٤) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٣٥) ، « أخبار حماد » .
 - ٣ مختارات ابن الشجري ، القسم الثالث (ص ١٢ ، ١٦) ، « تحقيق محمود حسن زياتي » ، القاهرة ١٩٢٦ م .
 - ٤ المورد المذكور .

وصنفت الكتب بعده^١ ، هفوة . فقد ذكر (ابن النديم) نفسه حين كلامه عن (عوانة) ، أن الخليفة (الوليد بن يزيد) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »^٢ ، وفي هذه الإشارة دلالة على أنه كان لحامد ديوان ، ثم نجده يذكر أنه كان لعوانة بن الحكم كتاب التاريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد توفي (عوانة) سنة (١٤٧هـ) ، أي قبل (حماد) المتوفى سنة (١٥٦م)^٣ ، ونجده يذكر لعبيد بن شربة الجرهمي كتاب الأمثال ، ويذكر لصحار العبدي كتاباً في الأمثال كذلك ، وقد عاشا قبل عوانة وحماد^٤ .

ودواوين الشعر أنواع : فقد يكون الديوان مجموع شعر شاعر واحد . وقد يكون مجموع شعر شعراء قبيلة ، أو مجموع شعر قبائل ، أو شعر جماعة مثل الأنصار ، وقد يكون مجموع شعر شعراء ، جمعت أشعارهم على شكل طبقات ، أو فن امتازوا به ، أو اختيارات أو أسباب أخرى تذكر في مقدمة الدواوين . ومن النوع الأول دواوين بعض الشعراء الجاهليين ، مثل ديوان امرئ القيس ، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان عنترة ، وديوان المتلمس وغيرهم . وقد يجمع ديوان شاعر واحد عدة علماء ، فيرد الديوان بروايات مختلفة . وقد تختلف النسخ في ترتيب أبيات القصيدة ، وفي عدد القصائد ، وقد تزيد بعضها أشعاراً ، وقد تنقص بعض منها أشعاراً ، وقد تختلف نسخ الديوان الذي هو من جمع عالم واحد ، بسبب أن العلماء كانوا يملون علمهم املاءً على تلامذتهم ، في مجالس املائهم ، فيقوم تلامذتهم بتدوين ما يملى عليهم . ويحدث أن العالم يسمع كتابه من بعض طلابه أو من كتابه ، فيصحح فيه ، وقد يزيد عليه ما فات عن ذاكرته يوم إملائه في المرة الأولى ، فيأمر بتدوينه ، وقد يحذف منه شيئاً ، لم يرض عنه ، فتتعدد بذلك النسخ ، ويحدث ذلك في الكتب الأخرى ومن هنا تتعدد الروايات للديوان أو للكتاب ، مع أن جامع أو مؤلفه رجل واحد . وقد يأخذ الطالب هذا الديوان ، ثم يزيد عليه ما يسمعه من شيوخ آخرين ،

-
- ١ الفهرست (ص ١٣٥) ، (أخبار حماد) ، (١٤٠) ، (الاستقامة) .
 - ٢ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .
 - ٣ الفهرست (١٤٠) .
 - ٤ الفهرست (١٢٨) .

وقد يعلق عليه ويزيد على شرحه ، شروحاً سمعها من رجال آخرين . وبذلك تتولد نسخ جديدة ، تختلف عن النسخ الأم^١ .

وقد جمع العلماء دواوين الشعراء ، وقد وصل بعض منها ، وققد البعض الآخر . وقد ذكر (العيني) انه كان قد حصل على ما ينيف على مائة ديوان شعر، من بينها ديوان امرئ القيس، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان علقمة بن عبدة التميمي ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، وديوان طرفة بن العبد ، وديوان عنترة ابن شداد العبسي ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان الحطيثة ، وديوان أبي دؤاد، وديوان كعب بن زهير ، وديوان لبيد العامري ، وديوان الشنفرى ، وديوان الحارث بن حلزة ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي ، وديوان أبي كبير الهذلي ، وديوان ساعدة بن جؤية الهذلي ، وديوان أبي خراش الهذلي ، وديوان أبي المثلم ، وديوان صخر الغي ، وديوان المتنخل ، وديوان أبي العيال ، وديوان السموأل ابن عاديا ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وديوان عمرو بن قيس ، وديوان عمرو بن كلثوم ، وديوان أوس بن حجر ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان أبي الطمحان القيني^٢ ، وغير ذلك من دواوين لم أشر إليها . وما يؤسف له انه لم يذكر أسماء رواة هذه الدواوين .

ومن النوع الثاني ، دواوين القبائل ، أو أشعار القبائل ، وقد ضمت شعر شعراء قبيلة أو شعر بعض من شعرائها ، ممن اشتهر وعرف ، وتحتوي بالإضافة الى الشعر كلاماً يتصل بالشعر وبالشاعر وبالمناسبة التي قيل الشعر فيها ، وينسب الشاعر وقبيلته ، على نحو ما نجده في الدواوين الخاصة ، فتكون بذلك وثائق مهمة جامعة لأمر شتى من حياة الجاهليين . وقد سميت هذه المجموعات بأشعار القبائل ، مثل : « أشعار الأزد » ، وأشعار حمير ، وأشعار الرباب ، وأشعار بني عامر بن صعصعة ، وأشعار فهم ، وشعر بني يشكر ، وأشعار بني عوف ابن همام ، وشعر هذيل^٣ . وأشعار تغلب للسكري ، وقد رجع اليه (البغدادي)^٤.

١ راجع في هذا الباب مصادر الشعر الجاهلي ، الباب الخامس وما بعده . (ص ٤٧٩ فما بعدها) .

٢ (٥٩٦/٤) ، (حاشية على الخزاعة) .

٣ مصادر الشعر الجاهلي (ص ٥٤٣ وما بعدها) .

٤ خزاعة (٣٠٤/١) .

وقد هلك أكثر ما جمع من أشعار القبائل ، ولم يصل إلينا مطبوعاً من هذه المجموعات إلا ديوان هذيل ، وأكثر شعراء هذا الديوان إسلاميون . وقد نال شعراء هذيل بذلك حظاً من العناية، كما نشرت لشعراء هذه القبيلة جملة دواوين^١ .

وقد أطلق (ابن النديم) جملة (أشعار العرب) على معنى ديوان أشعار العرب ، فذكر مثلاً أن (الأصمعي) ، عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »^٢ ، وذكر أن (خالد ابن كلثوم) الكلابي ، كان من رواة الأشعار والقبائل ، وله صنعة في الأشعار والقبائل ، وله من الكتب كتاب الشعراء المذكورين وكتاب أشعار القبائل، ويحتوي على عدة قبائل^٣ . وذكر أن (أبا عمرو الشيباني) (٢٠٦ هـ) ، كان عالماً بأشعار القبائل ، وقد أخذ العلماء عنه دواوين أشعار القبائل ، وكان قد جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة^٤ . وذكر أيضاً أنه قد كان في بيت (أبي عبيدة) (٢١٠ هـ) (٢١١ هـ) (٢٠٨ هـ) ، (ديوان العرب)^٥ ، ويظهر أنه قصد به ديواناً ضم أشعار القبائل . فهو مجموع أشعار شعراء .

ومن النوع الثالث ، أي الكتب التي جمعت أشعار طبقة معينة من طبقات الشعراء أو المجتمع ، ما ذكره (ابن النديم) من أن (أبا العباس ثعلب) ، صنع قطعة من أشعار الفحول وغيرهم ، منهم الأعشى والنابغة وطويل والطرماح^٦ . ومن أن (أبا بكر محمد بن القاسم) الأنباري ، وهو ممن أخذ عن (ثعلب) ، كان قد عمل عدة دواوين من أشعار العرب الفحول ، منه شعر زهير ، والنابغة ، والجلعدي ، والأعشى^٧ . وقد عمل (محمد بن حبيب) قطعة من أشعار العرب ، وكتاباً سماه : (كتاب أخبار الشعراء وطبقاتهم)^٨ ، وألف (ابن سلام) (٢٣١ هـ)

-
- | | |
|---|--|
| ١ | بروكلن ، تاريخ الادب العربي (٨٢/١ وما بعدها) . |
| ٢ | الفهرست (٨٩) . |
| ٣ | الفهرست (١٠٤) . |
| ٤ | الفهرست (١٠٧) . |
| ٥ | الفهرست (٨٥) . |
| ٦ | الفهرست (١١٧) . |
| ٧ | الفهرست (١١٨) . |
| ٨ | الفهرست (١٦١) . |

كتاباً في طبقات الشعراء ، عرف بـ (طبقات الشعراء) ، وهو مطبوع معروف .
ولعمر بن شبة كتاب في الطبقات اسمه : (كتاب طبقات الشعراء)^١ .

هذا ونقرأ في كتاب (الفهرست) لابن النديم ، وفي مؤلفات أخرى أن من العلماء من ألف كتباً في القبائل ، مثل : « كتاب الأوس والخزرج » لأبي عبيدة^٢ : وكتاب إيراد ، وكتاب كنانة ، وكتاب بني نهشل ، وكتاب بني محارب ، وكتاب بني الحارث ، وكتاب بني مرة ، وأشعار حير ، وكتاب بني القين ابن حسر ، وكتاب بني حنيفة وغيرها من كتب كان (الآمدي) قد رجع إليها وأخذ منها . وقد درست هذه الكتب ، ولم يتحدث (الآمدي) بشيء عما احتوته ، لذلك لا نستطيع أن نتحدث عن موضوعاتها ، بيد أن (الآمدي) يشير أحياناً ، الى مواضيع اقتبس منها بعض الأشياء ، لها صلة بالشعر والشعراء ، مما حملنا على القول بأن الكتب المذكورة كانت في الشعر : في شعر القبائل ، وفيمن نبغ بينها من شعراء ، كما يشير الى أمور أخذها من هذه الموارد التي لم يشر الى أسماء مؤلفيها ، تدل على أنها خاصة بأخبار القبائل وأنسابها ، ونظراً الى ورود أسماء قسم من هذه المؤلفات التي لم يذكر (الآمدي) أسماء مؤلفيها في (الفهرست) لابن النديم ، وفي موارد أخرى نقلت منها وأشارت الى أسماء مؤلفيها ، فإن في الإمكان التعرف بهذه الطريقة على أسماء مؤلفي تلك الكتب . وقد أشار (الآمدي) الى أسماء المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم التي استقى أخباره منها في مواضيع أخرى .

وعلى كثرة ما ألف من دواوين ، فإننا لا نملك منها سوى قسم قليل من ذلك الكثير . ويرى (بلاشير) ان الدواوين القديمة المهمة لا تحتوي وسطياً أكثر من عشرين صفحة ، وان أطولها كدواوين النابغة وزهير وامرئ القيس لا تتجاوز أبداً الثلاثين صفحة في الأصل ، غير ان المتأخرين زادوا فيها قصائد ومقطعات عثروا عليها في موارد أخرى ، فتضخمت تلك الدواوين حتى صارت أضعاف ما كانت عليه في الأصل^٣ .

وجمع بعض علماء الشعر أشعار طوائف من المجتمعات مثل شعر اللصوص ،

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٤٤/١) .

٢ الفهرست (٨٦) .

٣ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (١٦٢) .

فللسكري ديوان دعاه : أشعار لصوص العرب . ومثل شعر الصعاليك ، وشعر الشعراء المغتالين ، وأخبار من نسب الى أمه من الشعراء ، وأخبار المتيمنين من الشعراء في الجاهلية وفي الاسلام ، الى غير ذلك من مؤلفات في أخبار الشعراء وفي شعرهم^١ .

ويظهر أن مؤلفي الدواوين لم يحفلوا في أيامهم بموضوع شرح المناسبات التي من أجلها نظم الشعر ، ولهذا جاءت خالية في الغالب من ذكر المناسبة ، وهي إذا ذكرتها فإنما تذكرها بإيجاز واختصار . أما الشروح التي قد ترد في الديوان، فإنها شروح لغوية ونحوية في الغالب ، لم تتمكن من تقديم صورة واضحة عن الشاعر وعن المناسبات التي من أجلها نظم الشعر . وقد انبرى علماء آخرون بشرح هذه الدواوين ، إلا أن شروحهم لم تخرج أيضاً عن مألوف ذلك الزمن من الاهتمام باللغة والنحو وجمع الشواهد والنادر والغريب ، فضاع التأريخ نتيجة لهذه الطريقة .

وقد ذكر (ابن النديم) أن شعر (امرئ القيس) قد عمله جملة علماء ، منهم أبو عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وخالد بن كلثوم ، ومحمد بن حبيب ، وأبو سعيد السكري الذي صنعه من جميع الروايات . وقد صنعه أبو العباس الأحول ولم يتمه وعمله ابن السكيت^٢ . ويلاحظ أن جامعي هذه الدواوين لم يشيروا الى المورد الذي استقوا منه شعرهم . صحيح ان منهم من ذكر السند، إلا انه لم يذكر كيف حصل المرجع الذي ينتهي السند عنده على هذا الشعر . ولم يحفل الرجال الذين تنتهي الأسانيد بهم بذلك ، مع أن لذكر السند كاملاً أهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخ . إذ نتمكن بهذا التشخيص من الوقوف على معين هذا الشعر .

وقد دون (ابن النديم) جريدة بأسماء علماء الشعر الذين اشتغلوا بعمل دواوين الجاهليين . وقد استعمل لفظة (صنع) و (عمل) و (صنعة) في معنى (جمع) و (ألف) و (تأليف) . واستعمل جملة « صنعه » من جميع الروايات ، بعد اسم الجامع وقبل اسم الشاعر للإشارة الى ان جامع الديوان قد اعتمد على المجموعات

١ الخزانة (١٠/١) ، (بولاق) راجع الفهرست لابن النديم ، حيث تراه يذكر أسماء مؤلفات عديدة بهذا الموضوع .

٢ الفهرست (٢٢٩) .

الشعرية التي صنعت قبله ، وأوجد من مجموعها ديوانه . فقد تقدم رواية قصيدة على قصيدة ، وقد تؤخر أخرى قصيدة متقدمة ، فتقدم عليها قصيدة متأخرة ، وقد يقدم ديوان بعض أبيات قصيدة ، وقد يرتبها ديوان آخر ترتيباً آخر ، لاعتمادها على مورد آخر ، روى القصيدة بصورة أخرى ، وقد يذكر ديوان شعراً وقطعاً وقصائد أو قصيدة لا تكون موجودة في الدواوين الأخرى أو في بعض منها، ولهذا يأتي جامع جديد ، تقع عنده تلك الدواوين، أو تكون عنده كتب شواهد ونوادير وأخبار ، فيها من شعر الشاعر ما لم يرد في ديوانه فيضمه إليه ، ويكون من المجموع ديواناً جديداً ، برواية جديدة ، تنسب إليه ، كما فعل (السكري) بالنسبة لشعر امرئ القيس .

ومن أعرف من اشتغل بجمع أشعار القبائل : أبو عمرو الشيباني ، وخالد بن كلثوم ، والطوسي ، والأصمعي ، وابن الأعرابي ، ومحمد بن حبيب^١ . ونظراً لحفظهم أشعار القبائل ، حفظوا بالطبع أشعار الشعراء الجاهليين، وحلهم ذلك على جمع أشعارهم في دواوين خاصة . وقد أضاف (ابن النديم) عليهم ، اسم (ابن السكيت) ، وثعلب^٢ . وكان (الطوسي) عدواً لابن السكيت ، لأنها أخذت عن (نصران) الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته . وكانت كتب نصران لابن السكيت حفظاً والطوسي سماعاً^٣ .

ولم يرتب صناع الدواوين الشعر على حسب الترتيب الزمني ، وإنما رتبوه على ترتيب القوافي ، أي وفقاً لترتيب أبجدية القوافي . وقد يسر هذا الترتيب للقارئ الرجوع الى الشعر الذي يريده ، لكنه حرمه من شيء ثمين جداً ، هو معرفة زمن نظم الشعر . وللزمن أثر كبير في الوقوف على تطور شعر الشاعر ، وعلى مدى تقدمه أو تأخره في نظم الشعر ، كما حرمه من الوقوف على العوامل التاريخية التي أثرت على الشاعر وعلى مجتمعه فدفعته على نظم شعره . ومع وجود بعض المراجع المساعدة من مثل كتب الأخبار والأدب والشواهد ، فإن هنالك أموراً تاريخية تخص الشعراء الجاهليين والشعر الجاهلي ، بقيت خافية علينا ، بسبب عدم

١ الفهرست (٢٢٩) ، (المقالة الرابعة) .

٢ الفهرست (٢٣٠) .

٣ الفهرست (١١٢ وما بعدها) .

اهتمام علماء الشعر آنذاك بموضوع ترتيب الشعر ترتيباً زمنياً ، ولعدم اهتمامهم بذكر أسباب نظم كل بيت أو قطعة أو شعر ، أو قصيدة ، مع بيان الزمن الذي نظم الشاعر فيه شعره .

وقد ظهر قوم دوتوا الشعر في الصحف ، وقرأوه منها ، ونظراً لمكانة الحفاظ عند العلماء ، ولقياسهم علم الإنسان بمقدار حفظه ، لا بما كان يشرحه أو يفسره من الصحف والكتب ، لذلك لم ينظر إلى مدوني الصحف نظرة تجلّة وتقدير ، لأنهم في نظرهم قراء صحف لا غير . قال (ابن قتيبة) : « يرويه المصحفون والآخرون عن الدفاتر »^١ ، ذكر ذلك في معرض الاستخفاف بعلمهم ، لكونهم لا يميزون بين الشعر الصحيح من الفاسد ، والرديء من الجيد ، لأنهم يقرأون عن صحف ، وينطقون بحروف وكلم مكتوبة ، لا عن فهم ودراية مثل رواية الشعر ، الذين خزنوا علمهم في أدمغتهم ، فإذا سُئلوا عن شيء أجابوا عن روية وفكر ، لا عن صحيفة مكتوبة .

وقد ساعدت الكتب المؤلفة في أخبار القبائل مساعدة كبيرة في جمع الشعر الجاهلي ، ونجد في كتاب (الفهرست) لابن النديم أسماء مؤلفات كثيرة ، في القبائل ، وفي أمور أخرى لها صلة بالشعر ، ذكرها أثناء تحدثه عن الأشخاص الذين ذكرهم في كتابه . وقد هلكت أكثر المؤلفات المذكورة ، ولكننا نجد نقولاً منها في بعض الكتب التي كتب لها البقاء والتي قدر لها أن تطبع .

ولا أجد في نفسي حاجة إلى ذكر الموارد الأخرى التي أفادتنا كثيراً في جمع الشعر الجاهلي وفي الوقوف عليه ، لأن لقارئ هذا الكتاب إلماً بها ، قد يزيد على إلماًني بها . وعلى رأس هذه الموارد كتب الأدب ، مثل مؤلفات الجاحظ ، وكتاب الأغاني للأصبهاني ، وكتب الأمالي والمجالس وغيرها ، ففي هذه الموارد مادة قد لا نجدها في كتب الشعر ، وقد ذكرت أسماء مصادر قديمة نقلت منها لا نعرف اليوم من أمرها شيئاً .

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى كتب النحو والشواهد ، فقد جاءت بأشعار جاهلية استشهد بها على إثبات قاعدة نحوية ، أو شاهد رأي جاء به عالم لإثبات

١ الشعر والشعراء (٢٨/١) .

رأيه في موضوع لغوي أو نحوي . وقد نص على اسم أو أسماء الشعراء في بعض الأحيان ، ولم ينص على الأسماء في أحيان أخرى . وقد يمكن معرفة بعض الأشعار التي لم ينص على اسم قائلها ، بالرجوع الى الموارد الأخرى التي نسبتها الى قائلها ، غير ان الحظ لا يساعد في أحيان أخرى على معرفة اسم قائل الشاهد ، لعدم وجوده في موارد أخرى . وقد يكون شاهداً مفتعلاً ، فلا يمكن التوصل الى أصله بالطبع .

الفصل الخامس والخمسون بعد المئة

الشعر المصنوع

ليس البحث في معرفة المصنوع من الشعر ، وفي أسباب وضعه ، من البحوث الجديدة ، التي أوجدها المستشرقون ، أو من أخذ عنهم من الباحثين المحدثين ، بل هو بحث قديم ، أتقنه أهل الجاهلية ، وأخله عنهم أهل الإسلام . وفي هذا المعنى قال الشاعر الشهير (الخطيئة) : « ويل للشعر من الرواة السوء »^١ . فرواة الشعر ، آفة بالنسبة للشعر وللشعراء ، قد يزدون فيه ، وقد ينقصون ، وقد يضحفون ، وقد يفتعلون ويصنعون الشعر على ألسنة غيرهم ، ولو لم يكن هذا المرض معروفاً في أيام الخطيئة وقبلها لما ورد هذا القول عنه .

ومعنى انتحله وتنحله ادعاه لنفسه ، وهو لغيره . يقال : انتحل فلان شعر فلان أو قوله ادعاه انه قائله ، وتنحله ادعاه وهو لغيره . قال الأعشى :

فكيف أنا وانتحال القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته كما قيد الأسرات الحمارا

« ويقال نحل الشاعر قصيدة ، اذا نسبت اليه ، وهي من قبل غيره . ومنه حديث قتادة بن النعمان : كان بشير بن أبيرق يقول الشعر ويهجو به أصحاب

١ الشعر والشعراء (٢٣٩/١) ، (دار الثقافة ، بيروت) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وينحله بعض العرب ^١ . ولم يكن (بشير) أول من فعل ذلك بالطبع من العرب ، فهناك غيره ممن سبقه ومن عاش في أيامه صنعوا صنيعة في نخل الشعر وإضافته الى الشعراء لمآرب مختلفة . ويظهر من الشعر المتقدم المنسوب الى الأعشى ، انه قد اتهم بانتحال الشعر ، بأخذ شعر غيره وادعائه لنفسه ، فنفي عنه تلك التهمة .

ويروى ان (النعمان بن المنذر) ، كان يرى به هذا الرأي ، فقد ذكروا انه قال له : « لعلك تستعين على شعرك هذا ؟ فقال له الأعشى : احبسني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :

أزمت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

ثم ذكر فيها البيتين المتقدمين ^٢ . وورد ان الذي قال له ذلك ، هو (قيس ابن معديكرب) الكندي ^٣ .

وكان السطو على الشعر ، معروفاً في الجاهلية كما كان معروفاً في الإسلام . قال الفرزدق :

إذا ما قلتُ قافيةً شروداً تنحلها ابن حمراء العيجان

وقال ابن هرمة :

ولم أتخل الأشعارَ فيها ولم تُعجزني المدحُ الجيادُ

يقال تنحل الشاعر قصيدة ، إذا نسبها الى نفسه ، وهي من قبل غيره . قال يزيد بن الحكم :

ومسترق القصائد والمضاهي سواء عند علام الرجال^٤

-
- ١ تاج العروس (١٢٩/٨) ، (نحل) ، اللسان (٦٥١/١١) ، (نحل) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٨٠/١ وما بعدها) ، ديوانه (رقم ٤١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٨٠/١) ، (حاشية رقم ٦) .
 - ٤ تاج العروس (١٢٩/٨) ، (نحل) ، اللسان (٦٥١/١١) ، (نحل) .
 - ٥ تاج العروس (٤٠٥/٨) ، (علم) .

ويقال ان (الأعشى) ، وضع في شعره ان (هرم بن قطبة) حكم لعامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة ، وتزيد بذلك على (هرم) ، وأشاعه بين الناس^١ .
والتزيد تكلف الزيادة في الكلام وغيره . وورد ان من الشعراء الجاهليين من كان يتحل شعر غيره ، أو يجتلب منه . قال الراجز :

يا أيها الزاعم أني أجتلب وأنني غير عضاهي أنتجب
كذبت إن شر ما قيل الكذب^٢ !

فهو ينكر انه يجتلب الشعر من غيره . واجتلب الشاعر ، اذا استوق الشعر من غيره واستمده . قال جرير :

ألم يعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أي لا أعيا بالقوافي ولا اجتلبهن ممن سواي ، بل أنا في غنى بما لدي منها^٣ .
وقد نحل على الأعشى ، فنسب له الرواة ما ليس من شعره ، مثل قصيدته التي قالها في مدح (سلامة ذافائش) ، فقد روى (ابن قتيبة) الأبيات الأربعة الأولى منها ، ثم قال : « وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من نجلا^٤ »

وروي عن (الخليل) قوله : « إن النحارير من العرب ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ، لإرادة اللبس والتعنت »^٥ . وحمل الكلام على الغير شيء مألوف ، كما أن أخذ شخص كلام غيره وادعائه لنفسه شيء مألوف كذلك . وقد اشار جهاينة العلماء الى أن في الشعر مصنوعاً وفيه مقتل موضوع . وهو كثير لا خير فيه ولا حجة في عريته . وقد انبرى له العلماء فنقلوا الشعر

-
- ١ مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١ / ٣٦٥ وما بعدها) .
 - ٢ المصدر نفسه (١ / ٣٦٦) .
 - ٣ تاج العروس (١ / ١٨٤) ، (جلب) .
 - ٤ الشعر ، الشعراء (١ / ١٥) ، ديوان الأعشى (٢٣٢ وما بعدها) ، (القصيدة رقم ٢٥) .
 - ٥ المزهر (١ / ١٧١) .

لاستخراج الصحيح منه من الفاسد ، وتمكنوا قدر إمكانهم من ضبط بعض الفاسد المنحول ومن الإشارة إليه^١ . قال (ابن سلام) : « وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم ، أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال »^٢ .

وقد ذكروا أن قوماً تداولوا هذا الشعر المصنوع « من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي »^٣ . فقياس الصحة في نظرهم ، هو الرواية والأخذ عن أهل البادية ، وقول علماء الشعر في الشعر ، أما الشعر المدون والمنقول من الصحف ، فلا قيمة له ، مع أن التدوين أصدق وأكثر صحة من النقل والرواية ، وإذا كانوا قد خافوا التزوير في التدوين ، فإن التزوير في الرواية لا يقل خطراً عن التزوير في التدوين . وقد عدوا الصحفيين ، قوماً لا علم لهم بالشعر ، وإنما هم نقلة ، يقرأون ما هو مكتوب ، وليس في القراءة دليل على علم^٤ ، وذلك لأنهم كانوا يصحفون في القراءة ، ويلحنون ، بينما الرواية الذي يعتمد على علمه وعلى حافظته وعلى ذوقه وطبعه ، لا يصحف ولا يقع في اللحن ، ولهذا قيل لهؤلاء الصحفيين المصحفين .

« قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز — وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول — بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له : هل تعلم أنت منها ما انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعرفوا من ذلك ما لا تعرفه أنت . وقال قائل لخلف : اذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له : اذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته ،

١ المزهري (١٧١/١) .

٢ طبقات (١٤) .

٣ المزهري (١٧١/١) .

٤ المزهري (١٧٤/١) .

فقال لك الصراف : انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟^١ .

وقد افتخر رواية الشعر بأنفسهم ، وزعموا أنهم أكثر فهماً في النقد من رواية الحديث ، قال (يحيى بن سعيد القطان) : « رواية الشعر أعقل من رواية الحديث ، لأن رواية الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواية الشعر ساعة يشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع »^٢ . يعيرون رواية الحديث على روايتهم الحديث المصنوع ، مع ان وضعهم للشعر لا يقل عن وضع رواية الحديث للحديث على لسان الرسول ، وتقدمهم له لا يرتفع كثيراً عن نقد رجال الحديث للحديث .

وقد تعرض (ابن سلام) لموضوع إفساد الشعر ونحله ، فقال : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غناء : محمد بن اسحاق مولى آل مخزومة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها . ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتى به ، فأحمله ولم يكن ذلك له عنراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود . أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ ألوف من السنين ؟ والله يقول : وأنه أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقي . وقال في عاد : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله »^٣ .

فهو يتهم (ابن اسحاق) بالجهل بالشعر ، وهو جهل استغله صنّاع الشعر فجاءوا اليه بشعر غثاء فاسد ، وبشعر مصنوع ، فأدخله ، وبشعر مفتعل وضع على السنة الماضية فقبله . فكان جهله من عوامل إفساد الشعر .

وهذا الشعر يبيّن الفساد ، يمكن لكل ذوي عقل رفضه ، ولكن الذي أفسد الشعر وهجنه ، هم علماء الشعر وصناعه من أصحاب الحرفة ، الذين وضعوا على السنة الشعراء ، شعراً صعب حتى على نقدة الشعر رده الى أصله ، لأنهم وضعوه وصاغوه على السنة الشعراء صياغة مجبوكة من نمط الشعر الصحيح المحفوظ عن أهل الجاهلية ، ومن هنا هان عمل (ابن اسحاق) بالنسبة الى عمل (حماد) الراوية و (خلف الأحمر) وغيرهما من صاغة الشعر .

١ ابن سلام ، طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١٧٢/١ وما بعدها) .
٢ المزهر (١٧٥/١) ، ذيل الأمالي (١٠٥) .
٣ طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١٧٣/١ وما بعدها) .

وقال (ابن سلام) : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار ، وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال »^١ .

وروى (ابن سلام) خبراً طريفاً من أخبار النحل في الشعر ، فقال : « أخبرني أبو عبيدة ان داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة ، فترل النحيت ، فأثبته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقفنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نقد شعر أبيه جعل يزيدني الأشعار ، ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتلى على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدا ، فلما توالى ذلك علينا علمنا انه يفتعله »^٢ .

ونحاشياً من الوضع ، امتحنوا من كان يقدم عليهم ، للأخذ منه ، أو من كان يتصل بهم من الأعراب ، حتى يتأكدوا من أمانتهم ومن علمهم بما سيسألونهم عنه . إذ ثبت عند العلماء بالشعر ان بعض الأعراب كانوا يفتعلون الشعر ويضعون الأخبار ويحییون عن غير علم . وقد أفرد (أبو العباس) المبرد لبعض منهم باباً خصصه بالكاذب الأعراب . وبما كانوا يروونه من أساطير وخرافات^٣ ، ومع ذلك فقد فات عليهم الكثير من هذه الأكاذيب ، ودخلت كتبهم ، ويمكنك التعرض على البعض منه ، من دون حاجة الى بذل مشقة أو جهد .

وقد أورد علماء الشعر امثلة على المصنوع من الشعر من ذلك ما ذكره (أبو عبيدة) من أنه أنشد (بشار بن برد) ، البيت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

١ طبقات (١٤) .

٢ طبقات (١٤) ، المزهر (١٧٥ / ١) .

٣ المزهر (٥٠٤ / ٢) ، (أكاذيب الأعراب) .

وهو بيت وضعه (أبو عمرو) الشيباني على لسان الأعشى ، فقال بعلمه بالشعر وبألفاظ العرب : « كأن هذا ليس من لفظ الأعشى »^١ ، وقد كان (بشار) الشاعر المعروف حاذقاً بأشعار العرب ملماً بأساليبهم ، فأدرك بسليقته ويعلمه بشعر الأعشى أن هذا البيت ليس من شعره ، وقد روى الرواة أن (أبا عمرو) هو الذي وضعه على لسان الأعشى ، وأنه اعترف بصنعه له .

وقد جاء (المعري) في (رسالة الغفران) بأمثلة كثيرة من أمثلة الشعر المنحول الذي صنع على ألسنة الشعراء الجاهليين . كما أشار الى التحوير والتغيير الذي أدخله «المعلمون في الإسلام» على الشعر «فغيّروه على حسب ما يريدون»^٢.

وروي ان قريشاً كانوا أول من وضع الشعر من القبائل في الاسلام . نظروا الى أنفسهم ، فإذا حظهم في الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكثروا منه في الاسلام. قال (ابن سلام) : « وقريش تريد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان »^٣ . ولم يكتف القرشيون بإضافة الشعر اليهم ، وباستكثاره ، بل عملوا الشعر على لسان شعراء المدينة للغرض منهم ، وذلك لما كان بينهم وبين أهل يثرب من تحاسد يعود الى ما قبل الاسلام . وقد ذكر ان (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) ونحلها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)^٤ ، صنعوا الشعر الغث الضعيف وأضافوه الى شعراء الأنصار للغرض من مترلهم في الشعر .

وقد أشار (السيوطي) الى أشعار ، ذكر ان علماء الشعر يروون انها من صنع (خلف الأحمر) ، صنعها على ألسنة الشعراء الجاهليين . من ذلك اللامية المنسوبة الى (الشنفرى)^٥ ، والقصيدة التي فيها :

خيّل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلق اللجا

-
- ١ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥ وما بعدها) .
 - ٢ رسالة الغفران (٣١٧ وما بعدها) .
 - ٣ طبقات (٦٢) .
 - ٤ الإصابة (٢١٧/٣) ، (٧٠٧٧) .
 - ٥ طبقات النحويين ، للزبيدي (١٧٨ وما بعدها) ، المزهر (١٧٦/١) .

وقد نسبها للناطقة^١ . والقصيدة التي فيها :

قل لعمرو : يا بن هند لورأيت القوم شتاً
لرأت عيناك منهم كل ما كنت تمنى^٢

كما روى أحياناً ذكر أنها من صنع (حماد) . من ذلك قصيدة نسبها لهند ابنة النعمان ، من أحيانها :

ألا من مبلغ بكراً رسولاً فقد جدّ النفر بعنقفير

وقد قال الأصمعي ، إنها مصنوعة ، لم يعرفها أبو بردة ، ولا أبو الزعراء ، ولا أبو فراس ، ولا أبو سُريرة ، ولا الأغطش ، وهي مع نقيضة لها أخذت عن حماد الراوية^٣ .

وروي عن (الأصمعي) قوله : « كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية إلا نتقاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء »^٤ .

ومرد نحل الشعر عند (ابن سلام) : إما الى عصبية قبلية ، وإما الى رواة شعر . أما عصبية القبائل ، فقد دوت رأيه في سببها . وأما عن رواة الشعر ، فأول المزيفين للشعر في نظره (حماد) الراوية ، الذي قال عنه : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار . أخبرني أبو عبيدة عن يونس . قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة ، فقال ما أطرفني شيئاً ! فعاد اليه فأنشده للقصيدة التي في شعر الحطيثة مديح أبو موسى . فقال : وبحك يمدح الحطيثة أبا موسى ، لا أعلم به ، وأنا أروي للحطيثة . ولكن دعها تذهب بين الناس . وأخبرنا ابن سلام ، قال : سمعت يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر »^٥ . وحماد وأضرابه في نظر (ابن سلام)

١ المزهري (١٧٧/١) .

٢ المزهري (١٧٩/١) .

٣ المزهري (١٨٠/١) .

٤ مراتب النحويين (٧٢) ، شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٧٤) .

٥ طبقات (١٤) وما بعدها .

مزيفون ماهرون يزيفون الشعر ويصنعونه ، فهم أصحاب صنعة محترفون للتزييف ، أما (محمد بن اسحاق) ، فإنه في نظره نمط آخر ، نمط رجل جاهل بالشعر ، دفع اليه الناس المصنوع من الشعر وكل غثاء منه ، فحمله ، وأدخله في السيرة ، وحمل الناس عنه الأشعار ، وكان عذره أنه لا علم له بالشعر ، إنما يؤتى به اليه فيحمله ويدوته ، ولكنه لامة على هذا الاعتذار بقوله : « ولم يكن له ذلك علماً ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط . وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ... الخ »^١ ، وقد آثمه غيره بأنه « كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة ، فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة اشعر ، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه ، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميه في كتابه أهل العلم الأول ، وأصحاب الحديث يضعفونه »^٢ . وألحق بهذا الصنف من رواة الشعر ومدوتيه جماعة الصحفيين ، الذين لم يكونوا يميزون بين الشعر ، ويحملون كل ما يعطى لهم ، من شعر غث أو زائف ، وقد يصحفون في تدوينه ، لعدم وجود علم لهم به ، فهم أيضاً في جملة من أفسد الشعر .

و (ابن سلام) الجمحي ، من علماء البصرة ، وأكثر حملة الشعر البصريين يتحاملون عليه ، عصبية منهم لمدينتهم ، لأنه من أهل الكوفة ، وكان أهل الكوفة يفضون أيضاً من شأن رجال العلم البصريين ويتحاملون عليهم . وكل ينسب الى خصمه التزييف ونحل الشعر على السنة الشعراء المتقدمين ، وكل منهم يتهم الآخر بالتهمة التي يوجهها لخصمه من التزييف والجهل .

ولم يكن (ابن سلام) أول من نبه الى وجود النحل في الشعر ، ولم يكن هو أيضاً آخر من وضع رأياً في النقد ، فتوقف الناس بعده . فقد سبقه الأعشى وغيره الى هذا الرأي . ثم جاء بعده علماء كانت لهم آراء قيمة في هذا الشعر وفي

١ طبقات (١٤) ، الفهرست ، (١٤٢) .

٢ الفهرست (١٤٢) .

شعرائه ، نجدها مدونة في كتبهم ، وفي الكتب التي اعتمدت عليها ، وقد نيهت ملاحظات أولئك العلماء المستشرقين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر فما بعد ، فعملوا الى دراستها وتحليلها ، واستنبطوا منها آراءهم التي أبدوها عن الشعر الجاهلي. وقد نبه (أبو العلاء) المعري الى وجود الشعر المصنوع في (رسالة الغفران) وأشار اليه وشخص قسماً منه ، وذكر اسم صانعيه في بعض الأحيان ، فذكر الشعر المنسوب الى (آدم) مثلاً :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا ، واليها نعود
والسعد لا يبقى لأصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود

وقال على لسانه : « إن هذا القول حق ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة »^١ .

ويقول (أبو العلاء) مخاطباً (آدم) : « وكذلك يروون لك - صلى الله عليك - لما قتل (هابيل) (قابيل) :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى ريع أهلها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

وبعضهم ينشد :

وزال بشاشة الوجه المليح^٢

ثم يضع الجواب على لسان آدم ، فيقول له : « أعزز عليّ بكم معشر أبيني ! انكم في الضلالة متهوكون ! آليت ما نطقت هذا النظم ، ولا نطق في عصري وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! كذبتكم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب بعضكم على بعض ، ومآلكم في ذلك الى الأرض »^٣ .

١ رسالة الغفران (٣٦٠) .

٢ رسالة الغفران ٣٦٢ وما بعدها) .

٣ رسالة الغفران (ص ٣٦٤) .

وسأل (المعري) (آدم) عن لسانه ، ثم أجاب عنه بقوله : « انما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض ، نُقل لساني الى السريانية ، فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردني الله - سبحانه وتعالى - الى الجنة ، عادت على العربية ، فأني حين نظمت هذا الشعر : في العاجلة أم الآجلة ؟ ١ » .

ثم تراه يتحدث عن الشعر المنسوب الى الجن ، والى أشعار أخرى ، فتراه يردّها ويتنقدها ، ويشير الى وجود شعر مصنوع وضع على الإنس والجن . تراه يقول : « وكنت بمدينة السلام ، فشاهدتُ بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي ابن زيد) التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصب ح يعاتبنه أما تستفيق
ودعا بالصبوح فجراً ، فجاءت قينةً في يمينها ليريق

وزعم الورّاق أن (ابن حاجب النعمان) سأل عن هذه القصيدة وطلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد . ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من أهل استرأباد يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم ٢ . وقد تحدث (أبو العلاء) المعري في (رسالة الغفران) عن القصيدة التي أولها :

أليماً على المطورة المتأبدة أقامت بها في المربع المتجردة
مضمخةً بالمسك مخضوبة الشوى بدرّ وياقوت لها متقلدة
كان ثنابها - وما ذقت طعمها - مجاجة نخل في كُميت مبردة
ليقرر بها النعمان عيناً فلإنها له نعمة ، في كل يوم مجددة

فقال إنها من الشعر المنحول ، نخلت على النابغة ونسبت اليه . وقال على لسانه : « فيقول أبا أمامة : ما أذكر أنني سلكت هذا القرى قط . فيقول مولاي الشيخ زين الله أيامه ببقائه : إن ذلك لعجب » ، فن الذي تطوّع فنسبها إليك ؟ فيقول إنها لم تنسب إليّ على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط والتوهم ، ولعلّها

١ رسالة الغفران (٣٦١ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .

لرجل من بني ثعلبة بن سعد^١ فيقول نابغة بني جعدة : صحبني شاب^٢ في الجاهلية
ونحن فريد الحيرة ، فأنشدني هذه القصيدة لنفسه ، وذكر أنه من ثعلبة بن عكابة ،
وصادف قدمه شكاة من النعمان فلم يصل اليه . فيقول : نابغة بني ذبيان : ما
أجدر ذلك أن يكون !^٣ . فرد هذا الشعر ، وأنكر كونه من شعر النابغة ،
وبين بأسلوب جميل رأيه فيمن نحلّه عليه .

وتحدث عن الكلمة الشينية المنسوبة للنابغة الجعدي ، التي يقول فيها :

ولقد أغدو بشرب أنف قبل أن يظهر في الأرض ربش
معنا زق^٤ الى سُمّته تسق الآكال من رطب وهش

وبعد أن دوّنها قال : « فيقول نابغة بني جعدة : ما جعلت الشين قط^٥
روياً ، وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط : ربش ، وسُمّته ، وخشش^٦ .
وتراه يتحدث عن قصيدة نسبت للأعشى ، فيقول على لسان سائل يسأل
(أعشى قيس) في الجنة عن قوله :

أمن قتلة بالأنقاء دار غير محلوله
كأن لم تصحب الحي بها ييضاء عطبوله
أناة ينزل القوسي منها منظر هوله

الى أن يكمل القصيدة ، ثم يقول : « فيقول أعشى قيس : ما هذه مما رصد
عني ، واثك منذ اليوم لمولع بالمنحولات^٧ » .

وفي (رسالة الغفران) مواضع أخرى كثيرة تعرض فيها (المعري) لنقد
الشعر ، وليبان الصحيح منه من الفاسد ، تجعل الكتاب من الكتب الجيدة القديمة
التي نبهت الى وجود الصنعة والنحل في الشعر الجاهلي ، والتي مهدت الجادة لمن
جاء بعده من المستشرقين والمحدثين فتكلموا عن هذا الموضوع بلغة العصر الجديد.

-
- ١ رسالة الغفران (٢٠٧) .
 - ٢ رسالة الغفران (٢٠٧ وما بعدها) .
 - ٣ رسالة الغفران (٢٠٨ وما بعدها) .
 - ٤ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .

وما ذكره (المعري) في رسالته يمثل رأيه ورأي من تقدم عليه من علماء الشعر في مواضع الالتحال في الشعر الجاهلي وفي نقد الشعر .

ونبه (الجاحظ) في كتبه الى وجود شعر منحول ، وقد نص عليه ، وأشار الى اسم من نسب له ، من ذلك قوله :

« وفي منحول شعر النابغة :

فألفيت الأمانة لم تخنّها كذلك كان نوح لا يخنون

وليس لهذا الكلام وجه ، وانما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخنون ، وكذلك كان موسى لا يخنون ^١ .

والنحل في الشعر ليس بأمر غريب ، إذ وقع في غير الشعر كذلك ، وقع ذلك طلباً للغريب والنادر ، « ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله انه رأى مصحفاً منسوباً الى أبي خالف بعض حروفه هذا المصحف ، لكننا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بلية قد أضرت بالدين وأخلت بمصالح المسلمين ، وطرقت الملحدين الى الطعن في أركان الاسلام ، وسهلت عليهم الشغب في أمره ، وقد نرى من المفتشين نواب الملوك ، وعبيد أرباب الأموال ، وأبناء الدنيا اذا لم يجدوا للقرآن وعلوم الدين عندهم موقفاً فيتقربون اليهم بغرائب الكتب ، واذا أعوزهم الغريب الذي يستلزع به أخذوا بعض الكتب المعروفة يزيدون فيها وينقصون ، ويقدمون ويؤخرون ويعنونونه بعنوان بعيد ليتسببوا بذلك الى استخراج شيء منهم .

فعلى هذا النحو لا يؤمن أحدهم ان يعتمد الى مصحف فيقدم منه سوراً ويؤخر أخرى ، ويحرف ألفاظاً ، ثم يزعم انه مصحف عليّ أو عبدالله أو مصحف أبي ، وليس غرض البائس من ذلك إلا أن يحمله الى بعض الملوك فيقول : إن خزانة مثلك يجب ألا تخلو من نسخة من كل مصحف ليستخرج من خطاه شيئاً ، ولا يبالي بما كان من جناية على الدين وأهله ^٢ .

١ الحيوان (٢٤٦/٢) .

٢ مقدمتان في علوم القرآن (٤٧ وما بعدها) ، (أرثر جفري) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (١٥) .

ولم يقع نخل الشعر عند العرب وحدهم ، وإنما وقع عند غيرهم كذلك . فقد وقع عند اليونان وعند الرومان وعند الفرس والعبرانيين ، وهو آفة لا تزال حية منهم من يضع على السنة المتقدمين ، ومنهم من يسرق قول غيره فينسبه نفسه ، وقد ضيقت وسائل النشر والإذاعة من سرقة آراء وأقوال الغير ، وتسجيلها باسم سارق نسبها لنفسه ، غير أن مشكلة تعيين أصول الشعر الجاهلي والنحل القديم ، لا تزال من المشاكل المستعصية ، لأن الوسائل الحديثة لا تتمكن من إحياء من في القبور واستنطاقهم عن المنحول والمسروق !

وقد وضع (ابن سلام) قاعدة في كيفية قبول الشعر والأخذ به ، فقال : « قد اختلف العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه » ، ويقول : « وليس لأحد ، إذا اجتمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ، أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي »^١ . وقد أبدى ملاحظات قيمة في نقد الشعر ، فأشار إلى المزيف منه ، وأظهر تحفظاً في قبول بعض الأشعار ، لأنها متحلة ، فلما تطرق إلى شعر (طرفة) قال فيه : وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوبُ فالقطيئات فالذنوب

ولا أدري ما بعد ذلك^٢ . وذكر أن رواة الشعر وضعوا شعراً كثيراً على (طرفة) و (عبيد بن الأبرص) ، وكانا من أقدم الفحول ، وقد ضاع معظم شعرهما لذلك ، فوضعوا عليهما الأشعار^٣ .

وأنكر أن يكون (النابغة) قد قال :

فألفيتُ الأمانة لم تخنها . كذلك كان نوح لا يخون

وذكر أن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يقل هذا الشعر^٤ ، وله ملاحظات أخرى

-
- ١ طبقات (٦) .
 - ٢ طبقات (١١٦) .
 - ٣ طبقات (٢٣) .
 - ٤ ابن سلام (٤٩ وما بعدها) .

من هذا القبيل ، تجدها في طبقاته ، فقد شك في أكثر شعر (عبيد بن الأبرص) ، ولم يثبت لديه من شعره إلا ثلاث قصائد^١ .

وطريقة (ابن سلام) في قبول الشعر وفي صحته ، هو إجماع علماء الشعر واجتهادهم ، فلذا قرر علماء الشعر قبول شعر ووثقوا به وثبتوه ، صار مقبولا في نظره ، لأنهم هم الذين يميزون بين الصحيح وبين الفاسد ، « وليس يشكل على أهل العلم زيادة الزواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون » . فالعلماء هم صيارفة الشعر يستطيعون نقده ، واستخراج الزائف منه ورميه ، وهو لا يبالي بعد ذلك بما روى (ابن اسحاق) وأمثاله من شعر « لا خير فيه ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب : ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسب مستطرف »^٢ .

أما ما روي من شعر على ألسنة ملوك حمير وأقيال اليمن وأذواتها ، فإن العارفين بالشعر الجاهلي وبأساليبه وبروايته ، يرون انه شعر لا يطمأن الى صحته ، وضع على ألسنة من نسب اليهم . وقد رواه أناس من أهل اليمن ، عرف معظمهم برواية القصص والأساطير ، وعرف بعضهم بروايتهم القصص الاسرائيلي . أم المعروفون بأنهم حملة الشعر الجاهلي وروايته من القدامى ، فلم يرووا شيئا يذكر من ذلك الشعر . وأما رجال العلم بالنحو وبقواعد العربية ، فلم يستشهدوا به في شواهدهم ، مما يدل على ان لهم رأيا فيه . وقد ذكر أهل الأخبار ان ابن مفرغ يزيد بن ربيعة ، وكان يزعم انه من حمير ، وضع سيرة تُبَعِّع وأشعاره^٣ .

وكان أول من لفت الأنظار ومهد الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين الراغبين في دراسة الشعر الجاهلي العالم الألماني (نولدكه) (Theodor Nöldeke) في كتابه ، (Beiträge zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber) الذي طبعه سنة (١٨٦٤م) . وقد تطرق في مقدمته الى تأريخ ونقد الشعر الجاهلي ، وإلى ما ورد عن مبدأ هذا الشعر ، وعن ابتدائه بالرجز . وقد ذهب الى أن هذا الشعر الجاهلي الواصل اليينا ، والمحفوظ في الكتب ، لا يمكن أن يرتقي الى أكثر من السنة (٥٠٠) للميلاد . ثم تطرق الى التطور الذي أحاق بالأفكار والآراء والمعاني الواردة في

١ ابن سلام (٧٦ وما بعدها ، ١١٦) .

٢ ابن سلام (٥ وما بعدها ، ٤٠) .

٣ الأغاني (٥٢ / ١٧) .

الشعر المقال في أيام الأمويين ، فأبعده من هذه الناحية عن الشعر الجاهلي ، فعراه الى الحياة الجديدة التي دخل فيها العرب في هذا العهد ، والى التغير الروحي الذي ظهر بين العرب نتيجة خروجهم من البوادي ودخولهم أرضين خصبة ، ذات عمران وحضارة ، وهو تغير يفوق في نظره أثر الدين الجديد ، أي الإسلام في العرب . فبينما كان الشعر الجاهلي^١ ، شعر بدوي ، ظهر وترعرع بين الأعراب وفي البوادي ، وكان أبطاله ورجاله ، يراجعون الإمارتين الصغيرتين : إمارة المناذرة وإمارة الغساسنة ، نرى هذا الشعر ينمو ويظهر في قصور الخلفاء والولاة والحكام ، وهي كثيرة ، فيها البذخ والمال والترف والنعيم ، وحياة هذه طرازها لا بد وأن تؤثر على مشاعر الشاعر ، فتجفل شعره يختلف في معانيه وفي شعوره عن معاني وشعور الشعر الجاهلي ، وإن حاول الشعراء جهدهم المحافظة على القوالب الجاهلية للشعر ، والتمسك بجزالة ذلك الشعر^٢ .

ثم نحدث في مقدمته هذه عن الصعوبات التي يواجهها المرء حين يريد فهم هذا الشعر ، ثم أشار الى عمل المستشرقين الذين سبقوه في نشر وترجمة ذلك الشعر الى لغاتهم ، ثم تحدث عن تضارب الروايات واختلافها في نصوصها وعن رواة الشعر الجاهلي ، وعن تداخل الشعر بعضه في بعض في بعض الأحيان ، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره ، أو ينسب شعر شاعر لغيره^٣ ، ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى ، وإن كانت هذه الفروق التي كانت بين اللهجات الشمالية لم تكن كبيرة عند ظهور الإسلام . وتحدث بعد ذلك عن الشعر الوثني وعن ورود أسماء الأصنام فيه ، وعن تجنب الرواة إيرادها ، أو تحويرها بعض التحوير . ثم تحدث عن تعمد الرواة نحل الشعر ، وحمله على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وعلى ألسنة الماضيين ، وعلى ألسنة الجن والملائكة .

وتطرق أيضاً الى رأي علماء العربية في الشعر الجاهلي ، وفي المعلقات ، ورأي (النحاس) فيها ، ثم تحدث عن تصنيف علماء الشعر للشعراء الى طبقات، وعن

Beltrage, S. I. f. ١

٢ المصدر نفسه (ص VIII) .

الأسس التي وضعوها في هذا التصنيف^١ .

وبعد هذه المقدمة التي أخذت (٢٤) صفحة من الكتاب ، ترجم الصفحات الأولى من كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، الى باب (العيب في الإعراب) ، وانتهى منه بقول القائل :

قل لسليمي اذا لاقيتها هل تبلغنّ بلدة إلا بزد
قل للصعاليك لا تستحسروا من التماسٍ وسير في البلاد
فالغزو أحجى ما خيلت من اضطجاع على غير وساد
لو وصل الغيث أبناء امرئٍ كانت له قبة سحق بجاد
وبلدة مقفرٍ غيطانها أصدأؤها مغرب الشمس تناد
قطعتها صاحبي حوشية في مرققيها عن الزور تعاد^٢

ثم تطرق في كتابه الى شعر يهود جزيرة العرب ، ثم الى شعر مالک ومتمم ابنا نويرة ، فشعر الخنساء ، ودون بعض النماذج من الشعر .

وقد تهيأت للمستشرقين الذين جاءوا بعد (نولدكه) موارد جديدة لم تكن معروفة في أيامه ، بفضل جهود العلماء الذين بعثوها ، بإخراجها مطبوعة ، بعد ان كانت مخطوطة ، قابعة في زوايا النسيان ، بعيدة عن متناول اليد ، فزاد علمهم بالشعر الجاهلي ، وأحاطوا بما فات وخفي عن علم ذلك المستشرق الكبير العالم ، وكونوا لهم آراءهم عنه ، نشروها في مقدمات الدواوين ومجموعات الشعر التي أخرجوها ، أو في كتبهم التي وضعوها في الأدب الجاهلي ، وفي مقالاتهم التي نشروها في المجلات . وقد ترجمت بعض منها الى العربية ، وتلخصت بعض

١ Beiträge, S. IX. وما بعدها

٢ الشعر والشعراء (٤٦/٦) ، Beiträge, 1-42.

منها ، في الكتب العربية التي تناولت الأدب الجاهلي^١ .
وللمستشرق (آلورد) « W. Ahlwardt » ملاحظات قيّمة عن الشعر الجاهلي
من حيث الصحة والصناعة والإصالة^٢ .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع الشعر المنحول ، فأشار الى أثر الرواية
الشفوية في الوضع ، والى موضوع التدوين وعدم وجوده في الجاهلية ، وأثره في
فقدانه على انتحال الشعر ، ثم قال : « ومن ثم يعد خطأ من مرجليوث وطه
حسين أن أنكروا استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكلية ،
ورتبنا على ذلك ما ذهبوا اليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة
عليهم ، ومنحولة لأسمائهم .

ولكن بدسياً أن الكتابة لم تقض قضاء كلياً على الرواية الشفوية . فقد كان
لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب رواية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ،
وينشرها بين الناس ، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده .

١ للوقوف على آراء بعض المستشرقين راجع الفصل الثالث من كتاب : مصادر الشعر
الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف الدكتور ناصر الدين الاسد (ص ٣٥٢ وما
بعدها) ، وكتاب تاريخ الادب العربي : العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور ريجيس
بلاشير ، تعريب الدكتور ابراهيم كيلاني (بيروت : دار الفكر) ،
Th. Nöldeke, Die Semitischen sprachen, S. 47.

Th. Nöldeke, Fünf Mo'allagat, Wien, 1899, 1900, D. S. Margoliouth, The
Origine of Arabic Poetry, In Journal Royal Asiatic Society, 1925, pp. 417-449,
Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., 8, p. 874, G. Richter, Zur Ent-
stehungs Geschichte der Altarabischen Quaside, In ZDMG., XCII, (1938),
W. Muir, Ancient Arabic Poetry, In JRAS, (1875), Krenkow, The Use of
the Writing for the Preservation of Ancient Arabic Poetry, Cambridge,
1922, E. Bräunlich, Versuch einer Literargeschichtlichen betrachtungs-
weise Altarabischer Poesien, In Der Islam, XXIV, 1937, S. 201-269, G. Von
Grunebaum, Die Wirklichkeit der Früharabischen Dichtung, Wien, 1937,
G. Von Grunebaum, Zur Chronologie der Früharabischen Dichtung, In
Orientalia, VIII, 1939, pp. 328-345, Ahlwardt, The Diwans of the Six An-
cient's Arabic Poets, London, 1870, R. Geyer, Beiträge zur Kenntnis Altara-
bischer Dichter, in Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes,
XVIII, 1904, S. 5, Delitzsch, Jüdisch-Arabische Poesien aus Vormuham-
medanischer Zeit, Leipzig, 1874.

W Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der Alten Arabische Gedichte, ٢
Greifswald, 1872.

وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً .

وعن الرواة كانت تنتشر الدراية بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه . ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف ، وإن لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحدد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث .

ولم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد أن معنى التحري في وثوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جماع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجماع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا أنه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما رووه للشعراء القدماء أو يزيّدوا عليه . فلا عجب إذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والإختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم أنه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبي عبيد .

لقد غير الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا بعض الأشعار القديمة إلى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل ، أكثر مما نستطيع اثباته . على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منها بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد إلى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشمل على أسماء الأصنام وعبادتها ، وإن أسقطوا أيضاً آياتاً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية ^١ .

وقد جاء المستشرق (كارلو نالينو) في محاضراته التي ألقاها بالجامعة المصرية في سنة ١٩١٠ - ١٩١١ م ، بشيء جديد في طريقة التحدث عن الأدب العربي

١ بروكلمن (٦٤/١ وما بعدها) .

من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، فقد عرضه عرضاً جميلاً واضحاً ، مستعملاً ملاحظات أئمة العربية عنه ، مع بيان ملاحظاته وآرائه فيه ، وقد أحدثت محاضراته هذه أثراً في كيفية دراسة الأدب العربي ، لا بمصر وحدها ، بل في الأقطار العربية التي كانت تتابع ما يحدث في مصر من تطور ثقافي^١ .

وهو وإن لم يأت في كتابه برأي جديد مثير ، إذ كانت أفكاره وسطاً في الواقع بين القديم وبين الجديد ، إلا أن طريقة عرضه لآرائه وأسلوبه في بحثه وفي تحدّثه عن الشعراء ، كانت طريقة جديدة غريبة بالنسبة للدارسي الأدب العربي في ذلك الوقت ، ولدت شوقاً في نفوس الدارسين للأدب العربي في ذلك الوقت إلى السير على الطريقة الغربية في نقد الأدب وفي تقبله وتحليله ، وأولدت الشك في الوقت نفسه في الروايات القديمة المروية عن الأدب العربي ، التي كان يتمسك بها القدماء تمسكهم بنصوص كتاب سماءوي مقدس ، باعتبار أنها روايات تتعلق بالماضي وبالتراث . ومن التجني على العربية والاسلام التعرض لها بأي سوء ، وفي جملة ذلك الشك في صحتها والنيل منها وإلحاق الأذى بها .

وتطرق المستشرق الانكليزي (مركليوث) في بحثه : (أصول الشعر العربي) « The Origins of Arabic Poetry » إلى الشعر الجاهلي ، وقد ذهب إلى أن أكثر هذا الشعر منحول ، صنع في الاسلام ووضع على ألسنة الجاهليين . وقد أورد فيه الأدلة والبراهين التي استدلت بها على إثبات رأيه . وقد تلخصت آراؤه هذه وتقلت إلى العربية ، فلا أجد حاجة إلى البحث عنها ، ما دام غيري قد سبقني إلى هذا العمل^٢ .

وقد رأى بعض المستشرقين أن علماء اللغة أدخلوا تغييراً على نصوص الشعر الجاهلي ، لما وجدوا أن قواعدها لا تتفق مع القواعد التي استنبطوها من القرآن والحديث ، أي من لغة قريش ، ولذلك عدّلوها ليكون إعرابها ملائماً لما وضعوه من قواعد النحو . وهو رأي يتناقض مع رأي المستشرقين القائلين بأن القرآن إنما نزل بلغة عربية مبيّنة كانت فوق اللهجات وفوق اللغات، ولم ينزل بلهجة قريش،

١ كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، (دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠ م) .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (٣٥٢ وما بعدها) ، ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (١٧٧ وما بعدها) .

ورأيهم ان ما ورد من نزول القرآن بلسان قريش ، انما هو رأي ظهر في الاسلام ، ظهر ببروز النزاع الذي كان بين الأنصار والمهاجرين ، أدى الى التعصب لقريش والى تقديمهم على كل العرب بحجة ان الرسول منهم ، وانه ولد بينهم ، فيجب أن تكون لغته لغتهم ، وان يكون نزول الوحي بلسانهم ، فهو رأي برز عن نوازع دينية وسياسية ، مجدت قريشاً ، لأن في تمجيدهم تمجيد على رأيهم لرسالة الاسلام^١ .

ونظرية وقوع التعديل والتغيير والاصلاح في أصول الشعر الجاهلي ، رأي قال به علماء العربية قبل المستشرقين ، إذ نجد في كتبهم إشارات الى تعديل أو تهذيب أو تغيير أحدثه (أبو عمرو) ، أو (الأصمعي) أو غيرها على لفظة أو بيت ، لاعتقادهم بعدم انسجام أصل ما غيروه مع المعنى أو مع قواعد اللغة ، أو لمخالفته للعروض ، أو لوقوع تصحيف ، فصصحوا ما صححوه ، بدافع علم إمكان صدوره من شاعر جاهلي قديم . وفي رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، أمثلة كثيرة على ذلك ، وقد خطأ الاقدام على التعديل ، ودافع عن وقوع الزحاف والإقواء في الشعر الجاهلي ، معتبراً ذلك شيئاً لم يكن عيباً في الشعر عند الجاهليين ، لأنه كان أمراً مألوفاً عندهم ، وقد ذكرت رأيه في مواضع من هذا الكتاب .

وتتبع المرحوم (مصطفى صادق الرافعي) ، ما جاء في التراث العربي عن الأدب العربي ، فدوّنه في كتابه (تأريخ آداب العرب) تدويناً يدل على إحاطة جيدة بما جاء في كتب الأسلاف من أخبار عن الشعر وأصحابه وعن انتحاله والعوامل التي دعت الى الغش فيه ، وإدخال ما ليس منه فيه ، وقد خالف رأي من قال بتعليق (المعلقات) ، ومخالفته هذه تعدّ فتنة بالنسبة لرواد الشعر وللمعجبين به بالنسبة لذلك اليوم^٢ . ويعدّ كتابه من الكتب القيمة المدوّنة بالعربية بالنسبة لتلك الأيام ، فهو رصين حوى خلاصة ما ذكره السلف عن أدب العرب ، وإذا نظرنا الى عمره يوم ألفه والى أسلوب دراسته ، نجد أنه كان من نوادر المؤلفين في ذلك العهد .

وأحدث كتاب الدكتور (طه حسين) : « في الشعر الجاهلي » رجّة عنيفة

١ Nicholson, A Literary History of The Arabs, p. 134.

٢ تأريخ آداب العرب (١/٣٦٥ - ٣٩١) ، (٣/١٨٦ وما بعدها) .

في مصر وفي البلاد العربية الأخرى ، لما جاء فيه من آراء خالفت المألوف والمتعارف عليه عند علماء العربية آنذاك الذين كانوا يسبّرون على الجادة القديمة في دراسة أدب العرب، ولما تضمنه من عبارات اعتبرت نائية فيها تهجم على المقدسات . فشكى الى الحكومة ، ورفع أمره الى القضاء ، فكان أن غير عنوانه بعض التغيير فصار : « في الأدب الجاهلي » ، وحذف منه فصل ، وأثبت مكانه فصل ، وأضيفت اليه فصول^١ . وقد لقي الكتاب نقداً شديداً في مصر وفي خارجها ، من جانب المحافظين الحروفيين ، إذ رأوا فيه هدماً للتراث العربي وللمألوف المتوارث ، بينما لقي قبولاً حسناً من جانب الشباب والجيل الجديد ، الذين تأثروا بالمؤثرات الثقافية الحديثة وأخذوا يجاهرون بنقد الأوضاع القائمة الجامدة، وسرعان ما دخل هذا النقد ميدان العراك الذي كان قد وقع آنذاك بين المحافظين وبين المصلحين الذين كانوا يدعون الى اصلاح المجتمع بصورة عامة وإيقاظ العقل من سباته ، والذين كانوا ينادون بإصلاح كل ما يخص هذه الحياة من مادة وروح .

وجود شعر جاهلي منحول ، أو وجود شعر منحول ، صنع وصنع على السنة الجاهلين بتعبير أصح ، قول لا يختلف فيه أحد ، لا يختلف فيه علماء العربية عن المستشرقين ، ولا القدماء عن المحدثين ، ولا المحافظون المتزمتون عن المدعين بالتقدمية والتجديد ، فكلهم مجمعون على وجوده، وكل منهم أثبت وجوده بطرقه وبأساليبه التي كانت متبعة في زمانه في طرق النقد ، فهم في هذه القضية متفقون تماماً ولا خلاف بينهم فيه ، اللهم إلا في شيء واحد ، هو : سعة حجم المصنوع بالنسبة الى حجم الصحيح من الشعر ، فمنهم من يزيد في نسبة حجم المصنوع حتى يغلبه على الصحيح ، بل يجعل الصحيح منه شيئاً ضئيلاً ، بالنسبة اليه ، ومنهم من يقلل هذه النسب الى درجات قد يصيرها بعضهم دون الشعر الصحيح بكثير .

وأول أسباب نخل الشعر : العصبية التي عبر عنها (ابن سلام) بقوله : « قال ابن سلام : فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم،

١ (مقدمة الطبعة الثانية) ، (القاهرة ١٩٢٧ م) .

ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار^١ . من ذلك ما فعلته (قريش) ، الذين كانوا — كما يذكر أهل الأخبار — أقل العرب شعراً وشعراء ، فلما نظروا فإذا حظهم من الشعر قليل في الجاهلية ، استكثروا منه في الاسلام^٢ .

ومن هذا القبيل ما نسب الى قدماء أهل اليمن من شعر ، وما أضافوه من شعراء وشعر ، فجعلوا للتبابعة شعراً فيه تبجح بأعمالهم وبما قاموا به من فتوح هزت الدنيا في يومها امتدت من أقصى طرف من الأرض الى أقصى طرفها الآخر من (الصين) الى (روما) ، والى آخر المعمور الممتد على البحر المظلم ، وفيه إيمان بالله وبملائكته ، وتبشير بظهور الرسول ، وأسف شديد لأنهم ولدوا قبل زمانه ، فلم يسعدهم الحظ بإدراكه ، وهم لو أدركوه لكانوا أول المؤمنين به ، وأول المدافعين عنه ، وحيث حرموا من هذه النعمة ، نعمة ملاقاته لإعلان إيمانهم به أمامه ، فهم يدعون من يأتي بعدهم ممن سيدرك أيامه الى الذب عنه والدخول في دينه . فيقول (الرائي) منهم ، وهو (الحارث) ، في شعر له ، ذكر فيه من يملك منهم ومن غيرهم :

ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يُسمّى أحداً يا ليت أني أمر بعد خروجه بعام^٣

وإذا عرفت أن هذا (الرائي) ، كان قد حكم قبل (بلقيس) ، وبلقيس معاصرة (سليمان) على زعم أهل الأخبار ، وقد كان حكم (سليمان) في حوالى السنة (٩٦٩) قبل الميلاد^٤ ، أدركت كم سيكون إذن عمر هذا الشعر المنسوب الى (الحارث) الرائي ، الذي لقب بهذا اللقب ، لأنه كان أول من راى الناس ، أي أول من غزا من أهل اليمن ، وأول من أصاب الغنائم والسبي ، وأدخلها اليمن ، فراش الناس^٥ .

١ طبقات (١٤) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٢) ، الرافعي (١ / ٣٦٧) ، في الادب الجاهلي (١٢٢) .

٣ المعارف (٦٢٧) .

٤ Hastings, p. 868.

٥ المعارف (٦٢٦) .

وبالمعنى المتقدم نطق (التبع) : (تبع بن كليكرب) ، حيث قال :

شهدتُ على أحمد انه رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدَّ عمري الى عمره لكنتُ وزيراً له وابن عم

ولم يكتفِ أهل الأخبار بكل هذا ، بل زعموا انه كان كسا البيت وانه قال
في ذلك :

وكسوت بيت الله غير كسائه حذر العقاب ليرحم الرحمن
ومقالة الحبرين واليوم الذي يتلى الكتاب وينصب الميزان^١

وزعموا ان التبع (تبع بن حسان) ، أو (تبع الأوسط) كسا البيت الحرام
وأطعم الناس بمكة ، وقولوه هذا البيت :

فكسونا البيت الذي حرم الله له ملاءً معضداً وبروداً^٢

فالتبابعة هم أول من كسا البيت ، وأول من آمن بالله وبرسوله ، كانوا
مسلمين قبل ظهور الاسلام ، وقبل ميلاد الرسول بعشرات المئات من السنين .
ونسبوا لذي جدن الحميري الملك شعراً ، ذكر فيه الموت ، حيث يقول :

لكل جنب اجتبي مضطجع والموت لا ينفع منه الجزع
اليوم تجزون بأعمالكم كل امرئ بمحصد مما زرع
لو كان شيء مقلناً حتفه أفلت منه في الجبال الصّدع

ونسبوا له أشعاراً أخرى^٣ . وذو جدن من أدواء اليمن ، والأدواء بعضهم
ملوك وبعضهم أقيال ، والقيال دون الملك ، والميقول : القيل أيضاً بلغة أهل
اليمن . وقد ذكر صاحب (خزانة الأدب) أسماء عدد من الأقيال^٤ . فذو جدن
هذا شاعر ، متفلسف يذكر الناس بالموت وبما بعد الموت ، حيث تجزى كل نفس

١ المعارف (٦٣١) .

٢ المعارف (٦٣٥) .

٣ الخزانة (٢ / ٢٨٧ وما بعدها) .

٤ الخزانة (٢٨٩ وما بعدها) .

بما كسبت ، ويحصد كل امرئ ما زرعه بيديه في دنياه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ولن يفلت أحد من الموت ، وهيهات له ذلك .

ونجد في شعر التبابعة أشعاراً في الحكم وفي الحث على مكارم الأخلاق ، وفي حروبهم وفتوحاتهم التي تشبه فتوحات الإسكندر والفتوحات الإسلامية فيما بعد ، فتوحات سبقت الفتوحات الإسلامية بمئات من السنين ، حاول صانعوها المبالغة فيها ، حتى صيروا الفتح الإسلامي وكأنه ذيل لتلك التتوج القحطانية التي زرعت (حمير) في الصين وفي تركستان ، صنعوا ذلك في الإسلام ، لما تبجح عليهم العدنانيون بالإسلام وبيلوغه الصين والمحيط الأطلسي .

وذكر أن الشاعر (يزيد بن ربيعة بن مفرغ) الحميري^١ ، كان ممن أذاع أسطورة (تبع) ، وكان يتعصب إلى اليمن^٢ ، ولعله هو الذي وضع أكثر الشعر المنسوب إلى (التبابعة) ، وكان (عبيد بن شربة) الجرهمي ، ممن صنع الشعر على ألسنة التبابعة وغيرهم ، وأضافه إليهم^٣ . ونجد في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني وفي الإكليل ، وهو من كتبه أيضاً ، شعراً كثيراً يرويه على أنه من شعر التبابعة ، ومن شعر عاد وثمود ، وسادات حمير ، وهو مصنوع من دون شك ، صنعه المتعصبون لليمن من البائية ، وقد كانت العصبية قد أخذت مأخذها في الإسلام . والهمداني نفسه من المتعصبين لليمن قبله . وأدخله في كتبه دون أن يسأل نفسه عن كيفية وصول ذلك الشعر من أفواه قائله إليه ، مع بعد الزمن وتقادم العهد ، وتكلم أهل اليمن في القديم بكلام لا يشابه كلام الشعراء . ويدخل في هذه العصبية الشعر المنسوب إلى الشعراء في هجاء قحطان أو عدنان أي في هجاء القحطانية أو العدنانية بتعبير أدق ، من ذلك القصيدة التي صنعوها على لسان (الأفوه الأودي) الشاعر الجاهلي ، الذي هو من (مذحج) ، ومذحج من اليمن ، التي أولها :

إن ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار^٤

- ١ الشعر والشعراء (٢٧٦/١) ، الأغاني (٥١/١٧) ، الخزانة (٢١٠/٢) ، (٥١٤) .
- ٢ الأغاني (٥٢/١٧) .
- ٣ Von Kremer, Die Südarabische Sage, S. VII, 78, Nicholson, A Literary History of the Arabs, p. 19.
- ٤ الشعر والشعراء (١٤٩/١) ، العيني (٤٢١/١) ، الأغاني (٤١/١١) ، معاهد التنصيص (١٥٩/٢) .

وهي قصيدة فيها هجاء لبني نزار ولبني هاجر ، صنعت ولا شك في الاسلام . وقد زعم ان النبي نهى عن روايتها . واذا كانت القصيدة مصنوعة ، أو ان أبيات الهجاء منها مصنوعة على الأقل ، كان حديث النهي عن روايتها مصنوعاً أيضاً ، لأن هذا الصنع انما وقع في الاسلام .

ومن فرسان العصبية البائية الشاعر (حسان بن ثابت) ، فقد كان من المتحاملين على قريش ، ومن المتعصبين ليثرب ولليمن على قريش ومعدّ . مع ان الرسول نهى عن أمر الجاهلية ، فكان يجالس قريشاً وهو في اسلامه ، وينشد الناس ما قالته الأوس والخزرج في قريش ليشفي بذلك غليله . وكان الخليفة (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من شعر الهجاء الذي كان بين الأنصار ومشركي قريش حذر تجديد الضغائن ، ومع ذلك فإن عصبية حسان لمدينته ولليمن كانت تدفعه على مخالفة ما أمر به^١ .

ومن هذا القبيل ما فعلته قريش بشعر حسان . فقد « حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، لما تعاضت قريش ، واستتب ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »^٢ ، وقد وضعت قريش وأشباعها المتعصبون للعدنانية أشعاراً أخرى على ألسنة بقية شعراء يثرب ، أرادت من وضعها الخط من شأنهم ، وإلحاق السخف والركة بشعرهم وبهم ، وفعل غيرهم فعلهم في إضافة الشعر الى من كانوا يكرهونه ، للنيل منه ، فنسبوا اليهم شعراً سخيلاً مشيناً ، أو فيه تحامل وقدح على بعض الناس ، للإساءة اليهم بظهور هذا الشعر وانتشاره .

وقد ذكر (ابن سلام) أن (قدامة بن عمر بن قدامة) الجمحي ، نحس شعراً على (أبي سفيان بن الحارث) للنيل منه ، وأن قريشاً تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والردّ على حسان^٣ . وورد أن (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) بأبيات ونحلها (أباسفيان بن الحارث بن عبد المطلب)^٤ . وكان الأنصار يقطون ، واقفون لقريش بالمرصاد ، وكانت قريش يقطه كذلك ، إذا سمعت شاعراً مدح الأنصار ولم يمدحها استاءت منه . فلما قدم (كعب بن

١ الاستيعاب (٣٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الإصابة) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٦٢) .

٤ الإصابة (٢١٧/٣) ، (رقم ٧٠٧٧) .

زهير) يثرب معتذراً عن كفره ، معلناً إسلامه أمام الرسول ، مدح قريشاً وعرض بعض التعريض بالأنصار لغلظتهم كانت عليه ، تهمته الأنصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش ، غير أنها لم ترض عن مدحه ، إذ وجدته قليلاً ، وأنكرت عليه ما قال ، إذ قالت له : « لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك » منه^١ . ولما قدم (الخطيئة) المدينة أرصدت له قريش العطايا ، فعلت ذلك ليخلص لها في المدح ، وليصرف مدحه عن الأنصار^٢ .

وندخل في هذه العصبية ، العصبية الى البيوتات ، فقد كان قوم (سعيد بن العاص بن أمية) يذكرون أن (سعيداً) كان اذا اعم لم يعتم قرشي أعظاماً له ، وينشدون :

أبو أحبحة من يعتم عمته يضرب وإن كان ذا مال وذا عدد

ويذكر (الزبيريون) ان هذا البيت باطل مصنوع^٣ .

ولم تنورع العصبية والخصومات من الكذب عمداً على الناس ومن الطعن في الأنساب . فلما اعترض (مزد) أخو الشماخ ، وكان عريضاً ، (كعب بن زهير) عزاه الى (مزينة) ، وكان (أبو سلمى) وأهل بيته في (غطفان) ، فقال كعب بن زهير شعراً يثبت انه من مزينة ، « وقد كانت العرب تفعل ذلك ، لا يعزى الرجل الى قبيلة غير التي هو منها ، إلا قال : أنا من الذين عنيت . كان أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة لاحي النابغة فماه الى قضاة » ، فقال شعراً يثبت انه منها^٤ . وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ، أدت الى وقوع النسابين في أخطاء بسبب هذه الأكاذيب .

وقد ساهم الخلفاء الأمويون في هذه العصبية ، ساهموا حتى في التزام العلماء والشعراء . « جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقليل لسليمان في ذلك ، فقال : انه فقيه مليح . فقال (القحذمي) : لا ، ولكنه

١ ابن سلام ، طبقات (٢٠) وما بعدها .

٢ ابن سلام ، طبقات (٢٤) .

٣ المزهر (١ / ١٨١) .

٤ ابن سلام ، طبقات (٢١) وما بعدها .

تعصب للقرشية ، ولاتقطاعه كان اليهم ، ولروايته فضائلهم ^١ .

وكان (معاوية) يتعصب لليمن على قيس ، وذلك بسبب زواجه من (كلبية) ، مع أنه من عدنان . حتى صار من فرط تعصبه لليمن لا يفرض إلا لهم ، ولم يزل كذلك حتى كثرت اليمن وعزت قحطان ، وضعفت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حيوتي حتى أخرج كل نزارى بالشام ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس . وكان معاوية يقزي اليمن في البحر وتنبأ في البر ، وفي ذلك يقول (النجاشي) شاعر اليمن :

ألا أيها الناس الذين تجمعوا بعكا أناس أنتم أم أباعر
أترك قيساً آمين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاهر
فوالله ما أدري ولاني لسائل أهدان تحمي ضيما أم يحابر
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير بنو مالك أن تستمر المراث
أوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فرجع القوم جميعاً عن وجههم ، فبلغ ذلك معاوية ، فسكن منهم . وقال : أنا أغزيكم في البحر لأنه أرفق من الخيل وأقل مؤونة ، وأنا أعاقبكم في البر والبحر ففعل ذلك ^٢ .

وأوجدت هذه العصبية كثيراً من الشعر المصنوع ، روي على أنه من شعر التبايع ، صنع ولا شك في الاسلام ، حين بلغت العصبية العدنانية والقحطانية ذروتها في أيام الأمويين فما بعد . فلما نظر اليمانيون الى أنفسهم ، واذا بالحكم لغيرهم . وقد كانت لهم دولة قبل الاسلام ، ثم لاذ بهم يحكمهم من كان دونهم في الجاهلية ، أخذتهم العزة ، ودفعتهم العصبية على الاحتماء بالماضي ، وإعادة ذكرياته ، وما كان لهم من مآثر ، ولأجل توكيد ذلك وتثبيتته ، لجأوا الى الشعر ، ولم يكن لهم شعر في الجاهلية بهذه العربية التي نعرفها ، لأنها لم تكن عربيتهم ، فصنعوا شعراً كثيراً بهذه العربية ، نسبوه الى التبايع ، وارتفعوا به الى عهود جاوزت الحد المألوف الذي حدده علماء الشعر ، لتأريخ ظهور (القصيد) عند

١ البيان والتبيين (٢٤٣/١) .

٢ الخزائن (٤٦٦/١ وما بعدها) .

الجاهليين ، نجد الكثير منه مدوناً في الكتب التي تتعاطف مع اليانية ، مثل كتب الهمداني ، ونشوان بن سعيد الحميري .

ولما كان هذا الشعر هو في ذكريات أيام اليمن الماضية وأحوالها القديمة ، وفي أخبار ملوك حمير وأعمالهم ، اتخذ أسلوب القص والفخر ، فكثرت أبيات القصائد أحياناً ، وارتبطت الأبيات في المعاني بعضها ببعض ، نظراً لاقتضاء طبيعة القص والأساطير ذلك ، وهو يفيدنا من ناحية الوقوف على الأساطير اليانية القديمة التي أوجدتها خيلتهم عن تأريخهم القديم ، وفي تطور أسلوب القص في الشعر .

ويظهر من عبارة (الأمدي) : « وهي أبيات تروى لامرء القيس بن حجر الكندي ، وذلك باطل ، إنما هنّ لامرء القيس الحميري ، وهي ثابتة في أشعار حمير »^١ ، أنه قد كان لحمير ديوان فيه أشعارهم ، أو أن قوماً منهم أو من غيرهم جمعوا شعر حمير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن يكون هذا الجمع قد وقع في الإسلام ، وأن ما فيه من شعر جاهلي ، هو من الشعر المصنوع .

ومن العصبية عصبية قريش على ثقيف . فقد كانت بين قريش وبين ثقيف خصومة ، بسبب طمع أهل مكة في الطائف ، وشراء سادات قريش الملك في الطائف لاستغلاله ، مما جعل ثقيفاً يكرهون أهل مكة . ثم عامل آخر ، ظهر في الإسلام ، هو كره أهل العراق للحجاج ، مما جعلهم يذمون ويلذمون ثقيفاً معه . فزعموا أن قومه من بقايا ثمود ، وذلك في أيام الحجاج . « روي أن الحجاج قال على المنبر يوماً : تزعمون أننا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عز وجل : وثموداً فما أبقي »^٢ . وذكر (الجاحظ) ، زعم الناس هذا في أصل ثقيف ، وذكر أن مثل ثمود كمثل (بني الناصور) ، ففسد هلكوا في الجاهلية ، كما هلك غيرهم من الأمم البائدة ، وذكر أن هناك من قال إن أصل (بني الناصور) من الروم^٣ .

وقد وجدت العصبية مرتعاً خصباً بين الموالي والعبيد ، فساهموا فيها أيضاً . فلما رأى (جرير) (الحيقطان) يوم عيد في قبص أبيض وهو أسود ، قال :

١ المؤلف والمختلف (٩) ، (عبدالستار أحمد فراج) .

٢ البيان والتبيين (١ / ١٨٧ وما بعدها) .

٣ البيان والتبيين (١ / ١٨٧) .

كأنه لما بدا للناس أيرحمار لُفَّ في قرطاس

فلما سمع بذلك (الحَيَقُطَان) وكان باليامة ، دخل الى منزله فقال شعراً افتخر فيه بالنجاشي وبالسودان ، وبلقمان وبأبرهة وذم قريشاً ومضر ، وتحامل عليها ، ففرحت اليمانية به ، وأخذت تحتج به على العدنانية ، واحتج بها العجم والحبش على العرب^١ .

ويلاحظ ان الحبش قد تعصبوا أيضاً على العرب في الاسلام، وتفاخروا بملوكهم وبأبرهة ، وقد كان لازدراء الأغنياء لهم ، وتسخير أصحاب المال لهم في أداء الأعمال الخفيرة ، ونظرتهم اليهم نظرة ازدراء وتحقير ، فلم يصاهروهم، ولم يروا انهم أكفأ لهم ، مثل العجم على الأقل ، أثر في إثارة هذه الضغينة في نفوسهم وفي وقوفهم موقف الضد من العرب . وقد تعرض (الجاحظ) لذلك ، فقال : « وقد قالت الزنج : من جهلكم انكم رأيتمونا لكم أكفأ في الجاهلية في نسائكم، فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسداً » . ثم روى على لسانهم ما قاله بعض الشعراء مثل النمر بن تولب ، وليد من مدح أبرهة ، ثم أعقب ذلك بذكر من برز وظهر من الزنوج^٢ .

ومن أسباب النحل دوافع نشأت عن عاطفة دينية ، رأت أن في نحل الشعر على ألسنة الجاهليين ، عملاً ليس فيه ضرر ولا اساءة ، بل فيه منفعة من ناحية التوعية الدينية والحث على التدين والتزهد ، وعمل الخير والإيمان بدين الله، فروت الأشعار على ألسنة المتقدمين في التبشير بظهور الرسول ، قبل ميلاده بأمد ، وفي الحث على نبذ الوثنية والإيمان بإله واحد . نظم على لسان القحطانيين وعلى لسان العدنانيين ، الذين عاشوا قبل الإسلام، كما نظم على ألسنة الجن والهواتف والكهنة .

ومن هذا القبيل ما قيل من شعر في التوحيد وفي الذب عن الاسلام على لسان (أبي طالب) وغيره ، وفي مدح قريش ، وجعلها القبيلة المختارة التي اصطفاها الله من بين سائر العرب ففضلها على العالمين ، بأن جعلها الصفوة ، وجعل لسانها اللسان الذي نزل به القرآن ، فعل أصحاب الصنعة ذلك لنوازع مذهبية، ولعصبية

١ رسائل الجاحظ (١/ ١٨٢ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .

٢ رسائل الجاحظ (١/ ١٩٧ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .

قبلية سياسية ، ذات صلة بالعواطف الدينية ، فلم يكن ين على أهل يثرب مثلاً التسليم بسيادة قريش عليهم ، فكان ما كان من وضع قريش الحجج التي تؤيد قريشاً في الجاهلية ، وتجعلهم أفضل العرب على الإطلاق، وما كان الأنصار ليقبلوا ذلك بالطبع، فأوجد صناعتهم فخراً وسبقاً لهم على قريش ، بأن قالوا إنهم الأنصار وأنهم نصروا رسول الله منذ سمعوا بالإسلام ، فلما سمع (أبو قيس بن الاسلت) وهو من الأوس ، مقالة (أبي طالب) :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

حين أرادوا منه تسليمهم النبي، أرسل اليهم قصيدة ينهى فيها قريشاً عن الحرب، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ، إذ يقول :

يا راكباً اما عرضت قبلن مغلغة غني لؤي بن غالب

وهي قصيدة طويلة دونتها (ابن هشام) في سيرته^١ ، اذا قرأتها خرجت منها ان صاحبها انما أراد من صنعها على لسان (ابن الاسلت) إظهار ان أهل يثرب كانوا أول من دافع عن الرسول والاسلام ، وانهم كانوا أول المؤمنين به ، إذ كفرت قريش بدين الله . مع انه مات مشركاً ، ولم يثبت انه دخل في الاسلام^٢ .

والقصيدة بعد من صنع أناس من الأنصار ، لعلمهم كانوا من صلبه ، وجدوا ان من السهل وضع الشعر على لسانه ، فقد كان شاعراً معروفاً ، وكان من سادة يثرب ومن الوافدين على مكة ، وله فيها أصحاب ودالة ، وفي صنع هذا الشعر فخر للأنصار عظيم ، فنسبوا له تلك القصيدة ، وجعلوها جواباً لاستغاثة (أبي طالب) في قصيدته التي قال ما قال فيها في حق قريش وفي تعنتها تجاه الرسول والاسلام .

ومن هذا القبيل ، تطويلهم القصيدة المنسوبة الى أبي طالب التي قيل انه قالها في النبي ، وهي :

١ سيرة (١٨٠/١) ، (حاشية على الروض) .

٢ الاصابة (١٦٠/٤) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (١٥٩/٤) وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقد زيد فيها وطولت ، بحيث صار لا يعرف أين منهاها^١ . وقد أورد ابن هشام أشعاراً نسبها الى (أبي طالب) منها قصيدته التي رد فيها على قریش حين عرضت عليه تسليم النبي لهم ، على أن يعطوه في مقابله (عمارة بن الوليد) ، وقد دونتها (ابن هشام) ، وذكر انه ترك منها بيتين أقذع فيها^٢ . ومنها قصيدته :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وهي قصيدة طويلة ، قال عنها (ابن هشام) : « وبعض أهل العلم ينكر أكثرها »^٣ .

ومن هذا القبيل ما وضع من شعر في الأحداث التي وقعت بين المسلمين والمشركين في أيام الرسول ، مثل معركة بدر ، وبقية المعارك . فقد وضع الناس شعراً كثيراً على لسان المسلمين والمشركين ، ونجد (ابن هشام) يقول في تعليقه على شعر لأبي أسامة معاوية بن زهير ، وكان مشركاً ، وقد مرّ بهيرة بن أبي رهم ، وهو منزهم : « وهذه أصح أشعار بدر »^٤ ، ونجد (ابن هشام) ، يعلق ويصحح ويشكك في صحة بعض هذا الشعر الذي أخذه من (ابن اسحاق) ، وقد طعن على (ابن اسحاق) ، لأنه أخذ مثل هذا الشعر فأدخله في السيرة ، مع أنه شعر مصنوع^٥ .

ومن هذا القبيل ما روي من أن امرأة من حضرموت ثم من (تنعة) صنعت لرسول الله كسوة ، أرسلتها مع ابنها (كليب بن أسد بن كليب) الى رسول الى ، فأثاه بها وأسلم ، فدعا له ، فقال حين أتى النبي :

من وشّر برهوت تهوى بي عذافرة اليك يا خير من يخفى ويتعل
تجوب بي صفصفاً غبراً مناهلسه تزداد عفواً إذا ماكلت الإبل

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٦٠) ، المزهر (١٧٩/١) .
 - ٢ ابن هشام (١٧١/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض) .
 - ٣ ابن هشام (١٧٩/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٤ ابن هشام (١١٥/٢) ، (حاشية على الروض الأنف) .
 - ٥ الروض الأنف (١٠٧/٢) وما بعدها .

شهرين أعملها نصاً على وجل أرجو بذلك ثواب الله يا رجل
أنت النبي الذي كنتا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل^١

والذي نعرفه أن لسان أهل حضرموت لم يكن في هذا العهد على هذا البيان
والعربية ، وإنما كان على عربية حضرموت ، ولا أدري إذا كان هذا الرجل
يعرف شيئاً عن التوراة والرسل ، أو سمع باسم التوراة وبالرسل حتى يذكرها
ويذكر رسل الله في هذا الشعر .

ومن هذا النوع ما روي من شعر الجن والهواتف : من مثل الشعر المبشر
بقرب ظهور نبي ، كما في قصة : (راشد بن عبد ربه) السلمي التي رواها
عن سبب إسلامه ، وما سمعه من هاتف يصرخ من جوف الصنم ، بظهور نبي^٢ ،
أو من شعر آخر ، قيل على ألسنة الجن ، في أغراض مختلفة وهو كثير ، من
ذلك قولهم :

وقبر حرب بمكانٍ قفر وليس قرب قبر حربٍ قبر

وقائله مجهول . فلما رأوا أن من الصعب إنشاده ثلاث مرات في نسق واحد
فلا يتتبع ولا يتلجلج ، قيل لهم أنه من شعر الجن . فصدقوا بذلك^٣ .

وذكر أهل الأخبار اسم شاعر من الجن ، قالوا له : (مالك بن مالك)
الجنبي . فقد زعموا أن (خريم بن فاتك) الأسدي ، خرج في بغاء إبل له ،
فأصابها بالأبرق ، فقال : أعوذ بعظيم هذا الوادي ، فإذا هاتف يهتف :

ويحك عذ بالله ذي الجلال منزل الحلال والحرام

فقال خريم :

يا أيها الداعي فما تحيل . أرشد عندك أم تضليل

١ ابن سعد ، طبقات (٣٥٠/١) ، (وفد حضرموت) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣١٧/١) .

٣ البيان والتبيين (٦٥/١) .

فقال الهاتف :

هذا رسول الله ذو الخيرات جاء يباسين وحاميات
محرمات ومحلات يأمرنا بالصوم والصلاة

فقال خريم : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا مالك بن مالك ، بعثني
رسول الله على جن أهل نجد^١ .

وروى أهل الأخبار شعراً لشاعر آخر من الجن اسمه ، (مالك بن مهلهل بن
إياد) ويقال (دثار) ، زعموا انه أحد من أسلم من الجن ، روى له قصة مع
(رافع بن عمر) التميمي المعروف بـ (دعووس الرمل) ، لأنه كان أعرف
الناس لطريق وأسراهم بليل ، وأهجمهم على هول ، وقعت له برمل عالج ،
لما قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن أن أؤذي أو أهاج . فهتف به هذا
الجني الشاعر ، وأمره أن يذهب الى يثرب ، ليسلم أمام الرسول^٢ .

ومن ذلك ما روي من حديث عن (قس بن ساعدة) ، وما رواه صاحب
الحديث من صوت هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأحم قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الوقار والكرم يجلو دجنات الليالي اليهم
ثم قول صاحب الحديث للهاتف :

يا أيها الهاتف في دجى الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم من الذي تدعو اليه تغتم
ثم جواب الهاتف عن سؤاله بقوله :

الحمد لله الذي لم يخاق الخلق عبث
ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكثر
أرسل فينا أحدا خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث^٣ .

- ١ الاصابة (٣/٣٣٣) ، (رقم ٧٦٨٤) ، (١/٤٢٣) ، (رقم ٢٢٤٦) .
- ٢ الاصابة (٣/٣٣٥) ، (رقم ٧٦٩٢) .
- ٣ الخزائن (١/٢٦٤) ، (بولاق) .

وللجن أشعار ، ولها مع الإنس حوار . وللأعراب خاصة في الجن قصص وحكايات ، وقد ذكر (الجاحظ) أن الأعراب يتزيدون في هذا الباب^١ . والحديث عن الجن من الأحاديث التي يميل لسماعها الناس لما فيها من غريب وطريف واختراع ، مالوا الى سماعها في الجاهلية وفي الإسلام ، ونجد لأبي المطراد (المطراب) (عبيد بن أيوب) العنبري ، وهو شاعر إسلامي ، وكان لصاً قد جنى جناية فنذر السلطان دمه وخلعه قومه ، قصص وأشعار كثيرة عن الجن والوحوش . أخبر^٢ في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبيت الذئب والأفاعي ، ويأكل مع الظباء^٣ . ونجد في كتاب (الحيوان) وفي كتب الأخبار والأدب والسير ، طرف من أشعار الجن والغيلان والسعالى ، وطرف من أخبارهم وأحاديثهم مع الإنس .

ومن هذا القبيل ما نسب الى (جذع بن سنان) من شعر زعم انه جرى له من الجن ، وهو :

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا : الجن قلت عمو صباحا
نزلت بشعب وادي الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا
أتيتهم وللأفسدار حتم تلاقي المرء صباحاً أو رواحا

وجذع شاعر جاهلي قديم ، من غسان ، وهو الذي ضرب به المثل بقولهم :
خذ من جذع ما أعطاك . والشعر المذكور من أكاذيب العرب^٤ .

وللأعشى إشارة الى الجن ، بقوله :

وسخر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

وفي شعره مواضع أخرى تعرض فيها الى ذكر الجن .

وقد تحدث (المعري) عن (شعر الجن) ، تحدث عنهم في رسالة الغفران

١ الحيوان (١٦٤/٦) .

٢ الشعر والشعراء (٦٦٨/٢) ، الخزائن (٢١٣/٣) ، الحيوان (١٦٥/٦) .

٣ وهي من قصيدة تجدها في الخزائن (٦/٣) ، (بولاق) .

٤ الخزائن (٦/٢) . (بولاق) .

فكلم أحدهم واسمه (الخيتعور) ، أحد (بني الشيصبان) ، فقال له : « أخبرني عن شعر الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ : إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه ، وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض ؟ وإنما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قل ما يعدوها القائلون ، وإن لنا آلاف أوزان ما سمع بها الإنس »^١ . ثم يقول الجنّي له إن في الجن شعراء ، من لا يعدل (امرئ القيس) أضعفهم شعراً ، ثم يروي قصيدة للمتكلم معه ، وهو (أبو هدرش)^٢ .

وروي حديثاً في رسالة الغفران عن قصص (تأبط شرأ) مع الغيلان ، ثم أجاب على لسانه ، قال له : « أحق ما روي عنك من نكاح الغيلان ؟ » ، ثم أجاب على لسانه بقوله : « لقد كنتا في الجاهلية نتقول ونتخرص ، فاجاءك عنا بما ينكره العقول، فإنه من الأكاذيب » . ثم روى الشعر المنسوب اليه ، وهو :
أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما طلّ فيه سماكي^٣ ولا جادا^٣

وقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الشعوب يعتقدون بالجن ، وقد تصوروهم — كما سبق أن تحدثت عن ذلك — مثلهم ، قبائل وعشائر ، لهم ملوك وسادات فإ كانوا يروونه عنهم وعن اتصالهم بهم ، يمثل حقيقة في نظرهم ، وما كان يضعه الوضعاء من شعر على ألسنتهم ، يقبل ويصدق عندهم ، ويسمع اليه بتلهف ، ولا سيما القسم الغريب منه ، إذ كانوا يتلذذون بسماعه ، ويذكر معه في العادة قصص لشرح المناسبة التي قيل فيها الشعر ، على طريقتهم في رواية أخبار (الأيام) . فالقصص المتعلق بالجن ، باب من أبواب التسلية التي كان يتسلّى بها أهل الجاهلية ، بل بقي من القصص المستلح المطلوب سماعه حتى اليوم .
ومن هذا القبيل ، ما ورد في أيام العرب من شعر ، ففي هذا الشعر ما شاء الله من المنحول . نخل تمجيداً لقبيلة أو لبطل من أبطالها ، أو للغض من شأن قبيلة معادية ، اشتركت معها في قتال ، وفي أخبار هذه الأيام تعصب وتخزب ، ولذلك يجب النظر إليها بحذر شديد .

١ رسالة الغفران (٢٩١) .

٢ رسالة الغفران (٢٩٥ وما بعدها) .

٣ رسالة الغفران (٣٥٩) .

وشعر الشواهد من الأبواب التي فتحت المجال لنحل الشعر . قال عنه (الرافعي) :
 « وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء الى الشواهد في تفسير
 الغريب ومسائل النحو »^١ . وقد كانوا يستشهدون بأشعار الجاهليين والمخضرمين :
 ونظراً لوجود عنصر التفوق والتغلب على الخصوم واطهار العلم ، ولوجود العصبية
 اندفع البعض الى افتعال الشواهد والإتيان بالغريب وبما هو غير معروف . وقد اتهم
 الكوفيون بأنهم كانوا أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهد بها ، لضعف مذاهبهم
 وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولاً يقاس عليها . ولهذا واشباهه اضطروا
 الى الوضع فيما لا يصيبون له شاهداً إذا كانت العرب على خلافهم ، وتجد في
 شواهدهم من الشعر ما لا يعرف قائله ، بل ربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف
 شطره الآخر . ومن أجل هذا كان البصريون يفتخرون على الكوفيين . فيقولون :
 نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة البرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلثة
 الشوايز والكواميخ^٢ . على أن البصريين ، لم يكونوا ملائكة بالنسبة الى افتعال
 الشواهد ، فقد أدلوا فيه بدلوهم كذلك ، وإن قيل إنهم كانوا أقلّ فعلاً في
 ذلك من الكوفيين . ذكر أن (سيبويه) سأل (اللاحقي) هل تحفظ العرب
 شاهداً على إعمال (فعل) (الصفة) ؟ قال (اللاحقي) ، فوضعت له هذا
 البيت :

حَدَرَ أَمْوَرًا لَا تَضِيرُ ، وَأَمِنْ مَا لَيْسَ مَنْجِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ^٣

ومن ذلك ما رواه (الزجاجي) في (مجالس العلماء) ، من نزاع وقع بين
 (الطبري) وبين (أبي عثمان) في السكين : مذكر أم مؤنث ، ومن استشهاد
 (أبو عثمان) بشعر رواه القراء ، هو :

فَعِيَتْ فِي السَّامِ غَدَاةَ قُرٍّ بِسَكِينٍ مَوْثِقَةِ النَّصَابِ

وجوابه : « لمن هذا ومن صاحبه ؟ وما أراه إلا أخرج من الكم ، وأين
 صاحب هذا عن أبي ذؤيب حيث يقول :

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٣٧٠ / ١) .
 ٢ الرافعي (٣٧١ / ١) .
 ٣ المزهري (١٨٠ / ١) ، الرافعي (٣٧١ / ١) وما بعدها .

فذلك سكين على الخلق حاذق^١ .

ومن ذلك ما ذكره (خلف الأحمر) على ألسنة القدماء في ورود لفظة (عشار) في كلام العرب ، إذ روى هذه الآيات :

قل لعمرؤ يا ابن هند لو رأيت اليوم شنا
لرأت عيناك منهم كل ما كنت تمنى
إذ أتتنا فيلق شهباً من هنا وهنا
وأنت دوسر والملحاء سرّاً مطمئنا
ومشى القوم الى القوم أحادى ومثنى
وثلاثاً ورباعاً وخماساً فأطعنا
وسداساً وسباعاً وثماناً فاجتلدنا
وتساعاً وعشاراً فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلا كمياً قاتلاً منهم ومناً

« ودلائل الوضع في هذه الآيات ظاهره. وكان خلف الأحمر متهماً بالوضع^٢ .

ويدخل في باب نحل الشعر عامل آخر ، هو الاستشهاد بالشعر لتأييد الخلافات القائمة بين المذاهب في اثبات رأي ، أو في تفسير آية ، تفسيراً يؤيد رأي ذلك المذهب . فقد زعم أن المعتزلة ، قالت في تفسير الآية : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، أي علمه ، وأنهم جاءوا على ذلك بشاهد لا يُعرف وهو قول الشاعر :

ولا يُكْرِمِي^٣ علم الله مخلوق^٣

وهو قول وإن روي عنهم وقيل ، لا أدري ، إذا كان قد صدر منهم ، أو أنه صنع عليهم ، وقد ورد في خبر أن (عبدالله بن عباس) ، كان يقول ، الكرمي : العلم . وأنه فسر الآية بهذا المعنى . على كل فقد فسر المفسرون لفظة

١ مجالس العلماء (ص ١٢٩) ، (الكويت ١٩٦٢) ، (عبدالسلام محمد هارون) .
٢ الخزائن (٨٢/١) ، (بولاق) .
٣ الرافعي (٣٧٣/١) .

(الكرسي) تفاسير مختلفة ، وذلك تحاشياً من الوقوع في التشبيه ، من كونه تعالى يجلس على كرسي شبه كراسينا ، ولذلك مالوا الى التأويل . وذكر في رواية أخرى ، أن (ابن عباس) كان يرى أن الكرسي موضع القدمين ، « ومن روي عنه في الكرسي أنه العلم ، فقد أبطل »^١ .

ونظراً الى ما كان للمذهبية من أثر في الناس في ذلك العهد، فلا أستبعد احتمال الوضع على ألسنة المذاهب، لذا يجب الحذر من الإسراع في التصديق بصحة الشواهد المقالة على لسان مذهب ، ونقدها نقداً علمياً دقيقاً ، بالتفتيش عنها في كتب أهل ذلك المذهب ، فقد يجوز أن تكون قد وضعت عليهم وضعاً ، ومثل هذا الوضع شيء معروف .

ومن أبواب نخل الشعر ما قيل على لسان آدم فمن دونه من الأنبياء من شعر .
فقد زعموا مثلاً أن (قابيل) حين قتل أخاه (هابيل) رثاه أبوه (آدم) ،
فقال :

تغيرت البلاد ومنّ عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغيرَ كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقَلَّ بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم :

أبا هابيل قد قُتِلَ جميعاً وصار الحيُّ كاليت الذبيح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح^٢

ثم ما قيل على لسان الأُمّ البائدة ، والشعوب المهلكة مثل عاد وثمود وقوم تبع ، وطسم وجديس ، وزرقاء اليمامة ، من أشعار زعم أنهم قالوها ، وهي من نظم القصاصين وأصحاب السمر والحكايات ، وعشاق الأساطير والخرافات ، لما وجدوا ميلاً عند الناس الى الاستماع لمثل هذه الأشعار . فكانوا « يأتون بمثل تلك الأشعار على وهنها وتداعيتها ويعزونها الى القدماء ، ثم يزعمون أنهم أخذوها من

١ تاج العروس (٢٣٢/٤) ، (كرس) .

٢ تاريخ الطبري (١٤٥/١) ، تفسير الطبري (١٢٢/١) ، (طبعة بولاق) .

الصحف ، ويروونها للأثم البائدة وغيرهم ^١ . من ذلك ما نسبوه من شعر الى (معاوية بن بكر) ، وكان في أيام (عاد) ، مقيماً بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، زعموا انه قاله لما استقل طول مكث وفد (عاد) وفيه (لقمان بن عاد) عليه ، وألهمه الى قيتته لتغنيا به أمام الوفد ، وهو :

ألا يا قيل ويحك قم فهيم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عادٍ ، إن عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم عياما
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ولا تخشى لعادي سهامها
وأنتم ها هنا فيما اشتبهتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لُقُوا التحية والسلاما

فأجابه (جلهمه بن الخير) :

أبا سعد فلأنك من قبيل ذوي كرم وأمك من ثمود
فلما لن نطيعك ما بقينا ولنا فاعلين لما تريد
أأمرنا لنترك آل رعد وزمّل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرام ذوي رأي ونتبع دين هود

ومن ذلك ما نسبوه من شعر الى (مرثد بن سعد بن عفير) زعموا أنه قال حين سمع خبر هلاك عاد ، إذ قال :

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشاً ما تبلهم السماء
وسير وفدهم شهراً ليُسقوا فأردفهم من العطش السماء
بكفرهم برهم جهاراً على آثار عادهم العفاء
ألا نزع الإله حلوم عادٍ فلن قلوبهم قفر هواء

١ الرافعي (١/٣٧٥ وما بعدها) ، الخزائن (٤/٢٠٢) ، (بولاق) .
٢ الطبري (١/٢٢٠ وما بعدها) ، (ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم) ،
تفسير الطبري (٨/١٥٤) ، جمهرة أشعار العرب (٤١) .

من الخبرِ المُبَيَّن أن يَعُوهُ^١ وما تَغِي النصيحة والشفاء
فنفسي وأبتائي وأم ولدي لنفسِ نيينا هودِ فداء
أنا والقلوب مصمدات على ظلم ، وقد ذهب الضياء
لنا صنمٌ يقال له صمود يقابله صداء والهباء
فأبصره الذين له أنابوا وأدرك من يكذبه الشقاء
فلإني سوف ألحق آل هودِ وأخوته إذا جسن^٢ المساء^٣

فلما هلكت عاد ، فلم يبق منهم إلا^٤ (الخلجان) ، قال :

لم يبقَ إلا الخلجان نفسه^٥ يا لك من يومٍ دهاني أمسه
بثابت الوطء شديد وطسه لو لم يَجْنِي جثته أجسه^٦

ورويوا شعراً لأحد شعراء ثمود اسمه (مهوس بن عنمة بن الدميل) هو قوله :

وكانت عصابة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعاً فهم بأن نجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذؤابا^٧

ويروي أهل الأخبار انه قد كان لأهل الجاهلية شعر كثير قيل في عاد وثمود
وأمرهم ، يأتون به دليلاً على شهرة أمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام^٨ .
من ذلك ما أورده على لسان (أفنون) التغلبي ، من قوله :

لو انني كنت من عادٍ ومن إرمٍ غذي^٩ سخلٍ ولقمانا وذا جدان^{١٠}

ومن هذا القبيل ما نسب الى (عمرو بن الحارث بن مضاض) الجرهمي ،
والى (الحارث بن مضاض) ، من شعر . وهو عند أهل الأخبار أحد المعمرين

١ الطبري (٢٢٣/١) وما بعدها .

٢ الطبري (٢٢٤/١) .

٣ تفسير الطبري (١٥٩/٨) ، (بولاق) .

٤ الطبري (٢٣٢/١) .

٥ الزجاجي ، مجالس العلماء (٤٢) .

القدماء ، زعموا انه قال شعراً لما أجلت (خزاعة) جرهماً عن الحرم ، هو :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

وزعموا انه مدّ في عمره الى أن أدرك الاسلام^١ .

ونجد في شعر (النمر بن تولب) ذكر (لقمان)^٢ . ونجد في أشعار شعراء آخرين إشارات الى هؤلاء وغيرهم ممن كان تذكرهم الأساطير وتروي أخبارهم الناس ، على نحو ما نسمعه من العجائز عن قصص الماضين ، وقد أشرت الى أسماء بعض منهم في ثنايا هذا الكتاب .

وقد سبق أن ذكرت ان هذا النوع من الأساطير ، لم يفت على بال بعض العلماء النقدة، وانهم أشاروا الى انه من صنع جماعة من صناع الأساطير والقصص ، فقد قال (ابن سلام) : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غناء محمد بن اسحاق بن يسار مولى آل نخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسيرة والمغازي ، قبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، انما أوتي به فأحمله ، ولم يكن له ذلك عذراً ، فكذب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء ، فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكذب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقوافي ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين ؟ والله تعالى يقول : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، أي لا بقية لهم . وقال أيضاً : وانه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقال في عاد : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وقررنا بين ذلك كثيراً »^٣ .

ولكن أوسع وأظهر أبواب نحل الشعر ، هو ما وضعه رواة الشعر على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وهو ما دعاه (الرافعي) : بـ « الإنساع في الرواية » .

١ المرزباني ، معجم (١٠) ، ابن هشام ، سيرة (٨٢/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الأنف) ، الروض الأنف (٨٠/١) وما بعدها .
٢ الخزاعة (٤٤٩/٤) ، (بولاق) .
٣ المزهر (١٧٣/١) ، (النوع الثامن : معرفة المصنوع) .

ونقصه به ما صنعه الرواة من وضعهم قطعاً وقصائد على ألسنة الشعراء الجاهليين لم يقولوها ، ومن اضافتهم أشعاراً على قصائد الجاهليين ، أو ادخال شعر شاعر في شعر غيره : هوى وتعتاً^١ . فهذا الباب هو أخطر أبواب نخل الشعر وأوسعها وأهمها ، ويغطي معظم الشعر المنحول . صنعه ، لرواج سوق الشعر الجاهلي في تلك الأيام ، ولطلب الكثير الذي كان إذ ذاك عليه . وللربح الذي كان يجنيه حامله من روايته ، مما حمل الرواة على وضع الشعر بصوغه على قوالب الشعر الجاهلي وعلى مضامينه وطرقه في التنقل في القصيدة ، وقد أجاد فيه أساتذة الصنعة من أمثال (حماد) الراوية و (خلف) الأحمر ، وليس في الرواة جميعاً من يدانيهما في الصنعة وإحكامها ، فهما طبقة في التأريخ كله^٢ .

ومن أمثلة المصنوع أحياناً مطلعها :

قل لعمرى : يا بن هند لو رأيت القوم شنا

أنشدها خلف الأحمر ، وهي مصنوعة^٣ .

ومن أمثلة التطويل في الشعر ، ما فعلوه بأبيات الطيرة للحارث بن حلزة ، وهي أربعة أبيات ، ولكنهم جعلوها قصيدة طويلة . والأبيات هي :

يا أيها المزعج ثم انثني لا يشك الحادي ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنُهُ هاج له من مَرَبع هائج
بيننا الفتى يَسْعَى وَيُسْعَى له تاح له من أمره خالَجُ
يترك ما رَقح من عيشه يعيش منه همج هائجُ

وروي ان قول الأعشى :

كتميل النشوان ير فل في البقرة وفي الإزارة

١ الرافعي (٣٧٩/١) .

٢ الرافعي (٣٨٣/١) .

٣ المزهري (١٧٨/١) وما بعدها .

٤ الرافعي (٣٨٤/١) .

هو من قصيدة مصنوعة^١ . وروى (أبو عبيدة) عن (أبي عمرو) ، انه قال : « والله ما كذبت فيما رويته حرفاً قط ، ولا زدت فيه شيئاً إلا بيتاً في شعر الأعشى ، فلاني زدته ، فقلت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والعلماء^٢ »

وروي ان « حماداً كان يقول : ما من شاعر إلا وقد حققت في شعره أبياتاً فجازت عنه ، إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فلاني لم أزد في شعره قط غير بيت . قيل له : وما البيت ؟ فقال :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت^٣ » .

فأنت أمام روايتين متناقضتين ، رواية تنسب وضع البيت الى (أبي عمرو بن العلاء) ، ورواية تنسب وضع ذلك البيت الى (حماد) . وسبب التناقض العصبية ولا شك .

ويجب أن نضيف على الشعر المصنوع على ألسنة الجاهلين ، الشعر الذي وضع على ألسنة الصعاليك والصوص ، فقد كان الناس يتسقطون أخبار هؤلاء ويتلذذون بسماع مغامراتهم وسطوهم ، شأن الناس في كل وقت ومكان من الميل الى التلذذ بسماع مثل هذه الأخبار ، وهذا ما حمل صناع الأخبار والأساطير على وضع الشعر على ألسنة الصعاليك والصوص لتزيين أخبارهم وترصيعها به ، على طريقتهم في رواية أيام العرب وأخبارهم ، وفي شعر هذه الطبقة شعر كثير مصنوع .

وهناك شعر وضع للتسلية وللهمس من ذلك شعر الفسق والمجون ، من ذلك ما نسب الى (ابنة الحس) من قول ، هو :

سلوا نساء أشجع أي الأيور أنفع
الطويل النعنع أم القصير المردع
أم الذي لا يرفع أم الأساك الأصم

١ الزجاجي ، مجالس العلماء (١٣٠) .

٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥) .

٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١ / ٣٨٣ وما بعدها) .

في كل شيء يطعم حتى القريض يصنع^١

وابنة الخس ، في زعم أهل الأخبار ، جاهلية قديمة من إباد ، أدركت القلمس ، أحد حكام العرب ، ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل . وكانت تحاجي الرجال ، الى أن حاجها رجل ، فقال لها قولاً بديهاً أخجلها ، فتركت المحاجة^٢ . وأورد الشريف (المرتضى) لها أجوبة عن أسئلة معضلة محيرة ، لتحزر جزأها ، وذكر أجوبتها ، رواية عن (ابن الأعرابي)^٣ .

والشعر الذي نسبته (أبو محمد ثابت بن أبي ثابت) إليها ، هو من الشعر المصنوع بالطبع ، وضع على لسان (ابنة الخس) ، وقد نص (تاج العروس) على أن قائله (جارية كانت جلعة)^٤ ، وهو من وضع المجان ، الذين كانوا يتلذذون بسماع هذا النوع من المجون .

وكان (ابن أبي كريمة) ، يصنع الشعر وينحله بعض شعراء البادية ، كما صنع في قصيدة له في وصف الفأر ، نخلها (يزيد بن ناجية) السعدي ، وكان لقي من الفأر جهداً ، فدعا عليهن بالسنانير ، وكان يصطنع شعر الفكاهة ، ويحاكي فيه (الحكم بن عبد) الأسدي^٥ . وهناك كثير من اضراجه ، ممن وضع الشعر للتسلية وللتفكهة على ألسنة الأعراب والشعراء الجاهليين .

وقد وضع (خلف) الآخر قصائد عدة على فحول الشعراء ، ذكروا منها قصيدة الشنفري المشهورة بلامية العرب . وروي عن الأصمعي قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التي فيها :

خيل صيام^٦ وخيل غير صائمة تحت العجاج ، وأخرى تملك اللجأ

-
- ١ كتاب خلق الانسان (٢٧٩) ، (لابن أبي ثابت) ، المخصص (٣١/٢) ، اللسان (٢٧١/٨) ، (قرصع) ، (لم يذكر اسم قائله) ، (٣٥٨/٨) ، (ولم يذكر اسم قائله كذلك) ، تاج العروس (٤٦٠/٥) ، (قرصع) ، (قاله أبو عمرو . وأنشد لجارية كانت جلعة) ، (٥٢٧/٥) ، (نفع) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٣٩/١) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٢٢٠/١) .
 - ٤ تاج العروس (٥٢٧/٥) ، (نفع) .
 - ٥ البخلاء (٢٨٢ وما بعدها) ، « الحكم بن عبد » من شعراء أيام الامويين .
 - ٦ الرافعي (٣٨١/١) .

وما يدخل في هذا الباب اننا نجد بيتاً أو أبياتاً تنسب في أحد الموارد لشاعر، بينما نرى ديوانه خالياً منه أو منها ، من ذلك ما رواه (المعري) ، من انه لما كان ببغداد ، شاهد بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي بن زيد) التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبح يح يعاتبه أما تستفيق

وزعم الورّاق ان بعض طلاب شعر هذا الشاعر سأل عن هذه القصيدة ، وطلبت في نسخ من ديوان (عدي) فلم توجد . ثم سمع بعد ذلك رجلاً من أهل (استراباذ) يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم^١. وذكر أشياء أخرى من هذا القبيل ، تراها في كتاب أو في نسخة من نسخ ديوان الشاعر ، بينما لا تراها في نسخ الديوان الأخرى ، مما يدل على ان اللواوين لم تكن متفقة في النص ، وانها رويت بروايات مختلفة ، وان في بعضها ما يزيد على البعض الآخر^٢.

ونحل الشعر ، وإن وقع وحدث ، غير ان أمره لم يفت على بال العلماء المهرة الحاذقين ، ودليل ذلك ، ما نجده في كتبهم من الإشارات الى المنحول والمصنوع من الشعر ، ومن نصهم عليه ، وإن فات عليهم بعضه، ومن نصهم على المنحول ومن ملاحظاتهم تلك أخذ المستشرقون والمحدثون من العرب آراءهم في الشعر الجاهلي، فإأوردته (ماركليوث) مثلاً من نقد على الشعر الجاهلي ، أو ما أورده (الدكتور طه حسين) من رأي فيه ، ليس فيه شيء جديد ، وجديده الوحيد ، هو في التهويل بمقدار الغشوش من هذا الشعر ، أما من حيث المبدأ ، أي من حيث وجود شعر منحول فاسد ، في الشعر الجاهلي ، فالقدماء والمحدثون والمستشرقون متفقون في ذلك ، وخلافهم الوحيد ، هو في مقدار نسبة الفاسد من الشعر بالنسبة الى الصحيح .

فما قيل عن نحل الشعر إذن هو قول قديم . روي عن الأصمعي أنه قال :
« كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس ، فهو من حماد الراوية إلا نفضاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء »^٣. وروي عن (حماد) الراوية قوله :

١ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (٥١٣) .

٣ مراتب النحويين ، لابي الطيب اللغوي (ص ٧٢) .

« دخل علينا ذو الرمة الكوفة ، فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه . فغم ذلك كثيراً من أهل المدينة » ، فأرادوا الكيد له بامتحانه ، فصنعوا شعراً على ألسنة بعض الجاهليين ، وأنشدوه لإياها ، فعلم ذلك (ذو الرمة) بعلمه وبمعرفة الشعر الجاهلي ، أنه شعر مصنوع ، فقال لهم : « ما أحسب أن هذا من كلام العرب »^١ .

وقد زيد في شعر (امرئ القيس) كثيراً ، وقد عدّه علماء الشعر من المقلّين، وجعل بعضهم الصحيح من شعره نيفاً وعشرين شعراً بين طويل وقطعة^٢ . وفي جملة ما نسب إليه القصيدة المسمطة ، وهي :

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرايحُ من هند خلّت ومصاييف يصيح بمغناها صدى وعواضف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسفٍ ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السباكين هطال^٣

ونرى (ابن سلام) يقول : « وما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد . والذي صح لها قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لها غيرهن ، فليس موضعها حيث وضعها من الشهرة والتقدمة ، وإن كان ما يروى من الغناء لها فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذلك . فلما قلّ كلامهما حمل عليها حمل كثير ، ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة »^٤ . ولما تحدث عن (عبيد بن الأبرص) قال : « وعبيد بن الأبرص ، قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :

أقصر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

-
- ١ الاغانى (١١٧/١٦) .
 - ٢ العمدة (١٠٥/١) .
 - ٣ العمدة (١٧٦/١) .
 - ٤ طبقات (١٠ وما بعدها) .

ولا أدري ما بعد ذلك ^١ . فهو مع علمه الواسع بالشعر ، واستشهاد العلماء بكلامه وبآرائه في الشعر ، لا يعرف لعبيد غير هذا الشعر ، مع العلم بأنه قد توفي سنة (٢٣١ هـ) ، وفي أيامه كان الناس يموتون في طلب الشعر الجاهلي . ونجد (ابن قتيبة) المتوفى بعده (٢٧٠ هـ) ، يذكر له شعراً مطلعته :

يا عين فابكي بني أسدٍ همُ أهل الندامة^٢

ثم قوله مخاطباً امرأ القيس :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيثنا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا^٣

ثم قوله :

هلا سألت جموع كندة يوم ولتوا هاربينا^٤

وقد ذكر (ابن سلام) أن الرواة قد وضعوا على (عدي بن زيد) شعراً كثيراً ، وعلل ذلك بقوله : « وعدي بن زيد ، كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقته ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد . واضطرب فيه خلف ، وخلط فيه المفضل فأكثر . وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات، وله بعدهن شعر حسن »^٥ . ولابن قتيبة هذا الرأي فيه ، حيث يقول : « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة . وله أربع قصائد غرر »^٦ . وذكر نقلاً عن (أبي عبيدة) عن (أبي عمرو بن العلاء) أن « العرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست ببنجدية ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »^٧ .

-
- ١ طبقات (١١ ، ٣١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٠ / ١) ، ديوان عبید (١٢٥) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٥٢ / ١) ، ديوان عبید (١٣٦) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٥٨ / ١) .
 - ٥ طبقات (٣١) ، العمدة (١٠٤ / ١) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٥٠ / ١) .
 - ٧ الشعر والشعراء (١٥٤ / ١) .

وقد تعرض القدماء لموضوع الشعر المقال على السنة الأمم القديمة وملوكها ، فرفض (ابن سلام) ذلك الشعر ، بقوله : « وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحبر وتبع »^١. إذن فما أضيف الى هؤلاء والى أهل اليمن هو شعر متحل.

ومن أصحاب البصر والنظر في الشعر : (خلف الأحمر) . « وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلية هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها ، وحذقه بها ، وإجادته لها »^٢. وعلمه بالشعر ، جعله من كبار الوضاعين له على السنة الجاهليين .

وبعد ، فإننا لا نستطيع بالطبع التصديق بصحة الشعر المنسوب الى آدم والجن والتبابعة وأهل العربية الجنوبية وغيرهم ممن لا يعقل قولهم الشعر العربي ، وإن نص على صحة ذلك الشعر ، ورواه العلماء . أما سبب رفضنا قبول الشعر المنسوب الى أهل العربية الجنوبية من ملوك وأقيال ورؤساء، فلأنهم كانوا يتكلمون ويكتبون كما هو ثابت لدينا من نصوصهم بلغة تختلف عن لغة الشعر المألوفة ، ولو تصورنا أنهم كانوا ينظمون الشعر بلغة الشعر المعروفة ، ويكتبون ويتكلمون بلغة أخرى : فإننا نكون قد قلنا برأي مخالف للمعقول والمنطق ، ونكون قد أوجدنا لهم لغة للشعر ولغة للنثر ، وهو افتراض لا يمكن لأحد إثباته ، ثم إن لغة التدوين تكون في العادة لغة الأدب عامة من شعر ومن نثر ، لذا فإذا قلنا بوجود شعر جاهلي للعرب الجنوبيين ، قلنا يجب أن يكون هذا الشعر بلغتهم ، لا بلغة هذا الشعر الجاهلي الذي نتحدث عنه .

وبعد ، فلعل قائلًا يقول : وما فائدة الشعر الجاهلي إذن ، اذا كان هذا شأنه فيه المنحول والفاسد ، وما يشك في أصله ؟ والجواب : ان العلماء ، وان اختلفوا فيه ، مجمعون ومتفقون على ان رواة هذا الشعر وحملته كانوا من أعلم الناس بالجاهلية : بأخبارها وبأيامها وبأنسابها ، وبأنهم كانوا من أمرس الناس بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه ، فهم إن وضعوا ولفقوا ، أو كيفوا ، فإنهم لا يضعون عن جهل وعى ، بل عن علم وفهم بالجاهليين وبمذاهبهم في نظم

١ طبقات (١١) .

٢ العمدة (١١٧/١) .

الشعر والتفسير ، ولا سيما ان العهد بينهم وبين الجاهلية لم يكن طويلاً ، وان الأخذ
عن شهد الجاهلية أو أخذ منهم وسمع كان ممكناً يسيراً ، ومن هنا كان مارووه
من شعر جاهلي مادة مهمة للمؤرخ مهما قيل في أمره .

ثم إننا حين نروي الشعر الجاهلي ، فلا نرويه أو ننشده ، أو نحفظه لأنه شعر
مقدس ، لا يجوز أن يمسه أحد بسوء ، وأنه تراث خالد ، إذا تعرض له إنسان
أو تحرش به ، فإنما هو يتعرض لأثر تاريخي قديم من آثار هذه الأمة ، وإنما
نرويه على أنه من مرويات العلماء ، وأنه مهما قيل فيه وفي أصله ، فإنه يحاول
أن يصور لنا أحوال زمن سبق الإسلام ، وهو زمن مهم جداً بالنسبة لنا ،
لاتصاله بالاسلام ، ولقيام الاسلام عليه ، ولكونه فصولاً متقدمة مجهولة من كتاب
ناقص ، ضاعت فصوله الأولى ، هو كتاب في تأريخ العرب منذ القدم الى هذا
اليوم ، فإذا فقدنا الأصول ، فلا بأس بالتسلي بما نسبته المتأخرون على الأقل الى
المتقدمين ، مهما كان بعد هذا المنسوب عن الصحة والحق ، ومهما كانت نسبة
الباطل فيه كبيرة ، وحتى إذا كانت النسبة مائة بالمائة ، وهي نسبة نبالغ فيها
بالطبع ، لا أعتقد أن أحداً سيراه ، مهما بلغ به الشك والحذر بالنسبة الى أصالة
الشعر الجاهلي ، ومن هنا فإن التزاع الدائر حول صحة الشعر الجاهلي ، والذي
سيبقى مثاراً قائماً ، حتى يظهر أثر جاهلي مكتوب ، وعندئذ فقد يحسم شيئاً من
مواضع الخلاف المؤلفة لهذا التزاع ، يجب ألا يحملنا على الابتعاد عن هذا الشعر ،
باعتبار أنه لا يمثل الجاهلية تمثيلاً صحيحاً ، وأنه شعر مكنوب منحول ، وإنما
يجب أن يدفعنا - على العكس - الى الاهتمام به ، باعتباره أنه من أقدم الآثار
التي وصلت إلينا ، المدونة في الاسلام . وأنها إن كانت منحولة ، فإن نخلها على
السنة الجاهليين ، نخل قديم ، يعتبر تاريخياً من أقدم المنحولات الواصلة إلينا في
المدونات الاسلامية ، وأنها تمثل صنعة وصناعة صنّاع ، حاولوا تقليد الماضي ،
على ما وصل خبره اليهم ، فصاغوه على تلك الصياغة ، فهو أثر أصيل لأقدم
مصنوعات وحكاية وتقليد لآثار قديمة لها صلة بتاريخ العرب القديم .

وأرى في الوقت نفسه ان من الضروري وجوب تفصي الأخبار عن الشعر
المصنوع ، وتتبع المراجع للوصول الى أقدم مرجع ورد فيه كل شعر مصنوع ،
وتسجيل الآيات والقطع والقصائد التي ترد لأول مرة في أقدم مورد من الموارد ،
والنص على اسم المورد ، وعلى سنده إن كان مذكوراً ، لتتمكن بهذه الدراسة

من الوصول الى اسم صانع الشعر ، أو الزمن الذي ظهر فيه ذلك الشعر ان كان الاسم مجهولاً ، كما نقوم بتسجيل الموارد التي يرد فيها شعر الشعراء ، وما اختلفت فيه بعضها عن بعض من حيث الألفاظ ، أو ترتيب الأبيات ، أو عددها ، ثم أسماء من نسبت اليهم تلك الأشعار ، فقد ينسب الشعر الواحد الى جملة شعراء ، وتسجيل أسماء من روى ذلك ، واسم المصدر، وبذلك نكون قد قمنا بدراسة علمية قيّمة عن الشعر المصنوع وعن الشعر الأصيل الذي لم يشك في أصالته عالم من علماء الشعر ، ثم نعرض النتائج للبحث بأساليب النقد الحديثة لاستخراج الزائف منه ، ولاستبعاد صدور بعضه من الشعراء الجاهليين، نفعل ذلك حتى في حالة عدم ورود رواية لعالم قديم تشك في صحة شعر ، لأن سكوت العلماء عن الشك في شعر ، لا يكون حجة على صحة ذلك الشعر .

الفصل السادس والخمسون بعد المئة

أولية الشعر الجاهلي

لا نملك نصوصاً جاهلية مدونة عن مبدأ الشعر عند العرب، وعن كيفية ظهوره وتطوره الى بلوغه المرحلة التي وصلها عند ظهور الاسلام . ولم يعثر العلماء على شعر مدون بقلم جاهلي ، ليكون لنا نبراساً يعيننا في تكوين صورة عن ذلك الشعر وعن هيكله ومادته التي تكون منها . وكل ما نعرفه عن هذا الشعر مستمد من موارد اسلامية، أخذت علمها به من أفواه الرواة ، فلما جاء التدوين دون ما وعته الذاكرة مما أخذته عن المتقدمين بالرواية ، فتثبت واستقر ، بعد أن كان المروي عرضة للتغيير والتحريف كلما تنقل من لسان الى لسان ، ومن وقت الى وقت . وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع قدم الشعر العربي وتأريخه ، فقال: « وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق اليه، امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له الى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فائتي عام^١ . وذهب (عمر بن شبة) الى أن « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ، وادعت القبائل كل قبيلة لشاعرها أنه الأول.. فادعت اليمانية لامرئ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلل ، وبكر لعمر بن قتيبة والمرقس الأكبر ، وإياد لأبي دؤاد ... وزعم بعضهم أن

١ الحيوان (٧٤/١) .

الأفوه الأودي أقدم من هؤلاء ، وانه أول من قصد القصيد ، قال : وهؤلاء النفر المدعى لهم التقدم في الشعر متقاربون ، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها ^١ . وذهب (الأصمعي) الى ان بين أول شاعر معروف ، قال كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر ، وهو (مهلهل) ، وبين الاسلام أربعمائة سنة . « وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » ^٢ .

وقال (الأصمعي) في رواية تنسب اليه ، « ان أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة ، رجل من بني كنانة ، والأضبط بن قريع . قال : وكان بين هؤلاء وبين الاسلام أربعمائة سنة ، وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » ^٣ . « وزعم أبو عمرو بن العلاء : ان الشعر فتح بامرؤ القيس وختم بلذي الرمة » ^٤ .

وذكر انه « لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات التي يقولها الرجل في حاجته ، وانما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد عبد المطلب ، أو هاشم ابن عبد مناف » ^٥ .

وذكر (المرزباني) ، أن (بكر بن وائل) ، تزعم أن (عمر الضائع) « أول من قال الشعر وقصد القصيد ، وكان امرؤ القيس بن حجر استصحبه لما شخص الى قيصر يستمده على بني أسد ، فأت في سفره ذلك فسمته بكر عمرأ الضائع » ^٦ . فعمرأ الضائع ، هو أول من قال الشعر وقصد القصيد على رأي بكر بن وائل على رواية (المرزباني) .

وقد أورد (ابن اسحاق) شعراً نسبته الى (عمرو بن الحارث بن مضاخر) الجرهمي ، زعم أنه قاله لما خرج بقومه من مكة الى اليمن ، أوله :

وقائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر

-
- ١ المزهري (٤٧٧/٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣) ، المرزباني ، الموشح (٧٤) .
 - ٢ المزهري (٤٧٧/٢) .
 - ٣ المزهري (٤٧٧/٢) .
 - ٤ البيان والتبيين (١١٥) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .
 - ٥ المزهري (٤٧٧/٢) .
 - ٦ معجم (٤) .

الى آخر القصيدة التي يتوجع فيها لمفارقتها مع قومه مكة ، ونسب له أبياتاً أخرى هي :

يا أيها الناس سيروا ان قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حشوا المطايا وأرخوا من أزمتها قبل المات وقضوا ما تقضونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنّا تكونونا

وقد ذكر (ابن هشام) ان « هذا ما صح له منها » وان بعض أهل العلم بالشعر يقول إن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب^١ .

ودون (السهيلي) صاحب (الروض الأنف) شعراً أخذه من كتاب (أبي بحر سفيان بن العاصي) زعم أنه وجد في بئر باليامة ، وهي بئر طسم وجديس ، في قرية يقال لها (معنق) بينها وبين الحجر ميل^٢ ، وكان مكتوباً على ثلاثة أحجار ، كتبها قوم من بقايا عاد ، غزاهم تبع ، كتب على الحجر الأول :

يا أيها الملك الذي	بالمك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا	وعلا شؤون الناس شأنه
أقصر عليك مراقباً	فالدهر مخسول أمانه
كم من أشم معصب	بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزماً	ن وكان ذا خفض جنانه
تجري الجداول حوله	للجند مترعة جفانه
وقد فاجأته منية	لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده	عنه وناح به قيانه
والدهر من يعلق به	يطحنه مفرشاً جرانه
والناس شتى في الهوى	كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة	والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى	ولقسد يشرفه بيان

١ ابن هشام ، سيرة (٨٢/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) .

٢ الروض الانف (٨٢/١ وما بعدها) .

وكتب على الحجر الثاني :

كل عيش تعلمه	ليس للدهر خله
يوم يؤس ونعمى	واجتماع وقله
حبنا العيش والتكا	ثر جهل وضله
بينما المرء ناعم	في قصور مظه
في ظلال ونعمة	ساحباً ذيل حله
لا يرى الشمس ملغضا	رة إذ زال زله
لم يقلها وبدلت	عزة المرء ذله
آفة العيش والنعم	سيم كرور الأهله
وصل يوم بليلة	واعراض بعله
والمنايا جواثم	كالقصور المدله
بالذي تكره النف	وس عليها مطله

ووجد في الحجر الثالث مكتوباً :

يا أيها الناس سيروا ان قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حشوا المطي وأرخوا من أزمتها قبل المات وقضوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا^١

وقد أضاف (الأزرقى) زيادات على هذه الأبيات الأخيرة .

والأبيات التي زعم أنها وجدت مدونة على الحجر الثالث ، هي نفس الأبيات التي نسبها (ابن اسحاق) الى (عمرو بن الحارث بن مضاض) الجرهمي كما رأيت . ويظهر أن واضع هذه الأبيات قد استعان بالأبيات التي وجدت في سيرة (ابن هشام) ، أو أنه أخذها من سيرة (ابن اسحاق) . ويلاحظ أنها في الحث على الزهد والترغيب في الآخرة . ولو لم يكن هذا الشعر من النوع المصنوع ، لكان من أقدم ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ولا شك .

و ه العلماء من العرب الذين قالوا بمدة مائة وخمسين سنة تقريباً للشعر الجاهلي ،

١ الروض الانف (٨٢/١ وما بعدها) .

لم يبعدوا عن الصواب إذا فرضنا أنهم إنما أرادوا بذلك ما وصل إلينا من الأشعار القديمة^١ ، بمعنى أن أقدم ما وصل إلينا من ذلك الشعر بصورة لا يرتاب بصحتها ، لا يمكن أن يرتقي عهده أكثر من قرن أو قرن ونصف عن الهجرة على أكثر تقدير ، وأن أقدم اسم شاعر جاهلي وصل إلينا لا يرتقي عهده عن هذا التقدير . أما إذا كان قصدهم أن نظم القصيد كان قد بدأ في هذا الوقت ، وأن الشعر بالمعنى الاصطلاحي المفهوم منه لم يظهر عند العرب ، إلا قبل قرن أو قرنين عن الإسلام ، فذلك خطئ في الرأي ، وفساد في الحكم . فالشعر أقدم من هذا العهد بكثير ، وقد أشار المؤرخ (سوزيموس) « Zosimus » إلى وجود الشعر عند العرب ، وهو من رجال القرن الخامس للميلاد ، إلى تغني العرب بأشعارهم ، وترنيمهم في غزواتهم بهباً^٢ ، وفي إشارته إلى الشعر عند العرب دلالة على قدم وجوده عندهم ، واشتهاره شهرة بلغت مسامع الأعاجم ، فذكره في تأريخه . وفي سيرة القديس (نيلوس) « Nilus » المتوفى حوالي السنة (٤٣٠) بعد الميلاد ، أن أعراب طور سيناء كانوا يغنون أغاني وهم يستقون من البئر . وهي أشعار ترنم بإيقاع ، تشبه أناشيد العبرانيين عند استقائهم الماء من الآبار . « حيثئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد : اصعدي أيتها البئر أجيبيوا لها ، بئر حفرها رؤساء ، حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيتهم »^٣ ، والأشعار المروية في كتب التواريخ والأدب عن حفر آبار مكة وغيرها من هذا القبيل ، فقد روي أن (عبد المطلب) لما حفر بئر (زمزم) ، قالت (خالدة بنت هاشم) :

نحن وهبنا لعسدي سجله في تربة ذات عذاة سهله
تروي الحجيج زعلة فزعله

وأن (عبد شمس) قال :

حفرت ختماً وحفرت رما حتى أرى المجد لنا قد تما

١ كارلو فالينو ، تأريخ الاداب العربية (ص ٦٨ وما بعدها) ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ م ، دار المعارف بمصر) .

٢ Die Araber, II, S. 330.

٣ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ١٧ .

وان (سبيعة) بنت (عبد شمس) قالت في الطوى :
إن الطوى إذا شربتم ماءها صوب الغمام عنوبة وصفاء

وان (الحويرث بن أسد) ، قال في (شفية) :
ماء شفية كماء المزن وليس ماؤها بطرق أجن

وان (أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار) قالت في حفر بئر (أم أحراد) :
نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبئر النذر والجناد
فأجابتها (صفية بنت عبد المطلب) :

نحن حفرنا بئر تروي الحجيج الأكبر
من مقبل ومدبر وأم أحراد بشر
فيها الجراد والنذر وقنر لا يذكر

ولما حفر بنو جمح (السنبلة) ، وهي بئر (خلف بن وهب) الجمحي ،
قال قائلهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبلة صوب سحاب ذو الجلال أنزله

وحفر بنو سهم الغمر ، وهي بئر الجاصي بن وائل ، قال ابن الربيع أو غيره :
نحن حفرنا الغمر للحجيج تشج ماء أيمبا شجيج

وحفرت بنو عدي (الحفير) فقال شاعرهم :

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا بحراً يجيش ماؤه غزيراً^١

وورد أن (قصياً) لما احتفر (العجول) ، قال شاعرهم :

نروي على العجول ثم ننطلق إن قصياً قد وفى وقد صدق

١ البلاذري ، فتوح البلدان (٦٠ وما بعدها) ، (ذكر حقائق مكة) ، الروض الانف
(١٠١/١ وما بعدها) ، ويرد الشعر بروايات مختلفة بعض الاختلاف .

وان قصياً لما احتفر (سجلة) ، قال :

أنا قصيٌ وحفرت سجلة تروي الحبيج زغلة فزغلة

وقيل بل حفرها (هاشم) ، ووهبها (أسد بن هاشم) لعدي بن نوفل ،
فقال : خلدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدي سجلة تروي الحبيج زغلة فزغلة

ونجد في كتب السير شعراً قيل في حفر بشر زمزم^١ ، وفي آبار أخرى ، مما
يدل على ان العرب كانوا قبل هذا العهد ، اذا حفروا بئراً ، قالوا شعراً فيها ،
وهو شعر يمكن أن نسميه شعر الآبار ، وهو يعود ولا شك الى عرف قديم ،
قد يتقدم على الميلاد بكثير ، وهو يجب أن يكون من أقدم ما قيل من الشعر ،
لما للبشر من أهمية في حياة العرب .

ولم يقتصر التغني بالشعر على حفر الآبار وحدها ، وإنما تغني به عند بنائهم
بناء أو حفرهم خندقاً ، أو اقامتهم سوراً ، أو قيامهم بزرع أو حصاد ، وفي
أعمال أخرى يناط القيام بها الى جماعة في الغالب ، وكذلك في الغارات وفي الحروب .
ولما شرع المسلمون يبنون مسجد الرسول بالمدينة ، قال قائل منهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منّا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنون ، يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم فارحم الأنصار والمهاجرة

وقال (ابن هشام) : هذا كلام وليس يرجز^٢ ، وسبب ذلك كون قائله
هو الرسول .

وقيل إنه قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

١ ابن هشام ، سيرة (٩٧/١) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٩٧/١) .
٢ ابن هشام ، سيرة (١٢/٢) ، (حاشية على الروض) .

وجمل يقول :

هذا الجمال لا حال خبير هذا أبرّ ، ربنا ، وأطهر^١

ويروي أهل الأخبار أن (المهلهل) ، كان يتغنى في شعره حين قال :

طفلة ما ابنة المحلل بيضا^٢ ، لعوب^٣ لذينة في العناق^٤

وروا أن من الشعراء الجاهليين من كان يتغنى بشعره ، وإن حسّان بن ثابت أشار إلى التغني بالشعر بقوله :

تَغَنَّ بالشعر إما كنتَ قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار^٥

وقد قصد بذلك ، ترنيم الشعر وإنشاده على نغم مؤثر ، وهو الغناء . وما زال الشعراء ، يترنمون بشعرهم ، وينشدونه بأسلوب خاص يميزه عن أسلوب إلقاء النثر .

ونجد في أخبار غزوة أحد ، أن هنداً بنت عتبة ، زوجة أبي سفيان، ونسوة من قريش كنّ يضررن على الدفوف ويتغنين بالشعر ، حيث يقولون :

نحن بنات طارق^٦ إن تُقبِلوا نعانق
ونبسط السمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وتقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتار^٧

ولا بد وأن تكون في الأهازيج وفي أشعار الحج ، أنغام يرنم على وقعها الشعر،

١ ابن سعد طبقات (٢٤٠/١) ، (صادر) .
٢ الأغاني (٥١/٥) .
٣ العمدة (٢٤١/٢) .
٤ الطبري (٥١٠/٢ ، ٥١٢) .

الذي هو شعر الغناء . فإننا نجد في التتف الباقية من الجمل التي كان يقولها الحجاج أثناء حجهم ، آثار شعر قد كان مقروناً بالغناء .

ونظراً لوجود تماس مباشر بين هذا الشعر وبين الحياة العامة، فإن في استطاعتنا القول ، انه قد يكون من أقدم أنواع الشعر عند العرب ، وهو شعر لم ينبع من ألسنة الشعراء المحترفين ، وإنما خرج على كل لسان ، وساهم فيه كل شخص : رجل أو امرأة ، مثقف أو جاهل ، حكيم أو سوقي . وهو بعد نابع من صميم الحياة ، ومن باطن القلب ، للترفيه عن النفس ، ولتخفيف التعب ، ولا زال الناس يتغنون عند وقوع مثل هذه الأمور لهم ، وهو غناء لم يحظ ويا للأسف بالرعاية والعناية ، لذلك لا نجد له ذكراً في الكتب إلا بالمناسبات .

ويرى العلماء المشتغلون بموضوع الشعر من الغربيين ، ان بين الشعر والسحر صلة كبيرة ، بل رأى بعض منهم ان الغرض الذي قصد اليه من الشعر في الأصل هو السحر ، ودليل ذلك ان الغناء عند الشعوب البدائية ، ليس متسقاً مع نغم العمل وإيقاع اليد العاملة ، فنجد الغناء عند البناء أو الجر أو الحفر ، أو الزرع لا يتسق مع نوع حركة العمل ، وإنما كان يسلي العمال ويسعفهم بقوى سحرية ، وهو الغرض من جميع فن القول عند البدائيين، أي تشجيع العمل بطريق سحري^١.

وقد ذهب (بروكلن) و (كولدترير) الى ان هذا الأثر السحري لا يظهر في الشعر العربي القديم إلا في شعر الهجاء ، « فن قبل أن ينحدر الهجاء الى شعر السخرية والاستهزاء ، كان في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري . ومن ثم كان الشاعر ، اذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن ، يلبس زياً خاصاً شبيهاً بزى الكاهن . ومن هنا أيضاً تسميته بالشاعر ، أي العالم ، لا بمعنى انه كان عالماً بمخفاص فن أو صناعة معينة ، بل بمعنى انه كان شاعراً بقوة شعره السحرية ، كما ان قصيدته كانت هي القالب المادي لذلك الشعر »^٢ .

وكانت غاية الأغاني القصيرة ، التي يرددها البدائي في المواقف الكبرى للحياة

١ بروكلن (٤٥/١) ،
K. Th. Preuss, Die Geistige Kultur der Naturvölker, Leipzig — Berlin,
1914, S. 85.

٢ بروكلن (٤٦/١) ، I. Goldziher, Abhand. Zur Arab. Philologie, I, I

الانسانية ، أن تحدث آثاراً سحرية ، وكذلك كانت غاية الرثاء الأصلية أيضاً هي السحر ، « فقد كان الغرض من المراثية أن تطفئ غضب المقتول وتنهاه أن يرجع الى الحياة ، فيلحق الأضرار بالأحياء الباقين ، ولكن هذا المعنى تلاشى تقريباً في الجزيرة العربية أمام الشعور الانساني بالحزن الممض . على ان إظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لاثقاً بنسائها ، وخاصة بالأخوات ، ومن ثم بقي تعهد الرثاء الفني من مقاصدهن حتى عصر التسجيل التاريخي »^١ .

وقد لعبت الأغاني دوراً كبيراً في الصيد والحرب ، فقد رافقتها منذ أوائل انشغال الإنسان بهما . ولم يكن الصيد متعة وتسليه ورياضة عند العرب حسب ، بل كان لسدّ حاجة والتغلب على شغف العيش أيضاً ، ونجد في الشعر الجاهلي شعراً جعل الصيد ، نوعاً من الرياضة والتسليه ، وإظهار الرجولة في التغلب على الوحش الكاسر ، والحيوان المتوحش ، وأكثر أصحابه من المترفين والمتمكنين ، من أصحاب الخيل السريعة، مثل الملوك وسادات القبائل ، والشعراء الذين يرافقونهم في رحلات صيدهم ، أو يقومون هم أنفسهم برياضة الصيد .

ويلعب الغزو دوراً خطيراً في حياة الجاهليين ، فقد كان الغزو في الواقع نوعاً من أنواع الكفاح في سبيل الحياة، عليه معاشهم ، وبواسطته يحافظون على حياتهم وأموالهم ، وقد أنتج ضرباً من ضروب الشجاعة والمغامرة ، يتجلى في الشعر الحامسي ، الذي يقال قبل القتال وفي أثناء احتدامه . ونكاد لا نقرأ خبر يوم من أيام العرب أو غزو ، أو قتال إلا ونجد للشعر فيه دوراً ومكاناً في هذه الأحداث. يستوي في ذلك شعر الجاهلية والشعر الذي قيل في الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام .

ونجد للنسب ، والغزل مكانة في الشعر الجاهلي ، وقد نجد فيه وصفاً للجمال الحسي لأعضاء الجسد . وقد أخذ العلماء أمراً القيس والأعشى على مجاهرتهما بالفحش وبالزنا في شعرهما . والمجاهرة بالاتصال الجنسي بصورة عارية مكشوفة من الأمور التي لا ترد بكثرة في الشعر الجاهلي^٢ .

ولا بد وأن يكون الشعر قد مر في مراحل ، لعل أقدمها مرحلة السجع ،

١ بروكلمن (٤٧/١ وما بعدها) .

٢ بروكلمن (٤٩/١ وما بعدها) .

أي النثر المفقأ المجرد من الوزن ، الذي تخصص فيه الكهان عند ظهور الاسلام . وهو والد (الرجز) ، أبسط أبواب الشعر ، ومن الرجز نشأ بناء بحور العروض ، التي يظهر أثر الموسيقى على صياغتها على رأي بعض المستشرقين^١ ، وهو أثر يدل على ما كان للفناء من صلة بالشعر . ولعل هذه الصلة هي التي حملت العلماء على القول بأن بحور الشعر نشأت في الأصل من سير الإبل ، من ترنيم الشاعر شعره على ايقاع سير الإبل . غير ان البحث عن هذا الموضوع وعن موضوع كيفية نشوء بحور العروض وصلتها بعضها ببعض لا تزال من الدراسات العريضة المشكلة الشائكة التي لا يمكن الاتفاق عليها ، لعدم وجود أسس ثابتة يرتكز عليها الجدل القائم بين الباحثين في كيفية تطور الشعر الجاهلي^٢ . أما ان هذه البحور ، قد نشأت من سير الإبل^٣ ، فكلام لا يقوم على علم ، وهو من باب حدس الحداس ، فلدى الشعوب الأخرى شعر ، له ترانيم وبحور ، ومع ذلك ، فإنها لم تكن تتركب الإبل ، ولا تعرف ايقاع أرجلها عند المشي .

وقد قام المستشرقون بدراسة البحور التي نظم الشعراء الجاهليون بها شعرهم ، فوجدوا أن البحر الطويل يأتي في المرتبة الأولى من البحور ، يليه الكامل ، فالوافر ، فالبيسط . أما المتقارب فيوجد عند امرئ القيس ، كما يوجد عنده المنسرح قليلاً . واستعمل (طرفة) الرمل في قصيدة يبلغ طولها (٧٤) بيتاً ، ترتيبها الخامس في ديوانه^٤ ، كما استعمل السريع في قصيدتين^٥ ، واستعمل كل من امرئ القيس وطرفة المديد في قصيدة واحدة^٦ ، وأما الخفيف ، فقد وجد في شعر المرقشين ، وعبيد بن الأبرص ، وعامر بن الطفيل ، والأعشى ، ولا يوجد المزج إلا في قطعتين منحولتين ، واحدة لطرفة ، وأخرى لامرئ القيس^٧ .

وقد ذهب (غرونيوم) الى أننا نجد تفتناً في شعر شعراء العراق وفي شعر من احتك بالحيرة من شعراء أكثر مما نجده في شعر أي مكان آخر . وذكر أن شعر

١ بروكلمن (٥١/١) وما بعدها .

٢ بروكلمن (٥١/١) وما بعدها .

٣ G. Jacob, Studien in Arabische Dichtem, II, S. 106.

٤ بروكلمن (٥٣/١) .

٥ رقم ٢ و ٣ من الديوان .

٦ بروكلمن (٥٣/١) .

٧ بروكلمن (٥٣/١) .

(أبي دؤاد) الإيادي قد جاء على اثني عشر بحراً ، ثم يرى أن المدرسة العراقية قد أكثرت من بحر الرمل ، ولا يستعمل هذا البحر في الشعر القديم إلا أبو دؤاد في ثلاث قصائد ، وطرفة في ثلاث قصائد ، وعدي في سبع قصائد ، والمثقب في قصيدة واحدة ، والأعشى في قصيدتين . واستعمله امرؤ القيس في قصيدة واحدة ، ورأى في ذلك دلالة على تأثير امرئ القيس بأبي دؤاد ، وتأيداً للرواية التي ترى أنه كان راوية لأبي دؤاد^١ .

ويجيء امرؤ القيس وعدي والأعشى بعد أبي دؤاد في تنويع البحور التي نظموا بها ، فقد نظم كل واحد منهم في عشرة أوزان . وتدل الدراسات التي قام بها (فرايتاك) على قلة ورود النظم في بحري الرمل والخفيف بالنسبة إلى البحور الأخرى^٢ . ويظن أن الشعر الوارد في كتاب : (البخلاء) للجاحظ ، وهو :

واعلمن علماً يقيناً انه ليس يرجى لك من ليس معك

المنسوب لعبيد بن الأبرص^٣ ، هو من الموضوعات .

ويرى (غرونباوم) أن من خصائص المدرسة العراقية نزوعها إلى بحر الخفيف ، وعند أبي دؤاد الإيادي خمس عشرة قصيدة بهذا الوزن ، وعند عدي سبع ، وعند الأعشى خمس ، « ولم يستعمل هذا البحر عند سائر الشعراء المعاصرين إلا على نحو عارض »^٤ . فورد عند عمرو بن قتيبة ، وعند المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وعامر بن الطفيل ، والحارث بن حلزة الشكري^٥ .

ويظهر مما أورده المفسرون وأهل السير من قول (الوليد بن المغيرة) في الرسول وفي القرآن : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشجر كله : رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر »^٦ ، « فجعل الرجز والمزج من أوزان

١ غرونباوم (٢٦٥ وما بعدها) .

٢ E. Bräunlich, in Der Islam, XXIV, 1937, S. 248. f., Freitag, Darstellung der Arabischen Verskunst, S. 15, J. Jacob, Altarabisches Beduinenleben, S. 190. f., (1897).

٣ الجاحظ ، البخلاء (١٩٠) ، (طه الحاجري) ، غرونباوم (٨٦) .

٤ غرونباوم (٢٦٦) .

٥ غرونباوم (٢٧٩) ، بروكلمن (٥٣/١) .

٦ ابن هشام ، سيرة (١٧٣/١) ، (حاشية على الروض الانف) .

الشعر ، وقرن بها أسماء غير محددة ، ويبدو أن تحديد هذه المعاني كلها عند العرب كان مختلفاً عن اصطلاحات العروضيين ، وإلا فإن القبض في العروض من عيوب الزحاف ، وهو حذف الحرف الخامس الساكن ^١ . وورد في رواية عن (أبي ذر) : « لقد وضعت قوله على اقراء الشعر ، فلا يلتئم على لسان » ، وقد اختلفوا في المراد من الإقراء ^٢ ، وفي هذين الخبرين وأمثالهما دلالة على أنه قد كان لأهل الجاهلية قواعد ثابتة بالنسبة للشعر ، وأن الشعر كان يعتمد عندهم عليها . وأن علماء العروض : (الخليل بن أحمد) و (الأخفش) لم يتمكنوا من ضبط كل محور الشعر التي كانت عند الجاهليين ، بدليل أننا نجد أحياناً خارجة عن العروض الذي وضعها، ويظهر أن هذا الخروج يمثل مرحلة من مراحل الشعر، لم تقف على كنهها بعد ^٣ . وقد وجد (العيني) أن في الأصمعية المرققة ب (٧٢) تشعيثاً ، قال عنه (غرونيوم) : « ومثل هذا لا يعدّ خطأ ، بل هو مظهر من مظاهر التطور الفني في هذا الوزن ، مظهراً استنكر أو نسي مع الزمن ، حين وضع علم العروض ، بعد حوالي قرنين من وفاة أبي ذؤاد » ^٤ . وقد ذهب (غرونيوم) الى أن (الخليل) ، أقر « ستة عشر وزناً » ، واطرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها ^٥ ، والواقع أننا لا نستطيع الزعم ، بأن الخليل قد أحاط علماً بكل أنواع العروض العربي الجاهلي .

ومن يفحص الشعر الجاهلي ، يجد ان في بعضه اضطراباً وخروجاً وشدوذاً على قواعد (العروض) ، وقد وجد هذا الشذوذ في شعر شعراء يعدون من الفحول ، مثل (امرئ القيس) ، في القصيدة التي مطلعها :

عيناك دمعها سيجالُ كأن شأنيها أوشالُ

ومثل عبيد بن الأبرص في قوله :

أقبر من أهله ملحوبُ فالقطيبات فالذنوب

-
- ١ اللسان (٨٠/٩) ، بروكلمن (٥٣/١) .
 - ٢ النهاية ، لابن الاثير (٢٣٨/٣) ، بروكلمن (٥٣/١) .
 - ٣ بروكلمن (٥٤/١) .
 - ٤ غرونيوم (٢٦٨) .
 - ٥ غرونيوم (١٣٥) .

فقلما يخلو بيت من هذه القصيدة من حذف في بعض التفاعيل ، أو زيادة ، كما في الشطر الأول من هذا المطلع .

ومثل ما نسب الى المرقش الأكبر ، وعدي بن زيد العبادي ، وغيرهم ، من خروج على الوزن في بعض الشطور ، وإخلال في الوزن ، حتى زعم بعض العلماء ، ان في نونية (سلمى بن ربيعة) خروجاً عن العروض : عروض الخليل^١ . وقد أشرت في مكان آخر الى وقوع الإقواء والإكفاء والزحاف في شعر بعض الشعراء ، مثل امرئ القيس ، والنابعة ، وبشر بن أبي خازم ، وهي أمور تلفت النظر ، لا ندري أكانت قد وقعت من الشعراء حقاً ، أم من الرواية والرواة ، أم انها لم تكن عيباً بالنسبة لعروض الجاهليين ، وانما عدت من العيوب بالنسبة الى العروض الذي ضبط في الاسلام ، أو انه وقع بسبب تعديل أو تبديل أدخله العلماء على الأصل ، ليلائم قواعد العربية ، فوقع من ثم ما قيل له عيباً . واني لا أستبعد وقوع السهو في نظم الشعر من شاعر منها كان فحلاً ، فقد روي ان بعض الفحول من شعراء العصر الأموي كالكميت والفرزدق والأخطل ، قد وقعوا في أخطاء ، وان رواهم كانوا يجرون تنقيحاً وتغييراً على أشعارهم ، ليقوّموا بذلك ما انحرف في شعرهم وما فيه من السناد^٢ ، ولكن وقوع ما نشير اليه يدل على ان ما نعدّ اليوم عيباً أو خروجاً على القواعد والعروض ، لم يكن ينظر اليه هذه النظرة عند الجاهليين وفي صدر الاسلام ، وإلا دل ذلك على جهل أولئك الشعراء بقواعد اللغة وعلم الشعر ، وحاشا وقوع ذلك منهم ، وشعرهم نفسه كان في جملة المواد الأساسية التي استعان بها علماء القواعد والعروض في بناء النحو والعروض .

وقد قصر علماء الشعر فحولة الشعر في الجاهلية على الشعراء المعروفين بالنظم بالبحور المشهورة ، فيما عدا الرجز ، أماقالة الرجز ، فهم طبقة خاصة ، عرفت عندهم بالرجّاز . ويظهر من القول المنسوب الى (الوليد بن المغيرة) : « لقد عرفنا الشعر كله : رجزه ، وهزجه ، وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه »^٣ ، أن الشعر في نظر أهل مكة : رجز ، أو هزج ، أو قريض ، أو مقبوض ، أو مبسوط ، وأن من يقول الرجز ، فهو راجز ورجّاز ، ولم يكن الرجز كما

١ العصر الجاهلي ، شوقي ضيف (١٨٤ وما بعدها) .

٢ الاغانى (٢٥٦/٤) .

٣ ابن هشام (١٧٣/١) ، (حاشية على الروض) .

يقول علماء الشعر طويل النفس ، وإنما كان أبياتاً ، وقد بقي هذا حاله حتى أيام الأمويين ، فطول ولقي عناية خاصة عند كثير من الشعراء ، فأخذوا يذهبون به مذهب القصيد ، فقصدوه ، بأن جعلوه قصائد ، وعمدوا الى تخفيف ما تركه بساطة العروض وسهولته في النفس من ملل ، بأن لجأوا الى استعمال العبارات البعيدة المأخذ ، والألفاظ الغريبة ، والاختراعات اللطيفة ، حتى تمكنوا من إدخاله الى قصور الخلفاء الأمويين ، ومن نيل الجوائز والألطف منهم^١ .

ويعود الفضل في رفع مستوى الرجز في الإسلام ، الى رجلين من (بني عجل) ، هما : (الأغلب بن عمرو) العجلي ، (٢١٥ هـ) ، و (أبو النجم الفضل بن قدامة) العجلي ، والى رجال من (تميم) ، على رأسهم : (العجاج) (٩٧ هـ) وابنه (رؤبة) المتوفى سنة (١٤٥ هـ) وقيل (١٤٧ هـ) ، و (عقبة) ابن (رؤبة) هذا ، و (أبو المرقال الزفیان) ، و (دكين بن رجاء) الفقيمي ، و (محمد ابن ذؤيب) الفقيمي العماني^٢ .

ولا نملك شعراً يمكن أن يقال عنه انه أقدم ما وصل إلينا من مراحل الشعر الجاهلي . حتى هذا الرجز ، الذي ينظر اليه المستشرقون على انه أول مرحلة من مراحل الشعر الجاهلي ، لبساطته ولسهولته ، ولكونه وسطاً بين السجع والشعر ، لا نملك نماذج منه ، يمكن أن نطمئن الى انها كانت من الشعر القديم ، الذي يصلح للاستشهاد به على انه من قديم الشعر ، إذ لم يحفل علماء الشعر بالرجز لاعتبارهم اياه دون الشعر ، فلم يدونوا منه شيئاً يذكر ، ولذلك نجد نسبته بالنسبة الى كمية الشعر الآخر (التقليدي) نسبة ضئيلة جداً ، وهذا ما جعل علمنا بالرجز الجاهلي قليلاً جداً .

ولسهولة الرجز ، واقابليته على الخروج على كل لسان ، أرى انه كان أكثر نظماً من الشعر المألوف ، ودليل ذلك اننا لو درسنا أخبار الأيام وأخبار الغزو والمعارك نجد للرجز فيها مكانة كبيرة ، فالمحارب الذي يقارع خصمه ويتجالد معه يرتجز رجزاً في الغالب لسهولته على اللسان ولمناسبته لمقارعة السيوف ، وللوقت القصير الذي يكون عنده ليقضي فيه المحارب على من يحاربه ، ثم ان في استطاعة

١ بروكلمن (٢٢٥/١) .

٢ بروكلمن (٢٢٨/١) وما بعدها .

غير الشعراء الارتجاز ، وليس في استطاعتهم نظم الشعر ، لذلك كان الرجز أكثر كمية من الشعر ، ولكن كثرته هذه وسهولته ، قصرنا في عمره ، وربما صارتا من العوامل التي جعلت الناس لا تقدم على حفظه .

ولما كان الشعر تعبيراً عن عواطف جياشة وعن حس مرهف ، وعن نفس حساسة تريد التعبير عن نفسها بأي أسلوب كان ، فإن في استطاعتنا القول انه لازم البشرية منذ عرفت نفسها ، وأخذت تعبر عن احساسها بأية طريقة كانت : بطريقة بدائية أو بطريقة متطورة . فبدأ الشعر كما بدأ الانسان نفسه ، بداية بسيطة ساذجة بدائية ، ثم تطور بتطور مدارك الانسان ، وتعددت طرقه وبجوره ، بتطور العقل والمدارك ، وبارتفاع مستوى الحياة ، فكان لذة يلتذ بها المسافر ، وهو يقطع الطرق الصعبة ، والصحارى الموحشة ، يعبر عنها بغناء ذي نغم ، وبألفاظ تناسب ذلك الغناء ، كما كان يعبر عنها في التشوق والتجيب الى الآلهة والقوى الطبيعية التي كان يرى انها تؤثر في حياته ، وفي مناسبات التقرب الى الملوك والحكام ؛ لينال منهم لقمة عيش ، وشيئاً من مال ، كما عبر عنها في الأفراح وفي الأتراح . وفي الفخر والمدح والذم ، وهو الهجاء ، وفي الظروف التي تؤثر عليه ، فتجعله يفرح من رؤيتها وبرتاح ، مثل المناظر الطبيعية الجميلة ، والأصوات الجميلة وجمال الانسان .

والشعر الجاهلي الصحيح ، هو حاصل تطور طويل مستمر ، لا يمكن تحديد أوله ، إذ بدأ الشعر منذ بدأ الإنسان يشعر بالفرح وبالسرور والتعبير عن عواطفه . وقد فقد القديم منه بسبب عدم تدوينه في حينه ، وبسبب صعوبة بقاءه في الذاكرة الى أمد طويل ، ولم يصل منه إلينا إلا هذا القليل الذي قيل في عهد لا يرتقي كثيراً عن الإسلام ، وهذا القليل الباقي ، هو الصفحات القليلة الأخيرة من كتاب لا نستطيع أبداً تقدير حجمه ، هو كتاب الشعر الجاهلي ، الذي ختم بتغلب الإسلام على الشرك ، وبموت الجاهلية وظهور دين الله .

أما قول القائلين إنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد في عهد مهلهل ، أو هاشم ، أو عبد المطلب ، فرأي لا يقوم على دليل ، وليس له سناد تأريخي ، وإنما هو مجرد رواية رواها رواة الشعر في الإسلام . إذ لا يعقل أن تكون قريحة الجاهليين الذين عاشوا قبل

الإسلام بقرنين أو بقرن ونصف قرن ، قرينة محبوسة محصورة ، حددت بحدود لم تتعدا ولم تتخطها ، فإذا هاجت وماجت بالأحاسيس والشعور المرفف ، صاغت حسها هذا بيت أو بيتين أو ثلاثة ، ثم توقفت عند هذا الحد لا تتجاوزه أبداً . وإذا كان الشعر طبع في الإنسان كما يقولون ونقول ، وهو نوع من أنواع التعبير عن الخاطر ، وجب تصور أن صياغته في قوالب من أبيات شعر ، إنما تكون صياغة منسجمة مع طول وعرض الخاطر صغيراً ، ضيقاً ، صيغ بيت أو بأبيات ، وإذا كان طويلاً مبعوثاً عن حس ملتهب جياش ، صيغ بأبيات تزيد عن تلك يتناسب عددها مع حجم ذلك الخاطر . فمن هنا لا نستطيع أن نقول إن شعر قدماء الجاهليين كان أبياتاً لا تزيد على ثلاثة ، وإنهم لم يكونوا يملكون القدرة على نظم ما يزيد على ذلك ، إلى أن جاء (عدي بن ربيعة) التغلبي ، الملقب بالمهلhel ، فوسع الشعر وزاد الأبيات وقصد القصائد . فقول مثل هذا وإن قال به علماء هم أعلم منا بفنون الشعر وبدرابه ، قول لا يمكن الأخذ به لما ذكرته . أقلم يكن للذين سبقوا المهلهل من العرب لسان مثل لسانه وحس مثل حسه ؟ إذا كان لهم مثل ما كان له ، فيفترض أن يكون تعبيرهم عن عواطفهم ، مثل تعبيره عنها سواء بسواء ، قد يكون قليلاً وقد يكون كثيراً من غير تغيير أو تحديد ولا تقنين ، لأن التحديد يتوقف على طول وقصر الحس الذي يستولي على الشاعر فيصوغه شعراً .

أما إذا قصدوا من قولهم المذكور معنى أن المهلهل كان أول شاعر وصل شعره لنا أبياتاً زاد عددها على عدد ما وصل إلينا من شعر أي شاعر تقدم عليه ، وأنه أول من رويت له كلمة بلغت ثلاثين بيتاً^١ ، فذلك أمر آخر لا صلة له بدعواهم أن الشعر كان قبل المهلهل رجزاً وقطعاً ، فقصده مهلهل ، ثم امرؤ القيس من بعده . وظل الرجز على قصره بمقدار ما تمتع الدلاء ، أو يتنفس المنشد في الحداء حتى كان الأغلب العجلي ، وهو على عهد النبي ، فطوله شيئاً يسيراً وجعله كالقصيد^٢ .

وهذا معناه عندي أن شعر (المهلهل) ، هو أول شعر طويل وصل إلى علماء الأخبار من شعر قدماء الشعراء الجاهليين ، وأما شعر من سبقه ، فقد فقد وضاع معظمه ،

١ الرافعي (١٤/٣) ، المزهر (٤٧٧/٢) .

٢ الرافعي (١٥/٣) .

وموجدوه ، أما (اليمن) ، فإنهم قد ساهموا فيه أيضاً ، حسب زعم أهل الأخبار والأنساب ، لكنهم لم يبلغوا فيه مبلغ ربيعة ومضر .

ويزعم أهل الأخبار ، ان من شعراء ربيعة : (المهلهل) ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيثة ، والحارث بن حلزة ، والتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس . وان من شعراء (قيس) النابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، وليد ، والحطيئة ، والشماخ ، وأخوه مزرد . وان من شعراء (تميم) (أوس بن حجر) شاعر مضر في الجاهلية ، ولم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ (النابغة) ، و (زهير) فأخلاه ، وبقي شاعر (تميم) في الجاهلية غير مدافع .

ولا يمثل هذا التنقل المزعوم ترتيباً زمنياً ، بمعنى ان الشعر بدأ بريئة أولاً ، ثم انتقل منها الى قيس ، ثم انتقل بعدها الى تميم ، إذ يتعارض ذلك مع ما يرويه أهل الأخبار وعلماء الشعر من تعاصر أكثر الشعراء ، ومن نبوغ معظمهم في وقت واحد ، وانما هو قول من أقوال أهل الأخبار المألوفة ، أصله رأي رجل واحد ، حمل عنه بالنص بذكر اسمه أحياناً ، وبدون ذكره أحياناً أخرى ، فلما تواتر في الكتب ، صار في حكم الإجماع ، يقال دون نقد ولا مناقشة الى هذا اليوم .

وما ذكرته عن تنقل الشعر يمثل رأي الرواة العدنانيين ، أما الليانية ، فترى « مقدمة الشعر للين : في الجاهلية بامرئ القيس ، وفي الإسلام بحسان بن ثابت » . وقال آخرون : بل رجع الشعر الى ربيعة فختم بها كما بدى بها ^١ . وهو رأي يتعلق بالنسبة الى النسب الأكبر للقبائل ، وترى في الرأيين أثر العصبية للعدنانية أو لليانية ، فقد صعب على القحطانية المناهضة للعدنانية ، الاعتراف بالتفوق عليها حتى في الشعر ، فزعمت أن الشعر بدأ بها ، وأنه كان من مكارمها القدعة ، وكل مكربة إنما بدأت بقحطان ، وما عدنان إلا مستعربة أخذت عربيتها من (يعرب بن قحطان) ، وهي دون القحطانية في كل شيء .

وحكم مثل هذا لا يمكن إصداره بالطبع إلا بسند علمي ، وليس في يد أحد حتى يومنا هذا سند جاهلي ، يؤيد رأي هذا أو ذاك ، وقد لا يأتي يوم يمكن

١ ابن سلام ، طبقات (١٣) ، العمدة (٨٦/١) ، المزهري (٤٧٦/٢) .

٢ العمدة (٨٩/١) .

اعطاء رأي علمي فيه . أما ما ذكرته ، فهو نقل لآراء أهل الأخبار ، ورأينا في آرائهم في هذه الأمور معروف ، فنحن لا نأخذ آراءهم مأخذ الجد ، ولا نثق بها ، وكلها في نظرنا حاصل عصبية ، وقد لعبت العاطفة القبلية دوراً خطيراً في ظهورها ، ونحن لا نستطيع تقديم ربيعة على مضر في الشعر ، ولا تقديم مضر على ربيعة فيه ، لعدم وجود دليل لدينا نتخذ سنداً ومستمسكاً في أيدينا لإثبات أي رأي من هذين الرأيين . أما أن يكون قد بدأ باليمن ، فالمسند ، يعارضه ويناقضه ، إلا إذا اعتبرنا اليمن ، القبائل الساكنة في الشمال ، أي خارج العربية الجنوبية ، والتي يرجع النسابون نسبها عادة الى اليمن ، وهي قبائل كانت تتكلم بلهجات عربية شمالية ، فذلك أمر آخر ، وأمرها عندنا حينئذ مثل أمر ربيعة ومضر ، لا نستطيع تقديمها على ربيعة ولا على مضر ، ولا نستطيع تقديم ربيعة أو مضر ، للسبب المتقدم ، وهو عدم وجود أدلة لدينا تعيننا في الحكم بتقديم فريق على فريق ، واعطائه الأولوية في قول الشعر .

والشعر في نظرنا موهبة انسانية عامة ، لم تخصص بقوم دون قوم ، ولا بأمة دون أمة ، وهي على هذه السجية بين العرب ، لم تخصص بريئة ، حتى نقول ان الشعر بدأ أول ما بدأ بها ، ولا بمضر حتى نقول انه ظهر أول ما ظهر عندها ولا باليمن ، حتى نقول انه بدأ بها وختم بها . وانما هو نتاج قرائح كل موهوب وذو حس شاعري من كل القبائل والعشائر . والشعر كما قلت مراراً شعور وتعبير عن عواطف تخالج النفس ، فكل انسان يكون عنده حس مرهف ، واستعداد طبيعي ، وذوق موسيقي ، يمكن أن يكون شاعراً من أي حي كان ، ولهذا كان الشعراء من قبائل مختلفة ، وإذا تقدمت قبيلة على أخرى في كثرة عدد شعرائهم ، فليس مرد ذلك ان تلك القبيلة كانت ذات حس مرهف ، واستعداد فطري لقول الشعر ، وان بقية القبائل كانت قبائل غيبة بليدة الحس والعواطف ، فلم ينبغ بينها مثل ذلك العدد من الشعراء ، فقد تكون هنالك أسباب أخرى نجعلها في هذا اليوم . جعلتنا نتصور انها كانت متخلفة في الشعر ، كأن تكون منازل تلك القبائل بعيدة منزلة ، لم يتصل بها أحد من جماع الشعر ورواته . وهم بين كوفي وبصري ، فلم يصل شعرها اليهم ، فانقطع نتيجة لذلك عنا ، أو ان تلك القبائل كانت قبائل صغيرة ، لم يكن لها شأن يذكر ، فانحصر شعرها في حدودها ولم يخرج عنها ، فخمّل ذكره ، ولم يتشر خبره بين القبائل الأخرى ، فلما ظهر

الاسلام ، كان قد خفى ومات .

ودليلنا اننا إذا دققنا في هذا الشعر الجاهلي الواصل الينا في الكتب، نجد انه شعر قبائل كبيرة ، لعبت في الغالب دوراً خطيراً في مجتمع ذلك اليوم ، مثل : كندة وبكر ، وأسد ، وتميم ، وتغلب ، ثم هو شعر شعراء كان لهم اتصال وثيق بالعراق في الدرجة الأولى ، أي بملوك الحيرة ، الذين كان نفوذهم يشمل أرضين واسعة ، مثل البحرين ونجد واليامة في بعض الأحيان ، فكان لقبائل هذه الأرضين اتصال بحكام الحيرة ، ولها مواقف معهم : حسنة أحياناً وسيئة أحياناً أخرى ، وفي مثل هذه المواقف ، يكون للشعراء دور خطير فيها ، فهم بين مادح ، أو ذام قادح ، أو رسول قوم جاء الى الملوك في وفادة لفك أسير ، أو لإصلاح ذات بين ، أو جاء لنيل عطاء ، ونحن لا نكاد نجد شاعراً من الفحول أو من الشعراء المشهورين ، إلا وله صلة بملك أو أكثر من هؤلاء الملوك ، حتى لا يكاد يفلت منهم شاعر . أما ملوك الغساسنة ، فلهم بعد أولئك الملوك صلة بالشعراء ، بل هم دونهم اتصالاً بالشعراء ومرجع ذلك في نظري ان حكم الغساسنة لم يتجاوز بادية الشام وحدود مملكة البيزنطيين ، فلم يكن لهم لذلك اتصال بقبائل البادية البعيدة عن منطقة نفوذهم ، ولا بقبائل الحجاز ونجد واليامة والبحرين ، فتقلص مجال اتصالهم بالشعراء ، ولم يصل اليهم إلا الشعراء من أصحاب الحاجات ، الذين كانوا يطوفون البلاد ، ويقصدون الموسرين الكرماء أينما كانوا لنيل صلاتهم ثمناً لمدهم لهم ، وإلا الشعراء الذين غضب ملوك الحيرة عليهم ، أو لم ينالوا منهم تحقيق مطمع وحل مشكل ، أو فك أسير ، فجاءوا لذلك الى الغساسنة خصومهم نكاية بهم ، وإلا بالشعراء الذين أغار قومهم على أرض الغساسنة ، فوقع نفر منهم في أسرهم ، فأرسلهم أهلهم وسطاء ورسلاً عنهم ، للتوسل اليهم بفك أسراهم . ونحن لو ثبتنا أسماء مواطن شعراء الجاهلية على صورة جزيرة العرب نرى أنها كانت في الحجاز ونجد واليامة ، والبحرين والعراق . أما بلاد الشام فقد كانت فقيرة جداً بهم ، بل لا نكاد نجد فيها شاعراً لامع الاسم ، ترك أثراً في الشعر . وبلغت هذا الجذب في الشعر النظر اليه حقاً ، فقد عاشت ببلاد الشام قبائل كبيرة كان لها شأن كبير في تلك البلاد قبل الاسلام وفي الإسلام ، مثل غسان، وبهراء، وكلب ، وقضاعة ، وتنوخ ، وتغلب ، وقبائل أخرى لعبت دوراً خطيراً في الحروب مع عرب الحيرة ، وفي مساعدة الروم ، كما لعبت دوراً خطيراً في

الفتوحات الإسلامية، فقد ساعدت الروم أولاً ، ثم انضمت الى المسلمين في قتالهم مع البيزنطيين ، وقبائل هذا شأنها لا يعقل الا يكون لها شعر وألاً يتبع من بينها شعراء لكثرة عددها ولمنافستها لعرب العراق ، ولكون لسانها هذا اللسان العربي الشمالي . فهل كان عند تلك القبائل شعراء ، لم يصل اسمهم الى علماء الشعر ، فلم يذكروهم لجهلهم بهم في عداد شعراء الجاهلية ؟ فصرنا لذلك لا نعرف من أمرهم شيئاً ! أو أنها كانت مجدية حقاً لأنها كانت بمنأى عن الشعر والشعراء ، لتحضرها وتأثرها بالنصرانية وبثقافة بني إرم ، فلم توائم تربتها الشعر ، لذلك أجدبت فيه ، ولم ينبت فيها شاعر لامع الاسم !

يقول علماء اللغة : « والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإين هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة ، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ؛ فإنه لم يؤخذ من نخم ، ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان ، وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من تغلب^١ . فالقبائل المذكورة ، وإن كانت من القبائل العربية الكبيرة المرموقة ، إلا أن إقامتها ببلاد الشام إقامة طويلة ومجاورتها أهل الشام ، وتأثرها بلسانهم ، واعتناقها النصرانية ، وأخذها ديانتها بالسريانية التي سماها أهل الأخبار خطأ العبرانية ، وتحضرها وقرارها والتهائها بالزرع والرعي ، صيرت كل هذه الأمور وأمثالها لسانها عربياً مشوباً برطانة ، ولهذا عرفت بـ « العرب المستعربة » وبـ « مستعربة الشام » ، عند المسلمين ، حتى صارت تلك الرطانة سبباً لإعراض علماء اللغة عن الاحتجاج بلغتها في شواهد القرآن والشعر على نحو ما رأيت .

وقد يكون لتلك القبائل شعر، غير ان علماء اللغة قاطعوه للسبب المذكور ، ولكني لا أستطيع الجزم بذلك ، لعدم ورود إشارة الى هذه الناحية في كتب أولئك

١ المزهر (٢١١/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٥٤/١) .

العلماء ولا في كتب أهل الأخبار . ثم اني لاحظت ان أخبار فتوح الشام لا تذكر شيئاً من شعر القبائل المستعربة التي حاربت مع الروم المسلمين ، أو التي حاربت مع المسلمين الروم ، وحيث اننا نعرف ان من عادة العرب الاستعانة بالشعر والرجز أثناء غزوها وقتالها ، لذلك تلفت هذه الملاحظة الأنظار ، وتحمل المرء على البحث في سبب وجود هذا الفقر في شعر القتال في فتوح الشام ، بينما نجد شعراً غزيراً وافرأ أنتجته قرائح المتقاتلين في حروب العراق نظمه المحاربون المسلمون ، ومحاربو القبائل العراقية الوثنية والمنتصرة التي حاربت مع الفرس ، أو التي حاربت مع المسلمين أو تلك التي انضمت الى المسلمين فيما بعد .

وسبب هذا الفقر في نظري ، ان قبائل بلاد الشام ، كانت قد تأثرت بلغة وثقافة أهل الشام ، وبالنصرانية المتأثرة بالسريانية وبالرومية وقد غلبت عليها نزعة الاستقرار ، فاستقرت في حواضر حضرية كبيرة مثل دمشق وحمص وحلب ، وقنسرين^١ ، وغيرها ، وهي حواضر معظم سكانها من السوريين والروم ، لا من العرب ، وكانت نصرانية ، صلواتها بالسريانية ، وثقافتها سريانية يونانية فتأثرت بثقافة من عاشت بينهم ، وانصرفت الى الزراعة ورعي الماشية ، وشابت لهجتها رطانة إرمية ، ولم تحفل بالشعر احتفال بقية العرب به . لذلك لم يظهر من بينها شاعر فحل .

أما عرب العراق ، فقد كانوا عرباً وأعراباً ، عربهم في قرى عربية ، حكامها من العرب ورجال دينها نصارى ، ولكنهم نصارى عرب أو مستعربة ، علموا العربية في كنائسهم ، ونشروا الخط العربي في خارج العراق ، وتفقهوا في علوم العربية ، وفي جملة هذه العربية الشعر . وأما أعرابهم ، فقد كان قوم منهم نصارى والباقيون على الشرك وعلى سمة الأعراب منذ وجدوا من الميل الى الاستقلال وعدم الخضوع لحكم أحد ، ومن الاعتزاز بالنفس والتعبير عن الأحاسيس المرفهة بقول الشعر ، وأما حكامهم ، وهم ملوك الحيرة ، فكانوا على سنة كبار سادات القبائل من استقبال الشعراء والإستماع الى إنشادهم ، وتلبية طلباتهم ، وكان من صالحهم اصطناع الشعراء لامتداد ملكهم الى نجد واليامة أحياناً والى البحرين وهي من أهم مواطن الشعر في الجاهلية ، والشعراء أبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقد

١ فتوح البلدان (١٥٠) .

كان ملوك الحيرة شعراء ، ينظمون الشعر، ولهم اطلاع ووقوف على شعر الشعراء، وكان من اتصل بهم من سادة الحيرة شعراء كذلك ، لهم شعر مدون في كتب الأدب ، وفيه ما قالوه في فتوح المسلمين للعراق ، فن هنا ظهر الشعر في العراق، على حين خل في بلاد الشام .

ولم تكن القبائل سواء في الشعر وفي عدد شعرائها ، وهذا شيء طبيعي ، لا يختلف فيه اثنان . وقد لاحظ ذلك علماء الشعر ، فأشاروا الى أسماء قبائل أنجبت في الشعر وأخصبت في الشعراء ، وكان (الجاحظ) الكاتب الذكي ممن لاحظ ذلك ، فقال : « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرأ كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي إخوتهم عجل قصيد ورجز ، وشعراء رجازون . وليس ذلك لمكان الخصب وانهم أهل مدر ، وأكالو تمر ، لأن الأوس والخزرج كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبد القيس النازلة قرى البحرين ، فقد تعرف ان طعامهم أطيب من طعام أهل البصرة .

وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وإن كان شعرهم أقل ، فإن ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب ، وليس ذلك من قبل رداء الغداء ، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وانما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والاعراق مكانها .

وبنو الحارث بن كعب قبيل شريف ، يجرون مجاري ملوك اليمن ، ومجاري سادات أعراب أهل نجد ، ولم يكن لهم في الجاهلية كبير حظ في الشعر . ولهم في الاسلام شعراء مخلصون .

وبنو بدر كانوا مفحمين ، وكان ما أطلق الله به ألسنة العرب خيراً لهم من تصبير الشعر في أنفسهم .

وقد يحظى بالشعر ناس ويخرج آخرون ، وإن كانوا مثلهم أو فوقهم . ولم تمدح قبيلة في الجاهلية ، من قریش ، كما مدحت مخزوم ، ولم يتهياً من الشاهد والمثل لما دح في أحد من العرب ، ما تهياً لبني بدر .

وقد كان في ولد زرارة لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط وحاجب وغيرها

من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا لحصن ، ولا عيينة بن حصن ، ولا لحمل بن بدر شعر مذكور^١ .

وقال (يونس بن حبيب) الضبي^٢ ، « ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس ، وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو^٣ » . وذكر (الجاحظ) أن (عبد القيس) بعد محاربة (إباد) تفرقوا فرقتين ، ففرقة وقعت بعمان وشرق عمان ، وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت إلى البحرين وشرق البحرين ، وهم من أشعر قبيلة في العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي عدن الفصاحة^٤ . ولا ين سلام رأي في هذا الموضوع إذ يقول : « وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم فائز ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان^٥ » .

وجاء أن أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات ، وهن ثلاث ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ، أزدد شنوءة ، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزدد . وذكر أن قبيلة (هذيل) هي في طليعة القبائل عدداً في الشعراء ، فقد روى العلماء لأربعين شاعراً منهم في الجاهلية والإسلام ، وهو عدد قياسي بالنسبة إلى عدد الشعراء الذين أنجبتهم القبائل الأخرى^٦ ، وقيل عنها إنها أعرفت في الشعر^٧ . وروي أن سائلاً سأل (حسان بن ثابت) : « من أشعر العرب ؟ فقال : أراحلاً أم حياً ؟ قيل : بل حياً ؛ قال : أشعر الناس حياً هذيل^٨ » . وكان (الشافعي) يحفظ

١ الحيوان (٣٨١/٤) وما بعدها .

٢ الرافعي (٢٠/٣) .

٣ الرافعي (١٩/٣) .

٤ ابن سلام (٢١٧) .

٥ الرافعي (١٨/٣) ، المزهري (٤٨٣/٢) .

٦ الرافعي (١٩/٣) .

٧ تاج العروس (١٦٦/٨) ، (هذل) .

٨ المزهري (٤٨٣/٢) .

عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها^١ . وقد عدت (هذيل) أشعر القبائل في رأي بعض العلماء^٢ .

وذكر الأخباريون ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت له الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها^٣ . وقالوا : إن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية ، فاضطررها ذلك أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الاسلام^٤ .

وروي عن (معاوية) انه كان يقول : فضل المُرَئِسُون الشعراء في الجاهلية والاسلام . وكان يقول : أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وأشعر أهل الاسلام ابنه كعب ، و (معن بن أوس) . و (معن) شاعر مجيد من مخضرمي الجاهلية والاسلام^٥ .

فبعض العرب مخصبين في الشعر ، وبعضهم أقل خصباً ، وقد رجع (الجاحظ) سبب ذلك الى الموهبة والطبع ، فكما ان النبوغ يتفاوت بين انسان وانسان ، كذلك يتفاوت الشعر بين قبيلة وقبيلة ، ورجع (ابن سلام) ذلك الى عامل البداوة ، والحضارة ، فالأعراب متشاجرون مكثرون من الغارات يغزو بعضهم بعضاً ، والشعر يكثر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، أما الحضرة ، فإنهم لا يميلون الى الحروب والمعارك ، ولذلك يقل شعرهم على رأيه . ولهذا السبب قل شعر قريش ، لأنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا . فالحرب تهيج العواطف ، وتحمل الناس على التحمس لها والدفاع عن أنفسهم وتكديس كل القوى للتغلب على العدو ، والشعر من أهم وسائل تسخير نار الحرب .

وقد أشار أهل الأخبار الى بيوت ذكروا أنها اشتهرت بقول الشعر ، وبظهور المعرّفين فيها . وضربوا أمثلة عليها ببيت (أبي سلمى) . فقد كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير بن أبي سلمى ، وله خؤولة في الشعر : خاله بشامة بن الغدير ، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائها .

-
- ١ المزهري (١٦٠/١) .
 - ٢ بلوغ الأرب (١٤٠/٣) .
 - ٣ الاغانى (٣٥/١) .
 - ٤ طبقات الشعراء (١٠) .
 - ٥ الاصابة (٤٧٥/٣) ، (رقم ٨٤٥٢) .

وضربوا المثل ببيت (حسان بن ثابت) ، فقد كان أبوه وجدته وأبو جده شعراء ، وابنه عبد الرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر .

ومن البيوتات التي عرفت بالشعر : بيت (نهشل بن حرتي بن ضمرة بن جابر بن قطن) ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً ، وكذلك بيت (النعمان بن بشر) ، وكانت أمه (عمرة بنت رواحة) شاعرة ، ونخاله (عبدالله ابن رواحة) أحد شعراء الرسول^١ .

ومن بيوتات الشعر المعروفة في الجاهلية والإسلام ، (آل الحارثي) ، منهم (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص) الحارثي . وكان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّد قومه من (بني الحارث بن كعب) ، وهو الذي كان قائدهم يوم (الكلاب) الثاني فأسرته (تميم) وقتلته . ومنهم (اللجلاج) الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه (مسهر) فارس شاعر ، وهو الذي طعن (عامر بن الطفيل) في عينه يوم (قيفّ الرياح) . ومنهم ممن أدرك الإسلام (جعفر بن عتبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث) وكان شاعراً صعلوكاً ، أخذ في دم فحبس في المدينة ثم قتل صبراً^٢ .

وقد تعرض (جرجي زيدان) لموضوع تنقل الشعر في الأقاليم ، فقال : « وإذا أحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسين من نجد ، والخمسة الثالث من الحجاز ، والرابع من اليمن والباقي من العراق ، وفئة قليلة من البحرين واليامة وثمالة^٣ ، وذلك على اعتبار ان القبائل : (كندة) ، و (أسد) ، و (مزينة) ، و (عيس) ، و (سلم) ، و (عامر) ، و (طيء) ، و (جشم) ، و (ضبيعة) ، و (سعد) ، و (ضبة) ، و (جعدة) ، و (باهلة) ، و (تميم) ، و (عكل) ، و (بكر) ، و (مرة) ، و (نبهان) ، من قبائل نجد ، وان (ذبيان) ، و (هذيل) ، و (الأوس) ، و (الأزد) من الحجاز ، وان (يشكر) ، و (تغلب) ، و (العباد) ، و (تميم) ، و (بكر) ، و (إياد) ،

١ العمدة (٣٠٦/٢) .

٢ الخزائن (٢٠٢/٢) وما بعدها .

٣ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٤/١) .

من العراق ، وان (بكرأ) ، و (ضبعأ) ، من البحرين ، وان (بني ثعلبة) من اليمامة ، وان (فهمأ) ، و (مزينة) من تهامة^١ . وهو تقييم لا يمكن الأخذ به في هذا اليوم ، وفيه أخطاء ، وقد بني على روايات لأهل الأخبار ، تعارضها روايات أخرى لهم ، لم يقابلها أو يطابق بعضها ببعض ، فوقع لذلك في أوهام .

ونلاحظ أنه سار على رواية أهل الأخبار في تنقل الشعر في القبائل ، فجعل (ربيعة) أول من نبغ في الشعر ، ثم حوله إلى قيس فتميم . ثم ظهر الشعر بعد ذلك على رأيه في بطون مدركة من مضر ، وهي : هذيل ، وقريش ، وأسد ، وكنانة ، والدثيل وغيرهم . وكلهم من أهل البادية ، أما أهل المدن ، فقلما نبغ بينهم شاعر فحل ، وأشعرهم (حسان بن ثابت)^٢ .

ومن أهم قبائل ربيعة وبطونها : بكر ، وتغلب ، وعبد القيس ، والنمر بن قاسط ، ويشكر ، وعجل ، و (جشم) ، وحنيفة ، وقيس بن ثعلبة ، وضبيعة ، وشيبان ، وذهل ، وسدوس . ومن أشهر شعراء هذه المجموعة المرقشان الأكبر والأصغر ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيثة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، خال طرفة ، والأعشى ، والمسيب بن علس وآخرون . وقد جعل (زيدان) عددهم (٢١) شاعرأ^٣ .

وقد نزل بنو قيس بن ثعلبة وبنو حنيفة اليمامة . ومن بطون قيس بن ثعلبة : سعد بن ضبيعة ، رهط الأعشى ، ومن ديارهم (منفوحة) . وكانوا بين الحياة الحضرية والحياة الأعرابية ، يرعون الإبل والغنم ، إلا أنهم أصحاب نخيل . أما حنيفة ، فكانت تزرع وترعى ، وقرينتهم الكبرى (حجر) ، وكانوا يزرون الجبوب ، ويمونون الأعراب ومكة بها . وكانت النصرانية قد وجدت سبيلها بينهم ، وقد افتخر (الأعشى) بقومه على (إياد) ، لأنهم أصحاب مال ، أما (إياد) ، فأصحاب زرع ينتظرون حصاد جبههم ، وذلك في هجائه لهم بقوله :

١ راجع (الصفحة ٨٠ فما بعدها إلى انتهاء ٨٤) من الجزء الأول .
٢ تاريخ آداب اللغة العربية (١ / ٧٤ وما بعدها) .
٣ العملة (١ / ٨٦ وما بعدها) ، تاريخ آداب اللغة العربية (١ / ٧٤ وما بعدها) ، (تنقل الشعر في القبائل) .

لسنا كمن جعلت إِياداً دارها تَكَرَّيتَ تنظر حبَّها أن يُحصدا
جعل الإِلَـهَ طعامنا في مالنا رزقاً تضمَّنه لنا أن يتفدا
مِثْلَ الهضابِ جزارة لسوفنا فإذا تُراع فإنها لسن تطردا
ضمنت لنا أعجازهن قلدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا^١

وقيس قبيلة كبيرة من بطونها : عبس ، وذبيان ، وغطفان ، وعدوان ،
وهوازن ، وسلم ، وثقيف ، وعامر بن صعصعة ، ونمير ، وجعدة ، وقشير ،
وعقيل . وكانت هذه القبائل في نجد وأعالي الحجاز ، وقد نبغ فيها جماعة من
فحول الشعراء ، منهم النابختان ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ابنه ،
ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ ، وأخوه (مزرد) ، وخداش بن زهير ، وعنترة
العبسي وغيرهم . وعندهم أن أشهر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى
أسمائهم من غطفان^٢ . وقد جعل (زيدان) عدد شعراء قيس (٣٠) شاعراً .
وقال : « إذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر إلى القبائل ، كانت قيس أكثرها
شعراء ، تليها اليمن فربيعة ، فضر فقريش فقضاعة فإياد »^٣ .

وأما (تميم) ، فقبائل كثيرة من مضر ، أشهرها : مازن ، ومالك ،
وسعد ، ودارم ، وبهذلة ، وديربوع ، وكعب ، وبجاشع ، وزرارة . وكانت
منازلها في القديم تهامة ، ثم نزلت إلى مواضع أخرى من جزيرة العرب ، فسكن
بعض منها في الهامة ، وبعض في العربية الشرقية ، وقسم بنجد ، ونزح قوم منهم
إلى العراق ، وأقاموا في البادية . وقد لعبت تميم شأن القبائل الكبيرة دوراً خطيراً
في أحداث الجاهلية القريبة من الإسلام . ومن شعرائها : أوس بن حجر^٤ .
وجعل (زيدان) عدد شعرائها (١٢) شاعراً^٥ . ولكنك لو سجلت أسماء الشعراء
الذين وردت أسمائهم في كتب الأدب والتاريخ ، لوجدت أن عدد شعراء تميم

-
- ١ ديوان الاعنسى ، العصيدة رقم ٣٤ ، العصر الجاهلي (٣٣٤) .
 - ٢ الاغانى (٩٢/٢) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) ، العمدة (٨٨/١) .
 - ٣ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .
 - ٤ العمدة (٨٨/١) .
 - ٥ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

يزيد على العدد المذكور بكثير . فتميم من القبائل المخصصة بالثّر والنظم . ولكلامها رأي ومقام عند علماء اللغة .

ومن مضر أيضاً : هذيل ، وأسد ، وكنانة ، وقريش ، والدئل . وهذيل من القبائل الساكنة في هضاب وجبال غير بعيدة عن مكة ، وقد عدّ لسانها من الألسنة العربية الجيدة ، واشتهرت بكثرة شعرها وبجودته ، وقد جمع في دواوين ، وعني العلماء بجمعها وبشرحه ، وبقيت منه بقية طبع^١ .

وأما القبائل التي يرجع النسابون نسبها الى اليمن ، فهي : كندة ، وطيء ، والأشعر ، وجذام ، والأزد ، ولخم ، ومذحج ، وخزاعة ، وهمدان ، وغسان والأوس والخزرج^٢ . ولبعض منها شعر وشعراء وردت أسماءهم في ثنابا هذا الكتاب .

أما ميزات لغاتهم وخصائص نحوهم وصرفهم ، فلا نعرف عنها غير قليل . لعدم تطرق علماء اللغة الى هذه المميزات ، خلا ما ذكروه من أمور اختلفت فيها (طيء) عن غيرها في مثل (ذي) الطائية ، وغير ما ذكروه من تفردهم في تفسير معاني بعض الألفاظ ، مثل (التخوف) بمعنى التنقص في لغة أزد شنوءة^٣ .

ولدراسة شعر هذه القبائل ، دراسة لغوية مقارنة ، أهمية كبيرة بالنسبة للباحث في لغة العرب ، إذ يستطيع بها من الوقوف على مزاياها ومفارقاتها بالنسبة الى العربية المعهودة ، ومن الوقوف على الروابط اللغوية التي تجمع بين هذه اللغات التي يرجع أهل الأنساب والأخبار أصل المتكلمين بها الى اليمن .

وأما مجموعة قضاة ، فجهينة ، وضجعم ، وتنوخ ، وكلب^٤ . وهي مجموعة لم تنجب عدداً كبيراً من الشعراء ، ولم يحفل علماء اللغة بلغتها ، إذ لا نجد للهجتها ذكراً خطيراً في كتب اللغة ، فلم يثيروا اليها في جملة القبائل التي ركنوا الى الأخذ بلسانها للاستشهاد به في شواهد اللغة والنحو والصرف . ويظهر ان احتكاكها

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٢/١ وما بعدها ، ١٠٤) .
 - ٢ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٦/١) .
 - ٣ تفسير الطبري (٧٧/١٤) ، (بولاق) .
 - ٤ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٦/١) .

بالنبط وبالأراميين وأمثالهم ، قد عرض لسانها الى الأخذ من ألسنتهم والى التأثير بهم ، حتى بان ذلك عليه ، وهذا ما حمل علماء اللغة على عدم الاستشهاد به في جملة الشواهد . وأنا لا أستبعد احتمال وجود خصائص به ، ميّزته عن العربية القرآنية ، بدليل ان أعراب الصفا (الصفاة) ، وهم من أعراب بلاد الشام ، كانوا يتكلمون ويكتبون بعربية مباينة لعربيتنا ، وقد تكلمت عن عربيتهم في الجزء السابع من كتابي القديم : تأريخ العرب قبل الاسلام ، وأرض الصفا هي من مواطن تلك المجموعة .

وذهب (جرجي زيدان) ، كما سبق أن قلت ، الى أن قياساً أكثر القبائل عدداً في شعرائها ، تليها اليمن ، فربيعة ، فضر ، فقريش ، فإياد . وقدر عدد شعراء الجاهلية الذين وصلتنا أخبارهم بـ (١٢٥) شاعراً ، وزعمهم على هذا النحو : ثلاثين شاعراً في قيس ، وثلاثة وعشرين شاعراً في اليمن ، وواحداً وعشرين شاعراً في ربيعة ، وستة عشر شاعراً في مضر ، واثني عشر شاعراً في تميم ، وعشرة شعراء في قریش ، وأربعة شعراء في قضاة ، وشاعرين في إياد ، وشاعر واحد من أصل غير عربي ، أي مولى^١ .

وقد سمي (أبو الفرج) لمضر سبعة وستين شاعراً ، ولليمن أربعين ، ولربيعة ثلاثة عشر : وسمي شعراء آخرين ، منهم من يتصل بجديس ، ومنهم من يتصل بجرهم^٢ .

نرى مما تقدم أن الشعراء كانوا من مضر ، ومن ربيعة ، وهما من عدنان ، كما كانوا في القبائل القحطانية . ويذكر أهل الأخبار أن حظ القبائل المضرية من الشعر ، كان أحسن حالاً من حظ ربيعة وقحطان ، وأن حظ قبائل كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاث كان متفاوتاً ، فبينها المكثّر ، وبينها المقل . ولا نستطيع لإرجاع سبب تفوق القبائل المضرية على قبائل ربيعة أو قحطان الى اللغة ، لأننا لا نملك حتى الآن صورة واضحة علمية عن أصل اللغة العربية التي نظم بها الشعر والتي نزل بها القرآن ، حتى نستطيع البت بموجبها في موضوع هذا التفوق . وإذا جارينا أهل الأنساب في تقسيمهم العرب الى عدنانيين وقحطانيين ، جاز لنا حينئذ

١ تأريخ آداب اللغة العربية (١ / ٧٥) .

٢ طه حسين ، في الادب الجاهلي (٢٥٦) .

القول ، بأن شعر القبائل القحطانية قد قلّ عن شعر عدنان من مضر وربيعة ، بسبب استعراب هذه القبائل ، أي أخذها لغة العدنانيين لغة لها ، وتركها لغتها الأصلية لغة أهل اليمن ، بسبب اتصالها بالقبائل العدنانية ، فن ثم قلّ شعرها بسبب هذا الاستعراب . ولكن ماذا يكون جوابنا عن تخلف ربيعة في الشعر عن مضر ، وربيعة أخت مضر ، في عرف النسابين ، ولغتها مثل لغة مضر ؟

والذي أراه ، ان البت في مثل هذه المشكلات ، هو أمر لا يمكن أن يكون علمياً في الوقت الحاضر ، فقد رأيت ان الأنساب حاصل تكتلات سياسية ، وتجمعات قبلية ، وانها لم تكن حاصل نسب بالمعنى المفهوم من لفظة (نسب) ، بمعنى الانحدار من صلب والدين ، ورأيت ان العرب كانوا يتكلمون قبل الاسلام بلهجات متباينة ، حصرناها في مجموعات استنبطناها من الكتابات الجاهلية ، ولكننا لا نستطيع أن نقول انها تشمل كل لهجات العرب ، فقد عثر حديثاً على كتابات جديدة لم تدرس بعد دراسة علمية كافية حتى نقول رأينا فيها ، وقد يعثر في المستقبل على كتابات أخرى ، قد تزيد في عدد ما نعرفه من المجموعات اللغوية العربية الجاهلية . وفي ظروف كهذه يكون من الصعب علينا الموافقة على ما يذهب اليه أهل الأخبار وما يذهب اليه التابعون لهم من المحدثين من تنقل الشعر في القبائل ومن توزع الشعراء بين مضر وربيعة وقحطان . والرأي عندي ان من الواجب علينا في الوقت الحاضر لزوم اجراء مسح علمي دقيق لل لهجات العرب في جزيرة العرب ، بالبحث في كل مكان عن الكتابات الجاهلية وعن كتابات صدر الاسلام ، وبدراسة كل ما كتبه علماء اللغة عن اللغات العربية في الكتب المعروفة وفي الكتب التي قد تكون مؤلفة بلهجات أهل العربية الجنوبية أو غيرها في الاسلام ، وبدراسة اللهجات الباقية ، ولا سيما اللهجات المنعزلة المتميزة بـمميزات خاصة ، واستنباط مزاياها وعلاقتها باللهجات القديمة ، ثم غربلة كل هذه الدراسات لاستخلاص المجاميع اللغوية منها ، وتحديد المواضع التي كانت تتكلم بهذه المجموعات ، وبذلك نستطيع تكوين رأي عن لغة الشعر ، وعن القبائل التي كانت تتكلم بها ، وصارت لهجتها لهجة الشعر عند ظهور الاسلام .

وأغلب شعراء الجاهلية من أهل الوبر ، أما شعراء أهل المدر فأقل منهم عدداً . ولم يظهر بين شعراء أهل المدر شاعر رفعه علماء الشعر وعشاق الشعر الجاهلي الى

مرتبة الشعراء الفحول من رجال الطبقة الأولى^١ من طبقات الشعراء الجاهليين . وهم يقدمون شعراء البادية على شعراء الأرياف ، ولا سيما شعراء الريف المتصل بالنبط والأعاجم . وهذه النظرة التي تحمل طابع الغمز في صحة ألسنة عرب الأرياف ، تحفظ أكثر علماء العربية في موضوع جواز الاستشهاد بشعر شعراء الحيرة مثلاً ، لاتصال أهلها بالنبط واختلاطهم بالأعاجم .

١ زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

الفصل السابع والخمسون بعد المئة

أوائل الشعراء

يقول علماء الشعر : « لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة »^١ . ثم تزايد عدد الأبيات وتنوعت طرق الشعراء في نظم الشعر ، بتقدم الزمان ، وبازدياد الخبرة والمران ، وبتقدم الفكر ، فظهرت القصائد المقصدة الطويلة ، التي توتجت بالمعلقات . « قال الأصمعي : أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة ، رجل من بني كنانة ، والأضبط بن قريع » . فهؤلاء هم أوائل الشعراء الجاهليين في نظر (الأصمعي) ، ممن نظم كلمة بلغ عدد أبياتها ثلاثين بيتاً فما بعدها . « وقال ابن خالويه في كتاب ليس : أول من قال الشعر ابن خدام »^٢ .

وذكر بعض العلماء ان القصائد انما قصدت ، والشعر انما طول في عهد (عبد المطلب) أو (هاشم بن عبد مناف) ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحبر وتبع^٣ . ولم يذكروا اسم أول من قصد القصائد وطول الشعر ، ولكن رأى معظم علماء الشعر ان « المهلهل ، هو أول من قصد القصائد وأول من قال كلمة تبلغ

-
- ١ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (دار الثقافة) ، المزهر (٤٧٤/٢) ، (أولية الشعر) .
 - ٢ المزهر (٤٧٧/٢) .
 - ٣ المزهر (٤٧٤/٢) .

ثلاثين بيتاً من الشعر . وزعم بعضهم ان الأفوه الأودي ، أقدم من المهلهل ، وهو أول من قصد القصيد^١ . واذا ذهبنا مذهب من يقول إن القصائد انما ظهرت في أيام (عبد المطلب) أو (هاشم) ، فيكون ذلك قبل الهجرة بمائة سنة على الأكثر^٢ .

وزعمت بكر بن وائل ان أول من قال الشعر وقصد القصيد ، هو (عمرو بن قتيبة) ، وكان في عصر (مهلهل بن ربيعة) ، وعمر حتى جاوز التسعين . وكان (امرؤ القيس) ، قد استصحبه لما شخص الى قيصر ، فأت في سفره ذلك^٣ . وذكر (ابن قتيبة) ان من قديم الشعر قول (دويد بن نهد القضاعي) :

اليوم بيني لدويد بيته لو كان للدهر يليّ أبليته
أو كان قرني واحداً كفيتته يارب نهب صالح حويته
وربّ عبل خشن لويته

وذكر من بعده اسم : (أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان) ، ثم الحارث ابن كعب^٤ .

ولم يكن المذكورون أول من قصد القصيد ، وتفنن في أبواب الشعر ، وإنما هم أقدم من وصل اسمه الى مسامع علماء الشعر ، فصاروا من ثم أقدم شعراء الجاهلية . وقد نسب الى (زهير بن أبي سلمى) قوله :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

وإذا صح ان هذا البيت هو من شعره حقاً ، دلّ على اعتقاد الشاعر ومن كان في أيامه بقدم الشعر ، وبتقدمه وبتطوره ، وبتفنن الشعراء الذين عاشوا قبله ، في طرق الشعر وذهابهم فيه كل مذهب ، حتى صار من جاء بعدهم من الشعراء عالة عليهم فلا يقول إلا معاراً ، أو معاداً من الشعر مكروراً . والى هذا المعنى ذهب (عنتره) في قوله :

-
- ١ المزهري (٤٧٧/٢) .
 - ٢ الرافعي (١٤/٣) .
 - ٣ المازني ، معجم (٣ وما بعدها) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٤٨/١ وما بعدها) .

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

فقد سبق الشعراء (عنترة) في قول الشعر ، وفي الإبداع والتفنن به ، حتى لم يتركوا له شيئاً جديداً ليقوله .

ونجد الشاعر (ليبدأ) ، يشير في شعره الى الشعراء الذين تقدموا عليه ، ويقول عنهم انهم سلكوا طريق مرقش ومهلهل ، حيث يقول :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا طريق مرقش ومهلهل^١

ولقد تعرض (الفرزدق) في قصيد له الى من تقدم عليه من الشعراء ، فقال :

وهب القصائد لي النوايح إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول^٢
والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني قيس وهن قتلتنه ومهلهل الشعراء ذاك الأول
والأعشيان كلاهما ومرقش وأخو قضاعة قول يتمثل
وأخو بني أسد عبيد إذ مضى وأبو دؤاد قوله يتنخل
وابنا أبي سلمى زهير وابنه وابن القريعة حين جد المقول
والجعفري وكان بشر قبله لي من قصائده الكتاب المجمل
ولقد ورثت لآل أوس منطقاً كالسم خالط جانبيه الخنظل
والحارثي أخو الحماس ورثته صدعاً كما صدع الصفاة المول^٢

فهؤلاء هم من أقدم الشعراء العرب الذين وصل خبرهم إلينا على وفق هذه الأخبار والروايات . وهم ونفر آخر من أمثالهم قد عاشوا في أيام لا نستطيع أن نبتعد بها عن الاسلام بأكثر من قرن أو قرن ونصف قرن. وقد عسر على الذاكرة حفظ شيء عن أخبارهم وأيامهم ، فلم تذكر عنهم غير أسمائهم وغير شيء يسير جداً عنهم ، وخلا أبيات ، لا ندري أي من نظمهم حقاً ، أم هي من نظم

١ البيان والتبيين (١٨٣/٢) .

٢ ديوان الفرزدق (٧٢٠) ، نقائض (٢٠٠) .

من تحدث عنهم ! وعلى موجب روايات أهل الأخبار تكون تلك الأبيات أقدم ما عندنا من شعر عربي .

وقد ولع بعض المحدثين على وضع سنين لتثبيت سنين مواليد ووفيات الشعراء ، واكتفى بعضهم بوضع سنين لوفياتهم ، وفعلهم هذا لا يستند الى أساس علمي ، لأننا لا نملك أدلة مقبولة صحيحة ، نخولنا حتى وضع مثل هذه الأرقام ، ثم إن في الكثير من هذا المروي عن حياة الشعراء ما هو غير صحيح ، ولهذا فليس من المعقول أبداً ، وضع سنين لتحديد مواليد ووفيات أولئك الشعراء ، والشيء الوحيد الذي نستطيع فعله هذا اليوم هو أن نشير الى زمان من عاصروهم من الملوك كملوك الحيرة والغساسنة ، فنحن على شيء من العلم بأوقات حكمهم ، وأن نربط بين أيامهم وبين الحوادث الجسام التي أدركوها أو ساهموا فيها .

ونحن لا نستطيع ترتيب الشعراء ترتيباً زمنياً يستند على سنوات الوفيات ، فنقدم شاعراً على شاعر آخر استناداً الى سنة الوفاة ، لأننا لا نملك نقوصاً فيها سني الوفاة . ثم إن حياة أقدم شاعر جاهلي لا يمكن أن تتجاوز المائة والخمسين سنة عن الاسلام على أكثر تقدير ، وان أكثرهم قد كانوا متعاصرين ، وان بين حياة الشاعر القديم منهم ، وبين الشاعر المتأخر ، فترات غير طويلة ، تتناول على العشرة سنين أو العشرين ، وهي أزمنة لا تعد شيئاً بالنسبة الى تأريخ هذا الشعر القصير الأجل .

ويجب ألا نتخذنا بعض العبارات التي نقرأها في كتب الأدب مثل قولهم : « وهو شاعر جاهلي قديم » ، أو « هو شاعر قديم » ، أو « هما قديمان »^١ ، أو « وهو جاهلي قديم »^٢ ، وأمثال ذلك من تعابير تشير الى قدم الشاعر أو الشعراء ، فنأخذها على الصحة ، ونقول بقدم الشاعر ، أو الشعارين ، أو الشعراء ، فإن أكثر من ذكر أهل الأخبار أنهم من الشعراء القدماء ، هم من الذين كانوا في أيام حكم الملك (عمرو بن هند) ، وقد كان حكم هذا الملك فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩) للميلاد . وإذا ما تذكرنا أن ميلاد الرسول كان في سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، عرفنا إذن أي قدم هو هذا القدم الذي توهموه .

١ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٩٢/١ ، ٢٩٤) .

خذ ما قاله (ابن قتيبة) مثلاً عن (زهير بن جناب) سيد (كلب) وهو في نظره من الشعراء المعمرين ، تراه يقول : « وهو جاهلي قديم . ولما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج زهير فلقني ملكهم ، فأكرمه ووجهه الى ناحية العراق يدعوهم الى الدخول في طاعته ... »^١ . ولو جاريناه وأخذنا بصحة الخبر المزعوم ، نكون قد جعلناه حياً في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، فقدوم الحبشة تريد هدم البيت ، كان في عام الفيل ، أي سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، أي العام الذي ولد فيه الرسول ، فهل يعد (زهير بن جناب) اذن (جاهلي قديم) ؟ وقد أدرك على حد قول (ابن قتيبة) ميلاد الرسول ؟ ثم خذ ما قاله عن (ابني خذاق) ، تراه يقول : « وهما قديمان ، كانا في زمن عمرو بن هند »^٢ ، ثم خذ ما قاله عن (سلامة بن جندل) ، إذ قال عنه : « جاهلي قديم » ، وجعل أيامه في عهد (عمرو بن هند)^٣ ، وقد عرفنا أيام حكم (عمرو بن هند) .

ثم خذ ما قاله عن (عبيد بن الأبرص) ، تراه يقول : « وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين ، وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس »^٤ ، أو خذ ما ذكره عن (عمرو بن قبيصة) ، حيث يقول : « وهو قديم جاهلي ، كان مع حجر أبي امرئ القيس »^٥ : بل خذ ما ذكره عن (امرئ القيس ابن حارثة بن الحزام بن معاوية) المعروف بـ (ابن حمام) أو (ابن حزام) ، أو (ابن خذام) ، الذي يقول عنه الشعراء انه أول من بكى الديار عند العرب ، وانه عاش قبل امرئ القيس^٦ ، ترى أهل الأخبار يذكرون انه كان معاصراً للشاعر (المهلهل)^٧ ، خال (امرئ القيس) الكندي . واذا علمنا ان حكم ملوك كندة للحيرة ، كان ما بين السنة (٥٢٥) والسنة (٥٢٨) للميلاد ، وان وفاة (الحارث) والد (حجر) والد (امرئ القيس) الشاعر الكندي ، أي

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٩٤/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٩٢/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٨٧/١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٩٢/١) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٦٨/١) وما بعدها .
 - ٧ الخزائن (٢٣٥/٢) ، (بولاق) .

جد الشاعر ، قد كانت في سنة (٥٢٨) للميلاد ، وان قتل (حجر) قد وقع بعده ، استطعنا الحكم بأن أولئك الشعراء المذكورين قد عاشوا في النصف الأول من القرن السادس للميلاد ، وان حياة أقدم واحد منهم ، لا يمكن أن تتجاوز قرناً واحداً قبل الاسلام ، مهما بالغنا في التقدير .

وأما ما زعمه أهل الأخبار عن بعض أولئك الشعراء ، من أنهم كانوا من المعمرين ، وان منهم من عمّر أكثر من ثلثائة سنة ، وان المعمر في نظرهم لا يعدّ معمرّاً إلا اذا زاد عمره على المائة والعشرين عاماً ، فأترك أمر تصديقه الى القارئ ، إن شاء أخذ به ، متمنياً له أيضاً عمر المعمرين وزيادة ، وإن شاء رفضه ، أما أنا ، فليست من حزب الذين يعتقدون برأي أهل الأخبار في العمر وفي المعمرين ، ولا أريد أبداً أن أكون من أولئك المعمرين .

وقد قسم (محمد بن سلام) الجمحي المتوفى سنة (٢٣٢) الشعراء الى طبقات ، ضمت كل طبقة جماعة من الشعراء ، رأى أن بينها تشابهاً وتقارباً فجمعهم لذلك في طبقة واحدة ، أما (ابن قتيبة) فقد بدأ بأوائل الشعراء ، وهم : (دويد بن نهد) القضاعي ، ثم (أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان) ، ثم (الحارث ابن كعب) ، وقد تحدث عنهم حديثاً قصيراً جداً ، ثم تكلم عن بقية الشعراء ، وعلى رأسهم (امرؤ القيس) فزهير بن أبي سلمى ، ولم يسر في كتابه على طريقة (ابن سلام) في عرضه الشعراء على طبقات ، كما لم يسر على الترتيب الأبجدي لأسماء الشعراء أو على شهرتهم أو كنانهم ، كما سار غيره في مؤلفاتهم عن الشعراء .

وقد سار (جرجي زيدان) على مبدأ تقسيم الشعراء على وفق الأغراض التي نظموا شعرهم بها والتي غلبت طبائعهم عليها . فجعلهم : أصحاب المعلقات ، وعددهم (١٠) ، والشعراء الأمراء ، وجمعهم في (١٤) رجلاً ، والشعراء الفرسان ، وجمعهم (٢٨) ، والشعراء الحكماء ، وحاصلهم (٤) ، والشعراء العشاق وعددهم (٨) ، والشعراء الصعاليك وهم (٧) ، والمغنون ، وهم (١) ، والنساء الشواعر ، وعددهن (٤) ، والهجاءون ، وعددهم (٤) ، والوصافون للخيل ، وعددهم (٤) ، والموالي ، وعددهم (١) ، وسائر الشعراء وجمعهم (٢٦) ، وجميع الجميع (١٢١) شاعراً^١ .

١ تاريخ آداب اللغة العربية (١٠٢/١) .

وقسم (كارلو نالينو) الشعراء الجاهليين الى أربعة أصناف : الصنف الأول ما نسجه أهل البادية أو من تقرب منهم سواء كانوا وثنيين أم يهود من شعر ، الثاني : أشعار الوثنيين الذين قصدوا ملوك الحيرة وبني غسان وجالسوهم ، الثالث : أشعار النصارى بالحيرة أو في مملكة بني غسان ، الرابع : أشعار أهل الحضرة الوثنيين في مدن الحجاز^١ . وقد أدخل في الصنف الأول : تأبط شرأ والشنفرى وأمثالهم ، لأنهم رجال بادية عوائدهم أقرب للهمجية المحضة منها لأحوال أهل بلد ذات نظام اجتماعي ، فسُموا (أولئك الرجال) الصعاليك^٢ ، وأدخل في هذا الصنف أيضاً أصحاب المملقات ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد ، والآفوه الأودي ، ودريد ابن الصمة^٣ . وأدخل في الصنف الثاني (زهير بن جناب) الكلبي ، وطرفة بن العبد ، وهو من أصحاب المملقات ، وأوس بن حجر ، وبقية من كان لهم اتصال بملوك الحيرة والغساسنة^٤ ، وأدخل في الصنف الثالث : أبو دؤاد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي ، وأدخل في الصنف الرابع قيس بن الخطيم ، وأميرة بن أبي الصلت^٥ .

واقدم من ذكرهم علماء الشعر من شعراء أهل الجاهلية : دويد بن نهد القضاعي ، وأعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، والحاترث بن كعب^٦ ، والعنبر ابن عمرو بن تميم ، والمستوغر بن ربيعة بن كعب بن نهد ، وزهير بن جناب الكلبي ، وجذعة الأبرش ، ولجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وابن حذام^٧ ، والآفوه الأودي ، وذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، وضمرة ، رجل من كنانة ، والأضبط بن قريع . وقيل : « أول من قال الشعر ابن حذام »^٨ .

ولهؤلاء البيت والبيتان والأبيات ، ولم ترد لهم قصائد ، لأن أول من قصد القصائد ، ووضع القصيد هو المهلهل ، على ما يزعمه أهل الأخبار .

-
- ١ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٧١) .
 - ٢ المصدر نفسه (ص ٧٢) .
 - ٣ كذلك (ص ٧٤ وما بعدها) .
 - ٤ كذلك (ص ٨١) .
 - ٥ كذلك (ص ٩٢ وما بعدها) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٤٨/١) وما بعدها .
 - ٧ المزهر (٤٧٥/٢) وما بعدها .
 - ٨ المزهر (٤٧٧/٢) .

وقد قدم (ابن قتيبة) (دويد بن نهد) القضاعي على مائر الشعراء ،
وقال : « لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث
الحاجة . فن قديم الشعر قول دويد بن نهد القضاعي :

اليوم بيني لدويد بيتيه لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب عبل خشن لويته ^١

وقال بعد ذلك : « وقال الآخر :

ألقى عليّ الدهر رجلاً ويداً والدهر ما أصلح يوماً أفسداً
يصلحه اليوم ويفسده غداً ^٢

وهو رجز نسبة (ابن سلام) وغيره لدويد نفسه ^٣ .

وزعم أهل الأخبار انه لما حضرته الوفاة ، جمع آله ، وقال يوصيهم :
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبدة ، ولا تقيلوهم عبدة ، قصّروا الأعنة
وطولوا الأسنة ، واطعنوا شزراً ، واضربوا هرباً .. » الى آخر وصيته ، ثم قال :

اليوم بيني لدويد بيتيه يا رب نهب صالح حويته
ورب قرن بطل أرديته ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته ^٤

١ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات الشعراء (٢٧) ،
السجستاني ، المعمرن (١٩) ، ابن سلام ، طبقات (١١) ، (طبعة ليدن) ، المزهري (٤٧٥/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (حاشية رقم ٣) ، وورد :
يفسد ما أصلحه اليوم غداً

أما لي المرتضى (٢٣٧/١) .

٣ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (حاشية رقم ٣) .

٤ أما لي المرتضى (٢٣٧/١) ، وروى على هذه الصورة :

اليوم بيني لدويد بيتيه لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته
تاج العروس (٣٤٧/٢) ، (داد) ، المزهري (٤٧٥/٢) .

وهو كلام يشعرك أنه نص لوصية الشاعر، ضبط ضبطاً ، يشعرك أن ضابطه كان حاضراً إذ ذاك ، وأنه سجله سجل المسجل للصوت ، حتى وصل الينا أصيلاً كاملاً لا تغير فيه ولا تحوير . أما رأيي فيه ، فهو أنه من هذه النصوص الكثيرة التي وضعها أهل الأخبار على ألسنة المتقدمين عليهم ، والتي لا يمكن أن يركن إليها ، ولا أن يؤخذ بها ، ومن في استطاعته اثبات أنه نص أصيل ، وليس لديه دليل قطعي يثبت تلك الإصالة .

ومن قدماء الشعراء : (أعصر بن سعد بن قيس عيلان) ، وهو (منبه بن سعد) أبو باهلة وغني والطفافة . وهو القائل :

قالت عميرة ما لرأسك بعد ما فقد الزمان أتى بلون منك
أعبر إن أباك شيب رأسه كر الغداة واختلاف الأعصر^١

وذكر (ابن قتيبة) بعد (أعصر) اسم (الحارث بن كعب) وقال عنه :
« وكان قديماً » ، وروى له هذه الأبيات :

أكلت شبابي فأفنيته وأفنيت بعد شهور شهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهُم فبانوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام عسير القيا م قد ترك القيد خطوي قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمري، بطونا ظهوراً^٢

والحارث بن كعب ، هو (الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد ابن مالك بن أدد) الملاحجي ، وهو من المعمرين ، وقد نسبوا له وصية زعموا أنه لما حضرته الوفاة ، جمع ولده ، فخطبهم يوصيهم . وكان مما جاء فيها أنه على دين (شعيب) النبي ، « وما عليه أحد من العرب غيري ، وغير (أسد بن

١ المزهري (٢/ ٤٧٥) ، الشعر والشعراء (١/ ٤٨) وما بعدها ، (الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات (٢٨) .

قالت عميرة ما لرأسك بعدما فقد الشباب أتى بلون منك
أعبر إن أباك شيب رأسه مر الليالي واختلاف الأعصر
الشعر والشعراء (١/ ٤٩) .

٢ الشعر والشعراء (١/ ٤٩) .

خزيمة) و (تميم بن مرة) ، ثم أوصاهم بوصيته ، على الطريقة المألوفة التي نراها في الوصايا التي تنسب في العادة الى المعمرين ، ثم ختمها بإنشاده الأبيات المذكورة^١ .

(والمستوغر بن ربيعة بن كعب بن نهد) ، من قدماء المعمرين ، بقي بقاءً طويلاً حتى قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين مثينا
مائة أنت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنيانا^٢

وذكر (ابن دريد) ان (المستوغر) عاش ثلثماية وعشرين سنة ، ولقب (المستوغر) لقوله :

يش الماء في الرّبلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير^٣

وذكر انه أدرك الاسلام ، أو كاد يدرك أوله . ونسبوا له قوله :

إذا ما المرء صمّ فلم يكلم وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشيّ بني بنيه كفعل الهرّ يحترش العظايا
يلاعبهم وودّوا لو سقوه من اللبّان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرباً ولا يشفى من المرض الشفايا^٤

وزعم « ان المستوغر مرّ مرة بعكاظ يقود ابن ابنه خرفاً ، فقال له رجل :

١ أمالي المرتضى (٢٣٢/١) .

٢ ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مثينا
مائة حدثها بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنيانا
هل ما بقي الا كما قد فاتني يوم يمر وليلة تحدوننا
الشعر والشعراء (٣٠٠/١) .

المزهر (٤٧٥/٢) ، (وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن حر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر) ، أمالي المرتضى ، (٢٣٤/١) ،
المعمرون (٧) ، الرزباني ، معجم (٣١٣) .

٣ الاشتقاق (١٥٤/١) ، الشعر والشعراء (٣٠٠/١) .

٤ أمالي المرتضى (٢٣٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (٣٠) .

يا عبدالله أحسن اليه، فطالما أحسن اليك ! قال : أو تدري من هو ؟ قال : نعم هو أبوك أو جلدك ، قال : هو والله ابن ابني ! قال الرجل : لم أرَ كالיום في الكذب ولا مستوغر بن ربيعة !! قال : فأنا المستوغر بن ربيعة . « قال أبو عمرو بن العلاء : عاش المستوغر ثلاث مائة سنة وعشرين سنة »^١ .

وقد ذكره (ابن حجر) في الصحابة ، وقال عنه : « المستوغر، بعين مهملة ثم زاي ، ابن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدي، أبو يهيس، واسمه عمرو ، والمستوغر لقب » . وكان من فرسان العرب في الجاهلية ، وقال (المرزباني) انه عاش في أيام معاوية ، ويقال مات في صدر الاسلام^٢ . والأغلب ان وفاته كانت قبل الاسلام ، وانه لا يمكن لذلك عدّه في الصحابة .

والأفوه الأودي ، هو (صلاة بن عمرو بن مالك) من (ملحج) ، وملحج من اليمن ، فهو من البانين ، وكان من سادات قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصعدون عن رأيه ، والعرب تعدّه من حكمائها ، بما اشتمل عليه شعره من الحكمة^٣ . وقد اشتهر بقصيدته :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم	وان بني قومهم ما أفسدوا
لا يرشّدون ولن يرعوا المرشدهم	فالجهل منهم معاً والغنيّ ميعاد
أضحوا كقيل بن عمرو في عشيرته	إذ أهلك بالذي سدّى لها عاد
أو بعده كقدار حين تابعه	على الغواية أقوامٌ فقد بادوا
والبيت لا يبنّى إلاّ له عمدٌ	ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ
فلن تجمع أوتادُ وأعمدة	وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
ولن تجمع أقوام ذوو حسب	اصطاد أمرهم بالرشد مصطادُ
لا يصلح الناسُ فوضى لا سراة لهم	ولا سراة إذا جهّاهم سادوا
تبقي الأمور بأهل الرأي ما صلحت	فلن تولت فبالأشرار تنقاد

١ الشعر والشعراء (٣٠١/١) ، الاصابة (٤٦٨/٣) ، (رقم ٨٤٠٧) .

٢ الاصابة (٤٦٨/٣) ، (٨٤٠٧) .

٣ الشعر والشعراء (١٤٩/١) ، الاغاني (٤١/١١) ، العيني (٤٢١/١) ، تاج العروس (٤٠٥/٩) ، (فوه) ، معاهد التنصيص (١٥٩/٢) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .

إذا تولى سراة القوم أمرهم نما على ذاك أمرُ القوم فازدادوا
امارة الغي أن يلقى الجميع للذي الإبرام للأمر والأذئاب أكسادُ
حان الرحيل الى قومٍ وان بعدوا فيهم صلاحٌ لمرئاد وارشادُ
فسوف أجعل بعد الأرض دونكمُ وإن دنت رحمٌ منكم وميلادُ
إن النجاء إذا ما كنت ذا نقر من أجة الغي إبعادُ فابعادُ
فالخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلما زادُ

وقد رويت بعض الآيات بصور مختلفة . فلابن دريد ، قراءة ، ولأبي بكر
ابن الأنباري قراءة . وقد نص (القالي) على القرائتين^١ ومن أبياتها :

كيف الرشاد إذا ما كنت في نقرٍ لهم عن الرشد أغلال وأقياد
أعطوا غواتهم جهلاً مقادتهم فكلهم في حبال الغي متقاد^٢

وله قصيدة تعدّ من جيد شعره ، أولها :

إن ترى رأسي فيه نزعٌ وشوايَ خلّة فيها دُوار
أما نعمة قومٍ متعة وحياة المرء ثوبٍ مستعار
ولياليه إلالٌ للقوى ومدى قد تجتليها وشيفار
وصروف الدهر في أطباقه خلقةٌ فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس على عليائها إذ هوّوا في هوّة منها فغاروا^٣
حتّم الدهرُ علينا أنه ظلّف ما نال منا وجبار

وهو القائل :

والمرء ما يُصلح له ليلةٌ بالسعد تُفسدُه ليالي النحوس
والخير لا يأتي ابتغاءً به والشر لا يفتنيه ضرح الشموس^٤

١ الامالي (٢٢٤/٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٥/١) ، الشعر والشعراء (١٤٩/١) .

٢ بلوغ الأرب (١٠٦/٣) .

٣ بلوغ الأرب (١٠٥/٣ وما بعدها) .

٤ الشعر والشعراء (١٤٩/١) .

وله ديوان مطبوع^١ .

وذكر ان النبي نهى عن إنشاد قصيدة الأفوه :

إن ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار

وذلك لورود ذم فيها لبني هاجر مثل قوله :

يا بني هاجر ، ساءت خطة أن تروموا النصف منا ونجار
ان يجل شهري منكم جولة فعليه الكر فيكم والفوار
نحن أود ، ولأود سنة شرف^٢ ليس لنا عنها قصار
سنة أورثناها مدحج^٣ قبل أن ينسب للناس نزار^٤

وهي قصيدة عمانية ، فيها تعصب ليمن ، وتهجم على (نزار) أبناء هاجر ، أي العدنانيين ، ولهذا ذكر الرواة ان النبي نهى عن روايتها ، وهي من موضوعات الصراع القحطاني التزاري المعروف ، أرادت التزارية طمسها ، فروت ان النبي نهى عن روايتها ، والنهي والقصيدة - في نظري - من المصنوعات التي ظهرت بعد وفاة النبي ، وأسلوب نظم القصيدة يتجسس على أصالتها ، يتحدث انه من النظم الاسلامي .

وأورد (المعري) له هذا البيت :

كشهاب القذف يرميكم به فارس^٥ ، في كفته للحرب نار

وهو بيت من (رائيته) التي يعدونها من أجود الشعر العربي^٦ .

وهي قصيدة يقول عنها (الجاحظ) : « وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة »^٧ .. ونظراً لإشارة (الجاحظ) إليها ، فإن صنعها يجب

-
- ١ طبعه عبد العزيز الميمني في الطرائف الادبية ، (القاهرة ١٩٣٧ م) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .
 - ٢ راجع ديوانه ، (القاهرة ١٩٣٧ م) .
 - ٣ رسالة الغفران (٢٩٧) ، (رقم الحاشية ٥) .
 - ٤ الحيوان (٢٨٠/٦) ، النوادر (١٦٩/١) ، معاهد التنصيص (٩٥/٤) .

أن يكون قبل أيامه، في الإسلام على أثر ظهور العصبية التزارية في أيام الأمويين ،
فوضعها أحدهم على لسان الأفوه في التعريض بالتزاريين .

ونسب (الجاحظ) له قوله :

أضحت قُرَيْنةٌ قد تغيّر بشرها وتجهّمت بتحية القوم العدا
ألوت ياصبعها وقالت إنما يكفيك مما لا ترى ما قد ترى^١

كما نسب له قوله :

تهنا لثعلبة بن قيس جفنة يأوي اليها في الشتاء الجوع
ومذانب لا تستعار وخيمة سوداء عيب نسيجها لا يرفع
وكانما فيها المذانب حلقة وذم الدلاء على دلوج تترع^٢

وقد نسبت إليه أبيات ورد فيها ذكر (التابعة والمثامنة وأولاد نوح : سام
وحام ويافث) ، هي :

فلو دام الخلود إذن جدودي	وأسلافي بنو قحطان داموا
ودام لهم تبابعهم ملوكاً	ولم تمت الماثمة الكرام
وعاش الملك ذو الأذعار عمرو	وعمره حوله اللجبُ اللهام
ونخلد ذو المنار وما تردى	أبوه الرائش الملك الهام
ملوك أدّت الدنيا اليها	أثاوتها ودان لها الأنام
ولما يعصها سام وحام	ويافث حيث ما حلت ولا م ^٣

ونسبت إليه أبيات في مدح (ملحق) ، وفي الاشادة بكرمها ، أولها :

نعظم النار إذ النار التي شبتها عنس خبت أو صعصعة^٤

والشعر المتقدم من الشعر المصنوع ولا شك، وضعه قوم من المتعصبين للقحطانية
على التزاريين ، أي العدنانيين .

-
- ١ البيان والتبيين (١٩٧/١ وما بعدها) .
 - ٢ البخل (٢٢٣ وما بعدها) .
 - ٣ تاريخ ملوك العرب الاولى (٢٨ وما بعدها) .
 - ٤ المصدر نفسه (ص ١٣٧) .

ومن الشعراء القدماء : (زهير بن جناب) الكلبي ، سيد بني كلب وقائدهم ، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة في غزواته^١ . ذكر انه لما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج (زهير) فلقى ملكهم ، فأكرمه ووجهه الى ناحية العراق يدعوهم الى الدخول في طاعته ، فلما صار في أرض (بكر بن وائل) لقيه رجل منهم فطعنه ، لكنه نجا وفر هارباً ، وعمر طويلاً . وقد مات منتحراً . شرب الخمر صرفاً حتى قتله . وفي الشعر المنسوب اليه ما يشك بصحة نسبته اليه . وقد ذكر انه كان في أيام (داوود بن هُبالة) ، الذي كان أول ملك للعرب في بلاد الشام ، فغلبه ملك الروم على ملكه ، فصالحه داوود على أن يقره في منازل ويدعه فيكون تحت يده ، ففعل . فكان يغير بمن معه ، ثم تنصر وكره الدماء وبني ديراً ، سُمي (دير اللثق) ، وأنزله الرهبان . ثم ان ملك الروم طلب منه أن يغزو بمن معه من العرب ، ففعل وكان معه في جيشه زهير بن جناب . فقتل زهير بن جناب (هذاج بن مالك) سيد عبد القيس ، فتواعد رجلان من قضاة على قتل (داوود) ، وكان اذا سار ليلاً ، سار وأمامه شمعة ، فقتلاه^٢ .

« قال أبو حاتم : عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوف مائتي وقعة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه ، ويقال : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه ، كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم - والطب في ذلك الزمان شرف - وحازي قومه - والحزاة الكهان - وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم » .

ونسبوا له وصية ، ذكروا أنه أوصى بها بنيه حين حضرته الوفاة ، وذلك على طريقتهم عند تحدّثهم عن المعمرين .

وقد أورد أهل الأخبار له شعراً ، في العمر وفي النساء وفي مخاطبة أولاده^١ . وقد نسبوا له هذا الشعر :

١ الاغاني (٩٣/٢١ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات (٣٠) ، جمهرة ابن حزم (٤٢٦) ، المؤتلف (١٣٠) ، المحبر (٢٥٠) ، المعرون (٢٤) ، الشعر والشعراء (٢٩٤/١) وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٨٢) ، المزهر (٤٧٥/٢) وما بعدها .

٢ أسماء المغتالين (١٢٧) .

٣ أمالي المرتضى (٢٣٨/١) وما بعدها .

لقد عُمرتُ حتى لا أبالي أحتمي في صباحي أو مساءي
وحق لمن أنت مائتان عاماً عليه أن يملّ من الثواء
شهدتُ الموقدين على خزازي وبالسلاّن جمعاً ذا زُهاء
ونادمتُ الملوك من آل عمرو وبعدهم بني ماء السماء^١

ومن جيد شعره قوله :

ارفع ضعيفك لا يَحْمُرْ بك ضعفه يوماً فتدركه عواقبُ ما جنى
يجزيك أو يثني عليك ، وإن من أثني عليك بما فعلتَ كمن جزى

وهو شعر نسبه (ابن قتيبة) اليه ، غير أن من العلماء من نسبه لورقة بن نوفل ، ومنهم من نسبه لغريض اليهودي ، وقيل لابنه (سعية) ، ومنهم من نسبه لشعراء آخرين^٢ .

أما المهلهل ، فهو امرؤ القيس بن ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم ، وانما سمي مهلهلاً لبيت قاله لزهير بن جئاب الكلبي :

لما توعر في الكراع هجينهم هلهلتُ أثار جابراً أو صنبلاً

وقيل ان اسمه كان عدياً، وقد ذكره (امرؤ القيس) في شعره^٣ . ولقّب مهلهلاً لطيب شعره ورقته ، أو لأنه أول من أرق المراثي ، أو لأنه أول من قصّد القصائد ، وقال الغزل ، فقليل : هلهل الشعر أي أرقه^٤ . وفيه يقول الفرزدق :

١ المعمرن (٢٦ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٢٩٦/١) ، (حاشية رقم ٧) .

٣ رفعت رأسها الي وقالت يا عدياً لقد وقتك الاواقي
ضربت صدرها الي وقالت يا عدي لقد وقتك الاواقي
« وقال الصاغاني في التكملة : وليس البيت لمهلهل وانما هو لأخيه عدي ، ويروى البيت : ضربت صدرها ، (السيوطي شرح شواهد المغني ٦٥٦) ، (حاشية ٤) ، الخزانة (٣٠٠/١) ، (بولاق) ، الاغاني (١٣٩/٤) .

ضربت صدرها الي وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٦/٢ وما بعدها) .

ومهلل الشعراء ذاك الأول^١

وزعم انه كان به خنث^٢ . وهو أخو (كليب واثيل) الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب . وهو جدّ (عمرو بن كلثوم) ، أبو أمه (ليلي) ، وخال امرئ القيس الشاعر^٣ .

وقد تطرق (المعري) في (رسالة الغفران) الى سبب اشتهار (المهلهل) بهذا النعت ، فجعل أحد الأشخاص يسأله : « أخبرني لم سميت مهلهلاً ؟ » فقد قيل ، : إنك سميت بذلك ، لأنك أول من هلهل الشعر ، أي رققه^٤ :

فيقول : إن الكذب لكثير . وإنما كان لي أخ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبي ، فتنعه أخي في زرافة من قومه ، فقال في ذلك :

لما توكل في الكراع هجينهم هلهلت أثار مالكا أو صنبلا
وكانه باز عكته كبرة يهدي بشكته الرعيل الأول^٥ ،

وقد أورد (المعري) له بيتاً ، هو أول بيت من قصيدة تنسب اليه ، هو .

أليتنا بذي حُسم انيرى إذا أنت انقضيت فلا تحوري^٥
فإن يك بالذئب طال ليل فقد أبكى من الليل القصير

وأورد له بيتاً آخر هو :

أرعدوا ساعة الهياج وأبرق لنا كما توعد الفحول الفحولا

وذكر أن (الأصمعي) كان ينكره ويقول : إنه مولد . وكان أبو زيد

١ ديوان الفرزدق (٧٢) ، الشعر والشعراء (٢٥٦) ، (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، ديوان الفرزدق (١٥٩ / ٢) .

٢ الشعر والشعراء (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٦٤ / ٢) ، (هارون) .

٣ الشعر والشعراء (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٦٤ / ٢) ، (هارون) ، ابن سلام ، طبقات (٣٣ وما بعدها) ، الاغانى (١٤٠ / ٤) ، المرزبانى ، معجم (٢٤٨) ، اللآلئ (١١١) ، الاغانى (٣٤ / ٥) ، (دار الكتب) ، الاصمعيات (١٧٤) .

٤ رسالة الغفران (٣٥٤) .

٥ رسالة الغفران (٣٥٣) .

يستشهد به ويثبته^١ .

و زعم الرواة ان الشعر كله انما كان رجزاً وقطعاً ، وانه انما قصّد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصّده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة . ذكر ذلك الجمحي وغيره^٢ ، وقيل انه كان أول شاعر بلغت قصائده ثلاثون بيتاً من الشعر ، فاحتذى من جاء بعده حذوه . وان أول قصيدة قالها كانت في قتل أخيه كليب^٣ . وانه كان أول من كذب في شعره ، بقوله :

فلولا الريحُ أسمعَ من بُحجرٍ صليلَ البيضِ تقرر بالذكور

ويذكرون ان هذا البيت هو من أول كذب العرب ، وكانت العرب قبل ذلك لا تكذب في أشعارها ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة اليامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة منته ونفاذ فطنته الى معنى آخر مستظرف في بابه^٤ . وقد اتهمه البعض بأنه كان يتكثر ويدعي قوله بأكثر من فعله^٥ .

وزعم انه أحد البغاة ، لقوله :

قل لبني حصن يردّونه أو يصبروا للصيلم الخنثفقيق
من شاء دلى النفس في هوة ضنكٍ ، ولكن من له بالمضيّق^٦

أمرهم ان يردّوا كلياً وقد قتل ، وأعلمهم انه لا يرضى بشيء غير ذلك .

-
- ١ رسالة الغفران (٣٥٤) .
 - ٢ العمدة (١٨٩/١) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٣ زبدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٦٧/١) ،
ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرر بالذكور
الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، (الثقافة) ، البيان والتبيين (١٢٤/١) ، الحيوان (٤١٨/٦) ، العمدة (٥٠/٢) ، الاغانى (١٤٦/٤) ، المرزباني ، معجم (٣٣١) ، نقد الشعر ، لقدامة (٨٤) ، الموشح (٧٤) .
 - ٤ زهر الاداب (٢٣٤/١) ، الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، الاغانى (١٥٢/١٤) ، خزانة الادب (٣٠٢/١) وما بعدها .
 - ٥ السيوطي ، شرح (٦٥٧/٢) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، (الثقافة) .

وهو أحد أصحاب المتقيات السبع ، المدونة في كتاب : (جمهرة أشعار العرب) .

وقد ذكره (لييد) في شعره ، فجعله و (مرقشاً) من الشعراء الذين مهدوا السبيل لمن جاء بعدهم في نظم الشعر ، فالشاعرون الناطقون الذين جاؤا بعدهما إنما سلكوا دروبهما في نظم الشعر :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقش ومهلل^١

وكان مهلل القائم بالحرب ورئيس تغلب ، فلما كان يوم قضية ، وهو آخر أيامهم ، وكان على تغلب ، أسر (الحارث بن عباد) مهللاً وهو لا يعرفه ، فقال له الحارث : تدلني على عدي بن ربيعة المهلل وأنت آمن ؟ فقال له (المهلل) : ان دلتك على عدي فأنا آمن ولي دمي ؟ قال : الحارث : نعم ، قال : فأنا عدي ! فجز ناصيته وخلّاه ، وقال : لم أعرف . وفي ذلك يقول الحارث بن عباد :

لهف نفسي على عديّ ولم أعرف عدياً إذ أمكتني اليدان
طُلّ من طُلّ في الحروب ولم يطل قتيلاً أبأته ابن أبان^٢

ثم خرج (مهلل) فلاحق باليمن ، فتزل في (جنب)^٣ ، فخطب إليه رجل منهم ابنته ، فقال : إني طريد غريب فيكم ، ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه ، فأكرهه حتى زوّجها ، وكان المهر أداماً ، فقال :

أنكحها فقدّهما الراقم في جنب ، وكان الحباء من آدم
لو بأبائين جاء يخطبها رُمّل ما أنف خاطب بدم

ثم انحدر ، فلقبه (عوف بن مالك بن ضبيعة) ، وهو أبو أسماء صاحبة

١ ديوان لييد (٢٧٦) ، (٣٩) ، البيان والتبيين (١٨٣ / ٢) .

٢ الشعر والشعراء (٢١٦ / ١) وما بعدها .

٣ حي من اليمن .

المرقش الأكبر ، فأسره فمات في أساره^١ . وللأخباريين قصص عن كيفية موته^٢.

ونسبوا له قصيدة رثى بها أخاه كليباً ، بقوله :

أيلتنا بندي حُسْمُ أنبري إذا أنتِ انقضيتِ فلا نحوري

وفيهما :

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلاً من كليب إذا رجف العضاه من الدبور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت نجاة الخدور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلاً من كليب غداة تلاتل الأمر الكبير
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما خام جار المستجير^٣

وأورد المرتضى (مرثية) لليلي الأخيلية رثت فيها : ثوبة بن الحمير ، لها أسلوب خاص في الرثاء ، حيث ترد جملة : (لنعم الفتى) و (نعم الفتى) في أوائل أربعة أبيات من القصيدة ، تلتها « لعمرى لأنت المرء أبكي لفقده » أربع مرات مكونة الأنصاف الأولى من الأبيات ، ثم « أبى لك ذم الناس يا ثوب كلما » مرتين ، ثم : « فلا يبعدنك الله يا ثوب انما » ، ثم « ولا يبعدنك الله يا ثوب انها » مرة ، ثم : « ولا يبعدنك الله يا ثوب والتقت » . فخرجت من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني^٤ .

وروى قصيدة أخرى لابنة عم للنعمان بن بشير رثت فيها زوجها ، أنصاف أبياتها الأولى : « وحدثني أصحابه ان مالكا » ، أما القافية فهي على اللام^٥ .

-
- ١ الشعر والشعراء (٢١٦/١ وما بعدها) ، الخزائن (١٧٣/٢) .
 - ٢ أسماء المقتالين (٢٠٨) .
 - ٣ أمالي المرتضى (١٢٣/١ وما بعدها) .
 - ٤ أمالي المرتضى (١٢٤/١ وما بعدها) .
 - ٥ أمالي المرتضى (١٢٦/١) .

ومن معاصري (مهلهل) الشاعر (امرؤ القيس بن حاتم بن عبيدة بن هبل) ابن أخي (زهير بن جناب بن هبل) ، وزعم بعضهم أنه الذي غنى (امرؤ القيس) بقوله : نبكي الديار كما بكى ابن خدام . وكان مهلهل تبعه (يوم الكلاب) فقاته ابن حاتم بعد أن تناوله (مهلهل) بالرمح . وكان (ابن حاتم) أغار على (بني تغلب) مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلاً . وفيها يقول مهلهل :

لما توعر في الكلاب هجينهم هلهلتُ آثار جابراً أو صنبلاً

و (امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمام بن معاوية) ، أو (امرؤ القيس بن حارثة بن خذام بن معاوية) على رواية أخرى ، أو (ابن خذام) ، أو (ابن خذام) ، هو شاعر سبق (امرؤ القيس) الكندي في البكاء على الديار وتذكر الأطلال ، استتجوا ذلك من شعر ينسب لامرئ القيس ، هو :

يا صاحبي قفا النواعج ساعة نبكي الديار كما بكى ابن حاتم

أو (ابن خذام) في رواية (أبي عبيدة) .

ومن بيت آخر هو :

عوجا على الطلل المحيل، لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام^١

وابن (خذام) ، و (ابن حاتم) ، و (ابن حزام) و (ابن خذام) ، اسم الشاعر ، وهو اسم واحد، تحرف بالرواية وبالنسخ ، فصار على هذه الصور .

ومن شعراء ربيعة (سعد بن مالك) ، الذي يقول :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراجوا^٢

١ الخزائن (٢٣٥/٢) ، (بولاق) .

٢ الشعر والشعراء (٦٨/١ وما بعدها) ، المزهري (٢٣٨/٢) ، عوجا على الطلل المحيل ، لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام الآمدي ، المؤتلف (١٠٩) ، ديوان امرئ القيس (١١٤) ، المزهري (٤٧٧/٢) ، بروكلمن (٦٠/١) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٧/٢) .

قال هذا البيت في قصيدة يعرض فيها بـ (الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) من حكام (ربيعة) وفرسانها المعدودين ، وكان اعتزل حرب (بني وائل) وتنحى بأهله وولده وولد اخوته وأقاربه ، وحل وتر قوسه ، ونزع سنان رمحه ، ولم يساهم في الحرب التي هاجت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وهي حرب البسوس :

وسعد ، هو (سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل) . وكان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية . وكان شاعراً ، وله أشعار جياذ في كتاب بني قيس بن ثعلبة^١ .

وفي رواية تنسب الى (دغفل) النسابة انه كان جد (طرفة بن العبد)^٢ . وطرفة ، هو : (عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة)^٣ ، واذا أخذنا بهذا النسب نرى ان (سعد بن مالك) ، هو جد (العبد) والد (طرفة) . واذا أخذنا برواية من جعل نسب الشاعر (عمرو بن قيثة) على هذه الصورة : (عمرو بن قيثة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة) ، فيجب عدّه ابناً من أبناء (سعد بن مالك) ، أما اذا اعتبرنا نسبه على هذه الصورة : (عمرو بن قيثة بن ذريح بن سعد بن مالك) ، فنكون بذلك قد جعلناه حفيداً له ، ويكون (ذريحاً) ابناً من أبناء هذا الشاعر^٤ .

ويظهر من نسب المرقش الأكبر ، وهو (ربيعة بن سعد بن مالك) ، ويقال : « بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة »^٥ ، أنه كان ابناً ، لسعد بن مالك ، الشاعر الذي نتحدث عنه ، وإذا ذهبنا مذهب من يقول ان المرقش الأصغر كان أخاً للمرقش الأكبر ، فيكون بذلك ابناً من أبناء (سعد ابن مالك) ، وأما إذا أخذنا برواية من يذكر أنه كان ابن أخي المرقش الأكبر ، وانه (عمرو بن حرملة) ، أو (ربيعة بن سفيان) فيكون ابن ابن (سعد بن

١ الخزانة (٢٢٣/١) وما بعدها .

٢ ذيل الامالي (ص ٢٦) .

٣ شرح القصائد العشر (ص ٩) ، (اخراج محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٤ راجع نسبه في الخزانة (٢٥٠/٢) وفي المراجع الاخرى التي ذكرتها في أثناء حديثي عنه .

٥ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، (دار الثقافة) .

مالك) ، أي حفيده ، ويكون المرقش الأكبر عمه إذن ، ويكون بيت (سعد ابن مالك) من البيوت التي عرفت بالشعر .

وروي أن الشاعر (خرز بن لوزان) السدوسي ، كان قبل امرئ القيس . وقد نسب بعض أهل الأخبار له قوله :

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

ونسب هذا الشعر لغيره من الشعراء^١ .

ونسب له قوله :

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهي
لا تذكرني مهري وما أطعمته فيكون لونك مثل لون الأجر

وكانت له فرس اسمها ابن النعامة ، ورد ذكرها في هذا الشعر^٢ .

ويجب أن نضيف إلى الشعراء المتقدمين شاعراً يظهر من روايات أهل الأخبار، أنه لم يكن من فحول الشعراء ، ولا من أوساطهم وإنما كان «شويعرأ» ، ولذلك عرف بـ (الشويعر) . ويذكر أهل الأخبار أنه كان أحد من سمي (محمداً) في الجاهلية ، وهم سبعة ، واسمه الكامل : (محمد بن حران بن أبي حران) . وهو قديم^٣ . كان (امرؤ القيس) أرسل إليه في فرس يبتاعها منه ، فأبى فقال فيه :

أبلغا عني الشويعر اني عمد عين قللتن حربما

وحربم ، هو جد الشويعر^٤ . فقال الشويعر مخاطباً امرأ القيس :

أتني أمور فكذبتهما وقد نيت لي عاماً فعاما
بأن امرئ القيس أمسى كشييا على آله ما ينوق الطعاما

١ ونسب لعبدالله بن الزبيري الخزاعة (٢/ ٢٣١ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٨٣/ ٩) ، (نعم) .
٣ المؤلف (١٤١ وما بعدها) ، (٢٠٨) ، (فراج) .
٤ البيان (١٠/ ٢) ، الأمدى ، المؤلف (١٤١) .

لعمري أليك الذي لا يهان · لقد كان عرضك مني حراما
وقالوا : هجوت ، ولم أهجه · وهل يجدن حاج فيك مراما^١

وذكر الشاعر (ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم) ، بعد مهلهل في تقصيد
القصاصد ، وهو (عمرو بن تميم) ، وهو من تميم ، قيل انه كان شاعراً قديماً ،
وهو الذي يقول :

يا كعب إن أباك منحلق إن لم تكن بك مرة كعب

وهي أبيات قديمة يقول فيها :

جانيك من يجني عليك وقد تعدي الصحاح مبارك الجرب^٢

والأضبط بن قريع ، هو (الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن
زيد مائة بن تميم) ، فهو من (بني تميم) . وقد عدّ في المعمرين^٣ . وقد
أورد (الجاحظ) له شعراً منه :

لكل هم من الهموم سعة	والمسي والصبح لا فلاح معه
فصل حبال البعيد إن وصل الـ	حبل وأقص القريب إن قطعه
وخذ من الدهر ما أتاك به	من قر عينا بعيشه نفعه
لا تحقرن الفقير علك أن	تركع يوماً والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله	ويأكل المال غير من جمعه ^٤

وقد روي الشعر على هذا النحو :

يا قوم من عاذري من الخدعه والمسي والصبح لا فلاح معه
فصل حبال البعيد إن وصل الحبل ، وأقص القريب إن قطعه

-
- ١ تاج العروس (٣٠١/٣) ، (شعر) .
 - ٢ الاشتقاق (١٢٤) ، المزهرة (٤٧٧/٢) .
 - ٣ السجستاني ، (٨) ، البيان والتبيين (٣٤١/٣) ، الأغاني (١٥٤/١٦) وما بعدها ، الأمالي (١٠٧/١) ، الخزائن (٥٨٩/٤) ، المثل السائر (٢٦/١) ، مجالس ثعلب (٤٨٠) .
 - ٤ البيان والتبيين (٣٤١/٣) .

واقنع من العيش ما أتاكَ به من قرّ عيناً بعيشه فقعه
قد يجمعُ المالَ غيرَ آكله ويأكلُ المالَ غيرَ من جمعه
لا تهينَ الفقيرَ علّك أن تخشعَ يوماً والدهر قد رفعه^١

وقد أورد هذا الشعر القالي في أماليه عن (ابن دريد) عن (ابن الأنباري)
عن ثعلب . وقد قال ثعلب : انه قيل قبل الاسلام بدهر طويل . ورواه أيضاً
(ابن الأعرابي) ، والجاحظ ، وصاحب الحماسة البصرية ، والشريف في حماسه ،
وابن قتيبة في كتاب الشعراء وصاحب الأغاني وغيرهم ، بتقديم بعضها على بعض
وطرح أبيات منها^٢ .

وقال (السيوطي) : « عزاه ابن الأعرابي في نواتره للأضبط بن قريع من
أبيات هي :

لكلّ ضيق من الأمور سعه - والمسي والصبح لا بقاء معه
لا تهين الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
وصل حبال البعيد إن وصل الـ . حبل واقص القريب ان قطعه
واقبل من الدهر ما أتاكَ به من قرّ عيناً بعيشه فقعه
قد يجمع المالَ غيرَ آكله ويأكلُ المالَ غيرَ من جمعه
ما بال من غيّه مُصيّك لا تملك شيئاً من أمره قدعه
حتى إذا انجلت عمايته أقبل يلحي وغيّه فجعه
أذودُ عن نفسه ويخدعني يا قوم من عاذري من الخدعه

قيل إن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل . وقال في الحماسة البصرية
هي للأضبط بن قريع السعدي من شعراء الدولة الأموية^٣ :

وزعم ان هذا الشعر قيل قبل الاسلام بخمسمائة عام . « فقد نقل الشيخ خالد
في التصريح ان هذا الشعر قيل قبل الاسلام بخمسمائة عام . وكان سبب هذا الشعر

١ الشعر والشعراء (٢٩٨/١ وما بعدها) : الاغاني (١٥٩/١٦) ، اللآلئ (٣٢٦) ،
السمط (٣٢٦) ، بلوغ الارب (١١٨/٣) .

٢ الخزائن (٥٨٩/٤) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٥٣) ، (شواهد عل) : .

على ما في الأغاني عن أبي محم : ان أم الأضيظ كانت عجيبة (عجيبة) بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته : الطموح بنت دارم ، فحارب بنو الطموح قوماً من بني سعد، فجعل الأضيظ يدس اليهم الخيل والسلاح ولا يصرح بنصرهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه . وكان يشير عليهم بالرأي ، فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأروه مع ذلك أنهم على رأيه فقال في ذلك هذه الأبيات . وهو الأضيظ بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقريع ، بضم القاف وفتح الراء ، هو أبو جعفر ، الملقب بأنف الناقة ، وهو جاهلي قديم ^١ .

وكان من فرسان العرب ، وكان أغار على بني الحارث بن كعب ، فقتل منهم وأسر وجدع وخصى ، ثم بنى أطماً ، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء ، فهي اليوم قصبتها ^٢ . وهو شاعر قديم ، يزعم بنو تميم انه أول من رأس فيهم ^٣ .

وروي أنه هو صاحب المثل : « بكل واد بنو سعد » . وهو شبيه بالمثل : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميداني (٨٤/١ ، ٩٤) ، وكان الأضيظ قد تأثر من قومه بني سعد ، فتحول عنهم الى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : « بكل واد بنو سعد » ^٤ ، أو أنه قال : « أينما أوجه ألقى سعداً » .

والمعمر في نظر العرب ، هو من عاش فوق المائة . « ولا تعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً » ^٥ . والعادة عندهم ، أنهم إذا وصلوا الى نهاية حياة المعمر ، ينصبون له مجلس توديع ، يجمعون فيه ولده وآله وأقاربه وسادات قبيلته أحياناً ، ليوصيهم بما حصل عليه من حكم الأيام وتجاربها ، ثم قد يحنمونها بشعر . وهي متشابهة في المعاني ، لأنها في موضوع نصيح وحكم ،

-
- ١ الخزائن (٥٩٠/٤) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٩٨/١) .
 - ٣ تاج العروس (١٧٥/٥) ، (ضبط) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢٩٤/٣) ، الحيوان (٣٥٨/١) ، (١٠٤/٣) ، (٣٩٤/٤) ، البخل (١٨٩) ، الشعر والشعراء (٢٩٨/١) ، أمثال الضبي (٦) ، الأغاني (١٥٤/١٦) ، شرح شواهد ، للسيوطي (١٥٥/١) ، الخزائن (٥٨٨/٤) ، المحبر (١٨٢) .
 - ٥ أمالي المرتضى (٢٣٦/١) .

أما أسلوبها فهو السجع ، الأسلوب المتبع عند الكهان والخطباء ، وهو وسط بين الكلام المرسل وبين الشعر .

و « أوس بن حجر بن معبد بن حزن بن خلف بن نمير بن أسيد بن عمرو » التميمي من شعراء تميم كذلك ، وقد جعله بعضهم من الطبقة الثالثة وقرنه بالخطيئة ونابغة بني جعدة . ذكر أنه كان شاعر بني تميم في الجاهلية غير مدافع ، وكان فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ رأسه . وله ديوان مشروح^١ . وورد عن (أبي عمرو بن العلاء) قوله : « كان أوس فعل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه^٢ . وقال عنه أبو ذؤيب : « وكان أوس عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحُمُر والسهل ولا سيما للقوس ، وسبق الى دقيق المعاني والى أمثال كثيرة^٣ . وكان شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع^٤ . وكان غزلاً مغرمًا بالنساء^٥ ، وكان قد بلغ الغاية في الصيد والقنص ، يقضي الليل مع الوحش ليصطاد شيئاً منها ، وفي ذلك يقول :

قصي^{*} مبيت الليل للصيد مُطعم لأسهمه غاري وباري وراصف^٦

ويظهر من الشعر المنسوب اليه ، أنه كان على اتصال بالحضر وبالنصارى ، وقد جاء في شعره بمعان وبتعابير وألفاظ لم يستعملها غيره من الشعراء الجاهليين . فقد ذكر (المهر) والديك والخنزير في شعره ، مثل قوله :

كأن هراً جنيئاً عند غرفتها والتف ديك^{*} برجليها وخنزير

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١١٣/١ وما بعدها ، ٣٩٩) ، الموشح (٦٣) ، رسالة الغفران (٢٧٤) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٣١/١) ، الاغانى (٥/١٠ وما بعدها) ، الخزائن (٢٣٥/٢) الموشح (٦٣) ، (كان أوس شاعر مضر ، حتى أسقطه النابغة وزهير) ، الشعر والشعراء (١٣٤/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٣١/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٣٤/١) .
 - ٥ الخزائن (٢٣٤/٢ وما بعدها) ، (يولاق) .
 - ٦ ديوان أوس (ص ٧١) ، رسائل الجاحظ (٧٢/١ وما بعدها ، ٧٦) ، (مناقب الترك) .

وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية في بيت واحد ، فقال :
وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الصافص بالنمى سفسير
وله أشعار جيدة . وقال الأصمعي : ولم أسمع قط ابتداء مرثية بأحسن من
ابتداء مرثيته :

أيتها النفس اجعلي جزءاً إن الذي تحذرين قد وقعا^١

وله شعر في مدح (أبي دليجة) ، وهو (فضالة بن كلدة) . وكان قد
جبر كسراً ألم به لما صرعه ناقته ، فأواه وداواه حتى برأ ، فتذكر مته عليه^٢.
ومن شعره في مدح (فضالة بن كلدة) :

أريب أديب أخو مازق نقاباً يخبر بالغائب^٣

ولأوس شعر في (حليلة بنت فضالة بن كلدة) التي مرضته وعاونته مع
والدها حتى شفي وبرأ . وهو من باب الشكر والحمد^٤ .

وورد البيت على هذه الصورة :

نجيح ، مليح ، أخومأقط نقاب يحدث بالغائب^٥

ولما توفي (فضالة) رثاه (أوس بن حجر) في قصيدة جعلها (أبو الفرج
الأصبهاني) : « من فاضل مرثيه اياه ونادرها » . ومما جاء فيها :
الألمي الذي يظن لك الظن من كأن قد رأى وقد سمعا^٦

-
- ١ الشعر والشعراء (١٣٥/١) ، رسالة الغفران (٣٣٩) .
 - ٢ الخزائن (٢٣٦/٢) ، (يولاق) .
 - ٣ ديوان أوس (١٢) ، رسائل الجاحظ (٣٠٢/١) ، (رسائل في نفي التشبيه) ،
الحيوان (٦٠/٣) .
 - ٤ الحيوان (٧١/٣) ، الاغاني (٧/١٠) ، البيان والتبيين (٣٢٠/٣) ، ديوان
أوس (٢٧) .
 - ٥ تهذيب الالفاظ (١٦٤) .
 - ٦ ديوان أوس بن حجر (٥٣) ، البيان والتبيين (٦٨/٤) ، الحيوان (٥٩/٣) ،
الاجاني (٨/١٠) ، رسائل الجاحظ (٣٠٢/١) ، (رسائل في نفي التشبيه) ،
رسالة الغفران (٤٥٢) .

وهذا البيت من نفس القصيدة التي قال (الأصمعي) عنها : « لم أسمع قط ابتداء مرثية أحسن من ابتداء مرثيته :

أيتها النفس اجعلي جزءاً إن الذي تحذرين قد وقعا^١

ومن شعر أوس بن حجر ، قوله :

فانقض كالدرى يتبعه نفعٌ يثور نخاله طنباً
ينفخى وأحياناً يلوح كما رفع المشير بكفه لها

وقد علّق الجاحظ عليه بقوله : « وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر ، وشريح بن أوس^٢ . وشريح بن أوس ، هو ابن هذا الشاعر ، وقد ذكر الجاحظ له بيتاً بهجو فيه أبا المهوش الأسدي ، وهو من الشعراء المخضرمين^٣ ، وهذا البيت هو :

وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شيطه الجمر^٤

وقد ذكر (المعري) قصيدة حائية ، ذكر أنها تروى لعبيد مرة ، ولأوس أخرى. وتختلف في رواية المعري في الترتيب عما جاء في الديوان . وما جاء فيها :

قاتلها الله ، تلحاني وقد علمت اني لنفسي لإفسادي وإصلاحني
أن أشرب الخمر أو أرزأ لها ثمناً فلا محالة يوماً اني صاح
ولا محالة من قبر بمحنة أو في ملع كظهر الترس وضاح^٥

وجاء فيها ذكر (يهودي) ، إذ يقول :

قد نمت عني ، وبات البرق يسهرني كما استضاء يهودي^٦ بمصباح

١ الشعر والشعراء (١٣٥/١) .

٢ الجاحظ ، الحيوان (٢٧٤/٦ ، ٢٧٩) .

٣ الجاحظ ، الحيوان (٢٧٩/٦) ، يروكلمن (١١٢/١) .

٤ الحيوان (٢٦٨/١) ، وورد (ونخله بدلا من وبره) ، (٣١٩/١) .

٥ رسالة الغفران (٢٧٤ وما بعدها) ، ديوان عبید (٧٥) ، الامالي (١٧٧/١) .

٦ رسالة الغفران (٢٧٦) .

وقد خلط الرواة بين شعر (أوس) و (عبيد بن الأبرص) ، ولكنهم نبهوا على ذلك وأشاروا إليه^١ .

وأوس بن حجر من معاصري الملك (عمرو بن هند) ، وهو تميمي ، قتل أبوه يوم (الحجار) المصادف لسنة (٥٥٤ م) ، وكان مولده بالبحرين ، وقد طاف بشعره نجداً والعراق ، فمدح ملوك الحيرة ونادهم ، ونال شعره شهرة في الصيد والسلاح^٢ ، وله وصف للصحرى والسهول المقفرة ، ول منابع المياه المتدفقة من الكهوف التي يكثر حولها ريش النعام^٣ ، ولمسالك البادية^٤ ، والنجاد والروابي والجلال^٥ ، والرياض^٦ ، كما اشتهر بوصفه للحمير : قال « ابن الأعرابي : لم يصف أحد قط الخيل ، إلا احتاج الى أبي ذؤاد : ولا وصف الحمير إلا احتاج الى أوس بن حجر ، ولا وصف أحد نعاماً إلا احتاج الى علقمة بن عبدة »^٧ . ولأوس شعر وصف فيه ثوراً وحشياً بقوله :

فانصاع كالدرّي يتبعه نقع يثور ، تخاله طنباً^٨

ومن أمثاله السائرة قوله :

فلانكما يا ابني جناب وجدتما كمن دبّ يستخفي وفي الخلق جليجل

وقوله :

ولست بخابىء لفسد طعاماً حذار غد لكل غد طعام^٩

وقد أشار (أوس بن حجر) في شعره الى (المنخل) اليشكري ، الذي اتهم بالمتجرده ، فزعم أن النعمان قتله أو حبسه ، ثم غمض خبره ، فلم يعرف

-
- ١ رسالة الغفران (٢٧٤ وما بعدها) ، ابن سلام (٧٦ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن (١١٢/١) .
 - ٣ غرونبوم (١٧٩ وما بعدها) .
 - ٤ غرونبوم (١٦٢ ، ١٨٣) .
 - ٥ غرونبوم (١٦٣ ، ١٨٤) .
 - ٦ غرونبوم (١٦٦ ، ١٨٦) .
 - ٧ الاغانى (٩٦/١٥) ، غرونبوم (٢٧٧) .
 - ٨ رسالة الغفران (٢٩٨) .
 - ٩ بلوغ الارب (١٠٤/٣) .

أمره ، وضرب المثل به ، فقليل : « حتى يؤوب المنخل » . يقال إن أوساً قال :

فجئت ببيعي مولياً لا أزيده عليه بها ، حتى يؤوب المنخل^١

وإذا صح أن هذا الشعر ، هو من شعر (أوس) حقاً ، وأن (المنخل) هو (المنخل) اليشكري الشاعر لا غيره ، فيجب أن يكون أوس قد عاش بعده ، وأن يكون من المتأخرين عنه .

وإذا كان أوس بن حجر من شعراء مضر ، ومن الوصافين ، فقد كان : (علقمة بن عبده) المشهور بالفحل من شعراء مضر كذلك ، وهو مثل (أوس) من تميم ، وقد اشتهر بوصف النعام . وكان ينادم (الحارث) الأصغر الغساني ، والنعمان أبا قابوس اللخمي ، وكان له أخ اسمه (شأس) ، أسره (الحارث بن أبي شمر) الغساني المذكور مع سبعين رجلاً من تميم ، فأتاه علقمة ومدحه بقصيدة أولها :

طحابك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب
إلى الحارث الوهاب أعلتُ ناقي لكلكلها والقُصُريين وجيب

فلما بلغ هذا البيت :

وفي كل حي قد خبطتْ بنعمة فحق لشأسٍ من نذاك ذَنوب

فقال الحارث : نعم وأذنية . وفك أسره ومن أسر معه من (بني تميم) . ويقال إن شأساً هو ابن أخي علقمة^٢ .

قيل انه إنما لقب بـ (الفحل) ، لأنه احتكم مع امرئ القيس ، إلى امرأته (أم جندب) لتحكم بينهما في أيهما أشعر ، فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد ، وقافية واحدة ، فلما قالوا وانتهيا ، حكمت لعلقمة بأنه أشعر من زوجها (امرئ القيس) فغضب عليها وطلقها ، فخلف عليها علقمة ،

١ رسالة الغفران (٣٤٠) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ١٤٧ وما بعدها) ، رسالة الغفران (٣٢٧) .

قسمي بذلك : (الفحل)^١ . وهي اسطورة . وقيل انه لقب بالفحل تمييزاً له عن (علقمة بن سهل) من رهطه ، وكان يعرف بالخصي ، ففرقوا بينهما بهذا الاسم . و (علقمة) الخصي ممن أدرك الإسلام . وكان يكنى (أبا الوضاح) ، وقد أسلم ، وكان شاعراً . وهو القائل :

يقول رجال من صديق وصاحب أراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا
فلا يعلم البانون بيتاً يكنهم ولا يعلم الميراث مني المواليا
وخفت عيون الباكيات واقبلوا الى بالهم قد بنت عنه بماليا
حراساً على ما كنت أجمع قبلهم هنيئاً لهم جمعي وما كنت آليا^٢

ومن شعره في النساء :

فإن تسألوني بالنساء فلأنني بصير بأدواء النساء طيب^٣
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب^٤

ومما ينسب اليه قوله :

وكل حصن وإن دامت سلامته على دعائمه لا بد مهلوم
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم
ومعظم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجه والمحروم محروم
وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشر مرجوم^٥

وقد اشتهر (علقمة) بثلاث قصائد قال فيهن (ابن سلام) : « ولا بن عبدة
ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر »^٥ ، منها قصيدته الميمية التي مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم^٦

-
- ١ الشعر والنسراء (١٤٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (١١٦) ، الاغانى (١٧٢/٢١) ،
الخزانة (٥٦٥/١) .
 - ٢ الخزانة (٥٦٥/١) .
 - ٣ رسالة الغفران (٣٢٨) ، الشعر والنسراء (١٤٦/١) .
 - ٤ بلوغ الارب (١١٣/٣) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٣١) .
 - ٦ رسالة الغفران (١٤٢) .

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

ويلم أيام الشباب معيشة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى

وقد نسب به بعضهم لابنه : خالد بن علقمة بن عبدة ، ونسبه غيرهم لشعراء آخرين^١ .

وقد ذكر (ابن حجر) في كتابه (الإصابة) اسم رجل دعاه (علي بن علقمة بن عبدة) التميمي ، قال عنه انه ولد (علقمة) الشاعر المشهور الذي يعرف بعلقمة الفحل . وكان من شعراء الجاهلية من أقران امرئ القيس ، ولعل هذا ولد اسمه (عبد الرحمن) ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، فيلزم من ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم ، لأن عبد الرحمن لم يدرك النبي ، وعبد الرحمن هو القائل :

وشامت بي لا يخفي عداوته إذا حماني ساقته المقادير
فلا يغرنك جرّ الثوب معتجراً لاني امرؤ لي عند الجدّ تشمير^٢

وعدّ (العنبر بن عمرو بن تميم) من قدماء الشعراء . وجعل (ابن سلام) قوله :

قد رايتني من دلو ي اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها
أن لا تجيء ملأى بجىء قرابها

من قديم الشعر الصحيح^٣ .

وكان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم ، ممن قالوا الشعر^٤ ، وكذلك (حجر ابن معاوية) آكل المرار^٥ . وقد أورد (الجاحظ) بيتين من الشعر لسعد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ثم قال : « وهذا من قديم الشعر » ، وذكر

١ الخزائن (١ / ٥٦٣) .

٢ الإصابة (٣ / ١١١) ، (رقم ٦٤٦٠) ، الخزائن (١ / ٥٦٦) .

٣ ابن سلام ، طبقات (١١) .

٤ ابن سلام ، طبقات (١١) .

٥ البيان والتبيين (٣ / ٣٢٨) .

في موضع آخر انه « من قديم الشعر وصحيحه »^١ .

ومن شعراء تميم : (عبد القيس بن خفاف) (عبد قيس)^٢ البرجمي التميمي
وكان معاصراً لحاتم الطائي ، فأتاه ذات يوم في دماء حملها عن قومه وعجز عنها ،
فأعطاه حاتم مرباعاً له من غارة على بني تميم^٣ .

ويقال انه قال شعراً على لسان النابغة في هجاء النعمان بن المنذر أبي قابوس
ملك الحيرة ، ليؤكد به الى النابغة ، حسداً له ، وقد فعل فعله في هذا الدس
شاعر آخر هو (مرة بن ربيعة) السعدي^٤ .

وينسب له قوله :

قاله فاتقه وأوف بنسره وإذا حلفت ممارياً فتحلل
واعلم بأن الضيف مكرم أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل
والضيف اكرمه فلين ميته حق ولا تك لعنة للتلز
وصل المواصل ما صفا لك وده واحرز حبال الخائن المتبدل
واترك محل السوء لا تحلل به وإذ نبا بك منزل فتحوّل
دار الهوان لمن رآها داره أفرأحل عنها كمن لم يرحل؟
وإذا هممت بأمر شرّ فأتشد وإذا هممت بأمر خير فاعجل
وإذا أتتك من العدو قوارص فاقصر هناك ولا تقل لم أفعل^٥

ومن شعراء تميم : (عوف بن عطية بن الخرع) التميمي . وكان سيد
قومه يوم (رحرحان) . ذكر (البغدادي) أنه كان له ديوان صغير موجود
عنده^٦ .

١ البيان والتبيين (٣ / ٢٠٠ ، ٣٤١) .

٢ بروكلمن (١١٦ / ١) .

٣ الشعر والشعراء (١ / ٩٩ وما بعدها) ، (النابغة الذبياني) ، الاغاني (٧ / ١٤٥) ،
المفضلية رقم ١١٦ ورقم ١١٧ ، الحيوان (٤ / ٣٧٩) ، المرزباني ، معجم (٣٢٥) ،
الحماسة (١ / ١١٣) ، نوادر أبي زيد (١١٣ وما بعدها ، ١٢٦) ، الاغاني
(١٥٨ / ٩) ، (ساسي) .

٤ بلوغ العرب (٣ / ١٢٥) .

٥ الخزائن (٣ / ٨٣) ، المرزباني (٢٢٦) ، بروكلمن (١ / ١١٨) .

و (سلامة بن جندل) من شعراء تميم ، ويظهر من قصيدة رثا بها (النعمان أبي قابوس) انه عاش بعده . قال عنه (ابن قتيبة) : هو شاعر جاهلي قديم من فرسان تميم المعدودين . وأخوه (أحر بن جندل) من الشعراء والفرسان . وكان (عمرو بن كلثوم) أغار على حي من بني سعد بن زيد مناة ، فأصاب منهم ، وكان فيمن أصاب (أحر بن جندل)^١ . ويدل شعره في رثاء (النعمان) انه مات في عهد قريب من الاسلام . وله ديوان صغير مطبوع ، أكثره في الحماسة والفخر ، مع شيء جميل من الوصف والتشبيه^٢ .

ومن قوله في الشيب :

ولتى الشبابُ وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقب^٣

ومن شعره قوله :

ليس بأسفى ولا اقنى ولا سفلى يعطى دواء قفى السكن مربوب^٤

وكان أحد من يصف الخيل ، فيحسن ، وأجود شعره قصيدته التي أولها :

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب ولى ذلك شأو غير مطلوب^٥

وقد زعم (آلورد) أنه أسلم ، « لأنه ذكر اسم الله : الرحمن : وهذا بعيد الاحتمال . كما ظنه لويس شيخو من أنه كان نصرانياً »^٦ . وقد طبع (شيخو) ديوانه في بيروت سنة (١٩١٠) .

و (طريف بن تميم) العنبري ، من الشعراء الفرسان ، وكانت الفرسان لا تشهد عكاظ إلا مبرقة مخافة الثورة ، وكان طريف لا يتبرقع كما يتبرقعون ،

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٢/١ وما بعدها) ، الاصمعيات رقم ٤٢ ، الخزائن (٨٦/٢) ، بروكلمن (١١٩/١) ، الامالي للقالبي (١٠/١) .
 - ٢ كارلو نالينو (٨٠) ، طبعة « كليمان هوار » في المجلة الاسيوية ، وطبعة « لويس شيخو » في « بيروت » سنة ١٩٢١ م .
 - ٣ الامالي للقالبي (١٨٥/١) .
 - ٤ ذيل الامالي (٢٠٩) ، ابن سلام ، طبقات (١٣١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٩٢/١ وما بعدها) ، الخزائن (٨٦/٢) .
 - ٦ بروكلمن (١١٩/١) .

وكان قد أغار في (بني العنبر) (عائذة) حلفاء لبني (أبي ربيعة بن ذهل) ،
فرماه (حمصيصه بن شراحيل) الشيباني ، فقتله . وهو القائل :

أو كلما وردت عكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليّ عريفهم يتوسم^١

مفتخراً بشجاعته على أعدائه وعلى الذين كانوا يتعقبون خطاه لقتله ، أخذاً
بالتأثر منه .

و (الأسود بن يعفر بن عبد القيس بن نهشل) النهشلي ، من الشعراء المتقدمين
في الجاهلية . وهو تميمي دارمي ، وقد عدت قصيدته التي أولها :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لديّ وسادي .

من أجود الشعر ومن مختار أشعار العرب . وقد عدّه (ابن سلام) في الطبقة
الثانية من طبقات الشعراء^٢ . وقد عرف بـ (ذي الآثار) ، لما كان يتركه
هجاؤه من أثر في المهجوين^٣ . وقد وردت في قصيدته المذكورة شواهد نحوية
وردت في كتب الشواهد، وتعدّ القصيدة من مختار أشعار العرب وحكمها المأثورة .
وكان ينادم (النعمان بن المنذر) ، وابنه الجراح وأخوه حطائط شاعران^٤ ،
وكان يكنى بابنه ، فعرف بـ (أبي الجراح)^٥ .

ومن شعره قوله :

ومن الحوادث لا أبالك انني ضُربَتُ عليّ الأرضُ بالأسداد
لا أهتدي فيها للمدفع تلعةٍ بين العذيب وبين أرضٍ مرادٍ

وفيها يقول :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إباد

-
- ١ أسماء المقتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢١٨ وما بعدها) ، تاج العروس
(١٧٨/٦) ، (طرف) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٧٦٨) ، الاغانى (١٢٩/١١) ، السيوطي ، شرح شواهد
(٥٥٣/٢) ، المعارف (٦٤٦ وما بعدها) .
 - ٣ الفضليات (رقم ٥٥ ، و ١٢٥) ، الاغانى (١٤/١٣ وما بعدها) ، (دار الكتب) .
 - ٤ الخزائن (١٩٥/١) ، (بولاق) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٧٦/١) .

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
 نزلوا بأنقمة يسيل عليهم ماء القرات يجيء من أطواد
 أرض نخيرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن أم دواد
 جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
 فإذا النعيم وكلّ ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونقاد^١

وهو جيد العبارة ، ليس بالكثر ، يتزع في شعره إلى الحكمة . يكثر التنقل في العرب ، يجاورهم فيدم ويحمد^٢ .

ومن شعر (حطائط) قوله :

أرني جواداً مات هزلاً لعلني أرى ما ترين أو بنحلاً مخلدا
 ذريني أكن للمال ربّاً ولا يكن لي المال ربّاً تحمدي غبه غدا
 ذريني يكن مالي لعرضي وقاية ففي المال عرضي قبل أن يتبددا^٣

والشاعر (عمرو بن قتيبة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) ، وقيل : (عمرو بن قتيبة بن ذريح بن سعد بن مالك) ، ويكنى (أبا كعب) ، هو من (بني سعد بن مالك) ، رهط (طرفة بن العبد) وهو من (بني قيس ابن ثعلبة) . وكان في عصر (مهلهل بن ربيعة) . وقد نعت بأنه قديم جاهلي . وتزعم (بكر) ، أنه أول من قال الشعر وقصّد القصيد ، وذكر أنه كان أول من بكى على شبابه . وكان مع (حجر) أبي (امرئ القيس) ، فلما خرج (امرؤ القيس) إلى بلاد الروم يستمد قيصر على بني أسد ، استصحبه ، فات في سفره ذلك ، فسمته (بكر) (عمرأ الضائع) . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

-
- ١ المحاسن والاضداد (٨٨) ، الشعر والشعراء (١٧٦/١) وما بعدها ، طبقات ابن سلام (١٢٣) ، ويوجد اختلاف في رواية بعض الفاظ هذا الشعر .
 - ٢ البخلاء (٦٦ ، ٣٣٩) ، الاغانى (١٣٤/١١) ، الأمدي ، المؤلف (١٦) وما بعدها .
 - ٣ الخزانة (١٩٥/١) وما بعدها .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك اتما نحاول ملكاً أو نموت فنعلرا^١

وهو ابن أخي المرقش الأكبر ، وخال المرقش الأصغر ، وجد طرفة لأمه .
وذكر انه عمّر حتى جاوز التسعين ، وقال :

كأنني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار الجام^٢

وذكر (الجاحظ) أنه هو القائل :

شرّكم حاضر وخيركم د رّ خروس من الأرانب بكر^٣

وذكر قبله أبياتاً هي :

ليس طعمي طعم الأنامل إذ قلّص درّ اللقاح في الصبر
ورأيت الإماء كالجئن الباء لي عكوفاً على قرارة قدر
ورأيت الدخان كالودع الأه جن ينباع من وراء الستر^٤

وذكر (ابن قتيبة) ، أن (عمرو بن قتيبة) ، كان من خدم (حجر)
والد (امرئ القيس) ، وأنه بكى لما سار معه الى بلاد الروم ، وقال له :
« غرت بنا » . ولا يعقل أن يكون (عمرو) من خدم (حجر) ، فهو
وإن نشأ يتيماً في كفالة عمه (مرثد بن سعد) ، كما تذكر بعض الروايات^٥ ،

١ المرزباني ، معجم الشعراء (٣ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٦٠) ، (عبد الستار
أحمد فراج) ، الشعر والشعراء (٢٩٢/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٥٨/١٦ وما
بعدها) ، طبقات الشعراء (٥٩) ، المؤلف (٨٦٨) ، الجرجاني (١٢٩) ، البيان
والتبيين (١٨/٢) ، المعمرن للسجستاني (٨٩) ، الخزائنة (٢٤٩/٢ وما
بعدها) ، البيان والتبيين (٢٤١/٣) .

٢ المرزباني ، معجم (٣) ، الشعر والشعراء (٢٩٣/١) ، المرزباني ، معجم (ص
٢٠٠) ، (القدسي ١٣٥٤ هـ) ، بروكلمن (١١٧/١) ، أمالي المرتضى (٤٥/١) .

٣ البخلاء (٢١٤) ، (الحاجري) .

٤ الحيوان (٧٣/٥) ، (عبد السلام هارون) ،

بسر يطعم الارامل اذ قلص در اللقاح في الصبر
رسائل الجاحظ (٣٥٧/٢) ، (كتاب البقال) .

٥ الشعر والشعراء (٦٠/١) ، (الثقافة) .

٦ الاغانى (١٥٨/١٦) ، البخلاء (٤١٢) ، (الحاجري) .

إلا أن أسرته لم تكن من طبقة وضيعة ، حتى يصبر (عمرو) من خلم (حجر).
بل روي أنه كان عاملاً لحجر^١ .

وورد انه في شعراء ربيعة الذين ابتدأ الشعر بهم قبل أن يتحول في قيس ،
كالمرقشين وطرفة بن العبد والحارث بن حازة^٢ . و (عمرو) هو القائل ييكي
شبابه :

لا تغبط المرء أن يقال له أمسى فلان لعمره حكما
إن يُمَسَّس في خفض عيشه فلقد أخنى على الوجه طول ما سلما
قد كنتُ في مِيعَةٍ أُسرَّ بها أَمْنَع ضِيمي وأهبط العصما
يا لَهْفَ نفسي على الشباب ولم أفقد به إذ فقدته أمما^٣

وأورد الجاحظ من شعره قوله :

وأهون كف لا تضيرك ضيرة يدٌ بين أيدٍ في إزاء طعام
يدٌ من قريبٍ أو غريبٍ بقفرة أتتك بها غرباء ذاتُ قِتام^٤

وقد استشهد بيت من شعر نسب اليه ، هو :

ولما رأت سائدا ما استعبرت لله در اليوم من لامها

والشعر هو :

قد سألتني بنت عمرو عن الأرض التي تنكر أعلامها
لما رأت سائدا ما استعبرت لله در اليوم من لامها
تذكرت أرضاً بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها^٥

وأما قصة رحيله مع (امرئ القيس) الى قيصر ، ووفاته ، وهو في سفره

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .
 - ٢ طبقات الشعراء ، لابن سلام (٣٤) ، (دار المعارف) ، (١٩٥٢) ، البخلاء (٤١٢) ،
(الحاجري) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (٤) ، (فراج) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢٤١/٣) .
 - ٥ الخزائن (٢٤٧/٢) وما بعدها .

معه ، فجزء من أسطورة سفر (امرئ القيس) الى الروم^١ .
 وكان (عبيد بن الأبرص) شاعر (بني أسد) من المعاصرين لامرئ القيس ،
 وله شعر يخاطبه فيه ، لما أظهره من تهديد ووعيد لبني أسد ، ويرد فيه عليه^٢ .
 وقد انجبت (بنو أسد) جملة شعراء . وذكر أنه كان لدة^٣ لـ (عبد المطلب)
 جد النبي ، وأنه مات قبل (عبد المطلب) بعشرين سنة . قتله (المنذر)
 أبو (النعمان بن المنذر)^٤ . وإذا أخذنا بهذه الرواية واعتبرناها صحيحة ، ورجعنا
 الى تاريخ وفاة (عبد المطلب) التي كانت بعد الفيل بثاني سنين^٥ ، وإذا جارينا
 المستشرقين واعتبرنا أن عام الفيل ، يقابل السنة (٥٧٠) للميلاد ، تكون وفاة
 (عبد المطلب) في حوالى السنة (٥٧٨) للميلاد ، فيكون قتل (عبيد بن الأبرص)
 في حوالى السنة (٥٥٨) للميلاد على هذا التقدير . ولكن الذي نعرفه من روايات
 أهل الأخبار أن (عبيد) هذا قد قتله (المنذر بن امرئ القيس) المعروف بالمنذر
 ابن ماء السماء ، الذي تولى الملك في حوالى السنة (٥٠٨) للميلاد وقتل سنة (٥٥٤)
 للميلاد^٦ . فيجب أن يكون مقتل (عبيد) قبل السنة (٥٥٤) للميلاد لا بعدها ،
 على حسب تقدير الرواية السابقة .

وهو (عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم) من (بني ثعلبة بن دودان)
 من (بني أسد) . قال عنه (ابن قتيبة) : « وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً
 من المعمرين ، وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس . وهو القاتل لامرئ القيس :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحينا
 أزعمت أنك قد قتلت مراتنا كذباً ومينا^٧

ويجب أن يكون مقتل (حجر) بعد السنة (٥٢٨) للميلاد . وهي السنة التي
 توفي فيها (الحارث) والد (حجر) على غالب الروايات^٨ . ولا نعرف متى

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .
 - ٢ الخزائن (٢٢٢/١) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٣ الروض الانف (٥/١) .
 - ٤ تاريخ الطبري (٢٧٧/٢) ، (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه) .
 - ٥ الجزء الثالث (ص ٢١٩) من هذا الكتاب .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٨٧/١) ، الخزائن (٣٢٢/١) .
 - ٧ الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٣٤٢ وما بعدها) .

قتل (حجر) على وجه صحيح ، غير أننا نستطيع أن نقول إن حكمه لم يدم طويلاً على (بني أسد) الذين انتهزوا فرصة وفاة (الحارث) وعودة الحكم إلى ملوك الحيرة ، أيام (المنذر بن ماء السماء) الذي أخذ يتعقب آل الحارث ، ليقتلهم ، فناروا على (حجر) وقتلوه .

وذكر أن (المنذر بن ماء السماء) هو الذي قتل عبيداً ، قتله يوم يؤسه . وكان يقتل فيه أول من يطلع عليه . فلما رآه المنذر ، قال له : هلاً كان هذا لعيرك يا عبيد ! أنشدني ، فربما أعجبني شعرك ! فقال له عبيد : حال الجريض دون القريض . قال : أنشدني : أقفر من أهله ملحوب ، فأنشده عبيد :

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فسأله أي قتلة يختار ؟ قال عبيد : أسقني من الراح حتى أتمل ، ثم أفصدي الأكمحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغرين . والغريان طربالان كان يلطخهما بدماء القتلى يوم يؤسه . وكان بناهما على نديعين له ، وهما : خالد بن فضلة الفقيسي ، وعمرو بن مسعود^١ .

وذكر الرواة أن الملك قال لعبيد : أي قتلة يختار ؟ أنشأ يقول :

وخيرني ذو البؤس في يوم يؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها للذي خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل ببلدة فتركها إلا كما ليلة طلق^٢

وقد ذكر (ابن قتيبة) أن « قصيدته التي يقول فيها : أقفر من أهله ملحوب ، وهي إحدى السبع » ، هي من أجود شعره^٣ .

١ الشعر والشعراء (١ / ١٨٨) ، وقد أخطأ « ابن قتيبة » إذ جعل قاتله « النعمان بن المنذر » ، وقد ذهب إلى هذا المذهب أيضاً في كتاب شمس العلوم (الجزء الأول ، القسم الثاني ص ٣٢٠) .

٢ الخزائن (١ / ٣٢٤) .

٣ الشعر والشعراء (١ / ١٨٨) .

ومن أمثاله السائرة قوله :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا ينجيب
وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

وقوله :

الخبر يبقى وإن طال الزمانُ به والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله :

الخبر لا يأتي على عجلٍ وانشرّ يسبق سيله مطره^١

ويعد (عبيد) في جملة المعمرين ، فقد جعل (ابن قتيبة) عمره أكثر من ثلثائة سنة^٢ ، وجعل (السجستاني) عمره مائتي سنة وعشرين ، ويقال بل ثلثائة سنة^٣ . ولتأييد رأيهم في أنه عاش هذا العمر حقاً ، أوجدوا شعراً زعموا أنه قاله ، هو :

ولتأتين^٤ بعدي قرون جمّة ترعى محارم أيكّة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجري انحسار سعودا
حتى يقال لمن تعرق دهره يا ذا الزمانة هل رأيت عبيدا
مائتي زمان كامل وبضعسة عشرين عشت معمرأ محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئاً وبناء شداد وكان أيسدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بأن أرى داوودا
ما تبتغي من بعد هذا عيشة إلا الخلود ولن تنال خلودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما إلا الإله ووجهه المعبودا^٥

وهو شعر يجعل عمر (عبيد) أكثر من ألف عام ، لا مائتي سنة وعشرين

١ بلوغ الارب (١٠٧/٣) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، الخزانة (٣٢٣/١) .

٣ الخزانة (٣٢٣/١) .

٤ الخزانة (٣٢٣/١) .

ويجعله فيمن ولد قبل الميلاد بزمان . وقد شاء صانعه أن يجعل شاعره من المؤمنين بالله الموحدين ، على نحو ما ترى في البيت الأخير من الشعر المزعوم :

ويجب أن نضيف الى الشعراء المذكورين الشاعر المعروف بـ (مرة بن الرواحي الأسدي) ، أحد بني (حيي بن مالك) . وهو شاعر قديم يقول أهل الأخبار انه كان في عصر (امرئ القيس) ، وان (امرئ القيس) كان يعلم قيامه أشعار (ابن الرواحي)^١ .

وهو القائل :

أشأقتك من فكيتك ادلاجُ وبُتَّ الحبل وانقطع الخلاجُ

من قصيدة طويلة . وقوله :

إن الخليط أجدوا البين وادّجوا وهم كذالك في آثارهم لحج^٢

و (المنقذ بن الطمّاح) الأسدي ، شاعر جاهلي من الفرسان المبدوين . وقد أغار على إبل المنذر بن ماء السماء^٣ . وقد عرف بـ (الجميح) ، وينسب اليه قوله :

يأبى الذكاء ويأبى أن شيخكم لن يعطي الآن من ضرب وتأديب^٤

و (عبد يغوث بن صلاة) ، وقيل ابن الحارث بن وقاص بن صلاة بن المعقل) واسمه (ربيعة بن كعب) من شعراء الجاهلية فارس ، سيد قومه من (بني الحارث بن كعب) من اليمن . وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بني تميم وفي ذلك اليوم أسر فقتل . وله قصيدة قالها وهو في أسره أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فالكما في اللوم خير ولا ليا

١ المرزباني ، معجم الشعراء (ص ٣٨٢) .

٢ المرزباني ، معجم الشعراء (٢٩٤) ، (عبد الستار فراج) .

٣ معجم الشعراء (٣٢٩) ، الاصمعيات (٨٠) ، المفضليات (١٠٩) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٦٨/١) .

٤ المفضليات رقم ٤ من القصيدة ٤ ، بروكلمن (٧٨/١) .

ذكر ان الذي أسره غلام أهوج من (بني عمرو بن عبد شمس) ، فانطلق به اهله ، فقالت له أم الغلام : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم ! فضحكك وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ، والى هذا أشار بقوله :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً^١

وذكر أنه خاطب الشيخة بقوله : أيتها الحرة ، هل لك الى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مائة من الإبل وينطلق بي الى الأهم ، فلاني أخاف أن تتزعني سعد والرباب منه ، فضمن لها مائة من الإبل ، وأرسل الى (بني الحارث) فوجهوا بها اليه فقبضها العبشمي ، وانطلق به الى الأهم ، فقال عبد يغوث :

أأهم يا خير البرية والداً ورهطاً إذا ما الناس عدوا المساعيا

فشت سعد والرباب الى الأهم فيه ، فقالت الرباب : قتل فارسنا ، وهو النعمان بن جساس ، ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه اليهم ، فأخذته (عصمة بن أبير) التيمي ، فانطلق به الى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم ، اقتلوني قتلة كريمة . فقال عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ودعوني أنوح على نفسي ، فجاءه عصمة بالشراب ، فسقاه ، ثم قطع عرقه الأكحل ، وتركه يتزف ، ومضى وجعل معه رجلين ، فقالا لعبد يغوث : جمعت أهل اليمن ، ثم جئت لتصلحنا ، كيف رأيت صنع الله بك فقال هذه القصيدة :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما ييا فما لكما في اللوم خير ولا ليا^٢

ومما جاء في هذه القصيدة قوله :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني

وقد ذهب العلماء مذهبين في تفسيره ، منهم من قال : انه أراد افعلوا بي

١ السيوطي ، شرح شواهد (٦٧٦/٢) ، الخزانة (٣١٦/١) ، (بولاق) ، الاغانى (٧٣/١٥) ، زيدان تاريخ آداب اللغة العربية (١٣٦/١ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٣١٤/١) .

خيراً لينطلق لساني بشكركم ، وانكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود لا أقدر على مدحكم ، لأن اللسان لا يشد بنسعة ، ومنهم من قال : أنهم شدّوه بنسعة حقيقة ، بأنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم وكانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : اطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي ، فقالوا : انك شاعر ، ونحذر أن تهجوننا ، فعاهدتهم على أن لا يهجوهم ، فأطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب ، ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدّوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث ^١ .

وكان (عبد يغوث) شاعراً من شعراء الجاهلية ، من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والإسلام ، منهم : اللجلاج الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه : مسهر ، فارس شاعر ، وهو الذي طعن (عامر بن الطفيل) في عيـنه يوم (فيف الريح) ، ومنهم من أدرك الإسلام : (جعفر بن عليـة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث) ، وكان شاعراً صعلوكاً ، أخذ في دم فحـبس بالمدينة ، ثم قتل صبراً ^٢ .

قال الجاحظ في البيان والتبيين : وليس في الأرض أعجب من طرفـة بن العبد ، وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما ، فلم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية ^٣ .

ومن الشعراء المعمرين (ذو الاصبع العدواني) ، واسمه (حرثان بن محرث ابن الحارث) أو (حرثان بن الحارث بن عمرو بن عبادة بن يشكر) اليشكري العدواني ، لقب بلـذي الإصبع لأن حيـة نهشته على أصبعه فشلت ، فسمي بذلك . زعم انه عاش مائة وسبعين سنة ، واستقل هذا العدد (أبو حاتم) ، فجعله ثلاثمائة سنة ، وهو عمر لا بأس به ! وكان أحد حكّام العرب ، وله قصة مع بناته الأربع ، في موضوع الزواج ، وصفات الزوج ، ورغبة المرأة في الازدواج ، روى ان (عبد الملك بن مروان) كان يحفظ شعره ، وانه سأل رجلاً من

-
- ١ البيان والتبيين (٤ / ٤٥) ، (عبد السلام محمد هارون) ، الخزائن (١ / ٣١٦) .
 - ٢ الخزائن (١ / ٣١٧) ، (بولاق) ، الاشتقاق (٢ / ٢٣٩) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢ / ٢٦٨) ، الحيوان (٧ / ١٥٧) ، الخزائن (١ / ٣١٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢ / ٦٧٦) .

(عدوان) عن شعره وأخباره ، فلم يعرف من أمره شيئاً، فحط من عطائه ثلاثمائة، زادها في عطاء رجل آخر ، كان يعرف شعره^١ . ومن شعره المزعوم في وصف حاله :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما مسني الكبر
لا أسمع الصوت حتى أستدير له ليلاً وإن هو ناغاني به القمر^٢

ومن شعر (ذي الاصبع) قوله :

جلبتا الخيل من بقران قبا تجوب الأرض فجاً بعد فج

وقوله يذكر عدة من ديارهم :

إن داري بمرهب فبصر فغور فوخدة فالمرار
ولنا منزل برقة لا يسمع فيه تهاذي الأخبار
منزل أحرز الخواضن فيه كل قمرٍ متوج جبار
ثم بالفرع قد نزلنا قبلاً دارَ صدق قليلة الأقدار
ذات حرز وعزة ونجاة وامتناع من جحفل جرّار
ماؤنا الفيض لا يُعدّ بنا القيظ ولا التزع بالرشاء المغار^٣

ومن شعره قوله :

لي ابن عمّ على ما كان من خلقٍ مخالفٍ ليّ أقلّيه ويقلّيني
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا فخالني دونه بل خلته دوني

-
- ١ « حرثان بن السموأل » « حرثان بن محارب » ، « حرثان بن الحارث بن معرث » ، ابن الشجري (٣٦٣/١) . العقد الفريد (٣٢٨/٢ ، ٣٦٣) ، الامالي للقيالي (٢٥٤/١) ، الخزائن (٢٢٢/٣) ، الاغانى (٩١/٣ وما بعدها) ، امالي المرتضى (٢٤٤/١ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٦٣) ، المعرون (٩٠) ، الخزائن (٤٠٦/٢) وما بعدها) ، (بولاق) ، (حرثان بن السموأل) ، اللآلي (٢٨٩) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٣٠/٢) ، الامالي (٩٣/١) .
 - ٢ الخزائن (٤٠٨/٢) ، بولاق ، المؤلف ، للامدي (١١٨) ، الشعر والشعراء (٥٩٧/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الصفة (١٢٣) .

إنكَ الا تدع شتعي ومنقصي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
 إني لعمري ما بيتي بلدي غلق على الصديق ولا خيري بممنون
 ولا لساني على الأدنى بمنبسط بالفاحشات ، ولا فتكي بمأمون
 عني اليكَ فا أمي براعية ترعى المخاض ولا رأيي بمغبون
 لا يخرج الكرهُ مني غير مأية ولا ألينُ لمن لا يبتغي ليني

وله قوله :

عذير الحيّ من عدوا ن كانوا حية الأرض
 علا بعضهم بعضاً فلم يُرعو على بعض
 ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
 ومنهم حكمٌ يقضي فلا ينقض ما يقضي
 إذا ما وكدوا أشبوا بسر الحسب المحض

ومن شعراء (بني يشكر) : (المنخل بن عبيد بن عامر) ، « وهو قديم
 جاهلي ، وكان يشبب بهند أخت عمرو بن هند . وذكر انه اتهم بـ (المتجرده)
 (امرأة النعمان بن المنذر) ، وهو الذي وشى الى (النعمان) بالنايعة ، لما وصف
 المتجرده ، وكان أيضاً يتهم بامرأة (عمرو بن هند) . وكان جميلاً ، وقد
 يكون جماله هذا هو الذي أولد هذا القصص المقال حوله من اتصاله بأخت (عمرو
 ابن هند) ، وبزوجته ، وبزوجة النعمان . ويذكر (ابن قتبية) ان (عمرو بن
 هند) قتله ، وانه قال قبيل قتله :

طل وسط العباد قتلي بلا جر م ، وقومي يتجون السخالا
 لا رعيتم بطناً خصييا ، ولا زر تم عدوا ، ولا رزأتم قبالا^٢

وهذا الخبر ، يناقض الأخبار التي تذكر انه كان يتهم بالمتجرده ، وانه وشى
 بالنايعة عند النعمان ، وان (النعمان) خرج يتصيد ، فعمدت الى قيد فجعلت
 رجلها في احدى حلقتيه ، ورجل المنخل في الأخرى شغفاً به ، وجاء النعمان

١ الشعر والشعراء (٥٩٧/٢ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٣١٨/١) ، المؤلف (١٧٨) ، الاغاني (١٦٦/٩) .

فألفاهما على حالهما ، فأمر بالمنخل فقتل ، فضربت به العرب المثل ، فقال أوس
ابن حجر :

فجئت ربيعي مؤلياً لا أزيده عليه بها حتى يؤوب المنخل^١

وقد أشار ذو الرمة الى المنخل بقوله :

تقارب حتى يطمع التأني في الهوى وليست بأدنى من إياب المنخل^٢

وقد ورد اسمه على هذه الصورة في (تاج العروس) : « والمنخل بن خليل
الشكري ، كمعظم : شاعر . ومنه لا أفعله حتى يؤوب المنخل . مثل للتأييد ،
يضرب في الغائب الذي لا يرجى إيايه ، كما يقال : حتى يؤوب القارظ العتري ،
واسمه عامر بن رهم بن هميم . وقال الأصمعي : المنخل رجل أرسل في حاجة ،
فلم يرجع ، فصار مثلاً في كل ما لا يرجى »^٣ .

وقد اشتهر بقصيدته :

ولقد دخلتُ على الفتاة الخلد في اليوم المطير
الكاعب الحساء تر فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعته فتدافت مشي القطاة الى الغدير
وعطفته فتعطف كتعطف الظبي الغرير
فترت وقالت : يا منخل ما بجسمك من فتور^٤

ومن المعمرين (معدي كرب) الحميري من آل (ذي رعين) ، روى له
شعراً منه :

أراني كلما أفنيت يوماً أتاني بعده يومٌ جديدٌ
يعود بياضه في كل فجرٍ ويأبى لي غيبابي ما يعود^٥

-
- ١ أسماء المقتالين (المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢٣٩) .
 - ٢ ديوانه (٥٠٩) ، الاغاني (١٥٣/١٨) ، أسماء المقتالين (٢٣٩) .
 - ٣ تاج العروس (١٣١/٨) ، (نخل) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٣١٧/١) وما بعدها .
 - ٥ أمالي المرتضى (٢٥٣/١) .

و (بشر بن أبي خازم) شاعر جاهلي قديم ، من بني أسد ، شهد حرب أسد وطىء ، وشهد هو وابنه نوفل بن بشر الحلفَ بينهما . وكان في أول أمره يهجو (أوس بن حارثة بن لأم) الطائي ، فأسرته بنو نيهان من طيء ، فركب (أوس) اليهم فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقنه إن قدر عليه ، فوهبوه له ، ثم شفعت له أم أوس ، ففك أسره ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، لأن الهجاء لا يمحى عند العرب إلا بمدح ، يمحو أثره ، في قصة يروونها عن كيفية وقوعه في الأسر^١ .

وروي انه لما طعن ، طعنه غلام من (بني وائلة) بسهم فأثخنه ، وأخذ يجرود بنفسه ، قال قصيدة يخاطب بها ابنته عميرة :

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

وهي قصيدة روى بعض أبياتها الشريف المرتضى في أماليه^٢. وكان بشر قد أغار في مقنب من قومه على (الأبناء) من بني صعصعة بن معاوية ، وكل (بني صعصعة) إلا (عامر بن صعصعة) يدعون الأبناء ، وهم وائلة ، ومازن ، وسلول ، فلما جالت الخيل مرّ (بشر) بغلام من (بني وائلة) فقال له (بشر) استأسر ، فقال له الوائي : لتذهبن أو لأرشفنك بسهم من كنانتي ، فأبى بشر إلا أسره ، فرماه بسهم ، فاعتنق بشر فرسه وأخذ الغلام فأوثقه ، فلما كان في الليل أطلقه بشر من وثاقه وخلقى سبيله ، وقال : اعلم قومك انك قتلت بشراً ، وهو قوله :

وان الوائي أصاب قلبي بسهم لم يكن نكساً لغابا^٣

ومن هذه القصيدة قوله :

تسائل عن أبيها كل ركب ولم تعلم بأن السهم صابا
فرجى الخير وانتظري لإيابي إذا ما القارظُ العتري آبا

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٠/١ وما بعدها) ، المفضلية (٩٨) ، أسماء المقتالين (٢١٤) ، المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، رسالة الغفران (١٦٦) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٤١/١) ، الخزانة (٢٦٢/٢) ، مختارات ابن الشجري (٨١ وما بعدها) ، الاغاني (١٠/١١) ، المؤلف (٦٠) .
 - ٣ الخزانة (٢٦٢/٢) ، (بولاق) .

والقارطان من عترة ، يقال لهما خرجا في طلب القراظ يجتنيانه ، فلم يرجعا
فضرب بهما المثل فقالوا : « لا آتيك أو يؤوب القارطان » ، يضرب في انقطاع
الغيبة . وفي هذا المثل قال أبو ذؤيب :

وحى يؤوب القارطان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل^١

وقد رُمي (بشر) بالإقواء في شعره^٢ ، وقد نشر ديوانه^٣ . ومن أمثاله
السائرة قوله :

ألم ترَ أن طول العهد يُسلى وينسى مثلما نسيت جذام

وقوله :

يكن لك في قومي يد يشكرونها وأيدي الندى في الصالحين فروض^٤

وذكر أنه أوصى ابنته بأن تنذري اللمع عليه ، وأن تبكي عليه البكاء الذي
يستحقه ، وكان من عادة أهل الجاهلية ، التأكيد بلزوم البكاء والنوح على الميت ،
ويؤكدون الرصية بفعله ، وفي هذا المعنى قول طرفة بن العبد :

فلن مت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا أم معبد^٥

و (عمرو بن حمزة بن رافع بن حارث) الدوسي ، أحد حكام العرب من
الأزد ، شاعر قديم ، ذكروا أنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة : وذكروا له شعراً ،
قالوا إنه قال فيه أنه جاوز الثلاثمائة من العمر ، وأنه قد كبر ، ولا بد وأن
يأتيه يوم يموت فيه^٦ . وفي رواية أنه وفد على النبي ، وهي خطأ لأنه مات في

١ بلوغ الارب (١٠٥/٣) .

٢ الشعر والشعراء (١٩٠/١) .

٣ نشره الدكتور عزة حسن بدمشق ، سنة ١٩٦٠ م .

٤ بلوغ الارب (١٠٤/٣) وما بعدها .

٥ أمالي المرتضى (٣٤٠/١) وما بعدها .

٦ المرزباني ، معجم (١٧) ، (فراج) .

الجاهلية^١ . وله ولد اسمه (جندب) أسلم ، قتل يوم (أجنادين)^٢ . وذكر أنه الذي كان يقال له : ذو الحكم ، وضربت به العرب المثل في قرع العصا ، لأنه بعد أن كبر صار يذهل فاتهموا له من يوقظه فيقرع العصا ، فيرجع إليه فهمه .
واليه أشار الخارث بن وعله بقوله :

إن العصا قرعت للذي الحكم

ومن شعره الذي قاله في كبره :

أخبر أخبار القرون التي مضت ولا بد يوماً أن أطار لمصرعي^٣

وقد أنجبت (دوس) جملة شعراء ، منهم : (وهب بن عبد الله بن دوس ابن أبي خالد بن زهير) الشاعر في أول الاسلام ، و (جندب بن طريف) الشاعر الذي يقال له ابن الغامدية ، ومنهم : (أبو غنيس) الشاعر ، جاهلي من بني مبدول (مندول ٩)^٤ .

وقد اختلف في (جران العود) النميري ، فذهب (كرنكو) الى انه من شعراء العصر الأموي ، وانه من معاصري عبد الملك بن مروان . وقد نص (البغدادي) على انه شاعر جاهلي من (بني ضنة بن نمير بن عامر بن صعصعة) .
واسمه : (عامر بن الحرث بن كلفة) ، وقيل (كلدة) ، وانما سمي (جران العود) لقوله يخاطب امرأته :

عمدت لعود فالتحيت جرائه وللكبس أمضي في الأمور وأنجح
خلدا حذراً يا ضرتي فإني رأيت جران العود قد كان يصلح^٥

وجران العود أحد من وصف القوادة في شعره^٦ . وقد روى (السكري) ديوان هذا الشاعر ، وقد تحدث في ديوانه عن (حمامة نوح) ، وورد فيه شعر

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الاصابة (٥٢٦/٢) ، (رقم ٥٨٢١) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٩٦/٢) . |
| ٢ | الاصابة (٢٥٠/١ وما بعدها) ، (رقم ١٢٢٦) . |
| ٣ | الاصابة (٥٢٧/٢) ، (رقم ٥٨٢١) . |
| ٤ | الاشتقاق (٢٩٦/٢) . |
| ٥ | الخزانة (١٩٨/٤) ، الحيوان (٤٠/١) . |
| ٦ | الشعر والشعراء (٦٠٥/٢ وما بعدها) . |

للرجال ، وكان خدن جران ، وتزوج كل واحد منها امرأتين ، فلقيا منهما مكروهاً^١ . وقد طبع الديوان مع شرح عليه^٢ .

ومن الشعر المنسوب اليه هذا الشعر :

حملن جران العود حتى وضعته بعلياء في أرجائها الجن تعزف

وذكر (المعري) انه ينسب أيضاً (لسحيم)^٣ .

ونجد في شعر ينسب اليه اشارة الى الكتابة والى الوشوم ، تكون بأيدي الروم ،
إذ يقول :

تُرَكَّنَ برجلة الروحاء حتى تنكرت الديارُ على البصير
كوحى في الحجارة أو وشوم بأيدي الروم باقية النشور^٤

وذكر (الجاحظ) له قوله :

وكان قزادي قد صحا ثم هاجه حائم ورق بالمدائن هُتِف
كأن الهديل الظالع الرجل وسطها من البغي شريب يغرد مترف^٥

وله شعر في وصف (الذئب)^٦ ، وفي أصوات الطيور والحمام وبقية الحيوانات^٧ ،
وفي الطيرة ، إذ يقول :

جرى يوم رحنا بالجبال نرفهها عقابٌ وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهي منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح^٨

وقد أورد (الجاحظ) له أشعاراً نثرها في كتابه (الحيوان)^٩ .

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٠٥/٢) .
 - ٢ بروكلمن (١١٦/١) .
 - ٣ رسالة الفقرا (٢٧٧) .
 - ٤ الحيوان (٤٠/١) .
 - ٥ الحيوان (٢٠٩/٢) .
 - ٦ الحيوان (٢١٣/٢) .
 - ٧ الحيوان (٢٩٧/٢) ، (٢٤٠/٣) .
 - ٨ الحيوان (٤٤١/٣) .
 - ٩ الحيوان (٣٨٦/٧) .

وقد وصف نفسه وعشيقته بقوله :

فأصبحَ من حيث التقينا غدية سوار وخلخال ومرط ومُطرف
ومقطعاتٌ من عقود تركنها كجمر الغضا في بعض ما تتخطف^١

ونجد شعره شعراً حضرياً ، فيه ذكر البقل ، كما في هذين البيتين :

فلنا سقاطاً من حديث كأنه جتى النحل أو أبكار كرم يقطف
حديثاً لو أن البقل يُولى بمثله زها البقل واخضر^٢ العضاء المصنف^٣

ومن شعراء الجاهلية : (الحادرة) الديباني ، وهو (قطبة بن أوس بن محصن ابن جربول) من (بني ثعلبة بن سعد) الغطفاني ، وهو شاعر جاهلي مجيد مقل ، كان يهاجي (زبان بن سيار) الفزاري ، وقد بقيت أشعاره القليلة برواية (أبي عبدالله) اليزيدي ، المتوفى سنة (٨٣١٠هـ)^٤ . وكانت له صاحبة اسمها (سمية) تغزل بها في شعره :

بكرت سمية غلوة فتمتع وغلدت غلوةً مفارق لم يربع^٥

ومن شعراء الجاهلية : (سويد بن عامر) المصطلق . ينسب له قوله :

لا تأمن وإن أمسيت في حرم إن المنايا بكفني كل انسان
واسلك طريقاً تمشي غير تمشع حتى تبيّن ما يمني لك الماني
فكل ذي صاحب يوماً يفارقه وكل زاد وإن أبقته فان
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان^٥

ونسب البيت الأول والثاني والرابع الى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها :

١ البخله (٢٣٣) .

٢ البيان والتبيين (٢٨١/١) .

٣ رسالة الغفران (٢٨٢) ، الاغانى (٨٢/٣ وما بعدها) ، بروكلمن (١١٠/١) ،
البيان والتبيين (٣٢٠/٣) ، الحيوان (٤٧٥/٣) .

٤ رساله الغفران (٢٨٢ ، ٤٠١) .

٥ أمالي المرتضى (٣٦٨/١) .

يا دارُ أعرفها وحشاً منازلها بين القوائم من رهط قائلان

مع اختلاف في روايتها وترتيبها^١.

ومن شعراء خراعة : (مطرود بن كعب) الخزاعي ، له شعر في رثاء عبد
المطلب بن عبد مناف ، أوله :

يا أيها الرجل المحول رحله	ألا نزلت بآل عبد مناف
هبتك أمك لو نزلت عليهم	ضمنوك من جوع ومن اقراق
الآخذون العهد من آفاقها	والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياحُ تناوحت	ورجال مكة مستنون عجاف
والمفضلون إذا المحول ترادفت	والقائلون هكُم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم	حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت	فالمُحُ خالصة لعبد مناف ^٢

ومن شعراء هذيل (أبو كبير) . وهو (عامر بن الحليس) ، وقيل (ابن
جمرة) . وهو جاهلي ، تزوج أمّ (تأبط شرأ) ، ثم تركها في قصة يرويها
أهل الأخبار^٣ . قال (ابن قتيبة) : « وله أربع قصائد ، أولها كلها شيء
واحد ، ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك . احدها : »

أزهبر هل عن شيبة من مَعْدِل أم لا سبيل الى الشباب الأول

والثانية :

أزهبر هل عن شيبة من مقصر أم لا سبيل الى الشباب المدبر

والثالثة :

أزهبر هل عن شيبة من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف

-
- ١ أمالي المرتضى (٣٦٨/١) تعليق رقم (١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٢٦٨/٢) ، المرزباني ، معجم (٣٧٥) ، ابن هشام (١١٧/١)
(حاشية على الروض) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٢٣١/١) ، الخزاعة (٤٦٦/٣) ، السمط (٣٨٧) ،
رسالة الغفران (٣٣٤) ، ديوان الهذليين (٩٢/٢) .

والرابعة :

أزهير هل عن شية من معكم أم لا خلود لباذل متكرم^١

وتنسب له قصيدة فيها :

ولقد سريتُ على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مُهبل
من حُلن به وهنَّ عواقد حُبِّكَ النطاق ، فعاش غير مثقل

ونسبها بعض العلماء الى (تأبط شرأ) ، وتتناول قصة حب ، وقعت بين صاحب القصيدة وامرأة ، كان لها ابن ذكي ، هدها بقتلها إن بقيت تواصل الرجل ، فأشارت المرأة على الشاعر بقتله ، لأنها تحبه ، ولا تريد مفارقتها ، وفضلت قتله على فراق الشاعر ، في قصة جميلة من قصص الحب^٢ . فالقصيدة إذن من الشعر القصصي الذي يتعلق بالحب والغرام .

وقد نسبها بعضهم الى (أبي كبير) ، وجعل الغلام (تأبط شرأ) في قصة طريفة من قصص الحب^٣ .

وقد روي أنه أدرك الإسلام ، ثم أتى النبي ، و فقال له أحل لي الزنا : فقال : أحب أن يؤتى اليك مثل ذلك ؟ قال : لا . قال : فارض لأخيك ما ترضى لنفسك . قال : فادع الله لي أن يذهب عني^٤ . والأصح أنه جاهلي لم يدرك الإسلام .

وللذيل شعر جيد وشعراء مجيدين . وتعد من القبائل المخضبة في الشعر ، ومن شعرائها : (المتنخل) : (مالك بن عمرو بن عُم بن سويد بن حنش بن خناعة) (مالك بن عويمر) من (لحيان)^٥ . اشتهر بقصيدته التي يقول فيها :

١ الشعر والشعراء (٥٦١/٢) ، الحماسة شرح التبريزي (٤٢/١) ، الامالي (٣٢/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٦٢/٢) وما بعدها ، (غير مثقل) ، الخزانة (٤٦٦/٣) .
٣ الخزانة (٤٦٧/٣) وما بعدها ، شرح الحماسة ، للتبريزي (٤٢/١) .
٤ الخزانة (٤٧٣/٣) ، (فقال : أحل لي الربا) ، الاصابة (١٦٥/٤) ، (رقم (٩٦١) .

٥ الشعر والشعراء (٥٥٢/٢) ، الاغاني (١٤٥/٢٠) ، المؤلف (١٧٨) ، الخزانة (١٣٥/٢) ، السمط (٧٢٤) ، ديوان الهذليين (١٥/٢) .

يا ليت شعري وهم المرء ينصبه والمرء ليس له في العيش تحريز
هل أجزيتمكما يوماً بقرضكما والقرض بالقرض مجزي ومجلوز

• قال الأصمعي : ما قلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ في
صفة القوس ، ولو طالت قصيدة المتنخل كانت أجود^١ . وهو من الجاهليين .
ومن شعره :

لا ينسئ الله متاعاً معشراً شهدوا يوم الأميلح لا عاشوا ولا مرحوا
عقوا بسهم فلم يشعر له أحد ثم استفاؤا وقالوا : حبذا الوضع

التعقبة : الاعتذار . وأصل هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلته ، فيطلب
القاتل بدمه ، فتجتمع جماعة من الرؤساء الى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم
العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوي قوى أبوا ذلك ، وإلا قالوا لهم :
بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون
أن نأخذ سهماً فرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرباً بالدم ، فقد نهينا
عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد ، فقد أمرنا بأخذها ، وحينئذ مسحوا
لحامهم وصالحوا على الدية ، وكان مسح اللحية علامة للصالح . قال الأشعر الجعفي :
عقوا بسهم ثم قالوا : ساهموا يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحم^٢

وأورد (المرتضى) له شعراً في رثاء أبيه أو أخيه أوله :

لعمرك ما إن أبو مالك بوانٍ ولا بضيف قسواه

ومنه :

أبو مالكٍ قاصيرٌ فقره على نفسه ومشيع غناه^٣

ومن شعره في الضيف :

ولا والله نادى الحيّ ضيفي هدوءاً بالمساءة والعلاط

١ الشعر والشعراء (٥٥٢/٢) .

٢ الخزائن (١٣٧/٢) .

٣ أمالي المرتضى (٣٠٦/١) وما بعدها .

سأبدؤهم بمشعة وأثني بجهدي من طعامٍ أو بساطٍ^١

ومن شعراء (هذيل) : (خويلد بن مطحل) الهذلي ، أحد (بني سهم ابن معاوية) ، وكان سيد هذيل في زمانه ، وابنه من بعده ، (معقل بن خويلد) . وكان شاعراً معدوداً في شعراء هذيل ، ووفد الى أرض الحبشة ، فكلّم ملكهم في من عنده من أسرى العرب ، فأطلقهم له . وهو القائل :

لعمرك لليأس غيرُ المريث خيرٌ من الطمع الكاذبِ
وللريث تحفزه بالنجاسِ خيرٌ من الأمل الخائبِ
يرى الحاضر الشاهدُ المطمئن من الأمر ما لا يرى الغائبُ^٢

وورد في (الإصابة) اسم (معقل بن خويلد بن وائل بن عمرو بن عبد ياليل) الهذلي ، وكان شاعراً ، وكان أبوه رقيق (عبد المطلب) الى أبرهة ، وكان بين أبي سفيان وبين معقل بن خويلد ، خلاف في سلب رجل من قریش . فقال النبي : « يا معقل بن خويلد اتق معارضة قریش » . وذكره (المرزباني) في الشعراء المخضرمين^٣ .

ومن بقية شعراء الجاهلية (ذو الخرق) الطهوي ، وهو (دينار بن هلال) . ويقال إن اسمه (قرط) ، وإنما سمي بذی الخرق لقوله :

جاءت عجافاً عليها الريش والخرق^٤

وهو من الشعراء الفرسان^٥ .

و (سراج بن قرة) (سراج بن قوّة) العامري ، أحد بني الصموت بن عبدالله بن كلاب من الشعراء الجاهليين . ذكر (المرزباني) في معجم الشعراء له شعراً قاله في يوم من أيام الجاهلية ، وقد نسب على هذه الصورة : (سراج

-
- ١ أمالي المرتضى (٤٩٣/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٥٦/٢) ، ديوان الهذليين (٦٨/٣ وما بعدها) .
 - ٣ الإصابة (٤٢٥/٣) ، (رقم ٨١٣٧) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٦٢/١) .
 - ٥ تاج العروس (٣٢٩/٦) ، (خرق) .

ابن قرة (قوة) بن ربيعي بن زرعة بن الكاهن بن عمرو بن عوف بن أبي ربيعة
ابن الصموت بن عبدالله بن كلاب) . وقد زعم أن له وفادة على النبي ، ولا
يوجد دليل يؤيده^١ .

و (السندري بن يزيد الكلابي) شاعر كان مع علقمة بن علاثة ، وكان
(لييد) الشاعر مع (عامر بن طفيل) ، فدعى لييداً الى مهاجته فأبى^٢ .

ومن شعراء تغلب في الجاهلية (المهلهل) و (عمرو بن كلثوم) التغلبي ،
(أفنون) التغلبي ، واسمه (ظلم) ، وقيل : (صريم بن معشر بن ذهل بن
تيم بن عمرو بن مالك) التغلبي . يقال انه مات بموضع يقال له (إلاهة) بطريق
الشأم ، بلدغة حية ، وان كاهناً كان قد قال له : انك تموت بمكان يقال له
إلاهة ، فمات به .

ومما ينسب له من الشعر هذا البيت :

مَئِينَتَا الْوُدِّ يَا مَضْنُونُ مَضْنُونَا أَزْمَانَتَا إِنْ لِلشَّبَانِ أَفْنُونَا^٣

وله مقطوعة أولها :

أبلغ حُبيباً وغلّ في سراتهم ان الفؤاد انطوى منهم على حزن
قد كنت أسبق من جاروا على مهلٍ من ولد آدم ما لم يخلعوا رسي
فالوا عليّ ولم أملك فيالتهم حتى انتحيت على الأرساغ والثن
لو أنني كنت من عادٍ ومن إرمٍ ربيت فيهم ولقمان ومن جدن^٤

ذكروا أنه انما عرف بأفنون لقوله من قطعة :

مَئِينَتَا الْوُدِّ يَا مَضْنُونُ مَضْنُونَا أَيَّامُنَا إِنْ لِلشَّبَانِ أَفْنُونَا

-
- ١ الاصابة (١٦/٢) ، (رقم ٣١٠١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٨١/٣) ، (السندرة) ، ديوان لييد (١٤) ، (مقدمة) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١٤٦/١) ، وقيل اسمه « ظالم » ، المؤتلف (١٥١) ،
السمط (٦٨٤) ، القاب الشعراء (٣١٧) ، الاشتقاق (٢٠٣/٢) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٤٤/١) وما بعدها) ، المفضلية رقم (٦٦) ، الامالي
(٥١/٢) ، أمالي ابن الشجري (٣٧/١) ، البيان والتبيين (٢٣/١) ، الخزائن
(٤٥٥/٤) وما بعدها) .

وأنه لما قال له الكاهن تموت بمكان يقال له إلهة ، مكث ما شاء الله ثم
 سار الى الشام في تجارة ، ثم رجع في ركب من (بني تغلب) فضلوا الطريق ،
 ثم نزلوا (إلهة) ، قارة بالسماوة ، فلما أتوها نزل أصحابه ، وقالوا : انزل.
 فقال: والله لا أنزل! فجعلت ناقته ترتعي عرفجاً فلدغتها أفعى في مشفرها، فاحتكت
 بساقه والحية بمشفرها فلدغته في ساقه ، فقال لأخ معه احفر لي قبراً فاني ميت ،
 ثم رفع صوته بأبيات منها :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
 كفى حزناً أن يرحل الحي غدوة وأصبح في أعلى إلهة ثاويا^١

ومات من ساعته ، فقبره هناك . وهو القائل :

لعمرك ما عمرو بن هند إذا دعا لتخدم أمي امه بموفق^٢
 ومن شعراء تغلب : (الأخنس بن شهاب) التغلبي ، فارس المصا^٣ .
 وينسب له قوله :

يظل بها ربد النعام كأنها اماء ترجى بالعشي حواطب^٤

وقد قال (الأخنس) في أول القصيدة :

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان في الرق كاتب^٥
 وذكر (الأعمى الشفتمري) قبله :

فن يك أمسى في بلاد مقامه يسائل أطلالا بها ما تجاوب
 فلائنة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان في الرق كاتب
 وفي جملة أبياتها :

فوارسها من تغلب ابنة وائل حماة كفاة ليس فيها أشائب

-
- ١ الخزانة (٤ / ٤٦٠) ، (بولاق) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١ / ١٥٩ ، ٣٣١ وما بعدها) ، الحيوان (٣ / ١٣٥) ، شرح
 النقائض (٨٨٦) .
 - ٣ الاشتقاق (٢ / ٢٠٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١ / ١٠٢) ، المفضلية رقم (٤١) ، الموشح (٤٤) .

وعدتها ما بين ثلاث وعشرين الى ثلاثين بيتاً ، حسب اختلاف الروايات^١ .
 و (البرج بن الجلاء بن الطائي) من شعراء طيء ، وكان خليلاً للحصين
 ابن الحمام وندمه على الشراب . ذكر أنه وقع على أخت له وهو سكران فافتضها
 فلما أفاق ندم واستكتم ذلك قومه ، ثم أنه وقع بينه وبين الحصين فعيّره بذلك في
 أبيات ، وجرت بينها الحرب ، فأسره (الحصين) ثم منّ عليه لتقدم صداقته ،
 فلحق ببلاد الروم ، وقيل بل شرب الخمر صرفاً حتى قتلته^٢ .

ومن شعراء (طيء) في الجاهلية : (عمرو بن عمار) الطائي ، وكان شاعراً
 خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحر العينين
 والجلد والشعر ، شديد العريضة ، قتالاً للندماء ، فنهاه (أبو قردودة) عن
 منادمته ، لكنه لم ينته ، فغضب عليه النعمان وقتله ، فرثاه (أبو قردودة) بقوله :

إني نهيته ابن عمارٍ وقتلت له لا تأمنن أحر العينين والشعره
 إن الملوك متى تنزل بساحتهم تظر بئارك من نيرانهم شرره
 يا جفنة كلزاء الحوض قد هدمت ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبره^٣

وأبو (قردودة) الطائي ، شاعر ، رأى (سعد القرقرة) أكل عند النعمان
 مسلوخاً بعظامه ، فقال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي اللثاب له ظئر وأخوال^٤
 وله قصيدة أولها :

كئيشة عرسى تريد الطلاقا وتسالني بعد وهنٍ فراقا^٥

و (دريد بن الصمة) من سادات (جشم) ، ويكنى (أباقرة) ، وهو
 أحد الفرسان الشجعان المشهورين ، وذوي الرأي في الجاهلية . وشهد معركة (حنين)

-
- ١ الخزانة (١٦٥/٣) ، (بولاق) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٠/١) وما بعدها .
 - ٣ الحيوان (٢٤٣/٤) ، (٣٣٢/٥) ، البيان والتبيين (٢٢٢/١) ، (٣٤٩) ، المرزباني
 معجم (٢٣٦) ، محاضرات الراغب الاصبهاني (٩٢/١) .
 - ٤ الحيوان (١٤٧/١) .
 - ٥ الحيوان (٤٦٣/٥) .

مع (هوازن) ، وهو شيخ كبير ، فقتل مع من قتل من المشركين^١ . وقيل انه قال في هذه المعركة :

يا ليتني فيها جدع أحبُّ فيها وأضع
أقود وطفاء الزممع كأنها شاة صدع

ومن جيد شعره قوله :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشدَ إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم ، وانني غير مهتدي
وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وله أشعار أخرى ، ذكر (ابن قتيبة) بعضاً منها^٢ .

وأمه (ربحانة) بنت (معدي كرب) ، أخت (عمرو بن معدي كرب)^٣ .

وله قصيدة في رثاء (معاوية) أخي الخنساء ، مما جاء فيها :

فإن الرزء يوم وقفت أدعو فلم يسمع معاوية بن عمرو
رأيت مكانه فعطفت زوراً وأي مكان زور يا ابن بكر
على ارم وأحجار ومير وأغصان من السلوات سمر
وبنيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
ولو أسمعته لأناك ركضاً سريع السعي أو لأناك يجري
بشكة حازم لا عيب فيه إذا لبس الكفاة جلود نمر
فإما تمس في جدث مقيماً بمسكة من الأرواح قفر
فعر عليّ هلكك يا ابن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر^٤

-
- ١ الاغانى (٢/٩ وما بعدها) ، الخزانة (٤٤٢/٤ وما بعدها) ، أسماء المغتالين (٢٢٣) ، المعمر (٢٠) ، ابن هشام ، سيرة (٤٢٩/٢) ، المقرئ ، امتاع الاسماع (٤٠٢/١) ، عيون الاثر (١٨٨/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦٣٥/٢ وما بعدها) ، بروكلمن (١٦٤/١) ، كارلو نالينو (٨٠) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٩٣٨/٢ وما بعدها) .
 - ٤ الخزانة (٤٤٤/٤) .

وقد وصف بأنه شجاع شاعر فحل : « أول شعراء الفرسان ، أطول الفرسان الشعراء غزواً وأكثرهم ظفراً وأبعثهم نقيبة عند العرب وأشعرهم »^١ . غزا نحو مائة غزوة وما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه نيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فقتل على شركه . وكان قد رأس قومه : (مالك بن عوف) ، فلما سأله (دريد) عن خطته في الحرب ، سفه رأيه وأشار عليه بالرجوع فخالفه (مالك) ، فلما التقوا بالمسلمين حلت الهزيمة بهم . وقتل (دريد)^٢ .

وكان (دريد) فارس (غطفان) ، وقتل أخوه (عبدالله) ، فقتل به به (ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب) ، وقال :

قتلت بعبدالله خير لدائه ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب^٣

و (عامر بن الطفيل) من (بني عامر بن صعصعة) من الشعراء الذين أدركوا الاسلام ، وقد وفد على الرسول ، وهو يريد الغدر به ، ثم رجع كافراً فأتى وهو في طريقه الى دياره بالطاعون^٤ . ورد في رواية انه قال للرسول : « تجعل لي نصف ثمار المدينة ، وتجعلني وليّ الأمر من بعد وأسلم ؟ »^٥ . وهو الذي نافر (علقمة بن علاثة) الى (هرم بن قطبة) الفزاري ، حين أهرع عمه عامر بن مالك ملاعب الأسنة .

وكان فارس قيس ، أعور عقيماً لا يولد له ، ولم يعقب ، مغروراً فخوراً بنفسه : ومن شعره قوله :

فإني وإن كنتُ ابن فارس عامرٍ وسيّدها المشهور في كل موكب

-
- ١ الخزانة (٤٤٦/٤) .
 - ٢ الخزانة (٤٤٦/٤) وما بعدها .
 - ٣ الاشتقاق (١٧٨/٢) .
 - ٤ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر) ، ابن هشام ، سيرة (٣٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الخزانة (٤٧٣/١) ، المعمر (٦٠) ، ابن كثير ، تاريخ (٥٦/٥) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٥٢/١) .

فما سوتفني عامر عن وراثته أبى الله ان أسمو بأب ولا أب
ولكنني أحي حماها ، وأنقي أذاها ، وأرمي من رماها بمنكب^١

وله شعر يفخر به بقومه قيس عيلان ، يجعل الأرض قيس عيلان وحدهم ،
لهم السهول والحزوم ، وقد نال مجدهم آفاق السموات ، ولهم الصحو منها
والغيوم^٢ .

وكان (عامر) شديداً قوياً ، يرى لنفسه الزعامة بفضل قبيلته ، وبقوة
شخصيته ، وتذكر بعض الأخبار انه لما وفد مع (بني عامر) ، كان غليظاً في
كلامه ، حتى ان الرسول امتعض منه ، وكان يستهين أمر الرسول ، ويقول :
« لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقي ، أفأنع أنا عقب هذا الفتي
من قريش ؟ » يقولها لما كانوا يلحون عليه في الدخول في الاسلام . ولما سأل
الرسول أن يجعل له ميزة فيتفق معه على أن يكون هو سيد أهل الوبر ، وان
يكون الرسول سيد أهل المدر ، وأبى الرسول ذلك عليه ، خرج من يثرب
غاضباً مهدداً ، قائلاً للرسول : « لأملأنها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً :
ولأربطن بكل نخلة فرساً » ، مما جعل الرسول يدعو الله أن يكفيه شره . وكان
الرسول يقول : « والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر لزاحوا قريشاً على
منابرهم »^٣ .

وبنو عامر بن صعصعة من القبائل القوية ، وهي من (هوازن) ، وقد كانت
منازلها بنجد ، وقد ساهمت في حروب عبس وذبيان ، فساعدت عبس على ذبيان ،
ولعب عامر بن صعصعة دوراً مهماً فيها .

وقد طبع ديوانه ، طبعه المستشرق (لایل) في سلسلة (جب) التذكارية سنة
(١٩١٣) مع ديوان عبيد بن الأبرص^٤ .

ومن شعراء (بني بارق) : (معقر بن حمار) البارقي ، واسمه (سفيان بن
أوس بن حمار) ، سمي معقراً بقوله :

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٥٣/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٥٢/١) .
 - ٣ الاغانى (١٣١/١٥) وما بعدها .
 - ٤ بروكلمن (١١٧/١) .

له ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

وقوم (معقر) ، وهم (بارق) من اليمن في الأصل ، ينتهي نسبهم بالأزد .
وكانوا قد حالفوا (بني نعيم بن عامر) لدم أصابوه منهم ، وشهدوا يوم
(جيلة) . وهو يوم كانت فيه وقعة بين (بني ذبيان) و (بني عامر) ،
فظهرت (بنو عامر) على (بني ذبيان) . وكان (معقر) من فرسان قومه
ومن شعرائهم يوم (جيلة) وقد حدد ذلك اليوم بوقوعه قبل الإسلام بتسع وخمسين
سنة ، وبتسع عشرة سنة قبل المولد النبوي^١ .

ومن شعره :

الشعرُ لبُّ المرء يعرضُه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهب بالحصل^٢

ومن شعره المشهور :

فألفت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر^٣

ومن شعراء الجاهلية ، شاعر لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، اسمه : (عمرو
ابن عبد الجن)^٤ ، (عمرو بن عبد الحق)^٥ ، وينسب له قوله :

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبج الرهبان في كل بيعة أبليل الأيلين المسيح بن مريما

١ الخزانة (٢ / ٢٩٠ وما بعدها) ، (ومعقر بن أويس) البارقي ، كحدث ، شاعر .
هكذا نسبه « ابن الكلبي » . ويقال هو : معقر بن حمار البارقي حليف بني نعيم .
وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، تاج العروس (٤١٨ / ٣) ،
(عقر) .

٢ الحيوان (٣ / ٦١ وما بعدها) .

٣ المؤلف (٩٢) ، المرزباني ، معجم (٢٠٤) .

٤ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية ، للعيني (١ / ٥٠٠) ، (حاشية على
الخزانة) ، (بولاق) ، اللسان (١١ / ٦ وما بعدها) ، (أبل) .

٥ تاج العروس (٧ / ١٩٨) ، (أبل) ، شيخو ، النصرانية (٢ / ١ ص ١٨٦) .

لقد ذاق منا عامر يوم لعل حساماً اذا ما هز بالكف صمّاً^١

ومن شعراء (قيس) المجيدين في الجاهلية : (خدّاش بن زهير بن ربيعة ابن عمرو بن عامر بن صعصعة) ، قال (أبو عمرو بن العلاء) : « خدّاش ابن زهير أشعر في عظم الشعر ، يعني نفّس الشعر ، من لبيد ، انما كان لبيد صاحب صفات » . وجدّة (عمرو بن عامر) ، يقال له (فارس الضحياء) ، والضحياء فرسه . وفيه يقول :

أبي فارس الضحياء عمرو بن عامر أبى الذم واختار الوفاء على الغدر

ومما يتمثل به من شعره قوله :

ولن أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخطى صهوة القرس

وقوله :

فإن يك أوس حية مستميتة فدرني وأوساً ، إن رقيته فعي^٢

وذكر أنه كان من الصحابة ، وأنه شهد حيناً مع المشركين ، ثم أسلم بعد ذلك . ويرى (المرزباني) أنه جاهلي لم يدرك الإسلام ، وأغلب أهل الأخب على هذا الرأي . وينسب إليه قوله :

يا شدة ما شدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

و (سخينة) قريش . وكانت تعبر بالكثارة من أكلها السخينة^٣ .

ومن شعره :

فيا راكباً أما عرضت فبلغن^٤ عقيلاً إذا لاقيته وأبا بكر
بأنكم من خير قوم لقومكم على أن قولاً في المجالس كالهجر

١ العيني (٥٠٠/١) ، اللسان (٦/١١ وما بعدها) ، (أبيل) .
٢ الشعر والشعراء (٥٤٠/٢) ، المؤلف (١٠٧) ، السمت (٧٠١) ، الخزائنة (٢٣٣/٣) ، (٣٣٨/٤) .
٣ الخزائنة (٢٣٣/٣) ، الإصابة (٤٥٥/١) ، (٢٣٢٧) .

دعوا جانباً إنا سنترك جانباً لكم واسعاً بين اليمامة والظهر^١

و (الحصين بن الحمام) المريّ ، شاعر جاهلي ، وهو من (بني مرة) ،
يعد من أوفياء العرب^٢ . وهو أحد الشعراء المقلّين . قال أبو عبيدة : وانفقوا
على أن أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة : المتلمس ، والمسيب بن علس ، والحصين
ابن الحمام المريّ^٣ . وقد أدخله بعضهم في الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام.
وقد احتجوا بإسلامه بما نسب إليه من الشعر من قوله :

أعوذ بربي من المخزيات يوم ترى النفس أعمالها
وخف الموازين بالكافرين وزلزلت الأرض زلزالها

والأصح أنه جاهلي لم يدرك الإسلام^٤ .

وأما (الفضل بن معشر بن أسحم) ، فهو من (نُكْرَة) من (لكيز) ،
فضلته قصيدته التي يقال لها (المنصفة) ، وأولها :

لم ترَ أن جبرتنا استقلوا فنيتنا ونيتهم فريق^٥

وقد ولع بعض العلماء في وضع تواريخ للشعراء المتقدمين ولغيرهم ، تحدّد سني
ميلادهم وسني وفاتهم ، وسني الحوادث التي وقعت في أيامهم والمذكورة في
أشعارهم . وهو ولع لا يستند على أسس علمية . لأن أغلب الروايات الواردة عن
هؤلاء الشعراء هي غير ثابتة ، وقد تتناقض أحياناً ، وقد يثبت بطلانها بعد نقدها
نقداً علمياً ، ثم إن فيها ما هو موضوع مصنوع ظاهر الصنعة ، يبيّن التكلف ،
ولهذا فأنا أحاول جهد إمكانني تجنب نفسي من توريطها في وضع أرقام تمثل

١ الخزانة (٣٣٨/٤) .

٢ الخزانة (٩/١) ، (بولاق) ، الشعر والشعراء (١١٥/١) ، (٥٤٢/٢) ،
الخزانة (٧/٢) ، (٣٥٢/٣) ، الاغانى (١١٨/١٢) ، المؤلف (٩١) ، السمت
(١١٧) .

٣ الشعر والشعراء (١١٥/١) .

٤ الاصابة (٢٣٥/١) ، (١٧٣٢) .

٥ ابن سلام ، طبقات (٧٠) .

مواليد الشعراء الجاهليين أو سني وفاتهم ، أو تواريخ الحوادث المذكورة في شعرهم ، لعدم امكانية الثبوت من ذلك ، بل اني أرى لزوم الابتعاد جهد الإمكان من وضع التواريخ لسني حكم الملوك ولسني وفاتهم لصعوبة اثبات ذلك ، والاكتفاء بجهد الإمكان بتقريب أيامهم إلينا بصور تقريبية . ولهذا السبب لم أحفل في هذا الفصل بترتيب الشعراء ترتيباً زمنياً على وفق ما ذهب إليه المولعون بتدوين التواريخ بالسنين ، إذ أرى صعوبة الأخذ بهذا الرأي في التوريج .

الفصل الثامن والخمسون بعد المئة

المعلقات السبع

ومن الشعر الجاهلي قصائد عرفت بين الناس باسم (المعلقات السبع) وب (المعلقات) وب (المنهبات) وب (السموط) ، لزعم الرواة أن العرب اختارتها من بين سائر الشعر الجاهلي ، فكتبتها بماء الذهب على القبايطي ، ثم علقتها على الكعبة إعجاباً بها وإشادة بذكرها ، وقد بقي بعضها الى يوم الفتح ، وذهب ببعضها حريق أصاب الكعبة قبل الاسلام^١ .

والمعلقات السبع هي سبع قصائد طويلة اختيرت من الشعر الجاهلي ، فعرفت لذلك بين الناس بـ (السبع) وبالسبع الطوال ، وبالسبع الطول ، وبالقصائد المختارة ، وبالسبعيات ، وعرفت أيضاً باختيارات حماد ، وبالسبط، وبالسموط ، وبالمذهبات. ويظهر ان لفظة (السبع) ، هي من الألفاظ القديمة التي أطلقت على اختيارات (حماد) ، فقد ذكر (محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بمجمهرة أشعار العرب : ان أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، وليد ، وعمرو ، وطرفة . قال : وقال الفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد

١ المزهري (٤٨٠/٢) ، الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٧/١) ، العمدة (٩٦) ، العقد الفريد (١٦٩/٦) .

أبطل^١ . ولما تحدث (ابن قتيبة) عن معلقة (عمرو بن كلثوم) ، قال : « وهي من جيد شعر العرب القديم ، واحدى السبع »^٢ . فالسبع ، تسمية أخذت من حقيقة ان القصائد المذكورة المختارة كانت سبع قصائد .

وأما تسمية المعلقات بـ (السبع الطوال) و (السبع الطوال) ، فلكون هذه القصائد السبعة ، هي من أطول ما ورد في الشعر الجاهلي من قصائد . ونجد هذه التسمية واردة على لسان (المفضل) حيث نسب اليه قوله : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال »^٣ . وقد أطلقها (ابن كيسان) المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) (٩١١)^٤ ، (٣٢٠ هـ) (٩٣٢)^٥ ، على شرحه لتلك القصائد حيث سماه بـ (شرح السبع الطوال الجاهلية)^٦ ، وأطلق (أبو جعفر أحمد بن محمد) النحاس (٣٣٨) هذا العنوان عليها ، إذ ذكرها بقوله : « ان حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت معلقة على الكعبة »^٧ ، وأطلقه على شرحه لها^٨ .

وعرفت أيضاً بـ (القصائد السبع) وبـ (القصائد السبع الطوال) وبـ (القصائد)^٩ . وبـ (القصائد التسع) ، وبـ (القصائد التسع المشهورة) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف على القصائد المذكورة قصيدتين أخريين^{١٠} ، وبـ (القصائد العشر) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف ثلاث قصائد عليها^{١١} .

ويظهر أن مصطلح (السبع الطوال) ، هو أنسب المصطلحات تعبيراً عن هذه القصائد ، لأنها تمثل في الواقع أطول ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي . فإن عدد أبيات أقصر قصيدة من قصائدها هو (٦٤) بيتاً ، أما عدد أبيات أطول

-
- ١ المزهر (٤٨٠/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٥٨/١) ، (عمرو بن كلثوم) .
 - ٣ الجمهرة (٤٥) .
 - ٤ بلاشير (١٥٥) .
 - ٥ بروكلمن (٧٠/١) .
 - ٦ ياقوت ، ارشاد (١٤٠/٤) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٧/١) .
 - ٧ بلاشير (١٥٥) .
 - ٨ الاغانى (٨/١١) ، (٤٢) ، بلاشير (١٥٥) ، شرح القصائد السبع الطوال (للأنباري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون) ، (القاهرة ١٩٦٢ م) ، (دار المعارف) .
 - ٩ بروكلمن (٦٨/١) .
 - ١٠ شرح القصائد العشر ، للتبريزي ، بروكلمن (٧١/١) .

قصيدة منها ، فهو (١٠٤) ، ومعدل أبيات المعلقة (٨٥) بيتاً^١ .
وعرفت هذه القصائد بـ (القصائد المختارة) لطبيعة كونها قصائد اختبرت
من قصائد الشعر الجاهلي ، وانتخبت منه انتخاباً^٢ . ونجد مجموعة أخرى عرفت
بـ « شعر الشعراء الست » ، وهم امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ،
وطرفة ، وعنترة . وقد أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : « مختار شعر
للشعراء الست : امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة .
وشرحها للأعلم الشتمري »^٣ .

ولم نجد في الكتب التي وصلت إلينا ، الاسم الصحيح الأول الذي أطلقه جامع
هذه القصائد ومختارها عليها . وقد ورد في مقدمة شرح التبريزي (٥٥٠٢) على
(القصائد العشر) : « سألتني - أدام الله توفيقك - أن ألخص لك شرح
القصائد السبع ، مع القصيدتين اللتين أضافهما إليها أبو جعفر أحمد بن محمد بن
إسماعيل النحوي - قصيدة النابغة الذبياني الدالية ، وقصيدة الأعشى اللامية -
وقصيدة عبيد بن الأبرص تمام العشر »^٤ . فيظهر منها أن جملة (القصائد السبع) ،
كانت غالبية على تلك القصائد ، من حقيقة كونها سبع قصائد في الأصل .

ولا نعلم اسم أول من أطلق مصطلح (المعلقة السبع) على هذه القصائد ،
وفي أي وقت أطلقه عليها . ولا يستطيع أحد إثبات ان (حماداً) الراوية هو الذي
أطلقه على متنياته . وقد ذكر (بلاشير) ان (ابن قتيبة) لما تكلم عن قصيدة
(عمرو بن كلثوم) التي تدخل في المعلقة قال عنها انها (احدى السبع المعلقة)^٥ .
وقد رجعت الى النص فوجدته يقول : « وهي من جيد شعر العرب القديم ،
واحدى السبع »^٦ ، ولما كنت لا أملك النسخة الافرنسية لكتاب (بلاشير) ،
لذلك لا أدري اذا كانت تلك النسخة قد استخدمت جملة (احدى السبع المعلقة) ،
كما وردت في الترجمة العربية ، أم ان الترجمة العربية هي التي استعملتها تصرفاً ،

١ Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, p. XX.

٢ (شرح القصائد المختارة للتبريزي) ، السيوطي ، شرح شواهد المغني (١١/١) ،
(مقدمة) .

٣ الخزانة (١٠/١) ، (يولاق) .

٤ شرح القصائد العشر (ص ٤٥) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٥ بلاشير (١٥٤) .

٦ الشعر والشعراء (١٥٩/١) .

وانها لم ترد في النص الأصل . واني أستبعد احتمال أخذ (بلاشير) من نسخة أخرى استعملت جملة (احدى السبع المعلقة) بدلاً من (احدى السبع) الواردة في النص الذي اعتمدت عليه ، المطبوع ببيروت سنة ١٩٦٤ م .

والعلماء مختلفون في القصائد التي تعدّ من المعلقة وفي عددها ، ولكنهم متفقون على خمس منها ، هي معلقة امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم . أما بقيتها ، فمنهم من يعد من بينها معلقة عنتره والحارث بن حلزة ، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى . وقد أضاف بعض العلماء القصيدتين اللتين اختارهما المفضل الضبي ، وهما قصيدتا النابغة والأعشى ، الى المعلقة السبع التي هي من اختيار حماد ، فجعلها تسع معلقة . ويرى (نولدكه) ان لولاء حماد لبكر بن وائل علاقة يَدْخُلُ حماد قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري في جملة المعلقة ، وذلك ان حماداً كان مولى لبكر بن وائل ، وكانت هذه القبيلة في عدااء مع تغلب ، ولما كانت قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي قد لقيت شهرة واسعة ، لم يسع حماد أن يعدل عن اختيارها ، فاختارها ، واختار معها قصيدة الحارث إرضاء لمن انتمى اليهم بالولاء ، مع قلة شهرتها بالنسبة الى القصائد الأخرى^١ .

ونجد في (الفهرست) اسم كتاب ذكر (ابن النديم) انه من مؤلفات (الأصمعي) ، دعاه (كتاب القصائد الست)^٢ . ولهذه التسمية أهمية كبيرة ، لأنها تدل على ان (الأصمعي) ، كان قد اختار من القصائد المعروفة ست قصائد ، وضمها بين دفتي كتاب . ولم يشر (ابن النديم) الى أسماء القصائد الست المختارة ، ولكنني لا أستبعد احتمال اسقاطه قصيدة واحدة من بين القصائد السبع التي اختارها (حماد) ، فصار العدد ست قصائد . كما أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : (مختار شعر الشعراء الست : امرئ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنتره) ، والى شرحها للأعلام الشنتمري^٣ .

وأشار (السيوطي) أثناء حديثه في مقدمته لكتابه : « شرح شواهد المغني »

١ Brockelmann, I, S. 18, Char. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry, London, 1885.

٢ الفهرست (٨٨) ، (الأصمعي) .

٣ خزائن (١٠/١) ، (بولاق) .

الى « شرح المعلقات السبع ، وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس، وشرح السبع العاليات للكميت ، وشرح القصائد المختارة للتبريزي »^١ . وتلفت جملة : « وشرح السبع العاليات للكميت » النظر ، لأنها جاءت في أثناء تحدث (السيوطي) عن الكتب التي رجع اليها في جمع مادة كتابه ، وفي أثناء تحدثه على المعلقات السبع وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس ، مما يدل على أنه قصد بشرح السبع العاليات للكميت ، قصائد سبعاً مختارة لها صلة بهذه المعلقات السبع ، ولا سيما وقد ذكر بعد هذا الشرح اسم شرح القصائد المختارة للتبريزي ، التي هي المعلقات العشر ، وأنه لم يقصد بالقصائد السبع (الهاشميات) ، (هاشميات) الكميث وهي أيضاً سبع قصائد ، من شعر هذا الشاعر ، عرفت بالهاشميات . ولو كان قصدها بالذات لدعاها باسمها الذي عرفت به ، وهو (الهاشميات)^٢ ، وإنما قصد كتاباً آخر ، اسمه : (شرح السبع العاليات) ، ولفظة (العاليات) نعت للقصائد السبع . ولم يتحدث السيوطي وبما للأسف عن هذا الشرح بأي شيء، فهل يكون الكميث المتوفى سنة (١٢٦هـ) ، أي قبل (حماد) ، قد اختار سبع قصائد جاهلية وضمها في ديوان عرف بـ (السبع العاليات) وقف عليها (حماد) أو صارت اليه ، فأملأها فنسبت اليه، على عادة القدماء في ذلك الوقت ، من أخذهم الكتب والروايات القديمة ، ثم أملاها على تلامذتهم ، فنسب اليهم ، فتكون المعلقات اذن من جمع الكميث ، رواية حماد !

وفهم من خبر مسدود في (خزانة الأدب) أن الخليفة (عبد الملك بن مروان) أمر فطرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة . ومعنى هذا الخبر هو وجود المعلقات قبل أيام عبد الملك . وفي الكتاب خبر آخر هو أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار ، فساها المعلقات^٣ ، وفي رواية أخرى : المعلقات الثواني^٤ . ولم يعين المورد الشخص الذي أمر باختيار تلك الأشعار ، ولا الشخص الذي قام بالاختيار . ولعله قصد الوليد وحماداً ،

-
- ١ السيوطي ، شرح (١١) .
 - ٢ القصائد الهاشميات ، للكميت (مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣٢١ هـ) ، بروكلمن (٢٤٣/١) ، وطبعت بليدن سنة ١٩٠٤ م ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٣١٦/١) .
 - ٣ خزانة الادب ، للبغدادي (٦١/١) .
 - ٤ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٧/٣) .

فاليها ينصرف الذهن ، لما للوليد من ولج بالشعر ، ولما لحماذ من علم به .
ولم يشر (البغدادي) صاحب (خزانة الأدب) الى اسم المورد الذي استقى
منه خبره عن طرح (عبد الملك) شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، واثباته
أربعة مكانهم . كما أنه لم يشر الى أسماء أصحاب المعلقات الذين طرحت معلقاتهم ،
ولا الى أسماء الشعراء الأربعة الذين أثبتت قصائدهم مكان القصائد الأربع المطروحة .
وروي أن (معاوية) تذكر قصيدة (عمرو بن كلثوم) ، وقصيدة (الحارث
ابن حلزة) فقال « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، من
مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرأ »^١ .

والمعروف اليوم ، ان حماداً الراوية ، هو الذي جمع القصائد السبع المذكورة ،
وأذاعها بين الناس . وهو من حفظة الشعر ورواته ومن اشتهروا وعرفوا برواية
الشعر القديم . وكان من المتكسبين بالشعر . وقد اتهم بالوضع وباللس على الجاهليين
وبالكذب عليهم : وهو نفسه لم ينكر ذلك ، ولم يبرء نفسه من اللس على
الجاهليين والوضع عليهم . ولكنه كان يجمع أنصاره وخصومه من أفرس الناس
بالشعر ، ومن أعلمهم بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه وأساليبه ، ولعل علمه هذا
بالشعر ، ورغبته في التفوق والتصدر على أقرانه المتعishين مثله على رواية الشعر ،
كانا في رأس الأسباب التي حملته على الوضع واللس والافتعال .

ووضع (المفضل) الضبي قصيدتي النابغة والأعشى مكان قصيدتي عنتره
والحارث بن حلزة اليشكري في الاختيارات الشهيرة للمعلقات . وضم (أبو جعفر
أحمد بن محمد بن اسماعيل) النحوي قصيدتي النابغة والأعشى على اختيارات (حماد)
فصار العدد تسع معلقات ، أضاف عليها بعض العلماء قصيدة (عبيد بن الأبرص)
فصارت عشرة ، وقد شرحها (التبريزي)^٢ . وجعل بعضهم العدد ثمانية . ولكن
المشهور المعروف بين علماء الشعر الجاهلي انها سبع قصائد : وهي في رأيهم أفضل
ما قيل من الشعر في زمان الجاهلية^٣ .

ولأهل الأخبار قصص وحكايات عن سبب تسمية المعلقات بالمعلقات . فذكر

١ الخزانة (١٦٢/٣) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٨/١) ، شرح التبريزي (٤٥) ، (طبعة محمد
محيي الدين عبد الحميد) .
٣ العقد الفريد (٩٣/٣) ، ابن خلدون (٥٠٩/١) .

(أحمد بن عبد ربه) مثلاً أن العرب كلفت بقصائد خاصة من الشعر الجاهلي وفضلتها على غيرها ، وعمدت الى سيع قصائد تختيرها من الشعر القديم ، فكتبت بها الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها في أستار الكعبة ، فنه يقال : مذهبة أمرىء القيس ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، ويقال لها المعلقات^١ . وورد : يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . وقال (ابن رشيق) : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون في خزانته^٢ .

وذهب (السيوطي) هذا المذهب كذلك ، إذ قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ؛ فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه لتكون في خزانته^٣ . وهو رأي أخذه من (ابن رشيق) ، من كتابه (العمدة) . وكتاب العمدة من الموارد التي استقى منها (السيوطي) ، يشير اليه أحياناً ، ولا يشير اليه أحياناً أخرى ، كما هو الحال في هذه الجملة ، التي هي عبارة (ابن رشيق) بحروفها كما جاء في العمدة . وقد توفي (ابن رشيق) سنة (٤٥٦ هـ) .

وزعم بعض آخر أن العرب كانوا في جاهليتهم يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض ، فلا يعبأ به ولا ينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسوه روي ، وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وإن لم يستحسوه طرح وذهب فيما يذهب . وقال « أبو عمرو بن العلاء : كانت العرب تجتمع في كل عام وكاذا تعرض أشعارها على هذا الحي من قريش^٤ . وذهب (ابن خلدون) الى أن العرب

-
- ١ العقد الفريد (١١٦/٣) ، (١١٩/٦) ، (لجنة) .
 - ٢ العمدة (٩٦/١) ، الخزانة (٦١/١) .
 - ٣ السيوطي ، المزهري (٤٨٠/٢) .
 - ٤ خزانة الادب (٦١/١) .

كانوا يعلقون أشعارهم بأركان البيت كما فعل أصحاب المعلقات السبع ، وإنما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من له قدرة على ذلك بقومه وعصيته ومكانه في مضر^١ . وذكر أن « أول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس وبعده علق الشعراء ، وعدد من علق شعره سبعة . ثانيهم طرفة بن العبد . ثالثهم زهير بن أبي سلمى ، رابعهم ليبد بن ربيعة ، خامسهم عنتره ، سادسهم الحارث بن حلزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم . هذا هو المشهور^٢ . وروي عن (معاوية) قوله : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا^٣ » .

وعن (ابن الكلبي) انه قال : « أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أحْدِرَ فعلق الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا ان عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة^٤ » . ولا بد وأن يكون ظهور قصة التعليق قد حدث قبل أيام (ابن عبد ربه) المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ، لورودها في (العقد الفريد)^٥ . (وابن عبد ربه) من معاصري (أبي جعفر أحمد بن محمد) النحاس ، المتوفى بعده بعشر سنوات ، أي سنة (٣٣٨هـ) ، الذي ذكر القصة أيضاً ، لكنه أنكر تعليق المعلقات ، فعنده « أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة^٦ » . وذكر أنه قال في شرحه على المعلقات ما نصه : « واختلفوا في جمع القصائد السبع ، وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي » ، وقال أبو جعفر : « وأما قول من قال إنها علق بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » ، « وهو يستند في رأيه هذا ، إلى أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر ، جمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال هذه هي

-
- ١ مقدمة ابن خلدون (٥١١) ، (٥٠٩/١) .
 - ٢ الخزائن (٦١/١) .
 - ٣ الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .
 - ٤ الرافعي (١٨٧/٢) .
 - ٥ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٠٦/١) .
 - ٦ ياقوت ، ارشاد (١٤٠/٤) .

المشهورات ! فسميت القصائد المشهورة ^١ .

وقد مشت اسطورة التعليق هذه بين الناس ، حتى صارت رأياً اعتقد به كثير من المحدثين ، الى درجة أن منهم من صار يغضب ويثور إذا قرأ رأياً يخالف هذا الرأي ، لاعتقاده أن في هذا الإنكار غصاً وتعريفاً بأخلد تراث من تراث العرب القديم ، وأن فيه انتقاصاً من قدر الأدب العربي التليد .

وقد تعرض المستشرقون منذ أيام (بوكوك) لموضوع المعلقات ، وقد رأى كثير منهم ان قصة التعليق قصة مصطنعة وان الموضوع مصنوع موضوع . ويرى (نولدكه) ان اختلاف رواة الشعر في ضبط أبيات تلك المعلقات ، دليل في حد ذاته على عدم صحة التعليق ، إذ لو كانت تلك القصائد معلقة ومشهورة وكانت مكتوبة لما وقع علماء الشعر في هذا الاختلاف . ثم يرى سيبأ آخر يحمله على الشك في صحة ما يقال عن المعلقات . هو ان كل الذين كتبوا عن فتح مكة مثل الأزرقى وابن هشام والسهيلي وغيرهم وغيرهم ، أشاروا الى ان الرسول أمر بطمس الصور وكسر الأوثان والأصنام ، ولم يشيروا أبداً الى المعلقات ، ولو كانت المعلقات موجودة كلاً أو بعضاً لما غص أهل الأخبار أنظارهم عنها ، ولما سكتوا عن ذكرها ، لأهميتها عند العرب ^٢ .

ثم يرى (نولدكه) ان هذه القصائد لو كانت معلقة حقاً ، وكانت على الشهرة التي يذكرها أهل الأخبار لما أغفل أمرها في القرآن الكريم وفي كتب الحديث وفي كتب الأدب مثل كتاب الأغاني وأمثاله ، ولأشير إليها ، ولهذا يرى ان ما يروى عن المعلقات هو من القصص الذي نشأ عن التسمية وعن اختيارات حماد لها ، فلما أشاعها بين الناس ، أوجد الرواة لها قصة التعليق ^٣ .

وقد استدل (نولدكه) من عبارة : « وقال المفضل : القول عندنا ما قاله

١ محمد هاشم عطية ، الادب العربي وتاريخه (١٢٤) .

٢ Theodor Nöldeke, Beiträge zur Kenntnliss der Poesie der Alten Araber, Hannover, 1864, S. XVIII f.

راجع وصف دخول الرسول الكعبة ، وأمره بطمس الصور وكسر الاصنام والاثان، ارشاد الساري (٣٩٣/٦) وما بعدها .

٣ Nöldeke, Beiträge, S. XVII, XX.

بروكلن ، تاريخ الادب العربي (٦٧/١) .

أبو عبيدة في ترتيب طبقاتهم : وهو ان أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات . وهم : امرؤ القيس وزهير والنابعة والأعشى ولييد وعمر بن كلثوم وطرفة بن العبد . قال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب بالسموط ، ومن زعم غير ذلك ، فقد خالف جمهور العلماء ^١ ، على ان الأدباء أوجدوا قصة تعليق المعلقات في الكعبة ، نظراً الى ما يقال من تفاخر الشعراء بعكاظ ، وتحكيم المحكمين فيما بينهم ، فرأى رواة الشعر أن يجعلوا المختار من الشعر ، وهو القصائد السبع الطوال سيد الشعر الجاهلي ، ولما كانت مكة ذات قدسية ، وجدوا انها أصلح مكان لأن يربط بينه وبين هذا المختار من عيون الشعر ، فأوجدوا حكاية التعليق ^٢ .

وبين المستشرقين فريق ذهبوا مذهب (نولدكه) في رفض قصة التعليق ، ورأوا أن القصة أسطورة لا أصل لها ولا فصل . وفريق أيد التعليق ، وهم أقلية ، وذهب مذهب المثبتين له من علماء الشعر الجاهلي . أما علماء العربية في أيامنا ، فهم أيضاً بين مؤيد وبين مخالف ، ولكل رأي .

وقد تعرض (الرافعي) لموضوع تعليق المعلقات ، فذهب الى أن قصة التعليق على الكعبة قصة مفتعلة ، وأن (ابن الكلبي) هو الذي ذكر خبر تعليقها على الكعبة ، وأن مَن عدا ابن الكلبي ممن هم أوثق في رواية الشعر وأخباره لم يذكروا من ذلك شيئاً ، بل جملة كلامهم ترمي الى أن القصائد لم تخرج عن سبيل ما مختار من الشعر ، وأن المتأخرين هم الذين بنوا على خبر التعليق ما ذكروه من أمر الكتابة بالذهب أو بمائه في الحرير أو في القباطي ؛ وأن العرب بقيت تسجد لها (١٥٠) سنة حتى ظهر الإسلام ، تسجد لها كما يسجدون لأصنامهم ^٣ . (وابن الكلبي) على رأيه « هو أول من افترى خبر كتابة القصائد السبع المعلقات وتعليقها على الكعبة » ^٤ .

وتعرض (الرافعي) أيضاً الى رأي من ينكر أن هذه القصائد صحيحة النسبة الى قائلها . مرجحاً أنها منحولة وضعها مثل حماد الراوية ، أو خلف الأحمر ،

Belträge, S. XX.	١
Nöldeke, Belträge, S. XXII.	٢
الرافعي (١٨٦/٢ ، ١٩٢) .	٣
الرافعي (٤١٦/١) ، (١٩٢/٢) .	٤

فرأى أنه رأي فائل ، لأن الروايات قد تواردت على نسبتها ، وتجد أشياء منها في الصدر الأول ، غير أنه مما لا شك فيه أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة ، قل ذلك أو كثر ، أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التاريخ^١ .

ولم أجد بين الموارد التي وصلت إلينا من موارد مطبوعة أو مخطوطة مورداً واحداً ذكر أن الرسول حينما فتح مكة ، وأمر بتعطيم ما كان بها من أصنام وأوثان وبطمس ما كان بها من صور ، وجد معلقة واحدة أو جزءاً من معلقة أو أي شعر آخر وجد مكتوباً ومعلقاً على أركان الكعبة أو على أستارها ، كما اني لم أجد في أخبار بناء الكعبة خبراً يشير إلى أنهم علقوا المعلقات على الكعبة حينما أشادوها وبنوها من جديد . ولو كانت تلك القصائد قد عُلقت ، لما سكت الرواة عنها وأغفلوا أمرها اغفلاً تاماً . ثم إن أهل الأخبار الذين أشاروا إلى الحريق الذي أصاب الكعبة ، والذي أدى إلى إعادة بنائها ، لم يشيروا أبداً إلى احتراق المعلقات كلها أو جزء منها في هذا الحريق ، ولو كانت موجودة ومعلقة على الكعبة كما زعموا ، لما سكتوا عن ذكر هذا الحدث الهام . ثم اني لم أسمع أن أحداً من حملة الشعر الجاهلي من الصحابة أو التابعين ، ولا غيرهم من رواة شعر الجاهلية وحفظته ، وكلهم كانوا يتلذذون بروايته وبسماعه ، أشار إلى وجود معلقات ومذہبات وقصائد سبع مختارة ، ولو كان لهم علم بها لما أخفوا ذلك عن جاء بعدهم أبداً . وتعليق المعلقات قصة ، لا أستبعد أن تكون من صنع (حماد) جامعها ، أو من عمل من جاء بعده ، في تعليل سبب ذلك الاختيار .

وأما ما زعم من أن معاوية قال : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا »^٢ ، فخير لا يوثق به .

ومن (السمط) جاءت فكرة تعليق المعلقات . فالسمط : خيط النظم لأنه يعلق ، وقيل قلادة أطول من المخنقة ، والخيط ما دام فيه الخرز ، وجمعه (سموط)^٣ . فالسمط يعلق ، وقد دعيَت القصائد المذكورة بـ (السمط) ، وقالوا

١ الرافعي (١٩٣/٢) .

٢ الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .

٣ اللسان (٣٢٢/٧) .

من ثم بتعليق تلك القصائد ، وتعليقها على الكعبة أو على استارها هو خير مكان يناسب المقام الذي وضعوه لتلك المنظومات .

وتلفت جملة : « وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء ، فقد أبطل » النظر حقاً^١ . فقد استعمل لفظة (السمط) ، فقط ، وقصد بها المعلقة ، وهذا الاستعمال يدل على نعت العلماء للقصائد المذكورة بأن كل قصيدة منها وكأنها خيط من اللؤلؤ منظوم يتلو بعضه بعضاً ، وأن تلك القصائد السبع قد اختيرت من بين قصائد الشعر الجاهلي ، وأن من يزيد على ذلك العدد قصيدة ، فقد أخطأ .

وقد روي أن العرب كانت تسمى القصائد الطويلة الجيدة المقلدات والمسمطات^٢ . و « مقلدات الشعر وقلائده البوافي على الدهر »^٣ . « وسمط الشيء تسميطاً علقه بالسموط ، وهي السيور » ، ومن هذا المعنى أخذ اختراع تعليق المعلقات في رأي بعض الباحثين^٤ .

ويذكر علماء اللغة والشعر أن (المسمط) من الشعر ، أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات . ويقال قصيدة مسمطة ، شبهت أبياتها المقفاة بالسموط . وذكر بعضهم : الشعر المسمط الذي يكون في صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة وتجمعها قافية مخالفة لازمة القصيدة حتى تنقضي . وهو الذي يقال له عند المولدين : الخمس ، والمسيح ، والمثمن . وذكر بعض علماء الشعر أن لامرئ القيس قصيدتان سمطيتان^٥ .

وأرى ان الذي أوحى الى أهل الأخبار بفكرة المعلقات السبع هو ما جاء في القرآن الكريم : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »^٦ ، وما جاء في الحديث من قوله : « أوتيت السبع الطول »^٧ . وقد ذكر علماء التفسير ان (السبع الطول) من سور القرآن : سبع سور ، وهي سورة البقرة وسورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، واختلف في السابعة ، فمنهم من قال السابعة

١ العمدة (ص ٩٦) .

٢ البيان والتبيين (٩/٢) .

٣ تاج العروس (٤٧٥/٢) ، (قلند) .

٤ تاج العروس (١٦١/٥) ، (سمط) .

٥ تاج العروس (١٦١/٥) ، (سمط) .

٦ الحجر الآية ٨٧ .

٧ اللسان (٤١٠/١١) .

الأنفال ، ومنهم من جعل السابعة يونس ، ومنهم من قال انها سورة (الفاتحة)
وانها « السبع المثاني » ، لأنها تتألف من سبع آيات^١ . فن السبع المثاني التي قصد
بها السور السبع الطوال المذكورة ، والتي ذكر المفسرون انها خصبت بهذه التسمية
بسبب كونها أطول السور ولاحتوائها على أكثر الأحكام أخذ رواة الشعر في رأيي
فكرتهم في المعلقات السبع ، التي نعتوها أيضاً بـ (الطوال) وبـ (السبع الطوال)
وهو نعت جاء في الحديث وفي كتب التفسير للسبع المثاني ، أي للسور المذكورة ،
إذ عبّر عنها بـ (السبع الطوال) ، وورد في الحديث : « أوتيت السبع الطوال » .

ويلاحظ أن علماء الشعر مغرمون بعدد السبعة ، وأن نظام انتقائهم للأشعار
قائم على سبع . فالمعلقات سبع ، ومنتقيات العرب والمذاهب التي للأوس والخزرج
خاصة سبع كذلك ، وعيون المراثي سبع ، ومشوبات العرب وهي التي شابهن
الكفر والإسلام سبع كذلك ، والملحاحات سبع أيضاً . وبمجموع هذه الاختيارات
تسع وأربعون . وهي حاصل هذه المجموعات السبع التي تتألف كل مجموعة منها
من سبعة أشعار^٢ .

وهذا التقسيم السبعي لا بد أن يكون له أساس ، فليس من المعقول أن يكون
اعتباطياً وعلى غير أساس . والمعروف أن التقسيم السبعي ، أو النظام السبعي ،
تقسيم قديم يعود الى سنين طويلة قبل الميلاد ، فالسماوات والأرضون سبع ،
والكواكب السيارة سبعة ، والأنغام الموسيقية سبعة ، وأيام الاسبوع سبعة . والعدد
سبعة هو عدد مقدس عند بعض الشعوب القديمة .
وقد سبق لي أن تحدثت في مجلة المجمع العلمي العراقي عن المعلقات السبع ،
وذكرت الأسباب التي حملت العلماء على تسميتها بالمعلقات .

١ تفسير الطبري (٣٥/١٤ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٥٥٧/٢) ، تفسير
الطبرسي (٣٤٤/٣) .
٢ الرافعي (١٩٠/٣ وما بعدها) .

الفصل التاسع والخمسون بعد المئة

أصحاب المعلقات

أصحاب السبع الطوال ، هم : امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، ولييد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ، والحارث ابن حلزة البشكري . وهم الذين اختار (حماد) الراوية قصائدهم ، فألف منها اختياراته . وقد رتبهم حسب الترتيب المألوف الذي يرد في دواوين المعلقات ، وإن كان هذا الترتيب يتعارض مع الترتيب الزمني . فليد مثلاً كان من الواجب علينا تأخيرها ، يجعله آخر الشعراء المذكورين ، لأنه أدرك الاسلام ، فهو من المخضرمين ، وبعض منهم كان من اللازم تقديمه ، ليأخذ مكانه المناسب له من الناحية الزمنية ، يجعله في موضع من يؤخر لتأخره في الزمان .

وسأضيف على ما ذكرت الأعشى والنابعة وعبيد بن الأبرص ، مجارة لمن زاد على ذلك العدد شاعراً أو شاعرين أو ثلاثة ، أو طرح منه شاعرين ، ووضع في محلها شاعرين آخرين . كما جرى الحديث عن ذلك حين تكلمت عن المعلقات . وسأبدأ لذلك بالكلام على أولهم ، وهو بإجماع علماء الشعر : امرؤ القيس . وامرؤ القيس ، هو على رأس شعراء الجاهلية في الذكر والشهرة ، وعلى رأس أصحاب (المعلقات السبع) . وقد أوصله أهل الأخبار الى (قيصر) ، وجعلوا له معه حكايات ثم قبروه بـ (أنقرة) الى جانب قبر ابنة بعض الملوك الروم .

١ نزهة الجليس (١٤٧/٢ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح (٢١) ، الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، (بولاق) ، الخزانة (٥٣٢/٣) .

وختموا حياته بخاتمة مؤلة مفاجئة ، وقالوا إنه عرف ب (ذي القروح) ، لأن ملك الروم كساه حلة مسمومة فقرحته^١ ، أو لقوله :

وبدلت قرحاً دائماً بعد صحة لعل منايانا تحوّلن أبوساً^٢

ويرى (بروكلمن) ان قصة موت (امرئ القيس) ، بسبب الحلة المسمومة ، أسطورة تشبه الأسطورة التي حصلت لهرقل البطل اليوناني الشهير^٣ .

ودعوه ب (الملك الضليل) ، و (الملك المضلل)^٤ . وذكروا انه سعى وجدّ لإعادة ملك والده ، ولكنه باء بالفشل ، وكان آخر ما فعله في هذا الباب ، أن ذهب الى (القسطنطينية) لمقابلة (قيصر) لإقناعه بمساعدته في الحصول على حقه ، وتقويته لينتقم من قتلة والده ، وليعيد الحكم الى كندة ، فكان مصيره ان جاءه الموت وهو في طريقه ، على نحو ما تقصّه علينا قصص أهل الأخبار .

وما قصة موته من قروح أصيب بها من لبسه الحلة المسمومة ، إلا أسطورة . ويرى (بروكلمن) احتمال ظهورها من سوء فهم الآيات ١٢-١٤ من القصيدة (٣٠) من ديوانه . ولعل هذه القصة هي التي أوجدت له اللقب الذي لقّب به ، وهو (ذو القروح) . وأنا لا أستبعد احتمال اصابته بدمامل أو بمرض جلدي آخر ، قرحت جلده ، ومات منها ، فعرف لذلك ب (ذي القروح) ، وأوجدت له قصة الحلة المسمومة على نحو ما أوجدته نخيلة أهل الأخبار .

ويذكر أهل الأخبار ان (امرأ القيس) لما احتضر بأنقرة ، نظر الى قبر فسأل عنه ، فقالوا قبر امرأة غريبة ، فقال :

١ المستطرف (٣٥/٢) ، شرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، (بولاق) ، العمدة (٤١/١ وما بعدها ، ٩٧) ، شرح القصائد العشر (٤٦ ، ٧) ، المؤلف والمختلف ، للامدي (٩ وما بعدها) ، قال الفرزدق :

وهب القصائد لي النوايغ اذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول ديوان الفرزدق (٧٢٠ وما بعدها) ، النقائض (٢٠٠ وما بعدها) .

٢ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للششيخ أحمد بن الامين الشنقيطي (ص ٥) طبعة دار الاندلس) .

٣ بروكلمن (٩٩/١) .

٤ تاج العروس (٤١٢/٧) ، (ضلل) ، الخزانة (١٦٠/١) ، (بولاق) .

أجارتنا إن الخطوب تنوب ولاني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إننا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فلان تصلينا فالمودة يبتسا وان تهجرينا فالغريب غريب

وورد في كتاب : مقاتل الفرسان - لأبي عبيدة ، ان صخر بن عمرو الشريد
أخا الخنساء ، قال لما أدركه الموت :

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وكل المخطئين مُصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن ولاني مقيم ما أقام عسيب

ومات فدفن بقرب عسيب . فلعلها تواردا ١ .

وتذكر قصة ، أن (امرأ القيس) دخل مع القيصر الحمام، فإذا قيصر أقلق ،
فقال :

لاني حلفت يميناً غير كاذبة أنك أقلق إلا ما جنى القمر
إذا طعنت به مالت عمامته كما تجمع تحت الفلكة الوبر

وتذكر القصة ان ابنة القيصر نظرت اليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأتيه، وطبّين
(الطمّاح بن قيس) الأسدي لهما ، وكان حجر قتل أباه ، فوشى به الى الملك،
فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث اليه قيصر بحلة مسمومة ، فتناثر لحمه ونفطر
جسده . وكان يحمله (جابر بن حني) التغلبي ، فذلك قوله :

فلما تربني في رحالة جابرٍ على حرج كالقر تخفق أكفاني
فيا ربّ مكروب كررت وراءه وعان فككت الغلّ عنه ففداني
إذا المرء لم يحزن عليه لسانه فليس على شيء سواه يحزان^٢

ولم ينس (ابن الكلبي) من ذكر آخر كلمة قالها شاعرنا حين حضرته الوفاة،
فقال إنه قال :

١ السيوطي ، شرح (٧١٥) ، نزهة الجليس (١٤٧/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وطعنة مسحنفرة وجفنة متعنجرة تبقى غداً بأنقرة

فكان هذا آخر شيء تكلم به ، ثم مات^١ .

ورويت كلماته الأخيرة على هذه الصورة :

رب خطبة مسحنفرة وطعنة متعنجره
وجعبة متحيرة تدفن غداً بأنقره

كما روى شعره الذي قاله يخاطب قبراً لامرأة زعم أنها من بنات ملوك الروم ،
على هذا النحو :

أجارتنا إن المزار قريب ولاني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إننا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب^٢

وهكذا نجد الرواة يختلفون فيما بينهم في رواية هذه الأشعار التي صنعت على
لسان الشاعر ، لتكون مادة مقومة للقصة . وكان آخر ما صنعه لإتمام القصة ،
أن أوجدوا له قبراً بأنقرة ، اتخذوه الى جانب قبر منفرد منعزل ، هو قبر إحدى
بنات ملك من ملوك الروم ، أوصاهم به (امرؤ القيس) نفسه لما رأى دنو
أجله . فكانت إلخامة مؤلمة ، وكان الاختيار موفقاً جداً ، فالقبر قبر امرأة ،
وكان صاحبنا متيماً بحب النساء ، وكانت المرأة بنتاً لملك من ملوك الروم ، فهي
من طبقة ، وتصلح أن تكون جارة له ، وهو ابن ملك ، وكان صديقاً حميماً
لقيصر الروم ، يدخل معه الحمام ، ويراه عارياً تماماً ، أقلف . فابنة ملك من
ملوك الروم ، تصلح لأن تكون له جارة وصاحبة لهذا القبر ، وهكذا قبروا
الاثنتين في قبرين متجاورين .

وقد زعموا أن امرأ القيس كان « مثنائاً لا ذكر له ، وغيوراً شديد الغيرة ،
فإذا ولدت له بنت وأدها ، فلما رأى ذلك نساءه غيبن أولادهن في أحياء العرب ،
وبلغه ذلك فتبعهن حتى قتلهن »^٣ .

١ الشعر والشعراء (٥٣/١) ، (الثقافة) ، نزهة الجليس (١٥٣/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .

٣ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .

وزعموا أنه كان مع جماله ووسامته وحسنه « مفركاً لا تريده النساء إذا جربته . وقال لامرأة تزوجها : ما يكره النساء مني ؟ قالت : يكرهن منك أنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الازاقة ، بطيء الافاقة . وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك أنك إذا عرقت فمحت بريح كلب ! فقال : أنت صدقتني ، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأة من كندة يقال لها هند ، وكان أكثر ولده منها ^١ .

وترغم قصة أن قيصر وجه معه جيشاً ، ليعاونه على استعادة ملكه ، فوشى به رجل من (بني أسد) يقال له (الطاح) ، فهم بقتله ، وأرسل إليه في أثره بحلة مسمومة مع رجل ، أدخله الحمام وكساه إياها بعد خروجه ، فلما لبسها تنفط بدنه ^٢ . وزعم (الجاحظ) أنه « راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها ، وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله ، فتذم من ذلك ، وأمر بقميص فغمس في السم ، وقال لامرء القيس : لبس هذا القميص فإني أحبيت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها ، فسمي ذا القروح . وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك إنه هجاه ، فعندها يقول :

ظلمت له نفسي بأن جئت راغباً إليه وقد سيرت فيه القوافيا
فإن أكُ مظلوماً فقدماً ظلمته وبالصاع يُجزى مثل ما قد جزانيا ^٣

. قال علماء الشعر : كان (امرؤ القيس) ممن يتعهر في شعره ^٤ ، وقد سبق الشعراء الى أشياء ابتدعها : واستحسنها العرب ، واتبعته عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ . وله تشبيهات مستجادة ، واجادة في صفة الفرس ، وفي الوصف ^٥ . « واجتمع عند (عبد الملك) أشراف من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرق بيت قالته العرب ، فاجتمعوا على بيت امرء القيس :

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ نزهة الجليس (١٥٢/٢) .
 - ٣ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٥٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٥٤/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل^١ ،

وقال (أبو عبيدة معمر بن المثنى) : « من فضله ، انه أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى في الدمن ، ووصف ما فيها ، ثم قال : دع ذا - رغبة عن المنسبة - فتبعوا أثره ، وهو أول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والظباء والطير ، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف^٢ .

وقال أبو عبيدة : هو أول من قيد الأوابد ، يعني في قوله في وصف الفرس (قيد الأوابد) فتبعه الناس على ذلك .

وقال غيره : هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال :

منابته مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهو عذب^٣ يفصص

فاتبعه الناس . وأول من قال : « فعادى عداً » فاتبعه الناس . وأول من شبه الحمار (بمقلد الوليد) وهو عود القلّة و (بكرّ الأندري) ، والكر : الحبل . وشبه الطلل (بوحى الزبور في العسيب) . والفرس ببتيس الحلب^٤ .

وأورد له علماء الشعر أشياء ذكروا انه انفرد بها ، ولم يتمكن أحد من مجاراته بها^٥ ، وعابوا عليه أشياء ، دافع عنها بعض العلماء ، وردّوا العائنين عليها . وما عابوه عليه تصريحه بالزنا والديب الى حرم النساء ، وفجوره بالمتزوجات ، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته^٥ . وقد فضله (لبيد بن ربيعة) على جميع الشعراء ، إذ قال : « أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرأ القيس » .

وقد ذكر علماء الشعر أبيات شعر لامرئ القيس ، قالوا ان غيره من الشعراء أخذوها أخذاً ، مع تغيير بسيط وأدخلوها في شعرهم ، أو أخذوا أكثر ألفاظها أو معانيها فأضافوها الى شعرهم . من ذلك قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبحي عليّ مطيتهم يقولون : لا تهلك أسي وتجمل

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٦/١) ، (الثقافة) ، ديوانه (١٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦٨/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٧٢/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٧٣/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٥٠/١) ، (الثقافة) .

أخذه طرفة فقال :

وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون : لا تهلك أسمى وتجلد

ومثل قول امرئ القيس :

فلأباً بلأبي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة محتب

أخذه زهير ، فقال :

فلأباً بلأبي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظلم مفاصله

الى غير ذلك من أمثلة ذكرها (ابن قتيبة) وغيره في مؤلفاتهم عن الشعر والشعراء^١ . إن صحت دلت على ان الشعراء الجاهليين كانوا يحفظون شعر من تقدم عليهم ، وشعر المعاصرين لهم ، وانهم كانوا يتبعونه ويستقصونه ليحفظوه ، ولم يبالوا بعد ذلك اذا أخلوا شيئاً من شعر غيرهم . وهذا يدل أيضاً على ان الشعر الجاهلي كان محفوظاً في الصدور ، يحفظه الشعراء وغيرهم من عشاق الشعر ، الى أن جاء الاسلام فدوّن بالقراطيس .

يقول علماء الشعر لم يتقدم امرؤ القيس الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، أو لأنه كان أول من ابتدأ بالشعر ووضع جادته ومهد سبيله ووضحه لمن جاء بعده من الشعراء ، لكنه سبق إلى أشياء طريقة فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ، لأنه كان أول من لطف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالطباء والمها والبيّض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام ، فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه^٢ . وقد ثمن (الباقلاني) شعره بقوله : « وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتميح الذي يوجد في شعره والتصرف

١ الشعر والشعراء (٦٩/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (٥٣/١ وما بعدها) .

الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح . وقد ترى الأدباء يوازفون بشعره فلاناً وفلاناً ، ثم هو يؤاخذ الشاعر على عيوب ذكر أنها عوار في معلقته^١ .

ووضع أهل الأخبار (امرئ القيس) في رأس زمرة عشاق العرب والزناة . وذكروا له عشقه لـ (فاطمة بنت العُيَيد بن ثعلبة) العنزية ، وعشقه لـ (أم الحارث) الكلبية ، وعشقه لـ (عنيزة) ، وهي صاحبة يوم (دارة جلجل)^٢ ، ورووا له قصة طريفة حدثت له مع صاحبة يوم (دارة جلجل) ، تبين كيف مكر بابتة عمه (عنيزة) ، فأجبرها على أن تتجرد من لباسها ، لينظر إليها وهي تخرج من الغدير مقبلة ومدبرة ، حتى يتمتع نظره برؤية جسدها العاري ، ثم كيف نحر ناقته ، وشوى لحمها ، وأخذ يطعم به البنات ، وكيف توسل الى ابنة عمه (عنيزة) لتحمله على غارب بعيرها بعد أن ذبح ناقته وشوى لحمها ليتخذ ذلك حجة له في مشاركة (عنيزة) بعيرها . ثم تروي القصة ، كيف أنه صار يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها . ثم تنتهي القصة بذكر الشعر الذي قاله في هذه المناسبة . حيث يقول :

ويوم عقرتُ للعذارى مطيَّتي فيا عجباً من رحلها المتحمَّل
يظل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت: لك الوليات إنك مُرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري يا امرئ القيس فانزل
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ولا تبعدينا من جنالك المعلَّل^٣

وراوي هذه القصة هو (محمد بن سلام) ، سمعها كما يقول من (أبي شفل) راوية (الفرزدق) الشاعر الشهير ، وقد ذكر هذا الراوي أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق ، وذلك لأن (امرئ القيس)

١ اعجاز القرآن (٧٤ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٦٤/١) .

٣ الشعر والشعراء (٦٦/١) ، الثقافة .

كان قد أقام في (بني دارم) رهط الفرزدق حيناً ، حين رأى من أبيه جفوة ،
فن سَمَّ أخذ (الفرزدق) علمه بأخبار (امرئ القيس) وأحاديثه وأشعاره^١ .
ويكثر (امرؤ القيس) من ذكر أسماء المواضع التي نزل بها ، وقد أفادنا
بذلك في معرفة تلك المواضع . وفي جملة ما ذكره موضع (الحص) ، وقد اشتهر
بالخمر . وهو قرية من أسفل الفرات :

كَانَ التَّجَارُ اصْعَدُوا بِسَيْثَةٍ مِنْ الْحَصِّ حَتَّى أَنْزَلُوهَا عَلَى يَسْرٍ^٢

وقوله :

لَمَنْ الدِّيارُ عَرَفْتُهَا بِسَحَامٍ فَعَمَّائِينَ فَهَضْبُ ذِي أَقْدَامٍ
فَصَفَا الْأَطْيَاطُ فَصَاحَتِينَ فَعَاسِمٍ تَمْشِي النَّعَاجُ بِهَا مَعَ الْأَرَامِ^٣

وقد ذكر عشرة مواضع من أرض البحرين بقوله :

غَشِيَتْ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ فَعَارِمَةٌ فَبَرْقَةُ الْعِيرَاتِ
فَعُولٌ فَحْلِيَّتٌ فَفَنِيٌّ فَفَنَعِجٌ إِلَى عَاقِلٍ فَالْجُبُ ذِي الْأَمْرَاتِ^٤

وله أشعار أخرى كثر فيها ورود أسماء المواضع^٥ .

ويذكر ان قوماً من أهل اليمن أقبلوا يريدون النبي ، فضلتوا ، ووقعوا على
غير ماء ، فكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء ، وأوشكوا على الهلاك . فأنشد أحدهم
بيتين من شعر امرئ القيس ، هما :

لَا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةُ هَمَّتْهَا وَإِنْ الْبَيَاضُ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تِيَمَمَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ بِفِيءٍ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمُضُهَا طَامِي

فقال أحدهم : ضارج عندكم ، وأشار إليه فشوا على الركب ، فإذا ماء غدق ،

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ الصفة (١٢٩) .
 - ٣ الصفة (١٥١ ، ٢٢٦) .
 - ٤ الصفة (٢٢٥) .
 - ٥ الصفة (٢٢٩ وما بعدها) .

واذا عليه العَرَمُض ، والظل يفيء عليه ، فشربوا وحلوا ولولا ذلك لهلكوا^١ .
ولما بلغوا النبي ، أخبروه خبرهم ، فقال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف
فيها ، منسي في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار »^٢ .
وروي عن (عمر) قوله في (امرئ القيس) : « سابق الشعراء ، خسف لهم
عين الشعر »^٣ . ونجد لهذا الشاعر ذكراً في كتب الحديث^٤ .

وذكر أن (امرأ القيس) أشار الى (ابن مندلة) (ملك العرب) بقوله :
فأقسمت لا أعطي مليكاً ظلاماً ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندلة
وروي أن هذا البيت ، هو لعمر بن جوين^٥ .

وتذكر قصة رواها (أبو الحسين) النسابة ، أن (حجرآ) والد امرئ
القيس نهى ابنه عن قول الشعر ، فلما لم ينته عنه ، أمر أحد غلمانه أن يقتله
ويأتيه بعينه ، فانطلق به الغلام ، فاستودعه جبلاً منيفاً ، وعلم أن أباه سيندم
على قتله . وعمد الغلام الى جؤذر كان عنده فنحره وامتلخ عينيه ، فأثنى بهما
حجرآ ، فانفجر حجر من الغضب والندم ، حتى همّ بقتل الغلام ، فأخبره الغلام ،
أنه لم يقتله ، وأنه لا زال حياً ، وأنه كان يعلم أن والده سيندم على قتله .
فأمره عندئذ بالذهاب اليه ، والعودة به الى بيته ، فأثابه به . وكف امرؤ القيس
من قول الشعر حتى قتل أبوه^٦ . وهي قصة نجد أمثالها في أساطير الأمم الأخرى .
والى هذه القصة أشار (امرؤ القيس) بقوله :

فلا تتركني يا ربيعُ لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٥/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦٧/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٨/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ احمد بن حنبل ، مسند (٢٢٨/٢) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (٢٥٦/١) ،
(١٩٦٤ م) .
 - ٥ تاج العروس (١٣٢/٨) ، (ندل) .
 - ٦ شرح شواهد المغني ، للسيوطي (٢١) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٨/١) ،
« دعا مولى له يقال له ربيعة » ، الشعر والشعراء ، (٥١/١) ، (الثقافة) ،
الخرانة (١٦٠/١ وما بعدها) .

وتذكر رواية أخرى ان أباه نهاه بعد عودته اليه من قول الشعر ، ثم انه قال :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده^١ .

والمشهور بين علماء الشعر ، ان امرأ القيس انما طرد ، لأنه كان يقول الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، فزجره أبوه ومنعه عن قوله ، فلما لم يثته طرده . فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر ابن وائل ، فلذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام ، فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قبانة ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن ، فقال : ضيغي صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر ا ثم شرب سبعاً ، فلما صبحا آلى أن لا يأكل لحماً ، ولا يشرب خراً ، ولا يدهن ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره . وهكذا صبروا (امرأ القيس) من الصعاليك ، وجعلوه في عدادهم ، فاتكأ كثير الغزل والولوع بالنساء ، ينتقل في أحياء العرب ويغير بهم ، فيصف الأوثان ، ويبكي على الدمن ، ويذكر الرسوم والأطلال وغير ذلك^٢ .

ويرجع سند أكثر الروايات المتقدمة والتي بعدها الى (ابن الكلبي) ، ولاين الكلبي كتاب يتصل بامرئ القيس اسمه : « كتاب تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء »^٣ ، وله روايات مدونة في الأغاني وفي كسب أدب أخرى عن هذا الشاعر وعن ملوك كتلة ، ويظهر أنه قد اصطنع قصص امرئ القيس ، وأضاف على القصص شعراً ، ليكون له سنداً وتفسيراً ، وقد يكون أخذ القصص من أفواه الأعراب والرواة الذين حرفوا تأريخ امرئ القيس ووالده وجوروه وحوّلوه على طريقتهم المألوفة الى قصص وأساطير ، تميل نفوسهم الى الاستماع إليها . فنقلها عنهم كما سمعها . غير أن (ابن الكلبي) ، كان كما

١ الشعر والشعراء (٥٢/١) ، (الثقافة) .

٢ نزهة الجليس (١٤٧/٢) وما بعدها .

٣ الفهرست (١٤٨) .

نعلم من الوضاعين ، وكان من العارفين بدروب الشعر ، وكان أيضاً مثل والده ممن يضع الشعر على ألسنة الناس .

وتذكر قصة (امرئ القيس) أنه انتقم من (بني أسد) قتلة والده، فقرت عيناه بأخذه الثأر منهم . وقد نظم ذلك في شعره^١ . وتذكر أنه خرج اليهم أول ما خرج مع بكر وتغلب ، وهم الذين كانوا معه ، فأدرك بني أسد ظهراً ، فكثرت الجرحى والقتلى ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد ، فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً ؛ قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ، وانصرفوا عنه ، فشئى هارباً لوجهه ، حتى أمده (مرثد الخير بن ذي جدن) الحميري ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر رجالاً من القبائل ، ثم خرج فظفر ببني أسد ، وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه اليه الجيوش ، فتفرق من كان معه ونجا في عصبته . فكان يتزل على بعض العرب ويرحل حتى قدم على السموأل ، ثم على قيصر ، على نحو ما ذكرت^٢ .

وتذكر رواية ان (امرأ القيس) لما مر بيكر بن وائل طالباً منهم النصرة ، سألهم عن شاعر محسن فيهم ، فأتوه بعمرو بن قيثة الضبيعي ، وقد أسن ، فأعجب به (امرؤ القيس) ، فأخذه معه ، حتى ذهب الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، طالباً منه النجدة ، فقال له : اني لست أقدر على المسير الى العراق في هذا الوقت ، ولكني أسير معك الى الملك قيصر ، فهو أقوى مني على ما سألت ، وكانت للحارث وفادة على الملك ، فأوفده معه^٣ . فالذي أخذ (امرأ القيس) الى الروم هو (الحارث) ، على هذه الرواية . والمعروف من الروايات الأخرى ان هذا الملك طالب (السموأل) بأسلحة (امرئ القيس) التي أودعها عنده ، فلما أبى السموأل إلا اعطاها الى (آل امرئ القيس) الشرعيين وورثته، حاصره ، وقتل ابنه ، فضربت العرب بالسموأل المثل في الوفاء^٤ .

-
- ١ تاريخ ملوك العرب الاولى (ص ١٢٦ وما بعدها) .
 - ٢ الرافعي (١٩٥/٣) وما بعدها .
 - ٣ الخزائن (٦١٣/٣) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٤ نزهة الجليس (١٥١/٢) .

وكنية امرئ القيس (أبو يزيد) ، ويقال : (أبو وهب) ، ويقال :
 (أبو الحارث) ، ويقال (أبو كبشة) . وأما اسمه ، فاختلف فيه ، فقليل :
 (عدي) ، وقيل (مليكة) ، وقيل (حندج) . وكان يقال له : (الملك
 الضليل) ، و (الضليل) ، و (ذو القروح)^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان (امرأ القيس) كان مِعَنًا عَرَبِيًّا يَنَازِعُ كُلَّ مَنْ
 قال انه شاعر ، فنازع (التوأم اليشكري) ، (الحارث بن التوأم)^٢ ، فقال له :
 « إن كنت شاعراً فليقطع أنصاف ما أقول وأجزها » . ونازع (عبيد بن الأبرص)^٣ .
 وإذا ما أخذنا بآراء بعض المستشرقين عن سنة وفاة الشاعر (امرئ القيس)
 من أنها كانت بين السنة (٥٣٠) والسنة (٥٤٠) بعد الميلاد ، فيكون عصر أقدم
 شعر جاهلي وصل إلينا لا يزيد عمره على القرن السادس للميلاد ، أو أواخر القرن
 الخامس للميلاد . وهذا التقدير معقول يتناسب مع الأخبار المروية عن هذا الشاعر .
 روي أن ربيعة بن العجاج قال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثني عمي .
 قالت : سألت امرأ القيس ، ما معنى قولك : كرك لأمين على نابيل ؟ فقال :
 مررت بنابيل وصاحبه يناوله الريش لُؤاماً وظُهاراً ، فآ رأيت أسرع منه ولا
 أحسن ، فشبهت به^٤ . ولو أخذنا بهذه الرواية وصدقناها ، فلن تتمكن من
 الارتفاع بها من حيث الزمن الى أكثر من هذا التقدير .

وذكر أن (امرأ القيس) لما هرب من (المنذر بن ماء السماء) صار الى
 جبل طيء : أجا وسلمى ، فتزوج أم جندب . وصادف أن جاءه (علقمة بن
 عبدة التميمي) ، فتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال
 علقمة : بل أنا أشعر منك ! فتحاكما الى أم جندب ، فأخذ كل واحد منهما
 يقول شعراً وهي تسمع ، وتعلق عليه ، ففضلت أم جندب (علقمة) عليه ،
 فغضب (امرؤ القيس) وطلقها ، فخلف عليها علقمة ، فسمي علقمة الفحل^٥ .

-
- ١ السيوطي ، شرح (٢١ وما بعدها) .
 - ٢ قتادة بن التوأم اليشكري ، اللسان (٢١٣/٦) ، (مجس) ، « لقي التوأم
 اليشكري ، واسمه الحارث بن قتادة » ، العمدة (٢٠٢/١) .
 - ٣ اللسان (٢١٤/٦) ، (مجس) ، السيوطي ، شرح (٢٥) ، العمدة (١٧٦/١) ،
 (٨٧/٢) .
 - ٤ تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٦٥/٣) .
 - ٥ التنبيهات على أغلاط الرواة (٤) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٩٢ وما بعدها) .

وجاء في كتاب (الشعر والشعراء) : « وكان امرؤ القيس في زمان أنوشروان ملك العجم ، لأنني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني . وهو الحارث الأكبر . والحارث هو قاتل المنذر بن امرئ القيس الذي نصبه أنوشروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة ، كأنه ولد لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى ، وما يشهد لهذا ، ان عمرو بن المُسَبِّح الطائي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة في وفود العرب وهو ابن مائة وخمسين سنة وأسلم . وعمرو يومئذ أرمى العرب . وهو الذي ذكره امرؤ القيس ١ . »

و (عمرو بن المُسَبِّح) (المسيح ؟) الطائي ، هو الذي عناه (امرؤ القيس) بقوله :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مَخْرَجَ كَفْيِهِ مِنْ سُرَّةِ

وكان كما يزعم أهل الأخبار أرمى العرب يومئذ ومن فرسانهم المعروفين . ومن المعمرين . عثر على ما يقولون مائة وخمسين سنة ، وجعلوه ممن أدرك أيام الرسول ، بل زعموا انه وفد عليه فأسلم . وجعل بعض أهل الأخبار وفاته في خلافة (عثمان) . وتوقف (ابن قتيبة) في (المعارف) ، فقال : « لا يدرى أقبض قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بعده ٢ ، » ولست أدري أقبض قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أم بعده ٣ . »

وذكروا أنه هو القاتل :

لقد عمرت حتى شف عمري علي عمرو بن علة وابن وهب ٤

ولا يعقل خبر بقاء (عمرو بن المسيب) الطائي الى أيام النبي ، ولا سيما خبر

١ الشعر والشعراء (٥٠ وما بعدها) ، (١ / ٦٦) ، (الثقافة) .

٢ الاصابة (١٧ / ٣) ، (رقم ٥٩٦٤) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٣٢) ، المعمرين (٨٦) ، الشعر والشعراء (١ / ٦٧) ، (الثقافة) ، الاستيعاب (٢ / ٥١٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ المعارف (٣١٤) .

٤ الاصابة (١٧ / ٣) ، (رقم ٥٩٦٤) .

من جعل موته في خلافة عثمان . ولعل شخصاً كان اسمه مثل هذا الإسم ، فاشتيه أمره على الرواة ، فظنوه صاحب امرئ القيس . ولو كان هو صاحبه لما سكت عشاق الشعر والباحثون عن شعر صاحبه عنه ، ولوجدنا له خبراً مع الرسول أو عمر عن حياة امرئ القيس .

وقد أشير الى (البريد) في شعر (امرئ القيس) ، إذ ذكر أنه نادى (قيصر) وأركبه البريد :

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريداً
إذا ما ازدحمتنا على سكة سبقت الفُرانق سبقاً بعيداً^١

وكانت البرد منظومة الى كسرى ، من أقصى بلاد اليمن الى يابه ، أيام وهرز ، وأيام قتل مسروق عظيم الحبشة، وكذلك كانت برد كسرى الى الحيرة: الى النعمان وآبائه ، وكذلك كانت برده الى البحرين : الى المكعب مرزبان الزارة، والى مشكاب ، والى المنفر بن ساوى ، وكذلك كانت برده الى عمان ، الى الجلندى بن المستكبر ، فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين برده ، إلا ما كان من ناحية الشام ، فإن تلك الناحية من مملكة خثعم وغسان الى الروم ، إلا أيام غلبت فارس على الروم^٢ .

ويرجع الفضل في تحليل شعر (امرئ القيس) الى (حماد) الراوية ، والى (أبي عمرو بن العلاء)^٣ . وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : « فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة »^٤ . والى (الفرزدق) الذي كان من أروى الناس لأحاديثه وأشعاره^٥ ، والى (ابن الكلبي) الذي نجد عنه نقولاً في كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، تخص (امرأ القيس)^٦ ، وفي كتاب الأغاني ، وهو من أهم الأخباريين الراوين لأخبار كندة .

-
- ١ ديوانه (٢٦٢) ، رسائل الجاحظ (١ / ٢٧٥ ، ٢٩٠ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
 - ٢ رسائل الجاحظ (١ / ٢٩١ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
 - ٣ المزهر (٢ / ٢٥٣) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١ / ٩٩) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١ / ١٤٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١ / ٦٤) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١ / ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨) .

وذكر (الرياشي) ان كثيراً من الشعر الوارد في ديوان امرئ القيس ، هو منحول عليه ، وهو لجماعة من أصحابه ، مثل عمرو بن قبيصة^١. وقد نص بعضهم على انه لم يصح له إلا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة^٢. وقد عني علماء الشعر والأخبار بجمع أشعاره في ديوان ، فجمعه غير واحد منهم ، وشرحه كثيرون ، وطبع جملة طبعا ، وترجم الى مختلف اللغات^٣.

وقد اختلف رواة الشعر في ضبط عدد أبيات معلقة امرئ القيس، كما اختلفوا في تقديم وتأخير الأبيات ، « وفي رواية بعض الألفاظ ، بحيث لا تجتمع اثنان منها على صورة واحدة »^٤. وذكر (البغدادي) : أن قصيدة امرئ القيس التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

هي من عيون شعره ، وعدتها ستة وخمسون بيتاً ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين ، وفي كتب النحو والمعاني^٥.

« وكان امرؤ القيس يروي شعر أبي دؤاد الإيادي ويتوكأ عليه . وهو فحل قديم كان أحد نعات الخيل المجيدين » . « ثم هو كان يعرف أن امرأ القيس ابن حذام يبكي في شعره الطلول ، فأخذ ذلك عنه كما أخذ صفة الخيل عن أبي دؤاد ، وتراه يحاول أن يلحقه في إجادة نعتها والشهرة بذلك ، حتى لا يخلو أكثر شعره من هذا الوصف »^٦.

وقد كان يعاصره من الشعراء المعروفين : علقمة بن عبدة، وعبيد بن الأبرص، والشنفرى ، وسلامة بن جندل ، والمثقب العبدى ، والبراق بن روحان ، وتأبط شراً ، والتوهم البشكري .

-
- ١ الموشح للمرzbاني (٣٤) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٩/١) .
 - ٢ العمدة (٦٧/١) ، الرافعي (٢٠٣/٣) .
 - ٣ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٠/١ وما بعدها) ، ودائرة المعارف الاسلامية .
 - ٤ الرافعي (١٩٩/٣) .
 - ٥ الخزائنة (٢٨/١) ، (بولاق) .
 - ٦ الرافعي (٢٠٤/٣) .

وزعم أن (التوعم) البشكري لقي (امرأ القيس) يوماً فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فقل لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم : فقال امرؤ القيس :

أحارِ ترى بريقاً هب وهناً

فقال التوعم : كنار مجوس تستعر استعاراً

واستعرا على ذلك . ولما رآه امرؤ القيس قد ماتته ، ولم يكن في أيامه من يطاوله ، آلى أن لا ينازع الشعر أحداً أبداً^١ .

ونجد للباقلاني صاحب كتاب (إعجاز القرآن) آراءً في بعض أشعار (امرئ القيس) ، حيث ينتقد بعض الأبيات ويبين ما فيها من عيوب^٢ . كما نجد في كتب (النقد) آراءً في شعره ، وهي بين مستحسن ومستهجن لبعض الأبيات أو القصائد . « ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل ، وكثرة الإقواء في القافية ، وكثرة التصريح في غير أول القصيدة »^٣ .

وللقدماء ملاحظات عن شعر (امرئ القيس) ، وقد شك بعض منهم في كثير من شعره وذهبوا إلى أنه من الموضوعات ، وقد أشاروا إليه ، ثم جاء المستشرقون ، فركنوا إلى ما قاله القدماء عنه ، وأبدوا رأيهم فيه . وتحدث المحدثون من العرب عنه ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، حيث أنكر شعره لحجج أوردها في كتابه في الأدب الجاهلي^٤ .

وعاش في أيام (امرئ القيس) شاعر آخر عرف أيضاً بامرئ القيس ، هو (امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن أبي زهير بن جناب بن هبل)^٥ . و (طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك) ، من قيس بن ثعلبة . وهو ابن أخي (المرقش الأصغر) ، وكان من المقربين إلى عمرو بن هند (ملك

١ الرافعي (٢٢٨/٣) .

٢ الباقلاني ، إعجاز القرآن .

٣ بروكلمن (٩٩/١) .

٤ راجع أيضاً شوقي ضيف : العصر الجاهلي (ص ٢٤٨ وما بعدها) .

٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢٦/١) .

الحيرة ، ومن المنادمين لأخيه (أبو قابوس) . وهو ابن أخت (جرير بن عبد المسيح) المعروف بـ (المتلمس) . وقد قال الشعر وهو صغير السن ، ومات أبوه وهو صغير ، وأكل أعمامه ماله ، وأبوا تقسيمه ، فهجأهم ، واشتهر بمعلقته التي عاتب بها ابن عمه (مالكاً) لأنه لم يُعَيِّنْ أخاه (معبداً) في جمع شتات إبله . وقد قتل بالبحرين على ما يذكره أهل الأخبار في قصص متضارب ، اختلف في سبكه الرواة ^١ .

واسم (طرفة) عمرو ، وإنما سمي طرفة لقوله :

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفاً ولا أميركيا بالدار إذ وقفا

وقيل إن كنيته (أبو عمرو) ^٢ . وقد فضل بعض علماء الشعر شعره على شعر سائر الشعراء الجاهليين ^٣ .

وكان (طرفة) أحدث الشعراء سنّاً وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة . فيقال له (ابن العشرين) . وقيل بضع وعشرين سنة . وأمه (وردة) من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها ، بأن يعطوها حقها :

ما تنظرون بـمال وردة فيكم صغُر البنون ورهط وردة غيبٌ

ويقال إن أول شعر قاله (طرفة) انه خرج مع عمه في سفر ، فنصب فخاً ، فلما أراد الرحيل قال :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
وقفري ما شئت أن تنقري قد رفع الفخ فاذا تحذري
لا بد يوماً أن تصادي فاصبري ^٤

-
- ١ الخزانة (٤١٣/١) (بولاق) ، الاغانى (١٨٥/٢١) ، الموشح (٥٧) ، المرزبانى ، معجم (٢٠١) ، طبقات ابن سلام (١١٥) ، الشعر والشعراء (١١٧/١) وما بعدها ، الخزانة (٤١٩/٢) ، (هارون) .
 - ٢ أنسيوطي ، شرح شواهد (٨٠٥/٢) ، المزهر (٤٤١/٢) .
 - ٣ المصدر نفسه .
 - ٤ الابيات في ديوانه (١١) ، الشعر والشعراء (١١٩/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٢٠/١) ، (الثقافة) ، الخزانة (٤١٧/١) .

وروي ان أخته رثته بقولها :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيداً ضحياً
فُجِعنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا قحاً

ورغم قلة ما نسب الى (طرفة) من الشعر ، فقد قدمه علماء الشعر على غيره من الشعراء بأن جعلوا ترتيبه الثاني بعد امرئ القيس ، ولهذا ثنوا بمعلقته . ذكر (ابن قتيبة) انه أجود الشعراء قصيدة^٢ . وقد ذكر (ابن سلام) ان معظم شعر (طرفة) قد ضاع حتى لم يبق منه بأيدي المصححين لشعره إلا بقدر عشر قصائد ، مع انه كان من أقدم الفحول . وقد حمل عليه كثيراً من الشعر^٣ .

وكان في حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . وكانت أخته عند (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) ، وكان (عبد عمرو) سيد أهل زمانه ، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها اليه ، فقال :

ولا عيب فيه غير أن له غنى وإن له كشحاً ، إذا قام أهضماً
وإن نساء الحى يعكفن حوله يقلن ، عسيب من سرارة ملها

فبلغ عمرو بن هند الشعر ، فأبلغه الى (عبد عمرو) وهو معه في صيد ، فقال (عبد عمرو) : أبيت اللعن ؛ الذي قال فيك أشدّ مما قال فيّ ، قال : وقد بلغ من أمره هذا ؟ قال نعم . فأرسل اليه ، وكتب له الى عامله بالبحرين فقتله . في قصة منمقة مدونة في أكثر كتب الأدب والأخبار . وقد تعرضت لها في مكان آخر من هذا الكتاب . ويقال ان الذي قتله (المعلّى بن حنش العبدي) ، والذي تولى قتله بيده (معاوية بن مرة الأيفلي) ، حيّ من طسم وجديس^٤ . وقيل (الربيع بن حوثة) عامله على البحرين^٥ . وقيل إن قاتله : (عبد هند

-
- ١ الخزانة (٤١٦/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١١٧/١ وما بعدها) ، الخزانة (٤١٩/٢) ، (هارون) .
 - ٣ طبقات (٢٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١١٧/١ وما بعدها) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٢١/١) ، الخزانة (٤٢١/٢ وما بعدها) ، (هارون) ، الاغاني (١٢٥/٢١) ، نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ٢١٢ وما بعدها) .

ابن جرد بن جري^١ بن جروة بن عمير (التغلبي ، عامل (عمرو بن هند) على البحرين . وان (عمرو بن هند) ، كان قد جعل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قابوس) أخيه ، فكان (قابوس) يتصيد يوماً ، ويشرب يوماً ، فكان إذا خرج الى الصيد خرجا معه ، فنصبا وركضا يومها ، فلإذا كان يوم لهوه وقفا على بابه يومها كله ، فلما طال ذلك عليهما ، هجا طرفة (عمرو بن هند) وأخاه ، فبلغ الهجاء الملك ، فقرر قتلها^١ . وورد أن (عمرو بن هند) ، كان قد رشح أخاه (قابوس بن المنذر) ليملك بعده ، وانه جعل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قابوس) وأمرهما بلزومه ، فكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب للصيد ، فيركض يتصيد ، وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد تعبوا ، فيكون قابوس من الغداة في الشراب فيقفان بباب سرادقه الى العشي ، فضجرا منه فهجوا وهجوا عمرأ معه ، فبلغ ذلك الهجاء (عمرأ) ففعل بهما ما فعل^٢ .

ويقال ان (طرفة) كان ينادم يوماً (عمرو بن هند) ، فأشرفت ذات يوم أخته ، فرأى طرفة ظلها في الجلام الذي في يده ، فقال :

ألا يا بأبي الظبي^٣ الذي يبرق^٤ شفاه
ولولا الملك القاعد^٥ قد الشمي فاه

فحقق ذلك عليه ، وكان قال أيضاً :

ولبت^٦ لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تدور^٧
لعمرك إن قابوس^٨ بن هند ليخلط ملكه نوك^٩ كثير

وقابوس هو أخو (عمرو بن هند) . وكان فيه لين . ويسمى قينة العرس . فحقق (عمرو بن هند) عليه واستدعاه ، وكتب له كتاباً ، وكتب بمثل ذلك (للمتلمس) ، وشك^{١٠} المتلمس في أمر الصحيفة ، ومزقها ، ومضى (طرفة) الى البحرين ، فأخذ (الربيعة بن حوثة) فسقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصد أكحله ، فقبره بالبحرين . وكان لطرفة أخ يقال له (معبد بن العبد) ، فطلب

١ أسماء القتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢١١ وما بعدها) .

٢ الخزانة (١٢/١) وما بعدها .

بديته ، فأخذها من الحوثر^١ .

ويرى (بروكلمن) أن (طرفة) لم يتادم أبا قابوس ، وإنما نادى (عمرو ابن مامة) أخ الملك من أبيه ، باليامة . وكان قد التجأ الى (مراد) من عداوة أخيه . فعاقب الملك (طرفة) بأخذ إبله التي تركها في (تبالة) من ديار (لحم) ، فهجاه طرفة^٢ . وقد ذكر (المرتضى) رواية تذكر أن صاحب المتلمس وطرفة هو (النعمان بن المنذر) ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

وأبو منذر ، هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان^٣ .

وذكر « ان عائشة سئلت : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت : لا ، إلا لبيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود . فقال أبو بكر : ليس هكذا . فقال : اني لست بشاعر ، ولا ينبغي لي^٤ .

وينسب الى طرفة قوله :

عفا من آل ليل السهـ ب ، فالأملاح فالغمر
ففرق فالرماح قال لئوى من أهله قفر
وأبلي^٥ الى الغرأ ع فالماوان فالحجر

١ الشعر والشعراء (١/١٢١) ، النقافة (، فليت) ، الخزانة (١/٤١٢ وما بعدها) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٢) .

٣ أمالي المرتضى (١/١٨٥) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٠٤ وما بعدها) .

فأمواه الدنا فالنجد سد فالصحراء فالنسر
فلاة ترتعها العيب من فالظلمان فالعفر

وينسب للخرنق أيضاً^١ .

ويقدم علماء الشعر (طرفة) على غيره من الشعراء ، بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق إليه^٢ . وقد جعله (لبيد) بعد (امرئ القيس) في الشعر ، وقال عنه « أبو عبيدة : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور ، يعني امرأ القيس وزهيراً والنابعة ، ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل » .

وقد ذكر علماء الشعر أحياناً جيدة لطرفة سبق بها غيره من الشعراء ، فأخذها عنه الشعراء وضمونها أو ضمنوا معناها شعرهم . ومن اقتبس منه : (لبيد) و (الطرماح) و (عدي بن زيد) العبادي ، وعبدالله بن نهيك بن أساف الأنصاري وغيرهم^٣ .

وتعدّ (معلقة) (طرفة) أطول المعلقات أحياناً ، فهي تتألف من (١٠٥) أبيات في شرح القصائد العشر للزوزني^٤ ، وقد يزيد عليها بيتاً أو أكثر في بعض الروايات^٥ . وتنتهي المعلقة بذكر الموت ، وبالنصح ، وبأن الأيام معارة فما استطعت من معروفها فتزود بها ، ثم ختمها بقوله :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وهي حِكْم ، لا تصدر في العادة إلا من شيخ شارف على الموت ومن حكيم عرك الأيام ، ومن رجل خبير مجرب . والقصيدة نفسها من نفس رجل ، يجب أن يكون قد خبر الحياة ، ومارس الشعر زمناً ، فهل تكون من نظم شاب هو ابن عشرين سنة ، أو بضع وعشرين ؟

١ الصفة (٢٢٥) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٢ / ١) .

٣ الشعر والشعراء (١٢١ / ١) ، (النقافة) .

٤ (ص ١٣٣ وما بعدها) .

٥ نزهة الجليس (١٥٨ / ٢) وما بعدها .

وفي معلقة (طرفة) أبيات تشير الى وقوفه على سفن الفرات ودجلة والبحر،
إذ يقول فيها ^١ :

كأن حدوج المالكية غدوة خلایا سفین بالنواصف من ددِ
عدولية أو من سفین ابن یامن یجورُ بها الملاح طوراً ویتهدي
یشق حباب الماء حیزومها بها كما قسم التربّ المقاتل بالیسد

ويقول فيها أيضاً ^٢ :

وأتلع نهاضٌ إذا صعدت نه كسُكّان بوصي بدجلة مصعد

وزهير بن أبي سلمى ، من هذا الرعيل السذي عدت إحدى قصائده من المعلقات . وكان على ما يقال راوية لأوس بن حجر زوج أمه ، وكان أوس راوية للطفيل الغنوي ، وهو والد (كعب بن زهير) الشاعر الشهير الذي كساه الرسول بردة له ، بعد أن كان قد أمر بقتله لما بلغه من هجائه له . فلما سمع (كعب) بذلك جاء الى المدينة فأسلم ، وطلب العفو ، وقال قصيدته الشهيرة بحضرة الرسول فعفى عنه وأعطاه البردة . أما والده (زهير) ، فقد توفي قبل المبعث ، ولا صحة لما ذكره البعض من انه لقي الرسول ^٣ . وقد كان يكنى بـ (أبي بجير) ^٤ . وأتى (بجير) النبي وأسلم . وقد زعم انه رأى رؤيا في منامه ، ان سبيلاً تدل من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، فأوله بنبي آخر الزمان ، وان مدته لا تصل الى زمن بعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره . ثم توفي قبل المبعث بسنة ^٥ .

وهو (زهير بن أبي سلمى) ، واسم (أبي سلمى) ربيعة بن رياح المزني ، من مزينة بن أد بن طابخة ، وكانت محلثهم في بلاد (غطفان) ، فظن الناس أنه من غطفان . وقد ذهب (ابن قتيبة) الى أنه من (غطفان) وردّ على

-
- ١ المعلقة ، البيت (٣ - ٥) .
 - ٢ المعلقة ، البيت (٢٨) .
 - ٣ الاغانى (١٥٠ / ٩) ، الاصابة (٢٧٩ / ٣) ، (رقم ٧٤١٣) ، الخزائن (٤٣٦ / ١) وما بعدها .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٣١ / ١) .
 - ٥ الخزائن (٣٢٥ / ٢) وما بعدها .

من زعم أنه من مزينة^١ . وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر ، وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة اللذياني^٢ . ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير^٣ . وكان والد (زهير) شاعراً ، وأخته (سلمى) شاعرة ، وأخته (الخنساء) شاعرة ، وابناه كعب وُبَجِير شاعرين ، وابن ابنه (المضرب بن كعب) شاعراً^٤ . وكان خال (زهير بن أبي سلمى) : (أسعد بن الغدير) شاعراً ، وقد عرف بأمه ، وكان أخوه : (بشامة بن الغدير) شاعراً ، كثير الشعر^٥ .

ويظهر من شعر ينسب إليه انه عاش أكثر من مائة سنة ، إذ نراه يتأفف من هذه الحياة ، ومن مشقاتها ، حتى سئم منها ، إذ يقول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

ويقول :

بدا لي إن الله حق فزادني إلى الحق ، تقوى الله ما كان بادياً
بدا لي اني عشت تسعين حجة تباعاً وعشرأ عشتها وثمانياً

أو :

ألم ترني عُمرت تسعين حجة وعشرأ تباعاً عشتها ، وثمانياً^٦

ويظهر ان بيت بدا لي ان الله حق فزادني ، وما بعده من الشعر المنحول عليه . ولم يرد في رواية أبي العلاء ، والأصمعي ، والمفضل الضبي ، والسكري^٧ .

-
- ١ الخزانة (٣٣٢/٢) ، (هارون) ، (والناس ينسبونه الى مزينة ، وإنما نسبه في غطفان) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) ، الاغانى (١٤٦/٩) .
 - ٢ الخزانة (٣٣٢/٢) وما بعدها .
 - ٣ الشعر والشعراء (٧٦/١) .
 - ٤ الخزانة (٣٣٣/٢) .
 - ٥ من نسب الى أمه من الشعراء ، نوادر المخطوطات ، (المجموعة الاولى) ، (ص ٩١) .
 - ٦ رسالة الغفران (١٨٢) وما بعدها .
 - ٧ رسالة الغفران (١٨٣ رقم ١) .

وفي شعر زهير ، زهد ووعظ وتهذيب ، حملت بعض الباحثين على اعتباره نصرانياً ، ويشك (بروكلمن) في ذلك ، إذ يرى ان أثر النصرانية وإن كان واسع الانتشار في جزيرة العرب في ذلك الوقت ، بيد انه لا توجد لدينا أدلة تحملنا على جعله نصرانياً^١ . وقد ذكر علماء الشعر ان (زهيراً) كان يتأله ويتعفف في شعره . ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك قوله :

يؤخر فيودع في كتابٍ فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^٢

ومن جيد شعره في تحديد اليمين قوله :

فإن الحق مقطعه ثلاث^٣ يمين أو نِفار أو جلاء^٤

وقد ثمن شعره وقدره العلماء . قال (الثعالبي) فيه : « انه أجمع الشعراء للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ »^٥ . وفي معلقته أبيات في نهاية الحسن والجلودة ، وقد جرت مجرى الأمثال الرائعة^٥ .

وورد أن (عمر بن الخطاب) كان لا يقدم عليه أحداً . وذكر أن (عمر) قال لابن عباس : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . قيل بمَ كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاقل بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل بما لا يكون في الرجال . قال : فأنشدته حتى برق الصبح . وورد أن عمر كان جالساً « مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل ابن عباس ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بالشعر ، فلما جلس قال : يا ابن عباس ، من أشعر العرب ؟ قال : زهير بن أبي سلمى . قال فهل تنشد من قوله شيئاً نستدل به على ما قلت ، قال : نعم ، امتدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال :

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٧٨/١) ، (الثقافة) .

٣ الشعر والشعراء (٧٩/١) ، (الثقافة) .

٤ خاص الخاص (٧٥) ، الاعجاز والايجاز (٣٧) .

٥ كارلو نالينو (٧٧) .

لو كان يقعد فوق الشمس من أحد قوم لأوتلهم يوماً إذا قصدوا
مُحَمَّدُونَ على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا^١

وورد في رواية أخرى ، ان (عمر) قال لابن عباس : « أنشدني لشاعر
الشعراء ، الذي لم يعاقل بين القوافي ، ولم يتبع وحشي الكلام ، قال : من هو
يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير »^٢ .

وكان زهير أستاذ الحطيثة . وسئل عنه (الحطيثة) فقال : ما رأيت مثله في
تكفئه على أكتاف القوافي ، وأخذته بأعتها حيث شاء ، من اختلاف معانيها ،
امتداحاً وذمّاً . قيل له : ثم من ؟ قال : ما أدري ، إلا أن تراني مسلططاً
واضعاً لإحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوي في أثر القوافي .

« قال أبو عبيدة : يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء : انه أمدح
القوم وأشدهم أسرَ شعر . قال وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : الفرزدق
يشبه بزهير . وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيثة وأشباهها عبيد الشعر ، لأنهم
نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . قال : وكان زهير يسمى كُبْرَ قصائده
الحوليات .

وكان جيد شعره في هرم بن سنان المري . وقال عمر رضي الله عنه لبعض
ولد هرم : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول
فيكم فيحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ! فقال عمر رضي
الله عنه : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم »^٣ . وقد عيب على (زهير) لأخذه
عطايا (هرم بن سنان) ، إذ عد أهل الأخبار ذلك نوعاً من التكسب بالشعر ،
وهو مرذول عند العرب^٤ .

وقد قدمه (الأخطل) كذلك ، وقال (ابن الأعرابي) : « كان لزهير
في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأخته

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١٣١/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٨١/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٨١/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
 - ٤ العملة (٤٩/١) .

سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، وأخته الخنساء شاعرة^١ . « ومن قدّم زهيراً قال : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح ، وأكثرهم أمثالا^٢ في شعره^٣ . وقيل ان أمدح بيت قالته العرب ، هو بيت زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله^٤

ولزهير قصيدة أولها :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

يقال إنه قالها لما طلب (كسرى) النعمان بن المنذر ، ففرّ فأتى طياً ، فسألهم أن يدخلوه جبلهم ، فأبوا ، فلقبه بنو رواحة من عبس ، فقالوا له : أقم فينا ، فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فقال : لا طاقة لكم بكسرى ، وأتني عليهم خيراً . وورد أن (الأصمعي) أنكر كون هذه القصيدة لزهير . ونسبها بعضهم (لصرمة بن أبي أنس الأنصاري) ، وهي لا تشبه كلام زهير^٥ .

ولزهير شعر سبق به غيره ، فأخذ الشعراء منه وضمنوه شعرهم . وقد ذكر العلماء أمثلة على ذلك^٦ . « ويروى أن لزهير سبع قصائد نظم كلاً منها في عام كامل ، ومن ثمّ سميت : الحوليات^٧ .

ومن أولاد زهير بن أبي سلمى ، كعب وبجير . وكان (بجير) قد أسلم قبل (كعب) . فبلغ ذلك كعباً ، فقال شعراً تعرض فيه بالرسول فهلر الرسول دمه ، فكتب (بجير) إليه شعراً يخوّفه فيه ويدعوه الى الاسلام ، فجاء وأسلم^٨ .

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١٣٣/١) .
 - ٢ المصدر نفسه (١٣٢/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٧٧/١) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٢/١ وما بعدها) ، ديوان زهير (٢٨٣ وما بعدها) ، الخزائن (٥٨٨/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٨٣/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
 - ٦ الخصائص ، لابن جني (٣٣٠/١) ، بروكلمن (٩٥/١) .
 - ٧ السيوطي ، شرح شواهد (٥٢٤/٢) ، العمدة (١٦٥/١) ، ابن هشام ، سيرة (٢٦/٣) ، الروض الانف (٣٠٥/٢) .

و (لكعب) ولد يقال له (المضرب بن كعب) . كان شاعراً^١ ، واسمه :
 (عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، لقّب بالمضرب ، لأنه شبّه
 بامرأة من بني أسد ، فضرب ، فسمي المضرب . روى له الشريف (المرتضى)
 شعراً^٢ .

وكانت لزهير بنت كانت شاعرة كذلك . ذكر ان بنت زهير دخلت على
 (عائشة) ، وعندها بنت (هرم بن سنان) ، فسألت بنت هرم : بنت زهير
 من أنت ؟ قالت : أنا بنت زهير . قالت : أوّما أعطى أبي أباك ما أغناكم ؟
 قالت : إن أباك أعطى أبي ما فني ، وإن أبي أعطى أباك ما بقي ، وأنشدت
 بنت زهير :

وإنك إن أعطيتني فن الغنى حدث الذي أعطيت من ثمن الشكر
 وإن يفنّ ما تعطيه في اليوم أو غدٍ فإن الذي أعطيك يبقى على الدهر^٣

والشاعر (ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب) العامري ، ويكنى
 (أبا عقيل) ، هو من أشراف قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان سخيّاً من
 أسرة معروفة . وكان في شبابه من فرسان زمانه ، وقد شارك قبيلته في غاراتها
 على أعدائها ، وذب عنها بسيفه وبقلمه . وهو من الشعراء المترفعين الذين ترفعوا
 عن مدح الناس لنيل جوائزهم وصلاتهم كما كان من الشعراء المتقدمين في الشعر^٤ .
 وقد عرف والده بـ (ربيعة المقترين) ، أو (ربيع المقترين) ، لسخائه .
 وقد ذكره (ليبد) ابنه في شعره بقوله :

ولا من ربيع المقترين رزئتُه بلدي علق فاقني حياءك واصبري

وتحدث عن كرمه ، فقال :

وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا^٥

-
- ١ الخزانة (٣٣٣/٢) ، المؤلف (٢٨١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٤٥٨/١) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٧٥٤/٢) وما بعدها .
 - ٤ الخزانة (٢٤٦/٢) ، (هارون) ، (٣٣٧/١) ، (بولاق) .
 - ٥ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (١٧) ، (شرح الدكتور احسان عباس) ،
 (الكويت ١٩٦٢) .

وقد قتل والده وهو صغير السن ، فتكفل أعمامه بتربيته . ويرى (بروكلمن) احتمال محيي (لييد) الى هذه الدنيا في حوالى سنة (٥٦٠ م) . أما وفاته ، فكانت سنة أربعين ، وقيل احدى وأربعين ، لما دخل معاوية الكوفة إذ صالح (الحسن ابن علي) ونزل (النخيلة) ، وقيل إنه مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة عثمان ، وقد رجح (ابن عبد البر) هذه الرواية ، وورد أنه توفي سنة نيف وستين^١ .

وقد عُرِفَت أم (ربيعة بن مالك) ، أي والد (لييد) بـ (أم البنين) ، وهي بنت (عمرو بن عامر بن صعصعة) ، وكانت تحت (مالك بن جعفر بن كلاب) ، فولدت له منه (عامر بن مالك) مُلاعب الأُسنة ، و (طفيل بن مالك) فارس قُرُزل ، وهو أبو (عامر بن الطفيل) ، و (ربيعة بن مالك) أبا لييد ، وهو ربيع المقترين ، و (معاوية بن مالك) معوّد الحكّام (معوّد الحكماء) ، وإنما سمي (معوّد الحكّام) (معوّد الحكماء) بقوله :

أعوّد مثلها الحكّام بعدي إذا ما ألحق في الأشياخ نابا^٢

وقيل انه لما مات دفن في صحراء (بني جعفر بن كلاب) رهطه ، وانه لما قدم الكوفة وأقام بها ، رجع بنوه الى البادية أعراباً^٣ . وروي في خبر ان مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة (عثمان) ، فبعث (الوليد) الى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه . وقد رجح (ابن عبد البر) ، هذه الرواية . وورد في رواية أخرى انه توفي في عهد (زياد) وفي خلافة معاوية^٤ . وقد ذكر من ترجم حياته انه كان فارساً شجاعاً سخياً ، وقد جعله (ابن قتيبة)

-
- ١ الاستيعاب (٣٠٧/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، السيوطي ، شرح شواهد (١٥٢/١) وما بعدها .
 - ٢ أمالي المرتضي (١٩٣/١) ،
 - أعوّد مثلها الحكماء بعدي إذا ما ألحق في الحدثان نابا
اللسان (٣٩٩/١٤) ، (سما) ، وورد « معوّد الحكماء » ، بالذال المعجمة ، تاج العروس (٤٤٠/٢) ، (عود) .
 - ٣ المعارف (٣٣٢) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٠٩/٣) ، (هامش على الاصابة) ، الاصابة (٣٠٨/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .

في جملة المائة فارس الذين وجههم (الحارث بن أبي شمر) الفساني ، وهو (الأعرج) الى (المنذر بن ماء السماء) لقتله ، فلما صاروا الى معسكر (المنذر) ، أظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما تمكنوا منه قتلوه ، فقتل أكثرهم ، ونجا ليبد ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر . فحمل الفسانيون على عسكر (المنذر) فهزمهم ، وهو يوم (حليلة) . وقد ذكر (ابن قتيبة) في كتابه (الشعر والشعراء) ان (الحارث) كان قد أمّر (الوليد) على المائة فارس^١ ، وذكر في كتابه (المعارف) ، انه كان غلاماً إذ ذاك^٢ . وقد وقعت معركة (يوم حليلة) سنة (٥٥٤ م) ، فيجب أن يكون مولد (ليبد) قبل هذا العهد . ولو أخذنا برأي أهل الأخبار القائل انه عاش فوق المائة ، وانه كان يوم توفي ابن مائة وثلاثين سنة ، أو مائة وأربعين ، أو مائة وسبع وخمسين أو مائة وستين^٣ ، جاز لنا تصور اشتراك (ليبد) في ذلك اليوم ، غلاماً أو شاباً . ولم يذكر (ابن قتيبة) كيف جاء (ليبد) الى (الحارث) ، وهو في هذا العمر ، ولم اشترك مع من اشترك في اغتيال المنذر . ولكننا نجد (الميداني) ، يسمي ليبدأ الذي اشترك في اغتيال (المنذر) (ليبد بن عمرو)^٤ ، أي شخصاً آخر ، وهي رواية أدعى الى القبول من رواية (ابن قتيبة) .

وتقول قصة يرونها أهل الأخبار عن سبب نظم ليبد لأرجوزته الشهيرة ، التي أولها :

يارب هيجا هي خير من دعه إذ لا تزال هامتي مقزعة

أن (ليبدأ) كان غلاماً آنذاك ، وكان قد ذهب مع وفد (بني عامر) أبناء (أم البنين) ، وعليه (أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، وقد وضعوه على رحالهم يحفظ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فبرعاها . وكان (النعمان) قد ضرب قبة على (أبي براء) وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل ، وكان

١ الشعر والشعراء (١٩٤/١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١/٣٣٧) ، (بولاق) .

٢ « فوجه اليهم مائة رجل ، فيهم « ليبد » الشاعر ، وهو غلام » ، المعارف (٦٤٢) .

٣ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣/٣٠٦ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

(الربيع بن زياد) العبيسي^١ يتادم النعمان ويتقدم على من سواه ، وكان يدعى (الكامل) ، وكان يعادي (بني جعفر) ، فأوغر صدر (النعمان) عليهم ، حتى صد عنهم ونزع القبة عن (أبي براء) . فلما وقف (ليبد) على خبرهم ، قال لهم : هل تقدرّون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً ممضاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : فلما نيلوك بشتم هذه البقلة ، فقال فيها قولاً أعجبهم . فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلّقوا له رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه (الربيع) ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة بالوفد . فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع الى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبد : وقد دهن أحد شقي رأسه ، وأرخی ازاره ، واتصل فعلاً واحدة ، على عادة الشعراء في الجاهلية إذا أرادت الهجاء ، ثم قال رجزه حتى إذا بلغ قوله :

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه إن استه من برص مكمعه^٢
وإنه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يوارى أشجعه
كأنه يطلب شيئاً ضيّه

نفر (النعمان) من (الربيع) ورمقه شزراً ، وكره مجالسته لتأثير هذه الأبيات فيه ، وأعاد القبة على (أبي براء)^١ .

وقد أيد (ابن رشيّق) رواية من ذكر ان (ليبداً) كان غلاماً يوم قال قصيدته المذكورة بقوله : « والربيع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان فحاشاً عياباً بدياً سبّاباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان ، فرمي بليبد وهو غلام مراهق فنافسه »^٢ . فجعل (ليبداً) غلاماً مراهقاً .

ويروي أهل الأخبار خبراً يؤيد الخبر المتقدم . يقول خبرهم : « نظر النابتة

١ الفاهر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغانى (٢٢/١٦) ، نزهة الجليس (٥٠٧/٢) وما بعدها ، أمالي المرتضى (١٨٩/١) وما بعدها ، العمدة (٢٧/١) ، الخزائن (١١٧/٤) ، مجالس ثعلب (٤٤٩ وما بعدها) .

٢ العمدة (٥١/١) .

الى ليبد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فسأل عنه فتُسب له . فقال له : يا غلام ، إن عينيك لعينا شاعر ، أفترض من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأشدني شيئاً مما قلته ، فأشده قوله : « ألم تربع على الدمن الخوالي » فقال له : يا غلام أنت أشعر بني عامر . زدني يا بني ، فأشده : طلل نخولة بالرسيس قديم . فضرب يديه الى جبينه وقال : اذهب فأنت أشعر من قيس كلها : أو قال : هوازن كلها . ويقال : انه أنشده : عفت الديار محلها فقامها ، فقال له : اذهب فأنت أشعر العرب^١ .

واذا أخذنا بالروايتين المذكورتين القائلتين ان (ليبد) كان صبيّاً أو غلاماً في أيام حكم الملك النعمان ، وجب علينا افتراض ان ميلاده لم يكن بعيداً عن سنة (٥٨٠) أو (٥٨١) أو (٥٨٢ م) ، السنة التي تولى فيها (النعمان) الملك ، ومعنى هذا انه لم يعمر طويلاً ، وهو خلاف ما يذكره أهل الأخبار ، وان كل ما يمكن أن نتصوره عن عمره ، انه كان في حوالى الثمانين حين داهمته منيته . وقد جعل (بروكلمن) مولده حوالى السنة (٥٦٠ م) ، وجعل وفاته سنة (٥٤٠) أي حوالى السنة (٦٦٠ م) ، ومعنى هذا انه كان من أبناء المائة حين جاء أجله^٢ .

ولليبد شعر في (النعمان بن المنذر) ، وصف فيه مجلسه . فذكر انه كان قاعداً كعتيق الطير يُغضي ويُجمل ، والهابيق قيام ، بأيديهم الأباريق ، تحسر الديباج عن أذرعهم ، ينتظرون أمراً يصدره اليهم . وهو شعر مدون في ديوانه يعدّ من جيد شعره^٣ .

وله قصيدة في رثاء (النعمان) ، تعرض فيها للموت ولزوال النعيم ، ولعدم دوام الدنيا لأحد ، ثم تحدث عن النعمان وعن أعماله وتجارته ختمها بقوله :

وأسمى كأحلام النيام نعيمهم وأي نعيم خلته لا يزائل
ترد عليهم ليلة أهلكتهم وعام وعام يتبع العام قابل^٤

١ الاغانى (٩٧/١٤) ، شرح ديوان ليبد (٢١) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٥/١) .

٣ ديوان ليبد (١٩٥) ، الشعر والشعراء (٢٠٣/١) ، (الثقافة) .

٤ القصيدة رقم (٣٦) من الديوان ، شرح ديوان ليبد (ص ٢٦٦) ، الخزائنة (٣٣٩/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وقد ذكر فيها (الله) بقوله :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى : كل ذي لب الى الله واسل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه إذا كُشفت عند الإله المحاصل^١

وهي قصيدة أزيد من خمسين بيتاً . وأولها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل^٢

وروي أن لييدا أنشد النبي قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له صدقت ؛ فقال : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال له : كذبت ، نعيم الآخرة لا يزول . وروي أن ذلك كان مع (أبي بكر) ،
وروي في خبر آخر أنه كان مع (عثمان بن مظعون)^٣ .

ولليد شعر يرثي به أخاه لأمه (أربد) ، وكان قد أصابته صاعقة فقتل .
وكان (أربد) أكبر منه سنّاً . وأبوه (قيس بن جزء بن خالد بن جعفر)
(أربد بن قيس بن مالك بن جعفر)^٤ ، وكان يعطف على (لييد) كثيراً وعلى
ذوي رحمه ، فارساً كريماً ، فلما أصابته الصاعقة تألم (لييد) مما ألم بأخيه كثيراً ،
فرثاه برجز وبقصيد . وقد وجدت في النسخة العربية لتأريخ الأدب العربي لبروكلمن
هذا النص : « ولما استقام السلطان للنبي بالمدينة ، سار لييد يحمل رسالة اليه من
عمه : أربد ، فأعجبه دينه »^٥ . وهو وهم ، فأربد هو أخوه لا عمه . قال

١ القصيدة رقم (٣٦) ، البيت (٨) وما بعده .

٢ الخزانة (٢٥٢/٢) ، (هارون) .

٣ الخزانة (٢٥٥/٢) وما بعدها .

٤ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) ، الخزانة (٢٥٠/٢) وما
بعدها .

٥ بروكلمن (١٤٥/١) .

الطبري : « وكان أريد بن قيس أخا لييد بن ربيعة لأمه »^١ . وكان من خبره انه قدم مع وفد (بني عامر بن صعصعة) على الرسول ، وفيه (عامر بن الطفيل) وثلاثون من رؤوس القوم وشياطينهم ، وفي رأس (عامر) الغدر بالرسول ، بأن يشاغله في الحديث ، فيعلو (أريد) النبي بالسيف ، فلم يتجاسر (أريد) على ضربه ، ورجع الوفد الى بلاده . فلما كان (عامر) ببعض الطريق أصيب بالطاعون فمات ، ومات (أريد) بعد ذلك بقليل بالصاعقة^٢ .

وذكر أن (عامر) لما مات نصبت (بنو عامر) نصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يُرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وكان (جبار بن سلمى بن عامر بن مالك) غائباً ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا نصبناها حمى على قبر (عامر) ، فقال ضيقتم على أبي علي . إن أبا علي بان من الناس بثلاث . كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل^٣ .

وفي اصابة (اريد) بالصاعقة يقول (لييد) يكيه :

ما ان تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أريد الخوف ولا اربُّ نوء السماك والأسد
فجئني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكربة النجد^٤

وهي قصيدة دون أبياتها (ابن هشام)^٥ .

وله قصيدة أخرى في رثاء (اريد) مطلعها :

ألا ذهب المحافظ والمحامي ومانع ضميمها يوم الحصام

-
- ١ الطبري (١٤٥/٣) ، ابن هشام ، سيرة (٣٧٢/٢) .
 - ٢ الطبري (١٤٤/٣) وما بعدها ، وروى « ابن سعد » خبر وفد « عامر بن صعصعة » بشكل آخر ، ذكر أنه طلب من الرسول أن يجعل له ميزة على غيره ان أسلم ، أو أن يجعل الامر اليه من بعده ، فلما رفض الرسول ذلك ، قال : لاملأنها عليك خيلاً ورجالا ، ابن سعد ، الطبقات (٣١٠/١) ، (وفد عامر بن صعصعة) ، سيرة ابن هشام (٣٣٧/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، (الروض الانف (٣٣٧/٢) .
 - ٣ الخزائن (٤٧٤/١) ، (بولاق) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٩٨) ، ابن هشام (٣٣٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، تفسير الطبري (٨٤/١٣) وما بعدها .
 - ٥ سيرة (٣٣٨/٢) .

وقد رواها (ابن هشام)^١ . وقصائد أخرى عديدة^٢ ، تدل على شدة تأثيره بوفاته (أربد) .

وقد اختلفت الروايات في زمن إسلام (لييد) . قيل إنه أسلم سنة وفد قومه (بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) فأسلم^٣ . وقيل إن (لييد بن ربيعة) و (علقمة بن علاثة) كانا من المؤلفة قلوبهم^٤ . وقيل إنه وفد على الرسول بعد وفاة أخيه (أربد) فأسلم^٥ .

وتجمع روايات أهل الأخبار وعلماء الشعر على إقبال (لييد) على الاسلام من كل قلبه ، وعلى تمسكه بدينه تمسكاً شديداً ، ولا سيما حيناً بدأ يشعر بتأثير وطأة الشيخوخة عليه وبقرب دنو أجله ، ويظهر ان شيخوخته قد أبعدته عن المساهمة في الأحداث السياسية التي وقعت في أيامه ، فابتعد عن السياسة وانزوى في بيته ، وابتعد عن الخوض في الأحداث ، ولهذا لا نجد في شعره شيئاً ، ولا فيما روي عنه من أخبار ، انه تحزب لأحد أو خاصم أحداً .

وروي ان (لييداً) ترك الشعر في الاسلام وانصرف عنه . فلما كتب (عمر) الى عامله (المغيرة بن شعبة) على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » ، أرسل الى (الأغلب) الراجز العجلي ، فقال له : انشدني ؟ فقال :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم أرسل الى لييد ، فقال : « انشدني ما قلته في الاسلام » ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : « أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء (الأغلب) خمسمائة وجعلها في عطاء لييداً : وروي ان (عمر) كتب الى عامله بالكوفة : سل لييداً والأغلب

-
- ١ سيرة (٣٣٨/٢) .
 - ٢ ابن هشام ، سيرة (٣٣٨/٢) وما بعدها .
 - ٣ الاستيعاب (٣٠٦/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٠٨/٣) ، الخزانة (٢٤٦/٢) ، (هارون) .
 - ٥ الاغانى (٩٠/١٤) .
 - ٦ الاغانى (٩٧/١٤) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٢٠/١) وما بعدها .

العجلي ما أحدثنا من الشعر في الاسلام ؟ فقال لييد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه^١ :

وروي الخبر المتقدم بشكل آخر . روي أن (عمر بن الخطاب) قال للييد : أنشدني ، فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورتي البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه خمس مائة ، وكان ألفين . فلما كان في زمن (معاوية) قال له (معاوية) : هذان الفودان فما بال العلاوة ؟ وأراد أن يحطه إياها ، فقال أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان ! فرق له ، وترك عطائه على حاله ، ومات بعد يسير^٢ . وورد في رواية أخرى أن (معاوية) كتب الى (زياد) أن اجعل أعطيات الناس في ألفين ، وكان عطاء (لييد) ألفين وخمسمائة . فقال له (زياد) : « أبا عقيل هذان الخراجان ، فما بال هذه العلاوة ؟ قال : ألحق الخراجين بالেলাوة ، فإنك لا تلبث إلا قليلاً حتى يصير لك الخراجان والেলাوة ! فأكملها (زياد) ، ولم يكملها لغيره . فما أخذ لييد عطاء آخر حتى مات^٣ .

وقيل إن لييداً لم يقل في الاسلام إلا بيتاً واحداً ، هو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء ينفعه القرين الصالح^٤

في رواية . وورد على هذه الصورة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه المجلس الصالح^٥

في رواية أخرى .

وقيل هو هذا البيت :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الاسلام سربالاً^٦

-
- ١ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٩٥/١) وما بعدها ، الاستيعاب (٣٠٩/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٣٠٨/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٥٥/١) ، الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٩٥/١) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٩٥/١) ، (الثقافة) .

وذكر بعض العلماء أن البيت :

الحمد لله إذ لم يأتي أجلي حتى اكتسيت من الإسلام مربلا

ليس للبيد ، بل هو لـ (قردة بن نفاعة)^١ .

ومن الشعر المستجاد المنسوب الى لبيد ، قصيدته :

إن تقوى ربنا خير ثقل وبإذن الله ربي وعجل
أحمد الله فلا نصد له بيديه الخير من شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقد زعم بعض العلماء أنها قيلت في الجاهلية ، ولكنها لا يمكن أن تكون من شعر الجاهلية ، لما فيها من آراء اسلامية ، ثم أنها قيلت بعد موت (اربد) ، وكان لبيد مسلماً آنذاك على ما جاء في بعض الأخبار^٢ .

ومما جاء فيها :

اعقلي إن كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل
إن ترى رأسي أسى واضحاً سلط الشيب عليه فاشتعل

وقوله :

غير أن لا تكذبها في التقى واخزها بالبر لله الأجل

وهي قصيدة تبلغ عدتها (٨٥) بيتاً^٣ ، بعض أبياتها لشعراء آخرين ، وقد نسبها بعض العلماء اليه ، فأدخلت في القصيدة^٤ .

١ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣٠٧/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ ديوان لبيد (١٧٤ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (٢١/١) .

٣ الخزائن (٢٨/٢) ، (يولات) .

٤ ديوان لبيد (١٩٩ وما بعدها) .

ومما جاء فيها في حق (أريد) قوله :

من حياة قد مللنا طولها وجدير* طول عيش أن يمل
وأرى أريد قد فارقتي ومن الأرزاء رزء* ذو جلال^١

وقد عاب بعض العلماء عليه قوله :

ومقام ضيق فرجته بمقامي ولساني وجدل
لو يقوم القيل أو فيآله زال عن مثل مقامي وزحل

« وقالوا : ليس للقيال من الخطابة والبيان ، ولا من القوة ، ما يجعله مثلاً لنفسه ، وإنما ذهب الى ان القيل أقوى البهائم ، فظن ان فيآله أقوى الناس ! قال أبو محمد ، وأنا أراه أراد بقوله : لو يقوم القيل أو فيآله مع فيآله ، فأقام (أو) مقام الواو^٢ .

وفي هذه القصيدة إشارة الى صلاة اليهود ، حيث يقول :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل^٣

« قال أبو الحسن الطوسي : كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه . قال البغدادي : واليهودي يسجد على شق وجهه^٤ .

وقد تعرض (كارلو فالينو) لهذه القصيدة ، فقال : « ومن المشهور ما في ديوانه من العبارات الدينية ، بل الشبيهة بالعقائد الإسلامية » ، ثم ذكر أبياتاً منها ، ثم قال : « ولكن ليس كل ما ينسب اليه في ديوانه من هذا السبب صحيحاً ، بل لا اختلاف في بعض الأشعار انها مصنوعة^٥ .

١ البيتان (٧٩ - ٨٠) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ٢٠٠ وما بعدها) .

٣ البيت رقم (٣٢) من القصيدة (٢٦) في ديوانه (ص ١٨٣) .

٤ ديوان لبيد (١٨٣) .

٥ كارلو فالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧٨) .

ونسب له قوله :

من ييسط الله عليه اصبعها بالخير والشر بأيّ أولما
يملاً له منه ذنباً مُترعاً^١

وقوله :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلتوها ، وغدواً بلاق

وقوله :

تمنى ابتئاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^٢

وفي هذه الأبيات إشارات الى رأي لييد في الدنيا وفي الموت، وهي آراء يقوها في العادة المعمرون ، فإذا صح أنها له ، فلا بد وأن تكون من شعره الذي قاله بعد تقدمه في السن .

ويظهر أن الكبر هو الذي حمل (لييداً) على ترك الشعر أو الاقلال منه ، فالتقدم في السن يوقف القرينة ويجمد الذهن . فلما أرسل (الوليد بن عقبة) اليه شعراً ، ومعه مائة بكرة ، قال لييد لابنته : اجيبه فقد رأيتني وما أعيسا بجواب شاعر^٣ . وفي هذا الجواب دلالة على توقف قريحته عن قول الشعر ، وأنه لم يعد باستطاعته نظمه ، وليس السبب هو الإسلام .

وكانت مناسبة لإرسال (الوليد بن عقبة) الشعر والهدية اليه ، أنه (لييد) كان آلى في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وألزمه نفسه في إسلامه . فهبت الصبا ، ولم يكن عند (لييد) ما يعينه على الإطعام ، فخطب (الوليد) الناس بالكوفة ، وقال : إن أخاكم لييداً آلى ألا تهب له الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وهذا اليوم من أيامه ، فأعينوه ، وأنا أول من أعانه.

١ أمالي المرتضي (٣١٩/١) .

٢ أمالي المرتضي (٤٥٣/١) .

٣ أمالي المرتضي (٥٥/٢) .

٤ الشعر والشعراء (١٩٦/١) وما بعدها ، (الثقافة) .

ونزل فبحث اليه بمائة بكرة وكتب اليه شعراً يمدحه فيه ويذكر له كرمه ونذره^١
ويشك (بروكلمن) في صحة ما ورد من ترك (لييد) الشعر بعد دخو
في الإسلام . ويرى أن كثيراً من شعره مطبوع بطابع إسلامي ، ويبعد أن يكون
مما صنع عليه ، وإن زيد عليه بعض الزيادات^٢ .

ونجد في قصيدة (لييد) الكبرى التي مطلعها :

عفت الديار محلها فقامها بمنى تأبد غولها فرجامها^٣

أسماء مواضع كثيرة من نجد والحجاز^٤ .

ولعلماء الشعر آراء في شعر لييد ، من ذلك ما قالوه في قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفه المرء يصلحه الجليس الصالح

فقالوا : إنه شعر جيد المعنى والسبك ، لكن ألفاظه قصرت عن معناه . فإذ
قليل الماء والرونق^٥ .

وقد ذكروا له أشعاراً سبق بها غيره من الشعراء ، أخذها غيره عنه ، فأعاده
علماء الشعر الى أصلها . كما عابوا عليه بعض الأمور الصغيرة التي لا يمكن أن
يقلت منها شاعر^٦ .

و (عنتر بن شداد العبسي) ، هو (عنتر بن عمرو بن شداد بن قراد
العبسي . وشداد جدّه أبو أيه في رواية لابن الكلبي ، غلب على اسم أيه فنسب
اليه . وقال غيره : شداد عمه ، وكان عنتر نشأ في حجره فنسب اليه دون أيه
وكان يلقب بـ (عنتر الفلحاء) لتشق شفتيه .

وانما ادعاه أبوه بعد الكبر ، وذلك انه كان لأمة سوداء يقال لها (زبيبة) .

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٦/١) وما بعدها (،) (الثقافة) ، الاغاني (٢٩٨/١٥)
السيوطي ، شرح شواهد (١٥٥/١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٥/١) .
 - ٣ القصيدة رقم (٤٨) في الديوان ، شرح ديوان لييد (ص ٢٩٧) .
 - ٤ الاكليل (٢٢٣) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٩٩/١) وما بعدها (،) (الثقافة) .

وكانت العرب في الجاهلية اذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده ، وكان لعنرة اخوة من أمه عبيد . وكان سبب ادعاء أبي عنرة إياه ان بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من (بني عيس) ، فأصابوا منهم ، فقبضهم العبيسون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم ، وعنرة فيهم ، فقال له أبوه : أوعمه في رواية أخرى : كرت يا عنرة ! فقال عنرة : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصرت . فقال : كر وأنت حر ، فكرت وقاتل يومئذ حتى استنقذ ما بأيدي عدوهم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق به نسبه^١ .

وورد في رواية أن اخوته قالوا له : اذهب فارح الإبل والغنم واحلب وصر : فانطلق يرعى وباع منها ذوداً ، واشترى بثمانته سيفاً ورمحاً وترساً ودرعاً ومغفرأ ، ودفنها في الرمل . وكان له مهر يسقيه ألبان الإبل . وان في الجاهلية من غلب سبا . وأنه جاء ذات يوم الى الماء فلم يجد أحداً من الحي ، فبهت وتحير حتى هتف به هاتف : أدرك الحي في موضع كذا ، فعمد الى سلاحه فأخرجه والى مهره فأسرجه واتبع القوم الذين سبوا أهله فكرت عليهم ففرق جمعهم وقتل منهم ثمانية نفر ، فقالوا : ما تريد ؟ فقال : أريد العجوز السوداء والشيخ الذي معها ، يعني أمه وأباه ، فردّوها عليه . فقال له عمه : يا بني كرت ، فقال : العبد لا يكر ، ولكن يحلب ويصر . فأعاد عليه القول ثلاثاً وهو يحميه كذلك . قال له : إنك ابن أخي وقد زوّجتك ابنتي عبلة . فكرت عليهم فألقته وابنته منهم . ثم قال : إنه لقيح أن أرجع عنكم وجيراني في أيديكم : فأبوا ، فكرت عليهم حتى صرع منهم أربعين رجلاً قتلى وجرحى فردّوا عليه جيرانه . فأنشد :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^٢

وروي انه كان من معاصري (امرئ القيس) ، وانه اجتمع به^٣ ، وان امرأة (شداد) أبي (عنرة) ذكرت لشداد ان عنرة أرادها عن نفسها ، فأخذته أبوه فضربه ضرب التلف ، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به

١ الشعر والشعراء (١٧١/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٨١/١ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٩/١ وما بعدها) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٨٢/١) .

من الجراحات ، وبكته . وكان اسمها : (سمية) ، فقال عنترة :

أمن سمية دمع العين منروف لو كان منك قبل اليوم معروف^١

وذكر انه كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتى سابه رجل من عبس ، فذكر سواد أمه وأخوته ، وعيبره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فاغتاظ منه وردت عليه ، وهاجت قريحته فنظمت له قصيدة :

هل غادر الشعراء من مردم

وهي أجود شعره ، وكانوا يسمونها (المذهبة)^٢ .

وله كأكثر الشعراء أبيات شعر ، استحسناها علماء الشعر ، وقالوا انه أجاد فيها وأحسن ، وما سبق اليه ولم يتازع فيه في بعض ذلك الشعر^٣ .

وهو أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة ، وأمه زبيبة ، سوداء ، وخفاف بن عمير الشريدي ، من بني سليم ، وأمه نَدْبَة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء ، والسليك بن عمير السعدي ، (السليك بن سلكة) ، وأمه سلكة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء^٤ . وذكر أنه كان يفخر بأخواله السود ، رهط أمه ، فدعاهم ب (حام) حيث يقول :

إنني لتعرف في الحروب مواطني في آل عبسٍ مشهدي وفعالي
منهم أبي حقاً فهم لي والدٌ والأم من حامٍ ، فهم أحوالي^٥

وإذا صح ان هذا الشعر هو لعنترة ، دلّ على وقوف الجاهليين على اسم (حام) ، الوارد في التوراة ، على أنه جدّ السودان . ولا بد أن تكون التسمية قد وردت الى الجاهليين عن طريق أهل الكتاب .

-
- ١ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٧٢/١) وما بعدها ، الزوزني (١٣٦) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٨١/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٧٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٧٢/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٧٥/١) .

وذكر أنه كان قد أغار على (بني نبهان) فرماه (وزر بن جابر بن سدوس ابن أصمح) النبهاني ، فقطع مطاه ، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فات^١ .

ويعد (عمرو بن كلثوم) التغلبي من كبار شعراء الجاهلية ، وكان معاصراً للملك (عمرو بن هند) (٥٥٤ - ٥٦٨ م) ، وهو قاتله في خبر سبق أن تحدثت عنه . وهو من الشعراء الذين مالوا إلى الحكيم^٢ في نظم الشعر^٣ . وقد عرف بـ (أبي الأسود)^٤ . ويقال إن أخاه (مرة بن كلثوم) التغلبي ، هو قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر . وكان (عمرو بن كلثوم) سيد قومه ، سادهم وهو ابن خمس عشرة ، ومات وله مائة وخمسون سنة^٥ . وكان خطيباً حكيماً وشاعراً ، أوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة^٦ ، ضبط نصها الرواة فيما بعد ، وكانهم كتبوها بخط يدهم .

وقصيدته الشهيرة التي هي إحدى السبع ، هي من جيد شعر العرب القديم ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء :

ألمى بني تغلب عن كل مكربة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يالرجال لفخر غير مسؤول^٧

وفي قتل (عمرو بن كلثوم) (عمرو بن هند) يقول أحد شعراء تغلب ، وهو (افنون بن صريم) التغلبي :

لعمرك ! ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلاً وأمسك من ندمانه بالمخنق^٨

ويذكر في سبب نظم (عمرو بن كلثوم) قصيدته الشهيرة ، أن قبيلة (تغلب)

-
- ١ أسماء القتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١٠ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن (١٠٣/١) ، الاغانى (١٧٥/٩) ، الخزائن (٥٢/١) ، الشعر والشعراء (١٥٧/١ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٦ وما بعدها) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١٢١/١) ، الخزائن (٥١٧/١ وما بعدها) .
 - ٤ الاغانى (١٧٥/٩ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٧) .
 - ٥ الاغانى (٥٩/١١) ، (بولاق) ، المرزباني ، معجم (٧) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٥٩/١ وما بعدها) ، (لشعر غير مسؤول) ، الخزائن (٥١٧/١ وما بعدها) ، الاغانى (٥٤/١١) ، (دار الكتب) ، الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .
 - ٧ المحبر (٢٠٤) ، الاغانى (١٧٥/٩ وما بعدها) ، (٥٤/١١) ، (دار الكتب) .

كانت من أشد الناس في الجاهلية ، وكانت بينهم وبين (بكر) حزازات وعداوة ، ويقال : جاء ناس من بني تغلب الى بكر بن وائل يستسقونهم فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم فرجعوا ، فمات سبعون رجلاً عطشاً . فاجتمعت (تغلب) لحرب (بكر) ، واستعدت لهم (بكر) حتى إذا التقوا ، خافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت ، فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح ، فتحاكموا في ذلك الى (عمرو ابن هند) . فجاءت تغلب يقودها (عمرو بن كلثوم) وجاءت بكر ، ومعها (الحارث بن حلزة اليشكري) ، فألقى قصيدته :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وتأثر (عمرو بن هند) بها ، فعلم لبكر ، وأنشد (عمرو) قصيدته :

أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا وَلَا تَبْقَى خُورُ الْأَنْدَرِينَا^١

وفي جملة أبياتها :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^٢

ويذكر بعض الرواة أن (عمرو بن كلثوم) ارتجل قصيدته الشهيرة ارتجالاً ، وأنها كانت تبلغ ألف بيت أو تزيد^٣ . وإن مسا وصل إلينا منها هو بعضها . وتبلغ (٩٦) بيتاً في كتاب (شرح القصائد العشر) للتبريزي^٤ . يظهر من دراستها وامعان النظر فيها أنها لم تنظم دفعة واحدة ، وإنما لم تكن بهذا الطول يوم ألفها الشاعر ، بل زيدت فيما بعد حسب المناسبات ، لأن فيها أبياتاً تمس أموراً وقعت فيما بعد ، في ظروف متأخرة ..

ويروى أن (عمرو بن كلثوم) ، جاء سوق عكاظ ، فألقى معلقته هناك . وروي أن (معاوية بن أبي سفيان) قال « ان قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهرأ^٥ » .

١ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٣٧٩ وما بعدها) .

٢ أمالي المرتضي (٥٧/١ ، ٣٢٧) ، (١٤٧/٢) .

٣ شعراء النصرانية (١٩٧ وما بعدها) .

٤ (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ح ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢) .

٥ الخزانة (٥١٧/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وبلاحظ ان في معلقة (عمرو بن كلثوم) أبياتاً خرجت على رويّ القافية ،
مثل قوله :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعتتها صفونا^١

وقوله :

ندافع عنهم الأعداء قدماً ونحمل عنهم ما حملونا^٢

وقوله :

نحزُّ رؤوسهم في غير برٍّ فما يدرون ماذا يتقونا^٣

وقوله :

إذا ما صَيَّ بالإسناف حيَّ من الهولِ المشبه أن يكونا^٤

وقوله :

برأسٍ من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا^٥

وقوله :

إذا عضَّ الثفاف بها اشمازت وولتهم عَشَوَزةً زبونا^٦

وقوله :

علينا كلَّ سابغة دلاص تَرى فوق النجادِ لها غضونا

إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القومِ جُونا^٧

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| ١ | البيت رقم (٢٤) من المعلقة . |
| ٢ | البيت رقم (٣١) . |
| ٣ | البيت رقم (٣٦) . |
| ٤ | البيت رقم (٣٩) . |
| ٥ | البيت رقم (٤٥) . |
| ٦ | البيت رقم (٥٠) . |
| ٧ | البيتان رقم (٧٠ وما بعده) . |

وقوله :

وأنا المانعون لما يلينا إذا ما البيض زابت الجفونا^١

ومواضع أخرى من هذا القبيل^٢ . وكان من اللازم مسaire القافية التي هي (الأندرينا) .

ولعمرو أشعار ، فيها هجاء للنعمان بن المنذر . فقد ذكر أن النعمان توعد (عمرو بن كلثوم) ، فبلغه ذلك ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب اليه :

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فدحك حولي^٣ وذمك قارج
مى تلقني في تغليب ابنة وائل وأشياها ترقي اليك المسالحي

وهجاه في شعر آخر ، ذكر فيه أمه ، وعبره بها ، وعبره في شعر آخر بأن خاله صانع يصوغ القروط والشنوف بيثرب ، ورماء فيه باللؤم^٤ .

وتنسب لعمرو أبيات نظمها في البذل والسخاء وفي اعطاء المال ، أولها :

لا تلومني فإنني متلف كل ما تحوي يميني وشمالي
لست إن أطرفت مالا فرحاً وإذا أتلفته لست أبالي^٥

ولعمرو بن كلثوم ديوان صغير ، نشر في مجلة المشرق . وقد ترجمت معلقته الى الألمانية^٥ . وفي معلقة (عمرو) أشعار مضطربة وتكرار ، وعدم تجانس في وحدة الموضوع . وقد يكون ذلك بسبب تلاعب الأيدي في القصيدة . وإذا عثر على نصها القديم ، الذي زعم انه كان ألف بيت أو يزيد ، فلأنها ستكون أطول قصيدة في تاريخ الشعر العربي نسبها علماء الشعر الى أحد من الجاهليين . وذكر ان (عمرو بن كلثوم) ، أغار على (بني حنيفة) باليامة ، فأسره

١ البيت رقم (٧٧) .

٢ الابيات (٨٠ - ٨٣) ، (٨٨) .

٣ الاغاني (١٧٥ / ٩) وما بعدها ، (٥٨ / ١١) ، (دار الكتب) .

٤ المرزباني ، معجم (٧) .

٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٥٧ / ١) ، ٦٧ وما بعدها ، ١٠٣ ، المشرق (١٩٢٢ م) ، (ص ٥٩١ وما بعدها) .

(يزيد بن عمرو الحنفي) ، ثم سقاه الخمر في قصر بـ (حجر) اليامة ، حتى مات . وذكر ان (يزيد) أراد المثلة به ، يربطه بجمل ، ثم ضرب الجمل ، ليركض به ، فصاح : « يالَ ربيعة ! أمثلة »^١ .

وتذكر رواية ان نهاية (عمرو بن كلثوم) كانت انتحاراً بشرب الخمر ؛ وذلك ان الملوك كانت تبعث اليه بجبائه وهو في منزله من غير أن يفد اليها . فلما ساد ابنه (الأسود بن عمرو) بعث اليه بعض الملوك بجبائه كما بعث الى أبيه . فغضب (عمرو بن كلثوم) وقال : « ساواني يولي » ، فحلف لا يذوق دسماً حتى يموت . وجعل يشرب الخمر صرفاً على غير طعام . فلم يزل يشرب حتى مات^٢ .

و (الحارث بن حلزة) اليشكري ، هو من (بني يشكر) ، من بكر بن وائل . وكان أبرص . وقد اشتهر بقصيدته التي هي احدى المعلقات ، كما اشتهر بمثلها (عمرو بن كلثوم) و (طرفة بن العبد) . يذكر أنه ارتجلها بين يدي (عمرو بن هند) ارتجالاً ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف ، للبرص الذي كان به . وكان من عادة الملك أن يسمع الأبرص من وراء سبعة ستور ، وينضح أثره بالماء إذا انصرف عنه . فلما سمعت أم (عمرو بن هند) قصيدته ، قالت : « تالله ما رأيت كالיום قط رجلاً يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » ، فقال الملك : « ارفعوا سترأ وأدنوا الحارث » ، وكان كلما استحسن شيئاً منها أمر برفع ستر ، حتى رفعت الستور السبعة . واقعده الملك قريباً منه استحساناً لها وتقديراً له . وكان الحارث متوكئاً على عترة فارتزت — كما يقول أهل الأخبار — في جسده وهو لا يشعر^٣ . وقد زعم أنه قال قصيدته المشهورة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين^٤ .

والقصيدة من قصائد الفخر والتبجح بالمفاخر والمآثر ، وقد عرض فيها بقبيلة (تغلب) ، وعرض بـ (عمرو بن هند) كذلك . وقد ضرب به المثل بالفخر

١ الشعر والشعراء (٢٢٤ وما بعدها) .

٢ المحبر (٤٧٠ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١٢٧/١) ، الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) .

٤ الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) ، (٥١٩/١) ، (بولاق) .

فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة »^١ . ويرى (نولدكه) ان سبب اختيار (حماد) الراوية لهذه القصيدة وضمها الى القصائد الأخرى المختارة ، هو ان حماداً كان مولى لقبيلة (بكر بن وائل) ، وكانت هذه القبيلة في عدااء مع قبيلة (تغلب) ، ولما كان (حماد) قد اختار قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي لشهرتها ، لم يسع حماداً أن يعدل عن اختيارها ، ولكنه اضطر على اختيار قصيدة أخرى الى جانبها تشيد بمدح (بكر بن وائل) سادته ، فاختار قصيدة (الحارث ابن حلزة) الذي لم يبلغ في الشهرة شهرة الشعراء الآخرين^٢ .

ويزعم أهل الأخبار انه ارتجلها ارتجالاً أمام الملك ، بينما يذكرون انه كان قد قال لقومه قبل ارتجاله لها أمام الملك : « اني قد قلت قصيدة ، فن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه فرواها ناساً منهم . فلما قاموا بين يديه لم يرضهم فحين علم انه لا يقوم بها أحد مقامه » ، احتملها وأنشدها أمام الملك^٣ . وقد قالها لتكون حجة لقومه في نزاعهم السياسي مع قبيلة تغلب ، ودفاعاً عنهم أمام الملك^٤ .

ويرى (بروكلمن) أن شعر (الحارث) أقل إصالة من شعر (عمرو بن كلثوم) . وهو قريب من شعر (زهير) في ميله الى مذهب التعليم والتهديب^٥ . وقد قدم (أبو عبيدة) شعره وجعله أحد ثلاثة نفر اشتهروا بمجودة قصائدهم ، إذ قال : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم، والحارث ابن حلزة ، وطرفة بن العبد »^٦ .

وللحارث بن حلزة شعر يذكر فيه (ابن مارية) ، وهو (أبو حسان) (قيس بن شراحيل بن مرة بن همام) ، وكان ممن سعى في الصلح بين بكر وتغلب . وفي جملة ما قاله فيه :

والى ابن مارية الجواد وهل شروى أبي حسان في الأنس^٧

-
- ١ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٢٥/١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٧/١ وما بعدها) .
 - ٣ الخزائن (٥١٩/١) .
 - ٤ كارلو نالينو (٧٥) .
 - ٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٣/١) .
 - ٦ الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) .
 - ٧ المفضليات (٥٤) .

وفي قصيدة (الحارث بن حلزة) أسماء مواضع من محالهم ومحال حلالهم .
وهي قصيدته التي تبدأ بـ :

أذنتنا بينها أسماء رب ثاورٍ يمل منه الثواء^٢

وللحارث بن حلزة ديوان صغير^٣ وأشعار مثورة في كتب الأدب والأخبار^٤.

و (الأعشى) (ميمون بن قيس بن جندل) من (سعد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة) ، ويكنى أبا بصير . وهو ممن عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام . ذكر (ابن قتيبة) انه (كان أعمى)^٥ . وهو وهم ، وإنما عمي في أواخر أيامه ، كما يفهم ذلك من شعره ، بعد أن لعب به الكبر ، وتحكمت به الشيخوخة ، وصار عاجزاً ، يقوده قائد ، يوجهه أنى يشاء ، تسيره عصاه ، وهو يخاف العثار^٦ . وقد وصف شيخوخته هذه وصفاً مؤلماً ، صادراً من قلب متفطر حزين ييكى أيامه الأولى ، أيام اللذة والمتعة ، أيام اللهو والجمرة والنساء ، أيام مضت ، حلت محلها أيام سود ، لا يفرق فيها الأبيض من الأسود ولا الليل والنهار ، ثم هو وحده ، لا خير ولا امرأة ولا لحم دسم ، عافته المرأة ، لذهاب ماله وشبابه ، وتركه الزنا على رغم منه ، ولم يعد يرى في هذه الأيام إلا الهم والحزن والألم .

وأم الأعشى بنت (عكس) أخت المسيب بن علس من بني (جُجاعة) ، ثم من بني (ضبيعة بن ربيعة بن نزار) ، ولد بقرية بالهامة يقال لها (منفوحة) ، وفيها داره وبها قبره . ويقال إنه كان نصرانياً ، وهو أول من سأل بشعره^٧ . ويسمى (صناجة العرب) . لأنه أول من ذكر الصنج في شعره فقال :

-
- ١ الصفة (٢٢٠) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٣/١) ، مجلة المشرق (١٩٢٢ م) (ص ٥٩١ وما بعدها) .
 - ٣ الاغانى (١٧١/٩) وما بعدها ، المفضليات رقم (٢٥) ، (٦٢) ، (١٢٧) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٧٨/١) ، (الثقافة) ، الخزنة (٨٤/١) وما بعدها ، الاغانى (١٠٨/٩) ، رسالة الغفران (١٥٩) .
 - ٥ القصيدة رقم (١٢) و (٢٨) من ديوانه ، المرزباني ، معجم (٤٠١) ، طبقات ابن سلام (١٥) ، الاغانى (١٠٨/٩) ، المؤلف (١٢) ، رسالة الغفران ١٥٩ .
 - ٦ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) .

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل^١

وذكر أنه إنما عرف بصناعة العرب لكثرة ما تغنت العرب بشعره ، أو لجودة شعره ، أو لأن العرب كانت تتغنى بشعره على صوت الصنج ، الى غير ذلك من شروح وتفسير^٢ .

وقد نشأ (الأعشى) راوية لشعر خاله (المسيب بن علس) ، وهو من شعراء الجاهلية المقلين . ثم نبغ هو في الشعر ، فعلا اسمه على اسم خاله ، حتى حلق في سماء الشعر ، ولا سيما في وصف الخمر ، حيث حظي الخمر عنده بموقع ممتاز في شعره ، فأجاد في وصفه وفي أثره في النفس . وتفنن في وصف الخمر ، حتى سبق بوصفه هذا سائر شعراء الجاهلية ، ولم يلحق به في هذه الناحية من الشعر أحد . وقد عدّه بعض علماء الشعر رابع الشعراء الأربعة ، فهو يأتي بعد امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني^٣ . وقد أجاد أيضاً في وصف القيان .

قيل : كان الأعشى يفد على ملوك فارس ، ولذلك كثرت الفارسية في شعره^٤ ، وزعم ان (كسرى) سمعه يوماً يُنشدُّ ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أمروذ كويذ تازى ، أي مغني العرب ، فأنشد :

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرقُ وما بي من سقمٍ وما بي معشوق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال ! فقالوا : ذكر انه سهر من غير سقم ولا عشق !

فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص !^٥ الى غير ذلك من قصص مصنوع .

-
- ١ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) ، الشعر والشعراء (١ / ١٧٩) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٤٠) .
 - ٢ المزهري (٤٣١ / ٢) ، الخزانة (٨٥ / ١) ، (بولاق) .
 - ٣ رسالة الغفران (٢٢٩) ، (بنت الشاطي) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١ / ١٧٩) ، (الثقافة) ، الخزانة (٨٥ / ١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١ / ١٨٠) ، (الثقافة) .

وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة ، ويمدح الأسود بن المنذر ، أخا النعمان^١ :
وقال له (النعمان بن المنذر) : لعلك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى :
اجبني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :
أأزمت من آل ليلي ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

وفيهما يقول :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الأسرات الحمارا^٢

وورد في شعر الأعشى قوله :

وكنتم امرأة زمناً بالعراق عفيف المناخ طويل التنغ^٣

وإذا كان ما نسب الى الأعشى من قوله :

لسنا كمن جعلت إيراد دارها تكرت تنظر حبها أن يحصدا
جعل الإله طعامنا في مالنا رزقاً تضمنه لنا لن يتفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تُرَاع فلننا لن تطردا
ضمنت لنا أعجازهن قدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا^٤

صحيحاً ، فإنه يشير الى أرض يقال لها (تكرت) . وقد ذكر بعض علماء
اللغة أن (تكرت) بنواحي الموصل ، سميت بتكرت بنت وائل ، أخت (قاسط)* .
ويظهر أن الساسانيين قد أبعثوا بعض بطون (إيراد) الى هذه الديار ، فأجبروهم
على الإقامة بها ، وأما النسب المذكور ، فقد وضع فيما بعد . ويظهر من هذا
الشعر ان تلك البطون قد تعلمت الزراعة ، فزرعت الحب ، والزراعة مزدهرة في
نظر العرب ، ولهذا تبجح الشاعر عليها وافتخر ، بكون قومه أصحاب إبل

١ الشعر والشعراء (١٨٠/١) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٠/١) وما بعدها ، (الثقافة) .

٣ أمالي المرتضى (٣١/١ ، ٣٥) ، ديوانه (٢٢) .

٤ ديوان الاعشى رقم ٣٤ ، تاج العروس (٥٧٦/١) ، (كريت) .

٥ تاج العروس (٥٧٦/١) ، (كريت) .

ضخمة ، يعقرونها لمن يتزل بساحتهم من ضيوف ، أما إيراد فهم أصحاب زراعة وحصاد .

وكان الأعشى بنادم (هوذة بن علي) الحنفي ، صاحب الهمامة ، وكان نصرانياً علي ما يقال . وذكر ان (الأعشى) كان نصرانياً كذلك ، وكان يزور (الحيرة) كما كان يزور أسقف (نجران) . وله رواية يروي شعره اسمه (يحيى ابن متى) من عبادة الحيرة . وقد أشار في شعره الى أمور توراثية مثل حمامة نوح وأخبار سليمان . لا ندري اذا كان قد أخذها من التوراة ، أو انه سمعها من رجال الدين أو من قصص نصارى الحيرة^١ .

وله أشعار كثيرة في مدح (هوذة) (هوذة بن علي بن ثمامة) الحنفي ، منها قصيدته التي مطلعها :

أحبتك تيماً أم تركت بدائكها وكانت قتولاً للرجال كذلك
وأقصرت عن ذكرى البطالة والصبا وكان سفيهاً ضلة من ضلالها

الى أن قال :

الى هوذة الوهاب أهديت مدحتي أرجي نوالاً فاضلاً من عطائك
تجانب عن جو الهمامة ناقتي وما عمدت من أهلها لسوائك

وهذه القصيدة تشبه أشعار المحدثين والمولدين في الرقة والانسجام^٢ .

ومن شعره في مدح (هوذة) قوله :

له أكاليل بالياقوت زينها صراغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

وقوله :

وكل زوج من اللبياح يلبسها أبو قدامة مجبوراً بذلك معا^٣

١ راجع قصائده ١٣ ، و ٣٤ ، و ٧٩ من ديوانه ، وبروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الاغانى (٧٦/١٦) ، رسالة الغفران (١٧٤) .
٢ الخزنة (٦١/٢) وما بعدها ، (يولاق) .
٣ أمالي المرتضى (١٧٢/٢) .

وكان يزور اليمن ، ويقف بأبواب أقيالها ، لينال منهم هداياهم . وفي خبر يرجع سنده الى (الأعشى) ، أنه قال : « أتيت سلامة ذا فائش (فائش) فأطلت المقامَ ببابه حتى وصلت اليه ، فأنشدته :

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في شعر من مضى مثلاً
استأثر الله بالوفاء وبالعادل وولى الملامة الرجال
الشعر قلده سلامة ذا فائش والشيء حيث ما جعلاً

قال : صدقت ، الشيء حيث ما جعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حلاً وأعطاني كيرشاً مدبوغة مملوكة عنبراً ، فبعتها في الحيرة بثلاثمائة ناقة حمراء^١ . والشعر المذكور هو من قصيدة رقت برقم (٣٥) في ديوانه وتقع في (٢٤) بيتاً ، وفي ترتيب بعض أبياتها اختلاف . وقد شكك (ابن قتيبة) في صحة نسبتها الى الأعشى ، كما شك غيره في صحة نسبتها اليه ، لأسباب ذكروها^٢ . وقد نسبها (الهمداني) الى الأعشى^٣ .

ونسب (الهمداني) الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة) أولها :

رأيت سلامة ذا فائش إذا زاره الضيف حياً وبشاً
وقال لهم مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بهم وابتهش

وتنسب الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة ذا فائش) ، وهو : (سلامة ذو فائش) ابن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن حريم الحميري^٤ ، وقد ذكر (الهمداني) أن (ذا فائش) هذا ، هو (ذو فائش الأصغر) ، واسمه (سلامة بن يهر) القليل . وأورد أبياتاً في مدحه أولها :

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٣٩ / ١) ، الاغاني (١٢٤ / ٩) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ٦٨ ، رقم القصيدة ٨) ، (شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين) ، رسالة الغفران (١٧٥) .
 - ٢ ديوان الاعشى الكبير (٢٣٢) ، الاغاني (٨٥ / ٨) ، الامالي (٩٩ / ٢) .
 - ٣ الاكلیل (١٩٨ / ٢) .
 - ٤ الاكلیل (١٩٥ / ٢) .
 - ٥ هي القصيدة التي رقت برقم (٨) في ديوانه ، (ص ٦٨ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (١٩) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢١٨) .

تؤم سلامة ذا فائش هو اليوم حم^١ لمعادها
وكم دون بيتك من صفصف ودكداك رمل وأعقادها

وهي أبيات من القصيدة المرقفة برقم (٨) في ديوان الأعشى ، وتقع في (٥٦) بيتاً .

ودون (الهمداني) أبيات شعر زعم أنها في مدح (ذي فائش) ، الذي هو (سلامة بن يهر) القليل ، ذكر أن (ابراهيم بن المحابي) ، أنشدها إياه ، أولها :

وذو فائش قد زرنه في ممنع من النيق فيه للوعول موارد^١

وذكر (الهمداني) أبياتاً من الشعر في مدح (زرعة بن عمرو) (زرع بن عمرو) . وكان (زرعة بن عمرو) يتولى وآبأؤه للتبائع أعمال (المعافر) و (مأرب) وحضرموت ، وكان قد حارب (مذحجاً) ، وفيه يقول (الأعشى) وقد وفد على بعض أولاده ومدحهم ، قصيدة أولها :

تستم في العلا زرع بن عمرو وشيد ما بنى عمرو وزادا^٢

ودون (الهمداني) أبيات شعر في مدح (حجر بن زرعة) ذكر أنها للأعشى ، وقال إنه كثيراً ما يفد الى المعافر ، ثم قال : وقيل لأنها للمسيب بن علس . وأولها :

حللت على حجر بن زرعة بعدما برى الجسم مني مشفقات العواذل^٣

ونسب (الهمداني) أبيات شعر في مدح (فهد بن النعمان) ، وكان قبلاً بالمعافر . وقد وفد عليه . وأول هذه الأبيات :

ونادمت فهداً بالمعافر حقبة وفهد سماح لم تشبه المواعد^٤

-
- | | |
|---|-------------------|
| ١ | الأكليل (١٩٥/٢) . |
| ٢ | الأكليل (١١٥/٢) . |
| ٣ | الأكليل (١١٧/٥) . |
| ٤ | الأكليل (٣٦٣/٢) . |

ونسب الرواة الى (الأعشى) قصيدة في مدح (مسروق بن وائل) الحضرمي .
وهو ممن وفد الى (النبي) في وفد حضرموت فأكرمه^١ . وهي قصيدة رقت
برقم (٧٠) في ديوانه^٢ .

وفي (يزيد بن صهر بن أبي ثابت) الشيباني ، من سادة بني شيان وذوي
الرأي فيهم ، يقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أبها الرجل ؟

وهي لاميته الشهيرة التي تعدّ من المعلقات^٣ . وما جاء فيها في وصف مجلس
الشرب والخمر :

نازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مَرْتَقَاً وقهوة مزرة راووقها خضبل
لا يستفيقون منها إلا وهي راهنة إلا بهات ، وإن علّوا وإن نهّلوا
يسعى بها ذو زجاجات لها نطف مقلص أسفل السربال ، مُعْتَمِل
ومستجيب لصوت الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة القُضْلُ^٤

وكان ينبغي من أسفاره هذه جمع المال للاستمتاع بلذة الحياة ، ولذة الحياة
عنده : الخمر والطعام والنساء ، وقد جمعها بقوله :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي وكنتُ بهن قدماً مُولعا
الخمر واللحم السمين مع الطلى بالزعفران ولا أزال مُردّعا^٥

وهو من الشعراء الذين تعهروا في شعرهم ، على شاكلة (امرئ القيس) .
وقد أبدع في وصف صاحبه (قُتَيْلَة) . وهو لا يخشى من التصريح بأنه انما
يحب النساء ، لأجل الاستمتاع بهن . فليست المرأة إلا أداة اللذة في هذه الحياة .
فهو يبحث عنها ، ولا يبالي من أي نوع كانت ، جارية أم حرة ، عاهرة أم

-
- ١ الاصابة (٣/ ٣٨٨) ، (رقم ٧٩٣٥) .
 - ٢ شرح ديوان الاعشى (٣٢٨ وما بعدها) ، الاكليل (٣٧٦/ ٢) .
 - ٣ طبقات ابن سلام (٢٣) ، الاغانى (٨/ ١٠٠) ، رسالة الغفران (١٧٤) ،
(حاشية) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٧١ وما بعدها) ، تهذيب الالفاظ ، لابن السكيت (٢٢٧) .
 - ٥ ديوان الاعشى (ص) ، (دكتور م . محمد حسين) .

متزوجة، وهو على شاكلة (امرئ القيس) يطيب له أن يصور صاحبه متزوجة،
تخون زوجها ، وتقدم له الحب واللذة ، لأن في الاتصال بالمتزوجة مجازفة من
الرجل ومن المرأة ، والمجازفة من سياء العشاق الفرسان الشجعان .

وقد تمكن الأعشى باتصاله بملوك الحيرة والغساسنة ، وبقيس بن معديكرب ،
وسلامة ذي فائش ، وبسادة نجران ، وبهودة ، وبأمثالهم من حكام وسادة - من
الحصول على مال طيب، ومن التمتع بمشاهدة مجالس أولئك السادة ، ومن الشرب
بصحاف الذهب والفضة ، ومن أكل أكالات الحضر ، التي لا يعرفها إلا أصحاب
المال والترف ، ومن الاستمتاع بسماع الغناء العربي والأعجمي ، ومن التأثر بالحياة
الرفيعة التي يحياها أهل الحضر . فأثرت تلك الحياة فيه ، وصار يقبل عليها
ويبحث عنها في كل مكان . وما الحياة تلك إلا اللهو بالخمر والنساء والطعام
الطيب ، حتى كان يتلف ماله في سبيلها ، إن عسر الحصول عليها بغير ثمن .
وهو في شعره صريح يعلن فيه حبه لجمع المال ، لا يخشى من التصريح به
أحداً ، ولغله كان يريد الإعلان عن ذلك ، ليرزقه الناس مما عندهم ، ويزيدوا
في ماله . نراه يقول :

وطوّفت للبال آفاقها عمان وحمص فأوريشكَمْ
أتيت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض العجم
فنجران فالسرو من حير فأبي مرام له لم أرم
ومن بعد ذلك الى حضرموت فأوفيت همّي وحيناً أهم

ثم هو يعدد المواضع التي زارها فيقول :

ألم ترني جولتُ ما بين مأربٍ الى عدن فالشام والشام عاند
وذا فائش قد زرت في متمتع من النيق فيه للوعول موارد
بيعدان أوريّمان أو رأس سكتية شفاء لمن يشكو السائم بارد
وبالقصر من أرياب لو بت ليلة لجاءك مثلوج من الماء جامد
ونادمتُ فهدأ بالمعافر حقبة وفهد سماحٌ لم تشبه المواعد

١ الصفة (٢٢٤) ، ديوان الاعشى القصيدة رقم (٤) ، والقصيدة رقم ٦٣ .

وقيساً بأعلى حضرموت انتجعت^١ه فنعم أبو الأضياف والليل ، اكد^٢

ويظهر من الشعر المتقدم انه طاف بلاداً كثيرة ، فيها أرض العجم ، وأرض
النبط ، وبلغ حمص و (أورشليم) ، أي القدس ، وعمان ، وزار جزيرة العرب
حتى وصل حضرموت واليمن ، وعبر الى (النجاشي) في داره . وهي أسفار
بعيدة متعبة بالنسبة لذلك الوقت ، وربما كان هذا الشعر مما أقحم عليه .

وله أشعار كثيرة في مدح (قيس بن معديكرب)^٣ ، الذي كان يرزقه ويغدق
عليه المال ، وهو لا يجد غضاضة من التصريح في مدحه له أن لا يحرمه من نداءه
الجزيل . ولهذا عدة علماء الشعر أول من سأل بشعره ، وابتذل نفسه في السؤال ،
وأسرف في الترحال من أجل جمع المال . ومن شعره في (قيس) وفي الاستجداء
منه ، قوله :

ونبت قيساً ولم أبله كما زعموا خير أهل اليمن^٤
فجئتكَ مرتاداً ما خبروا ولولا الذي خبروا لم ترَ أن
فلا تحرمني نذاك الجزيل فلاني امرؤ قبلكم لم أهن

وهي قصيدة نونية ، موجودة في ديوانه^٥ .

وللأعشى قصيدة في مدح (أبي الأشعث بن قيس) الكندي . والأشعث
اسمه (معديكرب) كان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث ، وهو من الصحابة ،
وفد على النبي سنة عشر وأسلم ، وكان شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً ، وهو أول
من مشى الرجال في خدمته وهو راكب ، وكان من أصحاب (علي) في وقعة
صفين . ومن شعر الأعشى في مدح (أبي الأشعث) ، وهو (قيس بن معديكرب)
قوله :

-
- ١ الصفة (١٠٠ ، ٢٢٥) ، الاكليل (١٠٢/٢) .
 - ٢ تاريخ ملوك العرب الاولى (١٢٤) .
 - ٣ ديوان الاعشى (١٥) ، (أوربا) ، شرح ديوان الاعشى (ش) ، رسالة الغفران (٢١٨) ، وله قصيدة مطلعها :

أأزعمت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن يزارا
في مدحه أيضاً ، راجع ديوانه (ص ٣٥) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢٢٧) .

من ديار هضْب كهضْب القلب فاض ماء الشؤون فيض الغروب
أخلفتني بها قتيلة ميعا دي وكان للوعد غير كذوب^١

وكان الأعشى ، إذا زار اليمن تخرف بـ (أثافت) ، وكان له بها معصر
للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل (أثافت) من أعناهم . وقد ذكرها (الأعشى)
في شعره ، إذ قال :

أحبُّ أثافيتَ وقت القطاف ووقت عُصارة أعناها

وكانت تسمى (درني) في الجاهلية . وإياها التي ذكرها الأعشى بقوله :

أقول للشرب في درني وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل^٢

وذكر غير (الهمداني) أن (درني) المذكورة في شعر الأعشى ، هي ناحية
من شق اليمامة . قال الأعشى :

حلّ أهلي ما بين درني فبادو لي وحلّت علوية بالسخال

فهي ليست بـ (أثافت) ، كما ذكر ذلك (الهمداني)^٣ . ونجد الهمداني
يذكر (درنا) في مواضع اليمامة . ولما كان (الهمداني) من العلماء بمواضع
جزيرة العرب ، فلا اعتقد أنه وهم حين ذكر قول (الرئيس الكباري) ، أن
(درني) هي (أثافت) ، فلعل (درني) غير (درنا) اليمامة^٤ .

وقد هجا (الأعشى) (علقمة بن علاثة) من سادات (بني عامر)
وأشرافهم . وكان سبب ذلك ، أنه مدح (الأسود) العنسي ، فأعطاه خمسمائة

١ الخزانة (٢ / ٤٦٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ ديوان الأعشى (ف) ، (دكتور م . محمد حسين) ، (وأثافت وتسمى أثافه بالهاء
وبالتاء أكثر ، وخبرني الرئيس الكباري من أهل أثافت قال : كانت تسمى في
الجاهلية درني وإياها التي ذكرها الأعشى بقوله :

أقول للشرب في درني وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل) ،
الصفة ، للهمداني (٦٦) .

٣ تاج العروس (٩ / ١٩٨) ، (درن) .

٤ الصفة (١٣٧) .

مقال ذهباً وخمسمائة حللاً وعنباً ، فخرج ، فلما مر ببلاد (بني عامر) ، وهم قوم (علقمة) و (عامر بن الطفيل) ، خافهم على ما معه ، فأتى (علقمة ابن علاثة) ، فقال له : أجزني ! قال قد أجزتك من الجن والأنس . قال الأعشى ومن الموت . قال : لا . فأتى (عامر بن الطفيل) ، فقال له : أجزني ! قال : قد أجزتك من الجن والأنس . قال الأعشى : ومن الموت ! قال عامر : ومن الموت أيضاً . قال : وكيف تجبرني من الموت ؟ قال : إن مت في جوارى بعثت الى أهلك الدية . قال : الآن علمت انك قد أجزتني . فحرضه عامر على تغييره على علقمة ، فغلبه عليه بقصائد . فلما سمع علقمة نذر ليقتله إن ظفر به . فقال الأعشى قصيدة مطلعها :

شاكك من قيلة أطلالها بالشط فالجزع الى حاجر

ولما نذر (علقمة) دم الأعشى جعل له على كل طريق رسداً . فاتفق ان الأعشى خرج يريد وجهاً ومعه دليل فأخطأ به الطريق ، فألقاه على ديار بني عامر ابن صمصمة ، فأخله رهط (علقمة) فأتوه به . فقال له علقمة : الحمد لله الذي مكنتني منك ، فقال الأعشى :

أعلم قد صيرتني الأمورُ اليك ، وما أنت لي مُنقِصُ
فهبلي ذنوبي فدتك النفوس ولا زلت تنمي ولا تنقصُ

في أبيات ، فعفا عنه ، فقال الأعشى يتنقص ما قال أولاً :

علم يا خير بني عامر للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همه والغافر العثرة للعائس

وكان (عامر بن الطفيل) لما نافر (علقمة) خرج مع لييد الشاعر والأعشى ، فحكماً (أبا سفيان) ، فأبى أن يحكم بينهما ، فأتيا (عيينة بن حصن) فأبى ، فأتيا (غيلان بن سلمة) الثقفي ، فردهما الى (حرملة بن الأشعر) المرثي ، فردهما الى (هرم بن قطبة) الفزاري ، فحكم بتساويهما في الشرف والمترلة ،

الشعر والشعراء (١٨٢/١) ، (الثقافة) ، الخزانة (٤٣/٢) وما بعدها .

ولم يفضل فانصرفا على ذلك^١ .

ويقال إن النبي قال لحسان : يا حسان أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله لنا فيه ؟ فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقمة بن علاثة :

علقم ما أنت الى عامر الناقض الأوتار والواتر

فنهى النبي حسان من تلاوتها . وذكر أن النبي رخص في الأشعار كلها إلا هاتين الكلمتين : كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الأعشى في علقمة بن علاثة^٢ .

وقد اختلفت الروايات في (علقمة) ، فرواية تذكر أنه أسلم وصحب الرسول ورواية تذكر أنه لم يسلم، وأنه كان عند (قيصر) ، وأنه أنقضى أمامه على الرسول حين كان عنده ، بينما تناول أبو سفيان منه ، ورواية تذكر أنه أسلم ثم ارتد ولحق بالشام ، ثم عاد الى الإسلام ، ورواية تذكر أن (عمر) استعمله على (حوران) ، فأت بها . وقد رثاه (الحطيئة) بقصيدة ، وكان قد ذهب اليه لنيل نواه ، فوجده قد مات ، وقد أوصى له بجائزة في حياته ، فأعطاه ابنه مائة ناقة يتبعها أولادها^٣ .

ولما كان الأعشى تاجراً من تجار الشعر ، اتخذ الشعر متجراً يتاجر به ، فيمدح من يعطيه ، ويهجو من لا يحسن اليه ويصله ، لذلك صار شعره في الرجال الذين اتصل بهم ، بين مدح وبين هجاء .

وقد أفادنا (الأعشى) فائدة كبيرة في ذكره أسماء المواضع التي مر بها في شعره . وقد اقتبس (الهمداني) بعض شعره المتعلق بهذا الموضوع . كما أورد شعراً لغيره يتعلق بالمواضع ، انفرد به في بعض الأحيان . ومما ذكره من شعر الأعشى في بعض مواضع اليمامة ، قوله :

قالوا : "نمار" فبطن الخال جادهما فالعسجدية فالأبلاء فالرجل

١ الاصابة (٤٩٦/٢ وما بعدها) ، (٥٦٧٦) .

٢ الخزانة (٤٣/٢) ، (يولاق) ، الاصابة (٤٩٦/٢) ، (رقم ٥٦٧٧) .

٣ الاصابة (٤٩٧/٢ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٧٧) .

فالسَّعْجُ يَجْرِي فَخَزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ حَتَّى تَتَابَعُ فِيهِ الْوَتْرُ وَالْحُبْلُ^١

ونجد في شعر الأعشى قصصاً من قصص أهل الجاهلية ، من ذلك ما رواه عن سد (مأرب) في قصيدته التي يقول فيها :

ففي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب قَتَى عليها العرِمُ
رخام بنته لهم حمير إذا جاءه مأوهم لم يرم
فأروى الزروع وأعابها على سعة مأوهم لم يرم^٢

وهي أبيات نظمت على طريقة ذلك الوقت في ذكر نكبات الماضي ، وما حل بالقبائل والمدن والقرى من مصير سيء ، لانتخاذها درساً وعبرة للأحياء . وهي لذلك تكون ذات صبغة أدبية أخلاقية ، لا يهتم فيها للتأريخ ولواقع الأحداث ، وإنما للقص وللتأثير في العواطف والقلوب .

ومنها قصيدته التي ذكر فيها من أهلكه الدهر من الجبابرة ومطلعها :

ألم تروا إرمًا وعادا أفناهم الليل والنهار
وقبلهم غالت المنايا طسماً فلم يُنْجها الحذار
وحلّ بالحي من جديس يوم من الشرّ مستطار
وأهل جوّ أنت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا
فصبتهم من الدواهي نائحة عقبها الدمار

وقد روى أهل الأخبار قصص هؤلاء الأقوام الذين ذكرهم الأعشى في شعره ، وقد رصعوها على عادتهم بالشعر ، نسبوه إلى أبطال ذلك القصص^٣ .

وأشار (أبو العلاء) المعري إلى شعر نسب للأعشى أوله :

أَمِنْ قَتْلَةٍ بِالْأَنْفَاءِ دَارٍ غَيْرِ مَحْلُولَةٍ
كَأَنَّ لَمْ تَصْحَبِ الْحَيَّ بِهَا بَيْضَاءُ عَطْبُولَةٍ

١ الصفة (١٣٧) .

٢ ديوان الأعشى البيت (٦٧) وما بعده من القصيدة رقم ٤ .

٣ الخزائن (٣٤٧/١) وما بعدها ، (بولاق) .

أناء* يتزل القوسى منها منظر هولـ*
وما صهباء من عانة* في الدارع محموله
تولى كرمها اصهب يسقيه ويغدو له
ثوت في الخرس أعواماً وجاءت وهي مقتوله
عماء المزنة الغراء راحت وهي مشموله
بأشهى منك للظما ن لو أنك مبدوله

فنفى على لسان الأعشى أن يكون من شعره ، أو أن يكون قد صدر عنه^١ .
وقد ورد في بعض الأخبار أن الأعشى كان نصرانياً . ويرى (بروكلمن)
أن من الجائز أن يكون نصرانياً ، غير أن نصرانيته لم تكن مؤثرة عليه ، وهو
إذا كان قد تحدث عن الله وعن البعث ، وعن الحساب ويوم الدين ، فقد تحدث
غيره عن هذه الأمور أيضاً ، ولم يكن من النصارى^٢ . ونحن لا نكاد نجد في
شعره ما يؤيد كونه نصرانياً صحيحاً قويم الدين ، له علم بأحكام شريعته ونواحيها ،
ولعل نصرانيته الوحيدة البادية عليه ، هي في حلفه برهان دير هند ، وإشارته
الى عيد الفصح والى طوفان نوح ، وزيارته (بني الحارث بن كعب) سادة
نجران ، وهم نصارى ، وتشبيهه (قيس بن معديكرب) بالرهبان في عدله
وتقواه^٣ . وقوله :

ولاني ورب الساجدين عشية وما صلك ناقوس النصرارى أيلها^٤

وقوله :

ربى كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا^٥

-
- ١ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١ وما بعدها) ، القصيدة رقم ١٥ حيث
يحلف بثوب راهب اللج .
 - ٣ ديوان الاعشى (دكتور م . محمد حسين) ، راجع القصيدة رقم ٥ من مدح قيس بن
معديكرب الكندي ، والقصيدة رقم ١٥ .
 - ٤ القصيدة رقم ٢٣ .
 - ٥ القصيدة رقم ٣٤ .

ولكننا نجده يقسم بالكعبة إذ يقول :

لاني لعمر الذي خطت مناسمها -تخدى وسبق اليه الباقر الغيل^١

ويقول :

ولاني وثوبي راحب اللج والتي بناها قصي^٢ والمضاض بن جرهم

ويقول :

وما جعل الرحمن بيتك في العلا بأجياذ غربي الفناء المحرم^٣

وورد ان الأعشى كان يقول بالقدر . ورد في كتاب (الأغاني) : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى ، وكان نصرانياً عبادياً ، وكان معمرأ ، قال : كان الأعشى قلدرياً ، وكان لييد مثبأ ، قال لييد :

من هداه سبل^٤ الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة الرجال

قلت : فن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصاررى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك^٥ . وقد جعله (المرتضى) في عداد من كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى لقوله البيت المذكور^٤ .

وقد نسب الأعشى هلاك الإنسان وموته الى فعل الدهر ، إذ يقول :

فاستأثر الدهر^٥ الغداة بهم والدهر يرميني ولا أرمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم^٥

١ القصيدة رقم (٦) .

٢ القصيدة رقم ١٥ .

٣ الاغاني (٧٩/٨) .

٤ أمالي المرتضى (٢١/١) ، ديوانه (١٥٥) .

٥ أمالي المرتضى (٤٦/١) .

هذه القصيدة وبأحكام الاسلام ضعيف الحبك ، لا يتناسب مع المطلع ولا مع شعر الأعشى الآخر ، ولهذا ذهب أكثر المعاصرين الى انها من الشعر المصنوع^١. وفيها أمور من المجرمات لا يمكن أن يكون الأعشى قد وقف عليها .

ومما جاء في هذه القصيدة :

ألا أيها السائل أين يمت	فإن لها في أهل يثرب موعدا
فأليت لا أرثي لها من كلاله	ولا من حفى ، حتى تلاقي محمدا
متى ما تنأخي عند باب ابن هاشم	تراحي ، وتلقي من فواضله يدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد	نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله	وأنت لم ترصد لما كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها	ولا تأخذن سهماً حديدا لتقصدا
ولا تقربن جارة إن سرها	عليك حرام فانكحن أو تأبدا
نبي يرى ما لا يرون، وذكره	أغار لعمرى في البلاد وأنجدا ^٢

وأنت اذا قرأت هذه الأبيات والأبيات الأخرى التي لم أذكرها ، فستخرج جازماً انها من الشعر المصنوع المنحول على الأعشى . ففيها نهى عن أكل الميتة، وعن عبادة الأوثان ، والحث على الصلاة ، وعلى ايصال السائل المحروم ، وغير ذلك من آراء اسلامية ، تجد جلورها في القرآن .

وذكر أن الأعشى سمى قصيدته المحكمة حكيمة ، أي ذات حكمة . فقال :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها^٣

وقال بعض علماء الشعر : الأعشى أغزل الناس في بيت ، وأخث الناس في

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٨/١) ، طه حسين ، في الادب الجاهلي (٢٥٨) ، فؤاد أفرام البستاني ، مجلة المشرق (المجلد ٣٠) ، (ص ٧٦٣ وما بعدها) ، ديوان الأعشى (١٣٤) ، (الدكتور م. محمد حسين) .
 - ٢ وفي رسالة الغفران بعض الاختلاف عما جاءت في ديوانه وفي كتب الادب ، رسالة الغفران (١٧٨ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حكم) .

بيت ، وأشجع الناس في بيت ، فأغزل بيت قوله :
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

وأخنت بيت قوله :

قالت هريرة لما جئتُ زائرهما وبلي عليك وويلي منك يا رجل

وأشجع بيت قوله :

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا أو يتزلون فلما معشر نزل^١

ومن جيد شعره قوله :

عهدي بها في الحمي قد دُرعت صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم يُنقل الى قابر
حتى يقول الناس بما رأوا يا عجباً للميت الناشر^٢

وكان الأعشى سليط اللسان ، اذا هجا أقذع ، شديداً في هجائه ، لذلك كان الناس يخشون جانبه ، ويرهبون لسانه ، وكان مداحاً ، يمدح فينال عطاء المدوحين . وله أسلوب خاص في نظم الشعر ، وفي العرض والسبك ، وموسيقى النظم ، وفي شعره طلاوة ، وفي أبياته حلاوة . وقد أبدع في أمور ، منها ووصف الخمر ، ووصف الخمر الوحشية ، ولا نجد في شعره مكانة للأطلال والديار ، وهو بطل في النسب^٣ .

ومن أمثلة ما يروونه عن أثر شعره في الناس ، ان رجلاً بائساً مسكيناً اسمه (المحلق) ، كان والد ثمان بنات ، ولا يملك شيئاً سوى ناقصة ، سمعت زوجته بذكر الأعشى وعموره منهم في طريقه الى سوق (عكاظ) ، فأشارت على زوجها أن يركض الى الأعشى ليستضيفه ، لعله يمدحه ، فيزوج بناته وينال شرف مدحه

١ السيوطي ، شرح شواهد (٩٦٧/٢ وما بعدها) ، الخزائنة (٥١٨/٣) ، (بولاق) .

٢ أمالي المرتضى (٤٥١/١) .

٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٨/١ وما بعدها) .

بين الناس . ففعل ، وذبح ناقته الوحيدة وأكرمه مع بناته غاية الإكرام ، فلما علم الأعشى بسوء حاله ، أعد له قصيدة ، ألقاها في عكاظ ، مطلعها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق

فلما رأى الناس (المخلق) ، وقد حيّاه الأعشى ، أقبل الناس يخطبون منه بناته ، فما قام من مقعده حتى خطبت بناته جميعاً^١ .

ولعل خفة عروض شعر الأعشى ومرونته ، وما في شعره من ترنيم ورنين ، وما فيه من سهولة ، تدل على براعة في الشعر ، هي التي حملت بعض علماء الشعر على تقديمه على غيره ، أو على رفع مكانته بوضعه في طبقة الشعراء الفحول من الطبقة الأولى ، غير أن من العلماء من انتقد شعره ، وانتقد اكثاره من ادخال الألفاظ الأعجمية في نظمها^٢ .

وكان للأعشى رواية اسمه (عبيد) ، كان يصحبه ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل . ومنه أخذ الرواة أخبار الأعشى وشعره . وكان (سماك) أحد الرواة المتصلين به ، وعنه أخذ (حماد) الرواية أخباره عن الأعشى . وعنه أيضاً أخذ (شعبة بن الحجاج) أخباره عن (الأعشى) . وعن (شعبة) روى (مؤرج بن عمرو السدوسي) (أبو فيد) أحد علماء البصرة المتوفى سنة (١٩٥ هـ) . وعنه أخذ (الرياشي) أخباره عن (الأعشى) . و (الرياشي) هو (أبو الفضل) العباس بن الفرّج مولى سليمان بن علي الهاشمي . وكان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن (الأصمعي) . وقد توفي الرياشي سنة (٢٥٧ هـ)^٣ .

وقد شك علماء الشعر في صحة نسبة بعض الشعر إلى (الأعشى) . فقد روى (أبو عبيدة) أن (أبا عمرو بن العلاء) زاد بيتاً على قصيدة :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعاً واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

وهو البيت الثاني من هذه القصيدة . وروى غيره أن (حماد) الرواية ، هو

-
- ١ الخزانة (٢١١/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٢ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٨١/١) ، الفهرست (٩٢) .

الذي دس ذلك البيت ، ولم يطمئن (المرزباني) من هذه القصيدة ، ثم هي « من
الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسيج ، القلقة القوافي ، المضادة
للأشعار المختارة » ، ما خلا ستة أبيات^١ .

ولم يرض (المرزباني) عن قصيدة الأعشى الثانية المدونة في ديوانه ، ومطلعها:
لعمرك ما طولَ هذا الزمن على المرء إلا عناء^٢ معن^٣

وفي شعره قصائد تعد من المصنوعات^٤ .

ويذكر أن الأعشى كان يهاجي شاعراً عرف بـ (جُهْنَم) ، وهو لقب
(عمرو بن قطن) من بني سعد بن قيس بن ثعلبة^٥ ، وذكر أنه هو القائل :

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندلٍ وخالك عبدٌ من خاعة راضع

قاله يهجو به الأعشى . إذ زعم أن والده دخل غاراً ، ف وقعت عليه صخرة ،
سدت فم الغار ، فمات فيه من الجوع^٦ .

وفي حقه قال الأعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جُهْنَمُ جدعاً للهجين المذم

وذكر أن (جهنم) تابعة للأعشى ، أي شيطانه ، كما يقال لكل شاعر
شيطان^٧ :

والنابعة ، هو (زياد بن معاوية بن ضباب) الـذيياني ، أبو أمانة وقيل
(أبو ثمامة) و (أبو عقرب) ، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ، ومن أعيان
فحولهم المذكورين . عدّه بعض العلماء من الطبقة الأولى بعد (امرئ القيس) .

-
- ١ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) ، ديوان
الأعشى (١٠٠) ، (القصيدة ١٣) ، (دكتور م . محمد حسين) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) .
 - ٣ العصر الجاهلي (٣٤٠ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (٢٣٥/٨) ، (جهنم) .
 - ٥ الاغانى (١٠٨/٩) .
 - ٦ تاج العروس (٢٣٥/٨) .

وذكر أن الخليفة (عمر) قال : أشعر العرب النابغة . وأنه قال : « النابغة أشعر شعرائكم ، وأعلم الناس بالشعر » أو أنه قال : « هذا أشعر شعرائكم » ، وذلك لوفد كان قد قدم عليه ، كان في جملة ما تحدث عنه موضوع الشعر ، وموضوع أفضل شاعر جاهلي^١ . وقد فضله (ابن عباس) على غيره أيضاً في رواية تنسب إليه^٢ . وذكر أن الشاعر (حسان بن ثابت) سئل من أشعر الناس ؟ فقال : أبو أمامة ، يعني النابغة الذبياني . وأن (أبا عمرو بن العلاء) ، قال : « كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه . وأنه قال أيضاً ، وكان بعضهم قد ذكر النابغة وزهير : ما كان زهير يصلح أن يكون أخيراً للنابغة ، يعني رابعاً عنه^٣ . وقال بعضهم : « كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلم بيتاً ، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف ، ونبيغ في الشعر بعدما احتكتك ، وهلك قبل أن يُهتر »^٤ . وقال أبو عبيدة : يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء : هو أوضحهم كلاماً ، وأقلهم سقطاً وحشواً ، وأجودهم مقاطع ، وأحسنهم مطالع ، ولشعره ديباجة ، ان شئت قلت : ليس بشعر مؤلف ، من تأثته ولينه ، وان شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها^٥ .

وذكر ان (النعمان) غني بشيء من دالية النابغة ، فقال : هذا شعر علوي ، أي عالي الطبقة أو من عليا نجد^٦ . وقيل عن شعره : « ينسب إذا عشيق ويثليب إذا حنيق ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب »^٧ . وقد قال الأصمعي فيه وفي

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٧٨/١ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٧/٢) ، الخزانة (٦/٢) ، طبقات الشعراء (٤٧ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٢٤) ، ديوان النابغة (٥٧) ، كنى الشعراء ، لمحمد بن حبيب (٢٨٨) ، (سلسلة نوادر المخطوطات) ، (عبد السلام هارون) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) ، الخزانة (٧/٢) ، الشعر والشعراء (١١٠) ، (١٢٣ ، ٣٠٣) ، الخزانة (٤٤٨/٢) ، (هارون) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٩٢/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٠١/١ وما بعدها) ، جمهرة اشعار العرب (٢٦) .
 - ٦ تاج العروس (٢٥٣/١٠) ، (علو) .
 - ٧ كارلو نالينو (٨٦) .

غيره من الشعراء المشاهير : « كفاك من الشعراء أربعة : زهير اذا طرب ،
والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا غضب ، وعنترة اذا كلب »^١.

قيل انما سمي النابغة بقوله : فقد نبغت لنا منهم شؤون ، وانسه كان شريفاً
فغضب منه الشعر . وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجده ، وكانوا له مكرمين.
وروي ان أول ما تكلم به النابغة من الشعر ، انه حضر مع عمه عند رجل ،
وكان عمه يشاهد به الناس ويخاف أن يكون عيباً ، فوضع الرجل كأساً في يده
وقال :

تطيب كؤوسنا لولا قذاها ويحتمل المجلس على أذاها

فقال النابغة : وحي لذلك :

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بسكم اشتراها^٢

وقد أخذ عليه علماء الشعر تكسبه بشعره ، فقد ذكروا ان العرب كانت لا تتكسب
بالشعر ، وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على
أداء حقها إلا بالشكر إعظماً لها ، حتى نشأ النابغة ، فدح الملوك وقبل الصلة على
الشعر وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشرته
أو من سار اليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيماً ،
حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأواني من عطاء الملوك^٣ . وفي
هذا القول الذي لا يخلو من مبالغة ، دلالة على ان النابغة قد كان موسراً نوعاً
ما حسن الحال ، وان قسماً من ثرائه قد جاء اليه من مدحه للملوك .

وقد رمي بالإقواء ، فقيل انه كان يقوي في شعره ، فعيب ذلك عليه ،
واسمعه في غناء :

أمن آل مية رائح أو مغند عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغداف الأسود

١ جمهرة أشعار العرب (٢٦) ، الزهر (٢٩٧/٢) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) .
٣ العملة (٤٩/١) .

فقطن فلم يعد^١ . وذكر ان ذلك كان يثرب . فقد كان قد دخلها فغني
بشعره ، فقطن فلم يعد للإقواء^٢ .

وقد أخذ العلماء عليه بعض مأخذ ، ذكرها (ابن قتيبة) في كتابه : (الشعر
والشعراء)^٣ ، وأخذوا عليه (الاكتفاء) في بعض أشعاره^٤ .

ونفى (المعري) في رسالة الغفران أن تكون الكلمة التي أولها :

أَلَا عَلَى الْمَطْوَرَةِ الْمَتَابِدَةِ أَقَامَتْ بِهَا فِي الْمَرْيَعِ الْمَتَجَرِدَةِ
مُضْمَخَةٌ بِالْمَسْكِ مَخْضُوبَةُ الشَّوَى بَدْرًا وَيَا قُوتَ لَهَا مَقْلَدُهُ

من شعر النابغة ، إذ يقول على لسانه : « ما أذكر أنني سلكت هذا القري
قط » ، ثم ينسبها الى رجل من بني ثعلبة بن عكابة^٥ .

والنابغة مثل غيره من أهل زمانه ، كان يعتقد بالجن ، فأشار في شعره الى
(جنة البقار) . ونجد في شعر (زهير) إشارة الى (جنة عبقرية) ، و (جنة
عبقر) مشهورة في أساطير الجاهليين . وذكر (ليبد) (جن البدي)^٦ . وهو
من ذكر بعض القصص والأساطير في شعره ، فقد ذكر (النعمان بن المنذر) ،
بقصة زرقاء اليمامة ، وهي قصة يظهر أنها كانت شهيرة وشائعة بين الجاهليين ،
ضربها مثلاً له ، وذكر قصة الحية ، وهي اسطورة في ذم الغدر والخيانة ،
ضربت مثلاً ، لكل من يغدر ، ومثل هذه الأساطير معروفة عند الأمم الأخرى ،
ولا سيما قصص الإنسان مع الجن ، والحية من فصائل الجن في نظر أكثر الجاهليين .
وكانت العرب تضرب أمثالا على السنة الموهوم^٧ .

ويظهر من الشعر المنسوب الى النابغة انه كان لا يتبدل في مجون ، ولا يسرف
في هجاء ، ولا يتدنى في سفاهة ، وقد نسب بعض المستشرقين هذا الخلق الرفيع

-
- ١ الشعر والشعراء (٩٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ المصدر نفسه (١٠٢/١) .
 - ٣ (١٠٢/١ وما بعدها) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٠٥/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ رسالة الغفران (٢٠٧ وما بعدها) .
 - ٦ الصفة (١٢٨) .
 - ٧ الشعر والشعراء (٩٦/١) .

الذي فراه فيه الى تنصره ، مستدلين على رأيهم هذا بما ورد في شعره من أمور نصرانية ، غير اننا لا نستطيع لإثبات ذلك ، كما اني لا أستطيع نفيها عنه مستشهداً بالبيت :

فلا لعمر الذي قد زرتة حججاً وما هريق على الأنصاب من جسد^١

فالقسم عند الجاهليين لا يشير دائماً الى عقيدة صاحب القسم ، فقد نسب الى (عدي بن زيد) العبادي القسم بمكة ، ولم يكن من عبّاد الأصنام ، ثم إن من المحتمل أن يكون من الشعر المصنوع ، واني أرى ان ما نسب الى (عدي) من هذا القسم موضوع عليه . فهو رجل نصراني ، وكان الملك وثنيّاً ، ثم صار نصرانياً ، ولم يكن عبّاد الأصنام من عرب الحيرة يحجون الى مكة حتى يقسم (عدي) بها مجازاة للوثنيين ، ولذلك أرى ان هذا الشعر مصنوع عليه ، صنع لإظهار ان الحج الى مكة كان عاماً عند جميع العرب ، حتى عرب العراق وبلاد الشام ، وقد رأينا ان أهل الأخبار صيروا ملوك اليمن من أشد الناس تعلقاً بالكعبة ، جعلوهم يحجون اليها ، مع ان المسند يسخر من هذه الخزعبلات ، كما اننا لا نسمع بحج أحد من عرب العراق أو بلاد الشام الى مكة ، ولو كانوا يحجون اليها لما سكّت أهل الأخبار عن ذلك .

ونال النابغة الذبياني رزقاً كثيراً من النعمان بن المنذر . أعطاه مرة مئة ناقة من الإبل السود برعاتها ، لإنشاده قصيدته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب^٢

والإبل السود ، هي أغلى وأتمن الإبل عند العرب . وكاد ملوك الحيرة يحتكرون هذه الجمال ، ولا يسمحون لافتحال أحد فحلاً أسوداً . ولهذا كان هذا الجباء الذي أغدقه النعمان على النابغة جباءً ثميناً وعطاءً كبيراً ، وكان (النعمان) قد أعطى (النابغة) إبلًا وريشها ، أي بما يصلحها من الآلة والثياب^٣ .

وروي عن الشاعر (حسان بن ثابت) ، أنه رحل الى (النعمان) ، فلقى

١ معلقته البيت رقم (٣٧) .
٢ العقد الفريد (٢٢/٢) « لجنة » .
٣ مجالس ثعلب (٣٥) .

رجلاً فقال : أين تريد ؟ فقلت : هذا الملك ، قال : فإنك إذا جثته متروك شهرًا ، ثم يسأل عنك رأس الشهر ، ثم أنت متروك شهرًا آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه ، وإن رأيت (أبا أمامة) النابغة فاطمن ، فإنه لا شيء لك . قال : فقدمت عليه ، ففعل بي ما قال ، ثم خلوت به وأصبت منه مالا كثيرا ونادمته ، فبينما أنا معه في قبة إذ جاء رجل يرجز حول القبة :

أنت أم تسمع رب القبة يا أوهب الناس لعنس صلبة
ضرابة بالمشفر الأذبة ذات هباب في يسلما جلبة

فقال النعمان : أبو أمامة ! فأذنوا له ، فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النعم السود ، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يُعلّم مكانه ، ولا يفتحل أحد فحلاً أسود ، فاستأذنه أن ينشده ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فما حسدت أحدًا حسدي النابغة ، لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل شعره^١ .

وذكر انه نادى المنذر الثالث والمنذر الرابع من ملوك الحيرة ، وكان من المقربين جداً من النعمان بن المنذر ، المعروف بأبي قابوس . ثم وقعت نقرة بينهما ، أدت الى هروب (النابغة) من (النعمان) ، وذهابه الى (عمرو بن الحارث) ملك غسان والى ابنته (النعمان بن عمرو) . وسبب هروبه من ملك الحيرة على ما يزعّمه أهل الأخبار ، ان (النابغة) تجاسر فوصف (المتجرّدة) امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة^٢ ، وتغزل بها ، مما أثار غضب النعمان عليه ، فخاف على نفسه ، وفر الى أعداء النعمان ملوك غسان . ويظهر ان النابغة ، كان يتصل بالغساسنة ويراجعهم ، وهم أعداء ملوك الحيرة ، أو ان جماعة من حساد النابغة وأعدائه دسوا ذلك الوصف عليه ، ونسبوه له ، ورووه وأوصلوه الى النعمان ،

١ الشعر والشعراء (٩٨/١ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٨١/١) .

٢ تاج العروس (٣١٩/٢) ، (جرد) ، المحاسن والاضداد (١٤٣) .

وهو رجل عصبي المزاج ، حاد الطبع ، سريع التأثر والأخذ بأقوال الناس ، فأراد الفتك به ، فهرب النابغة الى مكان يكون بآمن فيه ، وينال فيه التقدير ، فوقع اختياره على أرض الغمامة . وعاش في كنف عمرو بن الحارث ، وفي ظل ابنه (النعمان) . فلما مات (النعمان بن عمرو بن الحارث) ، أخذ ينظم الشعر في مدح (النعمان بن المنذر) ، وفي الاعتذار منه ، وفي التنصل مما اتهمه به حساده ، حتى عفى الملك عنه ، فعاد الى الحيرة ، ولما مات (النعمان) في محبسه ، رجع النابغة الى قبيلته ، وعاش بينها حتى مات هناك^١ .

ولأهل الأخبار قصص في سبب وقوع هذه النفرة ، فقال قوم : إنه هجاه فقال :

ملك يلاعبُ أمه وقطينه رنحو المفاصل أيره كالمروود

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها :

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأذنى ويعجز عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتبلا

ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة ، وإنما قاله على لسانه قوم حسدوه ، منهم (عبد قيس بن خفاف) التميمي ، ومنهم (مرة بن ربيعة بن قرئح) السعدي^٢ ، (مرة بن ربيعة بن قريع) وهو الذي سعى الى النعمان بالوشاية بالنابغة^٣ .

ويقال ان النعمان قال للنابغة وعنده المتجردة امرأته : صفها لي في شعرك يا أبا أمامة ! فقال قصيدة^٤ ذكر فيها بطنها وعكنها ومنتها وروادفها وفرجها ،

١ الشعر والشعراء (٧٠ وما بعدها) ، الاغانى (١٦٢/٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٨/١ وما بعدها) ، تاريخ ملوك العرب الاولى (١٠٧ وما بعدها ، ١١١) .

٢ الشعر والشعراء (٩٩/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ مرة بن ربيعة بن قريع ، الخزائن (٣٢٢/٢) ، (هارون) .

٤ هي القصيدة التي أولها : « أمن آل مية رائح أو مفتد » ، الخزائن (٢٨٧/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، (٤٢٧/١) ، (بولاق) .

وكان للنعمان نديم هو (المنخل) الشكري ، يتهم بالمتجردة ويظن بولد النعمان منها أنهم منه ، وكان (المنخل) جميلاً ، وكان النعمان قصيراً دميماً أبرش ، فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان : ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب ! فوّر ذلك في نفسه ، وبلغ النابغة ذلك فخافه فهرب إلى غسان ، فصار فيهم ، وانقطع إلى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني) ، وإلى أخيه النعمان بن الحارث ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان ، وبلغه أن الذي قذف به عنده باطل ، فبعث إليه : إنك صرت إلى قوم قتلوا جدي فأقت فيهم تمدحهم ، ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن ، إن كنا أردنا بك ما ظننت ، وسأله أن يعود إليه ، فقال شعره الذي يعتذر فيه . وقدم عليه مع (زبّان بن سيّار) ، و (منظور بن سيّار) الفزاريين ، وكان بينهما وبين النعمان دخل ، فضرب لها قبة ، ولا يشعر أن النابغة معها . ودس النابغة أبياتاً من قصيدته :

يا دار مية بالعلياء فالسند

فلما سمع النعمان الشعر ، أقسم بالله أنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ، وكتّاه فيه فأمته^١ . ويرى (بروكلمن) أن (النابغة) كان قد واصل بني غسان ، فظن (النعمان) به الغدر ، وعدم الوفاء له ، وهرب النابغة منه ، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث ، رجع النابغة إلى الحيرة ، وقال عفو أبي قابوس وحظوته من جديد ، ولكنه لم يتمتع طويلاً بذلك ، لموت أبي قابوس في سجن كسرى ، فرجع إلى قبيلته (بني ذبيان) ، حيث توفي بينها^٢ .

وقد مدح (النابغة) (عمرو بن الحارث) الغساني ، والغساسنة بشعر حسن ، يعدّ من الشعر الحسن المتفوق في المديح ، من جملة ما ورد فيه :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب^٣

١ الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٢ بروكلمن (٨٨/١ وما بعدها) .

٣ « محلتهم » ، كارلو نالينو (٨٥) .

رِقاق النعال طيب حجزاتهم يحَيِّون بالريحان يوم السباسب
تحييتهمُ بيض الولائد بينهم واكسية الإضريح فوق المشاجب
يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوتُ بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومي وإذ أعيت عليّ المذاهب^١

وهو مدح يختلف عن مدح شعراء البادية ، فيه رقة وجمال ، وفيه إبداع في وصف الغساسنة وعاداتهم في الاحتفال بأعيادهم النصرانية ^٢ .

وتروى للنابغة خطبة ، ذكر انه خاطب بها (الحارث) الغساني ، ليفك له أسرى قبيلته ^٣ .

ويروى ان العرب سألت النابغة أن يضرب قبة بعكاظ فيقضي بين الناس في أشعارهم لبصره بمعاني الشعر ، فضرب قبة حمراء من آدم وأنته وفود الشعراء من كل أوب ، فكان يستجيد الجيد من أشعارهم ، ويرذل ، فيكون قوله مسموعاً فيهم جميعاً ومأخوذاً به . فكان فيمن دخل عليه (الأعشى) وحسان بن ثابت والخنساء ، فأنشده الأعشى ، ثم أنشده حسان ، ثم أنشدته الخنساء ، فقال النابغة مخاطباً (حسان) : « لولا ان أبا بصير ، يعني الأعشى ، أنشدني لقلت انك أشعر الجن والأنس ، فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومن أهلك ومنها ! » وهي قصة تروى بشرح أوفى ، قرن بالأسباب التي دعت بالنابغة الى تفضيل شعر الأعشى على شعر حسان . وهي قصة طعن في صحتها بعض علماء الشعر ^٤ .

وللنابغة شعر في هجاء (زرعة بن عمرو) الكلابي ، وكان لقي النابغة بعكاظ وأشار عليه أن يشير على قومه أن يغدروا به (بني أسد) ، ويتقضوا حلفهم ، فأبى عليه النابغة ، فتوعده ، فقال النابغة :

-
- ١ ديوان النابغة عدد (١) .
 - ٢ كارلو نالينو (٨٦) .
 - ٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٩/١ وما بعدها) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٧/١) .

نبتت زرعة والسفاهة كاسمها يهدي إليّ غرائب الأشعار
فحلقت بأزرع بن عمرو انني مما يشق على العدو ضراري^١

وله شعر يهجو به (عامر بن الطفيل) حيث يقول :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب
فإنك سوف تحكم أو تنأى إذا ما شبت أو شاب الغراب

يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ، أو لعلك لا تحكم أبداً ، حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبداً ، ونحكم ، أي تصير حكماً^٢ . ويلاحظ أن هجاء النابغة هو هجاء مؤدب لا جهالة فيه ولا سفاهة ، عفا يؤثر في المهجو أكثر من أثر الهجاء الفاحش المليء بالسفاهة والسباب .

وقد نُعت شعراء آخرون بلفظة (النابغة) ، غير النابغة الذبياني . منهم : النابغة الجعدي : قيس بن عبد الله الصابي ، والنابغة الحارثي زيد بن أبان ، والنابغة الشيباني : حمل بن سعدانة ، والنابغة الذهلي : المخارق بن عبد الله ، والنابغة ابن لؤي بن مطيع الغنوي ، والنابغة العدواني ، والنابغة ابن قتال بن يربوع الديباني ، والنابغة التغلبي الحارث بن عدوان^٣ .

وتبدأ معلقة (النابغة) بقوله :

يا دار ميةً بالعلاء فالسندِ أقوت ، وطال عليها سالفُ الأبدِ

ولما تحدث (البغدادي) عن الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة ، وهو :

كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

قال : « وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه » . ثم قال : « وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر

١ الخزانة (٦٧/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ أمالي المرتضى (٥٥/١) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٨١/١) ، الخزانة (٢٨٩/١) ، (بولاق) .

٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (٥١٢ وما بعدها) .

أحمد بن محمد بن اسماعيل النحوي الى المعلقة السبع لجودتها وقد أورد الشارح
المحقق في شرحه عدة أبيات منها ، وقبل هذا البيت :

كان رحلي وقد زال النهار بنا بني الجليل على مستأنس وحد
من وحش وجرة موثي أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد^١

وهي قصيدة نعتها (البغدادى) بأنها طويلة^٢ ، ويبلغ عدد أبياتها في المعلقة
(٥٠) بيتاً^٣ . وقد ورد فيها اسم النبي (سليمان) ، ذكر انه انما ذكره فيها ،
لأنه كان له الملك مع النبوة ، يريد انه لا يشبهه أحد ممن أوتي الملك إلا سليمان
النبي^٤ . وتعدّ من أحسن شعر النابغة ، « ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلقة »^٥ .
ومن شعر النابغة قوله :

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل
فينبت حوذاناً وعوفاً منوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

وذلك على مذهب العرب المعروف في ذلك ، لأنهم كانوا يستقون السحاب
لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض . ويجرونه
مجرى الاسترحام ، ونسب (ابن الأعرابي) الى (علي) قوله : « إن العرب
انما تستسقي القبور لأنها اذا سقيت وعمّ الفطر أعشب المكان ، فحضره القوم
للرعي ، وترحوا على الموتى »^٦ .

وكان النابغة صديقاً لزهير بن أبي سلمى ، « روى هشام بن المنذر قال :
قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً ثم أكدى ، ومر به النابغة اللدبياني فقال له :
أجز ، قال : ماذا ؟ قال :

تزال الأرضُ إما متَ خفاً ونحيباً ما حييت بها ثقيلاً
نزلت بمستقر العز منها

-
- ١ الخزانة (٥٢١/١) ، (بولاق) .
 - ٢ الخزانة (٤٥/٢) ، (بولاق) .
 - ٣ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٥٣٣) .
 - ٤ الخزانة (٤٥/٢) ، (بولاق) .
 - ٥ الخزانة (٣١٥/٢) ، (بولاق) .
 - ٦ أمالي المرتضى (٥٤/١) .

فإذا قال ؟ فأكدى والله النابغة أيضاً ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له أبوه : أجز يا بني ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : بمستقر العز منها ؛ فقال كعب :

فتمنع جانبيها أن تزولا

فقال زهير : أنت والله ابني ^١ .

و(عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن زهير بن مالك بن الحارث) الأسدي ، شاعر مفلق من فحول شعراء الجاهلية . وكان معاصراً لامرئ القيس ، إذ يروي أهل الأخبار له قصيدة يخاطب بها امرأ القيس بن حجر ، أولها :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً

أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً وميناً^٢

أو أنه قال :

يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه حُجرٍ تمنى صاحب الأحلام

يخاطب به امرأ القيس الشاعر ، الذي هدد (بني أسد) قتل أبيه ، فأجابه عنهم بأن جعل وعيده كاذباً وما تمناه من الإيقاع بهم ، كأصغاث أحلام^٣ . فهو إذن من الرعيل القديم من الشعراء المعاصرين لامرئ القيس .

وذكر انه القائل :

سائل بنا حجر بن أم قطام إذ ظلت به السمرة النوايل تلعب^٤

وقد قدمه بعض علماء الشعر ، فجعله من طبقة (امرئ القيس) ، وجعله بعضهم من الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة ، وعلقمة بن عبدة ،

-
- ١ أمالي المرتضى (٩٧/١) وما بعدها .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٨/١) ، الخزائنة (٣٢٤/١) ، (بولاق) ، (٢١٢/٢) ، (هارون) ، الاغانى (٨٧/١٩) ، البخلاء (١٩٠) .
 - ٣ الخزائنة (٢١٢/٢) وما بعدها ، (٣٢٤/١) ، (بولاق) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٥٦/١) .

وعدي بن زيد^١ . وأجود شعره قصيدته التي يقول فيها : « أقفر من أهله
ملحوب^٢ » . وهي إحدى السبع^٣ . وجعلوه في عداد المعمرين ، فجعل (ابن
قتيبة) عمره يوم قتل أكثر من ثلاثمائة سنة^٤ . وجعل (السجستاني) عمره مائتي
سنة وعشرين ، ثم استدرك المقدار وقال : « ويقال بل ثلاثمائة سنة^٥ » . ولكي
يثبتوا صحة دعواهم في انه عاش هذا العمر ، رووا له شعراً زعموا انه قاله، هو :

ولثنتين بعدي قرون جمّة ترعى محارم أيكّة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجري أنحساً وسعدا
حتى يقال لمن تشرق دهره يا ذا الزمانة هل رأيت عبيدا
مائتي زمان كامل وبضعة عشرين عشت معمرأ محمودا

أدركت أول ملك نصير ناشئاً وبناء شدّاد وكان أيّدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بأن أرى داودا
ما تبغني من بعد هذا عيشة إلا الخلود ولن تنال خلودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما إلا الإله ووجهه المعبودا

وزعم أنه هو القائل :

فنيث وأفناني الزمان وأصبحت لداني بنو نعش وزهر الفراقد

وأنه القائل :

تذكرت أهل الخير والباع والندى وأهل عتاق الخيل والخمر والطيب
فأصبح مني كل ذلك قد خلا وأي فتى في الناس ليس بمكذوب
تري المرء يصبو للحياة وطيبها وفي طول عيش المرء برح بتعذيب^٦

وهو شعر لو أخذنا بحكم من ذكروا فيه ، إذن وجب أن يكون عمر (عبيد)

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٦٠/١) ، الخزانة (٢١٥/٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣١) ، الأغاني (٨٤/١٩) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٨٧/١) وما بعدها .
 - ٤ الخزانة (٣٢٣/١) ، (بولاق) .
 - ٥ الخزانة (٣٢٣/١) .

قد جاوز الألف سنة بكثير ، ويكون أهل الأخبار قد ظلموه ، إذ جعلوا عمره أكثر من ثلثمائة سنة ، وهو دون هذا العمر بكثير .

وزعم أن (المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء اللخمي) المعروف بـ (ذي القرنين) ، لقي (عبيد بن الأبرص) في يوم بؤسه ، وكان يقتل أول من يرى في يوم بؤسه ، فلما رآه قال له : هلاً كان المذبح غيرك يا عبيد ! فقال : أتتلك بجائن رجلاه ، وأرسله مثلاً ، فقال له : أنشدني يا عبيد ؛ فربما أعجبتني شعرك ! فقال : حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطيين . وأرسلها مثلاً ، وبقي يسأله وهو يحجب ، فيصير جوابه مثلاً ، حتى أمر بقتله ، فقال :

وخيرني ذو البؤس في يوم بؤسه خيصالاً أرى في كلها الموت قد برق
كما خيّرني عادٌ من الدهر مرةً سحائب ما فيها للذي خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل بيلدة فتتركها إلا كما ليلّة الطلق

وزعم أنه سأله أي قتلة تختار ؟ قال عبيد : أسقني من الراح حتى أثمل ، ثم أفصدني الأكحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغرين^١ .

وقد أخطأ (ابن قتيبة) ، إذ جعل قاتله (النعمان بن المنذر)^٢ ، بينما هو (المنذر بن ماء السماء) ، في الموارد الأخرى .

ولعبيد بن الأبرص شعر يتباهى فيه بني أسد قومه ، من ذلك قوله :

فاذهب اليك فلاني من بني أسد أهل القباب وأهل الجرد والنادي^٣

وبقباة الأدم تتفاخر العرب ، وللقباة الحمر قالوا : مضر الحمراء، والجرد : الخيل القصيرة الشعر ، وانما ذكر النادي لأن النادي من سياء السيادة والرئاسة وضخامة القبيلة ، حيث يجتمع ساداتها فيه .

-
- ١ الخزانة (٢١٨/٢ وما بعدها) ، (هارون) ، الخزانة (٣٢٤/١) ، (بولاق) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٦٠/١) ، أسماء المغتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، (دار الثقافة) .
 - ٣ الحيوان (٤٨٦/٥) .

وله قصيدة قالها متشكياً فيها من إعراض صاحبه عنه ، إذ رآته وقد كبر
وصار شيخاً ، تغير لون شعره ، وعلا الشيب مفرقه ، وقلّ ماله ، منها هذه
الآيات :

تلك عرسي غضبي تريد زياي ألبين تريد أم لدلال
إن يكن طلبك الفراق فلا أحفل أن تعطي صدور الجمال
أو يكن طيبك الدلال فلو في سالف الدهر والليالي الخوالي
كنت يفضاء كالمهاة وإذا تيك نشوان مريحاً أذياي
فاتركي مطّ حاجيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال
زعمت أنني كبرت وأنّي قل مالي وذن عني الموالي
وصحا باطلاي وأصبحت شيخاً لا يؤاتي أمثالها أمثالي
إن تريني تغير الرأس مني وعلا الشيب مفرقي وقذالي^١

١ البيان والتبيين (٢٣٦/١) .

الفصل الستون بعد المئة

الشعراء الصعاليك

قال صاحب (اللسان) : « الصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهري : ولا اعتماد . وقد تصعلك الرجل اذا كان كذلك ، قال حاتم طيء :

غنيا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقناه ، بكأسيهما الدهر
فا زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر »^١

« والتصعلك : الفقر . وصعاليك العرب : ذؤبانها . وكان عروة بن الورد يسمى : عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغمه »^٢ ، وقيل : الصعلوك : الفقير ، وهو أيضاً المتجرد للغارات »^٣ . والصعاليك ، قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائهم وقبائلهم ، لأسباب عديدة ، منها عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم نفسياتهم ، مما سبب الى فقورهم منهم ، وخروجهم على طاعة مجتمعهم ، وهروبهم منه ، والعيش عيشة الذؤبان ، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم ، وعلى قوتهم في تحصيل ما يحتاجون به ، بالإغارة على الطرق والمسالك ، وبمهاجمة أحياء العرب المبعثرة ، أفراداً أو طوائف . وهم أبداً في خوف من متعقب يتعقبهم ، لاسترداد ما أخذ أو سلب ، ومن متربص يتربص

١ اللسان (٤٥٥/١٠) وما بعدها ، (صعلك) ، (صادر) .
٢ اللسان (٤٥٦/١٠) ، (صعلك) ، تاج العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .
٣ جمهرة أشعار العرب (١١٥) .

بهم الدوائر ، ليأخذ منهم ما غنموه بالقوة من غيرهم أو ما قد يجده في أيديهم. ولهذا كانوا يتكثرون أحياناً ، بانضمام بعضهم الى بعض ، مكونين جماعات ، جمعت بينها وحدة الهدف ، وغريزة حماية النفس ، والمصلحة المشتركة ، بعد أن حرمهم أهلهم ومجتمعهم من تقديم أية مساعدة أو حماية لهم ، وسحب منهم حق الأخذ بالتأثر والانتقام ممن قد يعتدي عليهم ، بحق (العvisية) ، وبعد أن جعل دمهم هدراً ، وتبرأ منهم ومن كل جريرة يرتكبونها ، فلا يطالب أهلهم بدمهم ، ولا يطالبونهم بأي دم قد يسفحه الصعلوك .

ولا استبعد أن تكون للمغامرة ولإثبات الشخصية ، دخل أيضاً في حدوث الصعلكة وفي تمرد الشباب على مجتمعهم ، على غرار ما نجده اليوم من تمرد على مجتمعاتهم ، لإثبات وجودهم وشخصيتهم في هذه المجتمعات ، بطريقة العبث بالعرف والعادات وبعدم المبالاة لأوامر العائلة والمجتمع ، مما يجعلهم يسرون سيرة الصعاليك في ذلك الوقت ، فلو نظرنا الى حالة الصعاليك نجد أن منهم من كان من أسرة متمكنة أو لا بأس بأحوالها المالية ، ومع ذلك عاش صعلوكاً ، لما وجد فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع . فحب المغامرة ، وإثبات الشخصية ، من أسباب الصعلكة في الجاهلية كذلك .

والصعاليك بعد ، حاقدون على مجتمعهم ، متمردون عليه ، للأسباب المذكورة ، نبتت في أكثرهم عقد نفسية ، تكونت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم ، ومن سوء فعلهم وتصرفهم الخاطيء تجاه مجتمعهم ، فهم حاقدون لا يباليون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهيباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم ، لأنهم خلعوا منها ، وحرموا من حق الدم ، فكان خلعها لهم سبب شقائهم وبؤس حياتهم ، فأبي حق بقي إذن يمنعهم من الحقن على القبيلة ومن مهاجمة العشيرة ؟ ثم إنهم حاقدون على مجتمعهم ، لأن منهم فقراء معدمين ، لا شيء عندهم يعتاشون عليه ، ولا ملابس لديهم تقيهم من الحر أو البرد أو المطر ، وكل ما تقع أعينهم عليه ، هو مفيد لهم نافع ، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة ، وإن كان مالكة فقيراً معدماً مثلهم ، لأن النفس مقدمة على الغير ، وهم يعيرون الحامل منهم ، الذي يعيش صعلوكاً ذليلاً قائماً بما كتب عليه من الذل والتشرد ، عائشاً على صدقات الناس ، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا والسيف ، فن استعمل سيفه نال ما يريد ، لا يبالي فيمن سيقع السيف عليه ، وإلا عدّ

من (العيال) . قال (السليك) :

فلا تصلي بصلوك نثوم إذا أمسى يُعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب ينصل السيف هلمات الرجال^١

« ولذلك كان صعاليك العرب ولصوصهم وأرباب الغارة منهم يرون أن ما يحوونه من النعم بالغارة ، ويتألمونه بالسرقة والسلب ، إنما ذلك مال منعت منه الحقوق ، ودفع عنه بالبخل والعقوق ، فأرسلهم الله إليه وسببه لهم رزقهم إياه ، كما قال عروة الصعاليك :

لعلّ انطلاقي في البلاد وعزمتي وشدي حيازيم المطيئة بالرحل
سيدفعني يوماً الى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل^٢

« وكما ان فيهم من يتمدح ببذل القرى ومعاناة الطوى ، وتحمل الكلفة ومواساة ذوي الخلة ، فكذلك فيهم البخيل الجامع ، واللثيم الراضع ، ومن يؤثر التفرد بناره والاستثثار بزاده دون ضيفه وجاره . وينشد لبعضهم :

أعددت للأضياف كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من أرزن

وقال الآخر :

ولاني لأجفو الضيف من غير بغضة مخافة أن يغري بنا فيعود

وقال الأصمعي : مرَّ ابن حمادة بالخطيئة ، فقال : السلام عليك . قال : قلت ما لا ينكر . قال : إني أردت الظل . قال : دونك ، والجبل حتى يغني عليك . قال : اني خرجت من عند أهلي بغير زاد . قال ما ضمنت لأهلك قراك . قال : اني ابن حمادة . قال : كن ابن نعمة . فضي عنه آيساً .

قال : وخرج الخطيئة يوماً من خبائه ويده عصا ، فقال له رجل : ما هذه ؟ قال : عجرا من سلم . قال : اني ضيف . قال : للضيف أعدتها^٣ .

١ الشعراء الصعاليك (٢٣٥) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٢ وما بعدها) .

٣ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٠ وما بعدها) .

والخطيئة من الملحقين في السؤال المستجدين الذين لا ينجلون من الاستجداء . فكان يلج في شعره بالطلب ، ويحاول بكل الطرق جمع المال ، حتى أهان نفسه ، ولم يترك رجلاً معروفاً إلا ذهب إليه يسأله أن يعطيه مما عنده . فلما عيّن (عمر) (علقمة بن علاثة) على حوران ، قصده (الخطيئة) ، فوجده قد مات ، فقال :

وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل^١

فأعطاه ولده مائة ناقة مع أولادها .

وقد عاب (الأعشى) (علقمة بن علاثة) ، بقوله :

تبيتون في المشى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً^٢

وقد وجد الصعاليك في الأغنياء البخلاء ، هدفاً صالحاً لهم . فهؤلاء أصحاب مال ، وهم أصحاب جوع ، ولا بد للجوعان من أن يعيش ، فلم يجدوا في مباغطة الأغنياء أي حرج يمنعهم من السطو على أموالهم ، لأنها زائدة عليهم ، وهم في حاجة إليها ، وبذلك يضمنون لأنفسهم ولاخوانهم الجوع الصعاليك أسباب الحياة ، فالحاجة عندهم تبرر الوسطة ، وإذا امتنع إنسان على صعلوك وأبى تسليم ما عنده إليه ، فهو لا يبالي من قتله ، فالقتل ليس بشيء في نظره ، منظره مألوف ، والفقر ذاته قتل للإنسان ، بل أشد فتكاً به من القتل ، والصعلوك نفسه لا يدري متى يقتل ، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء .

وكان (أبو عبيدة) ، لا يستأنس بسماع شعر الصعاليك ، لأنهم فقراء ، قال (أبو حاتم) : « جئت أبا عبيدة يوماً ، ومعي شعر عروة بن الورد ، فقال : فارغ حل شعر فقير ليقرأه على فقير »^٣ ، فهو من المحبين للأغنياء ، وما الذي يجنيه من الفقراء ! وكان (أبو مالك عمرو بن كركرة) البصري ، مثل (أبي عبيدة) في الابتعاد عن الفقراء ، بل كان أشد منه تعصباً عليهم ،

١ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٨٨) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٥٩) .

٣ أمالي المرتضى (٦٣٨/١) .

« قال الجاحظ : كان أحد الطيِّاب ، يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء . ويقول إن فرعون عند الله أكرم من موسى »^١ . و (ابن كركرة) أعرابي ، وكان مرجع الأعراب الوافدين إلى البصرة ، وقد تحدث عنه (الجاحظ) في كتبه .

وقد عرف الصعاليك بـ (الذؤبان) وبـ (ذؤبان العرب) ، « وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم وشطارهم الذين يتلصصون ويتصعلكون ، لأنهم كالذئباب »^٢ . وعرفوا باللصوص لأنهم كانوا يتلصصون . واللص السارق ، في لغة طيء^٣ ، وقيل لهم : (الشطار) . « والشاطر من أعبي أهله ومؤدبه خبثاً ومكرأ ، جمعه الشطار كرمآن . وهو مأخوذ من شطر عنهم ، إذا نزع مراغماً . وقد قيل أنه مولد »^٤ . وعرفوا بـ (الخلعاء) ، والخلع الشاطر ، « وهو مجاز سمي به ، لأنه خلعته عشيرته وتبرأوا منه ، أو لأنه خلع رسنه . ويقال : خلع من الدين والحياء »^٥ . « وكان في الجاهلية إذا قال قائل منادياً في الموسم : يا أيها الناس ! هذا ابني قد خلعته ، وذلك إذا خاف منه خبثاً أو خيانة ، أو من هو بسبيل منه ، فيقولون : إنا قد خلعنا فلاناً ، أي فلان جر لم أضمن ، وإن جر إليه لم أطلب . يريد تبرأت منه . وكان لا يؤخذ بعد بجريرته وهو خليع »^٦ . و (الخلعاء) جماعتهم « واختلعه إذا ذهبوا بماله »^٧ . ولعل لهذا التفسير صلة بالصعلكة التي تعني الفقر ، فالفقر والإملاق والجوع من أهم الملازمات التي لازمت ورافقت الصعاليك ، وفي هذا المعنى أيضاً ما جاء في كتب اللغة : « وشفر المال تشفيراً : قلّ وذهب »^٨ ، ولعل للفظ (الشنفرى) ، صلة بهذا المعنى ، وقد تكون اللفظة (الرجل) التي تعني البؤس والفقر^٩ ، صلة بهذا المعنى كذلك . فقد عرف الصعاليك بـ (الرجلين)

١ الفهرست (٧٢) .

٢ تاج العروس (٢٤٨/١) ، (ذاب) ، الخزائن (٥٣٢/٣) .

٣ تاج العروس (٤٣٢/٤) ، (لص) .

٤ تاج العروس (٢٩٩/٣) ، (شطر) .

٥ تاج العروس (٣٢١/٥) ، (خلع) .

٦ تاج العروس (٣٢١/٥) ، (خلع) .

٧ تاج العروس (٣٢٢/٥) ، (خلع) .

٨ تاج العروس (٣٠٨/٣) ، (شفر) .

٩ تاج العروس (٣٣٨/٧) ، (رجل) .

وب (الرجل) ، وعرف الواحد منهم ب (الرجل)^١ ، وقد تكون للفظ (الخلع) صلة بالفقر والإملاق كذلك ، بدليل ما ذكره في تفسير (المعيل) من قولهم : « المعيل : الذي قصر ماله وعليه عيال »^٢ . وقد عرف الصعاليك ب (الرجلين) لاستعمالهم أرجلهم في الإقدام والهروب ، لأنهم فقراء لا يملكون غير أرجلهم تحملهم الى المواضع التي يريدون سرقتها ، إذ لا خيل لهم يركبونها لعجز أكثرهم عن شرائها ، فلا يكون أمامهم غير الاعتماد على الرجل .

والجوع حليف ملازم للصعاليك ، لم ينفر منهم ، ولم يبتعد عنهم لذلك كثرت الحديث عنه في شعرهم وفي أخبارهم . وقد كانوا يهربون منه ، لكنهم لم يفلتوا منه . فقد كان ممسكاً بهم ، ملازماً لهم ، ما داموا صعاككة ، فالجوع نفسه جزء من أجزاء الصعلكة . وفي شعر (عروة بن الورد) أن الجوع كان يتزل به ، حتى يكاد يهلكه ، أنزل به الهزال ، وأراه الموت ، لولا أنه كان يتهرب منه بالغارة ، لينال منها البلغة ، فالمنايا خير من الهزال المقيت الميت^٣ . وفي شعر للسليك بن السلكة ، أن الجوع كان يغشاه في الصيف ، حتى كان إذا قام تولاه اغماء شديد ، يريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع^٤ .

وما دامت حياة الصعلكة جوع وفقر ، وإملاق وهروب من متعقب ، فالموت خير للصلوك من حياة يعيشها فقيراً ، لا أقارب له تعطف عليه ، ولا أهل يشفقون عليه ، ولا قوم يراجعونه ويتعهدونه بالحماية^٥ ، حياته موحشة قاسية ، تفور بالأخطار والتهلكة والمغامرات ، لا يدري متى يأتيه الموت ومن أين يأتيه ، إذا نام ، خاف من غادر قد يغدر به ، ومن متعقب يتعقب أثره ، ومن طالب ثار يريد الأخذ بثأره منه ، ومن حيوان صعلوك مثله ، يريد أن يقضي على

-
- ١ تاج العروس (٣٣٩/٧) ، (رجل) ، (أجارت السليك بن السلكة السعدي ، وكان رجلياً) ، المحبر (٤٣٣) .
 - ٢ تاج العروس (٣٢١/٥) ، (خلع) .
 - ٣ أقيموا بني لبني صدور ركابكم فان منايا القوم خير من الهزل ديوان عروة (١٠٦) .
 - ٤ الاغانى (١٣٥/١٨) .
 - ٥ اذا المرء لم يبعث سوا ما ولم يرح فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربته ديوان عروة (١٥٠) ، وينسبان لغيره ، حماسة أبي تمام (١٦٦/١ ، ١٦٧) .

جوعه بافتراسه ، وهو معذور في ذلك لأنه جائع لا طعام له ، ومن هنا هان الموت في نظر الصعلوك ، فهو معه يتبعه مثل ظله وملازم له ، وتولدت في نفسه فلسفة (الآجال) : فلسفة ان لكل نفس أجل ، وأن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الإنسان مهما عاش وعمر ، فلا بد من أن يلاقي الموت ويستجيب له ، لن ينجيه منه قصر (ريمان) ، ولا حرس أبوابه المدججون بالسلاح ، يمنعون الناس من دخوله ، فالموت لا يعرف حرس القصور ولا يحول بينه وبين من يريد الوصول اليه حائل مهما كان . قال أبو الطمحان القيني :

لو كنتُ في ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف ألف
إذن لأتني حيث كنت منيتي يحبُّ بها هاد بأمرى قائف^١

ولقرب الموت من الصعاليك ، ولتعقب أصحاب الثأر دوماً لهم ، لازموا سلاحهم ، فكانوا لا ينامون إلا وسيفهم معهم . كما لازمهم الرقاد والسهر بالليل ، خشية مباغته غادر لهم ، والليل رفيق الغدر . لذلك كان ليلهم قصيراً ، ونومهم قليلاً ، من شدة قلقهم ومن تحسبهم لتعقب طلاب الثأر لهم ، ونجد في شعرهم اشارات الى مظاهر القلق الذي كان يستولي عليهم ، فيحول بينهم وبين النوم . ونجد في شعر للشنفرى توجع وتألم ومرارة ، وإن صيغ بصورة الاستهتار بالموت وبالحياة ، فهو إن جاءه الموت ، فلن يبالي ، ولم يبالي ، وهو انسان خليع بائس ، إن مات لا يجد من يبكي عليه أحد . فأى توجع أشد من هذا التوجع المصوغ في هذا البيت الساخر :

إذا ما أتتني ميتي لم أبالها ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي^٢

ولكن الحياة على ما فيها من مرارة وشقاء ، مطلوبة محبوبة ، فرباً لحظة فيها جبور تنسي كل ما كابده الانسان من تعاسة وشقاء ، والموت مكروه ممقوت ، وإن تمنّاه المتمني ، وما تمنيه له إلا لثورة طارئة في النفس ولضيق في الصدر ، فإذا بان الموت لمتنيه ضاق صدره ، وتمنى لو مد في عمره . يدفعه الأمل الى

١ الاغاني (١٣٣/١١) .

٢ الاغاني (١٣٩/٢١) ، الشعراء الصعاليك (٣٣) .

التفكير في احتمال تغير الأوضاع ، وتحسن الحال ، والحصول على الغنى والمال ، بشرط أن يسعى ويضرب في الأرض وأن يكون صادق العزيمة ، لا ينخور أمام المصائب مهما كانت شديدة عاتية ولا ينهار منها :

فسر^١ في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا^٢

وقد كان عماد الصعلوك في حياته ، قوته الجسدية وسلاحه الذي يحارب به ، وجاعته الذين يأوي اليهم ، وكان يقاتل بضراوة ، قتال المستميت ، لأنه إن لم يدافع عن نفسه ، هلك ، إذ لا أمل له في وجود عصية تدافع عنه ، أو أهل يقومون بافتدائه وتحليصه من أسر إن وقع فيه ، وسيله الوحيد لخلاصه عند قيامه بغارة : المباغتة والحرب بما قد يحصل عليه بسرعة ، كي يأمن العاقبة ، وعمل الحيلة في التخلص من المآزق ، لكيلا يقع في ايدي متعقبه ، فيكون بذلك هلاكه ، وفي جملة ذلك الفرار ، للنجاة بالنفس من موت محتم . وهو فرار يؤدي به الى معاودة الغارة والتلصص ، إذ لا مورد له في هذه الحياة يتعيش منه غير هذين الموردين . فحال في هذا الفرار حال (أبي خراش) الهللي حيث يقول :

فلن تزعمي أنني جبت^٣ فلأني أفر وأرمي مرة كل ذلك
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك^٤

ونظراً لفقر الصعاليك ، وعدم وجود مال لديهم يكفل لهم شراء فرس يركبونها في غاراتهم ، اعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم ، وفي الحصول على معاشهم ، وعلى خفة حركاتهم ، وسرعتهم في الهروب من تعقب المتعقبين لهم في حالي الفشل أو النجاح . وكان من بينهم من ضرب به المثل في زمانه في شدة العدو ، وفي سرعة الركض ، ورويت عنه الأقاصيص في ذلك . منهم (سليك بن المقائب بن السلكة) ، وهو عداء بالغ . يقال : أعدى من السليك^٥ . وقد عرفوا لذلك بـ (العدائين) لشدة عدوهم^٦ ، جمع (عداء) ، ومنهم أيضاً

١ ديوان عروة (١٩١) .

٢ ديوان الهذليين (١٦٩/٢) ، الدكتور يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك (٤٠) .

٣ تاج العروس (٤٠٩/١) ، (غرب) .

٤ الخزائن (١٧/٢) .

(الشنفرى) : « شاعر عداء . ومنه المثل : أعدى من الشنفرى »^١ ، « وكان من العدائين . وفي المثل : أعدى من الشنفرى »^٢ . كما عرفوا بـ (الرجلين) وبـ (الرجلين) ، وهم « قوم كانوا يعدون . كذا في العباب . ونص الأزهري : يغزون على أرجلهم ، الواحد رجليّ حركة أيضاً ... وهم سليك المقانب ، وهو ابن سلكة ، والمتشر بن وهب الباهلي ، وأوفى بن مطر المازني »^٣ ، « والرجلة بالفتح وبالكسر : شدة المشي ، أو بالضم القوة على المشي ، وفي المحكم : الرجلة بالضم المشي راجلاً »^٤ . وقد صار العدو من أهم صفاتهم ومميزاتهم التي امتازوا بها عن غيرهم ، حتى قيل إن الخيل لم تكن تلحق بهم . وفتحوا بأنهم كانوا أشد الناس عدواً ، وانهم « لا يجارون عدواً » ، « لا يلحقون »^٥ . ومن العدائين : (تأبط شرأ) ، و (عمرو بن البراق) ، و (أسيد بن جابر)^٦ . وورد أن العرب كانت تضرب بالسليك المثل في العدو ، وترغم أنه والشنفرى أعدى من رثي^٧ .

وضرب المثل بسرعة عدوهم ، واتخذ القصاص من شدة عدو الصعاليك مادة أدخلوها في قصصهم ، وبالقوا فيها لتناسب طابع القص واسلوبه ، وقد وجد بعضه سيلاً إلى كتب الأخبار والأدب والعجائب وال نوادر . وتؤلف المبالغات في سرعتهم وعدوهم أهم عنصر في القصص الذي يتحدث عنهم ، نجد فيها أن الصعلوك يسابق الخيل ، فيسبقها ، هذا (أبو خراش) الحلبي ، يدخل مكة ، فوجد (الوليد بن المغيرة) المخزومي ، يهيم بإرسال فرسين له إلى (الحلبة) فيقول له : ما تجعل لي إن سبقتهما ؟ قال : إن فعلت فيها لك ، فأرسلا وعدا بينهما فسبقها فأخذهما^٨ . وهذا (تأبط شرأ) يوصف بأنه « كان أعدى ذي رجلين وذئ ساقين وذئ عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر

-
- ١ تاج العروس (٣١٨/٣) ، (الشنفرية) .
 - ٢ تاج العروس (٣٠٨/٣) ، (شفر) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٩/٧) ، (رجل) ، ثمار القلوب (١٣٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣٦/٧) ، (رجل) .
 - ٥ الاغانى (٤٩/١٢) ، (١٣٣/١٨ وما بعدها) ، المرزباني (٤٦٨) ، الخزائن (١٦/٢) .
 - ٦ تاج العروس (٣٠٨/٣ ، ٣١٨) ، (شفر) ، (شنفر) .
 - ٧ ثمار القلوب (١٣٤) .
 - ٨ الاغانى (٥٧/٢١) .

الى الظباء ، فينتقي على نظره أسمتها ، ثم يجري خلفه ، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبجه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله ^١ . الى غير ذلك من قصص وحكايات .

وقد فخر العداؤون بشدة عدوهم ، وتباهوا بمقدرتهم على العدو السريع ، حتى أنهم نسبوا سبب نجاتهم من الموت الى عدوهم هذا ، لا الى قتالهم وشجاعتهم ، وبالغوا في شعرهم به ، حتى ذكروا أنهم كانوا يسبقون الخيل والظباء بل الطير ^٢ . هو نوع من (البطولة) في مفهوم الصعاليك ، حتى أنهم - كما قلت - فضّلوه على الشجاعة ، وإذا كانت الشجاعة ضرب من الإقدام وإظهار المقدرة والرجولية ، فالركض فراراً ، نوع من البطولة أيضاً ، فيه مقدرة وشجاعة في ضبط الأعصاب وفي التصميم والإقدام على السلامة والنجاة بالنفس وبقاء الحياة وهكذا أوجدوا لفرارهم عدراً اعتلّروا به ، فهم إن اختاروا الفرار وفضلوه على المعركة والقتال فلأنما اختاروه لأن فيه أمل المعاودة الى قتال جديد ، ثم لأنهم لا يرون سبباً يدعو الإنسان الى أن يرمي نفسه في المهالك ، وأن يكون طعاماً للوحوش الكاسرة ^٣ . فليس في الهروب جبن ، وليس في الإقدام شجاعة ، والعقل من اتعظ فنجى نفسه من الموت ، وفي النجاة شجاعة .

وقد كان لسرعة عدو الصعاليك العدائين فضل كبير عليهم في النجاة من المهالك المحتمّة ، هذا (تأبط شراً) ، يذكر في شعر له انه وقع في فخ في موضع (العيكتين) ، وكاد يهلك ، لولا استعانتة بالركض ، ولا أحد أسرع منه ، وبذلك نجا وخلص من الوقوع في داهية ^٤ . فلا عجب اذن ، اذا ما افتخروا بسرعة عدوهم ، وجأهروا بما لأرجلهم من فضل ومنة عليهم . فلولا العدو لما خرج (أبو خراش) سالماً من موت كان قد أحاق به ، ولكنه غلب الموت بشدة عدوه وهروبه منه ، فعاد سالماً معافى الى حليلته ، فاستقبلته ابنته بقولها : « سلمتَ وما إن كدت بالأمس تسلم » ، وأنقذ بذلك ابنه (خراش) من الوقوع في اليم ^٥ .

١ الاغاني (٢١٠ / ١٨) .

٢ الشعراء الصعاليك (٢٠٩ وما بعدها) .

٣ الشعراء الصعاليك (٢٠٩ وما بعدها) .

٤ المفضليات (٧ وما بعدها) ، الشعراء الصعاليك (٤٢) .

٥ الاغاني (٥٦ / ٢١ وما بعدها) ، ديوان الهذليين (١٤٨ / ٢) .

فلا عجب اذن ، إن رأينا (الحاجز الأزدي) ، يفدي رجله بأمه وخالته ، وهو فداء في نظرنا غريب ، لكنه ليس بغريب ، بالنسبة الى انسان رجلاه رأسماله في هذه الحياة ، بفضلها سلم من المهالك ، وحصل على قوته ، ولولاهما لكان من الهالكين :

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب^١

وكان الصعاليك يغيرون فرساناً كذلك ، كانوا يجيدون ركوب الخيل والإغارة عليها ، وعدّ بعضهم من خيرة فرسان الجاهلية . ولعروة بن الورد فرس يسمى (قرمل)^٢ ، وللسليك فرس يسمى (النحام)^٣ ، ولشنفري فرس يسمى (اليحموم)^٤ ، وقد عرفت هذه الأفراس بشدة عدوها .

والسلاح للصعلوك ، هو الحاية الوحيدة التي يتقي بها أذى الناس ، ويستعين بها في القضاء على خصمه ، وهو السيف والقص والرمح والدرع والمغفر ، وكان لا يفارق سلاحه ، لأنه لا يلدي متى ينقض عليه عدو له فيقتله ، فكان لا بد له من حمل سيفه معه ، واعتناقه له حين نومه ، وقد عد (عروة بن الورد) ، و (عمرو بن براق) السلاح رأسمالهما الذي يتكولون عليه في هذه الحياة * .

ولصعوبة تصعلك الرجل بمفرده ، تكتل الصعاليك كتلاً ، وكوتوا لهم فرقاً ، تكوّنت من أشبات وأنماط من الرجال ، فيهم الحرّ الثائر ، وفيهم الضالّ الغاوي ، وفيهم الأسود العبد ، وفيهم القاتل الفاتك . وهم بالطبع من قبائل مختلفة ومن بطون متنافرة . فلا تجمعهم عصبية القبيلة ، ولا نخوة العشيرة ، ومع ذلك في بينهم رابطة قوية ، ووحدة جمعت بينهم ، هي وحدة الدفاع عن النفس ، والذب عنها ، والكفاح في سبيل المعيشة ، بأي سبيل ، وبأية طريقة وجدت ووقعت ، حتى بالقتل . فن وجد شخصاً ومعه مال ، لا يجد الصعلوك والقاتل سبباً أخلاقياً

١ الاغاني (٥٢/١٢) .

٢ قال عروة :

كليلسة شيباء التي لست ناسياً وليلتنا اذ من ما من قرمل
تاج العروس (٧٩/٨) ، (القرمل) .

٣ ذيل الامالي ، للقالبي (١٨٨) .

٤ ديوان الشنفري ، تحقيق الميمني ، (لجنة) (ص ٤٠) .

٥ ديوان عروة (٢٠٧) ، الاغاني (١٧٥/٢١) .

يمنعه من قتله للحصول على ماله . فلما كان (عروة بن الورد) في أرض (بني أنقن) يربص المارة ، فرت به إبل ، فيها ظعينة ورجل يحرسها ، خرج إليه (عروة) فرمى الرجل بسهم في ظهره ، أراحه قتيلاً ، واستاق الإبل والظعينة . ولما خرج (الأخينس) الجهني فلقني (الحصين) العمري ، وكانا فاتكين ، وسارا حتى لقيا رجلاً من كندة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، طمعا به ، فاغتره (الحصين) فضرب بطنه بالسيف فقتله ، واقتسما ماله ، ثم ركبوا ، وطمع (الأخينس) في مال (الحصين) فربص به الفرص حتى أخذه على غرة فقتله واستولى على ما كان عنده ، في حكاية تروى ، وفيه يقول الأخينس على لسان (صخرة) أخت (الحصين) :

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين^١

فالفاتك لا يجد مانعاً أخلاقياً يمنعه من الفتك بأي شخص إن وجده عنده المال ووجد له فرصة مؤاتية ، ثم هو لا يمتنع من الفتك حتى يزميله وصاحبه وشريكه في الإغارة والفتك ، والتاجر لا يأمن من حراسه ومن مرافقيه حتى يصل مقره ، لأن الفقر لا يعرف أخاً ولا صديقاً وشريكاً ، قاتل الله الفقر ووقانا شره !

ونجد (تأبط شراً) ، يتبجح في شعر ينسب له ، فيقول انه لا يبيت الدهر إلا على فتي أسلبه ، أو على سرب أذعره^٢ . ونجد صاحب (لامية العرب) ، إن صح أنها للشنفرى ، يصف غارة ملأت الرعب في قلب من وقعت عليهم ، قام بها في ليلة باردة ، عاد منها سالماً معافى بغنائم ، وهو فرح بما تركه من قتل وسلب وألم في نفوس النساء والأطفال ، إذ يقول :

فأبمتُ نسوانا ، وأبتمتُ إلدّةً وعدتُ كما أبدأتُ ، والليل أليل^٣

ونجد (السليك) يخرج مع صعلوكين يريدون الغارة ، فساروا حتى أتوا بيتاً مطرفاً ، ووجد شيخاً غطى وجهه من البرد ، وقد أخذته إغفاءة ، ومعه إبله

-
- ١ ديوان عروة (١١٣) ، (اخراج عبد المعين الملوحي) .
 - ٢ عيون الاخبار (١٨١/١) وما بعدها ، (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي) .
 - ٣ الاغانى (٢١٧/١٨) .
 - ٤ الشعراء الصعاليك (٤٩) .

ترعى ، فأسرع اليه وضربه بسيفه فقتله ، ونهبوا إبله ، وعادوا بها مسرعين فرحين ، خشية شعور الحي بأمرهم وتعقبهم لهم . قتله دون أن يشعر بوخزة ضمير ، لقتله انساناً نائماً طاعناً في السن يرعى إبله ، وإن وجدناه يبرر فعلته هذه ، بأنه لم يتل هذه الإبل إلا بعد أن صكه الجوع ، واستولى عليه الفقر ، فهو قد قام به مضطراً^١ ، والضرورات تبيح المحظورات .

ونرى (صخر الغي) المزني ، يقول في شعر له ، انه قتل رجلاً من (مزينة) وسلبه ماله ، ليقوى به مال رجل فقير ، لا يملك مالا :

في المزني الذي حششت به مالَ ضريك تلاده النكد^٢

وعلى الرغم من هذا العنف، ومن هذه القساوة العنيفة ، التي تصل الى الوحشية ، نرى عند بعضهم ، روحاً إنسانية ، فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة ، والبر للأهل والأقارب بل والغريب أيضاً . بل نجد هذه الروح أحياناً حتى عند القساة منهم ، وسبب ذلك أن الصعاليكة في ثورات نفسية ، يعيشون عيشة قلق مضطربة ، فإذا كانوا في ثورة جائعة من جوع وحاجة وتآلم بما حلّ بهم وبما هم فيه من سوء حال ، هاجوا فكفروا بكل شيء ، وثاروا على كل شيء وعلى كل أحد ، وصاروا لا يباليون بعرف ولا سنة ، يقتلون لأنفهم الأسباب ، لأنهم معرضون أنفسهم في كل لحظة للقتل . ثم إن القتل لا شيء بالنسبة الى تلك الأيام ، وان تعاضم في نظرنا . فهم في ذلك مثل الأسود الجائعة ، لا تعابأ بشيء ، وكل همّها الحصول على فريسة لتأكلها فتعيش عليها ، فإذا وجد الصعلوك غنيمة ، وعاد الى مقره سالماً ارتخت أعصابه ، وهدأت سورته ، وتذكر نفسه وما يقاسيه من ألم وجوع ، فيعود إنساناً آخر ، باراً بأصحابه حنوناً عليهم ، نادماً على حياة يعيشها جعلته يعيش مثل الوحوش الكاسرة ، كريماً يعطي مما ناله بقوته وبسلاحه وبلدائه . هذا (عروة بن الورد) و (أبو خراش) الهللي

١ وما نلتها حتى تصعلكت حقبة
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرنى
الشعراء الصعاليك (١٨٢ وما بعدها) .
٢ الشعراء الصعاليك (٢٣٨) .
وكدت لاسباب المنية أعرف
إذا قممت تغشاني ظلال فاسد

وغيرهما ، نجد فيهم التقيضين ، نجد فيهم القسوة بل الوحشية ، ثم نجد فيهم العطف والشفقة والرحمة والاشفاق على الضعفاء ، وما الجمع بين التقيضين إلا من واقع هذه الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية التي كانوا يعيشون فيها .

وفي شعر ينسب الى (أبي خراش) الهللي ، امتداح للكرم ولكرامة الانسان في الحياة ، وترفع عن المذلة وتباهٍ بإثثار الغير على نفسه ، مع انه فقير صعلوك ، فهو يقول :

واني لأتوي الجوعَ حتى يملي فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي
وأغتب الماء القراح فأنتهي اذا الزاد أمسى للمزج ذا طعم
أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من صيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموتُ خيرٌ من حياة على رغمٍ

وقد عاش هؤلاء على المباغثة والغارات ، فكانوا يتسترون في المواضع الوعرة ، وفي مفارق الطرق وشعاب الجبال حتى اذا مر بهم مار ، ووجدوا أن في إمكانهم الحصول على غنيمة ، باغتوه ، وأخذوا منه ما هو عنده . وقد يفرون على الأحياء ليلاً ، فيأخذون ما يجدونه أمامهم ، ثم يجرون بسرعة حتى لا يدرკهم أحد ، ليصلوا الى مواضع آمنة بعيدة عن التعقيب ، مثل الكهوف والمغاور والآكام ، يأوون اليها ويعيشون بها عيشة الخائف المتشرد الهارب من مجتمعه ، الحاقد عليه ، لأن في قلبه حقداً عليه ، لأنه لم يفهمه ولم يفهم سبب نقمته على مجتمعه . وأكثرهم من الشباب الذين خرجوا على طاعة أوليائهم أو على عُرْف مجتمعتهم ، أو عوملوا معاملة أشعرتهم انها اذلتهم وجرحت كرامتهم ، فانفصلوا بذلك عن أهلهم وعشيرتهم أو فصلهم أهلهم عنهم ، فلم يبق أمامهم من سبيل سوى التصعلك والتشرد .

وكان من هؤلاء مثل (عروة بن الورد) من جمع حوله الصعاليك ، ولقّبهم حوله ، فكان يغزو بالقوي الجسر منهم ، فإذا أصابوا مغنماً جاءوا به الى أصحابهم الضعفاء ممن لا يتمكن أو لا يتجاسر على الغارة ، فيصيبونهم بما أصابوا ويعينونهم بما غنموا ، وحياة على مثل هذا الطراز ، هي حياة شديدة قاسية ولا شك .

١ ديوان الهذليين (١٢٧/٢) ، (دار الكتب) ، الاغاني (٤٢/٢١) .

وقد كانت المرتفعات الصعبة المشرفة على المسالك والطرق الضيقة من أهم الأماكن المحيية الى نفوس الصعاليك وقطاع الطرق ، يحتمون بالمواضع المشرفة منها على الطرق لمراقبة المارة ، من (مرقبة) تخفي معالمها لئلا يراها أو يظن لوجودها سلاك الطرق ، فاذا مروا بها انقضوا عليها منها ، وكأهم هبطوا عليهم من السماء . ونجد لها ذكراً في شعر الصعاليك واللصوص وقطاع الطرق^١ . وقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته ، ورد : « المرقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »^٢ .

ونجد في شعر (تأبط شراً) أنه كان يغير على (أهل المواشي) و (أهل الركيب) والحب ، وعلى (أرباب المخاض) ، فعند هؤلاء ما يطمع فيه الفقير الصعلوك من مال وحب يعتاش عليه ، ومن نوق حوامل^٣ . ونرى (الأعلم) الهذلي ، يذكر أنه يغزو المترف السمين ، الذي يعيش بين الستائر والكيف ، بينما هو وأمثاله لا يملكون شيئاً ، فاذا هاجموه ، خاف وأهدت كيانه^٤ . ولهذا صار الساكنون في الأرضين الحصبة والتجار والسابلة من خيرة الأهداف التي كان يترصدها الصعاليكة ، لعلمهم بوجود شيء عند أصحابها ، أكثر مما يجدونه عند الأعراف الضارين في البوادي النائية المكشوفة .

ويطمع الصعاليك أيضاً بعضهم في بعض ، فالحياة جوع وفقر ، والفقر كافر لا يعرف عرف (المهنة) ولا مجاملات الصنف ، ثم هم أبناء البادية ، يؤمن طبع البادية ، أن يغير أبنائها بعضهم على بعض ، للحصول على لقمة العيش ، فكان الصعاليك تبعاً لهذه السنة يغير بعضهم على بعض ، خاصة إذا كانوا صعاليك متعادية . فكان بين صعاليك هذيل وصعاليك قهم ، عدااء شديد ، وحقد دفين ، بسبب العداوة بين الحيين^٥ ، عداوة مرجعها تجاوز الحيين ، واختلاف مصالحها الحيوية ، وطمع القبيلتين في (بجيلة) ، و (بجيلة) في جوار (الطائف) ، وهي غير

١ الشعراء الصعاليك (١٨٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢٧٦/١) ، (رقب) .

٣ فيوما على أهل المواشي وتارة لاهل ركيب ذي ثميل وسنبيل ولكن أرباب المخاض يشفهم اذا اقتفروه واحدا أو مشيعا

الاغاني (٢١٧/١٨) ، حماسة أبي تمام (٢٨/٢) .

٤ الشعراء الصعاليك (٢٣٧) .

٥ شرح أشعار الهذليين (٢٣٣/١ وما بعدها) ، الشعراء الصعاليك (٤٨) .

بعيدة عن فهم ، ولا تبعد منازلها بعداً كبيراً أيضاً عن ديار هذيل^١ .

وكان بين (صخر الغي) الهللي و (تأبط شرأ) عداء شديد . وقد سمي (الهذلي) (تأبط شرأ) بـ (ابن ترني) ازدراء به . ونجد في الشعر الوارد في هجاء الشاعرين بعض لوناً طريفاً من ألوان هذا الصراع السلي كان يقع بين الصعاليك^٢ ، وهو صراع أسبابه عديدة ، صراع متولد من عصبية قبلية ، أو من تنافس وتحاسد في الحرفة وعلى الرئاسة والزعامة والصيت والشهرة ، أو في طمع كل واحد منهم في الآخر للاستيلاء على ما حصل عليه من مال ليتعيش به .

وقد انتشر الصعاليك في كل موضع من جزيرة العرب ، ففي كل مكان منها جوع وقمر وصعلكة ، حتى صاروا قوة مرعبة مخوفة ، لشدة بأسهم في القتال ، ولعرفتهم بالمسالك وبمنافذ الطرق وبمداخلها وبأسرار البوادي وخفايا النجاد والجبال ، فكانوا أن اتخذوا من الكهوف والمنحدرات والمسترات المشرفة على الأودية والطرق ، مواضع رصد واختفاء ، يراقبون منها حركات المارة ، فإذا وجدوهم دخلوا موضعاً صعباً ، يمكن حصرهم به ، انقضوا عليهم ، فأخذوا منهم ما يكون عندهم من متاع هذه الدنيا ، ثم هربوا بما غنموا إلى مخابثهم حيث لا يصل إليهم أحد ، وإن وجدوا أن السابلة أقوى منهم وأشد بأساً ، اتخذوا من الفرار وسيلة للسلامة والنجاة ، فلا يلحقهم متعقب ، ولا يطمع أحد في إصابتهم بمكرهه ، وهم على علم واسع وخبرة عالية بمجاهل البوادي وبخبايا الأرض ، وهكذا يكونون في نأي عن التعقيب وفي منجاة من التعقب . ولما سدّت السبل في وجه (النعمان ابن المنذر) بعد أن غضب كسرى عليه ، وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان ، لجأ إلى (هانيء بن قبيصة) الشيباني ، فأجاره وقال : لزمني فمالك ، وإني مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وإن ذلك مهلكي ومهلكك ، وعندني رأي لست أشير به لأدفعك عما تريده من مجاورتي ، ولكنه الصواب ، فقال هانيء ، قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد الملك سوقة . والموت نازل بكل أحد ، ولأن تموت كريماً خيراً من أن تتجرع الذل أو تبقي سوقة بعد الملك . امض إلى صاحبك واحمل عليه هدايا ومالاً والتق نفسك بين يديه ،

١ شرح أشعار الهذليين (٢٣٣/١ وما بعدها) .

٢ الشعراء الصعاليك (١٩٢) .

فلما أن يصفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، وأما أن يصيبك ، فالموت خير من أن تتلعب بك صعاليك العرب ويتمخطفك ذئابها^١ ، وفي نصيحة هانيء، للنعمان، وإشارته فيها الى (صعاليك العرب) دلالة على انتشارهم في كل مكان . وأنهم صاروا خطراً على الأمن ، بحسب له كل حساب .

ولما خلع (امرؤ القيس) ، وصار ضليلاً خليفاً ، « جمع جموعاً من حير غيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها^٢ ، وأخذ يغير بهم على أحياء العرب ، ما كان (امرؤ القيس) ليجمع جمعهم ويحزبهم حزبه لو لم تكن في نفسه حاجة لهم ، فقد كانوا قوة ، وقد صاروا رعباً يخيف الناس ، كالذي كان في جبل (مّة) من تكتل خليط من كنانة ومزينة والحكم والقارة والسودان ، من تكتلهم وأبهم وأخذهم من كان يمر بالغارة والنهب والسلب ، بقوا على ذلك أسداً ثائناً على مجتمعهم ، حتى ظهر الاسلام ، فكاتبهم الرسول ، وأمنهم انهم ان آمنوا وأقاموا الصلاة ، وصدقوا ، « فعبدهم حر ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخلوه ، فهو لم ، وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان^٣ . فهم قم متمردون ثائرون لا يعطون أحداً طاعة ، إلا طاعة أنفسهم والمترس فيهم . زلزل هذا هو الذي حدا بأهل النسب والأخبار أن يقولوا : « والخلعاء : بطن من بني عامر بن صعصعة ... كانوا لا يعطون أحداً طاعة^٤ .

وهكذا وضع (الصعاليك) أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم لتحقيق أهدافه التي يريد ، مقابل ترضيتهم وإعاشتهم ، كما يفعل الجنود المرتزقة هذا اليوم من خدمة الدول الأجنبية ، بانضمامهم الى الفرق الأجنبية ، كما هو الحال في (فرنسا) مثلاً لاستخدامهم في القتال .

وقد جعلت حياة التشرد والغارات والهروب والفرار الى مواضع بعيدة نائية وفي مجاهل البرادي ، الصعاليك من أعلم الناس بدروب جزيرة العرب ، وبالمواضع

-
- ١ الاغانى (١٢٦/٢) ، الخزائن (١٨٥/١) وما بعدها .
 - ٢ الخزائن (٥٣٢/٣) ، (جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب) ، معاهد التنصيص (٥/١) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) ، (صادر) .
 - ٤ تاج العروس (٣٢١/٥) .

الصعبة منها بصورة خاصة . وقد وصف (السليك) ، (البعيد - الغارة) بأنه « أدل من قطاة » ، ونعت الصعاليك جميعاً بأنهم « أهلى من القطا »^١ ، واقتخر الصعاليكة أنفسهم بأنهم كانوا يعرفون عن خفايا البوادي والجبال ما لا يعرفه أحد غيرهم ، وبذلك كانوا ينجون أنفسهم من تعقب المتعقبين لهم^٢ .

ونجد لشذاد العرب ، ذكراً في أخبار الغزو وفي أخبار الأخذ بالشار ، وفي أخبار من كان يريد الانتقام من أعدائه ، فلما غزا (زيد الخيل) الطائي (بني عامر) ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، « جمع طيئاً وأخلطاً لهم ، وجموعاً من شذاذ العرب »^٣ ولما غزا (زهير بن جناب) الكلبي ، بكرأ وتغلب أخذ « من تجمع له من شذاذ العرب والقبائل » وغيرهم فغزا بهم^٤ . وقد كان هؤلاء (الشذاذ) على استعداد لوضع أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم في مقابل أجر ، أو يتكفل بإعاشتهم وإرزاقهم ، أو من يرزقهم غنيمة من غارة يساهمون فيها ، فلما أراد (أبو جندب) الهنلي ، الأخذ بثأر جارين له قتلها (بنو لحيان) ، قدم مكة ، فأخذ جماعة من خلعاء بكر وخزاعة ، وخرج بهم على بني لحيان ، وكان قد « قدم مكة ، فواعد كل خليج وفلك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه » ، ليثأر لأخيه^٥ .

وكانت مكة على ما يظهر من أخبار أهل الأخبار ، مكاناً أوى إليه ذؤبان العرب وخلعائهم وصعاليكهم ، حتى كثر عددهم بها ، لما وجدوه فيها من حماية ومعونة ، وكان أحدهم إذا جاءها ، نادى قريشاً نداء النخوة لتؤويه وتجيّره ، فيقوم أشرافها بحمايته وتقديم الجوار له . ومن هنا نجد الفتاك وأهل الغي والضلال يجوسون خلالها في أمن وسلام ، لحرم المدينة ولحرمه حقوق الجوار ، ولعل المصالح الاقتصادية التي كانت تبنيها قريش من هذا الإيواء ، كانت السبب الأول في جعل سرانها يقدمون العون والجوار لأولئك الذؤبان الفتاك الذين كانوا لا يتورعون من الإقدام على أي عمل مهما كان شأنه خطيراً ، حتى إن كان فيه هلاكهم ،

١ الاغاني (١٨/١٣٤) ، المرزباني (٤٦٨) ، الشعراء الصعاليك (٥٤) .

٢ الاصمعيات (١/٣٥) .

٣ الاغاني (١٦/٥٢) .

٤ الاغاني (٢١/٩٦) .

٥ الاغاني (٢١/٦٢ وما بعدها) ، شرح أشعار الهذليين (١/٨٣ وما بعدها) .

أو جاء بالأذى على من أحسن اليهم وأجارهم ، فهم قوم أصابهم طيش وركبهم التمرد والحقد على المجتمع ، فهم لا يبالون بارتكاب أية موبقة ولو وقعت منهم في الحرم ، فقد كان في وسع تجار قريش تأمين تجارتهم بالإحسان إلى هؤلاء الذين كان في استطاعتهم مهاجمة القوافل ونهب ما معها من أموال ، كما كان بإمكانهم استخدامهم حراًساً يخرجون مع قوافلهم لحراستها من بقية الصعاليك إلى وصولها إلى الأماكن التي تريدها ، كما كان في استطاعتهم الاستفادة من الفتاك في الفتك بمن يناصبهم العدا ، وفي القضاء على كل من يريد التحرش بقريشي أو بأموال قريش أو حلفائهم . وبذلك تمكنوا من حماية تجارتهم من الصعاليك ومن الأعراب الذين قد تمر تجارة قريش بهم ، وإن كانت قريش قد أمنت جانبهم أيضاً بعقد حبالها مع سادات القبائل بإيلاف عرف بـ (إيلاف قريش) في القرآن الكريم .

وكان (البراض) ، وهو (رافع بن قيس) وهو من الفتاك ، قد لجأ إلى مكة ، فحالف (بني سهم) من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه (العاص بن وائل) فأتى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب إلى اليمن ، فخلعه (حرب) ، فلما ضاقت به السبل ذهب إلى الحيرة ، وطلب من النعمان أن يجير له (لطيمته) ، فقال له (الرجال ابن عروة) : « أنت تجيرها على أهل الشيخ والقيصوم ؟ وإنما أنت كلب خليع ! » فأعطاهما (النعمان) إلى (عروة) ، فخرج (البراض) في أثره ، فلما انتهى إلى (أواره) قتله وانتهب اللطيمة ، فكان بسببه حرب الفجار بين كنانة وقيس !

وبين الصعاليك قوم من (الغربان) (غربان العرب) ، وأغربة العرب سودانهم . شبهوا بالأغربة في لونهم ، وكلهم سرى اليهم السواد من أمهاتهم . تصعلكوا لأزدراء قومهم لهم ، ولانتقاص أهلهم لشأنهم ، وعدم اعتراف آبائهم بينوتهم لهم ، لأنهم أبناء إماء . أو لفقرهم ، وظلم المجتمع لهم ، وعدم طبقة مملوكة ، هم والحيوان المملوك سواء بسواء . ليس لأحدهم جسمه ، ولا أهله ولا نسله ، وكل ما يملكه أو ما يحصل عليه يكون ملك سيده ، ومن خالف أمره منهم ، جاز لسيده قتله ، ولسيده حق الاستمتاع بمملوكته وبجوارده من غير

١ المحبر (١٩٥ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٤٠٩/١) ، (غرب) .

قيد ولا شرط . وهذا ما جعل بعض الرقيق يهرب من سيده ، فراراً من ظلمه ، لينضم الى الصعاليك، أو ليكون عصابة تلجأ الى الجبال والكهوف ، تهاجم المارة ، والأحياء ، لتحصل على ما تتعيش به . ولما ظهر أمر الرسول ، كتب لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة، وهم خليط من كثانة ومزينة والحكم والقارة، ومن فرق من سادته من العبيد ، كتاباً ، فيه أنهم « إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدكم حرّاً ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يردّ إليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس ردّ إليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان »^١ .

وأغربة العرب ، أو أغربة الصعاليك بتعبير أصدق ، كثيرون ، فقد كانت عادة اتصال العرب بالزنجيات منتشرة في الجاهلية ، وقد أولدت طبقة من الهجناء امتازت بسرعة العدو وبالشجاعة ، ويتحمل المشقات ، وكلها من مولدات الظروف . ولكن أشهر أغربة الصعاليك : السليك بن السلكة ، وتأبط شرّاً . وقد جعل (ابن قتيبة) أغربة العرب ثلاثة : عنزة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، والسليك بن عمير السعدي^٢ ، ولكن عددهم أكثر من ذلك بكثير ، يدخل فيهم الصعاليك وغيرهم .

أما الباقون ، فهم من شذاذ العرب ، ومن الخلقاء المطرودين المنبوذين، الذين طردوا من أهلهم أو من عشيرتهم وقبيلتهم ، وحرّموا من (العصبية) ، فلا أحد يسأل عنهم ، ولا أحد يسأل عن جرائمهم وأعمالهم ، فدمهم هدر ، ومسؤوليتهم على عاتقهم وحدهم . وهم من عشائر مختلفة ، فلا ينتسبون الى نسب واحد ، ونسبهم الوحيد الذي يربط بينهم ، هو الصعلكة ، والتمرد على المجتمع والتشرد في البوادي والهضاب والجبال ، ولهذا نجد الصعاليك من مختلف قبائل وعشائر جزيرة العرب ، قد يتكثرون في مجموعات تضم صعاليك قبيلة واحدة ، وقد يتكثرون في جماعات تتكون من صعاليك قبائل مختلفة . وتكون الألفة بين صعاليك القبيلة الواحدة أشد وأقوى من الألفة التي تكون بين صعاليك القبائل المختلفة ، لما يكون

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) ، « ذكر بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرسل يكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام وما كتب به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لناس من العرب وغيرهم » .

٢ الشعر والشعراء (١٧٢/١) ، (دار الثقافة) ، (عنزة) ، الاغانى (٢٤٠/٨) .

للسب والدم من أثر في نفوسهم ، وإن كفروا بعرف القبيلة وخرجوا على طاعتها . ونجد في شعر شعرائهم إشادة بأخوة (الصنف) و (الحرقه) تحل محل أخوة العشيرة والقبيلة ، إذا مات أحدهم أو قتل ، حزنوا عليه ، وإن مرض عالجوه ، وإن جاع قدموا له ما عندهم من طعام^١ .

وقد يستجير الخليج بمجير ، فيقبل جواره ، الى حين أو بغير أجل محدد ، أو على شروط ، ففي حديث خروج (امرئ القيس) مطالباً بدم أبيه ، أنه لجأ الى (عامر بن جوين) أحد الخلفاء الفتاك ، وعامر يومئذ خليج ، تبرأ قومه من جرائمه وتنصل أهله منه^٢ ، وفي حديث (البراض بن قيس) الكناني وكان خليعاً فانتكاً سكيراً ، لا يتزل بقوم ، إلا عمل منكراً فيهم - ، أنه لجأ الى بني (الدليل) ، فشرب وجرّ جريرة ، استوجبت خلعه فخلعوه ، فأتى مكة ، فتزل على حرب بن أمية ، فحالفه وأحسن جواره ، ثم شرب بمكة وأساء على عاداته ، حتى همّ حرب أن يخلعه^٣ ، وفي حديث (أبي الطمحان) القيني ، وكان خليعاً فاسقاً ، منهتكاً ، لا يعرف خلقاً ولا أدباً ، أنه نزل بمكة في جوار (الزبير بن عبد المطلب) ، « وكان يتزل عليه الخلفاء »^٤ ، ونزل (مطرود ابن كعب) الخزاعي ، في جوار (عبد المطلب) ، فحماه وأحسن اليه ، وكان قد لجأ اليه بلخاية كانت منه^٥ ، ووجد (قيس بن الحدادية) من يؤويه ، مع أنه كان صعلوكاً خليعاً ، عجز هو وأهله عن دفع دية قتيل قتلوه ، فخلعته قبيلته خزاعة ، فتزل عند بطن من خزاعة ، يقال لهم : (عدي بن عمرو بن خالد) ، فأحسنوا اليه ، كما نزل في بحيلة على (أسد بن كرز) فأحسن اليه والى قومه^٦ .

ولا ينسى بعض الصعاليك ذكر من أحسن اليهم فأكرمهم ورعاهم وحماهم . هذا (أبو الطمحان) القيني ، يثني على من آووه وساعدوه حتى صبروه واحداً

-
- ١ الشعراء الصعاليك (٢٠٣ وما بعدها) .
 - ٢ الاغانى (٩٥/٩) ، الخزاعة (٢٤/١) .
 - ٣ الاغانى (٧٥/١٩) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٣٠٤/١) ، الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١١) ، الاغانى (١٢٥/١١) .
 - ٥ المرزبانى ، معجم (٢٨٢) .
 - ٦ الاغانى (٢/١٣ وما بعدها) .

منهم ، لا تتحرش به كلابهم ، لأنها عرفت ثيابه ، وتأكدت انه واحد منهم ، فلا تهر عليه^١ . وهذا (حاجز) الأزدي ، يفخر بانتسابه الى (بني مخزوم) من قريش ، وهم قوم لا يخذلون أحداً اذا استنصر بهم ، وجعل حلقه فيهم ، اذا أصاب حليفهم مكروه ، هرعوا اليه لنجدته ، فهم أهل النجدة والكرم^٢ . وهذا (قيس بن الحداية) يفني على (آل عمرو بن خالد) أحسن ثناء ، ويدعو الله أن يجزيهم خيراً لما فعلوا من حميد الفعال لصعلوك خليع^٣ .

والصعاليك كثيرون ، وقد خلدت أسماء جماعة منهم في كتب الأدب والأخبار ، أشهرهم وأبرزهم : (عروة بن الورد) ، و (الشنفرى) ، و (تأبط شرأ) ، و (السليك بن السليكة) ، وآخرون .

وللصعاليك بعد قصص في الكتب ، وقد بولغ في قصصهم لتؤثر في السامع ، ولتكون لذة للسامعين ومتمعة يستمتعون بها أوائل الليل في أوقات سمرهم ، وقد رصعت بشعر ، على عادة العرب في رواية الأخبار . وفي بعض هذا القصص والشعر أثر الوضع المتعمد ، الذي صنع ليمثل الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت ، حيث كان الأغنياء متخمين بالمال ، بينما جيرانهم يموتون جوعاً ، فكأن هذا القصص قد وضع ليتحدث عن ذلك الوضع . وقد عرف هذا القصص عند الغربيين كذلك ، حيث كان الغنى وكان الفقر ، فظهر الصعاليك ، وظهر قصصهم وبولغ فيه ، وما (روبن هود) الانكليزي الذي آثر التصعلك وغزو الأغنياء ، لإتفاق ما يحصل عليه على الفقراء لإعاشتهم ، إلا صورة من صور غارة (عروة بن الورد) وأمثاله من الصعاليك ، وقد دونت أخبارهم في قصص ، وصيغ بعض منها على صورة أشرطة (سينائية) عرضت ولا تزال تعرض في دور (السينما) وفي (التلفزيون) ، لما فيها من بطولة ومروءة ومساعدة ضعفاء واستهتار في الحياة .

-
- ١ وقد عرفت كلابهم ثيابي كائي منهم ونسيت أهلي الحيوان (١ / ٣٨) ، الشعراء الصعاليك (٢٢٩) .
 - ٢ قومي سلامان اذ ما كنت سائلة وفي قريش كريم الحلف والنسب اني متى أدع مخزوما ترى عنقا لا يرعشون لضرب القوم من كتب الاغانى (٤٩ / ١٢) .
 - ٣ الشعراء الصعاليك (٢٢٩) .

وأما (عروة بن الورد) ، فهو من (عبس) وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً ، عرف بـ (عروة الصعاليك) « لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه »^١ . وهو شاعر بدوي قح ، وكان أبوه ممن كان له ذكر في حرب داحس والغبراء ، وقد مدحه (عنتره) ، وكانت أمه من (نهد) ، ولم تكن من أهل البيوتات . وكان لشعره أثر في قومه : حتى كانوا يرون أنه أشعر الشعراء^٢ .

وذكر أنه إنما لقب بعروة الصعاليك لقوله :

لحي الله صعلوكاً إذا جن ليله مُصافى المشاش ألفاً كل مجزر
بعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاءً ثم يصبح قاعداً يحث الحصى عن جنبه المتعفر
ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلّ على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهر^٣

ويظهر من شعر لعروة ، انه كان نحيلاً ، شاحب الوجه هزيلًا ، فكانوا يعيرونه بذلك ، وكان يجيبهم بقوله :

لاني امرؤ عافى انائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أهزأ مني ان سمئت وان ترى بجسمي شحوب الحق ، والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء ، والماء بارد^٤

فهو نحيف نحيل شاحب الوجه ، لأنه يشرك الآخرين معه في أكله وشربه ،

-
- ١ تابع العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .
 - ٢ الاغانى (١٨٤/٢) وما بعدها (دار الكتب) ، الخزائن (١٩٤/٤) بروكلمن ، (١٠٩/١) وما بعدها .
 - ٣ الشعر والشعراء (٥٦٦/٢) ، (الثقافة) ، من قصيدة مطلعها :
أقل علي اللوم يا بنت منفر ونامي ، وان لم تشتهى النوم ، فاسهري
ديوان عروة بن الورد (٦٦ وما بعدها) ، (اخراج عبد المعين الملوحي) ، (وزارة الثقافة والارشاد . الجمهورية العربية السورية) ، الاغانى (٩٧/١٦) وما بعدها .
 - ٤ ديوان عروة (٢) ، الاغانى (٧٢/٣) وما بعدها ، الجمان في تشبيهات القران (٢٥٧) .

أما الهزء به ، فهو أناني ، لا يشرك أحداً معه في أكله ، وإناؤه واحد ، لا يأكل به أحد غيره ، ولذلك سمن وثخن من التخمّة ، أما هو ، وهو الوهاب فكان يقتر على نفسه ، ويجوع ، ليأكل غيره أكله ، فأصابه من ثم هذا الهزال . فهو انسان ، يقسم ما عنده وما يأتيه على نفسه وعلى غيره ، وقد يقدم غيره على نفسه . ومن هنا « كان يقال : من قال إن حاتمأ أصبح العرب ، فقد ظلم عروة ابن الورد »^١ .

ويذكرون أنه أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة ، فاتخذها لنفسه ، فأولدها ، فلقبه قومها ، وقالوا : فادنا بصاحبتنا ، فلإنا نكره أن تكون سبية عندك . قال : على شريطة ، قالوا : وما هي ؟ قال : على أن نخبرها بعد الغداء ، فلإن اختارت أهلها أقامت فيهم ، وإن اختارتني خرجت بها . وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فأجابوه الى ذلك ، وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها ، وتركته فنظم في ذلك شعراً^٢ .

وذكر أن (معاوية) تذكر (عروة بن الورد) ، فقال : « لو كان لعروة ابن الورد ولدٌ لأحببت أن أتزوج منهم » . وان (عبد الملك بن مروان) تذكره يوماً ، فقال : « ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله :

واني امرؤ ، عافى إنائي شركةً وأنت امرؤ عافى إنائك واحد^٣

وهو بيت يمثل خلق هذا الشاعر ومروؤته التي أبت عليه إلا أن يشرك غيره من الضعفاء والمحتاجين فيما يحصل عليه ويناله من المتمكنين بالإكراه والقوة . إنأؤه مليء لبناً ، حتى يفيض ويكثر ، فلإن طرقة إنسان وجد اللبن أمامه ، يشرب منه وهو شريكه فيه ، شريكه في كل شيء عنده قل أو كثر ، وهو يفتخر بذلك ويتبجح بإشراكه غيره إنأؤه على من حرص على ماله ، وبخل بما عنده ، مثل (قيس بن زهير) ، الذي استأثر بما عنده ، فلم يعط لمحتاج شيئاً منه . فصار

١ الروض الانف (١٨٠/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٦٧/٢) .

٣ ديوان عروة (٢) ، الاغانى (٧٢/٣) وما بعدها .

يسمن وغيره يجوع ، على حين كان (عروة) يختار الجوع ، ليأكل الجياح ،
لتعود اليهم القوة والحياة ، ولا يبالي هو بنفسه إن جاع ، وفي ذلك يقول :

لاني امرؤ عافى لئائي شركة^١ وأنت امرؤ عافى لئائك واحد
أتهزأ مني إن سمعت وأن ترى بوجهي شحوب الحق ، والحق جاهد
أقسم جسمي في جسم كثيرة^٢ وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

وكان قد قال هذه الأبيات رداً على أبيات (قيس بن زهير) التي خاطب
بها (عروة) بقوله :

أذنب علينا شتم عروة خاله بغرة أحساء ويوماً يبدبد
رأيتك ألقاً ييوت معاشر تزال يد في فضل قعب ومرفد^٣

وللأخفش حديث عن مروءة (عروة) وعن إنسانيته فيقول : « عن ثعلب
عن ابن الأعرابي ، قال : حدثني أبو فقحس ، قال : كان عروة إذا أصابت
الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ؛ وكان عروة
يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس ، من عشيرته في الشدة ، ثم يحفر لهم الأسراب ،
ويكتف عليهم الكنف ، ويكسبهم ، ومن قويّ منهم ، إما مريض يبرأ من
مرضه ، أو ضعيف تثوب قوته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين
في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا ، وذهبت السنة ، ألحق كل
إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها ، وربما أتى الإنسان
منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمي : عروة الصعاليك »^٤ .

ومن هنا عدّ من أصحاب الكرم والسباحة والسخاء . حتى قيل إن عبد الملك
قال : « من زعم أن حاتمًا أسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد »^٥ . وقيل
إنه بلغه عن رجل من بني (كنانة بن خزيمه) ، أنه من أبخل الناس وأكثرهم
مالاً ، فبعث عليه عيوناً ، فأتوه بخبره فشدّ على إبله فاستاقها ثم قسمها في

١ ديوان عروة (٥١ وما بعدها) .
٢ ديوانه (٨ وما بعدها) ، الاغانى (٧٨/٣ وما بعدها) ، التبريزي ، شرح حماسة
أبي تمام (٩/٢) ، جبهة أشعار العرب (١١٤ وما بعدها) .
٣ ديوان عروة (٣) ، الاغانى (٧٤/٣) .

قومه . فقال عند ذلك :

ما بالثراء يسود كل مسودٍ مثرٍ ، ولكن بالفعال يسودُ
بل لا أكاثر صاحبي في يسره وأصمد إذ في عيشه تصريد
فإذا غنيتُ ، فإن جاري نيله من نائلي ، وميسري معهود
وإذا افتقرت ، فلن أرى متخشعاً لأخي غني ، معروفه مكدوداً

فالسيد بفعاله ، وأعماله لا بالمال . وهو يقول في شعر له ، ان فراشه فراش
الضيف ، وأن بيته بيت للضيوف ، يجالس الضيف ويجادته ، فالحديث جزء من
القرى :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهمني عنه غزال مقنع
أحدثه ، إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وفي خبر آخر ، ان سنين شديدة أصابت الناس ، فأهلكتهم ، وترك الناس
الغزو لجدوبة الأرض ، وكان عروة في تلك السنين غائباً ، فرجع مخففاً ، قد
ذهبت إليه ونخيله ، وجاء (الكنيف) ، أي الحظيرة والمأوى ، فوجد أصحابه
وقد سقطوا من الإعياء والشدة ، فنذب منهم رهطاً ، فنحر لهم بعيراً ، وحلوا
سلاحهم على بعير آخر ، وقصد لهم بعيراً ، فوزعه بينهم . وخرج بهم غازياً
يلتمس الرزق . وهو يقول لهم : ان أصبنا رغبة فلذلك الذي نريد ، وإن رجعنا
خائبين ، كنا معذورين . قد أدبنا ما علينا ، ولن نقعد عن الطلب . فهو يحثهم
على الرزق والطلب ، دون تفكير في نجاح أو فشل ، فالحياة : نجاح وفشل ،
ومن فشل ، عليه المواظبة حتى ينجح ويستعيد قواه ، وذلك قوله :

قلت لقوم في الكنيف : تروحوا عشية بتنا عند ما وان رزح^١

الى آخر الأبيات .

وهو يصف في أبيات حالة الفقير وما يلقي من ظلم ، وحالة الغني وما يلقاه

١ ديوان عروة (٤٨) ، شرح ديوان عروة (١٨١) .
٢ ديوانه (٢٠ ، ٣٩ وما بعدها) .

من إجلال . فيقول :

دعيني للغنى أسمى فلاني رأيت الناس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أسمى له حسبٌ وخير
ويقصيه الندي وتزدرية حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير^١

وله شعر يبحث فيه الناس على السير في البلاد ، الهامساً للرزق ، لأن من لم يطلب معاشاً لنفسه ، وقعد في داره دون أن يعمل شكا الفقر ، وصار كلاً على غيره ، حتى على ذوي قرباه ، فيقول :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر ، أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأدين كلاً ، وأوشكت صلوات القربى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات ، من كل جهة من الناس إلا من أجدّ وشمرا
فسر في بلاد الله ، والتمس الغنى قعش ذا يسار أو تموت فتعذرا^٢

ومن شعره في المال والورثة قوله :

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي يجمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرساً مثل القناة وصارماً حساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر^٣

ويقول في شعر آخر :

أليس ورائي ان أدب على العصا فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي
رهينة قعر البيت كل عشيّة يطيف بي الولدان أهوج كالرأل

يعني : أليس ورائي إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقني الكبر فأهون ويضجر مني أهلي^٤ . فهو يعتذر بذلك عن التصعلك واتخاذ الصعلكة حرفة له .

-
- ١ ديوانه (٩١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٤/١) ، وقد روي برواية تختلف عن رواية الديوان .
 - ٢ ديوانه (٨٩) .
 - ٣ كتاب العصا (٢٠٦) ، (نودار المخطوطات ، المجموعة الثانية) .
 - ٤ الحيوان (٣٥٦/٤) .

وقد زعم ان (عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) ، « قال لمعلم ولده :
لا تُروّهم قصيدة عروة التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسعى فلإني رأيت الناس شرهمُ الفقير

ويقول : هذا يدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم »^١ .

وهو يرى ان الموت خير للفقى من حياته فقيراً . وان الأقارب اذا ضنوا عليه
ولم يساعده ، فعليه بالرحيل عنهم ، والهاس الفجاج ، فإنها عريضة ، اذا ضاقت
عليه السبل . وهو لا يترك اخوانه أبداً ما عاش ، كما ان الانسان لا يتمكن من
ترك شرب الماء :

إذا المرء لم يبعث سَوَاماً ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفقى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة : أين الرحيل ؟ وسائل ومن يسأل الصعلوك : أين مذهب
مذهبه أن الفجاج عريضة إذا ضنّ عنه ، بالفعال ، أقاربه
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربهُ^٢

وهو بحث على المخاطرة بالنفس ، فإن القعود مع العيال قبيح ، حثّ عليها
في أبيات نسبت اليه ، وقيل انها ليست له ، بل هي للنمر بن تولب ، هذا نصها :

قالت تماضر ، إذ رأت مالي خوى وجفا الأقارب ، فالفؤادُ قريح
مالي رأيتك في الندي منكساً وصبا ، كأنك في الندي نطيج
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان القعود مع العيال قبيح
المال فيه مهابةٌ وتجلّةٌ والفقير فيه مذلةٌ وفضوح^٣

والصعلوك الحامل ، القعود الذي يعين نساء الحي ، ولا يستعمل سيفه للحصول
على رزقه ، هو خليق أن يكون ممن يهان ويزهدى ، والصعلوك العامل النشط ،

١ ديوانه (٣) .

٢ ديوانه (٢٩) .

٣ ديوانه (٤٣) .

هو الرجل الذي يستحق الحياة ، ويصلح أن يكون انموذجاً للرجال ، صحيفة وجهه كضوء شهاب القابض المتنور ، مطلقاً على أعدائه ، يهابونه ولا يستطيعون الاقتراب منه ، ان لقي منيته لقيها حميداً ، وان عاش واستغنى فتعمة كبرى ، ينفق منها على من يحتاج اليه من الناس^١ .

وتراه يقول في أبيات أخرى :

إذا آذاك مالك ، فامتته لجاديه ، وإن قرعَ المراحُ
وإن أخنى عليك ، فلم تجده فنبت الأرضِ والماء القراحُ
فرغم العيش ألفُ فناء قومٍ وإن آسوك ، والموت الرواحُ^٢

ومعناها : لا تبخل بمالك ، ولا تحرص عليه ، أعط منه السائل والمحروم والمحتاج ، ولا تحش الفقر ، فإن أخنى عليك ، وقلّ مالك ، وتركك الأصحاب فلا تيأس ولا تمنع لأحد ، ولا تجزع ، ففي الأرض رزق لكل أحد ، وتمتع لكل نفس ، وإن كان ذلك نبات الأرض وماؤها ، ولا تن قسك ، وتذل كرامتك ، فتعيش على موائد غيرك ، من اللؤماء الحقراء ، فأكلك منهم ، هو الموت الرواح ، بل هو شر من الموت . فلا تقرب موائد أصحاب المنة ، وإن آسوك وساعدوك ، فؤاساتهم كاذبة ، عن مظاهر وتفاق .

وفي أبيات شعر ، يذكر (عروة) (أصحاب الكنيف) والتواءهم عليه ، وكيف تمردوا عليه ، مع فضله عليهم ، وإشراكه لهم في كل ما كان يكسبه ويفنمه ، فيقول :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا
ولاني لمدفوعٌ إليّ ولاؤهم بماوان إذ نمشي ، وإذ نتمل
وإذ ما يريح الحيّ هرماء جونة ينوس عليها رحلها ما يحلل
موقعة الصفيقين ، حذباء ، شارف تقيد أحياناً ، لديهم وترحل
عليها من الولدان ما قد رأيتم وتمشي بجنييها أرامل عبل

١ ديوان عروة (٧٨ وما بعدها) .
٢ ديوانه (٤٢) .

وقلت لها يا أم ييضاء ، فنية^١ طعامهم^٢ ، من القلور ، المعحر
مضيق من اليب المسان ، ومُسَخَّن من الماء نعلوه بأخر من عل^٣
بديعومة ما إن تكاد ترى بها من الظمأ ، الكوم الجلاذ تنول^٤
تنكر آيات^٥ البلاد لمالك وأيقن أن لا شيء فيها يُقُول^٦ ١

وهي آيات ، تعبر عن مرارة نفسه ، وعن ألمه مما لاقاه من أصحاب الكنيف ،
مع افضاله عليهم ، وتقديمه لهم على نفسه ، وهو يواسي نفسه فيها ، فيقول أنهم
ناس ، ومن شأن الناس أنهم اذا اخصبوا وتمولوا وتحسنت أحوالهم ، تنكروا لمن
كان صاحب الفضل عليهم ، وتجاهلوا كل ما قام به من صنع حسن نحوهم .
أخرجتهم وأجسامهم هزال من شدة الجهد ، لا يقدرّون على المشي من شدة
الضعف والجوع ، وقت بأمرهم ، حتى اذا قروا ، ودنوا من بلادهم وعشائهم ،
وأقبلت أقسم فيهم ما غنمته من إبل ، فأعطيتهم بالتساوي ، وأخذت لنفسها
نصيب أحدهم ، تنكروا لي وصاروا كالأباعد ، ليس لهم شكر ، خاصموه وعارضوه .
وكان من شأنهم : انه خرج مع صعايلكة يبحثون عن غنائم ، حتى نزل أرض
(بني القين) ، فأقام مع أصحابه يوماً عند موضع ماء ، بانتظار مجيء الرعاة
لاسقاء إبلهم ، ثم ورد عليهم فصيل ، فقالوا : دعنا فلنأخذ ، فلناكل منه يوماً
أو يومين ، فقال : إنكم إذن تنفرون أهله ، وان بعده إبلًا . فتركوه ثم ندموا
على تركه ، وجعلوا يلومون عروة على الجوع الذي جهدهم . ثم وردت لإبل
بعده بخمس ، فيها ظعينة ورجل ، والإبل مائة ، فخرج (عروة) ورمى صاحبها
في ظهره بسهم ، فخر ميتاً ، واستاق عروة الإبل والظعينة^٧ . وأتى بالإبل
الكنيف فجعل يحملها لهم ، ثم حملهم حتى اذا دنوا من بلادهم وعشائهم ، أقبل
يقسمها فيهم ، وأخذ مثل نصيب أحدهم ، واستخلص المرأة لنفسه ، فقالوا :
لا والله لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها من سهمه ، فجعل
عروة بهم أن يحمل عليهم فيقتلهم ويتزع ما معهم ، ثم يتذكر صنيعه بهم ،
وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع ، ففكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يرد
عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها امرأته ، فأبوا إلا أن يجعلوا الراحلة لهم ،

١ ديوانه (١١٩ وما بعدها) .
٢ ديوانه (١١٣ وما بعدها) .

فانتدب رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه وأقرها عروة، أي منحها إياه منيحة إذا استغنى عنها ردّها ؛ فقال عروة يذكر أصحاب الكنيف والتواءهم عليه تلك الأبيات المتقدمة^١ .

فهو في الأبيات المتقدمة يذكر أن الإنسان ذليل كسير ما دام فقيراً ، يتقرب الى القوي ويتبصص له ، ويتظاهر بحبه واخلاصه له ، فإذا نال حاجته ، أو اغتنى تبطر على من كان محتاجاً اليه ، وتعاضم عليه ، ونال منه .

وقد عرف (عروة) ب (أبي الصعاليك) ، قيل ان الناس كانوا اذا أصابتهم السنة أتوه « فجلسوا أمام بيته حتى اذا بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغشنا » . فيخرج ليغزو بهم^٢ . وقد كان يعدّ صعاليكه (عباله)^٣ ، وكان يرعاهم ويحذب عليهم حذب الوالد على عباله ، ويخرج بالقوي منهم للغزو ، بحثاً عن غنيمة ينالها لإشباع أتباعه الجياع الصعاليك، مال غني جمع غناه بالعقوق وبالبلخل ، لأنه لا يرضى أن يرى اخواناً له يهلكون من الجوع ، ثم لا يجد ما يقدمه لهم لسد رمقهم^٤ ، وهو يطوف لذلك في البلاد باحثاً عن غنى ينفق منه على المعوزين وذوي الحاجات . وشر الناس في هذه الدنيا الفقير ، يباعده القريب لفقره ، وتردريه حليلته ، ولا يحترمه أحد ؛ بينما يعظم الغني ويحترم ، لا لسبب إلا لماله ولغناه ، ذنبه قليل في نظر الناس ، لأنه غني ، وللغني رب غفور :

ذريني للغني أسعى ، فلاني رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم ، وأهونهم عليهم وإن أسمى له حسب وخير
يباعده القريب ، وتردريه حليلته ، ويقهره الصغير
ويلقي ذو الغنى ، وله جلال يكادُ فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه ، والذنب جم ولكن للغني رب غفور^٥

١ ديوانه (١١٨) ، الاغاني (٧٩/٣) وما بعدها .

٢ الاغاني (٨١/٣) .

٣ ديوان عروة (٩٩) ، حماسة أبي تمام (٧/٢) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٢) .

٤ أيهلك معتم وزيد ولم أقم على ندب يوما ولي نفس مخطر

ديوان عروة (٨٣) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٥) .

٥ العقد الفريد (٢٩/٣) ، عيون الاخبار (٢٤١/١) وما بعدها ، البخلاء (١٨٣) ،

(٣٩١) ، البيان والتبيين (٢٣٤/١) ، وتختلفه نصوص هذه القصيدة باختلاف

الموارد .

وفي قصيدته :

لما الله صعلوكاً اذا جن ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر
بعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاءً ثم يصبح طاوياً يحب الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه اذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساء الحي ما يستعنه فيمسي طليحاً كالبعير المحسر
ولكن صعلوكاً صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهور
فإن بعلوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر
فذلك إن يلتق المنيّة يلقها حمداً وان يستغن يوماً فأجدراً

«مان سامية ، تعبر عن نفسية انسانية ، وعن عطف على الفقير والمحتاج والنساء
« وصف فيها فضيلة الفقير الحر الباسل وذم الذي يستأجر شغله »^٢ .

وفي شعر (عروة) اشارة الى الموت ، فهو يرى ان الحياة أجل ، وان الانسان
غير خالد في هذه الدنيا ، حياته قصيرة ، ثم يكون أحاديث للناس . اذا جاء
أجله خرجت منه هامة تعلو كل نشز :

أحاديث تبقى ، والفتى غير خالد اذا هو أمسى هامة فوق صيّر
تجاوب أحجار الكناس ، وتشتكي الى كل معروف رأته ، ومنكر

ثم تجاوب هذه الهامة أحجار الكناس ، وتشتكي الى كل معروف تراه ومنكر .
أي تصوت في كل حال اذا رأت من تعرف ومن تنكر^٣ .

والموت ملازم للانسان ، وهو ثغر كل ثنية ، ولا مفر منه :

وأن المنايا ثغر كل ثنية فهل ذاك ، عما يبتغي القوم محصر
وغيراء مخشى رداها مخوفة أخوها ، بأسباب المنايا مغرر^٤

-
- ١ الخزانة (١٩٦/٤) ، (بولاق) .
 - ٢ كارلو نالينو (٧٩) .
 - ٣ ديوانه (٦٦ وما بعدها) .
 - ٤ ديوانه (٧٧) .

وقد نسبت له قصيده مطلعها :

لما الله صعلوكاً مناه وهمه من الدهر أن يلقي لبوساً ومطعماً
ينام الضحى حتى إذا الليل جنه تبيت مسلوب القواد مورماً
ولكن صعلوكاً يساور همته ويمضي على الهيجاء ليثاً مصعماً
فذلك أن يلقي الكريهة يلقيها حميداً وان يستغن يوماً فربما

وقد ذهب بعضهم الى أن هذه القصيدة لحاتم الطائي ، لأن قصيدة عروة
رائية ، وليست هذه ، ولحاتم قصيدة على هذا الروي ، وليس فيها هذه الأبيات ،
وفيها ما يشبهها ، وهو :

وليل بهم قد تسربت هولته إذا الليل بالنكس الضعيف تجمها
ولن يكسب الصعلوك مالا ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظماً
يرى الحمص تعذيباً وان يلق شعبة يبيت قلبه من قلة الهم مبهماً
ولكن صعلوكاً يساور هممه ويمضي على الأيام والدهر مقمداً
يرى رعمه ونبله ومجنه وإذا شطب بين المهدة مخلفاً
واحناء سرج قاتر ولجامه معداً لدى الهيجاء طرفاً مسوماً
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان يجي لا يقعد ضعيفاً ملوماً

وفي كتاب (ذيل الأمالي والنوادر) للقالبي ، أبيات على هذا النمط غير معزوة
لقائلها ، أوردها على أثر تحدّثه عن (الشيعظم بن الحارث الغساني) ، وكان قد
قتل رجلاً من قومه ، فخافهم ، فلحق بالهجرة متكرراً ، وكان من أهل بيت
الملك ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الهجرة ، فبينما هو
ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لما الله صعلوكاً اذا نال مدقة توسد إحدى ساعديه فهو ما
مقيماً بدار الهون غير مُناكرٍ اذا ضم أغصى جفنه ثم يرشما
يلوذ بأخزاء المثاريب طامعاً يرى المنع والتعيس من حيث يما
يضم بنفسه كدر البؤس عيشها وجوداً بها لو صانها كان أحزما

فذاك الذي إن عاش عاش بذلة وإن مات لم يشهد له الناس مآتما
بأرضك فأعرك جلد جنبك اني رأيت غريب القوم لحماً موضعاً
فهي آيات في المعاني المتقدمة ، لم يعرف اسم صاحبها^١ .

وهو يزجر امرأته سلمى لأنها تلومه على غاراته وغزواته ، لما تخشاه عليه من
الوقوع في المهالك ، ومن ملاقاته حتفه . ويقول لها : إنه إنما يجازف ويخاطر
في سبيلها ، حتى يغنيها فلا تذل بعده أو تستجدي أحداً ، ثم ان عليه حق الوفاء
لأقاربه وللضعفاء ولإخوانه الصعاليك الذين يلوذون به ، فعليه مساعدتهم ، وهو
لا يتمكن من تقديم المساعدات لهم ، إلا بهذه الغارات^٢ .

وروي أن (عروة) كان يتردد على (بني النضير) فيستقرضهم إذا احتاج
ويبيع منهم إذا غم ، فرأوا عنده (سلمى) فأعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم
فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه ، وفي ذلك
يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وروي أيضاً أن قومها افتدوها منه وكان يظن أنها لا تختار عليه أحداً ولا
تفارقه ، فاختارت قومها فندم وكان له بنون منها ، ثم تزوجها بعده رجل من
في النضير . وفيها يقول عروة :

أرقت وصحبي بمضيق عمق لبرق في تهامة مستطير

وهي قصيدة أشار فيها الى (سلمى) ، ومفارقتها له ، عند (بني النضير) ،
حيث يقول :

وآخر معهد من أم وهب معرسنا فوق بني النضير

وفي هذه القصيدة البيت المتقدم ، الذي يشير الى أنهم سقوه الخمر ، واحتالوا
عليه ، حتى ابتاعوها منه^٣ .

١ ذيل الامالي (١٧٩) ، الخزائن (١٩٥ / ٤) .
٢ الاصمعيات (٣٥) .
٣ الروض الانف (١٨٠ / ٢) وما بعدها .

وقد أشار (عروة) في شعر ينسب اليه الى (التعشير) ، وهو أن ينهق
الانسان عشر مرات اذا أراد دخول (خير) لكي لا تصيبه الحمى . فقال :

وقالوا: أحبُ وانهقُ، لا تضيرك خير وذلك من دين اليهود ولوع
لعمري، لئن عشت، من خشية الردى نهاقَ الحمير اني لجزوع^١

وقد رفض عروة ذلك ، وسخر من هذه الخرافة .

قال (الجاحظ) : « وكانوا اذا دخل أحدهم قرية خاف من جنّ أهلها،
ومن وباء الحاضرة ، أشد الخوف ، إلا أن يقف على باب القرية فيعشر كما يعشر
الحمار في نهيقه ، ويعلق عليه كعب أرنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة ولا ددع يغني ولا كعب أرنب ،

« وقد قال عروة بن الورد ، في التعشير ، حين دخل المدينة فقيل له : إن
لم تعشر هلكت :

لعمري لئن عشتُ من خيفة الردى نهاقُ الحمير اني لجزوع^٢ ،

ولعروة شعر في يوم (ساحوق) ، وهو يوم لبني ذبيان على (بني عامر) ،
إذ يقول :

ونحن صبحنا عامراً في ديارها عُلالة أرماح وعضباً مُدَكِّراً
بكل رقيق الشفرتين مهندي ولدن من الخطي قد طرأ أسمر
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أغدرا
يشدّ الحليمُ منهم عقْدَ حبله ألا إنما يأتي الذي كان حُدْراً

أي أنهم كانوا ذوي غدر بين ، لو أنهم جاهدوا في الحرب وقتلوا ، أما الآن
فلا غدر لهم بين الرجال في خنقهم أنفسهم . وكان (الحكم بن الطفيل) وأصحابه
قد خنقوا أنفسهم ، بشد الحبل حول العنق^٣ ، وذلك تحت شجرة بالمروراة ،

١ ديوانه (٩٥) ، الحيوان (٣٥٩/٦) .

٢ الحيوان (٣٥٩/٦) .

٣ الحيوان (٢٧٣/٢) ، الخزانة (٢١٨/٤) ، العقد الفريد (٣١٨/٢) .

خشية الوقوع في الأسر . و (الحكم بن الطفيل) هو أخو (عامر بن الطفيل) ،
وقد عرف يوم (المروراة) بيوم (التخاقي) ^١ .

وقد عدت قصيدته التي تبدأ بـ :

أقلّ عليّ اللوم يا ابنة منذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

من القصائد (المنتقيات) ^٢ .

وأما شعر (عروة) ، فقد عد أشعر شعر (بني عبس) في رأي أبناء قبيلته.
روي أن (عمر بن الخطاب) « قال للحطيئة : كم كنتم في حربكم ؟ قال :
كنا ألف حازم . قال : وكيف ؟ قال : فينا قيس بن زهير ، وكان حازماً
وكنا لا نعصيه ، وكنا نقلم باقدام عترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد
لأمر الربيع بن زياد » ^٣ .

ويرى (بروكلمن) ، أنه كان بدوياً قحاً ، رويت له أشعار أكثر مما روي
لتأبط شراً والشنفرى ، لكنه كان دونهما في تصوير حياة الجاهلية ^٤ .

ولعروة ديوان برواية (ابن السكيت) (٢٤٣هـ) (٢٤٤هـ) ، طبع جملة طبعات.
وقد ترجم الى الألمانية والفرنسية ^٥ ، وقد جمع (الأصمعي) شعره في ديوان
لم يصل إلينا ^٦ .

وفي شعر عروة شعر مصنوع ، وضع عليه ، وفيه كما رأينا ما ليس له، وقد
نسبه بعض العلماء الى غيره ، ونجد في شعره شعراً يمثل طبيعة مجتمع حضري
غلبت عليه التفرقة الطبقيّة ، فيه غنى حضر ، وفقر أهل مدن ، يظهر أنه وضع
على لسانه حكاية عن وضع الناس في ذلك الوقت ، خشية ناظمه من تعرض الحكام

١ الخزائن (٢١٦/٤) وما بعدها .

٢ الاغانى (١٩٠/٢) ، الشعر والشعراء (٤٢٥) ، الجماهرة . (١١٤) ، زيدان ،
تاريخ الادب العربي (١٦٤/١) .

٣ ديوان عروة (٣) .

٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) .

٥ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) ، زيدان ، تاريخ
آداب اللغة العربية (١٦٤/١) .

٦ الشعراء الصعاليك (١٥٨) .

أو الأغنياء له بسوء ، فيما لو نشره باسمه ، فأثر نظمه باسم (عروة) .
و (الشنفرى) ، وهو (ثابت بن أوس) الأزدي ، وقيل بل (الشنفرى)
اسمه لا لقبه ، وقيل : بل هو : (عمرو بن مالك) الأزدي ، وقيل (عمرو
ابن براق) ، وقيل غير ذلك ، من (بني الأواس بن الحجر بن الهيثم بن
الأزد)^١ ، من اليمانية في عرف أهل النسب . وهو من الصعاليك ومن العدائين .
وكان من المرافقين للشاعر (تأبط شراً) في كثير من غزواته . وكان أكبر منه
سناً ، وتوفي قبله . وذكر أنه حلف يميناً أن يقتل من (بني سلامان) مائة رجل
فقتل تسعة وتسعين ، فأمسك به رجل عداء ، هو (أسيد بن جابر) وهو عداء
من العدائين وقتله . ففرّ به رجل من بني سلامان فركل جمجمته ، فدخلت
شظية منها في رجله فات . فوفى الشنفرى بقسمه ، وآتم العدد وهو ميت^٢ .
ويلاحظ أن أهل الأخبار يزعمون أن (عمرو بن هند) كان قد حلف يميناً أن
يقتل من (بني دارم) مائة رجل ، وأن يلقي بهم في النار ، فسار اليهم فقتل
تسعة وتسعين وأحرقهم بالنار ، وبقي عليه أن يبر بقسمه بقتل واحد آخر منهم
حتى يكمل العدد ، فر رجل من البراجم شمّ رائحة حريق القتلى ، فحسبه قتار
الشواء ، فال إليه ، فلما رآه (عمرو) ، قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من
البراجم ، فقال : ان الشقي وافد البراجم ، وأمر فقتل وألقي في النار . فبرت
به يمينه^٣ . وقد يكون للقصة ولقصص آخر من هذا النوع علاقة بطقوس أو
بأساطير جاهلية قديمة ، تبجل الأبطال ، ينذرون نذوراً تختلف عن نذور سائر
الناس ، هي قتل مائة نفس قربى إلى الآلهة ، بدلاً من تقديم الضحايا من
الحيوانات .

وكان (الشنفرى) يحقد على (بني سلامان) حقداً شديداً ، وسبب حقه
عليهم ، انه كان قد وقع أسيراً وهو صبي في (بني شيبانة بن فهم) ، فانتقم

-
- ١ الخزائن (١٦/٢ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٢٤/٣) ، المفضليات (١٠٦/١)
وما بعدها) ، مجالس ثعلب (٤٢٦) ، الحيوان (١٠٨/٣) ، (٢٤٤/٦) ، أمالي
القالبي (١٥٧/١) ، رسالة الففران (٣٥١ وما بعدها) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٥/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٠٨/٣ ، ٣١٨) ،
(شفر) ، (الشنيفة) ، الاغانى (٨٧/٢١) ، الخزائن (١٤/٢) ، بولاق ،
ذيل الامالي (٢٠٨ وما بعدها) ، زيدان ، تاريخ آداب (١٦١/١) .
 - ٣ الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٥١) .

اليهم ، ثم وقع أحد (بني شبابة) أسيراً في (بني سلامان بن مفرج) من الأزد ، ففدى (بنو شبابة) الأسير به . فصار (الشنفرى) فيهم ، وحسب منهم ، ثم انه أراد الزواج من ابنة رجل منهم ، فرده والدها رداً عنيفاً ، أثر فيه ، فعاد الى (بني فهم) ، وأخذ يغير على (بني سلامان) للإهانة التي لحقت من الرجل ، والتي كانت سبب صعلكته^١ .

ويروى ان الشنفرى أغار مع (تأبط شرأ) و (عمرو بن براق) على (بجيلة) ، فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لهم على الماء رسداً ، وقد علم (تأبط شرأ) انهم يريدونه ، فتأمر مع الشنفرى وعمرو بن براق ، على انقاذه إن وقع في أيديهم ، فلما جاء الماء قبضوا عليه ، فعمد الشنفرى وابن براق الى حيلة كانوا قد اتفقوا عليها لغش بجيلة ، فأتقنوه ، وهربوا ساخرين من بجيلة التي خدعت بها^٢ . وللعرب قصص ترويه عن بساطة (بجيلة) ، وسرعة انخداعها بالحيل .

وهو كما سبق أن ذكرت ، أحد أغربة العرب ، ويظهر ان الملامح الافريقية كانت بارزة عليه ، بدليل تلقيبه بالشنفرى ، و (الشنفرى) الغليظ الشفاه ، ويظهر انه أخذ ملامحه من أمه السوداء . وأخباره متناقضة متضاربة ، يظهر منها ان أباه قد قتله قاتل من (الأزد) ، قتله (حرام بن جابر) ، وكان قد قدم (منى) ف قيل له : هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله^٣ . فحقد على قتلة أبيه ، وقرر الانتقام منهم شر انتقام ، وأن لا يكف عنهم ما دام حياً ، فكان يكثر من الغارة عليهم ، يغير مع من معه من صعايلك ، وقد يغير عليهم وحده^٤ .

ويروى في قتله ، انه قتل من (بني سلامان بن مفرج) تسعة وتسعين رجلاً ، فأقعدت له رجالاً يرصدونه ، فلما دنا من ماء ليشرب ، قبض عليه رجلان من (بني البقوم) من الأزد ، فقبضا عليه ، وأصبحا به في (بني سلامان) . فربطوه الى شجرة ، فقالوا : قف أنشدنا ، فقال الإنشاد على حين المسرة ، ثم قال :

-
- ١ بروكلمن (١٠٥/١) ، الاغاني (١٣٤/٢١) .
 - ٢ الخزانة (١٧/٢) .
 - ٣ الاغاني (١٣٧/٢١) ، الخزانة (١٦/٢) .
 - ٤ الاغاني (١٣٥/٢١) .

فلا تدفنونني إن دفني محرم^١ عليكم ولكن خامري أم عامر
إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر^٢

وذكر (المرتضى) أن هناك من نسب هذا الشعر الى تأبط شرأ^٣ . وقد نسيه
(الجاحظ) الى (تأبط شرأ) ، إذ قال : « وقال تأبط شرأ :

فلا تقبروني إن قبري محرم^٤ عليكم ولكن خامري أم عامر
إذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أبغي حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر^٥ »

ويختلف نص هذا الشعر بعض الاختلاف عن النصوص الأخرى^٦ .

ويذكر أنه لما وقع بأيدي أعدائه ، تفننوا في قتله ، وأروه أصناف العذاب .
قطعوا يده ، وصاروا يسخرون منه ، ويسألونه أين يدفونه . فرد عليهم بمقطوعة
رائعة ، كما رثا يده بأرجوزة لما قطعوها ، وقد ذكر أنه طلب منهم ألا يدفن ،
ولمّا يلقي بجسده الى الضباع^٧ . وروي أن رجلاً من (بني سلامان) رماه بسهم
في عينه فقتله ، فقال (جزء بن الحارث) في قتله :

لعمرك للساعي أسيد^٨ بن جابر أحق بها منكم بني عقب الكلب^٩

-
- ١ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٢٥/١) ، (دار الثقافة) ،
ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني سجييس الليالي مبسلاً بالجرائر
 - ٢ حماسة أبي تمام (٢٤/٢) وما بعدها بولاق) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية
(٧٣) ، الخزائن (١٨/٢) ، أمالي المرتضى (٧٢/٢) وما بعدها) ، (إذا احتملت
رأسي) ، أسماء المفتالين (٢٣٢) ، (المجموعة السادسة) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٧٢/٢) وما بعدها) .
 - ٤ الحيوان (٤٥٠/٦) .
 - ٥ راجع العقد الفريد (٥٣/١) ، (٢١٩/٤) ، الحماسة (١٨٨/١) ، المخصص
(٢٥٨/٣) .
 - ٦ الشعر الصعاليك (٣٣٥) .
 - ٧ أسماء المفتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢٣٢) .

وقد ضاع أكثر شعر (الشنفرى) . وقد طبعت لاميته ، وللعلماء شروح وبحوث عليها . وهي في الفخر والحاسة ، ولم يعرف كثير من قدماء علماء الشعر القديم هذه اللامية ، ومن بينهم مؤلف كتاب (الأغاني) . وقد تعرض (القالبي) لموضوع (اللامية) ، فقال : « حدثني أبو بكر بن دريد : ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فلإني الى قوم سواكم لأميل

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية هـ^١ . ويعود الضمير (له) الى خلف الأحمر . أي ان القصيدة هي من صنعه وعمله . وعدة القصيدة ثمانية وستون بيتاً . ومن شرحها : الخطيب التبريزي ، والزمخشري ، وابن الشجري ، وابن اكرم وغيرهم^٢ . وقد ورد في (تأريخ الآداب العربية) لكارلو نالينو : « أما الشنفرى الأزدي فصاحب اللامية المشهورة التي يفتخر فيها بانفراده من قومه ووحشة عيشه في البراري كأنه لم يعاشر إلا السباع . وهي قصيدة غايبة في الجبال تنطق بلسان حال الشاعر وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ^٣ . وفي قوله : « وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية ، وهم لا أدري أوقع منه ، أم من الترجمة ، لأن غالبية العلماء تنسبها الى خلف الأحمر ، لا الى حماد . كما ان وفاته كانت سنة (١٥٦ هـ)^٤ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الذين بحثوا أمر هذه القصيدة ، الى أن القصائد التي نحلها (خلف الأحمر) احتفظت دائماً بعمود الشعر القديم وطابعه ، أما هذه القصيدة ، فلها طابع خاص يجعل من الصعب تصور صدورها من (خلف الأحمر)^٥.

-
- ١ الامالي (١٥٦/١ وما بعدها) ، الاغاني (٨٧/٢١) ، الخزانة (١٦/٢) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٦١/١ وما بعدها) .
 - ٢ الخزانة (١٥/٢) ، (يولاقي) ، اللاميتان : لامية العرب ولامية العجم ، من شروح الزمخشري والصفدي ، علق عليهما وأعدهما : عبد المعين الملوحي ، دمشق وزارة الثقافة والارشاد القومي ، رقم ١٣ .
 - ٣ (ص ٧٣) .
 - ٤ الفهرست (١٤٠) .
 - ٥ بروكلمن (١٠٦/١ وما بعدها) .

وذهب بعض آخر الى جواز كونها من نظم (الشنفرى)^١، وذكر أنها من مصنوعات (جتاد) الراوية^٢ .

وفي (المفضليات) قصيدة طويلة له ، هي قصيدة تائية ، ومقطعات ، وفي قصيدته وصف لحياته ول بعض غاراته ، وكيف كان يقود صعا ليكه في طرق وعرة ، وهم على أرجلهم ، ثم يصف حاله ، فهي قصيدة فيها بعض تأريخ هذا الشاعر وقصص غزوه وتعامله مع رفاقه^٣ .

وقد طبع الأستاذ (عبد العزيز) الميمني ، ديوان الشنفرى في (الطرائف الأدبية)^٤ ، وتوجد أشعاره أيضاً في (ديوان الهذليين)^٥ . وقد كان عند العيني ديوان للشنفرى في جملة دواوين عديدة كانت في حوزته^٦ . وقد كتب عدد من المستشرقين عن الشنفرى وشعره بمختلف اللغات^٧ .

وأما (تأبط شرأ) ، وهو (ثابت بن جابر بن سفيان) ، وقيل (ثابت بن عمسل) فهو من فهم ، وكان من أغربة العرب ، لأن أمه أمة سوداء . وكان من العدائين المعروفين عند العرب . وله أخبار كثيرة في ذلك ، وله مغامرات تحمل طابع القصص والأساطير . وله قصيدة في وصف (القول) ذكر فيها كيف طير بسيفه قجف ابنة الجن^٨ . وكان أحد رآيل العرب . وذكر علماء اللغة ان الرثيال هو الذي ولدته أمه وحده^٩ ، وبه سميت رآيل العرب ، ومن السباع الكثير اللحم الحديث السن ، والذئب الخبيث ، وترأبلوا : تلصصوا أو أغاروا على الناس

-
- ١ بروكلمن (١٠٧/١) .
 - ٢ تاريخ الآداب العربية (٧٣) ، الاغانى (٥/١٣) .
 - ٣ العصر الجاهلي (٣٨٠ وما بعدها) .
 - ٤ بروكلمن (١٠٥/١ ، ١٠٩) ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ م .
 - ٥ الشعراء الصعاليك (١٥٩ وما بعدها) .
 - ٦ العين ، كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية (٥٩٦/٤) .
 - ٧ راجع بروكلمن (١٠٧/١) .
 - ٨ الشعر والشعراء (١٧٤) ، الاغانى (٢٠٩/١٨) « بلاق » ، خزانة الادب (٦٦/١) ، بروكلمن (١٠٤/١ وما بعدها) ، شرح شواهد المغنى ، للسيوطي (١٩) ، المفضليات (٢٧ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٢٣٠/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٤/١) .
 - ٩ تاج العروس (١٠٠/٥) ، (أبط) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى (٥٠/١ وما بعدها) ، (أحمد ظافر كوجان) .

وفعلوا فعل الأسد ، أو غزوا على أرجلهم وحدهم بلا والٍ عليهم^١. وهذا المعنى هو أقرب المعاني وأقرب إلى الصحة في تفسير (رآيل العرب) . فهم الصعاليك الذين نبحت عنهم .

ويظهر أن أباه مات وهو صغير ، وأن أمه التي كانت أمة سوداء على أغلب الروايات ، أو أمة حرة في رواية ، تزوجت الشاعر (أبا كبير) الهللي ، وهو من الصعاليك ، من صعاليك هذيل ، وأن أبناء قبيلته كانوا يعبرونه بسواده ، مما ترك أثراً في نفسه ، فتصعلك ، وأخذ يرافق الصعاليكة ، ومنهم صعلوك شهير آخر ، هو (الشنفرى) الذي رافقه في كثير من غزواته . وقد نعت (تأبط شراً) بأنه كان شاعراً بئساً ، يغزو على رجليه^٢ .

وبما يروى من قصصه أنه كان يشتار عسلاً من جبل ليس له غير طريق واحد ، فأخذت لحيان عليه ذلك الموضع ، وخيروه التزول على حكمهم أو إلقاء نفسه من الموضع الذي ظنوا أنه لا يسلم . فصب العسل الذي معه على الصفاو شد صدره على الزق ثم لصق على العسل ، فلم يبرح يتزلق عليه حتى نزل سالماً ، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مُدبر^٣

ولعلماء الشعر قصص في تفسير تسمية هذا الشاعر بـ (تأبط شراً) ، فزعم بعض منهم أنه « إنما سمي تأبط شراً لأنه أخذ سيفاً وخرج ، فقبل لأمه أين هو ؟ قالت : لا أدري ، تأبط شراً وخرج . وقبل أخذ سكيناً تحت أبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم ، فقبل تأبط شراً . وزعم بعض آخر أن أم تأبط شراً قالت له يوماً : إن الغلمان يجنون لأهلهم الكمأة فهلا فعلت كفعلمهم ، فأخذ جرابه ومضى فلأه أفاعي وأتى متأبطاً به ، فألقاه بين يديها فخرجت الأفاعي منه

١ تاج العروس (٣٣٣/٧) ، (ريل) ، الاشتقاق (١٦٢ وما بعدها) ، اللآلئ

(١٥٨ وما بعدها) ، التيجان (٢٤٢ وما بعدها) ، أسماء المفتالين (٢١٥) ،

٢ الشعر والشعراء (٢٢٩/١) ، (دار الثقافة) ، الاغانى (٢١٥/١٨ وما بعدها) ، Baur, in ZDMG, X, 7, 17, ff.

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٩٧٥/٢) ، الاغانى (٢١٥/١٨) ، شرح ديوان

الحماسة (٣٨/١) ، المحبر (١٩٧ وما بعدها) ، الخزنة (٣٥٧/٣) .

تسعى فولت هاربة . فقال لها نساء الحي : " ما الذي كان ابنك متأبطاً له ؟ فقالت :
تأبط شراً ! وقيل : إنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل
يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش ، فرمى به ، فإذا
هو الغول . فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا :
لقد تأبطت شراً ، فسمي بذلك . وانه قال في ذلك :

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يوائم غماً أو يشيف على ذحل

وقيل سمي بهذا البيت . قال رجل لتأبط شراً : يمّ تغلب الرجال وأنت دميم
ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شراً ، فينخلع
قلبه حتى أنال منه ما أردت ^١ . وقيل إنما سمي (تأبط شراً) ، لأن أمه رآته
وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوساً ، فقالت له : هذا تأبط شراً ، أو تأبط
سكيناً فأثى ناديم فوجاً بعضهم ، فسمي به لذلك ، وكان لا يفارقه سيفه .
قتلته هذيل في رواية ، وقالت أخته ترثيه :

نعم الفتى غادرتم برحمان بثابت بن جابر بن سنان

وكانت تسمى (ريطة) . وذكر أن أمه هي التي رثته . وقد ذكر في أشعار
هذيل ^٢ .

وكان سبب قتله ، انه خرج غازياً في نفر من قومه ، إذ عرض لهم بيت
من هذيل ، بين صدى جبل ، فأراد مهاجمته ، فنعه من كان معه من مباغتته ،
لخروج ضبع اعترفوا منه ، فلم يبال بتشاورهم ، فلما قارب البيت رآه غلام ،
فهرب الى الجبل ، فهجم تأبط شراً مع جماعته على البيت ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ،

١ الاغانى (١٤٦/٢١) ، شرح حماسة أبي تمام (٧٥/١) ، السيوطي ، شرح شواهد
(٥٢/١) .

٢ تاج العروس (١٠٠/٥) ، (أبط) قال مليح الهذلي :
ونحن قتلنا مقبلاً غير مدبر تأبط ، ما ترهق بنا الحرب ترهق
اللسان (٢٥٤/٧) ، (أبط) .

ويل أم طرف قتلوا برحمان بثامت بن جابر بن سنان
الشعر والشعراء (٢٢٩/١) ، (دار الثقافة) ، الاغانى (٢٠٩/١٨) ، (بولاق) ،
المقتالين (٢١٥) ، الخزائن (٦٦/١) .

وحازوا جاريتين وإبلًا ، ثم أبصر تأبط شرًا بالغلام ، فاتبعه ، فرماه الغلام بسهم أصاب قلبه ، وحمل على الغلام فقتله ، ثم مات هو من السهم ، وترك جثة ، فاحتلمته هذيل ، وطرحته في غار يقال له غار (رخان) . فرثته أخته (ربطة) بقولها :

نعم الفتى غادرتم برخان ثابت بن جابر بن سفيان
قد يقتل القرن ويَروي الندمان^١

وفي بيت شعر ينسب الى تأبط شرًا ، هو :

ولست أبيت الدهرَ إلا على فنى أسلبه أو أذعر السرب أجمعا^٢

معنى يفيد انه كان يغير على القادم والآيب ، يسلبه ويأخذ ما عنده ، لا يبالي بشيء إلا بمحصله على غنيمة السلب ، وهو ان قابل قافلة ، فلم يتمكن منها ، يكون قد رضي من فعله بما ألقاه من رعب وذعر في قلوب أصحابها ، ويكون قد اشتفى بملك منها . فهو رجل منتقم ، يريد أن يفرج عما ولد في قلبه من غلّ ، بأية طريقة كانت ، غلّ ، ولد فيه ، من سواد لونه ، ومن ازدراء قومه له ، ومن فقره وسوء حاله في هذه الحياة ، وذلك فيما لو صح ان هذا الشعر هو من قوله .

ونسب قوم من الرواة الى (تأبط شرًا) قصيدة مطلعها :

ولقد سريتُ على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مهبل

وهي قصيدة نسبها غيرهم الى (أبي كبير) الهللي ، ووضعوا حولها قصة في شرح السبب الذي حمل (أبا كبير) أو (تأبط شرًا) على نظمها^٣ .

قال (الملاحظ) في كتابه (الحيوان) : « وقال تأبط شرًا - إن كان قالها - :

١ اسماء المفتالين (٢١٥ وما بعدها) .

٢ الاغانى (٢١٧/١٨) .

٣ الشعر والشعراء (٥٦٢/٢ وما بعدها) ، (الثقافة) .

شامس في القرّ حتى اذا ما ذكت الشعبرى فبرد وظل
وله طعمان أرني وشري وكلا الطعمين قد ذاق كل^١ ،
مما يدل على انه في شك من أمر نسبة هذه القصيدة اليه .

وأشعار (تأبط شراً) متناثرة في كتب الأدب . ولم يطبع له ديوان بعد .
ومن شعره أبيات ، يذكر فيها أن (عدالة) لامته حتى أكثرت من لومه ،
فكادت تحرق جلده أي تحرق ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

يا من لعدالة خذالة نشب خرقت باللوم جلدي أي تحرق
تقول : أهلك مالا لو ضننت به من ثوب عز ومن بز وأعلاق
سدّد خلالك من مال تجمععه حتى تلاقى ما كل امرئ لاق
عاذلتا إن بعض اللوم معنفة وهل متساع وإن بقيته^٢ باق

وهذه هي مشكلة أولئك الصعاليك ، كانوا يخاطرون بحياتهم ، للحصول على
مال ، فإذا حصلوا عليه ، ونجوا من تعقب الناس لهم ، أهلكوه . يتلفونه على
ملذاتهم ، أو على أصدقائهم . وإذا بهم في حاجة الى مال ، وفي عسر وضيق .
ومن شعره قوله :

لتقرعن^٣ عليّ السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي^٤

وله شعر يصف فيه حاله ، بقوله :

قليل التشكّي للمهم يُصبيه كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بمومة ويمسي غيرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث يتحي بمنخرق من شدة المتدارك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالى^٥ من قلب شيحان فاتك

١ الحيوان (٦٨/٣ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (٢٣٠/١) ، (دار الثقافة) ، أبو تمام ديوان الحماسة (٣٨٢ وما بعدها) .
٣ الحيوان (٦٣/١) .

ويجعل عينه ريشة قلبه الى سلة من حدّ أخلق صائك
إذا هزّه في عظم قرن تهلت نواجد أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهندي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^١

وهي قصيدة مدح بها عمه (شمس بن مالك)^٢ .

وقد شك (الجاحظ) في نسبة هذه القصيدة الى (تأبط شرأ) ، إذ قال :
« ومن هذا الباب قول تأبط شرأ ، أو قول قائل فيه في كلمة له »^٣ . وتنسب
أيضاً الى (السليك بن السلكة) أحد غرابيب العرب^٤ .

وله قصيدة ذكر فيها أنه التقى بالغول ، وصار جاراً للغيلان ، وقد وصف
حاله معها ، حيث قال :

وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعبُ الخيملا
الى أن حدا الصبحُ أثناءهُ ومزق جلبابه الأيللا
على شيم نارٍ تنورتها فبت لها مدبراً مقبلا
فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنتِ ما أهولا
وطالبتهُ بعضها فالتوت بوجه تهول فاستهولا

وهي قصيدة ذكرها (ابن قتيبة) ، وقد اكتفيت منها بالآيات المتقدمة * .
وقد عمل (ابن جني) ديوان (تأبط شرأ)^٥ ، ونشرت بعض أشعاره
وترجمت بلغات أعجمية^٦ .

- ١ الحماسة ، لابي تمام (٤٦/١ وما بعدها) ، (بلاق) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧٣) ، (اذا خاص) ، (اذا خاط) ، الحيوان (٤٦٧/٦) .
- ٢ كارلو نالينو ، (٧٣) .
- ٣ الحيوان (٢٥٥/٦) ، وتجد اختلافا بين نص الجاحظ لها ، وبين نصها في الموارد الأخرى .
- ٤ الحماسة (٢٢/١) ، القالي ، أمالي (١٣٨/٢) ، التيجان (٢٤٢) ، زهر الاداب (١٨/٢) ، الصناعتين (٢٧٩ ، ٣١٠) ، ثمار القلوب (٢٠٤) ، الحيوان (٢٥٦/٦) .
- ٥ الشعر والشعراء (٢٣٠/١ وما بعدها) . اعجاز القرآن ، للباقلاني (٢٢) ، مروج الذهب (١٣٤/٢ وما بعدها) ، (ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول) .
- ٦ بروكلمن (١٠٤/١ وما بعدها) .
- ٧ Ch. Lyell, Four Poems by T. Sh. the Poet, brigand, JRAS, 1918, 211-227.

وأما (السليك بن السلكة) ، فهو من تميم . وأمه أمة سوداء ، وكان يغير على القبائل ، ولا سيما القبائل البائية وقبائل ربيعة . وكان من العارفين باقتفاء الأثر . ومن العالمين بالمسالك وبالطرق والأرض . يذكرون أنه كان إذا جاء الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف ، وأغار واحتاج الى الماء ، جاء الى مواضع البيض ، فاستخرج البيض منها وشرب ما فيه من ماء^١ .

وقد نسب (سليك) على هذا النحو : « سليك بن يثربي بن سنان بن عمرو ابن الحرث ، وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن سلكة ، وهي أمه . ولذا قيل : (ابن السلكة) وقيل اسم والده : (عمرو بن يثربي) ، ويقال (عمير) ، وهو شاعر لص فتاك عداء . يقال : وأعدى من سليك ، ويقال له : (سليك المقانب) . قال قرآن الأسدي ، وقيل أنس ابن مدرك :

لخطابُ ليلٍ بالَ برثن منكم على الهول، أمضى من سليك المقانب^٢

وقال أهل الأخبار عنه، انه أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم ورجلائهم ، وكان له بأس ونجدة . وكان أدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله ، وكان لا تعلق به الخيل . وتذكر قصة انه خرج رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر عليه ، فيذهب بإبله ، وبينما هو نائم ، وإذا برجل يجثم عليه ، ويقول له : استأسر ، فتمكن منه السليك ، ووجده صعلوكاً فقيراً جاء مثله لعله يصيب شيئاً ، فاتفق معه على أن يغزوا معاً ، فلما سارا وجدا رجلاً صعلوكاً انضم إليهما ، واتفقا على الغزو ، ولما كانوا في جوف (مراد) ، وجدوا نعماً ، فطلب (سليك) من رفيقه الانتظار والترص ريثما يذهب الى الرعاء فيلهيها ، ثم يغيرا على النعم . فلما وصل الى الرعاء ، تودد اليهم ، ثم قال لهم : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى ، فأخذ يغني :

١ زيدان ، تاريخ آداب (١٦٣/١) ، الاغانى (١٨/١٣٣) ، الشعر والشعراء (٢١٣) .

٢ اللسان (٤٤٣/١٠) ، (سلك) ، تاج العروس (١٤٤/٧) ، (سلك) ، (السليك ابن سنان بن سلكة) ، تحفة الابيه فيمن نسب الى غير أبيه (١٠٥ وما بعدها) ، (نوادر المخطوطات ، المجموعة الاولى) .

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي إلا عبيد وآم بين أذواد
أنتظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

فلما سمعا ذلك أطردا الإبل فذهبا بها^١ .

وذكر ان (بكر بن وائل) سارت للإغارة على (تميم) . ورأته طلائعها ،
فأرادت القبض عليه ، حتى لا يذهب اليهم فيخبرهم بزخهم عليهم . ولكنه
ركض مسرعاً ، ففلت منهم ، وأخبر قومه بغزوهم ، فكذبوه . فقال في ذلك
شعراً ، وجاءت (بكر بن وائل) فأغارت عليهم^٢ .

وقد وصفه (عمرو بن معدى كرب) في شعر منه :

وسيريّ حتى قال في القوم قائل : عليك أبا ثورٍ سُلَيْكُ المقائب^٣ .

ومرّ (سليك) في بعض غزواته بيت من (خثعم) ، أهله خلوف ، فرأى
فيهم امرأة بضمة شابة ، فتسنمها ومضى ، فأخبرت القوم ، فركب (أنس بن
مدرك الخثعمي) في أثره فقتله ، وطولب بديته ، فقال : والله لا أديسه ابن
إفال ، وقال :

لاني وقتلي سليكا يوم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
غضبتُ للمرء إذ نيكت حليلته وإذ يشدُّ على وجعائها الثغر^٤

وقد ورد البيتان على هذه الصورة :

لاني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
أنفت للمرء إذ نيكت حليلته وأن يشد على وجعائها الثغر^٥

ومن بقية الشعراء الصعاليك ، (حاجز) الأسدي ، (قيس بن الحداية)

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٨٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، الاغاني (١٣٤/١٨) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٨٤/١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٧/٢) ، (بولاق) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٨٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٢٨٥/١) ، (الثقافة) أسماء المفتالين (٢٢٠ ، ٢٢٦ وما بعدها) ، الاغاني (١٣٣/١٨) ، المؤلف (١٣٧) ، الخزائن (١٧/٢) .
 - ٥ الحيوان (١٨/١) .

الأزدي ، و (أبو الطمحان) القيني ، و (أبو خراش) الهللي ، وصخر الغي الهللي^١ ، وأخوه الأعلم الهللي^٢ ، وعمرو ذو الكلب^٣ .

فأما (قيس بن الحداية) ، فهو (قيس بن منقلد بن عبيد بن أصرم بن ضاظر بن حُبشية بن سلول) ، وله مع (عامر بن الظرب) حديث . وصفه (المرزباني) بـ « شاعر قديم كثير الشعر »^٤ . وأمه من (بني حُدَاد) كنانة ، وقوم يجعلونها من حُدَاد محارب . وكان صعلوكاً خليعاً^٥ ، ساهم مع جماعة من أهله في قتل رجل من قبيلتهم ، وعجز قومه من دفع ديتته، فولوا هاربين ، فقتلوا في (فراس بن غنم) ثم لم يلبثوا أن قتلوا منهم رجلاً ، فهربوا ، فقتلوا على (أسد بن كرز) من (بجيلة) ، فأحسن إليهم وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس^٦ . وقد نسب (قيس) الى أمه الحُدَادية ، وهي حضرمية من محارب^٧ . وورد ان أمه من (محارب بن خصفة) . و (حُدَاد) من كنانة . ومن شعره :

أنا الذي أطرده مواليه^٨ وكلهم بعد الصفاء قاله^٩

ولا نجد في بطون الكتب شعراً كثيراً لقيس بن الحداية ، بحيث تنطبق عليه جملة (كثير الشعر) التي أطلقها (المرزباني) على شعر هذا الشاعر ، مما يبعث على الاحتمال بضياعه منذ عهد طويل .

وألّف (قيس بن الحداية) ، عصابة ضمت « شذاذاً من العرب وفتاكاً

-
- ١ شرح أشعار الهذليين (١٢/١) ، الاغانى (١٩/٢٠) ، الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) ، ديوان الهذليين (٥٧/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) .
 - ٣ الاغانى (١٩/٢٠) .
 - ٤ زيدان ، تاريخ آداب (١٦٤/١) .
 - ٥ المرزباني ، معجم (٢٠٢) ، الاغانى (٦/١٣) .
 - ٦ الاغانى (٢/١٣) وما بعدها ، الشعراء الصعاليك (٩٦ وما بعدها) .
 - ٧ كتاب من نسب الى امه من الشعراء (٨٦ وما بعدها) ، (نواذر المخطوطات ، المجموعة الاولى) .
 - ٨ كتاب من نسب الى امه من الشعراء (٨٧) ، الاشتقاق (٢٧٧) ، ألقاب الشعراء ، لابن حبيب (١٣٩) .

من قومه ، وأخذ يغير على عشرته بسبب خلعها له ، وبقي شريداً متمرداً يغزو بصعاليكه ، الى أن قتل صعلوكاً^١ .

وأما (أبو الطمحان) القيني ، فهو (حنظلة بن الشرقي) من بني كنانة بن القين ، وكان فاسقاً ، نازلاً بمكة على الزبير بن عبد المطلب ، وكان يتزل عليه الخلاء ، وكان ندماً له في الجاهلية . اختلف فيه ، فمنهم من قال إنه جاهلي ، ومنهم من قال إنه أدرك الإسلام . وقد زعم بعضهم أنه عاش مائتي سنة ، وأنه ندم على ما اقترفه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والسرقة ، ورووا له شعراً تبرأ فيه من الذنوب . ذكر أنه قيل له : ما أدنى ذنوبك؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلتُ بديرانية ، فأكلت عندها طفشياً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت ؟! وكانت له ناقة يقال لها (المرقال) ، وله إبل استقاها قوم نزلوا ضيوفاً عليه وشربوا من ألبانها ثم أدخلوها معهم ، فقال في ذلك شعراً منه :

واني لأرجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر^٢

وذلك أنه جاورهم : فكان يسقيهم اللبن ؛ فقال أرجو أن تشكروا لي ردّ إبلي ، على ما شربتم من ألبانها ، وما بسطت من جلد أشعث أغبر ، كأنه يقول : كنتم مهازيل فبسط ذلك من جلودكم^٣ .

وروي أنه كان من العمرين ، عاش على حدّ قول بعضهم مائتي سنة . فقال في ذلك :

حتني حانيات الدهر حتى كأنني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رأيي ولست مقيداً أني بقيد^٤

١ الشعراء الصعاليك (٩٧ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٤/١ وما بعدها) ، الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١١) ، الاغانى (١٢٥/١١) ، الخزائن (٤٢٦/٣) ، المعرون للسجستاني (٦٢) ، المؤلف (١٤٩) ، أمالي المرتضى (٢٥٧/١ وما بعدها) .

٣ الحيوان (٤٧٣/٤) .

٤ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) .

ونسب (المرتضى) له قوله :

ولاني من القوم الذين همُّ همُّ
نجوم سماء كلما غاب كوكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
وما زال منهم حيث كان مسودٌ
إذا مات منهم ميت قام صاحبه
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه
دجى الليل حتى نَظَّمَ الجزع ثاقبه
تسير المنايا حيث سارت كتابه^١

وقد لاقى (أبو الطمحان) مصاعب عديدة ، وكان لا يكاد يجد له مكاناً يستقر فيه ، حتى تقع له حادثة توقعه في مشكلات عويصة وفي شدة ومحنة ، فكان ينتقل من جار الى جار ، ثم يهم بالعودة الى أهله لولا خوفه من أداء الدية التي عليه أن يدفعها ، فيحجم عن الذهاب اليهم ، حتى استقر أخيراً في (بني فزارة) في جوار رجل يقال له (مالك بن سعد) أحد (بني شمع) ، وكان كريماً ، فأواه ، وأعطاه إيلاً لتكون دية جنايته وزاد عليها ، وكان قد لمح له انه يريد العودة الى أهله لولا هذه الدية ، فلما وجد هذا السخاء من مالك ، بقي عنده ، وصار أحد عشيرته حتى هلك فيها ، وهو طاعن في السن^٢. فذكره (السجستاني) لذلك في المعمرين ، وأعطاه مائتي سنة من عمر مديد^٣ !

ونسب الى (أبي الطمحان) قوله :

إن الزمان ولا تفنى عجائبه فيه تقطع آلاف وأقران
أمسّت بنو القين أفراقاً موزعة كأنهم من بقايا حي لقمان^٤

وله شعر في مدح (مالك بن حمار) الشمخي ، وكان شريفاً من أشراف العرب قتله (خفاف بن نذمة) السلمي^٥ ، يقول فيه :

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) .
 - ٢ الاغانى (١٣٢/١١) وما بعدها .
 - ٣ المعمرين (٦٢) .
 - ٤ البيان والتبيين (١٨٧/١) .
 - ٥ الاشتقاق (١٧٢/٢) ، البيان والتبيين (٢٣٥/٣) ، وقد اخطأ السيد عبد السلام محمد هارون في الجزء الاول من كتاب الحيوان الذي حققه ، اذ قال : « وهو يمدح مالك بن حماد الشمخي » ، ثم علق عليه برقم (٤) حاشية ، ثم قال في الحاشية : « هو قاتل خفاف بن نذمة » ، (ص ٣٨٠) ، الاغانى (١٣٤/١٣) .

سأمدح مالكا في كل ركبٍ لقيتهم وأترك كل رذل
 فإنا والبكارة من مخاضٍ عظام جلة سدس وبزل
 وقد عرفت كلابكم ثيابي كأني منكم ونسيتُ أهلي
 نمتكم من بني شمع زناد لها ما شئت من فرع وأصل^١

وله أيضاً :

فكم فيهم من سيد وابن سيد وفي بعقد الجار حين يفارقه
 يكاد الغمام الغر يزعب إن رأى وجوه بني لأم وينهل بارقه^٢

وله في (بني نمر) قوله :

مهلاً نمرُ فإنكم أمسيتم منّا بشعر ثنية لم تُستر
 سوداً كأنكم ذئاب خطيطة مطير البلاد وحرّمها لم يُمطر
 يحبون ما بين أجا وبرقة عالج حبو الضباب إلى أصول السخبر
 وتركتم قصب الشريف طوامياً تهوى ثنيته كعين الأعور^٣

وله في الإنعاط والاعتبار بدروس الغابرين ، قوله :

ألا ترى مأرباً ما كان أحصنه وما حواله من سور وبنان
 ظلّ العبادي يسقي فوق قلّته ولم يهب ريب دهر حق خوآن
 حتى تناوله من بعد ما هجموا يرقى إليه على أسباب كتّان^٤

ولما في حياة الصعاليكة من غرابة وطرافة ومغامرات ، تستلذ لسماعها الأذان ، وضع الوضاعون عليهم أخباراً كثيرة وأشعاراً عديدة ، تجمد بعضها تحكي الأيام

١ البيان والتبيين (٢٣٥/٣) .

٢ البيان والتبيين (٣٣٧/٣) .

وفي بعقد الجار ، حين يفارقه
 وجوه بني لأم وينهل بارقه

كم فيهم من سيد وابن سيد
 يكاد الغمام الغر يزعج إن رأى

الحيوان (٩٢/٣) .

٣ الحيوان (١١٣/٦) .

٤ الحيوان (١٥٤/٦) .

التي وضع الوضاعون فيها تلك الأشعار ، من حيث الطعن في الأغنياء ، وتفضيل الفقراء عليهم ، وترجيح الفقير على الغني ، لشعوره بشعور انساني حرم منه الغني الذي لم يكن يفكر إلا بنفسه ، كما ان في كثير من الشعر المصنوع طابع حياة المغامرات . وهو يختلف نصاً من مؤلف الى مؤلف، مما يدل على تعدد الروايات، وانه أخذ من ألسنة متعددة ، فتعدد بعددها .

الفصل الحادي والستون بعد المئة

شعراء القرى العربية

والقرى العربية في نظر (ابن سلام) خمس هن: مكة والمدينة والطائف واليامة والبحرين^١. و (القرية) في تفسير علماء العربية المصر الجامع ، وقيل كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها^٢. وقد جاءت اللفظة في مواضع عديدة من القرآن. كما وردت فيه : (القريتين) ، بمعنى مكة والطائف^٣، و (أم القرى) ، بمعنى (مكة)^٤ ، و (أهل القرى) ، و (القرى) . ومكة والمدينة والطائف قرى ، أما (اليامة) ، فصر جامع ، ضم قرى ، وكذلك البحرين . ولم تدخل (الحيرة) ، أو الأنبار ، في القرى العربية لكونهما خارج حدود جزيرة العرب في عرف العلماء .

وذكر (ابن سلام) ان أشهر أهل القرى الخمس ، أهل قرية (المدينة) ، أي (يثرب) . وقد أخرجت خمسة من الفحول : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فن الخزرج من (بني النجار) : حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة : (كعب بن مالك) ، ومن (بلحارث بن الخزرج) (عبدالله بن رواحة) .

١ طبقات (٥٢) .

٢ تاج العروس (٢٩٠/١٠) ، (قرى) .

٣ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٣١ ، تفسير الطبري (٣٩/٢٥) .

٤ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ٩٢ ، تفسير الطبري (١٨٠/٧) .

ومن (الأوس) : قيس بن الخطيم ، من (بني ظفر) ، (و) أبو قيس ابن الأسلت (من) بني عمرو بن عوف ^١ .

وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على ان أشعر أهل المدر : يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ، وعلى ان أشعر أهل المدر : حسان بن ثابت ، ثم قال : « حسان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر اليمن في الاسلام ، وهو شاعر أهل القرى » . وروي انه كان أشعر أهل الحضر ^٢ .

وقال (ابن سلام) في حديثه عن مكة : « وبمكة شعراء ^٣ ووصف أشعار قريش بأنها أشعار فيها لين ^٤ ، وهي سهلة سلسة اذا قيست بأشعار أهل البادية ، يتغلب عليها طابع الحضارة ، وكذلك شعر باقي القرى . وقال عن (الطائف) ، وبها شعراء وليس بالكثير . وعلل ذلك بقوله : « وانما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم : والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف ^٥ » . وقال عن (البحرين) : « وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة ^٦ » . وقال عن (اليمامة) : « ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً ^٧ » .

ولم تنفرد أشعار قريش وحدها باللين ، وإنما الليونة والسهولة في الشعر من طبائع الشعر الحضري أجمع . ففي طبيعة الحياة في الحضارة سهولة غير موجودة في حياة البداوة ، وراحة ودعة واستقرار ، وهي أمور لا توجد في البادية ، ثم فيها اجتماع واحتكاك بعالم خارجي ، وميل الى جمع المال والاستمتاع به ، والابتعاد عن الغزو والحرب ، وكراهة القتال وتعريض النفس للخطر ، والنفس عزيزة غالية عند الحضر ، وهي هينة رخيصة عند الأعراب ، وما الذي يجعل الأعرابي يحرص على حياته حرص أهل الحواضر ، وكل ما عنده جوع وفقير وطبيعة قاسية

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .
 - ٢ الاستيعاب (٢٣٨/١) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ طبقات (٥٧) .
 - ٤ طبقات (٦٠) .
 - ٥ المصدر نفسه (٦٥ وما بعدها) .
 - ٦ كذلك (٦٦) .
 - ٧ كذلك (٧٠) .

تجعله لا يحصل على قوته إلا بالإغارة على غيره لاستلاب ما عنده من رزق .
فلا غرابة إذا ما غلظ شعره وخشن شعوره المتمثل في نظمه ، ولأن شعر الحضري
في مقابله .

ولم يذكر (ابن سلام) السبب الذي جعل (اليامة) فقيرة في الشعر ، حيث
يقول : « ولا أعرف باليامة شاعراً مشهوراً »^١ ، ولا الأسباب التي حملته على
القول بعدم وقوفه على شاعر شهير فيها ، مع أن (الأعشى) منها ، وهو شاعر
شهير ، والمرقس الأكبر ، والمرقس الأصغر ، وهما شاعران مشهوران من (قيس
ابن ثعلبة) ، و (قيس بن ثعلبة) من القبائل النازلة باليامة ، وقد ذكرها (ابن
سلام) في طبقاته ، كما ذكر (المتلمس) ، في طبقاته ، وهو شاعر معروف
من شعراء اليامة كذلك . ويظهر أنه نسي أسماءهم ، لأنه كان يعلم أن الغلبة
كانت لبني حنيفة على اليامة عند ظهور الإسلام ، ولم يحفظ الرواة - لسبب
لا نعرفه - شعراً لشعراء من بني (حنيفة) ، فعمم قوله على كل اليامة ، والحكم
بالتعميم شيء مألوف بين أهل الأخبار .

وقد ذهب (الجاحظ) إلى أن (بني حنيفة) أهل اليامة ، كانوا أقل الناس
شعراً ، إذ يقول : « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة
وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم
وحدهم يعدلون بكرأ كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي
أخوتهم عجل قصيد ورجز ، وشعراء ورجازون » . وقد أنكر أن يكون ذلك
بسبب مكان الخصب وأنهم أهل مدر ، أي حضر ، وإنما رجع ذلك إلى الطبع ،
والى « قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والأعراق مكانها »^٢ .

ويلاحظ أن علماء اللغة ، جعلوا (اليامة) في جملة الأراضين التي لم يرجعوا
إلى لغاتها ، فذكروا أنهم لم يأخذوا اللغة « لا من بني حنيفة وسكان اليامة ،
ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمجاورتهم تجار اليمن المقيمين عندهم »^٣ ، وذلك
في الإسلام بالطبع ، لأن تدوين اللغة لم يبدأ به إلا في هذا الحين . وهو رأي
صحيح ، لأن لغات أهل اليامة متأثرة باللهجات العربية الجنوبية ، كما كانت كتابتهم

١ طبقات (٧٠) .
٢ الحيوان (٣٨٠ / ٤) وما بعدها .
٣ المزهر (٢١٢ / ١) .

بالمسند ، بدليل عثور المستشرقين على كتابات عديدة في مواضع من اليامة ، مدونة بهذا القلم ، وبلغة عربية جنوبية متأثرة بلهجات خاصة بعض التأثير ، ولهذا فنحن نستطيع أن نقول إن كتابات اليامة التي عثر عليها الآن والتي سيعثر عليها في المستقبل ، تكون مجموعة فريدة مهمة من الكتابات الجاهلية وقد تكون جسراً بين العرييات الجنوبية القحة ، وبين اللغات العربية الشمالية ، وقد تكون هذه الخصائص اللغوية الفريدة هي التي جعلت (ابن سلام) يقول في طبقاته : « ولا أعرف باليامة شاعراً مشهوراً »^١ ، إذ سمع أن شعراء اليامة كانوا يقولون الشعر بلهجاتهم التي تختلف عن اللهجة التي نظم بها شعراء مجموعة (ال) ، فأهمل لذلك شعرهم ، أو أن شعرهم لكونه شعراً محلياً خاصاً ، لم ينتشر خارج قبائل اليامة ، فلم يصل الى علمه منه شيء ، فقال لذلك قوله المذكور ، ولم يعده من الشعر المألوف ، الذي تعورف عليه بين علماء الشعر ، ولما كان (الأعشى) و(المرقش) الأكبر ، و(المرقش الأصغر) ، والمتلمس ، قد نظموا الشعر باللهجة المألوفة ، ولكونهم من المتنقلة الذين تنقلوا بين العرب ، وقضوا أكثر أوقاتهم خارج اليامة ، لم يدخلهم لذلك في شعراء اليامة ، لا جهلاً منه بأصلهم ، وإنما لما يئته من أسباب.

ولعل لكثرة وجود العبيد والموالي بها دخل في هذا الباب ، فاليامة أرض خصبة ذات مياه ، استقر أهلها وأقاموا في القرى وزرعوا واستعانوا بالموالي وبالعبيد وبأهل اليمن لاستغلال أرضهم ، فصاروا من أصحاب الزراعة في جزيرة العرب ، كما استغلوا معادنها ، واستعانوا في استغلالها بالأعاجم ، فلذكر انه كان في معدن (شمام) ألف أو يزيد من المجوس ، لهم بيت ناري^٢ . ولعل (آل كرمان) ، و (الأحمر) في الحرملية ، هم من الأعاجم الذين كانوا قد ولجوا هذه المواضع للعمل بها قبل الاسلام^٣ ، أضف الى ذلك وجود عدد كبير آخر من الموالي في أكثر قرى اليامة ، شغلوا في الزراعة وفي استغلال المعادن وفي تصنيعها ، وهي أمور يأنف منها الأعرابي ويزدريها . ولهذا قيل لهم أهل (ريف) ، وقد وصفهم جرير بقوله :

١ طبقات (٧٠) .

٢ الصفة (١٤٢) .

٣ لغدة (٣٠٢ وما بعدها ، ٣٥٩) .

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من موالها^١

وذلك تعبيراً عن كثرة من كان في اليمامة من العبيد والموالي الذين لعبوا دوراً كبيراً في اقتصاد اليمامة ، حيث شغلوا في الزراعة وفي الرعي وفي استغلال المعادن والصناعة ، وانشاء القرى ، حتى صارت أرضها بين قرى وأرض استغلت بزروعها سيحاً ، أي على مياه الأمطار . وأما القرى ، فقد أقيمت على الآبار والعيون والمياه الجارية وعلى حافات الأودية. وقد حفر الرقيق أكثر هذه الآبار، كما استغلت الآبار العادية ، أي الآبار القديمة التي تنسب الى ما قبل مجيء قبائل (ربيعة) الى اليمامة . ونجد في الكتب التي وصفت اليمامة ذكراً لمواقع كثيرة ، توفرت بها المياه ، فصارت أرضين خصبة ، موّنت اليمامة وغيرها بالحنطة والتمور والخضر .

وكان جلّ أهل (اليمامة) عند ظهور الإسلام من (بكر بن وائل) ، وبكر ابن وائل من (ربيعة) ، فهم ليسوا من (مضر) اذن ، الذين أخذ عنهم علماء العربية اللغة في الإسلام . فقوم الأعشى ، وهم (بنو قيس بن ثعلبة) من بكر بن وائل ، وبنو حنيفة ، وهم قوم (مسيلمة) من (بني لجيم بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل)^٢ ، فلم يربعة كانت الغلبة في هذا العهد ، وأما بطون (تميم) التي كانت تقيم في مناطق من اليمامة ، فلم تكن تكون الكثرة الى جانب ربيعة ، وتميم من مضر في عرف أهل الأخبار .

واليمامة اقليم مشهور عرف بعذوبة مياهه ، وبخصبه وبكثرة قراه ، وباشتغال أهله بالزراعة ، زراعة النخيل والأشجار المثمرة والحنطة ، كما عرف بتربيته للإبل والبقر والغنم ، ولذلك وفرت اللحوم به ، وقد استقر أهله ، وصاروا حضراً وأشباه حضر ، ولعلّ لصلتهم باليمن ولنزوح أهلها القدامى من اليمن ، وهم أهل زرع وضرع ، ثم توفر الماء والتربة الخصبة في اليمامة ، جعلت كل هذه الأمور أهلها حضراً على مستوى عالٍ من الحياة بالنسبة الى من كان يقيم في البوادي من القبائل ، اعتمدوا في الدفاع عن أنفسهم على الحصون والبُتُل التي لا تزال آثار بعضها قائمة الى هذا اليوم ، فكانوا إذا بوغتوا بهجوم ، أسرعوا الى بتلهم وقصورهم ، فتحصنوا بها . وهي من أهم ما يميز أهل الحضرة عن

١ الخزائن (٣٠٠/٢) ، (بولاق) .

٢ تاج العروس (٧٨/٦) ، (حنف) .

أهل الوبر . ولهذا نجد مستوطنات أهل المدر ، مكوّنة من أطم كما تسمى في (يثرب) ، أو قصور كما تسمى في الحيرة وفي قرى عرب العراق ، وبتل كما عرفت في اليمامة ، وبفضل هذا النظام الدفاعي ، حوّا أنفسهم من هجمات الأعراب عليهم .

ولطابع الاستقرار الغالب على أهل اليمامة أثر في شعر شعراء اليمامة . يظهر في أساليب شعرائها السهولة وفي البحور التي نظموا بها شعرهم ، وهم يقربون بذلك من شعراء عرب العراق أو الشعراء الذين تأثروا بالشعر العراقي ، كما يظهر هذا الطابع في المعاني التي تطرقوا إليها ، وسبب قربهم في المعاني وفي الصياغة من أهل العراق ، هو تشابه الحياة بين عرب الحيرة مثلاً وبين أهل اليمامة . فأهل الحيرة حضّر أو أشباه حضّر ، وأهل اليمامة حضّر مثلهم أو أشباه حضّر ، لهم زراعة ، ولهم حرف قد احترفوها منذ أمد طويل ، ثم ان النصرانية كانت قد انتشرت بين عرب العراق ، وقد انتشرت بين أهل اليمامة كذلك ، وجنودها وإن لم تكن عريقة راسخة في المحيطين ، لكنها كانت قد تأثرت بعقلية أهلها على كل حال .

ومن شعراء اليمامة (المرقش) الأكبر ، وهو (ربيعة بن سعد بن مالك) ، ويقال : بل هو عمرو بن سعد بن مالك ، وقيل (عوف بن سعد بن مالك) من (بني قيس بن ثعلبة) من قبائل اليمامة المعروفة ، وكان أبوه سيد قومه في حرب البسوس ، وهو خال (عمرو بن قتيبة) ، وله صهر مع طرفة والأعشى ميمون^١ . ذكر انه اعرف بالمرقش بهذا البيت :

الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم^٢

وبعد (المرقش) الأكبر من الشعراء العشاق ، وله قصة عن حبه لابنة عمه ، وعن زواجها أثناء غيابه ، ثم بحثه عنها ، ونزوله كهفاً أسفل (نجران) ، ثم احتياله في الوصول إليها ، ووفاته بعد ذلك . وهي قصة نجد لها مثيلاً في قصص

-
- ١ بروكلمن (١٠٢/١) ، المزهر (٤٧٦/٢ وما بعدها ، ٤٨١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢٠١) ، الاغانى (١٩٩/٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (٨٨٩/٢) ، اللسان (١٩٥/٨) الاغانى (١٢٧/٦) ، المؤلف (١٨٤) ، المفضليات (١١١) ، رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠) ، البيان والتبيين (٣٧٤/١) .

وحكايات الأمم الأخرى^١ . وقيل ان صاحبتة (أسماء بنت عوف بن مالك) ، كان أبوها زوجها رجلاً من مراد ، والمرقش غائب ، فلما رجع أخبر بذلك ، فخرج يريد لها ومعه عسيف له من (غفيلة) ، فلما صار في بعض الطريق مرض ، حتى ما يحمل إلا معروضاً ، فتركه الغفيلي هناك في غار ، وانصرف الى أهله ، فخبرهم أنه مات ، فأخذوه وضربوه حتى أقر ، فقتلوه ، ويقال إن أسماء وقفت على أمره ، فبعثت اليه فحمل اليها ، وقد أكلت السباع أنفه . فقال :

يا راكباً أما عرضتَ فبلغن أنس بن عمرو حيث كان وحرملا

وقد وصف في هذه الأبيات ما لاقاه في سفره، وهروب الغفيلي منه ، وذهاب السباع بأنفه . ويقال إنه كتبها على خشب الرحل بالحميرية ، وكان يكتب بها ، فقرأها قومه ، فلذلك ضربوا الغفيلي حتى أقر^٢ . وفي أكل السباع أنفه يقول :

من مبلغ الفتيان أن مرقشاً أضحي على الأصحاب عبثاً مثقلاً
ذهب السباع بأنفه فتركته ينهشن منه في القفار مجدلاً^٣

ونسب له قوله :

ومن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمره^٤ ومن يغو لا يعدم على الغي لاثماً
أخوك الذي إن أخرجتك ملمة^٥ من الدهر لم يبرح لها الدهر واجاً
وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك أمور ظلّ يلحاك دائماً^٦

وقد تعرض (المعري) لكلمة (المرقش) :

هل بالديار أن نجيب صمم ؟ لو كان حياً ناطقاً كلّم

وقال بعد ذلك : « على أن مرقشاً خلط في كلمته فقال :

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ رسالة الغفران (٣٥٥) ، الاغانى (١٢٧/٦) .

٤ بلوغ الارب (١٠٧/٣ وما بعدها) .

ماذا علينا ان غزا ملك من آل جفنة ظالم مُرغم

وهذا خروج عما ذهب اليه الخليل^١

وتعرض بعد ذلك له ، بأن تصور نفسه وهو يقول له وقد زاره في أطباق العذاب: « ان قوماً من أهل الإسلام كانوا يسترون بقصيدتك الميمية التي أولها :

هل بالديار أن نجيب صمم لو كان حياً ناطقاً كلم

ولإنها عندي لمن المفردات . وكان بعض الأدباء يرى أنها والميمية التي قالها المرقش الأصغر ناقصتان عن القصائد المفضليات ، ولقد وهم صاحب هذه المقالة. وبعض الناس يروي هذا الشعر لك :

تخيرت من نعمان عود أراكة هند ، ولكن من يُبلغه هنداً ؟
خليلي جُوراً بارك الله فيكما وإن لم تكن هنداً لأرضكما قصداً
وقولا لها : ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقاكم عمداً
ولم أجدها في ديوانك فهل ما حُكي صحيحٌ عنك ؟

فيقول : لقد قلت أشياء كثيرة ، منها ما نُقل اليكم ، ومنها لم ينقل . وقد يجوز أن أكون قلتُ هذه الأبيات ولكني سرّفتها لطول الأيد ولعلك تنكر أنها في هند ، وان صاحبتني أسماء ، فلا تنفر من ذلك ، فقد ينتقل المشيب من الاسم الى الاسم ، ويكون في بعض عمره مستهتراً بشخص من الناس ، ثم ينصرف الى شخص آخر ، ألا تسمع الى قولي :

سفه تذكرُهُ خويلة بعدما حالت ذرانجران دون لقائها^٢

ومن القصيدة الميمية المنسوبة اليه قوله :

النشر مسك والوجوه دنس نير^٣ ، وأطراف الأكف غم

١ رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (٣٥٥ وما بعدها) .

٣ رسالة الغفران (٥٦٠) ، أمالي المرتضى (٢٥٥/٢ ، ٢٥٧) .

وقوله :

ليس على طول الحياة نَدَمٌ^١ ومن وراء المرء ما يعلم^٢

ولم يبق من شعر المرقش الأكبر إلا (١٢) قطعة ، وفي بعض شعره اضطراب ،
والقطعة (٥٤) من الأصمعيات من بحر عروض لم يهتد المتأخرون الى تحديده^٣ .
ونجد بحر الخفيف عنده^٤ .

وأما المرقش الأصغر ، فهو (عمرو بن حرملة) ، وقيل : (ربيعة بن
سفيان) ، وقيل (عمرو بن سفيان) وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة ،
أحد عشاق العرب المشهورين . وورد في رواية أنه أخو المرقش الأكبر ، ويقال
لأنه ابن أخيه . وقد اشتهر بقصة غرامه بفاطمة بنت المنذر الثالث ملك الحيرة^٥
وكانت لها خادمة تجمع بينها ، يقال لها (هند بنت عجلان) ، وكان للمرقش
ابن عمّ يقال له (جناب بن عوف بن مالك) ، لا يؤثر عايه أحداً ، وكان
لا يكتمه شيئاً من أمره ، فألح عليه أن يخافه ليلة عند صاحبته ، فامتنع عليه
زماناً ، ثم انه أجابه الى ذلك ، فعلمه كيف يصنع اذا دخل عليها ، فلما دنا
منها أنكرت عليه مسّه ، فنحتة عنها ، وقالت : لعن الله سراً عند المعيدي ،
وجاءت الوليدة فأخرجته ، فأتى المرقش فأخبره ، فعضّ على إبهامه فقطعها أسفاً
وهام على وجهه حياءً . وخلد القصة في شعره^٦ .

وكان هرب من المنذر وأتى الشام ، فقال :

أبلغ المنذر المنقبَ عني غير مستعتب ولا مستعين
لاتَ هنا وليتني طرف الزج وأهلي بالشأم ذات القرون^٧

١ أمالي المرتضى (٧٨/٢) .

٢ بروكلمن (١٠٢/١) .

٣ غرونبوم (٢٧٩) .

٤ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٠٥ وما بعدها) ، الاغاني (١٩٣/٥ وما بعدها) ،
للمرزباني (٢٠١) ، بروكلمن (١٠٣/١) ، (٤ وما بعدها) ، (فراج) ،
المؤتلف (١٨٤) ، الفضليات (١١٤) ، الاغاني (١٣٦/٦ وما بعدها) ، رسالة
الغفران (٣٥٧) .

٥ الشعر والشعراء (١٤٣/١) ، (الثقافة) .

٦ الشعر والشعراء (١٤٤/١) ، (الثقافة) .

وصاحبه بنت عجلان ، أمة كانت لبنت (عمرو بن هند) ، وفيها يقول :

يا بنت عجلان ما أصبرني على خطوب كنتِ بالقدم

ومن شعره المشهور هذا البيت :

ومن يلق خبراً يحمد الناس أمره^١ ومن يغور لا يعلم على الغي لائماً^٢

ويعد المرقش الأصغر أشعر من عمه ، ويغلب على شعره الغزل ، وهو أكثر صقلًا ، وأقرب مطابقة لأسلوب المتأخرين^٣ .

ومن شعراء اليمامة : (المتلمس) ، وهو (جرير عبد المسيح) ، وقيل (جرير بن عبد العزى) ، وقيل غير ذلك ، وهو من بني ضبيعة ، وأخواله (بنو بشكر) . وهو خال (طرفة) ، لقّب بالمتلمس لبيت قاله ، هو :

فهذا أوان العرض حيّا ذبابه زنابيره والأزرق^٤ المتلمس

وقيل ان اسم أبيه (عبد العزى) ، وهو من أسماء الوثنيين، ويظهر انه تنصر فسمى نفسه عبد المسيح^٥ .

وكان ينادم (عمرو بن هند) ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد ، قبله، انهما هجوا ، فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين ، أوهمها انه أمر لهما فيها بجواهر ، وكتب اليه يأمره بقتلها ، فاستراب (المتلمس) من الكتابين وعرض كتابه على غلام من أهل الحيرة ، فقرأه فإذا فيه أمر بقطع يديه ورجليه ، ودفنه حيّا ، فزقه ، ورماه في نهر الحيرة ، وقال لطرفة : ادفع اليه صحيفتك يقرأها ، فأبى وذهب الى البحرين فقتله عامل (عمرو بن هند) . وهرب المتلمس الى بصرى

١ الشعر والشعراء (١/ ١٤٣ وما بعدها) ، (فمن يلق خيرا) ، أمالي المرتضى (٢/ ٢٤٦) .

٢ بروكلمن (١/ ١٠٣) .

٣ بروكلمن ، تاريخ الآداب العربية (١/ ٩٣) ، الشعر والشعراء (١/ ١١٢ وما بعدها) ، الخزانة (٣/ ٧٣) ، (بولاق) .

فهذا أوان العرض جن ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس
السيوطي ، شرح شواهد (١/ ٢٩٨) ، الاشتقاق (١/ ١٩٣) ، البيان (١/ ٣٧٥) .

واستقر هناك الى أن مات بها . وضرب المثل بصحيفة المتلمس^١ .
و (المتلمس) من (ضبيعة أضجم) ، وقد نسبت الى (الحارث الأضجم) ،
وكان قديم السؤدد فيهم ، كانت تجبي اليه أناتهم^٢ .
وقد ذكر (العيني) أن البيت المنسوب الى (المتلمس) ، وهو البيت الذي
ضرب به المثل ، فقبل صحيفة المتلمس ، ونصه :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

ليس من نظم المتلمس ، ولم يقع في ديوان شعره ، وإنما هو لأبي مروان
النحوي ، قاله في قصة المتلمس حين فرّ من عمرو بن هند . وكان قد هجا
عمرو بن هند ، وهجاه أيضاً طرفة بن العبد ، فقتل طرفة وفرّ المتلمس . وبعد
البيت المذكور :

ومضى يظن بريد عمرو خلفه خوفاً وفارق أرضه وقلاها^٣

ويحتمل على رأي (بروكلمن) أن تكون قصة الصحيفة مختلفة ، وكذلك
القصيدة التي ورد فيها ذلك البيت^٤ .

قال الشريف (المرتضى) : « ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه
القصة هر سيمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح

-
- ١ الشعر والشعراء (١١٢/١ وما بعدها) ، الاغاني (١٢٠/٢١) ، الخزائن (٤٤٦/١) ، (بولاق) ، الميداني ، أمثال (٢٧٠/١) ، أمالي المرتضى (١٨٣/١ وما بعدها) .
 - ٢ الاشتقاق (١٩٢/١) .
 - ٣ العيني ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية (١٣٤/٤) ، (حاشية على خزائن الادب) .
 - ٤ بروكلمن (٩٤/١) .

طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان^١. وفي شعر المتلمس ما يتعلق بأخبار القبائل ، وفيه هجاء لعمر بن هند . وهو من الشعراء المقلين . قال أبو عبيدة : واتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المتلمس ، والمسيب بن علس ، وحصين بن الحمام المري^٢ . وذكر أنه أخذ يهجو (عمرو بن هند) من منفاه ، ويحرض قوم طرفة على الطلب بدمه . فن جملة ما قاله قصيدته :

إن العراق وأهله كانوا الهوى فإذا نأى بي ودهم فليبعد

ولما تهده (عمرو) ، وحلف أن وجده بالعراق ليقتلته وإن لا يطعمه حب العراق ، قال المتلمس :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق إذا ديس الكراديس^٣

وبقي ببصرى حتى هلك بها ، وكان له ابن يقال له : عبد المدان ، أدرك الاسلام ، وكان شاعراً ، هلك ببصرى ولا عقب له^٤ .

وكان طرفة بن العبد وخاله المتلمس وفدا على (عمرو بن هند) ، فترلا منه خاصة ونادماه ، ثم انهما هجوا بعد ذلك ، فكتب لهما كتابين الى البحرين وقال لهما : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصا لتقبضاها . فخرجا من عنده ، والكتابان في أيديهما ، فرآ بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفاً يقضي حاجته ، وهو مع ذلك يأكل ويتفلى ، فقال أحدهما لصاحبه : هل رأيت أعجب من هذا الشيخ ؟ فسمع الشيخ مقالته فقال : ما ترى من عجيبي ؟ أخرج خبيثاً ، وأدخل طيباً ، وأقتل عدواً ، وإن أعجب مني لمن يحمل حتفه وهو لا يدري . فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه . ولقيه غلام من الحيرة فقال : أنقراً يا غلام ؟

١ أمالى المرتضى (١٨٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (١١٥/١) .

٣ الخزائن (٧٥/٣) ، (بولاق) .

٤ الشعر والشعراء (١١٥/١) ، (دار الثقافة) .

قال : نعم . ففرض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه عليه ، فإذا فيه : إذا
أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حياً . فأقبل على طرفة فقال : تعلم والله ،
لقد كتب فيك بمثل هذا . فلم يلتفت الى قول المتلمس ، وألقى المتلمس كتابه
في نهر الحيرة وهرب الى الشام ، وأخذ يهجو عمرو بن هند^١ .

ورويت القصة بشكل آخر خال من التزييق والتنميق نوعاً ما . ذكرت ان
« المتلمس وطرفة بن العبد هجوا عمرو بن هند ، فبلغه ذلك ، فلم يظهر لها
شيئاً ، ثم مدحاه فكتب لكل منهما كتاباً الى عامله بالحيرة (؟) ، وأوهم انه
كتب لها فيه بصلة . فلما وصلا الحيرة ، قال المتلمس لطرفة : إنا هجوناه ،
ولعله اطلع على ذلك ، ولو أراد أن يصلنا لأعطانا ! فهل ندفع الكتابين الى من
يقرأهما ، فإن كان خيراً وإلا ندرنا . فامتنع طرفة ، ونظر المتلمس الى غلام قد
خرج من المكتب فقال : أنحسن القراءة ؟ قال : نعم . فأعطاه الكتاب ففتحه ،
فإذا فيه قتله . ففر المتلمس الى الشام وهجا عمرأ هجاء قذعاً . وأتى طرفة الى
عامل الحيرة بالكتاب فقتله^٢ . وقد حلت الحيرة في هذه القصة في محل البحرين ،
وصار العامل القاتل عامل الحيرة ، وخلت من ذكر الشيخ .

وطرفة هو القائل في قصيدة له :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكان النبي إذا استراث الخبر يتمثل بعجز هذا البيت من هذه القصيدة^٣ .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظ المال خير من بقاءه وجول في البلاد بغير زاد

وقوله :

ولا يقيم على ذل يُراد به إلا الأذلان : غير الحي ، والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٥ / ١) وما بعدها ، المرزباني ، معجم (٥) ، (فراج) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٧١ / ١) ، الشعر والشعراء (١١٢ / ١) .
٣ المرزباني ، معجم (٦) .

وقوله :

ولو غير أخوالي أرادوا تقيصتي جعلت لهم فوق العرائن ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفته بكفٍ له أخرى فأصبح أجلما^١

وذكر أن النبي كتب لعينة بن حصن كتاباً ، فقال : يا محمد أتراني حاملاً
الى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس . أي لا أحمل الى قومي كتاباً لا علم لي بما
فيه . وقد أشير الى (صحيفة المتلمس) في شعر الفرزدق^٢ ، وفي شعر شعراء
آخرين^٣ .

ونسب الى (المتلمس) قوله :

وأعلمُ علمَ حقٍ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العتادِ
لحفظ المال أيسرُ من بُغاهٍ وضربٍ في البلاد بغير زادِ
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد^٤

وله شعر في الأقارب ذكره له الجاحظ في كتاب الحيوان^٥ .

والمسيب بن علس ، واسمه (زهير بن علس) ، وإنما لقب بالمسيب بقوله :

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق^٦

و (المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قامة) ، هو من (جماعة) ،
وهم من (بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار) ، ويكنى (أبا الفضة) ، وهو
خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته . واسمه : (زهير بن علس) . وإنما
سمي (المسيب) لبيت قاله ، هو :

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق

-
- ١ بلوغ الأرب (١١٢/٣) وما بعدها .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٧/١) .
 - ٣ الحيوان (٨٥/٢) .
 - ٤ الحيوان (٤٧/٣) .
 - ٥ (١٣٦/٣) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٠٨/١) .

وهو جاهلي لم يدرك الاسلام ، من شعراء بكر بن وائل المعدودين . وكان امتدح بعض الأعاجم ، فأعطاه ، ثم أتى عدواً له من الأعاجم يسأله ، فسمته فأت ، ولا عقب له^١ .

وقد ذكر (الهمداني) ان الأعشى يجتذي في شعره على مثال (المسيب) ، وكان الأعشى راويته^٢ .

وله قصيدة قالها في (القعقاع بن معبد بن زرارة) ، فيها :

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلفة الى القعقاع
أنت الذي زعمت معد أنه أهل التكرم والتدى والباع^٣

وقد أورد (الهمداني) له قصيدة زعم أنه قالها في مدح (زيد بن مرب) ، أو في مدح ابن ابنه (زيد بن قيس بن زيد) أولها :

كلفت بليلي خدين الشباب وعالجت منها زماناً خبالاً
لها العين والجيد من مغزل تلاعب في القفرات الغزالاً^٤

وقد ذكر (الجاحظ) شعراً قال انه لغيلان بن سلمة الثقفي ، هو :

في الآل ينفضها ويرفعها ريع^٥ كأن متونه السحل^٦
عقلاً ورقاً ثم أردفه كلل^٧ على ألوانها الحمل^٨
كدم الزعاف على مآزرها وكأنهن ضوامراً لاجل^٩

وعقب عليه بقوله : « وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس »^{١٠} .

وقد نشر ديوان (المسيب بن علس) في سلسلة نشرات (ك ب) Gibb بلندن سنة (١٩٢٨م)^{١١} .

-
- ١ الاشتقاق (٣١٦) ، الخزائن (٥٤٥/١) ، الشعر والشعراء (١٠٧/١) ، ابن سلام ، طبقات (٣٦) ، القاب الشعراء (٣١٥) ، الخزائن (٩/٢) ، (بولاق) .
 - ٢ الاكليل (٣٠٧/٢) ، الشعر والشعراء (١٠٨/١) ، أمالي المرتضى (٥٦٠/١) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .
 - ٤ الاكليل (٣٠٤/٢) وما بعدها (٣٣٥/٦) .
 - ٥ الحيوان (٣٣٥/٦) .
 - ٦ بروكلمن (١٥١/١) ، Gibb, Memorial, London 1928.

ومن شعراء اليامة : (ذو الكف الأشل) ، واسمه (عمرو بن عبد الله بن حنيفة) من بني قيس بن ثعلبة ، يكنى أبا جلان ، فارس شاعر جاهلي، توعده (بنو حنيفة) فقال فيها شعراً^١ .

و (الفند) ، هو (شهل بن شيان بن ربيعة بن زَمان بن مالك بن صعب) الزماني من شعراء الجاهلية. وله قصيدة في حرب البسوس^٢. وهو من (بني حنيفة): وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب، أي حرب البسوس، فكتب بنو بكر بن وائل الى بني حنيفة يستنصرونهم ، فأمدوهم بالفند الزماني في سبعين رجلاً^٣ ، وكتبوا اليهم إنا قد بعثنا اليكم ألف رجل^٤ .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

كففتنا عن بني هند وقلنا : القومُ إخوانُ
عسى الأيام ترجعهم جميعاً كالذي كانوا
فلما صرح الشرُّ وأضحى وهو عريان
شددنا شدة الليث عدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع وتوهينُ وارنان
وطعن كهم الزق وهى والزق ملان^٥

وقد وردت هذه الأبيات في (الخزانة) بشيء من الاختلاف^٦ .

و (عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرّ بن الدئل) الحنفي ، من بني حنيفة ، وهو شاعر جاهلي^٧ ، وكذلك كان (عمرو بن الذارع) الحنفي من الشعراء الجاهليين^٨ .

-
- ١ المرزباني ، معجم (١٤) .
 - ٢ الحماسة (٢١/١) ، الخزانة (٥٧/٢) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩٤٤/٢) ، الاغانى (١٤٣/٢٠ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٠٧) ، الحماسة ، للبحري (٧٤) الحماسة لابن تمام (٦/١) .
 - ٣ الخزانة (٥٧/٢ وما بعدها) .
 - ٤ الحيوان (٤١٥/٦ وما بعدها) ، الامالي ، للقالبي (٢٦٠/١) .
 - ٥ الخزانة (٥٨/٢) .
 - ٦ المعجم ، للمرزباني (٤٠) .
 - ٧ المعجم ، للمرزباني (٤١) .

ومن شعراء اليمامة أيضاً (موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد)
الحنفي اليمامي . وكان جاهلياً نصرانياً ، يلقب بـ (أزيق) اليمامة . ويعرف
بـ (ابن ليلى) ، وهي أمه . وهو شاعر كثير الشعراء ، وعرف أيضاً بـ (ابن
الفرينة)^٢ . وورد أنه كان من الشعراء الاسلاميين^٣ .

ومن شعراء اليمامة : (مجاعة بن مرارة بن سلمى^٤ بن زيد بن عبيد بن ثعلبة
ابن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة) الحنفي اليمامي ، وكان من رؤساء
حنيفة ، وأسلم ووفد ، وأعطاه الرسول أرضاً باليمامة يقال لها (العورة) ، وكتب
له كتاباً بذلك ، وكان بليغاً حكيماً ، وكان ممن أسر يوم القيامة ، فأشير على
(خالد) باستبقائه فأبقاه ، وكان قد انضم الى (مسيلمة)^٥ .

ومن شعراء اليمامة (ثمامة بن اثال) ، وكان من ساداتها ، ولما أسلم قطع
الميرة عن أهل مكة ، وكانوا قد عتبوا عليه لدخوله في الاسلام ، حتى شق عليهم
ذلك ، فكتبوا الى الرسول : انك تأمر بصلة الرحم ، وإنا قد هلكنا ، فكتب
الى ثمامة ان خل اليهم الحمل ، فخلاه اليهم . وكان قد ثبت على الاسلام ، ولم
يرتد مع مسيلمة . وتوفي سنة (١٢) للهجرة^٦ . وذكر من شعره قوله :

دعانا الى ترك الديانة والهدى مسيلمة الكذاب اذا جاء يسجع
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا له في سبيل الفبي والغبي أشنع^٧

وأشير الى شاعرة من شاعرات (بنى عجل) اسمها (حسينة) ، وكان
(عمرو بن الحارث بن أقيش) المكي ، قد أسرها ، في يوم العذاب في الجاهلية ،
وهو يوم أغارت فيه (بنو عبد مناة بن أد بن طابخة) على عجل وحنيفة بأرض

-
- ١ المرزباني (٢٨٥) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) .
 - ٢ الخزائن (١٤٦/١) ، (بولاق) ، المؤلف (١٦٥) ، الاغاني (١٠٧/١٠) ،
الحيوان (٢٨٠/٤) .
 - ٣ الحيوان (٢٨٠/٤) ، (حاشية ٥) .
 - ٤ وقيل سليم .
 - ٥ الاصابة (٢٤٢/٣) ، (رقم ٧٧٢٤) ، المرزباني ، معجم (٤٤٢) ، خليفة بن خياط
كتاب الطبقات (٦٦) .
 - ٦ الاصابة (٢٠٤/١) ، (رقم ٩٦١) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيـا
البغدادي (٢٨٣) .
 - ٧ الاستيعاب (٢٠٨/١) ، (حاشية على الاصابة) .

جو باليامة ، ففادها أخوها (أبحر بن جابر بن بجير بن شريط) العجلي بمائة من الإبل وخمسة أفراس^١ .

وإذا تجوزنا فأدخلنا (الحيرة) في جملة هذه القرى ، وجب اعتبار (عدي بن زيد) العبادي ممثلها الأول ، إذ لم يبلغ أحد مبلغه في الشعر من بين رجال هذه المدينة . فهو المقدم على جميع شعراء الحيرة التي كان يفد إليها الشعراء ، ولأكثرهم ذكريات مع ملوكها ، الذين كانوا يجزلون العطاء لمن يمدحهم ويكيل لهم بالثناء ، لا لمجرد حب الاستماع الى المدح والثناء والإطراء ، بل لما لشعر المديح ولشعر الهجاء من أثر كبير في حياة ذلك اليوم ، فالشعر هو من أهم وسائل الإعلام في ذلك الوقت ، وللدعاية والإعلام وجلب الناس نحو الممدوح أهمية كبيرة بالنسبة الى رجال الحكم والسياسة في كل زمان ومكان ، إن كذباً وإن صدقاً ، فالسياسي يريد تحقيق سياسته ، بأية وسيلة كانت ، حتى إن كانت بالكذب والغش والتزوير ، فالشعر من وسائل الخدمة السياسية التي استعان بها ملوك الحيرة في بسط نفوذهم في جزيرة العرب .

و (عدي بن زيد) العبادي هو ابن الحيرة ، فهو لسان هذه المدينة ، أما بقية الشعراء ، فقد كانوا يأتون هذه المدينة ، لنيل صلة أو لقضاء أمر ، ثم يعودون الى ديارهم ، ومنهم من كان يطيل المقام بها ، فيتأثر بثقافتها وبمحيطها حسب قابلياته وسرعة استجابته للمؤثرات الخارجية . وبظهر انه كان لأهل الحيرة ولعرب العراق عامة ذوق خاص في الشعر ، ولهم حب لتنوع البحور ، والتزام البحور السهلة المؤثرة ، وميل الى التنوع في الوزن ، والتعبير أحياناً عن بعض أفكار مستمدة من البداوة ، والظهور بلون محدد من التراث المحلي^٢ .

يقول (غرونيوم) : « وليس من الغريب أن نجد التفنن في الأوزان الشعرية في العراق أغنى مما كان عليه في أي مكان آخر ، وذلك لأن أجيالاً كثيرة هي التي عاشت في المدينة وفي البلاط ، ونزعت بطبيعة وضعها الى التحسين في تلك الفنون ، ولكن الغريب المدهش حقاً ان نرى أبا ذؤاد يعرض علينا أغنى تنوع عروضي في الشعر العربي القديم ، لأن شعره جاء على اثني عشر بجزراً . وإذا

١ المرزباني ، معجم (٣٧) .

٢ غرونيوم (٢٦٤) .

عدينا أمر التنوع في الأوزان ، وجدنا هذه المدرسة قد أكثرت من بحر الرمل ، ولا يستعمل هذا البحر في الشعر القديم إلا أبو ذؤاد في ثلاث قصائد ، وطرفة في ثلاث قصائد ، وعدي في سبع قصائد ، والمثقب في واحدة ، والأعشى في اثنتين. ولا يستثنى من هذا الحكم أيضاً إلا امرؤ القيس ، القصيدة ١٨ . وأقول ان هذه الحقيقة تقوي الرواية التي تقول انه كان راوية لأبي ذؤاد ١ .

وقد لفت نظره وجود هذا البحر : بحر الرمل في العراق ، ونمسه بالخير بصورة خاصة ، وعلى ذلك بقوله : « ان الرمل استعير من الوزن البهلوي الثماني مقاطع كما صورّه (بنفيسسته) (المجلة الآسيوية ٢ : ٢٢١ ، ١٩٣٠) ، وانه عدل على نحو يلائم العروض العربي . والحق ان ليس من عقبة داخلية تقف دون القول بوجود أثر فارسي في النسق الشعري العربي ، في المناطق المجاورة للدولة الفارسية والتابعة لها ، ولأؤيد هذه النظرية أحيل القارئ على بحر المثقارب ، فقد أثبت (بنفيسسته) انه مشتق من البحر البهلوي Hendekasyllabic ذي الأحد عشر مقطعا اثباتاً يكاد لا يقبل الشك ٢ .

ولاحظ (غرونبوم) أن الخاصية العروضية الثانية لمدرسة الخيرة هي نزوعها الى بحر الخفيف ، وعند أبي ذؤاد منه خمس عشرة قصيدة ، وعند عدي سبع ، وعند الأعشى خمس ، ولم يستعمل هذا البحر عند الشعراء المعاصرين إلا على نحو عارض ٣ . ولكننا نجد بحر الخفيف في شعر (عمرو بن قبيصة) ٤ ، وفي شعر للمرقش الأكبر ٥ ، والمرقش الأصغر ٦ ، وفي شعر لعبيد ٧ ، وفي شعر ينسب لعامر ابن الطفيل ٨ ، ومعلقة الحارث بن حلزة ٩ .

ويعتبر (شوارتز) بحري الرمل والخفيف نوعاً من الإيقاع الفارسي ، انتقل الى العربية . أما تأثير الشعر الساساني في الأعشى فيشهد به قطعة (بهلوية) طبعها

-
- ١ غرونبوم (٢٦٥ وما بعدها) .
 - ٢ غرونبوم (٢٦٥ وما بعدها) .
 - ٣ غرونبوم (٢٦٦) .
 - ٤ القصيدة ٦ و ٩ (لايل) .
 - ٥ المفضليات (٤٨) .
 - ٦ المفضليات (٥٩) .
 - ٧ عبيد (١١) و (٢٧) .
 - ٨ القصيدة (٥) ، والقطعة (١٤) ، (لايل) .
 - ٩ غرونبوم (٢٧٧) .

(بنفنيسته) وترجمها، وقطعة أبي دؤاد ١٤ ، و ١٨ ، وما فيها من إشارة الى اليزرة ، تدلان على أثر الحضارة الساسانية في العراق .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع تأثير الشعر الجاهلي بمؤثرات أجنبية ، فأنكر ذلك ، إذ قال : « وأما ما زعمه بعض العلماء من أن مؤثرات أجنبية أثرت في فن الشعر القديم ، فليس هناك ما يؤيده ، نعم يريد بورداخ أن يرجع النسيب العربي الى شعر القصور اليونانية بالاسكندرية ، لأن أكثر النسيب العربي يقال في عشق النساء المتزوجات ، كما هو الحال عند شعراء ملوك الإسكندرية، ويتصور انتقال هذه الصناعة الى العرب عن طريق شعراء الملوك في الشام والعراق . ولكن مثل هذه الآيات الغزلية ، التي تشبه النسيب في مطلع القصائد وإن لم تبلغ بعد نمواً كاملاً ، يعرفها أيضاً شعر التكرية في أوائل القصائد المطولة وفي أواخرها .

ولا شك أنه من قبيل المصادفة والاتفاق أن يبدو في قصيدة للمسيب بن علس، يتكرر فيها ست مرات هذا الخطاب : ولأنت ، صدى ورنين لأسلوب الأنشودة القديم الذي يتميز به أكنوستوس تيوس . كما وضع ذلك الأستاذ نوردن^٢ .

ونرى في الشعر العراقي وفي شعر سواحل الخليج ، أي العربية الشرقية ، ذكراً للبحر وللسفين . وفي شعر طرفة قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة خلایا سفین بالنواصف من دَدِ
عدولية أو من سفین ابن یامن یجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حَبَابَ الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقابل باليد^٣

وصف للبحر ولسفن رجل يظهر انه كان يهودياً صاحب سفن ، ولا نجد هذا الوصف أو الالتفاتة الى البحر في شعر الشعراء القاطنين البوادي، أو الذين لم يروا النهرين الكبيرين في العراق أو ساحل الخليج . فهذا الوصف هو من خصائص

-
- ١ فانتحي مثل ما انتحي باز دجن
الاغاني (٩٥/١٥) ، من الخفيف .
 - ٢ اذا شاء فارسه ضمه
غرونبوم (٣٠٢) .
كما ضم باز اليه الجناح
 - ٣ بروكلمن (٦٢/١) .
 - ٤ البيت رقم (٣) وما بعده من معلقته .

البلاد التي تكون على سواحل البحار .

وليس وجود السهولة في الشعر العراقي مثل شعر (عدي بن زيد) ، أو في شعر أهل القرى ، بأمر غريب . وقد عبر عنها بالليونة كذلك . فالحضارة ، أي الحياة في القرية أو في المدينة ، أو حياة أهل المدر ، هي ليونة وسهولة في حد ذاتها بالنسبة الى حياة البوادي والبراري ، حيث الخشونة والغلظة في الحياة ، ومن ثم صار الأعرابي غليظاً فظاً خشناً ، يتكلم بعنجهية لا يفهمها أهل المدر والاستقرار ، فيتصورونها فظاظه منه وغلظة ، وانسان على هذا النحو من الطبع أو التطبع ، لا بد وأن يكون شعره خشناً مثله ، فالشعر تعبير عن احساس نفسي ، وعن انعكاس لثقافة المرء ولتربيته الناتجة عن محيطه ، ولهذا نجد شعر شعراء القرى يختلف عن شعر أهل البوادي ، بألفاظه وبأسلوب نظمه وبمعانيه وبروحه الحضريه .

وقد وصف شعر (عدي) بالليونة ، ونسبوا ذلك الى سكنه الحضر . « وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكنائه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير ، وإلا فهو مقل »^١ . وقالوا عنه « وعدي من الشعراء مثل سهيل في النجوم : يعارضها ، ولا يجري معها . هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة في أيدي الناس ، ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها »^٢ . وقيل عن شعره : « والعرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »^٣ . وقد أرادوا بالكتب ، الكتب المقدسة التوراة والأنجيل والكتب النصرانية الأخرى . ولم يشيروا الى لغتها ، والأغلب أنها كانت بالإرامية التي كانت شائعة في العراق وبين نصارى المشرق ، ولكني لا استبعد احتمال وجود بعض منها باللغة العربية ، لأن غالبية أهل الحيرة كانت تتكلم بها ، ولا سيما الطبقة الحاكمة التي هي من صلب عربي . فلا يستبعد احتمال ترجمة بعض الكتب لهم بالعربية ، للوقوف عليها .

قال (أبو عبيدة) « إن العرب لا تروي شعر أبي ذؤاد وعدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، فلا بد أن يكون أساس الشعر عندهم على صميم العربية

١ العملة (١٠٤/١) .

٢ العملة (١٠٤/١) ، الاغانى (١٨/٢) .

٣ الشعر والشعراء (١٠٤/١) ، (الثقافة) .

من لسان مضر ، وما عدا ذلك فهو مما تبعث عليه فطرة صاحبه ، ولكن العرب لا يبالون به ولا يروونه ، وعلى هذا مشى المتأخرون في الاحتجاج بالشعر العربي ، فالعلماء لا يرون شعر عدي بن زيد حجة ، لأنه كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ؛ وهذا الاعتبار يحدد لنا منشأ الشعر ^١ . ولكننا لو تصفحنا شعر الشواهد، نجد أن فيه شعراً من شعر عدي ، استشهد به في القواعد^٢ ، وقد ذكر (الجاحظ) أن (أبا إلياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دؤاد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي » ^٣ .

والواقع ان شعر (عدي) أقرب إلينا من شعر أهل البادية ، وأسهل فهماً ، وفيه معان حضرية لا نعتز عليها في شعر شعراء أهل الوبر ، ونجد في شعره ألفاظاً معربة ، استشهد بها (الجواليقي) في كتابه المعرب ، وذلك دليل على تأثره بمحيطه وبلدته التي كانت عربية نبطية فارسية ، تلعب بها تيارات ثقافية متباينة ، وهو يخالف شعراء البوادي، في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة، وميله الى الأعاريض القصيرة ، ثم في أسلوب خرياته الشبيهة بخمريات الأعشى وحسان بن ثابت ، ثم يخالف شعراء نجد في أفكار الزهد والتصوف التي ترد في شعره ، والتي لا ترد ولا تخطر على بال الشاعر الأعرابي^٤ .

وعدي بن زيد العبادي ، هو (عدي بن زيد بن حماد بن أيوب) ، وقيل : (عدي بن زيد بن حمار (حماز) بن زيد بن أيوب بن مجروف (محروف) ابن عامر بن عصبه (عصبه) بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم) ، وقيل : عدي بن زيد بن أيوب بن حمار (حماد) (حماز) ، أحد بني (امرئ

١ الرافعي (٨/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٩٧/١٥) ، الشعر والشعراء (١٥٠ وما بعدها ، ١٦٢) .

٢ شرح شواهد المفنى ، للسيوطي (٦٥٨/٢) .

٣ البيان والتبيين (٣٢٣/١) .

٤ كارلو نالينو (٩٠ وما بعدها) .

القيس بن زيد مائة بن تميم^١ . وكان كاتباً لكسرى على ما يجتبي من الغور ، وكان سبب ملك النعمان بن المنذر . وكان كسرى مكرماً له محباً ، وكان عدي أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة ولو أراد أن يملكه كسرى على الحيرة ملكه ، ولكن كان يحب الصيد واللهو ، ولم يكن راغباً في ملك العرب^٢ . وعرف بـ (أبي سودة)^٣ .

وجدت عدي أول من سمي من العرب بأيوب ، وجده (جمار) (حمار) (حماد) (حماز) أول من كتب من العرب ، لأنه نزل الحيرة فتعلم الكتابة منها . وذكره الجهمي في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، وقال : هم أربعة رهط ، فحول شعراء ، موضعهم من الأوائل ، وإنما أدخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة ، طرفة وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدي بن زيد^٤ . وذكر أن (حماز) ، كان أول من تعلم الكتابة (من بني أيوب) وكتب للنعمان الأكبر^٥ .

وكان لعدي بن زيد عدو من أهل الحيرة يقال له : (عدي بن أوس) من (بني مرينا) ، سبق أن تحدثت عنه ، أوغر صدر (النعمان) على عدي حتى حبسه بالصنمين ، سجن بظاهر الكوفة ، فقال عدي بن زيد شعره كله أو أكثره في الحبس حتى مات به^٦ . وكان موته من جملة أسباب القضاء على حكم النعمان^٧ .

-
- ١ وتجده اختلافاً بين النسخ المطبوعة في ضبط الاعلام ، في مثل « حماد » و « مجروف » و « عصبه » ، وذلك بسبب ، اختلاف النسخ الخطية الاصلية في ضبط هذه الاسماء لتحريف وقع بها من النساخ ، فاخذ كل محقق ما وجده في نسخته ، أو في النسخ ، وبسبب الأخطاء المطبعية ، راجع الشعر والشعراء (١٥٠/١ ، ١٥٣) ، (الثقافة) ، (حماد) ، و « حمار » في معجم الشعراء ، للمرزباني (٨٠) ، (اخراج عبد الستار أحمد فراج) ، (حمار) ، (كذا في اوهي احدى روايتين في اسمه ، وجعلها الشنقيطي « حماد » بالدال ، ويروى « حماز » و « حمار » ، أسماء المغتالين (١٤٠) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، طبقات ابن سلام (١١٧) ، الاغانى (١٧/٢) ، الخزائن (١٨٤/١) ، الموشح (٧٢) .
 - ٢ المرزباني ، معجم (٨٠ وما بعدها) ، (فراج) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .
 - ٣ رسالة الغفران (١٨٦ ، ٢٠٣) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧١/١ وما بعدها) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٥٣/١) .
 - ٦ كتاب أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، لمحمد بن حبيب (١٤٠ وما بعدها) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .
 - ٧ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٨/٢ وما بعدها) .

وقد ذكر عنه علماء الشعر ، انه كان نصرانياً هو وأهله ، وليس معدوداً من الفحول ، وعيب عليه أشياء . « وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري معها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت . ومثلها عندهم من الاسلاميين الكمييت والطرماس »^١ . وقيل عنه انه « كان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فنقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة ، وله أربع قصائد غرر احداهن :

أرواح مودع أم بُكور لك ؟ فاعمد لأي حال نصير »

والثانية :

أتعرفُ رسم الدار من أم معبدٍ نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

والثالثة :

لم أرَ مثلاً للفتيان في غبن الد أيام ينسون ما عواقبها

والرابعة :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا^٢

ومن شعره :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي

يقال ان رسول الله قال : كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر : إن القرين بالمقارن مقتدي^٣ .

ومن الأخباريين من نسب القصيدة التي مطلعها :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

١ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧١/١) ، الخزانة (١٨٤/١) ، (بولاق) .
٢ الشعر والشعراء (١٥٠/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
٣ المرزباني ، معجم (٨٢) ، (فراج) .

الى (سودة بن عدي) ، غير أن معظمهم يرى أنها لعدي^١ .
وذكر (أبو العلاء) المعري ، أنه شاهد بعض الوراقين ببغداد ، يسأل عن
قافية (عدي بن زيد) العبادي ، التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبر يح يعاتبته أما تستفيق

وأن (ابن حاجب النعمان) ، وهو أبو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم ، سأل
عن هذه القصيدة وطلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد ، ثم سمع بعد
ذلك أن رجلاً من أهل (أستراباذ) ، يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ،
ولم تكن في النسخة التي في دار العلم^٢ . وقد أورد (المعري) قصائد من شعره
في رسالة الغفران^٣ ، وأشار الى بعض ما نحل عليه ، وإلى بعض ما نسب إليه ،
ونسب الى غيره^٤ .

وقال الأصمعي : كان عدي لا يحسن أن ينعت الخليل ، وأخذ عليه قوله في
صفة الفرس : فارهاً متتابعاً . وقال : لا يقال للفرس (فاره) إنما يقال له
جواد وعتيق ، ويقال للكوند والبعغل والحمار : فاره^٥ . ووصف الخمر بالخضرة ،
ولم يعلم أحد وصفها بذلك . وهو أول من شبه أباريق الخمر بالطباء^٦ . وقالوا
عنه انه ممن أقر على نفسه بالزنا . وأوردوا له أبيات شعر في ذلك^٧ .

وفي شعر (عدي بن زيد) ، زهد الرهبان وتصوف المتصوفين ، فيه تذكير
بالآخرة وتزهيد في الدنيا ، ووعظ بمصير محزن يلحق المفرورين العتاة المتجبرين
كالمصير الذي لحق الملوك الطففاة والأقوام الخالية ، ولا سيما في القصيدة التي
يقول فيها :

-
- ١ الخزائن (١/ ١٨٣ وما بعدها) .
 - ٢ رسالة الغفران (١٧٣ وما بعدها) .
 - ٣ (ص ١٨٦ وما بعدها) .
 - ٤ رسالة الغفران (٣٣٥) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١/ ١٥٤) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١/ ١٥٥) ، (الثقافة) .
 - ٧ الشعر والشعراء (١/ ١٥٦) ، (الثقافة) .

أين كسرى كسرى الملوك أنوشتر^١ وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
 وبنو الأصغر الكرام ملوك السر وم ؟ لم يبق منهم مذكور
 وأخو الحضّر إذ بناءه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
 شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكسور
 لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور
 وتبين ربّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي تفكير
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
 فارعوى قلبه وقال فما غيطة^٢ حيّ الى الممات يصير ؟
 ثم بعد الفلاح والملك والنعمة وارتهم هناك القبور
 ثم صاروا كأنهم ورق جف فالتوت به الصبا والدبور^٣

وورد أن (هشام بن عبد الملك) ، كان في مجلس فخم ، فحدثه (خالد
 ابن صفوان) بحديث ملك الحيرة الذي اغتر بهذه الدنيا ، ثم أنشده قصيدة عدي
 ابن زيد) ، التي منها :

أيها الشامت المعير بالدهر أنت المبرأ الموفور ؟
 أم لديك العهد الوثيق من الأيام ، بل أنت جاهل مفرور

حتى أتم انشادها عليه ، فبكى وتأثر^٤ . وورد في رواية أخرى أن قائل هذا
 الشعر هو : أحد بني تميم (عدي بن سالم) المري العدوي . وقد ذكر ذلك
 (السهيلي) ، لكنه عاد بعد ذكره الشعر ، فقال : « والذي ذكره عدي بن
 زيد في هذا الشعر هو النعمان بن امرئ القيس جدّ النعمان بن المنذر . وأول
 هذا الشعر :

أرواح مودع أم بكور فانظر لأيّ ذاك تصير

قاله عدي وهو في سجن النعمان بن المنذر وفيه قتل^٥ . وروي أن (يونس

١ العقد الفريد (٣/١٩١) ، ابن هشام ، سيرة (١/٥٦) ، (حاشية على الروض) ،
 ٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٤ وما بعدها) .
 ٣ الروض الانف (١/٥٨) .

النحوي) ، كان يقول : « لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذا »^١ ،
أي القصيدة المذكورة .

وفي شعره الذي قيل انه قاله للنعمان بن المنذر ، وكان قد نزل معه في ظل
شجرة موققة ليلهو النعمان هناك ، مثال على الحث على الزهد والابتعاد عن الدنيا
والافتناع ببنذرها والترهب في هذه الحياة . يتحدث فيه على لسان الشجرة ، مخاطباً
الملك ، قائلاً له بعد أن أرى ما عليه من الأنس والجور : أيها الملك ؟ أبيت
اللعن ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : وما الذي تقول ؟ قال : تقول :

من رآنا فليحدث نفسه انه مُوفٍ على قرن زوالٍ
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صُمُ الجبال
ربّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يمزجون الحمرَ بالماء الزلال

الى أن يقول :

ثم أضحوا عَصَفَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

قالوا : فتفنص النعمان ، ونزع ملكه ، وخلعه عنه ، وترهب. الى غير ذلك
من أشعار له ، فيها هذا المعنى من الترغيب في الزهد والابعاد عن لذائذ الدنيا^٢.

وه حكي عن النعمان بن المنذر، أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي
فر بآرام - وهي القبور ، فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام ؟
قال : لا . قال : إنها تقول :

أيها الركب المخفون ن على الأرض تمرون
لكمّا كنتم فكنا وكما كنّا تكونون^٣

والشعر المنسوب الى (عدي) السلي أدى على حدّ قول علماء الأخبار الى

١ بلوغ الارب (١١٩/٣) .

٢ المبرد ، الكامل (٢٩٤/١) ، المعتمد (٢٢٣/١) ، الجمان في تشبيهات القرآن
(٣٠٨) ، المحاسن والاضداد (٣٦) .

٣ المحاسن والاضداد (٣٥) .

أعراض (النعمان) السائح عن ملكه، وهروبه الى البراري ليعيش فيها عيشة الرهبان، هو شعر لا يمكن أن يكون من شعر (عدي) ، لأن شاعرنا لم يكن كبير السن آنذاك حتى يصدر منه مثل هذا الشعر ، كما أنه لم يكن على اتصال وثيق بملك الملك في ذلك العهد . ولعلّه من الشعر المصنوع ، الذي وضع عليه . وهو شيء كثير . ولو قالوا إنه نظمه، وهو في سجنه حكاية عن قصة قديمة ، لكان كلامهم هذا أقرب الى العقل وأسهل للتصديق ، لأنه كان قد كبر في العمر ، وفي موقف يمكن أن يصدر منه مثل هذا الشعر .

وهو شعر سلس سهل جميل ذو معان عميقة لطيفة ، تتحدث عن تجارب رجل خبر الأيام ، وعاش في نعيم ورفاه ، حتى وصل مركزاً عالياً في بلده ، وإذا به يجد طريقه الى المقابر ، فيقبر بها وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فن رأى الثاوين فيها ، ومن نظر الى القبور ، فليحدث نفسه ، أنه سيكون مثلهم ، وانه موف على قرن زوال ، وصروف الدهر لا يبقى لها ، ولا تدوم حال على حال . وقد صار أسلوبه هذا نموذجاً لمن مال الى الزهد والتصوف في الإسلام ، وربما كان الشاعر (أبو العتاهية) ممن تأثر بهذا الشعر المنسوب الى (عدي) .

ولعلّ الأحداث التي وقعت له ، والأيام التي قضاها في سجنه ، حتى جاءته منيته ، وهو فيه ، قد أثرت في نفسيته فجعلته ، يكثر من الزهد في هذه الحياة ، ومن وعظ الإنسان ، بأن يغتر ويتجبر ويتكبر ، فالسعادة لا تدوم لأحد ، والملك لا يخلد للملك أو مالك ، والحياة مهما كانت سعيدة ناعمة ، فإنها قصيرة تمرّ برق خاطفة ، فعلى المتجبر أن يتعلم العبر من حياة الماضين ومن الأمم العظيمة ، ومن الجبابرة ، من أمثال : الأكاسرة وملوك الروم ، وصاحب الحضرة ، ومن حياة من شاد القصور ، وإذا به يتركها لغيره ، ثم يدفن في حفرة ضيقة ، فيخاطب النعمان صاحبه والشامتين به ، الحساد الذين وشوا به حتى أصابه ما أصابه ، ويقول لهم جميعاً ، وهو قابع في سجنه^١ :

أيها الشامت المعيرُ بالدهر سر أنت المبرأ المفسور
أم لديك العهد الوثيق من الأبر سام بل أنت جاهل مغرور

١ الاغانى (٣٦/٢) ، العقد الفريد (١٩١/٣) .

من رأيت المتونَ خلدنَ أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى: كسرى الملوك أنوشر وإن أين قبله سابور ؟

الى أن ينتهي منها ، بقوله :

ثم صاروا كأنهم ورق جـ فـ فألوت به الصبا والدبور

وهي قصيدة نظمت بالبحر الخفيف .

قال (الملاحظ) : « وقال عدي بن زيد العبادي ، وهو أحد من قد حُمل
على شعره الحمل الكثير ، ولأهل الحيرة بشعره عناية ، وقال أبو زيد النحوي :
لو تمنيت أن أقول الشعر ما قلت إلا شعر عدي بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيام عمره تروحُ له بالواعظات وتغتدي
فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تغو الذي بك يقتدي
فإن كانت النعماء عندك لامرئ فتلاً بها فاجز المطالب أو زد
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي
ستدرك من ذي الجهل حقك كله بحلمك في رفقٍ ولما تشدد
وظلم ذوي القربى أشدّ عداوة على المرء من وقع الحسام المهند
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا خطرت أيدي الرجال بمشهد

وورد ان (عمر بن الخطاب) تمثل بشعر عدي :

كدمي العاج في المحاريب أو كالـ سبيض في الروض زهره مستنير^١

ومن شعراء الحيرة (ابن بقلّة) ، وله شعر ذكر فيه حال الحيرة بعد فتح
المسلمين لها ، إذ يقول :

أبعد المُتذَرِّين أرى سَوماً تروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى قلوصاً بين مرّة والحفير

١ الحيوان (١٥٠/٧) .

٢ البيان والتبيين (٤٥/١) .

فصرنا بعد هلك أبي قبيس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسّمتا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدي الحرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذلك الدهر دولته سجال فيوم من مساء أو سرورا

فهو يتأسف على ما وقع للحيرة ، من تسلط قبائل (معد) عليها ، ومن دخولهم في حكمهم ، بعد أن كانوا يحكمون تلك القبائل ، ويجبون الجبايات ، ويظهر من ذكر (قريظة) والنضير في هذا الشعر ، ان حكم الحيرة قد بلغ أرض هاتين القبيلتين ، وذلك إن صح بالطبع ان هذا الشعر هو من شعره ، وانه أصيل غير مصنوع .

وهو (عبد المسيح بن ببيعة) الغساني ، أو (عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن ببيعة) ، وببيعة اسمه (ثعلبة) ، وقيل : (الحارث) . وقد حشر في جملة المعمرين الذين عاشوا ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام ، فلم يسلم ، وكان نصرانياً . وله حديث مع خالد ، حين طلب من أهل الحيرة لإرسال رجل من عقلائهم ليكلّمه في أمر المدينة ، فلما جاء اليه قال له : أنعم صباحاً أيها الملك . فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ، ثم سأله أسئلة أخرى ، ثم قال له . أعرب أنتم أم نبيط ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا^٢ ، في حديث منمق ، يرويه أهل الأخبار ، وكأنهم كانوا مع خالد وابن ببيعة يسجلون حديثهما بالكلم والحروف .

وقد تطرق (الجاحظ) الى خبر التقاء (عبد المسيح) بخالد بن الوليد ، وروى حديثه منه^٣ . وذكر (المرتضى) أنه لما بنى قصره المعروف بقصر ابن ببيعة قال :

-
- ١ الطبري (٣/٣٦٢) ، وتجد هذه الأبيات في أمالي المرتضى مع بعض الاختلاف (١/٢٦٢) .
 - ٢ الطبري (٣/٣٦٢) ، أمالي المرتضى (١/٢٦٠ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢/١٤٧ وما بعدها) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢/١٤٧ وما بعدها) .

لقد بنيت للحدثان حصناً لو أن المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح به حيناً^١

وروى (المرتضى) « أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج الى ظهرها بخط
ديراً ، فلما احتقر موضع الأساس ، وأمن في الاحتقار أصاب كهيشة البيت ،
فدخله فإذا رجلاً على سرير من رخام ، وعند رأسه كتابة : أنا عبد المسيح
ابن ببيعة :

حلبتُ الدهرُ أشطرهُ حياتي ونلت من المنى بلغ الميزد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أحفل بمعضلة كثود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لاسيل الى الخلود^٢

ومن شعره في الناس وفي تهاقهم والتفافهم حول الغني قوله :

والناس أبناء علات فن علموا ان قد أقل فجعفوا ومهجور
وهم بنون لأم إن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومخفور
وهذا يشبه قول أوس بن حجر :

بني أم ذي المالِ الكثير يرونه وإن كان عبداً سيد الأمر جمحفا
وهم لمقل المالِ أولاد علة وإن كان محضاً في العمومة مخولا^٣

ومن شعراء (تنوخ) عمرو بن عبد الجن بن عائذ الله بن أسعد بن سعد
ابن كثير بن غالب) ، وكان فارساً في الجاهلية ، و (بنو عبد الجن) أسرة
معروفة ، كان لها بقية في الكوفة . ومن شعره :

أما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

١ أمالي المرتضى (٢٦٢/١) .

٢ أمالي (٢٦٣/١) .

٣ أمالي المرتضى (٢٦٢/١ وما بعدها) .

ثم :

وما سبج الرحان في كل ليلة أيل الأيلين المسيح بن مريما^١

وأدخلوا في هذه الطبقة (جذيمة) الأبرش ، و (لجيم بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل) ، وهو القائل :

من كل ما نال الفتى قد نلتها إلا التحية^٢

وجذيمة الأبرش ، هو (جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو) ملك الحيرة ،
والأبرش لقب له ، ويقال له الوضاح^٣ ، وهو خال (عمرو بن عدي) ، وكان
يتادم عدياً ، وكان له نديمان هما : مالك ، وعقيل ، بقيا معه أربعين سنة ،
ثم قتلها وفندم ، ويضرب بهما المثل لطول ما نادماه . وقد قتلت الزباء جذيمة^٤ .
وقد شاء أهل الأخبار عدّه شاعراً من الشعراء وأوردوا له شعراً ، كما سبق أن
تحدثت عنه في أثناء حديثي عن مملكة الحيرة ، وعن اسطورة صلته بالزباء . ولو
جعلناه شاعراً : لوجب علينا تقديمه على كل الشعراء الجاهليين .

وقصة شعره اسطورة من أساطير أهل الأخبار ، فلو كان له شعر ، لوجب
أن يكون يعربية أخرى ، هي العربية التي دوّن بها شاهد قبر (امرئ القيس)
ملك الحيرة ، الذي توفي سنة (٣٢٨) للميلاد أي بعد (جذيمة) بأمد ، وشعره
هو من شعر تبابعة اليمن وآدم والجن من صنع الرواة وأهل الأخبار .

وترى في شعر الأعشى ، وأمية بن أبي الصلت ، و (عدي بن زيد) ،
وكلهم من شعراء القرى ، قصصاً ، لا تجده في الشعر المنسوب الى غيرهم من
الشعراء . قصصاً نصرانياً وقصصاً يرد عند اليهود ، وقصصاً من قصص الأساطير
والخرافات ، أو مما يتعلق بالأشخاص ، كالذي ينسب الى الأعشى من سرده
حكاية السموأل وقصره في قصيدته التي يقول فيها :

-
- ١ الخزانة (٣/ ٣٤٠ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٢ المزهر (٢/ ٤٧٦) ، أسماء المفتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، نوادر
المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ١١٢ وما بعدها) .
 - ٣ البيان والتبيين (١/ ٣٦٢) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٧٠ ، ٢٧٨) .

كن كالسموال اذ طاف المهام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلى الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار^١

وقد وصف فيها السموال وحصنه ، وقصة وفائه ، وما كان قد جرى من
حوار بينه وبين الملك الغساني المطالب بأدرع الكندي ، وترى من قراءتك لها ان
النظم نمط غير مألوف في شعر غيره من الشعراء ، الأبيات فيها مكملّة لما قبلها
متصلة بعضها ببعض ، بحيث لا يمكن أن تفصل بينها ، وإلا اختل المعنى ، وظهر
فراغ فيه . وهو شيء غير مألوف عند غيره . فالبيت على حد قول علماء الشعر
شعر مستقل قائم بنفسه ، لا يؤثر حذفه أو تقديمه أو تأخيرها على المعنى ولا على
ارتباط الأبيات بعضها ببعض ، أما في هذه القصيدة ، فكل بيت فيها تابع لسابقه ،
متصل بمعناه بمعناه ، لأنه جزء منه ، فلا يمكن حذف شيء من القصيدة دون ان
يؤثر في معناها .

ونجد في شعره قصصاً عن سد مأرب ، وعن تدمره وإغراقه من كان يسكن
عنده بالماء ، ذكر ذلك ليكون عبرة وأسوة للمؤتسي ، وهو قصص بني على
حادث تهدم ذلك السد^٢ .

وفي شعر الأعشى قصص إرم وعاد وطسم وجديس ، وأهل جو^٣ ، ووبار^٤ .
وهو قصص رصعه الأخباريون بشعر نسبوه الى (هزيلة) امرأة من (جديس) ،
والى (عميرة بنت غفار الجديسية) ، في قصص عن الملوك القدماء ، وكيف
أنهم كانوا يدخلون على العذارى قبل ادخالهم على أزواجهم ، في قصص ينسب
الى ملوك آخرين ، مثل ملوك اليمن^٥ . وهو قصص نجد له مشابه عند الأمم
الأخرى .

ومن شعراء (غسان) : (الشيخم بن الحارث) الغساني ، وهو من الأسرة
الحاكمة ، كان قد قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم

١ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب (٤٣٦/١) .

٢ راجع البيت (٦٧ فما بعده) من القصيدة رقم (٤) ، وديوانه (ص ٤٣) .

٣ الخزائن (٢٧٠/٢) وما بعدها ، (هارون) .

٤ الخزائن (٢٧١/٢) وما بعدها ، (هارون) .

فلحق بالحيرة ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الحيرة ،
فينا هو ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لما الله صعلوكاً إذا نال مذقة توسد احدى ساعديه فهو ما
مقيماً بدار الهون غير مناكرٍ إذا ضمّ أغضى جفنه ثم برشما
يلوذ بأذراء الثاريب طامعاً يرى المنع والتعبيس من حيث بما
يضمّ بنفسٍ كدّر البؤس عيشها وجودٌ بها لو صانها كان أحزما
فذاك الذي إن عاش عاش بدلة وإن مات لم يشهد له الناس مأتما
بأرضك فاعرك جلد جنبك لأنني رأيت غريب القوم لحماً مؤصما

فكانه نبيه من رقدة ، فتحايل الى صاحب خيل المتلتر ، وتقرب اليه ، وأظهر
له أنه رجل من أهل (خبير) ، أقبل الى هذه البلدة بتجارة فأصاب بها ، وله
بصر بسياسة الخيل ، فضمه الى بعض أصحابه ، حتى إذا وافق غرة من القوم ،
ركب فرساً جواداً من خيل المتلتر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض ، حتى نزل
بحي من بهراء فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورحماً وسيفاً ، وخرج حتى أتى
الشام فصادف الملك متبدياً ، وكان إذا تبدى لا يُحجب أحد عنه ، فأتى قبلة
الملك فقام قريباً منه ، وأنشأ يقول :

يا صاحب الخيل الجياد المقربه وصاحب الكتيبة الموكبه
والقبّة المنيعه المحجبه وواهب المضمره المريبه
والكاعب البهكنه المؤنبه والمائة المدفأة المتخبه
والضارب الكيش فوق الرقبه تحت عجاج الكبّة المكتبه
هذا مقام من رأي مُطلّبه لديك إذ عمى الضلال مذهبه
ونخال أن حنّفه قد كربه

فأذن له الملك ، فدخل عليه ، وقص قصته ، ثم بعث الى أولياء المقتول
فأرضاهم عن صاحبهم^١ .

١ ذيل الاماني (١٧٩ وما بعدها) .

وفي شعر شعراء القرى ، ميزة امتازوا بها عن شعر شعراء أهل البوادي، هي ان أبيات القصيدة عندهم ليست على نحو أبيات القصيدة عند بقية الشعراء من استقلال الأبيات بنفسها ، وقيامها بذاتها بحيث يمكن رفع الأبيات من مواضعها وتقديمها أو تأخيرها ، أو حذفها ، دون أن يؤثر ذلك على وحدة القصيدة أو المعنى . ففي شعر (الأعشى) مثلاً ، ترابط بين الأبيات واتصال بين البيت المتقدم والبيت الذي يليه ، بحيث لا يمكن حذف أحدهما ورفع ، دون أن يؤثر حذفه على المعنى ، كذلك يتعذر علينا في بعض شعره نقل البيت عن موضعه ، وقد يأتي الأعشى بالفعل في بيت ثم يأتي بفاعله أو بمفعوله في البيت التالي ، أو يأتي بفعل الشرط في بيت ويأتي بخبره بعد بيت أو بيتين^١ . ويرد التضمين في شعره ، كما نجد (الاستدارة) فيه كذلك ، والاستدارة توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى التام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها . وهو أسلوب يثير السامع ويشوقه ، ويجعله يتتبع الكلام حتى يبلغ منتهاه^٢ .

وأشعر شعراء (البحرين) الذين ذكرهم (ابن سلام) : المثقب العبدى ، والممزق العبدى ، والمفضل بن معشر^٣ .

و (المثقب العبدى) واسمه (عائد بن محصن بن ثعلبة) ، من (بني عبد القيس) ، من شعراء الجاهلية ، وإنما سمي مثقباً لقوله :

ظهري بكلة وسدلي أخرى وثقبن الوصاوص للعيون^٤

وذكر (ابن قتيبة) ان اسمه (محصن بن ثعلبة)^٥ ، وقيل اسمه شأس بن عائد

١ ديوان الاعشى ، المقدمة (ص ظ) .

٢ ديوان الاعشى ، (غ) .

٣ طبقات (٦٩) .

٤ رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون
الشعر والشعراء (٣٥٦) ، طبقات الشعراء (٢٢٩) ، الخزائن (٤٣١/٤) ،
السيوطي ، شرح شواهد (١٩٠/١) وما بعدها .
ظهري بكلة وسدلي رقما وثقبن الوصاوص للعيون
تابع العروس (١٦٦/١) ، (ثقب) ، القاب الشعراء (٣١٦) .
الشعر والشعراء (٣١١/١) ، (طبعة دار الثقافة) .

ابن محسن ، وقيل اسمه نهار بن شأس ، وكان يكنى أبا وائلة . وهو من شعراء البحرين^١ .

« وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ، ويقول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه ، وفيها يقول :

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني
ولا تعدي مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني
فلاني لو تعاند في شمالي عنادك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ولقلت بيني كذلك اجتوى من يجتويني
فلما أن تكون أخي بحقي فأعرف منك غي من سميني
ولا فاطرحني واتخذني عدواً أتفك وتثقيني
فما أدري إذا محمت أرضاً أريد الخير أهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني^٢

وتحدث عنه (ابن قتيبة) ، فقال : « وهو قديم جاهلي ، كان في زمن عمرو بن هند ، وإياه عني بقوله :

الى عمرو ومن عمرو أتني أخي الفعلات والحلم الرزين

وله يقول :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهي وأنت الفتى في سورة المجد ترتقي
وأنجب به من آل نصر ممدع أغرت كلون الهندواني رونق^٣

ويرى (بروكلمن) ، ان (ابن قتيبة) إنما أخذ رأيه المذكور من البيت المتقدم المذكور في المفضليات ، ولكن الأصمعي يعارض ذلك ، فقد مدح المثقب أبا قابوس النعمان بن المنذر^٤ .

١ المرزباني ، معجم (١٦٧) ، الخزانة (٤ / ٤٢٩ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ٣١١ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١ / ٣١٢) ، المرزباني ، معجم (٣٠٣) .

٤ بروكلمن ، (١ / ١١٥) ، البيت ٤١ من القصيدة ٧٦ ، المفضليات .

فان أبا قابوس عندي بلاؤها جزاء بنعمي لا يحل كنودها
البيت ١٤ من القصيدة ٢٨ في المفضليات .

والمثقب العبدى ديوان مطبوع ، كما يوجد له شرح^١ . ومن شعره :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة فلا فابدأ إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح القول إن الخلف ذم^٢
واعلم بأن الدم نقص للفتى ومنى لا تنقي الدم تلم
أكرم الجار وراع حقه إن عرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعاً في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وإن غبت شتم
وكلام سيء قد وقرت عنه أذناي وما بي من صمم
فتعديتُ خشاة أن يرى جاهل أنني كما كان زعم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنى أبقي وإن كان ظلم^٣

وأما (الممزق) العبدى ، فاسمه (شأس بن نهار بن أسود) ، وإنما سمي
(الممزق) ببيت قاله :

فلان كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^٤

وهو ابن أخي المثقب العبدى ، وكان معاصراً لأبى قابوس النعمان بن المنذر .
قال عنه (ابن قتيبة) : « وهو جاهلي قديم ، قال البيت المذكور في قصيدة
قالها لبعض ملوك الحيرة^٥ . وذكر أنه قالها للملك عمرو بن هند ، حين هم يغزو
عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه^٦ . وقيل أنه عرف بالممزق
ببيته :

- ١ حقه الشيخ محمد حسن آل يسين ، (بغداد ١٩٥٦ م) ، بروكلمن (١١٥/١) .
- ٢ الخزائن (٤٣١/٤) ، (بولاق) .
- ٣ بلوغ العرب (١٢٤/٣) .
- ٤ ابن سلام ، طبقات (٧٠) ، الاشتقاق (٣٣٠) ، الامدي ، المؤلف (١٨٥) ،
القاب الشعراء (٣١٦) ، المفضليات (٢٣٢/٢) .
- ٥ بروكلمن (١١٩/١) ، القاب الشعراء (٣١٦) ، المرزباني (٤٩٥) ، المزهر
(٤٣٥/٢ وما بعدها) ، الحيوان (٢٩٨/٢) ، (٤٤١/٥) .
- ٦ الشعر والشعراء (٣١٤/١) ، المرزباني ، معجم (٤٨١) ، الاصمعيات رقم (٥٠)
- ٧ البيان والتبيين (٣٧٥/١ وحاشية رقم ٤) ، جمهرة ابن حزم (٢٨٢) .

فمن مبلغ النعمان ان ابن أخته على العين يعتاد الصفا ويمزق^١

وقد نسب (السيوطي) على هذه الصورة : (شأس بن نهار بن الأسود بن جبريل بن عباس بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه بن بكرة) العبدى ، ثم البكري^٢ . ومن شعره :

أحقاً أبيت اللعن إن ابن فرتنا على غير إجرامٍ بريقي مُشرقي
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق
فأنت عميد الناس مها نقل ققل ومها تضع من باطلٍ لا يحقق
أكلتني أدواء قومٍ تركتهم فألا تداركني من البحر أغرق
فإن يعمنوا أشتم خلافاً عليهم وإن يتهموا مستحقبي الحرب أعقي^٣

ومما ينسب إليه :

هل للفتى من بنات الدهر من واقٍ أم هل له من حمام الموت من واقٍ

وقوله :

هون عليك ولا تولع باشفاقٍ فإنما مالنا للوارث الباقي^٤

ونجده يذكر في شعره صراخ الديك ، ولا نجد للديك ذكراً عند الأعراب ، لأنهم لا يربون الدجاج ، وتربية الدجاج من خصائص الحضرة . تراه يقول :
وقد تخذلت رجلاي في جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق
أنىخت بجوٍ يصرخ الديك عندها وباتت بقاعٍ كادىء الثبت سملق^٥

وذكر (المرتضى) أن من شعره قوله :

ألا من لعينٍ قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها

-
- ١ بلوغ الأرب (١٢٤/٣) .
 - ٢ شرح شواهد (٦٨٠/٢) وما بعدها .
 - ٣ الشعر والشعراء (٣١٤/١) .
 - ٤ بلوغ الأرب (١٢٥/٣) .
 - ٥ الحيوان (٢٩٨/٢) .

فبانت لها نفسان شتى همومها فنفسٌ تعزبها ونفسٌ تلومها
وذكر أن من العلماء من ينسبه لعقر بن حار البارقي^١ .

ومن شعراء (عبد القيس) : (سويد) و (يزيد) ابنا (خذاق) . قال
عنها (ابن قتيبة) : « وهما قديمان ، كانا في زمن عمرو بن هند . ويزيد القائل :

نعمانُ إنك غادرٌ خدعٌ يخفي ضميرك غير ما تُبدي
فلذا بدا لك نحتٌ أثلتنا فعليكها إن كنتَ ذا جدّ
وهزئت سيفك كي تحاربنا فانظر بسيفك من به تردي

وله شعر في الموت وفي ذم الدنيا ، قال عنه (أبو عمرو بن العلاء) إنه
« أول شعر قيل في ذم الدنيا »^٢

وكان يزيد قد هجا (النعمان بن المنذر) فبعث اليهم النعمان كتيبته (الدوسر)
فاستباحتهم ، فقال أخوه سويد :

ضربت دوسرٌ فينا ضربة أثبتت أوتاد مُلك فاستقر
فجزاك الله من ذي نعمة وجزاه الله من عبد كفر^٣

ومن شعره قوله في (عمرو بن هند) :

أبى القلبُ أن يأتي السديرَ وأهله وإن قيل عيشٌ بالسدير غزير
به البق والحُمى وأسدُ خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور

وهو القائل أيضاً :

جزى الله قابوسَ بن هند بفعله بنا وأخاه غدره وأثاما
بما فجّرنا يوم العطيف وفرقا قبائل أحلافاً وحيّاً حراما
لعلّ لبّون الملك تمنع درها ويبعث صرف الدهر قوماً نياما
ولا تغاديبي المنية أغشكم على عدوّاء الدهر جيشاً لهما^٤

١ امالي المرتضى (٣٢٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .

٣ الاشتقاق (٢٠٠/٢) .

٤ الشعر والشعراء (٣٠٢/١ وما بعدها) .

وكانت عبد القيس ونعيم على اتصال بملوك المناذرة الذين كان يفوذهم يمتد الى البحرين واليمامة في بعض الأحيان ، فكانت جيوش الحيرة في نزاع مستمر مع هذه القبائل التي كانت تنفر من دفع الإتاوة ومن الخضوع لآل نهم . ونجد أخبار هذا النزاع في شعر شعرائها ، وهي أخبار لا نجدها في كتب التواريخ المألوفة ، التي لم تحفل بالشعر ، فضاع عليها قسط كبير من تأريخ الحيرة ، حصلنا عليه لحسن حفظنا من كتب الشعر والأدب التي دونت أخبار الشعراء ودونت المناسبات التي قيل فيها ذلك الشعر .

الفصل الثاني والستون بعد المئة

شعراء قريش

ويزعم أهل الأخبار أن العرب كانت تقرر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقرر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها^١ . وذكر أن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الاسلام . ويؤيد هذا الرأي أننا نجد أكثر من ذكر الرواة أسماءهم وأشعارهم من الشعراء الجاهليين إنما هم من غير قريش^٢ .

وذكر أهل الأخبار ان المنافسة التي كانت بين قريش والأوس والخزرج ، أهل يثرب ، دفعت أهل مكة على صنع الأشعار لتتغلب بها على الأنصار . « يروي الناس لأبي سفيان بن الحارث قولاً يقوله لحسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
وان أحق الناس ان لا تلومه على اللوم من ألقى أباه كذلكا

أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا محمد بن سلام ، قال : وأخبرني أهل العلم من

١ الاغانى (٢٥/١) ، ابن سلام ، طبقات الشعراء (١٠) .
٢ مجلة المجمع العلمي العراقي ، جواد علي ، لهجة القرآن الكريم (المجلد الثالث)
(الجزء الثاني ١٩٥٥ م) ، (ص ٢٧٨) .

أهل المدينة ان قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مطعون الجمحي قالها ونحلها
أبا سفيان . وقريش تزيد في أشعارها تزيد بذلك الأنصار والرد على حسان ^١ .
وهناك أخبار أخرى في هذا المعنى تفيد نحل الشعر وضمه الى شعراء مكة، لتباهي
به على يثرب .

ولا نجد بين الشعراء البارزين من أصحاب المعلقات شاعراً واحداً هو من قريش؛
كذلك لا نجد من بين شعراء الطبقات المتقدمة من فحول الشعراء الذين قدمهم
علماء الشعر على غيرهم شاعراً هو من أهل مكة . . وهذا هو تفسير قول أهل
الأخبار المتقدم ، الدال على تأخر قريش بالنسبة الى بقية العرب في قول الشعر ،
أما لو أخذنا قولهم المذكور ، وصرفناه على أهل القرى ، فلأننا نجد مكة متقدمة
فيه ، لأنها انجبت عدداً لا بأس به من الشعراء بالقياس الى الطائف، التي اشتهرت
بشعر شاعرها (أمية بن أبي الصلت) ، ولكنها لا تداني مكة في عدد من
ظهر بها من الشعراء ، وبالقياس الى (نجران) والى قرى اليمامة . أما بالنسبة الى
يثرب ، فقد برز يثرب شعراء ، هم أكثر عدداً وشهرة من شعراء مكة .

وقد وصف (ابن سلام) شعر قريش بقوله : « وأشعار قريش أشعار فيها
لينٌ يشكل بعض الأشكال » ^٢ . وذلك حين تحدث عن شعر (أبي طالب)
وعن شعر (الزبير بن عبد المطلب) ، وعما وضع الناس من شعر عليهما .

ويذكر أهل الأخبار ، ان قريشاً كانت في الجاهلية دون غيرها من العرب ،
تعاقب شعراءها اذا هجا بعضهم بعضاً ، كما كانت ترمي من يروي المثالب ويقع
في أعراض الناس بالحق ، فتسقط منزلته بين الناس، ولهذا قلّ فيها شعر الهجاء ^٣.
ويذكرون ان أهل مكة لما أصبحوا يوماً وعلى باب الندوة مكتوب :

ألمى قصياً عن المجد الأساطيرُ ورشوة مثل ما ترشى السفاسيرُ
وأكلها اللحمَ بحثاً لا خليط له وقولها رحلت عير أنت عير

أنكر الناس ذلك ، وقالوا ما قالها إلا (ابن الزبير) ، وأجمع على ذلك

١ ابن سلام ، طبقات (٦٢) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٠ وما بعدها) .
٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٤١٣/١) .

رأيهم ، فمشوا الى (بني سهم) ، وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاً ، فقالوا لبني سهم : ادفعوه الينا نحكم فيه بحكمنا . قالوا : وما الحكم فيه ؟ قالوا قطع لسانه ، قالوا : فشأنكم . واعلموا والله انه لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا به مثل ذلك . وكان (الزبير بن عبد المطلب) يومئذ غائباً نحو اليمن ، فخاف بنو قصي أن يقول شيئاً من هجاء ، فيؤتى اليه مثل ما أتى الى ابن الزبيرى ، وكانوا أهل تناصف ، فأجمعوا على تخليته فخلوه^١ .

وقد أحصى (جرجي زيدان) عدد الشعراء الجاهليين بنحو من (١٢٠) شاعراً على اختلاف القبائل والبطون . وقد وجد أن عشرة شعراء منهم هم من قريش^٢ . معظمهم ان لم نقل كلهم كان ممن عاش عند ظهور الإسلام ، وقد اشتهر بالشعر وعرف به لموقفه المعادي من الإسلام ، ولاضطرابه على مهاجسة النبي والمسلمين دفاعاً عن عقيدته ، ولهذا كان معظم شعره في هجاء المسلمين ، وفي الرد عليهم وفي الفخر بقومة وتعدد مآثرهم ومناقبهم والدفاع عنهم .

قال (ابن سلام) : « وبمكة شعراء ، فأبرعهم شعراً عبدالله بن الزبيرى ابن قيس بن عدي بن ربيعة بن سعد بن سهم ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، شاعر ، وأبو سفيان بن الحارث ، شاعر ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية ، شاعر ، وضرار بن الخطّاب ، شاعر ، وأبو عزة الجمحي ، شاعر ، واسمه عمر بن عبدالله ، وعبدالله بن حذافة السهمي المزرق ، وهُبيرة بن أبي وهب ابن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم »^٣ .

ونجد في كتب السيرة والأخبار شعراً لعبد المطلب ، من جملته قوله :

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك^٤

١ ابن سلام ، طبقات (٥٧ وما بعدها) .

٢ تاريخ آداب اللغة العربية (٢٧٥/١) وما بعدها) ، (شعراء العصر الاموي) .

٣ طبقات (٥٧) .

٤ ابن هشام ، سيرة (٤٤/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الحيوان (١٩٨/٧ وما بعدها) ، ويختلف النص في الموارد .

ومن شعراء قريش (أبو ليلى بن عبدة بن جابر) ، وكان أحد فرسانها في الجاهلية^١

و (أبو طالب) ، عم النبي . وقد أدخلناه في عداد الشعراء ، لوجود شعر ينسب إليه ، ورد أكثره في سيرة (ابن اسحاق) ، ولوجود ديوان مطبوع نسب إليه . واسمه (عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي) ، وقيل اسمه (عمران) ، وقيل اسمه كنيته^٢ . قال عنه (ابن سلام) : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل»^٣

ولد قبل النبي بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات (عبد المطلب) وصي بالنبي إليه ، فكفله ، وسافر به إلى الشام ، وهو شاب ، ولما بُعث الرسول كان لا زال حياً ، وقد اختلف في إسلامه^٤ ، وتوفي في السنة العاشرة من المبعث^٥ .

وقد ذكر (ابن هشام) قصيدة لأبي طالب ، قال انه قالها في (المطعم بن عدي) يعرض به ، ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش منها قوله :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه يرش على الساقين من بوله قطر^٦

وأورد (ابن هشام) له قصيدة أخرى ، ذكر انه قالها في مدح قريش ، لما رأى (أبو طالب) من قومه ما سره في جهودهم معه وحديثهم عليه . فقال :

-
- ١ الاشتقاق (٧١) .
 - ٢ الإصابة (١١٥/٤) وما بعدها ، (رقم ٦٨٥) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٦٠) .
 - ٤ الخزانة (٧٥/٢) ، (عبد السلام محمد هارون) ، (٢٥١/١) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٥ الخزانة (٢٦١/١) ، (بولاق) .
 - ٦ سيرة ابن هشام (١٧١/١) ، (حاشية على الروض الانف) .

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها^١

ونسبت له قصيدة^٢ ذكر أنه قالها لما خشي (أبو طالب) دهاء العرب أن
يركبوه مع قومه ، تعوذ بها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها لأشراف قومه ،
وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم الرسول ولا تاركه
أبداً حتى يهلك دونه . إذ يقول :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمر العدو المزابل^٣

وهي قصيدة طويلة ، قال (ابن هشام) في آخرها : « هذا ما صح لي من
هذه القصيدة وبعض أهل العلم ينكر أكثرها »^٤. ويظهر أنها وردت بصورة أطول
في سيرة (ابن اسحاق) ، إلا أن (ابن هشام) طرح منها ما شك في أصله
وما لم يثبت عنده أنه من شعر (أبي طالب) ، واكتفى بهذا القدر الذي دونّه
في سيرته .

وفي جملة ما جاء في القصيدة المذكورة قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقد ذهب (ابن سلام) إلى أن الرواة زادوا في قصيدة أبي طالب وطولوها
فأبعدوا آخرها عن أولها . وتعرض لها (الرافعي) فقال : « وقد يزيدون في
القصيدة ويبعدون بآخرها متى وجدوا لذلك باعثاً ، كقصيدة أبي طالب التي
قالها في النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مشهورة أولها :

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل^٥

-
- ١ سيرة ابن هشام (١٧٢/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ سيرة ابن هشام (١٧٣/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الخزائن (٥٧/٢) وما بعدها ، وقد دون القصيدة وشرح أبياتها (عبد السلام محمد هارون)
 - ٣ سيرة ابن هشام (١٧٨/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٤ طبقات ، (٦٠) .

قال ابن سلام : زاد الناس في قصيدة أبي طالب وطولت بحيث لا يدري أين منتهائها ، وقد سألتني الأصمعي عنها فقلت صحيحة ، فقال: أتدري أين منتهائها قلت لا ، قلنا : وإنما طُوِّلت هذه القصيدة معارضة للطوال المعروفة بالمعلقات حتى لا يكون من شعر الجاهلية ما هو خير مما قاله عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن في أصلها أبياتاً هاشمية نفي بكثير من الطوال ^١ .

وقد تعرض (ابن سلام) - كما قلت - لهذه القصيدة فقال : « وقد زيد فيها وطولت . رأيت في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة : وقد علمت أن قد زاد الناس فيها ، فلا أدري أين منتهائها . وسألني الأصمعي عنها ، فقلت صحيحة . قال : أتدري أين منتهائها ؟ قلت لا أدري ^٢ . ونسب أهل الأخبار لأبي طالب شعراً زعموا أنه قاله لأبي لمب يحرضه فيه على نصرته ونصرة الرسول ، فيه :

ان امرأ أبو عتية عمه لفي روضة ما ان يسام المظالم ^٣

ونسبوا له قصيدة (دالية) ذكروا انه نظمها لما مزقت (الصحيفة) : صحيفة قريش ، التي كتبوها في مقاطعة (بني هاشم) ، أولها :

ألا هل أتى بحرنا صنع ربنا على نايهم والله بالناس أورد
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وان كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد ^٤

وقد أورد (الزبير) منها هذه الأبيات :

جزى الله رهطاً من لؤي تتابعوا على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى جنب الحطيم كأنهم مقاوله ، بل هم أعز وأجدا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً فسر أبو بكر بها ومحمد
ألم يأتكم ان الصحيفة مزقت وإن كان ما لم يرضه الله يفسد

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٣٨٤/١ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٠ وما بعدها) .

٣ سيرة ابن هشام (٢٣٠/١) ، (حاشية على الروض) .

٤ سيرة ابن هشام (٢٣٣/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) .

أعان عليها كل صقر كأنه شهاب بكفتي قابس يتوقد
جري على حل الأمور كأنه إذا ما مشى في رفرع الدرع أجود^١
وهي من الشعر المصنوع .

ونسبوا له قوله :

ودعوتني وزعمت أنك صادق^٢ ولقد صدقت وكنت قبل أمينا^٣
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

وقوله :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخصماً من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط^٤ في أول الكتب
وان عليه في العباد مودة^٥ وخير فيمن خصه الله بالحب^٦

ولأبي طالب شعر ، رثى به (أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن
غزوم) ، وكان قد خرج تاجراً الى الشام ، فمات في موضع يقال له : «سرو
سحيم» . وكان (أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله) من (أزواد الركب) في
قريش ، وهم ثلاثة : هو و (مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس) ،
و (زمعة بن الأسود بن عبد المطلب) ، وكانوا إذا سافروا لم يتزود معهم
أحد^١ . وله شعر في رثاء (مسافر)^٢ .

وفي الديوان المطبوع شعر يمكن أن يكون صحيحاً ، ولكن أكثره شعر منقول ،
ولا سيما القصيدة (اللامية) الطويلة . فإن القسم الأكبر منها ، لا يمكن أن يكون
من الشعر الأصيل . ويرى (بروكلمن) أن سبب الوضع ، هو رغبة من وضعه
على تزيين سيرة الرسول بمكة ، وفي أوائل عهد النبوة ، بكثير من الأشعار ،

-
- ١ نسب قريش (٤٣١) .
 - ٢ الروض الأنف (٢٢١/١) ، الخزانة (٥٧١/١) وما بعدها ، (بولاق) ، (ودعوتني
وزعمت أنك ناصح) .
 - ٣ الروض الأنف (٢٢١/١) ، الخزانة (٧٦/٢) ، (عبد السلام محمد هارون) .
 - ٤ الخزانة (٤٤٦/٣) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٥ الخزانة (٣٨٦/٤) وما بعدها ، (بولاق) .

بعد أن كثرت الأشعار في سيرته بالمدينة . كما أن للشبعة يداً في وضع هذا الشعر على لسان (أبي طالب) لإظهاره بمظهر المعاون للنبي المؤيد له ، المؤمن بدعوته في قلبه ولسانه ، تأييداً للإمام (علي) ، الذي هو ابن (أبي طالب)^١ .

ونسب (الجاحظ) له قوله :

أمن أجل حبلٍ لا أباك علوته بمنسأة قد جاء حبل وأحبل^٢

ويروى لعلي بن أبي طالب شعر كثير^٣ . ولا يوجد شك في أن علياً كان مطبوعاً على قول الشعر ، وأنه كان ذا شاعرية ، وله مواهب تؤهله لنظمه ، كما كان من الحفاظ للشعر ، وقد أورد له أهل الأخبار والأدب شعراً ذكروه في المواضع المناسبة ، كما جمع بعض الأدباء شعره في ديوان ، فهو صاحب شعر ، نظم في المناسبات ، غير أنه لم يكن شاعراً بمعنى أنه اتخذ الشعر صناعة له ، وإنما كان يقوله في المناسبة ، ثم إن في المنسوب إليه ، شعراً كثيراً ، هو موضوع . صنع وحمل عليه . وأكثر ما جاء في الديوان الذي يحمل اسمه هو من هذا القبيل^٤ .

ونظراً إلى ما لعلي بن أبي طالب من المكانة في نفوس المسلمين ، ولوجود شبعة له ، فقد اهتم الناس بأمر ديوانه ، وشرحوه شروحاً عديدة ، وترجموه إلى لغات مختلفة ، وطبع جملة طبعات ، بحيث نستطيع أن نقول دون مبالغة ، أن ديوان (علي) نال من المكانة والتقدير ما لم ينله أي ديوان آخر ، ليس لما فيه من شعر أو من بلاغة ، بل لحرمة ولمكانة صاحبه . ففي هذا الديوان غث كثير ، وفيه ما لا يمكن إرجاعه إلى (علي) أبداً^٥ . قال (أبو عثمان) المازني : « لم يصح عندنا أن علياً تكلم من الشعر إلا هذين البيتين » :

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربك ما برّوا وما ظفروا
فإن هلكتُ فرهنٌ ذمّي لهم بذات رواقين لا يعفو لها أثر^٦

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) .
 - ٢ البيان والتبيين (٣٠/٣) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (١٣٠) ، (عبد الستار أحمد فراج) .
 - ٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) وما بعدها .
 - ٥ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) وما بعدها .
 - ٦ الفائق (٥١٢/١) .

ونسبوا لعلّي قصيدة في الأيام السبعة منها :

أرى الأحد المبارك يوم سعد	لغرس العود يصلح والبناء
وفي الإثنين للتعليم أمن	وبالبركات يعرف والرخاء
وإن رمت الحجامة في الثلاثاء	فذاك اليوم لإهراق الدماء
وإن أحبيت أن تسقي دواء	فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس طلاب رزق	لإدراك الفوائد والغناء
ويوم الجمعة التزويج فيه	ولذات الرجال مع النساء
ويوم السبت إن سافرت فيه	وقيت من المكاره والعناء

وقد رويت القصيدة بروايات أخرى^١ .

ونسبوا (لورقة بن نوفل) شعراً ، زعموا أنه قاله حين رآهم يعذبون بلالاً على إسلامه . منه :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلاهاً غير خالقكم فإن دعيتم فقولوا دونه حدد
سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد^٢

ورقة ، هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، يجتمع مع النبي في جدّ جدّه . ذكر أنه كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب ، وأنه كان حنيفاً على ملة إبراهيم ، وذكر أنه كان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ، ومات في فترة الوحي قبل نزول الفرائض والأحكام ، وروى بعضهم أنه آمن بالرسول وجعله من الصحابة ، وشدد الإنكار على من أنكر صحبته ، وجمع الأخبار الشاهدة له بأنه في الجنة . وهكذا نجد الروايات تجمع على نبذه عبادة الأوثان ، ثم تختلف في أنه كان حنيفاً على ملة الأحناف ، أو نصرانياً . أما زعم إيمانه بالرسول ، وما رواه من الشعر من ذكره اسم الرسول وإيمانه به ، ومن أخباره عنه ، فإنه من الشعر الموضوع المصنوع ، الذي وضع على لسان غيره أيضاً ، بزعم اثبات نبوة الرسول . وفي أكثره ركة .

١ نزهة الجليس (٢٥١/١) .

٢ الخزائن (٣٧/٢) ، (بولاق) ، نسب قريش (٢٠٨) .

وقد نسب بعضه مثل قوله :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغركم أحد

الى غيره . فقليل إنه لأمية بن أبي الصلت ، وقيل انه لزيد بن عمرو بن نفيل .
غير أن (السهيلي) ، و (أبا الربيع) الكلاعي ، والبغدادى يرون أنه له ^١ .
ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

ارفع ضعيفك لا تحرج بك ضعفه يوماً فتسدركه العواقب قد نعى
يجزئك أو يثني عليك وإن من أننى عليك بما فعلت كمن جزى

وقد نسباً أيضاً لزهير بن جناب ^٢ .

ولزيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد الأحناف شعر ، وهو من المتألمين الذين
حاربوا عن مكة طلباً للعلم والمعرفة والدين ، ذهب الى بلاد الشام . وهناك احتك
بالنصارى ، فتعلم منهم أمور الدين . ولعله تعلم السريانية والرومية بها ونظر في
كتب النصرانية ، لما يذكره أهل الأخبار من تعلمه للغتين . وفارق شأن بقية
الأحناف قومه ، وعاب الأصنام والأوثان ، ونسب أهل الأخبار اليه انه كان
يسند ظهره الى الكعبة ثم يقول : يا معشر قريش ، واللذي نفسي بيده ما أصبح
منكم أحد على دين ابراهيم غيري . وكان مثل بقية الأحناف أمثال ورقة بن نوفل ،
وعثمان بن الحويرث ، وعبيد بن جحش وغيرهم ، قد خالفوا قريشاً ، وقالوا :
انكم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع من الأصنام وعابوا عليهم ما هم عليه من التقرب
الى الحجارة . وقد أورد من ترجم حياته شيئاً من شعره ، واستشهدوا ببعضه في
الشواهد ^٣ .

ومن شعر (زيد بن عمرو بن نفيل) في الأصنام قوله :

تركتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتغيها ولا صنمي بني غم أزور

١ الخزانة (٣٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ نسب قريش (٢٠٧ وما بعدها) .

٣ الخزانة (٩٧/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

ولا هبلاً أزور وكان ربّاً لنا في الدهر إذ حلّمي صغيراً

و (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) ، المعروف بـ (أبي الأعور) ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الصحابة الذين أسلموا قديماً ، من الشعراء وهو ابن (زيد بن عمرو) المذكور . وكان إسلامه قديماً وقبل عمر ، وكان إسلام (عمر) عنده في بيته ، لأنه كان زوج أخته فاطمة ، وقد توفي سنة خمسين ، أو إحدى وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين^١ . ومن شعره قوله :

تلك عرساي تنطقان على عمّد لي اليوم قول زورٍ وهتر
سالتاني الطلاق ان رأنا ما لي قليلاً قد جثمتاني بنكرٍ
فلعلّي أن يكثر المال عندي ويعرى من المغارم ظهري
وترى أعبدٌ لنا وأواقٍ ومناصيف من خوادم عشر
ونجر الأذيال في نعمة زوٍ ل تقولان ضع عصاك لدهر
وتيّ كان من لم يكن له نسبٌ مُحَبَّبٌ ومن يفتقر يعيش عيش ضرٍ
ويجنب سرّ النجي ولكن أخا المال محضر كل سرّ^٢

وكان (نبيه بن الحجاج بن عامر بن حليفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب) شاعراً ، وكان هو وأخوه (منبه) من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقتلا بيدل كافرين ، وكانا من المطمئنين يوم بدر . وقد رثاهما (الأعمش بن نباح بن زرارة) التميمي ، حليف بني عبد الدار . وكان مداحاً لنبيه بن الحجاج^٣ .

وقد أورد (الزبير) له شعراً منه قوله :

تلك عرساي تنطقان بهجر وثقولان قول زورٍ وهتر
تسألان الطلاق إذ رأتاني قل مالي قد جثمتاني بنكر

-
- ١ الخزانة (٢٤٤/٣) ، (بولاق) ٠
 - ٢ الاصابة (٤٤/٢) ، (رقم ٣٢٦١) ٠
 - ٣ البيان (٢٣٥/١) ، الخزانة (٩٩/٣) ، الشمنتري (١٧٠/٢) ، عيون الاخبار (٢٤٢/١) ٠
 - ٤ الخزانة (١٠١/٣) ، (بولاق) ٠

فلعلي أن يكثر المال عندي وتخلي من المغام ظهري
وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من ولائد عشر^١

وقال (الزبيري) إن له أشعاراً كثيرة^٢ . وقد رأينا أن هذا الشعر الذي نسب
لنبيه ، قد نسب أيضاً لزيد . وقد نسب صاحب (الحزاة) الشعر لزيد ، ثم
عاد فنسبه لنبيه .

وكان (أبو العاصي) المعروف بـ (الأمين) من حكماء وشعراء قريش ،
وما نسب اليه من شعر قوله :

أبلغ لديك بني أمية آية نصحا مبينا
أنا خلقنا مصلحين وما خلقنا مفسدين
إني أعادي معشراً كانوا لنا حصناً حصينا
خلقوا مع الجوزاء إذ خلقوا ووالدهم أبونا^٣

وهو العاصي بن وائل ، وكان من أشرف قريش ، وفيه يقول ابن الزبيري :

أصاب ابن سلمى نخلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك رائق^٤
فأوى وحياً إذ أتاه نخلة وأعرض عنه الأقربون الأصادق
فلما أصب يوماً من الدهر نصرة^٥ أتتك وإني بابن سلمى لصادق
ولا تكن إلا لساني فإنه بحسن الذي أسديت عني لناطق
ثمال يعيش المقترون بفضله وسيب ربيع ليس فيه صواعق^٦

وعبدالله بن الزبيري بن قيس بن علي بن ربيعة بن سعيد بن سهم القرشي
السهمي ، من « أشعر قريش »^٧ ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم في الفتح .
وذكر أنه لما فتح رسول الله مكة ، هرب الى (نجران) ، ثم أسلم ومدح النبي ،

١ الاغانى (٦٢/١٦) ، نسب قريش (٤٠٣) وما بعدها .

٢ نسب قريش (٤٠٤) .

٣ نسب قريش (٩٩) .

٤ نسب قريش (٤٠٨) وما بعدها .

٥ تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زبير) ، العملة (٢٣/١) .

فأمر له بحلة^١. وكان يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك . وذكر أنه وكان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه. وكان من أشعر الناس وأبلغهم . يقولون إنه أشعر قريش قاطبة . قال محمد بن سلام : بمكة شعراء فأبرعهم شعراً عبدالله بن الزبير ، قال الزبير : كذلك يقول رواية قريش انه كان أشعرهم في الجاهلية . وأما ما سقط الينا من شعره وشعر ضرار بن الخطاب ، فضرار عندي أشعر منه ، وأقل سقطاً^٢ .

كان (ابن الزبير) من المؤذنين للرسول ، قام يوماً فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ، فافقتل النبي من صلاته ، ثم أتى (أبا طالب) عمه فقال : يا عم ألا ترى الى ما فعل بي ؟ فأخذ (أبو طالب) فرثاً ودماً فلطخ به وجوه القوم الذين كان (ابن الزبير) بينهم . وبقي على عداوته هذه للرسول وفي هجائه له وللمسلمين الى عام الفتح ، فأسلم^٣ .

وقد أشرت الى ما ذكره (ابن سلام) من أمر البيتين اللذين وجدنا مكتوبين على باب الندوة ، وهما :

ألمى قصيًّا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحمُ بحثاً لا خليط له وقولها رحلت عيرٌ أنت عير

وما كان من إجماع أهل مكة على انها من قول (ابن الزبير) ليس غير . وذلك بما أهاج أولاد قصي خاصة ، فشوا الى (بني سهم) رهط (ابن الزبير) طالبين منهم تسليمه لهم ليحكموا فيه حكمهم^٤ .

وفي البيتين ، هجاء مرّ لقصي ولآل قصي ، الذين ألهمهم الأساطير عن المجد ، وكانوا يرشون ويرتشون مثل ما ترشى السفاسير ، وهم السامرة ، أولئك الذين يأكلون اللحم . ولا يعرفون إلا كلام : رحلت عيرٌ ، أنت عيرٌ . كلام التجار . فلا يفهمون قولاً غير هذا القول .

-
- ١ الاصابة (٣٠٠/٢) ، (رقم ٤٦٧٩) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٠٠/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، كتاب نسب قريش (٢٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٨ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير القرطبي (٤٠٦/٦) وما بعدها .
 - ٤ طبقات (٥٨) .

ومن شعر (ابن الزبيرى) قصيدته وفي وقعة أحد ، ومطلعها :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

قال وهو مشرك ، فلما أسلم قال :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت^١ إذ أنا بور^٢

وقد أشار في قصيدته في يوم أحد، الى انتصاف أهل مكة من المسلمين بقوله :

ليت أشياخي يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
حين ألفت بقاء بركها وعدلنا ميل بدر فاعتدل^٣

وقصيدته في (أحد) من القصائد الجيدة ، وقد دوّنها (ابن هشام) في جملة ما دوّن من الشعر الذي قيل في هذه المعركة . وقد ردّ عليه (حسان بن ثابت) بقصيدة دوّنها (ابن هشام) بعدها^٤ .

وله شعر في مدح النبي ، فيه :

منع الرقاد بلايل^٥ وهموم والليل معتلج^٦ الرواق بهيم
مما أتاني ان أحد لأمني فيه فبت كأنني محموم
ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين رسوم
إني لمعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهم
أيام تأمرني بأغوى خطة سهم^٧ وتأمرني بها مخزوم
فاغفر فدى لك والدي^٨ كلاهما ذنبى فإنك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة^٩ نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم^{١٠}

وهي أبيات نظمها معتدراً فيها عما كان منه من هجاء الرسول والمسلمين ،

١ السيوطي ، شرح شواهد (٥٤٩/٢ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٥٨) .

٣ سيرة (١٥٧/٢) ، (حاشية على الروض) .

٤ ابن سلام ، طبقات (٥٩ وما بعدها) .

ومن وقوفه مع المشركين في مواقفهم المعروفة ، بعد أن سمع بما حل بغيره ممن هجا الرسول من قتل .

ويذكر أهل الأخبار أن (عبدالله بن الزبير) و (ضرار بن الخطاب) القهري ، قدما المدينة أيام (عمر بن الخطاب) ، فأتيا (أبا أحمد بن جحش) الأسدي ، وكان مكفوفاً ، وكان مألفاً يُجتمع إليه ويتحدث عنه ، ويقول الشعر ، فقالا له : أتيناك لنرسل الى حسان بن ثابت فتناشده ونذاكره ، فإنه كان يقول في الإسلام ويقول في الكفر ، فأرسل اليه ، فجاء فقال : يا أبا الوليد أخواك تطربا إليك : ابن الزبير وضرار يذكرا نك ويناشدنا . قال : نعم إن شئنا بدأت وإن شئنا فابدأ . قال : نبدأ . فأنشده حتى اذا صار كالرجل يفور قعدا على رواحلهما . فخرج حسان حتى لقي عمر بن الخطاب ، وتمثل بيت ذكره ابن جعدة لا أذكره . فقال عمر : وما ذاك ؟ فأخبره خبرهما . فقال : لا جرم والله لا يفوتانك . فأرسل في أثرهما فرُدا . وقال لحسان أنشد . فأنشد حسان حاجته . قال له : اكتفيت ؟ قال : نعم . قال شأنكما الآن ، ان شئنا فارحلا وإن شئنا فأتيا ^١ .

ومن شعره قوله :

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبد مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشبال^٢ على القوة والحزم
فلئن أحلف وبيت الله لا أحلف على لائم
لما أن اخوة^٣ بين قصور الروم والروم
بأزكى من بني ربيعة أو أوزن في حلم^٤

وكان (الزبير بن عبد المطلب) من فرسان قريش ومن شعرائها ^٣ ، وقد روى (ابن كثير) له شعراً ، ذكر انه قاله فيما كان من أمر الحية التي كانت

١ ابن سلام ، طبقات (٦٠) .

٢ نسب قريش (٣٠٠) .

٣ الاشتقاق (٣٠) .

قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، هو :

عجبت لما تصوبت العقاب الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا الى التأسيس شدت تهيننا البناء وقد تهاب
فلما ان خشينا الرجز جاءت عقاب تثلث لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مساوينا ثياب
أعز به الملك بني لؤي فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا الملك بذلك عزاً وعند الله يلتمس الثواب^١

وقد وردت هذه الأبيات في سيرة (ابن هشام)^٢ ، أخذت من سيرة (ابن اسحاق) . وهي ولا شك من ذلك الشعر المصنوع الذي انتحل على الشعراء ، وأعطى الى (ابن اسحاق) فأدخله في سيرته ، أسلوبها يتحدث عن نفسه ، ونظمها بعيد عن نظم شاعر عاش في ذلك الوقت .

وقد تعرض (ابن سلام) لشعر (الزبير) ، فقال عنه : « وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر ، والحاصل من شعره قليل . فا صح عنه قوله :

ولولا الحبش لم يلبس رجال^٣ ثياب أعزة حتى يموتوا ،

ويقال ان :

إذا كنت في حاجة مرسل^٤ فأرسل حلياً ولا توصه

للزبير^٥ .

١ تفسير ابن كثير (١/ ١٨١) .
٢ سيرة ابن هشام (١/ ١٣٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
٣ طبقات (٦١) .

وكان (الزبير) شاعراً مقلداً شديد المعارضة مقدح الهجاء ، ولما جاء (عبدالله ابن الزبير) السهمي (بني قصي) رفعوه برمته الى (عتبة بن ربيعة) خوفاً من هجاء (الزبير) فلما وصل (عبدالله) اليهم أطلقه (حمزة بن عبد المطلب) وكساه ، فدحه . وكان (الزبير) غائباً بالطائف أو باليمن ، فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر قال :

فلولا نحن لم يلبس رجالٌ ثياب أعزة حتى يموتوا
ثيابهم سمالٌ أو طمارٌ بها ودكٌ كما دسم الحميت
ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيت^١

وقد كان الخلعاء يتزلون على (الزبير بن عبد المطلب)، ومنهم (أبو الطمحان) القيني ، وكان فاسقاً ومن الشعراء^٢ .

وكان (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي) الهاشمي ، ابن عم الرسول وأخيه من الرضاعة من شعراء قريش المطبوعين . وكان ممن يؤذي النبي والمسلمين ، ويهجو رسول الله ، وقد عارضه (حسان بن ثابت) ، ثم أسلم . وكان إسلامه يوم الفتح قبل دخول رسول الله مكة^٣ . قال (ابن سلام): « ولأبي سفيان بن الحارث شعر ، كان يقوله في الجاهلية فسقط ، ولم يصل إلينا منه إلا القليل ، ولسنا نعدّ ما يروي ابن اسحاق له ولا غيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم . قال أبو سفيان :

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلبُ خيلُ اللاتِ خيل محمدٍ
أنا المدلجُ الحيرانُ أظلم ليلُهُ بعيد أرجى حين أهدى واهتدي
هداني هادي غير نفسي وقادني الى الله من طردت كل مطرد^٤

١ العمدة (٦٦/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٤/١) ، (دار الثقافة) .

٣ الاصابة (٩٠/٤) ، (رقم ٥٣٨) ، الاستيعاب (٨٣/٤) ، (حاشية على الاصابة) الاشتقاق (٢٦٠/٢) .

٤ ابن سلام ، طبقات (٦١) ، المرزباني ، معجم (٢٧١) ، ابن سعد ، طبقات (٥١/٤) ، (صادر) ، وتجد فيه بعض الاختلاف في الشعر .

وروي له شعر قاله يوم تعرض المسلمون بقافلة (أبي سفيان) ، ويوم أحد ، وفي المناسبات الأخرى^١ . وله شعر في يوم أحد ، وقد رد عليه حسان بن ثابت^٢ وبقية شعراء المسلمين حيث كانت بينهم وبين شعراء مكة مساجلات . وكان نديماً لعمر بن العاص السهمي ، وكان الحارث بن حرب بن أمية ، نديماً للحارث بن عبد المطلب^٣ ، وكان الحارث بن عبد المطلب من المؤلفة قلوبهم^٤ . ولما توفي الرسول رثاه (أبو سفيان بن الحارث) بقصيدة مطلعها :

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فسيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتزبل فينا يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كريت تسيل
نبي " كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً " علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك غدر وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيلك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول^٥

وقد وضعت أشعار على لسان (أبي سفيان) في هجاء (حسان بن ثابت) . فقد هجا (قتادة بن موسى) الجمحي حسان بن ثابت بأبيات ونخلها (أباسفيان) . وقاتله من الشعراء المخضرمين^٦ .

وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري من ظواهر قریش ، وكان لا يكون بالبطحاء إلا قليلاً .

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٦١ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سلام (٦٢) ، أمالي المرتضى (٦٣٢/١) .
 - ٣ المحبر (١٧٧) .
 - ٤ المحبر (٤٧٣) .
 - ٥ الروض الانف (٣٧٩/٢ وما بعدها) .
 - ٦ الاصابة (٢١٧/٣) ، (رقم ٧٠٧٧) .

وكان أبوه رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه . وقد قدمه بعض رواة الشعر من قريش على (عبدالله بن الزبيري) ، وعدّوه من الشعراء المطبوعين المجودين . قاتل المسلمين في الوقائع أشد القتال ، ثم أسلم في الفتح^١ . وهو من الأشراف^٢ . وذكر انه « كان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم .. قال الزبير بن بكار : لم يكن في قريش أشعر منه ومن ابن الزبيري . قال الزبير : ويقدمونه على ابن الزبيري ، لأنه أقل منه سقطاً ، وأحسن صنعة^٣ . وكان من فرسان قريش يوم الخندق .

ولضرار شعر قاله في يوم (بدر)^٤ ، وشعر في رثاء (أبي جهل)^٥ . وأشعار أخرى في أحد وفي الوقائع الأخرى تجدها في سيرة (ابن هشام) .

وكان ضرار جمع من حلفاء قريش ومن مُراق كنانة ناساً ، فكان يأكل بهم ويغير ويُسبي ، ويأخذ المال . وكان خرج في الجاهلية في ركب من قريش فرأوا يبلاد دؤوس ، وهم يطالبون قريشاً بدم (أبي أزيهر) ، قتله (هشام ابن المغيرة) ، فثاروا بهم وقتلوا فيهم ، فقاتلهم ضرار ، ثم لجأ الى امرأة منهم ، يقال لها : (أم غيلان) مقيمة تقين العرائس ، فساعدته وساعده بنوها وبناتها ، فلم . ولقي ضرار يوم أحد (عمر بن الخطاب) ، فضربه بعارضة سيفه ، وقال : انج يا ابن الخطاب ، لأنه كان قد آلى أن لا يقتل يومئذ قرشياً ، فلما ولي (عمر) الخلافة ، وسمعت (أم غيلان) بذكر (ابن الخطاب) ظنته ضراراً ، فقدمت المدينة ، فتوسط لها (ضرار) عند الخليفة فأثابها^٦ .

-
- ١ الاصابة (٢٠١/٢) ، (رقم ٤١٧٣) ، الاستيعاب (٢٠١/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زبير) ، كتاب نسب قريش (١٢٦ ، ٢٦٤ ، ٤٣٣ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٣٥٠/٣) ، (ضرر) .
 - ٣ الاستيعاب (٢٠١/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ سيرة ابن هشام (١٠٩/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٥ سيرة ابن هشام (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٦٣) .

وكان من مسلمة الفتح ، ومن شعره في يوم الفتح ، قوله :

يا نبيّ الهدى اليك لجا حي قريش وأنت خير لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إلّٰه السماء
والتقت حلقتنا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلحاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيب حظ رمانا بالنسر والعواء
وغير الصدر لا يهم بشيء غير سفك الدماء وسبي النساء
قد تلفى على البطاح وجاءت عنه هنس بالسوءة السواء
إذ تنادى بذلّ حيّ قريش وابن حرب بدا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت اليه من نهم الخز رج والأوس أنجم المهيّجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في كف الإماء
فأنينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يدير لنا الأمر سر سكوناً كالحية الصماء^١

ومن الشعراء الذين هجوا الرسول والإسلام (هيرة بن أبي وهب) المخزومي .
من فرسان قريش وشعرائها ، وكان مثل (ابن الزبيري) ممن يؤذون الإسلام، فهدر
النبي دمه ، فهرب الى (نجران) حتى مات بها كافراً . وكانت عنده (أم
هانيء) ابنة (أبي طالب) فأسلمت عام الفتح، فقال حين بلغه إسلامها قصيدة
من بينها هذه الأبيات :

أشأقتك هند أم نأك سؤلها كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وقد أرقّت في رأس حصن ممرّد بنجران يسري بعد نوم خيالها
وإن كنت قد تابعت دين محمد وعطفت الأرحام منك حبالها

وهي قصيدة رويت في موارد متعددة مع شيء من الاختلاف^٢ .

١ الاستيعاب (٢/٢٦ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ كتاب نسب قريش (٣٩ ، ٣٤٤) ، الشعر والشعراء (٨٠) ، الاشتقاق (٩٥) ،
البيان والتبيين (٢/٢٠٣) ، العملة (١/٢٣) .

وأورد (ابن هشام) قصيدة لـ (هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ)
المخزومي ، في معركة (أحد)^١ . وذكر (ابن سلام) أن (هبيرة) ، كان
شاعراً من رجال قريش المحدثين ، وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، فآخله الله
ودحه ، وهو الذي يقول يوم أحد :

قدنا كنانة من أكتاف ذي يمن عرض البلاد على ما كان يُزجىها
قالت كنانة أني تذهبون بنا قلنا النخيل فأموها وما فيها

وله شعر كثير وحديث^٢ .

و (الحارث بن هشام بن المغيرة) المخزومي ، أخو (أبي جهل) وابن
عم (خالد بن الوليد) ، كان من أشرف قومه ، وقد مدحه (كعب بن
الأشرف) اليهودي . وكان فيمن شهد بدرًا مع المشركين ، وفرّ حينئذ وقتل
أخوه أبو جهل ، فغير بفراره ، فما قيل فيه قول حسان بن ثابت :

إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وجام

فأجابه الحارث :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
فعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يبكي عدوي مشهدي
ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يومٍ مرصد

ويرى علماء الشعر ان هذه الأبيات أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار^٣ .

١ ابن هشام ، سيرة (١٥٥/٢) ، (حاشية على الروض) .

٢ طبقات (٦٥) .

٣ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) ، « فاعتذر اليه الحارث بن هشام من فراره
يومئذ ، بما زعم الاصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك من فراره » ،
الاستيعاب (٣٠٨/١) ، (حاشية على الاصابة) ، نسب قريش (٣٠١) وما بعدها ،
وقد روى الشعر بصور مختلفة .

وكان الحارث يضرب به المثل في السؤدد حتى قال الشاعر

أظننت ان أباك حين تسبتي في المجد كان الحارث بن هشام
أولى قریش بالمكارم والندی في الجاهلية كان والاسلام^١

وله أشعار في بدر وفي المناسبات الأخرى التي وقعت مع المسلمين ، وله شعر في رثاء أخيه (أبي جهل) . وذكر (ابن هشام) أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر بعض هذا الشعر^٢ .

وقد شهد (أحد) مشركاً حتى أسلم يوم فتح مكة ، وكان من المؤلفات قلوبهم ، وشهد مع النبي حيناً فأعطاه مائة من الإبل كما أعطى المؤلفات قلوبهم ، وكان من المطعمين بمكة . وخرج الى الشام في زمن (عمر) ، فقبه أهل مكة ليكون فراقه . وتوفي هناك بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة في رواية ، أو بيوم اليرموك رجب سنة خمس عشرة في رواية أخرى^٣ .

ومن شعراء قریش : (مالك بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي) القرشي ، وهو جاهلي ، من معاصري (هشام بن المغيرة) المخزومي^٤ .

ومن شعراء قریش الذين أدركوا الاسلام وصاروا عليه ، (ابن خطل) (عبدالله بن خطل) ، أو (آدم) القرشي الأدرمي . وهو من ولد (تيم بن غالب) . وكان ممن يهجو الرسول والاسلام ، ويأمر قيتتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول . فأهدر النبي دمه ولو وجد تحت أستار الكعبة . وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً ، ثم ارتد مشركاً ، وكانت له قيتتان : فرتني وأخرى معها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ، فأمر بقتلهما معه . فقتله (أبو برزة) الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة^٥ .

١ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) .

٢ ابن هشام ، سيرة (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض) .

٣ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) ، الاستيعاب (٣٠٧/١) ، (حاشية على الاصابة) ، ابن سلام ، طبقات (٣٣ وما بعدها) .

٤ المرزباني ، معجم (٢٥٥) .

٥ الطبري (٥٩/٣) ، (فتح مكة) ، العمدة (٢٣/١) .

ومن شعراء قريش (أبو العاصي بن أمية الأكبر بن عبد شمس) ، كان يقال له (الأمين) ، وكان من حكماء قريش . وينسب إليه قوله :

أبلغ لديك بني أمية آية نصحا مينا
إنا خلقنا مصاحين وما خلقنا مفسدين
اني أعادي معشراً كانوا لنا حصناً حصينا
خلقوا مع الجوزاء إذ خلقوا ووالدهم أبونا^١

وكان (أبو عزة) واسمه (عمرو بن عبد الله بن عمرو) ، شاعراً ، وكان مملقاً ذا عيال ، فأسر يوم بدر كافراً ، فن عليه الرسول على أن لا يهجو المسلمين ، فعاهده وأطلقه . فلما كان يوم أحد ، أطمعه (صفوان بن أمية بن خلف الجمحي) ، وكان محتاجاً ، والمحتاج بطمع ، فأخذ يحرض الناس على الإسلام ، فقتل . وقيل إنه برص بعد ما أسن ، وكانت قريش تكره الأبرص ، وتخاف العدوى ، فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه ، فكبر ذلك عليه ، فصعد جبل حراء ، يريد قتل نفسه ، فطعن بها في بطنه ، فسال ماء أصفر ، وذهب ما كان به ، فقال في ذلك شعراً^٢ . وذكر (الزبير) أنه أسر يوم (بدر) وكان ذا بنات ؟ فقال : « دعني لبناتي » فرحمه ، وأخذ عليه ألا يكثر عليه بعدها ، فلما جمعت قريش لرسول الله لتسير إليه ، كلمه (صفوان بن أمية) وسأله أن يخرج الى (بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة) ، وهم حلفاء قريش ، فيسألهم النصر ، فأبى عليه ، وقال : « إن محمداً قد من علي وأعطيته ألا أكثر عليه » ، فلم يزل صفوان يكلمه حتى خرج الى بني الحارث ، يحرضهم على الخروج مع قريش والنصر لهم ، فقال في ذلك :

أنتم بنو الحارث والناس إلهام أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حمام لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل لإسلام

١ كتاب نسب قريش (٩٨ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٣ وما بعدها) .

فلما انصرفت قريش من أحد ، تبعهم رسول الله حتى بلغ (حمراء الأسد) ، فأصاب بها (عمرأ) ، فقال له : « يا محمد ! عفوك ! » فقال له الرسول ، « لا تمسح سبلتك بمكة ، تقول : خدعتُ محمداً مرتين ! » لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين ، وقتله صبراً^١ .

ومن شعراء قريش (حرب بن أمية)^٢ ، وهو من بني أمية^٣ ، وكان رئيساً بعد المطلب^٤ ، وهو والد (أبي سفيان بن حرب) ، وقد زعم ان الجن قتلته ، وأنشدوا في ذلك شعراً ذكروا ان الجن قالته ، هو :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر^٥

وقد زعموا ان الجن خفتته^٦ . وقد نسبوا له هذه الأبيات :

أبا مطرٍ هلُمَّ الى صلاحٍ فتكفيك الندامى من قريش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطرٍ هديت لخير عيش
وتتزل بلدة عزت قديماً وتأمن أن يزورك رب جيش

قالوا انه قالها مخاطباً بها (أبا مطر) الحضرمي ، يدعو به الى حلفه ونزول مكة^٧ .

ومن شعراء قريش الذين أدركوا الاسلام : (أبو زمعة) ، واسمه (الأسود ابن المطلب) . له شعر رثا به من قُتل بيدر ، منه :

تُبَكِّي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهود

-
- ١ نسب قريش (٣٩٧ وما بعدها) .
 - ٢ نسب قريش (١٥٧) .
 - ٣ المحبر (١٣٢) :
 - ٤ المحبر (١٦٥) .
 - ٥ الحيوان (٢٠٧/٦) ، معاهد التنصيص (١٢/١ وما بعدها) ، المعارف (٣٢) .
 - ٦ الحيوان (٣٠٢/١) .
 - ٧ الحيوان (١٤١/٣) .

فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الحدود
على بدرٍ سراة بني مُصَيِّصٍ وغزومٍ ورهطٍ أبي الوليد
وبكّي إن بكيت على عقيلٍ وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكّي إن بكيتهم جميعاً وما لأبي حكمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا^١

١ نسب قريش (٢١٨ وما بعدها) .

الفصل الثالث والستون بعد المئة

شعراء يثرب

قال (ابن سلام) : « شعراؤها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فمن الخزرج ، من بني النجار حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة ، كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، ومن الأوس : قيس بن الخطيم من بني ظفر ، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف^١ . وهناك شعراء آخرون لكنهم لم يبلغوا مبلغ هؤلاء في الشعر ، منهم : (أحيحة بن الجلاح) و (سويد بن الصامت) ، و (أبو قيس مالك بن الحارث) وآخرون . ونسبوا لأبي آمنه جدّ النبي قوله :

وإذا أتيت معاشرأ في مجلسٍ فاختر مجالسهم ولما تقعد
ولكل أمر يستعاد ضراوة فالصالحات من الأمور تعوّد^٢

ويعد (مالك بن العجلان) الخزرجي في جملة شعراء يثرب ، ذكر انه القائل للربيع بن أبي الحقيق اليهودي من أبيات :

لاني امرؤ من بني سالم كريم وأنت امرؤ من يهود

١ طبقات (٥٢) .

٢ المصون (١٨٩) .

فأجابه الربيع من أبيات أولها :

أنسفه قيلة أنحلامها وحان بقيلة عثر الجدود^١

وفيه يقول الشاعر (عمرو بن امرئ القيس) من بني الحارث بن الخزرج ،
من شعراء الجاهلية :

يا مالٍ والسيد المعمم قد يبطره بعد رأيه السرفُ
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف^٢

وهو من مشاهير سادة (يثرِب) ، وله ذكر في نزاع أهل يثرِب مع اليهود ،
وفي حرب (سمير) بين الأوس والخزرج . وهو قاتل (الفطيون)^٣ .

وعمر بن الإطنابة من شعراء (يثرِب) ، وهو من الخزرج ، وهو شاعر
فارسي قديم ، خرجت الخزرج معه وخرجت الأوس وأحلافها مع (مُعاذ بن
النعان) في حرب كانت بين الأوس والخزرج . وذكر ان حسان بن ثابت جعله
أشعر الناس ، لقوله :

لاني من القوم الذين اذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النازل
المانعين من الخنا جيرانهم والحاشرين على طعام النازل
والخاططين فقيرهم بغنيهم والباذلين عطاءهم للسائل
لا يطبعون وهم على أحسابهم يشفون بالأحلام داء الجاهل
القائلين ولا يعاب خطيئهم يومَ المقامة بالكلام الفاصل

ومن شعره :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيع
ولا كراهي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

١ المرزباني ، معجم (٢٥٦) .

٢ والشعر يختلط أبياته بأبيات قصيدة أخرى لقيس بن الخطيم ، وأخرى لمالك بن
العجلان ، البيان والتبيين (١٠٠ / ٣) ، جمهرة أشعار العرب (١٢٧ وما بعدها) ،
الجمهرة (١٢٢) ، ديوان قيس بن الخطيم (١٦ وما بعدها) .

٣ الاشتقاق (٢٧٠ / ٢) .

ويقال إن معاوية قال : « لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار ، فما منعني من ذلك إلا قول ابن الإطنابة « الشعر المذكور » .

ونسب (أبو الفرج) الأصبهاني الى (أحبحة بن الجلاح بن الحريش « الجريش » ؟) ابن جحجي بن كلفة (الأوسي قوله :

لتبكي قنينة ومزمرها ولتبكي قهوة وشاربها
ولتبكي ناقة إذا رحلت وغاب في سربخ مناكبها

وهي أبيات قبلها :

يشتاقي قلبي الى مليكة لو أمت قريباً لمن يطالبها
ما أحسن الجيد من مليكة والد لبات إذ زانها تراثيها

وقد نسبها بعض آخر لعدي بن زيد العبادي، ونسبها بعض آخر لبعض الأنصار^١. و (أحبحة بن الجلاح) ، من سادات الأوس . وكان سيدهم في زمانه . وكان شاعراً . وكانت عنده (سلمى بنت عمرو) من بني النجار ، وأولاده منها اخوة (عبد المطلب)^٢ وهو من أصحاب المذنبات^٣ .

وقد ذكر (ابن الشجري) ، أنه وجد في كتاب لغوي أن الشعر المذكور منسوب الى (عدي بن زيد) ، وقد تصفح نسختين من ديوان عدي فلم يجد فيهما ، وإنما وجد له قصيدة على هذا الوزن وهذه القافية أولها :

لم أرَ مثل الأقوام في غيب الأيام ينسون ما عواقبها

وذكر (البغدادي) أن (الأصبهاني) اقتبس في (الأغاني) لأحبحة^٤ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (أحبحة) كان في أيام التبع (أبو كرب بن حسان بن تبع بن أسعد) الحميري ، وأن هذا التبع لما عاد من العراق يريد

١ المرزباني ، معجم (٨ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤١٧/١) .

٣ الاشتقاق (٢٦٢) .

٤ الأغاني (١١٩/١٣) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٤٩/١) .

٥ الخزائن (٢٠/٢ وما بعدها) .

(يثرب) لقتل أهلها ابناً له بها ، وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذرية ، نزل بسفح (أحد) فاحتفر بها بشراً ، عرفت بـ (بثر الملك) ، ثم أرسل الى أشرافها ليأتوه ، فكان ممن أتاه (زيد بن ضبيعة) وابن عمه (زيد بن أمية بن عبيد) ، وكانوا يسمون (الأزياد) ، و (أحبيحة بن الجلاح) . فلما جاء رسول التبّع ، ذهب الأزياد اليه ، وكان (أحبيحة) له تابع من الجن ، أخبره أنه يريد قتلهم جميعاً ، وكان لا يقول إلا صواباً ، فلما قابل التبّع تحدث معه عن أمواله وعن أموال المدينة ، ثم خرج من عنده ودخل خبائه ، وكان (تبّع) قد أوكّل حراساً به ، فشرب وقرض أحياناً مطلعها :

يشتاقي قلبي الى مليكة أمسى قريباً لمن يطالبها

وأمر قيته أن تغنيه حتى استغفل الحرس ، ففر منهم الى أطمه (الضحيان) ، وقيل (المستظل) ، فجرد الملك كتيبة عليه ، ثم حاصر المدينة ، فلم يتمكن منها ، إذ اعتصم أهلها من الأوس والخزرج واليهود بأطمهم ، ثم أقنعه (حبران) من أحبار يهود بكف الحصار عنها ، فرجع^١.

وكان (أحبيحة) سيد الأوس في الجاهلية ، وكان كثير المال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بغيراً كلها ينطح عليها ، وكان له أطمان ، أطم في قومه يقال له (المستظل) ، وأطم يقال له (الضحيان) بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة ، بناه بحجارة سود ، ويزعمون انه لما بناه هو و غلام له أشرف ، ثم قال : لقد بنيت حصناً حصيناً ما بنى مثله رجل من العرب أمنع منه ، ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع وقع جميعاً . فقال غلامه : أنا أعرفه . قال : فأرنيه يا بني ؟ قال : هو ذا ، وصرف اليه رأسه . فلما رأى أحبيحة انه قد عرفه دفعه من رأس الأطم ، فوقع على رأسه فات^٢ . وهي قصة تشبه قصة (سنار) ، ولها شبه عند اليونان . ويذكرون انه لما بناه قال :

بنيت بعد مستظل ضاحيا بنته بعصبة من ماليا

١ الخزانة ٢١/٢ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغانى (١١٩/١٣) .

٢ الخزانة (٢٣/٢) ، (بولاق) .

لستر مما يتبع القواضيا أخشى ركبياً أو رجلاً غادياً^١

وينسب لأحيحة قوله :

استغن أومت ولا يغرك ذو نسب من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
لاني مقيم على الزوراء أعمرها إن الحبيب الى الإخوان ذو المال

وقوله :

وما يلدي الفقير متى غناه ولا يلدي الغني متى يعيل^٢

و (سويد بن صامت) أخو (عمرو بن عوف) من الأوس ومن (الكلمة) ومن الأشراف أصحاب النسب ، ومن الشعراء . وكانت له أشعار كثيرة . وهو الذي ذهب اليه النبي يوم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ليدعوه الى الإسلام ، فلما كلمه النبي قال له (سويد) فلعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال له رسول الله وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . فقال له رسول الله : اعرضها عليّ ! فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى عليّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه الى الإسلام ، فلم يبعد منه . وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه . فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج^٣ . ويشك في إسلامه^٤ .

و (أبو قيس بن الأسلت) (أبو قيس بن عامر بن جشم) و (عامر) هو الأسلت ، شاعر من الأوس . اختلف في اسمه ، ف قيل (صيفي) وقيل (الحرث) (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل (صرمة) ، واختلف في إسلامه . ذكر انه كان يدعى (الحنيف) لتحنفه . ولم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مساءلة عنها منه . وكان يسأل من اليهود عن دينهم ،

١ الخزانة (٢٣/٢) ، (بولاق) .

٢ بلوغ الأرب (١٢٧/٣) .

٣ الروض الانف (٢٦٥/١) وما بعدها ، ابن هشام ، سيرة (٢٦٥/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض) ، الاغانى (١٦٩/٢) .

٤ الاصابة (١٣٢/٢) ، (رقم ٣٨١٨) ، الاستيعاب (٥٩٣/٢) ، رسالة الغفران (١٣٧) .

فكان يقاربهم ، ثم خرج الى الشام فتزل على (آل جفنة) فأكرموه ووصلوه ، وسأل الرهبان والأخبار ، فدعوه الى دينهم فامتنع ، ثم خرج الى مكة معتمراً ، فبلغ (زيد بن عمرو بن نفيل) فكلّمه ، فكان يقول ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل . ولما قدم النبي الى المدينة جاء اليه فقال : لا أم تدعو ؟ فذكر له شرائع الاسلام . فقال : ما أحسن هذا وأجمله ! فلقبه (عبدالله ابن أبيّ بن سلول) ، فقال : لقد لذت من حزبتنا كل ملاذ ، تارة تخالف قريشاً ، وتارة تتبع محمداً . فقال : لا جرم لأتبعنه الى آخر الناس . وقد اختلف في اسلامه ، والأغلب انه لم يسلم^١ . وذكر انه كاد أن يسلم ، لما اجتمع برسول الله ، ولكن كلام (عبدالله بن أبيّ) أثر عليه ، فقال : والله لا أسلم سنة . ثم انصرف الى منزله ، حتى مات قبل الحول ، وذلك في ذي الحجة على رأس عشرة أشهر من الهجرة^٢ .

وفي سيرة (ابن هشام) قصيدة نسبت الى (أبي قيس بن الأسلت) زعم أنه وجهها لقريش ينهى فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الغيل وكيده عنهم . وأول القصيدة :

يا راكباً اما عرضت فبلغن مغلفة عني لؤي بن غالب
رسول امرىء قد راعه ذات بينكم على النائي مخزون بذلك ناصب^٣

وهو من أصحاب المذاهبات ، ومطلع مذهبه :

قالت ولم تقصد لقول الخني مهلاً فقد أبلغت أسماعي^٤

ونسب له قوله :

ولو شا ربنا كنّا يهوداً وما دين اليهود بلدي شكول

-
- ١ الاصابة (٤/١٦٠ وما بعدها) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (٤/١٥٩ وما بعدها) ،
(حاشية على الاصابة) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٤/٣٨٥) .
 - ٣ سيرة ابن هشام (١/١٨٠) ، (حاشية على الروض) .
 - ٤ الاغانى (١٥/١٦٠) ، الجمهرة (١٢٦) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية
(١/١٣٩) .

ولو شا ربنا كنّا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنّا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسفاً مذعنات تكشف عن مناكبها الجلول^١

وكان (أبو قيس بن الأسلت) الأنصاري بهاجي حسان بن ثابت . وهو
من الأوس ، وحسان من الخزرج ، فكانا يتهاجيان . وكان بين الحيين هجاء ،
فكان شعراء كل حي ، يهاجون شعراء الحي الثاني ، عصبية ، لما كان بينهما من
تحاسد وتنافر^٢ .

والأسلت لقب (عامر بن جشم بن وائل بن يزيد) والد الشاعر المتقدم من
الأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس قد أسندت أمرها في
يوم (بعثت) الى (أبي قيس بن الأسلت) ، فقام في حربهم وآثرها على كل
أمر آخر ، حتى أنهكته وشحب لونه . وقال (ابن حجر) ان اسم (أبي قيس
ابن الأسلت) (صيفي) ، وقيل (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل
(صرفة) ، وقيل غير ذلك . واختلف في اسلامه . فمنهم من صيره مسلماً ،
وجعله في عداد الصحابة ، ومنهم من جعله متألفاً حنيفاً على دين ابراهيم ، وكان
يقول : ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من
زعم انه قال : والله لا أسلم الى سنة ، فبات قبل الحول على رأس عشرة أشهر
من الهجرة بشهرين ، وذكر انه هرب الى مكة فأقام بها مع قريش الى عام الفتح^٣ .
وللعصبية دور في هذه الروايات ، ترد في رجال آخرين من أهل يثرب ومن أهل
مكة ، تقدم روايات منها رجالاً في الاسلام ، وتؤخرهم أخرى ، وتنتفي عنهم
بعضها الدخول في دين الله ، لما لهذا التأخير أو التقديم ، أو البقاء على الشرك من
أهمية كبيرة بالنسبة لهم في ذلك الوقت .

وذكر أن (أبا قيس بن الأسلت) كان يعدل (بقيس بن الخطيم) في
الشجاعة والشعر^٤ . وقيس بن الخطيم ، شاعر فارس من الأوس . معلود من

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٨٥/٤) .
 - ٢ الخزائنة (٦٨/٤) ، (بولاق) .
 - ٣ الخزائنة ٤٧/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٤ الاصابة (١٦١/٤) ، (رقم ٩٤٤) ، « واسم الاسلت عامر . فهو لقب له » ، تاج
العروس (٥٥٤/١) ، (سلت) .

أصحاب (المذاهب) . وتبدأ مذهبه بقوله :

أُتَعرِف رِسمًا كاطِرَاد المذاهب لعمرة وحشًا غير موقف راکبٍ

وكان يلاحى الخزرج ، قتل أبوه وهو صغير . قتله رجل من الخزرج ، وعلم أن جدّه قتله رجل من (عبد القيس) . فتعقب القاتلين ، حتى ظفر بقاتل والده يثرب ، وظفر بقاتل جده بلدي المجاز فقتله^١ . أدرك الإسلام ، ولكنه لم يسلم . ذكر أنه قدم على النبي بمكة قبل الهجرة ، فعرض النبي عليه الإسلام ، فقال : إني لأعلم أن الذي تأمرني به خير مما تأمرني به نفسي ، وفيها بقية من ذلك ، فاذهب فاستمتع من النساء والخمر وتقدم بلدنا فأتبعك . فقتل قبل أن يتبعه . أصابه سهم وهو راكب أمام أطم لرجل من الخزرج^٢ .

وهو الذي يقول في حرب كانت بينهم وبين الخزرج :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نومًا غير تهجاع
أسمى على جلّ بني مكيك كل امرئ في أمره ساعي^٣

وذكر (المرزباني) أن قيس بن الخطيم ، شاعر مجيد فحل ، من الناس من يفضلهُ على حسان شعراً . وقال حسان : إنا إذا نافرنا العرب فآردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم^٤ . وله ديوان مطبوع^٥ . وهو الذي يقول في يوم بعث :

أُتَعرِف رِسمًا كاطِرَاد المذاهب لعمرة قفر غير موقف راکبٍ

وله أشعار جيدة أخرى^٦ .

-
- ١ الاشتقاق (٢٦٤) ، الاغانى (١٥٩/٢ وما بعدها) ، الخزائنة (١٦٨/٣) ، المرزباني ، معجم (١٩٦) .
 - ٢ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ديوان الحماسة (١٠٤/٣) ، بروكلمن تاريخ الادب العربي (١١٤/١ وما بعدها) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٤ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٥/١) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٥٦ وما بعدها) .

وذكر انه كان مقيماً على شركه ، وأسلمت امرأته ، وكان يقال لها (حواء) ، وكان يصددها عن الاسلام ، ويعيث بها . وكان رسول الله وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمور الأنصار ، وعن حالهم فأخبر بإسلامها وبما تلقى من قيس ، فلما كان الموسم ، وحضر مكة ، أتاه النبي في مضربه ، فلما رأى النبي رجب به وأعظمه ، فأخبره النبي بما تلاقى امرأته منه بسبب اسلامها ، وقال له : أحب أن لا تعرض لها ، فكف عن أذاها^١ ، ويقال ان النبي دعاه الى الاسلام وتلا عليه القرآن ، فقال : اني لأسمع كلاماً عجباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود اليك فأت قبل الحول^٢ .

وذكر انه كان سيداً شاعراً ، فلما هدأت حرب الأنصار ، تذاكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكابته ، فتذامروا وتواعدوا قتله ، فلما مر بأطم (بني حارثة) ، رمي بثلاثة أسهم ، فصاح صيحةً أسمعها رهطه ، فجاءوه فحملوه الى منزله ، فلم يروا له كفواً إلا (أبا صمصعة بن زيد) النجاري ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه ، وجاء برأسه ، ووضع أمام (قيس) وكان به رمق ، فما لبث أن مات^٣ .

وله قصيدة متينة ، قالها حين ظفر بقاتل أبيه وقاتل جده ، فقتلها ، من أبياتها:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ناثرة لها نقدٌ لولا الشعاع أضاءها
ملكنتُ بها كفي فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
يهون عليّ أن ترد جراحها عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها
وكننت امرأاً لا اسمع الدهر سببةً أسب بها إلا كشفت غطاءها
فاني في الحرب الضروس موكلٌ بإقدام نفسي ما أريد بقاءها
متى يأت هذا الموت لا تلتف حاجةً لنفسي إلا قد قضيت قضاءها
ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع ولاية أشياخ جعلت إزاءها^٤

- ١ ابن سلام ، طبقات (٥٧) .
- ٢ الاصابة (٢٦٦/٣) ، (رقم ٧٣٥٠) .
- ٣ أسماء القتالين ، (المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات) ، (٢٧٤) .
- ٤ حماسة أبي تمام (٩٤/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغانى (٦٠/٢) ، ديوانه (٣ وما بعدها) ، (طبعة لايبزيك ١٩١٤) .

وله غزل ، نابع من غزل أهل الحضرة ، تغزل فيه بعمرة بنت رواحة^١ .
و (أبو قيس) (مالك بن الحارث) ، وقيل « صرمة بن أبي أنس بن مالك » من بني النجار، شاعر كذلك . كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً فاتخذ مسجداً لا يدخل عليه طامث ولا جنب . وقال : أعبد رب إبراهيم ، فلما قدم الرسول يثرب أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير . وكان قوَّالاً بالحق معظماً له . يقول في الجاهلية أشعاراً حسناً . وقد ذكر (ابن اسحاق) أشعاراً له ، في الوصايا ، وفيها حث على مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف وفي انصاف اليتيم وغير ذلك من شعر المواعظ^٢ .

ومن شعراء يثرب : (عمرو بن امرئ القيس) ، الذي سبق أن ذكرته ، وهو جدّ (عبدالله بن رواحة) وهو شاعر خزرجي جاهلي . وله شعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج بسبب (سمير) الذي عدا على (بجير) مولى (مالك بن العجلان) فقتله ، فوقعت الحرب من أجل ذلك بين الحيين، فحكموا (عمرو بن امرئ القيس) ، فحكم بدية المولى للمالك ، فلما رفض الحكم هاجت الحرب . فلما طالت حكموا فيها (ثابت بن المنذر) والد حسان وبذلك انتهى النزاع^٣ .

وحسان بن ثابت من المخضرمين ، من شعراء الخزرج ، واسمه حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . وهو شاعر رسول الله وشاعر الاسلام . وأمه (الفريضة) بنت (خالد بن حيش بن لؤذان) . وهي من الخزرج أيضاً . أدركت الاسلام أيضاً فأسلمت ، وقيل هي أخت (خالد) لا ابنته ، ويكنى (أبا الوليد) ، وأبا المضرب ، وأبا الحسام ، وأبا عبد الرحمن . « قال أبو عبيدة : فضل حسان ابن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . وكان مع

١ كارلو نالينو (٩٣) .

٢ الاستيعاب (١٥٧/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١٧٩/٢) ، (رقم ٤٠٦١) .

٣ الخزائة (١٨٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

ذلك جباناً^١ . ولم يشهد مع النبي مشهداً لأنه كان يجبن^٢ . وذكر انه كان لستاً شجاعاً ، فأصابته علة أحدثت فيه الجبن ، فكان بعد ذلك لا يقدر أن ينظر الى قتال ولا يشهده^٣ . وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف . وعلى ان أشعر أهل المدر حسان بن ثابت » . وقال الأصمعي : حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء . فقال له أبو حاتم : تأتي له أشعار لينية . فقال الأصمعي : تنسب له أشياء لا تصح عنه^٤ .

وورد ان رسول الله قال : « ليس شعر حسان بن ثابت ، ولا كعب بن مالك ، ولا عبدالله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمة^٥ . وذكر ان (الحارث المرتي) ، قال للنبي : « اني أعوذ بالله وبك من هذا ، إن شعر هذا لو مزج بماء البحر لمزجه » . وكان حسان قد رآه جالساً مع الرسول ، فقال فيه شعراً مطلعته :

يا حار من يغدر بلمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر^٦

ويروى أنه كان إذا عالج شعراً ، وعصي عليه ، ثم أحكمه وأعجبه ، طرب به وربما صاح من الطرب ومن فرحة الانتهاء من الشعر . قال أحدهم : « سمعت حسان بن ثابت في جوف الليل وهو ينوّه بأسمائه ويقول : أنا حسان بن ثابت : أنا ابن الفريضة ، أنا الحسام . فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له : سمعتك البارحة تنوّه بأسمائك ، فما الذي أعجبك ؟ قال : عاجلت بيتاً من الشعر ، فلما أحكمته نوّهت بأسمائي ! فقلت وما البيت ؟ قال : قلت :

-
- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، المحاسن والاضداد (٤٨) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٦٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٣/١) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن فاقيا البغدادي (١٩٢ ، ٣٤٣) ، (بغداد ١٩٦٨) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، الاغاني (١٣٤/٤) ، المؤلف (٨٩) ، المرزباني ، معجم (٤٠١) .
 - ٥ المصدر نفسه (٣٣٥/١) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٥/١) .

وإنّ امرأً يمسي ويصبحُ سالماً من الناس إلا ما جئني لسعيد^١

وروي أيضاً أنه قام من جوف الليل فصاح : يا آل الخزرج ، فجاءوه وقد
فرعوا ، فقالوا : مالك ؟ قال : بيت قلته فخشيت أن أموت قبل أن أصبح
فيلهب ضيعة خلدوه عني ، قالوا : وما قلت ؟ قال : قلت :

ربّ حلم أضاعه عدم الما لـ وجهلٍ غطّى عليه النعيم^٢

وقد حمل على (حسان) شعر كثير ، بسبب تحامله على قريش ، فأرادت
قريش النكايه به ، فوضعت شعراً على لسانه ليحط من مكانته . قال (ابن سلام) :
« وأشعرهم حسان بن ثابت ، هو كثير الشعر جيده . وقد حمل عليه ما لم يحمل
على أحد . لما تعاضهت قريش واستبّيت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »^٣.

وأكثر علماء الشعر ان شعر (حسان) في الجاهلية أقوى منه في الاسلام ، قال
(الأصمعي) : « الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل ، فإذا دخل في الخير ضعف
ولان . هذا حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره . وقال
مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . وقيل لحسان لان شعرك
أو هرم في الاسلام يا أبا الحسام ! فقال للقاتل : يا ابن أخي ان الاسلام يحجز
عن الكذب ، أو يمنع من الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب . يعني ان شأن
التجويد في الشعر الإفراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب »^٤ .
وقال (الثعالبی) : « من عجائب أمر حسان انه كان رضي الله عنه يقول الشعر
في الجاهلية فيجيد جداً ويغير في نواصي الفحول ويدعي ان له شيطاناً يقول الشعر
على لسانه كمادة الشعراء في ذلك ... فلما أدرك الاسلام وتبدل الشيطان الملك تراجع
شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم ان الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في
طريقه من الملك »^٥ . وما قوة شعر (حسان) في الجاهلية ، إلا بسبب قوة شبابه

١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٥/١) وما بعدها .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٦/١) .

٣ طبقات (٥٢) .

٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) وما بعدها ، أسد الغابة (٥/٢) ، الشعر والشعراء

(٢٢٤/١) ، بروكلمن (١٥٣/١) .

٥ خاص الخاص (٨٠) ، الموشح ، للمرزباني (٦٥) .

آنذاك ، واندفاعه على الشراب وسماع القيان ، فلما كسبر وشاخ ، وذهبت قوة شبابه ، وامتنع من الشرب بسبب تحريم الاسلام له ، لم تبق له قريحة الشباب ، واندفاع ذلك الوقت ، فضعف شعره لذلك ، وللسن دخل في حيوية الانسان وفي نتاجه العقلي ، ومنه الشعر .

ونسب الى (الخطيئة) قوله : « أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقال عبد الملك بن مروان : أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا ^١ . وكان حسان قد أدرك النابغة وأنشده ، وأنشد الأعشى ، وكلاهما قال له إنك شاعر ^٢ . وله حديث مع النابغة .

وصيف بأنه كان صاحب لسان طويل ، « وكان يضرب بلسانه روثه أنفه ، من طوله ، ويقول ، ما يسرني به مقول أحد من العرب ، والله لو وضعت على شعر حلقة ، أو على صخر لفلقه ^٣ . وكانت له ناصية يسد لها بين عينيه ^٤ .

وكان أبوه (ثابت بن المنذر) من سادة قومه وأشرفهم ، وكان (المنذر) الحساکم بين الأوس والخزرج في يوم (سميحة) ، وكانوا حكموا في دمائهم يومئذ (مالك بن العجلان بن سالم بن عوف) ، فتعدى في مولى له قتل يومئذ ، وقال : لا آخذ إلا دية الصريح ، فأبوا أن يرضوا بحكمه ، فحكموا (المنذر ابن حرام) . فحكم بأن أهدر دماء قومه الخزرج ، واحتمل دماء الأوس ^٥ .

وكان حسان في أول أيامه ينتقل في الأرض طلباً للمال والعطايا والهبات ، فكان يراجع ملوك الحيرة ، ويعاود آل غسان . وكان هواه مع الغساسنة أقوى منه مع آل لحم ، حتى أنه كان يذكّرهم بخير ويمدحهم وهو في الإسلام . وقد أكرموه كثيراً ، وأنعموا عليه أكثر مما أنعم ملوك الحيرة عليه . والظاهر أن لبعد الشقة

-
- ١ الاستيعاب (٣٣٩/١) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٤٢/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) ، الفائق (٥١٢/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .

التي تفصل يثرب عن الحيرة ، ولكثرة ما كان يفد من الشعراء على آل نحم ، وفيهم من هو أشعر من حسان ، وأكثر منه مكانة في الشعر بين العرب ، دخل في انصرافه الى مدح آل غسان وذهابه في الأكثر اليهم طلباً للمال في مقابل مدحه لهم.

ويروى عن (حسان) ان السعالى نصحته بمداواة الشعر ، فقد روي عنه انه قال : « خرجت أريد عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما كنت في بعض الطريق وقفت على السعلاة صاحبة النابغة ، وأخت المعلقة صاحبة (علقمة ابن عبدة) ، فقالت واني مقترحة عليك بيتاً ، فإن أنت أجزته شفعت لك الى أخي ، وإن لم تجزه قتلتك . فقلت هات . فقالت :

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هو

قال : فتبعها من ساعتي ، فقلت :

فإن لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لاهوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فحيناً أقول وحيناً هو

فقالت : أولى لك ، نجوت ، فاسمع مقالتي واحفظها عليك بمداواة الشعر ، فإنه أشرف الآداب وأكرمها وأنورها ، به يسخر الرجل ، وبه ينتظرف ، وبه يجالس الملوك ، وبه يخدم ، ويتركه يتصنع . ثم قالت : إنك إذا وردت على الملك وجدت عنده النابغة ، وسأصرف عنك معرفته ، وعلقمة بن عبدة ، وسأكلم المعلقة حتى تردّ عنك سورته . قال حسان فقدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص عليّ الوصول إليه فقلت للحاجب ، بعد مدة : إن أذنت لي عليه ، وإلا هجوت اليمن كلها . ثم انتقلت عنها . فأذن لي عليه ، فلما وقفت بين يديه وجدت النابغة جالسة عن يمينه ، وعلقمة جالسة عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريعة ، قد عرفت عيصك ونسبك في غسان ، فارجع فلأني باعث اليك بصلة سنينة ، ولا أحتاج الى الشعر ، فلأني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحك ، وفضيحتك فضيحتي ، وأنت اليوم لا تحسن أن تقول :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحيتون بالريحان يوم السبابس

فقلت : لا بد منه . فقال : ذاك الى عميك فقلت : أسألكما بحسب الملك ،

الجواب : الا ما قدمنا عليكما ؟ فقالا : قد فعلنا ، هات ، فأنشأت أقول والقلب وجل :

أسألتَ رسم الدار أم لم تسألَ بين الجرابي فالبيض فحومل

حتى أتيت على آخرها . فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً حتى شاطر البيت ، وهو يقول : هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح ، هذا وأبيك الشعر ، لا ما تعللاني به منذ اليوم . يا غلام ألف دينار مرجوحة ، فأعطيت ألف دينار ، في كل دينار عشرة دنائير . ثم قال : لك عليّ مثلها في كل سنة ، ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد بني ذبيان فهات الثناء المسجوع ، فقام النابغة فقال :

ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالداي فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء وزراؤك ، والعلماء جلساؤك ، والمقاول سمارك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والصدق رداؤك ، واليمنُ حداؤك ، والبرُّ فراشك ، وأشرف الآباء آباؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأعف النساء حلائلك ، وأعلى البنات بنياتك ، وأكرم الأجداد أجدادك ، وأفضل الأخوال أخوالك ، وأنزه الحداثق حدائقك ، وأعذب المياه مياهك ، وحالف الإضرّيج عاتقك ، ولاءم المسك مسكك ، وجاور العنبر تراتبك ، العسجد قواريرك ، واللجين صحائفك ، والشهد إدامك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مستراحك ، والعبر بنواسك ، والخير بقنائك ، والشر في ساحة أعدائك ، والذهب عطاؤك ، وألف دينار مرجوحة لإعماؤك ، وألف دينار مرهوجة ابتائوك ، والنصر منوط بلوائك ، زين قولك فعلك ، وطحططح عدوك غضبك ، وهزم مقابهم مشهدك . وسار في الناس عدلك ، وسكنّ تباريح البلاد ظفرك . أيفاخرك ابن المنذر اللخمي ؟ فوالله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولصمّتك خير من كلامه : ولأملك خير من أبيه ، ولخدمك خير من عليه قومه . فهب لي أسارى قومي ، واسترهن بذلك شكري ، فإنك من أشرف قحطان وأنا من سروات عدنان .

فرجع عمرو بن الحارث رأسه الى جارية كانت علي رأسه قائمة ، فقال :

مثل ابن الفريفة فليمدح الملوك ، ومثل ابن زياد فليئن على الملوك ^١ . وهكذا
دبج أهل الأخبار هذا الثناء في كتبهم ، وكان رواهم قد سجلوه ساعة وقوعه
على شريط مسجل .

وتعد قصيدة (حسان) :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحول

من جيد شعره ، وأشهر قصائده ، فهي لينة الألفاظ أسهل فهماً من قصائد
شعراء الصنف الأول ، وفيها من المديح ما يليق بملوك أهل المديح ، المتحسين
بأنواع الترف والرفاهية ، ثم إن أطناب الشاعر في وصف الخمر يبعد عن أسلوب
شعراء أهل البادية ، كما يبعد عنه أيضاً الافتخار بقومه المقصور في بلاغة خطابهم
ووفدهم على أبواب الملوك . وقد أبدع فيها في وصف معيشة ملوك غسان ، وفي
حياتهم الحضرية التي كانوا يحبوها ، كما افتخر فيها بعشيرته الخزرج ^٢ .

وخير شعر حسان هو ما قيل في مدح ملوك غسان .. وكان هواه فيهم ،
وكانوا هم يقدون عليه العطايا والأموال ، ولا يؤخرونه من الدخول الى مجالسهم ،
ويؤثرونه بالمودة ، فخصص جيد شعره بهم . وقد مدح ملوك الحيرة أيضاً ،
غير أن مدحه لهم ، هو دون مدحه لمنافسيهم الغساسنة ، الذين كان يكثر التردد
عليهم ، على حين لم يكن يقصد المناذرة إلا للحاجة شديدة ولطلب . ولعل ذلك
بسبب بعد الحيرة عن يثرب ، وكثرة ذهاب الشعراء الى ملوك الحيرة ، واستدراج
هؤلاء الملوك للشعر واغداقهم عليهم ، للاستفادة منهم في نشر الدعاية لهم بين
الأعراب .

ومن جيد شعره في ملوك الغساسنة قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيل السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

١ الاغاني (١٢٣/١٥ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٧٩/١ وما بعدها) .

٢ كارلو نالينو (٨٧ وما بعدها) .

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني ، وكان أثيراً عندهم ،
ولذلك يقول :

قد أراني هناك حق مكين عند ذي التاجِ مقعدي ومكاني^١

وذكر أنه دخل يوماً على (جبلة بن الأيهم) الغساني ، فأذن له ، فجلس
بين يديه وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل ، وكان الأول هو
النابعة ، وكان الثاني ، هو (علقمة بن عبدة) . فاستشهدهم جبلة ، فأنشد
النابعة قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب

قال حسان فذهب نصفني . ثم قال لعلقمة أنشد ، فأنشد :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قال حسان ، فذهب نصفني الآخر . ثم قال (جبلة) لحسان ، أنت أعلم
الآن إن شئت سكت ، وإن شئت أنشدت ، فأنشد :

أبناء جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيل السلسل

فأدناه منه ، ثم أمر له بثلاثمائة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد . وقال :
هذا لك عندنا في كل عام . وذكر (أبو عمرو الشيباني) هذه القصة لحسان مع
(عمرو بن الحارث) الأعرج^٢ . ونجد الرواة يختلفون في مثل هذه القصص ،
بسبب ركونهم الى رواية مختلفين ، لم يدونوا الأخبار وانما سمعوها سماعاً ، وأكثرها
من المخترعات .

ويظهر انه قد تمكن من جمع ثروة مكنته من السكن في حصن حصين يثرب

١ الشعر والشعراء (٢٢٤/١) .

٢ الخزائن (٢٤٠/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

عرف بـ (فارح)^١ . وكان الرسول اذا خرج لغزوة أو معركة أودع أهله حصن حسان ، لأنه كان حصناً حصيناً . وتذكر (صفية بنت عبد المطلب) ، ان حسان كان في حصنه مع النساء والصبيان فر يهودي به ، وجعل يطيف حوله ، فقالت (صفية) لحسان إن هذا اليهودي لا آمنه أن يدل على عوراتنا فانزل اليه فاقتله ! فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، فترلت صفية وأخذت عموداً وقتلت اليهودي . فقالت : يا حسان انزل فاسلبه ! فقال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب^٢ . وقد دفع بعض العلماء الجبن عن حسان ، بحجة انه لو كان جباناً على نحو ما يقولون لما سكت عن تعبيره به خصومه ممن كان يهاجمهم كضرار وابن الزبيري ، وعللوا عدم نزوله من حصنه لقتل اليهودي بحجة انه ربما كان معتلاً في ذلك اليوم . وأنكر بعضهم أن يكون هذا الخبر صحيحاً^٣ . على كل ، صح هذا الخبر أم لم يصح فإننا لا نجد لحسان ذكراً في مغازي الرسول ولا في سراياه . بل نجد العلماء مجمعين على انه « لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً ، لأنه كان جباناً »^٤ .

ولحسان شعر في رثاء (المطعم بن عدي) والد (جبير بن مطعم) ، مات ولم يسلم . وكان (مطعم) أجاز النبي حين قدم الطائف لما دعا ثقيفاً الى الإسلام، وهو أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم وبني المطلب . وكان فيما قاله في رثاء (المطعم) :

فلو كان مجدداً يخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لي مهلاً وأحرماً

ومن شعره :

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المفرد الفرد

-
- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، (فارح حصن بالمدينة ، يقال انه حصن حسان بن ثابت) ، تاج العروس (٤٤٩/٥) ، (فرع) .
 - ٢ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، سيرة ابن هشام (١٩٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (١٩٣/٢) .
 - ٣ الروض الانف (١٩٤/٢) .
 - ٤ الشعر والشعراء .
 - ٥ السيوطي ، شرح شواهد (٨٧٥/٢) .

ذكر ان بعض أهل المدينة كان يقول : ما ذكرت بيت حسان هذا إلا عدت في الفتوة^١ .

وذكر أن الناس كانوا يتمثلون بـ « فشر كما نخير كما الفداء » ، وهو عجز بيت لحسان . هو :

أنهجوہ ولست له بند فشر كما نخير كما الفداء^٢

وهو من قصيدة يقول بعض الرواة إن مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء الى عنءاء مترها خلاء

هجا فيها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) . « قال مصعب الزبيري : هذه القصيدة ، قال حسان صدرها في الجاهلية وآخرها في الإسلام »^٣ .

وينسب الى (حسان) قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أئينا فصرتم معربين ذوي نفر

وهو بيت تليه أبيات أخرى في الفخر بيعرب ، وبفضله على العرب ، لأنه هو صاحب العربية ، ومنه تعلم العرب عربيتهم . وقد دوت هذه الأبيات في كتاب : تأريخ ملوك العرب الأولية للأصمعي^٤ . وقد دوت هذا الكتاب أبياتاً من قصيدته الشهيرة في مدح الفساسة^٥ . وأبياتاً في مدح (جبلة بن الأيهم) الذي فرّ الى بلاد الروم ، وواصل مع ذلك بره لحسان^٦ . وهو شعر أراه مصنوعاً ، ولا يتفق مع مذهب (حسان) في النظم .

وقد ذكر (حسان) قصر دومة ، أي دومة الجندل في شعره ، إذ قال :

١ الشعر والشعراء (٢٢٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) ، « أنهجوہ ولست له بكفء » الاستيعاب (٣٣٦/١) .

٣ الاستيعاب (٣٣٦/١) .

٤ (ص ٨) .

٥ (ص ١٠٢) .

٦ (ص ١١٣) .

أما ترى رأسي تغير لونه شمطاً فأصبح كالثغام المجول
فلقد يراني صاحبائي كأنني في قصر دومة أو سواء الهيكلي^١

وورد ان الرسول لما قدم المدينة ، فهجته قريش ، وهجوا الأنصار معه ،
فأتى المسلمون كعب بن مالك (؟) فقالوا : أجب عنا ، فقال : استأذنوا لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوه ، فأتى حسان ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اني أخاف أن تصيبنني معهم تهجو من بني عمي ، فقال
حسان : لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين ، ولي مقول ما أحب ان لي به
مقول أحد من العرب ، وانه ليفري ما لا تفريه الحرب . ثم أخرج لسانه فضرب
به أنفه كأنه لسان حية بطرفه شامة سوداء ، ثم ضرب به ذقنه ، فأذن له رسول
الله^٢ . وورد « ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، تناولته قريش
بالهجاء ، فقال لعبدالله بن رواحة : ردّ عني . فذهب في قديمهم وأولهم ، ولم
يصنع في الهجاء شيئاً . فأمر كعب بن مالك » ولم يصنع في الهجاء شيئاً ، فدعا
حسان بن ثابت فقال : اهجههم ، واثت أبا بكر يخبرك بمعايب القوم . فأخرج
حسان لسانه حتى ضرب به على صدره ، وقال : والله يا رسول الله ، ما أحب
ان لي به مقولاً في العرب ، فصبّ على قريش منه شأبيب شر . فقال رسول
الله : اهجههم ، كأنك تنضحهم بالنيل^٣ .

وروي أن الرسول لما هجاه (عبدالله بن الزبير) ، و (أبو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب) ، و (عمرو بن العاص) ، و (ضرار بن الخطاب)
قال : « ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بسلاحهم
أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله
ما يسرنني به مقول يعن بصرى وصنعاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي ؟ فقال :
والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فقال له : اثت أبا بكر فإنه
أعلم بأنساب القوم منك . فكان يمضي الى أبي بكر ليقلقه على أنسابهم . وكان

١ الاصابة (١٣٢/١) ، (رقم ٥٤٩) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، « كعب بن مالك » ، « هكذا » ، بينما الحال
يستدعي ذكر « حسان بن ثابت » .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٤/١) وما بعدها .

يقول : كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم .
فلما سمعت قریش شعر حسان ، قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة ،
أو متى شعر ابن أبي قحافة .

فن شعر حسان في أبي سفيان بن الحرث :

وإن سنام المجد في آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن لثيم لا يقوم له زند
وان امرأ كانت سمية أمه وسمراء مغمور اذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^١ .
وذكر ان الرسول جعله شاعره الناطق باسمه اذا جاءته الوفود ، وتبارى الشعراء
أمامه ، قام هو للرد عليهم . فحين قدم وفد (بني تميم) بخطيبهم وشاعرهم ،
ونادوه من الحجرات ان اخرج الينا يا محمد ، وخطب خطيبهم مقتخراً ، ثم قام
شاعرهم وهو (الزبرقان بن بدر) ، فقال :

نحن الملوك فلاحي يقاربنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع

قال رسول الله لحسان : قم ، فقام وقال :

إن اللوائب من فهر واخوتهم قد بينوا سته للناس تتبع

الى آخر الأبيات . و فقال التميميون عند ذلكم : وربكم إن خطيب القوم
أخطب من خطيبنا ، وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا ، ويعمد شعره هذا من
جيد شعره^٢ .

وقد روي أن النبي كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو

١ الاستيعاب (٣٣٤/١) وما بعدها .

٢ الاستيعاب (٣٤١/١) .

الذين كانوا يهجون النبي^١ . وقد شك (كيتاني) وكذلك (بروكلمن) في صحة هذا الخبر . ولكن الروايات تؤكد أن الرسول كان يستدعيه أحياناً للرد على شعراء الوفود ، وأنه كان يجلس في المسجد ينشد الشعر ، والرسول يسمعه . وأن (عمر) مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ، ثم قال : أرغاء كـرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت^٢ . أو أن (عمر) مرّ على (حسان) ، وهو ينشد الشعر في المسجد ، فقال أفي مسجد رسول الله تنشد الشعر ؟ فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك . أو ما أشبه ذلك^٣ . وروي أن (عمر) ، نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الانصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحمي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام^٤ .

وذكر أن أول شعر قاله (حسان بن ثابت) في الإسلام ، هو قوله :

فانا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرأ الى أهل خير^٥

ولما أسرت (هذيل) بعض المسلمين وباعتهم من قريش ، هجاهم (حسان) هجاءً مرأ ، وصفهم فيه باللؤم ، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات ، إذ قال فيهم :

لو خلقت اللؤم انساناً يكلمهم
تري من اللؤم رقاً بين أعينهم
تبكي القبور اذا ما مات سيدهم
مثل القنائف تخزي أن تفاجئها
لكان خير هذيل حين يأتيها
كما لوى أذرع العانات كاويها
حتى يصيح بمن في الأرض داعيها
شد النهار ويلقى الليل ساريها^٦

-
- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى (١١٤) .
 - ٢ العملة (٢٨/١) .
 - ٣ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) .
 - ٥ تاج العروس (٢٧٨/٥) .
 - ٦ ديوان حسان (٦٧) ، (لندن ١٩١٠) .

وهي أبيات شديدة الهجاء ، موجعة ، تفنن فيها الشاعر وأبدع في وصف من هجأهم باللؤم وبالأمر المخزية الأخرى .

ويشك بعض المستشرقين في صحة الشعر المنسوب الى (حسان) الوارد في التفضيع على مقتل (عثمان) وفي الحث على الأخذ بثأره . وذلك لأن هذا الشعر شعر ملتهب فيه قوة وحيوية ونفس شباب ، فيبعد أن يكون من شعر شيخ قد تقدمت به السن^١ .

وروي « عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج وقد فرش حسان فناء أطمه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سباطين وبينهم جارية لحسان يقال لها (شرين) ومعها مزهر تغنيهم ، وهي تقول في غنائها :

هل عليّ ويحكم إن لهوت من حرج

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا حرج^٢ .

و (شرين) لفظة فارسية بمعنى (حلوة) و (جميل) ، فيكون اسم الجارية من الأسماء الفارسية ، معناه في العربية (حلوة) و (جميلة) . ولا يستبعد أن تكون من أصل فارسي ، وإن نص أهل الأخبار على أنها قبطية .

و (شرين) ، هي (سيرين) جارية أعطاها رسول الله لحسان لذبه بلسانه عنه في هجاء المشركين ، وقيل لضربة (صفوان بن المعطل) له بالسيف . وهي أخت (مارية) القبطية . وذكر أن الرسول أعطى حسان الموضع الذي بالمدينة ، وهو قصر بني (جديلة)^٣ .

وقد اختلف الناس في سنة وفاة (حسان) الذي كان قد عمي لما تقدمت به السن . فقبل : توفي قبل الأربعين ، وقيل سنة أربعين ، وقيل خمسين ، وقيل أربع وخمسين من سني الهجرة ، والجمهور على انه عاش مائة وعشرين سنة ، ولكن منهم من ذهب الى انه عاش دون المائة أو ما بين المائة والمائة والعشرين .

١ بروكلمن (١٥٣/١) ، Th. Nöldeke, Die Ghassan., S. 41.

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) وما بعدها .

٣ الاستيعاب (٣٤٠/١) .

وقد قال (ابن سعد) انه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين ، ومات وهو ابن عشرين ومائة^١ . وذكر انه مات في أيام معاوية^٢ .

وقد كان حسان ممن مشى بين الناس بحديث الإفك ، وهو ممن نزلت بحقه الآية : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم . لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم »^٣ ، لأنه مشى بالإفك مع من مشى به . وهم (عبدالله بن أبي) رأس المنافقين بالمدينة ، ومسطح ، وحنينة بنت جحش . وقال بعضهم إن الذي تولى كبره منهم (حسان بن ثابت) . قيل لعائشة ، وقد دخل عليها (حسان بن ثابت) : « أليس الله يقول : والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم . أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف^٤ » . وروي انه جلد مع (مسطح) بسبب الإفك^٥ .

واعتمر (حسان) من قوله في الإفك بقوله :

فإن كنت قد قلتُ الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليّ أنا ملي

ثم يقول :

فإن الذي قد قيل ليس بلائط ولكن قول امرئ بيّ ماحل^٦

وقد أسرف (حسان) في افكه بحديث الفك ، حتى آلم النبي ، ويظهر أنه لم يكن من أولئك الأشخاص الذين كانوا يتحرجون من الهجوم على أقرب الناس إليهم ، في حالة تسرعه وتأثره ، فهو شاعر ، ومن عادة الشعراء عدم الاستقرار . وكان عليه أن يدافع عن (عائشة) ، باعتباره شاعر نبيّه ، لا أن يساهم مع

١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (١٧٠٤) ، الاستيعاب (٣٤٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) ، (الثقافة) .

٣ سورة النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ١١ .

٤ تفسير الطبري (٦٨/١٨ وما بعدها) ، تفسير الألوسي (١٨٠/١٨) ، تفسير ابن كثير (٢٧١/٣) .

٥ رسالة الغفران (٢٣٥) .

٦ العمدة (٢٤/١ وما بعدها) .

من استغل الحادث لإيلاام الرسول من المنافقين والذين لم يكن الإيمان قد دخل قلوبهم ، وان يمعن في الإفك وفي إيلاام الرسول ، وقد اعتذر بعد ذلك كما رأينا بعذر بارد ، حاول أن يتصل فيه عما قاله في الإفك ، مع أنه كان صنواً لعبدالله ابن أبي في ذلك الحديث .

ولما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى ، قال حسان قصيدته :

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تغفوا الرسوم وتهمد^١

وقال قصيدة أخرى مطلعها :

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمدم
جزعت على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطىء الحصى لا تبعدم

وقال قصائد أخرى في رثائه^٢ .

وكان حسان من المتعصبين ليثرب على مكة ، ونجد في شعره عصبية لليمن ، وتفانراً شديداً بالأزد ، والأزد من اليمن ، وبنو غسان من الأزد . وهي عصبية قديمة ، تعود الى ما قبل الاسلام . يظهر ان سببها اختلاف ما بين المدينتين في الطباع وفي الطبيعة والأحوال الاقتصادية والزعامة ، وقد فرح ولا شك حين كلفه الرسول بالرد على شعراء قريش ، وهو حاقد عليهم منذ أيام الجاهلية . وقد بقيت هذه العصبية كامنة في نفسه حتى في الاسلام ، وكاد أن يؤجج نارها مراراً بين الأنصار والمهاجرين ، وقد ناه عمر من التعرض لأمر الجاهلية وأيامها ومن إنشاد ما كان قد قيل من شعر في الجاهلية بين أهل يثرب وقريش ، حذر الفتنة ، وعودة العصبية الجاهلية الأولى . وكان (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحسي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام^٣ . ويظهر انه لم يكن مثالياً بدليل هذه النزوات التي صلرت منه وهو في الإسلام وكادت تثير فتن الجاهلية :

١ ابن هشام ، سيرة (٣٧٨/٢) ، (حاشية على الروض) .
٢ سيرة ابن هشام (٣٧٩/٢) وما بعدها .
٣ الاستيعاب (٣٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

وكان حسان يهاجي (أميّة بن خلف) الخزاعي . وكان خلف قد هجا حسان بقوله :

أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات، فسلا في الحفاظ؟
يمانياً يظل يشدّ كبراً وينفخ دائباً لهب الشواظ^١

وكان قد قال :

ألا من مبلغ حسان عني مغلفة تدب الى عكاظ ؟

فأجابه حسان :

أتأني عن أمية زور قول وما هو في المغيب بلني حفاظ
سأنشر إن بقيت لكم كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ
قواني كالسلاح إذا استمرت من الصم المعجرفة الغلاظ
تزورك إن شتوت بكل أرض وترضخ في محلك بالمقاز
بنيت عليك ألياناً صلاباً كأمر الوسق قعص بالشواظ
مجللة تعممه شناراً مضرمة تأجج كالشواظ
كهزمة ضيغم يحمي عريناً شديد مغارز الأضلاع خاظمي
تغض الطرف ان ألقاك دوني وترمي حين أدبر باللاحاظ^٢

وقد هاجى (حسان بن ثابت) النجاشي ، واسمه (قيس بن عمرو) من رهط (الحارث بن كعب) ، وكان قد هجا الأنصار فردّ عليه (حسان بن ثابت) ، ثم أمر بأن يكتب رده غلمان الكتاب ، ليوزع على الناس . وقد كان النجاشي قد هاجى (عبد الرحمن بن حسان) ، واشتد هجاؤه عليه فأعانه والده عليه^٣ . وكان مما قاله حسان في (الحارث بن كعب) رهط النجاشي قوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عرض جسم البغال وأحلام العصافير^٤

-
- ١ اللسان (٤٤٦/٧) ، (شوط) ، تاج العروس (٢٥٣/٥) ، (تشاوط) .
 - ٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .
 - ٣ الخزانة (١٠٥/٢) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٤ ديوان حسان (٢١٤) ، رسائل الجاحظ (٣٤٣/٢) ، (كتاب البغال) .

ويلاحظ ان أهل الأخبار نسبوا الى ابنه (عبد الرحمن) ، والى حفيده (سعيد ابن عبد الرحمن) مثل هذا الذي نسبوه الى (حسان) . إذ ذكروا ان (عبد الرحمن) أوقد ناراً حتى اجتمع اليه الحي ، ثم قال : قد قلت بيتاً ، فخفت أن يسقط يحدث يحدث عليّ فجئتمكم لتسمعه ، وان ابنه (سعيد) فعل فعله^١ . ويلاحظ ان الأبيات التي ذكروها هي على وزن واحد وعلى قافية واحدة . وقد تكون من وضع الرواة .

وأم (عبد الرحمن بن حسان) ، أخت مارية القبطية أم ابراهيم ابن الرسول . وكانت تسمى (سيرين) (شيرين) (شرين) . وكان عبد الرحمن شاعراً كذلك . ذكر ان والده أشار اليه بقوله :

فن للقواني بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت^٢

ونسب الى حسان أو ابنه عبد الرحمن قوله : قلت شعراً لم أقل مثله ، وهو :

وان امرأ أسمى وأصبح سالماً من الناس ، إلا ما جنى ، لسعيد^٣

وكانت لحسان بنت شاعرة ، أرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت أخذنا القروع واجتثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئاً ، فقالت له بته : كأنك قد أجبلت يا أبه !؟ قال : أجبل ، قالت ، فهل لك أن أجيز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ! قالت : نعم ، قال : فافعلي ، قالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الحنا كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي حسان فقال :

وقافية مثل السنان رزقتها تناولت من جور السماء نزولها

١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٦/١) .

٢ الاصابة (٦٧/٣ وما بعدها) ، رقم (٦٢٠٥) .

٣ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) .

فقلت :

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

فقال حسان : لا أقول بيت شعر وأنت حية ، قالت : أو أومنك ؟ قال :
وتفعلين ؟ قالت نعم ، لا أقول بيت شعر ما دمت حياً^١ .

ولحسان ديوان شعر مطبوع . طبع جملة مرّات . وقد شرح أيضاً ، وطبعت
الشروح كذلك^٢ .

وكعب بن مالك من شعراء يثرب كذلك . ويكنى أبا عبدالله وقيل أبا عبد
الرحمن ، وهو ممن شهد العقبة ، وكان أحد شعراء رسول الله الذين كانوا يردّون
الأذى عنه ، وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر . وذكر
انه كان أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض^٣ » ، وهم كعب بن مالك الشاعر هذا ، وهلال
ابن أمية ، ومرة بن ربيعة تخلفوا عن غزوة (تبوك) فتاب الله عليهم وعذرهم ،
وكانوا كلهم من الأنصار^٤ .

وكعب بن مالك من أسرة أظهرت جملة شعراء ، فمالك والد كعب كان
شاعراً ، وعمه قيس كان شاعراً كذلك . وكان أولاد كعب وأحفاده شعراء
« يجيئون مقدمون في الشعر »^٥ .

وقد ذكر (ابن سيرين) ان كعباً قال بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما :

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيوف
تخبرنا ولو نطق لقلت قواطعهن دوساً أو ثقيفاً

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) .
 - ٢ للوقوف على مواضع طباع الديوان والشروح راجع بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٣/١ وما بعدها) .
 - ٣ التوبة ، الآية ١١٨ .
 - ٤ تفسير الطبري (٤١/١١) ، الاصابة (٢٨٥/٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٤٣٥) ،
السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٧/١) ، الخزائن (٢٠٠/١) ، (بولاق) ، البيان
والتبیین (٢٦/٣) .
 - ٥ الاغانى (٣٧/١٥) .

فلما بلغ ذلك دوساً ، قالوا : خلووا لأنفسكم لا يتزل بكم ما نزل بثقيف^١ .
 وقال (ابن سيرين) أيضاً : « كان شعراء المسلمين : حسان بن ثابت ،
 وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك . فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبدالله
 يعبرهم بالكفر ، وكان حسان يقبل على الأنساب » ، وأما شعراء المشركين :
 فعمر بن العاص ، وعبدالله بن الزبيري ، وأبو سفيان بن الحارث ، وضرار بن
 الخطاب^٢ .

ولكعب شعر في يوم أحد ، فيه :

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطِهِ أَحْيَيْشُ مِنْهُمْ حَسَّاسٌ وَمَقْنَعُ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِثْمِينَ إِنْ كُنَّا أَوْ أَرْبَعُ
 فَرَاخُوا مِرَاعًا مُرْجَعِينَ كَأَنَّهُمْ جِهَامٌ هَرَّاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مَقْلَعُ
 وَرُحْنَا وَأَخْرَانَا بَطَاءُ كَأَنَّنَا أَسْوَدَ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٍ ظَلَعُ

وله شعر في أيام الخندق ، وفي يوم بدر وفي المعارك الأخرى^٣ .
 ومن شعر كعب بن مالك قوله :

زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رِبْهَا فليغلبن مغالب الغالب

وفي رواية :

جاءت سَخِينَةٌ كَيْ تَغَالِبَ رِبْهَا فليغلبن مغالب الغلاب^٤

وكانت العرب تعبر قريشاً بها ، لأنهم كانوا يكثرُونَ من أكلها ، ولذا كانت
 تعبر به . والسَخِينَةُ حساء يؤكل في الجذب . مازح (معاوية) الأحنف بن قيس
 فقال : ما الشيء الملقف في البجاد ؟ فقال : هو السَخِينَةُ يا أمير المؤمنين .
 والملقف في البجاد وطب اللبن يلف به ليحمى ويدرك ، وكانت تميم تعبر به .

١ الاصابة (٢٨٦/٣) ، (رقم ٧٤٣٤) .

٢ الاستيعاب (٢٧٢/٣) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٥٣ وما بعدها) ، الخزائن (٢٠٠/١) وما بعدها ، (بولاق) .

٤ الاستيعاب (٢٧٤/٣) .

فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه ، مازحه الأحنف بمثله^١ . وروي أن رسول الله قال لكعب : أنرى الله نسي قولك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن^٢ مغالب الغلاب^٣

وجاء في رواية يضعفها العلماء ، ان (حسان بن ثابت) وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، دخلوا على (علي) فناظروه في شأن (عثمان) وأنشده كعب شعراً في رثاء عثمان ، ثم خرجوا من عنده ، فتوجهوا الى معاوية فأكرمهم . وروي أنه كان ممن رثى عثمان ، ولم يرد في الأخبار أنه ساهم في حرب علي ومعاوية^٤ . وذكر أنه فقد بصره في آخر عمره ، وتوفي في زمن معاوية سنة خمسين ، وقيل ثلاث وخمسين^٥ .

و (عبدالله بن رواحة) من الخزرج ، وهو أبو محمد ، ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو ، وكان من شعراء يثرب المعروفين : وهو أحد الثقباء ليلة العقبة وشهد بدرآ ، وكان ممن يكتب للنبي ، وكان ممن يكتب في الجاهلية ، وهو الذي جاء ببيشارة وقعة بدر الى المدينة ، وبعثه رسول الله في ثلاثين راكباً الى (أسير ابن رقرام) (يسير بن رزام) اليهودي بخيبر فقتله . وقد استشهد بمؤتة سنة سبع^٦ . وليس له عقب . وهو خال (النعمان بن بشير) الأنصاري . وكان عظيم القدر في قومه ، سيداً في الجاهلية ، ليس في طبقة أسود منه . وكان في حروبهم في الجاهلية بناقض قيس بن الخطيم^٧ .

وهو يختلف عن حسان في كونه محارباً ، اشترك مع الرسول في معاركه ، ومات قتيلًا محارباً^٨ .

-
- ١ تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٥٤) .
 - ٣ الاصابة (٢٨٦/٣) ، (رقم ٧٤٣٤) ، الاغاني (٢٨/١٥) وما بعدها .
 - ٤ الاستيعاب (٢٧٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٥ الاصابة (٢٩٨/٢) وما بعدها ، (رقم ٤٦٧٦) ، شرح شواهد ، للسيوطي (٢٨٨/١) ، اعلام النبلاء (١٦٦/١) ، ابن حبيب ، كنى الشعراء (٢٨٩) ، « أسير بن رزام » ، المحبر (١١٩) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٥٤) ، الخزائن (٣٠٤/٢) وما بعدها ، (هارون) .
 - ٧ المحبر (١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٤٢١) .

وأكثر ما روي من شعره ، هو من الشعر الذي قاله في الإسلام . ولا سيما في معركة (مؤتة) . وروي أن الرسول قال له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك . فانبعث مكانه يقول :

لاني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ان ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وفي رواية ابن هشام :

لاني تفرست فيك الخير قافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنت النبي ومن يحرم نوافله والوجه منه ، فقد أزرى به القدر

وروي ان الرسول دعاه ، فقال له : كيف تقول الشعر اذا قلت ؟ قال أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين . فأنشده :

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فظهرت الكراهة في وجه الرسول ، ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأننا ليس يغلبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ما له غير
لاني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فتبسم الرسول وسراً به^١ .

وروي « هشام بن عروة عن أبيه . قال : ما سمعت بأحد أجراً ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، يوم يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ الاستيعاب (٢٨٧/٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .

قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك ، ثم أبدته بصره ، فانبعث عبدالله بن رواحة يقول :

لاني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ما إن خانني بصره^١

وروي أن الرسول قال « لعبدالله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل ، فيخرجه على لسانه شعراً »^٢ . وقد ذكر (ابن سلام) البيت المذكور وما بعده في قصيدة مطلعها :

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطارق أو دانت لكم مضر

ذكره في ضمن القصيدة ، ولم يجعله مطلعها^٣ .

ولما دخل رسول الله مكة في عمرة القضاء ، وابن رواحة بين يديه وهو يقول :

خلّوا بني الكفّار عن سيّله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر ؟ فقال النبي : خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل^٤ . وقد كانت عمرة القضاء سنة ست من الهجرة^٥ .

وقد روي هذا الرجز بزيادة واختلاف^٦ . وقد ذكر (ابن هشام) ، بعد إيراد هذه الأبيات هذه الملاحظة : « نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات : لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتثنية ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتثنية »^٧ .

-
- ١ شرح شواهد ، للسيوطي (٢٩٣/١) .
 - ٢ المصدر نفسه (٢٨٩/١) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٠/١) .
 - ٥ ابن هشام ، سيرة (٢٥٤/٢) ، (حاشية على الروض) .
 - ٦ ابن هشام ، سيرة (٢٥٥/٢) ، (حاشية على الروض) ، ابن سيد الناس (١٤٩/٢) ، اعلام النبلاء (١٦٩/١) ، ابن سعد ، طبقات (٣ القسم الثاني ٨٠) ، الروض الانف (٢٥٥/٢) .
 - ٧ ابن هشام ، سيرة (٢٥٥/٢) .

وكان (النعمان بن العجلان) الزرقى لسان الأنصار وشاعرهم ، وكان رجلاً
أحر قصيراً تزدريه العين ، وكان سيّداً ، وله شعر يفخر بقومه على قريش من
جملته :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر

* * *

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم وأملأً وسهلاً قد أمنت من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أيسار الجزور على الشطر

ثم تعرض لموضوع الخلافة ، وقصة انتخاب (سعد) لها ، وتعين قريش
أبا بكر خليفة ، ثم تعرض لحق علي فيها ^١ .

وكان (علي بن أبي طالب) استعمل (النعمان) هذا على البحرين ، فجعل
يعطي كل من جاء من (بني زريق) ، فقال فيه (أبو الأسود) الدؤلي :

أرى فتنة قد ألهمت الناس عنكم فندلا زريق المال ندل الثعالب
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم يبدد مال الله فعل المناهب ^٢

١ الاستيعاب (٥٢١/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الاصابة (٥٣٢/٣) ، (رقم ٨٧٤٨) .

الفصل الرابع والستون بعد المئة

شعراء ثقيف

وثقيف من القبائل التي لم تنجب عدداً يذكر من الشعراء . وشاعرهم الوحيد الذي نال شهرة ، وظهر أمره هو (أمية بن أبي الصلت) الثقيفي . وقد علل (ابن سلام) قلة الشعر بالطائف بقوله : « وبالطائف شعراء ، وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف »^١ .

وقد عرفت ثقيف بفصاحة لسانها ، وبمقدرتها في الكتابة ، ولهذا ورد ذكرها في حادث تدوين القرآن .

ومن شعراء ثقيف (أبو الصلت بن أبي ربيعة) ، وهو والد (أمية بن أبي الصلت) ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل^٢ ، وأبو محجن الثقيفي . وكانت زوجة (أبي الصلت) : (رُقِيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف) ، فهي من قريش . وهي والدة (أمية)^٣ .

ونسبت الى (أبي الصلت) قصيدة زعم أنه مدح فيها أهل فارس حين

١ ابن سلام ، طبقات (٦٥ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٦) .

٣ الشعر والشعراء (٣٦٩/١) .

قتلوا الحبشة ، ومدح (سيف بن ذي يزن) ، وهناه فيها لتوليهِ الملك^١ ، وقد أشار فيها الى قصة (سيف) ، وكيف ذهب الى (هرقل) يستنجده على الحبشة ، فلم يجد عنده ما طلب ، ثم كيف ذهب الى (كسرى) ، وبقي عند بابه تسع سنوات حتى أمدّه بالجنود وعلى رأسهم باذان ووهرز ، الى آخر القصة التي ترد في كتب الأخبار والتواريخ . وقد نسبها بعض الرواة الى ابنه (أمية) .

وأمية بن أبي الصلت من الشعراء الذين رغبوا عن عبادة الأوثان وآمنوا بالله وبالبعث ، ووقف على كتب أهل الكتاب فتأثر بها ، وكان يجالسهم ويختلط بهم . وكان أبوه شاعراً ، روى رواية الشعر شيئاً من شعره ، وكان ابنه (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شاعراً كذلك وله صحة . وذكر ان العرب انفقت على ان (أمية) كان أشعر ثقيف^٢ .

ذكر انه كان في الجاهلية نظر الكتب وقرأها وليس المسوح وتعيد أولاً يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرّم الخمر وتجنب الأوثان . ولما ظهر الاسلام حسد النبي ، فلم يسلم ، لأنه كان طمع في النبوة ، أو انه أراد أن يسلم ، فلما سمع يقتل بدر ، توقف ورثى قتلى المشركين ، وذهب الى الطائف فات بها . وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل انه توفي سنة تسع من الهجرة ، وقيل قبل ذلك وورد في رواية انه مات في الجاهلية ولم يدركه الاسلام . وقد صدقه النبي في بعض شعره ، وقال : قد كاد أمية أن يسلم^٣ . وقد كان يكنى بـ (أبي عثمان) وبـ (أبي القاسم)^٤ .

وورد في بعض الروايات ان في حقه نزلت الآية : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين »^٥ . ويرجع سند القائلين بذلك الى (عبدالله بن عمرو) والى (ابن الكلبي)^٦ .

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٦٦) ، ابن قتيبة ، الشعر (١ / ٣٧١) .
 - ٢ الإصابة (١٣٤ / ١) ، (رقم ٥٥٢) ، الاغانى (١٧٩ / ٣) وما بعدها ، (١٦ / ٦٩) ، خزائن (١١٨ / ١) ، بروكلمن (١١٣ / ١) وما بعدها .
 - ٣ الإصابة (١٣٤ / ١) ، (رقم ٥٥٢) ، الخزائن (١١٩ / ١) وما بعدها ، الجمان في تشبيهات القرآن (٨٤ ، ٣٨٤) .
 - ٤ كنى الشعراء ومن غلبت كنيته عليه (٢٨٩) ، (نواذر المخطوطات) .
 - ٥ سورة الاعراف ، الآية ١٧٥ .
 - ٦ تفسير الطبري (٨٢ / ٩) ، تفسير الألوسي (٩٨ / ٩) .

وروي أن النبي سأل (الرشيد بن سويد) أن ينشده من شعر أمية ، فأنشده
إياه ، فقال : كاد ليسلم . وأن النبي أنشد قول أمية :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال : صدق ، وهذه صفة حملة العرش . وذكر أن معظم شعر أمية كان
في الآخرة ، كما كان معظم شعر عنترة بذكر الحرب^١ .

وقد دون (ابن هشام) قصيدة (أمية) التي نظمها يرثي من أصيب من
قريش يوم بدر ، ومطلعها :

ماذا يبدر بالعقد قل من مرازية جمحاجح
ألا بكيت على الكرام م بني الكرام أولى المدايح
كبكا الحمام على فرو ع الأليك في الغصن الجوانح^٢

وذكر أن النبي نهى عن روايتها لما ورد فيها من رثاء قتلى بدر^٣ ، ولكني
أشك في صحة صدور هذا النهي من الرسول ، إذ لو كان الرسول قد نهى عن
إنشادها ، فكيف دونها (ابن هشام) وغيره ، ولا تزال مدونة ، وقد قال
(ابن هشام) أنه دون القصيدة إلا بيتين نال فيها من أصحاب الرسول^٤ .

ودون (ابن هشام) قصيدة أخرى لأمية قالها يرثي ويبيكي (زمعة بن الأسود)
وقتل (بني أسد)^٥ من أبياتها :

عَيْنُ بَكْيٍ بِالمُسْبِلَاتِ أَبَالِعا صبي ولا تذكرني على زمعه
لبنِي مُسْلِمٍ لهم خَرَّتْ الجِو زاء لا خاتة ولا خدعه
وهم الهامة الوسيطة من كعب ومن هم كثرورة القمعه

١ الخزانة (١٢٠/١) وما بعدها .

٢ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، البيان والتبيين
(٢٩١/١) .

٣ الحيوان ، للجاحظ (٢٩١/١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، بروكلمن ، تاريخ
الادب العربي (١١٣/١) .

٤ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) .

٥ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

أنبأوا من معاشر شعر الرأس وقد بلغوهم المنع
وهم المطعمون إن قحط القطن وأصحت فلا ترى قرعه
أمسى بنو عمهم إذا جلس النا دي عليهم أكبادهم وجعه^١

ومن شعره الذي قاله في التحريض على رسول الله قوله :

لله درّ بني عليّ أيتّم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارة شعواء تحجر كلّ نابج
بزهاء ألف أو بألف بين ذي بدن ورامح^٢

وروي انه كان يحكي في شعره قصص الأنبياء ، ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها
العرب ، يأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب^٣ .
وكان يسمى الساء في شعره : (صاقورة) و (حاقورة) ، و (بريقع) .
ويقول في الله عز وجل :

هو السليط فوق الأرض مقتدر

ويقول : وأبدت الثغوروا ، يريد الثغر^٤ .

وفي شعر (أمية) إشارة الى قصة أصحاب الفيل ، إذ قال :

إن آيات ربنا يئنّات لا يماري بهنّ إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتّى ظل يمشي كأنه معقور^٥
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخليفة زور^٦

ونسبت الى (أمية) قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً ، ذكر فيها شيئاً
من قصص الأنبياء : داوود ، سليمان ، ونوح ، وموسى ، وذكر قصة ابراهيم

١ نسب قريش (٢٠٦) .

٢ نسب قريش (١٠ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (٣٦٩/١) ، (دار الثقافة) .

٤ الشعر والشعراء (٣٧١/١) .

٥ الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن نايقا البغدادي ، (٣٨٤) .

٦ رسالة الغفران (٥٤٢) .

واسحاق ، وزعم أنه هو الذبيح ، وقد وردت في ديوانه الذي جمعه (محمد بن حبيب) ، وفي أبياتها بيت هو :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال^١

وقد وجد هذا البيت في قصيدة رواها (الأصمعي) لأبي قيس اليهودي ، وقيل هي لابن صرمة الأنصاري مطلعها :

سبحوا للمليك كل صباح طلعت شمسه وكل هلال

ووجد أيضاً في أبيات لحنيف بن عمير البشكري ، قالها لما قتل محكم بن الطفيل يوم اليمامة في أبيات هي :

يا سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلى بفتنة الرجال
أنها يا سعاد من حدث الدهر عليكم كفتنة الدجال
إن دين الرسول ديني وفي القوم م رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم محكم بن طفيل ورجال ليسوا لنا برجال
ربما يجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال^٢

وقد نحدث (أمية) في قصيدته اللامية عن الخلق وعن كيفية تكون الأرض وظهور الأنهار والعيون ، ثم عن الموت والبعث والنشر ، وهي قصيدة أرى أنها منحولة ، وهي لا يمكن أن تكون من شعر تلك الأيام ، وقد نحل على لسان (أمية) وأظن ان ذلك في أيام الحجاج ، الذي كان يتعصب له لكونه شاعر ثقيف ، وهو منها^٣ .

ومما نسب الى أمية هذا الشعر :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد

١ ربما تكره النفوس من الشر له فرجة كحل العقال .

٢ الخزائن (٥٤٣/٢ وما بعدها) ، (بولاق) ،

ربما تكره النفوس من الام
أمالى المرتضى (٤٨٦/١) .

٣ راجع ديوان أمية طبعة « شولتس » « Shulthes » ، وطبعة بشير يموت .

وبها تلاميذ على قدِّفاتهما حبسوا قياماً فالقرائن ترعد

وهذا الشعر :

صاغ السماء فلم ينخفض مواضعها لم يتقص علمه جهل ولا هرم
لا كشفت مرة عنا ولا بليت فيها تلاميذ في أقفانهم دغم

وهذا البيت ، الذي هو من الشعر الأول :

فضى وأصعد واستبد إقامة بأولى قوى فبتل ومتملدا

وروى أهل الأخبار قصصاً عنه ، هو من نوع القصص الذي يروى وقوعه
للأنبياء ، مثل تكليم الجن له ، ووقوع طير على صدره ، وشقه له ، لتنظيف
قلبه ، في قصة أخذت من خبر غسل قلب الرسول ولا شك . ثم حكاية شعوره
بدنو أجله ، ووفاته^٢ . وقد حاول وضاع هذا القصص تبجيل (أمية) واعطائه
قدسية خاصة وإظهاره بمظهر الصالحين حتى كاد الوحي يتزل عليه لولا ظهور
الرسول . وقد حاول بعض أهل الأخبار تخفيف أثر ما روي عن معارضة (أمية)
للإسلام ، ومنهم من أمانته قبل الإسلام ، وبذلك خلصه من تهمة اشتراكه مع
المشركين في محاربة الإسلام . وهي روايات يظهر أنها ظهرت في أيام الحجاج ،
وبتأثير منه .

وأكثر ما نسب إليه من شعره محمول عليه ، ونجد في كتاب (البدء والتاريخ)
لمظهر بن طاهر المقدمي شعراً فيه عبارات وألفاظ قرآنية، لا شك في أنها مصنوعة،
وقد حملت عليه . وقد ذهب (كليمان هوار) أن شعره كان من مصادر القرآن،
ومعنى هذا أنه شعر صحيح ، قاله (أمية) قبل الإسلام ، فتعلمه الرسول منه،
ونزل به الوحي . وقد عارضه (بروكلمن) وآخرون من طائفة المستشرقين ،
وهم يرون أن هذا الشعر قد صنع ونسب إليه في عهد مبكر ، ربما كان في القرن

١ رسالة التلميذ ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (٢٢٢ وما بعدها) ، من « نوادر
المخطوطات » ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، (المجموعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١م)

٢ الإصابة (١٣٥/١) .

الأول للهجرة . وقد أدخل فيه قصص أخذ من القرآن^١ .

وتعدّ قصيدة (أمية) التي مطلعها :

عرفتُ الدار قد أقوت سنينا لزنب إذ تحلّ بها قطينا

في المجهرات .

ونسب لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، والد أمية قوله :

لن يطلب الوتر أمثالُ ابن ذي يزن لجج في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعمته فلم يجد عنده القول الذي قال
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة من السنين ، لقد أبعدت إغالا
حتى أتى بني الأحرار يحملهم انك عمري لقد أسرعت قلقالا
من مثل كسرى وبأذان الجنود له ومثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا ما ان ترى لهم في الناس أمثالا
غلبا جحاجة ييضاً مراجعةً أسداً تربب في الغيصات أشبالا
يرمون عن عتلى كأنها غبط بيزخر يُعجل المرمى إعجالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلاّلا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
ثم أطل المسك إذ شالت نعمتهم واسبل اليوم من بُرديك إسبالا
تلك المكارم قعبان من لبنٍ شيئا بماء فعادا بعد أبولا^٢

وهي قصيدة زعم انه قالها في (سيف بن ذي يزن) ، وزعم انها لابنـه
(أمية بن أبي الصلت) . وقد رواها (الطبري) في تأريخه ، على هذه الصورة :

١ Cl Huart, in JA., Ser., X, I, IV, (1904), p. 125, Tor Andrae, Der ursprung d. Islam und d. Christentum, Stockholm, (1926), S. 48.

بروكلن ، تاريخ الادب العربي (١١٣/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٧١/١ وما بعدها) ، التيجان (٣٠٥) ، الاغانى (٧٣/١٦) ،
الروض الانف (٥٢/١) ، ابن سلام ، طبقات (٢١٨) ، البحترى ، حماسة (١٦) .

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
 أتى هرقل وقد شالت نعماتهم
 ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة
 حتى أتى ببني الأحرار يحملهم
 من مثل كسرى شهنشاه الملوك له
 لله درهم من عصبية خرجوا
 غرّ جحاجة ، بيض مرازية
 يرمون عن شدف كأنها غبط
 أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد
 فاشرب هنيئاً عليك التاج متكئاً
 وأطل بالمسك إذ شالت نعماتهم
 تلك المكارم لا قعبان من لبن
 ريم في البحر للأعداء أحوالا
 فلم يجد عنده بعض الذي قالا
 من السنين ، لقد أبعدت إغالا
 إنك لعمرى لقد أطولت قلقالا
 أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
 ما إن ترى لهم في الناس أمثالا
 أسد تربب في الغيصات أشبالا
 في زحمر يعجل المرمي إعجالا
 أضحي شريدهم في الأرض فلالا
 في رأس غمدان داراً منك محلالا
 واسبل اليوم في برديك إسبالا
 شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

وقد نسبها لوالد أمية .

وقد ذكر (ابن هشام) ، ان (ابن اسحاق) نسب هذه القصيدة لأبي الصلت
 ابن أبي ربيعة ، ويروي أنها لامية . وقد رواها على هذا النحو :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
 بم قيصر لما حان رحلته
 ثم انثنى نحو كسرى بعد عشرة
 حتى أتى ببني الأحرار يحملهم
 لله درهم من عصبية خرجوا
 بيضاً مرازية غلباً أساورة
 يرمون عن شدف كأنها غبط
 أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد
 فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً
 وأشرب هنيئاً فقد شالت نعماتهم
 تلك المكارم لا قعبان من لبن
 ريم في البحر للأعداء أحوالا
 فلم يجد عنده بعض الذي سالا
 من السنين يهين النفس والمالا
 إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا
 ما ان أرى لهم في الناس أمثالا
 أسداً تربب في الغيصات أشبالا
 بزحمر يعجل المرمي إعجالا
 أضحي شريدهم في الأرض فلالا
 في رأس غمدان داراً منك محلالا
 واسبل اليوم في برديك إسبالا
 شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

١ الطبري (١٤٧/٢ وما بعدها) .

وقد ذكر (ابن هشام) ان « هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها ،
إلا آخرها بيتاً : تلك المكارم لا قعبان من لبن . فإنه للناطقة الجعدي »^١ .
وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج الى دليل ، وهو وضع
يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن صنعة الوضع جيداً ، ولا له إلمام بأمور التأريخ ،
فالقصيدة التي مطلعها :

لك الحمد والمنّ ربّ العبا د أنت المليك وأنت الحكم

هي قصيدة إسلامية ، لا يمكن أبداً أن تكون من نظم شاعر لم يؤمن بالإسلام
إيماناً عميقاً من كل قلبه ولسانه . خذ هذا البيت منها مثلاً :

محمدأ أرسله بالهدى فعاش غنياً ولم يهتضم

ثم خذ الأبيات التالية له وفيها :

عطاء من الله أعطيته	وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا أنه خيرهم	وفي بيتهم ذي الندى والكرم
يعيون ما قال لما دعا	وقد فرج الله إحدى البُهم
به وهو يدعو بصدق الحديد	ث إلى الله من قبل زيف القدم
أطيعوا الرسول عباد الإلّ	به تنجون من شرّ يوم ألم
تنجون من ظلمات العذاب	ومن حرّ نارٍ على من ظلم
دعاني النبي به خاتم	فن لم يجبه أسرّ الندم
نبي هدى صادق طيب	رحيم رؤوف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله	ومن بعده من نبيّ ختم
يموت كمات من قد قضى	يردّ إلى الله باري النسم
مع الأنبياء في جنات الخلود	هم أهلها غير حل القسم
وقدس فينا بحب الصلاة	جميعاً وعلم خط القلم
كتاباً من الله نقرأ به	فمن يعتره فقدماً أمّ

١ ابن هشام (٥٢/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٣٧١/١) ،
٢ ديوان أمية ، قصيدة رقم ٢٣ في طبعة « فردرش شولثيس » ، (ص ٢٣ وما بعدها) ،
و (ص ٥٥ وما بعدها) من (طبعة بشير يموت) ، الخزائن (١٢٢/١) ، (بولاق) .

اقرأ هذه المنظومة ، ثم أحكم على صاحبها ، هل تستطيع أن تقول انه كان شاعراً مغاضباً للرسول ، وانه مات كافراً ، وان صاحبها رثى كفار قريش في معركة بدر ، وانه قال ما قال في الاسلام وفي الرسول ؟ اللهم ، لا يمكن أن يقال ذلك أبداً ، فصاحب هذا النظم رجل مؤمن عميق الايمان ، هو واعظ ومبشر يخاطب قومه فيدعوهم الى الاسلام والى طاعة الله والرسول . انه مؤمن قلباً ولساناً ، مع انهم يذكرون ان الرسول قال فيه : آمن شعره وكفر قلبه ، أو آمن لسانه وكفر قلبه ، ولم يقصد الرسول ايمان أمية بالله وبرسوله ، وانما ايمان لسانه وشعره بالله ، وكفره برسوله ، إذ لم يؤمن به ، فأتى على كفره وعناده وبغضه للرسول : ثم ان صاحب المنظومة رجل يتحدث عن وفاة الرسول ، ويريد تثبيت الناس على الايمان به بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى ، فظهر من تزلزل ايمانه بسبب وفاته ، مع ان أمية ، كان قد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ، أي قبل وفاة الرسول ، فهل يعقل أن يكون اذن هو صاحبها وناظمها ؟

أليست هذه المنظومة وأمثالها اذن دليلاً على وجود أيد لصناع الشعر ومنتجيهم في شعر أمية . نحمد الله على ان صناعتها لم يتقنوا صنعها ، ففضحوا أنفسهم بها ، ودلّوا على مقاتل النظم .

وروي ان بعض الرواة نسبوا الى أمية بيتاً في قصيدة هو :

الحمد لله لا شريك له^١ من لم يقلها فتنسه ظلماً

وفي القصيدة ضروب من التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار غير أن العارفين بالشعر ينكرون أن تكون لأمية ، وإنما نسبوها الى النابغة الجعدي ، وذكروا أن هذا البيت هو من شعر النابغة الذي كان يتأله في الجاهلية وأنكر الحمر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم^٢ .

ثم أخذ قصيدة أخرى من القصائد المنسوبة لأمية ، وهي في وصف الجنة والنار استهلّت بهذا البيت :

١ « وكانت وفاة أمية بن أبي الصلت قبل ذلك بيقين سنة تسع من الهجرة » ،

الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) .

٢ ابن سلام (١٠٦) ، الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .

جهنم لا تبقي بقيّاً وعدن لا يطالها رجمٌ

ثم استمر في قراءتها ، وفي ما جاء فيها من وصف للجنة والنار ، ثم أنعم النظر في عبارات هذه الآيات :

فذا غسل وذا لبن وخرٌ وقح في منابته صريمٌ
ونخل ساقط الأكتاف عد خلال اصوله رطبٌ قيمٌ
وتفاحٌ ورمّانٌ وموزٌ وماء بارد عذبٌ سليمٌ
وفيهما لحم ساهرة وبحرٌ وما فاهوا به لهمٌ مقيمٌ
وحورٌ لا يترين الشمس فيها على صُور الدُمى فيها سُهومٌ
نواعمٌ في الأرائك قاصرات فهنّ عقائل وهنّ قرومٌ
على سرر ترى متقابلاتٍ ألا ، ثم النضارة والنعيم
عليهم سندسٌ وجيادٌ ريطٌ ودياج يرى فيها قنومٌ
وحلّوا من أساور من لُجينٍ ومن ذهب ، وعسجد كريمٌ
ولا لغوٌ ولا تأثيمٌ فيها ولا غولٌ ولا فيها مُليمٌ
وكأس لا تصدع شاربها يلذّ بحسن رؤيتها النديمٌ
تصفّق في صحاف من لُجينٍ ومن ذهب مباركة رذومٌ

ثم احكم بعد ذلك على صاحب هذه الآيات . لقد حاول ناظمها إدخال بعض الكلمات الجاهلية فيها ، لإلباسها ثوباً جاهلياً ، ولإظهارها بمظهر الشعر الجاهلي الأصيل ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، بل صيرها في الواقع نظماً لوصف الجنة والنار في الاسلام. وما بقي حاجة الى أن أحييك على الآيات التي أخذ منها صاحب هذا الشعر وصفه من القرآن .

ومن الغريب ان بعض الباحثين اتخذ هذا النظم وأمثاله حجة لتبيان عقائد الجاهليين ، فذكر مثلاً ان العرب في جاهليتها كانت تؤمن بالجزاء ، وأن منهم

١ تجد اختلافاً في كلمات هذه القصيدة وأبياتها ، وكذلك في قصائد هذا الشاعر الأخرى ، فارجع في ذلك الى طبعات ديوانه والى كتب الادب لمعرفة مواضع الاختلاف، كتاب البده والتاريخ (٢٠٢/١ وما بعدها) ، ثم ديوانه .

من نظر في الكتب وكان مُقرأً بالجنة والنار. وحجته في ذلك هذه المنظومة المنسوبة الى أمية ، مع أنها من الشعر المزيف المصنوع !

ثم خذ قصيدته في (عيسى بن مريم) وحمل أمه به^١ ، وسائر قصائده الأخرى ، تجد عليها هذه المسحة الاسلامية بارزة ظاهرة ، ومن الممكن إدراك هذا المصنوع المزيف بدراسة ألفاظه وأسلوبه وأفكاره ، وبهذه الطريقة نتمكن من استخلاص الأصل من شعره من المهجين .

ولأمية شعر في الموت ، حيث يقول :

من لم يمت عبطة يمت هرمًا وللموت كأسٌ ، والمرء ذاتها^٢

ويروى له قوله في الله :

واشهد أن الله لا شيء فوقه علياً وأسمى ذكره متعالياً^٣

وزعم أن أمية ، قال عند موته :

إن تغفر اللهم تغفر جمًا وأيّ عبد لك لا آسا

وقد تمثل به النبي وصار من جملة الأحاديث . قالوا في ذلك : يجوز إنشاد الشعر للنبي ، وإنما المحرم انشاؤه . وقد زعم أن البيت لأبي خراش الهذلي ، وذكر أنه لا يعرف قائله ولا بقيته ، وقد أخذه أبو خراش وضمه الى بيت آخر ، وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة^٤ .

ومن شعر أمية قوله :

زعم ابن جدعان بن عمرو أنني يوماً مُدابر
ومسافرٌ سَفراً بعيداً ، لا يؤوب له مسافرٌ

١ ديوان أمية (٥٨) ، (بشير يموت) .

٢ أمالي المرتضى (٥٣٣/١) .

٣ أمالي المرتضى (١٦٨/٢) .

٤ الخزائن (٢٩٥/٢) ، (هارون) .

٥ اللسان (٢٧٥/٤) ، (دبر) .

ومن ولد (أمية بن أبي الصلت) : عمرو ، وربيعه ، ووهب ، والقاسم .
وكان ربيعة والقاسم شاعرين^١ . وذكر انه نظم شعراً رد به على أبيه في انتسابه ،
منها :

ولنا معشر من جلد قيس فنسبتنا ونسبتهم سواء^٢

وهو القائل :

وإن يك حياً من إباد فلنا وقياً سواء ما بقينا وما بقوا
ونحن خيار الناس طراً بطانة لقيس ، وهم خير لنا إن هم بقوا^٣

ولا نعرف من أمر (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شيئاً يذكر . وقد
أورد له (المرزباني) شعراً في مدح (بني دهمان)^٤ . وذكر انه رثى (عثمان
ابن عفان) في قصيدة منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيت به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح^٥

وأورد له (ابن قتبية) أربعة أبيات مطلعها :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم تركوه ربّ صواهل وقيان^٦

ورويت له مرثية في عثمان بن عفان منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيت به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح^٧

-
- | | |
|---|---|
| ١ | رسائل الجاحظ (٢٥٨/١) . |
| ٢ | الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) . |
| ٣ | رسائل الجاحظ (٢٥٨/١) ، الاغانى (١٧٩/٣) وما بعدها ، « ربيعة بن ابي الصلت ، صاحب ربيعتان نهر بقرب الابله ، ومن ولده : كلدة بن ربيعة ، كان من رجال أهل البصرة » ، الاشتقاق (١٨٥/١) . |
| ٤ | الشعر والشعراء (٣٧٢/١) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢١٣) ، الاغانى (١٧٩/٣) ، الحيوان ، للجاحظ (٦٤/١) . |
| ٥ | الاصابة (٢١٣/٣) ، (رقم ٧٠٥٢) . |
| ٦ | الشعر والشعراء (٣٧٢/١) . |
| ٧ | الاصابة (٢١٣/٣) ، (٧٠٥٢) . |

وله موعظة في أسلوب يشبه أسلوب أعشى بني ربيعة ، نشرها (كابر) في ديوان الأعشى^١ .

ومن شعراء ثقيف (عوف بن عامر بن حسان بن مالك بن حطائط بن جشم ابن ثقيف) الكاهن ، وكان جاهلياً كاهناً شاعراً^٢ ، و (كنانة بن عبد ياليل ابن سالم بن مالك بن حطائط بن جشم بن ثقيف) ، وكان يمدح النعمان بن المنذر^٣ : و (كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُصَير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف) ، وهو شاعر ذكره (ابن سلام)^٤ .

ومسعود بن معتب بن مالك الثقفي من شعراء ثقيف ، وهو جاهلي . وابنه عروة بن مسعود ، الذي دعا قومه الى الاسلام ، فقتلوه . وكان (مسعود) غنياً ، وكان يخشى عليها من أن تباع الى قريش بعد وفاته ، وكانت قريش تشتري الأرض والأموال بالطائف ، فخشى أن يبيع ورثته ملكه لقريش^٥ .

و (أبو محجن الثقفي) واسمه مالك ، وقيل عبدالله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ، وقيل اسمه كنيته ، هو من الشعراء المطبوعين ، وكان كريماً منهمكاً في الشراب لا يكاد يقلع عنه ، أسلم مع ثقيف . جلده (عمر) مرات ثم نفاه الى جزيرة ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص ، يوم القادسية فكتب عمر الى (سعد) أن يحبس فحبسه . فأرسل الى امرأة سعد من يقول لها : اطلقيني ولك عليّ ان سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد ، وان قتلت استرحمت مني . فأطلقت ، فوثب على فرس لسعد ، ثم أخذ رماً ثم خرج يهاجم الفرس ، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون هذا ملكك ، لما يروونه يصنع ، فلما هزم الفرس ، رجع فوضع رجله في القيد ، وترك الخمر قائلاً : قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحد وأطهر منها ، فأما الآن

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٤/١) .

٢ المرزباني ، معجم (١٢٥) .

٣ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .

٤ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .

٥ المرزباني ، معجم (٢٨٣) .

فلا والله لا أشربها أبداً^١ .

ومن شعره :

إذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في القلاة فلاني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
أباكرها عند الشروق وتارة يعاجلني عند المساء غبوقها
وللكأس والصهباء حق معظم فن حقها أن لا تضاع حقوقها

وحدث من رأى قبر (أبي محجن) أنه نبتت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهي معرشة على قبره . ولكنهم عندما تحدثوا عن موضع قبره ، اختلفوا فيه ، فقال بعض منهم إنه في نواحي أذربيجان ، وقال قوم بـمـرجـان^٢ . ويظهر أنهم اختلفوا قصة ظهور الكرم على قبره من الشعر المتقدم .

وذكر بعض الرواة ان (أبا محجن) هو امرأة من الأنصار ، يقال لها (شموس) فحاول النظر اليها ، فلم يقدر ، فأجر نفسه من بناء بيتاً بجانب منزلها فأشرف عليها من كوة فأنشد :

ولقد نظرت الى الشموس ودونها حرج من الرحمن غير قليل

فاستعدى زوجها عمر فنفاه ، وبعث معه رجلاً يقال له أبو جهراء ، فلما رأى (أبو جهراء) من أبي محجن سيفاً هرب منه الى عمر ، فكتب (عمر) الى (سعد) يأمره بسجنه فسجنه^٣ .

وذكر (بروكلمن) ان (أبا محجن) لم يزل يشرب الخمر حتى نفاه (عمر) الى (باصع) ، وهي مدينة (مصوع) على ساحل الحبشة . وتوفي بها بعد مدة

١ السيوطي ، شرح شواهد (١٠١/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٣٧/٢١) ، الخزائن (٥٥٠/٣) ابن سلام ، طبقات (٢٢٥) ، المؤلف (٩٥) ، الاصابة (١٧٣/٤) (رقم ١٠١٧) ، الشعر والشعراء (٣٣٦/١ وما بعدها) ، طبقات ابن سلام (٦٨ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٠٣/١) ، (الى أصل كرمة) ، ديوانه (ص ١٤) ، (ليندن ١٨٨٧ م) ، (تحقيق Abol) ، عيون الاخبار ، لابن قتيبة (٣٨/١) ، (القاهرة ١٣٢٤) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٩) ، الاستيعاب (١٨١/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الاصابة (١٧٤/٤) ، (رقم ١٠١٧) .

وجيزة^١ . وهو خبر غريب ، يخالفه كل من تعرض لأمر هذا الشاعر . فقد ذكروا جميعاً انه ترك الخمر منذ يوم (القادسية) ولم يعد اليها ، ولم يذكر أحد انه عاد اليها ، حتى نفترض انه عاد بعد ذلك الى المدينة وعاد اليها فنهاه ، وقصة نفيه الى جزيرة في البحر ، ترد قبل ذهابه الى العراق ، بعد أن فرّ منه حارسه ، وكان قد أحس انه يريد قتله ، فأمر (عمر) سعداً عندئذ بحبسه فحبس ، ثم نخرج فقاتل ، فلما انتصر المسلمون ، رجع الى محبسه ، ففك (سعد) قيوده وأطلقه .

وقد جمع شعر (أبي عجن) في ديوان ، طبع ، كما نجد له قطعاً من أشعاره في مختلف كتب الأدب ومن تعرض لسيرته من رجال الأخبار^٢ .

وكان (غيلان بن سلمة) من الأشراف ، ذكر (الجمحي) ، انه كان قسم ماله كله بين ولده وطلق نساءه ، فنهاه (عمر) عن ذلك ، ففعل بما أمر به^٣ .

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١ وما بعدها) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٦٩) .

الفصل الخامس والستون بعد المئة

الشعراء اليهود

لا نعرف نصاً جاهلياً جاء فيه خبر عن شعر يهودي ، أو عن شاعر يهودي عاش في بلاد العرب . وكل ما ورد إلينا عن شعر يهود ، مستقى من الموارد الإسلامية حسب . كذلك لا نعرف مصدراً عبرانياً أو غير عبراني ، تعرض لأمر شعر اليهود في جزيرة العرب . ولهذا فحديثي عن شعر يهود في أيام الجاهلية مستمد من الموارد الإسلامية وحدها .

ومن يلتقي نظرة على أشعار اليهود لا يجد فيها أي أثر لليهودية ، ولا أية مصطلحات تشير أن صاحبها يهودي . فلا نجد فيها شيئاً من قصص التوراة أو التلمود أو المشنا أو (الكهانة) أو أي شيء له صلة بعقيدة يهودية . مع أننا قد وجدنا شيئاً من قصص العهد القديم في شعر (أمية بن أبي الصلت) ، وهو غير يهودي . فهل يعني هذا أن شعراء اليهود لم يكن لهم ميل إلى التحدث في أمور الدين ، والنظر في أحكام الشريعة ، وفي التفكير في خلق السماوات والأرض والإنسان وفي الموت والفناء ، أو أنهم كانوا في جهل بها ، وكان أمرها عندهم إلى رجال دينهم ، هم يبحثون فيها ، ولهذا لم يحملوا أنفسهم مشقة التعرض لها والبحث فيها ، أو أنهم كانوا قد تطرقوا فعلاً إلى هذه الأمور ، وجاؤوا في شعرهم بأشياء مما يختص بدينهم ويميزهم عن غيرهم ، وتطرقوا إلى عاداتهم وأشادوا بذكر أنبيائهم ، غير أن الرواة المسلمين لم يحفلوا بشعرهم لأنه شعر يهودي ،

فضاع ، كما ضاع شعر الوثنيين إذ لم يرو منه القليل^١ .

وقد ذهب (ولفنسون) الى ان السبب في قلة ما وصل الينا من شعر اليهود في الجاهلية ومن أسماء شعرائهم ، انما يرجع الى ضعف إقبال اليهود على اعتناق الاسلام . والذي حافظ على القليل الذي وصل الينا هم اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ، ومن تناسل منهم تخليداً لما كان لأجدادهم من مجد أثيل وشرف عظيم . ولو لم يسلم بعض الأفراد من ذرية السموأل ، لكان من الجائز عدم وصول أي شيء من شعره الينا^٢ .

وذهب (الدكتور طه حسين) الى ان اليهود قالوا كثيراً من الشعر في الدين وهجاء العرب ، وانهم انتحلوا وصنعوا شعراً لإثبات وجود لهم في الشعر ، فنسبوه الى شعراء يهود ، ولكن الرواة العرب لم يحفلوا به فضاع^٣ .

وقد أدخل (كارلو نالينو) الشعراء اليهود مع الشعراء الوثنيين ، وجعلهم في الصنف الأول من أصناف طبقات الشعراء على حسب تصنيفه لهم الى أربع طبقات . وقال : « لا تستغربوا عدم الفرق بين الوثنيين واليهود من أهل البادية ووجوده بين الوثنيين والنصارى من أهل الحضر ، لأنكم اذا اطعتم على ما وصل الينا من أشعار اليهود قبل الاسلام ما ألفيتم فيها شيئاً أو عبارة يميزها من سائر أهل البادية . فن طالع مثلاً أبيات السموأل بن عادياء (مع قطع النظر عن قصيدة واضحة التروير منسوبة اليه لم تعرف ولم تطبع إلا حديثاً) لما توهم ان صاحبها تابع لدين اليهود . والأمر كذلك أيضاً في سائر أشعار يهود جزيرة العرب مثل شعبة بن غريص ، والربيع بن أبي الحقيق وغيرهما التي اعتنى بجمعها (نولدكه) و (فرائز دلتش) ليس من المستحيل ان ما فقد من أشعارهم (وهو كثير بالإضافة الى ما حفظ) ، قد حوى أشياء مما يختص بدينهم وليس من المحال أيضاً ان الرواة المسلمين امتنعوا عن نقلها لهذا السبب ، ولكن لا يجوز لنا الحكم إلا في الموجود المعروف الذي لا يختلف عن شعر أهل البادية الوثنيين لا لغة ولا أسلوباً ولا مأخذاً ، كأن دينهم لم يؤثر في شعرهم البتة^٤ .

- ١ كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧١) .
- ٢ تاريخ اليهود في بلاد العرب (٢٤ وما بعدها) .
- ٣ المصدر نفسه .
- ٤ كارلو نالينو (ص ٧١) .

ولكنني أجد من مطالعتي لشعرهم نفساً يختلف عن النفس الذي نجده في شعر شعراء البادية، ذلك هو ميل هذا الشعر الى التحدث عن المثل الأخلاقية، كالإنصاف والحكم بالعدل ، والحلم ، والصدقة ، واحترام حق الصديق ، والاعتناظ بالموت وبحوادث الدهر ، وبوجوب الوفاء ، خذ الأبيات المنسوبة الى (الربيع بن أبي الحقيق) ، وهي :

سائل بنا خابِرَ أكائنا والعلم قد يُلقي لدى السائل
لسنا إذا جارت دواعي الهوى واستمع المنصت للقائل
واعتلج القوم بألبابهم بقائل الجود ولا القاعل
إنا إذا نحكم في ديننا نرضى بحكم العادل الفاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل^١

ففيها إشارة الى دين يأمر بالعدل والإنصاف ، وبعدم مزج الباطل بالحق ، ينهى عن الظلم ويأمر بالحق وفيها - ان صح بالطبع أنها من شعرهم - منطق واستماع الى صوت متظلم ، يعتمد الى رفع شكواه الى المنصفين لإنصافه ، فينصف ، فأخذ الحق هنا هو بحكم الدين وقواعد العدالة لا بالسيف وبحكم العصبية والأخذ بالثأر ، ونجد مثل ذلك في بقية شعرهم ، وتحمل هذه الظاهرة المرء على التفكير في سبب ظهور هذا النوع من الشعر ، وهل هو شعر جاهلي يهودي أصيل ، أم أنه شعر مصنوع ، وضع عليهم في الإسلام ، لمآرب مختلفة ، مثل المآرب الذي حمل الرواة على نسبة القصيدة المشهورة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَهُ فكل رداء يرتديه جميل

الى السموأل ، وكذلك بعض الأشعار الأخرى !

وقد ذكر (ابن سلام) أسماء فحول شعراء يهود ، فجعلهم : السموأل بن الغريض بن عادياء ، والربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وشُرَيْح ابن عمران ، وشُعْبة بن غريض ، وأبو قيس بن رفاعة ، وأبو الذبّال ، ودرهم

١ ابن سلام ، طبقات (٧١) .

ابن زيد^١ . وأضاف غيره اليهم : أوس بن دنى، وسماك ، والغريص بن السموأل^٢
و (سلام بن مشكم) و (كنانة بن أبي الحقيق)^٣ .

والسموأل ، هو أشهر شاعر يهودي . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي
ثري شاعر ، عرف بـ (السموأل بن عاديا) ، وبـ (السموأل بن عاديا)
الأزدي ، وبـ (السموأل بن غريص بن عاديا « عاديا » اليهودي)^٤ ،
وبـ (السموأل بن حيان بن عاديا)^٥ ، وبـ (السموأل بن عاديا بن حيا)^٦ ،
وبـ (السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٧ ،
وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديا)^٨ ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديا بن
رفاعة بن جفنة) ، وبـ (السموأل بن غريص بن عاديا بن حبا) . واختلفوا
في نسب (عاديا) (عاديا) ، فقالوا : (عاديا بن حبا) ، وقالوا :
(عاديا بن رفاعة بن جفنة) ، وقالوا : انه من ولد (الكاهن ابن هارون بن
عمران)^٩ ، وقالوا انه من (بني غسان) ، ونسبه (دارم بن عقال) ، الى
(رفاعة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره
(أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك
شريح بن السموأل ، وأدرك الاسلام ، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه
وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة ولا أكثر ... وقد قيل ان أمه كانت من
غسان »^{١٠} . ونسب السموأل أيضاً الى الأزدي^{١١} . وذكر (ابن دريد) ان السموأل

- ١ طبقات ، ابن سلام (٧٠) .
- ٢ الاغانى (٩٤/١٩ وما بعدها) .
- ٣ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ « عاديا » الاغانى (٩٨/١٩) ، ابن سلام ، طبقات (٢٣٥) ، « طبعة دار المعارف » ،
« تحقيق محمود محمد شاكر » ، تاج المروس (٣٨٢/٧) ، « سمل » ، شرح
شواهد المفنى (٥٣٥/٢) ، Ency. IV, p. 133.
- ٥ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣
آذار (ص ١٦٢) .
- ٦ المعرب ، للجواليقي (١٨٨) .
- ٧ ابن دريد ، الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٨ المشرق ، العدد المذكور (١٦٢) ، السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ،
الاغانى (١٢/٣) .
- ٩ معاهد التنصيص (١٣١/١) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ١٠ الاغانى (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ١١ المعرب (١٨٨) .

من (بني غسان) ، ولكنه ذكر أيضاً انه كان يهودياً^١ ، ونسبه (محمد بن حبيب) الى غسان كذلك ، ولم يشر الى تهوده^٢ . وقد جعل (ابن قتيبة) السموأل ملكاً على تيماء^٣ .

والسموأل جدّ (صفية بنت حيي بن أخطب) لأمها . وهي يهودية ، وقد تزوّجها الرسول^٤ . وقد نسبها (ابن عبد البر) على هذه الصورة : صفية بنت حيي بن أخطب بن سعة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النضير بن النحام بن نخوم من بني اسرائيل من سبط هارون بن عمران . وأمها (برة بنت سموأل)^٥ . وكانت عند (سلام بن مشكم) ، وكان شاعراً ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، وهو شاعر ، فقتل يوم خيبر ، وتزوجها رسول الله ، في سنة سبع من الهجرة .

وقد اشتهر السموأل بالوفاء ، أكثر من اشتهاره بالشعر ، ولا زال العرب يتبجحون بوفائه ويضربون به المثل في الوفاء . واشتهر بقصره الذي ضرب به المثل بالضخامة والجسامة ، وهو (الأبلق) بـ (تيماء) ، أو على مقربة منها . حتى زعم أهل الأخبار أنه من أبنية (سليمان بن داود) بناء تيماء ، واستشهدوا على صحة دعواهم ببيت شعر زعموا أنه من شعر الأعشى ، هو :

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله وورد بتيماء اليهودي أبلق
بناء سليمان بن داود حقبلة له أزج حم وطى موثق^٦

لكنهم يذكرون أيضاً انه من بناء (عاديا) والد السموأل ، ويستشهدون على صحة روايتهم بشعر ذكروا انه للسموأل نفسه ، يقول فيه :

-
- ١ الاشتقاق (٢٥٩) .
 - ٢ المحبر (٣٤٩) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٠/١ ، ٦١) .
 - ٤ الاصابة (٣٣٧/٤ وما بعدها) ، (رقم ٦٥٠)
 - ٥ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) ، راجع قصيدة الاعشى رقم ٢٥ في ديوانه ، له جندل صم وطى موثق ، (له أزج عال وطى موثق) ، الحيوان (١٨٨/٦) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، المشرق ، الجزء المذكور (١٦٣) .

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت
وأطماً تزلق العقبان عنه اذا ما ضامني أمر أبيت^١

وقد زعموا انه عرف بـ (الأبلق الفرد) . أخذوا ذلك من شعر نسبوه الى
السموأل ، هو :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول^٢

وذكروا انه انما عرف بالأبلق ، لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل لأنه
بني من حجارة مختلفة الألوان^٣ . وقد ذكر في شعر للأعشى :

وحصن بتياء اليهودي أبلق^٤

وفي شعر آخر له أيضاً هو :

بالأبلق الفرد من تياء منزله حصن حصين ، وجار غير ختار^٥

وزعم أهل الأخبار ، أن الزباء (ملكة الجزيرة) قصدته فعمزت عنه وعن
مارد ، فقالت : « تمرد مسارد وعز الأبلق » ، فسيرته مثلاً^٦ . ولا أستبعد
كون حصن سموأل من الحصون أو القصور القديمة التي كانت بتياء . ورثه
(سموأل) من آبائه وأجداده ، فقد كان البابليون قد بنوا بها قصوراً وحصوناً ،
لما اتخذت عاصمة لهم ، وسكنها ملكهم ، ثم أنها كانت من المدن القديمة العامرة ،
وقد كانت الأسر الكبيرة الغنية تبني القصور الفخمة في المدن للتحصن بها من
الغزو ومن غارات الأعداء عليها ، كما كانت الحكومات ، ولا سيما حكومات
المدن تقيم الحصون القوية المنيعة في المدن ، للدفاع عنها ، ولتكون مقرأ للحكام ،
وتشاهد الى اليوم آثار القصور والأبنية الضخمة التي كانت في تياء . وما يؤيد

١ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٢ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٣ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٤ اللسان (٢٦/١٠) ، (بلق) .

٥ « غير غدار » ، اللسان (٢٦/١٠) ، (بلق) .

٦ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

رأيت في أن قصر (السموأل) ، أى حصنه من الحصون القديمة هو ما ورد في شعر (الأعشى) من أنه من أبنية (سليان) ومن ورود لفظة (عاديا) في شعر الأعشى كذلك ، وفي شعر سموأل :

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت

ولفظة (عاديا) ، وإن صيرت اسم علم لرجل ، لكنني أعتقد أنها ليست علماً ، وإنما تعني القدم ، فالعادي عند العرب القديم جداً ، ولو كان (عاديا) جدّ (السموأل) ، فكيف نوفق بين الشعر المذكور المنسوب الى الأعشى الذي يزعم أنه من أبنية سليان ، ثم قولهم ان (عاديا) من أجداد سموأل ، ثم قولهم أنه من الحصون القديمة ، وأنه تعزز على (الزباء) لما أرادت فتحه ، في الأسطورة التي يرويها أهل الأخبار ، والتي تدل على قدم الحصن . ولكن ليس من المستبعد أن يكون أحد أجداد سموأل ، قد جدد في بنائه ورممه لإصلاح ما أفسده الزمان منه ، وأما الحصن نفسه فربما كان من بقايا أبنية البابليين بتياء ، فقد كانت (تياء) معروفة في أيام (البابليين) ، وموجودة قبل أيامهم ، بدليل ان (نبونيد) ملك بابل جاء إليها فاتخذها أمداً عاصمة له .

وقصه وفاء سموأل قصة مشهورة ، وقد تحدثت عنها ، وذكر أن سموأل لما أبى دفع الدروع الى الملك ، وشاهد منظر ذبح ابنه ، قال في ذلك :

وفيت بأدرع الكنديّ لاني إذا ما خان أقوامٌ وفيت
وقالوا عنده كثر رغب فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبشراً كلما شئت استقيت^١

وتعدّ قصيدة سموأل التي مطلعها :

إذا المرء لم يَدْتَس من اللُّثْم عِرْضُهُ فكلُّ رداءٍ يرتديه جميل

من أجمل القصائد السلسلة المنظومة في الوفاء وفي الفخر . وقد سجلت ثمانية أبيات منها في الكتاب المسمى : « تاريخ ملوك العرب الأولية من بني هود وغيرهم »

١ المحاسن والاضداد (٣٦ وما بعدها) .

المنسوب (لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي) ، رواية (أبي يوسف يعقوب بن السكيت) . وقد تم استنساخاً في عاشر شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين^١ . وهو كتاب لم يشر (ابن النديم) إليه ، لا في أثناء حديثه عن (الأصمعي) ولا في أثناء كلامه علي (ابن السكيت) .

وأول هذه الأبيات المدونة فيه :

تعرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل^٢

وقد اختلف العلماء في قائل القصيدة ، فمنهم من نسبها الى السموأل ، ومنهم من نسبها لابنسه (شريح)^٣ ، ومنهم من جعلها لديكين^٤ ، ومنهم من نسبها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي^٥ ، ومنهم من جعلها للجلاح الحارثي^٦ . ورجح (بروكلمن) نسبتها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وهو شاعر اسلامي^٧ . ويقول (التبريزي) في شرحه للبيت :

فإن بني الديان قطب^٨ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وهو من أبيات هذه القصيدة ، يذكر انه لعبدالله الحارثي لا للسموأل^٩ .

ويلاحظ ان (أبا الفرج الاصبهاني) ، قد نسب القصيدة المذكورة للسموأل ثم نسبها الى (شريح) ، الذي هو ابن السموأل في موضع آخر ، ثم نسبها الى

-
- ١ نشرة الشيخ محمد حسن ال ياسين ، بعنوان : تاريخ العرب قبل الاسلام (بغداد ١٩٥٩ م) ، وتجد القصيدة في ديوان الحماسة (ص ٣٩) ، (طبعة أوربة) ، وفي نزهة المجلس (١٤٩/٢ وما بعدها) .
 - ٢ طبع ديوانه مرارا ، وطبع ببغداد سنة ١٩٥٥ م ، راجع عن شعره ، شرح شواهد المغني (٥٣١/٢ وما بعدها) ، الحماسة (١٠٨/١) ، الامالي (٢٦٩/١) ، البيان والتبيين (١٨٥/٣) ، ديوان الحماسة (٢٧/١) ، أمالي القالي (٢٦٩/١ وما بعدها) ، الاغاني (٧٦/٦ وما بعدها) ، عيون الاخبار (١٧٣/٣) .
 - ٣ ديوان الحماسة (٣٩) ، (طبعة أوربة) ، الحماسة (١٠٨/١) ، الامالي (٢٦٩/١) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ، الاغاني (٢٥٣/٩) .
 - ٥ شرح شواهد (٥٣١/٢) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) .
 - ٧ بروكلمن (١٢١/١) .
 - ٨ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٢٧) .

(دكين العنري) في موضع ثالث^١ ، مما يدل على انه أخذ من مصادر مختلفة ، اختلف فيما بينها في نسبة القصيدة الى صاحبها^٢ . كما نجد الرواة يختلفون فيما بينهم في ترتيب أبيات القصيدة ، فمنهم من يقدم فيها ، ومنهم من يؤخر ، ويبعث هذا الاختلاف الريبة في صحة نسبة القصيدة الى السموأل^٣ .

ولما تحدث (ابن قتيبة) عن الشاعر (دكين بن رجاء) من بني فقيم الراجز ، وهو من شعراء العصر الأموي ، ومن المتصلين بـ (عمر بن عبد العزيز) ، قال عنه : إنه هو القائل :

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يضرع عن اللؤم نفسه فليس الى حسن الثناء سبيل^٤

ويرى (ونكلر) أن قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : (السموأل) ، و (امرؤ القيس)^٥ .

وإذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، إلا لأصحابها الشرعيين ، نجد أنها ترجع الى موردين رئيسيين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى .

وذكر (ابن سلام) ، ان للسموأل (كلمة له طويلة) ، يقول فيها :

إن حلمي اذا تغيب عني فاعلمي انني عظيماً رزيت^٦

وقد وردت في الأصمعيات^٧ ، وهي تتحدث عن نشأة الانسان وحياته وبعثه بعد

١ الاغاني (٦٧/٦) ، (١٥٥/٨) .

٢ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣١) .

٣ المصدر نفسه .

٤ الشعر والشعراء (٥٠٨/٢) وما بعدها .

٥ H. Winckler, Araabisch-Orientalisch., In Mittel. Vorder. Asai. Gesellschaft,

(1901) 6 Jahrgang, S., 112.

٦ طبقات (٧١) .

٧ الاصمعيات (٨٤) ، (دار المعارف) .

موته ، ويظن انها مصنوعة^١ . وفي جملة ما قاله :

ميتاً خلقت ولم أكن من قبلها شيئاً يموت فت حينَ حيث^٢

وقد طبع الأب (لويس شيخو) ديوان السموأل برواية (نفظويه) (٣٢٣هـ) ،
وقد ترجم (ابن النديم) نفظويه ، وذكر أسماء كتبه ، ولكنه لم يذكر من بينها
اسم هذا الديوان^٣ ، وترجمه غيره ، ولم ينسب له هذا الديوان^٤ . ويرى (بروكلمن)
احتمال كون الشعر المرقم (١ - ٦) من الديوان من الشعر الأصيل ، أي من
شعر السموأل ، أما الشعر الباقي المنشور في الديوان ، فهو لشعراء يهود متأخرين^٥ .
ويرى غيره أصالة قصيدتين فقط من شعر هذا الديوان. وذكر بعضهم ان القصيدة
رقم (٧) ليست للسموأل ، وانما لأحد يهود المدينة^٦ .

وقد تحدث المستشرقون عن شعر (السموأل) ولهم فيه كلام ، فمنهم من يؤيد
أصالة أكثره ، ومنهم من لا يعترف إلا بأصالة القليل^٧ منه . والواقع أن موضوع
وجود (السموأل) نفسه قضية فيها نظر ، ولا استبعد أن تكون هذه القصة من
وضع (دارم بن عقال) ، وهو من ولد (السموأل) ، أو من وضع أناس
آخريين رووا عنه . و (دارم) هو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة
الى (امرى القيس) المتعلقة بهذا الموضوع. وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني)
في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرى القيس) ، ابتداءها :

طرقتك هند بعد طول تجنب وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق

-
- ١ العصر الجاهلي (٣٨٩) .
 - ٢ البيان والتبيين (١٢٧/٣) .
 - ٣ الفهرست (١٢٧) ، شيخو ، ديوان السموأل ، بيروت ١٩٠٩ م ، المشرق ، السنة
الثانية عشرة ، العدد ٣ اذار ١٩٠٩ م (ص ١٦١ وما بعدها) .
 - ٤ نزهة الالباء في طبقات الادباء ، لابن الانباري (١٧٨ وما بعدها) ، (تحقيق :
ابراهيم السامرائي) ، ابن القفطي ، الانباء (١٨٠/١) .
 - ٥ بروكلمن (١٢٢/١) .
 - ٦ بروكلمن (١٢٢/١ وما بعدها) .
 - ٧ Margoliouth, The Relations., p. 71, Ency., IV., p. 133, Fr. Delitzsch, Jüdisch-Arabische Poesien aus vor Muhammedanischer Zeit, Leipzig, 1874, Nöldeke, Beiträge, zur Kenntnis der Poesies der alten Araber, Hanover, 1864, M. Steinschneider, Die Arabische Literatur der Juden, Frankfurt am Main, 1900, Brockelmann, Geschichte der Arabischen Literatur, I, S. 28, Suppl., I, S. 60.

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بين ، وما دوتها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روي عنه من ذلك فلم تكتب هنا »^١ .

ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (نباء اليهودي)^٢ و (الأبلق الفرد) ، حيث يقول :

كن كالسموأل إذ طاف الهام به في جحفل كقريع الليل جرّار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
خبره خطي خسف فقال له مها تقولن فلاني سامع حار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما فاختر فاف فيها حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له اقتل أسيرك إنني مانع جاري^٣ .

ومن ولد السموأل (شريح) و (الغريض بن السموأل) ، وكانا شاعرين كذلك^٤ . و (برة) في رواية من جعلها ابنة للسموأل ، ووالدة (صفية) زوج الرسول^٥ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) (شريح بن السموأل) . وقد ورد في قصيدته الرائية اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)^٦ . ولم يذكر الأخباريون اسم الولد الذي زعم أن (الحارث بن أبي شمر) ، أو (الحارث بن ظالم) قتله لرفض السموأل دفع أدرع الكندي إليه ، على نحو ما يذكره الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في هذه القصيدة المذكورة للأعشى ، الموجودة في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة أنه قالها مستجيراً بـ (شريح بن

١ الاغانى (٧٠/٨) .

٢ البلدان (٤٤٢/٣) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٧٢/٣) .

٣ نزهة الجليس (١٥١/٢) ، المحاسن والاضداد (٣٧) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربي (١٢٢/١) .

٥ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، حاشية على الاصابة .

٦ المشرق ، العدد المذكور (١٦٣) .

(السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسرّه ، وهو لا يعرفه ، فترل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرت بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه القصيدة ، فجاء شريح الى الكلبي ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ، فأطلقه . وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له الأعشى : « ان تمام احسانك إليّ ان تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي ان الذي وهبه لشريح هو الأعشى ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه^١ .

وقد اختلف في اسم (شريح) الذي خلّص (الأعشى) من الأسر ، فقد ذكر انه (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل) ، وذكر انه (شريح بن عمرو الكلبي) لا كما دعاه بذلك (ابن قتيبة)^٢ .

وذكر (بروكلمن) اسم شاعر آخر من شعراء (آل عاديا) ، هو الشاعر (سعيد بن الغريص) (سعيد بن غريص) ، أخي السموأل . كما ذكر اسم (شعبة) حفيد السموأل^٣ . وقد ذهب (نولدكه) الى أن (الغريص) لم يكن أخاً للسموأل ، بل ابناً له ، وأن ما ذهب اليه (أبو الفرج الاصبهاني) ، من أن (غريصاً) كان أخاً له ، خطأ ، لأن (شعبة) ، كان قد اعتنق الإسلام وعاش الى زمن الخليفة (معاوية) ، أي الى زمن بعيد عن (السموأل) ، وهذا يجعل من الصعب تصور أن (شعبة) كان ابن أخي (السموأل) ، بل لا بد من أن يكون حفيداً له . أي ان الغريص كان ابناً للسموأل ، وقد جعله يعيش في حوالى السنة (٦٠٠) للميلاد ، وجعل أيام (السموأل) في حوالى السنة (٥٥٠) للميلاد^٤ .

١ الاغاني (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق رودلف كاير) ، (Rudolf Geyer) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م . محمد حسين) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٢/١ وما بعدها) .
٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٢٢/١) ، تاريخ دمشق ، لابن عساكر (١٥٧/٤) .

٤ Th. Nöldeke, Beiträge Zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber, S. 64, Hannouwer, 1864.

ونسبت لشعبة بن غريص بن السموأل قصيدة هي :

لباب يا أخت بني مالك لا تشتري العاجل بالآجل
لباب داويني ولا تقتلي قد فضل الشافي على القاتل
لباب هل عندك من نائل لعاشق ذي حاجة سائل
علته منك بما لم ينل يا ربما عللت بالباطل
إن تسألني بي فأسألني خابراً فالعلم قد يكفي لدى السائل
ينبيك من كان بنا عالماً عنا وما العالم كالجاهل
أنا إذا جارت دواعي الهوى وأنصت السامع للقاتل
واعتلج القوم بالبابهم في المنطق الفاصل والقاتل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلطف دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل^١

كما نسبت له أبيات أولها:

يا دار سعدى بمفضى تلة النعم حيت داراً على الاقواء والقدم^٢

ونسبوا له أبياتاً في الخلان هي :

أرى الخلان لما قل مالي وأجحفت النوائب ودعوني
فلما ان غنيت وعاد مالي أراهم لا أبالك راجعوني
وكان القوم خلاناً لمالي وإخواناً لما خولت دوني
فلما مرّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني^٣

وروى أهل الأخبار ان (شعبة بن غريص) ، عاش فأدرك أيام معاوية ،
وان معاوية لما حج رأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان ، فقال :
من هذا ؟ فقالوا : شعبة بن غريص ، فأرسل اليه يدعوه ، فأتاه رسوله ، فقال :
أجب أمير المؤمنين ! قال : أوليس قد مات ! قيل فأجب معاوية . فأتاه فلم
يسلم عليه بالخلافة . فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي تكسي منها العاري

Nöldeke, Beiträge, S. 65. f. ١

المصدر نفسه (ص ٦٦) • ٢

المصدر نفسه (ص ٦٧) • ٣

ويرد فضلها على الجار ؟ قال : باقية . قال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال بستين ألف دينار ولولا خلة أصابت الحمي لم أبعها . قال : لقد أغليت ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخلفتها بستائة ألف ، ثم لم تبال . قال : أجل . قال : فإذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك الذي يرثي به نفسه . قال : قال أبي :

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ماذا تؤينني به أنواحي
أيقظن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير مُلاحٍ
وإذا دعيت لصعبة سهلتها ادعسي بأفطح مرة ونجاح^١

فقال : أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك ! قال : كذبت ولولا مت . قال : أما كذبت فنعم . وأما لولا مت فكيف ولم ؟ قال : لأنك أنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الاسلام . أما في الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذبت الوحي حتى جعل الله تعالى كيدك المردود . وأما في الاسلام ، فنعت ولد النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة وما أنت وهي ! وأنت طليق . فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموه . فأخذ بيده فأقيم^٢ .

وقد ذكر (ابن حجر) موجز هذه القصة ، أخذه من (ابن أبي طيء) ، وقد رواها (عمر بن شبة) بسنده الى (الهيثم بن عدي) ، وذكر ان اسمه (سعة بن عريض بن عاديا) التياوي ، نسبة لتياء ، وهو ابن أخي السموأل : ثم قال : « وحكى الخلاف في سعة هل هو بالنون أو الياء ؟ ووردت له أشعار في مجالس ثعلب ، وروي ان من شعره قوله :

معتقة كانت قريش تعافها فلما استحلوا قتل عثمان حلت^٣

وقد نسب (ابن نباته) في شرحه لرسالة (ابن زيدون) القصيدة المذكورة

١ تجد هذه الابيات بشكل اخر في طبقات ابن سلام (٧٢) .
٢ Th. Noldeke, Beiträge.
٣ الاصابة (٤١/٢) ، (رقم ٣٢٤٥) ، (١١٢/٢) ، (٣٦٨٦) .

للسموأل^١ . وأثبت (ابن سلام) الآيات المذكورة في طبقاته ، على أنها من شعر (شعبة بن غريص)^٢ .

و (شعبة) تصحيف (سبعة) ، و (سبعة) من أسماء يهود^٣ .
وأشير في حماسة (البحري) الى رجل من هذه الأسرة دعي (عريض بن شعبة) ، وذكرت له هذه الآيات :

ليس يعطى القوي فضلاً من الرزق ولا يحرم الضعيف الخبيث
بل لكلٍ من رزقه ما قضى الله ولو كدّ نفسه المستميت^٤

ومن شعراء يهود (الربيع بن أبي الحقيق) ، وهو من (بني قريظة) على ما جاء في كتاب الأغاني ، غير أننا نجد (ابن هشام) صاحب السيرة ، يذكر : (سلام بن أبي الحقيق) ، وهو شقيق (الربيع) ، و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) ، وهو أحد أبناء (الربيع) في جملة سادات (بني النضير)^٥ . مما يدل على أن (الربيع بن أبي الحقيق) هو من (بني النضير) . وقد قتل ابن أبي الحقيق بعد (الخندق) ، وذلك أن (الأوس) لما أصابت (كعب بن الأشرف) ، قالت الخرج ، والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، فاستأذنوا النبي في قتل (ابن أبي الحقيق) ، وهو بخير ، فأذن لهم فقتلوه^٦ . وقد جعله (ابن سلام) من بني النضير ، ونسب له أبياتاً دونتها في أول هذا الفصل^٧ . وذكر أن (الربيع بن أبي الحقيق) كان على رأس قومه يوم (بعث) . وذكر أنه كان قد التقى مع (النابغة) ، وقد تسابعا في نظم أنصاف الآيات^٨ .

١ شرح رسالة ابن زيدون (٥٤) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣١) .

٢ طبقات (٧٢) .

٣ Levi Della Vida, in Rivista degli Orientali, VIII Roma, 1919-1921, and Levi Della Vida, A Proposito di AS-Samaw'al, In Rivista degli Orientali, XIII, 1931-1932, p. 52.

٤ الحماسة (٢٣٢) . Th. Nöldeke Beiträge, S. 71.

٥ ابن هشام ، سيرة (١٧٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، الاغاني (٦١/٢١) ، البيان (٢١٣/١) ، (هارون) .

٦ ابن هشام ، سيرة (٢٠٩/٢) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (٢٠٩/٢) وما بعدها .

٧ طبقات (٧١) ، (ليدن) .

٨ الاغاني (٦١/٢١) .

ونسب الى (الربيع بن أبي الحقيق) شعر ، هو :

سئمت وأسيت رهمن الفرا ش من جُرْم قومي ومن مغرم
ومن سفه الرأي بعد النهى وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو أن قومي أطاعوا الحلي م لم يتعدّوا ولم يظلم
ولكنّ قومي أطاعوا الغوا ة حتى تعكس أهل الدم
فأوى السفيه برأي الحلي م وانتشر الأمر لم يبرم^١

وقد نسب (المرزباني) هذا الشعر الى (كنانة بن أبي الحقيق)^٢ ، من بني النضير ، وهو أخ الربيع .

ومن شعر الربيع قوله :

فلا تكثر النجوى وأنت محارب* تؤامر فيها كل نكسٍ مُقَصَّر

قاله يخاطب (أبا ياسر) النضيري ، وهو أخو حيي بن أخطب ، وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفي عبدالله بن صوريا ، ووهب بن يهودا ، نزل قوله :
« ومن الذين هادوا ممتاعون للكذب »^٣ .

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

إذا مات منّا سيد قام بعده له خلف يكفي السيادة بارع
من أبنائنا والعرق ينصر فرعه على أصله والعرق للفرع فارع

وقوله :

يرمي إليّ بأطراف الهوان وما كانت ركابي له مرحولة ذللا
أنا ابن عمك إن نابتك نابتة ولست منك إذا ما لعبك اعتدلا

١ الاغانى (٩٢/٢١) ، وهناك بعض الاختلاف في الروايات .

٢ المرزباني ، معجم (٢٤٦) ، (فراج) .

٣ البيان والتبيين (١٤/٢) .

وقوله :

ترجو الغلامَ وقد أعياك والده وفي أرومته ما ينبت العود
وله أشعار أخرى في بني النجار^١ .

ولكعب بن الأشرف، وهو من سادة يهود الذين كانوا محرضون قريشاً وغيرهم على الرسول ، أشعار في الحث على الانتقام من المسلمين لما أوقعوه بأهل مكة من قتل يوم بدر . ذكرت في سيرة (ابن هشام)^٢ . وله أشعار أخرى افتخر بها بأهله وبماله وبنخيله التي تخرج التمر كأمثال الأكف ، جاء فيها :

رُبَّ خالٍ لي لو أبصرته	سبط المشية اباء أنف
لبن الجانب في أقربه	وعلى الأعداء كالسم الزعف
وكرام لم يشنهم حسب	أهل عزّ وحفاظ وشرف
يذلون المال فيما نابهم	لحقوق تعزيرهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى	غير أنكاس ولا ميل كسف ^٣

ومن شعره في رثاء قتلى بدر قوله :

طلحت رحي بدر لمهلك أهله ولثل بدر تستهل الأدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا إن الملوك تصرع^٤

ويشك (ولفنسون) في صحة نسبة هذه الأبيات الى (كعب) ويرى احتمال كونها من الشعر المحمول عليه^٥ .

Beiträge, S. 75. ff. ١

٢ ابن هشام ، سيرة (١٢٣/٢ وما بعدها) ، الاغانى (١٠٦/١٩) ، الجمان في تشبيهات القرآن (١٣١ ، ٣٣٣) ، ديوان المعاني (٣٩/٢) ، نهاية الارب (١٢٥/١١) ، ابن هشام (١٢٥/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٣ الروض الانف (١٢٥/٢) ، (الزعف) ، ابن سلام ، طبقات (٧١) ، وعلى الاعداد سم كالزعف) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٢) ، المرزباني ، معجم (٢٣١) ، ابن الاثير (٥٣/٢) .

٤ ابن هشام (٣٣٨/٢) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٣) ، ابن هشام (١٢٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٥ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٣) .

وقد ردّ على شعر (كعب) هذا حسان بن ثابت ، وامرأة من المسلمين ،
قالت :

نحن هذا العبد كل نحنن يبكي على قتلي وليس بتاصب
بكت عين من بكى لبدر وأهله وعلت بمثلها لؤي بن غالب

إلى آخر الأبيات .

فأجابها كعب بن الأشرف بقوله :

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلموا عن القول يأتي منه غير مقارب
أتشتمني إن كنت أبكي بعبرة لقوم أثنائي ودهم غير كاذب
فلاني لبك ما بقيت وذاكر مآثر قوم مجدهم بالجباب^١

ويقال إن والده من (طيء) . أما أمه ، فن بني النضير ، وانه شبب بنساء
النبي ونساء المسلمين ، فأمر الرسول بقتله ، فقتله محمد بن مسلمة ورهط معه من
الأنصار^٢ . وله مناقضات وهجاء مع (حسان بن ثابت) وغيره في الأيام التي
وقعت بين الأوس والخزرج^٣ .

ومن شعره الذي شبب فيه بأم الفضل بنت الحارث قوله :

أراحل^٤ أنتَ لم تحلل بمنقبة وتارك أنتَ أم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت من ذي القوارير والختاء والكم
يرتج ما بين كعبيها ومرققها إذا تأنت قياماً ثم لم تقم
أشبه أم حكيم إذ قواصلنا والحبل منها متن غير منجلم
احدى بني عامل جنّ الفؤاد بها ولو تشاء شقّت كعباً من السقم
فرع النساء وفرع للقوم والدها أهل التحلة والإيفاء بالذم
لم أرَ شمساً بليل قبلها طلعت حتى تجلت لنا في ليلة الظلم^٥

-
- ١ ابن هشام (١٢٣/٢) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٧١) ، المرزباني ، معجم (٢٣١) ، المقرئ ، أمتاع الاسماع (١٠٧/١ وما بعدها) .
 - ٣ الاغانى (١٠٦/١٩) .
 - ٤ الطبري (٤٨٨/٢) .

ونسب له شعر في مدح (الحارث بن هشام) ، هو :

نبئت أن الحارث بن هشام في الناس بيني المكرمات ويجمع
ليزور أثربَ بالجموع وإنما بيني على الحسب القديم الأرفع^١

ومن شعراء يهود (أوس بن دنى) القرظي . ذكر أن زوجته اعتنقت الإسلام
في حياة الرسول ، وطلبت منه اعتناقه كذلك ، فقال :

دعني إلى الإسلام يومَ لقيتها فقلت لها لا بل تعالي تهودي
فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمر الدين دين محمد
كلانا يرى أن الرشادة دينه ومن يهد أبواب المرشد يرشد^٢

وله أبيات أخرى ذكرها (نولدكه) في أثناء حديثه عن الشعراء اليهود^٣ .

ولا نعرف من أمر (شريح بن عمران) شيئاً يذكر ، وقد روى له (ابن سلام)
أربعة أبيات في المؤاخاة والصدقة ، والبخل والمال^٤ . وروى (نولدكه) له بيتين
من قافية أخرى في الصدقة والصديق وحفظ العهد ، هما :

آخ الكرام اذا وجدت الى اخائهم سيلا
واشرب بكأسهم وان تشرب به السم الثميلة^٥

وروى له قوله :

بجيلي منك اذا ما ختني ليس لي في وصل خوان ارب
لا أحب المرء إلا حافظاً ربة العهد على كل سبب^٦

١ نسب قريش (٣٠١) .

٢ الاغانى (٩٤/١٩) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٦٥/١) ،
Nöldeke, & Beiträge, S. 76.

٣ Nöldeke, Beiträge, S. 77.

٤ ابن سلام ، طبقات (٧٢) .

٥ Nöldeke, Beiträge, S. 79. f.

٦ Nöldeke, Beiträge, S. 80.

وروى (ابن سلام) أبياتاً من قصيدة تنسب الى (أبي قيس بن رفاعه)^١ ،
قال (البكري) : اسمه دينار ، وقيل انه : (أبا قيس بن رفاعه) الأنصاري ،
فهو ليس من يهود . ومن شعره :

منا الذي هو ما إن طرّ شاربه والعانسون ومنا المرد والمشيب
ونسب لأبي قيس بن الأسلت الأوسي^٢ .

وروى (ابن سلام) قصيدة على قافية الدال مطلعها :
هل تعرف الدار خفّ ساكنها بالحجر فالمستوى الى التمدد
دارٌ لبهتانةٍ خدلجةٍ تبسم عن مثل بارد البرد
ذكر أنها لأبي الذّيال^٣ . وأورد (البكري) له هذه الأبيات :

لم ترَ مثل يوم رأيته برعبل ما احمر الأراك وانمرا
وأيامنا بالكبس قد كان طولها قصيراً وأيام برعبل أقصرا
فلم أرَ من آل السماأل عَصبة حسان الوجوه يخلقون الملعرا^٤

ودرهم بن زيد الذي يقول :

هجرت الرباب وجاراتها وهمك بالشوق قد يطرح
يمانية نازح دارها تقيم بغمدان لا تبرح^٥

وأورد (ابن هشام) قصيدة لرجل من يهود سمّاه (سمال) اليهودي ، يذكر
فيها (بني النضير) مطلعها :

غداة غدوتم على حتفه ولم يأت غدرأ ولم يخلف
بقتل النضير وأحلافها وعقر النخيل ولم تقطف

-
- ١ طبقات (٧٢) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٧١٦/٢) ، الامالي (٦٧/٢) .
 - ٣ طبقات (٧٣) ، Nöldeke, Beiträge, S. 77. f .
 - ٤ Nöldeke, Beiträge, S. 79.
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٧٤) .

وقد ردّ بها على قصيدة نسبت لعلّي بن أبي طالب على رأي ابن اسحاق ،
أو غيره من المسلمين على رأي (ابن هشام) مطلعها :

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقاً ولم أصدف^١

ولما قال (كعب بن مالك) شعراً في اجلاء (بني النضير) وقتل (كعب
ابن الأشرف) مطلعها :

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور

أجابه (سمال) اليهودي ، بقوله :

أرقت وضافني همّ كبير بليل غيره ليل قصير
أرى الأحبار تنكره جميعاً وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم به التوراة تنطق والزبور
قتلتم سيد الأحبار كعباً وقلماً كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمود أخيه ومحمود سريره الفجور^٢

وكان (مرحب) اليهودي من الشعراء ، ولما حاصر المسلمون (خيبر) خرج
من حصنهم قد جمع سلاحه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحزب
إن حمي للحمي لا يقرب^٣

ونسب الى أحد اليهود بيت شعر ، خاطب فيه (مالك بن العجلان) بقوله :

تسقيت قبله أخلافها فقيمن بقيت وفيمن تسود

فأجابه (مالك) بقوله :

إني امرؤ من بني سالم بن عوف وأنت امرؤ من يهود

١ ابن هشام (١٧٩/٢) ، (حاشية على الروض) .
٢ ابن هشام (١٨٠/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
٣ ابن هشام (٢٣٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

ولما هرب اليهود الى بيعهم وكنائسهم ، قال مالك :

تحاني اليهود بتلعانها تحاني الحميز بأبوالها
فاذا عليّ بأن يلعنوا وتأتي المنايا بأذلالها^١

وفي المفضليات قصيدة لرجل يهودي لم يذكر اسمه مطلعها :

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أي ما فاتنا تعجب
فلسنا بأول من فاته على رفقة بعض ما يطلب^٢

ومن شعراء يهود (أبو أثاية) القرظي^٣ ، و (أبو ياسر) النضيري^٤ ،
وأبو القرثع اليهودي^٥ . و (عمرو بن أبي صخر بن أبي جرثوم) اليهودي ،
(أبو حمزة) . وله شعر في الجيران^٦ ، و (كعب بن أسد بن سعيد) القرظي
اليهودي ، من بني قريظة ، جاهلي ، له مع قيس بن الخطيم في يوم (بُعث)
مناقضات^٧ ، و (مالك بن عمر النضيري) ، وهو جاهلي^٨ .

وذكر (المعري) اسم شاعر يهودي ، ذكر ان اسمه (بُسمير بن أدكن)
(سمير بن أدكن) ، من أهل خيبر ، قال شعراً لما أمر (عمر) باجلاء أهل
الكتاب من جزيرة العرب ، هو :

يصول أبو حفص علينا بدرّة رويك ان المرء يطفو ويرسب
كأنك لم تتبع حمولة ما قطّ لتشيّع ، إن الزاد شيء محب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم علينا ، ولكن دولة ثم تذهب

Th. Nöldeke, Beiträge, S. 83. ff. ١

Th. Nöldeke, Beiträge, S. 84. f. ٢

المرزباني ، معجم (٥٠٧) . ٣

المرزباني ، معجم (٥١٥) . ٤

المرزباني ، معجم (٥١٣) . ٥

المرزباني (٥٩) . ٦

المرزباني ، معجم (٢٣٢) . ٧

المرزباني ، معجم (٢٦١) . ٨

ونحن سبقناكم الى اليمن فاعرفوا لنا رتبة البادي هو أكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا^١

وذكر ان (جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد
غهم بن جحاش بن مجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان) الشاعر الديلمي
ثم الثعلبي ، كان يهودياً مع (بني قريظة) وكان قد رثى (جزي بن أخطب)
بأبيات منها :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

وقال بعض الناس انها لحبي بن أخطب نفسه . وذكر انه من ذرية (العطيون
ابن عامر بن ثعلبة) (الفطيون ؟) ، وكان يهودياً فأسلم ، وهو القائل لما فتح
النبي خيبر :

رمت نطاة من النبي بفيلق شهباء ذات مناقب وفقار

وذكر انه هو القائل :

ألا يا سعد سعد بني معاذ لما فعلت قريظة والنضير
تركتكم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تغور

وزاد المرزباني فيها :

ولكن لا خلود مع المنايا تحطف ثم تضمنها القبور
كانهم غنائم يوم عيسد تدبح وهي ليس لها نكير

فأجابه حسان :

تعاهد معشراً نصرُوا علينا فليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه فهم عمي عن التوراة بور
كذبتهم بالقرآن وقد أبيتهم بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير^٢

١ رسالة الغفران (٤٤١ وما بعدها) ، (بنت الشاطي) .

٢ الاصابة (٢٢٣/١ وما بعدها) ، (رقم ١٠٧١) .

وأورد (أبو الفرج الاصبهاني) أبيات شعر، نسبها الى شاعرة يهودية سمّاها
(سارة) القريظية ، ذكر أنها قالتها في رثاء قومها بعد أن قتل (أبو جيلة)
أشراف اليهود :

بنفسي أمة لم تغن شيئاً بندي حرّض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتها سيوف الخزرجية والرماح
رزقنا والرزية ذات ثقل يمر لأهلها الماء القراح
ولو أريّوا بأمرهم لجالت هنالك دونهم جأوى رداح^١

وذكر (الجاحظ) يتيّن نسبها لشاعرة يهودية ، قالتها في نفث الرقية والعثار، هما:

وليس لوالدة نفثها ولا قولها لابنها دعدع
تداري غراء أحواله وربك أعلم بالمصرع^٢

وقد جمع (ديلتج) أشعار يهود وتحدث عن أصحابها^٣ .

١ الاغانى (٩٦/١٩) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٤) ،
Nöldeke, Beiträge, S. 52. ff.

٢ الحيوان (٣٥٩/٦) .

٣ Delitzsch, Jüdisch — Arabische Poesien aus Vormuhammedanischer Zeit,
Leipzig, 1874.

الفصل السادس والستون بعد المئة

الشعراء النصارى

وحديثنا عن الشعر النصراني ، مستمد من الموارد الإسلامية . أما النصوص الجاهلية ، فليس فيها أي شيء عن هذا الموضوع . وأما النصوص الأعجمية ، فلم تحفل به أيضاً ، ولم تتطرق الموارد الإسلامية الى الشعر النصراني نفسه ، من حيث طبيعته ومادته ، وما امتاز به عن الشعر الوثني ، أو شعر الشعراء اليهود ، وما سنذكره عن الشعراء النصارى ، مستمد من أسماء آبائهم ومن أسمائهم التي تدل على كونهم من النصارى ومن الشعر المنسوب اليهم .

والشعراء النصارى الذين نص على نصرانيتهم أهل الأخبار ، مثل (عدي بن زيد) العبدي ، أو لم ينص على نصرانيتهم ، وإنما يفهم من شعرهم ومن مواطنهم أنهم كانوا نصارى ، هم من الحضرة ، من سكان القرى ومن قبائل اشتهرت بتنصرها ، وقد وجدت النصرانية سبيلها الى مواطن الحضرة والأعراب فأقامت (بيعاً) وكنائس للتبشير بالنصرانية ، ولتعليم أتباعها أمور الديانة ، وللإشراف على ادارة شؤونهم الدينية ، وقد كان أكثر من قام بالتبشير من غير العرب في بادئ الأمر ، من روم ومن (بني لرم) ، ثم انضم اليهم رجال دين عرب ، كانوا قد تعلموا النصرانية في المدارس ، وأظهروا فهماً ونباهة فيها ، فعينوا مبشرين ومعلمين لتعليم العرب والأعراب أصول النصرانية ، ولنشرها في جزيرة العرب ، وكان من المبشرين من يتنقل مع الأعراب ، لهم خيامهم ، يرتحلون بها من مكان الى مكان ، فعرفوا لذلك برهيان الخيام .

« وكانت تنوخ في المرتبة الأولى بين عرب البادية الذين عرفوا النصرانية قبل الإسلام بزمان طويل . وقامت جماعة تنوخ على أساس حلف عقده بنو فهم وبنو تيم اللات مع قبائل من التزاريين وغيرهم . ومن شعراء تنوخ أسد بن ناعسة التنوخي ، الذي كان معاصراً لعنزة ، وكان مولعاً بالاكتثار من الألفاظ الغريبة في قصائده ، حتى كان الخليل نفسه يتشكك في تفسيرها في كتاب العين ^١ .

وقد كانت النصرانية واسعة الانتشار على عهد الرسول ، في قضاة ، وربيعة وتميم ، وطيء ، وكان لها أتباع في القرى العربية ، وبين الأعراب ، وبواسطتهم عرف العرب شيئاً عن النصرانية وعن رجالها الذين كانوا يقيمون في البيع ، أو يسبحون في البلاد ، ويرتحلون مع الأعراب طمعاً في تنصيرهم ، وفي تعليم المنتصرين منهم أمور الدين . فقد كان بمكة نفر من التجار النصارى ، وجماعة من الرقيق الأسود والأبيض ، كانوا على النصرانية ^٢ ، وكان يثرب بعض النصارى كذلك ، وكذلك بالطائف . أما نجران ، فكانت من مراكز النصرانية المهمة في ذلك العهد . وقد ورد ان (طلق بن علي بن طلق بن عمرو) السحيمي الحنفي ، وهو من سادة بني حنيفة باليامة ، كان نصرانياً ، فلما ذهب الى المدينة وشاهد الرسول أسلم أمامه ، فلما أراد العودة أخبر رسول الله ان بأرضهم بيعة ، فقال له الرسول ولمن معه : « اذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم وابنوها مسجداً » ، فكسروا بيعتهم واتخذوها مسجداً ، ونضحوها بماء فضل ظهور رسول الله ، وكانوا قد جاءوا به في اداة ، وكان يدير البيعة راهب من طيء ، فارتحل عنهم .

واذا صح هذا البيت المنسوب الى حسان :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد^٣

فإن فيه دلالة على وجود نصارى ويهود بالمدينة عند وفاة الرسول .

ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر التحدث عن مدى تغلغل النصرانية في قلوب

١ بروكلمن (١٢٤/١) .

٢ الاستيعاب (٢٣١/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، (طلق بن علي بن المنذر بن قيس) ، (٠٠٠) ، خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات (٦٥) ، ابن سعد ، طبقات (٤٠٢/٥) ، أسد الغابة (٦٣/٣) .

٣ ديوان حسان (٥٩) ، (هرشقلد) .

النصارى^١ العرب . ولكننا نستطيع أن نقول قياساً على ما نعرفه من أحوال الأعراب وأحوال أهل القرى ، أي الحضر ، أن النصرانية كانت أوضح وأعمق جذوراً في نفوس أهل المدر ، منها في نفوس أهل الوبر . أما الأعراب فكانت نصرانيتهم اسمية في الغالب شأنهم شأن أعراب هذا اليوم ، وأعراب كل زمان ، متدينون بدين ، ولكنهم لا يعرفون من دينهم إلا الاسم ، دينهم الصحيح ، الذي يقلب على نفوسهم هو دين الفطرة ، أعني العرف الذي ولدوا ونشأوا عليه . ولكن الرهبان ورجال الدين كانوا يتقلون بين القبائل لتنصيرهم ، حاولوا جهودهم لتعليمهم قواعد النصرانية وأصولها ، ومنها : عدم اغارة بعضهم على بعض ، والعيش بعضهم مع بعض بسلام ، حتى أنهم أثروا على بعض ساداتهم فحملوهم على الزهد والدخول في الرهبة وكره الدماء ، فذكر مثلاً أنهم أثروا على (داود ابن هباله) سيد (بني سليج) ، من قضاة ، فأدخلوه في النصرانية ، وكره الدماء وبني دبراً ، فكان ينقل الطين على ظهره والماء ، فسمي اللشق ، فنسب الدير اليه ، وأنزله الرهبان ، واعتزل الغزو الى أن أمره ملك الروم به ، فلم يجد بداً من أن يفعل^١ . وقد كانت العرب تتهم القبائل العربية المنتصرة بعدم قدرتها على القتال ، وتستهن بها إذا ما التحمت بها في قتال .

والشعر النصراني ، شعر سهل لين بالنسبة الى شعر الشعراء الأعراب ، وقد علل علماء الشعر ذلك بكون هؤلاء الشعراء من سكنة القرى والأرياف ، ومن سكن القرية أو الريف لان لسانه ورق كلامه ، ولهذا قالوا إن في شعر شعراء القرى لا مثل أهل مكة ويثرب ليونة ، لأنهم لم يثبتوا في البوادي ، ولم يقاسوا ما يقاسيه الأعراب من خشونة وشدة وضنك في الحياة ، بل عاشوا في استقرار وأمان في حياة ناعمة بالقياس الى حياة الأعراب ، ولهذا لان لسانهم ، وسهل شعرهم ، وصار من السهل على صناع الشعر ومزوريه صنع الشعر على ألسنتهم ، كالذي فعلوه من وضع شعر كثير على لسان (عدي بن زيد) العبادي النصراني ، وعلى شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو من شعراء ثقيف ، وعلى شعر (حسان ابن ثابت) ، وهو من شعراء يثرب .

ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء ، اللهم في تطرق

١ أسماء المغتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) (ص ١٢٧) .

شعر (عدي بن زيد) وأضرابه الى معان دينية ، والى إشارات الى بعض معالم نصرانية . اما فلسفة نصرانية ، أو حديث عن التثليث أو عن العقائد النصرانية الأساسية التي تميز النصراني المتدين عن غيره ، فلا نجد لها ولا لأمثالها موضعاً في هذا الشعر . نعم لقد تطرق (عدي بن زيد) ، وكذلك الأعشى الى قصص مستمد من أصول نصرانية ، كما تطرق الى أعياد نصرانية ، ولكننا نجد في شعر غيرهم إشارات الى الأديرة والكنائس والرهبان والرهبة ومصطلحات نصرانية وأشياء أخرى عرفوها من احتكاكهم بالنصارى ، ومن سماعهم شيئاً عن النصرانية من النصارى العرب ، تجعل من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين . ولهذا ذهب بعض المستشرقين الى ان من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الاسلام^١ .

ومن النصارى (العباد) ، وهم عرب تنصروا ، ولم يكونوا من قبيلة واحدة ، وانما كانوا من مختلف العرب . ولفظ (العباد) لفظة خصصت بنصارى الحيرة خاصة . ويذكر في « الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام : الروم والعباد »^٢ . ويظهر ان مرد ذلك ، هو ان الروم والعباد ، كانوا أصحاب ديانة ورجال دين ومؤسسات دينية منظمة ، ومدارس ، وثقافة ، فكان من الصعب عليهم وكلهم نصارى ، نبذ دينهم والدخول في الاسلام ، لا على نحو العرب الوثنيين ، الذين لم تكن لهم كتب دينية ، ولا منظمات دينية ، وكل ما كان عندهم عرف وعادات وتمسك بأصنام جبلوا على عبادتها ، ولهذا كان تحولهم عنها أسهل من تحول العباد عن دينهم . وفي جملة (العباد) (بنو امرئ القيس بن زيد مائة) واليههم ينسب (عدي بن زيد)^٣ .

وقد أدخل (كارلو نالينو) (أبا دؤاد) الإيادي في عداد الشعراء النصارى^٤ ،

١ George Graf, Geschichte der christlichen Arabischen Literatur, I, S. 32,
Siegmond Fränkel, Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, Leiden,
1886, S. 267, Tor Andrae, Der Ursprung der Islams, S. 32. ff.

٢ الروض الانف (٥٣/١)
٣ سيرة ابن هشام (٥٣/١) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف
٤ (٥٣/١)
كارلو نالينو (٨٩)

ولكني لم أجد في شعره الى ما يشير الى تنصره ، فلعلته أدخله في النصرانية ، لما عرف عن انتشارها بين إباد ، وهو (أبو دؤاد جارية بن الحجاج) ، ويقال : (جويرية بن الحجاج بن يجر بن عصام بن منبه بن حذافة بن زهر بن إباد بن نزار بن معد) ، وقيل : (حنظلة بن الشرقي) شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها . ذكر أهل الأخبار أن « ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد : طفيل ، وأبو دؤاد ، والناطقة الجعدي . فأما أبو دؤاد ، فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر ، وأما طفيل فإنه كان يركبها ، وأما الجعدي فإنه سمع من الشعراء فأخذ عنهم » . وقال (أبو عبيدة) : « أبو دؤاد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام ، وبعده طفيل الغنوي والناطقة الجعدي »^١ . وله شعر في المدح والفخر ، لكن شعره في الخيل أكثر^٢ . وما يلتفت النظر ، أن يكون أكثر شعر أبي دؤاد في وصف الخيل ، ثم يكون مدحه لقومه بأنهم (أهل البغال) . حيث ورد في شعر هو :

نشدتكم بالله يا أهل البلد هل سابق فيكم لمجد من أحد
إلا إباد بن نزار بن معد^٣ أهل البغال والقباب والعدد
ما سامهم في الدهر ملك بعقد^٤

ولاني أشك في هذا الشعر، فأسلوبه لا يدل على أنه من أساليب شعراء الجاهلية، ولا سيما الشطر الأول من البيت الأول ، ثم إن هذا النسب المسطور في الشطر لأول من البيت الثاني ، هو نسب ظهر في الإسلام ، وعرف في أيام الأمويين . وذكر ان (الحجاج) كان معروفاً بـ (حمران) . ولذلك قيل لأبي دؤاد : (جارية بن حمران) . وقيل له : (حارثة بن الحجاج) ، كما قيل له : (جريرة) ، و (حوثة) ، ويظهر ان مصدر هذا الاختلاف هو وقوع النسخ في أخطاء في أثناء تدوين الاسم ، فاختلط الأمر عليهم بين (جارية) و (حارثة) ،

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٩/١) ، تاج العروس (٣٤٧/٢) ، (داد) ، الاغانى (٩١/١٥) ، الخزائن (١٩٠/٤) ، المؤلف والمختلف (١١٥) ، الموشح (٧٣) ، الاغانى (٩١/١٦) وما بعدها ، (ساسي) ، الشعر والشعراء (١٦١/١) وما بعدها ، العيني (٣٩١/٢) .
 - ٢ الاغانى (٩٥/١٥) ، غرونيبوم (٢٦٢) .
 - ٣ غرونيبوم (٣٠٢) ، وهو من الرجز ، منقول من جمهرة ابن الكلبي ، الورقة ٣١ .

وبين (جويرة) ، و (جريرة) ، و (حوثة)^١ ، وهو اختلاف طالما نجده في أسماء وفي ألقاب الأشخاص الجاهليين ، يقع بسبب التصحيف .

وهو من (بني حذاقة) ، كما يظهر من شعر ينسب لطرفة ، وقد أشار (أبو دؤاد) في القصيدة الميمية التي تنسب إليه الى (حذاق) بقوله :

من رجال من الأقارب فادوا من حذاق، هم الرؤوس الكرام^٢

وحذاق قبيلة من إباد .

وكان شاعرنا من إباد ، وقد تزوج امرأة من قبيلته ، ماتت بعد أن تركت له صبياً اسمه (دؤاد) ، فتزوج امرأة أخرى ، طلقها لأنها كانت تمقت ابنه ، وكان ابنه شاعراً ، رثى والده يوم وفاته . وقد تزوج (أبو دؤاد) امرأة أخرى هي (أم حنتر) لكنها طلقته لتبذيره وإسرافه ، وللخصومات التي كانت تقع بينها^٣ . ويظهر أنه ترك ابنة اسمها (دؤادة)^٤ .

وقد ذهب (بروكلمن) الى انه كان من المعاصرين للمنذر بن ماء السماء، الذي قدر وقته فيما بين حوالي (٥٠٦) و (٥٥٤) للميلاد^٥ . وذهب (فون غرونباوم) الى انه كان حياً من سنة ٤٨٠ الى حوالي (٥٤٠ - ٥٥٠) للميلاد^٦ .

وقد ورد اسم (أبو دؤاد) في شعر (طرفة) ، كما ذكره (الأسود بن يعفر) ، الشاعر نديم (النعمان بن المنذر) ، حيث يقول :

ماذا أؤمل بعد آلٍ محرق تركوا منازلهم ، وبعد إباد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

١ « وأبو دؤاد الايادي ، وهو حوثة بن الحارث بن الحجاج » ، اليعقوبي (٢٢٣/١) ، (طبعة النجف) ، العيني (٤٤٥/٣) ، غوستاف فون غرونباوم ، دراسات في الادب العربي (ص ٢٥٥) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٢/١) ، الخزائن (١٩١/٤) ، (بولاق) .

٣ الاغاني (٩٥/١٥ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨) ، الامدي ، المؤلف (١١٦) .

٤ الاغاني (٩٨/١٥ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨ وما بعدها) .

٥ بروكلمن (١١٨/١) .

٦ دراسات في الادب العربي (٢٥٦ وما بعدها) .

نزلوا بأنقرة يسيل^١ عليهم^٢ ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخبرها لطيب مقلها^٣ كعب بن مامة وابن أم دؤاد^٤

وكعب بن مامة من إباد، وابن أم دواد ، هو الشاعر أبو دؤاد (أبو دواد)
الإبادي . و (أنقرة) موضع بالعراق على مقربة من الحيرة^٥ . ويظهر من هذا
الشعر ، أن (إباداً) ، أو فرعاً منها ، نزلوا بأنقرة ، بزعامة كعب بن مامة
والشاعر أبو دؤاد .

وكان في عصر (كعب بن مامة) الإبادي ، الذي أثر بنصيبه من الماء
رفيقه (النبري) فأت عطشاً ، فضرب به المثل في الجود ، وبلغه عنه شيء
فقال :

وأتاني تقحيم كعب^٦ إلى المنطق^٧ إن النكيثة^٨ الأتحام^٩
في نظام ما كنت فيه فلا يحزنك قول^{١٠} ، لكل حسناء ذام^{١١}
ولقد رابني ابن عمي كعب^{١٢} إنه قد يروم ما لا يرام^{١٣}
غير ذنب بني كنانة مني^{١٤} ان أفارق فلأني مجدام^{١٥}

وكان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه ،
فضرب المثل بجار أبي دؤاد ، قال طرفة :

لأني كفاني من هم^{١٦} هممت به جار كجار^{١٧} الحذاقي الذي انتصفا^{١٨}

والحذاقي هو (أبو دؤاد) ، والحذاق قبيلة من إباد .

ويقال : إنما أجاره الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان ، وذلك ان
قباذ سرح جيشاً إلى إباد ، فيهم الحارث بن همام ، فاستجار به قوم من إباد
فيهم أبو دؤاد ، فأجارهم .

وذكر ان جار (أبي دؤاد) هو كعب بن مامة^{١٩} ، وكان (أبو عبيدة)

١ الشعر والشعراء (١٧٦/١) ، (الاسود بن يعفر) .

٢ تاج العروس (٥٨٢/٢) ، (نقر) .

٣ الشعر والشعراء (١٦١/١) وما بعدها ، الخزائنة (٤٠٨/١) وما بعدها ،

(بولاق) .

يلذكر ان جار (أبي دؤاد) ، هو (كعب بن مامة) ، وأنشد لقيس بن زهير
ابن جذيمة في ربيعة بن قُرط :

أحاول ما أحاول ثم آوي الى جارٍ كجارٍ أبي دؤاد^١

ويظهر أن (قباز) لما أرسل جيشاً على (إِيَاد) هربت من مواطنها فأجارها
(الحارث بن همام) . وورد في رواية أن جَدَّاباً حل بإياد ، فاضطرت بطونها
على الارتحال الى مواضع أخرى ، وكانت لهم ناقة اسمها (الزباء) ، كانوا
يتبركون بها ، فخرجت تلتبس لهم الخصب والمرعى ، حتى بركت بالحارث بن
همام ، فتزلت إياد عنده ، وأجارهم^٢ .

وتذكر رواية أن (الحارث بن همام) ودى ابناً لأبي دؤاد : غرق حين
كان أبو دؤاد في جواره ، فدحه . فحلف الحارث أنه لا يموت لأبي دؤاد
ولد ، إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه عليه^٣ .

ويرى (غرونبوم) أن (أبا عبيدة) ، هو الذي صيّر (كعب بن مامة)
الإيادي جار (أبي دؤاد) ، وقد تابعه من جاء بعده على ذلك ، فصار (كعب)
بذلك مجير شاعرنا ، بينما هو (الحارث بن همام)^٤ . وسبب ذلك أن (كعباً)
كان قد اشتهر بالكرم والإيثار وتقديم الغريب على نفسه ، حتى أنه ضحى بنفسه
في سبيل صاحبه (النميري) حتى فضله بعض أهل الأخبار على (حاتم) الطائي
في الجود^٥ . ثم إن كعباً من إياد ، فرعاً بفضل بنو إياد أن يكون منهم أسخى
وأكرم رجل في العرب ، على أن يكون من غيرهم ، ولذلك افتخروا به ،
فنسبوا الجوار له ، وحذفوه من (الحارث بن همام) ، وهو من (بني شيبان) .

وهناك رواية تجعل (المنذر) جاراً لأبي دؤاد ، لأنه ودى أبناء (أبي دؤاد) ،
ودى كل ابن بمائتي بعير ، حينما قتلهم (رقبة بن عامر) البهراني ، وكان رقبة

١ الشعر والشعراء (١٦٢/١) .

٢ غرونبوم ، دراسات (٢٥٩) .

٣ المصدر نفسه (٢٥٩) .

٤ غرونبوم ، دراسات (٢٥٩ وما بعدها) .

٥ البخلاء ، للجاحظ (١٥٨ ، ٢١٨ ، ٣٨٢) ، ثمار القلوب (٩٨ وما بعدها) ،

المحاسن والاضداد (٥٤) ، الحيوان (٣٧/٢) ، البيان والتبيين (١١٢/١) .

في جوار المنذر^١ . وذكر (البغدادي) ، ان أحد الملوك أحسن الى (أبي دؤاد) وأجاره ، فضرب المثل بجار (أبي دؤاد) ، ولم يذكر اسم الملك . قال طرفة :

لاني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحداقي الذي انتصفا^٢

وقد ذكر (البغدادي) في الجزء الأول من الخزائن في تفسير بيت قيس بن زهير بن جذيمة :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى جار كجار أبي دواد

« وأبو دواد ، هو أبو دواد الإيادي الشاعر المشهور ، وجاره كعب بن مامة الإيادي ، الجواد المشهور ، وقيل : بل هو الحارث بن همام بن مرة ، وكان أسر أبا دواد ناساً من قومه ، فأطلقهم وأكرم أبا دواد وأجاره فدحه أبو دواد وأعطاها ، وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له . ويقال ان ولد أبي دواد لعب مع صبيان في غدير فغمسوه فأت ، فقال الحارث : لا يبقى صبي في الحمي إلا غرق . فودى ابنه بديات كثيرة^٣ .

ونسب بعض رواة الشعر اليه القصيدة التي أولها :

أعني على برق أراه وميض يضيء حياً في شمرايح يبيض

وهي قصيدة تنسب أيضاً الى (امرئ القيس)^٤ .

ونسب (الأصمعي) له قوله :

ويصيح أحياناً كما استمع المفضل دعاء ناشد^٥

وقد تمثل بشعره ، ومما تمثل به قوله :

أكل امرئ تحسبين امرأ وناراً تحرق بالليل نارا

-
- ١ الاغاني (٩٩/١٥) ، غرونبوم (٢٦٠) .
 - ٢ الخزائن (١٩١/٤) .
 - ٣ الخزائن (٤٠٨/١) ، (بولاق) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٠٣/١) .
 - ٥ رسالة الغفران (٤٠٩) .

وقوله :

الماء يجري ولا نظام له لو وجد الماء مخرقاً خرقه^١

ومن شعره :

ترى جارنا آمناً وسطنا يروح بعقد وثيق السبب
إذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج وعقد الكرب

أخذه الخطيئة ، فقال :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وكان الخطيئة من المقدرين لشعره . قيل له من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

لا أعد الإقتار حكماً ولكن فقد من قد رزقه الأعدام

من قصيدة تعد من أجود شعره^٢ .

ومن شعره قطعة هجا فيها رجلاً اسمه (امرؤ القيس بن أروى) ، إذ يقول فيه :

امراً القيس بن أروى مؤلياً ان رأني لأبوان بسبد
قلت بجلاً، قلت قولاً كاذباً إنما يمنعني سيفي ويد^٣

وقد وضع (غرونبوم) قبل هذين البيتين : بيتاً هو :

وفتر حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد^٤

١ الشعر والشعراء (١٦٣/١) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٢/١) ، (الثقافة) .

٣ اللسان (٢٠٢/٣) ، (بحرا) ، (سبد) ، (بحرا) ، تاج العروس (٣٧٠/٢) ، (سبد) . وقد ورد البيتان على هذه الصورة : « قال أبو ذؤاد الايادي :

امرو القيس بن أروى مقسم ان رأني لأبوان بفند

قلت بجلاً قلت قولاً كاذباً إنما يمنعني سيفي ويد »

تاج العروس (٢٣١/٧) ، (بجل) .

٤ غرونبوم ، دراسات (٣٠٥) .

وقد ورد في (اللسان) وفي (التاج) على هذه الصورة :

في فتو حسن أوجههم من إيراد بن نزار بن مضر^١

وعندي ان هذا البيت من الشعر المصنوع ، لأن هذا النسب ، لم يعرف إلا في الاسلام ، ولا يوجد دليل يثبت وقوف الجاهليين عليه . وهو على الصورة التي ورد عليها في لسان العرب وفي تاج العروس خطأ ، لأن نزاراً ليس ابن مضر في عرف أهل الأنساب ، كما سبق أن تحدثت عن ذلك في باب العرب المتعربة .

وقد نسب هذا البيت الى (الحارث بن دوس الإيادي)^٢ .

ونجد الشاعر يرثي رجلاً اسمه (أبو بجاد) ، نعتته بـ (أبي الأضياف في السنة الجهاد) ، وهذا الوصف هو من الأوصاف الدالة على غاية الكرم ، إذ يلجأ الناس اليه في أيام الجوع وانحباس المطر وحصول القحط ، حيث يجب أن يمسك الانسان بماله من الإسراف في انفاقه ، أما هو فلكرمه لا يحفل بسنة المحل سنة الجهاد ، بل يعطي وينفق على كل من يلجأ اليه مستجيراً . ولا نعلم من خبر (أبي بجاد) هذا شيئاً يذكر^٣ . وقد ورد في (تاج العروس) : « وأبو البجاد شاعر سمي بيت قاله :

فويل الركب إذ آبوا جيعاً ولا يدرون ما تحت البجاد^٤ »

ولكن هل توجد صلة بين (أبي بجاد) الممدوح ، وبين (أبي البجاد) الشاعر ؟ وجوابي : لا .

وقد أشار (أبو دؤاد) الى قتال وقع بين (بني شهران) وبين قوم آخرين لم يشر الى اسمهم ، وذلك في هذا البيت :

وَلَتَ رجال بني شهران تتبعها خضراء يرمونها بالليل من شمم^٥

١ اللسان (٧٧/٣) ، (أيد) ، تاج العروس (٢٩٣/٢) ، (آد) .

٢ العمدة (٧٩/٢) .

٣ تاج العروس (٩٩/٥) ، (هض) ، اللسان (١١٦/٩) ، (هض) .

٤ تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (بجد) .

٥ غرونهاوم ، دراسات (٥٦) .

وينسب رواية الشعر له شعراً زعم أنه قال فيه :

ضربنا على تُبُع جزية جياذ البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هارباً وكان جباناً كثير الكذب
واتبعته فهوى للجبين وكان العزيز لها من غلب^١

وتبع ، لقب يطلقه العرب على ملك حمير ، فيقولون تبايعه اليمن ، يريدون ملوك اليمن . والتبع (أبو كرب) هو الملك : (أبو كرب أسعد) وهو ابن الملك (ملك كرب يهأمن) ، الذي حكم من سنة (٣٨٥) حتى السنة (٤٢٠) للميلاد^٢ . ولكن كيف ضربت (إباد) الجزية على (تبع) ، وكيف وصل الشاعر الى اليمن البعيدة عن إباد ؟ قد يقال إنه أشار الى غزو قام به أحد ملوك الحيرة على (أبي كرب أسعد) ، تبع اليمن ، انتصر فيه ملك الحيرة على التبّع ، وكان هو وقومه قد ساهموا فيه ، ولكننا لا نستطيع التأكد من ذلك ، إذ من يثبت لنا أن هذا الشعر هو شعر صحيح ، لم تصنعه العدنانية على لسانه في الإسلام حتى نصدق بصحة الخبر !

ونجد في شعره إشارة الى (قباذ) ، والى (الحضر) ، إذ يقول :

أين ذو التاج والسرير قباذ خبته الأيام فبادَ احدى الخُبُون
ولقد عاش آمناً للدواهي ذا عتاد وجوهر غزون
وأرى الموت قد تدلى من الحضر على ربّ أهله الساطرون
صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون
ملك الحضر والقرات فما دجلة شرقاً فالطور من عابدين
ولقد كان في كتاب خضر وبلاطٍ يشاد بالآجرون^٣

و (قباذ) ملك من الساسانيين حكم من سنة (٤٨٣ - ٥٣١) بعد الميلاد ، وأما (الساطرون) فقد تحدثت عنه في الجزء الثاني من هذا الكتاب^٤ .

-
- ١ غرونيباوم ، دراسات (٢٩١) .
 - ٢ راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص ٥٧٤) .
 - ٣ حماسة البحري (٨٧) ، تاج العروس (٢ / ٢٦١) ، (٩ / ٢١٤) ، الامالي ، للشجري (١ / ١٠٠ ، ٣٦١) ، غرونيباوم ، دراسات (٣٤٥) .
 - ٤ (٦١٥ وما بعدها) .

ولدينا قطعة من الشعر نسبت اليه ، وردت فيها أسماء مواضع مثل : (هضبة ذي الأسد) ، و (السليحين) ، و (برقة الأثمد) ، ثم أشار الى معركة وقعت بين (إباد) قومه وبين (تنوخ) انتصفت فيها (إباد) من تنوخ ، إذ يقول :

ولقد صَبَّين على تنوخِ صَبَّةً فجزينهم يوماً بيوم قحادا^١

وكان علماء العربية لا يستشهدون بشعر (أبي دؤاد) ولا بشعر (عدي بن زيد العبادي) ، لأن ألفاظها ليست بنجدية^٢ .

ذكر (الجاحظ) ان (أبا إياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دواد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي »^٣ . ويروي (الأصمعي) ان الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، ولمخالفتها مذاهب الشعراء^٤ ، ولم يكن (الأصمعي) ممن يهوى اليه كثيراً ، بدليل انه جعل شعره صالحاً غير انه لم يجعله في عداد فحول الشعراء^٥ .

وورد في الأخبار ان (الخطيئة) ، كان يرى انه أشعر الناس . فقد ورد ان (سعيد بن العاص) سأل (الخطيئة) : أي الناس أشعر ؟ قال : الذي يقول :

لا أعد الإقتار علماً ولكن فقد من قد رزقته الأيام

وقائل هذا البيت ، هو أبو دواد الإيادي^٦ .

وكان (أبو الأسود) الدؤلي ، وهو من الحذاق العالمين بالشعر ، يتعصب له^٧.

-
- ١ غرونيوم (٣١٠ وما بعدها) ، وقد أشار الى الموارد التي أخذ منها تلك الابيات .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٢٠) ، الاغاني (٩١ / ١٦ وما بعدها) ، الموشح ، للمرزباني (٧٣) ، الجرجاني ، الوساطة (٤٧) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١ / ١١٩ ، ١٢٦) ، الشعر والشعراء (١ / ١٦٢) ، (دار الثقافة) .
 - ٣ البيان والتبيين (١ / ٣٢٣) .
 - ٤ الاغاني (٩٧ / ١٥) ، الخزانة (٤ / ١٩١) ، الموشح (٧٣) .
 - ٥ غرونيوم (٢٦١) .
 - ٦ رسالة الغفران (٥٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (١ / ٣٦٠) .
 - ٧ غرونيوم (٢٦١) .

وكانت (إيراد) تفخر بشاعرها (أبي دؤاد) ، وتقول : منّا أجود العرب : كعب بن مامة ، ومنّا أشعر الناس : أبو دؤاد ، ومنّا أنكح الناس : ابن الغزّال . وقد ادعت إيراد أن الشعر بدأ بها ، لأنه بدأ بأبي دؤاد^١ .

وقد استشهد علماء شواهد النحو ببيت له ، هو :

ربما الجامل المؤيل فيهم وعناجيج بينهن المهار

وقد ذكر السيوطي أنه من قصيدة طويلة عدتها ثمانية وسبعون بيتاً^٢ .

وقد عدّه بعض أهل الأخبار في الشعراء المقلين^٣ . ونجد له شواهد في الانتعاض والأمثال وفي الشعر الجيد وفي أمور النحو ، وفي البديع^٤ . « ولدينا أحد عشر مطلعاً لإحدى عشرة قصيدة من قصائد أبي دؤاد وكلها مصرّعة^٥ » . ويرى (غرونيبوم) قلة ما في شعر (أبي دؤاد) من الإقواء ، فلم يقف في شعره إلا على اقواءين ، ووجد بيتين ، أحدهما من الرجز والآخر من الوافر ، يبدو فيها شيء من عدم الاستواء . وله مزايا خاصة استعملها في تفعيلات الخفيف . وأرى أن التشعيت الذي لاحظته (العيني) في الأصمعية (٧٢) ، « لا يعد خطأ » ، بل هو مظهر من مظاهر التطور الفني في هذا الوزن ، مظهر استنكر أو نسي مع الزمن حين ظهر علم العروض ، بعد حوالي قرنين من وفاة أبي دؤاد^٦ .

وقد شرح ديوان (أبي دؤاد) العالم (ابن السكيت) ، وقد نقل منه (البغدادى) في الخزانة^٨ . وقد ذكر (البغدادى) أن (لأبي دؤاد) ديواناً وقف عليه وأخذ منه ، غير أنه لم يذكر اسم جامع^٩ . وفي الشعر المنسوب إليه

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٩/١) ، الاغاني (٩٧/١٥) وما بعدها) .
 - ٢ المزهري (٤٧٧/٢) ، (تنقل الشعر في القبائل) .
 - ٣ الخزانة (١٨٩/٤) وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٤ المزهري (٤٨٦/٢) ، (المقلون من الشعراء) .
 - ٥ راجع البيت الخامس عشر من الاصمعية ٢٩ ، والبيت الثالث من القطعة (٤٨) ، غرونيبوم (٢٦٢) ، الباقلائي ، اعجاز (٧٩) ، النويري (١١٢/٧) .
 - ٦ غرونيبوم (٢٦٦) .
 - ٧ غرونيبوم (٢٦٧) وما بعدها) .
 - ٨ الخزانة (١٩٠/٤) .
 - ٩ الخزانة (٩/١) .

شعر مصنوع ، وقد ذكر ان (خلف الأحمر) صنع على أبي دؤاد أربعين قصيدة^١ . ونجد في الشعر الذي جمعه (غرونيوم) لأبي دؤاد شعراً لا يصح انه من شعره ، كما ان في شعره ما نسب لغيره ، ومنهم شعراء من إباد ، مثل (أبي المنذر) الإيادي^٢ .

ومن شعراء (إباد) : (لقيط بن يعمر) ، وقيل (معمر) الإيادي . وإباد من قبائل (نزار) ، ومن أكثر قبائل هذا الحلف عدداً ، قيل انهم كانوا لقاحاً لا يؤدون خرجاً ، وهم أول معدي خرج من تهامة ، فنزلوا السواد ، وغلبوا على ما بين البحرين الى (سنداد) و (الخورنق) . وكانوا أغاروا على أموال لأنوشروان فأخلوها ، فجهز اليهم الجيوش ، فهزموهم مرة بعد مرة ، ثم ان إباداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة ، فوجه اليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفاً في السلاح ، وكان (لقيط) متخلفاً عنهم بالحيرة ، فكتب اليهم :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إباد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم ستون ألفاً يزجون الكتاب كالجراد

فاستعدت إباد لمحاربة جنود كسرى ، ثم التقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، أصيب فيه من الفريقين ، ورجعت عنهم الخيل ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فلمحت فرقة بالشام ، وفرقة رجعت الى السواد ، وأقامت فرقة بالجزيرة . ونسبوا له قصيدة أخرى ، ذكروا انه نظمها في هذه القصيدة^٣ . من جملة ما ورد فيها :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
هيات ما زالت الأموال من أبد لأهلها إن اصبوا مرة تبعا

ومنها قوله في اختيار الرئيس وتدبير الحرب والانصياع للقائد :

وقلدوا أمركم لله دركم رجب النزاع بأمر الحرب مضطلعا

١ غرونيوم (٢٦٠) ، الموشع (٢٥٢) .

٢ غرونيوم (٢٨١ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١٢٩/١ وما بعدها) ، الاغانى (٢٣/٢٠) ، بروكلمن (١١٢/١) .

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به جزعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحکم السن لا قحجا ولا ضرعا^١

وأنا إذ أذكر (لقيط بن يعمر) في هذا الفصل ، فلا أريد بذلك إثبات أنه كان من الشعراء النصارى ، لأنني لا أملك نصاً بذلك ، إنما أدخلته هنا لمجرد أنه شاعر من شعراء إباد ، كما أدخلت (أبا دؤاد) الإيادي فيه لما ذهب (ناليانو) الى أنه من النصارى ، وقد كانت النصرانية متفشية في إباد وتغلب ، وقبائل أخرى من قبائل العراق وبلاد الشام ، والبادية التي بينها .

أما (عدي بن زيد) العبادي ، فهو نصراني من غير شك ، فالعباديون ، نصارى ، وقد أطلقت اللفظة عند العرب على النصارى ، نصارى الحيرة ، كما نص أهل الأخبار على تنصره . وقد كان شعره سهلاً ليناً ، بعيداً عن شعر شعراء نجد ، قال (الأصمعي) : « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتها مذاهب الشعراء »^٢ أو « لأن ألفاظها ليست بنجدية »^٣ . وقد روى (الجواليقي) له شعراً في كتابه (المعرب) ، وهو كتاب ألفه في المعربات ، وفي استشهاده بشعره دلالة على تأثره بالآرامية وبالفارسية التي درسها في (الكتاب)^٤ .

وإذا أخذنا بمذهب (الأصمعي) من أن الرواة كانت لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لمخالفتها مذاهب الشعراء ، وما ذكره غيره لأن ألفاظها ليست نجدية ، ولأن عدياً سكن الريف ، فلان شعره وبان ذلك على لسانه ، ولأنه تأثر بلغة أهل الحيرة ، واستعمل ألفاظهم ، وما شاكل ذلك من حجج ، وجب علينا رفض الاستشهاد بشعر (أمية بن أبي الصلت) كذلك ، فقد كان من أهل قرية ، وقد استعمل في شعره ألفاظاً لم تعرفها العرب ، وقرأ الكتب ، كما يجب إدخال (الأعشى) معها أيضاً ، لأنه خالط أهل الريف ، واتصل بالخصر وبالأعاجم ، واستعمل في شعره ألفاظاً معربة ، كما اختلف مذهبه في الشعر عن

-
- ١ بلوغ الارب (١١٤/٣ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٣٠/١) .
 - ٢ الاغانى (١٨/٢) ، (٩١/١٥ وما بعدها) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٦٢/١) .
 - ٤ كارلو ناليانو ، تاريخ الاداب العربية (٩٠) .

مذهب شعراء البادية الأعراب ، فضلاً عن كونه من أهل اليامة ، وأهل اليامة
من اختلط لسانهم بلسان أهل اليمن ، وتأثر بهم .

ويخالف شعر (عدي) شعر شعراء نجد في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة
وميله إلى الأعاريض القصيرة ، كما يخالفهم في أسلوب خمرياته ، فهو في وصفه
الخمر قريب من أسلوب (الأعشى) في الخمريات . وله أوصاف بديعة للخمر ،
تعبّر عن معان حضرية ، نابعة من طبيعة القرى والريف ، وبهذا الوصف يختلف
عن وصف امرئ القيس أو غيره من الشعراء للخمر . كما امتاز بوصفه القيّان
ومجالس الشرب ، وما كانت تولده له من نشوة وطرب ، واتخذ (عدي) من
الخمر ، فلسفة دفعته إلى الزهد ونبذ الغرور ، لأن الدنيا زائلة ، وكل شيء
فيها لا بد وأن ينتهي إلى زوال . وهو شعر انبثق من طبيعة (عدي بن زيد)
ثم من الأحوال التي مرت عليه ، والتي انتهت به إلى السجن ، بعد أن وصل
أعلى ما يصل إليه إنسان في زمانه وفي مكانه .

واتخذ (عدي) من القصص القديم عبراً وجهها من سجنه إلى (النعمان) وإلى
الشامتين به ، الحاسدين له ، الذين كانوا سبب نكبته ، بأن قال :

أبها الشامت المعير بالدهـ	ر أنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيدـ	ام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من	ذا عليه من أن يضام خفيـر
أين كسرى كسرى الملوك أنوشـر	وان أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ	روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضرم إذ بناه وإذ دجـ	سلة تجبى إليه والخارـ
شاده مرمرأ وجله كلـ	سأ فلطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ	ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ شـ	سرف يوماً وللهدى تفكير
سرّه ماله وكثرة ما يمـ	ملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبـ	سطة حي إلى الملمات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأـ	مة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـ	سف فآلوت به الصبأ والدبور

١ الشعر والشعراء (١ / ١٥٠ وما بعدها) .

وله شعر آخر أوله :

أنعرف رسم الدار من أم معبد نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

قال فيه :

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
ذريني فلاني انما لي ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودي
وحمت لميقات إلي منيتي وغودرت قد وسدت أولم أوسدا

وهو شعر نبع من واقع حاله الذي صار اليه ، فهو لا يدري متى وفي أية ساعة ستأتيه منيته . ومن زج في سجن مثل سجنه ، وصار في حال مثل حاله ، يكون قلقاً لا يدري ما الذي سيكون مصيره ، فهو شعر يعبر عن شعور انساني يتاب الانسان في مثل هذه المواقف ، ليس له علاقة بنصرانية أو بدين .

والشعر المذكور إن صح انه من شعر (علي) ، وانه غير مصنوع ولا معمول عليه ، يكون قد قدم لنا قصصاً قديماً من قصص أهل الجاهلية ، وحكايات كانوا يروونها من حكايات التأريخ ، ويكون بذلك شاهداً على ان أهل الحيرة ، والمثقفين منهم بصورة خاصة كانوا يعرفون تأريخ الماضين ، وقد وقفوا على تأريخ الفرس وتأريخ الروم ، والحضر ، وتأريخ غيرهم من شعوب معاصرة لهم ، ومن شعوب غابرة ، وردت أخبارها في الكتب القديمة ، ولا سيما في الكتب المقدسة وفي كتب التواريخ . فنحن نجد له قصيدة أشار فيها الى خطيئة آدم ، وهذه الخطيئة تلعب دوراً خطيراً في كل الأديان السماوية المعروفة التي أقرت بالكتب المقدسة ، وقد صاغ قصتها على هذا النحو :

قضى لستة أيام خليفته وكان آخرها أن صور الرجل
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا
نمت أورثه الفردوس يعمرها وزوجه صنعة من ضلعه جملا
لم ينهه ربّه عن غير واحدة من شجر طيب: أن شتم أو أكلا
فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت كما ترى ناقة في الخلق أو جملا
فعمدا للتي عن أكلها نهيا بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا
كلاهما خاط إذ بزّ لبوسها من ورق التين ثوباً لم يكن غزلا

فلاطمها الله إذ أغوت خليفته طول الليالي ولم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عميرت والترب تأكله حزناً وإن سهلاً
فأتعبا أبوانا في حياتهما وأوجدا الجوع والأوصاب والعلا
وأوتيا الملك والإنجيل نقرأه نشفى بحكمته أحلامنا عللاً
من غير ما حاجة إلا ليجعلنا فوق البرية أرباباً كما فعلاً

والشعر هذا مذكور في كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وفي ذكره له ، دلالة
على أنه قد كان معروفاً في أيامه ، وهو يستند على ما ورد في (سفر التكوين)
السفر الأول من أسفار التوراة ، وفيه قصة الخليفة ، ونجد قصة (الحية) في
في شعر (أمية بن أبي الصلت) ، حيث يقول :

كلدي الأفعى ترَبَّبتْها لديه وذئ الجنى أرسلها تساب
فلا رب البرية يأمنها ولا الجنى أصبح يستتاب

وقد دون هذين البيتين (الجاحظ) كذلك في كتابه : (الحيوان) ، مما
يدل على أنهما كانا معروفين ، وهما من قصيدة ذكرها الجاحظ قبلها في رطوبة
الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق ، ثم عن مناداة الديك الغراب ، واشترط
الحمامة على فوح^٢ :

وقصة (عدي) قصة أوضح وأقرب إلى الأصل المذكور في الاصحاحات الثلاثة
الأولى من سفر التكوين ، من القصة المذكورة في الشعر المنسوب إلى (أمية) .
يظهر أن ناظمها قد صاغها عن مطالعة وعن إلمام عام بها . فهي في الواقع قصيدة
شملت قصة دينية ، ضمت أسطورة الخلق كما جاءت في الاصحاحات المذكورة ،
مع بعض (الرتوش) والإصلاحات التي اقتضتها طبيعة نظم الشعر ، وقد تلخصها
تلخيصاً حسناً قريباً من الأصل ، يدل على إحاطة به . ولعلّ من وضع شاعر
أحب صوغ هذه القصة في شعر ، فنظمها ونسبها إلى (عدي بن زيد) .

وقد ظل العباد يتغنون بخمريات وبشعر (عدي) أمداً طويلاً بعد وفاته . وقد
كان (القاسم بن الطويل) العبادي ، أحد ندماء (الوليد) الثاني ممن يروون

١ الحيوان (١٩٧/٤) وما بعدها .

٢ الحيوان (١٩٧/٤) .

شعره ، وجنّده الى الخليفة ، الذي كان شاعراً يحب الخمر ، وينظم الشعر فيها ،
مما صار باب من أبواب الخمريات في الشعر الإسلامي^١ . ومن شعره قوله :

أيها القلب تعلل ببدن إن همي في سماع واذن^٢

ومن الشعراء النصارى الذين نص أهل الأخبار على تنصرهم : (موسى بن
جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد) الحنفي اليامي ، المعروف بـ (أزيرق اليمامة) ،
وبابن ليل ، وهي أمه ، وكان نصرانياً . قال عنه (المرزباني) انه شاعر كثير
الشعر ، وقد أورد له نثراً من شعره^٣ ، ويمتاز ما ذكره بالبساطة والسهولة والليونة
وهو يختلف بأسلوبه عن شعر الأعراب .

أما (الأعشى) ، وقد تحدث عنه ، فهو من اليمامة ، وقد كان معظم أهل
اليمامة على النصرانية عند ظهور الاسلام ، ولذلك فقد يكون على النصرانية ، غير
اننا لا نستطيع أن نأتي بدليل مقبول يثبت تنصره ، وقد رأينا ان أهل الأخبار
كانوا قد جعلوه في عداد (القدرية) و (أهل العدل) ، زعموا انه أخذها من
(الحيرة) ، وكانوا عبّاداً ، وكان يزورهم يشرب الخمر عندهم ، كما كان
راويته (يحيى بن متى) نصرانياً ، ولكن النصرانية لا تعني القدرية ، وكون
راويته نصرانياً ، لا يعني انه كان نفسه نصرانياً ، وأما ما جاء في شعره من
قصص وأمر معروفة عند النصارى ، فلا يكون دليلاً على تنصره ، فقد وردت
مثل هذه الأمور في شعر غيره ، ولم ينص أحد على تنصرهم ، ثم ان شعره
لا ينم على تعمق في نصرانية^٤ ، لكنني لا أريد أن أثبت انه كان وثنياً ، فوثنية
الأعشى أو نصرانيته تخصه وحده ، وأنا لا أريد أن أنقص عدد النصارى ، وأن
أزيد في عدد الوثنيين ، وإنما هو رأي واستنتاج ليس غير .

ومن شعره الذي تطرق فيه الى أمور نصرانية قوله :

فا أيلى على هيكَل بناه وصكّب فيه وصارا

-
- ١ بروكلمن (١٢٥/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٣/١) .
 - ٣ المعجم (٢٨٥) ، (فراج) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) ، (عبد السلام محمد
هارون) ، الاغانى (١١٣/١٠) ، الخزانة (١٢٦/١) .
 - ٤ G. Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, I, S. 33.

يرواح من صلوات المليك طوراً سُجوداً وطوراً جُوراً
بأعظم منك بقي في الحساب اذا النسبات تفضن الغبارا

وهي من قصيدة مدح فيها (قيس بن معد يكرب) الكندي . وقد اتخذ (المعري)
هذا الشعر دليلاً على إيمان الأعشى بالله وبالحساب وبالبعث ، مما استوجب إدخاله
في الجنة^١ .

وهناك أفكار نصرانية نجدها في شعر (النابغة) وفي شعر (زهير) ، و (ليبيد) ،
غير أننا لا نستطيع أن نقول إنهم كانوا نصارى ، لوجود هذه الأفكار في شعرهم ،
فن الجائر أن يكون ورودها في شعرهم نتيجة لاختلاطهم بالنصارى ، وقد كانوا
يكثر من الذهاب الى الحيرة ، لمدح ملوكها طمعاً في نيل عطاياهم ، فاحتكوا
بذلك بنصارها ، وورد قصص نصراني في شعر أو نثر لا يدل حتماً على تنصر
الناثر أو الشاعر ، كما أن وقوف شخص على دين من الأديان ، لا يسدل حتماً
على اعتناقه للدين . ومن هنا أخطأ الأب (لويس شيخو) في دعواه بتنصر
أكثر الشعراء الجاهليين^٢ .

ونجد في شعر امرئ القيس إشارات الى معالم نصرانية، مثل الرهبان وصلواتهم
وسهرهم ، والى مصاييحهم ، مثل قوله :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال^٣

ولكننا لا نستطيع إثبات أنه كان من النصارى .

و (حاتم الطائي) من شعراء طيء ، وقد مات قبل الاسلام ، وقبر
ب (عوارض) جبل فيه قبره ببلاد طيء^٤ . وهو (حاتم بن عبدالله بن سعد
ابن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي) ، ويكنى (أبا سفانة) بابنته ، وابنه
(عدي بن حاتم) من الصحابة . واليه ينسب المثل « لو غير ذات سوار لطمنتي » .
وسبب قوله اياه - كما يقول ذلك الرواة - ان حاتم الطائي كان أسيراً في (عنزة) ،

١ رسالة الغفران (١٨١) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٢٧/١) ، (الطبعة الثانية) .

٣ الخزائن (٣٣/١) ، (بولاق) .

٤ تاج العروس (٤٨/٥) ، (عرض) ، الحيوان (٢٢٩/١) .

فقلت له امرأة يوماً : قم فافصد لنا هذه الناقة ! وكان الفصد عندهم ان يقطع عرقاً من عروق الناقة ، ثم يجمع الدم فيشوى . فقام حاتم الى الناقة فنحرها ، فلطمته المرأة . فقال حاتم : « لو غير ذات سوار لطمتني » فلذهب قوله مثلاً^١ . وروي أيضاً انه قال : « هذا فصدي » ، يريد انه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام . وقد نسب هذا المثل لكعب بن مامة ، وذلك انه كان أسيراً في عترة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره اياها ، فقال : هكذا فصدي^٢ .

ويلاحظ ان (الجاحظ) وغيره يقدمون (كعب بن مامة) على حاتم الطائي في الجود ، « لأن كعباً بذل نفسه في أعطية الكرم وبذل المجهود فساوى حاتماً من هذا الوجه ، وبإينه يبذل المهجة »^٣ . كما نلاحظ ان بغض أخبار الجود المنسوبة الى (حاتم) تنسب الى (كعب بن مامة) كالذي رأيت في تفسير المثل : « هكذا فصدي » .

ولما بلغ حاتم قول المتلمس :

قليل المال يصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال خير من فناء وعسف في البلاد بغير زاد

قال قطع الله لسانه ، حمل الناس على البخل فهلا قال :

فلا الجود يفني المال قبل ذهابه ولا البخل في مال الشيخ يزيد
فلا تلتبس مالاً بعيش مُقْتَر لكل غدٍ رزق يعود جديد
ألم تر أن الرزق غادرٍ ورائح وأن الذي أعطاك سوف يعيد^٤

وذكر أن (زيد الخيل) عبر حاتماً الطائي في خروجه من طيء ومن حرب

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٩/١) ، الخزائن (٤٩٤/١) ، لاغاني (٩٦/١٦) ، الشعر والشعراء (١٦٤/١) وما بعدها ، الامالي ، للقالبي (١٥٤/٣) وما بعدها ، بروكلمن (١١١/١) وما بعدها .
 - ٢ الميداني ، أمثال (٣١٧/٢) ، الحيوان (٢٧٤/٤) ، الاغاني (١٠٢/١٦) ، الحيوان (٣٣/٥) ، البخلاء (١٥٨) ، وما بعدها ، ثمار القلوب (٩٨) وما بعدها .
 - ٣ الحيوان (١٠٧/٢) وما بعدها .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٩/١) ، وتجد بعض الاختلاف في الروايات الاخرى ، المحاسن والاضداد (٤١) .

الفساد التي وقعت بين جديلة والغوث الى (بني بدر) حيث يقول :

وفرّ من الحرب العوان ولم يكن بها حاتم طبياً ولا متطبياً
ورب حصناً بعد أن كان آيياً أبوة حصن فاستقال واعتباً
أقم في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ما تقضت حربنا أن تطرباً^١

وقد أسره (ثوب بن شحمة) العنبري ، وكان شريفاً في قومه ، وكان يقال له (مجبر الطير) ، لأنه أجاز الطير في أرضه ، فكان لا يثار ولا يصاد بأرضه^٢. فقال حاتم :

إذا ما نجيل الناس هرت كلابه وشقّ على الضيف الغريب عفورها
فلاني جبان الكلب يني موطاً جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها
ولكن كلابي قد أقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها^٣

وظل (حاتم) أسيراً عنده زماناً ، وقد عُيّر (ثوب بن شحمة) بأنه وقومه أكلوا لحم المرأة ، فقال شاعر :

عجلتم ما صادكم علاج من العنوق ومن الدجاج
حتى أكلتم طفلة كالعاج^٤

وقد وصفت ابنته أباها للرسول ، وكان قد سألها عن أبيها على هذه الصفة :

« كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقرّي الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط » .

ووصفه (ابن الأعرابي) بقوله : « كان جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ... إذا غمّ أنهب وإذا سئل وهب ... وإذا أسر أطلق »^٥ . ويجب أن تكون وفاة (حاتم) غير بعيدة عن ظهور الإسلام .

١ الحيوان (٣٢٩/١) .

٢ الحيوان (٢٦٩/١) .

٣ الحيوان (٣٨٣/١) .

٤ البخلاء (٢٣٥ ، ٣٧٤) .

٥ الاغانى (٩٧/١٦ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٧٩) ،

الخزائن (٤٩٤/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٨/٢) .

ولأهل الأخبار قصص عن جود حاتم وكرمه ، ويبدأون به غلاماً ، يرعى لإبل والده ، فرت به (عبيد الأبرص) ، و (يشر بن أبي خازم) ، و (النابتة الديباني) ، وهم يريدون (النعمان) فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، وهو لا يعرفهم ، ثم سألهم عن أسمائهم ، فسموا له ، ففرق فيهم الإبل كلها ، وبلغ أباه ما فعل ، فاعتزله . ثم يروون انه ذبح فرسه ، لما جاءت جارة له ، فشوى لحمها لها ولولادها الجبايع ، ثم استدعى بقية جيرانه فأطعمهم ، وبقي هو وأهله جوعاً ، ولم يكن لديه آنذاك غير فرسه هذه . ثم يروون قصصاً آخر مشابهاً ، يمتد الى ما بعد وفاته ، حيث يذكرون قصة رجل اسمه (أبو خيري) ، ذكروا انه مرّ بقبر (حاتم) ، وأخذ يناديه : « يا أبا عدي أقر أهياك ! فلما كان في السحر وثب أبو خيري يصيح : وارحلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ فقال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر اليه ، فنظروا الى راحلته فإذا هي لا تنبث ، فقالوا : قد والله قرأك ، فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فيبناهم كذلك في مسيرهم ، طلع عليهم (عدي بن حاتم) ومعه جمل أسود قد قرنه يبيعه ، فقال : ان حاتمًا جاءني في المنام فذكر لي شتمك اياه ، وانه قرأك وأصحابك راحلتك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، ورددتها عليّ حتى حفظتها :

أبا خيريّ وأنت امرؤٌ حسود العشيرة لوأمها
فإذا أردت الى رمة بدأوية صخب هامها
تبغني أذاها وإعسارها وحولك عوفٌ وأنعامها

وأمرني بدفع جمل مكانها اليك ، فخذها ، فأخذها .

ولأهل الأخبار قصة في كيفية تزوج (حاتم) (ماوية بنت عفزر) ، وكيف وجد عندها (النابتة) ، ورجلاً من النبيت ، يريدان الزواج منها ، لما وصل اليها ، وكيف امتحتهم بقولها لهم : انقلبوا الى رحالكم ، وليقل كل رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فلاني متزوجة أكرمكم وأشعركم ، ثم تذكر القصة تفصيل ما وقع بأسلوب منق «قروناً» بشعر وقرار (ماوية) بتفضيل حاتم

١ الشعر والشعراء (١٧٠ / ١) ، الخزائنة (٤٩٤ / ١) وما بعدها ، (بولاق) ، المحاسن والاضداد (٤١ وما بعدها) .

عليها^١ . وتذكر قصة أخرى ان (ماوية) كانت ابنة من بنات ملوك اليمن ، وكانت ذات جمال وكمال ومال ، فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كرام الناس ، فقدم عليها حاتم ، وزيد الخليل، وأوس بن حارثة لأم ، فقدم كل واحد يخطبها ، فقالت ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ، فلما أنشدوا فضلت (حاتم) الطائي عليها ، فزوجت نفسها منه . وذكر ان (معاوية) كان يهوى حديث (ماوية)^٢ .

وهم يذكرون أن جود (حاتم) جاء اليه من أمه (عنبه) ، التي كانت سخية الى حد الإسراف ، حتى حبسها اخوتها سنة في بيت لعلها تكف عما كانت عليه ، إذا ذاق طعم البؤس وعرفت فضل الغنى ، ثم أخرجوها ودفعوا اليها صرمة من مالها ، فأنتها امرأة فسألتها ، فقالت لها : دونك الصرمة ، فقد والله مسني الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً شيئاً ! ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عضني الجوعُ عضه قأليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقلوا لهذا اللامي الآن أعفي وإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
ولا ما ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي، يا ابن أم، الطائعا^٣

ونسب لحاتم قوله :

واني لاستحي حياء يسرني إذا اللؤم من بعض الرجال تطلعا
إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة حياء ومستحيا وكلباً مجشعا
فلاني لأستحي أكيلي أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعا
أكف يدي من أن تمس أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
وإنك مها تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى اللم أجمعا^٤

وتنسب له قصيدة طويلة هي :

وعاذلتين هبتا بعد هجعة تلومان متلافاً مفيداً ملوما
تلومان لما غور النجم ضلة فتي لا يرى الاتفاق في الحمد مغرما

- ١ الشعر والشعراء (١٦٧/١ وما بعدها) ، الخزائنة (١٦٤/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٢ الخزائنة (١٦٤/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٣ الشعر والشعراء (١٦٥/١ وما بعدها) .
- ٤ البيان (٣٠٧/٣ وما بعدها) .

الى أن يقول :

ولن يكسب الصعلوك حذاء ولا غني إذا هو لم يركب من الأمر معظماً
لحا الله صعلوكاً مناه وهمته من العيش أن يلقي لبوساً ومغنياً
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى تنبه مثلجوج الفؤاد مورماً
مقيماً مع المثزين ليس يبارح إذا نال جدوى من طعام ومجماً
ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً
ففى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شعبة إن نالها عدّ مغنياً
يرى الخمص تعديباً ولم يلق شعبة بيت قلبه من قلّة الهم ميبها^١

وهي أبيات أرى أنها من هذا الشعر الذي يشك في أكثره ، مثل الشعر المقلد
على لسان عروة والصعاليك ، يظهر أن الظروف الاجتماعية جعلت الأدباء ينظمون
على لسانهم ، يتشكون فيها من ظلم الأغنياء ، لما كانوا يرونه من قسوة أصحاب
المال على المعدمين والبائسين .

ويشك في كثير من شعر حاتم . وقد صار حاتم بالقصص الوارد عنه من
الأبطال المعروفين عند غير العرب أيضاً ، فنجد له ذكراً في الفارسية وفي التركية ،
وألف فيه في اللغات الأوروبية ، وطبع ديوانه جملة طبعات^٢ . وكان يشبه شعر
النمر بن تولب بشعر حاتم الطائي ، وكانا يشتركان في الجسود وإتلاف الأموال
وأرجمية الطبع والتغني بملك في الشعر^٣ .

وكان (حاتم) على النصرانية على ما يظن ، وقد كان ابنه (عدي) عليها^٤ .
و (جابر بن حنّية بن حارثة بن عمرو بن بكر) من شعراء تغلب . وله
قصيدة مطلعها :

ألا يا لقومي للجديد المصرم وللحلم بعد الزلّة ، المتوهم
وللمرء يعتاد الصبابة بعدما أتى دونها ما فرط حول مجرم

١ الخزائن (١ / ٤٩٢) .

٢ بروكلن (١ / ١١١ وما بعدها) .

٣ البخل (٣٨٤) .

٤ الاصابة (٢ / ٤٦٠) ، (رقم ٥٤٧٧) .

ذكر ان سبب قوله لها ، ان (المنذر بن ماء السماء) كان يبعث (عمرو بن مرثد بن سعيد بن مالك) ، و (قيس بن زهير) الجشمي ، على إتاوة ربيعة ، وكانت ربيعة تحسدهما ، فجاء (عمرو) يوماً ، فقال جلساء الملك حسداً له : انه يمشي كأنه لا يرى أحداً أفضل منه ! فجاء فحياً الملك بتحية ، فقال جابر هذه القصيدة ^١ . وقد أدخله (بروكلمن) في عداد الشعراء النصارى ^٢ .

ويذكر انه هو (جابر) المذكور في البيت المنسوب لامرئ القيس ، وهو :

فإما تريني في رحالة جابر على حرج كالقمر تخفق أكفاني ^٣

وكان امرؤ القيس آنذاك مريضاً ، فكان (جابر) و (عمرو بن قيثة) ، يحملانه على الرحالة ، وهي خشبات ، وهي الحرج .

١ السيوطي ، شرح شواهد (٥٦٢/٢ وما بعدها) ، الآتي (٨٤٢) ، المفضليات (٢٠٨) .

٢ بروكلمن (٧٣/١) .

٣ من قصيدة :

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
ديوان امرئ القيس (٨٩ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٧٤/١) ،
الشعر والشعراء (٥٣/١) .

الفصل السابع والستون بعد المئة

آراء الشعراء الجاهليين

والشعر الجاهلي مادة مهمة تعيننا في الوقوف على آراء الجاهليين ، على الرغم من كون أكثره قد ورد في أمور لا صلة مباشرة لها بالرأي ، أعني بالتفكير في خلق الكون وفي الانسان نفسه ، لم جاء ولم يموت ، وما هي الغاية من ظهوره على هذه الأرض ، وعن الخلق والخالق ، من إثبات أو عدم ، وعن النظم وأصول الحكم والمجتمع والمعرفة والثقافة وما شاكل ذلك من أمور لها صلة بالتأمل والتفلسف . ومع ذلك فإن في هذا الشعر المذكور ، ما يكفي لاستنباط شيء منه عن الرأي عند الجاهليين .

لقد حمل خلو الشعر الجاهلي من العاطفة الدينية ، بعض المستشرقين على الحكم بأن الجاهليين لم يكونوا مملكون حساً دينياً ، وان دينهم سنتهم ، وستهم ما ألفوه عن آبائهم وأجدادهم وأعراف قبيلتهم ، وهي أعراف ورثوها وحافظوا عليها ، محافظتهم على حياتهم ، وقاوموا كل من كان يخرج عليها أو يتناول عليها. ونجد الشعراء يمجّدونها ويذكرونها على حين لا نشعر بوجود حس ديني في شعرهم ، اللهم إلا في شعر عدد قليل من الشعراء^١ .

والشعر الجاهلي خلو من الشعر الديني الذي يجب أن ينظم في المناسبات الدينية ، مثل الحج . ولما كان الحج من المناسبات المؤثرة المثيرة ، التي تجمع الناس ،

Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 25.

فتشير في الشاعر شعوراً بروعة المناسبة وبروعة الاجتماع ، فلا بد وأن ينظم الشعراء شعراً فيه ، لإنشاده على المتجمعين حول الصنم ، غير أننا لا نملك أي شعر قيل فيه ولا في المناسبات الدينية الماثلة التي تدفع الإنسان إلى إظهار شعوره فيها . وهو أمر يلفت إليه النظر حقاً ، ويجعلنا نفكر في الأسباب التي أدت إلى عدم ظهور الروح الدينية في هذا الشعر ، هل هي طبيعة العربي في عدم اهتمامه بأمور الدين أم هي بسبب كره الإسلام رواية وحفظ ذلك الشعر الوثني !

لقد نسب بعض المستشرقين خطأ الشعر الجاهلي من الوثنية ، إلى ترك المسلمين تعمداً رواية ذلك الشعر ، بسبب دخولهم في الإسلام واجتثاث دين الله لمعالم الشرك فلم يجد المسلم أن من الهين عليه ، حفظ شعر فيه تنويه بما أبطله وحرمه كتاب الله ، فرموا منه ما كان ثقیل الوثنية ، وهذبوا منه ما كان خفيف الوزن ، بأن رفعوا أسماء الأصنام ، وأحلوا محلها اسم الله إن ناسب الاسم المعنى ، أو شذبوا فيه وأضافوا شيئاً عليه لإزالة معالم الوثنية منه . لأن من الصعب تصور إعراض الشاعر الجاهلي عن ذكر أصنامه في شعره ، بينما هو يتوسل ويتقرب إليها ، وينذر لها. فالوثني مهما كان رقيق الدين ، بعيداً عن التفكير فيه ، فإنه لا بد وأن يلجأ إليه ساعة الشدة وأيام المحن ، حيث يبحث عن يساعده للخروج من محنته ، شأنه في ذلك شأن أي إنسان آخر ، حين تنزل به النوازل ، فيلجأ حينئذ إلى إلهه أو آلهته وأصنامهم وإلى القوى الطبيعية يستمد منها المساعدة والعون .

وأنا لا أستبعد احتمال موت هذا النوع من الشعر الوثني بسبب الاسلام ، فليس من المعقول إبقاء الاسلام له ، وفيه ما فيه من أمر الأصنام والوثنية المناهضة لدين الله . وعندني أن الجاهلي ، مهما قيل عنه من إعراضه عن الدين ومن عدم احتفاله به ، ومن بعده عنه ، إلا أنه كان مع ذلك شديد التمسك به في الأمور التي تمس حياته ، مثل التوسل إلى الآلهة بأن تبارك في إبله ، وأن تمنحه الغيث ، وأن تشفيه من مرضه ، إلى غير ذلك من أمور ، ذات صلة بالمصالح الشخصية للإنسان . ودليل ذلك ، هو أن معظم ما نجده في نصوص المسند من كتابات ، خللت أسماء الأصنام ، إنما دونت فيها الأسماء لمثل هذه الأمور . فإذا كان الأمر كذلك فنحن لا نستطيع استثناء الشعر الجاهلي من ذكر الأصنام في أمثال هذه المناسبات

على الأقل ، فالشاعر مثل أي انسان آخر ، لا بد وأن يشعر في يوم ما بعجزه وبحاجته الى مخاطبة أربابه وأن يتوسل اليها لتنتفعه أو لتمنّ عليه بالصحة والعافية وبالمال ، يتوسل اليها شعراً ، فيمدحها ويشيد بذكراها ، ويسترضيها ، اقتداءً بفعله مع الملوك وسادات القبائل ، حيث يكيّل المدح لهم شعراً لأنهم أحسنوا اليه .

وقد ورد اسم (الله) في الشعر وفي النثر الجاهليين ، على نحو ما ذكرت في الجزء السادس من هذا الكتاب . لقد ذكرتُ هناك أن غالبية المستشرقين شكّت في صحة ورود اسم الله في-هذا الشعر ، ورأت أن رواة الشعر وحملته في الإسلام هم الذين أدخلوا اسم الجلالة في هذا الشعر ، وذلك أنهم حذفوا منه أسماء الأصنام ، وأحلّوا محلها اسم الله . فما جاء فيه اسم (اللات) حل محله اسم الله وهكذا^١ . وذلك لاعتقادهم أن الوثنيين لم يكونوا يؤمنون بالله ، فلا يعقل ورود اسمه في شعرهم . وهو رأي لا أقرهم عليه ، لأن الجاهليين كانوا يؤمنون بالله ، ولم يكونوا ينكرون وجوده أبداً ، بدليل ما نجده في القرآن من تأكيد بأنهم كانوا يؤمنون به ، وانهم كانوا إذا سألهم سائل من خلق الكون ليقولون الله . وقد ذكرت في حينه كل الآيات الواردة في القرآن الكريم عن هذا الموضوع^٢ . وبينت أن أهل مكة وغيرهم من العرب الشماليين ، كانوا يؤمنون بإله واحد هو الله ، ولم يكن بينهم وبين الإسلام خلاف فيه ، وخلافهم معه هو في تقربهم الى الأصنام والأوثان ، لتشفع لهم ، بزعمهم ، الى الله زلفى . مع أنها أجسام جامدة وأحجار لا حياة فيها ، فمن هنا حل الإسلام عليها ، واعتبرها شركاً بالله ، لأنهم بتقربهم اليها يكونون قد أشركوها مع الله في ألوهيته ، وهذا هو الكفر والضلال في نظر الإسلام . ولذلك أمر بالابتعاد عنها وبنبذها وبنبذ كل ما يتصل بها من عبادة ، كما أمر بطمس الصور ، ومحوها لأنها من دلائل هذه الوثنية ومن معالمها .

وقريش نفسها لم تنكر على الرسول تعبدته لله ، ولم تمنعه من الصلاة في بيت الله ، ومن ذكره وحده له ، لأنها لم تختلف معه في عبادته ، وإنما اختلفت معه ، فيما هو دون الله من أصنام وأوثان ، وذلك حين عابها وسفه أحلامهم بتقربهم اليها وهي جامدة مخلوقة مصنوعة ، عندئذ هاجت وماجت واشتكت الى أعمام رسول

١ (ص ١٠٢ وما بعدها) .

٢ (ص ١٠٣ وما بعدها) .

الله والى ذوي رحمه ، ومن هنا كان عناد قريش وكفرها وعداوتها للرسول .
كما نص على ذلك صراحة في القرآن وفي كتب السرا^١ . وأخلت تؤذيه وتؤذي
المسلمين كلما ازداد هجوم الإسلام على الأصنام والأوثان .

ويشبه هذا النزاع ما وقع في النصرانية من هجوم على تقديس التماثيل والصور
التي تمثل (الثالوث) ، و (المسيح) ، حيث اعتبرها البعض شركاً ، مما سبب
وقوع شقاق في الكنيسة . فقد اعتبر بعض رجال الدين ال (ايقونات) شركاً ،
ولذلك حاربوا التماثيل والتصاوير . وقد كانت هذه المشكلة قد بدأت في الكنيسة
نتيجة الصراع الذي وقع بين رجال الدين حول طبيعة المسيح .

ولو أخذنا بصدق ما نسب الى الجاهليين من شعر ورد فيه اسم الله ، وجب
إدخال عدد من شعراء الجاهلية في المتألمين ، القائلين بوجود إله ، هو (الله) .
ففي شعر ينسب الى (عروة بن الورد) ، نجد اسم الله مذكوراً فيه ، إذ يقول:
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذايسارٍ أو تموت فتعلمرا^٢

ويجب عدّ (امرئ القيس) من المتألمين أيضاً ، فقد زعموا ان العرب كانت
لا تعدّ الشاعر فحلاً ، حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره ، فلما قال :

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقية الرجل

عدّوه فحلاً^٣ . وهكذا أدخلوه بهذه الحكمة في جملة الفحول .

وقد ورد اسم الله في معلقته ، في البيت :

فقال يمين الله ما لك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^٤

ونجده يحلف بالله ، فيقول : « يمين الله » ، و « حلفت لها بالله » ، وتقول

١ ابن هشام ، سيرة (١٧٠/١) ، (حاشية على الروض)

٢ ديوان عروة (١٩١)

٣ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦١)

٤ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٨٢)

له صاحبتة : « سبائك الله »^١ ، مما يدل على انه كان مؤمناً معتقداً به . ونجده يذكر الله في أشعاره الأخرى^٢ .

وزعم أهل الأخبار ان (الأفوه بن مالك) الأودي ، كان من المتألهين كذلك ، وانه لما شعر بدنو أجله ، أوصى قومه : ملحج ، بتقوى الله ، وصلة الأرحام ، وحسن التعزي عن الدنيا بالصبر^٣ .

وورد في معلقة (عبيد بن الأبرص) قوله :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يحجب^٤

ويجب إدخال زهير في جملة المتألهين أيضاً ، فقد ذكر انه كان يتأله ويتعفف في شعره ويؤمن بالبعث ، ونسبوا له قوله :

فلا نكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومها يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^٥

وهو يقسم في معلقته بالبيت ، فيقول :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجهرهم^٦

فهو مؤمن بالله العلام بما في نفوس الناس ، فلا تخفى عليه خافية ، ومها حاول الانسان كتمان سره في قرارة نفسه ، فإن الله لا يخفى عليه سره ، ولا يفوته أبداً^٧ .

وتنسب لزهير قصيدة مطلعها :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا لي
بدا لي ان الناس تفى نفوسهم وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٤١/١)
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٧٥/١)
 - ٣ المزهر (١٦٤/١)
 - ٤ رسالة الغفران (١٨٦)
 - ٥ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٢٨ وما بعدها ، ١١٦)
 - ٦ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١١٤)
 - ٧ الخزائن (٤٣٦/١ وما بعدها)

وهي قصيدة ذكر فيها أنه عاش أكثر من مائة سنة ، ثم ذكر الله ، وأنه حق ، وأنه كان مؤمناً به ، وأن أيامنا معدودات ، ولا يدوم ويبقى إلا الله الذي أهلك تبعاً ولقمان بن عاد وعاديا ، وأهلك ذا القرنين ، وفرعون ، ثم ذكر النعمان ، وكيف حكم ، ثم جاء يوم غير كل شيء . وقد قال الأصمعي ، أنها ليست لزهير ، ويقال هي لصرمة الأنصاري ، ولا تشبه كلام زهير^١ . وربما كانت من المصنوعات ، صنعها من صنع من أمثالها من شعر الوعظ والإرشاد ، فنسبه الى الجاهليين .

ونجد (أبا طالب) يقسم بالله في شعره ، فيقول في قصيدة له ، يخاطب بها الرسول ، انك جئت بدين سمح ، هو من خير أديان البرية ديناً ، ولولا الملامة ، أو حذار سبّة ، لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً^٢ .

وروي ان (لبيد بن ربيعة) الشاعر المخضرم ، كان من المتألمين في الجاهلية وأنه نظم قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكسل نعيم لا محالة زائل

قبل الاسلام ، أو عند ظهوره . وان الرسول قال : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل^٣ .

وروي ان له ألياناً تشير الى التوحيد والصلاح ، والخير ، هي :

إن تقوى ربنا خيرُ نَقْل وبإذن الله ربّي وعجل

وقوله :

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ، ما شاء فعل

وقوله :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضلّ

-
- ١ الخزانة (٥٨٨/٣ وما بعدها) ، (بولاق)
 - ٢ لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
 - السيوطي ، شرح شواهد (٦٨٦/٢ وما بعدها)
 - ٣ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٣٥ ، ٣٨)
 - ٤ رسالة الغفران (٢٦٧)

و (النابغة) الديباني من المتألهين كذلك ، فقد نسبوا له شعراً ، ذكر أنه اعترف فيه بوجود الله ، إذ قال :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب^١

ونجده في معلقته يقول :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن القند^٢

ونراه يذكر مكة في شعره :

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد^٣

وورد اسم الله في قوله :

أبى الله : إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

أي ما يريد الله إلا عدل النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجور ولا أن يغدر ، فلا النكر يعرفه النعمان ، ولا الجميل يضيع عنده^٤ . ومعنى هذا أن النابغة كان يرى أن الله هو الذي يقدر الأمور للناس ، وأن الإنسان مسير بأمر الله .

و (الحارث بن حلزة) الشكري من هذا الفريق كذلك ، لقوله :

فهداهم بالأسودين وأمر الله بلخ^٥ تشقى به الأشقياء^٦

ولقوله :

وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للحائنين دماء^٦

١ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦٤)

٢ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٢٠٨)

٣ كذلك (ص ٢١٣)

٤ الخزانة (٤٦٨/٢) ، (هارون)

٥ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١٧٧)

٦ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١٧٩)

واذا صدقنا بمعلقة (عبيد بن الأبرص) ، وأخذنا بصدق الأبيات :

من يسأل الناس بحرموه وسائل الله لا ينجب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب^١

بل يجب عدّه من الأحناف الموحدين ، الذين آمنوا بإلّٰه واحد لا شريك له .
وهو في نظري شعر اسلامي ، ويبعد أن يكون من نظم ومن نفس شاعر جاهلي .
وقد ذهب (ابن الأعرابي) ، الى ان البيت الأول هو لشاعر آخر ، هو :
يزيد بن ضبة النخعي^٢ .

و (عمرو بن الإطابة) سيد الخزرج في أيامه من هذا الرعيل الذي ذكر اسم
الله في شعره ، إذ ذكره بقوله :

لاني من القوم الذين اذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل

وانتدوا : جلسوا في النادي . فهو يبدأ بذكر الله ، وبحقه ، اذا ما جلس
في النادي^٣ .

وورد اسم (الله) في شعر لحداد بن زهير :

تقوه أيها الفتيان لاني رأيتُ الله قد غلب الجلود^٤

ونجد ذكر الله في شعر (صريم بن معشر بن ذهل) التغلبي ، وكان قد لقي
كاهناً ، فسأله عن موته ، فقال له : انك تموت في موضع يقال له (إلاهة) ،
فكثّ زماناً ثم سار الى الشام في تجارة ثم رجع في ركب من (بني تغلب) ،
فضلّوا الطريق ، ثم أتوا موضعاً اسمه (إلاهة) قارة بالسماء ، فلدغته حية ، ثم
تذكر قول الكاهن ، فقال :

-
- ١ شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٥٤١ وما بعدها) ، البيت (١٨ وما بعده)
من المعلقة ، الحيوان (٨٩/٣)
 - ٢ الشنقيطي ، شرح المملكات (٢٢١) ، السيوطي ، شرح الشواهد (٢٦٦/١)
الشنقيطي (٢٢١) ، الخطيب التبريزي ، شرح القصائد العشر (٥٤١) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (٨) ، (فراج)
 - ٤ العمدة (٢٧١/٢)

لعمرك ما يلدي امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعل له الله واقياً
كفى حزناً أن يرذل الحي غلوة وأصبح في أعلى الإلاهة ثاوياً^١

وهو شعر إن صح انه له ، دل على ان صاحبه كان يؤمن بأن لكل انسان
أجل ، وانه اذا جاء الأجل ، فلا مرد له ، وانه لا مرد لقضاء الله وقدره .
وفي شعر (قيس بن الخدادية) ، إيمان بالله ، وأن الله هو الذي يقدر
الأمور ، إذ يقول :

فقلت لها والله يلدي مسافر^٢ اذا أضمرت الأرض ما الله صانع

ويروى :

فقلت لها والله ما من مسافر يحيط يعلم الله ما الله صانع^٣

وفي شعر (النمر بن قولب) ، وهو من المخضرمين قوله :

سلام الإله وربحانه ورحمته وسما^٤ درر

و (العرب تقول : « سبحان الله وربحانه ، أي : واسترزاقه »^٥ .

ونجد في شعر للأعشى أنه كان يؤمن بالرحمن ، اذ يقول :

وما جعل الرحمن بيتك في العلى بأجياد غربي الصفا والمحرم^٦

ويقول :

وإن تقي الرحمن لا شيء مثله فصبراً إذا تلقى السحاق الغرائيا

ثم يبين بعده إيمانه بإله واحد لا شريك له ، اذ يقول :

وربك لا تشرك به ان شرکه يحيط من الخيرات تلك البواقيا

١ الخزانة (٤٦٠/٤) ، (بولاق)

٢ المرزباني ، معجم (٢٠٢)

٣ انجمن في تشبيهات القرآن (٣٨٣)

٤ القصيدة رقم ١٥ ، البيت ٣٦ ، ديوانه (١٢٣)

بل الله فاعبد لا شريك لوجهه يكن لك فيما تكدح اليوم راعيا
وإياك والميتات لا تقربنها كفى بكلام الله عن ذاك ناهيا^١

ونجده في القصيدة رقم (١٥) التي فيها البيت الأول ، يحلف ، برب الراقصات
الى منى ، ثم يذكر (ماء زمزم) ، أي مكة ، بينما نجده في القصيدة الثانية
مؤمن بالرحمن ، مؤله له ، موحد ، لا يشرك بربه أحداً . وهو شعر روي عن
(أبي عمرو الشيباني) ، ركيك ضعيف ، موضوع عليه^٢ .

وروي ان (الشنفرى) كان ممن آمن بالرحمن ، وذكره في شعره ، إذ قال :

لقد لظمت تلك الفتاة هجينها ألا بتر الرحمن ربي يمينها

ولكنه بيت يشك في صحته ، ولم ينقله الثقات^٣ .

وقد سبق لي أن تحدثت في الجزء السادس من هذا الكتاب عن عبادة الرحمن ،
وقلت ان قريشاً قالت للرسول لما نزل الوحي بـ « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » :
« أتندرون ما الرحمن الذي يذكره محمد ، هو كاهن باليامة »^٤ ، وانها قالت :
« دق فوك » ، انما تذكر مسيلمة رحمن اليامة » ، وكان قد تسمى بالرحمن قبل
مولد عبدالله والد الرسول^٥ .

وقد زعم أهل الأخبار ان الأعشى كان قدرياً ، وانه أخذ رأيه هذا من أهل
الحيرة . واستشهدوا على رأيه بالقدر بقوله :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجال^٦

-
- ١ القصيدة رقم ٦٦ ، البيت رقم ٨ وما بعده ، ديوانه (ص ٣٢٩)
 - ٢ ديوانه (٣٢٨)
 - ٣ الاشتقاق (٣٧)
 - ٤ الاشتقاق (٣٧)
 - ٥ الحيوان (٨٩/٤) ، تفسير الطبري (٥٧/١) ، مغازي ، الواقدي (٨٢/١) ،
ابن كثير ، البداية (٣٢٦/٦) ، تابع العروس (٣٠٧/٨) ، (رحم) ، الروض
الانف (٣٤٠/٢) ، ابن سعد ، طبقات (ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٩)
 - ٦ راجع ديوان الاعشى (١٥٥) ، امالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي) ،
شرح ديوان الاعشى (٢٣٣) ، (القصيدة رقم ٣٥) ، وورد (وبالحمد) بدلا من
« وبالعدل » ، الاغاني (٧٦/٨)

وأبي الشريف (المرتضى) إلا أن يجعله على مذاهب أهل العدل^١ ، أي على مثل ما ذهب إليه (المعتزلة) والشيعية الإمامية الاثني عشرية في الاسلام . وعلل بعض أهل الأخبار سبب تحول الأعشى الى القدرية ، انه كان يأتي أهل الحيرة في الجاهلية ، وكانوا نصارى ، يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك^٢ . ورد في كتاب (الأغاني) : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عبادياً ، وكان معمرأ ، قال : كان الأعشى قدرياً ، وكان ليبد مثبأ . قال ليبد :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالك عدل وولى الملامة الرجال

قلت : فن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى الحيرة ، وكان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك^٣ .

والبيت المذكور هو من قصيدة مدح فيها (سلامة ذا فائش) مطلعها :

إن تحلّا وإن مرتحلّا وإن في السفر ما مضى مهلاً
استأثر الله بالوفاء وبالك عدل وولى الملامة الرجال^٤

شك في صحتها (ابن قتيبة) ، فقال : « وهذا الشعر منحول »^٥ ، والصنعة في الواقع بينة على القصيدة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فيجب أن يكون القدرى صاحبها ، ذلك الرجل الذي نحلها الأعشى ، لا الشاعر الأعشى .

ويذكر أهل الأخبار أن الأعشى كان ممن أقر بالملكين الكاتبين في شعره ، إذ يقول :

-
- ١ أمالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي)
 - ٢ الأغاني (٧٦/٨)
 - ٣ الأغاني (٧٩/٨)
 - ٤ « وبالحمد » ، ديوان الاعشى ، القصيدة رقم (٣٥) ، (ص ٢٣٣) ، ابن قتيبة ، الشعر (١٥/١)
 - ٥ ابن قتيبة ، الشعر (١٥/١)

فلا تحسبني كافراً لك نعمة على شاهدي يا شاهد الله ، فاشهد

وشاهدي ، يعني لساني ، ويا شاهد الله ، يريد الملك الموكل به . وكان هذا من إيمان العرب بالملكين . وقد نسبوا هذه العقيدة الى بقية من دين اسماعيل^١ ، وزعموا أن العرب من أقام على دين اسماعيل ، إذا حلفت تقول : وحق الملكين ، فكان الأعشى ممن أقام على دين اسماعيل والقول بالأنبياء . « والأعشى ممن اعتزل وقال بالعدل في الجاهلية »^٢ .

ونسب الى (ليبد) العكس ، أي القول بالجبر ، واستدل من نسبه الى الجبر ، بقوله :

إن تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ربّي والعجل
أحمد الله فلا ندد له بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل^٣

وقد قال بعض العلماء : ان هذه الأبيات لا تشير حتماً الى مذهب ليبد في الجبر ، وانها لا تكون سبباً في نسبة الجبر اليه ، وقد تأولها ، وأوجد لها مخرج في ابعاد القول بالجبر عنه . ثم قال : « اللهم إلا أن يكون مذهب ليبد في الاجبار معروفاً بغير هذه الأبيات ، فلا يتأول له هذا التأويل ، بل يحمل على مراده على موافقة المعروف من مذهبه »^٤ .

وينسب الى (زهير بن أبي سلمى) قوله :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم^٥

-
- ١ الشعر والشعراء (١٨٦/١) ، الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦١)
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٤١/١)
 - ٣ أمالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي) ، ديوان ليبد (١٧٤) ، (رقم ٢٦) ، وورد :
 - من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
 - الآلغاني (٧٦/٨) ، ديوان ليبد (١٣) ، (رقم ٣٩) ، رسالة الغفران (٢٦٧)
 - الخزائن (٣٠/٢) ، (بولاق) ، الأمالي للمرتضى (٢١/١)
 - ٥ ديوان زهير (١٨)

وذكر انه كان يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره المذكور على إيمانه بالبعث
وبالحساب وبالثواب والعقاب^١.

ومن رأي الجاهليين ان الموت مكتوب على جبين الانسان ، ولا بد له من أن
يواجهه في يوم محتوم مكتوب عليه . ومن لم يمّت عبطة ، مات هرمًا . وفي ذلك
يقول أمية :

من لم يمّت عبطة يمّت هرمًا وللموت كأس ، والمرء ذاتها^٢

ويقول الأعشى :

ولو كنت في جب ثمانين قامة رُسقت أسباب السماء بسلم^٣

ونجد رأي الجاهليين في الروح واضحاً في أشعارهم وفي أقوالهم عن الموت ،
فالموت — كما سبق أن تحدثت عنه — في نظرهم مفارقة الروح للجسد ، فإذا
فارقت صارت (هامة) ترفرف فوق قبر صاحبها . هذا (عروة بن الورد) ،
يذكر الموت ، ثم يذكر ما سيقوله الناس عنه ، بقوله :

أحاديث تبقى ، والفتى غير خالد اذا هو أمسى هامة فوق صير^٤

وقد أشير الى (العتائر) التي تقدم في (رجب) ، في شعر (طرفة) :

عتاً باطلاً وظلماً كما تعترعن حجرة الرّيبض الظباء^٥

وكان الرجل من العرب ينذر نلراً على شائه اذا بلغت مائة أن يلبيح عن
كل عشرة منها شاة في رجب، وكانت تسمى تلك اللبائح الرجبية ، وهي العتائر .

١ الشعر والشعراء (٧٨/١) ، الخزائن (٣٧٦/١) ، (بولاق)

٢ أمالي المرتضى (٥٣٣/١)

٣ رسالة الغفران (٥٧١)

٤ ديوانه (٦٤) ، « قال أبو عمرو : بالهز الف صير ، يعني قبورا من قبور أهل
الجاهلية » ، اللسان (٤٧٧/٤) ، (صير) ، تاج العروس (٣٤٦/٣) ، (صير)

٥ مجالس العلماء (١٨ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٤٦٣ وما
بعدها)

وكان الرجل منهم ربما يخل بشائه فيصيد ظباءً فينبجها عن غنمه في رجب ليوفي نلره^١ .

ومن الشعراء من غلبت عليهم نزعة التبرم من هذه الدنيا ، وذكر الموت ، والاتعاظ به ، وعلى رأس هؤلاء (عدي بن زيد) العبادي ، النصراني ، وهو خير من يمثل هذه النزعة التصوفية ، التي ترى أن اللذة لا تدوم ، وأن السعادة موقته زائلة ، وإن على الانسان أن يتعظ بمن عاش قبله من الملوك العظام ، والأئم القوية ، ومن نزع هذا المترع وإن كان دون (عدي) بكثير (الأسود بن يعفر) ، في قوله :

ماذا أؤمل بعد آل محرق مرحوا منازلهم ، وبعد إباد
أهل الخورند رحسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سداد

الى أن قال :

أين الذين بنوا فطال بناؤهم وتمتعوا بالأهل والأولاد
فلذا النعم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونقاد

وآخرها :

فلذا وذلك لا نقاد للذكره والدمر يعقب صالحاً بفساد^٢

غير أن هذه النزعة ، لم تكن ناتجة عن رأي وعن فلسفة ودراسة تأمل لهذه الحياة ، وإنما هي نزعة نجدها عند من أصيب بنكبة وعند من حلت به مصيبة ، وعند المسنين الذين غلب العمر عليهم ، فجعلهم حطاماً وكومة عظام ، لا يستطيعون الوقوف على أرجلهم ، فهم متعبون لا يجدون من يصغي إليهم أو من يعطف عليهم ، أو من يساعدهم في الخروج من المآزق التي وقعوا فيها ، فتمرموا لذلك من الحياة ، وأخذوا يلتمونها ، وإنما هم يلتمونها لأنهم صاروا في حال لا يتمكنون

١ مجالس العلماء (٢٠)

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٣٨/١) ، (٥٥٢/٢) وما بعدها ، المفضليات (٢١٦)
الافغاني (١٢٩/١١) ، ابن سلام (١١٩) ، الشعر والشعراء (١٧٦/١) وما بعدها
الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٨)

فيها من التلذذ بها ومن التمتع بنعم الحياة التي هي هي لا تنغير وإنما الذي يتغير هو الشخص ، الذي كبر وعجز فصار يذم الدنيا ، لأنه لم يعد قادراً على فعل ما كان يفعله أيام كان شاباً قوياً يحب الدنيا ، فتقبل الدنيا عليه .

ونجد في شعر ينسب للأعشى إشارة الى التطير ، إذ يقول :

ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيسن برح^١

وكان (النابغة) الديلمي من المتطيرين . خرج مرة مع (زبان بن منظور) الفزاري غازياً ، فسقطت عليه جرادة ، فتطير منها ، فرجع من الغزو ، ومضى زبان فظفر وغم ، فقال :

تعلم أنه لا طيرَ إلا على متطير ، وهي الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحاييناً ، وباطله كثير

وقال خرز بن لوزان ، ويقال مرقش السدوسي :

لا يمنعك من بغا ء الخير تعقاد التائم
لا ، والتشاؤم بالعطا من ، ولا التيامن بالمقاسم
ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
وإذا الأشائم كالأيام من ، والأيامن كالأشائم
قد خط ذلك في الزبو ر الأوليات القدائم^٢

وفي شعر (عبيد بن الأبرص) القائل :

نبئت أن بني جديلة أوعبوا نفراء من سلمى لنا ونكتبوا
ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس^٣ قعيد كاهراوة أعضب
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متنكب إبط الشماثل يتعب
طعنوا بمران الوشيح فما ترى خلف الأسمنة غير عرق يشجب
وتبدلوا اليعسوب بعد لهم صنماً ففروا يا جديلا وأعدبوا^٤

١ العملة (٢٦٠/٢)

٢ العملة (٢٦١/٢) وما بعدها

٣ الحيوان (١٠٠/٣) ، العملة (٢٠٢/٢) ، الخزائن (٢٥٦/٣)

كلام عن العياقة ، فأشار الى تيس قعيد من الظباء ، والقعيد الذي يأتي من الخلف ، والأعضب المكسور القرن ، وهو مما يتشام به العرب . وأبو القراح عني به الغراب ، واليعسوب صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط (عبيد بن الأبرص) ، فتبدلوا اليعسوب بدله .

وقد أشير الى التشاؤم بالغراب في شعر ينسب لعلمقة الفحل :

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم^١

ونجد في شعر (أبي ذؤيب) الهللي ، وهو من الشعراء المخضرمين ، إشارة الى تشاؤم العرب بطير الشمال ، إذ يقول :

زجرت لها طير الشمال فإن تكن هواك الذي تهوى يُصيبك اجتنابها^٢

والعرب تشام من (طير الشمال) ، على نحو ما تحدثت عن ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب .

وكان (خرز بن لوزان) السدوسي على مذهب من ينكر الطيرة ولا يعتقد بها ، وينسب اليه قوله :

لا يمنعك من بُغيا ً الخير تعقاد التائم
ولقد غدت وكنت لا أغدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالأيام من والأيام كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو ر الأوليات القدائم^٣

وفي شعر (عبيد بن الأبرص) إشارة الى رأي العرب في الحمامة ، فالعرب تقول : « أخرج من حمامة » ، وعبيد يقول في ذلك :

عيوا بأمرهم كما عيت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامة

١ رسالة الغفران (٤٧٨)

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٧/١)

٣ المؤلف والمختلف (١٠٢) ، تاج العروس (٣٤/٤) ، (خرز) ، الخزائن (١١/٣)

قال ذلك تعبيراً عن حقها . فالنشم شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ ،
والهامة نبت قصير يضرب به المثل في الضعف ، وذلك حقها : أن تجمع بين
ضعيف وقوي ، فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر^١ .

وقد تطرق (العباس بن مرداس) الى ذكر (الغول) ، فقال :
أصاب العام رِعلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان

وهو يشير بذلك الى تلون الغول^٢ .

وفي شعر (زيد الخيل) اشارات الى عادة تعليق الحليّ ، وخشخشة الخلاخيل
على السليم ، ليبراً ويشفى ، اذ يقول :

أيم يكون النعل منه ضجيجعه كما علّقت فوق السليم الخلاخل

ونجد مثل ذلك في أشعار شعراء آخرين^٣ .

ومن مذاهب أهل الجاهلية المذكورة في الشعر ، أنهم كانوا يستسقون السحائب
لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبئون لمواقع حفرهم الزهر والرياض ، قال
النايفة :

فلا زال قبر بينَ تبنى وجاسم عليه من الوسميّ طلّ ووايلُ
فينبت حوْذاً وعرفاً منوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام^٤ .

وفي شعر بعض الشعراء أن الحياة لا تدوم ، وأن المال وإن كان أساس هذه
الحياة ، لكنه متاع أيام وكل ذاهب . فبينما هو يجمعه ويحرص عليه ، إذا به
يعيث همج هامج ، وما المال إلا عارة فاخلف وأتلف ، فكله مع الدهر ذاهب ،
هذا (الحارث بن حلزة) اليشكري ، يقول :

-
- ١ الحيوان (١٨٩/٣) ، حاشية رقم ٤) ، أدب الكاتب (٥٥) ، ثمار القلوب (٣٦٩)
الميداني ، أمثال (٢٣٤/١) ، عيون الاخبار (٧٢/١)
 - ٢ الحيوان (١٦١/٦) ، المعارف (٣٦)
 - ٣ الحيوان (٢٤٧/٤) وما بعدها
 - ٤ أمالي المرتضى (٥٤/١)

بيننا الغنى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالـج
يرك ما رقق من عيشه يعيث فيه همج هامـج
لا تكسح الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتـج

وهذا تميم بن مقبل يقول :

فاخلف واتلف انما المالُ عارة وكله مع الدهر الذي هو آكله^١

ونجد في شعر الشعراء الجاهليين ، ذم للأغنياء الذين يملكون ولا يعطون شيئاً
منه للفقير والبائس والمحتاج ، وللذين يكبرون من شأن الكبير لماله ، ويتعدون
عن الفقير لفقره ، ويعظمون الغنى على كثرة عيوبه ونواقصه ، لا لشيء إلا لماله
وغناه ، فرى (عروة بن الورد) ، يقول :

ذريني للغنى أسعى فلاني رأيتُ الناس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وان أمسى له حسب وخير
يباعده الندى وتزدريه حليته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور^٢

وللشعراء الجاهليين رأي في النساء . رأى أغلبهم ان المرأة متعة للرجل ، يلهو
بها ، ويقضي حاجته منها ، خلقت للبيت وللولادة ، وهي دون الرجل . وهي
تحب الشاب القوي ، والغنى الكثير المال . ونجد هذا الرأي عند أكثر الشعراء
اتصالاً بالمرأة ، وعند أكثرهم لهاً بها مثل (امرئ القيس) حيث يقول :

فيا ربّ يومٍ قد أروح مرجلاً حبيباً الى البيض الأوانس أملسا
أراهن لا يحببن من قلّ ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا^٣

-
- ١ البخلاء (١٦٤ وما بعدها)
 - ٢ أمالي المرتضى (٥٠/١) ، ديوان عروة (١٩٨) ، العقد (٢١٢/١) ، (ولكن للغنى) ، وتجد اختلافاً في الالفاظ وفي ترتيب الابيات حسب المراجع ، البيسان (٢٣٤/١) ، (عبد السلام محمد هارون)
 - ٣ ديوانه (١٠٦ وما بعدها) ، رسائل الجاحظ (٩٨/١ ، ١١٤) (مفاخرة الجواري والغلمان)

ونجد الأعشى يقول :

وأرى الغواني لا يواصلن أمرآ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا^١

وفي شعر علقمة بن عبدة ترديد لرأي امرئ القيس وزيادة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودّه من نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب^٢

١ ديوانه (١٥١) ، رسائل الجاحظ (٩٨/١) ، (مفاخرة الجوّاري والغلمان) .
٢ ديوانه (١٣١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٩/٣) ، المفضليات (١٣١ وما بعدها) ، رسائل الجاحظ (٩٩/١ ، ١١٤) ، (مفاخرة الجوّاري والغلمان)

الفصل الثامن والستون بعد المئة

شعر المخضرمين

المخضرم هو الذي أدرك الجاهلية والإسلام^١ . والشعراء المخضرمون هم الذين عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام ونظموا الشعر في العهدين : الجاهلية والإسلام . والمخضرم من يدرك عهدين متناقضين .

والشائع بين الناس أن الإسلام قد سبب في انصراف الناس عن الشعر وعن روايته « بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم يتزل الوحي في تحريم الشعر وحظره . وسمعه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه »^٢ . وقد نسب إلى (عمر) قوله : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته »^٣ ، « فلما كثّر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمن راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم

١ تاج العروس (٢٨١/٨) ، (المخضرم) ، الخزائن (١٢٩/١) ، (بولاق)

٢ مقدمة ابن خلدون (٥٨١) ، كارلو فالينو ، تاريخ الادب العربية (١٠٣)

٣ ابن سلام ، طبقات (١٠) ، المزهر (٤٧٣/٢) ،

كثير^١ . والشائع بينهم أيضاً أن الشعر قد أصيب بسبب ما تقدم بنكسة ، فذبل وضعف وذهبت عنه قوة وسورة وجزالة وشدة الشعر الجاهلي ، وأعرض بعض الشعراء مثل (لييد) عن الشعر ، اذ رأوا أن في كلام الله ما يغنيهم عنه ، وقلّ بذلك عدد الشعراء ولا سيما الشعراء الفحول بالنسبة الى أيام الجاهلية ، وغلبت الليونة على الشعر الجديد ، فصار شعر (حسان) الذي قاله في الإسلام ضعيفاً ليناً بالنسبة الى شعره الجزل المتين الذي قاله في جاهليته .

وجوابي على هذه الدعاوى : صحيح ان الشعر الجاهلي قد نقص حجمه وضاع قسم كبير منه ، ولكن ضياعه ذلك لم يكن بسبب الاسلام ، وانما بسبب الأحداث والتطورات التي طرأت على جزيرة العرب ، بسبب دخولها في الاسلام ، كحروب الردة مثلاً والفتوح ، وانفتاح أرض الله الواسعة أمام المسلمين ، وفرار الكثير من أهل جزيرة العرب نحو الخارج بحثاً عن أرض أخصب وماء أوفر ، وجوّ أطيب وثراء وعيشة راضية . أما حروب الردة ، فقد أكلت من المسلمين ومن المرتدين جماعة عرفت برواية الشعر وحفظها له ، وبنظم الشعر أيضاً ، فقلّ بهلاكهم عدد حفاظ الشعر ، كما قلّ في الوقت نفسه عدد حفاظ القرآن . وأما الفتوح ، فقد قتل فيها قوم من الشعراء ومن حفاظ الشعر ، فهلك بموتهم شطر من الشعر الجاهلي ، وتقلص عدد العلماء به . كما ألقت الناس عن الشعر ، بما فتحت لهم من آفاق الأرض وبما درّت عليهم من أموال وأشغال ، قلصت من فراغهم الذي كان يكون معظم حياتهم في البوادي ، فجعلتهم في الأرضين الجديدة يصرفون معظم وقتهم في استغلال الأرضين التي صارت من نصيبهم ، وفي إحياء الموات ، وفي تربية المواشي ، والاستغلال بالزراعة ، وهي أشغال تستبد بوقت الانسان ، وتصرف ذهنه اليها لمعالجتها ، فلا يشعر في مثل هذه الحالة بما كان يشعر به يوم كان في بوايه فارغ البال ، يقضي وقته بالتعبير عن نفسه بشعر يقتل به فراغه ، ويسلي به نفسه بالتغني به لأصدقائه ، ثم هو قد يتعيش منه ، بما يناله من قبيلته من مال واحترام ، وبما قد يحصل عليه من مدحه للملوك وللسادات من عطايا وهبات ثمناً للمدح . ومحيط فيه شغل وعمل ، وفيه تعب جسماني وعقلي لا يساعد على نمو الشعر فيه ، ومن هنا كان إقبال أهل الحضرة مثل أهل مكة وأهل يثرب

وأهل الطائف وأهل اليمامة على الشعر ، ونبوغهم فيه أقل من إقبال أهل البوادي عليه ، بسبب انشغال أهل القرى والحضر عامة بتدبير أمور الحياة ، وبالحرف وباستغلال الأرض والمال والاتجار ، وبسبب تكتلهم وتجمعهم وتلاصق بيوتهم بعضها ببعض ، مما يجعلهم يطلعون على أحوال جيرانهم وعلى عوراتهم ، ويقفون على أسرار حياتهم في الشعب وفي القرية ، فلا يكون للهجاء عندهم لهذا الأثر السني يكون له عند الأعراب ، ولا يكون للمدح عندهم ما يكون له من أثر عند أهل البادية . ومن هنا نجد دولة الشعر وقد قلّت نفوذها في العالم العربي في هذا اليوم عما كان عليه نفوذها قبل ثلاثين سنة أو أكثر ، بسبب التطور الحضاري السني أخذ يفزوا العالم العربي ، وهو تطور يقلص من فراغ الإنسان ، ويستبد به ، جاء له بهجوم وبمشاكل نفسية وبأمراض الحضارة التي تريد المزيد من التمتع بمنع الحياة من جنسية ومادية ، ليتمتع بها الإنسان في هذه الحياة التي لن يعود إليها مرة ثانية ، فصار يفكر في الحصول على المادة جهد طاقته ، ولو عن طريق إمالة أعصابه ، ليستمتع بأقصى حد ممكن باللذة الحسية ، التي صار يراها أنها سبب هذا الوجود ، وذلك قبل فواتها منه ، بموت يحترمه منها ، فزاد الإقبال على المتعة ، وعلى رأسها الاستمتاع باللذة الجنسية ، وبلذة الشرب والتدخين ، وقلّت الإقبال على الاستمتاع بالذات النفسية ، وفي جملتها الشعر ، فلا نجد اليوم له في أوروبا ما كان له من مكانة قبل عشرات السنين ، وغلب النثر عليه ، وقلّ عدد من كان يحفظ شعر الشعراء الماضين والمعاصرين ، وعلى هذا النحو صار حالنا اليوم ، فتناقص عدد حفاظ الشعر في النجف مثلاً تناقصاً كبيراً من حيث العدد والكم ، والنجف في الشعر والأدب كوفة العراق بالأمس أيام الأمويين والعباسيين . فالإعراض الذي لاقاه الشعر في صدر الإسلام ، لم يكن بسبب كره الإسلام له ، وإنما بسبب التطور الذي طرأ على حياتهم ، فغيرها من جميع الوجوه ، نتيجة لخروجهم من جزيرتهم ، واختلاطهم بأمم أعجمية ذات نظم أخرى ، ونظرات متباينة مع نظرات العرب الى مفهوم الحياة .

أما إعراض (ليد) عن قول الشعر بعد اعتناقه الإسلام ، فليس مرده اعتقاده بكره الإسلام للشعر ، وإنما هو في رأيي بسبب تقدمه في السن ، والإنسان متى تقدم في العمر خفت مواهبه وبرد احساسه ، ووهنت عواطفه التي تكون متقدمة في أيام المراهقة والشباب ، أو قد يكون هذا العامل وعامل آخر ، هو سلطان

الدين الذي استولى عليه وهو في سن الشيخوخة ، بحيث صيره يشعر بوجوب الإنصراف نحو العبادة وحفظ ودراسة كتاب الله ، ومع ذلك فهناك روايات روت أن معظم شعره الذي فيه تدين وزهد وحث على العمل الصالح ، هو شعر قاله في الإسلام ، وإن ما زعم من أنه ترك الشعر ، وانكب كلية على قراءة القرآن زعم غير صحيح .

وأما اعراض (بشار بن عدي بن عمرو بن سويد) الطائي عن الشعر، فيظهر أنه عن وازع نفسي ديني ، حمله على التفرغ لدراسة كتاب الله ، وعلى الزهد، وقد يكون ذلك بسبب تقدمه في السن . وفي تركه الشعر يقول :

تركت الشعر واستبدلت منه كتاب الله ليس له شريك
وودعت المدامة والندامي اذا داعى منادي الصبح ديك^١

وأما اعراض (مالك بن عمير) السلمي عن الشعر^٢ ، فهو حادث فردي كذلك، لا يعلم مبلغ درجته من الصحة ، ومع ذلك ، فإن كل من ترك الشعر من الشعراء لا يصل عددهم الى عشرة ، وهم قلة بالنسبة الى عدد الشعراء المخضرمين اللذين استمروا في نظمهم في الإسلام .

وأما ما قالوه عن الضعف الذي ألمّ بشعر (حسان) الذي قاله في الإسلام ، وعن متانة شعره وجزائته في الجاهلية ، فلا يعقل إرجاع سببه إلى الإسلام ، فقد اتخذ الرسول (حساناً) شاعراً له ، يجب عنه وعن الإسلام المشركين ، كما شجع غيره في الردّ على شعراء الشرك ، وكان الرسول يستصوب الشعر الصلبد الجزل المتين ذا المعاني الجيدة العميقة ، ومصدر ضعف (حسان) في شعره في الاسلام ، هو بسبب تقدمه في السن ، والتقدم في السن — كما سبق أن قلت — يضعف المواهب ، ومنها الشاعرية ، ويخمل العواطف ، فقد كان حسان في جاهليته شاباً ورجلاً ، قوي الجسم ككل رجل ، متقيد الحس ، متألق الحس ، متألق العاطفة ، ذا شاعرية حساسة ناثرة ، يشرب ويلهو ويسمع الغناء ويحضر مجالس الطرب ، فلما جاء الاسلام ، ودخل فيه مع من دخل ، كان قد تقدم في السن،

١ الاصابة (١٧٤/١) ، (رقم ٧٦٧)

٢ الاصابة (٣٣١/٣) ، (رقم ٧٦٧٢)

فرد حسه ، وضعف شعره في المتاني التي قاطها في الجاهلية ، وفي الدروب التي سلكها من دروب الشعر الجاهلي ، ولكنه تألق في معان أخرى تنسجم مع عمره ومع المثل التي اعتنقها ، فن ثم صار شعره يختلف عن شعره في الجاهلية . ولم يقع ذلك لحسان وحده ، وإنما وقع هذا الحادث لكل شاعر هجم عليه العمر ، واستبدت به الأعوام .

وبما وقع للشعر في الاسلام ، ان الزعامة انتقلت فيه من البوادي الى الحواضر ، فبعد أن كان شعر الأعراب ، بجزالته وبخشونته وبصلادته ، هو المقدم عند علماء الشعر والمحبين له ، وبعد أن كانت القبائل هي التي تنجب الفحول ، صارت الحواضر هي التي تنبت الفحول ، لتبدل الزمن ، ووقوع تغير في الذوق ، ولتغلب الحضارة على البداوة ، ولاهتمام الناس بالمعاني ، أكثر من اهتمامهم بالشكل وبمظهر القوالب فقل شعر الشعراء الأعراب الفصحاء ، ثم انحسر الشعر من موطنه ، كما انحسر أكثر سكان البوادي عن بواديهم ، ليلحقوا بخير الحضر ، وصار الشعر العربي الفصيح من حصة الحضر في هذه الأيام . كما حلت الكوفة ثم (دمشق) ثم بغداد فبقية الحواضر محل (الحيرة) وقصور الغساسنة ومضارب سادات القبائل في استقبال الشعراء وفي الانعام عليهم بالهدايا والألطاف . ولتغير الذوق بتغير المجتمع ، تغير الشعر كذلك ، ولا سيما في أيام بني العباس .

وفي شعر المخضرمين شعر قيل في الرسول وفي حوادث الاسلام ، وفي الرد على المشركين وتسفيه مقاتلهم في دينهم ونيلهم من دين الله . قاله الشعراء بعد دخولهم في الاسلام . وعلى رأس هؤلاء من ذكرت من شعراء يثرب ، يتقدمهم (حسان ابن ثابت) شاعر الرسول ، الذي كان يستدعيه الرسول في المناسبات ليجيب على شعر الشعراء الوافدين عليه ، كالذي كان من أمره مع شاعر وفد (تميم) الزبرقان ابن بدر .

وكان لرد شعراء يثرب على شعراء قريش ومن لف لفهم ، أثر كبير في نفوس المشركين . يروى ان النبي قال لحسان بن ثابت : اهجمهم ، يعني قريشاً ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ، في غلس الظلام ، اهجمهم ومعلك جبريل روح القدس^١ . وقد كان هجاؤه شديداً عليهم ، له وقع في نفوسهم أشد

١ العمدة (١٢/١) ، الاغانى (٧/٤) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٧)

من وقع شعر بقية الشعراء عليهم . فقد كان لسانه حاداً قاطعاً ، لا سيما اذا ما تناول ناحية الهجاء وما يتعلق منه بالوقائع والأيام والتزاع القديم الذي كان بين أهل مكة ويثرب . فيجيد في ذلك كل الإجادة ، ويتفوق بهذه الناحية على شعراء قريش .

وكان حسان وكعب يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعبرانهم بالمثالب . وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم الى الكفر ، ويعلم انه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ^١ .

وأما شعر شعراء مكة الى عام الفتح ، فكان في إيذاء الرسول والاسلام ، وفي هجاء المسلمين ، وتمجيد قريش وورثاء من قتل من المشركين وتعظيم أمر الجاهلية وسنة الآباء وما ألفوه عن آبائهم من أمور . وقد حفظت كتب السير والمغازي والتواريخ شيئاً من شعرهم ، من النوع الذي لم يتضمن قلعاً شديداً بالاسلام ، ولا شتماً عنيفاً وهجاءً غليظاً بالرسول وبالمسلمين . أما النوع الثاني الذي أفحش فيه أولئك الشعراء، وجاءوا فيه بشتائم وسباب ، فقد أنف أصحاب السير والمغازي والتاريخ من روايته ، فتركوه ، ولو جمع الباقي من شعرهم مع ما ردّ عليه ، لكوّن منه ديواناً ثميناً في المعارضة التي كانت بين المشركين والمسلمين في مبدأ ظهور الاسلام ، ولكان سجلاً قيماً لتأريخ ذلك الصراع ، ولكيفية تغلب الاسلام على الشرك . فهو وثائق تاريخية من الدرجة الأولى ، على أن يغربل ويفحص فحصاً علمياً للتيقن من درجة صفائه ونقاائه بالطبع .

ونوع آخر من أنواع الشعر كان عند المخضرمين ، هو شعر القتال . القتال الذي وقع بين المسلمين والمشركين واليهود ، الى أن انتصر الإسلام . فاختفى صوت الشرك وصوت يهود ، وبقي صوت الإسلام وحده ، لا يعارضه أحد ، ولا يجابهه صوت . فقد كان من عادة العرب ، أنهم اذا تقاتلوا أنشدوا شعراً يفتخرون فيه بأنفسهم وبقبيلتهم وبشجاعتهم ، ولا سيما حين يخرج فارس لمبارزة فارس آخر ، وقد يقف الشعراء في صفوف المحاربين يحرضونهم على القتال والاستبسال :

١ الاغانى (٢٩/١٥)

ونجد في بطون كتب السير والمغازي والتواريخ ، نماذج طيبة من هذا الشعر :
شعر القتال . قال المحاربون عند خروجهم من صفوف المقاتلين لمقابلهم من سيخرج
لمبارزتهم من الجانب الثاني .

وتولد من هذا النوع من الشعر شعر آخر قيل في معارك الفتوح . في المعارك
التي وقعت مع عرب الحيرة ، ثم مع الفرس ، وفي المعارك التي حدثت بين
المسلمين وبين الفساسنة ، وبين المسلمين والروم ، ثم في الفتوحات الأخرى . فقد
ساهم في هذا القتال شعراء مخضرمون ، حاربوا في الجاهلية ، وحاربوا في الاسلام .
وحافظوا على تقاليدهم وأعرافهم القديمة التي كانت لهم في الجاهلية عند القتال ،
من التحمس في القتال والاندفاع من الصفوف الى الأمام لمبارزة من قد يبرز لهم
لمقاتلتهم ، ومن التغني بالقتال ومبارزة العدو . ونجد في كتب الفتوح والتاريخ
والأخبار ، نماذج من هذا الشعر . ونجد في شعر (قيس بن مكشوح) المرادي
وصفاً ليوم القادسية ، وفخراً بسيره مع جمع من قومه من (صنعاء) الى وادي
القرى فديار كلب ، الى اليرموك ، فالشأم ، ثم القادسية بعد شهر ، ثم مقابلته
جمع كسرى وأبناء المرازبة ، وهجومه على رأس الفرس^١ . ولو جمعنا هذا الشعر
الذي قيل في هذا القتال لكوّنا منه ديواناً^٢ ، يصور هجرة القبائل العربية من
مواطنها الى البلاد المفتوحة ، ويتحدث عن الأبطال الذين ساهموا في جمع هذا
الديوان، والملحمة الشعرية التي تروي قصص الفتوح ، وما قام به المحاربون الشجعان
في حروب الفتح^٣ .

وهناك شعراء أسلموا ، لكن قلوبهم بقيت على ما كانت عليه قبل الاسلام ،
من عدم الاهتمام بأمور الدين ، فلم يحفلوا بالاسلام ، ولم يذكروا الرسول ، وهم
شعراء أهل البادية الأعراب .

وطالما كان يأتي الشعراء الى (يثرب) على طريقتهم في الجاهلية في إنشاد
شعرهم أمام رجل منهم عظيم ، مثل ملوك الحيرة أو الفساسنة ، أو سادات القبائل .
فيقف الشاعر أمام الرسول لينشده شعره الذي أعده لهذه المناسبة ، أو ليقول شعراً

١ الاصابة (٢٦١/٣) ، (رقم ٧٣١٥) ، الاستيعاب (٢٣٥/٣)

٢ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١٦)

٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١)

بالمناسبة . ولما قدم وفد (تميم) ، المدينة ، ودخلوا المسجد ، وقالوا : « يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل ، فخطب : (عطاردين حاجب) ، فلما انتهى قال الرسول لثابت بن قيس بن شماس ، أجبه ، فأجابه . ثم قالوا : يا محمد ، ائذن لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزبيرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حي^١ يعادلنا منّا الملوك وفيّنا تنصب البيع^٢

فلما انتهى منها ، أجابه حسان ، فحكموا ان خطيب المسلمين أخطب من خطيب تميم ، وان شاعر الرسول أشعر من شاعرهم^٣ .

وعادة التفاخر في مجالس الملوك وسادات القبائل ، وإنشاد الشعر في ذلك ، وردّ الشعراء بعضهم على بعض ، دفاعاً عن قومهم ، من العادات الجاهلية القديمة ، التي بقيت في الاسلام كذلك ، ولما أخذت الوفود تفد على الرسول بعد فتح مكة ، كان في أعضائها من يخطب على طريقته في الخطابة ، ومنهم من ينشد الشعر ، ثم يعلنون إسلامهم ، ومنهم من يشترط شروطاً ، وكان من بين المسلمين من يتولى الردّ عليهم ، وقد يجيبهم الرسول بنفسه .

وقد كره الاسلام من الشعر الجاهلي الشعر الذي يتعرض بالأعراض ويتحرش بعورات الناس ، والشعر الذي يهيج الفتن ، ويلقي البغضاء بين الاخوة ، فيعيد لها فتنة جاهلية ، ومن هنا جاء النهي عنه في قوله : « لأن يمتلىء جوف رجل قبحاً يرريه خير^٤ » له من أن يمتلىء شعراً^٥ ، ولم يأت في عامة الشعر . وأخذ الخلفاء الشعراء الهجائين متى اقلعوا في شعرهم ، وتحاملوا فيه على الناس ، تحاملاً يغض منهم . وهنا حبس (عمر) الخطيئة ، وكان يقف بالمرصاد لمن يفعل فعله في نهش أعراض الناس . ولذلك تخوف المخضرمون في شعرهم من شعر الهجاء واحترسوا فيه امتثالاً للمثل الإسلامية التي تأمر بالابتعاد عن ذكر المثالب والامتناع عن إيذاء الناس ، وخوفاً من تأديب الخلفاء لهم إن نهشوا أعراض المسلمين .

١ الطبري (١١٥/٣) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات)
٢ البخاري ، (كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى : لا يسألون الناس الحافا) ، وفي أبواب أخرى ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/٩ وما بعدها) ، (حاشية على ارشاد الساري) ، زاد المسلم (٣٥٠/١ وما بعدها) .

والقديم من شعر المخضرمين ، ولا سيما شعر المتقدمين منهم في السن ، هو استمرار في الواقع للشعر الجاهلي ، نظم على طريقة أهل الجاهلية وأساليبهم في نظم الشعر وعلى معانيهم التي كانوا يتطرقون إليها في شعرهم في الغالب ، فقد ولدوا في الجاهلية وقضى بعض منهم أكثر سني حياته فيها ، ونظموا أكثر شعرهم في تلك الأيام وفي الأحداث التي وقعت فيها . ولذلك صار شعرهم يختلف عن شعر الشعراء الاسلاميين ، لأنهم لم يشهدوا الجاهلية ولم يدركوها ، وهم من ثم لم يتأثروا بعقليتها كثيراً ، ومن هنا يجب علينا أن نوجه لشعر الشعراء المخضرمين المسنين الذين قضوا أكثر أيام حياتهم في الجاهلية عناية خاصة ، وأن نقوم بدراسته دراسة نقد دقيقة ، إذ نتمكن بها من الوقوف على تطور الشعر الجاهلي ومكانته عند ظهور الاسلام .

ومن الشعراء المخضرمين من لقي الرسول وصحبه ومدحه وروى عنه ، ومنهم من صحبه ، لكنه لم يرو عنه ، ومنهم من لم يره لكنه دخل في الإسلام . وقد ذكر بعض العلماء أسماء الشعراء الذين صحبوا الرسول ورووا عنه ، منهم (حسان ابن ثابت) ، و (كعب بن مالك) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (عدي بن حاتم) الطائي ، و (عباس بن مرداس) السلمي ، و (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) ، و (حميد بن ثور) الهلالي ، و (أبو الطفيل عامر ابن وائلة) ، و (أيمن بن خريم) الأسدي ، و (أعشى) بني مازن ، و (الأسود بن سريع) ، و (الحارث بن هشام) ، و (عمرو بن شاس) ، و (ضرار بن الأزور) ، و (خفاف بن ندبة) ، و (ليبد بن ربيعة) ، و (ضرار بن الخطاب) ، و (عبدالله بن الزبيري) ، ولم تكن لليبد ، ولا لضرار ولا لابن الزبيري رواية عنه . وكذلك (أبو ذؤيب) الهللي ، و (الشماخ ابن ضرار) ، وأخوه (مزد بن ضرار) ^١ .

وقد عدّ (ابن سلام) (النابعة) الجعدي ، والشماخ بن ضرار ، وليبد ، وأبو ذؤيب الهللي طبقة ، وقال : وكان الشماخ أشد متوناً من ليبد ، وليبد أحسن منه منطقاً ^٢ .

١ الاستيعاب (٣/٥٦١) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ الاستيعاب (٣/٥٦١) ، (حاشية على الاصابة) .

و (الناطقة) الجعدي ، هو : (أبو ليلى عبدالله بن قيس) ، أو (قيس بن عبدالله بن عدس) ، وقيل : (حبان بن قيس) ، (حيان بن قيس) ، وغير ذلك . قيل له (الناطقة) ، لأنه كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ، ثم عاد اليه بعد أن أسلم ، فقيل : نبخ : قيل انه كان قديماً شاعراً مفلقاً طويل العمر في الجاهلية وفي الاسلام ، حتى زعم انه كان أسن من الناطقة الديباني ، واستدلوا على طول عمره بأبيات زعموا انه قالها هي :

ألا زعمت بنو أسد بأنني أبو ولد كبير السن فاني
فن يك سائلاً عني فلاني من الفتيان أيام الختان
أنت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
وقد أبقت صروف الدهر مني كما أبقت من السيف الباني^١

وذكر (السجستاني) في كتاب المعمرين ، انه عاش مائتي سنة . وهو القائل :

قال (٩) أمانة كم عمرت زمانه وذبحت من عترة على الأوثان
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أعد من الفتيان
والمندر بن محرق في ملكه وشهدت يرم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى وقوارع تسلي من القرآن
ولبست في الإسلام ثوباً واسعاً من سيب لا حرم ولا منان^٢

وهو عند الأخباريين أسن من الناطقة الديباني وأكبر ، واستدلوا على أنه أكبر من الناطقة الديباني ، بأن الناطقة الديباني كان مع النعمان بن المنذر ، وكان النعمان ابن المنذر بن محرق . وقد أدرك الناطقة الجعدي المنذر بن محرق وناداه ، ولكن الناطقة الديباني مات قبله ، وعمر بعده عمراً طويلاً . ذكر بعضهم أنه عمر مائة وثمانين وذكر بعضهم أنه عمر أكثر من ذلك حتى ذكر بعض منهم انه عمر مائتين

١ تختلف هذه الابيات في النظم وفي الترتيب في كتاب الاصابة عنها في الاستيعاب وفي الكتب الاخرى ، الاصابة (٥٠٨/٣ وما بعدها) ، (رقم ٨٦٤١) ، الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، ابن هشام (٥٣/١) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٥٣/١) .
٢ الاصابة (٥٠٨/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، البخلاء (٢٠٢ وما بعدها ، ٢٠٨ وما بعدها ، ومواضع أخرى راجع ص ٦١٢) .

وعشرين سنة . وذكروا أن (عمر) قال له : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال ستين سنة . وأنشده قوله :

لقيت أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناساً
ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسأ

وجعل بعضهم عمره (٢٤٠) سنة ، وكان أكثرها في الجاهلية^٢ .

وهو من (الفلج) جنوب نجد ، وكان يزور بني لحم في الحيرة . وكان شاعراً مغلباً ، ما هاجى قط إلا غلب ، هاجى أوس بن مغراء ، وليل الأخيلىة ، وكعب بن جميل فغلبوه جميعاً . وذكر انه مكث الى أيام (عبدالله بن الزبير)^٣ . وذكروا انه كان يذكر في الجاهلية دين ابراهيم والخنيقية ويصوم ويستغفر . وقال في الجاهلية كلمته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظالم

وفيه ضروب من دلائل التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل ان هذا الشعر له ، ولكنه قد صححه علماء العشر مثل : يونس بن حبيب ، وحامد الراوية ، ومحمد ابن سلام ، وعلي بن سليمان الأخفش للناطقة الجعدي^٤ .

وروي انه كان ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان وذكر دين ابراهيم^٥ .

-
- ١ الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الاغانى (١٢٨/٤) ، الخزائنة (٥١٢/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٨) ، الموشح (٦٤) ، ابن سلام ، طبقات (٢٦) ، مجالس ثعلب (٦٦٣) ، الاشتقاق (٣٣٨) .
 - ٢ الروض الاتف (٥٣/١) ، (لبست أناساً) ، أمالي المرتضى (٢٦٤/١) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٦١٤/٢) وما بعدها ، الاغانى (١/٥) وما بعدها ، (دار الكتب) ، الجمحي ، طبقات (٢٦) وما بعدها ، الشعر والشعراء (١٥٨) وما بعدها ، المعجم ، للمرزباني (٣٢١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٦١٤/٢) ، المعمرن ، للسجستاني (٦٦) ، الخزائنة (٥١٢/١) ، أسد الغابة (٢/٥) وما بعدها ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٣٢/١) ، البخلاء (٢٤٣) .
 - ٤ الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الخزائنة (٥١٤/١) وما بعدها ، رسالة الفقرا (٢٠٢) .
 - ٥ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .

وذكر ان (النابعة) قدم على (عثمان) يستأذنه في السفر الى البادية ، لأن نفسه اشتاقت اليها ، ليشرب من ألبانها ، وليشرب من شبح البادية ، فقال له عثمان : أما علمت ان التعرب بعد الهجرة لا يصلح ؟ قال : لا والله ما علمت وما كنت لأخرج حتى استأذنك ، فأذن له ، وضرب له أجلاً ، ثم دخل على (الحسن بن علي) فودعه ، فقال له : أنشدنا من بعض شعرك ، فأنشده :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

فقال : يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت ؟ قال : يا ابن بنت رسول الله ، والله اني لأول الناس قالها وان السروق من سرق أمية شعره ^١ .

وذكر أنه كان من أصحاب (علي) وحارب معه يوم صفين ، وله مع (معاوية) أخبار . ومات معمرأ بأصبهان سنة (٦٥ هـ) (٦٨٤ م) . وكان معاوية سيره اليها مع (الحارث بن عبد الله بن عوف بن أصرم) . وكان ولي أصبهان من قبل علي ^٢ .

وقد وفد النابعة على النبي وأنشده قصيدته الرائية التي فيها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً بالمجرة نيرا

الى أن بلغ قوله :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا نرجو فوق ذلك مظهرا ^٣

فقال رسول الله : إلى أين أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال رسول الله : نعم إن شاء الله ^٤ .

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
 - ٢ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٣٢/١) ، الاصابة (٥١٠/٣) .
 - ٣ تختلف الروايات في ضبط هذه الابيات ، ولعلماء الشعر روايات مختلفة عنها ، رسالة الغفران (٢٢٨) ، أمالي المرتضى (٢٦٦/١) ، الاغانى (٥٣٩/٤) .
 - ٤ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، الاستيعاب (٥٥٢/٣) وما بعدها .

ولما أنشدته :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكسدا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فاستحسنه الرسول وقال : لا يفضض الله فاك . وذكر أن كلمة النابغة هذه قصيد مطوّل نحو مائتي بيت أوله :

خيلني غضبا ساعة وتهجرا ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا

وهو من أحسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة سباطة ونقاوة وجزالة وحلاوة^١ . وقد تعرض فيها بأمور الجاهلية والاسلام .

وأسلم وحسن إسلامه وكان يرد على الخلفاء ورد على عمر ثم على (عثمان) . ويظهر ان القصيدة قد طوّلت على (النابغة) فيما بعد ، وانها لم تكن على هذا النحو من الطول لما أنشدتها على الرسول . وقد روى بعض العلماء منها أربعة وعشرين بيتاً^٢ ، لعلها هي الأبيات التي أنشدتها أمام النبي .

وذكر انه كان بالبصرة ، فرعت (بنو عامر) في الزرع ، فبعث (أبو موسى) الأشعري في طلبهم ، فتصارخوا يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له . فضربه أسواطاً . فقال النابغة في ذلك :

رأيت البكر بكر بني ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا
فإن تك لابن عفان أميناً فلم يبعث بك البر الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه ألا ياغوثننا لو تسمعونا
ألا صلى إلهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا^٣

وقد مدح (النابغة) الجعدي عبدالله بن الزبير ، ويظهر انه كان في ضيق وعسر ، إذ يقول فيها :

-
- ١ الاستيعاب (٥٥٥/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، وتجد أبياتاً منها في الاستيعاب ، الاغانى (٨/٥) .
 - ٢ الاصابة (٥١٠/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .
 - ٣ الاستيعاب (٥٥٦/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

أناك أبو ليلى تجوب به الدجى دجى الليل جَوَّاب الفلاة عرمرم
لتجبر منه جانباً دعدت به صروف الليالي والزمان المصمم
فأعطاه قلائص سبعا وفرساً وخيلاً ، وأوقر له الركاب برأ وتمراً وثياباً^١ .
ومن جيد شعره قوله :

ففى كملت خبراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا
ففى تمّ فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا^٢

قال العلماء في شعر (النابغة) : « خمارٌ بواف ، ومطرفٌ بآلاف . يريدون
أن في شعره تفاوتاً ، فبعضه جدّ مبرّز وبعضه رديء ساقط »^٣ . ونسب الى
(الفرزدق) قوله في النابغة الجعدي : « صاحب خُلُقَان ، يكون عنده مطرف
بألف دينار ، وخمار بواف »^٤ .

وقد ذكر (أبو العلاء) المعري قصيدة النابغة التي يقول فيها :
ولقد أغدو بشرب أنف قبل أن يظهر في الأرض ريش
فقال على لسان (النابغة) الجعدي : « ما جعلت الشين قسط رويأ ، وفي
هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط »^٥ .
وروى (المعري) له قصيدة ، استحسنت منها قوله :
طيبة النشر ، والبداهة ، والـ مِلَات ، عند الرُقَاد والنسم^٦
ومن شعره قوله في (زياد بن الأشهب بن أدد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة)
العامري الجعدي :

مقام زياد عند باب ابن هاشم يريد صلاحاً بينكم ويقرب

-
- ١ الاستيعاب (٥٥٨/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ الاستيعاب (٥٥٨/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢١٠/١) ، (دار الثقافة) ، البيان والتبيين (٢٠٦/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٢٦٩/١) .
 - ٥ رسالة الغفران (٢٠٩) .
 - ٦ رسالة الغفران (٢١٩ وما بعدها) ، تهذيب الالفاظ (٦٣١) ، السمط (٤٣١) .

وكان قد مشى في الصلح بين علي ومعاوية . وكان من أشرف أهل الشام
ومن المقربين الى معاوية^١ .

و (الطفيل بن عمرو بن عمرو بن طريف) الدوسي ، من الشعراء الأشراف . كان
شاعراً لبيباً . تذكر رواية انه أسلم حين كان الرسول بمكة ، وانه لما أتى مكة
ذكر ناس من قريش أمر النبي ، وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ،
فتلا النبي الاخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال وعاد الى قومه . وتذكر رواية انه
عاد مرة أخرى الى مكة ، ثم عاد الى قومه حتى هاجر الرسول الى المدينة فجاء
على رأس وفد من دوس ممن أسلم ، فوصل والرسول محاصر (خيبر) ، فكث
بالمدينة حتى اذا فتحت مكة ، بعثه الرسول الى (ذي الكفين) صم (عمرو بن
حمة) حتى أحرقه . وقد أورد (المرزباني) شيئاً من شعره^٢ .

وأعشى بن مازن ، أو الأعشى المازني ، هو (عبدالله بن الأعور) ، وقيل
ان اسم (الأعور) (ربيعة بن فزارة بن غضبان بن حبيب بن سفيان بن مكرز
ابن الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم) . يكنى (أبا شعثة) . « وقال أهل
الحديث : يقولون المازني وانما هو الحرمازي ، وليس في بني مازن أعشى » .
وذكر انه أتى للنبي فأنشده :

يا مالك الناس وديان العرب اني لقيت ذربة من اللرب

وفيه قصة امرأته وهرها^٣ .

فكتب النبي الى (مطرف بن نهشل) ، وكانت امرأته عنده ، ان يعيدها
اليه ، فأعادها ، فقال :

-
- ١ الاصابة (٥٦٢/١) ، (رقم ٢٩٨٥) .
 - ٢ الاصابة (٢١٦/٢) وما بعدها) ، (رقم ٤٢٥٤) ، الاستيعاب (٢٢١/٢) وما
بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، سيرة ابن هشام (٢٣٤/١) وما بعدها) .
 - ٣ الاصابة (٢٦٧/٢) وما بعدها) ، (رقم ٤٥٣٥) . ورويت الابيات على هذا النحو :
يا سيد الناس وديان العرب أشكو اليك ذربة من اللرب
كالذبة السلاء في ظل السرب خرجت أبغيها الطعام في رجب
فخالفتني بنزاع وهرب أخلفت العهد ولطمت بالذنب
وهن شر غالب لمن غلب .
الاستيعاب (٢٥٧/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، (١٢٢/١) .

لعمرك ما حيي معاذة بالذي يغيره الواشي ولا قدم المهسد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزله غواة رجال إذ ينادونها بعدي^١

وذكر صاحب (الاستيعاب) ، ان اسم والد (أعشى) مازن ، هو (الأطول).
وقيل اسم الأطول أو الأعور : (عبدالله)^٢ .

وروى ان اسمه (عبد بن لبيد) الأعور . وقيل : (الأعور بن قراد بن
سفيان) . وكان قد خرج في (رجب) يبر أهله من هجر ، فهربت امرأته
بعده ناشراً عليه ، فعادت برجل منهم . فجاء (الأعشى) الى الرسول وعاذ به .
وأنشأ يقول قصيدته^٣ .

ومن شعره :

يا حكم بن المنذر بن الجارود سراق المجد عليك ممدود
أنت الجواد ابن الجواد المحمود نبت في الجود وفي بيت الجود
والعود قد ينبت في أصل العود^٤

و (الحطيطه) ، وهو (جرويل بن أوس بن مالك بن « حيوه » جؤينة بن
مخزوم بن مالك) العبسي ، ويكنى (أبامليكة) « من فحول الشعراء ومقدميهم
وفصحائهم ، وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسب
ويجيد في جميع ذلك . وكان ذا شر وسفه ، وكان اذا غضب على قبيلة انتمى
الى أخرى ، زعم مرة انه ابن عمرو بن علقمة من بني الحارث بن سدوس .
وانتمى مرة الى ذهل بن ثعلبة ، وأخرى الى بني عمرو بن عوف . وله في ذلك
أخبار مع كل قبيلة وأشعار مذكورة في ديوانه . وكان كثير الهجاء حتى هجا
أباه وأمه وأخاه وزوجته ونفسه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . وكان
أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ثم أسر وعاد الى

١ الاستيعاب (٢/٢٥٨) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ الاستيعاب (٢/٢٥٦) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الفائق (١/٤٢٢ وما بعدها) .

٤ الاصابة (٢/٢٦٨) ، (رقم ٤٥٣٥) .

الاسلام^١ . وكان ملحظاً شديد البخل ، لا يقف إلخافه في السؤال عند حد ، ولا ينجل من التصريح في الاستكداء وفي إذلال نفسه في الحصول على مال . طاف في الآفاق يمتدح الأماثل ويستجديهم . وقد عدّ في البخلاء . « قيل بخلاء العرب أربعة : الخطيئة ، وحيد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان »^٢ . وقيل عنه انه كان « دنيء الطبع ، لثيم النفس ، كثير الطمع ، جعل الشعر متجراً ، فكان له من الهجاء معاش ومكسب^٣ لأن الناس كانوا يهدون له الهدايا خوفاً من شره . فقال الأصمعي : كان الخطيئة جشعاً سؤولاً ملحظاً دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر ، رث الهيئة مغموز النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في شعر شاعر ما من عيب إلا وجدته فيه ، وقلما تجد ذلك في شعره »^٤ ، كان لا يبالي من هجو من سبق أن مدحه وأثنى عليه ، لاغداقه المال عليه ، بل يظهر انه كان من ذلك الفريق من الناس المرضى النفوس الذين كانوا يسيئون الى من أحسن اليهم ، بل كانوا أول من يسيء الى من أحسن اليه ، لعقدة مستعصية في النفس .

وكان قصير القامة ، ولقصره هذا لقب بالخطيئة . وكان ذمياً ، قبيح الوجه ، سيء الهيئة ، ولعل هذه الأمور هي التي صيرته سيء الطبع ، هجاء لكل أحد ، فلا يسلم من لسانه أحد . فلما هجا أباه ، بأبيات قاسية شديدة منها :

فنعم الشيخ أنت لدى المخازي وبش الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم ، لاحتك ربي ، وأبواب السفاهة والفضلال

قيل : « كان الخطيئة يرعى غنماً له ، وفي يده عصا . فرّ به رجل^٥ فقال : يا راعي الغنم ما عندك ؟ قال : عجاء من سلم . يعني عصاه . قال : لاني ضيف . فقال الخطيئة للضيفان أعددتها »^٦ .

١ الاصابة (٣٧٧/١ وما بعدها) ، (رقم ١٩٩١) ، العمدة (٨١/١ وما بعدها) ، البيان (١٣/٢ وما بعدها) ، الخزائن (٤٠٨/١) ، الاغانى (٤١/٢ وما بعدها) ، (٣٨/١٦) ، الطبقات ، لابن سلام (٩٢ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (القاهرة ١٩٥٨ م) ، (نعمان أمين طه) ، الخزائن (٤٠٦/٢) ، (هارون) ، (٤٠٩/١) ، (بولاق) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٧/١ وما بعدها) .

٣ كارنو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٩ وما بعدها) .

٤ البيان والتبيين (١٤٧/٢) ، (٨٠/٣) .

وهجا أمه بشعر موجه منه قوله :

تنحي فاقعدي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاء مني ولكن لا أخالك تعقليننا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
جزاك الله سرّاً من عجوز ولقائك العُقوق من البنينا
حياتك ما علمت حياةُ سوء وموتك قد يسر الصالحينا

ثم هجا أخاه وزوجته ، فلما لم يبق أمامه أحد سلم من هجائه إلا نفسه ، اذ
اطلع في حوض فرأى وجهه فقال :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمي بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقيح من وجه وقبح حامله^١

وقد جعل (المعري) هذا الشعر ، سبباً دخل به الجنة ، لقوله بالصدق^٢ .
وله قصيدة (سينية) مشهورة ، هجا فيها (الزبرقان بن بدر) ، فسجنه
(عمر) عليها ، منها قوله :

ملوا قراه ، وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

وفيها :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس^٣
وقد قال (أبو عمرو بن العلاء) عن هذا البيت : « لم تغفل العرب قط
بيتاً ، أصدق منه^٤ »

١ الشعر والشعراء (٢٤٠/١) ، (والحطيئة الرجل الدميم أو القصير ، ومنه لقب
جروال الشاعر العبسي لدمايته . قاله الجوهري . وقيل : كان يلعب مع الصبيان
فسمع منه صوت ، فضحكوا . فقال : ما لكم إنما كانت حطيئة ، فلزمته نبزاً ،
وقيل غير ذلك) ، تاج العروس (٥٧/١) ، (خطأ) ، الخزائنة (٤٠٩/٢) ،
(هارون) .

٢ رسالة الغفران (٣٠٧) .

٣ رسالة الغفران (٣٠٧) .

٤ الاغانى (١٨٤/٢ وما بعدها) ، السيوطي شرح شواهد (٩١٦/٢ وما بعدها) .

وقد حملت دمامة خلقة الحطيثة ورثة هيئته وسوء ملبسه الناس على ازدراء شأنه وعدم الاهتمام به عند حضوره مجلساً لا يعرفه فيه أحد ، والى وقوعه في مشاكل معهم . وقد يكون من الصعب عليهم رتق الخرق بعد وقوعه وإصلاح حاله . غير أن منهم من كان يجد سيلاً الى ذلك ، باسترضائه بتقديم المال له ، وهو ما يطلبه ، فينسيه ما أصابه من ازدراء وإهمال^١ . وزعم أنه كما مغفور النسب ، وأنه كان من أولاد الزنا الذين شرفوا^٢ .

وقد غلب الهجاء على طبعه ، حتى عدّ من أنبغ الشعراء المتقدمين فيه . وقد ذهب (بروكلمن) الى أن للهجاء الفضل في بقاء شعر الحطيثة^٣ . فالهجاء باب له منفذ واسع الى العواطف حفظه الأعداء والحساد للنيل ممن قيل بحقهم من أعدائهم وحسادهم ، فحفظه الناس جيلاً عن جيل .

ويقال ان (عمر) لما لقي الحطيثة قال له : « كأي بك عند بعض الملوك تغني بأعراض الناس . أي تغني بدمهم وذم أسلافهم في شرك وتلبهم »^٤ . ولما هجا (الحطيثة) (الزبرقان بن بدر) استعدي عليه (عمر) ، فدعا (حسان بن ثابت) فقال : أتراه هجاه ؟ قال : نعم وسلح عليه فحبسه ، فقال وهو في حبسه شعراً يستعطف به (عمر) حتى رق عليه ، وشفع له (عمرو بن العاص) ، فأطلقه على ألا يهجو أحداً^٥ . ويقال انه كتب الى عمر شعراً يتوسل فيه العفو عنه ، وأن يرحم حال أولاده الصغار بلذي مرخ ، فيه :

ماذا تقول لأفراخ بلذي مرخ
أقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

-
- ١ راجع قصته مع « عتيبة بن النحاس العجلي » ، ثم قصة حضوره مجلس « سعيد بن العاص » « سعيد بن العاصي » ، وقصصاً أخرى ، وهي تتحدث عن ازدراء شأن الحطيثة لهيئته ولجهلهم به ، ثم عن استرضائهم له بعد وقوفهم على أمره ، الشعر والشعراء (٢٤٠/١ وما بعدها) .
 - ٢ الخزائن (٤٠٧/٢) ، (هارون) ، (٤٠٩/١) ، (بولاق) .
 - ٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٨/١) .
 - ٤ اللسان (١٧١/٧) ، (عرض) .
 - ٥ الاصابة (٣٧٨/١) ، (رقم ١٩٩١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩١٦/٢) وما بعدها ، الشعر والشعراء (٢٤٤/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٤٠/١) .

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى اليك مقاليدَ النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الخير^١

وإذا صح ما روي من أن الخطيئة لما قدم المدينة ، يريد الرسول ، أرصدت له قریش العطاء ، خوفاً من شره^٢ ، فيجب أن يكون قدومه قبل عام الفتح ، وغلبة المسلمين على المشركين . ولكننا نجد بعض الرواة يشكون في دخوله في الإسلام حياة الرسول . يقول (ابن قتيبة) : « ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب ، إلا اني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدت العرب :

أطعنا رسولَ الله إذ كان حاضراً فيا لهفني ما بال دين أبي بكر
أبورثها بكراً إذا مات بعده فتلك ، وبيت الله ، قاصمة الظهر

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله : أطعنا رسول الله ، قومه أو العرب . وكيف ما كان فإنه كان رقيقَ الإسلام ، لثيم الطعم^٣ .

وقد مدح شعر الخطيئة ، فذكر عنه (أبو الفرج الأصبهاني) انه « كان من فحول الشعراء ومقدميهم وفصائحهم . وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسيب ، ويجيد في جميع ذلك » . وقال (الأصمعي) : « وما تشاء أن تقول في شعر شاعر ما من عيب إلا وجدته فيه ، إلا الخطيئة ، فقلما نجد ذلك في شعره » . وروي عن (اسحاق الموصلي) قوله : « ما أزعج ان أحداً من الشعراء بعد زهير أشعر من الخطيئة »^٤ . قال (الجاحظ) : وكان الأصمعي يقول : « الخطيئة عبدٌ لشعره . عاب شعره حين وجده كله متخيراً متخبياً مستويّاً ، لمكان الصنعة والتكلف ، والقيام عليه »^٥ ، ونسب للأصمعي قوله :

-
- ١ ديوانه (رقم ٣٤) ، الشعر والشعراء (١/٢٤٥) ، البيان والتبيين (٢/٣١٨) .
 - ٢ الاصابة (١/٣٧٨) ، (رقم ١٩٩١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١/٢٣٨ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، الخزائن (٢/٤٠٨) .
 - ٤ الاصابة (١/٣٧٧ وما بعدها) ، (رقم ١٩٩١) ، الاغانى (٢/٤٣) .
 - ٥ البيان والتبيين (١/٢٠٦) .

« زهير بن أبي سلمى ، والخطيئة وأشباهها عبيد الشعر »^١ .

وكان (الخطيئة) راوية كعب بن زهير ، بل يقال انه كان راوية زهير ابن أبي سلمى^٢ . وله ديوان برواية (السكري) عن (محمد بن حبيب) ، طبع مراراً^٣ . وذكر انه « قال لكعب بن زهير : قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً ، فإن الناس لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فن للقواني شأنها من يحوكها اذا ما ثوى كعب وفوز جرول »^٤

وروي « أن أعرابياً وقف على حسان وهو ينشد ، فقال له كيف تسمع ؟ قال ما أسمع بأساً ، فغضب حسان . فقال له : من أنت ؟ قال : أبو مليكة . قال : ما كنت قط أهون عليّ منك حتى اكنيت بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الخطيئة ، فأطرق حسان ، ثم قال : لأمض بسلام »^٥ .

وذكر بعض الرواة أن (الخطيئة) لما حضرته الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة ، أوصر . فقال : ويل الشعر من راوية السوء . قالوا أوصر ، يرحمك الله . قال : من الذي يقول :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلي أوجعتها الجنائز

قالوا : الشماخ . قال أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب . وتستمر الرواية على هذا النوع من طلب قومه منه أن يوصي ، ومن إجابته أجوبة لا صلة لها بالوصية . حتى انتهت بأنهم حلوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون وهو عليها حتى مات ، وهو يقول :

-
- ١ البيان والتبيين (١٣/٢) .
 - ٢ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١٠) .
 - ٣ طبع سنة (١٨٩٣ م) بمدينة (لايبزك) ، وطبع بيروت ، والقاهرة مع شروح ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٨/١) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٧٠/١) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (٢١) .
 - ٥ الاصابة (٣٧٨/١) .

لا أحد ألام من حطيئة هجا بنيه وهجا المريثة من لومه مات على القريئة^١

وروى (ابن قتيبة) القصة على هذا النحو : « قيل له حين حضرته الوفاة :
أوص يا أبا مليكة . فقال : مالي للذكور دون الأنثى ، فقالوا : ان الله لم يأمر
بهذا ، فقال : لكني أمر به ! ثم قال : ويل للشعر من الرواة السوء ، وقيل
له : أوص للمساكين بشيء ، فقال : أوصيهم بالمسألة ما هاشوا ، فإنها تجارة
لن تبور ! وقيل له : اعطى عبدك يساراً ، فقال : اشهدوا انه عبد ما بقي
عبي ! وقيل له : فلان اليتيم ما توصي له ؟ فقال : أوصي بأن تأكلوا ماله
وتنكحوا أمه ! قالوا : فليس إلا هذا ! قال : املوني على حمار فلانة لم يمت
عليه كريم ، لعلي أنجو ! ثم تمثل :

لكل جديد لذة غير أنني رأيت جديد الموت غير لليد
له خبطة في الخلق ليست بسكر ولا طعم راح يشتهي ونيد

ومات مكانه ،^٢ .

وهي قصة لا تخلو من أثر الوضع والصنعة ، قيلت على لسانه ، لما عرف عنه
من اللؤم والبخل والتعرض بالناس . وقد رويت بصور مختلفة^٣ .

وقد ذكر (الحطيئة) (سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية) ،
القرشي الأموي في شعره ، وكان سعيد ممن نذبه عثمان لكتابة القرآن . وكان
جواداً ، ولم يتزع قبضه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له : (عكة
العسل) ، قال الحطيئة فيه :

سعيد فلا يفررك قلة لحمه تخدد عنه اللحم فهو صليب^٤

-
- ١ الاغاني (١٩٥/٢ وما بعدها) ، (الدار) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٥/١ وما
بعدها) ، الخزائن (١٤١/١) ، (يولاق) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٣٩/١) .
 - ٣ الخزائن (٤١٢/٢ وما بعدها) ، (هارون) .
 - ٤ البيان والتبيين (٣١٤/١ وما بعدها) ، (١١٦/٣) .

ومن شعر (الخطيئة) المشهور قوله :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يُساوي بأنف الناقة الذنبا

وكان الرجل من (بني أنف الناقة) اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بني قريع ، فلما مدحهم (الخطيئة) بهذا الشعر صار الرجل منهم اذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بني أنف الناقة افتخاراً ، في قصة سبق أن تحدثت عنها^١.

ومن جيد شعره قوله :

متى تأنه تعشو الى ضوء ناره تجد خير ناري عندها خير موقد^٢

والشاعر (كعب بن زهير) هو ابن الشاعر الجاهلي (زهير بن أبي سلمى) . فهو شاعر ابن شاعر ، وأبو شعراء : فقد كان ولدا (كعب) وهما : (عقبة) ، و (العوام) شاعرين . وقد ذكر أن (بجيراً) أخو (كعب) ، فارق أخاه عندما بلغا (أبرق) العراق ، وذهب الى الرسول لما سمع من خبره ، فأسلم . فلما بلغ (كعباً) خبر إسلامه ، ذم أخاه لمفارقتة سنة آبائه وأجداده ، وخروجه على ما ألف عليه أباه وأمه . بشعر قال فيه :

ألا ابُلغا عني بجيراً رسالة على أي شيء أنت منزل ذلكا
على خلق لم تلف أمأ ولا أبأ عليه ولم تدرك عليه أخأ لكأ^٣

أو :

ألا ابُلغا عني بجيراً رسالة على أي شيء ريب غيرك ذلكا
على خلق لم تلف أمأ ولا أبأ عليه ولم تدرك عليه أخأ لكأ
سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمور منها وعلكا^٤

١ البيان والتبيين (٣٨/٤) .

٢ ديوان الخطيئة (٢٥) ، الاغانى (٥٩/٢) ، البيان والتبيين (٢٩/٢) .

٣ الاستيعاب (٢٨١/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ الاصابة (٢٧٩/٣) ، (رقم ٧٤١٣) . وجاءت الابيات على هذا النحو :

ففارقت اسباب الهللى واتبعته على أي شيء ريب غيرك ذلكا

على مذهب لم تلف أمأ ولا أبأ عليه ولم تعرف عليه أخا لكأ

كارلو فالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١٤) . (الطبعة الثانية ١٩٧٠ م) .

ورويت الأبيات على هذه الصورة أيضاً :

ألا ابْلِغا عني بجزراً رسالةً فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
سُقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها وعلك
فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أي شيء ويَبْ غيرك دلّكاً^١

ووردت بصورة أخرى^٢ ، مما يدل على اختلاف الرواية ، ووقوع خطأ في الاستنساخ . وقد لام فيها قومه للدخول أكثرهم في الإسلام ، وهجاءهم هجاء مرآ^٣ .

فبلغت أبياته رسول الله فأهدر دمه . وكتب بجزير بذلك إليه ، ويقول له النجاء ، ثم كتب إليه انه لا يأتيه أحد مسلماً إلا قبل منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، ولما انتهى الى (كعب) قتل (ابن خطل) ، قدم المدينة فسأل عن أرق أصحاب النبي ، فدل على (أبي بكر) ، فأخبره خبره ، فغشي (أبو بكر) وكعب على أثره وقد التئم حتى صار بين يدي النبي فقال : رجل يبايعك . فدّ النبي يده ، فدّ كعب يده فبايعه وأسفر عن وجهه فأنشده قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول مُتَيِّمٌ لآثرها لم يجزَ مكبول

وهي قصيدته الشهيرة التي طبعت مراراً وشرحت شروحاً كثيرة ، وتعدّ من (المشوبات) . فكساه النبي بردة له ، فاشتراها (معاوية) من ولده بعشرين ألف درهم ، وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد^٤ .

وهي قصيدة نظمها على نفس شعراء البادية وطريقتهم في مدح الملوك وسادات القبائل ، ولولا الأبيات :

-
- ١ الشعر والشعراء (٨٠/١) ، ابن هشام (٨٨٩) ، (طبعة أوربة) ، الاغاني (١٤٧/١٥ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٣٤٣) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١) ، الخزائن (٨/٤) .
 - ٢ المصون (٢٠٠ وما بعدها) ، كارلو فالينو (١١٤) .
 - ٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٨٩/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، طبقات ابن سلام (٨٣) ، المرزباني ، معجم (٣٤٣) ، الاغاني (١٤٧/١٥) ، الاصابة (٢٧٩/٣) ، (رقم ٧٤١٣) .

نبئت ان رسول الله أوعدني والعمو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيه مواعظ وتفصيل

والبيت :

إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلول

لقلنا : انه انما أراد ملكاً أو سيد قبيلة لا نبياً ، جاء يعلن دخوله في دينه ،
واقتناعه بنبوته^١ .

ويذكر علماء الشعر أن (الخطيئة) قال لكعب : قد علمت روايتي لكم أهل
البيت وانقطاعي اليكم ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعذك ، فإن
الناس أروى لأشعاركم ، فقال :

فن للقواني شأنها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جرول
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنخل منها كل ما يتنخل
يثقفها حتى تلين كعوبها فيقصر عنها من يسيء ويعمل^٢

وقد ذكر (ابن قتيبة) هذه الأبيات في أثناء ترجمته (زهيراً) على هذه
الصورة :

ومن للقواني شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب وفوز جرول
يقولُ فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائلها من يُسيء ويعمل
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتنخل
كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً تنخل منها مثل ما أتتنخل^٣

« قيل لخلف الأحمر : زهير أشعر أم ابنه كعب ، قال : لولا أبيات لزهير
أكبرها الناس لقلت ان كعباً أشعر منه »^٤ .

١ كارلو نالينو (١٠٤ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٩١ / ١) ، الاصابة (٢٨٠ / ٣) ، (رقم ٧٤١٣) .

٣ الشعر والشعراء (٨٨ / ١) .

٤ الشعر والشعراء (٧٧ / ١) وما بعدها ، الاصابة (٢٨٠ / ٣) .

وكان لكعب ابن يقال له : (عقبة بن كعب) ، شاعرٌ ، وولد لعقبة العوام ، وهو شاعر كذلك^١ . فنحن اذن أمام بيت توارث نظم الشعر .

وقد جمع علماء الشعر شعر (كعب) في ديوان ، كما شرحوا وفسروا قصيدة (بانت سعاد) التي نالت عندهم مكانة كبيرة ، لأنها قيلت في مدح الرسول ، ولتقدير الرسول لها واعطائه البردة ، تقديراً لقيمتها ، حتى عرفت بقصيدة البردة، فصارت من أشهر أشعار العرب ، التي يتغنى بها في المناسبات ، حتى تغن المغنون في غنائها ، وخلدت اسم الشاعر حتى اليوم. وقد ترجمت الى عدة لغات أعجمية، وشطرت وخست ، لما صار لها من مكانة في أعين الشعراء^٢ .

ومن الشعراء المخضرمين : (العباس بن مرداس) من (بني سليم) ، وأمه (الخنساء) . أسلم قبل فتح مكة بيسير . ولما فرغ الرسول من ردّ سبايا (جنين) الى أهلها ، أعطى المؤلفه قلبهم ، وكانوا أشرفاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة، والحارث ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزّى ، وصفوان بن أمية، وكل هؤلاء من أشرف قريش ، والأقرع بن حابس بن عنان بن محمد بن سفيان المجاشعي التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، ومالك بن عوف النصري، أعطى كل واحد من هؤلاء مائة بعر ، وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، أو أباعر ، فسخطها ، وقام بين يدي الرسول يعاتبه ، فقال :

أجعل نهي ونهي العبيد بين عينه والأقرع .

وأبياتاً أخرى . فلما أنشد هذه الأبيات بين يديه ، قال : اقطعوا عني لسانه، فأعطي حتى رضي . وقيل أعطي مائة^٣ .

-
- ١ الشعر والشعراء (٨٠/١ وما بعدها) .
 - ٢ للوقوف على التفاصيل المتعلقة بقصيدة البردة خاصة ، وبشعر كعب ، راجع بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١ وما بعدها) ، وزيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٨٣/١ وما بعدها) ، ودائرة المعارف الاسلامية .
 - ٣ الخزائن (٧٣/١ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٢٦٢) ، الشعر والشعراء (٢١٨/١) ، (٦٣٢/٢ وما بعدها) ، الطبري (١٣٧/٣) ، اللآلي (٣٢) .

ورويت الآيات على هذه الصورة :

كانت نهاباً تلافيتُها وكرت على القوم بالأجرع
وحثي الجنود لكي يبلجوا اذا هجع القوم لم أمجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عينه والأقرع
إلا أفاقل أعطيتها عديد قوائمه الأربع
وما كان بدر ولا حابس^١ يفوقان مرداس في المجمع
وقد كنت في الحرب ذاتُدرأ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وما كنت دون امرئٍ منها ومن تضع اليوم لا ترفع^٢

ولما بلغ زوجة العباس بن مرداس نبأ إسلامه ، قالت :

لعمرى لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلاً بعزة غداة اختلاف المُرَهفات القواطع^٣

ومن شعره قصيدته :

لأسماء رسم أصبح اليوم دارساً وأقفر إلا رحرحان وراكسا
وقعد^٤ من (المنصفات)^٥ .

وروي أن (حرب بن أمية) جدّ معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو
وإخوته مر بالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له (مرداس)
والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فإله ؟ قال : نعم المزدرع
هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ، ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟
قال : نعم . فأضرم النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة
أنيناً وضجيجاً ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير وخرجت منها . ولم يلبث
حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/٤) ، (صادر) ، وقد رويت بشيء من التغير في كتاب
الشعر والشعراء (٦٣٤/٢) .
٢ الاغانى (٦٦/١٣) .
٣ الخزائن (٥١٨/٣) ، الحماسة (١٦٨/١) ، البيان والتبيين (٦١/٣) .

(كليب بن أبي عهمة) الظفري ، فقال في ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالماً والظلم أنكد وجهه ملعون
عجباً لقومك يحسبونك سيداً وإخال إنك سيد معيون
فإذا رجعت الى نسائك فادّهن إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ما أراد بوائيل يوم الغدير سميت المطعون^١

وكان للعباس ولد اسمه (جاهمة) أسلم وصحب النبي^٢ .

وكان زيد الخيل بن مهلهل بن زيد (الطائي ممن وفد على رسول الله سنة تسع ، فسماه النبي : (زيد الخير) . وكان شاعراً خطيباً شجاعاً يكنى (أباً مكثف). وأمه من (كلب) . وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم الملعودين ، وكان جسيماً طويلاً . مات (زيد الخيل) منصرفه من عند النبي ، وقيل في خلافة عمر^٣ .

ذكر انه مر بفلام ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا بجير بن زهير ، فحملة على ناقة ، ثم أرسل به الى أبيه . فأراد (زهير بن أبي سلمى) والد الغلام إثابته ، فأرسل اليه فرس ابنه (كعب) وكانت من جياذ خيل العرب ، فاستاء (كعب) من ذلك ، وقال شعراً ليوقع بين قوم (زهير) وبين قوم (زيد الخيل)، وهجا زيدا^٤ .

وكان لزيد الخيل ابنان ، يقال لهما مكثف وحريث ، أسلما وصحبا النبي وشهدا قتال (الردة) مع (خالد بن الوليد) . وحماة الراوية مولى (مكثف) . ولحريث شعر في رثاء (أوس بن خالد) ، وكان قد قتل في حرب^٥ .

وكان (مكثف) أكبر ولد أبيه ، وبه كان يكنى . وأسلم وحسن إسلامه ، وشهد قتال أهل الردة مع (خالد بن الوليد) . وكان أسلم هو وأخوه (حريث)

١ الحيوان (١٤٣/٢) ، الاغانى (٨٩/٤) ، معاهد التنصيص (١٣/١) ، الحيوان (٢٠٨/٦) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/٤) ، الاصابة (٢٢٠/١) وما بعدها ، (رقم ١٠٥٢) .

٣ الاصابة (٥٥٥/١) ، (رقم ٢٩٤١) ، الاغانى (٦/١٦) ، الخزائن (٤٤٦/٢) ، عيون الانر (٢٣٦/٢) ، الشعر والشعراء (٢٠٥/١) ، (الثقافة) ، الحيوان (٢٠٤/٢) وما بعدها .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٨٤/١) وما بعدها .

٥ الشعر والشعراء (٢٠٥/١) وما بعدها .

ابن زيد الخيل) ويقال له أيضاً (الحارث) ، وصحبنا النبي . وشهدا قتال أهل الردة مع (خالد) واشترك (مكنف) في قتال (بني أسد) لما ارتدوا مع (طليحة) الأسدي . ونسبت له هذه الأبيات في قتال طليحة :

ضلوا وغرهم طليحة بالمني كذباً وداعي ربنا لا يكذب
لما رأونا بالفضاء كئاباً يدعو إلى رب الرسول ويرغب
ولتوا فراراً والرماح تؤزهم وبكل وجه وجهوا نرقباً

و (حميد بن ثور بن حزن) الهلالي ، من الشعراء المخضرمين الفصحاء ، وكان كل من هاجاه غلبه . وقد وفد على النبي ، فأنشده شعراً فيه :

أصبح قلبي من سليمي مقصداً إن خطأ منها وإن تعمداً
حتى أتيت المصطفى محمداً يتلو من الله كتاباً مرشداً

وذكر أنه كان في عداد الصحابة الذين رووا عن الرسول ، وضعفه بعضهم . قيل إنه عاش إلى خلافة عثمان . وذكر بعض العلماء أنه عاش إلى ما بعد ذلك ، وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

أتاك بي الله الذي فوق من ترى وبرك معروف عليك دليل^١

وقد عدّه (ابن قتيبة) في الإسلاميين^٢ .

و (الأسود بن سريع بن حمر بن عبادة) التميمي السعدي ، ممن رأى الرسول وغزا معه وروى عنه . وكان شاعراً توفى في أيام (معاوية) ، وذكر أنه توفى سنة (٤٢ هـ) . وقيل فقد يوم الجمل ، وقيل ركب سفينة وحمل معه أهله وعياله ، لما قتل (عثمان) ، فما رؤي بعد . وكان قاصاً ، قيل إنه كان أول من قص في مسجد البصرة^٣ .

- ١ الإصابة (٤٣٦/٣) ، (رقم ٨١٩٩) .
- ٢ الإصابة (٣٥٥/١) ، (١٨٣٤) ، تهذيب ابن عساكر (٤٦٠/٤) ، ياقوت ، ارشاد (١٥٣/٤) ، العيني (١٧٧/١) ، الاغانى (٩٧/٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٧٣) ، ديوانه ، (دار الكتب المصرية ١٩٥١ م) الفائق (٣٥٤/٢) .
- ٣ الشعر والشعراء (٣٠٦/١) وما بعدها .
- ٤ الإصابة (٥٩/١) وما بعدها ، (رقم ١٦١) ، الاستيعاب (٧٢/٢) ، حاشية على الإصابة .

وكان (ضرار بن الأزور بن مرداس) الأسدي ، فارساً شجاعاً وشاعراً مطبوعاً ، استشهد يوم اليامة ، وقيل بعد ذلك . وقد أنى النبي فأنشده :

خلعت القداح وعزف القيا ن والخمر أشربها والبالا
وكرى المجبر في غمرة وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة بددتنا وطرحت أهلك شتى شمالا
يا رب لا أغبن صفقة فقد بعث أهلي ومالي بدالا^١

ولضرار قصيدة قالها في يوم الردة ، لما بلغه ارتداد قومه من (بني أسد) ، منها :

بني أسد قد ساءني ما صنعتم وليس لقوم حاربوا الله محرم
وأعلم حقاً انكم قد غويتم بني أسد فاستأخروا أو تقدموا
نهنيكم أن تنهوا صدقاتكم وقلت لكم : يا آل ثعلبة اعلموا
عصيتم ذوي أحلامكم وأطعمت ضجيعاً وأمر ابن اللقيطة أشام
وقد بعثوا وفداً الى أهل دومة فقبح من وفد ومن يتميم
ولو سئلت عنا جنوب لجبرت عشة سالت عقرباء بها الدم

وضجيع هو (طلحة بن خويلد) ، وكانت أمه حميرية أخيدة ، وابن اللقيطة : (عيينة بن حصن) ، وقوله : يا آل ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاف بن دودان بن أسد . وعقرباء بأرض اليامة^٢ . وكان (عيينة) قد انضم الى (طلحة) الذي تسميه الموارد (طليحة) استصغاراً لشأنه ، كما دعت (مسلمة) (مسيلمة) ، وقال : « والله لأن نتبع نبياً من الخلفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبقي (طليحة) ، وقاتل معه حتى هرب . وكان يدبر المعركة وهو متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ لهم ، والناس يقتتلون ، حتى جاءه الوحي بقوله : « ان لك رحا كرحاه ، وحديثاً لا تنساه » ، ثم لم يصمد ، فهرب^٣ .

وضرار هو الذي قتل (مالك بن نويرة) بأمر (خالد بن الوليد)^٤ .

- ١ الاصابة (٢٠٠/٢) ، (رقم ٤١٧٢) ، الاستيعاب (٢٠٣/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٢ الخزائن (٥/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٣ الطبري (٢٥٦/٣) .
- ٤ الخزائن (٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

وكان (هوزة بن علي) الحنفي شاعراً وخطيباً ، ذكر أنه كتب الى الرسول كتاباً يقول فيه : « ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك » . وقد مات عام الفتح^١ . وهو شاعر يجب إدخاله في الجاهليين ، لأنه لم يعتنق الإسلام ، وقد تحدثت عنه هنا ، لأنه من المتأخرين ، وله خبر مع الرسول .

و (فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة) المرادي ، شاعر ، وهو صحابي مخضرم . وكان من أشرف قومه ، قدم على رسول الله ، مفارقاً للملوك كندة ، فبايعه ، ونزل على (سعد بن عباد) ، فكان يحضر مجلس رسول الله ، ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام . ثم استعمله الرسول على مراد وزبيد ومدحج كلها ، وكتب معه كتاباً الى الأبناء باليمن يدعوهم الى الإسلام ، فأقام فيهم حتى توفي رسول الله . وذكر أن النبي ، أجاز (فروة) باثني عشر أوقية ، وحمله على بعير نجيب وأعطاه حلة من نسج عمان . واستعمله (عمر) - كما جاء في رواية - على صدقات مدحج^٢ .

وقد جمع شعر (فروة) في ديوان ، رجع (السيوطي) اليه ، ونقل منه^٣ . و (عمرو بن معديكرب) الزبيدي من أشرف اليمن وساداتهم ، وقد اشتهر وعرف بالشجاعة ، قال عنه « أبو عمرو بن العلاء : لا يفضل عليه فارس في العرب » . وكان فحلاً في الشجاعة والشعر . وأكثر شعره في الحماسة . وقد اشتهر بسيفه (الصمصامة) ، والأرجح انه شهد (القادسية) ، وكان له أثر فيها . واختلف في صحبته للنبي ، فن العلماء من ذكر انه لم يلق الرسول ، وانما قدم المدينة بعد وفاته ، ومنهم من ذكر انه قدم المدينة في وفد (زبيد) ، فأسلم سنة تسع أو عشر ، وصحب الرسول . ولا تخلو أقوال الرواة فيه من أثر العصبية لليمن أو عليها ، وقد اختلف في عمره ، وأكثرهم انه مات بعد أن تجاوز المائة : ومنهم من جعل عمره فوق المائة والخمسين^٤ . وهو ابن خالة (الزبرقان بن بدر)

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات (٢٦٢/١) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٢/١) وما بعدها .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٨٢/١) .
 - ٤ الإصابة (١٨/٣) وما بعدها ، (رقم ٥٩٧٢) ، الاغانى (٢٤/١٤) ، المؤلفات (١٥٦) ، المرزباني ، معجم (٢٠٨) ، الخزائن (٤٢٢/١) ، (٤٦٠/٣) ، الشعر والشعراء (٢٨٦/١) وما بعدها .

التميمي ، وأخته (ربحانة بنت معدي كرب) والدته (دريد بن الصمة) ، و (عبدالله ابن الصمة) . وكانت تحت (الصمة بن الحارث)^١ .

وورد في بعض الروايات ، أنه قدم على رسول الله المدينة فأسلم ، ثم ارتد بعد وفاته فمِن ارتد باليمن ، ثم عاد الى المدينة فشهد اليرموك ثم هاجر الى العراق فأسلم ، وشهد القادسية ، وله بها أثره وبلاؤه ، وشهد مع النعمان بن مقرن الزني فتح نهاوند ، فقتل هنالك ، مع النعمان وطليحة بن خويلد ، فقبورهم بموضع يقال له : (الاسفيذهان)^٢ .

ومن شعره الذي يتمثل به ، قوله :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقوله :

أريد حباه ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

وتمثل به علي بن أبي طالب ، لما رأى عبد الرحمان بن ملجم المرادي^٣ .

ولعمرو بن معديكرب ، ديوان برواية (أبي عمرو الشيباني) رآه (ابن حجر) وقال عنه « ورأيت في ديوانه رواية أبي عمرو الشيباني من نسخة فيها خط أبي الفتح بن جني قصيدة يقول فيها :

والقادسية حين زاحم رستم كنّا الكفاة نهز كالاسطان
ومضى ربيع بالجنود مشرقاً ينوي الجهاد وطاعة الرحمن^٤

وأورد (ابن حجر) له أشعاراً أخرى .

ونجد لعمرو بن معدي كرب شعراً في وصف الحرب ، ذكر أن (عمر) سأله :

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٨٩/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٨٩/١ وما بعدها) ، الخزائنة (٤٢٥/١ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (١٦) ، (مراج) .
 - ٤ الاصابة (٢٠/٣) ، (رقم ٥٩٧٢) ، الاغاني (٢٤/١٤) ، الخزائنة (٤٢٥/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤١٩/١) .

« أخبرني عن الحرب » ، فقال : هي كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتية تسمى بزيتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جَزَتْ رأسها وتنكرت مكروهة للضم والتقييل

وهي في بعض الروايات من شعره ^١ .

ومن شعر (عمرو بن معدى كرب) قوله :

سوى أن أصواباً باعقق لم يزل بها آنس من أهلها غير بارح
وجدنا به العَمْرَيْن عمرُ بن عُدْية وعمرو بن عمرو في حلال سُلَاطِح
وجدنا بني عمرو ثمانين فارساً لكل صباحٍ كاشر التاب كالح
وكان الغدانيون تحت رماحهم رماح بني عمرو غداة المصابيح
مصافين أصهاراً ورحماً وجيرة وما كان فيهم فارس غير جامع^٢

وقوله :

وجدك مخفي^٣ على الوجه ناعس^٤ تشير به الركبان ما قام أفرع^٥

وله أشعار قالها في حروبه في العراق مع جيش الفتح .

و (ساعدة بن جؤبة) (ساعدة بن جؤين) (جؤبة) ، هو من الشعراء
المخضرمين . أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم . وليست له صحيفة . قيل عن
شعره أنه محشو بالغريب والمعاني الغامضة^٦ . وهو شاعر من شعراء مضر ، محسن ،
قيل عن شعره أنه ليس فيه من الملح ما يصلح للمذاكرة^٧ .

- ١ شرح ديوان الحماسة (٢٥٢/١ ، ٣٦٨ ، ٤٠٨) ، الجمان في تشبيهات القرآن (٣٣٩) .
- ٢ الصفة (١١٥) .
- ٣ الصفة (١٢٦) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٩/١ ، ١٥٦) ، ديوان الهذليين (١٦٧/١) ،
الخزانة (٢٦٧/١) وما بعدها) ، (ساعدة بن جوين ويقال ابن حرية ٠٠٠ قال
أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي : ساعدة بن حوية) ، الإصابة (١٠٦/٢) ،
(رقم ٣٦٥٠) .
- ٥ الخزانة (٤٧٦/١) ، (بولاق) .

و (أبو ذؤيب) (خويلد بن خالد بن محرت) ، شاعر مخضرم ، مجيد . وهو من (هذيل) . رحل الى المدينة ، فوصلها والرسول مسجى ، فكان ممن صلى عليه وشهد دفنه . « سئل حسان من أشعر الناس ؟ فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً ، قال : هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وتقدم أبو ذؤيب على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي أولها :

أمن المنون وريبها تتوجع ^١ ، التي يرثي بها بنيه .

وقد قال عنه بعض المؤرخين انه شاعر مجيد مخضرم كان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر أحياء العرب ^٢ . وقال المرزباني عنه : كان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر ، وعاش في الجاهلية دهرأ وأدرك الاسلام ، وأسلم . وعامة ما قال من الشعر في إسلامه ^٣ . هلك في زمان عثمان وقيل في زمن (عمر) ^٤ .

وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي ^٥ .

وتعد قصيدته المذكورة التي قالها في رثاء بنيه الخمسة أو الثمانية الذين قتلوا أو هلكوا بالطاعون في عام واحد ، من أجود شعره . وهي قصيدة تفيض بالأسى والحنان على بنيه الذين ترك فراقهم أسى وحسرة في قلبه . وأولها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومن أبياتها الجيدة :

واذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل نيمة لا تنفع ^٦

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩/١) ، الشعر والشعراء (٥٤٧/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٥٦/٦ وما بعدها) ، الخزائن (٢٠١/١) ، المؤلفات (١١٩) ، ابن سلام ، طبقات (١١٠) ، معاهد التنصيص (١٦٥/٢) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٠/١) ، ديوان الهذليين (١٥٨/١) ، (دار الكتب المصرية) .
 - ٣ الاصابة (٦٦/٤) ، (رقم ٢٨٨) ، حسن المحاضرة (١١٣/١) ، أسد الغابّة (١٨٨/٥) ، ياقوت ، ارشاد (١٨٥/٤ وما بعدها) .
 - ٤ السيوطي ، شرح (٣٠/١ وما بعدها) ، الاصابة (٦٦/٤) ، (رقم ٢٨٨) ، رسالة الففران (١٥١ ، ١٦٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٥٤٧/٢ وما بعدها) .
 - ٦ جمهرة أشعار العرب (١٢٨ وما بعدها) ، (بولاق) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩٢ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١١ وما بعدها) .

وقد وصف فيها حاله ، وكيف أن جسمه صار شاحباً من الوجد على ما حل بينه ، وكيف أنه صار لا يعرف طعم الراحة ولا النوم ، حتى صار يعيش ناصب ، يخال نفسه إنه لاحق بهم مستبج ، ولقد حرص بأن يدافع عنهم ، ولكن المنيّة منى أقبلت فلا دافع لها :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنيّة أقبلت لا تدفع
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها الفيت كل تميّة لا تنفع

ولأبي ذؤيب شعر في رثاء الرسول وردت أبيات منها في (الاستيعاب) . وقد اختلف في المكان الذي توفي به هذا الشاعر ، كما اختلف في سنة وفاته^١ . وقد طبع ديوانه^٢ . وكان أبو ذؤيب ، شاعراً فحلاً ، لا غمزة فيه ولا وهن^٣ . ومن شعره في رثاء الرسول قوله :

لما رأيت الناس في عسلانهم من بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرتُ إلى المموم ومن بيت جار المموم بيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وترعزت أطام بطن الأبطح
وترعزت أجال يثرب كلها ونخيلها لخلول خطب مفدح
ولقد زجرتُ الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سجد الأذبح

وكان لأبي ذؤيب ابن يقال له (مازن بن خويلد) ، ويكنى أبا شهاب ، وهو أحد شعراء هذيل^٤ .

و (أبو خيراش) ، (خويلد بن مرة الهذلي) من شعراء هذيل ، وهو شاعر مشهور ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً ووفد على (عمر) وفي أيامه كانت وفاته . وكان أحد الفصحاء . يقال إنه كان سريع الجري . دخل مكة

-
- ١ الاستيعاب (٦٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) ، الخزائن (٢٠٣/١) ، (بولاق) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٩/١ وما بعدها) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٢٩) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٢١٧/١ ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٤٩٢ ، ٦١٦) .
 - ٤ الروض الانف (٣٧٩/٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٥٥٠/٢) .

في الجاهلية ، وللوليد بن المغيرة فرسان ، فقال : ما نجعل لي إن سبقتها عدواً؟
قال : إن فعلت فهذا لك ، فسبقها . يقال إن ضيوفاً من اليمن نزلوا عليه ، فذهب
يستقي لها الماء فنهشته حية ، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ، ولم يعلمهم ما
أصابه . فباتوا يأكلون ، فلما أصبحوا وجدوه في الموت ، فأقاموا حتى دفنوه .
فبلغ عمر خبره ، فكتب الى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش
فيغرمهم دينته^١ .

ومن شعره :

لا هم هذا رابع إن نمتا أتمه الله وقد أتما
إن تغفر اللهم تغفر جمّاً وأي عبد لك لا ألما

قاله وهو يسمى بين الصفا والمروة ، وثم شجر يومئذ^٢ .

ولأبي خراش أخ يقال له : (عروة بن مرة) ، من شعراء هذيل المعدودين ،
وأخ آخر اسمه (أبو جندب بن مرة) ، أحد شعراء هذيل المعدودين
أيضاً^٣ .

و (صخر) الغني ، هو (صخر بن عبد الله) الحيثمي الهللي ، من شعراء
الحلاعة ، وقد عرف بشدة بأسه وكثرة شره ، وله صاحبة اسمها (دهماء) .
وقد ذكرها في قصيدته :

لاني بدهماء عزّ ما أجدُ يعتادني من حبايها زؤد
عاودني حباها وقد شحطت صرف نواياها فأنني كمد^٤

١ الاصابة (٤٥٧/١) ، (رقم ٢٣٤٥) ، الخزانة (٢٣٢/٣) ، السيوطي ، شرح
شواهد (٤٢٣/١) ، الاغانى (٥٤/٢١) ، طبع ديوانه في مجموعة الشعراء
الهذليين ، الخزانة (٢١٢/١) وما بعدها ، (بولاق) ،
J. Hell, Neue Hudhailiten Diwane, 2 Leipzig, 1933.

كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١١) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٦٢٥/٢) ، الخزانة (٢١١/١) .

٣ الشعر والشعراء (٥٥٤/٢) وما بعدها .

٤ رسالة الغفران (٣٤٥) ، الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) ، الاغانى (١٩/٢٠) ،

ديوان الهذليين (٥٧/٢) ، الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٢٧) .

وهو على رأي (المرزباني) من المخضرمين^١ .

و (النمر بن تولب بن زهير بن أقيش) ، شاعر مخضرم ، يكنى (أباربيعة) ويسمى (الكيس) ، أدرك الإسلام وهو كبير ، وهو من (الصحابة) . وهو من (بني عكل) . وصف بأنه كان جواداً واسع القرى ، كثير الأضياف ، وهاباً لماله . وانه كان أفق الشعراء ، شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق^٢ . قال عنه (المرزباني) : « كان شاعراً فصيحاً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً ، ونزل البصرة بعد ذلك . وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله . وكان جواداً وعمر طويلاً حتى أنكر عقله ، فيقال انه عمر مائتي سنة . وهو القائل :

يحبّ الفنى طول السلامة جاهداً فكيف يرى طول السلامة يفعل

وله شعر يخاطب به النبي منه :

إنّا أتيناك وقد طال السفر أقود خيلاً وجعا فيها ضرر^٣

وفرق (ابن حزم) بين (النمر بن تولب بن أقيش) العكلي ، وبين (النمر بن تولب) وبين (النمر بن قاسط) . وقال إنه الذي عاش حتى خرف . ويقال إن للنمر بن تولب العكلي ابناً يقال له (ربيعة) هاجر الى الكوفة^٤ .

وكان (النمر) شاعر الرباب في الجاهلية، ولم يمدح أحداً ولا هجأ، واستحسن من شعره قوله :

-
- ١ الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٢٧) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٨١/١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٨٧/٢٢) ، طبقات الشعراء (١٣٤) ، الشعر والشعراء (٢٦٨) ، العمدة (١١٨/٢) ، الشعر والشعراء (٢٢٧/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، الاغاني (١٥٧/١٩) ، (ساسي) ، العمرون (٧٠ ، ٨٧) ، الخزانة (١٥٢/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٣٣) ، (٣٧) ، (لين) ، البيان والتبيين (٣/١ ، ١٢ ، ٥٥ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٨٤ ، ٤٠٨) ، (١٣٤/٢) ، (٤٤/٣) ، البخلاء (١٦٣ ، ٢٢٩ ، ٣٨٤) ، رسالة الغفران (١٥٣) .
 - ٣ تختلف روايات هذا الشعر ، الاصابة (٥٤٢/٣) ، (رقم ٨٨٠٤) ، الاستيعاب (٥٤٩/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ الاصابة (٥٤٣/٣) ، (رقم ٨٨٠٤) .

تدارك ما قبل الشباب وبعده حوادث أيام تمر وأغفل
يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء اذا رام القيام ويحمل^١

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

خاطر بنفسك كي تنال رغبة^٢ إن القعود مع العيال قبيح
إن المخاطر مالك^٣ أو هالك والجد^٤ يجدي مرة فيريح

وقوله :

ومتى تصبك خصاصة^٥ فارج^٦ الغنى وإلى الذي يهب الرغائب فارغب
لا تغضب^٧ على امرئ في ماله وعلى كرائم أصل مالك فاغضب^٨

وقد تعرض (النمر بن تولب) في شعره الى قصة (زرقاء) اليمامة وجديس ،
والى قصة غزو (تبع) لجديس واستباحته اليمامة^٩ . وقد ورد ذكر (عاديات)
في شعره بقوله :

هلا سألت^{١٠} بعاديات وبيت^{١١} والحيل والخمر التي لم تمنع^{١٢}

وفي شعره قصص عن (لقمان) وعن (لقيم بن لقمان) من أخته^{١٣} ، ويظهر
أنه كان من الأشخاص الذين كانوا يهتمون بالقصص والحكايات المروية عن
الجاهليين ، فأدبج شيئاً منه في شعره .

و (الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عَصِيَّة بن خفاف
ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم) السلمية ، واسمها (تماضر) ، ممن أدركن
الاسلام . وقد أسلمت فعدت صحابيصة . و (الخنساء) لقبها ، قدمت على
رسول الله مع قومها فأسلمت . وذكر ان الرسول كان يستنشدُها ويعجبه شعرها .

-
- ١ الاستيعاب (٥٥١/٣) ، الخزانة (١٥٦/١) ، (بولاق) .
 - ٢ بلوغ الأرب (١٣٤/٣) وما بعدها .
 - ٣ الخزانة (١٥٥/١) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٤ البخل (١٦٤) .
 - ٥ البيان والتبيين (١٨٤/١) .

« وأجمع أهل العلم بالشعر على انه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكانت أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ثم أخوها صخر ، فأكثر من الشعر وأجادت »^١ . وهي أم الشاعر (العباس بن مرداس) ، وأم اخوته الثلاثة وكلهم شاعر . ولم تلد إلا شاعراً ، وذكر (الكلبي) ان أم ولد (مرداس) جميعاً الخنساء ، إلا العباس ، فإنها ليست أمه ، ولم يذكر من أمه . غير ان (أبافرج الأصبهاني) ذكر انها أمه . وكان النبي يعجبه شعرها ويستنشد ما ويقول هيه يا خناس ويومئ بيده^٢ .

روي انها كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني ، وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وكانت (الخنساء) ممن أنشدته شعرها ، ويقال انه لما سمع شعرها ، قال : « والله ما رأيت ذات مائة أشعر منك ، فقالت له الخنساء : والله ولا ذا خصيين »^٣ . ومن جيد شعرها ، قولها في (صخر) أخيها :

لا بد من مية في صرفها غير والدهر من شأنه حول واضرار
وان صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار^٤

وذكر أنها كانت سوتت هودجها براية في الموسم ، وعاظمت العرب بمصبيتها بابنها (عمرو) وبأخوها صخر ومعاوية ، وجعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وأن هنداً ابنة عتبة لما قتل بيدر أبوها وعمها شيبة وأخوها الوليد فعلت كذلك وقالت : اقرنوا جملي بحمل الخنساء ، فصارتا تبكيان وتناشدان^٥ .

وروي أن رسول الله كان يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها :

لا بد من مية في صرفها غير والدهر من شأنه حول وإضرار^٦

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٣/١ وما بعدها) ، الخزائن (٢٠٩/١) ، (بولاق) ، الاغانى (١٩/١٣) ، الخزائن (٤٠٣/٣) ، بروكلمن (١٦٤/١ وما بعدها) .
 - ٢ الخزائن (٢٠٨/١ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٦٠/١ وما بعدها) .
 - ٤ المحاسن والاضداد (٩٣) ، (أشم أبلج تأتم الهداة به) ، الشعر والشعراء (٢٦٣/١) .
 - ٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٥) .

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وذكر أنها زارت (عائشة) وتحدثت معها^١ :

وروي أنها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فحثهم على القتال والاستماتة فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وكان (عمر) أمر أن تعطى النساء أرزاق أولادها الأربعة حتى توفي^٢ ، وله قصة معها ، وذكر أنه لما طلب منها أن تكف عن البكاء ، قال لها : « ما الذي أفرح ما في عينيك ؟ قالت : البكاء على سادات مضر ، قال : إنهم هلكوا في الجاهلية ، وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . قالت : فذاك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً » . ثم طلب منها أن تنشده من شعرها ، فأنشدته :

سقى جدناً أعراق غمرة دونه وبيشة ديمت الربيع ووابله^٣

و (خفاف بن نذبة) ، هو (خفاف بن عُمر بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية) ويكنى أبا خراشة ، وهو ابن عم النساء و (نذبة) أمه . وهو شاعر مشهور من المخضرمين ، وله شعر يمدح به (أبا بكر) ، وبقي الى زمن (عمر) ، وكان أسود حالكاً^٤ . شهد الفتح وكان معه لواء (بني سليم) ، وذكر (الأصمعي) ، انه وحيد أشعر الفرسان . وله يقول :
العباس بن مرداس :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع^٥

ويعدّ من فرسان قيس وشعرائها المذكورين .

وضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، وسويد بن كراع العكلي، والحويدرة الذبياني ، واسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول ، وسُحيم عبد بني الحسحاس الأسديين ، من طبقة واحدة ، تكون الطبقة التاسعة في (طبقات الشعراء) ،

-
- ١ المحاسن والاضداد (٩٣) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٤/١) .
 - ٣ المحاسن والاضداد (٩٤) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٣٢٥/١) .
 - ٥ الاصابة (٤٤٨/١) ، (رقم ٢٢٧٣) .

لابن سلام^١ . وكان (ضابىء) ، رجلاً بدياً كثير الشر ، وكان بالمدينة ، صاحب صيد وصاحب خيل ، وقد حبسه عثمان ، وبقي في سجنه حتى مات^٢ .

و (سحيم) عبد بني الحسحاس ، شاعر مشهور مخضرم ، أدرك النبي ، وتمثل النبي بشيء من شعره . وكان عبداً أسود شديد السواد أعجيباً . وذكر ان اسم (عبد بني الحسحاس) (حميمة) ، وقيل (سحيم) ، وانه شبيب بنساء قومه ، ثم بينت سيده فقتله سيده . وقيل ان قتله كان في خلافة عثمان^٣ . وله ديوان مطبوع^٤ . وورد ان (عمر) أمر بقتله لأبيات فاحشة . وذكر انه حفر له أخدود وضع فيه وألقى عليه الحطب ثم أحرق^٥ . وورد ان (عمر) استنشه شعره ، وانه أنشده قصيدته :

ودع سليمى إن تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا^٦

وكان سحيم حبشياً معلطاً قبيحاً ، وهو القائل في نفسه :

أتيت نساء الحارثيين غدوةً بوجه براه الله غير جميل
فشبهني كلباً ولستُ بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل

اشتراه (عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي) ، وكتب الى (عثمان) : « لاني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً ، فكتب اليه عثمان : لا حاجة بنا اليه ، فاردده ، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم » . ويقال سمعه عمر بن الخطاب ينشد :

ولقد تحدر من كريمة بعضهم عرقٌ على جنب الفراش وطيب

-
- ١ (ص ٣٩ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٤٠) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٢٧/١) ، الخزائن (٢٧٣/١) ، الاغانى (٩/٢٠) ، الخزائن (٢٧١/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٥٦) ، أسماء المفتالين (٢٧٢) ، ديوان المعاني ، للعسكري (١٦٦/٢) ، الخزائن (١٢٨/١ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٤ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (تحقيق عبد العزيز الميمنى) ، (دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م) .
 - ٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧١/١) .
 - ٦ الاصابة (١٠٨/٢) ، (رقم ٣٦٦٤) .

فقال له : إنك مقتول ، فسقوه الخمر ثم عرضوا عليه نسوة ، فلما مرت به التي كان يتهم بها أهوى إليها ، فقتلوه ، الى غير ذلك من قصص^١ .

و (سحيم بن وثيل بن أعيقر بن أبي عمرو بن إهاب بن حيري) الرياحي ، شاعر مخضرم ، تفاخر هو وغالب بن صعصعة والد الفرزدق ، فتناحرا الإبل . وقد وصف بأنه شاعر خنذيد شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام . وله قصيدة مطلعها :

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
وماذا يلرك الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الأربعين^٢

و (ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد) الضبي ، أحد الشعراء المخضرمين . وكان أحد شعراء مضر . ذكر أنه وفد على كسرى في الجاهلية ، ثم عاش الى أن أسلم^٣ . « وذكره دعلج في طبقات الشعراء ، وقال مخضرم حبسه كسرى بالمشقر ثم أدرك القادسية^٤ . وكانت عبد القيس أسرته ، ثم منت عليه بعد دهر^٥ .

والشاعر (أبو زيد ، حرملة بن المنذر بن معديكرب بن حنظلة) الطائي من شعراء طيء ، وكان نصرانياً ومات على دينه بعد خلافة عثمان^٦ . وكان نديم

-
- ١ الشعر والشعراء (٣٢٠/١ وما بعدها) ، الخزائنة (١٠٢/٢ وما بعدها) ، (عبد السلام محمد هارون) ، المحاسن والاضداد (١٤٣ وما بعدها) .
 - ٢ الخزائنة (١٢٣/١) ، البيان والتبيين (٢٤٦/٢) ، الأمالي (٢٤٦/١) ، الاشتقاق (٢٢٤) ، الشعر والشعراء (٦٢٦) ، الاصمعيات (رقم ١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٥٩/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٥٣٨/٢) ، (دار الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات (٤٨٩) ، ذيل الأمالي (٥٢/٣) ، الاغانى (٥/١٩) ، الاصابة (١٠٩/٢) ، (رقم ٣٦٦٥) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٦٧/١) ، (٨٦٠/٢) ، شرح المفضليات (٣٥٥) ، الخزائنة (٥٦٩/٣) ، الاغانى (٩٠/١٩) ، السمط (٣٧) .
 - ٤ الاصابة (٥١١/١) ، (رقم ٢٧٣٦) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٣٦/١ وما بعدها) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٦٤٠/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٢٣/١١) ، ابن سلام ، طبقات (١٣٢ وما بعدها) ، الخزائنة (١٥٥/٢) ، الأمالي ، للقالبي (١٨٣/٣) ، جهرة اشعار العرب (١٣٨) .

(الوليد بن عقبة) ، يشرب الخمر معه ، ولما صار (الوليد بن عقبة) الى (الرقة) ، سار (أبو زيد) اليه ، فكان ينادمه ، وكان يحمل في كل يوم أحد الى البيعة ، فيحضر مع النصارى ، ويشرب ، ولما مات دفن على (البليخ) ، وهناك أيضاً قبر (الوليد بن عقبة)^١ . وقد اشتهر بوصف الأسد ، وكان مغرّى بوصفه في شعره^٢ . وورد في رواية انه أسلم بتأثير (الوليد بن عقبة) عليه . لكن الأغلب انه بقي على نصرانيته ، وقد استعمله (عمر) على صدقات قومه ، ولم يستعمل نصرانياً غيره . قيل انه رثى (علي بن أبي طالب) . وكان له أخ (من خلصة ملوك العجم) . وذكر انه بقي الى أيام معاوية^٣ .

و (الشماخ بن ضرار) الديباني من الشعراء كذلك ، أدرك الجاهلية والإسلام . و (الشماخ) لقب ، واسمه (معقل) ، وقيل (الهيثم) . « قال ابن الكلبي : كان الشماخ أوصف الناس للخمر وللقوس » ، وأرجز الناس على بديهة ، وهو كثير الهجاء ، له مهاجاة مع (الخليج بن سعد) التغلبي . وله شعر في مدح (عرابة) الأوسي ، وكان قدم المدينة ، فأوقر له عرابة راحلته تمسراً وبراً وكساه وأكرمه^٤ . وكان له أخوان : مزرداً وجزءاً ، رويت مقطعات صغيرة من شعرهما . وللشماخ ديوان شعر مطبوع^٥ . قال عنه (ابن سلام) : « فأما الشماخ : فكان شديد متون الشعر ، أشد أسر الكلام من لييد ، وفيه كزازة . ولييد أسهل منه منطقاً ، وكان للشماخ اخوة ، وهو أفحلهم ، ومزرد هو أشبههم به^٦ . ذكر ان (الوليد بن عبد الملك) أنشد شيئاً من شعره في وصف الحمير ، فقال : ما أوصفه لها ، اني لأحسب ان أحد أبويه كان حماراً . قيل : كان يهجو قومه

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٢١/١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١) .
 - ٣ الاصابة (٨٠/٤) ،
 - ٤ الاصابة (١٥١/٢ وما بعدها) ، (رقم ٣٩١٨) ، الشعر والشعراء (٢٣٤/١) وما بعدها ، السيوطي ، شرح شواهد (٨٩٦/٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٣٢/١ وما بعدها) ، الاغاني (٩٧/٨) ، الخزانة (٥٢٦/١) ، الموشح (٦٧) ، ابن سلام ، طبقات (١١٠) ، المؤلف (١٣٨) ، ديوانه ، (طبعة أحمد بن الأمين الشنقيطي) ، (القاهرة ١٣٢٧ هـ) ، بروكلمن (١٧٠/١) ، كارلو نالينو ، تاريخ آداب العرب (١١٠ وما بعدها) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٢٩) .

وضيفه ويمنّ عليهم بقراه ، وهو أرجز الناس على البدبة . وجعله (الجمحي) في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام ، وقرنه بالنابغة الجعدي ، ولييد ، وأبي ذؤيب الهذلي . وقال : انه كان شديد متون الشعر ، أشد كلاماً من لييد^١ . وكان معاصراً للخطيئة . ويروى ان (الخطيئة) كان يعدّه أشعر بني غطفان^٢ .

وأخوه (مزرد) ، واسمه (جزء بن ضرار) . وقيل يزيد وجزء أخوهما . وهو (مزرد بن ضرار بن سنان بن عمر بن جحاش بن بجالة الغطفاني) الثعلبي . يقال مزرد لقب له ، لقب به لقوله :

قللت تزردها عبيد فإني لزرد الشيوخ في الشباب مزرد

وكان يكنى (أبا ضرار) ، وقيل : (أبا الحسن) ، وهو أسن من الشماخ ، وكان هجاء حلف أن لا يتزل به ضيف إلا هجاء ، ولا سكب سنه ولا بيت يته إلا هجاء ، ثم أدرك الاسلام فأسلم . قدم على رسول الله فأنشد له أبياتاً منها :

تعلم رسول الله لم أر مثلهم أحسن على الأدنى وأقرب للفضل
تعلم رسول الله أنا كأننا أفانا بأعمار ثعالب ذي غسل

وأعمار رهطه ، وكان يهجوهم .

ورود عن (عائشة) انها قالت : من صاحب هذه الأبيات : تعني التي في عمر لما مات :

جزى الله خيراً من أمير وباركت
يد الله في ذاك الأديم الممزق

قالوا : مزرد ، فسألت من مزرد ؟ فحلف بالله انه لم يشهد الموسم تلك السنة ، ومنهم من نسب هذه الأبيات التي قبلها للشماخ^٣ .

١ الخزنة (٥٢٦/١) ، (بولاق) .

٢ بروكلمن ، (١٧٠/١) .

٣ الاصابة (٣٨٥/٣) ، (٧٩٢١) .

ومعن بن أوس بن نصر بن زياد المزني ، شاعر مجيد فحل من المخضرمين .
عمر الى أيام ابن الزبير^١ ، وهو من شعراء مضر . ذكر (المرزباني) ، أنه كان
رضيع (عبدالله بن الزبير) ، وكان مصاحباً له ، وكفّ في آخر عمره^٢ .

و (سويد بن أبي كاهل) أو (سويد بن غطيف) وقيل اسمه : (غطيف
ابن حارثة) اليشكري ، ويقال (الوائلي) ، ويقال (الغطفاني) ، ويكنى
(أبا سعيد) ، هو شاعر مخضرم . وهو صاحب قصيدة مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وهي قصيدة من أغلى الشعر وأنفسه في نظر علماء الشعر ، ذكر أن العرب
كانت تفضلها وتقدمها ، وتعدّها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها (التيمة)
لما اشتملت عليه من الأمثال . وللشاعر شعر كثير ، ولكن برزت هذه على
شعره^٣ .

ذكر أنه كان إذا غضب على قومه ، ادعى الى غطفان ، فقال رجل من
(بني شيان) :

من يشتري مسجد ذيان إذا ظعنوا
الى فزارة أو من يشتري السدارا

فأجابه سويد :

إن المساجد لا تباع وإنما باعت كحيلة بظرها البيطارا^٤

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠٨/٢) ، جعل « زيدان » وفاته سنة « ٢٩ هـ » ، تاريخ
آداب اللغة العربية (١٨٤/١) ،
 - ٢ الاغانى (١٦٤/١٠) ، الخزائن (٢٥٨/٢) ، المرزباني ، معجم الشعراء (ص
٣٢٢) ، راجع معاهد التنصيص (٦٩٤) ، عيون الاخبار (١٨/٣) ، شرح الحماسة ،
للمرزوقي (١١٢٦) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٢/١ وما بعدها) ، معن
ابن أوس ، لمصطفى كمال ، القاهرة (١٩٢٧ م) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٧٤٠/٢) ، حاشية ٢) ، الشعر والشعراء (١٢١٨ ،
١٨٤) ، (٣٣٤/١) « دار الثقافة » ، الخزائن (٥٤٦/٢) ، الاغانى (١٧١/١١) ،
شعراء النصرانية (٤٢٥) ، طبقات ابن سلام (٣٥ ، ١٢٨) ، المزهري (٤٨٧/٢) ،
الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢٠) .
 - ٤ الاشتقاق (٢٠٥) .

وعدّ من المعمرين ، ذكر أنه عمّر في الإسلام ستين سنة بعد الهجرة^١ .
وقد وضعه (ابن سلام) مع الحارث بن حلزة ، وعنترة ، وعمرو بن كلثوم
في الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية^٢ .

و (الزبرقان بن بدر) شاعر تميم من الشعراء المخضرمين . وكان اسمه
(الحصين) . ولما قدم وفد (تميم) الى المدينة في أشرافهم ، كان الزبرقان
أحدهم ، ولما تفاخروا بأنفسهم وتباهوا بفعالهم ، قالوا للرسول : يا محمد ائذن
لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزبرقان بن بدر ، فقال قصيدته التي مطلعها :

نحن الكرام فلا حي^٣ يعادلنا منّا الملوك وفينا تنصب البيع^٤

وذكر أن الرسول ولّاه صدقات قومه فأداهما في الردّة الى أبي بكر فأقره ،
ثم الى عمر^٥ .

وقد هجا (الخطيئة) الزبرقان بن بدر ، وكان سبب ذلك أن الخطيئة لقي
الزبرقان بـ (قرقري) ومعه ابناه أوس وسودة وبناته وامراته فعرّفه الزبرقان
وسأله أين تريد ؟ قال : العراق لأصادف من يكفيني عيالي وأصفيه مدحي ،
فقال له : لقيته ، قال : من ؟ قال : أنا ، قال : من أنت ؟ قال الزبرقان
ابن بدر . وكتب له كتاباً الى امرأته ، لتعطيه وتنفق عليه ، فبلغ ذلك : (بغيض
ابن عامر) واخوته وبنو عمه ، وكانوا ينازعون (الزبرقان) الرياسة ، فذهبوا
الى (أم بدر) امرأة الزبرقان أن الزبرقان يريد أن يتزوج بنت الخطيئة ، ولذلك أمره
أن تكرمه ، فجفت أم بدر ، فأرسل بغيض وأهله الى (الخطيئة) ان اتنا فنحن
أحسن لك جواراً من الزبرقان ، وأطعموه ووعدوه ، فتحول اليهم ، فلما جاء
(الزبرقان) بلغه الخبر فركب اليهم ، فقال لهم : ردوا عليّ جاري ، فأبوا
حتى كاد أن يكون بينهم حرب ، فحضرهم أهل الحي فاصطلحوا على أن يخبروه

١ الخزائن (٥٤٦/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ الطبقات (٣٥) ، رسالة الغفران (١٣٧) .

٣ الطبري (١١٦/٣) ، (دار المعارف) ، (قدوم وفد بني تميم ونزول سورة
الحجرات) .

٤ الإصابة (٥٢٤/١ وما بعدها) ، (رقم ٢٧٨٢) .

فاختار بغيضاً ورهطه ، فجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يتعرض بالزبرقان ، فلم يزل كذلك حتى أرسل الزبرقان الى شاعر من (النمر بن قاسط) يقال له : (دثار بن شيان) فهجا بغيضاً وآل بيته ، فلما سمع الحطيئة شعر دثار ، حى لجيرانه ، فقال شعره في الزبرقان معرضاً به ، فاستعدى الزبرقان (عمر) عليه ، فحبس الحطيئة أياًماً ، فقال وهو محبوس :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
وشفع له (عمرو بن العاص) فأطلقه^١ .

وقيس بن عاصم بن سنان المنقري ، من الصحابة ومن الشعراء الفرسان الشجعان . ومن الخلاء . قدم في وفد تميم على النبي ، فقال رسول الله : « هذا سيد أهل الوبر »^٢ . وقد عاش بعد الرسول^٣ .

و (عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر) المنقري ، من (بني منقر) ، فهو من شعراء تميم . ويعرف بـ (عمرو بن الأهم) ، سمي أبوه سنان الأهم ، لأن (قيس بن عاصم) المنقري ضربه بقوس فهتم فبه . وكانت أم سنان سيّئة من الحيرة ، يقال إنها سيّيت وهي حامل . قال قيس ابن عاصم :

نحن سبينا أمكم مُقرباً يوم صبحنا الحيرتين المنون
جاءت بكم غفرة من أرضها حيرسة ليست كما ترعمون
لولا دفاعي كنتم أعبدا مترها الحيرة والسيلحون
و (غفرة) هي أم سنان .

١ الاصابة (١ / ١٧٧) ، (رقم ٧٨١ في ترجمة بغيض بن عامر بن شماس) ، (رقم ١٩٩١) ، (في ترجمة الحطيئة) .

٢ الاصابة (٣ / ٢٤٢ وما بعدها) ، (رقم ٧١٩٦) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٢ / ٥٨٧) .

وأخو (عمرو بن الأهتم) ، عبدالله بن الأهتم ، جدُ خالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم الخطيب . وآل الأهتم خطباء^١ ، وكلهم من البلغاء المشهورين^٢ .

وعمر بن الأهتم ، ممن وفد على رسول الله ، وكان في الجاهلية يدعى (المُكْحَل) لجماله ، وكان له ابن يقال له (نعيم بن عمرو) من أجمل الناس ، وفيه تأنيث ، وله يقول عبد الرحمن بن حسان :

قل للذي كادَ لولا خط لحيته
يكون أنثى عليها الدرّ والمسك
هل أنتَ إلا فتاة الحي إن أمِنُوا
يوماً ، وأنت إذا ما حاربوا دُعِك^٣

ومن شعره قوله في حق الزبرقان بن بدر ، وكان يتنافسه :

ظلت مفترشَ العلياء تشتمني
عند النبي فلم تصدق ولم تصب
إن تبغضونا فإن الروم أصلكم
والروم لا تملك البغضاء للعرب
فإن سوددنا عود وسوددكم
مؤخر عند أصل العجب والذنب^٤

و (نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك) التميمي ثم الأسدي ، شاعر مخضرم يكنى (أبا نجيد) . وقد شهد فتوح العراق ، وأنشد له (سيف) في الفتح

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٢٨/٢) ، المرزباني ، معجم (٢١) .
 - ٢ الاصابة (٥١٧/٢) ، (رقم ٥٧٧٢) .
 - ٣ الاغاني (١٥٥/٤) ، (٨٣/١٤) ، المفضليات (رقم ٢٣) ، الميداني (٥/١) ، الامثال ، للمسكوي (٥/١) .
 - ٤ الاصابة (مفترش الهلباء) ، (٥١٨/٢) ، الاستيعاب (٥٣٠/٢) ، حاشية على الاصابة () .

أشعاراً كثيرة ، يفتخر فيها بقومه ، ويذكر فيها مشاهدته في فتوح الشام والعراق^١ .

ومن شعراء تميم المخضرمين : (متمم بن نويرة) اليربوعي ، صاحب المراثي المشهورة في أخيه (مالك بن نويرة) الذي قتله (خالد بن الوليد) لما سار لقتال أهل الردة ، وتزوج امرأته ، مما أدى الى غضب بعض الصحابة ومنهم (عمر) على (خالد) ، لأمور أخذوها في قتله عليه . ومن شعره المشهور في رثاء (مالك) قوله :

أبى الصبر آياتُ أراها وإني أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وإني متى ما ادعُ باسمك لا تجب وكنتَ جديراً أن تجيب وتسمعا
وكنّا كندمانيّ جديمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنني ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيامُ فرقن بيننا فقد بان محموداً أخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه وغيث يُسحّ الماءَ حتى تريعا
سقى الله أرضاً حلّها قبر مالك دهب الغواصي المدجّات فأمرعا
وأثرَ سبلَ الواديين بديمة ترشح وسمياً من النبت خروعا^٢

وهي قصيدة مؤثرة تعد من المراثي الجيدة القوية ، تعبر عن قلب منقطر من شدة ما حلّ به من ألم . قيل ان (عمر) قال لمتمم لما دخل عليه أنشدني بعض ما قلتَ في أخيك فأنشده شعره المتقدم ، قال له (عمر) : « يا متمم ، لو كنت أقول الشعر لسرتني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلتَ في أخيك ، قال متمم : يا أمير المؤمنين ، لو قتل أخي قتلة أخيك ما قلتُ فيه شعراً أبداً ، فقال عمر : يا متمم ما عزّاني أحدٌ في أخي بأحسن مما عزيتني به »^٣ . وقد ضربت الشعراء الأمثال به وبأخيه مالك في أشعارهم .

١ الاصابة (٥٥٠/٣) ، (٨٨٥٠) .

٢ المفضليات (٣٢/٢) .

٣ الشعر والشعراء (٢٥٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٦٩ وما بعدها) ، الخزائن

(٢٣٤/١) ، المرزباني ، معجم (٤٦١) .

وبما سبق اليه مالك ، وأخذله الناس منه قوله :

جزينا بني شيان أمس بقرضهم
وعُدنا بمثل البلد ، والعود أحمد

فقال الناس : العود أحمد^١ .

« يروى ان عمر قال للحطيثة : هل رأيت أو سمعت بأبكي من هذا ؟ قال : لا والله ما بكى بكاء عربي قط ولا يبكيه^٢ . وكان عمر يستمع الى قوله في رثاء أخيه .

ومن شعره المشهور قوله :

وكل فتى في الناس بعد ابن أمه كساقطة احلى يديه من الخيل^٣

وكان (مالك بن نويرة) من الشعراء كذلك . وقد عرف به (فارس ذي الخمار) . وذو الخمار فرسه^٤ . ولقب به (الجفول) . وهو من شعراء وفرسان (بني يربوع) الملعودين . وكان من أشرافيهم ومن أرداف الملوك . استعمله النبي على صدقات قومه ، وبقي عليها الى وفاة الرسول ، فيقال انه لما بلغه خبر وفاته أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك :

قللت : خذوا أموالكم غير خائف

ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالدين المحقوق قائم

أطعنا وقلنا الدين دين محمد

وقد قتل خالد بن الوليد ، مالكا ، في قصة ترد في كتب الردة والفتوح

١ الشعر والشعراء (٢٥٦/١) .

٢ الاصابة (٣٤٠/٣) ، (رقم ٧٧١٩) .

٣ الاصابة (٣٤٠/٣) ، (رقم ٧٧١٩) .

٤ الشعر والشعراء (٢٥٤/١ وما بعدها) ، ابن حزم ، جمهرة (٢٢٤) ، ابن سلام ،

طبقات (٤٨) ، الاغانى (٢٣٩/١٥) ، فوات الوفيات (٢٩٥/٢) .

والتاريخ ، وتزوج امرأته ، وكانت فافقة في الجمال ، مما حل بعض الصحابة على مؤاخذته على هذا العمل ، ومنهم (عمر)^١ .

ومن المخضرمين (النجاشي) (قيس بن عمرو) الحارثي^٢ ، وكان ممن لازم علياً وشهد معه (صفين) ، ومدحه . وقد بلغ (علياً) وهو بالكوفة انه كان سكراناً في شهر (رمضان) مع (أبي سماك) الأسدي ، فهرب (أبو سماك) ، وقبض على (النجاشي) فحدّه (علي) ثمانين سوطاً ، ثم زاده عشرين ، فقال له : ما هذه العلالة ؟ فقال : لجرأتك على الله في شهر رمضان ، ثم وقفه للناس لبروه ، فهرب الى (معاوية) وهجا (علياً) على ما يقال ، وهجا أهل الكوفة . وكان هجاء ، هجا (بني العجلان) ، فاستعدوا عليه (عمر) . فهدّد (عمر) النجاشي ، وقال له : إن عدت قطعت لسانك . وهجا قريشاً هجاء مرأ . وهجا (عبد الرحمن بن حسان بن ثابت) ، ولما مات (الحسن بن علي) رثاه النجاشي ، وتوفي بعد ذلك بقليل .

وروي أنه هاجى (تميم بن مقبل) من (بني العجلان) ، وهو من شعراء الجاهلية ، الذين أدركوا الاسلام ، وعمر طويلاً . وكان يتهاجى مع (النجاشي) ، فاستعدى (تميم) (عمر) على النجاشي ، فسمع (عمر) ما قال فيه وفي بني قومه ، فلما وصل الى بيته :

أولئك أولاد المهجين وأسرة اللثيم ورهط العاجز المتدلل
وما سمي العجلان إلا لقوله خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر : أما هذا فلا أعلمك عليه فحبسه وضربه^٣ . وكان (عمر) قد

١ الاصابة (٣٣٦/٣) ، (رقم ٧٦٩٧) ، ابن الاثير ، الكامل (٢٣٧/٢) وما بعدها) ، المحبر (١٢٦) ، المرزباني ، معجم (٢٦٠) .

٢ الشعر والشعراء (٢٤٦/١) وما بعدها) ، الاصابة (٥٥١/٣) وما بعدها) ، (رقم ٨٨٥٥) ، الخزائن (٣٦٨/٤) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١) وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٩/١) .

٣ الاصابة (١٨٩/١) وما بعدها) ، (رقم ٨٦٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣٤) ، ديوان تميم بن مقبل (١١ مقدمة) .

حكم (حساناً) في هجاء (النجاشي) لتميم ، فلما حكم (حسان) بإقذاعه في هجائه له حبس (النجاشي) عليه . وقد جمع (أبو سعيد) السكري شعر (تميم بن مقبل)^١ ، وجمعه غيره من العلماء . وهو (تميم بن أبي بن مقبل) . وقد اشتهر بوصف القداح ، حتى جعل من أوصاف العرب للقدح ، ولذلك يقال : (قدح ابن مقبل)^٢ .

ويعدّ (تميم بن مقبل) من عوران قيس ، وعددهم خمسة شعراء ، وهم : تميم بن مقبل ، وعمرو بن أحرر الباهلي ، والشماخ معقل بن ضرار ، وراعي الإبل عبّيد بن حصين التميري ، وحيد بن ثور الهلالي^٣ . وهو من الجاهليين الذين أدركوا الاسلام ، فأسلم ، فهو من المخضرمين . وقد أدرك زمن معاوية ، وكان هواه مثل هواي قبيلته مع (معاوية) على (علي) . وكان عثمانياً له قصيدة في رثاء أهل الجاهلية ، وكان يتذكر الجاهلية ويترحم على أيامها ، ويحن إليها ، ويرى ان الزمان قد تغير ، وان الأرض قد تغيرت ، وتبدلت أخلاق الناس ، فصار يرى نفسه غريباً في مجتمع غريب عنه ، له مثل تختلف عن مثل أهل الجاهلية ، فصار يحن الى أيام ما قبل الاسلام .

قبل لتمي بن مقبل : تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم : فقال :

وماليّ لا أبكي الديار وأهلها

وقد زارها زوّار عكٍّ وحبراً

وجاء قطا الأجباب من كل جانب

فوقع في أعطافنا ثم طيراً

وفي هذه القصيدة المؤلفة من خمسين بيتاً ، والمنشورة في ديوانه ، والتي وردت بروايات مختلفة ، حنن ظاهر إلى أيام الجاهلية ، وتوجع بين للتغير الذي حدث فاجتث ذكريات الأيام القديمة ، إذ باد أهلها ، وتنكر الناس لها ، وبرز من

١ ابن النديم ، الفهرست (١٢٣) .

٢ الشعر والشعراء (٣٦٦/١ وما بعدها) ، الاصابة (١٩٥/١) ، الخزائن (١١٣/١)

طبقات ابن سلام (١٢٥) .

٣ رسالة الغفران (٢٣٧) ، الجماهر (٣٩٠/٢) ، المعارف (٢٥٣) .

لم يكن معروفاً إذ ذاك من الناس . فهو يرى أن الجاهلية بأيامها وبمثلها وبرجالها وبقباثلها ، وبمروعها ، أحسن حالاً من الأيام الجديدة التي أخذت مكانها، والتي أحلت الموالى ونكرات الناس محل السادة الأشراف^١ .

وكان قد تزوج (الدهماء) زوجة أبيه في الجاهلية ، على عادتهم في تزوج نساء الآباء ، وأحبها حباً شديداً ، فلما جاء الاسلام وحرم هذا الزواج ، اضطر إلى تطليقها ، وهو مكره ، فكان يقول :

هل عاشق نال من دهماء حاجته
في الجاهلية قبل الدين مرحوم^٢

ولعل هذا الطلاق ، كان في جملة العوامل التي جعلته يحن الى الجاهلية ويذكرها بخير .

وما ينسب اليه قوله :

فاخلف وأتلف انما المال عارة
وكله مع الدهر الذي هو آكله
وأيسر مفقود وأهون هالك
على الحي من لا يبلغ الحي نائله

وقوله :

خليلي لا تستعجلا وانظرا غداً
عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشداً^٣

١ أولها :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق
وفيها يقول : يمان ، مرته ريع نجد ففترا

أجدي أرى هذا الزمان تغيرا
وبطن الركاء من موالى أقفرا
وكائن ترى من منهل باد أهله
وعيد على معروفه ، فتنكرا

ديوان تميم بن مقبل (ص ١٢٩ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتور عزة حسن) .

٢ ديوان ابن مقبل (المقدمة) ، (تحقيق الدكتور عزة حسن) ، (دمشق ١٩٦٢) .

٣ بلوغ الارب (١٤٣/٣) .

وكان (عبد الرحمن بن حسل) الجمحي من الشعراء المجائين . كان أبوه من أهل اليمن ، فسقط الى مكة ، فولد له بها : (كلدة) و (عبد الرحمن) ، وكانا ملازمين لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، فنسبا الى (بني جمح) . وذكر أنهما كانا أنحوي (صفوان) لأمه . وذكر أنه كان بعسكر (يزيد بن أبي سفيان) ، وأنه كان من مسلمة الفتح . وقد هجا (عثمان) لما أعطى مروان خمسمائة ألف من خمس (إفريقية) فقال :

وأحلف بالله جهد اليمين ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة لكي نبتلي بك أو تبلى
دعوت الطريد فأدنيته خلافاً لما سنّه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة آثرته وحيت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري من الفياء أعطيته من دنا
فإن الأمين قد بيّنا منار الطريق عليه الهدى
فأأخذاً درهماً غيلة ولا قسمًا درهماً في هوى^١

فأمر (عثمان) به فحبس بنخير . وقيل ان (علياً) كلم (عثمان) فيه فأطلقه وشهد الجمل مع علي ، ثم صفين فقتل بها . وذكر انه قال وهو في السجن :

الى الله أشكو لا الى الناس ما عدا
أبا حسن غلا شديداً أكابده
بنخير في قعر الغموص كأنها
جوانب قبر أعمق اللحد لاحده
أن قلت حقاً أو نشدت أمانة
قتلت فن للحق إن مات ناشده^٢

١ تختلف هذه الابيات بعض الاختلاف عنها في كتاب الاصابة ، الاصابة (٣٨٧/٢) وما بعدها ، (رقم ٥١٠٨) ، الاستيعاب (٤٠٦/٢) وما بعدها ، وقد دعاه صاحب الاستيعاب « عبد الرحمن بن حنبل » .
٢ الاصابة (٣٨٧/٢) وما بعدها ، (رقم ٥١٠٨) .

و (ألس بن أبي أناس بن زنيم) الكناني ، هو من الشعراء الذين كانوا قد هجوا الرسول فأهدر النبي دمه ، فبلغه ذلك ، فقدم عليه معتزلاً ، وأنشده شعراً مدحه به . وكلمه فيه (نوفل بن معاوية) الديلي ، فعفا عنه ، قائلاً للرسول : « أنت أولى بالعفو ، ومن منا لم يؤذك ولم يعادك ، وكنا في الجاهلية لا ندرى ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك وأنقلنا من الهلكة ؟ فقال : قد عفوت عنه . فقال : فذاك أبي وأمي . وأول القصيدة يقول فيها :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ وأوفى ذمة من محمد

ويقول فيها :

ونبي رسول الله اني هجوته
فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي
فلاني لا عرضاً خرقت ولا دماً
هرقت فذكر عالم الحق واقصد^١

وقد ذكر (ابن قتيبة) ، ان (أبا أناس) ، والد (أنس) ، هو القائل في رسول الله :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أعف وأوفى ذمة من محمد^٢

وقد قال (دعلج بن علي) في طبقات الشعراء ، هذا أصدق بيت قالته العرب . وفي جملة ما جاء في هذه القصيدة التي تنسب الى أنس بن زنيم قوله :

ونبي رسول الله أني هجوته
فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي
فلاني لا عرضاً خرقت ولا دماً
هرقت فذكر عالم الحق واقصد^٣

١ الاصابة (١/٨١ وما بعدها) ، (رقم ٢٦٧) .
٢ الشعر والشعراء (٢/٦٢٣) .
٣ الاصابة (١/٨٢) ، (رقم ٢٦٧) .

وذكر أن (عبيد الله بن زياد) كان يحرش بين الشعراء ، فأمر (حارثة) أن
يهجو (أنس بن زنيم) ، فقال فيه أبياتاً ، منها قوله :

وخبرت عن أنس أنه قليل الأمانة خوّانها

فأجابه أنس بأبيات أولها :

أتني رسالة مستنكر فكان جوابي غفرانها^١

وأنس هو القائل لعبد الله بن الزبير ، حين تزوج مصعبُ عائشة بنت طلحة
على ألف ألف درهم :

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً من ناصحٍ لك لا يُريدُ خياعاً
بضع الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتبيتُ سادات الجنود جياعاً
لو لأبي حفص أقول مقالتي وأقص شأن حديثكم لارتاعاً^٢

وكان (أسيد بن أبي إياس بن زنيم) الكنانى ابن اخي (سارية) الكنانى ،
من هجوا الرسول أيضاً ، فأهدر النبي دمه ، فخرج الى (الطائف) وأقام بها ،
مثل غيره ممن هجوا الرسول فخافوا على أنفسهم ، فلبجأوا الى ثقيف . فلما كان
عام الفتح ، خرج مع (سارية بن زنيم) ، وقدم على الرسول فأسلم . ومدَّ
بشعر . وذكر انه كان قد رثى قتلى بدر ، فأهدر النبي دمه . وروي انه قال
في علي بن أبي طالب وفي مخاطبة قريش :

في كل مجمع غاية أخزاكم صدع يفوق على المذاكي القرح
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحاً وقتلاً بعضه لم يرتح
لله دركم ألما تذكروا قد يذكر الحر الكريم ويستحي^٣

وورد في رواية انه كان قد أسلم وأدرك (أحداً) . وتشابه قصته في هدر

١ الاصابة (٨٢/١) ، (رقم ٢٦٧) .

٢ الشعر والشعراء (٦٢٣/٢) وما بعدها .

٣ الاصابة (٦٢/١) ، (رقم ١٧٥) .

النبي دمه وفي هجائه للرسول قصة (أنس بن زعيم) الكنانى ، المتقدم ، وهو ابن أخى (أسيد) على رواية (الإصابة)^١ .

وروي أن (سارية بن زعيم) الكنانى ، كان ممن هجا الرسول كذلك ، فبلغ ذلك الرسول ، فتوعده . فجاء اليه معتذراً فأنشد :

تعلم رسول الله أنك قادر على كل حيٍّ من تهم ومنجد
تعلم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم بأن الركب إلا عويمراً هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبي رسول الله أني هجوته فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي^٢

وتليها أبيات أخرى ، نسبت كلها الى (أنس بن زعيم) . ويظهر أن التباساً قد وقع عند الرواة ، فخلطوا بين الثلاثة من (آل زعيم) .

وقد ذكر أن (سارية) هذا كان خليعاً في الجاهلية ، لصاً كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجله ، ثم أسلم . وأرسله (عمر) فيمن أرسله من المسلمين لفتح فارس^٣ .

وكان (بشير بن أبيرق) (بشر بن أبيرق) الشاعر يقول الشعر ويهجو به أصحاب النبي ، وينحله بعض العرب^٤ .

وجعل (ابن سلام) : (أمية بن حرثان بن الأشكر) (أمية بن الأسكر) و (حريث بن مُحَقَّص) ، و (الكميت بن معرور بن الكميت) الأسدي ، و (عمرو بن شأس) الأسدي ، طبقة واحدة ، هي الطبقة العاشرة من طبقاته . وكلهم ممن عاش في الجاهلية والإسلام^٥ ، وكان (أمية بن الأسكر) الكنانى من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيام ، وابنه (كلاب بن أمية) ، أدرك النبي

١ الإصابة (٦٢/١) ، (٨١) .

٢ الإصابة (٨١/١) ، (٢/٢) ، (رقم ٣٠٣٤) .

٣ الإصابة (٣/٢) .

٤ الاشتقاق (٢٦٤) ، تاج العروس (١٢٩/٨) ، (فحل) .

٥ (ص ٤٤ وما بعدها) .

فأسلم مع أبيه . وقد سكن (كلاب) البصرة^١ . وروى لأمية شعراً في حروب
الفجار^٢ .

و (حريث بن مخفص) (حريث بن مخفص) ، المازني من بني تميم ،
من (خزاعي بن مازن) . وهو مخضرم له في الجاهلية أشعار ، وتمثل الحجاج
بأبيات من شعره ، مثلاً لأهل الشام في طاعتهم وبأسهم ، وهي قوله :

ألم ترَ قومي إن دعوا لِمَلْئمةٍ
أجابوا وإنْ أغضب على القوم يغضبوا
بني الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صديقٍ فأنجبوا
فإن يك طعن بالرُدني يطعنوا
وإن يك ضرب بالمتاصل يضربوا^٣

و (عمرو بن شأس) الأسدي ، المكنى بـ (أبي عرار) ، شاعر كثير
الشعر مقدم ، شهد القادسية^٤ ، ومنهم المستوغر ، واسمه (عمرو بن ربيعة) ،
ويكنى (أبا بهنس) ، وهو من تميم ، زعم أنه عاش ثلاثين وثلاثمائة سنة ،
وأدرك أيام معاوية^٥ . وذكر أن (عمرو بن شأس) عاش حتى أدرك أيام عبد
الملك بن مروان^٦ .

ومن الشعراء المخضرمين (المنذر بن رومانس) الكلبي ، وهو أخو النعمان بن
المنذر لأمه ، وأمهما (رومانس) . وله شعر قاله بعد فتح الحيرة ، يتذكر فيه
أيام الحيرة الأولى ، وكيف كانوا يحكمون العراق ونجداً^٧ :

-
- ١ الخزانة (٥٠٦/٢) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٢ الاصابة (٧٨/١) ، (رقم ٢٥٣) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٥٦١/٢) ، الاصابة (٣٧٥/١) ، (رقم ١٩٧٢) .
 - ٤ المرزباني ، معجم (٢٢) وما بعدها ، ابن سلام ، طبقات (١٦٤) ، الاغانى
(٦٠/١٠) .
 - ٥ المرزباني ، معجم (٢٣) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٣٣٨/١) وما بعدها .
 - ٧ المرزباني ، معجم (٢٦٩) .

ومن المخضرمين (أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً ، وفي بيته أسلم (عمر) ، لأنه كان زوج أخته فاطمة ، توفي سنة (٥٠) ، وقد أورد الجاحظ له شعراً ، وهو شعر نسب أيضاً لوالده ، وتروى كذلك لنييه بن الحجاج^١ .

و (سالم بن دارة من الشعراء المخضرمين) وهو (سالم بن مسافع «مسافح» ابن عقبة بن يربوع بن كعب بن عدي) من (غطفان) . وكان رجلاً هجاء وبسيه قتل . قتله (زميل بن أبير) (زميل بن عبد مناف) ، (زميل بن أبرد) ، (زميل بن وبير) من بني فزارة وكان (سالم) قد أمعن في هجاء فزارة ، وألح عليها في الهجاء ، فقال في جملة ما قاله :

حَدَّ بَدْبَا بَدَّ بَدْبَا مِنْكَ الْآنَ اسْتَمِعُوا أَنْشَدَكُمْ يَا وَلَسْدَانِ
إِنَّ بَنِي فَزَارَةَ بِنَ ذِييَانٍ قَدْ طَرَقَتْ نَاقَتُهُمْ بِإِنْسَانِ
مُشْتَلٍ أَعْجِبْ بِخَلْقِ الرَّحْمَنِ غَلِبَ النَّاسُ بِأَكْلِ الْجُرْدَانِ
كُلَّ مَتَلٍّ كَالْعَمُودِ جَوْفَانٍ وَسَرَقَ الْجَارُ وَنِكَ الْبَعْرَانِ

الى غير ذلك من شعر مقذع ، فلما أمعن في الهجاء ، تعقبه (زميل بن أبير) (زميل بن أم دينسار) الفزاري ، فلاحق به وضربه بالسيف ضربة جرحته ، وكان قد خرج من المدينة ، فعاد اليها ، يتداوى ، فدفعه (عُثْمَانُ) الى طبيب نصراني ، ويقال إن (أم البنين) (بسرة بنت عيينة بن حصن) الفزاري ، وكانت عند (عُثْمَانُ) ، جعلت للطبيب جملاً حتى سمته فأت^٢ .

ومن شعره في هجاء فزارة قوله :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلُوتَ بِهِ
عَلَى قُلُوصِكَ وَآكَبَهَا بِأَسْيَارِ

وله شعر يخاطب به (عيينة بن حصن) الفزاري ، وكان قد ارتد في خلافة

١ البيان والتبيين (٢٣٥/١) ، الخزائن (٩٩/٣) ، عيون الاخبار (٢٤٢/١) .
٢ الخزائن (١٤٤/٢) وما بعدها ، (عبد السلام محمد هارون) ، نوادر المخطوطات (١٠١/٢ ، ١٥٦ وما بعدها) ، الحيوان (٢٦٧/١) .

(أبي بكر) ثم عاد الى الاسلام ، وقال لأبي بكر : قصني وقصة الأشعث
ابن قيس الكندي واحدة ، فإياكم أكرمتموه وزوجتموه ، ولم تفعلوا ذلك بي ،
فأجاب سالم عن ذلك بقوله :

يا عينة بن حصن آل عدي أنت من قومك الصميم صميم
لست كالأشعث المعصب بالنار ج غلاماً قد ساد وهو فطيم
جده آكل المرار وقيس خطبه في الملوك خطب عظيم
إن تكونا أتيها خطب العذر سواكما فقد الأديم
فله هيئة الملوك وللأشعث إن حان حادث قديم
إن للأشعث بن قيس بن معدي كرب عزة وأنت بهم

وأنتى (سالم بن دارة) عدي بن حاتم ، فدحه ، فشاطره (عدي) ماله .
والأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد
ابن عجل بن بلجم بن الضعب بن علي بن بكر بن وائل ، من الشعراء المخضرمين ،
ويعد من أرجز الرُّجَّاز ، وأرضنهم كلاماً وأصحهم معاني . وهو أول من
أطال الرجز ، وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فآخر أو شاتم . وذكر
أنه استشهد بنهاوند^٢ . وله ديوان^٣ . وقيل إن الخليفة (عمر) كتب الى (المغيرة
ابن شعبه) وهو على الكوفة ، أن استشد من قبلك من الشعراء عما قالوه في
الاسلام ، فكتب الى لييد ، فكتب لييد اليه سورة البقرة في صحيفة ، وقال :
قد أبدلني الله بهذه في الاسلام مكان الشعر ، وجاء (الأغلب) الى المغيرة ،
فقال له :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

فكتب بذلك الى (عمر) ، فكتب اليه أن انقص من عطاء الأغلب خمسمائة

-
- ١ الإصابة (١٠٧/٢) ، (٢٦٥٧) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣١٥/٢ وما بعدها) .
 - ٣ « الأغلب بن جشم بن عمرو بن عبيدة » ، الإصابة (٧١/١) ، (رقم ٢٢٥) ،
الخزانة (٢٣٩/٢) ، المؤلف (٢٢) ، الاغانى (١٦٤/١٨) .
 - ٤ الخزانة (٢٥٨/٢) ، (يولاق) .

فزدها في عطاء لبيد ، وله قوله :

المرة تَوَاق الى ما لم يتل والموت يتلوه ويلهيه الأمل

وأشده له (أبو الفرج) أرجوزة يهجو فيها سجاح التي ادعت النبوة وتزوجت بمسيلمة الكذاب^١ .

وكان (هريم بن جواس) التميمي ، يهاجي (الأغلب) ، وهو من المخضرمين ، وافقه بسوق عكاظ ، فقال له :

قبحت من سالفة ومن قفا عبد إذا ما رسب القوم طفا
فما صفا عدوكم ولا صفا كما شرار البقل أطراف السفا

فقال له : من أنت وملك ؟ قال :

أنا غلام من بني مقاعس الضارين فلك الفوارس^٢

ومن الشعراء المخضرمين : (عقيبة بن هُبيرة) الأسدي . وكان جريئاً ، وفد على معاوية بن أبي سفيان ، فدفع اليه رقعة فيها :

فهبنا أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد
أنطمع في الخلود إذا هلكتنا وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا أخون الخلافة ، واستقيموا وتأمير الأراذل والعبيد
وأعطونا السوية لا تزركم جنود مردفات بالجنود

فقال له معاوية : ما جرأك عليّ ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبتوك ! فقال : ما أظنك إلا صادقاً ! فقضى حوائجه^٣ .

ومنهم (حضرمي بن عامر بن مجمع بن مائلة « مَوَلَة ») من بني أسد ،

١ الاصابة (٧١/١) ، (رقم ٢٢٥) .

٢ الاصابة (٥٨٤/٣) ، رقم (٩٠٤٩) .

٣ الخزائن (٢/٢٦٠ وما بعدها) ، (هارون) ، (١/٣٤٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

وهو شاعر فارس سيد ، له في كتاب (بني أسد) أشعار وأخبار . وقدم مع وفد (بني أسد) ، وفيهم ضرار بن الأزور ، وسلمة بن حبيش ، وقتادة بن القائف ، وأبو مكعب ، وكتب لهم الرسول كتاباً . فتعلم (حضرمي) سورة (عبس وتولى) ، فزاد فيها : « وهو الذي أنعم على الجلي ، فأخرج منها نسمة تسمى » ، فقال له النبي : « لا تزد فيها » . وورد ان السورة هي سورة : سبح اسم ربك الأعلى . وكان يكنى : (أبا كدام) ، وله شعر في حرب الأعاجم ، أنشد بعضه (عمر بن الخطاب) ، وقد نقل عنه (سيف بن عمر) في الفتوح بعض أخبار مسيلمة والردة ^١ .

ومن المخضرمين (حنيف بن عير) البشكري ، قاتل (محكم بن الطفيل) يوم اليمامة . وله شعر في قتله ^٢ .

ومن المخضرمين : (ربيعة بن مقروم بن قيس) ، وكان ممن أصفق عليه (كسرى) ، ثم عاش في الإسلام زماناً . شهد القادسية وجولاء ، وهو من شعراء (مضر) الملعودين ^٣ .

ومن الشعراء المخضرمين : (أبو بكر بن الأسود بن شعوب) الليثي ، وهو (شداد بن الأسود) ^٤ . وقيل اسمه : (عمرو بن سمي بن كعب بن عبد شمس) الكناني ، وأمه (شعوب) من بني خزاعة ، وله شعر كثير قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد . ومن شعره ، قصيدة في رثاء قتلى المشركين بيد ، يقول فيها :

فإذا بالقلب قلب يد من القينات والشرب الكرام

الى أن يقول :

نجبرنا الرسول لسوف نجيا وكيف حياة أصدقاء وهام^٥

١ الاصابة (٣٤٠/١) ، (رقم ١٧٥٩) ، الخزانة (٥٦/٢) ، (بولاق) .

٢ الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١٦) ، الخزانة (٥٤٤/٢) وما بعدها .

٣ الخزانة (٥٦٥/٣) وما بعدها ، (بولاق) .

٤ ابن هشام (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٥ هناك اختلاف في رواية أبيات هذه القصيدة وفي الفاظها ، ابن هشام ، سيرة (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، نوادر المخطوطات ، كتاب من نسب الى أمه من الشعراء (المجموعة الاولى) (ص ٨٣ وما بعدها) .

ومن المخضرمين : (قطبة بن الزبيرى) ، وهي أمه . وهو (قطبة بن زيد ابن سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة) من بني القين بن جسر . وكان سيد قضاة في الجاهلية وأول الاسلام . وله مفتخرأ :

حيثُ القوم قد علمت معد^١ ومن للقوم من مولى وجار
حبوت بها قضاة إن مثلي حقيق أن يذب عن الذمار
ولست كمن يُغمز جانباه كغمز التين تجنيه الجوارى^٢

ومن المخضرمين (عبدة بن الطبيب)^٣ ، (عبدة بن الطبيب)^٤ ، وهو من بني عبشمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ومن جيد شعره في رثاء قيس بن عاصم ، قوله :

عليك سلام الله قيسَ بن عاصم^٥
ورحمته ما شاء أن يترحم^٦
نحية من ألبسته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلا
فلم بك قيس هللك هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما^٧

وقوله :

والمرءُ ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شح واشفاق وتأميل^٨

وقد أعجب (عمر) بهذه القصيدة الطويلة التي على اللام^٩ .

-
- ١ من نسب الى أمه (٨٦) ، نوادر المخطوطات ، (المجموعة الاولى) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦١٣/٢) ، البيان والتبيين (١٢٢/١) .
 - ٣ بلوغ العرب (١٤٣/٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٦١٤/٢) ، وتختلف هذه الابيات عما ورد في الاصابة (١٠٠/٣) ، (رقم ٦٣٩٢) .
 - ٥ بلوغ العرب (١٤٣/٣) .
 - ٦ البيان والتبيين (٢٤٠/١) .

« واسم الطبيب : يزيد بن عمرو بن علي بن أنس بن عبدالله بن عبد تميم بن
جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم) . وهو من مشاهير الشعراء ،
وقد ساهم في فتوح العراق ، وهو القائل في قتال الفرس :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

ثم يقول :

يقارعون رؤوس الفرس ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : قول عبدة :
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهلما
أرثي بيت قبل :

ومن شعره قوله :

ولقد علمت بأن قصري حفرة غبراء يحملن اليها شرجع
فبكت بناتي شجونهن وزوجتي والأقربون إلى ثم تصدعوا
وتركت في غبراء يكره وردها تسقى عليّ الريح حين أودع^١

وقوله :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل^٢
ورداً واشقر لم يهته طابخه ما غير الغلي منه فهو مأكول
تمت قنا الى جرّد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل^٢

ومن المخضرمين (عدي بن عمرو بن سويد بن زبان) الطائي ، المعروف
بالأعرج . وهو القائل :

١ الاصابة (٣ / ١٠٠ وما بعدها) ، (رقم ٦٣٩٢) .

٢ نمار القلوب (٢١٩) .

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي^١

ومن الشعراء المعمرين : (أبو الطمحان) القيني ، واسمه حنظلة بن الشرقي
من بني كنانة بن القين . زعم أنه عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَتَّيْ حَانِيَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلُ أَدْنُو لَصِيدِ
قَصِيرِ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مِنْ رَأْيِي - وَلَسْتُ مَقِيداً - أَنِّي بِقَيْدِ
تَقَارِبِ خَطْوِ رَجُلِكَ يَا سَوِيدَ وَقَيْدِكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ قَيْدٍ^٢

ونسب إليه قوله :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ فِيهِ تَقْطَعُ أَلْفَ وَأَقْرَانِ
أَمْسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقاً مَوْزَعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لَقْمَانٍ^٣

وقد اختلف فيه ، فزعم بعض أنه جاهلي لم يسدرك الإسلام ، وزعم بعض
آخر أنه أدركه . وأنه قال شعراً يتبرأ فيه من اللذنب كالزنا وشرب الخمر ،
وأكل لحم الخنزير ، والسرقه ، وكان نديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ،
ونسب له قوله :

وَلَا نِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتَ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَائِبُهُ^٤

١ الاصابة (٣/١٠٤ وما بعدها) ، (رقم ٦٤١٧) ، المزرباني ، معجم (٢٥١) ، البيان
والتبيين (٢٤٦/١) .

٢ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) .

٣ البيان والتبيين (١٨٧/١) ، (٢٣٥/٣) .

٤ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) ، الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١١) ، الخزائنة
(٤٢٦/٣) ، المعرون (٥٧) ، المؤلف (١٤٩) .

ومن^١ المعمرين الشعراء : (الربيع بن ضبع) الفزاري ، زعم انه أدرك أيام (عبد الملك بن مروان) وانه دخل عليه فقال له : « يا ربيع ، أخبرني عما أدركت من العمر والمسدى ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هأنذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل :
إذا عاش الفتي مائتين عاماً فقد ذهب اللذذة والفناء

قال : قد رويت هذا من شعرك ، وأنا غلام ، وأبيك يا ربيع ، لقد طلبك جد غير عائر ، ففصل لي عمرك ، قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام . وأخذ عبد الملك يسأله ، وهو يجيب . وقد علق (المرتضى) على هذا الخبر بقوله : « ان كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام معاوية ، لا في أيام ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر : عشت في الاسلام ستين سنة . وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة ، فإن كان صحيحاً فلا بد مما ذكرنا ، فقد روي ان الربيع أدرك أيام معاوية^٢ .

وزعم انه قال شعراً لما بلغ مائتي سنة ، وشعراً آخر لما بلغ مائتين وأربعين^٣ . وهو مثل شعر المعمرين في العمر وفي ذهاب الشباب ، وتقدم السن ، وفي عدم تحمّل السنين والشيوخة ، وغير ذلك من الأعراض التي تلازم الشيخوخة .

ومن شعراء بني تميم : (حارثة بن بسر بن حصين بن قطن بن غدانة) الغداني من (بني يربوع) ، كان من فرسان (بني تميم) ووجوها وسادتها ، وكان يعارض الشعراء نظراءه في الشعر ، ولم يكن معدوداً في فحول الشعراء^٤ :

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٥٣/١ وما بعدها) ، الخزائن (٣٠٦/٣) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٢٥٤/١ وما بعدها) ، المعمرين (٦ وما بعدها) ، ذيل الامالي (٢١٤) ، الخزائن (٣٠٦/٣) ، شرح أدب الكاتب ، للجواليقي (٢٦٦) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٣٨٠/١ وما بعدها) ، الاغاني (١٣/٢١ وما بعدها) ، الاصابة (٣٧٠/١) ، (رقم ١٩٣٧) .

وقد نسبوا له قوله :

لعمرك ما أبقي لي الدهر من آخرٍ حفيّ ولا ذي خُلّةٍ لي أوصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل فشرّ الأخلاء الكثير غوائله
وقل لفؤادٍ إنّ نزا بك نزوة من الروح أفرخ، أكثر الروح باطله

وروى الشريف (المرتضى) أشعاراً أخرى ، أكثرها في المنايا ، وفي الصدق
والاخلاص ، والنصح ، وتجنب أمكنة السوء ، وفي تجاوز الأقرباء على حقوق
القريب وفي الوقوع في الفقر حيث يقول :

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً ترجو الفاضل عند غير المفضل
واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تكون خصاصة فتجمل^١

وقد كان في أيام (زياد بن أبيه) ، وكان مستهتراً بالشراب^٢ . وله شعر
عائب به (عبيد الله بن زياد) لما تغير عليه بعد اختصاصه بأبيه^٣ .

ومما استحسّن من شعره قوله :

يا كعبُ ماراح من قوم ولا ابتكروا إلا وللموت في آثارهم حادي
يا كعبُ ما طلعت شمس ولا غربت إلا تقربُ آجالاً لميعاد^٤

وكانت لخفاف بن فضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي ، وفادة على النبي ، وفد
عليه فقال :

لاني أتاني في المنام مخبر من جنّ وجرة في الأمور موات
يدعو اليك ليالياً وليالياً ثم احزأل وقال لست بات
فركبت ناجية أضرب بمننتها جمر تحت به على الأكيات
حتى وردت الى المدينة جاهاً كما أراك فتفرج الكربات

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٨٣/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٨٤/١) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٢٨٦/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٢٢٨/٢) .

ويروى ان النبي استحسناها ، وقال : ان من البيان لسحراً وان من الشعر
كالحكم^١ .

و (بشر بن قطبة بن سنان) الفقعسي ، من الشعراء الفرسان ، شهد اليمامة
مع (خالد بن الوليد) ، وقال في ذلك :

أروح وأغدو في كتيبة خالد على شطبة قد ضمها الغزو خيفق

ومنها :

إذا قال سيف الله كروا عليهم كررنا ولم نجعل وصاة الموق
أقول لنفسي بعدما رقى بالها رويك لما تشققي حين تشققي
وكوني مع الراعي وصاة محمد وإن كذبت نفس المنافق فاصدق^٢

ومن شعراء (بني أشجع) : (بقيلة) الأشجعي ، وكان سيداً كبيراً شاعراً.
ومن شعره :

لبس قريبيك إن أطماره خلقت ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا
فلن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وانما الشعر لبّ المزمع يعرضه على المجالس إن كيساً وان حقاً^٣

وكان (امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن
معاوية الأكرمين) الكندي ، من الشعراء ، وكان ممن حضر حصار حصن (النجيع) ،
فلما أخرج المرتدون ليقتلوا ، وثب على عمه ليقنتله ، فقال له عمه : ويحك أتقتلني
وأنا عمك ؟ قال : أنت عمي والله ربي ، فقتله . وكان ممن ثبت على الاسلام ،
وأنكر على الأشعث ارتداده . وقد كتب الى (أبي بكر) في الردة :

ألا ابليخ أبا بكر رسولاً وبلغها جميع المسلمين
فليس مجاوراً بيبي بيوتاً بما قال النبي مكدينا^٤

-
- ١ الاصابة (٤٤٨/١) ، (رقم ٢٢٧٤) .
 - ٢ الاصابة (١٧٦/١) ، (رقم ٧٧٥) .
 - ٣ الاصابة (١٦٦/١) ، (رقم ٧٢١) .
 - ٤ الاصابة (٧٧/١) وما بعدها (رقم ٢٥٠) ، أسد الغابة (١١٥/١) ، الاستيعاب (٩٤/١) وما بعدها (حاشية على الاصابة) .

ومن شعره :

قف بالديار وقوف حابس وتأن^١ إنك غير آيس
ماذا عليك من الوقوف بهامد الطلّين دارس
لعبت بهن العاصفا ت الراحات من الروامس

وقد أخله الكميت كله غير القافية فقال :

قف بالديار وقوف زائر وتأي^٢ إنك غير صاغر^٣

ومن الشعر المنسوب إليه ، المعروف بخفة رويه ، قوله :

يا تملك^٤ يا تملي صليني وذري علي
ذريني وسلاحي ثم شدي الكف بالغزل
ونبلي وفقساها كعراقيب قطا طحل
ومني نظرة^٥ بعدي ومني نظرة^٦ قبلي
وثوباي جديسدان وأرخى شرك النعل
ولما مت^٧ يا تملي فكوني حرة مثلي

وتروى هذه الأبيات للزند الزماني^٨ .

وشداد بن عارض الجشمي من الشعراء المشهورين ، ذكره (ابن اسحاق)
في المغازي ، ولما سار رسول الله الى الطائف ، قال في ذلك :

لا تنصروا اللات^٩ إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
إن الرسول مئى يتزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر^{١٠}

و (هوزة بن الحرث بن عجرة بن عبدالله بن يقظة) السلمي المعروف
بـ (ابن الحامة) ، وهي أمه ، من الشعراء المخضرمين ، قال لعمر بن الخطاب
لما قدم أناساً عليه في العطاء :

-
- ١ الشعر والشعراء (٤٨٦/٢) ، تهذيب ابن عساكر (١١٣/٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٩/١) ، السمعاني (٥٠٤) .
 - ٣ الاصابة (١٣٩/٢) ، (رقم ٣٨٥٢) .

لقد دار هذا الأمر في غير أهله فأبصر أمين الله كيف تريد
أيدعي خثيم والشريد أماننا ويدعي ربناح قبلنا وطرود
فلن كان هذا في الكتاب فهم اذاً ملوك بني حرّ ونحن عبيد^١

ولمالك بن عامر بن هانيء بن خفاف الأشعري ، قصيدة طويلة يشرح فيها
أحواله ، مذ كان في الجاهلية الى دخوله في الاسلام ، ونحيبه النبي ، ثم اشتراكه
في الفتح كالفادسية ، ثم مساهمته في حرب صفين مع (علي) . وقد ختمها بقوله :

كأن الفتى لم يعيش ليلة اذا صار رمساً على صور
وطول بقاء الفتى فتنة فأطول لعمرك أو أقصر

وقيل انه أول من عبر دجلة يوم المدائن ، وله في ذلك قصيدة رجز^٢ .

ولقصيدة (مالك) الطويلة أهمية خاصة بالنسبة لدارسي الأدب العربي ، لأنها
تتناول ترجمة حياة الشاعر ، وتسجل سيرته بشعر ، وهو نموذج لم يتطرق اليه
شعراء العربية بكثرة .

و (مالك بن عيمر) السلمي من الشعراء المعروفين ، ذكر انه جاء الى النبي
فقال : « يا رسول الله إني امرؤ شاعر ، فافتني في الشعر ؟ فقال : لأن تمتلي ،
ما بين لبك الى عاتقك قبحاً خيراً لك من أن تمتليء شعراً » . ويذكر الخبر أن
قال للرسول : « فامسح غني الخطيئة » ، فسح الرسول يده على رأسه ثم أمره
على كبده ثم على بطنه ، وترك بعد ذلك الشعر^٣ .

ومن المخضرمين (شيبيل بن ورقاء) (شيبيل بن وفاء) من زيد بن كليب
ابن يربوع ، وكان شاعراً مذكوراً جاهلياً ، فأدرك الإسلام وأسلم لإسلام سوء .
وكان لا يصوم رمضان ، فقالت له بنته : ألا تصوم ؟ فقال :

تأمرني بالصوم لا دَرَّ حرها وفي القبر صوم ، يا تبال طويل^٤

١ الاصابة (٥٨٥/٣) ، (رقم ٩٠٥٩) .

٢ الاصابة (٣٢٦/٣) ، (رقم ٧٦٤٢) .

٣ الاصابة (٣٣١/٣) ، (رقم ٧٦٧٢) .

٤ « لا أباك » ، الشعر والشعراء (٦٣٣/١) ، الاشتقاق (١٤٢) .

و (أنس بن مدرك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف) الخثعمي ثم الأكلبي ، والمعروف بـ (أبي سفيان) هو من الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الاسلام . وكان شاعراً وقد رأس ؛ إذ كان سيد خثعم في الجاهلية ، كما كان فارسها . وذكر أنه قتل (السليك بن سلكة) الشاعر المعروف ، وكان قد اعتدى على امرأة من خثعم ، فلحقه وقتله ، فطالب (عبد ملك بن مويك) الخثعمي بدية (السليك) ، وكان (السليك) يعطيه إتاوة من غنيمته على الحيرة ، فأبى (أنس) أن يديه لفجوره ، كما كانت له أخبار مع (دريد بن الصمة) في الجاهلية . وقد عاش طويلاً فزعموا أنه عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة^١ .

وكان (سواد بن قارب) الدوسي من الشعراء ، وكان يتكهن في الجاهلية ثم أسلم . ورووا له أبياتاً فيها إشارة الى (الرثي) والجن^٢ .

١ الاصابة (٨٥/١) ، (رقم ٢٨٠) .

٢ الاستيعاب (١٢٢/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

الفهرست

•	١٤٤.	الإعراب والعربية واللحن
٣٥	١٤٥.	النحو
٦٢	١٤٦.	الشعر
١٢٣	١٤٧.	حدّ الشعر
١٦٩	١٤٨.	القرىض والرجز والقصيد
١٩٢	١٤٩.	العروض
٢١٣	١٥٠.	البصرة والكوفة
٢٢٨	١٥١.	العصية والشعر
٢٥٠	١٥٢.	تدوين الشعر الجاهلي
٢٧٧	١٥٣.	أشهر رواة الشعر
٣٢٨	١٥٤.	تنقيح الشعر والدواوين
٣٥٥	١٥٥.	الشعر المصنوع
٤٠٦	١٥٦.	أولية الشعر الجاهلي
٤٣٩	١٥٧.	أوائل الشعراء
٥٠٦	١٥٨.	المعلقات السبع
٥١٩	١٥٩.	أصحاب المعلقات
٦٠١	١٦٠.	الشعراء الصعاليك
٦٥٤	١٦١.	شعراء القرى العربية

٦٩٤	.	.	.	.	.	.	.	.	.	شعراء قريش .
٧١٩	.	.	.	.	.	.	.	.	.	شعراء يثرب .
٧٥٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	شعراء ثقيف .
٧٦٨	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الشعراء اليهود
٧٩٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	الشعراء النصارى
٨١٩	.	.	.	.	.	.	.	.	.	آراء الشعراء الجاهليين
٨٣٨	.	.	.	.	.	.	.	.	.	شعر المخضرمين

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور جواد عاي

المحضر العائير

انصت
سے
یا رَحُّ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

سأدت جامعة بغداد على نشره

الجزء العاشر

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفهارس

الحمد

نديم مرعشلي

فهرس الاعلام

- الالف -

- اب امر بن حزم (ج ٢) ٣٢٢
 اب امر اصدق (ج ٢) ٤٥٠
 اب انس (ج ٢) ١٥٤ ، ٤٤٣
 (ج ٤) ١٣٧
 (ج ٧) ١٩٣
 اب جل (ج ٣) ١٣١
 اب شيم (ج ٢) ١٨١ - ١٨٢ ، ١٨٤ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٢٣٨
 - ٢٣٩
 اب علي بن شحر (ج ٨) ٥١٤
 اب عم (ابعم) (ج ٢) ١٨١ ، ١٩٤ -
 ٢٣٨ ، ١٩٥
 اب كرب بن جبلة (ج ٣) ٤٨٩ ، ٤٩٢
 اب كرب اسعد (ج ٣) ٣٢٢
 اب ود (ج ٦) ١٦٤ ، ١٦٧
 اب يتيء (اب يتع) (ج ١) ٦٠٠ ، ٦٠١
 اب ينع بن اليفع ريام (ج ٢) ٨٨ ،
 ٩٥ ، ١١٢ - ١١٣
 (ج ٥) ٢٠٣
 اب يدع ينع (ج ٢) ٨٢ ، ٨٦ - ٨٩ ،
 ٩٢ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١٠١ - ١٠٢ ،
 ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ -
 ١٢٧ ، ١٣٦ - ١٣٩
 اب يزع (ج ٢) ١٦٧ - ١٦٨
- اباغ (ج ٣) ٢٢٩
 ابان بن سعيد (ج ٦) حا ٣٨٥
 (ج ٨) ١٢٠ - ١٢١ ، ١٢٧ ،
 ١٢٩
 ابجد (ج ٨) ١٥٩ ، ١٦٤ - ١٦٦
 ابجر بن جابر (ج ٢) ٦٢٠ - ٦٢١
 (ج ٥) ٣٨٦ ، ٤٠٧
 (ج ٦) ٥٩٦ ، ٦٨٦
 (ج ٩) ٦٧١
 ابرام (ج ١) ٤٤٨
 (ج ٣) ٥٠٦
 ابراموس (ج ٤) ١٧٢
 ابراهيم (ج ١) حا ١٩ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
 ٤١ ، ١٩٩ ، ٣١٦ ، ٣٨٢ ، ٣٦٠ ،
 ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ،
 ٤٤٥ - ٤٤٦ ، ٤٤٨ - ٤٤٩ ،
 ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦ -
 ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
 ٥٨٢ ، ٥٩٦
 (ج ٢) ٩٣ ، ١٢٠ ، ٢٦١
 (ج ٣) ١٣ ، ٢١٩ ، ٣٨٣ -
 ٣٨٤ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ ، ٤٧٢
 (ج ٤) حا ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٦ ،
 ٤٢ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٢٣١

- ابراهيم كيلاني (ج) ٤٦١ ح ٣٤١
 (ج) ٨٢٨ ح ٦٢٨
 (ج) ٣٧٢ ح ١٩٦
 ابراهيم مصطفى (ج) ١٩٦ ح ٤٦
 ابراهيم الوصلي (ج) ١٩٦ ح ٦٩
 ابراهيم النجار (ج) ٦٨٣ ح ٤٠٤
 ابراهيم النخعي (ج) ٧٢٨ ح ٤٢٨
 الابرود (ج) ٣٧٧ ح ١٥٠
 ابرش (ج) ٣١٥ ح ١٥٣
 ابرهة (ابرام) (ج) ١٢٣ ح ٤٦ ح ٥٣
 ٧٥ ح ١٧١ ح ٤٧٦
 (ج) ٢٨٣ ح ٤٠٢ ح ٦٣١
 ٦٥٨
 (ج) ٣١٥ ح ٤٠٧ ح ٤١١
 ٤٥٧ ح ٤٥٩ ح ٤٧٣ ح ٤٧٣
 ٤٧٤ ح ٤٨٠ ح ٤٨٨
 ٥٢٥ ح ٥٢٩
 (ج) ٧٨ ح ٨٠ ح ١١٤ ح ١٤٨
 ١٥٠ ح ١٧٢ ح ١٧٣ ح ١٧٥
 ١٨٣ ح ٢٧٨ ح ٤١٨ ح ٤٢٧
 ٤٢٩ ح ٤٤٥ ح ٤٩٣ ح ٥٣٥
 (ج) ١٩٩ ح ٢٠٤ ح ٢٧٦
 ٢٧٨ ح ٣٢٩ ح ٣٤٧
 ٤٠٦ ح ٤٥٤
 (ج) ٣٧ ح ١١٢ ح ١١٥ ح ٢٨٩
 ٦١٩ ح ٦٥٠
 (ج) ٧٣ ح ٢٠٢ ح ٢١٠ ح ٢٨٢
 ٢٨٣ ح ٤٧٠ ح ٥٧٨
 (ج) ٨ ح ٢٠٩ ح ٢٦٤ ح ٢٧٥
 ٤٠٧ ح ٥٥٥ ح ٦٧٦
 (ج) ٣٨٤ ح ٤٩٥
 ابرهة بن شرحبيل (ج) ٢٨٣ ح ٥٨٣
 (ج) ٨٢٣ ح ٤٨٣
 ابرهة بن الصباح (ج) ٢٨٤ ح ٥٨٤
 (ج) ٣٨٣ ح ٤٦٥
 ابرهرد شرادر (ج) ٢٣٢ ح ٢٣٢
 ابرويز كسرى بن هرمز (ج) ٣ ح ٢٦٨
 ٢٦٩ ح ٢٧٢ ح ٢٩٩
 ٣١٢
- ٤٦٣ ح ٥٨٣ ح ٦١٠ ح ٦٥٣
 (ج) ٩٦ ح ١٨٣ ح ١٨٦
 (ج) ٣٦ ح ٣٤ ح ٥٠ ح ٥١
 ٧٧ ح ١٧٢ ح ٨٠ ح ١٩٩
 ٢٠٥ ح ٢١٩ ح ٢٥١ ح ٣٤٦
 ٢٦٥ ح ٣٨٣ ح ٤٠٢ ح ٤٠٤
 ٤٠٥ ح ٤٣٠ ح ٤٣٢ ح ٤٣٥
 ٤٣٦ ح ٤٣٩ ح ٤٤١ ح ٤٤٩
 ٤٥٢ ح ٤٥٤ ح ٤٥٦ ح ٤٥٨
 ٤٦١ ح ٤٧١ ح ٤٧٣ ح ٤٧٥
 ٤٨٤ ح ٤٨٦ ح ٤٩٠ ح ٥٠٠
 ٥٠٤ ح ٥٠٨ ح ٥٠٩ ح ٥١٢
 ٥١٤ ح ٥٣٩ ح ٥٤٤ ح ٥٥١
 ٥٧٣ ح ٦٣٧ ح ٦٧٢ ح ٦٧٥
 ٦٨٢ ح ٦٨٣ ح ٧٠٢ ح ٧٠٤
 (ج) ١٢٤ ح ٣١٥
 (ج) ٨٨ ح ١٠٤ ح ١٧٣ ح ٢٦٦
 ٣١٩ ح ٤٨٢ ح ٥٢١ ح ٧٧٥
 (ج) ١٢٦ ح ٣٩٤ ح ٧٠٢
 ٧٠٣ ح ٧٢٤ ح ٧٢٥ ح ٧٢٨
 ٧٥٣ ح ٧٥٥ ح ٧٦١ ح ٨٤٨
 ابراهيم بن الحارث (ج) ٦٨٣
 ابراهيم بن رسول الله (ج) ٨٢٣
 ابراهيم بن السيد (ج) ٤٩٧ ح ٩٧
 (ج) ٣٥٦ ح ٢٥٦
 ابراهيم بن عباد (ج) ٦٨٣
 ابراهيم بن عبد الملك الخنفرى (ج) ١
 ٤٦٤ ح ٤٦٥
 ابراهيم بن عبدالله (ج) ٢٩٩
 ابراهيم بن عربي (ج) ٣٤٤
 ابراهيم بن عرفة (ج) ٥٧٢
 ابراهيم بن قيس (ج) ٦٨٣
 ابراهيم بن كتيّف (ج) ٦٨٣
 ابراهيم بن الحبابي (ج) ٥٧٢
 ابراهيم بن موسى (ج) ٢١٢
 ابراهيم الاشهلي (ج) ٦٨٣
 ابراهيم السامرائي (ج) ٩٦ ح ٧٧
 ابراهيم شستناوي (ج) ٤٩٨ ح ٤٩٨
 ابراهيم القبطي ابو رافع (ج) ٦٨٣

- الابصر (ج) ٤٢٤
 ابضعة (ج) ١٥٥ (ج) ١٧ ، ١٩٧
 (ج) ١٤١
 ابغال بن القنم (ج) ١٤١
 ابقرات (ج) ٣٢١
 ابكرب بن مكرم (ج) ٣١٨
 ابكرب بن نبط كرب (ج) ٣٠٢
 ابكرب ذو ود (ج) ١٤٣
 ابكرب يشع (ج) ٨٤ - ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٧ - ٣٢٢ ، ٣٢٩
 الابلق الازدي (ج) ٦٢٥
 (ج) ٧٧٣ ، ٧٦٥
 ابليس (ج) ٧٤
 (ج) ١٠٦ ، ٧٩ ، ٣٠ (ج) ٣٠
 (ج) ٦٩ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٦٦٨ ، ٧٣٤ - ٧٣٥
 (ج) ٢٠٠
 ابن أبي اسحاق (ج) ٢٣٦
 ابن أبي اصيبعة (ج) ١٩٧ - ١٩٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٣٨٦
 ابن أبي أوفى (ج) ٩٦
 ابن أبي ثابت (ج) ٢٤٣ ، ٣٩٩
 ابن أبي الحديد (ج) ٤٧٠ (ج) ١ - ٤٧١
 (ج) ٧٢ ، ٧٤ - ٧٥
 ٧٧ - ٧٨ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ٢٠٨
 (ج) ١٣ (ج) ٣٨٤
 ابن أبي الخطاب (ج) ٢٣٣
 ابن أبي داود (ج) ٦٠٨
 ابن أبي الدمينه (ج) ٩٠
 ابن أبي رباح (ج) ٢٠
 ابن أبي رمثة التميمي (ج) ٣٨١ ، ٣٨٦
 ابن أبي سرح (ج) ١٢٤
 ابن أبي سعد (ج) ١٦٢
 ابن أبي شيبة (ج) ٩٦ - ٩٧
 ابن أبي طرفة (ج) ٢٣٥
 ابن أبي طيء (ج) ٧٨١
 ابن أبي عيينة (ج) ١١٥
 ابن أبي قحافة (ج) ٣٣٠
 (ج) ٧٣٩
 ابن أبي كبشة (ج) ٣٩ ، ٨١ ، ١٢٦ (ج) ٧٦٤
 ابن أبي كرب اسعد (ج) ٥٨٠
 ابن أبي كريمة (ج) ٣٩٩
 ابن أبي لهيعة (ج) ٤٥
 ابن أبي ليلى (ج) ٧٣٧
 ابن أبي الملاحف (ج) ٨
 ابن الاثف (ج) ٣٠٦
 ابن الاثير (ج) ٢٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٧٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٤٩ - ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٧٠ ، ٦٠٧ (ج) ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ - ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ - ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ - ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ - ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤١١ ، ٤٤٢ ، ٤٩٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٣ (ج) ٢٨ ، ٤٠ - ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٤

٥٦ ، ٥٨ — ٦٠ ، ٦٤
 — ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٩
 — ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠١
 ١٠٦ ، ١٣٥ ، ١٤٣
 ١٤٥ — ١٤٦ ، ١٤٨ ،
 ١٥١ ، ١٨١ ، ١٩٧
 ٢٠٠ — ٢٠١ ، ٢٠٣ ،
 ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٢٠ —
 ٢٢١ ، ٢٤٣ — ٢٤٤ ،
 ٢٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٧ — ٣٧٨ ، ٣٨٧ ،
 ٣٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ،
 ٤٤٥ ، ٤٥٤ ، ٤٨٦ —
 ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ —
 ٤٩٤ ، ٤٩٦ — ٤٩٧ ،
 ٦٨٥
 (ج) ١٧ ، ٧٤ — ٧٥ ،
 ١٧٤ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ،
 ٢٠٣ ، ٢٥٠ ، ٣٢٦ ،
 ٣٤٦ — ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ —
 ٣٦٢ ، ٣٦٥ — ٣٧١ ،
 ٣٧٣ — ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،
 ٣٨٥ ، ٤٣٦ — ٤٣٧ ،
 ٤٤٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤ ،
 ٥٦٣ ، ٧١ ، ١٣٠ ،
 ١٩٣ ، ٢٥١ ، ٣٦٢ ،
 ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ،
 ٥٠٢ ، ٥١٧ ، ٥١٩ —
 ٥٢١ ، ٥٢٣ — ٥٢٤ ،
 ٥٢٩ ، ٦٠٨ ، ٦٤٣ —
 ٦٤٤ ، ٦٥٣ ، ٦٦٠ ،
 ٦٦٩ ، ٧٠٤ ، ٧٥٩ ،
 ٧٦٥
 (ج) ٣١٨ ، ٣٧٨ ،
 ٤٩٦ ، ٥٠٤ ،
 (ج) ٨٩ ، ١١٦ ،
 ٣٥٩ ، ٣٩٣ ، ٥٠٤ ،
 ٥٧٤

- ابن أم أناس (ج ٣) ٣٤٧
 ابن أم دواد (ج ٩) ٤٧٥
 ابن أم قطام (ج ٣) ٣٥٢
 ابن الأنسر زعر (ابن الأنسر)
 (ج ٤) ٢٣١
 ابن براى (ج ٦) ٥٩٧
 ابن بري (ج ٤) ٥١٢
 (ج ٦) ٦٨٦
 (ج ٧) ٥٩٤
 ابن بطوطة (ج ١) ٢٨
 ابن بقللة (ج ١) ٢٨٨
 (ج ٢) ٦٤٩
 (ج ٩) ٦٨٢ - ٦٨٤
 ابن بليهد (ج ٤) ٢١١ - ٢١٢
 ابن بيض (ج ١) ٣٠٩ ، ٣٢١
 ابن جوبة (ج ٩) ٢٦
 ابن جابر بن عقيل (ج ٥) ٦٤٥
 ابن جدمان بن عمرو (ج ٦) ٧٣٦
 (ج ٩) ٧٦٣
 ابن جريج (ج ١) ٢٣٤
 (ج ٣) ٣٧٠
 (ج ٤) ٥٨
 (ج ٥) ١١٥
 (ج ٦) ٤١٩ - ٤٢٠
 ابن الجزري (ج ٨) ١٨٦ ، ٦١٢
 ابن جفنة (ج ٣) ٢٠١ ، ٤٤٢
 (ج ٤) ٩٢
 (ج ٥) ٣٢٠
 ابن الجلاح (ج ٤) ٢٣٩
 ابن جلجل (ج ٨) ١٩٧ - ١٩٩ ،
 ٣٨٢ ، ٣٨٦
 ابن جني (ج ١) ٧٠ ، ٧٦ ،
 ٣٩٨
 (ج ٨) ٥٦٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣٠
 ٦٩٠ ، ٦٤٥
 (ج ٩) ١٩ ، ٥٨ ، ٨٩
 ١٧٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠
 ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩
 ابن الجهم (ج ١) ٧٨
- ابن الجواني (ج ٤) ٤٢١ ، ٤٢١
 ٤٤٧ ، ٤٣٠
 ابن الجوزي (ج ٨) ٤٨١ ، ٦٩٨
 (ج ٩) ٢٧٢
 ابن الحائك (ج ١) ٩٠
 ابن حاجب النعمان (ج ٩) ٣٦٥
 ابن حام (ج ١) ٢٣٦
 ابن الحباب (ج ٢) ١٧٣
 ابن حبل (ج ٢) ٥٦٤
 ابن حجة الحموي (ج ٩) ٣١٠
 ابن حجر (ج ٣) ٣٢٧
 (ج ٤) ٤٢١
 (ج ٦) ٤٦٩ ، ٥٠٢
 (ج ٨) ٣٨٢ ، ٧١١ ، ٧١٦
 (ج ٩) ٣٢٧ ، ٤٤٩ ، ٤٧١ ، ٧٢٥
 ٨٦٩ ، ٧٨١
 ابن الحدادية (ج ٤) ١٥
 ابن الحدرجان (ج ٣) ٣٩٥ ،
 (ج ٤) ٢٣٥
 ابن حزام (حمام) (ج ٨) ٣٨٦
 (ج ٩) ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٩
 ابن حزم (ج ١) ٣٦٥ ، ٣٧٧ ،
 ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦
 - ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٥١٢ ، ٥١٧
 (ج ٢) ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ٥١٢
 (ج ٣) ٢٧٥ ، ٣١٥ ، ٣٢٥
 ، ٣٣٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٤
 ، ٣٦٤ ، ٣٦٤
 (ج ٤) ٧٤ ، ٩٢ ، ٩٢
 ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٥
 ، ٢٥٢ ، ٣٢٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩
 - ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧
 ، ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٠
 ، ٤٧٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٥٢٦
 (ج ٥) ٥٦٨ ، ٦٠٢
 (ج ٧) ٣٨٣ ، ٥٢٦

ابن شماسة المهري ، (ج) ١٠٩
 ابن شمر (ج) ٥٠٦
 ابن شهاب الزهري (ج) ٢٨٦ ،
 ٣٠٨
 ابن شهران (ج) ١١٩
 ابن الشيباني (ج) ٣٦٩
 ابن صاعد (ج) ٤٥٠ ،
 (ج) ٢٨٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦
 ابن صرمة الانصاري (ج) ٧٥٦
 ابن صعتر الطائي (ج) ٦٤٧
 ابن صفوان (ج) ٢٨٦
 ابن صلوبا السوادي (ج) ٢٣١
 ابن الصياد (ج) ٧٦٥ ، ٧٦٨
 ابن ضبة (ج) ٣٢٣
 ابن ضميرة (ج) ٣٦١
 ابن الطرامة (ج) ٧٦
 ابن الطوسم (ج) ٢٨٢
 ابن عاد (ج) ٤٩٠
 ابن عامر (ج) ٧٦٦
 (ج) ٣٤٣
 (ج) ٥١٢
 ابن عباد (ج) ٥٧١
 ابن عباس (ج) ٦٧ - ٦٨ ، ٨٨ ،
 ١١٣ ، ١٢٠ ، ٤٣٨ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٤
 (ج) ١٣
 (ج) ٢٥ ، ٣٨٦
 (ج) ٧٤ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٢٧ ،
 ١٣٨ ، ٢٥٩ ، ٥٣٥ ، ٥٥١ ،
 ٦٢٢
 (ج) ٣٧٤ ، ٤٥٢ ، ٤٨٦ ،
 ٥٠٤ ، ٥٣٤ ، ٥٥١ ، ٥٦١ ،
 ٧٠٧ ، ٧٢١ ، ٧٥٢ ، ٧٨٣ ،
 ٧٩٢
 (ج) ٣٨٥ ، ٤٠٤ ، ٤٢٨ -
 ٤٢٩ ، ٦٠٩
 (ج) ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨٦ ،
 ٢٦٤ ، ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٨١

ابن زرارعة (ج) ٥٢٨
 ابن زياطة (ج) ٤٢٧
 ابن زيد (ج) ٤٢٧
 ابن سريج (ج) ٧١٣
 ابن سعود (ج) ٢٨٢
 ابن سعيد (ج) ٤١١
 ابن سفة الفهري (ج) ٣٢
 ابن السكيت (ج) ١٦١
 (ج) ٣٤٧ ، ٣٦٥
 (ج) ٢٦٩ ،
 (ج) ٦٧٤
 (ج) ٥٥٨
 (ج) ٢٩٦ ، ٣٥٢ - ٣٥١ ،
 ٥٧٣ ، ٦٣٦ ، ٧٧٥ ،
 ٨٠٥
 ابن سلامة (ج) ١٣٦
 ابن سلمى (ج) ٢٧٩ - ٢٨٠
 ابن سويد (ج) ٥٦٦
 ابن سيار (ج) ٤٢٤
 ابن سيد عامر (ج) ٣٥٠
 ابن سيد الناس (ج) ٣٧٩
 (ج) ٢٣٤
 (ج) ٣٤٨
 (ج) ١٣١
 (ج) ٧٥٠
 ابن سيدة (ج) ٣٠٢
 (ج) ١٤٩ ، ٥٩٠ ، ٦٨٥
 (ج) ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٦٨٥
 (ج) ٤٥٥ ، ٥٧٥ ، ٦٢٤
 ابن سيرين (محمد) (ج) ٦٨ - ٦٩
 (ج) ٧٨٥
 (ج) ٣٩٦ ، ٤٦٥ - ٤٦٦
 (ج) ٢٩٧ ، ٣١١
 (ج) ٣٠٨ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ،
 ٧٤٦ - ٧٤٧
 ابن الشجري (ج) ٨٦
 (ج) ٢٤٦ ، ٤٨٤ ، ٦٤٠ ،
 ٧٢١ ، ٨٠٣

٦٠٢ (ج٨)
(ج٩) ٧٧٩
ابن عطية (ج٨) ٩٨ ، ٦٠٤
ابن عمار عمرو بن عمار الطائي (ج٨)
٧٧٨

ابن عمر (ج٤) ٦٦٦
(ج٥) ٥١١
(ج٧) ٥٤١ ، ٦٠٣
(ج٨) ١٠٤
(ج٩) ٥٣

ابن عمرو بن علقمة (ج٩) ٨٥٣
ابن عوف (ج١) ٦٩
(ج٩) ٣٤٢
ابن الفز (ج٤) ٥٧٨ ، ٦٣٢
ابن فارس (ج٤) ٥٢٨
(ج٥) ١٣٧ ، ٣٠٢
(ج٦) ١٢١ ، ٨١٥ -
٨١٦

(ج٨) ١٢٩ ، ١٥٤ ، ٥٥٧
٥٦٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٨٥ ،
٦٥٣
(ج٩) ٦ ، ٧ ، ١٦ ،
٢٦ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٨
١٩٦

ابن فذكي المقرئ (ج٥) ٣٦٩
ابن الفريفة (ج٩) ٧٥ ، ٤٤١
ابن الفقيه (ج٣) ١٥٥
(ج٦) ٣٥٧ ، ٣٦٣ ،
٣٦٥ - ٣٦٦
(ج٩) ٢١٤

ابن قتيبة الدينوري (ج١) ٧٨ ،
٢٦٤ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ ،
٣٣٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩
(ج٢) ٢٥٥ ، ٥٩٢
(ج٣) ١٧٩ ، ٢٣١ -
٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ،
٢٤٧ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ،
٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩
٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٦

٢٠٢ ، ٥٠٠ ، ٥٣٧ ، ٥٩٦
- ٥٩٧ ، ٦٠٠ - ٦٠١ ، ٦٠٤ ،
٦١١ ، ٦١٧ ، ٦٢٢ ، ٦٥٤ ،
٦٦٣ - ٦٦٥ ، ٦٩٧ - ٦٩٨
٧٣٥

(ج٩) ٥٢ - ٥٣ ، ٦٥ - ٦٦
٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٩ ، ٣٢١ ،
٣٤٠ - ٣٩٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤١ -
٣٩٣ ، ٥٤٣ - ٥٤٤ ، ٥٨٧ ،
٧٤١

ابن عبد البر (ج١) ٣٧٦
(ج٦) ٣٦٤
(ج٨) ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦١١
(ج٩) ٥٤٧ ، ٧٧٢
ابن عبد الجن (ج٦) ٦٤٨
ابن عبد ربه (ج٣) ٤٢٦ ، ٤٣٣

(ج٤) ١٦٤
(ج٩) ٥١٣
ابن عبدون (ج٢) ٥٩٤
ابن العبري (ج١) ٦١١

(ج٢) ٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٣٤
(ج٣) ١٥٧ ، ١٧٠ ، ٦٣٤
٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٨ -
٢٥٩ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ، ٤١٧
(ج٤) ٢٧١
(ج٦) ٤٥٤ ، ٦٨١
(ج٧) ٢٩٦
(ج٨) ٣٨٢

ابن عدس بن زيد (ج٥) ٣٧٣
ابن العربي (ج٤) ٩٠
(ج٥) ٨٣ ،
(ج٦) ٣٦٩
ابن عروة (ج٩) ٣٠٧
ابن عزرا (ج١) ٦٣٢
ابن مساكر (ج٤) ٩٩ ، ١٠٣
٢٣٧ - ٢٣٦ ، ٢٠٨ ،
(ج٦) ٢٢٠ ، ٥٢٤ ،
٦٧٩

٥٧١ ، ٥٨٩ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
 ٦٣٩ ، ٦٤٦ ، ٦٦٢ ، ٦٨٨
 ٦٩٠ ، ٦٩٢ ، ٧٥٣ ، ٧٦٤
 ٧٦٦ ، ٧٧٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩
 ٨٢٩ ، ٨٥٧ ، ٨٥٩ ، ٨٦٢
 ٨٦٦ ، ٨٩٢

ابن قدامة (ج) ٥٥٢
 ابن قرة (ج) ٣٢٥
 ابن قردس (ج) ٢٦٥
 ابن القرية (ج) ٢٤
 ابن قسطنطين (ج) ٥١ ، ٢١٦
 ابن قعين (ج) ٣٩٦
 ابن القفطي (ج) ٩٠ ، ١٧٠
 (ج) ١٦٩ ، ١٧٠
 (ج) ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٢
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦
 (ج) ٧٧٧
 ابن قمينة (ج) ٢٨٢
 ابن قيس الرقيات (ج) ٩٤
 (ج) ٢٠٢
 ابن قيم الجوزية (ج) ٦١٤
 (ج) ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٤٤
 ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥١
 ١٥٦ ، ١٥٦ ، ١٥٦
 (ج) ١١٨
 (ج) ٨
 ابن كبة (ج) ٢٨٧
 ابن كثير (ج) ٣١٠ ، ٣١٧
 ٣٢٠ ، ٣٢٤
 (ج) ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٩٣
 (ج) ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٧
 (ج) ٢٤ ، ٥٣ ، ٥٥
 ٥٦ ، ٦٠ ، ٧٤
 ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٦
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤
 (ج) ٩١ ، ٩٦

٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٨
 ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
 ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٦
 ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠
 ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨
 ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٤
 ٤٥٨ ، ٥٠٥ ، ٥٢٩
 (ج) ٣٩ ، ٩٤ ، ١١٧
 ١٢٦ ، ١٤٥ ، ٢١٢
 ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٥٨
 ٣٥٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦
 ٤٤٣ ، ٤٩٢ ، ٥٢٦
 ٦٢١ ، ٦٦٠
 (ج) ١٢٧ ، ٢٠٨ ، ٢٩١
 (ج) ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٧٤
 ٣٦٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠
 ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٥٩٠
 ٦١٦ ، ٦٥٤ ، ٦٦٤
 ٦٧٣ ، ٦٨٠ ، ٨٠٢
 ٨٢٢
 (ج) ١١٤ ، ١١٧ ، ١٤١
 ٣٣٤ ، ٣٠٤ ، ٥١٩
 ٦٠٣ ، ٦١١ ، ٦٢٣
 ٦٦٣
 (ج) ٩ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٧٢
 ٧٧ ، ١٦٥ ، ١٩٤ ، ٢٣٣
 ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٣٣
 ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣
 ٣٥٧ ، ٣٧١ ، ٤٠٢ ، ٤٢٣
 ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦
 ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣
 ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥
 ٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨
 ٥٢٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧
 ٥٤١ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٦٧

٤٢٥ ، ح ٤٣٢ - ٤٣٣ ،
 ح ٤٣٧ - ٤٣٩ ، ح ٤٤٦
 ح ٤٦٤ ، ح ٤٦٨ - ٤٦٩ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٥ - ٤٧٩ ، ٤٩٤
 ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٧. - ٥٧٢
 ٦٥٩ ، ٦٨٤
 (ج ٥) ٣٩٤ - ٣٩٥ ،
 ٥١٧

(ج ٦) ١٢ - ١٣ ، ٦٦ ، ٦٧
 ٧٥ - ٧٦ ، ٧٨ ، ١١٣ ،
 ١٤١ - ١٤٢ ، ح ٢١٧ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥
 - ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٥٤
 - ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٥
 - ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
 - ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ح
 ٢٨٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ - ٤١٧
 ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٥٠٤ ، ٥٦٧
 ٦١٦ ، ٦٨٢ - ٦٨٣ ، ٧١٠
 ٨١٦

(ج ٧) ١٢٧ ، ٣٥١ ، ٥٥٦
 (ج ٨) ١٠٨ ، ١٥٦ - ١٥٧ ،
 ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٣٢١ ،
 ٣٦٢ ، ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ٣٨٥ ،
 ٤٩٨ ، ٥٢٠ ، ٥٩٦ ، ٦٠٠ -
 ٦٠١ ، ٧٤٤ ، ٧٦٢ ، ٧٨٢
 (ج ٩) ٦٧ ، ١١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣
 - ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ح ٥٠٢ ،
 ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٩ ،
 ٥٣٣ ، ٥٥٨ ، ٧٥٣ ، ٨٨٠

ابن كناسة (ج ٩) ٣٢٠
 ابن الكوفي (ج ٨) ١٦٢
 ابن كيسان (ج ٩) ٥٠٧
 ابن لبون (ج ٥) ٣١٠ ، ٣٦٠
 ابن اللثبية (ج ٧) ٤٤٤
 ابن لسان الحمرة (ج ٨) ٣٣٢ ، ٧٨٢
 ابن لهيعة (ج ١) ١٠٣
 ابن ماجه (ج ٨) ٩٧

(ج ٦) ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ح
 ٢٦٩ ، ح ٢٨٩ ، ح ٣٨١ ،
 ٤٤٧ ، ح ٤٦٤ ، ح ٤٨٠ ،
 ح ٥٠١

(ج ٧) ٢٩٥ ، ح ٣٨٢
 (ج ٨) ١٠٤ ، ٢٨٣ ، ح ٤٦١
 ح ٤٦٦ ، ح ٤٧٤ ، ح
 ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ح ٥٠٤ ، ح
 ٥٩٦ - ٦٠٠ ، ح ٦٠٢ ،
 ٦٠٤ ، ح ٦٠٦ - ٦٠٧ ،
 ح ٦٥٣ ، ح ٦٧٢ ، ح
 ٧٥٩

(ج ٩) ح ١٣٨ ، ح ٢٩٦ ،
 ٧٠٨ ، ح ٨٢٨ ، ٥٠٠
 ابن الكلبي (ج ١) ح ١٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
 ٨٧ - ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٦
 ١٢٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ - ٣٥١
 ٣٥٣ ، ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٣٧٨
 ٣٧٩ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ،
 ٤٣٢ ، ٤٦٢ ، ٥٠٩ ، ٥٤٨ ،
 ٦٥٢

(ج ٢) ١١٥ ، ١٣٠ ، ٣٥٤ ،
 ٤٢١ ، ٥٦٩ ، ٦١٥ - ٦١٧ ،
 ٦١٩ ، ٦٣٩ ، ٦٤٦
 (ج ٣) ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ،
 ١٦١ - ١٦٣ ، ١٦٧ - ١٦٨ ،
 ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
 ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ -
 ٢١٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٩١
 ٣٠٤ ، ٣٠٦ - ٣٠٨ ، ٣١٢ ،
 ٣١٨ - ٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣٥ - ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦
 ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ -
 ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٧١
 ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٥١٢
 (ج ٤) ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٨ ،
 ١٠٦ ، ح ١٤٤ - ١٤٥ ،
 ٢٧٥ ، ٣١٨ ، ح ٣٧٩ ،
 ح ٤١٥ ، ح ٤٢٢ ، ح

- ابن مارية (ج ٣) ٤٣٧
 (ج ٩) ٧٣٥
 ابن مالك (ج ٨) ٦١٧
 ابن المجاور (ج ٢) ٣٩٩
 (ج ٧) ٥٨ ، ١١٩ ، ١٢٢
 ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٨٢ ،
 ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٥١٧ -
 ٥١٩ ، ٥٣٨ - ٥٣٩
 (ج ٨) ٦١
 ابن الجندر (ج ٥) ٤٦٣
 ابن محر (ج ٢) ٥٦٣
 ابن المخيط (ج ٥) ٣٧٦
 ابن المرتفع (ج ٧) ٣٦٠
 ابن المزوق (ج ٦) ٥٩٩
 ابن مزيعيا (ج ٥) ٣٧٩
 ابن مسعود (ج ٥) ٣١٧ ، ٥٥٠
 (ج ٧) ٣٦٦
 (ج ٨) ١٢٤ ، ١٨٦ ، ٥٦٩ ،
 ٥٧٢ ، ٥٩٦ - ٥٩٧ ، ٥٩٩
 ٦٠٢ - ٦٠٣ ، ٦١٧ - ٦١٩ ،
 ٦٢٢ ، ٦٦٨ ، ٧٣٥ ، ٧٦١
 (ج ٩) ٣٠
 ابن المسيب (ج ٤) ٤٨٣
 (ج ٩) ٣٤٣
 ابن المعتز (ج ٩) ٢٣٣
 ابن معيز (ج ٨) ٧٦١
 ابن معين (ج ٨) ٦٠١
 ابن مففل (ج ٥) ١٦٨
 ابن مقبل (ج ١) ٢٤٣ ،
 (ج ٥) ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٥٥ ،
 (ج ٦) ٦٤٩
 (ج ٩) ٩٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ،
 ٢٧١ ، ٣١١ ، ٣٣٠
 ابن المقفع (ج ١) ١٨ ، ٧٨
 (ج ٩) ١٩٤ ، ٣٢٢
 ابن المكرم (ج ٤) ١٤٩
 ابن الملك (ج ٣) ٤٨٨ - ٤٨٩
 ابن المنبوش (ج ٦) ٨٣
 ابن مناذر (ج ٩) ٣٢٦
- ابن مندلة (ج ٩) ٥٢٨
 ابن منظور (ج ٩) ٢٧٥
 ابن منية (ج ٨) ٩٧
 ابن النابغة الهذلي (ج ٨) ٧٣٩
 ابن نباتة (ج ٣) ٣٦٠
 (ج ٩) ٥٢٠
 ابن النديم (ج ١) ٧٧ ، ٨٩ ، ١١٤ ،
 ١١٥ ، ٤٥١ ، ٤٦٩
 (ج ٣) ٢٩١ ، ١٥٩
 (ج ٤) ٢٧٧ ، ٦٨٤
 (ج ٥) ٣٤٢ ، ٣٩٤ ،
 ٥١٧
 (ج ٨) ١١٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،
 ١٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٦٠ ، ٣١١ ،
 ٣٣٤ ، ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ٣٧٩ ،
 ٥٤٧ ، ٥٥٧ - ٥٥٨ ،
 ٥٦٥ ، ٧٦٢ ، ٧٨٢
 (ج ٩) ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٢٠٢ ،
 ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ -
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ - ٣٠٨ ، ٣٢٦ ،
 ٣٤٤ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٤٩ -
 ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٧٧٥ ، ٧٧٧ ،
 ٨٨٩
 ابن نصر (ج ٣) ١٧٧
 ابن النطاح (ج ٨) ٧٨٢
 ابن النقيب (ج ٨) ٦٩٨
 ابن نوح (ج ٩) ٢٦١ ، ٣٦٠
 ابن هاشم (ج ٩) ٥٨٣
 ابن الهذيل الاسدي (ج ٩) ٦٩
 ابن هرمة (ج ٤) ٣٥٩
 (ج ٩) ٣٥٦
 ابن هشام (ج ١) ٨٣ ، ٨٥ - ٨٦ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ،
 ٣٧٥ - ٣٧٦ ، ٣٧٩ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٢١ ،
 ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٩٠ ،
 (ج ٢) ٥٩٣

حا ٣٦١ ، حا ٤٤٦ - ٤٤٧ ،
حا ٤٥١ ، حا ٥٩٧

(ج٨) حا ٨٩ ، حا ١١١ ،
حا ١١٦ ، حا ١٣٥ ، حا ١٤١ ،
حا ٢٦٦ ، حا ٢٧٥ ، حا ٢٩٥ -
حا ٢٩٦ ، حا ٣٤٢ ، حا ٣٧٧ ،
حا ٣٨٤ - ٣٨٥ ، حا ٤٥٨ ،
حا ٤٦٠ ، حا ٤٨٣ ، حا ٥٠٤ ،
حا ٦٥٧ ، حا ٦٦٥ ، حا ٦٧١ ،
حا ٦٨٤ ، حا ٧٤٤ - ٧٤٥ ، حا
٧٦٥

(ج٩) حا ٧٨ ، حا ٨٠ ، حا ١٥٣ - ١٥٤ ،
حا ٢٨٥ - ٢٨٦ ، حا ٣٩٦ ، حا ٤٠٨ ،
حا ٤٠٩ ، حا ٤١٢ ، حا ٤١٧ ، حا ٤١٩ ،
حا ٤٩٢ ، حا ٤٩٩ - ٥٠٠ ،
حا ٥١٤ ، حا ٥٤٥ ، حا ٥٥٢ ، حا ٥٥٣ ،
حا ٦٧٩ ، حا ٦٩٦ - ٦٩٨ ، حا ٧٠٧ ،
حا ٧٠٩ ، حا ٧١٢ ، حا ٧١٤ - ٧١٥ ،
حا ٧٢٣ - ٧٢٤ ، حا ٧٤٣ ، حا ٧٤٩ -
حا ٧٥٠ ، حا ٧٥٤ ، حا ٧٥٩ - ٧٦٠ ،
حا ٧٨٢ ، حا ٧٨٤ - ٧٨٥ ، حا ٧٨٧ ،
حا ٧٨٨ ، حا ٨٢٢ ، حا ٨٤٧ ، حا ٨٦١ ،
٨٩٩

ابن الهيبان (ج٨) ٧٤٥
ابن واصل (ج٣) حا ٣٦٠
ابن الوردي (ج٤) حا ٤٤٦ ، حا ٥٥٥
حا ٤٥٧ - ٤٥٨

ابن وضاح (ج٦) ٥٩٧
ابن وهب (ج٤) حا ٧
ابنة الخس (ج٨) ٧٣٨
(ج٩) ٣٩٨ - ٣٩٩
ابنة النضر (ج٥) ٥٧٩
أبو أناية القرظي (ج٩) ٧٨٩
أبو أحمد بن جحش ، (ج١) ١١١
(ج٩) ٧٠٨

أبو أحمد الحسن بن عبد الله
السكري (ج٨) حا ٧٦٧
أبو أحيحة (ج٤) ٨٥ ، حا ٩١ ، حا ١٠٨ ،
١١٤ ، حا ١٠٩

(ج٣) حا ٢٣٦ ، حا ٢٨٢ ، حا ٢٢٣ ،
حا ٥٠٠ ، حا ٥١٠ ، حا ٥١٦ ، حا ٥٣٣ ،
٥٣٤

(ج٤) حا ٧ ، حا ١١ ، حا ٤٥ ،
حا ٥٧ ، حا ٦٠ ، حا ٧٣ ، حا
٩٩ - ١٠٠ ، حا ١٠٦ ، حا ١٠٧ ،
حا ١١٠ ، حا ١٢١ - ١٢٢ ، حا
١٣٥ ، حا ١٤٠ ، حا ٢٣٤ ،
حا ٢٣٦ ، حا ٢٥١ ، حا ٢٦٢ ،
حا ٢٧٧ - ٢٧٩ ، حا ٢٩٧ ،
حا ٤١٥ ، حا ٤٤٣ ، حا ٤٦٤ ،
حا ٦٣٦ ، حا ٦٥٦

(ج٥) حا ٨٤ ، حا ٣١٠ ، حا
حا ٣٦١ ، حا ٤٥٧ - ٤٥٩ ، حا
حا ٥٢٠ ، حا ٥٦١ ، حا ٥٩٣ ،
حا ٦٤٤ ، حا ٦٤٨ ، حا ٦٥٣ ،
(ج٦) حا ٦٦ ، حا ٧٧ - ٧٨ ،
حا ٨٠ ، حا ١٢٦ - ١٢٧ ، حا
حا ١٩٥ ، حا ٢٠٣ ، حا ٢٠٥ ،
حا ٢٣٤ ، حا ٢٤٢ ، حا ٢٤٦ ،
حا ٢٤٩ ، حا ٢٥١ ، حا
حا ٢٥٥ ، حا ٢٦٣ - ٢٦٤ ،
حا ٢٦٦ ، حا ٢٦٩ - ٢٧٤

حا ٢٨٤ ، حا ٢٨٧ ، حا ٣٥٢ ، حا
حا ٣٥٧ ، حا ٣٦٢ - ٣٦٣ ،
حا ٣٨٢ ، حا ٣٨٤ - ٣٨٥ ،
حا ٣٨٧ ، حا ٣٨٨ ، حا ٤٠٢ ،
حا ٤٠٥ ، حا ٤٠٨ ، حا ٤٢٢ ،
حا ٤٦٩ - ٤٧١ ، حا ٤٧٥ -
حا ٤٧٩ ، حا ٤٨٥ ، حا ٤٨٨ ،
حا ٥٠١ - ٥٠٢ ، حا ٥٠٥ ،
حا ٥١٧ ، حا ٥٢٣ ، حا ٥٣٣ -
حا ٥٣٤ ، حا ٥٣٦ - ٥٣٧ ، حا
حا ٥٤٤ ، حا ٥٤٦ - ٥٤٨ ، حا
حا ٥٥٣ ، حا ٥٦٢ ، حا ٥٨١ ،
حا ٦٠٤ - ٦٠٨ ، حا ٦١٧ ،
حا ٦٥٢ ، حا ٦٨٣ ،
(ج٧) حا ٢٩٢ ، حا ٣٤٠ ،
حا ٣٥٣ - ٣٥٤ ، حا ٣٥٦ ،

- (ج) ١٩٣ (٧)
 (ج) ٥٩٧ (٨)
 أبو أيوب المديني (ج) ٣٢١
 أبو باهلة (ج) ٤٠٤
 أبو بجاد (ج) ٨٠٢
 أبو بجير (ج) ٣٦٩
 أبو بحر سفيان بن العاصي (ج) ٤٠٨
 أبو البخثري (ج) ١١٤ ، ٣٥٣
 (ج) ٢٨
 أبو براء بن مالك بن جعفر (ج) ٦٧٣
 أبو البراء عامر (ج) ٢٨٣
 (ج) ٨٤ ، ٢٥٦ ، ٤٢٧ ، ٦٥١
 (ج) ١١٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٤٤٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠
 أبو بردة (ج) ٣٢٢ ، ٣٢٢
 أبو برزة الأسلمي (ج) ٢٩
 (ج) ٧٦٨
 (ج) ٧١٥
 أبو بشر متى (ج) ٢٠٢
 أبو بصير (ج) ٩٣ ، ١٢٧
 (ج) ٢٩٩
 (ج) ٨٨ ، ٧٥
 أبو بطن (ج) ٣٦٢
 أبو بكر بن دريد (ج) ٦٤٠
 أبو بكر بن كلاب (ج) ٤٠٦
 (ج) ٢٣٠
 (ج) ٥٧٢ ، ٦٨٣
 أبو بكر أحمد بن محمد الجراح
 (ج) ٣٠١
 أبو بكر الأنباري (ج) ٦٨ ، ٨٧
 (ج) ١٥٩ ، ٢٤٢ ، ٣٦٥ ، ٢٤٤ - ٢٤٥
 (ج) ٣٦٨ ، ٣٦٦
 (ج) ٣٥٧
 (ج) ٥٥٧ - ٥٥٨
- (ج) ٢٧ ، ١٦٩ ، ٥٣٠ ، ٦٢٣
 (ج) ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٤٧٧
 (ج) ٢٨١
 أبو أريخا (ج) ٦٥٨
 أبو الأزهر (ج) ٧٣٧
 أبو أزيهر بن أنيس الدوسي (ج) ٥٠٦
 أبو أسامة (ج) ٣٨٦
 أبو إسحاق إبراهيم (ج) ٦٨٥
 (ج) ٥١١
 (ج) ٣٦٠
 أبو إسحاق الشيرازي (ج) ٣٦٩
 أبو أسلم (ج) ٣٦٧
 أبو الأسود الدؤلي (ج) ٢٩٩
 (ج) ٦٩٣
 (ج) ١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٢ ، ٦٠١
 (ج) ٧ - ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٥ - ٥٤ ، ١٩٥ - ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢٩٧ ، ٧٥١ ، ٨٥٤
 أبو الأعور سعيد (ج) ٨٨٦
 أبو الأعور السلمي (ج) ٢٥٣
 أبو أمانة الباهلي (ج) ٢٦
 (ج) ٧٤٦
 (ج) ٣٦٥
 أبو أمريء القيس (ج) ٣٣١
 أبو أمية (ج) ٧١٩
 أبو أمية بن المغيرة (ج) ٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ -
 (ج) ٨٤ ، ٣٨
 (ج) ٧٠٠
 أبو أياس النصري (ج) ٦٧٥ ، ٨٠٤
 أبو أيلاف بن حيو (ج) ٢٥١ ، ٢٥٦
 أبو أيوب خالد بن زيد (ج) ٥٧٠
 (ج) ١٣٧
 (ج) ١٧

٥٣٩ ، ٢٣٧ ، ٣٤٤ ، ٢٧٨ -
٨٥٧ ، ٧٥١ ، ٧٣٨ ، ٥٥١
٨٦١ ، ٨٧٧ ، ٨٨٣ ، ٨٩٧ ،
٩٠٥

أبو بكر الصولي (ج ١) حا ١١٣
أبو بكر العبدي (ج ٩) ٢٠١
أبو بكر الواسطي (ج ٨) حا ٦٠٩
أبو بكرة (ج ٨) ٥٩٦ - ٥٩٧
أبو البلاد (ج ٩) ٢٢١
أبو بوت (ج ٢) ٤٦٨
أبو البيداء الرباحي (ج ٩) ٢٩٥
أبو تمام (ج ٣) حا ١٥٥ ، حا ٢٨٣
(ج ٥) حا ٣٥٦
(ج ٦) ٥٧٠
(ج ٩) ١٤٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ،
٦٤٥ - ٦٤٦
أبو نعلبة الخسني (ج ٤) ١٩٤
أبو ثور (ج ٤) ١٨٦
أبو جابر (ج ٣) ٤٢٤
أبو جبر (ج ٣) ٤٩٥ ، ٤٩٧ - ٤٩٩
(ج ٨) ١١٧ ، ٢٨٣
أبو جبيلة الفساني (ج ٣) ٤٤٢
(ج ٤) ١٣٤ - ١٣٦
(ج ٦) ٥١٩ - ٥٢١
(ج ٩) ٧٩١
أبو جحيفة (ج ٨) ٣٢٧
أبو الجدعاء (ج ٥) ٣٦٩
أبو جراب (ج ٧) ٢٠٨
أبو الجراح (ج ٩) ٢٢٢
أبو جعفر بن حبيب النسابة (ج ٤)
٤١٩
أبو جعفر أحمد بن محمد (ج ٩)
٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥١٣ ،
٥٩٥
أبو جعفر الرؤاسي (ج ٩) ٢١٧
أبو جعفر محمد (ج ٥) حا ٥٥١
(ج ٩) ٣٠٢
أبو جعفر المنصور (ج ٣) ٢٠٦ ، ٢٨٧ ،
٥٠٢

(ج ٩) حا ٣٥ - ٣٦ ، ٣٨ -
٣٩ ، ٤١ - ٤٢ ، ٤٥ ، حا
(٥٣ - ٥٤ ، ٥٦) ، ١٩٤ ، ٥٨ ،
٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ،
٣٠٤ - ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ ،
٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ،
٥٠٧ ، ٧٧٧
أبو بكر الصديق (ج ١) ١١٢ ، ٢٨١
٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٥
(ج ٣) ١٨٣ ، ٥٢٨
(ج ٤) ٣٣ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٣ ،
٩٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤١ ،
١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،
١٩٤ ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢١٧ ،
٢٢٣ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٤٤ ،
٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ،
٢٦٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٧ ، ٤٨١ ،
٥٠٢ ، ٥١٧ ، حا ٥٦٧
(ج ٥) ١٨٦ ، ٢٤٨ ، ٣٩١ ،
٤٣٨ ، ٥٨٩ ، ٦٤٢
(ج ٦) ٢٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ،
١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٦٦ ، ٣٤٢ ،
٣٤٣ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٤٦٤ ،
٤٦٦ ، ٥٤٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ،
٥٩٧ ، ٧٠٣ ، ٧١٠ ،
(ج ٧) ٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
٣١١ ، ٣٣٩ ، ٣٥٣ ، ٤٠٨ ،
٤٤٢ - ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٥٠٠ ،
٥١٠
(ج ٨) ٩٣ ، ١٢١ ، ١٢٦ -
١٢٧ ، ١٣٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٨ ،
٣٣٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٨ ،
٤٠٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ ،
٦٠٥ - ٦٠٦ ، ٦٢٢ ، ٦٣١ ،
٦٥٤ ، ٦٦٥ ، ٧٠٣ ، ٧٥٠ ،
٧٥٦ - ٧٥٧ ، ٧٦٤ ، ٧٨٥ ،
٧٨٧ - ٧٨٩
(ج ٩) ١٩ ، ١١٨ ، ١٥٥ ،
٢٠٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٧ ،

- ابو الحسن سعيد (ج ٥) ٢٦ ،
 (ج ٦) ١٢
 (ج ٩) ٢١٠
 ابو الحسن الطوسي (ج ٩) ٥٥٦
 ابو الحسين (ج ٩) ٥٢٨ ، ٦٧٨
 ابو الحصين (ج ٤) ٢٥٢
 (ج ٦) ٥٨٨
 ابو حفص (ج ٥) ٢٦
 ابو الحقيق (ج ٤) ٢٦٤
 ابو الحكم بن هشام (ج ٧) ٤٤٦
 ابو حمزة الضبي (ج ٥) ٩٤
 ابو حنبل (ج ٤) ٤٠٦
 ابو حنيس (ج ٣) ٣٥٣
 (ج ٤) ٤٩٢ ، ٤٨٩
 (ج ٥) ٣٥٣ ، ٢٨٤
 ابو حنظلة (ج ٤) ١١٠
 ابو حنيفة الدينوري (ج ١) ١٦١
 (ج ٣) ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ -
 ١٨٧ ، ٤٤١ ، ٥٠٤ ، ٥٢٥
 (ج ٦) ٤٤٠
 (ج ٧) ١٦٧ ، ٥٩٤
 (ج ٩) ٢١٨
 ابو حوط الحظائر (ج ٣) ٣٣٥
 (ج ٤) ٤٨٧
 (ج ٥) ٤٦٧
 ابو حيان الاندلسي (ج ٤) ٣٧١
 (ج ٦) ٢٢٨ ، ٢٣٦ ،
 ٣٦٣
 (ج ٨) ٧٣٠
 ابو حبة (ج ٤) ٥١١
 (ج ٩) ١٩٥
 ابو حيوة (ج ٨) ٥٧٥
 ابو خالف (ج ٩) ٣٦٧
 ابو خراش الهذلي (ج ١) ٣٠٧
 (ج ٩) ٦٠٨ - ٦١٣ ، ٦١٤
 ٦٤٩ ، ٧٦٣ ، ٨٧٢ -
 ٨٧٣
 ابو خراعة (ج ١) ٤٠٠
 (ج ٦) ٧٨
 (ج ٤) ٢٢٧
 (ج ٥) ٢١٣ ، ٥٦٥
 (ج ٨) ٤٨٧ ، ٥٩٥ ، ٧٢٣
 (ج ٩) ٣٠٢ ، ٢١٥
 ابو جعفر النحاس (ج ١) ٧١
 (ج ٩) ٥١٠
 ابو جندب الهذلي (ج ٤) ٤٠٠
 (ج ٦) ٢٤١
 (ج ٩) ٦١٨ ، ٨٧٣
 ابو جهراء (ج ٩) ٧٦٦
 ابو جهل بن هشام (ج ٤) ٤٧ ، ٩٩ ،
 ١٠٥ - ١٠٧ ، ١٢٥ ، ٢٨٤
 (ج ٥) ٢٣٥ ، ٦٣٧
 (ج ٦) ٨٧ ، ٢١٧ ، ٧٠٣
 (ج ٧) ٤٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٥٦
 ٤٤٦
 (ج ٨) ٢٦٨ ، ٤٠٠ ، ٥٢٢ ،
 ٧١٠
 (ج ٩) ٧١٢ ، ٧١٤ - ٧١٥
 ابو جهم بن حذيفة (ج ٨) ٣٣٠ -
 ٣٣٢ ، ٥٩٦
 (ج ٩) ٢٧٧
 ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي
 (ج ٩) ٣٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٢ ، ٢٧٣ ، ٤٥٣ ، ٤٨٣ ،
 ٦٠٤ ، ٧٢٩
 ابو الحارث بن علقمة (ج ٤) ١٩١
 ابو حارثة بن علقمة (ج ٣) ٥٣٣ ، ٤٠٠
 (ج ٦) ٦١٧
 ابو حارثة بن عمرو (ج ٤) ٤٣٦
 ابو حازم (ج ٨) ٥٩٦
 ابو حباب (ج ٦) ٧٠٠ - ٧٠١ ،
 ٨١٧
 ابو حجر النعمان (ج ٣) ٤٤٤ ، ٤٤٥
 ابو حذيفة (ج ٤) ١٤٤
 (ج ٨) ١١٩
 ابو حرب بن ابي الاسود (ج ٩) ٤١
 ابو الحسن احمد بن فارس (ج ٩)
 ٤٢ ، ١٩٤

- ٩٧
 ابو ذر القعاري (ج ١) ٢٨١ - ٢٨٢
 (ج ٤) ٥٩٠ ، ٦٧١
 (ج ٥) ٨٧
 (ج ٦) ٢٥٩ ، ٤٢٢ ، ٧٠٣
 (ج ٧) ٢٨٨ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٥٢٥
 (ج ٨) ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٦٨
 ١٨٢ ، ٤٧٤
 (ج ٩) ١٩٧ ، ٤١٨
 ابو ذكوان (ج ٩) ٢٠٤
 ابو زمعة (ج ٤) ٩٢
 ابو الذبال (ج ٩) ٧٧٠ ، ٧٨٧
 ابو رائنة الحواري (ج ٣) ٢٤٥
 ابو راشد (ج ١) ٣٦٧
 ابو راسع اليهودي (ج ٦) ٥٢٣ ، ٥٧٠
 (ج ٧) ٤٦٠ ، ٥٦١
 (ج ٨) ٢٦٤
 ابو الرئيس النهلي (ج ٥) ٣٧٠
 ابو الربيع الكلاعي (ج ٩) ٧٠٣
 ابو ربيعة بن ذهل (ج ٢) ١٩٨
 (ج ٤) ٤٨٠
 (ج ٩) ٤٧٤
 ابو رجاء العطاردي (ج ٦) ٣٥٥
 ابو رغال (ج ١) ٧٥ ، ٣٣٣ ، ٤٠٦
 (ج ٣) ٥١٣ - ٥١٤
 (ج ٤) ١٤٨ - ١٥٠ ، ٤٤٥
 (ج ٥) ١١٣
 (ج ٦) ٤٨٤
 (ج ٧) ٣٤٣
 (ج ٨) ٣٠١
 ابو رقية الداري (ج ٨) ٣٧٨
 ابو رهم بن عبد العزى (ج ٤) ٨٠
 ابو الروم بن عبد شرجيل (ج ٨) ١١٨
 ابو رية (ج ٨) ٣٢٨ ، ٧٣٥ -
 ٧٣٧ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢
 ابو زبيد الطائي (ج ٣) ٤١٠
- ابو الخصيب (ج ٦) ٥٩٨
 ابو الخطاب الاخفش (ج ٩) ٢٣٥
 ابو خلف الجمحي (ج ٤) ٨٨
 ابو خليفة (ج ٩) ٦٩٤
 ابو خبيري (ج ٩) ٨١٥
 ابو دجانة (ج ٥) ٤٤١
 ابو الدرداء (ج ٤) ٣٦٥
 ابو الدقيش الاعرابي (ج ١) ٥٢٦
 ابو دلف (ج ٧) ٣٣٧
 ابو دواد الايادي (ج ١) ٣٠٨ ، ٥٠٥
 (ج ٢) ٦١٥ - ٦١٦
 (ج ٣) ٢٥٩
 (ج ٤) ٤٧٢ ، ٥٧٨ ، ٦٣٢
 (ج ٥) ٤٢٨
 (ج ٦) ٦١ ، ١٤٠ ، ٦٦٤ ، ٦٨٣
 (ج ٩) ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١٧ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ٢٣٤ ، ٢٦٧ ، ٣٢٦ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٤٥ ، ٤٦٨ ، ٥٣٤ ، ٦٧٢ - ٦٧٥ ، ٧٩٥ ، ٨٠٢ ، ٨٠٤ - ٨٠٧
 ابو الدبال (ج ٦) ٥٧٠ - ٥٧١
 ابو الديلم (ج ١) ٤٠٢
 ابو ذؤيب (ج ١) ٣٨٣
 (ج ٢) ٥١٣ ، ٤٢١
 (ج ٦) ٢٨٣ ، ٦٢٣
 (ج ٧) ٦٢٣
 (ج ٨) ١١١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٤٨٧ ، ٦٦٤
 (ج ٩) ٧٥ ، ١٨٣ ، ٢٣٨ ، ٢٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٩١ ، ٤٦٥ ، ٤٨٨ ، ٨٣٤ ، ٨٤٦ ، ٨٧١ - ٨٧٢ ، ٨٨١
 ابو ذر بن محمد بن مسعود (ج ٦) ٤٧٨
 ابو ذر عبد بن احمد الهروي (ج ٨)

ابو سفيان (ج ٦) ٥٨ - ٦٢ : ١٧٩ :
 ٢١٧ - ٢٢٨ : ٢٣٤ : ٢٣٩ :
 ٢٤٩ : ٢٥٣ : ٤٥٩ : ٤٨٠ :
 ٤٨٧ - حا ٥٠٩ : ٦٦٩ : ٧٦٧ :
 ٧٨٠ :
 (ج ٧) ٢٣٦ : ٢٩٠ - ٢٩١ :
 ٢٩٤ - ٢٩٥ : ٢٩٧ - ٢٩٩ :
 ٢٠١ - ٢٠٧ : ٢٠٨ : ٢١٧ :
 ٢٢٣ - ٢٢٨ : ٢٣٩ : ٢٥٢ :
 ٢٥٤ - ٢٥٦ : ٢٥٨ : ٤٠٧ :
 ٤٢١ - ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٥٧٨ :
 (ج ٨) ٣٠١ :
 ابو سفيان بن امية (ج ٤) ١٠٤ : ٢٣١ :
 ٤٦٥ : ٥٦٢ : ٦٦١ : ٦٦٨ :
 (ج ٥) ٣٨٣ :
 (ج ٨) ١١٧ - ١١٨ : ١٦٣ :
 ١٧١ :
 ابو سفيان بن الحارث (ج ٥) ٣٧ -
 ٣٨ :
 (ج ٦) ٦٤ :
 (ج ٨) ٣٨٣ : ٤٠٢ : ٦٦٤ :
 (ج ٩) ١١٢ : ٢١٤ : ٣٦١ :
 ٣٨٠ - ٤١٣ : ٤٩٥ : ٥٧٧ -
 ٥٧٨ : ٦٩٤ - ٦٩٦ : ٧١٠ -
 ٧١١ : ٧٣٧ - ٧٤٧ : ٧٣٩ :
 ٨٤٦ - ٨٦٣ :
 ابو سفيان بن حرب (ج ٤) ١١ :
 ٣٣ - ٣٤ : ٨٣ : ١٠٩ : ١١٤ :
 ١٢٤ - ١٢٥ : ١٥٥ : ١٩٢ :
 ٢٢٣ : ٢٢٤ : ٢٣٤ : ٢٥٣ :
 (ج ١٥) ٢٥٠ : ٤٠٧ : ٥٠٢ :
 ٥٠٦ - ٦٠٤ : ٦٣٧ : ٦٤٧ :
 (ج ٦) ١٤٧ :
 (ج ٨) ١١٧ : ١٢٠ : ٧٨٩ -
 ٧٩٠ :
 (ج ٩) ٥٨٢ : ٧١٧ :
 ابو سفيان صخر (ج ٤) ١١٠ -
 ١١١ :
 ابو السكون (ج ٣) ٣٨٢ :

(ج ٥) ١٧٤ :
 (ج ٦) ٥٩٨ - ٦٠٢ :
 (ج ٧) ٦٠٨ :
 ابو الزعراء (ج ٩) ٣٦٢ :
 ابو الزعفران (ج ٥) ٣٩٧ :
 ابو زمعة (ج ٣) ٥٢٦ :
 (ج ٩) ٧١٧ :
 ابو الزناد (ج ٩) ٢٧٩ :
 ابو زهمول (ج ٢) ١٨ :
 ابو زهير (ج ٤) ١٠٢ :
 ابو زيد الكلابي (ج ٣) ٣٤٨ : ٣٥٤ :
 ٣٥٥ -
 ابو زيد (ج ٣) ٣٦٠ : ٥٢٢ :
 (ج ٤) ٣٠٧ : ٥٥٩ :
 (ج ٨) ٣٧٣ : ٤١٨ : ٥٦٥ :
 ٥٩٠ : ٦١٦ :
 (ج ٩) ٧٥ : ٢٢٢ : ٢٤٢ : ٢٩٤ :
 ٣٠٠ : ٤٥٥ : حا ٥٢٠ :
 ابو زيد القرشي (ج ٩) ٢٩٤ : ٣٠١ :
 ابو زيد حرمة بن المنذر (ج ٩) ٨٧٩ :
 ٨٨٠ :
 ابو زيد محمد بن ابي الخطاب (ج ٩) :
 ٣٤٥ :
 ابو زيد النحوي (ج ٩) ٦٨٢ :
 ابو ازهر (ج ٩) ٧١٢ :
 ابو سبرة (ج ٤) ١٩٥ :
 ابو سريرة (ج ٩) ٣٦٢ :
 ابو السعود (ج ٦) ٢٣٠ :
 ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن
 المرزبان السيرافي (ج ١) حا ٩٠ :
 حا ٣٦٢ : حا ٤٨٧ :
 (ج ٨) ١٦٧ :
 (ج ٩) ٢٥ : حا ٣٨ : حا ٢١٩ :
 حا ٢٩٦ :
 ابو سعيد الخدري (ج ٨) ٧٣٥ :
 ابو سعيد بن عمرو (ج ٦) ٥٦٣ :
 (ج ٨) ٥٩٦ :
 (ج ٩) ٣٧ : حا ٨٨٠ : حا ٨٨٢ :
 ٨٨٩ :

- ابو سلمى (ج ٥) ١٩٨ ، ٢٢٠
 (ج ٨) ١٢٠ - ٥٩٦
 (ج ٩) ٢٨١ - ٤٣١
 ابو سلمة بن عبد الاسد الخزومي
 (ج ٤) ٢٢٢
 (ج ٧) ٣٤٧
 ابو سلمة موسى بن اسماعيل
 (ج ٩) ٤١ ، ٦٧
 ابو سماك الاسدي (ج ٩) ٨٨٨
 ابو سودة (ج ٣) ٢٩١
 ابو سيارة (ج ١) ٤٠٣
 (ج ٥) ٥٩٣
 (ج ٦) ٣٨٦
 (ج ٨) ٥٠٠ ، ٧٧٩
 ابو شراجيل سميفع (ج ٤) ١٨٢ -
 ١٨٣
 ابو الششاء (ج ٨) ٢٥٢
 ابو شغل (ج ٩) ٥٢٦
 ابو شمر الأكبر (ج ٣) ٤٤٦
 ابو شمر جيلة (ج ٣) ٤٠٠ ، ٤٠٤ ،
 ٤١٩ ، ٤٤٤ - ٤٤٥
 ابو شمر بن الحارث (ج ٣) ٤٤٥ ،
 ٤٤٨
 ابو شمر عمرو بن جيلة (ج ٣)
 ٢٢٩
 ابو الشيخ (ج ٩) ٢٣٠
 ابو صالح مغمز (ج ١) ٨٨ ،
 ٤٦٢
 (ج ٦) ٤٦٩
 (ج ٨) ٥٩٦ ، ٦٠٠ - ٦٠١
 ابو صخر الهذلي (ج ٧) ٢٥٠
 ابو صعصعة بن زيد (ج ٩) ٧٢٧
 ابو الصلت بن ابي ربيعة (ج ٩) ،
 ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٧٥٢ ، ٧٥٨
 ٧٥٩
 ابو الضباب (ابو الضبيب) (ج ٤)
 ٢٦٣
 ابو ضمرة (ج ٩) ٣٨١
 ابو ضمضم (ج ٩) ٢٨٧
 ابو طالب (ج ١) ٥٠٩
 (ج ٢) ٦٥٣
 (ج ٤) ٦١ - ٨١ - ٨٢ - ٩١
 حا ١٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٨٩
 (ج ٥) ٢٧ ، ١٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٥٢٥ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٣٧
 (ج ٦) ٦٨ - ٢ - ٤٠٤
 (ج ٧) ١٩٢ - ٢٩٥ - ٢٣٣
 (ج ٨) ٢٨٥ ، ٣١٥ ، ٦٦٤ ،
 ٧٨٠
 (ج ٩) ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٦٩٥ -
 ٧٠١ ، ٧٠٧ ، ٧١٣ ، ٨٢٤
 ابو طاهر (ج ٨) ١١٨
 ابو الطميل (ج ١) ٢٢٤
 (ج ٩) ٨٤٦
 ابو طلحة الانصاري (ج ١) ٤٠١ ،
 (ج ٨) ٥٩٧
 ابو الطمحار القيني (حظلة بسن
 الشرقي) (ج ١) ٣١٧
 (ج ٣) ٢٠١
 (ج ٤) ٦٥٩
 (ج ٥) حا ٥٢٠
 (ج ٨) ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٥ ،
 ٢٤٦ ، ٧٧٨
 (ج ٩) ٧٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ،
 ٦٠٧ ، ٦٢١ ، ٦٤٩ - ٦٥١
 ٧١٠ ، ٧٩٦ ، ٩٠٢
 ابو الطيب اللغوي (ج ٩) حا ٤٠٠
 ابو الطيب التبرني (ج ٨) ٢٦٥ ،
 (ج ٩) ٢٣٠
 ابو طيبة (ج ٧) ٥٨٤
 ابو ظبيان الأزدي (ج ٤) ١٨٥
 ابو العاص (ج ٤) ١٥٧ ، ٥١٨
 (ج ٥) ٢٨
 (ج ٦) ٢٢٨
 (ج ٧) ٢٩٩ - ٣٠٠
 (ج ٨) ٣٤٨
 (ج ٩) ٧١٦ ، ٧٠٥

- ابو عبدة بن الجراح (ج ٣) ٣٧٦ ،
 ٤٤٧ ، ٤٢٩ - ٤٢٨ ، ٣٩٤
 (ج ٤) ٢٧ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٥٧١ ،
 ٥٧٩ ، ٦٨٥
 (ج ٥) ١٥٨ ، ١٥١ ،
 (ج ٨) ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ،
 ١٣٥ ، ٥٧٢ ، ٦٩٠ ، ٧٨٢ ،
 (ج ٩) ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ،
 ١١٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ - ١٦٧ ،
 ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٢٢ ، ٢٦١ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ - ٢٩٨ ،
 ٣٠٤ ، ٣٢٦ ، ٣٤٩ -
 ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٠ ،
 ٤٠٢ ، ٤٥٩ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
 ٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ،
 ٦٠٤ ، ٦٥٥ ، ٦٦٥ ، ٦٧٤ ،
 ٦٧٧ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩ ، ٧٩٦ ،
 ٧٩٨ - ٧٩٩
 ابو عبدة معمر بن المثني التيمي
 (ج ١) ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٩ -
 ٩٠ ، ١٤٦ ،
 (ج ٣) ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ،
 ٣٤٥ ، ٣٦٥ ،
 (ج ٤) ٤٨٧ ،
 (ج ٥) ٢٠٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
 ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٤٤٢ ،
 (ج ٦) ١١٠ ، ٥٩٣ ،
 ٦٧٥ ،
 (ج ٧) ١٢ ، ١٦٥ ، ٦٠٧ ،
 (ج ٨) ٢٨٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ،
 ٣٨٤ ، ٤١٧ - ٤١٨ ،
 ابو العتاهية (ج ١) ٦٩ ،
 (ج ٩) ٦٨١ ،
 ابو عتبة (ج ٤) ١١٢ ، ١٥١ ،
 ابو عثمان سعيد (ج ٩) ٢٩٤ ، ٣٩١ ،
 ابو عدنان (ج ٩) ١٤
- ابو العالية الانطاكي (ج ٩) ٣٠٢ ،
 ابو عامر بن صيفي (ج ٦) ٤٥٨ ،
 ٦٠٢ ،
 ابو عامر الاوسي (ج ١) ٤٢ ،
 (ج ٤) ٣٣ ،
 (ج ٦) ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٨٧ ،
 ٥١٠ ،
 ابو العباس ثعلب (ج ١) ٣٨٢ -
 ٣٨٣ ، ٤٩٩ ،
 (ج ٣) ٣٧٧ ،
 (ج ٤) ١٤٤ ،
 (ج ٨) ٩٩ ، ٢٦٥ ، ٣٦١ ،
 (ج ٩) ٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٥٥ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ،
 ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ،
 ٣٥١ - ٣٥٢ ،
 ابو عبد الله بن الفضل (ج ٤) ٢٦٣ ،
 (ج ٧) ٥٥٥ ،
 ابو عبد الله بن مقله (ج ٩) ٤٥ ،
 ٢٩٩ ،
 ابو عبد الله الحسين (ج ٦) ١٣ ،
 ابو عبد الله محمد بن زياد الاغرابي
 (ج ١) ٦٩ ، ١٤٦ ،
 (ج ٩) ٣٠١ ،
 ابو عبد الله المصعب (ج ١) ٣٧٦ ،
 (ج ٤) ٢٩٧ ، ٤٧٠ ،
 ابو عبد الله نبطويه (ج ٦) ٥٧٢ ،
 ابو عبد الله الزبيدي (ج ٩) ٤٩١ ،
 ابو عبس بن كثير (ج ٨) ١١٤ ،
 ابو عبس الانصاري (ج ٨) ١١٦ ،
 ١٦٠ ،
 ابو عبيد (ج ٢) ٢٦٩ ،
 (ج ٣) ٢٠٠ ،
 (ج ٤) ٢٣١ ، ٥١٧ ، ٦٦٦ ،
 (ج ٥) ٦٢٠ ،
 (ج ٧) ٤٩٨ ،
 (ج ٨) ٣٦٠ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ،
 ٦١١ ،
 (ج ٩) ٢٧٩

أبو عرار (ج) ٢٩٥
 أبو عروة بن مسعود (ج) ٨٥
 أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي
 (ج) ٦٦١
 (ج) ٤٠١
 (ج) ١١٢ ، ٦٩٦
 أبو عطاء السندي (ج) ٣٢٠
 أبو عفاك (ج) ٥٨١
 أبو عقيل مسعود (ج) ٥٤٨
 أبو عكرمة الضبي (ج) ٣٧٧ ،
 (ج) ٣٠١ - ٣٠٢
 أبو العلاء المري (ج) ٢٨٦ ، ٢٩١
 (ج) ١١٣
 (ج) ١٠١ ، ١٤٦ ، ٣٧٧ -
 ٤٤٦ ، ٣٧٨
 (ج) ٣٨٣ ، ٥٣٧ ، ٥٦٨ ،
 ٥٦٩
 (ج) ٣ ، ٣٣ ، ١١٨ ، ١٨٦
 ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٣
 - ٢٢٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ - ٣٦٧
 ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤٥١ ،
 ٤٥٥ ، ٤٦٧ ، ٤٩٠ ، ٥٤٢
 ٥٧٩ ، ٥٨٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧٨
 ٧٨٩ ، ٨١٢ ، ٨٥١ ، ٨٥٥
 أبو علي الفارسي (ج) ٨٩
 أبو علي لفدة الأصفهاني (ج)
 ٥٢
 أبو عليم (ج) ٤٠٤
 أبو عمار الوائلي (ج) ٢٥٣
 أبو عمرة (ج) ٦١
 (ج) ٢٩٧
 أبو عمرو بن أمية (ج) ٥٨١
 أبو عمرو بن حريث العلوي (ج)
 ٢٠٤ ، ٢٥١ ، ٤٢٣
 أبو عمرو بن ربيعة (ج) ٢٠٩ ،
 ٣٧٠
 (ج) ٢٨٣
 أبو عمرو بن العلاء (ج) ٦٨ - ٦٩
 ٤٠٢

(ج) ٥٧١
 (ج) ٥٦٢ ، ٦٠٠ ، ٦٣٢ ،
 ٦٣٩ ، ٦٦٢ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠
 ٧١٥ ، ٧٣٧
 (ج) ٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٩
 ٥٣ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ - ٨٥
 ١١٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٦٥
 ١٧٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠
 ٢٢١ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،
 ٢٩٦ - ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٤٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ،
 ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ - ٤٠٣ ،
 ٤٠٧ ، ٤٢٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ -
 ٥٠٣ ، ٥١٢ ، ٥٣٣ ، ٥٤٤
 ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩٢ ،
 ٧٣١ ، ٨٥٥ ، ٨٦٨ ،
 ٨٧٤ ، ٩٠١
 أبو عمرو بNDAR الكرخي (ج) ٣٠١
 أبو عمرو الشيباني (ج) ٦٩
 (ج) ١٥٩ ، ٣٥٢
 (ج) ٥٦٦
 (ج) ١٦٧ ، ٢٢٦ ، ٢٩٦ ،
 ٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ، ٨٢٨ ،
 ٨٦٩
 أبو عمير بن الحباب السلمي (ج)
 ١٠٤
 أبو عميرة عصمة بن وهب (ج) ٣٧١
 أبو غنيش (ج) ٤٨٩
 أبو الفتح محمد بن عبد الكريم
 الشهرستاني (ج) ١٣
 أبو الفداء (ج) ١٧٧ ، ٣١٥ ،
 ٣١٧
 (ج) ٦٣ ، ١٥٩ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤
 ٣٢٠ - ٣٦٧ ، ٣٦٨
 (ج) ٤٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

- ٤٢٨ ، ٤٤٢ ، ٤٥٠ ،
 ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ،
 - ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٧ ،
 ٤٨١ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ،
 ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٥٠٥ -
 ٥٠٧ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢٥ - ٥٢٦ ،
 ٥٣٢ - ٥٣٣ ،
 (ج) ٢٦١ ، ٣٥٦ ،
 (ج) ٧٨ ، ٨٠ ،
 ٥١٧ - ٥١٨ ، ٥٢٠ ،
 ٥٢٩ ،
 ابو فراس (ج) ٢٨٣ ،
 (ج) ٣٦٢ ،
 ابو الفرج الاصبهاني (ج) ٢٦٤ ،
 ٢٩٢ ، ٣٤٥ ، ٣٧٥ ، ٤٢٨ ،
 (ج) ١٦٧ ، ٣٤٢ ،
 (ج) ٥٨٠ ،
 (ج) ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٥٣ ،
 ٤٣٦ ، ٤٦٦ ، ٧٢١ ، ٧٧١ ،
 ٧٧٥ ، ٧٧٩ ، ٧٩١ ، ٨٥٧ ،
 ٨٧٦ ، ٨٩٨ ،
 ابو فضل (ج) ١٧٧ ،
 ابو فقمس (ج) ٦٢٥ ،
 ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق
 (ج) ٢٨١ ،
 (ج) ٣٠٧ ،
 ابو قبيس (ج) ٧ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ١٠٨ ،
 (ج) ٢٢١ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٦٩٩ ،
 ٧١٢ ،
 (ج) ٤٤٦ ،
 (ج) ٦٨٣ ،
 ابو قتادة بن ربعي (ج) ١٣٨ ،
 ابو فترة (ج) ٧٣٥ ،
 ابو قحافة (ج) ٩٨ ، ١٠٩ ،
 ابو قحطان (ج) ٣١٣ ،
 ابو القرئع اليهودي (ج) ٧٨٩ ،
 ابو قردودة (ج) ٣٧٥ ، ٧٧٨ ،
 (ج) ٤٩٨ ،
 ابو قلابه الهذلي (ج) ١٥٨ ،
 ابو قلادة الهذلي (ج) ٤٩١ ،
 ابو قيس بن الاسلت (ج) ١٣٧ ،
 (ج) ٥٢٩ ، ٥٣٦ ،
 (ج) ٦٥٥ ، ٧١٩ ، ٧٢٣ ،
 - ٧٢٥ ، ٧٢٨ ، ٧٨٧ ،
 ابو قيس بن رفاعه (ج) ٥٧١ ،
 (ج) ٧٧٠ ، ٧٨٧ ،
 ابو قيس بن صرمة (ج) ٤٢ ، ٣٨٨ ،
 (ج) ٣٢٠ ،
 (ج) ٢١٨ ، ٢٤٢ ،
 ابو قيس بن عبد مناف (ج) ٣٨ ،
 (ج) ١١١ ، ١١٧ ، ١٦١ ،
 ٢٩١ ، ٣٠٠ ،
 ابو قيس اليهودي (ج) ٧٥٦ ،
 ابو كبشة (ج) ٥٩٦ ،
 (ج) ٩٨ ، ٤٣٠ ،
 ابو كبير الهذلي (ج) ٥٣٥ ،
 (ج) ٢٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ،
 ابو كرب بن جبلة (ج) ٦٥٧ ،
 (ج) ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٣ ،
 (ج) ٣٢٨ - ٣٢٩ ،
 ابو كرب بن حسان (ج) ٥٢٨ ،
 (ج) ٧٢١ ،
 ابو كرب بن ملكي (ج) ٥٠٤ - ٥٠٥ ،
 ٥٤٧ ،
 ابو كرب ابهر (ج) ٥٦٣ ،
 ابو كرب احرس (ج) ٣٠١ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨١ - ٣٨٢ ،
 (ج) ٦٧٤ ،
 ابو كرب اسعد (ج) ٤٦٤ - ٤٦٥ ،
 ٤٩١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٤١ -
 ٥٤٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ -
 ٥٧٥ ، ٥٧٧ - ٥٧٨ ، ٥٩٩ ،
 (ج) ٣٨٦ ،
 (ج) ١٧٤ ،
 (ج) ٨٠٣ ،

- ٥٢٢ ، ٥٢٤
 (ج) ١٨٣
 ابو مرة معد يكرب بن ابي مرة (ج) ٣
 ٤٨٢
 ابو مرحب (ج) ٣٦٧ ، ٣٧١
 ابو المرقال الزفیان (ج) ٩٠ ، ٤٢٠
 ابو مروان النحوي (ج) ٩١ ، ٢٢٢ ، ٦٦٤
 ابو المزلق (ج) ٨٣
 ابو مطر الحضرمي (ج) ٩٦ ، ٧١٧
 ابو معن (ج) ٦٠ ، ٢٧٠
 ابو المقشعر (ج) ٤٤ ، ١٣٤
 ابو مكعب (ج) ٩٦ ، ٨٩٩
 ابو مليل (ملك) (ج) ٥٠ ، ٣٩٧
 ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب
 (ج) ٨٣ ، ٨٧
 (ج) ٢٤٦ ، ٤٢٦
 ابو منصور (ج) ٩٦ ، ١٣٦
 ابو النبال (ج) ٨٠ ، ٣٦٠
 ابو المهدي (ج) ٩٦ ، ٣١
 ابو المهوش الاسدي (ج) ٩٦ ، ٤٦٧
 ابو مهوش الففعمسي (ج) ٨٠ ، ٣٤٤
 ابو موسى بن نصير (ج) ٨٠ ، ١١٠ ، ١٣٤
 ابو موسى الاشعري (ج) ٤٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٩٩
 (ج) ٥٠٦ ، ٥٠٩
 (ج) ٥٤١
 (ج) ١٧٠ ، ٣٢٥
 (ج) ٨٠ ، ٤٢ ، ٧١ ، ٢١٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٢٤٣ -
 ٣٤٤ ، ٣٦٢ ، ٨٥٠
 ابو موبهبة (ج) ٧٠ ، ٤٥٩
 ابو ميسرة (ج) ٨٠ ، ٦٩٧
 ابو نافع الازرق (ج) ٦٠ ، ٦٠٧
 ابو النجم (ج) ٦٠ ، ٧١١
 (ج) ١٢١ ، ١٧٥ ، ٤٢٠
 ابو نجيد (ج) ٦٠ ، ٧٣٩
 (ج) ٨٨٥
 ابو نخيلة (ج) ٩٦ ، ١٧٥
 ابو كرب اصصح (ج) ٢٠ ، ٤٦٠
 ابو كرب ربيعة بن الحرث (ج) ٣٠ ، ٢٤٤
 ٣٢١
 ابو كرب المنذر بن الحارث (ج) ٣٠ ، ٤٤٤
 ابو الكناس الكندي (ج) ١٠ ، ٤٧٢
 ابو لؤلؤة (ج) ٨٠ ، ١١٠ ، ٣٠١
 ابو لؤم تقيف (ج) ٤٠ ، ١٥٠
 ابو لبید بن عبدة بن جابر (ج) ٩٦ ، ٦٩٧
 ابو لهب (ج) ٤٠ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٥٦٧
 (ج) ٣٧ ، ٦٢٦
 (ج) ٢٤٢ - ٢٤٣
 (ج) ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٥٨٤
 (ج) ٦٩٩
 ابو مالك عمرو بن كركرة (ج) ١٠ ، ٤٠٥
 (ج) ١٧٩
 (ج) ٣١٤ ، ٥١٦
 (ج) ٦١
 (ج) ١٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٥ ، ٦٠٤ - ٦٠٥
 ابو محجن الثقفی (ج) ٤٠ ، ١٥٦ ، ٥٨١
 (ج) ٦٦٤
 (ج) ٧٥٢ ، ٧٦٥ - ٧٦٧
 ابو ملحم (ج) ٩٦ ، ٤٦٤
 ابو محمد بن مفور (ج) ٨٠ ، ٩٦
 ابو محمد ثابت بن ثابت (ج) ٩٦ ، ٥٢ ، ٣٢٩ ، ٣٩٩ ، ٥٥٦
 ابو محمد جناد بن واصل الكوفي
 (ج) ٦٩
 ابو محمد عبدالله بن جعفر (ج) ٨٠ ، ٥٥٧
 ابو محمد القاسم الانباري (ج) ٩٦ ، ٣٠١
 ابو مخنف لوط بن يحيى (ج) ٨٦ ، ١١٤
 (ج) ٦٥٩
 (ج) ٣٠٨
 ابو مرة بن ذي يزن (ج) ٣٠ ، ٤٨٢
 ابو مرة الفياض ذا يزن (ج) ٣٠ ، ٥٠٥

ابو نصر الحنجسي (ج ٨) ٢٧٨	ابو الهيثم بن التيهان (ج ٤) ١٣٧
ابو نصر محمد بن عبدالله اليهري	(ج ٧) ١٩٤
(ج ١) ٩١ : ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٣ ، ٣٦٥	ابو واقد (ج ٤) ٦٧١
(ج ٣) ٢٧٢ حا	ابو وداعة (ج ٤) ٥٨٢
(ج ٨) ٦٩٢	(ج ٥) ٨٤ ، ٢٨
ابو النصر محمد بن السائب (ج ١)	(ج ٧) ٤٤٣ ، ٥٠٠
حا ٨٧	ابو الوليد (ج ١) ١١١
(ج ٩) ٤٥	(ج ٣) ٤٢٩
ابو نهشل (ج ٥) ٣٧٧	(ج ٩) ٧١٨
ابو نواس (ج ١) ٥٠٠	ابو وهب (ج ٣) ٣٦٠
(ج ٢) ٤٣٧	(ج ٤) ١٩٦
(ج ٦) ٦٥٥	ابو ياسر الضيري (ج ٩) ٧٨٩ ، ٧٨٣
(ج ٩) ٩٨ ، ١١٥ ، ١٦٤ ، ٣١٨	ابو يثا (ج ١) ٦٠٣
٣٢٣	ابو يثع (ج ١) ٦٠٣
ابو هالة (ج ٦) ٧١٣	ابو يزيد (ج ٩) ٤٤١
ابو هدرش (ج ٩) ٣٩٠	ابو اليسر (ج ٤) ١٢١
ابو هرم بن سنان (ج ٣) ٢١١	ابو يعمر بن علقمة بن مالك (ج ٣)
ابو هريرة (ج ١) ٢٨٣	٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٣٨
(ج ٤) ٢١١	ابو يعقوب (ج ١) ٣٧٦ ، ٤١١
(ج ٥) ١١٧	ابو يعلى الحنبلي (ج ٧) حا ٤٥٣ ، حا
(ج ٦) ٣٧١ ، ٥٥٤ - ٥٥٦	٤٩٧ - ٥٠٢
(ج ٧) ٢١٨ ، حا ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٦٣٢ ، ٦٠٨	ابو اليقظان النسابة (ج ١) ١١٥
(ج ٨) ١٠٢ ، ٤٣٦ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ - ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠	(ج ٤) ٥٢٨
(ج ٩) ٦ ، ٨	(ج ٨) ٧٨٢
ابو هلال العسكري (ج ٦) حا ٤٨٥	ابو يكسوم (ج ٣) ٤٨٣ ، ٤٩٧ ، ٥١٢
(ج ٨) حا ٢٣٢ ، حا ٣٥٢ ، حا ٣٥٤	٥٢٠ - ٥٢١
٣٥٤ حا ٣٥٨ ، حا ٣٦٠ ، حا ٣٦٢ - ٣٦٦ ، حا ٣٦٧	(ج ٤) ١٨٣
حا ٧٦٤ ، حا ٧٦٦ ، حا ٧٨٠ - ٧٨١	(ج ٥) ٤٦٨ ، ٦٢٣ ، ٦٣٣
(ج ٩) حا (٤٠) ، ٥٣ ، ٧١ ، ٨٩ ، ١٤٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٨٧٨ ، ٨٨٥	ابو يوسف (ج ٥) حا ٣٠٤ - ٣٠٥ ، حا ٥٦٣
ابو هند (ج ٤) ٢٤٤	ابولودورس (ج ١) ٦٠
ابو الهياج الاسدي (ج ٥) حا ١٦٩	ابي بن خلف (ج ٤) ١٧٧

- (ج ٨) ١١٤ ، ١٢٠ - ١٢٢ ،
 ١٣١ - ١٣٢ ، ١٦٠ ، ٢٩٣ ،
 ٢٨٦ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٨
 الايباري (ج ١) حا ٣٥٥
 (ج ٤) حا ٩٦
 ابيتا (ج ١) ٦٠٣
 ابيداع (ج ١) ٤٤٦ ، ٥٥٨
 ابيدع ذولحيان (ابيدع) (ج ٢) ٢٤٤
 ابيدع ريام (ابيدع) (ج ٢) ٩٧ ،
 ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٢٥
 ابير (ج ١) ٥٨٨
 (ج ٥) ٣٥٣
 الايبرد العسائي (ج ٣) ٢٤٥
 الابيض بن حمال (ج ٢) ٥٨٣
 (ج ٧) ١٤٧ ، ٥٢٢
 (ج ٨) ٤٠٨
 ايل العربي (ج ١) ٦٣٤
 (ج ٩) حا ٧٦٦
 ايماعيل (ج ١) ٤٢٤
 ايه (ج ١) ٦٦١
 (ج ٣) ١٧٦
 ايون (ج ٦) ٦٣٥
 الانغم (ج ١) ٣٧٢
 انيد (ج ١) ٤٠٨
 (ج ٤) ٥٠٢
 اثال بن حجر (ج ٥) ٢٨٦ ، ٤٠٧
 اثال بن لجيم (ج ٤) ٢١٧
 اثال بن النعمان الحنفي (ج ٦) ٩٩
 اثال الملك (ج ٢) ٦١٤
 اثناسيوس (ج ٣) ١٠٩
 اثنياسوس (ج ٣) ٣٦
 اثينودورس (ج ٢) ١٤ ، ٥٤ ، ١٠٣
 (ج ٦) ٣٣١
 اثينيوس (ج ٣) ١٨ - ١٩
 اجا (ج ٤) ١٤٥
 اجبر (ج ١) ٦٠٥
 الاجبول (ج ١) ٣٦٩
 الاجدع بن مالك (ج ٣) ٤٩٨
 الاجرد (الاحرد) (ج ٩) ٢٨٤
 اجرم يهنم بن سخمان (ج ٢) ٤٩٢
 اجلة (ج ١) ٥٩٩
 الاجلع الدهري (ج ٦) ٧٦٥ ، ٧٧٣
 الاحدر (ج ٤) حا ٤٦٤
 الاحدي (ج ٨) ٢٨٣
 احرار يهبار (ج ٢) ١٤٧ - ١٤٨
 احسان عباس (ج ٣) حا ٢٦٣
 (ج ٦) حا ١١٢
 (ج ٧) حا ٥٢٦
 (ج ٨) حا ١٣٨
 (ج ٩) حا ٥٤٦
 اخشويرش (ج ١) ٢١ ، ٦٢٨
 احمد (الامام) (ج ٨) ٢٨
 احمد بن ابي الاغر الشهابي (ج ١)
 ٩١ ، ١٠١
 احمد بن حاتم (ج ٨) ٤١٨
 احمد بن حنبل (ج ٦) حا ٢٠٠ ، حا
 ٣٨٠ ، حا ٣٩٠ ، حا ٤٥٠
 (ج ٨) ٧٥٠
 (ج ٩) ٢٧٢ ، ٣٢١ ، حا ٥٢٨
 احمد بن عبدالله بن سلام (ج ١) ٤٥١
 احمد بن عبد ربه (ج ٩) ٥١٢
 احمد بن عبيد (ج ٩) ٢٦٩ ، ٣٠١
 احمد بن فارس (ج ٦) ٨١٦
 احمد بن يحيى (ابو العباس) (ج ٩)
 ٢٢٦
 احمد امين (ج ١) ٢٦١ ، ٢٦٥ -
 ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢
 (ج ٩) ٤٤ ، ٤٦
 حمد زكي باشا (ج ١) حا ٨٧ ، ٣٢٠
 (ج ٦) حا ١٢ ، حا ٢٢٧ ، حا
 ٢٥١ ، حا ٢٦٩ ، حا ٢٧١ ، حا
 ٢٧٧ ، حا ٢٨٠
 احمد ظافر كوجان (ج ٩) حا ٦٤١
 احمد فقري (ج ٢) ٧٥ ، ٢٧٢ ، ٤٥٠
 (ج ٣) ٤٨٠
 (ج ٧) حا ١١٨ ، حا ١٧٩
 احمد فريد رفاعي (ج ٩) حا ٣١٣

- أحمد محمد شاكر (ج ٥) حا ٤٢٢
 (ج ٧) حا ٥٣٨ ، حا ٥٩٠
 (ج ٨) حا ٦٩٦
 أحمد يزيد (ج ٢) ٤٦٠ - ٤٦١
 أحمد يغم (ج ٢) ٤٦١
 أحمد بن جندل (ج ٣) ٢٧٨
 (ج ٩) ٤٧٣
 الأحمر بن الحارث (ج ٤) ٢٦٠
 أحمد بن سواء (ج ٦) ٦٧
 الأحمر بن هوازن (ج ٥) ٣٨٠
 أحمد نمود (ج ١) ٣٠٨
 أحمد عاد (ج ١) ٣٠٨
 أحمد بن ضبيعة (ج ١) ٤٠٦
 (ج ٤) ٤٨٢ - ٤٨٣
 أحمد بن الفوث (ج ٤) حا ٤٤٦
 أحمد الله (ج ٦) ٣٧٠
 الأحمر (ج ٤) ١٨٧
 الأخنف بن قيس (ج ٤) حا ٣٠٢ ، حا ٣٠٥
 ٥٨٥ - ٥٨٦
 (ج ٥) ٢٣٧ ، ٦٤٣
 (ج ٧) ٥٧٩
 (ج ٨) ٧٦١
 (ج ٩) ٧٤٧ - ٧٤٨
 الأحوي بن عوف (ج ٥) ٢١٧
 أحوما (ج ٦) ٦٠١ ، ٦٣١
 الأحوص بن جعفر بن كلاب (ج ٣)
 ٢٢٦ ، ٢٧٤ ، ٣٥٤ - ٣٥٥
 (ج ٤) ٣٤٦ ، ٥٢١
 (ج ٥) ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٠٧
 ٤٤٣
 أحيحة بن الجلاح (ج ٣) ٢٠١
 (ج ٤) ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٥١
 (ج ٥) ٣٦٠ ، ٤٥٢
 (ج ٦) ٧٦٠
 (ج ٧) ٤٣ ، حا ٨٥ ، ٣١٤
 (ج ٨) ٤٣٠ ، ٦٦٤
 (ج ٩) ٧١٩ ، ٧٢١ - ٧٢٣
 أحيقار (ج ٢) ٢٧
 (ج ٧) ٢٤٥
- (ج ٨) ٣٣٨ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ،
 ٣٦٨ ، ٣٤٦
 الأحيمر بن عبدالله (ج ٥) ٣٦٧
 الأحيمر الأعيمر بن يزيد (ج ٥) ٣٥٣
 أحيمر نمود (ج ١) ٤٤٠
 أحيمر السعدي (ج ٥) ٤٤٥
 أخ كرب (ج ٢) ٣٠٦
 آخاب (ج ١) ٥٧٥ ، ٦٤١
 أخزم (ج ١) ٣٧١
 أخزيا (ج ١) ٦٤٠ - ٦٤١
 الأخشف (ج ٦) ٤١٨ ، ٤٢٣
 الأخطل (ج ١) ٤٩٦
 (ج ٣) حا ٢٥٦
 (ج ٤) ٤٩٢ ، حا ٤٩٩
 (ج ٦) حا ٥٩٣ ، ٦٢٣ ، حا ٦٧٧
 (ج ٧) حا ١٠٧
 (ج ٩) ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٦ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٣٢٧ ،
 ٤١٩ ، ٥٤٤
 الأخطور بن مالك (ج ١) ٣٧٠
 الأخفش (ج ٤) ٢٧٧
 (ج ٩) ٥٣ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٨٠
 ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٧٥ ،
 حا ٣٠٢ ، ٤١٨ ، ٦٢٥
 أخليو (ج ٣) ١٠٧
 الأخنس بن شريق (ج ٤) ١٥٦ ، ٣٨٨
 ٥١٧
 الأخنس بن شهاب (ج ١) ٤٦٩
 (ج ٦) ١٣١
 (ج ٨) ٢٨٠ ، ٣٦٧ ، حا ٤٠٣
 (ج ٩) ٤٩٧
 الأخنس بن يزيد (ج ٤) ٢٥٨
 اختوخ (ج ٨) ١٩٧ - ١٩٨
 أخيسمي (ج ٢) ٢٠١
 أخيش (ج ١) ٦٤٤
 أخيل (ج ١) ٣٦٩
 أخيلس (ج ١) ٥٧
 الأخينس (ج ٩) ٦١٢
 أد بن طابخة (ج ١) ٣٧٨ ، ٤٠٢

- (ج) ٤٣٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥
 ٥٢٨
 (ج) ٢٥٦ — ٢٥٥
 أد بن عدنان (ج) ٢٨٢
 ادبيل (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ ،
 ٥٨٤ ، ٥٨٠
 (ج) ١٢٢
 ادد بن زيد (ج) ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧
 ٣٧٨ ، ٤٤٣
 (ج) ٤٦٢
 (ج) ٤٣٣ — ٤٣٤
 ادرم (ج) ٤٧
 ادریس (ج) ٤١ ، ٤٨٨
 الادغم (ج) ٣٧٢
 آدم (ج) ١٤ — ١٥ ، ٤١ ، ٧٤ ،
 ٧٩ ، ٨٥ ، ٢٥٦ ، ٣٥٠ ، ٤١٠
 ٤١٦ ، ٤٦٤ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ،
 (ج) ٦١ ، ٧٩ ، ١٠٦ ، ٢٦٥
 (ج) ١٠٦ ، ٣٦٩ ، ٤٣٤
 (ج) ٨٣ ، ١٤٩
 (ج) ٦٩ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ٢٥٤
 ٢٥٩ ، ٣٧١ ، ٤١٧ ، حـ
 ٤٤٢ ، ٤٨٩ ، ٦١٩ ، ٦٦٨
 ٦٧٣ ، ٦٨٧ ، ٧٠٦ — ٧٠٧
 ٧٢٧ ، ٧٣٢
 (ج) ١٥٤ ، ١٩٠
 (ج) ١٠٣ ، ١٦١ ، ١٨٣ ،
 ١٩٧ — ١٩٨ ، ٤٣٦ ، ٥١١
 ٥٣٧ — ٥٣٨ ، ٦١٢ ، ٦٥٢
 (ج) ٣٦٤ — ٣٦٥ ، ٣٥٣ ،
 ٤٠٣ ، ٤٩٦ ، ٦٨٥ ، ٨٠٩
 آدم بن ربيعة (ج) ٦٨٢
 ادم بتع (ج) ٣٢٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٣
 لادم القرشي الادرمي (ج) ٧١٥
 ادم نشأ كرب (ج) ٤٥٩
 ادهم بن ابي الزهراء (ج) ٦٤٥
 ادور جرجي (ج) ١٧٤
 ادور ماير (ج) ١٣٩
- ادى شیر (ج) ٥٧٤ — ٥٧٥ ،
 ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨٥ ،
 ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩٦ ،
 ٦٠٠ ، ٦٠٧
 (ج) ٥٩٧ ، ٦١٤ ،
 ٦٢٨ ، ٦٣٢
 (ج) ٧٠٢
 ادبا عادية (ج) ٦٠١
 الاديم العكاظي (ج) ٢٨٠
 اذبل (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤
 اذر (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤
 اذهن (ج) ١٥٢
 اذينة (ج) ٦٦٠
 (ج) ٦٣٤ — ٦٣٥ ، ٦٣٩
 (ج) ٨٣ ، ٩٠ — ١٠٣ ، ١١٠
 ١١١ ، ١٢٦ ، ١٧٧
 (ج) ٧٩ ، ١٨٩
 (ج) ١٨٩
 (ج) ٣٣٠
 ارادوس (ج) ٥٦٤
 ارش بن عمرو (ج) ٣٧٤
 (ج) ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٠
 ارشة بن مر (ج) ٤٠٢ ، ٤٠٧
 ارام (ج) ٤١٧ ، ٤١٩ — ٤٢١
 ارباب بن رثاب (ج) ٤٦٣
 اربد بن ربيعة (ج) ٢٥٥
 اربد بن قيس (ج) ٢٥٥ ، ٥٢١
 (ج) ٥٥١ — ٥٥٣ ، ٥٥٥ —
 ٥٥٦
 الارث (ج) ٣٧٢
 ارتاماس (ارتامون) (ج) ١٠٩
 ارتحشتا (ج) ٦٤٦
 (ج) ٩٢
 ارتميدورس (ج) ١٥
 ارثر جفري (ج) ٦١٦
 (ج) ٣٦٧
 ارثر كريستنسن (ج) ٦٣٣ ،
 ٦٣٥ ، ٦٤٤
 (ج) ٢٠٢

- ارجيز (ج) ١٥٦
 اردشير بن بابك (ج) ١٣ ، ٥٧٦ ،
 ٦١٤ - ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨
 ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ٦٣٩
 (ج) ٩٠ ، ١٦١ - ١٦٢ ،
 ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٣
 ١٨٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ - ٣١١
 (ج) ١٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٢ ،
 ٤٤٢
 (ج) ١١٦ ، ٢٨٠
 اردشير بن شيرويه (ج) ٢٩٩ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٢
 اردشير بن هرمز (ج) ١٩٤
 اردوان (ج) ٣٠٦
 ارسامس (ج) ٦٢٦
 ارستون (ارسطون) (ج) ٢٣ - ٢٤ ،
 ٧١
 ارسطو (ارسطو طاليس) (ج) ١٩٩
 (ج) ٢٥ حا
 (ج) ٢١٧
 (ج) ٦٢٨
 (ج) ٢٨٠
 (ج) ٢٤٠ ، ٧٣١
 (ج) ٤٧ - ٤٨ ، ٥١ - ٥٢
 ٥٧ ، ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠١
 ارسطو بولس الاول (ج) ١٤ ،
 ٣٩
 (ج) ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥
 ارسطو بولس الثاني (ج) ٣٩
 ارشياس (ج) ٧
 ارطاة بن شراحيل (ج) ١٩٤
 ارطبان الخامس (ج) ٩٠ ، ٤٣٩
 ارغو (ج) ٤٤٩
 ارفكشاد (ارفخشاد) (ج) ٢٩٦ ،
 ٤١٧ - ٤١٨
 (ج) ٥٣٧
 الارقم بن ابي الارقم (ج) ١٢٩ ،
 ١٨٩ ، ٢٥٩
 (ج) ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
 ١٣٢
 ارقم بن ثعلبة (ج) ٣٤٦
 (ج) ٤٤٥
 الارقم بن نضلة (ج) ٢٨
 (ج) ٥١٧
 ارم بن سام (ج) ٢٩٦ - ٢٩٧ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ - ٣٠٦
 حا ٣٢٢ ، ٤١٦ - ٤١٨
 (ج) ٥٣٧
 (ج) ٥٣٧
 ارمياء النبي (ج) ٣٧٧ ، ٤٤٠
 ارمينوس (ج) ١٢٨
 ارنجده (ج) ٤٨١
 ارنست اوسيندر (ج) ١٢٧ - ١٢٨
 ١٣٥ - ١٣٦ ، ٤٥١
 اروى (ج) ١٣٦
 اروتيموس (ج) ٢٩
 ارباط (ج) ٤٥٧ - ٤٥٨ ، ٤٨١ -
 ٤٨٢ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥٢٤ -
 ٥٢٥
 اريان (ج) ١٩٩
 (ج) ٥ - ٨
 (ج) ١٤٠
 اريانوس (ج) ١٥٩
 اريتاس (ج) ٦٥١
 (ج) ٢٤٣ ، ٤٠٣
 اريوس (ج) ٦٥٩
 (ج) ٣٩٦
 (ج) ١٦٧
 (ج) ٦٢٤ - ٦٢٥ ، ٦٣٧
 الازاذبه (ج) ٦٤٩
 آزاذبه بن بابيان (ج) ٣٠٨ - ٣٠٩
 ازاذبه بن ماهيبان (ج) ٢٩٩ -
 ٣٠٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤
 الازاذبه مرد بن الازاذبه (ج) ٢٢٨
 ازار بن ابي ازار (ج) ٥٤٦
 ازال (ج) ٩٢ ، ٣٥٨ ، ٤٢٨
 ازائن (ج) ٤٨٤
 الازد بن الفوث (ج) ٤٣٤ ، حا ٤٤٦

- الاردني (ج ٥) حا ٤٥٥
آزر (ج ١) ٣١٦
(ج ٦) ٥٠
(ج ٨) ٣٤٥
الازرفي (ج ٤) ٥٩٥
الاررفي (ج ١) حا ٢١٥ ، ١٥٨
(ج ٣) حا ٣٢٠ ، حا ٤٨٢ ،
٥٠٠ - ٥٠٢ حا ٥٠٧ -
٥٠٨ ، حا ٥١٦ - ٥٢٠ ،
(ج ٤) حا ١٤٠ ، حا ١٧٠ ، حا
٤١ - ٤٢ ، حا ٥٦ ، حا ٥٩ ،
حا ٦٥ ، حا ٨٠ ، حا ٩٩ ، حا
١١٥ ، حا ١٤٤ ، حا ٤٣٩ -
٤٤٠
(ج ٥) حا ٢٣٥ ، حا ٢٥٠ ، حا
٢٧٢
(ج ٦) حا ٦٠ ، حا ٧٥ ، حا
٧٧ ، حا ٧٩ - ٨٠ ، حا
١٨٩ ، حا ١٩٣ ، حا ٢٣٠ ، حا
٢٣٦ - ٢٣٧ حا ٢٤٠ ،
حا ٢٤٢ - ٢٤٣ ، حا ٢٤٥ ،
حا ٢٤٨ ، حا ٢٥١ ، حا ٢٦٦ ،
٢٦٧ - ٢٧٠ ، حا ٢٧١ ،
حا ٢٧٣ - ٢٧٤ ، حا ٢٨٦ -
٢٨٧ ، حا ٣١٢ ، حا ٣٢٨ ،
حا ٣٥٣ ، حا ٣٥٧ ،
٣٦٢ - ٣٨٠ ، حا ٣٨١ ،
حا ٣٨٤ ، حا ٣٨٦ ، حا ٣٨٩ ،
حا ٣٩٩ ، حا ٤٠٤ - ٤٠٥ ،
حا ٤١١ ، حا ٤١٨ ، حا
٤٢٢ ، حا ٤٢٥ ، حا ٤٣٥ -
٤٣٦ ، حا ٤٣٨ - ٤٣٩ ، حا
٤٤١ - ٤٤٤ ، حا ٤٨٨ ،
٦٠٩ ، حا ٧١٢
(ج ٧) حا ٣٧٦ ، حا ٣٧٨ ،
حا ٣٨٠
(ج ٨) حا ٨٩ ، حا ٤٧٤ ،
حا ٥٠٠
ازرو (ج ٣) ٤٩٧
- ازقير (ج ٢) ٤٦٧
الازمع بن خولان (ج ١) ٣٦٨ -
٣٦٩
ازهر بن عبد عوف (ج ٨) ٣٣١ ،
(ج ٩) ٢٧٧
الازهري (ج ٤) ٢٩٨ ، حا ٤٢٥
(ج ٥) ١٤٤
(ج ٦) حا ٦٧٦
(ج ٧) ٦٣٣ ، ٦٣٥
(ج ٨) ٣١٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٨ ،
٦٥٤ ، ٦٨٤ ، ٧٣٩
(ج ٩) ١٢٣ ، ١٨١ ، ٣٢٢ ،
٦٠١ ، ٦٠٩
ازيدوروس الملطي (ج ٣) ١٣٤
اسا (ج ١) ٦٤٠
أساف بن عمرو (ج ٦) ٢٦٦ - ٢٦٧
أسامة بن زيد بن حارثة (ج ٤)
٢٤٤
(ج ٧) ٦٠٣
أسانيد (ج ١) ٤٦٢ - ٤٦٣
اسبغ بن عمرو بن لام (ج ٤) ٢١٩ ،
٢٢١ ، ٢٣٩
اسحاق بن ابراهيم (ج ١) ٤١٠ ،
٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٤٩٩
(ج ٥) ١١١
(ج ٦) ١٩٩ ، ٥٧٣ ، ٦٢٩
(ج ٨) ١٧٣
(ج ٩) ٧٥٦
اسحاق بن الجصاص (ج ٩) ٢٩٥
اسحاق بن سويد العلوي (ج ١)
٤٩٦
اسحاق بن الفرج (ج ١) ٢٠
اسحاق بن قبيصة (ج ٩) ٢٤
اسحاق بن مراد (ج ٩) ٣٠٤
اسحاق الانطاكي (ج ٦) ٢٣٨ -
٢٣٩
اسحاق الجاثليق (ج ٦) ٥١٧
اسحاق القنوي (ج ٦) ٦٨٣

اسحاق الموصلي (ج ٩) ٨٥٧
 اسد بن جفنه (ج ٦) ٤٧٧
 اسد بن خزيمة (ج ١) ٣٧٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
 (ج ٣) ٣٤٩
 (ج ٤) ٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ -
 ٦٥٧ ، ٥٣٤
 (ج ٥) ٨٢ - ٨٣ ، ٢٨٢ ، ٦٤٧
 (ج ٦) ٢٤٩ ، ٤٠٨
 (ج ٧) ٣٤٧
 (ج ٨) ٦٠٢ ، ٧٧٧ ، ٧٨٨
 (ج ٩) ١٤٦ ، ٤٤٧
 اسد بن ربيعة (ج ١) ٤٠٦ - ٤٠٧ ،
 ٥٢٥
 اسد بن عبد العزى (ج ٤) ٣٩ - ٤٠ ،
 ٥١ ، ٦١ ، ٩٤ ، ٢٦٨ ،
 (ج ٦) ٢٤٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ،
 ٥٩٠ ، ٦٠٦
 (ج ٨) ١١٩
 الاسد بن عمران (ج ٢) ٣٩٤
 اسد بن كرز (ج ٩) ٦٢١ ، ٦٤٩
 اسد بن ناعسة (ج ٩) ٧٩٣
 اسد بن هاشم (ج ٩) ٤١٢
 اسد بن وبرة (ج ٤) ٤٢٤
 اسد بن يبرح (ج ٤) ٢٠٢
 اسد ذخر (ج ٢) ٣٢٢
 الاسد الرهيف (ج ٥) ٣٨٨
 الاسد مجزت مونهان (ج ٢) ٣٨١
 اسدة (ج ١) ٣٩٩
 (ج ٤) ٤٧٧
 اسدم اسعد (اسد اسعد) (ج ٢)
 ٣٧٦ - ٣٧٤
 الاسدي (ج ٦) ٧٢٤
 اسراييل (ج ٤) ٣١٤
 اسرافيل (ج ٢) ٢٦٩
 اسرحدون (ج ١) ٢٠٥ ، ٥٩١ -
 ٥٩٥ ، ٥٩٧ - ٦٠٠ ، ٦٠٢
 ٦٠٣ ، ٦٠٩
 اسطيغان البيزنطي (ج ١) ٦٤ ، ٢٤٥
 ٣٦٢ ، ٥٩٩
 (ج ٢) ٦٣ ، ٦٢٣
 (ج ٣) ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٥
 ٦٨ ، ١٢٧ ، ١٥٧ ، ٣٠٣ ،
 ٤٥٣
 (ج ٤) ١٣٠
 اسعد بن زرارة (ج ٦) ٦٨
 (ج ٨) ٢٩٣ ، ٤٠٥
 اسعد بن القدير (ج ٩) ٥٤٢
 اسعد ابا كرب الحميري (ج ١) ٤٢
 ٣٣٢ ، ٣٧٠ ، ٥٢٥
 (ج ٢) ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥
 ٥٧٨
 (ج ٣) ١٦٨ ، ٢٥١ ، ٣٢٢ ،
 (ج ٤) ١٧
 (ج ٦) ٤٤٢ ، ٤٦٢ - ٤٦٣
 (ج ٧) ٤٩٠
 اسعد تبع (ج ١) ٥٠٢
 (ج ٢) ٢١٩ ، ٣٦٣ ، ٥٢٦ ،
 ٥٦٩ ، ٥٧١
 (ج ٤) ٥٣٦
 اسعد الخير بن زرارة (ج ٤) ١٣٧
 اسعد الكامل (ج ٤) ٤١٨ ، ٤٤٨
 الاسعر (الاشعر) الجعفي (ج ٥) حا
 ٦٠٠
 (ج ٩) ٢٤٣
 اسفنديار (ج ١) ٧٨
 (ج ٨) ٣٢٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٥
 الاسقع الليثي (ج ٦) ٥٦
 اسقليوس (ج ٨) ١٩٨
 اسكندر (ذو القرنين) (ج ١) حا ٥٣
 ٦١ ، ٣٠٤ ، ٤٤٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨
 ٥٠٢
 (ج ٢) ٥ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢١
 - ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١ - ٣٤ ،
 ٣٨ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١١٣ ، ٥٣٣

اسحاق الموصلي (ج ٩) ٨٥٧
 اسد بن جفنه (ج ٦) ٤٧٧
 اسد بن خزيمة (ج ١) ٣٧٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
 (ج ٣) ٣٤٩
 (ج ٤) ٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ -
 ٦٥٧ ، ٥٣٤
 (ج ٥) ٨٢ - ٨٣ ، ٢٨٢ ، ٦٤٧
 (ج ٦) ٢٤٩ ، ٤٠٨
 (ج ٧) ٣٤٧
 (ج ٨) ٦٠٢ ، ٧٧٧ ، ٧٨٨
 (ج ٩) ١٤٦ ، ٤٤٧
 اسد بن ربيعة (ج ١) ٤٠٦ - ٤٠٧ ،
 ٥٢٥
 اسد بن عبد العزى (ج ٤) ٣٩ - ٤٠ ،
 ٥١ ، ٦١ ، ٩٤ ، ٢٦٨ ،
 (ج ٦) ٢٤٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ،
 ٥٩٠ ، ٦٠٦
 (ج ٨) ١١٩
 الاسد بن عمران (ج ٢) ٣٩٤
 اسد بن كرز (ج ٩) ٦٢١ ، ٦٤٩
 اسد بن ناعسة (ج ٩) ٧٩٣
 اسد بن هاشم (ج ٩) ٤١٢
 اسد بن وبرة (ج ٤) ٤٢٤
 اسد بن يبرح (ج ٤) ٢٠٢
 اسد ذخر (ج ٢) ٣٢٢
 الاسد الرهيف (ج ٥) ٣٨٨
 الاسد مجزت مونهان (ج ٢) ٣٨١
 اسدة (ج ١) ٣٩٩
 (ج ٤) ٤٧٧
 اسدم اسعد (اسد اسعد) (ج ٢)
 ٣٧٦ - ٣٧٤
 الاسدي (ج ٦) ٧٢٤
 اسراييل (ج ٤) ٣١٤
 اسرافيل (ج ٢) ٢٦٩
 اسرحدون (ج ١) ٢٠٥ ، ٥٩١ -
 ٥٩٥ ، ٥٩٧ - ٦٠٠ ، ٦٠٢
 ٦٠٣ ، ٦٠٩

١٦٢
 اسيد بن جابر (ج) ٦٠٩
 اسيد بن حباء (ج) ٣٦٧ ، ٣٩٦
 اسيد بن حضير (ج) ١٣٧ ، ١٣٩
 — ١٤٠
 (ج) ١١٤ ، ١١٦ ، ١٦٠
 اسيد بن عبد الله (ج) ١٣٤
 (ج) ٥٢١
 اسيد بن عمرو (ج) ٣٥٣
 (ج) ٥٢٩
 (ج) ١٥٨ ، ٦٤٢
 اسيد الباهلي (ج) ٤٠٢ ،
 (ج) ٦٣٧
 (ج) ٣٩٧
 اسير بن دفرام (ج) ٧٤٨
 اشبق (ج) ٤٤٦
 الاشج (ج) ٢٠٩
 اشجع (ج) ٤٠٤ ، ٤٠٧
 (ج) ١٤٠ ، ٤٢٤ ، ٥٠٩
 (ج) ٣٦٢
 الاشجعي (ج) ٣٦٤
 اشرم (ج) ٣٧٢
 (ج) ٢٨١ — ٣٨٢
 (ج) ٤٦٤
 الاشرم (ج) ٤٨١ ، ٥٢٠
 الاشعث بن قيس خاصم (ج) ٤٥٤
 الاشعث بن قيس الكندي (ج) ٣٣١
 (ج) ١٩٦ — ١٩٩ ، ٤٠٤ ، ٣٣١
 (ج) ٥٦٦ ، ٥٧٢ ، ٥٩١ ، ٦٧٢
 (ج) ٢١١ ، ٤٠٨
 (ج) ٥٤٢
 (ج) ١٤٢ ، ١٠٥
 (ج) ٨٩٧ ، ٣٧٢
 (ج) ٣٧٠ ، ٣٧٢
 (ج) ٦٣٦
 (ج) ٤٩٤
 اشعيا (ج) ٤٤٠
 (ج) ٥٥٣

١٠٣
 (ج) ٢٧
 الاسود بن عمرو (ج) ٦٧٣
 (ج) ٥٦٥
 الاسود بن كعب (ج) ٧٨٠
 الاسود بن مسعود (ج) ١٥٥
 (ج) ٢٣٤
 الاسود بن المطلب (ج) ٤٠ ، ٩٢
 ١٠٣ ، ٥٨١
 (ج) ٣٧
 (ج) ٣٨٥
 الاسود بن مقصود (ج) ١١١ ،
 ٤٧٧ ، ٥١٤ — ٥١٥
 الاسود بن المنذر (ج) ٢٠٩ — ٢١٢ ،
 ٢١٤ — ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٣٢٨
 ٣٢٨
 (ج) ٤٩٢
 (ج) ٣٥٨
 (ج) ٥٦٩
 الاسود بن يزيد (ج) ٣٠٢
 الاسود بن يعفر (ج) ١٥٩ ، ٢٠٩
 ٢٨٢ ، ٣٠٢
 (ج) ٤٨٩ ، ٤٧٥
 (ج) ١٥٧ — ١٥٨ ، ٦٤٢
 (ج) ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤٤٧
 ٥٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٨٦
 (ج) ٤٩٩ ، ٥٣٠
 (ج) ٢٧١
 (ج) ٩١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
 ٢٤٣ ، ٤٧٤ ، ٧٩٧ — ٧٩٨
 ٨٣٢
 الاسود العجلي (ج) ٢٨٠
 الاسود الغنسي (ج) ٥٢٨
 (ج) ٤٥٥ ، ٤٥٦ — ٤٥٦
 الاسود الكذاب (ج) ١٩٢
 الاسود (ج) ٣٦٩
 اسيد بن أبي اياس (ج) ٨٩٢
 اسيد بن أبي العيص (ج) ١١٨ ،

٤١٨ ، ٥٥٨ ، ٥٦٥ ، ٦٣١ ، ٦٦٨
 (ج) ٢٣ ، ٢٩ ، ٥١ - ٥٢
 ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ -
 ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٩٤ ، ٢١٥ -
 ٢١٦ ، ٢٢٢ - ٢٢٦ ، ٢٢٣ -
 ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ -
 ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ -
 ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ -
 ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ - ٣٠٣ -
 ٣٠٥ ، ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٢٢ -
 ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ -
 ٣٣٥ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ٣٤٦ -
 ٣٤٩ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٦٢ -
 ٣٧٥ ، ٣٩٩ - ٤٠٠ ، ٤٠٧ ،
 ٤٣٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ - ٤٦٧ ،
 ٤٨٦ ، ٤٩٤ ، ٥٠٩ ، ٥٤٢ ،
 ٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ،
 ٦٠٣ ، ٦٣٦ ، ٦٧٧ - ٦٧٨ ،
 ٦٨٩ ، ٦٩٩ ، ٧١٤ ، ٧٢٩ -
 ٧٣٠ ، ٧٣٧ ، ٧٥٦ ، ٧٧٥ ،
 ٨٠٠ ، ٨٠٤ ، ٨٠٧ ، ٨٧٧ ، ٨٢٤ ،
 ٨٥٤ ، ٨٥٧ ، ٨٧٧ ،
 الاصهب الجعفي (ج) ٢٧٨
 الاصيد بن سلمة (ج) ٢٦٥
 الاضط بن قريع (ج) ١٨ ، ٤٠٧ ، ٤٥٢ ،
 (ج) ٤٠٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٦٢ - ٤٦٤ ،
 اضطمرى بن مهرة (ج) ٣٦٧
 الاطول (ج) ٨٥٣
 اظلم بن زبئر (ج) ٤٢٣
 الاعشى (ج) ١٥٠ ، ١٧٨ ، ٢٨٧ ،
 ٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٤١٤ - ٤١٥
 (ج) ٦١٧ - ٦١٨ ،
 (ج) ٢٢٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،

الاشقر بن عمرو (ج) ٣٦٦
 الاشل بن عمرو (ج) ٤٠٨
 اشلاء قنص بن معد (ج) ١٨٧
 اشمس بن ديام (ج) ٣٦٦
 اسنح (ج) ٣٧١
 آشه (ج) ١١٠ ،
 اشور بن سام (ج) ٢٩٦ ، ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٥٧ ،
 اشور بنبال (ج) ٤٣٩ ، ٤٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ ، ٦٠٧ -
 (ج) ١٥
 (ج) ٦٣
 اشور نصربال الثالث (ج) ١٣٣
 اشوريم (ج) ٤٤٦ ، ٤٥٧
 آشي (ج) ٥٤
 اشيب بن عبد مناة (ج) ٥٢٤
 اشيع (ج) ٥٤٦ ، ٥٤٨
 الاصبع الكلبى (ج) ٢٣٧ - ٢٣٨
 الاصبهاني (ج) ٢٠٤
 اصيهل نيمرور (ج) ٦٤٧
 (ج) ٥٢٥
 الاصطخري (ج) ٦٢١
 (ج) ١٥٨
 الاصقع بن شريح (ج) ٢٤٠
 اصم بني الحارث (ج) ٢٩٧
 الاصم عمرو بن قيس (ج) ٥٩٣
 الاصمعي (ج) ١٥ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ١٧١ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧١ ،
 ٣٠٧ ، ٤٩٠ ، ٥٠٥ ،
 (ج) ٥٢٤ ، ٥٩٢ ،
 (ج) ٢٠٢ ، ٣٠٢ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٨ ، ٣٥٥ ، ٣٩٩ - ٤٠١ ،
 (ج) ١٣٣
 (ج) ٩٤ ، ١٥٠ ،
 ٢١٦ - ٢١٧ ، ٤٢٥ ،
 (ج) ٤٨٨
 (ج) ٣٥ ، ١٦٨ ، ٣٦٠ ،

٢١ (٩ج) ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٧٥
 ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩١ — ٩٣
 ٩٨ ، ١٠٤ — ١٠٥ ، ١٠٧
 ١٠٩ — ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٨
 — ١٢٠ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤
 ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٨٣ ، ١٨٨
 ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ — ٢٣٧
 ٢٤٦ ، ٢٦٧ — ٢٦٨ ، ٢٧٥
 ٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥
 — ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦
 ٣٨٦ ، ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٤١٥
 — ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٥٠٦
 ٥٠٨ — ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٥
 ٥١٩ ، ٥٦٧ — ٥٨٦ ، ٥٨٨
 ٥٩٤ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٥٨ —
 ٦٥٩ ، ٦٦٧ — ٦٦٨ ، ٦٧٢
 ٦٧٥ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ — ٦٨٨
 ٧٣١ ، ٧٦٥ ، ٧٧١ — ٧٧٤
 ٧٧٨ — ٧٧٩ ، ٧٩٥ ، ٨٠٧
 ٨١١ — ٨١٢ ، ٨٢٩ ، ٨٣١
 ٨٣٣ ، ٨٣٧

الاعشى بن نياش (ج) ٧٣٦
 (٩ج) ٧٠٤

اعشى باهلة (ج) ٦٣٥

اعشى بكر (ج) ٣٩٨

اعشى بني ثعلبة (ج) ٦٦٥

الاعشى الحرمازي (ج) ٧

اعشى قيس (ج) ٣٦٦

الاعشى المازني (ج) ٨٤٦ ، ٨٥٢
 — ٨٥٣

اعشى همدان (ج) ٢١٤

اعصر بن سعد (ج) ٤٠٣ — ٤٠٤
 (ج) ٣٢٤

(ج) ٤٤٠ ، ٤٤٤ — ٤٤٥ ،

٤٤٧

الاعقف (ج) ٣٦٣

الاعلم الشميتري (ج) ٢٠١ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧ ،
 ٥٠٩ ، ٧٠٤

٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧٦
 — ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٤٤٢
 (ج) ٥٣ ، ٧٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٠
 ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨
 — ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩
 ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٩
 (ج) ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٤
 ١٠٣ ، ١٠٨ — ١٠٩ ، ١١٨
 ١٦٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٨ — ٢٠٩
 ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٣٢
 ٣٧٠ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٤٧
 ٤٥١ ، ٤٥٩ ، ٥١٦ ، ٥٦٠
 ٥٩٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ ، ٦٤٨
 (ج) ٧٤ ، ١٠٧ ، ١١٧ ،
 ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ،
 ٤٢٠ ، ٤٤٧ ، ٤٩٦ ،
 ٥٧١ — ٥٧٢ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩
 ٦٢١ — ٦٢٢ ، ٦٤٨ ، ٦٥٧
 ٦٥٩ — ٦٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧
 ٦٦٩ ، ٦٧١ — ٦٧٢ ، ٦٧٤
 ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٧٠٧ ، ٧١٧ ، ٧٢٢
 ٧٣٠ ، ٧٣٤ ، ٧٩٣ ، ٨٠٤
 ٨١٣
 (ج) ٣٩ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٦
 ٧٩ ، ٨٣ ، ٩١ ، ١٠٠ ،
 ١٣٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣
 ٢٢٩ ، ٢٨٢ ، ٤١٣ ، ٤٤٨
 ٥٣٤ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٩٠
 ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ٦١١ ، ٦٠٨
 — ٦١٢
 (ج) ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٧ ، ٤٧٤ ، ٥٦٠
 ٦٦٠ — ٦٦١ ، ٦٦٤ ، ٧٠٣
 ٧١٢ ، ٧١٨ ، ٧٢١ ، ٧٢٦
 — ٧٢٧ ، ٧٨٦

- ٣٢٩
 (ج) ٦٣٨ ، ٦٤٠
 الافعى بن الحصين (ج) ٦٣٧
 (ج) ٦١٨
 الافعى الجرهني (ج) ٣٩٤ ،
 (ج) ٥٣٦
 (ج) ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٦٣٩
 (ج) ٧٦٧
 (ج) ٣٦٩
 افعو (ج) ٤٦٦
 الافكل (ج) ٢٤٧ ، ٤٨٤
 (ج) ٧٧٠
 افلاطون (ج) ٢٨ ، ٣ ، ٧٣١
 (ج) ١٧٠
 افلح بن النصر السلمي (ج) ٣٦٤
 - ٣٦٥
 (ج) ٢٤٢
 اقنون التغلبي (ج) ٢٥٦
 (ج) ٦٧٣
 (ج) ٢٤٤
 (ج) ٢٧٤ ، ٣٩٥ ، ٤٩٦ ،
 ٥٦١
 الافوه الاودي (ج) ٤٥٧
 (ج) ٢٦٧
 (ج) ٦٧٣ ، ٨٢٠
 (ج) ٣٥٣
 (ج) ٩٨ ، ١٥٥ ، ٣٧٩ ،
 ٤٠٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٨٢٣
 افيفانيوس (ج) ٨٥
 (ج) ٢٣٣ ، ٢٤٨ - ٢٤٩ ،
 ٦٣٧ ، ٦٣٥
 (ج) ٤٨٥ ، ٥١٠
 افاقيوس (ج) ٦٣٧
 الاقرع بن حابس (ج) ٣٩٦
 (ج) ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ٢١١ ،
 ٥٢٨ ، ٥٩١
 (ج) ٢٩ ، ١٢٦ ، ٢٦٣ ،
 ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣
- الاعلم الهذلي (ج) ٦١٥ ، ٦٤٩
 الاعميذا (ج) ٤٥١ ، ٤٥٦
 الاعور (ج) ٥٩٨
 اعين (ج) ٣٥٧
 اغاثر سيدس (ج) ١٥ ، ٧١
 (ج) ٢٦٦
 اغناذ يمون (ج) ١٩٨
 اغسطس قيصر (ج) ١١ ، ٦ ، ٤١
 ٤٣ - ٤٤ ، ٥٩
 (ج) ٣٦ - ٤٠ ، ٤٥ ، ٩٧
 ١١٥ - ١١٧ ، ١٣٤ ، ٥٠٣
 (ج) ٢٣٥ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٨
 الاغطش (ج) ٣٦٢
 الاغلب بن عمرو العجلي (ج) ١٦٩
 - ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٤٢٠
 ٤٢٢ ، ٥٥٣ ، ٨٩٧ - ٨٩٨
 اغناطيوس افرام (ج) ٣) حا ٤٦٤
 (ج) ٨) حا ٣٤١
 اغناطيوس غويدي (ج) ١) حا ١٠١ ،
 ١٣٧
 اغنور (ج) ٢٠٠
 افنل (ج) ٤٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٠
 افتمبوس (ج) ٥٨٨
 افرام (ج) ٤٠٩
 (ج) ٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٦٣٣ ،
 ٦٨٦
 افراهيم بن ارغو بن فالغ (ج) ٤٤٨
 افرهط (ج) ٦١٠
 افريدون (ج) ٤١٦
 افريفيس بن شمر (ج) ٥٣٩
 (ج) ٤٨٣
 افصى بن جمان (ج) ٥٦١
 (ج) ٤٥٩ ، ٤٦٢
 افصى بن سعد (ج) ٤٦٢
 افصى بن عامر (ج) ٥٣٠ - ٥٣١
 افصى بن عبد القيس (ج) ٣٧٣ ،
 ٤٠٧
 الافعى بن الافعى الجرهني (ج) ٤١

(ج) ٢٣٣ - ٢٣٩ ، ٤٦٥
(ج) ٢٧١ ، ١٣٦ ، ٣٧٢ - ٤٧٨
٥٢٦ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨
(ج) ١١١ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ،
١٧١ ، ٢٩١ ، ٣٠٠
الا اصبحة كالب (ج) ٤٧٠ - ٤٧١
٤٧٧

البرائت (ج) ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ - ١٣٨

(ج) ٧٨ - ٧٩ ، ٨٢ - ٨٦ ،

٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ -

١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٤ - ١٢٥ -

١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ - ١٤٣ -

١٤٨ ، ١٥١ - ١٥٢ ، ١٥٨ ،

١٦٩ ، ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٨٠ ،

١٨٢ - ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ -

٢٠٦ ، ٢١١ - ٢١٢ ، ٢١٤ -

٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ،

٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٣١٥ - ٣١٦ ،

٣٥٧ - ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٤٧٦

(ج) ٤٦

الجون الكلبى (ج) ٣٧٢

الجون الكندي (ج) ٥٢٤

(ج) ٣٧٧

الساوس (ج) ٤٥٥

الس بن ابي اناس بن زنييم (ج) ٨٩٢

٨٩٢

الفان (ج) ٥٣٧

الله (ج) ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٨ - ٤١ ،

٤٦٧ ، ٨٤ - ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٩ -

١١٢ ، ١٣٣ ، ١٨٤ ، ٢٠١ ،

٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ -

٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ،

٣٠٤ ، ٣٠٩ - ٣١١ ، ٣١٥ -

٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،

٣٤٢ ، ٣٤٧ - ٣٤٩ ، ٣٥٦ ،

٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ،

٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٣٦ ،

٤٣٧ ، ٤٤٠ - ٤٤١ ، ٤٥٢ ،

٤٠٧ ، ٦٢٧ ، ٦٤١ ، ٦٤٢

٦٥٣

(ج) ٢٢٥ ، ٦٩٣

(ج) ١٤٧ ، ٣٨٤

(ج) ٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٧٤٠ ،

٧٨٩

(ج) ٨٦٣

الافرع بن عبد الله الحميري (ج) ١٩٢

١٩٢

الافقس بن مسلمة (ج) ٢١٧

الاقواء (ج) ٢٢ - ٢٤ ، ٢٢٥

الاقيشر (ج) ٦٧٧

الاکبر بن عبد القيس (ج) ٢٠٩

اکبرو (ج) ٥٩٤

(ج) ٤١

اکثم بن صيفي (ج) ٢٧٩

(ج) ٥٢٩ ، ٦٤١

(ج) ١٥٨ ، ٢٣٧ ، ٣٥٣ ،

٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ،

٥٦٠ ، ٦٣٧ - ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،

(ج) ١٢٦ ، ١٣١ ، ٣٤٠ ،

٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٧٧٦ ،

٧٧٨ - ٧٧٩

اکد (ج) ٥٥٤

اکو (ج) ٩٩

اکرب (ج) ٤٦٥

اکرم ضياء العمري (ج) ٢٣٤

(ج) ٧٥٢

اکسوم (ج) ٥١١

اکسينوفون (ج) ٦١٠ ، ٦٢٠ -

٦٢٦ ، ٦٢١

(ج) ٤٦٢

(ج) ٢١

(ج) ٦٣٢

اکلب بن ربيعة (ج) ٤٠٦

اکنوستوس تيوس (ج) ٦٧٣

اکيدر (ج) ٥٤ ، ٥٢

(ج) ١١٩ ، ٦٠٠

اکيدر بن عبد الملك (ج) ٣٧٨ ، ٣٨٢

— 92 6AA 6A7 6A8 — 87
 6 1.2 69A — 97 690
 — 117 6112 611. 61.7
 122 612. — 119 6117
 181 6139 — 138 6122 6
 6100 6 187 6182 —
 6188 6181 6172 6107
 621. 62.7 6198 6191
 6237 6227 6228 622.
 6201 628. 6238
 — 291 6287 6273 6209
 6220 6211 — 2.8 6292
 6813 68.2 6289 6281
 6880 6882 6838 — 827
 6883 — 881 6879 6878
 6017 — 011 6890 — 898
 — 030 6032 — 031 6029
 003 600. 6 083 6027
 — 078 6071 6008 — 000
 608. — 079 6071 6077
 7.3 — 7.2 6097 6 080
 788 6782 617 671.
 671 613 — 12 67 (78)
 — 38 632 — 3. 627 — 23
 680 — 88 639 — 38 637
 672 — 71 608 608 60.
 — 82 670 — 78 67. 678
 699 697 — 97 693 689
 6121 — 112 611. — 1.1
 6180 — 182 6129 — 128
 — 103 610. 188 — 187
 6172 6109 — 108 6107
 6178 6172 — 17. 6177
 6183 6181 6179 — 177
 — 20. 6197 6198 — 193
 6218 621. — 2.7 62.1
 6228 — 219 6217 — 217
 — 239 6238 6231 — 229
 200 — 203 6280 6283 —

883 6877 6873 6808 6
 60.2 — 0.1 6897 6888
 — 782 678. 6702 6087
 789 6783
 6027 6018 6308 6 (28)
 6728 67.1 6082 6028
 702 670. 6
 17. 6112 611. 60. (28)
 271 62.3 62.1 617.
 6277 6278 6272 6228
 6820 6390 6281 6278
 6871 6808 683. — 828
 602. 6010 — 018 6891
 031
 631 — 3. 620 68 6 (88)
 680 681 637 628 — 23
 670 672 — 09 600 603 60.
 69. 689 678 — 77 670
 61.0 61.3 61.1 699
 6121 6119 6112 611.
 6 6137 6120 — 123
 6107 — 100 6189 6188
 6179 6177 6177 6109
 6187 — 187 6182 — 181
 6217 6213 6211 — 21.
 6280 — 288 6230 6228
 6277 6272 6207 6208
 6297 — 290 6292 6271
 — 30. 6 328 63.1
 6279 6277 6208 6201
 6297 6287 6281 6271
 6830 6828 6811 68.1
 6899 6887 6877 6872
 078 6072 6082 603. 6
 617 671. 6099 6079
 781 6733 6723 6719
 783 6702 6788 — 787
 602 682 629 — 28 (08)
 68. 670 — 78 672 609

ԼԻԸ — ԼԻ. Կ ԼԻԱ Կ ԼԻԴ
 Կ ԾԾ Կ ԶԱ Կ ԶԲ Կ ԶԸ (ՎԸ)
 Կ ԶԵՎ Կ ԶԶԳ Կ ԶԶԴ Կ ԶԶ
 ԶԾԾ — ԶԾԸ Կ ԶԾ. Ե Կ ԶԸԳ
 ԶԾ. Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԸԸ Ե Կ ԶԾԱ
 Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԾԸ
 Կ ԶԸԶԴ — ԶԸ.Գ Կ ԶԸ.Զ Կ ԶԸ.Զ
 ԶԸԸԴ Ե Կ ԶԸԾԾ Կ ԶԸԸԴ Կ ԶԸԸ
 ԸԶԶ Կ Ը.Ը Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԸԶԴ —
 Կ ԸԶԶԴ — ԸԶԶԴ Կ ԸԶԶԴ Կ ԸԶԶ.
 Կ ԸԾԶԴ Կ ԸԸԸԾ Կ ԸԸԸԶ — ԸԶԶԴ
 — ԸԶԶԴ Կ ԸԶԸԸ Կ ԸԾՎ Կ ԸԾԾ
 Կ ԸԸԸԸ — ԸԸԸԶ Կ ԸՎԶԴ Կ ԸԶԸ
 Կ ԾԶԾ Կ ԾԶԶԴ Կ Ծ.ԶԴ Կ ԸԶԶԴ
 Զ.Վ Ե Կ Զ.Ծ Ե Կ ԾԱ.
 Կ Ծ.Ա Կ Ծ.Ը — ԶԸ Կ ԸԱ (ԸԸ)
 Կ ԾԶԸ — ԾԶԶԴ Կ ԾԶԶԴ Կ ԾԶԶԴ
 — ԾԶԶԴ Կ ԾԶԶԴ — ԾԶ. Կ ԾԶԶԴ
 Կ ԾԸԶԴ Կ ԾԸ. Կ ԾԶԶԴ Կ ԾԶԸ
 Ե Կ ԾԱԶԴ Կ ԾԱԶԴ Կ ԾԶԶԴ — ԾԶԸ
 Կ ԶԸԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶՎ Կ ԶԱԱ
 Կ ԶՎԸ — ԶՎԶԴ Կ ԶԾԶԴ Կ ԶԾԶԴ
 Կ Զ.Ծ Կ Զ.ԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԱԶԴ
 Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԸ
 Կ ԶԶԶԴ — ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶԶԴ
 Կ ԶԶՎ Կ ԶԶԾԾ — ԶՎԸ Կ ԶՎԶԴ
 — ԶԶ. Կ ԶԱՎ Կ ԶԱԾ Կ ԶԱԶԴ
 Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ Ը.Ը Կ ԶԶԶԴ
 Կ ԶԶՎ — ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ
 — ԶՎԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶՎ Կ ԶԾԶԴ
 Կ ԶՎԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶՎ Կ ԶԾԶԴ
 Կ ԶՎԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶՎ Կ ԶԶԶԴ
 Կ ԶԶՎ — ԶԶՎ Կ ԶԶՎ — ԶԶ.
 — ԶԶՎ Կ ԶԶԾ Կ ԶՎԶԴ Կ ԶՎԸ
 Կ Զ.Ծ — Զ.ԶԴ Կ Զ.ԶԴ Կ ԶԶԶԴ

— ԶԶԾ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԾԶԴ — ԶԾԱ
 Կ ԶՎԶԴ Կ ԶՎՎ Կ ԶՎԸ Կ ԶԶԶԴ
 Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԱԾ — ԶԱԶԴ
 — ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ Զ.Ա Կ Զ.Ը
 Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԸ
 ԶԶԶԴ Կ ԶԸ. — ԶԶՎ Կ ԶԶԾ
 ԶԾԾ Կ ԶԾԶԴ — ԶԾ. Կ ԶԶԸ —
 — ԶԶԾ Կ ԶԶԶԴ — ԶԶ. Կ ԶԾՎ
 — ԶՎՎ Կ ԶՎԶԴ — ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ
 Կ ԶԶ. Կ ԶԱԶԴ — ԶԱ. Կ ԶՎԸ
 Կ Ը.Զ Կ Ը.Ը Կ ԶԶԶԴ — ԶԶԶԴ
 — ԸԶԶԴ Կ ԸԶԾ Կ Ը.Զ Կ Ը.Ծ
 Կ ԸԶԶԴ — ԸԶ. Կ ԸԶԶԴ Կ ԸԶ.
 Կ ԸԸԶԴ — ԸԸ. Կ ԸԶԶԴ — ԸԶԾ
 Կ ԸԾԶԴ Կ ԸԾԸ — ԸԾ. Կ ԸԸԶԴ
 ԸԶԶԴ Կ ԸԶԸԸ Ե Կ ԸԶ. — ԸԾԶԴ
 — ԸԱ. Կ ԸՎԸ Կ ԸՎԶԴ Կ ԸՎ.
 — ԸԶԶԴ Կ ԸԶ. — ԸԱԶԴ Կ ԸԱԶԴ
 Կ Ծ.Զ Կ ԸԶԶԴ Կ ԸԶՎ Կ ԸԶԾ
 Կ Ծ.Զ — Ծ.Ա Կ Ծ.Զ Կ Ծ.Ը
 Կ ԾՎՎ Կ ԾՎԸ Կ ԾԶԾ Կ ԾԶԾ
 Կ ԾԸԱ — ԾԸՎ Կ ԾԸԾ Կ ԾԸՎ
 — ԾԶ. Կ ԾԾԶԴ Կ ԾԾԸ Կ ԾԾԶԴ
 — ԾՎՎ Կ ԾՎ. Կ ԾԶԶԴ Կ ԾԶԶԴ
 Կ ԾԱՎ — ԾԱԸ Կ ԾԱԶԴ Կ ԾՎԾ
 Կ Զ.Ը Կ ԾԶԶԴ Կ ԾԶ. — ԾԱԶԴ
 Կ ԶԶ. — ԶԶԶԴ Կ Զ.Զ — Զ.Զ
 ԶԶՎ — ԶԶԾ Կ ԶԶՎ Կ ԶԶԶԴ Ե
 — ԶԾ. Կ ԶԸԱ — ԶԸԶԴ Կ ԶԸ.
 — ԶՎԶԴ Կ ԶԶԶԴ — ԶՎՎ Կ ԶԾԶԴ
 ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԶԶԴ Կ ԶԱԶԶԶԶ.
 Վ.Վ Կ Վ.Վ — Վ.Զ Կ ԶԶԶԴ —
 Կ ՎԶԾ Կ ՎԶԾ Կ ՎԶ. — Վ.Զ
 Կ ՎԾ. Կ ՎԸ. Կ ՎԶԾ Կ ՎԶԶԴ
 Կ ՎԶԶԴ Կ ՎԾԱ — ՎԾԶԴ Կ ՎԾՎ
 Կ ՎՎԶԴ — ՎՎԾ Կ ՎՎԶԴ — ՎՎԶԴ
 Կ ՎԱԶԴ Ե Կ ՎԱ. Կ ՎՎԱ
 — Ա.Ը Կ Ա.Ը — ՎՎԶԴ Կ ՎԱԶԴ
 — ԱԶԾ Կ ԱԶԶԴ Կ Ա.Վ Կ Ա.Ծ

٦٢٢ ، ٦٢٠ ، ٦١٢ ، ٦٠٨
 ، ٦٥٤ ، ٦٢٤ — ٦٣٢ ، ٦٣٠
 ، ٦٨٧ ، ٦٦٦ ، ٦٦٢ — ٦٦١
 ، ٧١٤ ، ٧٠٨ ، ٦٩٩ — ٦٩٦
 ، ٧٣١ ، ٧٢٩ ، ٧٢٤ ، ٧٢٠
 — ٧٤٠ ، ٧٣٨ ، ٧٣٦ ، ٧٣٣
 ، ٧٥٠ — ٧٤٨ ، ٧٤٦ ، ٧٤٢
 ، ٧٦١ — ٧٥٨ ، ٧٥٥ ، ٧٥٣
 ٧٨٢ — ٧٨١ ، ٧٦٦ ، ٧٦٣
 — ٨١٥ ، ٨١٣ — ٨١٢ ، ٧٩٦
 — ٨٣٨ ، ٨٣٠ — ٨٢٠ ، ٨١٦
 — ٨٤٩ ، ٨٤٢ — ٨٤١ ، ٨٣٩
 ، ٨٥٩ — ٨٥٥ ، ٨٥٣ ، ٨٥٠
 ، ٨٧٨ — ٨٧٦ ، ٨٧٤ ، ٨٦٧
 ، ٨٩٢ — ٨٩١ ، ٨٨٨ — ٨٨٧
 ٩٠٧ ، ٩٠٥ ، ٩٠٠ ، ٨٩٧
 آوارت (ج) ٣٦١
 الورد (ج) ٣٧٢ ، ٣٠٥ ، ٤٧٣
 الالوسي (ج) ٣٠٥
 (ج) ٢٨٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨٧
 (ج) ٩٤
 (ج) ٧٨٢ ، ٦٩٦ ، ٥٦٠ ، ٥٤
 (ج) ٩٧ — ٩٦
 الياس بن مضر (ج) ٣٩٧ ، ٤٨٨
 (ج) ٥٢٢ ، ٤٧٥
 (ج) ٢٢٥
 (ج) ٦٢٦ ، ٢٥
 (ج) ٤٠٧
 اليعازر (ج) ٥٤
 اليفاز بن عيسو (ج) ٤١٢
 اليفاز التيماني (ج) ٦٤٠
 أم احراد (ج) ١٩٢
 أم اسرة (ج) ٤٠٥
 أم الياس (ج) ٤٧٦
 أم اناس (ج) ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧
 أم ايعن (ج) ٨٢
 أم بدرة (ج) ٨٨٣
 أم البنين (ج) ٦٥١
 ٦٠٧ — ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦٢٣
 ، ٦٢٧ — ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٢٩
 ، ٦٥٥ — ٦٥٢ ، ٦٥٠ ، ٦٤٣
 ، ٦٦٤ — ٦٦٣ ، ٦٥٩ — ٦٥٧
 ، ٦٨٤ — ٦٨٣ ، ٦٦٨ — ٦٦٦
 ، ٦٩٦ ، ٦٩٤ ، ٦٩٠ — ٦٨٧
 — ٧٣٤ ، ٧١٠ ، ٧٠١ ، ٦٩٨
 — ٧٥٤ ، ٧٥٢ ، ٧٤٩ ، ٧٤٤
 ، ٧٦٥ — ٧٦٢ ، ٧٥٩ ، ٧٥٧
 ٧٩١ — ٧٨٧ ، ٧٨٥ ، ٧٦٨
 (ج) ١٧ ، ١٥ — ١٤ ، ١٠ ، ٨
 ، ٣٥ ، ٢٧ — ٢٦ ، ٢٠ ، ١٨
 ، ٥١ ، ٤٥ ، ٤٢ — ٣٩ ، ٣٧
 ، ٧٨ ، ٧٠ ، ٦٧ — ٦٥ ، ٥٧
 ١١٨ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ٨٨ — ٨٧
 — ١٤٧ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٢٦
 ، ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٥٢ ، ١٤٨
 ، ١٧٦ — ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٠
 ، ١٩٦ — ١٩٥ ، ١٨٧ ، ١٧٨
 ، ٢١٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ، ٢٣١ — ٢٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢١٦
 ، ٢٤٥ — ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٣٤
 ، ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٠ — ٢٤٧
 ، ٢٨٤ ، ٢٨٠ — ٢٧٨ ، ٢٦٢
 ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ — ٢٩٥ ، ٢٩٢
 ، ٣٢٩ ، ٣١٨ ، ٣١٢ ، ٣٠٩
 ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٤٠ ، ٣٣٧
 — ٣٧٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٥ — ٣٦٤
 ، ٣٩٠ ، ٣٨٥ — ٣٨٤ ، ٣٧٨
 ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ — ٣٩٣
 ، ٤٦٧ ، ٤٢٩ ، ٤٢٣ ، ٤٠٦
 ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، ٤٧٣ — ٤٧٢
 — ٤٩٧ ، ٤٩٤ — ٤٩٣ ، ٤٨٢
 ، ٥٣٢ ، ٥٣٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠١
 ، ٥٤٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٢ ، ٥٣٩
 ٥٥٧ ، ٥٥٥ — ٥٥٣ ، ٥٥١
 ، ٥٧٨ — ٥٧٧ ، ٥٧١ ، ٥٨٠
 — ٥٩٢ ، ٥٨١ — ٥٩٣
 ، ٦٠٥ ، ٦٠٣ ، ٥٩٧ ، ٥٩٣

(ج) ٢٨٥
 أم معاوية (ج) ٨٣
 أم ملهم (ج) ٣٩١
 أم مهزول (ج) ١٣٥
 أم موسى الكلابية (ج) ٢٢٦
 أم هاني (ج) ٧١٣
 أم هند (ج) ٢٨٧
 أمامة بنت سلمة (ج) ٢١٨ ، ٢٥٥
 أمامة بنت كسر (ج) ٣٢٩
 أم العزى (ج) ٢٢٨ ، ٣١٦
 أمة يشعن بنت داد (ج) ٣١٩
 أم محمد بنت عصم (ج) ٣٢٠
 الأمدي (ج) ٦٣٦
 (ج) ٣٦٠ ، ٢٤٥ ، ٣٦٠
 (ج) ١٥٣ ، ١١٨ ، ١٥٣
 (ج) ٢٦٣ ، ٣٥٠
 (ج) ٨٣ ، ٨٩ ، ١٨٠
 ٢٣٩ ، ٣٨٣ ، ٤٥٩
 ٤٦١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٤
 ٤٨٤ ، ٥٢٠ ، ٦٩٠ ، ٤٨٤
 ٧٩٧ ، ٨٧٠
 امر (امر) (ج) ٢٠٠
 (ج) ٣٠٦
 امرؤ القيس بن أروى (ج) ٨٠١
 امرؤ القيس بن بهثة (ج) ٥١٨
 امرؤ القيس بن ثعلبة (ج) ٤٣٥ ، ٤٣٧
 امرؤ القيس بن حجر (ج) ١١٨
 (ج) ٨٤ - ٨٣
 امرؤ القيس بن زيد مناة (ج) ٢٨٩
 (ج) ٦٨٢ ، ٥٩٠
 (ج) ٧٩٥
 امرؤ القيس بن عابس (ج) ٩٠٥
 امرؤ القيس بن عانس (ج) ٢٧٤
 امرؤ القيس بن عمرة (ج) ١٨٣
 امرؤ القيس بن عمرو (ج) ٢٣
 (ج) ٥٤٨ - ٥٥٠ ، ٥٥٢
 ٥٩٣ ، ٦٥٤ - ٦٥٦ ، ٦٥٨

(ج) ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٨٩٦
 أم جرهم (ج) ١٤٤
 أم الجلاس (ج) ٣٨٤
 (ج) ٢٦٨
 أم جندب (ج) ١٨٧ ، ٢٣٩ ، ٤٦٩
 ٥٣١
 أم الحارث (ج) ٥٢٦
 أم حنتر (ج) ٧٩٧
 أم حبيبة (ج) ٤٧٦
 أم حجر (ج) ٣٤٧
 أم الحويرث (ج) ٣٧٩
 أم خارجة (ج) ٥٣٢ ، ٦٢٧ ، ٦٣٧
 ٦٤٥
 (ج) ٥٥٤
 أم خالد (ج) ٦٠٦
 أم الرباب (ج) ٣٧٩
 أم الربيع (ج) ٥٧٩
 أم سلمة (ج) ٢٨٣
 أم سليم (ج) ٦٥
 أم السويد (ج) ١٣٥
 أم شريك (ج) ٧٦
 أم العباس (ج) ٤٤١
 أم عبدالله (ج) ٧٦٨
 أم عطية (ج) ٦٣٨
 أم عمرو (ج) ٢٨٧
 (ج) ٢٧١
 (ج) ٤٠
 أم غليظ (ج) ١٣٥
 أم الفياطل (ج) ٧٧٠
 أم غيلان (ج) ٧١٢
 أم الفضل (ج) ٤٤١
 (ج) ٧٨٥
 أم قرنة (ج) ٦٢٧
 أم قطام (ج) ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٤٩
 ٣٥٢
 أم كحة (ج) ٥٦٦
 أم كلثوم (ج) ١٣٨
 أم مالك (ج) ٣٣٩
 أم محمد (ج) ٥٥٧

٧٩٩ ، ٧٨١ ، ٧٢٩ ، ٦٩٥
 ، ١٩٩ ، ٧١ ، ٤٤ ، ٣١ (٧ج)
 ، ٣٣٨ ، ٣١٨ ، ٣٠٥ ، ٢٣٩
 ، ٣٧٣ ، ٣٦١ ، ٣٤٣ ، ٣١٨
 ، ٥٣٤ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥١٨
 ، ٦٠٦ ، ٦٠٠ ، ٥٦٦ ، ٥٦٣
 ، ٢٤٨ ، ١٧٩ ، ١٧٦ ، ٨٩ (٨ج)
 ، ٣٠٦ ، ٢٧٨ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩
 ، ٥٩١ ، ٤٣٠ ، ٣٩٦ ، ٣٨٦
 ، ٦٧٥ ، ٦٦٤ ، ٦٤٧ ، ٦٤٤
 ، ٧٠٣ ، ٦٩١ ، ٦٨٦ ، ٦٧٩
 ، ٧٢٤ ، ٧٢١ ، ٧١٦ ، ٧١٥
 ٧٦٤
 ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٣٣ ، ٢١ (٩ج)
 — ٩٤ ، ٩١ ، ٨١ ، ٨٠ —
 — ١٠٤ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٩٥ —
 ، ١٢٠ ، ١١٤ ، ١٠٨ ، ١٠٥
 ، ١٥٨ ، ١٤٨ ، ١٤٥ ، ١٤٣
 ، ١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٦٤ ، ١٦١
 ، ١٨٦ ، ١٨٤ ، ١٧٨ ، ١٧٦
 — ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ١٩٠ ، ١٨٨ —
 ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢٠٨
 ، ٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤
 ، ٢٤١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥
 ، ٢٧٩ ، ٢٧٤ ، ٢٦٧ ، ٢٥٤
 ، ٣١٢ ، ٣٠٥ ، ٢٩١ ، ٢٨٤
 ، ٣٤٥ ، ٣٣١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦
 ، ٣٨٣ ، ٣٦٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠
 — ٤٠٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٠ ، ٣٩٠ —
 ، ٤٢٢ ، ٤١٩ ، ٤١٥ ، ٤٠٧
 — ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٢٤ —
 ، ٤٥٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٤٤
 ، ٤٧٥ ، ٤٧١ ، ٤٦٩ ، ٤٦١
 ، ٥٠٦ ، ٤٨١ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧
 ، ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٥٠٩ ، ٥٠٨
 ، ٥٣٥ ، ٥١٩ ، ٥١٧ ، ٥١٥
 ، ٥٥٩ ، ٥٤٢ ، ٥٤٠ ، ٥٣٧
 ، ٥٨٦ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٦٨
 ، ٦٧٢ ، ٦٢١ ، ٦١٧ ، ٥٩٧

٣١٠ — ٣٠٩ (٣ج)
 ١٧٦ (٤ج)
 امرؤ القيس بن عوف (٢ج) ٤٣٢ ،
 ٤٤٢ — ٤٤١
 امرؤ القيس بن النعمان (٣ج) ٢٠٥ ،
 ٢١٢ ، ٢١٦ — ٢١٧ ، ٣١١ ،
 ٣١٣ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢
 امرؤ القيس البلد (٣ج) ٣٠٦ —
 ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥
 امرؤ القيس الحميري (٩ج) ٣٨٣
 امرؤ القيس الكندي (١ج) ٢٤ ، ٥١
 ، ١٥٦ ، ٣٧٤ ، ٣٦٨ ، ٣٠٩
 ، ٣٨١ — ٣٨٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢
 ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٧٥
 (٣ج) ١٠٧ ، ١٧٢ — ١٧٣ ،
 ١٨٧ — ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨
 ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ — ٢٣٥ ،
 ٢٤٨ — ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٣٠١ ، ٣٤٩
 ، ٣٠٨ ، ٣٤٦ ، ٣٧٤ — ٣٥٦
 ، ٣٥٧ ، ٣٧٨ — ٣٨٦ ، ٣٧٧
 ، ٤١٠ ، ٤٩٢
 (٤ج) ٦٧ ، ١٣٦ ، ١٧٤ —
 ، ١٧٥ ، ٢٢١ ، ٣٣٩ ، ٣٠٥
 ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤
 ، ٤٠٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٤ ، ٤٨٨
 ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ، ٥٧٢ ، ٦١٢ —
 ، ٦١٣ ، ٦٢١ ، ٦٣٠ ، ٦٤٦
 ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ، ٦٦٣
 (٥ج) ١٧ ، ٦١ ، ٦٦ ، ١٢٣ ،
 ١٦٠ ، ١٩٢ ، ٢٨٨ ، ٣١٩ ،
 ٣٢١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠
 ٤٥١
 (٦ج) ١٦ ، ١٠٧ — ١٠٩ ،
 ١٥٩ ، ١٩٥ ، ٢٢٢ — ٢٢٣ ،
 ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٣٥٤ ، ٤١٢ ،
 ٥٢٨ ، ٥٥٥ ، ٥٧١ ، ٥٧٧ ،
 ٥٨٦ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٨ ،
 ٦٦١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٨ ، ٦٩٣

- ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٤٤٥ ، ٥٧٨ ،
٦٧٧ ، ٦٨٥ ، ٦٩٥ ، ٧٠٣ ،
٧٥٢ - ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٨ ،
٧٦٩ ، ٨٠٧ ، ٨١٠ ،
٨٣١ ، ٨٤٨ - ٨٤٩ ، ٨٩٥ ،
امية بن حريث الكناني (ج ٥) ٢٩٢
(ج ٩) ٨٩٤ ،
امية بن خلف (ج ٤) ٨٤ ،
١٢٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٤٨١ ،
٦٠٤
(ج ٥) ٣٧ ،
(ج ٧) ٣٥٢ ، ٤١٢ ،
(ج ٨) ٢٧٤ ، ٦٦٠ ،
(ج ٩) ٧٤٤ ،
امية بن زيد (ج ٧) ١٩٤ ،
امية بن عبد شمس (ج ٣) ٥٢٦
(ج ٤) ٧١ - ٧٢ ، ٥٩١ ،
(ج ٥) ٣٨٣ ،
(ج ٦) ٧٦٧ ،
امية بن عوف (ج ٨) ٥٠٠ ،
امية بن قطع (ج ٨) ٤٩٧ - ٤٩٩ ،
امية بن المغيرة (ج ٤) ٦٧١ ،
اميم (ج ١) ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،
٣٤٣ ، ٤١٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ -
٤٥٠ ، ٤٥٧ ،
اميمة بنت عبد المطلب (ج ٤) ٨٠ ،
٨٢
اميمة بنت عتبة (ج ٩) ٤١١ ، ٧٣٥ ،
الامين (ج ٩) ٢٥٠ ،
امين (امينم) (ج ٢) ١٦٦ ، ١٦٨ ،
٣٦٧
انبروسوس (ج ٣) ١٢٧ ،
انتيبانور (ج ١) ٦٥٠ ،
(ج ٢) ٤٠ ،
(ج ٣) ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ،
انجشة الحادي (ج ٥) ١١٦ ، ١١٩ ،
اندروستينس (ج ٢) ٧ ، ١٤ ،
اندس (ج ٣) ٤٦٢ ، ٤٦٩ ،
٦٧٥ - ٧٧٦ ، ٧٧٨ ، ٨٠٠ ،
٨٠٨ ، ٨١٢ ، ٨١٨ ، ٨٢٢ ،
٨٢٧ - ٨٢٨ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ،
امرؤ مناة (ج ٦) ١٦ ،
الامري (ج ١) ٩٣ ، ٣٦٧ ،
امصبا (ج ١) حا ٦٤٣ ،
(ج ٣) ٥٣ ،
آمنة (أم الرسول) (ج ٥) ٨٩ ،
٥٣٠ ،
(ج ٧) ٣٥٧ ،
امولاني (ج ١) ٦٠١ ،
الاموي (ج ٩) ٢٢٢ ،
اميانوس (ج ٢) ٦٤٠ ، ٦٤٢ - ٦٤٣ ،
(ج ٣) ١٧٣ ، ٣٩٦ ،
(ج ٥) ٥٤٢ ،
امية بن أبي الصلت (ج ١) ٤٢ ، ١١٢ ،
حا ٣٠٧ ، حا ٣٢٢ ، ٣٤٤ ،
٣٩٦ ، ٤١٢ - ٤١٤ ،
(ج ٣) ٤٦٨ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ،
٥٢٦ ،
(ج ٤) ٩٧ - ٩٨ ، ١٠٢ ،
حا ١٥٠ - ١٥١ ، ١٥٦ ، ٤٦٧ ،
٥١٧ ، ٥٨٠ ، ٦١٤ ، ٦٧١ ،
(ج ٥) ٢١١ ، ٣٣٢ ،
(ج ٦) ٧ - ٨ ، ١١٣ ، ٢٢١ ،
٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ،
٥٠٠ ، ٥٥٥ ، ٥٨٣ ،
٦٣٨ ، ٦٤٥ ، ٦٦٨ ، ٦٧٢ ، حا
٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٧٩ - ٦٨٠ ،
٦٩٦ ، ٧٢٢ ، ٧٣١ ، ٧٣٨ ،
٧٤٩ ، ٧٩٦ ،
(ج ٧) ٦٣ ، ٢٤٦ ، ٥٨٢ ،
٦١٠ ،
(ج ٨) ١١٤ ، ١٤١ ، ١٦٠ ،
٢٥٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ،
٤٢٨ ، ٥٦٠ ، ٦٦٤ - ٦٦٥ ،
٧٢٨ ،
(ج ٩) ٥٥ ، ٦٤ - ٦٥ ، ٧٥ ،
٨٢ ، ١٠٧ ، ١٥١ ، ٢٣٨ ،

- انطيوخس الثاني عشر (ج) ٢٩
 انطيوخس (ج) ١٠
 انطيوخس ييوس (ج) ٢٦ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٨٨
 (ج) ٢٧٨
 انعم بن اعلى (ج) ٢٦١
 انعم بن عمرو (ج) ٢٦٠
 انعم بن فخش (ج) ١٨ ، ٥٢
 اكناد (ج) ٢٢٨
 انكي (ج) ٥٦٢
 انمار بن ارش (ج) ٤٤٢ ، ٤٢٢ ، ٤٤٦ ، ٤٧٠
 انمار بن بفيض (ج) ٥١٠
 انمار بن دب (ج) ٥٠٢
 انمار بن عمرو (ج) ٤٨٣
 انمار بن نزار (ج) ٢٦٤ ، ٣٧٤ ، ٢٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧
 (ج) ٤٤٣ ، ٤٦٩ - ٤٧١ ، ٥٠٦
 (ج) ٦٧٢
 انمار يامن (ج) ٣٢٤ - ٣٢٧ ، ٣٢٧ - ٣٤٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٩٨ ، ٤١١ ، ٤٨٦ ، ٥٢٢
 انوش بن حششبنده (ج) ٦٤٧
 انوشروان بن قباد (ج) ٥٣ ، ٨٠٦ ، ٥٣٢ ، ٦٧٩
 اتوليتن (ج) ١٣٧ ، ٣٢٨
 انيس (ج) ٤٨ ، ٥١٥
 (ج) ٥٩٠
 (ج) ١٩٧
 انيس فريجة (ج) ١٧٣ ، ٤٦٣
 انيف بن جلة الضبي (ج) ٣٩٦
 انيف بن حارثة (ج) ٧٦٨
 الاهوب (ج) ٤٣٥
 الاهتم (ج) ٤٨٢
 اهون بن سبأ (ج) ٣٦٤
 (ج) ٥٠٩
 الاندلسي (ج) ٢٢١
 انس بن بهان بن مالك (ج) ٥١٩
 انس بن ريم (ج) ٨٩٢ - ٨٩٤
 انس بن عباس (ج) ٢٥٩ ، ١٤٩ ، ٢٧٥
 (ج) ٢٥٧
 انس بن عياص (ج) ٢٥٧
 (ج) ٥٩٦ ، ٧١٠
 انس بن مالك (ج) ١١٥ ، ٦١٢
 (ج) ٤٦٥ ، ٤٦٦ - ٤٦٦
 (ج) ٩٧ ، ١٢١ ، ١٢٣
 انس بن مدرك (ج) ١٩٥
 (ج) ٣٥٣ ، ٦٣٧
 (ج) ٨١٤
 (ج) ١٠٦ ، ٣٤٣ ، ٦٤٨ ، ٩٠٨
 انس الله (ج) ٤٥٧
 (ج) ١٦ ، ٢٨٧
 انس العلاء (ج) ٣٧٦
 انس الفوارس (ج) ٥٧٤ ، ٦٣٦
 انسة (ج) ٥٩
 انستاس (انسطاس) (ج) ٦٥٥
 (ج) ١٣٠ ، ٢٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٨٣ ، ٣٩٥
 (ج) ٥٤٠ ، ٦٠٥
 (ج) ٥٠٣
 انستاس ماري الكرمي (ج) ٢٨
 (ج) ٣٥٦
 انضر بهرجب (ج) ٢٣٢
 انطيفونس (ج) ١٧ - ١٩ ، ٢٨ ، ٣٥ - ٣٦
 انطيوخس بن الاسكندر (ج) ٦٥٠
 - ٦٥١
 (ج) ٦١٩
 (ج) ٢٧٥ ، ٤٩٥
 انطيوخس افيفانوس (ج) ٥٥
 (ج) ١٢
 (ج) ٣ ، ٦٨ ، ١٠٧ ، ١٢٥
 انطيوخس الثالث (ج) ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٢

- (ج ٨) ٣٨٦ ، ٦٦٤ ، ٧٢٢ ، ٧٧٥
 (ج ٩) ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٥٠ ، ٢٦٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٦٥ - ٤٦٦ ، ٤٨٦ ، ٥٠٣ ، ٥٤١ ، ٥٨٧ ، ٦٨٤
 اوس بن حذيفة (ج ٤) ١٥٧ ، ١٩١
 اوس بن الحطيئة (ج ٩) ٨٨٣
 اوس بن حمير (ج ٤) ٤١٦
 اوس بن حي (ج ٢) ٨٤ ، ٩٨
 اوس بن خالد (ج ٤) ٢١٩ ، ٢٢١
 (ج ٩) ٨٦٥
 اوس بن خولي (ج ٤) ٥٧٥
 (ج ٨) ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٦٠
 اوس بن ذني (ج ٦) ٥٧٠ ، ٥٨١
 (ج ٩) ٧٧١ ، ٧٨٦
 اوس بن ربيعة (ج ٦) ٧٦٥
 اوس بن الصامت (ج ٥) ٥٥١
 اوس بن عوف (ج ٤) ١٥٠
 اوس بن قلام (ج ٢) ٢٥٥
 (ج ٣) ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢١٧ ، ٢٦٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣
 (ج ٦) ٦٦٢ - ٦٦٣
 اوس بن لام (ج ٩) ٢٣٧
 اوس بن محصن (ج ٤) ٥٠٣
 اوس بن مخاشن (ج ٤) ٥٢٨
 (ج ٦) ٥٦ ، ٢١٤ ، ٢٨١
 اوس بن مفراء السعدي (ج ٤) حا ٥٢٦
 (ج ٥) ٤٥٢ ، ٦٥٣
 (ج ٩) ٦٩ ، ٩٩ ، ٨٤٨
 اوس ال يضع (ج ٢) ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٤٧٧
 اوس الله (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠٧
 (ج ٦) ١٦ ، ١٧
 اوس مناة (ج ٤) ٤٨٧
- او ايطع (ج ١) ٤٣٩
 الاواس بن الحجر (ج ٩) ٦٣٧
 اوب (ج ١) ٥٩٣
 اوبردك (ج ٣) ١١٢
 اوبرهداد (ج ١) حا ٥٧٥
 اوبرويوس (ج ٣) ٤٦٨
 اوبو (ج ١) ٥٩٤
 اوبيل الاسماعيلي (ج ١) ٦٣٤
 اوتو ووبر (ج ١) ١٣٥
 (ج ٢) ٨٢
 اوجين نسران (ج ٣) حا ١٧٢
 اوجينيوس (ج ٣) ٢١٥
 اود (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠٤
 (ج ٧) ٤٦٢
 اورانيوس (ج ٢) ٦٣ ، ٤٦
 (ج ٣) ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١
 اورثاغوراس (ج ٢) ١٤
 اورليان (ج ٢) ٦٣٥
 اورليوس (ج ٣) ١٢٣
 اورودس (ج ٢) ٦١٢
 اوريليانوس (ج ٣) ١٠٨ ، ١١٥ - ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧
 الاوزاعي (ج ٩) ٢٠ ، ٢٦
 اوزال (ج ١) ٤٢٤
 اوس بن بشير (ج ٧) حا ٥٩
 الاوس بن تغلب (ج ١) ٣٣٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٧
 (ج ٤) ٤٩١
 اوس بن حارثة (ج ٤) ١٣٥ ، ٢٢٠ ، ٣٣٩ ، ٥٧٨ - ٥٧٩
 (ج ٥) ١٧٦ ، ٣٥٤
 (ج ٨) ٧٧٨
 (ج ٩) ٤٨٧ ، ٨١٦
 اوس بن حجر (ج ٤) ٣٨٠ ، ٥٢٩ ، حا ٥٤٨
 (ج ٥) ٣٨٨ ، ٥١٩ ، ٥٣٤
 (ج ٦) ٢٢٣ ، ٣١٦ ، حا ٦٦٠
 ٦٧٢ ، ٦٩٧ ، ٧٥٩ ، ٨٠٤
 (ج ٧) حا ٧٩ - ٨٠ ، ٥٠٣

٣٢٤ ، ٤١٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ -

٤٤٦ ، ٤٥٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥

(ج ٣) ٢٨ ، ٥٠٣ ، ٥٣٣ -

٥٣٥

(ج ٤) ٤١٥

(ج ٥) ١٨٨

(ج ٦) ٥٣٩

(ج ٧) ٢٦٦ ، ٢٧٢ -

اوھن الله (ج ٤) ٤٥٧

اوينك (ج ٢) ٧٤

(ج ٦) ٥٢٨

اوتي (ج ١) ٦٠١ ، ٦٠٣

اوبجينوس (ج ٣) ٢١٦

اويسبيوس (ج ١) ٢٧ ، ٦١ - ٦٢ ،

٤٥٥ ، ٦٥٠

(ج ٣) ٢٤ ، ٦٠ ، ٦٧

(ج ٤) ٦٥٤

(ج ٦) ٦٣٤

اياد بن معد (ج ١) ٣٦٧ ، ٣٩٢ ،

٤٠٦

(ج ٤) ٤٦٩ ، ٤٧٦

(ج ٥) ٣٧٩

اياد بن نزار (ج ٢) ٦٤٤

(ج ٦) ٣٧٣

(ج ٨) ٦٧٢

اياس بن قبيصة الطائي (ج ١) ٣٣٢ ،

(ج ٢) ٦٤٩

(ج ٣) ٢٣٦ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ -

٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ -

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤

(ج ٤) ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٥٠١ ،

٦٧١

(ج ٥) ١٢٠ ، ٢٩٤

(ج ٦) ٥٩٨

اياس بن مطيع (ج ٩) ٣١٩

اياس بن معاوية (ج ٨) ٤٩٣

ايا صوفيا (ج ٣) ١٣٤

ايا مبيخوس (ج ٢) ٤١

اياس (ج ٦) ٦٢٧

(ج ٦) ٢٥٠ ، ٣٢٠

اوس يه (اوس يهو) (ج ٦) ٣١٦

اوسبيوس القيصري (ج ٨) ٥٢٤

اوسكار لوفكرين (ج ٤) حا ٤٣٢

اوسلة رفسان (ج ٢) ٣٣١ ، ٣٣٤ -

٣٣٥ ، ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٣٥٥

- ٣٥٨

(ج ٤) ٤٣٣

اوطاخي (ج ٦) حا ٦٣٢

اوغت لودويك شلوتر (ج ١) ٢٢٣

اوغت هفتر (ج ١) حا ١٥٥

اوفي بن مطر المازني (ج ٤) ٤٠٤ -

٤٠٥

(ج ٥) ٣٩٢

(ج ٩) ٦٠٩

اوفي بن عتق الحية (ج ٣) ٣٣١

(ج ٦) ٥٧٧

اوفير (ج ١) ٤٢٤

اوكتافيوس اغسطس (ج ٢) ٤١ ،

(ج ٣) ٣٦

اولارينوس (ج ٢) حا ٦٣٤

اولدم اذكرم (ج ٢) ٤٥٨

اولستيد (ج ٣) ١٤٠

اوليري (ج ١) ١٣٤ ، ٢٦٥ - ٢٦٦ ،

٢٧٠ ، ٥٦٠

(ج ٢) ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١١٩ ،

٢٢٤

(ج ٢) ٢٢٨

(ج ٤) ١١٦

(ج ٦) ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٦١١ ، حا

٦٢٧

اوليمبيوس (ج ٣) ٢١٦

اوليندر (ج ٢) حا ٣١٨ ، ٣٢٥ ،

٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠

اوليوس غالوس (ج ١) ٥٨ - ٥٩ ،

١٦١

(ج ٢) ٢٨ ، ٣٠ ، ٤٣ - ٤٧ ،

٤٩ ، ٥٢ - ٥٣ ، ٥٥ - ٥٨

٦١ - ٦٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ٢٤٧

ايليا بن عيني (ج ٨) ٢٠٦ ، ٦٧٨
 ايليا النصيبي (ايلية) (ج ١) ٦٤ ،
 ٣٣١
 (ج ٤) ١٤١
 (ج ٥) ١٦٦
 ايليشرح (ج ٢) ٤٢١
 ايلكوئيل (ج ١) ٦٥٠
 ايمن بن خريم (ج ٩) ٢٨٢ ، ٨٤٦
 ايمن يهرجب (ج ٢) ٤٥٩
 ايمو (ج ١) ٦٠٠ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥
 اينو ليتمان (ج ٢) ٦١١
 الايهم بن جبلة (ج ٣) ٤١٩ ، ٤٢٦ ،
 ٤٤٨ ، ٥٣٣
 الايهم بن الحارث (ج ٣) ٤٣٣ ، ٤٤٦ ،
 ٤٤٧ -
 (ج ٦) ٦١٧
 ايواكريوس (ج ١) ٦٤
 (ج ٣) ٢٢٨
 ايوالد (ج ٦) ٢٩٦
 ايوب (ج ١) ١٩٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٦ ،
 ٤٢٠ ، ٣٢٨
 (ج ٣) ٢٨٩
 (ج ٦) ٤٠٥ ، ٦٨٢ - ٦٨٣
 (ج ٨) ٢٤٥
 ايوب بن رزاح (ج ٣) ٣٩٧
 ايوب بن مجروف (ج ٦) ٦٨٣
 ايوب بن مركز (ج ٦) ٦٨٣

ايخاربائي (ج ١) حا ٦٥٢
 ايدوك (ج ٢) ٤٦٢ - ٤٦٣
 ايراتوستينس (ج ١) ٥٧
 (ج ٢) ١٢ ، ١٥ ، ٧٣ ، ١٢٩
 ١٧١
 ايروتيموس (ج ٣) ٢٥
 ايرينوس (ج ١) ٦٢
 ايزانا (ج ٢) ٣٤٤
 ايزيدور الكركسي (ج ٢) ١٧٥
 ايسوب (ج ١) ٣١٨
 (ج ٨) ٣٤٦
 ايشو عزخا (ايشوع زخا) (ج ٣) ٢٨٤
 ايشو عياب الارذني (ج ٦) ٥٩٧
 ايشهورن (ج ١) ٢٢٣
 ايفا هويك (ج ٢) حا ١٦٣
 ايل (امر ينهب) (ال امر ينهب) (ج ٢)
 ٥٦٢
 ايل ذرح (ج ٦) ١٧
 ايل سمع (ج ٦) ١٧
 ايل كرب (ج ٦) ١٧
 ايل يشع (ج ٦) ١٧
 ايل يفع (ج ٦) ١٧
 ايلاريوس (ج ٦) ٦٣٧
 ايلاقبالوس (ج ٣) ٦٣
 ايلاكليل (ج ٢) ٦٧
 ايلو ابني (ج ٢) ١٣٩

— الباء —

- با ايلو (بائلة) (ج) ٥٩٥
 البايا (ج) ١٦٨
 بابابر نصر بابا بن نصر (ج) ٦٥٩
 بابلون بابليون (ج) ٢٥٨
 (ج) ١١٤
 باتس (ج) ٨ - ٩ ، ٢٥٩
 الباجي (ج) ٩٦ - ٩٩
 باحض (ج) ٤٢٢
 باخ اوفن (ج) ٥٢٣
 باذان (باذام) (ج) ٥٢٧ -
 ٥٢٨
 (ج) ٧٥٣ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩
 بارج (ج) ٣٣٢
 (ج) ٥٣٧
 بارق (ج) ١٨٥ ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ،
 ٤٨٠
 (ج) ١٣٣
 بارقم (ج) ٤٠٨
 بارنيوس (ج) ٧٢
 باروخ بن نيريا (ج) ٣٥١ - ٣٥٢
 بازل بن شرحبيل بن سار (ج) ١٠١
 الباسق (ج) ٥٨٨ ، ٦٠٥
 باسل بن ضبة (ج) ٤٠٢
 (ج) ٩٨
 (ج) ٥٢٣
 باطش (ج) ٩
 باقل (ج) ٨١٩
 (ج) ٧٩٥
 الباقلائي (ج) ٦٠٤ ، ٧٥٩
 (ج) ٥٢٥ ، ٥٣٥ ، ٧٥٩
 ٦٤٦ ، ٨٠٥
 باقوم (لقوم الرومي) (ج) ١٢٢ ،
 ١٢٦
 (ج) ٤٣٥ ، ٤٣٨ - ٤٣٩
 (ج) ٢٧٣
 بانيان (ج) ٥٥٧
 بانيسي (ج) ٥٥٧
 باهن بن سحور (ج) ٥٣٤
 باهل اسعد (ج) ٥٤٤ - ٥٤٥
 باهلة بنت صعب (ج) ٥١٤ - ٥١٥
 بتحمي (ج) ٢٤٥
 بتع بن زيد (ج) ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٥٧٥
 بتع بن همدان (ج) ١٠١ - ١٠٢
 (ج) ٣٦٤ ، ٤٠٨
 بجالة بن ثعلبة بن سعد (ج) ٥١٢
 بجلة (ج) ٤٠٥
 بجدة (ج) ٤٢٢
 بجير بن زهير المزني (ج) ٣٤٠
 (ج) ٤٣١ ، ٥٤١ - ٥٤٢ ،
 ٥٤٥ ، ٧٢٨ ، ٨٦٠ - ٨٦١ ،
 ٨٦٥
 بجير بن عبدالله (ج) ٣٧٥
 (ج) ٣٠٥ ، ٥٢٢
 بجير بن عتبة بن سعد (ج) ٢٣٠
 بجيرة (ج) ٤٧
 بجيلة (ج) ٣٢٩
 بعثر بن عتود (ج) ٣٧١ ،
 (ج) ٤٥٠
 البحتري (ج) ٤٠٣
 (ج) ٢١٣

- (ج) ١٥٠ ، ١٩٠
 بدر بن حذيفة (ج) ٣٦١
 بدر بن عمرو (ج) ١٤٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٢
 (ج) ٤٠٧
 بدر بن قريش بن يخلد (ج) ٣٥٥ ،
 ٣٧٦
 بدر بن معسر الففاري (ج) ٣٨٠
 بدر بن يخلد (ج) ٢٣ - ٢٤ ، ٤٧٩
 (ج) ٣٥٥
 بدن بن بكر (ج) ٤٠٨
 (ج) ٥٠٠
 بدل بن ورقاء (ج) ١٥ ، ٢٦٦ -
 ٢٦٧
 (ج) ٤٣٢
 بر (ج) ٤٣٥
 البراء بن عارب (ج) ٤٠٧
 (ج) ٦٢٢
 البراء بن مالك (ج) ١١٥ - ١١٦ ،
 ١١٩
 البراء بن معرور (ج) ١٣٨ ،
 (ج) ٤٠٥
 براء بن الملاحق القرمطي (ج) ٢١٨
 البراض بن قيس (ج) ٢٧٦ - ٢٧٧
 (ج) ٨٣ - ٨٤ ، ٥٢١
 (ج) ٣٨٢
 (ج) ٦٢١
 براقش (اللبنة) (ج) ٨٠٢
 البربر (ج) ٤٤٧
 برت برات برة (ج) ٢١١
 برة أم النضر (ج) ٥٢٥
 برة بنت سموال (ج) ٧٧٢
 برة بنت عبد المطلب (ج) ٨٠ ، ٨٢
 برة بن عمرو الاسدي (ج) ٢٨٣
 برة بنت مر (ج) ٣٧ ، ٤٧٧ -
 ٤٧٨ ، ٥٣١ - ٥٣٢
- (ج) ٦٨٥
 (ج) ٣٤٣
 (ج) ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٩٤ ،
 ٦٦٩ ، ٧٥٨ ، ٧٨٢
 البحران (ج) ٢٩٢ ، ٣١٢
 بحري بن عمرو (ج) ٥٤٦
 بحيرا (الراهب) (ج) ٦٥٣
 (ج) ٦٣
 (ج) ٤٥٦ ، ٤٦٢
 (ج) ٣٣٣
 البحري (ج) ١٩٦
 البخاري (ج) ٦٥٢
 (ج) ١٥٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٩
 ٥٥٩ - ٥٦٠ ، ٥٨٩
 (ج) ٢٤٩ ، ٣٥٧ ،
 ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٩٤ ،
 ٤٦٩ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ ،
 ٥٣٥ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ،
 ٥٦٠ ، ٦٠٢ ، ٧٤٠
 (ج) ٥٨ ، ٣١٠ ، ٣٩٠
 ٣٩١ ، ٣٩٨ ، ٤٢٤
 ٤٢٥ - ٤٢٨ ، ٤٣٢
 ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٥٧٥
 ٥٨٠ ، (ج) ٩٣ ، ٩٩ ، ٧٥٠
 (ج) ٨٤٥
 بخت نصر (ج) ١٦٦ ، ٣٤٨ -
 ٣٥٣ ، ٣٩٠ ، ٣٨١ ، ٤٣٩ -
 ٤٤٠ ، ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦٠٧
 - ٦١٠ ، ٦١٩ ، ٦٥٨
 (ج) ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٦ ،
 ١٧٣ ، ١٨٦
 (ج) ٣٩٠ ، ٤٦٧ ، ٥٣٦
 (ج) ٨٤ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٦
 ٥٣٨ ، ٧٧٦
 (ج) ١١٠ ، ٢٩٦ ، ٥٢٣ ،
 ٦٤٦

٥٨٤ ، ٥٦١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٤
 - ٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٥٩٥ ، ٥٩٥
 - ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٥٩٨
 (ج) ٥٧ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٥٠
 ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٤ ، ٦٤
 ١١٨ ، ٢٦٥ ، ٣٠٩ ، ٣٠٩
 ٣٩٦ ، ٥٠٦ ، ٥١٨ ، ٥١٨
 (ج) ١٤٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٣
 ٧٩٧ ، ٧٩٣ ، ٧٩٧ ، ٧٩٧
 (ج) ٤٠٧ ، ٥٧٤ ، ٥٧٤
 ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٣
 ٦٠٥ ، ٦٠٥
 (ج) ٣١ ، ٧٤ ، ٧٤ ، ٧٤
 ٢٦٥ ، ٢٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٦
 البرقي (ج) ٤٢٣ ، ٤٢٣
 البرك (ج) ٣٦٦ ، ٣٦٦
 (ج) ٢٥٠ ، ٢٥٠
 بركر (ج) ١٣٤ ، ١٣٤
 برکمن (ج) ١٣٥ ، ١٣٥
 برلم بول (ج) ٤٥٠ - ٤٥١ ، ٤٥١
 برتنن (ج) ٢٣٥ ، ٢٣٥
 برو (ج) ٣٣٢ ، ٣٣٢
 بروی (ج) ٣٣٢ ، ٣٣٢
 بروباوس (ج) ١١٤ ، ١١٤
 برویس (ج) ١١٧ ، ١١٧
 بروکلمن (ج) ٨٨ - ٨٩ ، ٨٩
 ١٤٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢
 (ج) ٥٧٨ ، ٥٧٨
 (ج) ١٠٧ ، ١٥٥ ، ١٥٥
 ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ٤٨٩ ، ٤٨٩
 ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٦٩ ، ٥٦٩
 ٦٧٠ - ٦٧١ ، ٦٧١
 (ج) ١٠٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٨
 ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٤
 ٦٢٧ - ٦٢٨ ، ٧٤٨ ، ٧٤٨
 (ج) ٥٣ ، ٧١ ، ١٤٩ ، ١٤٩
 ١٥١ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٧٧ ، ١٧٧
 ١٨٠ - ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٧
 ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٨

(ج) ٥٢٩ ، ٥٢٩
 برنا سیکال (ج) ١١ ، ١١
 برنرام توماس (ج) ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٥١
 ٢٤٣ ، ٢٢٧ ، ١٨٠ ، ١٨٠
 البرج بن الجلاء (ج) ٤٩٨ ، ٤٩٨
 برج بن خنزیر المازنی (ج) ١٥٦ ، ١٥٦
 برج بن مسهر (ج) ٧٦٨ ، ٧٦٨
 برج یحمد بارج یحمد (ج) ٣٣٢ ، ٣٣٢
 برج یهرجب (ج) ١٠١ ، ١٠١
 (ج) ٣٢٩ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٣٣٥
 ٣٦٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٨
 برجیه (ج) ٦٢٨ ، ٦٢٨
 البرج بن مسهر الطائي (ج) ٦٧٣ ، ٦٧٣
 برحیرت (ج) ٤٠٨ ، ٤٠٨
 برخیل (ج) ٥٩٦ ، ٥٩٦
 برخیان بن احنیا (ج) ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥١
 ٥٤٧ ، ٥٤٧
 (ج) ١٦٠ ، ١٦٠
 (ج) ٤٦٧ ، ٤٦٧
 بردیسان (ج) ٣١ ، ٣١
 (ج) ٦٧ ، ٦٧
 برسما (ج) ٦١٤ ، ٦١٤
 برصوم (ج) ٦٠٧ ، ٦٢٦ ، ٦٢٦
 ٦٣١ ، ٦٣١ ، ٦٣١
 برعو (ج) ٥٨٥ ، ٥٨٥
 (ج) ١٢١ - ١٢٣ ، ١٢٣
 برقعة ابن عبد شمس (ج) ٧٦٧ ، ٧٦٧
 البرقوقي (ج) ١١١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٤
 ٣٩٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٨٧
 ٤٨٩ - ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٢
 (ج) ٢٠٢ ، ٢٥١ ، ٢٥١
 ٣٨٧ - ٣٨٨ ، ٣٨٨ ، ٣٨٨
 ٣٩٠ - ٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٣٩٩
 ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٢٨
 ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ - ٤٣٥ ، ٤٣٥
 ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٢
 (ج) ٢٥٠ ، ١١٠ ، ١١٠
 ١٢٥ ، ١٤٠ ، ٣٩١ ، ٣٩١

١٩٩ (ج ٥)	٢٩٧ ، ٢٩٤ - ٢٩٣ ، ٢٩٠
٢٤٩ ، ٢٢٨ (ج ٦)	- ٣٠٧ ، ٣٠٥ - ٣٠٤ ، ٢٩٩
٥١١ ، ٤٨٥ (ج ٨)	٠ ٣٢٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٠ ، ٣٠٨
برونوف (ج ١) ١٣٢	٠ ٣٤٠ - ٣٣٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٠
بريتوريوس (ج ٨) ٢٣٧	٠ ٣٧٣ - ٣٧٢ ، ٣٥٠ - ٣٤٩
بريدو (ج ٢) ٤٨٨ ، ٤٧٥	٠ ٤٣٥ ، ٤٢٠ ، ٤١٨ - ٤١٤
بريرة (ج ٧) ٤٥٦	- ٤٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٤٩
بزة (ج ١) ٣٦٩	- ٤٧٦ ، ٤٧٣ - ٤٧٢ ، ٤٦٨
بزر جمهر العارسي (ج ٨) ٣٦٣	٤٩١ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠ - ٤٩٠
بساعم بساعم (ج ٢) ٥٦١	- ٥١٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠١ ، ٤٩٩
بسياسة ابنة ابرهة (ج ٣) ٤٨٢	٠ ٥٢٨ ، ٥٢٠ ، ٥١٤ ، ٥١١
البستاني (كرم) (ج ٣) ٢٤٥ ، ٢٤٠	٠ ٥٤٣ ، ٥٤٠ ، ٥٣٥ - ٥٣٣
٣٢٦	٠ ٥٥١ - ٥٥٠ ، ٥٤٧ ، ٥٤٥
٣٩٢ (ج ٤) حا	- ٥٦٦ ، ٥٦٤ ، ٥٦١ ، ٥٥٨
٤٤٦ (ج ١) بسر	- ٥٨٣ ، ٥٨٠ ، ٥٧٠ ، ٥٦٧
٢٦٧ (ج ٤)	٠ ٦٢٣ ، ٥٩٤ - ٥٩٢ ، ٥٨٦
بسرة بنت غزوان (ج ٥) ١١٧	٠ ٦٤٦ ، ٦٤١ - ٦٤٠ ، ٦٣٨ ، ٦٣٦
بسطام بن قيس (ج ٤) ٥٩١ ، ٥٧١	٠ ٦٦٤ - ٦٦٢ ، ٦٦٠ - ٦٥٩
(ج ٥) ٣٩ ، حا ٢٦٧ ، ٢٦٧ -	٠ ٦٩٠ - ٦٨٩ ، ٦٧٣ ، ٦٦٨
٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩	٠ ٧٣٠ ، ٧٢٦ ، ٧٠١ - ٧٠٠
٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤٠٧ ، ٤٤٥	- ٧٥٣ ، ٧٤٦ ، ٧٤١ - ٧٤٠
بسطام بن مسعود (ج ٥) ٤٤٦	٠ ٧٦٥ ، ٧٥٨ - ٧٥٧ ، ٧٥٤
بسقانو (ج ١) ٥٨٨ ، ٦٠٥	٠ ٧٧٩ - ٧٧٧ ، ٧٧٥ ، ٧٦٧
البسوس بنت منقذ (ج ٤) ٦٢٥ -	٠ ٧٩٣ ، ٧٩٧ ، ٨٠٤ - ٨٠٦
٦٢٦	٠ ٨١١ - ٨١٧ ، ٨١٣ - ٨١٨
البسي (ج ٤) ١٩٦	٠ ٨٥٦ ، ٨٤٩ - ٨٤٨ ، ٨٤٤
بشار بن برد (ج ٦) ٧١١ -	٠ ٨٧٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦١ ، ٨٥٨
(ج ٩) ١٢٠ ، ٢٣٨ ، ٣١٤ ،	٠ ٨٧٦ ، ٨٧٨ ، ٨٨٠ - ٨٨٢
٣٦٠ - ٣٦١	٨٨٨
بشار بن عدي (ج ٩) ٨٤١	٢٨٧ ، ٣٨٠ ، ٦٣ (ج ١) بروكوبوس
بشامة بن عمرو (ج ١) حا ٣٠٩	٣٨٨ -
(ج ٥) ٤٣٢	(ج ٢) ٦٥٨ ، ٦٢٠
بشامة بن الفدير (ج ٥) ١٩٨	(ج ٣) ١٣٥ ، ١٢٨ ، ١١٣
(ج ٩) ٤٣١ ، ٥٤٢	٠ ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢
بشتاسب (ج ٣) ١٦١	٠ ٤٦١ ، ٤١١ ، ٤٠٧ - ٤٠٥
بشر (ج ١) ٣٦٩	٠ ٤٧٧ ، ٤٧٤ - ٤٧٢ ، ٤٦٩
بشر بن أبي خازم (ج ١) ١٧٧ ، ٢٠٢ ،	٤٩٢ - ٤٩١
٣٦٥ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ ، حا ٤٠٠	(ج ٤) ١٧٢ - ١٧٤ ، ١٧٦ ،
(ج ٣) ٣٥٢ ، ٣٢٥	٥٣٩ - ٥٣٨

- (ج) ١٤ ، ٨٤ - ٢٢٠ - ٥٧٧ -
٥٧٨ ، ٥٩٧
(ج) ١٥٦ - ١٧٦ - ٢٥٤
(ج) ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٧٣٥ ،
٧٥٩ ، ٨٠٤ ، ٨٠٩
(ج) ٣٢٦ - ٣٥٢ - ٤١١ ،
٦٦٤
(ج) ٢١ ، ٢٣ ، ٧٥ ، ١٢٠ ،
٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٤١٩ ،
٤٨٧ - ٤٨٨ ، ٨١٥
بشر بن الحارث (ج) ٤٥٣
بشر بن حصص (ج) ٤٩٥ - ٤٩٧ -
٤٩٩
بشر بن ربيعة الميمى (ج) ٢٢٩
بشر بن عبد الملك (ج) ٢٨٢
(ج) ٢٣٤ ، ٤٦٥
(ج) ١١١ ، ١١٧ - ١١٨ ،
١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧١ ،
١٨٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٠
بشر بن عمرو بن جوين (ج) ٢٢٦
(ج) ٣٤٦ ، ٤٨٦ - ٤٨٩ ،
٤٩٢
(ج) ١١٨
بشر بن قطبة (ج) ٩٠٥
بشر بن المحتفر (ج) ٢٦٣
بشر بن المعلى (ج) ١٥٦
بشر بن المغيرة (ج) ٤٤٨
بشيم بنسم (ج) ١٥٤
بشير بن أبيرق (ج) ٣٥٥ - ٣٥٦ ،
٨٩٤
بشير بن الحجير الأيادي (ج) ٤٢٧
(ج) ٥٢٢
بشير بن الخصاصة (ج) ٢٢٤
بشير بن سعد (ج) ٣٠٧
(ج) ١١٤ ، ١٦٠
بشير بن كعب العدوي (ج) ١٣٧ ،
٣٤٩
بشير الثقفي (ج) ٦٧١
بشير يموت (ج) ٣٠٧
- (ج) ١٤ ، ٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٨
٤٩٠ ، ٤٩٩
(ج) ٧٥٦ ، ٧٦٠ ، ٧٦٣
بطرس (ج) ٦٥٤
(ج) ٤٤ ، ٢٥٤ ، ٣٨٤ -
٣٨٥
(ج) ١٧٤ - ١٧٥
(ج) ٦١٩ ، ٦٢٦ ، ٦٣٠
بطرس نصري (ج) ٦٣٢
بطليموس (ج) ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٥٢ ،
١٥٩ - ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
٣٠٥ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٩١ ، ٤٢٢ ،
٤٢٥ - ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٢ ،
٤٤٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٥٨٧ ،
٥٩١ ، ٥٩٨ - ٥٩٩ ،
٦١٧ ، ٦٤٤ ، ٦٥٠
(ج) ١٧ - ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ،
٢٤ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ،
٧٤ ، ٨٠ ، ١٢٩ ، ١٥٦ ،
١٥٩ ، ١٧١ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
٢٢٢ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ٢٥٤ ،
٤١٢ ، ٥٠٧ ، ٥٦٦ ، ٦١١ ،
٦٢٣ ، ٦٥٦
(ج) ٢٤ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٦٥ ،
٦٧ - ٦٨ ، ٧٠ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٦٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٩ ، ٣٨٥ ،
٤٥٢ - ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٥٢٤ ،
(ج) ٩ - ١١ ، ٣٢ ، ١٣٠ ،
٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ،
٤٨٥ ، ٥٠٤ ، ٥١٤
(ج) ٣٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ،
٢٧٩
(ج) ٥٨٩
بطليموس بن بطليموس (ج) ٣٤ -
٣٦ ، ١٢٠
(ج) ٢٠٢
بطليموس بن منيوس (ج) ٣٠

- بطلميوس اورغاطس الثاني (ج ٢) ٢٦
بطلميوس الثاني فيلادلفوس (ج ٢)
٢٣ - ٢٥ ، ١٢٠
(ج ٣) ٢١
(ج ٧) ٢٦٨
بطلميوس فيلادلفوس (ج ٣) ٦٨
بطلميوس فيلوباتر (ج ٣) ٦٨
بطلميوس الثالث اورغاطس (ج ٢) ٣٠
بطلميوس (ج ١) ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٣٠١
البطليوسي (ج ١) ٣٠٦ ، ٣١٣
٣١٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥
(ج ٢) ٣٩٩ ، ٢٤٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢
٤٠٤ ، ٤١٦ ، ٤١٨ -
٤٢٠ ، ٤٢٥
(ج ٨) ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ،
٢٧٢ ، ٣٠٥ - ٣٠٦
٣١١ ، ٧٣٠
بعثتر (ج ٢) ١٠٦ ، ٣٢٢
بعم بن شهر غيلن (ج ٢) ١٩٨ ، ٢٣٣
٢٣٦ ، ٢٣٩
البعيث (ج ٦) ١٥٣ ، ٦٧٤
البغدادى (ج ١) ١١٣
(ج ٣) ٢٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٠
(ج ٦) ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥
٧٠١ ، ٢٩ (ج ٨) ، ١٤١ ، ٢٦٥
٧٢٩
(ج ٩) ٥٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥
٣٤٨ ، ٤٧٢ ، ٤٨٩ ، ٥٠٨
٥١١ ، ٥٣٤ ، ٥٥٦ ، ٥٩٥
٥٩٦ ، ٦٧٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٩
٧٥٥ ، ٨٠٠ ، ٨٠٥
بفيض بن ريث (ج ٤) ٣٣٣
بفيض بن عامر (ج ١) ٤٠٤
(ج ٤) ٣٧
(ج ٨) ١١٨ ، ٢٦٦ ، ٣٠٨
- (ج ٩) ١١٣ ، ٨٨٣ - ٨٨٤
بفيض بن غطفان (ج ٤) ٥٠٩ ، ٥١٠
بفيض بن مالك (ج ٤) ٥١٢
البقوم (ج ٩) ٦٣٨
بقية (ج ١) ٢٨٩
بقيلة الاشجعي (ج ٩) ٩٠٥
البكا بن عامر (ج ١) ٤٠٥
بكر بن ابان (ج ٢) ٦٢٠ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠
بكر بن اشجع (ج ٤) ٥١٠
بكر بن جبلة الكلبي (ج ٦) ٢٨٩
بكر بن حبيب (ج ٤) ٣٣٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢
بكر بن سعد (ج ٤) ٥٢٣
(ج ٥) ٣٩٢
بكر بن عبد مناة (ج ١) ٣٦١
(ج ٤) ٢٦٦ ، ٤٧٨ ، ٥٣٢ -
٥٣٣ ، ٦٣٧
(ج ٥) ٣٨٣
(ج ٦) ٣٥٧
(ج ٧) ٣٧٠
بكر بن عوف بن النخع (ج ٤) ١٩٤
بكر بن كنانة (ج ٦) ٢٧٣
بكر بن مر (ج ١) ٤٠٢
(ج ٤) ٥٢٥
بكر بن معاوية (ج ١) ٣٠٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥
بكر بن هوازن (ج ٤) ٥١٦
بكر بن وائل (ج ١) ٤٠٨ ، ٤٩٨ ، ٥٢٦
(ج ٢) ٦٣٧ - ٦٤٠ ، ٦٤٥ ، ٦٤٩
(ج ٣) ١٨٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥
٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ -
٢٩٨ ، ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤
٣٣٥ ، ٣٤٦ - ٣٤٨ ، ٣٥٢
٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥
(ج ٤) ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٠
٢١٣ - ٢١٤ ، ٢٢٢ -

٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٢٢ ، ٤٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥

(٥ج) ٨٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨

(٦ج) ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ - ٥٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٩٨ - ٥٩٩ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧

(٧ج) ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ ، (٨ج) ١٠٩ ، ٢٠٥ ، (٩ج) ٦٩١

بکيدیس (٣ج) ٢٣
بکيل شېام (٢ج) ٣١٧
البلاذري (ج) ١٤٦ ، ١٥٨

٢١٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٧

(٣ج) ٣٩٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩

(٤ج) ٥٠ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦

٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٤٠٥ ، ٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٩٠ ، ٤٨٨ ، ٤٨٦ - ٤٨٤ ، ٤٩٩ - ٥٠٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ، ٥٧١ ، ٥٩٢ ، ٦٢٢

(٥ج) ٩٠ - ٩١ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٤١٠ ، ٤٤٤ - ٤٤٥ ، (٦ج) ١٠٠ ، ١٥٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٧٨ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٥٩٦ ، ٦١٧

(٧ج) ١٩٨ ، (٨ج) ٤١٦ - ٤١٧ ، ٥٨١ ، (٩ج) ١١٤ ، ٤٤٠ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٥٠٩

البکري (صلاح) (ج) ١٥٩ ، ١٧١

١٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٨١ ، ٣٤٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٥١٤ ، (٢ج) ٥٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٧٣ ، ٦١٦ ، ٦٢١ ، ٦٥٠

(٣ج) ٥٩ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٦١ - ٣٦٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٩٦ - ٤٩٨

(٤ج) ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤

(ج) ٨ ، حا ٨ ، حا ٢٥ ، حا	حا ٥١ - ٥٦ حا ٥٨ ، حا
٩٢ ، حا ١١٠ ، حا ١١٤ ، حا ١١٥ ،	٦٠ - ٦٣ ، حا ٦٥ - ٦٧ ، حا
حا ١٢٣ ، حا ١٣٨ حا ٢٨٨ ،	٧٠ ، حا ٧٢ - ٧٣ ، حا
حا ٢٩٧ ، حا ٣٨٤ - ٣٨٥ ،	٧٥ - ٧٦ ، حا ٧٨ - ٨٤ حا
حا ٧٦٠ - ٧٦١	٨٦ ، حا ٩٠ ، حا ١٠٣ -
(ج) ٩ ، حا ١٩ ، حا ٢١٣ ، حا	١٠٥ ، حا ١٠٧ - ١١٠ ، حا
٤١١	١١٢ ، حا ١٢٤ - ١٢٥ ، حا
بلاس بن قباذ (ج) ٢. ٥٤٠	١٤٧ - ١٤٨ حا ١٥٢ - ١٥٤ ،
بلاش بن فيروز (ج) ٣. ٢٠٩ ، حا ٣١١	حا ١٨١ ، حا ١٨٥ ، حا
بلاش بن يزدجرد (ج) ٣. ٢١٠ ، حا ٣٠٧	١٩١ ، حا ١٩٣ ، حا ١٩٧ ،
بلاشير (ريجي) (ج) ٤ حا ٣٤١ -	حا ١٩٩ - ٢٠١ ، حا ٢٠٣ ،
٣٤٢ - حا ٥٧٣	٢٠٥ ، حا ٢١٠ - ٢١١ ، حا
(ج) ٨ حا ١٩٥ ، حا ٢٤٩ ،	٢١٣ ، حا ٢١٧ - ٢١٨ ، حا
٦٢٨	٢٢٣ ، حا ٢٢٥ - ٢٢٧ حا
(ج) ٩ حا ٢٥٨ ، حا ٢٦٨ ، حا	٢٢٠ - ٢٢٦ ، حا ٢٢٨ -
٢٩٧ ، حا ٣٣٢ ، حا ٣٤٥ ،	٢٤٣ ، حا ٢٤٩ ، حا ٢٥٤ ،
حا ٣٥٠ ، حا ٣٧٢ ، حا ٣٧٤ ،	حا ٢٥٦ ، حا ٢٦٤ - ٢٦٦ ،
٥٠٧ - ٥٠٨	حا ٢٦٨ - حا ٢٦٩ ، حا
بلال بن ابي بردة (ج) ٩. ٣١٣	٣٥٠ ، حا ٣٦٤ ، حا ٤٩٨ -
بلال بن الحارث (ج) ١. ١٩٤	٤٩٩ ، حا ٥٣٠ ، حا ٥٥٩ -
(ج) ٤. ٢٦٣	٥٦٠
(ج) ٧. ١٤٧ - ١٤٨ ، حا ٥١٤ ،	٥٦. حا ٨٢ ، حا ٢٠٧
حا ٥٢٠	(ج) ٦ حا ٦١ ، حا ٨٦ ، حا
(ج) ٨. ٤٠٤	٨٨ ، حا ٩١ ، حا ٩٥ ، حا
بلال بن رباح (بلال الحبشي) (ج) ٥. ١٨	٩٧ - ٩٨ ، حا ٢٤٢ ، حا
(ج) ٦. ٥٠٢ - ٥٠٣	٣٦٩ حا ٤٧٥ ، حا ٥٢٣ -
(ج) ٧. ٤٤٣ ، حا ٥٥٣	٥٢٤ ، حا ٥٢٩ - ٥٣٠ ، حا
(ج) ٨. ٧٨٩ - ٧٩٠	٥٤٢ ، حا ٥٦٢ ، حا ٥٨٦ ،
بلال الرماح (ج) ٤. ٤٧٣	حا ٥٩٣ - ٥٩٥ ، حا ٦٠٠ -
بلحارث بن كعب (ج) ١. ٥٤٧	٦٠١ - حا ٦٠٧ ، حا ٦٢١ ،
(ج) ٣. ١٦٢	حا ٦٤١ ، حا ٦٥٥ ، حا ٦٨٧ ،
(ج) ٤. ٦٨ ، حا ١٨٥	٦٩٤ حا
(ج) ٥. ٣٧٤	(ج) ٧ حا ٤٣ ، حا ١٤٢ ، حا
(ج) ٦. ٣٥٢	١٤٧ - ١٤٩ ، حا ١٦٨ ، حا
(ج) ٨. ٥٧٩	١٧٠ ، حا ١٧٧ - ١٧٨ ، حا
البلخي (ج) ٤ حا ١٣٩ ، حا ٤٤٣ ،	١٩١ - ١٩٣ ، حا
حا ٤٤٦ ، حا ٤٥٤	٣١٢ ، حا ٣٤٣ ، حا ٤٤٤ ،
(ج) ٦ حا ٢٠ ، حا ٣٦٣	حا ٤٧١ ، حا ٥١٥ ، حا ٥٥٥
بلد (ج) ١. ٤٥٧	- ٥٥٦

٦٢١ ،	بلشاصر (بلشاصر) (ج ١) ٦١١
(ج ٣) ٥٥ ، ٧٩ - ٨٠ ، ٤٤٩ ،	بلعاء بن قيس (ج ٣) ٢٧٦
٥٣٤	(ج ٤) ٨٤ ، ٤٦
(ج ٤) ٤١٥ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ،	(ج ٥) ٣٨٣ ، ٤٠٧
٦٦٨	(ج ٦) ٢٦٩
(ج ٧) ٢٣٥ ، ٢٧٧ ، ٤٧٧ ،	(ج ٨) ١٢١
٤٩٦	(ج ٩) ٦٠٤ - ٦٠٣ ، ٤٨٨
(ج ٨) ٢٥٤ ، ٤٤٣	(ج ١٠) ٢٤٦
بمهشت (ج ٣) ٢٠٧	(ج ١١) ١٧١
بنانة (ج ١) ٤٠١	بلقيس (ج ١) ٥٤٧ ، ٢٣٧ ، ١٣٣
بندلي صليبا الجوزي (ج ١) ٨٠ ،	(ج ٢) ٢٦٥ - ٢٦٤ ، ١٩٧
٥٢٣	٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٦٣ ، ٤٢١ ،
(ج ٥) ٥٣٧	٥١٦ ، ٥٣٥ -
بندر الاصبهاني (ج ٩) ١٥٨	(ج ٣) ٥٣٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٠
بنفينة (ج ٩) ٦٧٢ - ٦٧٣	٥٣٦
بهثة بن سليم (ج ١) ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،	(ج ٥) ٢٧٧ ، ٤٢٣
(ج ٤) ٥١٨	(ج ٦) ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٤٠٢ ،
بهدة بن عوف (ج ٤) ٥٢٦ ، ٥٧١	٤٩٠ ، ٧١٤ - ٧١٥
بهاء (ج ١) ٢٦٧	(ج ٨) ٣٦
بهرام بن بهرام (ج ٣) ١٨٧ ، ١٩١ ،	(ج ٩) ٣٧٧
٣١١ ، ٣٠٦	بلكرنف (ج ١) ٢٢٤
بهرام بن سابور (ج ٢) ٦٣٥ - ٦٣٦ ،	بلهاء (ج ١) ٣٨٢
٦٤٦	بلي بن عمرو (ج ١) ٣٦٧ ، ٧٦
(ج ٣) ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٣٠٨ ،	(ج ٢) ٤٠٠
٣١١	(ج ٤) ٢٦٣
بهرام بن هرمز (ج ٣) ١٨٧ ، ٣٠٦ -	بليزاربوس (ج ٢) ٤٠٧
٣١٠ ، ٣٠٧	(ج ٤) ١٦٦
بهرام جور بن يزديجرد (ج ٢) ٦٤٥	بلينيوس (بليني الاقدم) (ج ١) ٣٠ ،
(ج ٣) ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ -	٥٩ ، ١٤٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ،
٤٤١ ، ٣١١ ، ٢٩٢ ، ٢٠٦	٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢ ،
(ج ٤) ٥٦	٤٢٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٠ ،
(ج ٦) ١٤٧ ، ٥٩٧	٥٥٣ ، ٥٦٤ ، ٥٨٢ - ٥٨٣
بهرام شوبين (ج ٢) ٦٤٦	(ج ٢) ١١ ، ١٢ ، ١٥ ،
(ج ٣) ١٧٥	١٧ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٥١ - ٥٣ ،
بهران بن بهران جوبين (ج ٤) ٤٧٤	٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ - ٦٤ ، ٦٦ -
بوز (ج ١) ٤٠٥	٧٤ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ،
(ج ٤) ٢٦٠	١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ،
بهستون بيستون (ج ١) ١٧ ،	٤٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ،
بهم (ج ٢) ٣١٨	٥٥١ ، ٥٧٣ ، ٦٠٧ ، ٦١٩ -

بيجت (ج ٢) ٣٧٦ ، ٣٧٨	بھلوان (ج ٤) ٥٥٧
بيدع (ج ١) ٩٢ ، ٣٦٧	بھلول (ج ٤) ٥٥٧
بير دادا (ج ١) ٦٠٣	بوذا (ج ٨) ٧٨
بيرادري (ج ١) ٥٧٥	بور (ج ٦) ٤٩٢
البيروني (ج ٨) ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤	بوران بنت ابرويز (ج ٣) ٢٩٩ ، ٣١٢
٤٥٥ ، ٤٩٠ ، ٤٩١	بوران دخت بنت كسرى (ج ٣) ٣٠٨
(ج ٩) ٢١١	بورخ (ج ١) ٣٧٦
بيرين (ج ١) ١٣٨	بورخ بن ناريا (ج ١) ٤١١ - ٤١٢
(ج ٢) ٥٦ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ٥٠٥	بوزبن (اشوفا) (ج ٦) ٢٠٠
بيستن (ج ١) ١٣٧ - ١٣٨	بوزبن ناحور (ج ١) ٥٩٦ - ٥٩٨
(ج ٢) ١٥١ ، ٥٣٦	بوزيدون (ج ٢) ٣٢
(ج ٣) ٤٩٦	بوعز (ج ٥) ٤٧٧
(ج ٨) ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣	بوكوك (ج ٩) ٥١٤
٥٠٧ ، ٥١٥ ، ٥١٧	بول (ج ١) ٤٥٣
بيض (ج ٨) ١٦١	بولر (ج ٣) ٢٦٨
البيضاء بنت عبد المطلب (ام حكيم)	بولس (الرسول) (ج ١) ٦٤٨
(ج ٤) ٦١ ، ٨٠	(ج ٣) ٤٦٥
البيضاوي (ج ١) ١٤١	(ج ٦) ٦٠٩ ، ٦٢٤ ، ٦٣٥ - ٦٣٦ ، ٦٨٦
(ج ٤) ١٢ ، ٣٧٢	بولس بن عرقا (ج ٨) ١٥٧
(ج ٥) ٣٠٤	بولس بروفله (ج ٦) ٤٧٨
(ج ٦) ٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤	بولس السيساطي (ج ٣) ١٠٩ - ١١٠ ، ١١٩
٤٤٩ ، ٦٠٨	بوليبوس (ج ٢) ١٥
(ج ٨) ٣١٨ ، ٦١٧	بومبيوس (ج ٢) ٢٨ - ٤٠ ، ٦٢٢
بيفان (ج ٣) ٣٤٨	(ج ٣) ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٠ ، ٦٥
بيكر (ج ١) ٨٦	بومشتارك (ج ٨) ٧٦٩
بينتزكر (ج ٣) ١٣٧	بون (ج ٧) ٢١٢
البينجان بن المرزبان (ج ٣) ٥٢٧	بوسونا (ج ٣) ٤٦٦
بيمس (ج ٥) ٤٥	بياضة بن رباح (ج ٤) ٤٧١
(ج ٦) ٨١٩	بيتر جونس (ج ١) ٥٢٠
البيهقي (ج ٣) ٤٤٧	
(ج ٥) ٥٥١	

– التاء –

٣٢٦ ، حا ٣٦٠	نابط شرا (ج) ١٠٣
(ج) ٣٨٣ ، حا ٣٧٥	(ج) ٢٥٦
٣٨٦ ، حا ٤٧٢ ، حا ٤٩٠ –	(ج) ٤١٢ ، ٥٠٧
٤٩٢ ، حا ٤٩٨ ، حا ٥٠٢ ،	(ج) ٥٧٣
حا ٥١٨ ، حا ٦٦٥	(ج) ١٤١ ، ٧١٢ ، ٧١٧ ،
(ج) ١١٥ ، حا ٣٦١ ، حا	٧٢٨
٣٦٣ ، حا ٣٧٩	(ج) ٣٦ ، ٧٩
(ج) ١١١ ، حا ١٥٦ ، حا	(ج) ١٠٤ ، ١٦١ ، ٢٩٣ ،
١٦٢ ، حا ٢٠٢ ، حا ٣٥٧ ،	٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢ – ٣٢٣ ،
حا ٤٨٨	٣٩٠ ، ٤٤٥ ، ٤٩٢ – ٤٩٣ ،
(ج) ٦١٤	٥٣٤ ، ٦٠٩ – ٦١٠ ، ٦١٢ ،
(ج) ٢٥٤ ، حا ٢٧٠ ، حا	٦١٥ – ٦١٦ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ،
٣٨٤	٦٣٦ – ٦٣٩ ، ٦٤١ – ٦٤٦
(ج) ٦٦ ، حا ٨٧ ، ٤٩٣	تاج (ج) ٥٠٦
٥٠٧ – ٥٠٨ ، ٥١٠ – ٥١١	تاج بن فروان (ج) ٣٢
حا ٥٦٢ ، ٥٩٦ ، ٦٢٥ ،	ناري (ج) ٦٠٠ ، ٦٠٣
٦٤٠ ، ٧٧٥ ، ٨٢٦ ، ٨٣١	تارج (ج) ٤٤٨ – ٤٤٩
تبع بن تبع تبان (ج) ٣٣٨	نالب ريام بن شهران (ج) ٣٥٦
تبع بن حسان (ج) ١٢٠ ، ٣٣٨	تاليمونت (ج) ٧٢ حا
(ج) ٤٠٢	التأمور (ج) ٢٨٧
(ج) ٢٠٤ ، ٣٣٠	تاوتيموس (ج) ٦٢٦
(ج) ١٣٤	تاودوريطس (ج) ٦١٤
(ج) ٥٣٧	تاوفيل الهندي (ج) ٦١٢ حا
(ج) ٣٧٨ ، ٨٧٥	نبوة (ج) ٥٩١ – ٥٩٣
تبع بن زيد (ج) ٤٣٣	تبان أسعد (ج) ٥٤٧
تبع بن كليكرب (ج) ٣٧٨	(ج) ٣٦٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٩
تبع بن ملكيكرب (ج) ٣٨٣	(ج) ١٨٥ ، ١٦١
تبع أسعد الحميري (ج) ٤٤١ ،	(ج) ٥٣٧
٥٢١	التبريزي (ج) ٦٨ حا
التبع أسعد كامل (ج) ٢١	(ج) ٢٤٥ ، حا ٢٥٧ ، حا

٥٥ - ٥٤ (٥ج)	تبع الاقرن (ج) ١٥
١٣٠ تشارلس دوني (ج) ١	تبع سجاح (٥ج) ٤٣٢ ، ٦٤١
١٣٥ تشارلس فورسنر (ج) ١	تبع كرب (ج) ٣٧٤ ، ٥٤٧
١٣٢ شارلس هوپر (ج) ١	(ج) ١٠٣ ، ١٠٠ ، ٨٢ -
٤٨٩ تصح بن يهزحم (ج) ٢	١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، ٣٠٠ -
٤٤١ ، ٤١٢ (ج) ١ تفلأ نبلسر الثالث	٣١٩ ، ٣٢٠ - ٣٦٤ ، ٤٣٩
٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ - ٥٨٥	٤٨٤ ، ٥١٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧
(ج) ١٢٢	(ج) ١٩٣ ، ٣٢١
٤٥٦ ، ٥٧ تفلأ تبليزر (ج) ١	(ج) ١٣٣
(ج) ٨٥	(ج) ٢٧٧
(ج) ٢٣٤	(ج) ٥٠٨
٤٢٦ تفلأ بن حلوان (ج) ٤	تجيب (ج) ٣٨٢
٤٨٩ - ٤٩٠ تفلأ بن وائل (ج) ٤	تجيب بنت ثوبان (ج) ٤٦٤ - ٤٦٥
(ج) ٥٩٥	تخمي (ج) ٢٤٥
٣٦٦ - ٣٦٧ تفلأ بن وبرة (ج) ١	تدمر بنت حسان (ج) ٧٩
٥٢٦	تراجان (ج) ١٦٦
(ج) ٥٠٦	(ج) ٦٥ - ٦٦ ، ٢٥٠ ، ٦١٣
٣٦٦ تفلأ الفلباء (ج) ١	٦٢٢
٣١٩ التفلبي (ج) ٤	(ج) ٤٩ ، ٥٧ - ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢
٦٢٥ ، ٢٠ تفلأ فلاسر (ج) ٢	١٤٠
٤٤١ تفلأ تبليزر الرابع (ج) ١	(ج) ٢٧٨
٦٠١ تقي بن مخلد (ج) ٨	تريبليوس بوليو (ج) ١٠٧ ، ١١٥
٥٦٩ تكريت بنت وائل (ج) ٩	١٢٧
٥٩٢ تلخونو (ج) ١	ترويش (ج) ٦٤٠ - ٦٤١
٢٥١ - ٢٥٢ تلعي بن هناس (ج) ٢	تروعة بنت يازل (ج) ١٠١
٢٥٢	(ج) ٣٥٤ - ٣٥٥
٥٢٥ تكمة بنت مر (ج) ٤	الترمذي (ج) ٥٠٢
٥٦١ ، ٥٧٠ تكولي - نورثا (ج) ١	تريبونيان (ج) ١٦٧
٥٦٤ تلون (ج) ١	تريفون (ج) ٦٥٠
٥٧٩ تمار (ج) ١	تواد (تواد) (ج) ٣٢٧
٢٣٧ ، ٥٢٠ تماضر (ج) ٤	تزيد بن جشم (ج) ٤٢١
(ج) ٤٧٧	تزيد بن حلوان (ج) ٦١٥ ، ٦١٧
(ج) ٦٢٨	(ج) ١٠٣ ، ٣٦٢
٥٧٩ تمرنو (ج) ١	(ج) ٤٢١
(ج) ٣٦١	تزيد بن عمران (ج) ٣٦٦ - ٣٦٧
٢٧٤ تميم بن أبي مقبل (ج) ٨	(ج) ٢٣٩
(ج) ١١٤ ، ١١٥ ، ٧٦ ، ٩٩	
٢٣٦ ، ٣٣١ ، ٨٣٦ ، ٨٨٨ -	
٨٨٩	

٢٤٥	تميم بن اوس (ج ٤) ٢٤٤
نويونيونوس غالوس (ج ١٣) ٦٤	(ج ٨) ٣٧٨
نوينسل (ج ٧) حا ١٢٢ ، حا ٢٠٨	تميم بن خرشة (ج ٤) ١٥٧
حا ٥٩٧ - حا ٦٠٢	تميم بن غالب (ج ٤) ٤٧٩
نويجل (ج ١) ٢٤٢	تميم بن مر (ج ١) ٣٩٩ ، ٤٠٢ -
نيتوس (ج ٣) ١٠٨	٤٠٣ ، ٥٢٦
تيكرانس (ج ٣) ٢٩	(ج ٢) ١٨
تيلر (ج ١) ٥٢٠	(ج ٣) ١٧٠
تيلور (ج ٦) ٤٦	(ج ٤) ٣٧ ، ٣٦٣ ، ٤٧٧ -
تيلوس (ج ١) ٥٦٤	٤٧٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣١ - ٥٣٢
تيم بن ذهل (ج ٤) ٥٢٣	٥٧٢ ، ٦٥٧
تيم بن عبد مناة (ج ١) ٣٦٧ ، ٣٧١	(ج ٦) ٤٩ ، ٣٥٧
٤٠٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٠	(ج ٧) ١٩٢ ، ١٩١
(ج ٩) ١٤٦	(ج ٨) ٧٧٧
تيم بن غالب (ج ٤) ٢٩	(ج ٩) ١٤٦ ، ٤٤٨
(ج ٩) ٧١٥	تميم الداري (ج ٤) ٤٦٣
تيم بن قيس (ج ٤) ٥٠٣	(ج ٥) ٣٩٨
تيم بن مرة (ج ١) ٤٠١	(ج ٧) ٢٥٤ ، ٤٦٣
(ج ٤) ٢٦ ، ٩٤ ، ٢٦٨ ، ٤٨٠	(ج ٨) ٥٧٣
- ٤٨١ ،	تميم مقتو لحيبت (ج ٢) ٥٩٨
(ج ٧) ٤٣٩ ، ٤٤٧	تميم يزيد (ج ٢) ٥٩٨
(ج ٩) ١١٨	تنبلتم (ج ٢) ٤٢٧
تيم الادرم (ج ٤) ٢٧	تنف (ج ٢) ٤٦٦ - ٤٦٧
تيم الله بن اسد (ج ٤) ٤٢٤ - ٤٢٥	التهانوي (ج ٦) حا ٧٠٢
تيم الله بن ثعلبة (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠٥	(ج ٨) حا ٢٧٨
٤٠٧ - ٤٠٨	تهرجب (ج ٢) ٣٢٠
(ج ٣) ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٩٩	تهنا مناة (ج ٦) ٣٢٠
(ج ٤) ٧٣ ، ١٣٧ ، ٤٢٧ ،	تهوان (ج ٢) ٣٩٩
٤٥٠ ، ٥٠٢ - ٥٠٣	التوام الشكري (ج ١) ٣٧٤
(ج ٦) ٢٨٢	(ج ٦) ٦٩٣
تيم الله بن النمر (ج ٤) ٤٨٧	(ج ٨) ٧١٥ - ٧١٦
تيم ابل (ج ٢) ٦٩ ، ٣١٧	(ج ٩) ١٨٩ - ١٩٠ ، ٥٣١ ،
تيم العزى (ج ٦) ٣١٦	٥٣٤ - ٥٣٥
تيم اللات (ج ١) ٤٠٢	التوزي (ج ٨) ٥٥٨
(ج ٣) ١١٥	توفيل (ج ٥) ٣٦ - ٣٧
(ج ٤) ٣٣٨	توقير (ج ١) ٤٣٢
(ج ٥) ٥٣٠	توكلتي أنورقا الثاني (ج ٣) ١٣٩ ،
(ج ٦) ١٦ - ١٧ ، ٢٣٣ ، ٢٦٢	١٨٢
٣٢١ ،	توماس يوسف ارنو (ج ١) ١٢٦ ،

تيموثاوس (ج) ١٦٩	تيم يفوث (ج) ٣١٢
(ج) ٢٢	تيماء (ج) ١٥٨
تيموثيوس (ج) ٦٣٠	تيماجينييس (ج) ١١٤ - ١١٥
تيموستراتوس (ج) ٢١٩ ، ٣٨٣	تيماء بنت يشجب (ج) ٢٨١

- الناء -

ناب بن أرقم (ج) ٢٤٢	ناب بن رواحة (ج) ٢٤٢
ناب بن قيس (ج) ٢٦٩ ، ٥٢٥ ،	ناب بن قيس (ج) ١١٩ ، ١٣٧ ، ٢٠٣
(ج) ١٢٢ ، ١٣٥ ، ٧٨٨	(ج) ٨٤٥
ناب بن المنذر (ج) ٥٧٣	ناب بن المنذر (ج) ٧٣١ ، ٧٢٨
ناب (ج) ٦٠	نابن أيفع (ج) ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٥٨
نابن أيفع (ج) ٥٥٩ ، ٥٦٢ ، ٥٩٩	نابن يكرب (ج) ٥٢٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣
نابن يعقب يهنعم (ج) ٣٠ ، ١٤١ -	١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ٣٩٧ ، ٤٧٤ ، ٤٨٤ - ٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٥٢٢ ، ٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٩ -
نابن (ج) ٦٠٩	نابن عكاشة (ج) ٣٠٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٤٥ ، ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٩ -
نابن عمرو بن الفوث (ج) ٤٥١	نابن (ج) ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٩ -
نابن (ج) ٣٧٣	نابن (ج) ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٩ -
نابن (ج) ٣٦٦ ، ٥٢٦	نابن (ج) ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٩٩ -

٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ ،

٤٠٠ - ٤٠٢ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ ،

٤٤٨

(ج ٤) ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٤٠ ،

٤٨٢

ثعلبة بن غم (ج ٤) ٤٩٢

ثعلبة بن الفطيون (ج ٦) ٥٤٦ ، ٥٥٣ ،

٥٦٢

ثعلبة بن فهم (ج ٤) ٤٢٨

ثعلبة بن قيس (ج ٤) ٥٠٣

(ج ٩) ٣٦٦ ، ٥٢٢

ثعلبة بن مازن (ج ٤) ٤٣٥

ثعلبة بن مر (ج ٤) ٥٢٥

ثعلبة بن يربوع (ج ١) ٤٠٣ ، ٤٠٨ ،

- ٤٠٩ ، ٥٢٦

(ج ٤) ٣٢٨

(ج ٥) ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٣٩٦ ،

٦٥٣

(ج ٨) ٤١٠

ثعلبة العنقاء بن عمرو (ج ٣) ٣٩٠ -

٣٩١

(ج ٤) ٤٣٦

الثعليل (ج ٥) ٤٠٨

الثعين (ج ١) ٣٦٧ - ٣٦٨

الثغراء (ج ١) ٣٦٨

ثقيف بن منبه (ج ١) ٤٠٦

(ج ٥) ٥٣٠

ثمامة بن أثال الحنفي (ج ٥) ٤٦٤ -

٤٦٥

(ج ٦) ٩٩ - ١٠٠

(ج ٧) ٣٨

(ج ٨) ٦٥٠ ، ٧٥٧

(ج ٩) ٦٧٠

ثمامة بن حجر (ج ٣) ٤٨٤ ، ٤٨٧ ،

(ج ٤) ٤٢٣

ثمود بن غائر (ج ١) ٢٩٥ - ٢٩٦ ،

٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٣٧ ،

٤١٩ - ٤٥٢

(ج ٤) ٤٣٤

(ج ٦) حا ١٥٥ - حا ٥٠٦ ،

٥٧٠ - حا ٦٧٥

(ج ٨) ٦٠٠ - ٦٢٠ ، ٦٥٥ ،

(ج ٩) ٤٥ - ٢٢٣ ، ٤٦٣ ،

٦٢٥

ثعلبان (ج ٤) ٤١٧

ثعلبة بن اسد (ج ٤) ٣٣٨

ثعلبة بن أعصر (ج ٤) ٥١٤ - ٥١٥

ثعلبة بن بكر (ج ٥) ٣٨٦

ثعلبة بن بهثة (ج ٤) ٥١٨

ثعلبة بن نعيم (ج ٤) ٣٢٨

ثعلبة بن جدعاء (ج ٣) ٢٣٠

(ج ٤) ٣٢٨

ثعلبة بن جذيمة (ج ٤) ٤٨٧

ثعلبة بن الحارث (ج ٥) ٣٦٧ ، ٣٧١

ثعلبة بن الحلاف (ج ٩) ٨٦٧

ثعلبة بن الدئل (ج ٤) ٥٠٢

ثعلبة بن دودان (ج ٣) ٣٦٤

(ج ٤) ٥٣٤

ثعلبة بن ذبيان (ج ٤) ٥١١

ثعلبة بن ذهل (ج ٣) ٣٣٠

(ج ٤) ٤٨٤

ثعلبة بن ربيعة (ج ٤) ٣٣٨

ثعلبة بن رومان (ج ٢) ٣٣٠

(ج ٤) ٣٣٨ ، ٤٥٠

ثعلبة بن سعد (ج ١) ٣٧١ ، ٣٧٤ ،

٤١٤ ، ٤٠٢

(ج ٤) ٣٣٧ ، ٥١٢

(ج ٥) ٣٦٧

(ج ٦) ٥١٥ ، ٦٨٢

(ج ٩) ٤٩١

ثعلبة بن سلامان (ج ٤) ٢٤٤

ثعلبة بن شيبان (ج ٢) ٣٣٠

ثعلبة بن الظرب (ج ٤) ٥٠٨

ثعلبة بن عدي (ج ٤) ٣٣٧ ،

(ج ٥) ٣٦٧

ثعلبة بن عكابة (ج ٤) ٥٠٢ ، ٥٧١

(ج ٩) ٣٦٦ ، ٥٨٩

ثعلبة بن عمرو (ج ٣) ١٩٤ ، ٣٨٨ -

ثيودورس (ج ٣) ٤٠٨ - ٤٠٩ ،
٤١٣

(ج ٦) ٦٣١

ثيودوريت (ج ١) ٦٣ ، ١٣١

ثيودوسيوس (ج ٣) ٧٣ ، ١٢٨

ثيودولس (ج ٦) ١٧١ ، ١٩٨

ثيوفانس (ج ١) ٦٤

(ج ٢) ٦٥٥

(ج ٣) ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ -

٣٥٠ ، ٣٨٥ ، ٤٠٣ ، ٤٥٦ ،

٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٥٠٥

ثيوفراستوس (ج ١) ٥٧

(ج ٢) ٧٣ ، ١٧١ ، ٢٦٥

(ج ٧) ٢٥٧

ثيوفليت (ج ١) ٦٤

ثيوفيلكتس (ج ١) ٦٤ ،

(ج ٣) ١٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ،

٤٢٥

ثيوفيلوس (ج ٢) ٥٢٦ ، ٥٦٧

(ج ٦) ٦١٢ - ٦١٣

(ج ٧) ٢٧٤

(ج ٨) ٢٩

ثني بن ابانيس (ج ٢) ٩٨

ثوابة بن مالك (ج ٤) ٤٣٨

ثوب بن شحمة (ج ٩) ٨١٤

ثوبان (ج ٢) ٤٧٩

ثوبان بن سليم (ج ٤) حا ٤٦٥

(ج ٧) ٤٦١

ثوبت (ج ٢) ١١٩

ثوبة بن الحمير (ج ٩) ٤٥٨

ثوبم (ج ٢) ٢٢٧

ثور بن أد (ج ٢) ٣٨١

(ج ٤) ٣٣٨ ، ٤٦٤

ثور بن شحمة العنبري (ج ٤) ٥٧٩

ثور بن عبد مناة (ج ١) ٤٠٢ ، ٦٠٠

(ج ٤) ٥٢٤

(ج ٥) ٣٧٦

ثور بن عفير (ج ١) ٣٧٢

(ج ٢) ٣١٥ - ٣١٦ ، ٣٢٠

ثور بن مرة (ج ٨) ٦٧٤

ثور بن مرتع (ج ٣) ٣٨١ - ٣٨٢

الثوري (ج ٩) ٣٠٢

ثوبم بن يشرحم (ج ٢) حا ٢٠٦ ،

٢٢٨

ثيودور لكتور (ج ٦) ٥٤٠

ثيودور المصيبي (ج ٦) ٦٢٧

- الجيم -

٦٤١ - ٦٤٢ ، ٦٥٦ - ٦٥٧	جابر بن حنى (ج) ٢٣١
٦٦. ، ٦٨٦ - ٦٨٥	جابر بن أرام (ج) ١٢
(ج) ١١١ ، ١٠٦ ، ٣٠	(ج) ٥٩٥
١٤٤ ، ٢٢١ ، ٢٦٠	جابر بن أبحر (ج) ٦٤٩
٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣١٩ - ٣٢٠	(ج) ٢٩٧
٦٤٠	(ج) ٥٩٦
(ج) ٩٨ - ٩٧ ، ٨٤ ، ١٣	جابر بن حنى النغلي (ج) ٤٩١
١٤٤ ، ٢٢٧ ، ٣٥١	(ج) ٣٠٦ - ٣٠٧
٣٦٤ - ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٤٠٩	(ج) ٥٨٤
٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٤٩٠	(ج) ٤٧٣ - ٤٧٤
٥٠٠ ، ٦٩٢ ، ٦٩٧	(ج) ٧٣٥
٧٠٠ ، ٧٠٦ - ٧٠٧ ، ٧١٥	(ج) ٤٥٩ ، ٥٢١ ، ٨١٧ -
٧١٦ ، ٧٤٩ ، ٧٦٠	٨١٨
٧٨٦ ، ٧٨٨ ، ٧٩٢ - ٧٩٥	جابر بن رلان (ج) ٢٣٧
٨١٩	جابر بن شمعون (ج) ٢٦٤ - ٢٦٥
(ج) ٢٨٥ - ٢٨٨ ، ٣٧٨	٣٠١ ،
(ج) ١٠٠ - ١٠٢ ، ١٥٦	جابر بن عبدالله (ج) ٣٣٤ ، ٣٦٩
٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٠	(ج) ٥٦٥
٣٢٤ ، ٣٤٣ - ٣٤٥ ، ٣٦٤	جائر بن ارم (ج) ٢٩٥ ، ٤١٩ -
٤٣٤ ، ٤٧٤ ، ٥٠٠ ، ٥١١	٤٢١
٥٢١ ، ٥٣٩ ، ٦٨٨ - ٦٨٩	جائر أبي نمود (ج) ٥٣٧
٦٩٦ ، ٧٣٩ - ٧٤٠ ، ٧٤٢	الجاحظ (ج) ٣١٧ ، ٥٢٦
٧٤٧ - ٧٤٩ ، ٧٦٨ ، ٧٧١	(ج) ٣٢٦ ، ٣٦٥
٧٧٤ ، ٧٨٢ - ٧٨١ ، ٧٨٨	٣٧٧
٧٩٣ - ٧٩٤	(ج) ٦٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،
(ج) ٣٥ - ٣٦ ، ٢٤ ، ١٦	٢٩٩ ، ٢٨٢ ، ٢٠٥
٥٢ ، ٦٧ - ٦٨ ، ٧١ ، ٨١	٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢
٨٣ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٤	٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٤١٩
١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٤ - ١٦٦	٥٥٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠
٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٤٠ ، ٢٧١	٥٨٦ ، ٦٠٠ - ٦٠٢ ، ٦٠٥

- ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
 ٢١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ،
 ٢٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ،
 ٢٨٣ - ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ،
 ٤١٧ ، ٤٢٩ - ٤٣١ ، ٤٥١ -
 ٤٥٢ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٤٦٧ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٤٨٣ ،
 ٤٩٠ ، ٥٢٣ ، ٦٠٥ ، ٦٣٥ ،
 ٦٣٩ ، ٦٤٤ ، ٦٥٦ ، ٦٦٧ -
 ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٨٢ - ٦٨٣ ،
 ٧٠١ ، ٧٥٤ ، ٧٦٤ ،
 ٧٩١ ، ٧٩٩ ، ٨١٠ ،
 ٨١٣ ، ٨٥٧ ، ٨٩٦
- جار (ج) ١٦
 جارلس مونتاكو دوني (ج) ٢٤١
 جارلس هوير (ج) ٢٤١
 الجارود (ج) ١٥٦ ، ٢٠٩
 (ج) ٣٠٦
 (ج) ٤٦٧ ، ٦٢٢
 الجارود بن عبدالله (ج) ٤١٧ ،
 ٧٨٧
 جارية بن اصرم الاجداري (ج) ٢٥٦
 جارية بن مر الطائي (ج) ٣٧٣
 (ج) ٤٠٦
 جارية بنت سليط (ج) ٣٦٧
 جارية بنت مالك (ج) ٢٥٥
 جاسم بن عمان (ج) ٢٩٥ - ٢٩٦ ،
 ٣٤٦
 جاكين بيرين (ج) ١١
 جالوت (ج) ٥٧٥
 جالينوس (ج) ٣٢١
 جاماسب (ج) ٣٣٤
 جامع (ج) ٣٦٩
 جامه (ج) ١٣٨
 (ج) ٢١١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ،
 ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ - ٣٣٨ ،
 ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٧ ، ٤٤٦ ، حـ
- ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ -
 ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ - ٤٧٤ ،
 ٤٧٨ - ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ -
 ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٥٧ - ٥٥٩ ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦ ،
 ٥٨٨
 (ج) ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 (ج) ٦٧٥
 جان جاك بيرلي (ج) ١٨٣ ، حـ
 ٢٠٨ ، ٢٧٩
 جاهمة بن العباس (ج) ٨٦٥
 جبا اوام هنعمت (ج) ٦٦ - ٦٧
 جبار بن الحكيم (ج) ٢٥٨
 جبار بن سلمى (ج) ٢٥٥
 (ج) ٥٥٢
 جبار بن فيض (ج) ٤٥٧
 جبر (ج) ٣٦٩
 (ج) ١٢١
 (ج) ٦٠٣ - ٦٠٤
 جبرائيل (ج) ٢٦ ، ١١٧ ، ٤٠٥ ،
 ٥٠١
 (ج) ٣١٥
 (ج) ٥٩٧
 جبرائيل جبور (ج) ١٧٤
 جبريالي (ج) ٣١١
 جبريل (ج) ٢٦٩
 (ج) ١٤٣ - ١٤٤
 (ج) ٥٣٩ ، ٧٥٥ ، ٧٦٠
 (ج) ٢٦ ، ٨٤٢
 جبل بن ابي قشير (ج) ٥٤٦
 جبل بن اسعد بن ملكيكرب (ج) ٥٧٠
 جبل بن جوال (ج) ٥١٥
 (ج) ٧٩٠
 جبل بن عمرو (ج) ٥٢٤
 جبلة بن الاهيم (ج) ٥٢ ، ٤٩٢
 (ج) ٤١٨ - ٤١٩ ، ٤٢٦ -
 ٤٣٥ ، ٤٤٤ - ٤٤٧
 (ج) ٢٤٠ - ٢٤٢ ، ٣٠٧ ،

- ٤٧٣
 (ج ٥) ١٢٠
 (ج ٦) ٥٩٤
 (ج ٩) ٧٣٧ ، ٧٣٥
 جبلة بن الحارث (ج ٣) ٤٠١ - ٤٠٤
 ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٤٥ - ٤٤٧
 جبلة بن سالم (ج ٨) ٣٢٠
 جبلة بن عدي (ج ٣) ٣٥٧
 جبلة بن مالك (ج ٤) ٢٤٤
 جبلة بن النعمان (ج ٣) ٢٣٢ ، ٣٤٩ ، ٤٣٩
 جبيل بن مطعم (ج ١) ٤٧١
 (ج ٣) ١٨٧ ، ٢٨٨
 (ج ٤) ٦٥
 (ج ٨) ٣٣٠ ، ٣٣١ - ٣٣١
 ٧٨٣ ، ٧٦٦
 (ج ٩) ٧٣٦
 جثامة بن قيس (ج ٥) ٢٨٣
 جثامة بن مساحق الكناني (ج ٣) ٤٣١
 جحاش (ج ١) ٤٠٥
 جحجين بن عتيك (ج ٣) ١٩٦ - ١٩٧
 جحجنا بن عبيل (ج ٣) ١٩٦
 جحدر بن ضبيعة (ج ٩) ٢٥١
 جحش (ج ١) ٤٠٥ ، ٥٢٦
 (ج ٤) ٨٠
 جحضم احصن (ج ٢) ٤٤٦
 جد اللات (ج ٦) ١٧
 جدان بن جديلة (ج ٤) ٤٨٣
 جدرة بن جرم (ج ١) ٣٧٢
 (ج ٤) ٤٢٢ ، ٤٢٤
 جدوت (ج ١) ٣٧٤
 (ج ٢) ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٧٦ - ٣٧٧
 جدعاء (ج ١) ٣٧١
 جدعون (ج ١) ٤٥٥
 جدلة (ج ٣) ٤٧
 الجدماء بنت جل (ج ٤) ٥٠٢
 جدي بن اخطب (ج ٦) ٥٤٦
 جدي بن جدية (ج ٤) ٤٨٣
- جديلة بنت مر (ج ١) ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٤٠٧
 (ج ٤) ٤٨٣ ، ٥٠٧ ، ٥٢٥
 جديمة (ج ٢) ٤٢
 جذام بن اسدة (ج ١) ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٩٩ ، ٥١٦
 (ج ٤) ٤٦٢
 جذام بن عدي (ج ٤) ٥٣١
 جذره (ج ١) ٤٠٩
 جذع بن سنان (ج ٣) ٣٨٨ - ٣٨٩
 (ج ٦) ٧٢٤
 (ج ٩) ٢٨٩
 جذع بن عمرو الفساني (ج ٣) ٣٩٧
 - ٣٩٨ ، ٤٤٨
 (ج ٤) ٤٣٧
 جديمة الابرش (ج ١) ٧٧ ، ٣٣٧
 (ج ٣) ١٠٤ - ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٤٠
 ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧٨ - ١٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٨٩
 (ج ٤) ٦١٨ ، ٦٢٥ ، ٦٦١ ، ٦٧٤
 (ج ٥) ٢١٠ ، ٤٥٦ ، ٥٨
 (ج ٦) ٢٨٩ ، ٧١٣
 (ج ٨) ٣٧٤ ، ٤٠١
 (ج ٩) ٤٤٥ ، ٦٨٥
 جديمة بن حازم (ج ٤) ٢٠٢
 جديمة بن سالك (ج ٣) ١٦٧
 جديمة بن عامر (ج ٤) ٢٦٦
 (ج ٨) ٢٦٨
 جديمة بن علقمة (ج ٤) ٣٠٧
 جديمة بن عمرو (ج ٣) ١٨٦
 جديمة بن عوف (ج ٤) ٤٨٥
 جديمة بن مالك الازدي (ج ١) ٣٧٣ ، ٤٠٧
 (ج ٥) ٣٩٦
 جديمة بن يربوع (ج ٤) ٥١٢
 جديمة الخزاعي (ج ٥) ١١٣
 جديمة العبسي (ج ٦) ٧٦٣ ، ٧٧٠
 جديمة الوضاح (ج ٤) ٤٣٨ ، ٤٦٢

- جر (جود) (ج ٢) ٦٩
الجراح (ج ٩) ٤٧٤
جراح ذو زنبور (ج ٣) ٤٨٤
الجرادنان (ج ٥) ٢٣
جرسان (ج ١) ٤١٨
الجرجاني (ج ٣) ٤٤٧ - ٤٤٨
(ج ٥) حا ٤٧٨
(ج ٩) حا ٢٤٠ ، حا ٤٧٦ ، حا ٨٠٤
جرجس (ج ٦) ٦٨٦
جرجسيوس (ج ٣) ٥٠٦
جرجي زيدان (ج ١) ٣٠٠ ، ٣٣٥ -
٣٣٦ ، ٣٦٤ ، حا ٥١٨ ، حا ٥٢١ ،
٥٢٥
(ج ٣) حا ١٩١ - حا ١٩٢ ، حا ٤٧٦
(ج ٤) حا ٥٣٢ ، حا ٦٢٠
(ج ٥) حا ٣٤٦
(ج ٧) حا ١٩٨ ، حا ٢٠٩ ، حا ٢١٢
(ج ٨) حا ١٧١ ، حا ٣٥٣ ، حا ٣٨٧
، حا ٤٢٤ ، حا ٤٣٣
(ج ٩) حا ٨٤ ، حا ٨٩ ، حا ١١٢ ،
١٢٣ ، ١٣٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
٢٩٤ ، ٤٣٢ - ٤٣٤ ، ٤٣٨٠ ،
حا ٤٤٤ ، حا ٤٥٦ ، حا ٤٨٢ ،
٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ ،
٦٣٦ - ٦٣٧ ، ٦٤٠ ، ٦٤٧ ،
٦٤٩ ، ٦٩٦ ، ٧٢١ ، ٧٢٤ ،
حا ٧٨٦ ، حا ٨٥٨ ، حا ٨٦٣ ، حا ٨٨٢
الجرساء الكلبى (ج ٣) ٣٣٥
جرش بن عبدالله (ج ٣) ٦٦
جرشم بن جلهمة (ج ١) ٣٤٩
جرشوم (كرشوم) (ج ١) ٤٥٣
جرم بن دبان (ج ١) ٣٦٧ ، حا ٣٧١ ،
(ج ٤) ٢٣٩ - حا ٢٤٠ ، حا ٤٢٤
جرمانيكوس (ج ٣) ٨٦
جرمة بن النجاشي (ج ٢) ٤٣٧
جرمز بن ربيعة (ج ٤) ٢٦٢
- (ج ٨) ١٣٠
جرهم (ج ١) ٩٢ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ،
٢٥٨ - ٣٦١ ، ٤٢٧ ، حا ٥٠٦ ،
(ج ٦) ١٤٤
جرول بن ثعل (ج ٤) ٤٥٢
(ج ٩) ٧٥ ، ٢٣٤ ، حا ٤٤١ ، حا ٥٢٠
جرول بن كنانة (ج ١) ٣٧١ ، حا ٥٢٦
(ج ٤) ٣٧ ، حا ٥٣٢
جريبة بن الاشم الفقمسى (ج ٦) حا ١٣٠ ، حا ١٣٣
جريج (ج ٦) ٦٨٦
جرير (ج ٣) ٢٥٢ ، حا ٢٧٤ ،
٥١٤
(ج ٤) حا ١٤٩ ، حا ٣١٢ ، حا ٣٣٥
، حا ٣٣٧ ، حا ٤٧٧
(ج ٥) ٣٠٢
(ج ٦) حا ٥٩٣ ، حا ٦٤٧ ،
٧٣٤
(ج ٧) ١٢١
(ج ٨) ٣٠٦
(ج ٩) ٦٨ ، ٧٥ ، حا ٨١ ، حا ٨٦ ،
١٢٠ ، ١٣٦ ، ٢٣٢ - ٢٣٥ ،
٢٦٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧ ، حا ٣٠٥ ،
٣٣٩ - ٣٤٠ ، حا ٣٥٧ ، حا ٣٨٣ ،
٦٥٧
جرير بن عبدالله بن جابر (ج ١) ٤٧٠
(ج ٥) ٦٤٢
جرير بن عبد الله البجلي (ج ٤) ١٥٦
١٨٢ - ١٨٣ ، حا ١٨٥ ، حا ١٩٢ ،
١٩٤ - ١٩٥ ، حا ٤٤٦ ، حا ٥٩١
(ج ٥) ٤٩٨
(ج ٦) ٢٧٢ - ٢٧٣ ، حا ٤٤٥
(ج ٨) ٣٢٩
جرير بن عطية (ج ١) ٣٢٢ ، حا ٣٩٨ ،
٤٩٦
جزء بن الحارث (ج ٩) ٦٣٩ ، حا ٨٨٠
جزء بن سعد (ج ١) ٣٧١
(ج ٥) ٣٦٧

جعفر بن مالك (ج ٣) ٣٠٣
 الجعد بن صبرة التيباني (ج ٥)
 ٦٣٨ ، ٥٠٥
 جعدة بن كعب (ج ١) ٤٠٦
 (ج ٣) ٣٥٦
 الجعدي (ج ٥) ٢٠٣
 الجعدين الشماخ (ج ٥) ٣٧١
 جعفي (ج ١) ٣٧١
 جعفر (ج ١) ٤٠٥
 جعفر بن أبي طالب (ج ٤) ٢٤٢
 (ج ٧) ٢٥٩
 جعفر بن خلاص الكلبي (ج ٦) ٢٧٧
 جعفر بن سراقه (ج ٦) ٦٠١
 جعفر بن سليمان (ج ٧) ٣٤١
 جعفر بن عليّ (ج ٩) ١١٣ ، ٤٣٢ ،
 ٤٨٣
 جعفر بن قريع (ج ٩) ١١٣
 جعفر بن كلاب (ج ٤) ٣٣٩ ، ٣٤٦ ،
 ٣٩٤ ، ٥٢٢ ، ٥٧٢
 (ج ٥) ٣٨٨
 (ج ٩) ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣
 جعفر بن محمد الطيلسي (ج ٦) ٥٧٠
 جعفر المنصور (ج ٤) ٨٢
 الجعفري (ج ٩) ٧٥ ، ٤٤١
 جفن عم يثع (ج ٢) ١٠٢
 جفنة بن عمرو (ج ٣) ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،
 ٣٩٩ - ٤٠٠ ، ٤٢١ ، ٤٤٦
 (ج ٤) ٤٣٦ - ٤٣٧
 جفنة بن المنذر الأكبر (ج ٣) ٤٤٦ -
 ٤٤٧
 جفنة بن النعمان الجفني (ج ١) ٣٧٤
 (ج ٣) ٤٤١
 جفنة عبد الله بن جدعان (ج ٤) ٩٧
 جفينة العبادي (ج ٨) ١٠٩ ، ٢٩٢ ،
 ٣٠١
 جلابزين (ج ٣) ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٢٩٦
 جلاس بن سويد (ج ٩) ٧٨
 الجلاس بن وهب (ج ٤) ٢٥١
 جلال الدين همايوني (ج ٨) ٧١٦

(ج ٧) ٤٦٢
 جزء بن غالب (ج ٦) ٥٨ ، ٨١
 جساس بن عمرو (ج ٤) ٣١٦
 جساس بن مرة (ج ٤) ٤٩٥ - ٤٩٨ -
 ٥٠١ ، ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٦٢٥ -
 ٦٢٦
 (ج ٥) ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٥٢٠
 جستنيان (جستنيانوس) (ج ٣) ٢٢٣ ،
 ٤٧٣ - ٤٧٤
 (ج ٧) ٢٨٢
 جسر بن عمرو (ج ١) ٣٦٧ ، ٣٧١ ،
 ٣٧٣ ، ٤٠٥
 (ج ٤) ٤٥٨ ، ٥١٦
 جسر بن محارب (ج ٩) ١٤٦
 جشث بن مالك (ج ١) ٤٠٣
 جشم بن بكر (ج ٤) ٤٨٩ ، ٤٩٢ ،
 ٥١٣
 (ج ٥) ٣٤٨ ، ٣٨١
 (ج ٨) ٦٠٠ ، ٦٩٠ ،
 (ج ٩) ٥٦٣
 جشم بن تقيف (ج ٤) ٥١٧
 جشم بن حبران (ج ١) ٣٥٣
 (ج ٤) ٣٣٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧ -
 ٤٤٨ ، ٤٦٢
 جشم بن ذهل (ج ٥) ٣٤٩
 جشم بن سعد (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠١ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٥ - ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
 ٦٤٦ - ٦٤٨
 جشم بن شهر (ج ٢) ٢٤٧
 جشم بن عبد شمس (ج ٢) ٥١٣ ،
 ٥٦١
 (ج ٥) ١٩٣
 جشم بن غنم (ج ٤) ٤٩٢
 جشم بن معاوية (ج ٤) ٥١٦ - ٥١٧ ،
 ٥١٩
 جشم بنت عمرت (ج ٨) ٢٠٥
 جشم مرة بن كلثوم (ج ٤) ٤٨٩
 جشيش الديلمي (ج ٤) ١٩٢ - ١٩٣
 الجصاص (ج ٧) ٤٢٧

- جلان بن عتيك (ج) ٤٨٢
جلد بن مالك (ج) ٤٥٨
جلد بن مذحج (ج) ٤٥٨ ، ٤٥٤
جلم بن عمرو (ج) ٢٨٨
الجلندي بن المستكبر (ج) ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٤٤١
(ج) ٣٢٠
(ج) ٥٢٣
جلهمة بن ادد (ج) ٣٧٠ ، ٣٧٣
(ج) ٤٢
(ج) ٤٥٠ ، ٤٣٤ ، ٢٥٨
جلهمة بن الخيري (ج) ٣٩٤
جليات (ج) ٦٤٤
جليحة بن شجار (ج) ١٩٠
جليلة بنت مرة (ج) ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٦٢٠
(ج) ٣٥٦
جماء بن زياد (ج) ١٨٩
جمار (ج) ٦٧٦
جمال الدين محمد بن محمد بن
نياته المصري (ج) ٤٩٧
الجماهر (ج) ٣٧٢
جمع بن عمرو (ج) ٤٨١
جمد (ج) ١٥٥
(ج) ١٩٧
جمعة بنت جاسس الابادي (ج) ٥
٤٩٨ ، ٦٣٨ - ٦٣٩
(ج) ٧٩١ ، ٧٩٠ - ٧٩١
جميل جبر (ج) ٧٤٩ ، ٧٧١
- ٧٧٣ ، ٧٨٢
(ج) ٨٥ ، ١٤٠ ، ١٤٠ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٨٠ ، ٤٠٧
جميلة بنت الصوار (ج) ٣٥٥ ،
(ج) ٤٨
الجميع الاسدي (ج) ٤٧٥
جميل بشينة (ج) ٦٠١
جميل بن معمر الجمحي (ج) ٧٠٣
جناب بن عبدالله بن هبل (ج) ١١١
- جناب بن عوف (ج) ٦٦٢
جناب بن هبل (ج) ٥٧٩ ، ٦٠٥
(ج) ٢٣٩
(ج) ٣٦٤
جناد (ج) ٧٦ - ٧٧
(ج) ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٥٥
٣٠٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥
جنادة بن أمية (ج) ٤٩٨ - ٤٩٩
جنادة بن عوف (أبو ثمامة) (ج) ٤٨٠
(ج) ٢٠٦ ، ٧٩
(ج) ٤٩٨ - ٥٠٠
جنادة بن معد (ج) ٣٥٩ ، ٣٨٩ ،
٣٩٢
جنادة الأزدي (ج) ١٨٥ ، ٤٢٢
(ج) ١٢٣
جنبو (ج) ٥٧٩
الجند يعلى بن أمية (ج) ١٩٢
جندب بن الحارث (ج) ١٦ ، ٥٧٤
- ٥٧٦ ، ٦٠٥
(ج) ٢٧٤ ، ٧٩
جندب بن سلمى (ج) ٢٦٧
جندب بن طريف (ج) ٤٨٩
جندب بن عمرو (ج) ٣٢٢
جندب بن العنبر (ج) ٨٢٠
جندع بن ليث (ج) ٥٣٢
جنذل (ج) ٥٢٦ ،
(ج) ٢٠٣
جندلة بنت الحارث (ج) ٤٧٩
جندلة بنت فهر (ج) ٤٧٩
(ج) ٣٦٤
جنوقاس (ج) ٤٠٤ - ٤٠٥
جنيد (ج) ٣٩٢
جهامة (ج) ٣٩٩
جهيل بن ثعلبة الشكري (ج) ٣٤٦
الجهشياري (ج) ٢٨٨
(ج) ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣
١٢٦ - ١٢٧ ، ١٢٣
١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧

- ٦٠٨
(ج) ٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٩٩ ،
٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧١٠ -
٧١٤ ، ٧١٦ ، ٧٢٠ ، ٧٢٤ ،
٧٢٧
(ج) ٢٦٨ ، ٦٧٥ ، ٧٧١ ،
٨٠٧ ، ٩٠٣
جوجار (ج) ٥٩٩
جودان بن يحيى (ج) ٧٦٩
الجودي بن ربيعة الفلاني (ج) ٢٣٨ ، ٢٣٥
جودنا (غوديا) (ج) ٥٥٧ - ٥٥٩ ،
٥٦٢
جوراقية (دراهم) (ج) ٤٩٨
جورج اغسطس والين (ج) ١٣٠
جورج برتن (ج) ٥٤٢
جورج بوست (ج) ٥٣
جورج فضلو حوراني (ج) ٢٥٠
٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
٢٧٨
جورج مائبوس (ج) ١٧٩
جورجيسبوس (ج) ٦١٩
جوزف سكالكر (ج) ٦٢
جوسن (ج) ١٣٢
(ج) ٧٤ ، ٢٤١ ، ٥٠١
(ج) ٥٢٨
الجوشن الضبابي (ج) ٢٦٩
جول مابر (ج) ٢٣٢
جوليان (ج) ٦٤٢
جوليانوس (ج) ٤٧٢ ، ٥١٩
جوليو - كلوديان (ج) ٢١٧
جون آل بنسي الاوس (ج) ٢٢٥ ،
٢٥٠
جون بيترس (ج) ٢٣٨
جون لابوم (ج) ٤٠
الجوهري (ج) ٣٠٢
(ج) ١١ ، ١٤٩ ، ١٥٠
٤١٥ ، ٤٣٠ - ٤٣١
- ١٥٩ -
جوهضم بن جديمة (ج) ٣٧٣
(ج) ١٨٤
(ج) ٤٢٨
جهنم (شيطان الاعش) (ج) ١٢٠ ،
٥٨٦
جهيم بن الصل (ج) ١٢٠ ، ١٢٢
١٢٥
جهينة (ج) ٣٦٧
(ج) ٢٨٨
(ج) ٧٦٠
جواد على (ج) ١٢٧
(ج) ١٥٧ ، ١٩٢ -
١٩٣ ، ٤٧٤
(ج) ٥٧ ، ١٣٠
(ج) ١٩٩ ، ٥٥٢
(ج) ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٥٢٧
٦٢١
(ج) ٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٧٣
٢٧٥
(ج) ٢٤٨ ، ٤٤٧ ، ٥١٩
٥٢٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣
٥٨٩ ، ٦٢٧
٦٤٢ - ٦٤٤ ، ٦٥٢
٦٨٠ - ٦٧٨
(ج) ٦٦ ، ٢٥٢ ، ٣٠١
٥٠٧ ، ٦٩٤
٧٧٨
الجواليقي (ج) ٢٧٤ ، ٢٨٦ ،
٣٧٥
(ج) ١٢٣ ، ٣٨٣
(ج) ٣١ ، ٤٠ ، ٥٢
٥٦ ، ١٠٨ -
١٠٩ ، ١٢٣ ، ٢٠٨
(ج) ١٢ ، ١٣٥ ، ١٤٥
٥٥٢ ، ٥٨٦ ، ٦٩٢
٧٣٥
(ج) ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٩٠ ،
٥٩٢ - ٦٠٧ ، ٦٠٥ ، ٥٩٣

جبرون بن سعد (ج ١) ٣٠٣	٤٣٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٧ ،
جيسمن (ج ١) ٥٥٨	٤٨٣ ، ٥٠٦ ، ٥١٢
جيفر بن جلندي (ج ٤) ٢٠٠ ، ٤٤١	(ج ٥) ٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٠
(ج ٧) ١٤١	١٦٨ ، ٢٨٩ ، ٦٤٣ ، ٦٧٥
جيفر بن عبد عمرو (ج ٤) ٤٨٤	(ج ٧) ٦٠٧
جيل (ج ٦) ٢٥٧ ، ٢٩٤	(ج ٨) ٥٧٣
جيمس دنل (ج ١) ٦٢٣	(ج ٩) ٨٥٥
جيمس فريزر (ج ٥) ٥٤١	جبرالد دي كوري (ج ١) ٥٤٠
جيمس هاملتون (ج ٦) ٢٣٥	جيولند (ج ١) ٢٣٥
جيهملة (ج ٢) ٦١٥	جيروم (ج ١) ٦٢
جيهم (ج ١) ٣٦٨	(ج ٣) ٢٤

— الحاء —

(ج ٥) ٣٥٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ،	حابس (ج ١) ٦٠٥
٣٩٠ ، ٤٦٦ ، ٥٤٤ — ٥٤٥ ،	حاتم بن عبدالله (ج ٤) ٥٧٦ — ٥٧٧
٦٣٢ ، ٦٣٧ ، ٦٤١	حاتم الطائي (ج ١) ٢٨٢
(ج ٦) ٦٩٣	(ج ٣) ١٠٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ،
(ج ٨) ٣٥١ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩	٢٨٢
(ج ٩) ١٤٦ ، ٤٢٩	(ج ٤) ٢١٩ — ٢٢١ ، ٢٨٢ ،
الحاجري (ج ٥) ٦٤١	٢٣٩ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ ، ٥٧٨ —
(ج ٩) ٤٧٦ — ٤٧٧	٥٧٩ ، ٦٧١
حاجز بن عوف (ج ٤) ٤١٢	(ج ٥) ٦٦ ، ٨٥
حاجز الازدي (ج ١) ٣٤٥	(ج ٦) ١٣٣ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ،
(ج ٩) ٦١١ ، ٦٢٢ ، ٦٤٨	٥٨٤ ، ٦٣٤ ، ٧١٩
الحادرة (ج ٤) ٤٠٣	(ج ٧) ٨٥ ، ٤٤٢
حاذر (ج ١) ٣٦٩	(ج ٩) ٧٥ — ٧٦ ، ٤٤٥ ، ٤٧٢ ،
الحاذي (ج ١) ٣٦٦	٦٠١ ، ٦٢٤ — ٦٢٥ ، ٦٣٣ ،
الحارب (ج ١) ٣٦٧ ، ٣٧٠	٧٩٩ ، ٨١٢ — ٨١٧
الحارث الأبرص (ج ٤) ٥٢٢	حاجب بن زرة (ج ١) ٢٨٣
الحارث بن أبي ضرار (ج ٤) ٢٦٦	(ج ٣) ٢٧٤ ، ٢٧٩

- الحارث بن اسد (ج ٥) ٢٨
الحارث بن اشيم (ج ٤) ٦٣٢
الحارث بن الاغر الابدادي (ج ٢) ٦٣٦
الحارث بن امية (ج ٥) ٢٨١
الحارث بن الاهيم (الايهم) (ج ٣) ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ٤٢٧
الحارث بن بهثة (ج ٤) ٥١٨ ، ٥٢٠
(ج ٧) ١٦١
الحارث بن بيسة المجاشعي (ج ٣) ٤٧٤ ، ٤٧٦
الحارث بن تميم (ج ٤) ٥٢٩
(ج ٦) ٢٥٧
الحارث بن التوام الشكري (ج ٩) ٩٩
الحارث بن ثعلبة (ج ٣) ٢٩٩ ، ٤٣٢
٤٤٥ - ٤٤٦ ، ٤٤٨
(ج ٤) ١٤ ، ٥٣٤ ، ٥٧٥
الحارث بن جبلة (ج ٢) ٦٥٨
(ج ٣) ٢٢١ - ٢٢٣ ، ٢٢٧
٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٣
٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٤٠٢ - ٤٠٥
٤٠٨ - ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧
٤٢٠ - ٤٢١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦
٤٤٧ ، ٤٦٥ - ٤٦٦ ، ٤٧٤
٤٧٧ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ ، ٤٩٢
(ج ٤) ٢١٩ ، ٢٢١
(ج ٥) ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٣٢٨
٣٢٩
(ج ٦) ٥٩٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٣
(ج ٨) ٥١٩
الحارث بن جفنة (ج ٣) ٢٢١ - ٢٢٢
٤٣٤ ، ٤٠٠
الحارث بن حجر الكندي (أكل المرار)
(ج ٣) ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ -
٢٢٥ ، ٢٥٧ ، ٣١٣ ، ٣١٥
٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ - ٣٢٩
٣٣٩ - ٣٤٦ ، ٣٤٧
٣٤٩ - ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤٢٢
٤٤٧
- ٣٥٠ (ج ٥)
الحارث بن حرب (ج ٥) ٢٨
(ج ٩) ٧١١
الحارث بن حسان البكري (ج ١) ٩٢
٣٢١ ، ٣٥٨ ، ٣٩٩ - ٤٠١
الحارث بن حصن (ج ٣) ٢٦١
الحارث بن حلزة (ج ١) ٣٠٤ ، ٣٣٦
(ج ٣) ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٣٢٦
٣٥٨
(ج ٤) ٣٧٦ ، ٣٨٢ - ٣٨٣
٥٠٠ ، ٥٦١
(ج ٥) ٤٣٥ ، ٤٥٨ ، ٦١٣
(ج ٦) ١١١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧
٨٠٠
(ج ٨) ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٤٠١
٤٢٦ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ ، ٣٨١
٣٨٤ ، ٣٨٦
(ج ٩) ٨٧ ، ١٠٩ ، ١٦١
٢٤٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٢
٣٢٩ ، ٤١٧ ، ٤٣٣ ، ٤٧٧
٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٦
٥١٩ ، ٥٤٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ -
٥٦٧ ، ٦٧٢ ، ٨٢٥ ، ٨٣٥
٨٨٣
الحارث بن الحزرج (ج ٤) ٣٠٧
(ج ٩) ٧٢٠
الحارث بن دوس (ج ٩) ٨٢٠
الحارث بن الدؤل (ج ٤) ٤٨٢
الحارث بن ذبيان (ج ٨) ٧٧٩
الحارث بن ذي شمر (ج ٢) ٥١٣
(ج ٥) ١٩٣ ، ١٩٦
الحارث بن راشد (ج ٨) ٧٨٣
الحارث بن ربيع (ج ٤) ٢٥٣
الحارث بن رزاح (ج ٤) ٤٨٢
الحارث بن زهير (ج ١) ٤٠٦ ،
٤٠٨ - ٤٠٩ ، ٦٥١
(ج ٤) ٤٨٩ ، ٥١٠
الحارث بن سدوس (ج ٤) ٦٥١
(ج ٩) ٨٥٣

- الحارث بن سعد (ج ١) ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤ - حـ
٤٠٣ ، ٢٨٣
- الحارث بن شريك (ج ٣) ٢٢٨
(ج ٥) ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٤٠٧
- الحارث بن شهاب (ج ٣) ٣٦٩
(ج ٥) ٣٧٢
- الحارث بن ضبيعة (ج ٤) ٤٨٢
- الحارث بن ظالم (ج ٣) ٢١٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٩ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٤١٠ ، ٤٢٨
(ج ٤) ٤٠ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٤ ، ٤٨٠ ، ٤٩٢ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، حـ ٥١٤ ، ٥٧١
(ج ٥) ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٧١
(ج ٨) ٢٧٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩
(ج ٩) ٧٧٨
- الحارث بن عامر (ج ٥) ٣٧
- الحارث بن عباد (ج ٣) ٢٧٩ ، ٣٣٠ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ - ٤٩٧
(ج ٥) ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٤٤ ، ٦٣٨ ، ٥٠٤
(ج ٩) ٤٥٧ ، ٤٦٠
- الحارث بن عبدالله (ج ٥) ٢٦٥ ، ٥٩٣
- الحارث بن عبد العزيز (ج ٦) ١٢٧
- الحارث بن عبد كلال (ج ٢) ٥٨٣
(ج ٣) ٥٣١
(ج ٤) ١٨٠ - ١٨١
(ج ٥) ٣٠٩
(ج ٧) ١٤١
- الحارث بن عبد المطلب (ج ٥) ٣٨
(ج ٩) ٧١١
- الحارث بن عبد مناة (ج ٤) ٣١٠ - ٣٥ ، ٨٤ ، ٤٧٨ ، ٥٣٣
(ج ٩) ٧١٦
(ج ٦) ٣٦٤
- الحارث بن عيسى (ج ٤) ٥١٠
- الحارث بن عبيد المخزومي (ج ٤) ٦٧١
- الحارث بن عدي (ج ٤) ٤٦١
- الحارث بن علقمة (ج ٣) ٥٢١
(ج ٥) ٤٦٧ ، ٦٢٣ ، ٦٢٣
- الحارث بن عمرو بن محرق (ج ٣) ١٩٥ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ - ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ - ٣٠١ ، ٤٠٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ - ٤٤٤ ، ٤٤٦
(ج ٤) ٤٣٦ - ٤٣٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥١٢ ، ٥٢٩ - ٥٣٠
- الحارث بن عمير الازدي (ج ٤) ٢٤٢
- الحارث بن عوف (ج ٤) ٢٥٣
(ج ٦) ٥٤٦
- الحارث بن غنم (ج ٤) ٤٩٢
- الحارث بن فهر (ج ٢) ٥٨٤
(ج ٤) ١٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٦١ - ٦٢ ، ١٠٠ ، ٢٦٨ ، ٤٧٩
(ج ٧) ٤٤٠
- الحارث بن قيس (ج ٤) ١١٠ ، ١٣٧
(ج ٥) ٢٤٩ ، ٥٤٨
(ج ٦) ٦٧ ، ١٥٢
- الحارث بن كعب (ج ١) ٤٨١
(ج ٢) ٣٩ - ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٥٥٦
(ج ٣) ١٩٦ ، ٣٥٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦
(ج ٤) ٩٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٥١١ ، ٥٢٣ ، ٦٤١ ، ٦٥٦ - ٦٥٧
(ج ٥) ٢٠ ، ٣٥٣ ، ٤٢١

الحارث بن مندلة الضجمي (ج ١٣)	(ج ٦) ٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٠ -
٣٢٣	٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ -
الحارث بن نبيه المجاشعي (ج ٥)	٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٤١٧ ، ٥١٤ ،
٣٧١	٦٦٢
الحارث بن هانيء (ج ٨) ٥٦٩	(ج ٧) ٤٦٢ ، حا ٥٩٧
الحارث بن هشام (ج ٤) ١٠٥	(ج ٨) ٤٧٤ ، ٥٦٨ ، ٥٨٥ ،
(ج ٥) ٢٨	٧٧٧ ، ٦٤٠
(ج ٩) ٧١٤ ، ٧٨٦ ، ٨٦٣	(ج ٩) ١٩ ، ٩٣ ، ٢٤٢ ، ٤٢٩
الحارث بن همام (ج ٤) ٢٩ ، ٤٧٢	- ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤
(ج ٥) ٤٤٤	- ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٤ ، ٤٨١
(ج ٩) ٧٩٨ - ٨٠٠	٥٨٠ ، ٧١٥ ، ٧٤٤
الحارث بن وعلف (ج ٥) ٢٦٥ ، ٣٨٦	الحارث بن كلدة (ج ٣) ٣٧٤ ، ٤٩٩
٦٤٥ ، ٤٠٧	(ج ٤) ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٩١ ،
حارث بن يدم (ج ٢) ٣٦٩	٥١٧ ، ٥٩٥ ، ٦١٦
الحارث بن يربوع (ج ٤) ٥٢٩	(ج ٥) ٥٨
الحارث بن يزيد البكري (ج ١)	(ج ٧) ٥٥٦
٣٢١	(ج ٨) ٣٢٠ ، ٣٨٢ - ٣٨٤
(ج ٦) ٥٥١	(ج ٩) ٨٦٣
الحارث بن يشكر (ج ٦) ٢٧٥	الحارث بن كنانة (ج ٤) ٣٧
الحارث أبو حجر (ج ٩) ٤٤٣ ،	الحارث بن لؤي (ج ١) ٤٠١
٤٧٨ - ٤٧٩	(ج ٤) ٢٩ ، ٢١٩ ، ٤٨٢
الحارث الاضجم (ج ٤) ٣٤٧ ،	الحارث بن ماربة الفساني (ج ٣)
٤٨٢	٢٠٠ - ٢٠١ ، ٤٠٤ ،
(ج ٩) ٦٦٤	(ج ٨) ١١٢
الحارث الاعرج (الحارث الاصفر)	الحارث بن مالك (ج ٣) ٤١٠ - ٤١١
(ج ٣) ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ -	(ج ٤) ١٩٤
- ٤٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٤٠ -	الحارث بن مرة (ج ٣) ٢٥٣
٤٠٣ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ،	(ج ٤) ٤٥٩ ، ٥١٤
٤٣٣ ، ٤٤٤ - ٤٤٦ ، ٤٤٨	الحارث بن مزيقيا (ج ٥) ٣٧٩
(ج ٩) ٤٦٩	الحارث بن مضاض (ج ١) ٣٤٩
الحارث الاول (ج ٣) ٢٢ ، ٢٥	(ج ٤) ١٤ ، حا ٤٣٨ ، ٤٤٨ ،
الحارث الثالث (ج ٣) ٢٩ - ٣٠ ،	(ج ٩) ٣٩٥
٣٢ - ٣٤	الحارث بن معاذ بن عفراء (ج ٩) ٢٠٢
(ج ٧) ٤٩٣	الحارث بن معاوية (ج ٣) ٣١٩ -
الحارث الثاني (ج ٣) ٢٥ ، ٢٩ -	٣٢٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
٣١ ، ٤١ - ٤٥	٤٠٦ - ٤٠٧
الحارث الحراب (ج ٣) ٣٢٨	(ج ٤) ٤٦٤
الحارث الرائس (ج ٤) ٤١٦	(ج ٦) ٧٧٠

حاشد (ج) ٤٤٧
 حاطب بن ابي بلتعة (ج) ٤٣٢
 (ج) ١١٩ ، ٣٠٤
 حاطب بن عمرو (ج) ١١٩
 حاطب بن قيس (ج) ٦٤٦
 حاطة بن حمير (ج) ٥٩٥
 الحاف (ج) ٤٢٠
 الحافظ بن حجر (ج) ٤٢١ ،
 حا ٤٢٦
 (ج) ٩٦
 الحافظ بن عات (ج) ١٤٤
 الحافظ بن فهد الهاشمي (ج) حا
 ١٤٤
 الحافظ الذهبي (ج) حا ٤٢١
 حافظ وهبة (ج) حا ١٥٧ ، حا
 ١٥٩ ، حا ١٦١ - ١٦٢ حا
 ١٦٩ ، حا ١٧٤ - ١٧٨ ، حا
 ١٨٠ ، حا ١٨٢ ، حا ١٨٧ -
 ١٨٨ ، حا ١٩٤ ، حا ٢١٥ ،
 حا ٢٧٢ - ٢٧٣ ، حا ٢٧٥ -
 ٢٧٦ ، ٢٩٢ - ٢٩٣
 (ج) حا ٢٨ ، حا ٤٨
 حام (ج) ٢٢٤ ، ٤٥٩ : ٤٦٣
 (ج) ٦٧٣
 (ج) ٤٥٢
 حبي (ج) ١٥ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٥٣١
 حباشة (ج) ٥٩٥
 حبال بن نصر (ج) ٣٤٧
 حبران (ج) حا ٣٥٣
 حبشية بن عمرو (ج) ٥٣١
 حبشية بن كعب (ج) ٥٣١
 الحبطات (ج) ١٤٦
 حبن عمرو (ج) ٥٩٥
 الحيوي (ج) ٢٥٩
 حبيب (ج) ٢٣٠
 حبيب بن بكر (ج) ٤٨٩
 حبيب بن زيد (ج) ٩١
 حبيب بن سعد (ج) حا ٤٥٤ ،
 ٤٦٣

الحارث الرابع (ج) ٢٤٧
 (ج) ٤٦ ، ٥٦
 (ج) ٤٩٤
 الحارث الفسائي (الحارث بن ابي
 ثمر الفسائي) (ج) ٢٠٩ ، ٢٣١
 - ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٣٢٧
 ٣٦٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٤٠١
 - ٤٠٢ ، ٤١٠ - ٤١١ ، ٤٢٢
 - ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ - ٤٣٥
 ٤٤٤ - ٤٤٥
 (ج) ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٤٥٤ ،
 ٤٦٣ ، ٤٨٨ ، ٦٦١
 (ج) ٢٨٦ ، ٦٤٠
 (ج) ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٥٧٧ ،
 ٧٢٤
 (ج) ٤١٦ ، ٤٧٩
 (ج) ١١١ ، ٤٦٩ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣٢ ، ٥٤٨ ، ٥٩٤
 الحارث المري (ج) ٧٢٩
 حارثة بن امرئ القيس (ج) ٤٣٥ ،
 ٤٣٧ ، ٤٧٨
 حارثة بن اوس (ج) ٣٤٦
 حارثة بن بدر (ج) ٨٩٣ ، ٩٠٣
 حارثة بن بكر (ج) ٤٤٦
 حارثة بن عمرو (ج) ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،
 ٤٠٠
 (ج) ٣٧٥
 (ج) ٣٠٣
 الحارثة بن فهر (ج) ١٧
 حارثة بن لام (ج) ١٧٦
 (ج) ١٤٢
 حارثة جهينة (ج) ٧٦٩
 حارثة الفطريف (ج) ٣٧٤ ، ٤٣٨ ،
 ٤٩٢ ، ٦٥١
 (ج) ٢٣ ، ٤٠ - ٤١
 الحارثي (ج) ٣٥٢
 (ج) ٧٥ ، ٤٤١
 حازم بن ابي طرفه (ج) ١٥٣
 حازي جهينة (ج) ٧٤٠ ، ٧٩٣

حبيب بن عمرو (ج) ٤٣٠
حبيب بن عينة (ج) ٢٥٤
حبيب بن كعب (ج) ٥٢٢
حبيب بن مالك (ج) ٣٦٨ ، ٤٠٥
— ٤٠٨
(ج) ١٥٣
حبيرة بنت بحالة (ج) ٤٨٠
حبش بن دلف (ج) ٢٧٥ — ٢٧٦
(ج) ٥٢٣
(ج) ٣٥١ ، ٣٧٩ ، ٦٤٠
حتي (ج) ٢٠٨ ، حا ٢٣٥ —
٢٣٦ ، ٥٧٩ ، ٢٤٠
الحث (ج) ٤٠٨
الحجاج بن عامر (ج) ١٥
حجاج بن علاط السلمي (ج) ٧٢٠
(ج) ٢٩٨ ، ٣٤٠ ، ٤٢١ ، ٥٢٢
الحجاج بن عمرو (ج) ٥٤٦
الحجاج بن قيس (ج) ٢٢٠
الحجاج بن يوسف الثقفي (ج) ٣٣٨ ، ١٥٦
(ج) ١٥١ ، ٥١٧ ، ٥٣٧
(ج) ١٤٧
(ج) ٢٩٩ ، ٣٠١
(ج) ٢٣ ، ٢٥ ، ٥٤ ، ٢٣٣
٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ — ٢٨٧ ، ٢٨٢
٧٥٦ — ٧٥٧ ، ٧٩٦ ، ٨٩٥
حجار بن ابجر (ج) ٦٧٧
الحجبية (ج) ٥٠٥
حجر بن أم قطام (ج) ٢٣٥ ، ٢٤٩
(ج) ٤١٦
حجر بن الحارث (ج) ٢٣٥ ، ٢٤٩
— ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ — ٣٦٠
٣٦٢ ، ٣٦٤ — ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣
(ج) ٣٣٣
حجر بن ربيعة (ج) ٣٦٨ ، ٥٢٦
(ج) ١٠٧

حجر بن زرة (ج) ٥٧٢
حجر بن شرحبيل (ج) ٥١٢
حجر بن عمرو (ج) ٢٢٤ ، ٣٢٠ —
٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧
(ج) ٤٨٨ ، ٥٣٤ ، ٦٥٦
حجر بن معاوية (ج) ٣٩٢
(ج) ٤٧١
حجر بن النعمان (ج) ٤٢٢ ، ٤٣٢
٤٤٢ ، ٤٤٤ — ٤٤٥ ، ٤٤٧
حجر بن يزيد (ج) ٤٠٨
حجر أبو امرئ القيس (ج) ٣٢٨
(ج) ٤٤٣ — ٤٤٤ ، ٤٧٥ —
٤٧٩ ، ٥٢٨
حجر أكل المرار (ج) ٢٢٥ ، ٣٢١
— ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ —
٣٩٥
(ج) ٢١٧ ، ٣٤٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٠
حجل بن نضلة (ج) ٦٥٧ ، ٦٨١
(ج) ٢٠٤
حجور بنت ارهير (ج) ٤٤٩
حجواني (ج) ٤٥٠
حجي أهر (ج) ٥٩٧
حجير بن عمير (ج) ٥٢٦
(ج) ٨٩ ، ٩٥
حداد بن ظالم (ج) ٤٨٤
حدار (حدد) (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣
حدال (ج) ٤٧٨
حدالة بنت وعلان (ج) ٣٩٤
(ج) ٤٦٩
حدبان (ج) ١٩٣
حدس (ج) ٣٧٣
حدل بن أتياف (ج) ٢٣٩
حديج بن جفنة (ج) ٤٠٨
حدار (ج) ٦٤٧
حدافة بن زهر (ج) ٦٤٤ ، ٥٩٨

حبيب بن عمرو (ج) ٤٣٠
حبيب بن عينة (ج) ٢٥٤
حبيب بن كعب (ج) ٥٢٢
حبيب بن مالك (ج) ٣٦٨ ، ٤٠٥
— ٤٠٨
(ج) ١٥٣
حبيرة بنت بحالة (ج) ٤٨٠
حبش بن دلف (ج) ٢٧٥ — ٢٧٦
(ج) ٥٢٣
(ج) ٣٥١ ، ٣٧٩ ، ٦٤٠
حتي (ج) ٢٠٨ ، حا ٢٣٥ —
٢٣٦ ، ٥٧٩ ، ٢٤٠
الحث (ج) ٤٠٨
الحجاج بن عامر (ج) ١٥
حجاج بن علاط السلمي (ج) ٧٢٠
(ج) ٢٩٨ ، ٣٤٠ ، ٤٢١ ، ٥٢٢
الحجاج بن عمرو (ج) ٥٤٦
الحجاج بن قيس (ج) ٢٢٠
الحجاج بن يوسف الثقفي (ج) ٣٣٨ ، ١٥٦
(ج) ١٥١ ، ٥١٧ ، ٥٣٧
(ج) ١٤٧
(ج) ٢٩٩ ، ٣٠١
(ج) ٢٣ ، ٢٥ ، ٥٤ ، ٢٣٣
٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ — ٢٨٧ ، ٢٨٢
٧٥٦ — ٧٥٧ ، ٧٩٦ ، ٨٩٥
حجار بن ابجر (ج) ٦٧٧
الحجبية (ج) ٥٠٥
حجر بن أم قطام (ج) ٢٣٥ ، ٢٤٩
(ج) ٤١٦
حجر بن الحارث (ج) ٢٣٥ ، ٢٤٩
— ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ — ٣٦٠
٣٦٢ ، ٣٦٤ — ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣
(ج) ٣٣٣
حجر بن ربيعة (ج) ٣٦٨ ، ٥٢٦
(ج) ١٠٧

- حذافة بن غانم (ج) ٢٤ ، ٧٤
 حذام بنت الريان (ج) ٤٩٨ ، ٦٣٨
 حذيفة بن أنس الهذلي (ج) ٦٦
 ٦٤٢ ، ٣٨٥
 (ج) ١٠٠
 (ج) ٦٩ ، ٤٣٠
 حذيفة بن بدر (ج) ٣٨٨ - ٣٨٩
 (ج) ٢٧١
 (ج) ٢٤٧ ، ٥١٣ ، ٥٦٢ ، ٥٩١
 (ج) ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٣٦٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢ ، ٤٠٧
 حذيفة بن حصن (ج) ٢٠١ - ٢٥٥
 حذيفة بن عبد نعيم (ج) ٨٩٩
 حذيفة بن العزاري (ج) ٥٠٩
 حذيفة بن اليمان (ج) ١٨٥
 (ج) ١٣٢ - ١٣٣ ، ٥٩٦
 الحر بن قيس (ج) ٢٥٥
 حرا بنت سعد (ج) ١٣ ، ٤٥٧
 حرام (ج) ٣٢ ، ٤٢
 (ج) ٤٦٢ ، ٥٣١
 حرام بن جابر (ج) ٦٣٨
 حرام بن عبد عوف (ج) ٢٥٩
 (ج) ١٢٧
 حرب بن أمية (ج) ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨
 (ج) ٢٧٦
 (ج) ٧٩ - ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١
 ١٠١ ، ١٠٤
 (ج) ٣٧ ، ٢٥٠ ، ٣٨١ -
 ٣٨٣ ، ٤٤١ ، ٥٠٥ ، ٦٣٨ ، ٦٥٠
 (ج) ٤٨٤ ، ٧١٣ ، ٧٢٦
 (ج) ٤٠٧
 (ج) ١١٧ - ١١٨ ، ١٢٨ ،
 ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٤
 (ج) ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٧١٧ ،
 ٨٦٤
 حرب بن ضار (ج) ٣٩٧
- حرب بن يسكر (ج) ٥٠٠
 حرب ينهب (ج) ١٢ ، ٤٧٨
 حريم (جد التويعر) (ج) ١٩ ، ٦١
 الحربي بن يولان (ج) ٥٠٦
 الحرث بن بهثة (ج) ٥١٩
 الحرث بن عبدالله (ج) ٨٤٩
 الحرث بن عمرو (ج) ١١ ، ٥٢٦
 (ج) ١٨٨
 (ج) ٤٣٣ ،
 حرتان بن الحارث (ج) ٦٤٦
 حرنان بن السموال (ج) ٦٤٦
 حرنان بن عمرو (ج) ٦٤٦
 حرنان بن محرث (ج) ٦٤٦
 الحرقه (حرقه) (ج) ٢٨٦ - ٢٨٧
 حرقوس بن النعمان البهراني (ج) ٢٣٣
 الحرمار بن عمرو (ج) ٥٢٩
 حرمله بن الأشعر المري (ج) ٦٣٧
 (ج) ١٤٠
 (ج) ٥٧٧
 حوي بن ضميره (ج) ٣٩٧
 حويث بن حسان الشيباني (ج) ٢٢٤
 حرث بن زيد (ج) ٢٤٩
 (ج) ٨٦٥
 حرث بن عبد الملك (ج) ٢٣٤
 حرث بن عمرو (ج) ٣٩٩ ، ٤٠٦
 - ٤٠٧
 (ج) ١٢٦
 حرث بن محفض (ج) ٨٩٤ -
 ٨٩٥
 الحربش بن كعب (ج) ٥٢٢
 حريم (ج) ٣٧١
 (ج) ٤٥٧
 حزام بن يربوع (ج) ٤٠٣
 حزفر كبير خليل (ج) ٥١٤
 حزقبال (ج) ٤٣٩
 حزم (ج) ٥٢٦
 حزن (ج) ٥٢٦

١١٢ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٠
 ١٢١ - ١٢٧ - ١٤٨ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٩١ - ١٩٩ - ٢٠٢
 ٢٣٨ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨
 ٢٥٣ - ٣٢٧ - ٣٦١ - ٣٨٠
 ٤١٣ - ٤٢٤ - ٤٣٠ - ٤٣٢
 ٤٣٣ - ٥٧٨ - ٥٨٧ - ٥٩٠
 ٥٩٤ - ٦٥٤ - ٦٧٥ - ٦٩٤
 ٦٩٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧١٠
 ٧١١ - ٧١٤ - ٧١٩ - ٧٢٠
 ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٨ - ٧٣٠
 ٧٣٢ - ٧٣٤ - ٧٤٨ - ٧٨٥
 ٧٩٠ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٨٣٩
 ٨٤١ - ٨٤٣ - ٨٤٥ - ٨٤٦
 ٨٥٦ - ٨٥٨ - ٨٧١ - ٨٨٩
 حسان بن حوط (ج٤) ٢٢٤ - ٢٣٤
 حسان بن زهير (ج٢) ١٩٨
 حسان بن عبد كلال (ج٢) ٥٨٤
 (ج٤) ١٦ - ١٧
 حسان بن عمرو (ج٥) ٨٥ - ٤٠٨
 حسان بن كبشة الكندي (ج٥) ٣٧٣
 حسان بن مصاد (ج٦) ٢٥٧
 حسان بن معاوية (ج٥) ٣٧٤
 حسان بن المنذر (ج٣) ٢٢٦ - ٢٧٤
 حسان بن همام (ج٥) ٣٧٣
 حسان بن وبرة (ج٣) ٢٧٧
 (ج٤) ٥٢٤
 (ج٥) ٣٧٢
 حسان ذو معاهر (ج٢) ٥٧٩
 حسان بهائم (ج٢) ٥٢٦ - ٥٢٩
 ٥٦٣ - ٥٧٠ - ٥٧٢ - ٥٧٥
 ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٩٩
 حمرية (ج١) ٣٦٧ - ٣٦٨
 حسكة بن عتاب (ج٩) ٦٨
 حسل (ج١) ٤٠١ - ٤٠٦
 (ج٤) ٢٦
 حسمى (ج٧) ٤٦٠
 الحسن بن عبدالله الاصفهاني (ج٧)

(ج٣) ٤٠٤
 (ج٨) ١١٢
 جزو (ج١) ٥٩٦
 حسان (ج٦) ٦١٩ - ٦٣٠
 حسان بن نبع (ج١) ٣٣٥ - ٣٣٧ - ٣٣٨
 (ج٢) ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٤
 (ج٣) ١٧٩ - ١٨٥ - ٣٢١
 ٣٢٢ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣١
 (ج٤) ٦٧٥
 حسان بن ثابت (ج١) ١٥ - ٧٢
 ٨١ - ١١١ - ٣١٤ - ٣٣٤
 ٣٥٩ - ٣٦١ - ٣٨٤
 ٣٨٥ - ٤٨٣ - ٤٨٧ - ٤٩٢
 (ج٢) ٢٥٥
 (ج٣) ٢٠٢ - ٢٧٨ - ٢٨٠
 ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٩ - ٤٢٧
 ٤٢٩ - ٤٣١ - ٤٣٨ - ٤٤٠
 ٤٤٢ - ٤٤٦
 (ج٤) ١٢٤ - ١٣٩ - ١٤٠
 ٣١٠ - ٣٥٤ - ٣٩١ - ٤٠١
 ٤٣٤ - ٤٣٩ - ٥٥٨ - ٥٦١
 ٥٨٠ - ٥٨٤ - ٥٩٤ - ٥٩٦
 حا ٥٩٨ - ٦٠٤ - حا ٦٦٥
 (ج٥) ٧ - ٢٣ - ٦١ - ٦٦
 ١٢٠ - ١٧٤ - ٣٠٩ - ٣٨٨
 ٥١٨ - ٥٧٣
 (ج٦) ٢٣٦ - ٤٩٦ - ٥٢٣
 ٥٨٤ - ٦٠٢ - ٧١١ - ٧٣٤
 ٧٩٣
 (ج٧) ٧ - ٣٤٨ - ٣٨٢
 ٥٠٧ - ٥٥٠ - ٥٧٤ - ٥٨٠
 ٦٠٥
 (ج٨) ١٣٤ - ١٣٦ - ٢٦٩
 ٢٩٣ - ٣٣٠ - ٣٣٢ - ٤٠٦
 ٦٦٠ - ٦٦٢ - ٦٦٤ - ٧٥٨
 ٧٨٨
 (ج٩) ٧٥ - ٧٦ - ٨٨ - ٩٢

- ٢٢٤ ، ٥١٣
الحسن بن علي بن ابي طالب (ج ١)
٢٢٤ - ٥٧٨
(ج ١٦) ٤٥٢ ، ٤٨٥
(ج ١٩) ٤٨ ، ٢٦٢ ، ٥٤٧ ،
٨٨٨
الحسن بن هانيء (ج ٩) ٢٣٠
الحسن بن وهب (ج ٦) ١٦٤
الحسن بن يحيى (ج ١) ٣٢٤ - ٤٦٣
حسن باسا (ج ١) ١١٧
حسن البصري (ج ٩) ٦٦ - ٢٤٣
حسيل بن عمرو الكلابي (ج ١) ٤٠٦
(ج ٥) ٣٥٤
الحسين بن علي بن ابي طالب (ج ١٤)
٨٩ ، ٤٠١ ، ٥٢٢
(ج ٥) ٢٦٩
حسين بن فيض الله الحرازي
(ج ١) ٢٩
الحسين بن يحيى (ج ٩) ٣٢١
حسين نصار (ج ١) ١٠٨ ، ٢٧٦
حسينة (ج ٩) ٦٧
حسنة بن اكارمة (ج ٤) ٢٦٢
حسنة بن عكارمة (ج ٦) ٥٢٥
حشيش بن نمران (ج ٥) ٣٧٤
الحصري (ج ٤) ٣٣٢
(ج ٥) ٤٢١
(ج ٨) ٣٧٨
حصن بن ابي الحقيق (ج ٦) ٥٢٦
حصن بن حديفة (ج ٣) ٤٢٤
(ج ٤) ٣٤٩ ، ٦٣٩
(ج ٥) ٣٧٢ ، ٣٧٧
(ج ٩) ١٤٦ ، ٤٣٠
حصن بن ضرار الضبي (ج ٥) ٣٧٩
حصن بن عصام الباهلي (ج ٧) ٥١٤
حصن ابو عينه (ج ٤) ٣٤٧
حصىة الشيباني (ج ٥) ٣٦٩
الحصين بن ابي الحر (ج ٩) ١٦
حصين بن الحمام (ج ٩) ٢٤٣ ،
- ٤٩٨ - ٥٠٤ ، ٦٦٥
الحصين بن الحمام المري (ج ٥)
٤٢٣ - ٤٣٢
(ج ١٦) ٦٨٤
حصين بن دايم (ج ٢) ١٤٣
الحصين بن زهير (ج ٥) ٣٥٨
الحصين بن ضمضم (ج ٥) ٢٨٨
حصين بن عمرو (ج ٨) ٣٦٧
حصين بن مسمت (ج ٨) ٥٧٤
الحصين بن نضلة (ج ٤) ٢٢٢
(ج ٦) ٧٦٩
الحصين بن نمير (ج ٨) ١٣٠ -
١٣٢
الحصين بن يزيد الحارثي (ج ٥)
٣٥٣
الحصن العمري (ج ٩) ٦١٢
حضر همو بن خال امر (ج ٢) ٢٩٧
حضر همو بن خال كرب (ج ٢) ٢٩٧
حضر همو ذي مفضل (ج ٢) ٢٩٥
حضر موت (ج ١) ٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٥٨
- ٣٥٩ ، ٤٢٤
(ج ٤) ٥٣٧
حضرمي بن عامر (ج ٤) ٢٢٢
(ج ٩) ٨٩٨ - ٨٩٩
حضور بن عدي (ج ١) ٣٤٩ ، ٣٥١
(ج ٦) ٤٠٥
حضير بن سمالك (ج ٤) ١٣٩
حضير الكائب (ج ٤) ١٣٧ ، ١٤٠
(ج ٨) ١١٦
حطائط (ج ٩) ٤٧٤ - ٤٧٥
حطان بن عوف (ج ٩) ٤٩٧
الحطيم بن ضبيعة (ج ٤) ٢١٠
حطم بن عمرو (ج ٥) ٤٣١
الحطم بن محارب (ج ٤) ٤٨٤
حطمة بن محارب (ج ١) ٤٠٧
(ج ٥) ٤٣١
حطي (ج ٨) ١٦٤ - ١٦٦
الحطيئة (ج ٤) ٣٣٢ ، ٤٧٩ ،

٢٨ (٥ج)	٥٣٥
٤٤٢ (٧ج)	٤٣١ (٥ج)
حكم بن سعد العشيرة (ج) (١) ٣٧١ ،	٧٨١ ، ٦٨٦ ، ٤٦٨ (٦ج)
٥٠٠	(٨ج) ٥٤٤ ، ٦٦٤ ، ٧٦٦ ،
٤٥٧ (٤ج)	٧٨٦
الحكم بن الطفيل (ج) (٤) ٦٧٥	(٩ج) ١٢ ، ٤٣ ، ٦٦ ، ٦٩
٤٦٦ ، ٣٦٢ (٥ج)	١٠٧ ، ٩٩ ، ٨٣ ، ٧٦ ، ٧٠ -
(٩ج) ٦٣٦ - ٦٣٥	١١٣ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٩٥ ،
الحكم بن عبد غوث (ج) (٦) ٤٢٢	١٩٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ ،
الحكم بن عيبدل (ج) (١) ٤٩٤	٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
٣٩٩ (٩ج)	٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ - ٣٣٦ ،
الحكم بن عمرو (ج) (٤) ١٥٠	٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ،
الحكم بن المنذر (ج) (٦) ٦٢٢	٣٨١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٦٥ ،
حكيم بن أمية (ج) (٤) ٥١٨	٥٤٤ ، ٥٧٨ ، ٦٠٣ - ٦٠٤ ،
حكيم بن حزام (ج) (٤) ٤٧ - ٤٨ ،	٦٣٦ ، ٧٣١ ، ٨٠١ ، ٨٠٤ ،
٥٨٤ ، ١٠٥	٨٤٥ ، ٨٥٣ - ٨٦٠ ، ٨٦٢ ،
٨٣ ، ٢٨ (٥ج)	٨٨١ ، ٨٨٢ - ٨٨٤ ، ٨٨٧ ،
(ج) (٦) ٣٤٣ ، ٣٦٩ ، ٤٠٧ ،	حطيط (ج) (١) ٤٠٦
٤٥٣ (٧ج)	الحطيم بن ضبيعة (ج) (٤) ٥٠٢
٨٦٣ (٩ج)	(٥ج) ٥١٧
حلالة (ج) (٥) ١٣٥	حفص بن ابي بردة (ج) (٩) ٢١
حلاوة (خلاوة) (ج) (٤) ٥١٠	حفصة (ج) (٨) ١٣٨
الحليبي (ج) (٩) حا ٣٦	(ج) (٩) ٢٥٧
حلجة بن عمرو (ج) (٤) ١٥	حفن ذرج (ج) (٢) ٨٦ ، ١٠١ ، ١٢٤ ،
حلطك (ج) (٢) ٥٤٨	١٢٨
حلف (خلف) (ج) (٤) ٤٤٤	حفن ريام (ج) (٢) ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٢ ،
حلوان بن عمران (ج) (١) ٣٦٦	١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٨ ،
(ج) (٢) ١٠٣ - ١٠٤	حفن صدق (حفنم) (ج) (٢) ٩٥ ،
(ج) (٤) ٤٢١ ، ٤٢٣	١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٢٦ - ١٢٧ ،
الحليج بن سعد (ج) (٩) ٨٨٠	حفن عثت (ج) (٢) ١٢٦
الحليس بن زبان (ج) (٤) ٣٤ ، ٤٨٣	حفن شح حفنم (ج) (٢) ٩٨ ، ١٠٠ ،
(ج) (٥) ٣٦٧	١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٨ ،
الحليس بن علفمة (ج) (٤) ٣٣ - ٣٥	حفني (ج) (١) ٣٦٩
الحليس بن يزيد (ج) (٤) ٣٣	حفني بك ناصف (ج) (٨) حا ١٣٧ ،
حليس الخطاط الاسدي (ج) (٦) ٧٧٣	حا ١٦٦ ، حا ١٨٢
الحليس الكناني (ج) (٤) ٨٤	حقبة بنت وهب (ج) (٦) ٥٠٠
الحليل بن أحمد (ج) (٨) ٥٩٠	الحكم بن ابي احيحة (ج) (٨) ١١٩
حليل بن حبشية الخرامي (ج) (٤)	حكم بن ابي العاص (ج) (٤) ١٠٦ ،
٤٤١ - ٤٤٠ ، ٤٣ - ٤١	١٢٦ ، ١٥٧

- ٢٨٧ - ٢٩٥ ، ٢٩٩ - ٤٠٠
 ٤٠٢ - ٤١٦ ، ٤٠٤ - ٤١٨
 ٤٢٣ - ٤٢٥ ، ٤٢٦ - ٤٣١
 ٤٣٢ - ٤٣٩ ، ٤٤٦ - ٤٤٨
 ٥٠٤ ، ٥١١ : ٥١٦ ، ٥٢٥
 (ج) ١١ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٩١ ، ٥٦
 (ج) ٢٣ ، ٢٠١ ، ٢٤٠
 حمزة بن حبيب (ج) ٩٠ ، ٣٠
 حمزة بن عبد المطلب (ج) ٧٦ ، ٣٥٦
 (ج) ١١٥ - ١١٦ ، ٧١٠
 حمزة بن مالك (ج) ١٨٧
 حمزة بن النعمان (ج) ٢٤٧
 (ج) ١٤٨
 حمصيص بن شراحيل (ج) ٤٧٤
 حمصث ارسف (ج) ٣٧٤
 حمصث ازاد (ج) ٤٦٤ - ٤٦٥
 حمل بن سعدانة (ج) ٢٣٩ ، ٢٥٠
 حمل بن قيذار (ج) ٤٤٠
 حمل بن مرداس النخعي (ج) ٣٠٧
 ٥١٢
 حملة (ج) ٣٩٩
 (ج) ٥٣٣
 حممة بن رافع الدوسي (ج) ٦٤٣
 (ج) ٣٥٠
 حممة بنت جحش (ج) ٧٤٢
 حمورابي (ج) ٥٥٣
 حميد (ج) ٤٢
 حميد بن ثور (ج) ١٧٧
 (ج) ٢٥٦ ، ٤٧٩
 (ج) ٨٤٦ ، ٨٦٦ ، ٨٨٩
 حميد بن زبير (ج) ٥١
 حميد بن زهير (ج) ٥١ - ٥٢
 حميد بن عبد الرحمن (ج) ٤٨٠
 حميد الارقط (ج) ١٧٥ ، ٨٥٤
 حمير بن سبأ بن يشجب (ج) ١
- ٣٥٩ ، ٣٦٤ - ٣٦٥
 (ج) ٥١٢ ، ٤٣٢
 (ج) ٣٢٤ : ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٣٢
 (ج) ١٥٧
 حميس بن اد (ج) ٥١٩
 (ج) ٥٢٣
 حميس السكسك بن اشريس (ج) ٤٠٢
 (ج) ٣٨٢
 (ج) ٤٦٤
 حميضة بن النعمان (ج) ١٨٥
 الحميم بن عوف (ج) ٢٠٠
 حن بن حرام (ج) ٤٢٤
 حنى بنت روق (ج) ٣٥٨
 حنا نيشوع (ج) ٥٩٧
 حناطة الحميري (ج) ٥١٥
 حنان (ج) ٦١٤
 حنة بلنت (ج) ١٣٠
 حنة القبطية (ج) ٦٨٦
 حنش (حنشم) (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٧
 (ج) ١٥٠
 حنظلة بن ابي سفيان (ج) ٣٨
 (ج) ١١٨
 حنظلة بن ابي عفراء (ج) ٢٩١
 (ج) ٥٩٨
 حنظلة بن بشر (ج) ٣٦٧
 حنظلة بن ثعلبة بن سيار (ج) ٢٩٥
 - ٢٩٧
 (ج) ٥٩٦
 حنظلة بن الحارث (ج) ٣٧٥
 حنظلة بن دارم (ج) ٢٠٦
 حنظلة بن ربيعة (ج) ٥٢٩
 (ج) ١٢٦ ، ١٣١ ، ٣٠٩
 حنظلة بن زيد بن مناة (ج) ٦٥٣
 (ج) ٢٢٣
 (ج) ٣٧٠
 حنظلة بن سيار العجلي (ج) ٢٩٨

- ٢٧٥ (ج٥)
 حوشب (ج١٣) ٤٢
 ١٦٢ (ج٤)
 حوط (ج٢) ٢٧٦
 ٥٨٠ (ج٦)
 ٧٧٨ (ج٩)
 الحوفزان بن شريك (ج٤) ٥٩٢ ،
 ٦٦١
 (ج٥) ٢٨٦ ، ٣٧٠ ، ٣٦٦ ، ٣٩١
 ٤٠٧ ، ٣٩٧
 حوية (ج٤) ٥٣٥
 الحويدرة الذبياني (ج٩) ٨٧٧
 الحويرث بن أسد (ج٩) ٤١١
 حويط (ج٣) ٥٠
 حويط بن عبد العزى (ج٤) ٢٢٤
 ٦٥٠ (ج٥)
 ٦٠٤ (ج٦)
 ٤٤٣ (ج٧)
 ٣٣٢ — ٣٣١ ، ١٢٠ (ج٨)
 ٨٦٣ ، ٢٧٧ (ج٩)
 حويلة (ج١) ٤٢٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
 حي (ج١) ٣٦٨
 (ج١٢) ١٠٠ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ،
 الحياء بن سعد (ج٤) ٣٠ ،
 حيادة (ج١) ٣٥٩ ، ٣٩٢
 حيار (ج٤) ٢٤٣
 حيان بن بشر (ج٩) ٢٧٣
 حيان بن عتبة (ج٤) ٢١٩
 الحيان بن الفوت (ج٤) ٤٤٣
 حية الطائي (ج١) ٦٥٣
 ٢٢٨ (ج٤)
 حيدان بن عمرو (ج١) ٣٥٩ ، ٣٦٧ ،
 ٣٩٢
 ٤٠٠ (ج٢)
 ٤٢٢ ، ٤٢٠ (ج٤)
 حيدة (ج١) ٣٩٢
 حيرى بن أكال (ج٤) ٢٢٥
 ٢٩٤ (ج٥)
 حيرام (ج١) ٦٣٧ — ٦٣٨ ، ٦٤٠
- ٣٧٠ (ج٥)
 حنظلة بن صعوان (ج١) ٤٢
 (ج٦) ٨٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢
 ٣٦٥ (ج٨)
 حنظلة بن عبد المسيح (ج٦) ٥٩٨ ،
 ٦٨٧
 حنظلة بن مالك (ج١) ٤٠٣
 (ج٢) ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٣٥٢ —
 ٣٦٢ ، ٣٥٣
 (ج٤) ٢٢٤ ، ٣٢٧ ، ٤٨٨
 ٢٧٤ (ج٥)
 حنظلة بن نهد القضاعي (ج٥) ٥٠٥ ،
 ٦٢٨
 حنظلة الاسيدي (ج٨) ١٢٠ — ١٢١
 حنظلة الراهب بن ابي عامر (ج٤)
 ٦٧١
 حنظلة الطائي (ج٣) ٢٣٦
 ٤٠٤ (ج٤)
 حنظلة القباب (ج٣) ٢٩٨
 حنوك (ج١) ٤٤٦ ، ٤٥٨
 حني بن جابر التفليبي (ج٥) ٣٠٢
 حنيف (ج٢) ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ٨٩٩ ، ٧٥٦ (ج٩)
 حنيفه بن لجيم (ج١) ٤٠٨
 ٦٧٠ (ج٩)
 حنين بن اسحاق (ج٩) ٤٨
 حنين بن حنين بن اياس (ج٢) ٦٩
 حنين بن العاتق (ج٣) ١٤٩
 ٥٧ (ج٥)
 ٦٨٦ (ج٦)
 حنيناء (ج٦) ٦٨٦
 حواء (ج٤) ٣٦٩
 ٧٢٢ (ج٦)
 ٧٢٧ (ج٩)
 الحواري بن النعمان (ج٣) ٣٩٧
 الحواري يحيى (ج٦) ٥٧٤
 حوالب بن رعوئيل (ج١) ٤٥٣
 حوتكة (ج١) ٣٦٧
 الحوثره بن قيسى (ج٤) ٦٣٢

الحيقار بن الحيق (ج ١) ٥٤٨
 (ج ٣) ١٦٧
 الحيقطان (ج ٤) ٣١٢
 (ج ٥) ٣٠٢
 (ج ٩) ٣٨٣ - ٣٨٤
 حيم بن بعثر رخصن (ج ٢) ٢٧٦
 حيم بن عم يدع (ج ٢) ٢٧٦
 حيم بن غثر بن (ج ٢) ٣٧٠
 حيو عثر يضع (ج ٢) ٣٨٢ - ٣٨٤

٢٨٦ - ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٤٥٥
 ٤٩٣ ، ٤٩٥
 حيوم بن هوف (ج ٢) ٩٩
 حيوم يشمر حيو يشمر (ج ٢) ٣٦٥
 حيي بن اخطب (ج ٤) ٢٥٣
 (ج ٦) ٥٢٣ ، ٥٣٥ ، ٥٤٦ ،
 ٥٦٤ ، ٧٥٧
 (ج ٩) ٧٨٢ ، ٧٩٠
 حيي بن مالك (ج ٩) ٤٨١

- خ -

خابر (ج ١) ٣٥٨
 خابص (ج ١) ٦٠٥
 خارجة بن حصن (ج ٤) ٢٥٤ - ٢٥٥
 خارجة بن سعد (ج ١) ٣٧٠ ، ٣٧٣
 (ج ٤) ٤٥١
 خارجة بن سود (ج ٨) ٣٧٨
 خارجة بن ضرار المري (ج ٧) ٧٠
 الخارجي (ج ١) ٣١٥
 الخازن (ج ٦) ٢٣١ - ٢٣٢ ، ٤٥٢
 خاطر (ج ١) ٥٧٩
 خالد بن أرطاة الكلبي (ج ٤) ٥٩١
 (ج ٥) ٤٩٨
 (ج ٨) ٣٢٩
 خالد بن أسيد (ج ٤) ٢٦٧
 خالد بن جبلة (ج ٣) ٢٢٣ ، ٤٠٥ ،
 ٤٢٧ ، ٤٤١
 خالد بن جعفر بن كلاب (ج ٣) ٢١٠
 ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
 ٣٥٩ ، ٣٦٥

(ج ٤) ١٠٢ ، ١٢٨ ، ٢٥٢ ،
 ٢٤٦ ، ٤٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥٢١ ،
 ٦٣٧
 (ج ٥) ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٨٨ ،
 ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧
 (ج ٦) ٤٤٣
 (ج ٨) ٧٧٦ ، ٧٧٩
 خالد بن حبيش (ج ٩) ٧٢٨
 خالد بن زيد (ج ٤) ٥٨٠
 (ج ٦) ٦٨٣
 خالد بن سعيد (ج ٤) ١٥٤ ، ١٨٢ ،
 ١٨٨ ، ١٩١ - ١٩٢ ، ٢٢٢ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٨ - ٢٦٩
 (ج ٨) ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٢٦ -
 ١٢٧ ، ١٣١
 خالد بن سلمة (ج ٨) ٦٠١
 خالد بن سنان (ج ١) ٣٤٨
 (ج ٤) ٢٥٣
 (ج ٦) ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٥٤٦ ،
 ٦٩٨

٢٥٧ : ٤٠٩ ، ٤٤٥ ، ٥٩٦ .
 ٦٠٠ ، ٦١٧ ، ٦٨٦ ، ٧٠٣ .
 (ج) ٢٩٥ ، ٣٣٦ ، ٤٣٢ ،
 ٤٥٧ ، حا ٥٩٧
 (ج) ٢٤ ، ١١٠ ، ١١٩ ،
 ١٢١ ، ٢٩٥ - ٢٩٧ ، ٣٠٥ .
 ٥٣٩ ، ٦٤٥ - ٦٤٦ ، ٦٨٤ ؛
 ٧٨٨
 (ج) ١٥٥ ، ٦٧٠ ، ٦٨٣ ،
 ٧١٤ ، ٨٦٥ - ٨٦٧ ، ٨٨٦ -
 ٨٨٧ ، ٩٠٥
 خالد الاصيف (ج) ٥٢١
 خالدة بنت هاشم (ج) ٤٨١
 (ج) ٤١٠ ، ٤١٢
 الخالديان (ج) ٨٦ حا
 خالص بن شهم (ج) ٣٢٥
 خباب بن الارت (ج) ٤٢٤
 (ج) ٥٥٥
 (ج) ٢٩٣ ، ٧٦٥
 خباب بن غزي (ج) ١٥٣ حا
 خبيب بن عدي (ج) ٥٨٥
 خبية بنت عك (ج) ٣٩٥ حا
 (ج) ٤٦٩
 خبيصو (ج) ٥٩٥ ، ٦٠٥
 خثرتو (ج) ٥٧٩
 الخثف (ج) ٣٧٦
 خثعم بن أنمار (ج) ٣٦٤ ، ٣٧٤ ،
 ٤٠٦ ، ٥١٦
 (ج) ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٤٧٠ ،
 (ج) ٣٢٠
 (ج) ٤٤٦
 الخثعمي (ج) ٢٢١
 خدائش بن بشر (ج) ١٠٤
 خدائش بن زهير (ج) ١٠٧ - ١٠٨
 (ج) ١١٢ ، ١١٤ ، حا ٢٧٣
 (ج) ٥٧٩ - ٥٨٠
 (ج) ١٥٩ ، ٢٣٦ ، ٤٣٤ ،
 ٨٢٦ ، ٥٠٣
 خدائش بن عبدالله (ج) ٥٢٤ -

خالد بن صخر (ج) ٥١٨
 خالد بن صفوان (ج) ٢٧٥
 (ج) ٦٧٩ ، ٨٥٤ ، ٨٨٥
 خالد بن ضمام الأزدي (ج) ١٨٤
 (ج) ١٢٣
 خالد بن عبدالله القسري (ج) ٤٤٦
 (ج) ٧٦٦
 (ج) ٢٠ حا
 خالد بن علقمة بن عبدة (ج) ٤٧١
 خالد بن عمرو (ج) ١٠٣
 خالد بن قيس (ج) ١٣٧ ، ٤٣٧
 خالد بن كلاب (ج) ٧٦٣ حا
 خالد بن كلثوم (ج) ٣٢١ ، ٣٤٩ ،
 ٣٥١ - ٣٥٢
 خالد بن مالك (ج) ٥٩١
 (ج) ٣٧٤ ، ٦٤٧
 خالد بن مذحج (ج) ٢٧٣
 خالد بن نضلة (ج) ٢٣٦ ، ٢٨٣
 (ج) ٥٦٢ ، ٦٧٥
 (ج) ٤٧٩
 خالد بن هوذة (ج) ٢٦٨
 خالد بن الوليد (ج) ٢٨٨ ، ٥٠٧ ،
 ٥٠٨ -
 (ج) ٦٤٨ - ٦٥١
 (ج) ٧٩ ، ١٨٣ ، ٢٧٥ ،
 ٣٠٠ - ٣١٢ ، ٣٩٥ ،
 ٥٣٦
 (ج) ٣٤ - ٣٥ ، ١٨٨ ،
 ٢٠٦ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٠ ،
 - ٢٣١ ، ٢٣٣ - ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٣٥ ،
 ٤٣٧ ، ٤٨١ ، ٥٠٨ ، ٦٥٩
 (ج) ٥١ ، حا ٢٠٨ ، ٢٥٠ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، حا
 ٣١٠ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ٤٣٨ ،
 - ٤٣٩ ، ٤٤٦ ، ٥٨٥
 (ج) ٨٣ - ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ،
 - ١٠٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ - ٢٤٥

- الخرج بن حارثة (ج) ١٣٦
 الخرج نيم الله (ج) ٤٠٧
 خرز (ج) ٥٢٦
 (ج) ٤٦١
 خزيمة (ج) ٥٢٩
 خزيمة بن طارق التغلبي (ج) ٣٦٦
 خزيمة بن لؤي (ج) ٢٩٩ ، ٤٠١
 (ج) ٢٩
 خزيمة بن مدركة (ج) ٤٣٣ ،
 ٤٤٣ ، ٤٦٢ ، ٤٧٧ - ٤٧٨
 (ج) ٢٥١
 الخس بن حابس (ج) ٦٣٩
 (ج) ٧٩٠
 خسرو أنو شروان (ج) ٥٩٩
 خسرو الاول (ج) ١٣٤
 (ج) ٥٩٧
 خشخشة (ج) ٨٥
 خثرم بن الحباب (ج) ١٣٨
 (ج) ٢٩١
 الخشن (ج) ٣٦٦
 خصفة بن قيس عيلان (ج) ٤٠٣ ،
 ٤٠٥
 (ج) ٢٥٢ ، ٥٠٧ ، ٥١٥ ،
 ٥١٦
 خصيلة بن مرة (ج) ٣٨٠
 خصيلة بنت عامر (ج) ٤٩٨ ، ٦٣٨
 الخضر (ج) ٤٠٥
 الخضراء الاسهلي (ج) ٤٨٣
 خضرة (ج) ٦٠
 الخطاب بن نفيل (ج) ١١٩
 (ج) ٤٧٠
 الخطابي (ج) ٦٥٨
 خطر (كاهن) (ج) ٧٤٤
 خطر بن مالك (ج) ٧٦٨
 (ج) ١٤١
 خطي (ج) ٥٨٠
 خطيب بن أسعد (ج) ٥٧٠
 (ج) ٢٦٥
 الخطيب البغدادي (ج) ٣٢٥
 ٦٤٩ ، ٦٠٢ - ٦٠٢ ، ٥٢٥
 - ٦٥٠
 خديجة بنت خويلد (ج) ٥٠ ، ٥٢ ،
 ٦٤٥
 (ج) ٥٧٢ ، ١٤٦
 (ج) ٧٢٢ ، ٥٠١
 (ج) ١٩٢ ، ٢٧٩ ، ٤٥٣ ،
 ٤٦١
 (ج) ٣١٠ ، ٦٥١
 خذ خسرو بن السبحان (ج) ٥٢٧
 خذق (ج) ٦١٢
 خراش بن اسماعيل العجلي (ج) ٤٧٢
 (ج) ٤٦٤
 خرافة (ج) ٨٢٢
 خرج (ج) ٢٤٩
 (ج) ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣١
 خرخرة بن البينجان (ج) ٥٢٧
 خر خسرة بن الروزان (ج) ٦٧ ،
 خرز بن لوزان (ج) ٨٣٣ - ٨٣٤
 خرف (ج) ٤٤٨
 خرقاء بنت النعمان (ج) ٢٨٧
 خرقاء مكة (ج) ٤٥
 الخرنق بنت هفان (ج) ٦٢٠
 (ج) ٨٥
 خريم بن فاتك (ج) ٣٨٧ - ٣٨٨
 خزا ابلي (ج) ٥٩٠ - ٥٩٣
 خزاعة (ج) ٣٨٩
 (ج) ٤٩٢
 خزاعة بن حارثة (ج) ٤٣٨ -
 ٤٣٩
 خزاعة بن قمعة (ج) ٥٣٠
 خزاعة بن لحي (ج) ٣٩٨ - ٣٩٩
 (ج) ٤٤٠
 خزاعي بن عبد نهم (ج) ٢٦٣
 (ج) ٢٧٧
 خزاعي بن مازن (ج) ٢٩٦ ، ٨٩٥
 خزاعيل (ج) ٤٣٩

- الخطيم (ج) ٤٢
خفاجة بن عمرو (ج) ٤٠٦
(ج) ٥٢٢
الخفاجي (ج) ٨ ، ٢٦٢ ، ٧١٦
٧١٧ -
خفاف بن عمير الشريدي (ج) ٩
٥٦٠ ، ٦٢٠
خفاف بن ندبة السلمي (ج) ١٧٣
(ج) ٢٥٨ ، ٣١١
(ج) ٣٨٧
(ج) ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٦٥١
٨٤٦ ، ٨٧٧
خفاف بن نضلة (ج) ٩٠٤
الخفليجان بن الوهم (ج) ١٦٤
خل كرب صدق (ج) ١٨ - ١٠٠
١٠٢ ، ١٢٥ - ١٢٨ ، ٢٩٥
٢٩٦ -
خلاد بن أسلم (ج) ٥٩٦
خلاد بن يزيد الباهلي (ج) ٦٩
(ج) ٣٥٨
الخلج (ج) ٤٠٠
الخلجان (ج) ٣١٩
خلدو (ج) ٩٤٤
خلف بن عبد الملك (ج) ٦١٧
خلف بن وهب (ج) ٤١١
خلف الأحمر (ج) ٦٨ ،
(ج) ٤٢
(ج) ٥٩٠
(ج) ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٩٤ ،
٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ،
٢٨٧ - ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ،
٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣٢١ - ٣٢٦ ،
٣٤٠ ، ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٦١ ،
٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ -
٤٠٣ ، ٤١٥ ، ٤٤٠ ، ٤٨٠٦
٨٦٢
الخلود بن معبد بن عاد (ج) ٣١٠
خليدة (ج) ١١٨
- خليف بن عبد العزى النهدي (ج) ٥
٣٥٤
خليفة بن أحمد آل نبهان (ج) ٤
٢١٣
خليفة بن خياط (ج) ٦ ، ٩٨
(ج) ٨ ، ٧٥٢ ، ٧٨٨
(ج) ٩ ، ٦٧٠ ، ٧٩٣
خليفة بن رشوان (ج) ٣٦٩
خليل - ايل بن شبيب (ج) ٣ ، ١٥٠
(ج) ٣٢٣
(ج) ١٦
الخليل بن أحمد الفراهيدي (ج) ٨
١٨٦ ، ١٩٠ - ١٩٣ ، ٤١٠ ،
٦٩٠ ، ٧٣٧
(ج) ٩ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٣
- ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ١٠١ ،
١٣٩ - ١٤٠ ، ١٧٢ ، ١٨٤
- ١٨٥ ، ١٩٣ - ٢٠٢ ، ٢٠٦
٢٠٧ ، ٢١٠ - ٢١١ ، ٢٤٠ ،
٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢٢ ، ٣٥٧ ،
٤١٨ ، ٧١٣
خليل ثكنان (ج) ٢ ، ٤٩١
خليل مردم بك (ج) ٩ ، ٣١١
خليل يحيى نامي (ج) ١ ، ٢٣ ،
٣٢٩ ، ٥١٣
(ج) ٢ ، ٩٨ ، ٣٣١ ، ٣٦٦ ،
٢٧٠ ، ٤٩١
(ج) ٤ ، ٥٥٠
(ج) ٥ ، ١٩٢ ، ٤٦٢
(ج) ٨ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ،
١٧٤ - ١٧٥ ، ٤١٣ -
٤١٤
خمران (ج) ١١٠
الخمس التظلي (ج) ٣ ، ٢١١ - ٢١٢
٢١٤
(ج) ٦ ، ٧٦٥
خمير (ج) ٣ ، ٥٠٥ - ٥٠٦
خميس (ج) ٢ ، ٥٤٦

خوفان بن عمرو (ج) ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣	خنافر بن التوام الحميري (ج) ٧٦٥ ، ٧٦٩
(ج) ٤٠٠	(ج) ٧٤٣ - ٧٤٤
خولة بنت ثعلبة بن مالك (ج) ٥٥١	خندف بن هنب (ج) ٣٩٨ - ٣٩٧
(ج) ٢٤٣	٤٠٧
خولي (ج) ٣٦٩	(ج) ٥١٩
خويلد بن أسد (ج) ٤٠١	(ج) ٤٧٧
(ج) ٥٢٦	الخنساء (ج) ٢٥٥ ، ٦٢٠ - ٦٢١
(ج) ٤٧٨ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٩	(ج) ٣٦٣
٢٢٢ ، ١٩١	(ج) ٢٨
(ج) ٤٧٧	(ج) ٦٦٠ - ٦٦١
خويلد بن عمرو (ج) ٧٧٨ ، ٧٨٠	(ج) ٨٨ - ٨٩ ، ١٠٥ ، ٣٧١
خويلد بن فضيل (ج) ٣٨٣	١٥٠ ، ٢٨٣ ، ٣٧١
خويلد بن مطحل (ج) ٤٩٥	٤٩٩ ، ٥٢١ ، ٥٩٤ ، ٨٦٣
خويلد بن وائلة الهذلي (ج) ٥١٦	٨٧٥ ، ٨٧٧
الخيار بن زيد بن كهلان (ج) ٤٤٧	خنساء ابنة عمرو (ج) ١٠٣
الخيار بن عدي (ج) ٦٠٦	الخنساء بنت أبي سلمى (ج) ٥٤٢
خيار بن مالك (ج) ٩٣ ، ٣٥٨	٥٤٥
٣٧٣	خوات بن جبير الانصاري (ج) ٦٣٢
(ج) ٤٣٣	(ج) ١٤٩
خياط (ج) ٣١٨ ، ٤٨٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥١٧	خوات بن كعب (ج) ٤٦٦
٥١٧ ، ٥١٩	الخوارزمي (ج) ٣١٣ ، ١٧٨ ، ٣١٩
(ج) ٤٨٤	(ج) ٣١٧ ، ٣١٩
خبير بن فاتيه (ج) ٥٢٦	(ج) ٥٨٧
الخبثعور (ج) ٣٩٠	(ج) ٥٦ ، ١٩٢
الخير بن جابر (ج) ٤٨٧	خوتكة بن الحاف (ج) ٣٥٧
خيران (حيران) (ج) ٣٧٣	خورشيد احمد فاروق (ج) ٤٨٥
(ج) ٣٥٣	(ج) ٣٠٢ ، ٣٢٥
(ج) ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٢٧	(ج) ٧ - ١٠ ، ٤٢
(ج) ٤٣٣	الخولاء (ج) ٦٢٦
خيري حماد (ج) ١٦٣	خولان بن ادد (ج) ٤٠٠
خيوان (ج) ٤٤٧	

— الدال —

- داؤو هاندش ميلر (ج ١) ٢٤ ، ١٣٧
 ٤٢٧
 دؤادة (ج ١) ٧٩٧
 دابنة (ج ٤) ٥٣٤
 دادايل (ج ٢) ٤٥٨
 داذويه الاضطخري (ج ٤) ١٩٢ —
 ١٩٣
 الدار بن هانيء (ج ١) ٣٧٣
 (ج ٤) ٢٤٤
 دارم بن تميم (ج ٣) ٢١٣
 (ج ٥) ٣٥٩
 دارم بن حنظلة (ج ١) ٤٠٣
 (ج ٣) ٢٤٨
 (ج ٤) ٤٨٨
 دارم بن عقال (ج ٣) ٣٧٥ ، ٣٧٧
 (ج ١) ٧٧٦ — ٧٧٧
 داريوس (دارا) (ج ١) ١٧ — ١٨ ،
 ٥٦ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤ — ٦٢٦
 (ج ٢) ٢٠ ، ١١
 (ج ٣) ١٦٧
 (ج ٧) ٢٦٧
 (ج ٨) ٥٢٣
 الدئل (ج ٤) ٢٥٧ ، ٥٠٢ ، ٥٣٢
 الدؤل (ج ٤) ٥٣٢
 دانيال (ج ١) ١٨ ، ٦٠٨ — ٦٠٩
 (ج ١٨) ٢٢٥
 دانييل دينيت (ج ٥) ٢٨٩
 داهكة بن ربيعة (ج ١) ٣٦٨
- داوود (ج ١) ٢٠١ ، ٣١٦ ، ٤٦٢ ،
 ٦٢٤ ، ٦٤٤ ، ٦٤٨
 (ج ٢) ٥١٣
 (ج ٣) ٦٧ ، ١٨٩ ، ٣٩٤ —
 ٣٩٥
 (ج ٤) ١٢ ، ١٢٩ ، ٣١٥ ،
 ٤٢٩
 (ج ٥) ١١٠ ، ٤٣١ — ٤٣٢
 (ج ٦) ٤٩٠ ، ٥١٧ ، ٥٥٥ —
 ٥٥٦ ، ٦٨٥ — ٦٨٦
 (ج ٨) ٢٧٨ ، ٢٤٦
 (ج ٩) ٧٥٥ ، ٧٩٧
 داوود بن بلال (ج ٦) ٦٨٤
 داوود بن حمل الهمداني (ج ٦) ٦٨٤
 داوود بن سلمة الانصاري (ج ٦)
 ٦٨٤
 داوود بن هباله (ج ٩) ٤٥٣ ، ٧٩٤
 داوود اللثقي (ج ٥) ٤٠٧
 (ج ٦) ٦٨٣
 دايل بن رباح (ج ٢) ٢٠١
 الدب (ج ١) ٣٦٦
 دبية بن حرمى (ج ٦) ٢٤٢ — ٢٤٥
 دتلف نيلسن (ج ١) ١٣٧ ، ٢٣٢
 (ج ٢) ١٧٥ ، ١٧٧
 (ج ٦) ١٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٢
 ٣١١
 دثار بن شيبان (ج ٩) ٨٨٤
 دجانة بن قنافة (ج ٤) ٤٣٠
 دحوة (ج ١) ٤٠٥

- دحية بن خليفة (ج) ٢٤٨ ، ٢٥٠
(ج) ٢٩٣ ، ٣٠٩
دحية بن معاوية (ج) ٤٠٥
دختنوس (ج) ٥٤٤ - ٥٤٥
دخراي (ج) ٥٩٩
ددان بن يقطان (ج) ٣٣٥ ، ٤٤٦
٤٥٧ ، ٤٥٩ - ٤٦١
دراك (ج) ٥٢٥
درماء (ج) ٢٤٤
درهم بن ريد الاوسي (ج) ٣٦٤ - ٣٦٥
(ج) ٢٨٣
(ج) ٢٣٦ ، ٥٧١
(ج) ٢٦٨
(ج) ٧٧٠ ، ٧٨٧
دريد بن الصمة (ج) ٨٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٨
٢٥٨ ، ٤٠٢ ، ٥١٦ ، ٥١٩
(ج) ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩١
(ج) ٢٦٢ ، ٧٠٣
(ج) ١٠٦ ، ٤٤٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٨٦٩ ، ٨٧٧ ، ٩٠٨
دريم (ج) ٤٢٣
دعبل الخزاعي (ج) ٤٩٦ : ٤٩٩ ، ٥٠٠
(ج) ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٨٩٢
الدعة (ج) ٤٤٦ ، ٥٥٨
دعشور بن الحارث (ج) ٢٥٢ - ٢٥٣
دعوى بن اباد (ج) ٤٧٠
دعوى بن جديلة (ج) ٤٠٧
(ج) ٤٨٣
دغة بنت منيع (ج) ٦٢٦
(ج) ٨٢٠
دغفل بن حنظلة النسابة السدوسي
(ج) ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٧٨٢
(ج) ٤٦٠ ، ٤٦٠
دقلة (ج) ٤٢٤
دقيوس (ج) ١٢٩
دكين بن رجاء (ج) ٤٢٠ ، ٧٧٥ - ٧٧٦
دلسبس (ج) ٢٦٨
دلج (ج) ٥٩٧
دلجي (ج) ٥٥٦
دما (دومة) (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢
(ج) ١٥٨
الدمشقي (ج) ٧٠١
دمنوس (ج) ٤٦٢
الدمون بن عبد الملك (ج) ١٤٤
دمياسوس (دميون) (ج) ٤٦٢ ، ٤٦٨
الدميري (ج) ٣٤٨
(ج) ٣٨ ، ٣٣٠ ، ٣٨١
٦٤٣ ، ٦٨١
(ج) ٢٦٠ ، ٥٥٠
(ج) ٧٩٢ - ٧٩٤ ، ٨١٧
٧٩٧ ، ٨١٤ ، ٨١٧
(ج) ٤٦٦
دهقان قرات سوريا (ج) ٦٥٠
دهماء (ج) ٨٧٣ ، ٨٩٠
دهمان (ج) ٣٧٠
(ج) ٥٠٧
دهر بن معاوية (ج) ٤٠٧
(ج) ٤٤٦
(ج) ٢٨٩ - ٢٩٠
دهن بن وديعة (ج) ٤٨٣
دونى (ج) ١٦٩ ، ٣٢٦
دودان (ج) ٣٩٩
(ج) ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٥٥٧
دوزي (ج) ٢٦٦ ، ٤٧٤
(ج) ١٢
(ج) ٥٢٦
دوس بن عدنان (ج) ٣٧٣ - ٣٧٤

- الديلم (ج) ٥٢٢
 (ج) ٢٠٧
 ديلمن (ج) ٤٢٢
 ديم (ج) ٥٩٥
 ديمتريوس الثاني (ج) ٦٥١
 ديمتريوس (ج) ١٩ - ٢٠ ، ٢٧
 (ج) ٤٩٣
 الدين (ج) ١٢ ، ٣٦٧
 دينار بن هلال (ج) ٤٩٥
 الدينوري (ج) ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٣١
 (ج) ٢٢٣ ، ٢٩٢ ، ٢٣١
 (ج) ٢٨٢ ، ٦١٩ ، ٦٣٧
 (ج) ٦٣٩
 (ج) ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٧٣
 ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ -
 ٤٠٢ ، ٤٠٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨
 ٦٥٠ ، ٦٥١
 (ج) ٨١٩ - ٨٢٠
 (ج) ١٢
 (ج) ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٤٣٥
 ديودورس الصقلي (ج) ٥٨ ، ١٦٥
 - ١٦٦ ، ٢٦٢ ، ٣٢٥
 (ج) ٢٣ ، ٧٣ ، ٨٠
 (ج) ١٤ ، ١٦ - ٢٠
 (ج) ١٠ ، ١٢
 (ج) ٤٧٠
 (ج) ٦٢٧
 ديوسقوريدس (ج) ٢٧
 (ج) ٥٨٣
 ديوقليطيانوس (ديوقليطيان) (ج) ٣
 ٦٣ ، ٧١ ، ١٢٧ ، ١٣٥
 ديوكاسيوس (ج) ٤١ ، ٥٣ ، ٥٧
 ديوميديس الرومي (ج) ٣٤٣
 ديونيسيوس (ج) ٦
 (ج) ٤٦٤
 (ج) ٣٢٧ ، ٤١٦
 (ج) ٤٢٨
 (ج) ٧٤٦ - ٧٤٧
 دوس بن عدوان (ج) ٥٠٧
 دوس ذو ثعلبان (ج) ٥٧
 دوس العتق (ج) ٣٤٩
 دوستل (ج) ٥٢٣
 دوسو (ج) ١٤٤
 (ج) ١٧٦
 الدول بن بكر (ج) ٤٠٨
 (ج) ٦٣٧
 دوميان (ج) ٥٩٢ ، ٦٣٣
 دوميطيوس كوربولو (ج) ٨٦
 دويد بن زيد (ج) ٦٥٨
 (ج) ٧٧٦
 دويد بن نهد القضاي (ج) ٤٤٠ ،
 ٤٤٤ - ٤٤٦
 دويك (ج) ٤٢٨
 دي غويه (ج) ٢٣٢ ، ٤٥٤
 (ج) ٦٩ ، ١٥٨
 الديار بكري (ج) ٨٣ ، ٣٨١
 (ج) ٢٤٩ ، ٣٦٩ ،
 ٤٨٦
 ديون (ج) ٦٧
 الديث (ج) ٤٦٨ ، ٥٠٤
 ديرون الحميري (ج) ٥١٧
 الديري (ج) ٥٢٦
 الديريني (ج) ٦١٦
 الديش (ج) ٣١ ، ٨٤
 الديش بن مليح (ج) ٤٧٧
 الديش بن الهون (ج) ٣٩٩
 (ج) ٤٧٧ ، ٥٣٣
 ديفا فاوسطينا (ج) ٦٣
 ديقبيوس (ج) ٣٩٨ ، ٤٠٠
 الديل (ج) ٤٠٧
 (ج) ٤٨٤ - ٤٨٥
 ديلتج (ج) ٧٩١
 ديلج (ج) ٦٠٥

— النال —

ذوبح (ج) ٩٦٠	ذا هوزن (ج) ١٢ ، ٣٥٨
الذفراء بنت هانيء (ج) ٣٧	ذئب (ج) ١ ، ٣٦٦ ، ٥٥٥ ، ٥٢٥
ذكران (ج) ٢٥٦	ذئب (ج) ٧٦٦
ذكوان بن رفاعه بن الحارث (ج) ٤٠٥	ذادويه (ج) ٥٥٧
ذمر (ج) ٥١٨	ذؤيب بن كعب (ج) ٦٥٣
ذمر على بين (ج) ٢٠٧ — ٣٠٨ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١	ذؤيب (ج) ٤٠٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٦٢
٤٥٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤	ذباب (ج) ٢٨٧
٤٨٦ — ٤٨٧ ، ٤٩٥ — ٤٩٦	ذبحان ذبحان ذو حمرو (ج) ١٩٧
٤٩١ (ج) ٧	ذبح أسيعن (ج) ٤٦٨
ذمر على ذرح (ج) ٣١٣ ، ٣٢٦ — ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ — ٣٥١	ذبيان بن بغيض (ج) ٥١٠ — ٥١١
٣٥٧ ، ٤٧٥ — ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥ — ٤٩٦	ذبيان بن سبيع (ج) ٥١٠
٢١٠ (ج) ٧	ذبيان بن غطفان (ج) ٤٠٤
ذمر على ذي ريدان (ج) ٥٢٠	ذبيان (ج) ٤٨٠
ذمر على وتر (ج) ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٠ — ٢٨١	ذبيان بن كنانة (ج) ٥٠٠
٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٤٩٤	ذحرجهو (ج) ٥٣٧
ذمر علي بنف (ج) ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٢	ذر (ج) ٢٤٤
ذمر على يهبار (ج) ١٤٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٨٤ — ٤٨٧ ، ٤٩٦	ذرا أمر أيمن (ج) ٥٢٥ — ٥٢٦ ، ٥٢٨ — ٥٥٣ ، ٥٥٨ — ٥٥٩ ، ٥٦٢ — ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٧ ، ٥٩٩
٤٩٧ — ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥	ذرا (ج) ٣١٨
٥٢٨ — ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦	ذرا كرب (ج) ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠
٥٩٩	ذران (ذراءن) (ج) ٥١٤
ذمر كرب بن أبكرب (ج) ٣٠٢	ذرب بن حوط (ج) ٤٨٠ ، ٦٤٥
ذمر ملك بن شهر (ج) ١٩٧	ذرح ال (ذر حال) (ج) ٤٠٨
الذهبي (ج) ٤٢٦ ، ٤٢٩	ذرح (ج) ٢٨٦ ، ٣١٨ ، ٣٣١
	ذرحان (ج) ١٤٩ ، ٢١٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ —

- (ج) ٤٠ ، ٦٥٦
(ج) ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٥٠١ - ٥٠٣
(ج) ٢٢٨ ، ٧٣٦
(ج) ٢٩٧
ذهل بن نعلبة (ج) ٤٠٢ ، ٤٠٨ - ٤٠٩
(ج) ٢١١ ، ٤٠٠
(ج) ٣٣٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٢ - ٥٠٣
(ج) ٣٦٥
(ج) ٨٥٣
ذهل بن الدئل (ج) ٥٠٢
ذهل بن شيبان (ج) ٤٩٥ ، ٥٢٠
(ج) ٣٧٠
ذهل بن عجل (ج) ٤٨٤
ذهل بن ليث (ج) ٤٨٤
ذو الازعار بن أبرهة (ج) ٥٤٧
ذو اسفعين (ج) ٢٤٨
ذو الاصبع العدواني (ج) ٥٠٨ ، ٦٥٨
(ج) ٦٤٦ ، ٦٣٨
(ج) ٣٥١ ، ٧٧٨
(ج) ٢٨٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
ذو بتع الاكبر (ج) ٣٦٣
ذو التاج (ج) ٣٦٥
ذو ثات (ج) ٤٩٠
(ج) ٤٨٨
ذو الشنية (ج) ٣٥٣
ذو جلدن (ج) ٥٠٥ ، ٢٢
(ج) ٦٥٦
(ج) ٣٧٨
ذو حجر (ج) ٣٦٠
ذو خليل (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٧
ذو الحمار عبلة بن كعب (ج) ١٩١
ذو ذبيان (ج) ٤٨٨
ذو ذرنج (ج) ٤٨٨
- ذو رعين (ج) ٤٨٨
ذو الرمة (ج) ٥٨٠ ، ٥٩٧
(ج) ٥٨٦ ، ٧٦٠
(ج) ٥٢٨
(ج) ٧٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٦٥ ، ٤٠٧ ، ٤٨٦ ، ٥٣٣
ذو سحر (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٧
ذو سهرتن (ج) ٤٥٣
ذو شعبان (ج) ٤٨٨
ذو شولمان دو الشولم (ج) ٤٨٨
ذو ظليم (ج) ١٩٢
ذو عمرو (ج) ٥١١
ذو الفصه الحارثي (ج) ٤٠٨
ذو فرنة (ج) ٤٨٨
ذو فيش (ج) ٤٨٨
ذو قيفان بن علس (ج) ٥٩٨
(ج) ٦١٥
ذو الكف الاشل (ج) ٦٦٩
ذو الكفل (ج) ٤٨٨ ، ٤٩٢
ذو الكلاع (ج) ٤٢٦
(ج) ٤٨٨
(ج) ١٨٢ - ١٨٣ ، ١٩٣
(ج) ٣٠٨ ، ٣٧٤ ، ٥٦٧ ، ٦٦٣
(ج) ١٤١
ذو المجاز (ج) ٧٢٦
ذو المجاسد الشكري (ج) ٦٥٢
ذو مران (ج) ١٩٢
ذو معاهر (ج) ٣٣٨
(ج) ٤٨٩
ذو مهد (ج) ٤٨٨
ذو نفر (ج) ٥١٣ ، ٥١٥
ذو نواس (ج) ٦٣ ، ٧٥ ، ٨٥
(ج) ٥٧٩ ، ٥٨٩ ، ٥٩٥
(ج) ١٨٦ ، ٢٢٠ ، ٤٥٧
- ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ - ٤٧٧

ذو يزن (ج) ٤٧٧ - ٤٧٨ ، ٤٨٧
 - ٥٢٣ ، ٤٨٨
 (ج) ٤٢٥
 ذواب بن أسماء (ج) ٥٠٠

٤٨٠ - ٤٨١ ، ٤٨٧
 (ج) ٣١٢
 (ج) ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٦١٠
 (ج) ٢٨٢
 ذو همدان (ج) ٤٨٨

- الرء -

حا ٥١٧
 (ج) ٢٥٧
 رازج بن خولان (ج) ٣٦٨
 الرازي (ج) ٥٣٨
 (ج) ٢٣ ، ٤٥٢ - ٤٥٣
 (ج) ٣٦٠ ، ٤٩٠ ، ٦١٢
 رأس الحجر (ج) ٢٤٠
 راشد بن عبد ربه (ج) ٢٥٧ ، ٢٥٩
 (ج) ٢٨٧
 راشد بن عبد السلمي (ج) ٢٥٩
 (ج) ١٢٧
 راشدة (ج) ٣٧٣
 الراعي (ج) ٣٩٨
 الراغب الاصفهاني (ج) ٥١٠
 (ج) ٣٠٥
 (ج) ٣٠٤ ، ٢٣٥ - ٣٠٥
 حا ٣٩٩ ، حا ٤٦٩ ، حا
 ٤٧٨ ، حا ٥١٦ ، حا ٥١٩
 حا ٥٦٠ ، حا ٥٧١ ، حا
 ٥٨٨ ، حا ٦١٩ - ٦٢٠ ، حا
 ٦٢٢
 (ج) ٢٤ ، حا ٥٣ ، حا
 ٦١ ، حا ٤٠٢ ، حا ٤٥١ ، حا
 ٥٥١ ، حا ٥٥٣ - ٥٥٤ ، حا
 ٥٨٣ ، حا ٦٤٠ ، حا ٦٤٣

رئاب بن البراء (ج) ٤٨٤
 رئاب الشني (ج) ٤٦٢
 الرائد بن تبع الاقرن (ج) ٥٧٠
 (ج) ٢٩٤
 رؤاس بن كلاب (ج) ٢٥٧
 الرائي (ج) ٣٧٢
 (ج) ٣٧٧
 راقعة (ج) ١٢٠
 رثام بن نهفان بن تبع بن زيد بن
 عمرو بن همدان (ج) ٩٩ ، ١٢٠
 (ج) ٤٤٦
 رائم (ج) ٣٦٩
 روبة (ج) ٧٩٢
 (ج) ٣٢٧ ، ٤٨٦
 (ج) ٤٨٦ ، ٥٤٤
 (ج) ١٢ ، ٦٧ ، ٨٣ - ٨٤
 ١٠١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٤٢٠ ،
 ٥٣١
 رابي يوحان (ج) ٥٤
 راتجن (ج) ١٣٢ ، ٥٤٢
 الراجز (ج) ٥١
 (ج) ٩٠
 (ج) ٥٧٦ ، ٧٣٣
 (ج) ٩ ، ١٠٧ ، حا ٤٠٣

٤٢٢ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٥١٠ -
 ٥١٣ ، ٥١٥ - ٥١٦ ، ٥١٨ -
 ٥٣٠ ، ٥٣٤ - ٥٣٥ ، ٦٧٥ -
 ٦٩٥ ، ٦٩٨ - ٦٩٩
 رام ابزوذ يزدرجد (ج ٣) ٢٠٧
 رامسيس الثاني (ج ١) ٦٢٤
 رايت (ج ٣) ١١٢
 (ج ٩) ٤٨
 رثيه (ج ٨) ٧٤٢ - ٧٤٤
 رب آل بن عزم (ج ٢) ١٤٤ ، ٢٥٠ -
 ٤٥٨
 (ج ٣) ٢٢ ، ٢٧ - ٣٠ ، ٤١ -
 ٤٢ ، ٤٧ - ٤٨
 رب اوم بن شمس (ج ٢) ٤٧٧
 رب شمس (ج ٢) ١٤٧ ، ١٥٠ -
 ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ٣٥٧ ،
 ٤٠٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ -
 ٤٤٥ ، ٤٦٩ ، ٤٨٧ - ٤٩٣
 ٤٩٦ ، ٥٢٥ ، ٥٥٣ - ٥٥٥
 رب شهر (ج ٦) ٣٣٤
 الرباب بنت اباد المعدية (ج ١) ٤٠٢
 (ج ٤) ٤٧٦
 رباح بن الاشيل (ج ٣) ٢١٣
 (ج ٤) ٥١٥ ، ٥٢١
 رباح بن الحارث (ج ٤) ٢٠٦
 (ج ٧) ٤٦٠
 رباح بن ظالم (ج ٦) ٢٤١
 رباح (رياح) بن عجلة (ج ٦) ٧٦٥
 رباح بن كحلة (ج ٦) ٧٧٣
 رباح بن مرة (ج ١) ٣٣٧ ، ٥٢٦
 رباح بن المغترف (ج ٥) ١١٥
 ربان (ج ١) ٣٦٦ - ٣٦٧
 (ج ٤) ٤٢١ ، ٤٢٣ - ٤٢٤
 رباي عقيبة (ج ٦) ٥٣٨
 الربيض (ج ١) ٣٧٢
 الربعة بن رشدان (ج ٤) ٢٦١
 ربعت ذا الثورم (ج ٢) ٣١٦
 رباعي بن عامر (ج ٩) ٦٩
 ربلي (ج ١) ٢٣٥

حا ٦٥٢ ، حا ٦٥٧ ، حا
 ٧٨٦ ، حا ٧٩٤
 (ج ٧) حا ٢١٣ ، حا ٥٤٩
 (ج ٨) حا ٢٦ ، حا ٩٤ ، حا
 ٥٨٩ ، حا ٧٩١
 (ج ٩) حا ١٢١
 رافع بن ابي رافع (ج ٦) ٥٤٦
 رافع بن حارثة (ج ٦) ٥٤٦
 رافع بن حريملة (ج ٦) ٥٤٦
 رافع بن خارجة (ج ٦) ٥٤٦
 رافع بن رميلة (ج ٦) ٥٤٦
 رافع بن عميرة الطائي (ج ٥) ٤٣٨
 (ج ٩) ٣٨٨
 رافع بن قيس (ج ٣) ٢٧٦
 (ج ٩) ٦١٩
 رافع بن مالك (ج ٤) ١٣٨
 (ج ٨) ١١٤ ، ١١٦ ، ١٦٠
 الرافعي (مصطفى صادق) (ج ١) حا
 ٧٠ - ٧١
 (ج ٨) ٩٦ ، حا ٥٤٧ ، حا
 ٥٥١ - ٥٥٤ ، حا ٥٦٣ -
 ٥٦٥ ، ٥٦٩ - ٥٧١ ، حا
 ٥٧٣ - ٥٧٤ ، حا ٥٧٧ -
 ٥٨٤ ، حا ٥٩١ حا ٦١٠ ، حا
 ٦٢٩ ، حا ٦٣٢ ، حا ٦٣٥ ،
 حا ٦٥٩ ، حا ٦٦٢ ، حا ٦٨٢
 حا ٦٨٩ - ٦٩٠ ، حا ٦٩٦ ،
 حا ٧١٤ ، حا ٧٢٥ - ٧٢٦ ،
 حا ٧٣٠ حا ٧٥٢ ، حا ٧٥٧ -
 ٧٥٩
 (ج ٩) حا ١١ ، ١٥ - ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٢٨ ، ٨٦ ،
 ٩٠ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٤٢ ،
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢١٥ - ٢١٧ ،
 ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٣ ،
 ٣٠٦ ، ٣٢١ - ٣٢٤ ، ٣٥٧ ،
 ٣٧٥ ، ٣٧٧ - ٣٨٥ ، ٣٩١
 - ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ - ٣٩٩

ربيعه بن الحارث (ج) ٣٦٤ - ٣٦٥

٣٩٣

(ج) ٣٦١

(ج) ٤٩٤ ، ٥٢٠

(ج) ٣٤٦

ربيعه بن حذار (ج) ٤٣٥

(ج) ٤٠٧ ، ٦٣٧ ، ٦٤٧

(ج) ٧٦١ ، ٧٦٩ ، ٨١٩

(ج) ٦٧٢ ، ٦٧٤ - ٦٧٥ ، ٧٤٠

ربيعه بن حرام (ج) ٤١

ربيعه بن حنظلة (ج) ٣٤٠

ربيعه بن الخيار (ج) ٤٣٣

ربيعه بن ذهل (ج) ٣٦٩

ربيعه بن ذي مرحب الحضرمي (ج) ٧

١١٩ ، ١٤٢ ، ٤٦٣ ، ١٢٩

(ج) ١٢٩

ربيعه بن رياح (ج) ٥٤١

ربيعه بن ربيع (ج) ٣٣ ، ٢٠٦

ربيعه بن زمان (ج) ٤٢٨ ، ٤٣٧ - ٤٤٨ ، ٤٣٨

ربيعه بن سعد (ج) ٣٦٨ ، ٣٧١

(ج) ٣٩٩

(ج) ١١٣

(ج) ٦٥٩

ربيعه بن سفيان (ج) ٣٣٦

ربيعه بن عاصم (ج) ٥٥٧

ربيعه بن عامر (ج) ٤٠٥

(ج) ٣٠٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٧٢

٥٩١ ، ٦٥١ ، ٦٧٥ ، ٣٦٤ - ٣٦٣

(ج) ٣٦٣ - ٣٦٤

ربيعه بن عبد شمس (ج) ٤٧٩

ربيعه بن عبد ياليل (ج) ١٥٠ ، ١٥٣

١٥٣

ربيعه بن علي (ج) ٢٢٧

ربيعه بن عمر (ج) ٤٣٠

ربيعه بن كلاب (ج) ٤٨١

ربيعه بن كعب (ج) ٣٤٠

(ج) ٣٦٨ ، ٣١١

ربليوس (ج) ٢٨

ربه بن برخنه (ج) ٦٥٣

ربولا (ج) ٦٢٧

ربيب أخطر (ج) ٣٧٥ ، ٥٦٤

الربيع بن أبي الحقيق (ج) ١٤٠

(ج) ٥٢٣ ، ٥٧٠ - ٥٧١ ، ٥٨١

(ج) ٧١٩ - ٧٢٠ ، ٧٦٩ - ٧٧٠

٧٨٣ ، ٧٨٢ - ٧٨٣

ربيع بن البلاد السعدي (ج) ٦٩

ربيع بن الحارث (ج) ٣٦٦ - ٣٦٧

ربيع بن حدان (ج) ٥٦٠

(ج) ٢٢٥

الربيع بن حوثره (ج) ٥٣٧ - ٥٣٨

الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق

(ج) ٥٤٦

الربيع بن زياد العبسي (ج) ٢٨٣

(ج) ٥١٠

(ج) ٣٧ ، ٣٦٠

(ج) ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٤١

(ج) ٨٦ ، ٥٤٩ ، ٦٣٦

الربيع بن ضبع الفزاري (ج) ٣٦٩

(ج) ٦٥٩

(ج) ٢٧٥

(ج) ٧٧٩

(ج) ٢٨٤ ، ٩٠٣

ربيع الكامل (ج) ٥٧٤ ، ٦٣٦

ربيعه أبا اكلب (ج) ٤٤٤

ربيعه بن أبي البراء (ج) ٣٩٨

ربيعه بن الأسود اليشكري (ج) ٥

٧٦ - ٧٥

ربيعه بن أمية (ج) ٥٠٠

(ج) ١١٨ ، ٧٦٤

ربيعه بن بحير التغلبي (ج) ٦٥١

(ج) ٢٣٣

ربيعه بن جروول (ج) ٤٥٢ ، ٤٥٥

ربيعه بن جرير السلمي (ج) ٢٤٤

٢٤٥ -

ربيعه بني مارن (ج ٤) ٢٢٦	ربيعه بني مارن (ج ٤) ٢٢٦
ربيعه بن مالك (ج ٤) ٢٤٠	ربيعه بن مالك (ج ٤) ٢٤٠
(ج ٥) ٣٧٤	(ج ٥) ٣٧٤
ربيعه بن مخاشن (ج ٥) ١٥٨ ، ٦٢٧	ربيعه بن مخاشن (ج ٥) ١٥٨ ، ٦٢٧
٦٤٢	٦٤٢
(ج ٨) ٣٥٠ - ٣٦٨ ، ٣٥١	(ج ٨) ٣٥٠ - ٣٦٨ ، ٣٥١
ربيعه بن مرة (ج ٤) ٤٩٣	ربيعه بن مرة (ج ٤) ٤٩٣
(ج ٥) ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤١٧ ، ٥٥٧	(ج ٥) ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤١٧ ، ٥٥٧
ربيعه بن مضر (ج ٤) ٤٨٧ ، ٤٨٢	ربيعه بن مضر (ج ٤) ٤٨٧ ، ٤٨٢
ربيعه بن مقروم (ج ٤) ٣٧٥ ، ٦٣٣	ربيعه بن مقروم (ج ٤) ٣٧٥ ، ٦٣٣
(ج ٦) ٦٠٧ ، ٦٤٧	(ج ٦) ٦٠٧ ، ٦٤٧
(ج ٩) ٨٧٩ ، ٨٩٩	(ج ٩) ٨٧٩ ، ٨٩٩
ربيعه بن مكدم (ج ٤) ٥٣٢ ، ٢٥٩	ربيعه بن مكدم (ج ٤) ٥٣٢ ، ٢٥٩
(ج ٥) ٣٦٤ ، ٣٦٥ - ٣٦٥	(ج ٥) ٣٦٤ ، ٣٦٥ - ٣٦٥
٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٤٥	٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٤٥
ربيعه بن نزار (ج ١) ٤٠٦ ، ٤٠٨ -	ربيعه بن نزار (ج ١) ٤٠٦ ، ٤٠٨ -
٤٩٨ ، ٤٠٩	٤٩٨ ، ٤٠٩
(ج ٤) ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٨٢	(ج ٤) ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٨٢
(ج ٦) ٢٥٧	(ج ٦) ٢٥٧
ربيعه بن نصر (ج ٢) ٥٧٦ ، ٥٧٩	ربيعه بن نصر (ج ٢) ٥٧٦ ، ٥٧٩
(ج ٣) ١٨٥ - ١٨٦	(ج ٣) ١٨٥ - ١٨٦
(ج ٦) ٧٦٥	(ج ٦) ٧٦٥
ربيعه بن النمر (ج ٩) ٨٧٤	ربيعه بن النمر (ج ٩) ٨٧٤
ربيعه بن وائل (ج ٢) ٥٦١	ربيعه بن وائل (ج ٢) ٥٦١
ربيعه الاحوص (ج ٤) ٥٢١	ربيعه الاحوص (ج ٤) ٥٢١
(ج ٥) ٣٤٨	(ج ٥) ٣٤٨
ربيعه الجوع (ج ١) ٤٠٣	ربيعه الجوع (ج ١) ٤٠٣
(ج ٤) ٣٤٠	(ج ٤) ٣٤٠
رئد ايل (ج ٢) ٢١١	رئد ايل (ج ٢) ٢١١
رئد ثون (ج ٢) ٤٥٣	رئد ثون (ج ٢) ٤٥٣
رئدم (ج ٢) ٣٨٥ ، ٣٤٠	رئدم (ج ٢) ٣٨٥ ، ٣٤٠
رجال بن عنفة (ج ٨) ٧٥٥ - ٧٥٦	رجال بن عنفة (ج ٨) ٧٥٥ - ٧٥٦
رجال بن عنفة (ج ٢) ٥٤٦	رجال بن عنفة (ج ٢) ٥٤٦
(ج ٤) ٢١٧ ، ١٨٦	(ج ٤) ٢١٧ ، ١٨٦
(ج ٦) ٨٨ - ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨	(ج ٦) ٨٨ - ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨
الرجال عروة بن عتبة (ج ٣) ٢٧٦ -	الرجال عروة بن عتبة (ج ٣) ٢٧٦ -
٢٧٧	٢٧٧
ربيعه بن مالك (ج ٤) ٢٤٠	ربيعه بن مالك (ج ٤) ٢٤٠
(ج ٥) ٣٧٤	(ج ٥) ٣٧٤
ربيعه بن مخاشن (ج ٥) ١٥٨ ، ٦٢٧	ربيعه بن مخاشن (ج ٥) ١٥٨ ، ٦٢٧
٦٤٢	٦٤٢
(ج ٨) ٣٥٠ - ٣٦٨ ، ٣٥١	(ج ٨) ٣٥٠ - ٣٦٨ ، ٣٥١
ربيعه بن مرة (ج ٤) ٤٩٣	ربيعه بن مرة (ج ٤) ٤٩٣
(ج ٥) ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤١٧ ، ٥٥٧	(ج ٥) ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤١٧ ، ٥٥٧
ربيعه بن مضر (ج ٤) ٤٨٧ ، ٤٨٢	ربيعه بن مضر (ج ٤) ٤٨٧ ، ٤٨٢
ربيعه بن مقروم (ج ٤) ٣٧٥ ، ٦٣٣	ربيعه بن مقروم (ج ٤) ٣٧٥ ، ٦٣٣
(ج ٦) ٦٠٧ ، ٦٤٧	(ج ٦) ٦٠٧ ، ٦٤٧
(ج ٩) ٨٧٩ ، ٨٩٩	(ج ٩) ٨٧٩ ، ٨٩٩
ربيعه بن مكدم (ج ٤) ٥٣٢ ، ٢٥٩	ربيعه بن مكدم (ج ٤) ٥٣٢ ، ٢٥٩
(ج ٥) ٣٦٤ ، ٣٦٥ - ٣٦٥	(ج ٥) ٣٦٤ ، ٣٦٥ - ٣٦٥
٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٤٥	٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٤٥
ربيعه بن نزار (ج ١) ٤٠٦ ، ٤٠٨ -	ربيعه بن نزار (ج ١) ٤٠٦ ، ٤٠٨ -
٤٩٨ ، ٤٠٩	٤٩٨ ، ٤٠٩
(ج ٤) ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٨٢	(ج ٤) ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٨٢
(ج ٦) ٢٥٧	(ج ٦) ٢٥٧
ربيعه بن نصر (ج ٢) ٥٧٦ ، ٥٧٩	ربيعه بن نصر (ج ٢) ٥٧٦ ، ٥٧٩
(ج ٣) ١٨٥ - ١٨٦	(ج ٣) ١٨٥ - ١٨٦
(ج ٦) ٧٦٥	(ج ٦) ٧٦٥
ربيعه بن النمر (ج ٩) ٨٧٤	ربيعه بن النمر (ج ٩) ٨٧٤
ربيعه بن وائل (ج ٢) ٥٦١	ربيعه بن وائل (ج ٢) ٥٦١
ربيعه الاحوص (ج ٤) ٥٢١	ربيعه الاحوص (ج ٤) ٥٢١
(ج ٥) ٣٤٨	(ج ٥) ٣٤٨
ربيعه الجوع (ج ١) ٤٠٣	ربيعه الجوع (ج ١) ٤٠٣
(ج ٤) ٣٤٠	(ج ٤) ٣٤٠
رئد ايل (ج ٢) ٢١١	رئد ايل (ج ٢) ٢١١
رئد ثون (ج ٢) ٤٥٣	رئد ثون (ج ٢) ٤٥٣
رئدم (ج ٢) ٣٨٥ ، ٣٤٠	رئدم (ج ٢) ٣٨٥ ، ٣٤٠
رجال بن عنفة (ج ٨) ٧٥٥ - ٧٥٦	رجال بن عنفة (ج ٨) ٧٥٥ - ٧٥٦
رجال بن عنفة (ج ٢) ٥٤٦	رجال بن عنفة (ج ٢) ٥٤٦
(ج ٤) ٢١٧ ، ١٨٦	(ج ٤) ٢١٧ ، ١٨٦
(ج ٦) ٨٨ - ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨	(ج ٦) ٨٨ - ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨
الرجال عروة بن عتبة (ج ٣) ٢٧٦ -	الرجال عروة بن عتبة (ج ٣) ٢٧٦ -
٢٧٧	٢٧٧

- رعو (ج) ٤٤٩
 رعوئيل (ج) ٤٥٣
 رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان
 بن جرهم بن يقطن بن عابر (ج) ٤٤٧ ، ٤٠٥
 رفائيل نخلة اليسوعي (ج) ٨ حا
 ٢٥٣ ، حا ٢٧٦ ، ٧٠٦
 رفاد بن المنذر الضبي (ج) ٣٩٧
 رفاعة بن زيد الجذامي (ج) ٤٠٥
 (ج) ٢٤٨ ، ٢٤٥
 (ج) ٥٤٦ ، ٥٢٩
 (ج) ٤٦٠
 رفاعه بن قيس (ج) ٥٤٦
 رفاعة بن كعب (ج) ٧٧١
 رفاعة القرظي (ج) ٥٦٤
 رفسان (ج) ٣٦٠
 رفيده (ج) ٤٠٧
 (ج) ٦٢٠
 (ج) ٣٨٧
 رفيق وفا اللدجاني (ج) ٣ حا ٧٢ -
 ٧٣
 رقاش بن أزم (ج) ١٤٣
 (ج) ١٨١
 رقاش بنت مالك (ج) ١٨٤
 (ج) ٥٠٢ - ٥٠٣
 رقاش زوج عدي بن الحارث (ج) ٤
 حا ٤٣٣ ، ٤٤٧ ، ٤٦١
 رقية بن عامر (ج) ٧٩٩
 رقية أمة أسماء (ج) ٣٤٦
 رقية بنت عبد شمس (ج) ٤٨٨
 (ج) ٧٥٢
 رقية النملة (ج) ١٢٨
 رقيقة بنت أبي صيفي (ج) ٢٧٧
 ركانه بن عبد العزيز (ج) ١٢٥
 ركبان (ج) ٤٥٢
 ركنس (ج) ١٣٧
 (ج) ١٥٨ ، ١٤٨ ، ١٤٣
 حا ٣١٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٥
 الرم (ريام) (ج) ٢ حا ١٥٠ ، ٢١٦ ،
- رمحيز زبيمن (رمحيز زبيمان)
 (ج) ٤٩١
 الرمق بن زيد (ج) ٣ ٤٤٢
 (ج) ١٣٤
 (ج) ٥٢١
 رملة بنت اسد (ج) ٣ ٢٨١
 (ج) ٤٦٤
 رملة بنت الحارث (ج) ٥ ٣٢١
 الرهاء بن البلندي (ج) ١٢ ٦٢٠
 الرهاء بن سبند (ج) ١٢ ٦٢٠
 رهاء بن منبه (ج) ٤ حا ٥٥٨
 الرهاب العجلي (ج) ٣ ٢٤٢
 رهم بن ناج (ج) ٤ ٥٠٨
 رواس (ج) ١ ٤٠٥
 روبرتسن سمث (ج) ١ حا ٢٣٤ ،
 ٥١١ ، ٥٢٠ - ٥٢٣ ، ٥٢٧
 (ج) ٦٢٩ ، ٦٤٦
 (ج) ٥٣٣
 (ج) ٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ،
 ٧٠٨ ، ٢٦١
 روبن هود (ج) ٩ ٦٢٢
 روشنائين (ج) ١ ١٣٥
 (ج) ١٨٨ ، ٢٥٨ - ٢٥٩ ،
 ٢٩٤
 روح بن زنباع (ج) ٤ ٤٦٢
 روح بن قصي (ج) ٤ ٥٧
 رودكر (ج) ١ ١٢٧
 رودلف كايسر (ج) ٣ حا ٣٧٦ -
 ٣٧٧
 (ج) ٦١٦ ، حا ٦٧٠
 رودوكناكس (نيكولوس) (ج) ١
 ١٣٧
 (ج) ٣٦ - ٣٧ ، حا ١٣٣ ،
 ١٧٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٣
 - ٢١٤ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٣٠٧
 - ٣١١ ، ٣٠٩
 (ج) ٥٥٠
 (ج) ١٥ ، ٢٨٢ ، ٤٧٣ ، حا

ريث بن غطفان (ج ١) ٤٠٤	٦١٥
٥٠٦ ، ٤٢٨ (ج ٤)	٣٠٧ (ج ٦)
ريحانة ابنة علقمة (ج ٣) ٤٨٢ ، ٥٠٥	(ج ٧) ٢٠٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤ -
٥٢٢	٢٦٥ ، ٤٩٢ ، ٥٩٨
(ج ٤) ١٨٣	(ج ٨) ١٥ ، ٢٣ ، ٤٤٥
ريحانة بنت معدي كرب (ج ٩) ٤٩٩	روزا روزنبركر (ج ٦) حا ٢٣٩ -
٨٦٩	٢٤٠
ريدان (ج ١) ٣٦٥	روزبة (ج ٢) ٦٥١
ريطة (ج ٩) ٦٤٣ - ٦٤٤	روستوفتريف (ج ٢) ٦٢٠
ريكمنس (ج ١) ١٣٧ ، ٦٣٨	(ج ٣) ١٤٠
(ج ٢) ١٢٧ ، ١٧٧ ، ٣١٤ ،	روسيني (ج ٣) ٤٦٧
٣٥١ - ٣٥٢ ، حا ٤١٧ ،	(ج ٦) ٦١٣
٤٥٤ - ٤٥٥ ، ٤٧٣ - ٤٧٥ ،	روينوس تيرانيوس (ج ١) ٦٢
٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ،	(ج ٣) ٩٢ - ٩٣
٤٩٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٦ ،	روق بن فزارة (ج ١) ٣٥٨
٥٥٣ ، ٥٥٨	رولنس (ج ١) ٥٩٨
(ج ٣) ٣١٦ ، ٤٧٧ ، ٤٩٣ -	رومان الرومي (ج ٤) ٣٠٤ ،
٤٩٤ ، ٥٠٠	(ج ٦) ٦٨٦
(ج ٨) ٥١٤	رومانس (ج ٣) ٣٤٩ - ٣٥٠
الريم يدم (الريام يدم) (ج ٢) ١٤٧ ،	(ج ٤) ٢٣٥
١٥٠ - ١٥١ ، ١٧٠	(ج ٦) ٦٨٦
ريمان ذوي حزفر (ج ٢) ٥٥٢	(ج ٩) ٨٩٥
رينان (ج ١) ٢٥٧	رومية (ج ١) ٤٤٠
(ج ٤) ٢٩٧	رويشد الثقفي (ج ٤) ٦٦٧
(ج ٦) ٣٤ - ٣٥ ، ٤٣	رباح بن الاسك الفنوي (ج ٥) ٣٥٨
رينه ديسو (ج ١) ١٣٥	رباح بن يربوع (ج ١) ٤٠٣ ، ٤٢٤
(ج ٢) ٦٠١ ، حا ٦٢٢ ، حا	(ج ٤) ٥٢٩
٦٢٤	(ج ٥) ٣٧٤ ، ٣٩٦
(ج ٣) حا ١٥٣ ، حا ١٩١	الرياشي (ج ٩) ٥٣٤ ، ٥٨٥
(ج ٤) حا ٥٧	ريام (ج ٢) ٣٥٥
(ج ٦) حا ٢٣١ ، حا ٣١٠ -	الريان بن حويص العبدي (ج ٥)
٢١١ حا ٢٢٣ - ٢٢٨ ، حا	٣٩٧ ، ٨٧
٣٣١ - ٣٣٠	الريان الشكري (ج ٤) ٥٠٠
(ج ٧) حا ١٠٦	ريب (ج ٢) ٣٩٢
(ج ٨) حا ٢٣٧ ، حا ٥٢٠	(ج ٥) ٣٩٦
	ريتر (ج ٢) ٥٣٥

- الزاي -

زبادي (ج) ٩٤ ، ١٠٧	الزاد الزاد (ج) ٤٣١
زبيح (ج) ٤٥٥	زاد بن يهيش (ج) ٦٥٠
زبدا (ج) ٩٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩	زاره (ج) ٤٢٧
زبدئيل (زبدائيل) (ج) ٦٤٩ - ٦٥٠	زاهر (ج) ٣٧٢
زبدئيلوس (زبدائيل) (ج) ٢١ ، ١٢٤ ، ٣٦	(ج) ٤٥٦ - ٤٥٧
زبراء (ج) ٧٧٠	الزباء (ج) ٦٦٠
(ج) ٣٦٦ ، ٧٤١ - ٧٤٢	(ج) ٦٢٥ ، ٦٨
الزبرقان بن بدر (ج) ٤٠٣	(ج) ١١٦ - ١١٧ ، ١٠٩ -
(ج) ٢٠٦ ، ٥٧١ ، ٥٩٤	١٢٢ ، ١٢٠ - ١١٤
(ج) ٥٠ ، ٢٦٥ ، ٣٥٣	١٢٧ - ١٣١ ، ١٢٩ ، ١٣٣ -
(ج) ٦٥٢	١٣٥ ، ١٣٩ - ١٤٠ ، ١٧٧
(ج) ٦١٧	١٨٠ - ١٨٤ ، ١٨٧
(ج) ١١١ ، ١٤١	(ج) ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٦١٦ ،
(ج) ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ٢٤٥ ، ٧٣٩ ، ٨٤٢ ، ٨٤٥ ، ٨٥٥ - ٨٥٦ ، ٨٨٣ ، ٨٨٥	٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٥ ، ٦٧٥
زبيبي (زبيبة) (ج) ٥٧٢ ، ٥٨٨ ، ٦٠٥	(ج) ١٨٩
(ج) ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣١ - ١٣٢	(ج) ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٥٧٩ ، ٦٣٤
(ج) ٦٢٠	(ج) ٣٧٢
(ج) ٥٥٨ ، ٥٦٠	(ج) ٢٦٨ ، ٣٧٣ - ٣٧٤
زبيد بن عمرو (ج) ٣٧١	(ج) ٦٨٥ ، ٧٧٣ - ٧٧٤
(ج) ٥٧٢	زبان بن احرب (ج) ٨٤
(ج) ٢٩١	زبان بن سيار (ج) ٤٠٢
زبيدة (ج) ٤٤٧	(ج) ٤٢٥
	(ج) ٥١٤
	(ج) ٨٠٠
	(ج) ٤٩١ ، ٥٩٣
	زبان بن العلاء (ج) ٢٩٧
	زبان بن غني (ج) ٥١٥
	زبان بن منظور (ج) ٨٢٣

- الزبيدي (ج ٥) ١٢٧ ، ٢١٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ -
 (ج ١) ٣٦ ، ٤٠ ، ٣٢٢ ، ٣٦١
 الزبير بن باطان (ج ٦) ٤٣٢ ، ٥٢٤ ، ٥٤٦
 الزبير بن بكار (ج ١) ٤٧٢
 (ج ٤) ٨ ، ٥١ ، ٥٢٠
 (ج ٥) ٨٣
 (ج ٦) ٤٢٣
 (ج ٩) ٧١٢
 الزبير بن عبد المطلب (ج ٤) ٦١ ، ٨٢ ، ٨٤ - ٨٨ ، ٩١ ، ٢٠٨
 ٤٦٤ - ٤٦٥
 (ج ٥) ٢٨ ، ٥٠٥ ، ٦٣٨
 (ج ٨) ٢٠٤
 (ج ٩) ١١٥ ، ٢٦٢ ، ٦٢١ ، ٦٥٠ ، ٦٩٥ - ٦٩٦ ، ٧٠٦
 ٧٠٨ - ٧١٠ ، ٩٠٢
 الزبير بن العوام (ج ٧) ٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢١٥
 (ج ٨) ١١٩ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ٣٦٨
 الزبيري (ج ١) ٣٧٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٠ ، ٤٠٢
 (ج ٤) ٣٨ ، ٥٩ ، ٤٧٠
 (ج ٥) ٥٣٤ ، ٦٢٣ ، ٦٥٠
 (ج ٦) ٥٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٨٨
 (ج ٨) ١٩٧ ، ٢٦١ ، ٣٣١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥
 ٤٩٩ ، ٦٩٩ ، ٧٠٤ - ٧٠٥ ، ٧٣٧ ، ٧١٦
 الزجاجي (ج ٥) ٢٨٧
 (ج ٩) ٣١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٦١
 ٣٩٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠

- (ج) ٦٠١ ، ٥١٠ — ٥٠٨ ، ١٩٩ (ج) ٥١٠ ، ٥١٦ ، ٦٥٢
(ج) ٢٧٠ ، ٤٠١ ، ٣٥٨ — ٣٥٧ ، ١٩٨ (ج) ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧
(ج) ٨٧ ، ٥٤٠ ، ٥٦٠ ، ٥٩٥
زوسكلس (ج) ١٢٤ ، ٥٢٤
(ج) ٤٥٥
زوسيموس (ج) ١٦٣
(ج) ١١٥ ، ١٢٤ ، ٥٩٢
زوكوموس (ج) ٦٩٢
زيابة (ج) ٢٤٦
زياد بن ابي سفيان (ج) ٢٢٧
زياد بن ابيه (ج) ٨٣٤ ، ٥١٢
(ج) ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٣٠٨ ، ٥٤٧ ، ٥٥٤ ، ٩٠٤
زياد بن الاشهب (ج) ٨٥١
زياد بن الحارث (ج) ١٨٩
زياد بن حدير (ج) ٧٨٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠
زياد بن عبدالله بن الطفيل العامري
ابي محمد الكوفي المعروف بالبكائي
(ج) ٨٦
زياد بن عجل (ج) ٢١١
زياد بن ليلى البياضي (ج) ١٩٣ ، ١٩٨
زياد بن هبولة (ج) ٣٢٠ — ٣٢١ ، ٣٩٣ — ٣٩٥
(ج) ٤٣٦ ، ٤٠٧ ، ٥٠٢
زيحمن بن الشرح (ج) ٥٠٢
زيد (زيدم) (ج) ١١١ ، ٤٠١ ، ٥٠٤
(ج) ١٧
زيد بن ارقم (ج) ٧٠٧ ، ٥٩٧
(ج) ٥٩٦ — ٥٩٧
زيد بن امية بن عبيد (ج) ٧٢٢
زيد بن اوسلة (ج) ٤٣٣
زيد بن ايل وهب (ج) ١٩٤ — ١٩٥ ، ٥٦٠
(ج) ٣١٧ ، ٢٥
(ج) ٢٦٣ — ٢٦٤
زيد بن ايوب (ج) ٢٨١
- (ج) ١٩٩ ، ٥٠٨ — ٥١٠ ، ٥١٦ ، ٦٥٢
(ج) ١٩٨ ، ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٢٨٢
زهير بن جناب الكلبي (ج) ٢٨٢
(ج) ٤٠٤
(ج) ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٤٢٦ — ٤٢٧
(ج) ٤٩٣ ، ٤٥٥ ، ٤٩٤
(ج) ٦٥٨ ، ٦٧٣ ، ٣٤٧ — ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٥١٨ ، ٦٠١
(ج) ٢٤١ — ٢٤٢ ، ٢٥٣ ، ٣٦٤ — ٣٦٥ ، ٤٤٤ ، ٧٦٣ ، ٧٧٠ ، ٧٧٤
(ج) ١١٢ ، ٣٨٠ ، ٧٧٣ ، ٧٧٧
(ج) ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٣ — ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٦١٨ ، ٧٠٣
زهير بن عيسى (ج) ٥٢٩ ، ٥٠٥ ، ٤٨٢
زهير بن علس (ج) ٤٨٢
زهير بن عمرو (ج) ١٦٧ — ١٦٨ ، ٢٤٠
(ج) ١٥
زهير بن قرضم (ج) ١٩٩
زوبعة (ج) ٧٦٠ ، ٧٦٩
الزوزني (ج) ١ ، ٣٩ — ٣٨ ، ٣٠٩ ، ٣٨٢ — ٣٨٣
(ج) ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ٢٤٨ — ٢٤٩
٢٥٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠
(ج) ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٤٩١
(ج) ٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨
(ج) ١٥٦ ، ٢٠٧

- زيد بن نعيم (ج ٣) ٣٢٦ - ٣٤٨
 زيد بن ثابت (ج ٨) ١٠٢ - ١١٤ ،
 ١٢٠ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٣١
 - ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٥٥
 ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩٢
 ٦٠٢ - ٦٠٣ ، ٦٠٦
 زيد بن حارثة (ج ١) ٣٦٥ ، ٣٧٠ ،
 ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٤٥٤
 (ج ٤) ١٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ،
 ٣٥٨
 (ج ٥) ٥٧٣
 (ج ٦) ٤٧٤ ، ٥٤٦ ، ٦٨٢
 (ج ٧) ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٤٠ ،
 ٢٤٧ ، ٣٧٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦١
 زيد بن الحاف (ج ١) ٣٦٦
 زيد بن حماد (ج ٣) ٢٨٨ - ٢٩٠
 زيد بن حمير (ج ٤) ٤١٦
 زيد بن حي (ج ١) ٣٦٨
 زيد بن خذاق (ج ٥) ٣٩٧
 زيد بن الخطاب (ج ٦) ٨٩
 (ج ٩) ٨٨٦
 زيد بن زيد ايل (ج ٧) ٢٦٣
 زيد بن سعية (ج ٦) ٥٦٤
 زيد بن شريك الشيباني (ج ٥) ٣٦٨
 زيد بن صوحان (ج ٨) ٣٢٣ ، ٧٨٣
 زيد بن ضباء الاسدي (ج ٤) ٥٩٧
 زيد بن ضبيعة (ج ٩) ٧٢٢
 زيد بن عامر بن نعلبة (ج ٨) ٤٩٩
 زيد بن عبدالله بن دارم (ج ٨) ٥٥٦
 زيد بن عدوان (ج ٤) ٥٠٧
 زيد بن عدي بن زيد (ج ٥) ٢٧٢ ،
 ٢٩٠
 (ج ٨) ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٣٠٩
 زيد بن علي عنان (ج ١) ١٣٣
 (ج ٢) ٧٦ ، ٨٣
 (ج ٤) ٥٦٩
 (ج ٧) ١٧٩
 زيد بن عمرو (ج ٢) ٣٥٥ ، ٤٠٨
- (ج ٤) ٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٤٠ ،
 ٤٢٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨٩ ، ٥٢٢ ، ٦٧١
 (ج ٥) ٣٧
 (ج ٦) ٢٣٧ ، ٤٥٥ ، ٤٦٣ -
 ٤٦٤ ، ٤٦٩ - ٤٧٧ ، ٥٠١
 (ج ٨) ٣٢٣ ، ٦٦٤
 (ج ٩) ٢٨٦ ، ٧٠٣ - ٧٠٤ ،
 ٧٢٤ - ٧٢٥
 زيد بن قيس (ج ٤) ١٩١
 (ج ٩) ٦٦٨
 زيد بن كليب (ج ٩) ٩٠٧
 زيد بن كهلان (ج ٤) ٤٣٤ ، ٤٦٤
 زيد بن الكيس (ج ٨) ٣٣٢
 زيد بن ليت (ج ٤) ٤٣٠ ، ٤٣٢
 (ج ٦) ٥٤٦
 زيد بن مالك (ج ١) ٣٧٠ ، ٤٠٣
 زيد بن مخلف (ج ٤) ٤١ ، ٥٧ ، ٦٣
 ١٤٩
 زيد بن مرب (ج ٩) ٦٦٨
 زيد بن مهلهل (ج ٥) ٣٩٠
 زيد بن وهب (ج ٨) ٥٩٩
 زيد الله (ج ١) ٣٧١
 (ج ٤) ٤٣٧ ، ٤٥٧
 (ج ٧) ٤٦٢
 زيد الجمهور (ج ٢) ٥٩٣
 زيد خرج (ج ٦) ٣١٩ ، ٣٣٢
 زيد الخيل (ج ٣) ٢٩٣ ، ٢٩٨ -
 ٢٩٩
 (ج ٤) ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٢٥ ،
 ٣٠٧ ، ٥١٥ ، ٦٦٣
 (ج ٥) ١٧٢ ، ٢٧٠ ، ٢٩٠ -
 ٢٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٤٥
 (ج ٦) ٦٠ ، ٢٧٧
 (ج ٧) ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٣٣٧
 (ج ٩) ٢٤١ ، ٦١٨ ، ٨١٣ ،
 ٨١٦ ، ٨٣٥ ، ٨٦٥
 زيد ذو غابة (ج ٦) ٣١٤
 زيد سيلان (ج ٢) ٤٩٩ - ٥٠٠

٤٥٤ (٤ج)	زيد العبادي (٣ج) ١٧١
٥٣٠ (٥ج)	(٨ج) ١٠٨ - ١٠٩
٣٤٢ (٦ج)	زيد غوث (٦ج) ٣١٩
٣٨٧ (٨ج)	زيد الفوارس (٤ج) ٥٧١
٧٥٨ (٩ج)	(٥ج) ٣٧٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧
زينب بنت جحش (٥ج) ٦٥ ، ١٥٧	زيد لات (٢ج) ٣٥٧
زينب بنت جذيمة (٣ج) ١٢٤ ، ١٨٤	(٦ج) ١٦ - ١٧ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥
زينب بنت الرسول (٧ج) ٢٩٩ - ٣٠٠	زيد مناة (١ج) ٤٠٢ ، ٤٠٨ ، ٥٢٦
زينودور (١ج) ٤٤٤	(٤ج) ٣٣٩ ، ٤٣٧
زينو كوتيلوس (٣ج) ٦٨	(٦ج) ١٦ - ١٧ ، ٢٥٠
زينون (٢ج) ٦٥٥	(٩ج) ٤٧١
	زينب بنت اوس بن حارثة (٣ج) ٢٨٧

- السين -

٤٣٩ ، ٧٩ (٦ج)	السائب بن ابي السائب (٥ج) ١٣٥
٥٢١ (٨ج)	(٧ج) ٤٠٧
١٥٤ - ١٥٢ (٩ج)	السائب بن الحارث (٦ج) ٧٦٦
سابور بن اردشير (٢ج) ٦١٥ ، ٦١٧	(٧ج) ٤٠٧
(٣ج) ١٨٧ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ٣١٠ ، ٣٠٦	السائب بن يزيد (٧ج) ٣٦٨
(٥ج) ٢٢٤	(٨ج) ٦٠٢
سابور بن اشك (٣ج) ١٨٣	ساب خائر (٩ج) ١٥٦
سابور بن خرزاذ (٣ج) ١٨٥	ساباط بن باما (٣ج) ٢٧٠
سابور بن المبارك (٩ج) ٣٠٧	سابور (١ج) ١٧٦
سابور بن هرمز (٢ج) ٦٣٦ - ٦٣٧	(٢ج) ٦١٢ ، ٦١٥ - ٦١٨ ، ٦٢٤
سابور الثالث (٢ج) ٦٤٤ - ٦٤٥	٦٢٤ - ٦٣٥ ، ٦٣٨ - ٦٤٥
سابور الثاني (٢ج) ٦١٨ ، ٦٣٦ ، ٦٤٣	(٣ج) ٩٣ - ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢
(٣ج) ١٤٠ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٩٤ - ١٩٥ ، ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٣١١	- ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ١٩٤ - ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٣١١
	(٤ج) ٢٣٢ ، ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ٥٢٧ ، ٥٠٠

- قحطان (ج) ١٥٢ ، ٣٦٤ - ٣٦٥ ،
 ٤٥٩
 (ج) ٥١٢
 (ج) ٤١٧ ، ٤٢٠
 (ج) ٢٨١
 سباسينس (ج) ١٣
 سباع بن زيد (ج) ٢٥٣
 السباق بن عبد الدار (ج) ٤٠٥
 (ج) ٤٢١
 صبنة (ج) ٤٥٩ - ٤٦٠
 سبتكا (ج) ٤٥٩
 سبيميوس سفيروس (ج) ٣٠
 (ج) ٦٦ - ٦٧ ، ٦١٤ ، ٦٢٢
 سبيميوس خيران (ج) ٩١ -
 ٩٤
 سبيميوس سويروس (ج) ٦١
 (ج) ٦٣ - ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٨
 ٨٩ -
 (ج) ٢٧٨
 سبيميوس هيرودس (ج) ٩٨
 سبريشوع (ج) ٢٨٤
 سبرة بن عمرو (ج) ٦٧٥
 سبستيان رنزفال (ج) ١٢٤ ،
 ١٢٧ ، ١٢٣
 سبعة (ج) ١٢٢
 سبقل سبقل (ج) ٤٢٨
 السبكي (ج) ٥٢٨
 سبنسر (ج) ٤٧
 سبيط بن المنذر (ج) ٣٩٧
 سبيع بن اشجع (ج) ٥١٠
 سبيع بن الحارث (ج) ٢٦٠
 (ج) ٧٧٧
 سبيع بن الخطيم (ج) ٣٧٦
 سبيع بن ربيعة (ج) ٨٤ ، ٤٣٣
 (ج) ٣٨٢
 سبيع بن هوازن (ج) ٣٠٩ ، ٣٧٣
 ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٤٩٨
 سبيعة (ج) ٢١٤
 سبيعة بنت عبد شمس (ج) ٣٨٣
- ٢٨٠ (ج) ١٧
 ساربيوس (ج) ١٢٦
 ساره العريطيه (ج) ٢٧ - ٢٩ ،
 ٤٤٨
 (ج) ٥٧٠
 (ج) ١٢٦ ، ٧٩١
 سارية بن زيم الكثاني (ج) ٤٥٢
 ساسان بن بابك (ج) ١٦
 ساع الاكبر (ج) ٤٣٣
 ساعدة بن جؤنة (ج) ٨٧٠ - ٨٧١
 ساعدة بن التاهد (ج) ٥٠٥
 (ج) ١٤٨
 ساعده الهذلي (ج) ١٢٩
 سافينة (ج) ٢٤١
 (ج) ٥٢٨
 سافينياك (ج) ٣٠٦
 السالف (ج) ٣٥٨
 سالم بن ابي السمحاء (ج) ٣٢١
 سالم بن دارة (ج) ٥٢٥
 (ج) ١٤٥
 (ج) ٨٩٦ - ٨٩٧
 سالم بن عوف (ج) ٧٨٨
 سالم بن يهنعم (ج) ٢٦٧
 السالي (ج) ٢٠١ - ٢٠٢
 سام بن نوح (ج) ٢٢٣ - ٢٢٤ ،
 ٢٢٩ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٩٦
 - ٢٩٧ ، ٣٧٦ ، ٤١٦ - ٤١٩
 ٤٦٣ ، ٦٣٠
 (ج) ١٢ ، ٥٣١ - ٥٣٢ ،
 (ج) ٣٠٢
 (ج) ٦٧٣
 (ج) ٥٢٥ - ٥٢٩
 (ج) ٤٥٢
 سامة بن لؤي (ج) ٣٢٥ ، ٤٠١
 (ج) ٢٩
 ساويرس (ج) ٦٣١
 ساوينه (ج) ٧٤
 سابس (ج) ٢٣٢
 سبأ بن يشجب بن يعرب بسن

٥٥٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، حا	٤١١ (٩ج)
٦١٦	ستاركي (٣ج) ٧٣
(٩ج) حا ٨ - ٩ ، ١١ ، ٣٤٦	ستراب (١ج) ٦١١
٤٤٦ ، ٤٦٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ،	سربون (سترايو) (١ج) ٢٠ ، ٢٢ ،
٥٦٨ ، ٦٥١ ، ٨٤٧ - ٨٤٨	٥٧ - ٥٨ ، ١٦٣ ، ٢٠٥ ،
السجل (٨ج) ١٣٠ ، ٢٨٥	٤٤٣ ، ٤٦١ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩ ،
سجله (٧ج) ١٩٢	٦٥١
سحبان بن زفر (٨ج) ٧٨٠ ، ٧٩١	(٢ج) ١٣ - ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ،
سحبان وائل (٦ج) ٨١٩	٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ - ٥٢ ،
(٨ج) ٣٦٨	٥٤ ، ٥٦ - ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٣ ،
سحر (٢ج) ٦٢٠	٨٠ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
(٤ج) ٤١٧	٢٤٧ ، ٤٥٥ ، ٦٠٦ - ٦٠٨ ،
سحنة بن خلف الجرهمي (٦ج) ٨٠	(٢ج) ١٤ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٥٤ -
سحيم بن وثيل اليربوعي (١ج)	٥٥ ، ٥٣٤
٤٤٤	(٤ج) ٤١٥ ، ٥٤٨ ، ٦٦٩
(٥ج) ٧٤ ، ١٢٨	(٥ج) ٤١٤ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ،
(٩ج) ٨٧٩	٥٤٤ ، ٥٥٩
سحيم عبد بني الحساس (٩ج)	(٦ج) ٥٥
٨٧٧ - ٨٧٨	(٧ج) ١١٨ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ،
السخاوي (٨ج) ٤٥٦	٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٦٠٤ ، ٦١٣
سخمان يهصبح (٢ج) ٣٣٨ ، ٤٠٩ ،	ستراتيجيوس (٣ج) ٢٢٢
٤٩٢ ، ٤١٢	سجاح بنت أوس (٤ج) ٢١٧
سخو (١ج) حا ٣١١	(٩ج) ١٧٨
سخيم بن يداع (٢ج) ٣٩٤	سجاح بنت الحارث (٤ج) ٢٠٦
(٣ج) ٤٠	(٦ج) ٩٥ - ٩٦ ، ٧٧١
سخيم يزان (٢ج) ٤٦٤	السجستاني (أبو حاتم) (١ج) حا
سداد البطحاء (٧ج) ٣٠٠	٨٣ ، حا ٩٩ - ١٠٠ ، حا
سدد بن زرعة (٢ج) ٢٦٥	٣٠٧ ، ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣٨٣
سدد بن عمر (٢ج) ٥٥٦	(٣ج) حا ٢٨٨
السدري (٩ج) ٣٠٢	(٤ج) حا ٤٢٦ - ٤٢٧ ، حا
سدريوس (ج ٣) ٤٦١ - ٤٦٢ ،	٦٥٧ ، حا ٦٥٩ - ٦٦٠
٤٦٩	(٦ج) حا ٣٢ ، حا ٤٦٢ ، حا
سدني سمث (١ج) ٦١٣	٦٨٧
سدوس بن شيبان بن ذهل (١ج)	(٨ج) حا ١٢٣ ، حا ١٣٣ -
٤٠٨ ، ١٧٨	١٣٤ ، حا ١٥٤ ، حا ١٥٦ ،
(٣ج) ٣٩٣ ، ٤٣٥	١٧١ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، حا
(٤ج) ٥٠٣	٢٦١ ، حا ٢٦٤ ، حا ٢٨١ ،
(٥ج) ٢٨٤ ، ٣٤٩ ، ٤٣٦	حا ٣١١ ، حا ٣٣٨ ، ٣٥٣ ،
سدوم (٦ج) ٤٩٠	

سعد بن ابی عبید (ج) ٢٢٩ ،
(ج) ٢٢٥
سعد بن ابی وقاص (ج) ٢٨٧
(ج) ٢٢٨ ، ٢١٢ ، ١٢٥ ، ٣٧
(ج) ٢٢٥
(ج) ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ١٠٩
٦٤٣ ، ٦٦٩ ، ٦٩٠
(ج) ٧٦٧ - ٧٦٥
سعد بن بکر (ج) ٢٦٠ ، ٢٦٤
٣٣٨ ، ٥١٦ ، ٦٢١
(ج) ٢٤٠
(ج) ٥٧٣ ، ٥٨٩ ، ٦٠٠
٦١٨
سعد بن بهراء (ج) ٤٢٣
سعد بن ثعلبة (ج) ٤٣٥
(ج) ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٩
سعد بن حارثة (ج) ٢٧١
(ج) ٤٧٨
سعد بن حرث الخزومي (ج) ٢٩
سعد بن حمير السلف (ج) ٣٧٠
٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧
سعد بن حنيف (ج) ٥٤٦
سعد بن خولان (ج) ٣٦٨ ، ٣٩٩
٤٠٢ ، ٤٠٨
سعد بن خيشمة (ج) ١٣٧
سعد بن ذبيان (ج) ١٣٨ ، ٥١١ -
٥١٢
سعد بن ربيعة (ج) ٣٦٨ ، ٤٨٤
٥٢٥
(ج) ٣١٠
(ج) ١١٤
سعد بن زرارہ (ج) ١١٤ ، ١٦٠
٢٩٣ ، ٤٦٨
سعد بن زيد مناة (ج) ٢٣٢ ، ٣٦٧
٤٠٣
(ج) ٢٧٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨
٣٥٣
(ج) ٤٨٨ ، ٥٢٥ ، ٦٢٦
(ج) ٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦
سديف بن هوماس (ج) ٧٦٠
سراج بن قرة (ج) ٩٥٥
سراقه بن جعشم (ج) ١٥٦
سرافه البارقي (ج) ٧٥
سرايا (ج) ٣٥١
سرجون (ج) ٢٨ ، ٣٢٤ - ٣٢٥
٥٤٥ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢
٥٦٤ ، ٥٧١ ، ٥٨٥ - ٥٨٦
٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٦٠٩
(ج) ٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٧٧ -
٢٧٩ ، ٣١١
(ج) ٢٨٣
(ج) ٣٦ - ٣٧
(ج) ٢٣٤
سرجيوس (ج) ٣ ، ١٣٦ ، ٢١٩
٢٢٠ ، ٢٨٥ ، ٤١١ ، ٤١٣
٤١٥
(ج) ٦٨٦
السرхан (ج) ٣٦٦
(ج) ٢٥٠
سرحون بن امت منفو (ج) ١٧٧
سرحون بن سعدو (ج) ١٧٧
سرخسي (ج) ٥٢٧ ، ٥٣٤ ،
٥٣٧ - ٥٣٨ ، ٥٥٠ -
٥٥٢
السرسين (ج) ٩٤
سرکينوی (ج) ٤٠٥
سروج (ج) ٤٤٩
سريج (ج) ٤٢٣
سرير بن ثعلبة (ج) ٤٨٠
(ج) ٤٩٨ - ٤٩٩
سطيح (ج) ٤٣٧
(ج) ٩٥ ، ٧٦٠ ، ٧٦٥ -
٧٦٦
(ج) ٧٤٠ ، ٧٩٣
سعاد (ج) ٥٨٥ ، ٨٦١ ، ٨٦٣
سعد بن ابراهيم (ج) ٦٠١
سعد بن أبي سرح (ج) ٣٩١

- (ج) ٤٨٠ . ٢٩
 سعد بن ليت (ج) ٥٣٢
 سعد بن ملك بن ضبيعة (ج) ٢٤٧
 ٥١٤ . ٥٣٤
 (ج) ١٠٩ . ٣٥٠
 (ج) ٢٧ ، ٦٩ ، ٢٥٢ ، ٤٢٤ ،
 ٤٥٩ - ٤٦١ ، ٤٧٥ ، ٦٦٢ ،
 ٧٥١
 سعد بن ممت بن المخيل (ج) ٥٨٥
 سعد بن معاذ (ج) ١٣٧ : ٢٣٤ ،
 ٣٠٧ : ٣٦٨ ، ٥٥٩ - ٥٦٠
 (ج) ٥١٢
 (ج) ٢٨٧
 (ج) ١٤
 سعد بن النعمان بن أكال (ج) ٧
 ٤٤٠ : ٤٦٦
 سعد بن هذيل (ج) ٥٣٤
 سعد بن هوفعت (ج) ٩٤
 سعد بن ولك (ج) ٨٩ ، ١٣٨ -
 ١٣٩
 سعد أحرس بن غضب (ج) ٢٧٢
 (ج) ٧٥
 سعد آل (ج) ١٨ ، ٨٧
 (ج) ٢١٣ ، حا ٣١٩
 سعد الله (ج) ٤٢
 سعد أوام نمران (ج) ٤٠٩ ، ٤٢٩
 سعد تائب يلف (ج) ٥٥٢ ، ٥٦٠
 - ٥٦١ ، ٥٦٦
 سعد تائب يهتب (ج) ٢٣٦ ، ٣٣٧ -
 ٣٧٠
 سعد ثون (ج) ٤٩٠
 سعد الجرمي (ج) ٤٩٥
 سعد شمس أسرع (ج) ١٤٩ -
 ١٥٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦
 ٣٣٤ ، ٤٢٢ ، ٤٤٤٦ ،
 ٤٥١ ، ٤٦٤ - ٤٦٧ ، ٤٧٠
 - ٤٧٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٦
 (ج) ٦٢٥
- ٣٩٢ ، ٤١٠ ، ٥٥٦ - ٥٥٧
 ٦٥٣
 (ج) ٢٨٧ ، ٢٤٩
 (ج) ١٨٢
 (ج) ٥٧٩
 (ج) ٤٧٣ ، ٤٧١
 سعد بن سعد بن خولان (ج) ٣٦٨
 ٣٨٩
 سعد بن سليج (ج) ٣٩٤
 سعد بن سيل (ج) ٣٨
 (ج) ١٦٢
 سعد بن الضباب الأيادي (ج) ٣٦٧
 سعد بن ضبة (ج) ٥٢٣ ، ٥٢٦
 سعد بن ضبيعة (ج) ٤٧٧ ، ٤٩٦
 (ج) ٤٣٣ ، ٥٦٧
 سعد بن الظرب (ج) ٥٠٨
 سعد بن عبادة بن دليم (ج) ١٣٧ ،
 ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥٠
 (ج) ٢١٠
 (ج) ٨٢١ ، ٨١٣ ، ٧١٣
 (ج) ٣١٥
 (ج) ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ،
 ١٣٥
 (ج) ٨٦٨ ، ١٤
 سعد بن عبد الله (ج) ٢٢٨
 سعد بن علي (ج) ٤٣٦ - ٤٣٨
 سعد بن عمرو (ج) ٢٥٠ ،
 (ج) ٤٨٣ ، ٥٣١
 سعد بن فهم (ج) ٥٠٧
 سعد بن قيس (ج) ٣٦٥ ، ٤٠٤ ،
 ٤٠٨
 (ج) ٢٥٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٧
 (ج) ٣٥٢
 (ج) ٥٨٦ ، ١٢٠
 سعد بن كنانة (ج) ٣٧ ، ٥٣٢
 سعد بن لؤي (ج) ٤٠١ ، ٤٠٨

- سعد العنيرة (ج ١) ٣٧١
(ج ٤) ١٩٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ -
٤٥٨ ، ٦٥١
(ج ٥) ٢٩١ ، ٣٥٣
(ج ٦) ١٦ ، ٢٨٧ - ٢٨٨
سعد الفرقة (ج ٣) ٢٧٩
(ج ٥) ٢٩ ، ٤٤
(ج ٨) ٣٧٤ - ٣٧٥ ،
(ج ٩) ٤٩٨
سعد لات (ج ٢) ٣٥٧
(ج ٦) ١٦ - ١٨
سعد مناة (ج ٦) ١٦ - ١٧ ، ٢٥٠
سعد هذيم (ج ٤) ٢٤٦ - ٢٤٧ ،
٤٢١ ، ٤٣٠ - ٤٣١
(ج ٦) ٢٨٨
سعد ود (ج ٦) ١٦ ، ١٨
سعدى بنت كربز بن ربيعة (ج ٤)
٥٧٩
(ج ٦) ٧٧١
سقفص (ج ٨) ١٥٩ ، ١٦٤ - ١٦٦
السعلاة (ج ٩) ٧٣٢
سعية (ج ٩) ٤٥٤
سعيد بن ابجر الهمداني (ج ٩)
٢٠٧
سعيد بن أبى عروبة (ج ١) ٢٢٤ ،
٤٠٢ ، ٤٦٣ ، ٥٢٥
(ج ٩) ٣٤٣
سعيد بن جبير (ج ٢) ٥٦٩
(ج ٨) ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٦٩٧
(ج ٩) ١٩ ، ٢٩
سعيد بن ربيعة (ج ٤) ٦٧١
سعيد بن زيد بن عمرو (ج ٨) ٧٦٥
(ج ٩) ٧٠٤
سعيد بن سعد بن سهم (ج ٤) ٥٢
سعيد بن سفيان الرعلي (ج ٤) ٢٦٩
(ج ٨) ١٢٧
سعيد بن العاص (ج ٤) ٩١ ، ١٠٨
(ج ٥) ٥١ ، ٥٣٠
(ج ٦) ٢٤٣
- (ج ٨) ١٢١ ، ٢٦١ ، ٦٠٦ ،
٦٠٨ - ٦٠٩
(ج ٩) ٢٨١ ، ٨٠٤ ، ٨٥٦ ،
٨٥٩
سعيد بن عامر (ج ٨) حا ٧٦٩
سعيد بن عبد الرحمن (ج ٩) ٤٣٢ ،
٧٤٥
سعيد بن عبد العزيز (ج ٨) ٦٠٨
سعيد بن عمرو (ج ٣) ٣١٩
سعيد بن الفريض (ج ٩) ٧٧٩
سعيد بن مسجح (ج ٩) ١٥٦
سعيد بن مسعدة (ج ٩) ٢٠٧
سعيد بن المسيب (ج ٧) ٣٩٢
(ج ٨) ٣٣١
سعيد بن معاذ (ج ٩) ١٢٨
سعيد بن نشوان (ج ٨) ٦٩٢
سعيد بن يربوع (ج ٨) ٣٣١
(ج ٩) ٢٧٧
سعيد ذو زود (ج ٤) ١٩٣
سعيد العلاف الاباضي (ج ٥) ١١٦
سعيد بن العلاء الفريعي (ج ٥) ٢٨٩
سفيان بن أمية (ج ٥) ٢٨٣
(ج ٨) ١١١ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ،
١٧١ ، ٢٩١
سفيان بن أوس (ج ٩) ٥٠١
سفيان بن الحارث (ج ٤) ٢٠٦
سفيان بن خالد (ج ٤) ٢٦٨
سفيان بن عبد الاسود (ج ٤) ٩٨
(ج ٥) ٥٤٨
سفيان بن عبد شمس (ج ٤) ٢٥٣
سفيان بن عيينه (ج ٨) ١٨٧
سفيان بن مجاشع (ج ٥) ٦٥٣
سفيان الثوري (ج ٨) ٧٣٦
(ج ٩) ٣٤
سفينة (ج ٧) ٤٦٠
السقا (ج ٤) حا ٤٥٣ ، حا ٤٧٩ ،
حا ٤٨١ ، حا ٥١٥ ، حا

٥١٧ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ، حا
 ٥٣٥
 (ج) ٢٢١
 سفام بن الحاف (ج) ٣٦٦
 سفراط (ج) ٦٢
 (ج) ٢٠٨
 (ج) ٣٤٠
 سقنيت مراس (ج) ٥٠٠
 السكاسك (ج) ٤٦٤
 سكاورس (ج) ٤٩٢
 السكري (ج) ٢٨٣ حا
 (ج) ٢٥٤ ، ٣٩٢ ، ٥١٩
 (ج) ٤٢١ ، ٤٩٧ ، ٦٦١ ،
 ٦٧٣
 (ج) ٢٨٨
 (ج) ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٤٨٩ ،
 ٥٤٢ ، ٨٥٨
 سكستوس فلورنتينوس (ج) ٥٤
 سكورس (ج) ٣٩ - ٤٠
 (ج) ٣٢ - ٣٣
 السكون (ج) ٣٧٢
 (ج) ٤٦٤ - ٤٦٥
 سكين بن ابي سكين (ج) ٥٤٦
 سكينه (ج) ٤٢
 سلام بن ابي الحقيق (ج) ٢٥٣
 (ج) ٦٨٦
 سلام بن الربيع (ج) ٥٤٦
 سلام بن مشكم (ج) ٥٢٣ ، ٥٣٧ ،
 ٥٤٦
 (ج) ٧٧١ - ٧٧٢
 سلامان بن غنم (ج) ٦٢١
 سلامان بن منصور (ج) ٣٧١ ،
 ٣٧٣ ، ٤٠٥
 (ج) ٥١٦ ، ٥٢٥
 سلامان بختر (ج) ٤٥٢
 سلامة بن جندل السعدي (ج) ٤٧٥ ، ٢٨٣
 (ج) ٢٦٩

(ج) ٣٨ - ٣٩ ، حا ٦٨٤ ،
 ٨٠٠
 (ج) ٢٧٩ ، ٤٢٦
 (ج) ٢٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٣ ،
 ٥٣٤
 سلامة بن حجر (ج) ٣١٩
 (ج) ٤٧٠
 سلامة بن روح بن زنباع (ج) ٤٣٨
 (ج) ٣٠٩
 سلامة بن ظرب (ج) ٣٦٥ - ٣٦٦
 سلامة بن غوي (ج) ١٥٨
 سلامة ذا فائش (ج) ٣٥٧ ، ٥٧١ ،
 - ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٨٢٩
 سلج (سليج) (ج) ٢٥٢
 سلسلة بن برهام (ج) ٥٤٧
 السلف بن يقطن (ج) ٢٩٥ ،
 ٣٥٨ ، ٤٢٦
 سلفان (علهان) (ج) ١٦٧ - ١٦٩
 سلفية (ج) ٤٢٦
 السلكة (ج) ٣٨٧
 (ج) ٥٦٠
 سلكن (ج) ٢٢٧
 سلم (ج) ٦٨٢
 سلم اللات (ج) ١٦
 سلمى (ج) ٢٤٩
 سلمى بن ربيعة (ج) ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،
 ٤٢٩ ، ٦٣٤ ، ٨٧٨
 سلمى بن نوفل الكناني (ج) ٦٣٨ ،
 ٦٤٨
 سلمى ام رافع (ج) ٤٦٠
 سلمى بنت ابي سلمى (ج) ٥٤٢
 سلمى بنت اسد (ج) ٤٧٧ ، ٤٨٨ -
 ٤٨٩ ، ٥٣١
 سلمى بنت ظالم (ج) ٢١١ ، ٢١٤
 سلمى بنت عمرو (ج) ٧٣ - ٧٤ ،
 ١٣٦ ، ٤٠٥ ، ٥٦٤ ، ٥٩٨ ،
 ٦٣٦ ، ٦٥١
 (ج) ٥٥٤
 (ج) ٣١٥

- سلمى بنت كعب (ج) ٥٢٦
 سلمى بنت منصور (ج) ٤٥٥
 سلمى بنت وائل (ج) ٢٦١
 سلمى الهمدانية (ج) ٧٧٠
 (ج) ٣٦٩
 سلمان (ج) ٢٥٦
 (ج) ٧٨٩
 سلمان بن الحاف (ج) ٦٥٦ ، ٣٦٦
 سلمان الأعشى (ج) ٣٢١
 سلمان الفارسي (ج) ٣٠٤ ، ١٥٤
 (ج) ٣٦٥
 (ج) ٤٥٤ ، ٤٥٣ ، ٢٩٤
 (ج) ٤٦٨
 سلمة بن أبي حبة (ج) ٧٦٩
 سلمة بن حبش (ج) ٢٢٢
 (ج) ٨٩٩
 سلمة بن الحرث (الحارث) (ج) ٥٢٥ ، ٣٢٢
 (ج) ٢٢٧ ، ١٨٥ ، ١٦٨
 ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 - ٣٥٦
 (ج) ٤١٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠
 سلمة بن خالد (ج) ٤٩٢
 (ج) ٣٥١ - ٣٤٩
 سلمة بن خويلد (ج) ٣٤٧
 سلمة بن عمير (ج) ٤٥٧
 سلمة بن عياذ عباد (ج) ٢٠٣
 سلمة بن غيلان (ج) ٧٢٨
 سلمة بن الفضل (ج) ٦١١
 سلمة بن قيس الجرهمي (ج) ٢٤٠
 سلمة بن مالك (ج) ٤٣٨ ، ٢٥٨
 (ج) ١١٩
 سلمة بن مرة بن همام (ج) ٣٣٥
 السلمي (ج) ٥١٨
 سلمى بن حنظلة السحيمي (ج) ٢١٧
 (ج) ٩٨
- سلهم (ج) ٢٧١
 سلوقس بيقاطور (ج) ٢٢ ، ٣٣ ، ٦١٩ ، ٦٢١
 سلوقيوس الثاني (ج) ٣٢
 (ج) ٤٩٥
 سلول بن عمرو (ج) ٤٤١
 سلول بن كعب (ج) ٥٣١
 سليح بن خلوان (ج) ٦٥٦
 (ج) ١٠٣ - ١٠٤ ، ٣٢٣ ، ٣٩٢
 (ج) ٤٢١ ، ٤٢٣
 سليح بن عمران بن الحاف (ج) ٣٦٦
 سليح بن عمرو (ج) ٣٩٢
 سليط بن سعد (ج) ٢٠١
 سليط بن عمرو (ج) ٢١٣
 (ج) ٥٢٧
 سليط بن يربوع (ج) ٥٢٩
 (ج) ٣٦٦ ، ٩٥
 السليك بن السلكة (ج) ٣١١ ، ٤١٢
 (ج) ٣٩٢ ، ٣٨٧ ، ٣٣٧
 ٣٩٦
 (ج) ٨١٤
 (ج) ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٥٦٠ ، ٦١٠ ، ٦٠٨ ، ٦٠٦ ، ٦١٢ ، ٦٢٢ ، ٦٢٠ ، ٦١٨
 ٦٤٦ - ٦٤٨ ، ٩٠٨
 سليك بن شقيق الاسدي (ج) ٤٢٠
 السليك بن عمير السعدي (ج) ٦٢٠
 السليل بن قيس (ج) ٢٠٦
 سليم بن عباد (ج) ٤٠٥ ، ٥٢٥
 (ج) ٢٨٩ ، ٢٤٧
 سليم بن عمرو (ج) ٤٢
 سليم بن فهم (ج) ٤٣٨
 سليم بن منصور (ج) ٥١٠ ، ٥١٦

- سليمان احمد حزين (ج ١) ٤٨٠
 سليمان الصائغ (ج ٣) حا ١٧٢
 سليمان الليثي بن اكيمة (ج ٦) حا
 ٦٨٦
 سليمة بن مالك بن فهم (ج ١) ٣٧٣
 (ج ٣) ١٦٨ ، ١٧٧ - ١٧٨
 سماك بن حرب (ج ٩) ٢٦٧ ، ٥٨٥ ،
 ٧٧١
 سماك بن خرشة الانصاري (ج ٤)
 ٥٩٣
 (ج ٦) ٥٥٣
 سماك بن عتيك (ج ١) ٩٣ ، ٣٥٨ ،
 ٤٠٥
 (ج ٤) ١٣٧
 سماك اليهودي (ج ٦) ٥٦١ ، ٥٨١
 (ج ٩) ٧٨٧ - ٧٨٨
 سميروتس (ج ٣) ٤٥٦
 سمخض (ج ٧) ٢٢٤
 سمرة بن جندب (ج ١) ٢٢٤ ، ٤٦٣ ،
 ٥٢٥
 (ج ٨) ٥٩٦
 سمسي (ج ١) ٥٨٥
 السمط بن الاسود (ج ٤) ١٩٨
 السمع ذبيان (ج ٢) ٩٤ ، ١٣٩ -
 ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٦ - ١٦٧
 السمع نبط (ج ١) ٣٣١
 (ج ٢) ١٠٧
 سمعان (ج ٣) ٢٤ ، ٢٠٤
 (ج ٦) ٤٦٧ ، ٥٨٨ ، ٦١٤ ،
 ٦٨٦
 السمعاني (ج ٣) حا ٢٠٤ ، ٤٦٤
 (ج ٨) حا ٢٥٤
 سمعي افق بن سمه يفع (ج ٢) ٤١١
 سملقة (ج ٣) ٣٨٨ - ٣٨٩
 (ج ٦) ٧٦٠ ، ٧٦٩
 السمناني (ج ٨) ٩٦ - ٩٧ ، ٩٩
 سمه امر بن هلكم (ج ٢) ٣١٨
 سمه على ذرح (ج ٢) ١٧٧ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٩ - ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦
- ٥١٨
 (ج ٦) ٢٥٩ ، ٦٨٦
 سليمان (ج ٢) ٢٦٣ - ٢٦٥ ، ٤٢٢ ،
 حا ٤٤٢ ، ٥٣٣ - ٥٣٤
 (ج ٣) ٧٧ - ٧٩ ، ٨٥ ، ١٢٨ ،
 ٣٦٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦
 (ج ٦) ٣٩٨ ، ٤٨١ ، ٥٣٨ ،
 ٥٤٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨ - ٥٧٩
 ٦٠٣ ، ٦٧٠ - ٦٧١ ، ٦٨٥ -
 ٦٨٦
 (ج ٨) ٢٠٣
 (ج ٩) ١٣٣ ، ٣٧٧ ، ٥٧٠ ،
 ٧٥٥ ، ٧٧٤ ، ٨٢٥
 سليمان بن ابي حتمه القرشي (ج ٦)
 حا ٦٨٦
 سليمان بن الحارث (ج ٦) حا ٦٨٦
 سليمان بن داوود (الحكيم) (ج ١)
 ٧٤ ، ٨٥ ، ١١٩ - ١٢١ ،
 حا ١٧٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٧ ،
 ٣٣٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩ ، ٥٠٤ ،
 ٦٣٦ - ٦٤١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٨
 (ج ٤) ٢٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٩
 (ج ٥) ٣٩٥ ، حا ٤٢٣ ، ٤٣١
 ٤٣٢ -
 (ج ٦) ٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢٩٦ ،
 ٧٠٨ ، ٧٢٢ - ٧٢٣ ، ٧٨٩
 (ج ٧) ١١٦ ، ١٣٣
 (ج ٨) ٣٤٠
 سليمان بن ربيعة (ج ٨) ٣٤٤ ، ٣٤٦
 سليمان بن صرد (ج ٦) حا ٦٨٦
 (ج ٨) ٥٩٦
 سليمان بن عبد الملك (ج ٧) ٢٤٠
 (ج ٩) ١٧٧ ، ٢٨٤ ، ٣٤٣ ،
 ٣٨١
 سليمان بن عمرو (ج ٦) ٦٨٦
 سليمان بن مسهر (ج ٦) حا ٦٨٦
 سليمان بن نوفل (ج ٥) ٥٠٤ ، ٦٣٨
 (ج ٦) ٦٨٥
 سليمان بن هاشم (ج ٦) حا ٦٨٦

- سمير (ج) ١٣٨ ، ٤٥٠
 (ج) ١٣ ، ٧٢٠ ، ٧٢٨
 سمير بن أدكن (ج) ٧٨٩
 سميع بن ناكور (ج) ١٨٢
 السميع أشوع (ج) ٥٠
 (ج) ١٦٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٦ -
 ٥٩٧
 (ج) ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٤٦٠ ،
 ٤٧٢ - ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٨
 ٤٩١ - ٤٩٢ ، ٥١٩
 (ج) ١٧١ - ١٧٣ ، ١٧٥ ،
 ٥٣٩
 سميف ذي الكلاع (ج) ١٩٣
 سنام بن معد (ج) ٣٩٢ ، ٣٨٩
 سنان بن أبي حارثة المري (ج) ٢١٠ - ٢١٤ ،
 (ج) ٥٢٤
 (ج) ٣٩٧ ، ٥٠٤ ، ٦٣٨ ،
 ٦٤٥
 (ج) ٧١٣ ، ٧١٥
 سنان بن سمي بن خالد (ج) ٣٧٦
 سنان بن مالك (ج) ٤٨٧
 سنان بن مرة (ج) ٥١٢
 سنان بن مفروق (ج) ٥٩٣
 سنان الاهتم (ج) ٨٨٤
 سنبس (ج) ٣٧١
 ستروس (ج) ٦١٧
 سنحاريب (سنحريب) (ج) ٥٦٢ ،
 ٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٥٩١ - ٥٩٢ ،
 ٥٩٧ ، ٦٠٩ ، ٦٤٥
 (ج) ٢٧٨ - ٢٧٩
 (ج) ٦٢ - ٦٣
 (ج) ٣٤٢
 سنان (ج) ٥٥٥
 سنادريون (ج) ١٢٤ - ١٢٥
 السندري بن يزيد الكلابي (ج) ٤٩٦
 السندوي (ج) ٣٠٧ ، ٣٠٩
 ٣٨٢ - ٣٩٥ ، ٤٦٩ ،
 ٣١٧ ، ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ٣٤٩ ،
 ٣٩١ ، ٣٥١
 سمه علي ونر (ج) ١٧٩ - ١٨٢ ،
 ٢٢٣ - ٢٢٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣
 سمه علي بنف (ج) ٢٧٣ - ٢٧٥ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٣٠١
 ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٢١ -
 ٣٢٤ ، ٣٤٧ - ٣٥٠ ، ٣٥١
 (ج) ٢١٠
 (ج) ٥٣
 سمه كرب بن كرب (ج) ٣١٨
 سمه كرب ذو ثورنن (ج) ٣١٨
 سمه يفع (ج) ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٦
 ٤١٠ - ٤١١ ، ٤٨٠ ، ٤٩٣
 سمهر (ج) ٤٢٥
 سمهرم يهول (ج) ٣٧٦
 السهودي (ج) ١٢٤
 (ج) ٢٦٨
 السموال بن عاديا (ج) ٣٦٧ -
 ٣٦٩ ، ٣٧٤ - ٣٧٨ ، ٤١٠ -
 ٤١١
 (ج) ٤٠٤
 (ج) ٤٥١
 (ج) ٥٢٨ - ٥٢٩ ، ٥٦١ ،
 ٥٧٠ - ٥٧٣ ، ٥٧٥ - ٥٨١
 (ج) ٣٧٢
 (ج) ١٥١ ، ١٨٢ ، ٥٣٠ ،
 ٦٨٥ - ٦٨٦ ، ٧٦٩ ، ٧٧٢
 ٧٧٩ ، ٧٨٢
 سمونيدس (ج) ٢٠٠
 سموي بن تلمي (ج) ٢٥١
 سمي (ج) ٢٨٩
 سمية (ج) ٤٩٩
 (ج) ١٠٦ ، ١٢٢ ، ٤٣٣
 (ج) ٤٩١ ، ٥٦٠
 السمدع أشوع (ج) ٣٦١ ، ٣٨٧
 السمدع بن هوثر (ج) ١٠٤ ،
 ٢٤٧
 (ج) ١٣ ، ٤٤٠

- (ج) ٢٢٠ ، ٢٦٠ -
 ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠
 (ج) ١٩ ، ٢٧ ، ٦٨ ، ٧١
 (ج) ٤٢٣ ، ٤٣٢ - ٤٣٣
 (ج) ١٤٨ ، ٤٦٤ ، ٥٥٥
 (ج) ٢٦١ ، ٢٦٩ ،
 ٣٠٦ ، ٦٤٣
 سنطروق (ج) ٦١٠ - ٦١٥ ، ٦١٧
 سف مناة (ج) ٣٢٠
 سلبط الحوروني (ج) ٦٤٦
 ستمار (ج) ٢٦٨
 (ج) ٢٠٠
 السندريم (ج) ٥٥٢
 سنوك هرغونية (ج) ١٣٠
 سني بن سني بن مخن (ج) ٢٢٦
 السهر (ج) ٣٠٧ ، ٣٠٩
 سهل (ج) ٤٠٤
 سهل بن ثيبان (ج) ٥٠٠
 (ج) ١١٢
 سهل بن عمرو (ج) ٤٠٥ ، ٤٤٤
 (ج) ٦١ ، ٣٨٠ ، ٤٨١
 (ج) ٧٧٠
 سهم بن معاوية (ج) ٤٩٥
 سهم بن هصيص (ج) ٧٣
 سهمك بن سعد (ج) ٣٦٩
 سهيل (ج) ١٤٣ - ١٤٤
 سهيل بن عمرو (ج) ١٠٩ ، ٣٩٦ ، ٤٢١
 (ج) ١٣٥ ، ٣٠٨
 (ج) ٨٧
 (ج) ٩٣ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ٣٠٤
 (ج) ٨٦٣
 السهيلي (ج) ١٢٠ ، ٣٩٤
 (ج) ١٧٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ،
 ٢٧٥ ، ٤٤٧
 (ج) ٧ ، ٨٢ ، ٨٨ ،
 ١٣٦ ، ١٤٤ ، ٤١٥
 (ج) ٥٢٩
 (ج) ٢٥٢
 (ج) ٥٧٤
- (ج) ٤٠٨ ، ٥١٤ ، ٦٧٩ ،
 ٧٠٣
 السوابنت الاعيس (ج) ٦٣٦
 (ج) ٥٥٤
 سواء بن عامر (ج) ٥٢٠
 سواد بن جذيمة بن دراع (ج) ٨
 ٣٧٨
 سواد بن قارب اللوسي (ج) ٥١٤
 (ج) ٧٦٥ ، ٧٦٨
 (ج) ٧٢٨ ، ٧٤٥
 (ج) ٩٠٨
 سواد بن يسلم (ج) ٧٠
 سواده (ج) ٤٣٧
 سواده بن ابي خازم (ج) ٢٣
 سواده بن الحطيئة (ج) ٨٨٣
 سواده بن عدي (ج) ٦٧٨
 سوار بن المضرب (ج) ٧٩١
 سوارى (ج) ٤٤٠
 سوتيلس (ج) ٣٢
 سود (ج) ٣٦٧
 (ج) ٥٧٣ - ٥٧٤
 (ج) ٤٣٧
 سوداء بنت زهرة بن كلاب (ج) ٦
 ٧٧١ ، ٧٦٤
 سودة بنت زهرة (ج) ٨٩ ، ٩٢
 سودة بنت عك (ج) ٣٩٥
 (ج) ٤٦٩
 سورينا (ج) ٦٤٣
 سوزوين (ج) ٥١٤
 (ج) ١٢٧
 سوزومينوس (ج) ٦٣
 (ج) ١٠١
 (ج) ٦٥٤
 سوزيموس (ج) ٦٣ ، ٤١٠
 السوس بن سام بن نوح (ج) ١٨
 سوموس (ج) ٢٢٢
 سوهومس (ج) ٤٤٣
 سويبط بن حرمة (ج) ٣٧٦

سيار بن صمصمة (ج) ٥٢٠	سويد بن ابي كاهل (ج) ٣٠٧
سيار بن عمرو الفزاري (ج) ٢١٤ ، ٢٥٤	(ج) ١٧٦
(ج) ٥١٢ - ٥١٤ ، ٥٧٢	(ج) ٤١٨
سيبخت (ج) ٢١٢ - ٢١١	(ج) ١٥٦ ، ٢٤٣ ، ٥٤٠ ، ٨٨٢
سيبخت بن ذكر (ج) ١٩٧	سويد بن خذاق (ج) ٢٤٦ - ٢٤٧
سيبخت مرزبان (ج) ٦٩٤	٢٦١
سيبويه (ج) ٢٧٧ ، ١٤٧	(ج) ١٦١
(ج) ١١٧	(ج) ٦٩٢
(ج) ١٦٧ ، ٥٦٤ ، ٥٨٤ ، ٧٣٧ ، ٦٦١	سويد بن ربيعة (ج) ٥٠٤ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧
(ج) ٣٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧	سويد بن الصامت (ج) ٣١٨
٣٩١ ، ٢١٩	(ج) ٢٢٦
سيتزن (ج) ١٢٥	(ج) ١١١ ، ١١٦ ، ١٩٢ ، ٢٨٨ - ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٧٦٦
سيحان (ج) ٣٧١	(ج) ٣٣٣ ، ٧١٩
(ج) ٣٣٣	سويد بن عامر (ج) ١٥٧ ، ٤٦٣ ، ٥٠٠
سيحون (ج) ٦٦	(ج) ٤٩١
السيد (ج) ٣٦٦	سويد بن عبدالله بن دارم (ج) ٢٥١
(ج) ٢٥٠	سويد بن عدي (ج) ٦٧١
سير جيمس فريزد (ج) ٥٢٠	(ج) ٢٢٤
السير ريشارد برتن (عبدالله) (ج) ٢٣٥ ، ١٣٠	سويد بن قطبة (ج) ٢٢٣
سيرين أبو محمد بن سيرين (ج) ٢٩٧ ، ١١٠	سويد بن كراع العكلي (ج) ٢٣٣ ، ٨٧٧
سيف بن ذي يزن (ج) ٥٩٧	سويد بن مسعود (ج) ٦٤٥
(ج) ٤٨٧ ، ٥٢٢ - ٥٢٥ ، ٥٢٧	سويد بن المنذر (ج) ٢١٠
(ج) ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ٤١٨ ، ٥٥٧	سويد بن هرمي (ج) ٥٨٢
(ج) ٥٤	(ج) ٢٨ ، ٨٤
(ج) ٤٦٣ ، ٤٨٨ ، ٧٦٥	(ج) ٥٨١
(ج) ٢١٢	السويدي (ج) ٣٠٣ ، ٣٢٢
(ج) ٧٥٢ ، ٧٥٨ - ٧٥٩	(ج) ٢٧٥
سيف بن عمرو (ج) ٨٨٥ ، ٨٩٩	(ج) ٤١ - ٤٢ ، ٤٥
سيفيروس الكسندر (ج) ٦٨	٥٥ ، ١٣٦ ، ٣٨٠ ، ٤٩٥
سيكفريد لندر (ج) ١٢٩	سويس سيبخت (ج) ٤٨
السليل (ج) ٤٠٢	سويروس اسكندروس (ج) ٦٨
سيلاس (ج) ٦١٤	(ج) ٦٣ - ٦٤ ، ٧٠

،٤٧٤ ، ٤٦٥ — ٤٦٣ ، ٤٥٩
 — ٤٩٥ ، ٤٩٢ ، ٤٨٤ — ٤٨١
 ٥٠٨ ، ٤٩٦ — ٤٩٨ ، ٤٩٦
 ، ٥٢١ ، ٥١٩ ، ٥١٢ ، ٥١٠
 — ٥٣٥ ، ٥٣٣ ، ٥٣١ ، ٥٢٨
 — ٥٤٤ ، ٥٤١ ، ٥٣٩ ، ٥٣٦
 ، ٥٦١ — ٥٥٨ ، ٥٥٤ ، ٥٤٧
 ، ٥٨٤ ، ٥٨٢ ، ٥٧١ ، ٥٦٨
 — ٥٩٤ ، ٥٩١ ، ٥٨٨ — ٥٨٧
 — ٦٤١ ، ٥٩٩ — ٥٩٧ ، ٥٩٥
 — ٦٦٦ ، ٦٦٣ ، ٦٥٩ ، ٦٤٣
 ، ٦٧٧ — ٦٧٥ ، ٦٦٩ ، ٦٦٧
 ، ٧٢١ ، ٧٠٧ ، ٦٩١ ، ٦٨٨
 — ٧٣٦ ، ٧٣٤ ، ٧٣٠ — ٧٢٩
 — ٧٤٥ ، ٧٤١ — ٧٤٠ ، ٧٣٨
 ، ٧٦٦ ، ٧٥٠ ، ٧٤٨ ، ٧٤٦
 ، ٧٨٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٥ ، ٧٧١
 ، ٨٠٥ — ٨٠٤ ، ٨٠٠ ، ٧٩٦
 ، ٨٢٤ — ٨٢٣ ، ٨١٨ ، ٨١٣
 ، ٨٤٨ ، ٨٣٤ ، ٨٣٢ ، ٨٢٦
 — ٨٦٥ ، ٨٥٩ ، ٨٥٦ — ٨٥٤
 — ٨٧٣ ، ٨٧١ — ٨٦٨ ، ٨٦٦
 ، ٨٨٢ ، ٨٨٠ — ٨٧٦ ، ٨٧٤
 ٨٨٤

سيمورس (ج) ٢٠٠ .
 السيوطي (ج) ٣٠٠ — ٥١١
 (ج) ٥٢٨
 (ج) ٥٨٠ ، ٦٤١
 (ج) ٥٨٦ ، ٦٤٣ ، ٦٤١
 ٦٤٥ ، ٧١٠
 (ج) ٥٤٥
 (ج) ١١٨ ، ٢٨٤ — ٢٨٥ ،
 ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ٥٤٧
 ٥٥٦ ، ٥٧١ ، ٥٩٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢
 — ٦٠٩ ، ٦٠٦ ، ٦٠٤
 ٦١١ ، ٦١٤ — ٦١٦ ، ٦١٦
 ٦٢٠ ، ٦٦٣ — ٦٦٤ ، ٦٦٩
 ٦٦٧
 (ج) ١٨ ، ١٤ ، ٧ ، ١٩
 ٢٣ ، ٢٩ — ٣١ ، ٥٢ — ٥١
 ٥٥ ، ٨٣ ، ٨٨ — ٨٩ ، ١٢٠
 ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٤
 ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ —
 ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤
 ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٣١٥
 ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣
 ٣٦١ ، ٣٨٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦

— الشين —

شاذول (ج) ٢٤٧ ، ٤٣٥ — ٤٣٦ ،
 ٤٤٣
 (ج) ١٣
 (ج) ٥٧٥
 شابت ابن عليان (ج) ٣٦٩
 الشايشي (ج) ٣٠٢
 (ج) ٥٩٩
 شاس بن زهير (ج) ٤٨٤ ، ٥١٠
 ٥١٥
 (ج) ٣٥٨

- شأس بن عبدة (ج ٣) ٢١٣ ، ٢٤٠ -
 ٤٠١ ، ٢٤١
 (ج ١١) ١١١ ، ٤٦٩
 شأس بن عدي (ج ٦) ٥٤٦
 شأس بن قيس (ج ٤) ١٣٧
 (ج ٦) ٥٤٦
 الشافعي (ج ٥) حا ٢٦٨
 (ج ٦) ٧٧٤
 (ج ١٩) ٥١ ، ٤٣٠
 شالف (ج ١) ٤٢٤ - ٤٢٦
 شاهان (ج ٣) ٢٨٩
 (ج ٨) ١٠٩
 الشاهد (ج ٤) حا ٤٦٨
 شاهنتاه (ج ٤) ١٦٠ ، ١٦٢
 (ج ٦) ٦٢٨ - ٦٢٩
 شبا (ج ١) ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٤٦ ،
 ٤٥٧ - ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١
 (ج ٤) ٥٣٧
 شبابه (ج ٤) ٤٣٨
 (ج ٩) ٦٣٧
 شبام بنت صحرار (ج ٨) ٢٠٦
 شبت بن ربيع الرياحي (ج ٨) ٧٥٩
 شبدن (ج ١) حا ١٧
 شبرنكر (ج ١) ١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢٣١ ،
 ٣٠١
 (ج ٢) ١٨ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ،
 ٥١١ ، ٤٠١ ، ٧٧
 (ج ٤) ٣٤١ ، ٤٦٠
 (ج ٦) ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧
 (ج ٨) ٣١٨ ، ٣١٩ - ١٠٤
 شبق بن ضمرة (ج ١٣) ٢٨٣
 شبل (ج ١) ٣٦٩
 شبيب بن دريم (ج ٤) ٤٢٣ ، ٤٣٧
 شبليل بن ورقاء (ج ٩) ٩٠٧
 شتير بن خالد (ج ٥) ٣٧٩
 شتيم بن خويلد (ج ٥) حا ٥٢٠
 شجاع بن وهب الاسدي (ج ٣)
 ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥
- ٢٤١ (ج ٤)
 ٢٨٦ (ج ٥)
 ٢٤٣ ، ٤١٦ (ج ٧)
 ١٣٥ (ج ٨)
 شجبان (ج ١) ٣٥٩ ، ٢٦٣
 شخربت (ج ٤) ١٩٩ -
 التخييص بن وائل (ج ١) ٥٢٦
 (ج ٤) ٤٨٨
 الشداح (ج ٥) ٦٢٨
 شداد بن الاسود (ج ١) ٢٨٧
 (ج ٦) ١٢٦ ، ١٤٦ ، ٤٥٩
 (ج ٩) ٥٥٨ - ٥٥٩ ، ٨٩٩
 شداد بن عاد (ج ١) ٣٠٤ ، ٣٦٤ -
 ٣٦٥ ، ٥٠٤
 (ج ٢) ٥٣٩
 شداد بن عارض الجثمي (ج ٦)
 ٢٣٤
 (ج ٩) ٤٦٧
 شداد بن عبدالله القناني (ج ٣)
 ٥٣٧
 (ج ٤) ١٨٩
 شر حثت اشوع (ج ٢) ٢٩٧ ،
 ٤٠٩ ، ٥٦٥
 الشر يحمل (ج ٢) ٤٨٢
 شراحيل بن أصهب (ج ٥) ٤٠٨ ،
 ٤٦٧
 شراحيل بن جبلة (ج ٣) ٤٢٦ ،
 ٤٤٧
 شراحيل بن الحارث (ج ٢) ٥٣٥ ،
 (ج ٣) حا ٢٠١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦
 (ج ٤) ٤٤٨
 (ج ٦) ١٦
 شرادر (ج ١) ٥٨٢
 (ج ٢) ١٢٣
 (ج ٣) ٢٥ - ٢٦
 الشرح بن سمه على ذرح (ج ٢)
 ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩
 الشرح بن سمه على ينف (ج ٢)
 ٣٥٠

- الشرف (ج) ٤٠٤
الشرقي بن الفطامي (ج) ٢٥٦
(ج) ١٦٢ ، ١٦٨ ، ٣٣٤ ، ٧٨٢
شروخ (ج) ٤٥٠
شروكين (ج) ٥٥٤ ، ٥٦١
شريح بن أوس (ج) ٤٦٧
شريح بن حصن (ج) ٣٧٧
(ج) ١٧٧
شريح بن السموال (ج) ٣٧٥ - ٣٧٦
(ج) ٥٧١ ، ٥٧٦ ، ٥٨٠
(ج) ٧٧١ ، ٧٧٥ ، ٧٧٨ - ٧٧٩
شريح بن عبد كلال (ج) ١٨٠ - ١٨١
(ج) ١٤١
شريح بن عمران (ج) ٥٧٠ - ٥٧١
(ج) ٧٧٠ - ٧٨٦
شريح بن عمرو الكلبي (ج) ٣٧٦ - ٣٧٧
(ج) ٥٢١
شريح بن مالك القشيري (ج) ٥٠٩ ، ٤٢٣ ، ٣٧٧
الشريد بن سويد (ج) ٤٨٥ ، ٤٩٢
(ج) ٦٤
الشريف الرضي (ج) ١٥٨
الشريف المرتضي (ج) ٢٤٦
(ج) ١٠٠ ، ١١١
(ج) ٨٦ ، ٢٠٠ ، ٣١٤ ، ٣٩٩ ، ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٦ ، ٥٨١ ، ٦٣٠ ، ٦٦٤ ، ٦٨٣ - ٦٨٤ ، ٦٩١ ، ٨٢٩ ، ٩٠٣ - ٩٠٤
شريفة (ج) ١٣٥
شريك بن مطر (ج) ٢٣٨
- (ج) ٣٧٦
نرين (سيرين) (ج) ٧٤١ ، ٧٤٥
شظاظ (ج) ٦٠٦
نعب بن حي (ج) ٣٦٨
نعبه بن الحجاج (ج) ٥٨٥
نعبه بن غريض (ج) ٧٦٩ - ٧٧٠ ، ٧٨٠ ، ٧٨٢
الشعبي (ج) ٩٦ ، ١١٨ ، ١٦٨ ، ٢٢٣ ، ٥٧٣ ، ٧٨٣
(ج) ٢٢ ، ٢٨١ - ٢٨٤
الشعفاء الكاهنة (ج) ٣٦٩
شعر أوتر بن علهان (ج) ٤٦ ، ٣٥٧
(ج) ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ - ٣٧٨ ، ٣٨٠ - ٣٨٩ ، ٤١٧ ، ٤١٩ - ٤٢٢ ، ٤٢٤ - ٤٢٦ ، ٤٤٠ - ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠١ - ٥٢٣ ، ٥٢٨
(ج) ٣١٦ ، ٤٥٤
(ج) ٢٣١ - ٢٣٢
(ج) ٦٧٤ - ٦٧٥
شعوب (ج) ٨٩٩
شعيب (النبي) (ج) ٧٧٧
(ج) ٤٤٧
شعيب بن ذي مهلم (ج) ٨٤
شعيب بن ذي مهرغ (ج) ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٨٨
شعيب بن مسعود (ج) ٤٦١
(ج) ١٦٥
شعية بن أبي معاصر (ج) ٣٢٧
شعية بن غريض (ج) ٥٧٠ - ٥٧١ ، ٥٨٠
الشعيراء (ج) ٥٢٥
الشفاء بنت عبدالله (ج) ١٣٧
شفطيا بن مهليل (ج) ٥٢٦
شق بن ضمرة (ج) ٦٤٢ - ٦٤٣
(ج) ٧٣٦ ، ٧٦٠ ، ٧٦٥

- سمر ناران لهيعة (ج ٢) ٢٢٢
 سمر دي الجناح (ج ٣) ٢٢٧
 سمر ذي ريدان (ج ٢) ١٥٤ ، ٤٣٣
 — ٤٣٧ ، ٤٣٩ — ٤٤١ ، ٤٤٣
 ٥٢٠ ، ٥٥٠
 (ج ٣) ٢٨٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥
 سمر علن (ج ٢) ١٦٧
 سمر يهرعش (ج ١) ٤٩ ، ١٧١ ،
 ٤٩٩ ، ٥٠٤
 (ج ٢) ١٤٩ ، ١٥٣ — ١٥٤ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٤٨٦ — ٤٨٧ ،
 ٤٩٣ — ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٥٢٠ ،
 ٥٢٢ ، ٥٢٤ — ٥٢٥ ، ٥٢٨ ،
 ٥٣١ — ٥٣٣ ، ٥٣٥ — ٥٤٣ ،
 ٥٤٥ — ٥٤٧ ، ٥٤٩ — ٥٥٩ ،
 ٥٦٩ ، ٥٧٦
 (ج ٣) ١٩٠ ، ١٩٣ — ١٩٤ ،
 ٣١٧ ، ٤٥٦ — ٤٥٧ ، ٤٨٣ ،
 ٥٣٥
 (ج ٤) ٢٧٨
 (ج ٥) ٢٢٢ ، ٦١٤ — ٦١٥ ،
 ٦٢٤ — ٦٢٥
 (ج ٧) ١٣٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٢ ،
 ٣٦٨ ، ٤٩١
 (ج ٨) ٥١٥ ، ٥١٧
 سمر يهرعش الثالث (ج ٢) ٥٢٨ ،
 ٥٤٨ ، ٥٩٩
 سمر يهرعش الثاني (ج ٤) ٥٢٨ ،
 ٥٣٢
 سمران (ج ١) ٣٧١
 سمردي الجناح (ج ١) ٣٣٨
 شمس (ج ١) ٥٧٩ ، ٥٨٨ ، ٦٠٥
 (ج ٢) ٢٧٨
 (ج ٣) ١٩٤ ، ٤٣٩
 (ج ٤) ٦٢٠
 (ج ٧) ٦٠٨
 (ج ٩) ٦٤٦
 شمسي (ج ١) ٥٧٧ — ٥٧٨
 شمسي — شوم — اوكن (ج ١) ٦٠٠
- (ج ٨) ٣٦٥ — ٣٦٦ ، ٧٤٠ ،
 ٧٩٣
 شق بن مصعب (ج ٦) ٧٦٦
 شفران السلاماني (ج ٨) ٣١٣
 شقرة (ج ١) ٤٠٢
 الشقيقة (ج ٣) ٢١٨
 سفيلت (شقيقة) (ج ٣) ٤٢ ، ٤٨ ،
 ٥٢
 (ج ٧) ٤٩٤
 شك (ج ١) ٣٩٢
 شكسبير (ج ٨) ٢٠٤
 شكم اللات (ج ٦) ١٦ ، ٢٣٣
 شكيم سلحن بن رضون (ج ٢) ١٣٢
 — ١٢٤ ، ١٥٥
 شكيب الاموي (ج ٧) ١٢٢
 الشلف الكبرى (ج ١) ٩٢
 شلمان ذو نعمة (ج ١) ٥٧٤
 شلمنصر (ج ١) ١٦ ، ٤٥٦ ، ٥٧٤
 — ٥٧٦
 شلوتسر (ج ٨) ٥٢٥
 الشليل بن مالك (ج ٤) ٤٤٦
 الشماخ بن ضرار (ج ٦) ٥٥٢
 (ج ٧) ٥٢٤
 (ج ٨) ٢٧٦ ، ٢٩٣
 (ج ٩) ٦٩ ، ٢٤١ ، ٣٨١ ،
 ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٩٤ ، ٨٤٦ ،
 ٨٨٠ ، ٨٨١ — ٨٨٩
 شمان (ج ٣) ٧٥
 شمت جشم بن لذن (ج ٢) ٢٤٨
 شمع بن فزارة (ج ١) ٤٠٤
 (ج ٤) ٥١٢
 (ج ٥) ٣٧٦
 شمدر يهنم (ج ٢) ٤٨٢ ، ٤٨٨ ،
 ٤٩٥
 شمر بن الحارث الضبي (ج ٦)
 ٧٢٥
 شمر بن ذي الجوشن (ج ٥) ٢٦٩
 شمر بن عمرو (ج ٣) ٢٣٠ — ٢٣٢
 شمر بن يزيد (ج ٣) ٢٣١

الشهاب القري (ج) ١٦٢
 الشهابي (ج) ١٠٢
 شهاب بن وحاطه (ج) ١٨٢
 شهر بن بادن (ج) ٥٢٨
 شهر بن معمر (ج) ٥١٠ - ٥١٢
 شهر ايمن (ج) ٤٨٦
 شهر بجل بن بدع اب (ج) ٢٠٠
 - ٢٠١
 شهر ذي يناف (ج) ١٩٣
 شهر علان (ج) ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٢٣٩ -
 شهر هلال بن ذرا كرب (ج) ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٣٧
 (ج) ٤٧٣ ، ٦٢٤
 شهر هلال بن يدع اب (ج) ١٨٢ - ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ - ٢٣٩
 (ج) ٢٣١
 شهر هلال يهرحب (ج) ٢٢٢ - ٢٣٨ ، ٢٣٥
 شهر هلال يهقيض (ج) ١٨٥ ، ٢٢٦ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ ، ٤٧٠ ، ٥٢٢
 شهر هلال يهنعم (ج) ١٨١ - ١٨٤ ، ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ٢٣٣
 شهر يجر (ج) ٥١٤
 شهر يجل يهرحب (ج) ٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٢٥ ، ١٨٠ ، ١٨٤ - ١٨٥ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٠٥ - ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ - ٢٣٩
 شهر يجل يهنعم (ج) ٢٣٣ - ٢٣٧ ، ٢٣٩
 شهر يهرعش (ج) ٢٨١ ، ٤١٦ ،

٦٠٢
 سمعون (ج) ٦١٢
 سمعون بن جابر (ج) ٢٨٤
 (ج) ٥٩٧ ، ٦٨٦
 سمعون الارشامسي (ج) ٦٣ ، ٨٥
 (ج) ٥٤٩
 (ج) ١٧٣ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٤٦٤ - ٤٦٦
 (ج) ٦٣٢
 سمعون التيماني (ج) ٥٢٨ ، ٥٤٠ ، ٦٤٦
 سمعيان بن دلايا (ج) ٧٦٦
 شمس (ج) ٧٦٦
 شمويل بن زيد (ج) ٥٢٤
 شميلة (ج) ١٣٨
 شن بن اقصي (ج) ٤٠٧
 (ج) ٤٧١ ، ٤٨٣ - ٤٨٤
 شن بن عبد القيس (ج) ٤٨٣
 شنانر (ج) ٥٠٥
 الشناوي (ج) ٥٠٧
 الشنفرى (ج) ٢٨
 (ج) ٤١٢
 (ج) ٣٩٢
 (ج) ٣٨ ، ١٤١ ، ٢٧٥ - ٢٧٦
 (ج) ١٠٤ ، ١٦١ ، ٢٢٦ ، ٣٢٢ ، ٣٦١ ، ٣٩٩ ، ٤٤٥ ، ٥٣٤ ، ٦٠٥ - ٦٠٧ ، ٦٠٩ ، ٦١١ - ٦١٢ ، ٦٢٢ ، ٦٣٦ - ٦٣٨ ، ٦٤٢ - ٦٤٠ ، ٨٢٨
 الشنقناق (سيطان) (ج) ١٢٠
 الشنقيطي (ج) ١٢٠
 (ج) ١٠٠ ، ٥٢٠ ، ٦٧٦
 (ج) ٨٢٢ - ٨٢٦ ، ٨٣٠ ، ٨٨٠
 شنكلن (ج) ٢٢٧
 شنوق (ج) ٧٦٠ ، ٧٧٠
 شهاب بن عبد قيس (ج) ٢٢٦ ، ٢٧٤

- ٤٢٣
شهران بن عفرس (ج) ٤٤٤ - ٤٤٥
(ج) ٣٥٣
شهران ناهس (ج) ٣٧٤
(ج) ٣٥٥
شهل بن شيبان (الفند) (ج) ١٠٤ ، ٦٦٩
شهر براز (ج) ١٣٤
الشهر سناني (ج) ٦٠١
شهرم بن والم (ج) ١٤١
شهيل (ج) ٤٣٦
(ج) ١٦
الشهيد العاملي (ج) ٣١٥
سوارتز (ج) ٦٧٢
الشوجم (ج) ٣٦٧ - ٣٦٨
شوح (ج) ٤٤٦
شورخ (ج) ٤٤٩
الشورى (ج) ٣٦٠
شوشن (ج) ٢٠٥
شوعن (ج) ٥٤٣ ، ٥٤٥
شوقي ضيف (ج) ٥٧٢ ، ٥٧٦
٥٧٦ ، ٥٨٥ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠
٦٤٢ ، ٦٥٨
(ج) ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٣٠٥
٣٦٢ ، ٤١٩
٥٣٥
الشوكاني (ج) ٥٤٨ ، ٥٥٢
(ج) ٢٣٦
(ج) ٢٨٩
شوكر (ج) ٢٢٣
شولس (ج) ٧٥٦
شويس الساسي التميمي (ج) ٣٢٨
شيبان بن ثعلبة (ج) ٤٠٨
(ج) ٣٣٠
(ج) ٥٧٥ ، ٣٣٥
شيبان بن جابر (ج) ٢٤٢
شيبان بن ذهل (ج) ٣٣٠
- ٥٠٣ (ج)
شيبان بن وائل (ج) ٤٨٩
شيبان النهدي (ج) ٣٩٧
شيبعة بن ربيعة (ج) ٢٧
(ج) ٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٦٠٧
(ج) ٣٨٥
شيبعة بن عثمان (ج) ٤٠١
(ج) ١٩١
(ج) ٢٥١
(ج) ٤٤٤
شيث بن ربيعي (ج) ٦٥ ، ٧٠
الشيخ خالد (ج) ٤٦٣
شيخو (لويس) (ج) ٢٤٥ ، ٣٣٠
٣٨٤ ، ٣٣٠
(ج) ٤٨٤ ، ٥١٥
(ج) ٣٥٦
(ج) ١١٠ ، ٤٦٧ ، ٤٨٥
٥٠١ ، ٥٧٢ ، ٥٨٦
٥٨٨ ، ٦٠٧ ، ٦١٦
٦٤٨ - ٦٤٩ ، ٦٦٥
٦٦٦ ، ٦٧١ ، ٦٨٨
(ج) ١٥٠ ، ٧٤٣ ، ٧٧٧
٨١٢
شيراز (ج) ٦٥٠
شيرويه بن ابرويز (ج) ٢٩٩ ، ٣١٢
٥٢٨ ، ١٧٨ (ج)
شيرويه بن كسرى (ج) ٣٠٨
شيش (ج) ٦٥٦
شيشرون (ابي التاريخ) (ج) ٥٧
الشیطان (ج) ٢٨٤
(ج) ٧٠ ، ٧٣٠ - ٧٣١
الشیظم بن الحارث الفساني (ج) ٦٣٣ ، ٦٨٦
شیع اللآت (ج) ٤٢٤ - ٤٢٥
(ج) ٢٢٣
شیع الله بن اسد (ج) ٣٦٧
نیلا الجاثليق (ج) ٢٢٠
شیم - ایل (ج) ٣٣١
شیمیم (ج) ٤٠٢

— الصاد —

الصاحبي (ج) ٦٤٥	٥٢٠ (ج) ٥٢٠
(ج) ١٣٧ ، ٢٢٣ —	(ج) ٦٩٣
٢٢٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ —	صباح (ج) ٤٠٧
٢٦٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ،	(ج) ٤٨٣
٦١٠	(ج) ٧٨٨
(ج) ٨٠٥	صبح (ج) ٩٩
(ج) ٩١	صبحم (ج) ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠
الصاغاني (ج) ١٤٩ — ١٥٠ ،	صبح (ج) ٤٠٢
٤٣٩	صحار بن خولان (ج) ٣٦٨ — ٣٦٩
(ج) ٢٨٤	(ج) ٤٦٨ ، ٢٦١
(ج) ٢٧٢	صحار بن العباس العبدي (ج) ٨
(ج) ٣١٥	٣٢٣ ، ٣٥٩ ، ٧٨٢
(ج) ٣٢١ ، ٤٥٤	(ج) ٣٤٧ ، ٣٠٨
صاف بن صياد (ج) ٧٣٤ ، ٧٦٧	صحار بن عياش (ج) ٧٦٣
صالح بن عبد الرحمن (ج) ٢٦	صحب بن جيش (ج) ٤٣٧ — ٤٣٨
صالح بن عبد القدوس (ج) ٣١٤ ،	صحر بنت لقمان بن عاد (ج) ٤
٣١٨	٦٢٥
صالح بن عدي (ج) ٤٦٠	(ج) ٤٩٨ ، ٦٣٨ — ٦٣٩
صالح بن الهميع بن ذي ماذن (ج) ١	(ج) ٣٥١ ، ٣٤٤
٢٩٩ ، ٣٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٨٨	صحرا (ج) ٣١٧
٥٠٢ ، ٤٩٢	صخر بن حرب (ج) ٤٠٧
(ج) ٤٥	صخر بن عمرو (ج) ٥٢٦
(ج) ٣٩ — ٣٨	(ج) ٢٥٥ ، ٧٩
(ج) ٦٠٨ ، ٨٣	(ج) ٣٩٦ ، ٣٦٣
صالح أحمد العلي (ج) ٦٩٤	(ج) ١٠٦ ، ١٥٠ ، ٢٨٢ ،
(ج) ٥١٣ ، ٢٨٦	٨٧٦ ، ٥٢١
الصالحاني (ج) ٤١٥	صخر بن قيس (ج) ٦٤٣
الصاوي (عبدالله اسماعيل) (ج) ١	صخر بن يعمر (ج) ٥٠٤ ، ٦٣٨
٢٩	صخر النفي المزني (ج) ٦١٣
(ج) ٦٠	صخر النفي الهذلي (ج) ٦١٦ ،

صعب بن اسد (ج) ٤٣٣
 الصعب بن جثامة (ج) ٣٥١
 صعب بن دومان (ج) ٣٦٧ ،
 ٣٧١ ، ٤٠٨ ، ٥٠٣
 (ج) ٤٤٩
 صعب بن سعد (ج) ٤٤٦ ، حا
 ٤٥٤ ، ٤٥٧
 صعب بن علي (ج) ٥٠٠
 صعلة بن معاوية (ج) ٣٥١
 صعصعة بن صوحان (ج) ٣٣٢ -
 ٣٣٣ ، ٧٨٣
 صعصعة بن معاوية (ج) ٤٠٥
 (ج) ٥٠٨ ، ٥١٩ - ٥٢٠
 (ج) ٤٨٧
 صعصعة بن ناجية (ج) ٩٦ - ٩٧
 ٥٥٧
 (ج) ٤٤٧
 صغير بن عامر (ج) ٥٠٣
 الصفدي (ج) ٦١٠
 (ج) ١٩٩ ، حا ٦٤٠
 صفوان بن اسيد (ج) ٥٦ ، ٢٨١
 صفوان بن امية (ج) ١٢١ ، ٢٢٤
 ٦٧١ ، ٢٢٤
 (ج) ١٣٥ ، ٢٤٩ ، ٥٨٩ ،
 ٦٢٨ ، ٦٤٨
 (ج) ٢٢٤ ، ٦٠٥
 (ج) ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤٤٣
 (ج) ٣٠٤ ، ٤٩٩
 (ج) ١١٢ ، ٧١٦ ، ٧٦٣ ،
 ٨٩١
 صفوان بن الحارث (ج) ٤٤
 (ج) ٦٥٣
 صفوان بن شجنة (ج) ٤٠٣
 (ج) ٥٢٥
 صفوان بن صفوان (ج) ٢٠٦
 صفوان بن عبدالله بن صفوان (ج) ٦٠٠
 صفوان بن المعطل (ج) ٧٤١
 صفورة (ج) ٤٥٣

٨٧٣ ، ٦٤٩
 صخره بنت عمرو (ج) ٣٦٧
 (ج) ٦١٢
 صدى بن مالك (ج) ٤٠٣
 الصدف بن اسلم (ج) ٣٨٢ ،
 (ج) ٤٦٤ - ٤٦٥
 الصدف بن حمير (ج) ٤٦٥
 الصدف بن الدمون (ج) ٣١٥
 الصدف بن ديسع (ج) ٤٦٥
 الصدف بن سهلة (ج) ٤٦٥
 الصدف بن عمرو (ج) ٤٦٥
 الصدف بن مالك (ج) ١٩٩
 الصدف بن مرتع (ج) ٤٦٥
 صدق ايل (ج) ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ -
 ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٤ -
 ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٦٦ - ١٦٧
 ١٦٩
 صدق زخر (ج) ١٤٦ ، ١٥٢
 صدق يد (ج) ١٥٨
 صدق يصب (ج) ٣٣٠ - ٣٣٤ ،
 ٣٤١ ، ٣٥٠
 صرافة بن عوف بن الاحوص (ج) ٧٠٣
 صرد بن عبدالله (ج) ١٨٤ ، ٦٥٧
 صرمة بن ابي انس (ج) ٤٦٢ ،
 ٥٠٤
 (ج) ٥٤٥
 صرمة بن مرة (ج) ٤٠٥
 (ج) ٢٨٠ ، ٥٠٨
 (ج) ٢١٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢
 صرمة الانصاري (ج) ٢٧٠
 (ج) ٨٢٤
 صريم بن ضبة (ج) ٥٢٣
 صريم بن غني (ج) ٥١٥
 صريم بن معشر بن ذهل (ج) حا
 ٣٠٧ ، حا ٣١٤ ، ٤٠٢
 (ج) ٢٥٦
 (ج) ١٠٣ ، ٨٢٦
 صريهو معد كرب (ج) ٤٥٠

- صفية بنت الحضرمي (ج ١) ٣٧٢ ،
(ج ٦) ٤٧٥ ، ٥٦٤
صفية بنت حبي (ج ٥) ٢٥٨ ، ٢٦٦ ،
٥٣٠
(ج ٩) ٧٧٢ ، ٧٧٨
صفية بنت عبد المطلب (ج ٩) ٤١١ ،
٧٣٦
صفية بنت هشام (ج ٦) ٢٦٢
صفر (ج ٤) ٦٥٧
الصقعب بن عمرو النهدي (ج ٣)
٢٨٣
(ج ٤) ٥٩٥
(ج ٨) ٣٦٥ - ٣٦٦
صغير (ج ٤) ٦٥٧
صلاة (ج ١) ٣٧٢
(ج ٤) ٤٥٩
الصلت بن أمية (ج ١) ٤٠٠
(ج ٦) ١٣٢
صلصل بن أوس (ج ٥) ٦٥٣
(ج ٨) ٤٧٦
صلمناع (ج ١) ٤٥٥
صلوبا بن بصبري (ج ٢) ٦٥٠
صلوبا بن نسطونا (ج ٢) ٦٥٠
صليب ابنة بتاويل (ج ١) ٤١٨
صليح بن عبد غنم (ج ٣) ٣٩٣
(ج ٥) ٤٣٦
الصمة بن الحارث (ج ٥) ٣٧١ ،
٣٨٢
(ج ٩) ٨٦٩
الصمة القشيري (ج ٥) ٣١٣
صموئيل (ج ١) ٣٤٧
- (ج ٣) ١١٠ ، ١١٨ ، ٢٧٨
(ج ٦) ٥٧٩
(ج ٧) ٤٧٧
الصموت بن عبدالله بن كلاب (ج ٩)
٤٩٥
الصميل بن الاعور الكلابي (ج ٥)
٣٥٤
صنبل (ج ٩) ٤٥٩
صنح بن الحارث (ج ٣) ١٦٧
صنع (ج ٢) ١٩٧
الصهباء بنت حرب (ج ٣) ٣٨٢
(ج ٤) ٢٣٤
(ج ٨) ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧١
صهبان بن ذي خرب (ج ٣) ٣٣١
صهبان بن محرث (ج ٣) ٣٣٢
صهيب (مؤذن الرسول) (ج ٨) ٧٨٩
- ٧٩٠
صهيب الرومي (ج ٤) ١٠٢ ، ١٢٢ ،
٤٨٧
(ج ٦) ٦٠٥
صوفة (ج ٤) ٤٣ - ٤٤
الصولي (ج ٨) ١٠٢ ، ١٥٤ ،
١٥٧ ، ٣٠٥ ، ٣١١
(ج ٩) ١٦
صيحان بن صوحان (ج ٨) ٧٨٣
صيد ابرد بن مشن (ج ٢) ١٦١
(ج ٣) ٤٧٩
صيدوج (ج ٤) ١٤٥
صيفي (ج ١) ٣٦٣

— الضاد —

- ضابيء بن الحارث (ج) ٦٧٦
(ج) ٢٤٦ ، ٨٧٧ — ٨٧٨
ضب (ج) ٤٠٦ ، ٥٢٦
الضباب بن كلاب (ج) ٥٢١
ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب
(ج) ٣٧٥
ضباعة بنت عامر (ج) ٣٥٨
ضبة بن أد (ج) ٣٩٩ ، ٤٠٢ ،
٥٢٦
(ج) ٢٧٥
(ج) ٣٢٢ — ٣٢٣ ، ٣٢٨ ،
٥٢٣ ، ٥١١
(ج) ٤٢١ ، ٣٥١
الضبع (ج) ٣٦٦
الضبي (ج) ٥٣٨
ضبيب (ج) ٢٤٨
ضبيس بن أبي عمرو (ج) ١٥٧
ضبيس بن حزام (ج) ١١٣
ضبيعة بن اسد (ج) ٣٣٩
ضبيعة بن ثعلبة (ج) ٣٣٥
ضبيعة بن الحارث (ج) ٣٤٠
ضبيعة بن ربيعة (ج) ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
٥٢٦
(ج) ٣٣٩ ، ٢٢٤
ضبيعة بن زيد (ج) ٥١٠
ضبيعة بن عجل (ج) ٣٣٩
ضبيعة بن فريد (ج) ٣٤٠
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة (ج) ٣٣٩ ، ٥٠٣
ضيلة بن ربيعة (ج) ٤٠٦
- ضبيبة بن غني (ج) ٥١٥
ضجعم بن حماسة (ج) ٣٩٤ —
٣٩٥
ضجعم بن سعد (ج) ٤٢٤
(ج) ٥٨٧ ، ٥٩٢
الضحاك بن سفيان الكلابي (ج) ٢٦٥
(ج) ٤٤٦
الضحاك بن عبد الله السلمي (ج) ٢٥٨
الضحاك بن علوان (ج) ٣٠٤ ،
٣٨٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ — ٥٠٠
٥٠٤
(ج) ٥٣١
الضحاك بن قيس (ج) ٥٣٥ ،
٦٤٣
الضحاك بن مزاحم (ج) ٢٧٩
الضحاك بن معد (ج) ٣٩٢
(ج) ٤٦٩
الضحيان (ج) ٤٤٣
ضرار بن الأزور (ج) ٢٢٢ ، ٣٨٨
(ج) ٨٦٧ ، ٨٩٩
ضرار بن الأسود الاسدي (ج) ٢٧٥
ضرار بن الخطاب (ج) ١١١ ،
٤٠٠
(ج) ١٠٩
(ج) ٣٨
(ج) ٢٥٣ ، ٦٩٦ ، ٧٠٦ ،
٧٠٨ ، ٧١١ — ٧١٢ ، ٧٣٦ ،

٧٤٧ ، ٧٣٨
 ضرار بن ربيعة (ج) ٨٤٦
 ضرار بن عمرو (ج) ٤٠٢ ، ٥٠٦
 (ج) ٢٧٥ - ٢٧٦
 (ج) ٥٢٣ ، ٥٧١
 (ج) ٣٥١
 (ج) ٦٨٣
 ضرغام (ج) ٥٢٥
 ضريبة بنت ابرهة بن الصباح (ج)
 ١٨٣ - ١٨٢
 ضرية بنت ربيعة بن نزار (ج)
 ٤٢١
 (ج) ٢٦٩
 (ج) ١٥٠
 ضعينة بن هاشم (ج) ٤٨١
 ضماد بن ثعلبة (ج) ١٨٥ ،
 (ج) ٣٨١ ، ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٧٤٢
 ضمام بن ثعلبة (ج) ٦١٣ ، ٦٢١
 (ج) ١٢٨ ، ١٨٣
 ضمام بن جشم (ج) ٤٤٨
 ضمام بن مالك السلماني (ج) ١٨٦
 ٤٦٤
 ضمرة بن بكر (ج) ٢٧٦
 (ج) ٥٣٢ ، ٥٩١
 (ج) ٣٥١
 (ج) ٤٠٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥
 ضمرة بن ضمرة (ج) ٢٨٣
 (ج) ٣٥٩ ، ٣٧٨ ، ٤٩٨ ؛
 ٦٤٢ ، ٦٣٧
 (ج) ٣٥١ ، ٣٦٦ ، ٧٤٠
 ضمرة بن لبيد (ج) ٣٥٣
 ضمضم بن عمرو (ج) ٢٩١
 ضنة (ج) ٣٦٦ ، ٤٠٨
 (ج) ٥٠٢
 (ج) ٤٨٩
 الضهياء بنت حرب (ج) ٤٦٥
 الضيزن (ج) ٤٠٤
 الضيزن بن معاوية التنوخي (ج) ٢
 ٦١٤ - ٦١٨

- الطاء -

طابخة بن الياس (ج) ٣٩٧ ، ٤٠٢
 (ج) ٤٧٦ ، حا ٥٢٩
 (ج) ١٤٦
 طابخة بن لحيان (ج) ٥٣٤
 طارق أبو عميرة (ج) ٣٦٩ ، ٥٢٥
 (ج) ٢٢٦
 (ج) ٤٧٢
 طاش كبري زاده (ج) حا ٧٥٦ ،
 حا ٧٥٨
 طالب بن أبي طالب (ج) ٧١٣
 طالوت (ج) ٥٧٥
 الطاهر بن أبي هالة (ج) ١٩٢ ،
 ١٩٥
 طاووس (ج) ٥٥٧ ، ٦٥٧
 طاووس دبيت رومون (ج) ٢١٦
 الطبراني (ج) ٤٦٩
 (ج) ٢٧٩
 الطبرسي (ج) حا ٥٠٧ ، حا ٥١٦
 (ج) حا ١١ ، حا ١١١ - ١١٢ ،
 حا ١٥٢

٥٣٢ - ٥٣٤ ، ٥٣٨ -
 ٥٣٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧٥ -
 ٥٧٩ ، ٥٨٧ ، ٥٩١ -
 ٥٩٢ ، ٦١٨ ، ٦١٥ ، ٦٣٤ ،
 ٦٣٨ - ٦٤٢ ، ٦٤٤ ،
 ٦٤٦ - ٦٥١
 (ج٣) ٧ ، ٤٣ ، ٤٤ -
 ٦٩ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ،
 ٩٣ - ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٥٨ ، ١٦١ ،
 ١٦٤ ، ١٦٨ -
 ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ،
 ١٧٨ - ١٨٩ ، ١٩٣ -
 ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ -
 ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ -
 ٢٢٤ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ -
 ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ -
 ٣٠١ ، ٣٠٥ - ٣٠٦ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٣٣٤ ،
 ٣٣٦ - ٣٤٠ ، ٣٥٧ ،
 ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤٢٧ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ،
 ٤٤٧ - ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
 ٤٧٠ ، ٤٨١ - ٤٨٢ ،
 ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥٠٧ ،
 ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ،
 ٥٢٣ - ٥٢٥ ، ٥٢٧ -
 ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ،
 ٥٣٦ - ٥٣٧ ،
 (ج٤) ١١ ، ١٤ ، ١٦ ،
 ٢٣ - ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ -
 ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٠ - ٤٥ ،
 ٥٢ - ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٢ ،

(ج٥) ٩ ، ٨٣ ، ١٩٣ ،
 ٣٠٤ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ،
 ٥٤٦ ، (ج٦) ١٩٠ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ،
 ٢١٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٠ - ٢٦٦ ، ٣٥٨ ،
 ٣٨١ ، ٤٢٩ ، ٤٤٩ -
 ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٦ ، ٥٦٠ ، ٦٩١ ،
 ٧٠١ ، ٧٤٤ ، ٧٥٨ ،
 (ج٨) ١٠٠ ، ٢٨٥ ،
 ٤٩٦ ، ٥٠٢ ،
 الطبري (ج١) ٥٢ ، ٧٦ -
 ٧٧ ، ٧٩ - ٨٠ ،
 ٨٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ -
 ١٥٨ ، ٢٢٤ ، ٢٨١ -
 ٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ،
 ٣١٥ ، ٣١٩ - ٣٢٣ ،
 ٣٣٣ - ٣٣٥ ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٤٤ -
 ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ -
 ٣٦١ ، ٣٥٥ - ٣٧٥ ،
 ٣٧٦ ، ٣٨١ - ٣٨٨ ،
 ٣٨٧ ، ٣٩٠ - ٣٩٤ ،
 ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤١١ ،
 ٤١٧ - ٤٢١ ، ٤٢٧ -
 ٤٢٨ ، ٤٣٢ - ٤٣٥ ،
 ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ،
 ٤٤٥ - ٤٥٣ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٣ ، ٤٧٠ - ٤٧١ ،
 ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥٤٧ -
 ٥٤٨ ، ٥٦٣ ، ٦٠٧ ،
 ٦١١ ، ٦٢٢ ، (ج٢)
 ١٦ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٩١ ،
 ١٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ،
 ٤٢١

٢٤١ ٢٧٢ ٢٦٧
 ٤٩ ٣٥ ٢٤٣
 ٤٣٣ ٤٣١ ٤١١
 ٤٤٩ ٤٤٠ ٤٣٩
 ٤٧٢ ٤٥٢ ٤٥١
 ٥٠٢ ٤٨٢
 ٥٢٤ ٥٢٣ ٥٠٩
 ٥٣٧ ٥٣٠ ٥٢٩
 ٥٦٣ ٥٦٠ ٥٥١
 ٦٠٠ ٥٩٥ ٥٦٤
 ٦١٧ ٦١١ ٦٠٨
 ٦٩٢ ٦٢٢
 ٧٣٠ ٧١٢ ٧٠٢
 ٧٤٤ ٧٤٠
 ٧٧٨ ٧٧٠ ٧٦٥
 ١٥٢ ١١٦ (٧٤)
 ٢٨٢ ٢٧٣ ٢٥٩
 ٢٩٧ ٢٩٢ ٢٩١
 ٣٠٤ ٢٩٩
 ٣٣٩ ٣١٧ ٣٠٨
 ٣٤٩ ٣٤٨ ٣٤٠
 ٣٥٦ ٣٥٤ ٣٥٢
 ٣٦١ ٣٥٩
 ٣٧٦ ٣٧٢ ٣٧١
 ٤٤٠ ٤٣٠ ٤٢١
 ٥٩٧ ٤٥٧ ٤٤١
 ٩٥ ٩٣ (٨٤)
 ١٢٠ ١١٠ ١٠٣
 ٢٥٠ ١٣٥ ١٢٦
 ٢٧٤ ٢٦٠ ٢٥٩
 ٢٩٧ ٢٩٥ ٢٩٢
 ٣٦٨ ٣٢٧ ٣٠١
 ٣٨٣ ٣٨١
 ٤٧٢ ٤٥٨ ٤٢٨ ٣٩٣
 ٤٨٢ ٤٨٠ ٤٧٣
 ٥٣٩ ٤٩٩ ٤٨٧
 ٥٩٥ ٥٨٧ ٥٦٢ ٥٤٣
 ٦٠٨ ٦٠١ ٦٠٠ ٥٩٦
 ٦٤٦ ٦٤٥ ٦٤٣ ٦٢٥

٧٢ ٧٠ ٦٦ ٦٤
 ١٠٨ ٨٢ ٧٦
 ١١٢ ١١١ ١٠٩
 ١٣١ ١٢٤ ١٢٢
 ١٥٥ ١٥٤ ١٣٤
 ١٧٨ ١٦٢ ١٦١
 ١٩١ ١٨٨ ١٨١
 ٢٠١ ١٩٤ ١٩٢
 ٢٠٩ ٢٠٦ ٢٠٥
 ٢٢٠ ٢١٧ ٢١٥
 ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢١
 ٢٣٠ ٢٢٨ ٢٢٧
 ٢٣٦ ٢٣٤ ٢٣١
 ٢٤٤ ٢٤١ ٢٣٩
 ٢٥١ ٢٤٩ ٢٤٨
 ٢٦٠ ٢٥٦ ٢٥٣
 ٢٦٧ ٢٦٤ ٢٦٢
 ٣٧٧ ٣٢٥
 ٤٦٧ ٤٥٤ ٤٤٥
 ٤٨٦ ٤٧٤
 ٦١٣ ٥٤٤
 ١٥٦ ١٦ (٥٤)
 ١٩٩ ١٩٨ ١٩٣
 ٢٠٦ ٢٠١
 ٢٨٤ ٢٥٠ ٢٢٤
 ٢٩٠ ٢٨٨
 ٣٠٦ ٣٠٥ ٢٩٤
 ٤٣٣ ٣٩١ ٣٦٣
 ٤٥٢ ٤٤٧
 ٥٦٤ ٥٢١ ٥٢٠
 ٦٤١
 ٦٢ ٢٥ ٢٤ (٦٤)
 ٩٤ ٩٢ ٩٠
 ١١٣ ٩٩ ٩٦
 ١٩٣ ١٩٢ ١٤٣
 ٢٣٩ ٢٣٤ ٢٠٠
 ٢٤٤ ٢٤٢ ٢٤٠
 ٢٤٩ ٢٤٧ ٢٤٥
 ٢٦٦ ٢٥٨ ٢٥١

- ٤٩٢ ، ٤٨٣
(ج) ٢٥٢
(ج) ٢٢٧ ، ٥١٤
(ج) ١٢٩
(ج) ٢٢٧ ، ٣٥٢ ، ٧٢٩
(ج) ٣١١ ، ٣٣٧ ، ٢٤٩ ،
٥٤٠ ، ٦٧٧
طريف بن نعيم (ج) ٥٧١
(ج) ٣٦٩
(ج) ٤٧٣
طريف بن عيسى (ج) ٥٠٥ ، ٥١٦ ،
٥٣٠
طريف بن عمرو (ج) ٣٦٩
طريف بن فهم (ج) ٢٠٧ ، حـ
٤٣٣ ، ٤٣٨
طريقة الكاهنة (ج) ٧٦٠ ، ٧٧٠
(ج) ٣٦٩
طسم (ج) ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٣٣٤ -
٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٨
طعيمة بن عدي (ج) ٣٨
الطفاوة بنت جرم بن زبان (ج) ١
٤٠٤
(ج) ٥١٤
طفيل (ج) ٦٥٠
الطفيل بن زلال (ج) ٧٤
طفيل بن زيد (اللجلاج الحارثي)
(ج) ١١٣
(ج) ٤٣٢ ، ٤٨٣ ، ٧٧٥
طفيل بن عمرو الدوسي (ج) ٥١٥ ،
٦٥١
(ج) ٥٦٠
(ج) ٢٧٤ ، حـ ٦٧٥
(ج) ٨٥٢
طفيل بن عوف الفنوي (ج) ٣٠٧
(ج) ٢٨٣
(ج) ١١٠
(ج) ٣٦٦
الطفيل بن مالك (ج) ٣٥٩ ، ٣٧١ ،
٣٩٦ ، ٣٧٣
- ٦٦٥ - ٦٦٦ ، ٦٨٢ - ٦٨٤
حـ ٧٥٣ ، ٧٥٨ ، ٧٦٠
٧٦٢ - ٧٦٣ حـ ٧٦٠
(ج) ٣٧ ، ١١ حـ ٦٦ ،
حـ ٦٧ ، حـ ٦٩ ، حـ ١٥٥ -
٣٩٤ ، ٣٩١ ، حـ ١٥٦ -
٣٩٥ ، ٥٠٠ ، حـ ٥٥١ -
٧٥٨ ، ٧١٥ ، ٦٨٣ ، ٥٥٢ -
٧٥٩ ، ٧٨٥ ، ٨٤٥ ، ٨٦٣ ،
٨٦٧ ، ٨٨٣
طبريوس (ج) ٢٧٧
طخيم بن أبي الطخماء (ج) ٥٨٤
طرفه بن نعيم (ج) ٣٨٤
طرفه بن العبد (ج) ٣٠٦ ، ٣١٨
(ج) ٢٤١ - ٢٤٦ ، ٢٥٨
(ج) ٥٠٣ ، ٥٥٣ ، حـ ٥٦٤ ،
٦٣١ ، ١٧٩ ، ٦٨٥
(ج) ٢٢ ، ٧٢ ، ١٥٣ -
١٥٤ ، حـ ١٦٤ ، حـ ٣٣٨
(ج) ٦٨٤ ، ٧٨١ ، حـ
٧٩٧ ، ٨١٠
(ج) ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
٥٢٦ ، ٥٣٨ ، ٦٠١
(ج) ٢٨٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ،
٣٧٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦
(ج) ١٠١ ، ١١٤ ، ١٤٨ ،
١٦١ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ،
٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ،
٣٤٥ ، ٣٦٨ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ،
٤١٧ ، ٤٣٣ ، ٤٤٥ ، ٤٦٠ ،
٤٧٥ - ٤٧٧ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ،
٥٠٦ ، ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ٥١٣ ،
٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥ ،
٥٤١ ، ٥٦٥ - ٥٦٦ ، ٥٩٧ ،
٦٥٩ ، ٦٦٣ - ٦٦٦ ، ٦٧٢ ،
٦٧٣ ، ٦٧٦ ، ٧٩٧ - ٧٩٨ ،
٨٠٠ ، ٨٣١
الطرماح بن حكيم (ج) ٣٠٧ ،

طه حسين (ج ١) حا ٧٠
 (ج ٨) ٦٢٢ - ٦٣٥ ، ٦٤٠ ، ٦٤٤
 (ج ٩) ٦٣ ، ٢٥٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٣٦ ، ٥٣٥ ،
 حا ٥٨٣ ، ٧٦٩
 طهفة بن زهير النهدي (ج ٥) ٣١١
 طويبا العبد العموني (ج ١) ٦٤٦
 الطوسي (ج ٦) حا ١٩٤
 (ج ٩) ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٥٢
 طويس (ج ٤) ٦٥٧
 (ج ٥) ٤٥
 (ج ٩) ١٥٦
 طيء بن ادد (ج ٤) ٣٣٤ ، حا ٤٥٠
 (ج ٦) ٣٥١
 طيباريوس (ج ٣) ٤٣ - ٤٥ ، ٨٦ ،
 ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، ٤١٤ ، ٤١٦
 (ج ٦) ٥٩٢ ، ٦٣٣ ، ٦٦٣
 طيزانيس (ج ٢) ٦١٨
 طيطس (ج ١) ٥٥
 طيطوس (ج ٦) ٥٢٤
 طيم (ج ١) ٣٧٥ ، ٤٣٤
 طيموثاوس (ج ٦) ٦١٩ ، ٦٣٠

الطميل الدوسي (ج ٩) ٧٨
 الطفيل الفنوي (ج ٩) ١٠٤ ، ٢٦٧ ،
 ٣٣٦ - ٣٣٧ ، ٣٤٩ ، ٥٤١ ، ٧٩٦
 طلحة بن ابي طلحة (ج ٥) ٣٨
 طلحة بن خولد (ج ٤) ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٥٣٤
 (ج ٨) ٧٨٨
 طلحة بن عبيد الله (ج ٧) ٣١١ ، ٤٤٣
 (ج ٨) ١١٩ ، ١٢٨ ، ٣٨٨
 طلحة النمري (ج ٦) ٩٤
 طلق بن علي (ج ٤) ٢١٧
 (ج ٩) ٧٩٣
 طليحة الاسدي (ج ١) ٢٨١
 (ج ٤) ١٨٣ ، ٢١٧ ، ٢٥٥
 (ج ٧) ٣٣٩ ، ٣٤٧
 (ج ٨) ٧٦٢
 (ج ٩) ٦٩ ، ٨٦٦
 الطماح (ج ٣) ٣٦٧ ، ٣٧١
 (ج ٩) ٥٢١ ، ٥٢٣
 الطموح بنت دارم (ج ٩) ٤٦٤
 طه الحاجر (ج ٤) حا ٩٨
 (ج ٩) ٤١٧

— الظاء —

طباية بن مرشد السدوسي (ج) ٤٤	ظاينة (ج) ٥٢٥
٢٢٤	ظالم بن أسعد (ج) ٢٢٥ ، ٢٤١ —
ظفر (ج) ٤٠٥ ، ٤٠٧	٢٤٢ ، ٤٤٤
ظليم (ج) ٤٠٣	ظالم بن فزارة (ج) ٥١٢
٢٥١ (ج) ٣	(ج) ٤٥
(ج) ٣٢٧ ، ٣٧٥	ظالم بن وهب (ج) ٩٣ ، ٣٥٨ ،
ظوليم (مانع الحرم) (ج) ٢١	٤٠٤ ، ٥٢٥
(ج) ٣٠٣ (٥)	(ج) ٣٢٥
	ظليم انقف بن حلطم (ج) ٣٧٤

— المين —

عائشة بنت أبي بكر (ج) ٢٨١	عائد بن فهم (ج) ٥٠٧
(ج) ٥١٩ (٣)	عائد بن حلوان (ج) ٣٦٦
(ج) ٢١٢ ، ٢٩٤	(ج) ٤٢٤ ، ٤٢١
(ج) ٣٢ ، ٥٢ ، ١٠٥ ، ١١٨ ،	عائد اللات (ج) ٢٣٣
١٤٠ ، ١٢٦	عائد الله بن سعد (ج) ٤٠٧
(ج) ٢٨٢ ، ٥٦٠ ، ٧٩٨ ،	(ج) ٤٥٤ ، ٤٥٧
٨٢٢	(ج) ١٦ ، ١٨
(ج) ٢٣٩ ، ٣٠٨ ، ٣٥١ ،	(ج) ٤٦٢
٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٥١٨ ، ٦٠١ ،	عائدة (ج) ٤٠١ — ٤٠٢
(ج) ٢٧٣ ، ٤٨٠ — ٤٨٢ ،	(ج) ٤٨٣
٧١٠ — ٧١١	عائش بن مالك (ج) ٣٣٢
(ج) ٣٠ ، ٢٤٤ ، ٢٧٩ ،	(ج) ٤٨٨ ؛

- عدياء بن حياء (ج ٣) ٢٧٥
 (ج ٦) ٥٧١ ، ٥٧٧ - ٥٧٦
 (ج ٩) ٧٧١ - ٧٧٢ ، ٨٢٤ ، ٨٧٥
 عادية (ج ١) ٦٠١
 (ج ٤) ٥٢٠
 عاذر بن جشم (ج ٣) ٤٨
 عارف الشاعر (ج ٦) ٧٦٨
 عارم (ج ١) ٥٢٥
 عازر (ج ٦) ٥٤٦
 العاص بن سعيد (ج ٥) ٣٧
 العاص بن منبه (ج ٥) ٣٨ ، ٤٢٣
 العاص بن هشام (ج ٤) ١٢٥ ، ٥٦٧
 (ج ٥) ٣٧ ، ٦٢٦
 العاص بن وائل (ج ٤) ٨٤ - ٨٥ ، ٨٧ ، ١٢٥
 (ج ٥) ٣٨ ، ١٢٥ ، ٥٠٢ ، ٦٣٧
 (ج ٦) ١٢٦ ، ١٤٧
 (ج ٧) ١٩٢ ، ٢٩٥ ، ٤٤٦ -
 ٤٤٧ ، ٥٥٥
 (ج ٨) ٧٨٠
 (ج ٩) ٤١١ ، ٦١٩
 عاصم بن حارث (ج ١) ٣٥٩
 (ج ٤) ١٨٩ ، ٢٥٠
 (ج ٨) ١٢٥
 عاصم بن خليفة (ج ٥) ٤٤٦ ، ٥٥٧
 عاصم بن عمرو (ج ٣) ١٥٨
 (ج ٥) ١١٥
 (ج ٩) ٦٩ ، ٩٩
 عاصم بن النعمان (ج ٤) ٤٨٩ ، ٤٩٢
 العاصي بن عمرو (ج ٤) ٤٣٧
 العاض (العاصي) (ج ١) ٣٥٨
 عافية بن شبيب (ج ٩) ٣٠٢
 العال (ج ١) ٢٩٨
 عامر بن احيمر السعدي (ج ٤) ٥٢٥
 ٥٩١
 عامر بن الاسود (ج ٤) ٢٢٢ ،
 ٢٨٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٦ ، ٧٤٢ ، ٨٨١ ، ٨٧٧
 عائشة بنت سعد (ج ٨) ١٢٨
 عائشة بنت طلحة (ج ٩) ٨٩٣
 عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)
 (ج ٣) ٢٠٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٦
 (ج ٦) ١٠١ ، ١٢٩ ، ٢٨٦
 ٣٧٨ ، ٤٤٦ ، ٧٢٥
 (ج ٨) ٢٨٣
 (ج ٩) ٥٦٨ ، ٧٩٠
 العائف الهبي (ج ٦) ٧٧٥
 (ج ٨) ٧٤٤
 عابد (ج ٤) ٤٢١ ، ٤٢٤
 عابر بن ارم (ج ١) ٩٦ ، ٣٢٤ ، ٣٥٥
 - ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤٨٨
 (ج ٢) ٢٦١
 عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن
 شالح بن ارفخشذ بن سام
 (ج ١) ٢٩٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٤١٧
 - ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٧
 عابر بن شالح (ج ١) ٣١٠ - ٣١١ ،
 ٣١٤ ، ٣٤٥ ، ٤١٨ ، ٤٩٨
 (ج ٨) ٢٠٠
 عائكة بنت زيد (ج ٦) ٤٧٦
 عائكة بنت عبد المطلب (ج ٤) ٨٠ ،
 ٨٢
 (ج ٨) ٢٧٥
 عائكة بنت مرة السلمية (ج ٤) ٧٠ ،
 ٤٨١ ، ٦٣٦
 (ج ٥) ٥٥٤
 عائكة بنت يخلد (ج ٤) ٤٧٩
 عاد بن عوض بن ارم (ج ١) ٢٩٤ -
 ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣
 ، ٤١٩ ، ٤٥٢
 (ج ٤) ٤٣٤
 (ج ٦) ٥٣٧
 عادة (ج ١) ٣٠١
 عادل (ج ٣) ٤٨٨

(ج) ٢١٣ ، ٢٧٥ ، ٣٣١ ،

٣٥٤ ، ٣٧٣ ، ٤٩٨

(ج) ١٤٥ - ١٤٦ ، ٢٥٢ ،

٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٣٣٤ ، ٤٠٦ ،

٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٥٠٨ ،

٥١١ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ،

- ٥٢٤

(ج) ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٢ ،

٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ،

٣٩٣

(ج) ٣٥٧ ، ٣٦٣ - ٣٦٦ ،

٣٧١

(ج) ٣٠٦ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢ ،

(ج) ٥٥٦

(ج) ٦٨ ، ٣٤٨ ، ٤٣٤ ،

٤٨٧ ، ٥٠٠ ، ٥٥١ -

٥٥٢ ، ٥٧٧ ، ٦١٧

عامر الضحيان (ج) ٣٤٧ ، ٤٨٧

(ج) ٢٦٦ ، ٥٠٥ ، ٦٣٨ ،

٦٥٠

عامر بن طفيل (ج) ٢٧٩

(ج) ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٦٨ ،

٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،

٣٦٣ ، ٥١٤ ، ٥٢١ ، ٥٧١ ،

٥٧٥ - ٥٩٠ ، ٥٩١

(ج) ٢٩ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ ،

٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ،

٣٩٦ ، ٤٤٥ ، ٤٩٨ ،

٥٦٤ ، ٦٤٥

(ج) ٤٥٥

(ج) ٥٥٦ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩

(ج) ٣٥٧ ، ٤١٦ - ٤١٧ ،

٤٣٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٦ ، ٥٤٧ ،

٥٥٢ ، ٥٧٧ ، ٥٩٥ ، ٦٣٦ ،

٦٧٢

عامر بن الظرب العدواني (ج) ١

٣٩٣ ، ٤٠٣

(ج) ١٤٦ - ١٤٧ ، ١٥٠ ،

٤٩٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ، ٦٧١

(ج) ١٣٠

عامر بن الاطنابة (ج) ١٤٠

عامر بن اعصر (ج) ٥١٤

عامر بن الاكوع (ج) ١٧٤

عامر بن بكر (ج) ٥٩٣

عامر بن ثعلبة (ج) ٤٣٥

(ج) ٤٠٨

عامر بن جدره (ج) ١١١ ، ١٦٠ ،

١٦٢

عامر بن جذيم (ج) ٦٧١

عامر بن جشم (ج) ٤٨٠ ، ٥٦٥

(ج) ٢١٩

(ج) ٧٢٥

عامر بن جوين الطائي (ج) ٣٢٧ ،

٣٦٩ - ٣٧٠ ، ٣٧٢ - ٣٧٣

(ج) ٤٠٦

(ج) ٦٢١

عامر بن حارثة (ج) ٤٣٥ - ٤٣٦ ،

٤٨٥

عامر بن الحرث (جران العود) (ج) ١

٤٨٩ - ٤٩٠

عامر بن الحضرمي (ج) ٦٠٤

عامر بن الحليس (ج) ٤٩٢ -

٤٩٣

عامر بن حمير (ج) ٣٧٠ ، ٤٠١

عامر بن حنيفة (ج) ٩٧

(ج) ٧٦١

عامر بن ربيعة (ج) ٣٧١ ، ٣٧٤ ،

٤٠٥ ، ٤٠٧ - ٤٠٨

(ج) ٥٢٠

عامر بن رهم بن هميم (ج) ٤٨٦

عامر بن سعد (ج) ٤٨٧

عامر بن سلمة (ج) ٤٦٥

(ج) ١٠٠

عامر بن سنان (ج) ١١٧

عامر بن شراحيل (ج) ٢٨١ ،

٢٩٦

عامر بن شهر (ج) ١٩٢

عامر بن صعصعة (ج) ٤٠٥

- ٢٦٩ ، ٤٠١
(ج) ٢٧ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ٤٨٠
(ج) ٦٢٣ ، ٦٥٠
(ج) ٤٧٣ ، ٧٥٤ ، ٧٦٠
عامر بن لحي (ج) ٥٣٠
عامر بن لقيم (ج) ٢٠٢
عامر بن ليث (ج) ٥٣٢
عامر بن مالك (ج) ٤٩٨
(ج) ٢٤٦ ، ٥٩١
(ج) ٣٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٨ - ٣٨٩
(ج) ٥٤٨ ، ٥٠٠
عامر بن مجاشع (ج) ٤٠٢
عامر بن مطر الشيباني (ج) ٣٠٧
عامر بن هاشم (ج) ٣٧ ، ٦٢
(ج) ٢٧٢
عامر بن وهب (ج) ٥١٥
عامر الاجدار (ج) ٢٤٠
(ج) ٢١٣ ، ٢٥٦ - ٢٥٧
عامر الاعور (ج) ٣٥٩ ، ٣٦٢
عامر التغلبي (ج) ٢٥١
عامر الجادر (ج) ٣٨ ، ٤٣٣
عامر ماء السماء (ج) ٣٨٨ ، ٣٩١
عامر المذمم (ج) ٢٢٦
عاملة (ج) ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٩٩ ، ٥١٦
(ج) ٢٤٥ ، ٤٧٧
عامي (ج) ٣٥٩
العباب ا حارثي (ج) ٤٠٨
عباد بن جلندي (ج) ٩٢ ، ٣٥٨
(ج) ٢٠٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢
عباد بن حذيفة (ج) ٤٠٨ - ٤٩٩
عباد بن الحصين (ج) ٦٨
عباد بن قلع (ج) ٤٩٧
عبادة بن الحارث (ج) ٩٧
(ج) ٧٦١
(ج) ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٣٨٥ ، ٤٠٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٤ - ٥٣٠ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٨ ، ٦٤٦
(ج) ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٤٦٣ ، ٥٠٥
(ج) ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٧٧٣
(ج) ٦٤٩
عامر بن عامر بن ثعلبة (ج) ١٣٤
(ج) ٥٢١
عامر بن عبد الله (ج) ٥٣٤
عامر بن عبد مناة (ج) ٤٠٤ - ٤٠٥
(ج) ٧٩ ، ٣٧٩ ، ٥٣٢
(ج) ٥٢٠
(ج) ٣٦٤
عامر بن عقيل (ج) ٢٠٣
عامر بن عكرمة (ج) ٢٦٨
(ج) ١٢٧
عامر بن عمران (ج) ٣٠١
عامر بن عتارة (ج) ٣٩
عامر بن عوف (ج) ٤٠٤ ، ٤٤٩ ، ٥٢٥
(ج) ٢٥٦
عامر بن غنم (ج) ٥٣٤
عامر بن فهيرة (ج) ١٥٠
(ج) ٥١٠
(ج) ٤٠٤
عامر بن فهم (ج) ٥٠٧
عامر بن قمعة (ج) ٥٣٠
عامر بن كريز (ج) ١٢٥
(ج) ٣٤٢
عامر بن كعب (ج) ٣٧٤
عامر بن كلاب (ج) ٤٩٨
(ج) ٤٠٥
عامر بن كنانة (ج) ٣٧ ، ٤٧٨ ، ٥٣٢
عامر بن لؤي (ج) ٣٦٣ ، ٣٦٥

- عبادة بن الصامت (ج) ٣٦٦
(ج) ٥٠ ، ٤٨
(ج) ٤٢ - ٤٠
(ج) ٣٦٨ ، ٢٦٤
(ج) ٥٥١
عبادة الاول (ج) ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
٤٠ - ٤١
عبادة الثالث (ج) ٤٩٤
عبادة الثاني (ج) ٤٤ ،
(ج) ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤ ،
٢٨ - ٤٠
العبادي (ج) ٣٥٧ ، ٣٦٩ ،
٣٧٠ -
عباس بن أبي ربيعة (ج) ٦١٥
عباس بن الاخنف (ج) ١١٦ ،
٢٧١ ، ٢٨٨ ، ٧٣٩
العباس بن انس (ج) ٢٦١
(ج) ٤٠٧
العباس بن الربيع (ج) ٥٠٢
عباس بن رعل (ج) ٨٥
(ج) ٣٨٢
العباس بن عبد المطلب (ج) ٦١ ،
٦٦ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٦٦٠
(ج) ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٣٧ ،
٢٥١ ، ٤٣٩ ، ٥٠٢
(ج) ٢٩٩ ، ٤١٩ ، ٤٤٣ ،
(ج) ٣١٠ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ،
٤٢٩ ، ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٤٤٠ ،
- ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٦٣٢ - ٦٣٣
(ج) ١١٧ - ١١٨ ، ٢٧٥
(ج) ٢٣١
عباس بن محمد رضا القمي (ج) ١
٨٦
العباس بن مرداس السلمي (ج) ١
٣٩١ ، ٣٧٩
(ج) ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ٥١٨ -
٥١٩ ، ٦٧١
(ج) ٢٦٧
(ج) ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٧١٣ ،
٧٢٩
(ج) ١٢٢ ، ١٤٩ ،
٤٠٧
(ج) ١١٧ ، ١٣٢ ، ٣٤٧ -
٣٤٨ ، ٤٢٥ ، ٦٨١
(ج) ٦٥ ، ١٠٦ ، ٨٣٥ ،
٨٤٦ ، ٨٦٣ - ٨٦٥ ، ٨٧٦ ،
٨٧٧ -
العباس بن الوليد (ج) ٦٠٨
عبد بن غني (ج) ٥١٥
عبد الاسد بن هلال (ج) ٨٠
(ج) ١٦
(ج) ٦٩١
عبد الاسود العجلي (ج) ٦٢٠ ،
٦٤٩
(ج) ٥٩٦
عبد الاتهل (ج) ٤٣٨ ، ٤٧٦ ،
عبد اصدق (ج) ٢٠٩
عبد الاعلى (ج) ٢٩٧
عبدالله (ج) ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٣٦٩ ،
٣٧٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦
(ج) ١٧٠ - ١٧١
(ج) ١٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٧٢ ،
١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٥١ ،
٦١٧ - ٦١٩ ، ٦٨٧
(ج) ٣١٣
عبدالله بن ابراهيم (ج) ٢٠٨
عبدالله بن أبي (ج) ١٣٦ - ١٣٧
(ج) ٥٤٨
(ج) ١١٤ ، ١١٦
عبدالله بن أبي اسحاق (ج) ٥٣ -
٥٤ ، ٥٧
عبدالله بن أبي امية (ج) ٥٨١
عبدالله بن أبي ربيعة (ج) ٢٢٤ ،
(ج) ٤٨٨
(ج) ٢٩٣ ، ٣٠٧ ، ٤٤٣
(ج) ٨٧٨
عبدالله بن أبي سرح (ج) ١٢٠ ،

(ج) ٥٢٣ ، ٢٧ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،

١١٨ - ١١٩ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ ،

٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ،

٤٤١ - ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ،

٥٢١ ، ٦٣٨ ،

(ج) ٤٨٧ - ٤٨٨ ، ٤٩١ ،

٦٠٥ ، ٧١٣ - ٧١٤ ، ٧٢٢ ،

(ج) ١٩٢ ، ٤٣٨ ، ٤٤٧ ،

٥٧٦ ، ٥٨٢ ،

(ج) ٥٢ ، ١٦٤ ، ٧١٧ ،

٧٨٠ ،

(ج) ١٠٧ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ،

١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٤ ،

عبدالله بن جلد (ج) ٥٢٥ ،

عبدالله بن الجراح (ج) ٨٤ ،

عبدالله بن جرير (ج) ٤٤٥ ،

عبدالله بن جمعة (ج) ٣٧٨ ،

عبدالله بن جعفر (ج) ٢٤٠ ،

(ج) ٦٢٨ ،

عبدالله بن الجندي (ج) ٤٤١ ،

(ج) ١٤١ ،

عبدالله بن الحارث (ج) ٣٤٧ ،

(ج) ٣٦٧ ،

عبدالله بن حبيب العنبري (ج) ٥٧٩ ،

(ج) ٨١ ،

عبدالله بن حذافة (ج) ٦٩٦ ،

عبدالله بن الحصين (ج) ٢٠٧ ،

عبدالله حميد (ج) ٥٢ ،

عبدالله بن خارقة (ج) ٥٠٤ ،

عبدالله بن خالد (ج) ٤٦ ،

عبدالله بن خير (ج) ٢٤٩ ،

عبدالله بن دارم (ج) ٤٠٢ ،

(ج) ٣٤٨ ، ٢٥١ ،

(ج) ٣٧٥ ، ٥٧١ ،

(ج) ٣٥٩ ،

(ج) ٣٧٤ ،

عبدالله بن درة (ج) ٢٦٣ ،

١٢١

عبدالله بن ابي سلول (ج) ١٢٣ ،

١٢٩ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٦٨ ،

٣٦٩ -

(ج) ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٥٧١ ،

(ج) ١٢٦ ،

(ج) ٤٦٤ ،

(ج) ٧٢٤ ، ٧٤٢ - ٧٤٣ ،

عبدالله بن احمد الروزي (ج) ١٦٢ ،

عبدالله بن الارقم (ج) ١٩ ،

(ج) ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣١ ،

عبدالله بن اريقط (ج) ٥١٠ ،

عبدالله بن الارد (ج) ٤٣٥ ، ٤٣٨ ،

عبدالله بن اسود (ج) ٢٢٤ ،

عبدالله بن اصرم (ج) ١٩ ،

عبدالله بن افصى (ج) ٣١٦ ،

عبدالله بن ابس (ج) ٢٥٠ ، ٢٥٥ ،

٢٦٨ ،

(ج) ٤٥٦ ،

عبدالله بن الاهتم (ج) ٨٨٥ ،

عبدالله بن بلدرة (ج) ٢٣٦ ،

عبدالله بن ناصر (ج) ٤٥٨ ،

(ج) ٦٠٩ - ٦١٠ ،

عبدالله بن جحش (ج) ٤٢ ،

(ج) ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ -

٤٧٠ ، ٤٧٦ ،

(ج) ٣٦١ ، ٥٢٢ ،

عبدالله بن جدمان (ج) ٢١٤ ،

٢٧٥ ،

(ج) ٦٢ - ٦٣ ، ٧٨ - ٧٩ ،

٨١ - ٨٢ ، ٨٤ - ٨٨ ، ٩٤ ،

٩٦ - ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ٣٨٤ ، ٣٧٨ ، ٣٦٤ ،

٤٨١ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٤٩٢ ،

٥٠٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٠ ، ٥٧٩ -

٥٨٠ ، ٦٠٢ ، ٦٦١ ، ٦٧٠ -

٦٧٢ ،

- عبدالله بن رباح (ج ١) ٢١٠
عبدالله بن رزن (ج ٤) ٢٤٤
عبدالله بن رباح (ج ١٤) ١٤٠ ، ٢٤٢
عبدالله بن رباح (ج ١٢١ ، ١٢٦ ، ٦٦٤
عبدالله بن رباح (ج ١٤٨ ، ١٧٣ ، ٢٤٨ ،
عبدالله بن رباح (ج ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٤٣٢ ،
عبدالله بن رباح (ج ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ،
عبدالله بن رباح (ج ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ،
عبدالله بن الزبير (ج ١) ١١١
عبدالله بن الزبير (ج ٣) ٥٢٠
عبدالله بن الزبير (ج ٤) ٥٨ ، ٥٦
عبدالله بن الزبير (ج ٨) ٦٦٤
عبدالله بن الزبير (ج ٤) ٨٩
عبدالله بن الزبير (ج ٤) ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠
عبدالله بن الزبير (ج ٧) ٤٩٧ ، ٥٠٠
عبدالله بن زيد (ج ٤) ٢٠٣
عبدالله بن زيد (ج ٧) ٣٧٣
عبدالله بن زيد (ج ٨) ١٢٢ ، ١٣٢
عبدالله بن زيد (ج ٩) ٢٨٠
عبدالله بن السائب (ج ٥) ٣٧
عبدالله بن سعد بن أبي سرح (ج ٨)
عبدالله بن سلام (ج ١) ١٠٣ ، ٤١٠ ، ٥١٤ (ج ٢)
عبدالله بن سلام (ج ٥) ١٤٠
عبدالله بن سلام (ج ٦) ٥٥١ ، ٥٦٢
عبدالله بن صعب (ج ٤) ٥٣٣
عبدالله بن صفوان الأكبر (ج ٦)
عبدالله بن الصمة (ج ٥) ٣٦٣
عبدالله بن صوري الأعور (ج ٦)
عبدالله بن صيف (ج ٦) ٥٤٦
عبدالله بن طارق (ج ٥) ٥٨٦
عبدالله بن طاهر (ج ٨) ١٩٠
عبدالله بن عامر (ج ٦) ٩٦
عبدالله بن عباس (ج ١) ١٦٧ ، ٢٢٤
عبدالله بن عباس (ج ٤) ٢١١ ، ٢٨٦
عبدالله بن عباس (ج ٦) ٥٠٠ ، ٦٧٧
عبدالله بن عباس (ج ٧) ٤٦٤
عبدالله بن عباس (ج ٨) ١٦٨ ، ٢٠٣
عبدالله بن عباس (ج ٩) ٤٢ ، ٥٤
عبدالله بن عبد الله (ج ٩) ١٢١
عبدالله بن عبد الله (ج ٨) ٣٣٢
عبدالله بن عبد المطلب (ج ٥) حا
عبدالله بن عبد الملك (ج ٦) ٢١٧
عبدالله بن عبد الله (ج ٤) حا ٩٩
عبدالله بن عبد الله (ج ٧) ٣٦٨
عبدالله بن عبد الله (ج ٤) ٥٠٥
عبدالله بن عبد الله (ج ٤) ٦٧٣
عبدالله بن عمار الحضرمي (ج ٤) ٥٨
عبدالله بن عمر بن الخطاب (ج ٥)
عبدالله بن عمرو بن العاص (ج ٨)
عبدالله بن عمرو بن العاص (ج ٨) ١٣٧ ، ٢٦٦ ، ٢٢٤ ، ٣٢٩
عبدالله بن عمرو بن العاص (ج ٥) ٢٦٧
عبدالله بن عمرو بن العاص (ج ٨) ٢٥٦
عبدالله بن عوف الأشج (ج ٤) ٢٠٩
عبدالله بن غطفان (ج ٤) ٥٧٢
عبدالله بن قريظ الزبدي (ج ٣)
عبدالله بن قريظ الزبدي (ج ٤) ١٨٩

- عبدالله بن قلابه (ج ١) ٣٢١
عبدالله بن قيس الرقيات (ج ٣) ٥٢٠
١٨٧ (ج ٤)
٢٢٧ (ج ٩)
عبدالله بن كعب (ج ٤) ٥٢٢
عبدالله بن مالك (ج ٤) ١٣٩ ، ٢٥٣
عبدالله بن مذحج (ج ٧) ٣٦٤
عبدالله بن مرتد (ج ٤) ٢٢٤
عبدالله بن مسعود (ج ١) ٢٨٢
٤٣١ (ج ٣)
٥٣٥ (ج ٤)
٩٧ (ج ٦)
٥٠٢ (ج ٧)
٣٢٥ ، ٣٠٢ (ج ٨)
٢١٧ ، ٩ (ج ٩)
عبدالله بن مسلم الحضرمي (ج ٤) ١٢١
٦٧٩ (ج ٦)
عبدالله بن معاوية (ج ٧) ٢٠٨
عبدالله بن مغفل الرني (ج ٥) ١٦٧
٣٨٥ (ج ٦)
عبدالله بن المقفع (ج ١) ٧٨
٣١٤ (ج ٩)
عبدالله بن ناجية (ج ٤) ٤٥٦
عبدالله بن نهيك (ج ٩) ٥٤٠
عبدالله بن النواحة (ج ١) ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧
عبدالله بن هبل (ج ٦) ٤٣٥
عبدالله بن وائل (ج ٤) ٤٨٨
عبدالله بن وهب الأسلمي (ج ٦) ٩١
عبدالله بن يزيد الحضرمي (ج ٩) ٢٥
عبدالله التميمي (ج ٩) ١٦٤
عبدالله ذي البجادين (ج ٤) ٢٦٣
عبدالله القضاعي (ج ٦) ٥٠٦
عبدالله المتكبر (ج ٤) ٣٢
عبدالله هشام (ج ٩) ٣٠٩
عبد أمية (ج ٦) ١٨
عبد الأمير (ج ٦) ١٨
عبد ايل بن هاني (ج ٢) ١٩٢ - ٢٤٧
عبد نيم (ج ٦) ٢٨٢
عبد الجبار بن أحمد (ج ٦) ٦٢٧
٦٣٠
عبد الجد الحكمي (ج ٢) ٥٨٣
١٧ (ج ٦)
عبد الحارث (ج ٣) ٢٠١
(ج ٦) ١٨ ، ٥٦
عبد الحجر بن المدان (ج ٤) ٥٩٩
١٨ (ج ٦)
عبد الحليم التجار (ج ١) ٨٩
(ج ٤) ٢٧٧
(ج ٦) ٥٦٩
عبد حمل (ج ٦) ٣٢٧
عبد الحميد أحمد الحنفي (ج ٤)
٤٠٤
عبد الحميد الدواخلي (ج ٢)
٦٠١ ، ٦٢٢
(ج ٤) ٥٧
(ج ٨) ٢٣٧
عبد الحميد العبادي (ج ٤) ٣٢٤
عبد حوت (ج ٦) ٣٢٦
عبد خرج (ج ٢) ٢٥١
(ج ٦) ٣١٩
عبد الدار (ج ١) ٤٠١
(ج ٤) ٢٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٨ - ٦٤ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١١٢
٣٧٧ ، ٤٨٠ ، ٥١٤
(ج ٦) ١٨ ، ٢٨٢ ، ٤١٧
(ج ٧) ١٩٢
(ج ٩) ٢٧٨
عبد ذو الأذعار (ج ٣) ٤٨٣
عبد ذو الشرى (ج ٦) ١٦ ، ٢٧٥
عبد ذو غابة (ج ٦) ٣١٤
عبد الرحمن بن أبي بكر (ج ٤) ١٩٧
٢٣٨
عبد الرحمن بن جبر (ج ٩) ١١٤ ،

٦٤٣ ، ٦٥٣ ، ٦٥٧ ،
٦٦٠ ، ٦٦٤ ، ٦٧٤ ،
٦٨١

(ج) ٥٤ ، ٦١ ، ٦٤
٦٤ - ٦٥ ، ٧٤ ، ٩٤ ،
١٢٤ - ١٢٥ ، ١٩٨ ،
٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
٢٢١ ، ٣٠٣ ،
٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٣١٢ ،
٤٠٩ ، ٤٢٢

(ج) ٢٨٦ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،
٦٦٨ ، ٦٩٢ ، ٧٠٧ ،
٧١٣ - ٧١٥ ، ٧١٩ ،
٧٢٣ ، ٧٢٩ ، ٧٣٦ ،
٧٣٧ - ٧٨٧ ، ٧٨٨ ،
٧٩١ - ٧٩٥ ، ٧٩٨ ،
٨٠٠ - ٨٠٤ ، ٨١٤ -
٨١٥

(ج) ٢٦٩ ، ٣٦١ ،
٣٨٤ ، ٦٤٣ ، ٦٥٦ ،
٧٣٩ - ٧٤٠ ، ٧٥٥ ،
٧٧٢ ، ٧٨٤ ، ٧٨٦ ،
٧٨٦

(ج) ٢٣ ، ٧١ ، ٨٥ ،
١١٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ،
٢٨٥ ، ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٩٢ ،
٤٥٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٣ ، ٥٠٧ ،
٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٥١ ،
٥٥٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٢ ، ٥٩٧ ،
٥٩٩ ، ٦٥١ ، ٦٧٦ ، ٦٨٦ ،
٦٩٧ - ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٧٤٨ ،
٧٥٤ ، ٧٥٧ ، ٧٦٣ ، ٧٧٢ ،
٧٨٢ ، ٨١١ ، ٨٢٥ ، ٨٣٦ ،
٨٥٤ - ٨٥٦ ، ٨٥٩ ، ٨٧٩ ،
٨٩٦ ، ٨٩٨

عبد السماء (ج) ٢١٥

عبد سميا (ج) ٦١٣

عبد شمس (ج) ٣٦٣ - ٣٦٤ ،
٣٧٢ ، ٤٠٢

١١٦

عبد الرحمن بن الحارث (ج) ٣٩٥
عبد الرحمن بن حسان (ج) ٦٢٢
(ج) ٩٩ ، ٤٣٢ ، ٤٧١ ،
٧٤٤ - ٧٤٥ ، ٨٨٥

عبد الرحمن بن حسل (ج) ٨٩١
عبد الرحمن بن عوف (ج) ٢٣٧ ،
٦٤٧ ، ٦٥٠

(ج) ٧٠ ، ١١٦

(ج) ٤١ ، ٣٠٩ - ٣١٠ ،
٤١٢

(ج) ٢٧٤ ، ٥٩٦
عبد الرحمن بن ملجم الرادي (ج) ٨٦٩

عبد الرحمن بن هرمز (ج) ٤٥ ،
٥٣

عبد الرحمن الانصاري (ج) ٢١١

عبد الرحمن الخزاعي (ج) ٧٧٥
عبد الرحمن محمد (ج) ٨٥ ،
(ج) ٣٠٤

عبد الرسول (ج) ١٨
عبد رضى (ج) ٢٦٨ ، ٣١١
عبد الزهرة (ج) ١٨

عبد الستار أحمد فراج (ج) ١٨
٥٢ ، ٣٨٣ ، ٤٧٦ - ٤٧٧ ،
٥٦٧ - ٥٦٨ ، ٦٦٢ ، ٦٦٦ ،
٦٧٦ - ٦٧٧ ، ٧٠١ ، ٧٨٣ ،
٨١١ ، ٨٢٦ ، ٨٦٩

عبد سعد (ج) ١٦ - ١٧ ، ٢٧٤
عبد السلام محمد هارون (ج) ٤٨٣

(ج) ٢٨١ ، ٣٥٢ ،
(ج) ٢٩٩ ، ٣١٠ -

٣١١ ، ٣٦٨ ، ٣٨٨ ،
٥٦٢ - ٥٦٣ ، ٥٧٢ ،
٥٩٨ ، ٦٠٠ - ٦٠٣ ،
٦١٧ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤

- (ج) ٢٥٨ - ٢٥٩
(ج) ٢١٦
(ج) ٦١ ، ٦٩ - ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ٤٨٣ ، ٦٣٦
(ج) ١٦ ، ٥٥ - ٥٦ ، ١٦٤ ، ٣١٨
(ج) ١٩١ - ١٩٣ ، ٣٠١ -
٣٥٧ ، ٣٠٢ -
عبد تميم بن سعد (ج) ٢٦٥
(ج) ٤١٠
عبد ضخم (ج) ٤١٨
عبد الطائفة بن ثعلب (ج) ٤٦٣ ، ٥٠٥
عبد العال سالم مكرم (ج) ٣٩ ، ٤٨
عبد عبادة (ج) ٤٢
عبد عتتر (ج) ٤٩٠ - ٤٩١ ، ٥٦٣
عبد عتتر بن موقس (ج) ٣٨٤ - ٣٨٥
العبد العجلاني (ج) ٢٣٦
عبد عدنون (ج) ٣٨٠
(ج) ٤٥
عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى
(ج) ٢٠٠
(ج) ٦٦٣
عبد العزى بن عبد المطلب (ج) ٢٣٧
(ج) ٤٣٩
عبد العزى بن عبد مناف (ج) ٢٣٧
عبد العزى بن عثمان (ج) ٣٨
عبد العزى بن قحطان (ج) ٤٠١ ، ٥٢٧
(ج) ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ١٦١ ، ٥٠٩ ، ٦٥٦
(ج) ١٦ ، ٣١٦ ، ٦٦٩ ، ٦٨٧
عبد العزى بن قصي (ج) ٤٨٠
- (ج) ٢٣٧
عبد العزى بن وديعه المزني (ج) ٢٤٨
عبد العزيز آل سعود (ج) ٢٧١
عبد العزيز بن عبد الرحمن (ج) ١٣٢
عبد العزيز الرشيد (ج) ١٧٧
عبد العزيز فهمي (ج) ٤٦٩
(ج) ٣١١
عبد العزيز الميمني (ج) ٦٧٣
(ج) ٤٥١ ، ٦٤١ ، ٨٧٨
عبد عشيرة (ج) ٢٨٨
عبد علي (ج) ١٨
عبدعزم (ج) ٥٤٥
عبد عمرو بن بشر (ج) ٥٣٧
عبد عمرو بن جبلة (ج) ٢٥٠
عبد عمرو بن سنان (ج) ٣٦٧
(ج) ١٧
عبد عمرو بن صيفي (ج) ٢٢٣
عبد عمرو بن عمارة (ج) ٢٤٣ ، ٢٤٥
(ج) ٢٥٧
عبد عوض (ج) ٣١٤
عبد عوف (ج) ١٧ ، ١٩ ، ٢٨٨
(ج) ٦٩١
عبد القادر بن عمر البغدادي (ج) ٧٥٧
عبد قاني (ج) ٣١٩
عبد قصي (ج) ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٧ -
٥٨ ، ٦٤ ، ٣٣٠
(ج) ٣٣٠
عبد القيس (ج) ٢٣٩ ، ٤٠٧ ، ٥٢٧
(ج) ٦٣٧
(ج) ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٣٠٠ ، ٣٤٨
(ج) ٤٢٣ ، ٤٨٣ - ٤٨٨

٥٩٩ - ٥٩٨ ، ٤١٧ (ج٦)
 ٦١٧ : ٦١٦
 ٥٣٩ (ج٨)
 عبد المطلب بن هاشم (ج٣) ، ٥٠٧ ،
 ٥١١ - ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ،
 ٥١٩
 (ج٤) ، ٢٢ ، ٦١ ، ٧٣ - ٨٢ ،
 ٩٩ - ١٠٠ ، ١٣٦ ، ٣١١ ،
 ٣٥٥ ، ٦١٢ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ ،
 ٦٦٠
 (ج٥) ، ٢٧ ، ٩٥ - ٩٦ ، ١٥٦ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ، ٣١٥ ،
 ٣٨٣ ، ٥٠٥ ، ٥٩٣ ، ٦٠٥ ،
 ٦٣٧ - ٦٣٨ ، ٦٤٩ - ٦٥١
 (ج٦) ، ١٨ ، ١٢٨ ، ١٩٢ -
 ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،
 ٢٥١ ، ٣٦٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٤ ، ٦٧٧ ، ٧٦١ ، ٧٦٩
 (ج٧) ، ٣١٥ ، ٤٠٧ ، ٥٢٩ ،
 (ج٨) ، ١١٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٤ ،
 ٣٣١ ، ٦٤٢ ، ٧٣٨ ، ٧٧٨ ،
 ٧٨٠
 (ج٩) ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ -
 ٤٤٠ ، ٤٧٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ،
 ٦٢١ ، ٧٢١
 عبد المعين الملوحي (ج٩) ، ٦١٢ ،
 ٦٤٠ ،
 عبد الملك بن عبد الرحيم (ج٦)
 ٥٧٦
 (ج٩) ، ٧٧٥
 عبد الملك بن عبيش (ج٣) ، ٤٦ - ٤٧
 عبد الملك بن مروان (ج١) ، ٤٩٥
 (ج٢) ، ٤٥٢
 (ج٣) ، ٥٢٧
 (ج٤) ، ٢٥ ، ٩٦ ، ١٩٧ ، ٤١٢
 ٥٧٨ ، ٦٣٢
 (ج٥) ، ٢٩٨

٥٠٠ ، ٥٤٤ ، ٦٣٢
 (ج٥) ، ٢٩٦
 (ج٦) ، ٢٦ ، ٢٨٦ ، ٣١٧ ،
 ٣٣٢
 (ج٧) ، ٢٨٣
 (ج٩) ، ١٤٨ ، ٣٢٦ ، ٤٧٢ ،
 ٥٩٢
 عبد الكريم بن ابي العوجاء (ج٩)
 ٣١٤
 عبد الكريم عثمان (ج٦) ، ٦٢٧
 عبد الكعبة (ج٤) ، ٨٢
 عبد كلال بن مثنوب (ج١) ، ٣٣٨
 (ج٢) ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ - ٥٨٤ ،
 ٥٨٦ ، ٥٨٨
 (ج٣) ، ١٧٠
 (ج٤) ، ١٨١ ، ١٩٦
 (ج٦) ، ٦١٠
 عبد كلال الحميري (ج٨) ، ٦٨٣
 عبد لات (ج١) ، ٥٢٧
 (ج٢) ، ٣٥٧
 (ج٦) ، ٢٣٣
 عبد المجيد عابدين (ج٨) ، ٣٤٣
 عبد مخرق (ج٣) ، ١٨٩
 (ج٦) ، ١٦ ، ٢٨١
 عبد المحسن الحسيني (ج٤) ،
 ٢٥١
 عبد محمد (ج٦) ، ١٨
 عبد المدان بن الديان (ج١) ، ٣٧٢
 (ج٣) ، ٥٣٣
 (ج٤) ، ٩٨
 (ج٦) ، ٤١٧ ، ٦١٦
 (ج٩) ، ٦٦٥
 عبد المسيح بن بقبلة (ج٦) ، ١٨ ، ٦٥٢
 عبد المسيح بن ثعلبة (ج٤) ، ٦٦
 عبد المسيح بن دارس (ج٦) ، ٦١٦
 عبد المسيح بن عمرو (ج١) ، ٣٨٣
 (ج٣) ، ١٧٠ - ١٧١ ، ٢٨٨ ،
 ٥٣٣
 (ج٤) ، ١٩١ ، ٢٢٥ ، ٤٣٧

٢٥٦	(٧ج) ٣٤٤ ، ٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٥٠٠
عبد ود (ج) ٥٢٧	
٦٥٦ (٤ج)	(٨ج) ١٨٢ ، ٣٧٩ ، ٧٦٠ ، ٧٧٢ ، ٧٧٩
(٦ج) ١٦ ، ١٨ ، ٧٩ ، ١٦٤	(٩ج) ٢٣٦ ، ٢٢١ ، ٢٣ ، ٢٥٤
١٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٨٦ ،	٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٣٧ ، ٤٨٩ ، ٥١٠ ، ٥١١
٦٨٧	٧٢١ ، ٨٩٥ ، ٩٠٣
عبد الوهاب عزام (ج) ٢٢٣	عبد ملك بن مويك (ج) ٩٠٨
عبد ياليل (ج) ١٧٠	عبد مناة (ج) ٥٢٧
(٤ج) ١٥٣	(٤ج) ٦٥٦
(٧ج) ٤٣٠	(ج) ٢٥٠ ، ٣٢٠
عبد يزيد (ج) ٩١	عبد مناة بن أد (ج) ٣٢٨ ، ٥٢٣ - ٥٢٤
عبد يسوع (ج) ٦٨٦	
عبد يغوث بن الحارث بن وقاص	(٨ج) ٦٩١
(ج) ٤٣٢	(ج) ١٤٦ ، ٦٧٠
عبد يغوث بن صلاة (ج) ٣٥٢ - ٣٥٣	عبد مناة بن حنيفة (ج) ٤٠٨
٣٥٣	عبد مناة بن كنانة (ج) ٤٠٠ - ٤٠١
(ج) ٦٨٧	(ج) ٥٣٢
(٨ج) ١٢٥	عبد مناة بن النمر (ج) ٤٨٧
(ج) ٤٨١ - ٤٨٣	عبد مناف بن دارم (ج) ٦٠٨
عبد يغوث بن وعلة الحارثي (ج) ١٨٩	عبد مناف بن قصي (ج) ٤٠٢ ، ٤٠١
(ج) ٤٧٩ ، ٤٨٤	(ج) ٤٢ ، ٣٧ ، ٣١ ، ٢٦
عبد يغوث بن وقاص (ج) ٣٥٢ ، ٤٠٨	٥١ ، ٥٦ - ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢
(ج) ١٦ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٢٨٦	٧٣ ، ٧٥ ، ٨١ - ٨٢ ، ٩١
(ج) ١١٣	١٠٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ - ٤٨١
عبدان بن ها - ثواس (ج) ٢٥٢	(ج) ١٦٤ ، ١٨٢
(ج) ٤٠٥	(ج) ٣٠١ - ٣٠٢
(ج) ٣١٨	عبد المنعم عامر (ج) ٣١٦
عبد بن الطيب (ج) ٦٩ ، ١٠٥ ، ٩٠٠ - ٩٠١	(ج) ٣١١
عبد بن مسهر الحارثي (ج) ١٨٩	عبد نجم (ج) ٥٩
العبدى (ج) ٣٠٦	عبد هند (ج) ٢٤٤
عبد بن بغيض (ج) ٣٦٦ ، ٤٠٤	(ج) ٥٣٧
(ج) ٢٤٣ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٣٢٢ - ٣٣٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٠	عبد الواحد بن علي (ج) ٨
٥١٢ -	
عبد بن رفاعة (ج) ٥١٨	

٥.٦ - ٥.٥ ٥.٢
 (ج ١٨) ٢٧٩ ، ٣٥٩ ، ٣٢٢
 (ج ١٩) ٣٧٩ ، ٣٤٧
 عبيد بن فراد (ج ٥) ٣٤٩
 عبيد الله بن بردة (ج ٤) ٢٦٣
 عبيد الله بن حميد (ج ٩) ١١٩ ،
 ٧٨٢
 عبيد الله بن زياد (ج ١) ٥.٥
 (ج ١٩) ٩.٤ ، ٢٣
 عبيد الله بن عثمان (ج ١) ٣٣٤ ،
 (ج ٥) ٦.٦
 عبيد الله بن عمر (ج ٨) ١١٠
 عبيد الرماح بن معد (ج ١) ٣٩٢
 (ج ٤) ٤٦٩
 عبيدة بن الحارث (ج ٧) ٣٥٢
 عبيدو بن غانمو بن سعدلات (ج ٣)
 ١٤٠
 عبيل (ج ١) ٢٩٤ - ٢٩٦ ، ٣٤٣ -
 ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٤١٩
 (ج ٣) ١٩٦
 (ج ٨) ٥٣٧
 عتاب بن أسيد (ج ٤) ١٩٢
 (ج ٧) ٤٤٣ ، ٤٣٠
 عتاب بن مالك (ج ٤) ١٤٥ ، ١٥١
 (ج ٦) ٢٢٨
 عتاب بن هرمي (ج ٣) ٢٢٦
 (ج ٥) ٢٨٤
 عتيان (ج ٤) ١٥١
 عتبة بن أبي وقاص (ج ٤) ١٢٥
 عتبة بن جعفر (ج ٤) ٥٢١
 عتبة بن ربيعة (ج ٤) ٨٣ ، ٨٥ ،
 ١١٠
 (ج ٥) ٢٧ ، ٤.٢
 (ج ٦) ٢١٧ ، ٤٧٩ ، ٧٦١ ،
 ٧٦٣
 (ج ٩) ١١٥ ، ١٩٨ ، ٧١٠
 عتبة بن سعد (ج ٤) ٢٣٠
 عتبة بن غزوان (ج ٧) ٨١ ، ٤٤٩
 عتبة بن فرقند (ج ٤) ٢٦٩

عبتمي بن سعد (ج ١) ٤.٢
 عيفر بن امار بن اراش (ج ١) ٣٧٤
 (ج ٤) ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، حا
 ٤٤٦
 عبلة (ج ٩) ٥٥٩
 عبلة (ج ٤) ١٩٢
 العبور (ج ٦) ٢٠ ، ٥٩
 عبيد بن الابرص (ج ٣) ٢٣٦ - ٢٨٢
 ٣٦٨ ، ٣٥١
 (ج ٤) ٢٢٠ - ٤٢٤ ، ٥٣٤ ،
 ٥٧٧ - ٦٧١
 (ج ٥) ٢٨٧
 (ج ١٦) ١٠٩ - ١١٠ ، ١٥٥ ،
 ٢٨٠ ، ٤٦٣ ، ٥.٦ - ٥.٧
 ٦٨٥ ، ٧١٤
 (ج ٨) ٦٦٤
 (ج ٩) ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٩ ، ٢.٧ ، ٢.٩
 ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ - ٢٦٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٣٦٨ - ٣٦٩ ،
 ٤٠١ - ٤٠٢ ، ٤.٦ ، ٤١٦
 - ٤١٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٦٧
 - ٤٦٨ ، ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٥.٨
 ٥١١ ، ٥١٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ ،
 ٥٨٥ ، ٥٩٧ - ٥٩٩ ، ٦٧٢ ،
 ٦٧٦ ، ٨١٥ ، ٨٢٣ - ٨٢٤ ،
 ٨٣٣ - ٨٣٤
 عبيد بن ايوب (ج ٦) ٦٩٨ ، ٧٢٩
 (ج ٩) ٢٨٩
 عبيد بن جحش (ج ٩) ٧.٢
 عبيد بن الحاف (ج ١) ٣٦٦
 عبيد بن حصين (ج ٩) ٨٨٩
 عبيد بن زيد اللات (ج ٤) ٢٣٩
 عبيد بن سالم (ج ٤) ١٣٤
 (ج ٦) ٥٢١
 عبيد بن السفاح القاري (ج ٤) ٤٥
 عبيد بن شربة الجرهمي (ج ١) ٨٣
 - ٨٤ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
 ١٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١

(ج) ١٢٩ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ١١٥
١٣١ - ١٣٢ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٤٠١

(ج) ١٥٢ ، ٥٨٩ ، ٦٤٢
(ج) ٩٨ ، ٢٥٦ ، ٤٤١ ،
٤٤٣ ، ٤٦٧ ، ٥٠٠ ، ٦٠٢ ،
٦٢٢ ، ٦٤٦ ، ٧٧١
(ج) ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ،
٢٤٢ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ -
٤٤٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ - ٥٠٠
حا ٦٠٧

(ج) ٨ ، ٣٦ ، ١١٠ ، ١١٩
- ١٢٢ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٢٧
- ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ - ١٣٥
- ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٨٣ ، ٣٠١
٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٧٥ ، ٥١٢
٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ - ٦٠٦
٦٠٨ ، ٦١٧ ، ٦٤١ ، ٧١٠ ،
٧٨٨

(ج) ١٩ - ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٢ ،
٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٥٣٢ - ٥٣٣ ،
٥٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤١ ، ٧٦٤ ،
٨٤٩ - ٨٥٠ ، ٨٥٩ ، ٨٦٦ ،
٨٧١ ، ٨٧٨ - ٨٧٩ ، ٨٩١ ،
٨٩٦

عثمان بن مالك بن العجلان (ج) ٤
١٨٣ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٨٣

عثمان بن مظعون (ج) ٤٢٣

(ج) ٢١٨ ، ٦٤٥

(ج) ٤٢

(ج) ٥٥١

عثمان رستم (ج) ١٨٤

عثمان المهري (ج) ٨

المعاج (ج) ٣٩٨

(ج) ٤٧٧

(ج) ١٠٤ ، ٢٩١

(ج) ٨١٦

(ج) ٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧ -

٤٢٠ ، ١٧٨

(ج) ١٢٩

عتفا الرهاوي (ج) ١٥٧

عوده (ج) ٣) حا ٤٨١

عيب (ج) ٤٠٧

عتيبة بن الحارث بن شهاب (ج) ٤

٥٧١

(ج) ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ،

٢٨٩

(ج) ٧٣٧

عتيبة بن مرداس (ج) ٨١٠

عتيبة بن النحاس العجلي (ج) ٩) حا

٨٥٦

العتيك بن الازد (ج) ٤٣٦

العتيك بن أسلم (ج) ٤) حا ٤١٧

عتيك بن عامر (ج) ٢٧

عتيك بن قيس (ج) ١) ٤٠٨

(ج) ٦٤٦

عثث بن زحر (ج) ١٩٥

عثمان بن أبي طلحة (ج) ١٢٥

عثمان بن أبي العاص (ج) ١٥٠ ،

١٩٢ ، ١٨٥

عثمان بن حنيف (ج) ٣٠٥

(ج) ٤٥٩

(ج) ٦٣٦ ، ٤٧٥

عثمان بن الحورث (ج) ٣٩ - ٤٠

٩١ - ٩٤ ،

(ج) ٣٧ ، ٣٢٠

(ج) ٤٥٣ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ ،

٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٥٩٠ ،

٦٠٦

(ج) ٦٤٢

(ج) ٧٠٣

عثمان بن ربيعة (ج) ١٨٥

عثمان بن الشريد (ج) ٦٠٦

عثمان بن طلحة (ج) ٢٥٠ ، ٢٨٤

(ج) ٢٩٥

عثمان بن عفان (ج) ١٤٧ ، ٢٨١

(ج) ٣) حا ٥٣١

عدي بن اد (ج) ٢٣٨ ، حا ٤٠١
 عدي بن الارد (ج) ٤٣٥
 عدي بن اوس (ج) ٢٦٥ - ٢٦٧ ،
 (ج) ٦٧٦
 عدي بن ايوب (ج) حا ٤٣٩
 عدي بن ثعلبة (ج) ٤٨٠ ، ٤٨٤
 عدي بن جشم (ج) ٤٠٨
 عدي بن جندب (ج) ٨٢٠
 عدي بن حاتم (ج) ٢٢١ ، ٣٠٧ ،
 ٤٥٤ ، ٤٦١
 (ج) ٢٦٢ ، ٢٦٥
 (ج) ٧٤ ، ٢٧٩ ، ٥٨٦ ،
 ٦٤٤ ، ٦٠١
 (ج) ٧٦ ، ٨١٢ ، ٨١٥ ،
 ٨٩٧ ، ٨٤٦
 عدي بن الحارث (ج) ٢٤٥ ، حا
 ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ،
 ٤٦١ ، ٤٨٩
 عدي بن حنيفة (ج) ٥٠٢
 (ج) ٧٥٤
 عدي بن حي (ج) ٣٦٨
 عدي بن ربيعة (ج) ١٨٥
 (ج) ٤٠٥ ، ٤٩٧
 (ج) ٣٥٧
 عدي بن رثاث اليايدي (ج) ٣٧٢ ،
 ٤٠١ ، ٤٧٢
 عدي بن رعاء الفساني (ج) ٩٨
 عدي بن الرقاع (ج) ٤٦١
 (ج) ٣٩٨
 عدي بن زيد بن حمان (ج) ٦٨٢
 عدي بن زيد العبادي (ج) ٣٧٤ ،
 ٢٨٦ ، ٤٠٢ ، ٤١٢
 (ج) ٦١٦
 (ج) ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
 ٢٢٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤
 - ٢٧١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣
 ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ - ٣٠٣ ،
 ٤٣٥ ، ٤٤١
 (ج) ٢٢٧ ، ٥٢٨ ، ٦٢٥ ،

عجب بن ثعلبة (ج) ٥١٢
 عجة بنت دارم (ج) ٤٦٤
 عاجل بن عمرو (ج) ٤٨٤ - ٤٨٥
 عجل بن لجيم (ج) ٢١١
 (ج) ٣٦٥ ، ٤٣٧
 (ج) ٥٩٦
 العجلان بن الثعلب (ج) ٤٢٥
 العجلان بن عبدالله (ج) ٥٢٢
 عجم بن فنص (ج) ١٨٧
 العداء بن خالد (ج) ١٢٧
 العداء بن هوزة (ج) ٢٦٨
 عداس (ج) ٤٢
 (ج) ٤٦٢ ، ٦٠٧
 (ج) ٣٨٥
 عدانة بن يربوع (ج) ٤٠٣
 عدبة (ج) ٥٢٠
 عدسة بنت مالك (ج) ٢٢٦
 العدل (ج) ٣٧١
 (ج) ٢٩١
 عدن بن عدنان (ج) ٢٨٢
 عدنان (ج) ٩٣ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ،
 ٣٥١ ، ٣٧٦ - ٣٨٢ ، ٣٨٠
 - ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤١٢
 ٤٢١ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ - ٤٧٧ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ -
 ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ،
 ٥١٧
 (ج) ٤٠ ، ٤١٤ ، ٤٦٧ -
 ٤٦٨ ، ٤٧٦ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٦ - ٥٣٧
 (ج) ٣٤٤
 (ج) ٦٤١ ، ٦٧١ - ٦٧٢ ،
 ٦٧٤ ، ٦٨٩
 عدنان بن اد (ج) ١٥٩ ، ١٦٤
 عدوان بن عمرو (ج) ٤٠٣
 (ج) ١٤٥ - ١٤٦ ، ٥٠٧
 عدوان بن قيس عيلان (ج) ٣٨٥
 (ج) ٥٣
 عدي بن اخزم (ج) ٤٥٢

عدي بن فراره (ج) ٥١٢	٦٧٥
عدي بن كعب (ج) ٢٦ ، ٦٠ - ٦٢	(ج ١٥) ٤٠ ، ١٢٤ ، ٢٧٢ ،
٤٨٠ ، ٨٢ ، ٧٢	٢٩٠ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣١٨ ،
عدي بن مالك (ج) ٣٧١	٢٢١ ، ٢٧٦ ، ٥١٦ ، ٥٨٦ ،
عدي بن مريثا (ج) ٦٦٢	٥٨٨
عدي بن انتجار (ج) ٣١٣	(ج ٦) ١١٤ ، ١٥٣ ، ٢٨٥ ،
عدي بن نصر (ج) ١٨٠ - ١٨١ ،	٤٩٦ ، ٥٤٦ ، ٥٨٦ ،
٣٢٤ ، ١٨٥	٦٤٨ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ، ٦٦٠ ،
عدي بن نماره (ج) ٤٦٣	٦٦٢ - ٦٦٩ ، ٦٧٧ ، ٦٨٠ ،
عدي بن نوفل (ج) ٥٨٢	٦٨٣ ، ٧٢٦ ، ٧٣١ ، ٨١١ ،
(ج) ٤١٢	(ج ٧) ٥٣٤ ، ٥٦٥ ، ٦٠٥ ،
عدي بن وداع (ج) ٢٨٠	(ج ٨) ٢٦ ، ٦٤ ، ١٠٨ - ١٠٩ ،
عدي خلف تمنع (ج) ٢١٦	٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
عديد (ج) ٤٦٨	٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،
العديل بن الفرخ العجلي (ج) ٢٩٨	٢٤٣ ، ٣٦٨ ، ٥٣٩ ، ٥٦٨ -
عذافر بن اوس (ج) ١٧٥	٥٦٩ ، ٦٥٢ ، ٦٦٤ ، ٦٨٤ ،
عذالة (ج) ٦٤٥	٧٠٣ ، ٧٢٧ ،
عذبة (ج) ٥٢٤	(ج ٩) ١١ ، ٨٢ ، ١١٧ ،
(ج ٣) ٤٥٥	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦١ ،
عذم بن اب انس (ج) ١٤٤	٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ،
عذرايل (ج) ٣٣٢	٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٣٠٩ ،
(ج ٢) ٢٨٣	٣٣٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
(ج ٦) ٣١٣ ، ٣١٨ - ٣١٩	٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٤٥ ، ٤٥٤ ،
عذرة بن زيد اللات (ج) ٢٣٩	٥٤٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٧١ -
عذرة بن سعد (ج) ٣٦٧	٦٧٢ ، ٦٧٤ - ٦٨٢ ، ٧٢١ ،
(ج ٤) ٢٤٦ ، ٤٣٠ ، ٥٢٥	٧٩٢ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٨٠٤ ،
(ج ٥) ٣٨٦	٨٠٧ - ٨٠٩ ، ٨١٧ ، ٨٣٢ ،
العذري (ج) ٧٩	عدي بن زيد العمادي (ج ٣) ١٧٠
عرابة الاوسي (ج) ٨٨٠	عدي بن سالم (ج ٩) ٦٧٩
العراقي (ج) ٧٣٧	عدي بن عامر (ج ٤) ٥٨
عرام (ج ٤) ٢٨١	(ج ٨) ٤٩٩
(ج ٧) ٧٨ - ٨٣ ، ٨٦ ،	عدي بن عبد مناة (ج ١) ٤٠٢ ،
٨٨ ، ١٢٤ ، ١٩٩ ،	٤٠٤
٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٣٥٢ -	(ج ٩) ١٤٦
٢٧٢ ، ٣٥٦ ، ٣٢٢	عدي بن عدي (ج ١) ٥٠٧ - ٥٠٨
عرابد بن الحاف (ج ١) ٣٦٦	(ج ٢) ٦٤٩ - ٦٥٠
عريد (ج ٤) ٤٢٢	(ج ٤) ٢٢٥ ، ٣٢٥
عرد ذو غابة (ج ٦) ٣١٤	عدي بن عمرو (ج ٤) ٢٣٨
عرورة النعميري (ج ١) ١٤٨	(ج ٩) ٦٢١ ، ٩٠١

- العرف (ج) ٢٩٢
 عرفة بن اسعد (ج) ٨١٥ ، ٦٨٣ ،
 عرقوب بن صخر (ج) ٨٣٤ - ٣٦٥
 العرنج العرنج (ج) ٣٦٤
 (ج) ٤١٥
 عروان بن كنانة (ج) ٢٧
 عروة بن اذينة (ج) ٢٠٠
 عروة بن حزام (ج) ٧٧٣
 عروة بن الزبير (ج) ٦٤١
 (ج) ٤٨٠
 (ج) ٢٨٦
 عروة بن زيد الاسدي (ج) ٧٦٥ ،
 ٧٧٣ ، ٧٧٦
 عروة بن عمرو (ج) ٤٤٠
 عروة بن عتبة (ج) ٢١٠
 (ج) ٢٨٣
 عروة بن مسعود (ج) ١٥٤ - ١٥٦
 (ج) ٥٤٨
 (ج) ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٤٤٦
 عروة بن الورد (ج) ٣٠٦ ، ٤١١ -
 ٤١٣ ، ٦٧٥
 (ج) ٨ ، ١٠٠ ، ٣٦٢ ، ٤٦٦
 (ج) ٨٠٧ ، ٥٢٥
 (ج) ٤٤٨
 (ج) ٤١١
 (ج) ٧٦٥
 (ج) ١٠٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ،
 ٤٤٥ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ - ٦٠٤ ،
 ٦١٠ ، ٦١٢ - ٦١٤ ، ٦٢٢ ،
 - ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٥ ، ٦٣٨ ،
 ٨١٧ ، ٨٢٢ ، ٨٣١ ، ٨٣٦ ،
 ٨٧٣
 عروة الرحال (ج) ٢١٠ - ٢١١ ،
 ٢٧٦
 (ج) ٨٣ ، ٣٤٦ ، ٥٢١ ،
 ٥٥٩
 (ج) ٢٨٨ ، ٢٨٢
 عروس (ج) ٦٤٨ - ٦٤٩
- عريب بن جشم (ج) ٤٤٨
 عريب بن حمير (ج) ٣٦٥ ، ٣٧٣
 (ج) ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣٤
 عريب بن زيد (ج) ٤٣٢ ،
 عريب بن يمجند (ج) ٤٠٩
 عريج بن بكر (ج) ٥٣٢ ، ٦٣٧
 عريض بن شعبه (ج) ٥٨١
 (ج) ٧٨٢
 عرينة بن نذير (ج) ٤٤٦
 العز (ج) ١٤١ - ١٤٥ ، ٣٧٣ ،
 ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٤٢٥ ، ٤٤٠ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٥
 (ج) ٢٣
 العز بن عم ذخر (ج) ١٦٩
 (ج) ٤٣٣
 العز بن يدع اب غيلان (ج) ١٦٨
 عزال بن شعويل (ج) ٥٢٤ ، ٥٤٦
 عزانا (عيزانا) (ج) ٥٢٥ ،
 (ج) ٤٥١ ، ٤٥٥ - ٤٥٦
 عزة حسن (ج) ٣٨٢
 (ج) ٣٥٢
 (ج) ٣٥٤ ، ٤٣٤
 (ج) ٤٦٤
 (ج) ٣٣١ ، ٤٨٨ ،
 ٨٩٠
 عزرا (ج) ٤٧٣
 عزير بن ابي عزير (ج) ٥٤٦
 العزيط بن الهان (ج) ٦٤ ، ١٣٩
 ١٤١ - ١٤٥ ، ١٦٦ - ١٦٩ ،
 ٣٧١ ، ٤٠٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤
 العساق بن عيس (ج) ٥٠٥
 العسقلاني (ج) ١٣٥
 عسيب (ج) ٥٢١
 عش (عاشي) (ج) ٣٣٢
 العشراء بن جابر (ج) ٧٧٨ ، ٧٨٠
 عشم بن الحاف (ج) ٣٦٤
 عصام بن شهير (ج) ٢٤٠ ، ٤٢٤
 (ج) ٢٨٥ - ٢٨٦

- العصامي (ج) ٤) ٥٨٠
عصر (ج) ١) ٤٠٧
عصمة بن ابيير التيمي (ج) ٥) ٣٥٣
(ج) ٩) ٤٨٢
عصية بن امريء القيس (ج) ١) ٤٠٥
(ج) ٤) ٢٥٦ ، ٥١٨
عصيم بن مالك الجشمي (ج) ٣) ٣٥٣
عصيمة بن خالد (ج) ٤) ٤٠٦
عضاهه (ج) ٤) ١٤٥
عضل بن الهون (ج) ١) ٣٩٩
(ج) ٤) ٣١ ، ٣٥ ، ٨٤ ، ٤٧٧
٥٣٣
عطاء بن مركود (ج) ٣) ٥٢٩
(ج) ٤) ١٨٤
عطارد بن حاجب (ج) ٤) ٢٠٥
(ج) ٥) ٦٤١
(ج) ٦) ٩٦
(ج) ٨) ٧٨٠ - ٧٧٩ ، ١٣٥
(ج) ٩) ٨٤٥
عطل بن عبد مناة (ج) ١) ٤٠٢
عطية (ج) ٦) ١٦
عطية ايل (ج) ٢) ٣٥٧
عظيم الدين احمد (ج) ١) ١٠٥
عفاء (ج) ٣) ٥١٩
عفر (ج) ١) ٤٤٦ ، ٥٥٨
(ج) ٢) ٢٩٣
عفرء الحميرية (ج) ٦) ٧٧٠
(ج) ٨) ٣٦٩ ، ٧٣٨
عفرس بن خلف (ج) ٤) ٤٤٤
عفرز (ج) ٣) ١٠٦ - ١٠٧
عفر بن زرعة (ج) ١) ٣٣٢
(ج) ٣) ٥٢٧
عفر بن عدي (ج) ١) ٣٧٢
(ج) ٣) ٣٨١
(ج) ٤) ٤٦٤ - ٤٦٥
عفيف بن معد يكر ب الكندي (ج) ٤)
٦٧١ - ٦٧٢
(ج) ٦) ٢٢٤
عفيف الكندي (ج) ٧) ٣١٠
- عقاب (ج) ٤) ٦٥٧
العقار (ج) ١) ٣٦٨
عقب مالك بن اشرس (ج) ٤) ٤٦٥ ،
٥١٥
عقبة بن ابي معيط (ج) ٤) ١٢٥
(ج) ٥) ٣٧ ، ٥٨٥
(ج) ٦) ١٤٧
(ج) ٧) ٥٥٥
(ج) ٨) ٣٧٧
عقبة ابن رؤبة (ج) ٩) ٤٢٠
عقبة بن عامر بن عيس (ج) ٨) ١٢٠
١٢٨
عقبة بن كعب (ج) ٩) ٥٤٦ ، ٨٦٠ ،
٨٦٣
عقبة بن مسلم (ج) ٩) ٣١٣
عقبة ذر جزان (ج) ٢) ٥٤٤
(ج) ٨) ١٢٢
عقبه النجاشي (ج) ٢) ٤٣٩
عقبة بن ابي عقة (ج) ٢) ٦٥٠ - ٦٥١
(ج) ٤) ٢٣٠
عقة بن جشم (ج) ٥) ٥٨٥
عقة بن هلال (ج) ٤) ٢٠٦
عقدة بن غيرة (ج) ٤) ٥١٧
عقرب بن ثويب (ج) ٢) ٢٠٩
عقرب بن مر (ج) ٢) ٢٢٨ ، ٢٥١
عقرب بنت النابغة الديباني (ج) ٣)
٤٣٤
(ج) ٤) ٢٤٠
عقبيه بن هبيرة (ج) ٩) ٣١٣
عقيل بن ابي طالب (ج) ١) ٤٧١ -
٤٧٢
(ج) ٧) ١٩٢ ، ٤٤٠
(ج) ٨) ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٣٤
(ج) ٩) ٦٨٥
عقيل بن ربيعة (ج) ٤) ١٩٣
عقيل بن علقمة المري (ج) ٧) ٨١
عقيل بن كعب (ج) ١) ٤٠٦

١٢٢
 علاف بن شهاب (ج) ٤٢٣
 (ج) ٦٥٣
 (ج) ٤٦٣ ، ٥٠٥
 علافة الكلبي (ج) ٣٦٠
 علان بن جوسم (ج) ٢٩٤
 علان التميمي (ج) ٤٨٧
 علباء بن ارقم اليشكري (ج) ٢٥٦
 (ج) ٧١٥
 (ج) ٢٦٨ ، ٥٧١
 علباء بن الحرث الكاهلي (ج) ٤٠٨
 - ٤٠٩
 (ج) ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٦
 علة بن جلد (ج) ٣٧١
 (ج) ٤٥٨
 علة بن خالد (ج) ٣٧٣
 علزان بن قزان الفلوني (ج) ٢٠٧
 علس بن زيد ذي جدن (ج) ١١٣
 (ج) ٥٦٧
 علقم بن عدي (ج) ٢١٠
 علقمة بن تغلب (ج) ٣١٩
 علقمة بن سلمة (ج) ٥٠٨
 علقمة بن سهل (ج) ٤٧٠
 علقمة بن سيف (ج) ٤٩١
 علقمة بن صفوان (ج) ٧٣٥ - ٧٣٦
 علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) (ج) ٣
 ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٤٠١ ،
 ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٨٢
 (ج) ٢٠
 (ج) ٤١٥ ، ٦٣١ ، ٦٣٧ ،
 ٦٦٢
 (ج) ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ -
 ١٠٤ ، ١١١ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ،
 ٢٠٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٥ ، ٤٤١ ، ٤٦٨ - ٤٧١
 ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ ،
 ٥٧٧ ، ٥٩٧ ، ٦٧٦ ، ٧٣٢ ،
 ٧٣٥ ، ٨٣٤ ، ٨٣٧

(ج) ١٧٩ - ١٨٠
 (ج) ٥٢٢
 عك بن عدنان (ج) ٢٨١
 (ج) ٤٣٨ - ٥٠٤ - ٥٠٦
 عك الطاهر بن ابي هاله (ج) ١٩٢
 عكابة بن الحارث (ج) ٤٠٨
 (ج) ٥٠٠
 عكابة بن صعب (ج) ٥٠٢
 عكاشة بن محصن (ج) ١٩٨ ،
 ٢٨٨
 عكب (ج) ٢٨٢
 عكبرة (ج) ٤٦٨
 عكرشة بنت عدوان (ج) ٤٧٩
 عكرمة بن ابي جهل (ج) ٢٠١ ،
 ٢٦٧
 (ج) ٧٥
 (ج) ٢٩٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩
 (ج) ١٢٤ ، ٣٠٤ ، ٣٩٢ ،
 ٧٨٢
 عكرمة بن جرير (ج) ٢٣٤ ، ٢٤١
 عكرمة بن خصفة (ج) ٢٦٨ ، ٥١٥
 عكرمة بن عامر (ج) ٦٧ - ٦٨ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٥
 (ج) ٣٧ ، ٥٠ ، ٤٢٣
 عكرمة بن هاشم (ج) ٨٤ - ٨٥
 (ج) ٩١ ، ١٣٥ ، ٢٩٢
 عكل عبد مناة (ج) ١٤٦
 العلاء بن حارثة (ج) ٦٣٧
 العلاء بن الحضرمي (ج) ٢٠٥ ،
 ٢١٠ - ٢١٢ ، ٤٨٦ - ٤٨٧ ،
 ٥٠٢
 (ج) ٤٦٥
 (ج) ٩٩ - ١٠٠
 (ج) ٤٨٤
 (ج) ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٢٤ ،
 ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣٣
 (ج) ٦٤
 العلاء بن عقبة (ج) ٢٥٨ ، ٢٦٢
 (ج) ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣١ -

علقة بن عدي (ج ٦) ٥٩٨
علقة بن عك (ج ٤) ٥٠٥
علقة بن علاثة (ج ٣) ٢٧٩

(ج ٦) ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٣٦٩ ،
٧٦٩
(ج ٧) ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٥٠٠ ،
٥٠٥

(ج ٨) ٩٨ - ٩٩ ، ١١٨ - ١٢٢
١٣١ ، ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٨٨
٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٢٨٠ ، ٢٢٨ -
٢٤٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢١ ، ٣٧٧
٥٩٧ ، ٦٥٩ ، ٧٥١ ، ٧٨٣
٧٥٢ -

(ج ٤) ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٥١٤ ،
٥٩٠ - ٥٩١ ، ٦٠٢
(ج ٥) ٢٣٥ ، ٢٨٩ - ٣٩٠ ،
٦٤٥

(ج ٩) ١٧ ، ٣٥ - ٤٠ ، ٤٤
- ٤٦ ، ٤٩ - ٥٢ ، ٥٤ ،
٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٩١ ، ٥٧٥ ،
٥٩٦ ، ٧٠١ - ٧٠٢ ، ٧٤٨
٧٥١ ، ٧٨٨ - ٧٨٩ ، ٨٤٩
٨٥٢ ، ٨٦٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨٨ -
٨٨٩ ، ٨٩١ ، ٨٩٣ ، ٩٠٧

(ج ٦) ٢٤٩ ، ٤٦٠
(ج ٨) ٧٧٦ ، ٧٧٩
(ج ٩) ٢٤٦ ، ٣٥٧ ، ٥٩٦ ،
٥٠٠ ، ٥٥٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ،
٦٠٤

علي بن بكر (ج ١) ١١٢ ، ٣٦٩ ،
٤٠٨

علقة بن عمرو (ج ٥) ٨٥
علقة ذي جدن (ج ١) ٣٦٣ ، ٣٦٩
(ج ٢) ٢٥٨ ،
(ج ٣) ٤٧٢
(ج ٤) ٤١٧ ،
علقة ذو قيفال (ج ٢) ٥٩٣
علمن بن عم كرب (ج ٢) ٨٧
علمان (ج ١) ١٠١

(ج ٤) ٢٥ ، ٥٠٠
علي بن ثمامة (ج ٣) ٢٣٢
علي بن الحسن (ج ٨) ٥٦٦
علي بن خالد الضبي (ج ٩) ٢١
علي بن خليل الشيباني (ج ٩) ٣١٤
٣٦٨

(ج ٢) ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ،
٣٥٥
علمان نهفان (ج ٢) ١٤٠ ، ٣٣٥ ،
٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢
- ٣٧٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩
٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٥٥ ،
- ٤٥٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥
(ج ٣) ٤٥٤
(ج ٥) ٢٣٢
(ج ٨) ٦٧٤

علي بن زيد (ج ٢) ٥٩٣
(ج ٤) ٨٢
علي بن سعد (ج ٦) ٤٣١
علي بن سليمان الاخفش (ج ٩) ٨٤٨
علي بن سنان (ج ٤) ٢١٧
علي بن العباس (ج ٩) ٢٢٦
علي بن عبدالله بن عباس (ج ٧) ٢٤٩
علي بن علقمة (ج ٩) ٤٧١
علي بن عيسى الجراح (ج ٣) ٥٣١

علي بن ابي طالب (ج ٢) ٦٣٦ ،
٦٥٠
(ج ٣) ٥٠٦ ، ٥٣١ ،
(ج ٤) ١٠٩ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،
٢٩٩ ، ٣١٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ،
٦٥٦
(ج ٥) ٥٠ ، ١٦٩ ، ٢٨٩ ،
٤٢٣ ، ٤٤٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ،
٥٨٩ ، ٥٠٩

علي بن الفضل (ج ٢) ٢١٨
علي بن المبارك (ج ٨) ٧٣٧
علي بن مسعود الأزدي (ج ٤) ٣٥٤
علي حسن عبد القادر (ج ١) ٨٦

عملد بن (ج) ٤٩١
 عملد يهبيض (عمدان) (ج) ٤٨٢ ،
 ٥٢٨ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٤٨٨
 عمر بن ابراهيم (ج) ٢٨٣
 عمر بن ابي ربيعة (ج) ٤٣١ ، ٦٩٤
 عمر بن سعد تبع (ج) ٥٧٠
 عمر بن الخطاب (ج) ٦٨ - ٦٩ ،
 ٩٣ ، ١٠٩ ، ١١١ - ١١٣ ،
 ١٤٧ ، ٢٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٠ - ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧٣ -
 (ج) ١٢ ، ١٠٦ ، ١٨٦ -
 ١٨٧ ، ٣١٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩
 ٤٢٨ - ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٥٢٠ ،
 (ج) ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ،
 ٧٩ ، ١١٩ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ،
 ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ،
 ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ ،
 ٢٣٢ ، ٢٧٠ - ٣٧١ ، ٣٨١ ،
 ٣٨٦ ، ٤١٤ ، ٤٨٠ ، ٤٩٨ -
 ٤٩٩ ، ٥٣٥ ، ٥٦٦ ، ٥٩٩ ،
 ٦٣٦ ، ٦٦٧
 (ج) ٤٨ ، ٥٩ ، ١١٦ ، ١١٩ ،
 ١٢٣ ، ١٣٧ ، ٢٠٦ ،
 ٢٢٠ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ،
 ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ،
 ٣٠٥ ، ٣١٨ ، ٥٠٩ - ٥١٠ ،
 ٥٥٧ ، ٥٧٣ ، ٥٨٩ ،
 ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ ،
 ٦٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٤١ - ٦٤٢ ،
 ٦٤٦
 (ج) ٧١ ، ٩٨ ، ١٤٣ ،
 ٢١٨ ، ٢٥٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ،
 ٣٧٣ ، ٤٤٠ - ٤٤١ ،
 ٤٤٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥٢٦ ،
 ٥٤٨ - ٥٤٩ ، ٥٦٤ ، ٥٩٦ -
 ٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ،
 ٦٢٢ ، ٦٥٣ ، ٦٦٠ ، ٦٧٥ -

(ج) ٦١٥
 علي الجمل (ج) ٥١ ، ٢١٦
 علي سامي النشار (ج) ٥١
 عليم بن جناب (ج) ٤١٧ - ٤١٨
 (ج) ٢٣٩
 عم امر بن اب ذيرن (ج) ٢٧٤
 عم امر بن حرقم (ج) ٢١٨
 عم امر بن معد يكرب (ج) ٣٢٢
 عم امن بن نبط ايل (ج) ٤٠٧
 عم انس بن سحن (ج) ٣٦٩ ،
 ٤٠١
 عم ذخر (ج) ١٤٢ ، ١٦٨ ، ٣٧١ ،
 ٤٨٥
 عم شفق بن سرورم (ج) ٤١١ -
 ٤١٢
 عم صديق (ج) ٨٩ ، ١٣٨ - ١٣٩
 عم علي (ج) ٢٢١
 (ج) ٥١٤
 عم كروب (ج) ١٣٨ ، ٢٠٥
 عم وقه ذامرم (ج) ٢٩٥
 عم يشع (ج) ٥٨٠
 (ج) ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،
 ١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، ١٣٨ ،
 ٢٢٢ ، ٥٠١ - ٥٠٢ ، ٥٠٥ ،
 عمى رتق (ج) ٩٧
 عمار بن عبد المسيح (ج) ٢٢٦
 عمار بن ياسر (ج) ٢٨٨ - ٢٨٩
 (ج) ١٠٦ ، ٤٥٥
 (ج) ١٢٤ ، ٣٠٢ ، ٧٨٩ ،
 ٧٥٠ (ج) ٩
 عمارة بن عبد العزي (ج) ٥١٤
 عمارة بن العيسى (ج) ٣٦٧ ، ٣٧٩
 عمارة بن الوليد بن المفيرة (ج) ٢٨
 (ج) ٧١٢
 عمارة الوهاب (ج) ٥٧٤ ، ٦٣٦
 عمارة اليمنى (ج) ٥٣٦
 عمان بن قحطان (ج) ٣٥٨ - ٣٥٩
 (ج) ٢٠٢

٨٥٠ - ٨٤٨ - ٨٤٥ - ٨٢٨	٧٠٤ - ٧٠٣ - ٦٩٥ ، ٦٧٦
٨٦٨ ، ٨٦٥ - ٨٥٦ - ٨٥٥	٧٧٥ - ٧٦٨ - ٧٢٥
٨٧٦ ، ٨٧٣ - ٨٧١ ، ٨٦٩ -	٦٩ ، ٦٠ ، ٤٤ ، ٤١ (٧ج)
٨٨٣ ، ٨٨١ - ٨٨٠ ، ٨٧٨	- ٢٤٤ ، ١٥٠ - ١٤٩ - ١٣٦
٨٩٤ ، ٨٨٨ - ٨٨٦ ، ٨٨٤ -	٢٤٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٥ ، ٢٤٥
٨٩٦ - ٨٩٧ ، ٨٩٩ - ٩٠٠	- ٣٦٨ ، ٣٦٣ ، ٣٥٨ - ٣٥٦
٩٠٦	٤٠٨ ، ٤٠٢ ، ٣٧٤ - ٣٦٩
عمر بن زيد (ج) ٣١٩ -	٤٦٥ ، ٤٥٤ - ٤٢٩ - ٤٦٦
١٢٤ (٦ج)	٤٨٥ ، ٤٧٩ ، ٤٧٥ - ٤٦٦
عمر بن شبعة (ج) ٣١٨ ، ٣٦٣ ،	٤٩٧ - ٤٩٩ ، ٥٠٠ - ٥٠٢ ،
٣٦٥	٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٤٠ ، ٥٦١ ،
٥٦٦ ، ١٦٢ (٨ج)	٥٩٢ - ٦١٣ ، ٦٣٢
(ج) ٣٢٦ ، ٣٥٠ ، ٤٠٦ ،	١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ (٨ج)
٧٨١	١٢٥ - ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
عمر بن عبد العزيز (ج) ٢٦٤	١٢٤ ، ١٢٧ - ١٤٠ ، ١٦٦ ،
٧٢٧ ، ٦١١ (٦ج)	١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩١ ،
٢٤٥ ، ١٤٨ (٧ج)	٢٧٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ -
٧٧٦ ، ٢٤ (٩ج)	٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٤ - ٣٢٦ ،
عمر بن مخزوم (ج) ٦٠٦	٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ،
عمر بن مهران (ج) ٣٢٨	٤٢٥ ، ٤٦٠ ، ٥٣٨ ، ٥٧٢ ،
عمر بن هبرة (ج) ٧٦١	٥٩٦ - ٥٩٩ ، ٦٠١ - ٦٠٤ ،
عمر بن يوسف (ج) ٤١٨	٦٠٦ ، ٦١٧ ، ٦٢١ - ٦٢٢ ،
عمر التغلبي (ج) ٢٥١	٦٢٩ ، ٦٤١ ، ٦٥٧ - ٦٥٨ ،
عمر الدسوقي (ج) ٢٧١	٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٧٢ ، ٧٠٩ ،
عمر الديراوي (ج) ١٣٣	٧٣٥ ، ٧٥٠ ، ٧٦٥ ، ٧٨٨ -
٢٢٥ (٢ج)	٧٨٩
عمر يهرعش (ج) ٦٣١	(ج) ١٦ - ١٤ ، ١١ - ٨ ، ٦
عمران بن تغلب (ج) ٤٠٧	١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٥ - ٣٦ ،
(ج) ٥٠	٤٠ - ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ،
٤٩١ ، ٤٨٩ (٤ج)	٧١ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١١٨ ،
عمران بن الحاف (ج) ٣٦٦	١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢٣١ ،
(ج) ٤٢٠ - ٤٢١ ، ٤٢٣ ،	٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ ،
عمران بن الحصين (ج) ٣١١	٢٥٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ ،
٦١٣ (٥ج)	٢٩٤ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٣٨٠ ،
٧٣٩ (٦ج)	٥٢٨ ، ٥٤٣ - ٥٤٤ ، ٥٥٣ -
٣٤٩ ، ٣٩٩ (٨ج)	٥٥٤ ، ٥٧٨ ، ٥٨٧ ، ٦٠٤ ،
عمران بن عمرو مزيقياء (ج) ٥٤٨	٦٣٦ ، ٦٨٢ ، ٧٠٤ ، ٧٠٨ ،
١٦٦ (٣ج)	٧١٢ ، ٧١٥ ، ٧١٧ ، ٧٤٠ ،
٤٣٦ (٤ج)	٧٤٣ ، ٧٥٠ ، ٧٦٥ - ٧٦٧ ،

- عمرو بن تبع (ج ٣) ٣٢٨ - ٣٢١
 عمرو بن نعيم بن مر (ج ٢) ٦٣٧
 (ج ٣) ٣٢٦ - ٣٤٨ ، ٣٥٣
 (ج ٤) ٣١٨ ، ٥١٣ ، ٥٢٩ -
 ٥٢١ ، ٥٧١
 (ج ٥) ٣٥٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ،
 ٣٧٨
 (ج ٦) ٢٢٣
 (ج ٧) ٣٧٠
 (ج ٨) ٤٧٦
 عمرو بن ثعلبة (ج ٤) ٣٣٧ ، ٤٥٠
 (ج ٨) ٧٧٣
 عمرو بن جابر الغزالي (ج ٣) ٢١١ ،
 (ج ٤) ٥١٣
 (ج ٦) ٧٢٧
 عمرو بن الجارود الحنفي (ج ٦) ٩٧
 عمرو بن جؤبة (ج ٤) ٥٠٨
 (ج ٥) ٤٠٧
 عمرو بن جبلة (ج ٣) ٤٢٦ ، ٤٤٧
 عمرو بن جحاش (ج ٦) ٥٢٣ ، ٥٤٦
 ٥٦٤
 عمرو بن جعيد (ج ٤) ٣٤٧ ، ٤٨٤
 (ج ٥) ١٨٩
 (ج ٦) ٧٦٥
 عمرو بن جفنة الفساني (ج ٣) ٤٠٠
 ٤٤٦
 (ج ٤) ٩٢
 (ج ٦) ٤٧٧
 عمرو بن جندب (ج ٦) ٨٢٠
 عمرو بن الجون (ج ٥) ٣٧٣
 عمرو بن جوين (ج ٩) ٥٢٨
 عمرو بن الحارث (ج ٢) ٣٠٤
 (ج ٣) ٣٤٧ ، ٤٠١ ، ٤١٩ -
 ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ،
 ٤٤٥ - ٤٤٨
 (ج ٤) ١٤ ، ٥٨ ، ٤٨٣ ، ٤٩٥
 ٥٢١ ، ٥٩٥
 (ج ٩) ٣٦٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ،
 عمرة بنت رواحة (ج ٩) ٤٢٢ ، ٧٢٨
 عمرة بنت سعد (ج ٤) ٦٢٧
 (ج ٥) ١٣٦
 (ج ٨) ٢٢١ ، ٢٧٤
 عمرو بن ابي ربيعة (ج ٣) ٣٢٣ ،
 ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٣٩٧
 عمرو بن ابي سلمة (ج ٨) ٥٩٦
 عمرو بن ابي صخر (ج ٩) ٧٨٩
 عمرو بن احمر الباهلي (ج ٩) ٨٨٩
 عمرو بن الاحوص (ج ٥) ٣٧٣ -
 ٣٧٤
 عمرو بن اد (ج ٤) ٥٢٣ - ٥٢٥
 عمرو بن الازد (ج ٤) ٤٣٤ ، ٤٣٧ -
 ٤٣٨
 عمرو بن اسد (ج ٤) ٥٣٣ - ٥٣٤
 عمرو بن الاطنابة (ج ٤) ١٣٧ - ١٣٨
 (ج ٥) ٨٦
 (ج ٩) ٧٢٠ - ٧٢١ ، ٨٢٦
 عمرو بن اعصر (ج ٤) ٥١٤
 عمرو بن اله (ج ٢) ٦١٥ - ٦١٦ ،
 ٦١٨
 (ج ٩) ١٥٢
 عمرو بن ام اناس (ج ٣) ٣٢٥ - ٣٢٦
 عمرو بن امامة (ج ٣) ٢٥٤ - ٢٥٥
 عمرو بن امريء القيس (ج ٣) ١٩٤ ،
 ١٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ - ٣١١ ،
 ٣١٣
 (ج ٩) ٧٢٠ ، ٧٢٨
 عمرو بن امية (ج ٦) ٥٠٠
 (ج ٧) ٣٥٨
 (ج ٩) ٧٦٤
 عمرو بن الاهتم (ج ٤) ٢٠٥ ، ٥٩٤
 (ج ٩) ٩٩ ، ٨٨٤ - ٨٨٥
 عمرو بن البراق (ج ٩) ٦٠٩ - ٦١٠
 ٦٣٨
 عمرو بن بقبلة (ج ٣) ٢٨٨ - ٢٨٩
 عمرو بن بكر (ج ٤) ٥٠٠
 عمرو بن تباث اسعد (ج ٢) ٥٧٩ ،
 ٥٨٣

(ج) ٧٦٥
 عمرو بن رزاة بن عدس (ج) ١١١
 ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
 عمرو بن سالم الخزاعي (ج) ٢٦٦
 عمرو بن سبيع (ج) ١٩٤
 عمرو بن سدوس (ج) ٤٩٦
 عمرو بن سعد (ج) ٣٦٧ ، ٣٧٣ -
 ٣٧٤ ، ٤٠٣
 (ج) ٦٨١
 (ج) ١٢٧
 عمرو بن سعود (ج) ٤٧٩
 عمرو بن سفيان الكلبي (ج) ٤٣٦
 (ج) ٦٦٢
 عمرو بن سواد (ج) ٤٣٩ -
 ٤٤٠
 عمرو بن شأس الاسدي (ج) ٤١١
 (ج) ١٠٥ - ١٠٦
 (ج) ٨٩٤ - ٨٩٥
 عمرو بن شداد (ج) ٢٨٨
 عمرو بن الشريد (ج) ٢٧٩
 (ج) ٣٩٠
 (ج) ٧٧٩
 عمرو بن شمس (ج) ٨٤
 عمرو بن شيبان (ج) ٢١١
 (ج) ٣٤٦
 عمرو بن الشيخ (ج) ٤٥٢
 عمرو بن صخر بن أشنع (ج) ١ -
 ٣٣٦
 (ج) ٢٨٥
 عمرو بن صرمة (ج) ٢١ ، ٥١٢
 (ج) ٣٠٣
 عمرو بن الصقع (ج) ٦٥١
 (ج) ٤٢٠
 (ج) ٢٣٠
 عمرو بن الطرب (ج) ١٠٤ - ١٠٦ ،
 ١٨١
 (ج) ٥٧٢
 عمرو بن عائد (ج) ٥١٩
 عمرو بن العاص (ج) ١٠٩ - ١١٠

٥٩١ - ٥٩٣ ، ٦٧٠ ، ٧٣٢
 - ٧٣٣ ، ٧٣٥
 عمرو بن الحاف (ج) ٣٦٦ - ٣٦٧
 (ج) ٢٦٢ ، ٤٢٠
 عمرو بن حجر (ج) ٢١٥ - ٢٣٥ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٦ - ٣٣٠
 (ج) ٤٢٧ - ٤٣٨ - ٤٨٨
 عمرو بن حربث (ج) ٤٦١
 عمرو بن حزم (ج) ٥٣٦
 (ج) ١٤٥ : ١٩١ - ١٩٢
 (ج) ١٢٣
 عمرو بن حسان (ج) ٢٨٢ : ٣٨٤ ،
 ٤٠٧
 عمرو بن الحضرمي (ج) ١٢٨
 عمرو بن الحقيق (ج) ٢٦٦
 (ج) ٧٦٥ ، ٧٦٩
 عمرو بن حممة الدوسي (ج) ٥٠٥
 ١٤٤ ، ٦٣٨ ، -
 ٦٤٦
 (ج) ٣٥٠
 (ج) ٨٥٢ ، ٤٨٨
 عمرو بن حمير (ج) ١٢٧
 عمرو بن خارجة (ج) ٢٣٤
 عمرو بن خالد (ج) ٢٦٨
 (ج) ٣٦٥
 (ج) ٦٢٢
 عمرو بن الخثارم (ج) ٦٩
 عمرو بن الخمس (ج) ٢١٤
 عمرو بن الخنس (ج) ٤٩٢
 عمرو بن خويلد (ج) ٥٢١
 عمرو بن الذارع (ج) ٦٦٩
 عمرو بن ربيعة (ج) ٢٦٨ ، ٤٣٨ -
 ٤٣٩ ، ٦٥٨
 (ج) ٤٣٦
 (ج) ٧٧ ، ٢٣٧ : ٢٦٨
 عمرو بن رزين (ج) ٤٦٣
 عمرو بن رياح (ج) ١٠٣
 عمرو بن زبيد (ج) ٣٦١

٨٢ - ٨٣ (٥ج)	٣٦٩ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣١٩
عمرو بن عبسة (ج) ٦٧١	٤٧٦ - ٤٨٤
(ج) ٥٥٧	(ج) ١١٩ - ١٢٥ - ١٤١ -
عمرو بن عثمان المخزومي (ج) ١٣٥	١٤٢ - ٢٠٠ - ٢٤٥ - ٢٤٨ -
عمرو بن عدس (ج) ٥٢٤ ، ٥٧١	٢٦٢ - ٤٤١ - ٤٨١ - ٦٤٣
(ج) ٥٤٥	(ج) ٢٨ - ١٥٦
(ج) ٢٧٠	(ج) ٢٥٨
عمرو بن علي (ج) ٧٧	(ج) ٢٤٥ - ٢٩٥ - ٢٩٦ -
(ج) ٦٣٧ ، ٦٣٤ ، ٦١٦	٢٠٧
(ج) ١٧٩ ، ١٥٦ ، ١٠٥	(ج) ١٢١ ، ١٢٥ ، ٥٩٦ ،
١٨١ ، ١٨٤ - ١٨٧ ، ٣٠٥	حا ٧٦٩
٣١٣ ، ٣١٠ - ٣٠٨ - ٣٠٦ -	(ج) ٧١١ - ٧٣٨ - ٧٤٧ -
٤٤٢ ، ٣٩٠	٨٨٤ ، ٨٥٦
(ج) ٢٢٥ : ٤٣٧ ، ٤٦١ -	عمرو بن عامر (ج) ٤٠١ - ٤٠٣ ،
٤٦٢	٤٠٥ : ٤٠٧ - ٤٠٩ : ٤٨٤ :
(ج) ٧١٢	٤٩١
(ج) ٢٧٤	(ج) ٣٨٨ - ٣٩١ ، حا ٣٩٩ -
عمرو بن عصم (ج) ٥٨٥	٤٠٠ -
عمرو بن عصية (ج) ٥١٨	(ج) ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ،
عمرو بن العلاء (ج) حا ١٥١ ،	١٩١ ، ٥٢١ ، ٥٣٠ ، ٦٥١ ،
٣٤٨	٦٥٤ - ٦٥٥
عمرو بن علة (ج) ٣٧١	(ج) ٧٧٠ ، ٧٦٦
عمرو بن علقمة (ج) ٦٤٩ - ٦٥٠	(ج) ٥٤٧ ، ٥٠٣
عمرو بن عمار (ج) ٤٩٨	عمرو بن عبدالله الضبابي (ج) ٥٣٧
عمرو بن عمرو بن عبدالله (ج) ٢٣١	(ج) ١٠٧ ، ١٨٩ ، ٥٠٢ ،
(ج) ٣٧٤ - ٣٩٦	(ج) ٧١٦
(ج) ١١٨	عمرو بن عبد الجن (ج) ٥٠٢ ،
عمرو بن علق (ج) ١٩٦	٦٨٤
عمرو بن عمير (ج) ١٥٣	عمرو بن عبد شمس (ج) ٤٨٢
(ج) ٤٣٠ - ٤٣٢ ، ٤٣٢ ،	عمرو بن عبد العزى (ج) ٦٦٩
عمرو بن عوف (ج) ٤٣ ، ١٣٩ ،	عمرو بن عبد القيس (ج) ٧٨٢ ،
١٤٤ ، ١٥١	عمرو بن عبد المسيح (ج) ٦٤٩
(ج) ٥٤٧	(ج) ٢٢١ ، ٢٢٥
(ج) ٦١٩ ، ٦٥٥ ، ٧٢٣ ،	(ج) ٢٩٤ ، ٤٢٨
٨٥٣	عمرو بن عبد ود (ج) ١٠٩
عمرو بن غنم (ج) ٤٠٧	(ج) ٣٧ ، ٤٤٥
	عمرو بن عبد مناف (ج) ٤٨١

- ٢٦١ (ج١٤)
عمرو بن مرشد (ج٥) ٨٥ ،
٤٣١
٣٢٠ ، ٣٠٥ (ج١٧)
٨١٨ (ج١٩)
عمرو بن مرداس (ج٤) ٢٥٩
عمرو بن اسبج الطائي (ج٩) ٥٣٢
عمرو بن مسعود (ج٣) ٢٣٦ ، ٢٨٢
٣٥١
٦٧٥ (ج٤)
عمرو بن التمرح (ج٥) حا ٩٠
عمرو بن مصاص (ج٤) ٧
٤٠٥ (ج١٦)
عمرو بن معاذ (ج٤) ١٣٧
عمرو بن معاوية الكندي (ج٣) ١٨٦
٣٢٠ ، ٣٨١
٢٣٨ ، ١٩٨ - (ج٤) ١٩٧
٣٧٤ ، ٢١١ (ج٥)
١٥١ (ج١٧)
عمرو بن معبد الجهني (ج٧) ٤٨٥
عمرو بن معد يكرب (ج٢) ٥٩٨
٢٧٩ ، ١٣ (ج٣)
١٨٨ - ١٨٧ ، ١٥٦ (ج٤)
١٩٣ ، ٤٥٦ ، ٦٢٠
٣٩٧ ، ٢٢٤ ، ٣٩١ (ج٥)
٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤٥
٧٧٩ (ج٨)
٦٩ ، ١٠٦ ، ٢٤٣ ، (ج٩)
٢٧٤ ، ٤٩٩ ، ٦٤٨ ، ٨٦٨ -
٨٧٠
عمرو بن ملفط الطائي (ج٣) ٢٥٢
عمرو بن المنذر (ج٣) ٢٥٧ ، ٣٠٧
٣٠٩ - ٣١٢ ، ٣٦٣
٤٩٣ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٤٩٨
١٧٥ ، ٨١ (ج٤)
عمرو بن ميمون (ج٨) ٣٢٥
عمرو بن نابل اللخمي (ج٣) ٣٣١
عمرو بن النعمان (ج٣) ٤٢٢ ، ٤٣٢
٤٤٤ - ٤٤٥ ، ٤٤٧
- ١٤٠ ، ١٣٧ (ج٤)
عمرو بن نفاثة (ج٣) ٥١٥
عمرو بن نفيل (ج٥) ٩٧
عمرو بن الهولة الفساني (ج٣)
٣٢٣
عمرو بن هشام (ج٤) ١٠٥
٢٨ (ج٥)
عمرو بن حصيص (ج٤) ٢٦
عمرو بن هلال (ج٤) ٣١ ، ٦٤ -
٦٥
عمرو بن هنب (ج١) ٤٠٧
عمرو بن هند (ج٣) ٢٠٢ ، ٢٠٩ ،
٢١٨ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٣٤ ،
٢٣٩ ، ٢٤١ - ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ - ٢٨٠ ،
٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٦ ،
٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ،
٥٠٥ ، ٥٢٢
٢٢٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧٥ - (ج٤)
٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٤٠٥ ، ٤٥٠ ،
٤٥٣ ، ٥٠١ ، ٥١٤ ، ٥٧٩ ،
٦٥٥ - ٦٥٦
٢٤٠ ، ٢٨٧ ، ٣٣٠ ، (ج٥)
٣٩٢ ، ٤١١
٢٩٤ (ج٧)
٢٦٧ ، ٣٠٦ ، ٣٦٥ - (ج٨)
٤٠١ ، ٣٦٦
٨٧ ، ١٠٩ ، ٣٢٩ ، (ج٩)
٣٦٢ ، ٤٤٢ - ٤٤٣ ، ٤٦٨ ،
٤٨٥ ، ٤٩٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ -
٥٣٩ ، ٥٦١ - ٥٦٢ ، ٥٦٥ ،
٦٣٧ ، ٦٦٢ - ٦٦٦ ، ٦٨٩ -
٦٩٠ ، ٦٩٢
عمرو بن ود (ج٥) ٣٩١
٢٥٦ (ج٦)
عمرو بن وديعة (ج٤) ٤٨٣ - ٤٨٤
عمرو بن يثربي (ج٩) ٦٤٧
عمرو بن يربوع (ج٦) ٧١٤ - ٧١٥

- (ج) ٥٧١
عمرو بن يعفر (ج) ٥٢٢ - ٥٢٣
عمرو أبو شمر الأصغر (ج) ٤٢٣ - ٤٤٢
عمرو أقحل بن أبي كرب (ج) ٢٥٧
عمرو الجني (ج) ١٢٠
عمرو ذو الأذعار (ج) ٥٢٢ - ٥٢٣
(ج) ١٩
عمرو ذو الكلب (ج) ٦٤٩
عمرو شمس (ج) ٢٨١
عمرو اللات (ج) ١٦ - ١٧
عمرو المزدلف (ج) ١٩٨
عمرو مزريقاء (ج) ٤٣٦
عمرو ينار ذو قعدان (ج) ٥٠٢
عملى (ج) ٥٢٥
عمليق (ج) ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩
٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ - ٢٤٧
٤١٨
(ج) ٦٧٥
عم (ج) ٤٦٣
عمولاطي (ج) ٦٠١
عمير بن الأزعم (ج) ٣٦١
عمير بن جندب الجهني (ج) ٤٦٣ ، ٥٠٥
عمير بن حنيفة (ج) ٢١٧
عمير بن سلمى الحنفي (ج) ٤٠٥
- ٤٠٧ ، ٤٤٨
عمير بن قيس بن جندل الطعان
(ج) ٤٩٩ - ٥٠٢
عمير بن هذيل (ج) ٣٩٨ - ٣٩٩
عمير بن وهب (ج) ٨٠
(ج) ٢٢٤
عمير ذي مران (ج) ١٩٣
عميرة بن أوس (ج) ٤٠٨
عميرة بن جميل (ج) ٢٧٠
عميرة بن مالك الخارفي (ج) ٤٠٧
(ج) ٤٢
(ج) ١٩٣ ، ١٨٦ ، ١٩٣
عميرة أبو ضمضم (ج) ٣٣٢
- عميرة بنت غفار الجديبية (ج) ٤٤٧ ، ٤٨٧ ، ٦٨٦
عميطع (ج) ٤٤٢ ، ٥٨٠
عمكرب بن سبأ (ج) ٢٦٤
عبد حام (ج) ٨١٦
العنبر بن عمرو بن نعيم (ج) ٤٤٥
٤٧١
العبر بن يربوع (ج) ٥٢٩
عنبسه بن معدان (ج) ٥٣
عنبره بن شداد العبسي (ج) ٥٢٢
(ج) ٤٥٣ ، ٥١٠ - ٥١١
٥٥٨
(ج) ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧
٣٩٦ ، ٤٠٢ ، ٤٤٥
(ج) ٢٥٤ ، ٦٥٩ ، ٧٩١
- ٧٩٢
(ج) ٣٦٥ ، ٥٩٢
(ج) ٣٧٣ ، ٥٤٥ ، ٦٦٤
٧١٨
(ج) ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٧٧
٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤
٤٤٠ - ٤٤١ ، ٥٠٨ - ٥٠٩
٥١١ ، ٥١٩ ، ٥٥٨ - ٥٦٠
٥٨٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٦
٧٥٤ ، ٧٩٣ ، ٨٨٣
عندل (ج) ٣٦٨
عنز (ج) ٥٢٦
(ج) ٥٢٥
عنزة بن أسد (ج) ٤٠٧
(ج) ٢٧٨ ، ٢٤٧
(ج) ٢٣٥ ، ٥٧٧
(ج) ٣٦٥ ، ٤٣٧
عنزة بلج بن الحرق (ج) ٢٨١
عنس بن ملحج (ج) ٣٧١
(ج) ٤٥٥
العنسي (ج) ١٩٣
عنقير (ج) ٢٨٦
عنيزة (ج) ٥٢٦
عهر شمر (ج) ٢٣٢

- عوافة بن سعد (ج ٥) ٦٥٣
العوام بن خويلد بن اسد (ج ٤) ٨٠
العوام بن كعب (ج ٩) ٨٦٠
العوام ابو الزبير (ج ٤) ١٢٥
عوانة بن الحكم (ج ١) ١١٤ - ١١٦
(ج ٩) ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٢٤٧
عوانة بنت قيس بن عيلان (ج ٤)
٤٧٧ ، ٥٣١
(ج ٨) ٣٦٢ ، ١٦٨
عوبال (ج ١) ٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٤٢٤
عوج بن عوق (ج ٣) ٦١
عوده ذو جلدن (ج ٣) ٤٨٥
عوذ (ج ١) ٣٣٢
(ج ٦) ١٦
عوذ مائة (ج ٦) ١٦ ، ٢٥٠ ، ٣٢٠
عوز بن سرير الفاققي (ج ٤) ١٩٠
عوسجة بن حرملة الجهني (ج ٤)
٢٦١
(ج ٨) ١٣٠
عوص بن ارم (ج ١) ٢٩٤ ، ٢٩٧ -
٢٩٨ ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٢٤٣
٤١٦ ، ٤١٩ - ٤٢٠ ، ٥٩٦
٦٣١ - ٦٣٢
(ج ٣) ١٢
عوص بن حاشد (ج ٤) ٤٤٨
عوص بن عاد (ج ٨) ٥٣٧
عوف بن ابي حارثة (ج ٤) ٨٥ ،
٤٧٨
(ج ٥) ٣٨٢
عوف بن ابي شعر (ج ٣) ٤٣٢
عوف بن الاحوص (ج ٤) ٥٢١
عوف بن اد (ج ٤) ٣٣٨
عوف بن الاعوص العامري (ج ٦)
حا ٤٠٤
عوف بن امية (ج ٨) ٤٩٨ - ٤٩٩
- عوف بن بهته (ج ٤) ٥١٨
عوف بن ثقيف (ج ٤) ٥١٧
(ج ٦) ٣٥٠ ، ٤٣٠
(ج ٨) حا ٦٥٢
عوف بن جذيمة (ج ٤) ٤٨٧
عوف بن الجزع (ج ٦) ٧٥٩ ، ٨٠٤
عوف بن جشم (ج ٣) ٢٠٩
عوف بن دهر (ج ٤) ٢٩
عوف بن ربيعة (ج ٣) ٣٥١
(ج ٨) ٧٤٢
عوف بن سعد (ج ٤) ٥١٢
عوف بن عامر (ج ٩) ٧٦٥
عوف بن عبدالله (ج ٥) ٤٠٧
عوف بن عبد عوف (ج ٥) ٣٧
عوف بن عبد مناة (ج ٤) ٥٢٤ -
٥٢٦
عوف بن عبيد (ج ٥) ٦٠٦
عوف بن عتاب الرياحي (ج ٣) ٢٢٦
عوف بن عذرة (ج ٦) ٧٩ ، ٢٥٥
عوف بن عطية بن الخرع (ج ٥) ٣٧٦
(ج ٩) ٤٧٢
عوف بن عمرو (ج ٤) ٢٤٠ ، ٤٨٣ ،
٥١٢
(ج ٥) ٣٤٩
عوف بن عوف (ج ٤) ٥٩٦
عوف بن كعب (ج ١) ٣٦٧ ، ٣٧٢ ،
٣٩٢ ، ٤٠٣
(ج ٤) ٦٧٤
عوف بن كنانة (ج ٤) ٣٧ ، ٥٣٢ ،
٥٣٥
عوف بن لؤي (ج ١) ٤٠١ - ٤٠٢ ،
٤٠٤ - ٤٠٧ ، ٤٧٠
(ج ٤) ٢٩ ، ٤٨٠
(ج ٨) ٤٧٣
عوف بن مالك (ج ١) ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،
٤٠٧
(ج ٤) ٤٣٧ - ٤٣٨
(ج ٩) ٤٥٧

١٣٠ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ٤٠٨ -

٤٠٩ ، ٤٥٨ ، ٤٦٨ - ٤٦٩ ،

٤٧٧ ، ٤٩٥

(ج) ٢٢٩ ، ٤٨٤

(ج) ١٠٣ - ١٠٤

(ج) ٣١ ، ١٢٠ ، ٤٣٥ -

٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٩٠ ،

٤٩٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٧٣ -

٥٧٤ ، ٥٨٢ - ٥٨٥ ، ٦٠١ ،

٦٠٣ ، ٦٠٧ - ٦٠٨ ، حـ

٦١٠ ، ٦١٨ - ٦١٩ ، ٦٢٣

- ٦٢٤ ، ٦٢٦ - ٦٢٧ ، ٦٣٠

- ٦٣٢ ، ٦٣٤ - ٦٣٧ ، ٦٤٨

- ٦٥٠ ، ٦٥٧ ، ٦٦٥ - ٦٦٧

٦٧٠ ، ٦٧٦ - ٦٧٨ ، ٦٨٧ ،

٧٣٨

(ج) ٤١٧ - ٤١٨

(ج) ٨٨ ، ١١٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣

٣٩٠ ، ٥١٩ ، ٧١٣

(ج) ٦٨٥ ، ٧٦٣ ، ٨٢٢ ،

٩٠٣

عيسى الباني الطيبي (ج) ٣) حـ ٥٠٠

(ج) ٩٨ حـ

عيسى سابا (ج) ٦) حـ ٥٧٢ - ٥٧٤

عيسو (ج) ١) ٤٩٧ ، ٦٠٤

عيقه (ج) ١) ٤٤٦ ، ٤٥٨

عيلاميده (ج) ٣) ٤٦٣ ، ٤٧١

عيلان (ج) ٤) ٥٠٦ - ٥٠٧

العيني (ج) ٦) حـ ٣٦٩ ، ٥٧٦

(ج) ٩) حـ ٣٧٩ ، ٤١٨ ، حـ

٤٤٩ ، حـ ٥٠٢ - ٥٠٣ ، ٦٤١

٦٦٤ ، حـ ٧٩٦ - ٧٩٧ ،

٨٠٥ ، حـ ٨٦٦

عينيل (ج) ٦) ١٦

العيق (ج) ٦) ٢٠ ، ٥٧

عينه بن حصن (ج) ١) ٢٨١

(ج) ٤) ٢٣٦ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ،

٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٣٤٩ ، ٥٠٩

(ج) ٥) ٣٧٦ ، ٤٠٧ ، ٦٣٧ ،

عوف بن محلم الشيباني (ج) ٢)

٣٢٣ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٢٩ ،

٣٤٧ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠

(ج) ٣٦٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ،

٤٨٨

(ج) ٣٤٩

عوف بن مسلم (ج) ٤) ٤٠٥

عوف بن معاوية (ج) ٤) ٥١٩ - ٥٢٠

عوف بن همام (ج) ٩) ٣٤٨

عوف ايل (ج) ٦) ١٧

عون بن ايوب الانصاري (ج) ٤) ٤٤٠

عويصرة (ج) ٤) ٥٢٠

عويض (ج) ١) ٣٦٩

عويلم (عيلام) (ج) ١) ١٨ ، ٢٩٦ ،

٤١٧ - ٤١٨

عويمر النبهاني (ج) ٦) ١٣٤

العي (ج) ١) ٢٨٢

(ج) ٤) حـ ٤٦٨

العيار بن عبدالله الضبي (ج) ٣)

٢٧٩

عياش بن ابي ربيعة (ج) ١) ٣٣٢

(ج) ١٨١

(ج) ٦٨٣

عياص (ج) ٤) ٢٣٥

(ج) ٣٦٠ ، ٣٦٦

العيد (ج) ١) ٣٦٧ ، ٤٠٥

عيد عمرو بن صيفي (ج) ٦) ٥٩

عيسى بن جعفر (ج) ٩) ٢٧٢

عيسى بن ذاب (ج) ١) ٣٦٣

عيسى بن عمر (ج) ٨) ٧٣٧

(ج) ٩) ٣١ ، ٤٠ ، ٥٣ - ٥٦ ،

٧٢ ، ٢٦٥ ، ٣٢٤ ،

عيسى بن مريم (المسيح) (ج) ١) ٣٧

٤١ ، حـ ٥٤ ، ٥٩ - ٦٠ ،

٦٢ ، ٨٦ ، ٢٤٤ ، ٢٩٩ ، ٣٢٨

- ٣٢٩ ، ٦٥١

(ج) ٢) ٧٧ ، ١٧٧ ، ٢٥٩ ،

٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٦٢١

(ج) ٣) ٤٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،

(ج) ٦٦٧ ، ٥٧٧ ، ٤٣٠ ،
٨٩٧ - ٨٩٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٣

٦٤٢
(ج) ٩٨ ، حا ٣٩١ ، ٣٦٥ ،
٧٨٩ - ٧٨٨

- الفين -

(ج) ٥٨
غراب (ج) ٤٥٥ ، ٥٢٦
(ج) ٦٥٧
الفرانيق (ج) ٦٥٧
الفرنوق (ج) ٦٥٧
الفرور بن سويد (ج) ٢٠٩ - ٢١٠
٥٠٢
الفرور المندر بن النعمان (ج) ٣
٣٠٩
غروبواوم (ج) ٩٦ ، حا ٦٣ ، ٩٧ -
١٠١ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٦١ -
١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ -
١٨٩ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٤١٦ -
٤١٨ ، ٤٦٨ ، ٦٦٢ ، ٦٧١ -
٦٧٣ ، ٧٩٦ - ٧٩٧ ، ٧٩٩
٨٠٦ -
الغريض بن السموال (ج) ٧٧١ ،
٧٧٨
غريض بن عادياء (ج) ٥٨٠ ، ٧١٣
غريض اليهودي (ج) ٤٥٤
غريفور (ج) ٦٣٢
الغزالي (ج) حا ١٤٦
غزوان (ج) ٤٧٨
غسان (ج) ٥٢ ، ٨٠ ، ٣٦٤ ،

غانر (ج) ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٤١٩ -
٤٢٠
غاشم (ج) ٣٥٨
غاصب (ج) ٣٥٨
غازة (ج) ٤٠٥ - ٤٠٦
(ج) ٥٣١
غافق بن الشاهد بن عك (ج) ٤٢٠
٥٠٥
غالب بن حنظلة (ج) ٣٣٧ ، ٣٧٥
غالب بن سعد (ج) ٣٦٩ ، ٤٠٣ ،
٥٢٠
غالب بن صعصعة (ج) ٧٤ ، حا
٩٧
(ج) ٦٩ ، ٨٧٩
غالب بن فهر (ج) ٤٠٠
(ج) ٢٥١
(ج) ٤٧٩ ، ٥٢٠
غالب بن مدركة (ج) حا ٤٦٨ ،
٤٧٧ ، ٥٣١
غاليانوس بن والريانوس (ج) ٩٤
- ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٢ - ١١٣ ،
١٢٣
غانم بن علوان (ج) ٣٠٤
غاوي بن ظالم السلمي (ج) ٢٥٩
غبر بن غنم (ج) ٤٠٢
(ج) ٥٠٠
غيشان بن عبد عمرو (ج) ٤٢

غني بن اعصر (ج ١) ٤٠٤	٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٩٨ ، ٤٧٦ ،
(ج ٣) ٢١٣	٤٨٤ ، ٥١٦ - ٥١٧
الفوث بن زيد (ج ١) ٤٩١	(ج ٣) ١٥٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ،
(ج ٢) ٣٢٨ - ٣٢٩	٤٤٥
الفوث بن طيء (ج ١) ٣٥٨ ، ٢٧٠ -	(ج ٤) ٣١٤ ، ٤٢١ ، ٤٣٦ -
٣٧٤ ، ٣٧١	٤٣٧
(ج ٤) ٤٥١	غسان بن مالك (ج ٤) ٥٢٩
الفوث بن مر (ج ١) ٤٠٢	غضاضة (ج ١) ٤٠٧
(ج ٦) ١٩١ ، ٢٧٠ ، ٣٥٧ ،	غضب بن جثم (ج ٣) ٤٤٢
٣٨٧	(ج ٤) ١٣٤
الفوث بن نبت بن مالك (ج ١) ٤٨٨	الغطريف بن ثعلبة (ج ٣) ١٦٦
- ٤٨٩	غطفان (ج ١) ٣٧٣ ، ٤٠٦ ،
(ج ٤) ٤٣٣ - ٤٣٤	(ج ٤) ٤٢٨ ، ٥٧١
غوث ايل (ج ٨) ٥١٤	غطفان بن سعد (ج ١) ٤٠٤
غوردياتوس (ج ٣) ١٤٠	(ج ٤) ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ٥٢٥
الغوري (ج ٨) حا ٢٠٥	(ج ٦) ٢٤١
غوستاف ليون (ج ٤) ٢٩٧	غطفان بن عمرو (ج ٣) ١٦٧
غوي بن سلامة الاسيدي (ج ٥) ١٥٨	غطفان بن مرة (ج ٤) ٥١٢
غويدي (اغناطيوس) (ج ١) حا ١٠١	غطيف (ج ١) ٣٧٢ ، ٤٠٦
١٣٧ ، ٢٣٠ ،	(ج ٣) ٤٩٨
(ج ٢) حا ١٧٦ ، حا ٣٣٢ ،	غفار بن عبد مناة (ج ١) ٤٠٠
حا ٣٥٩ ، حا ٥٤١	(ج ٤) ٥٣٢
(ج ٦) حا ٧٢ - ٧٣	غفرة (ج ٩) ٨٨٤
(ج ٨) حا ٢٠٩ ، حا ٢١٧ ،	غلاب (ج ١) ٥٢٥
حا ٢١٩ ، ٦٢٦	غلفاء (ج ٣) ٣٤٨
غيان (ج ٤) ٤٣٠	القلي (ج ١) ٣٧١
الغيث (ج ١) ٣٦٧	الغمور بن مالك (ج ١) ٣٧٠
الغيطلة بنت مالك (ج ٦) ٧٦٠ ،	الغميصا (ج ٦) ٢٠
٧٧٠	غنم بن تغلب (ج ١) ٤٠٧
(ج ٨) ٧٤٤	(ج ٤) ٤٨٩ ، ٤٩١ - ٤٩٢
غيظ بن مرة (ج ١) ٤٠٥	غنم بن حبيب (ج ١) ٤٠٨
(ج ٥) ٦٠١	غنم بن حسي (ج ١) ٣٦٨ ، ٣٩٩ ،
غيلان بن خرشة (ج ٥) ٥٢	٤٠٤
غيلان بن سلمة (ج ٢) ١٤٠ - ١٤١	غنم بن دودان (ج ٣) ٣٦٤
١٦٩ ، ١٤٦	(ج ٤) ٥٣٤
(ج ٤) ١٥٠ ، ١٥٤	غنم بن عيس (ج ٤) ٥٠٥
(ج ٥) ٥٠٤ ، ٥٤٨ ، ٦٣٧ ،	غنم بن عوف (ج ٤) ٣٦٢
٦٤٧ - ٦٤٦	غنم بن كنانة (ج ٤) ٣٧ ، ٥٣٢
	غنم بن ودبة (ج ٤) ٤٨٣

(ج) ٥٧٧ ، ٦٦٨ ، ٧٥٢ ،
٧٦٧
غيلان بن مالك (ج) ٥٢٩
غيلة (ج) ٤٠٥

(ج) ٥٧٨
(ج) ١١١ ، ١٣٩ ، ٢٩٢ ،
٧٨٠ ، ٣٠١

— الفاء —

٣٦١
(ج) ٢٥٥
فاطمة بنت سعد بن سيل (ج) ٢٨
٤٠ — ٤١
فاطمة بنت عبد مناف (ج) ٥٢١
فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة (ج) ٩٦
٨٩٦ ، ٧٠٤ ، ٥٢٦
فاطمة بنت مر الخثعمية (ج) ٧٧٠
(ج) ١٣٧ ، ٣٦٩
فاطمة بنت المنذر (ج) ٦٦٢
فاطمة بنت النعمان (ج) ٧٦٠ ،
٧٧١
فاطمة الزهراء (ج) ١٥٧
الفاكه بن المغيرة (ج) ٣٧
(ج) ٧٦١ ، ٧٦٧
الفاكه بن النعمان (ج) ٢٤٤
فالج (ج) ٤٢١ ، ٤٤٩
فالغ بن هور (ج) ٣١٤
(ج) ٣٩٧
فاليريان (فاليريانوس) (ج) ٦٨
٦٣٤
(ج) ٩٢ — ٩٣
فان دين برندن (ج) ٣٢٨
(ج) ١٦٥

فؤاد افرام البستاني (ج) ٩٦
٥٨٣
فؤاد حمزة (ج) ١٩٢
(ج) ٢٨ ، ٤٨
(ج) ٥٣٧
(ج) ٤٣٨ ، ٤٤٤ ، ٦٧٩
(ج) ١٩٥ ، ٢٠٩ ،
٥١٢ ، ٥٦٨
(ج) ٥٩٢ ، ٥٩٣
فؤاد سفر (ج) ٦١٠
فاخته (ج) ٦٥٧ ،
(ج) ٤٠٧ — ٤٠٨
الفارابي (ج) ٦٣٠
فاراموس (ج) ١٤١
فاران بن عمرو (ج) ١٩٦
فارس (ج) ٢٩٧ ، ٤١٨
الفارعة (ج) ٤٨٢ ، ٤٩٩
فاطمة بنت بعجة (ج) ٤٧٦
فاطمة بنت الخرشث (ج) ٥٧٤ ،
٦٤٨ ، ٦٣٦
(ج) ٥٥٤
فاطمة بنت الخطاب (ج) ٧٦٥
فاطمة بنت ربيعة (ج) ٣٦٠ —

- فانس (ج) ٦٢١
فايتس بن شهاب (ج) ٥٧٠
الفتاوي (ج) ١٨٠ ، ٥٤٧
فتحا (ج) ١٧٠ - ٤٦٤
فنيان بن سبيح (ج) ١٤٠ ، ٥١٠
فنية بن النمر (ج) ٣٦٧
العجار الاكبر ، فجار البراض (ج) ٢٧٢
الفجيع بن عبدالله (ج) ٢٥٧
فدكي بن النمري (ج) ٥٧١
الفراء (ج) ٦٧٦
فجاء (ج) ٩١ ، ١٨٧ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٥٤٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ - ٥٧٥ ، ٧٣٧
فجاء (ج) ٢١٧ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٣٩١ ، ٢٢٢
فران بن حيان (ج) ١٢٤ ، ٢٢٣ - ٢٢٤
فران (ج) ٩٨ - ٩٩
فران (ج) ٣٤٠
فراس بن نمير (ج) ٥٣٢
فراس بن حابس (ج) ٢٠٦
فراس بن غنم (ج) ٤٠٤ ، ٥٢٥
فران (ج) ١٧٤ ، ٣٨٨ ، ٤٤٥ ، ٦٤١
فران (ج) ٦٤٩
الغرافصة بن الاحوص (ج) ٢١٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦
الغرافصة الكلبي (ج) ١٥٥ ، ٦٤٢
فران (ج) ٣٨٣
فران بن بلي (ج) ٥١٤
فرانز دلتش (ج) ٧٦٩
فرانك (ج) ١٤٩ ، ١٦١ ، ٣٠٨
فران (ج) ٤١٧
فرتز هومل (ج) ١٣٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٤٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٨٩ ، ٥٦٢
- فرج بن مالك (ج) ١٧٩
فردش شولنيس (ج) ٩٠ ، ٧٦٠
فردم بن عمرو (ج) ٥٤٧
فرديتي دلج (ج) ٥٨٢
الفرزدق (ج) ١٨١ ، ٣١٨ ، ٣٩٨ ، ٤٩٤
فرج (ج) ٢٢٦ ، ٢٥٢ ، ٥١٤
فرج (ج) ١٤٩ ، ١٩٧ ، ٣٣٧ ، ٥٢٦ ، ٤٩٠
فرج (ج) ٩٦ ، ٩٧ ، ١٤٤ ، ٣٩٢
فرج (ج) ٨٢٠
فرج (ج) ٤٩٨
فرج (ج) ٣٣٣
فرج (ج) ٢٥ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٨١ ، ١٢٠ - ١٢١ ، ١٨٤ ، ٢٣٢
فرج (ج) ٢٣٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥
فرج (ج) ٢٥٦ ، ٤١٩ ، ٤٤١ ، ٤٥٤
فرج (ج) ٥٢٠ ، ٥٢٦ - ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٥٤٤ ، ٦٦٧ ، ٨٥١ ، ٨٧٩
فرسنل (ج) ٢٩٨
فرع كرب يهوض (ج) ١٨١ ، ١٨٤ - ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ - ٢١٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧
فرعة بنت سعد (ج) ٢٨٧
فرع (ج) ٤٥٣
فرعم بن مقرم (ج) ٤٥٧
فرعم زهمين الشرح (ج) ٥٠٥
فرعم يهنسب (ج) ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤
فرعم (ج) ٣٨٧ ، ٤١٩ ، ٤٢١ - ٤٢٣ ، ٤٧٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥
فرعون (ج) ٣٢٣ ، ٤٥٣ ، ٦٢١
فرع (ج) ١٢١ - ١٢٣
فرع (ج) ٢٢ ، ٥٤
فرع (ج) ٤٩٠
فرع (ج) ٤٨٠
فرع (ج) ١٢٦ ، ٦٠٥ ، ٨٢٤

الفطيون (ج) ٧٢٠ ، ٧٦٠
 الفغار الجعفي (ج) ٥٥٧
 القعسي (ج) ٥٩١
 (ج) ٤٩٨
 فقيم بن ثعلبة (ج) ٤٩٩
 فقيم بن الحارث (ج) ٤٩٩
 فكتوريا (ج) ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٣
 فكل (ج) ٣٧٣
 فكيهة بنت هني (ج) ٤٧٨
 فلاديمير جرجاس (ج) ٦٢٢
 (ج) ٢٠٦
 فلافيان (ج) ٢١٧
 فلافيوس فويسكوس (ج) ١٠٧
 فلايدلر (ج) ٤٣
 فلبسي (ج) ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٧٨ -
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٣٢ - ٢٣٣
 ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٣ ، ٥٣٩ -
 ٥٥٨ ، ٥٤٠
 (ج) ١٨ ، ٤٨ ، ٥٢ - ٥٤
 ٥٨ ، ٧٧ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٨٥
 - ٨٦ ، ٩١ ، ٩٤ - ٩٨ ، ١٠٠
 - ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٣٥ - ١٣٧
 ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٣ - ١٤٤
 ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٧ - ١٥٨
 ١٦٧ - ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠
 - ١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧
 ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٧٠ -
 ٢٧١ ، ٢٧٣ - ٢٧٧ ، ٢٧٩
 ٢٨٥ - ٢٨٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١
 - ٣١٤ ، ٣١٦ - ٣١٧ ، ٣٢٢
 - ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤
 ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٥ : ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٥ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٤٩٢
 - ٤٩٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
 ٥٣٥ - ٥٣٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٨
 ٥٧١ - ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨
 ٥٨١ - ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧
 - ٥٨٨

فرفوريس (ج) ١٠٨
 فرننا (ج) ١٣٥
 فرنكل (ج) ٧٦
 فروة بن اباس (ج) ٢٢٥
 فروة بن الحصيل (ج) ٢٥٣
 فروة بن عمرو الجذامي (ج) ٢٠١
 (ج) ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٤٦٢
 (ج) ٣٩٨
 (ج) ٥٢٩
 (ج) ٤١٦
 فروة بن مسعود (ج) ٢٤٠
 فروة بن مسيك المرادي (ج) ٤٩٨
 (ج) ١٨٨ ، ٤٥٦
 (ج) ٤٠٨
 (ج) ٨٦٨
 فروخ ماهان (ج) ٢٨٩ - ٢٩٠
 (ج) ٦٦٣
 فروذ بن ربيعة (ج) ٣٦٨
 فرومستوس (ج) ٤٥٦
 فريدرش تولتس (ج) ٤٨٨ ،
 ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٤٩٩
 فريسئل (ج) ١٢٧
 الفريعة بنت خالد (ج) ٧٢٨
 الفريعة بنت همام (ج) ٢٨٦
 فزارة بن ذبيان (ج) ٢٥٤ ، ٥١٠
 - ٥١١
 (ج) ٣٦١
 فسبازيان (ج) ٥٥
 فصائل (ج) ٤٨
 فضالة (ج) ٤٦١
 (ج) ٧٧٥
 (ج) ٤٦٦
 فضج (ج) ٢٥٢
 الفضل بن شراة (ج) ٨٧
 الفضل بن عباس (ج) ٣١٠ ، ٣٦٦
 ٥٦٣ ، ٥٩٢
 (ج) ٤٣٥
 الفضل بن قضاة (ج) ٨٧
 الفضل بن نصاعة (ج) ٨٧

فورفيروس (ج) ١٩٨
 نوري فهم جاد الله (ج) ٢٨٩
 نوط (ج) ٢٩٧ ، ٤١٨
 موقاس (ج) ١٣٤
 مولا (ج) ٦٣٣
 فولير (ج) ٣٩٤
 فولرس (ج) ٦٥٨ ، ٦٦٩
 (ج) ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٧
 فون ريده (ج) ٥٣
 فون كريمير (ج) ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢١٢
 (ج) ٥٨٤
 (ج) ٤٧٢
 (ج) ٤٧ - ٤٨
 فون مالزن (ج) ١٥٧
 فون وزن (ج) ١٣٧
 (ج) ١١٦ ، ١٠٣ ، ٩٨ ، ٥٦
 ، ١٤٧ ، ١٤٤ ، ١٤٠ ، ١٣٥
 ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٨
 ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ - ٢١٦
 ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٣٢٤
 ، ٣٢٦ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ، ٣٦٠
 ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٤٢٣
 ، ٤٧١ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ٤٨٦
 ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٤٩٩
 ، ٥١٢ ، ٥٢١ - ٥٢٧ ، ٥٣١
 - ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٨ - ٥٤٩
 ، ٥٥١ - ٥٥٢ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣
 ، ٥٦٦ ، ٥٩٨
 (ج) ٤٥٣ - ٤٥٤
 (ج) ٥١٥
 فيليوس (ج) ٤٤
 فيثاغورس (ج) ٦١٠
 (ج) ١٧٠
 فيد (ج) ٤٥٠
 (ج) ١٥١
 فيرموس (ج) ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٤
 - ١٢٦

(ج) ٥٣٧
 (ج) ٧٠ - ٧١
 (ج) ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢١١
 العليحس (ج) ٧٢ - ٧٤
 فنوجاس (ج) ١٣٣
 فلوكل (ج) ٤٧٨
 (ج) ٤٨
 فليب (ج) ٦٨
 فتابرزن (ج) ٦٤٦
 فنت (ج) ١٣٧
 فتندبوس باسوس (ج) ٣٦
 فتحاس (ج) ٤٦٧ ، ٤٦٩
 (ج) ٥٤٦ - ٥٤٨
 الفند الزماني (ج) ٩٠٦
 فنسك (ج) ٤١
 فهد (ج) ١٩٦ ، ٢٥٠
 فهد بن النعمان (ج) ٥٧٢ ، ٥٧٤
 فهد بن سلسي (ج) ٥٢٦
 (ج) ١٩٢
 (ج) ١٧٥ ، ١٧٨
 فهد بن مالك (ج) ٥٨٤
 (ج) ١٧ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٤٧٩
 فهم بن بيم الله (ج) ١٦٧
 فهم بن عمرو (ج) ٥٠٧
 (ج) ٢٨٢
 فهم بن غنم (ج) ٤٣٨
 فهم بن هذيل (ج) ٣٦٦ - ٤٠٣ ، ٥٤٨
 (ج) ١٦٧
 فهيره بنت عامر (ج) ٤٤٠
 (ج) ٧٧
 فوتيوس (ج) ١٠٩
 (ج) ٢٤٩
 (ج) ٤٨٦ ، ٥١١
 فورستر (ج) ٣٠١ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢
 ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ - ٤٤٢
 ، ٤٤٥ ، ٥٨٧
 (ج) ٤٨ ، ١٩

فيصل آل سعود (ج ١٧) ١٥١	الفيروزآبادي (ج ١٥) ٢٠٤
الفيطوان (ج ٤) ١٢٣ - ١٣٥ ، ١٢٧	(ج ٦) حا ٤٥١
فيل (ج ٣) ٤٦٣	(ج ١٨) حا ٢٥٨
فيلاستريوس (ج ٣) ١٠٩ - ١١٠	فيروز بن بهرام (ج ٦) حا ٦١٠
فيلفوس (ج ١) ٥٦٣	فيروز بن يزدجرد (ج ١٢) ٢٠٨ -
(ج ٣) حا ٦٩	٢١٠ ، ٢٠٧ - ٢١١
فيلوستورجيوس (ج ١٢) ٦٣	فيروز الديلمي (ج ٣) ٥٢٨ - ٥٢٩
(ج ٦) ٥٢٩ ، ٦١٢	(ج ٤) ١٨٤ - ١٩٢ ، ١٩٣ ،
فيليب (ج ١) ٤٤٤	٥٥٧
(ج ٣) ٢٧ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٩	(ج ١٥) ٢٢٠ ، ٥٢٩
فيميون (ج ١) ٨٥	فيسبسيان (ج ٣) ٨٦
(ج ٦) ٦٠٨ - ٦٠٩	فيشر (ج ٨) ٦٢٧
فينندفل (ج ٣) ٤٦٦	فيشهرت (ج ٣) ٢٦٠ ، ٣١٣

- القاف -

(ج ٤) ٤٣٤	قابض بن يزيد (ج ٢) حا ٢٥٤
(ج ٦) ٢٥٤	قابوس (قينه العرس) (ج ٣) ٢٠٩
(ج ٨) ٦٥٢	(ج ٩) ٥٢٨
(ج ٩) ٣٦٤ ، ٣٩٣	قابوس بن قابوس بن المنذر (ج ٤)
قاحط (ج ١) ٣٥٨	٢٣٠ ، ٢٢٨
قادر بن هميسع (ج ٨) ١٥٨	قابوس بن المنذر (ج ٣) ١٥٨ ، ٢١٨
القارة (ج ٤) ٨٤ ، ٥٣٣	٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ،
القارظ العنزي (ج ٣) ٢٨٢	٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧
قاسط بن النمر (ج ١) ٤٠٦ - ٤٠٧	٢٦١ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٣٠٧
(ج ٤) ٤٢٣ ، ٤٨٧	٣٠٩ - ٣١٠ ، ٣١٢ - ٣١٣
قاسط بن هنب (ج ١) ٤٠٧	٣٤٧ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٤١٢
(ج ٤) ٤٨٧	٤١٤ -
قاسط بن وائل (ج ٩) ٥٦٩	(ج ٤) ٨١
القاسم (ج ١) ٣٣٤	(ج ٦) ٧١٥
(ج ٦) ٥٠٠	قابيل (ج ١) ٤٩٤
القاسم بن أمية (ج ٩) ٧٥٣ ، ٧٦٤	(ج ٣) ٧٩

قبيصة بن اياس (ج ٤) ٢٧ ، ٢٢٠

٢٢٨ ، ٦٧١

(ج ٨) ٦٤٣

قبيصة بن ضرار (ج ٥) ٢٥٣

قبيصة بن مسعود (ج ٥) ٢٨١

قبيصة بن قعيم (ج ٣) ٣٦٤

قنادة (ج ١) ٢٢٤ ، ٤٦٣ ، ٥٢٥

(ج ٤) ٤٥ ، ٢٢٢ ، ٢٩٦ ،

٥٤٤

(ج ٨) ١٠٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٥ ،

٦١١ ، ٦٣١ ، ٦٥٤

قتادة بن دعامة (ج ٩) ٢٤٣

قتادة بن سلمة (ج ٥) ٣٧٨ ، ٣٨٦ ،

٤٠٧

قتادة بن القايف (ج ٩) ٨٩٩

قتادة بن موسى (ج ٩) ٣٦١ ، ٧١١

قتادة بن النعمان (ج ٩) ٥٣ ، ٢٥١ ،

٣٨١ ، ٣٥٥

قنبان بن ردمان (ج ٢) ١٧٣ - ١٧٤

قتيمة بن مسلم (ج ٩) ٢٣٣

قتيلة (ج ٨) ٣٧٧ ، ٣٨٤

(ج ٩) ٥٧٣

قنم بن سعد (ج ١) ٣٦٩

قحافة بن عامر (ج ٦) ٢٧٢

القحلمي (ج ٩) ٣٤٣ ، ٣٨١

قحطان (ج ١) ٩٢ ، ٢٨٦ ، ٣٥٤ -

٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ ،

٣٨٠ ، ٤٢١ - ٤٢٣ ، ٤٣٢ ،

٤٤٧ ، ٤٧٣ - ٤٧٨ ، ٤٨٢ ،

٤٩٠ - ٤٩٢ ، ٤٩٤ - ٤٩٦ ،

٤٩٩ ، ٥٠١ - ٥٠٥ ، ٥٠٩ ،

٥١٧

(ج ٢) ٣٨١ ، ٥٣١ ، ٥٨٥

(ج ٤) ٢١٨ ، ٢٧٤ ، ٤١٤ ،

٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٣ ،

٥٠٤ ، ٥٣١ ، ٥٣٦ - ٥٣٧

(ج ٥) ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٤ ،

٣٥٥

العاسم بن الطويل (ج ٩) ٨١٠

العاسم بن محمد (ج ٩) ٢٦٩

القاسمي (ج ٦) ٤٣٥

الماضي عياض (ج ٨) ٩٨ ، ١٠٠

القالبي (ج ٢) ٢٣٦ ، ٢٥٥ ،

٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،

٢٥٨ ، ٤٤٣

(ج ٤) ٦٧ ، ٩٠ ، ٩١ ،

٩٧ ، ٤٥٥ ، ٤٧٢

(ج ٥) ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

١٥٩ ، ٦٣٩ - ٦٤٣ ، ٦٤٤

٦٤٨ ، ٦٤٩

(ج ٦) ٢٢٤ ، ٤٦٥ ،

٧١٥ ، ٧٦٩ ، ٨٠٢ ،

(ج ٨) ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،

٣٥٣ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ ،

٥٨٧ ، ٧٤٢

(ج ٩) ١٤ - ١٥ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ١٥٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ -

٢٨١ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ، ٦١١ ،

٦٣٣ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠ ، ٨١٣ ،

٨٧٩

قباث بن اشيم (ج ٦) ٦٧٥

قباذ (ج ٩) ٧٩٩ ، ٨٠٣

قباذ بن شهریار (ج ٢) ٥٣٨ - ٥٣٩

٦١٨

قباذ بن فيروز (ج ٣) ١٨٦ ، ٢٠٥ ،

٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٧ - ٢١٨ ،

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٠٧ ، ٣١١ ،

٣٢٨ ، ٣٣٣ - ٣٤٣ ،

قباذ ابي انو شروان (ج ٣) ٣٢٤ ،

٥٢٨

(ج ٤) ١٦٠

(ج ٩) ٧٩٩ ، ٨٠٣

الغبط بن حام (ج ٧) ٦٠٣

قبيس بن شالح (ج ٤) ٧

(ج ٦) ٤٠٥

قبيصة بن الاسود (ج ٥) ١٧٢

(ج ٧) ١٤٨

٢٨٧ ، حا ٥٤٤
 (ج) ٦٢ - ٦٢ - ٨٢٠ - ٨٣ ، حا ٨٨ ، حا
 ٩٠ - ٩١ ، حا ٩٣ - ٩٧ - ٥٤٤
 حا ١٤٢ ، حا ٥١١ ، حا ٤٠ ، حا
 (ج) ٢٨ ، حا ٤٠ ، حا ٥٨ - ٥٨
 حا ١٣٦ ، حا ١٩٠ ، حا ٢٠٤ - ٢٠٦
 حا ٢٠٩ - ٢١٠ ، حا ٣٥٠ : حا ٣٩٣ ، حا ٤٥٢ ، حا
 ٧٣٨
 (ج) ٩٨ ، حا ١٠٤ ، حا ٣٠٥ ، حا
 ٤٨٨ ، حا ٤٩٣ ، حا ٤٩٨ ، حا ٥٠٣ ، حا
 ٥٩٩ ، حا ٦١٥ ، حا ٢٤٨ (ج)
 قرقرة الكدر (ج) ٢٦٠
 قرقيسيا (ج) ٢٣٢
 قرميل بن الحميم (ج) ٣٦٣ - ٣٦٤
 قرن (ج) ٣٧٢
 (ج) ٤٣٨
 قرية بن زمر (ج) ١٤١
 قريش بن بدر (ج) ٢٣ - ٢٤ ، حا ٤٧٩
 (ج) ٣٢٣
 قريط بن أنيف (ج) ٤٠٦
 (ج) ٣٩٣
 قرين بن سلمى (ج) ٢١٧ ، حا ٤٠٥
 قرينة (ج) ١٣٥
 قزما الرحالة (ج) ٤٦١ - ٤٦٢ ، حا ٥٠٦
 القزويني (ج) ٢٤٢ حا
 (ج) ٥٣٢ حا
 (ج) ١٤٥ ، حا ٢٠٤
 (ج) ٥٧٨ ، حا ٧٦٥
 قس بن ساعدة الايادي (ج) ٤٢
 (ج) ٣٠٤
 (ج) ٦٧١

(ج) ٥٢٧ - ٥٣٩ ، حا ٥٦٢ ، حا ٥٩١ ، حا ٦٧٤ ، حا ٦٨٩
 القحم (ج) ٣٩٢
 قحيط (ج) ٣٥٨
 القنار بن الحارث (ج) ٢٤٨ ، حا ٤٣٣
 قدار بن سالف (ج) ٣٣٤ ، حا ٣٧٤ ، حا ٤٤٠
 القدار بن عمرو (ج) ٣٤٨
 قدامة بن جرم (ج) ٢١١ ، حا ٤٢٤
 قدامة بن سلمة (ج) ٣٧٤
 قدامة بن عمر بن قدامة (ج) ٣٨٠ ، حا ٤٥٦
 قدامة بن مظعون (ج) ٣٧
 قدامة بن موسى (ج) ٦٩٥
 قدر بن عمار (ج) ٢٥٨
 القدسي (ج) ٤٧٦ حا
 قدمة (ج) ٣٧٥ ، حا ٤٣٤ ، حا ٤٤٥
 القرا (ج) ٣٦٧
 قران الاسدي (ج) ٦٤٧
 قران كرمان (ج) ٢١٤ حا
 قرة بن عبدالله بن ابي نجيع (ج) ١٢٩
 قرة بن هبيرة (ج) ٢٥٦
 (ج) ٣٧٦
 (ج) ٥٩٨
 قرد بن معاوية (ج) ٥٢٦
 (ج) ٥٣٥
 قردة (ج) ٣٩١
 (ج) ٥٥٥
 قرشت (ج) ١٥٩ ، حا ١٦٤ - ١٦٦
 القرشي (ج) ٤٨٥
 قرص الفساني (ج) ٤٣٦
 قرط (ج) ٤٠٦
 القرطبي (ج) ٥٧٠ حا
 (ج) ٥١٢ ، حا ٥١٥ - ٥١٦
 (ج) ١٧٧ ، حا ٣٧١ ، حا

- (ج ١٥) ٢٣٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ -
 ٦٤٨ ، ٦٣٨
 (ج ٦) ٢٢٥ ، ٤٥٣ ، ٤٦٢ -
 ٨١٩ ، ٤٦٩
 (ج ٧) ٢٨٢
 (ج ٨) ٢٥١ ، ٣٤٠ ، ٣٦٢ ؛
 ٣٦٨ ، ٤٢٧ ، ٧٣٤ - ٧٣٥
 ٧٦٦ ، ٧٧٦ - ٧٧٧ ، ٧٨٥
 - ٧٩٢ ، ٧٨٧
 (ج ٩) ٢٨٨
 القسطلاني (ج ٤) حا ١٤٤ ، حا
 ١٤٩ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦٦٩ ،
 ٦٨٣
 (ج ٥) حا ١٠٥ حا ١٢٠ ، حا
 ١٥٢ ، حا ١٥٤ ، حا ١٦١ ،
 حا ١٧٠ ، حا ٢٩١ ، حا
 ٥١٠ ، حا ٥٣٩ حا ٥٦٠ ، حا
 ٥٩١ ، حا ٥٩٥ ، حا ٦٠٢ -
 ٦٠٣
 (ج ٦) حا ٥٠٢ - ٥٠٣
 (ج ٧) حا ٣٩٠ ، حا ٣٩٥
 قسطنطين (ج ٢) ٥٥٨ ، ٦٤١
 (ج ٣) ٤٥٦ ، ٤٧١
 (ج ٦) ٥٤٠ ، ٦١٢ - ٦١٣ ،
 ٦٢٥
 (ج ٧) ٤٩٦ ، ٦٢٩
 قسطنطين الثاني (ج ٢) ٦٢ - ٦٣
 ٥٦٨
 قسطنطين زريق (ج ١) حا ٨٠
 قسمل (ج ٦) ١٦
 قسى بن منبه (ج ٣) ٥١٣
 (ج ٤) حا ١٤٧ - ١٤٨ ، ٤٠٦
 قشن اشوع (ج ٢) ٣٨٢
 قشير بن كعب (ج ١) ٤٠٦
 (ج ٤) ٥٢٢
 قصي الابطح (ج ٤) ٢٧ - ٢٨
 قصي بن أذينة (ج ٣) ٤٧ ، ١٥٣
 قصي بن معجلة (ج ٣) ٤٥
- قصي بن روح (ج ٣) ١٥٣
 قصي بن كلاب (ج ١) ٤٠٠ - ٤٠١
 (ج ١٢) ١٠٩
 (ج ١٣) ١٥٣ ، ٣٨٩
 (ج ٤) ٨ - ٩ ، ١٤ - ١٥ ،
 ١٨ - ١٩ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٢٧
 ٢٧ - ٢٧ ، ٤٦ ، ٥١ - ٦١ ، ٦٣
 - ٦٥ ، ٧٧ - ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٨
 ٩١ ، ٩٧ ، ١١٧ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ،
 ٤٨٠ ، ٥٣١
 (ج ١٥) ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٧٢ ،
 ٤٠٨
 (ج ٦) ١٢٥ ، ١٤٨ ، ٢١٥ ،
 ٢١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٣٠ ،
 ٣٨٤ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٨
 ٦٦٦ ، ٦٩٩
 (ج ٧) ١٩٢ ، حا ٢٩٠
 (ج ٨) ٥٢٢ ، ٦٤٢ - ٦٤٣ ،
 ٦٤٧
 (ج ٩) ٤١٢
 قصير (ج ٣) ١٨٣
 قصير بن سعد (ج ٣) ١٠٥ - ١٠٦ ،
 ١٨٠
 (ج ٨) ٣٧٤
 قضاة بن مالك بن حمير (ج ١)
 ٣٩٢
 (ج ٤) ٤١٩ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠
 قضاة بن معد (ج ١) ٣٩٢
 قضاعي بن عمرو (ج ٤) ٢٢٢
 القطامي (ج ١) ٩٢ ، ٣٥٨ - ٣٥٩
 (ج ٤) ٦٥٧
 قطبان أوكان (ج ٢) ٣٧٦ - ٣٧٧
 قطبة بن أوس (ج ٩) ٤٩١
 قطبة بن الزبير (ج ٩) ٩٠٠
 قطبة بن سيار (ج ٤) ٥١٤
 (ج ٥) ٢٣٥
 قطبة بن عامر بن حذيفة (ج ٤) ١٨٦
 (ج ٦) ٣٧٢

(ج) ١٨٢ ، ٤٩٣
 القلمس بن اميه (ج) ٤٩٧ - ٥٠١
 (ج) ٣٩٩
 القلمس بن عمرو (أفعى نجران)
 (ج) ٥٣٦
 القلمس الكناني (ج) ٦٢٨ - ٦٣٩
 ٦٤٨ - ٦٤٩
 قلوديوس سويروس (ج) ٥٨ ، ١١٥ - ١١٦
 قليب بن عمرو (ج) ٤٠٢
 (ج) ٥٢٤ ، ٥٢٩
 القليس بن عمرو (ج) ٥٠٢ ، ٥٠٨
 - ٥١٠ ، ٥١٧ - ٥١٨ ، ٥٢٥
 قمبرسوس (ج) ٦٢١
 قمبر (ج) ٦٢٢ - ٦٢٣
 (ج) ٢٩٢
 قمبر الثاني (ج) ٦٢١ ، ٦٢٦
 القمر (ج) ٣٦٧
 قمعة بن الياس بن مضر (ج) ٣٩٧
 - ٣٩٨ ، ٤٠٣
 (ج) ٤٧٦ ، ٥٣٠
 قمعة بنت مضاض الجرهمي (ج) ٧٧
 القمقام (عمرو بن عامر) (ج) ٣١٩
 ٣٩٩
 قمير (ج) ٥٣١
 قناسة بن معد (ج) ٣٩٢
 قنافة الكلبي (ج) ٢٣٨
 (ج) ٣٧٢ ، ٤٧٩
 قنان بن ثعلبة (ج) ١٣٠
 قنان بن دارم (ج) ٢٥٣
 قنان بن ولة (ج) ١٨٩
 قنان بن يزيد (ج) ١٨٩
 قنص بن معد (ج) ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧
 (ج) ٤٦٩
 (ج) ٣٣١
 قنطور بن كنعان (ج) ٥٢٧

فطرب (ابو علي محمد بن المستنير)
 (ج) ٥٥٧
 فطن بن شريح (ج) ٢٥٧
 فطور (ج) ٢٨ ، ١٤٣ ، ٤٢٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٥ ، ٤٤٩ - ٤٤٥
 ٥٨٢
 (ج) ٩٣ ، ١٢٠ ، ٢٦١
 قطيعة بن عيسى (ج) ٤٠٤
 (ج) ٥١٠
 (ج) ٦٤٨
 (ج) ٨٣
 قعضب (ج) ٤٢٥
 القعقاع بن حكيم (ج) ٣١٥
 القعقاع بن خليل (ج) ٢٣٣
 القعقاع بن زرارعة (ج) ٥٩١
 القعقاع بن عمرو (ج) ٢٢٩
 (ج) ٢٢٥
 القعقاع بن معبد (ج) ٢٠٦
 (ج) ٦٤٧
 (ج) ٦٦٨
 قعقعة (ج) ٨٥
 قعنب (ج) ٤٠٤
 قعيسيس (ج) ٤٦١
 قعين بن خليف (ج) ٢٢٠
 القفطي (ج) ٨ ، ١٠ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ١٩٤ ، ٢١١
 ٣٢١ ، ٣٢٣
 قلابة بن الحارث (ج) ١٥٤ ، ٥٣٤
 القلادة (ج) ٤٠٦
 القلاعي (ج) ٨٠ ، ٧٧٤
 قلط الكاهن (ج) ٧٦٣ ، ٧٧٠
 قلع بن عباد قلع (ج) ٤٩٧ - ٤٩٩
 القلفشندي (ج) ٥٦٩ ، ٥٧٩
 (ج) ٤٩٠
 (ج) ٥٥٣ ، ٦٣٩
 (ج) ٣٤٣

قنعب بن الحارث (ج) ٢٧٥
 قنعب بن عناب (ج) ٢٧٥
 قنفل بن سبيع (ج) ٤٠٥
 (ج) ٥١٠
 قوسي (ج) ٦٢٩
 القوط (ج) ٩٨ - ٩٩
 قيدار بن اسماعيل (ج) ٣٧٥ ،
 ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠
 (ج) ٥٣٧
 قيما (ج) ٢٩ ، ٤٤٥
 قيعمان (ج) ٤٤٥
 قيفر (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤ - ٤٣٥ ،
 ٤٣٧
 قيدر بن اسماعيل (ج) ١٥٨
 قيلم (ج) ٣٧٥ ، ٤٢٤
 قيس بن أبي عروة (ج) ٤١٢
 قيس بن الاسلت (ج) ٤٣٠
 قيس بن امريء القيس (ج) ٨٥ ،
 ١٢٥
 قيس بن ثعلبة (ج) ٣٧٠
 (ج) ٣٢٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٢ -
 ٥٢٠ ، ٥٠٣
 (ج) ٢٨٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٥ ،
 ٥٣٤
 (ج) ١٠٠ ، ٨٢٠
 (ج) ٣٠٥ ، ٣٢٠
 (ج) ٥٨٣ ، ٧٩٥
 (ج) ١٦١ ، ٢٨١ ، ٤٧٥ ،
 ٥٣٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨
 قيس بن جحدر (ج) ٢٥٠ - ٢٥١
 ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٤١١ ، ٤٧٣ -
 ٤٧٤
 قيس بن جزء (ج) ٥٥١
 القيس بن جسر (ج) ٢٤٠
 قيس بن جندل (ج) ٥٨٦
 قيس بن الحارث (ج) ٢٠٦
 قيس بن الحدادية (ج) ٤١٢
 (ج) ٦٢١ ، ٦٤٨ - ٦٤٩ ،
 ٨٢٧

قيس بن حسان (ج) ٢٨٦ ، ٤٠٧
 قيس بن الحصين (ج) ٥٣٧
 (ج) ١٨٩
 (ج) ٤٨٤
 قيس بن خالد (ج) ٣٩٤
 (ج) ٦٤٤
 (ج) ٣٥٠
 قيس بن خراعي (ج) ٥١٨ - ٥١٩
 قيس بن الخطيم (ج) ٢٨٢ ، ٤٣٨
 ٤٧٥ - ٤٧٦ ، ٤٩٢ - ٤٩٣
 ٦٠٥
 (ج) ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢٨٢ ،
 ٤٠٠ ، ٥٨٠ ، ٦٤٦ ، ٦٦٣
 (ج) ٦١٣
 (ج) ٥٥١
 (ج) ١٣٦ ، ٢٦٨ ، ٤٣٠
 (ج) ٢٥ ، ٦٥ ، ٩١ ، ٢٤٧
 ٤٤٥ ، ٦٥٥ ، ٧١٩ - ٧٢٠
 ٧٢٥ - ٧٢٧ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨
 ٧٨٩
 قيس بن زهير العبسي (ج) ٢١٢
 (ج) ٥١٠ ، ٥٢٤ ، ٥٧٨
 (ج) ٣٥٩ - ٣٦١
 (ج) ٧٨٠
 (ج) ١٠٦ ، ٦٢٤ - ٦٢٥ ،
 ٦٣٦ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨١٨
 قيس بن سعد (ج) ١٣٧ ، ٣٠٧ ،
 ٦٦١
 قيس بن سلمة (ج) ٢٢٤ ، ٣٥٩
 ٣٦٦
 (ج) ١٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ،
 ٣٨٢
 (ج) ٤٠٨
 (ج) ٤٥٧ ، ٤٦٢
 قيس بن شماس (ج) ٧٨٨
 قيس بن شيبه السلمي (ج) ٨٨
 (ج) ٥٠٢
 قيس بن عازب (ج) ٣٣٦
 قيس بن عاصم (ج) ٤٨٦

(ج) ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ٢٢٣ ،
٣٥١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٤٠٥ ،
٥٨٥ - ٥٨٦ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ ،
٥٩٥ ، ٦٧١ - ٦٧٢
(ج) ٢٩ ، ٦٠ - ٩٢ ، ١٨٩
٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٣٦٥ - ٣٦٦
، ٣٧٨ ، ٤٠٧
(ج) ٩٦ ، ٢٢٤
(ج) ٨٨٤ ، ٩٠٠ - ٩٠١
قيس بن عامر (ج) ٧٨٠
قيس بن عبد قيس (ج) ١١٨
قيس بن عبد يغوث (ج) ٤٩٣ ،
٥٢٧ - ٥٢٨
(ج) ١٨٨ ، ١٢٤
قيس بن عيسى (ج) ٥٠٩
قيس بن عتاب (ج) ٢٢٦
قيس بن علي (ج) ٧٣ ، ١٠٢ ،
١٠٩ ، حا ٢٠٠ ، ٥٦٠
(ج) ٣٨
قيس بن عزرة (ج) ١٩٤
قيس بن عمرو (ج) ٤٨١
(ج) ١٥
قيس بن عيزارة (ج) ٥٧٣
قيس بن غالب بن فهر (ج) ٥٨٤
(ج) ٢٦ ، ٤٧٩
قيس بن قبصة (ج) ٢٩١
قيس بن مالك (ج) ١٨٧
(ج) ٤٦٢ ، ٦٣٦
قيس بن مخزومة (ج) ١٢٥
قيس بن مسعود (ج) ٢٧٩ ، ٢٩٣
٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٢١
(ج) ٢٦٥
(ج) ٣٤١
(ج) ٧٧٦ ، ٧٧٩
قيس بن مضر (ج) ٥٠٦ - ٥٠٧ ،
٥٣٦ ، ٥٣٩
قيس بن معد يكرب (ج) ٢٤٩ ،
٣٥١ - ٣٥٦ ، ٣٥٢
(ج) ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٠٠

(ج) ٤٣٥ ، ٤٥٨
(ج) ٦٧٠ حا
(ج) ٩٣ ، ١٢٠ ، ٣٥٦ ،
٥٧٤ - ٥٧٥ ، ٥٨٠ ، ٨١٢
قيس بن مكشوح المرادي (ج)
١٨٨ ، ١٩٢
(ج) ٨٤٤
قيس بن نسيبة (ج) ٢٥٧
قيس بن نثبة (ج) ١١٧ ، ٣٤٧
- ٢٤٨
قيس بن هبرة (ج) ٦٩
قيس بن وائل (ج) ٣٣٢
قيس الرقيات (ج) ٢١٠
قيسب بن كلثوم (ج) ٢٠٢ - ٢٠٤
٢٥٥
قيسو (ج) ٥٩٤
قيصر (حاكم) (ج) ٢٢ ، ٩٧ ، ٩٩
١٢٢ - ١٢٣
(ج) ٢٠ ، ٣٩ ، ٦٧ ، ٩٢ -
٩٣ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٦٥ ،
١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٤٦٣ ،
٦١٨ ، ٦٥٤
(ج) ٤٥٨ ، ٥٧٧
(ج) ٣٠٣ ، ٤١٠
(ج) ٢٩٠ ، ٣٠٥ ، ٦٤٢ -
٧٢٠
(ج) ٤٤٠ ، ٤٧٧ ، ٥١٩ -
٥٢٣ ، ٥٣٣ ، ٥٧٨
قيل بن عتر (ج) ٣٠٢
(ج) حا ٤٠١
(ج) ١١٢
قبيلة بنت الارقم (ج) ١٣٣ ، ٤٣٦
قبيلة بنت كاهل (ج) ٢٤٧ ، ٤٣٢
(ج) ٥٧٤
القيم (ج) ٦٣٩
قيمس (ج) ٢٠٠
القين بن جسر (ج) ٣١٦ ، ٣٦٧
(ج) ٣٧ ، ٤٢٨
(ج) ٣٨٥

قین مناة (ج ٦) ٢٢٠
قین يدع ایل بین (ج ١٢) ٢٩٩
قینة (ج ١٣) ١٠٧
قینو بن جشم (ج ١) ٦٤٨

(ج ١٧) ٤٦١
(ج ١٨) ٢٠٤
(ج ١٩) ١٠٣
قین بن فهم (ج ١٤) ٥٠٧

- الکاف -

کاسیوس (ج ٢) ٤٠
(ج ١٢) ١٠٨
کافور (ج ٩) ٦
کالب الا اصبحه (ج ٣) ٤٦٢ ، ٤٦٨
- ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩١
کاله (ج ٨) ٥٤٨
کالیسوس (ج ١٢) ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨
کامل بن ربيعة (ج ١) ٣٦٨
کاهل بن اسد (ج ١) ٣٩٩
(ج ٤) ٥٣٣ - ٥٣٤
الکاهن بن هارون (ج ٣) ٣٧٥
(ج ٦) ٥٢٢
الکاهن الخزاعي (ج ٦) ٧٦١ ، ٧٦٥
٧٦٧
الکاهن اللهي (ج ٦) ٣٦٦
کایر (ج ٨) ٥٤٨
(ج ٩) ٥٦٥ ، ٧٧٩
کایوس قیصر (ج ٢) ٦١
کبرایل بن متع (ج ٢) ٢٤٣
(ج ٦) ٣١٨ ، ٣٣١
کیرس (ج ١) ٢٢٧
کبشة (أخت عمرو بن معد یکر) (ج ٤) ٦٢٠
کبشة (عمة ابي جبر) (ج ٣) ٣٧٤
(ج ٨) ٣٨٣

کاسر (ج ١) ٢٩٧ ، ٤١٦
کارسن بیور (ج ١) ١٢٤
کارنلا (ج ٢) ٦١
(ج ٣) ٨٨ ، ٦٦
کارل مولر (ج ١) ٦٥
کارلو نالینو (ج ٦) ٦٦٤ ، ٦٧٢
(ج ٨) ٤٢٨ - ٤٢٧ ، ٣٦٠
٧٧٥ ، ٧٨١
(ج ٩) ١٥٠ ، ٧١ ، ١٧١
١٧٨ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٤١٠
٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٤٧٣ ، ٤٩٩
٥٤٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦٦ ، ٥٨٧
٥٩٣ - ٥٩٤ ، ٦٣٢ ، ٦٣٩
- ٦٤٠ ، ٦٤٦ ، ٦٧٥ ، ٧٢٨
٧٦٦ ، ٧٦٩ ، ٧٩٥ ، ٨٠٧
٨١٤ ، ٨٢٨ ، ٨٤٢ ، ٨٤٤
٨٥٤ ، ٨٥٨ ، ٨٦٠ - ٨٦٢
٨٧١ ، ٨٧٣ ، ٨٨٠
کاسکل (ج ٢) ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨
- ٢٥٣ ، ٢٥٧
(ج ٦) ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٥
(ج ٨) ٢٣١
کاسل (ج ٢) ٢٤٣ - ٢٤٤

- كبشة ام عامر (ج ٤) ٥٢١
 كبشة بنت الحارث (ج ٦) ٩٦
 كبشة بنت معن بن عاصم (كبيشه)
 (ج ٥) ٥٢٩ ، ٥٣٦
 كبير (ج ٤) ٥٢٠
 كتانينه (ج ١) ٤٢٢
 كثير عزة (ج ١) ٤٥٤
 كدام بن عمرو (ج ٥) ٣٨٢
 كدت كدة (ج ٢) ٥٧٣
 كراسوس (ج ٢) ٤٠
 كراغ (ج ٨) ٥٧٥
 كراف كوينو (ج ١) ٢٥٧
 كرب بن تبع الاكبر (ج ١) ٥٠٢ -
 ٥٠٣
 (ج ٢) ٢٤٣
 كرب بن صفوان (ج ٥) ٣٧٢ ، ٦٥٣
 كرب بن كعب (ج ٥) ٤٣٧
 كرب اسار (ج ٢) ٤٠٣
 كرب اسرع (ج ٢) ٤٠٢
 كرب ايل بين (ج ٢) ٣٠٧ ، ٣١٠ -
 ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٤٨ ،
 ٤٣٠ - ٤٣١ ، ٤٧٨ - ٤٧٩ ،
 ٤٨١ - ٤٨٢
 (ج ٧) ٢١٠
 كرب ايل ذي ريدان (ج ٢) ٤٢٩ ،
 ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨
 كرب ايل وتر (ج ١) ٣٣٢ ، ٣٦٩ ،
 ٥٨٩
 (ج ٢) ٢٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،
 ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٦٩ ،
 ١٨٢ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧ - ٢٨٠ ،
 ٢٨٦ - ٢٨٩ ، ٢٩٠ - ٣٠١ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ - ٣١٢ ،
 ٣١٤ - ٣١٧ ، ٣٢١ - ٣٢٦ ،
 ٣٢٨ - ٣٤٢ ، ٣٤٧ - ٣٥١ ،
 ٣٥٩ - ٣٦٢ ، ٣٩٠ ، ٤١١ ،
 ٤٧٤ - ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٩٥ ،
 ٤٩٦ - ٥٠٣ ، ٥٠٤ - ٥١١ ،
 ٥٢٢ ، ٥٦٢ - ٥٦٣
- (ج ٣) ٤٧٩ ، ٥٣٤
 (ج ٥) ١٩٠ ، ٢٥٥ ، ٤٠٥
 (ج ٧) ١٣٧ ، ٤٩١
 كرب ايل يهصف (ج ٢) ٣٢٢
 كرب عثت (ج ٢) ٤٥١ ، ٤٨٩
 الحرب يهنم (ج ٢) ٣٢٤ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٠ ، ٥٦٤
 كربال (ج ١) ٣٢٢
 كرد بن مرد (ج ١) ٤٩٨
 كردم بن فيس (ج ٦) ٥٤٦
 الكردوس التدمري (ج ٣) ٨٩
 كرز بن تعلبة (ج ١) ٣٧٤
 (ج ٤) ٤٣٥
 كرز بن عبدالله (ج ٤) ٥١٨
 (ج ٥) ٤٠٨
 كرز بن عصية (ج ٤) ٥١٨
 كرشان (ج ١) ٣٦٧ - ٣٦٨
 كرم البستاني (ج ٣) حا ٢٤٥
 (ج ٥) حا ١٦٢
 كرتكو (ج ١) حا ٨٣ ، حا ٨٧ ، حا ١٠٠ ،
 حا ٣٠٧
 (ج ٦) حا ١١٠
 (ج ٩) ٢٥٧ ، ٣٣٧ ، ٤٨٩
 كره كاد (ج ٢) ٦٧
 كروتدن (ج ١) ١٢٦
 كروهمن (ج ١) ١٣٧
 (ج ٢) ٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٤ -
 ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٣٦٩ ، ٥٧٥
 (ج ٨) ١٨٧
 كريب بن ابرهة (ج ٥) ٢١١
 كرييس (ج ١) ٦٥٩
 (ج ٣) ١١٢ ، ١٧٧
 كرز بن ربيعة (ج ٤) ٨٠
 كريكتيوس (ج ٣) ٤٦٣ ، ٥٠٦
 كريمة بنت القداد (ج ٨) ١٣٨ ،
 ٥٠٧
 الكسائي (ج ٤) ٢٧٧
 (ج ٥) حا ١٥١

- (ج۸) ۱۶۳ ، ۱۴۰ ، ۱۰۹ ، ۱۶۷ ، ۲۶۷ ، ۲۱۰ ، ۳۰۱ ، ۲۸۲ ، ۳۱۲ ، ۳۰۵ - ۲۰۴ ، ۷۳۵ ، ۷۲۱ ، ۵۲۲ ، ۲۸۳ - ۷۷۶ ، ۷۷۶ ، ۷۲۸
(ج۹) ۲۶۳ ، ۲۵۴ ، ۱۱۰ ، ۶۷ ، ۳۴۲ ، ۶۷۶ ، ۶۱۶ ، ۵۹۳ ، ۷۵۳ ، ۷۵۸ - ۷۵۹ ، ۸۰۶ ، ۸۸۴ ، ۸۷۹ ، ۸۹۹
کسری ابروین (ج۲) ۶۵۹ ، ۶۴۶ ، ۱۷۵ (ج۳) ۲۹۳ ، ۳۰۷ ، ۵۲۸
(ج۴) ۵۲۷ ، ۱۷۸ ، ۱۶۲ ، کسری بن هرمز (ج۲) ۶۳۷
(ج۳) ۲۸۷ ، ۲۷۳ ، ۲۶۴ ، ۲۹۲ ، ۲۹۹ ، ۳۰۵ ، ۳۰۸ ، ۳۱۲
(ج۴) ۴۸۷ ، ۴۷۴ - ۴۷۱ ، ۵۱۷ ، ۵۰۲
(ج۷) ۳۰۲ ، ۲۹۴ ، ۲۸۳ ، ۳۰۷ ، ۳۰۳
کسل (ج۲) ۵۰
کسینوفون (ج۷) ۶۲۵
کشتاسب (ج۲) ۵۳۹
کعب بن اسد (ج۶) ۵۲۴
(ج۹) ۷۸۹ ، ۱۴
کعب بن الاشرف (ج۵) ۳۶
(ج۶) ۵۴۷ - ۵۴۶ ، ۵۲۳ ، ۷۵۷ ، ۵۷۱ - ۵۷۰ ، ۷۱۴ (ج۹) ۷۸۲ ، ۷۷۰ ، ۷۸۸ - ۷۸۴
کعب بن جمیل (ج۲) ۵۷۶
(ج۹) ۸۴۸
کعب بن الحارث (ج۴) ۴۴۲
کعب بن راشد (ج۶) ۵۴۶
کعب بن ربیعہ (ج۱) ۴۰۵ - ۴۰۶ ، ۴۰۸
(ج۸) ۷۳۷ ، ۶۹۰ ، ۵۹۰ ، ۲۱۹ (ج۹) ۲۱۷ ، ۵۸ ، ۲۲۲ - ۲۲۱
کسری (ج۳) ۴۹۹
کسدم (ج۲) ۵۶۵
کسری انوشروان (ج۱) ۱۷ ، ۵۳ ، ۷۴ ، ۲۶۳ ، ۲۸۸
(ج۲) ۶۳۲ ، ۵۲۷ ، ۲۵ - ۶۳۲ ، ۶۳۳ ، ۶۳۶ - ۶۳۷ ، ۶۴۷
(ج۳) ۱۷۰ ، ۱۴۱ ، ۹۵ ، ۲۲ ، ۱۷۴ ، ۲۲۲ ، ۲۰۹ ، ۲۰۶
- ۲۲۳ ، ۲۲۲ - ۲۲۳ ، ۲۳۳ ، ۲۵۷ ، ۲۶۰ ، ۲۶۵ - ۲۷۱ ، ۲۷۹
- ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، ۲۹۲ - ۲۹۷ ، ۲۹۹ ، ۳۰۷ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۲۴ ، ۳۳۵
- ۳۳۹ ، ۳۴۰ ، ۳۴۲ ، ۳۴۳ ، ۳۶۷ ، ۴۰۵ ، ۴۱۰ ، ۴۳۸ ، ۴۴۱ ، ۴۹۹ ، ۵۰۸ ، ۵۲۲ - ۵۲۹
(ج۴) ۱۵۳ ، ۱۰۳ ، ۹۸ ، ۱۶۰ ، ۱۶۶ ، ۱۶۷ ، ۲۰۴ ، ۲۰۵ ، ۲۱۳ - ۲۱۵ ، ۲۲۵ ، ۲۲۸ - ۲۲۹ ، ۲۳۲
- ۲۳۳ ، ۳۰۰ - ۳۰۱ ، ۴۵۱ ، ۴۵۴ ، ۴۷۱ - ۴۷۲ ، ۵۰۱ ، ۵۳۰ ، ۵۴۳ - ۵۴۴ ، ۵۵۷ ، ۶۵۹ ، ۵۹۱
(ج۵) ۲۰۷ ، ۱۹۳ ، ۸۱ ، ۵۴ - ۲۷۲ ، ۲۶۵ ، ۲۲۵ ، ۲۰۹ - ۳۵۲ ، ۳۲۰ ، ۳۱۲ ، ۲۹۰ ، ۳۹۰ ، ۴۰۷ ، ۴۱۰ ، ۵۴۵
- ۶۴۰ ، ۶۴۱ ، ۶۴۶
(ج۶) ۴۸۸ ، ۶۳۱ ، ۶۶۳ - ۶۶۴ ، ۳۶۴ ، ۶۹۳ ، ۷۶۵ - ۷۶۶
(ج۷) ۳۲۲ ، ۳۳۲ ، ۴۴۹ ، ۵۷۷ ، ۵۷۸ - ۵۸۲

(ج) ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٣٣٣ ،
 ٦٥٤ ، ٧١٩ ، ٧٠٦ ، ٧٢٩ ،
 ٧٣٨ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨ ، ٧٨٨ ،
 ٨٤٣ ، ٨٤٦ ،
 كعب بن مامة الايادي (ج) ٥٧٨ -
 ٥٧٩
 (ج) ٤٧٥ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠ -
 ٨١٣ ، ٨٠٥
 كعب الاحبار (ج) ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٣ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٤١٠ ،
 ٤٤٠ - ٤٤١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ،
 - ٤٦٥ ،
 (ج) ٥١٤ ،
 (ج) ٣٣٧ ، ٤٠٠ ، ٥٣٢ ،
 (ج) ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٦٨١ ،
 (ج) ١٢٣ ،
 (ج) ١٦٢ ، ١٦٨ ،
 كعب القوارس (ج) ٣٥٤ ،
 كعدان (ج) ٣٦٥ ،
 كعيب الاحوزي (ج) ٥٠١ ،
 كلاب بن امية (ج) ٣٩٢ ،
 (ج) ٨٩٤ - ٨٩٥ ،
 كلاب بن ربيعة (ج) ٤٠٥ ،
 (ج) ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٧٢ ،
 كلاب بن مرة (ج) ٤٠١ ،
 (ج) ٤٠ ، ٤١ - ٥٤ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، ٥١٠ ،
 (ج) ١٩١ - ١٩٢ ،
 (ج) ٤٥٨ ، ٤٨٧ ، ٤٩٨ ،
 كلاسر (الدوار) (ج) ١٢٩ ، ٢٤٤ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٧ - ٤٥٨ ،
 ٤٦٠ - ٤٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٧ ، ٥٩٧ - ٥٩٩ ، ٦٣٨ ،
 (ج) ١٨ - ٢٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
 ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٧ - ٧٨ ،
 ٨٠ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ٢٧٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،

(ج) ٥٢٢ ، ٥٢٦ ،
 كعب بن زهير (ج) ٣٩٥ ،
 (ج) ٣٩٠ ،
 (ج) ٧٢٨ ، ٨٢١ ،
 (ج) ١١١ ، ١٤١ ، ٣٢٨ ،
 ٣٦٤ ، ٣٧٠ ،
 (ج) ١٩١ ، ٢٦٧ ، ٣٨٠ -
 ٣٨١ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ،
 ٤٤١ ، ٤٦٢ ، ٥٤١ - ٥٤٢ ،
 ٥٤٥ - ٥٤٦ ، ٥٩٧ ، ٨٥٨ ،
 ٨٦٠ - ٨٦٣ ، ٨٦٥ ،
 كعب بن سعد (ج) ٤٠٣ ،
 (ج) ٣٣٨ ، ٥١٥ ،
 كعب بن سليم القرظي (ج) ٥٦٤ ،
 كعب بن عبد المدان (ج) ٣٣٣ ،
 كعب بن العجلان (ج) ١٣٨ - ١٣٩ ،
 كعب بن عجرة (ج) ٦١٥ ، ٦٣٠ ،
 كعب بن عدي التنوخي (ج) ٥٩٦ ،
 (ج) ٤٠٨ ،
 كعب بن علة بن جلد (ج) ٣٣٣ ،
 كعب بن عمرو الازدي (ج) ١٨٧ ،
 (ج) ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٥٢٩ ،
 (ج) ٦٠١ ،
 كعب بن لؤي (ج) ٤٠١ - ٤٠٢ ،
 (ج) ٣٧ - ٣٨ ، ٤٢ ، ٥١ ،
 ٤٨٠ ،
 (ج) ٤٦٢ ، ٥٠٦ - ٥٠٧ ،
 (ج) ٢٩١ ،
 (ج) ٤٦٨ ، ٤٩٨ ، ٥٢١ ،
 ٦٠١ ، ٧٧٧ - ٧٧٨ ، ٧٨٥ ،
 كعب بن مازن (ج) ٤٣٥ ،
 كعب بن مالك (ج) ٣٠ ، ١٣٧ ،
 ١٤٦ ،
 (ج) ٦٦ ،
 (ج) ٢٣٤ ،
 (ج) ٧٢ ، ٥٨٠ ،
 (ج) ١١١ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ،
 ٦٦٤ ،

٣٢٢ (ج٣)
 كليب بن أبي عمة (ج٩) ٨٦٥
 كليب بن أسد بن كليب (ج٩) ٢٨٦
 كليب بن الحارث (ج٤) ٤٨٩
 كليب بن ربيعة (ج١) ٣٩٣ ، ٣٩٦
 ٤٠٨ ، ٥٢٦
 ٣٥٦ (ج٣)
 (ج٤) ٤٩٤ ، ٤٩٦ - ٤٩٨ ، ٥٢٠
 (ج٥) ٣٤٦ - ٣٤٩ ، ٣٥٦
 كليب بن عدي (ج٤) ٣١٦
 كليب بن يربوع (ج١) ٤٠٣
 (ج٥) ٣٦٦
 كليب التفليبي (ج٤) ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٥١٠
 كليب وائل (ج١) ٣١٧ ، ٣٩٣
 (ج٣) ٢٥٥
 (ج٤) ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ - ٤٩٥ ، ٥٠١
 ٦٢٥ - ٦٢٦ ، ٦٥٨
 (ج٥) ٢٦٧ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٨٥
 ٤٠٧ ، ٤٣٦
 (ج٧) ١٤٩ - ١٥٠
 (ج٨) ٧٧٧
 (ج٩) ٤٥٥ - ٤٥٦ ، ٤٥٨
 كليبوس (ج٥) ٤٣٠
 كليدن (ج١) ٣٠٦
 كليكراتس السوري (ج٣) ١٠٨
 كليمان هوار (ج٢) ٨٢ ، ١٠٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨
 (ج٤) ٤٤٣
 (ج٦) ٤٩٢ ، ٤٩٩
 (ج٩) ٤٧٣ ، ٧٥٧
 الكليبي (ج٩) ١٩٦
 كليوپطرة (ج٣) ٣٦ ، ٣٨ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٢١
 كمد بن عم كرب (ج٢) ٢٠١
 كمكم (ج٣) ٤٢

٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ، ٤٣٠ ، ٥٠٦
 ٥١١ ، ٥٢٧ ، ٥٢٠ - ٥٣١
 (ج٣) ٤٨٧ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥٣٥
 (ج٦) ٤٠١ ، ٥٤١
 (ج٧) ٢١٠
 (ج٨) ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٥٢ - ٥٤
 الكلاعي (ج٤) ٥٨٣
 كلب بن ديرة (ج١) ٣٦٦ ، ٥٢٦
 (ج٣) ٤٢
 (ج٤) ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٣٤ ، ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤٤٦ ، ٥١٥
 ٥٩٧ ، ٦٥٦
 (ج٦) ٢٢٣
 (ج٧) ٣٧٠
 الكلبى (ج٤) ٥٩٧
 (ج٥) ١٦٣
 (ج٩) ٨٧٦
 كلثوم (ج٣) ٢٥٥
 (ج٥) ٦٤٦
 الكلج (ج٤) ٢٤٦
 كلدة بن جدعان (ج٤) ١٠١
 كلدة بن حسل (ج٩) ٨٩١
 كلدة بن ربيعة (ج٩) ٧٦٤
 كلقة (ج١) ٤٠٣
 (ج٣) ٢٥١
 (ج٤) ٣٣٧ ، ٣٧٥
 كلشمش (جلجامش) (ج١) ٥٦٢
 كلمن (ج٨) ١٥٩ ، ١٦٤ - ١٦٦
 كلود شيفر (ج٨) ١٤٨
 كلوديوس (ج٢) ٦٠ - ٦١ ، ٦٥٩
 (ج٧) ٢٧٧
 كلوكس (ج٣) ١٥٧
 كلويك (ج١) ٥٣٢
 كلي كرب بن تبع (ج١) ٢٣٨
 (ج٢) ٥٦٩

- الكميت (ج) ١) ٣٧٢ ، ٣٩٢ ، حا
 ٢٩٨ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ - ٥٠٠
 (ج) ١٤) ٣٨٠ ، ٥٣٤
 (ج) ١٥) حا ١٤٥ ، ٥١٩
 (ج) ١٦) ٢٤٩ ، ٤٠٨
 (ج) ١٨) ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٢ - ٥٠٣
 (ج) ١٩) ٢٣٥ ، ٤١٩ ، ٥١٠ ،
 ٦٧٧ ، ٨٩٤ ، ٩٠٦
 كنانة بن أبي الحقيق (ج) ١٩) ٧٧١ -
 ٧٧٢ ، ٧٨٢ - ٧٨٣
 كنانة بن خزيمة (ج) ٤) ٤٧٧ - ٤٧٨
 ٥٣١
 (ج) ٥) ٥٢٩
 كنانة بن الربيع (ج) ١) ٣٦٤ ، ٣٩٩
 - ٤٠١ ، ٤٠٨
 (ج) ٢) ٣٥١ ، ٣٤٩
 (ج) ٤) ٢٥٣ ، ٤٥٦
 (ج) ٦) ٥٢٣ ، ٥٤٦
 كنانة بن صورياء (ج) ٦) ٥٤٧
 كنانة بن عبد ياليل الثقفي (ج) ٤)
 ١٥٠ ، ٥٨١
 (ج) ٦) ٤٥٩ - ٤٦٠
 (ج) ٩) ٦٥٢ ، ٧٦٥
 كنانة بن القين (ج) ٨) ٧٧٨
 كدة بن تور (ج) ٨) ٦٧٥
 كدة بن عفير بن الحارث (ج) ١)
 ٣٦٤ ، ٣٧٢
 (ج) ٣) ٢٨٢
 (ج) ٤) حا ٤٦٤
 الكندي (ج) ٣) ٣٧٦
 (ج) ٥) حا ٣٧٢
 (ج) ٦) ٥٧١
 (ج) ٩) ٦٨٦ ، ٧٧٨
 كمال (ج) ٦) ٧٦٥
 كهلان (ج) ١) ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٣٧٠
 (ج) ٣) ٤٢
 (ج) ٤) ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ،
 ٤٤٦
 كهس (ج) ٤) ٣٢٨
 كويچك (ج) ٣) ٦٩
 كورنيوس روفوس (ج) ٢) ٦٣٨
 كورنيليوس بللا (ج) ٣) ٤٦
 كورنول (ج) ١) ٥٢٧ ، ٥٢٩
 (ج) ٨) ٢٠٦
 كوز بن علفمة (ج) ٣) ٥٣٣
 كوسين دي برسفال (ج) ١) ١٢٤ ،
 ٣٢٧
 (ج) ٢) ٢٢٤ ، ٣٨٢
 كوش (ج) ١) ٢٩٧ ، ٤١٧ - ٤١٨ ،
 ٤٢٦ - ٤٢٧ ، ٤٤٧ ، ٤٥٩
 (ج) ٢) ١٢٠ ، ٢٦١ ، ٥٠٩
 كوك (ج) ١) ٢٢٢
 (ج) ٢) ٧
 كولد ترهبر (ج) ١) ٢٨ - ٧٩
 ٥١٥
 (ج) ١٥) ٤٨٢
 (ج) ٦) حا ٦٨٧
 كولد زيهبر (ج) ٤) ٣٨٥
 (ج) ٨) حا ٦١١ ، ٦١٤
 (ج) ٩) ١٤٥ ، ٢٥٨ ، ٣٣٢ ،
 ٤١٤
 كومودوس اوغسطس (ج) ٣) ٦٣
 كومودوس قيصر (ج) ٣) ٦٣
 الكونت دي ساد (ج) ٥) ١٤٤
 كونتي روسيني (ج) ١) ١٣٧
 كويننس كورتيوس (ج) ٢) ١١ ، ٩
 كياتوس بن مكريانوس (ج) ٣) ٩٥ -
 ٩٦
 كيبين (ج) ٤) ١٢
 كيتاني (ج) ١) ١٣٤ ، ٢٤٣ - ٢٥٠ ،
 ٥٥٩
 كيرش (ج) ١) ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦
 (ج) ٢) ٩١
 كيسان (ج) ١) ٤٤٩ - ٤٥٠
 كيغ (ج) ٤) ٢٠٦
 كيقباد (ج) ١) ٣٦٣

كيموش (kemosh) (ج ٣) ٧٠ كيومرت (ج ١) ٣٤٠ - ٢٤١ ، ٤١٦
 كين (ج ١) ٢٣٥
 كيو (ج ١) ٥٩٤

- اللام -

لاحق بن رشوان (ج ١) ٣٦٩
 لافظ بن لاحظ (ج ٩) ١٢٠
 اللاحق (ج ٩) ٣٩١
 لامانس (ج ١) ٢٦٥
 (ج ٤) ٣٢ ، ٣٦ ، ١١٩ ،
 ٢٩٧ ، ٣٤٥
 (ج ٦) ٤٦٧ - ٤٦٨
 (ج ٨) ٧٦٩
 لامك (ج ١) ٣٠١
 لانكستر هاردنك (ج ١) ٣٢٨
 لاوذ بن سام (ج ١) ٢٩٦ - ٢٩٧ ،
 ٢٩٩ ، ٣٤٦ ، ٤١٦ - ٤١٩
 لاوذ بن عمليق (ج ١) ٣٤٠
 لؤي بن غالب (ج ١) ٣٥٨ ، ٤٠٠ -
 ٤٠٤ ، ٤٠١
 (ج ٤) ٢٩ ، ٥٤ ، ٤٧٩
 (ج ٧) ١٩١
 (ج ٩) ٧٢٤
 اللبخي (ج ٢) ٥٧٠
 لبد (ج ١) ٣١٥
 اللبو بن عبد القيس (ج ١) ٤٠٧
 ليبد بن اعصم (ج ٤) ١٣١
 (ج ٦) ٥٤٦ ، ٥٦٠ ، ٧٤٣ -
 ٧٤٤

ليبد بن ربيعة الجعفري (ج ١) ٣١٨ ،
 ٣٢٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٩
 ٥٠٤
 ليبد بن ربيعة العامري (ج ٣) ٢٣٢
 ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ - ٢٨٣
 ٣٢٨ ، ٤٠١ ، ٤٨٣ ، ٥٠٥
 (ج ٤) ٢٠٤ ، ٣٣٠ ، ٥١٥ ،
 ٥٢١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٥ ، ٥٨١ ،
 ٦٧٣
 (ج ٥) ٣٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
 ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ،
 ٢٠٩ ، ٢٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،
 ٥٥٧
 (ج ٦) ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ،
 ١٦٢ ، ١٩١ ، ٣٦٣ ، ٤٦٨ ،
 ٤٩٦ ، ٦٧٢ ، ٦٨٤ ، ٧٠١
 ٧١٩
 (ج ٧) ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٣٧٤ ،
 ٥٥٦ ، ٦٠٤
 (ج ٨) ١٣٨ - ١٤١ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 - ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ،
 ٣٤٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٦٤ ،
 ٦٧١ ، ٧٢٩ ، ٧٧٣ ، ٧٨٦ -
 ٧٨٧

لعزم نوفان يهصدق (ج ٢) ٢٨٧ ،
 ٤٨٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ،
 ٥٢٢ - ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٣٥ ،
 لعزم يهنف يهصدق (ج ٢) ٣٧٧ ،
 ٢٨٧
 (ج ٣) ٤٥٥

لقمان بن عاد (ج ١) حا ٣٠٢ ، ٣١٤ -
 ٣١٩ ، حا ٣٢١ ، ٥٠٤ -
 (ج ٢) ١١٧

(ج ٤) ٥١٦ ، حا ٥٢٢ ، ٥٨٦ -
 ٦٢٥

(ج ٥) ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٣٩

(ج ٦) ١١٢ ، ٤٦٨ ، ٥٠٨ ،
 ٦٧٨

(ج ٨) ١١١ ، ٢٨٨ ، ٣٤٢ -

٣٩٢ ، ٣٦٢ ، ٣٤٦

(ج ٩) ١٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ -

٣٩٦ ، ٨٢٤ ، ٨٧٥

لقيط بن الجون الكلبى (ج ٣) ٢٧٧

لقيط بن زرارة (ج ٥) ٣٥٩ ، ٣٧٢ -

٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ -

٤٠٧ ، ٥٤٥

لقيط بن مالك الأزدي (ج ٤) ٢٠٠ -

٢٠١ ، ٢٣٣

(ج ٨) ٧٨٢

لقيط بن معبد (ج ٦) ٦٥٢

لقيط بن يعمر (ج ٤) ٤٧٣ ، ٥٢٤

(ج ٨) ١٤٠ - ١٤١ ، ٢٦٧ ،

٣٠٤ ، ٣٠٩

(ج ٩) ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٤٢٦ ،

٨٠٦ - ٨٠٧

لقيط الأبادي (ج ٥) ٢١٧ ، ٢٣٨

(ج ٦) ٦٧٨

(ج ٨) ١٠٩

لقيم بن لقمان (ج ٨) ٣٤٣ - ٣٤٤

(ج ٩) ٨٧٥

لقيم بن هزال (ج ١) ٣٠٢ ، ٣١٧ ،

(ج ٩) ٦٤ - ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٦ ،

١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،

٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ،

٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٧ ،

٤٩٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،

٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٤ ،

٥٤٠ ، ٥٤٦ - ٥٥٣ ، ٥٥٥ ،

٥٥٧ - ٥٥٨ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ،

٥٨٩ ، ٨١٢ ، ٨٢٤ ، ٨٢٩ ،

٨٣٠ - ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤٦ ،

٨٨٠ - ٨٨١ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ،

لبيد بن عمرو (ج ٣) ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،

٢٤٠

(ج ٩) ٥٤٨

اللبة ابنة النعمان (ج ٣) ٢٨٥

لجيم بن صعب (ج ١) ٤٠٨

(ج ٤) ٥٠٠ ، ٥٠٢

(ج ٩) ٦٥٨ ، ٦٨٥

اللجيون (ج ١٣) ١٢٥ ، ١٢٨

لحي عثت يرخم (ج ٢) ١٥٦ ، ٣٢٢

٣٧٨ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ ، ٤٠٧

٤٩٣ ، ٤٧٧ ، ٤٦٦ ، ٤٠٨ -

٥٢٣ ، ٥٩٥ - ٥٩٧

(ج ٣) ٢٨٠ ، ٤٧٥

(ج ٦) ١٧

لحي بن حارثة (ج ٤) ٤٣٨

لحيان بن هذيل (ج ١) ٣٦٢ ، ٣٩٩

(ج ٢) ٢٥٥

(ج ٤) ٥٣٤

اللياني (ج ٨) ٥٧٥

لحيث ذي جدن (ج ٢) ٥٩٨

لحيث بنوف (ج ٢) ٥٨٦ - ٥٨٨

لجيم بن ابانيس (ج ٢) ١٩٢

لخم (ج ١) ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٩٩ ،

٤٧٦ ، ٥١٦

لخنيمة بنوفه ذو شناتر (ج ٢) ٥٧٩

٥٩٢

لطوشيم (ج ١) ٤٤٦ ، ٤٥٧

لطيمة (ج ٤) ١١٥ ، ٥٢١

(ج) ١٧٥ - ١٧٧ ، ٢٣٧ ،

٥٢٠ - ٥١٩

الليث بن بكر (ج) ٣٦٧ ، ٥٢٥

(ج) ٣١ ، ٥٢٢ ، ٦٢٧

(ج) ٦٧٥ حا

(ج) ٣٠٤

ليث بن دهل (ج) ٤٨٤

ليت بن كنانة (ج) ٥٢

الليث بن نصر بن ميار (ج) ١١١

الليثي (ج) ٤٠ ، ٤٥

ليدزبارسكي (ج) ٧٧

(ج) ٦

(ج) ٣٢٩

(ج) ١٧٦ ، ٢٠٨

ليدويك بركهارد (ج) ١٢٥

ليسانياس (ج) ٤٤٤

ليفي بروفنسال (ج) ٢ حا ، ٣٥٣ حا

٥١٢

(ج) ٩٤ حا ، ٤١٦ حا ، حا

٤٢٣ - ٤٢٥ ، حا ٤٣٣ ، حا

٤٤٧ ، حا ٤٥٨ ، حا ٤٦٨ ،

حا ٥١٠ ، حا ٥١٢

ليفي ديلافيدا (ج) ١٢٨ ، ٣٩٥ -

٣٩٦

(ج) ٤٤٤

ليل (اليلي) (ج) ٥٩٥ ، ٥٩٧ ،

٦٠٥

(ج) ٦٣

ليلي ابنة الجودي (ج) ٢٣٨

ليلي الاخيلية (ج) ٩٩ ، ٢٥٨ ،

٢٨٣ ، ٣٣٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨

٥٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٩ ، حا

٥٧٥ ، ٨٤٨

ليلي بنت الحارث (ج) ٤٧٩ ،

٤٨٩

(ج) ٣٧٧

ليلي بنت الحاف (ج) ٣٦٦

ليلي بنت حلوان (ج) ٣٩٧ حا

٣٢٠

(ج) ٥٨٦ ، ٦٢٥

لكيز بن افصى (ج) ٤٠٧

لكيز بن عبد العيس (ج) ٤٨٣

ليس بن زهير (ج) ١٦٧

اللهبي (ج) ٣٦٦ حا

الهم بن جلعب (ج) ٣٨٢

لهيب بن مالك (ج) ١٤١

لهيس بن مذحج (ج) ٤٥٤

لهيعة بن حمير (ج) ٣٦٥

لهوبوكوس البيروني (ج) ١٠٨

لود (ج) ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٣٤٦ ، ٤١٦

- ٤١٩ ، ٤٢١

لودف فرهل (ج) ٥٦٧ حا

لودولف كريل (ج) ١٣٦

(ج) ١٥

لود بن نوح (ج) ٣٤٠ ، ٣٦٧

لودان بن ارم (ج) ٢٩٥

لودان بن جزل (ج) ٤٥٢

لودان بن عمرو (ج) ٤٣٧

لودن بن هنواس (ج) ٢٥١

لودان بن وائل (ج) ٤٨٩

لودة (ج) ٣٦٧

لورنس (ج) ٢٠٦

لوط (ج) ٤٥٠

(ج) ١٤٣

(ج) ١٤٥ ، ٤٩٠

(ج) ٧٣٥

لوطان (ج) ٤٤٩

لوقا (ج) ٤٤٤

لوقان (ج) ٦١٣

لوكال - زكه - سي (ج) ٥٥٤

لوليوس (ج) ٢٩

لومند (ج) ٦٢٥ حا

لوهجينوس (ج) ١٢٤

ليانوس (ج) ٦٤١ - ٦٤٢

ليتمان (ج) ٥٢ ، ٣٢٨

(ج) ٦٩

(ج) ٤٥

ليلى بنت مهلهل بن ربيعة (ج ٣)
 ٢٥٥ - ٢٥٦
 ليو (اليون) (ج ٢) ٦٥٤ - ٦٥٥
 ٢٨٤ (ج ٢)
 ١٧٥ (ج ٤)

٤٧٦ (ج ٤)
 ليلى بنت الخطيم (ج ٤) ٥٨٠
 ليلى بنت السيد (ج ٤) ٧٧
 ليلى بنت عروة (ج ٩) ٣٠٧
 ليلى بنت عمرو (ج ٣) ١٠٣

- الميم -

١٠٤ (ج ٥)
 ٦١٩ (ج ٦)
 مار سليانوس (ج ٣) ٢٥٨
 مارغليوث (ج ١) ١٠٨ - ١٠٩
 ٢٠٥ (ج ٨)
 مؤرق (ج ١) ٥٢٥
 مارقوس أورليوس قيصر (ج ٣)
 ٥٧ ، ٦٣
 مارقوس انطونيوس (ج ١) ٤٤٤
 مارك انتوني (ج ١) ٤٤٥
 ماركوس أورليوس (ج ١) ٦١
 ٨٨ (ج ٣)
 ماروت (ج ٦) ٧٤١
 ماري (ج ٦) ٦١٤
 مارية بنت الجعيد (ج ٤) ٦٣٧
 مارية بنت كلب (ج ٨) ٤٣٣
 مارية البرية (ج ٢) ١٩٤
 ٦٨٦ (ج ٦)
 ٤٦١ (ج ٧)
 مارية ذات القرطين (ج ٣) ٤٠١ ،
 ٤٠٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤٤ - ٤٤٥
 مارية القبطية (ج ٥) ٣٤
 ٧٤٥ ، ٧٤١ (ج ٩)
 مارية هوفتر (ج ١) ١٣٨

مساء السماء (ج ٣) ١٦٦ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٧ - ٢١٨ ، ٢٢٥
 ٣٣٩ ، ٣٩١
 ٤٢٦ (ج ٤)
 مابور القبطي (ج ٥) ٣٤
 ماتع (ج ٥) ٤٥
 مؤثر الخير بن ذي جلدن (ج ٣)
 ٣٦٧
 مادر (ج ٤) ٥٩٧ ، ٦٢٥
 ماذي بن يافت بن نوح (ج ٢) ٩١
 مار آبا الكبير (ج ٣) ٢٨٦
 مار افرام (ج ٣) ٢٥٧
 مار ايليا (ج ٦) ٥٩٧
 مار رابة الفاؤون (ج ٣) ١٧٥
 مار شمعون (ج ٢) ٤٦٣ ، ٦٦
 مار عبدا (ج ٦) ٥٩٩
 مار فايتون (ج ٦) ٥٩٩
 مارايشو عزخا (ج ٦) ٥٨٧
 مارية بنت كعب (ج ٤) ٤٨٠
 مارتن اشبر تكلنك (ج ٨) ١٤٧
 مؤرج السدوسي (ج ٤) ٥١
 ٥٨٥ (ج ٩)
 مار سرجيوس (ج ٤) ٤٩٩

- (ج) ٢٧١ (٥)
 (ج) ٥٤٧ (٩)
 مالك بن الحارث (ج) ٢٧٢
 (ج) ٢٤٧ ، ٢٤٤ (٣)
 (ج) ٢٨٠ ، ٣٢٧ ، ٣٠٧ (٤)
 (ج) ٧٦٠ (٦)
 مالك بن حارثة (ج) ٦٣٧
 (ج) ٢٥٦ ، ١٤١ (٦)
 مالك بن حبيب (ج) ٤٨٩
 مالك بن حذيفة (ج) ٦٢٧
 مالك بن حسل (ج) ٢٩١
 مالك بن الحصيب اللعوي (ج) ٢٠٨
 مالك بن حطيظ (ج) ١٥٦
 مالك بن حمار الشمخي (ج) ٣٧٦
 (ج) ٦٥١ (٩)
 مالك بن حمير (ج) ٣٦٣ ، ٣٦٥ -
 ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤٠٥
 (ج) ٤١٦ (٤)
 مالك بن حنظلة (ج) ٢١٣ (٣)
 (ج) ٥٢٩ (٤)
 (ج) ٣٥٩ (٥)
 مالك بن خالد (ج) ٣٦٤
 مالك بن رافلة (ج) ٢٤٢ - ٢٤٣ ،
 ٢٦٢
 مالك بن ربيعي (ج) ٥٢٤
 مالك بن الربيع المزني (ج) ٥٢٤
 ١٥٩
 مالك بن زهير (ج) ١٦٦ - ١٦٧
 (ج) ٤٢٤ (٤)
 مالك بن زيد مناة (ج) ٤٠٠ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٨
 (ج) ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ٥٢٩ (٤)
 (ج) ٣٦٧ (٥)
 (ج) ٤٧١ (٩)
 مالك بن سعد (ج) ٤٠٣ ، ٤٠٥ -
 ٤٠٦
 (ج) ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧
 ماريئوس (ج) ١٢٩
 ماريوس مكسيموس (ج) ١٤٠
 مازن بن الازد (ج) ٢٧٤ -
 (ج) ٤٣٥ (٤)
 مازن بن خويلد (ج) ٨٧٢
 مارن بن ريت (ج) ٥٠٩
 مازن بن سدوس (ج) ٤٠٨
 مازن بن صعصعة (ج) ٤٠٥
 (ج) ٤٨١ (٤)
 مازن بن عمرو (ج) ٥٣١
 مازن بن فزارة (ج) ٤٠٤
 (ج) ٥١٢ - ٥١٣
 مازن بن مالك (ج) ٥٢٩
 (ج) ٦٥٣ (٥)
 (ج) ٣٦٤ (٦)
 مازن بن منصور (ج) ٢٦١ ، ٥١٦
 مارن بن النجار (ج) ١٣٩
 ماسخة (ج) ٤٢٧
 ماسنيون (ج) ٧٢
 ماش (ج) ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٣٧٥ ،
 ٤٣٤ ، ٤١٩
 (ج) ١٢ (٢)
 ماقدة (ج) ٢٣٧
 (ج) ٢٦٣ (٢)
 مالك لينان (ج) ٥١٨
 ماكس مولر (ج) ٤٣
 ماكنوس (ج) ٤١٥ - ٤١٧
 مالك بن أبي رباح (ج) ٢٤٧
 مالك بن أدد (ج) ٣٧٤ ، ٣٧١
 (ج) ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤
 مالك بن أسماء (ج) ٢٤ - ٢٥
 مالك بن أعصر (ج) ٥١٤
 مالك بن أبفع (ج) ١٨٦
 مالك بن بكر (ج) ٣٧٩
 مالك بن التيهان (ج) ٦٨
 مالك بن جبيل العامري (ج) ٦٣٨
 مالك بن جعفر (ج) ٥٢١ ، ٦٥١

٤٤٨ - ٤٣٨	٢٥١ - ٢٥٠ (ج٢)
مالك بن قسي (ج٤) ٥٧	٦٥١ (ج٩)
٣٢٨ (ج٦)	مالك بن سواد (ج٤) ٢٤٤
مالك بن قيس (ج٢) ٦٤٩	مالك بن الصيف (ج٦) ٥٤٦ - ٥٤٧
٢٣٢ (ج٤)	مالك بن عامر (ج٩) ٩٠٧
مالك بن كعب (ج٤) ٤٢٥ ، ٤٣٢ -	مالك بن عبدالله (ج٤) ٢٢٠
٤٣٣	مالك بن عيسى (ج٤) ٥٠٥
مالك بن كلثوم (ج٦) ٢٧٨ - ٢٧٩	مالك بن العجلان الخزرجي (ج٢)
مالك بن كنانة (ج١) ٣٩٢	٤٤٢
(ج٣) ٣٢٠ ، ٣٦٣ ، ٥٠٨	(ج٤) ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٣٧ -
(ج٤) ٣٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ -	١٥١ ، ١٣٨
٤٧٩ ، ٥١٢ ، ٥٣٢	(ج٦) ٤٤٢ ، ٥١٩ - ٥٢٠
(ج٦) ٢١٦	(ج٩) ٥٣٦ ، ٦٨٥ ، ٧١٩ -
(ج٨) ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ٦٦٤	٧٢٠ ، ٧٣١ ، ٧٨٨ -
مالك بن مالك بن ثعلبة (ج٤) ٢٢٢	٧٨٩
(ج٩) ٣٨٧ - ٣٨٨	مالك بن عمرو (ج١) ٣٦٣ ، ٣٧٠ ،
مالك بن مرة الرهاوي (ج٤) ١٨١	٤٠٢ ، ٣٧٢
مالك بن مرتع (ج٤) ١٤٤	(ج٤) ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠
مالك بن مرثد (ج٦) ٢٦٢	(ج٤) ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٨٣
مالك بن المنتفق الضبي (ج٥) ٣٧٨	٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩
مالك بن مهلهل (ج٩) ٣٨٨	(ج٩) ٤٩٣ ، ٧٨٩
مالك بن نبط (ج٦) ٢٦٣	مالك بن عمير (ج٩) ٨٤١ ، ٩٠٧
مالك بن نصر اللخمي (ج٦) ٧٦٥	مالك بن عميلة (ج٤) ٨٦
(ج٧) ١٩٣	(ج٥) ٣٨ ، ١٣٥
مالك بن نعط (ج٤) ١٨٦	(ج٩) ٧١٥
مالك بن نويرة (ج١) ٣٠٧	مالك بن عوف النصري (ج٤) ١٩٢ ،
(ج٤) ٢٧٤ ، ٢٨٦	٢٦٠ ، ٢٥٨
(ج٤) ٢٠١	(ج٥) ٤٠٧ ، ٥٥٧
(ج٥) ٢٠٨ ، ٣٦٧ ، ٣٩٦	(ج٦) ٥٤٦
(ج٧) ٥٦٤	(ج٨) ٦٦٤
(ج٩) ١٠٦ ، ٣٧١ ، ٨٦٧ ،	(ج٩) ٥٠٠ ، ٨٦٣
٨٨٧ - ٨٨٦	مالك بن غنم (ج٤) ٤٩٢ ، ٥٠٠ ،
مالك بن يزيد (ج١) ٣٣٢ ، ٣٧٣	٥٣٤
مالك الاول (ج٢) ٤٢	مالك بن فهم (ج١) ٥٤٨
(ج٣) ٢٢ ، ٣٤ - ٣٨ ، ٤٢ ،	(ج٣) ١٠٤ ، ١٦٧ - ١٦٨ ،
٤٦	١٧٧ - ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٣٠٨ ،
(ج٧) ٣٩٠	٣١٣
مالك الثالث (ج٣) ٤٦ ، ٤٩	(ج٤) ٢٠٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ -

مايس (ج) ١٨٧
مايسنر (ج) ٥٥٩
مبتع (ج) ٣٥٨
مبحض بن ابحض (ج) ٥٣٥ -
٥٣٦

(ج) ٥١٧
المبرد (ج) ١) ح ٣٧٠ ، ح ٤٠٦
(ج) ٢) ح ٣٥٣ ،
(ج) ٣) ح ٣٠١
(ج) ٤) ح ٤١٥ ، ح ٤١٩ ، ح
٤٣٩ ، ح ٤٤١ - ٤٤٢ ، ح ٤٤٦ .
ح ٤٧٧ ، ح ٤٧٩ - ٤٨١ ،
ح ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ح ٤٩٢ ،
ح ٥٠٠ ، ح ٥٠٢ ، ح
٥٠٧ - ٥٠٨ ، ح ٥١٢ ، ح
٥١٤ - ٥١٥ ، ح ٥١٧ ، ح
٥٢٣ - ٥٢٥ ، ح ٥٢٩ ، ح
٥٣٢ - ٥٣٥ ، ح ٥٦٩ ، ح

٦٥٩
(ج) ٥) ح ٣٦٣ ، ح ٤١٠
(ج) ٦) ح ٧٨ ، ح ٥٧٠
(ج) ٧) ح ١٨٩
(ج) ٨) ح ١٦٧ ، ح ٢٩٩
(ج) ٩) ح ٢٨٠ ، ح ٢٩٦ ، ح ٣٦٠
ح ٦٨٠
مبسام (ج) ١) ح ٣٧٥ ، ح ٤٣٤ ، ح ٤٤١
مبشا (ج) ١) ح ٤٣٤
المنجدة (ج) ٣) ح ٢٨٨ ، ح ٤٢٠
(ج) ٤) ح ٦٣١
(ج) ٩) ح ٤٨٥ ، ح ٥٩١ - ٥٩٣
الشمس بن معاوية (ج) ٦) ح ٩٣
متع ايل (ج) ٦) ح ٣١٨ ، ح ٣٣١
متعان بن حمام (ج) ٢) ح ٩٨
التفشم (ج) ١) ح ٩٢ ، ح ٣٥٨
التملس (ج) ١) ح ٣٥٨ - ٣٥٩
(ج) ٣) ح ١٥٩ ، ح ٢١٧ ، ح ٢٤١ ،
٢٤٣ - ٢٤٦
(ج) ٤) ح ٤٨٣ ، ح ٤٠٢

مالك الثاني (ج) ٣) ح ٤٦ - ٤٧
(ج) ٧) ح ٤٦٤

مالك ذو التاج (ج) ٤) ح ٥١٨
مالك ذو الرقية (ج) ١) ح ٤٠٦
(ج) ٤) ح ٥٢٢
(ج) ٥) ح ٤٦٦
مالك الطيان (ج) ٤) ح ٥٢١
مالك قمرو (ج) ١) ح ٤٤٢
مالك قهرو (ج) ١) ح ٥٨٠
مالك النبط بن حارثة (ج) ٣) ح ٤٦
مالكوس (ج) ٣) ح ٣٤
المأمور الحارثي (ج) ٦) ح ٧٦٠ ،
٧٦٣

(ج) ٨) ح ٧٤٥
المأمون (ج) ٣) ح ٢٥٢
(ج) ٤) ح ٢٢٤
(ج) ٥) ح ٢١٦
(ج) ٨) ح ١١٨ ، ح ١٥٤
(ج) ٩) ح ٢٥٦
مانع الحريم ظويلم (ج) ٤) ح ٥١٣
مانودانو (ج) ١) ح ٥٥٥
مانيتو (ج) ١) ح ٦٢٧
مانيكو (ج) ٢) ح ٦٢٣
مانيوم (ج) ١) ح ٥٥٥ - ٥٥٦
ماهان بن هرقل (ج) ٢) ح ٥٤٠
المأوردي (ج) ٥) ح ٩٦

(ج) ٧) ح ١٤٥ ، ح ١٤٧ ،
ح ٤٨٥ ، ح ٤٩٨ - ٤٩٩
(ج) ٨) ح ٣٥٧
ماوس (ج) ٢) ح ٩٩

ماوية بنت عمرو (ج) ٣) ح ١٨٧ ، ح ٣٩٦
- ٣٩٧ ، ح ٤٠٦
(ج) ٤) ح ٦٨٠

(ج) ٥) ح ٢٠٠ ، ح ٣٥٩
ماوية بنت عفزر (ج) ٩) ح ٨١٥
ماير (ج) ١) ح ٦٥٦
(ج) ٢) ح ٧٧

- مجيد بن عمرو (ج) ٣٦٧ - ٣٦٨
 محارب بن خصفة (ج) ٢١١ -
 ٢١٢
 (ج) ٢٢٤
 (ج) ٢٦٢
 (ج) ١٤٦
 محارب بن عمرو (ج) ٤٨٥ ، ٥١٥ ،
 - ٥١٧
 محارب بن فهر (ج) ٤٠٠ ، ٤٠٥ ،
 ٤٠٧
 (ج) ٥٨ ، ٦٠ ، ٩١ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨١ ، ٥٢٥
 محارب بن هرب (ج) ٣٧٧
 محب الدين الخطيب (ج) ٣٥٤ حا
 ٣٥٦
 (ج) ٥١١ حا
 (ج) ٣٤ حا
 الجبر (ج) ٢٢٧
 المختش (ج) ١٥ ، ٤٢
 محرج سيبان ذو نف (ج) ٤٧٥ (٣)
 محرق بن الحارث (ج) ٣٤٧ -
 ٣٤٨
 محرق الفساني (ج) ٣٧٩
 المحض بن جندل (ج) ١٥٦ ، ١٦٥
 محكم بن الطفيل (ج) ٩٥ - ٩٦ ،
 ٩٨
 (ج) ٧٥٦ ، ٨٩٩
 المحل (ج) ٨١٠
 المخلق (ج) ١٠٩ - ١١٠ ، ٥٨٤ -
 ٥٨٥
 محلم بن ذهل (ج) ٣٦٣ ، ٤٠٥
 محلم بن سويط الضبي (ج) ٤٠٩
 (ج) ٢٢٥
 (ج) ٤٠٧
 محلم بن عبدالله (ج) ٢١٢
 محمد بن ابان الخنكري (ج) ٩٣ -
 ٩٥
 محمد بن أبي الخطاب (ج) ٥٠٦
 محمد ابن أحمد الاوساني (ج) ١
- (ج) ١١١ ، ٦٥٥ ، ٦٥٨
 (ج) ٤٠
 (ج) ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٦٤ -
 ٣٦٥
 (ج) ١٠٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ،
 ٢٩٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٥٠٤ ،
 ٥٢٦ ، ٥٣٨ - ٥٣٩ ، ٦٥٦
 - ٦٥٧ ، ٦٦٣ - ٦٦٧ ، ٨١٣
 التلمس بن أمية (ج) ٥٠٥
 متمم بن نويرة اليربوعي (ج) ٣٠٧
 (ج) ١٧٩
 (ج) ٢٦١ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ،
 ٨٨٦
 التمتع (ج) ٩٢ ، ٣٥٨
 التنخل الهذلي (ج) ٦٠٠
 (ج) ٥٧ حا ، ٦٠٣ حا
 (ج) ٤٩٣ - ٤٩٤
 المتوكلي (ج) ٢٨٤ حا - ٢٨٥
 المثقب العبدى (ج) ٣٨٣ ، ٤٠٧
 (ج) ٢٤٧ ، ٢٨٢
 (ج) ٢٤ ، ٢٩٢ ، ٤١١
 (ج) ٢٨٠ حا
 (ج) ١٠٢ ، ٤١٧ ، ٥٣٤ ،
 ٦٧٢ ، ٦٨٨ - ٦٩٠
 المثني بن حارثة (ج) ٢٢٣ ، ٥٠٤
 المثني بن صالح (ج) ٤٦١
 مجاشع بن دارم (ج) ٤٠٣
 مجاشع بن مسعود (ج) ٢٦٠
 مجاعة بن مرارة (ج) ٢١٧
 (ج) ٨٥ ، ٩٨
 (ج) ١٤٩ ، ٤٥٧
 (ج) ٦٧٠
 مجالد (ج) ٩٦
 مجاهد (ج) ٥٢
 مجد بنت تم بن غالب (ج) ٣٦٣
 مجد بنت تيم الادرم (ج) ٣٦٤
 المجذر (ج) ٢٨٩
 مجربة بن حارثة (ج) ٤٧٨

٣٥٠ ، ٤٧٦
 (ج) ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ -
 ٢٥٢ ، ٥٨٧ ، ٦٤٩
 ٦٧٦ ، ٧٥٦ ، ٧٧٢ ، ٨٥٨
 محمد بن حمران (ج) ٨٣ - ٨٤ ،
 ٤٦١
 محمد بن خراعي (ج) ٥١٨ - ٥١٩
 (ج) ١٧٣
 محمد بن ذؤيب (ج) ٤٢٠
 محمد بن السائب الكلبي (ج) ٨٣ -
 ٨٦
 (ج) ٢٥٦ ، ٤٦٩
 (ج) ٣٣٤
 (ج) ٢٩٦
 محمد بن سعد (ابن سعد) (ج) ١
 ٨٥ ، ٨٧ ، ١١٢ -
 ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
 ٢٠١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ -
 ٣٩٤ ، ٤٢١ ، ٤٤٢
 ٤٤٥ - ٤٤٦ ، ٤٤٨
 ٤٥٠ - ٤٦٤ ، ٤٧٣
 ٥٧٨ ، ٤٢٨ ، ٤٤٧ (ج)
 (ج) ١٩ ، ٢٧ ، ٤٠ -
 ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٥
 ٦٣ - ٦٠ ، ٨٠ ، ٨٢
 ٨٥ - ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٢٢
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٨٠ - ١٨٥
 ١٨٧ - ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣
 ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ - ٢١٢
 ٢١٧ ، ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٢٤
 ٢٣٣ ، ٢٤٠ - ٢٤١
 ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٢٤٧
 ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٥٣
 ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٥٧

٩١
 (ج) ٤٩٨
 محمد بن احمد بن جزى الكلبي
 (ج) ٤٨٩
 محمد بن احمد القهبي (ج) ١ -
 ٩٥
 محمد بن ادريس اليمامي (ج) ٨
 ٢٠٥
 محمد بن اسحاق (ج) ١٠ ، ٧٠ ، ٨٦ ،
 ١٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٨ -
 ٣٧٩ ، ٤١١ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢ -
 ٤٦٣
 (ج) ١٢٢
 (ج) ١٦٢ ، ٢٩٧
 محمد بن بكر (ج) ٢٤١
 محمد بن جبير (ج) ٢٥
 محمد بن حبيب (ج) ١١٤ ، ٣٦٦
 (ج) ٥٥ ، ١٥٩ ، ١٧٨
 ١٨١ ، ٢١٤ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،
 ٣٥٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ - ٤٠١ ،
 ٤٠٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥
 (ج) ٣٣ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ،
 ١٨٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ،
 ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ،
 ٦٣٧ ، ٦٦٢ - ٦٦٣ ، ٦٧٤
 (ج) ٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٩١ ،
 ٤٠٧ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ،
 ٥٥٧ ، ٦٠٣ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ،
 ٦٤٣ - ٦٤٤ ، ٦٤٩
 (ج) ٨١ ، ١٣١ ، ١٤٧ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ -
 ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ،
 ٣٤٦ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٦٤ ،
 ٤٧٢ ، ٥٧٠
 (ج) ٣٧٢
 (ج) ٣٠٠ ، ٣١٥ ، ٣٤٨

٤١٥ . حا ٥٩٩ ، حا ٦١٧ ،
 حا ٦٨٣ ، حا ٧٢٠ حا ٧٤٢
 (ج) حا ٩ ، حا ٦٤ ، حا ٦٧ ،
 ٧. ، حا ١٨. ، حا ١٩٨ ، حا ٣٨٧ ،
 حا ٤١٣ ، حا ٥٥٢ ، حا ٦١٧ ، حا ٦٢٠ ،
 حا ٧١. ، حا ٧٢٤ - حا ٧٢٥ ، حا ٧٤٢ ،
 حا ٧٥. ، حا ٧٩٣ ، حا ٨٢٨ ،
 حا ٨٦٤ - حا ٨٦٥ ، حا ٨٦٨

محمد بن سفيان (ج) ٦٥٣
 محمد بن سلام (الجمحي - ابن
 سلام) (ج) ٣٤ ، حا ٦٨ ، حا ٧٦ ، حا ٣٧٥ ،
 حا ٣٧٧ ، حا ٣٧٩ ، حا ٣٩٥ ،
 حا ٣٩٨ ، حا ٤٩٠ ، حا ٥٠٤ ،
 (ج) حا ٢٣٦ ، حا ٢٤٥ ،
 حا ٢٨٩ ، حا ٣٠٢ ، حا ٣٥٩ ،
 حا ٣٦٥ ، حا ٣٧٥ ، حا ٤١٠ ،
 (ج) حا ٣٥٨ ، حا ٣٧٨ ، حا ٥٧٣ ،
 (ج) حا ٣٥٢ ، حا ٤٨١ ، حا ٤٨٣ ،
 حا ٤٨٥ ، حا ٥٦٣ ، حا ٥٧٠ -
 حا ٥٧١ ، حا ٥٨٠ ،
 (ج) حا ١٣ ، حا ٥٦٢ ، حا
 حا ٦٢٩ ، حا ٦٣٩ ، حا ٦٤٥ ،
 حا ٦٦٣ حا ٦٧١ ، حا ٦٩٨ ،
 (ج) حا ٢٣ ، حا ٣٥ - حا ٣٦ ،
 حا ٤. ، حا ٥٣ - حا ٥٤ ، حا ٥٧ ، حا ٦٦ ،
 حا ٧٦ ، حا ٨٥ ، حا ٩١ ، حا ٩٣ - حا ٩٤ ،
 حا ٩٧ - حا ٩٩ ، حا ١١٥ ، حا ١٥٩ ،
 حا ١٧. ، حا ١٧٦ ، حا ١٧٨ ، حا ١٨٠ ،
 حا ١٨٢ ، حا ٢١٤ ، حا ٢١٧ - حا ٢١٨ ، حا ٢٢٠ ،
 حا ٢٢٢ ، حا ٢٣٠ - حا ٢٣٣ ، حا ٢٣٥ ،
 حا ٢٣٦ ، حا ٢٤٠ - حا ٢٤١ ، حا ٢٤٥ ،
 حا ٢٤٦ ، حا ٢٥٢ ، حا ٢٦٠ - حا ٢٦٣ ،
 حا ٢٦٩ ، حا ٣١٢ - حا ٣١٤ ، حا ٣١٧ ،
 حا ٣٢٢ ، حا ٣٣٣ ، حا ٣٤٢ - حا ٣٤٣ ،
 حا ٣٤٥ - حا ٣٤٦ ، حا ٣٤٩ ، حا ٣٥٨ ،
 حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٨ - حا ٣٦٩ ، حا ٣٧٦ ،
 حا ٣٧٧ - حا ٣٨٠ ، حا ٣٨١ ، حا ٣٨٦ ،
 حا ٣٩٦ ، حا ٤٠١ - حا ٤٠٣ ، حا ٤٠٧ ، حا ٤٢٣ ،
 حا ٤٢٤ ، حا ٤٣٠ - حا ٤٣١ ، حا ٤٤٤

٢٥٩ . حا ٢٦١ - حا ٢٦٤ . حا
 حا ٢٦٧ - حا ٢٦٩ ، حا ٢٩٢ ،
 حا ٢٩٤ ، حا ٣٨٤ ، حا ٥٧٥ ،
 حا ٥٩٦ ، حا ٦١٦ ، حا
 حا ٦٣٦ حا ٦٨٠
 (ج) حا ٤٨ ، حا ٥٠ ، حا
 حا ٥٢ ، حا ١٥٦ ، حا ٢٨٦ ، حا
 حا ٥٠١ ، حا ٥٩٣ ، حا ٦١٣ ،
 حا ٦٤٧
 (ج) حا ٥٨ ، حا ٦٨ ، حا
 حا ٨٨ - حا ٨٩ ، حا ٩٨ ، حا
 حا ٢٥١ ، حا ٢٦٥ ، حا ٣٤٤ ،
 حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٥ ، حا ٣٧٠ ،
 حا ٣٨٤ ، حا ٤٣٣ ، حا
 حا ٤٥٦ ، حا ٤٦٤ ، حا ٤٧٠ -
 حا ٤٧٢ ، حا ٤٧٥ حا ٤٨٥ ، حا
 حا ٥٠٢ ، حا ٥٠٧ ، حا ٥١٨ ،
 حا ٥٣. ، حا ٥٤٢ ، حا
 حا ٥٤٨ ، حا ٦١١ ، حا ٦١٧ ،
 حا ٦١٨ ، حا ٦٤١ ، حا ٦٩٤
 (ج) حا ٩٩ ، حا ١٠٢ ، حا
 حا ١١٩ ، حا ١٣٦ ، حا ١٤١ -
 حا ١٤٢ ، حا ١٥١ ، حا ١٩٣ -
 حا ١٩٥ ، حا ٢٩٠ حا ٢٩٣ ،
 حا ٣٠٤ ، حا ٣١٣ ، حا
 حا ٣٣. ، حا ٤١٦ ، حا ٤٤٨ ،
 حا ٤٥٣ ، حا ٤٥٧ حا ٤٥٩ ،
 حا ٤٦٣ ، حا ٤٦٧ ، حا ٤٧٦ ،
 حا ٤٧٩ - حا ٤٨٠ ، حا ٤٨٤ ،
 حا ٤٨٥ ، حا ٥٢٧ ،
 حا ٥٣٨ ، حا ٥٩٩ - حا ٦٠٠ ،
 حا ٦٣٦
 (ج) حا ٣١ ، حا ١١٠ ، حا ١١٥ -
 حا ١١٦ ، حا ١١٩ ، حا ١٢١ - حا ١٢٢ ،
 حا ١٢٥ ، حا ١٢٧ - حا ١٢٨ ، حا ١٣٢ -
 حا ١٣٣ ، حا ١٣٥ ، حا ١٤١ ، حا
 حا ١٥٥ ، حا ٢٦٤ ، حا ٢٩٢ ،
 حا ٢٩٧ ، حا ٣٠١ ، حا ٣٣١ ،
 حا ٣٧٨ ، حا ٣٨٧ ، حا

٤٢٨ — ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،
 ٤٤٥ ، ٤٥٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٧ — ٥٠٨ ، ٥١٢ ، ٥٢٣ ،
 ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ — ٥٢٧ ،
 (ج) ١٥ ، ١٧ — ١٨ ، ٢٩ ،
 ٢٣ — ٢٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٢ — ٥٣ ،
 ٥٥ ، ٦٠ — ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٥ ،
 ٨١ — ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ — ٨٥ ،
 ٩٠ ، ٩٩ — ١٠٠ ، ١٠٣ —
 ١٠٥ ، ١٠٧ — ١١٢ ، ١٢١ —
 ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ — ١٢٨ ،
 ١٣٠ — ١٣١ ، ١٣٧ — ١٣٨ ،
 ١٤٠ ، ١٤٩ — ١٥١ ، ١٥٤ ،
 ١٥٨ — ١٧٧ ، ١٧٩ — ١٨٩ ،
 ١٩١ — ١٩٦ ، ٢٠٠ — ٢٠١ ،
 ٢٠٩ — ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ — ٢٣٧ ،
 ٢٣٩ — ٢٤٢ ، ٢٤٤ — ٢٥٢ ،
 ٢٥٤ — ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٩١ —
 ٢٩٦ ، ٣٠٤ — ٣٠٦ ، ٣١١ —
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٨١ ،
 ٣٨٦ — ٣٨٨ ، ٣٩٦ — ٣٩٧ ،
 ٤٠٢ ، ٤١٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٤ ،
 ٤٥٩ — ٤٦٠ ، ٤٦٢ — ٤٦٣ ،
 ٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ — ٤٨٧ ،
 ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ — ٥٠٩ ،
 ٥١٥ — ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ،
 ٥٢٧ — ٥٢٩ ، ٥٣٠ — ٥٤٢ ،
 ٥٥٦ ، ٥٥٩ — ٥٦٠ ، ٥٦٢ —
 ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ — ٥٨٠ ،
 ٥٨٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ،
 ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ —
 ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٣ — ٦٢٣ ،
 ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣ — ٦٤٥ ،
 ٦٤٧ ، ٦٥٦ — ٦٥٧ ، ٦٦٠ ،
 ٦٦٨ — ٦٦٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٣ ،
 (ج) ٧ ، ١٦ — ١٧ ، ٢٦ ،

٤٤٦ — ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ —
 ٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ — ٤٧١ ،
 ٤٧٣ — ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٥٠٤ ،
 ٥٢٦ ، ٥٣٦ — ٥٣٧ ، ٥٩٨ ،
 ٦٥٤ — ٦٥٦ ، ٦٧٦ ، ٦٨٨ ،
 ٦٩٠ — ٦٩٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٦ ،
 ٧١٢ — ٧١٥ ، ٧١٦ — ٧١٩ ،
 ٧٢٤ — ٧٢٦ ، ٧٢٧ — ٧٣٠ ،
 ٧٣١ — ٧٤٧ ، ٧٥٠ — ٧٥٢ ،
 ٧٥٣ — ٧٥٨ ، ٧٦١ ، ٧٦٥ —
 ٧٦٧ ، ٧٧١ — ٧٧٦ ، ٧٧٠ ،
 ٧٨٢ ، ٧٨٤ — ٧٨٧ ، ٨٣٢ ،
 ٨٣٨ ، ٨٤٦ — ٨٤٨ ، ٨٤٩ ،
 ٨٥٤ ، ٨٥٨ — ٨٧١ ، ٨٧٢ —
 ٨٧٤ ، ٨٧٨ — ٨٨١ ، ٨٨٣ ،
 ٨٨٦ — ٨٨٨ ، ٨٩٤ — ٨٩٥ ،
 محمد بن سلام البصري (ج) ١٩٩ ،
 محمد بن طاهر (ج) ١٥٤ حا
 محمد بن عبدالله (الرسول — النبي)
 (ج) ١٣ — ١٤ ، ٣٨ ، ٤١ —
 ٤٢ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، حا
 ١٠٨ — ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،
 ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٦٨ — ١٦٩ ،
 ١٧٤ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
 ٢٢٤ ، ٢٨٠ — ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
 ٢٨٧ ، ٣٠٧ — ٣٠٩ ، حا
 ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ — ٣٢١ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ،
 ٣٨٧ ، حا ٣٨٩ ، ٤٠١ ،
 ٤١٥ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ —
 ٤٧٤ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ —
 ٤٨٦ ، ٤٩١ — ٤٩٣ ، ٥٠١ ،
 ٥٠٢ ، ٥٠٦ ، ٥١٦ — ٥١٨ ،
 (ج) ٥١٤ — ٥١٦ ، ٥٢٧ ،
 ٥٧٠ ، ٥٨٣ ، ٦٥٣
 (ج) ٧٢ ، ١٤٥ ، ١٩٣ ، ٢٤٨ ،
 ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ،
 ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٨١ ، ٤١٠ ،

701 : 749
 619 : 14 — 12 (77)
 671 — 7. 6 08 6 8. — 79
 8. 6 78 6 7. — 79 6 78
 98 — 92 6 91 6 87 6 81 —
 6 112 6 1.9 6 1.0 — 97
 618. 6 128 — 120 6 122
 610. 6 127 6 123 — 122
 6 2.0 6 197 6 182 : 17.
 6218 — 217 6 212 : 2.8
 6238 6 228 6 220 — 228
 6289 6 280 — 282 6 28.
 277 6 260 6 207 6 202
 277 6 278 6 272 6 278 —
 287 — 288 6 279 6 277 —
 288 — 282 6 28. — 227
 627. 6 207 — 200 6 202
 28. 6 272 — 279 6 277
 6 298 6 6 280 6 282 —
 682. — 819 6 8.9 6 8.8
 6827 — 821 6 828 6 827
 6808 6 880 — 882 6 828
 878 — 878 6 872 — 807
 878 — 872 6 871 — 87.
 6882 — 881 6 879 6 877
 892 — 891 6 887 — 880
 0.9 6 0.7 6 0.8 — 897
 021 6 018 6 010 6 011 —
 603. — 028 6 028 6 022
 — 082 6 028 6 020 — 022
 008 6 001 — 00. 6 088
 07. 6 077 — 07. 6 000
 — 090 6 09. 6 087 6 081
 67.7 6 7.0 — 7.0 6 097
 6729 6 722 6 722 — 717
 677 6 787 — 788 6 781
 682 6 788 — 777 6 772
 792 6 788 — 780 6 782 —
 67.8 — 7.2 6 788 6 788

627 6 28 6 22 — 21 6 29
 607 — 01 6 87 6 80 6 82
 682 6 81 6 70 6 7. 6 70
 92 — 91 6 89 6 87 — 87
 6 1.2 — 1.1 6 98 6 97
 6117 — 117 6 1.8 6 1.0
 128 6 122 — 121 6 119
 128 6 127 — 128 6 120 —
 6187 6 188 6 182 6 18.
 100 — 108 6 10. — 189
 6 177 6 17. 6 107
 6187 6 177 6 17. — 179
 62.2 6 199 6 191 6 189
 21. — 2.9 6 2.7 — 2.7
 6227 6 220 — 228 6 22.
 6202 6 20. 6 288 — 287
 270 6 272 6 209 — 208
 6279 6 272 6 278 6 277
 6291 6 289 — 288 6 287
 62.0 6 298 6 298 — 292
 6212 — 211 6 2.9 — 2.8
 6228 6 221 6 218 6 210
 6229 6 22. 6 228 — 227
 6277 6 272 6 272 6 281
 298 — 297 6 292 — 289
 6828 6 812 6 8.2 — 8.2
 881 6 827 6 828 — 827
 808 6 802 6 887 6 882 —
 878 6 809 — 808 6 807
 882 — 881 6 878 6 870 —
 6012 — 011 6 0.9 6 0.1
 029 6 022 — 02. 6 010
 6000 6 00. 6 088 6 029
 6071 — 07. 6 008 — 007
 6079 6 072 6 077 — 070
 6091 6 089 6 087 — 080
 67.0 6 7.2 6 090 — 092
 6722 6 727 6 717 6 7.9
 787 — 780 6 782 — 799

-070 - 078 - 071 - 000
 08. - 080 - 08. - 079
 :092 - 088 - 080 - 082
 7. - 7.2 - 099 - 097
 -719 - 7.9 - 7.8 - 7.0
 722 - 72. - 729 - 721
 727 - 728 -
 88 - 83 - 21 - 22 (82)
 - 1.2 - 1.0 - 91 - 88
 118 - 1.8 - 1.7 - 1.8
 181 - 128 - 118 - 117 -
 182 - 179 - 17. - 178
 190 - 192 - 187 - 188 -
 200 - 20. - 229 - 197 -
 278 - 271 - 209 - 207 -
 - 277 - 278 - 279 - 277
 - 29. - 288 - 287 - 282
 299 - 297 - 290 - 292
 - 31. - 3.8 - 3.7 - 3.2
 33. - 323 - 32. - 317
 387 - 382 - 333 - 332
 370 - 308 - 307 - 389 -
 377 - 370 - 373 - 371
 387 - 382 - 381 - 378 -
 - 8.0 - 8.3 - 397 - 391
 - 833 - 83. - 828 - 812
 - 87. - 809 - 838 - 837
 - 887 - 887 - 888 - 88.
 - 897 - 890 - 893 - 891
 022 - 0.8 - 0.3 - 898
 082 - 039 - 038 - 023 -
 007 - 003 - 088 - 088 -
 - 088 - 082 - 071 - 07.
 7.1 - 099 - 090 - 087
 7.9 - 7.7 - 7.8 - 7.2 -
 - 729 - 723 - 722 - 711
 - 727 - 727 - 723 - 722
 - 701 - 70. - 787 - 781
 770 - 772 - 77. - 708

728 - 727 - 722 - 72.
 - 78. - 727 - 728 - 723
 703 - 788 - 787 - 788
 772 - 772 - 77. - 707
 - 778 - 771 - 779 - 770
 - 8.2 - 8.2 - 798 - 789
 822 - 821
 27 - 22 - 21 - 12 (72)
 82 - 82 - 8. - 28 - 29 -
 - 09 - 08 - 00 - 03 - 87
 97 - 91 - 81 - 77 - 72
 117 - 1.9 - 1.2 - 99 - 97
 - 137 - 127 - 122 - 119
 - 101 - 187 - 188 - 182
 192 - 182 - 178 - 100
 2.8 - 2.1 - 198 - 190 -
 - 218 - 217 - 210 - 21.
 - 239 - 237 - 227 - 222
 - 272 - 270 - 209 - 20.
 30. - 290 - 293 - 291
 213 - 3.8 - 3.8 - 3.3
 33. - 329 - 323 - 310
 339 - 327 - 323 - 322
 301 - 389 - 388 - 38. -
 371 - 373 - 372 - 309 -
 - 382 - 38. - 379 - 377
 391 - 389 - 387 - 380
 8.7 - 8.8 - 399 - 390
 - 817 - 813 - 812 - 8.8
 - 820 - 828 - 82. - 817
 833 - 832 - 83. - 828
 - 883 - 881 - 839 - 830
 - 807 - 803 - 801 - 889
 - 891 - 877 - 870 - 809
 - 888 - 899 - 897 - 887
 - 01. - 0.9 - 0.8 - 0.2
 020 - 022 - 021 - 017
 - 00. - 087 - 083 - 027

٨٤١ - ٨٤٦ ، ٨٤٩ - ٨٥٠	٦٦٨ - ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٨٣ -
٨٥٢ - ٨٥٣ ، ٨٥٧ ، ٨٦٠	٦٨٥ ، ٦٩٠ ، ٦٩٨ - ٦٩٩
٨٦٣ - ٨٦٥ ، ٨٦٩ ، ٨٧١	٧٠٣ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٢٠
٨٧٢ - ٨٧٤ ، ٨٧٦ ، ٨٧٨	٧٢٣ ، ٧٣٥ - ٧٤٤ ، ٧٤٨
٨٨١ ، ٨٨٣ - ٨٨٥ ، ٨٨٧	٧٥٨ - ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٨
٨٩٢ - ٨٩٤ ، ٨٩٩ ، ٩٠٤	٧٨٠ - ٧٨٣ ، ٧٨٦ - ٧٩٣
٩٠٧ -	(ج) ٥ - ٨ ، ٦ - ١١ ، ١٤
محمد بن عبدالله بليهد التجدي	١٥ ، ١٧ - ١٨ ، ٢١ ، ٢٧
(ج) ١١ ، ١٣	٢٩ - ٣٤ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦٤ -
(ج) ٤٧٥	٦٧ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٨ - ٩٢
(ج) ١٥١	١١١ - ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ،
محمد بن عبد الملك (ج) ٢٤	١٤٠ ، ١٤٧ - ١٤٩ ، ١٥٧ ،
محمد بن علي الاكوع الحوالي (ج) ١	١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٢ - ١٧٤
١٥ ، ٩٠ ، ٩٨	١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٥ - ١٩٨
(ج) ٥٠٢	٢١٣ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٤٣
محمد بن عمير (ج) ٥٥٧	٢٥١ - ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨
محمد بن كعب القرظمي (ج) ١	٢٧٢ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٢٨٥
٢٣٣ ، ٤١٠	٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٢٨ ، ٣٥٦ ،
(ج) ٥٢٤ ، ٥٦٤ ، ٦٠٩ ،	٣٥٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ - ٣٧٨
٦١١	٣٨٠ - ٣٨٤ ، ٣٨١ - ٣٨٨
محمد بن مسلمة الانصاري (ج) ٤	٣٩٥ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤٢٢
٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٥	٤٢٣ - ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٤٢ ، ٤٥١
(ج) ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٥	٤٧١ ، ٤٧٨ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ،
(ج) ٧٨٥	٤٩٦ ، ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٥١٤ ،
محمد بن نثوان بن سعيد الحميري	٥١٦ ، ٥٢٧ - ٥٢٨ ، ٥٣٢
(ج) ٩٨	٥٣٣ - ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٥
محمد أبو الفضل ابراهيم (ج) ١	٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ،
٤٩	٥٧٨ ، ٥٨٢ - ٥٨٣ ، ٦١٧ ،
(ج) ٣٦٥	٦٢٠ ، ٦٦٦ - ٦٦٧ ، ٦٧٠ ،
(ج) ٩٨ ، ٣٦٨	٦٧٧ ، ٦٩٦ - ٧٠٢ ، ٧٠٥
(ج) ٦٩٧	٧٠٨ ، ٧١٠ - ٧١١ ، ٧١٣
(ج) ١٨ ، ٣٥ ، ٣٨	٧١٥ - ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٢٣ ،
٤٠ ، ٤٥	٧٢٤ ، ٧٢٦ - ٧٢٩ ، ٧٣٦
محمد أبو هشام (ج) ٤٢٩	٧٤٣ - ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨
محمد احمد الفمراوي (ج) ٧٠	٧٥١ ، ٧٥٣ - ٧٥٧ ، ٧٦٠
محمد اسماعيل عبدالله الصاوي	٧٦١ - ٧٦٣ ، ٧٧٢ ، ٧٧٨
(ج) ٢٣١	٧٨١ - ٧٨٥ ، ٧٨٢ ، ٧٨٦ ،
	٧٩٠ ، ٧٩٣ ، ٨١٤ ، ٨٢١ -
	٨٢٢ ، ٨٢٤ ، ٨٢٨ ، ٨٣٨ ،

- محمد الامين (ج ٤) ٢٥٧
 محمد بهجت الانري (ج ١) ٥ ، ١٠
 ح ١١٧ ، ح ١٥٠
 محمد توفيق (ج ٢) ح ٧٥ ، ح
 ٨٧ ، ح ٩٨ ، ح ١١٦ ، ح
 ١١٨
 (ج ٥) ١١ - ١٢
 (ج ٧) ح ١٧٨
 محمد حامد الفني (ج ٧) ٤٩٨
 محمد حسن آل ياسين (ج ٣) ح
 ٣٩٩
 (ج ٥) ح ٢١٦
 (ج ٦) ٥٧٢
 محمد حسين (ج ٣) ح ٢٤٨ ، ح
 ٢٩١ ، ح ٣٧٦ ، ح ٤٤٢
 (ج ٤) ح ٢٠٠
 (ج ٩) ح ٥٧١ ، ح ٥٧٣ ،
 ح ٥٧٦ ، ح ٥٨٠ ، ح ٥٨٣ ، ح
 ٦٩٠ ، ح ٧٧٥ ، ح ٧٧٩
 محمد حميد الله (ج ٨) ١٨٤ ، ٢٤٩ ،
 ٢٦٩
 محمد الخضري (ج ١) ح ٧٠
 محمد سعيد العريان (ج ٣) ح ٣٤٥
 ح ٣٥٤
 (ج ٤) ح ٤٩٤ ، ح ٥٢٦
 (ج ٥) ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٦٥
 محمد عبد العظيم الزرقاني (ج ٨)
 ح ٩٨
 محمد علي صبيح (ج ٦) ح ٤٨٥
 محمد قواد عبد الباقي (ج ١) ح ٤٠
 محمد فريد وجدي (ج ١) ح ٧٠
 (ج ٣) ح ٢٧٠
 محمد لطفي جمعة (ج ١) ح ٧٠
 محمد محي الدين عبد الحميد (ج ١)
 ح ٥٣ ، ح ٦٢ ، ح ٧٥ ،
 ح ٧٨ ، ح ٨٤ ، ح ٨٦ ، ح
 ٣١٥ ، ح ٣١٩ ، ح ٣٥٧ ،
 ح ٣٦١ ، ح ٣٨٦ ، ح ٣٩٤ ،
 ح ٤١٩ ، ح ٤٩٢
- (ج ٢) ح ٥١٢ ، ح ٥١٦ ح
 ٥٣٢ ، ح ٥٦٩
 (ج ٣) ح ١٧٤ ، ح ١٧٩ ،
 ح ١٩٧ ، ح ٢٦١ ، ح
 ٢٦٨ ، ح ٢٨١ ، ح ٤٢٦ -
 ٤٢٨ ، ح ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ح
 ٥٠٤ - ٥٠٥
 (ج ٤) ح ٤٠ ، ح ٧٨ ، ح
 ٣١٨
 (ج ٥) ح ١١٥ ، ح ٢٨٧ ،
 ح ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ح ٣٥٣ ،
 ح ٣٧١ ، ح ٣٧٥ ، ح ٣٨١
 (ج ٦) ح ٧٨ ، ح ١١١ ، ح
 ٢٥١ ، ح ٤٣٤ ، ح ٤٦٩ ،
 ح ٤٧٦ ، ح ٤٧٨ - ٤٧٩ ،
 ح ٥٠٢ ، ح ٥٠٥ ، ح ٥٣٧
 ح ٥٥٣ ، ح ٥٦٢ ، ح ٧٥٥
 (ج ٩) ح ١٧٠ ، ح ١٧٦ ،
 ٤٥٦ ، ٤٦٠ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ،
 ح ٥٦٢
 محمد هاشم عطية (ج ٨) ح ٥٥٢ ،
 ح ٥٧٥
 (ج ٩) ح ٥١٤
 محمود بن دحية (ج ٦) ٥٤٦
 محمود بن سيحان (ج ٦) ٥٤٦
 محمود ابو رية (ج ٨) ح ٦٠١
 (ج ٩) ح ٢٠ ، ح ٢٦
 محمود حسن زناتي (ج ٩) ح ٣٤٦
 محمود شكري الالوسي (الالوسي)
 (ج ١) ح ١١٧ ، ح ١٤٠ ح
 ١٥٠ ، ح ١٥٧ ، ح ١٥٩ -
 ١٦٠ ، ١٧٩ ، ح ١٨١ ،
 ٢٦٤ ، ح ٣٢٣
 (ج ٣) ح ٥٠٠
 محمود محمد شاكر (ج ٩) ح ٧٧١
 محيصة بن مسعود (ج ٤) ٢٦٤
 مخارق بن شهاب (ج ٤) ٦٠٢
 مغاشن بن معاوية (ج ٥) ٥٠٤ ،
 ٦٣٨ ، ٦٤٢

- ٢١٤ (ج٦)
 الخيل الزرقان (ج٥) حا ٢٠٢
 للمخيل السعدي (ج٣) ٤٩٦ -
 ٤٩٨
 (ج٤) ٦٧٤
 (ج٩) ١٢٠ ، ٩٩
 المخار بن ابي عبيد (ج٩) ٢٢٠ ،
 المخار بن ابي عبيدة (ج١) ٧٠ ،
 ٧٦
 (ج٤) ١٥١ ، ٥١٧
 المختار بن عبيد الثقفي (ج٩) ٢٥٢
 ٣٤٢ ، ٢٩٠
 المختار بن عوف (ج٧) ٣٨٠
 (ج٨) ٦٦٠
 مخربه العبدى (ج٤) ٢٠٣
 مخرم بن حزن (ج٥) ٤٠٨
 مخرمة بن كنانة (ج٤) ٣٧ ، ٥٣٢
 مخرمة بن المطلب (ج١) ٧٠
 (ج٩) ٣٩٦ ، ٣٥٩
 مخرمة بن نوفل (ج١) ٤٧١
 (ج٤) ٨٤
 (ج٨) ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٧٥
 (ج٩) ٢٧٧
 مخزوم بن يقظة (ج١) ٤٠١
 (ج٤) ٢٦
 (ج٧) ١٩٢
 مخشي بن عمرو الضميري (ج٤)
 ٢٦٥
 مغلد بن النضر بن كنانة (ج٨) حا
 ١٦٠
 مخلف (ج١) ٣٦٩
 مخوص (ج٢) ١٥٥
 (ج٤) ١٩٧
 (ج٧) ١٤١
 مخيريق (ج٦) ٥٦٢
 (ج٧) ٤٣
 مخيم (ج١) ٣٦٩
 المدائني (ج١) ١١٤ ، ١١٦
- ٤٨٧ (ج٤)
 (ج٩) حا ٢٠ ، ٣١٣
 مدان (ج١) ٤٤٦
 مدرك بن عوف (ج١) ٥٢٥
 (ج٥) ٦٠٦
 مدركة بن الياس (ج١) ٢٩٧ ، ٢٩٩
 (ج٤) ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٥٣١
 مدغم الاسود (ج٦) ٥٢٩
 (ج٧) ٤٦٠
 مدلج بن مرة (ج٦) ٣٦٤ ، ٧٦٠ ،
 ٧٧٠
 مديان (ج١) ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٨
 مذاب (ج٢) ٩٤
 المذاذ (ج١) ٣٦٧
 مذحج (ج١) ٣٦٤ ، ٣٧٠
 (ج٢) ٥٩٠
 مذعور بن عدي العجلي (ج٢) ٦٢٠
 (ج٤) ٢٢٣
 مذكر بن عمانس (ج٢) ٩٨
 مر بن اد (ج١) ٣٦٤ ، ٤٠٢
 (ج٢) ٥٠٦
 (ج٤) ٥٢٣ ، ٥٢٥
 (ج٨) ٥٠٠
 مر عبدا بن حنيف (ج٦) ٥٩٨
 مرا ذو غابة (ج٦) ٣١٤
 مرانا (ج٦) ٦٣٢
 مراد بن مذحج (ج١) ٣٧١ - ٣٧٣
 (ج٤) ٤٥٦
 مراد الاجدع بن مالك (ج٤) ١٨٨
 مرارة بن ربيعة (ج٩) ٧٤٦
 مراس مراس (ج٢) ٥٠٠
 مراسمو (ج٢) ٣٣٦
 مرامر بن مرة (ج٨) ١١١ ، ١٥٨ -
 ١٦٢ ،
 مران بن جعفي جعفر (ج١) ٣٦٩ ،
 ٣٧١
 (ج٤) ٤٤٨
 (ج٧) ٤٦٢

- مرة بن ادد (ج) ٤٥٩
(ج) ٢٥٦
مرة بن حمير (ج) ٣٦٥
(ج) ٤٢٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧
(ج) ٢٤٤ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ،
٤١٦
مرة بن خليف الفهمي (ج) ٢٨٧
مرة بن ذهل (ج) ٤٠٩
(ج) ٤٩٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤
(ج) ٣٦٩
مرة بن ربيعة (ج) ٤٧٢ ، ٥٩٢
مرة بن الرواغ (ج) ١١٨
(ج) ٤٨١
مرة بن زيد (ج) ٣٧٠ ، ٣٧٢ ،
٤٠١ ، ٤٠٥
مرة بن صعصعة (ج) ٥١٦ ، ٥٢٠
مرة بن عبدالله (ج) ٥٣٤
مرة بن عبد رضا (ج) ٧٦٨
مرة بن عوف بن ذبيان (ج) ٤٤ ،
٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٨٠ ، ٥١٢
(ج) ٣٦٢
(ج) ٢٤١
(ج) ٤٧٣
مرة بن فزارة (ج) ٥١٢
مرة بن كعب (ج) ٢٨ ، ٥٤ ، ٨٠
(ج) ١٩١
(ج) ٤٩٨
مرة بن كلثوم التفلبي (ج) ٢٠٩ ،
٢٣١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٨
(ج) ٥٦١
مرة بن مازن (ج) ٤٨٣
مرة بن همام الشيباني (ج) ٤٣٣
مرة بنت سفيان (ج) ٦٠٦
مرة ذو عنكلان (ج) ٤١٧
مرة عبد مناة (ج) ٥٣٢
(ج) ٧٧٠
المرتاد (ج) ٦٢ ، ٣٥٨
مرتضي الزبيدي (ج) ١٥٧ ،
- ٣٨٠
مرتفع (ج) ١٨٤
(ج) ٦٧٤
مرتفع بن معاوية (ج) ٣١٩
مرتو (ج) ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٥٠٤ -
٥٠٥
مرتد (ج) ٣٦٩
(ج) ٢١٥ ، ٢٥٥ ، ٣٢٦ ،
٣٣٤ ، ٤٠٦ ،
(ج) ٢٢٧ ، ٣٦٣ ، ٤٨٤ ،
٤٨٧
(ج) ٤٤٨
(ج) ١٣٥
(ج) ١١٦
مرتد بن حي (ج) ٣٦٨
(ج) ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢
مرتد بن ذي يزن (ج) ٥٩٣
مرتد بن سعد (ج) ٣٩٤ ، ٤٧٦
مرتد الخير بن ذي جلدن الحميري
(ج) ٣٦٥
(ج) ٥٣٠
مرتد الخير بن ينكف (ج) ٧٧٧
مرتد علن (ج) ٥٨٨ - ٥٨٩
(ج) ٤٧٨ ، ٤٧٧
مرتد يهقبض (ج) ٣٦٠
مرتدم بهحمد (ج) ٣٩٧ ، ٤٥٢ ،
٤٦٥ - ٤٦٦ ، ٤٧٠ - ٤٧٤ ،
٤٩٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ،
٥٩٥
مرجف (ج) ٤٨٨
مرحب اليهودي (ج) ٧٨٨
مرداس بن ابي عامر (ج) ٧١٣ ،
٧٢٦
(ج) ٤٠٧
(ج) ٨٦٤ ، ٨٧٦
مرداس بن مروان (ج) ١٣٨ ، ٥١٩
مردخلبلدان (مردخ بلدان) (مردخ
بلادان) (ج) ٥٨٧
مرزبان آبادية (ج) ٣٣٨

المرزبان بن وهروز (ج ٣) ٥٢٧ -
 ٥٢٨
 للمرزباني (ج ١) ١١٢
 (ج ٣) ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،
 ٣٦٠
 (ج ٥) ٩٦
 (ج ٦) ٩٨ ، ٤٦٦ ،
 ٥٢٣ ، ٦٧٢ ، ٧٢٤
 (ج ٨) ١٠٩ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ،
 ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٧٨٥ -
 ٧٨٧
 (ج ٩) ٢١ ، ٥٢ ، ١٦٤ ،
 ١٩٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ ،
 ٣٤٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٨ - ٤٤٩ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٦ ، ٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٧٦ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ،
 ٤٩٥ ، ٥٦٧ - ٥٦٨ ، ٥٨٦ ،
 ٦٠٩ ، ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٦٤٩ ،
 ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦٦٩ -
 ٦٧١ ، ٦٧٦ - ٦٧٧ ، ٦٨٩ ،
 ٦٩٠ ، ٧٠١ ، ٧١٠ ، ٧١٥ -
 ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩ ،
 ٧٣٠ ، ٧٦٤ - ٧٦٥ ، ٧٨٣ ،
 ٧٨٥ ، ٧٨٩ - ٧٩٠ ، ٨٠٤ ،
 ٨٢٦ - ٨٢٧ ، ٨٤٨ ، ٨٥٢ ،
 ٨٦١ ، ٨٦٣ ، ٨٦٨ - ٨٦٩ ،
 ٨٧١ ، ٨٧٤ ، ٨٨٢ ، ٨٨٥ -
 ٨٨٦ ، ٨٨٨ ، ٨٩٥ ، ٩٠٢ ،
 مرزوق (ج ١) ٥٢٦
 للمرزوقي (ج ٣) ٢٤٥
 (ج ٤) ١١٥ ، ٢٠٨ ،
 ٣٦٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٢ ،
 (ج ٦) ٢٠١ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦٣
 (ج ٧) ٣٦٩ ، ٣٧١ -
 ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٨ ،
 ٣٩٤

(ج ٨) ٢٥٨ ، ٤٥٥ - ٤٥٧ ،
 ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٤ ،
 ٤٨٧
 (ج ٩) ٩٠ ، ٦٧٠ ،
 ٨١١ : ٨٨٢
 مرس عم (ج ٢) ٥٤٨
 مرشد بن سعد (ج ١) ٣٠٢
 مرشد بن ترداد (ج ١) ١٠٤
 مرضعة (ج ٥) ٦٤٨
 مرعش (ج ٦) ٦٢٦
 مرقس انطونيوس (ج ٣) ٨٥
 مرقس داود (ج ١) ٦٢
 المرقس الاصغر (ج ٤) ٥٠٣
 (ج ٨) ١٠٩ ، ١٤٠ ، ٢٥٤ ،
 ٢٨٠
 (ج ٩) ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ،
 ٤٦٠ ، ٤٧٧ - ٤٧٦ ، ٥٣٥ ،
 ٦٥٦ - ٦٥٧ ، ٦٦١ - ٦٦٢ ،
 ٦٧٢
 والمرقس الاكبر (ج ٣) ٢٦٠
 (ج ٤) ٥٠٣
 (ج ٦) ٥٥٥ ، ٦٥٩ ، ٦٩٥ ،
 ٨٠٠
 (ج ٧) ٥١٨ ،
 (ج ٨) ٢٨٠
 (ج ٩) ٢١ ، ٢٠٩ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ،
 ٤٥٧ - ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
 ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٦٥٦ - ٦٥٧ ،
 ٦٥٩ - ٦٦٠ ، ٦٦٢ ، ٦٧٢
 مرقس السدوسي (ج ٩) ٨٣٣
 مرقيانوس (ج ٢) ٥١١
 (ج ٣) ٤١٣ - ٤١٤
 مركبود (ج ٣) ٥٢٩
 (ج ٤) ١٨٤
 مركليوث (مرجيلوث) (ج ٩) ٢٥٧ ،

- حسا ٣١٨ - ٣٧٢ - ٣٧٤ ،
٤٠٠
مرمرجي الدومني (ج٣) حا ٥٩
(ج٦) حا ٦٤٨ ، ٦٦٧
مروان بن ابي حفصة (ج٧) ٤٦٨
(ج٩) ٣١١ ، ٣١٩ ، ٨٩١
مروان بن الحكم (ج١) ٤٧٢ ، ٤٩٥
(ج٤) ١٢٦ ، ٤١٩
(ج٦) ٧٣٥
مروان بن زنباع العبسي (ج٤)
٤٠٥ ، ٤٠٧
(ج٥) ٤٠٤
مروان القرظ (ج٤) ٣٦٣
مربة (ج٥) ١٣٥
مريم (ج٦) ٤٣٨ ، ٤٩٠ ، ٦٠٧ ،
٦١٩ ، ٦٢٧ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧
٦٥٧ ، ٦٦٦ ، ٦٨٦
مزاح (ج١) ٣٦٦
(ج٤) ٤٢١ ، ٤٢٣
الزافر (ج١) ٣٦٧
الزاقية (ج٣) ٣٨٩
مزدك (ج٣) ٣٣٣ - ٣٣٤ ، ٣٤٤
(ج٤) ١٦٠
مزد بن ضرار (ج٥) ٤٣٣
(ج٦) ٦٥٧
(ج٧) ٤٢٠
(ج٩) ٣٨٨ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ،
٨٨٠ - ٨٨١
مزون (ج٤) ٢٠٢
مزيقيا بن عامر (ج٣) ٤٠٠
(ج٦) ٧٦٠
مزنة بن اد (ج٩) ٥٤١
مزنة بنت كلب (ج٤) ٥٢٥
مسا (ج١) ٣٧٥ ، ٤٣٤
سافر بن ابي عمرو (ج٥) ٣٧
(ج٧) ٢٩٤ - ٢٩٥
(ج٩) ٦٩٦ ، ٧٠٠
مساور (ج٤) ٥٢٠
المستكر بن مسعود (ج٤) ٤٤١
- المستندر (ج٤) ٦٥
المستوفر (ج٦) ٢٦٨ - ٢٦٩
(ج٩) ٤٤٥ ، ٤٤٨ - ٤٤٩ ،
٨٩٥
مسحل (شيطان) (ج٩) ١١٩
مسحل بن اوثانة (ج٩) ١١٩ - ١٢٠
مسروح عبد كلال (ج٤) ١٨١ ،
٤١٦ ، ٦١٦
مسروق بن ابرهة (ج٣) ٤٦٦ -
٤٦٩ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥٢٢
- ٥٢٦
(ج٤) ١٩٣
مسروق بن وائل (ج٧) ٣٧٧
(ج٩) ٥٣٣ ، ٥٧٣
مسطح (ج٩) ٧٤٢
مسعد (ج٤) حا ٥٢٦
مسعدة بن حكمة (ج١) ٥٢٥
(ج٤) ٢٥٤ - ٢٥٥
سعر بن مستعر (ج٣) ٣١٩
مسعود بن رخيلة (ج٤) ٢٥٢ - ٢٥٣
مسعود بن سعد (ج٤) ٢٤٥
(ج٧) ٤١٦
مسعود بن عمرو الثقفي (ج٣) ٥١٩
(ج٦) ٨٠٠
(ج٧) ٤٣٠ ، ٤٤٢
مسعود بن معتب الثقفي (ج٣)
٥١٣
(ج٤) ٨٥ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥١
١٥٣ ، ٤٤٥
(ج٥) ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٥٤٨
(ج٧) ٤٤٢
(ج٩) ٧٦٥
مسعود الثقفي (ج٦) ٢١٤ ، ٢٣٤
مسعودو (ج١) ٤٠٠
(ج٢) ٢٥٠
المسعودي (ج١) ٢٩ ، ٥٢ - ٥٣ ،
حا ٦٠ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤
٢٥٦ ، حا ٣٠٣ ، ٣١٦ ،
٣٢٤ ، حا ٣٤٢ ، ٣٥٧

مسلم بن عمرو (ج) (١) ٤١٥	٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤١١ ، ٤٥٣ ، ٤٩٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ - ٥٠٧
مسلم بن الوليد (ج) (٩) ٢٣٠	(ج) (٢) ٥١٦ ، ٢٥٥ ، ١٤ ، ٥٩٤ ، ٥٦٩ ، ٦٣٧ - ٦٣٦ ، ٦٤٤ - ٦٤٥
مسلمان (ج) (٢) ٤٣٩	(ج) (٣) ١٦٣ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٦٤ - ١٧٨ ، ١٩٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ - ٤٠٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥١٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ -
مسلمة بن عبد الملك (ج) (٩) ٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٨٤	(ج) (٤) ٤٢ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ ، ١١٢ - ١١٤ ، ١١٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٦٠١ ، ٦٩١ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، ٧٦٦ ، ٧٦٩ - ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٣٧٢ (ج) (٧) ١٢٩ ، ١٢٦ - ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ - ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٩١ - ٤٩٣ ، ٥١٩ ، ٧٥٥
مسلمة بن يوسف بن مسلمة	المسيك بنت قنيف (ج) (١) ٤٠٦ -
الخيواني (ج) (١) ٩١ ، ١٠٢	المسكا (ج) (١) ٣٦٧
مسمع (ج) (١) ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤١	مكين الدارمي (ج) (١) ٣١٠ ، ٣٨٢
مسور (ج) (١) ٥٢٥	
(ج) (٩) ١١٣ ، ٤٣٢ ، ٤٨٣	
المسيب بن الرقل (ج) (٤) ٤٢٧	
المسيب بن علس (ج) (٣) ٢٤٢	
(ج) (٩) ١٨٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤١	
٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٠٢	
٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٥٠٤ ، ٥٦٧ -	
٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧	
- ٦٦٨ ، ٦٧٣	
مسيكة (ج) (٥) ١٣٦	
مسيلم بن الحنفي مسيلم الكذاب	
(ج) (٤) ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٥٠٢	
(ج) (٦) ٢٦ ، ٤٠ ، ٨٤ - ٨٦	
٨٨ - ١٠٠ ، ٣٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٩٣	
(ج) (٧) ٣٧ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٤٥٧	
(ج) (٨) ١٤١ ، ٢٧٤ ، ٧٥٣ - ٧٥٧ ، ٧٦٣ - ٧٥٩ ، ٧٨٨	
(ج) (٩) ١٧٨ ، ٦٧٠ ، ٨٢٨ ، ٨٩٨ - ٨٩٩	
مسيلم بن عمرو (ج) (١) ٣٧١	
مشجعة بن التيم (ج) (٤) ٢٣٩	
مشجور (ج) (٤) ٥٢٠	
مشرف (ج) (٥) ٤٣١	
مشروح (مشرح) (ج) (١) ٣٦٥	
(ج) (٢) ١٥٥	

- ١١٦ (٥ج)
 ٢٥٦ (٦ج)
 ٣٠٥ (٧ج)
 المضرب بن كعب (٩ج) ٥٤٢
 المضرب الاسدي (٦ج) ٦٧٤
 مطرف بن الكاهن الباهليي (٤ج) ١٩٥
 مطرف بن نهصل (٧ج) ٣٢٩
 (٩ج) ٣٤٣ ، ٨٥٢
 مطرود بن عمرو (٤ج) ٥٣١
 مطرود بن كعب الخزاعي (١ج) ٤٠٥
 (٤ج) ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ٤٢٣
 (٥ج) ٦٥ ، ٨٣
 (٦ج) ٣٦٨
 (٧ج) ٢٩٢ ، ٤٤٧
 (٩ج) ٤٩٢ ، ٦٢١
 الطعم بن عدي (٣ج) ٥١٩
 (٤ج) ٩١ ، ١١٠
 (٥ج) ٣٧
 (٦ج) ٧٠٣
 (٩ج) ٦٩٧ ، ٧٣٦
 الطلب بن ابي وذاعة (ج) ٤٠٢
 (٦ج) ٥٨١
 (٧ج) ٤٤٣
 الطلب بن حدثان (٨ج) ٤٩٩
 الطلب بن عبد مناف (ج) ٣١ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢
 - ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٤٨١ ، ٦٣٦
 (٥ج) ٤٠٧
 (٧ج) ٣٠١ - ٣٠٣
 الطلب بن الطلب (٨ج) ٢٧٧
 الطلب السلمي (٧ج) ٣٢٣
 مطهر بن طاهر المتدسي (٩ج) ٧٥٧
 مطيع بن اياس (٩ج) ٣١٤ ، ٣١٨
 معاذ بن جبل (ج) ١٩٢ ، ١٩٤
 (٦ج) ٥٣٧ ، ٧٦٩
 (٨ج) ٣٠٢ ، ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ٦٥٨ - ٧٤٣ ، ٧٤٤
 معاذ بن مسلم بن رجاء (ج) ٣١٥
- ٣٨١ (٣ج)
 ١٩٧ (٤ج)
 ١٤١ (٧ج)
 المشظ (ج) ٢٢٦
 المشفر (ج) ١٦٢ ، ٢٥٨
 مشك دخدامان (ج) ٦٨ - ٦٩
 مشكاب (ج) ٥٢٣
 متسمع (ج) ٢٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤١
 مصاد بن ربيعة (ج) ٣٥٢
 مصاد بن مدعور (ج) ٢٣٩ - ٢٤٠
 مصبح (ج) ٥٢٥
 مصرايم (ج) ٢٩٧
 مصطفى البابي (ج) ٤٥ ، ٤٦٨
 (ج) ٤٧٨
 (ج) ٢٨٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٢
 ٦٥١ ، ٦٤٧ ، ٦٥١
 مصطفى بدر (ج) ٤٨
 مصطفى الشويمي (ج) ٦٣٠
 مصطفى كمال (ج) ٨٨٢
 مصطفى مراد الدباغ (ج) ٥٠٢ ، ٥٣١
 مصطفى نظيف (ج) ٤٨
 المتصطلق (ج) ٨٤
 مصعب بن الزبير (ج) ٤٣٣ ، ٤٤٦
 (ج) ٤٩٧ ، ٥٠٠
 (ج) ٨٩٣
 مصعب بن عبدالله (ج) ٣٩٩
 مصعب بن عمير (ج) ١٣٥
 المصلا (ج) ٣٦٧
 المضاض بن جهم (ج) ٦٦٦
 مضاض بن عمرو الجرهمي (ج) ٣٥٩ ، ٣٦١
 (ج) ١٣ ، ٧٢ ، ٤٤٠
 (ج) ٧٧٠
 مضر بن الياس (ج) ٣٩٧
 مضر بن نزار (ج) ٤٦٨
 (ج) ٤٧٠

٨٤٩ ، ٨٥٢ ، ٨٦١ ، ٨٦٣ -

٨٦٤ ، ٨٦٦ ، ٨٧٦ ، ٨٨٠ .

٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٥ ، ٨٩٨ ،

٩٠٣

معاوية بن ابي معاوية الجرمي

(ج) ٢٨٩

معاوية بن بكر الجرهومي

(ج) ٢١٩

(ج) ٥١٦ ، ٥١٩

(ج) ١١٢ ، ١١٤ ، ٣٦٣ ،

٣٧٢ ، ٥٥٦

(ج) ٢٢١ ، ٣٩٤

معاوية بن بهته (ج) ٥١٨

معاوية بن تميم (ج) ١٠٣

معاوية بن ثعلبة (ج) ٤٨٣

معاوية بن ثور (ج) ٣٢٠

(ج) ٢٥٧

معاوية بن جزل (ج) ٢٢١

(ج) ١٢٨

معاوية بن الجون (ج) ٥٢٤

(ج) ٢٧٣ - ٢٧٤

معاوية بن الحارث (ج) ١٢٩ ،

١٤٧ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ،

٢٤٠ ، ٢٥٥

معاوية بن حجر (ج) ٣٢١ ، ٣٢٧

(ج) ١٥٠ ، ٤٩٩

معاوية بن سعيد (ج) ١٣١

معاوية بن شريف (ج) ٦٥٣

معاوية بن شكل (ج) ٦٨٠

معاوية بن صعصعة (ج) ٢٦

معاوية بن عامر (ج) ٢٨٣

(ج) ٥٢١

معاوية بن عبد العزيز (ج) ٢٧٦

معاوية بن عروة (ج) ٥٠٤ ، ٦٣٨

معاوية بن عمرو (ج) ٤٠٧ - ٤٠٨

(ج) ٤٥٨ ، ٤٨٩ ، ٥٢٤ ،

٥٣٥

(ج) ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٦٣

(ج) ١٢٩

(ج) ٢٢٠

معاذ بن النعمان (ج) ٧٢٠

معاذ الهراء (ج) ٢١٧

معاذة (ج) ١٣٦

معارك (ج) ٥٢٥

المعافر (ج) ٣٥٨ ، ٣٧٣

معانة بنت جوشم بن جلهمة

(ج) ٣٤٩ ، ٣٩٤

(ج) ١٦١

(ج) ٤٦٨

معاوية بن ابي سفيان (ج) ٨٣٤ ،

٩٥ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،

٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٤ ،

٤٩٥ ، ٥٠٥

(ج) ٤٣١

(ج) ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ،

١٢٥ ، ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٦٦ ،

٢٩١ - ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٣٧ ،

٤١٩ - ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٥٣٦ ،

٥٨٦ ، ٦٣٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٩ ،

(ج) ٤٨٠ ، ٥٨٠ ، ٧٢٦ ،

٧٦٧

(ج) ٢٠١ ، ٢٤٠ ، ٣٤٢ ،

٥٧٩ ، ٥٠٠

(ج) ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٧ ،

١٢٠ - ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ،

١٧١ ، ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٣١ - ٣٣٣ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ،

٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٤٨٠ - ٤٨١ ،

٥٧٠ - ٥٧١ ، ٦٣٠ ، ٦٨٨ ،

٧٦٠ ، ٧٦٣ ، ٧٧٢ ، ٧٨١ -

٧٩٤ ، ٧٨٣

(ج) ٢٣ ، ٥٢ ، ٢٨٠ - ٢٨١ ،

٢٩١ ، ٣٠٨ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ،

٣٨٢ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ ، ٥١١ ،

٥١٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٤ ، ٥٦٢ ،

٦٢٤ ، ٧٢١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٧ -

٧٤٨ ، ٧٧٩ - ٧٨١ ، ٨١٦ ،

معاوية بن غنم (ج) ٤٩٢
 معاوية بن قيس (ج) ٤٧٤ - ٤٧٥
 معاوية بن كلاب (ج) ٤٠٥ - ٤٠٦
 معاوية بن كندة (ج) ٢٨١ - ٢٨٢
 (ج) ٤٦٤
 معاوية بن مالك بن جعفر
 (ج) ١١٢
 (ج) ١٠٣ ، ٥٤٧
 معاوية بن مرة الايفلي (ج) ٢٤٥
 (ج) ٥٣٧
 معاوية بن والعة (ج) ٥٩٧
 معاوية الاكرمين (ج) ٣٨١
 معاوية الخير الجنبلي (ج) ٤٥٨
 معبد بن ابي معبد (ج) ٣٥٨
 معبد بن زرارة (ج) ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣
 معبد بن العبد (ج) ٥٣٦ ، ٥٣٨
 معتب بن عمرو (ج) ٥٤٨
 معتب بن قيس (ج) ١٥١
 (ج) ٤٢٢ - ٤٢٣
 المعتصم (ج) ٣٥٨
 معتم (ج) ٤٠٤
 المعتمد العباسي (ج) ٥٧٠
 المعتمر (ج) ٣٥٩
 معد آل سلح (ج) ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ - ٥٤٩
 معد بن عدنان (ج) ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٦ - ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ٤١١ - ٤١٢ ، ٤٧٢ ، ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦٠٧ - ٦٠٨ ، (ج) ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٤٤ ، ٣٢١
 (ج) ١٦ ، ٢٤٥ ، ٣٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٩ - ٥٤٠
 (ج) ٤٣٥
 (ج) ٢٥٥ ، ٢٤٦
 معدي كرب بن ابرهة (ج) ١٤١
 معديكرب بن ابي مرة (ج) ٥٢٢ ، ٥٢٤
 معد يكرب بن حمير (ج) ٤١٦
 معد يكرب بن سيف (ج) ٥٢٢
 معديكرب بن سميفع (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٧ - ٤٨٨
 معد يكرب بن وليعة (ج) ٣٨١
 معد يكرب بن اليفع يشع (ج) ٣٦٥
 (ج) ٨٦ - ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠١ ، ٣١٨ ، ٤٤٩ ، ٥٧٠ ، ٥٩١ - ٥٩٢
 (ج) ٢٦٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ، ٣٧٩ ، ٤٧٥ - ٤٧٦ ، (ج) ٧٨ ، ١٨٣ ، ١٩٧ ، ٤٤٨ ، ٤٩٩ ، ٦٥٩
 (ج) ٢٦٣
 (ج) ٧٩ ، ٦٩١
 (ج) ٤٨٦
 معد يكرب بنعم (ج) ٥٨٦ - ٥٨٨
 معدان بن جواس (ج) ٥٧٧
 معرض بن عمرو (ج) ٥٣٤
 (ج) ٤٢٣
 معقير بن حمار (ج) ٤٩٥
 معقل (ج) ٣٧١
 (ج) ٢٦٤
 (ج) ٤٩٥
 المعلاة (ج) ٧٣٢
 الملووط بن بدل القريعي (ج) ١٦١
 المعلي (ج) ٣٦٩
 المعلي بن تيم (ج) ٣٧٠
 المعلي بن حنش العبدي (ج) ٢٤٥ - ٢٤٦
 (ج) ٥٤٧
 المعلي الطائي (ج) ٣٧٢

معاوية بن غنم (ج) ٤٩٢
 معاوية بن قيس (ج) ٤٧٤ - ٤٧٥
 معاوية بن كلاب (ج) ٤٠٥ - ٤٠٦
 معاوية بن كندة (ج) ٢٨١ - ٢٨٢
 (ج) ٤٦٤
 معاوية بن مالك بن جعفر
 (ج) ١١٢
 (ج) ١٠٣ ، ٥٤٧
 معاوية بن مرة الايفلي (ج) ٢٤٥
 (ج) ٥٣٧
 معاوية بن والعة (ج) ٥٩٧
 معاوية الاكرمين (ج) ٣٨١
 معاوية الخير الجنبلي (ج) ٤٥٨
 معبد بن ابي معبد (ج) ٣٥٨
 معبد بن زرارة (ج) ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣
 معبد بن العبد (ج) ٥٣٦ ، ٥٣٨
 معتب بن عمرو (ج) ٥٤٨
 معتب بن قيس (ج) ١٥١
 (ج) ٤٢٢ - ٤٢٣
 المعتصم (ج) ٣٥٨
 معتم (ج) ٤٠٤
 المعتمد العباسي (ج) ٥٧٠
 المعتمر (ج) ٣٥٩
 معد آل سلح (ج) ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ - ٥٤٩
 معد بن عدنان (ج) ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٦ - ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ٤١١ - ٤١٢ ، ٤٧٢ ، ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦٠٧ - ٦٠٨ ، (ج) ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٤٤ ، ٣٢١
 (ج) ١٦ ، ٢٤٥ ، ٣٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٩ - ٥٤٠
 (ج) ٤٣٥

- المعيرة بن عبد الرحمن (ج ١٧) ٤٤٢
 معرج (ج ٤) ٤٥٦
 معروق بن عمرو (ج ٤) ٥٩٣
 (ج ٥) ٣٦٧
 الفضل بن فضالة (ج ٤) ٣٥٧
 الفضل بن محمد الضبي الكوفي
 (ج ١) ٦٨ ، ٤٠٧
 (ج ٣) ٢٦٥ ، ٣٠٢
 (ج ٨) ٣٦٠ ، ٣٦٥
 (ج ٩) ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٧٢ -
 ٢٧٣ ، ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٢٩٦
 ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٥
 - ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٤٠٢ ، ٥٠٦
 - ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٤
 - ٥١٧ ، ٥١٥ ، ٥٤٢
 الفضل بن معشر (ج ٤) ٤٨٤
 (ج ٩) ٥٠٤ ، ٦٨٨
 الفضل بن يعلى (ج ٤) ٥٣٢
 الفضل النكري (ج ٩) ١٥٩
 مفيد (ج ٨) ١٢٢ ، ٢٩٢
 مقاتل بن سليمان (ج ١) ٥٢٥
 (ج ٣) ٥١٢
 (ج ٨) ٣٨٥
 مقار بن مالك (ج ٤) ٤١٧
 القتنع (ج ٤) ٢١٧
 القداد بن عمرو (ج ٤) ١٩٤
 (ج ٧) ١١٦
 المقدام بن حي (ج ١) ٣٦٨
 المقدسي (ج ١) ١٥٩
 (ج ٤) ٤٥٥ ، ١٠٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠
 ١٢٩ ، ١٤٣ ، ٥٢٢
 مقرط (ج ١) ٤٠٦
 المقريري (ج ٤) ٣١٨ ، ٥١٢
 (ج ٦) ٦٤٣ ، ٦٤٧
 (ج ٧) ٤٦٣ ، ٥٠٠
 (ج ٨) ١١٩ ، ٢٩٣ ،
 ٣٢٧
 (ج ٩) ٤٩٩ ، ٧٨٥
 مقطمان (ج ٤) ٤٣٣
- (ج ٤) ٤٠٦
 معمر بن حبيب (ج ٤) ٨٥
 معمر بن عبدالله (ج ٧) ٤٢٤
 (ج ٩) ٥٨١
 معمر بن كلاب (ج ٦) ١٠٠
 معمر بن المنى (ج ٧) ١٩٥
 معن بن اوس (ج ٩) ٤٣١ ، ٨٨٢
 معن بن زائدة (ج ٣) ٢٣٨
 معن بن عدي البلوي (ج ٨) ١١٤ ،
 ١٦٠
 معن بن مالك (ج ١) ٣٧١ ، ٣٧٣ ،
 ٤٠٤ ، ٤٤٤
 (ج ٢) ٦٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٠
 (ج ٣) ٩٩ ، ١٠٣
 (ج ٤) ٣٥٣ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ،
 ٥١٤
 معوذ بن عفراء (ج ٨) ٤١٢
 معيش (ج ١) ٣٦٩
 معيض بن عامر (ج ١) ٤٠١
 (ج ٤) ٢٧
 معيقب بن ابي فاطمة (ج ٤) ٣٨٨
 (ج ٨) ١٢١ ، ١٣٠ - ١٣١
 معين مصران (ج ١) ٦٤٥
 مفرز (ج ١) ٣٥٨
 المغنس (ج ٣) ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥٢٠
 مغير (ج ٢) ٦٩
 المعيرة بن شعبة (ج ٤) ١٤٥ ، ١٥٠
 ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٨٩ ، ١٩١
 (ج ٦) ٥٠٩
 (ج ٨) ١٢١ - ١٢٢ ، ١٢٦ ،
 ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٢ ، ١٤٠
 (ج ٩) ١٧٦ ، ٥٥٣ ، ٨٩٧
 المعيرة بن عبدالله المخزومي (ج ٤)
 ٢١ ، ٥١٣
 (ج ٥) ٣٠٣ ، ٥٣٠
 (ج ٧) ٤٤٣

- مقلي (ج ٦) ٤٠٥
 انقوس (ج ١) ٢٠١
 (ج ٥) ٣٩٨
 (ج ٦) ٣٦٨ ، ٤٣٢ ، ٥٩٧
 (ج ٧) ٢٨٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠
 المقوم بن عبد المطلب (ج ٤) ٦٥
 مقيس بن صبابه (ج ٨) ١٢٤
 متيس بن عبد قيس (ج ٤) ١١٠
 مقيس بن عدي السهمي (ج ٤) ٦٧١
 مقيس بن قيس (ج ٥) ٦٠٦
 المكتفي بالله (ج ٥) ٢١٣
 مكحول (ج ٨) ١٦٢ ، ٧٣٦ - ٧٣٧
 مكدم (ج ٥) ٣٦٥
 مركز بن حفص (ج ٧) ٢٩٨
 مكرانوس (ج ٣) ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧
 المكبر (ج ٣) ٢٤٤
 (ج ٤) ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٥٢٧
 (ج ٥) ٣٢٠
 (ج ٧) ٣٧٤
 (ج ٩) ٥٣٣
 مكل (ج ١) ١٢٦
 مكنف بن زيد الخيل (ج ٦) ٣٠٧ ،
 ٨٦٥ - ٨٦٦
 ملاكر (ج ١) ١٣٧
 (ج ٢) ٧٨ ، ٩٢ ، ١٧٧ ، ٢٦٩
 حا ٤١٧
 ملالا (ملالس) (ج ٣) ٩٤ ، ١٢٧ ،
 ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٤٠٣
 - ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
 ٤٦٩ ، ٤٧٤
 الملتمس بن امية الكناني (ج ١) ٩٢
 (ج ٦) ٤٦٣
 ملخوس الفيلاذلفي (ج ٢) ٦٥٣ ،
 ٦٥٥ - ٦٥٦
 (ج ٣) ٣٨٤ ، ٣٨٦
 ملك ايل (ج ٦) ١٧٢
 الملك الحارث (ج ٣) ٢٨
 ملك كرب يامن (ج ٢) ٥٦٦ - ٥٦٧
 ملك كرب يهامن (ج ٢) ٥٢٦ ، ٥٢٨
- ٥٥٣ ، ٥٦٣ - ٥٦٥ ، ٥٦٨
 - ٥٦٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٩٩
 (ج ٩) ٨٠٣
 ملكار (ج ١) ٤٠٠
 ملكان بن اقصي (ج ٤) ٥٢٥ ، ٥٢١
 ملكان بن كندة (ج ٢) ١٦٧
 (ج ٤) ٤٢٤ ، ٤٧٨ ، ٥٠٣ ،
 ٥٣٢
 ملكي كرب تبع (ج ٢) ٥٦٩ - ٥٧٠
 اللمس بن عبد المسيح (ج ٦) ٦٦٩
 مليح بن شريح (ج ٥) ٦٠٦
 مليح بن عمرو (ج ٦) ٤٢٨
 (ج ٧) ٤٥١
 مليح الهذلي (ج ٩) حا ٦٤٣
 مليح بن الهون (ج ٤) ٥٣٣
 مليح عرابيم (ج ٦) ٥٣٨
 مليك بن كنانة (ج ٤) ٤٧٨
 المزق العبدى (ج ١) ٤٠٧
 (ج ٩) ١٠٣ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ -
 ٦٩١
 منازل (ج ١) ٥٢٥
 مناف (ج ٤) ٥٧
 (ج ٦) ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ،
 ٣٣٤
 منبر (ج ١) ٣٦٩
 منبه بن بكر (ج ٤) ٥١٦ - ٥١٧
 منبه بن الحجاج (ج ٩) ٧٠٤
 منبه بن حرب (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠٥
 (ج ٤) ٤٥٧
 منبه بن سعد (ج ٤) ٥٠٨
 (ج ٩) ١٠٣
 منبه بن هوازن (ج ١) ٤٠٦ ، ٥٢٥
 المنتجع التميمي (ج ٩) ٣١
 منتذر بن سعد (ج ٩) ٢٦٠
 المنتشر بن وهب (ج ٥) ٣٩٢
 (ج ٧) ٦٣٥
 (ج ٩) ٦٠٩
 المنتصر بن المنذر الديني (ج ٨) ١٦٦

المنذر بن سويد (ج) ٢١٠
المنذر بن عائذ (الاشج) (ج) ٧٨٢
٧٨٣ -

المنذر بن عقبة (ج) ١٣٦
المنذر بن عمرو (ج) ١١٤ ، ١١٦ ،
١٦٠ ، ٢٩٣
المنذر بن ماء السماء (ج) ٣٨٦ ،
٤٩٢

(ج) ٤٨٠
(ج) ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٩٩ ،
٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ -
٢٣١ - ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٣٧ ،
٢٣٩ - ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ،
٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٣١٣ ،
٣٢٦ - ٣٣٤ ، ٣٣٥ - ٣٣٨ ،
٣٣٩ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٥٠ ،
٣٥٣ - ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٤٠١ - ٤٠٥ ،
٤٢٢

(ج) ٢٤٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٦ ،
٤٨٧ ، ٥٠١ - ٥٠٢ ، ٥٦٢ ،
٥٩٢ ، ٦١٧ ، ٦٥٥ - ٦٥٦ ،
٦٥٩

(ج) ٢٤٠
(ج) ٥٠٦ ، ٥٩٨ ، ٨٠٢
(ج) ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ٣٧٦ ،
٥٢١

(ج) ١٠٨ ، ١٤٦ ، ١٦٩
٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٥٣٠ ،
٥٣٢ ، ٥٤٨ ، ٥٦١ ، ٥٩٩ -
٦٦٢ ، ٦٨٧ ، ٧١٧ ، ٧٩٩ -
٨٠٠ ، ٨١٨

المنذر بن محرق (ج) ٣٠٦
المنذر بن المنذر (ج) ٢٠٩ ، ٢٣١ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ - ٢٦٧ ،
٢٩٠ ، ٣٠٧ - ٣١٣ ، ٣٣٨ ،
٤٤٥

المنذر بن النعمان (ج) ٢٠٦ -
٢٠٩ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢٠

المنتفق بن عامر (ج) ٥٢٢
منجاب بن الحارث (ج) ٢٩٩
منجش (ج) ٣٤١
المنخل الشكري (ج) ٢٤٧ ، ٢٨٢ ،
(ج) ٣٧٣
(ج) ٤٦٨ - ٤٦٩ ، ٤٨٥ -
٤٨٦

المنداروس (ج) ٤٠٤
المنذر بن امرئ القيس (ج) ١٩٧
٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٠٧ - ٢٠٩ ،
٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٩١

(ج) ٤٦٧
المنذر بن ثعلبة (ج) ٤٤٨
المنذر بن الجارود (ج) ٦٢٢
المنذر بن جبلة (ج) ٤٢٦ ، ٤٤٧
المنذر بن الحارث (ج) ٢٢٨ ،
٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٤٠١ ،
٤٠٦ - ٤١٢ ، ٤٠٧ - ٤١٦ ،
٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ،
٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ ،
٤٤٨ ، ٤٦٦ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ ،
٤٩٨

(ج) ٤٨٦
(ج) ٥٨٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٦ ،
٦٣٢ - ٦٣٣
المنذر بن حرام النجاري (ج) ١٣٨
(ج) ٧٣١

المنذر بن داود (ج) ٣٩٨
المنذر بن رومانس (ج) ٨٩٥
المنذر بن ساوى (ج) ٢٠٣ ، ٢١٠ -
٢١١ ، ٤٨٦ - ٤٨٧ ، ٥٠٢ ،
٥٢٧

(ج) ٥٤٢ ، ٦٩٤ ، ١٠٠
(ج) ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٤٧٦ ،
(ج) ١٣٣

منذر بن سعد (ج) ٢٦٠
منذر بن السموال (ج) ٧٧٨

- منصور علي ناصف (ج) ٤) حا ٢٨١
 ٥٠٩ (ج) ٥)
 منظور بن سيار (ج) ٣) ٤٢٥
 ٧١٤ (ج) ٦)
 ٥٩٣ (ج) ٩)
 منعى لوزان بن هاتواس (ج) ١) ٢٩٩
 ٢٤٩ (ج) ٢)
 ٤٨ (ج) ٣)
 منقذ بن حيان (ج) ٤) ٢٠٩
 منقذ بن طريف (ج) ٤) ٥٢٤
 منقذ بن الطماح الاسدي (ج) ٥) ٥١٧
 ٤٨١ (ج) ٩)
 منقر بن عبيد (ج) ٥) ٣٦٦
 المنقع بن مالك (ج) ٤) ٢٥٨
 منهاد بنت لهم (ج) ٤) ٤٦٨
 منهب بن دوس (ج) ٤) ٤٢٨
 ٢٧٤ (ج) ٦)
 منودنو (ج) ١) ٥٥٦
 منوشهر (ج) ١) ٤٩٧
 منير البلبيكي (ج) ١) حا ١٤٢
 منيع (ج) ١) ٣٥٩
 المهاجر بن ابي امية (ج) ٤) ١٩٢ ،
 ١٩٨
 المهوذان (ج) ٢) ٦٥١
 مهدد بنت اللهم (ج) ١) ٢٨٢
 ٤٦٨ (ج) ٤)
 المهدي (ج) ٣) ٣٩٢
 ١٧١ (ج) ٧)
 ٢٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣ (ج) ٩)
 ٣١٧ - ٣١٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٢
 ٣٢٠ - ٣١٩
 مهري بن الابيض (ج) ٤) ١٩٩ ، ٢٠١
 ١٣٥ (ج) ٨)
 مهران بن بهرام جوين (ج) ٢) ٦٥٠
 ٥٠٤ ، ٢٣١ (ج) ٤)
 مهرة بن حيدان (ج) ١) ٩٣ ، ٣٦٧
 ٤٧٨ (ج) ٣)
 ٤٥١ ، ٢٠١ (ج) ٤)
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ -
 ٢٣٨ ، ٢٦٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٧ - ٣١٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤١ - ٣٤٤ ، ٣٥٦ ،
 ٣٧٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٢ ، ٤٤٧
 ٥٦ ، ٢٠٩ - ٢١٠ ،
 ٦٦١ ، ٦٧٥
 ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٨٩ ،
 ٣٢٨ - ٣٢٩ ، ٣٥٦ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٦
 ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٣٣٨ ،
 ٦٣١ ، ٦٣٢
 ٧٩٦ ، ٨٢٤ (ج) ٩)
 المنذر ابو شمر بن جبلة (ج) ٣) ٤٣٢
 ٤٤٥
 المنذر ابو النعمان (ج) ٩) ٤٧٨
 المنذر الاكبر (ج) ٨) ١١٢
 المنذر الثالث (ج) ٢) ٤٨٠
 ٥٩١ (ج) ٩)
 المنذر ذي القرنين (ج) ٣) ٤٠٤
 المنذر الرابع (ج) ٩) ٥٩١
 منسك بن عيسى (ج) ٤) ٥٠٦
 منسكو منساكو (ج) ١) ٥٩٤
 منشوسو (ج) ١) ٥٥٤ - ٥٥٥
 منشخر بن منشخر باغ (ج) ١) ٤٩٧ ،
 ٤٩٩
 منشم (ج) ٤) ٦٢٦
 ١٦٣ (ج) ٥)
 المنصور (ج) ٩) ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٩
 منصور بن عامر (ج) ٤) ٥٠
 منصور بن عبد شرجبيل (ج) ٨) ٢٦٦
 منصور بن عكرمة (ج) ١) ٤٠٥ ، ٥٠٣
 ٢٦٠ ، ٣٨٤ ، ٥١٦ (ج) ٤)
 ١٩٢ (ج) ٧)
 ١١٨ ، ٣٠٨ (ج) ٨)

موزل (ج) ٢٣٩
 موسى (ج) ٤١ ، حا ٥٤٦ ، ٣٤٦
 ٢٨١ ، ٤٥٣ — ٤٥٥ ، ٦٥٣
 (ج) ٥٣ ، ٦١ ، ٣٩٦
 (ج) ١٢ — ١٣ ، ١٢٩
 (ج) ٤٩٠ ، ٥١٦ — ٥١٧ ،
 ٥٢٢ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣ — ٥٥٦
 ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥
 ٦٣٦ ، حا ٦٧٥
 (ج) ٤٧٨
 (ج) ٢٦٦ ، ٤٨٠ — ٤٨٢
 (ج) ١٢٦ — ١٢٧ ، ٦٠٥ ،
 ٧٥٦ ، ٧٥٥
 موسى بن جابر (ج) ٦٧٠ ، ٨١١
 موسى بن عمران (ج) ١٤٣
 موسى بن نصير (ج) ٢٩٧
 موسل (الويس) (ج) ١٣٢ ، ١٦٩
 ٢٤٥ — ٢٥٠ ، ٤٤١
 (ج) ٦٥٦
 (ج) ٤٠ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٣٣
 ١٣٦ — ١٣٨ ، ٢٢٧ ، ٣٣٧
 ٣٨٥ ، ٤٢٢
 (ج) ١٠ ، حا ٢٥١
 الموفق بالله (ج) ٥٧٠
 مولاي الشيخ زين الله (ج) ٣٦٥
 مومزن (ج) ١٢٤
 مومسن (ج) ٦١
 مونتكومري (ج) ٢٥٩
 الموندارس (ج) ٣٤٣
 مونكراما (ج) ١٥٢
 موهب ذو ذرحان (ج) ٥١٤
 ٥٥٨ — ٥٦٠ ، ٥٧٦ — ٥٧٧
 ٥٨١ — ٥٨٤ ، ٥٨٦ — ٥٨٧
 ٥٩١ ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٤
 — ٦٤٣ ، ٦٤٤
 موهبة بن الدعام (ج) ١٠٣
 (ج) ٤٦١
 ميتم بن متوب (ج) ٧٧٧
 ميتوخ (ج) ١٢٧

(ج) ٢٣٩
 (ج) ٧٢٥
 مهقيم بن وزعان (ج) ٣٧٤
 مهلائيل بن قينان (ج) ١٤٦
 المهلهل بن ربيعة (ج) ٣٩٠ حا
 (ج) ٣٦١
 (ج) ٢٥٠ ، ٤٢٨ ، ٤٥٨ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٢ — ٤٩٣ ، ٤٩٦
 — ٤٩٨ ، ٥٠٦
 (ج) ٥١٣ ، ٣٥٦ ، ٧١
 (ج) ٥٧٧
 (ج) ٦٦٤
 (ج) ١٧٠ ، ١٠٢ ، ٧٥
 ١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٤٠٦
 — ٤٢١ ، ٤١٣ ، ٤٢٢
 ٤٢٤ ، ٤٢٩ — ٤٤١ ، ٤٤٣ ،
 ٤٤٥ ، ٤٥٤ — ٤٥٥ — ٤٥٦
 ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٥ ،
 ٤٩٦
 مهوس بن عنمة (ج) ٣٩٥
 الموبدان (ج) ٥٢٣
 (ج) ١٦٠
 موثبان (ج) ٥٧٩
 المود (ج) ٣٦٤ ، ٣٥٨ — ٣٦٥
 الموداد (ج) ٤٢٤ — ٤٢٥
 المودد (ج) ٣٥٨
 مودعة (ج) ٤٣٠
 مورث الاضياف (ج) ٧٥
 موردتمن (ج) ١٣٧
 (ج) ٧٧ ، ٨٢ ، ٣٢٥ ، ٣٨٦
 ٤٤٥ ، ٤٥٦ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ ،
 ٥٠٨ ، ٦٢١
 موركن (ج) ٥٤٤
 موريس (ج) ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٨
 ١٩٢ ، ٢٣٥ حا ٢٤١ — ٢٤٢
 ٣٠٥
 (ج) ١٣٧
 موريقيوس (ج) ٢٢٨ ، ٤١٦ —
 ٤١٧

- (ج) ٣١٨ حا
(ج) ٣٣٢ حا ، ٣٤٣ حا
٣٥٢ حا ، ٣٥٨ حا ، حا
٣٦٠ ، ٣٦٣ حا ، ٣٦٧ حا
٤٢٥
(ج) ٤٦٤ حا ، ٥٤٨ حا ، ٦٦٤ حا
٧٧١ حا ، ٨١٣ حا ، ٨٣٥ حا
٨٨٥ حا
ميدعان (ج) ٣٧٤
ميسرة بن مسروق (ج) ٢٥٣
ميسون بنت بحدل (ج) ٤٩٥
(ج) ٢٣٤
(ج) ٢٤٠ حا ، ٣٠٠
ميشا (ج) ٣٧٥ ، ٤٢٣ حا ، ٤٤١
ميكايل (ج) ٢٦٩
(ج) ٢٦ حا ، ١١٧
(ج) ٥٩٧
ميلر (ج) ٧٧ حا ، ٨٢
(ج) ١٣٧ - ١٣٨
اليمني (ج) ٦١١ حا
ميمون بن الحضرمي (ج) ١٩٢
(ج) ١٢٩
ميمون بن قيس (ج) ٣٣٩
ميمون بن موسى المري (ج) ٣٩٧
ميمون الاقرن (ج) ٤٥ حا ، ٥٣ - ٥٤
ميمونة بنت سعد (ج) ٣٥١ حا ، ٤٦١
ميناس (ج) ٦٠٥
مينندر (ج) ٦٤
(ج) ٢٥٤
ميوس هورمس (ج) ٤٧
- (ج) ٣٢٥ ، ٣٨٦ حا ، ٤٤٥
٤٥٦ ، ٥٠١
ميتيلوس (ج) ٢٩
ميحاييل السوري (ج) ٦٤
(ج) ٤١٧
(ج) ٧٦٩
ميخائيل الكبير السرياني (ج) ٣
٤٠٩
الميداني (ج) ٣١٨ حا - ٣١٩
٣٣٥ حا ، ٣٣٧ حا ٣٨٥
- ٢٨٦
(ج) ١١٧ حا
(ج) ١٨٧ حا ، ١٩٨ حا -
٢٠١ حا ، ٢٣٢ حا ، ٢٤١ حا
٢٥٠ حا - ٢٥١ حا ، ٢٧٨ حا
٣٢٣ حا ، ٣٤٧ حا ، حا
٣٧٥
(ج) ١٤٠ حا ، ٢٠٦ حا
٤٠٥ حا ، ٤٤٥ حا ، حا
٤٥٠ حا ، ٤٩٤ حا ، ٤٩٧ حا
٥٢٢ حا - ٥٢٣ حا ، ٦١٨ حا
٦٢٦
(ج) ٦٩ حا ، ٧٤ حا ، حا
١١٢ حا ، ١٤١ حا ، ٣٥٧ حا
٣٧١ حا ، ٣٧٣ حا ، ٣٧٧ حا
- ٣٧٨ حا ، ٥٠٩ حا ، ٥٢٧ حا
٥٤٨ حا ، ٥٣١ حا
(ج) ٢٨٦ حا ، ٤٢٧ حا ، حا
٤٦٤ حا ، ٤٦٦ حا ، ٥٠٤ حا
٥٧٠ حا ، ٥٧٧ حا ، ٧١٦ حا
٧١٩ حا

– النون –

٤٢٣ – ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩
 (ج ٤) ٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٠ ، ٢٥٠ – ٢٥١ ، ٢٨٠ ، ٥١٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٧ ، ٥٨٨ ، ٦٣١ ، ٦٦١ ، ٦٧٠ – ٦٧١
 (ج ٥) ٧ ، ٥٥ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢ ، ٤٣١ – ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٩٦ ، ٥١١ ، ٥١٦ ، ٦٩٣ – ٦٩٤ ، ٢٩٤ ، ٤٣٠ ، ٥٨١ ، ٦٤٦ – ٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٦٧٢ ، ٦٨٥ – ٦٨٦ ، ٦٧٤ ، ٦٧٨ ، ٧٢٣ ، ٧٢٦ ، ٧٣٠ ، ٧٩٠ ، ٨٠٠ – ٨٠١ ، ٨١٢ ، ٨١٤
 (ج ٧) ١١٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٣١٣ ، ٣٨١ ، ٥٠٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ – ٢٨٨ ، ٣٤٢ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٢ ، ٦٦٠ – ٦٦١ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٧٢٢
 (ج ٩) ٢١ – ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ – ٥٥ ، ٧٧ ، ٨٨ – ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ – ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠

نائل بن قيس (ج ٤) ٤٦٢
 نائلة بنت سهل (ج ٦) ٢٦٦ – ٢٦٧
 نائلة بنت عمرو (ج ٣) ١٠٣
 نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص (ج ٦) ٢٥٦
 نابت (ج ١) ٢٩٨ ، ٣٧٥ ، ٤٣٤ – ٤٣٥
 النابغة التغليبي (الحارث بن عدوان) (ج ٩) ٥٩٥
 النابغة الجعدي (ج ٤) ٥٢٢ ، ٦٦٠ ، ٦٧١
 (ج ٦) ١١٢ ، ٤٨٥ ، ٦٧٢
 (ج ٧) ٧٦ ، ٨١ ، ٤٠٩ ، ٤٧٣ – ٤٧٤
 (ج ٨) ٥٢١ ، ٧٩١
 (ج ٩) ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ – ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٣٣٥ ، ٣٦٦ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٦٥ ، ٥٩٥ ، ٧٦٠ – ٧٦١ ، ٧٩٦ ، ٨٤٦ ، ٨٥١ – ٨٨١
 النابغة الحارثي (زيد بن ابان) (ج ٩) ٥٩٥
 النابغة الذبياني (ج ١) ٣٠٦ ، ٣١٥ – ٣١٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦
 (ج ٣) ٧٨ – ٧٩ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ – ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٤٠١ – ٤٠٢ ، ٤١٩ ، ٤٢١

(ج) ٢٧٢ حا
 ناصر التمشيندي (ج) ١٧٤ حا
 ناصر بهامن (نصرم) (ج) ٣٣١ -
 ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ -
 ٣٨٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٢ -
 ناصر بهحمد (نصرم) (ج) ٤٠٣
 ناعط (ج) ١٠١
 (ج) ٤٤٨
 نافش (ج) ٤٤٥ ، ٤٤٩ - ٤٥٠
 نافع (ج) ٣٥٢ ، ٣٥٦
 (ج) ٥٨٩
 (ج) ١١٩ ، ٦٦٣ - ٦٦٤
 (ج) ٢٧٩ - ٢٨٠
 نافيش (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤
 ناهب (ج) ٤٤٤
 ناهس (ج) ٤٤٤ - ٤٤٥
 (ج) ٣٥٣
 نايل (ج) ٥٢٥
 نباتة (ج) ٩٣ ، ٣٥٨
 نباج ابن عامر (ج) ٤٤١
 نباش بن زرة (ج) ٣٧
 (ج) ٧٢٢
 نبال (ج) ٩٠٧
 نبايوت بكر اسماعيل (ج) ٤٣٤ ،
 ٤٣٧ - ٤٣٩
 (ج) ١٢ ، ١٤ ، ١٦
 (ج) ٢٥ ، ٥٣٧
 نبت بن ادد (ج) ٤٣٤ ، ٤٤٩
 نبت بن اسماعيل (ج) ١٥٨
 نبت بن مالك (ج) ٣٧٤ ، ٤٣٣
 نيش (ج) ٣٧٥ ، ٤٣٤
 نبط آل (ج) ٣١٨ ، ٤٠٦ ، ٥٣٥ -
 ٥٣٦
 نبط بن شهر هلال (ج) ٢١٥
 نبط علي (ج) ١٠٧ ، ٢٩٣
 نبط عم (ج) ١٨٢ ، ١٩٥ - ١٩٦
 ١٩٩ ، ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٣٣
 - ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٤٦٨
 ٤٧٠

- ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
 ٢٢١ ، ٢٣٠ - ٢٣٧ ، ٢٣٩
 ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢
 ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ - ٣٣٧
 ٣٤٥ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٦٢
 ٣٦٥ - ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٩
 ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٧٢
 ٤٨٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ - ٥٠٩
 ٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٤٠
 ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٦٨ ، ٥٨٦
 - ٥٩٧ ، ٧٣١ ، ٧٣٥ ، ٧٨٢
 ٨١٢ ، ٨١٥ ، ٨٢٥ ، ٨٢٣
 ٨٣٥ ، ٨٤٧ ، ٨٧٦
 النابغة الدهلي (المخارق بن عبدالله)
 (ج) ٥٩٥
 النابغة الشيباني (حمل بن سعدانة)
 (ج) ٥٩٥
 النابغة العدوانى (ج) ٥٩٥
 النابغة الفتوى (ج) ٥٩٥
 نايل (ج) ٥٣١
 نابليون (ج) ٢٦٩
 نابية (ج) ٤٥٧
 ناج (ج) ٥٢٥
 ناجية (ج) ٣٧٢
 (ج) ٤٢٤ ، ٤٥٦
 ناحور (ج) ٤٤٩ ، ٥٩٦
 ناخر (ج) ٦٠٥
 نادان (ج) ٣٤١
 نادغم (ج) ٩٣ ، ٣٦٧
 ناران بن حاضرو (ج) ٢٤٧
 ناس (ج) ٤٦٥
 (ج) ٤٧٥ ، ٥٠٧
 الناسك (ج) ٣٦٩
 ناشب بن بشامة العنبري (ج) ٤٣٧
 ناصر الدين الاسد (ج) ٣٨٣
 (ج) ٥٥٨ حا
 (ج) ٥٢٦ حا
 (ج) ١٨٦ ، ٢٥٦ حا

- نبطم يهنعم (ج) ١٤٩ - ١٥٠ ، ٢٦٠
 نبهان (ج) ٣٧١
 نبو فرستوس (ج) ١٢٩
 نبوكذ ناصر (ج) ٦٠٧ ، ٢٢٥ (ج) ٨
 نبونيد (ج) ٦٠٩ - ٦١١ ، ٦١٣ - ٦١٦
 (ج) ٩ ، ١٣٠
 (ج) ٥١٣ ، ٥٢٧ - ٥٢٩
 (ج) ٧٧٤
 نبیشه بن الحارث (ج) ٤٢٧
 نبیشه بن حبيب (ج) ٢٥٩
 نبيط بن مائس (ج) ٢٩٨
 (ج) ١١ - ١٢
 نبيه بن الحجاج السهمي (ج) ٨٦ ، ٨٨
 (ج) ٣٨ ، ١٤٧
 (ج) ٧٠٤ ، ٨٩٦
 نبيه امين فارس (ج) ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٤٢
 (ج) ٣٥٦ ، ٥٣٧ (ج) ٤
 نبتو (ناتنو) (ج) ٦٠١ - ٦٠٣
 نبتلة بنت جناب (ج) ٤٤٣
 النجار بن اوس العدواني (ج) ٤٧٢
 النجاشي (ج) ٣٧٦
 (ج) ١٤٤ ، ١٩٣ ، ٣٢٨ - ٣٢٩
 (ج) ٦٦٩
 (ج) ٢٥٩ ، ٢٨٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٤١٠ ، ٥٧٤
 (ج) ٤١٠
 (ج) ٩٩ ، ١١٤ ، ٢٠٢ ، ٢٤١ ، ٢٨٢ ، ٢٥٣ ، ٢٤٦ ، ٢٨٤ ، ٥٧٤ - ٥٧٥ ، ٧٤٤ ، ٨٨٨ - ٨٨٩
 نجدة بن عويمر (ج) ٨ ، ٦٦٤
 (ج) ٢٧٩
 النجيرمي (ج) ٥١٤
 (ج) ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٥١ ، ٤٧٤ (ج) ٨
 النحاس (ج) ١٦٩
 نحميا (ج) ٦٤٦ - ٦٤٨
 النخار بن اوس القضاعي (ج) ٣٣٢
 نخارو (ج) ٥٩٥
 نخرو نخرو (ج) ٦٠٥
 النخع بن عمرو بن علة (ج) ٣٧١ ، ٣٧٢ -
 (ج) ١٤٦ ، ٤٥٨
 نخو (فرعون) (ج) ٦٢٤
 النخير جان (ج) ٢٧٠
 ندبة (ج) ٢٨٧
 (ج) ٥٦٠ ، ٨٧٧
 نذير (ج) ٢٧٤
 (ج) ٢٦٠
 نرام سن (ج) ٥٥٥ ، ٥٥٨ - ٥٥٩ ، ٥٧٣
 نرسی بن بهرام (ج) ٣ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٣١١
 (ج) ٢٨٠
 نرساي الجاثليق (ج) ٥٩٧ ، ٦١٩
 نزار بن معد (ج) ٣٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٥٠٥
 (ج) ١٦١ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤ - ٣٥٥
 (ج) ٤٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ ، ٥٩١
 (ج) ٦٣٩
 (ج) ٦١٨
 (ج) ٦٧٢
 نزار بن معيص (ج) ٣٩٦ - ٣٩٧
 نزيه مؤيد العظم (ج) ٢ ، ٢٨٢ ، ٣٠٥

- النصر بن الحارث (ج) ١٨ ، ٣٦٤
٣٧٤
نصر بن ربيعة (ج) ٩٠ - ٩١ ،
١٦٢ ، ٣٠٥
(ج) ٤٦٣
(ج) ٢٥٤
نصر بن زروع (ج) ١١٢٥٦
نصر بن عاصم (ج) ١٥٢ ، ١٨١ ،
١٨٧ - ١٨٨
(ج) ٤٥ ، ٥٣ - ٥٤
نصر بن قعين (ج) ٥٣٤
نصر بن معاوية (ج) ١٤٢ ، ٥١٩
(ج) ٣١٠ ، ٦٤٧
(ج) ٣٦٣ ، ٣٧١
(ج) ٦٠٠ ، ٦٩٠
نصر بن نهدي (ج) ١٤٣
نصر الغازي (ج) ٤٧١
نصران الخراساني (ج) ٣٥٢
نصرو مري (ج) ٦١٢ - ٦١٣
نصيب مرة (ج) ٢٣٦
نصير (ج) ١١٠ ، ١٣٤ ، ٢٩٧
نضر بن اسماعيل (ج) ١٥٨
النضر بن الحارث (ج) ١٠٨ ،
١٢٥
(ج) ٣٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ٤٦٨
(ج) ١٤٧
(ج) ٣٠٨ ، ٣٢٠ ، ٣٤٨ -
٣٤٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧
٣٨١ ، ٣٨٣ - ٣٨٥
النضر بن سميل (ج) ٢٦ ، ٣٧
النضر بن كنانة (ج) ٤٠٠ ، ٥٠٣
(ج) ١٥ - ١٦ ، ٢٢ - ٢٦
٣٧ ، ٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٥٣٢
(ج) ٥٢٩
(ج) ١٦٠
نضلة بن هاشم (ج) ١١٩
النضير (ج) ٦٥٩
(ج) ٥٩٣
(ج) ٥٠٢
(ج) ٥٧
(ج) ١٩٦ ، ٢٠٩ ،
٤٩١ ، ٢١١ ،
(ج) ٦٤
نسي بن حالا (ج) ١٣٤
نسا مناة (ج) ٣٢٠
نسطورس (ج) ٦٢٩
(ج) ٣٩٥ ، ٣٩٩
(ج) ١٢١
النسفي (ج) ٤٠ ،
نشاي (ج) ٤٦١
نشا كرب بن كبر خال (ج) ٣١٨
نشا كرب بن نرحتان (ج) ٣٢٢
نشا كرب أوتر (ج) ٤٠٨ ،
٤٨٩
نشا كرب نهغن يجعر (ج) ٤٠٨
نشا كرب يدرم (ج) ٤٦٤ ، ٤٧٩
نشا كرب يزان (ج) ٤٠٨ ، ٤٨٨
نشا كرب يهأمن (ج) ٣٢٧ - ٣٣٠
٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٣٥٧ ، ٣٩٧
٤٤٩ ، ٤٥٥ - ٤٥٦ ، ٤٥٨
٤٦٤ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ - ٤٧٤
٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥
نسبة بن غيظ (ج) ٤٠٥
(ج) ٣٨٠
نشدابل (ج) ٥٥٠ ، ٥٥٥
نشري هب (ج) ٦١٣ - ٦١٤
نسوان بن سعيد الحميري (ج) ٢١٩ ، ٣٠٤ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ،
٣٩٢ ، ٥٩١
(ج) ٤٦٠ ، ٥٠٥
(ج) ٣٨٣
نشبية (ج) ١١٢
نصر بن الأزد (ج) ٣٧٤ ، ٤٠٢ ،
٤٠٥
(ج) ٤٣٥
(ج) ٤٢٧
(ج) ١٧ - ١٨

٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ - ٤٤٧ ،

(ج ٤) ٢٥١ ، ٢٥٥

(ج ٩) ٥٩٣

النعمان بن زرعة التغلبي (ج ٣) ٢٩٧

(ج ٤) ٤٩٩

النعمان بن صفي (ج ٦) ٤٨٨

النعمان بن العجلان (ج ٤) ١٣٨

(ج ٥) ٨٦

(ج ٩) ٧٥١

النعمان بن عدي (ج ٨) ٦٠

النعمان بن عمرو (ج ٣) ٣٩٧ ، ٣٩٤

٤٣٩ ، ٤٤٠ - ٤٤٧ ، ٤٤١

(ج ٤) ١٣٧ ، ٥٠٤

(ج ٩) ٥٩١ - ٥٩٢

النعمان بن قبيصة (ج ٤) ٣٧ ، ٢٢٨

(ج ٨) ٦٤٣

النعمان بن قيس (ج ٤) ٩٩

النعمان بن مالك (ج ٣) ٢٨٠

(ج ٤) ٣٦٢

النعمان بن مجاشع (ج ٥) ٤٠٧

النعمان بن مقرن (ج ٤) ٢٦٣

(ج ٦) ٦٢٢

(ج ٩) ٨٦٩

النعمان بن المنذر (ج ١) ٦٩ - ٧٠ ،

٧٤ ، ٧٦ - ٧٧ ، ٢٦٢ - ٢٦٣

٢٦٨ ، ٣٦٥ - ٣٦٤ ، ٣٨٦ ،

٤٧٦ ، ٤٨٨

(ج ٢) ٥٧٦

(ج ٣) ١٠٧ ، ١٥٦ - ١٥٧ ،

١٥٩ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ،

٢٠٠ - ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،

٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ -

٢٣٧ ، ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٦٠ -

٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ - ٢٨٨ ،

٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،

٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٣٠٧ - ٣١٠ ،

٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ -

٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٤٢٠ -

النضيرة (ج ٢) ٦١٥

(ج ٩) ١٥٤

النطاسي (ج ٣) ٢٨٣

نعام بن الحارث (ج ٢) ٦٤٧

نعامة (ج ٤) ٥٢٣

نعم مناه (ج ٦) ٢٢٠

نعمان بن أبي أوفى (ج ٦) ٥٤٦

النعمان بن أبي سلمى (ج ٣) ٢٠٤ ،

٢٦٢

النعمان بن الاسود (ج ٣) ٢١٥ ،

٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،

٣٢٨ ، ٣٢٨

نعمان بن أضنا (ج ٦) ٥٤٦

النعمان بن امرئ القيس (ج ٣)

١٨٣ ، ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٠٥ ،

٢٠٩ ، ٢١٢ - ٢١٣ ، ٢١٦ ،

٢١٧ - ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥ ،

٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٣١٠ - ٣١١ ،

٣٣٧ ، ٣٣٠

(ج ٥) ٣٥٧ - ٣٥٨

(ج ٩) ٦٧٩

النعمان بن الازهم (ج ٣) ٤٤٧

النعمان بن بزرج (ج ٤) ١٨٤

النعمان بن بشير الانصاري (ج ١)

٤٨٤ ، ٤٩٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٤

(ج ٢) ١٩٧ ، ٥٠٠

(ج ٩) ٤٣٢ ، ٤٥٨ ، ٧٤٨

النعمان بن جبلة (ج ٣) ٤٤٠

النعمان بن جساس (ج ٤) ٥٧١

(ج ٥) ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٣٧٦

(ج ٩) ٤٨٢

النعمان بن جسر (ج ٤) ٤٢٤ - ٤٢٥

٤٥٣

النعمان بن الجلاح الكلبى (ج ٣) ٤٢٣

٤٣٤

النعمان بن الحارث (ج ٣) ٤٠٢ ،

٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٤١٦ - ٤١٩ ،

٤٢١ - ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ،

، ٣٥٦ ، ٣٤٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩.
 ٤٦٩ — ٤٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٦٦
 - ٤٩٨ ، ٤٨٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٢
 : ٥٤٥ ، ٥٣٩ ، ٥٣٦ ، ٥٣٣
 ٥٦٨ ، ٥٦٤ ، ٥٥٠ — ٥٤٩
 ٥٩٥ ، ٥٩٣ — ٥٨٧ ، ٥٦٩ —
 ٦١٩ ، ٦١٧ — ٦١٦ ، ٥٩٩
 : ٦٧٤ ، ٦٦٥ — ٦٦٤ ، ٦٦١
 ٦٨٩ ، ٦٨٢ — ٦٧٩ ، ٦٧٦
 ٨٠٨ ، ٧٩٧ ، ٧٦٥ ، ٦٩٢ —
 ٨٩٥ ، ٨٤٧ ، ٨٢٥ ، ٨١٥
 النعمان بن النعمان (ج ٣) ٤٤٥
 النعمان بن وائل (ج ٣) ٤٢٤
 النعمان الاعور (ج ٣) ٢١٨ ، ٢١٦
 النعمان الاكبر (ج ٨) ١٠٩
 نعمان امين طه (ج ٩) حا ٨٥٤
 النعمان الثالث (ج ٢) ٢٣٧
 النعمان الزار (ج ٢) ٢٧٢
 النعمان القروور (ج ٦) ٦٢٠
 النعمان قيل ذي رعين (ج ٣) ٥٣١
 نعمان قيل ذي يزن (ج ٤) حا ١٨١
 نعمة بن مالك (ج ٢) ٥٩٧
 نعيم بن اوس (ج ٤) ٢٤٤
 نعيم بن ثعلبة (ج ٨) ٧٧٨ ، ٤٩٨
 نعيم بن سمد (ج ٤) ٢٠٦
 نعيم بن عبدالله (ج ٦) ٣٦٩
 (ج ٨) ٧٦٥
 نعيم بن عبد كلال (ج ٣) ٥٣١
 (ج ٤) ١٨٠ — ١٨١ ، ٦١٦
 (ج ٥) ٣٠٩
 (ج ٧) ١٤١
 نعيم بن عمرو (ج ٩) ٨٨٥
 نعيم الداري (ج ٨) ٣٧٨
 نعيم النحام (ج ٧) ٤٥٤
 نعيمان (ج ٥) ٤٢
 (ج ٨) ٣٧٥ — ٣٧٦
 نقانة بن فروة (ج ٤) ٢٣٣
 نفتالي (ج ٦) ٥٣٢
 ، ٤٤٤٢ ، ٤٤٤١ ، ٤٤٢٥ ، ٤٤٢١
 ٥٢٢ ، ٤٤٤٨ — ٤٤٤٧ ، ٤٤٤٤
 (ج ٤) ١٢٨ ، ١١٥ ، ٨٣ ، ١٦٣
 ٢٢٥ ، ١٨٠ ، ١٦٤ — ١٦٣
 ٢٤١ — ٢٤٠ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ —
 ٤٠٤ ، ٤٠١ ، ٣٧٠ ، ٣٢٤
 ٥١٦ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥١٦ ، ٥١٤
 ٥٣٤ — ٥٤٣ ، ٥٣٥ ، ٥٤٤
 ٥٦٤ ، ٥٧٨ ، ٥٧٥ ، ٥٨٨
 ٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٦١١ ، ٦٣١
 ٦٤ ، ٦٥٦ ، ٦٧٠ ، ٦٧٤ —
 ٦٨٠ ، ٦٨١ — ٦٧٥
 (ج ٥) ٣٦ — ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢
 ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١١٨
 ١٩٣ ، ٢٠٧ — ٢٠٩ ، ٢١٣
 ٢١٧ ، ٢٢٣ — ٢٢٥ ، ٢٢٤
 ٢٥٦ ، ٢٦٠ — ٢٦١ ، ٢٧٢
 ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩
 ٣٢٠ ، ٣٣٢ ، ٣٥١
 ٣٥٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠
 ٣٩٧ ، ٤١٠ — ٤١١ ، ٥٨٦
 ٦٠٨ ، ٦٤٠
 (ج ٦) ١١٤ ، حا ٢٧٣ ، ٢٨٦
 ٥٨٧ ، ٥٩٦ — ٥٩٨ ، ٦٦٤
 ٦٦٧ ، ٦٨٥ ، ٧٣٩ ، ٧٦٣ —
 ٧٦٦ ، ٨٠٢
 (ج ٧) ١١٤ ، ١٤١ ، ٢٢١ ،
 ٢٩٤ — ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٨
 ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٤١٨ ، ٥٠٣ —
 ٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، حا
 ٦١٥
 (ج ٨) ١١١ — ١١٢ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٤ ، ٣٣١ ، ٣٦٥ — ٣٦٦
 ٣٧٤ — ٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٦٤٥
 ٦٥٢ ، ٧٣٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٨ —
 ٧٧٩
 (ج ٩) ٨٦ ، ١٠٧ — ١٠٨ ،
 ١٥٢ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢ — ٢٥٦

- نقطويه (ج) ٧٧٧
نقيس بن اسماعيل (ج) ١٥٨
نغيل بن حبيب الخثعمي (ج) ٥١٣
(ج) ٤٤٥
نغيل بن عبد العزيز (ج) ١١٩ ، ٧٩ ، ٦٥٠
(ج) ٢٧ ، ٦٥٠
(ج) ٧٦٥
(ج) ٧٤٠
نقادة بن عبدالله (ج) ٢٢٢
نقطابوس (ج) ٩٢
نقفور (ج) ٢٩
نكرة بن لكيز (ج) ٤٠٧
(ج) ٤٨٤ - ٤٨٥
نكلر (ج) ٧٨
نلينو (ج) ٦٢٧
نمارة بن ابياد (ج) ٤٧٠
نمارة بن قيس بن نمارة (ج) ٣٧٢
- ٣٧٣
(ج) ١٦٧
نمارة بن لخم (ج) ١٦٧
النمر بن تولب (تولب) (ج) ٣١٧ ، ٣٣٨
(ج) ٥٧٨
(ج) ٥٦ ، ٣٩٧
(ج) ١٤٠ ، ٦٧٦
(ج) ٥٩٢
(ج) ٣٤٣ - ٣٤٤
(ج) ٣٩٦ ، ٤٣٣ ، ٦٢٨ ، ٨١٧ ، ٨٢٧ ، ٨٧٤
- ٨٧٥
النمر بن ثعلب (ج) ٣٣٦
النمر بن حمان (ج) ٤٠٧
النمر بن قاسط (ج) ٤٠٧ ، ٥٠٥
(ج) ٢٠٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨
(ج) ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٣٤٧
٤٨٧ - ٤٨٨ ، ٥٠١
(ج) ٢٦٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٤١٠
(ج) ٦٠٥
٢٢٢
- (ج) ٨٧٤ - ٨٨٤
المر بن وبره (ج) ٣٦٧
(ج) ٤٢٥ - ٤٢٦
مران (ج) ٤٤٣ - ٤٤٦ : ٤٩٢
نمره (ج) ٤٥٧
نمرود (ج) ٢٣٣
نمير بن خرشة (ج) ١٥٠
نمير بن عامر (ج) ٣٢٣ : ٥١١ ، ٥٢٠
(ج) ٤٢١
النميري (ج) ٧٩٨ - ٧٩٩
نخرسالك (ج) ٥٦٢
نهار (ج) ٦٠٥
(ج) ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨
نهد (ج) ٣٦٧
(ج) ١٠٤
(ج) ١١٥
نهل بن حري (ج) ٢١٩
(ج) ٤٣٢
نهل بن دارم (ج) ٤٠٣
(ج) ٢٥١
(ج) ٤٤٤
نهل بن الرئيس (ج) ٣٣٦
نهل بن عرعة (ج) ٢٨٥
نهل بن مالك الوائلي (ج) ١٩٥
(ج) ١٢١
لهفان (ج) ١٠١
(ج) ٣٥٥
(ج) ٢٣١
نهم بن عبدالله (ج) ٥٢٢
نهيك بن اساف (ج) ٤٨٣
نهيكة بن اساف (ج) ١٠٦
النوار بنت عمرو بن كلثوم (ج) ٢٠٤ - ٢٠٥
النواس بن عامر (ج) ٣٩٧
نوال بن عتيك (ج) ٢١٢
نوح (ج) ٤١ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥ ، ٤١٠ ، ٤١٣ - ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٥٢

- ٤٦٥ - ٤٦٣
 (ج٣) ٢٧٢
 (ج٦) ٢٥٤ ، ١١٢ ، ٧٧ ، ٧٠
 ٢٥٨ - ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٣ ، ٤٨٩ ، ٤٠٥ ، ٦٦٧ ،
 ٦٧٠ - ٦٧٣ ، ٨١٦ ،
 (ج٧) ٤٤٨ ، ٧٦ ، ٤٤٩ -
 (ج٨) ٥٣٧
 (ج٩) ٥٧٠ ، ٤٥٢ ، ٣٩٤ ،
 ٥٨٠ ، ٧٥٥ ، ٨١٠
 نوردن (ج٩) ٦٧٣
 نوف بن حي (ج١) ٣٧٣ ، ٣٦٨
 نوف بن يحضب (ج٢) ٣٥٢ ،
 ٣٦٣ ، ٤٣٧ - ٤٣٨ ، ٥٨٦
 - ٥٨٧
 نوفل بن بشر (ج٩) ٤٨٧
 نوفل بن الحارث (ج٧) ٤٠٧ ، ٤٤٠ ،
 نوفل بن ربيعة (ج١) ٤٠٢
 (ج٣) ٣٥١
 (ج٤) ٦١ ، ٦٩ - ٧٠ ، ٧٢ ،
 ٤٣٣ ، ٤٤٧ ، ٦٤٨
 نوفل بن عبد كلال (ج٧) ١٩٢ ،
 ٣٠١ - ٣٠٣
 نوفل بن عبد مناف (ج٤) ٤٨١
 نوفل بن معاوية الديلي (ج٤) ٨٤
 (ج٩) ٨٦١
 نولدكه (تيودورا) (ج١) ٨٠ ،
 ١٣٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٤٨١ ،
 ٥٢٣
 (ج٢) ٦١٧ - ٦١٨ ، ٦٤٠ ،
 ٦٤٤
 (ج٣) ٢٣٢ ، ٢٥٣ ، ٢٨٠ ،
 ٢٩٤ ، ٣٥٠ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٥ - ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ،
 - ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٨
 (ج٥) ١٩٩
 (ج٦) ٢٦ ، ١١٤ - ١١٥ ،
- حا ١٥٧ - ١٥٨ ، ٢٥٧ -
 ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ - ٢٨٦ ،
 ٢٩٥ ، ٣٢٥ ، ٤٥٣ ، ٥٢٢ ،
 ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧٢٣ ، ٧٢٦ ،
 (ج٨) ٣١٨ - ٣١٩ ، ٥٢٩ ،
 ٥٤٨ ، ٦٠٩ ، ٦٢٦ ،
 (ج٩) ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٥١٤ -
 ٥١٥ ، ٥٦٦ ، ٧٦٩ ، ٧٧٩ ،
 ٧٨٦
 نونوسوس (ج٣) ٢١٩ ، ٣١٨ ، ٣٥٠ ،
 ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٣ ،
 - ٤٧٤
 (ج٦) ٦٢٨
 نوهر (ج٢) ٦١٤
 النودي (ج٤) ٤٤٣ ، ٦١٢
 (ج٦) ٣٥٤ ، ٤٧٨ ،
 ٧٤٤ ، ٧٤٨
 (ج٨) ٩٨ ، ١٣٥ ، حا
 ٣٣٤ ، ٣٧٨ ، ٥٧٤
 (ج٩) حا ٣٠٨
 النويري (ج١) حا ٢٩٤ ، حا ٣٥٥ ،
 حا ٣٧٦ ، ٥٠٩
 (ج٣) ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، حا ٢٥١
 حا ٢٧٥ ، حا ٣٥٣
 (ج٤) حا ١٠٠ ، حا ٣١٩ ،
 ٣٧٨ ، حا ٤٥٠ ، حا ٤٩٥
 حا ٤٩٧
 (ج٥) ٣٣٩ ، حا ٣٧٨
 (ج٦) حا ١٣ ، حا ٢٢٧ ،
 ٦٩٦ ، ٧٦٣
 (ج٧) حا ١٣٥
 (ج٨) حا ٤٦٦
 (ج٩) حا ٨٠٥
 نيبور (ج١) ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٤٢٦ ،
 (ج٢) ٧٤ ، ٤٠١
 نيرخس (ج١) ٦١
 (ج٢) ١٣ - ١٤
 (ج٧) ٣٦٧
 نيرون (نيرو) (ج٢) ٦١ ، ٦٦

٤٦١	٢٧٨ (٧ج)
نيلوس (٦ج) ١٧١ ، ١٩٨ ، ٣٥٤ ،	النيسابوري (١ج) ٣٩
٤١٤	(٤ج) ٥٦٩
(٩ج) ٦٣ ، ١٢٧ ، ٤١٠ ،	(٨ج) ٩٦ - ٩٧ ، ٣١٨ ،
نيوكوماخس (٣ج) ١٠٨	٤٧٢ - ٤٧٣
	نيقيفورس كالستوس (٣ج) ٢٢٨ ،

— الهاء —

(٤ج) ٢٠ ، ٦٠ - ٧٤ ، ٨٢ ،	هايل (١ج) ٤٩٤
٨٩ ، ١٠٠ ، ٤٨١ ، ٥٨٠ ،	(٣ج) ٧٩
٥٨٤ ، ٥٩١ ، ٦٣٦ ،	(٤ج) ٤٣٤
(٥ج) ٦٥ ، ٨٢ - ٨٥ ، ٢٤٧ ،	(٨ج) ٦٥٢
٦٣٧	(٩ج) ٣٦٤ ، ٣٩٣
(٦ج) ٣٥٢ ، ٧٦٧ ،	هاجر (١ج) ٢٨ - ٢٩ ، ٤٣٣ ،
(٧ج) ٢٣٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ -	٤٣٦ ، ٤٦١
٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٤٨ ،	(٣ج) ٤٨
٥٧٨	(٤ج) ١٣ ، ٢٦٧
(٨ج) ٦٤٢ ، ٧٨٠ ،	(٦ج) ٣٨١
(٩ج) ١٧٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ،	هادريان (٢ج) ٦٣٥
٤١٢ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ،	هاربة البقاء (١ج) ٤٠٤
٤٥٦	هارتمن (٢ج) ١٠٧ ، ١٧٧ ، ٢٣٤ ،
هالة بنت سويد (٤ج) ٤٧٨	٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٤٠٨
الهالك بن عمرو (٤ج) ٥٣٤	(٣ج) ٢٢٨ ، ٢٣٠
(٧ج) ٥٥٦	(٥ج) ٢٧٧
هاليقي (يوسف) (١ج) ١٢٨ ، ١٣٠ ،	(٨ج) ٦٢٧
٤٨١	هاروت (٦ج) ٧٤١
(٢ج) ٥٨ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٧٧ ،	هارون الرشيد (١ج) ٢٩ ، ٥٤
(٣ج) ١٥٤ ، ٥٣٥ ،	(٤ج) ٣٥٧
(٨ج) ٢٣٧	(٦ج) ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣١٧
الهامرز بن خلا بزر (٣ج) ٢٩٤	هاشم بن حرمة (٥ج) ٣٦٣
الهامرز التستري (٣ج) ٢٩٣ -	هاشم بن عبد مناف (١ج) ٤٠٢

(ج) ٢١٢
 هجرس بن كليب (ج) ٤٨٩
 (ج) ٥٢٠
 الهجيم بن عمرو (ج) ٤٠٢
 (ج) ٦٣٧ ، ٥٢٩
 هداج بن مالك (ج) ٤٥٣
 هديه بن خنرم (ج) ٢٦١
 هدريانوس (ج) ٥٤ ، ٦٣ ، ٧١ ،
 ٨٧ - ٨٨
 (ج) ٥٢٤ ، ٥٢٢
 (ج) ٢٧٨
 الهدم بن امريء القيس (ج) ٦٤٦
 هدم بن مسعدة (ج) ٢٥٣
 الهدهاد (ج) ٢٦٥ ، ٣٦٣ ، ٥١٦
 هدورام (ج) ٣٦١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٧
 هذرم بن عابر (ج) ٣٥٨ ، ٣٦١ ،
 الهذيل بن عمران (ج) ٦٥١
 (ج) ٢٣٠ ، ٢٠٦
 (ج) ٤٠٧
 هذيل بن مدركة (ج) ٣٩٩
 (ج) ٥٨٥
 (ج) ٤٧٧ ، ٥٣٤
 (ج) ٧٨ ، ٣٥٧
 هذيل بن مشجعة البولاني (ج) ٢٨٤
 هذيل بن منقلد (ج) ٧٤٢
 الهذيل بن هبيرة (ج) ٤٩٢
 (ج) ٢٨٦ ، ٤٠٧
 هر بنت زيد مناة (ج) ٢٠٥
 هر بنت النعمان (ج) ٢١٥ ، ٢٣٨
 هراسة (ج) ٥٢٥
 هربرت كريمة (ج) ١٣٧ ، ٢٣٢ ،
 ٣٢٩
 هرشفلد (ج) ٣٦٢ ، ٤٧٦ ،
 ٤٨٣
 (ج) ٦٠٩ - ٦١٠
 (ج) ١٣٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧

٢٢٥

٢٩٤
 هاملتون (ج) ٢١
 (ج) ٢٥١ ، ٧٦٧
 الهان بن مالك (ج) ٣٩٩
 هانيء بن حبيب (ج) ٢٤٤ ، ٤٦٣
 هانيء بن خولان (ج) ٣٦٨
 (ج) ٩٧ ، ١٢٤ ، ٢٥٧ ،
 ٥٨٢
 (ج) ٤٧
 هانيء بن قبيصة (ج) ٢٩٦ ، ٢٩٣
 ٢٩٨
 (ج) ٢٢٥
 (ج) ٢٨٩ ، ٣٦٧
 (ج) ٥٩٦
 (ج) ٢٦٣
 (ج) ٦١٦ - ٦١٧
 هانيء بن مسعود (ج) ٢٧٣ ، ٢٩٤
 - ٢٩٥ ، ٢٩٧
 (ج) ٥٠٣
 (ج) ٣٦٩
 هانيء بن هذلول (ج) ١٤٦
 هانوس بن شهر (ج) ٢٤٨
 هاينرش ابوالد (ج) ١٢٧
 هاينرش فون مالتزن (ج) ١٣١
 هب (ج) ٥٩٢
 هبسل بن شجب (ج) ١٥٨
 هبسل قرشم (ج) ١٤٣
 هبرة بن النعمان (ج) ٥٥٧
 هبيد (شيطان) (ج) ١٢٠
 هبيرة بن أبي رهم (ج) ٣٨٦
 هبيرة بن أبي وهب (ج) ٣٨
 (ج) ٦٩٦ ، ٧١٣ - ٧١٤
 هبيرة بن سعد (ج) ٤٠٣
 هبيرة بن المكشوح (ج) ٤٥٦
 (ج) ٤٠٨
 هبيرة بن يفيث (ج) ٢٥٤
 هتار (ج) ٢٥٧
 هج نيلي (ج) ٧٣

- (ج) ٤ ، ٨١ ، ١٦٢
 (ج) ٦ ، ٦١٢ ، ٦٦٣
 (ج) ٩ ، ٣٠٧ ، ٥٣٢
 هرمز بن نرسی (ج) ٣ ، ١٨٧ ، ٣١١
 هرمز الرابع (ج) ٣ ، ١٧٥
 هرمس الثالث (هرمس المصري)
 (ج) ٨ ، ١٩٨
 هرمس الثاني (هرمس البابلي)
 (ج) ٨ ، ١٩٨
 الهرمون (ج) ٤ ، ١٦٤
 هروديس (ج) ٣ ، ٩٣
 هريرة (ج) ٩ ، ٥٧٣
 هريس (ج) ٨ ، ٥٣
 هزان بن صباح (ج) ٤ ، ٤٨٢
 هزان الاولى بن مالك (ج) ١ ، ٣٧٠
 هزرمات (ج) ٢ ، ١٣٠
 هزيمة (ج) ٩ ، ٦٨٦
 هضر (ج) ٢ ، ٢٤٩
 هشام بن حكيم (ج) ٨ ، ٥٩٦ - ٥٩٨
 هشام بن ربيعة (ج) ٥ ، ١٣٥
 هشام بن سعد (ج) ٤ ، ١٠٨
 (ج) ٦ ، ٤٧٠
 هشام بن عبد العزى (ج) ٨ ، ٢٦٨
 هشام بن عبد الملك (ج) ٧ ، ٣٤٤
 (ج) ٩ ، ٢٤ ، ٣٠٩ - ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٦٧٩
 هاشم بن عبد مناف (ج) ٧ ، ١٩٢
 هشام بن عروة (ج) ٩ ، ٣٠ ، ٣٢١ ، ٧٤٩
 هشام بن محمد بن السائب (ج) ١
 ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠٣ ، ٣٥٦ ، ٤٦٤ ، ٣٧٧
 (ج) ٣ ، ١٥٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ -
 ٢٠٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠
 (ج) ٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٥٠ ، ٢٩٦
 (ج) ٩ ، ٢٩٦
 هشام بن الفيرة (ج) ٤ ، ٨٤ - ٨٥ ،
 ١٠٤ - ١٠٥ ، ٦٧٢
- حا ٤٣٦ - ٤٣٧ ، حا ٤٤٦
 (ج) ٤ ، حا ١٢٥ ، حا ٥٦١ حا
 ٥٩٤
 (ج) ٥ ، حا ٦١
 (ج) ٩ ، حا ٧٩٣
 هرقل (ج) ١ ، ٦٢٤
 (ج) ٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ - ٤٣١
 (ج) ٤ ، ٧٠ ، ١١١ ، ١٤١ ،
 ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٤٢ - ٢٤٣ ،
 ٤٦٢ ، ٤٧٤
 (ج) ٥ ، ٦٤٠
 (ج) ٦ ، ٤٥٩ ، ٤٨٨ ، ٥٩٤ ،
 ٦٣٧
 (ج) ٧ ، ٤٤٩ ، ٤٩٦ ، ٥٧٨
 (ج) ٩ ، ٥٢٠ ، ٧٥٣ ، ٧٥٨ -
 ٧٥٩
 هرقليانوس (ج) ٣ ، ١١٢ - ١١٣
 هركانوس (ج) ٢ ، ٣٩ ، ٤٣
 (ج) ٢ ، ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٨
 هركانوس الثاني (ج) ٢ ، ٣٩
 هرم بن جعفر (ج) ٥ ، ٤٥
 هرم بن سنان (ج) ٤ ، ٣٨٠ ، ٥١٢ ،
 ٥٧١ ، ٥٧٩ ، ٥٨٥
 (ج) ٥ ، حا ٥٠٧
 (ج) ٦ ، ١٥٠ ، ٧١٥
 (ج) ٩ ، ١٠٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦
 هرم بن قطبة (ج) ٤ ، ٥١٤ ، ٥٧١ ،
 ٥٩٠
 (ج) ٥ ، ٣٩٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤ ،
 ٦٣٧ - ٦٣٨ ، ٦٤٥
 (ج) ٨ ، ٧٤٠
 (ج) ٩ ، ٣٥٧ ، ٥٠٠ ، ٥٧٧
 هرمز بن سابور (ج) ٣ ، ١٢١ ، ١٢٦
 ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٣١٠
 هرمز بن كسرى (ج) ٢ ، ٦٤٧ - ٦٥٠
 (ج) ٣ ، ٢٦٠ ، ٢٩٠ - ٢٩١ ،
 ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٥٠٧ ، ٥٢٩

- (ج) ٨٥ اليماني
 (ج) ٧٥٠
 همشيرن (ج) ٢٥١
 همدان بن مالك (ج) ٢٥٢
 الهمداني (ج) ٨٧ : ٩٠ - ٩٨ .
 ١٠٠ - ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٩
 - ١٢٠ ، حا ١٤٠ ، ١٤٣ ،
 حا ١٤٦ : ١٤٨ ، ١٧٨ -
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، حا ٣٣٩ -
 ٣٤١ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ، ٣٤٨ :
 ٣٥٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٧ ، ٣٧٠ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤٢٥ - ٤٢٧ :
 ٤٣١ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤
 - ٤٦٥ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٥٩٨
 ٦١٧ ، ٦٣٩
 (ج) ١٨ ، حا ٧٣ -
 ٧٤ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٣٥ ،
 ١٤٠ ، ١٥٠ : ١٥٧ ، ١٩٧ ،
 ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٢ ، ٣٤٤ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ - ٣٦٤
 ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤
 - ٣٩٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٢ ،
 ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠٦ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧٢ - ٥٧٣ ، ٥٨٤
 (ج) ١٦١ ، ١٨١ ، ٣١٩ ،
 ٣٢٢ ، ٣٨١ - ٣٨٢ ، حا
 ٤٣٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ،
 ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥٣٢ ،
 ٥٣٥
 (ج) حا ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨
 ٢٨١ ، حا ٤١٥ ، ٤٣٢ -
 ٤٣٤ ، حا ٤٣٨ حا ٤٤٨ -
 ٤٥٠ ، حا ٤٥٩ - ٤٦٠ ، حا
 ٤٦٥ ، ٤٧٥ ، حا ٥١٣ ،
 ٥٣٦
 (ج) ١٩٦ ، ٢٣١
 (ج) ٢٨ ، ١٨٨ ، ٢٨٢ ، ٤٤١
 (ج) ٥٢٢
 (ج) ١٥٩ ، ٧١٢ ، ٧١٥
 هشام بن المنذر (ج) ٥٩٦
 هشام الضرير (ج) ٧٣٧
 هضنع (ج) ٢٤٩ ، ٢٥١
 هصيص بن عامر (ج) ٤٠١
 هصيص بن كعب (ج) ٧٣ ، ٤٨٠
 ٤٨٢ -
 هعان (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٧
 هعان اشوع (ج) ٣٦٤
 هعلل (ج) ٥٨٢
 هعن اسانن (ج) ٣٧٦ ، ٥٩٥
 هعان بن يزيد (ج) ٣٧١
 (ج) ٥١٠
 هل (ج) ٦٤
 هلال بن أمية (ج) ٧٤٦
 هلال بن انس (ج) ١٣٥
 هلال بن أهييب (ج) ٢٦ - ٢٧
 هلال بن عامر (ج) ٥٢٠ ، ٥٩٧
 (ج) ٢١٤ ، ٢٧٠
 هلال بن عقة (ج) ٦٥١
 (ج) ٢٣٠
 (ج) ٢٨٨ ، ٥٨٥
 هلال بن عمرو (ج) ٣٦٩ ، ٤٠٢ ،
 ٤٠٤ - ٤٠٥
 هلال بن مالك (ج) ٢٦ - ٢٧
 هلال بن الهجري (ج) ٢٢٧
 الهلقام الكلبي (ج) ٣٩٧
 هلك أمر بسن حزقرم (ج) ٣١٨ ،
 ٤٧٥ - ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ،
 ٤٩٥ - ٤٩٦
 الهليلي بن يولان (ج) ٥٠٦
 همام بن الاعقل (ج) ١٥٧
 همام بن مرة (ج) ٣٤٦ ، ٤٩٦ ،
 ٥٠٤
 همام بن منبه بن كامل بن شيخ

هند بنت الحس الايادية (ج ٥) ٤٩٨
٦٢٨ - ٦٢٩
(ج ٨) ٢٥١ ، ٤٩٨ ، ٧٩٠ -
٧٩١
هند بنت زيد مناة (ج ٣) ٢٠٦
هند بنت روير (ج ٤) ٤٨٠
هند بنت ظالم (ج ٢) ٣٢٣ ، ٣٩٢ ،
٤٠٣
هند بنت عتبة (ج ٩) ٤١٣ ، ٨٧٦
هند بنت عجلان (ج ٩) ٦٦٢ - ٦٦٣
٧٧٧
هند بنت عصية (ج ٤) ٥١٨
هند بنت عمرو (ج ٣) ٢٣٩ - ٢٤٠
٢٤٧ ، ٢٥٤ - ٢٥٧ ، ٢٨٥
٢٨٦ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٦٣
٣٦٩
(ج ٤) ٥٨ ، ٨٣ ، حا ٤٧٧
هند بنت كعب (ج ٣) ١٩٤
هند بنت مالك (ج ٤) حا ٤٣٣ ،
٤٤٣ ، ٤٥٣
هند بنت مر (ج ٤) ٤٨٨ ، ٥٢٥
هند بنت النعمان (ج ٣) ٢٩٠
(ج ٦) ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٦٣ ،
٧٦١ ، ٧٦٢
(ج ٩) ١٥٦ ، ٢٨٦ ، ٣٦٢ ،
٤٠١ ، ٥٢٣ ، ٦٦١ ، ٦٦٩
هند بنت هند (ج ٩) ٤٨٥
هند بنت الهجاة (ج ٢) ٢٠٦ ،
٢٤٨
هند بنت يامين (ج ٦) ٥٤٢
هند الكبرى (ام عمرو) (ج ٦) ٥٩٩
هند المغيرة بن عبدالله (ج ٥) ٥٣٠
هنريكوس لامنس اليسوعي (ج ٨)
حا ٢٨٥
الهنو (ج ١) ٣٧٤
هناء بن امرئ القيس (ج ٨) ١٧٧
هناء بن بلي (ج ١) ٣٧١
(ج ٤) ٥٣٢
هناء بن عمرو (ج ٤) ٤٥١

١٦٠٧ - ٢٩٨ ، ٤٣٧
ج ١٧ ، ٥٥ ، ١١٥ ، ١٣٢ ،
١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ -
٢٤٥ ، ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٧١ ،
٤٥٨ ، ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١٢ ،
٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ،
٥٢٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢
ج ١٨ ، ٧ ، ٢٣ ، ١٥٤ ، حا
٢٠٨ ، ٢٧٨ ، ٣٠٠ ، ٥٧٤
حا ٦١٤ ، ٦٧٧
ج ١٩ ، ٧٤ ، ٢٠٧ - ٢٠٨ ،
٢٢٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٥٧١
٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٦٨٨
هميسع بن اسماعيل (ج ٨) ١٥١
الهميسع بن حمير (ج ١) ٩٢ ، ٩٤
٣٦٥
(ج ٤) ٤١٦ ، ٤٣٤ - ٤٣٥
الهميسع بن عمرو (ج ١) ٥٠٣
هناة (ج ٤) ٤٣٨
هناس بن تلمي (ج ١٢) ٢٥٠ - ٢٥١
هنام بن سلمة (ج ٥) ٥٣٠
هنب بن اقصي (ج ١) ٤٠٧
(ج ٤) ٤٨٧
هنب بن القين (ج ٤) ٤٢٣
هنية بن نكرة (ج ١) ٤٠٧
هنتسر بن عيسو بن هنتسر (ج ٨)
٢٠٣
هند بن ابي هالة (ج ٤) ٥٢٨
(ج ٦) ٥٦ ، ٢٨١
هند بنت اسماء (ج ٩) ٢٥
هند بنت بكر (ج ٤) ٣٥٤
هند بنت بياضة (ج ٤) ٤٧٢
هند بنت تميم بن مر (ج ١) ٤٠٧ -
٤٠٨
هند بنت الحارث (ج ٣) ٢٠٦ ، ٢١٨
٢٣٤ ، حا ٣٠٣
هند بنت حجر (ج ٣) ٣٢٩ ، ٣٣٦
٣٤٧ ، ٣٣٩

الهيد بن عرس (ج ١٤) ٢٤٨
 هوارث (ج ١٢) ٧٨
 هوازن بن منصور (ج ١) ٤٠٥
 (ج ١٢) ٢١٢ - ٢١٣
 (ج ١٤) ٥١٦
 هوبر العملي (ج ٣) ٩٠
 هونر عث يشع (ج ١٢) ١٠٧ : ٤٨٩
 هونن (ج ١) ١٢٦
 هوج (ج ٤) ٥١٣
 هود بن ايمن بن حلجم بن
 بضم بن عوض بن شداد
 بن عاد بن عوص بن ارم بن
 عوص بن عابر بن شالخ
 (ج ١) ٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٤ ، ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٥٥ ،
 ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢
 (ج ٤) ١٩ - ٢٠
 (ج ٦) ٨٣
 (ج ٧) ٣٧٧
 (ج ٨) ١١١ ، ١٥٧ - ١٥٨ ،
 ١٦٤ ، ٣٤٥ ، ٥٣٨
 هودة بن علي (ج ٤) ٥٠٢
 هودة بن سبا (ج ١) ٣٦٧ ،
 هودة بن علي الحنفي اليمامي (ج ٤)
 ٢١٣ - ٢١٥
 (ج ٥) ٨١ ، ٢٠٨ - ٢٠٩
 (ج ٦) ٩١ ، ٦٢١ ، ٦٦٠
 (ج ٧) ٤٦٠ ، ٥٢٧ ، ٥٧٧
 (ج ٩) ٧٠ ، ٧٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤
 ٨٦٨
 هودة بن عمرو (ج ٤) ٢٤٠ ، ٢٥٠ ،
 ٢٦٧ - ٢٦٨
 هودة بن قيس الوائلي (ج ٤) ٢٥٣
 هودة بن نبشة السلمي (ج ٤) ٢٥٩
 هورسفيلد (ج ١) ٣٠٦ ، ٥٣٢
 هوز (ج ٨) ١٦٤ - ١٦٦
 هوستن ستوارث شامبرلن (ج ١)
 ٢٥٧
 هوشع (ج ٣) ١٥٧

(ج ٦) ٥٩٧
 هوف ال (ج ٢) ٤٥٨
 هوف عت (هوفعت) (ج ١٢) ٨٦ .
 ٩٥ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٢٤ .
 ١٢٧ ، ١٣٦ - ١٥٦ - ٤٠٨ .
 ٤٦٦
 هوف عم بنعيم (ج ١٢) ١٧٦ : ١٧٩
 ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٤ - ٢٠٥ .
 ٢٠٦ - ٢١١ - ٢٢٨ ، ٢٢٣ -
 ٢٢٩ - ٢٣٤
 هوفعم بن نوب (ج ٢) ٢٠٤
 هوكارت (ج ٢) ١٥٧
 هول (ج ٩) ٤٨
 هول (ج ١) ٧٧ - ٧٨ ، ٨١ - ٨٣ ،
 ٩١ ، ٩٣ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٣٩
 ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٧٥ .
 ١٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ - ٢٢٤
 ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٧٢ - ٢٧٣
 ٢٧٥ - ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦
 ٢٠٧ - ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣١٧
 ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧
 ٣٣٠ - ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢
 ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٨٦ ، ٤٤٧ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٢
 ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ - ٥٨٩
 (ج ٣) ٣٢٢
 (ج ٦) ٥٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ -
 ٣٠٠
 (ج ٨) ١٤٦ ، ١٧٤
 الهون بن خزيمة (ج ١) ٣٩٩
 هياليس (هيالوس) (ج ٢) ٢٦
 (ج ٧) ٢٦٨
 هيشع بن كلب (ج ٢) ٢٧٥
 الهيثم بن عدي (ج ١) ١١٤ ، ١١٦ ،
 ٣٥٦ ، ٥٠٦
 (ج ٣) ٣٥٢ ، ٣٦١ - ٣٦٣ ،
 ٣٦٥
 (ج ٨) ١٥٦ ، ١٦٨
 (ج ٩) ٣١٢ ، ٧٨١

الهيحانة بنت سلول (ج ٣) ١٩٧	(ج ٣) ٣٥ - ٣٩ ، ٤٣ - ٤٥
هيذان بن شيخ (ج ٨) ٧٩١	١١٢ ، ٩٩
هيروود انتيباس (ج ٣) ٤٣ - ٤٤	(ج ٤) ٣٧٩ ، ٤٠٨
هيروود الكبير (ج ١) ٤٤٤ ، ٦٢٣	(ج ٦) ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣٢٩
(ج ٢) ٤٠	
(ج ٣) ١٤٥	(ج ٧) ٦١٢ ، ٦٢٥
هيروودتس (ج ١) ٢١ ، ٣٥ ، ٥٧	هيروديان (ج ١) ٦١
٦١ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٦٢	هيرون (ج ٢) ٧ - ٨
٥٥٣ ، ٥٦٧ ، ٥٩١	هيرونيموس (ج ١) ٢٧
٦٢٨ - ٦٢١	هيكل (ج ١) ٢٧٠
(ج ٢) ٨	هيلين (ج ١) ٤٦٧

- الواو -

وائل بن حجر الحضرمي (ج ٢) ٥٨٣	وائل (ج ١) ٣٦٥ ، ٤٠٥
٦٢٠	(ج ٤) ١٩٦ - ١٩٨ ، ٢٩١ ، ٤١٦
(ج ٥) ٢٧٩ ، ٣١٣ ، ٦٢٨	وابصة بن خالد (ج ٥) ٦٠٦
(ج ٧) ٦٩ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٤٨٦	وابصة بن معبد (ج ٤) ٢٢٢
(ج ٨) ١٢٩	الواحدي (ج ٤) ١٢١
وائل بن حمير (ج ١) ٣٦٥	(ج ٦) ٨٦ ، ٦١٨
وائل بن ربيعة (ج ٤) ٤٩٢	(ج ٧) ٢٩٣ ، ٣٠٩
(ج ٥) ٣٥٦	وادعة (ج ٣) ٤٠٠
وائل بن قاسط (ج ١) ٣٦٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧	(ج ٤) ٤٣٣
(ج ٤) ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٥٢٥	(ج ٥) ٦٤٨
وائل بن معن (ج ١) ٣٣٢ ، ٣٥٩ ، ٤٠٤ ، ٣٦٧	واروس الروماني (ج ٣) ٤٣
(ج ٤) ٥١٤	الواسمي (ج ١) ١٥٦
(ج ٦) ٥٢٦	وافد بن عمرو (ج ٣) ٢٨٠
	واقدة (ج ٤) ٤٨١
	الواقدي (ج ١) ١١٤ ، ٣١١ ، ٤٧٢ ، ٣١٦
	(ج ٣) ٤٣٥

- وداعة (ج) ١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣
 وداك الطائي (ج) ٦ ، ٨١٥
 وددايل بن حيوم (ج) ٢ ، ٣١٩ ، ٣٧١
 (ج) ٦ ، ١٧
 ودلت (ج) ٣ ، ٤٢
 وده (ج) ٢ ، ٥٧٣ - ٥٧٤
 ودبعة بنت لكيز (ج) ١ ، ٣٦٦ ، ٤٠٧
 (ج) ٤ ، ٢٣٥ ، ٤٨٣ - ٤٨٤
 ورد بن مرداس (ج) ٤ ، ٢٤٧
 وردان بن محرز (ج) ٦ ، ٢٠٦
 وردة (ج) ٩ ، ٥٣٦
 وردة بنت معد يكرب (ج) ٤ ، ١٩٧
 الودع بن ثروان (ج) ٦ ، ٨٢٠
 ورقة بن عيسى (ج) ٤ ، ٥١٠
 ورقة بن نوفل (ج) ١ ، ٤٢ ، ٤٠٤
 (ج) ٤ ، ٦٧١
 (ج) ٥ ، ٣٧ ، ٣٢٠
 (ج) ٦ ، ٣٦٠ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ -
 ٤٦٤ ، ٤٦٩ - ٤٧١ ، ٤٧٤ ،
 ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٥٠٠ - ٥٠٣
 ٥٩٠ ، ٦٠٧ ، ٦٥١ ، ٦٨٠
 (ج) ٨ ، ١٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ -
 (ج) ٩ ، ٢٨٦ ، ٤٥٤ ، ٧٠٢ -
 ٧٠٣
 الورل الطائي (ج) ٦ ، ٦٩٦
 وروال ذرحن (ج) ٢ ، ١٠٦
 وروايل غيلن يهنعم (ج) ٢ ، ١٨١ -
 ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢١٠ ، ٢١٢
 ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ -
 ٣١٦ ، ٥٠٤
 وزر بن جابر (ج) ٤ ، ٢٢٠
 (ج) ٩ ، ٥٦١
 وستنفلد (ج) ٤ ، ٤٢٥
 الوصاف (ج) ٣ ، ٣٥٩
 وطاح (وطح) (ج) ٣ ، ٤٨٥
 وعلان (وعلن) (ج) ٣ ، ٤٢
 وفيهم احبر (ج) ٢ ، ٥٤٢ ، ٥٤٤
 وقدان بن الازد (ج) ٤ ، ٤٣٥
 وقه (ج) ٢ ، ٢٨٨
- (ج) ٤ ، ٢٢٩ ، ١٤١ ، ٢٣٠ -
 ٢٣٣ ، ٢٤٢
 (ج) ٥ ، ٢٢٥ - ٢٢٦
 (ج) ٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ،
 ٢٦٤ ، ٥٤٩
 (ج) ٧ ، ٢٩٣
 (ج) ٨ ، ٥٠٤
 (ج) ٩ ، ٨٢٨
 واكل بن عمرو (ج) ٣ ، ٤٠٠
 والريانوس (القيصر) (ج) ٣ ، ٩٤ -
 ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ - ١٠١ ،
 ١١١ ، ١٠٣
 والنس (ج) ٣ ، ٣٩٦
 وبار بن ارم (ج) ١ ، ٣٤٢ - ٣٤٣
 وبار بن اميم (ج) ١ ، ٣٤٠ - ٣٤١
 (ج) ٣ ، ١٧٨
 وبر بن يحنس (ج) ٣ ، ٥٢٩
 (ج) ٤ ، ١٨٤ ، ١٩٢
 وبيرة بن تغلب (ج) ١ ، ٣٦٦
 (ج) ٤ ، ٤٢٤
 وبيرة بن رومانس الكلبي (ج) ٣ ، ٢٧٥
 - ٢٧٦
 وتر يهائم (ج) ٢ ، ٢٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٤٩
 ٤٥٢ - ٤٥٣ ، ٤٥٥ - ٤٥٦
 ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ - ٤٧٤
 ٤٨٢ ، ٤٩٥
 وتر يهنعم (ج) ٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٢
 وقف (ج) ٢ ، ٤٤٩
 وثاب السني (ج) ١ ، ٤٢
 وثيمة بن عثمان (ج) ١ ، ٣١٨
 وثيمة بن موسى (ج) ٦ ، ٨٦
 وج بن عبد الحي (ج) ٤ ، ١٤٥
 الوجد (ج) ١ ، ٣٦٧
 وجه ايل نبط (ج) ٢ ، ١٠٢
 وحشي (ج) ٥ ، ٤٢٦ ، ٥٨٧
 (ج) ٦ ، ٩٦
 وحشية بنت شيبان (ج) ٤ ، ٤٨٠
 الوحيد بن كلاب (ج) ١ ، ٤٠٥

- وقه آل نبط (ج ٢) ٩٦ - ٩٧ ،
١٠٢ ، ١٢٥ - ١٢٦
وقه ايل ديام (ج ٢) ٨٨ ، ١٤ - ٩٥
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٩
وقه ايل صديق (ج ٢) ٨٢ - ٨٥ ،
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٧
وقه ايل يشع (ج ٢) ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٢
- ١٠٣ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٨
وكيع بن حسان (ج ٦) ٦٩٢
وكيع بن زهير (ج ٦) ٦٣
وكيع بن سلمة (ج ١) حا ٨١
(ج ٥) ٥٠٥ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧
(ج ٦) ٢١٩ ، ٤٠٠ ، ٤٢٦ -
٤٢٧ ، ٥٠٤
ولستيد (ج ٢) ١٦٠ - ١٦١
ولسن (ج ١) ٥٦٦
(ج ٢) ٧
ولفسون (ج ١) حا ٥٢ ، حا ٦٣٠
(ج ٢) حا ١٩١
(ج ٦) حا ٥١٥ ، حا ٥٢٤ ،
حا ٥٢٧ ، حا ٥٣٥
(ج ٨) ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٥٠ ،
حا ٥٠٥ ، حا ٥٣٠ ، حا ٥٣٢
- ٥٣٥ حا ٦٠٩ ، حا ٦٧٧ ،
حا ٧١٤
(ج ٩) ٧٦٩ ، حا ٧٧٥ -
٧٧٦ ، حا ٧٨٢ ، حا ٧٨٤
حا ٧٩١
ولهوزن (ج ١) ١٣٦ ، ٢٠٨
(ج ٦) ١٥ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ١١٥
- ١١٦ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٥
٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ،
٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦٠ ، ٦٨٢
(ج ٨) ٤٨٤
ولوچس (ج ٢) ٦١٣
الوليد بن الحصين (ج ٨) ٣٣٤
الوليد بن الريان (ج ١) ٣٠٤
الوليد بن عبد الملك (ج ٣) ٢٣٣
(ج ٤) ٣٠٠ - ٣٠١
- (ج ٩) ١٧٧ ، ٢٤١ ، ٢٨٤ ،
٣٠٧ ، ٣٤٤ ، ٥١٠ - ٥١١
٨٨٠
الوليد بن عتبة (ج ٤) ٨٩
(ج ٥) ٣٧
الوليد بن عقبة (ج ٩) ٥٤٧ - ٥٤٨
٨٨٠ ، ٥٥٧
الوليد بن الفيرة (ج ٤) ١٠٧ - ١٠٨
١١٤ ، ١٢٥ ، ٥٩٥ ، ٦٧٠ -
٦٧٢
(ج ٥) ٢٧ ، ٨٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٥
٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٢٨ ، ٦٤٩ -
٦٥٢
(ج ٦) ١٤٧ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ،
٣٥٦ ، ٤٠٧
(ج ٧) ٥٥٥
(ج ٨) ٧٦٤
(ج ٩) ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٠٩
٨٧٣ ، ٨٧٦
الوليد بن هشام بن الفيرة (ج ١)
٤٧١
الوليد بن الوليد (ج ٨) ١١٩ ، ٣٠٥
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ج ١)
٧٦ - ٧٧ ، حا ٨٥
(ج ٩) ٢٥٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨
٣١٠ - ٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٤
٣٢٤ - ٣٣٥ ، ٣٤٧
الوليد الثاني (ج ٩) ٨١٠
وليعة بن مرثد (ج ٢) ٥٨٤
وليم كسنيوس (ج ١) ١٢٧
وليم كنت لوفتس (ج ٨) ٢٠٣
ونت (ج ٢) ٧٨ ، ٩١
ونجي (ج ١) ٥٥٦
وندل قبليس (ج ١) ١٣٣ ، ٥٦٢
(ج ٢) حا ١٧٦ ، ٢٢٤ - ٢٢٥
٢٩٩ ، ٣٧٠
(ج ٦) ٢٩٧

- ٤٦٥ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣ ،
وهب اوم ياذف (ج) ٢٩٧ ، ٤٢٩
(ج) ٣١٧
وهب ايل بن معاهر (ج) ١٤٩ -
١٥٠ ، ٢١٦ ، ٢٥١
وهب ايل يحز (ج) ٢٢٤ - ٣٢٦ ،
٣٣١ ، ٣٣٣ - ٣٣٨ ، ٣٤١
٣٤٨ - ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧
٣٥٨ - ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٩٨
وهب ذو سموي آليف (ج) ٣٢٦ ،
٣٣٨ ، ٣٩٨
وهب شمس بن هلك (ج) ٣٤١
وهب عثت يقد (ج) ٤٨٨
وهب اللات (ج) ٤٢ ، ٩١ ، ١٠٢
١٠٣ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢٤
١٢٧
(ج) ١٦ - ١٧ ، ٢٣٣ ، ٣٣٠
٣٣١ -
وهبو (ج) ٥٩٣
وهبيل (ج) ٤٥٩
وهرز بن الكاسجار (ج) ٦٤٧
(ج) ٥٢٢ - ٥٢٧
(ج) ٢١٤ ، ٢٠٥
(ج) ٣٢٠
(ج) ٥٣٣ ، ٧٥٣ ، ٧٥٨ -
٧٥٩
وهل ايل (ج) ٣٣٨
وهيب كامل (ج) ٦٢٧
ويبر (ج) ١٧٧
(ج) ٢٧٧
ويتزشتاين (ج) ٦٢٧
ويزك (ج) ٤٩٧ ، ٤٩٩
ويلكن (ج) ٥٢٣
ويليم شميد (ج) ٣٦
وينان (ج) ٩٩
وينت (ج) ٣٥
- الياء -
يابال (ج) ٣٠١
- (ج) ٤٦ - ٤٧ ، ٧٢ ، ٨٢
٤٢٠
ونست (ج) ٢٨
ونكلر (ج) ٢٨ ، ٢٣٢ ، ٤٥٧ ،
٥٥٧
(ج) ٨٨
(ج) ٣٧٨ ، ٤٦٠
(ج) ٣٤٩ ، ٥٣١ ، ٥٤١
(ج) ٥٠٧
(ج) ٧٧٦
وهب بن امية (ج) ٥٠٠
(ج) ٧٦٤
وهب بن الحارث (ج) ٣٢٠
وهب بن عبدالله (ج) ٤٨٩
وهب بن عبد مناف (ج) ٩٩
(ج) ٨٩
وهب بن منبه (وهبة بن منبه) (ج) ١
٨٣ - ٨٧ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ٣٠٤
٣١٨ ، ٣٢١ ، ٤١٠ ، ٤٢٨ ،
٤٦٢ ، ٥٠٦
(ج) ٥١٤ ، ٥٣٨
(ج) ٤٦٠ ، ٥٠٢ ، ٥١٠
٥٢٩ ، ٥٣٢
(ج) ٩٦ ، ١٨٤ ، ٢٧٥ -
٢٧٦ ، ٥٥٧
(ج) ٥٦٤ ، ٤٨٩ ، ٥٦٥
٦١٠ - ٦١١ ، ٦٨١
(ج) ٣٢٣ ، ٦٩٧
(ج) ٣٠٨
وهب بن وهب (ج) ٣٥٣
وهب بن يهوذا (ج) ٥٤٦ - ٥٤٧
(ج) ٧٨٣
وهب اصدق (ج) ٤٥٧
(ج) ٤٢
وهب آل بن حيو (ج) ٨٧ ، ٩٧ ،
٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٩١
وهب آل بن رتدال (ج) ١٣٩
وهب آل بن هكحد (ج) ١٤١
وهسب اوم (ج) ٤٣٩ ، ٤٦٤ -

١٢٠ ، ٨٩ ، ٨٣ ، ٧٠ ،
 ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧١ ،
 ٤٥٣ ، ٤٢٩ ، ٣٤٢ ، ٣٠٦ ،
 ٥٨٣ ، ٦١٧ ،
 (ج) ١٧٢ ، ١٥٥ ، ٨٩ ، ٢٥ ،
 ٦٢١ ، ٤٢١ ، ٤٠١ ، ٢٥٤ ،
 ٦٥٦ ،
 (ج) ١٣٢ ، ٧٨ ، ٦٦ ، ٥٣ ،
 ١٥٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٣١٩ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٨٥ ،
 ٤٤٠ ،
 (ج) ١٢٩ ، ٩٩ ، ١٢٩ ،
 ١٤٠ ، ٤٣٩ ، ٥٧٧ ،
 (ج) ٢٧٠ ، ٣٥٠ ،
 (ج) ١٣ ، ١٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٢ ، ٥٧٨ ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ،
 ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٧٩ ،
 (ج) ٣٧٦ ،
 (ج) ٣٦ ، ١٩٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٨١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ،
 ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ،
 ٨٦٦ ، ٨٧١ ،
 ياكيم ياكيم (ج) ٢٩٣ ،
 يام بن اصى (ج) ٢٦٣ ،
 يامن (ج) ٣٥٨ ،
 يامين بن عمير (ج) ٥٦٢ ، ٥٦٤ ،
 يامين بن يامين الاسرائيلي (ج) ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،
 يادوس ايل (ج) ٨٧ ،
 يابنع يابنع (ج) ٥٩٣ ، ٦٠٠ ،
 يتع امر السبئي (ج) ٥٨٥ ، ٥٨٦ ،
 ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٦٠٠ ،
 (ج) ٣١٣ ،
 يثرب بن باثلة (ج) ٣٤٣ ،
 يثرب بن قانية (ج) ١٢٨ ،
 يثرون (ج) ٤٥٢ ، ٤٥٤ ،
 يشع آل ديام (ج) ١٢٥ ، ١٢٧ ،

يابتيء (ج) ٥٩٤ ،
 ياتيمة (ج) ٥٨٨ ،
 يارج (ج) ٤٢٦ ،
 يازل بين (ج) ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،
 ٤٢٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢١ ، ٣٨٨ ،
 ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ،
 ٤٧٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٢٤ ،
 ٥٥٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ،
 يازيز (ج) ٤٦٢ ،
 ياسر بن اخطب (ج) ٥٢٣ ، ٥٤٦ ،
 ياسر بصلق (ج) ٣٥٧ ، ٤٧٤ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٦ ،
 ٤٩٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ،
 ياسر يهنعم (ج) ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٥٤٧ ، ٥٠٤ ،
 (ج) ٤٩٣ ، ٤٨٧ ، ٤٢٣ ،
 ٤٩٦ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦٢ ،
 (ج) ٣١٨ ،
 (ج) ٥١٥ ، ٥١٧ ،
 ياسر يهنعم الثالث (ج) ٥٣٢ ،
 ٥٥٢ ، ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٨ ، ٥٩٩ ،
 ياسر يهنعم الثاني (ج) ٤٩٤ ،
 ٥٣٢ ،
 ياسون (ج) ٦٥١ ،
 (ج) ٢٢ ، ٢٣ ،
 ياسين (ج) ١٥٦ ،
 يافا (ج) ٥٩٥ ،
 يافث (ج) ٢٢٤ ، ٤٦٣ ،
 (ج) ٩١ ،
 (ج) ٦٧٣ ،
 (ج) ٤٥٢ ،
 ياقلود يوس افسطس (ج) ١١٣ ،
 ياقوت الحموي (ج) ١٧ ، ١٧٠ ،

- يحيى بن سعيد القطان (ج ١) ٣٥٩
 يحيى بن شعون (ج ١) ٥١٣
 يحيى بن علي (ج ١) ٢٠٢
 يحيى بن متى (ج ١) ٦٧١
 (ج ١) ٢٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ،
 ٨١١ ، ٨٢٩
 يحيى بن معن (ج ١) ٢٠
 يحيى بن النجم (ج ١) ٢٧١ ، ٢٨٨
 يحيى بن نجيم (ج ١) ١٦٦
 يحيى بن وثاب (ج ٨) ٥٧٥
 يحيى بن يعمر (ج ٨) ١٨٢ ، ١٨٨
 (ج ١) ٣٧ ، ٥٣ - ٥٤ ،
 يحيى الخشاب (ج ٢) ٦٢٣
 (ج ٣) ٢٠٢
 يحيى النحوي (ج ٦) ٦٢٦
 يخطيانوس (ج ٣) ٤٠٥
 يخلد الصلت (ج ٤) ٤٧٩
 يدع اب ذبيان (ج ٢) ١٨١ - ١٨٤ ،
 ١٨٨ - ١٩٢ ، ١٩٤ - ١٩٦
 ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢٠٩ - ٢١٠
 ٢٢١ ، ٢٣١ - ٢٣٩
 (ج ٥) ٥٨٣
 يدع اب غيلان بن امينم (ج ٢) ١٣٩
 - ١٤١ ، ١٤٥ - ١٤٧ ، ١٥١
 ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ - ١٧٠ ،
 ١٨٤ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٠٦ ،
 ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٠٩ ، ٣٦٦ -
 ٣٦٧ ، ٤٩٠
 (ج ٧) ٢٤٣
 يدع اب بجل (ج ٢) ١٨٣ - ١٨٤ ،
 ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٢١ ، ٥١٩
 يدع اب بتف (ج ٢) ١٨١ ، ١٨٥ ،
 ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٠
 يدع آل بيسن بن رب شمس (ج ٢)
 ١٦٨
 يدع آل بيسن بن سمه يفسع (ج ٢)
 ٣١٨

- يدع آل بين بن يدع اب غيلن (ج) ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧٠
 ١٦٨ - ١٧٠
 يدع امر وتر (ج) ٣١١ ، ٣١٢
 يدع ايل (ج) ١٠١ ، ١٣٦ ، ١٣٩
 ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢
 - ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢١٦
 ٤٠٦ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢
 (ج) ١٧
 يدع ايل بين (ج) ١١٨ ، ٢٧٦ -
 ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢
 - ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠
 - ٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٤ ، ٣١٨
 - ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩
 ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٩١ ، ٥٥٤
 يدع ايل ذرح (ج) ١٦٩ ، ٢٧١ -
 ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠
 - ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥١
 (ج) ٤٦
 يدع ايل وتر (ج) ٢٩٢ ، ٣٠٩ -
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٦ - ٣١٧
 ٣٢٣ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٤٨٧
 (ج) ٢١٠
 يدم يدم (ج) ٣٩٧
 يذرح ملك (ج) ٣٢٢
 يذکر آل (ج) ٨٧
 (ج) ١٧
 يذمر ملك (ج) ١٠٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨
 ٣٢١
 يربع (ج) ٥٧٩
 يربعم (ج) ٥٣
 يربوع بن حنظلة (ج) ٤٠٥ ، ٥٧٩
 (ج) ٣٦٩
 (ج) ٣٣٢ ، ٥١١
 (ج) ٣٦٤ ، ٧١٤
 يربوع بن غيظ (ج) ٥١٢
 يربوع بن مالك (ج) ٤٠٣ ، ٤٠٥
- يرح بل (ج) ٣١٨
 يرعش بن اب ينسح (ج) ١٣٢ ،
 ١٣٥ ، ١٦٨
 يرعش ابو كرب (ج) ٥٣٩
 يرفا (ج) ١٨٩
 يرم ايمن (يريم ايمن) (ج) ١٠١
 (ج) ١٥٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ -
 ٣٣٥ ، ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٤٩
 - ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ - ٣٦١
 ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢
 ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢١ ، ٥٣٧
 يرم نعمن (ج) ٣٣٢
 يرم يرحب (ج) ٥٥٧ ، ٥٦٩
 يزدرج بن بهرام (ج) ٦١٠ ،
 ٦١٤ ، ٦٣٠
 يزدرج بن سابور (ج) ٤٥٨ ،
 ٦٤٦
 (ج) ١٨٦ ، ٢٠٥ - ٢٠٩ ،
 ٣١١
 يزن (ج) ٤١٧
 يزيد بن ابي حارثة (ج) ٢٨٠
 (ج) ٤١٧
 يزيد بن ابي حبيب (ج) ١٠٩
 يزيد بن ابي سفيان (ج) ١١٩ ،
 ١٢٩
 (ج) ٨٩١
 يزيد بن انس (ج) ٤٠٨
 يزيد بن اباس النهشلي (ج) ٢٠١
 يزيد بن بكر (ج) ٥١٦
 يزيد بن ثروان (ج) ٨٢٠
 يزيد بن جمونة (ج) ٦٧١
 يزيد بن حذيفة (ج) ٤٩٢
 يزيد بن حرب (ج) ٤٥٨
 يزيد بن الحكم (ج) ٣١٣
 (ج) ٣٥٦
 يزيد بن حمار السكوني (ج) ٢٩٦
 يزيد بن خبة (ج) ٨٢٦
 يزيد بن خلاق (ج) ٢٤٦ ، ٢٨٢

- ٦٩٢ (٩ج)
يزيد بن ربيعة (ج) ٥٠٥
(٩ج) ٣٦٩ ، ٣٧٩
يزيد بن زمعه (ج) ١٠٤
(٥ج) ٢٤٨
يزيد بن سعد (ج) ٢٨٤
يزيد بن سنان (ج) ٣٩٦
(٩ج) ١٠٦
يزيد بن شرحبيل الكندي (ج) ٢٢٧ ، ٣٥١ ، ٤٩٩
يزيد بن شن (ج) ٤٨٤
يزيد بن الصقع (ج) ٢٧٧ - ٢٧٨
(ج) ٥٩٣
(ج) ٦٣٢ ، ٣٧٤
(ج) ٣٤٣
(ج) ١٠٦
يزيد بن صهر (ج) ٥٧٣
يزيد بن ضبة (ج) ٨٢٦
يزيد بن الطفيل (ج) ١٢٥
يزيد بن عبد المدان (ج) ٥٣٦ - ٥٣٧
(ج) ١٨٩
(ج) ٣٥٢
يزيد بن عبد الملك (ج) ٣٠٩
يزيد بن عبيد (ج) ٥٧٣ ، ٦٣٣
يزيد بن عمرو الفساني (ج) ٢١١
٢١٣ - ٢١٤ ، ٢٤٧ ، ٢٧٦
٤٣٨ ، ٣٨٤
(ج) ٥٢١
(ج) ٧٦٣
(ج) ٩٠١ ، ٥٦٥
يزيد بن قنان الحارثي (ج) ٣٩٧
يزيد بن كبشة (ج) ٤٨٤ - ٤٨٦
٤٨٨
(ج) ٣٥٢
يزيد بن مالك (ج) ١٩٥
يزيد بن المحجل (ج) ٥٣٧
(ج) ١٨٩
(ج) ٨٨
- ٤٧٩ (٧ج)
(ج) ١٣٠
يزيد بن مسهر الشيباني (ج) ٢٩٦
(ج) ٢٦٥
يزيد بن معاوية (ج) ٢٧١ ، ٣٠٩
- ٣٧٢ ، ٤٨٤ ، ٤٩٥ ، ٥٠٥
(ج) ٢٦٩
(ج) ٢٣٤ ، ٢٣٦ - ٢٤٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٢
(ج) ٣٦٠
(ج) ٢٤٦
يزيد بن الفرغ (ج) ٥٠٦
يزيد بن المهلب (ج) ٧٧٨
(ج) ٥٤
يزيد بن ناجية (ج) ٢٩٩
يزيد بن النعمان الحميري (ج) ١٨٢ - ١٨٣
يزيد بن هوبر (ج) ٢٥٢
اليزيدي (ج) ١٩٣
يسار (ج) ١٢١ ، ٥١٧
(ج) ٦٠٢ - ٦٠٤
(ج) ٢٩٧
(ج) ٨٥٩
يسنثيانوس (ج) ٦٥٧
يسرة بنت غالب (ج) ٤٨٠
يـطـين (ج) ٤٩١
يسمع آل (ج) ٨٧
(ج) ١٧
اليشاع (ج) ٥٩٧
يشباق (ج) ٤٤٦
يشجب بن يعرب (ج) ٩٢ ، ٣٥٨
- ٣٦٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨١
٤٣٧
(ج) ٢٥٨
(ج) ٤٣٤
(ج) ٥٣٧
يشرح آل (ج) ٥٤ - ٥٥ ، ١٣٣ ، ٣٩٥

يعقوب البرادعي (ج ٣) ٤٠٩ ، ٤١٣
 (ج ٦) ٦٢٦ ، ٦٣١
 يعقوب بكر (ج ٧) ٢٥٠
 يعقوب الرهاوي (ج ٣) ٤٦٥
 (ج ٨) ١٩١
 (ج ٩) ٤٨
 يعقوب الروجي (ج ٣) ٤٦٥ - ٤٦٦
 اليقوبي (ج ١) ٤٥٤ ، ٤٧٠ ، ٤٩٣
 (ج ٢) ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٤
 ٦٤٢ ، ٦٥٠
 (ج ٣) ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٧
 ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧
 ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٥١
 ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥
 ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٥
 ، ٣٠٢ ، ٣٠٩
 ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧
 ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٥٣
 ، ٣٦٦ - ٣٦٧ ، ٣٦٨
 ، ٣٩٩ ، ٤٣٦
 (ج ٤) ٢١ ، ٤٥ - ٤٦
 ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٤
 ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٦
 ، ٨٣ ، ٨٧ - ٨٨ ، ٨٨
 ، ٩٠ ، ١١٦ ، ١٢٦ - ١٢٧
 ، ٢٣٢ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦
 (ج ٥) ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٢٨
 ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦٠ - ١٦١
 ، ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٢٥٣ - ٢٥٤
 ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤
 ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
 ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨١
 ، ٢٨٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ -

(ج ٦) ١٧
 يشرح يحضب (ج ١) ٤٢٨
 يشكر بن بكر (ج ١) ٤٠٨
 يشمئيل (يشمئيل) (ج ١) ٤٣٣ ، ٤٣٦
 (ج ٣) ١٦
 يشوعه بن ليفي (ج ١) ٦٥٨
 يصبح (ج ٢) ٤٦٣ - ٤٦٤
 يصبر (ج ٣) ٤٧٨
 يصحاك (ج ١) ٤٩٧
 يصدق ال فرعم (ج ٢) ٤٩٩ - ٥٠٢
 يطاع (ج ٢) ٣٥٥ - ٣٥٦
 يطور (ج ١) ٢٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٦٢
 (ج ٢) ٦٢٣
 يطبعة (ج ١) ٥٨٨
 يعتق ذو خولان (ج ٢) ٢٩٥
 يمحف (ج ٢) ٥٣٥
 يملر ايل (ج ٦) ٣١٣
 يعرب بن قحطان (المزدغف) (ج ١)
 ١٤ - ١٥ ، ٣٤ ، ٩٢ ، ٣٥٨
 ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ، ٣٧٨
 ، ٣٨٢ ، ٤٣٧ ، ٤٨٨ - ٤٩٠
 ٥٠٦
 (ج ٤) ٢٠٢ ، ٢٧٤ - ٢٧٦
 (ج ٥) ٢١٦ ، ٢٢٣
 (ج ٨) ٥٤٤ ، ٥٤٦
 (ج ٩) ٤٢٤ ، ٧٣٧
 اليمروز (ج ٢) ٢٤
 يعفر (ج ١) ٣٥٨ ، ٣٧٣
 (ج ٢) ٥٣٢
 يعقوب بن اسحاق (ج ١) ٤١٠ ، ٤٩٧ - ٤٩٨
 (ج ٦) ٢٨٥ ، ٤٠٧
 (ج ٧) ٤٥٤
 يعقوب بن السكيت (ج ٣) ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢
 (ج ٩) ١٢٦ ، ٣٣٨
 يعقوب اوجين (ج ٣) ١٢

اليفع يشير الثاني (ج) ١٠٣ ، ١٢٦
اليفع يقش (ج) ٩٥ - ٩٦ ، ١٠٠
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٢٨
يقعان (ج) ٩٧ ، ١١٩
يقشان بن ابراهيم (ج) ٣٨٢ ،
٤٢٩ ، ٤٤٦ - ٤٤٧ ، ٤٥٠

٤٥١ - ٤٥٧
(ج) ١٢٠ ، ٢٦١
يقطان بن عابر بن شالغ بن
أرفكشاد بن سام (يقطن)
(ج) ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٤٣ ،
٣٥٤ ، ٣٦٠ - ٣٦١
٤٢٢ ، ٤٢٤ - ٤٢٥ ، ٤٢٧ ،
٤٢٩ - ٤٣٣ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ،
٤٦٨ ، ٤٨٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣٨

(ج) ١٣٠
(ج) ١٣
يقظة بن مرة (ج) ٤٨٠ - ٤٨١
يكر ب ملك وتر (ج) ٢٨٦ ، ٣٠٠
- ٣٠٣ ، ٣١٤ ، ٣١٨ - ٣١٩
٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١
يكر ب ملك يدع ايل بين (ج) ٤٠٧
اليكسوم (ج) ٤٧٨

يكوم بن ابرهة (ج) ٥٠٤ - ٥٠٥
٥٢٢ ، ٥٢٤ - ٥٢٥ ، ٥٢٩
يكفور (ج) ٤٤٨
يكلي الكبرى (ج) ٩٢
يلجب (ج) ٤٧٨
يمام (ج) ٦٥٧
يمامة (ج) ٣٣٨

(ج) ٢١٦ ، ٦٥٧
يمحش الحاش (ج) ٢٨٠
يمن بن قحطان (ج) ٩٢ ، ٣٥٨
(ج) ٥٣١
(ج) ٤٧٦ ، ٥٣٦
يمن بن قيدار (ج) ٥٣١
ينسن (ج) ٥٦١
ينعم (ج) ١٥٢ ، ٤٦٥
يهامن يهرحب (ج) ٣٢٥ ، ٣٤٣ ،

٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٢
- ٣٧٣ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٣٧٩
٤٣٨ ، ٤٨٨ ، ٥٠١ ،
٥١٤ ، ٥١٠ - ٥١١ ،
٥١٣ ، ٦٠٦ - ٦٠٧ ،
٦٨٥

(ج) ٣٦٩ - ٣٧٠ ، ٣٧٣
٣٧٥ - ٣٧٦ ، ٣٧٨ ،
٣٨٤
(ج) ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
٢٣٤ ، ٤٤١ ،
٤٦٠ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ، ٥٠٩ ،
٥٢٢ ، ٦٠٦ ، ٧٥٤
(ج) ٧٧ ، ٧٩٧

يعكرون (ج) ٤٨٢
يعلى بن غالب (ج) ٣٦٩
يعلى بن منبه (ج) ٣٨٨
يعمر بن الشداخ (ج) ٦٣٧
يعمر بن عوف الشداخ الكناني (ج) ٥٠٤ ،
٥٩٨ ، ٦٣٨ ، ٦٤٨
يعمر اشوع (ج) ٥٥٤ ، ٥٥٦
اليعمور بن ميسرة العبسي (ج) ٢٢٨

يعيش بن ويزك (ج) ٦٠٣ - ٦٠٤
يفنم بن ربيعة (ج) ٣٦٨ - ٣٦٩
يفوث (ج) ٣٥٨ ، ٣٧٣
يفرغم (يفرع) (ج) ٣٩٣
اليفع يشع (ج) ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ -
٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ - ١٠٥ ،
١٢٤ - ١٢٥ ، ١٢٧

اليفع ريام (ج) ٨٦ ، ١٠٠ -
١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٢٦
- ١٢٧ ، ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٦٨
اليفع صدق (ج) ١٢٦
اليفع وقه (ج) ٨٢ - ٨٤ ، ١٠٢ ،
١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧
اليفع يشير (ج) ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٨
٢٠٧ - ٢٠٨

يوحنا مكابيو (ج ٣) حا ٢٤ - ٦٧
 يوحنا (ج ١) ٥٤
 (ج ٢) ١١٠
 يودوكوس (ج ٢) ٢٦
 يوسايوس القيصري (ج ١) حا ٦٢
 يوسانوس (ج ٢) ٦٤٢
 (ج ٣) ١٠٨
 يوسطيانوس (ج ١) يوسطانيوس -
 يوسطيان (ج ١) ٦٣ ، ٣٨٧
 (ج ٢) ٦٥٧
 (ج ٣) ١٢٨ - ١٣٠ ، ١٣٤ -
 ١٣٥ ، ٢١٩ - ٢٢٢ ، ٢٢٧
 ٢٥٤ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ ، ٣٨٣ -
 ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧
 ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٣ - ٤١٥
 ٤٦٢ - ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢
 ٤٩١ - ٤٩٢ ، ٥٠٦ ، ٥١٩
 (ج ٤) ١٦٢ ، ١٦٦ - ١٧١ ،
 ١٧٥ - ١٧٦ ، ٥٣٩
 (ج ٥) ١٩٩
 يوسف بن ذي نواس (ج ٢) ٥٩٢
 (ج ٣) ٤٥٨
 يوسف بن سعد (ج ٩) ٦٩٩
 يوسف بن شراجيل (ج ٣) ٤٥٨
 يوسف بن عمر الثقفي (ج ٩) ٣٠٩ ،
 ٣٤٤
 يوسف بن يعقوب (ج ٢) ٣٦٢
 (ج ٤) ٣١٤ ، ٤٦٣
 (ج ٦) ٥٣٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٣ ،
 ٥٩٧
 يوسف أسار (ج ٢) ٥٩٠ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٥ - ٥٩٧
 (ج ٣) ٣٧٩ - ٣٨٠
 يوسف البستاني (ج ٦) حا ٦٢٥
 يوسف خليف (ج ٩) حا ٦٠٨
 سف رزق الله غنيمة (ج ٣) حا
 ١٥٥
 يوسف سابيتو (ج ٣) ٤٦٧ ، ٤٧٠
 يوسف العش (ج ٨) حا ٢٦٥

٤٠٩ ، ٤٥٩
 يهر (ج ٢) ١١٩
 يهرجب (ج ٢) ١٩٤ ، ٣٤٣
 يهعان ذيبان بن اسماعيل (ج ٢)
 ٤١٠ - ٤١١ ، ٤١٤
 يهقم (ج ٢) ٤٧٦ - ٤٧٨ ، ٤٨٢ ،
 ٤٩٦
 يهنعم (ج ٢) ٤٧٦
 اليهو (ج ١) ٥٩٦
 يهو حاز (ج ١) ٦٤٢
 يهودا بن قريش (ج ٨) ٥٢٦
 يهوذا بن يعقوب (ج ١) حا ٥٣ ، ٣٤٩
 ٦٤٠ - ٦٤١
 (ج ٢) ٣٦
 (ج ٦) ٥٥ ، ٥١٧
 يهوذا المكابي (ج ١) ٦٤٩
 (ج ٣) ٣٠ ، ٣٣ - ٣٥ ،
 ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٢
 ٦٧ ، ١١٠ ، ١١٨
 (ج ٤) ٣١٤ - ٣١٥
 يهورام (ج ١) ٤٥٩ ، ٦٤٢
 يهوشافاط (ج ١) ٦٤٠ - ٦٤٢
 يوياب (ج ١) ٣٤١ ، ٤٢٤ ، ٤٣١
 يوتاب (ج ٣) ٣٩٧
 يوحنا (البطريارك) (ج ٨) ٧٦٩
 يوحنا الافسي (ج ١) ٦٣ - ٦٤
 (ج ٣) ٢٣ - ٢٤ ، ١٢٩ -
 ١٣٠ ، ٢١٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧
 ٢٥٩ ، ٣٨٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩
 ٤٧٤ ، ٤٩٣
 (ج ٤) ١٢٢ ، ١٧٦
 (ج ٦) ٥٨٤ ، ٥٩٧
 يوحنا بساطس (ج ٣) ٤٦٥
 يوحنا بن رؤبة (ج ٤) ٢٤٩
 (ج ٦) ٦٠١ ، ٦٠٥ ، ٦٨١
 يوحنا بولند (ج ٣) ٤٦٦ ، ٤٦٩
 يوحنا البيزنطي (ج ٣) ١٣٤
 يوحنا الدمشقي (ج ٦) ٤٩٣
 يوحنا الاعمدان (ج ٣) ٤١٢

يوسف الكيلاني (ج ٥) حا ٢٨٨	٦٥٠
يوسف النجار (ج ٦) ٦٣٥	(ج ٢) ٤٠ ، ٤٢ - ٤٣
يوسفوس فلافيوس (يوسف) (ج ١)	(ج ٣) ٣٥
٥٥ ، ٤٢٠ ، ٤٤١ ، ٤٥٥ -	يونانان (ج ١) ٦٥٠ - ٦٥١
٤٥٦ ، ٦٠٤ ، ٦٥١	(ج ٣) ٢٣ - ٢٤
(ج ٢) ٢٦٣	يونادب (ج ٦) ٥٢٥
(ج ٣) ٢٤ ، ١٦ ، ١٤ ، ٩ ، ٦	يونان (ج ١) ٤٩٨ - ٤٩٩
- ٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ - ٤٣	(ج ٦) ١٧١
٧٨	يونس بن حبيب (ج ١) ٤٨٨
(ج ٤) ٦٥٤	(ج ٧) ٦٣
(ج ٦) ٥١٤	(ج ٨) ٣٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٨٨ ،
يوشع بن نون (ج ٤) ٢٦٤	٥٩٠ ، ٧٦٧
(ج ٦) ٥٢٩	(ج ٩) ٥٣ ، ٥٦ ، ٢٢١ - ٢٢٢
يوشع العمودي (ج ٣) ٣٤٠	٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٦٦ ،
يوليادومنا (ج ٢) ٦٧	٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
(ج ٣) ٦٣ - ٦٤	٣٢٧ ، ٣٦٢ ، ٤٣٠ ، ٨٤٨ ،
يولياميا (ج ٢) ٦٧ - ٦٨	يونس بن متى (ج ١) ٣١٧
يوليانوس (ج ٣) ١٧٣ ، ٣٨٣ ، ٣٩٧	(ج ٩) ٢٦٨
(ج ٤) ١٧١	يونس النحوي (ج ٩) ٦٨٠
يوليوس اوريليوس (ج ٣) ٨٩ ، ١٠١	يوهان فك (ج ٤) حا ٢٧٧
١٠٩ ، ١٣٤	(ج ٨) حا ٥٤٧ - ٥٤٩
يوليوس اوبتنك (ج ١) ١٣٢	(ج ٩) حا ٢١ ، حا ٥٧ ، حا
(ج ٢) ٢٤١	٢١٩
يوليوس قيصر (ج ١) ٥٨ ، ٦٤ ،	

فهرس

الأمم والشعوب والقبائل والجماعات

- الألف -

- الأذن (بنو) (ج ٢) ٤٦٠
 إباديدي (المباديون) (قوم) (ج ١)
 ٥٨٧ - ٥٨٥
 (ج ٣) ١٧١
 إباس (عشيرة) (ج ٢) ٤٦٢
 الإباطرة (ج ٤) ١٦٦
 إبل (آل) (ج ٨) ٦٧٤
 الأبناء (بنو) (ج ٤) ٢٠٦
 إبي بكر (آل) (ج ٨) ٢٨٣
 إبيداع (ج ١) ٥٨٦
 إبيمائل (شعب) (ج ١) ٤٢٩
 الإيونيون (ج ٦) ٦٣٤ - ٦٣٥
 اتالي قبيلة (ج ٢) ٦٠٧
 الأتراك (ج ١) ٣٢ ، ١١٧ ، ١٨٧ ،
 ٤٩٩ ، ٢٧٠
 أتابر (ج ١) ٢٩٥
 الأتقية (قبيلة) (ج ٤) ٣٣٤
 الأثينيون (ج ٢) ٣٢
 الأجارب (بنو) (ج ٤) ٣٣٨
 أجارم (ج ١) ٥٤٥
 الأجامزة (ج ٣) ٤٨٠
 أجرم (قبيلة) (ج ٢) ٢٢١
 (ج ٤) ٤٤٤
 أجلم (قبيلة) (ج ٢) ٢٢١
 الأحابيش (ج ٣) ٣٨٠
 (ج ٤) ٢١ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٥ ،
 ٦٤ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١١٨ -
 ١١٩ ، ٣٣٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ،
 ٤٧٨ ، ٥٣٣
 (ج ٥) ٣٠٢ ، ٣٨٢ ، ٤٠٧ ،
 ٤٥٤
 (ج ٦) ٤٥٩ ، ٦٠٦
 (ج ٧) ٣٧٧
 الإحالييف (ج ٦) ١١
 الإجامرة (بنو) (ج ٤) ٥٥٧
 الإحباش (ج ١) ٥٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،
 (ج ٢) ١٧٢ ، ٢٦٣ ، ٣٧٧ ،
 ٤٢٦ - ٤٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٦٩ ،
 ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ - ٥٩٧
 ٦٤٧ ، ٦٥٩
 (ج ٣) ٣٧٩ - ٣٨٠ ، ٤٥٣ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٧١ ،
 ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ،
 ٤٨٨ ، ٤٩٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٧ ،
 ٥٢٨
 (ج ٤) ٨١ ، ٦٢٨
 (ج ٥) ٢٤٥ ، ٣٦٢ ، ٤١٥ ،
 (ج ٦) ٢١ ، ٢٩٧ ، ٥٣٨ ،
 ٥٩١ ، ٦١٢ ، ٦١٦ ، ٦١٩ ،
 - ٦٢٠ ، ٦٩٠ - ٦٩١
 (ج ٧) ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
 ٥٨٩
 (ج ٨) ٢١٥ - ٢١٦ ، ٦٢٠ ،
 ٦٧٤
 الأحرار (بنو) (ج ٣) ٥٢٨
 (ج ٤) ٥٥٧
 الأحراس (بنو) (ج ٢) ٥٩٢
 الأحلاف (بنو) (ج ٢) ١٦٦ ، ١٧١

اراش (بنو) (ج) ١٠٧	الاحماس (بنو) (ج) ٣٦٤ ، ٣٧٠
الاراقم (بنو) (ج) ٣٣٧	الاحمر (بنو) (ج) ٦٥٧
الارام (بنو) (ج) ٦٤٥	احمس (بنو) (ج) ٤٤٦
(ج) ٣٠٦	(ج) ٢٧٢ ، ٣٤٢
الاراميون (ج) ٢٩٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٠	الاحمور (بنو) (ج) ٤٦٢
٤٤٣ ، ٦٥٢	الاحناف (بنو) (ج) ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٤٤٩
(ج) ١٤٥ ، ٦١٧	٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧
(ج) ١٣٧	٤٦٠ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦
(ج) ٣٦٠	٤٩٥ ، ٦٠٢ ، ٦٤٤ ، ٦٧٤
(ج) ٤٠٢	٦٨٠
(ج) ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٣١٠ ، ٦٧٩	(ج) ١٢٤
(ج) ٤٣٦ ، ٤٤٨	(ج) ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٤١
اربي (جماعة) (ج) ٢٨٢	٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٨
اربعين (قبيلة) (ج) ٣١٨ ، ٣٢١ -	٤٨٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧
٢٢٢ ، ٤٠٦ - ٤٠٧	(ج) ٧٧ ، ٧٠٢ - ٧٠٣
الارث (ج) ٤٥٩	الاخابست (جماعة) (ج) ١٩٥ - ١٩٦
ارتوسه (جالية) (ج) ٣٠	الاخزم (ج) ٤٥٢ - ٤٥٣
الارحاء (قبائل) (ج) ٢٥	الاخمينيون (ج) ١ ، ٥٧٢ ، ٦٢٠
ارحب (قبيلة) (ج) ٤٤٩	٦٢٦ - ٦٢٧
(ج) ١١٢ ، ٤٦٢	ادب ايله (قبيلة) (ج) ٤٤١
الارحية (قبائل) (ج) ١٨٦	الادبر (بنو) (ج) ١١٧
الادحيون (قوم) (ج) ٥٩٤	ادد (قبيلة) (ج) ٤٧٤
(ج) ٤٧٥ ، ٤٥٩	(ج) ٥٦ ، ٢٨١
الاردوانيون (ج) ١٦١ ، ١٦٧ - ١٦٨	الادرم (ج) ٤٠٠
ارشك (بنو) (ج) ١٣٣	(ج) ٢٧ ، ٢٩
الارشكيون (قوم) (ج) ٨٦ ، ١٣٣	آدم (آل) (ج) ١٤٨
ارفث (قبيلة) (ج) ٣٩٣	ادممى (قبيلة) (ج) ٤٦٨
أرفدة (بنو) (ج) ١٠٥ ، ١٢٢	الادوم (طبقة) (ج) ٥٥٢ ، ٥٥٤
ارفط (بنو) (ج) ٣٩٢	(ج) ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٦٥
الارقم (قبيلة) (ج) ٥٢١	٥٢٤ ، ٣٣٢
ادم (بنو) (ج) ٣٦ ، ٣١ ، ٣٠٩ ، ٣١٤	الادوميون (ج) ١٤٢ ، ٤٣٧ ، ٤٩٧
٤٣٧ ، ٤٢٠ ، ٣٥٢ ، ٤٦١	٥٩٠ ، ٦٠٤ ، ٦٥١
٦١٣ ، ٥٩٠ ، ٥٠٨ ، ٦٥٢ ، ٦٢١	(ج) ٤٠
(ج) ١٠ ، ٩٠ ، ١٤٥ ، ٦٠٥	(ج) ٣٩ ، ٥٣
٦٢٣ ، ٦١٧ ، ٦١٠ - ٦٢٤	(ج) ٣٣٢
	(ج) ١٩٧
	اديني (بيت) (ج) ٣١٤
	الاذواء (بنو) (ج) ٣٢٤ ، ٤١٧

اريام (قبيلة) (ج) ٢٢٢
 الاربية (شعب) (ج) ٢٥٧
 (ج) ٧٤٦
 الاريسيون (ج) ٦٣٧
 الاربيون (ج) ٢٣٦ ، ٢٥٩
 (ج) ١٩
 (ج) ١٢٤ ، ٢٠٦
 الازارقة (ج) ٦٠٧
 ازان (بنو) (ج) ٥٩٦
 الازد (ج) ١٧٤ ، ٣١٤ ، ٣٥٩
 ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١
 ٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩
 ٤٩١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٤
 ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٤٧
 ٥٤٨
 (ج) ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧
 ١٧٠ ، ١٧٧ ، ٢٢٩ ، ٣٦٣
 ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩١
 ٤٣٥
 (ج) ٢٩ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١٢٨
 ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٤٦ ، ١٢٩
 ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
 ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٤١٧ ، ٤٣٣
 ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٤٧١
 ٤٨٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧
 ٥١٠ ، ٥١٧
 (ج) ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥
 ٦٤٥
 (ج) ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨
 ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦
 ٢٨٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦
 ٧٧٥
 (ج) ١٤١
 (ج) ١٣٣ ، ٥٧٣ ، ٥٧٩
 ٥٩١ ، ٦٠٠ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠
 ٦٤٣ ، ٦٧٣
 (ج) ٢٤٨ ، ٣٩٨ ، ٤٣٠
 ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٨٨ ، ٥٠٢
 (ج) ١٠ ، ٧ ، ١٢
 ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦
 ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٥٣٨
 (ج) ٢٩٠ ، ٤٢٦
 (ج) ١٠ ، ٤٠ ، ١١٤ ، ١٥٨
 ٢١٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤٥١
 ٤٦٤ ، ٥٧٢
 (ج) ٧ ، ١١ ، ٧٢ ، ١١٢
 ١١٧ ، ٢١٩ ، ٢٦٩ ، ٣١٠
 ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨
 ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٥٤ ، ٥٠٣
 ٥٠٩ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦
 ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠
 ٦٣٦ ، ٦٥٩ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤
 ٦٧٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٢
 ٧٥٧ ، ٧٧٤
 (ج) ٦١ ، ١٠٩ ، ١١٧
 ٢٠٣ ، ٢٥٠ ، ٣٧٤ ، ٤٧٥
 ٤٧٦ ، ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦٢٥
 ٦٢٨ ، ٦٣٣
 (ج) ٦٣ ، ١٠٨ ، ١١٢
 ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٧
 ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٠ ، ٢٤٣
 ٢٤٥ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
 ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٩
 ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣
 ٥٨٩ ، ٧٠٤ ، ٧١١ ، ٧١٤
 ٧١٦ ، ٧١٨ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥
 (ج) ١٥٧ ، ٢١٤ ، ٢٧٤
 ٢٩١ ، ٣٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٦
 ٥٧٩ ، ٦٨٦ ، ٦٩٢
 الارمانيون (ج) ٣٩٧ ، ٥٤٨
 (ج) ١٦٧
 الارمن (شعب) (ج) ١٢٢
 (ج) ٦٣٢
 الارميون (ج) ٢٢ ، ١٦٥ ، ٣٠٣
 ٥٧٤ ، ٥٧٥
 (ج) ٦٢١
 (ج) ١٠ ، ١٢ ، ١٣

(ج) ٢٦٩ ، ٢٤٨ ، ٩١ —
٢٧٠ ، ٣٢٠ ، ٣٥٣ — ٣٥٤
٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ — ٣٧٣
٣٧٦ — ٣٧٨ ، ٣٩٧ ، ٤٢٢
٦٤٧

(ج) ١٦٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٢ ،
٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٥٧ ، ٣٧٦
٣٨٩ ، ٤٧٧ ، ٧٦٣ ، ٧٧٥
(ج) ١٥٠ ، ١٩٢ ، ٣٠٥ ،
٣٢٠ ، ٣٣٧ ، ٣٧٠ ، ٤٤٤
٥١٦

(ج) ١٢٧ ، ١٣٠ ، ٥٠٣ ،
٥٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ — ٥٧٥
٥٧٨ ، ٥٨٤ — ٥٨٥ ، ٥٨٧
٥٨٨ ، ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦٣٠
٦٣٢ ، ٦٥٦ ، ٦٦٨ ، ٦٨٨
— ٦٩٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٦ ، ٧٦٧
(ج) ٣١ — ٣٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ،
٢٠٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٤٠٢ ،
٤٠٧ ، ٤٢٦ — ٤٢٧ ، ٤٣٠
— ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٧٥
٤٧٨ — ٤٧٩ ، ٤٨٧ ، ٥٢٣ ،
٥٣٠ ، ٥٤٦ ، ٥٩٤ ، ٥٩٧ ،
٥٩٩ ، ٧٥٤ ، ٨٤٧ ، ٨٦٦
— ٨٦٧ ، ٨٩٨ — ٨٩٩

أسد القيون (نو) (ج) ٧٥٦
اسرائيل (بنو) (ج) ١) حا ٥٣ ، ٨٤
٣٠١ ، ٣١٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ ،
٣٩٢ ، ٤١١ ، ٤٣٥ — ٤٣٦ ،
٤٥٥ ، ٤٦٧ — ٤٦٨ ، ٥٠٠ ،
٥٧٤ — ٥٧٥ ، ٦٠٩ ، ٦٣٠ ،
٦٤٠ — ٦٤٢

(ج) ١٧٩
(ج) ٦٠ — ٦١ ، ٧٧ — ٧٨
١٦١

(ج) ٤٦٩
(ج) ٣١٠ ، ٥٥٥
(ج) ٣٨ ، ١١٩ ، ١٤٥ ،
٣٠٦ ، ٤٤٢ ، ٥١٢ ، ٥١٧ ،

٦٣٨ ، ٧٤٣ ، ٧٧١
ازد السراة (ج) ٥٨١
ازد شنوءة (قبيلة) (ج) ٨٨٧ ،
٥٧٩ ، ٦٠٣

ازد عمان (بنو) (ج) ٦٦٩ ، ٦٨٨
الازرق (ج) ٢٩٥ ، ٢٤٦
(ج) ٥١٧

ازواد الركب (طبقة) (ج) ٧٠٠
اساف (بنو) (ج) ١٨ ، ١٩٢
الاساورة (جماعة) (ج) ٤٩٩
(ج) ٢٠٧ ، ٥٥٧

الاسبدين (ج) ٢٠٣
(ج) ٦١ ، ٦٩٤

الاسبع (ج) ٢٥٠
استرالية (شعوب) (ج) ٩٨ ،
(ج) ٤١٠

استينوي (قبيلة) (ج) ٣٤٩
اسد (قبيلة) (ج) ٣٨٤ ، ٣٨٩ ،
٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٥١٢
٥٢١

(ج) ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ،
٣٩٣ — ٣٩٤ ، ٥٤٨ — ٥٥١
٥٩٣

(ج) ١٧٢ ، ١٩١ — ١٩٢ ،
١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٣١٨
— ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧
— ٣٦١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧١
٤٣٥ ، ٤٢٣ ، ٤٠١ ، (ج) ١٦ ،
٢٦ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ٩٢ —
١٠٠ ، ١١٢ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ،
٢٠٤ ، ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٥٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ،
٣٤٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٤٠٠ ،
٤٢٤ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٨٢ ،
٤٨٨ ، ٥٠٩ — ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ،
٥٢٧ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٦٧٥ .

٧٣٤-	٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٤٤ - ٥٤٥
(ج) ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٨١	٥٤٨ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ - ٥٦١
٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٤٠	٥٦٤ ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ، ٥٧٣
١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٨	٥٧٥ ، ٥٨٢ ، ٦٥٦ ، ٦٨٤
٢١٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٥	(ج) ٢٣٣
٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٦٧٧ ، ٨٤٦	(ج) ٢٠٣ ، ٣١٤ ، ٣٤٥
٨٦٦	٤٢١ ، ٤٨١ ، ٥٠٥
اسلم (بنو) (ج) ٤٣١ ، ٥٣١	(ج) ١٢٧
(ج) ٦٤١	الاسرائيلية (قبائل) (ج) ٢٨٤
اسماعيل (قبيلة) (ج) ١٥٥	الاسرائيليون (ج) ٢٠٥ ، ٢٦٢
(ج) ١٦٦	٤٣٤ ، ٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٤٩٨
(ج) ٥٣٧ - ٥٣٩	٤٩٩ ، ٥٧٣ - ٥٧٤ ، ٦٣٠
الاسماعيلية (ج) ٤٣٧ ، ٤٤١	٦٤١ ، ٦٥٤
٤٤٥ - ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٥٨٠	(ج) ١٢٣
- ٥٨١ ، ٥٨٤	(ج) ١١٠ ، ١١١ - ١١٨
(ج) ٦٥٤	(ج) ١٢٩
الاسماعيليون (الاشماعيليون) (ج) ١	(ج) ٦٦
٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ١٤٣ ، ٢٥٢	(ج) ٤٣ ، ٢٦١ ، ٦١٦
٣٤٧ ، ٣٧٥ ، ٤١٠ ، ٤١٢	(ج) ٢٣٣
٤٢٣ ، ٤٣٤ - ٤٣٧ ، ٤٤٥	الاسعد (بنو) (ج) ٤٥٠ - ٤٥١
- ٤٤٦ ، ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ٤٦١	الاسلاميون (ج) ٣٣ ، ١٠٧ ، ١١٦
- ٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٨٢ ، ٥٠٢	١١٨ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢٩٣
٥٩٧ ، ٦٣٤ ، ٦٥٨	٣٢٠ ، ٤٤٩ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤
(ج) ٦٢٣	٤٧٦ ، ٥٠٧ ، ٥٧٩
(ج) ٤٦٧ ، ٥٣٧	(ج) ١٥٣ ، ٤٠٢ ، ٤٢١
(ج) ٤٤٢	٥٣١
(ج) ٦٣٨ ، ٦٧٣	(ج) ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٤ -
اسيد (بنو) (ج) ٩١ - ٩٢	١٦٥ ، ١٩٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٨
(ج) ١٢٦	٥٢٠
الاسيوية (شعوب) (ج) ٤٠٨	(ج) ٦٠٠ ، ٦٤٦
الاسيويون (ج) ٢٣٩	(ج) ١٦٤ ، ٣٤١ ، ٤٣٠
الاشاقر (بنو) (ج) ٤٤٢	(ج) ١٦ ، ٣٥ ، ١١٥ ، ١٥١
اشجع (بنو) (ج) ٢٥٢ - ٢٥٣	٤٥١ ، ٥٥٣ - ٥٥٤ ، ٥٨٣
٥١٠	٧٣٩ ، ٧٨٥
(ج) ١٤٤ ، ٣٦٣	(ج) ٢٧٢ ، ٣٣١ ، ٤٧٢
(ج) ٣٩٨ ، ٩٠٥	٥٣٤ ، ٦١٦
اشدود (بنو) (ج) ٦٤٣	(ج) ١٥٤ ، ٢٢٢ ، ٢٦٥
الاشدوديون (ج) ٦٤٦	٢٢٣ ، ٣٧١ ، ٤١٧ ، ٤٣٠
اشعب (قبائل) (ج) ٤٢٩	

- (ج ٨) ٢٢ ، ٤٣٢
 اشيب. (قبيل) (ج ٢) ٣٩٣
 الاصابع (بنو) (ج ٣) ٤٨٣
 الاصفر (بنو) (ج ٢) ٥٢٧ ، ٥٣٤
 اصمع (بنو) (ج ١) ٤٠٤
 (ج ٤) ٥١٤
 الاضبط (بنو) (ج ٧) ٥١٣
 اظلم (قبيلة) (ج ٢) ٥٥٦
 (ج ٣) ٣١٧
 الاعارب (ج ٧) ٧٢
 اعجب (بنو) (ج ٤) ٢٤٠
 الاعراب (ج ١) ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣
 - ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥
 ١٢٠ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ١٤٥
 ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٧
 ١٨٣ - ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٩
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦١ - ٢٦٢
 ٢٧٧ - ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
 ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٣٩
 ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٨٥ - ٣٨٦
 ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩
 ٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٧١
 ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٥٤٤
 ٥٤٦ - ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢
 ٥٧٤ ، ٥٧٧ - ٥٧٨ ، ٥٨٦
 ٥٨٧ - ٥٩٠ ، ٥٩٢ - ٥٩٤
 ٥٩٦ ، ٦٠٢ - ٦٠٣ ، ٦٠٦
 ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦١٣ - ٦١٦
 ٦١٨ ، ٦٢١ - ٦٢٢ ، ٦٢٩
 - ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧
 ٦٤٢ ، ٦٤٥ ، ٦٤٨ ، ٦٥٢
 ٦٥٦ - ٦٥٧ ، ٦٥٩ - ٦٦١
 (ج ٢) ١٦٠ ، ٢٢٩ ، ٢٨١
 ٥٢٣ ، ٥٥٠ - ٥٥٢ ، ٦٠٠
 ٦٠٢ - ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٧
 ٦٠٨ ، ٦١٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٠
 ٦٤٠ - ٦٤١ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢
 - ٦٥٣ ، ٦٥٨
 (ج ٣) ٣٠ ، ٣٧ ، ٨٢ ، ٨٤
- الاشعر (بنو) (ج ٢) ٦١ ، ٣٦٨ ،
 ٣٨٠ ، ٥٩٦
 (ج ٤) ٤٤٩ - ٤٥٠
 (ج ٨) ٦٠٣
 (ج ٩) ٤٣٥
 الاشعريون (ج ١) ٣٦٤ ، ٥١٦
 (ج ٢) ٦١ ، ٣٨٠
 (ج ٣) ٥١١ ، ٥١٩
 (ج ٤) ١٩٢ ، ١٩٥ - ١٩٦ ،
 ٤٤٩ ، ٤٥٩
 (ج ٦) ٢٨٦ ، ٣٧٧
 (ج ٨) ٦٧٤
 (ج ٩) ٢٤
 الاشكانيون (قوم) (ج ٢) ٦١٢ ،
 ٦١٧ ، ٦٢٠
 اشهل (بنو) (ج ٤) ٤٤٣
 الاثوريون (ج ١) ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ،
 ٢٢ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٣٥ ، ١٦٥
 ١٩٧ ، ٢٠٥ - ٢٢٤ ، ٣٢٦ ،
 ٣٨٥ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ،
 ٤٥٧ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦ - ٥٤٧
 ٥٤٩ ، ٥٦٨ - ٥٦٩ ، ٥٧٥
 - ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ - ٥٨٢
 ٥٨٥ ، ٥٨٧ - ٥٩٤ ، ٦٠٠
 - ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٩
 - ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٨ ، ٦٤٥
 ٦٥٠
 (ج ٢) ٣١ ، ١٢٣ ، ٢٧٨
 ٢٧٩ ، ٦٠٠ - ٦٠١ ، ٦٢٢
 ٦٤٠
 (ج ٣) ١٦ ، ١٣٩ ، ١٧١
 (ج ٤) ٢٧٤ ، ٦٢٠
 (ج ٥) ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ،
 ٢٣٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣٩٩
 ٤٤٥ ، ٦٣١
 (ج ٦) ٦٣ - ٦٤ ، ٢٢٠ ، ٢٩٠
 ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٤١٠ ، ٧٤٤
 (ج ٧) ١٥ - ٢٣٣ ، ٢٣٤
 ٢٣٦ ، ٦١٨

71 — 77 , 78 , 80 , 88
 110 — 109 , 107 , 101
 130 , 116 , 113 — 112
 118 , 127 , 130 — 132
 287 , 177 , 171 , 108
 328 , 307 , 301 , 289 —
 377 , 371 , 387 , 337
 393 , 381 , 378 — 373
 818 , 800 , 396 — 390
 880 , 808 , 887 , 819
 038 , 021 , 008 , 007
 073 , 008 , 001 , 083
 098 , 088 — 083 , 078 —
 718 — 718 , 700
 871 , 300 — 29 , 10 (88)
 113 , 107 , 80 — 88
 308 , 300 , 303 , 188
 392 , 389 , 378 , 309 —
 812 , 809 , 800 , 393 —
 002 , 002 , 877 , 818
 088 , 081 , 038 , 023
 071 , 001 , 089 — 087
 070 , 079 — 078 , 077
 889 , 888 , 728 , 727
 779 , 770 , 771 , 708
 701 , 790 , 788 , 781
 779 , 787
 82 — 81 , 73 , 31 (98)
 107 , 127 , 117 , 87
 220 — 218 , 210 , 177
 270 , 271 , 209 , 222
 297 , 290 , 292 , 281
 370 , 372 , 323 , 308
 829 , 800 — 399 , 389
 009 , 837 , 833 , 831
 809 , 800 , 719 , 700
 792 , 738 , 791 , 783
 882 , 880 , 808 , 798 —
 888

182 , 139 , 129 , 113
 222 , 102 , 189 , 187
 380 , 317 , 301 , 279
 397 , 388 , 379 , 381
 892 , 823 , 810 , 808
 37 — 30 , 28 , 10 (88)
 117 , 80 , 71 , 78 , 39
 178 — 173 , 101 , 188
 202 , 187 , 178 , 171
 270 , 283 , 237 , 231
 277 , 278 — 273 , 279
 287 — 282 , 280 , 278 —
 298 — 297 , 298 , 291
 327 , 300 — 308 , 302
 377 , 370 , 380 , 328 —
 008 , 080 , 397 , 393
 728 , 728 , 070 — 079
 77
 — 08 , 08 , 30 , 87 (08)
 171 , 132 , 100 , 70 , 87
 288 , 199 , 188 , 178
 333 , 328 , 307 , 297
 808 , 388 — 339 , 338 —
 882 , 821 , 813 , 810
 009 , 007 , 007 — 007
 731 , 717 , 088
 78 — 72 , 30 , 28 (78)
 191 , 177 , 80 — 88 , 70
 320 — 328 , 290 , 198
 810 , 809 , 399 , 308
 031 , 029 , 027 , 017
 089 — 088 , 037 , 038 —
 831 , 727 — 720 , 707
 707 , 770 , 702 , 733
 718 , 717 — 710 , 711
 701 — 789 , 737 , 723
 817
 818 , 17 , 18 — 12 (78)
 31 , 27 , 23 , 21 — 20

(ج ٥) ٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ،
 ٢٦١ ، ٣٠٦ ، ٤٧١ ، ٦٢٩
 (ج ٦) ٦٩١
 (ج ٧) ٦٠٤
 (ج ٨) ١٠٨ ، ٧٢٧
 الاكال (طبقة) (ج ٣) ١٩٩
 اكانط (قبيلة) (ج ٢) ٥٧٠
 الاكراد (شعوب) (ج ١) ٤٤٧ ، ٤٩٨
 (ج ٧) ٦٠٨
 اكسمن (جماعة) (ج ٢) ٤٢٧
 الاكسوميون (ج ٢) ٦٠ ، ٣٧٧ -
 ٣٧٨
 (ج ٣) ٤٥٥
 اكل المرار (بنو) (ج ٣) ٣٤٠ ، ٣٤٤
 ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩
 ٣٨١
 (ج ٥) ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٦٩ ،
 ٢٨٤ ، ٣٥٠
 (ج ٧) ٣٧٧
 اكلب (بنو) (ج ٤) ٤٨٢
 اكيته (بنو) (ج ٤) ٥٠٤
 اكيثو (بيت) (ج ١) ٥٨٩
 الالمان (ج ١) ٢٣٠ ، ٢٥٧
 (ج ٣) ١١٣
 (ج ٦) ٩
 (ج ٩) ١٢٧
 الملع (بنو) (ج ٤) ٤٣٨ ، ٤٤٢
 الهان (بنو) (ج ٢) ٤١٣
 (ج ٤) ٤٥ ، ٤٣٣
 (ج ٦) ٣٧٦
 الين (آل) (ج ٢) ٥٦١
 امامة (بنو) (ج ٦) ٢٧٠
 امرم (بنو) (ج ٢) ٥٥٦
 الامفر (بنو) (ج ٤) ١٩١
 املكث (قبيلة) (ج ٣) ١٤٨
 الاملوك (بنو) (ج ٤) ٤١٦
 (ج ٥) ٥٨٣
 الاموريون (ج ١) ٢٢٩ ، ٢٣٨
 (ج ٣) ٦٦

الامرج (بنو) (ج ٥) ١٤٤
 الاغريق (ج ١) ١٤١
 (ج ٢) ١١ - ١٢ ، ٢٥ ، ٦٢٥
 (ج ٣) ٦٧
 (ج ٤) ٣٦٠
 (ج ٥) ٦٠٧
 (ج ٦) ٧١٦
 (ج ٩) ٢٩١
 الافارقة (قوم) (ج ٣) ٤٤٩
 افرك (بنو) (ج ١) ٣٧٤
 الافرنج (قوم) (ج ٢) ٥٢٣
 الافريقية (شعوب) (ج ١) ٢٩٧ ،
 ٤٢٩ - ٤٣١
 (ج ٥) ٥٤٢
 (ج ٦) ٤١٠
 الافريقيون (ج ١) ٢١٩ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٧ ، ٤١٨ ، ٤٨١
 (ج ٢) ٢٥
 (ج ٣) ٤٥٢
 (ج ٤) ٦٢٩
 (ج ٧) ٤٦٨
 (ج ٨) ٤٢١
 الاقباط (ج ٤) ١٢٢
 (ج ٦) ٦٣٢
 اقطاعيون (طبقة) (ج ٤) ٥٤٧
 (ج ٥) ٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ - ٢٦٤
 ٢٧٨ ، ٤١٥
 (ج ٧) ٢٥ ، ١٥٦
 الاقطانيون (ج ٤) ٤٠٠
 اقيش (بنو) (ج ٦) ٤٢١
 الاكاديون (ج ١) ٥٤٣ ، ٥٥٣ - ٥٥٥
 ٥٦٠ ، ٥٦٨ - ٥٦٩
 (ج ٢) ٣١
 اكاروم (قبيلة) (ج ١) ٥٤٥
 الاكاسرة (ج ١) حا ١٧
 (ج ٢) ٦٣٢
 (ج ٣) ٣٠٦ ، ١٨٦
 (ج ٤) ٧٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٠

الانصار (ج) ١١١ ، ١٦٨ ، ٣٨٤

٤٨٣ - ٤٩٠ ، ٤٨٥ - ٤٩٣

٥٠٤ - ٥٠٥

(ج) ٢٠٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥

٣٧٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، حـ

٤٣٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٦٠٤

(ج) ٦٩ ، ٨٦ ، ١٤٢ ، ١٩٩

٢٦٦ ، ٥٢٠ ، ٥٦٦ ، ٥٩٥

٦٠٧

(ج) ٦٨ ، ٢٤٦ ، ٣٥٧

٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٥٩ - ٤٦٠

٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥٤٧ ، ٧٥٩

(ج) ٤٢ ، ٣٠٩ - ٣١٠

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٨ ، ٤٦٠

(ج) ١٢٨ ، ١٣٥ - ١٣٦

٢٩٢ - ٢٩٣ ، ٤٣٣ ، ٤٦٨

٥٧٣ ، ٦٠١ ، ٦٠٧ - ٦٠٩

٦٤١ ، ٦٥٤ ، ٦٥٩ ، ٦٨٤

(ج) ١٠٦ ، ٢٠٢ ، ٢٤٦

٢٥٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٧

٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٦١

٣٧٥ ، ٣٨٠ - ٣٨١ ، ٣٨٥

٦٥٥ ، ٦٩٥ ، ٧٢٧ - ٧٢٨

٧٣١ ، ٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٣

٧٤٦ ، ٧٥١

الانطاكيون (قوم) (ج) ١١٩

انماقة (بنو) (ج) ٥٢١

الانعم (بنو) (ج) ٤٥٠

(ج) ٦٢ ، ٢١٤

انف الناقة (قبيلة) (ج) ٤٠٣

(ج) ٨٦٠

الانكليز (ج) ١٨٣

(ج) ٣٢

(ج) ٤٤٦

انمار (قبيلة) (ج) ٣٩٤ - ٣٩٧

٥٠٥ ، ٥١٦

(ج) ٢٢٨ - ٣٢٩ ، ٤٤٢

(ج) ٦٣٩

(ج) ٢٨٦ ، ٦٠٣ ، ٦٧٣

الامويون (ج) ١١٥ ، ٢٥١ ، ٣١٣

٣٩٥ ، ٤٩٥ ، ٥٠٨

(ج) ١٠٤

(ج) ٣٢ ، ٢٤٠ ، ٤٢٠

٤٦٢ ، ٥٣٦

(ج) ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٥١

٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠

٢٩١ - ٢٩٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥

٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ - ٣٨٢

حـ ٣٩٩ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢

٧٩٦ ، ٨٤٠

امي (جماعة) (ج) ٥٥٣ - ٥٥٤

امية (بنو) (ج) ١١٣ ، ٣٩٨

٤٩١ ، ٥٠٩

(ج) ٩١ ، ١١٢ ، ١٣٦

٢١٨ ، ٣٦٦ ، ٥٧٢

(ج) ٢٥٠

(ج) ٣٥٠ ، ٧٦٥ ، ٧٦٧

(ج) ٣٤١ ، ٣٤٦

(ج) ١١٨ ، ٣٠٣ ، ٤٠٠

٤٩٨ ، ٦٣٢ ، ٦٤٧ - ٦٤٨

٦٦٠ ، ٧٦٠

(ج) ١٦٧ ، ١٧٧ ، ٢٤٦

٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٩

٣١٣ ، ٣١٩ - ٣٢٠ ، ٣٢٢

٣٧٤ ، ٥١٠ ، ٧١٦ - ٧١٧

٨٦٦

الاميركان (ج) ١٣٣

الاميركي (الشعب) (ج) ٣١٧

اميم (ج) ٣٤٠ - ٣٤٢

الانباط (ج) ٥٥ - ٥٦ ، ١٢٥

١٦٦ - ١٦٧

(ج) ١١ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٣٨٥

(ج) ٢١٣

انبر (ال) (ج) ٤٦٠

انس (بنو) (ج) ٤٢٥

(ج) ٧١٤ - ٧١٥ ، ٧٢٨

٧٣٠ ، ٧٥١

(ج) ٧٨١

٦٣٤ — ٦٣٣
 ٣٨٥ ، ٣٨٠ ، ٧٥ ، ١٤ (٩ج)
 ، ٤٤١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٤٢٩
 ٦٩٤ ، ٦٥٥ — ٦٥٤ ، ٥١٨
 ، ٧٢٥ ، ٧٢٣ — ٧١٩ ، ٧١٣
 ، ٧٨٢ ، ٧٥٢ ، ٧٣١ ، ٧٢٨
 ٧٨٥
 الاوسانيون (ج) ١٨٧ ، ٤٩٨ —
 ٥٠٠ ، ٥٠٢ — ٥٠٥
 (ج) ٤٥٠
 (ج) ١٧٦
 الاوطاخيون (بنو) (ج) ٦٣٢
 اوكاروس (قبيلة) (ج) ٣٤٩
 اوم (عشيرة) (ج) ٤٦٢
 ايباد (قبيلة) (ج) ٣٩٧ — ،
 ، ٤٣٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٥٠٥
 ، ٥٠٧ ، ٥١٥ — ٥١٦ ، ٥٤٧
 (ج) ٦٤٤ ، ٦٤٥ — ،
 ٦٥٠ — ٦٥١
 (ج) ١٦٢ ، ١٨٠ — ١٨١ ،
 ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٩٥
 ٢٠٢ — ٢٠٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩
 ٣٤٤
 (ج) ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ٢٠٤
 ٢٤١ ، ٢٣٣ — ٢٣١ ، ٢٠٦ —
 ، ٢٣٤ ، ٢٣٠ — ٢٢٨ ، ٢٢١
 ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٧٠ — ٢٧٥
 ، ٢٨٥ ، ٥٧٨ ، ٥٠١ ، ٦٣٢
 (ج) ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٦٣٩ ،
 ٦٤٧ — ٦٤٨ ، ٦٥٠
 (ج) ٦١ ، ٤١٦ — ٤١٧ ،
 ، ٤٢٧ ، ٤٦٤ — ٤٦٦ ،
 ، ٤٨٩ ، ٥٠٤ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٤ — ٥٩٥ ، ٦٥٨
 (ج) ١٠٩ — ١١٠ ، ١٤٠ —
 ، ١٤١ ، ١٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦
 ، ٢٦٨ ، ٥٢٢ ، ٦٣٠ ، ٦٤٦
 ، ٦٥١ ، ٦٦٨ ، ٦٧٣ ، ٧٦٧
 ٧٨١ — ٧٨٢ ، ٧٨٥ ، ٧٩٠

انموتا (بنو) (ج) ٤٤٨
 انيف (بنو) (ج) ١٢٩
 الاهتم (ال) (ج) ٨٨٥
 اهراب (قبيلة) (ج) ٢٢٠
 اهلي (عشيرة) (ج) ٤٦٢
 اهود (بنو) (ج) ٤٢٣
 اود (بنو) (ج) ٣٥٣ ، ٣٨٧
 الاوروبيه (شعوب) (ج) ١٥٢
 والاوروبيون (ج) ٤٣ ، ١٣٠ ، ٢٥٧
 ٢٦٥ ، ٤٦٧
 (ج) ٧٤ ، ٧٤
 (ج) ١٦٩ ، ١٧٩
 (ج) ٢٨٤
 (ج) ٣٤٦
 الاوزاع (بنو) (ج) ٤١٦
 اوس (بنو) (ج) ٣١٤ ، ٣٧٤ ،
 ، ٤٣٨ ، ٤٧٥ — ٤٧٦ ، ٤٨٤
 ٥٢١
 (ج) ٥٧٨ ، ٥١٥
 (ج) ٣٩٠ — ٣٩١
 (ج) ١٢٩ — ١٣٠ ، ١٣٢ —
 ، ١٤١ ، ١٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤
 ، ٣١٤ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٦٧
 — ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٣١
 ، ٤٣٢ — ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢
 ٥٩٨
 (ج) ١٨ ، ١٨٠ ، ٢٠٩ ،
 ٢٥١ — ٢٥٢ ، ٣١١ ، ٣٤٤
 ٣٥٥ ، ٤٥١ ، ٥٣٦ ، ٥٦٦
 (ج) ٢٤٧ — ٢٤٨ ،
 ، ٢٧٩ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩
 ، ٤٥٩ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٧
 ٥١٩ — ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٣٢
 — ٥٣٣ ، ٥٣٦ — ٥٣٧ ، ٥٤٣
 ٥٤٧ — ٥٤٨ ، ٥٨٠ ، ٦٠٣
 ٦١١ ، ٨٢١
 (ج) ٣٣ ، ٤١ ، ٣١٤ ، ٣٣٨
 (ج) ٢٦ ، ١١٤ ، ١٣٥ ،
 ١٦٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٥ ، ٦٠٣

ايدعان (عشيرة) (ج ٢) ٤٦٢	٧١١ -
الايروانيون (ج ١) ٣٢	(ج ١) ٢٥٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ،
(ج ٢) ١٠	٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ - ٤٣٤
(ج ٦) ٧٠٨ ، ٧٢٣	٤٣٦ ، ٤٧٤ ، ٥٦٩ - ٥٧٠
(ج ٧) ٦٠٨	٧١٦ - ٧٩٩ ، ٨٠٣ - ٨٠٧
الايونيون (ج ١) ٦٢١	٨٣٢
	الاياديون (قوم) (ج ٤) ٤٧٣

- الباء -

بارق (بنو) (ج ٤) ٤٤٢	البابليون (ج ١) ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ،
(ج ٦) ٣٥٧	٢٢ ، ١٦٥ ، ٢٣١ ، ٤١٨ ،
(ج ٩) ٥٠١	٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩
الباشانيون (قوم) (ج ٣) ٦٢	٥٦٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٠٧
باغت (ج ١) ٣٦٧	٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٣ - ٦٢٠
باهلة (بنو) (ج ١) ٣٩٩ ، ٤٠٤ ،	٦٤٧
٥٩٩	(ج ٤) ١٣٠
(ج ٢) ٥٥٦ ، ٥٦٠	(ج ٥) ٢٣٠ ، ٣١٦ ، ٣٩٩
(ج ٣) ٣١٧	(ج ٦) ١٩ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ١٩٨
(ج ٤) ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ،	٢٢٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ - ٣٠٣
٣٣٩ ، ٤٤٥ ، ٥٠٨ ، ٥٧٢	٣١١ ، ٣١٧ ، ٤١٠ ، ٥٢٧
(ج ٦) ٢٤٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،	٧٠٩ ، ٧١٦ ، ٧٥٧ ، ٧٧٦
٧٦٠	٧٨٢
(ج ٨) ٧٩١	(ج ٧) ٦٢٢
(ج ٩) ٦٨ ، ١٤٦ ، ٤٣٢ ،	(ج ٨) ٢٢ ، ١٩٩ ، ٣٢٥ ،
٤٤٧	٤٣١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٥٢٧ ،
بتس (قبيلة) (ج ٢) ٢١٦ ، ٣٣٤ -	٥٣٥
٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ ،	(ج ٩) ٥٠ ، ١٢٤ - ١٢٥ ،
٣٨٨ ، ٤٠٧ - ٤٠٩ ، ٤١١ ،	٢٠٢ ، ٧٧٣ - ٧٧٤
٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٤ -	البابليون (ج ١) ٦٢٠
٤٤٥ ، ٤٨٧ - ٤٨٩ ،	(ج ٢) ٢٠ ، ٤٠ - ٤٢ ، ٦١ ،
٤٩٢ - ٤٩٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٢ ،	٦٢٦ ، ٦٧

البريطاني (شعب) (ج) ٣١٧	٥٤٥
بشر (بنو) (ج) ٣٦٧	البتيمون (قوم) (ج) ٤٠٨ - ٤٠٩
البصريون (قوم) (ج) ٣٦٢ ، ٣٣٥	٤٢٦ ، ٤١٥
(ج) ٧٣٠	بجيلة (قبيلة) (ج) ٣٦٤ ، ٣٧٤
(ج) ٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٧	حسا ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٤٧٠
٢١٩ ، ٢٢٢ - ٢٢١ ، ٣٠٢	٥١٦
- ٣٠٣ ، ٣٢٧ ، ٣٦٣	(ج) ١٨٥ ، ١٩٤ ، ٢٢٨
٣٩١	٤٢٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٧ ، ٤٧٠
البطالسة (ج) ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٣	٦٣٧
البطالة (ج) ٢٢ - ٢٣ ، ٢٥ - ٢٧	(ج) ٦٩ ، ٤٠٨
٢٩ - ٣٠ ، ٣٤ - ٣٥ ، ٣٨	(ج) ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٢٧٧
٤٣ ، ٦٤ ، ٨١ ، ٩٤ ، ٢٤٦	٣٧٧ - ٣٧٨
(ج) ٢١ ، ٤٥٠	(ج) ٢٤٢ ، ٣٢٠ ، ٤٣٠
(ج) ٤٠٦	٦١٥ ، ٦٤٩
(ج) ٢٣٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨	بحرم (قبيلة) (ج) ٢٨٠
(ج) ١٢	البحريون (جماعة) (ج) ٤٨٧
بطة (بنو) (ج) ٥٢٠	بخ (بنو) (ج) ٣٦٨
بطحان (ج) ٥١٩ ، ٥٢٣	بدا (قبائل) (ج) ٤٦٩
بطنه (ج) ٥٧٩ ، ٥٨٢	بدر (قبيلة) (ج) ٢٥٥ ، ٣٤٩
بمجة (بنو) (ج) ٤٦٢	٥٧١
بعر (قبيلة) (ج) ١٤٧	(ج) ٤٢٩ ، ٨١٤
البغداديين (ج) ١٦٦ ، ٢١٦	بدش (عشيرة) (ج) ٥٤٥
٢٨٩ ، ٢٧١	بدن (قبيلة) (ج) ٥١٢ ، ٥٢١
بفيشت (عشيرة) (ج) ٥٠٤	(ج) ١٤٧
بفيض (بنو) (ج) ٥٩٠	بدون (قبيلة) (ج) ٥٨٢
(ج) ٢١٣	بديل (قبيلة) (ج) ٢٩٥ ، ٣٤٦
(ج) ٢٥٢	البرابرة (ج) ٣٣
بقيلة (قبيلة) (ج) ١٧٠ ، ٢٦٦	البراجم (قوم) (ج) ٢٥١ - ٢٥٢
٢٨٨	(ج) ٤٨٤
(ج) ٢٢٥ - ٢٢٧ ، ٤٣٧	(ج) ٣٦٦ - ٣٦٧
بكر (ج) ٣٠٨ ، ٤٦٩ ، ٥١٢ ، ٥٢١	(ج) ٦٣٧
(ج) ٦٣٨ - ٦٣٩	البرامكة (بنو) (ج) ٢١٩
(ج) ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٥	البربر (ج) ٢٣٥
٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٩٥	(ج) ٦٠٤
٢٩٧ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤	(ج) ١٥٤
٣٤١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧	البرتغاليين (ج) ٢٠٨
(ج) ٣٤ - ٣٥ ، ٤٣ - ٤٤	(ج) ٢٦ ، ٧٢
٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٤٢	برصم (قبيلة) (ج) ٢٢١
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦	برك (قبيلة) (ج) ٢١٩ ، ٤٢٤

٥٢٥ ، ٥١٩ (ج٦)	٣٩٤ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧ - ٣٧٦
٤٨٠ (ج٧)	٤٩١ ، ٤٤١ ، ٤٢٨ - ٤٢٧
٦٠٣ (ج٨)	٥٠٤ ، ٤٩٦ ، ٥٠٢ - ٥٠٤
بندر (بنو) (ج٤) ٥٧١	٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٦٢٦ - ٥٧٠
بهشة (بنو) (ج٤) ٢٦٠	(ج٥) ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٥٠ -
بهدي (بنو) (ج٤) ٢٠٦	٣٦٥ ، ٣٥٦ - ٣٥٥ ، ٣٥١
بهدة (بنو) (ج٤) ٥٩٢	٣٨٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٠ -
(ج٦) ٥١٨ - ٥١٩ ، ٥٢٢	(ج٦) ٢٢٣ ، ٢٥٣ ، ٢٨٢ ،
٤٣٤ (ج٩)	٤١٦
بهراء (قبيلة) (ج١) ٤٦٩	(ج٨) ٢٧٠ ، ٥٧٠ - ٥٧٢ ،
(ج٣) ٣٥٣ ، ٣٤٤ ، ٣١٩	٥٧٧ ، ٦٣٠ - ٦٣١ ، ٦٦٨
(ج٤) ٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ١٩٤	٦٨٨ - ٦٨٩ ، ٧٧٦
٢٦١ ، ٢٤٩ ، ٢٤٣ - ٢٤٢	(ج٩) ١٨٠ ، ١٦١ ، ١٤٦ ،
٣٣٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٩١ ،	٣٢٩ ، ٤٠٦ - ٤٠٧ ، ٤٢٦ ،
٦٣٧ ، ٥٠١ ، ٤٩٩	٤٢٩ ، ٤٣٣ - ٤٣٢ ، ٤٥٥ ،
(ج٥) ٣٤٩	٤٦٠ ، ٤٧٥ ، ٥٢٩ - ٥٣٠ ،
(ج٦) ٥٩٣ ، ٥٩٠ ، ٥٨٤	٥٦٢ ، ٥٦٦ - ٥٦٥ ، ٦١٧ ،
(ج٨) ٦٥٥ ، ٦٣٠	٦١٨ ، ٦٤٨ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨ -
(ج٩) ٤٢٦ ، ٢٤٢ ، ١٥٥	٧١٨ ، ٦٦٩ -
بوسان (قبيلة) (ج١) ٢٢١	البكريون (ج٤) ٤٩٦
بولان (بنو) (ج٤) ٤٥٤ ، ٥٠٥ -	(ج٥) ٣٧٠
٥٠٦	بكس (قبيلة) (ج٣) ١٤٨
(ج٦) ٢٧٨ ، ٢١٤	بكيل (ج١) ٣٧٣
(ج٩) ٣٧١	(ج٢) ٣٥٨ ، ٣٥٤ ، ١٩٣ ،
البولنديون (ج٣) ٤٦٧ - ٤٦٦	٣٧٥ ، ٣٩٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ،
بياتي (آل) (ج١) ٥٩٤	٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٧١ ،
بياضة (بنو) (ج٤) ١٩٨	٤٩٣
بيحان (بيحن) (آل) (ج٨) ٥١٤	(ج٤) ٤٤٨ ، ٤٣٤
البيزنطية (شعوب) (ج١) ٢٤٨	(ج٥) ٢٣٢ ، ٢٧٨ ، ٥٨٣ ،
البيزنطيون (ج١) ١٦٦	(ج٧) ١٣٩
(ج٢) ٦٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٤٢١	بلحارث (بنو) (ج٨) ٥٧٨
٥١١ ، ٦٢٢ - ٦٢٣ ، ٦٢٦ ،	(ج٩) ١٦ ، ٦٥٤ ، ٧١٩
٦٥٣ - ٦٥٢ ، ٦٤٧ ، ٦٣١ -	البلوج (قوم) (ج١) ١٧٤
٦٥٦ - ٦٥٧ ، ٦٥٩ - ٦٦٠	بلي (قبائل) (ج١) ١٦٩
(ج٣) ٥٨ - ٥٩ ، ٦٣ ، ٤٦٦ ،	(ج٣) ٥٠
٨٥ ، ١٤٦ ، ١٧٤ ، ٢١٨ ،	(ج٤) ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ١٢٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٨٧ ، ٤١٥	٢٤٦ ، ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٥٢ ،
٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٣٧ ، ٤٥٦ -	٢٦١ - ٢٦٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ،
٤٩٢ ، ٥٠٣	٤٣١

٦٥٠ ، ٦٣١ -	(٤ج) ١١٦ ، ٩٤ ، ٦٨ ، ٣٩
(٧ج) ٢٨٣ - ٢٨١ ، ٢٧٩	١٦٢ - ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٠
٦٢٨	١٧٨ ، ١٧٦ - ١٧٥ ، ١٧٢ -
(٨ج) ٦٤٣ ، ٢٩٠	٢٤٣ ، ٢٤١ ، ١٩٠ ، ١٨٠ -
(٩ج) ٤٢٧ - ٤٢٦	٥٤٩
بيشع بن مليح (بنو) (٤ج) ٤٧٨	(٥ج) ٣٢٧ ، ٣٠٤ ، ١٩٩ ،
بيض (١ج) ٢٤٥	٤٨١ ، ٤١٥
البيين (قبيلة) (٢ج) ٢٢١	(٦ج) ٥٩١ - ٥٩٠ ، ٥٤٩ ،
	٥٩٤ - ٥٩٥ ، ٦١٣ ، ٦٣٠

- التاء -

٤٥٢ ، ٤٠٣	التبابعة (١ج) ٨٧ - ٨٦ ، ٨٤ ، ٧٥
التباعيون (٤ج) ٤٤٨	٩٦ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ١٧٩ ،
تبالة (قبيلة) (٣ج) ٣٦٣	٤٩٠ ، ٥٠١ - ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
تبرح (بنو) (١ج) ٣٦٧	(٢ج) ٧٣ ، ١١٦ - ١١٧ ،
تبسع (بنو) (١ج) ٤١٠ ، ٤٩٨ ،	٢٦٤ ، ٥١٣ - ٥١٦ ، ٥٥٢ ،
٥٠٥	٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٩ ، ٥٨٣ ،
(٢ج) ٥١٣ - ٥١٥ ، ٥٤٦	(٣ج) ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٢٣٢ ،
٥٨٥ ، ٥٧٨	٢٨٦ ، ٥٣٦
(٣ج) ٢٢ ، ١٦١ ، ١٦٨ ،	(٤ج) ١٧ ، ١١٣ ، ١٧٦ ،
٢٦٣ ، ٣٣٢ - ٣٣١ ، ٣٣٦	٢٧٥ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦ ، ٤١٧ ،
- ٣٣٧ ، ٤٥١ ، ٥٢١	٤٣٤ - ٤٣٥ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠ ،
(٤ج) ٥٣ ، ٢٤٥	٥١٦
(٥ج) ٢٩١ ، ٣١١	(٥ج) ١٩٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ،
(٩ج) ١٥٤ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ،	٤٣٢
٤٣٩ ، ٤٠٨	(٦ج) ٦٧٣
تبني (قبيلة) (٢ج) ١٨٨ - ١٨٩ ،	(٨ج) ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٦٥٢ ،
١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٥٠٣ ،	٦٥٦ ، ٦٦٤ ، ٧٣٤ - ٧٣٥ ،
التدمريون (٣ج) ٨٢ - ٨٤ ، ٨٦	٧٣٨
٨٩ ، ٩٤ - ٩٦ ، ١٠٠ ،	(٩ج) ٣٧٧ - ٣٧٩ ، ٣٨٢ ،

٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦
 ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ — ٢٩٧
 ٤١٠ ، ٤٢٦ ، ٤٤٤
 (ج) ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٤١٦ ،
 ٥٦٠ — ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥
 ٥٩٦ ، ٦٣١ ، ٦٧٦
 (ج) ١٢٤
 (ج) ٢٧٠ ، ٤٧٥ ، ٥٨١ ،
 ٦٦٨ ، ٦٨٨ ، ٧٦٢ ، ٧٦٩
 — ٧٧٠
 (ج) ٧٦ ، ١١٤ ، ١٨٠ ،
 ٣٤٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ — ٤٢٧
 ٤٣٢ — ٤٣٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧
 ٤٥٩ — ٤٦٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧
 ٥٠٩ ، ٥٣٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢
 ٥٦٤ — ٥٦٦ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩
 ٨٠٧ ، ٨١٧ ، ٨٢٦
 التفليبيون (التفليبين) (ج) ٢٤٩
 — ٢٥٠ ، ٢٥٥ — ٢٥٦
 (ج) ٤٩٩
 (ج) ٥٩٣ ، ٦٣٢
 تفلك (بنو) (ج) ٤٣٨
 تميم (ج) ٤٧ ، ٣٨٨ ، ٤٦٩ ،
 ٤٩٣ ، ٥٤٨
 (ج) ٦٣٧ — ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،
 (ج) ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ —
 ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ — ٢٧٥
 ٢٧٧ — ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠
 ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣٣٠ — ٣٣١
 ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٤
 — ٤٢٥ ، ٥٢٧
 (ج) ٣٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ —
 ٢١٠ ، ٢١٤ — ٢١٥ ، ٢١٧
 — ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
 ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨
 ٣٢٣ — ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
 ٣٤٠ — ٣٤١ ، ٣٨٠ ، ٣٩٧
 ٤٥٢ ، ٤٨٥ — ٤٨٦ ، ٥٠٠
 ٥٠٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ — ٥٢٩

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧
 ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٨
 (ج) ٥٥ ، ٣٢٩
 (ج) ٢٧٨
 تر (بنو) (ج) ١٤٨
 التراخونيون (قوم) (ج) ٣٩
 الترك (ج) ٢٦٣ ، ٤٤٩ ، ٥٤٨
 (ج) ٥٣٤ ، ٥٣٩
 (ج) ٢٨٢ ، حا ٣٠٧ —
 ٣٠٨
 (ج) ٢٠
 (ج) ٥٢٢
 (ج) ٢٨٦
 التركي (شعب) (ج) ٣١٧
 تزداد (بنو) (ج) ٣٨٥
 التزديون (ج) ٣٩٢
 التفرغز (قوم) (ج) ٢٨٦
 تغلب (قبيلة) (ج) ٣٠٨ ، ٤٠٧ ،
 ٤٦٩
 (ج) ٦١٨ ، ٦٣٨ — ٦٤٠ ،
 ٦٥٠ — ٦٥١
 (ج) ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ،
 ٢٤٨ — ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
 — ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٢٣
 ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩
 ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٣٥٣
 — ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥
 ٣٦٧ ، ٤١١
 (ج) ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١
 — ٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٢٤
 ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢
 ٤٢١ ، ٤٢٣ — ٤٢٤ ، ٤٢٧
 — ٤٢٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٨٥
 — ٤٨٦ ، ٤٨٨ — ٤٩٠ ،
 ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
 — ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧
 ٥٩٥ — ٥٩٦ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦
 (ج) ٢٤٧ — ٢٤٨ ، ٣٥٠
 — ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥

٦٩٣ ، ٦٨٤ ، ٦٧٩ ، ٦٥٨
 ٨٤٢ ، ٧٩٣ ، ٧٤٧ ، ٧٣٩
 ٨٨٦ ، ٨٨٤ — ٨٨٣ ، ٨٤٥
 ٦٠٣ ، ٨٩٥ ، ٨٨٩
 النميميون (قوم) (ج) ٨٠٣
 ٧٣٩ (٩ج)
 تنوخ (ج) ١ — ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٥٠٧ ،
 ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥٤٨
 ٥٥٢ — ٥٥٠ (٢ج)
 ١٧١ ، ١٦٩ — ١٦٦ (٣ج)
 ١٩٨ ، ١٩٤ ، ١٨٤ ، ١٧٧
 ٢٩٧ ، ٢٦٠
 ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ (٤ج)
 ٢٤١ — ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٨١
 ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠
 ٣٧٤ — ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٤٢١
 ٤٢٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ،
 ٤٩٩
 ٥٩٣ ، ٥٩١ — ٥٩٠ (٦ج)
 ٥٩٨ — ٥٩٩ ، ٦٤٧
 ٧٦٩ ، ٤٧٥ ، ١٧٥ (٨ج)
 ٢٤٢ (٩ج) ، ٤٣٥ ،
 ٨٠٤
 التوايية (عشيرة) (ج) ٣ او
 تيم (قبيلة) (ج) ١ ٥٧٩
 ٦٤٩ (٢ج)
 ١٤٨ (٣ج) ، ٣٦٩ ، ٣٧٢
 ٥٨ (٤ج) ، ٦١ — ٦٢ ، ٨٤
 ٨٦ — ٨٧ ، ٩١ ، ٩٩ — ١٠١
 ١١٢ ، ٣٣٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦
 ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٠ — ٤٥١
 ٤٩٣ ، ٥١٣ ، ٥٧١ ، ٥٨٠
 ٢٤٨ (٥ج) ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ،
 ٤٣٧
 ١٩٢ (٧ج)
 ٣٣٤ (٨ج) ، ٦٠٢
 ٤٣٢ (٩ج) ، ٤٨٢ ، ٧٩٣
 تيم اللات (بنو) (ج) ٨ ٣٣٢ ، ٣٨٦
 ٥٧٢ — ٥٧٠ ، ٥٤٤ ، ٥٣٥
 ٥٨٥ — ٥٨٦ ، ٥٩١ — ٥٩٤
 ٦٧٥
 ٣٩ (٥ج) ، ٦٦ ، ٩٠ — ٩٢
 ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٧٦ ،
 ١٨٩ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ، ٢٤٤
 ٣٥١ — ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩
 ٣٦٥ — ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩
 ٣٩٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٥ ، ٥٤٤
 ٦٠٨ ، ٦٣٢ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠
 ٦٤٤ — ٦٥٣ ، ٦٥٤
 ١٨ (٦ج) ، ٥٦ — ٥٧ ، ٩٢
 ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨
 ٢٨١ — ٢٨٢ ، ٣١٥ ، ٣١٨
 ٣٥٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢
 ٣٨٧ ، ٤٨٨ ، ٥٠٦ ، ٥٨٤
 ٦٢١ ، ٦٦٠ ، ٦٩٣ ، ٧١٤
 ٨٢٢
 ٤٠٦ (٧ج) ، ٤٤ ، ٢٨٣ ،
 ٣٠٥ — ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦
 ٣٧٣ — ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
 ٣٨٤ ، ٥٨٠
 ١٢٦ (٨ج) ، ١٣٥ ، ٣١٥ ،
 ٣٢٦ — ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩
 ٣٥٢ — ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٤٧٥
 ٤٧٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٩ — ٥٧٢
 ٥٧٤ — ٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤
 ٥٨٦ — ٥٨٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣
 ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦٣٠ — ٦٣٣
 ٦٤١ ، ٦٥٥ — ٦٥٦ ، ٦٥٨
 ٦٦٠ ، ٦٦٨ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨
 ٦٩٠ — ٧٧٦ ، ٧٧٩ ، ٧٨١
 ١٦ (٩ج) ، ٣١ — ٣٢ ، ٥٧
 ٦٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
 ٢٤٢ ، ٢٩٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣
 ٤٢٤ — ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨
 ٤٣٢ — ٤٣٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤
 ٤٦٥ — ٤٦٩ ، ٤٧٢ ،
 ٤٧٣ ، ٤٨١ ، ٤٤٧ — ٤٤٨

تيمان (بنو) (ج ١) ٤١٢
التيمايون (ج ١) ٤١٢

تيماء (ج ١) ٢١٥ ، ٥٨١
التيمايون (ج ١) ٥٨١

— النساء —

(ج ٦) ٤٧٨
ثقيف (ج ١) ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٩٦
— ٢٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٢ ، ٥١٧
(ج ٣) ٥١١ ، ٥١٣ — ٥١٤
(ج ٤) ٧٨ — ٧٩ ، ١٤٢ —
١٥١ ، ١٥٣ — ١٥٧ ، ٢٥٧
٢٦٠ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٧
٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٤٤٥
٥٠٧ ، ٥١٧ — ٥١٨ ، ٥٢٠
٥٣٧ ، ٥٩٥ ، ٦٢٨
(ج ٥) ١٦ ، ١٨٠ — ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٤٧
٤٥٧ ، ٥٤٨ ، ٦٤٧
(ج ٦) ٢٥ ، ٦٩ ، ٢١٤ ،
٢٢٧ — ٢٢٩ ، ٢٣١ — ٢٣٤
٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٣٥٧
٣٦٣ — ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٦
٤٤٦ ، ٤٦٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٣
— ٤٨٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٠
٥٠٩ ، ٥٢٦ ، ٦٠٧ ، ٧٦٧
٧٩١ ، ٨٠٥ ، ٨١٩
(ج ٧) ٣١٥ ، ٤٤٦ ، ٤٢٩ —
٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٤ ، ٤٦٥
٥٧٨
(ج ٨) ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٩٦
٢٦٩ ، ٣٠١ ، ٣٨١ ، ٤١٩

ثاران (قبيلة) (ج ٢) ٥٤٢
الثعالب (بنو) (ج ٤) ٣٣٨ ، ٤٥٠
ثعل (ج ١) حا ٣٨٢
(ج ٣) ٢٣٧ ، ٣٦٩
(ج ٤) ٣٣٩ ، ٤٥٠
(ج ٥) ٤٢٨
(ج ٩) ٨٠ ، ٥٣٢
ثعلان (بنو) (ج ٤) ٤٤٨
ثعلب (بنو) (ج ١) ٥١٢ ، ٥٢٠ —
٥٢١
(ج ٤) ٤٢٤
(ج ٨) ٦٠٣
ثعلبة (ج ٢) ٥٨٩ — ٥٩٠
(ج ٣) ١٤١ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ،
٣٢٩ — ٣٣٠ ، ٣٤٠ — ٣٤١
٣٤٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩
٣٩١ ، ٤٢٥ ، ٥١٤
(ج ٤) ١٣١ ، ٢٢٦ ، ٢٥٢ ،
٤٢٥ ، ٥٠٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٩
٥٧٢
(ج ٥) ٣٧٥ ، ٥٦٦
(ج ٦) ٥١٩ — ٥٢٠ ، ٥٢٢
(ج ٧) ٣٣٦
(ج ٩) ٤٣٣ ، ٤٧٨
الثعلبيون (ج ٣) ٢٤٠
ثغيان (قبيلة) (ج ٢) ٥٤٥
الثقفيون (ج ١) ٣٢٦

٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٥

٣٢١ ، ٣٣٠ — ٣٣١ ، ٣٣٤

٤٨٣ — ٤٨٤ ، ٧١٩

(٧ج) ٧١ ، ٣٤٨

(٨ج) ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ،

٢١١ ، ٢٤٠ ، ٣٠١ ، ٣٨٥

٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٦٣٨ — ٦٣٩

٦٧١ ، ٧٣٥ ، ٧٨٥

(٩ج) ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩

٣٨٣ ، ٣٩٣ — ٣٩٦ ، ٤٠٣

٤٣٩ ، ٨٥٠

شمودية (قبائل) (١ج) ٣٢٦ ، ٣٢٨

— ٣٣٠ ، ٣٣٢

الشموديون (ج ١) ٣٢٤ — ٣٢٦ ،

٣٣٠

(٦ج) ١٨٢ ، ٣١٢ — ٣١٣ ،

٥٥٨

(٨ج) ٢١١

تور (بنو) (١ج) ٣٥٧ ، ٥١٢ ،

٥٢٠ — ٥٢١

(٢ج) ٥٥١

(٣ج) ٣١٦

(٤ج) ٢٥٠ ، ٣٧٨ ، ٥٧٢

(٦ج) ٥٦ ، ٢٨١ ، ٣٥٧

(٨ج) ٦٧٤ — ٦٧٥

٥٧٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢

— ٦٠٣ ، ٦٠٥ — ٦٠٦ ، ٦١٧

٦٣١ — ٦٣٢ ، ٦٤٩ ، ٦٥١

٦٦٩ ، ٦٧٢ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠

(٩ج) ١٩ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ١٣٨

٢٤٢ ، ٢٨٤ ، ٣٤٤ ، ٣٨٣

٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٦٥٥ — ٦٥٦

٧٢٩ ، ٧٣٦ ، ٧٤٧ ، ٧٥٢

— ٧٥٣ ، ٧٥٦ ، ٧٦٥ ، ٧٩٤

مالة (قبيلة) (٤ج) ٢٠٣

(٨ج) ١٣٥

مامة (بنو) (٢ج) ٥٠٧

(٨ج) ٥٧٣

مود (١ج) ٧١ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٣٠٩

٣٢٠ — ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤

٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ — ٣٤٨

٣٧٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٥١٧

٥٨٣ ، ٥٨٦ — ٥٨٧ ، ٦١٦

(٢ج) ٢٤ ، ٦٧ ، ١٦٣ ، ٢٩٥

(٣ج) ١١٠ ، ١٥٧ ، ١١١

١١٨ ، ٥١٣

(٤ج) ١٤٦ ، ١٤٩ — ١٥٠

٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٤٢٣ ، ٥٩٥

(٥ج) ٦٠٢ ، ٣٣٨ ، ٤٩٥

(٦ج) ٨ ، ٧٢ ، ١٥٧ ، ٢٥٦

— الجيم —

٥٤١ . ٥٤٣ — ٥٤٤ ، ٥٦٠
 ٥٦٧ : ٥٧٢ ، ٥٧٤ — ٥٧٥
 ٥٨١ : ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٣
 ٥٩٦ — ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣
 ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤
 ٦٢٩ — ٦٣٠ ، ٦٣٣ ، ٦٣٦
 — ٦٣٧ ، ٦٤١ — ٦٤٢ ، ٦٤٥
 — ٦٤٦ ، ٦٥٢ — ٦٥٦ ،
 ٦٦٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٩ — ٦٧٤
 ٦٧٩ : ٦٨٣
 (ج) ٩ — ١١ ، ١٦ ، ٢٠ ،
 ٢٢ — ٢٤ ، ٢٦ — ٢٧ ، ٢٩
 ٢٤ ، ٢٤ — ٢٦ ، ٢٧ — ٢٩ ،
 ٥٤ — ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ — ٦٣
 ٦٧ — ٦٨ ، ٧٢ — ٧٣ ، ٧٥
 — ٨١ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
 ١٠٠ — ١٠١ ، ١٠٣ — ١٠٤
 ١٠٦ : ١١١ ، ١١٨ — ١٢٠
 ١٢٢ — ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٧
 — ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ —
 ١٤٣ . ١٤٩ — ١٥٢ ، ١٥٥
 — ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ — ١٦٥
 ١٦٧ — ١٦٨ ، ١٧٠ — ١٧٦
 ١٧٨ : ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥
 — ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٤
 ٢٤١ : ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٨٧
 ٢٩٠ : ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥
 ٣٠٨ : ٣١٢ ، ٣١٥ — ٣١٨
 ٣٢١ — ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥
 ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥

الجائريون (ج) ١٢٠
 الجاديون (ج) ٦٠
 الجارود (بنو) (ج) ٤٨٤ ، ٤٨٦
 جاهد (قبيلة) (ج) ٢٠٢
 الجاهليون (قوم) (ج) ٧ ، ٢٤ —
 ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ — ٣٩ ، ٤٢
 ٧١ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٨ ،
 ١٢٣ ، ١٤٨ — ١٤٩ ، ١٦٢
 — ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ، ١٩٠
 ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٦١
 ٢٧٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧
 ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٣١
 — ٣٣٢ ، ٣٩٥ ، حا ٤٠٠ ،
 ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٢
 ٤٢٦ ، ٤٦٩ — ٤٧٠ ، ٤٧٤
 ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥١٠
 — ٥١١ ، ٥٢٠ — ٥٢١ ، ٥٢٣
 ٥٢٧ ، ٥٧١
 (ج) ١٣١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٨ ،
 ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٥٤٠
 (ج) ٧٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ،
 ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧
 ٢٧٨ ، ٤٩٩ ، ٥٢٠ ، ٥٣٨
 (ج) ٨ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٥٤ ،
 ١٠١ ، ١٧٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢
 ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩
 ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ — ٣٦١
 ٣٦٦ ، ٣٧٠ — ٣٧١ ، ٣٨٣
 — ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٤٠٠
 — ٤٠١ ، ٤٢٦ ، ٤٩٥ ، ٥٣٥

٣٥٨ ، ٣٤٠ ، ٣٣٨ — ٣٣٥
 ٤٦٩ — ٤٦٨ ، ٤٠٢ ، ٣٨٢
 ٥٨٤ ، ٥٧٨ (٢ج)
 ٣٢٨ ، ٢٤٥ ، ١٧٩ (٣ج)
 ٥٣٧ (٤ج)
 ٢٨٥ (٦ج)
 ٤٥٨ ، ١٣٣ (٧ج)
 ٥٨٩ ، ٥٣٧ ، ٣٧٣ (٨ج)
 ٤٠٨ ، ٣٩٣ ، ٢٠٨ (٩ج)
 ٣٨٦ ، ٥٧٩ ، ٥٣٧ ، ٤٣٦
 ٨٧٥

جديلة (ج) ٥٢١

(ج) ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٤١١ ، ٤٢٤
 (ج) ٢١٩ — ٢٢١ ، ٢٥١ ، ٤٠٦
 ٤٨٢ ، ٤٥١ — ٤٥٠ ، ٤٠٦
 ٧٧ (٥ج)
 ٣٦٣ ، ٢٧٩ (٦ج)
 ٣٧٢ ، ٢٤٢ ، ١٨٠ (٧ج)
 (ج) ٧٤١ ، ٨١٤ ، ٨٣٣ — ٨٣٤

جذام (ج) ١٦٨ ، ٤٠٢ ، ٤٥٤ ، ٥٤٧

(ج) ٥٠ ، ٤٢٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣ — ٢٤١ (٤ج)
 ٢٦٢ ، ٢٥١ ، ٢٤٩ — ٢٤٨
 ٤٢٣ ، ٣٣٨ ، ٣١٩ ، ٢٩٦
 ٤٢٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ — ٤٦٣
 ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٥٣١
 (ج) ١٦٧ ، ٢٧٥ ، ٣٦٣ ، ٣٧٧
 ٥١٤ ، ٤٧١ ، ٣٨٩ ، ٥٩٤
 ٤٧٩ (٧ج)
 (ج) ٤٧٥ ، ٦٠٣ ، ٦٣٢ ، ٧٧٠ ، ٦٦٨

(ج) ٤٢٧ ، ٤٣٥

جلان (بنو) (ج) ٤٤٨
 الجلم (ج) ٤٧٤ ، ٥١٠
 (ج) ٤١٩

٤٢٣ — ٤٢١ ، ٤١٩ — ٤١٨
 ٤٦٥ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩ — ٤٣٨
 ٥٠٥ — ٥٠٤ ، ٤٩٥ — ٤٩٤
 ٥٦٠ ، ٥٣٦ ، ٥٢٥ ، ٥١١
 ٦٦٩ ، ٥٩٠ — ٥٨٩ ، ٥٦٤
 ٧٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦١٤ ، ٦٨٥
 ٨١٩ ، ٨١٢ ، ٨٠٢ ، ٧٩٧
 ٨٣١ ، ٨٢٤ ، ٨٢٢ — ٨٢١
 ٨٨٩ ، ٨٧٥ ، ٨٦٨ ، ٨٣٦
 ٩٠٨

جبا جبا (بنو) (ج) ٥٩٦

(ج) ٣٨٠

جبان (بنو) (ج) ٨٧

الجبانيون (ج) ٤٢٥

(ج) ٥٠٦ — ٥٠٧

جبر (جبرم) (ج) ٢٩٥

جبلس (قبيلة) (ج) ٣٤٩

الجحاجح (طبقة) (ج) ٥٦١

الجدالة (بنو) (ج) ٥٩٣

ججاش (بنو) (ج) ٤٠٤

جججيا (قبيلة) (ج) ١٣٦ ، ١٣٩

ججلن (بنو) (ج) ٤٤٨

ججش (بنو) (ج) ٥٢١

(ج) ٥٣٤

جد (بنو) (ج) ١٨

جداعة (بنو) (ج) ٥١٦

جدة (بنو) (ج) ٤٥٠

جدجنة (بنو) (ج) ٤٣٨

جدلت (عشيرة) (ج) ٤٦٢

الجدماء (بنو) (ج) ١٢٩

جدن (جدنم) (قبيلة) (ج) ٢١٨ ، ٣٦٠ ، ٤٠٥ — ٤٠٦ ، ٤٤٧

٤٩٠ ، ٥٦١ — ٥٦٠ ، ٥٩٣

٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٥٦

(ج) ٣٨٥ ، ٣٨٠

(ج) ٦٧٣

جدوي (جدويان) (ج) ٤٧٥

جديس (بنو) (ج) ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٢

١٨١ ، ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ٣٢٤

جريمة (قبيلة) (ج) ٤٠٠
 (٢ج) ٥٧٨
 (٣ج) ١٧٩
 (٤ج) ٤٥٩
 (٥ج) ٣٧٤
 (٦ج) ٧٠٣
 (٧ج) ٤٤٣ ، ١٩٤
 (٨ج) ١٧٥
 جر (قبيلة) (ج) ١٤٨
 الجراجمة (بنو) (ج) ٥٥٧
 جراد (بنو) (ج) ٥٢١
 الجرارة (قبائل) (ج) ٢٥٥
 الجراريون (ج) ٤٩٣ ، ٤٥٦
 (٥ج) ٣٦٩ ، ٣٦٦
 الجرافيون (عشيرة) (ج) ٥٠
 الجرامقة (ج) ٦١٥ ، ٦١٧
 (٣ج) ١٨٦
 جرت (آل) (ج) ١٤٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣
 ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٥٣
 ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٣ - ٤٩٤
 جرش (قبيلة) (ج) ٤٩٠
 جرعاء جرهاء (قبيلة) (ج) ٦٢٤
 جرعان (قبيلة) (ج) ١٩٣
 جرف (بنو) (ج) ٣٢٨
 جرم (بنو) (ج) ٤٣٧ ، ٥٥٦
 (ج) ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٧٣ ، ٥٠٦
 (ج) ٢١٩ ، ٤٢٤ ، ٦٢٥
 (ج) ٢٨٥ ، ٤٢٩
 (ج) ٢٧٠ ، ٢٧٦
 (ج) ٢٤٥
 (ج) ٦٣١
 (ج) ٦٨
 جرمائية (شعوب) (ج) ٣١٠
 الجرزم (بنو) (ج) ٤٨٥
 جرهائون (ج) ١٧٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٤
 (ج) ١٥ ، ١٧ ، ١٩

جرهم (ج) ٢٩٦ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٩٤ ، ٣٨٤ ، ٤٣٣
 - ٤٣٥ ، ٤٤٧ ، ٤٨٧
 (ج) ٥٧٦
 (ج) ١٦١ ، ٣٨٩ ، ٥٣٦
 (ج) ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١٣٣ ، ٤٤٠
 (ج) ١٦٣ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨
 (ج) ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣٧٦ ، ٤٠٥
 ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٥٠٤
 (ج) ٣٦٣ ، ٤٥١
 (ج) ٤٦٦ ، ٥٢٢ ، ٥٣٧ - ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٦٠٣ ، ٦١٩ ، ٦٢٠
 ٦٤٣ ، ٦٢٩
 (ج) ٣٩٦ ، ٤٣٦
 جربول (بنو) (ج) ٤٥١
 جزيان (آل) (ج) ٩٩
 جزيلة (قبيلة) (ج) ٣٧٢
 (ج) ١٦٩
 (ج) ٤٦٣
 جسر (بنو) (ج) ٤٠٤
 (ج) ٤٥٩
 جشم (بنو) (ج) ٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢١٩ ، ٣٧٤ ، ٤٢٥ ، ٤٨٠
 (ج) ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩١
 (ج) ٢٤٠ ، ٣٦٣ ، ٥٢٢
 (ج) ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٩٨
 جمبر (قبيلة) (ج) ١٤٨
 جمشة (بنو) (ج) ٤٢٥
 جمدة (بنو) (ج) ٥٢١
 (ج) ٢٤٨
 (ج) ٥٢٢ ، ٥٣٣
 (ج) ٣٩٥ ، ٤٦٧

جذيمة (قبيلة) (ج) ٤٠٠
 (ج) ٥٧٨
 (ج) ١٧٩
 (ج) ٤٥٩
 (ج) ٣٧٤
 (ج) ٧٠٣
 (ج) ٤٤٣ ، ١٩٤
 (ج) ١٧٥
 جر (قبيلة) (ج) ١٤٨
 الجراجمة (بنو) (ج) ٥٥٧
 جراد (بنو) (ج) ٥٢١
 الجرارة (قبائل) (ج) ٢٥٥
 الجراريون (ج) ٤٩٣ ، ٤٥٦
 (ج) ٣٦٩ ، ٣٦٦
 الجرافيون (عشيرة) (ج) ٥٠
 الجرامقة (ج) ٦١٥ ، ٦١٧
 (ج) ١٨٦
 جرت (آل) (ج) ١٤٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣
 ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٥٣
 ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٣ - ٤٩٤
 جرش (قبيلة) (ج) ٤٩٠
 جرعاء جرهاء (قبيلة) (ج) ٦٢٤
 جرعان (قبيلة) (ج) ١٩٣
 جرف (بنو) (ج) ٣٢٨
 جرم (بنو) (ج) ٤٣٧ ، ٥٥٦
 (ج) ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٧٣ ، ٥٠٦
 (ج) ٢١٩ ، ٤٢٤ ، ٦٢٥
 (ج) ٢٨٥ ، ٤٢٩
 (ج) ٢٧٠ ، ٢٧٦
 (ج) ٢٤٥
 (ج) ٦٣١
 (ج) ٦٨
 جرمائية (شعوب) (ج) ٣١٠
 الجرزم (بنو) (ج) ٤٨٥
 جرهائون (ج) ١٧٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٤
 (ج) ١٥ ، ١٧ ، ١٩

جمع (بنو) (ج ١) ٤٠١
 جميل عرجن (بنو) (ج ٢) ٣٢٨
 الجن (قوم) (ج ١) ٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٨٧ ،
 ٣٣٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤
 (ج ٢) ٥٨٣
 (ج ٣) ٧٨ - ٧٩ ، ١٧٩ ، ١٨١
 (ج ٤) ٣٦١
 (ج ٥) ٥٥ ، ١٤٤ ، ٣٣٩
 (ج ٦) ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٣
 ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ،
 ٢٩٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨١ ، ٦٧٠ ،
 حا ٦٨٥ ، ٦٩٧ ، ٧٠٦ -
 ٧٠٨ ، ٧١١ - ٧١٠ ، ٧١٣
 ٧١٧ ، ٧٢٩ - ٧٣١ ، ٧٣٤
 - ٧٣٥ ، ٧٣٧ - ٧٣٨ ، ٧٤١
 ٧٤٣ - ٧٤٧ ، ٧٥١ - ٧٥٢
 ٧٦١ ، ٧٧١ ، ٧٧٥ ، ٨٠٧ -
 ٨١١ ، ٨١٤ - ٨١٦
 ٨١٩ ، ٨٢٢
 (ج ٧) ٣١ ، ١١٤ ، ٥١٦
 (ج ٨) ٢٠٠ ، ٤٠٦ ، ٦٥٢ ،
 ٦٥٦ ، ٧١٩ ، ٧٣٤ ، ٧٤٠ ،
 ٧٤٤ ، ٧٨١ ، ٧٩٣
 (ج ٩) ٨٨ ، ١١٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨
 - ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٥٧٧ ، ٥٨٩
 ٥٩٤ ، ٦٤١ ، ٦٨٥ ، ٧١٧ ،
 ٧٥٧ ، ٩٠٨
 جناب (قبيلة) (ج ١) ٣٩٤
 (ج ٢) ٢٥٠ ، ٤٣٠
 (ج ٦) ٣٥٧
 جنبه (بنو) (ج ٦) ٥١٨ ، ٥٣٠
 الجهاضم (بنو) (ج ٤) ٤٤٢
 جهينة (قبيلة) (ج ١) ١٦٨
 (ج ٣) ٥٠
 (ج ٤) ٢٤٦ ، ٢٦١ - ٢٦٣ ،
 ٢٨١ ، حا ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ -
 ٤٣١
 (ج ٥) ٣٩٨ ، ٦٤١
 (ج ٦) ٤١٧ ، ٥٠٥ ، ٧٥٦ -

(ج ٦) ٢٧٦
 (ج ٩) ٣٠٥ ، ٣٦٦ ، ٤٣٢ ،
 ٤٣٤ ، ٤٦٥
 جمران (بنو) (ج ٤) ٤٤٨
 الجمزيون (ج ٣) ٤٨٤
 جمفي (بنو) (ج ١) ٥٤٨
 (ج ٤) ١٩٥
 (ج ٥) ٦٠ ، ٣٥٣ ، ٥٥٧
 (ج ٧) ٤٤٨ ، ٤٦٢
 جعفر (قبيلة) (ج ٣) ٢٩٠
 الجعمريون (ج ٩) ٥٤٩
 جمل (بنو) (ج ١) ٥٢١
 جميزان (ج ٣) ٤٤٩
 جميل (بنو) (ج ٧) ٤٧٩ ، ٤٨٤
 جفنة (قبيلة) (ج ١) ٤٩١
 (ج ٢) ١٦٥ ، حا ١٨٨ ، ٢٥١
 ٢٨٠ ، ٣٢١ ، ٣٨٧ - ٣٨٩
 ٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ -
 ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٧ -
 ٤٢٩ ، ٤٣٧ - ٤٤٠ ، ٤٤٣
 (ج ٤) ٤١٧ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢
 (ج ٥) ٥١٨
 (ج ٧) ٥٥٠
 (ج ٩) ١٨٢ ، ٦٦١ ، ٧٢٤ ،
 ٧٣٤
 الجفنيون (ج ٣) ٤٠٥
 الجلهاء (ج ٤) ٢٥١ ، ٤٣٢
 الجلندي (بنو) (ج ٤) ٢٠٣ ، ٤٤١
 جلهمه (بنو) (ج ٤) ٢٥١ ، ٤٣٢
 جماعة (بنو) (ج ٩) ٥٦٧ ، ٦٦٧
 الجماهير (بنو) (ج ٤) ٤٥٠
 جمع (بنو) (ج ٤) ٢٦ ، ٥٨ ، ٦٠ -
 ٦١ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١١٢ ،
 ١٤٠ ، ٣١٠ ، ٣٧٨ ، ٤٨١
 (ج ٥) ٢٤٩ ، ٥٠٢
 (ج ٧) ١٩٢
 (ج ٩) ٤١١ ، ٨٩١
 جمدان (بنو) (ج ٢) ٤٢٧

الجواهره اعشيرة (ج) ٣. ٥.	٧٥٧ ، ٧٦٩ ، ٧٧٦ ، ٨٢٢
الجون (بنو) (ج) ١. ٣٧٣	(ج) ٧. ٣٥٥ ، ٤٨٥
(ج) ٣. ٤٩٩	(ج) ٨. ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٣٦٧
جوين (ج) ٤. ٢٢٢	(ج) ٩. ٤٣٥
(ج) ٨. ١٣٠	جوا (قبيلة) (ج) ٣. ١٤٨
جيشان (بنو) (ج) ٤. ١٩٦	جواني (قبيلة) (ج) ٤. ٢١٠

— الحاء —

الحاميون (ج) ١. ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥	الحارث (بنو) (ج) ١. ٣٧٣
٤٢٩ : ٦٤٣	(ج) ٣. ٢٤٠
(ج) ٢. ٢٦١	(ج) ٤. ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ٢٥٨
الحياق (جماعة) (ج) ٤. ٢٤٠	٣٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٥٨٨ —
حب (قبيلة) (ج) ٢. ٥٤٢ ، ٥٩٦	٤٥٩ ، ٤٨٠ ، ٥٣٥
(ج) ٣. ٢٨٠	(ج) ٥. ٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٣٥٩ —
حبة (آل) (ج) ٢. ٣٧٥	٣٦٠
الحبش (ج) ١. ٢٢٤ ، ٢٥١ ، ٤٥٩ .	(ج) ٦. ٢٦٠ ، ٥٤٧
٥١ .	(ج) ٧. ٤٨٤
(ج) ٢. ٢٥٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ —	(ج) ٨. ١٣٠
٢٨٠ : ٣٨٧ — ٣٨٨ ، ٤١٨	(ج) ٩. ١١٣ ، ٤٨٢ ، ٧١٦ ،
٤٢١ — ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣	٧٢٧ ، ٧١٨
٤٣٧ — ٤٣٨ ، ٤٤٠ — ٤٤١	الحارثي (آل) (ج) ٩. ٤٣٢
٤٥٣ : ٥١٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٣ .	حاشد (قبيلة) (ج) ١. ٤٦ ، ١٩٦ ،
٥٢٥ ، ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ :	٣٧٣
٥٩٠ — ٥٩١ ، ٥٩٤ — ٥٩٧	(ج) ٢. ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ،
٦٤٧	٣٥٢ — ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤
(ج) ٣. ١٨٦ ، ٣٨٠ ، ٤٤٩ —	٣٩٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ — ٤١٠ ،
٤٥٧ . ٤٦٠ ، ٤٦٢ : ٤٦٧ —	٤٣٧ — ٤٣٨ ، ٤٨٨ ، ٥٤٣
٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ — ٤٧٧ :	(ج) ٤. ٤٣٣ — ٤٣٤ ، ٤٤٨
٤٨٠ — ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ :	(ج) ٥. ٣٣٢
٤٩٤ ، ٥٠٥ — ٥٠٩ ، ٥١٢ :	(ج) ٦. ٣٧٦
٥١٥ : ٥١٧ — ٥٢٢ ، ٥٢٤ —	(ج) ٧. ٣٧١ ، ٥١٩

٤٤٨ ، ٤٤٢ (ج) ٤٤٨ ، ٤٤٢ (ج)
 ١٣٥ (ج) ١٣٥ (ج)
 حدثت (عشيرة) (ج) ٤٦٢ (ج)
 حديد (بنو) (ج) ٣٦٨ (ج)
 حذافة (بنو) (ج) ٥٩٨ (ج)
 حذاق (بنو) (ج) ٧٩٧ - ٧٩٨ (ج)
 حذمت (بنو) (ج) ٥١٤ (ج)
 حذوة (قبيلة) (ج) ٣٨٢ (ج)
 حراز (بنو) (ج) ١٨٢ (ج)
 حرام (بنو) (ج) ٣٧٣ ، ٤٠٥ (ج)
 ٥٦٠ ، ٤٦٢ (ج) ٥٦٠ ، ٤٦٢ (ج)
 ١٤٨ (ج) ١٤٨ (ج)
 ٤٣٢ ، ٣٢٨ (ج) ٤٣٢ ، ٣٢٨ (ج)
 ٣٦٦ (ج) ٣٦٦ (ج)
 حرب (آل) (ج) ٤٢٠ (ج)
 حرة (عشيرة) (ج) ٤٦٢ ، ٥٤١ (ج)
 ٥٥٥ ، ٥٤٤ (ج)
 ٦٣٧ (ج) ٦٣٧ (ج)
 حرر (قبيلة) (ج) ٣١٧ (ج)
 حرض (ج) ٩٨ (ج)
 ٥٢١ (ج) ٥٢١ (ج)
 الحرفة (ج) ٢٦٢ (ج)
 ٤٨٥ (ج) ٤٨٥ (ج)
 حرم (بنو) (ج) ٥١٩ (ج)
 حرمة (بنو) (ج) ٥٢٥ (ج)
 حزفر (حزفرم) (بنو) (ج) ٢٦٧ ، ٥٤٧ ، ٥٢٢ ، ٤٨٤ ، ٤٤٩ (ج)
 حزن (بنو) (ج) ١٤٨ (ج)
 حزورة (بنو) (ج) ٦٤٨ (ج)
 حسل (ج) ٥٢٢ (ج)
 حسمونيون (ج) ٢٦ (ج)
 حسيل (ج) ٥٢٢ (ج)
 حسين (بنو) (ج) ٤٥١ (ج)
 حشم (بنو) (ج) ٣٧٢ (ج)
 حشور (بنو) (ج) ٤٠٤ (ج)
 حصن (قبيلة) (ج) ٢٣٩ ، ٤٥٧ (ج)
 ٥٧١ (ج)
 حضي (قبيلة) (ج) ١٤٨ (ج)

٣٥٨ ، ٥٣١ ، ٥٢٧ (ج)
 ٣٦ - ٣٥ ، ٣٣ - ٣٢ (ج)
 ١١٣ ، ٨١ ، ٧٨ ، ٧٢ ، ٣٩ (ج)
 ١٦٢ ، ١٥٣ ، ١١٦ ، ١١٤ - (ج)
 ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٧٨ ، (ج)
 ٣١٢ ، ٤٤٥ ، ٥٥٦ (ج)
 ١٩٣ ، ١٢٢ ، ١٠٥ (ج)
 ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٥ ، ٣٢٨ - (ج)
 ٣٢٩ ، ٤١٤ - ٤١٥ ، ٤٤٢ (ج)
 ٥٤١ (ج)
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٥٣٨ (ج)
 ٦١٣ - ٦١٤ ، ٦٥٦ ، ٦٩٣ (ج)
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٣٠ (ج)
 ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ (ج)
 ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٤٥٤ ، ٤٧٧ (ج)
 ٤٨٧ ، ٥٤١ (ج)
 ٤٠ ، ٤٢ ، ٥١٨ ، ٥٤٥ (ج)
 ٥٦٠ ، ٥٩١ ، ٦٢٠ ، ٦٣٧ (ج)
 ٧٣٨ (ج)
 ٧٠٩ ، ٢٨٤ (ج)
 حبشية (احزاب) (ج) ٤٣٣ : ٤٣٧ (ج)
 الحبلى (بنو) (ج) ١٣٩ (ج)
 الحجازية (قبائل) (ج) ٢٥٠ (ج)
 ١٤ (ج)
 ٣١٨ (ج)
 الحجازيون (قوم) (ج) ٢٠٢ - ٥٧٨ (ج)
 ٥٨٠ - ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٠٣ (ج)
 حجر (بنو) (ج) ٣٧٣ (ج)
 ٤٦٢ ، ٤٥٦ (ج)
 ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٣٩٣ (ج)
 ٤٤٦ ، ١٩٦ (ج)
 ١٤٢ (ج)
 ٣٩٥ (ج)
 حجور (بنو) (ج) ١٨٧ ، ٤٤٨ (ج)
 ٤٦٢ (ج)
 حد (آل) (ج) ١٤٨ (ج)
 حداد (بنو) (ج) ٦٤٩ (ج)
 حدان (قبيلة) (ج) ٥٥٦ (ج)
 ٣١٧ (ج)

الحمراء (بنو) (ج ١) ٣٦٥
 الحمرة (بنو) (ج ٨) ٤١٠
 الحمس (قبيلة) (ج ١) ٣٦٦
 (ج ٦) ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ -
 ٣٧٢ ، ٤٣٢
 (ج ٨) ٤٧٦
 حملان (ج ١٢) ٣٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ ،
 ٤٠٩ - ٤١١ ، ٤٢٥
 حمي (قبيلة) (ج ٣) ١٤٨
 حميد (بيت) (ج ١) ٣٢٩
 حمير (ج ١) ٢٣ ، ٤٦ ، ٧٣ ،
 ٩١ - ٩٧ ، ٩٩ - ١٠٠ ، ١٠٦ ،
 ١١٧ ، ١٧٩ ، ٣١٦ ،
 ٣٣٧ ، ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٧٠ ،
 ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ح ٣٩٨ ،
 ٤٢٦ ، ٤٦٤ ، ٤٩٠ ، ٤٩٩ ،
 ٥٠١ - ٥٠٥ ، ٥١٦ ، ٦٥٢ ،
 (ج ٢) ٦٠ ، ١٣٤ - ١٣٥ ،
 ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٩٧ ،
 ٢١٥ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٦٦ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٤٣ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٦ ،
 ٣٦٨ ، ٣٧١ - ٣٧٢ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٩ ، ح ٤٠٢ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢٣ - ٤٢٥ ، ٤٢٨ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٣ - ٤٣٦ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٣ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٥ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ -
 ٥١٤ ، ٥١٦ - ٥٢٢ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٨ ، ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٥٣٧ ،
 ٥٣٩ - ٥٤٠ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ،
 ٥٨٣ - ٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٥ ، ٦٥٨ -
 (ج ٣) ١٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٨ -
 ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ،
 ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ،
 ٤٥٣ - ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١

الحضارمة (ج ١) ٣٦٨
 (ج ٢) ٧٤ ، ٤٢٥ ، ٤٨٠ -
 ٤٨١ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ ، ٥٦١
 (ج ٥) ٥٨٤
 (ج ٦) ٥٤
 حضران (عشيرة) (ج ٢) ٢٠٩
 حضرم (بنو) (ج ١٢) ٢٢١
 (ج ٦) ٦٠٤
 حضرموت حرزماوث (بنو) (ج ١)
 ٤٢٦
 الحضرميون (ج ٢) ١٥٨ ، ١٨٦ ،
 ٣٧٢ ، ٤٢٦
 (ج ٦) ٣٧٤
 (ج ٧) ١٦٩
 حضورا (قبيلة) (ج ١) ٢٩٥ ، ٣٤٧ ،
 ٣٩٠
 الحطييط (بنو) (ج ٤) ١٥٦
 الحفير (قبيلة) (ج ١) ٣٨٨
 حكم (عشيرة) (ج ٢) ٤٦٢
 (ج ٤) ٢٦٧
 (ج ٧) ٣٣٠ ، ٤٦٧
 (ج ٨) ١٣٣
 (ج ٩) ٦١٧ ، ٦٢٠
 الحلة (قبائل) (ج ١) ٣٩٤
 (ج ٦) ٣٥٣ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ،
 ٣٦٠ - ٣٦١ ، ٣٧٢
 (ج ٨) ٤٧٦
 حلحل (عشيرة) (ج ٢) ٤٥٨
 حلوان (بنو) (ج ٢) ٦١٦
 حليل (بنو) (ج ٤) ١٥
 حليمة (قبيلة) (ج ٣) ١٩٨
 (ج ٦) ٧٦٥
 حماد (بنو) (ج ٤) ٣٣٨
 الحماص (بنو) (ج ١) ٣٧٣
 حماطة (بنو) (ج ٤) ٤٢٤
 حمان (قبيلة) (ج ١) ٤٠٣
 حمد (بنو) (ج ٢) ١٤٨ - ١٤٩
 (ج ٨) ٥٢٠

الحميرية (قبائل) (ج ٢) ٢٧٢ ، ٥٢٤

(ج ٣) ٢٢١

(ج ٤) ١٨٢ ، ٢٢٢

الحميريون (ج ١) ٤٨ ، ٤٢٣

(ج ٢) ١٢٩ ، ١٣٤ ، ٦٣ ، ٥٥

١٤٤ ، ١٤٧ — ١٤٨ ، ١٥٥

١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦

٢٦٦ ، ٢٦٧ — ٢٦٦ ، ٢٧١

٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٤١٩ — ٤٢٠

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٥ ، ٤٤١

٤٩٣ ، ٥١١ — ٥١٢ ، ٥١٦

— ٥٢٤ ، ٥٢٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤

(ج ٣) ٣٨٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٩ ،

٤٦٢ — ٤٦٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤

٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٥٠٦

(ج ٤) ٤٣٥ ، ٦٧٩

(ج ٥) ٤٦٣

(ج ٦) ٥٤٠ ، ٦١٠ ، ٦١٣ —

٦١٤

(ج ٧) ٤٩٩

(ج ٨) ١٩٤

(ج ٩) ٢٨

حميس (ج ٤) ٢٦١

حن (بنو) (ج ٤) ٢٥١ ، ٤٥٠

حنبص (بيت) (ج ٢) ٢١٨

(ج ٨) ٨

حنش (بنو) (ج ١) ٥٢١

(ج ٤) ١٣٦

حنظلة (بنو) (ج ١) ٢٤٨ ، ٥٢١

(ج ٢) ٦٢٨ ، ٦٤٠

(ج ٣) ٢٤٠

(ج ٤) ٢٣٧ ، ٤٨٦ ، ٥٢٩ ،

٥٧٠ ، ٥٧٢

(ج ٥) ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ،

٣٨٦ ، ٣٩٣

الحنفاء (طبقة) (ج ٤) ٤٧٥ ، ٦٧٢

(ج ٦) ٤٤٩ — ٤٥١ ، ٤٥٤ ،

٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ — ٤٦٣

٤٧٨ — ٤٧٩ ، ٥٠٦ — ٥١٠

— ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨٤ — ٤٨٥

٤٨٧ ، ٤٩١ — ٤٩٢ ، ٥٠٤

٥٠٧ ، ٥٠٢ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧

٥٣١ ، ٥٣٦

(ج ٤) ١٦ ، ١٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ،

١١٧ ، ١٧٥ ، ١٨٠ — ١٨٢

١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ١٩٨

٢٤٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣

٣١٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥

٣٦٤ ، ٤١٥ — ٤١٩ ، ٤٢٢

٤٢٨ ، ٤٣١ — ٤٣٢ ، ٤٣٤

— ٤٣٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ — ٤٦٦

٤٦٨ ، ٥٠٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨

٥٣٩ ، ٥٦٧ ، ٦١٦ ، ٦٦٠

(ج ٥) ١٠ ، ٢٤ ، ١٠٧ ، ١٦٣

١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٣ — ١٩٤

١٩٦ ، ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٧٨ — ٢٧٩ ، ٣٠٩ ، ٣٤٩

٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤ ، ٤٧٤

٦٣٦ ، ٦٤٣

(ج ٦) ٥٨ ، ٨٤ ، ٢٦٣ — ٢٦٤

٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٧٦ ، ٤٠٠

٤٤٦ ، ٥١٤ ، ٥٣٩ — ٥٤٠

٥٥٧ ، ٦١٠ ، ٦١٢ — ٦١٥

٦٩٧

(ج ٧) ٣٠٣ — ٣٠٤ ، ٣٤١ ،

٣٤٦ ، ٣٧٥ ، ٥٠٨ ، ٥٢٧

٦٣٣

(ج ٨) ٣٩ ، ٧٩ ، ١٥٣ — ١٥٤

١٦١ — ١٦٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٩

٢٧٨ ، ٣٤٧ ، ٥٢١ ، ٥٣٨

٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٥٧٢ ، ٥٧٦

٥٩١ ، ٦٠٣ ، ٦١٩ — ٦٢٠

٦٢٩ — ٦٣١ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩

— ٦٤٠ ، ٦٧٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩٢

٧٩٦ ، ٧٩٦

(ج ٩) ٢٨ ، ٢٠٨ ، ٣٤٨ ،

٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٣

٤٣٩ ، ٥٧٤ ، ٦١٧ ، ٨٠٣

٢٢٩ (٤ج)	٧٠١ ، ٦٧٢ ، ٦٦٧ ، ٦٤٥
٦٠٩ (٦ج)	— ٧٣٨ ، ٧٠٤ ، ٧٠٢
حوالة (بنو) (ج١) ٤٣١	(ج٨) ٣٢٢ ، ١٠٨
١٤٨ (٢ج)	حنيفة (بنو) (ج١) ٣٣٥ ، ٣٠٩
حولم (بنو) (ج٢) ٥٤٢	(ج٣) ٢٥٠ ، ٢٣١ ، ١٧٣
الحوليون (جماعة) (ج١) ٤٣١	(ج٤) ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢١٦ —
حويطات بن جاد (بطن) (ج٢) ٥٠ —	٢١٨ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ ، ٥١٠
٥١	(ج٦) ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٨ — ٩٦
حويطات التهمة (بطن) (ج٣) ٥٠	٩٨ — ١٠٠ ، ٢٠٨ ، ٣٥٥
حويطات الطويون (بطن) (ج٣) ٥٠	٦٧٤
الحيا (بنو) (ج٤) ٤٧٨ ، ٥٢٣	(ج٧) ٢٨ — ٤٠ ، ١٤٩ ، ١٩٦
حيث حيشم (بنو) (ج٢) ٣٩٣ —	٣٤٤
٣٩٤	(ج٨) ٦٠٣ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨ ،
الحيريون (قوم) (ج٧) ٢٩٧	٧٥٥ ، ٧٦١ — ٧٦٢
١٦٩ (٨ج)	(ج٩) ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٥٦٤ ،
حيش (بنو) (ج٤) ٤٥٠ — ٤٥١	٦٥٦ ، ٦٥٨ ، ٦٦٩
حيوم (قبيلة) (ج٢) ٥٦٤	الحنيك (بنو) (ج٤) ٤٥٠
	الحواريون (ج٢) ٦٢١

— الخاء —

٤٥٥	خارجة (بنو) (ج١) ٤٠٣
(ج٥) ٣٠٩ ، ٣٥٣ ، ٥٢٠	(ج٤) ٥٠٨
(ج٦) ٢٢٠ ، ٢٧٠ — ٢٧٣ ،	الخارف (اخرف) (قبيلة) (ج٢)
٣٥١ — ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ،	٣٩٣
٣٧١ ، ٧٧١	(ج٦) ٢٦٣
(ج٧) ٣٦١	(ج٧) ٤٦٢
(ج٨) ٢٦٧ ، ٤٧٤ — ٤٧٥ ،	خالد (بنو) (ج١) ٣٠٢
٥٠٠ — ٥٠٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨	خشم (ج٣) ٥١١ ، ٥١٣
٥٧٩ ، ٥٩١ ، ٦٠٣ ، ٦٠٩ —	(ج٤) ٦٨ — ٦٩ ، ٨٨ ، ١٨٤
٦٣٧ ، ٦٤٠ ، ٦٨٢	— ١٩٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٢
(ج٩) ١٦ ، ١٩ ، ٥٢٣ ، ٦٤٨	٣٧٩ ، ٤٢٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥

٤٣٧ - ٤٣٦ ، ٤٣٢ - ٤٣١

٥١٨ ، ٥١٠ ، ٤٤٢

(ج) ٢٥١ ، ٢٠٩ ، ١٨٠ ، ١٨

- ٢٥٢ ، ٢١١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥

٤٥١

(ج) ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣

٢٧٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣

٥١٤ ، ٥١٩ - ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٣

٥٣٢ - ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧

٥٤٢ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٨٠

(ج) ٢٢٨ ، ٢١٥ ، ٤١ ، ٢٢

(ج) ١٣٢ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ٢٦

١٢٥ ، ١٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٥

٢٤٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٩ ، ٦٣٣

٦٣٤ ، ٧٦٠

(ج) ١٤ ، ٦٥ ، ٢٨٠ ، ٤٢٩

٤٢٥ ، ٥١٨ ، ٦٥٤ - ٦٥٥

٦٩٤ ، ٧١٣ ، ٧١٩ - ٧٢٠

٧٢٢ - ٧٢٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨

٧٣٠ - ٧٣١ ، ٧٣٤ ، ٧٤٨

٧٥٢ ، ٧٨٢ ، ٧٨٥ ، ٨٢٦

خریمة (ج) ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٠

٤٨٠ ، ٥٣١

(ج) ٣٦٣

خسأ (بنو) (ج) ٣٦٨

الخسئیون (ج) ٣٦٨

خسین (بنو) (ج) ١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٤٢٥

خصافة (عشيرة) (ج) ٢٥٥

(ج) ٨١٧

خصب (آل) (ج) ١٤٩ - ١٥٠ ، ٢١٦

الخضارمة (بنو) (ج) ٥٥٧ ، ٥٦٣

خضم (بنو) (بنو) (ج) ٢٠٦

الخضیرات (عشيرة) (ج) ٥١

خطی (بنو) (ج) ٥٨٤

الخطیون (جماعة) (ج) ٥٨٣

(ج) ٥٧٠

خفاف (بنو) (ج) ٤٠٥

خلمان (بنو) (ج) ٩٨ - ٩٩

الخرج (بنو) (ج) ٢١٦

خرشاف (بنو) (ج) ٧٦

(ج) ١٨٠

خزاعة (بنو) (ج) ٣٦٠ ، ٤٠١ ، ٥١٥

(ج) ٣٩٠

(ج) ١٤ - ١٦ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣١

٤٢ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٤٨ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٨٤

حا ١٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦

- ٢٦٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٥ ، ٤١٢

٤٣١ ، ٤٣٨ - ٤٤٢ ، ٤٧٨

- ٤٧٩ ، ٥٣١ - ٥٤٤ ، ٥٩٥

(ج) ٩١ ، ٩٧ ، ١١٣ ، ١٦٢

- ١٦٣ ، ٤٣٦ ، ٦٤٨ ، ٦٤١

(ج) ٥٨ ، ٨٠ ، ١٦٧ ، ٢٣٧

٢٤٠ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٦٧

٢٧٧ ، ٣٣٠ ، ٣٦٣ - ٣٦٥

٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٧٦

٧١٠

(ج) ٤٥١

(ج) ١٢٨ ، ٥٨٠ ، ٦٠٠ - ٦٠١

٦٠٢ ، ٦٣٢ - ٦٣٣ ، ٦٤٢

(ج) ٣٩٦ ، ٤٣٥ ، ٦١٨ - ٦١٩

٦٢١ ، ٦٤٩ ، ٨١٩

الخزاعیون (ج) ٢٧٦

(ج) ٤٤٠

الخزرد (قوم) (ج) ٢٦٣

الخزنج (قوم) (ج) ٣١٤ ، ٣٧٤ ، ٤٢٨

٤٧٥ - ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، ٥٧٨

(ج) ٢٨٠ ، ٣٩٠ - ٣٩١

(ج) ١٣٠ - ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤١

٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦

٢٦٧ -	خلبان (بنو) (ج٢) ٢٢١
٢١٦ ، ١٥٤ ، ١٤٩ (ج٢)	خلفان انمار (بنو) (ج٢) ٥٦٤
٣٨٤ ، ٣٨١ ، ٣٦٩ ، ٣٣٤	خلقس (جالية) (ج٢) ٢٠
٢٨٥ - ٣٦٤ - ٣٦٥ ،	الخلود (بنو) (ج١) ٢٠٢
٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ - ٤٠٥	خليل (آل) (ج٢) ٢٦٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٧
٥٤٤ ، ٤٤٠	٤٨٤ ، ٥٢٢
٥١٩ (ج٣)	خناعة (بنو) (ج٤) ٥٣٥
٤٦٠ - ٤٥٩ ، ٤٢٣ (ج٤)	خناعة (بنو) (ج٤) ٥٣٥
٢٦٥ ، ٢٦٢ (ج٦)	خندف (بنو) (ج١) ٤٩٢ ، ٥٢١
١٤٢ (ج٧)	٥٩٥ ، ٥٩١ (ج٤)
الخولانيون (ج٢) ٩٤ ، ٣٨٤ ، ٤٠١	٥٨٩ (ج٨)
٤٠٤ ، ٤٠٢ -	خنزريت (بنو) (ج١) ٣٦٧
٤٥٩ (ج٤)	خوزان (بنو) (ج٤) ٣٢٩
خيابة خبابه (بنو) (ج١) ٥٧٩ ،	خولان (بنو) (ج١) ٩٢ - ٩٥ ، ٣٦٦
٥٨٥ ، ٥٨١	
خيران (بنو) (ج٤) ٤١٦	

- المال -

دئل (بنو) (ج١) ٤٠٠ ، ٥٢١	دا (بنو) (ج٣) ٤٨٤
٤٣٥ ، ٤٣٣ (ج٩)	الداديون (ج٣) ٣٦٣
دالان (بنو) (ج٤) ١٨٧	دارس (بنو) (ج٤) ٥١٧
٤٦٢ (ج٧)	دارم (بنو) (ج٢) ٢٥٠ - ٢٥٢ ،
داهر (بنو) (ج١) ٣٦٧	٣٦٢ ، ٣٤٨
داهن (بنو) (ج٨) ٧٤٢	(ج٤) ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٣٨٨ ،
الدب (بنو) (ج١) ٥٢٠ - ٥٢١	٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٧٠
دبشله (بنو) (ج١) ٤٤١	(ج٥) ١٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨٦ ،
دبير (بنو) (ج٤) ٥٣٤	٣٩٣ ،
ددان (قبائل) (ج١) ٣٣٦ ، ٥٨١	٦٩٤ (ج٦)
٤٠٦ ، ٣٣٢ ، ٩٣ (ج٢)	٣٧٩ (ج٧)
الدانيون (الدبدانيون) (ج١) ٤٦١ ، ١٨	٦٠٠ (ج٨)
(ج٢) ١٢٠ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ،	(ج٩) ٤٣٤ ، ٥٢٧ ، ٦٣٧

دهن (بنو) (ج) ٤٨٤ ، ٥٠٥	٢٤٦
دوات (بنو) (ج) ٤٦٢ ، ٥٤١	(ج) ٣١٩ - ٣٢٠ ، ٣٣٢ ،
دودان (بنو) (ج) ٤٠٦	٤٠٢
(ج) ٢١١ ، ٣٦٣ - ٣٦٤	الدرافيدون (قوم) (ج) ٢٥٦
(ج) ٥٣٤	الدرأوديون (ج) ٢١٩ ، ٤٣٢
دوس (بنو) (ج) ٤٤٢ ، ٤٤٥	الدرأوشة (عشيرة) (ج) ٥١
(ج) ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٧٤ -	دعج (بنو) (ج) ٥٠٥
٢٧٥	الداونيون (ج) ٥٤٦
(ج) ٤٨٩ ، ٨٥٢	الدليل (ج) ٥٩٣
دومان (بنو) (ج) ٤٤٩	الدمانية (ج) ٥١
ديار (بنو) (ج) ١٩٥١	الدمشقيون (ج) ٤٤
الديان (ج) ٥٣٦	دمصى (ج) ١٤٨
(ج) ٩٨	دهسم (دهسى) (بنو) (ج) ١٨٨ -
الدبل (بنو) (ج) ٣٦٧	١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،
(ج) ٣٠ ، ٤١ ، ٣٤٧	٥٠٣ ، ٥١٧
(ج) ٥١٠	(ج) ٢٥٥
(ج) ٦٢١	دهمان (بنو) (ج) ٢٦١ ، ٥٣٥
دينار (بنو) (ج) ١٩٤	(ج) ٧٦٤

- النال -

٥٠٩ ، ٥١٢ - ٥١٣ ، ٥١٦	الذئب (بنو) (ج) ٤٦٨ ، ٥٢٠ -
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٧٢ ، ٥٨٥	٥٢١
٦٢٦	الذبابيون (عشيرة) (ج) ٥٠
(ج) ٣٥٧ ، ٣٦٠ - ٣٦٢ ،	ذبحان (بنو) (ج) ٣٢١
٣٧٢	ذبيان (بنو) (ج) ٣٩٩
(ج) ٧٣٠	(ج) ٢١١ - ٢١٢ ، ٢٧٧ ،
(ج) ٦٦١	٤٢٣ - ٤٢٤ ، ٤٣٤
(ج) ١٠٧ - ١٠٨ ، ٣٦٦ ،	(ج) ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤
٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٥٠١ - ٥٠٢	٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢

ذو رعين (بنو) (ج ٧) ١٤١	٥٩٢ ، ٦٣٥ ، ٨٨٢
(ج ١) ٤٨٦	ذخر (آل) (ج ٢) ٤٥٨
ذو زود (بنو) (ج ٤) ١٩٢	ذران (بنو) (ج ٢) ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٢٠
ذو سحر (بنو) (ج ٢) ٤٨٦	- ٢٢١ ، ٣٢١
ذو الشعبين (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذرحن ذرحان (بنو) (ج ٢) ٢٠٦ ،
ذو عثتم (آل) (ج ٢) ٢١٣	٢٢١ ، ٢٢١
ذو عثكلان (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذرنج (آل) (ج ٢) ٤٨٥
ذو عذهب (بنو) (ج ٢) ٤٨٥	ذكوان (بنو) (ج ٤) ٢٦٠
ذو علشن (آل) (ج ٢) ٢١٣	(ج ٦) ٣٦٣
ذو فيفان (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذمران (بنو) (ج ٢) ٢٢١ ، ٣٢٨ ،
ذو فينان (آل) (ج ٤) ٤١٨	٤٥١ ، ٤٧١ ، ٥٤٥
ذو الكلاع (آل) (ج ٣) ٣٦٤	ذميل (بطن) (ج ٣) ٢١٦
(ج ٦) ٢٥٨ ، ٢٦٤	ذنحان (بنو) (ج ٢) ٣٩٤
ذو اللبا (آل) (ج ٦) ٢١٤	ذهل (بنو) (ج ١) ٣٧١ ، ٤٠٨
ذو لموة (آل) (ج ٤) ١٨٧	(ج ٣) ٢١١
(ج ٧) ٤٦٢	(ج ٥) ٣٦٦
ذو مران (آل) (ج ٤) ١٨٧ ، ١٩٢	(ج ١) ٤٣٣
(ج ٧) ٤٦٢	ذو اصبح (آل) (ج ٤) ٤١٨
ذو مرحب (آل) (ج ٧) ١٤٢	(ج ٨) ١٣٠
ذو المشعار (آل) (ج ٤) ٤٤٨	ذو ثعلبان (آل) (ج ٤) ٤١٨
ذو معافر (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذو جدن (آل) (ج ٣) ٤٧٥ ، ٤٧٨ ،
ذو مقار (آل) (ج ٤) ٤١٨	٤٨٢ ، ٤٨٦
ذو مناخ آل (ج ٤) ٤١٨	(ج ٤) ٤١٧ - ٤١٨
ذو هربت (آل) (ج ٢) ٢١١ ، ٢٣٠	(ج ٨) ٥٥٦
ذو يحضب (آل) (ج ٤) ٤١٨	(ج ١) ٤٩٦
ذو يزن (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذو جرفم (آل) (ج ٢) ٢١٥ - ٢١٦
(ج ٧) ١٤١ ، ٤٦٢	ذو حذار (آل) (ج ٢) ٨٧
ذو يهر (آل) (ج ٤) ٤١٨	ذو حزفر (آل) (ج ٤) حا ٤١٧
ذودان (بنو) (ج ٢) ٣٢١	ذو حوال (آل) (ج ٤) ٤١٨
ذيب ذيلب (قبيلة) (ج ٢) ٥١٢	ذو خليل (آل) (ج ٤) حا ٤١٧ -
	٤١٨

— الرءاء —

الربعة (بنو) (ج) ٥٢٥	رابان (بنو) (ج) ٥٦ ، ٤١١ ، ٤١٤
ربيع (بنو) (ج) ٣٨٧	الرابانيون (ج) ٥٥ ، ٤١٤
ربيعة (ج) ٣٥٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨٨ ،	راجل (قبيلة) (ج) ٢٩٥
٣٩٣ — ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٧٠ ،	راجل (بنو) (ج) ٣٤٦
٤٧٢ ، ٤٩٨ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ،	راسب (بنو) (ج) ٤٢٤ ، ٤٤٢
٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٦	الراشدون (ج) ١٠٤
(ج) ٢٨٠ — ٢٨١ ، ٢٨٣ ،	(ج) ٧٩٤ ، ٧٤٨
٢٨٦ ، ٦٤٥ ، ٦٥١	(ج) ٢٥٧
(ج) ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ،	رامي (آل) (ج) ١٦٢
١٩٣ — ١٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣١٦	الراوينيون (ج) ٦٠
٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ،	الربائع (بنو) (ج) ٣٣٨ ، ٣٤٠ ،
٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ،	٤٥٠
٣٥٤ — ٣٥٥ ، ٣٩٣	الرباب (قبيلة) (ج) ٤٠٢
(ج) ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،	(ج) ٣٧٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ،
٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢١٨ ،	٣٥٢ — ٣٥٣
٢٢٤ — ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ —	(ج) ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٣٣٣ ،
٢٣٧ — ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،	٣٣٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٤٨٨ ،
٣٥١ ، ٣٨٣ ، ٤١٥ ، ٤٧١ ،	٥٠٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ — ٥٢٥
٤٧٥ ، ٤٨٢ — ٤٨٤ ، ٤٩٠ ،	٥٧١
٤٩١ ، ٤٩٣ — ٤٩٤ ، ٥٠٤ ،	(ج) ٣٥١ — ٣٥٣ ، ٣٦٨ ،
٥١٢ ، ٥٢٦ ، ٥٣٠ ، ٥٧١ —	٣٧٣ ، ٣٧٦ — ٣٧٨ ، ٤٢١ ،
٥٧٢	٥٢٠
(ج) ٢٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٨٩ ،	(ج) ٣٥٧ ، ٧٦١ ، ٧٦٩
٢٦٧ ، ٣٤٧ — ٣٥١ ، ٣٥٥ ،	(ج) ٢٤٨ ، ٤٨٢ ، ٨٧٤
٣٦٥ — ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ —	رباح (بنو) (ج) ٤٠٣
٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ ،	(ج) ٤٣١
٦٣٩ ، ٦٤٤ ، ٦٥٠	الرباديون (ج) ١٥١
(ج) ٢٨٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ —	الربض (بنو) (ج) ٤٥٧
٢٨٨ ، ٣٧٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ،	

الرفائيون (ج) ٦٠ - ٦٢	٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٥٦٠
رفاعة (بنو) (ج) ٤٣٢	(ج) ٣٠٥ ، ٣٢٠
رغد (بنو) (ج) ٣٠١ - ٣٠٢	(ج) ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٥٠
(ج) ٢٥٠	٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٥٧٠ - ٥٧١
رفيدة (ج) ٤٣٠	٥٧٤ ، ٥٧٨ - ٥٧٩ ، ٥٨٢
الرفاشيون (ج) ٥٠٣	٦٠٠ ، ٦٠٥ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢
رقية (ج) ٣٣٦ ، ٣٤٨	٦٥٥ ، ٦٧٣ - ٦٧٤
(ج) ٤٨٨	(ج) ١٩ ، ٣١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩
ركب ركين (بنو) (ج) ٤٧٥	٤٢٣ - ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٣
(ج) ٤٥٠	- ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٠
(ج) ٥٢٥	٤٧٧ ، ٥٦٥ ، ٦٤٧ ، ٦٥٨
رمس (عشيرة) (ج) ٤١٤	٦٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨١٨
الرمسيون (ج) ٤١٤	رحل (قبيلة) (ج) ٣٨٢
رمع (بنو) (ج) ١٩٢	الرجم (بنو) (ج) ٦٩
رمل (بنو) (ج) ٣٠١	رجبة الرحابة (بنو) (ج) ٥٨٩ ، ٥٩٠
الرهاويون (ج) ١٩٤	(ج) ١٤٩
(ج) ٣٩٨	(ج) ٥٢٠
رهم (بنو) (ج) ٤٠٣	رحضان (بنو) (ج) ٢٧٦
رواحة (بنو) (ج) ٢٧٠	رحم الديرة (جماعة) (ج) ٢٥
(ج) ٥٤٥	ردمان (قبيلة) (ج) ٥٤ - ٥٧ ، ١٩٣ ، ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٣٢٣
روح (بنو) (ج) ١٤٠	٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ - ٤٠١
رودوماتس (بنو) (ج) ٣١٢	٤٠٤ - ٤٠٥
الروسان (قوم) (ج) ٩٥	الردمانيون (ج) ٢ - ٣٧٢ ، ٣٧٣
الرولة (عشيرة) (ج) ٢٥	٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٤٠١ - ٤٠٢
الروم (ج) ٢٩ ، ٥١ - ٥٢ ، ٦١	٤٠٤ - ٤٢٥
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٢	رزلم (بنو) (ج) ٤٥٩
١٠٨ ، ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٥٠	رشم (عشيرة) (ج) ١٥٦ ، ١٩٣
٢٦٣ - ٢٦٧ ، ٢٦٤	٢٠٨ ، ٢٢٠ - ٢٢١
٢٨١ ، ٣٢٦ ، ٣٨٧ ، ٤١٥	(ج) ٥١٤
٤٧١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٣ ، ٦٦٠	رضحن (عشيرة) (ج) ٤٦٢
(ج) ١٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٤	رضوم (بنو) (ج) ٣١٧
٤٠ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩	رضوى (ج) ١٦٨
٧٢ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ١٦٣	(ج) ٥٥٦
٤٢١ ، ٥١١ - ٥١٢ ، ٥٣٤	رعمة (بنو) (ج) ٤٣٠
٥٤٠ ، ٥٩٤ ، ٦٠٢ ، ٦٠٦	رعن (بنو) (ج) ٣٢١
٦١٨ ، ٦٢٦ - ٦٢٩ ، ٦٣١	(ج) ٦٥٩
- ٦٢٣ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤١	رغض (بنو) (ج) ٥٩٠
- ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٦٥١	
- ٦٥٩	

112 '1.9 '1.7 '9A '73
 2.8 ' 2.0 — 199 ' 192
 '292 ' 288 ' 218 ' 212
 22. ' 2.8 ' 298 — 297
 23. ' 229 — 227 ' 223
 '223 ' 221 ' 210 ' 21.
 091 ' 202 ' 232 ' 227
 72. ' 728 ' 722 ' 7.7
 ' 278 ' 79 (7 ג)
 209 ' 239 — 238 ' 232
 '018 ' 279 ' 277 ' 27.
 088 — 087 ' 029 ' 03.
 097 — 090 ' 092 — 09.
 7.7 — 7.0 ' 7.2 ' 7..
 721 — 72. ' 717 ' 712
 729 ' 722 ' 729 — 728
 '79. ' 777 ' 779 ' 70.

777

' 23. ' 227 ' 19 (7 ג)
 202 — 202 ' 227 ' 222
 282 — 281 ' 277 ' 277
 2.2 ' 2.1 ' 287 — 287
 27. ' 272 ' 222 ' 212
 '222 ' 221 ' 21. ' 270
 078 — 077 ' 027 ' 299
 73. — 728 ' 710
 172 ' 90 ' 87 ' 22 (8 ג)
 '218 ' 2.0 ' 29. ' 177
 '2.7 ' 288 ' 227 ' 229
 '02. ' 018 ' 280 ' 272
 '721 ' 7.2 ' 072 ' 07.
 '788 ' 722 ' 727 ' 722
 '711 ' 7.0 ' 7.2 ' 798
 722 — 721 ' 72. ' 717
 '90 ' 92 ' 87 ' 72 (9 ג)
 — 100 ' 12. 118 ' 117
 '282 ' 222 ' 291 ' 107
 270 ' 202 ' 228 — 227
 019 '298 ' 29. ' 277 —

'82 ' 02 ' 22 — 21 (2 ג)
 12. ' 111 ' 1.2 — 1.2
 120 '129 — 128 '121 —
 170 ' 127 — 120 ' 121
 172 — 172 ' 17. — 179
 '2.8 ' 192 — 191 ' 170
 222 — 219 ' 217 — 210
 209 ' 202 ' 228 — 227
 279 ' 272 — 272 ' 271
 '2.7 ' 2.1 ' 292 ' 29.
 221 — 22. ' 22. ' 21.
 27. ' 271 ' 20. ' 222
 289 '287 — 282 '272 —
 2.2 ' 2.0 — 292 ' 291
 217 — 212 ' 2.9 — 2.0
 221 — 228 ' 227 ' 222
 201 ' 22. — 227 ' 220
 '222 ' 272 ' 207 ' 200
 277 ' 272 — 272 ' 278
 0.2 '292 — 289 ' 277 —
 022 — 021 ' 019 — 017
 022 ' 021
 '77 ' 2. — 29 ' 10 (2 ג)
 111 '22 — 92 ' 7. — 79
 12. — 119 ' 117 — 112
 '109 ' 121 ' 122 ' 122
 178 ' 177 — 170 ' 172
 177 '170 — 172 '171 —
 220 ' 222 ' 19. ' 181 —
 222 ' 222 — 22. ' 228
 207 '201 ' 228 ' 227 —
 '29. ' 282 ' 279 ' 272
 2.2 — 2.2 ' 297 — 297
 2.9 ' 227 ' 21. — 2.8
 272 — 272 ' 272 ' 217
 299 ' 291 ' 289 — 280
 '712 ' 711 ' 097 — 092
 772 ' 702 ' 728 ' 720
 '02 ' 27 ' 22 ' 2. (0 ג)

٥٤٤ ، ٥٣٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٠

٥٨٧ ، ٥٨٥ ، ٥٧٧

(ج) ٧٩ ، ٢٣ ، ١٩ ، ١٧

٤١٥ ، ٤١٠ ، ٢٢٠ ، ١٩٨

٦٢٤ ، ٥٣٨ ، ٥٢٧ ، ٥١٨

٨٠١ ، ٧٨٩ ، ٧١٦ ، ٦٢٩

(ج) ٢٣٣ ، ١٦٣ ، ١١٠

٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥

٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٥٦

٤٧٧ ، ٤٢٣ ، ٢٧٩ ، ٢٧٦

٦٢١ ، ٥٨٨ ، ٥٦٨ ، ٤٩٣

(ج) ١٩٩ ، ١٥٢ ، ١٠٧

٥٤٥ ، ٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٤٦٥

٧٢٤

(ج) ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥

٣٦٨ ، ١٣٦

الروماني (جيش) (ج) ٦٠٥

(ج) ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٦٩

١٠١ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٨٦ ، ٨٣

١٣٧ ، ١٢٨ ، ١٢٣ ، ١١٣

رومانية (حامية) (ج) ٤٥ ، ١٦١

(ج) ١٢٨ ، ٥٨

الرومانيون (قوم) (ج) ٥٢

(ج) ١٩٤ ، ٤٨ ، ٤٤

(ج) ٣١٢

(ج) ٢٧١

روميا (ج) ١٢٠

(ج) ٥٨٩

رياح (ج) ٤٧٨ ، ٤٧٥

ريام (بنو) (ج) ٣٦٧

(ج) ٤١٠

(ج) ٧٤٢

ريان (ج) ٤٧٠

ريث (بنو) (ج) ٢٥٢

الريديانيون (ج) ٢٦٦ ، ٣٣٤

٤٣٦ ، ٣٦٩ ، ٣٦٦ ، ٣٣٦

٥١٧ ، ٤٣٩

الريمانيون (ج) ٣٢٣

٥٣٣ ، ٥٣٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٠

٧٩٢ ، ٧٣٧ ، ٦٨١ ، ٦٧٩

٨٤٤ ، ٨٣٨ ، ٨٠٩ ، ٧٩٥

٨٨٥

الرومان (ج) ١٦ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٥٦

١٥٥ ، ٧٥ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩

١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٠

٢٠٥ ، ١٧٥ ، ١٧٢ ، ١٦٧

٣١٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣

٤٦٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٣ ، ٣٧١

٦٥٨ ، ٦٥٧ ، ٥٨٥

(ج) ٣٠ ، ٢٨ ، ١٢ ، ١١

٥١ ، ٤٤ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٣٤

٧٠ ، ٦٨ ، ٦٦ ، ٦٢ ، ٥٣

١٠٤ ، ٨٠ ، ٧٦ ، ٧٢ ، ٧٠

١٣٠ ، ١٢٩ ، ١١٨ ، ١١٧

٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٢٣ ، ١٦٣

٤٢١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٤٢٠

٦٠٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٠ ، ٤٤١

٦١٥ ، ٦١٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٦

٦٣٥ ، ٦٢٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٠

٦٤١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٧

(ج) ٢٢ ، ١٨ ، ١٤ ، ١٢

٣٩ ، ٣٥ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٢٩

٥١ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٤٥ ، ٤٣

٦٢ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٢

٨٦ ، ٨٢ ، ٧٦ ، ٦٩ ، ٦٦

٩٧ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٨

١٢٩ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٣ ، ١٠٢

١٧٦ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٠

٤٥٥ ، ٢٢٨

(ج) ١٧٩ ، ١٧٤ ، ١٠٠ ، ١٠٤

٥٦٦ ، ٤٠٨ ، ٣٦٠ ، ٣٠٤

٦٦٨ ، ٦٤٦ ، ٦١٢

(ج) ١٨٨ ، ١٥٣ ، ٩٨ ، ٣٢ ، ٣٠

٢٩٥ ، ٢٠٨ ، ١٩٥ ، ١٨٩ ، ١٨٠

٣٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٠٩ ، ٣٠٠

٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤١٢ ، ٤١١

٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤٣٣ ، ٤٢٧

— الزاي —

زمل (بنو) (ج ١) ٣٠٢	الزبدون (ج ١) ٦٥١
الزنادقة (ج ٣) ٣٤٣	زبيد (بنو) (ج ١) ٦٥١
الزنج (ج ٤) ٣٠٩ ، ٣١١	(ج ٣) ٣٨٧
الزئوج (ج ١) ١٧٤	(ج ٤) ١٠٧ ، ١٨٧ — ١٨٨ ،
(ج ٧) ٢٦٢ ، ٤٥٤	١٩٢ — ١٩٣ ، ٤٥٦ — ٤٥٧
زنييم (آل) (ج ٩) ٨٩٤	(ج ٥) ٣٥٣ ، ٥٠١
زهران (بطن) (ج ١) ٣٧٤	(ج ٦) ٢٧٠ ، ٣٦٣ ، ٦٤٧
(ج ٤) ٤٤٢	(ج ٨) ٥٧٨ ، ٥٧٥
زهرة (بنو) (ج ٤) ٥٨ ، ٦١ — ٦٢	(ج ٩) ٨٦٨ ، ١٩
٨٤ ، ٨٦ — ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٠	الزبيريون (ج ٩) ٣٨١
١٥٦ ، ١٩٨ ، ٣٧٨ ، ٤٨١	زخران (بنو) (ج ٢) ١٩٣
(ج ٦) ١٨ ، ٢٦٢	زراران (بنو) (ج ٢) ٣٦٨
(ج ٧) ٤٤٦	زون (بنو) (ج ٣) ٤٩٧
زهمان (بنو) (ج ٤) ٣٣٩	زريق (بنو) (ج ٤) ١٣٥ ، ٦٨٣
زهير (آل) (ج ٣) ١٤٨	(ج ٦) ٥٤٦ ، ٧٤٤
(ج ٩) ٢٦٧	(ج ٧) ١٩٣
زوف (بنو) (ج ١) ٣٧٢	(ج ٩) ٧٥١
زياد (بنو) (ج ٤) ٥٧٤ ، ٦٣٦	زعل (بنو) (ج ٤) ٥٠٥
(ج ٨) ٧٨٠	زعوراً (بنو) (ج ٦) ٥١٩ ، ٥٢٢
زيد مناة (بنو) (ج ٣) ١٤٨ ، ٢١٤	زقزقة (بنو) (ج ٤) ٢٥١ ، ٤٣٢
(ج ٤) ٤١٦	زلتان (بنو) (ج ٤) ٩٨ — ٩٩ ، ٣٠٢
(ج ٦) ٥١٩ ، ٥٢٢	زمان (بنو) (ج ١) ٤٠٨
(ج ٨) ٢٩٦	الزماهرة (عشيرة) (ج ٣) ٥٠
الزينة (بنو) (ج ١) ٢٩٩	زمر (بنو) (ج ١) ٣٠٢

— السين —

سابع (بنو) (ج) ٥٩٨	السائب (آل) (ج) ٦٣٩
ساعدة (بنو) (ج) ٤٧٨	سأرن (بنو) (ج) ٣٧٤ ، ٤٤٢ ، ٥٤٢
(ج) ١٩٩	ساسان (بنو) (ج) ٥٢٧
ساكلان (بنو) (ج) ٤٧٥	الساسانية (قبائل) (ج) ٢٤٨
سالم (بنو) (ج) ١٣٩	(ج) ٤٠
سام (بنو) (ج) ٦٢٩	الساسانيون (ج) ٧٦
(ج) ٣٤٧	(ج) ١٢ ، ٥٥١ ، ٥٩٣ —
سامية (شعوب) (ج) ٢٣٤ ، ٢٤٤	٥٩٤ ، ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٨
٣٧٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٨	٦٢٦ ، ٦٢٨ — ٦٣٣ ، ٦٣٥
(ج) ٣١٤ ، ٣٧٣ ، ٦٢٩ ، ٦٣٤	٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ — ٦٤٨
(ج) ٦٣ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢	٦٥١ — ٦٥٤ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩
٥٩٨	(ج) ٩٠ ، ١١٣ ، ١٦٤ ، ١٧٣
(ج) ١٦ — ١٧ ، ١٩ ، ٢١	١٧٥ ، ١٩٤ ، ٣٠٠ — ٣٠١
٢٦ ، ٢٩ — ٣٠ ، ٣٥ ، ٥٤	٣٠٦ ، ٣٤٣ ، ٣٨٤ ، ٤٧٣
٨١ ، ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٨٨	٤٩٨ ، ٥١٨ ، ٥٢٩
(ج) ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٣٢٦ ، ٦٢٠	(ج) ٥٦ ، ٩٢ ، ١١٤ ، ١٦٣
(ج) ٥٢٨ ، ٧٤٦	١٦٦ ، ١٦٨ — ١٧٣ ، ١٧٦
الساميون (ج) ٣٥ ، ٢٠٧ —	١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢
٢٠٩ ، ٢٢٦ — ٢٢٧ ، ٢٢٩	٢٣٣ ، ٥٤٩ —
٢٤٠ — ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣	(ج) ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ،
٢٥٨ — ٢٥٩ ، ٣٤٧ ، ٣٨٩	٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٤٢١ ، ٤٣٤ ، ٤٨١
٤٦٧ ، ٥١١ ، ٥٢٢ ، ٥٤٥	(ج) ٥٨٧ ، ٦٩٣
(ج) ٢٦١ ، ٦٠٤	(ج) ١٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ —
(ج) ٣١٥ ، ٣٥٧ ، ٥٦١ ،	٢٨٣ ، ٣٠٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣
٦٠٩ ، ٦٢٤ ، ٦٤٠ ، ٦٥٥	(ج) ١٠٧ ، ٥٢٠ ، ٥٤٥ ،
(ج) ١٠ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٩	٦٨٨
١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ — ١٦٣	(ج) ١٦١ ، ٥٦٩ ، ٨٠٣
١٧٢ ، ٣١٠ ، ٤٧٧ ، ٥٤٢	الساطرون (قوم) (ج) ٨٠٣

٢٥٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩
 ٢٨٢ ، ٢٨٥ — ٢٨٨ ، ٢٩١
 ٢٩٧ ، ٤٠٠ — ٤٠١ ، ٤٠٣
 ٤٠٤ ، ٤١٦ — ٤١٧ ، ٤٢٢
 ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧
 ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥ ، ٤٨١
 ٤٩٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٧
 ٥٢٢ — ٥٢٨ ، ٥٢٧ ، ٥٥٤
 ٥٥٥ — ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٧٢
 (ج) ٢٨ ، ٣٨ ، ٢١٨ ، ٤٥٠ —
 ٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٨٧ ، ٥٠٢
 (ج) ١٢٨ ، ٥٥٤
 (ج) ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ،
 ٢٢٧ ، ٥٨٤
 (ج) ٥٤ ، ١٦٨ ، ١٧٥ —
 ١٧٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٠
 ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢
 ٣٧٤ ، ٦١٣
 (ج) ١٥ ، ٢٢٣ — ٢٣٦ ،
 ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٤٩٠ ، ٥٦١
 (ج) ٣١ ، ٤٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٥
 ٢٣٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ، ٥٠٧
 ٥١٧ ، ٦٧٤ — ٦٧٥ ، ٦٨٦
 — ٦٨٧

سبس (عشيرة) (ج) ٤٦٢
 سبع (بنو) (ج) ٥٨٩ ، ٥٩١
 (ج) ٣٤٠
 سبط (ج) ٣٦٨
 (ج) ٧١٤
 سبين (ج) ٢٢٥
 سخيم (بنو) (ج) ١٥٠ ، ٢١٦ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٦٠ ، ٣٩٤ —
 ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٢ — ٤١٣
 ٤٥٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ —
 ٤٦٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٦٢٢
 (ج) ٢٣١
 (ج) ٢١٤ ، ٥٥١
 (ج) ٣٠٤ ، ٣٠٩
 (ج) ٤٠

٥٨٧
 (ج) ١٠ ، ١٦ — ١٧ ، ٢٣ ،
 ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ — ٣٥ ، ٤٣
 ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٨١ ،
 ١١٧ ، ١٦٦ ، ١٦٨ — ١٦٩
 ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤
 ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ —
 ٣٠٠ ، ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ٣١١
 ٣٢٢ — ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٧
 ٣٨٨ ، ٧٠٧ ، ٧٢٦ ، ٧٩٤

٨٠٦
 (ج) ٢٢٨ ، ٥٩٣
 (ج) ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٤٣٢ —
 ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٦٨
 ٥٢٦ — ٥٢٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤
 — ٥٣٥ ، ٧٠٠
 (ج) ٧٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٢
 ٢٠٦ ، ٢١٠
 السامريون (قوم) (ج) ٤٠٥
 سبأ (بنو) (ج) ٦٠٣
 سبئية (قبائل) (ج) ١٦٦ ، ٢٢٤
 (ج) ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٤٢٣
 ٤٨٣ — ٤٨٤ ، ٤٩٤
 ٥٢١ — ٥٢٢

السبثيون (ج) ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٠ ،
 ١٨٠ ، ٢٤٤ ، ٢٣٧ ، ٣٦٤
 ٤٣٠ ، ٤٦٠ — ٤٦١ ، ٥١٣
 ٥١٤ ، ٥٨١ ، ٥٩٠ ، ٦٣١ —
 ٦٣٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦
 (ج) ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
 ٧٤ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١١٨
 ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
 ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧
 ٢٥٨ — ٢٦٢ ، ٢٦٤ — ٢٦٥
 ٢٧٤ ، ٢٧٦ — ٢٧٨ ، ٢٨٠
 ٢٨٣ — ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢
 ٢٩٤ — ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ —
 ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ — ٣٣٠
 ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤

سعد (بنو) (ج) ٢٩٥ ، ٢٤١ ، ٦٤٧ ، ٥٩٨	سدوس (بنو) (ج) ٣٥٩
(ج) ٢٩٥ ، ٢٩٠ ، ٢٠٠ ، ٤٩٥	(ج) ٥٨٥
٤٩٨ -	(ج) ٨٠٠
(ج) ٢١٩ ، ٢١٥ ، ١٩٣	(ج) ١٣٣
(ج) ٢٢٩ ، ٢٦٣ ، ٢٥٢ ، ٣١٦	(ج) ١٣٠ ، ٦٠٢
(ج) ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤٥٢	(ج) ٤٣٣
(ج) ٤٦٤ ، ٤٨٢ ، ٥٢٠ ، ٥٥٧	السرطان (بنو) (ج) ٥٢١
(ج) ٥٧٠ - ٥٧١ ، ٥٩٢ ، ٦١٣	سرة الازد (بنو) (ج) ٤٣٠
(ج) ٢٣٧ ، ٢٥٢ ، ٣٦٩	السرسين (قوم) (ج) ٢٨٧
(ج) ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٩٦	(ج) ٣٨٣
(ج) ٣٧٨ ، ٥١٧	سرسينس (ج) ٦٥٨
(ج) ١٨٠	سرسينوى (ج) ٣٨٣
(ج) ٥٧٩ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨	الركينوى (قبائل) (ج) ٢٨٧
(ج) ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٢٩٥	سروات (قوم) (ج) ٢٤٩
(ج) ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٦٤ ، ٤٨٢	الريان (ج) ٢٧ ، ٦٥ ، ١٤٣ ، ٦٦١ ، ٦٢٣
سعد العشرة (بنو) (ج) ٦٠٣	(ج) ٦٢١
السعلاة (بنو) (ج) ٧١٤	(ج) ١١ - ١٢ ، ٨٠ ، ١٥٦
(ج) ٥٧١	(ج) ١٥٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٧
السعودي (شعب) (ج) ٣١٧	(ج) ٢٣٠ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣٢٩
السعيدة (بنو) (ج) ٢١٤	(ج) ٢٣٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٥ ، ٤٠٦
سفيا (آل) (ج) ٢٨٠	(ج) ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧
سقران (ج) ٤١٥	(ج) ٤٥٢ ، ٢١٩ ، ٢٣
السقرانيون (ج) ٤١٥	(ج) ٢٠٠ ، ٥٣٦
السكاسك (بنو) (ج) ٣٧٣	(ج) ١٧ ، ١٩ ، ٢٢٨ ، ٣٠٢
(ج) ٢٨٢	(ج) ٤٥٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٨٩
(ج) ١٩٨ ، ١٩٦	٦٩٥
السكس (بنو) (ج) ٥٢٣	(ج) ٦٣٠
السكون (بنو) (ج) ٥٤٧	(ج) ١٥١ ، ١٧١ - ١٧٣ ، ١٧٣
(ج) ١٩٨ ، ١٩٦	(ج) ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٣٦
(ج) ٢٨٠	(ج) ٣٦٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٩
(ج) ٢٠٤	(ج) ٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٦٢١ ، ٦٨٠
السكونيون (ج) ٣٨	٧٠٤
سكينيته (بنو) (ج) ٦١	(ج) ٤٧ - ٤٩ ، ٧٣ ، ١٨٤
السلامات (عشيرة) (ج) ٥١	(ج) ١٨٥ ، ٢٠٢
سلامان (بنو) (ج) ٢٤٦ ، ٤٣١ ، ٥٢١	الريانينون (ج) ٢٥٦
(ج) ٦٣٧ - ٦٣٩	(ج) ١١
السلجوقيون (ج) ٥٧٢	(ج) ٣١١ ، ٥١٩
	سريع (بنو) (ج) ٣٩٧

٤٣٢ ، ٥٧٣	سلحفاة (بنو) (ج) ٥٢٠
(ج) ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢	السلف (بنو) (ج) ٢٨٦
٢٨٤ ، ٣١٧ ، ٣٦٣ ، ٥١٩	سلفان (بنو) (ج) ٤٢٦
٦٨٣ ، ٥٩١	سلم (بنو) (ج) ١٤٨
(ج) ١١٩ ، ٣٢٨ - ٣٤٠	(ج) ٤٣٢
٣٧٧ ، ٤٤٤ ، ٥١٤	سلمى (بنو) (ج) ٤٢١
(ج) ١٢٥ ، ١٢٧ ، ٣٤٧	سلمان (بنو) (ج) ٣٢١
٤٩٦	سلمة (بنو) (ج) ٤٠٤
(ج) ١٠٦ ، ٤٣٤ ، ٥٦٠	(ج) ٨٣٣ ، ٧١٩ ، ٤٥٤
٨٦٣ ، ٨٧٧	السلموينيون (ج) ٦٥٦
٥٠. الليمانيون (ج) ٥٠	السلوقيون (ج) ١٩ - ٢٢ ، ٣٠
سفال (ج) ٢٦٠	٢٣ - ٣٤ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٦٠٤
سمرة (ج) ٢٦٥	٦٢٢ ، ٦٢٠
سمعي (بنو) (ج) ٣٢٦ ، ٣٣٥	(ج) ٢٦ - ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣
٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ - ٣٥٨	٤٧ ، ٥٢ ، ٨٥
٣٦٠ ، ٣٩٧ - ٣٩٥ ، ٤٠٩	(ج) ٢٣٦ ، ٤٩٥
- ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢	(ج) ١٢ ، ٨٦
٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢	سلول (بنو) (ج) ٤٠٥
٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٢ ، ٥٦٥	(ج) ١٥ ، ٣١٩ ، ٥١٦ ، ٥٢٠
(ج) ٢٧٨	(ج) ٦٨ ، ٤٨٧
السمميون (ج) ٣٩٦ ، ٤١٠	سليح (بنو) (ج) ٣٢٣ - ٣٢٥
سمهر (بنو) (ج) ٣٢٨ ، ٣٣٠	٣٨٩ ، ٣٩٢ - ٣٩٤ ، ٣٩٧
٤٧٩ ، ٥٤٥	- ٣٩٩ ، ٤٤٨
سمهران (بنو) (ج) ٤٥٢	(ج) ٢٢٤ ، ٤٢٣ - ٤٢٤
سميح (بنو) (ج) ٤١١ ، ٤١٣ -	(ج) ٣٥٥
٤١٤	(ج) ٥٩٣ - ٥٩٤ ، ٥٩٩
السميونيون (ج) ٤١٤	(ج) ٤٧٥
سنان (ج) ٤٠٤	(ج) ٧٩٤
(ج) ٥٤٣	سليم (بنو) (ج) ٣٩٩ ، ١٩٤
سنبيس (بنو) (ج) ٢١٩ ، ٢٢١	(ج) ٤٠٣
سهرة (قبائل) (ج) ٤٢٦ - ٤٢٩	(ج) ١٤٨
٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ - ٤٤٥	(ج) ٢٢٧ ، ١٠٦ ، ٣٥
٥٥٠ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢	٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
(ج) ٢٦	٢٥٧ - ٢٦١ ، ٢٦٨
سهم (بنو) (ج) ٤٠١	٣١١ ، ٣٣٤ ، ٥١٦ - ٥٢٠
(ج) ٢٧٦	٥٢٥ ، ٥٣٥ ، ٥٧٠ - ٥٧١
(ج) ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ -	(ج) ١٤٤ ، ٣٤٠ ، ٣٦٣ -
٦١ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩١	٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥
١١٢ ، ٣٧٨ ، ٥١٤ ، ٥٨٩	

٢٧٠ (ج٦)	٥٠١ ، ٢٤٩ (ج٥)
٤٢٨ ، ٢٩١ (ج٩)	٧١٢ ، ٤٣١ (ج٦)
السوس (ج١) ١٧	١٩٨ ، ١٩٢ (ج٧)
الومريون (ج١) ٥٥٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦٨	٤١١ ، ٦١٩ ، ٦٩٦ (ج٩)
٥٦٩ -	٧٠٦
٦٧ (ج٧)	سوى (بنو) (ج٩) ١٥٥
٢٢ (ج٨)	سوجي (سواجر) (بنو) (ج١) ٦٥٢
السيابجة (ج٤) ٢١٠	سود (بنو) (ج١) ٣٠٢
سيبان (بنو) (ج٢) ٢٩٠ - ٢٩١	٥٢٦ (ج٣)
٤٧٨ (ج٣)	السودان (بنو) (ج٩) ٦١٧
سيحان (ج٤) ٤٥٨	السوري (شعب) (ج٤) ٣١٧
السيد (بنو) (ج١) ٥٢١	السوريون (ج١) ٥٧٥
سيدعان (بنو) (ج١) ٣٧٣	٢٦ - ٢٧ ، ٩٥ (ج٣)

- الشين -

الشرق (ابناء) (ج١) ٤١٢ ، ٤٤٥	شاحد (بنو) (ج٤) ٤٤٨
٦٥٢ ، ٦٣٢ ، ٦١٣	شاكر (ج٧) ٤٦٢
الشريد (بنو) (ج١) ٤٠٥	شامية (قبائل) (ج١) ٢٥٠
٢٦٠ (ج٤)	شبابة (بنو) (ج٧) ٨٧
٣٦٥ (ج٥)	٦٣٨ (ج٩)
٢٨٢ (ج٩)	شبانم (بنو) (ج٤) ٤٤٨
شريف (بنو) (ج٤) ٥٢٩	شبعن شبعان (بنو) (ج٢) ٢٢١
الشظية (بنو) (ج٦) ٥١٩ ، ٥٢٢	شبيع (ج٣) ٣٧٩
شعب (آل) (ج٢) ٨٤ ، ٢٩١ ، ٣٩١	شحرز (بنو) (ج٢) ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢١
٥٤٥	٥١٤ (ج٨)
٤٠٥ (ج٦)	شحزاة (بنو) (ج٤) ١٩٩
٣٦ (ج٧)	شدادم (بنو) (ج٢) ٤٧٧
شقران (بنو) (ج٤) ٤٣٧	شذب (قبيلة) (ج٨) ٢٠٤ - ٢٠٦
شقرة (بنو) (ج٤) ٣١٦	شرج (بنو) (ج٦) ٨٤
شكامة (بنو) (ج٦) ٢٨٠	شرجا (بنو) (ج٣) ٣٧٥
شكر (بنو) (ج٤) ٤٤٢	شرعب (بنو) (ج٤) ٤١٦
شمخ (بنو) (ج٤) ٤٢٤ ، ٥١٣	

٤٠٧	(ج) ٦٥١
(ج) ٢٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٢٧	شمران (بنو) (ج) ٤٥٨
٢٧١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ - ٢٩٧	شمعون (بنو) (ج) ٥٨٤
٣٢٩ ، ٤٢٥	الشمعونيون (ج) ٥٨٤
(ج) ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٣٣٤	(ج) ٢٢
٣٣٩ ، ٤١٦ ، ٤٩٦ ، ٥٠١	شميس (بنو) (ج) ٢٤٠
- ٥٠٣ ، ٥٧٠ - ٥٧١	(ج) ١٨
(ج) ٧٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ -	شنحان (بنو) (ج) ٥٥٠
٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥	شنخ (ج) ٢٦٢
(ج) ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ،	شنوف (بنو) (ج) ٢٦٧
٥٩٦	شهران (بنو) (ج) ١٩٣ ، ٥٣٥
(ج) ٣٧٠	(ج) ٥١٣
(ج) ٢٣٢ ، ٤١٧ ، ٤٧٥	(ج) ٨٠٢
(ج) ٣٠٤ ، ٤٣٣ ، ٥٧٣ ،	شهل (بنو) (ج) ٤٤٣
٧٩٩ ، ٨٨٢ ، ٨٨٧	شهوان (بنو) (ج) ٢١٩
شيبة (بنو) (ج) ٢٧٨	شوذب (بنو) (ج) ٣٠٢
شيصيان (بنو) (ج) ٧١٤ ، ٧٢٤	شوذم (بنو) (ج) ٣٠١
٧٣٤	سيار (بنو) (ج) ٢٢٢
(ج) ١٢٠ - ١٢١ ، ٣٩٠ ،	الشياطين (ج) ٧٤١ ، ٧٢٩ ، ١٤٤
٣٣٢	٧٤٥ ، ٧٤٩ ، ٧٥٦ - ٧٥٧
شيعان (بنو) (ج) ١٥٠ ، ٢٢١	٧٥٩
	شيبان (بنو) (ج) ٤٠١ ، ٤٠٤ ،

- الصاد -

صعل (بنو) (ج) ١٢٩	الصابئون (ج) ٧٠١
الصفد (بنو) (ج) ٥٢٨	صادر (بنو) (ج) ٤٠٥
صفوان (بنو) (ج) ٤٠٢	صالح (قوم) (ج) ٣١٠ ، ٤١٠
٢٨٢ (ج)	(ج) ٥١٣ ، ٥٦
الصفوية (قبائل) (ج) ١٤٨	صاهلة (بنو) (ج) ٥٣٥
الصفويون (ج) ٣٣	(ج) ٢٥٨ ، ٢١٤
(ج) ١٤٢ - ١٤٤ ، ١٤٦ -	صباح (بنو) (ج) ٤٠٢
١٤٧ ، ١٥٠ - ١٥٤	صباع (بنو) (ج) ٢٢٥
(ج) ١٠٢ ، ٢٩٣ ، ٤٩٢ ،	صبح (بنو) (ج) ١٤٨ - ١٤٩
٤٩٥	صبرم (صبر) (بنو) (ج) ٣٢١
(ج) ١٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ،	صحار (بنو) (ج) ٥٤١ - ٥٤٢
٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤	صحب (بنو) (ج) ٤٠٤
٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٤ ، ٣٢٢	(ج) ٤٣٠
- ٣٢٦ ، ٣٣٠ - ٣٣١	صخر (بنو) (ج) ٥٠٥
(ج) ١٠٦	صد (بنو) (ج) ٣٠١ - ٣٠٢
(ج) ٥٢٠ - ٥١٩ ، ٢٤٢	صداء (بنو) (ج) ٣٧١
٦٢٨ - ٦٣٩ ، ٦٧١	(ج) ٤٥٨ - ٤٥٩
الصقالبة (بنو) (ج) ٥٣٣	(ج) ٢٥٣
الصقلييات (ج) ٥٨٩	(ج) ٢٤١
صلاة (بنو) (ج) ٤٦٢	الصدق (بنو) (ج) ١٩٦ ، ١٩٨ -
الصنائع (بنو) (ج) ٤٨٨	١٩٩ ، ٤٦٥ - ٤٦٦
الصنابع (بنو) (ج) ٣٧٢	الصدوقيون (جماعة) (ج) ٣٢
(ج) ٤٥٧	صرمة (بنو) (ج) ٤٣٢
صهبان (ج) ٤٥٩	صرواح (بنو) (ج) ٤٤٨ ، ٥٤٤
صهبة (بنو) (ج) ٤٤٣	الصعاليك (ج) ٦٨ - ٦٩ ، ١٣٩
الصوار (بنو) (ج) ٤١٦	٣٩٧ ، ٤١١ - ٤١٣ ، ٥٦٣
صوران (بنو) (ج) ٦٤٧	- ٥٦٥ ، ٥٩٥
الصوريون (ج) ٦٣٤ ، ٦٤١	(ج) ٦١ ، ٨٣ ، ٤٢٩
	الصعديون (ج) ٤٦٤

(ج) ٥٢٤
الصيدونيون (ج) ٣٢
الصينيون (ج) ٣٢
(ج) ١٦٩
(ج) ١٩٨

(ج) ٥٣٣
صوفة (بنو) (ج) ٤٠٢
(ج) ٤٣٨
(ج) ٢٨٧
صويمع (عشيرة) (ج) ٢٠٩
الصيداء (بنو) (ج) ٣٩٩

- الفصل -

الضيبيات (قبائل) (ج) ٣٣٩	ضاطر (بنو) (ج) ١٥
ضيبيّة (بنو) (ج) ٦٤٩	ضب (بنو) (ج) ٥١٢ ، ٥٢١
(ج) ٢٤٢	(ج) ٥٢٢
(ج) ١٣٦ ، ٢١٨ ، ٤٨٢ ،	الضباب (بنو) (ج) ١٨٩ ، ٣٣٨ ،
٥٠٣	٣٩٤ ، ٤٥٦ ، ٥٢٢
(ج) ٤٥٩	(ج) ٢٦٩
(ج) ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٥٦٧ ،	(ج) ٢٦٠
٦٦٣ - ٦٦٤ ، ٦٦٧	ضبة (بنو) (ج) ٤٦٨ ، ٥٢١
ضبيّة (بنو) (ج) ٤٠٤	(ج) ٢٦٠
الضبيون (ج) ٢٢٥	(ج) ٢٠٥ ، ٢٦٨ ، ٣٧٨ ،
الضجاعمة (قوم) (ج) ٦٣٠ ، ٦٥٦	٣٨٦ ، ٤٥٢ ، ٥٠٤ ، ٥٢٤ ،
٦٥٧ -	٥٧١
(ج) ٣٢٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ -	(ج) ٣٤٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ -
٣٩٥ ، ٣٩٨ - ٤٠٠	٣٧٩
(ج) ٢٢٥ ، ٢٢٤	(ج) ٥٦ ، ٢٨١ ، ٣٥٧ ،
(ج) ٥٨٧ ، ٥٩٢	٨٢٢
ضجعم (بنو) (ج) ٤٣٥	(ج) ٦٠٢ ، ٦٣٠ ، ٦٥٥ ،
ضد (قبيلة) (ج) ٣٠٢	٦٨٩
ضرب (بنو) (ج) ١٩٣	(ج) ١٥٤ ، ٤٣٢
ضرية (بنو) (ج) ٥١٥	الضبع (بنو) (ج) ٥٢١
ضف (بنو) (ج) ١٤٨	(ج) ٤٣٣
ضفجان (آل) (ج) ٩٤ ، ١٣٨ -	الضبيب (ج) ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٤٦٢ ،
١٣٩	٥٢٢

الضمير (بنو) (ج) (٤) ٢٦٥	ضمرة (بنو) (ج) (١) ٤٠٠
ضنيم (بنو) (ج) (٢) ٣٩٣	(ج) (٧) ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
ضنة (بنو) (ج) (٤) ٢٤٦ ، ٢٥١ ،	٣٧٦
٤٣٠ - ٤٣٢	ضمود (ج) (١) ٢٠٢

- الطاء -

الطوطم (بنو) (ج) (١) ٥١٨ - ٥١٩	الطائيون (ج) (٤) ٢٢٢ ، ٥٥٣
(ج) (٦) ٢٦١	(ج) (٨) ٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٦٦٨
الطوطميون (ج) (٦) ٧٠٨	(ج) (٩) ٢١ ، ٧٦ ، ٢٣٠ ، ٤٢٧
طيء (ج) (١) ٢١ - ٣٢ ، ١٥٧ ، ٣٠٦	طابخة (بنو) (ج) (١) ٥٢١
٣٧٣ ، ٣٧٠ ، ٣٣٥ ، ٣٠٨	(ج) (٤) ٥٢٢ - ٥٢٣
حا ٢٨٢ ، ٤٩٣ ، حا ٥٠٧ ،	(ج) (٨) ١١١
٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦٥٢ ، ٦٦١	طدام (عشيرة) (ج) (٢) ١٩٥ ، ٢٢٠
(ج) (٣) ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢١١ ،	طرد (بنو) (ج) (٤) ٢٤٠ ، ٥٠٧
٢٥٠ - ٢٥٢ ، ٢٧١ ، ٢٨٩	طريف (بنو) (ج) (٤) ٤٤٣
٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٩	طسم (بنو) (ج) (١) ٧٤ ، ٨٤ ، ١٨١
٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ،	٣٨٢
٤١١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨	(ج) (٢) ٥٧٨
(ج) (٤) ٦٨ - ٦٩ ، ١٤٥ ، ١٨٣	(ج) (٣) ١٧٩ ، ٢٤٥
٢٠٨ : ٢١٩ - ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،	(ج) (٤) ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،	٦٧٥ ، ٥٣٧
٢٥١ - ٢٥٢ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ،	(ج) (٦) ١٦٧ ، ٢٨٥
٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٧٥ ، ٣٩٤ ،	(ج) (٧) ١٢٣ ، ٤٥٨
٤٢٤ - ٤٣٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ،	(ج) (٨) ١٥٩ ، ١٦٤ ، ٣٧٣
٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٥٠ ،	(ج) (٩) ٤٩٣ ، ٥٣٧ ، ٥٧٩ ،
٥٠٨ ، ٥١٥ ، ٥٢٤ ، ٥٧٦	٦٨٦
(ج) (٥) ٢٦٩ ، ٣٥٤ - ٣٥٥ ،	الطفاوة (ج) (٤) ٥٧٢
٣٧٤ : ٣٧٧ - ٣٧٨ ، ٣٨٨	(ج) (٩) ٤٤٧
٣٩٠ ، ٦٠٧ ، ٦٤٧	الطقيقات (عشيرة) (ج) (٣) ٥٠
(ج) (٦) ٥٩ - ٦٠ ، ٨٣ ، ١١٠	الطلس (ج) (٦) ٣٧٣
١٦٧ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠	الطموح (ج) (٩) ٤٦٤

٥٨٩ ، ٥٨٢ ، ٥٧٨ — ٥٧٦
 ٦٧٦ ، ٦٥٦ ، ٦٠٣ ، ٥٩١ —
 ٧٦٩ ، ٧٣٨ ، ٦٨٢
 (ج) ٧٦ - ٣٤١ ، ٤٣٢ - ٤٣٥
 ٤٨٧ ، ٤٩٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣١
 ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٧٨٥ ، ٧٩٣
 ٨١٢ — ٨١٣ ، ٨٧٩
 طيبابا (بنو) (ج) ٣١ ، ٦٥٢ ، ٦٦٠ —
 ٦٦١ —
 (ج) ٥٤٩
 ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٥٦
 ٢٧٨ — ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٥
 ٣١٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٥٢٣
 ٥٧٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٦٠١
 ٧٧٠ ، ٧٦٨
 (ج) ٢٨ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ،
 ٣٢٠ ، ٣٣٧ — ٣٣٩ ، ٣٤٧
 ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٤٤٢ ، ٤٨١
 (ج) ١١١ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ،
 ١٦٢ ، ١٨٦ ، ٣٣٥ ، ٤٧٤ —
 ٤٧٥ ، ٥٠٠ — ٥٠٢ ، ٥٧٣

— الظاء —

ظاعة (بنو) (ج) ٤٠٢ ، ٥٢١ ،
 (ج) ٥٣٥
 (ج) ٣٥٧
 ظبرن (بنو) (ج) ٢٦٣
 ظفر (بنو) (ج) ٤٣٨ ، ٤٧٦
 (ج) ١٣٩ ، ٢٦٠
 (ج) ٦٥٥ ، ٧١٩
 ظهر (بنو) (ج) ٤٣٤

— العين —

عائذة (بنو) (ج) ٤٨٠ ،
 (ج) ٤٧٤
 عاية (عائنة) (بنو) (ج) ٤٢٥
 عاد (بنو) (ج) ٧١ ، ٧٤ ، ٨٤ ،
 ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠ — ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٦
 ٣١٩ — ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨
 ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥

٥٤٨ ، ٥٠٣ - ٥٠١ ، ٤٢٤	٤٢٠ ، ٣٥٩ ، ٣٤٨
٦٦٨ ، ٥٧٨ - ٥٧٦ ، ٥٥٠	١٦٥ - ١٦٣ (٢ج)
٨٥٠ ، ٦٣٥	٥٣٢ ، ١٧٩ (٣ج)
عاملة (١ج) ٥٤٧	١٤٧ (٤ج)
(٤ج) ٢٥١ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ -	٣٣٨ ، ١١٤ ، ١١٢ (٥ج)
٥٣١ ، ٤٦٣	٧١٨ ، ٦٧٣ ، ٢٨٤ ، ٨٣ (٦ج)
٥٩٩ ، ٢٧٥ (٦ج)	٨٢١ - ٨٢٠
٤٧٥ (٨ج)	١٢٣ ، ٧٢ (٧ج)
المباد (بنو) (٢ج) ١٦٦ ، ١٦٩ -	٧٣٥ ، ٥٣٧ ، ٢٨٥ ، ٥٢ (٨ج)
٣١٢ ، ٣١٠ ، ١٧١	٧٨٥
(٤ج) ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٥٠١	(٩ج) ٢٧٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ،
(٨ج) ٤٧٥	٣٧٩ ، ٣٩٣ - ٣٩٦ ، ٤٠٣ ،
(٩ج) ٤٣٢ ، ٧٩٥ ، ٨١٠	٤٠٨ ، ٤٣٩ ، ٤٩٦ ، ٥٧٩ ،
عباديدي (اباديدي) (قوم) (١ج)	٦٨٦
٥٨٥	عادية (بنو) (٤ج) ٥٣٥
المباديون (قوم) (٣ج) ١٦٩ - ١٧١	٧٧٩ (٦ج)
٢٣٩ ، ٢٨٨	المعاديون (١ج) ٣١٩ ، ٤٨٨
(٤ج) ٢٢٨	العاص (٤ج) ٢٨٢
(٧ج) ٥٩٣	عاقولا (بنو) (٨ج) ٧٦٩
(٨ج) ٢٩٦	عامر (بنو) (١ج) ٥١٥
العباس (بنو) (١ج) ٥٠٩	(٣ج) ١٦٦ ، ٢١٣ ، ٢٧٥ ،
(٤ج) ٣١٨	٢٧٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ - ٤٩٨
(٨ج) ٦٢٢ ، ٦٤٧ - ٦٤٨	(٤ج) ٢٧ ، ١٤٧ ، ١٨٣ ،
(٩ج) ٣١٩ ، ٨٤٢	٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٤١ ، ٥١٣ ،
العباسيون (١ج) ٢٥١ ، ٤٩٨	٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٧٠ ،
(٢ج) ١٠٤	٥٩٧
(٤ج) ٢٢٧ ، ٣٥٥	(٥ج) ١٤٥ ، ١٩٨ ، ٣٥٠ ،
(٨ج) ٦٦٥	٣٥٣ - ٣٥٩ ، ٣٦٠ -
(٩ج) ٥٩ ، ٢٤١ ، ٢٩٠ ،	٣٦٢ ، ٣٧١ - ٣٧٩ ، ٣٨١ ،
٣١٩ ، ٣٧٣ ، ٨٤٠ ،	٢٨٢ ، ٣٩٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ -
المباهلة (ملوك) (٤ج) ٦٨	٥٤٥ ، ٦٠٣ ، ٦٤٧ ،
عبد (بنو) (٢ج) ٣٩٣	(٦ج) ٢١٤ ، ٣٦٣ ، ٤٤٣ ،
(٢ج) ١٤٨	٧١٩
عبد الجن (بنو) (٩ج) ٦٨٤	(٧ج) ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٢٩١ ،
عبد الدار (بنو) (٤ج) ٣٧٨ - ٣٧٩	٣٨٣ ، ٣٤٣
(٥ج) ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،	(٨ج) ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٦٠٣ ،
(٦ج) ٢١٣ ، ٤٢٦ ،	٧٧٦
(٨ج) ١٢٤	(٩ج) ٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٥٨ ،
(٩ج) ١٥٦ ، ٤١٣ ، ٧٠٤	٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٣٣١ ، ٤٣٢ ،

٦٤٩ - ٦٥٠
 (٧ج) ٣٠٢ - ٣٠٣
 (٩ج) ١٤٨ ، ٤٩٢ ، ٦٩٧
 عبد ود (بنو) (٤ج) ١٠٩
 عبدان (بنو) (٦ج) ٤٥٩
 عبدة (بنو) (٤ج) ٤٢٣
 العبرانيون (ج) ١. ٢٠ - ٢١ ، ٢٨
 ٣٠ - ٣١ ، ٣٣ ، ٥٣ - ٥٦
 ٧٥ ، ١٤١ - ١٤٤ ، ١٥٥ ،
 ١٩٩ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،
 ٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣١٤ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٤١٩ ،
 - ٤٢٢ ، ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ٤٣٥ ،
 - ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٤٦٨ ،
 ٤٨٢ ، ٥١٤ - ٥١٥ ، ٥٢٢ ،
 - ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ،
 ٥٩٠ ، ٦٠٤ ، ٦٢٩ - ٦٣١ ،
 ٦٣٤ ، ٦٣٧ - ٦٤٠ ، ٦٤٠ ،
 - ٦٤١ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ - ٦٥٠ ،
 ٦٥٢ ، ٦٥٨
 (٢ج) ٧٧ ، ٩١ ، ٢٦٢ - ٢٦٤
 ٢٦٨
 (٣ج) ١٤ ، ٨٩ ، ١٨٩
 (٤ج) ١٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٦٥٣
 (٥ج) ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٩ ،
 ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩ - ١٦٠ ،
 ١٧٢ - ١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٩٦ ،
 ٣٠٥ ، ٣١١ - ٣١٠ ، ٣٣٥ ،
 ٤٢٢ ، ٤٣٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ،
 ٤٦٧ ، ٥٣٦ ، ٥٤١ ، ٥٥٩ ،
 ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٦٠٦ ، ٦٢٢ ،
 (٦ج) ٥٥ ، ٦٤ ، ١١٩ ، ١٣٩ ،
 ١٨٩ ، ١٩٨ - ٢٠٨ ، ٢١٥ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٦ ،
 ٢٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤٢١ ،
 ٤٢٤ ، ٥١٥ - ٥١٨ ، ٥٥٠

عبد شمس (بنو) (٤ج) ٨٣ - ٨٤ ،
 ٩١ ، ١٠٠ ، ١٦٦
 (٥ج) ٢٤٦
 (٨ج) ١٣٠
 عبد ضخم (بنو) (ج) ٢٩٥ - ٢٩٦
 ٢٤٤ - ٢٤٥
 (٤ج) ١٤٧
 (٨ج) ١٦١
 عبد العزى (بنو) (ج) ٢٣٨
 عبد القيس (بنو) (ج) ١٧٧
 (٢ج) ٦٤٠ ، ٦٣٨
 (ج) ١٩٣ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ،
 ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٢ ،
 ٢٣٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،
 ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٣٨ ،
 حا ٤٤٦ ، ٤٧١ ، ٥٠٢ ،
 ٥٢٧
 (٦ج) ٤٦٤ ، ٤٦٦ - ٤٦٧ ،
 ٦٢٢ ، ٧٣٩ ، ٧٦٦
 (٧ج) ٢٧٣
 (٨ج) ٢٢٥ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ،
 ٤٧٥ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨ ، ٧٧٦ ،
 ٧٨١ - ٧٨٣ ، ٧٨٧
 (٩ج) ٣٧ ، ٤٠ ، ٢٣٨ ، ٣٢٣ ،
 - ٣٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ،
 ٤٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ،
 - ٦٩١ ، ٦٩٣ ، ٧٢٦ - ٧٢٧ ،
 ٧٢٩ ، ٨٧٩
 عبد المدان (بنو) (ج) ٥٣٦
 (٤ج) ٥٧٢ ، ٤٥٩
 (٨ج) ٢٩٣
 عبد المطلب (بنو) (ج) ٢٤٦ - ٢٤٧
 (٨ج) ٢٧٥
 عبد مناة (بنو) (ج) ٢٠٥ ، ٢٦٨ ،
 ٣٥٤
 (٥ج) ٣٧٦
 عبد مناف (بنو) (ج) ٥٠٩
 (ج) ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٦٣٦ ،
 (٥ج) ٤٠٧ ، ٥٢٠ ، ٦٠٣

٣٨٧ ، ٣٧٩	٦١٦ ، ٥٧٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٤
٦٩٨ ، ٨٣ (ج)	٧١٥ ، ٧٠٩ — ٧٠٨ ، ٦٧٨
٧٩١ (٨ج)	٧٣٢ ، ٧٢٦ ، ٧١٩ ، ٧١٦ —
٥٤٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٢ (٩ج)	٧٨٧ — ٧٨٦ ، ٧٨٢ ، ٧٤٤
٦٣٦ ، ٦٢٣ ، ٥٦٠ — ٥٥٩	٨٠٢ — ٨٠١ ، ٧٩٥ — ٧٩٤
العبيسون (ج) ٢٨٧	١٥ (٧ج) ، ٢٣٣ ، ١٠٨ ، ٢٣٦
٥٥٩ (٩ج)	٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٦
عشمس (ج) ٩٠٠	٥٤٩ — ٥٤٨ ، ٥١٤ ، ٤١٨
عيلم (بنو) (ج) ٣٣٢ ، ٣٧٩	٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠
عيم رشون (بنو) (ج) ٢٢١	٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٨
العبود (بنو) (ج) ٣٠٢	٥٨٤ — ٥٨٥ ، ٥٨٨ ، ٥٩٧
العبيات (عشيرة) (ج) ٥٠	٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٩ ، ٦١٤
عبيد (بنو) (ج) ٤٠٤	٦١٨ ، ٦٢٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٤
٦١٧ ، ٦١٥ (٢ج)	٦٣٥ —
عبيل (عشيرة) (ج) ٤٢٩	(٨ج) ٢١ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٦٤
٥٦٤ ، ٤٦٠ (٢ج)	٧٦ ، ١٠٥ ، ١٥١ ، ١٥٣
٣٥٠ (٧ج)	١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٥٥
عتر سمين (بنو) (ج) ٢٩١	٢٥٦ — ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٦٣
عتريف (بنو) (ج) ٥١٥	٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣١٠
العتق (بنو) (ج) ٥١٢ ، ٥١٧	٣٢٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩
٢٢٥ (٢ج)	٣٥٥ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ — ٣٩٦
عتيك (بنو) (ج) ٦٤٧	٣٩٨ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٢١
٤٤٢ (٤ج)	٤٢٩ ، ٤٣١ — ٤٣٢ ، ٤٤٠
عشكران (بنو) (ج) ٣٣٩	٤٥٣ — ٤٥٤ ، ٤٦٧ ، ٤٨٢
عثمان (بنو) (ج) ٣٤٠	٤٩٠ ، ٥٢٥ — ٥٢٦ ، ٥٤٥
العثمانيون (قوم) (ج) ٥٠	٥٤٦ — ٥٨٩ ، ٦٣٨ ، ٧٨٦
٥٢١ (٨ج)	(٩ج) ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨
عجل (بنو) (ج) ٦٤٩	١٧١ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٣٦٨
٢٥٩ ، ٢٩٦ — ٢٩٥ (٢ج)	٤١٠
(ج) ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٧٧ ، ٥٠٢	عيس (بنو) (ج) ٢٩٥ ، ٣٤٤
٨٢٠ ، ٦٨٦ (٦ج)	٣٩٩ ، ٤٠٤
(ج) ١٧٥ ، ٢٩٥ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣	(٢ج) ٢٧٧ ، ٢٧٠
٦٧٠ ، ٤٣٣	(ج) ٢٠٢ ، ٢٥٤ ، ٢٣٢
المجلان (بنو) (ج) ٤٠٦	٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٨٢ ، ٤١٢
(ج) ١٣٥	٤٥٣ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣
(ج) ٢٨٨ ، ٢١٤	٥١٥ — ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣
(ج) ٢٤٦ ، ٥٨٨ ، ٨٨٨	٥٧٢ ، ٦٢٦ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢
عجيب (بنو) (ج) ٣٧٣	(ج) ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ٣٦٠ —
	٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧

٢٨٦	عداء (بنو) (ج) ٢٧٧
٢٧٥ - ٢٧٤ ، ١٢ (ج) ، ٢٨٢	العدسيون (ج) ٣٠١
٢٢٧ ، ٣٢١ - ٣٢٠ ، ٢٨٢	(ج) ٢٢٦
٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٤٦٧ ، ٥٠٠ ، ٥٣٧ - ٥٣٨	عدنان (ج) ٢٩١ - ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤٧٨ ، ٤٧٠ ، ٤٠٩ ، ٣٩٣
٣٥١ ، ٣٤٦ - ٣٤٤ (ج) ، ٣٥٤ - ٣٥٥	٤٧٩ -
٤٤٢ (ج) ، ٦٥٣ (٨ج) ، ٦٧١ - ٦٧٢	(ج) ١٥٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٩
٦٨٦	(ج) ١٦٦ ، ١٦٦ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٨٢
٤٢٤ ، ٣٨٤ ، ٣٧٩ (ج) ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٥١ - ٤٥٢	(ج) ٣١٦ ، ٣١٣ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٢١ ، ٣٩٠ ، ٤١٧ ، ٤١٩ - ٤٢٠ ، ٤٦٤ ، ٥٨٩ ، ٦٠٤
عدوان (بنو) (ج) ٣٣٩	(ج) ٣٢٧
٤٤ (ج) ، ٢٦٩ ، ٥٠٨	(ج) ٢٢٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ - ٤٣٦ ، ٧٣٣ ، ٢٩٤ ، ٢٥٢ (ج) (قبائل)
٢٨٢ ، ٦٤٦ ، ٦٥٠ (ج) ، ٣٥٧ (ج) ، ٣٦٣ - ٣٦٤	٣٦٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨١ - ٣٨٠ ، ٤٤٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ - ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٥١٦ - ٥١٧
٣٥٠ (٨ج) ، ٣٥٢ ، ٥٠٠	(ج) ٥٤٩
٢٨٤ (ج) ، ٤٣٤ ، ٤٨٤	(ج) ١٨ ، ١٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ - ٥٠٦ ، ٥٠٧
العدوية (قبيلة) (ج) ٤٠٣	(ج) ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٥٤ - ٣٥٥
عدي (بنو) (ج) ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٥٠ ، ٤٣٦	العدنانيون (ج) ٢٥٢ ، ٢٢٥ ، ١٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ، ٣١٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٠ ، ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٤٢٠ ، ٣٩٧ ، ٣٩٤ - ٣٩٣ ، ٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٧٣ - ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ - ٤٩١ ، ٤٩٨ - ٤٩٧ ، ٤٩٥ ، ٥٠١ - ٥٠٨
١١٢ ، ٩١ ، ٨٤ ، ٦٤ (ج) ، ٢٥٤ ، ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٤٣٠ ، ٤٦٤ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨	(ج) ٥١٥ ، ٢٥٥
٢٤٩ (ج) ، ٣٢٩ ، ٣٧٦ ، ٥٦ (ج) ، ٢٨١ ، ٣٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٦٩	(ج) ٣٣٧ ، ٣١٩ ، ١٤٣ ، ١٤ (ج) ٣
١٩٢ (ج) ، ٥١٠ ، ١٧٧ (ج) ، ٨٩٧ ، ٤١١ ، ٥٢٢ (ج) ، ١٣٣ (ج) ، ٤٢٤ (ج) ، ٣٩ (ج) ، ٤١ - ٤٢ ، ١١٧ ، ١٨٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٢ ، ٣٨٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ - ٤٣٢ ، ٥٠٢ ، ٦٧٥ ، ٢٨١ (ج) ، ٢٨٦ ، ٨٢٢ ، ١٤٨ (ج) ، ١٩٥ ، ٤٦٢	

٢٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٧٩ ، ٢٧٦ —
 ٤٠٥ ، ٤٠٣ — ٤٠١ ، ٣٩٣ —
 ٤٢١ — ٤٢٠ ، ٤١٧ — ٤١٠ —
 ٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣ ، ٤٢٦ —
 ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٠ — ٤٣٩ —
 ٤٦١ ، ٤٥٩ ، ٤٥٧ ، ٤٤٩ —
 ٤٧٧ ، ٤٧٤ — ٤٦٩ ، ٤٦٢ —
 ٤٩٥ ، ٤٩٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٢ —
 ٥٠٢ — ٥٠٠ ، ٤٩٨ ، ٤٩٦ —
 ٥٢٧ — ٥٢٠ ، ٥١٧ — ٥٠٥ —
 ٥٤٩ — ٥٤٦ ، ٥٤٤ ، ٥٤٢ —
 ٥٧٣ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢ — ٥٥١ —
 ٥٨٤ ، ٥٧٩ ، ٥٧٧ ، ٥٧٥ —
 ٥٩٤ — ٥٩٣ ، ٥٩١ — ٥٩٠ —
 ٦٠٨ — ٦٠٤ ، ٦٠٠ — ٥٩٦ —
 ٦١٩ ، ٦١٦ — ٦١٤ ، ٦١٠ —
 ٦٣٧ — ٦٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٣١ —
 ٦٤٨ ، ٦٤٦ — ٤٤١ ، ٦٣٩ —
 ٦٦١ — ٦٥٥ ، ٦٥٣ —
 ١٦ ، ١٣ ، ١١ — ٨ ، ٦ (٢ج)
 ٢٤ ، ٢٧ — ٢٥ ، ٢٢ ، ١٨ —
 ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٢ ، ٤٠ — ٣٨ —
 ٦٤ ، ٦١ ، ٥٨ ، ٥٤ ، ٤٩ —
 ٧٧ ، ٧٢ — ٧١ ، ٦٨ — ٦٦ —
 ، ١٠٣ ، ٩٤ — ٩٣ ، ٧٨ —
 ١٣١ — ١٣٠ ، ١١٣ ، ١١٠ —
 ١١٩٨ ، ١٨٩ ، ١٧٦ ، ١٥٧ —
 ٢٥٨ ، ٢٤٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ —
 ٢٣٩ ، ٢٧٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ —
 ٥٠١ ، ٤٩٨ ، ٤٥٣ ، ٤٢٠ —
 ٦٠١ ، ٥٩٧ ، ٥١٣ ، ٥٠٢ —
 ٦١٧ ، ٦١٥ — ٦٠٩ ، ٦٠٥ —
 ٦٢٦ ، ٦٢٤ — ٦٢٢ ، ٦٢٠ —
 ٦٣٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣١ — ٦٢٨ —
 ٦٥٨ — ٦٥٧ ، ٦٥٤ ، ٦٥٢ —
 ١٤ ، ١١ — ٩ ، ٦ ، ٥ (٣ج)
 ٢٨ — ٣٥ ، ٣٢ ، ٢٨ — ٢١ —
 ٦٠ — ٥٩ ، ٥٠ ، ٤٧ ، ٤٢ —
 ١٠٢ ، ٩٤ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٦٧

٦٠٣ (٨ج)
 ١٠٦ (٩ج)
 عدل (بنو) (٣ج) ١٤٨
 المراقبي (شعب) (٤ج) ٣١٧
 المراقبية (شعوب) (١ج) ٢٢٧ ،
 ٥٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ —
 ٤٢٨ (٩ج)
 المراقبون (١ج) ١٩٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٤ —
 ٦١٨ ، ٥٥٥ —
 ١٧٢ ، ١١ (٣ج)
 ٥٨٧ ، ٥٥٣ ، ٢٠٤ (٧ج)
 ٦٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢٢ (٨ج)
 ٢٠٢ ، ٥٠ (٩ج)
 عران (عشيرة) (٢ج) ٣٩٢
 العرب (١ج) ٧ ، ٥ ، ١٠ ، ١٣ —
 ١٤ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٢ ،
 ٤٤ — ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ —
 ٦١ — ٦٨ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٢ —
 ٧٥ — ٧٧ ، ٨٢ — ٨٤ ، ٨٦ —
 ١٠٢ ، ٩٢ — ٩١ ، ٨٩ ، ٨٧ —
 ١١٥ — ١١٤ ، ١٠٨ — ١٠٧ —
 ١٢٤ ، ١٢٣ — ١٢٢ ، ١١٧ —
 ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٣٦ —
 ١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٥٢ ، ١٤٧ —
 ١٦٩ ، ١٦٦ — ١٦٥ ، ١٦٢ —
 ١٨٣ — ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٧ —
 ٢٠٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ١٩٩ —
 ٢١٥ — ٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢٠٩ —
 ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ — ٢٢٨ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ —
 ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ —
 ٢٧٣ ، ٢٧٦ — ٢٧٧ ، ٢٨١ —
 ٢٩٠ — ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٢ —
 ٢٩٢ — ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٢٠١ —
 ٣١٠ ، ٣١٧ — ٣٢٣ ، ٣٢٢ —
 ٣٢٤ ، ٣٣١ — ٣٣٢ ، ٣٣٥ —
 ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ — ٣٤٧ —
 ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ — ٣٥٤ —
 ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٥

141 ˆ 142 ˆ 143. — 144
 ˆ 145 ˆ 146 — 147 ˆ
 148 ˆ 149 ˆ 150 — 151
 152 ˆ 153 ˆ 154 — 155
 156 ˆ 157 ˆ 158 ˆ 159. —
 160 — 161 ˆ 162 — 163
 164 — 165 ˆ 166 — 167
 168 — 169. ˆ 170 — 171
 172 ˆ 173 ˆ 174 — 175
 176 ˆ 177 — 178 ˆ 179
 180 ˆ 181 — 182 ˆ 183
 184 ˆ 185 — 186 ˆ 187
 188 ˆ 189 — 190 ˆ 191
 192 ˆ 193 — 194 ˆ 195
 196 ˆ 197 — 198 ˆ 199
 200 ˆ 201 ˆ 202 — 203
 204 ˆ 205 — 206 ˆ 207
 208 ˆ 209 — 210 ˆ 211
 212 ˆ 213 — 214 ˆ 215
 216 ˆ 217 — 218 ˆ 219
 220 ˆ 221 — 222 ˆ 223
 224 ˆ 225 — 226 ˆ 227
 228 ˆ 229 — 230 ˆ 231
 232 ˆ 233 — 234 ˆ 235
 236 ˆ 237 — 238 ˆ 239
 240 ˆ 241 — 242 ˆ 243
 244 ˆ 245 — 246 ˆ 247
 248 ˆ 249 — 250 ˆ 251
 252 ˆ 253 — 254 ˆ 255
 256 ˆ 257 — 258 ˆ 259
 260 ˆ 261 — 262 ˆ 263
 264 ˆ 265 — 266 ˆ 267
 268 ˆ 269 — 270 ˆ 271
 272 ˆ 273 — 274 ˆ 275
 276 ˆ 277 — 278 ˆ 279
 280 ˆ 281 — 282 ˆ 283
 284 ˆ 285 — 286 ˆ 287
 288 ˆ 289 — 290 ˆ 291
 292 ˆ 293 — 294 ˆ 295
 296 ˆ 297 — 298 ˆ 299
 300 ˆ 301 — 302 ˆ 303
 304 ˆ 305 — 306 ˆ 307
 308 ˆ 309 — 310 ˆ 311
 312 ˆ 313 — 314 ˆ 315
 316 ˆ 317 — 318 ˆ 319
 320 ˆ 321 — 322 ˆ 323
 324 ˆ 325 — 326 ˆ 327
 328 ˆ 329 — 330 ˆ 331
 332 ˆ 333 — 334 ˆ 335
 336 ˆ 337 — 338 ˆ 339
 340 ˆ 341 — 342 ˆ 343
 344 ˆ 345 — 346 ˆ 347
 348 ˆ 349 — 350 ˆ 351
 352 ˆ 353 — 354 ˆ 355
 356 ˆ 357 — 358 ˆ 359
 360 ˆ 361 — 362 ˆ 363
 364 ˆ 365 — 366 ˆ 367
 368 ˆ 369 — 370 ˆ 371
 372 ˆ 373 — 374 ˆ 375
 376 ˆ 377 — 378 ˆ 379
 380 ˆ 381 — 382 ˆ 383
 384 ˆ 385 — 386 ˆ 387
 388 ˆ 389 — 390 ˆ 391
 392 ˆ 393 — 394 ˆ 395
 396 ˆ 397 — 398 ˆ 399
 400 ˆ 401 — 402 ˆ 403
 404 ˆ 405 — 406 ˆ 407
 408 ˆ 409 — 410 ˆ 411
 412 ˆ 413 — 414 ˆ 415
 416 ˆ 417 — 418 ˆ 419
 420 ˆ 421 — 422 ˆ 423
 424 ˆ 425 — 426 ˆ 427
 428 ˆ 429 — 430 ˆ 431
 432 ˆ 433 — 434 ˆ 435
 436 ˆ 437 — 438 ˆ 439
 440 ˆ 441 — 442 ˆ 443
 444 ˆ 445 — 446 ˆ 447
 448 ˆ 449 — 450 ˆ 451
 452 ˆ 453 — 454 ˆ 455
 456 ˆ 457 — 458 ˆ 459
 460 ˆ 461 — 462 ˆ 463
 464 ˆ 465 — 466 ˆ 467
 468 ˆ 469 — 470 ˆ 471
 472 ˆ 473 — 474 ˆ 475
 476 ˆ 477 — 478 ˆ 479
 480 ˆ 481 — 482 ˆ 483
 484 ˆ 485 — 486 ˆ 487
 488 ˆ 489 — 490 ˆ 491
 492 ˆ 493 — 494 ˆ 495
 496 ˆ 497 — 498 ˆ 499
 500 ˆ 501 — 502 ˆ 503
 504 ˆ 505 — 506 ˆ 507
 508 ˆ 509 — 510 ˆ 511
 512 ˆ 513 — 514 ˆ 515
 516 ˆ 517 — 518 ˆ 519
 520 ˆ 521 — 522 ˆ 523
 524 ˆ 525 — 526 ˆ 527
 528 ˆ 529 — 530 ˆ 531
 532 ˆ 533 — 534 ˆ 535
 536 ˆ 537 — 538 ˆ 539
 540 ˆ 541 — 542 ˆ 543
 544 ˆ 545 — 546 ˆ 547
 548 ˆ 549 — 550 ˆ 551
 552 ˆ 553 — 554 ˆ 555
 556 ˆ 557 — 558 ˆ 559
 560 ˆ 561 — 562 ˆ 563
 564 ˆ 565 — 566 ˆ 567
 568 ˆ 569 — 570 ˆ 571
 572 ˆ 573 — 574 ˆ 575
 576 ˆ 577 — 578 ˆ 579
 580 ˆ 581 — 582 ˆ 583
 584 ˆ 585 — 586 ˆ 587
 588 ˆ 589 — 590 ˆ 591
 592 ˆ 593 — 594 ˆ 595
 596 ˆ 597 — 598 ˆ 599
 600 ˆ 601 — 602 ˆ 603
 604 ˆ 605 — 606 ˆ 607
 608 ˆ 609 — 610 ˆ 611
 612 ˆ 613 — 614 ˆ 615
 616 ˆ 617 — 618 ˆ 619
 620 ˆ 621 — 622 ˆ 623
 624 ˆ 625 — 626 ˆ 627
 628 ˆ 629 — 630 ˆ 631
 632 ˆ 633 — 634 ˆ 635
 636 ˆ 637 — 638 ˆ 639
 640 ˆ 641 — 642 ˆ 643
 644 ˆ 645 — 646 ˆ 647
 648 ˆ 649 — 650 ˆ 651
 652 ˆ 653 — 654 ˆ 655
 656 ˆ 657 — 658 ˆ 659
 660 ˆ 661 — 662 ˆ 663
 664 ˆ 665 — 666 ˆ 667
 668 ˆ 669 — 670 ˆ 671
 672 ˆ 673 — 674 ˆ 675
 676 ˆ 677 — 678 ˆ 679
 680 ˆ 681 — 682 ˆ 683
 684 ˆ 685 — 686 ˆ 687
 688 ˆ 689 — 690 ˆ 691
 692 ˆ 693 — 694 ˆ 695
 696 ˆ 697 — 698 ˆ 699
 700 ˆ 701 — 702 ˆ 703
 704 ˆ 705 — 706 ˆ 707
 708 ˆ 709 — 710 ˆ 711
 712 ˆ 713 — 714 ˆ 715
 716 ˆ 717 — 718 ˆ 719
 720 ˆ 721 — 722 ˆ 723
 724 ˆ 725 — 726 ˆ 727
 728 ˆ 729 — 730 ˆ 731
 732 ˆ 733 — 734 ˆ 735
 736 ˆ 737 — 738 ˆ 739
 740 ˆ 741 — 742 ˆ 743
 744 ˆ 745 — 746 ˆ 747
 748 ˆ 749 — 750 ˆ 751
 752 ˆ 753 — 754 ˆ 755
 756 ˆ 757 — 758 ˆ 759
 760 ˆ 761 — 762 ˆ 763
 764 ˆ 765 — 766 ˆ 767
 768 ˆ 769 — 770 ˆ 771
 772 ˆ 773 — 774 ˆ 775
 776 ˆ 777 — 778 ˆ 779
 780 ˆ 781 — 782 ˆ 783
 784 ˆ 785 — 786 ˆ 787
 788 ˆ 789 — 790 ˆ 791
 792 ˆ 793 — 794 ˆ 795
 796 ˆ 797 — 798 ˆ 799
 800 ˆ 801 — 802 ˆ 803
 804 ˆ 805 — 806 ˆ 807
 808 ˆ 809 — 810 ˆ 811
 812 ˆ 813 — 814 ˆ 815
 816 ˆ 817 — 818 ˆ 819
 820 ˆ 821 — 822 ˆ 823
 824 ˆ 825 — 826 ˆ 827
 828 ˆ 829 — 830 ˆ 831
 832 ˆ 833 — 834 ˆ 835
 836 ˆ 837 — 838 ˆ 839
 840 ˆ 841 — 842 ˆ 843
 844 ˆ 845 — 846 ˆ 847
 848 ˆ 849 — 850 ˆ 851
 852 ˆ 853 — 854 ˆ 855
 856 ˆ 857 — 858 ˆ 859
 860 ˆ 861 — 862 ˆ 863
 864 ˆ 865 — 866 ˆ 867
 868 ˆ 869 — 870 ˆ 871
 872 ˆ 873 — 874 ˆ 875
 876 ˆ 877 — 878 ˆ 879
 880 ˆ 881 — 882 ˆ 883
 884 ˆ 885 — 886 ˆ 887
 888 ˆ 889 — 890 ˆ 891
 892 ˆ 893 — 894 ˆ 895
 896 ˆ 897 — 898 ˆ 899
 900 ˆ 901 — 902 ˆ 903
 904 ˆ 905 — 906 ˆ 907
 908 ˆ 909 — 910 ˆ 911
 912 ˆ 913 — 914 ˆ 915
 916 ˆ 917 — 918 ˆ 919
 920 ˆ 921 — 922 ˆ 923
 924 ˆ 925 — 926 ˆ 927
 928 ˆ 929 — 930 ˆ 931
 932 ˆ 933 — 934 ˆ 935
 936 ˆ 937 — 938 ˆ 939
 940 ˆ 941 — 942 ˆ 943
 944 ˆ 945 — 946 ˆ 947
 948 ˆ 949 — 950 ˆ 951
 952 ˆ 953 — 954 ˆ 955
 956 ˆ 957 — 958 ˆ 959
 960 ˆ 961 — 962 ˆ 963
 964 ˆ 965 — 966 ˆ 967
 968 ˆ 969 — 970 ˆ 971
 972 ˆ 973 — 974 ˆ 975
 976 ˆ 977 — 978 ˆ 979
 980 ˆ 981 — 982 ˆ 983
 984 ˆ 985 — 986 ˆ 987
 988 ˆ 989 — 990 ˆ 991
 992 ˆ 993 — 994 ˆ 995
 996 ˆ 997 — 998 ˆ 999
 1000 ˆ 1001 — 1002 ˆ 1003
 1004 ˆ 1005 — 1006 ˆ 1007
 1008 ˆ 1009 — 1010 ˆ 1011
 1012 ˆ 1013 — 1014 ˆ 1015
 1016 ˆ 1017 — 1018 ˆ 1019
 1020 ˆ 1021 — 1022 ˆ 1023
 1024 ˆ 1025 — 1026 ˆ 1027
 1028 ˆ 1029 — 1030 ˆ 1031
 1032 ˆ 1033 — 1034 ˆ 1035
 1036 ˆ 1037 — 1038 ˆ 1039
 1040 ˆ 1041 — 1042 ˆ 1043
 1044 ˆ 1045 — 1046 ˆ 1047
 1048 ˆ 1049 — 1050 ˆ 1051
 1052 ˆ 1053 — 1054 ˆ 1055
 1056 ˆ 1057 — 1058 ˆ 1059
 1060 ˆ 1061 — 1062 ˆ 1063
 1064 ˆ 1065 — 1066 ˆ 1067
 1068 ˆ 1069 — 1070 ˆ 1071
 1072 ˆ 1073 — 1074 ˆ 1075
 1076 ˆ 1077 — 1078 ˆ 1079
 1080 ˆ 1081 — 1082 ˆ 1083
 1084 ˆ 1085 — 1086 ˆ 1087
 1088 ˆ 1089 — 1090 ˆ 1091
 1092 ˆ 1093 — 1094 ˆ 1095
 1096 ˆ 1097 — 1098 ˆ 1099
 1100 ˆ 1101 — 1102 ˆ 1103
 1104 ˆ 1105 — 1106 ˆ 1107
 1108 ˆ 1109 — 1110 ˆ 1111
 1112 ˆ 1113 — 1114 ˆ 1115
 1116 ˆ 1117 — 1118 ˆ 1119
 1120 ˆ 1121 — 1122 ˆ 1123
 1124 ˆ 1125 — 1126 ˆ 1127
 1128 ˆ 1129 — 1130 ˆ 1131
 1132 ˆ 1133 — 1134 ˆ 1135
 1136 ˆ 1137 — 1138 ˆ 1139
 1140 ˆ 1141 — 1142 ˆ 1143
 1144 ˆ 1145 — 1146 ˆ 1147
 1148 ˆ 1149 — 1150 ˆ 1151
 1152 ˆ 1153 — 1154 ˆ 1155
 1156 ˆ 1157 — 1158 ˆ 1159
 1160 ˆ 1161 — 1162 ˆ 1163
 1164 ˆ 1165 — 1166 ˆ 1167
 1168 ˆ 1169 — 1170 ˆ 1171
 1172 ˆ 1173 — 1174 ˆ 1175
 1176 ˆ 1177 — 1178 ˆ 1179
 1180 ˆ 1181 — 1182 ˆ 1183
 1184 ˆ 1185 — 1186 ˆ 1187
 1188 ˆ 1189 — 1190 ˆ 1191
 1192 ˆ 1193 — 1194 ˆ 1195
 1196 ˆ 1197 — 1198 ˆ 1199
 1200 ˆ 1201 — 1202 ˆ 1203
 1204 ˆ 1205 — 1206 ˆ 1207
 1208 ˆ 1209 — 1210 ˆ 1211
 1212 ˆ 1213 — 1214 ˆ 1215
 1216 ˆ 1217 — 1218 ˆ 1219
 1220 ˆ 1221 — 1222 ˆ 1223
 1224 ˆ 1225 — 1226 ˆ 1227
 1228 ˆ 1229 — 1230 ˆ 1231
 1232 ˆ 1233 — 1234 ˆ 1235
 1236 ˆ 1237 — 1238 ˆ 1239
 1240 ˆ 1241 — 1242 ˆ 1243
 1244 ˆ 1245 — 1246 ˆ 1247
 1248 ˆ 1249 — 1250 ˆ 1251
 1252 ˆ 1253 — 1254 ˆ 1255
 1256 ˆ 1257 — 1258 ˆ 1259
 1260 ˆ 1261 — 1262 ˆ 1263
 1264 ˆ 1265 — 1266 ˆ 1267
 1268 ˆ 1269 — 1270 ˆ 1271
 1272 ˆ 1273 — 1274 ˆ 1275
 1276 ˆ 1277 — 1278 ˆ 1279
 1280 ˆ 1281 — 1282 ˆ 1283
 1284 ˆ 1285 — 1286 ˆ 1287
 1288 ˆ 1289 — 1290 ˆ 1291
 1292 ˆ 1293 — 1294 ˆ 1295
 1296 ˆ 1297 — 1298 ˆ 1299
 1300 ˆ 1301 — 1302 ˆ 1303
 1304 ˆ 1305 — 1306 ˆ 1307
 1308 ˆ 1309 — 1310 ˆ 1311
 1312 ˆ 1313 — 1314 ˆ 1315
 1316 ˆ 1317 — 1318 ˆ 1319
 1320 ˆ 1321 — 1322 ˆ 1323
 1324 ˆ 1325 — 1326 ˆ 1327
 1328 ˆ 1329 — 1330 ˆ 1331
 1332 ˆ 1333 — 1334 ˆ 1335
 1336 ˆ 1337 — 1338 ˆ 1339
 1340 ˆ 1341 — 1342 ˆ 1343
 1344 ˆ 1345 — 1346 ˆ 1347
 1348 ˆ 1349 — 1350 ˆ 1351
 1352 ˆ 1353 — 1354 ˆ 1355
 1356 ˆ 1357 — 1358 ˆ 1359
 1360 ˆ 1361 — 1362 ˆ 1363
 1364 ˆ 1365 — 1366 ˆ 1367
 1368 ˆ 1369 — 1370 ˆ 1371
 1372 ˆ 1373 — 1374 ˆ 1375
 1376 ˆ 1377 — 1378 ˆ 1379
 1380 ˆ 1381 — 1382 ˆ 1383
 1384 ˆ 1385 — 1386 ˆ 1387
 1388 ˆ 1389 — 1390 ˆ 1391
 1392 ˆ 1393 — 1394 ˆ 1395
 1396 ˆ 1397 — 1398 ˆ 1399
 1400 ˆ 1401 — 1402 ˆ 1403
 1404 ˆ 1405 — 1406 ˆ 1407
 1408 ˆ 1409 — 1410 ˆ 1411
 1412 ˆ 1413 — 1414 ˆ 1415
 1416 ˆ 1417 — 1418 ˆ 1419
 1420 ˆ 1421 — 1422 ˆ 1423
 1424 ˆ 1425 — 1426 ˆ 1427
 1428 ˆ 1429 — 1430 ˆ 1431
 1432 ˆ 1433 — 1434 ˆ 1435
 1436 ˆ 1437 — 1438 ˆ 1439
 1440 ˆ 1441 — 1442 ˆ 1443
 1444 ˆ 1445 — 1446 ˆ 1447
 1448 ˆ 1449 — 1450 ˆ 1451
 1452 ˆ 1453 — 1454 ˆ 1455
 1456 ˆ 1457 — 1458 ˆ 1459
 1460 ˆ 1461 — 1462 ˆ 1463
 1464 ˆ 1465 — 1466 ˆ 1467
 1468 ˆ 1469 — 1470 ˆ 1471
 1472 ˆ 1473 — 1474 ˆ 1475
 1476 ˆ 1477 — 1478 ˆ 1479
 1480 ˆ 1481 — 1482 ˆ 1483
 1484 ˆ 1485 — 1486 ˆ 1487
 1488 ˆ 1489 — 1490 ˆ 1491
 1492 ˆ 1493 — 1494 ˆ 1495
 1496 ˆ 1497 — 1498 ˆ 1499
 1500 ˆ 1501 — 1502 ˆ 1503
 1504 ˆ 1505 — 1506 ˆ 1507
 1508 ˆ 1509 — 1510 ˆ 1511
 1512 ˆ 1513 — 1514 ˆ 1515
 1516 ˆ 1517 — 1518 ˆ 1519
 1520 ˆ 1521 — 1522 ˆ 1523
 1524 ˆ 1525 — 1526 ˆ 1527
 1528 ˆ 1529 — 1530 ˆ 1531
 1532 ˆ 1533 — 1534 ˆ 1535
 1536 ˆ 1537 — 1538 ˆ 1539
 1540 ˆ 1541 — 1542 ˆ 1543
 1544 ˆ 1545 — 1546 ˆ 1547
 1548 ˆ 1549 — 1550 ˆ 1551
 1552 ˆ 1553 — 1554 ˆ 1555
 1556 ˆ 1557 — 1558 ˆ 1559
 1560 ˆ 1561 — 1562 ˆ 1563
 1564 ˆ 1565 — 1566 ˆ 1567
 1568 ˆ 1569 — 1570 ˆ 1571
 1572 ˆ 1573 — 1574 ˆ 1575
 1576 ˆ 1577 — 1578 ˆ 1579
 1580 ˆ 1581 — 1582 ˆ 1583
 1584 ˆ 1585 — 1586 ˆ 1587
 1588 ˆ 1589 — 1590 ˆ 1591
 1592 ˆ 1593 — 1594 ˆ 1595
 1596 ˆ 1597 — 1598 ˆ 1599
 1600 ˆ 1601 — 1602 ˆ 1603
 1604 ˆ 1605 — 1606 ˆ 1607
 1608 ˆ 1609 — 1610 ˆ 1611
 1612 ˆ 1613 — 1614 ˆ 1615
 1616 ˆ 1617 — 1618 ˆ 1619
 1620 ˆ 1621 — 1622 ˆ 1623
 1624 ˆ 1625 — 1626 ˆ 1627
 1628 ˆ 1629 — 1630 ˆ 1631
 1632 ˆ 1633 — 1634 ˆ 1635
 1636 ˆ 1637 — 1638 ˆ 1639
 1640 ˆ 1641 — 1642 ˆ 1643
 1644 ˆ 1645 — 1646 ˆ 1647
 1648 ˆ 1649 — 1650 ˆ 1651
 1652 ˆ 1653 — 1654 ˆ 1655
 1656 ˆ 1657 — 1658 ˆ 1659
 1660 ˆ 1661 — 1662 ˆ 1663
 1664 ˆ 1665 — 1666 ˆ 1667
 1668 ˆ 1669 — 1670 ˆ 1671
 1672 ˆ 1673 — 1674 ˆ 1675
 1676 ˆ 1677 — 1678 ˆ 1679
 1680 ˆ 1681 — 1682 ˆ 1683
 1684 ˆ 1685 — 1686 ˆ 1687
 1688 ˆ 1689 — 1690 ˆ 1691
 1692 ˆ 1693 — 1694 ˆ 1695
 1696 ˆ 1697 — 1698 ˆ 1699
 1700 ˆ 1701 — 1702 ˆ 1703
 1704 ˆ 1705 — 1706 ˆ 1707
 1708 ˆ 1709 — 1710 ˆ 1711
 1712 ˆ 1713 — 1714 ˆ 1715
 1716 ˆ 1717 — 1718 ˆ 1719
 1720 ˆ 1721 — 1722 ˆ 1723
 1724 ˆ 1725 — 1726 ˆ 1727
 1728 ˆ 1729 — 1730 ˆ 1731
 1732 ˆ 1733 — 1734 ˆ 1735
 1736 ˆ 1737 — 1738 ˆ 1739
 1740 ˆ 1741 — 1742 ˆ 1743
 1744 ˆ 1745 — 1746 ˆ 1747
 1748 ˆ 1749 — 1750 ˆ 1751
 1752 ˆ 1753 — 1754 ˆ 1755
 1756 ˆ 1757 — 1758 ˆ 1759
 1760 ˆ 1761 — 1762 ˆ 1763
 1764 ˆ 1765 — 1766 ˆ 1767
 1768 ˆ 1769 — 1770 ˆ 1771
 1772 ˆ 1773 — 1774 ˆ 1775
 1776 ˆ 1777 — 1778 ˆ 1779
 1780 ˆ 1781 — 1782 ˆ 1783
 1784 ˆ 1785 — 1786 ˆ 1787
 1788 ˆ 1789 — 1790 ˆ 1791
 1792 ˆ 1793 — 1794 ˆ 1795
 1796 ˆ 1797 — 1798 ˆ 1799
 1800 ˆ 1801 — 1802 ˆ 1803
 1804 ˆ 1805 — 1806 ˆ 1807
 1808 ˆ 1809 — 1810 ˆ 1811
 1812 ˆ 1813 — 1814 ˆ 1815
 1816 ˆ 1817 — 1818 ˆ 1819
 1820 ˆ 1821 — 1822 ˆ 1823
 1824 ˆ 1825 — 1826 ˆ 1827
 1828 ˆ 1829 — 1830 ˆ 1831
 1832 ˆ 1833 — 1834 ˆ 1835
 1836 ˆ 1837 — 1838 ˆ 1839
 1840 ˆ 1841 — 1842 ˆ 1843
 1844

օճԻ — օճ. և օժԻ — օժ.
 օճԷ և օօճ և օօՅ — օճՃ
 օժԻ և օժԱ և օժԷ — օժԴ
 օճԻ և օճԻ և օժԱ — օժԷ
 Դ.Ղ — Դ.օ և Դ.Ղ և օճԷ —
 ԴժԱ և Դժօ — ԴժԷ և ԴժԻ
 Դժ. — Դժօ և ԴժԻ — Դժ.
 ԴժԻ և ԴժԻ և Դժօ — ԴժԻ
 ԴօԻ —
 Իճ — Իժ և ԻԻ և Ի.օ (Դժ)
 ԻՅ — ԻԴ և Ի. — ԻՂ. և ԻԴ
 Էժ և ԻՂ — ԻԴ և Իճ — ԻՂ
 օճ — օժ և օԻ և ԷՂ և Էճ —
 և Ի. և ԴԱ — ԴԴ և Դճ և ԴԴ
 Ի.ժ և Ի.Ղ և Էճ — ԴԱ և Դճ
 և Իճ և ԻԻ. և Ի.Յ և Ի.օ
 ԻժԱ և ԻժԻ և Իժ. — ԻժԻ
 և Իճօ և ԻճԻ — Իճ. և ԻժԻ
 ԻԴԻ — ԻԴ. և Իօժ և ԻճԱ
 ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԱ — ԻժԷ
 ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ —
 և Ի.օ և Ի.ժ և Ի.օ. — ԻժԻ
 ԻժԱ և ԻժԻ և Ի.Ղ — Ի.Յ
 ԻժԴ և ԻժԻ — ԻժԻ և Իժ.
 ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ —
 ԻժԱ և ԻժԴ — Իժօ և
 ԻճԻ և ԻճԱ և ԻճԻ և ԻժԻ —
 Իօճ և Իօժ և Իօօ — ԻօԻ
 ԻՂԻ և ԻՂԻ և ԻՂԷ — ԻՂԻ
 ԻժԻ և ԻՂօ և ԻՂԻ և ԻՂ. —
 ԻՂԻ — ԻՂ. և Իժօ և ԻժԻ —
 Ի.Ղ և Ի.ճ և Ի.ժ և ԻՂօ
 ԻժԻ և ԻժԻ — Ի.Ղ և Ի.Յ —
 ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ — Իժ.
 ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ — ԻժԴ
 ԻճԻ և ԻժԻ և ԻժԻ — ԻժԴ
 ԻօԻ և ԻճԻ — ԻճԱ և ԻճԴ —
 Իօժ — ԻօԴ և Իօճ և ԻօԻ —
 ԻՂԻ և ԻՂԷ — ԻՂԻ և Իօճ

ԴՂԻ և ԴՂԷ և Դօճ — ԴօԻ
 ԴՂԻ և ԴՂԻ և ԴՂԻ և ԴՂԻ —
 ԴՂԷ և ԴՂԻ —
 Իճ և ԻԻ — Ի. և Ի.օ (օժ)
 Ի. և Իժ — Իժ և Իժ — Իժ
 Էժ և Է. և Իժ — Իօ և Իժ
 օժ և օ. — Էժ և Էօ և Էժ —
 ԴՂ և ԴԱ — Դժ և ԴԻ — օճ
 և Դօ և Դժ — Դժ և Դժ և ԴԱ
 և Իժ — ԻԻ և Ի.Ղ — Դժ
 և Իժ և ԻժԻ և ԻժԻ և Իժ.
 Իժ. և Իօժ — Իօօ և ԻճԷ
 և ԻժԻ և Իժօ և Իժօ — ԻժԻ
 և ԻժԻ և ԻժԻ և Իժօ — ԻժԻ
 Ի.օ և Ի.ժ — ԻժԱ և Իժօ
 ԻժԱ — ԻժԻ և Ի.ժ և Ի.Յ —
 ԻժԻ — Իժօ և ԻժԻ — ԻժԻ
 և ԻժԻ և ԻժԻ և ԻժԻ և Իժօ
 և Իօժ և Իօճ և ԻօԻ և ԻճԻ
 ԻժԱ և ԻՂԷ և ԻՂԻ — ԻՂ.
 և Իժօ — ԻժԻ և ԻժԻ և Իժ.
 Իժօ — ԻճԷ և ԻՂԻ — ԻժԱ
 — Ի.ժ և Ի.ճ և Ի.Ղ և ԻժԱ
 ԻժԴ — ԻժԻ և ԻՂԻ և Ի.Ղ
 ԻժԻ և Իժօ և Իժ. — ԻժԱ
 ԻճԷ և ԻճԻ — ԻժԻ և ԻժԻ —
 Իօօ և ԻօԻ — ԻօԻ և ԻճԴ —
 և ԻժԱ և ԻՂԻ և ԻՂԷ և ԻՂԻ
 — ԻՂԻ և ԻժԱ և ԻժԻ և Իժ.
 Է.ճ և Է.ժ — Է.Ղ և ԻՂԻ
 Էժօ և ԷժԻ և Է.ժ և Է.օ —
 ԷժԻ և Էժօ — ԷժԻ և ԷժԻ —
 ԷժԻ և ԷժԻ — Էժօ և Էժ. —
 ԷժԷ և Էժ. և ԷժԱ — ԷժԻ
 ԷժԱ և ԷժԷ և Էժ. և ԷժԻ —
 օ. — ԷՂԻ և ԷՂԴ — ԷՂԻ
 օԻ. և օ.ժ և օ.ճ — օ.ժ
 օԻԻ — օԻԴ և օԻճ և օԻԻ —

607 , 61 , 67 , 78 — 77
 78 — 77 , 78 , 77 — 7.
 69 , 82 , 81 , 77 — 77
 , 1.8 , 1.2 — 1.0 , 98
 113 — 111 , 1.9 — 1.8
 128 , 119 — 117 , 110
 188 , 137 , 128 — 127
 100 , 103 , 101 , 189
 177 , 173 , 109 — 107
 188 — 182 , 177 , 178
 2.3 , 2.0 — 199 , 198
 228 — 227 , 217 , 2.7
 288 , 239 — 233 , 23.
 27. 208 , 207 , 280 —
 279 277 — 278 , 272 —
 28. 277 — 277 271 —
 291 287 — 280 281 —
 3.2 — 3.1 298 292 —
 328 , 328 , 321 , 3.8
 382 , 337 — 330 , 331
 370 , 373 — 379 , 307
 392 , 388 , 382 38. —
 610 , 8.0 , 397 — 397
 620 , 822 , 819 , 817
 602 , 838 , 830 , 827
 673 , 871 , 809 , 800
 88. — 877 , 878 , 878
 897 , 893 , 89. , 888
 0.8 0.7 — 0.2 898 —
 002. , 017 , 013 — 012
 030 , 032 , 03. — 028
 080 — 088 , 039 — 038
 062 , 007 — 000 , 088
 072 067 — 070 063 —
 098 078 — 077 , 070
 717 — 710 , 7.9 , 7.2
 723 , 721 , 719 — 718
 732 — 729
 , 28 , 12 — 11 88 (88)

379 — 377 , 378 , 378
 387 , 380 — 382 , 381
 397 392 — 391 388 —
 8.8 — 8.7 , 8.2 — 399
 823 , 818 — 818 , 812
 831 , 829 , 827 828 —
 887 — 887 , 888 , 838
 808 — 802 , 80. — 889
 877 — 870 , 872 , 807 .
 888 , 88. , 878 , 872
 899 , 893 — 892 , 888
 018 , 011 — 0.8 , 0.0
 031 002. — 019 , 017 —
 083 0081 , 037 , 032 —
 071 — 007 0002 0080 —
 079 — 078 , 078 — 077
 090 — 087 , 088 , 082
 7.7 , 7.2 , 099 , 097
 718 712 — 711 7.8 —
 723 , 721 , 718 — 717
 73. , 728 , 727 — 720
 787 728 — 727 728 —
 707 , 702 , 70. — 789
 770 , 773 — 772 , 708
 778 — 773 77. 777 —
 787 , 780 , 783 — 78.
 7.0 7.2 — 792 79. —
 712 , 71. , 7.8 — 7.7
 727 — 723 , 719 , 710
 738 , 730 , 733 — 729
 701 , 787 , 788 , 78.
 777 , 778 — 773 , 700
 783 — 781 , 778 , 779
 798 , 792 — 788 , 787
 8.7 8.8 — 8.1 799 —
 819 — 810 811 8.7 —
 821
 19 — 17 , 12 97 (97)
 3. , 27 — 27 , 22 — 21

00A — 00Y : 000 — 00Z
 0Y0 — 0YX : 0YT — 0T.
 0AA : 0AT — 0AZ : 0VY
 0T6 — 0T0 : 0T1 : 0TA —
 T.A — T.T : T.. — 0T9
 T23 — T21 : T19 : T17
 T3X : T32 — T2A : T27
 T62 : T6. — TXX : T61 —
 TV3 : TV1 — T6A : T67 —
 TA9 — TAY : TAO — TVY
 — T9A : T97 : T92 : T91
 V13 : V11 — V1. : V.A
 :V21 : V1A — V1V : V10
 V2Y — V26 : V2X — V23
 V41 — V3X : V31 — V3.
 V03 — V02 : V49 — V47
 V6Y : V6X : V71 : V09
 VY6 : VYX — VY. : VTA —
 VA6 : VAX — AY2 : VA. —
 Y6X — Y92 : Y89 —
 : Y1 — 1X : 11 — 0 (1ج)
 33 : 31 : 29 — 27 : 23
 49 : 4Y : 43 — 4. : 37
 — 07 : 0X — 03 : 01 —
 A2 — Y9 : V4 — 73 : 09
 : 9Y : 90 : 91 : A9 : A0
 : 111 : 1.A — 1.X : 99
 : 12A : 120 : 11A — 117
 1X0 : 1X. : 137 — 130
 100 : 102 — 101 . 1XA
 179 : 171 — 17. : 10A —
 : 1A1 — 1VA : 1V0 . 1V1
 : 197 — 19X : 192 . 1AX
 2.A — 2.3 : 2.1 — 199
 : 22. : 21A : 210 — 213
 232 : 227 — 220 : 222
 2X. : 23A — 230 : 233 —
 20Y : 20X — 201 : 2X2
 27A : 277 : 27X : 271 —

— 2A : 22 : 27 : 29 : 27
 : 7X : 7. : 0Y : 0X : 49
 A1 : V7 — Y0 : V3 : 79
 1.3 : 1.1 : 9A : 90 — 91
 113 — 112 : 11. : 1.A —
 : 127 : 12. : 11A : 110
 1X3 — 1X1 : 13A : 129
 10A — 107 : 10X — 101
 179 — 17A : 172 — 17.
 1A. — 1VA : 1V3 : 1V1
 190 : 191 : 1A9 — 1A0
 2.X : 2.2 : 199 : 197 —
 227 : 223 : 21A : 2.0 —
 2X2 : 23A : 23. — 229
 20. : 2XA — 2XV : 2X0
 209 — 20A : 20X : 202 —
 2V0 : 277 — 270 : 272
 290 : 2A9 : 2AV : 2A0
 311 : 3.9 : 3.1 : 299 —
 321 — 32. : 310 : 312 —
 : 331 — 329 : 327 : 32X
 3X. : 33V : 330 — 33X
 3XV — 3X0 : 3X3 : 3X1 —
 309 — 300 : 302 — 3X9
 379 — 37A : 37X : 372
 3A1 : 3V9 : 3V7 : 3VX
 39. : 3AA : 3A7 : 3A2 —
 X.X : 390 : 393 — 392
 41. : 4X.A — 4.V : 4X.0 —
 — 421 : 41V : 410 : 412
 430 : 432 — 42A : 420
 : 4X9 : 4X7 : 4X4 — 43A
 479 — 471 : 409 — 402
 4A. — 4V9 : 4VY — 4V3
 : 493 — 4AA : 4A7 — 4A2
 — 0.0 : 0.1 : 49A — 49V
 021 — 01A : 010 : 012
 : 030 : 03. : 020 : 023
 00. — 0X9 : 0XV — 03V

٨٧١ ، ٨٦٨ ، ٨٦٥ ، ٨٦٣

٨٨١ ، ٨٨٥ ، ٨٨٢ ، ٨٧٦

٨٩٤ ، ٨٩٢

العربي (شعب) (ج ١) ٨ ، ١٠٠ ،

٢٥١ ، ٢٤١ ، ٢٧١ — ٢٦٧

٥٧٤ ، ٤٢٩

٣٢ (ج ٣)

٣١٧ (ج ٤)

العربية (قبائل) (ج ١) ٧ — ١٠ ،

٣١ ، ٢٧ — ٢٦ ، ٢١ ، ١٣

٧١ ، ٦٧ ، ٦١ ، ٤٣ — ٤٢

٧٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ،

٢٩٥ — ٢٩٤ ، ٢٩٢ — ٢٩١

٣١٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣١٣

٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩١ ، ٤١٧

٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩

٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ —

٤٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٨

٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥٢٨ ، ٥٤٤

٥٤٩ ، ٥٥٢ — ٥٥٣ ، ٥٥٥

٥٥٧ ، ٥٧٦ — ٥٧٩ ، ٥٨٧

٥٩٤ ، ٦٠٢ — ٦٠٣ ، ٦٠٧

٦١٠ — ٦١٢ ، ٦١٩ — ٦٢٣

٦٢٥ ، ٦٢٨ ، ٦٢٨ ، ٦٣٩

٦٤٢ ، ٦٥١ — ٦٥٢ ، ٦٥٥

٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦١

(ج ٢) ٨ ، ١٠ ، ٣٠ ، ١٦٣

٢١٨ ، ٢٥٩ ، ٤٠٥ ، ٦٠٠

٦٠٤ — ٦١٠ ، ٦١٠ — ٦١١

٦١٩ ، ٦٢٢ — ٦٢٤ ، ٦٢٧

٦٣٤ ، ٦٣٦ — ٦٣٨ ، ٦٤٣

(ج ٣) ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٥ ،

٤٣ ، ٨٠ — ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٢٩

١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٧٣

٢١٨ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥ ، ٤١٧

٤٨٣ ، ٤٩٤ ، ٥١٩

(ج ٤) ١٠ ، ٣٥ ، ١٢٠ ، ١٧٠

٢٢٨ ، ٣٧٠ ، ٤١٤ ،

٤١٥ ، ٤٢٢ ، ٤٦٠ ، ٤٢٢

٢٧٢ ، ٢٨٠ — ٢٨١ ، ٢٩٠

٢٩٥ ، ٢٩٧ — ٢٩٨ ، ٣٠٣

٣٠٨ ، ٣١١ — ٣١٧ ، ٣١٥

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨

٣٤٠ — ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦

٣٥٧ ، ٣٦٠ — ٣٦٢ ، ٣٦٨

٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧

٣٨١ ، ٣٨٤ — ٣٨٥ ، ٣٩٠

٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ — ٤٠٤

٤٠٦ — ٤٠٧ ، ٤٠٩ — ٤١٠

٤١٢ ، ٤١٤ — ٤١٥ ، ٤١٨

٤٢١ — ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧

٤٣١ ، ٤٣٥ — ٤٣٨ ، ٤٤١

٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣

٤٥٦ ، ٤٦٤ — ٤٦٥ ، ٤٧٤

٤٧٥ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ — ٤٨٩

٤٩٥ ، ٥٠٠ — ٥٠١ ، ٥٠٤

٥٠٦ — ٥٠٨ ، ٥١١ — ٥١٥

٥١٧ — ٥١٨ ، ٥٢٢ — ٥٢٣

٥٢٦ ، ٥٢٨ — ٥٣٠ ، ٥٣٢

٥٣٥ ، ٥٤٣ — ٥٤٥ ، ٥٥٠

٥٥٩ — ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨

٥٦٩ — ٥٨٧ ، ٥٨٢ ، ٥٩١

٥٩٤ ، ٥٩٦ — ٥٩٧ ، ٥٩٩

٦٠١ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ ، ٦١٧

٦٢٠ — ٦٢٢ ، ٦٢٤ ، ٦٣٨

٦٤٢ ، ٦٤٦ — ٦٤٧ ، ٦٤٩

٦٥١ ، ٦٥٥ — ٦٥٧ ، ٦٥٩

٦٦٢ ، ٦٧١ ، ٦٧٣ — ٦٧٦

٦٩٤ — ٦٩٥ ، ٦٩٨ ، ٧٢٢

٧٢٦ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ — ٧٣٢

٧٣٧ — ٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٧

٧٥٣ ، ٧٥٥ ، ٧٦٢ ، ٧٦٩

٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٧٩٢ — ٧٩٥

٧٩٦ ، ٨٠٢ — ٨٠٥ ، ٨٠٧

٨١٧ ، ٨٢١ — ٨٢٢ ، ٨٢٧

٨٣٠ — ٨٣١ ، ٨٣٤ ، ٨٣٨

٨٤٠ — ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٥٢

٨٥٤ — ٨٥٧ ، ٨٥٨

٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٩ ، ٥٠٤ ،
 ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٥ ،
 (ج ٥) ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ٤٤٥ ،
 (ج ٦) ١١ ، ١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٤٨ ،
 ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٥ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٥٢٤ - ٥٢٥ ،
 ٥٤٩ ، ٥٩٣ ،
 (ج ٨) ٦١٩ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،
 (ج ٩) ٧٩٤ ، ٨٤٤ ،
 عرقان (بنو) (ج ٢) ٢٢١ ،
 العرنج (بنو) (ج ٤) ٣٢٤ ،
 عربي (بنو) (ج ١) ٣٤٨ ،
 (ج ٦) ٦٤ ،
 عريج (بنو) (ج ١) ٤٠٠ ،
 عريض (بنو) (ج ٤) ٢٦٤ ،
 (ج ٦) ٥١٨ ، ٥٣٠ ،
 (ج ٨) ١٢٧ ،
 عربنة (بنو) (ج ١) ٣٧٤ ،
 (ج ٤) ٢٥٠ ، ٤٣٠ ،
 العزاجين (عشيرة) (ج ٣) ٥١ ،
 العثراء (ج ٤) ٥١٣ ،
 عصر (بنو) (ج ٤) ٣٤٧ ، ٤٨٤ ،
 عصبية (قبيلة) (ج ١) ٤٠٤ ،
 (ج ٤) ٢٥٩ - ٢٦٠ ،
 عصيون جابر (بنو) (ج ١) ٦٣٧ ،
 العضاريط (ج ٣) ٤٢٤ ،
 عضدان (عشيرة) (ج ٢) ٥٦٣ ،
 عطارد (ال) (ج ١) ٤٠٣ ،
 (ج ٦) ١٨ ،
 عطل (بنو) (ج ٦) ٥٦ ،
 العطون (عشيرة) (ج ٣) ٥١ ،
 عطية (بنو) (ج ١) ٥٢١ ،
 عفرس (بنو) (ج ١) ٣٧٤ ، ٥٢١ ،
 عقاب (بنو) (ج ١) ٥٢١ ،
 (ج ٢) ٥٤٧ ،
 عتيان (عشيرة) (ج ٢) ٤٥٧ ،
 عقبة (بنو) (ج ٤) ١٨٩ ،
 (ج ٧) ٤٧٩ ،
 عقرب (بنو) (ج ١) ٥٢١ ،

(ج ٢) ٣٩٨ - ٤٠٠ ، ٤١٣ ،
 (ج ٣) ٤٣٤ ،
 عقنم عقم (بنو) (ج ٢) ١٦٢ ،
 عقهت عقهة (ج ٣) ٤٧٥ ،
 عقيل (بنو) (ج ١) ٣٨٦ ،
 (ج ٧) ٣٧٧ ، ٥١٢ - ٥١٣ ،
 (ج ٨) ٢٨٠ ،
 (ج ٩) ١٧ ، ٤٣٤ ، ٧١٨ ،
 عك (بنو) (ج ١) ٣٤٩ ، ٣٩٠ - ٣٩١ ،
 (ج ٢) ٤٢٨ ، ٥٤١ - ٥٤٢ ،
 ٥٤٤ ،
 (ج ٣) ١٦١ ، ٢٨٧ - ٢٨٩ ،
 ٤٢٩ ،
 (ج ٤) ١٨٥ ، ١٩٢ - ١٩٣ ،
 ١٩٥ - ١٩٦ ، ٣٩٠ ، ٤٤٢ ،
 - ٤٤٣ ، ٥٠٤ - ٥٠٦ ، ٥١١ ،
 (ج ٦) ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٣٥٧ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،
 عكب (بنو) (ج ١) ٤٠٨ ،
 (ج ٤) ٥٩٥ ،
 عكدى (بنو) (ج ٢) ١٩١ ،
 عكرمة (بنو) (ج ٦) ٥١٩ ، ٥٢٢ ،
 عكل (بنو) (ج ٤) ٢٥٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٧٢ ،
 (ج ٥) ٥٨٦ ،
 (ج ٦) ٢٨١ ، ٣٥٧ ،
 (ج ٩) ٦٨ ، ٤٣٢ ، ٨٧٤ ،
 عكم (جماعة) (ج ٢) ٤٢٧ ،
 (ج ٤) ٣١٠ ،
 عل (بنو) (ج ٣) ٤٩٥ ، ٤٩٧ ،
 العلاء (بنو) (ج ٤) ٤٥٨ ،
 علاج (بنو) (ج ٤) ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 علاف (بنو) (ج ١) ٣٩٤ ،
 (ج ٦) ٣٥٧ ، ٣٦٣ - ٣٦٤ ،
 علاقة (بنو) (ج ٤) ٥٠٥ ،
 العلاوين (علويون) (عشيرة) (ج ٣) ٥٠ ،
 علبة (ال) (ج ٤) ٤٣٧ ،
 علفق (بنو) (ج ٢) ٤٦٩ ،

١٤١ (٧ج)	علقمة (بنو) (٤ج) ٤٤٦
٣٩٧ ، ٣٩٥ (٩ج)	(٦ج) ٦٨٧ ، ٦٥٤
عمون (بنو) (١ج) ٥٩٦	العلويون (٤ج) ٣٥٥
٦٨ (٣ج)	٣٠٣ (٨ج)
العمونيون (ج) (١) ٥٩٠ ، ٦٤٦ ،	عليان (بنو) (٢ج) ٣٦٩
٦٤٩	٤٤٨ (٤ج)
٦٧ (٧ج)	عليم (بنو) (٤ج) ٤٣٠ ، ٤٤٨
٧١٤ (٨ج)	المخالقة (ج) (١) ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩
عمير (بنو) (٤ج) ٤٨٢	٣١٩ ، ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٤٥٥
٢٨١ (٦ج)	٤٥٦ ، ٥٧٣ - ٥٧٤
العميرات (عشيرة) (ج) (٣) ٥٠	(٣ج) ١٠٤ ، ١٨٤ ، ٢٢٩
عنان (بنو) (ج) (٢) ٣٨٥ ، ٥٥٢	(٤ج) ١٢ ، ٥١ ، ٧٢ ، ١٤٥
العنبر (بنو) (ج) (٤) ١٩٣	(٦ج) ٨٢١ ، ٥١٧
(ج) (٥) ٨١ ، ٣٧٥ ، ٤٣٧	(٨ج) ٦٠٣ ، ٣٦٥
(ج) (٦) ٧٢٩ ، ٨٢٠	الصماليق (ج) (١) ٢٩٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥
(ج) (٩) ٤٧٤	٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٤٣٥ - ٤٣٦
عنة (بنو) (ج) (٤) ٤٤٤	٥٠٤
عنزة (بنو) (ج) (١) ٥٢١	(٢ج) ٢٢١
(ج) (٤) ٢١٨ ، ٣٣٥ ، ٤٨٢ ،	(٣ج) ٩٠ ، ١٠٣ ، ١١٢ ،
٥٨٥ ، ٦٣٧	١٦٧ ، ١٨١ ، ١٩٦
(ج) (٦) ٢٧٧ ، حا ٢٨٤ ، ٤٢١	(٤ج) ١٢ - ١٣ ، ١٢٩ ، ١٣٣
(ج) (٩) ٦٨ ، ٤٨٨ ، ٨١٢ -	١٤٦ ، ٢١٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣
٨١٣	٦٢٥
العنزون (ج) (٤) ٢٢٠	(٥ج) ١١٢ ، ٦٣٩
عنس (بنو) (ج) (٤) ٤٥٤	(٦ج) ٧٨ - ٧٩ ، ٢٥٢ ، ٥١٦
(ج) (٧) ٥٢٠	(٧ج) ٣٥٠
العواجة (بنو) (ج) (٣) ٥١	(٨ج) ٢٦٤ ، ٧٩٠
عوج (ج) (٣) ٦٠	العمامرة (عشيرة) (ج) (٣) ٥١
العوديون (ج) (٢) ٢٩٠	عمان (بنو) (ج) (٨) ٦٠٣
عوذ (بنو) (ج) (٣) ١٤٨	العمانيون (ج) (١) ١٧٤
(ج) (٤) ٢٥٠	العمران (بنو) (ج) (٣) ٥٠
عوذلة (بنو) (ج) (٢) ٢٩٠	(٧ج) ١٧٩
عور (آل) (ج) (٨) ٢٠٦	عمرت (بنو) (ج) (٣) ١٤٨
العوصيين (ج) (١) ٤٢٠	عمرو (بنو) (ج) (٢) ٥٤٢
عوف (بنو) (ج) (١) ٤٠٣	(٣ج) ٢٤ ، ٣٦٤
(ج) (٤) ١٣٦ - ١٣٧ ، ٢٠٦ ،	(٤ج) ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٨٢ ،
٥١٧ ، ٥٩٢	٢٠٧ ، ٤٢٦ ، ٥٧٠
(ج) (٦) ٢١٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٢	(٦ج) ٢٨٦ ، ٣٦٣ ، ٤٧٣
الموقة (بنو) (ج) (١) ٤٠٧	

الغيلاميين (ج ١) ٢٢٤ ، ٥٩٠
(ج ٨) ٥٢٦

عوهب (بنو) (ج ٢) ٢٩٤
عيفة (بنو) (ج ١) ٤٥٨ ، ٥٨١

— الفين —

٦٤٣ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨
(ج ٣) ٦٣ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ،
١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ —
١٥٤ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢١٠ —
٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ،
٢٧٦ — ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٣٤٦ —
٣٦٩ — ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ —
٣٩٠ — ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ —
٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٢ ، ٤١٦ —
٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ — ٤٣٢ —
٤٣٤ ، ٤٣٧ — ٤٤٦ ، ٤٤٨ ،
٤٩٢
(ج ٤) ٣٩ — ٤٠ ، ٩٤ ، ١١٧ ،
١٣٤ ، ١٧٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ —
٢٤٢ ، ٢٨٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ —
٤٢٤ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ ، ٤٨٩ —
٥٠١ ، ٦٢١ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ —
(ج ٥) ٣٩ ، ٦١ ، ١٠٤ ، ١٧٨ —
١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ —
٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ —
٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ —
٣٢٤ — ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ —
٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٤١٠ — ٤١٢ —
٥٨٨ ، ٦٣٢
(ج ٦) ٥٢٠ — ٥٢١ ، ٥٩١ —
٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٦٣٢ — ٦٣٣ ،
٦٧٨

غاديا (بنو) (ج ٤) ٢٦٤
(ج ٦) ٥١٨ ، ٥٣٠ —
(ج ٨) ١٢٧
غارب (بنو) (ج ٢) ١٩٣ ، ٢٢١
غاسل (بنو) (ج ٤) ٤٥٠
غازة (بنو) (ج ١) ٣٩٦
(ج ٤) ١٥٦ ، ٤٢٥ ، ٥٣٤ —
غافق (بنو) (ج ٤) ٤٣٨
غامد (بنو) (ج ٤) ٤٤٢
غبراء (بنو) (ج ٤) ٥٥٣ ، ٥٦٤ —
٥٦٥
(ج ٥) ٨١ ، ٨٨ ، ٨١
(ج ٧) ١٣١ ، ٥٣٨
غبشان (بنو) (ج ١) ٣٦١
(ج ٦) ٥٨
غر (بنو) (ج ٣) ١٤٨
غراب (بنو) (ج ١) ٥١٢ ، ٥٢١
الغرب (بنو) (ج ٧) ٤٦٢
الغرياء (بنو) (ج ٤) ٥٥٣
عربان (بنو) (ج ٢) ١٩٣
غرية (آل) (ج ٢) ٨٤
(ج ٥) ٣٩١
الفساسة (ج ١) ٧٣ ، ٨٠ — ٨١ ،
٨٦ ، ٢١٧ ، ٢٤٩ — ٢٥٠ ،
٤٣٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٢ —
٥٧٦
(ج ٢) ٦٢٣ ، ٦٣٠ — ٦٣١ ،

٦٦٨ ، ٦٢٢ ، ٦٢٧ ، ٦.٣
٧٧.

، ١٨٢ ، ١٣٦ ، ٨٦ (٦ج)
٤٢٧ — ٤٢٦ ، ٣٨٩ ، ٢٩١
، ٥٨٨ ، ٥٤٨ ، ٥٣٣ ، ٤٣٥
— ٧٣١ ، ٦٨٦ ، ٥٩٣ ، ٥٩١
٧٧١ ، ٧٤٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٢
٧٧٢ —

الفنانيون (٣ج) ٢٣٢ ، ٤.٦ ،
٤٤٠ ، ٤٣٥ ، ٤٢٨ ، ٤١٨
٢٣٨ (٤ج)
٥٤٨ (٦ج)

القطاريف (٥ج) ٥٩٣

٢٤٦ ، ٢١٤ (٦ج)
غطقان (ج) ٢٨٨ ، ٢٨١ — حـ
٤٧. ، ٣٩٩ ، ٣٨٩

٤٣٤ ، ٣٤٧ ، ٢١٣ (٣ج)
١٤٠ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢١ (٤ج)
، ٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٢٢
، ٣٨٦ ، ٣٧٥ ، ٣٤٧ ، ٣٣٤
٤٨٨ ، ٤٦٢ ، ٤٣١ — ٤٣٠
٥١٩ ، ٥١٦ ، ٥١٣ ، ٥١٠

٥٧٠ ، ٥٢٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٠ —
٦٧٥ ، ٦٥٢ ، ٥٧٩ ، ٥٧١ —
— ٣٥٧ ، ٣٠٣ ، ١٨٩ (٥ج)
٣٧٧ ، ٣٦٤ — ٣٦١ ، ٣٥٨
٣٨٥ ، ٣٨٢

، ٢٧٥ ، ٢٤٠ ، ٢٣٦ (٦ج)
٤٤٤ ، ٣٦٤ — ٣٦٣
٣٣٩ ، ٢٠٨ (٧ج)

، ٤٩٦ ، ٤٧٤ — ٤٧٣ (٨ج)
٧٨٠ ، ٧٧٨ ، ٦٣٢ ، ٦.٣
، ٥٠٠ ، ٤٣٤ ، ٢٨٨ (٩ج)
٨٨٢ — ٨٨١ ، ٥٤٣ — ٥٤١
٨٩٦

غطيف (بنو) (٤ج) ٥٦

٢٦١ — ٢٦٠ ، ٦٢ (٦ج)
غفار (بنو) (ج) ٢٩٥ ، ٣٤٦ ،
٤٥٨

٤٧٩ ، ٣٤٨ (٧ج)

، ٥٦٠ ، ٥٢٠ ، ٢٨٨ (٨ج)
٧٣٥ ، ٧٢٠ ، ٦٨٧ ، ٦٤٧
١٥٥ ، ٩٣ — ٩٢ ، ٨٧ (٩ج)
، ٤٢٦ ، ٣٧٠ ، ٢٩٢ ، ٢٤٢
، ٥٩١ ، ٥٧٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٢
، ٧٣٤ ، ٧٣١ ، ٥٩٤ — ٥٩٣
٨٤٤ ، ٨٤٢

غسان (آل) (ج) ٦٦ ، ٧٢ ، ٨١ ،
٣٩٠ — ٣٩١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ،
٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٧
٥١٢ ، ٥٠٨ —

٦٥٨ ، ٦٥٢ ، ٦٣٠ (٢ج)
— ٢٣٢ ، ٢١٤ ، ١٦٤ (٣ج)
، ٢٤٦ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥
، ٢٧٣ ، ٢٦٦ ، ٢٥٣ ، ٢٤٨
٣٧٥ ، ٣١٠ ، ٢٨١ — ٢٨٠
٤٠١ — ٣٩٧ ، ٣٩٤ — ٣٨٧
، ٤١٢ ، ٤١٠ ، ٤٠٧ — ٤٠٦
٤٢٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٠ — ٤١٨
٤٣١ ، ٤٢٩ — ٤٢٨ ، ٤٢٦ —
، ٤٤٨ — ٤٣٨ ، ٤٣٦ —

، ١٣٤ ، ١٢٩ ، ٧٠ (٤ج)
، ٢٢٧ ، ٢٢٠ ، ٢١٥ ، ٢٠١
٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣ — ٢٣٢
٢٢٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٤١
٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ —
٤٤٢ ، ٤٣٨ ، ٤٢٤ ، ٣٤٠ —
، ٥٣٠ ، ٥٠٥ ، ٤٧٣ ، ٤٦٣
٥٩٦ — ٥٩٥ ، ٥٦٣

، ٢٣٣ ، ١٩٩ ، ١٩١ (٥ج)
٢٢٤ ، ٣٢٠ ، ٢٤٠

، ٢٧٩ ، ٢٤٩ — ٢٤٨ (٦ج)
، ٥١٤ ، ٤٧١ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧
٥٧٧ ، ٥٢٧ ، ٥٢١ — ٥١٩
٥٩٤ — ٥٩٣ ، ٥٩٠ ، ٥٨٨
٦٥٩ ، ٦١٠ ، ٦٠٧ ، ٥٩٩
٢٧٢ (٧ج)
، ٥١٩ ، ٤٧٥ ، ١٧٧ (٨ج)

٤٤٧ ، ١٤٦ ، ٦٨ (ج٩)	١١٦ (ج٥)
غنم (بنو) (ج١) ٥٢١	٣٥١ (ج٧)
(ج٤) ٢٤٢ ، ٤٣٨ ، ٤٨٤	غفيلة (ج٦) ٢٨١
(ج٦) ٢٣٧ ، ٢٨٧	(ج٩) ٦٦٠
(ج٨) ٥٨٢	الغلباء (بنو) (ج٤) ٤٩٠
(ج٩) ٧٠٣	غمدة (بنو) (ج٢) ٤٦٢
القوٲ (بنو) (ج٤) ٢١٩ - ٢٢١ ،	غمرة (بنو) (ج٤) ١٢٤
٤٤٣ ، ٤٥١	غنى (بنو) (ج١) ٣٩٩
(ج٦) ٣٦٣ ، ٧٢٨ - ٧٢٩ ،	(ج٤) ٢٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١٥ ،
(ج٩) ٨١٤	٥٧٢
غيلان (بنو) (ج٧) حا ٥٠٨	(ج٥) ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٧٧
غيمان (بنو) (ج٢) ٣٣٨ ، ٤٧٧	(ج٦) ٢٤٠
الغيمانين (ج٢) ٤٧٧	(ج٨) ٥٨٠

- الفاء -

فرٲ (قوم) (ج١) ٦٢٠	فائس (بنو) (ج١) ٣٥٠
(ج٢) ٤٠ ، ٤١ - ٦٠٩	(ج٤) ٤٢٣ ، ٤٤٨
٦١١ - ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٧	فانية (ج٦) ٥٢٦
٦٢٠ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨	فالج (بنو) (ج٤) ١٢٩ ، ٤٢٥
اج٢ ١٨٠٣ ، ٢٧ ، ٣٥ - ٣٦	القحامين (عشيرة) (ج٣) ٥٠
٧٩ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٤٠ - ١٤٨	القدوكس (قوم) (ج٤) ٤٩٢
١٧٥	فراس (بنو) (ج١) ٤٠٠
ج٥ ٤٢٩	(ج٥) ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٣٨٨
الفرثيون (ج٢) ٤٣	الفراعة (ج١) ٤١٨
الفرس (ج١) ١٨ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٥٧	(ج٥) ٢٣٠ ، ٤٦٨
٦١ : ٦٥ - ٦٦ ، ٧٥ - ٨٠	(ج٦) ١٩٨
١٠٨ : ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢١٩	(ج٨) ٢٢
٢٤٦ ، ٢٥١ - ٢٥٣	فران (بنو) (ج٤) ٤٢٣
٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١	الفراهيم (ج١) ٣٧٤
٣٤٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٥ ، ٤١٦	(ج٤) ٤٤٢

17. 178 177 — 172
 183 179 — 174 172
 200 — 202 190 184 —
 220 222 210 207
 207 223 221 — 227
 297 296 284 279
 321 308 — 307 304
 442 409 — 408 327
 474 — 471 404 — 401
 502 — 500 489 487
 728 711 507
 506 502 400 37 (57)
 108 101 98 70 63
 193 189 120 112
 217 208 201 199
 240 232 220 218 —
 288 273 — 272 277
 300 — 304 296 290
 329 — 328 324 321
 344 341 337 — 330
 421 417 — 414 410
 544 478 427 424
 722 591
 528 322 71 19 (77)
 600 590 588 530
 670 670 — 628 612
 794 — 791 772 — 772
 789 777 777
 230 227 74 19 (77)
 280 277 206 222
 301 287 282 — 282
 499 — 498 274 322
 708 578 — 570 578
 710 709 —
 197 172 107 42 (87)
 270 272 200 199
 317 312 309 290
 — 378 341 339 337
 5010 387 — 380 379

497 477 447 437
 580 501 508 499 —
 720 723 — 720 711
 747 — 740 728 727 —
 770 708
 431 42 — 22 12 (27)
 172 92 — 92 40 44
 500 539 513 401
 702 594 577 501 —
 718 710 708 707
 727 — 727 722 720
 734 732 — 731 729
 744 — 740 738 737
 759 757 — 749 747
 82 72 22 17 (27)
 93 90 87 — 80 83 —
 111 103 — 100 98 —
 120 122 — 120 113
 147 — 140 130 128 —
 171 170 — 174 157
 191 189 — 187 172 —
 200 199 — 197 194 —
 217 — 210 210 208
 204 228 224 — 219
 278 — 277 270 — 208
 290 289 278 272
 307 — 304 300 — 292
 324 312 310 308
 382 342 — 341 338
 400 — 404 399 387 —
 414 — 413 408 — 407
 451 422 418 — 417
 474 — 472 478 457
 500 503 492 488
 522 521 519 — 518
 532 530 — 527 524 —
 40 — 29 19 17 (47)
 117 — 112 98 57
 109 103 124 119

فقفس (بنو) (ج ١) ٣٩٩	٥١٨ ، ٥٢٠ - ٥٢١ ، ٥٤٥
(ج ٤) ٥٢٤	٥٦١ ، ٥٨٩ ، ٦٠٤ ، ٦٣٢
فقيم (بنو) (ج ١) ٤٠٠	٦٣٧ ، ٦٤٥ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨
(ج ٣) ٥٠٨ - ٥٠٩	٦٩٦ ، ٧٠٢ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦
(ج ٤) ٥٢٩ ، ٥٣٢	٧١١ ، ٧١٥ - ٧١٨ ، ٧٢٠
(ج ٨) ٤٩٨	٧٢٢ ، ٧٢٦ - ٧٢٧
(ج ٩) ٧٧٦	(ج ٩) ٩ ، ١١ ، ٤٨ ، ٦٩
فكيه (بنو) (ج ٥) ٦٤٠	٩٥ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٢٧
الفلستينيون (ج ١) حا ٥٩٠ ،	١٤٠ ، ١٥٥ - ١٥٧ ، ٢١٤
٦٤٤ - ٦٤٣ ، ٦٢٣	٢١٥ ، ٢٩١ ، ٣٦٨ ، ٧٦٥
(ج ٦) ٢٣٥	٨٠٦ ، ٨٤٤ ، ٩٠١
(ج ٨) ١٤٨	الفرعا (بنو) (ج ١) ٤٠٣
فهد (بنو) (ج ٤) ١٩٤	الفرعان (ج ٣) ٥٠
فهر (آل) (ج ١) ١٦٨ ، ٥٠٩	(ج ٨) ٤٨٢
(ج ٤) ٤٥ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ٤٧٩	قرعون (آل) (ج ٥) ٥٦
(ج ٦) ٧٢٢	(ج ٦) ٣٤
(ج ٨) ١١٧ ، ٣٤٨	فرغانة (بنو) (ج ٤) ٦٦٠
فهم (قبيلة) (ج ١) ٣٩٩	الفروشم (جماعة) (ج ٦) ٥٥١
(ج ٤) ٢٦٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨ ،	الفريسيون (قوم) (ج ٣) ٣٢
٤٤٢	(ج ٧) ٤٧٨
(ج ٥) ٥٧٣	قزارة (بنو) (ج ١) ٤٠٤
(ج ٦) ٣٦٣	(ج ٣) ٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٢٨ ،
(ج ٨) ٥٩٣	٤٣٤
(ج ٩) ٤٢٣ ، ٦١٥ ، ٦٣٨ ،	(ج ٤) ٢٤٠ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ،
٦٤١ ، ٧٩٣	٣١٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٥ ، ٥١٢ -
الفيديد (جماعة) (ج ١) ٤٨٠	٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٧٠
فيشان (قبيلة) (ج ٢) ٢٩٧ ، ٣١٧	- ٥٧٢ ، ٥٩١
- ٣٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٩١ -	(ج ٥) ١٤٥ ، ٢٣٥ ، ٣٦٢ -
٤٦٨ ، ٤٩٤	٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٥ ،
الفيشانيون (ج ٢) ٣٩٠	٣٩٢ ، ٤٩٨
فيلبيون (ج ٢) ٦١١	(ج ٦) ٢٨٦
الفينيقيّة اجالية (ج ١) ٢٢٤	(ج ٧) ٤١
الفينيقيون (ج ١) ٢٢٤ ، ٢٣٢ ،	(ج ٨) ٥٧٨ ، ٦٨٢ ، ٧٧٨
٢٥٢ ، ٥٣٩ - ٥٤٠ ، ٥٤٥	(ج ٩) ٦٨ ، ٦٥١ ، ٨٩٦
٥٦٦ - ٥٦٧ ، ٥٧٥ ، ٦٢٤	فضج (بنو) (ج ٣) ١٤٨
٦٣٠ ، ٦٤١	فضحم (آل) (ج ٨) ٥١٤
(ج ٧) ٢٦٨	القطائريون (بنو) (ج ٦) ٦٣٧
(ج ٨) ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٥١ -	قطرة (بنو) (ج ١) ٣٧٠
١٥٢ ، ١٨٠ ، ٢٤٣ - ٢٤٥	(ج ٤) ٤٥١
٢٩٣ ، ٥٢٥	فقدن (فقدان) (بنو) (ج ٢) ٢٢١

- القاف -

٤٩٠. قاذر (بنو) (ج ١) ٤٤٠
القارة (بنو) (ج ١) ٣٩٩
٢٦٧ (ج ٤)
٤٦٧ ، ٣٣٠ (ج ٧)
١٣٣ (ج ٨)
قاس (بنو) (ج ٤) ٤٢٣
قاسط (بنو) (ج ٤) ٤٢٣
قاضيّة (بنو) (ج ٤) ٥٠٥
القبط (قوم) (ج ٨) ٦٠٤ ، ٦٦٨ -
٦٨٨ ، ٦٦٩
٤٢٧ (ج ٩)
قبلان (بنو) (ج ٣) ٤٧٥
قبصة (آل) (ج ٣) ٢٩٢
القبضات (عشيرة) (ج ٣) ٥٠
القتباني (شعب) (ج ٢) ٢١٧
قتبانية (قبائل) (ج ٢) ١٥١ ، ١٦١
٢٢١ ، ٢١٨ ، ١٩٥
القتبانيون (ج ١) ٤٦ ، ٥١٤
(ج ٢) ٧٤ ، ١٧١ - ١٧٣ ،
١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٦
٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ ،
٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٢٠ - ٣٢١
٤٠٥ ، ٤٢٩ ، ٤٧٦ ، ٥٠٦
٥١٩
(ج ٥) ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ،
٤٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٦٢٥
(ج ٦) ٥٤ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ،
١٨٧ ، ٣٧٤
(ج ٧) ٣٧ ، ٢٣١ - ٢٣٢ ،
٤٩٠. قتبة (بنو) (ج ٤) ٤٢٥
قران اتوان (عشيرة) (ج ٢) ٥٦٤
قتيبة (بنو) (ج ١) ٤٠٥
٥١٤ (ج ٤)
قحافة (بنو) (ج ٤) ٤٤٤
قحطان (بنو) (ج ١) ٢٩٥ ، ٣٠٠ -
٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٤٨ ،
٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤٠٩ ،
٤٧٠ ، ٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٤٨٨
٤٨٩ -
(ج ٢) ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٥٣٨
(ج ٣) ١٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ،
٣٥٥ ، ٣٦٥
(ج ٤) ١٢٨ ، ٢٤٥ ، ٣١٣ ،
٣١٦ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٢١
٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٩٠ -
٤١٧ ، ٤٢٠ - ٤٣٦ ، ٤٣٧
٤٤٠ ، ٦٠٤
(ج ٥) ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٥٥
(ج ٦) ٤٤٢
(ج ٧) ٤٥٠
(ج ٨) ٣٩٢ ، ٤٦٦ ، ٦٧٥
(ج ٩) ١٤١ ، ٢٧٩ ، ٣٨٢ ،
٤٢٤ ، ٤٣٦ ، ٧٣٣
القحطانية (اليقطنية) (ج ١) ٢٥٢ ،
٢٩٤ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ٣٨٥ ،
٤٤٦ - ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٧٥

- القرشيون (ج) ٥٦. ٤٨٦ ، ٤٨٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٦ —
 (ج) ٨ ٦٠٢ — ٦٠٣ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٥٠٠ ، ٤٩٤ — ٤٩١ ، ٤٨٧ —
 ٦٣٣ ٣١٥ (ج) ٢
 (ج) ٤ ٤١٧ ، ٤٦٧ ، ٥٣٧
 القحطانيون (اليقطينيون) (ج) ١٥ ١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ، ٣٤٧
 — ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٤١٨ ، ٤١٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٢
 — ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٣
 — ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ — ٤٩٩ ، ٥٠١
 — ٥٠٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣٩ (ج) ٢
 ٥١٥ (ج) ٢
 (ج) ٣ ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٧ ، ٣٨٦
 (ج) ٤ ١٣ ، ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٨٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥
 — ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٥٣٨ (ج) ٥
 ٣٤٤ — ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ — ٣٥٥
 (ج) ٦ ٤٤٢ (ج) ٨
 ٣٩٢ ، ٦٠٩ ، ٦٥٣ ، ٦٨٩
 (ج) ٩ ٣٨٤ ، ٤٣٦
 قدرای (بنو) (ج) ١ ٤٣٩
 قدران (آل) (ج) ٢ ٢٧٦
 قدم (بنو) (ج) ٤ ٤٤٨
 القدمان (عشيرة) (ج) ٣ ٥١
 القلمونيون (ج) ١ ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤٥
 قديم (بنو) (ج) ١ ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٥٦
 ٦٣٢ ، ٦٥٢
 فرا (بنو) (ج) ١ ١٧٣
 قراد (بنو) (ج) ١ ٥٢١
 القرامطة (جماعة) (ج) ١ ١٧٧
 قرة (بنو) (ج) ٦ ٦٠١
 قرزل (بنو) (ج) ٩ ٥٤٧
- القرشيون (ج) ٥٦. ٢٦٥ (ج) ٤
 قرط (بنو) (ج) ٤ ٢٦٥
 قرعتمان (عشيرة) (ج) ٢ ٤١٥
 قريش (ج) ١ ٢٠ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ١١١
 — ١١٢ ، ٢٨٧ ، ٣٢٣ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ —
 ٤٠١ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ —
 ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ —
 ٥٠٩ ، ٥٠٩ ، ٥٢١ (ج) ٢
 ١٠٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٢٥٦ ، ٣٣٨ ، ٣٩٠ ، ٥١٥ —
 ٥١٦ ، ٥٧٠ ، ٥٨٤ (ج) ٣
 ١٣ — ١٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٨٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ —
 ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ —
 ٥٢١ (ج) ٨
 ٨ — ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٩ — ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨٥ ، ٥١
 — ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ —
 ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ —
 ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ —
 ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٧٨ ، ٢٠٧ — ٢٠٩ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،
 ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ،
 ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ — ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
 ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ — ٤٧٨ ، ٤٨١ ،
 ٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٩

ʔᵐᵛ ᵛ ʔᵐ. — ʔᵛᵛ ᵛ ʔᵛᵛ
 ʔᵛᵛ ᵛ ʔᵐᵛ ᵛ ʔᵐᵛ ᵛ ʔᵐᵛ —
 ʔᵛᵛ — ʔᵛᵛ ᵛ ʔᵛᵛ — ʔᵛᵛ
 ʔᵛᵛ — ʔᵛ. ᵛ ʔᵛᵛ — ʔᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛ.ᵛ ᵛ ʔᵛᵐ — ʔᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛ. ᵛᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ. — ᵛᵐᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ
 ᵛᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛ. ᵛ ᵐ.ᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛ.ᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛ.ᵛ —
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ. — ᵛ.ᵛ ᵛ ᵛ.ᵛ —
 ᵛᵐᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ (ᵛᵛ)
 ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ. ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛ. ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛ. — ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ. ᵛᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵐᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵐᵛ — ᵛᵐᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛ. — ᵛ.ᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 — ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵐ.ᵛ ᵛ ᵐ.ᵛ ᵛ ᵐ.ᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ
 ᵛ.ᵛ ᵛ ᵛ.ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ (ᵛᵛ)
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ. — ᵛᵛᵛ

ᵛᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ — ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛ.
 ᵐᵛ. ᵛ ᵐᵐᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ
 ᵐᵛ. ᵛᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ —
 ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ ᵛ ᵐᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵐᵛ ᵛ ᵛ.ᵛ
 ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ — ᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ (ᵐᵛ)
 ᵛᵛ. ᵛ ᵛᵐ ᵛ ᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ ᵛ ᵐᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ. ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵐᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ. ᵛ ᵛ.ᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ
 ᵛᵐᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛ ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ —
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛᵛ
 ᵛᵛᵛᵛ — ᵛᵛᵛ ᵛ ᵛᵛ. — ᵛᵛᵛ

٥٦٣ ، ٥١٢ ، ٣٣١ (٥ج)
 — ٥١٨ ، ٥١٥ — ٥١٤ (٦ج)
 ٥٣٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٢ ، ٥١٩
 ٥٤٦ ، ٥٣٨ ، ٥٣٦ ، ٥٣٤ —
 ٥٥٨١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٤ ، ٥٤٨
 ٧٦٨ ، ٦١١
 ٣٣٨ ، ١٧٧ ، ٤٢ (٧ج)
 ٣٨٧ (٨ج)
 — ٧٨٩ ، ٧٨٢ ، ٦٨٣ (٩ج)
 ٧١٠

قريع (بنو) (٩ج) ١١٣
 القسامل (بنو) (٤ج) ٤٤٢
 قسر (١ج) ٣٧٤
 (٤ج) ٤٤٦
 قشم (بنو) (٢ج) ٢٢١ ، ٤٣٢ —
 ٥٣٥ ، ٤٣٤
 (٤ج) ٤٢٤
 قشير (بنو) (٣ج) ٣٠٣ ، ٤٩٦
 (٥ج) ٣٧٦ ، ٤٢٥ ، ٤٦٦
 (٧ج) ٤٥٨
 (٩ج) ٤٣٤
 فصي (بنو) (١ج) ٥٠٩
 (٤ج) ٣٧٧ ، ٤٢٧
 (٥ج) ٢٤٨ ، ٢٨٦ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٢
 (٩ج) ١١٥ — ١١٦ ، ٤١١ ،
 ٧١٠ ، ٧٠٦

القصييص (بنو) (٦ج) ٥١٩ ، ٥٢٢
 قضاة (قبيلة) (١ج) ٣٨٠ ، ٣٩٣
 — ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥٤٧ — ٥٤٨
 (٢ج) ٦١٥ — ٦١٩ ، ٦٤٠ ،
 ٦٥٦
 (٣ج) ١٠٤ ، ١٦٢ ، ٢٥٠ ،
 ٣٥٤ — ٣٥٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤
 ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٢٤
 (٤ج) ٣٧ — ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢
 ٤٤ ، ٦٨ — ٦٩ ، ١٣٣ ، ١٤٠
 ٢٠٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩
 — ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦١

٣٣٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠ —
 ٣٤٩ — ٣٤٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ —
 ٣٨٥ — ٣٨٤ ، ٣٧٧ ، ٣٥٥
 ٤٠٧ ، ٤٠١ — ٤٠٠ ، ٣٨٧
 ٤٧٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٢ ، ٤٦٨
 ٤٩٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٢ — ٤٨٠
 ٥٧٢ ، ٥٦٧ ، ٥٤٧ ، ٥٢٣
 ٥٨٧ — ٥٨٦ ، ٥٧٦ ، ٥٧٤
 ٦١٧ ، ٦٠٩ — ٦٠٠ ، ٥٨٩
 ٦٢٥ ، ٦٢٢ — ٦٢١ ، ٦١٩
 ٦٤٠ ، ٦٣٦ — ٦٢٩ ، ٦٢٧ —
 ٦٦٧ ، ٦٦٥ — ٦٥٣ ، ٦٥١ —
 ٦١٠ — ٦٨٨ ، ٦٨٤ ، ٦٧٢ —
 ٧٥٤ ، ٧٤٢ — ٧٤١ ، ٧٣١
 ٧٦٤ ، ٧٦٢ ، ٧٥٨ ، ٧٥٦ —
 ٧٨٠ ، ٧٧٨ ، ٧٦٨ ، ٧٦٦ —
 ٧٩٠ ، ٧٨٥

(٩ج) ١٤ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٧
 ٧٨ ، ٧٦ ، ٦٥ ، ٤٥ ، ٢٨ —
 ٨٩ — ١١٧ ، ١١٢ ، ٩٠ ،
 ١٤٧ — ١٤٦ ، ١٤٠ ، ١٣٨
 ١٧٤ ، ١٩٧ — ١٩٨ ، ٢٣٦
 ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ — ٢٧٨
 ٢٩١ ، ٢٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٤
 ٣٧٥ — ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
 ٣٨٣ — ٣٨٦ ، ٤١٣ ، ٤٢٩
 ٤٢١ ، ٤٣٣ — ٤٣٦ ، ٤٩٢
 ٤٩٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥١٢
 ٥٨٢ ، ٦١٨ — ٦١٩ ، ٦٢٢
 ٦٥٥ ، ٦٩٤ — ٧٠١ ، ٧٠٣
 ٧٠٦ ، ٧٠٨ — ٧١٧ ، ٧٢٤
 ٧٢٥ ، ٧٣٠ ، ٧٣٦ ، ٧٣٨
 ٧٤١ ، ٧٤٧ ، ٧٥١ — ٧٥٢
 ٧٥٤ ، ٧٦١ ، ٧٦٥ ، ٧٨٤
 ٨٢١ — ٨٢٢ ، ٨٢٨ ، ٨٤٢
 ٨٤٣ — ٨٥٢ ، ٨٥٧ ، ٨٦٣
 ٨٦٧ ، ٨٨٨ ، ٨٩٣

قريظة (قبيلة) (١ج) ٢٨٨
 (٤ج) ١٤٠ ، ٦٥٩

- ٢١٦ (ج) قلب (قبيلة) (ج) ٢٢٠
 قمعة (ج) ٥٢٢
 قمير (بنو) (ج) ١٥ ، ٤٤١
 القناصل (ملوك) (ج) ٨
 قنان (بنو) (ج) ٣٧٣
 قنفذ (بنو) (ج) ٢٦٠
 قورح (جماعة) (ج) ٦٥٣ - ٦٥٤
 القورحيون (ج) ٦٥٣ - ٦٥٤
 قورين (قرين) (بنو) (ج) ٣٩٣
 (ج) ٤٥٧
 القوط (القوط) (بنو) (ج) ١١٢ -
 ١١٤
 قول (قبيلة) (ج) ٥٨٣
 القياصرة (ملوك) (ج) ٦١ ، ٩٠ ،
 ١٠٢ ، ١٢٥ ، ٣٠٦
 (ج) ٦٨ ، ١٦٨
 (ج) ٢٦١
 (ج) ٥٨٧
 (ج) ٢٦٩ ، ٥٠٠
 قيدار (بنو) (ج) ٤٣٩ ، ٥٧٧ ،
 ٥٩٣ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ ، ٦١٠
 ٦٤٧ - ٦٤٨
 (ج) ٦
 القيانة (بطن) (ج) ٥٠٥
 القيداريون (ج) ٤٣٩ ، ٥٩٠
 القيدوشيون (ج) ٦٥٨ - ٦٥٩
 قيس (قبيلة) (ج) ٣٨٧ ، ٣٩٣
 (ج) ٦٣ ، ١٩٩ ، ٢٧٧ ،
 ٢٩٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨
 ٣٥٢ ، ٤٢٤ - ٤٢٥
 (ج) ١٣٩ ، ٢٨٢ ، ٣٢٥ ،
 ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٣٣٧ - ٣٣٨
 ٤٣٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٩
 ٤٨٨ ، ٥٢٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١
 (ج) ٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ - ٣٧٥
- ٣٢٩ - ٣٢٨ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ -
 ٣٣٤ ، ٣٩٠ ، ٤١٥ ، ٤١٩
 ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ -
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٨ -
 ٤٧٠ ، ٤٧٣ - ٤٧٦ ، ٤٧٤
 ٥٠١ ، ٥٣٢ ، ٥٧٢ ، ٦٥٨
 (ج) ١٧٦ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ -
 ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٧
 (ج) ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٨ ، ٣٥٢ - ٣٥٧ ، ٣٥٧
 ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢٣ ،
 ٥٩٠
 (ج) ٣٢٩ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ ،
 ٥٧٢ - ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧
 ٦٣٠ - ٦٣٢ ، ٦٦٨ ، ٦٨٩
 ٧٧٧ ، ٧٧٠ ، ٧٤١
 (ج) ٣٨١ ، ٤٢٦ - ٤٢٧ ،
 ٤٣٤ - ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٣
 ٧٩٣ - ٧٩٤ ، ٩٠٠
 القضاية (قبائل) (ج) ٤٥٩
 القضايعون (ج) ٣٩٢
 (ج) ٤٢٠
 قطن (قبيلة) (ج) ٣٥٧ ، ٤٢٣
 (ج) ٢٠٢
 قطوراء (بنو) (ج) ٣٦٠ - ٣٦١
 (ج) ١٠٤
 (ج) ١٣
 القطورية (قبائل) (ج) ٤٤٧ ،
 ٤٥٠
 القطوريون (ج) ٤٤٦ - ٤٤٧
 قطيسفون (ج) ٦٢٢
 القطين (بنو) (ج) ٥٥٤
 قعين (بنو) (ج) ٥٣٤
 قفمن (عشيرة) (ج) ٢٠٨ ، ٢٢١
 (ج) ٥١٤
 قلام (آل) (ج) ٢٨٩
 القلامس (ج) ٤٠٠
 (ج) ٩١
 القلامسة (ج) ٦٤٩

٥٩١ ، ٥٧٥ ، ٥٠٦ ، ٤٤٧ —	٤٣٧ ، ٣٨٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٠
(ج) ٣٩ ، ١٤٣ ، ٣٥٧	٦٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥ — ٦٤٦
(ج) ٤٠ ، ٣٥٧	(ج) ١٨ ، ١٦٧ ، ٢٨٧ ،
(ج) ٥٠١	٢٦٣ ، ٣٨٩ ، حا ٤١٧
القيسيون (ج) ٣٨٧ ، ٤٧٢	(ج) ٢٨٠ ، ٣٠١ ، ٣٥٠ ،
(ج) ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٥٠٦	٤٧٣ — ٤٧٤ ، ٥٥٦ ، ٥٧٣
(ج) ٦٤٦	٥٧٤ — ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٤
قبيلة (قبيلة) (ج) ٥٢١	٥٨٧ — ٥٨٨ ، ٦٠٢ — ٦٠٣
(ج) ١٣٣ ، ٣٩٧	٦٣٣ ، ٦٣٠ ، ٦٢٥ ، ٦٦٨ — ٦٩٠
(ج) ٢٥١	(ج) ٣١ ، ٧٥ ، ١٤٦ ، ٢٤٢
قين (بنو) (ج) ٤٢٤	٢٤٤ — ٤٢٣ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤
(ج) ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ٤٢٥ ،	٤٢٧ ، ٤٣٣ — ٤٣٤ ، ٤٣٦
٦٣٧ : ٥٠٥	٤٤١ ، ٤٧٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣
(ج) ٢٠٣ ، ٣٤٦	٥٥٠ ، ٥٧٥ ، ٦١٨ — ٦١٩
(ج) ٦١٢ ، ٦٣٠ ، ٩٠٠	٧٦٤ ، ٨٧٧ ، ٨٨٩
قينقاع (بنو) (ج) ٢٦٤	قيس عيلان (قبيلة) (ج) ٣٩٧ —
(ج) ٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٣٣ ،	٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٨
٥٣٦ ، ٥٤٦ ، ٥٦٢	(ج) ٣٤٨
(ج) ٥٨ ، ٣٠٩ — ٣١٠ ،	(ج) ٨٣ — ٨٥ ، ١٤٨ ، ١٧١
٥٦٢	١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ،
القيني (بنو) (ج) ٤٥٤	٣٣٤ ، ٤١٩ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦

— الكاف —

(ج) ٥٣٠	الكاثريون (ج) ٢٩٨
كبراء (ج) ٤٧٥	الكاثوليك (ج) ٦٤٢ ، ٦٩٠
كبسيم (آل) (ج) ٤٦٦	الكاسيون (ج) ٥٧٢
كثر (بنو) (ج) ٤٣٢	كاهل (قبيلة) (ج) ٢٨٠ ، ٤٦٢
كحد (قبيلة) (ج) ١٨٨ — ١٨٩ ،	(ج) ٣٥١ ، ٣٦٢ — ٣٦٥
١٩٤ ، ١٩٨ — ٢٠٠ ، ٢١٩	(ج) ٤٥٠ ، ٥٣٤
٢٩٠ ، ٥٠٣ — ٥٠٤	(ج) ٦٧٤

(ج) ١٥٧ ، ١٤٩ ، ١١٥
 (ج) ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٤ — ٢٥٩ ، ٢٧٦
 (ج) ٢٠٧ — ٢٠٨ ، ٢٢٠ —
 ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ — ٢٤٠
 ٢٤٦ — ٢٤٧ ، ٢٤٩ — ٢٥٠
 ٢٦٠ — ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢١٩
 ٣٢٩ ، ٤٢٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٦
 — ٤٣٠ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦١
 ٤٩٣ ، ٦٣٤
 (ج) ٧٤ ، ١١١ ، ٣٤٦ ،
 ٣٧٤
 (ج) ٢١٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٧٨ ، ٣٦٤ ، ٤٣٥ ، ٧٧٠
 (ج) ٣٢٠ ، ٣٧١ — ٣٧٢ ،
 ٤٦١ ، ٤٧٩
 (ج) ٢٣٤ ، ٥٧٢ ، ٦٧٣ ،
 ٧٧٠
 (ج) ٢٤٢ ، ٤٢٦ ، ٥٢٩ ،
 ٧٧٩ ، ٨٤٤ ، ٨٦٥
 الكلبة (بنو) (ج) ٤٨٣
 الكلبيون (ج) ٤٢٧ ، ٤٢٩
 الكلدانيون (ج) ٥٦٨ ، ٥٧٦ ، ٦٠٧
 ٦٣١ — ٦٣٢
 (ج) ١٤
 (ج) ٧٧٥ ، ٨٠١
 (ج) ٢٠٢
 كلاة (بنو) (ج) ٤٨٩
 كلمان (بنو) (ج) ٤٧٥
 كلفة (قبيلة) (ج) ١٣٦
 كلوان (بنو) (ج) ٥٦٥
 كليب (بنو) (ج) ٥٢١
 (ج) ٢٥٦ ، ٣٠١ ، ٣٥٤ —
 ٣٥٥
 (ج) ١٤٤ ، ٢٤٩ ، ٣٥٦ —
 ٣٥٧
 كنانة (ج) ٥٠٩ ، ٥١٦
 (ج) ٢٧٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ،

كراذمار (ج) ٥٥٧
 كرب (جرب) (قبيلة) (ج) ١٦٢ ،
 ٤٢٩
 الكرد (ج) ٥٣٨
 الكرمان (ج) ٤٨٦
 (ج) ٦٥٧
 الكرندي (آل) (ج) ٥٠٧
 (ج) ٤٨٧
 (ج) ٥٢٧
 الكروبيون (سادة اللاتكة) (ج)
 ٢٦٩
 كرينز (بنو) (ج) ٣٤٢
 كزوان (بنو) (ج) ٤٧٥
 الكسائيين (ج) ٦٣٤ ، ٦٣٧
 كسرى (آل) (ج) ٧٧
 (ج) ١٦٢
 كعب (ج) ٥١٥
 (ج) ٣٠ ، ٦٣ ، ٢٧٨ ، ٤٢٥
 ٤٤١ ، ٤٥٦ ، ٥١٢
 (ج) ٢٠٥ ، ٢٤٧ ، ٣٦٣
 (ج) ٥٨٠
 (ج) ٦٨ ، ٤٣٤
 كلاب (بنو) (ج) ٤٠٤
 (ج) ٣٥٥
 (ج) ٣٣٨ ، ٤٨١ ، ٥١٥ ،
 ٥٢٢
 (ج) ٣٧٥
 (ج) ٧٦١ ، ٧٦٦ ، ٧٦٩
 (ج) ١٩٨ ، ٥١٣
 (ج) ٥٥٦
 (ج) ٦٨ ، ٤٣٥ ، ٤٥٣
 الكلابيون (ج) ٣٧٥
 (ج) ٥٧٩ ، ٥٨٢
 (ج) ١٤
 كلب (قبيلة) (ج) ٣٧٨ ، ٣٩٣ ،
 ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩ ، ٤٩٥
 ٥١٢ ، ٥٢٠ — ٥٢١ ، ٥٤٧
 — ٥٤٨

٥٩١ — ٥٨٩ ، ٥٧٥ ، ٥٦.

٥٩٦

٢١٥ ، ٢١١ ، ١٦٧ (٣ج)

٢٥٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٥ — ٢٢٤

٢٢٣ ، ٢١٥ ، ٢١٠ ، ٢٩١

٢٢١ ، ٢٢٨ — ٢٢٧ ، ٢٢٥

٢٤١ — ٢٤٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥ —

٢٥٤ ، ٢٥٢ — ٢٤٨ ، ٢٤٥

٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥ —

٢٧٤ — ٢٧٣ ، ٢٦٥ — ٢٦٤

٤٠٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٣ — ٢٧٨

٤٨٨ ، ٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤١٢

٥١٩ ، ٤٩٩ — ٤٩٥

١٩٣ — ١٩١ (٤ج)

٢٢٣ ، ٢١٦ ، ١٩٩ — ١٩٦

٢٢٥ ، ٢٢٥ ، ٢٠٣ ، ٢٧٨

٤٠٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٣ ، ٢٣٩

٤٥٩ ، ٤٣٠ ، ٤٢٥ ، ٤٠٩

٤٨٨ ، ٤٦٦ — ٤٦٤ ، ٤٦١

٥٠٧ ، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٤٩٩

٥٧٢

١٩١ ، ٩٤ ، ٩١ ، ٣٠ (٥ج)

٢٨٤ ، ٢٦٩ ، ٢٤٤ ، ٢٠٥

٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٥

٢٩٥ ، ٢٧٢

٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٠ (٦ج)

٦١٧ ، ٥٩٣ ، ٥٧٦ ، ٥١٤

٢٧٧ ، ٢٤٥ ، ١٩٨ (٧ج)

٤٨٨ ، ٤٨٦ ، ١٦٤ (٨ج)

٦٠٢ ، ٦٠٠ ، ٥٦٩ ، ٥٠٠

٦٢٢ ، ٦٢٧ ، ٦٠٩ ، ٦٠٣ —

٦٧٦ — ٦٧٣ ، ٦٦٨ ، ٦٥١

٦٨٩ ، ٦٨٧ ، ٦٨٢

٤٠٢ ، ٢٢٠ ، ٢٠٨ (٩ج)

٤٤٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦

٨٦٨ ، ٥٢٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٠

الكندية (اسرة) (٣ج) ٢٤٠

(٤ج) ٤٠٩

الكنديون (٣ج) ٢٢٤

٢٦٦ — ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٤٩

٥٠٨ ، ٤٥٣ ، ٤٢٢ ، ٢٩٢

٥١٨ ، ٥١٦ — ٥١٤ ، ٥١٠

٥٢٧

١٧ ، ١٥ — ١٤ (٤ج)

٢٠ — ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٤ — ٢٣

٤٣ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٣ — ٢٢

٩١ ، ٨٥ — ٨٣ ، ٦٤ ، ٤٤ —

١٥٣ ، ١٢٩ ، ١٠٩ ، ١٠٤

١٩٩ ، ١٩٢ ، ١٨٥ ، ١٧٣

— ٢٦٧ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩

٢٥٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٣ ، ٢٦٨

٤٧١ ، ٤٦٢ ، ٤٣٠ ، ٤٢٥

٥٢٦ — ٥٢٥ ، ٥١٧ ، ٥٠٠

٥٣٥ ، ٥٣٢

٢٦٤ ، ٢٤٤ ، ٢٩٧ ، ٢١ (٥ج)

٢٩١ ، ٢٨٤ — ٢٨٠ ، ٢٦٥ —

٦٤٩ — ٦٤٨ ، ٦٣٧ ، ٤٠٧

٢٢٧ ، ٢١٦ ، ٨٢ ، ٥٩ (٦ج)

٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤١ — ٢٤٠

٢٧٣ ، ٢٦٣ ، ٢٥٩ — ٢٥٨

٢٧١ ، ٢٦٤ — ٢٦٣ ، ٢٣٠

٥١٤ ، ٢٧٦

٣٥١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٣ (٧ج)

٤٦٧

— ٥٠٠ ، ٤٩٨ ، ١٢٣ (٨ج)

٥٨٨ ، ٥٧٩ ، ٥٢١ ، ٥٠٢

٧٧٨ ، ٥٨٩ —

١١٢ ، ٣١ ، ١٩ ، ١٦ (٩ج)

٤٣٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٠٧

٦١٩ ، ٦١٧ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩

٦٤٩ ، ٦٢٥ — ٦٢٤ ، ٦٢٠ —

٩٠٢ ، ٧١٤ ، ٧١٢ ، ٦٥٠ —

٢٩٣ (٢ج) كنب

٢٥٧ ، ٢٩٢ ، ٩١ ، ٧٣ (١ج) كندة

٤٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦

٤٧٩ ، ٤٨٦

٤٣٣ — ٤٣٢ ، ٢٨١ (٢ج)

٥٥٦ ، ٥٥٢ — ٥٥٠ ، ٥٢٧

كورس (ابناء) (ج) ٦٣٠	٣٧٤ (٥ج)
الكوشية (شعوب) (ج) ٢٣٧ ، ٤٤٧	الكنعانيون (ج) ٢٢٤ ، ٤١٢ ، ٤٤٨ ، ٦٣٠
الكوشيون (ج) ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩	(٦ج) ٣٣٢ ، ٣٠٢ ، ٢٨٨ ، ٥٥
— ٤٦٠ ، ٦٤٢ — ٦٤٣	(٨ج) ١٨٠ ، ١٥١
(٢ج) ٢٦١	كهلان (ج) ٩٢ ، ٩٥
الكوفيون (قوم) (ج) ٢١٤ ، ٢١٧	(٣ج) ٥٣٢
٢١٩ ، ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٢٩٠	(٤ج) ٣٢٩ ، ٤١٥ — ٤١٦ ، ٥٣٦
٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٢٥ ، ٣٩١	(٥ج) ١٩٦
كيدار (كدار) (كدر) (قبيلة) (ج) ٤٨٨	(٦ج) ٦٠٨
	الكواليان (طبقة) (ج) ٥٥٠
	كوبار (قبيلة) (ج) ٥٨٣

- الام -

لارنديني (شعب) (ج) ١٧٣	اللاتين (ج) ٢١ ، ٢٦ — ٢٧ ، ٣١ ، ٧٦ — ١٤١
لافهم (قبيلة) (ج) ٦٥٠	١٤٣ ، ١٦٣ — ١٦٤ ، ٢٦٢
لام (بنو) (ج) ٥٠٥	(٢ج) ١٤ ، ١١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦
(٥ج) ١٧٦	(٣ج) ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٢٧
(٧ج) ٤٨١	١٢٧ ، ١٥٠ ، ٢١٨
اللاويون (ج) ٤٢٠	(٤ج) ٢٣ ، ٢٩٧ ، ٣٧٢
اللاويون (ج) ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٤٢٠	(٦ج) ١٩ ، ٤١٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٨
(ج) ١٣٩ — ١٤٠ ، ٣١٠	(٧ج) ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٦١
(ج) ٥٥١ ، ٦٣٦	٢٦١ ، ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ٤٦٨ ، ٦٠٦
لجيم (بنو) (ج) ٤٩٦	(٨ج) ٣١٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ — ٥٤٦ ، ٥١٠ ، ٤٩٦
اللاجيون (قبيلة) (ج) ٧١	(ج) ٩٦
اللاجونات (عشائر) (ج) ٢٩ ، ١٢٠	

٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٩٦ ، ٣٢٤	لحيان (بنو) (ج١) ٥٤٨
٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦١	(ج٢) ٢٤٣ - ٢٤٨ ، ٢٥٠
٤٦٣ - ٤٦٤ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧	- ٢٥١ ، ٢٥٣ - ٢٥٦
٥٣١	(ج٤) ٢٦٥
(ج٥) ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٣٢٤	(ج٦) ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢
٤١٠	٣١٢ ، ٣٢٠ - ٣٢١ ، ٣٣٠
(ج٦) ٥٨ ، ١٦٧ ، ٢٣٨ ،	٢٣٤
٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٣١٥ ، ٣٨٩	(ج٧) ٣٥٩ - ٣٥٨
٤٧١ ، ٥٩٠ - ٥٩١ ، ٥٩٤	(ج٨) ١٥٤ ، ٢١١ - ٢١٢
٥٩٩ ، ٦٦٣	٢٤٠ ، ٦٢٨
(ج٧) ١٢٥	(ج٩) ٤٩٣ ، ٦١٨ ، ٦٤٢
(ج٨) ٣٢١ ، ٤٧٥ ، ٥٧٩	الحيانون (ج١) ٣٣ ، ٦٢٤
٦٠٣ ، ٦٣٢ ، ٦٦٨ ، ٧٧٠	(ج٢) ٩٧ ، ١٢١ ، ٢٤٢
(ج٩) ٢٤٢ ، ٢٩١ ، ٤٢٧	٢٤٣ ، ٢٥٢ - ٢٥٤ ، ٢٥٤
٤٣٥ ، ٥٣٩ ، ٦٩٣ ، ٧٣١	- ٢٥٦ ، ٦١١
- ٧٣٢ ، ٨٤٨	(ج٥) ١٠٢ ، ٢٥٠ ، ٤٩٥
لخميون (قوم) (ج٣) ١٨٢ ، ٢٥٩	٥٧٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦
٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦	(ج٦) ٢٣٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧
٣٥٠	٣١٢ ، ٣١٤ - ٣٢١ ، ٣٢٦
(ج٤) ٤٦٣ ، ٥٠١ - ٥٠٢	٢٣٠
(ج٥) ح١ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ،	(ج٨) ١٢ - ١٣ ، ٢٠ ، ٢٩
٢٩٦	٢٣٢ ، ٦٣٩ ، ٦٧١
لطوشيم (بنو) (ج١) ٢٣٥	لخد (عشيرة) (ج٢) ٢٧٤
(ج٢) ٩٣	لخم (بنو) (ج١) ٤٦٩ ، ٤٧٩ ،
لقمان (بنو) (ج١) ٨٤ ، ٣١٧	٥٤٧
(ج٦) ٦٧٣	(ج٢) ٥٣٤ ، ٦٣١
(ج٩) ٤٩٦	(ج٣) ١٥٩ ، ١٦٢ - ١٦٥
لكيز (بنو) (ج١) ٤٦٩	١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٠
(ج٤) ٦٣٧	١٨٣ ، ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٥
لد (ج٣) ٤٨٥	- ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٥
الهازم (بنو) (ج٣) ٢٩٧	- ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢١٧
(ج٥) ٣٦٦ ، ٤٣٧	٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ح١
لهب (بنو) (ج٤) ٣٣٩ ، ٤٤٢	٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠
(ج٦) ٧٦٨ ، ٧٧٤ - ٧٧٥	- ٢٩٢ ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣١٤
٧٩١	٣٢٢ ، ٣٢٣ - ٣٣٥
(ج٩) ١٤١	٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣
لودين (ج١) ٤١٨ ، ٤٢٠	٣٨٧ ، ٣٩٠ - ٣٩١ ، ٣٩٩
(ج٨) ٥٢٦	٤٠٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧
لوزية (بنو) (ج١) ٣٠٢	(ج٤) ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ -

- الخيم -

۲۱۷

مدد (بنو) (ج ٣) ١٦٣	٥٤٢ ، ٦٣٧ ، حا ٦٧٥ ،
مدراء (بنو) (ج ١) ٤٨٥	٦٩١ ، ٦٩٣ - ٦٩٦ ، ٦٩٨
مدركة (قبيلة) (ج ١) ٥٢١	(ج ٧) ٥٠٧ ، ٥١٥
(ج ٤) ٥٢٢	(ج ٨) ٩٤ - ٩٥ ، ٦٥٢ ،
(ج ٩) ٤٣٣	٧٢١ ، ٧١٦
مدلج (قبيلة) (ج ١) ٢٨١ ، ٤٠٠ ،	محارب (قبيلة) (ج ٤) ٢٩ ، ١٩٩ ،
٥١٥	٢١١ ، ٢٥٢ ، ٤٨٤
(ج ٤) ٢٥١ ، ٢٦٥ - ٢٦٧ ،	(ج ٩) ٣٤٥ ، ٦٤٩
٣١٢ ، ٣٢٩ ، ٤٣٢ ، ٥٣٢	الهاش (بنو) (ج ٤) ٢٨١
(ج ٦) ٢٠٤ ، ٧٧٤	الحاميد (عشيرة) (ج ٣) ٥١
(ج ٧) ٢٥٣	محرقت (ال) (ج ١) ٤٩١
مدهم (قبيلة) (ج ٢) ١٩٠	(ج ٣) ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٨٨ -
مدون (ج ١) ٥٨٢	١٨٩ ، ٢٨٢ ، ٣٠٢ - ٣٠٣
مديان (مدين) (بنو) (ج ١) ٤٥١ -	حا ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ -
٤٥٤	٤٠٠
(ج ٤) ٢٤٨	(ج ٤) ٣٢٤ ، ٤٨٢
(ج ٨) ٦٠٣ ، ٦١٩	(ج ٥) ٢٠٧ ، ٢٤٠
المدانيون (ج ١) ١٩٩ ، ٤٥٤ - ٤٥٥	(ج ٩) ٤٧٤ ، ٧٩٧ ، ٨٣٢
(ج ٢) ٢١ ، ٩٠ - ٩٣ ، ٥٠٨	محضرم (قبيلة) (ج ٢) ٢٢١
(ج ٣) ١٤٥	الحل (بنو) (ج ٨) ٤١٠
(ج ٨) ٣٢٥	محمر (بنو) (ج ٦) ٥١٩ ، ٥٢٢
المدنيون (ج ١) ٤٥٦ ، ٥٧٣	محليم (بنو) (ج ٢) ٣٧٤ ، ٤٤٢
مدحج (قبيلة) (ج ١) ٥٠١ ، ٥١٦	مخرمة (ج ٤) ٤٦٢
(ج ٢) ٤٠٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢	مخزوم (قبيلة) (ج ١) ٥٠٩
٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٨٩ - ٥٩٠	(ج ٤) ٥٨ ، ٦٠ - ٦١ ، ٦٣
٥٩٦	٨٤ ، ٩١ ، ١٠٥ - ١٠٦ ،
(ج ٣) ١٧٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،	١١٢ ، ٣٧٨ ، ٣٣٩ ، ٣٠٨ ،
٣١٧ - ٣١٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦	٤٨١ ، ٥٣٥ ، ٥٧٢
٣٧٩ - ٣٨٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦	(ج ٥) ٨٢ ، ٢٥٠ ، ٣٨٣ ،
(ج ٤) ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٨	٦٠٦
١٩١ ، ١٩٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣	(ج ٦) ٦٠٥
٣٣٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥	(ج ٧) ٤٣٢ ، ٤٤٢ ، ٥٨١
٤٤٩ ، ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ٤٥٨	(ج ٨) ٥٢٢
٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٩٧ ، ٥١١ -	(ج ٩) ١٤٦ ، ٦٢٢ ، ٧١٨ ،
٥١٤ ، ٥٣٩ ، ٥٩٨ ، ٦٤١	٧٣٩
(ج ٥) ٣٤٥ - ٣٤٦ ، ٣٤٨	مخظرون (بنو) (ج ٢) ٣٣٤
- ٣٥٢ ، ٤٠٨ ، ٤٢١	مخلد (بنو) (ج ١) ٣٠٢
(ج ٦) ٢٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،	المخيل (بنو) (ج ٤) ٥٨٥
٢٨٨ ، ٣٧٧ ، ٤٠٥ ، ٤١٧	المدان (بنو) (ج ١) ٤٥٤

14V 6 140 6 11. 6 1..
 2.1 6 177 6 172 6 17.
 221 6 229 6 224 6 217
 244 6 241 6 238 6 222
 219 6 210 6 28. 6 247
 022 6 291 6 209 6 207
 6 040 — 042 6 024 —
 000 6 001 — 00. 6 048
 082 6 081 6 070 6 072
 099 6 097 — 094 6 087
 721 — 72. 6 7.0 6 7.1
 777 6 749 6 747 6 729
 790 6 789 6 781 6 777 —
 724 6 71. 6 7.4 — 7.2
 707

6 127 6 117 6 12 (72)
 102 6 149 6 140 — 144
 240 — 244 6 232 6 192
 262 — 272 6 27. — 209
 291 6 284 6 270 6 272
 6 299 — 297 6 292 —
 222 6 212 6 211 6 2.2
 242 6 239 6 231 6 229
 274 6 207 6 201 6 247
 244 6 239 6 237 6 280
 280 6 277 6 249 6 240 —
 6 6 297 6 291 6 289
 72. 6 0.2 6 0.1
 90 6 92 — 91 6 7. (82)
 122 6 121 6 114 6 97 —
 107 6 102 6 127 — 120
 197 — 190 6 180 6 171
 20. 6 21. 6 2.8 6 199
 2.. 6 294 6 287 6 201 —
 221 — 22. 6 2.0 — 2.4
 24. 6 222 6 227 — 224
 282 6 278 6 274 6 209
 224 6 221 6 212 6 287
 287 — 284 6 277 6 27.

6 112 6 1.8 6 88 6 87
 128 6 119 6 110 — 114
 2.. 6 177 6 144 6 121
 299 6 28. 6 20. 6 224
 24. 6 211 6 279 6 217
 282 6 272 6 274 — 272
 701 6 001 6 0.8
 6 200 6 1.4 6 9. (22)
 721 6 010 6 012
 709 6 701 6 749 — 748
 77. —
 6 129 6 1.2 6 78 (22)
 182 6 174 6 172 — 171
 287 6 24. 6 2.0 6 27.
 227 6 22. 6 227 6 218
 028
 — 11. 6 1.2 6 24 (22)
 127 6 120 — 124 6 111
 6 101 6 141 6 129 6
 179 — 178 6 177 6 104
 21. 6 198 6 189 6 181
 224 — 222 6 221 — 220
 207 6 248 6 242 — 229
 297 — 290 6 292 6 272
 222 6 218 6 210 6 212
 2.2 6 298 6 287 6 278
 299 — 298 6 274 6 272
 7.4 — 7.2 6 081 6 007
 778 6 709 6 72.
 120 6 07 6 27 6 17 (02)
 184 6 18. 6 17. 6 127 —
 289 — 288 6 199 6 191
 211 6 2.7 — 2.0 6 294
 2.2 6 297 6 222 6 224
 228 6 227 6 224 6 212
 209 — 207 6 202 6 241
 71. 6 08. 6 024 6 279
 78 6 72 6 04 6 20 (72)
 6 97 6 89 6 8. 6 79 —

٥٥٣ ، ٥٨٨ ، ٥٩٦ ، ٦١٠ ، ٦٢٢

(ج٨) ، ٢٢ ، ٥١ ، ١٤٦ ، ١٩٩

٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٥٦ ، ٢٩٦

٥٨٦ ، ٦٨٢ ، ٦٨٧ ، ٧٣٧

(ج٩) ، ٣٤ ، ١٢٤ ، ٢٢٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٧

المصطلق (قبيلة) (ج٤) ، ٣٠ - ٣٢ ، ٣٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ ، ٤٤٤١

٤٧٨ ، ٥٣٣

(ج٧) ٣٧٧

مصلان (بنو) (ج٣) ٤٧٥

مضان (بنو) (ج٢) ٣٩٤

مضحي (مضحيم) (بنو) (ج٢) ١٦١

١٩٣ ، ٣٧٥ ، ٤٠٥ ، ٤٣١

٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠

٤٦٧ - ٤٦٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥

(ج٥) ٥٨٣

مضر (ج١) ٣٨٨ ، ٣٩٣ - ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧

٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٣

٤٩٥ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٦

(ج٢) ٥٩١ ، ٦١٩

(ج٣) ١٨٩ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، ٢٢٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣١

٣٤٨ - ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤

٣٩٧ ، ٤٢٤ ، ٥١٨

(ج٤) ١٥ - ١٦ ، ٢٦ ، ١٤٨

١٤٩ ، ١٧٣ ، ٢٢٤

- ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٣١٨

٣٢٤ - ٣٢٦ ، ٣٢٨

- ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٥١ ، ٤١٥

٤٥٢ ، ٤٧٠ - ٤٧١ ، ٤٧٥

- ٤٧٧ ، ٤٩٣ ، ٥٠٦

٥٠٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩

٥٣٩ ، ٥٤٤ ، ٥٩١

(ج٥) ٣٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٦

- ١١٧ ، ١٨٩ ، ٢٦٧

٢٤٤ - ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٥

٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥٢٣ ، ٥٦٠

٥٩٦ ، ٦٤٣ ، ٦٤٦ ، ٦٨٣

٦٨٦ ، ٧٠٤ ، ٧٢١ ، ٧٣٥

٧٥٤ - ٧٥٥ ، ٧٦٥ ، ٧٩٢

- ٧٩٣

(ج٩) ٦ ، ٢٠ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ٧٧

١١١ - ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٧٦

١٩٩ ، ٢٤٥ ، ٢٩٠ ، ٣٤٣

٣٦٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦

٤١٢ ، ٤٢٧ - ٤٢٩ ، ٥٠٠

٦٨٢ ، ٦٩٦ ، ٧٠٥ - ٧٠٧

٧١٠ - ٧١٢ ، ٧١٥ - ٧١٦

٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٧ ، ٧٦٧

- ٧٦٨ ، ٧٨٤ - ٧٨٥ ، ٧٨٨

٧٨٨ ، ٧٢٠ ، ٨٢٢ ، ٨٣٩

٨٤٣ - ٨٤٥ ، ٨٥٧ ، ٨٩٤

مسماع (بنو) (ج١) ٤٤١

مسيلمة (بنو) (ج٩) ٦٥٨

مسيمانس (قبيلة) (ج١) ٤٤٢

المشاهير (عشيرة) (ج٣) ٥٠

المشرق (بنو) (ج١) ٤٥٥ ، ٥٧٣ ، ٦١٠

المشماعيون (ج١) ٥٨٤

مصاييح الظلام (بنو) (ج٤) ٣٣٨

٣٤٠ ، ٤٠٦

مصاد (بنو) (ج٤) ٢٣٩

المصريون (ج١) ١٣٥ ، ١٦١ ، ٢٣١

٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٥٥٣

٥٩٠

(ج٢) ٢٣ ، ٤٤ ، ٢٠٧

٢٥٧ ، ٥٠٨

(ج٣) ١٧ ، ١١٤ - ١١٧ ، ١٢٥

(ج٤) ٦١١

(ج٥) ٩٨ ، ١٦٢ ، ٣٩٩

٥٤٤

(ج٦) ٢٢٠ ، ٣١٧ ، ٧١٦

٧٥٧ ، ٨٠١

(ج٧) ٢٣٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧

معاوية (بنو) (ج) ٣٧٢	— ٢٥٦ - ٢٥٩ - ٢٧٦ - ٤٠٧
٥١٩ (ج) ٦٢٩	٦٢٩
معبد (قبيلة) (ج) ٣٠٢	(ج) ١٤ ، ٢٠٠ ، ٢٣٧ ،
معتب (بنو) (ج) ١٥٥ ، ٥١٧	٢٤٠ - ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٣٨٧
معد (قبيلة) (ج) ٢٩٢ ، حا	٧٧٤
— ٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٦٢	(ج) ٣٠٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٠
٣٩٧ ، ٣٩٥ — ٣٩٢ ، ٣٩٠	٣٧٣ ، ٣٧٥
٤٧٧ ، ٤٧٥ — ٤٧٤ ، ٤٦٩	(ج) ١١١ ، ١٣١ ، ١٥٩
٤٨٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٣ ، ٤٧٨ —	١٦١ ، ٣٢٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣
٥٠١ ، ٤٩٥ — ٤٩٤ ، ٤٩١	٥٧٠ — ٥٧١ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩
٥٠٥	٦٠٢ ، ٦٢٥ ، ٦٣١ ، ٦٣٣
(ج) ٥٤٨ — ٥٤٩ ، ٥٧١	٦٤٠ ، ٦٦٨ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣
— ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠	٦٨٩ ، ٧٤٣ ، ٧٦١
(ج) ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٩٠	(ج) ٣١ ، ٣٨٤ ، ٤٢٣ —
— ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩	٤٢٥ ، ٤٣٧ — ٤٣٦ ، ٤٦٥
٢٧٠ — ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣١٨	٤٦٩ ، ٥١٣ ، ٥٩٩ ، ٦٥٨
— ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٢١	٦٧٥ ، ٨٧٧ ، ٨٧٩
٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦ — ٣٦٧	٨٨٢ ، ٨٨٩
٣٨١ — ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٧٣	المضرية (قبائل) (ج) ٢٥٢
— ٤٧٤ ، ٤٩٢ — ٤٩٦ ، ٥١٩	(ج) ٥٨٦
(ج) ١٤٨ ، ١٧١ — ١٧٣	المضريون (قوم) (ج) ١٦٤
١٧٥ — ١٧٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١	(ج) ١٧١
٢٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤	المطابقة (عشيرة) (ج) ٥١
٤١٩ — ٤٢١ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣	مطر (ج) ٢٩٥ ، ٣٤٦
حا ٤٥٥ ، ٤٦٤ ، حا ٥٢٦	مطروذ (بنو) (ج) ٢٦٠
٥٩١ ، ٥٩٥ ، ٦٥٩	مطروق (بنو) (ج) ٥١٧
(ج) ٣٤٤ ، ٣٤٦ — ٣٤٩	المطلب (بنو) (ج) ٨٧ ، ٩١ ، ٣٧٧
٣٥١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢ ، ٤٦٧	٢٨٤
(ج) ٤٨٩ ، ٥٩٧	(ج) ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨
(ج) ٤٨٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢	مطلحان (بنو) (ج) ٤٧٥
— ٦٤٣ ، ٦٢٧ ، ٥٩١ ، ٦٨٣	مطلقان (بنو) (ج) ٤٧٥
(ج) ٣٨٠ ، ٦٨٣	مظعون (آل) (ج) ٤٣
معدان (ج) ٣٨٦	معاقر (بنو) (ج) ٥٣١
(ج) ٢٢١	(ج) ٤٥٩ ، ٤٦١
معدية (قبائل) (ج) ٣٨٨ ، ٣٨٦	المعاقرين (ج) ٣٨٠
٤٨٦	(ج) ٤٦٠
(ج) ١٧٦	معاقر (بنو) (ج) ٤٠٢ — ٤٠٤ ،
المعديون (ج) ٣٧٥	٤٤٣ ، ٤٦٧ — ٤٦٨ ، ٥٧٨

٦٢٦
 (ج٨) ٢١ ، ٢٣٠ ، ٤٤٧
 مفاة (بنو) (ج٦) ٧٦٨
 المغيرة (بنو) (ج٤) ٥٩٤ - ٥٩٥
 (ج٧) ٤٢٦ ، ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ٤٣٢
 مفحيم (قبيلة) (ج٢) ١٤٩
 المقابلة (عشيرة) (ج٣) ٥٠
 المقاصرة (بنو) (ج٤) ٥٠٥
 مقاعس (بنو) (ج١) ٤٠٣
 المقدونيون (ج٢) ٨
 (ج٣) ١٦ ، ٢٠ ، ٨٥
 مقنم (مقنح) (قبيلة) (ج٢) ١٥٦
 المكايون (ج١) ٦٤١ ، ٦٤٩ - ٦٥٠
 (ج٢) ٢٥٠
 (ج٣) ١٦ ، ٢٦ ، ٣٠
 (ج٤) ٣٠٣
 مكرب (مكربم) (بنو) (ج٣) ٤٧٥
 المكربون (ج٢) ٨٠ ، ١٣٢ ، ١٥٩
 ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩
 ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٥
 ٢١٠ ، ٢٣٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
 ٢٧٥ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٥
 - ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢
 ٣٠٦ - ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠
 - ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧
 ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٩٠ ، ٤١٤
 ٤٢١ ، ٤٩٢
 (ج٢) ٤٨٧ ، ٥٣٤
 (ج٤) ٥٤٥ ، ٥٥٤
 (ج٥) ٤٦٣
 الكندر (آل) (ج١) ٤٠١
 ملكان (بنو) (ج٦) ٢٥٣ ، ٢٧٣ ، ٣٦٤
 اللوح (بنو) (ج٤) ٢٦٦
 مليح (قبيلة) (ج٢) ٢٢٦ ، ٣٩٧ - ٣٩٨
 (ج٣) ٤٧٥
 (ج٤) ٤٤١ ، ٤٧٩

(ج٤) ٤٥٥ حا
 (ج٦) ٥٩٧
 معقل (بنو) (ج٤) ٢٢٩
 معن (بنو) (ج٤) ٢٢٠ ، ٢٢٢
 (ج٨) ١٢٨
 معهرم (معهر) (قبيلة) (ج٢) ٩٨ ، ١٥٤
 المعونيون (ج١) ٦٤٣ - ٦٤٤
 معيص (قبيلة) (ج٣) ١٤٨
 معين (ج١) ٤٢٥ ، ٥٥٧
 (ج٤) ٣١٨
 معينة (قافلة) (ج٢) ٢٦٠ ، ٢٩٨ ، ٤٠٤
 (ج٣) ١٤٣
 (ج٥) ٣٤٢
 (ج٧) ٢٦٣
 المعينيون (ج١) ٤٤ ، ٤٦ ، ١٢٨ ، ٣٦٢ ، ٥١٣ ، ٥٨١ ، ٥٩٠ ، ٦٣٨
 (ج٢) ٥١ ، ٧٦ - ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٩ - ٩٠ ، ٩٤ - ٩٥ ، ٩٧ - ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ - ١١٩ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٦
 - ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٣٢٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٣ ، ٥٠٧
 (ج٣) ٥٥ ، ١٤٣ ، ٥٣٧
 (ج٤) ٢٩١ ، ٤١٤
 (ج٥) ١٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٧٧ ، ٥٠٧ ، ٥٣٢ ، ٥٨٤
 (ج٦) ٥ ، ٥٤ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٧٤
 (ج٧) ١٧٨ ، ٢٣٥ ، ٢٦٣

المنوفيتيون (ج) ٥٩٢
 المهاجرون (ج) ٤٨٣ - ٤٨٥ ،
 ٤٩٣
 (ج) ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٧
 (ج) ٢٦٦
 (ج) ٣٤٣
 (ج) ٣٠٩ - ٣١٠ ، ٣١٢
 - ٣١٤
 (ج) ١٢٨ ، ١٣٥ - ١٣٦
 ٦٠١ ، ٦٠٨ ، ٦٤١ ، ٦٥٤
 ٦٨٤
 مہامر (مہامر) (قبائل) (ج) ٢٩٤
 ٢٩٩
 مہائف (قبيلة) (ج) ٣٠٢ ، ٣٩٩
 ٤٨٢ - ٤٨٣ ، ٥٣٥
 مہرة (قبيلة) (ج) ٢٥
 (ج) ٤٧٨
 (ج) ١٩٣ ، ١٩٩ - ٢٠٠
 ٤٢٢
 (ج) ٣٧٧
 مہزور (بنو) (ج) ٥١٩
 مہصنم (آل) (ج) ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
 ٢٢٨
 الموابدة (عشيرة) (ج) ٣٣٣
 المواسة (عشيرة) (ج) ٥٠
 موان (ج) ٢١٩
 موهبة (ج) ١٨٧
 مياسر (ج) ٢٩١
 ميدعم (ميدع) (قبيلة) (ج) ٣٢٨
 مينوس (بنو) (ج) ٣١٢

(ج) ٧١٠
 الم (آل) (ج) ١٩٢
 الماليك (ملوك) (ج) ٥٥٤
 منى (بنو) (ج) ٦٢٨
 المناذرة (ج) ٢١٧ ، ٢٤٩ - ٢٥٠
 ٤٨٦ ، ٤٢٨
 (ج) ٦٠٥ ، ٦٢٣ ، ٦٣١
 (ج) ١٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩
 ٣٠٣ ، ٣٩٠ - ٣٩١ ، ٣٩٩
 (ج) ٤٢٦ ، ٤٦٩ ، ٤٨٩
 ٥٠٣
 (ج) ٣٩ ، ٢١٨ ، ٢٣٣
 ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥١
 (ج) ٨٧ ، ٤٨٥ ، ٥٦٠
 (ج) ٩٣ ، ٢٩٢ ، ٣٧٠
 ٦٩٣ ، ٧٣٤
 مناف (ج) ٣٠٢
 (ج) ١٨
 (ج) ٢٧٨
 منبه (بنو) (ج) ٤٥٨
 المنذر (آل) (ج) ٣٩٧
 (ج) ١٧٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩
 (ج) ٤٦٣
 (ج) ٥٩٨
 (ج) ٨ ، ٧٢٢
 منقر (بنو) (ج) ٥٨٥
 (ج) ٨٨٤
 منو (قبيلة) (ج) ٤٠٣
 المنوفيتيون (ج) ٤٠٨
 (ج) ٦٣٠ ، ٦٣٢

— النون —

(ج) ٢٤ ، ٢٨ — ٢٧ ، ١٦
 ٥٠ ، ٤٦ — ٤٤ ، ٤٠ — ٣٩
 ، ٢٤٧ — ٢٤٤ ، ٦٦ — ٦٥
 ٢٥٤ — ٢٥٣ ، ٢٥١ — ٢٤٩
 ٦٢٤ ، ٥١٧ ، ٢٥٦
 (ج) ١١ — ١٠ ، ٨ ، ٦ — ٥
 ٢٦ ، ٢٤ — ١٩ ، ١٧ — ١٣
 — ٤٧ : ٤٥ — ٤١ ، ٣٩ —
 ، ٦٩ ، ٦٦ ، ٦١ ، ٥٧ ، ٥٥
 ١٤٣ ، ٨٩ ، ٨٠ ، ٧٦ ، ٧٢
 ١٦٦ ، ١٦١ ، ١٥٣ ، ١٥٠
 ٥٣٥ : ٥٠٦ ، ١٧٢ — ١٧١
 (ج) ٢٣١ ، ٧٢ ، ٥٧ ، ٢٥
 ٤٩٩ ، ٤٢٦ ، ٣٢٩ ، ٢٤٨
 ٦٢٨ ، ٥٨٦ ، ٥٣٩ — ٥٣٨
 ٦٥٩
 (ج) ١٨٥ ، ١٥٨ ، ١٠٢ ، ١٨٨
 ٥٧٢ ، ٤٦٥ ، ١٨٨
 (ج) ٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٥٥ —
 ، ٢٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٣٨ ، ٢٢٣
 ٣٢١ ، ٣١٦ — ٣١٥ ، ٣١١
 ٣٣٠ ، ٣٢٨ — ٣٢٧ ، ٣٢٤
 ٤١٥ ، ٣٩٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ —
 ٦٠٢ ، ٥١٦ ، ٥١٣
 (ج) ١٩٥ ، ١١٣ ، ٧٢ ، ٢٨
 ٤٩٤ ، ٣١٣ ، ٢٧٨
 (ج) ١٥١ ، ١٤٣ ، ١٠٨

٣٢٥

نائلة (ج) ١٩٢ ، ١٨
 نابش (قبيلة) (ج) ٣٩٣
 ناجية (بنو) (ج) ١٩٣ ، ٤٥٠ ،
 ٤٨٠
 (ج) ٢٦١
 (ج) ٧٨٣
 النار (قبيلة) (ج) ٣٧٣
 (ج) ٤٥٦
 (ج) ٢٦٠
 (ج) ٣٧٦
 ناس (عشيرة) (ج) ٣٢١
 الناصريون (ج) ٦٢٤ ، ٥٨٣ ، ٦٣٤
 ٦٣٥ —
 الناصور (بنو) (ج) ٢٨٣
 ناعظ (قبيلة) (ج) ٥٠٠
 (ج) ١٨٦
 ناعم (بنو) (ج) ٧٤٢
 النافرة (بنو) (ج) ٤٦٢
 نافع (آل) (ج) ٢٨٣
 ناهس (قبيلة) (ج) ٥١٣
 نبايوت (نبا أي) (نبي أي) (بنو)
 (ج) ٥٨٠ — ٥٨١
 النبط (ج) ١٦٦ — ١٦٥ ، ٣٣ ، ٢٨
 ، ٢٩٨ ، ٢٨٨ ، ٢٠٨ ، ١٦٨
 ٤٣٨ ، ٣٩٧ ، ٣٤٩ ، ٣٣٦
 — ٦٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥٠٦ ، ٤٣٩
 ٦٥٦ ، ٦٥١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٢

٤٦٥ - ٤٦٤ ، ٤٨٣ - ٤٧٨ -
 ٥١٦ ، ٥٠١ - ٥٠٠
 ٥٤٩ - ٥٤٨ (ج)
 - ١٩٠ ، ١٧٣ - ١٧٢ (ج)
 ٥٣٦ ، ٣٨٢ ، ٣٧٠ ، ١٩٢
 ، ٣٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٧٦ (ج)
 ، ٣٥٤ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ - ٣٢٦
 ٤٢٤ ، ٤٢٠ - ٤١٩ ، ٣٩٤
 ٤٨٨ ، ٤٦٩ - ٤٦٨ ، ٤٢٥ -
 ٥٧٢ ، ٥٣٩ ، ٥٢٦
 . ٥٠٤ ، ٣٥١ - ٣٤٨ (ج)
 ٦٤٠ ، ٦٢٨
 ٤٨٩ (ج)
 ٣١٦ ، ٣٠٥ (ج)
 ٥٦٢ (ج)
 . ٤٥١ ، ٣٨٠ ، ٢١٣ (ج)
 ٨٠٦
 النزارية (قبائل) (ج) ٣٩٤ - ٣٩٦
 ٤٩٦
 النزاريون (ج) ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٤٩٧
 ٥٠٠
 ٤٥٢ (ج)
 نزحتن (قبيلة) (ج) ٣٢٢
 ، ٣١٥ (ج) النسابين
 ، ٣٩٢ ، ٣٨١ ، ٣٤٩ ، ٣٢٠
 ٤٧٨
 ١٤٨ ، ١٣٦ ، ١٢٨ ، ٩٤ (ج)
 ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ - ٢٤٩ ، ٢٤٥
 ، ٢٣٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢١ ، ٢٦١
 ، ٣٦٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٣ ، ٣٤٣
 ، ٤٣٣ ، ٤٢٠ - ٤١٩ ، ٤١٤
 ، ٤٤٤ ، ٤٣٨ - ٤٣٦ ، ٤٣٤
 ، ٤٤٨ - ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٣
 ، ٤٦٨ ، ٤٦٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٠
 ، ٤٨٩ ، ٤٧٩ - ٤٧٨ ، ٤٧٦
 ، ٥٢٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٤ ، ٤٩٠
 ٥٣٤ ، ٥٣٠ - ٥٢٩ ، ٥٢٣
 ٣٤٤ (ج)
 ٦٠٣ ، ٢٠٥ (ج)

١٦٩ - ١٦٨ ، ١٥٥ ، ١٥٣
 ١٨١ - ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٤
 ٢٤٣ ، ٢٠١ - ٢٠٠ ، ١٩٤
 ٣١١ - ٣١٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٥ -
 ٥٢٠ ، ٥١٧ ، ٥١٤ ، ٤٣٧
 ، ٦٥١ ، ٦٣٩ ، ٦٠٤ ، ٥٣٩
 ٧٠٦ ، ٦٨٠ - ٦٧٩
 . ٤٣٦ ، ٢١٤ ، ١٥٧ (ج)
 ٥٧٥ ، ٤٣٨
 نيهان (قبيلة) (ج) ٣٦٧ ، ٣٦٩
 ٤٥٠ ، ٢٢٠ (ج)
 ٥٦١ ، ٤٨٧ ، ٤٣٢ (ج)
 النبييت (بنو) (ج) ٤٣٨
 ١٣٦ (ج)
 ٧٢٧ (ج)
 النبييط (بنو) (ج) ٥٧٤ ، ٦٨٣ ،
 ٨١٥
 التجار (قوم) (ج) ٤٨٥
 ٢٨٠ ، ١٠٣ (ج)
 ٥٨٠ ، ١٣٧ ، ٧٣ (ج)
 ٣٣١ (ج)
 ٥٤٧ ، ٥٠٤ ، ٩١ (ج)
 ، ٢٩٣ ، ١٣٤ - ١٣٢ (ج)
 ٧٦٠ ، ٣٧٥
 ، ٧٢١ ، ٧١٩ ، ٦٥٤ (ج)
 ٧٨٤ ، ٧٢٨
 نجدية (قبائل) (ج) ٢٥٠
 التجديون (ج) ٢٧٣
 النجرانيين (ج) ٤٦٧ ، ٤٥٨
 ٦١٠ - ٦٠٩ (ج)
 نجوا (قبيلة) (ج) ١٥٠
 نجيد (بنو) (ج) ٥١٩
 النخج (بنو) (ج) ١٩٣ - ١٩٤ ،
 ٢٢٨
 نخمان (قبيلة) (ج) ٥٥٦
 نخلة (ج) ١٦٧
 نخليان (قبيلة) (ج) ٦٥٥
 نزار (قبيلة) (ج) ٣٨٠ - ٣٨١ ،
 ٤٧٧ ، ٣٩٥ - ٣٩٣ ، ٢٨٤

٤٧٩
 (ج٦) ١١ ، ١٤ ، ٣٩ ، ٤٩ ،
 ٩٧ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٠ ،
 ١٤٧ — ١٤٨ ، ١٥٣ — ١٥٤ ،
 ١٦٠ ، ١٧٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٩٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٩ — ٣٤٠ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٣٨ —
 ٤٣٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ ،
 ٤٥٥ — ٤٥٦ ، ٤٦٠ — ٤٦٣ ،
 ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨١ ، ٤٩٥ — ٤٩٦ ، ٥٠١ ،
 ٥٠٩ ، ٥٤٠ — ٥٤٢ ، ٥٤٩ ،
 ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ —
 ٥٦٧ ، ٥٧٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ،
 ٥٨٨ ، ٥٩١ — ٥٩٢ ، ٥٩٤ —
 ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٣ ، ٦٠٦ —
 ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٥ — ٦٢٢ ،
 ٦٢٤ — ٦٢٦ ، ٦٢٨ — ٦٢٩ ،
 ٦٣٣ — ٦٣٤ ، ٦٣٨ — ٦٤٣ ،
 ٦٤٥ ، ٦٤٨ — ٦٥٥ ، ٦٥٧ ،
 ٦٦٢ ، ٦٦٥ — ٦٦٧ ، ٦٧٠ —
 ٦٧٢ ، ٦٧٨ — ٦٨٠ ، ٦٨٢ —
 ٦٨٧ ، ٦٩٣ — ٧٠١ ، ٧٠٢ —
 ٧٣١
 (ج٧) ١٢٤ ، ٤٩٩ ، ٥٩١ —
 ٥٩٢
 (ج٨) ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٤ —
 ١١٥ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٧٨ —
 ١٧٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ —
 ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ —
 ٢٩٤ ، ٢٩٦ — ٢٩٩ ، ٣١٢ ،
 ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٩ —
 ٣٤٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ — ٣٧٩ ،
 ٤١٢ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٦٧ —
 ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٥٢٠ —
 ٦٢١ ، ٦٥١ — ٦٥٢ ، ٦٦٨ ،
 ٦٨٨ ، ٧٠٣ ، ٧١٣ ، ٧٦٩ —
 ٧٧٠ ، ٧٧٥ ، ٧٨٣ —
 (ج٩) ٤٩ ، ١٩٩ ، ٢٦٣

النساء (ج٤) ٤٤
 (ج٦) ٢١٦
 النساطرة (بنو) (ج٢) ٦٤٨
 (ج٣) ٢٨٥
 (ج٦) ٥٩٧ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ —
 ٦٣٠
 (ج٧) ٢٨٠
 نسان (بنو) (ج٢) ٥٩٦
 (ج٣) ٣٨٠
 نسر (بنو) (ج١) ٥٢٠
 نسمان (قبيلة) (ج٣) ١٤٨
 نشئان (قبيلة) (ج٢) ٢٢١
 نشان (بنو) (ج٢) ٥٦٠
 نشق (بنو) (ج٢) ٥٦٠
 النشقيون (بنو) (ج٤) ٤٤٩
 نصاب (ج٥) ٢٥٥
 النصارى (ج١) ١٣ ، ٢٧ ، ٣٧ ،
 ٦٣ ، ٦٥ ، ٨١ ، ٨٥ —
 ٨٦ ، ١٠٨ ، ٢٥٦ ، ٣١١ —
 ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ —
 (ج٢) ٥٩٠ ، ٥٨٥ ، ١٧٣ ، ٢٥٠ —
 ٥٩١ ، ٥٩٤ ، ٦١٩ ، ٦٢٨ —
 ٦٢٩ ، ٦٤٦ ، ٦٤٩ —
 (ج٣) ٧٢ — ٧٣ ، ٩٧ — ٩٨ ،
 ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٧٠ —
 ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٢٠ ، ٢٥٨ —
 ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤١٣ —
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ — ٤٦٠ ، ٤٦٨ —
 ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٥١١ —
 ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٨ —
 (ج٤) ٩٣ ، ١١٦ — ١١٧ ، ١٢١ —
 ١٢٢ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٦٦ —
 ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩١ — ٢١١ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ — ٢٣٨ ،
 ٢٤٨ ، ٣٦٨ ، ٤٨٧ — ٤٩١ ،
 ٤٩٩ ، ٦٦٧ —
 (ج٥) ١٠١ — ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ —
 ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ —
 ١٧٠ ، ٢٢٧ ، ٤٧٣

١٧٦ (ج٢)	٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٣٦٣ ، ٤٢٧ -
نعيم (ج٤) ٣١٩	٤٢٨ ، ٤٤٥ ، ٤٦٥ ، ٥٧٠
نفائة (ج٤) ٤٦٢	٥٨٠ - ٥٨١ ، ٧٠٣ ، ٧٢٥
نفار (بنو) (ج٤) ٤٦	٧٦٩ ، ٧٩٢ - ٧٩٥ ، ٨٠٧
نفسيم (بنو) (ج١) ٤٤٥	٨١١ - ٨١٢ ، ٨١٨ ، ٨٢٩
نكرة (بنو) (ج٤) ٤٨٣	٨٨٠
٥٠٤ (ج٩)	نصر (قبيلة) (ج١) ٧٦ ، ٧٢ ، ٦٦
نمارة (نميرة) (قبيلة) (ج٣) ١٤٨	- ٧٧ ، ٨٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩٧
٤٦٣ (ج٤)	٣٩٩ ، ٤٩١ - ٤٩٢ ، ٦٦٠
النمر (بنو) (ج١) ٥٢١	(ج٢) ٦٣٠ - ٦٣١ ، ٦٤١
٦٥١ - ٦٥٠ (ج٢)	(ج٣) ٩١ ، ١٥٩ ، ١٧٦ -
٣٥٣ ، ٢٠٤ (ج٢)	١٧٧ ، ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٦
٤٢٤ ، ٢٣١ ، ٢١٨ (ج٤)	- ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٤٧ ، ٣٩٧
٣٧٧ (ج٦)	٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٩٠ ، ٥١١
٦٠٣ (ج٨)	(ج٤) ٢٦٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤١
نمير (ج٧) ٥١٦ ، ٥٢١ - ٥٢٢	(ج٥) ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ،
٦٠٣ (ج٨)	٣٦٣ ، ٣٨٢
٦٥٢ ، ٦٣٤ ، ٦٨ (ج٩)	(ج٦) ٢١٤ ، ٢٤٠
نهد (بنو) (ج١) ١٦٨	(ج٩) ٢٥٤ ، ٦٨٩
٤٠٤ ، ٢٨٣ (ج٣)	نصرانية (قبائل) (ج١) ٤١٥
(ج٤) ١٨٩ ، ٢٤٦ ، ٢٨١ ،	(ج٣) ٢٧١
٤٣٠ - ٤٣١ ، ٤٧٤ ، ٥٢٠	النضر (بنو) (ج٤) ٢٣ - ٢٤ ، ٢٦
٥٢٩	النضير (قبيلة) (ج١) ٢٨٨
(ج٥) ٣١١ - ٣١٢ ، ٣٥٣ ،	(ج٤) ١٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣
٦٣٣	(ج٦) ٥١٤ ، ٥١٨ - ٥١٩ ،
٤٨٤ (ج٧)	٥٢٢ - ٥٢٤ ، ٥٣٣ - ٥٣٧
٧٥٢ ، ٦٥٩ ، ٣٦٦ (ج٨)	٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤
٦٢٣ ، ١٧ (ج٩)	٥٧١ ، ٥٨١ ، ٧٦٨
نهلش (بنو) (ج٤) ٥٢٨ - ٥٢٩	(ج٧) ٤٣ ، ١٤٧ ، ٣٣٨ -
٢٩٦ (ج٥)	٣٣٩ ، ٤٨٠
٢٤٦ (ج٩)	(ج٩) ٦٣٤ ، ٦٨٣ ، ٧٨٢ -
نهم (ج٤) ١٨٧	٧٨٥ ، ٧٨٧ - ٧٨٨ ، ٧٩٠
٤٦٢ (ج٧)	نظران (بنو) (ج٢) ١٩٣
نوح (قوم) (ج١) ٣٠٨ - ٣١٠ ،	نعامة (بنو) (ج١) ٣٩٩
٣٢٢ ، ٣٤٨ ، ٦٢٩	النعامنة ملوك (ج٣) ١٥٩ ، ٣٠٤
نوفل (بنو) (ج٤) ٧٤ - ٧٥ ، ٨٣ ،	نعمج (ج٤) ٥٠٥
٣٧٧ ، ١١٢ ، ١٠٠ ، ٩١	نعم برل (ج٢) ٣٧٥
نومادس (قبائل) (ج١) ٣١	نعمان (بنو) (ج٢) ٣٣٦
نيف (بنو) (ج٦) ٥١٩	

— الهاء —

هاجر (بنو) (ج ١) ٤١٢ ، ٦٤٨	هذيل (بنو) (ج ١) ٤٦١
(ج ٩) ٣٨٠ ، ٤٥١	هذير (بنو) (ج ٩) ٤٨٦
الهاجريون (قوم) (ج ١) ٢٧ ، ٤١٢	هذيرام (قبيلة) (ج ١) ٣٠٠
٤٦٢ — ٤٦١	هذير (قبيلة) (ج ٣) ١٤٨
هاشم (بنو) (ج ١) ٤٧٠ ، ٥٠٩	الهذليون (قوم) (ج ٣) ٢٧٦
(ج ٤) ٢٧ ، ٨٣ — ٨٧ ، ٩١	(ج ٩) ٣٤٥
٢٠٨ ، ٢٦٨ ، ٣١٠ ، ٣١٨	هذيل (بنو) (ج ١) ٥٤٨
٣٧٧ — ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤	(ج ١٣) ٥١٤ — ٥١٦ ، ٥١٨
٥٧٢	(ج ٤) ٢٦٨ — ٢٦٩ ، ٢٨٢
(ج ٥) ٢٤٦ — ٢٤٧ ، ٢٤٩	٥٣١ — ٥٣٣ ، ٥٣٥
٢٥١ ، ٣٦٣ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩	(ج ٥) ٩١
٥٢٤ — ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٦٠٢	(ج ٦) ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٤٨
٦١٣ ، ٦٠٣ —	٢٥٦ ، ٢٥٨ — ٢٥٩ ، ٢٦٩
(ج ٦) ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢	٢٧٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٣٧٦
٢٦٨ ، ٤٤٣ ، ٧٦٥ ، ٧٦٧	٧٩٠
(ج ٧) ٤٤٧ ، ٥٧٧	(ج ٧) ٥٤ ، ٨٧ ، ٢٧٠ ، ٣٧٥
(ج ٨) ١١٧ — ١١٨ ، ٢٦٦	٥١٤ ، ٥٠٢
٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣١	(ج ٨) ١٣٩ ، ١٩٦ ، ٥٧٢ —
٣٤٨ ، ٧٨٩	٥٧٣ ، ٥٨٢ — ٥٨٣ ، ٥٨٨
(ج ٩) ٢٨٢ ، ٦٩٩ ، ٧٣٦	٥٨٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ — ٦٠٣
٧٣٩	٦٠٥ — ٦٠٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٧
الهاشميون (ج ٥) ٦٩	٦١٩ ، ٦٣٢ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨
هامل (بنو) (ج ٤) ٥٠٥	٦٨٨ — ٦٨٩ ، ٧٦٧
هبان (ج ٢) ٩٩	(ج ٩) ١٧ ، ٢٠ ، ٣١ — ٣٢
هبل (ج ٦) ٢٥٢	١٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٨١ ، ٣٤١
هجل (قبيلة) (ج ٣) ١٤٨	٣٤٨ — ٣٤٩ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠
هجر (بنو) (ج ١) ١٠٢ ، ١٧٧	٤٣٣ — ٤٣٥ ، ٤٩٢ — ٤٩٣

٥١٦ ، ٤٩٣ — ٤٩٢ ، ٤٩٠ —

٥٧٠ ، ٥٤٦ — ٥٤٥ ، ٥٢٤

٥٩٦ ، ٥٩٣

٤٥٢ ، ٣٨٠ ، ٣٦٢ (ج)

٥٣١ ، ٤٩٨

١٨٧ — ١٨٥ ، ١٨٠ (ج)

٣٢٥ ، ٣١٨ ، ٢٨١ ، ١٩٢

٤٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٥ ، ٣٢٩

٤٤٩ — ٤٤٧ ، ٤٣٤ ، ٤٣٣

٥١٤ ، ٤٨٠ ، ٤٥٧ — ٤٥٦

٣٠٩ ، ٢٣٢ ، ١٦٣ (ج)

٢٦٠ — ٢٥٨ ، ٢٧ (ج)

٣٧٦ ، ٣٠٤ ، ٢٦٤ — ٢٦٢

٣٧٨

١٤١ ، ١١٤ ، ٥٤ (ج)

٤٦٢ ، ٥١٩ ، ٥٦٩ ، حـ

٦٣٦

٦٤٠ ، ٦٣٧ (ج)

٤٣٦ (ج)

الهمدانية (اسر) (ج) ٣٥٠

الهمدانيون (ج) ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،

٤١٩ ، ٣٦٩ ، ٣٦٧ ، ٣٥٤

٥٣٧ ، ٤٩٤ ، ٤٢٣

٤٤٩ ، ٣١٥ (ج)

همضر (قبيلة) (ج) ١٤٨

هناءة (بنو) (ج) ٣٧٣

هند (بنو) (ج) ١٩٨ ، ٥٠٢

٢٨٦ (ج)

الهندو أوروبية (شعوب) (ج) ١٢٧

هندي (شعب) (ج) ٦١٢

الهندية (شعوب) (ج) ٤٨٠

٦٠٤ (ج)

هنود (ج) ١٨٣ ، ١٧٤ ، ٦١

٢١٩ ، ٤٣٢ ، ٤٦٧ ، ٥١٩

٥٢٠

٢٥ (ج)

٤٦٢ (ج)

٣٠٨ (ج)

١٩٨ ، ١٤٥ ، ٤٩ (ج)

٦١٩ ، ٦١٦ — ٦١٥ ، ٤٩٥

٧٤٠ ، ٦٤٤ — ٦٤٣ ، ٦٤١

٨٧٣ — ٨٧١

هر (بنو) (ج) ٥٢٠

الهرابدية (قبائل) (ج) ٦٩٥

الهراطقة (بنو) (ج) ٦٣٥

هرجم (بن) (ج) ٦٩

هزان (قبيلة) (ج) ٢٩٥

٢٢١ — ٢٢٠ ، ١٩٣ (ج)

٢١٩ — ٢١٨ ، ٢٩ (ج)

الهزانيون (ج) ٢١٨

هصج (قبيلة) (ج) ٤٦٨

هصيص (بنو) (ج) ٧١٨

هف (قبيلة) (ج) ٣٤٦

٥١٧ (ج)

هفان (بنو) (ج) ٤٠٨

٤٥٨ (ج)

الهكسوس (ج) ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

٦٢٧

هكفر (بنو) (ج) ٥٧٦

هلال (بنو) (ج) ٣٢٨ ، ٤٢٦

٤٧٨ (ج)

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٥١٩ ،

٥٩١

١٤٥ ، ٣٩٥ ، ٤٣٦ ،

٤٩٨

هلم (قبيلة) (ج) ٥٦١

همدان (قبيلة) (ج) ١٧ ، ٢٣ ، ٩٩

١٠١ — ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٩

١٢٠ — ٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣

٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٥٠١

١١٤ ، ١٤٧ ، ٢١٦ ،

٢١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٢٩ — ٣٣٥

٢٤١ — ٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٣

٣٥٧ — ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤

٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩

٤٠٦ — ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٢

٤١٨ — ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤

٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٥ ، ٤٨٨

٦٦٨ ، ٦٥٥ ، ٦٠٣ ، ٥٨٩	٧١٦ ، ٦١٣ ، ٥٢٠
٦٦٩ -	٦٠٤ (٧ج)
٤٩٩ ، ٤٣٤ ، ٢٤٢ (٩ج)	١٠٧ ، ٤٢ (٨ج)
٥٥٠ ، ٥٠١	٢١٢ - ٢١١ ، ١٢٧ (٩ج)
هوجد (بنو) (ج١) ٣٠٢	هني (بنو) (ج٤) ٤٢٣ ، ٤٥٠
هود (بنو) (ج١) حا ١٥٩ ، ٣١٠ -	هوازن (بنو) (ج١) ٣٩٩
٣٥٦ ، ٣١٩ ، ٣١١	(ج٣) ٢٧٦ ، ٤٩٨
(ج٦) حا ٤٤٩ ، ٤٥٢	(ج٤) ٣١ ، ٨٤ - ٨٥ ، ١٠١
هورن هوران (بنو) (ج٢) ١٨٦ ، ١٨٨	١٤٢ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٨٢
٢٢٠ ، ١٨٨	١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢ ، ٢٥٢
هوزن (بنو) (ج١) ٥٢١	٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٥٧ - ٢٥٨
هوميرته (قبيلة) (ج١) ٣٨٧	٢٦٠ ، ٢٨٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦
الهون (قبيلة) (ج٢) ٣٤٩	٤١٦ ، ٥٠٩ - ٥١٠ ، ٥١٣
(ج٤) ٣٨٦ ، ٤٧٧ ، ٥٣١ -	٥١٧ ، ٥١٩ - ٥٢٠ ، ٥٢٤
٥٣٣	٥٣١ ، ٥٧١
هيبير (آل) (ج٢) ١٩٩	(ج٥) ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٦٣ -
هيف (بنو) (ج١) ٢٩٥	٣٦٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ - ٣٨٢
الهيجمانة (بنو) (ج٢) ٢٠٩	٣٨٨
الهيصم (قبيلة) (ج٢) ٢٨٢	(ج٦) ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ -
الهيليون (قوم) (ج١) ٤٦٧	٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٥٠٩
هينان (قبيلة) (ج٢) ٥٤٢	(ج٧) ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٤١٢
	(ج٨) ٤٠٦ ، ٤٩٦ ، ٥٧١ ،

— الواء —

٦٢ ، ٢٣ ، ١٩ ، ١١ (ج٦)	وائل (ج١) ٤٦٩
٢٢٦ ، ١٤١ ، ١١٥ ، ١٠٩	(ج٢) ١٤٨ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤ ،
٤٧٨ ، ٤٠٢ ، ٢٨١ — ٢٨٠	٤٢٤
٥٦٧ — ٥٦٦ ، ٥٤٤ ، ٥٠٩	(ج٤) ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣ ،
٦٥٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٤ ، ٥٨٦	٣٩٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٥ ، ٤٥٠ ،
٦٧٣ ، ٦٦٩ ، ٦٦٦ ، ٦٥٧	٤٥٨
٦٧٩ ، ٦٨١ — ٦٨٢ ، ٧٠٣	(ج٥) ٢٦٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
٧٧٨ ، ٧٠٤ —	(ج٦) ٤٤٦
٤٩١ (ج٧)	(ج٨) ٥٧٣
٢٩٣ ، ١٥٣ ، ٩٤ ، ٩٢ (ج٨)	(ج٩) ٤٦١
٤٨٢ ، ٤٦٨ ، ٣٤٦ ، ٢٩٥ —	وائلة (بنو) (ج٩) ٤٨٧
٦٩٦	وابش (بنو) (ج١) ٤٠٣
٥٩٠ ، ١١١ (ج٩)	(ج٤) ٥٠٨
وداعة (بنو) (ج٤) ١٨٧	وادعة (بنو) (ج٤) ٤٤٣ ، ٤٤٦
ورد الاجارب (ص) (ج٤) ٣٣٨	(ج٧) ٤٦٢
الوركاء (ج١) ٥٥٤	واقدة (بنو) (ج٤) ٧٠
وقاش (بنو) (ج٤) ٢٥٠	واقف (كتلة) (ج٤) ١٣٦
وقمر (قبيلة) (ج٣) ١٤٨	والبة (بنو) (ج٤) ٤٤٢ ، ٥٠٥ ،
وكيل (آل) (ج٢) ٩٨	٥٣٤
وليعة (ج٤) ١٩٧	الوبرة (بنو) (ج١) ٥٢١
٥٤٢ (ج٦)	(ج٤) ٢٤٠
١٤١ (ج٧)	(ج٦) ٢٨٨ ، ٢٥٥
الوهايون (قوم) (ج١) ١٣٢	(ج٧) ٢٨٣
وهب (ج٤) ٤٠١	الوثنيون (ج١) ٣١١ ، ٦٥٥
٧٦ (ج٥)	(ج٢) ١٦٥ ، ١١٩ ، ٩٧ ، ١٢
١٨٠ (ج٧)	١٧١ — ١٧٢ ، ٤٦٦ ، ٥١١
وهران (قبيلة) (ج٢) ٣٩٣	(ج٤) ١٧١ ، ١٦٨
	(ج٥) ١٧٠

- الياء -

٣٥٧ ، ١٠٧ ، ٩٥ (ج٦)	٥٩٥ (ج١) (ياديء) (ياديا) (يدع)
١٣٥ - ١٣٤ (ج٧)	يارن (يرن) (قبيلة) (ج٢) ١٦٢
٥٢١ (ج٨)	يافت (ج١) ٦٢٩
٦٠٣ ، ٨٨٧ ، ٤٣٤ (ج٩)	يام (قبيلة) (ج٢) ١٤٩ ، ١٥٦
يرسم (قبيلة) (ج٢) ٤١٢ ، ٣٦٠ -	٤٦٢ (ج٧)
٤٦٤ ، ٤٦١ ، ٤٤٩ ، ٤١٣	ياران (بنو) (ج١) ٦٣٤
٥٦٥ ، ٤٦٥ -	الياوانيون (ج٢) ٣٨١
يرسميون (ج٢) ٣٩٦ ، ٤١٢	يبرن (يبران) (عشيرة) (ج٢) ٢٧٤
يرفا (قبيلة) (ج٢) ٢٢١	٣٠٢
يزان (يزان) (بنو) (ج٢) ٥٩٦ -	اليثريون (ج٤) ١٣٠
٥٩٧	١٠١ (ج٥)
٣٨٠ (ج٣)	يجر (بنو) (ج٢) ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٢٠
يزحم (بنو) (ج٢) ٢٨١	٢٢١ -
اليزيديون (ج٥) ٣٥٢	يحر (ج٢) ١٩٣
يسب (بنو) (ج٣) ٤٧٥	٥٨٣ (ج٥)
يسعوان (بنو) (ج٤) ٥٥٧	يحصب (بنو) (ج١) ٣٧٠
يسقه ملك (قبيلة) (ج٢) ٢٢١	يحمد (بنو) (ج١) ٢٧٤
يسمع (ج١) ٦٠٣	يدعب (قبيلة) (ج٨) ٢٠٦
يشبم (عشيرة) (ج٢) ١٥٦	يدوم (قبيلة) (ج٢) ٣٦٤
يشجب (ج١) ٤٨٩	يربعل (ج٤) ٣١٥
يشر (بنو) (ج٣) ٤٧٥	يربوع (بنو) (ج١) ٥٢١
يشكر (بنو) (ج١) ٣٧٤ ، ٤٠٣	٢٩٠ ، ٢٧٤ ، ٢٢٦ (ج٣)
٢٥٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ (ج٣)	٢٠٦ - ٢٠٨ ، ٣٣٧ ، ٢٨٠ (ج٤)
٤٩٦ (ج٤)	٤١٧ ، ٤١٨ - ٤٥٢ ، ٢٨٠
٣٥١ (ج٦)	٤٩٩ ، ٥٢٧ - ٥٢٩ ، ٥٧٠
١٣٤ - ١٣٣ (ج٧)	٥٧٢
٤٧٤ (ج٨)	٤٠ ، ٢٠٨ ، ٢٨٥ (ج٥)
	٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧١

(ج) ٤١٨ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦
 (ج) ٤٦٢
 (ج) ٦١٣
 (ج) ٢٠١ ، ٢٨٢
 (ج) ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٣٦٨ ،
 ٧٤٣ ، ٧٨١
 (ج) ٢٠٨ ، ٣٨٢ ، ٤٤٩
 (ج) ٢٤ ، ٦٧
 (ج) ٣١٤ ، ٣٦٣ ، ٣٩٣ ،
 ٤٧٧ - ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤
 - ٤٩٥
 (ج) ٣٢٤ - ٣٢٦
 اليمنية (وفود) (ج) ٦٣٧
 ينبع (بنو) (ج) ٢٥٧
 يهب عيل (عشيرة) (ج) ٤٦٧ -
 ٤٦٨
 يهبار (قبيلة) (ج) ١٥٦
 يهبلج (قبيلة) (ج) ٣١٨ - ٣١٩ ،
 ٤٠٦
 يهثة (بنو) (ج) ٥٢١
 يهر (آل) (ج) ٢١٨ - ٢١٩
 يهزحم (قبيلة) (ج) ٢٨١
 يهشم (آل) (ج) ٢٦٧
 يهفرع (بنو) (ج) ٣٩٣
 اليهود (ج) ١٣ ، ٢٠ ، ٣٣ - ٣٤
 ٤٢ ، ٥٥ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٦
 ١٢٠ - ١٢١ ، ٢٠٧ - ٢٠٨
 ٢٢٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٩٩
 ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧
 ٣٧٩ ، ٤١٣ ، ٤١٥ - ٤١٦
 ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠
 ٤٥٢ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ٤٧٣
 - ٤٧٤ ، ٥٩٨ ، ٦١٧ -
 ٦١٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٤١
 ٦٤٥ - ٦٤٧ ، ٦٤٩ - ٦٥٠
 ٦٥٣ ، ٦٥٥ - ٦٦٠
 (ج) ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ١٢٢ - ١٢٣
 ٢٥٦ ، ٥٧٨
 (ج) ٣٢ ، ٣٦ - ٣٧ ، ٤٤٣

٧٤٤ ، ٧٤٠ ، ٧٣١ ، ٧٠٢ —
٤٧٦٦ ، ٧٥٧ ، ٧٤٨ — ٧٤٧

٧٧٨

١١٩ ، ٨٣ ، ٥٨ ، ٤١ (٧ج)

٤٣٠٩ ، ٢٩٨ ، ١٤٢ ، ١٢١

٤٢٣ — ٤٢٢ ، ٤١٩ ، ٣٧٧

٤٥٤٧ ، ٤٩٩ ، ٤٣٣ ، ٤٢٦

٤٦١٤ ، ٥٩١ ، ٥٧٥ ، ٥٥٧

٦٣٠ ، ٦٢٢

٤ ١.٧ — ١.٤ ، ٩٢ (٨ج)

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١١٥ — ١١٤

١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٦٠ ، ١٢٤ —

٢٧٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٢ ، ١٩٦ —

٢٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٤ — ٢٨٢

٣٢٦ — ٣٢٢ ، ٣١٨ — ٣١٧

٣٨٥ ، ٣٧٨ ، ٣٤٦ ، ٣٣٩

٤٦٨ — ٤٦٧ ، ٤٥٣ ، ٤٢٦

٤٨٢ — ٤٨٠ ، ٤٧٦ — ٤٧٥

٤٩٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٢ — ٤٩٠

٥٦٠ ، ٥٣٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٥

٦٥١ ، ٦٣٤ ، ٦٢١ — ٦٢٠

٧١٥ — ٧١٣ ، ٧٠٣ ، ٦٥٢ —

٧٧٥ ، ٧٥١

٢٧١ ، ١٦٦ ، ١٥٠ ، ٩١ (٩ج)

٣٧١ ، ٣٦٣ ، ٣٢٧ ، ٢٨٨

٦٨٥ ، ٦٣٥ ، ٥٥٦ ، ٤٤٥

٧٢٤ — ٧٢٢ ، ٧٢٠ — ٧١٩

٧٧٧ ، ٧٧٠ — ٧٦٩ ، ٧٦٨

٧٨٩ — ٧٨٦ ، ٧٨٤ ، ٧٨٢

٨٤٣ ، ٧٩٢ — ٧٩١

اليهودية (جالية) (٣ج) ٨٣

يهوذا (قبيلة) (١ج) ٦٢٤

(٧ج) ٢٣٣

يهيب (قبيلة) (١ج) ٤٣١

(٢ج) ٤١١ — ٤١٢

اليونان (١ج) ١٦ ، ٢٦ — ٢٧ ، ٣١

٦٢ — ٦٠ ، ٥٧ — ٥٦ ، ٣٥

١٤٣ — ١٤١ ، ٨١ — ٧٩ ، ٧٥

١٦٤ — ١٦٣ ، ١٦٠ ، ١٥٥

٤ ١.٩ — ١.٨ ، ٦٧ ، ٥١

١٤٥ ، ١١٩ — ١١٨ ، ١١١

٢٦٣ ، ١٧٧ — ١٧٥ ، ١٧٢

٤٤٦٠ ، ٤٤٢ ، ٣٨٩ ، ٣٣٧

٥٠٦ ، ٥٠٢ ، ٤٦٩ — ٤٦٨

٤ ١٣١ — ١٢٨ ، ١٣ (٤ج)

١٤٧ ، ١٤١ ، ١٣٦ — ١٣٢

١٩٧ ، ١٩٠ ، ١٦٧ ، ١٥٦

٢٣٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣ — ٢٠٢

٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦ — ٢٤٥

٣٠٣ ، ٢٦٤ — ٢٦٢ ، ٢٥٧

٤٥٢ ، ٤٣١ ، ٣٦٨ — ٣٦٧

٦٦٧ ، ٦١١ ، ٥٦٤ ، ٥١٩

٦٨٠ ، ٦٦٨ —

١٠١ ، ٧٦ ، ٣٢ ، ١٨ (٥ج)

١٢٢ ، ١٢٠ ، ١١١ ، ١٠٣ —

١٤٣ — ١٤٢ ، ١٤٠ — ١٣٦

٢٥١ ، ١٧٠ — ١٦٩ ، ١٥٠

٤٥١ ، ٣٣٩ ، ٣١٥ ، ٢٥٢ —

٤٨٣ ، ٤٧٩ ، ٤٥٨ — ٤٥٦

٥٥٥ ، ٥١٧

٤٤٠ ، ٣٨ — ٣٧ ، ١١ (٦ج)

١٣٦ ، ١٢٠ ، ١١٤ ، ٩٧ ، ٤٦

٣٣٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٢٢٠

٤٤٢ ، ٣٩٩ ، ٣٧٢ ، ٣٤٢ —

٤٥٦ — ٤٥٣ ، ٤٤٩ ، ٤٤٣ —

٤٨١ ، ٤٧١ ، ٤٦٣ — ٤٦٢

٤٥٠٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٤٩٥

٥٤٢ — ٥٤١ ، ٥١٩ — ٥١١

٥٦٢ — ٥٥٠ ، ٥٤٨ — ٥٤٤

٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧١ — ٥٦٤

٥٨٦ — ٥٨٥ ، ٥٨٣ ، ٥٧٩

٦١٥ ، ٦١١ ، ٦٠٢ — ٦٠٠

٦٣٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢١ — ٦١٩

٦٤٩ ، ٦٤٢ ، ٦٤٠ ، ٦٣٦ —

٦٧٦ — ٦٧٥ ، ٦٥٨ ، ٦٥١

٦٨٨ ، ٦٨٢ ، ٦٧٩ — ٦٧٨

٧٠١ ، ٦٩٧ ، ٦٩٣ — ٦٩٢

٢٢٠ ، ١٦٨ ، ١٣٨ ، ٧٦ ، ٤٤٧
 ٤٤١٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٢٣٣
 ٤٥٨ ، ٤٥٠ ، ٤١٦ — ٤١٥
 ٦٨٩ ، ٦٢٩ ، ٦٠١ ، ٤٦٥
 ٨٠١ ، ٧٨٩

— ٢٣٣ ، ١٩٥ ، ١١٠ (٧ج)
 ٤٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٣٦
 ٢٧٩ ، ٢٧٧ — ٢٦٧ ، ٢٦٣
 ٤٧٧ ، ٤٦٨ ، ٤٢٣ ، ٢٨٠ —
 ٥٥٤٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٠
 ، ٦٠٢ ، ٥٨٨ ، ٥٦٨ ، ٥٦١
 ٦٢١ ، ٦١٣ ، ٦٠٦ ، ٦٠٤
 ٦٣٤ ، ٦٣٠ ، ٦٢٨ ، ٦٢٥
 ١٥٢ ، ١٠٧ ، ٨١ ، ٧٥ (٨ج)
 ٢٥٣ ، ٢٠٠ ، ١٦٨ ، ١٦٠
 ٣٢١ ، ٣١٦ ، ٣١٢ — ٣١١
 ٤٤٢٣ ، ٣٩٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٦
 ٤٤٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٧ — ٤٢٦
 ٥٤٥ ، ٥١٩ ، ٥١٠ ، ٤٦٥
 ٧١١ ، ٧٠١ ، ٥٤٦ —
 ١٢١ ، ٥٢ ، ٥٠ — ٤٩ (٩ج)
 ١٣٦ ، ١٢٧ ، ١٢٥ — ١٢٤
 ٧٢٢ ، ٣٦٨ ، ١٩٩

اليوناني (شعب) (٤ج) ٣١٧

يونانية (جالية) (٣ج) ١١٩

اليونانيون (ج) (١) ٥٧ ، ١٦١ ، ٥٦٩
 ٦٢٤

— ٢٤ (٢ج) ٣٢ ، ٣٢ ، ٣٢

٦١١ ، ٩٢

٢١ (٦ج)

٤٢٨ ، ٣٤٠ ، ٢٠٠ ، ٨٦ (٨ج)

٤٩٠

١٥٥ (٩ج)

بيتع (بنو) (٤ج) ٥٣٣

٤١٨٣ ، ١٧٥ ، ١٧٢ ، ١٦٧
 ٤٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٠٥ ، ١٩٣
 ٢١٨ ، ٢١٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٢
 ٤٤٤٧ ، ٢٨٧ ، ٢٥٢ ، ٢٤٥
 ٥٥٤٣ ، ٥٣٤ ، ٥٢٠ ، ٤٩٨
 ٦٢١ ، ٥٨٥ ، ٥٦٤ ، ٥٤٦
 ٦٣٤

٢٣ ، ١٣ — ١١ (٢ج)
 ٣٤ — ٣٣ ، ٣١ — ٢٩ ، ٢٧
 ٧١ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ٤٨ ، ٤١
 ١١٨ ، ١٠٤ ، ٩٣ — ٩٢ ، ٧٦
 ١٣٠ — ١٢٩ ، ١٢٤ ، ١١٩ —
 ٢٤٤٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٠٦
 ٢٨٢ — ٢٨١ ، ٢٦٦ — ٢٦٥
 ٦٠٩ ، ٦٠٧ ، ٥١٠ ، ٤٢٠
 ٦٥٣ ، ٦٢٩ ، ٦٢٢ ، ٦١١
 ٦٥٩

٢١ ، ١٩ — ١٨ (٣ج)
 ٦٥ ، ٥٢ ، ٣١ — ٢٩ ، ٢٦
 ٨٠ ، ٧٧ — ٧٦ ، ٧٣ ، ٦٨
 ١٢٧ ، ١٠٢ ، ٩٩ ، ٨٩ ، ٨٥
 ٢١٨ ، ١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٤
 ٤٠٦ ، ٣٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٠٣
 ٥٣٤ ، ٤١٢

٣٠٤ ، ٢٩٧ ، ٢٣ ، ١٠ (٤ج)
 ٦١٢ ، ٤٠٨ ، ٣٧٢ ، ٣٠٨
 ، ٦٦٨ ، ٦٥٥ ، ٦٤٦

١٨٨ ، ١٢٠ ، ٩٨ (٥ج)

٢١٦ ، ٢٠٠ — ١٩٩ ، ١٦٥

٣٠٤ ، ٢٩٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٤

٤٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٢٨ ، ٣٠٩

٤٦٨ ، ٤٣٤ — ٤٣٣ ، ٤١٤

٥٤٤ ، ٤٨٤ ، ٤٨١ — ٤٨٠

٢٣ ، ٢١ — ١٩ ، ١٧ (٦ج)

فهرس الدول والممالك والاماكن

- الف -

- ابو عتبة (بئر) (ج ٧) ٣٥٤
 ابو عريش (موضع) (ج ١) ١٨٨
 ابو الفوارس (موضع) (ج ٣) ١٣٧
 ابو قبيس (جبل) (ج ٤) حا ٧ - ٨
 (ج ٦) ٦٩٩
 الابواء (ج ٧) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ -
 ٣٥١ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٣٥٩
 ابولوكس (مدينة) (ج ٢) ٢٠ - ٢١
 (ج ٩) ٢١١ ، ٢١٥ ، حا ٧٦٤
 ايون (مدينة) (ج ٢) ٤٣٠ - ٤٣١
 ابيير (قصر) (ج ٣) ٤٠٤
 الابيض المتوسط (بحر) (ج ١) ٥٧ ،
 ١٤٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥٣ ، ٤٤٤ ،
 ٤٨٠ ، ٥٣٠ - ٥٣١ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٥ - ٥٤٦ ، ٥٥٤ ، ٥٨١ ،
 ٥٩٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٥٢ -
 (ج ٢) ٩ - ١٠ ، ١٢ ، ١٥ -
 ١٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ١٢٠ ، ١٦٣ ،
 ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٩١ ، ٥٣٣ ،
 ٦٥٣
 (ج ٢) ٦ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٠ ،
 ٨١ ، ١٣٤
 (ج ٤) ١١٣ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
 ٢٢٦
- اب (موضع) (ج ٢) ٤٣٠
 (ج ٨) ٢١١
 اباد (مدينة) (ج ١) حا ٢٤١
 الابار السبع (موضع) (ج ٤) ٤٧ ،
 ٥١ - ٥٢ ، ٥٧
 اباط (موضع) (ج ٤) ٦١٤
 ابان (مدينة) (ج ١) ٤٥٨
 (ج ٢) ٦٤٠
 ابرد (وادي) (ج ١) ١٨٩
 ابرق (قصر) (ج ٩) ٨٦٠
 ابكل (موضع) (ج ٢) ٣٩٤
 الابلق (قصر) (ج ٣) ١٠٦ ، ٣٧٥ ،
 (ج ٦) ٥٢٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ،
 ٥٧٦ ، ٥٧٨ - ٥٧٩
 (ج ٧) ٣٧٢
 (ج ٨) ٥١١ - ٥١٢
 (ج ٩) ٧٧٢ - ٧٧٣ ، ٧٧٨
 ابنة (وادي) (ج ٢) ١١٩ ، ١٣٣ ،
 ٥٠١
 ابو حراب (سد) (ج ٧) ٢٠٨
 ابو الصلايخ (تل) (ج ٢) ٢٥٥
 ابو ظبي (ج ١) ٥٤١ ، ٥٧١
 (ج ٨) ٨٥
 (ج ٩) ٥٩

- ٢٣٩
 ٥٣١ (ج٩)
 الاجرد (ج٧) ٣٥٣
 الاجمة (مدينة) (ج٦) ٦٣١
 اجنادين (موضع) (ج٤) ١٧٩
 اجباد (موضع) (ج٤) ٧٢
 ٣٩٣ (ج٥)
 ٩٩ (ج٧)
 الاجيفر (جفر) (ج٧) ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،
 ٣٤٠
 احد (جبل) (ج٤) ٤٧٥
 ٧٨٠ (ج٦)
 ٣٥٧ ، ٢٠١ (ج٧)
 ١٨٤ (ج٨)
 احرم (ارض) (ج٢) ٢٣٢
 الاحساء (ج١) ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤
 - ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٤٢
 ٥٣٠ ، ٥٤٥ ، ٥٥٨ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦٨ - ٥٩٩
 ٥٥٠ ، ١٨ (ج٢)
 ٢٤٩ (ج٣)
 ٤٨٥ (ج٤)
 ٧٦ - ٧٧ (ج٥)
 ٦٥٥ (ج٦)
 ٣٥٠ ، ٣٣٦ ، ٤٤ (ج٧)
 ٢٠٥ ، ٦٠ ، ٦٠ (ج٨)
 احدى (موضع) (ج٢) ٤٣٧
 احضرن (موضع) (ج٢) ٥٦١
 الاحقاف (ج١) ١٥١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠
 ٣٠٤ - ٣١١ ، ٣١٢ - ٣٢٥
 الاحمر (بحر) (ج١) ٥٩ ، ٥٥ ، ١٤١
 ١٤٣ - ١٤٤ ، ١٥٦
 - ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٨٧
 - ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥
 ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
 ٣٦٢ ، ٤٢٧ ، ٤٥٥ - ٤٥٦
 ٤٧٩ ، ٥٥٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦٧ ،
 ٦٠٤ ، ٦١٥ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤
- (ج٧) ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٢٧١ -
 ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤٨
 (ج٨) ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٢ ،
 ٢٦٢
 ابين (ج١) ٢٨٢ ، ٢٢١ ،
 (ج٢) ١١٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٨٥ ،
 (ج٣) ٤٧٩
 (ج٤) ٤٧٨
 اتب (ارض) (ج٢) ٤٦٦
 اتباع (ج٦) ٢٩٣
 اتخ (حديقة) (ج٢) ٢٩٠
 اترا (مدينة) (ج٢) ٦٠٩
 اتزله (مدينة) (ج٢) ٤٧ ، ٥٧
 اتريو (موضع) (ج١) ٦١٤
 اتمة (ج١) ٤٢٩
 اتنه (منطقة) (ج٢) ١٧
 اتوت (جبل) (ج٢) ٤٣٠
 ٢٠ ، ١٣ (ج٥)
 اتينه (موضع) (ج٢) ٣٠
 اتانين (موضع) (ج٢) ٢٩٦ - ٢٩٧ ،
 ٣٢٢
 اتانف (ج٧) ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٥٤١
 ٥٧٦ (ج٩)
 اتابة (ج٧) ٣٦٠
 اتلت (جبل) (ج٢) ٥٦
 الاثيل (ج٨) ٢٨٤
 اتينا (مدينة) (ج٤) ٤٧ ، ١٦٨
 (ج٥) ٤٨١
 (ج٦) ٢٢٣ ، ٢٩٢ ، ٣٣١
 (ج٧) ٤٩٥
 ١٢ (ج٨)
 اجا (جبل) (ج١) ١٥٧ ، ٣٠٦
 (ج٣) ٣٤٩
 (ج٤) ٢١٩ - ٢٢١ ، ٤٥٠
 (ج٥) ٢٦٩
 (ج٦) ٢٧٨
 (ج٧) ١٥٠ ، ١٨٠ ، ٣٣٧ ،

- ادوج (بناء) (ج ٣) ٤.٣
 ادفو (موضع) (ج ٢) ٣٥
 ادمة (ج ١) ٣٣٣
 ادنه (ميناء) (ج ٢) ٦٣ ، ٢٩٦ ، ٤.٥
 ادولس (مدينة) (ج ٢) ٣١
 ادولس (ج ٣) ٤٦١ ، ٤٧١ - ٤٧٣
 ادولس (ج ٧) ٢٥١ ، ٢٧٩ - ٢٨٠
 ادوم (ادمو - ادمو) (مملكة) (ج ١)
 ١٤٢ ، ٤٤٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ - ٥٩٠ ، ٥٩٦ ، ٦٠٠ - ٦٠.٤ ، ٦١٠
 ٦١١ ، ٦٣١ ، ٦٤٥ -
 (ج ٢) ١٢٠
 (ج ٣) ١٥ ، ٥٣
 (ج ٤) ٦٦ ، ٧٧ ، ٣١٤
 (ج ٦) ٢٦٢
 الادومية (ج ١) ٦.٤
 (ج ٣) ١١٢
 اديدا (موضع) (ج ٣) ٣١
 اذربيجان (ج ١) ٥٤٨
 (ج ٦) ٨ ، ٧٦٦
 اذرح (مدينة) (ج ٢) ٥٨
 (ج ٤) ٢٤٩
 (ج ٦) ٥٩٥
 (ج ٧) ٣٤٨
 اذرعات (مدينة) (ج ٣) ٥٩ - ٦٠ ، ٦٣
 (ج ٤) ٦٦٩
 (ج ٧) ٣١٣
 اذفر (موضع) (ج ٢) ١٨٧
 اذنة (وادي) (ج ٢) ٢٨٤
 (ج ٧) ١٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١١
 الار (ج ١) ٤٢٧
 اراد (مدينة) (ج ٢) ١٩
 ارادوس (موضع) (ج ٢) ١١٤
 ارأس (ج ٨) ٢٠.١
 ارأش (موضع) (ج ٧) ٤٤٦
 اربد (مدينة) (ج ٣) ٦٥
- ٦٤١ - ٦٤٠ ، ٦٢٦ -
 (ج ٢) ٥ - ٢٣ ، ٣١ -
 ٢٤ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٠
 ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٢٤٢ -
 ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٧ ، ٥١١ -
 ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ٥٤٢ ، ٥٥٦ -
 ٥٩٤ ، ٦٤٧ ، ٦٥٤ ، ٦٥٧
 (ج ٣) ١٥ - ١٦ ، ٢٠ - ٢١
 ٤٩ - ٥٠ ، ٥٨ ، ٣٨٤ ، ٤٥٠
 ٤٩٠
 (ج ٤) ٣٩ ، ١١٦ ، ١٧٠ -
 ١٧٢ ، ١٩٠ ، ٢٦١ ، ٣٢٢
 ٤٣٠
 (ج ٥) ٤١٥
 (ج ٦) ٧٩ ، ٣٩٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥
 (ج ٧) ١٢٠ ، ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٧٩ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦
 ٢٦٥ - ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ -
 ٢٧٧ - ٢٨٠ ، ٢٨٤
 (ج ٨) ٢٠٣ ، ٥٦٣ ، ٧٠.١
 (ج ٩) ١٢٧
 الاحواض (موضع) (ج ٧) ٣٣٥
 اهور (موضع) (ج ٧) ١٧٤
 احياء (ماء) (ج ٧) ٢٥٢
 الاخدمية (ج ٧) ٣٣٣
 الاخدود (منطقة) (ج ٢) ٥٤٣ ، ٥٩١
 (ج ٣) ٤٥٨ - ٤٥٩ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧
 اخر (وادي) (ج ٢) ٤٠.٢
 اخرف (ج ٧) ٣٦٣
 الاخروج (موضع) (ج ٣) ٤٩٦
 (ج ٧) ١٢٤
 الاخصف (بشر) (ج ٦) ٢٥٢
 الاخضر (ج ١) ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٢١٧
 اخميم (موضع) (ج ٨) ١٩٩
 الاخيفر (حصن) (ج ٨) ٣٥ ، ٢٩٦
 اخيلو (مملكة) (ج ١) ٥٩٥

٥٣٢ (ج٣)
 ازريلو (ج١) ٦٠١ ، ٦٠٤
 ازلة (ج١) ٦٠٣
 اسأى (موضع) (ج٢) ٤٢٩ - ٤٣٠
 اساحل (موضع) (ج٢) ٥٤
 اساف (موضع) (ج٤) ٧٦
 اسان (مملكة) (ج٨) ٢٠٠
 اسبانية (ج١) ٦٤٠
 ٤٤ (ج٣)
 الاسبل (قرية) (ج٤) ٢٠٣
 ٦٦٤ (ج٦)
 اسبيل (ج٧) ٥٢٢
 استانبول (مدينة) (ج٢) ٥٩٠
 ٤٧٦ (ج٣)
 ١٨٢ (ج٨)
 استراباذ (مدينة) (ج٩) ٤٠٠ ، ٦٧٨
 اسد تعشر (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد حاملة (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد حلية (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد خفان (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد السحول (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد الشرى (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد عتود (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد الكطاء (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد لية (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد المقيضا (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسد الملاحظ (موضع) (ج٧) ١٢٥
 اسدود (مدينة) (ج٢) ١٢٢
 اسطبل عتر (موضع) (ج١) ١٥٩ ،
 ١٦٩ ، ١٨٧
 اسعد كامل (طريق) (ج٢) ٥٧٦
 الاسفل (بحر) (ج١) ١٤٠ ، ٥٥٤ -
 ٥٥٥ ، ٥٧٠
 الاسفيذهان (موضع) (ج٩) ٨٦٩
 اسقفية (مدينة) (ج٣) ٦٣ ، ٦٧
 اسقه (مدينة) (ج٢) ٤٧
 اسكاندينافية (ج١) ٢٩١
 الاسكندرية (ج١) ٥٦ ، ٦٠ ، ٣٠٣ -
 ٣٠٤

اربك (شط) (ج٣) ٢١٢
 الارحاء (ج٤) ٣٢٦
 ارحب (موضع) (ج١) ١٨٩
 ٣٣١ ، ١١٤ (ج٢)
 ٤٥٢ (ج٣)
 ١٨٧ ، ٤٤٩ (ج٤)
 ٢٠ (ج٥)
 ٢٦٢ (ج٦)
 ٣٩ (ج٨)
 اروزن (مدينة) (ج٦) ٥٩٧
 ارسينو (مدينة) (ج٢) ٢٣
 ارشام (مدينة) (ج٢) ٥٤٩
 ٤٦٣ ، ٤٩٣ (ج٣)
 ١٧٦ (ج٤)
 ارس (موضع) (ج٢) ٤٣٥
 ارك (مدينة) (ج١) ٦٠٣
 ٥٦١ (ج٢)
 ١٣٧ (ج٣)
 ٢٣٣ (ج٤)
 ٣٣٩ (ج٧)
 اركاديا (موضع) (ج٦) ٤٧
 ارم (بئر) (ج١) ٢٠١
 ارم (جبل) (ج١) ١٦٨ ، ٦٤٤
 ارم (دمشق) (ارم ذات العماد) (ج١)
 ٣٠٠ - ٣١٣ ، ٣٢١
 ارمينية (اقليم) (ج٢) ٥٣٩ ، ٦٤٧
 ٥١٦ (ج٧)
 اروي (مملكة) (ج٢) ٢٨٨
 الاروقة (بناء) (ج٣) ٣٠٤
 ارومة (بئر) (ج٤) ١٣١
 الاريتري (بحر) (ج١) ١٤١ ، ١٥٨
 ٦٢٢
 اريتريا (دولة) (ج٣) ٤٥٠
 اريتوسه (مدينة) (ج٢) ٤١
 اريحا (مدينة) (ج٣) ٥٢
 ٤٠٠ (ج٨)
 ارنب (موضع) (ج٧) ٣٦٣
 ازال (مدينة) (ج١) ٤٢٧

- (ج) ٢٣٦
 الاشورية (حدود) (ج) ١٦
 الاصافر (موضع) (ج) ٣٥٤
 اصبهان (مدينة) (ج) ٨٤٩
 اضاخ (مدينة) (ج) ٣٣٧ ، ٥٢١
 اضفرم (موضع) (ج) ١٨٨
 لاضم (وادي) (ج) ١٦١ ، ١٦٨
 (ج) ١٣٢
 اضمير (ج) ٣٤٤
 طحل (جبل) (ج) ٥١٧
 الاطلانطي (محيط) (ج) ٢٧٠
 الاطلس (ج) ١٨١ ، ٢٣٥
 (ج) ١٦٣
 (ج) ٣٧٩
 اطم الاضبط (حصن) (ج) ٥٥٢
 الاطواد (موضع) (ج) ٥٧٤ ، ٥٨٥
 (ج) ٢٨٤
 اظور (وادي) (ج) ٤٣٠ - ٤٣١ ، ٤٣٣
 الاعمشية (مدينة) (ج) ٣٦٢
 الاعناك (ج) ٣٣٣
 الاعيار (ج) ٣٥٣
 اعين خرص (موضع) (ج) ٥٦١
 الاغور (دير) (ج) ٤٧١
 (ج) ٥٩٨
 اغيار (مدينة) (ج) ٣٦٤
 افاعية (ج) ٣٢٨
 افريقية (قارة) (ج) ١٤٢ ، ٥٩ -
 ٤٣ ، ١٤٩ ، ١٧٤ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٣٤ - ٢٣٨ ،
 ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٤٧ ، ٤٥٧ ،
 ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ،
 ٥٢٠ ، ٥٣٠ - ٥٣١ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٥ ، ٥٥٨ - ٥٥٩ ، ٥٦٥ -
 ٦١٥ ، ٦٢٥ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،
 ٦٤٣ ، ٦٤٥
 (ج) ١٠ ، ١٥ - ١٦ ،
 ٢٠ - ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ - ٢٧
- (ج) ١٢ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٦ ،
 ٧٠ - ٧١ ، ٢٥٦ - ٢٦٦
 (ج) ١١٧ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ٢٥
 ١٢٥ - ١٢٦ ، ٤٦٤ ، ٥٠٦
 (ج) ٤٣٢
 (ج) ٢٧٨ ، ٤٠٨
 (ج) ٦٧٣
 الاسلامية (دولة) (ج) ٢١٧
 الاسماعيلية (مدينة) (ج) ٦٤٨
 الاسود (بحر) (ج) ٩٨
 الاسودة (قرية) (ج) ٣٤٥
 اسورن (مدينة) (ج) ٢٨٢
 آسية (ج) ١٤٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٤٨٠ ،
 ٦٤٠ ، ٦٤٥
 (ج) ١١ ، ٣٨ ، ٦١٠ ،
 (ج) ٢٦ ، ٩٥ ، ٩٧ - ٩٩ ،
 ١١٦ ، ١٣٣
 (ج) ٣٠٣
 (ج) ٦٢٥
 (ج) ٢٢٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٥ ، ٢٧٨
 (ج) ١٥٠ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤
 اشب الفياض (موضع) (ج) ٢٢٣
 اشدود (مدينة) (ج) ٥٩٦
 الاشرفية (مسجد) (ج) ٤٨
 الاشعر (اشعرن) (ج) ٣٨٠
 (ج) ٦٧٤
 اشقلون (مدينة) (ج) ٥٩٦
 الاشكانية (دولة) (ج) ٦١٤
 آشور (مملكة) (ج) ١٦ ، ١٨ ،
 ٥٦١ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤ - ٥٧٥ ،
 ٥٧٧ - ٥٨٢ ، ٥٨٤ - ٥٨٥ ،
 ٥٨٨ - ٥٩٠ ، ٦٠٦ ، ٦٠٩ ،
 ٦٢٦ ، ٦٤٥
 (ج) ١٢٢ ، ٩٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ،
 ٢٦٢ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٦٠٤
 (ج) ٢١٣ ، ٢٠٥
 (ج) ٦٢ ، ٦٤ ، ٢٩٠

الاقارع (جبل) (ج) ٢٥٩
 ٣٤٨ (٧ج)
 اقريطش (كريست) (جزيرة) (ج) ١
 ٣١٢
 (ج) ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩
 اكاد (مملكة) (ج) ١٥٦ ، ٥٦١ ،
 ٥٧٠ ، ٦١٠
 اكرا (ضياء) (ج) ٤٨
 اكربي (ج) ٢٩٦
 اكروبولس (موضع) (ج) ٢٣
 اكسوم (مملكة) (ج) ٢٣٧
 (ج) ٦٠ ، ٢٥٣ ، ٣٤٤ ،
 ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ،
 ٥١١ ، ٥٨٢ ، ٦٢٧ ، ٦٥٨
 (ج) ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٥٤ -
 ٤٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ - ٤٧٤
 ٤٧٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٩ ، ٥١٠ ،
 ٥١١ -
 (ج) ٢٦١ ، ٢٨٢
 (ج) ٢١٢
 اكله (مدينة) (ج) ٣٢
 اكنت (مدينة) (ج) ٣٣٢ ، ٤٠٦
 اكيبلا (ضياء) (ج) ٢٧٦
 الالهة (موضع) (ج) ٤٩٦ - ٤٩٧ ،
 ٨٢٦
 الجيسيا (مدينة) (ج) ١٣٤
 المانيا (دولة) (ج) ١٣٢
 الو (حصن) (ج) ٣١٧
 (ج) ٤٨٥
 الوسة (ج) ٢٣٣
 اليس (موضع) (ج) ٦٤٩
 (ج) ٢٣١
 ام احراد (بئر) (ج) ٤١١
 ام البرك (موضع) (ج) ٣٥٥
 ام جحدم (موضع) (ج) ١٧١
 ام الجمال (قرية) (ج) ٦٥
 (ج) ١٨٤
 (ج) ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٧٨ ،
 ٢٤٨

٢٩ - ٣١ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٦٠ ،
 ٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٢٢ - ١٢٤
 ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٢٤٢ ،
 ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ - ٢٧٩
 ٥٠٢ ، ٥١١ ، ٦١٠ ، ٦٢٧
 ٦٢٨ - ٦٣١ ، ٦٤١ ، ٦٥٧
 (ج) ٢١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٢٩
 ٤٤٩ - ٤٥٦ ، ٤٧٩ ، ٥٣٨
 (ج) ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ، ١١٥
 ١١٦ ، ١١٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠
 ٢٨٢ ، ٣٠٣ ، ٤٤١ ، ٥٥٥
 ٦٢٨ ، ٥٥٦ -
 (ج) ٤١٤ - ٤١٥
 (ج) ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٣٨ ، ٥٨٩
 ٦١٢ ، ٦٢٥
 (ج) ١٥ ، ٧٧ ، ٢٢٧ - ٢٢٨
 ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١
 ٢٥٨ ، ٢٦٠ - ٢٦٣ ، ٢٦٦
 ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٣ ، ٢٨١
 ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٤٩٠ ، ٤٥٤
 ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٥٥٣
 (ج) ٤٠ ، ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٥٠
 ٢١٣ ، ٤٠٠ ، ٤٥٣ ، ٥٤٥
 ٥٩٣ ، ٦٢٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٦
 افسوس (مدينة) (ج) ٦٢٥
 الافغان (ج) ٢٢٨
 افطح (جبل) (ج) ٢٨٢
 افقة (مدينة) (ج) ١١٨
 افتن (موضع) (ج) ٢٩٥
 الافلاج (ج) ١٧٩ ، ١٨١ -
 ١٨٢ ، ٢٢١
 (ج) ٥٥١ - ٥٥٢
 (ج) ٦٢٩
 (ج) ٣٤٥
 افيرنوس (بحيرة) (ج) ٤٨
 الافيمية (ج) ٣٤١ ، ٥٢٢
 افيق (ج) ٣٤٨
 اقر (وادي) (ج) ٤٢٣ ، ٤٣٤

١٥٤ ، ١٥٦ - ١٦٤ ، ١٦٧	ام خرق (ج٣) ٥٣٧
١٦٦ - ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠	ام الرجوم (موضع) (ج٣) ٧٣ - ٧٤
١٨٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨	ام الرصاص (ج٣) ٤٦
٢١٠ - ٢١١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦	ام القرى (مكة) (مدينة) (ج٩) ٦٥٤
٢٤٨ ، ٦٨٠ ، ٦٨٤ ، ٧٢١	ام النار (موضع) (ج١) ٥٤١
(ج٩) ٩ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٢٩١ ، ٦٥٤	الامانوس (جبال) (ج١) ١٤٤
انحرم (النحر) (موضع) (ج٢) ٤٣٦	امبلونة (مدينة) (ج٢) ٣٠
انديبه (مدينة) (ج٣) ٢٤	(ج٣) ٢١
الاندلس (ج٨) ٩٦ ، ٦٤٤	امج (ج٤) ٢٥٦
انزكرومة (موضع) (ج١) ٦٠٥	(ج٧) ٣٥٣ ، ٣٥٨ - ٣٥٩
انس (جبل) (ج١) ١٩٦	امرة (ج٧) ٣٤٢
(ج٧) ١٧٩	امرم (موضع) (ج١٢) ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٥٠٨
انصاص (وادي) (ج٢) ١٥٧	امريكة (قارة) (ج٦) ٥٣٠
(ج٥) ٤٦٣	(ج٨) ١٤٩ - ١٥٠
انطاكية (مدينة) (ج٢) ٦١٤	املح (وادي) (ج١) ١٨٧
(ج٣) ١٠٩ ، ١٠٣ ، ١٠٩	(ج٢) ٥٤٣
١١٩ ، ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٢٣	امنان (مدينة) (ج٣) ٧٠
٢٥٦ ، ٣٣٦ ، ٤٠٦	امودو (موضع) (ج١) ٢٣٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢
(ج٦) ٦١٣ ، ٦١٦ - ٦٢٧	الاموي (مسجد) (ج١) ٢١٣
٦٣٤ ، ٦٣١	الاموية (دولة) (ج١) ٦٥ ، ٢٥٦
(ج٧) ٧١	٤٧٢ ، ٤٩٨ ، ٥١٧
انطوخية (مدينة) (ج٢) ٦١٩	(ج٩) ٤٦٣ ، ٢٥
انف (مدينة) (ج٢) ٢٨٨ ، ٢٩٠	اميركا (ج١) ٢٩١ ، ٥١٩ - ٥٢٠
٢٩٨ ، ٥٠٣	(ج٦) ٤٩
انقد (ج٧) ٣٤٦	الاناضول (ج٣) ٧٢
انقره (مدينة) (ج٣) ١١٧ ، ٣٧١	الانبار (ج١) ١٢٢ ، ٢٤٩ ، ٣٩٧
٣٦٧ ، ٣٧٢	٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٦٥٧
(ج٤) ٦٧	(ج٢) ٥٧٥ ، ٦١٨ ، ٦٤١
اج٩ ٧٩٨	٦٤٤ ، ٦٥٠ - ٦٥١ ، ٦٥٦
انكسرة ادولة (ج١) ٢١٧ ، ٢٩٠	(ج٣) ١٠٤ ، ١٦١ - ١٦٢
(ج٣) ٣٨	١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧٣ - ١٧٥
انكوباريتيس (موضع) (ج٣) ١٧٤	١٧٧ ، ١٨٠ - ١٨٢ ، ١٨٦
انود (النودم) (حصن) (ج٢) ١٤٢ - ١٤٣	٢٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤
١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ - ١٤٨	(ج٤) ١١٤ ، ٢١٣ ، ٢٣٠
١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٧ - ١٥٨	٢٣٢
٤٨٥	(ج٦) ٨٤
(ج٥) ٢٠٤	(ج٨) ١١٠ - ١١١ ، ١١٨
اهوى (ج٧) ٣٤٤	

٥٢٣ ، ٥٤٦ ، ٥٦٤
 (ج) ٢٢ ، ١٧٤ ، ٦٥٣
 (ج) ١١٧ ، ٢١٤ ، ٤٣٩
 (ج) ١١٩ ، ١٦٩ ، ٢٩٣
 (ج) ٢٢٨
 (ج) ١٠ ، ٣٥ ، ١٢٧ ،
 ٥٩٢ ، ٦٠٣ ، ٧٣٩ ، ٧٤٣
 ٧٦٦
 (ج) ١٢٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ -
 ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٤١٩
 (ج) ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٦٤٤
 (ج) ٧٧٥ ، ٨٤٠ ، ٨٦١
 (ج) ٢٣٠ ، ٢٢٨ ،
 (ج) ١٢ ، ١٢٩
 (ج) ١٦٩
 (ج) ١٦١ ، ٥٦١
 اورون (مدينة) (ج) ٣٢
 اورب (موضع) (ج) ٣٢
 اوسان (مملكة) (ج) ٩٩ ، ١٥٠
 ١٦١ ، ١٨٨ - ١٨٩ ، ١٩١
 ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٨٩
 - ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٧٥ ، ٤٦٩
 ٤٩٨ - ٥٠٥
 (ج) ٤٥٠
 (ج) ٥٥٤
 (ج) ٢٠٣ ، ٢٥٥
 (ج) ١٧٦
 (ج) ٥٤ ، ٦٩ ، ٦٨٦
 الاوساني (ساحل) (ج) ٥٠٢
 اوستراليا (دولة) (ج) ٥٢٠
 (ج) ٢٧ ، ٤٩
 اوسرة (مدينة) (ج) ٣٨٢
 اوسيتس (ج) ٥٩٨
 اوطاس (مدينة) (ج) ٢٥٤
 (ج) ٣٣٨ ، ٣٤٢
 اوغاندا (دولة) (ج) ٣٤٦
 (ج) ٥٤٤
 اوفير (ج) ١٨٠ ، ١٩٢ - ١٩٣ ،

اهور (منطقة) (ج) ٢٩ ، ١٦٤
 اهور (بلاد) (ج) ٦٢٣ ، ٦٢٨ -
 ٦٤٠
 (ج) ٤٨٦ ، ٥٠٠
 اوار (جبل) (ج) ٢٢٧ ، ٢٢٧
 (ج) ٨٣
 (ج) ٢٤٠
 (ج) ٦١٩
 اوال (جزيرة) (ج) ٢١٢
 اوتان (مدينة) (ج) ٣٩٨
 اود (مدينة) (ج) ٥٠٣
 اور (مدينة) (ج) ٥٤٥ ، ٥٥٦ ،
 ٥٥٩ ، ٥٧٠
 (ج) ٢٥٩
 اوراد (جبل) (ج) ٢٠٤
 اورشليم (القدس) (ج) ١٩ ، ٥٣
 ٥٥ ، ١٢٨ ، ٣٠٥ ، ٣٥١ -
 ٤٣٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ،
 ٦٤٢ ، ٦٤٣ - ٦٤٥ ،
 ٦٤٨ ، ٦٥١
 (ج) ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩ ، ٤٣
 (ج) ٢٦ - ٢٧ ، ٣٢ - ٣٣
 ٣٥ - ٣٧ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٥٩
 ٧١ - ٨٤ ، ١٠٨ ، ٥٠١
 (ج) ١٠ ، ١١٦ ، ١٦٢ ،
 ١٧٨
 (ج) ١٠٣
 (ج) ٢٢٨ ، ٥٢٧ ، ٥٤٤ ،
 ٥٥٢ ، ٥٧٣ ، ٧٧٦
 (ج) ٤١٧
 (ج) ٧١٤ ، ٧٢٧
 (ج) ٥٧٤ - ٥٧٥
 اوروب (اورب) (قاره) (ج) ١٧
 ٢٨ ، ١٢٥ ، ١٢٧ - ١٢٨
 ١٣٠ ، ١٤٦ ، ٢٢٨ - ٢٣٩
 ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
 ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ، ٣٨٧ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٥٣١ ،

- ٤٣٠ ، ٦٣٧ - ٦٤١
 اوم (اوم) (مدينة) (ج ٢) ٢٦٤ -
 ٢٦٥ ، ٤٥٧ - ٤٦١ ، ٤٦٣
 ٤٦٥ - ٤٦٧ ، ٤٩١ ، ٥٢٦
 ٥٢٧ - ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٥
 ٥٤٧ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤
 ٥٦٧
 ايتام (برية) (ج ١) ٤٣٦
 ايتريو (موضع) (ج ١) ٦١٧
 الايجي (بحر) (ج ٢) ٧
 ايد (موضع) (ج ٢) ١٨٢
 ١٠ (ج ٦)
 ايدوم (موضع) (ج ١) ٢١٧
 ايدخو (ج ١) ٦١٤
 ايران (دولة) (ج ١) ٢٣٠ ، ٤٩٨ ،
 ٥٤٥ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ ، ٥٥٩
 ٥٦٤
 (ج ٢) ٢٠ ، ٦٢٩ ، ٦٣٣ -
 ٦٣٤ ، ٦٣٦ - ٦٣٩ ، ٦٥١
 (ج ٣) ٢٠ ، ٨١ ، ١٣٤ ، ١٧٤
 ١٩٧ ، ٣٤١
 (ج ٤) ٤٨٥ ، ٦٢٨
 (ج ٥) ٢١٣
 (ج ٦) ٤٦٩ ، ٥٣٧ ، ٦٢٩
 (ج ٧) ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨٤
 (ج ٨) ٧٢١ ، ٧٣١
 ايرمي (موضع) (ج ٧) ٣٣٥
 ايسايتاي (ايسايتيه) (ج ١) ٥٩٨
 ايضم (مدينة) (ج ٢) ٤٣٤
 ايطالية (دولة) (ج ٢) ٦٥٣
 (ج ٢) ٧ ، ٣٦ ، ١٢٧
 (ج ٦) ٤٧
 (ج ٧) ٢٦٧
 ايطورية (مدينة) (ج ١) ٤٤٣
 اينكاروس (جزيرة) (ج ٢) ٧ ، ٣٢
 اينكم (مدينة) (ج ٢) ٢٩٣
 ايلاصباح (مدينة) (ج ٣) ٤٦٩
 ايلة (ايلات) و(ايلوت) (ج ١) ١٤٢ ،
 ١٦٨ ، ٣٠١ ، ٥٨٧ ،
 ٦٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥
 (ج ٢) ٢٠ ، ٢٧ ، ٦٥ ، ٦٠٦
 ٦٤٨ ، ٦٥٧
 (ج ٣) ٤٠ ، ٧١ - ٧٣ ، ١٦١
 ٤٤٢ ، ٥٢٥ - ٥٢٦
 (ج ٤) ١٧٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ،
 ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٤٣١
 ٤٦٢ ، ٤٨٧
 (ج ٦) ٤١٧ ، ٤٧١ ، ٥٠٠ ،
 ٥٣٠ ، حا ٥٩٥ ، ٦٠١ ،
 ٦٩٣
 (ج ٧) ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٨
 - ٣٤٩
 (ج ٨) حا ٢٠٣
 ايلياء (مدينة) (ج ٦) ٤٨٠
 ايم (موضع) (ج ٢) ٤٠٤
 ايمن (تية) (ج ١) ٣٢١
 ايميسنر (مدينة) (ج ٢) ٤١
 ايهي (مدينة) (ج ٣) ١٨٢
 ايهدا كيرة (مدينة) (ج ٣) ١٨٢
 ايوتابا (جزيرة) (ج ٢) ٦٥٤
 (ج ٢) ٢٨٤
 (ج ٤) ١٧٠

- البلاد -

باب المنذب (ج) ١٤٢ ، ١٤٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٤٧٩ ، ٥٣٢ ، ٦٤٣	بابلون (حصن) (ج) ١١٥ (ج) ٢٧٨
(ج) ٢٩ ، ٦٤ ، ١٧٢ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٥٣١ ، ٥٩٧	البابلية (دولة) (ج) ٨٠
(ج) ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠	باجرمي (موضع) (ج) ٦١٥ ، ٦١٧
(ج) ٣٩ ، ١٧٠ ، ١٩٠	باداش (بدش) (ج) ١٦١
(ج) ٤٣٥	(ج) ٤٧٩
(ج) ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ -	بئر علي (بئر) (ج) ١٦١
٢٨١	(ج) ٤٧٩
بابل (ج) ١٨ ، ٥٤ ، ٢٢٩ - ٢٣١	بئر الملك (بئر) (ج) ٧٢٢
٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٣٤٩	بئران (ج) ٤٦٢
- ٤٥١ ، ٣٨١ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩	بارثيا (مدينة) (ج) ٢١
٥٦١ - ٥٦٢ ، ٥٦٨ - ٥٦٩	(ج) ٢٣٦
٥٧٢ ، ٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٥٩١	بارق (قصر) (ج) ١٥٩ ، ٢٤٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣
- ٥٩٢ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ ، ٦٠٦	(ج) ٨٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥
- ٦٠٨ ، ٦١٠ - ٦١٢ ، ٦١٤	(ج) ٣٦٨
- ٦٢٠ ، ٦٢٦ ، ٦٤٥ ، ٦٥٨	(ج) ٣٧٧ ، ٤٤٧ ، ٦٥٥
- ٦٥٩	(ج) ٤٧٥ ، ٥٠٢ ، ٧١٧ ، ٨٢٢
(ج) ١٣ ، ٧ - ١٥ ، ٥٤٠ ، ٦٠٨	باروسما (قرية) (ج) ٢٣١
(ج) ١١ ، ١٧٦ ، ١٧٥	باريس (مدينة) (ج) ٣١٣
(ج) ١٣٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٧	(ج) ٩٦ ، ١٠٠
(ج) ٢١٣	(ج) ٦٥٩
(ج) ٥٢٧ ، ٥٥٩ ، ٧٤٥ -	بازو (ج) ٥٧٩ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ - ٥٩٩
٧٧٦ ، ٧٤١	باسن (مدينة) (ج) ٤٤٠
(ج) ٤٢٣ ، ٥٩٩ ، ٦٠٩ ، ٦٢٣	باشان (مملكة) (ج) ٥٩ - ٦٢
(ج) ١٩٨	باصع (مصوغ) (مدينة) (ج) ٧٦٦
	الباطن (وادي) (ج) ٣٤٤
	الباطنة (ج) ١٧٣

٢٥٢ ، ٢٩٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،
 ٣٤٦ ، ٢٩٦ ، ٤٠٧ ، ٥١٢ ،
 ٥١٧ ، ٥٢٢ - ٥٣٤ ، ٥٣٦ ،
 ٥٣٩ - ٥٤٠ ، ٥٤٥ - ٥٤٦ ،
 ٥٤٨ - ٥٥٣ ، ٥٥٥ - ٥٥٦ ،
 ٥٥٨ ، ٥٦٠ - ٥٦٢ ، ٥٦٤ -
 ٥٦٨ ، ٥٧٠ - ٥٧١ ، ٥٨٣ -
 ٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٥٩٩ ، ٦٠٥ ،
 ٦١٨ ، ٦٢٠ ،
 (٢ج) ٧ ، ١٨ - ١٩ ، ٢٣ ،
 ٣١ ، ٤٠ ، ٦٣٣ - ٦٣٤ ،
 ٦٣٧ - ٦٤٠ ، ٦٤٦ - ٦٤٨ ،
 (٣ج) ١١ ، ١٦٦ - ١٦٧ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٤ - ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ،
 ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٥ ،
 ٤٤١ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ،
 (٤ج) ١٥٧ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ،
 ٢٠٩ - ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
 ٣٧٤ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ،
 ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ -
 ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٤٠ ،
 (٥ج) ١٧٠ ، ١٧٠ ، ٢٨٧ ،
 ٣٢٠ ، ٣٨٤ ، ٤٢٥ ،
 (٦ج) ٦١ ، ١٠٠ ، ٤٨٦ ، ٥٤٢ ،
 ٥٨٧ ، ٦٢١ - ٦٢٢ ، ٦٢٩ ،
 ٦٩٣ - ٦٩٤ ، ٨٢٢ ،
 (٧ج) ٢١ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ١٢١ ،
 ١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ،
 ٣٤٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٤٥٩ ،
 ٥٢٠ ، ٥٣٦ ،
 (٨ج) ٨٥ ، ١٢٨ ، ١٧٩ ، ١٧٩ ،
 ٢٠٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٧ - ٢٩٧ ،
 ٣٦٥ ، ٥٨٨ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠ ،
 ٦٤٤ ، ٦٤٨ - ٦٥٠ ، ٦٦٩ ،
 ٦٨١ ، ٦٨٨ ، ٧٨٢ - ٧٨٣ ،
 (٩ج) ٢٩١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ -

باعجة (٤ج) ٤٧٠ ،
 البلدية (٧ج) ٣٣٥ ،
 بالس (مدينة) (٢ج) ٦٢٣ ،
 بال (١ج) ٣٣٣ ،
 بالميرا (٢ج) ٦٢٥ ،
 (٣ج) ٨٥ ،
 بالميرينا (٣ج) ٢٢٧ ،
 بانقيا (موضع) (٢ج) ٦٥٠ ،
 (٤ج) ٢٣١ ،
 البتراء (بترا) (بطرا) (١ج) ١٦٦ ،
 ٥٨٢ ، ٦٢٧ ، ٦٤٤ -
 (٢ج) ١٦ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٤٣ ،
 ٤٥ ، ٦٥ ، ٧٧ ،
 (٣ج) ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٨ ،
 ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٩ ،
 ٥٣ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ - ٥٩ ،
 ٦٥ ، ٧١ - ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ،
 ٨٩ ، ١٣٦ ، ١٦٦ ،
 (٥ج) ١٦٥ ،
 (٦ج) ٢٣٣ ، ٢٧٥ ، ٣٢٧ ،
 ٤١٣ ، ٤١٥ ،
 (٧ج) ٢٣٦ ، ٢٧٨ ، ٣٥٨ ،
 (٨ج) ١٧٢ ، ١٨١ ، ٥١٨ ،
 بتع (اسد) (٢ج) ٣٢٦ ، ٤٠٨ ،
 بتعة (هضبة) (٨ج) ٥٢ ،
 بتن اردشير (مدينة) (٢ج) ٦٣٣ ،
 بتنى (مدينة) (٢ج) ٦١٩ ،
 بتينية (مدينة) (٣ج) ٩٧ - ٩٨ ،
 ١١٦ - ١١٧ ،
 بثرابوس (موضع) (٣ج) ٢١٥ ،
 بثر (بثر) (٧ج) ١٩٢ ،
 بحر حطيم (معبد) (٢ج) ٤٤٤ ،
 ٤٥٣ ،
 (٨ج) ٦٧٤ ،
 بحرى (موضع) (٧ج) ٥٨ ،
 بحران (موضع) (٤ج) ٢٦٠ ،
 (٧ج) ٣٤٠ ، ٣٦١ ، ٥٢٢ ،
 البحرين (١ج) ١٣١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٣٢ -

- البرج (موضع) (ج ٣) ٤٤١
 برديسو (ج ١) ٥٦٣
 برقة (موضع) (ج ٩) ٥٧٩ ، ٥٢٧
 برقة الائتماد (موضع) (ج ٩) ٨٠٤
 برقة الثور (موضع) (ج ٧) ٣٤٦
 برقة صادر (ج ٤) ٢٥١
 البراك (مدينة) (ج ٣) ٩
 (ج ٤) ١٠٣ ، ٢٦٠
 (ج ٧) ٣٤٦
 بركة ابراهيم (موضع) (ج ٢) ٦٢١
 (ج ٣) ٤٢٦
 برلين (موضع) (ج ١) حا ٦٣
 (ج ٣) ٤٤١ ، ١٩٤
 (ج ٦) حا ١٥
 برم (مدينة) (ج ١) ١٩٤
 (ج ٢) ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٣١ -
 ٢٣٢
 برهوت (وادي) (ج ١) حا ٣١١ -
 ٣١٢
 (ج ٤) ١٩٨
 بروه (مدينة) (ج ٧) ٢٨٠
 بريجازا (ميناء) (ج ٧) ٢٥٧
 بريدة (ج ١) ١٦١
 البريص (ج ٣) ٤٣٧
 (ج ٤) ٥٦٣
 البريطاني (متحف) (ج ١) ١٢٩ ، ٦٥
 ٥٨٣
 (ج ٢) ١٥٢ ، ٥٧٢
 (ج ٣) ١٨ ، ٦٠ ، ٤٦٧
 (ج ٦) حا ٣٦٥
 (ج ٨) ٧٤ ، ٨٤ ، ٢٠٧
 بزاخته (ج ٧) ٣٣٩
 بستان بن عامر (ج ٧) ١٢٥ ، ٣٣٨
 ٣٤١ - ٣٤٣ ، ٣٦٢ ، ٤٤١
 بستان شمار (ج ٤) ١٤٣
 (ج ٨) ١٩٥
 البسفور (مضيق) (ج ٣) ١١٧ ،
 ١٢٤ ، ١٢٧
 بسما (موضع) (ج ٢) ٦٥٠
- ٤٣٠ ، ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٤٦٨
 ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦ - ٥٣٨
 ٦٥٤ - ٦٥٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥
 - ٦٦٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ، ٧٥١
 ٨٠٦
 البحيرة (ج ٥) ٢١٠
 البخراء (مدينة) (ج ٣) ١٣٧ - ١٣٨
 بخوزستان (ج ١) حا ١٨
 بدا (وادي) (ج ١) ١٦٧ - ١٦٨
 (ج ٧) ٣٤٩
 البدائع (موضع) (ج ٢) ٢٥٤
 بذاكو (مدينة) (ج ١) ٦١٤ ، ٦١٧
 بدر (ج ١) ١٦٧
 (ج ٣) ٢٩٤
 (ج ٥) ٦٢٦
 (ج ٧) ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٥٢ - ٣٥٦
 ٣٥٨ - ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ،
 ٤٠٧
 (ج ٨) ٧٩٠
 (ج ٩) ٢٧٨
 البديع (موضع) (ج ١) ٥٤٠ ، ٦١٦
 - ٦١٧
 (ج ٧) ٣٣٤
 بدر (بئر) (ج ٤) ٦٥
 البرابر (جبل) (ج ٨) ١٩٩
 بردا (مدينة) (ج ٣) ٤٣٧
 البردان (موضع) (ج ٣) ٣٢٣ ، ٣٩٣
 (ج ٤) ٧٢
 براقه (جزيرة) (ج ٢) ٦٤
 براقش (حصن) (ج ٢) ٦٣ ، ٧٥ ،
 ٨٣ ، ٥٨ ، ١١٤ ، ١١٦ -
 ٢٠٧ ، ١١٨
 البرام (معدن) (ج ٧) ٥٢٢ ، ٥٢٤
 بران (موضع) (ج ٢) ٣٤٤ ، ٣٤٧ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٦
 (ج ٧) ٣٤٥
 (ج ٨) ٤٨
 البرتغال (دولة) (ج ٧) ٢٨٤

٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ - ٢٢٨
 ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥
 - ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠
 - ٢٩١ ، ٢٩٤ - ٢٩٥ ، ٣٠١
 ٣٠٣ - ٣١٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٤
 ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ - ٣٢٧
 ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٣
 ٥٨٥ ، ٦٠٥ ، ٦٠٥ ، ٧٦٤ ،
 ٨٥٠ ، ٨٦٦ ، ٨٧٤ ، ٨٩٥
 البصري (خرائب) (ج٣) ١٣٧
 بضاعة (بئر) (ج٧) ١٦٣ - ١٩٤
 البضيع (موضع) (ج٩) ٣٣ - ٧٣٤
 البطائح (منطقة) (ج٢) ٦٨
 البطاح (ج٤) ٢٠٦
 البطان (موضع) (ج٣) ٥١٤
 (ج٤) ٢٢٦
 (ج٧) ٣٣٦ ، ٣٤٠
 البطحاء (ج٤) ٦٥ ، ٨١
 (ج٧) ٣٥٤
 بطحان (وادي) (ج٧) ٤٢ ، ١٧٨
 بطرسبورغ (مدينة) (ج٦) حا ٧٠١
 بطمون (معبد) (ج٣) ٤٢
 بعدان (موضع) (ج٩) ٥٧٤
 بعلبك (ج١) ٦٥١
 (ج٣) ٣٧٠
 (ج٦) ٣٠٧ ، ٣٣٠
 بغداد (مدينة) (ج١) حا ١٧٧
 (ج٢) ٦٠٨ ، ٦٥١
 (ج٣) حا ١٥٥ ، ٣٤٤
 (ج٤) ٢٢٦
 (ج٥) حا ٢١٦
 (ج٦) ٥٧٤ ، حا ٥٩٩ ، ٦٤٢
 (ج٨) ٥٢١
 (ج٩) ٥٩ ، حا ١٩٤ ، ٢١٥
 - ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥
 ٤٠٠ ، ٦٧٨ ، حا ٦٢٩ ، حا
 ٦٩٠ ، حا ٧٧٥ ، حا ٨٤٢
 البقار (وادي) (ج٦) ٧١٩
 البقاع (سهل) (ج١) ٤٤٣ - ٤٤٤

يشاق (ج١) ٤٥٦
 البشر (موضع) (ج٢) ٥٣٥ ، ٦٥١
 (ج٣) ٤٧٥
 بصرى (مدينة) (ج١) ٥١
 (ج٢) ٦٩ ، ٦٥ ، ٦٩ - ٧٠
 ٦٥٢ ، ٦٥٣ - ٦٦٢
 (ج٣) ٤٨ ، ٤٩ - ٥٨
 ٦٠ ، ٦٢ - ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١
 ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٩٠
 - ١٩١ ، ٢٤٥ ، ٤٢٥ ، ٤٣٥
 ٤٣٨
 (ج٤) ٣٩ ، ١١٤ ، ١١٧ ،
 ٢٤٢
 (ج٥) ١٨ ، ٣٠٨ ، ٤٢٣
 (ج٦) ٢٢٨ ، ٢٧٥ ، ٣١٦ ،
 ٣٣١ ، ٥٨٨
 (ج٧) ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣٣٣ ،
 ٢٤٨ ، ٤٩٤ - ٤٩٥
 (ج٨) ١٧٦ ، ٣٧٦ ، ٤٠٦ ،
 ٥١٨ - ٥٢٠
 (ج٩) ٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٧٣٨
 البصرة (مدينة) (ج١) ١٦١ ، ١٧٧
 ٤٠٢ ، ٤٤٩ ، ٤٩٥ ، ٦٣٩
 (ج٢) ١٢ ، ٢١
 (ج٣) ٣٢٢ ، ٣٥٣
 (ج٤) ١٥٧ ، ١٦٩ ، ٢١٦ ،
 ٣٢٨ ، ٥٥٧ ، ٥٨٦ ، ٦٨٠
 (ج٥) ٢٩٧ ، ٣٤٨
 (ج٦) ٦٢٢ ، ٧١٦
 (ج٧) ٢٥٤ - ٢٥٥
 ٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٢٢٤ ، ٣٤١
 - ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٦٢ ، ٤٤١
 (ج٨) ١٢٩ ، ١٨٨ ، ٢٨٩ ،
 ٣٥٢ ، ٣٧٩ ، ٥٥٧ ، ٥٧٤
 ٥٨٦ - ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٦٦٦
 ٦٦٩ ، ٦٨٧ - ٦٩٠ ، ٧٣٧
 (ج٩) ٦ - ٨ ، ١٠ ، ٣٠ ،
 ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ - ٤٢
 ٤٧ - ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٢١١

- البليخ (موضع) (ج ٩) ٨٨٠
 بمبا (ج ٢) ٥٠٢
 بمنهج (وادي) (ج ٣) ٤٩٥
 بنات حرب (مدينة) (ج ٧) ٣٦١ -
 ٥١٢ ، ٣٦٣
 بنبان (وادي) (ج ٧) ٣٣٤
 بنو قينقاع (سوق) (ج ٧) ٣٧١ ،
 ٣٧٦
 بهراء (ج ٣) ٤٤٣
 (ج ٤) ٢٣٢
 البوا (ماء) (ج ٤) ١٣٢
 بواط (موضع) (ج ٤) ٢٦١
 (ج ٧) ٣٥٢
 بورما (دولة) (ج ٥) ٥٤٤
 بوز (ج ١) ٢٢٥ ، ٥٨١
 بوسان (مدينة) (ج ٢) ٤٣٣
 بوسيدون (مدينة) (ج ٣) ٥٤
 بولان (موقع) (ج ٨) ١٥٨ ، ١٦٠ ،
 ١٨٦
 البويرة (موضع) (ج ٦) ٥٢٣
 بيار جحار (موضع) (ج ٣) ١٣٦
 البيت الحرام (موضع) (ج ٢) ٥١٦
 ٥٦٩
 (ج ٤) ١٦ ، ١٧ -
 (ج ٦) ٤١٣
 (ج ٧) ٣٠٠
 بيت حور (مدينة) (ج ٦) ٢٣٨
 بيت غفر (موضع) (ج ٨) ٣٩
 بيحان (منطقة وادي) (ج ١) ٣٤٨
 (ج ٢) ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
 ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،
 ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ،
 (ج ٥) ١٢ - ١٣ ، ٢٠ ، ٤٦٣ ،
 (ج ٧) ٢١٢ ، ٣٦٤ ، ٥٥٦ ،
 ٥٦٥
 (ج ٨) ٤٢٠
 بيروت (مدينة) (ج ١) ١٨ ، ٣٠٧ ،
 ٨٠ ، ٢٠٨ ، ٣٠٧ ،
 ٦٢٣ (ج ٢)
 (ج ٢) ١٥ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ١١١
 البقباد (مدينة) (ج ٢) ٦٥٠
 بقبش (قرية) (ج ٤) ١٢٥
 بقعة (موضع) (ج ٣) ١٨١ ، ٢٤٨ ،
 ٣٦٣
 بقت (مدينة) (ج ٢) ٢٩٥
 البقع (بئر) (ج ٧) ١٩٤ ، ٣٥٤
 البقعة (مدينة) (ج ٧) ٣٣٢
 بقيق الخبيجة (موضع) (ج ٧) ٤٢
 بقيق الخضعات (موضع) (ج ٧) ٤٢
 بقيق الخيل (موضع) (ج ٧) ٤٢
 بقيق الزبير (موضع) (ج ٧) ٤٢
 بقيق الفرقد (موضع) (ج ٧) ٤٢
 بكبك (مدينة) (ج ٢) ١١٩
 بكلم (بكيل) (ج ٢) ٣٤٣ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٢ - ٣٥٣
 (ج ٤) ٤٦٠
 بلبانا (ج ١) ١٧٦
 بلحاف (ج ٢) ١٦١
 بلحة (موضع) (ج ٧) ٣٦٣
 بلخج (ج ٦) ٢٦٣
 البلسة (ج ٣) ٤٣٦
 بلق (جبل) (ج ٧) ٢١١
 بلق الاوسط (ج ٧) ٢١١
 بلق القبلي (ج ٧) ٢١١
 البلقاء (اقليم) (ج ٢) ٧٦
 (ج ٢) ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٣٨ ،
 ٤٨٥
 (ج ٤) ١٢٥ ، ٢٤٢ - ٢٤٤
 (ج ٥) ٣٩٨ ، ٤٦٧
 (ج ٦) ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ -
 ٤٧١
 (ج ٧) ٤١٦
 (ج ٨) ٥٢١
 بلقين (مدينة) (ج ٣) ١٧٩
 بلكتة (موضع) (ج ٤) ٢٦٢
 البلوزي (نهر) (ج ٧) ٢٦٧
 بليجرد (جزيرة) (ج ٢) ١٩

حا ٦٨٣ ، حا ٧.٦ ،
 حا ٧٤٩ ، حا ٧٦٧ ، حا
 ٧٧٢ - ٧٧٣ ، حا ٧٨٢
 (ج) حا ٨٥ ، حا ١٤٠ ، حا
 ١٥٠ ، حا ٢٣٤ ، حا ٢٧٠ ، حا
 ٢٨٠ ، حا ٢٩٠ ، حا ٣٣٥ ، حا
 حا ٣٥٥ ، حا ٣٧٢ ، حا ٤٧٣ ،
 ٥٠٩ ، حا ٧٧٧ ، حا ٨٥٨
 البيزنطية (امبراطورية) (ج) ٥٠٧
 (ج) حا ٦٢٦ ، حا ٦٤٧ ، حا ٦٥٢ -
 ٦٥٣ ، حا ٦٥٧ ، حا ٦٥٩
 (ج) حا ٦٧ ، حا ٢٨٤
 (ج) حا ١٦١ - حا ١٦٢ ، حا ١٦٦ -
 حا ١٦٧ ، حا ١٦٩ - حا ١٧٢ ، حا ١٧٦
 (ج) حا ١٩٦ ، حا ١٩٩ ، حا ٤٨٣
 (ج) حا ٦٠٠ ، حا ٦١٢ - حا ٦١٣ ،
 حا ٦٢١ ، حا ٦٢٦ ، حا ٦٢٨ ، حا ٦٣١
 ٦٣٩
 (ج) حا ٢٧٩
 (ج) حا ٧٢٠
 بينتون (ج) حا ١٧
 بيشة (وادي) (ج) حا ١٩٢ ، حا ٢٩٦
 (ج) حا ٥٧ ، حا ٥٤١ ، حا ٥٤٢ -
 ٥٧٦ ، حا ٥٥٠
 (ج) حا ٤٥٣
 (ج) حا ١٩٥ ، حا ٢٥٤
 (ج) حا ١٢٤ ، حا ٣٦١ - حا ٣٦٣ ،
 حا ٥١٢ ، حا ٥٢٢
 (ج) حا ٥٧
 بيشون (ج) حا ١٦١
 البيضاء (مدينة) (ج) حا ٢٧ ، حا ٥٣ -
 ٥٤
 (ج) حا ٣٤٦
 (ج) حا ٣٤٩
 بينونة (ج) حا ١٧١
 (ج) حا ٥٧٢
 (ج) حا ٤٨٤ ، حا ٥٣٢
 (ج) حا ٤٨٥

حا ٣٢١ حا ٣٣٥ ، حا ٥٧٤
 حا ٥٧٨ ، حا ٦١١
 (ج) حا ٩٢ حا ١٦٣ ، حا
 حا ١٩٧ ، حا ٢٢٥ ، حا ٦٢٣ ، حا
 ٦٣٤ ، حا ٦٥٠
 (ج) حا ٣٢ حا ٥٩ ، حا
 ٢٢٩ - حا ٢٣١ ، حا ٢٣٣ ، حا
 حا ٢٣٦ ، حا ٢٤٢ ، حا ٢٤٤ -
 حا ٢٤٥ ، حا ٢٤٩ ، حا ٢٥١
 حا ٢٥٥ ، حا ٢٧٠ ، حا ٢٧٥ ، حا
 حا ٢٧٨ ، حا ٢٩٤ ، حا
 حا ٢٩٧ ، حا ٣٥١ ، حا ٣٥٨ ، حا
 حا ٣٦٠ ، حا ٣٦٨ ، حا
 حا ٣٧١ ، حا ٤٢٠ - حا ٤٢١ ، حا
 ٤٢٣ - حا ٤٢٤
 (ج) حا ٤٥ حا ٥٥ ، حا
 حا ٩٤ ، حا ١١١ ، حا ١١٥ ، حا
 حا ١٣٣ ، حا ١٤١ ، حا
 حا ٥١٢ ، حا ٢١٣ ، حا ٢٣٢ ، حا
 حا ٢٣٦ ، حا ٢٦٤ ، حا
 حا ٣٠٧ ، حا ٣٧٢ ، حا ٣٨٦ ، حا
 حا ٤٩١ ، حا ٤٩٥ - حا ٤٩٧
 حا ٦٧٠ ، حا ٦٨٥
 (ج) حا ٩٠ ، حا ١١٤ ، حا
 حا ١٢١ ، حا ١٩٧ ، حا ٣٥٦ ، حا
 حا ٣٦١ ، حا ٥٥٠ ، حا ٥٥٤
 (ج) حا ١٢٧ ، حا ١٢٩ - حا
 حا ١٣٠ ، حا ١٣٦ ، حا ١٤٥ ، حا
 حا ١٤٩ - حا ١٥٠ ، حا ٢٣٠ ، حا
 حا ٢٥١ ، حا ٤٣٠ ، حا ٤٥١
 - حا ٤٥٢ ، حا ٤٧٩ - حا ٤٨٠ ، حا
 حا ٤٨٤ ، حا ٤٨٦ ، حا ٤٨٨
 حا ٥٠٢ ، حا ٥٠٥ ، حا ٥١٧
 حا ٥١٩ ، حا ٥٧٢ - حا ٥٧٤ ، حا
 حا ٥٨٦ ، حا ٦٢٥ ، حا
 حا ٦٣٨ ، حا ٦٤٥ ، حا ٦٤٧ ، حا
 حا ٦٤٩ ، حا ٦٥٤ ، حا ٦٩١
 (ج) حا ٣٧١ - حا ٣٧٢
 (ج) حا ٢٧٦ ، حا ٢٨٥

- التاء -

ناد (ج) ٢٠٦	ناد (ج) ٢٠٦
ناران (جزيرة) (ج) ١٧٠ ، ١٧٤	ناران (جزيرة) (ج) ١٧٠ ، ١٧٤
ناروت (جزيرة) (ج) ١٧٥ - ١٧٦	ناروت (جزيرة) (ج) ١٧٥ - ١٧٦
نالتق (موضع) (ج) ٢٠٦	نالتق (موضع) (ج) ٢٠٦
نالتق (موضع) (ج) ٤١١	نالتق (موضع) (ج) ٤١١
ناتمار (موضع) (ج) ٧٧ - ٧٨	ناتمار (موضع) (ج) ٧٧ - ٧٨
ناتمار (ج) ٧٠٨ ، ٧٢٣	ناتمار (ج) ٧٠٨ ، ٧٢٣
نباكوس (مدينة) (ج) ١٥	نباكوس (مدينة) (ج) ١٥
نباله (موضع) (ج) ٥١	نباله (موضع) (ج) ٥١
نباله (ج) ١٨٦	نباله (ج) ١٨٦
نباله (ج) ١٧٦ ، ٣٦١ - ٣٦٤	نباله (ج) ١٧٦ ، ٣٦١ - ٣٦٤
نباله (ج) ٥٣٩	نباله (ج) ٥٣٩
نالتب (هضبة) (ج) ٤٩٩	نالتب (هضبة) (ج) ٤٩٩
نالتب (ج) ٥٣٤ ، ٥٧٦	نالتب (ج) ٥٣٤ ، ٥٧٦
نالتب (وادي) (ج) ١٦٦	نالتب (وادي) (ج) ١٦٦
ناتيرم (موضع) (ج) ٢٩٠	ناتيرم (موضع) (ج) ٢٩٠
ناتيرمانه (جزيرة) (ج) ١٦٩	ناتيرمانه (جزيرة) (ج) ١٦٩
ناتير (وادي) (ج) ١٧٢	ناتير (وادي) (ج) ١٧٢
ناتير (منطقة) (ج) ٢٩٠ - ٢٩١	ناتير (منطقة) (ج) ٢٩٠ - ٢٩١
ناتير (ج) ٢٩٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢	ناتير (ج) ٢٩٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢
ناتير (منطقة) (ج) ١٦٧ ، ١٢٣	ناتير (منطقة) (ج) ١٦٧ ، ١٢٣
ناتير (ج) ١٦٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣	ناتير (ج) ١٦٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣
ناتير (ج) ٤٥٤ ، ٦٣٨	ناتير (ج) ٤٥٤ ، ٦٣٨
ناتير (ج) ٢٨	ناتير (ج) ٢٨
ناتير (ج) ٥٧	ناتير (ج) ٥٧
ناتير (ج) ٢٤٤ ، ١٨٦ ، ١٨٠ ، ٤١	ناتير (ج) ٢٤٤ ، ١٨٦ ، ١٨٠ ، ٤١
ناتير (ج) ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١	ناتير (ج) ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١
ناتير (ج) ٢٥٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ - ٤٣١	ناتير (ج) ٢٥٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ - ٤٣١
ناتير (ج) ٦٠٠ ، ٦٠١ - ٦٠١	ناتير (ج) ٦٠٠ ، ٦٠١ - ٦٠١
ناتير (ج) ٧٣ ، ٢٤٨	ناتير (ج) ٧٣ ، ٢٤٨
ناتير (ج) ١٢٥ ، ٣٧٨	ناتير (ج) ١٢٥ ، ٣٧٨
ناتير (وادي) (ج) ١٧٠ - ١٧١	ناتير (وادي) (ج) ١٧٠ - ١٧١
ناتير (ج) ١٩٢	ناتير (ج) ١٩٢
ناتير (ج) ٥٠	ناتير (ج) ٥٠
ناتير (ج) ٣٦٤	ناتير (ج) ٣٦٤
ناتير (موضع) (ج) ٢٩٦	ناتير (موضع) (ج) ٢٩٦
ناتير (بحر) (ج) ١٤٠ ، ٥٥٤	ناتير (بحر) (ج) ١٤٠ ، ٥٥٤
ناتير (جبل) (ج) ٣٥٠	ناتير (جبل) (ج) ٣٥٠
ناتير (موضع) (ج) ٤٦٢	ناتير (موضع) (ج) ٤٦٢
ناتير (مملكة) (ج) ١٣٢ ، ١٦٥ ، ٢٤٩	ناتير (مملكة) (ج) ١٣٢ ، ١٦٥ ، ٢٤٩
ناتير (ج) ٢٢٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧	ناتير (ج) ٢٢٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧
ناتير (ج) ٤١٠ ، ٤٢٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣	ناتير (ج) ٤١٠ ، ٤٢٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣
ناتير (ج) ٦٦٠	ناتير (ج) ٦٦٠
ناتير (ج) ٢٨ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٥٣٤	ناتير (ج) ٢٨ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٥٣٤
ناتير (ج) ٦٠٥ ، ٦٠٩ - ٦١١ ، ٦٢٢	ناتير (ج) ٦٠٥ ، ٦٠٩ - ٦١١ ، ٦٢٢
ناتير (ج) ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٣٠ ، ٦٣٤	ناتير (ج) ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٣٠ ، ٦٣٤
ناتير (ج) ٦٣٥ -	ناتير (ج) ٦٣٥ -
ناتير (ج) ١٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٦	ناتير (ج) ١٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٦
ناتير (ج) ١٠٣ ، ١٠٧ - ١١١ ، ١١٢	ناتير (ج) ١٠٣ ، ١٠٧ - ١١١ ، ١١٢
ناتير (ج) ١١٥ ، ١١٦ - ١١٨ ، ١٢٠	ناتير (ج) ١١٥ ، ١١٦ - ١١٨ ، ١٢٠
ناتير (ج) ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٤	ناتير (ج) ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٤
ناتير (ج) ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦	ناتير (ج) ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦
ناتير (ج) ١٧٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٤٠٨	ناتير (ج) ١٧٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٤٠٨
ناتير (ج) ٤١٣ ، ٤٢٦	ناتير (ج) ٤١٣ ، ٤٢٦
ناتير (ج) ٢٣٩ ، ٤٦٣ ، ٦١٦ ، ٦٧٥	ناتير (ج) ٢٣٩ ، ٤٦٣ ، ٦١٦ ، ٦٧٥

- ٦٣٢ - ٦٣١ (ج٦)
٥٦٩ (ج٩)
تل الاشعري (مدينة) (ج٣) ٦٥
تلخونو (مدينة) (ج١) ٥٩٠ - ٥٩١
تلعة (موضع) (ج٧) ٣٣٥
تلقم (مدينة) (ج٨) ٣٩ - ٤٠
تلعون (منطقة) (ج١) ٥٦١ ، ٥٦٥ ،
٥٦٨ ، ٥٦٩
١٩ (ج٢)
تلتن (موضع) (ج٢) ٢٩٤
تمس (موضع) (ج٢) ٢٩٤
تمنع (مدينة) (ج٢) ٣١ ، ١٥٠ ،
١٧٦ - ١٧٧ ، ١٨٣ - ١٨٦
١٩٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢١٣
٢٢٩ - ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٧ -
٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٩٤ ، ٤٦٩ -
٤٧٠ ، ٥١٧
(ج٥) ٢٧٥ ، ٤٧٣ ، ٤٧٦ ،
٥٨٢ ، ٦٢٤ - ٦٢٥
(ج٧) ٢٣١
(ج٨) ١٢ ، ٤٧ ، ٥٦ - ٥٧
٦٦ - ٦٧ ، ٧٦ ، ٨١
تمنه (مدينة) (ج١) ١٣٣ ، ٥٩٠
(ج٢) ٥٠٦
تمولي (مقابر) (ج٥) ١٧٠
تنجانيقا (ج١) ٥٣٢
(ج٣) ٤٥٣
نداحة (وادي) (ج٢) ٢٧١
تنع (قلعة) (ج٢) ٣٣٩ ، ٤٦٦
(ج٤) ٤٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢
(ج٧) ٣٥٨
تنعة (مدينة) (ج٩) ٢٨٦
التهائم (موضع) (ج٢) ٥٧٤ ، ٥٨٠
تهامة (منطقة) تهمت - تهتم (ج١)
١٦٧ ، ١٧٠ - ١٧١ ،
١٨١ - ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٠
٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٨٠
٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٤٥٨
(ج٢) ٥٧ ، ١٧١ ، ٥٤١ -
(ج٥) ١٥٦ ، ١٨٩ ، ٢١٩ ،
٢٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩٥
(ج٦) ٥٥ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ،
٢٣٧ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ - ٣٠٧ ،
٣١٠ - ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٢٤
٣٢٦ ، ٣٢٩ - ٣٣١ ، ٤٠٨
٦٨٥ ، ٧٠٨ ، ٧٢٣
(ج٧) ٢٧٨ ، ٣٢٢
(ج٨) ٢٠٠ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ،
٢٤٧
تراقية (موضع) (ج٣) ١٢٤
(ج٦) ٢١
تربان (موضع) (ج٧) ٣٥٤
تربن الترب (موضع) (ج٣) ٤٩٥ -
٤٩٨
(ج٤) ٢٥٤
(ج٧) ١٧٦ ، ٣٦٢ - ٣٦٣
ترساي (مدينة) (ج٦) ٥٩٧
ترعة (مدينة) (ج٢) ٣٥٨
تركستان (مقاطعة) (ج٩) ٣٧٩
تركستان الصينية (ج٤) ١٦٤
تركية (ج٧) ١٠٩
تروق (مدينة) (ج٦) حا ٢٧١
تريم (موضع) (ج٢) ١٦٤ ، ٥٦٦
(ج٤) ١٩٨
تسلال (ج٦) ٤٣٧
تعمران (مدينة) (ج٢) ٤٣٤
تعز (مدينة) (ج٨) ٢٨ ، ٤٨ - ٥٠
تعزية (مناطق) (ج٣) ٤٥٠
تعشار (مدينة) (ج٧) ٢٣٥
تفلمين (موضع) (ج٤) ٢٣٦
تفلد (موضع) (ج٢) ٥٠٣
تفشن (ماء) (ج٢) ٢٩٦
تفض (مدينة) (ج٢) ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٢٩٨
(ج٣) ٤٧٩
التقه (مدينة) (ج١) ٥٩٠
تكريت (جزيرة) (ج٤) ٤٧٠ ، ٤٧٢
٤٧٤ ، ٤٩١

تيت (جبل) (ج ٧) ٢٣٩	٥٨٤ ، ٥٧٢ - ٥٧١ ، ٥٤٢
تير (مدينة) (ج ٢) ١٤	٥٨٩ ، ٥٨٧ - ٥٨٥ -
(ج ٧) ١٥٠	(ج ٣) ١٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٣٢ ،
تيران (جزيرة) (ج ٢) ٦٥٦	٢٤٧ ، ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٣٦٨
(ج ٢) ٤٨٥	٤٨٤ ، ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ٥١٦
(ج ٤) ١٧٠	٥١٨
تيروس (مدينة) (ج ٢) ١٩	(ج ٤) ١٥ ، ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥
تيلوس (جزيرة) (ج ١) ٥٦٠	١٢٩ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٩٥
(ج ٢) ٧ ، ١٦ - ١٧ ، ١٩	٢٢٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ - ٢٦٨
(ج ٧) ٢٥٧	ح ٢٢٢ ، ٣٠٣ ، ٢٨١
تيماء (ج ١) ١٢٢ ، ١٥٢ ، ٢٩٥ ،	٤٢٨ ، ٤٤٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ،
٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٤٦	٤٨٤ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥
٤٤٢ - ٤٤٣ ، ٥٨١ ، ٥٨٦	٥٠٧
٥٩٦ ، ٦١٠ - ٦١٦ ، ٦١٨	(ج ٥) ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ٣٥٠
(ج ٢) ١٥ ، ٢٤٩	(ج ٦) ٧٩ ، ٩٦ - ٩٧ ، ٢٣٦
(ج ٣) ١٠٦ ، ١٥٠ ، ٣٦٧	٢٥٤ ، ح ٢٥٩ ، ٢٧٤ ،
٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧	٢٨١ ، ٧٦٩
(ج ٤) ١٢٩ - ١٣٠ ، ١٣٦ ،	(ج ٧) ٨٥ - ٨٨ ، ١٤٨ ،
٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٤٢٣	٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ،
(ج ٥) ١٧ ، ٤٥١	٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٥ ، ٤٦٧ ،
(ج ٦) ٧٢ ، ٣١٢ ، ٥١٣ ،	٥٣٩
٥١٦ - ٥١٧ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥	(ج ٨) ١٣٣ ، ٥٩٠ ، ٦٢٤ -
٥٢٧ - ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٥٢	٦٢٥ ، ٦٩٠
٥٥٨ - ٥٥٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠	(ج ٩) ١١٢ ، ٢٤٢ ، ٤٣٠ ،
٥٧٨ - ٥٧٩	٤٣٣ - ٤٣٤ ، ٦١٧ ، ٦٣٤ ،
(ج ٧) ٧٠	٧٤٦ ، ٨٠٦
(ج ٨) ١١٥ ، ١٧٤ ، ٢٧١ ،	تهرجب (موضع) (ج ٢) ٣٠١
٢٧٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨	توج (موضع) (ج ٢) ٦٣٩
(ج ٩) ٧٧٢ - ٧٧٤ ، ٧٨٢	(ج ٤) ١٩٧ ، ٤٨٦
التيه (موضع) (ج ١) ١٦٨ ، ح ٣٠٤	توز (جبل) (ج ٧) ٣٠٤ ، ٢٣٧
تيوس (مدينة) (ج ٢) ٢٩٧	توما (خربة) (ج ١) ٦١٢
	تياس (ج ٧) ٣٣٥ ، ٥١٤
	تيبور (مدينة) (ج ٣) ١٢٧

— الثاء —

ثمر (لمار) (بئر) (ج ٢) ٦٦	ثات (مدينة) (ج ٢) ٥٥٧
الثنية (موضع) (ج ٧) ٣٤٤ ، ٢٨٠	ثاج (خرائب) (ج ٨) ٢٠٥
ثنية الاحيسى (موضع) (ج ٧) ٢٤٤	ثار (وادي) (ج ٢) ٥٤٣
ثنية جلق (موضع) (ج ٣) ٤٣٧	ثاسوس (منطقة) (ج ٢) ١٤
الثنية العقاء (موضع) (ج ٧) ٢٤٤	ثافت (قرية) (ج ٧) ٧٤
ثنية العقاب (موضع) (ج ٧) ٣٥٦	ثبير (مدينة) (ج ٢) ١٥٤
ثنية الفائز (موضع) (ج ٧) ٣٥٣	(ج ٤) ٧٥ ، ٢٨١
ثنية غزال (موضع) (ج ٧) ٣٥٦	(ج ٦) ٢٨٦ — ٢٨٧ ، ٤٠٤ —
ثنية المرة (موضع) (ج ٧) ٢٦٨ ،	٤٠٥
٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٥١٤	الثجة (موضع) (ج ٧) ٣٦٢ ، ٣٤٥
ثنية الوداع (موضع) (ج ٤) ٦٨٣	٣٦٣ —
(ج ٧) ٢٤٩	ثربسة (مدينة) (ج ٣) ٣٢
ثنين (جبل) (ج ٢) ٣٣١	الثرفار (وادي) (ج ٢) ٦٠٦
(ج ٧) ٣٦٠	الثريا (بئر) (ج ٤) ٦٩
ثوبة (حصن) (ج ٢) ١٦٥	(ج ٧) ١٩٢
(ج ٣) ٣٣٩ ، ٣٤٤	الثفن (موضع) (ج ٧) ٣٤٥
(ج ٧) ٢١٣	ثقبان (مدينة) (ج ٢) ١٦٣ ، ٥٣٧
ثومة (مدينة) (ج ٢) ٢٢٤	الثلج (جبل) (ج ٣) ٤٣٨ ، ٤٤٢
	ثمال (ج ٢) ٣٨١

- الجيم -

- ٤٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٢ -
 الجداجد (موضع) (ج٧) ٣٥٣
 جدة (مدينة) (ج١) ١٨٦ ، ٣٩٠ ،
 ٤٢٧
 (ج٤) ٢١٦ ، ٤٦
 (ج٦) ٧٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ،
 ٤٣٤
 (ج٧) ١٢٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ،
 ٣٦٤
 جدرة (مدينة) (ج٢) ٥٢٣
 (ج٣) ٤٥١ ، ٤٥٤ - ٤٥٥
 (ج٧) ٢٤٣
 جدن (مدينة) (ج٢) ٤٠٥ ، ٤٣٩
 جدورا (موضع) (ج١) ٤٤٣
 (ج٢) ٦٢٣
 الجر (موضع) (ج٤) ٥١٠
 جراد (موضع) (ج٧) ٣٤٥
 جراف الطاهر (موضع) (ج٤) ٥٥٧
 جرباء (مدينة) (ج٤) ٢٤٩
 (ج٦) حا ٥٩٥
 (ج٧) ٣٣٤ ، ٣٤٨
 جرت (مملكة) (ج٢) ١٥٠ ، ٢١٦ ،
 ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٧١ ، ٦١٩
 (ج٧) ٣٥٠
 جرجان (موضع) (ج٩) ٧٦٦
 الجرءاء (ج٧) ٣٣٤
 جردن (موضع) (ج٢) ٢٨٩ - ٢٩٠ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٥٠٣
- جانباني (موضع) (ج١) ٥٩٥
 الجابية (موضع) (ج٣) ٤٢٢ ، ٤٤٠
 الجادة (موضع) (ج٧) ٣٥٩
 الجار (ج٧) ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ،
 ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧٦
 جازر (قرية) (ج٣) ٣٤٤
 جاش (ج٧) ٣٦٤
 جاسم (نهر، مدينة) (ج٣) ٤٢٥ ،
 ٤٣٦
 (ج٧) ١٩٤ ، ٣٤٨
 الجاف (ج١) ٥٩٧
 الجب لجب (ج٣) ٢٩٥ - ٢٩٦
 (ج٧) ٢٣٣ - ٢٣٤
 (ج٩) ٥٢٧
 جباً (مدينة) (ج٢) ٥٠٦ - ٥٠٧
 (ج٣) ٤٨٧
 جبابات (ج٣) ٢٩٣ ، ٢٩٥
 جبج (ج٣) ٤٧٥
 جبيل (مدينة) (ج٢) ٦٢٣
 (ج٨) حا ٢٠٥
 جت (ج١) ٦٤٣ - ٦٤٤
 جحاف (جبل) (ج٥) ٢١
 الجحفة (ج١) ٣٤٣ ، ٣٤٦
 (ج٤) ٢٦٥
 (ج٧) ٣٥٩
 (ج٦) ٢٥٣ ، ٧٦٦
 (ج٧) ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠

- جبر الاملاك (موضع) (ج ٢) ٢٢٤ -
 ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٥٧
 (ج ٦) ٥٩٨
 (ج ٧) ١٩١ - ١٩٢
 الجفلات (ج ٤) ٢٦٢
 الجقار (ج ٤) ٢٧٨
 الجلال (طريق) (ج ٧) ٢٤٦
 جلتاني (دير) (ج ٦) ٦٣١
 جلبل (دارة) (ج ١) ١٥٦
 جلدان (موضع) (ج ٨) ٥٢
 جلع (موضع) (ج ٢) ١٦١
 جلعاد (ج ١) ٤١٢ ، ٤٦١
 (ج ٣) ٢٦ - ٢٧ ، ٤٣ ، ٦١
 ٦٧ - ٦٨
 (ج ٨) ٣٩٥
 جلق (بلدة) (ج ٣) ٢٩٩ ، ٤٢٧ -
 ٤٣٨
 الجليل (اقليم) (ج ١) ١٩ ، ٤٤٣ -
 ٤٤٤ ، ٦٥١
 (ج ٢) ٦٢٣
 (ج ٣) ٤٣ ، ٦٥ ، ٧١
 (ج ٩) ٧٢٥
 جمرة العقبة (ج ٦) ٣٨٥ - ٣٨٦ ،
 ٣٩٠
 (ج ٨) ٤٩٩
 الجمش (ج ١) ١٩٦
 (ج ٧) ٥١٩
 الجمع (مدينة) (ج ٧) ٣٣٣
 جناب الهضب (ج ٤) ١٨٦ ، ٢٥٣
 جنب (منطقة) (بئر) (ج ٢) ٥٠ ،
 ٣٩٩
 (ج ٦) ٤٥٨
 (ج ٧) ١٩٤
 (ج ٩) ٤٥٧
 الجنة (ج ١) ١٤ - ١٥ ، ١١٠ ،
 ٢٥٦ ، ٣٠٤ ، ٤٣١
 (ج ٤) ٢٣٤ ، ٢٩٣ ، ٤٣٥
 (ج ٥) ٢٢٤ ، ٣٠٦
 (ج ٦) ٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠
- (ج ٣) ٤٧٥
 جرسو (مدينة) (ج ١) حا ٥٥٧
 جرش (مدينة) (ج ١) ١٧١
 (ج ٣) ٥٨ - ٥٩ ، ٦٦ - ٦٧
 ٧٣
 (ج ٤) ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٨٤
 (ج ٦) ٢١٤ ، ٢٦٠ - ٢٦٢ ،
 ٣٢٧ ، ٤١٤
 (ج ٧) ٧٣ ، ١١٤ ، ٣٦٢ ، ٥٣٧
 ٥٨٧
 الجرعاء (مدينة) (ج ١) ٤٢٥
 (ج ٢) ١٨
 (ج ٣) ٢٨٨
 (ج ٦) ٥٩٨ ، حا ٦٥٢
 (ج ٧) ٤٩٥
 جرف (منطقة) (ج ١) ٤٦٧
 (ج ٤) ١٣٢
 (ج ٧) ١٤٩
 جرمانيقية (ج ٦) ٦٢٦
 جرمقايا (مدينة) (ج ٢) ٦١٧
 جرها جرها (مدينة) (ج ١) ١٧٥ ،
 ٥٦٤
 (ج ٢) ١٤ - ١٨ ، ٣٣
 (ج ٣) ٢٠
 (ج ٧) ٢٧٥ ، ٤٩٥
 جربول (تكنة) (ج ١) ٢٧٦
 الجريز (موضع) (ج ١) ١٦٠
 الجزع (موضع) (ج ٦) ٢٣٦
 (ج ٧) ٥١٣
 جذوان (ج ٢) ٢٩٣
 جزيت (مدينة) (ج ٢) ٢٩٣
 جسداء (ج ٧) ٣٦١ - ٣٦٢
 جش ارم (جبل) (ج ١) ٢٠٦
 الجعافر (ج ٤) ٢٩٠
 جعدة (موضع) (ج ١) ٣٣٩
 (ج ٢) ١٦٢
 الجمرانة (ج ٤) ٤٦
 جعلان (ج ١) ١٧٣
 الديفر (بئر) (ج ٤) ٥٤

- الجوابي (موضع) (ج ٣) ٤٣٦
 جور البعل (موضع) (ج ١) ٦٤٣ - ٦٤٤
 جوعل (مدينة) (ج ٢) ٢٩٣
 الجوف (منطقة) (ج ١) ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٥٢ ، ٣٠٩ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٥٩٧
 (ج ٢) ٥٠ - ٥١ ، ٥٤ ، ٧٤ - ٧٦ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٠٣
 (ج ٣) ٧
 (ج ٤) ٢٥٧ ، ٤٥٥ ، ٤٨٥
 (ج ٥) ١٢
 (ج ٦) ٨٢٠ - ٨٢١
 (ج ٧) ٤١ ، ٣٦٤
 (ج ٨) ٢١٠
 الجولان (منطقة) (ج ٣) ٦٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ - ٤٤١
 (ج ٤) ١٠٦
 (ج ٦) ٧٩٦
 جون هوبكنس (جامعة) (ج ١) ١٣٣
 الجوينية (ج ٧) ٣٦٣
 الجي (ج ٧) ٣٥٩
 جيحون (نهر) (ج ١) ٢٣٠ ، ٢٤٥
 جيروت (موضع) (ج ٢) ١٩٩ - ٢٠٠
 جيروم (مدينة) (ج ٣) ٦٠ ، ٦٧
 جيزان (منطقة) (ج ١) ١٨٧ ، ١٩٤
 (ج ٢) ٣٨٠ ، ٥٤٣ ، ٥٥٦
 الجيزة (منطقة) (ج ٢) ٧٦ ، ٨٠ ، ١٢٠
 (ج ٧) ٢٦٢
 (ج ٨) ٢٠٢
 ٤٩٥ - ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٧٠٣
 ٧٠٧ - ٧٠٩ ، ٧٢٧ ، ٧٣٢
 (ج ٧) ٢٧ ، ٣٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٩ ، ٣١٥ ، ٤٧٤
 (ج ٨) ١٩ ، ٩٧٠ ، ١٣١ ، ٥٣٧ - ٥٣٨ ، ٦٨٧
 (ج ٩) ٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٨٦ ، ٣٦٥ ، ٧٠٢ ، ٧٠٤
 ٧٦١ - ٧٦٢ ، ٨١٢ ، ٨٤٩ ، ٨٥٥
 الجند (سوق) (ج ٧) ٣٧١
 الجندية (جامع) (ج ٨) ٤٩
 جنديسابور (مدينة) (ج ٢) ١٠٣
 (ج ٨) ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٢١
 (ج ٩) ٤٧ - ٤٨
 الجنوبي (بحر) (ج ١) ١٤٠ ، ٥٥٤
 الجنية (ج ٧) ٣٤٨
 جهر وعلان (موضع) (ج ٢) ١٩٤
 جهران (مدينة) (ج ٢) ٣٠٢ ، ٣٩٩ ، ٤٨٣ ، ٥٢٠
 (ج ٧) ٢٠٩ ، ٥٠٧ - ٥٠٨
 جهرة (منطقة) (ج ١) ١٧٦ - ١٧٧
 (ج ٤) ٢١٣
 جهمة (ج ١) ١٨٨
 جهنم (ج ٦) ١٣٥ - ٤٩٨ ، ٦٧٩ - ٦٨٠
 (ج ٧) ٢٤٦
 جو (موضع) (ج ٢) ٢٩٧ ، ٥٧٨
 (ج ٣) ١٧٩
 (ج ٤) ٢١٦
 (ج ٧) ١٠٥ - ٥٣٤
 (ج ٩) ٧٨٦
 الجواء (ج ٣) ٤٣٨

— الحاء —

- حائط حزمان (موضع) (ج ٦) ٧٣
 حائل (موضع) (ج ٨) ٢١١
 الحابسية (ج ٧) ٣٤٦
 الحاجر (ج ٧) ٣٣٧ ، ٣٤٠
 حارب (قصر) (ج ٣) ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٩
 حاز (مدينة) (ج ٢) ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٩١ ، ٤٠٧ — ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩
 (ج ٥) ١٢ ، ١٤
 حاسو (ج ١) ٥٩٩
 حاصور (ج ١) ٣٥١ — ٣٥٢ ، ٦١٠ ، ٦٢٧
 الحاضنة (موضع) (ج ٢) ٢٩٨
 حایل طریق (ج ١) ٢٧٣ ، ٣٢٩
 (ج ٢) ١٥
 (ج ٧) ٣٣٨
 حباب (موضع) (ج ٢) ٢١٨ ، ٢٩٦ ، ٤٠٥
 (ج ٣) ٤٧٥ ، ٤٨٦
 الحبابض حبيبض (سد) (ج ٢) ٢٨٤
 ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٥٦٥ — ٥٦٦
 حباشة (سوق) (ج ٧) ٣٧١ ، ٣٧٥
 حبان (مدينة) (ج ٢) ٢٩٨ ، ٥٠٣ ، ٥١١ — ٥١٢ ، ٥١٧
 حبرى (قرية) (ج ٤) ٢٤٤
 حبرون (مدينة) (ج ١) ٤٥٧ ، ٦٠٤
 (ج ٢) ٩٢
 (ج ٦) ٣٤٨
- الحبشة (ج ١) ٢٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ١٤٩ ، ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٣٨٧ ، ٤٨١ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩
 (ج ٢) ٢٣ ، ٣١ ، ٦٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ — ٢٦٨ ، ٢٧٦ — ٢٧٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩ — ٤٤١ ، ٥٠١ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٩ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٦٤٧ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩
 (ج ٣) ٢٢ ، ١٨٥ ، ٢٢٢ — ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٤٤٩ — ٤٥١ ، ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٤٥٧ — ٤٦٣ ، ٤٦٥ — ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ — ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٩ — ٤٩١ ، ٥٠٣ — ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ — ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٨
 (ج ٤) ١٩ ، ٦٩ — ٧٠ ، ٧٦ ، ٩٩ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ، ٣٧٢ ، ٥٢٣ ، ٥٥٧ ، ٦٥٤
 (ج ٥) ٣١ ، ١٠٩ — ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٥٧ ، ١٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٤٢٦
 (ج ٦) ٥٣ ، ٢٩٦ — ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٦٨ ، ٤٧٦ ، ٥٢٢ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣ ، ٦٠٨ ، ٦١٢

١٢٠ ، ١١٥ ، ٧٦ ، ٦٥ : ٥٨
 ٢٧٨ ، ٢٦٣ ، ٢٤٥ ، ١٢١ —
 — ٥٧٥ ، ٥٤٩ ، ٥٢٧ ، ٢٦٨
 ، ٦٤٧ ، ٦٣٣ ، ٥٩٤ ، ٥٧٦
 ٦٥٨ ، ٦٥٤ — ٦٥٢
 ، ٤٧ ، ١٠ — ٩ ، ٦ (٣ج)
 ١٨٩ ، ١٤٣ ، ٥٧ — ٥٦ ، ٥٠
 ٢٧٧ ، ٢٢٤ — ٢٢٣ ، ١٩١
 ، ٣٦٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢١ ، ٣١٥
 ، ٤٥٣ ، ٤٠٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٤
 ٥٢٧ ، ٥١٢ ، ٤٥٥
 ، ٣٠ ، ١٣ — ١٢ ، ٩ (٤ج)
 ١١٢ ، ٩٣ ، ٦٧ ، ٥٧ ، ٣٨
 ، ١٣٨ ، ١٣٢ ، ١٢٣ ، ١١٧
 ١٥١ ، ١٤٩ ، ١٤٤ ، ١٤٢
 ١٦٣ — ١٦٢ ، ١٥٦ ، ١٥٢ —
 ، ٢٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢١٦ ، ١٧٤
 ٢٧٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦١ ، ٢٥٧
 ٢٩٤ ، ٢٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ —
 ، ٤٢١ ، ٣٤٣ ، ٣٢٢
 ٤٤٤ ، ٤٣٨ ، ٤٣١ — ٤٣٠
 ٤٨٢ ، ٤٦٢ ، ٤٥٠ — ٤٤٩
 ٥١٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠١ ، ٥١٠
 ٥٣٩ ، ٥٣٦ ، ٥١٨ ، ٥١٦ —
 ٦٥٠ ، ٦١٤ ، ٥٥٨ ، ٥٤٠ —
 ٦٧٨ ، ٦٥٦
 ٣١ (٥ج) — ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣١
 ٧٦ ، ٦٥ ، ٥٦ ، ٥٢ ، ٣٢ —
 ١٢٢ ، ١٢٠ ، ١٠٢ — ١٠١
 ، ١٦٩ ، ١٦٧ ، ١٦٤ ، ١٦٠
 ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٦
 ٢٧٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٠٩
 ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٧٥ —
 ٣٠٩ ، ٣٠٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ —
 ، ٣١٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٤٣٢
 ٤٥٦ ، ٤٥٤ — ٤٥٣ ، ٤٥١
 ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٩
 ٥٦٣ ، ٥٧٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠
 (٦ج) ١١ ، ١٣ — ١٤ ، ٣٢

٧٦٥ ، ٦٢٦ ، ٦١٥ ، ٦١٢ —
 ، ٢٤٤ — ٢٤٣ ، ٢٠٢ (٧ج)
 ٢٦٦ ، ٢٦٢ — ٢٥٩ ، ٢٥١
 ٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٤ — ٢٧٢
 ٣٠١ ، ٢٩٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٢ —
 ٣٧٤ ، ٣٦٩ ، ٣٥٠ ، ٣٠٢ —
 ٤٩٥ ، ٤١٠
 ٢١٦ ، ٤٠ ، ٢٣ ، ٢٠ (٨ج)
 ٤٦٠ ، ٥١٨ ، ٥١٥ ، ٢٦٥
 ، ٦٧٠ ، ٦٤٢ ، ٦٣٢ ، ٦٢٠
 ٧٢٧ ، ٧٢١ — ٧٢٠ ، ٦٩٨
 ، ٤٩٥ ، ٤٥٣ ، ١٨٢ (٩ج)
 ٧٦٦ ، ٧٥٣ ، ٥٣٣
 الحبشي (بحر) (ج) ٣٢٤
 الحبل (موضع) (ج) ٢١٧
 (٧ج) ٢٣٥
 حبن (وادي) (ج) ٢٠٨
 حبونت (حبونة) (وادي) (ج) ٥٤٣
 حبونن (موضع) (ج) ٣٦٤
 حبيش (جبل) (ج) ٤٤٩
 الحجاز (ج) ١٢٥ ، ٦٦ ، ٤٤ ، ١٣٠
 ١٤٧ ، ١٣٦ ، ١٣٢ — ١٣٠
 ١٦٧ ، ١٦٣ — ١٦٠ ، ١٤٩
 ١٨٤ ، ١٨٢ — ١٨١ ، ١٦٨ —
 ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٨ — ١٨٧
 ٢١٠ — ٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٤
 ٢٥٢ — ٢٥٠ ، ٢١٨ ، ٢١٥
 ٢٨٩ — ٢٨٨ ، ٢٧٣ — ٢٧٢
 ٣٠٦ — ٣٠٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٤
 ٣٢٨ ، ٣٢٦ — ٣٢٤ ، ٣١٣
 ٣٨٩ ، ٣٥٩ ، ٣٤٦ ، ٣٣٠ —
 ٤٦٠ — ٤٥٧ ، ٤٣٠ — ٤٢٨
 ٥١٣ — ٥١٢ ، ٥٠٤ ، ٤٧٧
 ٥٨٥ ، ٥٨١ ، ٥٧٤ ، ٥٣٢
 ٦١٩ — ٦١٧ ، ٦٠٦ ، ٥٨٧
 ٦٢٦ ، ٦٣٢ — ٦٣١ ، ٦٢٢
 ٦٦١ ، ٦٥٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٤
 ، ٢٩ — ٢٦ ، ١٥ ، ٩ (٢ج)
 ٥٧ ، ٤٨ — ٤٧ ، ٤٣ ، ٣٤

٢٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٥٩ ، ٢٣.
 ٢٢١ ، ٢١١ ، ٢٩٧ ، ٢٨٦
 ٤٤١٩ ، ٤٠٠ ، ٢٩١ ، ٢٣٦
 ٤٤٨٥ ، ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣.
 ٥٥٤ ، ٥١٨ ، ٥٠٦ — ٥٠٥
 ٥٧٥ — ٥٧٤ ، ٥٦٣ ، ٥٥٥ —
 ٥٨٧ — ٥٨٦ ، ٥٨١ — ٥٨.
 ٦٠٣ ، ٥٩٣ — ٥٩٢ ، ٥٩.
 ٦٣٥ — ٦٣٣ ، ٦٢٧ — ٦٢٤
 ٦٤٩ ، ٦٤١ — ٦٤٠ ، ٦٣٧
 ٦٨٢ — ٦٨١ ، ٦٦٩ ، ٦٥٦
 ٧١٠ ، ٧٠٣ ، ٦٩٠ — ٦٨٨
 ٧٢٤ — ٧٢١ ، ٧١٥ ، ٧١٣ —

٧٢٨

٤٣٢ — ٣٠ ، ٢٨ ، ١٧ (٦ج)
 ٢٢١ ، ١١٨ ، ٧٩ ، ٥٧ ، ٤٧
 ٢٣٦ ، ٢٣١ — ٢٣٠ ، ٢٢٨
 ٤٤٣٤ ، ٤٣٢ ، ٤٢٦ ، ٢٨٦
 ٥٥٨ ، ٤٦٨ ، ٤٤٥

حجت (مدينة) ٤٠٧ (٢ج) ، ٤١٥

١٧٩ (٧ج)

الحجر (مدينة) ١٥٩ (ج١) ، ١٧٢

— ٣٢٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ١٧٨

٣٣٩ ، ٣٣٣ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦

٤٣٣ ، ٣٤٠ —

٢٤١ ، ١٣٣ ، ٤٨ (٢ج)

٢٥٤ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤

٤١٠ — ٤٠٩ ، ٣٩٧ — ٣٩٥

٥٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٥٢ ، ٤١٣

٤٥٠ ، ٤٢ — ٤١ ، ٧ (٣ج)

١٥٠ ، ٥٦ — ٥٥

٢٤٦ ، ٢١٦ — ٢١٥ (٤ج)

٢٧٢ ، ٢٥١

٥١٧ (٥ج)

٥١٣ ، ٢٣٢ ، ٨٧ (٦ج)

٧٦٣ ، ٧١٩

— ٣٤٨ ، ٣٣٥ — ٣٣٤ (٧ج)

٣٧٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧١ ، ٣٤٩

٢١٠ ، ١٧٥ (٨ج)

١١٩ ، ٩٤ ، ٨١ ، ٧٢ ، ٣٧

٢٢٨ — ٢٢٧ ، ٢١٢ ، ١٦٥

٢٤٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ — ٢٣١

٢٩٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٦٤

٢٢١ ، ٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٩٤

٣٥٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٢٨

٤٤٢٤ ، ٢٩٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٢

٥٠٨ ، ٤٤٧ ، ٤٣٤ ، ٤٢٩

٥٢٢ ، ٥١٨ — ٥١٥ ، ٥١٣

٥٢٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٢ — ٥٢٥

٥٥٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٣ ، ٥٤١

٥٥٨٧ ، ٥٧٧ ، ٥٧١ ، ٥٦٦

٦٠٦ ، ٥٩٩ ، ٥٩٦ ، ٥٩٠

٦٢٠ ، ٦١٥ ، ٦١١ ، ٦٠٧ —

٧٠٣ ، ٦٩١ ، ٦٥٣ ، ٦٢١ —

٧٩٠ ، ٧٣٤

٤٠٠ ، ٣٨ ، ٢٥ ، ٢١ (٧ج)

٧٤ ، ٦٤ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٤٨

١١٦ ، ٨٦ ، ٨٢ ، ٧٥ —

١٦٤ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥٣

٢١٤ ، ٢٠٦ ، ١٧٧ ، ١٦٧

٢٥٩ ، ٢٣٥ ، ٢٢٢ ، ٢١٦

٢٨٢ ، ٢٧٣ — ٢٧٢ ، ٢٦٠ —

٢٩٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٠ ، ٢٨٥

٣٢٠ ، ٣١٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢

٣٤٩ — ٣٤٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠

٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦١

٤٤٥ ، ٤٣٤ ، ٤٢٢ ، ٣٨١

٤٤٨٧ ، ٤٤٥ ، ٤٦٨ ، ٤٥٥

٥٢٣ — ٥٢٢ ، ٥٠٢ ، ٤٩٥

٥٥٠ ، ٥٤٨ ، ٥٣٨ ، ٥٣٢

٥٩٩ ، ٥٧٨ — ٥٧٧ ، ٥٦٩

٦٣٦ ، ٦٣٣ — ٦٣١ ، ٦٠٧

٧٠٠ ، ٢٢ ، ١٧ ، ٩ (٨ج)

١٣٢ ، ١١٥ ، ٨٤ — ٨٣

١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٣ ، ١٣٤

١٧٠ — ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٦١

١٨٤ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٤

٢١١ — ٢١٠ ، ٢٠٣ ، ١٩٥

- (ج) ٤٣٢ ، ٤٥٦
حجر اليمامة (موضع) (ج) ٥٦٥
حجرين اوادي (ج) ١٢
حجور (ج) ١٧٩ ، ٥١٣
الحجون (ج) ١٠٨ ، ٨١ ، ٥٨
(ج) ١٥ ، ٨٩ ، ٩٤
(ج) ١٧ ، ٣٠٢
الحجيرة امدينة (ج) ٦٥٦
(ج) ١٢ ، ٢٨٥
حد دقل (ج) ٤٢٩
حذية صعدة (ج) ٩٥
حذية الفصن اخرايب (ج) ١٦٢
١٦٤ -
حدثان (معد) (ج) ٣٢١
حدقان (قصر) (ج) ٣٢٤ ، ٣٦٢
٣٩٩ ، ٤١٢ - ٤١٣
حدن (ج) ٥١٧ - ٥١٨
(ج) ٣ ، حا ٤٩٦
(ج) ٢٠٢
حدي (حصن) (ج) ٥١٨ ، ٦٠٨
(ج) ٧ ، ٢٠٩
حدياب (ملكة) (ج) ٥١٤
الحديبية (موضع) (ج) ٣٤ - ٣٥
٥٣٠
(ج) ١٩٨ - ١٩٩
(ج) ٩٢ ، ٩٧ - ٩٨ ، ١٢٩
١٣٥
الحديثة (حديد) (ج) ٣١ ، ٧٠
(ج) ١٧ ، ٣٣٣
الحديثة امدينة (ج) ١٩٥
(ج) ٢٧٨ ، ٤٢٧
(ج) ١٧٩
حديقة (ج) ٣٤٤
خدمت (موضع) (ج) ٤٥١ ،
٤٦.
حراء (ج) ٢٥٧
(ج) ٤٠٤ ، ٤٧٠ ، ٥٠١
٥١٠
(ج) ١٧٩ ، ٣٤٧
- (ج) ٧١٦
حرار (موضع) (ج) ٢٨١
حراز (ج) ٤٠٦
حراس اوادي (ج) ٢٣٥ - ٢٣٩
٢٤٠ : ٤١٧ -
(ج) ١٣٩ ، ٥١٤ ، ٥٣٤
حران امنطقة (ج) ٢٨١ ، ٦١٤
٦١٥ ، ٦١٧ -
(ج) ٢٦٢
(ج) ٩٥ ، ٢١٦ ، ٤١٢
(ج) ٥٢٦
(ج) ١٧١ ، ٧٠١ - ٧٠٢
(ج) ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨١
١٨٦ ، ٢٤٨ ، ٥٢٠ - ٥٢١
٥٣٩
الحرّة (ج) ٢٢٩
(ج) ١٩١
(ج) ١٩٧ ، ٢٤٨ ، ٢٩١ ،
٥١٨
حرّة النار (ج) ٥١٩
حرتو (حرت) (مدينة) (ج) ٢٩٠
٢٩٥ ، ٥٥٥
(ج) ٢٢ - ٢٥
الحرّية (ج) ٦٣٧
حرحان (ج) ٣٥٩
الحرّدة (ج) ٣٦٤
حرض (ج) ١٣٤
(ج) ٣٦٣
حرم بلقيس (ج) ٢٧٢ - ٢٧٣ ،
٣٤٦ ، ٤٨١ ، ٨٨٨
(ج) ٢٨ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٥٣
٧٩
حرمة (مدينة) (ج) ٢٧٢ ، ٢٩٣
٣٧٦ ، ٤٤٢ ، ٤٢٩ - ٤٣٠
الحرمة (موضع) (ج) ٦٥٧
حرمون (جبل) (ج) ٦١
حرور (ج) ٤٨٢
حرون (مدينة) (ج) ٤٠٤ ، ٤٩٠
حريب (موضع) (ج) ٥٤ ، ١٨٥ ،

٢٣٣ (٤ج)
الحضر (موضع) (ج٣) ١٥٦
الحضرة (ج٧) ٢٤٥
حزرموت (منطقة) (ج١) ٢٣ ، ٥٠
١٤٩ ، ١٤١ ، ١٣١ ، ٦٠
١٩٠ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٥٠
٢١٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٩٥
٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠
٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٢
٢١٥ ، ٣٢١ ، ٣٤١ ، ٣٤٧
٢٤٨ ، ٢٤٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٢
٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٥٣٠
٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٢ ، ٦٣٩
٦٤٨
(ج٢) ١٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٤
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣
٨٥ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧
١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٩
١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧١
ح١ ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٦
٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠
٢٦٧ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣٥٧
٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨
٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢
٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧
٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥
٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣
٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩
٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢
٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣
٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥
٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٠
٥٢٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٤٠
٥٤٨ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠
٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨
٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨
٥٨٠ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩
٥٩٨

١٨٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤
٢١٥ ح١ ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
٢٨٣ ، ٣٧١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥
(ج٣) ٤١٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦
(ج٥) ١٢ ، ٢٠
(ج٨) ٤٢٠
الحريضة (موضع) (ج٢) ١٣١
١٢٢ ، ١٦٢ ، ح١ ٢٢٥
(ج٧) ٢١٣
(ج٨) ١٢
حزام (موضع) (ج٢) ٢٩٤
حزم اللماج (قرية) (ج٢) ١١٦ ،
٢١٨
(ج٧) ٢٠٨
الحزن (ج٤) ٢٠٧
(ج٥) ٢٧٠
حزوى (ج١) ٥٩٨
الحزورة (موضع) (ج٥) ٦٢٨ ، ٦٤٧
(ج٦) ٤٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
الحزير (ج٧) ٣٣٥
الحسارة (ج٧) ٣٦٣
حسان (جزيرة) (ج١) ح١ ١٨٧
(ج٧) ٣٣٣
حسان (موضع) (ج٣) ٢٤ ، ٦٦
حسمى (ج١) ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٩
٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٤٥٤ ، ٥٨٢
٦٤٤
(ج٣) ٥٧ ، ٥٠
(ج٤) ١٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥١
(ج٦) ٥٢٩
الحسن (موضع) (ج٧) ٥١٤
حسود (ج٤) ٥٥٤
الحسي (ج٤) ٢٩٠
الحسينية (بئر) (ج١) ١٨٨
حشبون (مدينة) (ج٣) ٦٦ ، ٦٧
حصى (موضع) (ج٢) ٢٢٢
الحصبة (موضع) (ج٢) ٥١
حصن العر (ج٥) ٤٤٩
الحصيد (موضع) (ج٢) ٦٥١

- ٣٤٦
حفنة (حصن) (ج٣) ٢٦٩
الحفيا (ج٤) ٦٨٣
الحفير (ج١) ٦٣٩
٦٤٨ (ج٢)
٤٠٤ ، ٣٢٣ (ج٣)
٣٤٣ ، ٣٤١ ، ١٩٢ (ج٧)
٥١٤
٤١١ (ج٩)
حقاف الرمل (ج٤) ١٨٦
حقة (ج١) ١٨٩
٣٩ ، ١٢ (ج٨)
حقلان (الحقل) (موضع) (ج٢)
٣٦٩
٢٤٩ (ج٧)
حلب (ج١) ٥١ ، ٤٥٦ ، ٥٧٥
٦٢٣ ، ٥٧٠ ، ٤٦٢ (ج٢)
٢٣٣ ، ٢٢٣ ، ٢٧ (ج٣)
٢٤٢ (ج٤)
٥٩٣ ، ٤٦٥ (ج٦)
٤٢٨ (ج٩)
حلبين (حلبان) (ج٣) ٤٩٨ — ٤٩٥
الحلية (مدينة) (ج٣) ١٣٥ ، ١٣٣
الحلة (لواء) (ج٣) ١٣٣
حزروم (مدينة) (ج٢) ٤٦٨ — ٤٦٩
حلوان (مدينة) (ج١) ١٧
٢٤٩ (ج٥)
٤١٠ (ج٦)
حليت (معدن) (ج٧) ٥٢١
٥٢٧ (ج٩)
حليل (جبل) (ج١) ٣٢٩
حما (ج١) ١٨٨
٣٤٥ (ج٧)
حماة (ج١) ٥٧٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٩ —
٦١٠
٦٢٢ ح (ج٢)
٣٧٠ ، ١٤٣ (ج٣)
الحماة (ج١) ١٥٢ ، ١٥٥
حمان (أرض) (ج٢) ٢٨٨ — ٢٨٩ ،
- ٣١٧ ، ١٩٣ ، ١٩٠ (ج٣)
٣٦١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧ ، ٣١٨
٣٧٩ — ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٣٦٧
٤٥٤ — ٤٥٣ ، ٣٨٢ — ٣٨١
٤٨٩ — ٤٨٨ ، ٤٨٦ — ٤٨٤
٥٣٥ ، ٥٢٦ ، ٤٩٥ — ٤٩٤
١٩٣ ، ١٤٤ ، ٢٣ (ج٤)
١٩٦ — ٢٠٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨
٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٣٢٢ ، ٢٩٢
٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٦٥ —
٤٦٦ ، ٥٥٤ ، ٥٢٨
١٨٣ ، ١٧٥ ، ١٤ ، ١٢ (ج٥)
١٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٠٤ ، ٢٧٦
٢٨١ ، ٣٨٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧
٢٨٥ ، ٢٨٠ ، ١٧٦ (ج٦)
٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٤
٣٧٣ ، ٣٥٧ ، ٣٣٣ ، ٣٠٥ —
٣٧٧ ، ٤٠٩ ، ٦٦٩ ، ٦٩١
١١٩ ، ١٤١ — ١٤٢ ، ١٤٨
١٥٢ ، ١٦٩ ، ٢١٣ ، ٢٤٣
٣١٥ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٧
٤٨٧ ، ٤٧٧ ، ٥٤٥ ، ٥٩٣
٥٣ ، ٦٨٦ (ج٨)
١٢٠ ، ٣٨٦ — ٣٨٧ ، ٥٧٢ — ٥٧٥
حزرمي (موضع) (ج٢) ١٦٤
٩٨ (ج٦)
حزرو (موضع) (ج٢) ٢٩٧
حزرم (موضع) (ج٢) ٢١٩
حضور (حضوراء) (موضع) (ج١)
٣٤٨ — ٣٥٠ ، ٣٨١ ، ٤٢٨
١٦١ ، ٤٩٦ (ج٣)
٨٤ (ج٦)
١٧٩ (ج٧)
حزوزي (جبل) (ج٤) ٤١٣
حطين (ج١) ٤٥٣
الحفر (وادي) (ج٥) ٤٥١
١٨١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ —

الحواب (ج ٧) ٥١٣
 الحوائر (ج ١٣) ٢٤٤
 الحواوين (موضع) (ج ٣) ١٣٨ ،
 ٤١٦
 (ج ٤) ٢٣٠
 (ج ٥) ٧٤
 حوالة (كهالة) (موضع) (ج ٢) ٥٢ :
 ٥٧
 الحوراء (مدينة) (ج ١) ١٦١
 (ج ٢) ٢٨ ، ٤٦ ، ٥١
 (ج ٣) ٤٠
 (ج ٦) ٤١٧
 (ج ٧) ٢٧٢ ، ٣٥٦ ، ٥٢٢
 حوران (ج ١) ٥١ ، ١٤٧ ، ٢٤٤ ،
 ٢٩٧ ، ٥٩٧ - ٥٩٨ ، ٦٠٥
 ٦٣١
 (ج ٢) ٥٦٦ ، ٦١٨ ، ٦٥٣
 (ج ٣) ٧ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٦٠ -
 ٦٣ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ٣٧٠ ،
 ٤٤٠ ، ٤٠٢
 (ج ٤) ٦٦٩
 (ج ٦) ٢٥٥ - ٢٧٠ ، ٣٠٠ ،
 ٣١٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٥٨٨
 (ج ٧) ٣٤٨ ، ٤٩٥
 (ج ٨) ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٥
 (ج ٩) ٥٧٨ ، ٦٠٤
 حوريت (جبل) (ج ١) ٢٧
 الحوشي (ج ٧) ٣٣٣
 الحوطة (موضع) (ج ٢) ٤٦٩
 حولان (موضع) (ج ٧) ٢٠٩
 حومل (مدينة) (ج ٢) ٤٣٦
 (ج ٩) ٧٣٣ - ٧٣٤
 حويلة (ج ١) ٣٧٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
 ٤٣٥ - ٤٣٦ ، ٥٥٩ ، ٦٣٨
 ٦٣٩ -
 الحيار (موضع) (ج ٢) ٦٢٣
 (ج ٣) ٢٠٩ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ،
 ٤٠٨
 الحياران (موضع) (ج ٢) ٢٣٢ -

٢٩٨ ، ٥٠٣
 حمدان (ج ٢) ٢٩٠
 حمراء الاسد (ج ٥) ٢٢١ - ٢٣٨
 (ج ٧) ٣٥٧
 (ج ٩) ٧١٧
 حمص (مدينة) (ج ١٢) ٤١ - ٤٢ :
 ٦٠١ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢
 - ٦٢٣
 (ج ٣) ٨٣ ، ٩٥ - ٩٦ ، ٩٩
 - ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ - ١٢٠
 ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٧٠ ، حا
 ٤٦٤
 (ج ٤) ٤٧٢
 (ج ٨) حا ٣٤١ ، ٧٢٧
 (ج ٩) ٥٧٤ ، ٥٧٥ - ٥٧٥
 الحمض (وادي) (ج ١) ١٥٩ - ١٦١
 ١٦٩ ، ١٩٤ ، ٢٤٤
 (ج ٧) ١٧٦ ، ٣٣٣
 حمضة (ج ١) ١٧١ ، ١٩٢
 الحملة (موضع) (ج ١) ٥٢١
 الحميرية (دولة) (ج ١) ٤٨
 (ج ٢) ٥١٨
 الحميمة (مدينة) (ج ٣) ٤٠ ، ٦٣
 حنا (الحناة) (موضع) (ج ٨) ٢٠٥
 حنان (موضع) (ج ٢) ٢٨٤ ، ٤٧٩
 - ٤٨١
 (ج ٧) ٣٥٤
 حنة (دير) (ج ٦) ٥٩٨ - ٥٩٩ ، حا
 ٦٥٥ ، حا ٦٨٦
 الحنكية (ج ١) ٤٥٨
 حنو حابنو (جزيرة) (ج ٢) ٦٥٦
 (ج ٣) ٢٦٣ ، ٣٨٥
 حنيقة (وادي) (ج ١) ١٦٢ ، ١٨٠
 - ١٨٢ ، ٥٩٨
 (ج ٧) ١٧٦
 حنين (ج ٤) ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٥٩ -
 ٢٦٠
 (ج ٩) ٦٥

۲۴۴ - ۲۴۶ ، ۲۵۲ ، ۲۵۷
 ۲۶۷ : ۲۷۷ - ۲۷۹ ، ۲۸۱
 - ۲۸۲ ، ۲۹۱ ، ۳۰۰ ، ۳۰۸
 ۴۱۰ : ۴۱۲ - ۴۱۳ ، ۴۱۵
 ۴۱۷ - ۴۱۸ ، ۴۲۳ ، ۴۲۵
 ۴۴۱ : ۴۴۳ ، ۴۴۷ ، ۴۶۴
 ۴۶۶ : ۴۶۸ ، ۴۹۰ ، ۴۹۴
 ۴۹۸ : ۵۲۲
 (ج) ۱۹ - ۲۰ ، ۳۷ ، ۵۶
 ۸۱ ، ۱۰۲ ، ۱۱۴ - ۱۱۵
 ۱۳۲ : ۱۵۲ ، ۱۶۳ - ۱۶۴
 ۱۷۵ - ۱۷۶ ، ۱۹۱ ، ۱۹۶
 ۲۰۷ : ۲۱۰ ، ۲۱۳ ، ۲۱۵
 ۲۲۰ : ۲۲۳ ، ۲۲۵ - ۲۲۰
 ۲۳۲ - ۲۳۶ ، ۲۳۸ ، ۲۴۳
 ۲۸۰ : ۲۸۳ ، ۲۸۵ - ۲۲۶
 ۳۶۴ ، ۳۷۰ ، ۳۷۹ ، ۴۲۶
 ۴۳۷ - ۴۳۸ ، ۴۵۱ - ۴۵۲
 ۴۶۱ ، ۴۶۳ ، ۴۶۹ ، ۴۸۸
 ۴۹۲ ، ۴۹۹ - ۵۰۲ ، ۵۰۹
 ۵۲۶ - ۵۲۷ ، ۵۳۱ ، ۵۳۹
 - ۵۴۰ ، ۵۶۴ ، ۶۲۸ ، ۶۳۱
 ۶۵۰ ، ۶۵۹ ، ۶۷۰ ، ۶۸۰
 (ج) ۱۰ ، ۱۸ ، ۲۴ ، ۴۰
 ۴۴ ، ۴۶ ، ۵۷ ، ۹۰ ، ۱۰۳
 - ۱۰۷ ، ۱۲۰ ، ۱۷۸ ، ۱۹۱
 ۱۹۹ - ۲۰۱ ، ۲۰۵ ، ۲۰۷
 - ۲۰۸ ، ۲۱۰ ، ۲۱۲ - ۲۱۳
 ۲۲۳ : ۲۲۵ - ۲۲۶ ، ۲۵۶
 ۲۷۲ - ۲۷۳ ، ۲۸۳ ، ۲۸۵
 ۲۸۷ - ۲۹۴ ، ۲۹۶ ، ۳۰۶
 ۳۱۸ ، ۳۲۰ - ۳۲۱ ، ۳۲۴
 - ۳۲۵ ، ۳۲۸ ، ۳۳۰ ، ۳۳۲
 ۳۴۵ ، ۳۵۴ - ۳۵۵ ، ۳۵۷
 - ۳۵۹ ، ۳۸۱ ، ۳۹۲ ، ۴۱۰
 - ۴۱۲ ، ۴۲۷ ، ۴۵۲ - ۴۵۳
 ۴۶۷ ، ۴۸۸ ، ۶۲۸ ، ۶۳۳
 ۶۴۰ ، ۶۴۳
 (ج) ۱۴ ، ۸۴ ، ۱۱۰ ، ۱۲۶

۲۲۳
 حیدرآباد دکن (ج) ۱) ح ۸۳ ، ح
 ۸۶ ، ح ۲۰۷ ، ح ۳۳۶
 (ج) ۳) ح ۵۱۰
 (ج) ۵) ح ۱۵۶
 (ج) ۷) ح ۵۳۵ ، ح ۵۸۷
 (ج) ۸) ح ۱۳۵ ، ح ۳۶۲
 ح ۳۹۲ ، ح ۴۳۵ ، ح ۴۷۱
 ۴۳۵
 (ج) ۹) ح ۳۰۸
 الحیر (موضع) (ج) ۳) ۱۳۷
 الحیرة (ج) ۱) ۶۲ ، ۷۰ ، ۷۳ ، ۷۵
 - ۸۰ ، ۸۶ ، ۸۹ ، ۱۲۲ ،
 ۱۶۵ ، ۲۱۷ ، ۲۶۳ ، ۳۵۲ ،
 ۳۸۶ ، ۳۸۸ ، ۳۹۷ ، ۴۹۲ ،
 ۵۰۸ ، ۵۴۷ - ۵۴۸ ، ۵۷۳ ،
 ۵۷۶ ، ۵۹۸ ، ۶۶۰
 (ج) ۲) ۲۵۵ ، ۵۱۳ ، ۵۳۴ ،
 ۵۳۹ ، ۵۴۹ - ۵۵۰ ، ۵۷۵ ،
 ۵۷۶ - ۵۷۸ ، ۵۹۳ - ۵۹۴
 ۶۰۸ - ۶۰۹ ، ۶۱۶ ، ۶۳۰
 - ۶۳۱ ، ۶۳۴ ، ۶۴۱ ، ۶۴۵
 - ۶۴۶ ، ۶۴۹ - ۶۵۰
 (ج) ۳) ۸۲ ، ۹۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۴
 - ۱۰۵ ، ۱۰۷ ، ۱۳۹ ، ۱۴۹
 ۱۵۵ - ۱۵۹ ، ۱۶۱ - ۱۷۳
 ۱۷۵ - ۱۷۸ ، ۱۸۰ ، ۱۸۲
 ۱۸۴ - ۱۸۶ ، ۱۹۱ - ۱۹۴
 ۱۹۶ - ۱۹۷ ، ۱۹۹ - ۲۰۴
 ۲۰۷ : ۲۰۹ ، ۲۱۲ - ۲۱۳
 ۲۱۶ ، ۲۲۴ ، ۲۲۶ ، ۲۲۹
 - ۲۳۱ ، ۲۳۳ - ۲۳۶ ، ۲۳۴
 - ۲۳۷ ، ۲۴۰ - ۲۴۴ ، ۲۵۰
 ۲۵۴ ، ۲۵۷ - ۲۶۵ ، ۲۶۷
 - ۲۶۹ ، ۲۷۱ - ۲۷۷ ، ۲۸۰
 ۲۸۴ - ۲۹۲ ، ۲۹۹ - ۳۰۶
 ۳۰۸ - ۳۱۰ ، ۳۱۲ - ۳۱۳
 ۳۲۳ - ۳۲۴ ، ۳۲۸ ، ۳۳۰
 ۳۳۳ - ۳۳۵ ، ۳۳۷ - ۳۴۲

- الغاد -

حداج (بئر) (ج ٧) ٧١	الحابور (ج ١) ٣٥ ، ٦٢٠
خذوت (ج ٢) ٤٣٦	(ج ٢) ٦١٦
الخرار (ج ٤) ٢٦٨	(ج ٣) ١٠٤ ، ١٣٩ ، ٢١٦ ،
(ج ٧) ٣٥٢ - ٣٥٣	٢٢١
خراسان (ج ٢) ٥٧٨ ، ٦١٥ ، ٦١٧	(ج ٤) ٤٩٠
- ٦١٨	(ج ٦) ٦٧٩
(ج ٤) ٢٢٤	الخارد (نهر) (ج ١) ٣٢٩
(ج ٩) ٥٤ ، ٢١١ ، ٣٢٢	(ج ٢) ٥٦ ، ٧٦ ، ٤١٤
خربة للسادر (ج ٢) ٢١٨	(ج ٧) ١٧٨
(ج ٧) ٥٢١	خسارف (مخلاف) (ج ٤) ١٨٦ -
الخرج (موضع) (ج ١) ١٨٢	١٨٧
(ج ٧) ٣٤٤ ، ٣٤٦	(ج ٧) ٣٧١
خرجة (ج ١) ٦٠١	خازو (ج ١) ٥٩٤ ، ٥٩٦ - ٥٩٩
خرشيم (ج ٧) ٣٤٦	خان ابو الشامات (موضع) (ج ٣)
خرف احصن (ج ٢) ٨٧	١٣٨
خرقة الصائغ (ج ٧) ٣٣٩	خان التراب (موضع) (ج ٣) ١٣٨
الخروج (ج ٢) ٥٥١	خان عتيبة (موضع) (ج ٣) ١٣٨
الخريبة (مدينة) (ج ١) ١٦٩ ، ٣٢٦	خان المنقورة (خرائب) (ج ٣) ١٣٨
(ج ٢) ٢٨ ، ٩٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤	خان يونس (موضع) (ج ١) ٦٢٣
(ج ٦) ٧٨٤	خائق (موضع) (ج ٤) ٤٧١
(ج ٨) ٤٠ ، ٢١١	(ج ٧) ٢١٢
خازا (جبل) (ج ٣) ٣٥٤	الخانوق (مدينة) (ج ٣) ١٣٢ ،
خربة (ج ٧) ٥١٥ ، ٥٢١	١٨١
خزنة فرعون (هيكل) (ج ٣) ٥٣ -	الخب (موضع) (ج ٢) ٥٤
٥٤	خبش اوادي (ج ٢) ٥٤٣
الخزيمية (مدينة) (ج ٧) ٣٣٧ ،	(ج ٣) ٤٨٦
٣٤٠	خخنهن (بناء) (ج ٢) ٣٠١

- خساف (ج) ١٥٥
خشاخشي (مدينة) (ج) ٣٣٤
خشب (وادي) (ج) ٣٤٩
خشم كمده (ج) ٢٠٧ - ٢٠٨ ،
٦٧٦ - ٦٧٨
الخصص (قرية) (ج) ٤٥٣
٥٢٧ (ج) ٩
خصصتان (موضع) (ج) ٤٣٢ -
٤٣٣ ، ٥٤٩
خصلة (ج) ٥١٣ ، ٥٢١
الخصوص (موضع) (ج) ٣٠٣
الخصوف (ج) ٣٦٣
الخصرمة (ج) ٣٤٠
٣٤٦ ، ٣٤٤ (ج) ٧
خضعة (معبد) (ج) ٤٠٦
خضنم (موضع) (ج) ٢٣٢
الخضيري ، (حصن) (ج) ٢٠٤
الخط (ج) ٥٨٣
(ج) ٦٣٨ - ٦٣٧ ، ٦٣٤ ،
٦٤٠
(ج) ٢٣٧ ، ٢٧٥
خطبس (ج) ٢٠٦
خطينسي (موضع) (ج) ٥٨٣
١٧ (ج) ٢
خفان (ج) ٢٢٣ ، ٢٢٥
خفية (موضع) (ج) ١٨١ - ١٨٣
٣٣٣ (ج) ٧
الخل (مدينة) (ج) ٣٤٦
خلدلي (مملكة) (ج) ٥٩٤
خليدون (خليدون) (مدينة) (ج) ٣
٦ ، ١١٦ - ١١٧ - ٢٢١
(ج) ١٦٢
(ج) ٦٢٥
خليجة (ج) ٣٣٣
الخليفة (تل) (ج) ٦٣٧ - ٦٣٨
خم (بئر) (ج) ٥٤
(ج) ١٩١ - ١٩٢ ، ٣٥٢
الخماسين (موضع) (ج) ١٨٧
الخنافس (ج) ٦٥١
- خندف (مدينة) (ج) ٢٩٤ - ٢٩٥
٦٤٠ ، ٦١٨
(ج) ٤٦٦
(ج) ٢٤٧
الخندمه (مدينة) (ج) ٨
خنفر (مدينة) (ج) ٢٨٦
الخنفرين (ج) ٢١٢
الخنقة (ج) ٤٥٨
حو (موضع) (ج) ٧٠
الخوار (ج) ٣٤٦
خور البرك (موضع) (ج) ١٨٨
خور روري (مدينة) (ج) ١٢
خورة (وادي) (ج) ٢٩١
(ج) ٢٩٧
بالخورنق (قصر) (ج) ٧٧ ، ٢٦٨ ،
٣٨٨ - ٤٩٢
(ج) ٦٤٦ ، ٦٥٩
(ج) ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ،
١٩٨ - ٢٠٤ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ،
٢٢٤ ، ٢٤٦ ، حا - ٢٧٣
٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ،
٣١٣ - ٣٥٦
(ج) ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ -
٢٣٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦٦٥ ،
٦٦٧
(ج) ٢١٢
(ج) ٤٤٧ ، ٥٩٨ ، ٦٥٥
(ج) ٤٧٥ ، ٥٤٠ ، ٦٧٩
٦٨٢ ، ٧٩٧ ، ٨٠٦ ، ٨٣٢
خوزستان (ج) ٦٣٨ ، ٦٤٠
خوكرينا (ج) ٦٠٣
خولان (ج) ٣٦٩
(ج) ٥١ ، ٩٤ ، ١٥٠ ،
٤٠١ - ٤٠٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٨
٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٤ - ٤٦٧
٤٦٨ ، ٥٤٢ ، ٥٥٠ ، ٥٥٥
٥٧٦
(ج) ١٨ ، ٥١٠
(ج) ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٤٤٩ ،
٣٦٩

٥٢٧ - ٥٢٥ ، ٥١٧ - ٥١٦	٤٦٥ ، ٥٤٦
٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٥٤١ ، ٥٢٩	(ج) ١٧٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ،
٨٠٧ ، ٥٩٤ ، ٥٥٩	٥٦٩ ، ٥٢٧
(ج) ٧٠ ، ٥٤ ، ٤١ ، ١٠	٢٦٣ (٨ج)
٢٩٨ ، ٢١٧ ، ١٧٩ ، ١٤٢	الخولة (الخلة) (مدينة) (ج) ١٣٦
٤٨١ ، ٣٧٧	خوبنة (ج) ٦٠١
(ج) ١٧٧ ، ١٢٧ ، ١١٥	الخيال (ج) ٣٦٣
٣٢٦ ، ٣٦٤ ، ٤٠٣ ، ٥١٩	خبير (ج) ١٦٠ ، ١٤٩ ، ٥٢ -
٦٨٠ ، ٥٤٠	١٦١ ، ٤٣٨ ، ٦١٤ ، ٦١٦ -
(ج) ٦٨٧ ، ٦٣٥ ، ١٧٤	٦١٧
٧٨٢ ، ٧٧٢ ، ٧٤٨ ، ٧٤٦	(ج) ٥٢ ،
٨٩١ ، ٨٥٢ ، ٧٩٠ ، ٧٨٨	(ج) ٤٠١ ، ٢٧٧ ، ٧
خيوان (ج) ١٠٢ ، ٩٥ ، ٩٢	(ج) ٢٥٢ ، ١٣٨ ، ١٣٦ ،
(ج) ٥٧٦ ، ٥٤٣ ، ٣٥٤	٢٥٤ ، ٦٤٥ ، ٥٠٨
(ج) ٢٦٤	(ج) ٢٥٨ ، ١١٧ ، ١١٢ ،
(ج) ٣٦٣ - ٣٦٢	٤٥٧ - ٤٥٦ ، ٣٨٢
	(ج) ٥١٤ ، ٤٧٤ ، ٣٤١

- المال -

(ج) ٢٩٠	دائرة الاردن (ج) ٣٣٢ - ٣٣٣
دارا (موضع) (ج) ٢٢١ ، ٢٢٣	دار المجلة (ج) ٥٢
الداروم (قلعة) (ج) ٢٤٤	دار القوارير (ج) ٦٥
دارين (مدينة) (ج) ١٧٦	دار الندوة (ج) ٤٠١
(ج) ٦٤٠	(ج) ٣٢٨ ، ٣٩٠
(ج) ٢١٠ ، ٢٠٥	(ج) ٤٥ ، ٤٧ - ٤٨ ، ٥١
(ج) ٦٢٩	- ٥٢ ، ٥٩ ، ٥٦ ، ٨٧ ،
(ج) ٧٨٣	٦٥٥ ، ١١٨
دان (ج) ٦٤٤	(ج) ٢٣٥ - ٢٣٣ ، ١٦ ،
(ج) ٣٧٨	٢٧٢ ، ٢٥٢ ، ٢٤٨ - ٢٤٧
الدانمارك (ج) ٥٧١	٤٧١ ، ٤٨٠ ، ٥٠٠
دبا (مدينة) (ج) ١٧٤	(ج) ٧٣٤

- (ج ٢) ٤٢٣ دل (مدينة)
 ٥٤٠ (ج ١) الدم
 ١٩ (ج ٢) دله (جريرة)
 ٥٥٧ : ٥٥٢ ، ٥٤٥ (ج ١) دلون
 ٥٦٨ ، ٥٦٤ - ٥٦٢ ، ٥٦٠
 ٦٠٥ ، ٥٨٩ - ٥٨٨ ، ٥٦٩ -
 ٦٢٠
 ١٩ (ج ٢)
 ٥٧ (ج ٢) دماج (وادي)
 ٥٣٩ ، ٥٣٦ (ج ١) الدماج
 ١٤٦ ، ٨٥ ، ١٠ (ج ١) دمشق
 ٣١٣ ، ٣٠٣ ، ٢٩٧ ، ١٦٦
 ٤٤٣ ، ٤٢٠ ، ٣٨٢ ، ٣٢٩
 ٥٧٦ - ٥٧٤ ، ٥٤٩ ، ٤٤٤ -
 ٥٧٨ ، ٥٦٨ ، ٦٠٣ ، ٦٥١
 (ج ٢) ٦٢٣ ، ٨٨ ، ٦٥ ، ٣٤
 - حا ٦٢٤
 (ج ٣) ٢٩ ، ١٥ ، ١٣ ، ٧ -
 ٦١ ، ٤٧ ، ٤٥ - ٤٤ ، ٣١
 ٦٥ ، ٨١ ، ١٣٧ - ١٣٨ ،
 حا ٢٤٥ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ،
 ٤٣٣ ، ٤٣٠ - ٤٢٨ ، ٤٢٠
 ٤٣٦ - ٤٤٠ ، حا ٤٦١ ،
 حا ٤٦٤ - ٤٦٥ ، حا ٤٦٨
 - ٤٦٩ ، حا ٥٠١
 (ج ٤) ٦٢٨ ، ٢٤١
 (ج ٥) ٢٥٤ ، ٢١٢
 (ج ٦) ٣٢٣
 (ج ٧) ٢٧٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ -
 ٤٩٧ ، ٤٩٤ - ٤٩٣ ، ٢٤٨
 حا ٥٦٦ ، ٦٠٤ - ٦٠٦
 (ج ٨) حا ١٤٩ ، ١٥٧ ، حا
 ١٧٢ ، ١٨٢ ، حا ٢٦٥ ، حا
 ٢٨١ ، حا ٢٨٤ ، حا ٣٢٩ ،
 حا ٤٦٤ ، ٧٠٠ ، ٧٠٦ ، ٧٥٠
 (ج ٩) ٢١٦ ، ٢٩١ - ٢٩٢ ،
 ٣٠٩ ، حا ٣١١ ، ٤٢٨ ، حا
 ٤٨٨ ، ٦٤٠ ، ٦٦٥ ، ٨٤٢
 حا ٨٩٠
 (ج ٤) ٢٠٠ - ٢٠١ : ٢٠٣ ،
 ٤٤١
 (ج ٧) ٣٥٤
 دباغ (جبل) (ج ١) ١٥٦
 دبسر (دابر) (قرية) (ج ١٢) ٢٧٥ -
 ٢٧٧
 دبس (موضع) (ج ٢) ٢٩٦
 الديب (ج ٧) ٣٤٦
 دنت دنته (مدينة) (ج ٢) ١٩٨ ،
 ٢٠٠ - ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٨٩
 ٢٩٨ ، ٥٠٣
 دث (دث) (منطقة) (ج ٢) ٢٩٠
 دثينة (ج ٢) ٢٨٩ ، ٢٩٠ - ٢٩١
 (ج ٧) ٣٤٥ ، ٣٤٢
 دجلة (نهر) (ج ١) ١٥٧ ، ٤٣١
 (ج ٢) ١٢ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٦١٥
 - ٦١٧ ، ٦٤٣
 (ج ٣) ١٧٤ - ١٧٥ ، ٤٠٧
 (ج ٤) ٤٧٣ ، ١٦٩
 (ج ٦) ٦٢٨ ، ٧٩
 (ج ٧) ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٢٠٥
 (ج ٩) ٥٤١ ، ٦٧٩ ، ٩٠٧
 الدحرض (ج ٧) ٣٤٦
 دخان (ج ١) ٥٣١
 درب بغراس (موضع) (ج ٤) ٢٤١
 درب الفيل (ج ٥) ٢١
 درجمان (سول) (ج ٢) ٤٣٤ - ٤٣٥
 درداع (ج ٧) ١٩٨
 درعا (الدرعة) (ج ٢) ٦٨
 (ج ٣) ٥٩
 درنا (مدينة) (ج ٩) ٥٧٦
 الدروز (جبل) (ج ٢) ٦١ ، ١٩١
 (ج ٨) ١٧٦ - ١٧٧
 دعان (سد) (ج ٧) ٢١٢
 دعجان (ج ٣) ٤٠٤
 دغف (موضع) (ج ٢) ٢٩٥
 دفاء (وادي) (ج ٢) ٥٥٠ : ٥٥٥
 دقلة (موضع) (ج ١) ٤٢٨ - ٤٢٩
 دلامي (ج ٧) ٣٤٥

(ج) ١٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ .
 ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٢٢١
 ٤٣٧
 (ج) ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
 ٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٤٢٦ :
 ٤٣٠ :
 (ج) ١١٢ ، ٣٠٩
 (ج) ٧٩ ، ١٩٨ ، ٢١٣ .
 ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٩٣ ، ٣١٥
 ٤١٨ ، ٥٧٩ ، ٦٠٠
 (ج) ٣٧١ - ٣٧٣ ، ٣٨٣ ،
 ٣٨٧ ، ٤٧٨
 (ج) ١١١ - ١١٢ ، ١١٥ ،
 ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩
 - ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٠
 ٤٧٨
 (ج) ٧٢٧ - ٧٣٨
 دونم (موضع) (ج) ١٨٧ ، ٢٣٢ ،
 ٢٩٥
 دونه (ج) ٣٠٣
 دياب (موضع) (ج) ٥٠٣ ، ٥١١
 ٥١٧
 ديبون (مدينة) (ج) ٦٧
 ديدان (دكان) (دادانو) (ج) ١٦٩
 ٤٣٠ ، ٤٥٧ ، ٥٨٢ ، ٥٩٦
 ٦١٤ ، ٦١٦ ، ٦٢٤ ، ٦٤٥ ،
 ٦٤٨
 (ج) ٧٦ - ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٧
 ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢١
 ١٢٥ ، ٢٤١ - ٢٤٧ ، ٢٤٩
 ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٦
 ٥٠٩
 (ج) ١٥
 (ج) ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٧٥ ،
 ٤٧٥
 (ج) ٢١٤ - ٣١٥ ، ٣١٩ -
 ٣٢٠ ، ٣٣١ - ٣٣٢
 الديديان (وادي) (ج) ١٦٩
 دير الامور (ج) ٢٣٢

دمهان (ج) ٤١٤
 دمون (مدينة) (ج) ٣٢١ ، ٣٥٩ ،
 ٣٧٤ ، ٣٦١
 دهر (موضع) (ج) ٥٦١
 دهر (موضع) (ج) ٢٨٩ - ٢٩١
 ٢٩٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥١٩
 الدهناء (ج) ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٦١
 ١٧١ ، ٣٠٥ ، ٣٤٨
 (ج) ٥٢٥
 (ج) ١٨٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٦ ، ٥٣٩
 الدو (ج) ٢٠٥
 (ج) ٣٣٥
 اللوامي (ج) ٥٣٠ ، ٥٣٣
 (ج) ٥٧٣
 السواسر (وادي) (ج) ١٥٩ ،
 ١٧٨ - ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٧
 ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣
 (ج) ٢١١ ، ٥٣٥
 (ج) ٦٢٩
 (ج) ١٧٦
 (ج) ٢٠٨ ، ٦٧٨
 دوت (دوات) (مدينة) (ج) ٥٤٣
 دوحة الزيتون (ج) ٣٦٢
 دور كرباتي (مدينة) (ج) ١٣٣
 دورا (مدينة) (ج) ٨١ - ٨٢ ،
 ٨٩ ، ٩٥
 دورس (مدينة) (ج) ٤٦٧
 دورم (موضع) (ج) ٤٢٧
 (ج) ٢٩٣ ، ٥٣٧
 دوس (ارض) (ج) ٤٥٩
 اللوسر (موضع) (ج) ٣٠٣
 دوقه (ج) ٣٦٣
 دومة الجندل (ج) ٣٢٦ ، ٣٧٨ ،
 ٤٤٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٩٠
 - ٥٩٢ ، ٦١٠ - ٦١١ ،
 ٦٢٤
 (ج) ١١٥ ، ٦٥١ ،
 ٦٥٦

دير الكهف (ج ٣) ٧٠	دير ايوب (ج ٣) ٤٠٠
دير اللجة (ج ٣) ٢٨٥	دير بني مريتا (ج ٣) ٣٥٧
(ج ٦) ٥٩٨	دير جبلة (ج ٣) ٤٦٤
دير مار فاثون (ج ٦) ٥٩٨	دير الجماجم (ج ٣) ٣٠٣
دير مر عبدا (ج ٦) ٥٩٨	(ج ٤) ٢٣٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤
دير مرة (ج ٤) ٤٧١	(ج ٦) ٥٩٨
دير النبوة (ج ٣) ٤١٩	دير حالي (ج ٣) ٤٠٠
دير هند (ج ٣) ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٣٣٩	دير حنظلة (ج ٣) ٢٣٦
(ج ٤) ٤٢٧	(ج ٦) ٥٩٨
(ج ٦) ٦٥٥	دير داوود (ج ٣) ٣٩٨
(ج ٩) ٥٨٠	دير الزور (ج ٣) ١٢٢
الدليم (ج ٣) ٥٢٥	دير سغف (ج ٣) ٤١٩
ديلوس (جزيرة) (ج ٢) ٧٦ ، ١٢٠	دير ضخم (ج ٢) ٤١٩
١٢٣ - ١٢٤	دير عبد المسيح (ج ٣) ٢٨٨
(ج ٧) ٢٦٣	دير عطية (ج ٣) ١٢٨
(ج ٨) ٢٠٢	دير علقمة (ج ٦) ٥٩٨
دينور (ج ٢) حا ٥٣٤ ، ٥٣٨ -	دير قرة (ج ٣) ٣٠٣
٥٤٠	(ج ٤) ٢٣٢
ديوم (ج ٣) ٥٩ ، ٦٥	(ج ٦) ٥٩٨

- المال -

ذات حراض (ج ٢) ٤٢ - ٤٠٣	ذفران (ج ٧) ٣٥٤
ذات الحناطي (ج ٤) ٢٥٨	ذا ليان (موضع) (ج ٣) ٢٧٨
(ج ٨) ١١٩	ذات الاساور (ج ٤) ٢٥٨
ذات الخيار (ج ٣) حا ٢٢٩	(ج ٨) ١١٩
ذات الخيم (ج ٤) ٢٠	ذات الاكبراح (ج ٦) ٥٩٨
ذات الرئال (ج ٧) ٣٣٤	ذات انمار (ج ٣) ٤٢٦
ذات السلاسل (ج ٢) ٦٤٩	ذات البين (ج ٢) ٤١١
ذات الشقوق (ج ٣) ٣٥٦	ذات الجيش (ج ٧) ٣٥٤

- ذات عرق (العرق) (ج ١) ، ٢٨١ ، ٦.٧ - ٦.٨
 (ج ٢) ١٦١
 (ج ٦) ٣٥٣
 (ج ٧) ١٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٣ - ٣٤٠
 ذات العشر (ج ٧) ٣٤١ ، ٣٤٣
 ذات غيل (موضع) (ج ٢) ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٣
 ذات القرون (ج ٣) ٢٦١
 ذات ملك وقه (سد) (ج ٢) ٢٩٣
 ذات تكيف (ج ٤) ٤٥
 (ج ٥) ٢٥٠
 الذبا (موضع) (ج ٧) ٢٤٥
 ذبحان ذو قشر (ج ٢) ٢٨٨ ، ٢٩٨
 ذبحة (ج ٢) ١٨٧ - ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٢
 الزبدة (موضع) (ج ٢) ٨٩
 ذبيان (ذبين) (ج ٢) ٢١٩
 ذخر (جبل) (ج ٢) ٥٠٧
 الذرا (ج ٤) ٧٢
 ذروان (بئر) (ج ٤) ١٣٢
 (ج ٧) ١٩٣
 ذغلين (مدينة) (ج ٢) ١٥١
 ذمار (مدينة) (ج ١) ٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٠
 (ج ٢) ٤٣٠ ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥
 (ج ٤) ١٩٨ ، ١٩
 (ج ٧) ٥٠٨ ، ٥١٧
 ذمار (سد) (ج ٢) ٤٨٥ - ٤٨٦
 (ج ٧) ٢٠٩
 ذمران (بلد) (ج ٢) ٩٦
 ذنة (مسيل) (ج ٢) ٢٨١ ، ٤٤٢
 (ج ٥) ٢٠
 ذو الانف (ج ٢) ٢٩٦ - ٢٩٧
 ذو اوثان (ج ٢) ٢٩٦
 ذو جراف (ج ٧) ٣٣٤
 ذو الحليفة (ج ٧) ٣٥٤ ، ٣٥٩
 ذو خشب (ج ٤) ٢٦١
 (ج ٧) ٢٦٢ ، ٢٤٩
 ذو ذبن (ج ٥) ٢٧٦
 ذو رعين (ج ١) ٣٧٠ ، ٥٠٢
 (ج ٤) ١٨٠ ، ٤٠٦
 (ج ٧) ٢١٢ ، ٣٠٤
 ذو ريده (ج ٢) ٤٣٩
 ذو الشرفات (قصر) (ج ٩) ٧٩٧ ، ٨٣٢
 ذو شعر (قصر) (ج ٥) ١٩٦
 ذو شغال (سد) (ج ٧) ٢١٢
 ذو صرواح (ج ٤) ٤١٧
 ذو ضام (غوطه) (ج ٢) ٣٢٢
 ذو طوى (ج ٧) ٣٥٧
 ذو العشيرة (ج ٤) ٢٦٥ - ٢٦٦
 (ج ٧) ٣٥٢
 ذو عهرو (ج ٥) ٢٤٣
 ذو العوسج (ج ٧) ٥٢١
 ذو فائش (ج ٩) ٩٣
 ذو فدهم (ج ٢) ٢٩٦
 ذو فنوتم (ج ٢) ٣٢٢
 ذو قار (ج ٣) ٢٧١ ، ٢٩٣ - ٢٩٧
 (ج ٩) ٦٣
 ذو القارة (ج ٤) ٢٣٧
 ذو قرد (موضع) (ج ٤) ٢٥٤
 ذو القصة (ج ٧) ٣٣٩
 ذو ققمن (ج ٢) ٢٩٣
 ذو كشد (مدينة) (ج ٧) ٣٥٣
 ذو المجاز (ج ٤) ٦٨ ، ١١٢ ، ٣٧٦
 (ج ٦) ٣٥٣ ، ٣٩١
 (ج ٧) ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٥
 (ج ٨) ٤٧٨
 ذو مجر (موضع) (ج ٧) ١٦٢
 ذو المجنة (سوق) (ج ٨) ٤٧٨
 ذو ملح (برج) (ج ٢) ١٣٨
 ذو الهرم (بئر) (ج ٤) ٧٨
 ذيقه ملك (ج ٢) ٢٩٦

— الرء —

رامة (ج) ٢٤٢	رئام (ج) ١٢٠
رانونا (وادي) (ج) ١٩٤	رأب (ج) ٥١٤
الربابي (وادي) (ج) ٦٧٩	رأب (موضع) (ج) ٨٣
ربة (مدينة) (ج) ٦٨ - ٦٩ ، ٧٤	رأب (منطقة) (ج) ١٩٤
الربدة (ج) ٢٨١ - ٢٨٢	رأب (ج) ٢٥٤
رأب (ج) ٢٥٢	رأب (ج) ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٣٥٩
رأب (ج) ١٥٠ ، ٢٣٨ - ٢٣٩	رأب (موضع) (ج) ٥٥
رأب (ج) ٣٤١	الرأبية (سوق) (ج) ٣٧٧
رأب (بحر) (ج) ١٤١	الراح (ج) ٣٣٤
الربع الخالي (ج) ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٨٨ ، ١٨٢ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ٢٤٢ ، ٣٤٣ ، ٥٣٥	راذان (ج) ٤٩٩
رأب (ج) ١٥٨	راذان (ج) ٦٣٦
رأب (مدينة) (ج) ٦٠٩	رأس تفكر (جبل) (ج) ٣٥٠
ريوان (سد) (ج) ٢١٢	رأس تنورة (ج) ٢٠٥
ريبعنان (نهر) (ج) ٥٠٠	رأس الخيمة (ج) ٥٩٨
رتحم (ج) ٢٩٠ - ٢٩١	رأس (ج) ٢٠ ، ٧
رثون (ج) ٣٨٥	رأس (ج) ٢٧٦
الرجلاء (حرة) (ج) ٢٤٨	رأس سليمة (قرية) (ج) ٥٧٤
رجلة (ج) ٥٣٥ ، ٥٣٧	رأس الشقيقة (ج) ٣٦٣
رجلة (ج) ٤٥٣	رأس الشجرة (ج) ١٤٨
رجمت رجمة (مدينة) (ج) ٤٦١	رأس صبر (جبل) (ج) ٣٥٠
رجمت (ج) ٢٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٨٤	رأس عين (ج) ٥٠٥
رجمت (ج) ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٤٤٠ ، ٤٧٥	رأس (ج) ٤٩٠ ، ٤٨٨
الرجيع (ج) ٢٥٥ - ٢٥٦	رأس كاظمة (ج) ٤٤٥
رجيع (ج) ٢٦٨	رأس المناقب (ج) ٣٦٣
	راسو (مدينة) (ج) ٢٤٥
	رافدة (ج) ٣٦٢
	رافو (ج) ٢٠١

الرس (ج ١) ٢٤٧ - ٢٤٩	رحاب (سد) (ج ٢) ٢٨١ - ٢٨٢
٨٤ (ج ٦)	٢٨٤ ، ٣٠٧ - ٣١٢ ، ٣٠٨
الرسن (مدينة) (ج ٢) ٤١ ، ٦٠٥	٣٦٠ ، ٣٣٦
٦٢٢	(ج ٧) ٢١٠ - ٢١١
رشاي (ج ٢) ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٥٠٣	الرجبة (ج ١) ٣٢٩ ، ٥٩٧
رشوة (معبد) (ج ٢) ٢١١	(ج ٢) ٤٢ ، ٥٥ ، ١٥٠ ، ١٩٤
الرشيد (بئر) (ج ٧) ٣٣٧	٢١٦ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤
الرصافة (ج ٢) ٦٠٩	٤٩١ ، ٥٥٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٥
(ج ٣) ١٣٦ ، ٢١٩ ، ٢٥٩ ،	- ٥٦٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨١
٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٢	(ج ٣) ٧٣ ، ١٤٩ ، ١٨٢ -
٤٤٠ ، ٤٦٦	١٨٣ ، ٣٧٩ ، ٤٠٤
(ج ٤) ٤٩٩	(ج ٤) ١٣٩ ، ٢٢٨ ، ٥٣٩
(ج ٥) ١٠٤	(ج ٧) ١٨١ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢
(ج ٦) ٥٩٣ ، ٦٣٣ ، ٦٥٠	رحقان (موضع) (ج ٧) ٣٥٥
(ج ٩) ٣٠٩	الرحمان (وادي) (ج ٤) ١٨٩
رصف (معبد) (ج ٢) ١١٦	(ج ٦) ٨٨
الرضاب (ج ٢) ٦٥١	(ج ٧) ٣٣ ، ٤٧٩
رضوى (ج ٤) ٢٦١ ، ٢٨١	الرحيل (ج ٧) ٣٤٣
(ج ٧) ٣٥٦ ، ٣٥٢	رداع (مدينة) (ج ٢) ١٩٤ ، ٢٩٤ ،
الرضواض (ج ١) ١٩٦	٢٩٧ ، ٤٣٠ ، ٥١٧ ، ٥٢٥
(ج ٧) ٥١٥	(ج ٧) ٢٣٤
رعلان (ج ٣) ٢٥٢	ردم بني جمع (موضع) (ج ٤) ٤٨١
رعوة (ج ١) ٤٤٧	٤٤٠ ، ٤٦٦
رعين (موضع) (ج ٢) ١٣٥ ، ٢٢٢	(ج ٤) ٤٩٩
٥١٧ ، ٥١٩ - ٥٢٠	(ج ٥) ١٠٤
(ج ٥) ٣٠٩	(ج ٦) ٥٩٣ ، ٦٣٣ ، ٦٥٠
(ج ٧) ٥٤٢	(ج ٩) ٢٠٩
رغافة (ج ٧) ٥١٦	ردمان (موضع) (ج ٢) ١٤٩ - ١٥٠
رغوان (موضع) (ج ٢) ٥٤ - ٥٥	١٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٣٧
الرقادي (موضع) (ج ١) ١٨١	٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤
الرقعة (ج ١) ٨٣	٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ - ٤٣٦
(ج ٢) ٢٢١ ، ٢٢٩	٤٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، ٥٢٤
(ج ٩) ٨٨٠	(ج ٣) ٤٨٩
الرقيم (موضع) (ج ٣) ٧٢ - ٧٣	(ج ٤) ٧٤
(ج ٥) ٤٢٨	(ج ٥) ١٢ ، ٥٨٣
ركبة (ج ٧) ٣٤٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤	(ج ٧) ٤٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢
ركبتان (وادي) (ج ٢) ٤٣٨	الرده (ج ٣) ٣٥٢
ركوبة (ج ٧) ٣٥٤	الرديف (ج ١) ٥٣٩
	رزان (وادي) (ج ٧) ١٧٩

- ٣٦٠
روحين (ج) ٤٦٥
روديسيا (بلد) (ج) ٢٤٦
روضة الحارمي (ج) ٧٣ حا ١٢٢
الروماني (ملعب) (ج) ٧٣
الرومانية (الامبراطورية) (ج) ٥٨
٤٥٦
(ج) ٢٨ - ٢٩ ، ٥٨ ، ٢٥٠
(ج) ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٣
٨٧ - ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨
١٠٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠
١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠
١٤٤
(ج) ١٦٦ - ١٦٧
(ج) ١٧٨ ، ٢٩٥ ، ٤٨٣
(ج) ٢٧٠
(ج) ٦٤٤
رومة (بئر) (ج) ١٩٣
رومة (مدينة) (ج) ٢٨ ، ٤٠ -
٤١ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٥٢ ، ٦٠
- ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٥١٥ ،
٦٢٦ - ٦٢٧ ، ٦٥٢
(ج) ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ -
٢٩ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨٦
- ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٠ -
١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٤ - ١١٦
١٢٠ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٢٧
١٣٢ ، ١٣٥ ، ٢٣٧ ، ٥٣٣
(ج) ١٦٤ ، ١٦٩
(ج) ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٣٠٠
(ج) ٢٣٥ ، ٢٧٩
(ج) ٢١٣
(ج) ٣٣٧
الروي (بئر) (ج) ١٩١
الروية (ج) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠
الرويق (موضع) (ج) ٥٣٩
الرياء (موضع) (ج) ٢١٧
(ج) ٦٨
الرياض (ج) ١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٧٣
- ٣٠٦ - ٣٠٥ ، ١٦٨ (ج) ٢٠٦ ،
٦٤٤
(ج) ٥٤
(ج) ٢٢٨ - ٢٥٢
(ج) ١٩١
رمان (ج) ٢١
الرمة (وادي) (ج) ١٦٠ - ١٦١
١٨١ - ١٨٢ ، ٢٤٤
(ج) ٢٢٢ : ٢٤٩
(ج) ١٧٦ : ٢٦٣
رمح (مدينة) (ج) ٤٠٦
رمش (موضع) (ج) ٨٧
رمح (ج) ١٧٩
الرمل (قرية) (ج) ١٢٠ ، ٦٤٠
(ج) ٤٨٥
رملة عالي (ج) ١٥٢
(ج) ٢١٩
الرميلة (ج) ٦٢٨ ، ٦٤٠
(ج) ٤٨٦
رنية (ج) ٣٦١ - ٣٦٢
الرها (منطقة) (ج) ٦٦ ، ٦٠١ :
٦٠٥ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٩
- ٦٢١
(ج) ٩٣ ، ١٠١ ، ١٣٦ ،
٢٢٣ ، ٤٦٥
(ج) ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٦٢٧
- ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٨٦
(ج) ١٢٦ ، ١٣١
الرهاء (موضع) (ج) ٣٧١
رهابنا (مدينة) (ج) ٢٦١ ، ٢٧٨
رهابط (موضع) (ج) ١٦٧ حا
(ج) ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٥٣٥
(ج) ٢٥٧ - ٢٥٨
رهلة جهمين (ج) ٥٣٩
الروي (بئر) (ج) ٥٤
روافة (ج) ١٠
روثان (موضع) (ج) ٣٩٣ - ٣٩٤
الروحاء (ج) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦
٣٥٧ ، ٣٥٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠

٥٨٩ ، ٥٨٨ -
 (ج) ١٩٣ ، ٢١٦ - ٢١٧ ،
 ٢٢٢ - ٢٧٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦ ،
 ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٤٩٤ - ٤٩٥ ،
 ٥٣٢ ، ٥٣٥
 (ج) ٢٧٨
 (ج) ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ١٨٣
 ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢
 ٢٤٤
 (ج) ٢٤٣ ، ٢٧٧ ، ٣٦٣ ،
 ٤٧٧ ، ٤٩١ ، ٣٦٨
 (ج) ٥١٤ ، ٥١٥ - ٦٧٤ ،
 ريدة (ج) ٤٤١
 (ج) ٣٢
 ريسوب (ج) ١٦١
 ريسوت (مدينة) (ج) ٢٧٣ ،
 ٢٨٢
 ريشان (رشن) (مدينة) (ج) ١١٨
 ريع الزلالة (ج) ٢١٠ - ٢١١
 ريع المنهوت (ج) ٥٧٦
 ريعان (سد) (ج) ٢١٢
 ريم (موضع) (ج) ٣٥٤
 ريعان (ج) ٣٤٠
 (ج) ٢٨٨ ، ٣٦٠ ، ٣٩٦ -
 ٣٩٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦١
 ٤٦٤ ، ٥٦٥
 (ج) ٥٧٤ ، ٦٠٧
 ريمت ريمة (ج) ١٩٤ ، ٢١١ ،
 ٤٢٩
 رينوكولورا (موضع) (ج) ٤٥

(ج) ٥٧٢
 (ج) ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، حـ
 ٢١٨
 (ج) ٢١١ حـ
 ريام (ج) ١٠١ ، ١١٩
 (ج) ٣٥٥
 (ج) ٤٤٩
 (ج) ١٧٩
 ريدان (مملكة) (ج) ٥٠ ، ٤٢٨
 (ج) ٥٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
 ١٤٨ - ١٥٣ ، ١٥٤ -
 ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٥ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ - ٣٣٦ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ،
 ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٧٨ - ٣٨٠ ، ٣٨٢ - ٣٨٨ ،
 ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ،
 ٤١٠ ، ٤١٦ - ٤٢١ ، ٤٢٣ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ -
 ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ،
 ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٤ -
 ٤٦٨ ، ٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٧٤ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٢ - ٤٨٣ ، ٤٨٧ -
 ٤٩٥ ، ٥٠٥ ، ٥١٦ -
 ٥٢٣ ، ٥٢٦ - ٥٢٨ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٥ - ٥٣٨ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤٢ ، ٥٤٥ ، ٥٤٨ ، ٥٥٣ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ - ٥٦٣ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ - ٥٧٤ ،
 ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧

- الزاي -

- الزاب (مدينة) (ج ٢) ٦١٧
 الزابوقة (ج ٧) ٣٣٣
 الزارة (قرية) (ج ٧) ٩٠
 (ج ٨) ٧٨٣
 الزاهر (بشر) (ج ٧) ٣٥٧
 زباله (ج ٤) ١٣٢ ، ٢٠٨
 (ج ٧) ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٤٠
 زبد (خرائب) (ج ٨) ١٧٦ ، ١٨١
 الزبداني (قرية) (ج ١) ٦٥١
 زبرم (ج ١) ٤٥٠
 زبيد (موضع) (ج ١) ٣٥٧ ، ٤٢٣
 (ج ٣) ٣١٦
 (ج ٤) ٤٤٨ - ٤٤٩
 (ج ٦) ٦١٩
 (ج ٧) ٣١ ، ١٧٩ ، حا ٢٧٢
 - ٢٧٣ ، ٣١١ ، ٣٦٣ - ٣٦٤
 ٤٤٦ ، ٤٦٢
 الزج (ج ٣) ٢٦١
 (ج ٤) ٢٦٨
 زخان (مدينة) (ج ٢) ٤٣٦
 زرى (موضع) (ج ٧) ٢٤٦
 زراران (موضع) (ج ٢) ٥٠١
 زرقا (ج ٣) ٤١٦
 الزرقاء (مدينة) (ج ٧) ٣٥٥
 زرود (مدينة) (ج ٧) ٣٣٧
 ذروان (بشر) (ج ٦) ٧٤٤
 الزعراء (ج ٧) ٣٦٢
 زغر (ج ٥) ٤٢٨
 زفر (موضع) (ج ٨) ٢٠٨
 الزقازيق (ج ٧) ٢٦٧
 زقونية (ج ١) ٦٥٧
 الزلفى (ج ١) ٢٧٣
 زمان الرعاف (موضع) (ج ٨) ٥٢٢
 زمزم (بشر) (ج ١) ٢١٢ ، ٤٩٧ ،
 ٥٧١
 (ج ٤) ٥ ، ١٦ ، ٥٥ ، ٦٦ ،
 ٧٥ - ٧٨ ، ١٣٢ ، ٣٧٨
 (ج ٥) ٣١٥
 (ج ٦) ٢٦٦ ، ٣٩٦ ، ٤١٩ ،
 ٤٣٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٦٤
 (ج ٧) ١٥٨ ، ١٩٣
 (ج ٨) ٨٤
 (ج ٩) ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٨٢٨
 الزميل (موضع) (ج ٢) ٦٥١
 زنجبار (بلد) (ج ٢) ٥٠٢
 (ج ٣) ٤٥٠
 (ج ٧) ٢٦٠ ، ٢٧٨
 زندخان. (موضع) (ج ٩) ٣٧
 الزهرة (معبد) (ج ٣) ١١٨
 (ج ٦) ٤٤٦
 (ج ٧) ١٥٩
 زوت (موضع) (ج ٢) ٢٩٦
 زوره (الزوراء) (موضع) (ج ٣) ٣٢
 ٢٨٧ - ٢٨٨ ، ٧٠

الزينة (ج) ٣١٤
٣٦٣ (ج) ٧

٢٢٧ (ج) ٤
زوم (مدينة) (ج) ٢٣٩
زيد (خرائب) (ج) ١٥

- السين -

سبأ (ج) ٢٥٨
١.١ ، ٦. ، ٤٩ ، ٢٣ (ج) ١
١٢٣ ، ١٢٩ - ١٢٧ ، ١١٩
٣١٩ ، ٢٣٧ ، ٢١٥ ، ١٦٩
٤٢٨ ، ٤٢٢ ، ٣٦٣ ، ٢٤٨
٤٨٩ - ٤٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٢٩ -
٥٨١ ، ٥٧٩ ، ٥١٦ ، ٥١٤
٥٨٩ ، ٦١٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٤
٦٣٦
(ج) ٢٩ ، ٥١ ، ٥٤ - ٥٥
٧٨ ، ٧٦ - ٧٥ ، ٧٣ ، ٥٨
٨. ، ٩٣ ، ١.٥ - ١.٦ ،
١٣٦ ، ١٣٢ ، ١١٨ ، ١.٨
١٤. - ١٤٨ ، ١٤٢ ، ١٥٠
١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٨
١٧٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٦ -
١٧٩ ، ١٨٢ - ١٨٦ ، ١٩١
١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨
٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ - ٢٧٠
٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٧٥ - ٢٧٦
٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ - ٢٨٩
٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ - ٣٠٧
٣١١ - ٣١٢ ، ٣١٥ - ٣٢١
٣٢٣ - ٣٢٦ ، ٣٢٨ - ٣٣٠

ساباط (ج) ٦٥٠
(ج) ٢٧٠
(ج) ٢١٣
السابون (مدينة) (ج) ٢٠٥
ساتيدما (ج) ٢٩٢
ساد (سادم) (ج) ٢٨٨ ، ٢٩٨
ساري (موضع) (ج) ٦٠١
الساسانية (دولة) (ج) ٦١٤ ،
٦٢٩ ، ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ٦٣٨
٦٤٦ - ٦٤٥ ، ٦٤٢ ، ٦٣٩ -
٦٥٠
(ج) ١٧٣ ، ٩٤
(ج) ١٥٨ ، ١٦١ - ١٦٢ ،
١٦٩ ، ١٧٥
(ج) ١٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ،
٢٩٧
(ج) ٥٩٥ - ٥٩٦ ، ٦٩٥
(ج) ٣٨٧ ، ٧٠٢
ساسبانتان (ج) ١٧
السامرة (ج) ٣٢٦ ، ٥٨٥ - ٥٨٦
٦٤٦ - ٦٤٧
(ج) ٤٣ ، ٣٠٣
سامة (سمة) (موضع) (ج) ٦٩
السامي (وطن) (ج) ٥٢٧
ساية (مدينة) (ج) ٢٦٥

٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠	٢٢٤ - ٢٤٠ ، ٢٢٧ - ٢٢٢
٦١٢ ، ٦٠٩ ، ٥٤٠	٢٥١ - ٢٥٠ ، ٢٤٨ - ٢٤٧
١٤٠ ، ١٣٨ ، ١٣٧ (٧ج)	٢٥٩ ، ٢٥٧ - ٢٥٥ - ٢٥٢
٢١٠ ، ٢٠٥ ، ١٧٩ ، ١٦٤	٢٦٩ ، ٢٦٧ - ٢٦٥ - ٢٦٢
٢٤٣ ، ٢٤١ - ٢٤٠ ، ٢٢٤	٢٧٨ - ٢٧٦ - ٢٧٤ - ٢٧١
٤٧٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧١	٢٩٥ ، ٢٩١ - ٢٨٢ - ٢٨٠
٤٩١	٤٠٣ ، ٤٠١ ، ٢٩٨ - ٢٩٧
٤٤ - ٤٣ ، ٤٠ ، ٢٩ (ج٨)	٤١٤ ، ٤١١ - ٤١٠ ، ٤٠٧
٤٢٠ ، ٢٤٦ ، ٥٢ ، ٤٦	٤٢٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ - ٤١٦
٦٧٤ ، ٥١٥ - ٥١٤ ، ٤٤٧	٤٥٣ - ٤٤٣ ، ٤٤٠ - ٤٣٨
٢٦٢ (٩ج)	٤٦٢ - ٤٦١ ، ٤٥٨ - ٤٥٥
سباح (مدينة) (ج٣) ٦٥	٤٩٥ ، ٤٧١ ، ٤٦٨ - ٤٦٤
السباع (وادي) (ج٧) ٣٣٦	٤٩٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ - ٥٠٦
سبني (معبد) (ج٢) ٤٥١	٥٢٦ ، ٥٢٤ - ٥١٩ ، ٥٠٩
السبية (اماكن) (ج٢) ٢٦٠ ، ٢٦٤	٥٣٥ ، ٥٣٣ - ٥٣٠ ، ٥٢٨
السبخة (مدينة) (ج٢) ١٣٣	٥٤٥ ، ٥٤٢ ، ٥٤٠ ، ٥٣٧
٣٥٧ ، ٣٢٢ (٧ج)	٥٥٧ - ٥٥٢ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦
السبع (بئر) (ج١) ٥٨٤ ، ٤٥٧	٥٦٥ ، ٥٦٣ - ٥٦٢ ، ٥٦٠
٩٣ (٢ج)	٥٦٧ - ٥٧٣ ، ٥٧١ ، ٥٦٨
٦٥ (٣ج)	٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ -
٣١٥ (٦ج)	٥٨٩ ، ٥٨٧ ، ٥٨٥ ، ٥٨١
سبل (ج٢) ٢٩٣	٥٩٨ ، ٥٩١
سجا (ج٧) ١٥١	٣١٦ - ١٩٣ ، ١٩٠ (٣ج)
سجسج (موضع) (ج٧) ٣٥٤	٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ ،
سجلة (بئر) (ج٩) ٤١٢	٤٥٠ ، ٤٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٧ ،
السحامة (موضع) (ج٧) ٢٤٤	٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ،
سحر (مدينة) (ج٥) ٢٧٧	٤٩٥ ، ٥٠٣ ، ٥٠٧ ، ٥٣٢ ،
٢١٢ (٧ج)	٥٣٤ - ٥٣٥
سحول (موضع) (ج٢) ٤٣٠	٤٢٧٨ - ٢٧٤ ، ٩ (٤ج)
٣٦٤ (٣ج)	٣١٧ - ٣١٨ ، ٤١٦ ، ٤٦٨ ،
٤٤٨ (٤ج)	٥٣٩ ، ٥٤٩ ، ٥٥٤
٢٥٦ (٥ج)	١٨٠ (٥ج) - ١٨٣ ، ١٩٠ ،
سخاليت (خليج) (ج١) ١٤١	٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ،
السخرة (طريف) (ج٧) ٤٦٩	٢٢٨ - ٢٢٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
السد (موضع) (ج٧) ٣٤٤ - ٣٤٣	٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٧٥ - ٢٧٦ ،
السد (موضع) (ج١) ٣٢١	٣٠٣ ، ٤٦٣ ، ٥٨٣ ، ٦١٤ ،
السدانة (موضع) (ج١) ٣٦٠	٦٢٦
٢٩٢ (٦ج)	١٦٨ ، ٥٥ - ٥٤ ، ١٤ (٦ج)
	٣٠٤ ، ٢٩٧ ، ٢٦٣ ، ١٨٠

- سدوس (موضع) (ج ١) ١١٧ ، ١٧٨
١٧٩ ، ٣٣٩
- السدوسية (موضع) (ج ١) ٥٩٨
- سدوم (موضع) (ج ١) ٣٢٢ - ٣٢٣
- السدير (قصر) (ج ١) ٢٨٨
- (ج ٢) ١.٩ ، ٢.١ - ٢.٤
- ٢٤٢ ، ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٨٢
- ٢٠.٢ ، ٢١٣ ، ٤٢.٥
- (ج ٤) ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٤٧٥
- (ج ٥) ٢١٢
- (ج ٦) ٤٤٧ ، ٥٩٨ ، ٦٥٥
- (ج ٧) ٩١
- (ج ٩) ٤٧٥ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢
- ٦٩٢ ، ٧٩٧ ، ٨٢٢
- السر (ج ٢) ٢.٢
- سرايط الخادم (موضع) (ج ٨) ١٤٧
- السراة (ج ١) ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ٢٤٨ ، ٤٥١
- (ج ٢) ٥١ ، ٥٦
- (ج ٣) ٤٩٨
- (ج ٤) ٢.١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٣٢٢ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠
- (ج ٦) ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
- (ج ٧) ٣٦ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٨ -
- ٧٩ ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤
- ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٥٣٣
- سراة الازد (موضع) (ج ٩) ٢٤٢
- السراة الوسطى (موضع) (ج ٩) ٢٤٢ ، ٤٣.
- سراقة (موضع) (ج ٢) ١١٩
- سرجيوبوليس (مدينة) (ج ٦) ٦٢٣
- السرحدان (ج ١) ٢.٦ ، ٢٤٤ ، ٤٤٢ ، ٥١٧
- سرحة (ج ١) حا ٢٨
- السرحتين (ج ٧) ٣٤٩
- سردد (وادي) (ج ٢) ٤٢٧ ، ٥٤٢
- (ج ٧) ١٧٩
- سردان (وادي) (ج ٢) ٥٥٣ ، ٥٦٦
- سرر امان (موضع) (ج ٢) ٢٢٢
- سرسين (بادية) (ج ١) ٤٥٥
- (ج ٣) ٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٤٩٢
- سرعان (ج ٢) ٤٣١ ، ٥٢٤
- (ج ٧) ٢٤٨
- سرغ (مدينة) (ج ٧) ٢٤٨
- سرف (ج ٧) ٢٦٠
- سره كيني (ج ١) ٣٢٥
- السرود (موضع) (ج ٩) ٥٧٤
- سرو سحيم (موضع) (ج ٩) ٧٠٠
- السروات (ج ٤) ٥٢٠ ، ٥٦٠ -
- ٥٦١
- سروم (موضع) (ج ٢) ٥٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٥٠ ، ٤١٢ - ٤١٣
- ٥١٧
- سروم راح (ج ٧) ٣٦٢
- سروم الفيض (ج ٧) ٣٦٣
- السرين (ج ٧) ٣٦٣ - ٣٦٤
- سطيح (ج ٣) ١٨٥
- سعد (حضر) (ج ٧) ٣٣٤
- سعود (وادي) (ج ١) ١٩٦
- (ج ٧) ٥١٨ - ٥٢٠
- سعود (خربة) (ج ٢) ٥٣
- سعبير (جبل) (ج ١) ٦.٤ ، ٦٥٠
- سفار (موضع) (ج ١) ٦٣٩
- السفح (موضع) (ج ٧) ٣٣٤
- سفوان (صفوان) (ج ٣) ٢٩٣
- (ج ٧) ٣٣٤ - ٣٣٥ ،
- سفونم (سفون) (موضع) (ج ٢) ٢٩٦
- سقام (وادي) (ج ٦) ٤١٧
- سقرن (سقران) (موضع) (ج ٢) ٣٣٦
- سقطري (جزيرة) (ج ١) ١٨٣
- (ج ٢) ٢٤ - ٢٥ ، ٦٢٧
- (ج ٦) ٦١٢
- (ج ٧) ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٥٣٥
- (ج ٨) ٣٩

سفه (سفاية) (بناء) (ج ٢) ٤٥٧	٣٤٩ (ج ٣)
السقي (مدينة) (ج ٧) ٢٤٣	٤٥٠ ، ٢١٩ (ج ٤)
سقيا (موضع) (ج ١) ١٦٧ ، ١٥٩	٢٦٩ (ج ٥)
(ج ٧) ١٩٢ - ١٩٤ ، ٣٣٥ ، ٣٢٨	٢٣٩ ، ٢٢٧ ، ١٥٠ (ج ٧)
٣٦٠ - ٣٥٩	٥٣١ (ج ٩)
سقيا الجزل (ج ٧) ١٩٥	سلمان (موضع) (ج ٢) ٢٠
سقيا غفار (ج ٧) ١٩٥	١٨٩ (ج ٣)
سقيا يزيد (ج ٧) ١٩٥	٧٢ (ج ٤)
سقراء (ج ٧) ٣٤٤	٢٨٠ (ج ٦)
سكاكة (سككة) (موضع) (ج ١) ١٣٣	٣٠٢ ، ٢٩٢ (ج ٧)
(ج ٤) ٢٣٧	السلميه (مدينة) (ج ١) ٥٤٠
السلال (ج ٤) ٢٤٨ ، ٢٦٢	سلوى (لثرا) (ج ٢) ١٨ ، ٥٤٣
السلامة (حصن) (ج ٢) ١٥٩	سلوق (فريه) (ج ٥) ٤٣١
السلان (ج ٣) ٢٧٥	سلوقية (مدينة) (ج ٢) ١٣ ، ١٥ -
السلجوقية (دولة) (ج ١) ٥٧٢	١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٩١
سلحين (ج ٢) ١١٦ ، ٢١٢ ، ٢٥٤	٦٠٠ ، ٦٠٨
٢٩٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠	٦٢٨ (ج ٦)
٣٣٨ ، ٣٤٤ ، ٣٦٨	السليف (موضع) (ج ٤) ٢٠٢
٣٧١ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٣٩	السليل (موضع) (ج ١) ١٧٩ ، ١٨٣
٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٥١٧ ، ٥٣٨	(ج ٧) ٢٤١ ، ٢٤٢
٥٤٧	سليم (حره) (ج ١) ١٤٩٦
(ج ٣) ٤٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٥٣٢	(ج ٤) ٢٥٦ ، ٣١١ ، ٥١٨
(ج ٥) ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٢	(ج ٧) ٢٤١ ، ٥١٩
(ج ٧) ٣٤٦	سليمة (ج ٧) ٣٣٤
(ج ٨) ٣٤	سماهيج (جزيرة) (ج ٦) ٦٢٩
السلسلة (ج ١) ١٦٩	(ج ٨) ٧٠٢
سلع (موضع) (ج ٢) ٥٩٤	العاوة (مدينة) (ج ١) ١٥٥ ، ١٦٥
(ج ٤) ٣٣١	١٨١
(ج ٨) ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٩٤ -	(ج ٢) ٢٢ ، ٦٣٩
٢٤٩	(ج ٤) ٢٣٣ ، ٢٤٠
سلمن سلمان (موضع) (ج ١) ٢٩١	(ج ٥) ٧٤
السلف (موضع) (ج ١) ١٩٤ - ١٩٥	سمرا (خرية) (ج ٢) ٦٥
٤٢٥	سمرقند (مدينة) (ج ١) ٤٩٩
(ج ٣) ٤٧٥	(ج ٢) ٥١٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ -
سلقن (سلقان) (موضع) (ج ٢) ٢٩٦	٥٧٨
سلمى اجبل (ج ١) ١٥٧	(ج ٣) ١٩٣
	سمطانهان (موضع) (ج ٢) ٣٢٢
	سمعى (مملكة) (ج ٢) ٥٥ ، ١٥٠ ،
	٢١٦

سمهرم (بناء) (ج ٢) ١٦٥
 سميراء (مدينة) (ج ٧) ٣٢٧ ، ٣٤٠
 السمينه (ج ٧) ٣٤٢ - ٣٤٣
 سن ذ متور (معبد) (ج ٢) ١٦٣
 السنات (مجلس) (ج ٢) ٦٥٤
 السنبلة (بئر) (ج ٧) ١٩٢
 (ج ٩) ٤١١
 سنجار (موضع) (ج ١) ٦٢٦
 (ج ٢) ٦٦ ، ٤٠٦ ، ٥٣٩ ،
 ٦٠٥ ، ٦١٣ ، ٦١٩ ، ٦٢٢
 (ج ٣) ١٤٠
 (ج ٤) ٤٩١ - ٤٩٠
 (ج ٨) ٣٧٦
 السند (اقليم) (ج ١) ٤٣٢
 (ج ٢) ١٤ ، ٦٤٨
 (ج ٣) ٤٣٨
 (ج ٤) ٢٠٠
 (ج ٧) ٣٧٥ - ٣٧٦
 سنداد (موضع - نهر) (ج ٣) ١٥٩
 ٢٠٠ ، ٢٤٦ ، ٣٠٣
 (ج ٤) ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٤٧٠
 - ٤٧١ ، ٤٧٥
 (ج ٦) ٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤١٥ -
 ٤٤٧ ، ٤٤٦
 (ج ٩) ٧١٧ ، ٨٠٦ ، ٨٣٢
 سنفرم (بيت) (ج ٢) ٤٣٥
 سنحار (قصر) (ج ٣) ١٥٦ ، ٢١٧
 ٣١٣ ، ٣٠١
 سنير (ج ٤) ٢٣٩
 سهام (وادي) (ج ٢) ٤٢٧ ، ٥٤١
 (ج ٧) ١٧٩ ، ٣٦٣
 السهلاء (ج ٧) ٣٤٦
 سهرة (مدينة) (ج ٢) ٤٣٩
 (ج ٨) ٤٠٦
 سوى (ماء) (ج ٤) ٢٣٣
 (ج ٧) ٢٣٣
 السوا (دير) (ج ٦) ٥٩٨ ، ٦٥٥
 السواد (منطقة) (ج ٢) ٦١٧ - ٦١٨
 ٦٤٠ ، ٦٤٥ ، ٦٥٠
 (ج ٢) ١٠ ، ١٦٧ ، ٢٢٣ ،
 ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ٣٣٦ - ٣٣٧
 ٣٨٩
 (ج ٤) ٢٢٢ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ،
 ٤٧٢ ، ٥٤٣
 (ج ٥) ٣٩٨
 (ج ٦) ٥٩٤ ، ٦١٤
 (ج ٧) ٣٥ ، ١٥٦ ، ٤٧٥
 السوارقية (نخل) (ج ٤) ٢٦٩
 سوخ (موضع) (ج ١) ٤٥٦ - ٤٥٧
 (ج ٢) ١٢٩
 السوداء (خربة) (ج ٢) ٧٥ ، ٨٣ ،
 ١١٨
 (ج ٥) ٢٠
 السودان (ج ١) ٢٣٦ ، ٤٤٩ ، ٥٥٩
 ٦٤٣
 (ج ٢) ٢٣
 (ج ٤) ١٥
 (ج ٥) ١٠٥
 (ج ٨) ٣٤٥ ، ٥٤٥
 (ج ٩) ٣٨٤ ، ٥٦٠
 سورية (ج ١) ١٩ ، ٣٠ ، ٢٤٧ ،
 ٤٤٣ ، ٤٥٦ ، ٥٧٤ - ٥٧٥
 ٥٧٨
 (ج ٢) ٣٨ - ٣٩
 (ج ٣) ١٨ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٤٤
 ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧
 - ٦٨ ، ٧١ ، ١٣٨ ، ١٤٣
 ٣٥٠ ، ٤٠٩ ، ٤٤٠
 (ج ٦) ٣١٠ ، ٣٢٣
 (ج ٨) ٢١٠
 (ج ٩) حا ٦٢٣
 السوس (موضع) (ج ٨) ٣٢٥
 سوط (موضع) (ج ٢) ٢١٩
 سوف (بحر) (ج ١) ٦٣٧
 سوق النعم (ج ٨) ٣٩
 السوم (موضع) (ج ٢) ١٦٥
 سومر (مملكة) (ج ١) ٥٥٦ ، ٥٧٠
 سون (سونة) (موضع) (ج ٢) ١٦٤

٢٨٤

السويداء (مدينة) (ج) ٧٠ ، ٤٢١
 ٤٤٢
 (ج) ٨ حا
 (ج) ٢٤٩
 السويس (خليج) (ج) ٢٤٢
 (ج) ٢٣
 السويس (قناة) (ج) ١٤٢
 (ج) ٨٧
 (ج) ٢٦٨ - ٢٦٧ ، ٢٤٦
 السويس (مدينة) (ج) ١٦٤ ،
 (ج) ٦٥٧ ، ٩٣ ، ٧
 (ج) ٣٣٤ ، ٢٦٧ ، ١٣٥
 سويفه (ج) ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٥٢
 السى (ج) ٣٤٣
 السيلة (ج) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠
 ٣٦٠ ، ٣٥٤
 سيام (ج) ٥٤٤
 سيان (سد) (ج) ٢١٢
 سيار (مملكة) (ج) ٥٦١
 سيان (ارض) (ج) ٤٨٠
 السيج (ج) ٢٤٤
 سيج ابن مربع (ج) ١٨٠
 سيج القمر (ج) ١٨٠
 سيج قشبر (سيح اسحاق) (ج) ١٨٠
 سيحوت (مدينة) (ج) ١٧٢ ، ٢٣٠
 سيخا (جزيرة) (ج) ٦٤
 السيدان (وادي) (ج) ١٦٣ ،
 ٣٣٥
 سيف البحرين (ج) ١٨٠ ، ٦٠١
 السيق (وادي) (ج) ٥٣
 سيل العرم (ج) ٣٨٧ - ٣٩١ ،
 ٤٣٦ ، ٤٩٣
 (ج) ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢٠١ ،
 ٤٤٢
 (ج) ٥١٩
 سيلان (دولة) (ج) ٢٠٩
 (ج) ٦٣٩ ، ٦٥٧
 (ج) ٥١٨
 (ج) ١٦٩ - ١٧٠ ، ٣٠٣
 (ج) ٤١٥ ، ٥٤٤
 (ج) ٦١٢
 (ج) ٢٣٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ -
 ٢٨٢ ، ٥٢٠
 (ج) ٣٩٣
 (ج) ٢١٥
 السيلحون (موضع) (ج) ٢٧٣
 السيلحين (موضع) (ج) ٨٠٤
 سيناء (ج) ١٨ - ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ،
 ٣٥ ، ١٤٢ - ١٤٤ ، ١٥٧ ،
 ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٣٥ - ٢٣٦
 ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٥٢ - ٢٥٣
 ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٢٩ - ٢٣٠
 ٣٤٧ ، ٤٣٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦١
 ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٥٢ - ٥٥٣
 ٥٥٩ ، ٥٨٤ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢
 - ٦٢٣ ، ٦٢٥ - ٦٢٧ ، ٦٣١
 ٦٣٧ - ٦٣٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨
 ٦٥٤
 (ج) ٨ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٧٧ ،
 ٩٣ ، ٩١
 (ج) ٧ - ٨ ، ٣٥ ، ٤٩ -
 ٥٠
 (ج) ١٣ ، ٢٤٧
 (ج) ٢٦ ، ٤١٥ ، ٧٦٤
 (ج) ١٤٦ - ١٤٧ ، ١٥١ ،
 ١٧٤ - ١٧٥ ، ٢١١ ، ٢١٤
 ٢٢٩
 (ج) ٦٣ ، ١٢٧ ، ٤١٠
 سيون (موضع) (ج) ٥٦٦

السويداء (مدينة) (ج) ٧٠ ، ٤٢١
 ٤٤٢
 (ج) ٨ حا
 (ج) ٢٤٩
 السويس (خليج) (ج) ٢٤٢
 (ج) ٢٣
 السويس (قناة) (ج) ١٤٢
 (ج) ٨٧
 (ج) ٢٦٨ - ٢٦٧ ، ٢٤٦
 السويس (مدينة) (ج) ١٦٤ ،
 (ج) ٦٥٧ ، ٩٣ ، ٧
 (ج) ٣٣٤ ، ٢٦٧ ، ١٣٥
 سويفه (ج) ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٥٢
 السى (ج) ٣٤٣
 السيلة (ج) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٠
 ٣٦٠ ، ٣٥٤
 سيام (ج) ٥٤٤
 سيان (سد) (ج) ٢١٢
 سيار (مملكة) (ج) ٥٦١
 سيان (ارض) (ج) ٤٨٠
 السيج (ج) ٢٤٤
 سيج ابن مربع (ج) ١٨٠
 سيج القمر (ج) ١٨٠
 سيج قشبر (سيح اسحاق) (ج) ١٨٠
 سيحوت (مدينة) (ج) ١٧٢ ، ٢٣٠
 سيخا (جزيرة) (ج) ٦٤
 السيدان (وادي) (ج) ١٦٣ ،
 ٣٣٥
 سيف البحرين (ج) ١٨٠ ، ٦٠١
 السيق (وادي) (ج) ٥٣
 سيل العرم (ج) ٣٨٧ - ٣٩١ ،
 ٤٣٦ ، ٤٩٣
 (ج) ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢٠١ ،
 ٤٤٢
 (ج) ٥١٩

— الشين —

٥٦٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧
 ٥٨٩ — ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٠٠
 ٦٠٤ ، ٦٠٨ ، ٦١٠ — ٦١١
 ٦١٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٠ ، ٦٢٥
 ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٣٩ ، ٦٤٨
 ٦٥٠ — ٦٥٢
 (٢ج) ١٠ ، ١٢ ، ١٥ — ١٦
 ٢٠ — ٢١ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٠
 ٤٢ — ٤٤ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٩٠
 ١٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠
 ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٥٧٦ ، ٦٠٠
 ٦٠٢ — ٦٠٨ ، ٦١٥ ، ٦١٧
 ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧
 ٦٢٩ ، ٦٣١ — ٦٣٢ ، ٦٣٥
 ٦٣٧ — ٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٥١
 ٦٥٢ ، ٦٥٥ — ٦٥٦ ، ٦٥٩
 ٦٦٠ —
 (٣ج) ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨
 ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩
 ٣٢ — ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٥
 ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ — ٥٨ ، ٦٠
 ٦١ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٨١
 ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٧
 ٩٩ — ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤
 ١٠٥ — ١١١ ، ١١٦ —
 ١١٧ ، ١٢١ — ١٢٢ ، ١٣٣

الشاء (دير) (٦ج) ٥٩٨
 شابة (مدينة) (ج١) حا ١٦٧
 شاحط (٦ج) ٣٧٨
 شئز صيهد (٧ج) ٣٦٤
 شاكرو (موضع) (ج٤) ١٨٦ — ١٨٧
 الشاكروية (موضع) (ج٢) حا ٨٢ ،
 حا ١١٨
 الشام (بادية — بلاد) (ج١) ٧ ، ١٨
 ١٩ ، ٢١ — ٢٢ ، ٢٦ —
 ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٥١
 ٥٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١٣٢ ،
 ١٤٣ — ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 ١٥٥ — ١٥٦ ، ١٦٤ — ١٦٥
 ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨١
 ١٨٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦
 ٢٠٨ ، ٢١٠ — ٢١١ ، ٢١٧
 ٢١٨ — ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
 ٢٤٤ — ٢٤٦ ، ٢٤٨ — ٢٥٢
 ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ — ٢٩٠
 ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢٤
 ٣٢٥ — ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٠
 ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦
 ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧
 ٤٤٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٩٢
 ٥٠٤ — ٥٠٥ ، ٥٠٧ — ٥٠٨
 ٥١٧ ، ٥٣٠ ، ٥٤٣ — ٥٥١

٤٩٦ ، ٤٥٣ ، ٤٣٦ ، ٤٢٩ -

٥٦٠ ، ٥٧٤ ، ٥٣٣ ، ٤٩٧ -

٦٨٧ ، ٦٧٣ ، ٦٦٦ ، ٦٦٢

٧١٥ ، ٧٠٣ ، ٧٠٠ ، ٦٩٧

٨٢٦ ، ٨٠٧ - ٨٠٦ ، ٧٢٤

٨٦٥ ، ٨٨٦ ، ٨٥٢ ، ٨٤٤

الشامات (بناء) (ج) ٥١٢

الشامية (نخلة) (ج) ٢٤٢

شبا (مدينة) (ج) ٤٣٠ ،

٦٣٨

(ج) ٦٤

(ج) ٥٣٥

(ج) ٢٤٠ ، ٢٣٣

(ج) ٧٦

شباك العرمة (ج) ٣٤٦

شباب (سد) (ج) ٢١٢

شباب (مدينة) (ج) ٥١٨ - ٥١٩

شباب اقيان (مدينة) (ج) ٣٤٣ ،

٣٥٨ ، ٤٢٤ ، ٤٧١ ، ٤٩٤

٥٥٢

(ج) ٢٧٨ - ٢٧٧ ، ١٣

شباب سخيم (مدينة) (ج) ١١٧

(ج) ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ١٥٧ -

٣٩٧ ، ٤١٠ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ،

٤٦٩

(ج) ٣٠٨ ، ٣٠٤

شباب كوكبان (ج) ٣٩

الشبك (موضع) (ج) ٤٥٦

الشبكي (موضع) (ج) ١٥٠

شجوت شبرة (مدينة) (ج) ١٨٩ ،

١٩٥ ، ٤٦٠

(ج) ١٣٤ ، ١٣١ ، ٢٤ -

١٤٩ ، ١٤٥ ، ١٤١ ، ١٣٥

١٦٨ ، ١٥٨ - ١٥٧ ، ١٥٢

حا ٢٢٥ ، ٣٧٢ - ٣٧٥ ،

٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢

٥٥٤

(ج) ٤٧٩

(ج) ١٩٨

٢٣٧ - ٢٢٥ ، ٢٢٣ - ٢٣٢

٢٦٩ ، ٢٥٤ - ٢٤٤ - ٢٤١

٢٨١ ، ٢٧٧ - ٢٧٥ - ٢٧٠ -

٢٩٧ ، ٢٩٥ - ٢٨٨ - ٢٨٥ -

٢٠٨ ، ٢٠٣ - ٢٠١ ، ٢٩٩

٢٢١ ، ٢١٨ - ٢١٧ - ٢١٥ -

٢٢٣ - ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤

٢٥٢ - ٢٤٦ ، ٢٤١ - ٢٤٠

٢٥٩ - ٢٥٨ ، ٢٥٦ - ٢٥٤

٢٧٣ - ٢٧٢ ، ٢٦٩ - ٢٦٨

٤٤٠ - ٤٣٦ ، ٤٠٦ ، ٢٨١

٤٩٦ - ٤٩٥ ، ٤٧٩ ، ٤٥٤

٥٧٨ ، ٥٧٣ ، ٥٥٣ ، ٥٢٨

٦٠٢ ، ٥٩٩ - ٥٩٨ ، ٥٨٥

٦٢٧ ، ٦١٦ ، ٦٠٨ ، ٦٠٤

٦٢٩

(ج) ١١١ ، ٧٠ ، ٥٩ ، ٤٩

- ١٢٧ ، ١١٥ ، ١١٢ -

١٤٧ - ١٤٦ ، ١٤١ ، ١٢٩

١٧٨ ، ١٧٤ - ١٦٩ ، ١٥٣

٢١١ ، ٢٠٣ ، ١٩١ ، ١٨٠ -

٢٦٦ ، ٢٦٢ - ٢٦١ ، ٢٥٩

٣١٦ ، ٣١٢ ، ٣٠٢ ، ٢٩٩

٣٢٦ - ٣٢٥ ، ٣٢٣ - ٣٢٢

٣٦٥ ، ٣٤٩ ، ٣٤٠ ، ٣٦٦

٤٠٦ ، ٣٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٧٨

٤٨٥ ، ٤٥٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٣

٥٣٠ ، ٥١٩ - ٥١٨ ، ٥٠٦

٥٨٨ ، ٥٧٢ ، ٥٦٠ ، ٥٥٥

٦٤٦ ، ٦٤٢ ، ٦٣٣ ، ٦٢٨

٦٦٨ ، ٦٦٦ ، ٦٥١ ، ٦٤٨

٦٨٨ ، ٦٨١ - ٦٨٠ ، ٦٧٠ -

٧١١ ، ٧٠٥ - ٧٠١ ، ٦٩٣

٧٦٢ ، ٧٤٣ ، ٧٢٤ ، ٧١٢ -

٧٦٠ ، ٧٧٠

(ج) ٨١ ، ٧٩ ، ٦٣ ، ١٥

- ٩٣ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٢ -

٢٨٣ ، ٢٨١ ، ١٨٢ ، ١٥٥

٤٢٦ ، ٣٨٢ ، ٢٩٢ - ٢٩١

- ٦٢٦
(ج) ١٠ ، ٢٥ ، ٨٥ ، ١٠٠
(ج) ١٩٠
(ج) ٢١ ، ٦٠٤
(ج) ٦٠٣
(ج) ٤٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ،
٥٦٣
(ج) ١٤٩ ، ١٥٦ ، ٢٩٨ ،
٢٣٨ ، ٤٠١ ، ٤١٢
الشرق الاوسط (ج) ٢٩٨ ، ٢٨٩
الشرقي (بحر) (ج) ٢٠
الشروي (بحر) (ج) ١٤٠
شريعة (ج) ٣٤٤
شريك (مدينة) (ج) ٥٥٤
شسي (ماء) (ج) ١٦٢
ششعن (ج) ٢٩٧
شصرن (ج) ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٤٤
- ٤٤٥
شعا ريم (بيت) (ج) ٥٣٩
شعب (موضع) (ج) ١٦٧
(ج) ٢٩٥
الشعباني (سد) (ج) ٢١٢
شعبت (مدينة) (ج) ١٦٢
شعف عز (موضع) (ج) ١٧١
شعوب (قصر) (ج) ٥١٢
الشعبية (ميناء) (ج) ١١٥ ، ١٢٢
(ج) ٤٣٤ - ٤٣٥
(ج) ١٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٦٦
شغب (مدينة) (ج) ٢٤٩
شغاثا (موضع) (ج) ١٨٣
(ج) ٢٣١
الشفار (ج) ٤٨٥
الشفق (ج) ٣٤٥
شفية (بئر) (ج) ١٩٢
الشق (مدينة) (ج) ٧٣ ، ١٨٥
(ج) ٢٦٤
شق البحرين (موضع) (ج) ٤٣٠
شق عمان (موضع) (ج) ٤٣٠
- (ج) ١١ - ١٢ ، ١٤ ، ٢٠
٤٦٣ ، ٤٤٩
(ج) ٢١٣ ، ٥٦١
الشبيكة (ج) ٥٢١
الشجي (ج) ٢٤١ - ٢٤٣
الشجرة (مدينة) (ج) ٣٥٠
التجرتين (ج) ٥٢١
شحاظ (ج) ٥٤
شحنة (موضع) (ج) ٦٢ ، ٦٩
الشحر (اقليم) (ج) ١٧١ - ١٧٢
٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣٤٠ - ٣٤٣
(ج) ٥١٣
(ج) ٤٧٩
(ج) ٢٠١ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢
(ج) ١٩٣
(ج) ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ٣٦٤ ،
٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٥٣٦
(ج) ٥٧٥
شحرار (ج) ١٠٣
شحران (سد) (ج) ٢١٢
شدم (ج) ٢٩٦ ، ٤٣٥
شدو (ارض) (ج) ٢٠٣ ، ٢١٣
الشراة (ج) ٦٠١
شراج الحرة (ج) ٢١٥
الشربة (ج) ١٨٢
(ج) ٢١١
(ج) ٢٥٢ ، ٢٦٠
شرجب (مملكة) (ج) ٢٨٨ ، ٢٩٨
٥٠٣
الشرجة (ج) ٣٦٣
شرس (ج) ١٧٩
شربع (ج) ٣٢٩
(ج) ١١٤
(ج) ٢٠٩
الشرف (موضع) (ج) ١٥٠
الشرق الادنى (ج) ٢٢٢ - ٢٢٣ ،
٢٢٧ - ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨
٤١٨ ، ٦٢٧
(ج) ١٢ ، ٦٥ ، ٦١٣ ، ٦٢٤

- شق اليمامة (موضع) (ج ٩) ٥٧٦
 شفا شقة (مدينة) (ج ٢) ٩
 شمرا (موضع) (ج ١) ٢٧٢
 (ج ٧) ٣٥٢
 شقروم (شقر) (موضع) (ج ٢) ١٩١
 - ١٩٢
 الشقوق (مدينة) (ج ٧) ٣٣٥ -
 ٣٤٠ ، ٣٣٦
 شقير (مدينة) (ج ٢) ١٩١
 شقيق (موضع) (ج ١) ١٨٨
 شلوث (موضع) (ج ٢) ٨٧
 شمام (ج ٧) ٥٠٧ ، ٥١٥ ، ٥٢٢
 (ج ٩) ٦٥٧
 شمتان (بيت) (ج ٢) ٤٣٣
 شمر (قصر) (ج ١) ١٥٢ ، ١٥٧ ،
 ١٨٢ ، ٢١٥ ، ٤٣١ ، ٥٤٧
 ٥٩٨
 (ج ٢) ٢٦٣ ، ٢٩٦ ، ٣٨٢ ،
 ٥٧٨ ، ٥٩٦
 (ج ٣) ١٩٠ ، ١٩٢ - ١٩٣ ،
 ٣٤٩
 (ج ٧) ٣٠٥ ، ٣٣٨
 (ج ٨) ٢١٠ ، ٦٧٩
 شمرا (ج ٧) ٧٨
 الشموس (موضع) (ج ١) ٣٣٩
 شنوءة (مدينة) (ج ٣) ٣٦٣ ، ٣٦٥
 (ج ٤) ٤٢٥ ، ٤٤٢
- (ج ٦) ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣
 سنوكه (ج ٧) ٣٥٤ - ٣٥٥
 تنهارة (ج ٧) ٥١٩ - ٥٢٠
 شهبه (وادي) (ج ١) ٥٥٨
 شهوان (جبل) (ج ١) ١٨٠
 الشواجن (ج ٧) ١٨١
 شوحط (معدن) (ج ٢) ٤٦٦
 (ج ٧) ١٢٤
 شور، سوم (مدينة) (ج ١) ٣٧٥ ،
 ٤٣٥ - ٤٣٦
 (ج ٢) ٢١١ ، ٢٣٠
 شوران (جبل) (ج ٧) ٢٠١
 (ج ٩) ٢٥٨ ، ٣٣٢
 شوشتر (موضع) (ج ٢) ٦٤٠
 الشوط (مدينة) (ج ٧) ٣٥٧
 شيبان (جبل) (ج ١) ١٥٦
 شيبان (معدن منجم) (ج ٧) ٥١٣ ،
 ٥١٥
 شيحان (جبل) (ج ٣) ٦١
 (ج ٨) ٢١٠
 شيخ مبارك (ج ٣) ١٣٥
 شيخ مسكين (قرية) (ج ٣) ٩
 الشيخين (موضع) (ج ٧) ٣٥٧
 شيزر (ج ٣) ٣٧٠
 الشيط (ج ٧) ٣٣٥
 شيع (ج ٧) ٢٤٦
 شيعان (مدينة) (ج ٢) ٢٩٢ ، ٤٦٩

- الصاد -

- صادية (ج) ٣٠٣
 صار (موضع) (ج) ٢٥٤
 الصاقب (موضع) (ج) ٢٤٩
 صبر (رأس) (ج) ٣٥٠
 صبرة (ج) ٥٠٧
 صبعة (ج) ٣٣٣
 صبلقة (موضع) (ج) ٢٢٥
 صبوييم (ج) ٣٣٣
 صبيان (مدينة) (ج) ١٨٧
 صبة (ج) ٤١١
 صبة (ج) ١٧٩
 صبة (ج) ٥٤١
 صحرار (مدينة) (ج) ١٧٤
 صحرار (ج) ٤٣١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠ ، ٤٤١
 صحرار (ج) ٥٢٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧١
 الصحصحان (موضع) (ج) ٣٢٣
 صحفتن (مدينة) (ج) ١٩٨
 الصخرة (موضع) (ج) ١٩ - ٢٠
 صخيرات اليمام (ج) ٣٥٨ ، ٣٥٤
 صدة (ج) ٣٤٣ - ٣٤٤
 الصدف (ج) ١٩٣ - ١٩٢ ، ١٤٤
 صدم (صدوم) (موضع) (ج) ٢٩٤
 صريان (مدينة) (ج) ٤٣٩
 الصرجة (موضع) (ج) ٣٦٣
 صرح الفدير (ج) ٤٠٢
- (ج) ٦٤٨ - ٦٤٧ ، ٦٣٨
 صرصر (نهر) (ج) ١٧٤
 صرواح (مدينة) (ج) ١٢٨ ، ١٢٦
 صرصر (ج) ١٢٩ ، ١٨٩ ، ٣٦٨
 صرصر (ج) ٢١٨ ، ١٤٠ ، ٥٧
 صرصر (ج) ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢
 صرصر (ج) ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣٠٣
 صرصر (ج) ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣١٩
 صرصر (ج) ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
 صرصر (ج) ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠١
 صرصر (ج) ٤٠٥ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ ، ٥٤٢
 صرصر (ج) ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ٢٧٨
 صرصر (ج) ٣٠٢ ، ٢١٩
 صرصر (ج) ٣٨ - ٤٠ ، ٤٣
 الصرينخ (موضع) (ج) ٣٧٤
 صريفون (قرية) (ج) ٦٦٧
 صعاد (موضع) (ج) ٥١٢
 صعدة (مدينة) (ج) ٩٢ - ٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٦٧ ، ٤٦٤ - ٤٦٥
 صعدة (ج) ٥٤٢ - ٥٤٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٥
 صعدة (ج) ٥٥٧
 صعدة (ج) ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ١٧٩ ، ٢١٢
 صعدة (ج) ٣٦٤ ، ٥٣٧ ، ٥٦٩
 صعدة (قرية) (ج) ٢٣٣
 صغفوق (ج) ٤٦٨

٢٤٦ ، ٢٢٥
 الصمان (منطقة) (ج ١) ٤٩٢
 ٢٤٦ ، ٢٣٤ - ٢٣٣ (ج ١٧)
 الصنائع (منطقة) (ج ١) ٢٥٢
 صندوقاء (ج ٤) ٢٢٢
 صنعاء (مدينة) (ج ١) ٨٣ ، ٩٢ ،
 ٩٤ - ٩٥ ، ١١٧ ، ١٢٦ ،
 ١٢٩ ، ١٧٠ ، ١٨٩ - ١٩٠ ،
 ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٥٣ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٥
 (ج ٢) ١٥٠ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ،
 ٢٣٥ - ٢٣٤ ، ٢٢٤ ، ٢٠٤ ،
 ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ،
 ٤٠١ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٤٤٢ ،
 ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٤٩٥ ، ٥٣٧ -
 ٥٣٨ ، ٥٤٣ ، ٥٧٥ ، ٥٨١ ،
 (ج ٣) ٢١٦ ، ٤٥٩ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٢ - ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ،
 ٥١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ،
 ٥٣٢
 (ج ٤) ١٥ ، ١٧ ، ٧٨ ، ٩٩ ،
 ١٤٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ،
 ٢٥٤ ، ٥٥٧
 (ج ٥) ١٨ ، ٢٥٢
 (ج ٦) ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ٢٨٩ ،
 ٤٠٠ ، ٤٤٦ ، ٦١٩ ، ٦٣٠ ،
 ٦٥٠ - ٦٥١ ، ٧٦٩
 (ج ٧) ٥٩ - ٦٠ ، ١٧٦ ،
 ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢ -
 ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤ ،
 ٥١٨ - ٥١٩ ، ٦٠١ ،
 (ج ٨) ٨٠ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٤ ،
 ١٢٧ ، ١٦٦ ، ٢٩٥ ، ٣٥٩

صقان (ج ٢) ٢٨٢
 الصفا (مدينة) (ج ١) ٣٢٩
 (ج ٤) حا ٨ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٨ ،
 ٢٠٤ ، ٥٦٢
 (ج ٥) ٢٩٣
 (ج ٦) ٢٤١ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ،
 ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣٧٥ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ،
 ٤٢٨ ، ٤٤٤ ، ٧٢١
 (ج ٧) ١٨٢ ، ٢٤٥
 (ج ٨) ١٢٥
 (ج ٩) ٤٣٦ ، ٧٦٣ ، ٨٧٣
 الصفاة (منطقة) (ج ١) ١٤٧
 (ج ٢) ١٤٢ ، ١٥٣ ، ٤٢٠ ،
 (ج ٨) ١١٣ ، ١٤٢ ، ١٥٤ ،
 ٢١١ ، ٢٤٠
 الصفارين (سوق) (ج ٩) ١٩٦
 صفر (سقر) (ج ٧) ٣٦٢ - ٣٦١
 الصفراء (وادي، قرية) (ج ١) ١٦٨
 (ج ٤) ٢٨١
 (ج ٥) ٤٦٨
 (ج ٧) ٣٥٠ ، ٣٥٤ - ٣٥٥ ،
 ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٧٦ ، ٥١٩ ،
 (ج ٨) ٣٤٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ،
 صفين (ج ٣) ٤٢٢ ، ٤٣٩ ، ٥٠٦ ،
 (ج ٧) ٣٦٣
 صقلية (جزيرة) (ج ١) ٦٣
 (ج ٣) ٢٢٨ ، ٤١٩
 (ج ٨) ٩٦
 صقونية (موضع) (ج ١) ٦٦٠
 الصلا (ج ٧) ٣٥٠
 صلب المي (ج ٧) ٣٤٦
 صلخد (مدينة) (ج ١) حا ١٤٦ ،
 ٣٣٥
 (ج ٣) حا ٢٨
 (ج ٤) ٥٧
 (ج ٦) ٢٣٢ ، ٣٢٨
 الصليف (الصليب) (موضع) (ج ٧)

٥٣٢ ،	١٥٣ (٩ج) ، ٤٦٤ ، ٧٣٨ ،
١٥٩ (٢ج)	٨٤٤
٤٥٢ (٢ج)	الصنمان (مدينة) (٣ج) ٦٢
٢٨٠ ، ٢٦١ (٧ج)	صنوت (موضع) (٢ج) ٢٩٤
الصويدره (موضع) (٨ج) ١٩٥	صنين (جبل) (١ج) ٣٥٠
صيدا (مدينة) (١ج) حا ٨٦	(٣ج) حا ٢١٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
٢٧ (٢ج)	الصنين (سجن) (٥ج) ٣١٨ ، ٥٨٨
٧ (٢ج)	٨٤ (٦ج)
٢٤٥ ، ٢٣٣ (٧ج)	٦٧٦ (٩ج)
صيدون (مدينة) (١ج) ٥٩٦	صهوة (موضع) (٨ج) ٥٣
صير (وادي) (٢ج) ٢٨٨	صوارن (مدينة) (٢ج) ٢٧٢ - ٢٧٣
صيرم (موضع) (٥ج) ٥٨٢	صوييتي (موضع) (١ج) ٦٠١
صيلع (٣ج) ٣٦٢	صور (مدينة) (١ج) ٦٢ ، ٤٤٤ ،
الصين (بلد) (١ج) ٢٦٣ ، ٤٤٩	٤٦١ ، ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠
(٢ج) ٥١٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ،	- ٦٤١
٥٨٧ ، ٥٧٦	(٢ج) ٩٣ ، ١٢٠ ، ٤٢٨
(٣ج) ٢٧٩ ، ١٩٠	(٣ج) ٥٣٥
(٤ج) ١١٦ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،	(٦ج) ٢٥ ، ٥٣٣
٢٠٠ ، ٢٧٠ ، ٣٠٨ ، ٤٠٦ ،	(٧ج) ٢٣٣
٤٤١	(٨ج) ٢٥٤
(٦ج) ٦٢٩	صوغر (قرية) (١ج) ٣٣٣
(٧ج) ٢٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ -	صوف (موضع) (١ج) حا ١٨
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٤١ ، ٣٤٦	(٢ج) ٣٩٣
٣٧٦	صوفة (بحر ، موضع) (٤ج) ٣٨١
(٨ج) ١٥٠ ، ٦٤٤	(٦ج) ٣٨٢
(٩ج) ٣٧٧ ، ٣٧٩	صونة (خرائب) (٢ج) ١٦٣
صيهد (ناحية) (١ج) ١٧١ ، ٢٤٨	الصومال (دولة) (١ج) ٢٣٦ ، ٤٧٩
(٢ج) ٢٩٤	

— الفساد —

ضفح (وادي) (ج ٢) ٤٠٢	ضارج (موضع) (ج ٩) ٥٢٧
ضفو (ضاف) (مدينة) (ج ٢) ٤٣٤ ،	الضالع (هضبة) (ج ٥) ٢١
٤٨٣	ضبا (امارة) (ج ١) ١٨٧
ضلم (موضع) (ج ٢) ٢٨٨ ، ٢٩٣	٢٨ (ج ٢)
ضمء (وادي) (ج ٢) ٥٤١ — ٥٤٢ ،	الضباب (وادي) (ج ٢) ٥٠٧
٥٤٤ ، ٥٧٠	ضبر (موضع) (ج ٢) ٢٨٨
٣٣٨ (ج ٧)	٢١٦ — ٢١٧ (ج ٣)
ضنك (قرية) (ج ٤) ٢٠٢	الضبيب (ج ٧) ٥١٤
ضنكان (موضع) (ج ٢) ٥١	الضحيان (ج ٧) ٣٦٤
٥٦٨ ، ٥١٢ (ج ٧)	٧٢٢ (ج ٩)
ضهر (قرية) (ج ٢) ٥٣٧	الضدح (موضع) (ج ٢) ٥٤٣
٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٤٢ (ج ٧)	ضروان (حره) (ج ١) ١٤٨
الضيقة (موضع) (ج ٣) ٤٧٥ ، ٤٧٨	ضرية (ناحية) (ج ٤) ٢٦٥
	٣٤٢ ، ١٥٠ (ج ٧)

— الطاء —

٣٦١ — ٣٦٠ ، ٣١٥ ، ٢٩٣	الطائف (مدينة) (ج ١) ، حـ
٤٢٦ ، ٤٢٢ — ٤٢١ ، ٣٧٨	١٩٣ — ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨
٤٤٤ ، ٤٤٢ — ٤٤١ — ٤٤٠	٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤
٤٧١ ، ٤٦٧ ، ٤٥٤ ، ٤٤٩	٤٠٣ ، ٤٧١ ، ٥١٢
٥٨٧ ، ٥٧٨ ، ٤٩٥	(ج ٢) ، ٤٥٤ ، ٥٧٦
(ج ٨) ، ٦١ ، ١١١ ، ١٣٩ ،	(ج ٣) ، ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ٣٧٤
١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ،	٤٠٥ ، ٤٩٨ — ٤٩٩ ، ٥١٣
٢١٠ — ٢١١ ، ٣٠١ ، ٣٢١	٥٢١
٣٨١ ، ٦٢٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٨ —	(ج ٤) ، ٢٨ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ١٠٩
٦٤٩ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨	١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢
(ج ٩) ، ١١٥ ، ٣٨٣ ، ٤٣٠ ،	١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢
٦١٥ ، ٦٥٤ — ٦٥٦ ، ٦٩٥	٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤
٧١٠ ، ٧٣٦ ، ٧٥٢ — ٧٥٣	٤٤٤ — ٤٤٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٧
٧٦٥ ، ٧٩٣ ، ٨٤٠ ، ٨٩٣	٥٦٨ ، ٦٦١ ، ٦٦٩
٩٠٦	(ج ٥) ، ١٦ ، ٤٦ ، ٧٩ ، ١١٢
طابوس (موضع) (ج ٣) ، ١٣٨	١٣٩ ، ١٨٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦
طبرية (مدينة) (ج ١) ، ٤٤٤ ، ٦٤٤	٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٣٧١ — ٣٧٣
(ج ٣) ، ١١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٦٥ ،	٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٦٤٧
٤٦٨	(ج ٦) ، ٢٥ — ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
(ج ٦) ، ٥١٦ ، ٥٤٠ ، ٥٥٢ ،	٢٣١ — ٢٣٥ ، ٣٢٢ ، ٢٣٦
٥٥٨ — ٥٥٩	٢٤٢ ، ٢٦٦ ، ٣٥١ ، ٤١٤
(ج ٧) ، ٣٤٨	٤٧٨ — ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦
طبق (موضع) (ج ٢) ، ٦٣٦	٤٨٧ ، ٤٩٩ ، ٥٣٠ ، ٥٨٩
الطبيق (جبل) (ج ١) ، ٥٣٢	٦٠٧ ، ٦٢٠ ، ٧٦٩ ، ٧٩٦
(ج ٢) ، ٦٣٦	٨١٩
طخفة (مدينة) (ج ٣) ، ٢٧٤	(ج ٧) ، ١٦ ، ٢٨ ، ٥٨ ، ٧٢
(ج ٧) ، ٣٣٣ ، ٣٤٢	٧٤ ، ٧٧ ، ٢٠٨ ، ٢٨٧ ،

حـا ٤٨٧ ، حـا ٥٦٠ ، حـا ٦٠٥
 (جـ٧) حـا ٣٧١
 (جـ٨) حـا ٣٠٠ ، حـا ٤٨٩ ،
 حـا ٤٩٧ ، حـا ٥٠٢ ، ٧٣١
 طوى (بئر) (جـ٧) ١٩٢ - ١٩٣
 طوب (طويم) (موضع) (جـ٢) ٢٠٥
 الطوبة (قصر) (جـ٣) ٤٠٤
 الطور (موضع) (جـ١) ٤٣٦
 (جـ٤) حـا ١٤٣
 (جـ٦) ٥٧٣
 طويق (جبل) (جـ١) ١٥٧ ، ١٧٥
 ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٤٣٠
 (جـ٢) ٥٥٢
 طويلما (قرية) (جـ٧) ٣٣٤ - ٣٣٥
 طيب (موضع) (جـ٢) ٢٩٥ - ٢٩٦
 (جـ٣) ١٣٦ - ١٣٧
 طيزن آباد (مدينة) (جـ٢) ٦١٨
 طيسفون (موضع) (جـ٢) ٢٠ ، ٦٣٥
 ٦٤٢ ، ٦٤٨ ، ٦٥١
 (جـ٣) ٩٥ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٢
 ١٧٣ ، ١٧٥
 (جـ٦) ٦٢٨
 الطيور (جزيرة) (جـ٢) ٦٤ ، ١٦٠
 طيوه (مدينة) (جـ٣) ٥٣٢

طرابزنده (نهر) (جـ٣) حـا ٩٨
 طرابلس الغرب (مدينة) (جـ١) حـا ٢٣٦ ،
 طرسوس (مدينة) (جـ٦) ٦٢٧
 طرغلوديته (مدينة) (جـ١) ٢٢
 الطرف (جـ٧) ٣٤٠ ، ٣٤٢
 طرق (موضع) (جـ٢) ٢٩٧
 طرقل (اسد) (جـ٢) ٢٨٤
 طريدم (طريد) (موضع) (جـ٢) ٤٣٦
 طساسيج (جـ٨) ٢٠٠
 الطف (جبل) (جـ١) ١٧٥ ،
 (جـ٣) ١٨٢ ، ٢٨٩
 طفيل (جبل) (جـ٧) ٣٥١
 طلحة الملك (موضع) (جـ٢) ٥٣١
 الطمح (موضع) (جـ٢) ٥٨٠
 طمحن (سد) (جـ٧) ٢١٢
 طمحنيان (موضع) (جـ٢) ٥٤٦
 طهران (مدينة) (جـ٣) حـا ٢٢٩ ، حـا ٣٩٨ ، حـا ٥١٠ ،
 (جـ٤) حـا ٩٠ ، حـا ٢٠٤ ، حـا ٢٣٦ - ٢٣٧ ، حـا ٤٩١
 (جـ٥) حـا ٨٣ ، حـا ٩٠ ، حـا ٥٣٨ ، حـا ٥٥١
 (جـ٦) حـا ٥٨ ، حـا ٧٧ ، حـا ٧٨
 حـا ١٤٩ ، حـا ٢٣٥ ، حـا ٣٦٩ ، حـا ٤٤٩ ، حـا ٤٥٨

— الظباء —

٦١٩ ، ٦١٥	ظبة (قرية) (ج٧) ٣٥٠
٢٧٥ — ٢٧٤ ، ٢٣٧ (ج٧)	ظراب (موضع) (ج٢) ٢٩٦
٥١٨	ظربان (مدينة) (ج٢) ٤٣٨
٥٥٦ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٣٩ (ج٨)	ظرم (حمر) (ج٢) ١٩٠
٥٨٣	ظفار (مدينة) (ج١) ١٣٣ ، ١٧٢ —
ظفار (أسد) (ج٧) ٥١٨	٤٢٣ ، ٢١٠
ظفار الحقل (ج٧) ٥١٨	(ج٢) ٥٥ ، ٦٠ ، ١٦٥ ، ٢١٥
ظفر (موضع) (ج٢) ٢٢٠	حـا ٢٢٠ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣
ظلمن (ظلمان) (ج٢) ٤٢٩ ، ٤٣٥ —	٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
٤٤٠ ، ٤٣٠	٤٢٣ ، ٤٤٠ ، ٤٨٣ ، ٥١٠
ظليمة (بلدة) (ج١) ١٩٦	٥١١ ، ٥١٦ — ٥١٧ ، ٥١٩
٤٣٠ (ج٢)	— ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠
٥١٩ (ج٧)	٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٩٥
ظمو (موضع) (ج٢) ٥٩٦	٥٩٧
الظهران (مدينة) (ج١) ١٨٦ ، ٥٤٣	(ج٣) ٣٧٩ — ٣٨٠ حـا ٤٥٢ ،
٥٣٠ ، ٤٨٥ (ج٤)	٤٥٥ — ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨
(ج٨) حـا ٢٠٥	٤٨٠ ، ٥٠٦ ، ٥٣١
ظهور الشحر (ج٤) ٢٠٠	(ج٥) ١٣ ، ٢٣٢
	(ج٦) ٦١٢ ، ٦١٣ ،

— المين —

عبد (سد) (ج ٧) ٢٠٨ ، ٢١٢	العائر (موضع) (ج ٧) ٣٥٣
عبدان (موضع) (ج ٧) ٣٣٣	العادي (قصر) (ج ١) ١٨١
العباسية (دولة) (ج ١) ٦٥ ، ١١٥ ، ٤٩٩ ، ٣٥٦	العادية (موضع) (ج ٢) ٣٧٢
١.٤ (ج ٢)	العارض ، العارض (وادي) (ج ١) ١٨٠
عبال (قرية) (ج ١) ٣٤٤ ، ٤٢٩	— ١٨١ ، ٢٧٣
٣٦٤ (ج ٧)	٣٤٤ ، ٤٠ (ج ٧)
العباية (موضع) (ج ٧) ٣٦٣	عارمة (موضع) (ج ٩) ٥٢٧
عبد (دير) (ج ٦) ٦٥٥	العاشقة (خربة) (ج ٣) ١٣٧
عبدان (منطقة) (ج ٢) ٢٩٠ ، ٢٩٢	العاصي (نهر) (ج ٢) ٤١ ، ٦٢٢
٥٨٠ ، ٥٦٠	عائر (موضع) (ج ١) ٥٩٠
٢٥٥ (ج ٥)	عائل (وادي) (ج ٣) ٣٢٢ ، ٣٢٥ —
عبدية (خرائب) (ج ٣) ٦٥	٣٢٢ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ —
٢٠٢ (ج ٤)	٥٢٧ (ج ٩)
العبر (وادي) (ج ٢) ٥٦٠	عاقولاء (مدينة) (ج ١) ٦٦٠
٤٨٥ (ج ٣)	١٥٧ — ١٥٨ (ج ٣)
٢٩ (ج ٤)	٦٢٢ (ج ٦)
٣٦٤ (ج ٧)	عالج (منطقه) (ج ١) ٣٠٢ —
عبرة (موضع) (ج ٢) ٢٩٢	٣٤٠ ، ٣٠٥
٣٦٣ ، ٢٢١ (ج ٧)	العالية (موضع) (ج ١) ٥٦١
عبرة (ج ٧) ٥٢٨	٥٦١ ، ٥٧٥ ، ٥٨ ، ٦٢٤ —
العبلاء (ج ٤) ٢٥٤	٦٢٥
٢٧٢ — ٢٧١ (ج ٦)	٢٤٢ ، ٢٣٠ ، ٣٢ (ج ٩)
٣٦٢ (ج ٧)	عانه (مدينة) (ج ١) ٦٥٩
عبيد (جبل) (ج ٨) ٢٠٧ ، ٦٧٦	٨٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ — (ج ٣)
العبرة (بئر) (ج ٧) ١٩٤	١٧٥ ، ١٥٧
	٩٢ (ج ٩)
	العبايد (وادي) (ج ١) ٥٨٧

عتب (موضع) (ج ٢) ٢٩٥	عتب (ج ٩) ٥٧٤
العتك (وادي) (ج ٧) ٣٣٥	عدوة (ج ٢) ٤٥١
عتود (مدينة) (ج ١) ١٩٢ ، ٢٠٣	عذبت (مدينة) (ج ٢) ٤٣٥
(ج ٢) ٥٥٠ ، ٥٥٥	عذراء (موضع) (ج ٣) ٤٣٨
عثر (موضع) (ج ١) ٢٠٣ ، ٣٠٦	العذيب (ج ٤) ٢١٦ ، ٢٢٥ - ٢٢٦
(ج ٢) ٤٣٤	٢٣١
(ج ٧) ١٣٥ ، ١٦٣ ، ٣٦٤ -	(ج ٥) ٤٠٧
٣٧١	(ج ٧) ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٤٣ ،
عجلز (ج ٧) ٣٤٧	٣٤٧
عجلون (جبال) (ج ٣) ٦٦	عذبة (ج ٧) ٥١٨ ، ٥٢٠
العجول (بئر) (ج ٤) ٥٤ - ٥٥	العر (حصن) (ج ٢) ١٦٤ - ١٦٥
(ج ٧) ١٩٢	٥٢٥
(ج ٩) ٤١١	(ج ٧) ٢١٣
عدان (مدينة) (ج ٣) ١٣٢	عر ذو مرمر (مدينة) (ج ٥) ٢٠
العدسين (قصر) (ج ٢) ٦٤٩	عرابة (بيت) (ج ١) ٦٢٤
عدم (وادي) (ج ١) ١٧٢	عراوت (ج ٥) ٢٠
(ج ٧) ٢١٣	عراد (خليج) (ج ٢) ١٩
عدمان (بناء) (ج ٢) ٢٨٤	عرارين، ارارين (موضع) (ج ٢) ٤٦ ،
عدن (موضع) (ج ١) ١٢٩ ، ١٣٣ -	٤٩
١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٧١ ، ١٩٠ ،	عراعران (موضع) (ج ٢) ٥٠
١٩٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٠٤	العراق (دولة) (ج ١) ١٠ ، ١٦ ،
٣٢١ ، ٣٨٢ ، ٤٣٢ ، ٥٣٢ ،	١٩ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ -
٥٦٣	٤٢ ، ٥٤ ، ٧٧ ، ١٢٢ ،
(ج ٢) ٢٩ - ٣٠ ، ٦٠ ، ٦٤	١٤٠ ، ١٤٤ - ١٤٣ ، ١٥٠
١٠٥ ، ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ،	١٦٤ - ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،
١٧٣ ، ٢٦٢ ، ٣٩٩ ، ٤٢٨	١٨٢ ، ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٦
٤٣٢ ، ٥٠٢ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ،	٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٧ - ٢١٨
٦٥٩ ، ٥٦٨	٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ،
(ج ٣) ٤٤٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،	٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤
٥٢٣	٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢
(ج ٤) ١٥	٣٧٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨
(ج ٥) ٢١	٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٢
(ج ٦) ٨٤ ، ٤٩٨ ، ٥٣٠ ،	٤١٥ ، ٤٦٩ ، ٥٠٤ - ٥٠٥
٦١٢ - ٦١٣ ، ٦١٩ ، ٦٣٠ ،	٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥٣٤
٦٨٠	٥٣٦ ، ٥٤٣ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ،
(ج ٧) ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ -	٥٥٥ - ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٢ ،
٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٥٠ - ٣٦٣ -	٥٦٤ - ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ،
٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٥٢٦	٥٧٢ - ٥٧٣ ، ٥٨١ ، ٥٨٣
(ج ٨) ٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٩٥	٥٨٨ - ٥٨٩ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨

٤٦٧ ، ٤٥٢ ، ٤٤٣ ، ٤٣٤ —
 ٦٥٩ ، ٥٩٠ ، ٥٦٩ ، ٤٦٨ —
 ٧٢١ ، ٦٧٤ — ٦٧١ ، ٦٦٥
 ٨٤٠ ، ٨٠٧ ، ٧٩٨ ، ٧٦٧
 ٨٨٢ ، ٨٧٠ — ٨٦٩ ، ٨٦٠
 ٩٠١ ، ٨٩٥ ، ٨٨٦ — ٨٨٥
 عراقيب (معدن، منجم) (ج٧) ٥٢١
 العراقية (اماكن) (ج٣) ٨٤
 (ج٩) ٤١٧
 عرايس (سد) (ج٧) ٢١٢
 العرب (بلاد) (ج١) ٦٥ ، ١٢٤ —
 ١٣٢ ، ١٣٠ — ١٢٩ ، ١٢٥
 ١٥٤ ، ١٤٤ — ١٤٢ ، ١٣٩
 ١٦٢ ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٥ —
 ١٨١ ، ١٧٥ ، ١٧٢ ، ١٦٧
 ٢٣٦ ، ٢١٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣
 ٢٤٥ — ٢٤٣ ، ٢٤١ — ٢٤٠
 ٣٢٩ ، ٣١١ ، ٢٩١ ، ٢٧٤
 ٤٣٠ ، ٣٩٤ ، ٣٤٣ — ٣٤٢
 ٥٣٥ ، ٥٣١ ، ٥٢٩ ، ٤٣١ —
 ٥٥٨ — ٥٥٧ ، ٥٣٦ —
 ٦٠٩ ، ٦٠٥ ، ٦٠٢ ، ٥٩٨
 ٦٣٩ — ٦٣٨
 (ج٢) ٦ ، ١٠ ، ١٤ — ١٥ ،
 ٧٥ — ٧٤ ، ٦١ ، ٣٢ ، ٣٠
 ٣٣٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ — ٣٢٨
 ٦٣٢ ، ٣٧٨ ، ٣٣٦ —
 (ج٣) ١٨١ ، ١٩٩ ، ٣٧٣ ،
 ٤٩١ ، ٥١٨ ، ٥٢٦
 (ج٤) ٣٢٣
 (ج٥) ٢٨٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٣ —
 ٤٨٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٢ ، ٤٤٩
 (ج٦) ٢٦ ، ٣٩٢ ، ٥٣١ ،
 ٦١٤ ، ٦٣٤ ، ٦٤٥ ، ٦٨٩
 ٧١٨ ، ٨٢٠
 (ج٧) ١٥ — ١٧ ، ٢٤ ، ٣٦
 ٤٧ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٥ — ٧٦
 ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٦٩ — ٢٧٠
 ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

٣٢٧ ، ٣٢٤ — ٣٢٢ ، ٣٢٠
 ٣٢٩ — ٣٢٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢١ —
 ٣٤٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٢١ ،
 ٤٣٩ — ٤٤٠ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢
 ٤٨٠ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٨ ، ٥٢١ ، ٥٤٤ ، ٥٦٦ —
 ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ،
 ٥٨٢ ، ٥٨٥ — ٥٨٦ ، ٥٩٨ ،
 ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩ ،
 ٦١٥ — ٦١٦ ، ٦٢٧ ، ٦٣٣ ،
 ٦٣٥
 (ج٨) ٦ ، ٨ ، ١٦ ، ٢١ ،
 ٣٤ — ٣٥ ، ٤٩ ، ٧٤ ، ٧٩
 ٨١ ، ٨٧ — ١١٠ ، ١١٢
 ١١٢ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٤٦ —
 ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
 ١٦٠ ، ١٦٨ — ١٧٤ ، ١٧٦ ،
 ١٧٩ — ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ،
 ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٦٩ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٥ — ٢٩٩ ، ٣٠١ ،
 ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ،
 ٣٥٥ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٥٤
 ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٨ —
 ٥٢١ ، ٥٣٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ،
 ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢ ،
 ٦٢٨ ، ٦٣٠ — ٦٣١ ، ٦٤٢ ،
 ٦٤٦ — ٦٤٨ ، ٦٥١ ، ٦٧٠ ،
 ٦٧٥ ، ٦٨٠ — ٦٨١ ، ٦٩٣ ،
 ٧٠١ — ٧٠٢ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ،
 ٧١١ — ٧١٢ ، ٧٢٢ ، ٧٢٥ —
 ٧٢٧ ، ٧٦٢ ، ٧٧٩ ، ٧٨٣ ،
 (ج٩) ١٥ ، ٤٧ — ٥١ ، ٦٣
 ٧٩ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٦١
 ١٨٥ ، ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
 ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ — ٢٩٢
 ٢٩٧ ، ٣٠٩ ، ٣٤٠ ، ٣٨٣ ،
 ٤١٦ ، ٤٢٦ — ٤٢٩ ، ٤٣٢

٢. ٢٨ — ٢٦ ٢٣ ٢.
 ٤٩ ٤٤ — ٤٣ ٢٢ —
 ٦٧ — ٦٦ ٦. — ٥٩ ٥٢
 ١٥٥ — ١٥٤ ١١٣ ٨.
 ٢٥٨ ٢٥٥ ٢٤٢ ٢١٧
 ٢٦٦ — ٢٦٥ ٢٦٢ — ٢٦.
 ٢٢٩ ٢.٤ ٢٧٨ ٢٦٨
 ٤٩١ ٤٥٤ ٢٨١ ٢٧٨
 ٥٣. ٥٢٣ ٥.١ ٤٩٨
 ٦.١ ٥٩٤ ٥٤٩ ٥٣٩
 ٦٣٩ ٦٣٤ — ٦٣١ ٦٢٨
 ٦٥٧
 — ٢١ ٩ — ٨ ٤٦ — ٥ (٣ج)
 — ١٥٢ ١٤٧ ٤٩ ٢٢
 ٢٦٧ ١٧٢ ١٦٦ ١٥٣
 ٤٤٧ ٤٤٩ ٣٧٤ ٣.١
 ٥٢٩ ٥.٦ ٤٩٥ ٤٩١
 ٣٦ — ٣٥ ٢٩ ١٩ (٤ج)
 ١١٦ ١١٤ ٩٣ ٦٩ ٤٩
 ١٢٥ ١٢٣ — ١٢٢ ١١٩
 ١٦٣ — ١٦٢ ١٥٩ ١٥٢
 ١٩. ١٧٨ ١٧١ — ١٧.
 ٢١٦ ٢.٦ — ٢.٥ ٢..
 ٢٧٢ — ٢٦٩ ٢٦٣ ٢١٩
 ٢٨٩ ٢٨٤ — ٢٧٩ ٢٧٦
 ٣١١ ٣.٥ — ٣.٣ ٢٩١ —
 ٣٧٣ ٣٢٣ — ٣٢١ ٣١٢ —
 ٣٩٨ — ٣٩٧ ٣٨٨ ٣٧٤ —
 ٥٤٥ ٥٣٩ ٥٢٧ ٤٧٥
 ٦١٤ ٥٦٧ ٥٥٥ ٥٤٨
 ٦٥٦ ٦٥٤ ٦٢٩ — ٦٢٨
 ٦٧٩ — ٦٧٨ ٦٧٥ ٦٦٨
 ٢٢ ١٥ ١. — ٩ (٥ج)
 ٤٤٨ ٤٦ ٤٢ ٣١ ٢٩
 ١. ٧٦ ٦٩ ٦٥ ٥٨
 ١٦٥ ١٦٢ ١٣١ ١.٢
 ١٧٩ ١٧٥ ١٧. ١٦٦ —
 ١٩٥ ١٩٢ ١٨٨ ١٨٥
 ٢٩٧ ٢٧٤ ٢٦٩ ٢.

٢٢٤ ٢٢١ ٢١٦ ٢١١
 ٥٦. ٥٢٤ ٥٢١ ٥١١
 ٥٦٨ ٥٨٦
 ٢.٢ ١٧١ ٥١ (٨ج)
 ٤٤. ٤١٢ ٢٩٨ ٢.٨
 ٧.٢ — ٧.١ ٥٤٦ ٥٢٤
 ٧.٥
 ٧٦٨ ٣٥. ٤٧ (٩ج)
 العرب (جزيرة) (١ج) ٢١ ٩ ٧
 ٤٦ ٤٤ ٤٢ ٣٥ ٢٦
 ٦٧ ١.٥ ١.٧ ١٢١ —
 ١٤. — ١٣٩ ١٢٧ ١٢٦
 ١٥. — ١٤٧ ١٤٥ — ١٤٢
 ١٥٨ — ١٥٦ ١٥٤ — ١٥٣
 ١٦٧ ١٦٤ — ١٦٢ ١٦.
 ١٨٤ — ١٨٣ ١٨. ١٧١
 ١٩٢ — ١٩. ١٨٨ ١٨٦
 ١٩٩ — ١٩٨ ١٩٦ — ١٩٥
 ٢١٥ — ٢١٣ ٢١١ — ٢.١
 ٢٢٩ — ٢٢٦ ٢٢١ — ٢١٧
 ٢٥٤ — ٢٥. ٢٤٨ — ٢٣١
 ٢٨٥ ٢٧٣ ٢٧١ ٢٥٦
 ٢٩١ ٢٨٩ — ٢٨٨ ٢٨٦ —
 ٣.١ ٢٩٨ — ٢٩٧ ٢٩٣ —
 ٣٣. ٣٢٨ ٣٢٤ ٣.٥
 ٣٨١ ٣٦. ٣٥٢ ٣٥.
 ٤٢٤ ٤٢١ — ٤٢. ٤١٦
 ٤٥٧ ٤٤٣١ — ٤٣. ٤٢٥ —
 ٤٧٩ ٤٧٧ ٤٦١ — ٤٥٩
 ٥١٦ — ٥١٤ ٥١٢ ٤٨١
 ٥٣٤ ٥٣١ — ٥٢٩ ٥٢٧
 — ٥٤٢ ٥٤. ٥٣٦ —
 ٥٥٩ — ٥٥٢ ٥٤٩ ٥٤٥
 ٥٧٦ ٥٧٤ ٥٦٥ ٥٦٣
 ٦١٨ ٦١٢ ٦.٨ ٥٨٥
 ٦٢٩ ٦٢٦ — ٦٢٤ ٦١٩ —
 ٦٥٢ ٦٤. — ٦٣٧ ٦٣. —
 ٦٥٨
 — ١٩ ١٧ ١٤ — ٥ (٢ج)

171 : 20A — 206 : 244
 277 : 279 : 277 : 273 —
 292 : 280 — 285 : 279
 22. : 21A : 2.0 : 297
 222 — 221 : 227 : 221 —
 27. — 279 : 242 : 224
 208 : 222 : 2.7 : 272
 28. : 27A : 209 : 207
 290 : 287 : 283 — 282
 012 : 012 — 011 : 0.7
 02. : 02A : 024 : 022
 02A : 020 — 024 : 022
 02A : 027 — 020 : 022
 072 : 071 : 007 — 002
 00A7 : 00A : 007 : 00.
 7.1 : 099 : 097 — 097
 721 : 717 : 7.9 : 7.2 —
 22 : 221. — 7 : 0 (A2)
 A7 : A2 : 09 : 07 : 0.
 : 122 : 110 : 1.7 : 92
 103 : 127 : 122 — 121
 172 : 17. — 179 : 107
 197 : 192 : 1A. — 179
 211 : 2.7 : 2.2 : 2.2
 270 : 202 : 22A : 212 —
 292 : 289 : 271 : 277 —
 222 : 299 : 297 : 290 —
 222 : 2.0 : 287 : 27A
 222 — 222 : 22. : 222
 0.7 — 0.7 : 27A — 277
 07. : 029 : 027 : 021
 092 : 0A : 072 — 072
 72. : 72A : 72A : 7.7
 702 — 727 : 720 — 722
 7A7 : 7A2 : 7A. : 7A2
 7.1 : 792 : 791 : 7A —
 722 : 710 : 712 : 7.2 —
 770 : 72A
 92 — 91 : 72 : 2A (92)

227 : 22. : 2.9 : 2.7
 287 : 222 : 227 : 227 —
 221 : 212 : 212 — 212
 201 : 222 — 222 : 22.
 277 : 272 — 27. : 200
 027 : 0.0 : 299 : 282
 09. : 07. : 02A : 022
 722 : 722 : 092
 22A : 27 : 12 : 11 (72)
 00 : 02 — 02 : 27 : 22
 : 170 : 117 : A : A
 2A1 : 272 : 229 : 22.
 2.7 : 217 : 210 : 2.
 227 : 222 : 210 : 2.9
 0.1 : 2A1 : 271 : 20A
 022 : 017 — 011 : 0.8
 027 : 022 — 021 : 027
 007 : 002 : 029 : 021
 079 : 077 — 070 : 071 —
 092 : 09. — 0A7 : 0A2
 7.2 : 7.0 : 09A : 090 —
 72. : 712 : 7.7 — 7.0
 72A : 72A : 727 : 721 —
 707 : 702 : 722 : 722
 72. : 711
 : 17 — 12 : A — 7 (72)
 2A — 27 : 22 : 27 — 19
 09 : 07 : 00 : 22 : 2.
 72 : 7. — 7A : 77 : 72
 : A2 : 7A — 77 : 70 —
 11. — 1.8 : 1.7 : 97
 12. : 122 — 122 : 110
 10. : 122 : 122 — 122
 170 : 172 — 10A : 102
 17A — 177 : 171 : 17A —
 177 : 190 : 1A2 : 1A.
 212 : 2.9 — 2.7 : 2.1
 222 : 22. : 227 : 212 —
 222 : 227 — 227 : 222 —

٣٧٤ ، ٣٣٣
 (ج) ١٥٣ ، ٧٠١
 العربية (دول) (ج) ٢٩٨
 العربية (قرى) (ج) ٢٨٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩
 العربية (جنوبية - شمالية -
 شرقية - غربية - سعيذة -
 جزيرة - حجرية - صحراوية -
 صخرية)
 (ج) ١٥ ، ٢٣ - ٢٤ ، ٢٤
 ٣٠ ، ٤٤ - ٤٧ ، ٥١ ، ٥٧
 ٦٠ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤
 - ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٢
 ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣١ - ١٣٢
 ١٣٤ ، ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٤٢
 - ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠
 ١٧٣ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ١٨٣
 ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢١٠ - ٢١١
 ٢١٥ ، ٢١٩ - ٢٢٢ ، ٢٢٧
 - ٢٢٨ ، ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٤٦
 ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩
 ٢٨٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥
 ٣٣٢ ، ٣٤١ ، ٣٥١ - ٣٥٢
 ٣٦٠ ، ٣٨٩ ، ٤١٦ ، ٤٢٠
 ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧
 - ٤٣٨ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٧٨
 ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٠
 ٥٣١ ، ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٥٥٩
 - ٥٦١ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠
 - ٥٨١ ، ٥٨٩ ، ٥٩٧ ، ٦١٥
 ٦١٨ ، ٦٢٤ - ٦٢٥ ، ٦٣١
 ٦٣٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٦
 (ج) ١٢ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٦
 - ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٦١ ، ٦٥
 - ٦٧ ، ٧٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢
 ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦
 ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ - ١٧٨
 ح ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١١
 ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٣

١٣٩ ، ٢١٥ ، ٢٩١ - ٢٩٢
 ٢٧١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧
 ٥٣٣ ، ٥٤٣ ، ٥٧٥ - ٥٧٦
 ٦١٦ - ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٥٤
 ٦٥٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٨ ، ٧٨٩
 ٧٩٢ ، ٨٣٩
 عرب (عريم) (موضع) (ج) ١٩٨ ، ٢٩٣
 العرب (شط) (ج) ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٧٦
 عربايا (موضع) (ج) ٦٢٥
 (ج) ٦١١
 العربية (وادي) (ج) ١٩ ، ١٦٦ ، ٤٥٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤٨
 (ج) ١٦١
 (ج) ٢٦١
 (ج) ٢٠٣
 عربستان (منطقة) (ج) ٥٥٥
 العربي (بحر - خليج) (ج) ٦١ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥١
 ١٥٧ - ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥
 - ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٦
 ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢
 - ٢٥٣ ، ٢٥٣ ، ٤٢٧ ، ٤٦٠
 ٥٥٣ - ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٣
 ٥٦٧ - ٥٦٨ ، ٥٧٦ ، ٦٢٤
 - ٦٢٥
 (ج) ١٢ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٥٢١
 ٥٣١ ، ٦٠١ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨
 - ٦٣٩
 (ج) ٨١ ، ١٣٤ ، ٢٢٤ ، ٤٥٣ ، ٤٧٩
 (ج) ٢٠٤ ، ٣٢٢ ، ٦٧٩
 (ج) ٢٦٩
 (ج) ٦٢١ ، ٦٢٩
 (ج) ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٨٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧
 ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٢٧١ - ٢٧٣
 ٢٧٧ ، ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٤

2A 6 IV 6 10 — 1E (7E)
 0V 6 0W — 0Z 6 2V — 3E
 17E 6 1Z. 6 V0 6 V2 6 7A
 1V7 — 1V0 6 1V. — 177
 22V 6 2.. 6 1AA — 1A7
 3..E 6 290 — 29E 6 2A7
 313 — 312 6 3..6 6 3..7 —
 3EA 6 337 6 32. 6 31V
 E.A 6 E.0 6 399 6 3VE
 333E 6 321 6 317 6 313

٤١٩ ، ٤١٤ ، ٤٠٦ ، ٣٨١
 ٤٣٨ — ٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٤٢٣
 ٤٤٦ — ٤٤٥ ، ٤٤٣ — ٤٤٢
 ٤٥٩ ، ٤٥٤ — ٤٥٢ ، ٤٥٠
 ٥٠٩ ، ٥٠٦ ، ٤٧٨ ، ٤٦٥
 ٥٣٥ ، ٥٣٣ ، ٥١٨ ، ٥١٤
 ٥٤٦ ، ٥٤٢ ، ٥٣٨ — ٥٣٧
 ٥٩١ — ٥٨٩ ، ٥٧٦ ، ٥٦٣
 ٦٢٧ ، ٦٢١ ، ٦٠٨ ، ٥٩٣
 ٦٤٤ ، ٦٣٩ ، ٦٣٦ — ٦٣٣
 ٦٧٩ — ٦٧٣ ، ٦٥٩ ، ٦٥١
 ٦٩٢ — ٦٩١ ، ٦٨٣ ، ٦٨١
 ٧٢٨ ، ٧٠٥ ، ٧٠٣
 ٧٣ ، ٦٣ ، ٢١ ، ١٣ (٩ج)
 ٢٩١ ، ٢٥٧ ، ٧٧ ، ٧٤ —
 ٤٠٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٢
 ٤٤٣٧ ، ٤٣٤ ، ٤٢٥ ، ٤١٥
 ٦٧٣ ، ٦٥٧ — ٦٥٦ ، ٦٥٤
 ٧٩٣
 العرج (٧ج) ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ،
 ٣٦٠ — ٣٥٩
 ٢٤٣ (٩ج)
 عرش (ارض) (٢ج) ٥١٩
 ٣٦٣ (٧ج)
 عرفات جبل (٧ج) ٣٦٠
 عرفة (جبل) (٤ج) ٤٦ ، ٥٤ ، ٦٦
 ٢٦٨
 ٣٥٣ (٦ج)
 — ٣٨٠ ، ٣٦٣ — ٣٦٢ (٧ج)
 ٣٨١
 عرقبا (٧ج) ٢٣٣
 عرق الطبية (موضع) (٧ج) ٣٥٤
 عركنن (موضع) (٢ج) ٣٢٨
 العرم (سد) (١ج) ٣١٩
 ٣٤٦ (٧ج)
 عرماوية (حصن) (٢ج) ١٦٠
 عرمة (وادي) (١ج) ٥٣٣
 ٢٠ (٥ج)
 (٧ج) ٤٠ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،

٥١٣ ، ٤٥٤ — ٤٥٣ ، ٤٤٧
 ٥٤١ ، ٥٣٨ ، ٥٣٠ ، ٥١٥ —
 ٦٠٨ ، ٦٠٠ ، ٥٥٥ ، ٥٤٢ —
 ٦٢٦ ، ٦٢١ ، ٦١٥ ، ٦١٢
 ٦٦٤ — ٦٦٣ ، ٦٨٨ ، ٦٢٩
 — ١٤ ، ١١ — ١٠ ، ٧ (٧ج)
 ٣٠ ، ٢٦ — ٢٤ ، ٢١ ، ١٥
 ٤٤ ، ٤١ ، ٣٧ — ٣٦ ، ٣٢ —
 ١١٨ ، ١١٥ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٧٠
 ١٣٧ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٢٢
 ١٥٦ — ١٥٥ ، ١٤٤ ، ١٤١ —
 ١٦٥ ، ١٦٣ — ١٦١ ، ١٥٨
 ١٨٦ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧١
 ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٤
 ٢١٥ — ٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢٠٤ —
 ٢٣١ — ٢٣٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢١
 ٢٣٩ — ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣
 ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٤٤ — ٢٤١
 ٢٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٦٢ — ٢٦١
 ٢٨٥ ، ٢٨٣ — ٢٨١ ، ٢٧٨
 ٣٣٣ ، ٣١٣ ، ٣٠٥ ، ٢٩٠
 ٣٧٥ ، ٣٧٣ ، ٣٦٣ ، ٣٤٧
 ٤٦٩ ، ٤٥٩ ، ٤٥٥ ، ٤٣٦
 ٤٧٨ — ٤٧٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٣
 ٤٩١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٣ — ٤٨٢
 ٥٢٣ ، ٥١٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٣ —
 ٥٩٨ ، ٥٨٧ ، ٥٦١ ، ٥٢٨
 ٦١٣
 (٨ج) ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ،
 ٣٥ ، ٢٨ — ٢٦ ، ٢٤ ، ١٨
 — ٤٢ ، ٤٠ — ٣٩ ، ٣٦ —
 ٤٨ ، ٤٣ — ٤٢ ، ٥٧ ، ٦٤ ،
 ٨١ — ٨٠ ، ٧٦ ، ٧١ — ٧٠
 ١١٥ ، ١١٢ ، ٩٢ ، ٨٧ ، ٨٥
 ١٧٥ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ١٤١
 ٢١٣ ، ٢١٠ — ٢٠٩ ، ١٩٦
 ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢١٥ —
 ٢٦٢ ، ٢٤٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠ —
 ٣٥٥ ، ٣٠٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧١

- ٣٣٤ -
 عرمن (سد) (ج٢) ٥٦٥
 العرينين (ج٥) ٥٨٦
 عروة (بئر) (ج٤) ١٣١
 عروس (وادي) (ج٥) ٤٥٠
 (ج٧) ٢٠٩
 عروشتن (موضع) (ج٢) ٤٢٩ -
 ٤٣٠ ، ٥٢٥
 العروض (اقليم) (ج١) ١٢١ ، ١٦٧
 ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ -
 ٢١٠ ، ٢٥١ ، ٥٤٥ ، ٥٦٢ ،
 ٥٦٤ ، ٦١٣ ، ٦٤١
 (ج٢) ١٤ ، ١٧ ، ٦٣٣
 (ج٦) ٥١١
 (ج٧) ١٥٦
 (ج٨) ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٦٥١
 عربي (أربي) (مملكة) (ج١) ٤٣٧ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٥٨٥ - ٥٨٦
 ٥٩٠ - ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٦٠١ ،
 ٦٤٥ ، ٦٥٠
 (ج٢) ٨٨ ، ٢٦٠ ، ٢٨٧
 (ج٦) ٢٣٥
 (ج٧) ٢٧٣
 المريض (ج٧) ٣٣٩
 المرين (موضع) (ج٨) ٣٩
 عزان (مدينة) (ج٣) ١٣٢
 عزانيا (مدينة) (ج٢) ٥١١
 (ج٣) ٤٥٠
 عزور (مدينة) (ج٧) ٣٥٢ ، ٣٥٦
 (ج٤) ٢٨١
 عسفان (ج٧) ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ - ٣٦٠
 عسقلان (ج١) ٥٨٤ ، ٥٩٠
 عسجت (جبل) (ج٢) ٢٨٨
 عسيب (جبل) (ج٣) ٣٧
 (ج٤) ٢٤٧
 عسير (منطقة) (ج١) ١٨٧ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ٤٣٠ ، ٤٥١ ، ٦١٥ ،
 ٦٣٩ ،
- (ج٢) ٥٧ ، ٣٦٨ ، ٥٤١
 (ج٣) ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٥٣٧
 (ج٤) ٤٤٤ ، ٦٧٩
 (ج٧) ٣٦
 المسيلة (ج٧) ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٥٢١
 عشار (وادي) (ج٧) ٥٢٠
 عشر (ج٢) ٢٩٢
 عشم (معدن ، منجم) (ج٧) ٥٦٨
 عصي (موضع) (ج٧) ٣٣٣
 عصيون جابر (موضع) (ج١) ٦٤٠ -
 ٦٤١ ، ٦٤٥
 (ج٨) ٢٠٣
 عطل (موضع) (ج٩) ٣٣٣
 عفاريات (ج١) ٤٥٨
 عفراء (بئر) (ج٤) ٢٤٦
 العفافة (موضع) (ج٧) ٢٤٤
 المقارب (جبل) (ج٢) ٣٩٩
 عقبان (موضع) (ج٢) ٢٩٧ ، ٤٥٧
 العقبة ، (خليج) (ج١) ١٩ ، ١٤٢ -
 ١٤٣ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٨٧ ،
 ٢٠٦ ، ٤٣١ ، ٤٥٦ ، ٥٥٩
 ٥٨٦ - ٥٨٧ ، ٦١٢ ، ٦٣٧
 (ج٢) ٦ ، ٦٥ ، ٩١ ، ٦٠٦
 (ج٣) ٥٠ ، ٤٤٠
 (ج٥) ٦٤٨
 (ج٦) ٧٣١
 (ج٧) ١١٩ ، ٢٧٨
 (ج٨) ٢٠٣
 العقبة (مدينة) (ج٤) ٤٤ ، ١٣٧ ،
 ١٨٩ -
 (ج٧) ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ،
 ٤٧٩
 عقبة (هضبة) (ج٥) ٢٠
 عقبة ، عقبة (موضع) (ج٢) ١٣٤
 عقة (بناء) (ج٣) ٤٠٢
 عقرون (موضع) (ج١) ٥٩٠ ،
 ٥٩٦
 عقله (موضع) (ج٢) ١٣١ ، ١٤١ ،
 ١٥٧ ، ٥١٢

٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩٤ ، ٧٤٤	العقير (منطقة) (ج) ١٧٥ ، ٥٦٩
٨٧٦ ، ٨٩٨	١٨ (ج) ٢
٦٤١ ، ٦٠٨ (ج) ٢ ، ٦٤٤	٢٢٣ (ج) ٧٥
٦٦٧ (ج) ٤	العقيق (وادي) (ج) ١٦١ ، حا
٥٤٢ - ٥٤١ (ج) ٢ ، عكوتين (موضع)	١٧٩ ، ١٦٤ ، ٣٤٨ ، ٤٥٨
١٦٨ ، ١٣٣ (ج) ١ ، الملا (منطقة)	٥٨٧
١٦٩ ، ١٨٧ ، ٤٥٧ ، ٥٨٢	١٢١ (ج) ٤
٦١٢ ، ٦٣٨	٤٦ (ج) ٥
٩٧ ، ٩٢ ، ٨٤ ، ٧٧ (ج) ٢	٥٢٣ ، ٢٧٦ (ج) ٦
١٠٦ ، ١١٩ - ١٢٠ ، ٢٤١	٤٠ ، ٤٢ ، ١٤٩ (ج) ٧
٢٤٢ ، ٢٤٤	١٧٧ - ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٣٤٤ -
٥١ - ٥٥ ، ٢٠ (ج) ٣	٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٥٠٨
٢٧٥ (ج) ٥	٥١٤
٣٦٨ ، ٣٥٣ ، ٢١٦ (ج) ٦	١٩٤ ، ١٨٤ (ج) ٨
٤١٨ ، ٤٠٦ ، ٣٩٦ ، ٢٩١	العقبة (ج) ٧ ، ٣٤٥
٤٦٧ - ٤٦٦	عكا (مدينة) (ج) ٤٣
٢١١ - ٢١٠ ، ١٧٢ (ج) ٨	عكاش (ج) ٧ ، ٢٤٤ - ٣٤٥
٢١٩ (ج) ٤ ، العلاء (جبل)	عكاظ (سوق) (ج) ١ ، حا ١٦٧
٥٨٢ ، ١٣ (ج) ٥ ، علان (مدينة)	(ج) ٣ ، ٢١٢ - ٢١٣ ، ٢٧٥ -
١٥٦ (ج) ٢ ، عليم (موضع)	٢٧٦
٥٩٠ (ج) ١ ، علتقه (موضع)	(ج) ٤ ، ٢٢ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ١٠١ -
٤٤٨ (ج) ٤ ، علتان	١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٥٢ ،
٣٤٥ (ج) ٧ ، الملكومة	٢٣٦ ، ٣٦٤ ، ٤٠٣ ، ٤١١ -
١٤٥ - ١٤٦ ، علم (معبد) (ج) ٢	٤١٢ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٨
٥٣٥ ، ٤٨٢	(ج) ٥ ، ٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣
٥٣٩ (ج) ١ ، العلم الابيض (مرتفع)	٢٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٦٥٢ -
٥٣٩ (ج) ١ ، العلم الاسود (مرتفع)	٦٥٤
٤٢٤ (ج) ٢ ، علمان (جبل)	(ج) ٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ،
٢١ (ج) ٥	٢٨٢ ، ٧٧٤
٣٤٧ - ٣٤٦ (ج) ٢ ، عمائد (خرائب)	(ج) ٧ ، ٣١٨ ، ٣٧٥ ،
٢٩ (ج) ١ ، العمارة (لواء)	٢٧٧ - ٣٨٥ ، ٤٥٣ ، ٥٣٨ ،
٤٤١ (ج) ٦	٥٨٣
١٣٣ ، ١٣١ (ج) ١ ، عمان (مدينة)	(ج) ٨ ، ٣١٦ ، ٣٥٠ ، ٣٦٧ ،
١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٩ - ١٥٠ ،	٤٧٦ - ٤٧٨ ، ٥٨٧ ، ٦٣١ ،
١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٧١ - ١٧٤ ،	٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ -
١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ،	٧٨٥ ، ٧٨٧
٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ ،	(ج) ٩ ، ٨٨ - ٩١ ، ١١٠ ،
٢٩٥ ، ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣٤٦ ،	١١٦ ، ٢٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٧٣ ،
	٤٧٤ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥٦٢ ،

- العمق (ج ٧) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٥٢٢
 عمواس (مدينة) (ج ٨) ١٢٧
 عمير اللصوص (موضع) (ج ٣) ٣٠٣
 عن . ان (موضع) (ج ٢) ٢٦٧
 عنصاص (موضع) (ج ٥) ٤٥٠
 عهل (قناة) (ج ٢) ٢٨٨
 العوارض (موضع) (ج ١) ٢٢٦
 (ج ٩) ٨١٢
 العوالق (ارض) (ج ٢) ٢٢١ ،
 عوالق الاحور (ج ٢) ٥١٢
 العوالق العليا (ج ٢) ٢٩٢
 (ج ٥) ٢٥٥ - ٢٥٦
 عوبال (موضع) (ج ١) ٤٢٩
 العود (منطقة) (ج ١) ٤٢٧
 (ج ٢) ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٩٨ ،
 الموزلة (موضع) (ج ٢) ٢٢٢
 العورة (ج ٧) ١٤٩
 (ج ٩) ٦٧٠
 الموسجة (موضع) (ج ٧) ١٢٢ ،
 ٣١٦ ، ٣٤٢ ، ٥١٤
 عوفة (ج ٧) ١٩١
 عوكلان (ج ٧) ٣٦٤
 عونيد (ج ٧) ٣٥٠
 العويفرة (موضع) (ج ١) ١٨٠
 عوينات علي (راس) (ج ١) ٥٣١ ،
 ٥٣٤
 عونيد (موضع) (ج ٢) ٤٨
 عيزان (موضع) (ج ٢) ١٥٩
 عيسا باذ (مدينة) (ج ٩) ٣١٥ ،
 ٣١٧
 عيسى (نهر) (ج ٣) ١٧٤
 عيسان (موضع) (ج ٧) ٥١٩
 العيصان (ج ٧) ٣٤٥ ، ٥٢١
 الميكتين (موضع) (ج ٩) ٦١٠
 عيلام (ارض) (ج ١) ٥٩١ ، ٦٠٣
 (ج ٢) ٦٢٨
 عيلان (قصر) (ج ٦) ٧٩٦
 العين (قصر) (ج ٨) ٢٩٦
 ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ،
 ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٧٩ ، ٤٩٥ ،
 ٥٣٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ - ٥٤٦ ،
 ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ - ٥٦١ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ ، ٦٣٨ ،
 (ج ٢) ٢١ ، ١٤٥ - ١٥٩ ،
 ٥٤٠ ، ٦٣٨ ، ٦٤٧ ،
 (ج ٣) ١١ ، ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٨ -
 ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ - ٧٤ ،
 ١٦٨ ، ١٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٨ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٨٩ ،
 ٤٠٥ ، ٤٥٣
 (ج ٤) ٢٥ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ،
 ٢٠٠ - ٢٠٣ ، ٢٤٥ ، ٣٠٣ ،
 ٣٢٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ -
 ٤٤٢ ، ٤٨٥
 (ج ٥) ٢٤٠ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ،
 ٣٨٤
 (ج ٦) ٦٢٩ ، ٦٦٩ ، ٦٩٣
 (ج ٧) ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٢٣٨ ،
 ٢٤٠ ، ٢٥٠ - ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
 ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٢٣ ، ٣٦٣ -
 ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٤١٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦
 (ج ٨) ٥٧٥ ، ٧٢٧ ، ٧٨٢
 (ج ٩) ٤٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٧٤ -
 ٥٧٥ ، ٦٥٥ ، ٧٥٢ ، ٨٦٨
 عماية (ناحية) (ج ١) ٦٢٩
 (ج ٧) ٥١٤
 العمابيد (موضع) (ج ٨) ٤٨
 عمد (وادي) (ج ٢) ١٦٢ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٤ ، ٤٢٨
 عمران (مدينة) (ج ١) ١٢٦
 (ج ٢) ٥٧٦
 (ج ٣) ٤٨٧
 (ج ٥) ٢٧٨
 عمرة (عمورة) (قرية) (ج ١) ٣٣٢ -
 ٣٣٣
 العمشية (موضع) (ج ٧) ٣٦٣

٢٦٥ - ٢٩٦ ، ٦٤٥	عين اباغ (ج٣) ، ١٨٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ -
(ج٩) ، ٤٩ ، ٢٩١	٢٢٣ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
عين جوان (ج٨) ، ٢٠٥	٢٥٩ ، ٣٢٣ ، ٣٧٧ ، ٣٩٣ ،
عين الرهيمة (موضع) (ج٣) ، ١٨٣	٤١٣ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩
عين السبع (ج١) ، ٢٣٩	(ج٤) ، ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٤٧٠ -
عين شمس (مدينة) (ج١) ، ٣٦٣	٤٧١ ، ٥٠٢
(ج٨) ، ١٧٨	عين تشج (ج٧) ، ٣٧٢
عين عودايا (ج٣) ، ٢٢٧	عين التمر (موضع) (ج٢) ، ٦١٥ ،
عين القديان (موضع) (ج١) ، ٦٣٧	٦٥٠ - ٦٥١
(ج٨) حا ، ٢٠٣	(ج٣) ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٩١ -
عين قرية (ج٨) ، ٢٠٨	٢٩٣
عين قنا (موضع) (ج٦) ، ٦٢١	(ج٤) ، ٢٠٧ ، ١٣٠ - ٢٣٥ ،
عينم (عين) (موضع) (ج٢) ، ٤٢٨ -	٢٣٨ ، ٥٣٠
٤٢٩	(ج٥) ، ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ٣٦٧ ،
عينونة (موضع) (ج٢) ، ٢٨	٥٨٥
(ج٤) ، ٢٢٤	(ج٦) ، ٦٠٤ - ٦٠٥
عينم (ج٧) ، ٥٢١	(ج٧) ، ٢٣٣ ، ٤٦٥
العيون (ج٤) ، ٢٩٠ ، ٤٨٥	(ج٨) ، ٣٥ ، ١١٠ ، ١٨٠ ،

حرف الفين

(ج٢) ، ١٦٠ - ١٦١ ، ٢٩١ ،	الفاط (موضع) (ج١) ، ١٧١
٥٩٤ ، ٣٧١	الناف (ج٧) ، ٥٢١
(ج٣) ، ٤٦٠ ، ٤٧٨	القال (أقليم) (ج١) ، ٥٨
(ج٥) ، ٢٧٨	(ج٢) ، ١١٦
(ج٧) ، ٢٧٤ ، ٣٥٨	غامد (ج٤) ، ١٨٥
الغرايات (موضع) (ج٧) ، ٣٤٦	غيبب (معبد) (ج٦) ، ٢٢٨ ، ٤٢٢ ،
غراية (ج٤) ، ٢١٧	٤٢٣
الغراز (موضع) ، ٣٩٥ ، ٣٩٧	الغدير (نهر) (ج٣) ، ٤١٦
گران (ج٧) ، ٣٥٨	(ج٦) ، ٥٩٨
الفرس (وادي) (ج٧) ، ٤١ ، ١٩٣	غراب (حصن) (ج١) ، ١٢٦

الثريين (قصر) (ج) ٢٣٦ - ٢٣٨
 ٢٨٤ ، ٣٠١
 غزة (مدينة) (ج) ٤٤١ ، ٥٨٤ ،
 ٥٨٩ ، ٥٩٦ ، ٦٢٣ - ٦٢٤
 (ج) ٨ - ١٠ ، ٢١ - ٢٢ ،
 ٩٢ - ٩٣ ، ٢٢٤ ، ٥٠١ ،
 ٥٠٦ ، ٦٥٣
 (ج) ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٥٦
 (ج) ٦٧ ، ٨٠ ، ١١٤ ،
 ١١٧ ، ٢٤٤
 (ج) ٣٠٨
 (ج) ٤٨٠ ، ٥١٦
 (ج) ٢٣٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ،
 ٣١٣ ، ٣٤٨
 غزوان (جبل) (ج) ١٤٢
 الغزير (ج) ٣٤٤
 القساسنة (دولة) (ج) ٦٠٥
 (ج) ١٩
 غضرن (موضع) (ج) ٢٣٠ ، ٤٥٠
 غفار (ج) ٣٥٥
 غفر (ج) ٤٠٧ ، ٤١٥
 غلاطية (مدينة) (ج) ١٩ ، ٦٤١
 (ج) ٩٩ ، ١١٧
 غلافقة (ج) ٣٦٤
 غفل (ج) ٣٤٥
 غليل ضجنان (ج) ٣٥٨
 غمدان (قصر) (ج) ١٩٦ ، حـ
 ٢٠٢
 (ج) ٣٧١ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٥٣ ، ٤٩٥ ،
 ٥١٧ ، ٥٣٩ ، ٥٧٢ ، ٥٨١ ،
 (ج) ٤٨٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ،
 ٥٢٦ ، ٥٣١ - ٥٣٢
 (ج) ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٩
 (ج) ١٦ ، ٥٤ ، ١١٢ ،
 ٢١٥
 (ج) ٢٥ ، ٢٦٤ ، ٤٤٦ ،
 ٧٢٣

- حرف الفاء -

فاطمة (وادي) (ج ١) ١٦٣	فاران (برية) (ج ١) ٢٧ ، ٤٣٣
الغالوجة (موضع) (ج ٨) ٧٢١	فارس (دولة) (ج ١) ٦٩ ، ٧٧ ،
فامية (مدينة) (ج ٣) ٢٢١ ، ٢٢٣	١١٨ ، ١٧٧ ، ٢٧٣ ، ٣٤٠ ،
الفاو (قرية) (ج ١) ١٧٨ - ١٧٩ ،	٣٤١ ، ٤٩٦ ، ٦٢٤
٥٣٩	(ج ٢) ١٢ ، ١٤ ، ٦٤٨
(ج ٢) ١١٥	(ج ٣) ١٤١ ، ١٦٧ ، ١٨٠ -
(ج ٨) ٢٠٧ - ٢٠٨ : ٦٧٨	١٨٦ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،
فترم (ج ٢) ٢٩٧	٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٩٨ ، ٤٤٢
الفتق (ج ٧) ٣٦١ - ٣٦٣	(ج ٤) ١١ ، ٧٠ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ،
فج بني تميم (ج ٤) ٢٠٤	٢٠٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ،
فج الروحاء (ج ٧) ٣٥٤	٢٢١ ، ٣٠٢ ، ٤٨٥ ، ٥٣٠ ،
الفجار (بلد) (ج ٦) ٢١٤	٥٤٣
فخذ علو (ج ٢) ٢٩٠	(ج ٦) ٥٢٦ ، ٦٢٢ ، ٦٩٢
فدك (مدينة) (ج ١) ٦١٤ ، ٦١٦ -	(ج ٧) ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٦ ،
٦١٧	٢٩٥ ، ٣٣٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،
(ج ٣) ٢٦١ - ٢٦٢	٥٤١ ، ٥٩٩
(ج ٤) ٨٣ ، ٢٦٤	(ج ٨) ٨٦ ، ٩٥ ، ١٩٨ ، ٣٢٠ ،
(ج ٥) ٥١٧	٣٤٧ ، ٣٨١ - ٣٨٢ ، ٣٨٥ ،
(ج ٧) ٤١ ، ١٤٢	٧٠٥
(ج ٨) ١١٥	(ج ٩) ١١٦ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ،
الفرات ، (نهر) (ج ١) ١٨ ، ٣٥ ،	٢١٥ ، ٣٤٢ ، ٥٣٣ ، ٥٦٨ ،
٥١ : ٥٣ ، ٥٠ ، ١٣٢ ،	٨٣٨ ، ٧٥٢
١٤٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ١٥٦ -	الفارسي (خليج) (ج ١) ١٤٠ ، ١٨٠ ،
١٥٧ ، ٢٩٧ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ،	٤٢٧
٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٥٠٧ ، ٥٤٥ -	(ج ٨) ٢٠٥
٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٠ ،	الفارسية (امبراطورية) (ج ٣) ٣٥ ،
٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٨٩ ، ٦٣١ ،	١٧٤ ، ١٩٢

فرق (ج) ٢٦٤	٦٥١ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩
فرنسا (دولة) (ج) ٦١٧	(ج) ١١ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٢
فروف (وادي) (ج) ١٧٤	٢١ ، ٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ -
فريجية (مدينة) (ج) ٦٩	٦٠٧ ، ٦١٨ ، ٦٢٧
فصوص البقران (موضع) (ج) ١٩٦	٦٣٥ ، ٦٤٢ ، حا ٦٥ -
فصوص السعوانية (موضع) (ج) ١٩٦	٦٥١
الفضا (قصر) (ج) ٤٢٠	(ج) ١٦ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧
الفاقي (موضع) (ج) ١٨٠	٦٤ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١١٠ ،
(ج) ٣٤٤ - ٣٤٥	- ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٨
الفلالغ (موضع) (ج) ٦٥	١٣١ - ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠
الفلج (موضع) (ج) ٥١	١٤٣ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٠
(ج) ٥٢٢	١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ - ١٧٤
(ج) ٣٦٧	١٧٧ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٥
(ج) ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ -	٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢
٣٤٥	٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٦ - ٣٣٧
(ج) ٨٤٨	٣٤٩ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ ، ٤٦٦
فلسطين (بلد) (ج) ٥٣ ، ٥٤	٤٧٩
١٦٧ ، ١٦٣ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ،	(ج) ١٦٦ ، ٢٣١ ، ٢٩١ ،
٢٤٤ ، ٢٣٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٠	٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٩٩
٢٥٠ ، ٢٤٨ - ٢٤٧ ، ٢٤٥ -	(ج) ٦٠ ، ٦٠٠ ، ٦٢٦ ،
٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٢ ، ٢٥٢	٦٧٦ ، ٧٢٠
٢٤٧ ، ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٣٥	(ج) ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٢٢١ ،
٢٣٧ - ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥	٢٥٣ ، ٣٣٢
٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢	(ج) ٢٩٦ ، ٦٢٦ ، ٦٣٠
٢٥٨ ، ٢٣٥ - ٢٣٥ ، ٢٥٨	٦٨٠ ، ٧٢١
٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨	(ج) ٨١ ، ٢٩١ ، ٤٧٥ ،
٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ - ٢٢٤	٥٢٧ ، ٥٤١ ، ٧٩٨
٢٢٦ ، ٢٣ - ٢٣٢ ، ٢٣٤	الفراية (جزيرة) (ج) ٤٩١
١٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٤٨	الفراس (موضع) (ج) ٤٠
٦٤٩ ، ٦٥١ - ٦٥٢ ، ١٥٧	فران (ج) ٥٢٢
٦٥٨ ، ٦٦١ -	فرايكفورت (ج) حا ٢٦٥
(ج) ١٦ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٤	فرزان (منطقة) (ج) ٥٤٠
٩٣ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ٢٦٤	فرسان (جزيرة) (ج) ١٨٧
٥٠١ ، ٦٥٥ - ٦٥٦ ، ٦٥٨	(ج) ١٢٣ ، ٢٧٤
٦٥٩ -	فرضة نعم (موضع) (ج) ٥٧٩
(ج) ٨ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٥٠ ،	الفرع (ناحية) (ج) ٢٦٠ ، ٢٦٥
٦٧ - ٦٨ ، ٧١ - ٧٢ ، ٩٥	(ج) ٣٤ ، ٣٥٠ - ٣٥١
	٣٥٧ ، ٥١٥ ، ٥٢٢
	فرعة (موضع) (ج) ٢٩٧

- فومبديثة (منطقة) (ج) ١ ٦٥٧ ،
٦٦٠ - ٦٦١
(ج) ٢ ٧٥ ، ١٧٦
فيلد (ج) ٤ ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٤٥٤
(ج) ٥ ٢٦٧ ، ٢٦٦ - ٢٧٠ ،
٢٩١
(ج) ٦ ٢٧٨
(ج) ٧ ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٣٧ ،
٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧
فيروز شاپور (ج) ٢ ٦٤٤
(ج) ٣ ١٧٤ - ١٧٥
فيشان (ج) ٢ ٢٧٠ ، ٢٩٥ ، ٢٧١ ،
٣٧٥
فيشون (نهر) (ج) ١ ٢٤٥ ، ٤٣١
فيلد (متحف) (ج) ١ ٢٢٧
فيلكا (جزيرة) (ج) ١ حا ٥٣١ ،
٥٤٢ - ٥٤٣ ، ٥٧١
(ج) ٢ ٣٠ - ٣٣
(ج) ٤ ٣٠٤
(ج) ٧ ٤٩٥
(ج) ٨ ٧٠ - ٧١ ، ٨٥ - ٨٦
فيليبوبولس (مدينة) (ج) ٣ ٩
فيينا (متحف) (ج) ١ ١٣٠
فينيقية (دولة) (ج) ١ ٥٤٥ ، ٥٦٦
(ج) ٢ ٤٥ ، ٦
٥٦٧ ، ٥٩٠ ، ٦٢٣
(ج) ٣ ٢٠ ، ٣٩ ، ١٢٨
(ج) ٣ ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤٣ ،
٢٥٠ ، ٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤٤٠
(ج) ٧ ٤٩٥
١٠.٨ ، ١١.٠ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ،
١٧٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ،
٢٤٩ - ٢٨٣ ، ٢٨٦
٢٩٣ ، ٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤٠٢ ،
٤٠٥ ، ٤١١ ، ٤٤٠ ، ٤٧٤
٤٩٢ - ٤٩٣
(ج) ٤ ١٢ ، ٦٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٤٦٣
(ج) ٥ ١٦ ، ١٨٦ ، ٤٥٣
(ج) ٦ ١١ ، ٤٠.٨ ، ٥١١ ،
٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ،
٥٢٤ ، ٥٢٦ - ٥٢٨ ، ٥٣١ ،
٥٣٨ - ٥٤١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٨ ،
٥٥٩ ، ٦٢٠
(ج) ٧ ٤٠ ، ١٠.٨ ، ١١٦ ،
٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ، ٣١٤ ،
٣٤٩ ، ٤١٧ ، ٤٧٩ ، ٤٩٤ ،
٥١٨
(ج) ٨ ١٤٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ ،
الفلطينية (الارض) (ج) ١ ٥٩٠
(ج) ٧ ٢٧٩
فلورنسة (مدينة) (ج) ٣ ١٢٧
فنت (ارض) (ج) ١ ٢٣٦
الفنق (ج) ٧ ٣٧٨
فنتن (موضع) (ج) ٢ ٢٩٣
فنياذ-أردشير (ج) ٢ ٦٢٤
الفوارة (ج) ٧ ٣٤٧
فوط (ج) ١ حا ٢٣٦
(ج) ٧ ٢٧٣
فولوغيسية (مدينة) (ج) ٣ ١٣٣

- القواف -

٢٧. ، حا ٤٩١ ، حا ٥١٥ ،
 حا ٦٣٣
 (ج) حا ١١ ، حا ١٣ ، حا
 حا ٢٥٢ ، حا ٢٦١ ، حا ٢٧٣ ،
 حا ٣.٤ ، حا ٣٥١ ، حا
 حا ٣٦. ، حا ٣٦١ ، حا ٣٨٨ ،
 حا ٣٩٢ ، حا ٤٢٦ - ٤٢٧ ،
 حا ٤٢٩ ، حا ٤٩٩ ، حا
 .٥. ، حا ٥٣٧
 (ج) حا ١٣٦ ، حا ٢٣٥ ،
 حا ٣٨٨ ، حا ٤٤٤ ، حا
 حا ٤٧٥ ، حا ٤٩٠ ، حا ٤٩٨ ،
 حا ٦٧٤
 (ج) حا ١٢٢ ، حا ١٧٨ -
 حا ١٧٩ ، حا ٢٩٧ ، حا ٥٨٠ ،
 حا ٥٩. ، حا ٥٩٧
 (ج) حا ١٣٥ - ١٣٦ ، حا
 حا ١٥٤ ، حا ١٥٦ ، حا ١٨٢ ،
 حا ١٩١ ، حا ٢٠٩ ، حا ٢١١
 حا ٢٤٩ ، حا ٢٦١ ، حا
 حا ٢٧. ، حا ٢٩٩ ، حا ٣٤٠ ،
 حا ٣٥٤ ، حا ٣٦. - ٣٦١ ،
 حا ٤.٤ ، حا ٤٣٥ ، حا
 حا ٤٥٥ ، حا ٤٨٧ ، حا ٦١٥ -
 حا ٦١٧ ، حا ٦٩٦
 (ج) حا ٣٥ - ٣٦ ، حا ٤٠

القابل (ج) ٥٣٥ ، ٥٣٧
 القاحه (القاجه) (ج) ٣٥٣ ، ٣٥٩
 القادسية (مدينة) (ج) ٢٧٢
 (ج) ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٢٣ ، ٤٥٣
 (ج) ٢٢٥
 حا ٢٨٤
 (ج) ١٨١ ، ٣٣٦ ، ٤٣٠
 قادش (منطقة) (ج) ٢٧ ، ٦٠٩
 قارات حوق (ج) ٤١١
 (ج) ٢٢١
 قارة (موضع) (ج) ١٧٢ - ١٧٣
 ١٧٧
 (ج) ٤٥ - ٤٦ ، ٢٩٤ ، ٤٧٨
 قارع (حصن) (ج) ٧٣٦
 القاع (مدينة) (ج) ٣٧٥
 (ج) ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢
 القاهره (مدينة) (ج) حا ١٠ ،
 حا ١٥ ، حا ٥٢ ، حا ٦٢ ، حا
 حا ٩٨ ، حا ١٠١ ، حا ١١١ ،
 حا ١١٧ ، حا ١٥٠ ، حا
 حا ١٧٢ ، حا ١٨١ ، حا ٣١٤ ،
 حا ٣١٧ ، حا ٣٢٠ ، حا
 حا ٣٢٦ ، حا ٣٥٥ ، حا ٣٨٢ ،
 حا ٤٦٩ ، حا ٤٨٧
 (ج) حا ٧٥ ، حا ٨٧ ، حا
 حا ٩٨ ، حا ٣٠٤ ، حا

٨١ : ٤٤٧ ، ٤٥٣ ، ٥١٤ ،
٦٨٦

القتبانية (مملكة) (ج) ٤٧٤ ، ٤٨٠
قتروعد (ج) ٣٧٧

قدابا (مملكة) (ج) ٥٩٥

قدم (جبل) (ج) ٥٤ ، ٢٩٣

القدموني (بحر) (ج) ٣٠

قدوم (ج) ٢٠١

قديد (ج) ٢٦٦

(ج) ٥٣٥

(ج) ٢٤٧

(ج) ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ،

٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ -

القرى (وادي) (ج) ١٦١ - ١٦٢ ،

١٦٨ - ١٦٩ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ٣٢٤ -

٦٥٩ ، ٦٦١

(ج) ٥٥ ، ٤٢٤

(ج) ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٤٥ -

٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ -

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٢٦٨

(ج) ١٢ - ١٣ ، ١٨ ، ١١٢ ،

٢٣٦

(ج) ٧٩ ، ٢٥٥ ، ٥١٣ ،

٥١٦ - ٥١٧ ، ٥٤٧ ، ٥٣٢ ،

٥٤٩ ، ٥٦٧ ، ٩٠١ ، ٦٤٧ ،

٦٥٣

(ج) ١٠ ، ٤٠ ، ٤١ - ١٤٨ ،

١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٣٣٣ ،

٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٥١٥

(ج) ١١١ ، ١١٥ ، ٢٩٤ ،

٢٩٨ ، ٦٥١

(ج) ٨٤٤

القرار (ج) ٢٧٢ - ٢٧٢

قرارة الكدر (ج) ٣٣٩

القراريط (ج) ٩٩

قران (ج) ٢١٣

(ج) ٤٠ ، ٢٧٢

قرة (مدينة) (ج) ٣٠٣

قرح (مدينة) (ج) ١٥٨ - ١٥٩

حا ٩٠ ، حا ٣٠١ ، حا ٣١٣

حا ٣٤٦ ، حا ٣٧٦ ، حا

٤١٠ ، حا ٤٥١ ، حا

٤٧٦ ، حا ٦٤١ ، حا ٧٥٧

حا ٧٦٦ ، حا ٨٥٤ ، حا

٨٥٨ ، حا ٨٨٠ ، حا ٨٨٢

قبا (ج) ٣٤٢

قبا (ج) ٣٥٤

القباب (جزيرة) (ج) ٦٤

قبرس (دولة) (ج) ٧

(ج) ١٤٨ - ١٤٩

القبلي (ج) ٥٢٢

قتاب (سد) (ج) ٢١٢

قتبان (مملكة) (ج) ٤٧ ، ١٣٣

(ج) ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٩٦ -

٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٢٥ ،

١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ -

١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨٣ ،

١٨٥ - ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ،

٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ،

٢٢٢ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٣٠ ،

٢٣٣ - ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،

٢٤٠ - ٢٨٣ ، ٣٠٠ -

٣٠٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٤٣ ،

٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ - ٣٧٣ ،

٣٧٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ -

٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ - ٤٤٠ ،

٤٦٧ - ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٩٨ ،

٥٠١ - ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٦ -

٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

(ج) ٥٥٣ - ٥٥٤

(ج) ٢٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ،

٤٧٣ ، ٤٨٣ - ٤٨٤

(ج) ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٦ ،

٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٣

(ج) ٢١٢ ، ٢٣١ - ٢٣٢ ،

٤٧٧

(ج) ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٤

الفريض (وادي) (ج ٦) ٧٥
 قزح (جبل) (ج ٦) ٣٨٤
 قزوين (بحر) (ج ١) ١٩٩ ، ٢٣٠
 فساس (ج ٧) ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢١
 القسطنطينية (مدينة) (ج ٢) ٥٧٦ ،
 ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٢ ، ٦٥٢ ،
 ٦٥٩ ، ٦٥٤
 (ج ٣) ٥٩ - ٦٠ ، ٧٠ ، ١١٦ ،
 ٢٢٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ،
 ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٤٠٣ ، ٤٢٩ -
 ٤٣١ ، ٤٧٤ ، ٥٠١
 (ج ٤) ٦٨ ، ١٦٥ ، ١٧٤ -
 ١٧٥
 (ج ١٥) ٢٢٠ ، ٢٢٧ ،
 (ج ٦) ٥٩١ - ٥٩٢ ، ٦١٢ -
 ٦١٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٣٠ -
 ٦٦٣ ، ٦٦١
 (ج ٨) ٣١٢
 (ج ٩) ٥٢٠
 القسي (قرية) (ج ٧) ٦٠٣
 القشراء (ج ٧) ٥١٣
 قشم (جزيرة) (ج ١) ٥٦١
 (ج ٣) ٣١٨
 القصبة (ج ٧) ٣٦٢
 قصر ابن ثامر (ج ٣) ٥٣٧
 القصر الابيض (قصر) (ج ٣) ٢٦٤ ،
 ٣٠١ ، ٣٥٧ ، ٤٠٤
 (ج ٥) ٢١٣
 (ج ٨) ٦٨٣
 (ج ٩) ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٢٩٠ ،
 ٣٤٢ ، ٣٧٣
 قصر البنات (موضع) (ج ٢) ٣٥ ،
 ١٤٠
 (ج ٨) ٢٠٢
 قصعان (سد) (ج ٧) ٢١٢
 القصيم (منطقة) (ج ١) ١٦١ ، ٢٧٣ ،
 ٤٣٧
 (ج ٢) ٥١
 (ج ٧) ٣٤٧

١٦٩
 القرعاء (موضع) (ج ٢) ٥٠ ، ٤١٤
 القرده (ج ٤) ٢٢٤ ،
 (ج ٧) ١٤٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧
 قرضان (موضع) (ج ٢) ٤٩١
 قرطاجة (مدينة) (ج ٦) ٢٣٣
 العرظ (ج ٣) ٣٥٨
 (ج ٧) ٥٣٧
 القرعاء (ج ٧) ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠
 قرقر (مدينة) (ج ١) ٥٧٥ - ٥٧٦
 (ج ٣) ٢٩٣
 قرقر (مدينة) (ج ٩) ٨٨٣
 قوقل (ج ٤) ٣٦٢
 قرقيساء (منطقة) (ج ٣) ١٠٤ ،
 ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢١٦ ، ٢٧٢ ،
 ٣٤٠
 قرمسين (مدينة) (ج ١) ١٧
 القرن (قرنة) (مدينة) (ج ٢) ٧٥ ،
 ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٦ -
 ٩٨ ، ١١٩ ، ١٣٨ - ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ٢٠٨
 (ج ٧) ٢٣٥
 (ج ٨) ٣٨
 قرن المنازل (موضع) (ج ٧) ٣٦١ ،
 ٣٦٣
 قرنه (ج ٢) ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ٥٢٤
 قريب (ج ٢) ٤٣٥
 القرية (موضع) (ج ١) ٥٣٩
 (ج ٢) ٣٨٠ - ٣٨٢
 (ج ٣) ٥٧ ، ٣٩٩ - ٤٥٣
 (ج ٤) ٢١٦
 (ج ٧) ٣٣٣ ، ٥١٥
 (ج ٨) ٦٧٤ - ٦٧٦ ، ٦٧٨ ،
 القرينان (موضع) (ج ٢) ٥٤٤
 (ج ٣) ٦٢
 (ج ٤) ٢٣٩
 (ج ٧) ٣٣٣ ، ٣٤٢ - ٣٤٤ ،
 ٣٤٧
 قويس (ج ٢) ٤٣٥

الجعبي (ج) ١٧ ٥٦٨
 معط افقصر (ج) ١٢ ٤٦ - ٤٧
 ملت احسن (ج) ١١ ١٢٢ - ١٢٤
 الجعبي (ج) ١٧ ٢٢٦
 الفلزم ابجرا (ج) ١١ ١٤١ - ١٥٧ ،
 ١٧٠
 (ج) ١٢ ٥٢١ - ٦٥٧
 (ج) ١٤ ١٧٠
 (ج) ١٧ ٢٧٨ - ٢٨١
 قلعة البحرين (ج) ١ ٥٧١
 (ج) ١٧ ٥١٦
 قلعة جعبر (ج) ١٢ ٢٠٢
 قلعة الحصن (ج) ١٢ ٦٥
 قلعات (مدينة) (ج) ١٤ ٢٠٢
 (ج) ١٤ ٢٠٢
 القلوفي (ج) ١٧ ٢٢٢
 قلبي (موضع) (ج) ٢ ١٨٨ ، ١٩٠
 القليس (كنيسة) (ج) ٣ ٥٠٠ - ٥٠٢
 (ج) ١٦ ٦١٩
 (ج) ١٧ ٢٦
 (ج) ١٨ ٤٢
 قمران (جزيرة) (ج) ٨ ١٩٥
 القموص (حصن) (ج) ٤ ٦٤ ،
 قنا (قناة كنا) (ميناء) (ج) ٢ ٣٥ ،
 ٦٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ،
 ١٦٠ - ١٦١ ، ٣٧٤ - ٣٧٦ ،
 ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٣١
 (ج) ٣ ٤٧٩ - ٤٨٠
 (ج) ١٥ ٤٤٩ - ٤٦٣
 (ج) ١٦ ٥٢٢
 (ج) ١٧ ٢٧٤
 (ج) ١٨ ٢٠٢
 قناة (ج) ١٧ ٤٢ : ١٤٩ ، ١٧٨ ،
 ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣
 قنسرين (منطقة) (ج) ١ ٥١ ، ٦٥١
 (ج) ١٢ ٦٢٢
 (ج) ٣ ٢٢٢ : ٢٢٧ ، ٢٣٣ ،
 ٣٢٤ : ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ٤٠١ ،

الغضيب (وادي) (ج) ٣ ٢١٨
 (ج) ٦ ٨٢٢
 انطار (موضع) (ج) ٣ ١٢٧
 المطامي (وادي) (ج) ١ ٥٩٧
 قطبة (منطقة) (ج) ١ ٥٩٧
 قطر (بلد) (ج) ١ ١٧٤ - ١٩٥ - ٥٣١٠
 ٥٢٤ - ٥٤٠ - ٥٤٥ - ٥٧١
 ٥٧٢
 (ج) ٤ ٤٨٥
 (ج) ٦ ٦٢١ - ٦٢٩
 (ج) ١٧ ٤٤ ، ١١٤ ، ٢٢٢ ،
 ٦٠١
 (ج) ٨ ٢٩٥ ، ٧٠٢
 القططانة (مدينة) (ج) ٣ ١٨١ -
 ١٨٢ - ٢٦٨ ، ٢٩٣
 (ج) ٧ ٢٢٢
 القطن (منطقة) (ج) ١ ٤٢٥ ، ٥٦٠
 (ج) ٢ ١٨
 (ج) ٧ ٢٤٧
 قطن (جبل) (ج) ٤ ٢٢٢
 قطنين (ج) ٢ ٢٩٦
 القطنية (موضع) (ج) ١ ٤٢٧
 قطورة (منطقة) (ج) ١ ٤٨٢
 (ج) ٤ ٤٤٠
 العطيف (مدينة) (ج) ١ ١٧٥
 - ١٧٦ : ٢٤٢ ، ٥٣٣
 (ج) ٢ ٨٨ ، ٥٥٠ - ٥٥١
 (ج) ٤ ٢٠٥ - ٢١٠ ، ٤٨٥
 (ج) ٨ ٢٠٥ - ٢٠٦
 قمطبة (ج) ٢ ٤٢٨
 القعقاع (طريق) (ج) ٧ ٣٣٥ ، ٣٤٦
 القعور (منطقة) (ج) ١ ١٥٣
 القعيطي (موضع) (ج) ٢ ١٦٤
 قعيتان (ج) ١ ٧ - ٨ ، ١٣
 (ج) ٦ ٤٤٠ ، ٦٩٩
 القف (ناحية) (ج) ٧ ٢٣٥
 قفادوقية (مدينة) (ج) ٣ ١١٧
 القفاعة (مدينة) (ج) ١ ٩٢

القوس احرة (ج ١) ٤٨	٤٦٥
ج ٣ ٨٤	ج ٤ ٢٢٩ ، ٢٤٢
قوماجين (موضع) ج ٣ ١٣٥ - ٢٢١	ج ٦ ٥٩٣
قيادوقية (ج ٣) ٩٩	ج ٨ ١٧٦
قيدار (ج ١) ٣٥٢ - ٣٥١	ج ٩ ٤٢٨
قبر حارسه (ج ٣) ٦٤	قنص (موضع) ج ٣ ١٦٧
قبر مواب (ج ٣) ٦٤	قنطرة الفيوم (ج ٣) ٢٢٧
قيصر فريدرش ويلهلم متحف (ج ٣) ١٩٤	القنفذة (منطقة) ج ١ ح ١٨٧ ، ١٩٢
قيعان (ج ٤) ٢٠٨	ج ٧ ٢٣٤ ، ٥١٢ - ٥١٣
قيف رشم (موضع) ج ٢ ٤٦٦	قنوات (ج ٣) ٦٩ - ٦٢
قيفة (ج ٧) ٢٠٩	قهوان اجيل (ج ٧) ٨٢
قيل (طريق) ج ٤ ٢٠٨	قوران اوادي (ج ٧) ١٦٢

- الكاف -

كنة (كتبة) (مدينة) ج ١ ١٧١	الكابينول (مدينة) ج ٣ ١٢٦
ج ٧ ٣٦٢ - ٣٦٣	كاراكس (ج ٢) ٦٥ ، ٢٠
كثيري (ج ٢) ١٦٤	كارون (نهر) ج ١ ٤٣١
كحد (ج ٢) ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٥٠٢	كاظمة (مدينة) ج ١ ١٧٧
كحلان (ج ٢) ٢١٢ ، ٢٢٢ - ٢٢٤	ج ٢ ٦٤٨ ، ٦٣٨
كدار (الكدر) ج ٢ ٢٩٤ ، ٢٩٧	ج ٣ ٢٧٣ ، ٤٩٩
ج ٣ ٤٨٥	ج ٤ ٢١٢ - ٢١٣ : ٤٧١
ج ٥ ٤٥٤	٤٨٥
ج ٧ ٣٢٩	ج ٧ ٤٢ ، ١٩٨ ، ٣٢٣ -
الكدره (ج ٧) ٣٦٣	٣٢٥
الكديد (ج ٤) ٢٦٦	ج ٨ ٢٨٢
ج ٥ ٣٦٤	كافر (نهر) ج ٣ ١٥٩ - ٢٤٣
ج ٧ ٣٥٩	كبدم (موضع) ج ٢ ٢٢٩ ، ٣٩٨
	كبكب (ج ٧) ٢٨٠

٨٣ - ٨٢ ، ٧١ ، ٦٨ (ج٦)

١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٧١

١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٢٠

٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢

٢٤٧ ، ٢٥١ - ٢٥٣ ، ٢٦٦

٢٦٧ - ٢٧١ ، ٢٧٨ - ٢٢٦

٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ - ٢٥٦

٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ - ٢٦٤

٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩

٤٠٠ - ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٤

٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤١١ - ٤١٣

٤١٥ - ٤٢١ ، ٤٢٣ - ٤٢٥

٤٢٨ - ٤٢٩ ، ٤٣١ - ٤٤٥

٤٤٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ - ٤٧٥

٤٨٦ ، ٥٠٥ - ٥٩٠ ، ٦٠٧

٦١٦ ، ٦٦٧ - ٧٣٣ - ٧٣٤

٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٢

١٧ (ج) ١٥ ، ١٩٣ ، ٢٦٦

٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٢٢ - ٤٣٦

٤٥١ ، ٥٤٧ ، ٥٦٥

١٨ (ج) ٥٠ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٨٨

١٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨

٤٣٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٥٢١

٥٧١ - ٥٧٧ ، ٥٨٣ ، ٦٣١

٦٣٣ - ٦٣٦ ، ٧٩٠

١٩ (ج) ١٤١ ، ٢٥٢ - ٢٥٤ ،

٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٥٠٦ - ٥٠٧

٥١١ - ٥١٣ ، ٥١٥ - ٥١٧

٥٦٢ ، ٥٨١ ، ٥٩٠ ، ٧٠٣

٧١٥ ، ٧٠٩

كعبة نجران (ج٨) ٥١٢

كعبة اليمامة (ج٤) ٤٤٥

كفة العرفج (ج١٧) ٢٣٥

كفر ابييل (ج٢) ٦٥

الكفير (ج٧) ٢٤٣

الكلا (سوق) (ج١٧) حا ٢٥٤

الكلابة (ج٧) ٢٤٩

كلدو (ارض) (ج١) ٥٧٦

كرا (ج٧) ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣

كردويس (ج١) ٥٦١

الكرك (ج٢) ٦٤

كرمان (مدينة) (ج٢) ٦٣٣ ، ٦١٨ ،

٦٤٠

(ج٤) ٥١٠

كرمل (جبل) (ج١) ١٧١

الكرويتير (موضع) (ج٢) ٦٢

كسباو (ج٢) ٥٧٤

الكسر (وادي) (ج٢) ٢٧٢

كسكو (ج٢) ٦٤٩

الكسوه (طريق) (ج٧) ٢٤٨

كشد اموضع (ج٢) ١٤٥

كشر (جبل) (ج٤) ١٨٤

كسر كريم (ج١) ١٦١

كتاب اللوذ اموضع (ج٢) ١١٨

(ج٥) ٢٠

الكعبة (بناء مقدس) (ج١) ٣٦٠ -

٣٦١ ، ٤٠١

(ج٢) ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٧٦

٥٧٨ ، ٥٨٤ - ٥٨٥

(ج٢) ٢٧٢ ، ٣٢١ ، ٥٠٠

٥٠٣ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٣

٥١٦ - ٥٢٠ ، ٥٣٧

(ج٤) ١٢ ، ١٥ - ١٧ ، ٥٠

١٤ ، ٢٩ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤

٤٥ - ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ - ٥٤

٥٦ - ٥٩ ، ٦٠ - ٦٢ ، ٦٣

٧٦ - ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ - ٨٨

٩٠ - ٩٧ ، ١٠٥ - ١٠٧

١١٠ - ١١١ ، ١١٨ - ١٢٢

١٢٦ - ١٢٧ ، ١٤٣ ، ٢٤٧

٢٢٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ - ٢٨٢

٢٨٤ ، ٤٤١ ، ٥١٧ - ٥١٨

٥٣١ - ٥٦٤ ، ٥٧٦ - ٦٥٦

٦٦٢ ، ٦٧٠

(ج١٥) ٢٤٨ ، ٢٨٦ ، ٥١٣ ،

٥٢٠ ، ٥٥٥ ، ٥٦٧ - ٦٠٦

٦١٣ ، ٦٤٨

٢٤٤ ، ٢٣٩ ، ٢١٢ ، ٢٠٥
 ٢٨٦ ، ٣٦٤ ، ٣٥٢
 (ج) ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢
 ٢٣٨ ، ٤٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦٩
 (ج) ٧٤ ، ٢٥٦ ، ٢٩٧ ،
 ٣١٨ ، ٣٦٧ ، ٤٦٥ ، ٥٨٩
 (ج) ٢٣ ، ٩٩ ، ١٤٦ ، ١٩٧ ،
 ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٢٢
 (ج) ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
 - ٣٤٧ ، ٣٤٧ ، ٥٥٥ ، ٦٢٦
 (ج) ٨٨ ، ١٤٠ ، ١٥٨ ،
 ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٠٢
 ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧
 ٥٩٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٩ ، ٦٨٧
 - ٦٨٨ ، ٧٣٧
 (ج) ٢١ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٤
 ٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ٢١٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠
 ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ -
 ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠
 - ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣١٧
 ٣٢١ ، ٣٢٤ - ٣٢٧ ، ٣٦٣
 ٤٠١ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧
 ٦٧٦ ، ٦٨٤ ، ٨٤٠ ، ٨٤٢
 ٨٧٤ ، ٨٨٨
 كوكب (كوكبان) (موضع) (ج) ١
 ٥٤٢
 (ج) ٤٢٤ ، ٥٥٠ ، ٥٥١
 (ج) ١٣
 (ج) ٢٣٨
 (ج) ١٧٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٥٢١
 (ج) ٢١٠
 كومان (ج) ٧٠٩
 كومان (موضع) (ج) ٢٧٧
 ٤٢١

كلدية (بطائح) (ج) ١٦٥
 (ج) ١٤٦
 كلمد (موضع) (ج) ٦٤ ، ٢٦٢
 كلوازي (ج) ٦٥٠
 كلوة (ج) ٥٢٢ - ٥٢٣
 (ج) ١١
 كلزما (القلزم) (ميناء) (ج) ٦٥٧
 كمنة (مدينة) (ج) ٥٣ ، ٧٥ ،
 ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٩٣
 الكمين (بناء) (ج) ٣٠٤
 كنة (بناء) (ج) ٦٤ ، ٢٦٢
 (ج) ٣٧٩
 كندية (مملكة) (ج) ٣١٦ ، ٣٧٨
 كنعان (ج) ٤١٢ ، ٤٣٦ ، ٦٠٤
 كنين، كنين (موضع) (ج) ٤٩٤
 كهالة (مدينة) (ج) ٣٦٣
 الكهف (موضع) (ج) ٧٢ - ٧٣
 كهلان (ج) ٢٠٨
 (ج) ٢٦٣
 كهلم اسد (ج) ٢٨٤
 الكواثل (ج) ٢٣٣
 الكواظم (ج) ٦٤٨
 كوتنكن، غوتنكن (مدينة) (ج) ١
 ٥٢٥
 (ج) ١٥٧
 كوئي ريا (موضع) (ج) ١٣
 كورة ندمر (موضع) (ج) ١٣٦
 كورنتوس (مدينة) (ج) ٣٤٤
 (ج) ٥٨٥
 كوريس (نهر) (ج) ١٥٨ ، ٦٢٢
 كوش (ج) ٢٣٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩
 (ج) ٢٥
 الكوفة (مدينة) (ج) ٨٠ ، ٨٧
 ١٥٥ ، ٢٤٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٥
 (ج) ٦٥٥
 (ج) ١٥٥ ، ١٥٧ -
 ١٥٨ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٧
 ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣

٥٩٠ ، ٤٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٩٠	الكويت (بلد) (ج) ١٤ ، ١٤
(ج) ٧٠٢ ، ٥٩٠	١٦ ، ٢٠ ، ١٧٦ ، ٤٤٤ -
(ج) ٢٣١ ، ٤٢٨ ، ٤٩٥	١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٧٣ ، ٣٧٩
(ج) ٨٧ - ٨٥ ، ٨٧ ، ١٣٨	٢٩٤ - ٢٩٥ ، ٣٧٩ ، ٥٣١
١٣٨ ، ٢٠٥ ، ٣٩٤ ، ٤٢٤	٥٣١ ، ٥٤٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٦
٤٢٤ - ٤٢٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧	(ج) ٢١ - ٢٣
٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣	(ج) ٤٨٣ ، ٤٥٢ ، ٤٩٨ - ٤٩٧
(ج) ٥٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٣	(ج) ٢٠٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩
٢٠٣ ، ٢٨٢ ، ٣٩٢ ، ٥٤٦	٣٥٩ ، ٥٦١ ، ٦١٣ ، ٦٨٢
كيبوس (خليج) (ج) ١٧٦ ، كيش (مدينة) (ج) ٢٢٧ ، ٥٥٦	(ج) ٦ ، ٨ ، ٤٤ ، ١٠٢ ، ١٢٧ ، ٢٠٧
كينيا (دولة) (ج) ٥٣٢	٢٠٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤

- الامم -

لبنان (ج) ١١٩ ، ٥٤	اللاذقية (مدينة) (ج) ١٤٨
لبنان (موضع) (ج) ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ٢٣٢	لار (نهر) (ج) ١٥٩
لبنان (حرة) (ج) ١٤٨	لاريسا (مدينة) (ج) ٣٠
لبنان (دولة) (ج) ٢٤٧ ، ٥٦٧	لاشوم (ج) ٢٨٤
(ج) ٢٨ ، ٦٢٣ ، ٦٥٣	لايبزك (مدينة) (ج) ٣٢٢
(ج) ٢٢٢ ، ٤٣٩ - ٤٤٠	(ج) ١٤ ، ١٠٠ ، ٢٣٠
(ج) ٢٥ ، ١٤٦	(ج) ٢٣٩ ، ٢٦٧ ، ٣٨٦
(ج) ١٣٢	(ج) ٤٨٨ ، ٦٥٨ ، ٤٥٥
لبنان (وادي) (ج) ٢٩١ ، ٥١٨	لايدن (مدينة) (ج) ٨٧
(ج) ٤٤٩ ، ٤٦٣	اللبان (جبل) (ج) ٢٧٤

- لبنة (ماء) (ج ٧) ١٩٦
 لتك (ج ٢) ١٨٨ ، ٢٢٢
 اللق (دير) (ج ٩) ٤٥٣ - ٧٩٤
 اللجاة (اللجاء) (مدينة) (ج ١) ١٤٦
 ٢٩٧ ، ٤٢٠ ، ٤٤٣ : ٦٣١
 (ج ٢) ٤٨٨ ، ٦٢٣
 (ج ٣) ٧ ، ٢٩ ، ٣٨ - ٦١ : ١٤٥
 ٤١٢ ، ١٥٤
 لجاتم (ج ٢) ٢٨٨
 اللجون (ج ٣) ٧١
 لجياة (مدينة) (ج ١) ٢٩٨ ، ٢٨٨
 لحج (ج ٢) ٣٧٩ ، ٥١٧
 (ج ٧) ٢١٢ ، ٣٦٤
 لحيان (مملكة) (ج ٢) ٥٠ : ١٠٦ ،
 ١٢١
 (ج ٥) ٢١٣ ، ٢٣٣
 اللحية (مدينة) (ج ١) ١٨٨ ،
 ١٩٥
 (ج ٧) ١٧٩
 اللحمية (حكومة) (ج ١) ٢٤٩
 اللد (ج ٣) ٣١ ، ٣٦
 لقبق (ج ٢) ٥٤
 لقح (لقاح) (ج ٢) ٤٢٧
 لقدمونيا (ج ٥) ٤٨١
 لقط (معبد) (ج ٢) ٢٩٧
 (ج ٧) ٥٢٢
 لقف (ماء) (ج ٧) ١٦٢
 لقه اسوق (ج ٦) ٨٤
 لكش (مدينة) (ج ١) ٥٥٧
 لكيز (موضع) (ج ٩) ٥٠٤
 لمس (قلعة) (ج ٢) ٤٦٦
 لندن (مدينة) (ج ١) ٦٨ ، حا
 ٣٠٧ : حا ٣١٨
 (ج ٢) حا ٣٧٦ ، ٥٣٢ ، حا
 ٥٣٦
 (ج ٥) حا ٥٣٩
 (ج ٦) حا ١١٠
 (ج ٩) حا ٣٣٧ ، حا ٦٦٨ ،
 حا ٧٤٠ . حا ٧٧٩
 اللوى (ج ٧) ٣٣٥
 لوابه (ج ٤) ٢٦٨
 اللوذ (جبل) (ج ٥) ١١
 لوزة (ج ٧) ٣٦٤
 لوسه (ج ٣) ٢٢
 لوط (بحر) (ج ٣) ٢٤ : ٦٧
 لوق (موضع) (ج ٢) ٥٤ ، ١١٩
 لويكه كومه (مدينة) (ج ١) ١٦١
 (ج ٢) ٢٧ - ٢٨ : ٤٤ - ٤٧
 ٤٩ ، ٥١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ : ٤٥٣
 (ج ٧) ٢٧٢
 ليبيا (ج ٣) ١٢٦
 ليبباس (ج ٣) ٣٢
 لية (وادي) (ج ٤) ١٤٢
 الليث (وادي) (ج ١) ١٦٧
 (ج ٢) ٥٤٣
 ليدن (مدينة) (ج ١) حا ١٠٥ ، حا
 ٣٦٢
 لبك كوم (مدينة) (ج ٨) ٥٦٣
 ليلي احرة (ج ١) حا ١٦٧
 (ج ٤) ٢٤٦
 لسنة (ج ٧) ٣٣٥

- القسم -

٧٧.
 (٧ج) ١٧٩ ، ٧٢ : ٢٠١ - ٢٠٢
 ٥٧٨ ، ٤٧٠ ، ٢١٠ - ٢٠٩
 (٨ج) ٤١٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧ ، ٢٤
 (٩ج) ٦٨٦ ، ٥٧٩ ، ١٥١
 مأرب (قصر) (٨ج) ٥١٢
 مأرب (مدينة) (١ج) ١١٧ ، ١٢٦ ،
 ١٢٨ - ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٧١ ،
 ١٩٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٨ ، ٣٦٣ :
 ٣٨٦ ، ٤٩٠ ، ٥٣٢
 (٢ج) ٥٤ ، ٥٦ - ٥٧ ، ٧٦ ،
 ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٨٢ - ٢٨٥ ،
 ٣٠٢ - ٣٠٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ،
 ٣٤٣ - ٣٤٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ،
 ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤١١ ، ٤٣١ ،
 ٤١٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٦٨ -
 ٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ - ٤٨١ ،
 ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ -
 ٤٩٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ -
 ٥٢٥ ، ٥٣٧ - ٥٣٨ ، ٥٤٠ -
 ٥٤١ ، ٥٤٧ - ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ : ٥٦٠
 ٥٨١
 (٣ج) ٣١٧ ، ٤٠٧ ، ٤٥٦ ،
 ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦ - ٤٨٧

ماء سماء (سد) (٧ج) ٢٠٨
 مؤاب (مملكة) (١ج) ٥٩٦ : ٦٠١ -
 ٦٠٢ ، ٦٠٥
 (٤ج) ٢٤٢
 (٦ج) ٧٨١
 مؤتة (٣ج) ٤٣٥
 (٤ج) ٢٤٢
 ماتم (موضع) (٢ج) ٣٢٢
 ماتواري (موضع) (١ج) ٦٢٥
 مأجل (موضع) (٢ج) ٥٣٦
 المايلية (٧ج) ٣٦٣
 مادبا (مدينة) (٣ج) ٢٤ ، ٣٢ ، ٤٣ ،
 ٥٩ ، ٦٦ - ٦٧
 ماذن (مدينة) (٢ج) ٤٩٤
 مأرب (سد) (١ج) ٥٠ ، ٧٥ ، ١٢٩ ،
 ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢١٥ ، ١٨٩ ،
 ٣١٩
 (٢ج) ٢٥٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ -
 ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٤٠٢ ، ٤٢٥ ،
 ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٩ -
 ٥٨١ ، ٦٥٨
 (٣ج) ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٨ ، ٤٨٥ ، ٤٩٤
 (٤ج) ٤٢٩
 (٥ج) ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ٤٥٤ ،
 (٦ج) ١١٥ ، ٥٣٩ ، ٦٥١ ،

ماودن (ج ٢) ٢٨٨	٤٨٨ - ٤٨٩ - ٥٠٠ - ٥٠٢
ماوية (حصن) (ج ٢) ١٦١ ، ٢٩٠	٥٠٣ ، ٥٣١ -
(ج ٣) ٣٩٥ ، ٤٦٠ ، ٤٧٥ -	(ج ٤) ١٢٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ،
٤٧٨ ، ٤٧٦	حا ٤٢٣ ، ٤٣٩ ، ٥٠٥
(ج ٧) ٣٤١ ، ٣٤٣	(ج ٥) ١٢ - ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ،
مبايض (ج ٧) ٣٣٥	١٦٢ ، ٢٣٢ ، ٣٢٨ ، ٣٦٣ ،
مبلقت (وادي) (ج ٢) ١٥١ ، ١٨٨ ،	٦١٤ ، ٦٢٦
١٩٢	(ج ٦) ٢٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٥ ،
(ج ٦) ٤٠٥	٤٣٤ ، ٦١٩
(ج ٨) ٤٢٠	(ج ٧) ٢٤٧ ، ٣٠٦ ، ٣٦٤ ،
متاب (معبد) (ج ٣) ٧٠	٣٨٤ ، ٥٢٢
مثنيم (ج ٢) ٢٩٤	(ج ٨) ١٢ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
مثنقب (طريق) (ج ٧) ٢٤٦	٤٤ ، ٤٨ ، ٥٣ - ٥٤ ، ٧٢ ،
مثنوب (ج ٣) ٥٢٦	٤٢٠ ، ٥١١
مجاج (مدينة) (ج ٧) ٣٥٣	(ج ٩) ٢٦٢ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ -
المجازة (موضع) (ج ٣) ١٠٤	مارد اقصر (ج ٣) ١٠٦
(ج ٧) ٣٢٥ ، ٣٤٥	(ج ٤) ٢٣٦
مجان (منطقة) (ج ١) ٥٥٦ - ٥٥٩ ،	(ج ٦) ٥٧٩
٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٩	(ج ٧) ٣٧٢
(ج ٢) ٢٠	(ج ٨) ٥١٢
مجلد جد (ج ٦) ٣١٠	مازن اقصر (ج ٢) ٦٤٩
مجزاة (مجزع) (مدينة) (ج ٢) ٥٣	مازون (بلد) (ج ٨) ٧٠٢
مجزر (مدينة) (ج ٢) ٥٣ ، ١١٩	ماسل الجمع (وادي) (ج ٢) ٥١١ ،
مجزرة (مدينة) (ج ٢) ٥٣	٥٧٢ - ٥٧٣ ، ٥٧٥
مجلاني (مملكة) (ج ١) ٥٩٤	(ج ٣) ٣٧٩
مجمع الاودية (ج ٧) ٢٢٤	ماش اصحاء (ج ١) ٢٩٨ ، ٤٢٣ ،
مجمعة نرج (ج ٧) ٣٦٤	٦٣٩
مجنة (سوق) (ج ٦) ٣٥٣	ماكن (ارض) (ج ١) ٥٩٨
(ج ٧) ٣٥٧ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،	(ج ٢) ١٤ ، ٧
٣٨٢ ، ٣٨٥	مالابار (مدينة) (ج ٢) ٥٩
(ج ٨) ٤٧٨ ، ٦٦١	(ج ٧) ٢٦٩
مجونة (موضع) (ج ٢) ٥٤٣	المالح (بحر) (ج ١) ١٤١ ، ٥٧٦
مجيمنة (منطقة) (ج ١) ٥٥٨	مالي (مدينة) (ج ٢) ٦٠٨
الحاجر (ج ٢) ٢٨١	مأملة (ج ٢) ١٧١
(ج ٤) ١٩٧	ماوان (ماون) (موضع) (ج ٢) ٨٩ ،
(ج ٥) ٢٨٢	٤٠٤
(ج ٧) ١٥١	(ج ٧) ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٥٢١ -
	٥٢٢

- محارب (قصر) (ج ٣) ٤١٩
 المحبس (ج ٣) ٤٣٨
 الحجفة (ج ٧) ٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ - ٥٢٢
 المحدث (ج ٧) ٣٤٨
 المحرق (جزيرة) (ج ٢) ١٩
 (ج ٢) ١٨٨ ، ١٩٧
 محرم (وادي) (ج ٨) ٥٩٢
 محفد حضر (ج ٢) ٢١٥ ، ٢٢٠
 المحف (ج ٣) ٣٩٨
 محلم (موضع) (ج ١) ١٧٧ ، ١٨١
 (ج ٤) ٢١٢
 (ج ٧) ١٦٣ ، ٢٧١
 المحمرة (مدينة) (ج ١٢) ١٢ ، ٢٠
 محميان (ج ٢) ٢٩٧
 مخا (ميناء) (ج ٢) ٢٩ ، ٦٤ ، ٤٢٨
 ٥١١ ، ٥٩٦
 (ج ٣) ٤٨٠ ، ٤٧١ ، ٤٥٧ ، ٢٨٠
 (ج ٧) ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠
 المخارم (ج ٧) ٣٣٥
 مختن الملك (معبد) (ج ١٢) ١٩٠
 مخضن (ج ١٢) ٣٠٠
 مخطران (حصن) (ج ٢) ٤٨٤ ، ٥٢٢
 مخلاف بني مجيد (ج ٧) ٣٦٤
 مخلاف حكم (ج ٧) ٣٦٤
 مخلاف خولان (ج ٢) ٤٠١
 مخلاف الركب (ج ٧) ٣٦٤
 مخلاف زبيد (ج ٧) ٣٦٤
 مخلاف عك (ج ٧) ٣٦٤
 المخلفة (ج ٧) ٥١٣
 مخمسة (ج ٧) ٢٤٥
 المخنق (ج ٧) ٣٦٣
 مخيض (ج ٧) ٣٥٨
 مخيلة (ج ٦) ٣٧٧
 مدائن الزباء (موضع) (ج ١٢) ١٣٢
 مدائن صالح (منطقة) (ج ١) ١٣٣
 ٥٣٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦
- (ج ٢) ٢٠ ، ٤٨ ، ٢٤١ ، ٦٤٧
 (ج ٣) ١٣ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٥
 ٩٤ - ٩٥ ، ٩٨ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٠ ، ٢٩٠ ، ٣٢٦ ، حا
 ٣٤٤ ، ٥٢٤
 (ج ٤) ٦٢٨
 (ج ٥) ٢١٢ ، ٤٦٢
 (ج ٦) ٢٨٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ -
 ٣٣١
 (ج ٧) ٢٨٢ ، ٣٠٥
 (ج ٨) ١٧٥
 مداث (موضع) (ج ١٥) ١١
 مدان (موضع) (ج ١) ٤٤٦
 المدراس (موضع) (ج ٣) ٢٣
 المدرج (جبل) (ج ٢) ٥٦
 مدلجه تعين (ج ٧) ٢٥٣
 المديان (ج ٧) ٣٣٤
 مدم (مدينة) (ج ١) ٤٥٥
 مدين امملكة (ج ١) ٢٧ ، ١٦٢ ،
 ١٦٧ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٤٥
 ٤٥٣ - ٤٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٧٤
 ٥٨٢ ، ٥٨٧ ، ٦٣٩
 (ج ١٢) ٤٨ ، ٨٩ - ٩١ ، ٩٤
 ٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ٥٩٧ -
 ٦٥٨
 (ج ١٣) ١٥
 (ج ١٦) ٢٣٣ ، ٥٥٨ ، ٦٤٧
 ٧٨١
 (ج ٧) ٢٢٥ - ٢٣٦ ، ٣٤٩
 (ج ٨) ١٥٩ ، ١٦٥ - ١٦٨
 ١٩٤ ، ٢٧١
 المدينة المنورة (مدينة) (ج ١) ١٠ ،
 ٨١ ، ١٢٥ ، ١٦٨ ، ١٩٣
 ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٣
 ٢٠٩ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٥٨
 ٤٧١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٦٣١
 (ج ١٢) ٤٨ ، ٥١ ، ٩٩ ، ٥١٥

٧٨٩	٦٢٩ - ٦٢٨
(ج) ٩ ، ٤١ - ٤٢ ، ٦١ -	(ج) ١٥٥ حا
٢٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٠٠ ، ١٥٦	(ج) ١٢ ، ٤٦ ، ١٣٠ .
٦٥٤ ، ٥٣٢ ، ٤٨٣ ، ٤١٢	٢٩٨ ، ٢٦١
٧٦٥ ، ٧٣٧ - ٧٣٨ ، ٨٤٥٦	(ج) ١١٢ ، ١٤٣ . حا
٨٥٧	٤٨٣ ، ٣٦٤
مديني (مملكة) (ج) ٢٨٧	(ج) ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٥٠٤ .
مذاب (وادي) (ج) ٥٧ ، ١٣٢ ،	٥١٠ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٥ .
١٣١ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ٢٩٣	٥٤٨ - ٥٤٩ ، ٥٦٤ ، ٥٨٨ .
٢٩٦	٦٠٥ ، ٧٥٧
المذرى (جبل) (ج) ٥٢٧	(ج) ٢١ - ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٠ .
مذرح (مدينة) (ج) ٤٢٤	- ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٩١ ،
مذقنة تريس (بيت) (ج) ٤١١	١٤٤ - ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٥ .
مذقتن (بناء) (ج) ٣٠١	١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٣ - ١٩٤
مذيق (وادي) (ج) ٤٠٢	٢٠١ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٢٢٢
مذبنيب (ج) ٤٢ ، ١٧٧	٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩
المر (بحر) (ج) ١٤١	٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٤ ، ٣٣٧
(ج) ٢٨٩	- ٣٤٠ ، ٣٤٣ - ٣٤٦ ، ٣٤٧
مر الظهران (ج) ١٧٦	٣٤٩ - ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥
(ج) ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ،	٣٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٨
٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٣٥٩ - ٣٦٠	- ٤٢٩ ، ٤٨٠ ، ٥١٠ ،
المراء (ج) ٣٤٦	٥١٣ ، ٥١٩ ، ٥٢١ - ٥٢٢
المرائض (ج) ٤٤	٥٤١ ، ٥٤٧ ، ٥٥٧ ، ٦٢٠
مرآب (مدينة) (ج) ٥٨٠	- ٦٢١ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ،
مرابض (قصر) (ج) ٢٤٦	٦٣٦
مراد (ارض) (ج) ٢٢٢ ، ٤٠٥	(ج) ٢١ ، ٦٠ ، ١٢٥ ،
(ج) ٥٦٩	١٣٢ - ١٣٥ ، ١٥٦ ، ١٦٨
مرارة (ج) ٣٤٤	١٨٨ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢١٠
المراض (ج) ٢٣٦	٢٤٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥
مزان (منطقة) (ج) ٤٠٢ ، ٤٢٠	٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣١١ - ٣٣١
مرب (ج) ٥٧٢	٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨
مرباط (ج) ٢٣٧ ، ٢٧٥	٣٧٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ . حا
المرباع (ج) ٢٢١	٤١٢ ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦
المربد (ج) ٣٤٧ ، ٣٦٣	٤٨٠ - ٤٨٢ ، حا ٤٨٧ ،
المرتعى (ج) ٧٦	٤٩٤ ، ٥١٢ ، ٥٨٧ ، ٦٢٤ -
(ج) ١٨٠	٦٢٥ ، ٦٦٩ ، ٦٨٣ ، ٦٩٦
	٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٥٦ ، ٧٨٣

- مرج حليلة (ج) ٢٣٤ ، ٢٤٠
مرج راهط (موضع) (ج) ٣٩٥ ،
٤٧٢ ، ٤٩٥
(ج) ٢٣٩
مرج الصفر (ج) ٤٢٧ ، ٤٣٦
مرج الضيائن (موضع) (ج) ٦١٨
مرج ذى العضوين (ج) ٢٥٣
مرحب (ج) ٥٥٧
مرحضان (ج) ٤٣٥
مرخة (ج) ٢٨٩
(ج) ٢١٣
مرس (ج) ٢٩٥
(ج) ٢٤٦ ، ٥١٢
مرسى حلي (ج) ٣٦٤
مرسى ضنكان (ج) ٣٦٤
مرسيابة (مدينة) (ج) ٥٦
مرشوم (ج) ٢٨٤
مرغم (حصن) (ج) ١٨١
مرمر (حصن) (ج) ١١٧ :
(ج) ٣٩٦
المروة (ج) ٦٦ : ٧٨ ، ٢٦١
(ج) ٢٤١ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ :
٢٧١ : ٢٨٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ -
٢٨٢ - ٣٩١ - ٣٩٤ ، ٤٣٨ :
٤٤٤ ، ٦٠٤ ، ٧٢١
(ج) ٢٤٤ ، ٣٤٩ : ٣٥٦ :
٥١٤ - ٥١٥
(ج) ٧٦٣ ، ٨٧٣
المرور (نهر) (ج) ٢٦٧
المرورات (ماء) (ج) ٤٦٦
مريسة (مدينة) (ج) ٣٢
المريسيغ (ج) ٢٦٦
مربع (ج) ٣٤٥ ، ٣٦٤
مريقان (بئر) (ج) ٤٩٣
المريقة (ج) ٣٤٤
مريم (دير) (ج) ٥٩٨ - ٥٩٩
٤٢٨
- مربعات (ج) ٥٦٦
(ج) ٤٧٦
مريين (ج) ٣٥٤
المزدلفة (ج) ٥٥ ، ٣٧٩ - ٣٨٠ ،
٣٨٢ - ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣
(ج) ٣٨٠
(ج) ٥٠٠
مزلفة (ج) ٣٤٦
مستولان (ج) ٣٥٠
المستظل (أطم) (ج) ٧٢٢
مسلان (ج) ٣٤٤
السروين (ج) ٣٦٤
مسقط (أمارة) (ج) ١٣١ ، ٢٠٨ ،
٤٧٩
(ج) ٣٢٢
(ج) ٢٧٤
مسكت وبت (موضع) (ج) ٤٣٩ ،
٤٤٦ ، ٤٦٠ ، ٦٠٨
مسلة (مدينة) (ج) ٥١٠
السلح (ج) ٣٣٨ ، ٢٤١
مسماع (جبل) (ج) ٤٤١ ، ٥٨٤
مسنوس (خليج) (ج) ١٦٥
مسور (قصر) (ج) ٢٩٠ ، ٢٩٨
المسيجد (ج) ٣٥٥ ، ٣٥٩ - ٣٦٠
المسير (ج) ٥١٨
مسيلة (وادي) (ج) ٤٤٩
(ج) ٣٣٣ ، ٣٦٣
مسيئة (موضع) (ج) ٤٢٣
مشارف (ج) ٢٤٢
مشاش (ج) ١٣٩ ، ٣٣٨
المشتى (قصر) (ج) ٣٠٤ ، ٤٤٠
مشر (موضع) (ج) ٢٩٥
المشرق (جبل) (ج) ٦٣٩
(ج) ٤٢٣
المشرقة (مدينة) (ج) ٤٦٨ - ٤٦٩
مشطة (قرية) (ج) ١٩٨

الشعار (ج) ١٨٦ - ١٨٧
 الشعرين (ج) ٦٦
 الشقر (حصن) (ج) ٢٣٩
 (ج) ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،
 ٢١٠ ، ٢٢٧
 (ج) ٢٥٢
 (ج) ٦١ ، ٢٨٦ ، ٦٢١
 (ج) ٣٧١ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ،
 ٣٨٣
 (ج) ٥١١
 (ج) ٨٧٩
 المثل (ج) ٥٣٦
 المشهد (موضع) (ج) ١٦٤
 (ج) ٣٦١
 (ج) ١٢
 مشور (موضع) (ج) ١٦٣
 المصباغة (ج) ٢٦٨
 مصر (دولة) (ج) ١٨ ، ٤٤ ، ٥٧ ،
 ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٤١٨ ،
 ٤٣٦ ، ٤٥٤ ، ٥٠٤ ،
 ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٩٨ ، ٦٠٦ ،
 ٦١٠ ، ٦١٣ - ٦١٤ ، ٦٢٠ ،
 - ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٨ ،
 ٦٤٣ ، ٦٥٢
 (ج) ٥ - ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ،
 ٢٢ - ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ - ٢٩ ،
 ٣٤ - ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ - ٤٩ ،
 ٥١ ، ٥٧ ، ٦٣ - ٦٤ ، ٧٦ ،
 ٨٠ ، ٨٩ - ٩٤ ، ١٠١ ،
 ١٢٠ - ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٥٩ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٩٩ ، ٤٣٣ ،

٤٤١ ، ٥٠٨ ، ٥٣٩ ، ٥٣٣ ،
 ٥٦١ ، ٥٩١ ، ٦٠١ ،
 ٦٢٦ - ٦٢٧ ، ٦٢٤ ،
 ٦٥٣ ، ٦٥٩
 (ج) ٥ ، ٧ ، ١٧ ، ٢٠ -
 ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٩ - ٥٠ ،
 ٦٨ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٧ - ١٠٨ ،
 ١١٣ - ١١٧ ، ١٢٤ - ١٢٦ ،
 ١٢٨ ، ١٩٥ -
 ١٩٧ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٠ ،
 ٣١٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ ،
 ٤٢٧ ، ٤٣٣ ، ٤٥٩ ،
 (ج) ١٣ ، ٤٠ - ٤٣ ،
 ٦٥ - ٦٦ ، ٧٤ ،
 ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٧٨ ،
 ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٣٨١ ، ٤٠٨ ،
 ٤٦٠ ، ٦٨٤
 (ج) ١٦ ، ٣٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ،
 ٢١٣ ، ٢٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ،
 ٥٠٩
 (ج) ٧٩ ، ٢٩٢ ، ٣٦٨ ،
 ٤٧٢ ، ٥٢٥ ، ٥٥٩ ، ٥٧٢ ،
 ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٩٧ ،
 ٦٠٥ ، ٦٢٦ ، ٦٠٥ ،
 ٦٣١ ، ٦٣٨ ، ٦٧١ ،
 ٧٧١
 (ج) ٦١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ -
 ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٣ - ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ - ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ،
 ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٥٢٦ ، ٥٩٩ ،
 ٦٠١ - ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦٢٤ ،
 ٦٣٣ ، ٦٣٥
 (ج) ٤٢ ، ٥١ - ٥٢ ، ٧٠ ،

- ١٨٠ (ج٤)
٣٠٩ (ج١٥)
٢٦٢ ، ١٤١ (ج٧)
٥٧٤ ، ٥٧٢ (ج١٩)
معاشر (مدينة) (ج١٢) ٣٧٨ - ٣٧٩ :
٤٠١ ، ٤٠٤
٥٠٤ (ج١٣)
١٣ (ج٥)
معان (مدينة) (ج٢) ٧٧ : ١٢١ ،
١٢٣ ، ٢٦٠ ، ٤٠٤
٤٠٤ (ج١٣)
٢٤٤ - ٢٤٢ (ج٤)
معبر (ج٥) ٢٠
المعتدل (وادي) (ج٢) ٢٤٢
المعجر (ج٧) ٣٦٣
معدن (جبل) (ج١) ٥٦٥
٤٢٩ (ج٢)
٣٤٥ (ج٧)
معدن الاحسن (ج٧) ٣٤٥
معدن بني سليم (منجم)
١٩٤ (ج١)
٣٣٩ - ٣٣٨ (ج٧)
معدن بني محيد (ج٧) ٥٦٨
معدن النقرة (ج٧) ٤١ ، ٣٣٧ ،
٣٤٠ - ٣٤١
المعدي (موضع) (ج٨) ٦١
المعرس (ج٧) ٣٣٣
المعقر (ج٧) ٣٦٣
المعلاة (ج٤) ٢١٦
معنق (قصر) (ج١) ٣٣٩
٤٠٨ (ج٩)
معونة (بئر) (ج٤) ١٣٦ ، ٢٥٦ ،
٥١٨
٣٦٢ ، ٣٩٠ (ج١٥)
٢٢٣ (ج٧)
معين (مملكة) (ج٢) ٥٤ : ٥٨ ،
- ٧٤ : ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،
١٤٧ : ١٦٦ ، ١٦٨ - ٢٠٠ ،
٢٥٧ : ٢٦١ - ٢٦٦ ،
٢٩٥ : ٣٤٣ ، ٣٨١ ،
٦٦٨ - ٦٦٩ ، ٦٨٨
(ج٩) ١٥ ، ٦٣ ، ١١٨ ،
٣٧٤ ، ٣٧٦ ، حا ٤١٠ ،
٤٢٧
مصري (متحف - موضع)
٤٥٧ (ج١)
(ج٢) ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٤ - ٤٥ ،
١٢٢ - ١٢٣ ، ٣٠٦
المصرية (جامعة) (ج١) حا ١٠١
(ج٢) ٣٦ ، ٧٥ ، ٨٠
(ج٧) ٢٦٤
(ج٨) حا ١٦٩
(ج٩) ٣٧٣
مصنعة (موضع) (ج٣) ٤٠٤
(ج٤) ٢٦٢
مصوع (منطقة) (ج٢) ٣١
المصيخ (ج٢) ٦٥١
(ج٤) ١٩٩
مضرفن (موضع) (ج٢) ٥٤٦ ، ٥٦٦
المضيح (موضع) (ج٤) ٢٣٣
مضيقت (مدينة) (ج٢) ٢٩٥
(ج٣) ١٨١
مطران (موضع) (ج٢) ٣٠٠ : ٣٢٢
المظلة (موضع) (ج٧) ١٥١
المعا (ج٧) ٣٣٤
المعاذة (قبة) (ج٣) ٣٢٥
(ج٤) ٣٦٣
معاراة (بلد) (ج١) ٤٨٠
المعافر (معفرم) (موضع) (ج٢)
١٣٥ ، ٢٨٨ ، ٣٢٨ : ٣٧٧ -
٢٨١ ، ٥٠٧ ، ٥١٩
(ج٣) ٤٧٥ ، ٤٨٧

مفاص اللؤلؤ (ج) ٣٦٤	٧٣ - ٩٠ ، ٩٢ - ١٠٦ ،
المغرب (دولة) (ج) ٤٩٨	١٠٨ - ١١١ ، ١١٣ - ١٢١ ،
(ج) ٤٧٠	١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ،
(ج) ٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٣٥١	١٣٦ - ١٣٩ ، ١٦٦ - ١٦٧ ،
(ج) ٦٨٣	١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
مغيث (وادي) (ج) ٣٠٥	١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
مغيثة (ج) ٣٣٦ - ٣٣٨ ، ٣٤٠ ،	٢١٣ - ٢١٤ ، ٢٤١ ، ٢٧٧ ،
٥٢١ ، ٣٤٨	٢٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ،
مغان (موضع) (ج) ٥٥٥	٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ،
مفحيم (مفحي) (موضع) (ج) ٢٢١	٤٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٨ ،
مفرشم (موضع) (ج) ٢٩٦	(ج) ٣١٨ ، ١٦٣ ، ١٢٨ ،
مفعل (موضع) (ج) ٢٩٧	٥٤٦ ، ٥٥٤ ،
مفلول (موضع) (ج) ٥٨٠	(ج) ١٨٠ ، ١٣ - ١١ ،
(ج) ٤٨٦	١٨٢ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢٧ ،
مقاعس (ج) ٢٠٦	٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ - ٢٨٠ ،
المقام (ج) ٥١٧	٣١٤ ، ٥٣٢ ،
مقدونية (منطقة) (ج) ٣٨	(ج) ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧٥ ،
المقر (ج) ٣٣٣	١٨٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ،
مقرام (موضع) (ج) ٤٣٥	٢٩٥ ، ٣٠٣ - ٣٠٥ ، ٣٣٣ ،
مقران (سد) (ج) ٢٨٤	٤٩٣ ،
المقطع (نهر) (ج) ١٧٦	(ج) ١٣٧ ، ١٧٨ ، ٢٠١ ،
المعدية (ج) ٣٦٣	٢٣٦ ، ٥٢١ ،
مقعم (موضع) (ج) ١١٩	(ج) ١٣ ، ٢٨ ، ٤٤٧ ،
مقلن (مدينة) (ج) ٤٣٤	٥٠٧ ، ٥١٢ ، ٦٨٦ ،
مقنا (مدينة) (ج) ٥١٨ ، ٥٣٠ ،	معين مصران (مدينة)
حا ٥٩٥	(ج) ٨٩ - ٩١ ، ٩٤ ،
مكة (مدينة) (ج) ٤١ ، ٥٣ ، ٧٠ ،	١٢١ - ١٢٣ ، ١٣٩ - ٢٤٦ ،
٧٥ ، ٧٨ ، ١١١ - ١١٢ ،	٢٩٨ ،
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٥٦ ،	المعينية (مملكة) (ج) ٦٤٥
١٦٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ،	(ج) ٧٣ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ،	٨٨ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٩ ،
٣١٥ ، ٣١٩ - ٣٢٠ ، ٣٣٨ ،	١١٤ - ١١٥ ، ١١٩ - ١٢٠ ،
٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٩ - ٣٦٢ ،	١٢٣ ، ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٦ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،	٢٤١ ، ٢٤٦ ،
٣٩٢ ، ٤٠٠ - ٤٠١ ، ٤٢٢ ،	(ج) ٢٤٥ ، ٦٢٦ ،
٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ،	مغار (جبل) (ج) ١٦٢

ΞΥΛ : ΞΙΙ : ΥΛΛ : ΥΛΓ
 ΞΞΙ — ΞΥΓ : ΞΥΖ — ΞΥΙ
 ΞΛΙ : ΞΥΓ : ΞΥΟ : ΞΞΟ
 ΟΥΥ : ΟΙΥ — ΟΙΥ : Ο.Λ
 : ΟΥΥ : ΟΥ. : ΟΥΛ —
 ΟΥΞ : ΟΥ. : ΟΞΛ : ΟΥΟ
 ΟΛΥ — ΟΛ. : ΟΥΓ : ΟΥΥ
 ΓΟΟ : ΓΥΛ : ΓΙΥ : Γ.Ξ
 ΓΥ. : ΓΥΥ : ΓΥΖ — ΓΥΙ
 ΓΛ.

ΥΟ : ΥΞ — ΥΖ : ΙΓ (ΟΞ)
 ΟΙΞΛΞΞΓ — ΞΟΞΞ : ΥΛ
 ΥΟ : ΓΥ : ΓΟ — ΓΞ : ΟΞ
 — Ι.Ι : ΛΟ — ΥΥ : ΥΥ
 ΙΙΥ : Ι.Υ — Ι.Γ : Ι.Υ
 ΙΥ. : ΙΙΛ : ΙΙΓ : ΙΙΞ —
 — ΙΥΞ : ΙΥΙ : ΙΥΖ —
 ΙΥ. : ΙΞΥ — ΙΞΥ : ΙΥΓ
 Υ.Γ : ΙΛ. — ΙΥΛ : ΙΥΖ
 ΥΥΥ : ΥΥΥ : ΥΟΥ — ΥΞΥ
 ΥΥΞ : ΥΙΟ : ΥΥΛ : ΥΛΥ
 ΥΓ. : ΥΥ. — ΥΥΥ : ΥΥΟ
 : ΥΥΥ : ΥΛΙ : ΥΥΞ —
 ΞΟΥ : ΞΞΥ — ΞΞΙ : ΞΞΥ
 — ΞΥ. : ΞΥΟ : ΞΟΞ —
 Ο. : ΞΛΥ : ΞΛΙ : ΞΥΙ
 : ΟΙΛ — ΟΙΥ : Ο.Υ —
 : ΟΟΥ : ΟΞΥ : ΟΥΓ : ΟΥΙ
 : ΟΛΥ — ΟΛΛ : ΟΥΥ : ΟΟΥ
 : ΓΥΛ : ΓΥΥ : Γ.Ο : Γ.
 : ΓΟΙ — ΓΟ. : ΓΞΛ — ΓΞΥ
 ΓΟΞ

ΙΟ — ΙΞ : ΙΥ — ΙΙ (ΓΞ)
 Γ. : ΥΛ — ΥΥ : ΥΟ — ΥΞ
 ΛΥ — Λ. : ΥΛ — ΥΟ : Υ.
 ΥΥ : ΥΥ : ΛΛ — ΛΥ : ΛΞ

ΞΥΓ. ΞΥΙ : ΞΟΛ : ΞΟΥ —
 ΞΛΥ — ΞΛΟ : ΞΛΥ : ΞΛΙ
 ΟΙΥ : Ο.Γ : Ο.Ι : ΞΥΙ
 ΟΛΟ : ΟΛΥ : ΟΥΙ : ΟΥΥ
 ΓΟΥ : ΓΙΙ : Γ.Ξ : ΟΛΥ
 ΙΞΟ : ΙΞΥ : Ι.Υ (ΥΞ)
 ΟΙΟ : ΞΙΥ : ΥΥΥ : ΥΟΟ
 : ΟΥΥ : ΟΥΙ : ΟΙΥ —
 ΓΥΙ : ΟΛΟ — ΟΛΞ : ΟΥΛ
 ΓΟΥ : ΓΞΥ : ΓΥΖ —

— ΙΟΥ : Ι.Ξ : ΥΥ (ΥΞ)
 ΥΙΙ : ΙΥΙ : ΙΥΙ : ΙΟΥ
 ΥΥΟ : ΥΥΥ : ΥΟΙ : ΥΙΞ
 : ΥΥΥ : ΥΥ. : ΥΥΥ —
 ΥΛΥ : ΥΛΥ : ΥΥΞ : ΥΟΥ
 ΞΥΟ : ΞΥ. : ΞΥΛ : ΥΥ. —
 Ο.Ξ — Ο.Υ : ΞΥΥ — ΞΥΛ
 ΟΥΙ — ΟΙ. : Ο.Λ — Ο.Υ
 ΟΥΓ

Υ. — ΥΥ : ΥΥ — Ο (ΞΞ)
 : ΞΥ — ΥΛ : ΥΥ — ΥΥ
 ΓΥ : Γ. — ΟΟ : ΟΥ — ΞΛ
 — ΛΥ : ΛΥ — ΥΥ : ΥΟ —
 — ΥΞ : ΥΥ — ΥΙ : ΛΥ
 ΙΥΙ : ΙΥΥ — ΙΙ. : Ι.Λ
 : ΙΞΥ — ΙΞ. : ΙΥΥ —
 ΙΟΥ : ΙΟΥ — ΙΞΛ : ΙΞΞ
 ΙΛΙ : ΙΥΛ — ΙΥΥ : ΙΥΥ
 Υ.Υ : ΙΥΥ : ΙΛΥ : ΙΛΟ
 : ΥΥΥ — ΥΥΟ : ΥΙ. —
 ΥΟΥ : ΥΞΛ — ΥΞΥ : ΥΥΞ
 : ΥΥΥ : ΥΥΥ : ΥΟΥ — ΥΟΛ
 ΥΥΞ : ΥΛΥ : ΥΥΥ : ΥΥΟ
 ΥΙΛ : ΥΙΥ : Υ.Ξ : ΥΥΛ
 ΥΥΥ : ΥΥΥ : ΥΟΟ : ΥΙΥ
 : ΥΛΞ : ΥΛΙ : ΥΥΛ —

187 : 188 : 189 — 190 : 191
 192 : 193 : 194 : 195
 196 : 197 : 198 : 199
 200 — 201 : 202 : 203
 204 : 205 : 206 — 207
 208 : 209 : 210 : 211
 212 : 213 : 214 : 215
 216 : 217 : 218 : 219
 220 : 221 : 222 : 223
 224 : 225 : 226 : 227
 228 : 229 : 230 : 231
 232 : 233 : 234 : 235
 236 : 237 : 238 : 239
 240 : 241 : 242 : 243
 244 : 245 : 246 : 247
 248 : 249 : 250 : 251
 252 : 253 : 254 : 255
 256 : 257 : 258 : 259
 260 : 261 : 262 : 263
 264 : 265 : 266 : 267
 268 : 269 : 270 : 271
 272 : 273 : 274 : 275
 276 : 277 : 278 : 279
 280 : 281 : 282 : 283
 284 : 285 : 286 : 287
 288 : 289 : 290 : 291
 292 : 293 : 294 : 295
 296 : 297 : 298 : 299
 300 : 301 : 302 : 303
 304 : 305 : 306 : 307
 308 : 309 : 310 : 311
 312 : 313 : 314 : 315
 316 : 317 : 318 : 319
 320 : 321 : 322 : 323
 324 : 325 : 326 : 327
 328 : 329 : 330 : 331
 332 : 333 : 334 : 335
 336 : 337 : 338 : 339
 340 : 341 : 342 : 343
 344 : 345 : 346 : 347
 348 : 349 : 350 : 351
 352 : 353 : 354 : 355
 356 : 357 : 358 : 359
 360 : 361 : 362 : 363
 364 : 365 : 366 : 367
 368 : 369 : 370 : 371
 372 : 373 : 374 : 375
 376 : 377 : 378 : 379
 380 : 381 : 382 : 383
 384 : 385 : 386 : 387
 388 : 389 : 390 : 391
 392 : 393 : 394 : 395
 396 : 397 : 398 : 399
 400 : 401 : 402 : 403
 404 : 405 : 406 : 407
 408 : 409 : 410 : 411
 412 : 413 : 414 : 415
 416 : 417 : 418 : 419
 420 : 421 : 422 : 423
 424 : 425 : 426 : 427
 428 : 429 : 430 : 431
 432 : 433 : 434 : 435
 436 : 437 : 438 : 439
 440 : 441 : 442 : 443
 444 : 445 : 446 : 447
 448 : 449 : 450 : 451
 452 : 453 : 454 : 455
 456 : 457 : 458 : 459
 460 : 461 : 462 : 463
 464 : 465 : 466 : 467
 468 : 469 : 470 : 471
 472 : 473 : 474 : 475
 476 : 477 : 478 : 479
 480 : 481 : 482 : 483
 484 : 485 : 486 : 487
 488 : 489 : 490 : 491
 492 : 493 : 494 : 495
 496 : 497 : 498 : 499
 500 : 501 : 502 : 503
 504 : 505 : 506 : 507
 508 : 509 : 510 : 511
 512 : 513 : 514 : 515
 516 : 517 : 518 : 519
 520 : 521 : 522 : 523
 524 : 525 : 526 : 527
 528 : 529 : 530 : 531
 532 : 533 : 534 : 535
 536 : 537 : 538 : 539
 540 : 541 : 542 : 543
 544 : 545 : 546 : 547
 548 : 549 : 550 : 551
 552 : 553 : 554 : 555
 556 : 557 : 558 : 559
 560 : 561 : 562 : 563
 564 : 565 : 566 : 567
 568 : 569 : 570 : 571
 572 : 573 : 574 : 575
 576 : 577 : 578 : 579
 580 : 581 : 582 : 583
 584 : 585 : 586 : 587
 588 : 589 : 590 : 591
 592 : 593 : 594 : 595
 596 : 597 : 598 : 599
 600 : 601 : 602 : 603
 604 : 605 : 606 : 607
 608 : 609 : 610 : 611
 612 : 613 : 614 : 615
 616 : 617 : 618 : 619
 620 : 621 : 622 : 623
 624 : 625 : 626 : 627
 628 : 629 : 630 : 631
 632 : 633 : 634 : 635
 636 : 637 : 638 : 639
 640 : 641 : 642 : 643
 644 : 645 : 646 : 647
 648 : 649 : 650 : 651
 652 : 653 : 654 : 655
 656 : 657 : 658 : 659
 660 : 661 : 662 : 663
 664 : 665 : 666 : 667
 668 : 669 : 670 : 671
 672 : 673 : 674 : 675
 676 : 677 : 678 : 679
 680 : 681 : 682 : 683
 684 : 685 : 686 : 687
 688 : 689 : 690 : 691
 692 : 693 : 694 : 695
 696 : 697 : 698 : 699
 700 : 701 : 702 : 703
 704 : 705 : 706 : 707
 708 : 709 : 710 : 711
 712 : 713 : 714 : 715
 716 : 717 : 718 : 719
 720 : 721 : 722 : 723
 724 : 725 : 726 : 727
 728 : 729 : 730 : 731
 732 : 733 : 734 : 735
 736 : 737 : 738 : 739
 740 : 741 : 742 : 743
 744 : 745 : 746 : 747
 748 : 749 : 750 : 751
 752 : 753 : 754 : 755
 756 : 757 : 758 : 759
 760 : 761 : 762 : 763
 764 : 765 : 766 : 767
 768 : 769 : 770 : 771
 772 : 773 : 774 : 775
 776 : 777 : 778 : 779
 780 : 781 : 782 : 783
 784 : 785 : 786 : 787
 788 : 789 : 790 : 791
 792 : 793 : 794 : 795
 796 : 797 : 798 : 799
 800 : 801 : 802 : 803
 804 : 805 : 806 : 807
 808 : 809 : 810 : 811
 812 : 813 : 814 : 815
 816 : 817 : 818 : 819
 820 : 821 : 822 : 823
 824 : 825 : 826 : 827
 828 : 829 : 830 : 831
 832 : 833 : 834 : 835
 836 : 837 : 838 : 839
 840 : 841 : 842 : 843
 844 : 845 : 846 : 847
 848 : 849 : 850 : 851
 852 : 853 : 854 : 855
 856 : 857 : 858 : 859
 860 : 861 : 862 : 863
 864 : 865 : 866 : 867
 868 : 869 : 870 : 871
 872 : 873 : 874 : 875
 876 : 877 : 878 : 879
 880 : 881 : 882 : 883
 884 : 885 : 886 : 887
 888 : 889 : 890 : 891
 892 : 893 : 894 : 895
 896 : 897 : 898 : 899
 900 : 901 : 902 : 903
 904 : 905 : 906 : 907
 908 : 909 : 910 : 911
 912 : 913 : 914 : 915
 916 : 917 : 918 : 919
 920 : 921 : 922 : 923
 924 : 925 : 926 : 927
 928 : 929 : 930 : 931
 932 : 933 : 934 : 935
 936 : 937 : 938 : 939
 940 : 941 : 942 : 943
 944 : 945 : 946 : 947
 948 : 949 : 950 : 951
 952 : 953 : 954 : 955
 956 : 957 : 958 : 959
 960 : 961 : 962 : 963
 964 : 965 : 966 : 967
 968 : 969 : 970 : 971
 972 : 973 : 974 : 975
 976 : 977 : 978 : 979
 980 : 981 : 982 : 983
 984 : 985 : 986 : 987
 988 : 989 : 990 : 991
 992 : 993 : 994 : 995
 996 : 997 : 998 : 999
 1000 : 1001 : 1002 : 1003
 1004 : 1005 : 1006 : 1007
 1008 : 1009 : 1010 : 1011
 1012 : 1013 : 1014 : 1015
 1016 : 1017 : 1018 : 1019
 1020 : 1021 : 1022 : 1023
 1024 : 1025 : 1026 : 1027
 1028 : 1029 : 1030 : 1031
 1032 : 1033 : 1034 : 1035
 1036 : 1037 : 1038 : 1039
 1040 : 1041 : 1042 : 1043
 1044 : 1045 : 1046 : 1047
 1048 : 1049 : 1050 : 1051
 1052 : 1053 : 1054 : 1055
 1056 : 1057 : 1058 : 1059
 1060 : 1061 : 1062 : 1063
 1064 : 1065 : 1066 : 1067
 1068 : 1069 : 1070 : 1071
 1072 : 1073 : 1074 : 1075
 1076 : 1077 : 1078 : 1079
 1080 : 1081 : 1082 : 1083
 1084 : 1085 : 1086 : 1087
 1088 : 1089 : 1090 : 1091
 1092 : 1093 : 1094 : 1095
 1096 : 1097 : 1098 : 1099
 1100 : 1101 : 1102 : 1103
 1104 : 1105 : 1106 : 1107
 1108 : 1109 : 1110 : 1111
 1112 : 1113 : 1114 : 1115
 1116 : 1117 : 1118 : 1119
 1120 : 1121 : 1122 : 1123
 1124 : 1125 : 1126 : 1127
 1128 : 1129 : 1130 : 1131
 1132 : 1133 : 1134 : 1135
 1136 : 1137 : 1138 : 1139
 1140 : 1141 : 1142 : 1143
 1144 : 1145 : 1146 : 1147
 1148 : 1149 : 1150 : 1151
 1152 : 1153 : 1154 : 1155
 1156 : 1157 : 1158 : 1159
 1160 : 1161 : 1162 : 1163
 1164 : 1165 : 1166 : 1167
 1168 : 1169 : 1170 : 1171
 1172 : 1173 : 1174 : 1175
 1176 : 1177 : 1178 : 1179
 1180 : 1181 : 1182 : 1183
 1184 : 1185 : 1186 : 1187
 1188 : 1189 : 1190 : 1191
 1192 : 1193 : 1194 : 1195
 1196 : 1197 : 1198 : 1199
 1200 : 1201 : 1202 : 1203
 1204 : 1205 : 1206 : 1207
 1208 : 1209 : 1210 : 1211
 1212 : 1213 : 1214 : 1215
 1216 : 1217 : 1218 : 1219
 1220 : 1221 : 1222 : 1223
 1224 : 1225 : 1226 : 1227
 1228 : 1229 : 1230 : 1231
 1232 : 1233 : 1234 : 1235
 1236 : 1237 : 1238 : 1239
 1240 : 1241 : 1242 : 1243
 1244 : 1245 : 1246 : 1247
 1248 : 1249 : 1250 : 1251
 1252 : 1253 : 1254 : 1255
 1256 : 1257 : 1258 : 1259
 1260 : 1261 : 1262 : 1263
 1264 : 1265 : 1266 : 1267
 1268 : 1269 : 1270 : 1271
 1272 : 1273 : 1274 : 1275
 1276 : 1277 : 1278 : 1279
 1280 : 1281 : 1282 : 1283
 1284 : 1285 : 1286 : 1287
 1288 : 1289 : 1290 : 1291
 1292 : 1293 : 1294 : 1295
 1296 : 1297 : 1298 : 1299
 1300 : 1301 : 1302 : 1303
 1304 : 1305 : 1306 : 1307
 1308 : 1309 : 1310 : 1311
 1312 : 1313 : 1314 : 1315
 1316 : 1317 : 1318 : 1319
 1320 : 1321 : 1322 : 1323
 1324 : 1325 : 1326 : 1327
 1328 : 1329 : 1330 : 1331
 1332 : 1333 : 1334 : 1335
 1336 : 1337 : 1338 : 1339
 1340 : 1341 : 1342 : 1343
 1344 : 1345 : 1346 : 1347
 1348 : 1349 : 1350 : 1351
 1352 : 1353 : 1354 : 1355
 1356 : 1357 : 1358 : 1359
 1360 : 1361 : 1362 : 1363
 1364 : 1365 : 1366 : 1367
 1368 : 1369 : 1370 : 1371
 1372 : 1373 : 1374 : 1375
 1376 : 1377 : 1378 : 1379
 1380 : 1381 : 1382 : 1383
 1384 : 1385 : 1386 : 1387
 1388 : 1389 : 1390 : 1391
 1392 : 1393 : 1394 : 1395
 1396 : 1397 : 1398 : 1399
 1400 : 1401 : 1402 : 1403
 1404 : 1405 : 1406 : 1407
 1408 : 1409 : 1410 : 1411
 1412 : 1413 : 1414 : 1415
 1416 : 1417 : 1418 : 1419
 1420 : 1421 : 1422 : 1423
 1424 : 1425 : 1426 : 1427
 1428 : 1429 : 1430 : 1431
 1432 : 1433 : 1434 : 1435
 1436 : 1437 : 1438 : 1439
 1440 : 1441 : 1442 : 1443
 1444 : 1445 : 1446 : 1447
 1448 : 1449 : 1450 : 1451
 1452 : 1453 : 1454 : 1455
 1456 : 1457 : 1458 : 1459
 1460 : 1461 : 1462 : 1463
 1464 : 1465 : 1466 : 1467
 1468 : 1469 : 1470 : 1471
 1472 : 1473 : 1474 : 1475
 1476 : 1477 : 1478 : 1479
 1480 : 1481 : 1482 : 1483
 1484 : 1485 : 1486 : 1487
 1488 : 1489 : 1490 : 1491
 1492 : 1493 : 1494 : 1495
 1496 : 1497 : 1498 : 1499
 1500 : 1501 : 1502 : 1503
 1504 : 1505 : 1506 : 1507
 1508 : 1509 : 1510 : 1511
 1512 : 1513 : 1514 : 1515
 1516 : 1517 : 1518 : 1519
 1520 : 1521 : 1522 : 1523
 1524 : 1525 : 1526 : 1527
 1528 : 1529 : 1530 : 1531
 1532 : 1533 : 1534 : 1535
 1536 : 1537 : 1538 : 1539
 1540 : 1541 : 1542 : 1543
 1544 : 1545 : 1546 : 1547
 1548 : 1549 : 1550 : 1551
 1552 : 1553 : 1554 : 1555
 1556 : 1557 : 1558 : 1559
 1560 : 1561 : 1562 : 1563
 1564 : 1565 : 1566 : 1567
 1568 : 1569 : 1570 : 1571
 1572 : 1573 : 1574 : 1575
 1576 : 1577 : 1578 : 1579
 1580 : 1581 : 1582 : 1583
 1584 : 1585 : 1586 : 1587
 1588 : 1589 : 1590 : 1591
 1592 : 1593 : 1594 : 1595
 1596 : 1597 : 1598 : 1599
 1600 : 1601 : 1602 : 1603
 1604 : 1605 : 1606 : 1607
 1608 : 1609 : 1610 : 1611
 1612 : 1613 : 1614 : 1615
 1616 : 1617 : 1618 : 1619
 1620 : 1621 : 1622 : 1623
 1624 : 1625 : 1626 : 1627
 1628 : 1629 : 1630 : 1631
 1632 : 1633 : 1634 : 1635
 1636 : 1637 : 1638 : 1639
 1640 : 1641 : 1642 : 1643
 1644 : 1645 : 1646 : 1647
 1648 : 1649 : 1650 : 1651
 1652 : 1653 : 1654 : 1655
 1656 : 1657 : 1658 : 1659
 1660 : 1661 : 1662 : 1663
 1664 : 1665 : 1666 : 1667
 1668 : 1669 : 1670 : 1671
 1672 : 1673 : 1674 : 1675
 1676 : 1677 : 1678 : 1679
 1680 : 1681 : 1682 : 1683
 1684 : 1685 : 1686 : 1687
 1688 : 1689 : 1690 : 1691
 1692 : 1693 : 1694 : 1695
 1696 : 1697 : 1698 : 1699
 1700 : 1701 : 1702 : 1703
 1704 : 1705 : 1706 : 1707
 1708 : 1709 : 1710 : 1711
 1712 : 1713 : 1714 : 1715
 1716 : 1717 : 1718 : 1719
 1720 : 1721 : 1722 : 1723
 1724 : 1725 : 1726 : 1727
 1728 : 1729 : 1730 : 1731
 1732 : 1733 : 1734 : 1735
 1736 : 1737 : 1738 : 1739
 1740 : 1741 : 1742 : 1743
 1744 : 1745 : 1746 : 1747
 1748 : 1749 : 1750 : 1751
 1752 : 1753 : 1754 : 1755
 1756 : 1757 : 1758 : 1759
 1760 : 1761 : 1762 : 1763
 1764 : 1765 : 1766 : 1767
 1768 : 1769 : 1770 : 1771
 1772 : 1773 : 1774 : 1775
 1776 : 1777 : 1778 : 1779
 1780 : 1781 : 1782 : 1783
 1784 : 1785 : 1786 : 1787
 1788 : 1789 : 1790 : 1791
 1792 : 1793 : 1794 : 1795
 1796 : 1797 : 1798 : 1799
 1800 : 1801 : 1802 : 1803
 1804 : 1805 : 1806 : 1807
 1808 : 1809 : 1810 : 1811
 1812 : 1813 : 1814 : 1815
 1816 : 1817 : 1818 : 1819
 1820 : 1821 : 1822 : 1823
 1824 : 1825 : 1826 : 1827
 1828 : 1829 : 1830 : 1831
 1832 : 1833 : 1834 : 1835
 1836 : 1837 : 1838 : 1839
 1840 : 1841 : 1842 : 1843
 1844 : 1845 : 1846 : 1847
 1848 : 1849 : 1850 : 1851
 1852 : 1853 : 1854 : 1855
 1856 : 1857 : 1858 : 1859
 1860 : 1861 : 1862 : 1863
 1864 : 1865 : 1866 : 1867
 1868 : 1869 : 1870 : 1871
 1872 : 1873 : 1874 : 1875
 1876 : 1877 : 1878 : 1879
 1880 : 1881 : 1882 : 1883
 1884 : 1885 : 1886 : 1887
 1888 : 1889 : 1890 : 1891
 1892 : 1893 : 1894 : 1895
 1896 : 1897 : 1898 : 1899
 1900 : 1901 : 1902 : 1903
 1904 : 1905 : 1906 : 1907
 1908 : 1909 : 1910 : 1911
 1912 : 1913 : 1914 : 1915
 1916 : 1917 : 1918 : 1919
 1920 : 1921 : 1922 : 1923
 1924 : 1925 : 1926 : 1927
 1928 : 1929 : 1930 : 1931
 1932 : 1933 : 1934 : 1935
 1936 : 1937 : 1938 : 1939
 1940 : 1941 : 1942 : 1943
 1944 : 1945 : 1946 : 1947
 1948 : 1949 : 1950 : 1951
 1952 : 1953 : 1954 : 1955
 1956 : 1957 : 1958 : 1959
 1960 : 1961 : 1962 : 1963
 1964 : 1965 : 1966 : 1967
 1968 : 1969 : 1970 : 1971
 1972 : 1973 : 1974 : 1975
 1976 : 1977 : 1978 : 1979
 1980 : 1981 : 1982 : 1983
 1984 : 1985 : 1986 : 1987
 1988 : 1989 : 1990 : 1991
 1992 : 1993 : 1994 : 1995
 1996 : 1997 : 1998 : 1999
 2000 : 2001 : 2002 : 2003
 2004 : 2005 : 2006 : 2007
 2008 : 2009 : 2010 : 2011
 2012 : 2013 : 2014 : 2015
 2016 : 2017 : 2018 : 2019
 2020 : 2021 : 2022 : 2023
 2024 : 2025 : 2026 : 2027
 2028 : 2029 : 2030 : 2031
 2032 : 2033 : 2034 : 2035
 2036 : 2037 : 2038 : 2039
 2040 : 2041 : 2042 : 2043
 2044 : 2045 : 2046 : 2047
 2048 : 2049 : 2050 : 2051
 2052 : 2053 : 2054 : 2055
 2056 : 2057 : 2058 : 2059
 2060 : 2061 : 2062 : 2063
 2064 : 2065 : 2066 : 2067
 2068 : 2069 : 2070 : 2071
 2072 : 2073 : 2074 : 2075
 2076 : 2077 : 2078 : 2079
 2080 : 2081 : 2082 : 2083
 2084 : 2085 : 2086 : 2087
 2088 : 2089 : 2090 : 2091
 2092 : 2093 : 2094 : 2095
 2096 : 2097 : 2098 : 2099
 2100 : 2101 : 2102 : 2103
 2104 : 2105 : 2106 : 2107
 2108 : 2109 : 2110 : 2111
 2112 : 2113 : 2114 : 2115
 2116 : 2117 : 2118 : 2119
 2120 : 2121 : 2122 : 2123
 2124 : 2125 : 2126 : 2127
 2128 : 2129 : 2130 : 2131
 2132 : 2133 : 2134 : 2135
 2136 : 2137

٨٢٨ ، ٨٢٥ ، ٨٢١ ، ٧٩٤	٢٨٥ ، ٢٧٤ ، ٢٦٢ — ٢٦١
٨٥٢ ، ٨٤٥ ، ٨٤٣ ، ٨٣٩	٣٠٣ ، ٣٠٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٠
٨٩١ ، ٨٧٢ ، ٨٦٣	٣١٨ ، ٣١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥
المكتب، (وادي) (ج٨) ١٧٥	٣٤٢ — ٣٤١ ، ٣٢١ — ٣٢٠
مكربة (ج٤) ٩ — ١٠	٣٧٢ ، ٣٦٩ ، ٣٤٩ — ٣٤٨
الكل (ج٣) ٤٧٩	٣٩١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٣ — ٣٨٢
مكتون (موضع) (ج٢) ١٦٥	٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤
مكوسم (موضع) (ج٢) ١١٩	٤٦٦ ، ٤٢٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٤
اللا (ج٥) ٤٨٠	٤٦٧ — ٤٧٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ — ٤٧٩
اللتنم (قرية) (ج٣) ٥٩	٤٨٢ ، ٤٨٥ — ٤٨٧ ، ٤٩٠
ملتده (مدينة) (ج٧) ٢٨٠	٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ — ٥٢٢
ملتنتم (وادي) (ج٢) ٤٠٣	٥٣٨ ، ٥٨٦ — ٥٨٧ ، ٦٠٤
ملتين (ج٤) ١٩٧	٦٠٦ — ٦١٩ ، ٦٢٤ — ٦٢١
الملح (جبل) (ج١) ١٩٥	٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٩ — ٦٣١
(ج٣) ٦٦ ، ٢٤٨	٦٣٣ ، ٦٣٥ — ٦٣٧ ، ٦٤٢
الملحات (موضع) (ج٧) ٣٦٤	٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ — ٦٥٣
ملكا (نهر) (ج٣) ١٧٧	٦٥٥ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ — ٦٦٢
ملكن (موضع) (ج٢) ٢٩٦	٦٦٦ ، ٦٦٨ — ٦٦٩ ، ٦٨٣
(ج٤) ٣٠٤	٦٨٤ ، ٦٩٠ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦
ملل (ج٧) ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،	٧٢١ — ٧٢٢ ، ٧٤٢ ، ٧٥٤
٣٦٠ — ٣٦١	٧٧٩ ، ٧٦٨ ، ٧٥٥ — ٧٨٢
ملهم (وادي) (ج١) ٥٩٨	٧٨٢ — ٧٨٣ ، ٧٨٩
(ج٧) ٤٠ ، ١٣٤	(ج٩) ٢٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٥
ملوفا (موضع) (ج١) ٥٥٨ —	٧٨ ، ٩٠ — ٩١ ، ١٠٩ ،
٥٦١ ، ٥٦٩	١١٢ ، ١١٥ ، ١٥٦ ، ١٩٢
(ج٢) ١٢٢	٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩١
ماليثيوس (مدينة) (ج٢) ٢٣	٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤
ممالك حاصور (موضع) (ج١)	٣٩٦ ، ٤٠٧ — ٤٠٨ ، ٤١٠
٤٣٩	٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٩٠ ، ٥١٣
ممالى (أرض) (ج٣) ١٧١	٥١٤ — ٥١٦ ، ٥٩ ، ٦٠٩
المملكة الاردنية الهاشمية (الأردن)	٦١٨ — ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٥٠
(دولة) (ج١) ١٤٣ ، ١٦٣ ،	٦٥٤ — ٦٥٥ ، ٦٧٠ ، ٦٩٤
١٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ،	٦٩٦ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٧٠٣ —
٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ٤٤٣ — ٤٤٤	٧٠٥ — ٧١١ ، ٧١٥ ، ٧٠٧ — ٧١٠
٤٦١ ، ٥٣٢ — ٥٣٣ ، ٥٩٠ ،	٧١٧ ، ٧٢٣ — ٧٢٧ ، ٧٤٣
٦١١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٢ ، ٦٣٦ ،	٧٥٠ — ٧٥١ ، ٧٨٤ ، ٧٩٣

٣٤٣	(ج) ٢١ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ١٢٠ -
النجلة (ج) ٧٦٤	١٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٦٥٨ ،
منخلى (موضع) (ج) ٨٠٨	(ج) ١٥ ، ٢٦ - ٢٧ ، ٣٢ ،
منخوس (ج) ٣٥٠	٦١ ، ٦٧ - ٦٨ ، ٧٢ - ٧٣ ،
الندب (طريق) (ج) ٢٣٦	١٤٣
(ج) ٣٦٤	(ج) ٦٦٩ ،
منشأ (بئر) (ج) ١٨٩	(ج) ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٦٣٥ -
منضج (معدن) (ج) ٥٢٢	٦٣٦
منعج (موضع) (ج) ٥٢٧	(ج) ٣٤٨
منف (مدينة) (ج) ١٩٨	(ج) ١٧٥ ، ٢١٠ - ٢١١ ،
النفطرة (ج) ٣٤٤	٦٨١
منفوحة (مدينة) (ج) ١٧٨ ،	المملكة العربية السعودية (دولة) (ج) ١
٤١٥	٤٤ ، ١٣٣ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ،
(ج) ٢١٦	١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣ ،
(ج) ٦٦٩	٢٢٨ ، ٢٧٩ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦ ،
(ج) ١١٢ ، ٤٣٣ ، ٥٦٧	٥٤٤ ، ٦١٤
منقط (مسجد) (ج) ٢٩	(ج) ٥٠ ، ٢٤٢ ، ٦٤٨
المنقطع (موضع) (ج) ٤٤٦	(ج) ١٥٥ حا
منقل (طريق) (ج) ٢١	(ج) ٢١٦
منكث (موضع) (ج) ٥٦٧ - ٥٦٨	(ج) ١٣
منهيم (منهيت) (سد) (ج) ٢٨٤	(ج) ٢٦ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ١٨٠ ،
منوب (مدينة) (ج) ٤٦٩	٢٧٣
منوة (وادي) (ج) ١٦٣	(ج) ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٦٨١
منيتم (مدينة) (ج) ٢٧٤	منى (موضع) (ج) ٣٧٩ ، ٣٨٢ ،
منيسة (موضع) (ج) ٢٨٠	٢٨٤ - ٣٨٧ ، ٣٩٠ - ٣٩١ ،
مهامرم (مملكة) (ج) ٢٨٣ ، ٢٩٤ ،	٤٤٣ ، ٤٦٧
٢٩٩ ، ٥٠٨ ، ٦٢٠	(ج) ٢٠٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ،
مهانقم (مدينة) (ج) ٤٣٤	٣٨٠
المهجرة (ج) ٣٤٥ ، ٣٦٢ - ٣٦٣	مناجم الفضة (موضع) (ج) ٥٥٤
مهجم (مدينة) (ج) ٢٩٦	منار (قصر) (ج) ٤٢٠
(ج) ٣٦٣	المنظر (موضع) (ج) ٦١٨ ، ٦٢٩ ،
مهد الذهب (موضع) (ج) ١٨٩ ،	٦٢٨ - ٦٣٩
١٩٣ - ١٩٤ ، ٤٣٠	منعج (مدينة) (ج) ٦٢٣
(ج) ٥١٤	(ج) ٢٢٣
المهدي (بئر) (ج) ٣٣٧	(ج) ٢٩٣
مهرة (مدينة) (ج) ١٥٠ ، ١٧٢ -	المنجشانية (موضع) (ج) ٣٤١ ،

المويلج (جزيرة) (ج) ١٨٧	١٧٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٤١
(ج) ٢٨	٤٢٦
المويه (موضع) (ج) ٥٢٦	٤٧٦ (ج) ٣
مويبة (ج) ٣٣٥	(ج) ٢٠٣
المياه (وادي) (ج) ١٧٤	المهرية (موضع) (ج) ١٨٦
الميت (بحر) (ج) ٢٩ ، ١٤٣ ،	(ج) ١١٤
١٦٦ ، ٣٣٢ ، ٤٤١ ،	مهزور (وادي) (ج) ١٦٨ ، ٤٢
٤٤٥ ، ٥٨٤ ، ٦٠٤ ، ٦١٤ ،	١٧٧ - ١٧٨
٦٥٨	مهور (بناء) (ج) ٤٨٢
(ج) ١٧ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٧٢	مهيعة (ج) ٣٥٠
٧٧	موآب (منطقة) (ج) ٤٤٢ ، ٤٥٥
(ج) ٤٦٢	(ج) ٩١
(ج) ٢٣٦	(ج) ٢٤ ، ٢٧ ، ٦٤ ، ٦٦
ميدعم (موضع) (ج) ٢٨٨	٦٧ -
ميديا (منطقة) (ج) ٦١٤ ، ٦٥٨	موابة (منطقة) (ج) ٦٠١
(ج) ٦١٥	الموارد (مدينة) (ج) ٢٤٦
ميزا (ميناء) (ج) ٥٦٣	الموت (وادي) (ج) ١٣٠ ، ٣٧٢
ميسان (موضع) (ج) ١٦٥ ،	(ج) ٣٣
٤٢٣ ، ٦٣٩ ، ٦٥٨	موترم (موضع) (ج) ٢٨٨
(ج) ١٣ ، ٦٣٣ ، ٦٣٨	الوخرة (ج) ٥١٣
ميسرم (موضع) (ج) ٢٩٠ - ٢٩١	مودم ضمو (موضع) (ج) ٥٧٣ -
ميشا (منطقة) (ج) ٤٢٤ ، ٦٣٩	٥٧٤
(ج) ٢٠	مودينا (منطقة) (ج) ٤٥٥
(ج) ٢٦٢ ، ٢٧٣	مور (نهر) (ج) ١٧٩ ، ٣٦٣ ،
ميفعة (مدينة) (ج) ١٣٣ - ١٣٤ ،	موزح (منطقة) (ج) ١١
١٥٨ - ١٥٩ ، ١٧٢ - ١٧٣ ،	٤٢٣ ، ٦٣٩
٢٩٠ - ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٥١١	(ج) ٦٤
- ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥٣٠ -	موزر (موضع) (ج) ٥١٣
٥٣١	موسج (مدينة) (ج) ٤٢٣
(ج) ١٣ ، ٢٧٥ ، ٤٤٩	موشا (ميناء) (ج) ٢٧٤ ، ٥١٨
(ج) ٤٧١	الموصل (مدينة) (ج) ٣١٧ ، ٥٤٨
(ج) ٢٧٤	(ج) ٦٠٩
البماس (نهر) (ج) ٤١ ، ٦٢٢	(ج) ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٦
مينحوت (منطقة) (ج) ٦٥٤ ،	(ج) ٤٧٠ ، ٤٩٠
٦٥٦	(ج) ٤٧٠ - ٤٧١ ، ٦١٤
	(ج) ٥٦٩

— النون —

- ناحية السيف (موضع) (ج٧) ١٢٢
النازية (موضع) (ج٧) ٣٥٤ —
٢٥٥
الناصره (مدينة) (ج٦) ٥٨٣
ناضحة (ج٧) ٥١٣
ناظرة (موضع) (ج٦) ٨٤
ناعط (مدينة) (ج١) ٤٦
(ج٢) ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ،
٤٦٤
ناعم (حصن) (ج٤) ٢٦٤
ناقوس النصر (موضع) (ج٤) ١٦٤
نب (موضع) (ج٢) ٢٩٤
النياح (ج٤) ٢١٩
(ج٧) ٣٤٢ — ٣٤٣
النيك (ج٧) ٣٣٤
نبالو (موضع) (ج٣) ٢٢
نبايوت (موضع) (ج١) ٤٣٧
نبت (موضع) (ج١) ٥٨٧
(ج٣) ٥٦ ، ٤٨٥
نيسانو (بيت) (ج١) ٥٦٣
النبطية (مملكة) (ج١) ١٦٦
(ج٣) ٦٧
(ج٦) ٦٦٩
نبعة (موضع) (ج٧) ٢٤٥
النبك (مدينة) (ج٧) ٢٥٠
نبيتي (مملكة) (ج١) ٦٠١ ، ٦٠٣
- نجي (موضع) (ج٢) ٢٩٥ — ٢٩٦
(ج٣) ٣٣٩
النجاد (ج٣) ٤٨٤ ، ٤٩٤
نجد (اقليم) (ج١) ٨٦ ، ١٢١ ، ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ،
١٦٧ ، ١٧٨ — ١٧٩ ، ١٨٢ ،
١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ،
٢٣٣ — ٢٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ — ٢٩٠ ،
٢٩٧ ، ٣٢٨ — ٣٣٠ ، ٣٤٦ ،
٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ،
٥٩٨ — ٥٩٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٩ ،
(ج٢) ١٥٦ ، ٢٦٣ ،
٢٧٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ — ٥٥٢ ،
٥٧١ — ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠ ،
٦٠٤
(ج٣) ١٣ ، ٤٧ ، ١٩١ ،
٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ،
٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ،
٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٤٥٠ ، ٤٩٨ ،
٥٣٤
(ج٤) ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٩٩ ،
٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،
٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ،
٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣

، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٦ (٢ج)
 ٢٨٣ ، ٢٦ ، ١٥٦ ، ٧٤ ، ٥٧
 ، ٢٩٩ ، ٢٩٤ ، ٢٨٤ —
 ، ٤٣٩ — ٤٣٨ ، ٢٨١ — ٢٨٠
 — ٥٠٧ ، ٥٠٣ ، ٤٤٢ ، ٤٠٨
 — ٥٤٨ ، ٥٢٠ — ٥١٩ ، ٥٠٨
 ٥٩١ — ٥٩٠ ، ٥٧٢ ، ٥٥٠
 ٥٩٦ ، ٥٩٤
 ، ١٩٣ — ١٩٠ ، ١٧٢ (٣ج)
 ، ٣٥٩ ، ٢٨٥ ، ٢٢٠ — ٢١٩
 ، ٤٥٨ — ٤٥٦ ، ٤٥٢ ، ٣٨٠
 ، ٤٩٦ ، ٤٦٨ — ٤٦٢ ، ٤٦٠
 — ٥٣٢ ، ٥١٠ ، ٥٠٦ ، ٤٩٨
 ٥٣٧
 — ١٩٠ ، ٩٨ ، ٥١ (٤ج)
 ، ٣٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٥٤ ، ١٩٣
 ، ٤٥٦ ، ٤٤٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٠
 ٤٧١ ، ٤٦٩ ، ٤٥٩
 ، ٢٣٦ ، ١٨ ، ١٣ (٥ج)
 — ٦٣٩ ، ٥٠٥ ، ٤٥٢ ، ٢٨١
 ٦٤١
 ، ٢٦٠ ، ٦٠ ، ٢٥ (٦ج)
 ، ٤١٧ ، ٤١٥ ، ٤١٢ ، ٣٥١
 ، ٤٦٧ — ٤٦٦ ، ٤٦٠ ، ٤٣٧
 ٦٠٨ ، ٥٨٦ ، ٥٤١ — ٥٤٠
 ٦٢٩ ، ٦٢٠ — ٦١٤ ، ٦١٢ —
 ، ٦٤٢ ، ٦٤٠ — ٦٣٩ ، ٦٣٠ —
 ٦٨٧ ، ٦٨٠ ، ٦٥٠
 ، ٢٤١ ، ٢١٣ ، ٦٧ (٧ج)
 ، ٣٥٩ ، ٣٤٥ — ٣٤٤ ، ٣٠٥
 ، ٤٢٦ ، ٤٢٢ ، ٣٧١ ، ٣٦٤
 ، ٥٦٩ ، ٥١٥ ، ٤٥٤ ، ٤٣٠
 ٦٠٠ — ٥٩٩
 ، ١٣٠ ، ١١٨ ، ٣٩ (٨ج)
 ، ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ١٩٦
 ، ٦٤٤ ، ٦٤٠ ، ٦٣٧ ، ٢٦٩

، ٤٥٢ ، ٤٤٩ ، ٤٣٠ ، ٤٢٧
 ، ٥٠٧ ، ٤٩٠ ، ٤٨٢ ، ٤٥٤
 ، ٥٢٧ ، ٥١٦ — ٥١٥ ، ٥١٣
 ٦٥٦
 ، ١٧٩ ، ١٦٤ ، ٥٧ (٥ج)
 ، ٢٦٩ ، ٢٤٤ ، ٢٠٧ ، ١٨٨
 ، ٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٥٣ ، ٢٤٧
 ٤٥١
 ، ٢٧٨ ، ٢٢٧ ، ١١٩ (٦ج)
 ، ٣٣٦ ، ٣٢١ ، ٣١١ ، ٣٠٩
 ، ٥٩٠ ، ٥٤٢ ، ٤٤٧ ، ٢٥٣
 ٨٠١ ، ٧٩٠ ، ٧٧٣
 ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٦٤ (٧ج)
 ، ١٧٧ ، ١٦٧ ، ١٤٨ ، ٨٨ —
 ، ٣٤٣ ، ٣٣٦ ، ٣٠٥ ، ٢٨٥
 ، ٥١٣ ، ٣٧٢ ، ٣٤٧ — ٣٤٦
 ٥٤٠ — ٥٣٩
 ، ٢١١ ، ٢٠٥ — ٢٠٤ (٨ج)
 ، ٥٧٨ ، ٥٧٥ ، ٥٢١ ، ٢٩٨
 ، ٥٩٠ ، ٥٨٨ ، ٥٨٢ — ٥٨٠
 ، ٦٣٣ ، ٦٢٧ — ٦٢٤ ، ٥٩٢
 ، ٦٤٩ — ٦٤٨ ، ٦٤٠ ، ٦٣٧
 — ٦٨١ ، ٦٧٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥١
 ٧٢٤ — ٧٢٣ ، ٦٩٠ ، ٦٨٣
 ، ٢٩١ ، ٢١٨ ، ٧٩ (٩ج)
 ، ٤٣٢ ، ٤٢٩ — ٤٢٨ ، ٤٢٦
 ، ٥٥٨ ، ٥٠١ ، ٤٦٨ ، ٤٣٤
 ، ٨٩٥ ، ٨٤٨ ، ٨٠٨ ، ٥٨٧

النجدة (موضع) (٣ج) ١٦٧

النجدية (طريق) (٧ج) ٢٣٩

نجران (اقليم — مدينة) (١ج) ٦٣

١٢٨ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٨٥ ، ٧٥

١٨٠ — ١٧٨ ، ١٧١ ، ١٥٩

٣٣٩ ، ٢٢١ ، ١٩٣ ، ١٨٨

— ٣٥١ ، ٣٤٩ — ٣٤٨ ، ٣٤١

٥٣٢ ، ٤٧٩ ، ٢٥٢

النخيل (واحة) (ج) ١٧٤ - ١٧٥ ،	٧٢٠ ، ٧٠٢ ، ٦٧٥ ، ٦٥١
٤٩٢ ، ٢٥٢	(ج) ٩٣ ، ٢٩١ ، ٥٧٠ ،
النخيلة (ج) ٦٥٥	٥٧٤ ، ٥٨٠ ، ٦٥٩ ، ٦٩٥ ،
٥٤٧ (ج)	٧١٣ ، ٧١٣ ، ٧٠٥
نزوة (مدينة) (ج) ١٧٤	نجر (وادي) (ج) ٤٣٥
النساء (ج) ٥٠٨ ، ٥١٠ ،	النجع (ج) ٢٧٧
نسلة (ج) ٣٤٥	النحف (اقليم) (ج) ١٦٥ ، ٣٢ ،
نسم (موضع) (ج) ٥٤ ، ٢٨٨ ،	٥٤٧ ، ٣٤٩
٢٩٨ ، ٢٩٠	(ج) ٣٣٧ ، ٣٠٣ ، ١٥٨
نشان (نشن) (مدينة) (ج) ٥٤ ،	(ج) ٣١ ، ٦٤ ، ٦٨٠ ،
٨٣ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١٨ -	٨٧ ، ٩٠ ، ٢٣٢ ، ٦٨٠ ،
١١٩ ، ٢٩٢ - ٢٩٨ ، ٢٩٣	(ج) ٤٦
٢٩٩ ، ٤٨٠ ، ٥٢٨ ، ٥٦٢	(ج) ١٩٤ ، ٣٥٧ ،
نشق (مدينة) (ج) ٥١ ، ٥٣ ،	٥٩٨
٧٥ ، ١١٨ - ١١٩ ، ٢٧٧ ،	(ج) ٣٦٩ - ٣٧١
٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ،	(ج) ٢٩٦ ، ٢٩٢ ،
٣٢٣ ، ٤٥٨ ، ٤٨٠ - ٤٨١ ،	٣٣٤ ، ٤٩٩
٤٩١ ، ٥٣٨ ، ٥٦٢	(ج) ٢٥٩ ، ٧٩٧ ، ٨٤٠ ،
٦١٨ (ج)	النخفة (ج) ٣٣٥
نشور (موضع) (ج) ٢٥٤	النجد (ج) ١٧١
نصاب (موضع) (ج) ٢٩١	نجية (مدينة) (ج) ٥٠٦
٤٧٦ (ج)	النجر (قرية) (ج) ١٩٨
٥٢٢ (ج)	(ج) ٢٨٦ ، ٥٤٢
نصيبين (ج) ٥٩٣ ، ٦١٩	(ج) ٩٠٥
(ج) ٩٥ ، ٢٢١ ، ٤١٤	نحارو (نحر) (ملكة) (ج) ٥٩٥
٤٩٠ (ج)	النحيحة (ج) ٣٣٥
(ج) ٥٩٧ ، ٦٢٧ - ٦٢٨ ،	نخال (وادي) (ج) ١٦٨
٦٣١	نخلة (مدينة) (ج) ٧٦ - ٧٧ ،
٢٨١ (ج)	٢٨٦
نضار (سد) (ج) ٢١٢	(ج) ٢٦٨
النضج (ج) ٣٦٢	(ج) ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ -
النضج (ج) ٣٤٥	٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧
نضدون (ج) ١٩٩	(ج) ٣٤٠ ، ٣٦١ ، ٤٤١ ،
نطاة (سوق) (ج) ٢٦٤	٥٢١
٣٧٧ (ج)	نخلة الحمراء (ج) ٥٩٤
نطاع (ج) ٢١٥	٨١ (ج)

نطعت (مدينة) (ج ٢) ٣٣٧	نهاوند (مدينة) (ج ٢) حا ٥٣٤ ،
النظيم (ج ٧) ٢٤٦	حا ٥٣٨ - ٥٣٩
النعام (منطقة) (ج ١) ٢٤٣	(ج ٦) ٦٢٢
نعض (مدينة) (ج ٢) ٣٧٨ ، ٤٣٤ -	(ج ٦) ١٧٦ ، ٨٦٩ ، ٨٩٧
٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٩٠	نهد (معبد) (ج ٢) ٣٤٠
نعمان (معبد) (ج ٢) ٤١١ ، ٥٠٥	نهر دعة (مدينة) (ج ١) ٦٥٧ ، ٦٥٩ -
(ج ٣) ١٤٩	٦٦٠
(ج ٦) ٢٥٧	(ج ٣) ١٥٦ ، ١٧٦ - ١٧٧
(ج ٧) ٣٦٠ ، ٣٥٨	النهروان (موضع) (ج ٣) حا ٣٤٤
نعمان الاراك (وادي) (ج ٤) ١٤٢	النهرين (منطقة) (ج ٢) ٤١
نموت (ج ٢) ٢٩٤ ، ٢٩٦	نهم (ارض) (ج ٢) ٤١٤
نعيم (جبل) (ج ٧) ٣٥٨	نهبيل (حره) (ج ١) ١٦٨
نقى (موضع) (ج ١) ١٩٤	النواسي (سد) (ج ٧) ٢١٢
نققان (ج ٢) ٤٨٥ ، ٥٢٢	نوبيا (منطقة) (ج ١) ٤٥٩
النفود (منطقة) (ج ١) ١٥٢ - ١٥٤ ،	نوذ (جبل) (ج ٦) ٢٥٤
١٦١ ، ١٦٤ ، ٥٩٨ ،	النورة (جبل) (ج ١) ١٨٩
نقأت (قصر) (ج ٢) ٦٩	نومم (نوم) (معبد) (ج ٢) ٢٨٥
النقب (منطقة) (ج ١) ٦٤٨	ني - تك (منطقة) (ج ١) ٥٦٢
(ج ٢) ٧٧	نيط (مدينة) (ج ٢) ٩٦
(ج ٣) ٦٥	النيل (نهر) (ج ١) ٢١ ، ٣٥ ،
(ج ٤) ١٣٧	١٤٣ ، ١٥٧ ، ٢٥٣ ، ٤٣١ ،
(ج ٧) ٥٢٤	٥٦٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ - ٦٢٤ ،
نقبت (مدينة) (ج ٢) ٢٨٨ ، ٢٩٨	٦٢٦ - ٦٢٧ ، ٦٤٨
النقرة (موضع) (ج ٢) ٨٩	(ج ٢) ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٤٦ ،
(ج ٧) ٤٤ ، ٥٢١ - ٥٢٢	١٢١
نقم (موضع) (ج ١) ١٩٦	(ج ٣) ١٥ ، ١١٥
النقيرة (موضع) (ج ٨) ١١٠ ، ٢٩٥	(ج ٧) ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٢٦٧ -
النقيع (بئر) (ج ٧) ١٩٢ ، ٣٥٨	٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٥٩٦
نقيل مدرج (موضع) (ج ٥) ٢٠	(ج ٨) ١٤٦
النماره (موضع) (ج ٣) ١٥٠ ، ١٩١	نينوى (مدينة) (ج ١) ٣١٧ ، ٥٩٢ ،
النماره (قصر) (ج ٨) ١٧٦	٥٩٤ - ٥٩٥ ، ٦٠٠ - ٦٠٢ ،
نمران (بيت) (ج ٢) ٣٢٣	٦٠٤ ، ٦٠٦
نمرة (ج ٤) ٤٦	(ج ٣) ١١
(ج ٦) ٣٥٣	(ج ٦) ٦٣ ، ٢٩٠ ، ٦٠٥ ،
النميرة (ج ٧) ٥٢١	٦٠٧
النهي (وادي) (ج ٤) ٤٤٨	

— الهاء —

- هاجم (ج) ٤٨٥
 الهام (ج) ٥١٩
 هامبرغ (مدينة) (ج) ١٣٢
 الهان (موضع) (ج) ٣٩٨ — ٣٩٩
 (ج) ٥١٩ — ٥٢٠
 هايدلبرك (مدينة) (ج) ٨٦
 هباه (ج) ٣٦٤
 الهبر (موضع) (ج) ٥٣٢
 (ج) ٥١٤
 هبود (معدن) (ج) ٥٢٢
 هجيل (مجلس) (ج) ٢٤٩
 هجر (مدينة) (ج) ١٧٤ — ١٧٥ ، ٥٤٥
 (ج) ٢٨٩ ، ٢٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٦٤ ، ٦٣٧ — ٦٣٨ ، ٦٤٠
 (ج) ١٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢١٠ ، ٢٠٣ — ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٧٣ ، ٢١٥ — ٢١٤ ، ٤٧١ ، ٥٢٧ ، ٥٢٤ ، ٤٨٥ ، ٤٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٤٢٥ ، ٦٤١ ، ٦٢٩ ، ٦٢١ ، ٣٧٦ ، ٦٩٤
 (ج) ١٠ ، ٢١ ، ٤٤ ، ٦٩ — ٣٣٣ ، ٣٢٩ ، ٢٥٨ ، ١٨٠ ، ٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ — ٣٧٤ ، ٥٢٧
 (ج) ٦٠ ، ٣٧٤ ، ٥٦٩ ، ٧٠٢
 هجر بن حميد (موضع) (ج) ١٣٣
 (ج) ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ١١
 هجر البحرين (موضع) (ج) ٦٠
 هجرن (مدينة) (ج) ٤٦٩
 الهجيرة (مدينة) (ج) ١٧١
 (ج) ٣٦٣ — ٣٦٤ ، ٥١٤
 الهدار (موضع) (ج) ٣٤٠ ، ٤٢٧ ، ١٦٢ (ج)
 الهدرة (موضع) (ج) ١٨٥
 الهدهاد (قصر) (ج) ٤٨٧
 هدورام (منطقة) (ج) ٤٢٧
 الهرجاب (ج) ٣٦٤
 الهردة (ج) ٥١٣
 هرر (موضع) (ج) ٥٣٦
 هرشي (موضع) (ج) ٣٥١
 هرقله (مدينة) (ج) ٦٤٧
 (ج) ٩٨ — ٩٩
 هرم (مدينة) (ج) ١٠٦ — ١٠٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٣ ، ١١٨
 (ج) ٢٢٤
 هرموزي (هرمز) (موضع) (ج) ٢٠
 (ج) ٣٩

٦٢٨
 (ج٢) ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٧ ،
 ٢٠ - ٢١ ، ٢٣ - ٢٧ ، ٢٩ ،
 ٣٢ ، ٥٩ ، ٦٢ - ٦٨ ، ٦٥ ،
 ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ،
 ٢٤٢ ، ٢٦٥ ، ٤٩١ ، ٥٣١ ،
 ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٨ ، ٦٢٧ -
 ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٩ ، ٦٤٨ ،
 ٦٥٧
 (ج٣) ٢٠ - ٢١ ، ٨١ ، ١٢٣ -
 ١٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٢٤٣ -
 ٣٨٥ ، ٤٧٩ ، ٥١٨ ، ٥٣٧ ،
 (ج٤) ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٦٩ -
 ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٣ ، ٣٠٣ ، ٤١٦ ، ٤٤١ ،
 ٥٥٨ ، ٦٢٨ ، ٦٦٨ ،
 (ج٥) ٢١٧ ، ٣١٠ ، ٤١٥ ،
 ٤٢٤ - ٤٢٥ ، ٤٤٩ ،
 (ج٦) ٦١٢ - ٦١٣ ، ٦٩٥ ،
 (ج٧) ١٥ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ١٨٨ ،
 ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ -
 ٢٤١ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ٢٦١ -
 ٢٦٣ ، ٢٦٦ - ٢٧٠ ، ٢٧٣ -
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ - ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
 ٣٠٨ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ ، ٤٥٩ ،
 ٥٣٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٣ ،
 ٥٩٩ ، ٦١٣ ،
 (ج٨) ٨٦ ، ١٥٠ ، ١٩٨ ،
 ٢١٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ -
 ٢٩٥ ، ٣٩٠ ، ٦٦٩ ، ٦٨٨ ،
 ٧٠١ ، ٧٠٥ ، ٧٢٥ ،
 (ج٩) ٩٥ ، ٢١١ ، ٢١٥ ،
 ٣٠٨
 الهندي (الحيط) (ج١) ١٤١ -
 ١٤٢ ، ٥٥٩ ، ٦١٥ ، ٦٢٤ -
 ٦٢٥ ، ٦٤٠

هرن ، (هران) (مدينة) (ج٢) ١٣٨ ،
 ٣٢٣ ، ٣٩١ - ٣٩٣ ، ٤٢٣ ،
 ٤٣٦
 (ج٧) ٢١٢
 هزمان (ج٦) ٩٣
 هشمت (مدينة) (ج٢) ٢٥١
 هضب ذي الأسناد (موضع) (ج٩)
 ٨٠٤
 هعان ، (هعن) (مدينة) (ج٢) ٤٢٨
 الهفوف (منطقة) (ج١) ١٤٩ ،
 ١٧٥
 هكرب (هكر) (مدينة) (ج٢) ٤٢٩ -
 ٤٣١ ، ٥٢٥ ، ٥٧٢
 هكفر (موضع) (ج٢) ٢٥١
 الهلال الخصيب (منطقة) (ج١)
 ١٤٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٩ ، ٢٩٧ ، ٥٠٧ ، ٥٣٠ ،
 ٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٧٣ ،
 (ج٢) ٥ ، ١٢ ، ٦٠١ ، ٦٢٤ ،
 ٦٢٧
 (ج٤) ٢٧٦
 (ج٦) ٦٠٠ ، ٦٨٩
 الهلباء (ج٧) ٣٤٥
 الهمدانية (مواضع) (ج٢) ٣٥٤ ،
 ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٤٩٢
 همذان (موضع) (ج١) ١٧
 همربان (ممر) (ج٢) ١٣٤ - ١٣٥
 همل (سوق) (ج٧) ٣٧١
 الهند (دولة) (ج١) ٦٠ - ٦١ ، ٨٣ ،
 ٨٦ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٢٠٨ -
 ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٧٣ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ،
 ٥٣٤ ، ٥٤٤ - ٥٤٦ ، ٥٥٦ -
 ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ -
 ٥٧٠ ، ٦١٥ ، ٦٢٤ - ٦٢٥ ،

هوج (موضع) (ج ٨) ٥٧٩	(ج ٢) ٥ ، ٢٣ - ٢٧ ، ٣٤ ،
هودم (مدينة) (ج ٢) ٢٨٨	٤٣ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٥٧٥ ،
الهون (مدينة) (ج ٢) ٥٩٣	٦٤٧ ، ٥٩٤
هيت (موضع) (ج ٣) ١٨١ - ١٨٢	(ج ٣) ٤٦١ ، ٤٩٠ - ٤٩١
٣٣٧	(ج ٤) ١٧٠
(ج ٦) ٧٩	(ج ٦) ٦١٣
هيج (بيت) (ج ٢) ٦٣٨ ، ٦٤٠	(ج ٧) ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ -
(ج ٤) ٤٨٦	٢٧٢ ، ٢٧٩ - ٢٨٠
هيجل (مجلس) (ج ٢) ٢٥٢	هنم (وادي) (ج ٨) ٧١٤
هيريوبوليس (مدينة) (ج ١) ١٦٤	هنوم (بلدة) (رأس) (ج ١) ١٩٦ ،
الهيصمية (موضع) (ج ٧) ٤٥٨	٣٥٠
هيلان (مدينة) (ج ٢) ١١٧	(ج ٢) ٥٧٠
هيلوبوليس (مدينة) (ج ٣) ١٧٣	(ج ٧) ٥١٩
	هواع (مدينة) (ج ٢) ٤٢٨ - ٤٢٩

- الواو -

وج (موضع) (ج ٤) حا ١٤٤	واسط (مدينة) (ج ٣) ٢٩٣
(ج ٧) ٤٤١	واشنطن (مدينة) (ج ١) ٢٩١
(ج ٨) ١٦٦	واقصة (ج ٧) ٣٣٥ ، ٣٤٠
وجرة (منطقة) (ج ١) ١٨٢	وان (بحيرة) (ج ١) ٥٥٤ ، ٥٦١
(ج ٧) ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٤٧	وبار (منطقة) (ج ١) ١٥١ - ١٥٢ ،
الوجه (منطقة) (ج ١) ١٨٢ ، ٣٢٩	٣٠٥ ، ٣٤٩ ، ٤٢١
(ج ٢) ٤٨	(ج ٣) ١٦١
(ج ٧) ٣٥٠	(ج ٦) ٦٨٦
(ج ٨) ٢١٠	وبنن (ج ٢) ٤٠٣
وحدة (حصن) (ج ٢) ٤٢٨	وترن (بيت) (ج ٢) ٣٢٢ - ٣٦٥
وحظة (موضع) (ج ٣) ٤٧٥	وثر (جبل) (ج ١) ١٥٦

- الوطيح (حصن) (ج) ٢٦٤
وعلان (مدينة) (ج) ١٤٩ - ١٥٠
٢٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٥ ، ١٩٤
٢٩٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٤٠٢
- ٤٠٣ ، ٤٤٠ ، ٤٤٨ ،
٤٥٩ ، ٤٦٨
(ج) ٤٨٩ ، ٥٠٤
(ج) ٢١٥
وغرة (ج) ٢٤٣
الوفيت (ج) ١٦٨
وقب (موضع) (ج) ٢٩٤
وقيم (موضع) (ج) ٢٩٥
وقشة (موضع) (ج) ٤٥١
(ج) ٤٥١
وكل (مدينة) (ج) ٨٨
الولايات المتحدة (دولة) (ج) ١٣٣
٢١٧
(ج) ٦٢٤
ونب (موضع) (ج) ٢٩٧
الوعل (وادي) (ج) ١٤٢
- (ج) ١٦٨
وحقان (ج) ٣٥٤
ودان (موضع) (ج) ١٦٧
(ج) ٣٥١ - ٣٥٢
ودفتان (ج) ٤٢٧
الودي (موضع) (ج) ٥٩٧
الوديان (ج) ٦٥٦
(ج) ٣٨٥
وديفان (موضع) (ج) ٤٢٧
وداخ (موضع) (ج) ٤٢٧
ورخن (ج) ٢٩٥
ورغو (موضع) (ج) ٢٣٢
وركاء (موضع) (ج) ٢٠٣
الوركة (ج) ٣٤٤
الوربة (ج) ٣٣٥
وسر (مدينة) (ج) ٢٢١ ، ٢٨٨ -
٢٨٩ ، ٢٩٨
وسط (وادي) (ج) ٥٤ ، ٢٠٩
الوشم (قرى) (ج) ١٨٠

— الياء —

٤٧٦ ، ٤٢٢ ، ٢٨٤ ، ٣٦٠	يابس (موضع) (ج٣) ٦٠
٤٩٣ — ٤٩٠ ، ٤٨٧ — ٤٨٣	ياجج (ج٧) ٣٥٧
٦١٤ ، ٦٠٩ ، ٥٨٥ — ٥١٢	يارح (منطقة) (ج١) ٤٢٧
— ٦١٩ ، ٦٦١	يازل (منطقة) (ج١) ٤٢٨
(ج٢) ٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،	يافا (مدينة) (ج١) ٦٤١ ، ٦٤٤ ،
٢٥٦ ، ٤٥٧ ، ٥٢٦ ، ٤٥٤	٦٥١
٥٧٨ ، ٥٩٣ ، ٦٥٣	(ج٣) حا ٣٠
(ج٣) ٢٨٠ ، ٣٣٧ ، ٣٦٣ ،	يافع (أرض) (ج٢) ١٣٥ ، ٢٨٩
٣٨٩ — ٣٩١ ، ٤٣٠ ، ٤٤٢	يام (ج٤) ١٨٦ — ١٨٧
٤٦٠	(ج٥) ١١
(ج٤) ٩ ، ٢٦ ، ٧٣ — ٧٥	ياردو (ممر) (ج١) ٦٠١
١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٨ — ١٣٤	يبرين (منطقة) (ج١) ١٥٢ ، ١٧١
١٣٦ ، ١٤٠ — ١٤١ ، ١٤٤	٣٠٥ ، ٣٤١ ، ٥٥٨
١٤٧ ، ١٥١ — ١٧٨ ، ٢٠٢	(ج٥) ٣٣٩
٢٢٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦١	(ج٦) ٧١٨ ، ٧٢٥
٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤	يبعث (وادي) (ج١) ٥٣٣
٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٩٧	يبلغ (ج٢) ٤٥٠
٤١٧ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢ ، ٥١٠	ييميم (ج٧) ٣٦١ ، ٣٦٣
٥٦٤ ، ٦٢٠ ، ٦٢٨	يبنثيل (بينة) (مدنة) (ج١) ٦٤٣ —
(ج٥) ١٧ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٠١	٦٤٤
١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١	يوق (نهر) (ج٣) ٦٨
١٤٣ ، ١٧٨ — ١٨٠ ، ٢٠٩	يتحم (موضع) (ج٢) ٢٩١
٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ — ٢٥٢	يثرپ (مدينة) (ج١) ٨١ ، ١٢٠ ،
٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦	٢٩٠ ، ٢٨٨ ، ١٦١ ، ١٢٢
٣٣٠ ، ٣٩١ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢	٣١٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦

٦٥٣ ، ٦٥١ ، ٦٤٩ ، ٦٣٤
 ٧٤٣ ، ٧.٦ — ٧.٥ ، ٧.٣
 (ج) ٩ ، ٢٢ ، ٤٩ ، ٥١
 ٩. : ٩٢ ، ١١٢ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٣ — ٢.٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ،
 — ٢٢٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ،
 ٢٣٣ ، ٣٦١ ، ٣٨٠ — ٣٨١
 ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٥.١ ، ٥٦٤
 ٥٨٢ — ٥٨٣ ، ٥٨٩ ، ٦٥٤
 — ٦٥٥ ، ٦٥٩ ، ٦٩٤ —
 ٦٩٥ ، ٧١٩ — ٧٢٠ ، ٧٢٢
 ٧٢٥ — ٧٢٦ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩
 ٧٣٢ ، ٧٣٤ — ٧٣٥ ، ٧٤٣
 ٧٤٦ ، ٧٤٨ ، ٧٩٣ — ٧٩٤
 ٨٣٩ ، ٨٤٢ — ٨٤٤

يشعان (سد) (ج) ٢٨٤

(ج) ٤٧٥

يثل (مدينة) (ج) ٥٧ ، ٨٣ ، ٨٥

٨٨ — ٩٠ ، ٩٨ ، ١١٦ —

١١٧ ، ١٣٨ ، ٢٩٤ ، ٤٨٠

— ٤٨١

(ج) ١٨٢

يثوبرن (موضع) (ج) ٤٦٠

يجر (بيت) (ج) ٣٩٩

بحا (موضع) (ج) ٤٥١

(ج) ٣٠١

(ج) ٢١٢

يحر (ارض) (ج) ١٥٤ : ٥٣٧

اليحموم (ج) ٥١٥

يخضور (حصن) (ج) ٢٣٠

يدع (ج) ٦٢

يدهن (مدينة) (ج) ٢٩٣

يدان (برج) (ج) ١٣٣

يدقان (برج) (ج) ١٣٣

يرت (ج) ٢٩٥

برسم (موضع) (ج) ٢٩٧ ، ٤١١

— ٤٥٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،

٤٨٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٤ — ٥٣٥

٥٥٦ ، ٥٨٩ ، ٦٢٢

(ج) ١١ ، ٦٨ ، ٩٧ ، ٩٩

١.٣ ، ١٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٣٩

٣٥٣ — ٣٥٤ ، ٣٨١ ، ٤٤٢

٤٦٠ ، ٥١٠ — ٥١١ ، ٥١٣

٥١٦ — ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

٥٢٩ — ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣

٥٣٥ — ٥٣٧ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥

٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٧

٥٥٩ — ٥٦١ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧

٥٧٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩ ، ٦.١

٦.٣ — ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٥٨

٦٨٣ — ٦٨٧ ، ٦٨٩ ، ٧٤٨

٨٢١ — ٨٢٢

(ج) ١٠ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٤٠

— ٤٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ،

١٣. ، ١٣٢ — ١٣٣ ، ١٦٨

١٧. ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨

٢٢. ، ٢٤١ ، ٢٥٩ — ٢٦٠

٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣.٦

٣١٠ — ٣١٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩

٣٨٥ — ٣٨٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٨

٤٥٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٥

٥١. ، ٥٣٦ ، ٥٦٢ ، ٥٤١

٥٧٠ ، ٥٨٤

(ج) ٩ ، ٣١ ، ٦٠ ، ٩٢

١٠.٦ ، ١١٤ — ١١٦ ، ١٢١

١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ — ١٣٦

١٤١ ، ١٩٥ — ١٩٦ ، ٢٨٩

٢٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٤٦

٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٧

٤٠٤ ، ٤٦٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩٤

٤٩٧ ، ٥٠٥ ، ٦١٩ ، ٦٢٧

يكن (باب) (ج ٢) ١٣٣
 يل أي (موضع) (ج ٢) ٢٩١ - ٢٩٢
 يلط ، يليط (ج ٢) ٢٩٦
 ١٢ (ج ٧)
 يلماقه (بناء) (ج ٦) ٢٩٧
 يللم (ج ٧) ٣٦٣
 يليل (موضع) (ج ٧) ١٦٢
 اليم (موضع) (ج ٢) ٥٤١
 اليمامة (واحة) (ج ١) ١٥٨ ، ١٧١
 ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١
 ٢٢١ ، ٢٥١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩
 ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ - ٣٤٢
 ٣٤٧ ، ٣٧٠ ، ٤٠٤ ، ٤٢٩
 ٤٣١ ، ٤٦٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨٤
 ٦٢٨ - ٦٣٩ ، ٦٤٨
 (ج ٣) ١٧٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٨٩ ، ٢٢٧ ،
 ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٤٠٥
 (ج ٤) ٢٩ ، ١١٣ ، ١٣٤ ،
 ٢٠٦ ، ٢١٣ - ٢١٩ ، ٢١٢ ،
 ٤٥٣ ، ٤٨٥ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ -
 ٥٠٣ ، ٥١٤ ، ٥٢٢ -
 ٥٢٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦٩ ، ٦٧٥
 (ج ٥) ٧٧ ، ١١٢ ، ١١٨ -
 ١١٩ ، ١٦٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ،
 ٢٦٥ ، ٣٨٥ ، ٤٢٨ ، ٤٦٤ -
 ٤٦٥
 (ج ٦) ٢٩ ، ٦٢ ، ٨٦ - ٩١ ،
 ٩٤ ، ٩٨ - ١٠٠ ، ١٧٣ ،
 ٥١١ ، ٥٢١ ، ٥٩٧ ، ٦٢١ ،
 ٦٢٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٩ ، ٧٧٣ ،
 ٨٢١
 (ج ٧) ١٦ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٣ ،
 ٢٨ - ٤٠ ، ٦٩ ، ١٠٥ ،
 ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ،
 ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ - ١٨٤ ، ١٨٤

اليرموك (نهر) (ج ١) ٤٩٢
 (ج ٣) ٤٢٧ ، ٤٤١
 (ج ٤) ١٧٩ ، ٢٤١
 (ج ٥) ٢٩١
 (ج ٩) ٨٤٤
 يريم (منطقة) (ج ١) ٤٢٦
 (ج ٨) ٣٩
 يزر (موضع) (ج ٢) ٦١
 (ج ٣) ٤٧٥
 يسبق (موضع) (ج ١) ٤٥٦
 يسر (موضع) (ج ٢) ٤٨٢
 يسران (موضع) (ج ١٢) ٢٨١ - ٢٨٢
 ٢٨٤ ، ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٣٠٠ ،
 ٥٨٠
 يسرم (موضع) (ج ٢) ٢٣٢
 اليسرة (بئر) (ج ٤) ٥٤
 (ج ٧) ١٩١ ، ١٩٤
 يشبم (يشبوم) (حصن) (ج ٢) ٩٦ ،
 ٢٩٨
 يعد (بعود) (بيت) (ج ٢) ٤٦٦ ، ٤١١
 يعرت (موضع) (ج ٢) ٢٩٤ - ٢٩٥
 يعفر (موضع) (ج ١) ٤٥٨
 يفش (بيت) (ج ٢) ١٨٤ - ١٨٥ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢١٠
 حا ٢٢٥ - ٢٢٨
 (ج ٨) ٨١
 يفعان (يفعن) (مدينة) (ج ٢) ١٣٨ ،
 ٤٥٠
 يفعت (مملكة) (ج ٢) ٢٩٤
 يفعم (ج ٢) ١٨٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٦
 يقتثيل (مدينة) (ج ٣) ٥٣
 اليقطانية (مملكة) (ج ١) ٤٢٤ -
 ٤٢٥
 يكرن (موضع) (ج ٢) ٥٣٥
 بكلا (مدينة) (ج ٢) ٤٣٠ - ٤٣١ ،
 ٤٣٤ - ٤٣٥

— ٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣١١ ل
 ، ٣٤١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣.
 ، ٣٥٥ ، ٣٥٢ — ٣٤٨ ، ٣٤٤
 ، ٣٧٢ ، ٣٧. ، ٣٦٦ — ٣٥٨
 — ٣٨٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨١ — ٣٨.
 ، ٣٩٧ ، ٣٩٣ — ٣٩. ، ٣٨٧
 — ٤.٧ ، ٤.٢ ، ٤.٠ — ٣٩٩
 ، ٤٢٢ — ٤٢١ ، ٤١٥ ، ٤.٨
 ، ٤٣٨ ، ٤٣١ — ٤٢٦ ، ٤٢٤
 — ٤٧٤ ، ٤٦. ، ٤٥٧ ، ٤٥١
 ، ٤٨٩ ، ٢٨٤ — ٤٨٢ ، ٤٨.
 ، ٤٩٥ — ٤٩٤ ، ٤٩٢ — ٤٩١
 ، ٥.٨ ، ٥.٥ ، ٥.١ — ٤٩٨
 ، ٥٣. ، ٥١٧ — ٥١٦ ، ٥١.
 ، ٥٤٨ — ٥٤٧ ، ٥٤٢ ، ٥٣٢
 ، ٦١٥ ، ٥٩٩ — ٥٩٨ ، ٥٨٣
 ، ٦٣٩ ، ٦٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٢٧
 ، ٦٦١ ، ٦٤٤ ، ٦٤٢
 ، ٢٩ — ٢٨ ، ٩ ، ٦ (٢ج)
 ٥. ، ٤٦ — ٤٥ ، ٤٣ ، ٣٤
 ، ٥٨ ، ٥٦ — ٥٥ ، ٥٢ —
 — ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٥ ، ٦١ — ٦.
 ١١٩ ، ١١٧ ، ٩. ، ٨١ ، ٧٦
 ، ١٤٩ ، ١٢٤ — ١٢٣ ، ١٢. —
 ، ١٦٣ ، ١٥٤ — ١٥٣
 ، ١٩٤ ، ١٩١ ، ١٧٤ — ١٧٣
 ، ٢٢٥ ، ٢١. ، ٢.٧ ح
 ، ٢٥٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤١
 — ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ — ٢٦.
 ، ٢٧٩ — ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٦٨
 ، ٢٢٤ ، ٢.٤ ، ٢٩٩ ، ٢٨٤
 ، ٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٣٣٦ ، ٣٢٩
 ، ٣٦٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ح
 — ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ٣٨٧
 ، ٤.١ — ٤.٠ ح ، ٣٩٧
 ، ٤٤٥ ، ٤٤٢ ، ٤١٦ ، ٤.٤

، ٣.٥ ، ٢٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٦
 ، ٣٤٦ — ٣٤١ ، ٣٣٥ — ٣٣٣
 — ٤٥٧ ، ٤.٨ ، ٣٧٧ ، ٣٦٧
 ، ٥١٥ ، ٥١٣ ، ٤٦٨ ، ٤٥٩
 ، ٥٤١ ، ٥٣٤
 ، ٦٢٧ ، ٥٧٢ ، ٢٩٧ (٨ج)
 — ٦٤٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤. ، ٦٣٧
 ، ٦٨٨ ، ٦٨١ ، ٦٦٩ ، ٦٥.
 — ٧٦. ، ٧٥٧ — ٧٥٦ ، ٧٥٤
 ، ٧٦١
 ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٩٢ (٩ج)
 ، ٤٢٩ — ٤٢٨ ، ٤٢٦ ، ٤.٨
 ، ٥٣٩ ، ٤٥٦ ، ٤٣٣ — ٤٣٢
 ، ٥٧٦ ، ٥٧. ، ٥٦٧ ، ٥٦٤
 ، ٦٥٩ — ٦٥٤ ، ٥٨٩ ، ٥٧٨
 ، ٦٩٣ ، ٦٧١ — ٦٦٩ ، ٦٦٣
 ، ٨.٨ ، ٧٩٣ ، ٧٥٦ ، ٦٩٥
 ، ٨٦٧ ، ٨٤. ، ٨٢٨ ، ٨١١
 ، ٨٧٥

اليمن (بمونت) (دولة) (ج) ٩ ،

— ٢٣ ، ٢٨ ح ، ٢٣ ، ١٥
 ، ٦٦ ، ٥٢ — ٥. ، ٤٦ ، ٣٤
 — ٩٦ ، ٩٤ — ٩. ، ٨٥ ، ٨٣
 ، ١١٧ ، ١.٦ — ١.٣ ، ١.١
 — ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٢ — ١١٩
 ، ١٣٦ ، ١٣٣ — ١٣٢ ، ١٢٩
 ، ١٤٥ — ١٤٤ ، ١٣٨
 — ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥٠ — ١٤٨
 — ١٧. ، ١٦٧ ، ١٦٣ ، ١٦١
 ، ١٨٥ ، ١٨١ — ١٨. ، ١٧٢
 ، ١٩٦ — ١٩٤ ، ١٩. — ١٨٨
 ، ٢١١ — ٢.٦ ، ٢.٤ — ٢.٢
 ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٢١٨ — ٢١٥
 ، ٢٥٢ — ٢٤٨ ، ٢٤٦ — ٢٤٥
 ، ٢٩٠ — ٢٨٨ ، ٢٧٣ — ٢٧٢
 ، ٣.٥ — ٣.٤ ، ٣.٠ ، ٢٩٤

. 188 : 182 — 18. : 177
 : 198 — 192 : 19. : 187
 — 218 : 200 : 200. : 198
 : 228 : 221 : 219 — 218 : 217
 : 270 : 279 : 289 : 280
 : 292 : 283 — 282 : 279
 : 322 : 308 : 299 : 298
 : 333 : 329 : 327 — 328
 — 37. : 301 — 300. : 387
 : 390. : 388 — 383 : 378
 : 822 6 : 821 — 810
 — 822 : 828 : 820 6
 : 880. : 888 : 882 : 888
 — 877 : 870. : 877 : 807
 : 001 : 898 — 892 : 877
 : 018 : 009 : 007 — 000
 : 028 — 027 : 021 : 017
 : 007 — 006 : 088 : 080
 : 708 : 090 : 072 : 078
 : 727 : 717 : 718 — 712
 782 : 778 : 779 : 777
 — 18 : 17 : 12 : 10. (08)
 : 78 : 00 : 22 — 21 : 19
 : 107 — 106 : 112 : 109
 : 179 — 178 : 170 : 170
 : 192 : 190. : 188 : 182
 : 209 : 207 : 208 : 197
 : 221 : 229 : 222 : 212
 — 272 : 271 : 280 : 239
 — 282 : 279 — 278 : 278
 — 297 : 291 : 287 : 282
 : 327 : 320. : 308 : 298
 — 388 : 387 — 380 : 381
 : 300 — 308 : 302 : 389
 : 391 : 380 : 377 : 307

: 898 : 890 — 898 : 890
 : 020. : 017 — 010 : 012
 : 020. : 027 — 020 : 022
 : 081 — 029 : 020 — 028 : 021
 : 070. : 008 — 002 : 088
 : 079 : 370 : 072 — 072
 — 078 : 076 : 078 — 071
 : 080 — 088 : 082 : 080
 : 728 — 727 : 098 — 087
 : 707 : 787 : 722 — 721
 709 — 708
 : 22 : 20. : 18 : 7 (38)
 : 1776 : 172 — 171 : 28
 : 187 — 180 : 181 : 172
 : 220. : 192 : 191 — 190
 — 277 : 208 : 202 : 222
 : 210 6 : 280 : 277
 — 327 : 322 : 319 — 317
 : 300 — 308 : 288 : 327
 : 372 — 372 : 309 — 307
 : 378 : 371 : 377 — 370
 : 397 : 390. — 387 : 379
 : 872 — 808 : 801 : 889
 : 872 — 870. : 878 — 870
 : 888 — 880. : 877 : 878
 : 297 — 898 : 889 — 887
 : 017 — 010 : 012 — 002
 028 : 020 — 019
 : 19 : 17 — 12 : 7 (88)
 : 72 — 79 : 80. — 29
 : 82 — 82 : 78 : 77 : 78
 : 103 : 97 : 92 : 87
 — 128 : 127 : 117 — 112
 — 187 : 127 — 128 : 129
 : 107 : 102 — 102 : 189
 : 172 — 170. : 178 — 172

: 230 : 212 : 21. — 2. A
 — 272 : 252 — 251 : 237
 : 273 — 272 : 277 : 273
 : 280 : 283 — 281 : 270
 : 295 — 293 : 29. — 288
 : 3.3 — 3.1 : 298 — 297
 — 310 : 312 : 3.7 — 3.0
 : 338 : 327 : 32. : 317
 — 375 : 372 — 37. : 350
 : 321 : 3.8 — 3.7 : 377
 — 371 : 300 : 35. — 339
 : 391 : 387 : 377 : 372
 : 0.8 : 399 : 390 : 393
 : 018 — 017 : 015 : 011
 : 029 — 025 : 022 : 02.
 : 038 — 030 : 033 — 032
 : 057 — 050 : 052 — 051
 : 07. — 078 : 007 : 003
 : 083 : 078 — 077 : 073
 : 7.0 : 7.1 — 097 : 087
 737 : 727 : 713 : 7.9
 — 23 : 2. : 1. — 7 (A₇)
 : 3. — 39 : 37 : 35 : 27
 : 07 : 02 — 0. : 33 — 32
 : 81 : 78 : 75 — 73 : 75
 — 137 : 110 : 112 : 111
 : 105 — 103 : 15. : 138
 : 178 : 175 : 108 — 107
 — 2.2 : 195 : 178 : 175
 : 218 : 211 : 2.9 : 2.5
 : 277 : 270 : 273 : 208
 : 3.9 : 3.7 : 3.2 : 287
 : 30. : 337 : 317 : 315
 : 383 — 382 : 379 : 309
 : 323 — 322 : 319 : 395
 : 037 : 018 : 010 : 371

— 315 : 312 : 3.8 : 398
 : 323 — 322 : 319 : 310
 : 337 : 332 : 333 — 331
 : 308 — 307 : 303 — 302
 : 381 : 37. : 373 : 37.
 : 092 : 005 : 025 : 0.1
 739 : 731 : 728 : 7.2
 : 8. : 38 — 37 : 27 (7₇)
 : 155 — 153 : 88 : 85
 : 277 : 275 : 27. : 208
 — 297 : 287 : 270 : 271
 : 302 : 3.7 — 3.0 : 298
 : 389 : 375 — 373 : 375
 : 317 : 310 : 3.9 : 3.2
 — 350 : 332 — 331 : 325
 : 373 — 372 : 303 : 357
 — 013 : 011 : 0.1 : 387
 : 03. : 02. — 019 : 015
 : 009 : 059 : 050 : 053
 — 07. : 087 : 08. : 075
 — 71. : 7.8 — 7.7 : 091
 — 719 : 717 — 715 : 712
 : 779 : 73. — 729 : 72.
 : 710 : 797 : 793 : 791
 : 770 : 771 : 723 : 719
 818 : 77. — 779 : 777
 : 19 : 13 — 12 : 7 (7₇)
 : 38 — 30 : 28 : 27 — 25
 : 00 — 03 : 01 : 38 — 37
 : 77 — 73 : 79 : 71 — 09
 : 118 : 115 : 87 : 83 : 79
 : 139 : 125 : 120 : 121
 : 10. : 158 — 157 : 155
 : 175 : 171 — 17. : 107
 177 : 172 — 171 : 179
 : 2.3 — 2.2 : 190 : 19. —

يهنشر (موضع) (ج ٢) ٤٣٥	٥٣٩ ، ٥٥٥ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ ،
يهدل (موضع) (ج ٢) ٣٠٠	٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٩١ -
يهر (حصن) (ج ٢) ١١٤ ، ٣٠٢ ،	٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ، ٦٢٩ ،
٤٣٣	٦٣١ - ٦٣٣ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ -
(ج ٨) ٨	٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ، ٦٥٢ -
يهرق ، يهريق (مدينة) (ج ٦) ٣٠٣	٦٥٣ ، ٦٥٨ - ٦٥٩ ، ٦٦٨ -
يهمان (مدينة) (ج ٢) ٤٦٦ ، ٤٩١	٦٧٠ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٨٨ -
يهودية (مستعمرات) (ج ١) ٦١٩ ،	٧٠٠ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٢١ ،
٦٤٩ - ٦٥١	٧٢٨ ، ٧٣٥ ، ٧٣٨ ، ٧٤٤ ،
(ج ٣) ٧٧	٧٦٩ ، ٧٧٨ ، ٧٩٤
يهوذا (مملكة) (ج ١) ٦٤٢ - ٦٤٥ ،	(ج ٩) ١٩ ، ٢١ ، ٦٧ ، ٧٩ ،
٦٤٧ - ٦٤٩	٩٢ - ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ،
(ج ٣) ٦٨ ، ٧٧	٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ،
اليونان (دولة) (ج ١) ٢١ ، ٤٤ ،	٣٦٩ ، ٣٧٧ - ٣٨٠ ، ٣٨٢ -
١٤٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٧٠ ،	٣٨٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٢٤ -
٦٢٤	٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ - ٤٣٢ ،
(ج ٢) ٥ ، ٣٨ ، ١٢٠ ، ٥٠٦ ،	٤٣٤ - ٤٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ،
(ج ٦) ٤٠٨	٤٥٧ ، ٤٨١ - ٤٨٢ ، ٤٥٠ ،
(ج ٨) ٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٧ ،	٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٣ ، ٥٧١ ،
٦٨٨ ، ٦٦٨	٥٧٥ - ٥٧٦ ، ٥٩٠ ، ٦١٩ ،
(ج ٩) ٤٧	٦٥٥ - ٦٥٨ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ -
يوناني (بحر) (ج ٢) ٥	٦٩٦ ، ٧١٠ ، ٧٢٨ ، ٧٣٢ ،
يونانية (مستعمرات - قرى) (ج ١)	٧٤٣ ، ٧٩٨ ، ٨٠٣ ، ٨٠٨ ،
٢١٩ ، ١٦١	٨١٦ ، ٨٦٨ - ٨٦٩ ، ٨٧٣ ،
(ج ٢) ١٢٤	٨٩١
(ج ٣) ٨٣	ينبع ، (مدينة) (ج ١) حا ١٤٩ ،
(ج ٤) ٣٠٤	١٦٨
(ج ٥) ١٧٨ ، ٢٩٤ - ٢٩٥ ،	(ج ٢) ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ،
٣٢٨ - ٣٢٧ ، ٣٠٤	(ج ٣) ٤٥٣
(ج ٧) ٢٧٠	(ج ٤) ٢٦٥ ، ٢٨١ ،
(ج ٩) ٦٧٣	(ج ٦) ٢٥٨
بيط اردشير (موضع) (ج ٨) ٧٠٢	(ج ٧) ١٩٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ،
بين (موضع) (ج ٧) ٣٥٨ - ٣٥٩	٣٥٥ ، ٥١٤
	(ج ٨) ١٩٤
	الينسوة (ج ٧) ٣٤١ ، ٣٤٣ ،
	ينعب (ج ٤) ٢٠٠

فهرس الاحداث والتواريخ

- الالف -

الاسلامية : فتوحات، عصور	الابواء حرب : (ج) ٢٦٥
(ج) ٥٣١	اجنادين : يوم (ج) ١٢٨
(ج) ٤٢٧ ، ٤٦٠	(ج) ٤٨٨
(ج) ٤٧٤ ، ٥١٣ ، ٥٢٧	احد : يوم - معركة (ج) ٢٢ ، ٥٢٤
الاشورية : اثار (ج) ٣٩٩ ، ٤١٣ ،	١٣٧
٤٤٦ ، ٦٣٦	(ج) ٣٩٧ ، ٤٠٧
اصنم : يوم	(ج) ٦٢ ، ١٨٠ ، ٢٣٩ ،
(ج) ٣٧٩	٢٨٨ ، ٤٥٩ ، ٥١٠ ، ٥٢٣ ،
الاضحى : يوم	٥٦٢
(ج) ٣٨٨	(ج) ٣٠١
الاطام : عام (ج) ٤٥١	(ج) ١١٢ ، ١٥٦ ، ٤١٣ ،
اعيار : يوم (ج) ٥٧٩	٧٠٧ ، ٧١١ ، ٧١٤ - ٧١٧ ،
الاموي : عصر (ج) ٣٦٤ ، ٣٨٥ ،	٧٢٢ ، ٧٤٧ ، ٨٩٣
٣٩٣ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥	الاحزاب : يوم (ج) ٢٨١
(ج) ٣٤١	(ج) ٦٤٣
(ج) ١٤٦	ارماث : يوم (ج) ٦٩
(ج) ٦٠٨	الاسلامي : مجتمع - فتح - تاريخ
(ج) ٧٤ ، ١٦٣ ، ٢٠٠ ،	(ج) ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٣٥
٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٤١٩ ، ٤٨٩ ،	(ج) ٦٥٩
٧٧٦	(ج) ١٦٠
الاندقطة : تاريخ (ج) ٥٢	(ج) ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ،
(ج) ٥٢٧	٤٧٩ ، ٥٢٦ - ٥٢٧ ، ٥٨٤
ابق : يوم (ج) ٤٩٦	(ج) ١٩٥
اوار : يوم (ج) ٢١٦ ، ٢٢٦ ،	(ج) ٣١٢

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٥٦
 (ج) ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٥٠٣
 (ج) ٣٤٤ - ٣٤٥
 اواراة الثاني : يوم (ج) ٣٤٤ - ٣٤٥
 اوروبي : عصر (ج) ٦٠٥
 اوس الالة : حلف (ج) ١٣٦
 ايلاف قریش : حلف (ج) ٦١٩
 ايوسينية : عصر (ج) ١٤٩
 الايولينية : عصر (ج) ١٨٧

- الباء -

البابلي : تقويم (ج) ٤٥٤
 بئر معونة : يوم (ج) ١١٧
 بارق : يوم (ج) ٣٦٨
 البالتوليتيك : عصور (ج) ٢٣٢
 الباليوتية : عصور (ج) ٢٢٣ ، ٥٣٢ - ٥٣١
 بدر : وقعة - يوم (ج) ١١٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥
 (ج) ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٥ - ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ، ٢٢٤ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥ ، ٣٥٤
 (ج) ٨٦ ، ١١٩ ، ١٣٨ ، ٢٣٦ ، ٤٠٢ ، ٤٢٣ ، ٤٦٨ ، ٥٨٥
 (ج) ١٢٦ ، ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٤٣٢ ، ٤٧٨ - ٤٧٩ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٥٢١ ، ٥٨١
 (ج) ١١٦ ، ٢٩٠ - ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٤٠ ، ٤٤١ - ٤٤٣ ، ٤٤٤
 البردان : يوم (ج) ٣١٣ ، ٢٤٤ (ج) ٥
 البرونزي : عصر (ج) ٨٧
 بزاخت : يوم (ج) ٣٧٩
 بزرة : يوم (ج) ٣٦٥ ، ٣٨٠
 الببوس : حرب (ج) ٢٥٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٤٩٥ - ٤٩٨ ، ٦٢٦
 (ج) ٣٥٥ - ٣٥٧ ، ٤٨٨ (ج) ٦

البليوسينية : عصر (ج) ١٤٩	٤٦ (٩ج)
البوار : يوم (٥ج) ٣٦١	البطحاء : يوم (٣ج) ٢٩٤
البيداء - البيضاء : يوم (ج) ٣٩٢	بعث : يوم (٤ج) ١٣٧ - ١٤٠ ، ٥١.
(٥ج) ٢٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٠٧	١١٨ (٥ج)
البيزنطي : عهد (ج) ٦٥	(٦ج) ٥٢٤ ، ٥٣٦ ، ٥٨١
(٢ج) ١٣٦	(٨ج) ١٢٤ ، ٣٤٢
(٧ج) ٢٧٩	(٩ج) ٧٢٥ - ٧٢٦ ، ٧٨٢
بيزنطية : عهد (ج) ٦٥	٧٨٩
(٧ج) ٢٧٣ ، ٢٨٤	البلايستوسين : عصر (ج) ٢٤٠

— التاء —

٦٢٢	تبوك : غزوة (ج) ٥٦٤
(٥ج) ٣٥٧	(٩ج) ٧٤٦
التروية : يوم (ج) ٣٥٣	تثليت : يوم (ج) ٥١٩
(٦ج) ٤٤٣	(٩ج) ١٠٦ ، ٦٥٩ ، ٦٦٩
(٧ج) ٢٨٠	التحالق : يوم (ج) ٤٩٧
التلمودي : عهد (ج) ٥٥١	تحلاق اللحم : يوم (ج) ٤٩٧ ،

— التاء —

الثعالب : يوم (ج) ٣٦٨ ثيتل - نيتل : يوم (ج) ٣٦٥

- الجيم -

٢٨٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٤٧	الجاهلي : تاريخ - شريع (ج ١)
٣.١	٣٦ - ٣٩ ، ٤٢ - ٤٤ ، ٦٠
جب ذي قار : معركة (ج ٣) ٢٩٦	٦٧ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١.٦ -
الجبابات : يوم (ج ٣) ٢٩٤	١١٠ ، ١١٣ - ١١٦
جيلة : يوم (ج ٤) ٥١٨ ، ٥٢١ - ٥٢٣	١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٤
(ج ٥) ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٤٣	١٣٨ ، ١٣٥ -
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣	(ج ٢) ١٩٣ ، ٢٦٨
(ج ٩) ٥.٢	(ج ٣) ١٦٠
جلود : يوم (ج ٥) ٣٦٥	(ج ٤) ٣٢٠ ، ٦٤١
الجراجر : يوم (ج ٥) ٣٦١	(ج ٥) ١٩ ، ٣٤ ، ١٨٥ ، ٤٧٠
جز الدوابر : يوم (ج ٥) ٣٥٢	٤٧٧ - ٤٨٥ ، ٤٧٩ - ٤٨٨
جزع ظلال : يوم (ج ٥) ٣٧١ ، ٣٧٦	٤٩٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٩٢
الجفار : يوم (ج ٤) ٣٤٧ ، ٥١٣	٦.٧
(ج ٥) ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢	(ج ٧) ١٢ ، ١٥٢
الجمل : معركة (ج ٤) ٣١٥	الجاهلية : تاريخ - عصر (ج ١) ٦٦
(ج ٩) ٨٩١	- ٦٧ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٣٦٤
جوانا : يوم (ج ٣) ٣٠٠ ، ٣٠٩	(ج ٢) ٦٤٧
(ج ٤) ٢١٠	(ج ٣) ٤٠ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ١٥٠

- الحاء -

حرايبب : يوم (ج ٤) ٥٢٢	حاطب : حرب (ج ٤) ١٣٩
الحرمان : يوم (ج ٣) ٣٥٩	الحبشي : عهد (ج ٥) ٤.٦
الحريرة : يوم (ج ٥) ٣٨٣	حجر : يوم (ج ٥) ٣٤٤ - ٣٤٥
(ج ٧) ٣٧٨	الحديبية : يوم (ج ٤) ١.٩ ، ١٢٨
الحزن : عام (ج ٥) ١٤٦	(ج ٦) ٣٩ ، ٨٧ ، ١١٣
الحضري : تقويم (ج ٧) ٣.٦	(ج ٨) ٧٩٠
	(ج ٩) ٥٨٢

حليلة : يوم (ج) ٢٣٤ - ٢٣٥ ،
 ٢٤١ ، ٢٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٨ ،
 (ج) ٣٤٤
 (ج) ٥٤٨
 حمورابي : تشريع (ج) ٤٧٠ ،
 ٥٧٧ ، ٤٧٥
 الحميري : تقويم (ج) ٤٨ - ٤٩
 (ج) ١٤٤ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ ،
 ٥٣٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٠ ،
 ٥٨٣ ، ٥٨٥ - ٥٨٦ ، ٥٩٤ -
 ٥٩٥
 (ج) ٢٧٩ - ٣٨٠ ، ٤٦٠ ،
 ٤٧٦ ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٤٩٣ -
 ٥٠٠
 (ج) ٣٠٨
 (ج) ٥١٦
 الحميرية : عمور (ج) ٥٠ - ٥١
 (ج) ٢٠٣ ، ٤٣٣
 الحنفاء : حرب (ج) ٣٦٠
 الحنو : يوم (ج) ٢٩٤
 (ج) ٤٩٦
 (ج) ٣٥٦
 حنو قراقر : يوم (ج) ٢٩٤
 حنين : معركة (ج) ٣٣
 (ج) ٢١٧ ، ٥٠٩ ، ٧٠٣
 (ج) ٣٢٣
 (ج) ٢٤٨ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٣ ، ٧٥١ ، ٨٦٣
 حوزة الاول : (ج) ٣٥٨ ، ٣٦٣
 حوزة الثاني : يوم (ج) ٣٥٨ ،
 ٣٦٣

- الخاء -

الخريبة : يوم (ج) ٢١٢
 خزار : يوم (ج) ٣٥٥ - ٣٥٦
 (ج) ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٤٧ -
 ٣٥١ ، ٣٥٧
 خزازي : يوم (ج) ٣٩٣
 (ج) ٤٩٤
 الخطار : حرب (ج) ٣٦٠
 الخنان : يوم (ج) ٥٠٩
 الخندق : غزوة (ج) ١٣٧ ، حا
 ٢٥٣
 (ج) ٤٠٧ ، ٤٥٤
 (ج) ٩٩
 (ج) ٧٢
 (ج) ٣٤٧ ، ٢٨٧
 (ج) ١٧١ ، ٧١٢ ، ٧٤٧ ،
 خيبر : يوم (ج) ٢٦٦

— النال —

داحس : حرب (ج) ٢٥٤ ، ٣٤٧ ،	٣٧٩
٥١٠ ، ٥١٢ — ٥١٣	دوسر : كتيبة (ج) ١٩٨ ، ٢٧٨ ،
(ج) ٣٥٨ ، ٣٦٠ — ٣٦٢ ،	٢٨٢
٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢	(ج) ٦٩٢
(ج) ٦٢٣	دون : حرب (ج) ٦١٦
دارة جلجل : يوم (ج) ٥٢٦	ديوقليطيان : خطة (ج) ٦٢٧
دارة مأسل : يوم (ج) ٣٧٦ ،	

— النال —

ذات الجرف : يوم (ج) ٣٧٤	ذات الرقاع : غزوة (ج) ٢٥٢
ذات الرمرم : يوم (ج) ٥١٩	ذات تكيف : يوم (ج) ٢٢
(ج) ٤٠٧	الذئاب : يوم (ج) ٣٥٧
ذات الجرف : يوم (ج) ٣٧٤	ذات الرقاع : غزوة (ج) ٢٥٢
ذات الرمرم : يوم (ج) ٥١٩	ذات تكيف : يوم (ج) ٢٢
(ج) ٤٠٧	الذئاب : يوم (ج) ٣٥٧
ذات الجرف : يوم (ج) ٣٧٤	ذات الرقاع : غزوة (ج) ٢٥٢

ذو الحجة : يوم (ج) ٢٥٠	(ج) ٢٩٠ ، ٣٤٣ - ٣٤٤
(ج) ٣٧٦ ، ٣٨٢ - ٣٨٣	٤٢٣
ذو نجب : يوم (ج) ٣٧١	(ج) ٥٩٦
	(ج) ٢٥٠

- الراء -

الرقم : يوم (ج) ٥٠٨ ، ٥١٦ ، ٦٧٥	ربيعة : يوم (ج) ١٣٩
(ج) ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٤٦٦	(ج) ٣٤٣
الركوسية : فرقة (ج) ٤٦٧	الرجيع : غزوة (ج) ٥٨٥
الرهائن : كتيبة (ج) ١٩٨ ، ٢٧٨	رحرحان : يوم (ج) ٢١١
الروماني : تقويم (ج) ٤٧	(ج) ٥٢٢ - ٥٢٣
(ج) ٦٠٧	(ج) ٣٧١ - ٣٧٣
الرومانية : حروب (ج) ٦٤١	(ج) ٤٧٢
(ج) ٤٨٦ ، ٥٠٨ ، ٥٨٤	الردة : حرب (ج) ٤٩٣
(ج) ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٦	(ج) ٨٦٧ - ٨٦٥
الرومية : جيوش - سفن (ج) ٤١٣	الردهة : يوم (ج) ٣٥٨
(ج) ٢٦٦ ، ١٥	الرزم : يوم (ج) ١٨٨ ، ٤٤٩
	(ج) ٢٦٠
	الرغام : يوم (ج) ٣٧١ ، ٥٧٥

- الزاي -

الزورين : يوم (ج) ٣٦٥ ، ٣٦٩	زباله : يوم (ج) ٣٦٨ ، ٣٦٥
- ٣٧٠ ، ٤٤٥	زردود : يوم (ج) ٣٦٥
	٤٥٨

- السنين -

السلان : يوم اج ١١ ٢٩٢	ساباط : يوم اج ١٨ ٥٦٩
اج ١٢ ٢٧٥	ساحوق : يوم اج ١٩ ٦٣٥
اج ١٤ ٤٥٥ - ٤٩٢ - ٤٩٤	الساساني : عصر - اسطول اج ١٣
اج ١٥ ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٤٨ ،	١٧٥
٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٨٥	اج ١٧ ٢٨٢
السلوقي : تقويم - تاريخ - مجتمع	الساسانية : سفن اج ١٧ ٢٥٨ .
اج ١١ ٥١ - ٦٥٩	٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٢٨٢ - ٢٨٤
اج ١٢ ١٢٢ - ٦١٢	السامي : مجتمع اج ١١ ٥٢٢
اج ١٣ ٨٠٨ - ٤٥٠ ، ٤٧ : ٨١ ،	الساكسي : يوم اج ٤ ٥٠٩
١٣٩ : ١٧٧ - ٢١٩ - ٢٥٨	السبتي : تقويم اج ١٢ ١٠٦ - ٢٨٨
٤٦٤	٤٠٢ - ٥٢٦
اج ٨ ١٧٦	اج ١٣ ٤٩٦
السلوقية : تقويم اج ٣ ١٠٩	السبع : يوم اج ٥ ١٠١
اج ٥ ٤٣١	الستار : يوم اج ٥ ٢٧٨
سميحة : يوم اج ٤ ١٣٨	البرارة : يوم اج ٤ ١٣٩
اج ٩ ٧٣١	البريتانية : تواريخ اج ٣ ٢٥٨
السويق : غزوة اج ٧ ٣٣٩ - ٣٤٠	اج ٨ ٥٢٣

- الشين -

الشمسي : تقويم (ج ٨) ٤٤٦ ،	الشدخه : يوم (ج ١٥) ٤٥٧
٥٠٦ ، ٥٠٩ - ٥١١	شرب : يوم (ج ١١) ١٠١
شمطة : يوم (ج ٤) ١٠١ ، ١٠٤	شعب جيلة : يوم (ج ٣) ٢٧٧
٢٨٢ (ج ٥)	(ج ٥) ٣٧١ - ٣٧٢ ، ٤٣٧ ،
٤٧٥ (ج ٦)	٤٤٣ ، ٥٤٥
٣٧٨ (ج ٧)	٧٦٣ (ج ٦)
الشهباء : كتيبة (ج ٣) ١٦٨ ، ٢١١	الشعية : يوم (ج ٥) ٣٥٢
نهر زور : معركة (ج ٢) ٦١٥	الشقيقة : يوم (ج ١٣) ٢٤٩ ، ٢٥٢
شواخط : يوم (ج ٥) ٣٦٢	(ج ٥) ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٤٣٥ ،
شوبخط : يوم (ج ٥) ٣٨٦	٤٤٦

- الصاد -

٤٤٢ (ج ٥)	الصحراء : يوم (ج ٥) ٣٦٨
٧٨٣ ، ٢٢٣ (ج ٨)	الصرائم : يوم (ج ٥) ٣٧١ ، ٣٧٤
(ج ٩) ٥٢ ، ٢٨٠ ، ٥٧٥ ،	الصقة : يوم (ج ٣) ٥٢٧
٨١١ ، ٨٨٨ ، ٨٤٩ ، ٧٢١	(ج ٤) ٢١٥
٩٠٧	(ج ٥) ٣٥٢ ، ٣٤٤
الصلعاء : يوم (ج ٥) ٣٦٤	صفين : حرب (ج ٤) ١٨٣ ، ٣١٥

الصليب : يوم (٤ج) ٥٣٠
الصنائع : كتبية (٣ج) ١٩٩ ، ٢٧٨ صيد : يوم (٣ج) ٢٩٨
٢٧٤ - ٢٧٥

— الضاد —

ضبة : يوم (٥ج) ٢٧٦
ضربة : يوم (٤ج) ٤٩٦

— الطاء —

طخفة : يوم (٣ج) ٢٧٣ ، ٢٧٥
طوالة : يوم (٤ج) ٥٠٨
الطوطمي : مجتمع (٦ج) ٤٦
(٥ج) ٣٤٤ - ٣٤٥
الطلاب : يوم (٨ج) ٤١٥

— الظاء —

الظعينة : يوم (٥ج) ٣٦٤
ظهر الدهناء : يوم (٥ج) ٣٤٤ -
٣٥٤ ، ٣٤٥

— العين —

عشوراء : يوم (ج) ٣٣٩ — ٣٤٢	عرفة : يوم (ج) ١٥
(ج) ٤٤٣ ، ٥٦١ ، ٦٧٦	(ج) ٣٧٩ ، ٢٨٢ — ٢٨٤
(ج) ٢٧٧	٢٩٤ — ٢٩٣
(ج) ٤٨٠ — ٤٨٢ ، ٤٨٥	العصيات : يوم (ج) ٤٩٦
عاقل : يوم (ج) ٣٦٥ ، ٣٧١	العطيف : يوم (ج) ٢٦١
العباسي : عصر (ج) ١٤٦ ، ٦٤٢	العظالي : يوم (ج) ٣٦٨
(ج) ٢٢١	العقبة : غزوة (ج) ١٤٠
(ج) ١٥٨	(ج) ٧٤٦ ، ٧٤٨
العباسية : عصور (ج) ٤٦٧	عقرباء : يوم (ج) ٩٤
العبرائي : تقويم (ج) ٤٦٥ ، ٥١٨	العقيقة : يوم (ج) ٦٥٦
المبلاء : يوم (ج) ٣٨٣	عكاظ : يوم (ج) ٣٨٣
(ج) ٣٧٨	(ج) ٨٦٤
عبيد : يوم (ج) ٢٨٣	العكاظي : دور (ج) ٦٢٥ ، ٦٥٣
عجل : كتيبة (ج) ٢٩٦	عنيزة : يوم (ج) ٤٩٦
المذاب : يوم (ج) ٦٧٠	(ج) ٣٥٦ — ٣٥٧
العذق : يوم (ج) ٣٦١	عويرضات : يوم (ج) ٤٩٦
العذيب : يوم (ج) ٢٧٨	عين اباغ : يوم (ج) ٢٣١ ، ٢٣٤
عراعر : يوم (ج) ٥١٠	(ج) ٣٤٤

— الفين —

الفبراء : حرب (ج) ٢٥٤ ، ٥١٠	(ج) ٦٢٣
٥١٢	النبيط : يوم (ج) ٣٦٧ — ٣٦٨
(ج) ٣٥٨ ، ٣٦٠ — ٣٦٣ ،	الفلوان : يوم (ج) ٢٩٤
٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٥٨٨	غزة هاشم : يوم (ج) ٧٢

— الفاء —

الفارسية : حروب (ج) ٦٤١	(ج) ٥٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ،
٣٠٦ (ج)	٦٣١
٢٨٠ (ج)	(ج) ٥٠٦ ، ٧٠٥ — ٧٠٦ ،
فارغ : حرب (ج) ١٣٩	٧١٢ — ٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧٢٥
الفتح : عام (ج) ٤٨٣	٨٤٣ ، ٨٦٨ ، ٨٩٣
(ج) ٥٦٢	الفجار : يوم — حرب (ج) ٢٧٧
(ج) ٥٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،	٥٢٠ ، ٥٢٧
٢٥٩ ، ٢٦٧ — ٢٦٨ ، ٤٣٤٠	(ج) ٢١ ، ٣٣ ، ٨٣ ، ٨٥
٤٣٦	— ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠١ — ١٠٢
(ج) ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ٤٢٩ ،	١١٥ ، ١٣٩ ، ٤٤٦ ، ٤٨١
٥٦٥	٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٣٢

(ج) ٥٢٣ (٨ج)	(ج) ٢٥٠ - ٢٥١ ، ٣٨٠ -
فلج : يوم (ج) ٢٩٧	٣٨١ ، ٤٠٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١
فم فرات بادقلي : يوم (ج) ٣٠٠	(ج) ٤٧٧ ، ٤٧٥
فيف الريح : يوم (ج) ٤٤٥ ، ٤٥٥	(ج) ٣٧٨
(ج) ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٥٣	(ج) ٧٧٨ ، ٥٢٣
(ج) ٤٣٢ ، ٤٨٣	(ج) ٦١٩ ، ٨٩٥
الفيل : يوم - عام (ج) ٥٢ - ٥٣	فجار البراض : يوم (ج) ٨٣
١١٤ ، ١٠٨	الفجار الثالث : يوم (ج) ٣٨١
(ج) ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٤٩٩ -	الفجار الثانية : حرب (ج) ١٣٩
٥٠٠ ، ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١١	(ج) ٣٨٣
٥٢٠	فجار الرجل : يوم (ج) ٨٣
(ج) ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ - ٨٥	فجار القرد : يوم (ج) ٨٣
٤٦٥ ، ٥٢٢	فجار المرأة : يوم (ج) ٨٣
(ج) ٣٨٣	الفروق : يوم (ج) ٤٠٢
(ج) ٦٦٠ ، ٧٧٨	الفضول : حلف (ج) ٨٦ - ١٠٠
(ج) ٤٤٣ ، ٤٧٨ ، ٧٥٥	١١٧ - ١١٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤
	(ج) ٢٤٧ ، ٥٠١ ، ٥٢١

- القاف -

قحاد : يوم (ج) ٢٦٠	القادسية : يوم (ج) ١٥٦
قراقر : يوم - معركة (ج) ١٩٧	(ج) ٤١٠ ، ٣٩١
(ج) ٢٩٤	(ج) ٧٦٥ ، ٧٦٧ ، ٨٤٤ ،
القردة : غزوة (ج) ١٢٤ ، ٢٤٧	٨٦٨ - ٨٦٩ ، ٨٧٧ ، ٨٧٩
قرن : يوم (ج) ٥٠٨	٨٩٥ ، ٨٩٩ ، ٩٠٧
القرنتين : يوم (ج) ٥٠٨ ، ٥٢٣	القبة : يوم (ج) ٢٩٨
(ج) ٣٩٢	القنياني : تقويم (ج) ٢٣٢
القريش : حرب (ج) ٢٤٦	(ج) ٤٧٧

(ج) ١٠٤ ، ٢٥١ ، ٤٥٧
 القمري : تقويم (ج) ٤٤٦ ، ٤٦٠
 ٥٠٤ ، ٠٦ ، ٥٠٩ — ٥١٠
 القمرية : سنة (ج) ٥٠٤ — ٥٠٦
 ٥٠٩

قشاوة : يوم (ج) ٣٦٥ ، ٣٦٨
 القصيبات : يوم (ج) ٤٩٦
 (ج) ٣٥٦ — ٣٥٧
 قضة : يوم (ج) ٤٠٥ ، ٤٩٦
 (ج) ٣٥٦

— الكاف —

(ج) ٢٣٧ ، ٢٤٣ — ٢٤٤
 ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٣٨٦
 ٣٩٣ ، ٤١٠
 (ج) ٢٦٢
 (ج) ١١٣ ، ٢٧٣ ، ٤٥٩
 الكلاب الثاني : يوم (ج) ٢٤٤ —
 ٣٤٥ ، ٣٥٢
 (ج) ١١٣ ، ٤٣٢ ، ٤٨١ ،

كاظمة : يوم (ج) ٤٩٢
 (ج) ٣٥١
 كالكوليتك : عصر (ج) ٢٤١
 الكديد : يوم (ج) ٣٨٠
 الكفارة : يوم (ج) ٣٤١
 الكلاب : يوم — معركة (ج) ٣٥٣
 — ٣٥٤
 (ج) ٤٨٩ ، ٤٩٢

— اللام —

(ج) ٣٥٨

لطيفة : عام (ج) ٣٥١
 اللوى : يوم (ج) ٥١٧

— اليم —

المشقر : يوم (ج) ٢١٥	مؤتة : يوم (ج) ٢٦٢
المشلل : يوم (ج) ٤٠٧	(ج) ١١٩
المصرية : شريعة (ج) ٤٧٠	(ج) ٧٤٩
(ج) ٤٧٤	مازق : يوم (ج) ٣٧٤
مضرس : حرب (ج) ١٣٩	مبايض : يوم (ج) ٣٦٥
معبس : حرب (ج) ١٣٩	مرج الصفر : يوم (ج) ١٢٨
المقر : يوم (ج) ٣٠٠	المروت : يوم (ج) ٣٧١ ، ٣٧٥
ملهم : يوم (ج) ٤٠	المرواة (ج) ٦٣٦
منعج : يوم (ج) ٣٥٨	المسيحية : عصور (ج) ٢٤

— النون —

٣٩٠	النباج : يوم (ج) ٣٦٥
نخلة : يوم (ج) ٨٣ — ٨٤ ، ١٠١	النباع : يوم (ج) ٥١٧
(ج) ٤٤١ ، ٣٨٢	النتاءة : يوم (ج) ٣٥٨
النسبار : يوم (ج) ٣٤٧ ، ٥١٣ ، ٥٢٤	النحاسي : عصر (ج) ١٧٦
	النحر : يوم (ج) ٣٧١ ، ٣٨٨ ، ٤٦٦

نقا الحسن : يوم (ج) ٣٧٩	(ج) ٣٧٦ - ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩٢
النقاء : يوم (ج) ٣٦٨	
النقمة : يوم (ج) ٣٧٦ ، ٣٧٩	النسطورية : تاريخ (ج) ٦٢١
التميمات : تاريخ (ج) ١١٢	النصراني : تقويم (ج) ٥١٨ ، ٥٢٠
النهى : يوم (ج) ٤٩٦	النفراوات : النفرات : يوم
(ج) ٣٥٧	(ج) ٢٥٢
نيوليتك : عصر (ج) ٢٤١	(ج) ٣٥٨
النيوليتية : عصور (ج) ٥٣١	نفورة : يوم (ج) ٥٩١

- الهاء -

الهجرة : تقويم (ج) ٣٤٨	الهبة : يوم (ج) ٣٤٧ ، ٥١٢ - ٥١٣
(ج) ٤٤٩ - ٤٥١ ، ٤٦٠	
هراميت : يوم (ج) ٥٢٢	(ج) ٣٦١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٣
	(ج) ٧٨٠

- الواو -

الوقيط : يوم (ج) ٣٦٥	واردات : يوم (ج) ٤٩٦
الولجة : وقعة (ج) ٦٤٩	(ج) ٣٥٦
(ج) ٢٩٠	الوداع : حجة (ج) ٧٥٢ ، ٧٩٢
	ودان : غزوة (ج) ٢٦٥

- الياء -

(ج) ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣٤ ،
٣٢٤ ، ٣٤٩
(ج) ٧١٥ ، ٨٦٩
اليخامة : يوم (ج) ١٣٥
اليخاني : تاريخ (ج) ٥١٨

اليخاميم : يوم (ج) ٤١١
(ج) ٢٢٠ - ٢٢١
(ج) ٣٤٤
اليخموك : يوم (ج) ٢٤٠
(ج) ٥٩٤

فهرس

المذاهب والفنون والمنسوبات

والطوائف واللغات

— الالف —

- الاثيوبية : لغة — لهجة
(ج) ٢٢٥ ، ٤٥١
(ج) ٢٢٥ حا
(ج) ٤١٣
احكيليلة : لهجة (ج) ١٧٣
احمسي : نسب (ج) ٣٦٠ —
٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧١
الاخمينية : لغة (ج) ١٧
الادومي : نسب (ج) ٦٥٠
(ج) ٤٠
الاراشي : نسب (ج) ٤٤٦
آرامي : اصل (ج) ٦٤٠
(ج) ٦٢٨ ، ٥٤٤ ، ٦١
(ج) ٣٩٤ ، ٥٥٥ ، ٧٠٦
آرامية : لغة — لفظة (ج) ٤٨١ ،
٥٦٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥٥ ، ٦٥٧
(ج) ٤٣ ، ٥٧
(ج) ٢٤٧ ، ٣١٢ ، ٣٩٠ ،
٢٩٦ ، ٤٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٥٥
٦٧٩ ، ٧٠٦
(ج) ٨٠٧
الارثوذكسي : مذهب (ج) ٤١٧
الارثوذكسي : مذهب (ج) ١٧٦
- الارثوذكسية : مذهب (ج) ١٦١ ،
١٦٥
(ج) ٥٩١ ، ٦٢٥
الارستقراطية : نظام (ج) ٢٧٦
(ج) ٥١ ، ١٠١ ، ٤٨٧
(ج) ٢٧٨
الارمنية : لغة (ج) ٦٢ ، ٢٢٩ ،
٢٢٨
ارمي : اصل — نسب (ج) ٣٠٤ ،
٣٠٨
(ج) ٦٠٩
(ج) ٧ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٤٥ ،
٨٠ ، ١٣٠
(ج) ١٠٤ ، ١٦٦
(ج) ٤٥٣
(ج) ٤١٣ ، ٥٦٩
(ج) ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧٣ —
١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢٤٦
٢٦٣ ، ٣١٦ ، ٧٠٢ ، ٧١٠ ،
— ٧١٢ ، ٧٢٥
الارمية : لغة — لهجة (ج) ٣٣ ،
١٢٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٢ — ٢٢٣
٢٢٥ ، ٢٩٤ ، ٦١٠ — ٦١١

(ج) ٢٦٦
 الاسرائيلية : رواية (ج) ٤١٥ -
 ٤١٦
 (ج) ٥٥٧ ، ٥٦٥
 اسفينية : كتابة (ج) ١٤٩
 اسقيه : لفظة (ج) ٢٢٠
 اسكوليثا : خط (ج) ٢٠٠
 الاسلام : دين (ج) ١ - ٦ ، ٥
 ١٢ - ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ - ٢٦
 ٢٢ - ٢٧ ، ٤١ - ٤٤ ، ٤٦
 ٥١ - ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٥ - ٦٦
 ٧٢ - ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١
 - ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ - ٩٠ ،
 ٩٢ - ٩٣ ، ٩٥ - ٩٦ ، ١٠٠
 ١٠٧ - ١١٩ ، ١٢١ - ١٢٥
 ١٢١ ، ١٢٤ - ١٢٧ ، ١٤٣
 ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٧٢ - ١٧٣
 ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٤
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٩
 ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٢٠٦ - ٢٠٧
 ٢٠٩ - ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٧
 - ٢١٨ ، ٢٢١ - ٢٢٣ ،
 ٢٤٩ - ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦١
 ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ - ٢٨٦
 ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
 - ٣٠٠ ، ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٣١٣
 - ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢١ - ٣٢٣ ، ٣٣٥
 - ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠
 ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٨٤
 - ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١٧
 ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٥٣
 - ٤٥٤ ، ٤٧٠ - ٤٧٤ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨١ - ٤٨٣ ،

٦١٢
 (ج) ٥ ، ٦ - ١١ ، ١٤ ،
 ٥١ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٤٤
 (ج) ١٣٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٠
 (ج) ٥٨٨
 (ج) ٧ ، ١٧٢ ، ٣١١ ،
 ٣٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤
 ٦٨٨ - ٦٩٠ ، ٧٢٤
 (ج) ٦١ ، ١١٧ ، ٤١٩ ،
 ٥٠٣ ، ٥٧٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٩
 (ج) ٤٩ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ،
 ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢٠١
 ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥
 ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ - ٣٠٩
 ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٥٤٠ ، ٦٣٨ ،
 ٦٨٧ ، ٧٠٥ ، ٧٠٩ - ٧١٠
 ٧١٥ ، ٧٢٤ - ٧٢٥
 (ج) ٤٩ ، ٤٢٨ ، ٦٧٤
 الاروسية : فرقة (ج) ٦٣٧
 الاربي : عرق (ج) ٢٥٧
 الاربية : لغة - نصوص (ج) ٢٣٧
 ٢٥٦ - ٢٥٧ ، ٢٥٩
 (ج) ٢٥
 (ج) ١٠ ، ٢١
 (ج) ٥٣٠ - ٥٣٢
 (ج) ١٢ ، ٥١ ، ١٢٧
 الاربوسية : دين (ج) ٦٥٩
 (ج) ٦٢٤ ، ٦٣٧
 الاسبذية : مذهب (ج) ٦٩٤
 الاسدي : نسبة (ج) ٨٠
 اسراييلي : نسب - قصص (ج)
 ٨٤ ، ٨٦ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ،
 ٤١٦ ، ٥٤٧ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠
 (ج) ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ،
 ٧٢٢ ، ٧٢٨ ، ٧٩٦
 (ج) ٢٤٦

6 112 — 111 6 1.9 —
 123 — 122 6 12. 6 117
 133 6 13. 6 128 6 127
 141 6 139 6 137 6 130
 6 148 6 140 6 143 —
 108 — 100 6 101 — 10.
 182 — 179 6 174 — 173
 193 — 191 6 189 — 184
 2.2 — 199 6 197 — 190
 216 6 213 — 2.8 6 2.0
 223 — 221 6 219 — 218
 240 6 233 6 229 6 227
 — 200 6 203 6 201 — 247
 277 6 274 — 27. 6 207
 277 6 274 6 27. — 278
 287 6 284 — 282 6 278
 290 6 293 — 292 6 29.
 3.8 6 3.1 6 299 6 297
 632. 6 317 6 313 — 31.
 33. — 328 6 327 6 322
 6348 6 341 6 339 6 337
 378 6 309 6 307 — 300
 6383 6 378 — 377 6 371
 — 4.1 6 398 — 397 6 387
 414 6 4.9 6 4.4 6 4.2
 422 6 42. — 419 6 417 —
 — 428 6 427 6 423 —
 440 6 44. 6 430 6 431
 447 — 400 6 449 — 447
 470 6 473 6 471 — 47.
 6 482 6 478 6 477 —
 49. — 489 6 487 — 484
 0.4 6 0.2 6 0.. — 498
 019 6 017 6 014 6 0.9
 032 6 029 — 028 6 022
 039 6 037 — 030 6 033

494 — 489 6 487 — 480
 0.4 6 0.2 — 0.1 6 497
 — 012 6 01. 6 0.8 6 0.0
 023 6 019 — 017 6 013
 080 6 081 6 039 6 027
 717 — 710 6 711 6 7..
 709 6 727 6 723 6 719
 11. 6 0. 6 29 6 12 (22)
 174 6 13. 6 117 6 110
 2.9 6 2.3 6 170 6 173
 200 6 242 6 227 6 218
 6 28. 6 208 6 207 —
 304 6 240 — 244 6 3.4
 498 6 442 6 421 6 4.1
 721 6 071 6 031 6 017
 702 6 748 — 747 6 744
 709
 42 6 14 — 13 6 1. (32)
 79 6 77 6 09 6 07 6 01
 109 6 103 6 144 — 143
 174 6 17. 6 170 6 172
 248 6 224 6 193 6 177
 298 6 293 6 287 6 277
 318 6 312 6 3.0 6 3..
 6 308 — 300 6 32. 6
 — 379 6 370 6 371 6
 390 6 388 — 387 6 381
 433 6 431 — 427 6 418
 447 6 439 6 437 6 430
 028 6 498 6 478 6 47.
 038 — 037 6 031
 23 — 22 6 18 — 10 (42)
 48 6 44 6 38 6 32 6 3.
 78 6 77 6 7. — 09 6 00
 92 6 9. 6 88 6 72 — 71
 1.7 6 1.0 6 1.2 6 1..

ξΙΞ ' Ϛ᠑ο ' Ϛ᠑ᠲ — Ϛ᠑.
 ξᠲᠲ ' ξᠲΥ ' ξᠲᠴ ' ξᠲ.
 ξᠲᠭ — ξᠲΞ ' ξολ ' ξᠲ᠑
 ξΥΞ — ξΥᠴ ' ξΥ. — ξᠲ᠑
 ξλο — ξλᠴ ' ξλ. ' ξΥλ
 ο.ι ' ξ᠑λ ' ξ᠑᠖ — ξ᠑ο
 ο.ι ' ο.᠑ ' ο.ο — ο.ξ
 οᠴι ' οᠴ᠑ ' οᠴ᠖ ' οᠴι
 οᠴλ ' οᠴ᠖ — οᠴο ' οᠴᠴ
 οΞλ ' οΞ᠖ ' οΞΞ — οΞ.
 ο᠖ᠴ ' ο᠖ι — οοο ' οοᠴ—
 οᠷι — οᠷ. ' ο᠖λ ' ο᠖ο—
 ολ᠑ — ολΥ ' ολι ' οᠷ᠑
 ᠖.ᠲ ' ο᠑Υ ' ο᠑ᠴ ' ο᠑ι
 ᠖ιι — ᠖ι. ' ᠖.ο — ᠖.ξ
 ᠖ᠲΥ ' ᠖ᠲᠴ — ᠖ᠲᠶ ' ᠖ιλ
 — ᠖ᠶο ' ᠖ᠶᠴ ' ᠖ᠶλ —
 ᠖ΞΞ ' ᠖Ξᠶ — ᠖Ξ. ' ᠖ᠶΥ
 — ᠖οι ' ᠖Ξ᠑ ' ᠖Ξ᠖ —
 ᠖οᠴ
 ' ι᠖ — ι' ' Υ — ο (᠖ᠵ)
 ᠶ᠖ — ᠶι ' ᠶλ ' ᠶο ' ιλ
 ο. — ξ᠑ ' ξο ' ξᠴ ' ξι
 Υ᠑ ' ᠖᠖ ' ᠖ᠶ ' ᠖. ' οΥ
 ᠑᠑ ' ᠑Υ ' λΞ ' λᠶ — λι
 ' ιι. ' ι.ᠴ ' ι.ι —
 ιι᠑ — ιιΥ ' ιιο — ιιᠶ
 ιΞᠴ ' ιΞ. ' ιᠶᠶ ' ιᠶ.
 ιο᠖ — ιοᠴ ' ιΞ᠑ ' ιΞ᠖
 ιΥ. ' ι᠖Ξ ' ι᠖ᠶ — ι᠖.
 ' ιᠷΥ — ιᠷ᠖ ' ιᠷᠶ —
 ᠶ.λ ' ᠶ.ᠴ ' ᠶ.ι ' ι᠑ᠴ
 ᠶᠶ. — ᠶι᠖ ' ᠶιΞ — ᠶιᠴ
 ᠶᠶ᠑ ' ᠶᠶΥ ' ᠶᠶο — ᠶᠶᠴ
 ' ᠶοο ' ᠶᠶΞ ' ᠶᠶ. —
 ᠶᠷᠶ ' ᠶ᠖᠑ ' ᠶ᠖ᠴ ' ᠶολ

ο᠖ο ' οολ ' οο᠖ ' οΞΥ
 οΥο — οΥΞ ' οΥᠶ — οᠷι
 ᠖.ο — ᠖.ᠴ ' ο᠑Ξ — ο᠑ᠶ
 ᠖ᠶ. ' ᠖ιΥ — ᠖ι᠖ ' ᠖ιΞ
 ᠖Ξο ' ᠖Ξι ' ᠖ᠶΞ — ᠖ᠶᠶ
 — ᠖οᠶ ' ᠖ο. ' ᠖Ξλ —
 ᠖᠖. — ᠖ολ ' ᠖ο᠖ ' ᠖οᠶ
 ᠖᠖λ ' ᠖᠖᠖ — ᠖᠖ο ' ᠖᠖ᠶ
 ᠖λᠴ ' ᠖ΥΞ ' ᠖Υᠶ — ᠖Υ.
 ᠶ᠖ ' ᠶι ' ι᠖ ' ιι (οᠵ)
 οᠶ ' ξο ' ᠶ᠖ ' ᠶι ' ᠶλ
 ' ᠖ᠶ — ᠖ᠶ ' ᠖. ' ο᠖ —
 ᠷλ ' ᠷο — ᠷΞ ' ᠖Υ ' ᠖ο
 ᠑ᠶ — ᠑ι ' λΥ — λ᠖ ' λᠴ
 ' ι.ι ' ᠑᠑ — ᠑λ ' ᠑᠖
 ιιᠶ ' ι.λ — ι.Υ ' ι.Ξ
 ιᠶ᠖ ' ιᠶλ ' ιᠶ᠖ ' ιι᠑
 ιΞ᠑ ' ιΞο — ιΞᠶ ' ιᠶ᠑
 ιο᠑ ' ιοΥ — ιοΞ ' ιοᠶ
 ' ιΥ. — ι᠖λ ' ι᠖ᠶ —
 ιλ. ' ιΥο — ιΥΞ ' ιΥᠶ
 ' ιλ᠖ ' ιλΞ ' ιλᠶ —
 ι᠑Υ ' ι᠑ο ' ι᠑ᠶ — ι᠑ι
 — ᠶ.᠑ ' ᠶ.᠖ ' ᠶ.Ξ ' ι᠑᠑
 ᠶᠶι — ᠶᠶ. ' ᠶι᠖ ' ᠶιι
 ᠶᠶᠶ — ᠶᠶι ' ᠶᠶο — ᠶᠶΞ
 ᠶοι — ᠶΞΥ ' ᠶΞο ' ᠶΞι
 ᠶ᠖ᠶ : ᠶο᠑ — ᠶολ ' ᠶοΞ
 .ᠶᠷλ ' ᠶᠷᠴ ' ᠶ᠖᠑ ' ᠶ᠖᠖—
 ᠶλΥ — ᠶλ᠖ ' ᠶλΞ ' ᠶλ.
 ᠶ᠑Υ ' ᠶ᠑ο — ᠶ᠑ᠶ ' ᠶ᠑ι
 ᠶι. — ᠶ.λ ' ᠶ.᠖ — ᠶ.ᠴ
 ᠶᠶ. ' ᠶᠶ᠖ ' ᠶιΥ — ᠶιο
 ᠶΞᠶ — ᠶΞι ' ᠶᠶΞ ' ᠶᠶᠶ
 ᠶ᠖ᠶ — ᠶ᠖ι ' ᠶΞΥ ' ᠶΞο
 ᠶλΞ ' ᠶᠷΥ ' ᠶ᠖᠑ ' ᠶ᠖Ξ

018 : 012 : 0.0 — 0.3
 : 023 : 018 : 017 —
 : 050 : 052 : 05. : 050
 009 : 000 : 059 : 05V
 : 068 — 063 : 071 —
 093 : 09. — 087 : 067
 719 : 71V — 717 : 7.7
 : 728 : 727 : 72. —
 — 739 : 73V : 730 : 732
 70. : 788 : 782 : 78.
 77. : 708 — 707 : 703 —
 777 : 772 — 771 : 772
 787 : 782 — 781 : 788
 : 791 — 79. : 788 —
 7.1 : 799 : 797 — 793
 721 : 713 : 7.7 : 7.8
 — 738 : 72V : 722 —
 788 — 783 : 781 : 730
 703 : 701 : 788 — 787
 : 770 : 708 : 707 —
 779 : 772 : 779 : 77V
 791 : 788 : 783 — 781
 798
 — 27 : 10 : 1. : 7 (98)
 : 33 : 31 : 29 : 2V
 : 01 — 8V : 83 : 38 : 37
 : 7. : 7V — 70 : 72 : 09
 — 8. : 7V — 77 : 78 : 78
 : 99 : 90 : 92 : 9. : 81
 : 113 — 112 : 1.9 : 1.1
 : 12. : 118 : 117 — 110
 182 : 18. : 130 : 128
 : 18V : 180 : 183 —
 : 173 : 17. — 109 : 10V
 : 178 — 17V : 178 : 1V.
 : 188 — 18V : 188 — 183

7.7 : 7.8 — 7.3 : 099
 72. : 71V — 718 : 71.
 — 728 : 728 : 721 —
 737 : 732 : 739
 : 20 : 1. : 8 — 7 (88)
 83 : 81 : 0V : 0. : 88
 — 97 : 92 — 89 : 80 —
 — 113 : 1.8 — 1.0 : 9V
 122 : 12. — 118 : 117
 : 129 — 128 : 120 —
 182 : 18. : 128 : 123
 : 100 — 102 : 183 —
 1V. : 178 : 17. : 10V
 : 1V9 : 1V8 : 1V2 —
 19. : 188 : 180 — 182
 : 19V — 193 : 191 —
 229 : 213 : 2.9 : 2.8
 201 : 289 — 288 : 238
 : 209 : 207 : 203 —
 281 : 2V0 : 270 : 271
 291 : 289 — 28V : 280
 : 290 — 298 : 292 —
 3.7 — 3.8 : 3. — 299
 — 32. : 318 : 317 : 311
 327 : 328 — 323 : 321
 339 : 337 : 33. — 329
 302 : 30. : 382 — 381
 372 : 379 : 371 : 307
 397 : 389 : 3V9 — 3V8
 : 812 : 8.9 : 398 —
 831 : 82V : 820 : 822
 880 : 88. : 837 : 838
 87. — 80V : 808 : 888
 — 8V8 : 878 — 877 : 872
 89. : 88V — 880 : 881
 : 0.1 — 89V : 892 —

٨٥٠ ، ٨٤٧ — ٨٢٨ ، ٨٢٩ —
 ٨٦١ ، ٨٥٧ ، ٨٥٤ — ٨٥٣
 ٨٧٤ ، ٨٧٢ — ٨٧٠ ، ٨٦٨
 ، ٨٨١ — ٨٧٨ ، ٨٧٥ —
 ٨٩٤ ، ٨٩٠ — ٨٨٨ ، ٨٨٣
 ٩٠٣ — ٩٠٢ ، ٩٠٠ — ٨٩٧
 ٩٠٨ — ٩٠٧ ، ٩٠٥

الاسلامي : تراث — شعر — فتح

(ج) ١٠ ، ١٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٨٣ ، ٤٤٧ ،
 ٥٠١

(ج) ٧٠

(ج) ١٤٣ ، ٢٢٥ ، ٦٢٧
 (ج) ١٥١ ، ١٨٤ ، ٢١٦
 ٢٨٠ ، ٣٠٤

(ج) ٨ ، ١٨ ، ٤٥ ، ١١٦ ،
 ١٢١ ، ١٥٥ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ،
 ٣٢٢ ، ٤٠٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ،
 ٤٩٤ — ٤٩٥ ، ٥٧٦ ، ٦٦٦
 — ٦٦٧ ، ٦٩٠ ، ٧٢٨ ،
 ٧٦٢

(ج) ١٤٥ ، ١٩٨ ، ٤٩٧
 ٦٣٠

(ج) ٨٧ ، ١٥٢ ، ٢٩٧ ،
 ٣٢٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٢ ، ٣٢٧
 ٤٤٠ ، ٥٩٥ ، ٦٣٢ ، ٦٨١

٧٠٠

(ج) ٢٩ ، ٥١ ، ٨٤ ، ١٠٠ ،
 — ١٠١ ، ١١٦ — ١١٧ ،
 ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٦٣ ، ٢١٠ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٣٩ ،
 ٢٧٩ ، ٣٨٩ ، ٤٥١ ، ٥٥٨ ،
 ٧٧٥ ، ٨١١ ، ٨٢٦

الاسلامية : مؤلفات — حضارة

(ج) ٨ ، ١٠ ، ٤٣ ، ٧٣٢

١٩٣ — ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٥ ،
 ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٥ — ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ،
 ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
 ٣١٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،
 — ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ،
 ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ —
 ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ،
 ٣٨٩ ، ٣٩٥ — ٣٩٦ ، ٤٠٤ ،
 ٤٠٦ — ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ ،
 — ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ،
 ٤٢٦ ، ٤٢٩ — ٤٣٢ ، ٤٣٤ ،
 ٤٣٧ ، ٤٤١ — ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٨ — ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ،
 ٤٦٢ ، ٤٧٠ — ٤٧٣ ، ٤٧١ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠ ،
 — ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥١٥ ،
 ٥١٨ — ٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٤٥ ،
 — ٥٤٦ ، ٥٥٣ — ٥٥٥ ،
 ٥٥٧ — ٥٥٨ ، ٥٦٧ ،
 ٥٨٢ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٥٠ ،
 ٦٥٦ — ٦٥٨ ، ٦٦١ ، ٦٦٥ ،
 ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٣ ،
 ٦٩٤ ، ٦٩٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٣ ،
 ٧١٥ — ٧١٧ ، ٧٢٣ ،
 ٧٢٥ — ٧٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ،
 ٧٣٦ — ٧٣٧ ، ٧٤٠ ، ٧٤٢ ،
 — ٧٤٣ ، ٧٤٩ ، ٧٥٣ ،
 ٧٥٧ — ٧٦٠ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥ ،
 ٧٦٩ — ٧٧١ ، ٧٧٩ ، ٧٨١ ،
 ٧٨٦ ، ٧٩٢ ، ٧٩٥ — ٧٩٦ ،
 ٨٠٢ — ٨٠٣ ، ٨١١ — ٨١٢ ،
 ٨١٤ ، ٨٢٠ — ٨٢٢ ، ٨٢٤

٦٤٨ ، ٦٧٣ ، ٦٩١ ، ٦٩٥

٧.٤ ، ٧٢٣

(ج) ١٥ ، ٤٥ ، ٥. — ٥١

٧٣ — ٧٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ ،

١٥٥ ، ١٩٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤

٢٩. ، ٣٤. ، ٣٧٩ ، ٤.٤

٤.٦ ، ٤٢٧ ، ٥٥٦ ، ٥٨٣

٧٦. ، ٧٦٣ ، ٧٩٢ ، ٨٤٥

اسماعيلي : نسب (ج) ٢١

الاسماعيلية : نسبة — لهجة

(ج) ٦١٢

(ج) ٥٣٩ ، ٦٣٨

الاسيوي : نزاع (ج) ٥٧

الاسيوية : دماء (ج) ٢٣٧

اشتراكية : مذهب (ج) ٢٣٤

(ج) ١٦١

آشوري : نسب — نص

(ج) ١٦ ، ٤٤٢ ، ٥٧٨ —

٥٨. ، ٥٨٧ — ٥٨٨ ، ٥٩١

٥٩٧ — ٥٩٨ ، ٦.٥ ، ٦١٣

(ج) ٢٧٩ ، ٣٠١

(ج) ٥٤ ، ٨٥

الآشورية : لغة — كتابة — نصوص

— ملامح

(ج) ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٤ ،

١٢٣ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٦٥

١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٢٥

٢٥٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٤٣٧

٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٨٠ ، ٥٤٦ —

٥٤٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ،

٥٦٩ ، ٥٧٤ — ٥٧٦ ، ٥٧٩

٥٨٦ ، ٥٩٢ — ٥٩٤ ، ٦.٠

٦.١ ، ٦.٣ ، ٦.٥ —

٦١٢ ، ٦٢٩

(ج) ١٩ ، ١٢١ — ١٢٢ ،

١٧٩ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٦.٤

٩٢ ، ٩٦ ، ١١٤ ، ١١٦ ،

١٢٢ — ١٢٤ ، ١٧١ ، ٢٥٠

٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ — ٢٧٠

٢٢٦ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٤٩

٤٥٤ ، ٤٨٦ — ٤٨٨ ، ٤٩٤

٤٩٦ ، ٥٤٧

(ج) ٥. ، ٧٣ ، ١٣. ،

٢١٨ ، ٣٩٣ ، ٤.٦ ، ٤٩٥

٦٥٩

(ج) ٧٢ ، ١٥٨ — ١٥٩ ،

٤١٨ ، ٤٦٠ — ٤٦١

(ج) ٣٩٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩

٥٥٨

(ج) ١٥. ، ١٩٣ ، ٢١٦

٢٤٥ ، ٢٨١ — ٢٨٢ ، ٢٨٨

٣٩٩ ، ٤٧. ، ٤٧٩ — ٤٨٠

٤٩٤

(ج) ١٩ ، ٣٣ ، ١٠١ ،

١١٥ ، ١٥. ، ٢١٦ ، ٢٢٧

٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٤٣. ، ٤٥٠

٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٤ — ٤٩٧

٤٩٩ ، ٥١١ ، ٥٣. ، ٥٦٥

٦.٨ — ٦.٩ ، ٧.٢ ، ٧٢٢

٧٤٨

(ج) ٢٥ ، ٤٢ ، ٢٤٢ ،

٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤

٢٣١ — ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٤٤٣

٤٤٦ ، ٤٨. ، ٤٨٦ — ٤٨٧

٤٩١ ، ٤٩٩ ، ٥١٦

(ج) ٨٣ ، ١٥٤ ، ١٧١ —

١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٩٦

٢٠. ، ٢٠٩ ، ٢٤٩ — ٢٥٠

٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٨٩ ، ٢٢٦

٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧١

٢٨٨ ، ٤٣٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥

٥٤. ، ٥٦١ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨

- الاعرابية : فكرة - ملامح
(ج ١) ١٩ ، ١٨٣ ، ٢٨٨ ،
٥٥١ - ٥٥٢ ، ٦٢٩ ،
(ج ٤) ٣٥ ، ٣١٤ ، ٥١٧ ،
٦٠٣ ، ٦٢٠ ،
(ج ٥) ٣٤٥ ،
(ج ٧) ١٩ ، ١٠٨ ، ١٧٦ -
١٧٧ ،
(ج ٩) ٨١ ، ٢٨٨ ، ٤٣٣ ،
افريقي : نسب (ج ٢) ٢٤ ،
(ج ٦) ٤٠٨ ،
الاغريقية : لغة - نصوص
(ج ١) ٦٤٤ ،
(ج ٢) ٦١٧ ،
(ج ٣) ١٠٨ ، ١٦١ ،
(ج ٦) ١٥٤ ، ٥٨٥ ، ٦٢٥ ،
٦٢٩ ، ٦٣٩ ، ٧٣٠ ،
افريقي : نسب (ج ١) ١٤٣ ،
(ج ٤) ١١٨ ،
(ج ٩) ١١٦ ،
افريقية : لغة - لهجة
(ج ١) ١٨٣ ، ١٨٥ ،
(ج ٤) ٣١١ ، ٣٩١ ،
(ج ٨) ٧٠٥ ،
(ج ٩) ٦٢٨ ،
الافلاطونية : مذهب (ج ٣) ١٠٨ ،
الأكادية : كتابة - لغة
(ج ١) ٥٥٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٩ ،
(ج ٢) ٢٠ ، ١٧٩ ،
(ج ٧) ٢٧٥ ،
(ج ٩) ٢١٥ ،
الأكدي : نسبة (ج ١) ٥٥٤ - ٥٥٥ ،
٥٧٣ ،
الآلماني : نسب (ج ١) ١٣١ - ١٣٢ ،
١٣٥ - ١٣٦ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ،
٢٩١ ، ٤٣٨ ، ٤٧٦ ، ٥٢٣ ،
(ج ٣) ١٢ ، ٢٧٤ ، ٣٧٢ ، ٦١٦ ،
(ج ٥) ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٣١٠ ،
(ج ٦) ١١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ،
٣٠٨ ،
(ج ٧) ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،
٢٣٤ ، ٤٧٨ ، ٥٥٣ ، ٥٧٤ ،
(ج ٨) ١٩ ، ٣٢ ، ٤٣٠ ،
٥٣٤ ، ٥٤٦ ،
(ج ٩) ٧ ،
الاصمعية : قصيدة (ج ٩) ٤١٨ ،
٨٠٥ ،
اطميه : لهجة (ج ٨) ٣٢٠ ،
الاعرابي : قومية - لسان - نسب
(ج ١) ١٦ ، ١٨ - ١٩ ، ٣٠ ،
٢٠٨ ، ٢٧٨ - ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
- ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٤٦٧ ،
٥٥١ ، ٥٧٨ ،
(ج ٣) ٤٢٩ ،
(ج ٤) ٣٦ ، ٢٨٧ - ٢٨٨ ،
٢٩٢ - ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
- ٢٩٨ ، ٣٠٠ - ٣٠٨ ، ٣٠١ ،
٣١٣ - ٣١٤ ، ٣٩٥ ، ٣٢٩ ،
٣٩٨ - ٣٩٩ ، ٤٠٨ ، ٥٤١ ،
٥٤٥ ، ٦٠٢ ، ٦٠٦ - ٦٠٧ ،
٦٤٣ ،
(ج ٥) ٦٢ ، ٦٤ ، ١٣٨ ،
١٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤٧٢ ،
(ج ٧) ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٧ ،
١٠٧ ، ١١٣ ، ٣٠٦ ،
٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٥٥١ ، ٥٧٧ ،
٥٨٨ ، ٥٩١ ،
(ج ٨) ٢٨٩ ، ٤٣٤ ،
(ج ٩) ٩ - ١٠ ، ١٨ ، ٨٢ ،
٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٤١ ،
٦٥٥ ، ٦٧٤ ،

- (ج) ۶۲۲
الانكليزية : لفة (ج) ۳۸ ، حا
۵۷ ، ۱۲۵ ، ۱۳۲ ، ۱۶۷ ،
۱۸۱ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲ ، ۴۹۰ ،
۵۱۸ ، ۵۵۵ ، ۶۱۴
(ج) ۱۸۰ ، ۳۵ ، ۱۷ ، حا
حا ۱۹۷ ، حا ۴۵۱
(ج) ۲۸۸
(ج) ۴۹۵ ، ۴۷۵ ، ۴۲۲ ، ۵۴۰ ، ۴۹۶
(ج) ۵ ، ۸ ، حا ۱۲ ،
۲۱ - ۲۴ ، ۱۳۸ ، ۳۲۱ ،
۳۴۷ ، ۴۱۰ ، ۴۲۱ ، ۵۵۶ ،
۷۰۸ ، ۷۳۰ ، ۷۵۶ ، ۷۸۶ ،
۸۰۱ - ۸۰۲
(ج) ۲۳ ، ۱۲۲ ، ۲۶۳ ،
۴۷۳ ، ۴۹۱ ، ۵۶۵ ، ۵۶۹
(ج) ۲۶۲ ، ۳۲۱ ، ۵۴۵ ،
۶۴۴
(ج) ۱۳۰ ، ۱۳۳ ، ۱۳۴ ،
۱۴۵ ، ۱۵۱ ، حا ۳۰۰ ،
۳۳۷
اور : نص (ج) ۵۶۴ - ۵۶۵
الاوروي : نسب (ج) ۵۷ ، ۱۲۶ ،
۱۲۸ ، ۱۳۲ ، ۱۵۱ ، ۲۹۱
(ج) ۶۲۴
الاوروية : ابجدية - ملامح
(ج) ۱۳۱ ، ۲۵۷ ، ۴۸۱
(ج) ۶۲۴
(ج) ۲۶۸ ،
(ج) ۲۰۹ ، ۲۱۵ ، ۲۱۷
(ج) ۴۷ ، ۸۱۷
اوسانية : كتابة (ج) ۲۹۰ ،
۵۰۰ ، ۵۰۵
(ج) ۱۱
ايادي : نسب (ج) ۴۷۰
- (ج) ۳۹۵ ، ۳۹۸ ، حا
۴۱۲ ، حا ۴۳۰ ، حا
۴۴۸
(ج) ۱۵۷
المانية : بعثة (ج) ۲۷۸ ، ۲۹۷
المانية : لفة (ج) ۲۸ ، ۸۶ ،
۲۵۴ ، ۲۷۲
(ج) ۱۷ ، ۳۵ ، ۲۴۵
(ج) ۹ ، ۱۳ ، ۲۲ ، ۳۶ ،
۲۸ ، حا ۴۹۳
(ج) ۲۶۳
(ج) ۵۳۲
(ج) ۵۶۴ ، ۶۳۶
الامريكي : نسب (ج) ۱۳۸ ،
۲۴۲ ، ۲۹۱
الامريكية : بعثة - جمعية
(ج) ۱۳۳ ، ۱۳۸ ، ۱۸۶ ،
۲۲۷ ، ۲۹۲ ، ۶۳۷ ، ۶۴۲
(ج) ۱۶۵ ، ۱۷۵ ، ۱۷۶ ،
۲۰۴ ، ۲۲۴ - ۲۲۶ ، ۲۲۸ -
۲۲۹ ، ۳۷۹
(ج) ۷۳
(ج) ۲۹۷
(ج) ۴۲۰
الامرية : لفة ، لهجة (ج) ۱۷۳ ،
۲۲۵
(ج) ۵۳۶
الامودية : لفظة (ج) ۴۲۵
انجيلي : قصص (ج) ۴۱۳
انصاري : نسب (ج) ۶۱۷
(ج) ۲۷ ، ۴۱
الانكليزي : نسب - نص
(ج) ۱۰۹ ، ۱۲۶ ،
۱۳۰ - ۱۳۲ ، ۱۵۱ ، ۲۹۱
(ج) ۲۴۱ ، حا ۶۱۹
(ج) ۱۴۹ حا

الايطالي : نسب (ج) ١٢٤ ، ٢٤٣
الايطالية : حقوق - لهجة - لغة
(ج) ٨٧
(ج) ١١٦
(ج) ٧٠٦

الايرواني : نسب (ج) ٣٢
(ج) ٦١٧ ، ٩
الايروانية : رواية (ج) ٤١٦
(ج) ١٦٣ ، ٦١٠ - ٦١١
(ج) ٦٦

- الباء -

البربري : خط (ج) ٢١٣
البربرية : لغة (ج) ٢٥٥
(ج) ٢٨٤
البروتستانت : دين (ج) ٤١١
بريطانية : بعثة (ج) ١٣١ ، ١٦٢
البصري : خط - نسب
(ج) ٣١١ ، ٥٧٧
(ج) ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٣٠٣ ،
٤٢٥
البقرانية : نسبة (ج) ٥١٩
البلقاوية : لهجة (ج) ٦٨١
البيزرة : حضارة (ج) ٦٧٣
البيزنطي : اصل (ج) ٦٥٨ ، ٦٥٢
(ج) ٤١٥ ، ٥٠١
(ج) ٢٨٠
(ج) ٧٢٣ ، ٤٢
البيزنطية : موارد (ج) ٤٤٤ ،
٤٨٠ ، ٥١٨
(ج) ٢٩٢

بابلي : نص (ج) ٥٦٣ ، ٦٠٩ -
٦١٠ ، ٦١٥ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ،
٦٢٥
(ج) ٧٣
البابلية : لغة - لهجة (ج) ١٧
٢٠ ، ٤٤ ، ١٢٣ - ١٢٤ ،
١٤٤ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ ،
٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ٤٢٥ ، ٥٥٧ ،
٥٧٤ ، ٦٠٩ - ٦١٠ ، ٦١٢ ،
٦١٩
(ج) ١٣٩
(ج) ٢٧٤
(ج) ٧ ، ١٧٦ ، ٢٩٩ ،
٤١٩ ، ٥٦٩ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧ ،
٦٣٠ ، ٦٣٢
(ج) ٦٢٨
(ج) ٤١٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩ ،
٥٣٣ - ٥٣٥ ، ٥٤٧
(ج) ١٣
البراهمي : قلم (ج) ٢١٣

– التاء –

التدمري : خط – نسب (ج) ٤١١	التمودية : كتابة (ج) ٨٧
(ج) ١٨٩	(ج) ٢٤٥
(ج) ٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣١٠	(ج) ٥١٤
(ج) ٢٤٦ ، ١٥٥	التميمة : لفة (ج) ٥٨٣
التدمرية : كتابة – طريقة (ج) ٨٠	تيمي : نسب (ج) ٢٨٨
(ج) ٨٢ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٠٧ ،	(ج) ٣١ ، ٨٠ ، ٤٦٨ ،
(ج) ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥	٤٧٤
(ج) ٥١١	توراني : طابع (ج) ٤١٣ ، ٤٤٧
(ج) ٢٥٠ ، ١٨٩	٤٦٣
(ج) ٣٢٩ ، ٣٠٠ ، ١٧١	التوراتية : رواية (ج) ٨٧ ، ٩٣
(ج) ٢٤٧	(ج) ٩٧ ، ٢٩٦ ، ٤١٢ – ٤١٤ ،
التركية : لفة (ج) ٣٢ – ٣٣	(ج) ٤٤٩ ، ٤٦٣ ، ٤٧٤
(ج) ٧٠٦ ، ٦٩٥ ، ٢٨٤	(ج) ٥٧٠
(ج) ٨١٧	

– التاء –

الثالوث : مذهب (ج) ٦٢٤ –	(ج) ٤٩٧
٦٢٥	(ج) ٨٠
ثقي : نسب (ج) ٥٠٢	الشمودي : قلم – أدب (ج) ٥٨٥
(ج) ٦١٧	(ج) ٧٥ ، ١٤٤

١٧٩ - ١٧٨ ، ١٧٢ ، ١٧٠	٤٧٥ (٥ج)
٢٩١ ، ٢٦٩ ، ١٩٩ ، ١٩٢	١٨٣ - ١٨٢ ، ١٧٨ (٦ج)
٢١٣ - ٢١٢ ، ٢٠٩ ، ٢٩٤	١٥٣ (٨ج) ، ١٩٤ ، ١٧٥
٣١٦	٢٣١ - ٢٣٠ ، ٢١٠ ، ٢٠٠
٢٤٢ (٧ج)	٢٤١ - ٢٤٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٥
١٩٥ ، ١٤٢ ، ١١٣ (٨ج)	الشموديات : دراسة (٨ج) ٢٣٠ ، ٢٣٦
٢١٥ ، ٢١٢ - ٢١١ ، ٢٠٤	الشمودية : لفة - كتابة - لهجة -
٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠	(ج١) ١٣٣ ، ٥٢ ، ٤٦ ، ٣٣
٤١٤ ، ٢٧٦ ، ٢٤١ - ٢٤٠	٢٧٢ ، ٢٩٩ ، ٣٢٤ ، ٣٨٠
٥٤٠ ، ٥٣٤ ، ٥١٠ ، ٤٥٧	٦١٦
٥٧٩ ، ٦٧٣ ، ٦٤٠ ، ٦٧٦	١٤٣ ، ١١١ (٤ج)
٦٧٩	٥ (ج١) ١٠٢ ، ١٩٢ ، ٤٧٥
٥٩ ، ١٣ (٩ج)	(ج٦) ٨ ، ١١ ، ٥٤ ، ١١٧
الثنوية : مذهب (ج٦) ٣٧٢ - ٣٧٣	

- الجيم -

٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧	الجاهلي : شعر - اثر (ج١) ٢٤ ، ٤١
٥٨٢ ، ٥٧٢ ، ٤١٢ ، ٤٠٧	٧٠ ، ٩٥ ، ١٤٧ ، ١٥٦
٦٢٧ ، ٦٣٠ ، ٦٥٢ ، ٦٦٧	٢٨٣ ، ٢٦٧ ، ٢٠٣ ، ٣٠٦
٦٧٢	٣٢٢ ، ٣١٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦
(ج٥) ١١ ، ١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٤٨	٣٨٢ ، ٣٨٠ - ٣٧٩ ، ٣٥٩
١٧٣ ، ١٥٤ - ١٥٣ ، ٢٩٣	٤٢٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٤٨٩
٢٣٥ - ٢٣٤ ، ٣١٥ ، ٢٩٣	٥١١
٤٣١ ، ٤١٦ ، ٤١٣ ، ٢٤١	١٦٤ (٢ج)
(ج٦) ١٢ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٦٢	(ج٣) ١٥٥ ، ١٩٣ ، ٢٤١
١٠٩ ، ١١٣ - ١١٩ ، ١٢٢	٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٣٢٥ ، ٢٤٩
١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥١	٤٤٢ ، ٤٨٢
١٧٣ ، ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧	(ج٤) ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٩٢
٤٠٤ ، ٤٣٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٦	٩٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٢٢٥

٢١٠ ، ٢٠٨ ، ١٩٣ ، ١٨٨
 ٢٣٣ ، ٢٢٣ — ٢٢١ ، ٢١٣
 ٢٤٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ — ٢٣٩
 ٢٥٤ ، ٢٥١ — ٢٥٠ ، ٢٤٧
 ، ٢٦٤ — ٢٦٣ ، ٢٥٧ —
 — ٢٨٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٧
 ٢٩٤ — ٢٨٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨١
 ٣٠٨ ، ٣٠٦ ، ٢٩٨ — ٢٩٦
 ، ٣٢٢ ، ٣١٤ ، ٣٠٩ —
 ٣٤٢ ، ٣٤٠ — ٣٣٩ ، ٣٢٧
 ٣٦٦ ، ٣٦٤ ، ٣٥٣ — ٣٥٢
 ، ٣٧٦ — ٣٧٤ ، ٣٧٢ —
 ٣٩٧ ، ٣٨٩ ، ٣٨٣ ، ٣٧٩
 ٤٠٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٤ — ٤٠٠
 ، ٤١٦ — ٤١٥ ، ٤١٠ —
 ٤٢٤ ، ٤٢١ — ٤٢٠ ، ٤١٨
 ٤٤٣ — ٤٤٢ ، ٤٣٧ ، ٤٢٦
 ٤٧٨ ، ٤٧٥ ، ٤٧٣ ، ٤٦٤
 ٤٨٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨١
 ٥٠٤ — ٥٠٣ ، ٤٩٣ — ٤٩١
 ٥١٢ — ٥١١ ، ٥٠٨ — ٥٠٦
 ٥٣١ ، ٥٢٥ ، ٥١٧ — ٥١٥
 ٦٦٩ — ٦٦٨ ، ٦٥٠ ، ٥٨٧
 ٧٢٨ ، ٧١٥ ، ٦٩٠ — ٦٨٩
 ٧٧٠ ، ٧٦٨ ، ٧٦٥ ، ٧٦٢
 ٨٢٦ ، ٨٢٠ — ٨١٩ ، ٧٨٩
 ٨٤٦ — ٨٤٥ ، ٨٤٢ ، ٨٣٩
 ٩٠٧ ، ٩٠٢ ، ٨٦٠

الجاهلية : مرحلة — نص — آثار
 (ج) ١٠ ، ٧ — ١٠ ، ١٦
 ٣٣ — ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٦
 ٦٥ ، ٧١ — ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٩
 ٩٠ ، ٩٣ — ٩٦ ، ٩٨ ،
 ١٠٦ — ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠
 ١٢٢ — ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١
 ١٣٤ — ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣

٥٥٣ ، ٥١١ ، ٥٠٦ ، ٤٩٩
 ٥٨٥ ، ٥٨٣ ، ٥٧٥ ، ٥٦٩
 ٦٥٢ ، ٦٤٨ ، ٥٩٤ ، ٥٨٩
 ٦٧٣ ، ٦٦٨ ، ٦٥٨ ، ٦٥٦
 ٦٩٣ ، ٦٨٤ — ٦٨٣ ، ٦٨٠
 ٧٣٧ ، ٧٣٥ ، ٧٢٨ ، ٧٢٤
 ٧٩٣ ، ٧٥٩ ، ٧٤٩ ، ٧٣٩
 ١٢٤ ، ٨٢ ، ٤٤ ، ٢٧ (٧ج)
 ٣٣١ ، ١٩٨ ، ١٦٩ ، ١٤٥
 ٤٤٥ ، ٣٨٢ ، ٣٧٢ ، ٣٦٣
 ٥٧٨ ، ٥٤٥ — ٥٤٤ ، ٥٥٢
 ، ٦٢٤ ، ٦١٦ ، ٥٧٩ —
 ٦٣٠
 ، ٤٨ ، ٢٢ ، ٨ — ٦ (٨ج)
 ٩١ ، ٨٣ ، ٧٥ ، ٦٨ ، ٥٩
 ٢٠٧ ، ١٨٦ ، ١٧٤ ، ١٧٠
 ٢٥٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ — ٢٤٨
 ٣٢٩ ، ٣٠١ — ٣٠٠ ، ٢٦٣
 ٣٦٢ — ٣٦١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤
 ٤٢٦ ، ٤١٣ ، ٣٧١ ، ٣٦٩
 ٥٦٣ ، ٥٦٠ ، ٥٥٠ ، ٥٠٨
 ٦١٠ ، ٥٩٩ ، ٥٧٦ ، ٥٦٦
 — ٦٣٨ ، ٦٢٩ ، ٦٢٧ — ٦٢٦
 ٦٦٥ ، ٦٥٠ ، ٦٤٨ ، ٦٣٩
 ، ٦٧٢ — ٦٧١ ، ٦٦٧ —
 ٧١٥ ، ٦٩٢ ، ٦٨٠ ، ٦٧٦
 ، ٧٥١ ، ٧٤٨ ، ٧١٦ —
 ٧٩٢ ، ٧٨٩

(٩ج) ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٥١
 ٦٢ — ٦٣ ، ٧٠ — ٧٤ ،
 ٧٧ — ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢
 ٩٥ — ٩٧ ، ١٠٠ — ١٠١
 ١٠٩ ، ١١٦ — ١١٧ ، ١٢٤
 ١٣٧ ، ١٣٩ — ١٤٣ ، ١٥٠
 ١٥١ — ١٥٧ ، ١٦٥ ،
 ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٣

267 ˆ 262 — 26. ˆ 20.
 281 ˆ 276 — 278 ˆ 279
 296 ˆ 292 — 29. ˆ 282
 3.8 ˆ 3.8 ˆ 3.2 ˆ 299
 318 ˆ 310 ˆ 312 — 31.
 329 ˆ 328 ˆ 327 ˆ 322
 389 ˆ 387 — 386 ˆ 381
 308 ˆ 307 — 302 ˆ 30.
 ˆ 373 — 371 ˆ 309 —
 377 — 376 ˆ 379 ˆ 377
 389 ˆ 387 ˆ 382 ˆ 379
 8.3 — 8.2 ˆ 398 — 397
 818 ˆ 812 ˆ 81. — 8.8
 887 ˆ 827 ˆ 82. — 819
 ˆ 802 — 801 ˆ 888 —
 870 ˆ 879 ˆ 872 ˆ 807
 ˆ 882 — 881 ˆ 879 —
 892 — 891 ˆ 889 ˆ 888
 012 ˆ 0.9 — 0.8 ˆ 0.2
 029 — 028 ˆ 020 ˆ 018
 028 ˆ 020 — 028 ˆ 022
 07. ˆ 008 ˆ 082 — 081
 ˆ 071 ˆ 076 ˆ 071 —
 082 ˆ 079 ˆ 070 — 078
 098 — 091 ˆ 089 ˆ 080
 712 ˆ 7.0 — 7.2 ˆ 097
 722 — 721 ˆ 717 — 717
 729 ˆ 727 ˆ 720 — 728
 780 ˆ 781 ˆ 728 — 722
 702 ˆ 70. ˆ 788 ˆ 787
 ˆ 709 ˆ 707 ˆ 702 —
 77. ˆ 760 ˆ 772 — 722
 ˆ 778 — 772 ˆ 771 —
 782 ˆ 781 ˆ 778 ˆ 777
 788
 19 ˆ 17 — 10 ˆ 11 (08)

ˆ 172 ˆ 109 ˆ ˆ 101
 178 ˆ 179 — 178 ˆ 177
 2.7 ˆ 197 — 190 ˆ 180
 220 ˆ 217 ˆ 211 ˆ 2.8
 277 — 276 ˆ 271 ˆ 289
 — 282 ˆ 277 ˆ 272 ˆ 279
 — 291 ˆ 288 ˆ 287 ˆ 288
 — 3.7 ˆ 299 ˆ 290 ˆ 292
 ˆ 318 ˆ 310 ˆ 312 ˆ 3.8
 322 ˆ 32. ˆ 322 ˆ 321 ˆ
 379 ˆ 378 ˆ 37. ˆ 382
 — 380 ˆ 382 ˆ 381 —
 817 ˆ 8. ˆ 392 ˆ 387
 878 ˆ 828 ˆ 828 ˆ 827
 882 ˆ 877 ˆ 878 ˆ 87.
 898 — 892 ˆ 887 — 880
 0.8 — 0.7 ˆ 0.8 ˆ 897
 022 ˆ 018 ˆ 011 — 01.
 ˆ 178 ˆ 110 ˆ 28 (28)
 8.8 ˆ 27. — 209 ˆ 172
 898
 ˆ 17. — 109 ˆ 100 (28)
 ˆ 22. ˆ ˆ 281 ˆ 189
 ˆ 271 ˆ ˆ 208 ˆ 200
 02. ˆ 0.7 ˆ 0.1 ˆ 27.
 ˆ 17 ˆ 10 ˆ 9 — 8 (88)
 87 ˆ 28 ˆ 28 ˆ 21 — 2.
 09 — 08 ˆ 07 — 08 ˆ 01
 ˆ 1.1 ˆ 97 ˆ 91 ˆ 77
 112 ˆ 1.9 ˆ 1.7 ˆ 1.2
 127 — 120 ˆ 122 ˆ 12.
 181 ˆ 127 — 122 ˆ 12.
 187 — 180 ˆ 107 — 100
 212 ˆ 21. — 2.9 ˆ 198
 228 — 227 ˆ 229 ˆ 220
 288 — 287 ˆ 282 ˆ 28.

882

073 : 071 : 07A — 00A
 : 0A1 — 0A. : 07E —
 090 — 093 : 0A7 — 0A0
 711 — 7.9 : 7.7 : 7.2
 : 73. : 727 : 723 — 721
 7E1 : 729 — 726 : 723
 772 : 77. — 7E0
 — 1E : 12 — 11 : A (7E)
 21 : 2E : 2. — 1A : 17
 : E. — 2A : 27 : 2E —
 03 — 02 : 0. : EA : E3
 A2 — A1 : 70 : 71 — 07
 : 1.2 — 1.1 : A7 — A7
 123 : 117 — 112 : 1.7
 131 — 13. : 12A — 127
 1E2 — 1E. : 127 : 122
 109 : 103 : 10. — 1E7
 : 17. : 177 : 172 —
 1A3 — 1A. : 17A — 172
 199 : 197 : 191 : 1A7
 212 : 2.8 — 2.2 : 2..
 : 220 — 217 : 21E —
 2A3 : 279 : 2EA : 2E2
 292 — 292 : 29. : 2AA
 239 — 237 : 212 : 2.2
 2E7 — 2E0 : 2E2 — 2E2
 202 : 201 : 2E9 — 2EA
 — 271 : 209 : 200 —
 27E : 272 — 279 : 272
 2A7 : 2A0 — 279 : 270—
 — 29A : 290 : 292 —
 E.9 : E.7 — E.7 : 299
 E2. — E1A : E10 : E12
 E22 — E29 : E27 : E22
 E23 : E21 : E2A — E27
 E0. : EEA : E27 : E2E —

: 27 — 27 : 21 : 2. —
 0A : 07 — 00 : 01 : E1
 : 70 : 72 — 72 : 09 —
 91 : AA : A7 — A0 : A2
 1.7 : 1.2 : 1.. : 97 —
 12. : 11A : 112 : 11.
 131 : 127 : 122 — 122
 : 129 — 12E : 122 —
 1E7 : 1E0 — 1E2 : 1E1
 17. : 100 — 101 : 1E9
 — 17A : 17E : 172 —
 177 : 170 — 17E : 17.
 1AA : 1A1 : 179 — 17A
 : 2.7 : 199 : 1A9 —
 : 222 — 221 : 21A : 217
 — 2E7 : 229 : 220 : 221
 : 209 : 20E — 202 : 201
 27A : 277 : 27E : 272
 : 272 — 272 : 27. —
 297 : 291 : 2A7 — 2A2
 211 : 2.8 — 2.7 : 2.2
 220 — 22E : 210 : 212
 202 — 201 : 2E2 — 2E1
 2A. : 272 : 277 : 27E
 292 — 291 : 2A9 — 2A7
 E1. : E.2 : 29A : 290
 E27 : E2E — E22 : E19
 E01 : E20 : E29 : E2A
 E7. — E7A : E0A : E00
 EA. — E77 : E7E : E72
 E91 : EAA : EA0 — EA2
 0.9 : 0.0 — E99 : E90
 019 : 017 — 010 : 011
 022 : 029 : 022 — 021
 0E2 : 02A : 020 — 02E
 007 — 002 : 00. — 0E7

316 , 31. , 3.ε , 3.2
 322 — 321 , 328 , 32ε
 369 , 36ε , 3ε. — 328
 38. , 378 , 370 , 371
 387 , 380 — 383 , 381
 398 — 397 , 39ε — 391
 ε12 , ε.8 — ε.7 , ε.ε
 ε2ε , ε22 , ε17 — ε16
 εε0 — εε2 , ε38 , ε33
 ε0ε — ε02 , ε0. , εε8
 ε73 , ε66 — ε63 , ε09
 , ε8. — ε79 , ε7ε —
 ε93 , ε89 , ε87 — ε82
 0.. — ε98 , ε96 , ε90
 03. , 020 , 010 , 0.3
 062 , 0εε , 037 , 03ε
 079 , 070 , 067 , 060
 629 , 62. , 096 , 09.
 637 , 633 — 631
 , 3ε , 28 , 12 , 7 (Λε)
 07 , 03 — 02 , ε8. , ε.
 91 , 88 , 8ε , 68 , 60
 117 , 113 , 1.7 — 1.0
 130 , 129 , 120 , 12.
 — 1ε. , 138 , 136 —
 17ε , 10ε — 103 , 1ε2
 186 , 18ε , 182 , 179
 2.9 , 2.ε , 190 — 193
 261 , 202 — 20. , 2ε8
 27ε , 271 — 27. , 268
 288 , 286 , 282 — 281
 , 29ε , 291 , 289 —
 3.0 , 3.1 — 299 , 297
 319 , 311 , 3.9 , 3.7
 33. — 329 , 32ε , 322
 3ε1 — 3ε. , 33ε , 332

ε62 , ε09 — ε00 , ε02
 ε72 , ε68 , ε60 — ε6ε
 ε99 , ε96 , ε88 — ε87
 010 , 013 — 012 , 01.
 036 , 03ε — 033 , 031
 060 , 008 — 007 , 0ε8
 079 , 077 , 069 , 067 —
 098 , 096 , 093 , 086
 6ε0 — 6εε , 6ε. , 617
 660 , 662 , 66. , 60ε
 676 , 67ε , 672 , 669
 688 , 680 , 683 — 681
 7.6 — 7.0 , 696 , 69.
 713 — 711 , 7.9 — 7.8
 727 , 722 — 72. , 317
 738 — 737 , 730 , 732
 7ε8 , 7ε0 , 7ε3 , 7ε.
 — 700 , 701 , 7ε9 —
 763 , 76. — 709 , 706
 , 77. , 767 , 760 —
 779 — 777 , 77ε — 773
 799 — 798 , 791 , 789
 810 , 81. , 8.6 , 8.ε
 818
 2. , 17 , 10 , 12 (7ε)
 ε3 , 3. , 28 , 20 — 22
 77 , 71 — 7. , 6ε , ε8
 1.9 , 93 — 92 , 78 —
 12ε — 123 , 118 , 111
 1ε9 , 1ε7 , 1ε0 , 130
 16ε — 163 , 10ε 10. —
 192 , 181 , 17ε , 169
 2.8 , 2.. , 197 — 190
 2ε2 , 220 , 216 , 212
 209 , 202 , 2ε0 — 2εε
 3.. , 290 , 286 , 281

143 — 142 : 130 : 119
 109 : 108 : 10. : 147
 : 177 : 173 : 171 —
 182 : 178 — 177 : 170
 : 189 — 187 : 183 —
 2.1 : 198 — 197 : 193
 : 2.8 : 2.0 : 2.2 —
 228 : 220 : 218 : 21.
 : 238 — 233 : 231 —
 247 : 240 : 237 — 237
 — 203 : 201 — 20. : 248
 270 : 273 : 27. : 207
 287 : 278 — 273 : 277 —
 298 : 292 : 29. — 289
 : 31. : 297 : 290 —
 342 — 34. : 336 : 328
 307 — 300 : 303 : 301
 37. : 376 : 371 : 309
 38. : 377 : 378 — 372
 39. — 389 : 380 — 382
 4.8 — 4.3 : 399 : 390
 419 — 418 : 410 : 4.7
 427 : 428 — 423 : 421
 — 437 : 438 : 432 —
 449 : 440 : 44. : 437
 478 : 470 : 471 — 47.
 489 — 488 : 483 : 481
 498 : 497 — 490 : 491
 011 — 01. : 0.8 — 0.2
 042 : 019 : 017 : 013
 007 : 000 : 049 : 047
 077 : 072 — 071 : 009
 — 078 : 077 : 078 —
 7.0 : 7.2 : 087 : 079
 737 : 72. : 711 — 71.
 : 700 : 70. : 727 —

301 : 349 — 347 : 343
 : 307 : 308 : 302 —
 378 : 373 — 371 : 308
 381 : 377 : 378 — 372
 397 : 392 : 39. : 387
 410 : 413 : 4.8 — 4.7
 428 : 421 : 427 : 420
 400 — 408 : 429 — 438
 473 — 472 : 47. — 409
 482 — 48. : 477 — 470
 491 — 49. : 488 : 488
 0.8 : 497 — 497 : 493
 023 : 012 : 0.9 : 0.7
 042 : 04. — 039 : 030
 071 : 000 : 00. — 049
 088 : 076 : 078 — 073
 7.7 : 098 : 098 — 093
 729 — 728 : 727 : 72.
 748 : 743 : 74. — 737
 : 702 — 701 : 749 —
 777 : 778 : 772 — 771
 778 — 777 : 772 : 77.
 791 : 780 : 782 — 781
 7.8 : 7.2 : 7.0. : 797
 739 : 730 — 733 : 7.7
 701 : 748 : 740 : 74. —
 771 : 779 — 777 : 703
 78. — 779 : 777 — 778
 790 — 791 : 788 : 787
 27 : 22 : 10 : 13 (13)
 : 01 : 23 — 21 : 29 —
 7. : 77 — 77 : 72 : 09
 : 82 — 81 : 78 — 77 : 78
 — 98 : 93 : 87 — 80
 1.8 : 1.8 : 1.2 : 99
 117 : 110 : 113 : 11.

١٠٠ ، ٨٩٥ — ٨٩٢ ، ٨٩٠	٦٦٩ ، ٦٦٧ ، ٦٦٥ ، ٦٥٧
١٠٨ — ٩٠٧ ، ٩٠٣ — ٩٠٢	٦٨٨ ، ٦٨٤ ، ٦٧٦ ، ٦٧٠ —
جبانة : كبانة (ج ١) ٤٢٥	٦٩٩ ، ٦٩٧ ، ٦٩٥ — ٦٩٤
جرشي : نسب (ج ٧) ١١٤ ، ٥٣٧	٧١٥ ، ٧١٢ ، ٧١٠ ، ٧٠٦
جرشية : نسبة (ج ٧) ١١٤	٧٢٨ ، ٧٢٥ ، ٧٢٢ ، ٧٢٠
الجرماني : جنس (ج ١) ٢٥٧	٧٤٢ ، ٧٤٠ ، ٧٣٧ ، ٧٣٠
جرهمية : نسبة (ج ١) ٤٣٥	٧٤٣ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨ ، ٧٤٠
١٦٣ (ج ٥)	٧٦٨ ، ٧٦٢ — ٧٦١ ، ٧٥٣
الجزم : خط (ج ٨) ١٥٥ — ١٥٨	٧٦٩ ، ٧٦١ ، ٧٨١ ، ٧٩٢ —
١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٣	٧٩٦ ، ٨٢٢ ، ٨٢٤ ، ٨٠٩
٥٣٥	٢٢٩ — ٨٣١ ، ٨٣٥ ، ٨٣٨ —
الجزرية : لغة (ج ١) ١٧٣ ، ٢٣٧	٨٣٩ ، ٨٤١ — ٨٤٨ ، ٨٤٠
٤٤٩ (ج ٣)	٨٥٠ ، ٨٥٣ ، ٨٥٧ ، ٨٦٥
٢١٣ (ج ٨)	٨٧٠ — ٨٧١ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤
جودية : كتابة (ج ١) ٥٥٩	٨٧٧ ، ٨٧٩ — ٨٨٠ ، ٨٨٢
الجيكوسلوفافي : نسبة (ج ١) ١٣٢	٨٨٣ ، ٨٨٥ ، ٨٨٨ —

— الحاء —

الحبشية : لغة — لهجة — مصطلح	حامي : اصل (ج ١) ٤٧٩
(ج ١) ٢٢٢ — ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥	الحامية : لفات (ج ١) ٢٢٩ ، ٢٣٦
(ج ٣) ٤٥١ — ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٨٣ ، ٤٨٠ ، ٤٧١ ، ٥٣٨	(ج ٢) ٥٢
(ج ٤) ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٥٠	الحبشي : نسب (ج ٢) ٥٢٣
(ج ٥) ١١٨	(ج ٣) ٥٠٥ — ٥٠٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٨
(ج ٦) ٢٤٣ ، ٤٠١ ، ٥٥٥ ، ٦٨٠ ، ٦٥١ ، ٦١٥ ، ٧٠٨ ، ٦٨٨	(ج ٤) ٣٠ ، ١١٩
	(ج ٦) ٢٩٦ ، ٦٥٢ ، ٦٧٧ —
	٦٨٨ ، ٦٧٨
	(ج ٧) ٤٦٠ ، ٥٤٤
	(ج ٨) ٢١٢ ، ٢١٥ — ٢١٦ ، ٦٩٧ ، ٧٦٠

- (ج ٨) ١١٢ ، ١١٨ ، ١٥٤ ،
 حا ١٦٨ ، ١٩٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٧
 (ج ٩) ٢٥٦
 الحميرية : لغة - لهجة - كتابة -
 أثر (ج ١) ١٥ ، ٢٣ ، ٤٦ ،
 ٨٤ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ -
 ١٠٦ ، ١٢٧ ، ١٣٧
 (ج ٢) ١٦٤ ، ١٧٣ ، ٤١٩ ،
 ٤٨٣ ، ٥١٢ ، ٥٢٧
 (ج ٣) حا ٤٧٦
 (ج ٤) ١٨٧ ، ٤٢٢
 (ج ٥) ٤٥٤
 (ج ٧) ٧٣ ، ٤٩٩
 (ج ٨) ١٠٩ ، ٢١٢ ، ٥٥٦ ،
 ٥٦٢ ، ٥٧٦ ، ٦١٩ - ٦٢٠
 ٦٢٩ ، ٦٣٢ ، ٦٣٩ - ٦٤٠
 ٦٥٣
 (ج ٩) ٢٥٢ ، ٦٦٠ ، ٨٦٧
 الخفيف : مذهب (ج ٣) ٤١٧
 (ج ٦) ٤٥٤ - ٤٥٦
 (ج ٩) ٧٠٢ ، ٧٢٣
 الخفيفة : دين (ج ٦) ٧ ، ٣١ ،
 ٣٤ ، ٤٥٠ - ٤٥٣ ، ٤٥٥
 - ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣
 ٤٦٧ ، ٤٧١ - ٤٧٢ ، ٤٨٢
 ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦
 - ٥٠٧
 (ج ٨) ٣٢٣ ، ٤٨٢
 (ج ٩) ٧٢٣ ، ٧٥٣ ، ٨٤٨
 الحوليات : قصائد (ج ٩) ٥٤٤ -
 ٥٤٥
 حيري : نسب - قلم (ج ٣) حا
 ١٥٥
 (ج ٨) ٨٨ ، ١٥٥ - ١٥٦ ،
 ١٧١ - ١٧٢
- (ج ٧) ٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٤٨٧
 (ج ٨) ٢٩ ، ٤٢ ، ١٣٣ ،
 ١٩٠ ، ٢١٢ - ٢١٣ ، حا
 ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ٤٣١ ، ٥٣٣
 ٥٣٤ ، ٦١٦ ، ٦٢٠ - ٦٢١
 ٦٩٦ - ٦٩٧ ، ٧٠٤ - ٧٠٥
 (ج ٩) ٦١
 حجازي : نسب (ج ٦) ٣٩٤
 (ج ٧) ٨١ ، ٨٤
 (ج ٩) ٣١
 الحجازية : لهجة (ج ٧) ٨٨
 (ج ٨) ٥٤٤ ، ٥٥٥ ، ٥٨٢ ،
 ٥٨٦ ، ٦٣٣ ، ٦٤٩ ، ٧٢٨
 ٧٧٦
 حران اللجة : نص (ج ١) ٦١٩
 (ج ٦) ٥٢٧
 (ج ٨) ٤٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤٩ ،
 ٦٧٩ - ٦٨٠
 الحضرموتية : كتابة (ج ١) ١٣٧
 الحضرمية : لهجة (ج ١) ٩٧
 (ج ٢) ١٠٤ ، ١٣٠ - ١٣٢
 ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣
 ١٥٥ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٣
 - ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٢٦٦
 (ج ٤) ٢٧٦
 (ج ٥) ٤٨
 (ج ٦) ١١ ، ٣٠٢
 (ج ٨) ١٧ ، ١٩ ، ٢١٢ ،
 ٤٤٨ ، ٦٨٦
 الحميري : نص - خط - لسان
 (ج ١) ٩٦ - ٩٧ ، ١٠١ -
 ١٠٣ ، ٥٠٢
 (ج ٢) ٥١٣ ، ٥٢١ ، ٥٦٨
 (ج ٤) ٣٧٤
 (ج ٥) ١١٣
 (ج ٦) حا ٧٧٣

- الخاء -

الخلفيدوني : مذهب (ج ٣) ٤١٧	خزاعية : نسبة (ج ٤) ٦١٩
خندقي : نسب (ج ٤) ٢٢٤	خزرجي : نسبة (ج ٩) ٧٢٨
	خزرجية : نسبة (ج ١٤) ٧٤

- الال -

دمشقي : نسب (ج ٧) ٦٠٤	دارمي : نسبة (ج ٩) ٤٧٤
ديدانية : كتابة (ج ٢) ٢٤٣ -	الدانماركي : نسبة (ج ١) ١٢٤ ،
٢٤٤	١٣٧
(ج ٦) ٢٣١	الدانماركية : بعثة (ج ١) ٥٤٠ ،
الديمقراطي (ج ٥) ٢٤٣ - ٢٤٥	٥٤٣ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١
الديمقراطية : نظام (ج ١) ٢٦٥	(ج ٢) ٢٢ - ٢١
(ج ٥) ٢١٣ ، ٢٣٠	(ج ٨) ٨٦
(ج ٧) ٣٠٧	الدرأويدينية : دماء (ج ١) ٢٢٨

- الراء -

الروكية : دين (ج) ٦٣٤	٨١ ، ١٢٢
الروماني : فن - نسب	(ج) ٣ ٢٠٠
(ج) ١ ٥٥ ، ٤٤٤ ، ٦٥٧ ،	(ج) ٤ ١٢٢
(ج) ٢ ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ،	(ج) ٥ ١٢ ، ٣٧
٦٥ ، ٦٧ ، ٤٠١ ، ٦١٢ ،	(ج) ٦ ٤٩٣
٦٥٣	(ج) ٧ ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٦٢٩
(ج) ٣ ٥٤ ، ٨٩ ، ٩١	(ج) ٨ ٧٢٢
(ج) ٥ ٤١٤	(ج) ٩ ٩٣ ، ٢٩٢
(ج) ٦ ٤٠٨	الرومية : لغة - موارد
(ج) ٧ ٢٦٩ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ،	(ج) ١ ٨١
٦٢٥ ، ٢٨٠	(ج) ٢ ٦٢١
(ج) ٨ ٧٢٢	(ج) ٤ ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٦١ ،
الرومانية : اساطير - آثار	٣٩١ ، ٦٧٠
(ج) ١٢ ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٢ ،	(ج) ٥ ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،
٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ - ٦٩ ، حا	٣٢٤
٢٢٧	(ج) ٦ ١٨٢ ، ٦٤٢
(ج) ١٣ ١٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٥٠ ،	(ج) ٧ ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ٥٠٣
٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٩	(ج) ٨ ١٢٣ ، حا ٣٤٧ ، ٢٨٤
(ج) ٧ ٤١٧ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ ،	٦١٦ ، ٦٣٣ ، ٦٩٥ ، ٧٠٢ ،
٥٥٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٤	٧١٨ ، ٧٢٢
(ج) ٨ ٤٢ ، ٦٦ ، ٤٥٣ ،	(ج) ٩ ٩٣ ، ٢٩٢ ، ٤٢٨ ،
٤٩٣	٧٠٣
رومي : اصل - نسب (ج) حا	ريمانى : نسب (ج) ٥٧

– الزاي –

زبيدي : (ج) ٣٣٩
 الزردشتية : مذهب (ج) ١٦٠ – الزنجي : جنس (ج) ١٣٩

– السين –

الاساني : حكم – شعر – نسب	– ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
(ج) ٦٢٩	٢٥٧ ، ٥٤٥ ، ٦٣٠
(ج) ٣٠٣	(ج) ٣٠٢ – ٣٠٣ ، ٦٥٣
(ج) ١٦١	(ج) ٢٩٤ – ٧٥٦ ، ٧٧٧
(ج) ٦٩٤	(ج) ٥٣٥
(ج) ٧٢٣ ، ٧٣ ، ٤٢	الساميات : دراسات – لهجات
(ج) ٦٧٢	(ج) ٢٢٣ ، ٢٢٥ – ٢٢٦
الاسانية : حضارة	٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٢٣٠
(ج) ٤٨٧ ، ٤٩٥	(ج) ٥٢٥ – ٥٢٦ ، ٥٢٩ –
(ج) ١٦١ ، ٦٧٣	٥٣٠
السامي : (طابع – اصل – جنس)	السامية : لغة – ثقافة – كتابة
(ج) ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩	(ج) ٩ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
٢٣٢ – ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩	٥٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٩٩ ،

(ج) ٢١٢ ، ٤١٣
 السبئية : لفنة - نصوص -
 (ج) ٢٣ ، ٩٧ ، ١٢١ ،
 ١٢٥ - ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ،
 ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
 ٥٤٢ ، ٦٣٦
 (ج) ٧٨ ، ٨٣ ، ١٠٤ ،
 ١١٤ ، ١٣١ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ،
 - ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ،
 ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ،
 ٤٩٠ ، ٥٣٦ ، ٥٥٥ ، ٥٧٣ ،
 ٥٧٥
 (ج) ٥١
 (ج) ٢٧٦ ، ٥٥٤
 (ج) ١٦٧ ، ١٨١ - ١٨٣ ،
 ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ -
 ٢٨٠ ، ٣١١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
 ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٣٦ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤١ - ٤٤٢ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٤٧٣ ، ٥٦٩ ، ٥٨٨ ،
 ٦٢٦
 (ج) ٤٩٠
 (ج) ١٦ ، ١٩ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٢ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٥١٦ ،
 - ٥١٧ ، ٥٣٤ ، ٦٨٦
 السبيلية : مذهب (ج) ٦٢٤
 السرطا : خط (ج) ٢٠٠
 سرياني : لسان - اصل
 (ج) ٦١ ، ٨٥ ، ١٢٢ ،
 ٢٥٦ ، ٥٠٦
 (ج) ٦٠٤ ، ٦٢١
 (ج) ١٢ ، ٢١٩ ، ٤١٣ ،
 ٤٦٥
 (ج) ٢٣ ، ٥٨٢ ، ٦٢٧ ،
 ٦٥٩ - ٦٦٠ ، ٦٦٧ ، ٦٨٨

٢٢٢ - ٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣١ ،
 ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ،
 - ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٣٢٩ ،
 ٥١٣ ، ٥٢٢
 (ج) ٢٥ ، ١٢٣ ، ٣٦٧ ،
 ٦٢٤
 (ج) ٧ - ٨ ، ١٥٣ ، ٨٠ ،
 ٤٥٠
 (ج) ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٥
 (ج) ١٩١ - ١٩٢ ، ٢٧٤ ،
 ٣١٠ ، ٥٢٨ ، ٥٧٦
 (ج) ٢٤ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
 ١١٦ - ١١٧ ، ١٥٧ ، ٢٨٤ ،
 ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ - ٣٢٣ ،
 ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
 ٥٢٧ ، ٥٦٨ ، ٧٠٧ ، ٧١٧ ،
 ٧٩٠
 (ج) ٣١ ، ٥٧ ، ١٥٧ ، ٢٢٨ ،
 ٥٥٣ ، ٥٧٤
 (ج) ١٤٦ - ١٤٧ ، ١٤٩ -
 ١٥٠ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ،
 ٤٣١ - ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ،
 ٤٥٣ ، ٥٢٥ - ٥٢٢ ، ٥٣٥ ،
 - ٥٣٦ ، ٥٤٧ ، ٧٠٧
 سبائي : نسب (ج) ١٤٧
 السبئي : نسب (ج) ١٠٣ ، ١٢٩ ،
 ٥٠٢
 (ج) ١٤٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ -
 ٢٧٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٣
 (ج) ١٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٩٤ ،
 ٦١٤
 (ج) ٣٠٢ ، ٣٠٧
 (ج) ٤٩٢

— ٤٣٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩ ،
٥٠٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ — ٥٣٨ ،
٥٤٤ ، ٥٤٧ ، ٦٠٤ ، ٦١٦ ،
٦٩٥ — ٦٩٦ ، ٦٩٩ ، ٧٠٢ ،
٧٠٤ — ٧٠٦ ، ٧١ ، ٧١٢ ،
٧١٥ ، ٧٢٧ — ٧٢٨ ، ٧٦٨ ،
٧٧٠ ، ٧٧٥

(ج٩) ٧ ، ٤٣ ، ٤٨ — ٤٩ ،
١٩٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٥ ، ٤٢٧
— ٤٢٨ ، ٧٠٣

الطرنجيلي : خط (ج٨) ١٥٥ —
١٥٦ ، ١٧١ — ١٧٣ ، ..
السقطرية : لهجة (ج٨) ٥٩٣
السلطانية : اداب (ج٤) ١٦٢
السلوقي : نسب (ج٢) ٢٢
(ج٣) ٢١

سنسكريتي : اصل (ج٧) ٦١٣
السنسكريتية : لغة — لهجة

(ج٧) ٢٤٠
(ج٨) ٥٣٢ ، ٧٢٥
(ج٩) ٢١١

السنهادرين : نص (ج١) ٦٥٣
السواحلية : لهجة (ج٨) ٥٩٣
السوري : اثر (ج٨) ١١
سورية : آثار (ج٨) ١١ — ١٢
السومري : نسب (ج١) ٥٥٣
(ج٢) ٢٥٩

السومرية : نص — لسان
(ج١) ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، حـ
٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٩
(ج٢) ٢٥٩ — ٢٦٠
(ج٨) ٤٦٩

السويدي : نسب (ج١) ٢٩١
السويسري : نسب (ج١) ١٢٥ ،
٥٢٣
السينائية : ابجدية (ج٨) ٢١٤

(ج٧) ٤٧٦ ، ٦٣١ ، ٦٣٦
(ج٨) ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٧١ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ٢٧٦ ،
٤٣٩ ، ٤٩٣ ، ٥٣٧ ، ٦٩٥ ،
٦٩٩ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ — ٧٠٧ ،
٧٢٨

(ج٩) ٤٧ — ٤٨ ، ٢٠٢
السريانية : لغة — موارد — لفظة

(ج١) ٣٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٦١ ،
٦٥ ، ٧٥ ، ٧٩ — ٨١ ، ٨٤ ،
١٢٤ ، ١٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ،
٢٩٥ ، ٣٧٧ ، ٤١٣ ، ٤٥١ ،
٦٥١ ، ٦٥٩ ، ٦٦١
(ج٢) ٦٠٤ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ،
٦٥٨

(ج٣) ١١ ، ١٩ ، ١٠٢ ،
١٥٥ — ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ،
٢٢٣ ، ٢٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ،
٤٤٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ — ٤٦٥ ،
(ج٦) ٢٢٨ ، ٢٦٤ ، ٤٥٤ ،
٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٥٠٣ ، ٥٥٢ ،
— ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٩٤ ، ٦١١ ،
— ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٥ ،
٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٩ — ٦٤٠ ،
٦٤٨ — ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ،
٦٦١ ، ٦٨٠ ، ٦٨٩ ، ٧٢٢
(ج٧) ٢٤٤ ، ٤٧٥ — ٤٧٦ ،
٥٥٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦٩

(ج٨) ١١١ ، ١١٤ — ١٣٤ ،
١٣٧ ، ١٤١ ، ١٦٠ ، ١٧١ ،
— ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٩١ ،
٢٠٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ،
— ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ ،
٣١٢ ، ٣٢٣ — ٣٢٤ ، ٣٣٦ ،
٣٤٠ — ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٩٤ ،
٤٠٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ ، ٤٣١

- الشين -

الشحزية : لهجة (ج) ١٨٥	الشمي : نسب (ج) ٣٦٨
٥٩٣ (٨ج)	٥٧٦ (٦ج)
الشوهاء : خطة (ج) ٧٨١	الشمية : نسبة (ج) ٤٤٥
الشيعة : مذهب (ج) ٣٢٨	الشاهنشاهية : مذهب (ج) ١٦٢
٨٢٩ (٩ج)	

- الصاد -

الصفويات : دراسات (ج) ١٤٤	الصابئة : عقيدة (ج) ٧٠١ -
الصفوية : لغة - كتابة (ج) ٢٣٣	٧٠٢
٢٧٢ ، ٥٢ ، ٤٦	الصعلكة : وضع (ج) ٤١٢ -
(ج) ٦٨ - ٧٠ ، ٦١١ ،	٤١٣
٦٢٤	الصفوي : نص (ج) ٩٢
(ج) ١٤٣ - ١٤٥ ، ١٤٧ -	(ج) ١٥٢ ، ٧٥
١٤٩ - ١٥٠ ، ١٥٣	(ج) ٢٢٥ - ٢٢٦
(ج) ٣٥٤ ، ٥١١ ، ٥٥٥	(ج) ٢٠٠ ، ٢١٠ - ٢١١ ،
(ج) ١١٢ ، ١٤٧ - ١٤٨	٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٥٢٠

٢٣٦ — ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٥	١٦٦ — ١٦٨ ، ١٩٢ ، ٢٩٣
— ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٤٣٧ ،	٤٠٠
٥١٠ ، ٥٤٠ ، ٥٧٩ ، ٦٤٠	(ج) ١١ ، ٢٤ ، ٤١ ، ١٧٠
٦٧٣ ، ٦٧٦ ، ٦٧٩	١٩٩ ، ٢٣٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧
(ج) ١٣ ، ٥٩	٣٠٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ — ٣٢٦
الصيداني : نسب (ج) ٢٤٥	٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٤٠١
الصيني : نسب (ج) ٨٥	(ج) ٣٧ ، ١٠٦
(ج) ٥١٨	(ج) ٨٥ ، ١١٣ ، ١٤٢ ، ١٥٤
(ج) ٧٨	٢١١ — ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٢

— الطاء —

١٤٧ ، ٢١٤	الطائي : نسبة (ج) ٦٨٩
الطومية : مذهب (ج) ٥١٢ ،	طائية : نسبة (ج) ٦١٩
٥١٩ — ٥٢١ ، ٥٢٣	(ج) ٥٩٠
(ج) ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٠٨ ، ٧٠٨	(ج) ١٦ ، ٤٣٥
— ٧٠٩	الطورسينائية : ابجدية (ج) ٨

— العين —

٤١٣ ، ٤١١ ، ٣٨٩ — ٣٨٧
 ٤٩٧ ، ٤٨٨ ، ٤٦٢ ، ٤٥١
 ، ٥٩٨ ، ٥٦٣ ، ٥٢٢ ، ٤٩٩
 ، ٦٢٧ ، ٦٣٢ ، ٦٣٠ ، ٦٢٧
 ٦٥٩ ، ٦٤٢
 — (٢ج) ١٢ ، ٩٢ ، ١٢٠ —
 ، ٦٠٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٦ ، ١٢١
 ، ٨٠ ، ٧٧ ، ١٠ ، (١٣ج)
 ١٥٥
 (٤ج) ٣٠٣ ، ٥٥٥
 ، ١٦٤ — ١٦٣ ، ١٠٣ (٥ج)
 ، ٤٢٦ ، ٤٢٢ ، ٣١١ ، ١٩٢
 ، ٤٥١ — ٤٤٧ ، ٤٣٠ — ٤٢٩
 ، ٥٨٨ ، ٥٨١ ، ٥٧١ ، ٤٦٤
 ٦٢٠
 ، ٢٣ ، ١٧ ، ١١ ، ٧ (٦ج)
 ، ١٢٨ ، ٧٢ ، ٣٨ ، ٢٧
 ، ٣٠٠ — ٢٩٩ ، ٢٦٤ ، ٢٥٠
 ، ٤٥٦ ، ٤٢٢ — ٤٢١ ، ٣٢٢
 ، ٥١٣ — ٥١٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٣
 ، ٥٥١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٠ ، ٥٢٦
 ، ٥٥٩ — ٥٥٥ ، ٥٥٣ —
 ، ٥٨٢ ، ٥٦٩ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦
 ، ٦٨٢ ، ٦٨٠ ، ٦٥٧ ، ٦٤٩
 ، ٧٤٧ ، ٧٣٠ ، ٧٢٢ ، ٧١٦

عبادي : نسب (٣ج) ١٦٩
 العبراني : تراث — قلم — نص
 (١ج) ٢٣٨ ، ١٢٢ ، ٨٥ ، ٦٤٢
 ٦٥٨ ، ٦٤٢
 (٢ج) ٢٣٠ ، ٢٢٠ ، ٢٩٧ ، ٦٢٤
 (٣ج) ١٧٦
 (٤ج) ١٣٤
 (٥ج) ٣١١
 (٦ج) ٤٥٣ ، ١٣٥ ، ٢٢ ، ٥٠٣
 ، ٦٦٠ ، ٦٥٨ ، ٥٣٢ ، ٦٦٠
 ٧٣٢ ، ٦٨٨ ، ٦٧٩
 (٧ج) ٥٤٤
 (٨ج) ١٥٣ ، ١٤٩ ، ١٠٨ ، ١٩٣
 ، ٢٧١ ، ٢٥٦ ، ٢٤١ ، ٢٢٣
 ، ٦٩٧ ، ٦٩٥ ، ٧٤٦
 (٩ج) ١٣٠ — ١٢٨ ، ٧٣ ، ١٣٢
 ٧٦٨ ، ١٢٣ — ١٣٢
 العبرانية : لفظة — لفظ — اصل
 (١ج) ٢٩ — ١٩ ، ١٨ —
 ، ٨٧ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٨٧
 ، ١٣٨ — ١٢٧ ، ١٢٤ ، ١٣٨
 ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢
 ، ٢٢٢ — ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩
 ، ٢٥٤ ، ٢٩٤ ، ٣٥٦ ، ٣٧٦

٣٤٥ (٥ج)	— ٧٧٥ ، ٧٥٦ ، ٧٤٨ —
٤٤٢ (٦ج)	٧٨٧ — ٧٨٦ ، ٧٧٧
٥٢٦ (٧ج)	(٧ج) ٢٠٣ ، ٦١ ، ٥٨ ، ٣٣
٦٧٣ (٨ج)	٤١٨ — ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٧٨ ،
٧٩ (٩ج)	٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ — ٥٧٠
العدنانية : كتابة — لهجة — ثقافة	٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٨٤ ، ٥٩٣ ،
— عصبية (ج) ٤٦٩	٦٠٤ ، ٦٠٦ — ٦٠٧ ، ٦١٣
(ج) ٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٤٦٩ ،	٦١٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣٤ —
٥٣٧	(٨ج) ٢٣ ، ٦٣ — ١٠٨ ، ٦٤
(ج) ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٦٢	١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،
(ج) ٣٧٩ — ٣٨٠ ، ٣٨٢	١٦٠ ، ١٧١ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
٣٨٤ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٨٠٣	٢١٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦
المراقي : نسب (ج) ٥٥ ، ٥٢٧ ،	٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ — ٢٨٤
٥٦٢	٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ — ٢٩٤
(ج) ٣٢٥	٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ — ٣٢٤
(ج) ٤٨٧	٣٥٤ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٣ ،
(ج) ٨٠ ، ١١	٤٣١ — ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ،
(ج) ٥٠ ، ٦٥٩ ، ٦٧٣ —	٤٥٩ ، ٤٦٩ ، ٥٠٤ ، ٥٢٣ ،
٦٧٤	٥٢٨ ، ٥٣٣ — ٥٣٥ ، ٥٤٥
عراقية : ثقافة — روح (ج) ،	٥٤٧ ، ٥٥٥ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ،
٥٥٣ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ،	٦١٦ ، ٦٦٨ ، ٦٧٦ ، ٦٧٩ ،
٦١٩ ، ٦٥٨	٦٨٨ ، ٦٩٥ — ٦٩٦ ، ٦٩٩
(ج) ١٦٣	٧٠٣ — ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧١٤
(ج) ١٠٢ ، ١٣٤	٧٦٨ ، ٧٧٠ ، ٧٧٥
(ج) ٥٦٤	(ج) ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
(ج) ١١ — ١٢ ، ٥٢٠	١٣٣ — ١٣٥ ، ١٨٢ ، ٤٢٧
العربي : نسب — تراث — لسان —	العبري : مصطلح (ج) ٥٤٥
شعر — مجتمع — تأويل	العبرية : لفظة (ج) ٦٥٣
(ج) ١٣ — ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ،	عبري : نسبة (ج) ٨٥٩
٢١ — ٢٢ ، ٢٤ — ٢٥ ، ٣٣ ،	العبري : نسبة (ج) ٤٨٢
١٠٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،	العثماني : نسب (ج) ٣٩٦
١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٨٠ ،	عدناني : اصل (ج) ٢٨٥ ، ٤٧٦
١٨٤ ، ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٠٥ ،	— ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ —
٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ،	٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٥٠١ ، ٥٠٥
٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧	٥١٧
٢٨٢ — ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠	(ج) ٢٢١ ، ٤٦٩

719 , 711 — 71. , 717
 719 , 718 , 71. —
 , 77 , 77 , 18 , 7 (77)
 727 , 727 , 178 , 1.8
 727 — 721 , 70. , 780
 878 , 871 , 720 , 727
 027 , 028 , 0.7 , 877
 098 , 078 , 087 , 088
 721 , 727
 27 — 27 , 12 — 1. (87)
 , 82 — 82 , 28 — 27
 78 , 77 , 07 , 01 — 89
 1.8 , 87 , 82 , 72 — 7.
 182 — 182 , 110 , 111
 107 , 108 , 102 , 189
 17. — 178 , 178 , 172 —
 179 , 177 — 170 , 172
 , 19. , 188 , 181 —
 2.1 , 197 , 198 — 192
 218 , 21. , 2.0 — 2.2
 208 — 202 , 227 , 228
 281, 220 6 , 270 , 272
 272 , 207 — 200 , 282 —
 880 , 827 , 277 , 272
 028 — 027 , 019 , 879
 007 , 088 , 082 — 081
 090 , 088 — 087 , 080
 727 — 728 , 7.8 , 7.8
 702 , 780 , 782 — 781
 777 , 778 — 772 , 708
 — 778 , 771 , 779 —
 787 , 78. , 777 , 770
 — 778 , 772 , 789 —
 7.1 — 779 , 777 , 770
 722 , 718 , 7.7 — 7.0
 778 , 787 , 779 , 777

— 288 , 221 , 292 —
 817 , 28. , 27. , 280
 811 , 877 , 888 , 82.
 012 , 0.8 , 0.7 , 0..
 077 , 027 , 020 , 017
 722 , 097 , 088 , 078
 728 , 722 — 721 , 729
 707 , 708 — 702 , 70.
 771 — 77.
 172 , 122 , 82 , 8 (27)
 7.9 , 7.8 , 018 , 272
 788 , 728 , 721 , 712
 18 , 11 — 1. , 0 (27)
 112 , 9. , 78 , 79 , 2.
 107 , 187 , 188 , 110
 192 , 191 , 177 , 108
 8.7 , 299 , 2.2 , 199
 — 888 6 , 88. , 818
 802 , 889
 , 170 , 122 — 12. (87)
 2.1 — 2.0 , 28. , 271
 27. , 202 , 228 , 210
 8.8 , 29. , 287 , 278
 7.9 , 007 , 00. , 088
 72. , 711 —
 1.7 , 77 , 88 , 28 (07)
 178 , 122 , 111 , 1.7 —
 218 , 2.1 — 2.0 , 180
 879 , 292 , 220 , 227
 177 , 81 , 72 , 28 (77)
 802 , 221 , 211 , 222
 6 , 890 , 892 — 892
 010 — 018 , 0.2 , 899
 078 — 077 , 022 — 021
 7.8 , 099 , 097 , 09.
 779 , 720 , 711 , 7.7

:٤٥١، ٤٤٤ ، ٤٤٢ ، ٤٣٤
 ، ٤٩٦، ٤٨٩ ، ٤٧٤ ، ٤٦.
 :٥٠٧- ٥٠٦ ، ٥٠١ ، ٤٩٨
 ٦٥٣ ، ٦٤٧
 (٢ج) ١٧٣ ، ٩١ ، ١٧٣ ، ١٩٧
 ، ٢٥٩ ، ٢٢٥ ، ١٩٧
 :٦٢.٦ ٦١٥ ، ٥١٧ ، ٤٩٨
 ٦٥٣ ، ٦٤٦
 : ٣٦- ٣٥ ، ١٤ ، ٨ (٣ج)
 ، ٧٨ ، ٧٥ ، ٥٨ ، ٥٥
 - ١.٦ ، ١.٢ ، ٨٩ ، ٨١
 ١٣. ، ١١٣ - ١١٢ ، ١.٧
 :١٧٢، ١٥٦ ، ١٤٤ ، ١٣٣
 :٢٦٩، ٢١٨ ، ٢.٥ ، ١٩٢
 ٢٧٨، ٣.٢ ، ٢٩. - ٢٨٩
 - ٤٥. ، ٤١٣ ، ٣٧٩ -
 - ٤٦٩ ، ٤٦٦ ، ٤٥١
 :٥٠.٤ ، ٤٨٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧١
 ٥٣٨ - ٥٣٧ ، ٥٢٤
 (٤ج) ١٢١، ٣٢ ، ١٣ ، ٩
 - ١٢٢ ، ١٦. ، ١٨١ ،
 ٢٧٤ - ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦
 :٣٢٣، ٣.٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩.
 :٣٩١-٣٩. ، ٣٦٩ ، ٣٢٧
 :٥٤٤، ٥٢٨ ، ٤١٦ ، ٤.١
 - ٥٥٣ ، ٥٥٠. ، ٥٤٥
 :٥٦٦، ٥٥٨ ، ٥٥٦ - ٥٥٥
 ٥٩٤ ، ٥٨٩ ، ٥٧٥
 (٥ج) ١٩٠ ، ١٥ ، ١. - ٩
 ١٤٨، ١٤٤ ، ١٢٦ ، ١٢.
 - ١٨٥ ، ١٨. ، ١٤٩
 : ٢٨٩، ٢٣٦ ، ١٩١ ، ١٨٩
 ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩. -
 :٣٢٩-٣٢٧ ، ٣.٥ - ٣.٤
 ٤٢٨ : ٣٩٥ ، ٣٩٣ ، ٣٤١
 :٥٠.٦، ٥٠.٤ ، ٤٦٤ ، ٤٥٣

٧٨٣
 : ١١ ، ٨ - ٧ ، ٥ (٦ج)
 ٢٩ - ٢٧ ، ١٨ - ١٧ ، ١٥
 ٥١ ، ٤٧ ، ٤٣ ، ٣٥ - ٣٣
 ٦٩ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٥٩ ، ٥٧
 ، ٩٨ ، ٩٥ ، ٧٤ - ٧٣
 ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٠٢ - ١٠١
 ١٤. - ١٣٩ ، ١٣٥. ، ١٢٩
 ١٦٢ - ١٦١ ، ١٥٧ - ١٥٦
 ، ٢.٧، ٢.٢ ، ١٨٩ ، ١٨٥
 ٢٩١ ، ٢٧٦ ، ٢٦٧ ، ٢١٥
 :٣٧٣ ، ٣٤٥ ، ٣٠. -
 :٤١٤، ٤.٦٠ ، ٤.٣ ، ٣٧٦ -
 : ٤٣٦، ٤٢٨ - ٤٢٧ ، ٤١٨
 - ٥٦٤ - ٥١٤ ، ٤٥١ ، ٤٤٢
 :٧٩٥ ، ٦٧٥ - ٦٧١ ، ٥٧٤
 : ٨٨٧ - ٨٤٢ - ٨٤٠. ، ٨٢٠.
 ٩.٧

العربية : لغة - موارد - ترجمة -

ثقافة (ج) ١) ١٧ ، ٣٣-٣٥،
 : ٤. ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ -
 ١.٣، ٨٩ - ٨٥ - ٨٤ ، ٨١
 - ١.٥ ، ١.٩ - ١١٨ ،
 : ١٢٣ - ١٢٧ ، ١٢٥ - ١٢٨ -
 : ١٤١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ - ١٣٤
 : ١٥٦ : ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٦
 : ١٨١ ، ١٩٢ : ١٩٩ ، ٢.٤
 : ٢٢٣-٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢.٨
 - ٢٤٣ ، ٢٣٧ - ٢٣٦ ، ٢٢٥
 : ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢
 : ٢٦٦ : ٢٦٨ - ٢٧. ، ٢٧٢
 : ٢٩٣ - ٢٩٩ ، ٣.٦، ٣.٠
 : ٣٢١، ٣٢٥ ، ٣٢٢ - ٣٢١
 : ٣٦٣، ٣٥٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٢
 : ٤١٤- ٤١١ ، ٣٩٨ ، ٣٧٨
 : ٤٣٢، ٤٢٨ - ٤٢٧ ، ٤٢٣

ˆ 071 — 007 ˆ 008 —
 ˆ 079 ˆ 077 ˆ ˆ 070
 ˆ7.7— 7.8 ˆ 7.1 ˆ 0A7
 72A 722 ˆ 718 — 712
 ˆ32ˆ 17 ˆ 12 ˆ 1. (A7)
 ˆ 7. ˆ 0A ˆ 0. ˆ 38
 ˆ 91 ˆ A1 ˆ 78 — 72
 113 111 — 1.A ˆ 1.7
 — 102 ˆ 12. ˆ 11A —
 ˆ172—17. ˆ 10A ˆ 100
 172 ˆ 17. — 177 ˆ 178
 — 1A7 ˆ 1A8 ˆ 1A2 —
 ˆ190—192 ˆ 191 — 1AA
 ˆ2.7 ˆ 2.4 ˆ 2.1 — 2..
 ˆ21A— 210 ˆ 212 ˆ 212
 ˆ281 — 28. ˆ 227 — 22.
 202 ˆ 20. ˆ 28A — 287
 — 272 ˆ 20A ˆ 202 —
 279 ˆ 277 — 272 ˆ 272
 ˆ 2A7 ˆ 2A8 ˆ 2A. —
 ˆ297—290 ˆ 291 — 2A9
 ˆ312— 311 ˆ 3.7 ˆ 29A
 ˆ321—32. ˆ 317 — 310
 ˆ322 ˆ 327 ˆ 328 — 322
 ˆ387 ˆ 382 ˆ 38. ˆ 327
 ˆ379 ˆ 37A ˆ 371 ˆ 308
 ˆ392 ˆ 379 ˆ 377 ˆ 372
 ˆ822 ˆ 827 ˆ 822 ˆ 810
 ˆ808 ˆ 887 ˆ 82A — 827
 ˆ877 ˆ 870 ˆ 872 ˆ 809
 ˆ0.1 ˆ 892 ˆ 8AA ˆ 879
 ˆ02. ˆ 017 ˆ 011 — 0.0
 ˆ031 ˆ 029 — 02A ˆ 020
 ˆ088 ˆ 082 — 039 ˆ 028
 ˆ07. — 002 ˆ 001 — 087
 — 0AA ˆ 077 ˆ 077 — 072

72. ˆ 712 ˆ 02A
 ˆ 17 ˆ A — 7ˆ 0 (77)
 ˆ 21 ˆ 20 — 22 ˆ 17
 ˆ 72 — 72 ˆ 00 ˆ 2A
 ˆ178 ˆ 121 ˆ 117 — 117
 ˆ2A8— 2A2 ˆ 20. ˆ 212
 ˆ322 ˆ 217 ˆ 2.A ˆ 292
 ˆ802 ˆ 8.1 ˆ 297 ˆ 222
 ˆ012 ˆ 0.2 ˆ 89. ˆ 8A.
 ˆ 029 ˆ ˆ 027 — 027
 ˆ002— 002 ˆ 00. ˆ 021
 070 ˆ 071 ˆ 009 — 000
 ˆ 079 — 07A ˆ 077 —
 ˆ098 ˆ 0A0 ˆ 0A2 ˆ 072
 ˆ729 ˆ 720 ˆ 7.7 ˆ 7.2
 ˆ ˆ ˆ 782 ˆ 729 ˆ 728
 702 ˆ 70. — 789 ˆ 787
 ˆ 772 ˆ 709 ˆ 707 —
 7A1 — 7A. ˆ 7A8 ˆ 7V1
 ˆ790 ˆ 792 ˆ 79. — 7AA
 ˆ782 ˆ 78. ˆ 7.A — 7.7
 7A7 ˆ 778 ˆ 707 ˆ 787.
 ˆ89 ˆ 82 ˆ 27 ˆ 20 (77)
 ˆ 90 ˆ 72 ˆ 71 ˆ 02
 ˆ177 ˆ 107 ˆ 1.A ˆ 1.1
 ˆ1AA ˆ 1A7 ˆ 170 — 178
 ˆ222 ˆ 22A ˆ 2.0 — 2.2
 ˆ287 — 282 ˆ 28. ˆ 22A
 ˆ200 ˆ 202 ˆ 201 — 20.
 — 270 ˆ 272 ˆ 209 — 20A
 ˆ272 ˆ 271 ˆ 279 ˆ 277
 ˆ220— 228 ˆ 22. ˆ 277
 ˆ80. ˆ 8.1 ˆ 279 ˆ 277
 ˆ8A9 ˆ 877 ˆ 879 ˆ 809
 ˆ088 ˆ 022 ˆ 01. ˆ 891
 002 ˆ 089 ˆ 080 — 088

١٥١ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦	٥٩١ ، ٥٩٣ - ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢
١٦٦ ، ١٨٥ ، ١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٠٢	٦٠٢ ، ٦٠٨ - ٦٠٩ ، ٦١٥
٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٤ - ٢١٨ ، ٢٦٣	٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ - ٦٢١ ، ٦٢٣
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٣٠٣	٦٢٣ ، ٦٣٠ - ٦٣٢ ، ٦٤٠ ، ٦٤٤
٣٠٣ ، ٣١٢ - ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٣٢	٦٤٤ ، ٦٤٨ - ٦٥٣ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩
٣٣٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ - ٣٧٢ ، ٣٧٤	٦٥٩ ، ٦٦٦ - ٦٦٨ ، ٦٧٢ ، ٢٨٨
٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ - ٤١٩	٢٨٨ ، ٢٩٢ - ٢٩٦ ، ٧٠٦ ، ٧١١
٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٣٥	٧١١ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ - ٧٢١
٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٥٠٨ ، ٥١٥ ، ٥٥١	٧٢١ ، ٧٢٤ ، ٧٢٩ - ٧٣٢
٥٥١ ، ٦٥٤ ، ٦٥٧ - ٦٥٨ ، ٦٧٤	٧٣٢ ، ٧٤٩ ، ٧٦٨ - ٧٧٠ ، ٧٧٥
٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٨٥ - ٧٣٧ ، ٧٤١	٧٧٥ ، ٧٨١ ، ٧٩١ ، ١٣٠
٧٤١ ، ٨٠٤ ، ٩٠٧ ، ١٨٠	١٣٠ ، ١٣٠ - ١٣٠ ، ١٣٠
العروبة : قومية (ج) ٢٤ ٥٨٧٠	١٣٠ ، ١٣٠ - ١٣٠ ، ١٣٠
(ج) ٢٩٩	١٣٠ ، ١٣٠ - ١٣٠ ، ١٣٠
العيلامية : لغة (ج) ١٨	١٣٠ ، ١٣٠ - ١٣٠ ، ١٣٠

- الفين -

١٠٦ (ج)	النسائي : النسب (ج) ٢٣٥ ، ٢٣٢ - ٢٢٣ ، ٢٦٩ ، ٤١٥
غسانية : موارد (ج) ٢٣٠	٢٢٣ ، ٢٦٩ ، ٤١٥
الفيلبي : نسبة (ج) ٦٦٠	٢١٤ (ج)
غنيه : لهجة (ج) ٢٢٠	٥٧٨ (ج)

- الفاء -

٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٢١	الفارسي : اصل - نص - لسان
(ج) ٧ ، ٦٦١	(ج) ١٧ ، ٢١٠ ، ٦١١ ، ٦٢٦
(ج) ٤٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥	(ج) ٢٦٥ ، ٦٠٤ ، ٦٤٧
٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥	(ج) ١٠١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٥
٢٣٥ ، ٤٦٠ ، ٤٧٧ ، ٤٩٦ ، ٥٠٣	٥٢٨ ، ٥٠٥
٥٠٣ ، ٥١٦ ، ٥٤٤ ، ٥٦٦ ، ٥٧٦	(ج) ١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٤٧٥
٥٧٦ ، ٥٩٢ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩ ، ٦١١	(ج) ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٣٨

٢٩٥ : ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦٠
 ٣٤١ - ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٧٦٠
 ٥٢٠ : ٥٥١ ، ٦١٦ ، ٦٢١٠
 ٦٣٣ ، ٦٤٥ ، ٦٩٥ - ٦٩٧
 ٦٩٩ : ٧٠٤ - ٧٠٦ ، ٧١٠
 ٧١٢ : ٧١٥ - ٧١٦ ، ٧١٨٠
 ٧٢٠ - ٧٢٤ : ٧٢٦ -

٧٢٧ - ٧٢٩

(ج١) ١١ ، ٣٣٢ - ٣٤٢ :
 ٥٦٨ : ٦٧٢ ، ٦٧٥ - ٧٤١٠
 ٨٠٧ - ٨١٧

فرثية : نسب (ج١) ٦١١

(ج٢) ١٥٧

الفرنسي : اصل (ج١) ١٢٦ .
 ١٢٨ : ١٣٤ ، ٢٥٧ ، حا
 ٣٩٤

الفرنسية : لغة (ج١) حا ١٢٥ :
 ٢٧٢

(ج٢) حا ٢٣٠

(ج٣) ٤٩٢

(ج٤) ٦١٠

(ج٨) ٧٠٦

(ج٩) ٥٠٨ ، ٦٣٦

فراربة : نسبة (ج٤) ٦١٩

فهلوي : نسب (ج٦) ٦٩٥

العهلوة : موارد (ج٤) ١٦٠

(ج٦) ٦٩٥

(ج١٧) ٥٠٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧

الفينيقي : قلم (ج١) ٢٣٣

(ج٢) ٧٨

(ج٨) ١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٩ .

٢٤٦

الفينيقية : لغة - كتابة

(ج١) ١٢٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٥

(ج٨) ١٢ ، ١٤٧ - ١٥٢ .

١٧٤ : ٢١٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧

٦٣٦

(ج٨) ٦١ ، ٧٩ ، ٢٧١ : ٢٨٥

٣٩٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٤١ ، ٣٩٥٠

٧٢٦ ، ٧١٦ ، ٧٠٥

(ج٩) ٣٧ ، ١٠١ ، ٦٧٢ : ٧٢٠

الفارسية : لغة - موارد

(ج١) ٣٢ - ٣٣ ، ١٤٤٠٨١ ، ٤١٢

٤٢٦ : ٤١٦ ، ٤٢٦

(ج٢) حا ٢٠٢ : ٢٨٩ ، حا

٣٠٢ : ٦٠٤ ، ٦١٩ ، ٦٣٤٠

٦٤٤

(ج٣) ١٠٢ : ٢٢٣ ، حا

٢٤٩ : ٢٠٢

(ج٤) ١٢٠ - ٢٢٨ ، ٣٩١ : ٤٨٦

٦٦٩ ، ٤٨٦

(ج٥) ٨ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٠٩٠

١١٢ : ١٢٠ ، ١٣٨٠ ، ٢٠١

٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٨٩ - ٢٩١

٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٨ - ٣٢٣

٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٤١٦ - ٤٢٩٠

٤٣١ ، ٤٤٢ : ٤٥٣ - ٥٣٤

(ج٦) ١٤٦ ، ٤٠١ : ٤٣٢ ، ٤٣٢

٦٥٦ ، ٦٦٣ - ٦٦٤ ، ٦٩٢ : ٧٢٤

٧٢٤ - ٦٩٣

(ج٧) ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ١٢١٠٨١

١٢٣ ، ١٢٦ ، ٢٥٩ - ٢٨٣

٢٨٣ ، ٣٢٥ ، ٤١٣ - ٥٥٨

٥٦٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦٠ - ٥٧١

٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠٠ - ٥٩٢

٥٩٢ ، ٦٠٤ - ٦١٠ ، ٦١٣٠

٦١٥ : ٦٢٥ ، ٦٢٨

(ج٨) ١١ ، ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٨٠

٦١ ، ١٠٨ - ١٠٩ : ١٣٣

٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٥٣ - ٢٦٥

٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ - ٢٨٧

- القاف -

١٧٢ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢٩١ ،	القبطي : اصل (ج) ٣٥٧
٢٩٩ ، ٣٠١ - ٣٠٢ ، ٣٠٨ ،	القبطية : لفظة - نسبة - لفظة
(ج) ٢٣١ - ٢٣٢ ، ٤٩٠ ،	(ج) ٥٧ ، ٦٠٣
(ج) ٢١٢ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ ،	(ج) ١٣٣ ، ٢٥٣ ، حا
٦٨٦	٢٨٤ ، ٥٥٤ ، ٦٩٦
قحطاني : اصل - نسب (ج) ١	(ج) ٧٤١
٢٨٥ ، ٣٩٧ ، ٤٧٦ - ٤٧٧ ،	قنباني : نص (ج) ١٣٠
٤٧٩ ، ٤٨٦ - ٤٨٧ ، ٤٩٤ ،	(ج) ٥٩٠
٥٠١ ، ٥٠٥ - ٥٠٦ ، ٥١٧ ،	(ج) ٤٧٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤
(ج) ٣٢١ ، ٥٣٨ ،	(ج) ١٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٣
(ج) ٤٤٢ ، ٥٩٩ ،	(ج) ٧٤
(ج) ٦٧٣	القنبانية : كتابة - لفظة (ج) ١٤٧ ،
(ج) ٧٩ ، ١١٣ ، ٤٥١	١٣٧ ، ١٧
قحطانية : موارد - رواية - ثمانية	(ج) ١٠٤ ، ١٧١ ، ١٧٤ -
- عصبية - لفظة (ج) ٣٦٢ ،	١٧٦ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، ١٨٢ ،
٤٦٩	١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ - ١٨٩ ،
(ج) ٢٧٥ ، ٣٢٠ - ٣٢٢ ،	٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
٣٢٨ - ٣٢٩ ،	٢١٢ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،
(ج) ٧١٥	٢٣٢ ، ٢٦٦ ، ٤٩٨ - ٥١٤ ،
(ج) ٦٠ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ ،	(ج) ٢٧٦ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ -
٦٢٩ ، ٦٤١ ، ٦٥٢ - ٦٥٣ ،	٥٥٤ ، ٥٦٥
٦٥٦	(ج) ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ،
(ج) ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ،	٢٤١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ،
٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٥٢ ،	٣١١ ، ٤٩٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ،
القرآني : نص (ج) ٥٤٨	(ج) ١١ ، ١٦٨ - ١٦٩ ،

قرشية : (ج) ٣٦٩	(ج) ٧٤
(ج) ١٧	القرآنية : موارد - لهجة
(ج) ٣٦٥ - ٣٦٤	(ج) ٥٧٥
(ج) ٢٩٠	(ج) ٦٢٣ ، ٦٧٧ - ٦٨٠
(ج) ٦٣٦ ، ٦٣٣ ، ٦١٦	(ج) ١٧ ، ٥٩ ، ٤٣٦ ، ٧٥٧
(ج) ٦٦٥ ، ٦٤٩ ، ٦٤٦ ، ٦٣٧	قرشي : نسب (ج) ١٩ ، ٢٤ -
(ج) ٣٨٢ ، ٣٤٣	(ج) ٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٩ ، ٣٦٩
القسامة : مذهب (ج) ١٠٨	(ج) ٦١٧
القسبي : نسب (ج) ٦٠٣ ، ٦٢٦	(ج) ٢٩٠ ، ٢٢٣
القضاعي : نسب (ج) ٤١	(ج) ٦٥٨ ، ٦٤٦ ، ٥٦٤
قيسي : نسب (ج) ٣٢٤	(ج) ٢٨١ ، ٦١٩ ، ٧١٢ ،
القيسية : نسبة (ج) ٥٠٦	

- الكاف -

كلداية : لغة - لهجة (ج) ٠٢٩٤	كاثوليكي : نسب (ج) ٣٩٦
٥٦٨	الكاثوليكية : مذهب (ج) ١٨
(ج) ٦٩٥	٤١١ ، ٤٣٦ ، ٤٦٢ ، ٦٤٢
الكناني : نسب (ج) ٥٠٩	الكلاسيكية : مؤلفات - موارد
(ج) ١٩	(ج) ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٩٩
كندي : نسب (ج) ٢٣٩	٣٢٤ ، ٢٩٨ ، ٢٤٩ ، ٣٧٩
(ج) ١٩٧	٥٦٤ ، ٤٣٩ ، ٤٢٣ ، ٣٧٩
كندية : بيئة (ج) ٨٢٣	الكلبي : نسبة (ج) ٧٧٩
الكنعاني : خط (ج) ١٤٧ ، ٢١٤	كلبية : نسبة (ج) ٢٢٦ ، ٢٤٠ ، ٤٢٩
٢٣٠	(ج) ٢٨٢
الكنعانية : كتابة - لغة (ج) ٢٢٢	كلداني : نسبة (ج) ٦٩٥
- ٢٢٣ ، ٢٢٥	
(ج) ٢١٤ ، ١٤٩ ، ١٤٧	

٢٠٨ (٧ج)
 (٨ج) ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
 ١٧١ - ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٣١١
 ٥٧٧
 (٩ج) ٣٢ ، ٢١٤ ، ٤٢٥
 الكوفية : كتابة (٨ج) ١٧٤

٥٣٣
 كوشي : نسب (٦ج) ٥٣٨
 كوشية : نسبة (٦ج) ٥٣٨
 (٨ج) ٢١٣
 الكوفي : خط (٣ج) ٧
 (٤ج) ١٤٣

- اللام -

١٨٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣
 - ٢٤٥ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ ،
 ٢٨٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٦
 ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٥٢٣ ، ٥٣٢
 ٥٤٥ ، ٦٤٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٤
 - ٧٠٧ ، ٧٢٢ ، ٧٢٤
 (٩ج) ١٣ ، ١٣٣
 اللاوية : نصوص (٦ج) ٥٥١
 لبنه : لبنا - كتابة (٢ج) ١٥٩
 اللحياني : خط - نص - نسب -
 (١٢ج) ٢٥٥
 (١٣ج) ٧٥ ، ١٤٤
 (٨ج) ١٥٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ،
 ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٣٥ - ٢٣٦
 ٢٤١
 اللحياني : كتابة - لفه (١ج) ٣٣
 ٤٦ - ٥٢ ، ١٦٩ ، ٢٧٢ ،
 حا ٣٢٩
 (٢ج) ١١٩ ، ٢٤٤ - ٢٤٦ ،
 ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦

لايني : اصل - نسب (٦ج) ٥ ،
 ٤٦ ، ٦٣٩
 (٧ج) ٥٠٣ ، ٥٤٤ ، ٦٣١
 (٨ج) ٢٤٤ ، ٤٢٧ ، ٧٢٠
 ٧٢٣ - ٧٢٥
 اللانينية : مؤلفات - لفه (١ج) ١٤
 ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٥
 ٨١ ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ٢٩٥ ،
 ٤٤٣ ، ٤٤٥
 (٢ج) ٢٨ ، ١٨٠ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٦٠٩ ، ٦٢٤
 ٦٤١
 (٥ج) ٥١ ، ١٨٩
 (٦ج) ١١ ، ٢١ ، ١٧٣ ،
 ٣١٠ ، ٤٠١ ، ٤١٠ ، ٦٢٥
 ٦٢٩ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٧٨٤
 (٧ج) ٤٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٥٠٣ ، ٥٨٦
 ٦١٣ ، ٦٣٠
 (٨ج) ٣٥ ، ٦٣ ، ١٠٥ ،

٢٩ - ٢٨ ، ٢٠ ، ١٧ (٨ج)	٥٥٥ (٤ج)
٣٥ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ١١٣ ،	(٥ج) ٥١ ، ١٠٢ ، ١٤٧ ،
١٤٢ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥	١٦٧ - ١٦٨ ، ١٩٢ ، ٢٣٣
٢٣٠ - ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨	٢٥٠ ، ٤٧٥ ، ٥٧٢
٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦	٥٩٢ ، ٥٨٢ ، ٥٩٤
٤٥٣ ، ٥١٠ ، ٥٣٤ ، ٥٤٠	٦١٩
٥٧٩ ، ٦٤٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٩	(٦ج) ١١ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ١١٧
(٩ج) ١٣ ، ٥٩	١٩٩ ، ٢١٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩
اللياني : خط (٨ج) ٢٤٠	٣١٢ - ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٧
الليانية : نصوص (٦ج) ١٩٢	٤٢٦ ، ٧٨٤

- الميم -

٧٢٦	المجوسية : دين (٢ج) ٦٤٨
المزدكية : مذهب (٣ج) ٣٣٧ ، ٣٣٤	(٤ج) ١٨٤ ، ٥٢٨
٢٤٢ - ٢٤١	(٥ج) ٥٤٤
(٤ج) ١٦٠ - ١٦١	(٦ج) ٦ ، ١٠ ، ٣٤ ، ١٤٦
(٦ج) ٦٩٣	٣٩٩ ، ٥٤٢ ، ٥٩٥ ، ٦٩١
المسمارية : كتابة (ج) ١) ٦٤٣ ، ٦٢٥	- ٦٩٥
٦٥٦	(٧ج) ٤٧٦
(٦ج) ٧٨٤ ، ٧٤٤	(٨ج) ٢٧٠ ، ٦٥١ ، ٧١٥ -
(٨ج) ١٤٧ - ١٤٩ ، ٥٣٥	٧١٦
المسند : كتابة (٨ج) ١٤٢ - ١٤٣	مخرومي : نسب (٤ج) ٣٣٩
١٥٣ - ١٥٤ ، ١٥٦ - ١٥٨	مدلجي : نسب (٦ج) ٧٧٤
١٦٣ - ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٨	المدني : خط (٨ج) ٣١١
- ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ،	مرية : نسبة (٤ج) ٦١٩
١٩٤ ، ٢٠٢ - ٢٠٦ ،	مريضان : نص (٢ج) ٥٤٩
٢٠٨ - ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢٢١	المذهبات : قصائد (٩ج) ٧٢٤ ،

معلقة ليد : قصيدة (ج) ٢٧٨
 المعيني : نص - نسب (ج) ١٠٣
 (ج) ١١٨ ، ٣٢٣ ، ٤٠٤
 (ج) ١٨٢ ، ٢٨٠ ، ٥٠٧
 (ج) ٣٢١
 (ج) ١٦٥
 المعينية : كتابة - لفة (ج) ٣٣ ،
 ٩٧ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٦٩
 ٢٢٥
 (ج) ٢١ ، ٥١ ، ١٢٤ ،
 ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٥
 ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٣٢٣ ، ٥٠٧
 ٥٠٨
 (ج) ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٧٦
 (ج) ٢٢ ، ٢٧٩ ، ٣١٤ ،
 ٤٥٤ ، ٤٦٢ ، ٥٢٢ ، ٥٦٩
 ٦١٩ - ٦٢٠
 (ج) ١١ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ،
 ٢١٢ - ٢١٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
 ٣٠١ - ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٢
 ٣٣٢ ، ٤٢٦
 (ج) ٥١١
 (ج) ١٤ - ١٥ ، ١٩ ، ٣٦
 ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٧
 ٢٣٠ ، ٤٤٤ ، ٦٨٦
 الفضلية : قصيدة (ج) ٤٧٢
 ٤٧٨ ، ٤٩٧
 القدوني : نسب (ج) ١١
 (ج) ٢٨
 مكرب : نسب (ج) ١٦٨ ، ١٧٧
 - ١٧٩ ، ١٨٧ - ١٩١ ،
 ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣
 - ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ - ٢٨٣
 مكربي : مقربي نسب (ج) ٥٨٩
 الكي : خط (ج) ٢١١
 الملكية : مؤلفات (ج) ١٦٥

٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٦ ، ٢٣٨
 - ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،
 ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٨
 ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٤٩
 ٥٩١ ، ٦٣٩
 المسيحية : ديانة (ج) ٦٣٧
 المشق : قلم (ج) ١٥٥ - ١٥٧ ،
 ١٧٣ ، ٢٨١ ، ٣١٠ - ٣١١
 مصري : نسب - نطق (ج) ٥٥٧
 ٥٨٤ - ٥٨٥ ، ٦٢٧
 (ج) ٣٦ ، ١٢٨
 (ج) ٥٤ ، ١١٢ ، ١١٥
 (ج) ٢٦٤ ، ٢٦٧
 (ج) ٥١ ، ٨٠
 المصرية : اساطير - لهجة - لفة
 (ج) ١٨٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ،
 ٣٢٩ ، ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٥٥٢
 (ج) ١٨٠ ، ٢٢٥ -
 ٢٢٦ ، ٢٣٠
 (ج) ١٠٧ ، ١١٢ - ١١٣
 (ج) ١٨٠
 (ج) ٤٨٧ ، ٥٥٢ ، ٥٨٦ ،
 ٦٣٤
 (ج) ١٢ ، ٦٦ ، ١٩١ ،
 ٥٦٩
 (ج) ٢٩
 المصري : لسان (ج) ٤٢٠
 (ج) ٣٣١
 (ج) ٣٢٠ ، ٣٧٥
 (ج) ٦٣٣
 مصرية : لهجة (ج) ٦٧١ ، ٦٨٩
 معدي : نسب (ج) ٢٨٦
 (ج) ٨٠٦
 معدية : مصطلح (ج) ٣٨٥
 المعلقة السبع : قصائد
 (ج) ٦٣٢

المنصفة : قصيدة (ج) ٥٠٤	١٨٥
المنفولي : جنس (ج) ٢٣٩	٧٢٥ (ج)
المنوفيزيتي : مذهب (ج) ٥٩٢	٥٩٣ (ج)
المنوفيزيتية : مذهب (ج) ١٦٧	الموايية : لغة (ج) ٢٢٥
المهرية : لغة - لهجة (ج) ١٧٣ ،	

— النون —

النازية : نزعة (ج) ٢٥٧	٦٢٤ ، ٦٢٠
نبطي : نسب - قلم (ج) ٦٢٤	(ج) ٦ - ٨ ، ١٤ ، ١٦ ،
(ج) ٣ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ٤٥ ،	١٨ ، ٢٣ ، ٤٩ ، ٥١ - ٥٢
٤٧ ، ٥٤ ، ٩١ ، ١٨٣ ،	٥٤ ، ٥٧ ، ٨٩ ، ١٦٦ ،
(ج) ٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ،	(ج) ٤ ، ٥٧ ، ١٤٣ ، ٥١١
(ج) ٥ ، ٥٤	(ج) ٥ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ،
(ج) ٦ ، ٣٢٤ ، ٤٣٤ ، ٥٩٩	١٩٢ - ١٩٣ ، ٢٥١ ، ٢٩٢ ،
(ج) ٧ ، ٤٩٣ ، ٥٤٤ ، ٦٠٨	(ج) ٦ ، ٥٥ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،
(ج) ٨ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧١ -	٢٥٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ،
١٧٢ ، ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٧٨ ،	٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ،
- ١٨١ ، ١٩٣ - ١٩٤ ،	٣٢٨ ، ٤٠١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،
٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ ،	٥١٣ ، ٥٢٧ ،
٦٤٧ ، ٧٠٥	(ج) ٧ ، ٤٣ ، ٢٤٢ ، ٤٩٣ -
(ج) ٩ ، ١٣٩ ، ٢٠١	٤٩٤ ، : ح ٦٠٨
النبطية : نصوص - كتابة - لغة	(ج) ٨ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ،
(ج) ١ ، ٨٩ ، ١٣٣ ، ٢٢٢ ،	١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،
٢٠٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ، ٦١٢ ،	٢٨٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٠١ ،
٦٤٧	- ٢٨٤ ، ٥١٠ ، ٥٤٠ ،
(ج) ٢ ، ٩ ، ٦٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦	٥٤٩ ، ٦١٦ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ،

٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٥.١
 ٥١. - ٥١١
 (٤ج) ١٢١ ، ١٦٨ ، ٤٣٧
 (٦ج) ٢٤ ، ٢٥٦ ، ٤٦٣ ،
 ٤٦٧ ، ٤٧٢ ، ٤٩٢ - ٤٩٣
 ٥.٣ ، ٥٦٥ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٥ - ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢
 ٦.٠ ، ٦.٣ ، ٦٢٤ ، ٦٤٢
 ٦٥. ، ٦٦٥ ، ٦٦٩ ، ٦٧١
 ٦٩. ، ٧٣١ - ٧٣٢
 (٨ج) ٣٩ ، ١١١ ، ٢.٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٧٣ ، ٣.١ ، ٣٢٦
 ٧٢٧ ، ٧٨٣ ، ٧٨٨
 (٩ج) ١١٧ - ١١٨ ، ٢٦٨ ،
 ٤.٢ ، ٤٧٣ ، ٥٤٣ ، ٥٧. ،
 ٥٧٦ ، ٥٨٠ - ٥٨١ ، ٥٩. ،
 ٦٧. ، ٦٧٤ ، ٦٧٧ ، ٦٨٣
 ٦٨٥ ، ٧.٢ ، ٧٩٢ ، ٧٩٤
 ٧٩٥ ، ٨.٧ ، ٨١١ - ٨١٢
 ٨٢٩ ، ٨٨٠ ، ٨٩٦
 النصرانية : دين (١ج) ٣٧ - ٣٨ ،
 ٦١ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٥ ، ٨٩
 ١٢. - ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٦
 ٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥
 ٣٢٨ ، ٥٧٨
 (٢ج) ٢٥ ، ٦٣ ، ٤٢١ ،
 ٥٢٦ ، ٥٦٧ - ٥٦٨ ، ٥٨٢
 ٥٩٤ ، ٦٢٨ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨
 (٣ج) ٦٨ ، ٧٢ ، ١.٢ ،
 ١١٢ ، ١٣. ، ١٤. ، ١٦٥
 ١٧١ - ١٧٢ ، ٢.٤ ، ٢٨٤
 ٣.٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٢ ،
 - ٣٩٧ ، ٤٣. ، ٤٣٩ ،
 ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨
 ٤٦١ - ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩
 ٤٧. ، ٤٧٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٤

٦٤٦ ، ٦٧٩ - ٦٨٠ ، ٦٨٢
 ٦٩٦ - ٦٩٧ ، ٧.٦
 (٩ج) ١٣ ، ٥٩ ، ٦٧٥
 النجاشي : نسبة (ج) ١٧١ ، ٣٨٧
 ٤٨١
 (٢ج) ٣٦٧ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ،
 ٥.١ ، ٦٥٧
 (٣ج) ٢٢ ، ٤٥٨ - ٤٥٩
 (٦ج) ٣٦٨
 نجدى : نسب (ج) ٨٠
 نجدية : الفاظ (ج) ٦٦٤
 (٨ج) ٦٢٧
 (٩ج) ١١٧ ، ٤.٢ ، ٦٧٤ ،
 ٨.٧
 نزارى : نسبة (ج) ٥.٦٠
 (٤ج) ٣٢٤
 (٩ج) ٤٥١
 النزارية : لهجة - لغة (ج) ٣٥٦
 ٤٨٥ ، ٥.٠ ، ٥.٦
 (٩ج) ٤٥١ - ٤٥٢
 النسخ : خط (ج) ١٧٢
 النسناس : اسطورة (ج) ٣٤٢
 نسطوري : نسبة - مذهب
 (٣ج) ١٧٤ ، ٢٨٥
 (٦ج) ٦٢٦
 (٨ج) ١٩٠
 النسطورية : كتابة - مذهب
 (٣ج) ١٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٨٤
 (٦ج) ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٥ ،
 ٦٢٧ - ٦٣٠
 النصرانى : نسب - شعر
 (١ج) ١٢٢ ، ٤١٢ ، ٤١٥
 (٢ج) ٥٨٥ ، ٦٢١
 (٣ج) ١٢ ، ٧٣ ، ١٦٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨
 ٣٩٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢

٢٨٠ ، ٢٤٤ ، ٨١ (٧ج)

٦٠٤ ، ٤٧٦ — ٤٧٥ ، ٢٨٦

١١٥ ، ١١٠ ، ٤٠ (٨ج)

— ١٧٨ ، ١٧٢ ، ١٥٦ ، ١٥٣

٢٤٩ ، ٢١٣ ، ١٩٦ ، ١٧٩

٢٩٩ — ٢٩٧ ، ٢٩٣ ، ٢٨٣

٣٧٦ ، ٣٦٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٢

٥٢٤ ، ٤٧٥ ، ٤١٢ ، ٣٨٥

٧٠٤ — ٧٠٢ ، ٦٩٩ ، ٦٨٧

٧٢٨ — ٧٢٧ ، ٧١٥ ، ٧١٣

٧٨٣ ، ٧٦٢

٧٧٠ ، ٥٠ — ٤٩ ، ٤٧ (٩ج)

— ٤٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢١٤ ، ٩٣

٥٩٤ ، ٥٤٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨

٧٢٨ ، ٧٠٣ ، ٦٧٤ ، ٦٥٩

٨٠٩ — ٨٠٧ ، ٧٩٦ — ٧٩٢

٨٢٢ ، ٨١٧ ، ٨١١

نقش حران : نقش — كتابة

(٨ج) ١٧٧

النمارة : نص (١ج) ٨٩ ، ٢٩٦

— ٥٤٨ ، ٥٠٧ ، ٤٤٢ (٢ج)

٥٤٩

— ١٨٩ ، ١٧٣ — ١٧٢ (٣ج)

٥٣٥ ، ١٩٣ ، ١٩٠

٥٣٨ ، ٤٧٦ ، ١٧٦ (٤ج)

٥٣٩

١٩٢ ، ١٦٦ ، ١٤٨ (٥ج)

٢٠٧

١٧٦ — ١٧٥ ، ١٦٩ (٨ج)

٤٣٧ ، ٢٤٨ ، ١٨١ ، ١٧٩

٥٢٠ — ٥١٨ ، ٥١٠ ، ٤٥٤

٦٤٧ — ٦٤٦ ، ٦٤٤ ، ٥٤٠

٦٨٠

نمساوي : نسب (١ج) ١٢٩ ، ٢٢٣

٥٢٨ ، ٥١٨ — ٥١٧ ، ٥٠٦

٥٣٨ ، ٥٣٣

١٧١ ، ١٦٥ ، ١٢٠ (٤ج)

٢٠٣ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٧٥

٢٣٢ ، ٢١٤ — ٢١٣ ، ٢٠٩

٢٤١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤

٢٦٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٣

٤٧٤ ، ٤٦٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٠

٦٢٨ ، ٥٢٨ ، ٤٩١ ، ٤٨٩

١٠٦ ، ١٠٣ — ١٠١ (٥ج)

٢٠٥ ، ١٨٣ ، ١٨٠ ، ١١٩

٥٤٢ ، ٣٢٩ ، ٢٩٧

١٨ ، ١٤ ، ١١ ، ٦ (٦ج)

٤٤٠ — ٣٩ ، ٣٧ — ٣٦ ، ٣٤

١٣٢ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ٦٦

٢١٩ — ٢١٨ ، ١٥٤ ، ١٣٥

٤٠٢ ، ٣٧٣ — ٣٧٢ ، ٢٩٧

٤٥٨ — ٤٥٣ ، ٤٥٠ ، ٤١٧

٤٧١ — ٤٦٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٠

٥٠١ ، ٤٩٦ — ٤٩٥ ، ٤٩٢

٥٤٩ ، ٥٤٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠٤

٥٨٢ ، ٥٧٣ — ٥٧٢ ، ٥٥١

٥٩٣ — ٥٨٥ ، ٥٨٣ —

٦٠٣ ، ٦٠١ — ٥٩٩ ، ٥٩٥

٦١٧ — ٦٠٧ ، ٦٠٥ —

٦٢٦ — ٦٢٣ ، ٦٢١ — ٦١٩

٦٣٤ ، ٦٣٢ ، ٦٣٠ — ٦٢٨

٦٣٩ — ٦٣٨ ، ٦٣٥ —

٦٥٣ ، ٦٥٠ ، ٦٤٧ ، ٦٤٥

— ٦٥٩ ، ٦٥٦ ، ٦٥٤ —

٦٦٦ — ٦٦٤ ، ٦٦٢ ، ٦٦٠

٦٧٧ — ٦٧٦ ، ٦٧٣ — ٦٦٩

٦٩٠ — ٦٨٦ ، ٦٨٣ — ٦٨٢

٧٣٨ ، ٧٣١ ، ٧١٥ ، ٦٩٤

— الهاء —

- هاشمي : نسب (ج) ٣٣٩ ، ٣٦٩
 الهاشميات : قصائد (ج) ٥١٠
 هاشمية : نسبة — أبيات (ج) ٣٦٩
 (ج) ٦٢٥ — ٦٢٤
 (ج) ٦٩٩
 الهررية : لهجة (ج) ٥٣٦
 الهرقلية : نسبة (ج) ٤٩٦
 هرم : نص (ج) ٤٥١
 الهلالية : كتابة (ج) ١٨
 همدانية : كتابة (ج) ١١٤ ، ٣٢٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦
 الهندو أوروبية : لفات (ج) ٥٢٦
 الهندو جرمانية : لفات (ج) ٥٢٦ ، ٥٣٣
 الهندواني : نسب (ج) ٢٤٧
 الهندي : نسب (ج) ٦٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ،
 ٦١٣
 (ج) ٧٨ ، ٨٠ ، ٣٩٤
 هندية : ديانة (ج) ٤٣٠
 (ج) ٢٢
 (ج) ١٠ ، ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٨٠
 (ج) ٢٥٦
 (ج) ٢٨٤ ، ٦٩٦ ، ٧٠٥
 الهولندي : نسب (ج) ١٣٠
 الهروغليفية : كتابة (ج) ٧٨٤
 (ج) ١٤٦ — ١٤٩ ، ١٥١
 الهيليني : طابع (ج) ١٨ ، ٨٣
 (ج) ١١ ، ٦٨ ، ٨١ — ٨٢ ، ٨٥ — ٨٦
 الهيلينية — الهيلينية : ثقافة (ج) ٣١
 (ج) ٤٥ ، ٨٣

- الواو -

٢٩٧ ، ٤١٧ ، ٤٣١ ، ٥٢٥	الوثنية : دين (ج) ١٢١ ، ١٣٦
٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٩٦ ، ٦٠٩	٢٨٥ ، ٣٥٠
٦٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٥٢ ، ٦٦٥	٦٤٨ (٢ج)
٦٨٢ ، ٦٨٧ - ٦٨٨	(٣ج) ١٠٨ ، ٤٧٨ ، ٥٢٨
١٥٧ (٧ج)	٥٣١
(٨ج) ٩٠ ، ١١٥ ، ١٤٢	(٤ج) ٢٦٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣
٦٢٦	٦٥٦
الوهابية : حركة (ج) ١٣٢	(٦ج) ١١ - ١٥ ، ١٨ ، ٢٨٦
	٣٦ ، ٤١ ، ٥٧ ، ١٨٦٠٦٢

- الياء -

٢٢٠ حا	النيمة : قصيدة (ج) ١٥٩ ،
(ج) ٥٩٢ ، ٦٢٥ ، ٦٣٣	٨٨٢
الفارسية : نصوص (ج) ١٤٨ -	بطورية : اسماء (ج) ٦٢٤
١٤٩	اليقوي : مذهب (ج) ٦٢٦ ،
اليمني : طابع - نسب (ج) ٨٧ ،	٦٣٢ - ٦٣٣ ، ٦٩٥
٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٨٤ ، ٤٧٦ ،	اليقوية : مذهب (ج) ١٦٥ ،

٢٧ (٢ج) ، ٢٨ ، ١٧٥ ،

٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٤٧٨

٢٣٠ ، ٢٣١ (٦ج) ، ٢٧

٤٦٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٩

٥٧٤ ، ٥٧٥ — ٥٧٧ ،

٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٦١١ ،

٦٤٢ ، ٧٥٧ ، ٨١٩

٤٢٣ (٧ج) ، ٥٠٨ ، ٥١٤

١٠٥ (٨ج) ، ١٦٠ ، ٣٦٤

٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٦٦٩ ، ٧٦٩

٢٧٣ (٩ج) ، ٤٦٧ ، ٥٥٦

٦٧٣ ، ٧٣٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٠

٧٧٢ ، ٧٨٩ — ٧٩٠

اليهودية : دين (١ج) ٣٢ ، ٥٤ ،

١٢٠ — ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٦٦

٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠

٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٤١١

٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ٦٠٤ ، ٦٥٥

٦٥٦ ، ٦٥٩ — ٦٦١

(٢ج) ٤٠ ، ٢٥٠ ، ٥٢٦ ،

٥٦٩ ، ٥٨٢ ، ٦٤١ ، ٦٤٨

(٣ج) ٣١ ، ٣٨ ، ٧١ ، ١٠٩

١١٢ ، ١٧٧ ، ٤٦٠ —

٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٥٢٨ ، ٥٣٦

(٤ج) ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٤٨ ،

٣٠٣ ، ٣٧٠

(٥ج) ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٨٣ ،

٢٠٥ ، ٤٣٢ ، ٤٨٦ ، ٥٢٣

٥٤٤

(٦ج) ٦ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ،

٣١ ، ٣٤ — ٣٨ ، ٤٠ ، ١٣٢

١٤٥ ، ١٥٣ ، ٢١٩ ، ٢٦٣

٣٠٦ — ٣٠٧ ، ٣٧٢ ، ٤٥٠

٤٥٣ — ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٣

٤٦٩ ، ٤٩٥ ، ٥٠٨ — ٥٠٩

٥١١ — ٥١٦ ، ٥٢٤ — ٥٢٥

٤٨٢ ، ٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ،

٦٣٣

(٢ج) ٥٦٣ ، ٥٩٥

(٣ج) ٥٠١

(٤ج) ١٢ ، ٢٨٠ ، ٣٢٤ ،

(٥ج) ٣٢٨

(٦ج) ٥٩ ، ٨١٨

(٧ج) ٧٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ ،

٦٢٦

(٨ج) ٧ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٦٢

(٩ج) ٧٤

اليمانية : كتابة — لهجة — لفظة

(١ج) ١٥ ، ٩٢ — ٩٤ ،

٩٨ ، ١٠٣ — ١٠٤ ،

١٢٧ ، ١٣٢ ، ٣٠٤ ، ٣٥٦

٣٦٤ ، ٣٩٠ ، ٤٨٣ ،

٤٨٥ — ٤٨٦

(٢ج) ٢٤٤ ، ٢٨٣ ، ٣٣٢

(٤ج) ١٥٦ ، ٥٠٨

(٥ج) ٩ ، ٢١ ، ٥٤ — ٥٥ ،

٣٩٩

(٦ج) ٣٧٥ ، ٤٤٥ ، ٧١٥

(٧ج) ٤٨ ، ٥١ ، ٥٥ ، ١٧١

٤٩٢ ، ٥١٧ ، ٥٢٤ ، ٥٣٩

٥٩٧ ، ٥٩٩ — ٦٠١

(٨ج) ٧ ، ٢٣ ، ٨٢ ، ٥٥٥

٥٩٣ ، ٦٤١ ، ٦٥٦ ، ٦٩٢

(٩ج) ٧٤ ، ٣٧٩ — ٣٨٠ ،

٣٨٢ ، ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، ٤٥١

اليمني : نسبة (٨ج) ٦٢٣

اليمنية : نسبة (٨ج) ٢٩٣ ، ٥٧٦

٦٥٨

يهودي : نص — نسب (١ج) ٨٤

٨٧ ، ١٢٨ ، ١٧٩ ، ٤١١

٤١٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ : ٦٠٤

٦٣٢ ، ٦٥٦ — ٦٥٩

٥١٣

١٩٩

اليونانية : لغة - موارد - مؤلفات

(١ج) ١٤ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٣

٥١ - ٥٢ ، ٥٥ - ٥٦ ، ٥٨

٦١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨١

٨٤ - ٨٥ ، ١٢٣ ، ١٣٥

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٨٠

١٩٣ ، ٢٩٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥

٤٤٧ ، ٥٩٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٧

٦٥١ ، ٦٢٧

(٢ج) ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ - ٣٣ ، ٥٦

٦٢ - ٦٤ ، ١١٣ ، ١٢٤

٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩

٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٣ج) ٦ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٤٠

٤٥ - ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧

٥٨ - ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣

٦٤ - ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

٦٩ - ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

٧٤ - ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

٧٩ - ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

٨٤ - ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨

٨٩ - ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣

٩٤ - ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨

٩٩ - ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨

١٠٩ - ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

١١٤ - ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨

١١٩ - ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣

١٢٤ - ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

١٢٩ - ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣

١٣٤ - ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨

١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣

١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨

١٤٩ - ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

١٥٤ - ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨

١٥٩ - ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣

١٦٤ - ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨

١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣

١٧٤ - ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨

١٧٩ - ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠

٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤

٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨

٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢

٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦

٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠

٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤

٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨

٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢

٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦

٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠

٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤

٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨

٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢

٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦

٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠

٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤

٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨

٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢

٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦

٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠

٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤

٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨

٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢

٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦

٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠

٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤

٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨

٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢

٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦

٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠

٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤

٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨

٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢

٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦

٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠

٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤

٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨

٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢

٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦

٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠

٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤

٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨

198 , 187 , 177 — 176
 , 206 , 203 , 199 —
 , 237 , 218 , 212 , 272
 , 272 , 202 , 228 , 22.
 , 282 , 227 , 212 , 277
 , 233 — 232 , 223 , 219
 , 299 , 297 , 222 , 220
 , 7.7 — 7.2 , 7.2 — 7.1
 , 72. , 718 , 710 , 711
 722 — 722
 — 27 , 23 , 12 , 7 (72)
 228 , 291 , 29

782 , 730 , 792 , 79.
 , 222 , 232 , 22 (72)
 , 277 — 270 , 272 , 208
 281 , 279 , 277 , 271
 277 , 272 , 222 , 282 —
 , 290 , 292 , 287 , 277 —
 272 , 202 , 2.2 , 298
 — 280 , 270 , 270 —
 , 212 , 7.7 , 292 , 287
 222 , 22. , 227
 7.27 , 22 , 12 — 11 (22)
 , 102 , 81 , 72 , 71 —

فهرس السور القرآنية

- الالف -

اسرائيل (ج) ٣٠٥	ابراهيم : (ج) ٣٢٢
الاعراف (ج) ٣٩ ، حا ٣٠٦ ،	(ج) ٤٤ ، حا ٧٢ ،
حا ٣٢٣ ، حا ٤٥٢	حا ٤٢٩
(ج) ٣٧١	(ج) ٢٨٧
(ج) ١٥ حا ١٧ ، حا ١٤٣ ،	(ج) ٣٥٧ ، حا ٦٠٤ ،
حا ٤٧٨ ، حا ٤٩٥	حا ٦٥٤ ، حا ٦٠٧
(ج) ٤٤ ، حا ٧٢ ،	(ج) ٢٨٥
حا ٨٣ ، حا ٣٦١ ، حا ٣٧١ ،	الاحزاب (ج) ٣٨ ، حا ٤٠
حا ٤٨٨ ، حا ٥٥٤ ، حا ٥٦٠	(ج) ٣٥٨
حا ٧١٠	(ج) ٤٧٩
(ج) ٢٤٤ ، حا ٦٢١	الاحقاف (ج) ٢٥ حا ١٥١ ،
(ج) ٩٤ ، حا ٣٧٢ ،	حا ٣٢٠
حا ٦١٥ ، حا ٦٠٨	(ج) ٥٤١ ، حا ٦٠٧
(ج) ٥١٧ ، حا ٧٥٣	الاسراء (ج) ٢٠٠ حا ٣٢٣ ،
الاعلى : (ج) ٢٦٦	حا ٤٥١
آل عمران (ج) ٣٨ حا ٢٠٠ ،	(ج) ٥٤٢ ، حا ٦٥٢
حا ٤٥١	(ج) ٩٥ ، حا ١٥٠ ،
(ج) ٦	حا ٥٠٠
(ج) ١١ حا ١١١ ،	(ج) ٣٩ ، حا ١٢٤ ،
(ج) ١٨٤ ، حا ٢٣٦ ، حا ٦٢٧	حا ١٣٦ ، حا ٥١٠ ، حا
(ج) ١٤٣ ، حا ١٩٠ ،	حا ٧٣٨
حا ٣٢٩ ، حا ٤٥١ ، حا	(ج) ٤٤٣ ، حا ٤٤٦ ،
حا ٤٥٦ ، حا ٥١٢ ، حا ٥٤٧ -	حا ٦٢١
حا ٥٥٢ - ٥٥٣ ،	(ج) ٦١٠ ، حا ٦٤١

٧٢ ، حا ١.٤ - ١.٥ ،	حا ٦١٨ ، حا ٦٥٦ ، حا
١٢. ، حا ١٢٤ ، حا ١٩٤ ،	٦٧٦
حا ٢.١ ، حا ٢٢١ ، حا	(ج٧) حا ٤٣١ ، حا ٤٣٩ ،
٢٦٥ ، حا ٤٥١ ، حا ٤٥٦ ،	حا ٤٩٧ ، حا ٦٣١
حا ٥١٢ ، حا ٧.٩	(ج٨) ٩٤ - ٩٥ ، حا ١٢٣ ،
(ج٧) حا ٧٥ ، حا ٤٤٣ ،	حا ٧٢٢
حا ٤٤٦ ، حا ٤٨٣ - ٤٨٤ ،	(ج٩) ٢٤٥ ، حا ٥١٧ ، حا ٥٥٤
حا ٦٢١	الانباء (ج١) حا ٢١٢
(ج٨) حا ١٢٣ ، حا ٢٦٢ ، حا	(ج٦) حا ٤٤ ، حا ٧٢ ،
٣٧٧ ، حا ٧٥٤	حا ٥٥٥
(ج٩) حا ٥١٧ ، حا ٦٥٤	(ج٧) حا ١٥٧
الانفال (ج١) حا ٢.٠	(ج٨) حا ٢٨٥
(ج٤) حا ٣٧١	(ج٩) حا ٢٤٤
(ج٥) حا ٤٧٩	الانعام (ج٤) حا ١٢ ، حا ٦٥٢
الانفطار (ج٩) حا ١٣٩	(ج٥) حا ٩٣ ، حا ٩٥ ،
الايلاف (ج٦) حا ٤٢٩	حا ٥٤٥
	(ج٦) حا ٥. - ٥١ ، حا

- الباء -

حا ٤٨٣ ، حا ٥٥٢ - ٥٥٤	البروج (ج١) حا ٦٦ ، حا ٣٢٣
حا ٥٧٧ ، حا ٦٢. ،	(ج٣) حا ٤٥٩ - ٤٦٠
حا ٦٢٢	(ج٨) حا ٢٦٤ ، حا ٤٢٧ -
(ج٦) حا ٢٥ ، حا ٤٤ ، حا	حا ٤٢٨ ، حا ٦٢٢
٩٨ ، حا ٢.١ ، حا ٢.٩ ،	البقرة (ج١) حا ٣٩ ، حا ٣١١
حا ٣٤٢ ، حا ٣٤٥ ، حا	(ج٤) حا ٥ ، حا ٥. ،
٣٥. ، حا ٣٧١ ، حا ٣٧٣ ،	حا ٢٩٦ ، حا ٣٧١ ، حا
حا ٣٨١ ، حا ٣٨٢ ،	حا ٣٨٤ ، حا ٦١.
حا ٣٨٤ ، حا ٣٩. ، حا ٣٩٣ ،	(ج٥) حا ١٤٢ ، حا ١٦٤ ،

حا ٤٣١ ، حا ٤٨٥	حا ٤٢٩ ، حا ٤٣١ ، حا
(ج٨) حا ٩١ ، حا ٩٤ -	٤٤٩ ، حا ٤٥١ ، حا ٤٥٦
٢٣٩ ، حا ١٤٠ ، حا ١٢٣	حا ٥٠٤ ، حا ٥٠٨ ، حا
حا ٤٨٤ ، حا ٥٤٨ ، حا	٥١٢ ، حا ٥٣٤ ، حا ٥٣٧
٦٠٦ ، حا ٦٠٩ ، حا ٦٤١	حا ٥٤٨ ، حا ٥٥٤ ، حا ٥٥٧
(ج٩) حا ٣٠ ، حا ٢٤٥ ، حا ٥١٧	حا ٥٦٠ ، حا ٧٠١ ، حا
٥٥٣ - حا ٥٥٤ ، حا ٨٨٣	٧٤١ ، حا ٧٥٦
البيئة (ج٦) ٤٥١	(ج٧) حا ٦٠ ، حا ٢٤٨ ،
(ج٨) حا ٢٦٦	حا ٤٠٠ ، حا ٤٠٤ ، حا
	٤٢٠ ، حا ٤٢١ ، حا ٤٢٩

- التاد -

(ج٦) حا ٢١٦ ، حا ٣٤٤ ،	تبت (ج٤) ١١٢
حا ٥٢٢ ، حا ٥٥١ - حا ٥٥٢ ،	(ج٧) حا ٤٣٣ ، حا ٤٣٩
حا ٦٤٣	تشنية (ج٥) حا ١٣٩ - حا ١٤٠ ،
(ج٧) حا ٤٣٩ ، حا ٤٧٦	حا ٥٥٩ ، حا ٥٦٢
(ج٨) حا ٣١٥ ، حا ٤٤٤ ،	التغابن (ج٦) ١٢٤
حا ٤٧٢ - حا ٤٧٣ ، حا ٤٨٨	(ج٧) ٤٣١
حا ٤٩١ ، حا ٤٩٥ ، حا	التكائر (ج٤) حا ٥٨٩
٥٠٣ ، حا ٥٤٨ ، حا ٦١٥	(ج٧) حا ٤٤٥
(ج٩) حا ١٨ ، حا ٤٥ ، حا	التوبة (ج١) حا ٢٤ ، حا ٢٨٠ -
حا ٧٤٦	٢٨١ ، حا ٣٢٢ ، حا ٤٥٢
التين (ج٥) حا ٤٩٥ ،	(ج٥) حا ٢٥١ ، حا ٣٠٥ ، حا
(ج٧) حا ٧٤ - حا ٧٥	٤٦٩

- الجيم -

الجانية (ج ٨) حا ٢٨١	حا ٤٦٧ - ٤٦٨ ، حا ٦٠٨
الجمعة (ج ٦) حا ٥١٢ ، حا ٥٥٣	الجن (ج ٦) حا ٧٢٠ ، حا ٧٤٦
(ج ٧) حا ٢٩٣ ، حا ٣٠٩	حا ٧٥٦ ، حا ٨٠٧
(ج ٨) ٩٤ - ٩٥ ، حا ١٠٣	

- الحاء -

الحاقة (ج ١) حا ٦٦ ، حا ٣٠٦ ،	حا ٥١٢ ، حا ٦٥١ ، حا ٦٥٣
حا ٣٢٠ ، حا ٣٢٢	حا ٦٩١ ، حا ٧٠١
(ج ٦) حا ٧٥٨	(ج ٨) حا ٤٣٧
(ج ٧) حا ٢٤٨ ، حا ٦٢٤	الحجر (ج ٣) حا ٥٦
(ج ٨) حا ٦١٠ ، حا ٧٤١	(ج ٥) حا ٤٧٩
(ج ٩) حا ١٣٨ ، حا ١٧٠ ،	(ج ٧) حا ٩١ ، حا ٣٤٨ ،
حا ١٧٣ ، حا ٢٤٤	حا ٤٤٣
الحج (ج ١) حا ٦٦ ، حا ٣٠٦ ،	(ج ٨) حا ٤٢٧ ، حا ٦٠٩ -
حا ٣٢٢ ، حا ٤٥٢ ، حا ٤٧٣	٦١٠
(ج ٥) حا ١٧ ، حا ٥٧٩	(ج ٩) حا ٥١٧
(ج ٦) حا ١٢٤ ، حا ٢١٠ ،	الحجرات (ج ١) حا ٢٤ ، حا ٢٨٠ ،
حا ٤٢٩ ، حا ٤٥١ ، حا	حا ٥١٠

الحديد (ج٤) حا ٥٩٢	(ج٤) حا ٢٩٥ ، حا ٣١٧
(ج٦) حا ٦٤٣	(ج٥) حا ١٨١ ، حا ١٨٥ ،
الحشر (ج١) حا ٢٠٠	حا ٦٤١ - ٦٤٢
(ج٨) حا ٣٥٧	(ج٨) حا ١٣٥
	(ج٩) حا ٨٨٣

- النال -

(ج٦) حا ١٢٥	الدخان (ج١) حا ٦٦
(ج٨) حا ٤٠٠	(ج٢) حا ٥١٣
الدهر (ج٧) حا ٢٣٩	(ج٥) حا ١٩٣

- النال -

الذاريات (ج١) حا ٣٢٣

- الرء -

الرحمن (ج) ٢٤٨ : حا ٤٤٦	(ج) ٨ حا ٥٤١ ، حا ٦٠٧ ،
(ج) ٨ حا ٥٨ ، حا ٧٦٤	حا ٦٤١
الرعد (ج) ٢٥ حا	الروم (ج) ٤ حا ١١٦ - ١١٧
(ج) ٤ حا ٣٧١	(ج) ٦ حا ٤٥١
(ج) ٦ حا ٤٠ ، حا ٨٧ ،	(ج) ٧ حا ٤٣٢
حا ١٢٤	(ج) ٩ حا ١٨

- الزاي -

الزخرف (ج) ٢٥ : حا	حا ٦٦٣
٢٧٨	(ج) ٩ حا ٦٥٤
(ج) ٤ حا ٤٩ - ٥٠ ، حا	الزمر (ج) ١ حا ٢٥
١٥٢ : ١٠٩	(ج) ٥ حا ٤٨٢
(ج) ٥ حا ١٠٤ : حا ١٢٠	(ج) ٦ حا ٦١ ، حا ١٠٤ ،
حا ١٦٥	حا ١٤٨ ، حا ١٨٢
(ج) ٦ حا ٧٣٨	(ج) ٧ حا ٤٤٣
(ج) ١٧ حا ٤٤٩	(ج) ٨ حا ٥٤١ : حا ٦٠٧
(ج) ١٨ حا ٥٤١ . حا ٦٠٧ ،	

— السين —

سبأ (ج ٢) حا ٢٥٨	حا ٧١٠ ، حا ٧٣٨
(ج ٢) حا ٣٩٠ ، حا ٤٩٣	(ج ٧) حا ٢٠١
(ج ٦) حا ٤٤ ، حا ١٢٥ ،	(ج ٩) حا ١٨

— الشين —

الشعراء (ج ١) حا ٦٦ ، حا ٣٢٣ ،	حا ٦٠٧ : حا ٦٢٥ ، حا
حا ٤٥١	٧٦٤
(ج ٤) حا ٣٠٨	ج ١٩ : حا ٦٣ ، حا ١٠٩ ، حا
(ج ٥) حا ٥٠٠	١٤٩ : حا ١٧٠ - حا ٢٤٤
(ج ٦) حا ٨٣ ، حا ٥٥٥	الشورى (ج ١) حا ٢٥
(ج ٧) حا ٩١ ، حا ٤٤٩ ،	(ج ٥) حا ٢٣٦ : حا ٤٨٢
حا ٦٢١	(ج ٧) حا ٢٤٨
(ج ٨) حا ١٣٦ ، حا ١٦٥ ، حا	(ج ٨) حا ٥٤١ : حا ٦٠٧ ،
٣١٤ ، حا ٥٤٠ ، حا ٥٤٤	حا ٦٤١

- الضاد -

الضافات (ج) ٦٥ ، ١٢٠ ،	(ج) ٨٠٠
١٢٤ ، ١٦٥ ، ١٢٠	(ج) ٢٤٤
٧٠٩ ، ٧٣٣ ، ٧٣٨	صالح (ج) ٨٣
(ج) ٦٣	الصف (ج) ٥٥٣ ، ٦٧٦

- الضاد -

الضحى (ج) ٤٤٦

- النطاء -

الطارق (ج ٦) حا ١٦٧ ، حا ٢٩٦	(ج ٩) حا ١٨ - حا ١٩ ، حا
طه (ج ١) حا ٢٥ ، حا ٤٥٢	٣٠
(ج ٥) حا ٢٨٧ ، حا ٤٨٢	الطور (ج ٦) حا ١٢٠ ، حا ١٦٥ ،
حا ٤٩٦	حا ٧٥٨
(ج ٧) حا ٢٤٤ ، حا ٢٤٦	(ج ٨) حا ٢٦٢ ، حا ٣١٤ ، حا
(ج ٨) حا ٥٤١ ، حا ٦٠٦ -	٧٤١
٦٠٧ ، حا ٧٦٥	(ج ٩) حا ٢٤٤

- العين -

العاديات (ج ٨) حا ٦١٨	(ج ٥) حا ١٤٢ ، حا ٢٢٤
عبس (ج ٨) حا ٦٢٢ ، حا ٦٦٥ ،	(ج ٦) حا ١٠٣ - حا ١٠٤
حا ٧٠٩	(ج ٧) حا ٢٤٧
(ج ٩) حا ٦٤	(ج ٨) حا ٩٢ ، حا ٩٦ ،
العلق (ج ٨) حا ٢٥٣	حا ١٤٢ : حا ٢٧٥ ، حا
العنكبوت (ج ١) حا ٣٢٢ - حا ٣٢٣	٣٢٤
حا ٤٥٢	

— الفين —

الفاشية (ج) ٢٢ غافر (ج) ٤٤٣

— الفاء —

٢٨٧ ، (ج) ١٧ ،	الفاتحة (ج) ٥١٨
(ج) ٨٧ ، ٦.٥	فاطر (ج) ٤٥١
(ج) ٣١٧ — ٣١٨ ،	(ج) ٤٧٩ ، ٥١٣
٢٨٥ ، (ج) ٥٩٧ — ٥٩٨	(ج) ٣١٤ ، ٥٤٨
فصلت (ج) ١٤ ، ٢٤ ،	الفتح (ج) ٢٤ ، ٤٠
٣.٦ ، (ج) ٣٢٢ — ٣٢٣	(ج) ٣٩٦
(ج) ٣.٨	(ج) ٢.٩ ، ٥٥٣
(ج) ٥١ ، ١٧٧ ،	الفجر (ج) ٢٩٩ — ٣.٠ ،
٣٢٨	٣.٢ ، ٣.٥ ، ٣٢٣
(ج) ٦.٧ ، ٦١.٠ ،	(ج) ٤٤٦
٦٩٩	(ج) ٥٨٧
الفلق (ج) ٧٤٣	الفرائض (ج) ٢٥٩
الفيل (ج) ٦٦	الفرقان (ج) ٣٩ ، ٣.٦ ،
(ج) ٥.٧ — ٥.٨ ،	٣٢٢
٥١٧	(ج) ١٢١

— القاف —

القصص (ج ١) حا ٤٥٢	قريش (ج ٤) حا ١١٣
(ج ٧) حا ٢٤٤	(ج ٥) حا ٨٠
القلم : (ج ٨) حا ٢٥٣ ، حا ٢٧٥	(ج ٦) حا ٣٩٥ ، حا ٦٦٦
القمر (ج ١) حا ٣٢٠ ، حا ٣٢٣ ، حا ٤٥١	(ج ٧) حا ٢٨٥ ، حا ٢٩٠
	(ج ٨) حا ٦٤٢

— الكاف —

حا ٤٧٩ ، حا ٤٨٢	الكهف (ج ١) حا ٥٠٣
(ج ٧) حا ٢٤٧ ، حا ٤٧٤	(ج ٣) حا ٧٢
(ج ٨) حا ٢٥٦	(ج ٤) حا ٦٥٠
	(ج ٥) حا ٢٤٠ ، حا ٣٠٥

- الامم -

لقمان (٤ج) حا ٢٩٥ ، حا ٥٩٢
(ج) ١٠٤
(٨ج) حا ٢٥٣ ، حا ٣١٩ ،
٢٤٤ ، حا ٢٨٥ ، حا ٦١٠

- اليم -

المائدة (١ج) حا ٤٠ ، حا ٢٧٨
(٤ج) حا ٣٦٨
(٥ج) حا ٦٢ ، حا ٢٩٤ ،
حا ٥٤٥ ، حا ٥٧٧ ، حا
٥٨٥
(٦ج) حا ٢٠٣ ، حا ٢٠٩ -
٢١٠ ، حا ٣٤٦ ، حا ٤٢٠ ،
حا ٤٢٩ ، حا ٥١٢ ، حا
٥٣٤ ، حا ٥٥١ - ٥٥٣ ،
حا ٥٨٦ ، حا ٦٤٠ ، حا
حا ٦٤٣ ، حا ٦٤٦ ، حا
٦٧٦ ، حا ٧٠١ ، حا ٧٧٨
الماعون (٥ج) حا ٧٩
المؤمنون (٥ج) حا ٣٠٥
(٦ج) حا ١٢٤ - ١٢٥
(٧ج) حا ٤٧٤
(٨ج) حا ٦١٠
المجادلة (٥ج) حا ٥٥٠ - ٥٥١
الذثر (٨ج) حا ٧٦٥
مريم (٦ج) حا ٣٣٩ - ٣٤٠

الملك (ج) ٧٤٣ حا
 (ج) ٨ حا ٦١٠
 المتحنة (ج) ٥ حا ١٣٤
 (ج) ٨ حا ٣٠٤
 المناقون (ج) ٧ حا ٤٤٣
 (ج) ٩ حا ١٩

٣٤٢ حا
 المزل (ج) ٧ حا ٤٣١
 المسد (ج) ٤ حا ١١٢
 المطفين (ج) ٧ حا ٢٢٩ ، حا ٢٣٨
 حا ٤٤٦ ، حا ٦٢١
 (ج) ٨ حا ٢٧٨

- النون -

(ج) ٩ حا ٣٤١
 النساء (ج) ٤ حا ٣٦٠ ، حا ٥٩٢
 حا ٦١٩
 (ج) ٥ حا ١٣٩ ، حا ١٤١ ،
 حا ٢٥٩ ، حا ٤٨٢ ، حا ٤٩٥
 حا ٥٠٠ ، حا ٥٣١ ، حا
 حا ٥٣٤ ، حا ٥٣٦ ، حا ٥٤٢ -
 حا ٥٤٣ ، حا ٥٤٥ ، حا ٥٤٧ -
 حا ٥٤٨ ، حا ٥٥٣ ، حا ٥٦٤
 حا ٥٦٦ ، حا ٦٣٧
 (ج) ٦ حا ٦٧ ، حا ٢١٧ ، حا
 حا ٤٥١ : حا ٤٥٦ ، حا ٥١٢ ، حا
 حا ٥٤٧ ، حا ٥٥٥ ، حا ٥٦٠ ، حا
 حا ٧٤٠ ، حا ٧٥٦ - حا ٧٥٧
 (ج) ٧ حا ٤٢٦ ، حا ٤٣١ ، حا
 حا ٤٦٨ ، حا ٦٣١
 (ج) ٨ حا ٥٤٨ ، حا ٧٦٣
 (ج) ٩ حا ١٨ - حا ١٩ ، حا
 حا ٥١٧ ، حا ٣٠
 النمل (ج) ١ حا ١٤ ، حا ٢٥ ، حا

النجم (ج) ١ حا ٣٠١ ، حا ٣٢٢ ،
 حا ٣٣٣ - حا ٣٣٤
 (ج) ٦ حا ٥٨ - حا ٥٩ ، حا
 حا ١٦٧ ، حا ٢٢٧ ، حا ٢٣٠ ،
 حا ٢٣٢
 (ج) ٨ حا ٤٣٠
 النحل (ج) ٤ حا ١٢١ ، حا ٣٠٨ ،
 حا ٥٤٤ ، حا ٦٥١
 (ج) ٥ حا ٤٦ ، حا ٩٢ ، حا
 حا ٩٧ ، حا ١٤٣ ، حا
 حا ٥٧٧ ، حا ٥٧٩
 (ج) ٦ حا ٤٤ ، حا ١٢٠ ، حا
 حا ١٢٤ ، حا ١٦٥ ، حا
 حا ٣٣٨ ، حا ٤٤٩ ، حا ٤٥١ ، حا
 حا ٥١٢ ، حا ٥٦٠ ، حا
 حا ٦٠٤
 (ج) ٨ حا ٣١٩ ، حا ٣٥٧ ، حا
 حا ٤٦٧ ، حا ٥٤٠ ، حا ٦٠٧ ، حا
 حا ٦٢٥ ، حا ٦٤٠ ، حا
 حا ٦٦٢ ، حا ٧٦٤ ، حا ٧٦٨

(ج) ١٣٥ - ١٣٦ ، حا
 ١٣٦ ، حا ٥١٣ ، حا ٥٢٤
 حا ٥٦١ . حا ٥٧١
 (ج) حا ٢٥ ، حا ١٧٠ ، حا
 ٢٨٤
 (ج) حا ٣٧٢ ، حا ٤٦٤ ، حا
 حا ٤٦٦
 (ج) حا ٦٣
 (ج) حا ٧٤٢

٢٠٠ ، حا ٢٠٢ ، حا ٣٢٣ ، حا ٤٥١
 (ج) حا ٢٥٨ ، حا ٢٦٤
 (ج) حا ١٢٤ ، حا ٤٨١ ، حا ٤٩٢
 (ج) ٣٠٥
 نوح (ج) حا ١١٥
 (ج) حا ٢٥٤ ، حا ٢٥٨ ، حا
 حا ٢٩٣ ، حا ٣١٥
 النور (ج) حا ١٢٣

- الهاء -

١٢٤ - ١٢٥
 (ج) حا ٤٤٣ ، حا ٤٤٩ .
 حا ٦٢١
 (ج) ٣٠٥

هود (ج) حا ٣٩ ، حا ٦٦ ، حا
 حا ٣٠٦ ، حا ٣١٠ ، حا
 ٢٢٣ ، حا ٤٥٢
 (ج) حا ٤٩٥
 (ج) حا ٢٥ ، حا ٨٣ ، حا

- الواو -

(ج) حا ٤٠٠

الواقعة (ج) حا ٢٨٧
 (ج) حا ١٦٨

- الیاء -

(ج۸) حا ۲۷۱ - ۲۷۲ ،	یس (ج۶) حا ۴۸۶
حا ۵۴۱ ، حا ۶۰۷ - ۶۱۰ ،	(ج۹) حا ۱۳۸ ، حا ۱۷۳ ،
حا ۶۴۰ ، حا ۶۹۸	حا ۲۴۴
(ج۹) ۴۱	یوسف (ج۱) حا ۲۵
یونس (ج۵) حا ۴۸۲ ، حا ۴۹۵	(ج۵) حا ۵۸۸
(ج۶) حا ۴۵۱ ، ۴۵۶	(ج۶) حا ۴۴ ، حا ۶۱
(ج۸) حا ۶۲۲	(ج۷) حا ۴۴۳ ، حا ۴۹۸ ،
(ج۹) ۵۱۸	حا ۶۲۱ ، حا ۶۲۳

فهرس الاصنام

- الالف -

- ابو ايلاف (ج) ٣١٨ ، ٢٢٤
(ج) ٣٢٢
ابولو (ج) ١١٨
ابيريلو (ج) ٥٩٢
(ج) ٦٣ ، ٢٩١
اترسمين : اترسمائين (ج) ٦٣
اناع : ائع (ج) ٣٢٢ ، ٢٣٥
اثر هف (ج) ٣٦
اثر (ج) ٢٩٩ ، ٢٣٣
الاجبل : هجيل (ج) ١٥٢
ادد (ج) ٣١٥
ادون (ج) ٢٩٩
ارقيمس (ج) ٣٢
ارطيمس (ج) ٧
ازيوس (ج) ١٧١ ، ٣١٠
اساف (ج) ٢٦٦ - ٢٦٨ : ٣٧٥ ،
٢٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٩٩ ، ٤٣٨
(ج) ٥٢١
الاسحم (ج) ٢٨٢
الاسد (ج) ٦٠ ، ٢٦١
اشر (ج) ١٣١
الاشهل : (ج) ٤٣٣
(ج) ٢٨٢ ، ٢٨٩
افروديت (ج) ٢٢٨
- (ج) ٨٦ - ٨٧
الاقيصر (ج) ٤٦٢ ، ٥٠٨
(ج) ٢٧٥ - ٢٧٦
اٲٲٲ (ج) ٣٣١
الت (ج) ٣٣١
(ج) ٥١٣
اله (ج) ٣٣١
الهي (ج) ٣٣١
ام عثر (ج) ٣٠٢ - ٣٠٣
امد (ج) ٨٤
انبي (ج) ١١٩
(ج) ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٥
١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩
٢٢٨ ، ٣٢١
(ج) ٢٩٩ ، ٣٣٣
انراك (ج) ٥٤٦ ، ٥٦٢
انليل (ج) ٥٥٥
اهلن (ج) ١٩٥
اوال (ج) ٢٨٢
اوام (ج) ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٣٠٢ ،
٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ - ٣٢٩
٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦
٣٦٠ ، ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٣٧٤
- ٣٧٦ ، ٣٧٩ - ٣٨٠

ايشاؤس (ج) ٣٢٤	٤٢٩ ، ٤٢٢ ، ٣٩٣
ايروس (ج) ٢٥٧ ، ٢٩٤	٥.٣ (ج) ٣
ايل (ج) ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،	٤.٥ (ج) ٦
٣.٤ ، ٢.٧ ، ٣١.٠ ، ٣١٤ ،	(ج) ٨ ٤٣ - ٤٧ ، ٥٣ ،
٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ،	٤٢.
٣٣١ ، ٣٣٣ - ٣٣٤	اورانيا (ج) ٣٧٩
	٢٩٢ (ج) ٦

- الباء -

(ج) ٦٢١ . (٢)	باجر (ج) ٤٤٢
(ج) ١٢٣ ، ١٣٠ .	(ج) ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦
(ج) ٢٩٩ ، ٣.٦ - ٣.٧ ،	باخوس (ج) ٣٧٩ ، ٦٥٥
٣١.٠ ، ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣٢٢ ،	(ج) ٢٩٢ ، ٤١٦
٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٢٩ - ٣٣٠ .	البجة (ج) ٢٨٢
٣٣٣ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٤.٢ ،	بعد (ج) ٢٥٧ ، ٢٩٤
٥٣٩	بحر حطيم (ج) ٣٣٩
بعلت (ج) ٣٣١	بحل (ج) ٣٣١ .
(ج) ٣٣٣ - ٣٣٤	برم (برام) (ج) ٢١٢ ، ٣٠٠
بلج (ج) ٢٨٢	برن (ج) ٣٢٣
بلو (ج) ٢٩٥ ، ٣.٨	بشر (ج) ٤٨٢
بنهدد (ج) ٣١١	بعدن (ج) ٣٣٣
بول (ج) ٣١٨	بعل (ج) ٣٣١

— التاء —

٤٥٧	تالب (ج) ١.١. ١١٩
٣٣٤ ، ٣٠٤ ، ٣٧ (ج) ٦	(ج) ١١٤ ، ٣٢٥ — ٣٢٦ ،
٤٠٦ (ج) ٨	٣٣١ — ٣٣٢ ، ٣٣٥ — ٣٣٦ ،
٣٣١ (ج) ١	٣٣٨ ، ٣٤٢ — ٣٤٣ ، ٣٥٤
١٩٩ (ج) ٨	٣٥٨ — ٣٦١ ، ٣٥٥ —
٣٠٠ (ج) ٢	٣٦٤ ، ٣٦٦ — ٣٦٧ ، ٣٦٩ ،
٣٢٧ (ج) ٢	٣٧٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ،
٢٥٧ (ج) ٢	٤١١ — ٤١٤ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ —
٣١٧ (ج) ٦	٤٥٢
٢٨٢ (ج) ٦	(ج) ٣٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ،

— التاء —

نور بعلم (ج) ٢٣٦ ، ٤٩٠ (ج) ٦ ١٧٤

— الجيم —

الجبهة (ج) ٢٨٢	(ج) ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ٣٢٥
الجد (ج) ٣٠٩ - ٣١١ : ٣١٦	٣٣٥
٣٣٤ ، ٣٣١	جريش (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٩
(ج) ١٣١	جلقس (ج) ٣٣٢
(ج) ٢٨٤ ، ٢٨٢	الجلسد (ج) ٢٨٠ ، ٣٠٥ ، ٤٠٧
جد ضيف (ج) ٣٢٢ - ٣٢٣ ،	٤٠٩
٣٣٥	جهار (ج) ٥١٧
جد عوض (ج) ١٤٨	(ج) ٢٨٢ ، ٣٧٥

— الحاء —

حرمث (ج) ٢٧٢	حلال (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٦
(ج) ٣٣٣	حلفن : حلفان (ج) ٢٩٥ ، ٣٠٥
حطيم : حطب (ج) ٢٠٢	حليم (ج) ٣٣٤
حكم : حوكم (ج) ١١٩	الحمام (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٦
(ج) ١٨٧ - ١٨٩	حمل (ج) ٣٢٧
(ج) ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣٠٥	حمن (ج) ٣٠٠
٣٣٤	حميد (ج) ٣٢٠

حول : حويل (ج ١) ٢٩٧ ، ٣٣١ ،
٤١٩ (ج ٦) ٢٣٤

- النمل -

الدار (ج ٦) ٢٨٢	دد : داد (ج ٦) ٣٣١ - ٣٣٢
داوان (ج ٦) ٣٣٣	دلبات (ج ١) ٥٩١
دير (ج ١) ٣٣١	(ج ٦) ٢٩١
الدبران (ج ٤) ٥٢٨	دلفي (ج ٦) ٤١٠
(ج ٦) ٢٠ ، ٥٧ ، ١٦٧	دم ذ ميفعن (ج ٢) ٣٢٣
دبلات (ج ١) ٥٩٢	دية (ج ٦) ٦٢
(ج ٦) ٦٢	دين (ج ٦) ٣٢٢

- النمل -

ذا الكعبسات (ج ٤) ٤٧١ ، ٤٧٥	ذات البعد (ج ٢) ٢٧٠ ، ٢٨٤ ،
(ج ٦) ٤٤٦ - ٤٤٧	٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ،
ذنب (ج ١) ٣٦٦ ، ٤٥٥ ، ٥٢٥	٣٢٨ - ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٤٠٣ ،
(ج ٦) ٧٦٦	٤١٤ ، ٤٤٤ ، ٤٦٥ - ٤٦٧ ،
ذات انواط (ج ٦) ٣٣٣ ، ٤٠٦	٤٨٦ ، ٤٩٠ ،
	(ج ٣) ٤٥١ ، ٤٧٧

٧٨١ ، ٤٤٦ - ٤٤٥ ، ٣٥٧	٣٣٣ ، ٢٠ (ج٦)
ذو الرجل (ج٦) ٢٨٣ - ٢٨٢	ذات حشولم (ج٢) ١٤٦
ذو سموي : رب السماء	ذات حميم (ج٢) ١٤٦ - ١٥٦ ،
(ج١) ١٢٠	٢١١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ،
(ج٢) ٢٤٢ ، ٥٦٧ - ٥٦٨	٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ،
(ج٣) ١٣١	٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٤٤٤ ،
(ج٦) ٣٦ - ٣٧ ، ٣٠٥ -	٤٦٥ - ٤٦٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ،
٣٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٦٢	(ج٦) ٢٠ ، ٤٣ ، ٢٩٥ ،
(ج٧) ٤٥٠ - ٤٥١	٣٣٣ ، ٣٠٠
ذو الشرى (ج١) ٣٣١	ذات ربحان (ج٢) ١٨٩ ، ٢١١
(ج٣) ٩ ، ٣٣ - ٣٤ ، ٤١	(ج٦) ٢٠ ، ٣٣٣
- ٤٢ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٤ ،	ذات صتمم (ج١) ١١٩
٧٠ ، ١٤٠	(ج٢) ١٨٧ - ١٨٩ ، ١٩٥ ،
(ج٥) ١٧٥ ، ٢٧٠	٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،
(ج٦) ٢٥٢ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠ -	(ج٦) ٢٠ ، ١٦٥ ، ٣٣٣
٣٢٢ - ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ -	ذات الصهر (ج٦) ٣٣٣
٣٣٥ - ٤١٣ ، ٤١٥ - ٤١٦	ذات ظهران (ج٢) ١٨٧ ، ١٨٩ ،
(ج٧) ٤٩٥	١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
ذو عفل (ج٦) ٣٣٣	٢٢٨ ، ٣٢٨ ، ٤٠٣ ،
ذو غابة (ج١) ٢٠٩	(ج٦) ١٦٥
(ج٢) ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٦	ذات غضران (ج٢) ٣٠٠ ، ٣١٩ -
(ج٥) ٥٧٢	٣٢٠
(ج٦) ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣٢١ ،	ذات نشق (ج٢) ٨٩
٣٣٤	ذات الودع (ج٣) ٢٧٢
(ج٨) ٢٨ - ٢٩	(ج٦) ٢٨٢
ذو قبضم (ج٦) ٢٠ ، ٣٣٣ - ٣٣٤	ذات بون (ج٦) ٣٣٣
ذو الكفين (ج٦) ٢٧٤ ، ٢٨٣ ،	ذريع (ج٦) ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٧٦ ،
٣٧٦	ذهيم (ج٢) ٢٨٤
(ج٩) ٨٥٢	ذو جرب (ج٦) ٣٣٤
ذو اللبا (ج٦) ٢٨٢ ، ٢٨٦ ،	ذو الخلصة (ج٣) ٣٦٣
٣٧٦	(ج٤) ١٨٥ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ،
(ج٧) ٣٨٢	(ج٦) ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ،
	٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٣٠٠ ، ٣٥١ ،

- الراء -

رئام (ج) ٢٨٨ ، ٤٠٩	رصفم (ج) ٢٠٢
رب ثون (ج) ٣٣٤	رضى (ج) ٣٣١
ربت اثر (ج) ٣٣٣	(ج) ٤٥٤
رقل (ج) ٢٣١	(ج) ٤٣ ، ١١٠ ، ١٧٠ -
رحاب (ج) ١٨٨	١٧١ ، ٢٦٨ ، ٣١٠ - ٣١١
(ج) ٢٣٣	٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤
رحمتن (ج) ٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٣	- ٣٣٥
رحيم (ج) ١٣٠	رعن (ج) ٣١٩ ، ٣٣١
(ج) ٢٢٢ ، ٣٢٤ - ٣٢٥	رفو (ج) ٢٩٥ ، ٣٠٨
٢٣٣ ، ٢٣٥	

- الزاي -

زائدة (ج) ٢٨٩	
زحل (ج) ٦٠ ، ٨٥ ، ١٦٧ ،	زيوس كاسيوس (ج) ٣٢
٢٩٦	(ج) ٦٥ - ٦٦ ، ١٤٣
الزهرة (ج) ١٦٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٨	(ج) ٣٢٩ - ٣٣٠

— السين —

سبد (ج ٣) ١٧٢	٤٢٢ (ج ٢)
ستار (ج ١) ٣٣١	(ج ٦) ٢٠ ، ٢٧ ، ٣١٤ ،
السجة (ج ٨) ٢٣	٢٣٤
سحر (ج ١) ٣٣١	سمين (ج ١) ٣٣١
(ج ٢) ١٨٨ ، ٣٠٠ — ٣٠١ ،	سن ذ علم (ج ٢) ١٤٤ — ١٤٥ ،
٤٨٥ — ٤٨٦ ، ٥٢٢	٤٠٣
سقى (ج ١) ٣٣١	سهيل (ج ٤) ٤٥٤
سعد (ج ٣) ١٣١	(ج ٦) ٢٠ ، ٥٦ — ٦٠ ، ١٥٠ ،
(ج ٦) ٢٠ ، ٢٧٣ — ٢٧٤ ،	١٦٧ ، ٨١٨
٣١٠ ، ٣٢٩ — ٣٣٠	سواع (ج ٤) ٥٣٥
السعيدة (ج ٦) ٢٨٢ ، ٢٨٨ ،	(ج ٦) ٦٩ — ٧٠ ، ٧٦ ، ٢٤٠ ،
٣٧٥	٢٥٤ ، ٢٥٧ — ٢٥٩ ، ٢٦٤
السعير (ج ٦) حا ١٥٢ ، ٢٧٧ —	سين (ج ١) ١١٩ ، ٣٣١
٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٤٢١	(ج ٢) ١٣١ — ١٣٢ ، ١٤٦ ،
سقام (ج ٧) ١٣٩	١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦١ — ١٦٢
سلمان (ج ٢) ٢٥٤ ، ٢٥٦	(ج ١٣) ٤٥١
(ج ٦) ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٤	(ج ٦) ٥٤ ، ١٧٦ ، ٢٩٩ ،
سمت (ج ٢) ٢٨٩	٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣
سميع : سمع (ج ١) ٣٣١	(ج ٧) ٤٧٧

— الشين —

— ١٢٥ ، ١٢٠ ، ٩٦ (ج٣)	الشارق (ج٦) ٢٨٢ — ٢٨٣ ،
١٥٢ ، ١٢٠ ، ١٢٦	٢٢٣ ، ٢٠٣ ، ٢٨٦
٥٢٨ (ج٤)	شرى (ج٦) ٣٣٤
٢٣٣ ، ٢٢٧ ، ١٦٢ (ج٦)	شرح (ج٦) ٢٠
٣٠٩ ، ٣٠٠ ، ٢٩١ ، ٢٨١	الشعري العبور (ج٦) ٥٨ — ٥٩ ،
— ٣٣٤ ، ٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣١٨	٨١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٣٧٧ ،
٣٧٥ ، ٣٢٨ — ٣٣٧ ، ٣٣٥	٨١٨
٨١٨ ، ٥٣٩	(ج٨) ٤٣٠
(ج٨) ٤٥٠	الشعري الفميصاء (ج٦) ٥٩
شهر (ج٦) ٣٣٣	شماس (ج١) ٥٧٨
نسب القوم (ج١) ٣٣١	شمس (ج١) ٣٣١
(ج٣) ١٣٩ ، ٤٨	(ج٢) ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٣٣٠ ،
(ج٦) ١٦ ، ٣٢٢ — ٣٢٤ ،	٣٢٨ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤ ، ٤٦٦ ،
٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧	— ٤٦٧ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٦٢٢ ،
(ج٧) ٣٢١	٦٢٣ —

— الصاد —

٧١ (٧ج)	٣٢٤ ، ٣٢٢ (٦ج) صالح
٣٢٠ (١ج) صودا	٣٢٠ (١ج) صدا
٢٨٤ ، ٢٨٢ (٦ج)	٣٢٤ (٦ج) صدق : صديق
٣٣٣ (٦ج) صنتم	٣٣١ ، ٣٢٩ (١ج) سلم
٣٣٣ (٦ج) صهرن	٣١٢ ، ٣١٠ ، ١٨٢ (٦ج) —
	٣٣٤ ، ٣٣٢ ، ٣١٣

— الفصاد —

١٨٠ (٢ج) الضيزن	٥١٩ (٤ج) الضمار
٢٨٩ ، ٢٨٢ (٦ج)	٢٨٤ ، ٢٨٢ (٦ج)

— الطاء —

طنفت (ج ١) ٣٣١

الطاغوت (ج ٦) ٤٠٢

— العين —

٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٢٢
 (ج ٢) ١٣٠
 (ج ٥) ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ،
 ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٣٢٢
 (ج ٦) ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٦٣ ،
 ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٣ ، ١٧٦ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠١ — ٣٠٤ ، ٣١١ ،
 ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٤١٠
 (ج ٧) ١٦٤ ، ٢٣٥
 (ج ٨) ٤٧ ، ٤٥٠ — ٥١
 عثر ذذب (ج ٢) ٣٢٧ — ٣٢٨ ،
 ٣٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٥٣
 عثر قبضم (ج ٢) ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٨

عائم (ج ٦) ٢٧٧
 عبد جد (ج ١) ٣٣١
 المبعبب (ج ٦) ٢٨٢ ، ٢٨٤
 عثر قومي (ج ٦) ٢٩١
 عثر (ج ٢) ١٠٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ،
 ١٨٨ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٥
 — ٣١٧ ، ٣١٩ —
 ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٣ ،
 ٤٤٤ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥
 — ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٦٧

١٢٠ (ج٣)	١٢٨ ، ١٣٦ ، ١١٤ ، ٩٩ -
٣٢٩ ، ٣١٢ - ٣٠٩ (ج٦)	١٦٥ (ج٦)
٣٣٤	عشتر ذو جوفت (ج٢) ٥٣٥
عس (ج١) ٢٢١	عشتر ذو صنعتم (ج٢) ٤٠٣
عسجد (ج١) ٢٢١	عشتر ذو يهرق (ج٢) ٨٩ - ٩٩ ، ١١٤
عسمة : عسمة (ج٢) ٣٠٠	عشتر السماء : عتر سماين
عشتار (ج١) ١١٩	(ج١) ٢٢١ ، ٥٩٢ ، ٦٠٠
(ج٢) ١٢٠	(ج٦) ٢٩١ ، ٣١٠ - ٣١٢ -
(ج٤) ٥٤٦	٢٣٤ ، ٣١٣
عشتروت (ج١) ١٧٦	عشتر الشارق (ج٢) ٨٥ ، ٨٧ ،
(ج٢) ٦٢ ، ٦٨	٨٩ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ٣٢٨ -
(ج٦) ٣٠٠	٢٣٦ - ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٤٦٦ -
(ج٧) ٤٩٥	٤٨٢
عطارد (ج٦) ٦٠ ، ١٦٧	(ج٦) ٣٣٤
(ج٨) ١٩٩	عشتر عزيز (ج٢) ٣٢٨
عطير (ج١) ٢٢١	عجل (ج١) ٤٠٧ - ٤٠٨
علم (ج٢) ١٥٢ ، ٢٨٤ ، ٤٠٣	(ج٢) ١٣٠
(ج٦) ٢١٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤	عجلين (ج٢) ٢٤٩
عليت (ج٢) ٤٠٣	(ج٦) ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٣٤
عم (ج١) ٣٣١	العزى (ج٢) ٣٨٥
(ج٢) ١٨٣ ، ٨٢ ، ١٨٧ - ١٨٨	(ج٢) ٩ ، ١٧٢ ، ٢٢١ ،
١٩٤ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ،	٢٢٤ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٨٤
٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،	(ج١٤) ٥٠٨ ، ٥١٥
٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٥١٨	(ج٥) ٥١٦
(ج٥) ١٨٣	(ج٦) ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ -
(ج٦) ٥٤ ، ١٧٦ ، ٢٣١ ،	٢٤٠ ، ٢٤٢ - ٢٤٦ ، ٢٥٣ -
٢٣٢ - ٢٣٣	٢٨٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٩ ،
(ج٨) ٧٤	(ج٢) ٢٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ،
عم ذليخ (ج٢) ٢٠٠ - ٢٠٢ ،	٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٤٠٦ ،
٢٣٢ ، ٢٠٥	٤٠٩ ، ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٢٢ ،
عم ذو دونم (ج٢) ١٨٧	٤٢٤ ، ٤٤٤ - ٤٤٧ ، ٤٧٣ ،
عم ذو ريمت (ج٢) ١٨٩ ، ٢١١ ،	٦٠٨
٢٢٢	(ج٧) ١٣٩
عم ذو شقروم (ج٢) ١٨٩ ، ١٩١	(ج٩) ٧٠٣
عم ذو مبرم (ج٢) ٤٠٣	عزير (ج٢) ٦٢٢
عم ذيسرم (ج٢) ١٩٨	

عوض (ج) ١٥٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،	غمى شجا (ج) ٣١٠ ، ٣٣٤
٤٢١ ، ٣١٤	عميانس (ج) ٤٦٠
عوف (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٨	(ج) ٢٦٥
عير (ج) ٢٨٨ - ٢٨٩	عوذ (ج) ٣٣٤

- الفين -

غمرن (ج) ٣٣٣	غم (ج) ٢٢١
غيم (ج) ٢٨٢	

- الفاء -

فخر (ج) ٢٩٩ ، ٣٠٧ - ٣٠٨	فخر (ج) ٣٣٤ ، ٣٧٩ ، ٦٠١
فراض (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٧	فوسفورس (ج) ٣١٠
الفلس (ج) ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ -	فينوس (ج) ٢٢٧
٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣١٧	

— الكاف —

قزح (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٣٤ ،	(ج) ٤٩٠
٣٧٩ ، ٣٨٤	(ج) ٢٨ ، ٤٤ ، ٧٧
قشع (ج) ٣٢٧	قوس (ج) ٢٥٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ،
القمر (ج) ٢٣٢	٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢١ — ٣٣٢
(ج) ٥٤ ، ٥٩ ، ١٧٤ ،	قبيشع (ج) ٤١
٢٥٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ — ٢٩٩ ،	قنينان (ج) ٣٣١
٢٣ ، ٥٣٩	(ج) ٣٩٨ — ٣٩٩ ، ٤١٣

— الكاف —

كاهل : كهل ، كهلان	(ج) ٢٨٢ ، ٢٨٥
(ج) ٣٣١	الكسعة (ج) ٢٨٢
(ج) ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،	كعب (ج) ٢٨٩
٣٣٣ — ٣٣٤	الكواكب (ج) ٣١٦
كبدم (ج) ٤١٣ ، ٤٥٢	كوكب (ج) ٣٠٠
كتم (ج) ٣٠٠	كيوبيد (ج) ٢٢٧
كثري (ج) ٣٣٦	

— اللام —

٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٢١ —	اللات (ج١) ٣٣١
٣٢٣ ، ٣٢٥ — ٣٢٩ ، ٣٣٤ —	(ج٢) ٣٥٦
٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ،	(ج٣) ٩ ، ٤٢ ، ١٣٠ ،
٤١٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٤٦ —	١٧٢
٤٤٧ ، ٦٦٩ ، ٧٢٧ ، ٨١٩	(ج٤) ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ،
(ج٧) ٤٩٥	٥١٧ ، ٥١٥
(ج٩) ٧٠٣ ، ٨٢١ ، ٩٠٦	(ج١٥) ٥١٦
لخامو ، لخامون (ج١) ٥٦٢	(ج١٦) ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٦٤ ،
لود (ج٦) ٣٧٥	٢١٤ ، ٢٢٧ — ٢٣٣ ، ٢٣٠ —
ليتو ، ليطو (ج٣) ٦٧	٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،

— الميم —

متب نطين (ج٦) ٣٣٤	مالك (ج١) ٣٣١
مجاور الريح (ج٦) ٤٣٨	منب قبط ، متب قبط
محر (ج٦) ٣١٧	(ج٦) ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٤
محرصو (ج٦) ٣٠٧	متب مدجب (ج٦) ٣٣٤

١٦٨ ، ٥٤ ، ٤٣ ، ١٤ (ج٦)

١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢٩٦ -

٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣ ، ٤١٥ ،

٤٣٤

(ج٧) ١٣٩ ، ٢٢١

(ج٨) ٤٣ - ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٩ ،

٤٢٠

المقه تهوان (ج٢) ٣٢٨ ، ٣٣٩ ،

٣٧٤ - ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ،

٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ -

٤٦١ ، ٤٦٣ - ٤٦٧ ، ٤٩٠ -

٤٩١ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ ، ٥٤٨ ،

٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤

المقه ذهرون (ج٢) ٣٩١

ملك (ج١) ٣٣١

(ج٣) ١٢٠

(ج٦) ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣١٣

ملوخ (ج٦) ٦٧٩

منى (ج٦) ١٥٧ ، ٥٦٧

مناة (ج١) ٣٣١

(ج٣) ٤١ - ٤٢

(ج٤) ١٣٥ ، ٤٤٢ ، ٥١٥ ، ٥٣٥

(ج٦) ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،

٢٣٥ ، ٢٣٧ - ٢٤٠ ، ٢٤٦ -

٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ -

٣٢١ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،

٣٣٤ - ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٣٧٥ ،

٣٨٢ ، ٤٤٧

مناف (ج١) ٣٣١

(ج٦) ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٢٧٩

منضج (ج٦) ٢٩٥ ، ٣٠٨

المنطبق (ج٦) ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٧٥

منهب (ج٦) ٢٨٢

منوات ، منوت (ج٦) ١٥٧

مونيموس (ج٦) ١٧١ ، ٣١٠ - ٣١١

محرق (ج٣) ١٧٢

(ج٦) ٢١٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ،

٣٧٥

محرم (ج٢) ٤٤٨

مختن (ج٢) ١٨٨

المدان (ج٦) ٢٨٢

مرجب (ج٦) ٢١٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،

٣٧٦

المرزم (ج٦) ٥٩

المرنج (ج٦) ٦٠ ، ٣١٧

مسور (ج٢) ٥٠٣

مشرقتين (ج٦) ٣٠٧

مطعم الطير (ج٦) ٤٣٨

المقه (ج١) ١١٩ ، ٢٣٧ ، ٥١٤

(ج٢) ١٠٨ ، ١٥٦ ، ٢٧٠ ،

٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ -

٢٩٤ ، ٣٠٠ - ٣٠٣ ، ٣٠٥ -

٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ - ٣١٧ ،

٣١٩ - ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ -

٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ -

٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ - ٣٦١ ،

٣٧٠ - ٣٧١ ، ٣٧٤ - ٣٧٥ ،

٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ ،

٣٨٥ - ٣٨٦ ، ٣٩١ - ٣٩٣ ،

٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٤٢٢ - ٤٢٣ ،

٤٢٩ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤٤ ،

٤٤٦ ، ٤٤٧ - ٤٥١ ، ٤٥٢ ،

٤٥٧ ، ٤٦٥ - ٤٦٧ ، ٤٦٩ ،

٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ،

٤٩٠ - ٥٠٣ ، ٥٠٤ - ٥٣٧ -

٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٥٤٤ - ٥٤٧ ،

٥٥٣ - ٥٥٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ -

٥٦٧ ، ٥٨٣

(ج٥) ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٥٨٣ ،

٦١٦

— النون —

نائلة (ج) ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٣٨٠ -	نشق (ج) ٣٣٣
٤٣٨ ، ٣٩٩ ، ٣٨٢	نصر (ج) ٣١٤
(ج) ٥٢١	نمرجد (ج) ٣١٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٤
نبو (ج) ٦٢١	نكرح (ج) ١١٩
(ج) ٣١٧	(ج) ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٩ ،
نجم (ج) ١٦٣	١١٤ ، ١٣٧
نرو (ج) ٣٣٤	(ج) ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٢٩٥ ،
نسور (ج) ٢٨٤	٣٠٤ ، ٣٣٤
(ج) ٦٩ - ٧٠ ، ٧٦ ، ٢٤٠ ،	نهي (ج) ٣٣١ ، ٥٩٢
٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ -	(ج) ٢٩١ ، ٣١٠ ، ٣٣٤
٢٦٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ،	نهم (ج) ٢٧٧
٣١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٧٦	نهيك (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٦ - ٢٨٧
نشرا (ج) ٦٥٢	

— الهاء —

هادي (ج) ٣٣١	الها (ج) ٣٢٠
هامحر (ج) ٣٣٤	(ج) ٢٨٢ ، ٢٨٤
هانء كاتب (ج) ٣١٧ - ٣٣٤	هبل (ج) ٣٣١

٢٩٩ (٨ج)	٤٢ (٣ج)
الهلال (١ج) ٢٣١	٧٦ ، ١٥ (٤ج)
٢٠٢ (٢ج)	٥١٠ (٥ج)
هلت (٦ج) ٣٢٣ - ٣٢٢	(٦ج) ١٨ ، ٧٩ ، ٢٥٠ -
هوبس (١ج) ١١٩	٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٣٢٧ -
(٢ج) ١٥٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،	٣٢٨ ، ٣٧٦ ، ٤١٠ - ٤١٢ ،
٢٨٦ - ٢٨٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ،	٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٦ ،
٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٤٤٤ ،	٧٨٢ - ٧٧٩
٤٦ ، ٤٦٥ - ٤٦٧ ، ٤٨٦ ،	(٨ج) ٥٢١ ، ٦٥١
٤٩.	(٩ج) ٧٠٤
(٦ج) ٢٩٨ ، ٣٣٤	هجر (٢ج) ١٠٧
(٨ج) ٤٥١	هجم (١ج) ٦١٣
هون مناة (٦ج) ٣٢٠	مدد (٣ج) ٦٥
هيج (١ج) ٣٣١	(٦ج) ٣١١
	هرمس (٦ج) ٣١٧

- الواو -

(٦ج) ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٣ ، ٥٤	وتن (١ج) ٣٣١
٦٩ ، ٧٦ ، ١٤٢ ، ١٦٤ :	ود (١ج) ١٧٩ ، ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٣٧٨ ،
١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧٢ - ١٧٣ ،	٤٢٥
١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢٠٩ ،	(٢ج) ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٤ ،
٢١٢ - ٢١٣ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ -	١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٨٨ ،
٢٥٨ - ٢٦٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،	١٩٠ ، ١٩٤ ، ٣٢٢ - ٣٢٣ ،
٣٠٥ - ٣٠٩ ، ٣١٣ - ٣١٥ ،	٣٢٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٩٩ ،
٣٢٣ - ٣٢٤	٥٠٥
(٧ج) ٢٦٢ ، ٢٨٣	(٤ج) ٥٤٦
(٨ج) ٢٠٧	(٥ج) ١٨٠ ، ١٨٢ - ١٨٣ ،
الودع (٦ج) ٧٤	٢٠٢ ، ٥٠٧

ورخ (ج) ١٦٣ ، ٣٣٣
ورفو ذلفن (ج) ٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨
ورق (ج) ٣٠٠
ورود (ج) ١٠١
الورعة (ج) ٣٩٦

- الياء -

ياليل (ج) ٢٨٢ ، ٢٨٦
يشع (ج) ٣٣١
يشع (ج) ٣١٦ - ٣٢٠ ، ٣٢٤ ،
٣٣١ ، ٣٣٤
يشو برآن (ج) ٣٣٩
اليعبوب (ج) ٢٧٩ - ٢٨٠
يشوق (ج) ٣٥٤
يشوق (ج) ٤٤٩ ، ٤٦٠
يشوق (ج) ٢٤٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ،
٢٥٨ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ٣٠٨ ،
٣٧٥ ، ٤٠١
يفوث (ج) ٣٣١
يفوث (ج) ٤٤٩ ، ٤٥٥
يفوث (ج) ٦٢ ، ٦٩ - ٧٠ ، ٢٥٤ ،
٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٠ ، ٣٣٤ ،
٣٧٥
يفعن (ج) ٣٠٥
يهجل (ج) ٣٦٧
يهرم (ج) ٣٠٨
يهوه (ج) ٣٣١ ، ٦٣٤
يهوه (ج) ٣١٠
يهوه (ج) ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٦ ،
٣٣٤ ، ٥٦٦ ، ٦١٦

فهرس

الخيول والحيوانات الاخرى

- | | |
|-----------------|----------------------|
| الزعران (ج) ٣٩٦ | ابن النعامة (ج) ٣٩٦ |
| الزليف (ج) ٣٩٧ | (ج) ٤٦١ |
| سبحة (ج) ٣٩٨ | اخدر (ج) ١١٦ |
| (ج) ١١٦ | الاعنق (ج) ٣٩٦ |
| سبل (ج) ٣٩٥ | أعوج (ج) ٣٩٥ |
| السكب (ج) ٣٩٧ | البحر (ج) ٣٩٨ |
| سواده (ج) ٣٩٥ | براقش : كلبة (ج) ٨٠٢ |
| الشقراء (ج) ٣٩٦ | البطين (ج) ٣٩٧ |
| الشموس (ج) ٣٩٧ | البعيث (ج) ٣٩٧ |
| الشيظ (ج) ٣٩٦ | جزرة (ج) ٣٩٦ |
| الصريح (ج) ٣٩٦ | حافل (ج) ٣٩٧ |
| صهبي (ج) ٣٩٧ | حذفة (ج) ٣٩٦ |
| الضحياء (ج) ٥٠٣ | الحرون (ج) ٣٩٧ |
| الضرس (ج) ٣٩٧ | حلاب (ج) ٣٩٦ |
| الضيف (ج) ٣٩٧ | الحنفاء (ج) ٣٩٦ |
| الظرب (ج) ٣٩٨ | الخطار (ج) ٣٩٦ |
| العاباة (ج) ٣٩٧ | خنثى (ج) ٣٩٦ |
| العبيد (ج) ٦٥ | داحس (ج) ٣٩٦ |
| المرادة (ج) ٣٩٧ | الدفوف (ج) ٢٨٦ |
| العسجدي (ج) ٣٩٧ | ذو الخمار (ج) ٨٨٧ |
| العصا (ج) ١٨٠ | ذو العقال (ج) ٣٩٦ |
| (ج) ٣٩٦ | ذو الكلين (ج) ٢٦٠ |
| العلمان (ج) ٣٩٧ | زاد الركب (ج) ٣٩٥ |
| الغبراء (ج) ٣٩٦ | الزبد (ج) ٣٩٧ |
| الغراب (ج) ٣٩٦ | |

مناهب (ج ٥) ٣٩٧
النحام (ج ٥) ٣٩٦
(ج ٩) ٦١١
نصاب (ج ٥) ٣٩٦
النعامة (ج ٥) ٣٩٦
هبود (ج ٦) ٧٧٠
هراوة العزاب (ج ٥) ٣٩٧
هراوة (ج ٥) ٨٧ ، ٣٩٦
الوجيف (ج ٥) ٣٩٦
الوجيه (ج ٥) ٣٩٦
الورد (ج ٥) ٣٩٦ ، ٣٩٨
الوريمة (ج ٥) ٣٩٦
اليحموم (ج ٣) ٢٨٦ ، ٢٨٨
(ج ٥) ١٩٧
(ج ٨) ٣٧٤
(ج ٩) ٦١١

قرزل (ج ٥) ٣٩٦
قرمل (ج ٩) ٦١١
القسامة (ج ٥) ٣٩٥
القطيب (ج ٥) ٣٩٧
قبد (ج ٥) ٣٩٦
كامل (ج ٥) ٣٩٧
الكاملة (ج ٥) ٣٩٧
الكلب (ج ٥) ٣٩٦
لاحق (ج ٥) ٣٩٦
اللعاب (ج ٥) ٣٩٧
المدعاس (ج ٥) ٣٩٧
المذهب (ج ٥) ٣٩٦
المراوح (ج ٥) ٣٩٨
المرتجز (ج ٥) ٣٩٧
المرقال - ناقة : (ج ٩) ٦٥٠
الزنوق (ج ٥) ٣٩٦
مكتوم (ج ٥) ٣٩٦

الاسلحة

الضافية : درع (ج) ٣٦٩	أم الذبول : درع (ج) ٣٦٩
الفضافة : درع (ج) ٣٦٩	الخرق : درع (ج) ٣٦٩
الحصنة : درع (ج) ٣٦٩	رسوب : سيف (ج) ٢٤٩
مخلم : سيف (ج) ٢٤٩	الصمصامة : سيف (ج) ٤٢٣

فهرس المجامع والشركات والبعثات

- اباي : مجمع (ج) ٥٩٧
ارامكو : شركة (ج) ٢٤٣ ، ٥٣٢ ،
٥٣٦ - ٥٣٧ ، ٥٣٩
(ج) ٢٠٧ ، ٢٠٥
افسوس . مجمع (ج) ٦٢ ،
(ج) ٧٢ ، ٥٩
(ج) ٦٢٦ - ٦٢٧
اقاق : مجمع (ج) ٥٩٧
جامعة فؤاد الاول : بعثة
(ج) ٤٨٠ ،
(ج) ٧٥
خلقيدون : خلقدونية : مجمع
(ج) ٥٩ - ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
١٢٦
الخلقيدوني : مجمع (ج) ١٣٠
- (ج) ٦٣١
دار يشوع : مجمع (ج) ١٧٢
السعودية العربية : شركة
(ج) ٥١٤
عهر : نادي (ج) ٣٩٠
المزود : مجلس (ج) ١٩٢ - ١٩٣ ،
٣٩٠ ، ٤٥٧ ، ٤٨٢ ،
(ج) ٥٥٤
(ج) ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢٦ -
٢٤٢ ، ٢٣٣ ،
النقاي : مجمع (ج) ١٢٩
نيقية : مجمع (ج) ٥٩ : ١١٧
(ج) ٦١٥ ، ٦٢٥
يهبالا : مجمع (ج) ٥٩٧

فهرس الطبعة والمطبوعات

- الألف -

- الآباء اليسوعيين : مكتبة (ج) ٣) - ٤٦٦
٤٦٦
(ج) ٦٢٥
الآبار (ج) ٧) ١٩٥
البحاث : مجلة (ج) ١٠٨
(ج) ٨) ١٥٦ - ١٥٤ ، - ١٧٢ ، ١٩١ - ١٩٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩
الابوكريفا (ج) ١) ٤١١
ايات الاستشهاد (ج) ٨) ٣٦١
الاتقان (ج) ٤) ٥٢٨
(ج) ٧) ٥٤٥
(ج) ٨) ٢٨٥ ، ٣٥٧ - ٥٩٧ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ ، ٦٠٢ - ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٠ - ٦١٤ ، ٦١٦ ، ٦٢٢ - ٦٢٠ ، ٦٦٣ - ٦٦٥ ، ٦٩٧ - ٦٩٩
(ج) ٩) ٧ ، ١٤ ، ١٨ - ١٩ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٢٧٩ - ٢٨٠
الانار الباقية (ج) ٥) ١٠٣ - ١٠٤ ، ٤٢٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ - ٤٦٢ ، ٤٦٤ - ٤٦٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٧١٣
آثار البلاد (ج) ٣) ٥٣٢
(ج) ٤) ١٤٥ ، ٢٠٤ - ٢٠٥
(ج) ٦) ٥٧٨
(ج) ٧) ٣٧٣
آثار السنن (ج) ٧) ٣٠٩
آثار معين (ج) ٢) ٧٥ ، ٨٧ ، ١١٦ ، ١١٨
(ج) ٥) ١١ - ١٢
(ج) ٧) ١٧٨
الاجناس من كلام العرب (ج) ٨) ١٣
احسن التقاسيم (ج) ١) ٣٥٧ ، ٤٥٤
(ج) ٤) ١٢٩
الاحكام السلطانية (ج) ٤) ١١ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٤٦ - ٤٧ ، ٥٠ - ٥١ ، ٥٣
(ج) ٥) ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

(ج٣) حا ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦
 حا ٢٠٦ ، حا ٢٢٦ : حا
 حا ٣٣١ ، حا ٤٤١ : حا ٥٠٤
 حا ٥٢٣ ، حا ٥٢٥
 (ج٤) حا ١٦ - ١٧ ، حا
 حا ٢٢٣ ، حا ٢٢٦ ، حا ٢٣٠
 - حا ٢٣١ ، حا ٣٨٢
 (ج٥) حا ٢٨٨ : حا ٥٨٥
 (ج٩) حا ٦٦ ، حا ٣٤١
 اخبار عبيد (ج١) حا ٨٦ - ٨٧ ، حا
 حا ١٧١ ، حا ٣٥٥
 اخبار العرب (ج١) ١١٥
 اخبار كندة (ج٣) ٣١٩
 اخبار اللصوص (ج٩) ٢٢٧
 اخبار الماضين (ج١) ١١٥
 الاخبار المتقدمة (ج١) ١١٥
 اخبار المعمرين (ج٤) حا ٦٥٧ ، حا
 ٦٦٠
 اخبار مكة (ج١) حا ٣١٣
 (ج٢) حا ٥١٥
 (ج١٣) حا ٢٢٠ : حا ٤٨٢
 حا ٥١٦
 (ج١٤) حا ١١ - حا ١٤ . حا
 حا ١٧ - حا ٤١ ، حا ٥٦ : حا
 حا ٦٥ - حا ٧٦ - حا ٧٧ . حا
 حا ٩٩ - حا ١٠٠ . حا ١١١ حا
 ١١٥
 (ج١٦) حا ٧٧ ، حا ٨١ ، حا ١٨٩ ، حا
 حا ٢٣٠ ، حا ٢٣٦ - حا ٢٣٧ ، حا
 حا ٢٤٠ ، حا ٢٤٢ ، حا
 حا ٢٤٦ ، حا ٢٤٨ - حا ٢٥١
 - حا ٢٥٢ ، حا ٢٦٦ - حا ٢٦٧ . حا
 حا ٢٧١ ، حا ٣١٢ ، حا
 حا ٣٢٨ ، حا ٣٥٢ ، حا ٣٦١ ، حا ٣٨٢ ، حا
 حا ٣٨٦ ، حا ٤٠٤ ، حا ٤١٨ ، حا ٤٢٣ ، حا
 حا ٤٢٥ ، حا ٤٣٨ ، حا ٤٤٢

٣٠٤ ، حا ٥٠١ - ٥٠٢ ، حا
 حا ٥٠٩
 (ج١٧) حا ٨٧ ، حا ١٤٥ ، حا
 حا ١٤٧ - ١٤٩ : حا ١٦٠ ، حا
 حا ٤٥٣ ، حا ٤٨٥ ، حا
 حا ٤٨٩ ، حا ٤٩٧ - ٥٠٢
 (ج١٨) حا ٣٠٣
 احكام القرآن (ج٧) حا ٤٢٧
 اخبار الايام الاول (ج١) حا ٢٩٨ ، حا
 حا ٣٠٠ ، حا ٣٤٤ ، حا
 حا ٣٦١ ، حا ٣٦٢ : حا ٤١٦
 - حا ٤١٧ ، حا ٤١٩ ، حا
 حا ٤٢٣ ، حا ٤٣١ ، حا ٤٤٨ ، حا
 حا ٥٧٧ ، حا ٥٨٠ - حا ٥٨١ ، حا
 حا ٥٨٤ ، حا ٥٨٦ ، حا
 حا ٦٢٩ ، حا ٦٣٤
 (ج١٢) حا ٧٧ ، حا ٩١ ، حا
 حا ١٢٠ ، حا ٤١٢ : حا ٥٠٩
 حا ٦٢٣
 (ج١٣) حا ٧٧ - حا ٧٨ - حا ٥٣٥
 (ج١٦) حا ٢٦٢
 اخبار الايام الثاني (ج١) حا
 حا ٥٧٧ : حا ٦٣٨ - حا ٦٤٠
 - حا ٦٤٥
 (ج١٢) حا ٧٧
 (ج١٦) حا ٦٣٦ . حا ٦٨٥
 (ج١٨) حا ٣٤٦
 اخبار حاتم ونسبه (ج٥) حا ٥٥٤
 اخبار الحكماء (ج١٨) حا ٣٨٢ - حا
 ٣٨٣
 اخبار زيد الحيل (ج١٦) حا ١٣٠
 اخبار الشعراء وطبقاتهم
 (ج١٩) حا ٣٤٩
 الاخبار الطوال (ج١) حا ١٦١ ، حا
 حا ٣٥٥ ، حا ٣٥٩ ، حا
 حا ٦٢٢

١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ،
 ٢٩١ ، ٣٠١ -
 ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥٢٨ -
 ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦٨ ، ٥٩٥ ، ٦٢٢
 (ج٦) ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٩ ،
 ١٣٦ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٩ - ٢٤١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ -
 ٣٥٦ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٧ ، ٣٧٩ - ٣٨٢ ،
 ٣٨٥ - ٣٨٦ ، ٣٩٢ -
 ٤٢١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ -
 ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ -
 ٤٧٣ ، ٥٦١ ،
 ٦١٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٣ -
 ٧٤٤ ، ٧٤٨ ، ٧٥٥ -
 ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٦٢ ،
 ٧٨٩ ، ٧٩٨ - ٧٩٩ ،
 ٨١٢
 (ج٧) ٤١ ، ٤٨ ، ٩٦ ،
 ١٢٥ ، ١٤٤ ،
 ١٤٧ - ١٥٠ ، ١٧٣ ،
 ٢١٥ - ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ ،
 ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٣٠٩ -
 ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٨٥ ،
 ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١١ -
 ٤١٣ ، ٤١٧ -
 ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ،
 ٤٤٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ -
 ٤٥٧ ، ٤٦٢ ،

- ٤٤٤ ، ٦٠٩
 (ج٧) ٢٧٦ - ٢٧٨ ، ٢٨٠
 اخبار النبي (ج١) ١١٥
 اخبار النحويين (ج٩) ٣٨ ،
 ٢١٩ ، ٢٩٦
 اخبار هشام الكلبي (ج٥) ٢٤٢ ،
 ٥١٧
 اخلاق الملوك (ج٥) ٢١٨
 ادب الاملاء والاستملاء (ج٨) ٢٥٤
 ادب الدنيا والدين (ج٤) ٥٨٦
 (ج٦) ٢٧
 الادب العربي وتأريخه
 (ج٨) ٥٥٢ ، ٥٧٥
 (ج٩) ٥١٤
 ادب الكتائب (ج٩) ٨٣٥
 ادب الكتاب (ج١) ١١٣
 (ج٨) ١٠٢ ، ١٥٤ ،
 ١٥٧ ، ٢٧٠ ، ٣٠٥ ،
 ٣١١
 (ج٩) ١٦ ، ٥٢
 الاذان (ج٦) ٥٦١
 ارشاد الاريب (ج١) ٧٠ ،
 ٨٣ - ٨٤ ، ٨٦ - ٨٨ ،
 ٩٠ ، ١٠٥
 ارشاد الساري (ج٤) ٢٦٦ ،
 ٤٠٣ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ،
 ٦٦٧ ، ٦٦٩ ، ٦٨٣
 (ج٥) ٢٦ - ٢٨ ، ٣٠ ،
 ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ،
 ٥٥ ، ٦٥ ، ١١٧ ،
 ١١٦ - ١١٧ ،
 ١٢٠ ، ١٢٧ - ١٢٨ ،
 ١٤٠ ، ١٥٢ ،

- (ج) ٦. ، ٢١٠ ، ٣٥٢ ،
 ٧٦٥
 (ج) ٧. ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ -
 ٣٧٣ ، ٣٧٦ - ٣٧٩ ،
 ٣٨٨ ، ٣٩٤
 (ج) ٨. ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٤
 الازمنة والانواء : (ج) ٦. ،
 ٦٠
 (ج) ٨. ، ٤٦٤
 الازهر : مطبعة (ج) ٦. ، ٤٧٢
 اساس البلاغة (ج) ١. ، ٣٨ - ٤٠
 (ج) ٤. ، ٣٧
 (ج) ٨. ، ٢٨٣
 الاساطير العربية قبل الاسلام
 (ج) ١. ، ٤١
 (ج) ٦. ، ٧١٤
 اسباب النزول (ج) ٤. ، ٢٢١
 (ج) ٥. ، ١٣٥ - ١٣٧ ،
 ٥٣٦
 (ج) ٦. ، ٨٧ ، ٣٧١ -
 ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ -
 ٣٨٣ ، ٦١٨ ، ٦٤٠
 ٧١٠ ، ٧٤٣
 (ج) ٧. ، ٢٩٣ ، ٣٠٩ ،
 ٤٣٢ ، ٤٦٤
 (ج) ٨. ، ١٢٣ - ١٢٤ ،
 ٣١٨ ، ٣٨٥
 الاستعانة بالشعر وما جاء في
 اللغات (ج) ٨. ، ٥٦٦
 الاستقامة : طبعة (ج) ٢. ، ٥١٥
 (ج) ٤. ، ١١١
 (ج) ٥. ، ٨٩
 (ج) ٦. ، ٢٥١ ، ٥٢٣ -
 ٥٢٤ ، ٦١٩
 (ج) ٧. ، ٣٧٢
 ٤٦٤ ، ٤٦٦ - ٤٦٨ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٩ - ٥١٠
 (ج) ٨. ، ٨٩ - ٩٠ ،
 ١٠٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٨٠
 ٣٨٨ ، ٣٩٠ - ٣٩١ ،
 ٣٩٣ - ٣٩٩ ، ٤٠٢ -
 ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٦ ، ٤٨٠ - ٤٨١ ،
 ٤٩٤ ، ٦٠٣
 (ج) ٩. ، ٣٥ - ٣٦ ،
 ٦٤ - ٦٥ ، ١٢٣ ،
 ١٣٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ -
 ١٧٤ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ،
 ٢٣٦ ، ٢٨١ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ،
 ٣١٢ ، ٣١٨ ،
 ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ -
 ٣٢٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ،
 ٨٦٦ ، ٨٧١
 الارشاد في القراءات العشر
 (ج) ٨. ، ٦٠٩
 ارض الانبياء (ج) ٧. ، ٧٠ -
 ٧١
 ارميا : سفر (ج) ١. ، ١٩ ،
 ٢٣٦ ، ٣٥٠ - ٣٥٢ ،
 ٣٧٦ ، ٤١١ ، ٤١٨ ،
 ٤٣٩ ، ٥٨١ ،
 ٥٩٦ ، ٦١٠ : ٦١٣
 (ج) ٢. ، ١٢٠ ، ٢٦١
 (ج) ٣. ، ٦٦
 (ج) ٦. ، ٢٣٨
 (ج) ٧. ، ٢٣٣ ، ٢٤٠
 (ج) ٨. ، ٥٩
 الازمنة والامكنة (ج) ٤. ، ١١٥ ،
 ٢٠٨ ، ٢٣٨

- (ج) ١٣٥ حا
(ج) ٣٤٧ حا
الاستيعاب (ج) ١١٦ حا ، ٨٦ حا ، ١١٦ حا
١١٩ حا ، ٢٤٨ حا ، ٥٦١ حا
٥٨٦ حا ، ٦٤٣ حا ، ٦٤٧ حا
(ج) ٨١ حا ، ١٠٠ حا ، ١٢٩ حا ، ١٨٣ حا ، ٢٠٨ حا ، ٤٥٧ حا ، ٤٥٩ حا ، ٤٧٦ حا ، ٥٠٤ حا
(ج) ٢٨ حا ، ٤١ حا ، ٢٩٥ حا ، ٣٠٠ حا ، ٣١١ حا ، ٣٢٨ حا ، ٤٤٠ حا ، ٤٤١ حا ، ٤٤٤ حا ، ٤٥٤ حا ، ٤٥٩ حا ، ٤٦١ حا ، ٤٦٤ حا
(ج) ١١٦ حا ، ١١٧ حا ، ١١٩ حا ، ١٢١ حا ، ١٢٣ حا ، ١٢٥ حا ، ١٢٩ حا ، ١٣٣ حا ، ١٣٤ حا ، ١٣٦ حا ، ١٣٧ حا ، ٢٩٢ حا ، ٣٠١ حا ، ٣٠٢ حا ، ٣٢٣ حا ، ٣٢٤ حا ، ٣٢٩ حا ، ٣٣٢ حا ، ٣٤٩ حا ، ٣٥٨ حا ، ٣٧٦ حا ، ٣٧٩ حا ، ٣٨٧ حا ، ٥٥٣ حا ، ٦٥٠ حا ، ٧٤٤ حا ، ٧٤٩ حا ، ٧٦٦ حا ، ٧٨٩ حا ، ٧٩٠ حا
(ج) ٧٨ حا ، ١٤١ حا ، ١٤٧ حا ، ١٤٨ حا ، ٢٧٧ حا ، ٢٧٩ حا ، ٣٨ حا ، ٣٨٥ حا ، ٥٣٢ حا ، ٥٣٢ حا ، ٥٤٧ حا ، ٥٤٨ حا ، ٥٥٣ حا ، ٥٥٥ حا ، ٦٥٥ حا ، ٦٧٠ حا ، ٦٧٠ حا ، ٦٧٠ حا ، ٧١٢ حا ، ٧١٥ حا ، ٧٢٣ حا ، ٧٢٤ حا ، ٧٢٨ حا ، ٧٣١ حا ، ٧٣٧ حا ، ٧٣٩ حا ، ٧٤٣ حا ، ٧٤٧ حا ، ٧٤٩ حا
- ٧٥١ ، ٧٦٦ حا ، ٧٧١ حا -
٧٧٢ حا ، ٧٧٨ حا ، ٧٩٣ حا ، ٨٤٤ حا ، ٨٤٦ حا ، ٨٥٣ حا ، ٨٦٠ حا ، ٨٦٦ حا ، ٨٦٧ حا ، ٨٧٢ حا ، ٨٧٤ حا ، ٨٧٥ حا ، ٨٨٥ حا ، ٨٩١ حا ، ٩٠٥ حا ، ٩٠٨ حا
اسد الغابة (ج) ١٢٠ حا ، ١٢١ حا ، ٢١٠ حا ، ٢١١ حا
(ج) ٢٥٠ حا ، ٢٨٩ حا ، ٤٦٠ حا
(ج) ٣٧٠ حا ، ٤٦٩ حا ، ٤٧٢ حا ، ٤٧٤ حا ، ٥٠٤ حا ، ٥٦٢ حا ، ٥٦٤ حا ، ٦٠٦ حا ، ٦٠٧ حا ، ٦٣٤ حا ، ٦٨٢ حا ، ٦٨٤ حا ، ٦٨٦ حا
(ج) ٣٦٩ حا
(ج) ١١٦ حا ، ١٢٥ حا ، ١٣٤ حا ، ٣٧٨ حا
(ج) ١٧٧ حا ، ٧٣٠ حا ، ٧٩٣ حا ، ٨٤٨ حا ، ٨٧١ حا ، ٩٠٥ حا
اسس القرن التاسع عشر
(ج) ٢٥٧ حا
الاسلام والمشكلة النصرانية
(ج) ٣٢٤ حا ، ٣٥٧ حا ، ٣٦٩ حا ، ٣٧٠ حا
اسماء جبال تهامة (ج) ٧٩ حا ، ٨٢ حا ، ٨٦ حا ، ٨٨ حا ، ١٢٤ حا ، ١٢٨ حا ، ١٦٢ حا ، ١٦٦ حا ، ١٧٥ حا ، ١٨١ حا ، ١٨٤ حا ، ١٩٩ حا ، ٢٠١ حا ، ٢٠٧ حا ، ٢٧٢ حا ، ٥٣٢ حا
اسماء الخيل (ج) ٦٨٥ حا
(ج) ٣٩٤ حا ، ٣٩٧ حا

اسماء المفتالين (ج3) حا ١٧٨ ،
حا ١٨١

(ج٤) حا ٥٦٢

(ج٥) حا ٥٣٠ ، حا ٥٨٨ ،
حا ٦٤٣ ، حا ٦٥٠

(ج٦) حا ٥٠٦ ، حا ٥٢١

(ج٦) حا (٤٥٣ ، ٤٥٨ ،

٤٧٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٩

٥٣٨ ، ٥٦١ ، ٥٩٩ ، ٦٣٩

٦٤٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٨ ، ٦٧٦

٦٨٥ ، ٧٢٧ ، ٧٩٤ ، حا

(٨٧٨

الاشارة الى محاسن التجارة

(ج٧) حا ٢٣٨ ، حا ٢٤٠ ،

حا ٤١٥ ، حا ٥١٨

الاشباه والنظائر (ج٥) حا ٨٦

(ج٨) حا ٥٤٧

(ج٩) حا ٧ ، حا ٢١٩ ، حا

٢٩٤

الاستنقاق (ج١) حا ٣٣٨ ، حا

٣٥٥ ، حا ٣٥٨ ، حا ٣٦٣

٣٦٦ ، حا ٣٧٠ ، حا ٣٧٤

٣٨١ ، حا ٣٨٢ ، حا ٣٨٥

٣٨٦ ، حا ٣٨٩ ، حا ٣٩٠

٤٠٦ ، حا ٥٢١ ، حا ٥٢٥

٥٢٧ ، حا ٥٧٩ ، حا

٦٤٧

(ج٢) حا ٤٢ ، حا ٢٢٠ ، حا

٣٥٣ ، حا ٣٦٥ ، حا ٣٧٩

٤٠٢ ، حا ٥١٢ ، حا

٥٩٠ ، حا ٥٩٧ ، حا ٥٩٨

٦٤٦ ، حا ٦٤٧

(ج٣) حا ١٢ ، حا ١٦٨

١٦٩ ، حا ١٧٦ ، حا ١٧٨

١٨٤ ، حا ٢١٤ ، حا

٢٢٦ ، حا ٢٢٩ ، حا ٢٣١

حا ٢٣٨ ، حا ٢٥٤ ، حا

٢٥٦ ، حا ٢٧٥ ، حا ٢٨٢

حا ٢٨٤ ، حا ٢٩١ ، حا

٢٩٧ ، حا ٢٩٨ ، حا ٣١٥

حا ٣٢٥ ، حا ٣٥٩ ، حا

٣٦١ ، حا ٣٦٤ ، حا ٣٧٥

حا ٣٨١ ، حا ٣٨٢ ، حا ٣٨٧

٣٨٨ ، حا ٣٩٠ ، حا ٣٩٢

حا ٣٩٤ ، حا ٣٩٥ ، حا ٤٠٠

حا ٤٠٣ ، حا ٤٠٤ ، حا ٤٣٤

حا ٤٩٨ ، حا ٥٠٦ ، حا

٥١٣ ، حا ٥٢٠ ، حا ٥٢٧

(ج٤) حا ١٥ ، حا ٢١ ، حا

٢٩ ، حا ٣٠ ، حا ٤١ ، حا ٤٣

حا ٤٥٥ ، حا ٤٧ ، حا ٥٣

حا ٥٧ ، حا ٦٥ ، حا ٧٢

حا ٩٤ ، حا ١٠٣ ، حا

١٠٤ ، حا ١٠٥ ، حا ١٠٨

١١٠ ، حا ١٢٤ ، حا ١٣٤

١٤٠ ، حا ١٤٨ ، حا ١٥٤

حا ١٥٦ ، حا ١٥٧ ، حا ١٨٦

١٨٨ ، حا ٢٠١ ، حا ٢١٧

٢٢٠ ، حا ٢٢٤ ، حا ٢٢٥

حا ٢٤٠ ، حا ٢٤٥ ، حا ٢٤٦

حا ٢٤٨ ، حا ٢٥٠ ، حا ٢٥٢

حا ٢٥٤ ، حا ٢٥٦ ، حا

٢٥٩ ، حا ٢٦٢ ، حا ٢٦٦

حا ٢٤٧ ، حا ٢٤٨ ، حا ٢٦٣

حا ٢٧٤ ، حا ٢٧٨ ، حا ٢٧٩

حا ٣٨٦ ، حا ٣٨٩ ، حا

٤٠٥ ، حا ٤١٥ ، حا ٤١٩

حا ٤٢١ ، حا ٤٢٥ ، حا ٤٣٢

٤٣٣ ، حا ٤٣٦ ، حا ٤٣٨

٤٣٩ ، حا ٤٤١ ، حا

٤٤٣ ، حا ٤٤٦ ، حا ٤٤٨

٤٥١ ، حا ٤٥٤ ، حا ٤٦٠

٧١. ، ٧١٣ - ٧١٤ ، ٧١.
٧٢٢ ، ٧٣٩ ، ٧٦٢ ،
٧٧٠ - ٧٦٩ ، ٧٦٥ ،
٧٨١ ، ٧٩١ - ٧٩٢ ،
(٧ج) ٢٩٥ ، ٢٨٤ ،
٥.١

(٨ج) ٢.٤ ، ٢٧٧ ،
٣١٩ ، ٣٧٧ ،
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٤.٧ -
٤.٨ ، ٤١٦ - ٤١٧ ،
٤٢٦ ، ٧٥٤ ،
٧٢٨

(٩ج) ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٢ ،
١١٣ - ١١٤ ، ١١٨ ، ٤٤٤٨ ،
٤٦٢ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ٤٨٩ ،
٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٣٢ ،
٦٤٢ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٦٣ -
٦٦٤ ، ٦٦٨ - ٦٦٩ ، ٦٩٠ ،
٦٩٢ ، ٦٩٧ ، ٧.٨ ، ٧.١ -
٧١٣ ، ٧٢٠ - ٧٢١ ، ٧٢٦ ،
٧٦٤ ، ٧٧١ - ٧٧٢ ، ٨٢٨ ،
٨٤٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٢ ، ٨٩٤

(٩.٧

الإشراف (ج) ٥.٦

أشراف عبد القيس: (ج) ٤٨٧

أشعار حمير (ج) ٣٥٠

أشعار لصوص العرب (ج) ٣٥١

أشعفاء (ج) ١٨ ، ٢.٦ ،

٤٣٩ ، ٤٥٨ ،

٥٨١ - ٥٨٢

(ج) ٦٦ - ٦٧

(ج) ٦١١

(ج) ٧٧٧

(ج) ٢٤٠ ، ٣٢١

(ج) ٤٣٧

الاصابة (ج) ١٤٧ ،

٤٦٣ - ٤٦٥ ، ٤٨١ -
٤٨٥ ، ٤٨٧ - ٤٩٣ ،
٤٩٨ ، ٥٠٠ ،
٥.٢ - ٥.٤ ، ٥.٦ -
٥٢٢ ، ٥٢٤ - ٥٢٦ ،
٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ،
٥٨٥ ، ٦٥٦ ،

٦٨.

(ج) ٩ ، ٩٦ ،
١٢٤ ، ١٨٨ - ١٨٩ ،
٢.٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ،
٢٩١ ، ٣.٣ ،
٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ -
٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ،
٣٧٢ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ،
٣٩١ - ٣٩٢ ، ٤.٤ ،
٤٢٥ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ،
٤٣٠ ، ٤٣٨ - ٤٤٣ ،
٤٤٥ - ٤٤٧ ،

٦٥.

(ج) ٣٨ - ٣٩ ،
٦٧ ، ٧١ ، ٧٧ ،
٨٦ ، ٩٩ ، ١٩٦ ،
٢.٤ - ٢.٥ ، ٢٣٧ ،
٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ،
٢٧٩ ، ٢٨٢ ،
٢٨٥ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ ،
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،
٣٧٠ ، ٤٣٢ - ٤٣٣ ،
٤٧٢ - ٤٧٣ ، ٤٧٧ ،
٤٨١ ، ٥٠٠ ،
٥.٣ ، ٥٢١ - ٥٢٢ ،
٥٧٧ ، ٦٧٨ ،
٦٨٢ - ٦٨٣ ، ٦٨٦ ،

٧٦٩ ، ٧٣٩ ج : ٧٢.
 ج (٧ج) : ٣٨ ج : ٥٩ ج : ج
 - ١٤٧ ج : ١٢٩ ج : ١١٦
 ، ٣.٠ ج : ٢٨٨ ج : ١٤٩
 : ٣١٠ - ٣١١ ج : ٣١٥ ج
 ج : ٣٢٣ ج : ٣٢٩ ج : ج
 - ٤.٧ ج : ٣٦٨ ج : ٣٤٢
 : ٤٤١ - ٤٤.٠ ج : ٤.٨
 : ٤٤٣ - ٤٤٤ ج : ٤٥٤ ج
 : ٤٧١ ج : ٤٦٤ - ٤٥٩ ج
 ج : ٤٧٩ ج : ٥١٤ ج : ج
 ٥٥٦
 ج (٨ج) : ١١٦ - ١١٧ ج : ج
 : ١٢٣ - ١٢٢ ج : ١١٩
 ج : ١٢٠ - ١٢٥ ج : ١٣٢
 - ١٣٨ ج : ٢٥١ ج : ج
 ج : ٢٦٤ ج : ٢٨٩ ج : ج
 : ٢٩٢ ج : ٣.١ - ٣.٣ ج : ج
 : ٣٢٤ - ٣٢٣ ج : ٣.٥ ج
 - ٣٤٨ ج : ٣٣٣ - ٣٢٩ ج
 - ٣٧٨ ج : ٣٧٥ ج : ٣٤٩
 : ٣٧٩ ج : ٣٨٧ ج : ٤.٢ ج
 ج : ٤.٥ ج : ٤.٨ ج : ج
 ج : ٥.٠ - ٤٩٩ ج : ٤٢٨
 : ٥٥٣ ج : ٥٦٩ ج : ٥٩٨ ج
 ج : ٦.١ ج : ٦.٨ ج : ج
 : ٧٣٥ ج : ٧٤٤ ج : ٧٤٩ ج
 ج : ٧٦١ ج : ٧٦٣ ج : ج
 - ٧٦٥ - ٧٦٦ ج : ٧٨١ ج
 ٧٨٢ ج : ٧٨٨ - ٧٩١ ج
 ج (٩ج) : ٩ ج : ٢.٠ ج : ج
 - ٣٧ ج : ٣٨ ج : ٤١ ج : ج
 : ٤٤ ج : ٥٢ ج : ٦٤ ج : ج
 : ٧٨ ج : ٩١ ج : ١١٥ ج
 ج : ١٤١ ج : ١٤٧ ج : ج
 : ١٥٩ ج : ١٧٧ ج : ١٩٧ ج

٤٨١ ج : ٣٤٨
 ٥٢٨ ج : ٤٣٩ ج (١٣ج)
 : ١.٨ ج : ١.٣ ج (١٤ج)
 : ٤٨٤ ج : ١٢٢ - ١٢١ ج
 ج : ٥٣٤ ج : ٥٧٥ ج : ج
 - ٦٣٣ - ٦٣٢ ج : ٥٨٦
 ج : ٦٦.٠ ج : ٦٥٢ ج
 ج : ٦٦٦ : ٦٦٩ ج : ٦٧١ ج
 ٦٧٣
 : ٥٢ ج : ٣٤ ج (١٥ج)
 : ٩٦ ج : ٨٦ ج : ٥٤ ج
 ج : ١١٦ ج : ١١٩ ج : ج
 : ٢٥١ ج : ٢١١ ج : ١٥٤
 : ٤٢٤ ج : ٢٨٨ ج : ٢٨٩ ج
 : ٥٣٦ ج : ٥٢٩ ج : ٤٦٥ ج
 ج : ٥٥.٠ ج : ٥٦١ ج : ج
 - ٦٤.٠ ج : ٥٨٩ ج : ٥٨٥
 ٦٤٧ ج : ٦٤٣
 ج (١٦ج) : ١٩ ج : ٥٦ ج : ج
 - ٦١ ج : ٦٤ ج : ٩٧ ج
 : ١.٠ ج : ١٨٣ ج : ٢.٨ ج
 : ٢١٧ - ٢١٨ ج : ٢٣٤ ج
 : ٢٥٩ ج : ٢٨٩ ج : ٣٤٣ ج
 : ٣٦٩ ج : ٤.٨ ج : ٤١٩ ج
 : ٤٢٢ ج : ٤٣٢ ج : ٤٣٥ ج
 ج : ٤٤٣ ج : ٤٥.٠ ج : ج
 : ٤٥٧ ج : ٤٥٩ ج : ٤٦.٠ ج
 ج : ٤٦٤ ج : ٤٦٧ ج : ج
 : ٤٦٩ ج : ٤٧٦ ج : ٤٧٨ ج
 : ٥.٢ ج : ٥.٠ ج : ٤٨٨ ج
 ج : ٥.٤ ج : ٥١٥ ج : ج
 : ٥٢٩ ج : ٥٦٢ ج : ٥٦٤ ج
 ج : ٥٩٧ ج : ٦.١ ج : ج
 ج : ٦.٥ ج : ٦.٧ ج : ج
 ج : ٦٢٢ ج : ٦٧٢ ج : ج
 : ٦٨٣ - ٦٨٤ ج : ٦٨٦ ج

١٤٥ ، حا ٤٥٥ ، حا ٤٧٥
 (ج) حا ١٢ - حا ١٣ ، حا
 حا ٣٦ ، حا ٦٦ ، حا ٧١ ، حا
 حا ٧٣ - حا ٧٩ ، حا ١٤٣ ، حا
 حا ١٤٧ ، حا ٢.٢ ، حا ٢.٧ ، حا
 حا ٢٢٧ - حا ٢٣. ، حا ٢٣٣
 حا ٢٣٧ - حا ٢٣٩ ، حا ٢٤٤
 حا ٢٤٨ - حا ٢٤٩ ، حا ٢٥١ ، حا
 حا ٢٥٣ - حا ٢٥٨ ، حا ٢٦٠ ، حا
 حا ٢٦٢ - حا ٢٨١ ، حا ٢٨٣ -
 حا ٢٨٤ ، حا ٢٨٦ ، حا ٣١١ ، حا
 حا ٣٥٤ ، حا ٣٨٩ - حا ٤٠٠ ، حا
 حا ٤.٢ ، حا ٤.٧ ، حا
 حا ٤.٩ ، حا ٤١٢ ، حا ٤١٦ -
 حا ٤١٩ ، حا ٤٢٢ - حا ٤٢٣ ، حا
 حا ٤٥٢ ، حا ٦٨٢ - حا ٧١٠ ، حا
 حا ٧٨٠ - حا ٧٨١

الاضداد (ج) حا ٦٥٧

(ج) حا ٥٥٨

اضواء على السنة المحمدية

(ج) حا ٣٢٨ ، حا ٦.١ -
 حا ٦.٢ ، حا ٧٣٥ - حا ٧٣٧ ، حا
 حا ٧٥٠ ، حا ٧٥٢

(ج) حا ٢٠ ، حا ٢٦

اعجاز القرآن (ج) حا ٥٢٦ ، حا
 حا ٥٣٥ ، حا ٦٤٦ ، حا ٨.٥

الاصجاز والايجاز (ج) حا ٥٤٣

الاعلاق النفيسة (ج) حا ٤٥٤

(ج) حا ٥١ ، حا ٩٠ ، حا

حا ١٢٦ ، حا ١٢٩ - حا ١٣٠ ، حا

حا ١٣٢ ، حا ١٣٩ ، حا

حا ١٩٧ ، حا ٢.٧ ، حا ٢١٦ :

حا ٢٢٥ - حا ٢٢٦ ، حا ٢٤١ ، حا

حا ٢٦. ، حا ٣.٣

(ج) حا ٥٩٣ ، حا ٦.٥ ، حا

حا ٦٣٢

حا ٢٧٧ ، حا ٢٧٩ ، حا
 حا ٣٢٣ ، حا ٣٦١ ، حا
 حا ٣٨٠ ، حا ٣٨٥ ، حا
 حا ٣٨٨ ، حا ٤٣١ ، حا ٤٤٩ ، حا
 حا ٤٧١ ، حا ٤٨٩ ، حا
 حا ٤٩٣ ، حا ٤٩٥ ، حا ٤٩٦ ، حا
 حا ٥.٢ - حا ٥.٤ ، حا (٥٣٢)
 حا ٥٤١ ، حا ٥٤٧ - حا ٥٥٤
 حا ٥٥٥ ، حا ٥٧٣ ، حا ٥٧٨ ، حا ٦٢١
 حا ٦٥. ، حا ٦٧. ، حا ٦٩٧ ، حا ٧.٤
 حا ٧.٦ ، حا ٧١. - حا ٧١٢ ، حا ٧١٤
 حا ٧١٥ - حا ٧٢٣ ، حا ٧٢٥ ، حا
 حا ٧٢٧ - حا ٧٢٩ ، حا ٧٣٦ ، حا ٧٣٨
 حا ٧٤. ، حا ٧٤٢ ، حا ٧٤٥ - حا ٧٤٨
 حا ٧٥١ ، حا ٧٥٣ ، حا ٧٥٧ ، حا ٧٦١
 حا ٧٦٤ ، حا ٧٦٦ ، حا ٧٧٢ ، حا ٧٨١
 حا ٧٩. ، حا ٨١٧ ، حا ٨٤١ ، حا ٨٤٤
 حا ٨٤٧ - حا ٨٥٠ ، حا ٨٥٢ - حا ٨٥٤
 حا ٨٥٦ - حا ٨٥٨ ، حا ٨٦٠ - حا ٨٦٢
 حا ٨٦٥ - حا ٨٧١ ، حا ٨٧٣ - حا ٨٧٤
 حا ٨٧٧ - حا ٨٨٩ ، حا ٨٩١ - حا ٨٩٥
 حا ٨٩٧ - حا ٩.٣ ، حا ٩.٥ - حا ٩.٨

الاصمعيات (ج) حا ٤.٢ - حا ٤.٣
 حا ٢٦٧ (ج)
 حا ٥٧. (ج)
 حا ٢٦٧ - حا ٢٦٨ (ج)
 حا ٢٧٩ - حا ٢٨٠
 حا ٩٨ ، حا ١٥٩ (ج)
 حا ٣.٥ ، حا ٤٥٥ ، حا ٤٧٣
 حا ٤٨١ ، حا ٦١٨ ، حا ٦٩٠ ، حا
 حا ٧٧٦ ، حا ٨٧٩

الاصنام (ج) حا ٨٧ ، حا ١٢. ، حا

حا ٣٣٦ ، حا ٦٢٥

(ج) حا ١١٥ ، حا ٣٥٤ ، حا

حا ٤.١

(ج) حا ١٤ ، حا ٧٤ ، حا

٢٨٥ ، ٢٨٧ - ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٥ - ٣٤٢ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ - ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ - ٣٧٢ ، ٣٧٥ - ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ - ٤٣٥ ، ٤٣٧ - ٤٣٨ ، ٤٤١ - ٤٤٢ ، ٥٠٦ ، ٥٢٧ - ٥٢٨ ، ٥٢٨ (ج) ، ٨٦ ، ٩٧ - ٩٨ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ - ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ - ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤١١ - ٤١٣ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ - ٤٥٨ ، ٤٧٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٤٩٧ - ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ - ٥١٧ ، ٥١٩

(ج) ٧٢ ، ١٤٧ ، ٣٥٦ ، ٤٠٧ ، ٥١٤ ، ٥٩٠ ، ٦٩٣ ، ٣٣٦ (ج) ، ٣٩ ، ٣٦٦ (ج) ، ١٦١ ، ٢٩٢ ، اعلام الموقعين (ج) ٧ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٢٩ (ج) ، ٨ ، اعلام النبلاء (ج) ٨ ، ٧٣٦ (ج) ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ، اعلام النبوة (ج) ٩٦ ، اعمال الرسل (ج) ١ ، ٣٨ ، ٦٥١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، الاغانى (ج) ١ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٧٦ - ٧٨ ، ١١٢ - ١١٣ ، ١٣٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ - ٣٣٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ١٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٤٨٣ - ٤٨٥ ، ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ٥٠٥ ، (ج) ١١٥ ، ١١٧ ، ٦١٦ ، ٦٣٦ ، (ج) ١١ ، ١٥٩ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ - ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ٢٤١ - ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ - ٢٥٣ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ - ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٢٨٣

، ٤٦١ ب . ٤٥١ ب . ٣٩٤
 ، ٤٦٩ ب . ٤٦٦ - ٤٦٤ ب
 ، ٤٧٥ - ٤٧٤ ب . ٤٧٢ ب
 - ٤٨٧ ب . ٤٨٥ - ٤٧٨ ب
 - ٥٠٠ ب . ٤٩٦ ب . ٤٨٩
 ، ٥٠٩ ب ، ٥٠٥ ب . ٥٠١
 ، ٥٣٨ ب ، ٥٢٢ - ٥١٧ ب
 - ٥٧٦ ب ، ٥٧١ - ٥٧٠ ب
 ب ، ٥٨١ - ٥٨٠ ب . ٥٧٧
 ، ٦٠١ ب ، ٥٩٦ ب . ٥٨٤
 ، ٦٥١ ب ، ٦٤٧ ب
 ، ٦٦٥ ب ، ٦٦٠ ب
 ب ، ٦٧٣ - ٦٧٢ ب
 ب ، ٧٠٢ ب ، ٦٧٨ - ٦٧٧
 ب ، ٧٢٨ ب ، ٧١٣ - ٧١٢
 ب ، ٧٦٤ - ٧٦٣ ب ، ٧٦٠
 ٨٠٢ ب ، ٧٩٠ ب . ٧٧٠
 - ٢٩٤ ب ، ٢٠٩ ب (٧ج)
 ، ٣٠٧ ب ، ٢٩٧ ب . ٢٩٥
 ب ، ٣٦٩ ب ، ٣١٨ ب
 ٥٨٢ ب ، ٥٧٨ ب : ٣٨٢
 ٦١٥ ب ، ٥٨٣ -
 - ١٠٨ ب ، ٣٦ ب (٨ج)
 ، ١١٢ - ١١١ ب ، ١٠٩
 ب ، ١١٨ ب ، ١١٦ ب
 ، ٢٠٤ ب ، ١٤١ - ١٤٠
 ، ٢٥٥ - ٢٥٤ ب ، ٢٥٢ ب
 ، ٢٦٨ - ٢٦٧ ب : ٢٦١ ب
 ب ، ٢٨٣ ب ، ٢٧٤ ب
 : ٢٩٦ - ٢٩٥ ب . ٢٨٨
 ٣٢٣ ب ، ٣٠٥ - ٣٠٤ ب
 ب : ٣٦٧ ب ، ٣٥٢ ب
 : ٦٦٣ ب ، ٦٣١ ب . ٣٧٨
 ب ، ٧٤٥ ب ، ٧٤٣ ب
 ٧٨٤ ب . ٧٧٧
 - ٦٥ ، ٥٢ ، ١١١ ب (٩ج)

ب . ٥٢٦ ب ، ٥٢١ ب
 ب . ٥٣٣ - ٥٣٢ ب ، ٥٢٩
 - ٥٦٧ ب . ٥٥٧ ب ، ٥٤٤
 - ٦٥٩ ب . ٥٨٠ ب ، ٥٦٨
 ٦٧١ ب : ٦٦٨ ب ، ٦٦٠
 ب ، ٤٢ ب : ٣٧ ب (١٥ج)
 ب ، ٩٠ ب ، ٥١ ب ، ٤٦
 ، ١٠٥ - ١٠٣ ب ، ٩٧ - ٩٦
 : ١١٠ - ١٠٩ ب ، ١٠٧ ب
 ١٢٣ ب ، ١٢٠ - ١١٨ ب
 ب ، ١٥٦ ب ، ١٢٤ -
 ، ٢٠٨ ب ، ١٧٢ ب ، ١٦١
 ب ، ٢٨٣ ب ، ٢٦٦ ب
 ب ، ٣١٨ ب ، ٣١١
 ب ، ٣٤٦ ب ، ٣٤٣
 ، ٣٦٤ - ٣٥٦ ب ، ٣٥٤
 ، ٣٧٤ - ٣٧٣ ب ، ٣٧١ ب
 - ٣٨٤ ب ، ٣٨٢ - ٣٨١ ب
 ، ٣٩٢ ب ، ٣٨٩ ب : ٣٨٥
 ، ٤٢٧ - ٤٢٦ ب ، ٤١٩ ب
 ، ٤٤١ - ٤٤٠ ب ، ٤٣٦ ب
 ب ، ٤٥٩ ب ، ٤٤٤ ب
 - ٥٢٠ ب ، ٤٩٦ ب ، ٤٦٦
 ، ٥٣١ ب ، ٥٢٩ ب ، ٥٢١
 ، ٥٤٩ ب ، ٥٤٥ - ٥٤٤ ب
 ب ، ٥٧٣ ب ، ٥٥٤ ب
 ، ٦٣٣ ب ، ٥٩٣ - ٥٩١
 ٦٤٧ - ٦٤٦ ب ، ٦٣٨ ب
 ب : ٦١ ب ، ١١ ب (٦ج)
 ، ١٥٧ ب ، ١٣٠ ب ، ١٠٦
 ب ، ١٩٥ ب ، ١٦٠ ب
 ، ٢٤١ ب ، ٢٣٤ ب ، ٢٠٠
 ب ، ٢٦٨ ب ، ٢٦٥ ب
 ب ، ٢٧٧ - ٢٧٤ ب : ٢٧١
 ، ٣٥٢ ب ، ٢٨٤ ب ، ٢٨٢
 ب ، ٣٧٠ ب ، ٣٦٥ ب

٧٧٨ ، ٧٧٦ — ٧٧٥ ، ٧٧١
 ، ٧٨٦ — ٧٨٢ ، ٧٧٩ —
 ، ٨٠٠ ، ٧٩٧ — ٧٩٦ ، ٧٩١
 ، ٨١١ ، ٨٠٧ — ٨٠٦ ، ٨٠٤
 ، ٨٢٠ — ٨٢٨ ، ٨١٤ — ٨١٣
 ، ٨٤٨ ، ٨٤٣ — ٨٤٢ ، ٨٣٢
 ، ٨٥٥ — ٨٥٤ ، ٨٥٠ —
 ، ٨٦٦ — ٨٦٤ ، ٨٦١ — ٨٥٧
 — ٨٧٣ ، ٨٧١ ، ٨٦٩ — ٨٦٨
 ، ٨٨٠ — ٨٧٨ ، ٨٧٦ ، ٨٧٤
 ، ٨٩٥ ، ٨٨٧ ، ٨٨٥ ، ٨٨٢
 (٩٠٣ ، ٨٩٧)

افسس : سفر (ج) حا ٨٥٥

الاقتراح (ج) حا ٢١

الاقتضاب في شرح ادب الكتاب

(ج) ، حا ٢٥١

(ج) حا ١٥٥ ، حا ١٨٦ ، حا

حا ٢٦٧ ، حا ٢٧٢ ، حا

حا ٢٨١ ، حا ٣٠٥ — ٣٠٦ ، حا

حا ٣١١ ، حا ٣٤٤ ، حا

٧٧٩

الاقناع (ج) حا ٣٤٧ ، حا ٣٩٣

الاكتفاء (ج) حا ٥٨٣

(ج) حا ٤٧٤

الكليل (ج) حا ٤٦ ، حا ٤٩ ، حا

حا ٨٤ ، حا ٩٠ — ١٠٦ ، حا

حا ١٠٨ ، حا ١١٥ — ١١٦ ، حا

حا ١١٩ — ١٢٠ ، حا ١٢٦ ، حا

حا ١٤٨ ، حا ١٧١ ، حا

حا ٢٢٤ ، حا ٣٠٢ — ٣٠٤ ، حا

حا ٣٠٨ — ٣١٠ ، حا ٣٤١ ، حا

حا ٣٤٤ — ٣٤٦ ، حا ٣٤٨ ، حا

حا ٣٥٠ — ٣٥٦ ، حا ٣٥٨ — ٣٦٢ ، حا

حا ٣٦٩ ، حا ٣٧١ ، حا

حا ٤٠٩ ، حا ٤١١ ، حا ٤١٣ —

٤٩١ — ٨٨ ، حا ٨١ ، حا ٧٦ ، حا
 حا ٩٣ — ٩٤ ، حا ٩٧ ، حا ١٠٢ ، حا
 حا ١١١ — ١١٧ ، حا ١١٤ ، حا ١١٨
 حا ١٤٧ — ١٥٩ ، حا ١٦٩ ، حا ١٧٦
 حا ١٧٧ — ١٨٠ ، حا ٢٠٠ ، حا
 حا ٢٣٨ — ٢٣٩ ، حا ٢٤٧ ، حا ٢٥٢
 حا ٢٥٣ — ٢٦٥ ، حا ٢٦٧ ، حا
 حا ٢٦٨ — ٢٩٣ ، حا ٢٩٤ ، حا ٢٩٨
 حا ٢٩٩ — ٣٠١ ، حا ٣٠٥ ، حا
 حا ٣٠٧ — ٣١٠ ، حا ٣١٢ ، حا ٣١٦
 حا ٣١٨ — ٣٢١ ، حا ٣٢٣ — ٣٢٤
 حا ٣٢٦ — ٣٣٢ ، حا ٣٣٣ ، حا ٣٣٧
 حا ٣٣٩ ، حا ٣٦٩ ، حا ٣٧٩ ، حا
 حا ٤٠١ — ٤١٣ ، حا ٤١٩ ، حا ٤٣١
 حا ٤٣٤ — ٤٥٣ ، حا ٤٤٩ ، حا ٤٥٦
 حا ٤٦٢ — ٤٦٦ ، حا ٤٦٨ ، حا ٤٧٠
 حا ٤٧٢ — ٤٧٤ ، حا ٤٧٦ ، حا ٤٨٢
 حا ٤٨٤ — ٤٨٧ ، حا ٤٩١ ، حا ٤٩٣
 حا ٤٩٩ — ٥٠١ ، حا ٥٠٤ — ٥٠٥
 حا ٥١٤ — ٥١٩ ، حا ٥٢٩ ، حا ٥٣٣
 حا ٥٣٦ — ٥٣٧ ، حا ٥٤١ — ٥٤٢
 حا ٥٤٩ — ٥٥٠ ، حا ٥٥٣ ، حا ٥٥٨
 حا ٥٦١ — ٥٦٤ ، حا ٥٦٧ ، حا ٥٧٠
 حا ٥٧١ — ٥٧٣ ، حا ٥٨١ ، حا ٥٨٦
 حا ٥٩٢ — ٥٩٧ ، حا ٥٩٨ — ٦٠٦
 حا ٦٠٧ — ٦٠٩ ، حا ٦١٢ — ٦١٤
 حا ٦١٥ — ٦١٧ ، حا ٦١٨ — ٦٢٠
 حا ٦٢٢ — ٦٢٤ ، حا ٦٢٥ ، حا
 حا ٦٣١ — ٦٣٦ ، حا ٦٣٨ — ٦٤٠
 حا ٦٤٤ — ٦٤٦ ، حا ٦٥١ — ٦٥٩
 حا ٦٦٠ — ٦٦٢ ، حا ٦٦٤ ، حا ٦٦٩
 حا ٦٧٠ — ٦٧٣ ، حا ٦٧٦ ، حا ٦٨١
 حا ٦٩٤ — ٧٠٥ ، حا ٧٢١ ، حا
 حا ٧٢٤ — ٧٢٦ ، حا ٧٢٧ ، حا
 حا ٧٢٩ — ٧٣٤ ، حا ٧٤٦ ، حا ٧٤٨
 حا ٧٥٣ — ٧٥٨ ، حا ٧٦٤ ، حا ٧٦٦

٦٦٨
 الاكمال (ج) ٥٤
 الالفاظ (ج) ٦٧٤
 (ج) ٧٤٣ ، ٥٢٠ ، ٥١٨
 ٦٢٨ ، ٦٠٧ ، ٢٩٩
 (ج) ٢٩٩
 القاب الشعراء (ج) ٦٤٣ ، ٦٤٦
 (ج) ٦٤٩ ، ٤٩٦ ، ٦٦٨ ، ٦٩٠
 الالباب (ج) ٩٥
 الام (ج) ٣٨٠
 الامالي (ج) ١١٢
 (ج) ٢٣٦ ، ١٧٢ ، ٣٥٩
 ٣٥٨ - ٣٥٩
 (ج) ٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٢١
 ٣٢١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥
 (ج) ٤٤٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣
 ٥٦١ ، ٦٣٩ ، ٦٤٤
 ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٦٩
 (ج) ٣٦٩ ، ٤٦٥ ، ٥٧٦
 ٧١٥ ، ٧٦٩ ، ٨٠٢
 (ج) ٥٨٧ ، ٦٥٦ ، ٧٤٢
 ٧٤٥ ، ٧٤٢
 (ج) ١٤٠ - ٢٥٠ ، ٢٦٨
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١
 ٢٢٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٦
 ٢٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧
 ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٩
 ٧٧٥ ، ٧٨٧ ، ٨١٣ ، ٨٧٩
 امالي الشجري (ج) ٤٩٦ ، ٨٠٣
 امالي المرتضى (ج) ٢٤٤ ، ٢٤٤

٤١٤ ، ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤٣١
 ٤٦٥ - ٤٦٤ ، ٤٨٧
 ٤٨٩ ، ٤٩١ - ٤٩٢
 ٥٠٩ ، ٥٢١
 (ج) ١١٧ - ١١٨ ، ١٥٧
 ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢
 ٣٠٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦
 ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٩١
 ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٣٩٨
 ٤٠٢ ، ٤٠٦ - ٤٠٨
 ٤١٢ ، ٤٢١ ، ٤٩٨
 ٥٢٧ ، ٥٣٢
 ٥٣٤ ، ٥٤٠ ، ٥٦٩
 ٥٧٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥
 (ج) ٣١٥ ، ٣٨١ - ٣٨٢
 ٣٩٢ - ٣٩٤ ، ٤١٤
 ٤٨٣ ، ٥٠٢ ، ٥١٤
 ٥٣٢ ، ٥٣٦
 (ج) ١٩ ، ٢١٨ ، ٤٣٢
 ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤
 ٤٤٧ - ٤٤٩ ، ٤٥٩
 ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٥٣٧
 (ج) ١٩٦ ، ٢٣١ ، ٢٧١
 ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٨١
 ٥٢٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢٠
 (ج) ٨ ، ٢٣ ، ١٠٨
 ١٣٨ ، ١٦١ ، ٢٠٠
 ٦١٤ ، ٦٧٧
 ٦٩٢ ، ٧٥٧
 (ج) ٢٠٨ ، ٣٧٩ ، ٥٥٨
 ٥٧٣ - ٥٧٥ ، ٥٨٢

٤٥١ ، ٤٦٣ - ٤٦٤
 (ج) ٣ ، ٤٤ ، ٥٧
 (ج) ٢٢٩
 (ج) ٣٠٠
 (ج) ٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٧٩ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٥٠٣ ،
 ٥٤٨ ، ٥٥٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦٧ ،
 ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢ ،
 ٦٠٤ ، ٦٠٩ ، ٦٦٥ ، ٦٧٥ ،
 ٦٧٨ ، ٦٨٠ - ٦٨٢ ، ٦٨٨ ،
 ٦٨٩ ، ٧٠٨ - ٧٢٤
 (ج) ٧ ، ٤١٧ - ٤١٨ ،
 ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ،
 (ج) ٨ ، ٩٢ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٩٤ - ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٥٢٤ ، ٧٦٨ ،
 ٧٧٥ -
 (ج) ١٣٥
 انجيل متى (ج) ٦ ، ١٣٨ ، ٦٣٥ ،
 ٦٧٩
 (ج) ٧ ، ٤١٧
 (ج) ٨ ، ١٩٢
 انجيل مرقس (ج) ٦ ، ٥٨٤
 انجيل يوحنا (ج) ٨ ، ٣٥٥
 انساب الاشراف (ج) ١ ، ٣٧٧ ،
 ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ،
 ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ،
 ٤٠٦ ،
 (ج) ٢ ، ١٧٣
 (ج) ٤ ، ٢٧ - ٢٨ ،
 ٣١ ، ٣٧ - ٣٨ ،
 ٤٢ ، ٤٥ - ٤٦ ،
 ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
 ٦٣ - ٦٥ ، ٦٧ ،

امثال الميداني (ج) ٩ ، ٦٦٤ ،
 ٨٣٥
 امراء غسان (ج) ١ ، ٨٠ ،
 ١٣٥
 (ج) ٣ ، ٢٢٧ ، ٢٩٠ -
 ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
 ٣٩٨ ، ٤٠٣ - ٤١٤ ،
 ٤١٦ - ٤١٧ ، ٤٢٥ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٥ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ،
 (ج) ٥ ، ٢٠٠
 الاموال : (ج) ٧ ، ٤٦٨
 الامومة عند العرب (ج) ١ ، ٥٢٣
 (ج) ٥ ، ٩٦ ، ٥٣٧ ،
 ٥٦٣ ،
 الاميرية : مطبعة (ج) ٦ ، ٦٣٨ ،
 ٦٤٩
 الانباء (ج) ١ ، ٤٠٠ - ٤٠١ ،
 ٤٠٦
 (ج) ٣ ، ٣٨٢
 (ج) ٤ ، ٣٢٤ ، ٤١٩ -
 ٤٢٠ ، ٤٢٤ - ٤٢٦ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ،
 ٤٤٠ - ٤٤١ ، ٤٤٦ ،
 ٤٤٩ - ٤٥١ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٨ - ٤٦٠ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٧ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٥٠٢ ،
 ٥٠٦ - ٥٠٧ ، ٥٢٩ ،
 ٥٣٢ - ٥٣٣
 (ج) ٩ ، ٨ ، ١٠ ، ٣٨ ،
 ٤٠ - ٤٢ ، ٥٢ - ٥٤ ،
 ١٥٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ،
 ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٣ ، ٧٧٧)
 الانجيل (ج) ١ ، ١٢٢ ، ٢٦٢ ، ٤١٣ ،

٧. ، حا ٧٢ - ٧٣ ، حا
 ٧٥ - ٧٦ ، حا ٧٨ - ٨٤ ، حا
 ٩٠ ، حا ٩٦ - ١٠٢ ، حا
 ١٠٥ - ١٠٧ ، حا ١١٠ ، حا
 ١١٢ ، حا ١٢٤ ، حا
 ١٤٨ ، حا ١٥٤ ، حا ٢٠٥ ، حا
 ٢٣٢ ، حا ٢٣٦ ، حا ٢٥٤ ، حا
 ٢٦٥ - ٢٦٦ ، حا ٣٥٠ ، حا
 ٤١٩ ، حا ٥٢٢
 (ج) ٨٣ ، حا ١٦٩ ، حا
 (ج) ١٥٢ ، حا ٢٤٢ ، حا
 ٣٦٩ ، حا ٤٧٥ ، حا
 ٥٠٠ ، حا ٧٧١
 (ج) ١٢٣ ، حا ١٣٨
 الانواء : (ج) ٤٢٥ ، حا ٤٢٧ ، حا
 ٤٣٥ ، حا ٤٤٠ - ٤٤١ ، حا
 ٤٤٣ ، حا ٤٥٦ ، حا ٤٧٠ ، حا
 الاواني والاعوية : (ج) ٦٥٥
 الاوديسا : (ج) ٩٥
 الاوربية : طبعة (ج) ١٤٧ ، حا
 ١٧١ ، حا ٤٩٢
 (ج) ٢٣٦ ، حا
 الاوس والخزرج : (ج) ٣٥٠ ، حا
 اباد : (ج) ٣٥٠ ، حا
 الابام : (ج) ٩٣ - ٩٤ ، حا
 (ج) ٤٥٥ ، حا ٤٦٦ ، حا
 ٤٦٨ ، حا ٤٨٧
 ابام بني حنيفة : (ج) ٧٦٢ ، حا
 ايام العرب : (ج) ٢٢٦ - ٢٢٧ ، حا
 ٢٢٩ ، حا ٢٤٠ ، حا ٢٥٠ ، حا
 - ٢٥٢ ، حا ٢٧٦ ، حا ٣٤٥ ، حا
 ٣٥١ - ٣٥٣ ، حا ٣٩٣ ، حا
- ٣٩٤ ، حا ٤١١ ، حا
 (ج) ٩٦ ، حا ٩٩ ، حا
 ١٠١ ، حا ١٠٤ ، حا ٢٢٠ ، حا
 (ج) ٢٢٥ ، حا ٢٥٠ ، حا
 حا ٣٤٤ ، حا ٣٥١ ، حا
 حا ٣٥٣ - ٣٥٤ ، حا ٣٥٧ ، حا
 - ٣٥٨ ، حا ٣٦٥ - ٣٦٦ ، حا
 حا ٣٦٩ - ٣٧١ ، حا ٣٧٣ ، حا
 - ٣٧٧ ، حا ٣٧٩ - ٣٨١ ، حا
 حا ٣٨٢ - ٣٨٤
 ابام قيس بن ثعلبة : (ج) ٧٦٢ ، حا
 ايران في عهد الساسانيين : كتاب
 (ج) ٦٣٥ ، حا ٦٤٤ ، حا
 حا ٦٤٦
 (ج) ٢٠٢ ، حا
 الانفصال : (ج) ١٠٨ ، حا
 الايقاع : (ج) ٢١٠ ، حا
 الايمان : (ج) ١٥٦ ، حا ٥١٠ ، حا
 ٥١٧ ، حا ٥١٩ - ٥٢٠ ، حا
 ايمان العرب في الجاهلية (ج) ٣٤٤ ، حا ٣٦٠ ، حا ٣٥١ ، حا
 ابوب : سفر (ج) ٢٠١ ، حا ٥٧ ، حا
 حا ٥٨١ ، حا ٥٩٦ ، حا
 ٦٣١ - ٦٣٢ ، حا ٦٤٠ ، حا
 (ج) ٢٦٢ ، حا
 (ج) ٢٣ ، حا
 (ج) ٢٢٣ ، حا
 (ج) ٣٤٠ ، حا ٤٣٢ ، حا
 (ج) ١٢٥ ، حا ١٢٧ ، حا ١٣٢ ، حا
 ١٣٣
 الايناس : (ج) ٤٢١ ، حا

— الباء —

- بابا بشر : (ج ١) ٦٥٢ ، ٦٥٦
(ج ٣) ١٧٦
باروخ : سفر (ج ١) ٤١٢
البحار الهندية : (ج ٣) ٤٦١
بحث عن ديانة العرب قبل الاسلام
(ج ١) ١٣٦
بحث في القضاء والقدر : (ج ٢) ٦٧
البحر المحيط : (ج ٨) ٤٩٧
البخلاء : (ج ٤) ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠٢ ، ٥٨٠ ، حا
٦٤٧ ، حا ٦٨٥ - ٦٨٦
(ج ٥) حا ٧٢ - ٧٣ ، حا
٧٤٠ - ٦٤١ ، حا ٦٤٧
(ج ٨) حا ٣٧٨
(ج ٩) حا ٣٩٩ ، ٤١٧ ، ٤٦٤ ،
٤٧٥ - ٤٧٧ ، ٤٩١ ، ٥٩٧ ،
٦٣١ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ - ٨١٤ ،
٨١٧ ، ٨٣٦ ، ٨٤٧ - ٨٤٨ ،
٨٧٤ - ٨٧٥)
البدء والتاريخ (ج ١) حا ٥٣
(ج ٣) حا ٥٠٠
(ج ٤) حا ٤٥ ، حا ١٠٠ -
١٠١ ، حا ١٣٩ ، حا ١٤٣ ،
حا ٤٤٣
(ج ٦) حا ٢٠ ، حا ١٤٥ ، حا
٣٦٣ ، حا ٤٩٠ ، حا ٤٩٩ ،
حا ٥١٤ ، حا ٥٢١ ، حا
٥٢٤ ، حا ٥٥٥ ، حا ٥٩٠ ،
حا ٦٦٨ ، حا ٦٨٥ ، حا
٦٩٣
(ج ٩) ٧٥٧ ، ٧٦٢
البداية والنهاية : (ج ١)
حا ٣١٠ ، حا ٣١٧ ،
حا ٣٢٠ ، حا ٣٢٤
(ج ٢) حا ٥١٥
(ج ٣) حا ٣٤٦ ، حا ٣٥١ ،
حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٥ ، حا ٥٠٠ ،
حا ٥٠٢ ، حا ٥٠٧ ، حا
٥١٤ ، حا ٥١٦
(ج ٤) حا ٢٤ ، حا ٥٣ ، حا
٥٥ - ٥٦ ، حا ٦٠ ، حا
٧٤ ، حا ٧٦ ، حا ٨٠ ، حا
٩٤ ، حا ٩٦ - ٩٧ ، حا
٩٩ - ١٠٠ ، حا ١٠٣ ، حا
١١١ ، حا ١٣٠ ، حا ١٣٤ ،
حا ٣٧٨
(ج ٥) حا ٩٦ ، حا ٣٦١ ، حا
٣٨٤
(ج ٦) حا ٨٠ ، حا ٢٣٤ ، حا
٢٤٦ ، حا ٢٤٩ ، حا ٢٥١

حا ٣٥٦ - ٣٥٧ ، حا ٣٥٩ ،
حا ٥١٢ - ٥١٤ ، حا ٥١٦ ،
حا ٥٢١ - ٥٢٢ ،
(ج٨) حا ٥٢ ، حا ٥٨٩ ،
البلاد العربية قبل محمد
(ج١) ١٣٥

البلدان (ج١) حا ١٧ ، حا ١٢٠ ،
حا ١٤٠ ، حا ١٤٤ ، حا
١٤٦ ، حا ١٥٢ ، حا ١٥٦ -
١٥٧ ، حا ١٥٩ - ١٦١ ،
حا ١٦٧ - ١٧١ ، حا
١٧٦ - ١٧٨ ، حا ١٨٠ -
١٨٢ ، حا ١٨٧ ، حا ١٩٢ ،
حا ١٩٤ ، حا ٣٠١ - ٣٠٢ ،
حا ٣٠٤ ، حا ٣٠٦ ، حا
٣١٢ ، حا ٣١٧ ، حا ٣٢٤ ،
حا ٣٣٩ ، حا ٣٤٢ - ٣٤٣ ،
حا ٣٤٧ - ٣٤٩ ، حا ٤٢٦ -
٤٢٨ ، حا ٤٥٢ - ٤٥٤ ،
حا ٤٥٨ ، حا ٥٨٣ ، حا
٥٨٧ ، حا ٦١٧ ،
(ج٢) حا ١٤ ، حا ١٨ ، حا
٢٥ ، حا ٤٨ ، حا ٥١ ، حا
٥٥ ، حا ٧٣ ، حا ٧٦ ،
حا ٨٩ ، حا ١١٦ - ١١٧ ،
حا ١٣٠ ، حا ١٥٥ ، حا
١٥٧ ، حا ١٧٢ ، حا ٤٠٠ -
٤٠١ ، حا ٤٢١ ، حا ٥٣١ ،
٥٣٩ ، حا ٦١٦ ، حا ٦٢١ -
٦٢٢ ، حا ٦٥٠ ، حا ٦٥٥ -
٦٥٦

(ج٣) حا ٧ ، حا ٣٨ ، حا
٤٠ ، حا ٥٣ ، حا ٥٩ ،
حا ٦٢ ، حا ٦٥ - ٦٦ ،
حا ٧٨ - ٧٩ ، حا ٩٥ ،
حا ٩٨ ، حا ١٠٥ ، حا

- ٢٥٢ ، حا ٢٦٩ ، حا
حا ٢٨٩ ، حا ٤٦٤ ، حا
٤٦٦ - ٤٦٧ ، حا ٤٦٩ -
٤٧٧ ، حا ٤٨٠ - ٤٨٣ ، حا
٤٨٦ - ٤٨٧ ، حا ٥٠١ ، حا
٥٢٣ - ٥٢٤

(ج٧) حا ٢٩٦ ، حا ٣٨٢ ،
(ج٨) حا ٤٧٤ ، حا ٧٥٩ ،
(ج٩) حا ٩٠ ، حا ٢٩٦ ،
حا ٨٢٨

برصوم (ج٦) حا ٧ ،
(ج٨) حا ٣٢ ، حا ٢٦٣ ،
حا ٢٧٦ ، حا ٢٨٣ - ٢٨٤ ،
حا ٢٨٧ - ٢٨٨ ، حا ٣٤١

البرك (ج١) حا ١٨٨ ،
البسامة : (ج٣) حا ١٦٥ ،
البيستان : (ج٣) حا ١١ ، حا ١٣ ،
(ج٦) حا ٦٣٨ - ٦٤٠ ، حا
٦٤٢

البغال (ج٥) حا ١٤٥ ، حا ٣١٩ -
٣٢٠

(ج٦) حا ٥٠٠ ، حا ٧١٣ ،
٧١٥

(ج٩) حا ٢٢١ ، حا ٢٢٣ ،
حا ٤٧٦ ، حا ٥٣٣ ، حا
٧٤٤

بنية الوعاة : (ج١) حا ١٠٥ ،
(ج٩) حا (٥٤ ، ٥٦ ، ١٩٤ ،
٢٠٤ ، ٢١٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ -
٣٠٦ ، ٣٢١)

بلاد العرب (ج٤) ٦٦٨

(ج٧) حا ١٣٥ ، حا ١٦٣ ،
حا ١٦٦ ، حا ١٩٥ - ١٩٦ ،
حا ٢٠١ ، حا ٢٩٣ ، حا
٣١٦ ، حا ٣٣٤ ، حا ٣٣٦ ،
حا ٣٤٢ - ٣٤٥ ، حا ٣٤٩

حا ٦٩٤ ، حا ٧١٩ . حا
٨.٢

(١٧ج) حا ١٣٣ ، حا ١٣٩ ،
حا ٢.١ ، حا ٢.٩ ، حا
٢٧٢ - ٢٧٤ : حا ٢٨. -
٢٨١ ، حا ٢٨٤ : حا ٢٨٦
- ٢٨٧ ، حا ٢٣٢ : حا
٢٧١ - ٢٧٣ ، حا ٢٧٦ ، حا
٢٧٨ ، حا ٢٨. حا ٢٨٢ -
٢٨٣ ، حا ٤٢١ ، حا ٤٣. ،
حا ٥١٢ ، حا ٥٢١ ، حا

٥٢٧ - ٥٢٨ ، حا ٦٢٥
(٨ج) حا ١١. ، حا ٢.٥ ،
حا ٢٩٥ ، حا ٣٤٧ ، حا
٢٨٤

(٩ج) حا ٨٨ ، حا ٢١٤ ، حا
٧٧٨

بلدانية فلسطين العربية

(١٣ج) حا ٥٩ ، حا ٦٢ - ٦٣ ،
حا ٦٥ - ٦٦

بلوغ الارب : كتاب (١ج) حا ٢٤ ،
حا ٣٧ - ٤١ ، حا ٤٧ ، حا
٧٤ ، حا ١٤٠ - ١٤١ ، حا
١٥٧ ، حا ١٦٧ ، حا ١٧٠ -
١٧١ ، حا ٢٦٣ - ٢٦٤ ، حا
٢٨٧ ، حا ٤٧. : حا ٥.٩ ،
حا ٥١١ ، حا ٥٢٢ ، حا
٥٢٦

(١٣ج) حا ١٨١ : حا ١٩٩ -
٢٠. ، حا ٣٧٩ : ٥٢.

(١٤ج) حا ٥٣ ، حا ٥٦ ، حا
٧٤ ، حا ١.٤ : حا ٢٤٨ ،
حا ٢٧٤ ، حا ٣.٠ ، حا
٣١٨ ، حا ٣٢٤ - ٣٢٥ ،
حا ٣٤٤ ، حا ٣٥١ ، حا
٣٥٦ : حا ٣٨. : حا ٣٩٨

حا ٤.٠ ، حا ٤.٣ : حا
٤٧٨ ، حا ٤٩٨ :
حا ٥٤٣ ، حا ٥٧١ - ٥٧٢ :
حا ٥٧٧ - ٥٧٨ ، حا ٥٨٠
- ٥٨٢ ، حا ٥٨٦ ، حا
٥٨٩ - ٥٩٢ : حا ٦١. : حا
٦٢٣ ، حا ٦٢٤ - ٦٣٦ : حا
٦٣٩ : حا ٦٤٥ ، حا ٦٤٧ :
حا ٦٥٣ ، حا ٦٧. حا ٦٧٢ :
حا ٦٧٦ ، حا ٦٨٤ : حا
٦٨٦

(١٥ج) حا ٤. ، حا ٤٨ - ٥٢.
حا ٥٦ ، حا ٥٨ - ٦. :
حا ٦٥ - ٦٦ ، حا ٧. :
حا ٧٢ - ٧٣ ، حا ٧٧ -
٧٨ ، حا ٨١ ، حا ٨٨ -
٩٢ ، حا ٩٤ - ٩٦ : حا
٩٨ ، حا ١.١ - ١.٢ : حا
١.٦ ، حا ١١٢ ، حا ١١٧ :
حا ١٢٧ - ١٣٢ ، حا ١٥٢
- ١٥٦ حا ١٥٩ : حا ١٦١ :
حا ١٧٢ ، حا ١٧٤ : حا
٢٢٤ ، حا ٢٨٣ ، حا ٢٩٣ -
٢٩٤ ، حا ٣٤٢ ، حا ٣٥٤ :
حا ٣٧٧ ، حا ٣٨٨ - ٣٩٣ .
حا ٣٩٥ - ٣٩٦ ، حا ٣٩٨ .
حا ٤٢٢ : حا ٤٢٥ : حا
٤٢٧ - ٤٢٨ : حا ٤٣١ .
حا ٤٣٢ ، حا ٤٤٣ : حا
٤٤٥ ، حا ٤٩٨ - ٥٠. حا
٥.٧ ، حا ٥١٩ : حا ٥٢٧ :
حا ٥٢٩ ، حا ٥٣٤ ، حا
٥٣٧ - ٥٤٤ : حا ٥٤٤
: حا ٥٤٩ ، حا ٥٥١ : حا
٥٥٦ - ٥٥٧ : حا ٥٩٢
- ٥٩٣ ، حا ٦.٠ : حا

— ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ،
 — ٥٢٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ،
 ٥٤٥ — ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ،
 ٥٥٢ ، ٥٦١ — ٥٦٢ ، ٥٦٥ ،
 — ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ ،
 ٥٧٨ — ٥٧٩ ، ٥٨٤ — ٥٨٥ ،
 ٥٩٢ ، ٥٩٥ — ٥٩٩ ، ٦٣٢ ،
 ٦٣٧ ، ٦٣٩ — ٦٤١ ، ٦٤٣ ،
 ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٨ ، ٦٦٤ ،
 — ٦٦٥ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ،
 ٦٧٧ ، ٦٨٥ ، ٦٩٧ ، ٧٠٠ ،
 ٧٠٢ — ٧٠٤ ، ٧٢٢ — ٧٢٣ ،
 ٧٢٥ ، ٧٢٧ — ٧٢٨ ، ٧٣٥ ،
 ٧٤٤ ، ٧٤٦ — ٧٤٧ ، ٧٥٦ ،
 ٧٦٠ ، ٧٩٧ — ٧٩٨ ، ٨٠٠ ،
 ٨٠٥ ، ٨١٢ — ٨١٥ ، ٨١٦ ،
 ٨٢٤ ، ٨٢٧ ، ٨٣٠ — ٨٣١ ،
 ٨٣٨ ، ٨٥٤ ، ٨٥٦ ، ٨٥٩ ،
 ٨٦٧ — ٨٧٣ ، ٨٧٥ — ٨٧٦ ،
 ٨٧٨ ، ٨٨١ ، ٨٨٣ ، ٨٩٥ ،
 ٨٩٧ — ٨٩٩)

البيان والتبيين (ج١) حا ٦٨ ، حا

١٦٣ ، حا ٢٦٣ ، حا ٣١٤ ،
 حا ٣١٦ — حا ٣١٨ ، حا ٣٨٦ ،
 حا ٤٨١

(ج٢) حا ١١٧ ،
 (ج٣) حا ١٠٦ ، حا ١٨٧ ،
 حا ٣١٥ ، حا ٣٢٣ ، حا
 ٣٢٦ ، حا ٣٥٨ ، حا ٤٤٢ ،
 (ج٤) حا ١٠٢ ، حا ١٠٨ ،
 حا ٢٠٥ ، حا ٣٣٩ ، حا
 ٥٢٢ ، حا ٥٥٧ ، حا ٥٨٠ ،
 حا ٥٩١

(ج٥) حا ٤٨ ، حا ٥٠ —
 حا ٥١ ، حا ٥٤ — حا ٥٦ ، حا
 ٦٥ ، حا ٩٤ ، حا ١١٩ ،

بني الحارث : كتاب (ج٩) ٣٥٠

بني حنيفة (ج٩) ٣٥٠

بني القين بن جسر (ج٩) ٣٥٠

بني محارب (ج٩) ٣٥٠

بني مرة (ج٩) ٣٥٠

بني نهشل (ج٩) ٣٥٠

البهية : مطبعة (ج٢) حا ٥٩٤

(ج٣) حا ١١ ، حا ٤٠٠

بوشيه : طبعة (ج١) حا ٤٩٤

بولاق : طبعة (ج١) حا ٢٩٤

(ج٣) حا ٧٢ ، حا ٥٠٨ ، حا

٥١٠ ، حا ٥١٣ ، حا ٥١٥ ،

حا ٥١٧ — حا ٥١٨

(ج٤) حا ٦٨٤

(ج٥) حا ٨٤ ، حا ١٤١ ، حا

٣٩٤ ، حا ٥٥٢

(ج٦) حا ١٤٥ ، حا ٢٥٥ ،

حا ٢٦٣ ، حا ٤١٩ ، حا

٤٢٢ ، حا ٥٠٤ ، حا ٦٩٢ ،

حا ٧٠١

(ج٧) حا ٦٢٤ ، حا ٦٣١

(ج٨) حا ٨٩ ، حا ١١٢ ، حا

حا ٣٢٩ ، حا ٣٦٦ ، حا

٣٨٦ ، حا ٥٦٩ ، حا ٦٦٠ ،

حا ٦٦٦ — حا ٦٦٧ ، حا

٧٣٦ ، حا ٧٨٥ — حا ٧٨٦ ،

حا ٧٩١

(ج٩) حا (٢٣ ، ٥٢ ، ٦٨ ،

٨٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ٢٤٤ ،

٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ،

٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ،

٣٨٨ — ٣٨٩ ، ٣٩٢ — ٣٩٦ ،

٤٤٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ،

٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ،

٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٧ —

٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ،

- ٨٥ - ٨٣ - ٨١ - ٦٨ -
 ١.٨ - ١.٧ : ١.٤ - ١.٠
 ١٤٤.٤ ١١٥ - ١١٣ - ١١.
 ١٧١ ١٦٧ - ١٦٤ - ١٤٨
 ٢٦٧ ٢٤٠ : ٢.٧ - ١٨٨
 ٢٨٩ : ٢٨٠ - ٢٧٨ - ٢٧١
 : ٢٩٨ - ٢٩٧ - ٢٩٠ -
 ٢٤٣ - ٢٣٦ - ٢٣٥ - ٢٣٣
 : ٢٨٣ - ٢٨٢ : ٢٤٤ -
 : ٤٥٢ : ٤٤١ : ٤.٧ - ٢٨٧
 ٤٦٢ - ٤٦١ : ٤٥٧ - ٤٥٦
 : ٤٧٢ - ٤٧١ : ٤٦٦ - ٤٦٤
 ٤٩١ : ٤٨٣ : ٤٧٧ - ٤٧٦
 ٦٢٧ : ٥١٧ : ٤٩٨ - ٤٩٦
 : ٦٥٢ - ٦٥١ : ٦٣٧ - ٦٣١
 ٦٨٢ : ٦٧٥ : ٦٦٣ - ٦٥٩
 ٧.١ : ٦٩. : ٦٨٥ : ٦٨٣ -
 : ٧٤٦ : ٧٢. : ٧١٣ - ٧.٤
 ٧٨٢ : ٧٧٧ : ٧٧٥ : ٧٥٤
 : ٨.٤ : ٧٩٩ : ٧٨٣ -
 ٨٣٧ - ٨٣٦ : ٨١٦ - ٨١٤
 ٨٦٠ - ٨٥٦ : ٨٥٤ - ٨٥١
 ٨٧٩ : ٨٧٥ - ٨٧٤ - ٨٦٤
 (٩.٢ : ٩.٠ : ٨٩٦ - ٨٨٨

بيقان. : طبعة (ج ١) حا ٣٩٦

(ج ٢) حا ٣٥٣

(ج ٥) حا ٣٥٢

الببوع (ج ٧) حا ٢٧ : حا ٣.٩ :

حا ٣٨٩ - حا ٣٩١ : حا

٢٩٤ : حا ٣٩٨ : حا ٤٢٤ -

٤٢٥ : حا ٤٢٨ : حا ٤٣٢

- حا ٤٣٣ : حا ٤٣٥

حا ٢٨٤ : حا ٣٩. حا

٤٣٦ : حا ٤٤٦ : حا ٥١.

حا ٥١٩ : حا ٦٣٨ : حا

٦٤٣

(ج ٦) حا ٩٨ : حا ١٥٩ :

حا ٤٢٧ : حا ٤٦٤ : حا

٤٧٩ : حا ٥.٤ - حا ٥.٥ :

حا ٥.٧ : حا ٧٥٩ : حا

٧٦٥ - حا ٧٦٦ : حا ٧٦٩ :

حا ٧٧٦ : حا ٧٩٢

(ج ٧) حا ٣٦٩ : حا ٣٧٥ :

حا ٣٨٤ : حا ٥٧٦ :

حا ٥٨١ - حا ٥٨٢ : حا ٥٨٧

(ج ٨) حا ١٩ : حا ٩١ :

٩٤ : حا ١.١ - حا ١.٢ :

حا ٢٦١ : حا ٢٩. حا

٢٩٩ : حا ٣.٢ : حا ٣٣.

- حا ٢٣٤ : حا ٣٤٣ - حا ٣٤٤ :

حا ٣٤٦ : حا ٣٥٢ - حا

٣٦٤ : حا ٣٧٨ - حا ٣٧٩ :

حا ٣٨٤ : حا ٣٩٧ : حا

٤١٦ : حا ٥٢١ : حا ٥٣٩ :

حا ٥٨٩ : حا ٦٣. حا

٦٩٦ : حا ٧.٦ : حا ٧٤.

حا ٧٤٢ : حا ٧٤٦ - حا ٧٤٩ :

حا ٧٥٣ : حا ٧٥٥ : حا

٧٦٤ : حا ٧٦٧ - حا ٧٦٨ :

حا ٧٧١ - حا ٧٧٤ : حا ٧٧٨ :

حا ٧٨٠ - حا ٧٨٦ : حا ٧٨٨ :

- حا ٧٨٩ : حا ٧٩١ : حا

٧٩٤

(ج ٩) حا ١١ : حا ١٦ : حا ٢.

٢١ : حا ٢٣ - حا ٢٥ : حا ٣٥ : حا ٦٧

- التاء -

٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٢٣ ، حا
 ٣٨٢ ، حا ٤٥٢ ، حا ٤٩٧ -
 ٤٩٨ ، حا ٥٠٨ ، حا ٥٣٣
 (ج) ٨ ، حا ٧ ، حا ٨ ، حا
 ١١ - ١٢ ، حا ٢٤ - ٣٠ ،
 حا ٣٢ - ٣٣ ، حا ٥٠ ،
 حا ٥٦ ، حا ٥٨ - ٦٠ ،
 حا ٦٣ ، حا ٦٥ - ٦٦ ،
 حا ٧٢ ، حا ٨٣ ، حا ٨٧ ،
 حا ١٠٣ ، حا ١٣٢ ، حا
 ١٣٥ ، حا ١٤٠ ، حا ١٤٢
 حا ١٤٤ - ١٤٥ ، حا
 ١٤٧ ، حا ١٥٠ ، حا ١٨٢
 - ١٨٣ ، حا ٢٠٠ - ٢٠١ ،
 حا ٢٠٣ ، حا ٢٠٧ - ٢٠٨ ،
 حا ٢١٢ ، حا ٢١٤ ، حا
 ٢١٦ - ٢١٧ ، حا ٢٢٣ ،
 حا ٢٢٥ - ٢٢٧ ، حا ٢٣٤ ،
 حا ٢٣٧ ، حا ٢٤٠ ، حا
 ٢٤٤ - ٢٤٥ ، حا ٢٥٥ ،
 حا ٢٥٩ ، حا ٢٧٣ ، حا
 ٢٧٥ ، حا ٢٧٧ ، حا ٢٧٩ ،
 حا ٢٨٦ - ٢٨٩ ، حا ٢٩١ -
 ٢٩٣ ، حا ٢٩٨ ، حا ٣٠٤ ،
 - ٣١٣ ، حا ٣١٧ - ٣١٩ ،

التابوت (ج) ٥٧٥
 (ج) ٦٠٣ ، ٦٠٦
 التاج الجامع للاصول في احاديث
 الرسول (ج) ٣٥٧ حا
 (ج) ٢٨١ حا
 (ج) ٥٠٩ حا
 (ج) ٦٧٩ حا
 تاج العروس (ج) ١٤ ، حا
 ١٦ ، حا ٢٠ ، حا ٢٤ ،
 حا ٧٠ ، حا ٧٦ ، حا
 ٧٨ ، حا ١٤٤ ، حا ١٤٦ ،
 حا ١٤٩ ، حا ٢٨١ - ٢٨٢ ،
 حا ٢٩٤ - ٢٩٥ ، حا ٣٣٦ ،
 حا ٣٦٠ - ٣٦١ ، حا ٣٦٥ ،
 حا ٣٧٥ ، حا ٣٧٨ ، حا
 ٣٨٤ - ٣٨٦ ، حا ٣٩٠ -
 ٣٩١ ، حا ٣٩٤ ، حا ٤٢٦ ،
 حا ٤٢٨ ، حا ٤٣١ ، حا
 حا ٤٣٤ ، حا ٤٣٨ ، حا
 ٤٤٠ ، حا ٥٠٧
 (ج) ١٧٣ ، حا ٢١٨ - ٢١٩ ،
 حا ٢٥٥ ، حا ٢٥٨ ، حا
 ٢٦٩ ، حا ٣٥٣ ، حا
 ٤٠٠ ، حا ٤١٢
 (ج) ١١ ، حا ١٧ ، حا

١٤٥ - ١٤٢ ج ، ١٤. -
 ، ١٥. - ١٤٩ ج ، ١٤٧ ج
 ١٥٧ ج ، ١٥٤ - ١٥٢ ج
 ١٦٢ - ١٦. ج ، ١٥٨ -
 ج ، ١٧. ج ، ١٦٨ ج
 ١٧٩ ج ، ١٧٧ ج ، ١٧٢
 ١٩٢ - ١٩. ج ، ١٨٦ ج
 ٢٠٦ - ١٩٩ ج ، ١٩٦ ج
 ج ، ٢١٣ ج ، ٢٠٨ ج
 ، ٢٢٤ ج ، ٢١٩ - ٢١٦
 ج ، ٢٣. ج ، ٢٢٨ ج
 ، ٢٤٢ - ٢٤١ ج ، ٢٣٦
 ٢٥. ج ، ٢٤٦ - ٢٤٤ ج
 ٢٥٨ ج ، ٢٥٣ - ٢٥٢ ج
 ، ٢٦٤ - ٢٦٣ ج ، ٢٦. -
 ، ٢٦٩ - ٢٦٨ ج ، ٢٦٦ ج
 ، ٢٧٦ - ٢٧٣ ج ، ٢٧١ ج
 - ٢٨٨ ، ٢٨٥ - ٢٧٨ ج
 ٢٤٣ ج ، ٣.٣ ج ، ٢٨٩
 ٣٥١ ج ، ٣٤٧ ج ، ٣٤٤ -
 ٣٦٣ ج ، ٣٥٥ - ٣٥٢ ج
 ، ٣٦٧ - ٣٦٦ ج ، ٣٦٤ -
 ٣٨١ ج ، ٣٧١ - ٣٧. ج
 ج ، ٣٩٣ ج ، ٣٩١ -
 - ٤٠٠ ج ، ٣٩٧ ج ، ٣٩٥
 ، ٤.٦ - ٤.٤ ج ، ٤.٢
 ج ، ٤١٣ ج ، ٤.٨ ج
 - ٤١٩ ج ، ٤١٧ - ٤١٦
 ، ٤٣٢ ج ، ٤٣. ج ، ٤٢٦
 ج ، ٤٣٨ ج ، ٤٣٥ ج
 ، ٤٤٧ - ٤٤٥ ج ، ٤٤١
 ، ٤٦٧ ج ، ٤٥٢ - ٤٥١ ج
 ٥١. ج ، ٥.٥ ج ، ٤٧٥ ج
 ، ٥٢٦ - ٥٢٤ ج ، ٥٢٢ ج
 ٥٥٣ - ٥٥١ ج ، ٥٣٣ ج
 ، ٥٨٣ ج ، ٥٧٩ - ٥٧٧ ج

ج ، ٤.١ ج ، ٣٩٩ ج
 ٤.٩ ج ، ٤.٥ ج ، ٤.٣
 ، ٤١٨ - ٤١٧ ج ، ٤١١ -
 ٤٢٣ - ٤٢٢ ج ، ٤٢. ج
 ٤٣. - ٤٢٩ ج ، ٤٢٥ ج
 ج ، ٤٣٩ ج ، ٤٣٣ ج
 ، ٤٤٩ ج ، ٤٤٥ ج ، ٤٤٢
 ج ، ٤٥٥ ج ، ٤٥٢ ج
 ، ٤٦٢ ج ، ٤٥٨ - ٤٥٧
 ، ٤٧٥ ج ، ٤٦٥ - ٤٦٤ ج
 ، ٥.٤ - ٥.٣ ج ، ٤٨٦ ج
 ٥١٧ ج ، ٥١١ - ٥١. ج
 ، ٥٢٤ - ٥٢١ ج ، ٥١٨ -
 ، ٥٣٩ - ٥٣٨ ج ، ٥٣٤ ج
 ٥٤٨ ج ، ٥٤٦ - ٥٤٥ ج
 ، ٥٥٣ - ٥٥١ ج ، ٥٤٩ -
 ج ، ٥٦. ج ، ٥٥٦ ج
 ، ٥٧٦ ج ، ٥٦٥ ج ، ٥٦٣
 ، ٥٨٧ - ٥٨٦ ج ، ٥٨. ج
 - ٥٩٦ ج ، ٥٩٢ - ٥٩. ج
 ، ٦.٢ ج ، ٦.٠ ج ، ٥٩٨
 ، ٦١. - ٦.٩ ج ، ٦.٦ ج
 ٦٢١ ج ، ٦١٩ - ٦١٧ ج
 ٦٣٧ - ٦٣٢ ج ، ٦٢٤ -
 ، ٦٤٤ - ٦٤٣ ج ، ٦٣٩ ج
 ج ، ٦٤٩ ج ، ٦٤٧ ج
 ٦٥٤
 ج ، ١٤ ج ، ٧ ج (٦ج)
 ج ، ٢. ج ، ٢٧ - ٢٦
 ج ، ٤. ج ، ٣٨ ج ، ٣٥
 ، ٧٥ - ٧١ ج ، ٦. - ٥٨
 ٩٩ ج ، ٨٤ ج ، ٨١ ج
 ١١٢ ج ، ١.٦ ج ، ١.٠ -
 ١٢٢ ج ، ١١٧ ج ، ١١٣ -
 ، ١٣. - ١٢٩ ج ، ١٢٣
 ١٣٩ ج ، ١٣٤ - ١٣٣ ج

٣.٣ ٭ ٣.١ — ٣.٠ ٭
 ٭ ٣.٨ ٭ ٣.٤ —
 — ٣١٧ ٭ ٣١٥ — ٣١٤
 ٣٢٣ ٭ ٣٢١ ٭ ٣١٩
 ٣٣٥ ٭ ٣٣٢ ٭ ٣٢٨ —
 ٣٤٣ — ٣٤١ ٭ ٣٣٩ —
 ٣٥٥ ٭ ٣٥٣ — ٣٤٥ ٭
 ٭ ٣٧. ٭ ٣٦٨ —
 — ٣٧٦ ٭ ٣٧٤ — ٣٧٢
 ٭ ٣٨٢ — ٣٨٠. ٭ ٣٧٨
 ٭ ٣٩٩ — ٣٨٨ ٭ ٣٨٥ ٭
 ٤.٨ ٭ ٤.٦ — ٤.١ ٭
 ٤٤٢٢ — ٤١٥ ٭ ٤١٣ —
 ٤٤٣٦ — ٤٣٤ ٭ ٤٢٨ ٭
 ٤٤٥ ٭ ٤٤٣ — ٤٤١ ٭
 ٤٥٤ ٭ ٤٥١ — ٤٤٨ ٭
 ٭ ٤٦١ — ٤٥٨ ٭ ٤٥٥ —
 ٤٦٨ ٭ ٤٦٦ — ٤٦٤ ٭
 ٤٤٧٦ — ٤٤٧٢ ٭ ٤٤٦٩ —
 ٤٤٨٣ ٭ ٤٤٨١ — ٤٤٧٩ ٭
 ٤٤٨٩ ٭ ٤٤٨٦ — ٤٤٨٥ ٭
 ٤٤٩٨ — ٤٤٩٦ ٭ ٤٤٩١ ٭
 ٥.٩ ٭ ٥.٧ — ٥.١ ٭
 ٥٥٥٢ — ٥٥٤٨ ٭ ٥٥٤١ ٭
 ٥٦٧ — ٥٦١ ٭ ٥٥٨ — ٥٥٥
 ٥٧٣ — ٥٧١ ٭ ٥٦٩ ٭
 ٥٨٨٥ — ٥٨٨٣ ٭ ٥٨٧٦ ٭
 ٭ ٦١٣ ٭ ٦١١ — ٥٨٧ ٭
 ٭ ٦١٨ ٭ ٦١٥ ٭
 — ٦٢٣ ٭ ٦٢١ : ٦٢.

٦٣٧ — ٦٢٨ ٭ : ٦٢٦
 ٭ ١٣ ٭ ٨ ٭ (٨٦)
 ٭ ٣٣ ٭ ٣. — ٢٩
 ٭ ٦١ — ٦. ٭ ٥.
 ٭ ٩٣ ٭ ٩١ ٭ ٨٤
 — ١٥٤ ٭ ١.٥ ٭ ٩٦

٦٢٢ ٭ ٦١٨ — ٦١٦ ٭
 ٭ ٦٦١ ٭ ٦٣٧ ٭ ٦٣٤ ٭
 ٦٧٤ ٭ ٦٦٧ — ٦٦٦ ٭
 ٦٨٦ ٭ ٦٨٣ ٭ ٦٧٧ —
 ٭ ٦٩٥ ٭ ٦٩٣ — ٦٩١ ٭
 ٧.٨ — ٧.٧ ٭ ٧.٢ ٭
 ٭ ٧١٤ ٭ ٧١١ ٭
 — ٧٢١ ٭ ٧١٩ — ٧١٨
 ٭ ٧٣٢ — ٧٢٦ ٭ ٧٢٣
 ٭ ٧٣٧ ٭ ٧٣٥ — ٧٣٤ ٭
 ٭ ٧٤٣ — ٧٤٢ ٭ ٧٤. ٭
 ٧٥. ٭ ٧٤٨ — ٧٤٥ ٭
 ٭ ٧٥٤ — ٧٥٣ ٭ ٧٥١ —
 ٭ ٧٦٢ ٭ ٧٥٩ — ٧٥٨ ٭
 ٧٧٣ — ٧٧٢ ٭ ٧٦٥ ٭
 ٭ ٧٨. ٭ ٧٧٧ — ٧٧٥ ٭
 ٭ ٧٨٥ ٭ ٧٨٣ — ٧٨٢ ٭
 ٧٩٢ ٭ ٧٩. — ٧٨٧ ٭
 ٭ ٧٩٩ — ٧٩٧ ٭ ٧٩٥ —
 ٭ ٨.٦ ٭ ٨.٣ — ٨.٢ ٭
 ٨٢٢ — ٨١٩ ٭
 ٭ ١٣ ٭ ١. — ٨ ٭ (٧٦)
 ٭ ٩٦ ٭ ٢٨ ٭ ١٥ ٭
 ١٢٩ — ١١٢ ٭ ١١. — ٩٨
 ١٣٧ — ١٣٦ ٭ ١٣٣ ٭
 ٭ ١٤٤ ٭ ١٣٩ ٭
 ٭ ١٥٦ ٭ ١٥٤ — ١٤٨
 — ١٦٤ ٭ ١٦. — ١٥٩
 ٭ ٢.١ — ١٧١ ٭ ١٦٨
 ٭ ٢١٣ ٭ ٢.٨ — ٢.٣ ٭
 ٢٢٨ ٭ ٢٢٥ — ٢١٦ ٭
 ٭ ٢٣١ ٭ ٢٢٩ —
 — ٢٤٣ ٭ ٢٤. — ٢٣٧
 ٭ ٢٥٥ — ٢٤٦ ٭ ٢٤٤
 ٭ : ٢٨. ٭ ٢٥٧ ٭
 ٭ ٢٩٤ — ٢٩٢ ٭ ٢٨٤

ح ٧١٧ ، ح ٧٢٩ ، ح	١٥٥ ، ح ١٥٩ ، ح ١٦٢ -
٧٤٦ ، ح ٧٦٢ ، ح ٧٦٦ ،	١٦٣ ، ح ١٦٥ - ١٦٧ ،
ح ٧٧٤ ، ح ٧٨١ ، ح	ح ١٨٢ ، ح ٢٥٤ ، ح
٧٩١ ، ح ٧٩٣	٢٥٧ ، ح ٢٥٩ - ٢٦٠ ،
(ج ٩) ح (٥ - ٦ ، ١٢:٨ ،	ح ٢٦٢ ، ح ٢٦٤ - ٢٦٧ ،
١٤ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٧٧ ، ٨٢	ح ٢٦٩ ، ح ٢٧١ - ٢٧٢ ،
٨٨ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٢٦ -	ح ٢٧٤ - ٢٨٣ ، ح ٢٨٥
١٣٧ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٥٠	- ٢٨٧ ، ح ٣٠٦ - ٣٠٩ ،
١٦٩ ، ١٧١ - ١٧٣ ، ١٧٨	ح ٣١١ ، ح ٣١٣ - ٣١٥
- ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦	ح ٣١٧ ، ح ٣٢٤ ،
١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٧ - ١٩٨ ،	ح ٣٢٧ ، ح ٣٣٠ ،
٢٠٠ ، ٢٠٣ - ٢٠٦ ، ٢١٢	ح ٣٣٧ ، ح ٣٤٢
٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ -	ح ٣٤٧ ، ح ٣٥٣ ، ح
٢٦٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦	ح ٣٥٧ ، ح ٣٦٥ ، ح
٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ -	٣٧١ ، ح ٣٧٤ ، ح ٣٨٠ -
٣٥٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩	ح ٣٨١ ، ح ٣٨٦ ، ح ٣٨٨ ،
٣٦١ - ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤	ح ٣٩٠ ، ح ٣٩٢ - ٣٩٦
٣٨٦ ، ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٥٠٢	ح ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ح ٤٠١
٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢٨ ، ٥٤٧	- ٤٠٩ ، ح ٤١٥ - ٤١٧ ،
٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٣ ، ٥٨٦	ح ٤٢٣ - ٤٢٦ ، ح ٤٢٩
- ٥٨٧ ، ٥٩١ ، ٦٠١ ،	ح ٤٢٦ - ٤٣٨ ، ح ٤٤٢ -
٦٠٥ - ٦٠٦ ، ٦٠٨ - ٦٠٩	ح ٤٤٦ ، ح ٤٥٥ - ٤٥٨
٦١١ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ، ٦١٩	ح ٤٦٢ ، ح ٤٦٨ ، ح
٦٢٣ ، ٦٣٧ ، ٦٤١ - ٦٤٢	٤٧٠ ، ح ٤٧٣ - ٤٧٥ ،
٦٥٤ ، ٦٥٨ ، ٦٨٨ ، ٧٠٥	ح ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ح ٤٨٣
٧١٢ ، ٧٢٥ ، ٧٣٦ ، ٧٤٠	- ٤٨٨ ، ح ٤٩٤ ، ح ٤٩٦
٧٤٤ ، ٧٤٨ ، ٧٧١ ، ٧٧٣ -	٤٩٧ - ٥٠٣ ، ٥١١ ، ٥٢١
٧٩٦ ، ٧٩٨ ، ٨٠١ - ٨٠٣	ح ٥٤٢ ، ح ٥٤٤ ، ح
٨١٢ ، ٨٢٨ ، ٨٣١ ، ٨٣٤	٥٤٦ ، ح ٥٥٢ - ٥٥٦ ،
٨٣٨ ، ٨٥٥ - ٨٩٤	ح ٥٧٠ - ٥٧٦ ، ح ٥٨٨
التاج في سيرة انو شروان :	- ٥٨٩ ، ح ٥٩٦ ، ح
(ج ١) ح ٧٨	٦٠٥ - ٦٠٦ ، ح ٦٢٤ -
تاج اللغة وصحاح العربية :	٦٢٥ ، ح ٦٣١ - ٦٤٩ ،
الصحاح (ج ٣) ح ٣٠٢	٦٥٢ ، ح ٦٥٥ - ٦٥٧ -
(ج ٦) ح ٢٨٩	ح ٦٦٠ - ٦٦١ ، ح ٦٧٥ ،
التاريخ : (ج ١) ١١٦	ح ٧٠٩ - ٧١٠ ، ح ٧١٥

٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٥٥٦ ، ٦٤٠ ،
٦٤١ ، ٦٤٦ ، ٧٦٦ ،
٧٦٩ ، ٨٠٧ ، ٨١٤ ، ٨٢٨ ،
٨٤٢ ، ٨٤٤ ، ٨٥٤ ، ٨٥٨ ،
٨٦٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٣ ، ٨٨٠ ،

تاريخ آداب اللغة العربية

(ج٤) حا ٦٢٠ ،
(ج٨) حا ٣٥٣ ، حا ٣٨٧ ،
٤٢٤ ، حا ٤٣٣ ،
(ج٩) حا (٨٤ ، ٨٩ ، ١١٢ ،
١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٧٨ ،
٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣٧٤ ، ٤١٠ ،
٤٣٢ - ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ ،
٤٥٦ ، ٤٨٢ ، ٥١٠ ، ٥١٣ ،
٥٥٣ ، ٥٦٦ ، ٦٣٦ - ٦٣٧ ،
٦٤٠ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٩٦ ،
٧٢١ ، ٧٢٤ ، ٧٨٦ ، ٨٥٨ ،
٨٦٣ ، ٨٨٢)

تاريخ الادب العربي (ج٤) حا ٥٧٨ ،
(ج٦) حا ٥٦٩ ، حا ٦٧٠ -
٦٧١

(ج٨) حا ١٨٢ ، حا ١٩٦ ،
حا ٢٤٩ ، حا ٣٦٠ ، حا
٦٢٨ ، حا ٧٤٨

(ج٩) حا (٥٣ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،
٢٠٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧ ،
٢٩٩ ، ٣٠٤ - ٣٠٧ ،
٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ،
٣٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ،
٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ،
٤٥١ ، ٤٧٧ - ٤٧٨ ، ٥١١ ،
٥١٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ - ٥٣٤ ،
٥٣٩ - ٥٤٠ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠ ،
- ٥٥١ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ،
٥٦٦ - ٥٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ،
٥٨٣ - ٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤

(ج٤) حا ٩٩ ، حا ١٠٩ ،
تاريخ ابن خلدون (ج٤) حا ٤٦٤
(ج٦) حا ٦٣٩ - ٦٤٠ ، حا
٦٤٢

تاريخ ابن عساکر : التاريخ الكبير

(ج١) حا ٣٢٠ ،
(ج٤) حا ٢٠٨ ، حا ٢٣٦ -
٢٣٧ ،
(ج٥) حا ١٥٤ ،
(ج٦) حا ٢٢٠ ، حا ٣٤٥ ،
(ج٧) حا ٣٧٢ ، حا ٥٧٥ ،
حا ٥٨٠

(ج٩) حا ٩٠ ، حا ٢٩٩ ، حا
٣٠٨

تاريخ ابن كثير : (ج٩) حا ٥٠٠ ،
تاريخ ابن الوردي (ج٤) حا ٤٤٣ ،
تاريخ ابي الفداء (ج٤) حا ٤٤١ ،
(ج٦) حا ٥١٩

تاريخ ادب العرب (ج١) حا ٧٠ ،
- ٧١ ، حا ٨٩ ،
(ج٤) حا ٣٤١

(ج٦) ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ٦٦٤ ،
(ج٨) ١٠٩ ، حا ٣٦٠ ، حا
٥٤٧ ، حا ٥٦٣ - ٥٦٥ ،
حا ٥٧٠ ، حا ٥٩١ ، حا
٦٢٩ ، حا ٦٣٥ - ٦٣٦ ، حا
٦٥٩ ، حا ٦٦٢ ، حا ٦٨٢ ،
حا ٦٨٩ - ٦٩٠ ، حا
٦٩٦ ، حا ٧١٤ ، حا ٧٢٥ ،
- ٧٢٦ ، حا ٧٣٠ ، حا
٧٥٧ ، حا ٧٥٩

(ج٩) حا (١١ ، ١٦ - ١٧ ،
٨٦ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٤٢ ،
٢٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٩١ ،
٣٩٨ ، ٥١٠ ، ٦٩٥ ، ٦٩٩)
تاريخ الادب العربية (ج٩) حا

تاريخ خليفة بن خياط (ج ٤) حا
 ٢٠٦ ، حا ٢٣١ ، حا ٢٣٤ ،
 حا ٢٣٩ ، حا ٢٥٩
 تاريخ الخميس (ج ٣) حا ٤٢٨ -
 ٤٢٩
 (ج ٤) حا ٩٤ ، حا ٩٦ ، حا
 ١٠٠ - حا ١٠١ ، حا ١٠٢ ،
 حا ٢٦٤ ، حا ٢٧٨
 (ج ٥) حا ٨٣ ، حا ٢٨١
 (ج ٦) حا ٢٤٩ ، حا ٢٧٤ ،
 حا ٣٦٩ ، حا ٤٤٩ ، حا ٤٧٨ ،
 حا ٤٨٢ ، حا ٤٨٦ ، حا
 ٧٦٦
 (ج ٧) حا ٣٧٢
 تاريخ دمشق (ج ٦) حا ٦٧٩
 (ج ٩) حا ٧٧٩
 تاريخ سني ملوك الارض والانباء:
 (ج ١) حا ١٧ ، حا ٨١
 (ج ٢) حا ٦٣٤
 تاريخ الشعوب الاسلامية :
 (ج ١) حا ١٤٢
 تاريخ الطبري (ج ١) حا ١٧ ، حا
 ٤١ ، حا ١٧١
 (ج ٣) حا ٦٩
 (ج ٤) حا ٢٩٠ ، حا ٣٧٤
 (ج ٥) حا ٧ ، حا ٢٩٤ ، حا
 ٢٩٧ ، حا ٣٠٤
 (ج ٦) حا ٩٨ ، حا ٤٥٩ ، حا
 ٦١١
 (ج ٨) حا ٣٥ ، حا ٢٧٤ ،
 حا ٤٦٠
 (ج ٩) حا ٢٥٤
 التاريخ الطبيعي (ج ١) ٥٩
 تاريخ العجم وبني امية : كتاب
 (ج ١) ١١٦
 تاريخ العرب قبل الاسلام

٥٩٦ ، ٦٤١ ، ٦٦٠ ، ٦٦٣
 ٧٠١ ، ٧٢٦ ، ٧٤٦ ، ٧٥٤
 ٧٥٨ ، ٧٦٥ ، ٧٦٧ ، ٧٧٨
 - ٧٧٩ ، ٨٠٤ ، ٨١٢ ، ٨٤٤
 ٨٤٨ - ٨٤٩ ، ٨٥٦ ، ٨٥٨
 ٨٦١ ، ٨٦٣ ، ٨٧٢ ، ٨٧٨
 ٨٨٠ ، ٨٨٢ ، ٨٨٨)
 تاريخ اسرة اللخمين في الحيرة
 (ج ١) ١٣٥
 تاريخ الاسكندر :
 (ج ٢) ٩
 تاريخ الاسلام (ج ٣) حا ٤٢٦ ، حا
 ٤٢٩
 (ج ٤) حا ٤٠ ، حا ٦٥٦
 (ج ٦) حا ٤٧٣ ، حا ٥٠١ -
 ٥٠٣
 تاريخ الاشراف (ج ١) ١١٦
 تاريخ اعمار الخلفاء :
 (ج ١) ١١٦
 تاريخ بغداد : (ج ١) حا ٨٧
 تاريخ التمدن الاسلامي (ج ٤) حا
 ٣٦٨ ، ٣٨٨
 (ج ٨) حا ١٧١ - حا ١٧٢ ، حا
 ١٨٧ ، حا ١٩٠ - حا ١٩١ ،
 حا ٤٢٦
 تاريخ الحروب : (ج ١) ٣٨٦
 تاريخ حضرموت السياسي
 (ج ١) حا ١٧٢ ، حا ٣١١ -
 ٣١٢
 تاريخ الحكماء (ج ١) حا ٩٠ ،
 (ج ٣) حا ١٦٩
 (ج ٨) حا ١٩٨ - حا ١٩٩ ، حا
 ٢٨٢
 تاريخ الخط العربي وآدابه
 (ج ٨) حا ١٥٤

- (ج) ١٣٤ ، ٥
(ج) ١٣٧ ، ١٧٣ - ١٧٤
(ج) ١٣٩ ، ١٥٧ ،
١٧٣ ، ١٩٢ - ١٩٣ ،
٣٨٢ ، ٤٧٤ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠
(ج) ١٠ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٥٣ ،
١٣٠ . ٢٧٥ ، ٣٠٤ ،
٤١٥ . ٤٢٤ ، ٤٤٧ ،
٥١٤ ، ٥٣٨ - ٥٣٩ ،
(ج) ١٩٩ ، ٣٢٨ ، ٥٥٢
(ج) ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٦٢١
(ج) ١٨٤ ، ٢٧٣ - ٢٧٥
(ج) ٩١ ، ٢٤٨ ، ٤٤٧ ،
٥١٩ ، ٥٢٧ ، ٥٤١ ،
٥٤٧ ، ٥٥٣ . ٥٨٩ ،
٦٧٤ ، ٦٧٨ - ٦٨٠ ،
٧٢٣ ، ٧٢٥
(ج) ٧٧٥
تاريخ العرب المطول :
(ج) ٢٣٦
التاريخ على السنين (ج) ١١٦
تاريخ الفرس والعرب في عهد
الساسانيين (ج) ١٣٥
تاريخ القديسين الشرقيين
(ج) ٦٤
تاريخ القرآن (ج) ٣١٨ ، ٦٢٦
تاريخ كلدو وآثور (ج) ٥٩٩ ، ٦٣٢
- (ج) ٢٩٨ ، ٣٤١ ، ٧٠٢
التاريخ الكنائسي (ج) ٦٢ - ٦٤
تاريخ الكنيسة : (ج) ٦٢
(ج) ١٧٢
(ج) ٦٣٢ ، ٦٣٤ ، ١٢٨
تاريخ الكويت : (ج) ١٧٧
تاريخ اللغات السامية : السامية
(ج) ٥٢ ، ٦٣٠
(ج) ١٧٥ - ١٧٧ ، ١٨٠ .
٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ،
٢٥٠ : ٤٣٧ ، ٥١٩ ،
٥٣٠ ، ٥٣٢ - ٥٣٥ ،
٦٠٩ ، ٦٧٧
تاريخ مختصر الدول (ج) ٩٢
(ج) ١٧٠ ، ٢٢٠
(ج) ٢٩٦
تاريخ مكة (ج) ٢١٥
(ج) ٥
(ج) ٤٨٨
تاريخ ملوك العرب الاولى
(ج) ٥٣٤ ، ٥٩٢
(ج) ٣٩٩
(ج) ٢١٦
(ج) ٤٥٢ ، ٥٣٠ ،
٥٧٥ . ٥٩٢ ، ٧٣٧ ، ٧٧٤
تاريخ ملوك الفرس (ج) ٧٨
تاريخ نجد : (ج) ١١٧ ،
١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ - ١٦٠ ،
١٧٩ ، ١٨١ - ١٨٢
تاريخ اليمن (ج) ١٥٦

- (ج٨) ٢٦٦ ، ٢٢٨
الترتيب والبيان عن تفصيل آي
القرآن (ج٧) ٤٣٣
الركوم : (ج١) ٥٧
(ج٢) ٩٣
(ج٣) ١٠ ، ١٤
تسمية ما في شعر امرئ القيس
من أسماء الرجال والنساء
(ج٩) ٥٢٩
التسهيل لعلوم التنزيل (ج٨) ٦١٧
٤٨٩ ، ٦١٧
التصحيح والتحريف (ج٩) ٢٥١
٢٧٣ ، ٢٨١
النعبير (ج٦) ٧٨٥
التعريفات (ج٥) ٤٧٨
تعنيت : مجلة (ج٣) ١٠
تفرق عاد : (ج١) ٣٥٣
التفسير (ج٦) ٣٥٧
(ج٧) ٥٠٣
تفسير ابن عباس (ج٤) ١٢
(ج٨) ٢٥٧
تفسير ابن كثير (ج١) ٣١٧
(ج٢) ٥١٣
(ج٣) ٧٢ ، ٥٠٧ ،
٥١٠ ، ٥١٩
(ج٤) ٣٧١
(ج٥) ٩١ ، ٩٨ ، ٥٥١
٥٥٣ - ٥٥٤
(ج٦) ٣٨ - ٣٩ ، ٧٦
٨٢ ، ١٣٦ ، ١٩٠
٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥
٢٥٨ ، ٢٦٠
٢٦٢ ، ٣٥٠
٣٧٤ ، ٣٨١ = ٣٨٢
- (ج٢) ٧٦ ، ٣٠٤٠٨٣
(ج٣) ٥٣٦
(ج٧) ١٧٩
تاريخ اليعقوبي (ج٣) ٣٦٨
(ج٦) ٦٩٥
(ج٨) ٧٩٢
تاريخ اليهود في بلاد العرب
(ج٤) ١٣٤
(ج٦) ٥١٥ ، ٥٣٦ ،
٥٤٩ ، ٥٥٢ : ٥٦٧
٥٧٧ : ٥٨٠
(ج٨) ٥٠٥
(ج٩) ٧٧٦ - ٧٧٥ ، ٧٦٩
٧٨٢ ، ٧٨٤ ، ٧٩١
تاريخ يوسفوس اليهودي
(ج٣) ٣٢ ، ٣٥ -
٣٧ ، ٤٤
التبادل اللغوي بين العربية
والفارسية (ج٨) ٧١٦
التثنية : سفر (ج٣) ٦٠ - ٦١
التجارية : مكتبة (ج٤) ٥٥ ،
٤٩٧
(ج٥) ٨٩ ، ٣٩٥
(ج٦) ٦٩٤
(ج٨) ١١٥ ، ١٣٧
التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة
العرب (ج٤) ٢١٣
تحفة النظر في غرائب الامصار
(ج١) ٢٨
(ج٤) ٢٠١ - ٢٠٣
تحقيق ما للهند من مقولة
(ج٩) ٢١١
تدوين الشعر الجاهلي (ج٩) ٣٠١
٣٠٧ ،
مذكرة الحفاظ (ج١) ٨٧ - ٨٨

- تفسير البيضاوي (ج ١) ، ١٤١ ،
 ٣١٧
 (ج ٣) ، ٤٥٨ ، ٥١٠
 (ج ٤) ، ٣٧١
 (ج ٥) ، ٩٠ ، ٣٠٥
 (ج ٦) ، ١٣٦ ، ١٩٠ ،
 ١٩٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٧٧٨
 (ج ٨) ، ٣١٨ ، ٤٨٩
 تفسير التبيان (ج ٦) ، ١٩٤
 تفسير الجلالين (ج ٦) ، ٤٤ ،
 ٥٥٦ ، ٧١٠
 (ج ٨) ، ٦١٦
 تفسير الخازن (ج ١) ، ٤٠
 (ج ٢) ، ٥١٣ ، ٥١٥
 (ج ٤) ، ٣٧١
 (ج ٥) ، ٩٠ ، ٩٣ ،
 ٩٧
 (ج ٦) ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٤٥١ ،
 ٦٤٣ ، ٦٤٥ ،
 ٦٤٧
 (ج ٨) ، ٤٩٧
 تفسير الزمخشري (ج ٥) ، ٥٦٨
 تفسير السيوفي (ج ٦) ، ١٣٦
 تفسير الشرييني (ج ٢) ، ٥١٣ ،
 ٥١٥
 (ج ٥) ، ٩٠
 تفسير الطبرسي (ج ١) ، ٣٢١
 (ج ٢) ، ٥١٤
 (ج ٥) ، ٥٥٠
 (ج ٦) ، ٥٨ ، ٧٠ ،
 ١٢٧ ، ١٣٦ ،
 ١٤٩ ، ١٩٤ ، ٢٣١
- ٢٨٤ ، ٤٤٦ - ٤٤٧
 ٤٨٢ ، ٤٨٥ ،
 ٧٧٩
 (ج ٧) ، ٢٩٢ - ٢٩٣ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣١
 (ج ٨) ، ١٠٤ ، ٤٢٨ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦
 ٤٧١ ، ٤٧٣ - ٤٧٤
 ٤٧٧ - ٤٧٨ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٩ ،
 ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٠ ، ٥٠٢ ،
 ٥٠٥ - ٥٠٦ ، ٥٤١ ،
 ٦٥٤ ، ٧٠٩
 (ج ٩) ، ١٢٨ ، ٥١٨ ،
 ٧٠٩ ، ٧٤٢
 تفسير ابي السعود (ج ٣) ، ٥١٠
 (ج ٤) ، ٣٧١
 (ج ٦) ، ١٣٦ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٢ ، ٦٤٣ - ٦٤٥ ،
 ٦٩١
 تفسير الالوسي (ج ٣) ، ٤٩٣
 (ج ٤) ، ٣١٧
 (ج ٥) ، ٥٤٣
 (ج ٧) ، ٤٢٦
 (ج ٨) ، ٩٦ ، ٣١٤ ،
 ٣١٧ ، ٦٥٤ ،
 ٧٠٩
 (ج ٩) ، ١٨ ، ١٧٣ ،
 ٧٥٣ ، ٧٤٢
 تفسير البحر المحيط (ج ٦) ،
 ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٣٦٣
 (ج ٨) ، ٥٠٣

٥٤٦ - ٥٤٧ ، حا ٥٥. -
 ٥٥٣ ، حا ٥٥٥ ، حا ٥٦٢ -
 ٥٦٧ ، حا ٥٧١ ، حا -
 ٥٨. ، حا ٥٨٦ - ٥٨٧ ، حا
 ٥٩٣ ، حا ٦.٥ ، حا -
 ٦٢٣ ، حا ٦٢٦ ، حا ٦٣٢ ،
 حا ٦٣٧ ، حا ٦٤٢
 (ج) حا ١٤ ، حا ٢٦ ، حا
 ٣٢ ، حا ٣٨ - ٤٠ ، حا
 ٥١ : حا ٥٩ ، حا ٦٧ ، حا
 ٦٩ ، حا ٨٧ ، حا ١٠٠ ، حا
 ١٢٠ ، حا ١٢٤ - ١٢٧ ، حا
 ١٣٦ ، حا ١٤٨ ، حا -
 ١٦. ، حا ١٦٥ - ١٦٨ ، حا
 ١٧. ، حا ١٧٧ ، حا -
 ١٨١ ، حا ١٨٣ ، حا ١٩٠ ، حا
 ١٩٤ ، حا ١٩٦ ، حا -
 ٢٠١ ، حا ٢٠٤ - ٢٠٧ ، حا
 حا ٢٠٩ - ٢١٠ : حا ٢١٦
 - ٢١٧ ، حا ٢١٩ : حا
 ٢٢٤ ، حا ٢٢٦ ، حا ٢٢٨ ، حا
 حا ٢٣٠ ، حا ٢٣٢ ، حا ٢٣٥ -
 ٢٣٧ ، حا ٢٤٥ - ٢٤٧ ، حا
 حا ٢٥٩ ، حا ٢٩٦ ، حا -
 ٣٣٨ ، حا ٣٤١ - ٣٤٢ ، حا
 حا ٣٤٤ - ٣٤٧ ، حا ٣٥٠ ، حا
 حا ٣٥٧ - ٣٥٩ ، حا ٣٦١ ، حا
 حا ٣٧١ - ٣٧٣ ، حا ٣٨٠ -
 ٣٨١ ، حا ٣٨٣ - ٣٨٤ ، حا
 ٣٩٠ ، حا ٣٩١ ، حا ٣٩٣ ، حا
 حا ٣٩٥ ، حا ٤١٩ - ٤٢١ ، حا
 حا ٤٢٩ ، حا ٤٤٩ ، حا -
 ٤٥١ - ٤٥٢ ، حا ٤٦٠ ، حا
 ٤٧٢ ، حا ٤٨٢ ، حا ٤٨٨ ، حا
 حا ٥٠٤ ، حا ٥٠٩ - ٥١٠ ، حا
 حا ٥١٥ ، حا ٥٣٤ - ٥٣٥ ، حا

حا ٢٣٥ - ٢٣٦ ، حا ٢٤٠ ، حا
 حا ٢٤٣ ، حا ٢٤٦ - ٢٤٧ ، حا
 حا ٣٥٠ ، حا ٣٦٩ ، حا -
 ٣٧٣ ، حا ٣٨٢ ، حا ٣٩٠ ، حا
 حا ٤٨٧ ، حا ٥٤٨ ، حا -
 ٥٦. ، حا ٦٠٤ ، حا ٦٤٤
 ٧٧٨
 (ج) حا ٣١٨ ، حا ٤٨٩ ، حا
 حا ٤٩٦ - ٤٩٨ ، حا ٥٠١ -
 ٥٠٣ -
 (ج) حا ٥١٨
 تفسير الطبري (ج) حا ٣٩ ، حا
 ٨٦ ، حا ٣١٤ ، حا ٣١٧ ، حا
 حا ٣٢٣ ، حا ٤١١
 (ج) حا ٥١٣ - ٥١٥
 (ج) حا ٧٢ ، حا ٤٩٣ ، حا
 ٥٠٠ ، حا ٥٠٨ ، حا ٥١٠ ، حا
 حا ٥١٦ - ٥١٧
 (ج) حا ٢٣ ، حا ٨٠ ، حا
 ١٠٧ ، حا ١٢٣ ، حا ١٥٢
 حا ١٧٧ - ١٧٨ ، حا -
 ٢٩٤ - ٢٩٦ ، حا ٣١٧ ، حا
 حا ٣٦٦ ، حا ٣٦٨ ، حا -
 ٣٧١ - ٣٧٢ ، حا ٣٨٧ ، حا
 حا ٣٩٦ ، حا ٥٤٢ : حا
 ٦٠٤
 (ج) حا ١٧ ، حا ١٩ ، حا
 ٤٦ ، حا ٨٨ ، حا ٩٠ - ٩٢ ، حا
 حا ٩٤ - ٩٥ ، حا ٩٧ ، حا
 ١١٠ - ١١١ ، حا ١٢٤ -
 ١٣٧ ، حا ١٣٩ - ١٤٢ ، حا
 حا ١٩١ ، حا ١٩٨ ، حا -
 ٢٠٢ ، حا ٢٣٦ ، حا ٢٥١ ، حا
 حا ٤٣٥ ، حا ٥٢٩ : حا ٥٣٢ ، حا
 حا ٥٣٤ - ٥٣٦ ، حا ٥٣٨ ، حا
 حا ٥٤١ ، حا ٥٤٣ ، حا

٤٤٢٨ - ٤٢٧ ، ٤٠٢ ، ٤٣٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٣ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٤٢ - ٥٤٤ ، ٥٦٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٩٦ - ٦٠١ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٥ ، ٦٦٧ ، ٦٩٦ ، ٧٠٩ ، ٧٤١ ، ٧٤٦ ، ٧٥٤ ، ٧٥٨ ، ٧٦٤ - ٧٦٥ ، ٧٦٨

(ج) ١٨ - ١٩ ، ١٢٨ ، ١٧٣ ، ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٣٤١ ، ٣٩٣ - ٣٩٥ ، ٥١٨ ، ٥٥٢ ، ٦٥٤ ، ٧٤٢ ، ٧٤٦ ، ٧٥٣ ، ٨٢٨

تفسير غرائب القرآن ورغائب

الفرقان (ج) ١٨ ، ٣٩

تفسير الفخر الرازي : التفسير

الكبير (ج) ١٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٠

(ج) ٣١٠ ، ٥١٠ ، ٥١٦

(ج) ٣٧١ ، ٢٨٧

(ج) ٢٤ ، ٤٥١ - ٤٥٣ ، ٦٤٣ - ٦٤٤ ، ٧٤٠

(ج) ٤٨٩ - ٤٩٠ ، ٥٠٣

تفسير القاسمي (ج) ٩٠

(ج) ٤٨٩ ، ٤٩٧

تفسير القرآن (ج) ٥٥٤

٥٣٧ ، ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٨٨ ، ٦٠٤ - ٦٠٥ ، ٦١١ ، ٦١٨ - ٦١٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٤٧ - ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ، ٦٨٧ ، ٦٩١ ، ٧٠١ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ - ٧٢١ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٨ ، ٧٥٦ ، ٧٥٩ ، ٧٦٤ ، ٧٦٨ ، ٧٧٧ - ٧٧٨ ، ٧٨٠ ، ٨٠٧

(ج) ٦٣ ، ١٢٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ - ٤٢٤ ، ٤٣٣ - ٤٣٩ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ٦٢٤ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢

(ج) ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٦٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ - ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٧١ - ٣٧٢

٥٥٢ - ٥٥٢ ح
 (ج) ٤٤٩ ح
 تفسير النسفي (ج) ٤٩٥ ح
 تفسير النيسابوري (ج) ٥١٣ ح

٥١٤ -
 ٦ : {٧. ٦ , ٧٢ ٦ (٣ج)
 ٦ → , ٥.٨ ٦ → , {٩٣
 ٥١.

۱۳۱ ح (ج)
 ۱۵۶ ح (ج) ، ۱۸۴ ح ،
 ۵۵۱

$\{09\} \cup \{309\} \cup \{7\}$
 $= \{1\} \cup \{309\} \cup \{7\}$
 $\{28\} \cup \{19\} \cup \{11\}$

٤٩٧ ج ، ٤٤٦ ج
ج ، ٣١٧ ج ، ١.٦ ج (٨ج)
ج ، ٤٧٣ ج ، ٣٢. ج

۷۴۱ ۷ ۷ ۷.۳ ۷ ۵۷۹
۷ ۷ ۱۳۸ ۷ ۱۹ ۷ (۹ج)
۳۴۱

تفضيل العرب : (ج ١) ٢٦٤
التقاويم (ج ٨) حا ٤٥٥
التقدم : مطبعة (ج ٣) حا ٣٤٤

٢٦٠. (ج ٣) ، ٥١٩ ، ٦٦٤ (ج ٥) ، ٣٨١

تقرير : (ج) ٢٢ - ٢٣
تقويم البلدان (ج) ١٥٩
(ج) ٥٢٩

٢٣٠ (ج٧) حا
تقييد العلم (ج٨) حا ١٣٤ ، حا
حا ٢٦١ ، حا ٢٦٣ - ٢٦٥ :

: ۳۲۵ ۶ ۲۷۳ ۷ ۶ ۲۷۲ ۷
 ۳۲۶
 : ۱۰۰ ۷ ۶ ۲۸ ۷ (۱۲) ۳۵-۱۱

٢٢٣٦ - ٢٢٤ - ٢٤٥٦

٥٨٩

(ج۳) ۸. ، ۱۱. ، ۱۰۶ ،

۱۷۵ - ۱۷۷ ، ۱۸۲

(ج۴) ۶۴۰

(ج۵) ۳۰۴

(ج۶) ۲۶۴ ، ۵۱۴ - ۵۱۵ ،

۵۲۸ ، ۵۶۵ ، ۵۷۰ ، ۵۷۳ ،

۶۸۱

(ج۷) ۴۷۵ - ۴۷۶

(ج۸) ۱۹۲ ، ۲۶۳

(ج۹) ۷۶۸

التمدن الاسلامي (ج۱) حا ۵۱۸ -

۵۱۹ ، حا ۵۲۱ ، حا ۵۲۵ ،

حا ۵۲۷ ،

(ج۸) حا ۳۳۲

التنبیه والاشراف : (ج۱) حا

۲۹ ، حا ۵۲ ، حا ۷۹ ، حا

۸۱ ، حا ۲۵۶ ، حا ۳۰۸ -

۳۰۹ ، حا ۳۱۳ ، حا ۳۴۲ ،

حا ۳۵۵ - ۳۵۶ ، حا ۳۶۴

حا ۳۹۲ ، حا ۳۹۵ ، حا

۴۸۵ ، حا ۴۹۶ - ۵۰۱ ، حا

۵۰۴ ، حا ۵۰۶

(ج۲) حا ۱۴

(ج۳) حا ۱۵۹ ، حا ۱۷۹ ،

حا ۱۸۴ ، حا ۲۹۴ ، حا ۳۱۰ ،

حا ۳۹۹ ، حا ۴۲۶

(ج۴) حا ۶۰ ، حا ۱۳۲ ، حا

۳۷۷ - ۳۷۸ ، حا ۵۶۷

(ج۵) حا ۳۷۷ ، حا ۴۵۲ ،

حا ۵۲۰

(ج۶) حا ۴۸۴ ، حا ۵۲۴ ،

حا ۶۰۱

(ج۷) حا ۳۷۲

(ج۸) حا ۳۶ ، حا ۱۲۰ ،

حا ۱۲۵ - ۱۲۶ ، حا ۱۲۹

حا ۱۳۱ - ۱۳۲ ، حا ۱۳۴

حا ۲۶۲ ، حا ۲۸۳ ، حا

۲۹۷ - ۲۹۹ ، حا ۳۳۲ ،

حا ۳۳۶ ، حا ۳۴۴ ، حا

۳۶۰ - ۳۶۱ ، حا ۳۷۵ ، حا

۴۱۲ - ۴۱۴ ، حا ۴۱۶ -

۴۱۹ ، حا ۴۲۱ ، حا ۴۲۳ -

۴۲۴ ، حا ۴۲۹ ، حا ۴۳۱ ،

حا ۴۳۳ - ۴۳۷ ، حا ۴۴۳ ،

حا ۴۴۵ ، حا ۴۴۶ ، حا

۴۴۸ - ۴۴۹ ، حا ۴۵۴ ، حا

۴۵۶ ، حا ۴۵۸ - ۴۵۹ ، حا

۴۶۷ ، حا ۵۰۸ - ۵۰۹ ، حا

۵۰۸ ، حا ۵۱۶ ، حا ۵۱۹ ،

حا ۶۰۴ ، حا ۶۲۹ ، حا

۶۳۸ - ۶۳۹

(ج۲) حا ۹۱ ، حا ۹۳ ،

۱۲۰ ، حا ۱۳۰ ، حا ۲۶۱ ، حا

۴۱۲ ، حا ۵۰۹ ، حا ۶۲۳

(ج۳) حا ۱۲ ، حا ۶۲ ، حا

۵۳۵

(ج۵) ۳۱۰

(ج۶) حا ۱۳۸ ، حا ۱۴۵ ،

۲۶۲ ، حا ۲۸۰ ، حا ۴۰۷ ،

۷۲۶ - ۷۲۷ ، حا ۷۹۵

(ج۷) حا ۴۷۸ ، حا ۶۳۴

(ج۸) حا ۱۹۲ ، حا ۴۴۰ ،

حا ۴۶۳ ، حا ۴۶۷ ، حا ۵۲۵ ،

حا ۵۵۵

(ج۹) ۱۲۵ - ۱۲۶ ، ۱۳۰ ،

۸۱۰

التلمود : (ج۱) ۱۳ ، ۲۱ ،

۳۱ ، ۴۳ ، ۵۴ - ۵۶ ، ۸۷ ،

۸۸ ، ۱۲۳ ، ۲۰۷ ، ۴۱۵ ،

۴۲۰ ، ۶۵۲ ، ۶۵۶ ، ۶۵۸ ،

۶۶۰ - ۶۶۱

(ج۲) ۱۲۳

٢٢٤ : ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨
 ٢٤٢ — ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢
 ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥
 — ٣٠١ ، ٣٣٢ — ٣٣٣ ، ٣٣٥
 ٣٤٣ ، ٣٤٥ — ٣٤٦ ، ٣٥٠
 — ٣٥٢ ، ٣٥٥ — ٣٥٦ ، ٣٥٨
 ٣٦٠ — ٣٦١ ، ٣٧٥ — ٣٧٦
 ٣٧٩ — ٣٨٠ ، ٤١٠ — ٤٢٥
 ٤٢٩ — ٤٤٢ ، ٤٤٥ — ٤٥١
 ٤٥٣ — ٤٦٤ ، ٤٦٧ — ٤٦٨
 ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٩٧ ، ٥٥٧
 — ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧
 ٥٨٠ — ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦
 — ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨
 ٦٠٤ — ٦٠٥ ، ٦٠٨ ، ٦١٢
 — ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٢٧ — ٦٢٨
 ، ٦٣٢ — ٦٣٣ ، ٦٣٤
 ٦٣٦ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٧
 ٦٥١ — ٦٥٢
 (ج٢) ٧٧ — ٧٨ ، ٩١ ، ٩٣
 ١٢٠ — ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٥٧
 ٢٥٩ ، ٢٦١ — ٢٦٥ ، ٤١٢
 ٥٠٩ ، ٦٢٣
 (ج٣) ١٢ ، ١٤ — ١٥ ، ٥٩
 ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ — ٦٨ ، ٧٧
 — ٧٨ ، ٣٧٨ ، ٥٢٢ ، ٥٣٥
 (ج٤) ١٣ ، ٢٥ — ٢٦ ، حـ
 ١٢٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٧ ، ٣٠٣
 ٣١٤ ، ٣٢٧ — ٣٢٨ ، ٤٦٠
 ٥٣٧ ، ٥٦٥ ، ٦٠٩ ، ٦٥٤
 (ج٥) حـ ، ٩٦ ، حـ
 ١٠٨ ، حـ ١٣٩ — ١٤٠ ، حـ
 ١٤٥ ، حـ ١٥٥ ، ٣١١ ، ٥٨٥
 (ج٦) ١٨ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ١٤٥
 ١٩٨ ، ٢٥٠ ، ٣١١ ، ٣٤٧
 ٣٥٦ ، ٣٨٥ ، ٤٥٤ ، ٤٧٩

حـ ١٣٧ ، حـ ٧٥٥
 التنبيه في الفقه على مذهب الامام
 الشافعي (ج٤) حـ ٣٦٩
 التنبيهات على اغلاط الرواة
 (ج٩) حـ ٥٣١
 تنوير الحوالك (ج٥) حـ ١٢٣ ، حـ
 ٥٥١ ، حـ ٦٢٧
 (ج٨) حـ ٨٤
 تنوير المقياس من تفسير ابن عباس
 (ج٨) حـ ٢٥٨
 تهذيب ابن عساكر (ج٤) حـ ١١١
 (ج٦) حـ ٤٨٢ — ٤٨٣ ، حـ
 ٤٨٨
 (ج٩) حـ ٥٢ ، حـ ٨٦٦ ، حـ
 ٩٠٦
 تهذيب الاسماء (ج٤) حـ ٤٤٣ ، حـ
 ٤٥٠
 (ج٦) حـ ٤٧٨ ، حـ ٥٦٢ —
 ٥٦٤
 (ج٨) حـ ١٣٥ ، حـ ٣٣٤
 (ج٩) حـ ٢٩٦ ، حـ ٣٠٨ ، حـ
 ٤٦٦
 تهذيب الالفاظ (ج٩) حـ ٥٧٣ ، حـ
 ٨٥١
 تهذيب التهذيب : (ج١) حـ
 ٨٥ ، حـ ٨٧
 (ج٦) حـ ٦١١
 (ج٨) حـ ١٣٥ ، حـ ٣٨٦
 تهذيب اللغة (ج٩) حـ ٢٢٢
 التوراة (ج١) ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ،
 — ٢١ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٣٣ ،
 ٤٣ ، ٥٢ — ٥٦ ، ٨٤ ، ٨٧
 — ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
 ١٢١ — ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ،
 ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٩٢ —
 ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ —

٥٢٥ — ٥٢٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٣
 ، ٧٠٣ ، ٦٧٤ ، ٦٣٨ ، ٥٢٧
 ٧٧٥ ، ٧٦٨ ، ٧١٤
 ، ١٢٨ — ١٢٧ ، ١٢٥ (٩ج)
 ١٥١ ، ١٣٤ — ١٣٣ ، ١٣٠
 ، ١٧١ ، ١٥٦ ، ١٥٢ —
 ٦٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٦٠ ، ٣٨٧
 ، ٧٨٦ ، ٧٨٣ ، ٧٧٦ ، ٧٦٨
 ٨١٠

التيجان (ج) ١) حا ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٥
 — ٨٧ ، حا ١٠٣ ، حا
 ١٧١ حا ٣٦٣ ، ٤١٨
 (٢ج) حا ٢٦٤ ، حا ٥٣٢ —
 ٥٣٤ ، حا ٥٣٨ — ٥٤٠ ، حا
 ٥٨٣ ، حا ٥٩٢ ، حا ٥٩٤
 (٣ج) حا ٥١٠
 (٤ج) ٩٦
 (٦ج) حا ٤٨٩
 (٩ج) ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٥٨
 التيسير في علم التفسير
 (٨ج) حا ٦١٦
 تيسير الوصول (٥ج) حا ٩٦
 (٧ج) حا ٣٠٩ ، حا ٤٣٣

٥٠٩ ، ٤٩٤ — ٤٩٣ ، ٤٩٠
 ٥٣٥ ، ٥٢٦ — ٥٢٥ ، ٥١٧
 ٥٥٠ ، ٥٤٨ — ٥٤٧ ، ٥٤٤
 ٥٥٩ ، ٥٥٧ — ٥٥٦ ، ٥٥٤ —
 ٥٦٧ ، ٥٦٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦٠ —
 ٥٧٩ ، ٥٧٥ — ٥٧٣ ، ٥٧٠
 ، ٦٠٥ — ٦٠٤ ، ٥٩٢ ، ٥٨٩
 — ٦٨٠ ، ٦٧٨ ، ٦٧٥ ، ٦٦٥
 ، ٧٢٤ ، ٧١١ ، ٦٨٥ ، ٦٨٢
 ٧٧٦ حا ٧٥٨ ، ٧٤٨ ، ٧٣١
 ٨٠٢ ، ٧٩٥ ، ٧٨٦
 (٧ج) ١٠٨ ، ٢٣٢ — ٢٣٤ ،
 ، ٤٢٣ ، ٣٢١ ، ٢٤١ ، ٢٣٦
 ، ٥٥٧ ، ٥٥٣ — ٥٥٢ ، ٤٧٨
 — ٥٧٣ ، ٥٧٠ ، ٥٦٣ ، ٥٥٩
 ، ٦٠٦ ، ٥٩٦ ، ٥٨٦ ، ٥٧٤
 ، ٦٣٧ ، ٦٣٤ ، ٦١٣
 (٨ج) ٦٣ — ٦٤ ، ٩٢ ، ٩٤
 — ٩٥ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٥٢
 ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ — ٢٧٤ ، ٢٨٣
 — ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨
 ، ٣١٩ ، ٣٢٣ — ٣٢٤ ، ٣٢٦
 ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧
 ، ٣٥٥ ، ٣٧٧ ، ٤٠١ ، ٤٤٠

- الشتاء -

ح ٢١٨ ، ح ٢٤٠ ، ح ٢٨٤	الثالث (ج ٣) ١١٠
ح ٣٣٧ ، ح ٣٨٨ - ٣٩٢ ،	الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة
(ج ٦) ح ٩٥ - ٩٦ ، ح ٣٦٦	(ج ٨) ح ٦٢٧
ح ٣٦٨ ، ح ٤٣٠ - ٤٣٢ ،	ثمار القلوب (ج ٤) ح ٢٠ ، ح ٢٢ ،
ح ٧١١ ، ح ٧١٩ ، ح	ح ٢٥ ، ح ٢٧ ، ح ٤٤ ،
٧٣٤ ، ح ٧٦٤ - ٦٩٥ ، ح	ح ٤٨ ، ح ٥١ ، ح ٦٧ -
٧٦٩ ، ح ٨٠٨ ، ح ٨١١ ،	٦٩ ، ح ٧٤ ، ح ٨٧ - ٨٨
ح ٨١٨ - ٨٢٠ ،	ح ٣١١ ، ح ٣٣٣ - ٣٣٤ ،
(ج ٧) ح ٤١٠ ، ح ٤٢١ ،	ح ٣٣٦ ، ح ٣٣٩ ، ح
ح ٤٤٧	ح ٣٥٣ ، ح ٣٦٩ ، ح ٤١١ ،
(ج ٨) ح ٤٧٥ ، ح ٧٥٥ - ٧٥٧	ح ٥٦٤ ، ح ٥٦٩ ، ح
٧٨١ ، ح ٧٨٤	٥٧٧ - ٥٨٢ ، ح ٥٨٦ -
(ج ٩) ح ١١٩ ، ح ١٢١ ،	٥٨٧ ، ح ٥٩٣ ، ح ٥٩٧ ،
ح ٣١٨ ، ح ٣٤٣ ، ح ٦٠٩ ،	ح ٦٠٣ ، ح ٦١٨ ، ح
٦٤٦ ، ح ٧٩٩ ، ح ٨١٣ ،	٦٢٥ - ٦٢٧ ، ح ٦٣٢ ، ح
ح ٨٢٥ ، ح ٩٠١	٦٣٥ ، ح ٦٣٨ ، ح ٦٤٠ -
ثمرات الاوراق (ج ٤) ح ٥٧٧ -	٦٤١ ، ح ٦٥١
٥٧٩	(ج ٥) ح ٣٩ ، ح ٤٩ : ، ح
(ج ٧) ح ٥١٧	٥٢ ، ح ٥٤ : ٥٧ ، ح ٦١ ،
(ج ٩) ح ٣١٠	ح ٦٦ ، ح ٢٠٩ ،

- الجيم -

- جامع الاصول (ج٤) حا ٦٤٦
(ج٥) حا ١.١
(ج٦) حا ٧٨٩ ، حا ٧٩٨ ، حا ٨.٠ ، حا ٨.٢ - ٨.٣ ، حا ٨.٥
(ج٧) حا ٣٢ ، حا ٣٤ ، حا ٤٨ ، حا ٥٦ ، حا ٧١ ، حا ١٧١ ، حا ١٧٥ ، حا ١٩٨ ، حا ٢١٦ - ٢١٧ ، حا ٢٢.٠ ، حا ٣٨٨ ، حا ٣٩٢ ، حا ٣٩٤ ، حا ٣٩٩ ، حا ٤٩٦ ، حا ٥٤٩ ، حا ٥٥٩ ، حا ٥٦٢ - ٥٦٤ ، حا ٥٦٧ ، حا ٥٧٤ ، حا ٥٩.٠ ، حا ٥٩٢ ، حا ٥٩٩ - ٦٠.٠ ، حا ٦.٣ ، حا ٦.٩ ، حا ٦١١ ، حا ٦١٧ ، حا ٦٣٢ ، حا ٦٣٢
(ج٨) حا ٦٠ ، حا ٤٨.٠
جامع البيان (ج٦) حا ٦٤٤
(ج٨) حا ٦١١
الجامع الصحيح (ج٥) حا ٥٦٧
الجامع الصغير (ج٨) حا ١.٢ - ١.٣ ، حا ٢٥٨
الجامع لاحكام القرآن (ج٢) حا ٥٧.٠ ، حا ٥١٢ (ج٣)
- (ج٤) حا ٣٧١ ، حا ٣٨٧ ، حا ٥٤٤
(ج٥) حا ٤٦ ، حا ٦٢ - ٦٣ ، حا ٨.٠ ، حا ٨٢ - ٨٣ ، حا ٨٨ ، حا ٩٠ - ٩١ ، حا ٩٣ ، حا ٩٧ - ١٤٢ ، حا ١٥١١ ، حا ٥٤٣ - ٥٤٤
(ج٦) حا ٣٨ ، حا ٤.٠ ، حا ٥١ ، حا ٥٩ ، حا ١٣٦ ، حا ١٦٧ ، حا ١٩.٠ ، حا ١٩٤ ، حا ٢.٥ - ٢.٦ ، حا ٢.٩ ، حا ٢١.٠ ، حا ٣٥٨ ، حا ٣٦٠ - ٣٦١ ، حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٤ ، حا ٣٨١ ، حا ٤٤٩ ، حا ٤٥٢ ، حا ٥٣٤ - ٥٣٥ ، حا ٥٥٧ ، حا ٦٤٥ ، حا ٧٣٨
(ج٨) حا ١.٠ ، حا ١.٤ ، حا ٣.٥ ، حا ٤٣٤ ، حا ٤٨٨ ، حا ٤٩٣
الجامع والمكمل (ج٩) حا ٤.٠ ، حا ٥٤
الجامعة : سفر (ج٨) حا ٣٤٠ ، حا ٣٤٦ (ج٩) حا ١٢٥ ، حا ١٢٨
جان دارك : مطبعة (ج٣) حا ٥٩
جبال العرب (ج٩) حا ٣٢٦

جريدة البلاد السعودية (ج٧) حا ٧٨٨
 الجزيرة والاسلام (ج٥) حا ٢٨٩
 الجزيرة والمواذعة (ج٦) حا ٥٥٠
 جزيرة العرب قبل محمد في الآثار
 (ج١) حا ١٣٤ ، حا ١٨٣ ،
 حا ٢٠٨ ، حا ٢٧٢ ، حا
 ٢٧٩ ، حا ٦١٢
 (ج٣) حا ٥١٢ ، حا ٥٣١
 الجصاص (ج٥) حا ٥٢٩ ، حا
 ٥٣١ ، حا ٥٥٠ ، حا ٥٥٢ ،
 حا ٥٦٧
 (ج٧) حا ٣٨٨
 جغرافيا بظلمبوس : (ج١) حا ٦٠ ، حا ٣٣٩
 (ج٤) حا ٩ ، حا ٣٢
 (ج٦) حا ٤٠١
 (ج٧) حا ١٦١ ، حا ١٧٦
 جغرافيا سترابون (ج١) حا ٥٨ ،
 (ج٢) حا ١١٩
 الجمان في تشبيهات القرآن
 (ج٨) حا ٣٨٢ ، حا ٤٢٧ -
 ٤٣٠
 (ج٩) حا ٦٠٣ - ٦٠٤ ، حا ٦٢٣
 ٦٧٠ ، حا ٦٧٩ - ٦٨٠ ، حا ٧٢٩
 ٧٥٢ ، حا ٧٥٥ ، حا ٧٨٤ ، حا ٨٢٧
 ٨٣٢ ، حا ٨٧٠
 الجمعية الآسيوية: مجلة (ج١) حا ١٢٨
 ١٣٦
 (ج٩) حا ٤٧٣ ، حا ٦٧٢
 جمهرة ابن حزم (ج١) حا ٣٦٥ ،
 حا ٣٧٧ ، حا ٣٨١ ، حا
 ٣٩٢ ، حا ٣٩٦ - ٣٩٧ ، حا
 ٤٠١
 (ج٢) حا ٣٥٣ ، حا ٣٥٤ ، حا ٥١٢
 (ج٣) حا ٣١٥ ، حا ٣٢٥ ، حا
 ٣٣٠ ، حا ٣٥٢ ، حا
 ٣٦٤ ، حا ٣٨٢ ، حا ٥٠٦

(ج٤) حا ٩٢ ، حا ٩٤ ، حا
 ١١٠ ، حا ١٣٣ ، حا ١٣٥ ، حا
 ٢٣٤ ، حا ٢٥٢ ، حا
 ٣٤٧ ، حا ٤١٦ ، حا ٤١٩ -
 ٤٢٦ ، حا ٤٣٠ ، حا ٤٣٢ -
 ٤٣٨ ، حا ٤٤٣ - ٤٤٤ ، حا
 ٤٤٧ ، حا ٤٤٩ - ٤٥٢ ، حا
 ٤٥٤ ، حا ٤٥٧ - ٤٦٥ ، حا
 ٤٦٨ - ٤٧٠ ، حا ٤٧٥ -
 ٤٨٤ ، حا ٤٨٧ - ٤٩٠ ، حا
 ٤٩٢ ، حا ٥٠٠ ، حا ٥٠٢ -
 ٥٠٥ ، حا ٥٠٧ - ٥٠٨ ، حا
 ٥١٠ - ٥١٢ ، حا ٥١٤ -
 ٥٢٣ ، حا ٥٢٥ - ٥٢٦ ، حا
 ٥٢٨ ، حا ٥٣٠ - ٥٣٥ ، حا
 ٦٦٠ ، حا ٦٦٨
 (ج٥) حا ٥٦٤ ، حا ٣٦٣
 (ج٦) حا ١٠٦ ، حا ١١١ ، حا
 ١٥٦ ، حا ٢٧٨ ، حا
 ٤٧٧ ، حا ٤٧٩ ، حا ٤٨٨ ،
 حا ٥٢٠
 (ج٧) حا ٣٧٢
 (ج٨) حا ٧٢٠
 (ج٩) حا ٤٥٣ ، حا ٦٩٠ ، حا
 ٨٨٧
 جمهرة ابن الكلبي (ج٩) حا ٧٩٦
 جمهرة أشعار العرب (ج٣) حا
 ٢٥٣ ، حا ٢٧٥ ، حا ٣٦٠
 (ج٤) حا ٤٩١ ، حا ٤٩٨
 (ج٧) حا ٢٨٣
 (ج٨) حا ١٤١ ، حا ٢٧٤ ، حا
 ٢٩٢ ، حا ٢٩٩
 (ج٩) حا ٢٨١ ، حا ٢٩٣ - ٢٩٤ ، حا
 ٣٠١ ، حا ٣٩٤ ، حا
 ٤٥٧ ، حا ٥٨٧ - ٥٨٨ ، حا
 ٦٠١ ، حا ٦٢٥ ، حا

٣٤١ (ج٧) حا	٦٣٦ ، حا ٧٢٠ ، حا ٧٢٤
الجنائز (ج٥) حا ١٥٩ ، حا ٥٥٩	حا ٨٧١ ، حا ٨٧٩ ، حا ٨٨٩
٥٦٠ -	جمهرة الامثال (ج٨) حا ٣٣٢ ، حا
الجهاد (ج٨) حا ٤١٢	٣٥٢ ، حا ٣٥٤ ، حا ٣٥٨ ،
جهار مقالة (ج٩) ١٠١	حا ٣٦٠ ، حا ٣٦٢ - ٣٦٣ ،
الجواب : طبعة (ج٣) حا ٤٩٩	٣٦٦ ، حا ٣٦٧ ، حا ٧٦٤ ، حا
جوامع السير (ج٤) حا ٧٤	٧٦٦ ، حا ٧٨٠ - ٧٨١ ،
(ج٧) حا ٥٢٦	حا ٧٨٣ - ٧٨٤
الجوهرة في الامثال (ج٨) ٣٦٣	جمهرة اللغة (ج٥) حا ٤٥٥

- الحاء -

حا ٣٥٨ ، حا ٣٧٦ ، حا	حاشية الشهاب (ج٤) حا ١١٢
٣٨٧ ، حا ٥٥٣ ، حا ٦٥٠	(ج٨) حا ٣٨٤
حا ٦٦٥ ، حا ٧٤٤ ، حا	حاشية على ارشاد الساري
٧٤٩ ، حا ٧٨٩	(ج٨) حا ٧٤٠
(ج٩) حا ٢٧٧ ، حا ٢٧٩ ،	(ج٩) حا ٨٤٥
حا ٣٨٠ ، حا ٣٨٥ ، حا	حاشية على اسباب النزول
(٥٣٢ : ٥٤٧ - ٥٤٨ ، ٥٥٣	(ج٨) حا ١٣٦
- ٦٧٠ ، ٦٥٥ ، ٥٥٥ ، ٦٧٠	حاشية على الاصابة (ج٧) حا ٤٥٤ ،
٧٠٦ ، ٧١٠ ، ٧١٢ - ٧١٥ ،	حا ٤٥٩ ، حا ٤٦١ ، حا
٧٢٤ ، ٧٢٨ ، ٧٤٣ ، ٧٤٧ -	٤٦٤ ، حا ٥٠٢
٧٤٩ ، ٧٥١ ، ٧٦٦ ، ٧٧١ -	(ج٨) حا ١١٦ - ١١٧ ، حا
٧٧٢ ، ٧٧٨ ، ٧٩٣ ، ٨٤٦	١١٩ ، حا ١٢١ - ١٢٣ ، حا
٨٤٨ ، ٨٥٠ - ٨٥٣ ، ٨٦٠ ،	١٢٥ - ١٢٩ ، حا ١٣٣ - ١٣٤
٨٦٦ - ٨٦٧ ، ٨٧٢ ، ٨٧٤	حا ١٣٦ - ١٣٧ ، حا ٢٩٢ ،
٨٨٥ ، ٩٠٥ ، ٩٠٨ .	حا ٣٠١ - ٣٠٢ ، حا ٣٢٣ -
حاشية على تفسير الطبري	٣٢٤ ، حا ٣٢٩ - ٣٣١ ،

- حجازي : مطبعة (ج) ١٣٥
الحرب (ج) ٤٦٨
حزقيال : سفر (ج) ٣٠ ، ٥٣ ،
٢٣٦ ، ٤١٨ ، ٤٤٠ ، ٤٦٥ ،
٦٥٢
(ج) ٦٠ ، ١٢٠ ، ٢٦٢ ، ٥٠٩
(ج) ٧٧ ، ٥٣٥
(ج) ٦١١
(ج) ٧٧٦
(ج) ٢٣٣ ، ٥٧٣
(ج) ٧٦ ، ٣٥٥
حسن الحاضرة (ج) ٨٧١
الحسينية (ج) ٥٤٧ - ٥٤٨
(ج) ٢٦٤ ، ٥٣٤ ،
٥٩١ ، ٥٩٢
(ج) ٨٧ ، ١٠٣ ،
١٣٢ ، ٣٢١
(ج) ٨٢
حضارة الاسلام (ج) ١٤٢ -
١٤٣
الحضارة الاسلامية (ج) ٤٨
حضرت عمر (ج) ٧ ، ١٦ ،
٤٢
حكام العرب (ج) ٥٠٤ - ٥٠٥
الحكمة : سفر (ج) ٣٤٠
حكمة الاشراف (ج) ١٠٢ -
١٠٣ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،
١٦٢ ، ١٦٤ ،
١٨٨ ، ١٩٧
الخلبي : طبعة (ج) ٣١٧
حلف تميم بعضها بعضا
(ج) ٥٢٨
حلقات (ج) ٢٤٤
الحماسة (أبو تمام)
- (ج) ٤٩٧ ، ٤٤٦ ،
(ج) ١٠٦ ، ٣١٧ ،
٣٢٠ ، ٤٢٨ ،
٤٧٣ ، ٥٦٩ ، ٦٠٣ ،
٧٤١
(ج) ١٩ ، ١٣٨
حاشية على الخزائن (ج) ٣٤٨ ،
٥٠٢ ، ٦٦٤
حاشية على الروض الانف
(ج) ٤٤٦ - ٤٤٧ ،
٤٥١
(ج) ٨٩ ، ٢٧٥ ،
٣٤٢ ، ٣٧٧ ، ٤٦٠ ،
٤٨٣ ، ٤٩٢ ،
٥٠٤ ، ٧٤٤ ، ٧٥٩ ،
٧٦٥
(ج) ١٥ ، ٧٨ ،
١٤١ ، ١٤٧ - ١٤٨ ،
١٥٣ ، ٣٨٥ - ٣٨٦ ،
٣٩٦ ، ٤٠٨ ،
٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ،
٤٩٢ ، ٥٠٠ ،
٥٥٢ ، ٦٧٩ ، ٦٩٦ - ٦٩٩ ،
٧٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧١٢ ، ٧١٤ ،
٧١٥ - ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٣٦ ،
٧٤٣ ، ٧٥٠ ، ٧٥٤ ، ٧٦٠ ،
٧٨٢ ، ٧٨٤ - ٧٨٥ ، ٧٨٨ ،
٧٩٥ ، ٨٢٢ ، ٨٤٧ ، ٨٩٩ ،
حاشية على المسنطف (ج) ٥١٧
(ج) ٣١٠
الحاوي (ج) ٥٤٧
حب الملوك (ج) ٣٦٢
حبقوق : سفر (ج) ٤٥٦ ،
٦١٣
الحج : (ج) ٣٧٩

٥٩٨ ، حا ٦٠١ - ٦٠٣ ،
 حا ٦٠٥ ، حا ٦١٥ ، حا ٦٣٣ ،
 حا ٦٤٣ ، حا ٦٥٣ ، حا
 حا ٦٥٧ ، حا ٦٦٠ ، حا ٦٦٤ ،
 حا ٦٨١
 (ج٥) حا ١٠ ، حا ٢٨ ، حا
 حا ٤٤ ، حا ٦٤ - ٦٥ ، حا
 حا ٧٤ ، حا ١٢٤ - ١٢٥ ، حا
 حا ١٩٨ ، حا ٢٠٤ ، حا ٢١٩
 - حا ٢٢٠ ، حا ٢٢٢ ، حا
 حا ٢٦٠ ، حا ٢٧١ ، حا ٣٠٣ ،
 حا ٣٠٦ - ٣٠٧ ، حا ٣١٢ ،
 حا ٤٠٩ ، حا ٥١٣ ، حا
 حا ٥١٥ ، حا ٥١٩ - ٥٢٠ ،
 حا ٦٤٠
 (ج٦) حا ٨٤ - ٨٦ ، حا
 حا ٨٨ ، حا ٩٢ ، حا ٩٦ - ٩٨
 حا ١٤٤ - ١٤٥ ، حا ١٥٠
 حا ١٥٥ ، حا ١٦١ ، حا ٢٢١
 حا ٣٥١ ، حا ٣٨٦ ، حا
 حا ٤٠٩ ، حا ٤٧٨ - ٤٨٠ ،
 حا ٤٩٠ ، حا ٦٦٩ ، حا
 حا ٦٨٠ ، حا ٦٩١ - ٦٩٢ ، حا
 حا ٦٩٦ - ٧٠١ ، حا ٧٠٦ -
 حا ٧٠٨ ، حا ٧١٢ - ٧١٩ ، حا
 حا ٧٢٣ - ٧٢٦ ، حا ٧٢٨ -
 حا ٧٣٠ ، حا ٧٣٢ - ٧٣٤ ، حا
 حا ٧٣٦ - ٧٣٧ ، حا ٧٤٦ -
 حا ٧٤٧ ، حا ٧٤٩ ، حا ٧٥٢ ،
 حا ٧٦٠ ، حا ٧٦٦ ، حا
 حا ٧٦٩ ، حا ٧٧٢ - ٧٧٣ ، حا
 حا ٧٨٧ - ٧٨٨ ، حا ٧٩١ -
 حا ٧٩٨ ، حا ٨٠٠ - ٨٠٤ ، حا
 حا ٨١٠ ، حا ٨١٤ - ٨١٥ ،
 حا ٨١٩
 (ج٧) حا ٣٧٨ ، حا ٥٨١

(ج١) حا ١٤٩ ، حا ٣٠٨
 (ج٢) حا ١٥٥ ، حا ٢٢٩
 (ج٤) حا ٣٩٥ ، حا ٤٠٢ -
 ٤٠٣
 (ج٥) حا ٨٦ ، حا ٣٥٦
 (ج٦) حا ٥٧٢ ، حا ٥٧٦ ،
 حا ٦٨٤ ، حا ٧١٤
 (ج٩) حا ٤٧٢ ، حا ٦٠٦ ، حا ٦١٥ ،
 حا ٦٣١ ، حا ٦٣٩ ، حا ٦٤٦ ، حا ٦٦٩ ،
 حا ٧٢٧ ، حا ٨٦٤
 حماسة البحرى (ج١٦) حا ٥٨١ ، حا
 ٦٨٥
 (ج٨) حا ٣٤٣
 (ج٩) حا ٦٦٩ ، حا ٧٥٨ ،
 حا ٨٠٣
 الحماسة البصرية (ج٩) ٤٦٣
 حماسة الخالدين (ج٩) ٢٩٤
 الحور العين (ج٣) حا ٢٣٦
 حياة الحيوان (ج١) حا ٣٤٨ ،
 (ج٤) حا ٣٨ ، حا ٣٣٠ ، حا
 ٦٤٣
 (ج٥) حا ٣٦٠ ، حا ٥٥٠
 (ج٦) حا ٧٩٢ - ٧٩٤ ، حا
 حا ٧٩٦ - ٧٩٧ ، حا ٨١٤ ،
 حا ٨١٧
 الحيرة وتسمية البيع والديارات
 ونسب العباديين (ج٣) ١٥٩
 الحيض (ج١) ٦٥٦
 (ج٢) حا ١٧٦
 (ج٦) حا ٥٦١
 الحيوان (ج٣) حا ٢٤٥ ، حا ٣١٧
 حا ٣٦٥ ، حا ٣٧٧
 (ج٤) حا ٩٨ ، حا ٣٨٣ ، حا
 حا ٣٩٢ ، حا ٤١٩ ، حا ٥٤٤ ،
 حا ٥٥٨ ، حا ٥٦٢ - ٥٦٣
 حا ٥٧٢ ، حا ٥٨٠ ، حا

٤٤٦٧ - ٤٦٦ ، ٤٦٤ ، ٤٥٦
 ٤٨٩ ، ٤٨٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٢
 ٥٠٢ ، ٤٩٨ - ٤٩٧ ، ٤٩١ -
 ٤٦٣٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٢ ، ٥٩٩
 ٦٤٦ - ٦٤٤ ، ٦٣٩ ، ٦٣٧
 ٦٥٦ ، ٦٥٢ - ٦٥٠ ، ٦٤٨
 ٦٦٧ - ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٦٨٢ ،
 ٦٩٠ - ٦٩١ ، ٦٩٦ ، ٧١٧ ،
 ٧٥٤ ، ٧٦٤ ، ٧٧٢ ، ٧٩١ ،
 ٧٩٩ ، ٨١٠ - ٨١٢ ، ٨١٤
 ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٨٣٣ ، ٨٣٥
 (٨٦٥ ، ٨٩٦)

(٨ج) ١٥٦ ، ٢٦٩ -
 ٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٢٤٤ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧٥ : حـ
 ٤٣٤ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ ، حـ
 ٥٠٠ ، ٥١٢ ، ٥٢٢
 ٧٨٢ ، ٧٣٩
 (٩ج) (٧٢ - ٧١ : ١١٩ ،
 ١٢١ - ١٢٢ ، ١٤٦ - ١٤٨
 ٢٥٨ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٢٦٥
 ٢٧٢ ، ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٢٣ ،
 ٣٣١ ، ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٦٧ ،
 ٣٨٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٠ ، ٤٥١

- الخفاء -

(٦ج) ٢٩٨ ، حـ
 (٧ج) ٤٢٣ ، ٦٣٤ ، حـ
 (٨ج) ١٩٢ ، ٥٠٥ ، حـ
 ٥٥٥
 (٩ج) ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٣١ ،
 خزانة الادب (ج) ١١٣ : ٤٨١
 (٣ج) ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ :
 ٣٤٨ ، ٣٥١ ، حـ
 ٣٦٠ ، ٣٦٨ ، حـ
 (٤ج) ٤٩٤ ، حـ
 (٥ج) ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، حـ
 ٣٦٧ ، ٦٤٦ ، حـ

خاص الخاص (٩ج) ٥٤٣ ، حـ
 ٧٣٠
 الخالدي : مطبعة (٦ج) ٦٨٤
 خبر عبد القيس (٤ج) ٤٨٧
 خدای نامه (١ج) ٧٨
 الخراج (٤ج) ١٢٢ ، ٤٩٨ ، حـ
 (٥ج) ٣٠٤ - ٣٠٥ ، حـ
 ٣١٠
 (٦ج) ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، حـ
 (٧ج) ١٨٩ ، ٣٣٤ ، حـ
 ٣٤٥ ، ٤٨٥ ، حـ
 الخروج : سفر (١ج) ٢٠٤ ، حـ
 ٤٥٣ - ٤٥٤ ، حـ

٥٨٢ ، ٥٧٩ — ٥٧٦ ، ٥٧.
 ٥٩٢ ، ٥٨٧ ، ٥٨٥ — ٥٨٤
 ٦٠٨ ، ٦٠٥ ، ٥٩٩ — ٥٩٥
 ٦٢٣ ، ٦٢١ ، ٦١٧ ، ٦٠٩ —
 ٦٥٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٣ — ٦٣٢
 ٦٦٨ ، ٦٦٥ — ٦٦٣ ، ٦٥٨
 ٦٨٥ ، ٦٧٨ — ٦٧٦ ، ٦٧. —
 ٦٩٧ ، ٦٩٠ — ٦٨٨ ، ٦٨٦ —
 ٧٠٥ — ٧٠٢ ، ٧٠٠ ، ٦٩٨ —
 ٧٢٦ — ٧٢٥ ، ٧٢٣ — ٧٢١
 ٧٤٦ ، ٧٤٤ ، ٧٣٥ ، ٧٢٨
 ، ٧٥٤ — ٧٥٣ ، ٧٤٨ —
 ، ٧٦٦ ، ٧٦٣ ، ٧٦. ، ٧٥٦
 ٨٠٤ ، ٨٠٠ ، ٧٩٨ — ٧٩٦
 ٨٢٣ ، ٨١٧ — ٨١١ ، ٨٠٥ —
 ، ٨٣١ — ٨٣٠ ، ٨٢٧ ، ٨٢٥ —
 ٨٤٨ ، ٨٣٨ ، ٨٣٤ — ٨٣٣
 ٨٦١ ، ٨٥٩ ، ٨٥٧ — ٨٥٤
 ٨٧٦ — ٨٦٧ ، ٨٦٥ — ٨٦٣
 ٨٨٨ ، ٨٨٦ ، ٨٨٣ — ٨٧٨
 ٩٠٢ ، ٨٩٩ — ٨٩٥ ، ٨٨٩ —
 (٩٠٣ —

الخصائص (ج) ١) ، ٧. ، حـ

٣٩٨ ، ٧٦

(ج) ٧١٥

(ج) ٨) ، ٥٤٧ ، ٥٦٢ ، حـ

٦١٧ ، ٦٣. ، حـ

٦٤٥ ، ٦٦٩

(ج) ٩) ، ٤٠ ، ٤٠ ، ١٥ ، حـ

٥٨ — ٥٩ ، ١٢١ ، ٢٢٠ ، حـ

٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٣٤٢ ، حـ

(٥٤٥

خلاصة تاريخ الكنيسة (ج) ٦) ، حـ

٦٢٥

خلاصة الكلام (ج) ٤) ، ٤١٦ ، حـ

٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٨ ، حـ

(ج) ٦) ، ٦٦ ، ٧٢ — ٧٣ ،
 ٢٥١ ، ٢٦٥ ، حـ
 ، ٤٧٥ ، ٤٧٣ ، ٤٠٧
 ، ٤٨٥ ، ٤٧٩ — ٤٧٨ ،
 ٥٠١ ، ٥٠٣ ، حـ
 — ٧٠٠ ، ٦٩٨ ، ٦٩٦
 ٧٠١

(ج) ٨) ، ٨٩ ، ١١٢ ، حـ

١٤١ ، ٢٠٤ ، حـ

٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٣٢٦ ، حـ

٣٤٦ — ٣٤٤ ، ٣٢٩ ، حـ

٣٦٦ ، ٣٨٦ ، حـ

٤٢٤ ، ٦٣. ، ٦٣٢ ، حـ

٦٦١ — ٦٦. ، ٦٤٣ ، حـ

٧٣٦ — ٧٣٨ ، ٧٥٥ ، حـ

٧٨٤ — ٧٨٧ ، ٧٩١ ، حـ

(ج) ٩) ، ٢٢ — ٢٣ ، ٢٤ ، حـ

٨٧ ، ٨٣ ، ٦٨ ، ٥٨ ، ٥٢

، ١١٥ ، ١١٣ ، ١٠٠ ، ٨٩

، ٢٠٢ ، ١٧٧ ، ١٦٤ ، ١٢١

٢٤٧ ، ٢٨٢ — ٢٨١ ، ٢٨٤

٣١٦ ، ٣١٠ ، ٣٠٧ ، ٢٨٥ —

٣٣٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣١٩

٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٤ ، ٣٣٨ —

٣٨٨ ، ٣٨٢ ، ٣٧٩ — ٣٧٨

٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٢ ، ٣٨٩ —

٤٥٥ — ٤٥٤ ، ٤٤٣ ، ٤٣٢

٤٨٠ — ٤٧٠ ، ٤٦٦ — ٤٥٨

٤٨٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٤ — ٤٨٢

٤٩٢ — ٤٩٤ ، ٤٩٦ — ٥٠٠ ،

٥١٣ — ٥٠٩ ، ٥٠٤ — ٥٠٢

٥٢٨ ، ٥٢٠ — ٥١٩ ، ٥١٦

، ٥٣٩ — ٥٣٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٠

٥٤٦ — ٥٤٥ ، ٥٤٢ — ٥٤١

٥٦١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٣ — ٥٤٨

، ٥٦٨ — ٥٦٥ ، ٥٦٢ —

- ٣٩٩
 الخليفة : سفر (ج ١) ٣٠٠
 الخيرية : مطبعة (ج ٥) حا ١٠٢ ،
 حا ١٦٠ ، حا ١٦٦
 (ج ٦) حا ٦٤٤ ، حا ٦٤٩
- حا ٤٤١ ، حا ٤٥٨ ، حا ٤٦٤ ،
 حا ٤٧٠
 خلق الانسان (ج ٤) حا ٣٧٥
 (ج ٨) حا ٣٥١
 (ج ٩) حا ٥٢ ، حا ٢٤٣ ، حا

- النال -

- حا ٣٧٥ ، حا ٤٩٧ ، حا ٤٣٢ ،
 ٤٤٥ ، حا ٥١٤ ، حا ٥٢٢
 - ٥٢٣ ، حا ٥٢٦
 (ج ٤) ٢٥٦
 (ج ٥) حا ١١٢ ، حا ١١٧
 (ج ٦) حا ٤٥٩ ، حا ٤٦١ ،
 حا ٤٦٣ ، حا ٤٦٦ ، حا
 ٧٧٣ ، حا ٧٦٦
 (ج ٨) حا ١٦٥ - حا ١٦٦ ، حا
 ٤٥٥
 (ج ٩) حا ٥٢٠
 دار بيروت : مطبعة (ج ١) حا
 ٣٩٢
 (ج ٦) حا ١٤٦
 دار الثقافة : طبعة (ج ٣) حا ٣٥١ ،
 حا ٣٦٨ ، حا ٣٧١
 (ج ٥) حا ٣٦١
 (ج ٦) حا ٤٥١ ، حا ٤٨٥
 (ج ٩) حا ٢٢ ، حا ٩١ ، حا ٩٣ ،
 ١٤٤ ، حا ١٥٩ - حا ١٦٠ ، حا ١٦٥
- دائرة الآثار الاردنية (ج ٣) حا ٧٢
 - ٧٥ ، حا ١٤٣
 دائرة المعارف الاسلامية
 (ج ١) حا ٧١ ، حا ٨٤ ، حا
 ٨٧
 (ج ٢) حا ٩٠
 (ج ٣) حا ٧٢ ، حا ٣٢٦ ،
 حا ٥٠٧
 (ج ٤) حا ٧٢ ، حا ١٣٥ ، حا
 ١٣٦ ، حا ٣٧٨ ، حا ٤٩٨
 (ج ٥) حا ٣٠٤ - حا ٣٠٦
 (ج ٦) حا ٥٢٩ ، حا ٦٤٦
 (ج ٧) حا ٣٧٦
 (ج ٨) حا ٤٣٥
 (ج ٩) حا ٥٣٤ ، حا ٨٦٣
 دار الآثار العربية (ج ٨) ٢٤٩
 دار احياء الكتب العربية
 (ج ٥) ٥٠٩
 دار الاندلس : طبعة (ج ٣) حا ٧٩ ،
 حا ١٠٥ - حا ١٠٦ ، حا ٣٠٤

٢٣٤٠ ٢٠٤ - ٢٠٣ ، ١٨٨
 ٢٢٣ ، ٢٨٧ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥
 ٤٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥ -
 ٤٥٦ - ٤٥٥ ، ٤٤٧ - ٤٤٦
 ٥٢٩ - ٥٢١ ، ٤٧٦ ، ٤٦٠
 ٥٣٩ ، ٥٣٦ ، ٥٣٣ - ٥٣٢
 ٥٤٨ ، ٥٤٥ - ٥٤٣ ، ٥٤٠ -
 ٥٦٠ - ٥٥٧ ، ٥٥٤ ، ٥٥٠
 ٥٨٧ ، ٥٧٧ ، ٥٦٩ - ٥٦٧
 ٥٩٨ ، ٥٩٣ - ٥٩٢ ، ٥٨٩ -
 ٦٣٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٠ ، ٥٩٩ -
 ٦٥٩ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ - ٦٤٢
 ٦٧٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٢ ، ٦٦٠ -
 ٧١٠ ، ٦٨٨ ، ٦٧٨ - ٦٧٦
 ٨٠١ ، ٧٦٤ ، ٧٥٥ ، ٧٤٢
 ٨٦١ ، ٨٥٧ ، ٨٥١ ، ٨٠٤
 ٨٨٢ ، ٨٧٩ ، ٨٧٤ ، ٨٦٥

٢٣٤٠ ٢٠٤ - ٢٠٣ ، ١٨٨
 ٢٢٣ ، ٢٨٧ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥
 ٤٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥ -
 ٤٥٦ - ٤٥٥ ، ٤٤٧ - ٤٤٦
 ٥٢٩ - ٥٢١ ، ٤٧٦ ، ٤٦٠
 ٥٣٩ ، ٥٣٦ ، ٥٣٣ - ٥٣٢
 ٥٤٨ ، ٥٤٥ - ٥٤٣ ، ٥٤٠ -
 ٥٦٠ - ٥٥٧ ، ٥٥٤ ، ٥٥٠
 ٥٨٧ ، ٥٧٧ ، ٥٦٩ - ٥٦٧
 ٥٩٨ ، ٥٩٣ - ٥٩٢ ، ٥٨٩ -
 ٦٣٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٠ ، ٥٩٩ -
 ٦٥٩ ، ٦٤٨ ، ٦٤٥ - ٦٤٢
 ٦٧٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٢ ، ٦٦٠ -
 ٧١٠ ، ٦٨٨ ، ٦٧٨ - ٦٧٦
 ٨٠١ ، ٧٦٤ ، ٧٥٥ ، ٧٤٢
 ٨٦١ ، ٨٥٧ ، ٨٥١ ، ٨٠٤
 ٨٨٢ ، ٨٧٩ ، ٨٧٤ ، ٨٦٥

دار الرجاء (ج ١) حا ٣٢٠

(ج ٢) حا ٩٠ ، حا ١٠٧ ، حا
 ١٩٤ ، حا ٢٥٧

دار صادر (ج ١) حا ٢٠١ ، حا ٣٠٩
 حا ٣٨٣ - ٣٨٥

(ج ٢) حا ٥١٢

(ج ٣) حا ٢٢٥

(ج ٤) حا ٧٩ ، حا ٢٦٣ ، حا
 ٤٩٥

(ج ٥) حا ٤٨ - ٤٩ ، حا ١٤٩

حا ١٥٦ ، حا ١٦١ ، حا

١٦٤ ، حا ١٦٧ ، حا ١٧٣ ،

حا ٢٢٤ ، حا ٢٧٨ ، حا ٢٨٩

- ٢٩٠ ، حا ٢٩٥ ، حا

٤٤٧ ، حا ٤٥٨ ، حا ٥٤٨ ،

حا ٥٧٥ ، حا ٥٩١ ، حا ٥٩٧ ،

حا ٦٠٥ ، حا ٦٢٠ ، حا

٦٢٦

(ج ٦) حا ٣٦٥ ، حا ٣٨٤ ،

٧٧٧
 (ج ٧) حا ٣٢٦ ، حا ٣٢٨ ، حا
 ٤٣١ ، حا ٦٠١ ، حا
 ٦٢٢ ، حا ٦٢٥ - ٦٢٦ ، حا
 ٦٣٠ ، حا ٦٣٦

(ج ٨) حا ١٣٠ ، حا ١٣٥ ، حا
 ١٩٤ ، حا ٢٦٥ ، حا
 ٢٨٣ ، حا ٢٨٦ - ٢٨٧ ، حا
 ٢٩٧ ، حا ٣٢٤ ، حا
 ٣٢٦ ، حا ٣٥٤ ، حا ٤٠١ ، حا
 ٤١٧ ، حا ٤٦٤ ، حا
 ٤٨٨ ، حا ٤٩٩ - ٥٠٠ ، حا
 ٥٢١ ، حا ٦٠٥ ، حا
 ٦٣١

(ج ٩) حا ٦١ ، حا ١٢٣ ، حا ١٩٧ ، حا
 ٤١٣ ، حا ٦٠١ ، حا ٦١٧ ، حا ٧١٠ ، حا
 ٨٦٤

دار الصاوي (ج ١) حا ٥٢ ، حا
 ٣١٣

(ج ٤) حا ٤٧٧

(ج ٥) حا ٥٢٠

دار العلم للملايين (ج ٢) حا ٢٢٥

(ج ٨) حا ٢٥١ ، حا ٧٦٧

(ج ٩) حا ٣٧٢

دار الفكر : طبعة (ج ٦) حا ٦٤٥

دار الكتاب المصري (ج ٥) حا ٤٦٩

دار الكتاب العربي (ج ٩) حا ٣٩ ،

حا ٨٢٨ - ٨٣٠

دار الكتب اللبنانية (ج ١) حا ٣١٥ ،

(ج ٢) حا ١٩٦ ، حا ٢٩٤

(ج ٤) حا ١٣٣

(ج ٦) حا ٥١٧ - ٥١٨ ، حا

٧.١

دار الكتب المصرية (ج ٣) حا

١٩٩ ، حا ٢٢٥ ، حا ٢٣١ ،

حا ٢٣٥ - ٢٣٦ ، حا ٢٤٨ ،

حا ٢٥٢ - ٢٥٣ ، حا ٢٥٥ ،

حا ٢٦١ ، حا ٢٦٤ - ٢٦٨ ، حا

٢٧٩ - ٢٨٠ ، حا ٢٨٧ -

٢٩١ ، حا ٢٩٥ ، حا ٣٢٧ ،

حا ٣٤٤ ، حا ٣٤٨ ، حا

٣٥٤ ، حا ٣٨٧ ، حا ٤٢٦ ،

حا ٤٢٩ ، حا ٤٣٥ ، حا

٤٤١ - ٤٤٢

(ج ٤) حا ٦٠ ، حا ٤٥٣ ، حا

٤٧٠ ، حا ٤٩٤ ، حا

٤٩٢

(ج ٥) حا ١١٤ ، حا ١٦٢ ،

حا ٣٥٨ ، حا ٣٦١ ، حا

٣٦٥

(ج ٦) حا ٧ ، حا ١٢ ، حا

١٣٥ ، حا ٢٠٢ ، حا ٢٢٧ ،

حا ٤٥٢ ، حا ٤٦١ ، حا

٤٦٥ ، حا ٤٧٢ ، حا ٤٧٨ ،

حا ٤٨٠ ، حا ٤٨٤ - ٤٨٥ ،

حا ٥٠٧ ، حا ٥٧٦ ، حا

٦٤٣

(ج ٨) حا ١١٢ ، حا ١١٦ ،

حا ١١٨ ، حا ٦١٧

(ج ٩) حا ١١ ، حا ١٥ ، حا

٤٠ ، حا ٦٤ ، حا ٢٦٧ ،

حا ٣٣٩ ، حا ٤٥٥ ، حا

٤٧٤ ، حا ٥٦١ ، حا ٥٦٤ ،

حا ٦١٤ ، حا ٦٢٣ ، حا

٨٦٦ ، حا ٨٧١ ، حا ٨٧٨

دار الكرنك : مطبعة (ج ١) حا ٦٢

دار المعارف (ج ١) حا ٤٩ ، حا

٥٢ ، حا ٧٧ ، حا ٢٢٤ ،

حا ٢٩٦ - ٢٩٧ ، حا ٣٠٢

حا ٣٠٥ ، حا ٣١٠ ، حا

٣١٥ ، حا ٣٢٠ ، حا ٣٢٣ ،

حا ٣٣٣ - ٣٣٥ ، حا ٣٣٧

- ٣٣٨ ، حا ٣٤٠ - ٣٤١ ،

حا ٣٤٤ ، حا ٣٤٦ ، حا

٣٤٩ ، حا ٣٥٤ - ٣٥٥ ، حا

٣٦١ ، حا ٣٨٢ ، حا ٣٩٧ ،

حا ٤١٧ ، حا ٤١٩ ، حا ٤٢١

حا ٤٢٧ ، حا ٤٣٤ ، حا

٤٤٠ ، حا ٤٤٥ - ٤٥١ ، حا

٤٦٢

(ج ٢) حا ٤٢١ ، حا ٥٣٢ -

٥٣٣ ، حا ٥٦٦ ، حا ٥٧٦ ،

حا ٥٩٢ ، حا ٦١٦ - ٦١٧

حا ٦٣٤ ، حا ٦٣٨ - ٦٣٩ ،

حا ٦٤٧ ، حا ٦٥٢

(ج ٣) حا ١٨٥ - ١٨٦ ، حا

١٩٤ - ٢٠١ ، حا ٢٠٣ ،

حا ٢١٥ - ٢١٦ ، حا ٢٢٣ ، حا

٢٦٠ - ٢٦٢ ، حا ٢٦٤ ، حا

٢٧٠ ، حا ٢٧٣ ، حا ٢٩٢ ،

حا ٢٩٦ ، حا ٢٩٨ ، حا

٣٠٠ ، حا ٣٠٨ ، حا ٣١٥ ،

حا ٣٥٢ ، حا ٣٦٥ ، حا

٤٠٥ ، حا ٤٢٧ ، حا ٤٣٣ ،

حا ٤٣٥ ، حا ٤٥٩ ، حا ٤٨١

- ٤٨٣ ، حا ٥٠٧ ، حا

٥١٥ - ٥١٦ ، حا ٥٢٣ ،

حا ٥٢٥ ، حا ٥٢٨ ، حا ٥٣١

حا ٥٣٣

- (ج) ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٥ - ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٨١ ، ١٨٤ - ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ (ج) ٦٢٧ ، ٩٨ ، ١٩٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٨١ ، ٥٣٧ ، ٥٦٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٨ - ٦١٠ ، ٧٠١ ، ٧٢٢ (ج) ٥٣٨ ، ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٣٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٦٨ ، ٦٤٣ ، ٧٦٢ (ج) ١١ ، ٦٧ ، ٢٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤١٠ ، ٤٧٧ ، ٥٠٧ ، ٧٧١ ، ٧٧٦ ، ٨٨٣
- دار النشر للجامعيين : مطبعة
(ج) ٣٧٢ ، ٥٤ ، ٦١٣ (ج) ١٠٤
- الدارات (ج) ١٥٥
الدر المنثور في التفسير بالمتنور
(ج) ٥١١ ، ٨٠ ، ٥٨٦ ، ٦٤٣ - ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٧٧٩
الدراسات الادبية : مجلة
(ج) ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٩١ ، ٧١٦
دراسات عن المؤرخين العرب
(ج) ١٠٨ - ١٠٩ ، ٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٣
دراسات في حضارة الاسلام
(ج) ٢٥١ ، ٧٦٧
دراسات في اللغة واللهجات
والاساليب : (ج) ٢٧٧ ، ٢٠٠ ، ٧٧٩ ، ٥١١ ، ١٢
درة النواص : (ج) ٢٠٠ ، ٧٧٩ ، ٥١١ ، ١٢
الدرر اللوامع : (ج) ٧٧٩ ، ٥١١ ، ١٢
دلائل النبوة : (ج) ٥١١ ، ١٢
دليل الراغبين في لغة الاراميين
(ج) ١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ١٢
دواوين الشعراء الستة (ج) ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ١٢
الديارات : (ج) ٣٠٢ ، ١٢
دير الابله الدومنيكيين : طبعة
(ج) ١٢ ، ٣١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٤ ، ٨٨٨ ، ٨٩٠
ديوان ابي خراش الهذلي
(ج) ٣٤٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٨
ديوان ابي ذؤاد (ج) ٣٤٨ ، ٣٤٨
ديوان ابي ذؤيب الهذلي (ج) ٣٤٨ ، ٣٤٨

- ديوان ابي الطمحن الفيني (ج ٩) ٣٤٨
ديوان ابي العيال (ج ٩) ٣٤٨
ديوان ابي كبير الهذلي (ج ٩) ٣٢٧
٣٤٨
ديوان ابي المثلث (ج ٩) ٣٤٨
ديوان ابي نواس (ج ٩) ٣١٨
ديوان الاخطل (ج ٣) ٤١٥
(ج ٦) ٦٣٣ ، ٦٧٧
ديوان الاعشي (ج ١) ٣٣٨
(ج ٢) ٥٧٨
(ج ٣) ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٩١
٢٩١ - ٢٩٢ ، ٣٥٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٤٤٢
(ج ٤) ١٩٦ ، ٢١٥
(ج ٥) ٨٦ ، ١٠٤
(ج ٦) ١٠٧ ، ٤٦٨ ، ٦١٦
٦١٦ ، ٦٢١ ، ٦٤٨
٦٦٦ ، ٦٧٠ - ٦٧١
(ج ٨) ٢٧٠ ، ٧٢٧
(ج ٩) ١٠٥ ، ١١٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٤٣٤ ، ٥٦٩
٥٧١ ، ٥٧٣ - ٥٧٦ ، ٥٧٩
٥٨٠ - ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٦
٦٨٨ ، ٧٧٩ ، ٨٢٨ - ٨٢٩
٨٥٤
ديوان الافوه : (ج ٦) ٦٧٣
ديوان امرئ القيس (ج ٣) ٣٦١
٣٦٥
(ج ٤) ٤٠٠
(ج ٥) ٣١٩
(ج ٦) ١٠٧
(ج ٨) ٢٥٩ ، ٢٧٨
٣٠٦
(ج ٩) ١٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٤٥٩
٨١٨
- ديوان امية (ج ١) ٣٩٦
(ج ٦) ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ٤٨٤
٤٨٤ ، ٤٨٨ - ٤٩٠ ، ٤٩٣
٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٤٩٩
(ج ٩) ٧٥٦ ، ٧٦٠
ديوان اوس بن حجر (ج ٨) ٧٧٥
(ج ٩) ١٠٥ ، ٣٤٨ ، ٤٦٦ - ٤٦٥
ديوان بشر بن ابي خازم (ج ١) ١٧٧
١٧٧ ، ٢٠٢ ، ٣٨٢
٣٩٥ ، ٤٠٠
(ج ٣) ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢
(ج ٤) ٣٣٥ ، ٥٦٨
(ج ٥) ١٦٩ ، ١٧٦
(ج ٦) ٢٦٧ - ٢٦٨
ديوان جرير (ج ١٥) ٣٧٧
(ج ٩) ٣٤٨
ديوان حاتم الطائي (ج ٨) ٢٦٣
(ج ٩) ٧٦
ديوان الحارث بن حلزة (ج ٩) ٣٤٨
ديوان حسان (ج ١) ٣٣٤ ، ٣٦٢
٣٦٢ ، ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٤٧٦
٤٧٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧
٤٨٧ ، ٤٨٩ - ٤٩٢
(ج ٢) ٢٥٦
(ج ٣) ٢٨٠ ، ٣٨٧ - ٣٨٨
٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٣٦
٤٣٧ ، ٤٤٦
(ج ٤) ٥٠
(ج ٥) ٦١ ، ٨٦
(ج ٦) ٧٨ ، ٢٥٢ ، ٥٨٤
٥٨٤ ، ٦٠٢ ، ٧٩٧
(ج ٧) ٥٧٤
(ج ٨) ٤٠٦

١٠٣ - ١٠٢ (ج٥) حا	١٥٥ حا ، ١٩٢ حا ، حا
٦٨٦ حا ، ٦٧٨ حا (ج٦)	٦٨٤
٢٤٨ - ٢٤٧ ، ١٠٥ حا (ج٩)	٢٧٧ حا (ج٨)
٥٩٤ ، ٥٨٧	(ج٩) ٣٤٨ حا ، ٤٥٧ حا ، حا
ديوان النبط : (ج٣) حا ١٣	حا ٤٩٦ حا ، حا ٥٥٠ حا ، حا ٥٥٥
ديوان النمر بن تولب (ج٩) ٣٤٨	- ٨٣٠ ، ٥٥٦
ديوان الهذليين (ج١) حا ٣٠٧ ، حا	ديوان التلمس (ج٦) حا ٦٥٨ حا ، حا
٣٨٣	٦٦٩
(ج٨) حا ١١٢ حا ، حا ٢٦٣ -	(ج٩) ٣٤٧ ، ٣٠٥
٢٦٤ حا ، حا ٢٦٧ حا ، حا ٢٧٧ ، حا	ديوان التنخل (ج٩) ٣٤٨
٦١٧ حا	ديوان المعاني (ج٦) حا ٤٨٥
(ج٩) ١٦٢ حا ، حا ٤٩٢ - ٤٩٣	(ج٩) حا ١٢١ حا ، حا ١٤٢ -
حا ٤٩٥ حا ، حا ٦٠٨ حا ، حا ٦١٠	- ١٤٣ حا ، حا ٢٠٤ حا ، حا ٢٨٠ ، حا
حا ٦١٤ حا ، حا ٦٤١ حا ، حا ٦٤٩	٨٧٨ حا ، حا ٧٨٤
حا ٨٧٠ - ٨٧١ حا ، حا ٨٧٣	ديوان النافذة الديباني (ج١) حا ٣٠٦
ديوان الوليد بن يزيد (ج٩) حا ٣١١	حا ٣١٢ - حا ٣١٤ حا ، حا ٣٨٢
الديورة في مملكتي الفرس والعرب	حا ٣٨٥ - حا ٣٨٦
(ج٣) حا ١٥٦ - حا ١٥٧ حا ، حا	(ج٢) حا ٢٢٩ حا ، حا ٢٧٣ حا ، حا
١٧٢	حا ٤٢٠ - حا ٤٢١ حا ، حا ٤٢٣ -
(ج٦) حا ٥٨٨ حا ، حا ٥٩٧	٤٢٥ حا ، حا ٤٣٤

- المال -

٢٥٥ حا ، حا ٢٧٥ حا ، حا ٢٧٨ ، حا	ذخيرة الازهان (ج٦) حا ٥٩٩ حا ، حا
حا ٢٨٢ حا ، حا ٢٨٦ حا ٢٧٣	٦٣٢
(ج٤) حا ٢٠ حا ، حا ٦٧ حا ، حا	ذكر الاخبار عن بيوت النيران (ج٣)
٧٠ حا ، حا ٧٢ حا ، حا ٧٧ حا ، حا	حا ٧٩
٩٨ - ٩٧	ذم اخلاق الكتاب (ج٨) حا ١٢٤
(ج٥) حا ٣٥٤ حا ، حا ٣٦٤ -	ذيل اقرب الموارب (ج١) حا ٣٨ -
٣٦٥ حا ، حا ٥١٢ - حا ٥١٣ ، حا	٤٠
حا ٦١٣ حا ، حا ٦٤٣	ذيل الامالي (ج٣) حا ٢٥٢ حا ، حا

(ج) ١٠٨ حا
 (ج) ٣٠٢ حا
 (ج) ٣٠٠ حا ، ٣٠٢ حا -
 ٣٠٣ حا ، ٣٥٩ حا ، ٤٦٠ حا
 حا ٤٧٣ ، حا ٦١١ ، حا
 ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
 حا ٨٧٩ ، حا ٩٠٣
 ذيل الاماني (ج) حا ٦٨٧

- الرء -

رأس المال (ج) حا ٦٥١
 راعوت : سفر (ج) ٤٧٧
 رجيع : سفر (ج) ١٣٢
 رحلة في بلاد العرب : (ج) حا ٢٨٢
 حا ٣٠٦
 (ج) حا ١٥٩ ، حا ٥٠٢
 (ج) ١٩٦ حا ، حا ٤٩٢
 رحلة ابن بطوطة (ج) حا ٣١٣
 رحلة بنيامين (ج) حا ٣٠٣
 الرحمانية : مطبعة (ج) حا ١٤٦
 (ج) حا ٣٨٨
 (ج) حا ١٩ ، حا ٢٧
 رسائل الجاحظ (ج) حا ١٩ ، حا
 ٢٧ ، حا ٦٨ ، حا ٧١ ، حا
 ٢٨٢ ، حا ٢٩٩ - حا ٣٠١ ،
 حا ٣٠٧ - حا ٣٠٨ ، حا ٣١٠ -
 حا ٣١٢ ، حا ٣٢٩ ، حا ٣٦٨ ،
 حا ٣٨٨ ، حا ٥٨٦ ، حا
 ٦٠٠ ، حا ٦١٧ ، حا ٦٣٦ ،
 حا ٦٤٢
 (ج) حا ٣٠ ، حا ١٠٦ -
 حا ١٠٧ ، حا ١٤٤ - حا ١٤٥ ،
 حا ٢٢٠ ، حا ٢٣٥ ، حا ٣١٩
 - حا ٣٢٠ ، حا ٥٩٥ ، حا ٦٤٠
 حا ٦٤٣
 (ج) حا ٩٦ ، حا ٣٥٢ ، حا
 ٥٠٠ ، حا ٧١٣ ، حا ٧١٥ ،
 حا ٧٧٣
 (ج) حا ١٢٢ ، حا ١٢٤ ، حا
 حا ٣٤٦ ، حا ٦٤٣ ، حا
 ٦٨٩
 (ج) حا ٢٠٠ ، حا ٢٢١ ، حا
 حا ٢٢٣ ، حا ٢٤٧ ، حا
 ٢٨٤ ، حا ٣٨٠ ، حا ٤٦٥
 - حا ٤٦٦ ، حا ٤٧٦ ، حا ٥٣٣
 حا ٧٤٤ ، حا ٧٦٤ ، حا
 ٨٣٦ - ٨٣٧
 رسائل الشهداء الحميرين
 (ج) ٦٣
 الرسالة : مجلة (ج) حا ٣٢
 رسالة أبي غريب (ج) حا ٢٦٩
 رسالة أبي يحيى (ج) حا ٢٦٩

- رسالة بولس الرسول (ج) ٥٨٥
(٨ج) حا ١٩٢
رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية
(٣ج) حا ٤٤
رسالة بولس الثانية الى اهل
كورنتوس (ج) ٤٤
رسالة التلميذ (ج) حا ٧٢٩
(٩ج) حا ٧٥٧
رسالة الفجران (ج) حا ١٧٩ ، حا
١٨٢ ، حا ١٨٤ ، حا ٢٠٤ ، حا ٢١٥ ، حا ٢٣٦ ، حا ٢٤٥ -
٢٤٦ ، حا ٢٨٦ ، حا ٢٨٨ ، حا ٢٨٩ -
٢٩١ ، حا ٣٠٣ ، حا ١٣٦ (ج)
(٥ج) حا ١١٢
(٦ج) حا ٦٠ ، حا ١٠١ ، حا ١٢٩ ، حا ١٣٣ ، حا ١٤٦ ، حا ٣٧٨ ، حا ٤٤٦ ، حا ٧٢٥
(٨ج) حا ٣٨٣ ، حا ٢٦٥ ، حا ٥٣٨ ، حا ٥٦٨ - ٥٦٩
(٩ج) حا (٣٠ ، ٣٣ ، ٨١) ، حا ١١٨ ، حا ١٧٥ ، حا ١٨٦ - ١٨٧ ، حا ٢٠٥ ، حا ٢١٦ ، حا ٢٢٤ - ٢٢٥ ، حا ٢٨٥ ، حا ٢٦١ ، حا ٣٦٤ ، حا ٣٦٦ - ٣٨٩ ، حا ٣٧٥ - ٣٩٠ ، حا ٤٠٠ ، حا ٤٥١ ، حا ٤٥٥ - ٤٥٦ ، حا ٤٦٥ - ٤٧٠ ، حا ٤٨٧ ، حا ٤٩٠ ، حا ٤٩٢ ، حا ٥٤٢ ، حا ٥٦٧ - ٥٦٨ ، حا ٥٧٠ - ٥٧١ ، حا ٥٧٣ ، حا ٥٧٥ ، حا ٥٨٠ ، حا ٥٨٢ - ٥٨٣ ، حا ٥٨٩ ، حا ٦٣٧ ، حا ٦٥٩ - ٦٦١ ، حا ٦٧٦ ، حا ٦٧٨ ، حا ٦٨٥ ، حا ٧٢٣ ، حا ٧٤٢ ، حا ٧٥٥ ، حا ٧٩٠ ، حا ٨٠٠ ، حا ٨٠٤ ، حا ٨١٢ ، حا ٨٢٣ - ٨٢٤ ، حا ٨٣٠ ، حا ٨٣١ - ٨٤٨ ، حا ٨٤٩ - ٨٥١ ، حا ٨٥٥ ، حا ٨٧١ ، حا ٨٧٣ ، حا ٨٧٤ - ٨٨٣ ، حا ٨٨٦)
رسالة في الحنين الى الاوطان
(٥ج) حا ٥٩ - ٦٠
رسالة في ما ورد في القرآن من
لفات القبائل (ج) ٦١٦
رسالة في النقود القديمة
(٧ج) حا ٥٠٠
رسالة القديس بطرس الثانية
(٨ج) حا ٤٣٧
رسالة النبروز (ج) حا ١٢١
حا ٨١٥ - ٨١٦
رغبة الامل (ج) حا ١٢١
روح البيان (ج) حا ٢٤٩
روح المعاني (ج) حا ٢٢٣
(٣ج) حا ٥٠٧ ، حا ٥١٠ ، حا ٥١٦ ، حا ٥٢٠ ، حا ٢٨٧ ، حا ٢٨٧ ، حا ٦٥٦
(٥ج) حا ٩٠ ، حا ٩٤ ، حا ١٥١ ، حا ١٥٦ ، حا ١٩١ ، حا ١٩٣ ، حا ٣٠٤ - ٣٠٥ ، حا ٥٣٤ ، حا ٥٣٧ ، حا ٥٤١ ، حا ٥٤٣ ، حا ٥٤٦ ، حا ٥٥٢ - ٥٥٤ ، حا ٥٦٤ ، حا ٥٦٦ ، حا ٥٧١ ، حا ٥٨٠ ، حا ٥٨٦ ، حا ٦٤٤
(٦ج) حا ٣٩ ، حا ٦٧ ، حا ٧٢ ، حا ٨٧ ، حا ١٢٠ ، حا ١٢٤ ، حا ١٢٧ ، حا ١٦٥ - ١٦٦ ، حا ١٩٠ ، حا ١٩٢ ، حا ٢١٦ - ٢١٧ ، حا ٢٣٠ - ٢٣٢ ، حا ٢٤٣ - ٢٤٤ ، حا ٢٥٥ ، حا ٢٥٨ ، حا ٢٦٠ ، حا ٢٦٢ ، حا ٢٦٦ ، حا ٣٤٢ ، حا ٣٤٦ ، حا ٣٨١
٦٠٩

٦٥٠. ح ، ٦٤٤
 ح (٦ج) ، ٤٠. ح ، ٦٨ ، ح
 ٧٠ - ٧١ ، ح ، ٧٤ ، ح
 ٧٧ ، ح ، ٧٩ - ٨٠. ، ح
 ٨٤ ، ح ، ٨٦ ، ح ، ٨٨ - ٨٩
 ٩٣ ، ح ، ٩٥ ، ح ، ٩٧ -
 ٩٩ ، ح ، ١٢٧ ، ح ، ١٢٩ -
 ١٣٠. ، ح ، ١٣٣ - ١٣٥ ،
 ١٣٩ ، ح ، ١٤٣ - ١٤٤
 ١٩٠ - ١٩١ ، ح ، ٢٠٣
 ٢١٥ ، ح ، ٢٤٦ ، ح ،
 ٢٤٩ ، ح ، ٢٥١ - ٢٥٢ ،
 ٢٥٥ ، ح ، ٢٦٠. ، ح
 ٢٦٣ ، ح ، ٢٦٦ - ٢٧٤ ،
 ٢٧٨ ، ح ، ٢٨٤ ، ح ، ٣٥٧
 - ٣٥٨ ، ح ، ٣٦٦ ، ح
 ٣٦٩ ، ح ، ٣٧٢ - ٣٧٣ ،
 ٣٨٢ ، ح ، ٣٨٦ - ٣٨٧
 ٣٩٢ ، ح ، ٤٠٢. ، ح
 ٤٠٨ ، ح ، ٤٢٨ ، ح ، ٤٣١
 ٤٣٣ - ٤٣٦ ، ح ، ٤٣٩
 - ٤٤١ ، ح ، ٤٤٣ - ٤٤٤ ،
 ٤٤٦ ، ح ، ٤٧٦ - ٤٧٧ ،
 ٥٠٥ ، ح ، ٥٣٣ ، ح
 ٥٤٤ ، ح ، ٥٤٦ - ٥٤٧ ،
 ٧٢٠. ، ح ، ٧٢٧ ، ح ، ٧٣٤
 - ٧٣٥ ، ح ، ٧٥٥ ، ح
 ٧٥٨ - ٧٦٠. ، ح ، ٧٦٤ ،
 ٧٦٦ - ٧٦٨ ، ح ، ٧٧٠
 - ٧٧٦ ، ح ، ٧٧١
 ٨٠٤. ح
 ح (٧ج) ، ٣٣ ، ح ، ٦٧ ، ح
 ٧١ - ٧٢ ، ح ، ٢٥٩ - ٢٦٠
 ٢٦٣ ، ح ، ٢٩٢ ، ح ، ٣٠٨
 ٣٧٦ ، ح ، ٤٢٠. ، ح
 ٤٢٢ ، ح ، ٤٣٣ ، ح ، ٤٤٧

ح ، ٣٨٤ ، ح ، ٣٩٥ ، ح
 ٤٢٩ ، ح ، ٤٤٩ ، ح ، ٤٥١
 ٤٥٩ ، ح ، ٤٨٦ - ٤٨٨
 ٥٠٩ - ٥١٠. ، ح ، ٥٣٤
 ٥٣٧ ، ح ، ٥٤٧ ، ح
 ٥٥٤ ، ح ، ٥٦٠. ، ح
 ٦١٨ ، ح ، ٦٠٤. ، ح
 ٦٤٣ - ٦٤٦ ، ح ، ٦٩١ ، ح
 ٧٠٧ ، ح ، ٧٣٨ ، ح ، ٧٤٠
 ٧٥٢ - ٧٥٣ ، ح ، ٧٧٧
 - ٧٧٨
 ح (٧ج) ، ٤٢٠. ، ح ، ٤٢٦
 ٤٣٢ ، ح ، ٤٧٤
 ح (٨ج) ، ٩٥ - ٩٦ ، ح
 ٤٧١ ، ح ، ٤٨٣ ، ح ، ٤٨٧ -
 ٤٨٨ ، ح ، ٤٩٠. ، ح ، ٤٩٢
 ٥٠٤. ح
 الروض الانف (ج) ، ح ، ٢٨١ ، ح
 ٣٩٤
 ح (٣ج) ، ١٧٠. ، ح ، ١٧٩ -
 ١٨٠. ، ح ، ١٨٣ ، ح ، ١٨٧ ، ح
 ٢٠٠ - ٢٠١. ، ح ، ٢١٧ -
 ٢١٨ ، ح ، ٢٧٥ ، ح ، ٣٨٢
 ٥٣٨ ، ح ، ٥٣٨
 ح (٤ج) ، ٧٧ ، ح ، ٧٧
 ٨٢ ، ح ، ٩٢ - ٩٣ ، ح ، ٩٣
 ١٣٦ ، ح ، ١٤٤ ، ح ، ٣٩٦ ، ح
 ٤١٥ ، ح ، ٤٢١ ، ح ، ٤٥٥
 ٤٦٤ ، ح ، ٥٥٧ ، ح
 ٦٥٦
 ح (٥ج) ، ٢٥٠ ، ح ، ١١٦ -
 ١١٧ ، ح ، ١٥٠ - ١٥١ ، ح
 ٤٢٥ ، ح ، ٤٢٧ ، ح
 ٤٤٢ ، ح ، ٤٥٨ ، ح ، ٥٢٩
 ٥٦١ ، ح ، ٥٩٣ ، ح ، ٥٩٨
 ٦٢٦ ، ح ، ٦٤٢ ، ح

٣٦ ، ٢٥ ، ١٥) (ج٩	حا ٤٥١ ، حا ٤٦١ ، حا
١١٢ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٧٥	٥١٧ ، حا ٥٩٣ ، حا ٦٠١
٢٨٦ ، ٣٩٦ ، ٤٠٨ - ٤٠٩	حا ٦١٦
٤١١ - ٤١٢ ، ٤٧٨ ، ٥٤٥	(ج٨) حا ٥٢ ، حا ٨٩ ،
٥٥٢ ، ٦٢٤ ، ٦٣٤ ، ٦٧٩	حا ٩٢ - ٩٣ ، حا ١١٦ ،
٧٠٠ ، ٧١١ ، ٧٢٣ ، ٧٣٦	حا ١١٨ ، حا ١٣٧ ، حا
٧٥٠ ، ٧٥٨ ، ٧٨٢ ، ٧٨٤	١٥٨ ، حا ٢٨٨ ، حا ٣٤١
٧٩٥ ، ٨٢٨ ، حا ٨٤٧ -	حا ٣٧٧ ، حا ٤٠٧ ، حا
٨٤٨ ، ٨٧٢)	حا ٤٨٣ ، حا ٤٨٨ ، حا
روضة الشام : مطبعة (ج٤) حا	٤٩٢ ، حا ٤٩٧ ، حا ٥٠٠
٢٣٧	حا ٥٧٤ ، حا ٧٤٤ ، حا
رياض الادب (ج٩) حا ١٥٠	٧٥٤ - ٧٥٥ ، حا ٧٦٥

- الزاي -

١١٨ ، ٩١ - ٩٠ ، حا (ج٦)	زاد المسلم (ج٥) حا ٥٥٨
حا ٣٤٠ ، حا ٣٥٥ ، حا ٥٢٦	(ج٦) حا ٧٦٨
حا ٥٢٩ - ٥٣٠	(ج٧) حا ٢٧ ، حا ٣٨ ، حا
(ج٧) حا ١٢٧ ، حا ٢٨٩ -	٢٨٨ : حا ٣٩٢ - ٣٩٤
٣٩٠ ، حا ٣٩٧ - ٣٩٨ ،	(ج٩) حا ٢٤٣ ، حا ٨٤٥
حا ٤٦٣	زاد المعاد (ج٤) حا ٦١٠ - ٦١١ ،
(ج٨) حا ٣٨٦ ، حا ٤٨٠	حا ٦١٤
الزبور (ج١) حا ٤٥١ ، حا ٤٦٤	(ج٥) حا ٣٠ ، حا ٣٢ - ٣٣
(ج٦) حا ٥٥٣ ، حا ٥٥٥ - ٥٥٦	حا ٥١ - ٥٣ : حا ٥٥ ،
٦٤٦ - ٦٤٧ ، ٦٧٥	حا ١٢٥ ، حا ١٣٦ ، حا
(ج٨) حا ٢٧٧ ، حا ٣٢٦	١٤٠ : حا ١٤٤ ، حا ٥٣ ،
زهر الادب (ج٤) حا ٢٠٦ ، حا	حا ٥٣٦ ، حا ٥٤٨ : حا ٥٥١ ،
٣٣٢	حا ٥٧٩

٦٤٦	(ج) ٤٢١ حا
الزينة (ج) ٦ حا ، ١١ حا ،	(ج) ٣٧٨ حا
٣٦ حا ، ٣٩	(ج) ١١٣ حا ، ٤٥٦ حا

- السنين -

حا ٤٩٧ ، حا ٥.٢ ، حا	الساسى : طبعة (ج) ٣ حا ٣٤٢
حا ٥.٥ - ٥.٧ ، حا ٥١.٠ ، حا	(ج) ٤٥٣ حا
حا ٥٢٢ - ٥٢٣ ، حا ٥٢٥	(ج) ٤٦ حا ، حا ١.١ ، حا
حا ٥٣١	حا ١.٥ ، حا ١.٧ ، حا
(ج) ٣٥٦ حا ، حا ٣٦٢ ، حا	حا ١١٣ ، حا ١٢٣ - ١٢٤ ، حا
حا ٣٦٦ ، حا ٣٦٨ ، حا	حا ٥٢٩
حا ٣٧٣ ، حا ٣٧٥ ، حا ٣٧٩	(ج) ٥٨٢ حا
(ج) ٧٣ حا ، حا ٧٧ ، حا	(ج) ٣٦ حا ، حا ٢٨٨
حا ٢٢٨ ، حا ٢٣٥ ، حا ٢٥١	(ج) ٨٧٤ حا
حا ٢٥٦ ، حا ٢٦.٠ ، حا	سبائك الذهب (ج) ٣.٣ حا ، حا
حا ٢٦٢ ، حا ٢٦٤ - ٢٦٦ ، حا	٣٢٢ ، حا ٣٢٤ ، حا ٣٧١
حا ٢٦٩	حا ٣٩٢
سغاو : طبعة (ج) ٨ حا ٤٥٥	(ج) ٢٧٥ حا
سرح العميون (ج) ٣ حا ٣٦.٠	(ج) ٤١ حا - ٤٢ حا ، حا
(ج) ٤٩٧ حا - ٤٩٨	حا ٤٥ ، حا ٥٥ ، حا ١٣٦ ، حا
(ج) ٣٨١	حا ٣٨.٠ ، حا ٤١٦ ، حا
(ج) ٥٢.٠ حا	٤١٩ - ٤٢٠ ، حا ٤٢٣ -
السرط (ج) ٨ حا ٢.٤	٤٢٤ ، حا ٤٢٦ ، حا ٤٣.٠
السعادة : مطبعة (ج) ١ حا ١٤٧	حا ٤٣٢ - ٤٣٣ ، حا ٤٣٥
(ج) ٥٠.٠ حا	- ٤٣٧ ، حا ٤٤٢ ، حا
(ج) ٩٤ حا ، حا ١٣٤	٤٤٧ - ٤٤٩ ، حا ٤٦٨ -
(ج) ٣٦١ حا ، حا ٣٨٤	٤٧.٠ حا ، حا ٤٧٦ ، حا ٤٨٢ -
(ج) ٤٨٥ حا ، حا ٥٢٣	٤٨٤ ، حا ٤٩.٠ ، حا ٤٩٥

(ج) ٢٦٩ حا
سناد الاسلام (ج) ١٨٠ ، حا
٢٣٦ ، حا ٢٧٠ ، حا ٢٧٣
حا ٣١١ ، حا ٣٢٣ ، حا
٥٨١ ، حا ٥٨٧
السنة الحمديّة : مطبعة (ج) ١٥ حا
٩٨ حا
سنن ابن ماجّة (ج) ٦ حا ٧٤٠ ، حا
٧٤٤ ، حا ٧٤٨
(ج) ٥٠٢ حا
سنن أبي داوود (ج) ١ حا ٢٨٣
(ج) ٥ حا ٥٢٤ ، حا ٥٣٧ -
٥٢٨ ، حا ٥٥١ ، حا ٥٥٣
حا ٥٦٧
(ج) ٦ حا ٧٤٧ - ٧٤٨ ، حا
٧٥٠ ، حا ٧٨٣ ، حا ٨٠٥
سنن الترمذي (ج) ٧٣٦
سنن الدارمي (ج) ٨ حا ٣٢٥
السنن الكبرى (ج) ٤ حا ٩٨
(ج) ٥ حا ٥٢٤ ، حا ٥٣٧ -
٥٢٨ ، حا ٥٥٠ - ٥٥٢
(ج) ٦ حا ١٠٨ ، حا ٣٩٤ ،
حا ٥٩٥ ، حا ٦٠١ - ٦٠٢
حا ٦٧٦
(ج) ٥٠٢ حا
سنوات في اليمن وحضرموت
(ج) ١٦٣ حا
سومر : مجلة (ج) ١ حا ٢٢ ، حا
٥١ - ٥٢ ، حا ٢٤٣ - ٢٤٤
حا ٥٦٠ - ٥٦١ ، حا ٥٦٣
(ج) ٢ حا ٦١٠ ، حا ٦١٢ ،
حا ٦١٤ - ٦١٥ ، حا ٦١٧
- ٦١٩ ، حا ٦٢١
(ج) ٣ حا ١٤٩
(ج) ٨ حا ١٧٤ - ١٧٥ ، حا
٢١١

(ج) ٢٦٧ حا
(ج) ٥١ حا
السعيدة (ج) ٣ حا ٥٠٢
السقا : مصطفى - طبعة (ج) ١ حا ٣٠٣
٣٢٤ ، حا ٣٤٩ ، حا ٣٩٠
حا ٣٩٧
(ج) ٢ حا ٦٥٠
(ج) ٣ حا ١٥٥ ، حا ٢٦٠ ،
حا ٣٦٠ ، حا ٣٧١
(ج) ٤ حا ٢٣٢
(ج) ٥ حا ٣٦٨
(ج) ٦ حا ٣٨٦ ، حا ٥٢٣ ،
حا ٥٢٥
السلطان : (ج) ٥ حا ٢٧٣ ، حا
٦٤١
السلفية : مطبعة (ج) ١ حا ١١٧ ،
حا ١٥٠
(ج) ٢ حا ٣٥٤
(ج) ٤ حا ١١١
(ج) ٥ حا ٥١١
(ج) ٧ حا ١٧٩
السلوك من معرفة سير الملوك
(ج) ٦ حا ٦٤٣
السماع والقياس (ج) ٩ حا ٥٨
سمط اللآلئ (ج) ٦ حا ٥٧٧
(ج) ٨ حا ٢٥٤
(ج) ٩ حا ٢١ ، حا ٥٢ ، حا
٦٨ ، حا ٢٠٠ ، حا ٣٣٧ ،
حا ٤٦٣ ، حا ٤٩٢ - ٤٩٣
حا ٤٩٦ ، حا ٥٠٣ - ٥٠٤ ،
حا ٨٥١ ، حا ٨٧٩ ، حا
٩٠٦
سمط النجوم (ج) ٤ حا ٩٤ ، حا ٩٦
- ١٠١ ، حا ١٠٣ ، حا
٥٨٠
(ج) ٥ حا ٨٣

٤٥ ، ٥٧ ، ٧٣ . حا
 ٧٧ ، ١١٠ ، ١٢١ ،
 ١٣٦ ، ٢٧٨ ، حا
 ٦٣٦ ، حا ٦٥٦
 (ج) ٥٢٠ ، حا ٢٨٢
 (ج) ٤٠ ، حا ٢٥٢ ،
 حا ٣٥٨ ، حا ٤٧٠ ، حا
 ٤٧٥ ، حا ٤٨٠ ، حا ٤٨٥ ،
 حا ٤٩٢ ، حا ٥٢٢ ، حا ٥٥٢ ،
 حا ٥٦٢ حا ٦٩٧
 (ج) ٥٥ ، حا ٧٢ ، حا
 ٣٥٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧
 (ج) ٨٩ ، حا ٩٢ ، حا
 ١١٦ ، حا ١٣٥ ، حا ١٤١ ،
 حا ٢٥٤ ، حا ٢٩٦ ، حا
 ٣٢٠ ، حا ٣٤٢ ، حا ٣٨٤
 حا ٣٨٥ ، حا ٤٦٠ ، حا ٤٨٣ ،
 حا ٤٩٢ ، حا ٦٦٥ ، حا
 ٧٤٤ ، حا ٧٥٩
 (ج) ١٥ ، حا ٧٨ ، حا
 ١٥٣ - ١٥٤ ، حا ٣٨٥ ، حا
 ٣٩٦ ، حا ٤٠٨ ، حا ٤١٢
 حا ٤١٧ ، حا (٤٩٩ - ٥٠٠
 ٥٤٥ ، حا ٥٥٣ - ٥٥٣ ، حا ٦٧٩
 ٦٩٦ - ٦٩٩ ، حا ٧٠٧ ، حا ٧٠٩
 ٧١٢ ، حا ٧١٤ - ٧١٥ ، حا ٧٢٣
 - ٧٢٤ ، حا ٧٣٦ ، حا ٧٤٣ ، حا ٧٥٠
 ٧٥٤ : حا ٧٨٢ ، حا ٧٨٤ ، حا ٧٩٥
 ٨٢٢ ، حا ٨٥٢ ، حا ٨٩٩
 سيرة الرسول (ج) ١١٥
 سيرة قسطنطين (ج) ٦٢
 سيرة محمد (ج) حا ٢٦٥
 سيرة معاوية وبني امية (ج) حا
 ١١٦
 (ج) ٢٩٩ ، حا ٣٠٨

سير اعلام النبلاء (ج) حا ٤٧١ ،
 حا ٥٠٣
 السير في الاخبار والاحداث
 (ج) ١١٥ ، حا ٢٠١
 سير ملوك العجم (ج) ٧٨
 (ج) حا ٥٢٩
 نسراخ : سفر (ج) ٣٤٠
 السيرة (ج) ١١٤ ، حا ٣٢١
 (ج) حا ٢٨٢ ، حا ٤٣٣ ،
 حا ٤٣٥ ، حا ٥١٦
 (ج) حا ٤٦ ، حا ٦٣ ، حا
 ٧٤ ، حا ٧٧ ، حا ٧٩ ،
 حا ٨٣ - ٨٩ ، حا ١٢٢ ،
 حا ١٥٢ ، حا ٣١٨ ، حا
 ٣٧٨ ، حا ٦٥٦
 (ج) حا ٨٩ ، حا ٩٤ ، حا
 ٩٦ - ٩٧ ، حا ٣٨١ - ٣٨٢
 حا ٣٨٤ ، حا ٤٥٦ - ٤٥٨
 (ج) حا ٢٢٢ ، حا ٣٦٨ ، حا
 حا ٤٣٦ ، حا ٥٢٤ ، حا
 ٧٦٠ ، حا ٧٦٨ ، حا ٧٧٤
 حا ٨٠٥
 (ج) حا ٨٩ ، حا ٩٢ - ٩٣
 حا ٧٨٦
 سيرة ابن اسحاق (ج) حا ٦١١ ،
 حا ٧٦٦
 (ج) حا ٢٩٧
 سيرة ابن دحلان (ج) ٢٠٨
 (ج) حا ٣٦٨
 سيرة ابن سيد الناس (ج) حا
 ٧٨٧
 سيرة ابن هشام (ج) حا ٧٨ ، حا
 ٨٦
 (ج) حا ٥١٠ ، حا ٥٣٧
 (ج) حا ١١ ، حا ٤٣ ، حا

- الشين -

- شذرات الذهب (ج ٩) حا ٣٠٤
 ترانيع الحرمين (ج ٣) ٥٠٦
 (ج ٦) حا ٦١٩
 شرح ابن أبي الحديد
 (ج ٦) حا ٣٦٩
 شرح ابن عقيل لافية ابن مالك
 (ج ١) حا ٣١٩ ،
 (ج ٥) حا ٧٢
 شرح ادب الكاتب (ج ٩) حا ٩٠٢
 شرح اشعار الهذليين (ج ٩) حا ٦١٥
 - ٦١٦ - حا ٦١٨ - حا ٦٤٩
 شرح اشعار هذيل (ج ٩) ٢٢٧
 شرح الاصول الخمسة (ج ٦) حا ٦٢٧
 حا ٦٣٠
 شرح الامام النووي (ج ١٥) حا ٥٢٨
 (ج ٦) حا ٢٥٢
 (ج ١٧) حا ٢١٧ - ٢١٩ -
 ٢٢٠
 (ج ٨) حا ٧٤٠
 شرح الانباري (ج ٦) حا ٣٦٤
 شرح التبريزي (ج ٩) حا ٥١١
 شرح الحماسة (ج ١) حا ٦٨
 (ج ٣) حا ٢٤٥
 (ج ١٤) حا ٣٦٢ - حا ٣٩٣ ؛
 حا ٣٩٦ - ٣٩٧ ، حا ٤٧٢ ؛
 حا ٥٠٢ ، حا ٥١٨
 (ج ٥) حا ٣٦١ ، حا ٣٦٢ ؛
 حا ٣٧٩
 (ج ٦) حا ٣٥٧ ، حا ٣٦٢ .
 حا ٤٨٨
 (ج ٧) حا ٢٨٢
 (ج ٨) حا ٢٦٩ ، حا ٢٨٤
 (ج ٩) حا ٦٦ ، حا ٩٠ ؛ حا
 ٤٩٣ : ٦٢٥ : ٦٤٢ - ٦٤٣ ،
 ٦٧٠ ، حا ٨١١ ؛ حا ٨٧٠ .
 حا ٨٨٢
 شرح الدرديدية (ج ٨) ٥٧٤
 شرح ديوان الاعشى (ج ٩) حا ٥٧٣
 حا ٥٧٥
 شرح ديوان امرئ القيس
 (ج ١) حا ٣٨٢
 (ج ٦) حا ٥٥٥
 شرح ديوان حسان بن ثابت
 الانصاري (ج ١) حا ١١١ -
 ١١٢ ؛ حا ٢٨٤ ، حا ٣٩٦
 (ج ٥) حا ٥٠ ، حا ١١٨ . حا
 ٢٦٥ - حا ٣٩٦ ؛ حا ٥٠٦ .
 حا ٥١٨
 (ج ٦) حا ٥٢٢

شرح السيرة النبوية (ج ٦، ح ٤٧٨
شرح الشهاب على البيضاوي (ج ٦،
ح ٨٢. ح ٨٥

شرح التواهد (ج ١٨، ح ٦٨٤

(ج ١٩، ح ٨٣. ٨٢. ٨١ -

٨٩. ١٢٠. ١٥٨. ١٧٤.

١٧٧. ٢٣١. ٢٣٦. ٢٤٨.

٢٦٢. ٢٧٤. ٢٨٣. ٣١٥.

٣٢٩. ٣٣٥. ٣٣٧. ٣٨٧.

٤٥٤. ٤٥٦. ٤٥٩. ٤٦٣.

٤٦٥. ٤٧٤. ٤٨١. ٤٨٤.

٤٩٢. ٤٩٥. ٤٩٦. ٤٩٨.

٤٩٩. ٥٠٨. ٥١٠. ٥١٩.

٥٢١. ٥٢٨. ٥٣١. ٥٣٣.

٥٣٥. ٥٣٦. ٥٣٩. ٥٤١.

٥٤٤. ٥٤٧. ٥٥٤. ٥٥٨.

٥٦١. ٥٦٨. ٥٧١. ٥٨٢.

٥٨٤. ٥٨٧. ٥٨٨. ٥٩١.

٥٩٤. ٥٩٥. ٥٩٧. ٥٩٩.

٦٤١. ٦٤٣. ٦٥٩. ٦٦٣.

٦٦٦. ٦٦٧. ٦٦٩. ٦٧٥.

٦٧٧. ٦٨٨. ٦٩١.

٧. ٧. ٧٢١. ٧٢٩. ٧٣٠.

٧٣٤. ٧٣٦. ٧٣٨. ٧٤٠.

٧٤١. ٧٤٥. ٧٤٦. ٧٤٨.

٧٥٠. ٧٦٦. ٧٧١. ٧٧٥.

٧٧٨. ٧٨٧. ٧٩٦. ٨٠٠.

٨٠٤. ٨٠٥. ٨١٣. ٨١٨.

٨٢٣. ٨٢٤. ٨٢٦. ٨٣٢.

٨٣٤. ٨٣٨. ٨٥٤. ٨٥٦.

٨٥٩. ٨٦٥. ٨٦٦. ٨٦٨.

٨٧١. ٨٧٣. ٨٧٤. ٨٧٦.

٨٨٠. ٨٨٢. ٨٨٤.

شرح صحيح البخاري

(ج ٤، ح ٣٧١

(ج ٦، ح ٥٠٢

(ج ١٨، ح ٢٩٢

شرح ديوان رهبر بن أبي سلمى

(ج ١، ح ٢٨٢

(ج ١٥، ح ١٦٢

(ج ١٦، ح ٤١. ح ١٠٦ -

١٠٧. ح ١٥١. ح ١٥٥.

ح ١٥٩. ح ٥٠٦

شرح ديوان عروة (ج ٩، ح ٦٢٦

شرح ديوان عنتره (ج ١، ح ٣٨

شرح ديوان لبید (ج ٣، ح ٢٣٩.

ح ٢٦٣. ح ٢٧١. ح ٢٧٦.

ح ٢٨٤. ح ٣٢٨. ح ٥٠٥

(ج ٤، ح ٢٠٤. ح ٢٢٦

(ج ٥، ح ١١٩. ح ١٢٤.

ح ١٦٩. ح ٢٠٩. ح ٢٩٨.

ح ٤١٧. ح ٤٢٨. ح ٤٤٠.

ح ٤٦٤

(ج ٦، ح ١١٤. ح ٢٨٣. ح ٣٥٠.

ح ٤٠٤. ح ٤٣٠.

(ج ٧، ح ٢٤٩. ح ٣١٨.

ح ٥٥٧

(ج ٨، ح ١٣٨. ح ١٤٠. ح ٢٦٧.

ح ٣٨٢. ح ٣٩١.

ح ٣٩٧. ح ٤١٥. ح ٤١٦.

ح ٧٢٩

(ج ٩، ح ٥٤٦. ح ٥٥٠.

ح ٥٥٨

شرح ديوان التلمس (ج ٩، ح ٣٠٤

شرح ديوان النابعة الذبياني

(ج ٣، ح ٣٩٩

شرح رسالة ابن خلدون

(ج ١٤، ح ٤٩٨

(ج ١٩، ح ٧٨٢

شرح السبع العاليات (ج ٩، ح ٥١٠

شرح السيرة (ج ٨، ح ٤٧٤

- شرح صحيح مسلم (ج ٦) حا ٥٠٢ -
 ٥٠٣ . حا ٧٤٤ . حا ٧٤٨
 (ج ١٨) ٩٨
 شرح العيني (ج ٥) حا ٥٢٠ . حا
 ٥٢٩ . حا ٥٧٥
 شرح الفصيح (ج ١٨) ٣٥٨
 شرح القاموس (ج ١٧) حا ٣٧٦ ، حا
 ٥٤٩ ، حا ٥٥٤ - ٥٥٥ : حا
 ٦٢٣
 (ج ١٨) حا ٩ . حا ١٣ - ١٤ ،
 حا ٢٠ ، حا ٢٣ - ٢٤ ، حا
 ٣٠ ، حا ٣٢ . حا ٣٦ ، حا
 ٥٨ ، حا ٦٣ - ٦٤ : حا
 ٢٥٤ ، حا ٢٥٦ - ٢٥٧ ، حا
 حا ٢٦٣ ، حا ٢٦٩ . حا ٣٢٣
 حا ٣٩٩ ، حا ٤٠٦ - ٤٠٧ ،
 حا ٤٦٦
 شرح القصائد العشر (ج ١٣) حا ٢٤٣
 - ٢٤٥ ، حا ٢٥٧ ، حا
 ٣٢٥ - ٣٢٦ . حا ٣٤٧ ، حا
 ٣٦٠
 (ج ٤) حا ٣٧٥ ، حا ٣٨٢ ، حا
 ٣٨٦ ، حا ٤٩٠ ، حا ٦٦٥
 (ج ٥) حا ٣٦١
 (ج ٦) حا ١١١ : حا ١٥٦ ، حا
 ١٦٢ : حا ٢٠٢ : حا ٦١٤
 (ج ٨) حا ٢٥٤ : حا ٢٦٩ -
 ٢٧٠
 (ج ٩) حا ٨٧ . حا ٤٦٠ : حا
 ٥٠٧ - ٥٠٨ : حا ٥٢٠ . حا
 ٥٤٠ . حا ٥٦٢ : حا ٥٩٥ -
 ٥٩٦ . ٨٢٢ . ٨٢٦ . ٨٣٠
 - ٨٣١
 شرح القصائد المختارة (ج ٩) حا
 ٥٠٨ . حا ٥١٠
 شرح اللمعة الدمشقية (ج ٥) حا ٣١٥
- شرح المعلقات السبع (ج ١) حا ٣٨ -
 ٣٩ . حا ٣٠٩ . حا ٣٨٢
 (ج ١٣) ١٥٠ . حا ١٣
 حا ٢٢ . حا ٢٢٣ : حا
 ٢٤٢ ، حا ٢٤٤ - ٢٤٥ ، حا
 ٢٤٨ - ٢٤٩ ، حا ٢٥٣ ، حا
 ٣٥٨ ، حا ٣٦٠ ، حا ٣٦٥
 (ج ١٤) حا ٣٧٦ : حا ٤٩١
 (ج ٥) حا ٣٥٠ ، حا ٣٦١ ، حا
 حا ٤١٦ ، حا ٤٢٢ ، حا
 ٤٣٥ ، حا ٤٥٨
 (ج ٦) حا ١٥٦ ، حا ٢٠٧ ،
 (ج ١٧) حا ٦٠١
 (ج ١٨) حا ٢٧٠ ، حا ٤٠١
 (ج ١٩) حا ٥٠٧ ، حا ٥١٠
 شرح الفضليات (ج ٥) حا ٣٦٦ ، حا
 ٣٧٧ ، حا ٦٤٦
 (ج ٦) حا ٣٥٧
 (ج ٩) حا ٣٢٠ ، حا ٨٧٩
 شرح مقامات الحريري
 (ج ٤) حا ٢١٣
 شرح المواهب (ج ٤) حا ٢٣٦
 شرح موطأ الإمام مالك (ج ٥) حا
 ٥٥١
 شرح النقاظ (ج ٩) حا ٤٩٧
 شرح نهج البلاغة (ج ١٤) حا ٧٢ : حا
 ٧٤ ، حا ٧٧ - ٧٨ : حا ٨٢
 حا ١٠٠ ، حا ٢٠٨
 (ج ١٨) حا ٢٨٤
 شرح النووي على صحيح مسلم
 (ج ٧) حا ٤٩٩ ، حا ٥٠٣
 (ج ٩) حا ٨٤٥
 الشعر (ج ٩) حا ٦٤ - ٦٥ : حا ٢٠٢ ،
 حا ٢٤٣
 شعر السموال (ج ٦) حا ٥٧٢ - ٥٧٥
 حا ٥٨١

شرح قصيدة ابن عبدون

(ج) ٢٣٦ - ١٩٤ - ٢٣٦

(ج) ٤١٥ - ٤١٥

شعر فيس (ج) ٣٨٢ - ٣٨٢ - ٣٨٢

٤٧٥ - ٤٧٥

الشعر والشعراء (ج) ١١٣ - ١١٣

(ج) ٢٣٢ - ١٠٦ - ٢٣٢ ، ٢٣٢

٢٣٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٥

٢٤٧ ، ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٥٧

٢٦١ ، ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٢

٢٨٦ ، ٢٨٨ - ٢٩١ ، ٢٩١

٢٩٨ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥١

٣٦٠ - ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٤

٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٠

٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٤١٠ ، ٤١٠

٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣١

(ج) ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣

٢٥٨ ، ٣٥٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٤

٤٩٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٧٩

٥٨٥ ، ٦٦٠ ، ٦٦٠ ، ٦٦٠

٦٦٨

(ج) ٣١٩ ، ٢٠٨ ، ٣١٩ ، ٣١٩

٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٤

٦٣٧

(ج) ٢٩ ، ١٤٩ ، ٢٩ ، ٢٩

٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٥

٤٨٨ - ٤٨٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٠

٦١٦ ، ٦٥٤ ، ٦٦٤ ، ٦٦٤

٦٧٣ ، ٦٨٠ ، ٧٧٠ ، ٧٧٠

٨٠٢

(ج) ١٠٩ ، ١١١ ، ١١١ ، ١١١

١٤١ ، ٣٠٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٣

٣٦٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦٠ ، ٦٦٠

(ج) ٢١١ - ٢٣ - ٥٢ ، ٥٢

٦٥ : ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٥ : ٨٨ ، ٨٨

٩٣ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١١٠ ، ١١٠

١١٢ - ١١٧ - ١٤٣ - ١٤٤

١٤٧ - ١٥٢ - ١٥٩ - ١٦٠

١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٥ - ١٧٧

١٨٤ - ١٨٨ - ١٩٤ - ١٩٨

٢٠٠ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢١٥

٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦

٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٥

٢٤٦ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٦٠

٢٦١ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٠

٢٧٣ - ٢٨٤ - ٢٨٧ - ٣٢٢

٣٢٣ - ٣٢٩ - ٣٢٣ - ٣٢٨

٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٧١

٣٧٩ - ٣٨٩ - ٤٠٢ - ٤٢٣

٤٢٧ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤٢

٤٤٣ - ٤٤٥ - ٤٥٠ - ٤٥٣

٤٦٠ - ٤٦٣ - ٤٦٧ - ٤٦٩

٤٧٠ - ٤٧٢ - ٤٧٦ - ٤٧٨

٤٨٠ - ٤٨٤ - ٤٩٠ - ٤٩٣

٤٩٥ - ٤٩٧ - ٤٩٩ - ٥٠١

٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٦ - ٥٠٨

٥٢١ - ٥٢٩ - ٥٣٢ - ٥٣٣

٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٩ - ٥٤٠

٥٤٢ - ٥٤٥ - ٥٤٨ - ٥٥٠

٥٥٢ - ٥٥٤ - ٥٥٦ - ٥٦١

٥٦٥ - ٥٦٧ - ٥٦٩ - ٥٧٧

٥٨٢ - ٥٨٥ - ٥٨٧ - ٥٨٩

٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٨ - ٥٩٩

٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٣ - ٦٢٤

٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٩ - ٦٤١

٦٥٠ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦٢

٦٦٨ - ٦٧٤ - ٦٧٨ - ٦٧٨

٦٨٨ - ٦٩٢ - ٧١٠ - ٧١٠

٧١٣ - ٧٢٩ - ٧٣١ - ٧٣٥

٧٣٧ - ٧٤٢ - ٧٤٥ - ٧٤٦

٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٥ - ٧٥٨

٧٦٠ - ٧٦٤ - ٧٦٦ - ٧٧٢

حا ٤٨٥ ، حا ٤٨٩ ، حا ٥٠١
 حا ٥٠٣ ، حا ٥٠٦ - حا ٥٠٧
 حا ٥٥٠ - حا ٥٥١ ، حا ٥٥٥
 حا ٥٧٣ ، حا ٥٧٦ ، حا
 ٦٤٨ ، حا ٦٦٠ ، حا ٦٦٤ -
 حا ٦٦٥ ، حا ٦٦٧ - حا ٦٦٨ ، حا
 حا ٦٧١ ، حا ٦٧٣ ، حا ٦٨٤ -
 ٦٨٥

(ج٧) حا ٣٨٢

(ج٨) حا ٢٠٤ ، حا ٢٦٧ -

٢٦٨ ، حا ٢٧٣

(ج٩) حا ١١ ، حا ٥٦٢ ، حا

٨٨٢

شفاء الغرام (ج٦) ٤٣٥

شفاء الفليل (ج٨) حا ٢٦٢ ، حا ٧١٦

شلتيز : طبعة (ج١) حا ٣٢٢

شمس العلوم (ج١) حا ٤٠ ، حا

١٠٥ ، حا ٣٢١ ، حا ٣٣٧

حا ٣٤٥ ، حا ٣٦٠ ، حا ٣٦٤

حا ٣٦٧ - حا ٣٦٨ ، حا ٣٧١ ، حا

حا ٣٩٠ ، حا ٤٩٠ ، حا ٥٧٤

(ج٢) حا ٥٩١

(ج٣) حا ٣٨٨

(ج٤) حا ١٢٤ ، حا ٦٧٠

(ج٥) حا ٢٢ ، حا ٥٦ ، حا

١١٠ ، حا ١٢٤ ، حا ١٦١ ، حا

حا ٢٩٥ ، حا ٤٠٢ ، حا ٤٢٠

- حا ٤٢٢ ، حا ٤٣٠ ، حا ٤٥١

حا ٤٧٤ ، حا ٥٩٦

(ج٦) حا ٢٠٤ ، حا ٢٨١ ، حا

٧٤٠ ، حا ٤٠١

(ج٧) حا ٢٤٨ ، حا ٣٩٥ ، حا

حا ٥٤٩ ، حا ٥٥٩ - حا ٥٦٠

حا ٥٦٥ - حا ٥٦٦ ، حا ٥٦٩

حا ٥٨٣ ، حا ٥٨٥ ، حا

٥٩٧ - حا ٦٠١

٧٧٦ ، حا ٧٧٩ ، حا ٧٩٦ - حا ٧٩٩

حا ٨٠١ ، حا ٨٠٤ ، حا ٨٠٦ - حا ٨٠٨

حا ٨١٣ ، حا ٨١٥ - حا ٨١٦ ، حا ٨١٨

حا ٨٢٩ - حا ٨٣٢ ، حا ٨٤٨ ، حا ٨٥١

حا ٨٥٥ - حا ٨٥٧ ، حا ٨٥٩ ، حا ٨٦١

حا ٨٦٦ - حا ٨٦٨ ، حا ٨٦٩ ، حا ٨٧١

- حا ٨٧٤ ، حا ٨٧٦ ، حا ٨٧٩ - حا ٨٨٠

حا ٨٨٢ ، حا ٨٨٥ - حا ٨٨٦ ، حا ٨٩٢

- حا ٨٩٣ ، حا ٨٩٥ ، حا ٨٩٧ ، حا ٩٠٠

(٩٠٧ - ٩٠٦)

الشعراء الصغاليك (ج٩) حا (٦٠٣)

حا ٦٠٧ - حا ٦٠٨ ، حا ٦١٠ ، حا ٦١٢

- حا ٦١٣ ، حا ٦١٥ - حا ٦١٦ ، حا ٦١٨

حا ٦٢١ - حا ٦٢٢ ، حا ٦٣١ ، حا ٦٣٦

حا ٦٣٩ ، حا ٦٤١ ، حا ٦٤٩ - حا ٦٥٠

شعراء العصر الاموي (ج٩) حا

٦٩٦

شعراء النصرانية (ج٢) حا ٢١٨

(ج٣) حا ٢٢٤ ، حا ٢٣٦

حا ٢٤١ - حا ٢٤٢ ، حا ٢٤٤ - حا

حا ٢٤٦ ، حا ٢٥٠ ، حا ٢٥٣ ، حا

حا ٢٥٦ ، حا ٢٦٧ ، حا ٢٧٠

- حا ٢٧١ ، حا ٢٧٣ ، حا

حا ٢٨٠ - حا ٢٨٢ ، حا ٢٨٣ ، حا

حا ٢٨٨ - حا ٢٩٢ ، حا ٢٩٤ ، حا

حا ٢٣٠ - حا ٢٨٤ ، حا ٤٦٤ - حا

٤٦٧ ، حا ٥٠٦

(ج٤) حا ٤٨٤ ، حا ٤٩٠ - حا ٤٩١

حا ٤٩٨ ، حا ٥٠٢ ، حا ٥١٥

(ج٥) حا ٢٢ ، حا ١١٥ ، حا

حا ٢٠٧ ، حا ٢٥٦ ، حا ٣٦٧ ، حا

حا ٣٦٩

(ج٦) حا ١٠٦ ، حا ١٠٨ - حا

حا ١٠٩ ، حا ١١١ ، حا ١٥٦ ، حا

حا ٢٩٤ - حا ٤٦٤ ، حا ٤٦٦

حا ٤٧٨ ، حا ٤٨٠ - حا ٤٨١

الشهاب الراصد (ج) ١) ح ٧٠	(ج) ٨) ح ٢٦ ، ح ٣٥ - ٣٦ ،
الشهداء الحميرين (ج) ٣) ح ٤٦٤ ،	ح ١٥٩ ، ح ٢٦٤ ، ح ٢٨٢
ح ٤٦٦ - ٤٦٧	ح ٢٨٧ ، ح ٣١٥ ، ح ٣٨٤
شهداء فلسطين (ج) ١) ح ٦٢	ح ٣٩٢ ، ح ٣٩٨ ، ح ٣٨٤
الشواهد (ج) ٩) ح ٢١٠	٤٠٠ ، ح ٧٩٥
شيخ الضيرة : (ج) ٨) ح ٦٠١	(ج) ٩) ح ٤٧٩

- الصاد -

(ج) ٢) ح ٥١٣ ، ح ٥٣١ ، ح ٥٣٩	الصاحبي في فقه اللغة (ج) ٨) ح ١٣٩ ، ح ١٥٤ ، ح ١٥٨
ح ٥٧٦ ، ح ٥٦٩ ، ح ٥٧٦ ، ح ٥٨٤	ح ١٦١ ، ح ٥٥٠ - ٥٥١
ح ٥٨٧	ح ٥٥٦ - ٥٥٨ ، ح ٥٦١ - ٥٦٢
(ج) ٣) ح ٢٧٥ ، ح ٢٩٥ ، ح ٣٨٢	ح ٥٧٠ ، ح ٥٧٧ ، ح ٥٨٥
ح ٥٢٨ - ٥٢٧ ، ح ٥٣١ ، ح ٥٣٦	ح ٥٩٦ ، ح ٦٠٠ ، ح ٦٠٢ - ٦٠٥
(ج) ٤) ح ١١ ، ح ١١٥ ، ح ٢١٣	ح ٦١٧ ، ح ٦٣٠ - ٦٣١ ، ح ٦٥٣
ح ٣٨٠ ، ح ٤٤٢ - ٤٤٣ ، ح ٤٤٧ ، ح ٤٤٩	ح ٦٥٥
ح ٤٥١ ، ح ٤٥٥ ، ح ٤٥٨ - ٤٥٩	(ج) ٩) ح ٦ - ٧ ، ح ١٠ ، ح ٢٦
ح ٤٦٤ - ٤٦١ ، ح ٤٧٠ ، ح ٤٧٧	ح ٤٣ - ٤٤ ، ح ٤٩ ، ح ٥٨ ، ح ١٢٣
ح ٤٨٠ - ٤٨٣ ، ح ٤٨٥ ، ح ٤٨٧	ح ١٢٤ ، ح ١٧٠ ، ح ١٩٥ - ١٩٦
ح ٤٩١ ، ح ٤٩٧ ، ح ٥٠٣ ، ح ٥٠٧	٢٤٥ ، ٢٤٨ (ح) ٨) ح ٣٢٤ ، ح ٧٥٠
ح ٥١٠ ، ح ٥١٨ - ٥٢٠ ، ح ٥٢٢ - ٥٢٣	صبح الاعشى (ج) ١) ح ٢٩٦ ، ح ٣٢٤ ، ح ٣٥٩
ح ٥٢٩ - ٥٣٣ ، ح ٥٣٥	ح ٣٧٦

755

(ج٧) حا ٤٧٧	حا ٥٠٧ - ٥٠٨ ، حا ٥١٢
(ج٩) حا ٧٧٦	- ٥١٥ ، حا ٥١٧ - ٥١٩ ،
صموئيل الثاني : سفر (ج٤) حا	٥٢٢ - ٥٢٣ ، حا ٥٢٧ ،
٣١٥ ، حا ٦٠٩ ، حا ٦١٢	حا ٥٣٧ - ٥٣٩ ، حا ٥٤١
(ج٦) حا ٢٣٥	(ج٨) حا ٩١ ، حا ٢٠٨
الصناعتين (ج٥) حا ٥١٠	(ج٩) حا (٣٧٩ ، ٤٨٤ ، ٥٢٧
(ج٩) حا ٧١ ، حا ٢٣٩ ، حا	٥٤٠ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ - ٥٧٦
٦٤٦	٥٧٩ ، ٦٥٧ ، حا ٨٧٠)
صور الكواكب الثمانية والاربعين	الصلاة (ج٧) حا ٣٨
(ج٨) حا ٤٢٧	صموئيل الاول : سفر (ج١) حا
صورة الارض (ج٤) حا ١٤٢ ، حا	٤٣٦ ، ٦٤٤
١٤٦	(ج٤) حا ٣١٥
(ج٦) حا ٥٢٩	(ج٦) حا ١٩٨ ، حا ٢٣٥ ،
صون المنطق والكلام (ج٩) حا ٥١	حا ٥١٧ ، حا ٧٧٧

- الضاد -

٣٧ ، ٤٤ ، ٤٧ - ٤٧ ، ٤٧ (٥٨)	ضحى الاسلام (ج٨) حا ٦٦٩
	(ج٩) حا (١١ ، ٢١ ، ٣٧ -

— الطاء —

(ج٩) حا ٦٧ ، حا ٧٠ ، حا
١٩٨ ، حا ٣٨٧ ، حا ٤١٣ ،
حا ٥٥٢ ، حا ٦١٧ ، حا ٧١٠
حا ٧٢٤ — حا ٧٢٥ ، حا ٧٥٠
٧٩٣ ، حا ٨٢٨ ، حا ٨٦٤ — ٨٦٥
٨٦٨

طبقات الادباء (ج٩) حا ٢٨٧
طبقات الاطباء والحكماء (ج٨) حا
١٩٧ — ١٩٩

طبقات الامم (ج٦) حا ١٣٠
طبقات الشافعية (ج٩) حا ٥٢٨
طبقات الشعراء (ج١) حا ٣٤٤ ، حا ٤١١
حا ٦٨ — حا ٧١ ، حا ٧٦ ، حا

٣٧٩ ، حا ٤٧٣
(ج٣) حا ٢٣٦ ، حا ٢٤٥ ،
حا ٢٨٩ ، حا ٣٥٩ ، حا ٣٧٥
حا ٣٧٧ ، حا ٤١٠ ، حا
٤٢٨ — ٤٢٩

(ج٤) حا ١٩ ، حا ٢٧ ، حا
٤٠ — حا ٤٦ ، حا ٥٠ ، حا
٥٥ ، حا ٥٨ ، حا ٦٠ — حا ٦٣
حا ٦٥ — حا ٦٧ ، حا ٧٢ —
٧٩ ، حا ٨٢ ، حا ٨٥ — حا ٨٦
حا ١٠٠ ، حا ١٢٢ ، حا ١٥٠
حا ١٥٢ ، حا ١٨١ — حا ١٨٥

الطب (ج٦) ٧٤٣ ، حا ٧٤٨
الطبقات (ج١) حا ٨٧ ، حا ١١٢ ،
حا ١٤٦ ، حا ١٤٩ ، حا ٢٠١
حا ٣٠٣ ، حا ٣١١ ، حا ٣٤٠
حا ٣٤٢ — حا ٣٤٣ ، حا ٣٥٥ ،
حا ٣٧٥ — حا ٣٧٨ ، حا ٣٩٢ ،
حا ٣٩٤ ، حا ٣٩٨ ، حا ٤١١
حا ٤٢١ ، حا ٤٣٣ ، حا
٤٤٢ ، حا ٤٤٥ — حا ٤٤٦ ، حا
٤٤٨ — حا ٤٥٩ ، حا ٤٦٤ ، حا
٤٧٣ ، حا ٥٢٧ ، حا ٥٧٨
(ج٥) حا ٣٥٠ ، حا ٥٠١
(ج٦) حا ٦١١ ، حا ٦٤١
(ج٨) حا ٣١ ، حا ١١٠ ، حا
١١٥ — حا ١١٦ ، حا ١١٩ ، حا
١٢١ — حا ١٢٢ ، حا ١٢٥ ، حا
١٢٧ — حا ١٣٠ ، حا ١٣٢ —
١٣٣ ، حا ١٣٥ ، حا ١٤١ ، حا
٢٥٥ ، حا ٢٦١ ، حا
٢٦٤ ، حا ٢٧٣ ، حا ٢٩٢ ، حا
٢٩٧ ، حا ٣٠١ ، حا ٣٢٤
حا ٣٧٨ ، حا ٣٨٧ ، حا ٤١٥
٥٦٥ ، حا ٦٢٩ ، حا ٦٣٩ ، حا
٦٤٥ ، حا ٦٧١ ، حا ٧٥٢
٧٨٨ حا

٦٣٦ ب
 (٨ج) ٦١٧ ب ، ٥٦٢ ب ، ٦١٧ ب ، ٦٨٣
 ، ٧٤٢ ب ، ٧١٠ ب ، ٦٨٣
 (٩ج) ٢٦ - ٢٥ ، ٢٣) ب ، ٢٦
 ، ٥٧ ، ٥٤ - ٥٣ ، ٤٠
 ، ٩٤ - ٩٣ ، ٩١ ، ٨٥ ، ٧٦
 ، ١٥٩ ، ١١٥ ، ٩٩ - ٩٧
 ، ١٩٧ ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٧
 ٢٢٢ - ٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢١٤
 ٢٣٦ - ٢٣٥ ، ٢٣٣ - ٢٣٠
 ٢٥٢ ، ٢٤٦ - ٢٤٥ ، ٢٤٠
 ٢١٣ ، ٢٦٩ ، ٢٦٣ - ٢٦٠
 ٢٢٩ - ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢١٤ -
 ٢٤٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٢ ، ٢٣٣
 ٢٦٨ ، ٢٦٣ - ٢٥٨ ، ٢٥٠
 ، ٢٨٦ ، ٢٨١ - ٢٨٠ ، ٢٧٧
 ٤٢٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٣ - ٤٠١
 ٤٤٨ - ٤٤٦ ، ٤٣١ ، ٤٢٤ -
 ٤٧١ - ٤٧٠ ، ٤٥٥ ، ٤٥٣
 ٥٣٦ ، ٥٠٤ ، ٤٧٧ - ٤٧٣
 ٥٨٧ ، ٥٧٣ ، ٥٦٧ ، ٥٣٧ -
 ٦٦٨ ، ٦٥٧ - ٦٥٤ ، ٥٩٨
 ، ٦٩٠ ، ٦٨٨ ، ٦٧٦ ، ٦٧٠
 ٧١٢ - ٧٠٦ ، ٦٩٩ - ٦٩٤
 ، ٧٢٤ ، ٧١٩ ، ٧١٦ - ٧١٤
 ٧٣١ - ٧٣٠ ، ٧٢٧ - ٧٢٦
 ٧٥٣ - ٧٥٢ ، ٧٥٠ - ٧٤٧
 ٧٧٠ ، ٧٦٧ - ٧٦٦ ، ٧٥٨
 ٧٨٢ - ٧٨١ ، ٧٧٦ ، ٧٧١ -
 ، ٨٢٨ ، ٧٩٣ ، ٧٨٧ - ٧٨٤
 ، ٨٥٨ ، ٨٥٤ ، ٨٤٩ - ٨٤٨
 ٨٧٤ ، ٨٧٢ - ٨٧١ ، ٨٦١
 ٨٨٣ - ٨٨٢ ، ٨٨٠ - ٨٧٧
 (٨٩٥ ، ٨٨٩ - ٨٨٦
 طبقات النحويين (٩ج) ٣٦ ، ٤٠ ،
 ٣٦١ ب ، ٣٢٢ ب

- ١٩٤ ب ، ١٩١ - ١٨٧ ب
 ب ، ٢٠٦ ب ، ٢٠٣ ب ، ٢٠١
 ب ، ٢١٧ ب ، ٢١٢ - ٢٠٩
 ب ، ٢٢٤ ب ، ٢٢٢ - ٢٢٠
 ب ، ٢٤٥ - ٢٤٠ ب ، ٢٣٣
 ب ، ٢٥١ - ٢٤٩ ب ، ٢٤٧
 ب ، ٢٥٧ ب ، ٢٥٥ - ٢٥٣
 ٢٦٩ - ٢٦٧ ب ، ٢٦٤ - ٢٦١
 ٢٨٤ ب ، ٢٩٤ ب ، ٢٩٢ ب
 ٥٧٥ ب ، ٥٦٦ ب ، ٥٦٥ ب
 ٦٨٠ ب ، ٦٣٦
 (٥ج) ٤٨ ب ، ٥٠ ب ، ٥٠ ب
 ٥٢ - ٥١ ب ، ١٥٦ ب ، ١٥٤ ب
 ، ٥٧٣ ب ، ٣٧٨ ب ، ٢٨٦
 ٦١٣ ب ، ٥٩٣ ب
 (٦ج) ٦٨ ب ، ٥٨ ب ، ٥٨ ب
 ب ، ٩٨ ب ، ٨٩ ب ، ٨٨
 ، ٣٦٣ ب ، ٣٥٢ ب ، ٣٥١
 ٤٣٣ ب ، ٣٧٠ ب ، ٣٦٥ ب
 ب ، ٤٧٢ - ٤٦٩ ب ، ٤٦٤ ب
 ب ، ٤٨١ - ٤٨٠ ب ، ٤٧٥
 ، ٥٠٢ ب ، ٤٨٥ ب ، ٤٨٣
 ب ، ٥١٨ ب ، ٥٠٧ ب
 ، ٥٤٨ ب ، ٥٤٢ ب ، ٥٣٠
 ، ٥٨٠ ب ، ٥٧١ - ٥٧٠ ب
 ٦٩٤ ب
 (٧ج) ١٠٢ ب ، ٩٩ ب ، ٩٩ ب
 - ١٤١ ب ، ١٣٦ ب ، ١١٩
 - ١٩٣ ب ، ١٥١ ب ، ١٤٢
 ، ٢٩٣ ب ، ٢٩٠ ب ، ١٩٥
 ٣٣٠ ب ، ٣١٣ ب ، ٣٠٤ ب
 ب ، ٤٤٨ ب ، ٤١٦ ب
 - ٤٥٩ ب ، ٤٥٧ ب ، ٤٥٣
 - ٤٨٤ ب ، ٤٧٦ ب ، ٤٦٣
 ، ٤٨٥ ب ، ٥٠٢ ب ، ٥٢٧ ب
 ٦٠٠ - ٥٩٩ ب ، ٥٣٨ ب

الطبوغرافية النصرانية (ج٣) ٤٦١	(ج٣) ١٧٦ حا
ظرفة الاصحاب (ج٤) حا ٤١٦ -	الطواف حول بحر الاريتريا
٤١٨ ، حا ٤٢٠ ، حا ٤٣٧	(ج١) ٣٢٥ ، ٥٩
حا ٤٤٧ ، حا ٤٤٩ - ٤٥٠	(ج٢) ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٦٠
حا ٤٦٨ ، حا ٤٧٦ ، حا	- ٦١ ، ٦٣ - ٦٤ ، ١٤٤ ،
٤٨٢ ، حا ٥٠٤ ، حا ٥٠٦ -	١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٨ - ١٦٩
٥٠٧ ، حا ٥١٠ ، حا ٥١٧ ،	٥٠٢ ، ٥١١ ، ٥١٦
حا ٥٢٩ ، حا ٥٣١ - ٥٣٥	(ج٣) ٤٥٣ ، ٤٥٠
الطلاق (ج٥) حا ٥٥١	(ج٧) حا ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٧
الطهارة (ج١) ٦٥٥ - ٦٥٦	(ج٨) ٥٦٣

- العين -

عاد الاولى والاخرة (ج١) ٣٥٣	(ج٥) حا ١٤٠
عاموس : سفر (ج١) ٥٣ ، حا	(ج٦) حا ٧٧٧ ، ٧٨١
٦٩٣	(ج٨) حا ١٩٢ ، حا ٥٠٥
العبر لابن خلدون (ج٣) حا ٥٣٢ ،	(ج٩) حا ١٢٧ ، حا ١٣١ ، حا
حا ٥٣٦	٤١٠
(ج٥) حا ١٩٣	عدي بن زيد العبادي : كتاب
(ج٩) حا ٢٩٧	(ج٣) ٢٩١ ، ١٥٩
عبودة زارة : (ج١) حا ٦٥٢	العرب في الشام قبل الاسلام
العثمانية : مطبعة (ج٨) حا ٤٢٧	(ج١) حا ٥١ ، ١٣٥
عجائب المخلوقات (ج١) حا ٣٤٢	(ج٢) حا ٦٠١ ، حا ٦٢٢ ،
(ج٦) حا ٧٦٥ - ٧٦٦	حا ٦٢٤
العدد : سفر (ج١) حا ٤١٩ ، حا	(ج٣) حا ١٤٣ ، حا ١٤٩ -
٤٥٣ ، حا ٤٥٦	١٥٣ ، حا ١٩١ - حا ١٩٢ ،
(ج٣) حا ٦١ ، حا ٦٦ - ٦٧	حا ٤٧٦
(ج٤) حا ١٣	(ج٤) حا ٥٧ ، حا ٥٣٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٨٣ ، ٤٠١ ،
 ٥٠٩
 (ج٣) ١٦٩ ، ١٨١ ،
 ٢١٢ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ،
 ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
 ٢٥٠ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ،
 ٢٧٧ - ٢٧٩ ،
 ٣٠٣ ،
 ٣٤٥ - ٣٤٦ ،
 ٣٥٠ - ٣٥٢ ،
 ٤٣١
 (ج٤) ٢٤ - ٢٦ ،
 ١١٢ ، ١٣٢ ،
 ١٦٤ ، ٢٠٦ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٠ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٨ ،
 ٣٧٨ ، ٤٠٢ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٤ - ٤٤٥ ،
 ٤٥٥ ، ٤٩٤ - ٤٩٥ ،
 ٥٦٨ ، ٥٧٦ - ٥٧٩ ،
 ٥٩٢ ، ٦١٤ ،
 ٦٨١
 (ج٥) ٣٥ ، ٤٧ ،
 ٥٤ ، ٧٠ ،
 ١٠٨ - ١١٠ ،
 ١١٥ - ١١٧ ،
 ٢٤٧ - ٢٥٠ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٧ - ٣٥٠ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٦ - ٣٦٨ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٧ - ٣٧٩ ،
 ٣٨١ - ٣٨٣ ،
 ٣٩٥ ، ٤٠١ - ٤٠٢ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٨ - ٤٣٠ ، ٤٣١

(ج٥) ٣٤٦
 (ج٦) ٢٢٨ - ٢٢٩ ،
 ٢٣١ - ٢٣٣ ،
 ٢٦٩ ، ٣١٠ ،
 ٤٠١ ، ٤١٤ ،
 (ج٧) ١٠٦ ، ١٩٨ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٢ ،
 ٣٥٥ ، ٥١٢ - ٥١٤ ،
 ٥١٦ - ٥٢٢
 (ج٨) ٢٣٧ ، ٥٢٠ ،
 ٧٢٥
 العرب وما قيل فيها من الشعر
 (ج٩) ٣٢٢ ، ٣٢٦
 العرب والملاحه (ج٢) ٥٩ ،
 ٦٥ ، ٦٣٤ ، ٦٣٩ ،
 ٦٥٩
 (ج٧) ٢٥٠
 العربية : (ج٩) ٥٧
 العرفان : مطبعة (ج١) ٨٦
 العروض (ج٩) ٢١٠ ، ٢٩٩
 العريان : طبعة (ج٣) ٢٧٧ ،
 ٢٧٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٦
 (ج٤) ٥٩٢
 عزرا : سفر (ج١) ٤٤٥
 العصا (ج٩) ٦٢٧
 العصر الجاهلي (ج٨) ٥٧٢ ،
 ٥٧٦ ، ٥٨٥ ، ٦٣٧ ،
 ٦٤٠ ، ٦٥٨
 (ج٩) ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٤٣٤ ،
 ٥٣٥ ، ٥٨٦ ، ٦٤١ ، ٧٧٧
 العقد الثمين (ج٣) ٢٤٢ ،
 ٢٧١
 (ج٦) ٦٥٧ ، ٦٥٩ ،
 ٦٧٨ ، ٦٨٥
 العقد الفريد (ج١) ٢٥ ،
 ١١٣ ، ٢٦٣ ، ٣٢٠

٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ -
 ٣٣٩ : ٣٦٨ ، ٣٩٤ ،
 ٤٩٢ ، ٥٢٢ ، ٥٢٩
 ، ٥٧٠ ، ٥٥٨ ، ٥٧٤
 ، ٥٧٥ ، ٥٩٣ ، ٦٥٠ -
 ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠ ،
 ٦٥٢ - ٦٥٣
 (ج) ٤٠ ، ٨٧ ، ١١١ -
 ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ :
 ١٢١ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ،
 ١٧٧ ، ٢٢٣ ، ٢٨٧ ،
 ٢٨٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٤ - ٣٥٣ ،
 ٣٤٨ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ -
 ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ -
 ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ :
 ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٣٢ ،
 ٥١٠ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣٧ - ٥٣٩ : ٥٤٣ ،
 ٥٤٨ ، ٥٥٠ - ٥٥٢ ،
 ٥٦٣ ، ٥٦٧ - ٥٧٤ ،
 ٥٧٥ ، ٦٠٢
 (ج) ٢٤٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٩ :
 ٤٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٨ -
 ٦٥٩ ، ٦٦٩ ، ٦٧٨ ،
 ٦٩١ ، ٧٤٠ - ٧٤١ ،
 ٧٤٣ ، ٧٤٧ ، ٧٥٣ :
 ٧٥٥ ، ٧٨٥ ، ٧٦٢ ،
 ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٧٩٣ ،
 ٧٩٧ - ٧٩٩ ، ٨٠١ ،
 ٨٠٥
 (ج) ١٧ ، ٣٢ ، ٤٨ ،

٤٤٠ - ٤٣٩ ، ٤٣٥ ،
 ٤٤٤ - ٤٤٦ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٧ ، ٥١٠ ، ٥٢١ ،
 ٥٦٨ ، ٦٤١
 (ج) ٤٦٥ ، ٧٤٠ ،
 ٧٤٨
 (ج) ١٣٣ ، ٢٩٤ ،
 ٣٠٧ ، ٣٦٩ - ٣٧٠ ،
 ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٥١٧ ،
 ٥٨٠
 (ج) ١٢٠ - ١٢١ ،
 ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ -
 ١٦٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٧ ، ٣٨٢ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٣٩٦ ،
 ٣٩٨ ، ٤١٥ ، ٧٧٩ ،
 ٧٨٦
 (ج) ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٠ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ،
 ٣٢٣ ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ ،
 ٥١١ - ٥١٣ ، ٥٩٠ ،
 ٦٣١ ، ٦٣٥ ، ٦٣٩ ،
 ٦٧٩ ، ٦٨١ : ٨٣٦)
 عقود الجواهر (ج) ٤٢٨ ،
 ٤٣٣
 العتيقة (ج) ٦٥٢ ،
 (ج) ١٧٤
 العلل في النحو (ج) ٥٥٨
 العلمية : مطبعة (ج) ٣٢
 علوم اليونان (ج) ٦٢٧
 الممثلة : كتاب (ج) ٢٢٦ -
 ٢٢٧ ، ٢٥١ - ٢٥٢ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٧ ، ٣٦٠
 (ج) ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ،
 ٦٣ ، ٨٣ ، ٢١٤ ،

- الفين -

(٧ج) حا ٥٧ ، حا ٦١ ،
حا ١١٧ ، حا ٢٥٤ ، حا
٢٦٥ : حا ٣٢٤ ، حا ٤١٣
حا ٤١٩ ، حا ٤٧٧ ، حا
٥٦٩ . حا ٥٩٣ ، حا ٥٩٦ :
حا ٦٠٦ ، حا ٦٢٨ - ٦٣١
حا ٦٣٦

(٨ج) حا ٣٤ ، حا ٢٦٢ -
٢٦٣ . حا ٢٦٩ : حا ٢٧٤
حا ٢٧٦ ، حا ٢٨٣ - ٢٨٨
حا ٣٠٦ ، حا ٣٠٨ ، حا
٣١٦ . حا ٣٣٧ ، حا ٣٩٠
حا ٣٩٤ - ٣٩٦ ، حا ٣٩٩
حا ٤٠٣ ، حا ٤١٧ ، حا
٤٢٣ ، حا ٤٣٢ ، حا ٥٥٥
حا ٦٠٦ - ٦٠٧ ، حا ٧٠٩ ،
٧٢١ - ٧٢٥

(٩ج) حا ٣٤٢
غريب القرآن (ج٨) حا ٣٣٨ ، حا
٦٠٣ : حا ٦٠٥

غرائب اللغة (ج٣) حا ١٩٢
(ج٤) حا ٢٧٣
(ج٥) حا ٨ ، حا ١٠ ، حا
١٩ ، حا ٤٠ ، حا ٥١ ، حا
٥٣ ، حا ٩٩ ، حا ١٠١ ،
حا ١٠٤ ، حا ١١٤ ، حا
١٢٣ : حا ١٣٨ ، حا ١٥٨ ،
حا ١٦٣ - ١٦٤ ، حا
١٦٨
(ج٥) حا ٢١٢ ، حا ٢٧٢ ،
حا ٢٩٠ . حا ٣٠٥ ، حا
٣٨٠ - ٣٨١ ، حا ٤٥٥ ، حا
٤٦٤ : حا ٦٠٧
(ج٦) حا ٧ ، حا ٢٩ ، حا
٧٢ ، حا ٧٥ ، حا ٢١٩ ، حا
٤٠١ - ٤٠٢ ، حا ٤٨١ ، حا
٥٥٠ . حا ٥٨٢ ، حا ٦٣٩ -
٦٤٠ : حا ٦٤٢ ، حا ٦٤٨ -
٦٤٩ ، حا ٦٥٣ - ٦٥٥ ، حا
٦٥٧ ، حا ٦٦٠ ، حا ٦٩٢ ،
حا ٦٩٦ ، حا ٧٣٠

— الفاء —

فاثت العين (ج) ٢١٠	حا ٢٦٧ ، حا ٤٠٣ ، حا
الفائق (ا) حا ١١٢	٤٠٩ : حا ٥١٦ ، حا ٥٥٧ ،
(ج) حا ٤٤٣	حا ٥٨٧
(ج) حا ٣٦٦ ، حا ٦٤١	(ج) حا ٧٢٢ — ٧٢٣
(ج) حا ١٨٦ ، حا ٢٥٤ ،	(ج) حا ١١٣ ، حا ٥٨٥
حا ٢٥٨ — حا ٢٦١ ، حا ٢٦٧	(ج) حا ٢٥٨ ، حا ٢٩٢ ،
حا ٢٧٥ ، حا ٣٢٥ : حا ٣٣٠	حا ٤١٢ ، حا ٤١٥
— حا ٣٣٣ ، حا	الفاضل والمفضول (ج) حا ٢٧٣
٣٤٢ حا ٣٦٥ ، حا ٥٥٦ ،	فتح الباري (ح) حا ٥٥٢
حا ٦٠٣ ، حا ٦٣١ . حا	(ج) حا ٢٢٨ : حا ٢٣٦
٦٦٨ ، حا ٧٥٧ — حا ٧٥٨ ،	(ج) حا ٥٧٣
حا ٧٦١	(ج) حا ٧١٠ — حا ٧١١ ، حا
(ج) حا (٩ ، ١٤ : ٢٣ ،	٧١٦
٢٦ ، ٦٥ ، ٩١ : ١٩٧ —	فوح البلدان (ج) حا ١٥٨ ، حا
— ١٩٨ : ٢٣١ : ٢٤٦ ، ٢٥٣ ،	٢١٥ : حا ٤٧٠
٢٧٩ — حا ٢٨٠ ، حا ٢٨٧ — حا ٧٠١	(ج) حا ٣٩٢ : حا ٤٢٧
٧٢١ ، حا ٨٥٣ ، حا ٨٦٦	(ج) حا ٥ ، حا ١١ ، حا
الفاخر (ج) حا ٢٨١ ، حا ٣١٥	٥١ — ٥٣ . حا ٥٥ ، حا
حا ٣٢٠ : حا ٣٣٦ . حا	١٢٥ : حا ١٤١ : حا ١٤٧
٣٩٤	حا ١٥٢ — حا ١٥٣ ، حا ١٨١
(ج) حا ٢٣٧ : حا ٢٤١ ،	حا ١٨٥ ، حا ١٩١ ، حا
حا ٢٧٩ : حا ٢٨٣	١٩٣ ، حا ١٩٧ ، حا ١٩٩
(ج) حا ٣٥٣ : حا ٣٦٤ :	— حا ٢٠١ ، حا ٢٠٣ ، حا
حا ٤٠٠	٢١٠ — حا ٢١١ ، حا ٢١٣ :
(ج) حا ٦٨ : حا ٧٠ — حا ٧٢	حا ٢١٦ ، حا ٢١٨ ، حا

- ٢٢٣ ، ٢٢٥ - ٢٢٧ ، ٢٢٣
 ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٣
 - ٢٣٦ ، ٢٣٨ - ٢٤١ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، -
 ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٤٩٨ -
 ٤٩٩
 (ج) ٢٠٧ ، ٢٢٥ -
 ٢٢٦
 (ج) ٦١ ، ٨٨ ، -
 ٩١ ، ٩٧ ، ٥٢٣ -
 ٥٢٤ ، ٥٢٨ - ٥٣٠ ،
 ٥٣٥ ، ٥٤٢ ، -
 ٥٦٢ ، ٥٩٣ - ٥٩٤ ،
 ٦٠٠ ، ٦٤١ ، -
 ٦٥٥ ، ٦٧٦ ، ٦٨٧
 ٦٩٤
 (ج) ٤٣ ، ١٤٢ ،
 ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٦٨
 ١٧٠ ، ١٧٧ - ١٧٨
 ١٩١ - ١٩٣ ، ٢٠١
 ٣١٢ ، ٣٤٢ ، -
 ٣٧٢ ، ٤٤٤ ، ٤٧١
 ٤٩٦ - ٤٩٨ ، ٥٠٠
 ٥١٥
 (ج) ٨ ، ٣٥ ، -
 ١١٠ - ١١١ ، ١١٤ -
 ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٤ -
 ١٢٧ ، ١٣٣ - ١٣٤ ،
 ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٥٤
 ١٥٦ - ١٥٧ ، ٢٧٣
 ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، -
 ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٧٦٠
 - ٧٦١ ، ٧٦٦
 (ج) ٩ ، ١٥٥ ، -
 ٢١٢ ، ٤١١ ، ٤٢٨
 فتوح الشام (ج) ٢٢٩ - ٢٣٠
- ٢٢٣ ، ٢٤٢
 فتوح العراق (ج) ٣٥
 فجر الاسلام (ج) ٢٨ - ٢٩
 ١٥٢ ، ٢٦١ ، -
 ٢٦٣ ، ٢٦٥ - ٢٧١ ،
 ٤٨٦
 (ج) ٣٤٣ ، ٣٦٠ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، -
 ٥٥٣ - ٥٥٤ ، ٥٥٩
 (ج) ٧٨ ، ٩٥ ، -
 ٢١٤
 فخر السودان (ج) ٣١٠ -
 ٣١٢
 (ج) ١٤٤ ، ٣٠٢
 فرائد اللال : كتاب (ج) ١٨٤
 (ج) ٣٥٦
 فرائد اللغة (ج) ٥٦٧
 (ج) ٢٥٣ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٧ ، ٢٨٥
 فرايتاغ : طبعة (ج) ٧١٤
 فصل ما بين العداوة والحد
 (ج) ٥٨٦ ، ٦٤٢
 (ج) ٢٢٠
 (ج) ٢٤٧ ، ٢٨٤
 الفصول المختارة (ج) ١٢٢ ،
 ٢٩٢
 الفصول والنهايات (ج) ٧١٥
 فضائل القرآن (ج) ٥٩٦ -
 ٦٠٠ ، ٦٠٢ - ٦٠٤ ،
 ٦٠٦ - ٦٠٧ ، ٦٥٣ ،
 ٦٧٢
 فقه اللغة (ج) ٥٠ ، ٥٤
 (ج) ٧٢٥
 فهارس البخاري (ج) ٦٥٢
 الفهرست (ج) ٦٨ - ٦٩ ،
 ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٣ ،

حا ٥٤٧ ، حا ٥٥٧ - ٥٥٨ ،
حا ٥٦٥ - ٥٦٦ ، حا ٦١٦ ،
حا ٧٣٨ ، حا ٧٦٢ ، حا
٧٨٢

(ج٩) حا (٣٤ - ٣٨ ، حا ٤٥٥)
حا ٥٢ - ٥٣ ، حا ٥٥ ، حا ١٥٨ ،
حا ١٩٤ ، حا ٢٠٢ ، حا ٢١٠ - ٢١١
حا ٢٥٥ - ٢٥٦ ، حا ٢٩٣ ، حا ٢٩٥
حا ٢٩٧ ، حا ٢٩٩ ، حا ٣٠٢ - ٣٠٨
حا ٣١٨ ، حا ٣٢٠ - ٣٢٢ ، حا ٣٢٦
حا ٣٤٤ - ٣٤٧ ، حا ٣٤٩ - ٣٥٣
حا ٣٦٣ ، حا ٥٠٩ ، حا ٥٣٩ ، حا ٥٨٥
حا ٦٠٥ ، حا ٦٤٠ ، حا ٧٧٧ ، حا ٨٨٩

فوات الوقفيات (ج٩) حا ٨٨٧

في الادب الجاهلي (ج١) حا ٥٠٤

(ج٨) حا ٦٣٢ - ٦٣٥ ، حا ٦٤٠

حا ٦٤٢ ، حا ٦٤٤

(ج٩) حا ٣٧٥ - ٣٧٧ ، حا

حا ٤٣٦ ، حا ٥٣٥ ، حا ٥٨٣

في الادب العربي (ج٩) حا ٦٣

في بلاد عسير (ج٧) حا ٥١٢ ، حا

٥٦٨

(ج٨) حا ٥٧

حا ٨٧ ، حا ٨٩ - ٩٠ ، حا
حا ٩٩ ، حا ١١٤ - ١١٦ ، حا
حا ١١٨ ، حا ١٤٦ ، حا ٣٥٣ ،
حا ٤١١ ، حا ٤٥١ ، حا

حا ٤٦٩ ، حا ٤٧٢

(ج٣) حا ١٥٩ ، حا ٢٩١ ، حا

حا ٣١٨ - ٣١٩

(ج٤) حا ٣٧٧ ، حا ٥٢٨ ، حا

حا ٦٨٤

(ج٥) حا ٣٣٥ ، حا ٣٤٢ ، حا

حا ٣٩٤ ، حا ٥١٧

(ج٦) حا ١٣ ، حا ٢٢٧ ، حا

حا ٦١٩ ، حا ٧٠١ ، حا ٧٤٩ ، حا

حا ٧٨٥

(ج٨) حا ١٠٨ ، حا ١١٧ -

حا ١١٨ ، حا ١٥٤ ، حا ١٥٧ -

حا ١٦٢ ، حا ١٦٨ ، حا ١٨٦ ، حا

حا ١٨٨ ، حا ١٩١ ، حا ١٩٣

حا ٢٠٠ - ٢٠١ ، حا ٢٥٨ ، حا

حا ٢٦٠ ، حا ٢٦٥ ، حا

حا ٢٨٦ ، حا ٣١١ ، حا ٣٢٠

حا ٣٣٢ - ٣٣٤ ، حا ٣٥٩ -

حا ٣٦٠ ، حا ٣٧٩ ، حا ٤١٨ ، حا

٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٥٨ -
 ٢٩٢ ، ٣٦٥ - ٣٦٦ ،
 ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ -
 ٣٩٠ ، ٤١٥ ، ٤٦٩ ،
 ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٦١٢ -
 ٦١٣ ، ٦٢٨ - ٦٢٩ ،
 ٦٣٢ (ج) ١٨٢ ، ٢٥٣

القانون السعودي (ج) ٤٩٠
 القراؤون والريانون (ج) ٥٥٣
 القرآن الكريم (ج) ١٣ - ١٦ ،
 ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٦ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ،
 ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠٣ - ١٠٤ ،
 ١١٣ - ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٤١ ،
 ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٧٨ - ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ -
 ٢٩٩ ، ٣٠٤ - ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،
 ٣١١ - ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٠ - ٣٢٣ ، ٣٣٢ - ٣٣٤ ،
 ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٩٨ ،
 ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٥١ -
 ٤٥٣ ، ٤٧٣ ، ٥٠٢ ، ٥١٠ ،
 (ج) ١١٥ ، ١١٨ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ،
 ٥١٣ ، ٥٣٨ ،
 (ج) ١٠ ، ١٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ،
 ١٠٦ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٩٢ ،
 ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ،
 ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ،
 ٥٢٩ ، ٥٣٨ ،
 (ج) ١١ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٥ ،
 ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ،
 ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٤٣

٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٦٠ ،
 ٣٨٧ ، ٥٢٧ ،
 (ج) ١١ ، ٦٠ ، ٦٠ ،
 ٦٤ ، ٣١٩ ، ٣٧٨ -
 ٣٧٩ ، ٣٩٢ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٢ - ٤٢٣ ، ٤٣٣ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ -
 ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ -
 ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧٩ -
 ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ،
 ٤٨٩ - ٤٩٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ،
 ٥٠٧ ، ٥١١ - ٥١٣ ،
 ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ،
 ٥٢٥ ، ٥٣٢ ، ٥٩٠ ،
 (ج) ٧١ - ٧٣ ، ١٠١ ،
 ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٩٨ ،
 ٢٢٨ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ،
 ٣٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤٥٥ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٦١٨ ،
 ٦٢١ ،
 (ج) ٧١ - ٧٣ ، ١٣٣ ،
 ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٩٠ ،
 ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٤١٩ ،
 ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٥٥٠ ،
 ٦٤٣ - ٦٤٤ ، ٦٤٧ ،
 ٦٤٩ ، ٧٠٢ ، ٧٩٢ ،
 (ج) ٣٢ - ٣٤ ، ٤٧ -
 ٤٩ ، ٦٣ ، ٩٥ ،
 ١٠١ ، ١١٩ - ١٢٣ ،
 ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢١٦ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٤٦

292 6 288 6 208 6 20.
 317- 310 6 297 6 293-
 338 6 337 6 33. 6 321
 -329. 327 6 322 6 32.
 6 392- 391 6 388 6 30.
 23. 6 22. 6 398 6 390
 207- 200 6 201- 229
 -29. 6 277 6 273 6 271
 6 01. 6 0.8 6 299 6 290
 6 037 6 033 6 013- 012
 001 6 027- 020 6 023
 077- 076 6 07. 6 007-
 080 6 083 6 070- 072
 7.7 6 7.2 6 7.1 6 087-
 701 6 723 6 72. 6 718
 78. 6 777 6 707 6 702-
 7.2- 7.1 6 791 6 788
 71. - 7.9 6 7.7 6 7.0
 721- 72. 6 737 6 72.
 6 708 6 707 6 728 6 727
 8.7 6 779
 02 6 29 6 33 6 21 (72)
 70- 72 6 73 6 7. 6 07
 12. - 119 6 1.1 6 91
 177- 177 6 107 6 122
 2.9 6 2.1 6 188 6 170
 222 6 239- 238 6 229
 289 6 287 6 280 6 228-
 2.0 6 228 6 297 6 292
 218 6 21. 6 2.2 6 2.1-
 222 6 22. 6 222 6 22.
 233 6 231- 229 6 227
 227 6 220 6 223 6 229
 277- 277 6 272 6 229-
 281 6 277 6 272 6 279
 2029 6 020 6 297 6 283

2.3 6 288 6 107 6 102
 277- 270 6 229 6 217
 290- 292 6 292 6 29.
 37. 6 318- 317 6 3.8
 217- 217 6 288 6 271
 027 6 022 6 038 6 028
 71. 6 007- 000 6 003
 677 6 703- 701
 27 6 22 6 23 6 11 (02)
 90 6 93- 92 6 9. 6 77
 6 117 112 6 111 6 1.7
 139 6 137- 130 6 127
 172 6 101 6 123- 122
 193 6 189 6 181 6 179
 201 6 237- 232 6 21.
 297 6 292 6 287 6 209
 317 6 3.0- 3.2 6 3.1
 272 6 222 6 2.1- 2..
 282 6 279- 278 6 272
 013 6 0.. 6 297- 290
 027 6 022 6 022 6 012-
 028- 020 6 02. 6 037
 071 6 077 6 072 6 00.
 088 6 080 6 079 6 077
 729 6 727 6 722 6 72.
 10- 12 6 12- 11 (72)
 2. 6 3. 6 27 6 20- 22
 72 6 71 6 01 6 20- 22
 98 6 9. - 89 6 83 6 72-
 118 6 117 6 1.2- 1.2
 127 6 131 6 123 6 119-
 179 6 177- 170 6 228-
 177- 177 6 172 6 17. -
 - 2.9 6 2.3 6 193 6 183
 22. 6 217- 217 6 21.
 227 6 237 6 237 6 221-

٦٦٨- ٦٦٢ ، ٦٥٨ ، ٦٥٦ -
 ٦٨٤ - ٦٨٣ ، ٦٨٠ ، ٦٧٢
 ٧٠٠ ، ٦٩٨ ، ٦٨٧ - ٦٨٦
 ٧٢٢ ، ٧١٣ - ٧١٢ ، ٧٠٩
 ٧٤١ ، ٧٣٨ - ٧٣٥ ، ٧٢٨
 ٧٥١ - ٧٤٨ ، ٧٤٦ ، ٧٤٣
 ٧٥٩ - ٧٥٦ ، ٧٥٤ - ٧٥٣
 ٧٨١ ، ٧٧٦ ، ٧٦٦ - ٧٦٣
 (٩ج) ٦ - ١١ ، ١٢ ، ١٤
 ٣٠ - ٢٧ ، ٢٣ ، ٢٠ - ١٧
 ٥٤ ، ٤٢ ، ٣٦ ، ٣٤ - ٣٢
 ٧٤ ، ٦٤ - ٦٣ ، ٥٧ ، ٥٥ -
 ، ١٢٣ ، ١٠٩ ، ٧٩ ، ٧٧
 ١٧٠ ، ١٤٣ ، ١٤١ - ١٣٨
 ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٧٤ ، ١٧٢ -
 ٢٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ - ٢١٧
 ٢٥٧ ، ٢٤٩ - ٢٤٨ ، ٢٤٥
 ٢٨٥ ، ٢٨٠ - ٢٧٩ ، ٢٦٨
 ٣٢١ ، ٣١٣ ، ٢٩٧ ، ٢٨٩
 ٣٦٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٢٤
 ٤١٧ ، ٣٨٤ ، ٣٧٥ - ٣٧٤
 ٤٣٦ ، ٥١٧ ، ٥١٤ ، ٥١٣
 ، ٧٢٧ ، ٦٥٤ ، ٦١٩ ، ٥٨٣
 ٧٦٢ ، ٧٥٨ - ٧٥٧ ، ٧٥٢
 ٨٣٩ - ٨٣٨ ، ٨٢٢ - ٨٢١
 ٨٦٨ ، ٨٦٢ ، ٨٥٩ ، ٨٤١
 القرآن الكريم وآثره في الدراسات
 النحوية (٨ج) حا ٦٢٣
 (٩ج) حا ٢٤ ، حا ٣٩ ، حا
 ، ٢٨٠ ، حا ٢١٧ ، حا ٢٨٠
 حا ٣٦٧
 القصائد الست (٩ج) ٥٠٩
 قصص الانبياء (١ج) حا ٣٢٠ ، حا
 ٣٤٨
 (٦ج) حا ٤٣١
 (٧ج) حا ٢٤٨

٥٧٦ ، ٥٦٦ - ٥٦٥ ، ٥٥٣
 ، ٦٢١ ، ٦٠٧ ، ٦٠٥ ، ٥٨٤
 ٦٢٣ ، ٦٢١ ، ٦٢٩ ، ٦٢٤
 ١٧ ، ١٥ ، ١٣ ، ١٠ (٨ج)
 ٩٤ ، ٩٢ ، ٦٤ - ٦٣ ، ٥٨
 ، ١٠٢ - ١٠٠ ، ٩٨ - ٩٧
 ١٢٢ ، ١٠٨ ، ١٠٦ - ١٠٥
 ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٤ -
 ، ١٦٣ ، ١٥٤ ، ١٤٢ ، ١٣٨
 ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٧ - ١٦٥
 ١٧٨ - ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٢
 ١٨٧ - ١٨٦ ، ١٨٤ - ١٨٣
 ، ٢٠٩ ، ١٩٦ - ١٩٥ ، ١٩٣
 ٢٤٠ ، ٢٢٩ ، ٢١٨ ، ٢١٤
 ٢٥٣ - ٢٥٢ ، ٢٤٩ - ٢٤٨
 ، ٢٧٣ ، ٢٦٦ - ٢٥٩ ، ٢٥٦
 - ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥
 ٢٩٠ ، ٢٨٦ - ٢٨٤ ، ٢٨٢
 ٣٢٥ ، ٣٢٢ - ٣١٤ ، ٣٠١
 ٣٤٢ ، ٣٣٩ - ٣٣٨ ، ٣٢٨
 ٣٥٦ ، ٣٤٦ - ٣٤٥ ، ٣٤٣ -
 ٣٧٧ ، ٣٧٢ - ٣٧١ ، ٣٥٧ -
 ٤٢٨ - ٤٢٧ ، ٤٠٠ ، ٣٨٥
 ٤٣٨ - ٤٣٧ ، ٤٣٢ - ٤٣٠
 ، ٤٦٥ ، ٤٥٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٤
 ٥٢٤ ، ٥٢٢ ، ٥٠٤ ، ٤٨٢
 ٥٣٣ ، ٥٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٣ -
 ٥٥٠ ، ٥٤٨ - ٥٤٦ ، ٥٤٣
 ٥٦٦ ، ٥٦٤ - ٥٦٣ ، ٥٦٠
 ٥٨٤ ، ٥٧٦ - ٥٧٤ ، ٥٧٢
 ٥٩٥ ، ٥٩٠ ، ٥٨٧ - ٥٨٦
 ٦١١ ، ٦٠٩ - ٦٠٨ ، ٦٠٦ -
 ٦١٣ - ٦١٢ ، ٦١٤ - ٦١٣
 ٦٣١ ، ٦٢٩ ، ٦٢٧ - ٦٢٥
 ٦٤٠ ، ٦٣٨ ، ٦٣٦ ، ٦٣٤ -
 ٦٥٣ ، ٦٥١ - ٦٥٠ ، ٦٤٢ -

- (ج) ٣٢٥ حا ٥٠ - ٥١
 القضاة (ج) ١ حا ١٩٩ ، حا ٤٥٤ -
 ٤٥٥ ، ٥٧٣ - ٥٧٤ ، ٦٠٤
 (ج) ٤ حا ٣١٥ ، حا ٣٥٧
 (ج) ٦ حا ١٩٨
 (ج) ١ حا ١٢٥
 قلب جزيرة العرب (ج) ٢ حا ٢٨
- (ج) ٣ حا ٥٠ - ٥١
 (ج) ٤ حا ٤٣٨
 (ج) ٨ حا ٥٩٢ - ٥٩٣
 قليم (ج) ١ ٦٥٥
 قوانين البلاد (ج) ٢ ٦٧
 القيان : (ج) ٤ حا ٦١٧

— الكاف —

- الكاتوليكية : مطبعة (ج) ١ حا ٥٧٤
 (ج) ٤ حا ٤٩٧
 (ج) ٥ حا ١٢١ ، حا ٣٥٦
 (ج) ٨ حا ٢٨٥ ، حا ٧٠٦ ،
 حا ٧٧٢ - ٧٧٣ ، حا ٧٨٢
 (ج) ٩ حا ٨٥ ، حا ١٤٠ ، حا
 ٢٨٠ ، حا ٢٩٠
 الكافي : كتاب (ج) ٥ حا ٥٣٨ ، حا
 ٥٥١
 (ج) ٨ حا ٣٢٨
 الكامل (ج) ١ حا ٢٨ ، حا ٢٩٦ ،
 حا ٣١٥ ، حا ٣٢٣ ، حا
 ٣٢٦ ، حا ٣٣٧ - ٣٣٨ ، حا
 ٣٧٥ ، حا ٤٠٦ ، حا ٤١٧
 - ٤١٩ ، حا ٤٤٨ - ٤٥٠
 حا ٤٥٢ ، حا ٤٧٠ ، حا ٤٩٣ -
 ٤٩٤ ، حا ٦٠٧
 (ج) ٣ حا ١٦٨ ، حا ١٧٨ -
- ١٨١ ، حا ١٨٣ ، حا ١٨٧
 حا ١٩٧ ، حا ٢٠٦ ، حا ٢١٢
 - ٢١٤ ، حا ٢٢٧ ، حا
 ٢٢٩ - ٢٣٠ ، حا ٢٣٤ -
 حا ٢٣٥ ، حا ٢٥٠ ، حا ٢٦٢
 حا ٢٦٦ ، حا ٢٦٨ ، حا ٢٧٠
 - ٢٧١ ، حا ٢٧٤ - ٢٧٥ ،
 حا ٢٧٧ ، حا ٢٩٤ - ٢٩٨ ،
 حا ٣٠٠ - ٣٠١ ، حا ٣٢٦
 حا ٣٥٣ ، حا ٣٦٣ ، حا
 ٣٦٨ ، حا ٤٤٢ ، حا ٥٠٧
 حا ٥١٠ ، حا ٥١٦
 (ج) ٤ حا ٤٠ - ٤٢ ، حا
 ٤٥ ، حا ٥٠ ، حا ٥٦ ، حا
 ٦٤ ، حا ٧٢ ، حا ٨٠ ، حا ٨٢
 حا ١٠١ ، حا ١٠٦ ، حا
 ١٣٤ - ١٣٦ ، حا ١٣٩ -
 ١٤٠ ، حا ١٤٣ ، حا ١٤٥

٢٠٠ - ٤٦٠ ، حا ٤٦٢ -

٤٦٦ ، حا ٤٧٣ ، حا ٤٧٦ -

٤٧٨ ، حا ٤٨٠ - حا ٤٨٥ ، حا

٤٨٧ ، حا ٥٠٢ - حا ٥٠٨ ، حا

٥١٠ ، حا ٥١٢ ، حا ٥١٤ -

٥١٥ - حا ٥١٧ - حا ٥٢٢ ، حا

٥٢٤ - حا ٥٢٥ ، حا ٥٢٩

حا ٥٣١ - ٥٣٤

الكرملی : طبعة (ج) حا ٤٦ ، حا

٨٤ ، حا ٩٠ ، حا ٩٧ ، حا

٩٩ - حا ١٠٠ ، حا ١٠٢ - حا ١٠٤

حا ١٢٠

(ج) حا ١١٧ - حا ١١٨ ، حا

١٩٧ ، حا ٢١٨ ، حا ٣٥٦ ، حا

٣٦٣

کرتکو : طبعة (ج) حا ٣٠٥

الکشف (ج) حا ٣٢٣

(ج) حا ٤٥٨ ، حا ٥٠٨ ، حا

٥١٠ - حا ٥١١ ، حا ٥١٥

(ج) حا ١٢ ، حا ٣٧١ -

٣٧٢

(ج) حا ١٩ ، حا ٨٩ - حا ٩٠

٢٤٠ ، حا ٢٠٤ - حا ٣٠٥ ، حا

٥٣٧ ، حا ٥٥٠ ، حا ٥٥٣

(ج) حا ٢٤ ، حا ١٢٥ ، حا

١٩٤ ، حا ٢٠٥ - حا ٢٠٦ ، حا

٢٤٧ ، حا ٢٤٩ ، حا

٢٥٨ ، حا ٢٦٠ ، حا ٢٦٢

حا ٢٦٤ ، حا ٣٤٧ ، حا

٣٥٠ ، حا ٣٥٧ - حا ٣٥٩ ، حا

٤٤٩ ، حا ٤٥١ ، حا ٥٦٠ ، حا

٦٤٣ - حا ٦٤٤ ، حا ٦٤٧

حا ٧٠٢ ، حا ٧٤٣

(ج) حا ٢٧٨ ، حا ٤٨٨ -

٤٨٩ ، حا ٥٠٣

(ج) حا ٤٢

حا ١٤٨ ، حا ١٥١ ، حا ٢٠٠

حا ٢١٤ ، حا ٢٢١ ، حا

٢٣٤ - حا ٢٣٦ ، حا ٢٣٨ ، حا

٢٧٧ - حا ٢٧٨ ، حا ٢٨٧ ، حا

٤٩٠ ، حا ٤٩٣ - حا ٤٩٤ ، حا

٤٩٦ - حا ٤٩٨ ، حا ٥٧١

حا ٦٥٦

(ج) حا ٣٥ ، حا ٨٩ ، حا

٩١ ، حا ١٢١ ، حا ١٩٣ ، حا

٣١٩ ، حا ٣٤٧ ، حا ٣٥٠

- حا ٣٥٢ ، حا ٣٥٤ ، حا ٣٥٦

- حا ٣٥٨ ، حا ٣٦٠ - حا ٣٦١ ، حا

٣٦٥ ، حا ٣٦٧ - حا ٣٦٨ ، حا

حا ٣٧٠ ، حا ٣٧٨ ، حا ٣٨١

حا ٣٨٤ ، حا ٤١٠ ، حا ٤١٧

حا ٤٣٦ - حا ٤٣٧ ، حا ٤٤٠

(ج) حا ١٩١ ، حا ١٩٣ ، حا

حا ٢٥١ ، حا ٣٦٢ ، حا

٤٤٩ ، حا ٥٠٢ ، حا ٥١٧

- حا ٥٢١ ، حا ٥٢٣ - حا ٥٢٤ ، حا

حا ٦٠٨ ، حا ٦٩٩ ، حا

حا ٧٥٩ ، حا ٧٦٥

(ج) حا ١٨٩ ، حا ٣١٨ ، حا

حا ٣٧٢ ، حا ٣٧٨

(ج) حا ٢٦ ، حا ١١٦ ، حا

٣٩٩

(ج) حا ٢٨٠ ، حا ٣٠٦ ، حا

حا ٦٨٠ ، حا ٨٨٨

کاوینانی : مطبعة (ج) حا ٦٣

کابر : طبعة (ج) حا ٢٤٨ ، حا

٤٤٢

(ج) حا ٢١٣

(ج) حا ١٠٧ ، حا ٤٦٨

کتابة صرواح : (ج) حا ٣٩٠

کحالة (ج) حا ٤٣٨ ، حا ٤٤٢ -

حا ٤٤٨ ، حا ٤٥٠ - حا ٤٥١ ، حا

- كشف الظنون (ج ٨) حا ٥٤٧
 كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ على
 ألوان الخيل (ج ٤) حا ٦٨٥
 كلية الآداب : مجلة (ج ٢) حا
 ٣٧٠ ، حا ٤٩١
 (ج ٥) حا ١٩٢
 (ج ٧) حا ٢٨٦
 (ج ٨) حا ١٥٦ ، حا ١٦٩ ، حا
 ١٧٤ - ١٧٥ ، حا ٢١١ ، حا
 ٤١٤
 (ج ٩) حا ٤٧
 كلية ودمنة (ج ٦) حا ٨١٩
- (ج ٨) ٣٧٢
 الكمارة (ج ١) ٦٥٦ ، ٦٥٨
 (ج ٩) ٧٦٨
 كنى الشعراء (ج ٩) حا ٧٤٨
 الكنى والإلقاب (ج ١) حا ٨٦
 كنانة (ج ٩) ٣٥٠
 كنز العمال (ج ٨) حا ٣٢٥
 (ج ٩) حا ٧ - ٩ ، حا ١٥
 - ١٦ ، حا ٦٤
 كنوز مدينة بلقيس (ج ١) ١٣٣
 (ج ٢) حا ٢٢٥ - ٢٣٠
 كولدترير : طبعة (ج ١) حا ٣١٥

- اللام -

- اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب
 والعلوم السريانية (ج ٣) حا
 ٤٦٤ - ٤٦٥
 (ج ٨) حا ٣٤١
 اللالي (ج ٥) حا ٦٤٧
 (ج ٨) حا ٧٨٦
 (ج ٩) حا ٤٥٥ ، حا ٤٦٣ ، حا
 ٤٨٤ ، حا ٦٤٢ ، حا ٨١٨ ، حا
 ٨٦٣
 لامية العرب (ج ١) حا ٣٨
 (ج ٩) ٦١٢
 لايزرك : طبعة (ج ٩) حا ٧٢٧ ، حا
 ٨٥٨
 لايل : طبعة (ج ٤) حا ٤٩٠
- (ج ٥) حا ٣٩٤ ،
 (ج ٦) ٣٧٠
 (ج ٩) حا ٣٠٠ - ٣٠١ ، حا
 ٣٢٠ ، حا ٦٧٢
 لب اللباب في علم الانساب
 (ج ٢) حا ٣٩٩
 اللباس (ج ٧) حا ٣٨٩
 اللجنة : طبعة (ج ٤) حا ٢٢٠
 اللسان (ج ١) حا ١٤ ، حا ٢٠ ، حا
 ٢٨ ، حا ٤٠ ، حا ٧٠ ، حا
 ٧٦ ، حا ٧٩ ، حا ١٠٠ ، حا
 ١٤٦ ، حا ١٦٨ - ١٦٩ ، حا
 ١٧٨ ، حا ٢٨٢ ، حا ٢٩٩
 حا ٣٠٢ ، حا ٣٠٤ ، حا ٣٠٨
- ٦٤٠

223 6 212 6 2.8 6
 6 281 6 272 - 271 6
 289 6 287 - 286 6
 297 6 292 6 29. -
 318 6 3.9 6 3.6 6
 323 6 322 6 319 -
 6 309 - 308 6 307 6
 377 - 370 6 371 6
 378 6 372 - 37. 6
 6 378 - 377 6 370 -
 6 6 382 6 38. 6
 - 389 6 387 - 386
 6 398 - 397 6 393
 8.8 6 8.2 6 8..
 812 - 811 6 8.7 6
 828 6 819 6 810 6
 - 821 6 829 6 827 6
 828 6 826 6 828
 807 6 800 6 801 -
 6 870 - 872 6 809 -
 887 6 88. - 870 6
 897 6 890 6 89. -
 0.7 6 0.8 6 0.2 6
 6 010 - 01. 6 0.7 -
 6 020 6 02. - 017 6
 6 - 032 6 029 6
 - 027 6 021 6 038
 6 008 - 003 6 028
 6 6 071 - 008 6 007
 - 073 6 6 079 - 078
 081 6 6 077 6 6 078
 089 6 6 088 6 6 082 -
 097 6 6 092 6 6 09. -
 718 6 6.8 6 6 099 -
 732 6 673. 6 672 6
 728 6 678 6 678 -

318 6 312 - 31. 6
 330 - 338 6 328 6
 6 6 339 6 337 6
 6 6 370 6 37. 6 329
 6 380 6 388 6 378
 6 390 6 392 - 39.
 - 828 6 828 6 821
 882 6 808 6 829
 893 6 887 - 880 6
 6 6 022 6 6 0.9 6
 727
 6 6 117 6 6 73 6 (22)
 822 6 6 3.8 6 6 279
 010 6 6 013 - 012 6
 70. 6 6 728 6 6 031 6
 6 6 13 6 6 11 6 (22)
 73 6 6 71 - 7. 6 6 07
 6 7.7 6 6 79 6 6 77 6
 6 6 177 6 6 100 6
 18. 6 6 178 6 6 17.
 2.. 6 6 198 6 6 188 6
 227 - 227 6 6 2.2 6
 20. 6 6 237 6 6 229 6
 27. 6 6 278 6 6 201 -
 6 6 282 6 6 272 6
 - 3.2 6 6 288 6 6 287
 - 308 6 6 32. 6 6 3.3
 6 388 6 6 382 6 6 309
 890 6 6 827 6 6 827 6
 6 027 6 6 898 - 897 6
 037 6 6 038 6
 32 - 3. 6 6 13 6 (22)
 6 6 7. - 08 6 6 01 6
 1.. - 97 6 6 98 6 6 78
 130 6 6 133 - 131 6
 2.1 6 6 187 6 6 18. 6

௪௨௦ ெ , ௪௨௩ - ௪௨௨ ெ
 ௪௩9 ெ , ௪௩௩ ெ , ௪௩. ெ
 , ௪௪9 - ௪௪௩ ெ , ௪௪௨ -
 ெ , ௪௦௦ ெ , ௪௦௨ ெ
 ெ , ௪6௨ ெ , ௪௦9 - ௪௦௩
 , ௪௮௮ ெ , ௪௮6 ெ , ௪௩௦
 , ௦.6 ெ , ௪96 - ௪9௦ ெ
 ௦1௦ - ௦1௪ ெ , ௦11 ெ
 , ௦2௩ ெ , ௦21 - ௦19 ெ
 ௦3௩ ெ , ௦3௪ ெ , ௦32 ெ
 ௦௪௮ ெ , ௦௪6 ெ , ௦39 -
 - ௦௦௦ ெ , ௦௦2 - ௦௦. ெ
 - ௦6. ெ , ௦௦௮ ெ , ௦௦6
 ௦6௩ ெ , ௦6௪ ெ , ௦61
 ௦9௪ ெ , ௦91 ெ , ௦௩௦ ெ
 , 6.2 - 6. . ெ , ௦9௩ -
 - 6.௩ , 6.௦ - 6.௪ ெ
 , 62. ெ , 61௩ ெ , 6.9
 629 - 62௮ ெ , 626 ெ
 6௦. ெ , 6௪௩ ெ
 , ௨௦ - ௨௪ ெ , ௩ ெ (6௭)
 , ௪9 ெ , ௪. ெ , ௨௦ ெ
 , 61 ெ , ௦6 ெ
 ெ , ௩௪ - ௩1 ெ , 6௩ ெ
 - 1.௦ ெ , 99 ெ , ௮௪
 , 123 ெ , 119 ெ , 1.6
 133 ெ , 13. - 129 ெ
 139 ெ , 13௩ ெ , 13௦ -
 , 1௪3 - 1௪2 ெ , 1௪. -
 , 1௦. ெ , 1௪௩ - 1௪௦ ெ
 , 196 ெ , 19. ெ , 162 ெ
 - ௨.௪ ெ , ௨.2 - ௨. . ெ
 ெ , ௨1. - ௨.9 ெ , ௨.6
 ௨3. ெ , ௨2௮ ெ , ௨1௮
 ௨௪௦ ெ , ௨௪1 ெ , ௨36 ெ
 ௨௦2 ெ , ௨௪௮ ெ , ௨௪6 -

6௦3 - 6௦2 ெ , 6௦. ெ
 6௩9 - 6௩௮ ெ , 66௦ ெ
 6௮௦ ெ , 6௮3 - 6௮1 ெ
 - 1௩ ெ , ௮ - 6 ெ (௦௭)
 ெ , ௨௪ ெ , ௨1 ெ , 1௮
 ெ , ௨௦ ெ , ௨9 ெ , ௨௩
 ெ , ௪9 - ௪௩ , ௪௪ - ௨9
 6௪ ெ , ௦௮ - ௦௩ ெ , ௦3
 ெ , ௩௪ - ௩1 ெ , 6௩ -
 ெ , 9௦ ெ , ௮௮ ெ , ௩௮
 1.௪ - 1.1 ெ , 99 - 9௩
 - 1.9 ெ , 1.௩ - 1.6 ெ
 ெ , 129 - 116 ெ , 11௪
 , 1௪2 ெ , 1௪. - 13௩
 16. ெ , 1௦1 - 1௪௩ ெ
 , 1௩௦ - 1௩2 ெ , 16௮ -
 193 , 191 ெ , 1௮3 ெ
 ௨.௮ ெ , ௨.2 ெ , 19௮ ெ
 , ௨2. - ௨19 ெ , ௨12 -
 , ௨2௮ ெ , ௨2௪ - ௨23 ெ
 ௨௪௩ ெ , ௨39 ெ , ௨36 ெ
 , ௨௦9 - ௨௦௮ ெ , ௨௪௮ ெ
 , ௨௩2 ெ , ௨69 - ௨6௪ ெ
 , ௨௮3 - ௨௮1 ெ , ௨௩9 ெ
 , ௨9. - ௨௮௩ ெ , ௨௮௦ ெ
 ௨9௩ ெ , ௨9௦ - ௨92 ெ
 , 3.6 - 3.1 ெ , ௨9௮ -
 31௦ ெ , 311 ெ , 3.௮ ெ
 , 321 - 31௮ ெ , 316 -
 ெ , 326 ெ , 323 ெ
 , 3௪. ெ , 332 ெ , 329
 3௩௮ ெ , 3௩. ெ , 361 ெ
 399 ெ , 39௪ ெ , 3௮. ெ
 - ௪.௦ ெ , ௪.3 - ௪.1 ெ
 , ௪11 ெ , ௪.9 ெ , ௪.6
 , ௪2. ெ , ௪1௮ - ௪1௩ ெ

- ٧٧٣ ، ٨٠١ - ٨٠٢ ، ٨٥٦ ،
 لغات القرآن (ج ٨) ، ٥٦٥ ، ٦١٦
 لغة العرب : مجلة (ج ١) ، ٢٨
 لقمان : مجلة (ج ٨) ، ٢٨٨ ، ٣١٦
 ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٧٦٦
 (ج ٩) ٧٢٣
 اللهو والملاهي (ج ٥) ، ١١٢ -
 ١١٥ : ، ١٢١
 لوزاك : مطبعة (ج ١) ، ٣٠٧
 ليدن : طبعة (ج ١) ، ٣٩٠ ،
 ٥٦٣ ، ٦١١ ، ٦٢٢
 (ج ٢) ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٦
 خا ، ٩١ ، ١٥٥ ، ٥٩١
 (ج ٣) ، ٧ ، ٤٣ ،
 ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٨٦
 ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨
 ٢٧٠ - ٣٧٢ ، ٤١١
 (ج ٤) ، ٤٣ ، ٦٠ ،
 ١٦٩ ، ٣٧٤ ، ٥٨٥ ،
 ٦٨٤ - ٦٨٥
 (ج ٥) ، ٤٠٣ ، ٥٢٠ ،
 ٥٧٣
 (ج ٦) ، ١٥٥ ، ٤٦٩ ،
 ٤٧٢ ، ٥٠١ ، ٦٠٧
 (ج ٩) ، ٤٤٦ ، ٥١٠ ، ٧٦٦
 ٧٨٢ : ٨٧٢ ، ٨٧٤
 ليس (ج ١) ، ٤١
 ١٨٥ ، ١٨٧ - ١٨٨ ،
 ١٩٤ ، ٢٥٨ - ٢٥٩ ،
 ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٢٦٩ -
 ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧
 - ٢٨٣ ، ٢٨٦ - ٢٨٧ ،
 ٣٠٧ ، ٣١٥ ، ٣١٧
 ٣٢٦ ، ٣٢٩ - ٣٣٠ ،
 ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٣٨١
 ٣٨٦ ، ٣٩٢ - ٣٩٥ ،
 ٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤١٦
 - ٤١٧ ، ٤٥٦ - ٤٥٨ ،
 ٤٦٣ - ٤٦٤ ، ٤٦٦
 ٤٦٩ ، ٤٨٤ ، ٤٨٨
 ٤٩٩ - ٥٠٢ ، ٥٢١
 ٦٠٥ ، ٦٠٨ ،
 ٦٣١ ، ٦٥٤ ، ٦٦٠
 ٦٨٥ ، ٧١٦ ، ٧٢٠
 ٧٢٢ ، ٧٣٨ ، ٧٩٢
 (ج ٩) ، ١٠٠ ، ٨٠ ، ٨٠
 ١٤ ، ٣٥ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٨٢
 ٨٦ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ،
 ١٥٧ ، ١٦٩ - ١٧٣ ، ١٧٥
 ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦
 ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٧ - ١٩٨
 ٢٠٠ - ٢٠٣ ، ٢٠٥ - ٢٠٦
 ٢٧٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٣٩٩
 ٤١٨ ، ٥٠٢ - ٥٠٣ ، ٥١٦
 ٥١٧ ، ٥٣١ ، ٦٤٣ ، ٥٤٧
 ٦٤٧ ، ٦٥٩ ، ٧٤٤ ، ٧٦٣

- الميم -

- لسان الميزان (ج ١) ، ٨٦ ، ٨٨
 (ج ٨) ، ٦٠١
 (ج ٩) ، ٢٢٣ ، ٢٤٣
 المؤلف المختلف (ج ١) ، ٤٨٣
 (ج ٢) ، ٦٣٦
 (ج ٣) ، ٢٤٥ ، ٢٧١

مجالس العلماء (ج ٣) حا ٢٦٧ ، حا

٢٨١

(٥ج) حا ٢٨٧

(٦ج) حا ٣١ ، حا ٢٣ ، حا

٢١٩ ، حا ٢٧٣ - ٢٧٦ ، حا

٢٨٣ - ٢٨٤ ، حا ٣١١ ، حا

٢١٩ ، حا ٣٦١ ، حا ٢٩١ -

٢٩٢ ، حا ٣٩٥ ، حا ٣٩٨ ،

٨٣٢ - ٨٣١

الجنسني : مطبعة (ج ١) ٦٠

مجمع الامثال (ج ١) حا ٨٣ ، حا

٣٠٧ ، حا ٣١٨ - ٣١٩ ، حا

٣٣٥ ، حا ٣٣٧ ، حا ٣٨٥

- ٢٨٦ ، حا ٤١٠

(٢ج) حا ١١٧

(٣ج) حا ١٩٨ - ٢٠١ ، حا

٢٣٢ ، حا ٢٤١ ، حا ٢٤٤ ،

حا ٢٤٦ ، حا ٢٥١ ، حا

٢٧٨ ، حا ٢٩٤ ، حا ٢٤٧

حا ٣٧٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٠

(٤ج) حا ٧٠ ، حا ١٥٢ ، حا

٢٠٦ ، حا ٤٩٤ ، حا ٤٩٧ ،

حا ٥٢٣ ، حا ٥٨٠ - ٥٨١ ،

حا ٦٢٦

(٥ج) حا ٧ ، حا ٣٦ ، حا

٤٥ ، حا ٥١ ، حا ٦٩ ، حا

٧٤ ، حا ١١٢ ، حا ١٤١ ،

حا ٢٨٧ ، حا ٣٥٦ - ٣٥٨

حا ٣٦٠ - ٣٦١ ، حا ٥٠٩

حا ٥٣١ ، حا ٥٤٨

(٦ج) حا ٤٦٤ ، حا ٤٦٦ ،

حا ٥٠٤ ، حا ٧٦٧ ، حا ٧٩٨

حا ٨١٩

(٧ج) حا ٣١٨ ، حا ٥٥٧ ، حا

٥٧٨ ، حا ٥٨٢

(٨ج) حا ١٠٨ ، حا ٢٤٣

(٥ج) حا ١١٨ ، حا ١٥٣

(٦ج) حا ٤٦٦ ، حا ٤٦٨

(٨ج) حا ٢٠٤ ، حا ٢٦٣ ،

حا ٣٥٠ ، حا ٣٨٣ ، حا ٧٦١

(٩ج) حا ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٧٧

١٨٠ ، ٣٣٧ ، ٣٨٣ ، ٤٥٣ ،

٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧٥ - ٤٧٦

٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣

٤٩٦ ، ٥٠٢ - ٥٠٤ ، ٥٢٠

٥٤٦ ، ٥٦٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠

٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٧٠ ، ٦٩٠

٧٢٩ ، ٧٦٦ ، ٧٩٦ - ٧٩٧

٨٣٤ ، ٨٦٨ ، ٨٧١ ، ٨٨٠

٨٩٧ ، ٩٠٢

الماجدية : طبعة (ج ٣) حا ٣٢٠

(٤ج) حا ٤٢

الماسورة (ج ٦) ٥٥٢

مبادئ اللغة : (ج ٨) حا ٢٦٧

المبتدأ (ج ٤) حا ١٤٤

المبسوط (ج ٥) حا ٥٢٧ ، حا ٥٣٤

حا ٥٣٧ - ٥٣٨ ، حا ٥٥٠

٥٥٢

مثالب عبد القيس (ج ٤) ٤٨٧

المثل السائر (ج ٩) حا ٣٥ - ٣٦ ،

٤٦٢

مجانني الادب : (ج ٣) حا ٢٨٣

المجلد (ج ٨) حا ٢٩٥

مجرد الفريب (ج ٨) ٥٦٦

مجالس ثعلب (ج ١) حا ٣٩٠ ، حا ٤٨٣

(ج ٨) حا ٢٧١ ، ٤٩٢ ، ٦٣٠

٦٥٦

(ج ٩) حا ٢٦ ، حا ٦٤ ، حا

٨٠ ، حا ١١٩ ، حا ٢٧١ ،

حا ٢٨٠ ، حا ٣٣٠ ، حا ٤٦٢

حا ٥٩٠ ، حا ٦٣٧ ، حا ٧٨١

حا ٨٤٨

- (ج) ١. حا ٢٦٠
 (ج) ٢. حا ٣٥٢ ، حا ٧٨٤
 ٧٨٤ ، حا ٧٨٠ ، حا ٧٨٤
 ٧٨٥ -
 (ج) ٩. حا ٥٤٨
 مجمع البيان : (ج) ١٢ حا ٥١٣
 (ج) ٤. حا ١١ ، حا ٩٠
 (ج) ٥. حا ٨٣ ، حا ٩٠ ، حا ١٩٣
 حا ٣٠٤ ، حا ٥٣٨
 ٥٤٦
 (ج) ٦. حا ٢٠٠ ، حا ٢٠٤ ، حا ٢١٨
 حا ٢٤٠ ، حا ٢٤٦ - ٢٥١ ، حا ٢٥٨
 حا ٤٥٣ - ٤٤٩ ، حا ٤٥٥
 حا ٤٨٢ ، حا ٤٨٦ ، حا ٦٠٥
 حا ٦٤٣ - ٦٤٥ ، حا ٦٩١
 حا ٧٠١
 (ج) ٨. حا ١٠٠
 مجمع الزوائد (ج) ٦ حا ٥٠٢
 المجمع العلمي العراقي : مجلة
 (ج) ١. حا ٨٥ - ٨٦ ، حا ٩٩
 (ج) ٣. حا ١٠٢
 (ج) ٤. حا ٤٣٢ ، حا ٦٦٨ - ٦٦٩
 (ج) ٥. حا ٢٧٦
 (ج) ٦. حا ٥٦٥ ، حا ٦١١ ، حا ٦٥١
 (ج) ٧. حا ٧٣ ، حا ١١٨ ، حا ٢٢٥
 حا ٢٦٦ ، حا ٢٦٩ - ٢٧٠
 (ج) ٨. حا ١٤ ، حا ٦٠١ ، حا ٧٥٠
 (ج) ٩. حا ٢٥٢ ، حا ٣٠١ ، حا ٣٠٧
 حا ٥١٨ ، حا ٦٩٤
 المجمع العلمي العربي : مجلة
- (ج) ١. حا ٩٠
 (ج) ٢. حا ٤٦١ ، حا ٤٦٤ - ٤٦٥
 حا ٤٦٨ - ٤٦٩
 (ج) ٧. حا ٥٦٦
 (ج) ٨. حا ١٤٩ ، حا ١٥٧ ، حا ١٧٢
 حا ١٨٢ ، حا ٣٢٩ ، حا ٧٠٦ ، حا ٧٥٠
 (ج) ٩. حا ٣١١
 المجمع اللغوي : مجلة (ج) ٩ حا ٤٨
 مجموعة الوثائق السياسية
 (ج) ٨ حا ٢٦٩
 المحاسبة (ج) ٥ حا ٣٣٢
 المحاسن والاضداد (ج) ٨ حا ٣٤٤
 ٣٧٣ ، حا ٣٨٢ ، حا ٥١٢
 (ج) ٩ حا ٢٤ ، حا ٧١ ، حا ١٩٤
 حا ٤٧٥ ، حا ٥٢٣
 حا ٥٦٠ ، حا ٥٩١ ، حا ٦٨٠
 حا ٧٢٩ ، حا ٧٧٤ ، حا ٧٧٨
 حا ٧٩٩ : حا ٨١٣ ، حا ٨١٥ ، حا ٨٧٦
 حا ٨٧٧ - ٨٧٩
 محاضرات الابرار (ج) ٤ حا ٩٠
 (ج) ٥ حا ٨٣
 (ج) ٦ حا ٣٦٩ ، حا ٤٦٤
 حا ٦٩٨
 محاضرات الادباء (ج) ٥ حا ٥١٢ ، حا ٥١٦
 حا ٥١٩
 محاضرات الراغب (ج) ٦ حا ٧١٥
 (ج) ٩ حا ١٢١ ، حا ٤٩٨
 الحجة (ج) ٤ حا ١٠٦
 المحبر (ج) ١ حا ٣٥٧ ، حا ٣٥٩
 حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٦ ، حا ٣٩٣
 حا ٣٩٤ - ٣٩٣
 (ج) ٢ حا ٢٥٥ - ٢٥٦ ، حا ٢٥٨
 (ج) ٣ حا ٥٥ ، حا ٢٠٢ ، حا ٢١٤
 حا ٢٥٤ - ٢٥٥

٦٦٣ - ٦٦١ ج ، ٦٥١ ج
 ٦٧٣ - ٦٧١ ج ، ٦٦٨ ج
 ج ، ٥٥ ج ، ٢٨ ج (٥٦)
 ج ، ٧٦ - ٧٥ ج ، ٦٩
 ، ١٦. ج ، ١٢٩ ج ، ٨٤
 ٢٨٤ ج ، ٢٦٥ ج ، ٢٤٨ ج
 - ٣٦٣ ج ، ٣٤٨ - ٣٤٤ ج
 ٣٦٩ ج ، ٣٦٦ ج ، ٣٦٤
 ج ، ٣٨٥ ج ، ٣٧٨ ج
 - ٤.٧ ج ، ٣٩٣ - ٣٨٩
 ٥٢١ ج ، ٤٨. ج ، ٤.٨
 ٥٣٤ ج ، ٥٣١ - ٥٣. ج
 ٥٤٧ ج ، ٥٤. ج ، ٥٣٧ -
 ٥٥٦ ج ، ٥٥٤ ج ، ٥٤٩ -
 ج ، ٥٦٢ ج ، ٥٥٧ -
 ، ٥٨٥ ج ، ٥٦٦ - ٥٦٥
 ج ، ٦.٦ ج ، ٦.٤ ج
 ج ، ٦٤. - ٦٣٨ ج ، ٦.٩
 - ٦٤٧ ج ، ٦٤٥ - ٦٤٢
 ٦٥٢
 ج ، ٥٨ ج ، ٥٦ ج (٦٦)
 ج ، ٩٨ ج ، ٨٢ ج ، ٧١
 ١٤٧ ج ، ١٣١ ج ، ١٢٦
 ج ، ١٥٦ ج ، ١٤٨ -
 ، ٢١٩ ج ، ٢١٦ - ٢١٣
 ج ، ٢٣٣ ج ، ٢٢٨ ج
 - ٢٤٤ ج ، ٢٣٦ - ٢٣٥
 - ٢٥٢ ج ، ٢٤٨ ج ، ٢٤٦
 ٢٥٨ ج ، ٢٥٥ ج ، ٢٥٣
 ج ، ٢٦٢ ج ، ٢٦. ج
 ج ، ٢٦٧ - ٢٦٦ ج ، ٢٦٤
 ج ، ٢٧٨ ج ، ٢٧٢ - ٢٧.
 ٢٨٨ - ٢٨٥ ، ٢٨٢ - ٢٨١
 ٢٤٦ ج ، ٢٤٤ ج ، ٢٣٨ ج
 ٣٥٧ - ٣٥٦ ج ، ٣٥١ ج
 ج ، ٣٦٤ ج ، ٣٦. ج

٢٧١ ج ، ٢٦. ج ، ٢٥٧
 ٢٩٣ ج ، ٢٧٧ ج ، ٢٧٢ -
 ، ٣. - ٢٩٩ ج ، ٢٩٤ -
 ج ، ٣٢١ ج ، ٣.٩ ج
 ٣٥٤ ج ، ٣٣٤ ج ، ٣٣٧
 ٣٦. ج ، ٣٥٨ - ٣٥٧ ج
 ج ، ٣٧٥ ج ، ٣٧٣ - ٣٧٢ ج
 ٣٦٤ ج ، ٣٩٢ - ٣٩١ ج ، ٣٧٧
 ، ٤.١ - ٤. - ج ، ٣٩٨ ج
 ، ٤١٩ ج ، ٤.٤ - ٤.٣ ج
 ج ، ٤٣٣ ج ، ٤٢٦ ج
 ، ٤٤٥ ج ، ٤٤. ج ، ٤٣٥
 ج ، ٤٥٩ ج ، ٤٥٧ ج
 ٥٣٦ ج ، ٥١٩
 - ٢١ ، ٢٩ - ٢٧ ج (٤٦)
 ج ، ٤٦ ج ، ٤٣ ج ، ٣٣
 ج ، ٧٣ ج ، ٦٧ ج ، ٦.
 ج ، ٩١ ج ، ٨٦ ج ، ٨.
 - ١.٣ ج ، ٩٩ ج ، ٩٤
 ١١٩ ج ، ١١. ج ، ١.٨
 ١٧٣ ج ، ١٥٦ - ١٥٤ ج
 ٢. - ج ، ١٩٨ ج ، ١٨٨ ج
 ٢٢. ج ، ٢١٣ ج ، ٢.٣ ج
 ٢٣٨ - ٢٣٧ ج ، ٢٢٦ ج
 ٣.٧ ج ، ٢٦٨ ج ، ٢٥٦ ج
 ٣٣٤ ج ، ٣٣٢ ج ، ٣١٦ ج
 ٣٤٦ ج ، ٣٤. - ٣٣٩ ج
 ٤.٤ ج ، ٣٧٨ ج ، ٣٤٧ -
 ٤٤٥ ج ، ٤٤١ ج ، ٤.٧ -
 ٤٥٦ ج ، ٤٥٤ ج ، ٤٤٩ ج
 ٤٩٥ - ٤٩٣ ج ، ٤٨٦ ج
 ٥١١ ج ، ٥.٩ - ٥.٨ ج
 ٥١٧ ج ، ٥١٤ ج ، ٥١٢ -
 ٥٢١ - ٥٢. ج ، ٥١٨ -
 ٥٨. ج ، ٥٣٥ ج ، ٥٢٩ ج
 ٦٤٥ ج ، ٦٣٦ ج ، ٥٨٢ -

- ٣٧٣ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ ، حا
 ٣٨٠ ، حا ٤٠٩ ، حا ٤٢٧
 حا ٤٣٠ ، حا ٤٣٢ ، حا
 ٤٥٩ ، حا ٤٦٤ ، حا ٤٧١ -
 ٤٧٢ ، حا ٤٧٦ - ٤٧٨ ، حا
 ٤٨٨ ، حا ٥٠١ ، حا ٥٠٤
 - ٥٠٥ ، حا ٥٠٩ ، حا ٥٢٠
 - ٥٢١ ، حا ٥٢٣ ، حا ٦٠٧
 حا ٦١٨
 (٧ج) حا ٣٠٤ ، حا ٣١٥ ، حا
 ٣٢٠ ، حا ٣٣٦ ، حا ٣٤٢
 حا ٣٧٢ - ٣٧٦ ، حا ٣٧٨ ، حا
 حا ٣٩٤ ، حا ٣٩٧ ، حا
 ٤٣٩ ، حا ٤٤٧
 (٨ج) حا ١٣٩ ، حا ٢٩٢ ، حا
 حا ٣٠٠ - ٣٠١ ، حا ٣١٦
 حا ٣٤٨ ، حا ٣٥٠ - ٣٥١
 حا ٤٠١ - ٤٠٢ ، حا ٤٧٤
 حا ٤٧٩ ، حا ٤٩٧ - ٤٩٨
 حا ٥٠١ ، حا ٥٢٢
 (٩ج) حا ٧٢ ، حا ٣٣٣ ، حا
 حا ٤٥٣ ، حا ٤٦٤ ، حا ٥٦١
 حا ٥٦٥ ، حا ٦٠٦ ، حا ٦١٩ ، حا
 حا ٦٤٢ ، حا ٧١١ ، حا
 ٧١٧ ، حا ٧٤٨ ، حا ٧٧٢
 حا ٨٨٨
 الحكم والمحيط الاعظم (ج٥) حا
 حا ١٠١ ، حا ١٩٣
 المحلي (ج٥) حا ٥٦٨ ، حا ٦٠٢
 محيط المحيط (ج١) حا ٣٩ - ٤٠ ، حا
 (ج٥) حا ٧٢ ، حا ٣٢٣
 (٦ج) حا ٤٥١ ، حا ٥٥٠ ، حا
 حا ٥٦٠ ، حا ٦٣٨ - ٦٤٠ ، حا
 حا ٦٤٢ - ٦٤٤ ، حا ٦٩٢
 مختار الصحاح (ج٥) حا ١٦٨ -
 ١٦٩
- (٨ج) حا ٤٨٨
 مختار شعر الشعراء الست
 (٩ج) ٥٠٨ - ٥٠٩
 مختارات ابن الشجري
 (٨ج) حا ١٤١
 (٩ج) حا ٣٤٦ ، حا ٤٨٧
 مختصر ابن العبري (ج٨) ٣٨٣
 مختصر تاريخ الدول :
 (٢ج) حا ٦٣٤
 (٣ج) حا ٢٣٠ ، حا ٥٣٦
 (٤ج) حا ٢٧١
 المختصر في اخبار البشر
 (٣ج) حا ٢٢٧ ، حا ٢٢٩ ، حا
 حا ٢٣٣ ، حا ٢٣٤ ، حا ٢٩٤
 حا ٣٢٠ - ٣٢١
 (٤ج) حا ٤٠ ، حا ٣٧٩
 (٥ج) حا ٣٥٦ ، حا ٣٦١
 (٦ج) حا ٧٨ ، حا ٨٠
 المختصر في علم اللغة العربية
 الجنوبية ، (ج١) حا ١٠١ ، حا
 حا ٣١٥ ، حا ٣١٧
 (٢ج) ١٧٦ ، حا ٣٣٢ ، حا ٣٥٩
 حا ٣٦٣ ، حا ٣٦٥ ، حا
 حا ٣٦٨ - ٣٦٩ ، حا ٥٤١
 (٤ج) حا ٤٩٥ - ٤٩٦
 (٨ج) حا ٢٠٩ ، حا ٢١٧
 مختصر كتاب البلدان (ج٦) حا
 ٣٥٧
 (٧ج) حا ٢٩٦
 مختلف القبائل (ج٤) حا ٢٤٧
 المخصص (ج١) ٢٠٣ ، حا ٢٤٣
 (٣ج) حا ٣٠٢
 (٤ج) حا ٣٧٠ ، حا ٣٧٤ ، حا
 حا ٦٤٧ ، حا ٦٧٩ ، حا
 ٦٨٥ - ٦٨٦
 (ج٥) حا ٥٧ ، حا ٦٨ ، حا

(ج) ٢٦٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٥٧٧	٧١ - ٧٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٣٠٦ ، ٥١٢ - ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٦١٨ ، ٦٢١ - ٦٢٢
(ج) ٦٣٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٠ ، ٥٢٨ ، ٥٥٠ ، مدارك التنزيل (ج) ١ ، ٤٠ ، مدونة جستنيان (ج) ٥	(ج) ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٦٥ ، ٦٤٠ ، ٦٤٨ ، ٦٥٤ - ٦٥٧ ، ٦٧٩ ، ٧٠٠ ، ٧١٥
المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن (ج) ١ ، ٨٦ ، (ج) ٨١ ، ٦١١ ، ٦١٤ ، مراتب النحويين (ج) ٩ ، ١٦ ، ٥٦ - ٥٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٦ ، ٣٦٢ ، ٤٠٠ ، المراني (ج) ٩ ، ١٥٠ ، مراصد الاطلاع (ج) ١ ، ٤٦ ، (ج) ٢ ، ٦٥٠ ، (ج) ٣ ، ١٨١ - ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٥١٤ ، (ج) ٥ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨ ، (ج) ٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٤٤٥ ، (ج) ٧ ، ٣٧٢ - ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، مروج الذهب (ج) ١ ، ١٧ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٤٩	(ج) ٣٠ ، ٤٧ - ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١١٩ - ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٦٠ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٠ - ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣٢٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ - ٥٢٩ ، ٥٣٩ ، ٥٧٧ ، ٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦٠٥ : ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٢ - ٦١٣ ، ٦١٦ - ٦١٩ : ٦٢٦ - ٦٢٨ ، ٦٣٢ - ٦٣٣ ، ٦٣٦

٥٣١ ح
 (٤ج) ح ١٣ ، ح ١٦ ، ح
 ٢٧ ، ح ٤٠ ، ح ٤٢ ، ح
 ٦. ، ح ٧٨ ، ح ٨٠ ، ح
 ٨٣ ، ح ٨٧ ، ح ٩٦ ، ح
 ١٠٠ ، ح ٢٥٦ ، ح ٣٧٨
 (٥ج) ح ١١٢ - ١١٤ ، ح
 ١١٦ - ١١٧ ، ح ٣٨٠ ، ح
 ٦٤.
 (٦ج) ح ٧٧ - ٧٨ ، ح ٨٠ ، ح
 ١٣٢ ، ح ١٤١ ، ح ١٤٧ -
 ١٤٨ ، ح ٢٥١ - ٢٥٢ ، ح
 ٣٥٠ ، ح ٤٣٤ ، ح ٤٥٩
 ح ٤٦١ - ٤٦٣ ، ح ٤٦٦ ، ح
 ٤٦٩ - ٤٧١ ، ح ٤٧٩ ، ح
 ٤٨٢ ، ح ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ح
 ٥.١ - ٥.٥ ، ح ٦٣٨ ، ح
 ٦٩١ ، ح ٦٩٥ ، ح ٦٩٨ ، ح
 ح ٧.١ ، ح ٧٥٥ ، ح
 ٧٥٨ - ٧٦٠ ، ح ٧٦٣ ، ح
 ٧٦٥ - ٧٦٦ ، ح ٧٦٩ ، ح
 ٧٧٠ ، ح ٧٧٢ - ٧٧٤ ، ح
 ٨.١
 (٨ج) ح ١٦٥ - ١٦٦ ، ح
 ٤٣٩ ، ح ٤٤١ ، ح ٤٥٥
 ح ٤٦٠ - ٤٦٢ ، ح ٤٦٤
 ح ٤٦٦ ، ح ٤٦٩ ، ح
 ٤٩١ - ٤٩٣ ، ح ٤٩٨ ، ح
 ح ٥١٩ ، ح ٧٥٤
 (٩ج) ح ٦٤٦
 المزارعة (٧ج) ح ٢٧
 الزامير (١ج) ٥٣ - ٥٤ ، ح ٢٠٤
 ح ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ح ٤٥٠
 ٤٥١
 (٢ج) ح ٢٦٢
 (٣ج) ح ٦١

٦٣ ، ح ٧٥ ، ح ٧٩ ، ح
 ٨١ ، ح ٨٤ - ٨٥ ، ح
 ١٧٥ ، ح ٢٩٤ ، ح ٣٠٣
 ح ٣١٥ ، ح ٣١٧ ، ح
 ٣٢٠ ، ح ٣٥٥ ، ح ٣٥٧
 - ٣٥٨ ، ح ٣٦٢ - ٣٦٥ ، ح
 ح ٣٩٤ ، ح ٣٩٦
 ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ح ٤١١ ، ح
 ٤١٩ ، ح ٤٣٢ ، ح ٤٤٠
 ح ٤٥٢ ، ح ٤٩٢ - ٤٩٣
 ح ٤٩٨ - ٥٠٠ ، ح ٥٠٥
 - ٥٠٦
 (٢ج) ح ٢٤ - ٢٥ ، ح ٢٦٤
 ح ٥١٢ - ٥١٣ ، ح ٥١٦
 ح ٥٣٢ - ٥٣٣ ، ح ٥٩٤
 ح ٦٣٦ - ٦٣٧ ، ح ٦٤٤ -
 ٦٤٥
 (٣ج) ح ١١ ، ح ٧٩ ، ح
 ٩٠ ، ح ١٠٣ ، ح ١٠٥ -
 ١٠٧ ، ح ١١٢ ، ح ١٣٢ ، ح
 ح ١٦٢ ، ح ١٧٨ - ١٧٩ ، ح
 ح ١٨١ ، ح ١٨٣ - ١٨٤ ، ح
 ح ١٨٧ ، ح ١٩٤ - ١٩٥ ، ح
 ح ١٩٧ ، ح ٢٠٦ ، ح ٢٥١
 ح ٢٥٧ ، ح ٢٦٠ - ٢٦١ ، ح
 ح ٢٦٦ ، ح ٢٦٨ ، ح ٢٧٠
 ح ٢٧٢ ، ح ٢٧٥ ، ح ٢٨١
 ح ٢٨٧ ، ح ٢٩٤ ، ح
 ح ٣٠١ - ٣٠٣ ، ح ٣٠٥
 ح ٣١٠ ، ح ٣١٥ ، ح ٣٧٥
 ح ٣٨٧ - ٣٨٨ ، ح ٣٩٧
 ح ٤٠٠ ، ح ٤٢٦ - ٤٢٨
 ح ٤٣١ - ٤٣٣ ، ح ٤٤٥ -
 ح ٤٤٦ ، ح ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ح
 ح ٥٠٧ ، ح ٥١٤ ، ح ٥١٦
 ح ٥٢٢ - ٥٢٣ ، ح ٥٢٦

(ج٩) حا ٧ ، ١٧ ، ٥١ ، ٥٤
 ٥٦ - ٥٨ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٧٨
 ٨. ، ٨٢ - ٨٣ ، ٨٥ ، ١٠٢
 - ١.٤ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ٢٠٧
 ٢١١ ، ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢١٨
 ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٦
 ٢٣٠ - ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨
 ٢٥١ - ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 ٢٦٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ٢٨٠
 ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ٢٩٧ - ٢٩٨
 ٣٠٠ ، ٣٠٤ - ٣٠٧ ، ٣١٢
 - ٣١٤ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ ، ٣٤١
 - ٣٤٣ ، ٣٥٧ - ٣٦٢ ، ٣٨١
 ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ - ٣٩٧
 ٤٠٧ ، ٤٢٢ - ٤٢٤ ، ٤٢٧
 ٤٣٠ - ٤٣٩ ، ٤٣١ ، ٤٤٠
 ٤٤٥ - ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٩
 ٤٦٢ ، ٥٠٥ - ٥٠٦ ، ٥١٢
 ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٦٨ ، ٥٨٨
 ٦٥٦ ، ٦٥٩ ، ٦٨٥ ، ٦٩٠
 ٨٠٥ ، ٨٢٣ ، ٨٢٨ - ٨٢٩
 (٨٨٢

مسالك الابصار (ج٨) حا ٣٧٨
 المسالك والممالك (ج١) حا ١٩٢ ،

حا ٤٥٤

(ج٣) حا ١٥٨

(ج٧) حا ٣٣٣ - ٣٣٤ ، حا

٣٣٦ - ٣٣٨ ، حا ٣٤٢ ، حا

٣٤٤ - ٣٤٥ ، حا ٣٤٨

٣٥١ ، حا ٣٥٣ - ٣٥٤ ، حا

٣٥٩ - ٣٦٢ ، حا ٣٦٤

حا ٥١٢

الستطرف في كل فن مستظرف

(ج٤) حا ٤٠٤ ، حا ٥٧٧

٥٧٨ ، حا ٦٤٠ ، حا ٦٥٢

حا ٦٦٥

(ج٤) حا ٦١٢

(ج٥) حا ١٠٧ ، حا ١١١

(ج٦) حا ٥٥٥ - ٥٥٦ ، حا ٧١١

(ج٧) حا ٢٣٣

(ج٨) حا ٢٧٧ - ٢٧٨ ، حا ٣٤٠

(ج٩) حا ١٢٥ ، حا ١٢٧ - ١٣٠ ، حا

١٣٢ - ١٣٣

المزهر (ج١) حا ١٤ ، حا ٣٧ ، حا

٤١ ، حا ٦٨ ، حا ٧٠ - ٧١

حا ٧٦ ، حا ١١٨ ، حا ٢٥٦

(ج٣) حا ٣٦٠

(ج٤) حا ٥٢٨

(ج٥) حا ٥١٢ - ٥١٣ ، حا

٦٤١

(ج٦) حا ٤٨٥ ، حا ٥٩٤ ، حا

حا ٦٤٤

(ج٨) حا ١١٨ ، حا ١٢٨ ، حا

١٤١ ، حا ١٥٧ - ١٥٩

حا ١٦١ ، حا ١٦٣ - ١٦٨

حا ٣٣٤ - ٣٣٥ ، حا ٣٥٦

حا ٣٥٨ - ٣٥٩ ، حا ٣٦٣

حا ٣٦٥ - ٣٦٨ ، حا ٤٥٥

حا ٤٥٩ - ٤٦٠ ، حا ٤٦٦

حا ٥٣٧ - ٥٣٩ ، حا ٥٥٠

حا ٥٥٢ ، حا ٥٥٤ - ٥٥٨

حا ٥٦١ ، حا ٥٦٨ ، حا ٥٧٠

حا ٥٧٣ ، حا ٥٧٥ - ٥٧٧

حا ٥٨٨ ، حا ٦٠٠ ، حا ٦٠٥

حا ٦١٧ ، حا ٦٢٠ ، حا

٦٢٥ - ٦٢٦ ، حا ٦٢٩

٦٣٠ ، حا ٦٥٥ - ٦٥٨ ، حا

٦٦١ ، حا ٦٦٨ - ٦٦٩ ، حا

٦٨٤ ، حا ٦٨٦ ، حا ٦٨٨

حا ٦٩٠ - ٦٩١ ، حا ٧١١

حا ٧١٧ ، حا ٧٢٦ ، حا

٧٣٠ - ٧٣٢ ، حا ٧٧٠

١٩٠ — ١٨٧ ، ١٧٨ ، ١٧٤
 ٢٠٠ — ١٩٩ ، ١٩٦ ، ١٩٢
 ٢٩٢ — ٢٩١ ، ٢٨٢ ، ٢٠٩
 ٣٠٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠١ ، ٢٩٧
 ، ٣٤٩ — ٣٤٨ ، ٣٣٣ ، ٣٠٩
 — ٤٠٠ ، ٣٩٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨٠
 ، ٤٢٥ — ٤٢٤ ، ٤٠٢
 ، ٥٢٧ ، ٤٥٠ ، ٤٤٢
 ، ٥٦٦ ، ٥٤١ ، ٥٦٦
 ٦٠٨ —
 — ٣٤ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٢٦ (٧ج)
 ٥٥ ، ٥٢ — ٥٠ ، ٢٧ ، ٣٥
 ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٠ ، ٥٨ — ٥٧
 ١٤٠ ، ١٠١ ، ٩٨ ، ٩٥ ، ٧٧
 ١٦٠ ، ١٥٧ ، ١٥١ ، ١٤٥
 ١٧٦ ، ١٦٧ — ١٦٦ ، ١٦٤
 ١٨٩ — ١٨٨ ، ١٨٦ ، ١٨٢
 ٢١٠ ، ٢٠٥ — ٢٠٣ ، ١٩٦
 — ٢٢٤ ، ٢١٦ ، ٢١١ —
 ٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥
 ٢٤٥ ، ٢٤٢ — ٢٤١ ، ٢٣٩ —
 ٣٠٥ ، ٢٦٣ — ٢٦١ ، ٢٥٨
 ٤٥٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٢ — ٤٠١
 ٤٨١ : ٤٧٨ — ٤٧٧ ، ٤٦٩
 ٥٠١ ، ٤٩٣ — ٤٩٠ ، ٤٨٧
 ٥١٤ ، ٥١٢ ، ٥١٠ — ٥٠٩
 — ٥٢٢ : ٥١٧ : ٥١٥ —
 ٥٤٢ ، ٥٣١ ، ٥٢٨ ، ٥٢٣
 ، ٦٢٢ ، ٦١٠ ، ٥٩٨ ، ٥٤٨
 ٦٢٦
 ٢٤ ، ١٨ ، ١٢ ، ١٠ (٨ج)
 ١١١ ، ١٠٧ ، ٩٢ ، ٨١ ، ٧٤
 ، ٢٦١ ، ١١٥ ، ١١٣
 ، ٢٨١ ، ٢٧٦ — ٢٧٥
 ٤١٣ ، ٤٠٧ — ٤٠٥ : ٣٨٦ ،
 ٤٣٨ ، ٤٣٥ ، ٤٢٣ — ٤٢٢

٩٦ ، ٩٤ ، ٩٢ (٥ج)
 ، ٧٦٧ ، ٧٦٥ ، ٧٦٢ (٦ج)
 ٨٠٧ — ٨٠٦ ، ٧٧٤ ، ٧٧٢
 ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ (٨ج)
 ، ٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٠
 ٥٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ (٩ج)
 المستقصي (٨ج) ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٠
 ، ٣٩٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٢
 ٧٦٦ ، ٧٦٤ ، ٧٦٢ (٩ج)
 السندي (١ج) ، ٢٣ ، ٤١ ، ٩١
 ١٠١ — ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٢ —
 ١٢١ — ١٢٠ ، ١٠٦ — ١٠٤
 ١٦٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥
 ٢٧٢ ، ٢٣٧ ، ٢١١ ، ٢٠٣
 ٣٥٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢١
 ٥٦٨ ، ٥١٤ ، ٤٦١ ، ٣٦٤
 ٦٣٨
 ، ٢١٧ ، ١٢٤ ، ٧٨ (٢ج)
 ٥٧٠ ، ٥٦٥ ، ٣٥٤
 ، ٣٨٨ ، ٣٣٢ ، ٣١٥ (٣ج)
 ٥٣٧ ، ٥٢٩ ، ٤٨٧ ، ٤٥٦
 ، ٢٧٨ ، ٥٧ ، ١٧ (٤ج)
 ٤١٨ ، ٤١٥ ، ٣٧٢ ، ٣١٧
 ٤٦٠ ، ٤٥٧ ، ٤٤٩ ، ٤٤٧
 ٥٥٠ ، ٥٤٧ — ٥٤٦ ، ٥٠٤
 ٦٥٦ ، ٦١٦ ، ٥٦١
 ١٢٧ ، ٥٢ ، ٢١ ، ١٣ (٥ج)
 ١٩٠ ، ١٨٤ ، ١٦٦ ، ١٤٨
 ٢٢٢ ، ٢٠٧ ، ١٩٥ ، ١٩٢
 ٢٧٧ ، ٢٦١ ، ٢٤٣ ، ٢٣١
 ، ٢٨١ — ٢٨٠ : ٢٧٨ —
 ٤٧٠ ، ٤٦٢ : ٤٤٦ : ٢٩٦
 ٥٥١ ، ٤٨٨
 ٧٣ — ٧٢ ، ٢٧ ، ٢٤ (٦ج)
 ١٧٠ ، ١٦٦ ، ١٢٠ ، ١١٥

(ج) ٦٤ ، ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٧ ، ٥٢٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٧ - ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، ٥٩٢ - ٥٩٣ ، ٦٠١ ، ٦٠٥ - ٦٠٧ ، ٦٢٥ - ٦٢٢ ، ٦٣٤ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤ ، ٦٧٦ - ٦٧٧ ، ٦٨٧ ، ٧٧٠

(ج) ٧٠٦

(ج) ٥٦٧ ، ٥٦٤ ، ٥٨٣ ، ٧٧١ - ٧٧٢ ، ٧٧٨ - ٧٧٧

المشنا (ج) ٨٧ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ - ٦٥٨ ، ٦٥٦

(ج) ٥٥٥ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٦٨١

(ج) ٢٥٨ ، ٧٥١

(ج) ٧٦٨

المصاحف : (ج) ١٢٣ ، ١٢٣ - ١٣٤ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٦١٦

(ج) ٨ - ٩ ، ١١ ، ١٩

مصادر الشعر الجاهلي .

(ج) ٢٨٣

(ج) ٥٥٨

(ج) ١٨٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣

٤٤٢ ، ٤٤٤ - ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٧٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧٧ - ٦٧٨ ، ٦٨٧ ، ٦٩١ - ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٧٥٠ ، (ج) ٤٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٩٠ ، ٦٥٧

مسند الامام ابي حنيفة

(ج) ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٤٢٨ - ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٩٠

مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب (ج) ٥٢٦

مسيلة الكذاب : كتاب

(ج) ٧٦٢

المشترك : (ج) ١٨١ ، ٢٢٩ ، ٤٤٠

(ج) ٩٩

المشرق : مجلة (ج) ٢٨ ، ١٥٦ - ١٥٥

(ج) ٦١٦ ، ٦٦٩

(ج) ٥٤ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٦ - ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ - ١٠٠ ، ١٠٩ - ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٤ - ١١٦ ، ١١٩ - ١٢٥ ، ١٢٧ - ١٣٠ ، ١٣٢ - ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ - ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٤٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ١٢٢ - ١١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ ، ٤٩٩ ، (ج) ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠

(ج) ٤٠ - ٣٩ ، حـ
 ٦٠ ، حـ ٩٦ ، حـ ٩٩ ، حـ
 ١٠٣ - ١٠٤ ، حـ ١١٦ ، حـ
 ١٣٦ ، حـ ١٤٥ ، حـ ١٥١ ، حـ
 حـ ٢١٤ ، حـ ٢٤٥ ، حـ ٢٥٩
 حـ ٣٣٤ ، حـ ٣٦٢ ، حـ ٣٧٧
 - ٣٧٨ ، حـ ٣٨٦ ، حـ ٤٢٦
 حـ ٤٤٣ ، حـ ٤٨٤ ، حـ
 ٤٩٢ ، حـ ٤٩٤ ، حـ ٤٩٦
 حـ ٥٠٠ ، حـ ٥٢٦ ، حـ
 ٥٢٩ ، حـ ٥٣٢ - ٥٣٣ ، حـ
 ٥٧٥ ، حـ ٦٢٦ ، حـ ٦٣٧ ،
 حـ ٦٧١
 (ج) ٤٥ ، حـ ٥٦ ، حـ
 ١١٠ ، حـ ١١٦ - ١١٧ ، حـ
 ١٢٤ ، حـ ١٥٧ ، حـ ١٦٧
 حـ ١٨٩ ، حـ ٢٨٤ ، حـ ٣٥٦
 حـ ٣٦١ ، حـ ٣٩٨ ، حـ
 ٤٢٨ ، حـ ٤٦٧ ، حـ ٤٩٦ ،
 حـ ٥٢٠ ، حـ ٥٩٣ ، حـ ٦٠٥
 حـ ٦٤٠ ، حـ ٦٤٩ ، حـ ٦٥١ -
 ٦٥٢
 (ج) ٨٥ - ٨٦ ، حـ ٩٣
 حـ ٩٥ - ٩٦ ، حـ ١٢٦ ، حـ
 ١٤٧ - ١٤٨ ، حـ ٣٦٣ ، حـ
 ٤٦٦ ، حـ ٤٦٩ ، حـ ٤٨٥
 حـ ٥١٤ ، حـ ٥٢٧ ، حـ ٥٩٠
 حـ ٦٩٣ ، حـ ٧١٣ ، حـ ٨١٩
 - ٨٢٠ ، حـ ٨٢٢
 (ج) ١٩٣ ، حـ ٣٧٩ ،
 حـ ٥٨٣
 (ج) ١١٤ ، حـ ١١٦ -
 ١١٨ ، حـ ١٢٠ ، حـ ١٢٤ ،
 حـ ١٢٦ ، حـ ١٣١ - ١٣٢ ،
 حـ ١٣٤ ، حـ ١٣٧ ، حـ
 ١٤١ ، حـ ٢٩٥ ، حـ ٣٣٤

٢٦٨ ، حـ ٢٧١ - ٢٧٢ ، حـ
 ٣٠٨ ، حـ ٣٤٩ ، حـ ٧٥٠
 (ج) ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٢٣ ، حـ
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣٠٥ ، حـ ٣٤٨
 ٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٤١٩)
 مصادر كتاب القصائد الست
 (ج) ٣٠٥
 المصحف الناموسي (ج) ٦١٤
 (ج) ٦١٩
 (ج) ٤٦ - ٤٧ ، ١٩٥ ،
 ٣١٣
 المصون في الادب (ج) ٧٣٨ ،
 حـ ٧٦٧ ، حـ ٧٨٢
 (ج) ٨٩ ، ٥٣ ، ٤٠ ، حـ
 ١٠٥ - ١٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٣
 ٢٢٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، حـ ٢٨٢
 ٣٤٥ ، حـ ٧١٩ ، ٨٦١)
 المضاف والنسوب (ج) ٣٥٢
 المعارف (ج) ٣٣٥ ، حـ ٣٣٧
 حـ ٣٧٠ ، حـ ٣٧٢ - ٣٧٤
 حـ ٣٨١ ، حـ ٣٨٨ ، حـ
 ٣٩٢ ، حـ ٣٩٧ ، حـ ٣٩٩ -
 ٤٠٩
 (ج) ٢٥٥ ، حـ ٥٩٢
 (ج) ١٥٩ ، حـ ١٧٠ ،
 حـ ١٧٦ ، حـ ١٨٠ ، حـ ١٨٧
 - ١٨٨ ، حـ ٢٠٣ ، حـ ٢٠٩
 حـ ٢٣١ ، حـ ٢٧٠ ، حـ ٢٨٢
 حـ ٢٨٦ ، حـ ٢٩٣ - ٢٩٤
 حـ ٣٠٣ ، حـ ٣٠٨ ، حـ
 ٣٢١ - ٣٢٢ ، حـ ٣٨٩ ، حـ
 ٣٩٢ ، حـ ٣٩٤ ، حـ ٤٠٠ -
 ٤٠٢ ، حـ ٤٢٧ - ٤٢٨ ، حـ
 ٤٣٢ - ٤٣٣ ، حـ ٤٤٥ ، حـ
 ٥٠٤ ، حـ ٥٢٣ - ٥٢٤ ، حـ
 ٥٣١ ، حـ ٥٣٩

700

- (ج) ٤٣٩ ، ١٥٠ ، ٤٣٩ ،
 ٥٢٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٦ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٩ ، ٥٢٩ ، ٥٢٩ ،
 (ج) ٢٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٧ - ٢٦٨ ،
 المعجم المفهرست لالفاظ الحديث
 النبوي الشريف (ج) ٦٦٦ ،
 ٤٥٠ ، ٤٥٠ ، ٤٥٠ ،
 (ج) ٢٤٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧ ،
 (ج) ٣٣٨ ، ٣٣٨ ، ٣٣٨ ،
 معجم مفاتيح اللغة
 (ج) ٣٠٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٣ ،
 (ج) ١٠١ ، ١٠١ ، ١٠١ ،
 (ج) ١٦ ، ١٦ ، ١٦ ،
 معجميات عربية سامية (ج) ٦٦٦ ،
 ٦٤٨ ، ٦٥١ - ٦٥٢ ، ٦٥٢ ،
 ٦٦٧ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ ،
 ٦٧٨ -
 العرب (ج) ٣٧٥ ، ٣٧٥ ،
 (ج) ٢٨٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٣ ،
 ٦١٣ ، ٦١٣ ، ٦١٣ ،
 (ج) ٣١ ، ٣١ ، ٣١ ،
 ١٠٩ ، ١٠٩ ، ١٠٩ ،
 (ج) ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٤٦ ، ١٤٦ ،
 ٥٨٦ ، ٥٨٦ ، ٥٨٦ ،
 ٦٥٩ ، ٦٩٢ ، ٧٣٥ ،
 (ج) ٥٤٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٥ ،
 ٥٥٢ ، ٥٥٨ - ٥٥٩ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٣ - ٥٦٤ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ ، ٥٧٠ - ٥٧٣ ، ٥٧٣ ،
 ٥٧٦ ، ٥٨٤ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٢ - ٥٩٣ ، ٦٠٠ ،
 ٦٠٤ ، ٦٠٦ - ٦٠٨ ،
 ٦١٠ - ٦١١ ، ٦١٥ ،
 ٦١٧ - ٦١٨ ،
- (ج) ٤٤٨ ، ٤٤٠ ، ٦٥٠ ،
 ٤٧٢ - ٤٧١ ، ٤٥٦ ،
 ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٨ ،
 ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢ ،
 ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ،
 ٦٢١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٩ ، ٦٦٦ ،
 ٦٦٩ - ٦٧١ ، ٦٧٦ - ٦٧٧ ،
 ٦٨٩ - ٦٩٠ ، ٧٠١ ، ٧١٠ ،
 ٧٢٦ ، ٧٢١ - ٧٢٠ ،
 ٧٢٩ ، ٧٦٤ - ٧٦٥ ، ٧٨٣ ،
 ٧٨٥ ، ٧٨٩ ، ٨١١ ، ٨٢٦ ،
 ٨٢٧ ، ٨٤٨ ، ٨٦١ ، ٨٦٣ ،
 ٨٦٨ - ٨٦٩ ، ٨٨٢ ، ٨٨٥ ،
 ٨٨٦ ، ٨٨٨ ، ٨٩٥ ،
 ٩٠٢ ،
 معجم ما استعجم (ج) ٨٩ ، ٨٩ ،
 ١١٣ ، ١٧١ ، ٢٠٣ ،
 ٣١٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ،
 ٣٤٩ ، ٣٨١ ، ٣٨١ ،
 ٣٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٥٤ ،
 ٤٨٦ ،
 (ج) ١١٧ - ١١٦ ، ١٥٢ ،
 ٦١٦ ، ٦٥٠ ،
 (ج) ٧٩ ، ١٥٥ ، ١٥٥ ،
 ٢٢٧ ، ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٥٢ ،
 ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،
 ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣٦١ ،
 ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٩٦ ،
 (ج) ١٤٢ ، ١٤٢ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٩ ، ٣٧٣ ،
 (ج) ٣٥٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٢ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٨ ،

١٨٦ - ١٨٧ ، حا ١٩٥ ، حا
 ١٩٧ - ١٩٩ ، حا ٢١٧ ، حا
 ٢٣٩ ، حا ٢٥٧ ، حا ٢٦٠
 حا ٢٦٨ ، حا ٢٩٩ - ٣٠٠
 حا ٣١٤
 (ج) حا ٣١٧ ، حا ٣١٩
 (ج) حا ٢٧١ ، حا ٢٨٢ ،
 حا ٢٨٥ - ٢٨٧
 (ج) حا ٥٦ - ٥٧ ، حا
 ١٩٢
 مفتاح السعادة (ج) حا ٧٥٦ ، حا
 ٧٥٨ - ٧٥٩ ، حا ٧٦٢ ، حا
 ٧٦٤ ، حا ٧٧٢
 (ج) حا ١٨٥
 (ج) حا ٢٠
 مفتاح كنوز السنة (ج) حا ٤١
 القردات (ج) حا ٥١
 (ج) حا ٥١٣
 (ج) حا ١١ ، حا ٣٧٠ ، حا
 ٣٧٢
 (ج) حا ٢٣ ، حا ١٦٧ ، حا
 ١٨٣ ، حا ١٩٣ - ١٩٤ ، حا
 ٢١١ ، حا ٢٣٥ ، حا ٢٠٤
 - ٣٠٥ ، حا ٣٩٩ ، حا ٤٦٩
 حا ٤٧٨ ، حا ٤٨٢ ، حا ٤٩٥
 - ٤٩٦ ، حا ٥٠٠ ، حا ٥٢٤
 حا ٥٢٧ ، حا ٥٥٠ ، حا ٥٥٣
 حا ٥٥٩ - ٥٦٠ ، حا ٥٧١
 حا ٥٨٨ ، حا ٦٠٢ ، حا
 ٦٠٤ ، حا ٦١٩ - ٦٢٠ ، حا
 ٦٢٢ ، حا ٦٢٩ ، حا ٦٣٢
 (ج) حا ٢٤ ، حا ٥٣ ، حا
 ٦١ ، حا ٧١ ، حا ٢٠٤ ، حا
 ٤٠٠ ، حا ٤٠٢ ، حا ٤١٣
 حا ٤٥١ ، حا ٥٥١ ، حا ٥٥٣
 - ٥٥٤ ، حا ٥٥٦ ، حا ٥٨٣

(ج) حا ٢٢ ، حا ٦١ - ٦٢
 حا ٢٦٩ ، حا ٣٩٩ ، حا
 ٦٦٦ ، حا ٧١٠ ، حا ٧١٦
 - ٧١٩ ، حا ٧٢٧
 (ج) حا ٢٦٨ ، حا ٦٧٥ ، حا
 ٧٧١ ، حا ٨٠٧
 المعظم (ج) حا ٢٥
 المعلقات العشر واخبار شعرائها
 (ج) حا ١٠٨
 (ج) حا ٢٩٣
 المعلمة الاسلامية (ج) حا ٤٤٤
 المعمرون (ج) حا ٨٣ ، حا ٣١٥ -
 ٣٨٣ ، حا ٣١٦
 (ج) حا ٤٢٦ ، حا ٤٥٠
 (ج) حا ٦٤٠ - ٦٤١
 (ج) حا ٣٢ ، حا ٢٥٣ ، حا
 ٢٨٢ ، حا ٥٠٥ ، حا ٦٨٧
 (ج) حا ٢٥٣
 (ج) حا (٧٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٣ - ٤٥٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤
 ٤٩٩ - ٥٠٠ ، حا ٥٣٢ ، حا
 ٦٥٠ - ٦٥١ ، حا ٨٤٧ ، حا ٨٧٤
 (٩٠٣ - ٩٠٢)
 الفازي والسير (ج) حا ٤٦٣
 (ج) حا ٢٩٣
 (ج) حا ٨٢٨ ، حا ٩٠٦
 المغرب في ترتيب العرب
 (ج) حا ٥٦٠ ، حا ٥٨٤ ،
 حا ٥٨٧ - ٥٨٨ ، حا ٥٩١ -
 ٥٩٢ ، حا ٥٩٦ ، حا ٥٩٩ -
 ٦٠٠ ، حا ٦٠٢ - ٦٠٣ ، حا
 ٦٠٨
 (ج) حا ٩ ، حا ٦٠ ، حا
 ٦٣ ، حا ٢٦٦ ، حا ٣٩٩
 الفني (ج) حا ٦١٨
 مفاتيح العلوم (ج) حا ١٧٨ ، حا

٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٥١

٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٥١

٦٥٢ ، ٦٥٧ ، ٧٤٠

٧٨٦ ، ٧٩٤

(ج٧) ٢١٣ ، ٤٢٢ ،

٤٩٧ - ٤٩٨ ، ٥٠٨

٥٤٩ ، ٥٦٣ ، ٦٠٧

٦٢١ ، ٦٢٢ ،

٦٢٤ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣

(ج٨) ١٩ ، ٣٦ ،

٩٢ - ٩٤ ، ٢٥٣ - ٢٥٤

٢٥٦ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ ،

٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٣٢٧

٣٥٢ ، ٤٨٨ ،

٧٢٢ ، ٧٢٤ ، ٧٩١

الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام

(ج٦) ٢٩١

(ج٧) ٣٣٢

(ج٨) ٦٤٢ - ٦٤٤ ، ٦٥٢

٦٨٠

(ج٩) ٥٩ ، ٦٦ ، ٢٥٢

٤٣٦ ، ٥٠٦ ،

٥٣١ ، ٧٧٨

الفضليات (ج١) ٦٨ ، ١٤٦

١٦٧ ، ١٧٦ ،

٣٠٥ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ ،

٣١٤ ، ٣٢١ - ٣٢٢ ،

٣٨٣ ، ٣٩٥ ، ٤٦٩

٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٥٢٢

٥٨٣

(ج٣) ٣١٩ ، ٣٢٧ ،

٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨

٣٤٦ - ٣٤٩ ، ٣٥٣ ،

٣٥٧

(ج٤) ١٣٩ ، ٣١٩ ،

٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٨

٤٠٣ ، ٥٢٣

(ج٥) ٣٦٢ ، ٣٦٧ ،

٣٧٧ - ٣٧٨ ، ٣٨٥

٤٢٢ - ٤٢٣ ، ٤٣٢ -

٤٣٣ ، ٥٢٠

(ج٦) ٣٦٤ ، ٦٥٧

٦٧٣ ، ٦٥٩

(ج٧) ٣٦٩ ، ٥٣٨

(ج٨) ١٠٩ ، ١٤٠ ،

٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٦١

٢٦٩ - ٢٧٠

(ج٩) ١٠٢ ، ١٤٨ ،

٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٩٩

٣٠٢ - ٣٠٦ ، ٣٤٥

٤٧٤ ، ٤٨١ ، ٥٦٦

٥٦٧ ، ٦٠٩ ، ٦٣٧

٦٤١ ، ٦٥٩ ، ٦٦٢

٦٧٢ ، ٦٨٩ - ٦٩٠

٧٨٩ : ٨١٨ ، ٨٣٢ ،

٨٢٧ ، ٨٨٥ - ٨٨٦

مقاتل الطالبين (ج٩) ٣٠٠

مقاتل الفرسان (ج٩) ٥٢١

المقاصد النحوية في شرح شواهد

شروح الالفية (ج٩) ٥٠٢

٦٤١ ، ٦٦٤

مقامات الحريري (ج٤) ٤٩٧

(ج٥) ٣٥٦

القتبس (ج٩) ٢٩٧

القتطف : مجلة (ج١) ٢٤٤

مقدمة ابن خلدون (ج٥) ١١٤ ،

١٩١ ، ٤٤٤

(ج٦) ٦٣٩ - ٦٤٠ ،

٦٤٢ ، ٧٥٨ ، ٧٦٨

٧٧٣ ، ٧٨٤ - ٧٨٥

(ج٨) ١٥٧ ، ١٦١ ،

١٩٤ ، ٢٦٢ ،

٦٠٥ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢

- ٨٦ (ج١) الملوك واخبار الماضين
٨٤ (ج١)
٣٧٩ (ج٨)
٣٠٨ (ج٩)
المليجية : مطبعة (ج٦) حا ٤٤
الملكة العربية السعودية (ج٧) حا
١٢٢ ، حا ٢٠٨
من نسب الى امه من الشعراء
(ج٩) حا ٦٤٩ ، حا ٨٩٩ -
٩٠٠
مناقب الترك (ج٤) حا ٣٠٨-٣٠٧
حا ٣٨٨
(ج٥) حا ٣٠ ، حا ٥٦٧ ، حا
٥٦٥
(ج٩) حا ٤٦٥
مناهل العرفان في علوم القرآن
(ج٨) حا ٩٨ ، حا ٥٩٨ ، حا
٦٠٠ ، حا ٦٠٣ ، حا ٦١٢
- حا ٦٢١ ، حا ٦٢٢
منتخبات (ج١) حا ١٠٠ ، حا ١٠٥
- حا ١٠٦ ، حا ٣٠٥ ، حا ٣١١
- حا ٣١٢ ، حا ٣١٥ ، حا ٣١٧ ،
حا ٣٤٢ ، حا ٣٥٥ ، حا ٤٤٠ ،
حا ٥٠٢ - حا ٥٠٤ ، حا ٥٠٩
(ج٢) حا ٥٥ ، حا ٢١٨ -
٢١٩ ، حا ٢٥٨ ، حا ٣٠٤ ، حا
٣٥٣ ، حا ٣٦٢ - حا ٣٦٣ ، حا
٤٠٠ ، حا ٤٠٦ ، حا ٤٩٠ ، حا
٥٨٣
(ج٣) حا ٣١٥ ، حا ٣٢٢ ، حا
٤٧٨
(ج٤) حا ٤١٥ - حا ٤١٦ ، حا
٤١٨ - حا ٤١٩ ، حا ٤٢٢ -
٤٢٤ ، حا ٤٣٢ ، حا ٤٣٤ -
٤٣٧ ، حا ٤٣٩ ، حا ٤٤٣
- ٨٣٨ حا (ج٩)
مقدمة الصحاح (ج٥) حا ١٠١ ، حا
١٠٤ ، حا ٣٢٣
مقدمتان في علوم القرآن
(ج٨) حا ٦٢٣
(ج٩) حا ٣٦٧
المقصورة (ج٣) حا ١٨٧ ، حا ٤٤٩
المكابيون الاول (ج١) حا ٢٠٧ ، حا ٦٤٩ ،
٦٥١ -
(ج٣) حا ١٦ ، حا ٢٣ - حا ٢٤
٣١
المكابيون الثاني (ج٣) حا ٢٢ ، حا ٢٣
الكتبة التاريخية (ج١) حا ٥٨
(ج٣) حا ٤٦٤
اللاحن (ج٨) حا ٣٣٤
الملل والنحل (ج٤) حا ٨٠
(ج٥) حا ٥٣٩
(ج٦) حا ٤٥١ ، حا ٦٩١ ، حا
٧٠١
الملوك الاول (ج١) حا ٢٠١ ، حا
٤٢٩ ، حا ٦٣٦ - حا ٦٣٨
٦٤٠ - حا ٦٤١
(ج٢) حا ٢٦٠
(ج٣) حا ٧٧
(ج٦) حا ١٩٨ ، حا ٢٩٨ ، حا
٧٩٥
(ج٧) حا ٣٢١
(ج٨) حا ٣٤٦
الملوك الثاني (ج١) حا ٢٠١ ، حا
٦٤٥
(ج٦) حا ١٩٨ ، حا ٢٦١ ، حا
٥٢٥ ، حا ٦٨٥
ملوك العرب الاولى (ج٤) حا ١٣٣
ملوك كندة (ج٣) حا ٣١٨
الملوك المتوجة من حمير واخبارهم
وقصصهم وقبورهم

- ٤٤٤ ، ٤٤٦ - ٤٤٧ ،
 ٤٥٩ - ٤٦١ ، ٤٦٤ -
 ٤٦٥ ، ٤٧٥ - ٤٧٦ ، ٥١٤ ، ٥١١ ، ٥١٤
 (ج) ٥٦
 المنذر ملك العرب (ج) ١٥٩
 المنشأ : (ج) ١٢٣
 النيرة : طبعة (ج) ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥١
 (ج) ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٢٨٧
 (ج) ٥٥ ، ٣٥ ، ٣٦١
 (ج) ٧٥٩
 (ج) ٢٦٩
 الوازنة (ج) ٢٣٩
 الواهب (ج) ٦٥٦
 الموسوعة الاسلامية (ج) ٧٩
- (ج) ٤٣٧
 الموسوم بجمهرة اشعار العرب
 (ج) ٥٠٦
 الموشح (ج) ٣٢٧
 (ج) ٨١ ، ٨٠ ، ٢٣ ، ١٦٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٣٨ ، ٢٦٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٦
 ٢٤٠ ، ٤٠٧ ، ٤٦٥ ، ٤٩٧ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٨٥
 - ٥٨٦ ، ٧٣٠ ، ٧٩٦ ، ٨٠٤ ، ٨٠٦ ، ٨٨٠
 الموطأ (ج) ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٦١٤ (ج) ٨
 مولد المسيح وحياته (ج) ٨٦
 ميزان الاعتدال (ج) ٦٠١
 اليمينية : مطبعة (ج) ٥٠٧
 مینارد (ج) ٣٠٣

- النون -

- ٤٩٨ ، ٤١٢ ، ١٣٦
 النجف : طبعة (ج) ٢٦٤ ، ٩٩
 (ج) ٣٠٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢
 ٣٩٩ -
 (ج) ٧٩٢ ، ٧٥٤ ، ٣٩١ ، ٣٦٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦
 النجوم الزاهرة (ج) ٢٨٧
- ١٣٦
 نبية : طبعة (ج) ٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢
 (ج) ٢١٨ ، ٢٥٦ ، ٣٠٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦

نحميا : سفر (ج) ٥٢٦

(٨ج) حا ٣٠٧

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

(ج) حا ٧٠١

نزهة الالباء (ج) حا (١٨ ، ٢٣ ،

٣٥ - ٣٦ ، ٣٨ - ٣٩ ، ٤١

- ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٣ - ٥٥ ،

٥٧ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٨٨ ،

٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ - ٣٠٧

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

(٣٢٧ ، ٧٧٧)

نزهة الجليس (ج) حا ١٨٤ ، حا

٢٨٣ ، حا ٣٦٠ ، حا ٣٧٤ ،

حا ٤٩٩

(ج) حا ٧ ، حا ١١ ، حا

٤٧ ، حا ٥١ ، حا ٥٤ ، حا

١٣١

(ج) حا ٦٩٦ - ٧٠١ ، حا

٧٦٨

(٨ج) حا ١٢٦ ، حا ١٣٤ ،

حا ١٥٩ ، حا ١٦٤ ، حا

١٦٧ ، حا ٣٨٣ ، حا ٤٥٥ ،

حا ٤٦٦ ، حا ٧٦٠ ، حا

٧٨٤

(ج) حا ١٨٤ ، حا ١٩٣ ،

حا ١٩٧ ، حا ١٩٩ ، حا

٥١٩ ، حا ٥٢١ - ٥٢٣ ، حا

٥٢٩ - ٥٣٠ ، حا ٥٤٠ ، حا

٧٧٨ ، حا ٧٧٥ ، حا ٧٧٨

نسب عدنان (ج) حا ٣٧٠ - ٣٧٤

حا ٣٧٦ ، حا ٣٩٧ - ٣٩٨

حا ٤٧٤

(ج) حا ٣٥٣

(ج) حا ٤١٥ ، حا ٤٣٩ ،

حا ٤٤١ - ٤٤٢ ، حا ٤٤٦

حا ٤٩٢

(ج) حا ٧٨

نسب قريش (ج) حا ٣٧٦ ، حا

٣٧٨ ، حا ٣٨١ ، حا ٤٧٢

(ج) حا ٢٤ ، حا ٣٢ ، حا

٣٧ - ٣٨ ، حا ٥٠ - ٥١

حا ٥٩ ، حا ٦١ ، حا ٦٦

حا ٧٣ ، حا ٨٦ ، حا ٩٢

- ٩٤ ، حا ٩٩ ، حا ١٠٣

- ١٠٤ ، حا ٢٢٨ ، حا

٢٩٧ ، حا ٣٧٩ ، حا ٤٤٣ ،

حا ٤٦٨ - ٤٧٠ ، حا ٤٧٦

- ٤٨٠ ، حا ٥٢٣ ، حا ٥٣٠

- ٥٣٣ ، حا ٥٦٠ ، حا

٥٨٠ - ٥٨٢ ، حا ٥٨٤

(ج) حا ٨٣ ، حا ٣٢٠ ، حا

٥٢٤ ، حا ٦٢٣ ، حا ٦٢٧ ،

حا ٦٤٢ ، حا ٦٥٠

(ج) حا ٥٨ ، حا ٩٨ ، حا

٣٦٩ ، حا ٤٠٨ ، حا ٤٤٣ ،

حا ٤٧٣ ، ٤٧٦ - ٤٧٨ ، حا ٤٨٨

حا ٥٠٢ - ٥٠٣ ، حا ٦٠٦

(ج) حا ١٢٦ ، حا ٢٩٥ ،

حا ٣٢٣ ، حا ٣٩٥ ، حا

٤٤١ - ٤٤٣

(ج) حا ١١٨ - ١١٩ ، حا

٢٦١ ، حا ٢٦٦ ، حا ٣٠٥

٢٢٣ ، حا ٢٣٠ - ٢٣١ ، حا ٢٤٨

٢٧٧ ، حا ٣٨٤ ، حا ٧٥٥

(ج) حا (٢٧٧ ، ٧٠٠ ، ٧٠٢

- ٧٠٣ ، حا ٧٠٥ - ٧٠٦ ،

٧٠٨ ، حا ٧١٢ - ٧١٤ ، حا ٧١٦

- ٧١٨ ، حا ٧٥٥ ، حا ٧٨٦)

النشر في القراءات العشر

(ج) حا ١٨٦ ، حا ٦١١ ،

حا ٦١٤ - ٦١٥

نشوة الارتياح في بيان حقيقة

- الميسر والقدهاح (ج ٥) ١٢٧
نشيد الاناشيد : الانشاد
(ج ١) ٤٣٩
(ج ٨) ٣٤٠ ، ٣٤٦
(ج ٩) ١٢٥
النصرانية وآدابها (ج ٥) ١.٣ -
١.٤
(ج ٦) ٥٨٣ - ٥٨٤ ، حا
٥٨٦ - ٥٨٨ ، حا ٥٩٢ -
٥٩٤ ، حا ٥٩٦ ، ٦.١ -
٦.٢ ، حا ٦.٧ ، حا ٦١.٠
حا ٦١٢ - ٦١٥ ، حا ٦١٩
حا ٦٢١ ، حا ٦٢٥ - ٦٢٦
حا ٦٢٩ - ٦٣٠ ، حا ٦٣٢ -
٦٣٤ ، حا ٦٣٧ - ٦٤٢ ، حا
٦٤٦ - ٦٤٩ ، حا ٦٥١ -
٦٥٧ ، حا ٦٥٩ - ٦٦١ ، حا
٦٦٦ - ٦٧١ ، حا ٦٧٩ - ٦٨٠
حا ٦٨٢ - ٦٨٦ ، حا ٦٨٨
(ج ٨) ١.٨
التغم (ج ٩) ١٩٩ ، ٢١٠
التقاض (ج ١) ١٤٩ ، حا
٣٩٦
(ج ٣) ٢٢٦ ، حا ٢٥١ ، حا
٣١٩ ، حا ٣٤٨ ، حا
٣٥٣ - ٣٥٥
(ج ٤) ٢.٧ ، حا ٣٧٧ ، حا
٤٤٥ ، حا ٤٩٤ ، حا
٥٣.
(ج ٥) حا ٣٥٠ ، حا ٣٥٢ ، حا
٣٥٤ ، حا ٣٥٦ - ٣٥٧
حا ٣٥٩ ، حا ٣٦١ ، حا
٣٦٥ - ٣٦٩ ، حا ٣٧١ ، حا
٣٧٣ - ٣٨٠
(ج ٦) حا ٢٣٠ ، حا ٢٦٩ ، حا
٣٥٢
- (ج ٧) حا ٣٦٩
(ج ٨) حا ٢٥٤ ، حا ٣٣٣
(ج ٩) حا ٧٥ ، حا ٥٢٠
نقد الشعر (ج ٨) حا ٧٧٥
(ج ٩) حا ٤٥٦
النقط والشكل (ج ٩) ٢١٠
نقوش خربة معين (ج ٢) حا ٩٨ -
٩٩ ، حا ١١٤
(ج ٤) حا ٥٥٢
(ج ٥) حا ٤٥٤ ، حا ٤٦٢ -
٤٦٣ ، حا ٥٦٩
(ج ٦) حا ٤٢٦
(ج ٧) حا ٣٢ ، حا ١٨٦ ، حا
٥١١
نقوش سامية قديمة من جنوب
بلاد العرب (ج ٨) حا ٢١١ ، حا
٤١٣ - ٤١٤
النكاح (ج ٥) حا ٥٣٧ - ٥٣٨ ، حا
٥٦٧
النموذجية : مطبعة (ج ٦) حا ٦٤٨
نهاية الارب (ج ١) حا ٢٩٤ ، حا ٣١٠
- ٣١١ ، حا ٣١٣ ، حا
٣١٥ - ٣١٧ ، حا ٣٢٠ -
٣٢٤ ، حا ٣٣٣ ، حا ٣٤٧
- ٣٤٨ ، حا ٣٥٥ ، حا ٣٧٢
حا ٣٧٥ - ٣٧٦ ، حا ٣٨١
حا ٤٢٦ ، حا ٥٠٩
(ج ٢) حا ٦١٥ - ٦١٦
(ج ٣) حا ٢.٢ - ٢.٣ ، حا
٢١٠ ، حا ٢١٢ ، حا ٢٢٦
حا ٢٣٣ ، حا ٢٣٧ ، حا ٢٥١
حا ٢٧٥ ، حا ٢٩٥ ، حا
٢٩٨ ، حا ٣١٥ ، حا ٣٣٢
حا ٣٤٥ - ٣٤٦ ، حا ٣٥٣ -
٣٥٤ ، حا ٣٨٢ ، حا ٥.١
- ٥.٢

74. 6 , 098 6 , 088 6
 782 6 , 790 6 , 791 6
 780 6 , 783 -
 6 , 36 6 , 29 6 (07)
 91 - 87 6 , 7. 6 , 83
 - 1.3 6 , 98 6 , 97
 121 6 , 112 6 , 1.8
 , 107 6 , 129 - 128 6
 21. 6 , 178 - 173 6
 221 6 , 218 - 217 6
 220 6 , 238 - 237 6
 28. - 239 6 , 231 6
 - 202 6 , 289 - 288 6
 6 , 209 - 207 6 , 208
 272 - 272 , 27. - 271
 282 6 , 278 - 277 6
 8.9 6 , 298 - 293 6
 807 6 , 887 6 , 838 6
 080 6 , 877 6 , 808 -
 - 129 6 , 13 6 (77)
 227 6 , 183 6 , 13.
 270 6 , 201 6 , 238 6
 287 6 , 279 - 278 6
 287 6 , 288 6 , 288 6
 887 6 , 837 6 , 820 6
 6 , 081 6 , 01. 6
 6 , 798 - 797 6 , 717
 - 708 6 , 7.1 - 7..
 773 6 , 771 6 , 709
 771 6 , 779 6 , 777 -
 781 6 , 779 6 , 778 6
 81. - 8.7 6 , 797 6
 813 6
 , 3.1 6 , 130 6 (77)
 8.7 6 , 208 - 203 6
 6 , 888 6 , 838 6

12 - 11 6 , 7 6 (87)
 6 , 38 6 , 27 - 20 6
 87 6 , 88 - 83 6 , 81
 08 6 , 08 6 , 01 6
 - 70 6 , 72 6 , 7. 6
 1.. 6 , 73 - 72 6 , 77
 182 - 181 6 , 1.2 -
 191 6 , 188 - 188 6
 2.. 6 , 197 - 198 6
 6 , 2.0 6 , 2.3 6
 212 6 , 211 6 , 2.9
 228 6 , 222 - 221 6
 282 - 239 6 , 237 6
 288 6 , 287 6 , 288 6
 6 , 201 6 , 289 -
 - 208 6 , 207 - 208
 6 , 270 - 273 6 , 271
 - 218 6 , 293 6 , 279
 - 229 6 , 228 6 , 219
 203 6 , 230 6 , 231
 6 , 28. 6 , 278 6
 - 8.3 6 , 8.1 - 8..
 882 6 , 828 6 , 8.8
 , 888 - 887 6 , 888 -
 872 - 800 6 , 801 6
 879 6 , 870 - 878 6
 877 - 876 6 , 87. -
 880 6 , 883 - 879 6
 89. - 889 6 , 887 6
 - 0.2 6 , 897 - 898 6
 - 018 6 , 012 6 , 01.
 6 , 018 - 017 6 , 010
 - 028 6 , 020 - 022
 033 6 , 031 6 , 029
 6 , 057 6 , 030 6
 088 6 , 08. 6 , 058

(ج) ٤٧٢ حا
نوادير المخطوطات (ج) ١٥٩ حا ،
١٨١ حا ، ١٧٨ حا ، ١٨٠ حا - ١٨١
٢٦٨ حا - ٢٦٩ حا ، ٤٤٣ حا
٥١٣ حا
(ج) ٦٧٤ حا ، ٥٦٢ حا ،
(ج) ٢٢٦ حا ، ٥٣٠ حا ،
٥٨٨ حا ، ٥٩٢ حا ، حا
٦٤٣ حا ، ٦٤٦ حا ، حا ٦٥٠
(ج) ٢٥٩ حا ، حا ٥٠٧ ،
٥٢١ حا ، حا ٦٦٤
(ج) ٢٠٠ حا ، حا ٢٧٢
(ج) ١٥٧ حا - ١٥٩ حا ، حا
١٩٧ حا ، حا ٣٦١ ، حا ٧٢٩
(ج) ٤٥١ حا ، حا ٤٨٦ -
٤٨٧ حا ، حا ٥٣٧ ، حا ٥٤٢
٥٦١ حا ، حا ٥٨٧ ، حا
٥٩٩ حا ، حا ٦٢٧ ، حا ٦٤٧ ،
٦٤٩ حا ، حا ٦٨٥ ، حا
٧٢٧ حا ، حا ٧٥٣ ، حا ٧٥٧ ،
٧٩٤ حا ، حا ٨٩٦ ، حا
٨٩٩

نوافل أسد (ج) ٥١٧
نوافل إباد (ج) ٥١٧
نوافل تميم (ج) ٥١٧
نوافل ربيعة (ج) ٥١٧
نوافل قرش (ج) ٥١٧
نوافل قضاة (ج) ٥١٧
نوافل قيس (ج) ٥١٧
نوافل كنانة (ج) ٥١٧
نوافل من نفل من عاد وثمود
والعماليق وجهرم (ج) ٥١٧
نوافل اليمن (ج) ٥١٧
نيل الاوطار (ج) ٥٤٨ حا ، حا
٥٥٢ حا ، حا ٥٧٥ ، حا ٦٠٢ ،
٦١٨ حا
(ج) ٣٨٩ حا

٥٣٢ حا ، حا ٥٣٦ ، حا ٦٠١
(ج) ٨٩ حا ، حا ١٣٢ ،
حا ٢٥٤ حا ، حا ٣٧٠ ، حا
٣٨٦ حا - ٣٨٧ حا ، حا ٤١١ ، حا
٤١٦ حا ، حا ٤٢٥ ، حا ٤٣٣
٤٤٥ حا ، حا ٤٥٦ ، حا ٥٨٨
٤٦٦ حا ، حا ٤٧٠ ، حا ٤٩٢
حا ٤٩٧ ، حا ٤٩٩ - ٥٠٠
حا ٥٠٢
(ج) ١٥٦ حا ، حا ٤١٨ ،
حا ٧٨٤
النهاية في غريب الحديث
(ج) ٣٧١ حا ، حا ٣٨٧ ،
حا ٦٤٦ حا ، حا ٦٨٥
(ج) ١٧ حا ، حا ١٦٢ ، حا
١٦٨ حا ، حا ١٧٤ ، حا ١٩٨ ،
حا ٢٢٠ حا ، حا ٢٦٤ ، حا
٣٠٤ حا ، حا ٣٠٦ ، حا ٣٠٨
- ٣٠٩ حا ، حا ٥٢١ ، حا ٥٢٧
حا ٥٣٤ حا ، حا ٥٣٨ - ٥٣٩
حا ٥٥٠ حا ، حا ٥٥٤
(ج) ٣٦١ حا - ٣٦٣ حا ، حا
٣٨٥ حا ، حا ٣٩٠ حا ، حا ٤٤٩ ،
حا ٤٥١ حا ، حا ٥٥٠ حا ، حا ٥٨٦
حا ٦٣٩ حا ، حا ٦٤١ - ٦٤٤ ،
حا ٦٥٣ حا ، حا ٦٧٥ ، حا
٦٧٨ حا ، حا ٦٩١ حا ، حا ٦٩٥ ،
حا ٧٠٢ حا ، حا ٧٥٠ حا ، حا
٧٦٢ حا ، حا ٧٧٢ حا ، حا ٧٧٤
- ٧٧٥ حا ، حا ٧٨٠ حا ، حا
٧٨٢ حا - ٧٨٣ حا ، حا ٧٨٥ ،
حا ٧٩٠ حا ، حا ٨٠٢
(ج) ٦٠٠ حا ، حا ٦٠٨
(ج) ٣٩٣ حا
نوادير أبي زيد (ج) ٤٠٣ حا
(ج) ٧١٥ حا

– الهاء –

الهلال : مجلة (ج) ١٧٢ ، حا	الهدى النبوي (ج) ١٣٢ حا
٢٣٤ ، حا ٢٩٤ ، حا ٣٠٠ -	هرشفلد : طبعة (ج) ٣٨٤ ، حا
٣٠١ ، حا ٣١١ - ٣١٢ ، حا	٤٨٧ حا
٣٣٥ ، حا ٤٢٦ ، حا ٤٣١ ، حا	(ج) ٢٥٦ حا
٥٢٣ حا	(ج) ٧٨ حا ، حا ٢٥٢ ، حا
(ج) ٦٠٥ حا ، حا ٦٢٧	٥٢٣ حا ، حا ٦٠٢ ، حا
موتسما : طبعة (ج) ٦٠ حا ، حا	٧٩٧
٣٧٧ - ٣٧٨	(ج) ٤٠٦ حا
(ج) ١٢٨ حا ، حا ٥٢٠	الهرطقات (ج) ٦٣٧
(ج) ١٣٥ حا	الهكادة (ج) ٤٢٠
	(ج) ٥٥٤

– الواو –

٦٤٠ حا	الوثائق السياسية (ج) ٣٠٦ حا
الوزراء والكتاب (ج) ١٢٠ حا -	الوردت : طبعة (ج) ٦٥٩ حا
١٢١ ، حا ١٥٤ ، حا ١٥٧ -	وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٥٩	طبعة (ج) ٧٧١ حا
الوسائل فى مسامرة الاوائل	(ج) ٦١٢ حا ، حا ٦٢٣ ، حا

٤٤٣ ، حا ٥٢٦	(ج) ٢٨٠ حا
(ج) ٣٨٤ حا ، حا ٥٢١ ،	الوساطة (ج) ٢٤٠ حا ، حا
٧٦٥ حا ، حا ٥٧٧	٨٠٤
الوضائع : كتب (ج) ٥٣٤	وستنفلد : طبعة (ج) ١٧ حا ،
وفاء الوفاء (ج) حا ٢٦٨ -	حا ٣٤٢ ، حا ٣٥٥ ، حا
٢٦٩	٣٩٦ ، حا ٤٥٤ ، حا ٥٢٥ ،
وفيات الاعيان (ج) حا ٨٧ ، حا	(ج) حا ٥٢ ، حا ٣٥٣ ،
٨٩	حا ٦١٦ ، حا ٦٢١
(ج) حا ١٠٩	(ج) حا ١٢ ، حا ٦٢ ، حا
(ج) حا ١٦٢	٧٩ ، حا ١٣٢ ، حا ١٦٩ ،
الوقف (ج) حا ٦٨	حا ٣٥٧
ولهوزن : طبعة (ج) حا ٤٣٥	(ج) حا ١٤ ، حا ٤٢ ، حا
(ج) حا ٥٠٤	٢٤٧ ، حا ٣٧٧ - ٣٧٨ ، حا

- الياء -

(ج) ٦٢	يشوع : سفر (ج) حا ٥٤ ، حا
اليهود في جزيرة العرب	٦٤٤
(ج) حا ٧١٤	(ج) ٦٠ - ٦١ ، حا ١٥٧
يوئيل : سفر (ج) حا ٦٣٤	اليمن ماضيها وحاضرها
(ج) ٢٣٣	(ج) حا ١٧٩

فهرس الموضوعات

المجلد الاول

٢٩٤	طبقات العرب	٥	مقدمة
	العرب العاربة والعرب	١٣	تحديد لفظة العرب
٣٥٤	المستعربة		الجاهلية ومصادر التاريخ
٤١٠	أثر التوراة	٣٧	الجاهلي
٤٦٦	أنساب العرب		اهمال التاريخ الجاهلي
٥٠٩	طبقات القبائل	١٠٧	واعادة تنوينه
٥٢٩	تاريخ الجزيرة القديم	١٤٠	جزيرة العرب
٥٧٣	العرب في الهلال الخصيب		طبيعة جزيرة العرب
	صلة العرب بالكلدانيين	١٨٦	وثرواتها وسكانها
٦٠٧	والفرس	٢٢٢	صلات العرب بالساميين
٦٢٩	العرب والعبرانيون	٢٦١	طبيعة العقلية العربية

المجلد الثاني

٣٩٠	أسر وقبائل	٥	العرب واليونان
٤١٦	ملوك سبأ وذو ريدان	٣٨	العرب والرومان
٤٧٣	سبأ وذو ريدان	٧٣	الدولة المعينية
٤٩٨	ممالك وامارات صغيرة	١٢٩	مملكة حضرموت
٥١٠	الحميريون	١٧١	حكومة قتيان
	سبأ وذو ريدان وحضرموت	٢٤١	سلكتا ريدان ولحيان
٥٣٠	ويمنت	٢٥٨	السبئيون
٦٠٠	امارات عربية شمالية	٣١٥	ملوك سبأ
٦٢٦	ساسانيون وبيزنطيون	٣٥٣	همدان
٦٦٧			

المجلد الثالث

٢٣٩	عمرو بن هند	٥	مملكة النبط
٣١٥	مملكة كندة	٧٦	مملكة تدمر
		١٤٢	الصفويون
٢٨٧	مملكة الفساسنة	١٥٥	مملكة الحيرة

المجلد الرابع

٢٧١	المجتمع العربي	٥	مكة المكرمة
٤١٤	أنساب القبائل	١٢٨	يثرب والطائف
٤٦٧	القبائل العدنانية		الحالة السياسية في جزيرة
٥٤١	الناس منازل ودرجات		العرب عند ظهور الاسلام
٦٠٦	الحياة اليومية	١٥٨	

المجلد الخامس

٣٩٩	الحروب	٥	البيوت
٤٦٩	في الفقه الجاهلي	٧٩	فقر وغنى وأفراح وأتراح
٥٢٦	الاحوال الشخصية	١٧٨	الدولة
٥٦٩	الملك والاعتداء عليه		حقوق الملوك وحقوق سادات
٦١٢	المقود والالتزامات	٢٥٣	القبائل
٦٣٥	حكام العرب	٣٣٣	الغزو وأيام العرب

المجلد السادس

٣٣٦	شعائر الدين	٥	أديان العرب
٣٤٧	الحج والعمرة	٣٤	التوحيد والشرك
٣٩٨	بيوت العبادة	٨٣	أنبياء جاهليون
٤٢٩	الكعبة	١٠٢	الله ومصير الانسان
٤٤٩	الحنفاء		الروح والنفس والقول
٥١١	اليهودية بين العرب	١٣٦	بالدهر
٥٤٣	اليهود والاسلام	١٦٣	الآلهة والتقرب اليها
٥٦٩	شعر اليهود	١٨٤	التقرب الى الآلهة
٥٨٢	النصرانية بين الجاهليين	٢١٢	رجال الدين
٦٢٣	المذاهب النصرانية	٢٢٧	الاصنام
٦٣٨	التنظيم الديني	٢٩٠	أصنام الكتابات

٧٥٥	في أوابد العرب	٦٦٢	آثر النصرانية في الجاهلية
٧٨٦	الطيرة	٦٩١	المجوس والصابئة
٨٠٦	من عادات الجاهليين	٧٠٥	تسخير عالم الارواح

المجلد السابع

٣١٧	القوافل		آثر الطبيعة في اقتصاد
٣٣١	طرق الجاهليين	٥	الجاهليين
٣٦٥	الاسواق	٢٤	الزروع والمزروعات
٣٨٧	البيع والشراء	٤٥	الزروع
٤٠٦	الشركة	٥٧	المحاصيل الزراعية
٤١٥	المال	٦٦	الشجر
٤٣٨	أصحاب المال	٩٧	المراعي
٤٥٣	الطبقة المملوكة	١١١	الثروة الحيوانية
٤٧٢	الاتاوة والمكس والاعشار	١٣٠	الارض
٤٨٧	النقود	١٥٧	الارواح
٥٠٥	الصناعة والمعادن والتعدين	٢١٦	معاملات زراعية
٥٣٠	حاصلات طبيعية	٢٢٧	الحياة الاقتصادية
٥٤٣	الحرف	٢٤٣	ركوب البحر
	قياس الابعاد والمساحات	٢٦١	التجارة البحرية
٦٢٠	والوزن والكيل	٢٨٥	تجارة مكة

المجلد الثامن

٤١٩	الهندسة والنوء	٥	الفن الجاهلي
٤٣٦	الوقت والزمان	٣٤	القصور والمحافد والآطام
٤٧١	الاشهر الحرم	٥٨	الخزف والزجاج والبلور
٤٨٨	النسيء	٦٦	الفنون الجميلة
٥٠٩	التقاويم والتواريخ	٩١	أمية الجاهليين
٥٢٥	اللغات السامية	١٤٤	الخط العربي
٥٣٧	العربية لسان آدم في الجنة	٢٠٢	المسند ومشتقاته
٥٦٢	لغات العرب	٢٤٨	الكتابة والتدوين
٥٩٥	لغة القرآن	٢٩١	الدراسة والتدريس
٦٢٤	العربية الفصحى	٣١٣	الكتاب والعلماء
٦٧١	اللسان العربي	٣٣٦	الفلسفة والحكمة
٦٩٤	المعربات	٣٥٤	الامثال
٧٣٣	النثر	٣٧١	القصص
٧٧١	الخطابة	٣٨٠	الطب والبيطرة

المجلد التاسع

٤٣٩	أوائل الشعراء	٥	الاعراب والعربية واللحن
٥٠٦	المعلقات السبع	٣٥	النحو
٥١٩	أصحاب المعلقة	٦٢	الشعر
٦٠١	الشعراء الصعاليك	١٢٣	حد الشعر
٦٥٤	شعراء القرى العربية	١٦٩	القريض والرجز والقصيد
٦٩٤	شعراء قریش	١٩٢	العروض
٧١٩	شعراء يثرب	٢١٣	البصرة والكوفة
٧٥٢	شعراء ثقیف	٢٢٨	العصبية والشعر
٧٦٨	الشعراء اليهود	٢٥٠	تدوين الشعر الجاهلي
٧٩٢	الشعراء النصارى	٢٧٧	أشهر رواة الشعر
٨١٩	آراء الشعراء الجاهليين	٣٢٨	تنقيح الشعر والدواوين
٨٣٨	شعر المخضرمين	٣٥٥	الشعر المصنوع
		٤٠٦	أولية الشعر الجاهلي

فهرس الفهارس

المجلد العاشر

٥١٦	فهرس السور القرآنية	٧	فهرس الاعلام
	فهرس المجامع والشركات	٢٤٢	فهرس الامم والشعوب
٥٥٣	والبعثات		والقبائل والجماعات
٥٥٤	فهرس الطباعة والمطبوعات	٣٣٧	فهرس الدول والممالك
٦٦٧	فهرس الموضوعات		والاماكن
٦٧١	فهرس الفهارس	٤٦٩	فهرس المذاهب والفنون
			والطوائف واللغات